زاد المسير

في علم التفسير

للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق
عبد الرزاق المهدي

المجلد الأول

(سورة الفاتحة - سورة المائدة)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

ISBN: 9953-27-016-3

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

ISBN 9953-27-016-3
9 789953 270166

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون : 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 -ص.ب.: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb

زاد المسير

في علم التفسير

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٧
خطبة الكتاب	١١
فصل في فضل علم التفسير	١١
فصل في مدة نزول القرآن	١٢
فصل في الاستعاذة	١٤
فصل في «بسم الله الرحمن الرحيم»	١٤
١ ـ تفسير سورة الفاتحة	١٧
٢ ـ تفسير سورة البقرة	٢٤
٣ ـ تفسير سورة آل عمران	٢٥٧
٤ ـ تفسير سورة النساء	٣٦٦
٥ ـ تفسير سورة المائدة	٥٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، أرسله على فترةٍ من الرُّسُل، وضلالٍ من الناس، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى، وأيّده بالمعجزات الباهرة والآيات الساطعة الدالّة على صدقه وصدق دعوته. ومن أهم تلك المعجزات التي أعزَّ الله بها نبيّه، وهذه الأمّة، كتاب الله وكلامه المنزّل على محمد ﷺ.

ترجمة ابن الجوزي(١)

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيميّ البكري الحنبليّ، الواعظ، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصدّيق، واشتهر بابن الجوزي نسبة إلى شرعة الجوز، إحدى محالّ بغداد بالجانب الغربي، وقيل: نسبة إلى جوزة كانت في دار جدّه السابع جعفر بن عبد الله بواسط.

ولد ابن الجوزي ببغداد سنة ٥٠٨ هـ وقيل سنة ٥١٠ هـ، وقيل سنة ٥١٤ هـ. ولما ترعرع حفظ القرآن وقرأه على جماعة بالروايات، ثم طلب العلم على جمع كثير من العلماء.

وقد اشتغل بالوعظ وأوتي حظاً عظيماً وصيتاً بعيداً فيه، فكان يحضر مجالسه الملوك والوزراء والأئمة الكبار. وكان مجلسه لا ينقص عن ألوف كثيرة حتى قيل في بعض مجالسه: إنه حزر الجمع بمئة ألف.

---

(١) انظر عنه في: التكملة لوفيات النقلة ١/ ٣٩٤، ٣٩٥ رقم ٦٠٨، ومشيخة النعّال ١٤٠ ـ ١٤٢، ورحلة ابن جبير ١٩٦ ـ ٢٠٠، والتقييد لابن نقطة ٣٤٣، ٣٤٤ رقم ٤٢٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢/ ٤٨١ ـ ٥٠٢، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٠ ـ ١٤٢ رقم ٣٧٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢، ١٣٤٨، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٩٩ ـ ٤٣٣، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٨٦ ـ ١٩٤ رقم ٢٣، وتاريخ الإسلام للذهبي (٥٩١ ـ ٦٠٠) ص ص ٢٨٧ ـ ٣٠٥ رقم ٣٧١، وسير أعلام النبلاء له ٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤ رقم ١٩٢، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٥٧، ١٥٨، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٠٩ رقم ١٠٦٣.

قال الشيخ موفق الدين المقدسي: «كان ابن الجوزي إمام عصره في الوعظ، وصنَّف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، وكان يدرّس الفقه ويصنّف فيه، وكان حافظاً للحديث وصنَّف فيه..».

وقال ابن رجب: نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتدَّ نكيرهم عليه في ذلك.. ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف؛ وهو وإن كان مطلقاً على الأحاديث والآثار فلم يكن يحلّ شبه المتكلمين وبيان فسادها.

وكان ابن الجوزي معظِّماً لأبي الوفاء بن عقيل متابعاً لأكثر ما يجده من كلامه، وإن كان قد ردّ عليه في بعض المسائل. وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تامّ الخبرة بالحديث والآثار. فلهذا يضطرب تأويله في هذا الباب وتتلوّن فيه آراؤه. وأبو الفرج تابع له في هذا التلوّن.

وتصانيف ابن الجوزي كثيرة جدة بلغت، فيما قيل، خمسين ومئتين كتاب، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيعي أن ابن الجوزي ناوله كتاباً بخطه سرد فيه تصانيفه.

قال ابن الجوزي: أول ما صنَّفت وألَّفت ولي من العمر ثلاث عشرة سنة.

ومن تصانيفه في التفسير: المغني ـ تذكرة الأريب في معرفة الغريب ـ نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر ـ عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ ـ زاد المسير في علم التفسير وهو الكتاب الذي نقدّم له.

وفي التوحيد وعلم الكلام: دفع شبه التشبه ـ منهاج الوصول إلى علم الأصول.

وفي علم الحديث: جامع المسانيد ـ غرر الأثر ـ الموضوعات ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

كما صنف في الفقه وفي التاريخ والوعظ وعلم الرجال(١).

توفي ابن الجوزي ليلة الجمعة بين العشاءين الثاني عشر من شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، وله من العمر سبع وثمانون سنة. وحُملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد بن حنبل. وكان يوماً مشهوداً حتى قيل: إنه أفطر جماعة من كثرة الزحام وشدة الحر. وكان قد أوصى أن يُكتب على قبره هذه الأبيات:

يا كثير العفو يا من كثُرت ذنوبي لديْه
جاءك المذنب يرجو الصَّفحَ عن جُرْمِ يديْه
أنا ضيفٌ وجزاء الضيفِ إحسانٌ إليه

---

(١) وضع عبد الحميد العلوجي كتاباً بعنوان «مؤلفات ابن الجوزي» طبع في بغداد سنة ١٩٦٥. كما نشرت ناجية عبد الله إبراهيم رسالة بعنوان «ابن الجوزي ـ فهرست كتبه» في مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ٣١، ١٩٨٠.

زاد المسير في علم التفسير

أقبل المسلمون على كتاب ربهم وكلام خالقهم دراسة وحفظاً وعملاً، وألّفوا في علومه كتباً ومؤلفات عديدة في التفسير والقراءات واستنباط الأحكام والإعجاز والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والغريب والمبهمات والفضائل والقصص وغير ذلك.

ومن أهم كتب التفسير للقرآن الكريم كتاب «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي الذي عمد إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فأشبعها دراسة واستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم، ووضع تفسيره هذا مخلّصاً إياه من التطويل المملّ ومن الاختصار المخلّ. وقال في مقدمة كتابه:

(... أني نظرت في جملة من كتب التفسير فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أُهمل فيه المشكل وشُرِح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطوياً على العلم الغزير، ووسمته بـ «زاد المسير في علم التفسير»).

فجاء كتابه وَسَطاً بين التفاسير الطويلة والمختصرة الشديدة الاختصار، مع تميّزه بجملة من الخصائص، إضافةً إلى أسلوب ابن الجوزي السَّلس المتين والسهل الممتنع. ومن هذه الخصائص أنه تحدّث عمن نزلت بعض الآيات فيهم، وذكر القراءات المشهورة والشاذة أحياناً، وتوقف عند الآيات المنسوخة والتي اختلف العلماء حولها أمنسوخة هي أم لا؟ وأورد أقوال العلماء بهذا الصدد، بالإضافة إلى ردّه كل قول إلى مصدره معتمداً على علماء اللغة مثل: ابن قتيبة وأبي عبيدة والخليل بن أحمد الفراهيدي؛ وعلى النحاة مثل: الفرّاء والزجّاج والأخفش والكسائي ومحمد بن القاسم النحوي؛ وعلى القرّاء مثل: الجُحْدري وعاصم وغيرهم.

منهج التحقيق

عملنا في هذا الكتاب على:

- تخريج الأحاديث المرفوعة، وما له حكم الرفع تخريجاً وافياً.
- تصدير التخريج بقولنا «صحيح»، «حسن»، «ضعيف»... وذلك تسهيلاً على الطالب واختصاراً لوقته.
- ترقيم الأحاديث المخرجة ترقيماً تسلسلياً.
- تصويب ما وقع فيه تصحيف أو تحريف.
- تخريج الآيات وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- شرح بعض المفردات الغريبة.

هذا ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل متقبلاً وأن ينفع به المؤمنين إنه خير سميع وخير بصير، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

رَبِّ يسِّر وأعِن

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي شرّفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه على الحُكم إلى الأمر الرشيد، وقوَّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجَهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

أحمَده على التوفيق للتحميد، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يبقى ذُخرها على التأبيد، وأن محمّداً عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد، بشيراً للخلائق ونذيراً، وسراجاً في الأكوان منيراً، ووهب له من فضله خيراً كثيراً، وجعله مقدَّماً على الكلِّ كبيراً، ولم يجعل له من أرباب جنسه نظيراً، ونهى أن يُدعى باسمه تعظيماً له وتوقيراً، وأنزل عليه كلاماً قرّر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً، فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١). فصلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأشياعه، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد؛ لمّا كان القرآن العزيز أشرفَ العلوم، كان الفَهم لمعانيه أوفى الفُهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملةٍ من كتب التفسير، فوجدتها بين كبيرٍ قد يئس الحافظ منه، وصغيرٍ لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسّط منها قليل الفوائد، عديمُ الترتيب، وربما أُهمل فيه المشكلُ، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطوياً على العلم الغزير، ووسمته بـ «**زاد المسير في علم التفسير**».

وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد ـ وفّقك الله ـ في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه.

فصل في فضل علم التفسير

[١] روى أبو عبد الرحمٰن السُلَميّ، عن ابن مسعودٍ قال: كنا نتعلّم من رسول الله ﷺ العَشْرَ، فلا

---

[١] صحيح. أخرجه الطبري ٨٢ من طريق عطاء عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا... =

---

(١) الإسراء: ٨٨.

نُجاوزها إلى العشر الأُخر حتى نعلمَ ما فيها من العلم والعمل.

وروى قَتَادة عن الحسن أنّه قال: ما أنزل الله آيةً إلا أحبّ أن أعلم فيْمَ أُنزلت، وماذا عنىٰ بها.

وقال إياس بن معاوية: مَثَلُ من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتابٌ من صاحبٍ لهم ليلاً، وليس عندهم مصباحٌ، فتداخَلَهُم لمجيء الكتاب رَوْعةٌ؛ لا يَدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

فصل: اختلف العلماء: هل التَّفسير والتَّأويل بمعنىً، أَمْ يختلفان؟ فذهب قومٌ يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنىً، وهذا قول جمهور المفسّرين المتقدّمين. وذهب قومٌ يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراجُ الشيء من مَقام الخَفاء إلى مقام التَّجلّي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يُحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما تُرِك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذٌ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي: صار إليه.

فصلٌ في مدّة نزول القرآن

روى عِكْرمةُ عن ابن عبّاسٍ قال: أُنزل القرآنُ جملةً واحدةً من اللّوح المَحفوظ في ليلة القَدْر إلى بيت العِزَّة، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة[1]. وقال الشعبي: فرّق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة. وقال الحَسن: ذُكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثمانيَ عشرة سنةً، أُنزل عليه بمكة ثمانيَ سنين، وبالمدينة عشرَ سنين.

فصل: واختلفوا في أوّل ما نَزَل من القرآن:

[٢] فأثبت المنقول أنّ أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[2]، رواه عُروة عن عائشةَ وبه قال

= فذكره. والسلمي أحد تلامذة ابن مسعود، فهو المراد، وكأنه أراد أنه سمع مثل ذلك عن غير ابن مسعود حيث لم يسمه. وأخرجه الطبري ٨١ من وجه آخر عن أبي وائل عن ابن مسعود وإسناده صحيح على شرط مسلم.

[٢] صحيح. أخرجه البخاري ٣ ومسلم ١٦٠ وأحمد ٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣. والطيالسي ١٤٦٧ وابن حبان ٣٣ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦ من حديث عائشة أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: «ما أنا بقارىء» قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ! قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ! قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم**﴾». فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان =

---

(١) موقوف حسن، وسيأتي تخريجه إن شاء الله. (٢) العلق: ١.

قَتَادةُ وأبو صالح. ورُوي عن جابر بن عبد الله: أن أوّل ما نزل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.
والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ رَجع فتدثَّر فنزلَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.

[٣] يدل عليه ما أُخرج في «الصحيحين» من حديث جابرٍ قال: سمعتُ النبيّ ﷺ وهو يحدِّث عن فترة الوَحي، فقال في حديثه: «فَبَيْنا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا المَلَك الذي جاءني بحِرَاء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فجَئِثْتُ منه رعباً، فرجعتُ فقلت: زَمِّلوني، زمِّلوني، فدثِّروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾»، ومعنى جَئِثْتُ: فَرِقْتُ. يقال: رجل مجؤوث ومجثوث. وقد صحَّفه بعض الرواة فقال: جَبُنْتُ، من الجُبْن، والصحيح الأول.

وروي عن الحَسن وعِكرمةَ: أن أوّل ما نزل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فصل: واختلفوا في آخر ما نزل:

[٤] فروى البخاريُّ في أَفْرَادِهِ من حديث ابن عباس، قال: آخر آيةٍ أُنزلت على النبيّ ﷺ، آية الرِّبا(١).

[٥] وفي أفرادِ مسلم عنه: آخر سورةٍ نزلَت جميعاً: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾(٢).

[٦] وروى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ قال: آخر آيةٍ أُنزلت: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٣)، وهذا مذهب سعيد بن جُبيرٍ وأبي صالحٍ.

[٧] وروى أبو إسحاقَ عن البَرَاء قال: آخر آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾(٤)، وآخر سورةٍ نزلت «براءة».

[٨] وروي عن أُبيّ بن كَعبٍ: أن آخر آيةٍ نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٥)، إلى آخر السورة.

= يكتب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي. واللفظ للبخاري.

[٣] أخرجه البخاري ٣٢٣٨ و٤٩٢٥ ومسلم ١٦١ والترمذي ٣٣٢٥ وابن حبان ٣٤، وسيأتي في سورة المدثر.
[٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٤٤ عن ابن عباس، ويأتي.
[٥] يأتي في سورة النصر.
[٦] يأتي ذكر الحديث عند الآية ٢٨١ من سورة البقرة.
[٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٥٤ عن البراء.
[٨] حسن. أخرجه أحمد ٥/١١٧ من طريق شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس عن أُبي بن =

---

(١) وهي ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾.
(٢) سورة النصر: ١.
(٣) البقرة: ٢٨١.
(٤) النساء: ١٧٦.
(٥) التوبة: ١٣٨.

فصل: لما رأيت جمهور كتب المفسّرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كَشْفُه حتى ينظر للآية الواحدة في كتبٍ، فرُبَّ تفسيرٍ أخلَّ فيه بعلم النَّاسخ والمَنسوخ، أو ببعضه، فإن وجِد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وُجِد لم يوجد بيان المكيّ من المَدنيّ، وإن وجد ذلك لم تُوجد الإشارة إلى حُكم الآية، فإن وُجِد لم يوجد جواب إشكالٍ يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة. وقد أدْرَجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره مما لا يستغني التفسير عنه ما أرجو به وقوعَ الغَناءِ بهذا الكتاب عن أكثر ما يُجانِسُه.

وقد حَذِرْتُ من إعادة تفسير كلمةٍ متقدمةٍ إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أَحَطْتُ بها إلا ما تبعُد صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيتَ في فَرْش الآيات ما لم يُذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين: إمّا أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسيرٍ. وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير، فأخذ منها الأصحَّ والأحسنَ والأَصْوَنَ، فنظمه في عبارة الاختصار. وهذا حينَ شروعنا فيما ابتدأنا له، والله الموفّق.

فصلٌ في الاستعاذة

قد أمر الله عزَّ وجلَّ بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[١]، ومعناه: إذا أردتَ القراءة. ومعنى أعوذ: ألْجأُ وألُوذ.

فصلٌ في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قال ابن عمرَ: نزلَتْ في كل سورةَ.

وقد اختلف العلماء: هل هي آيةٌ كاملةٌ، أم لا؟ وفيه عن أحمد روايتان، واختلفوا: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ فيه عن أحمدَ روايتان أيضاً. فأمّا مَنْ قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة، وأمّا من لم يَرَها من الفاتحة، فإنه يقول: قراءتها في الصلاة سُنَّةٌ، ما

= كعب به. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، ويوسف هو ابن مهران لين الحديث، وثقه أبو زرعة، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ويذاكر، وقال أحمد: لا يُعرف. نقله الذهبي في «الميزان» ٤/ ٤٧٤. وقال الحافظ في «التقريب»: يوسف بن مهران، ليس هو يوسف بن ماهك، ذاك ثقة، وهذا لم يرو عنه إلاّ ابن جدعان، وهو لين الحديث. وأخرجه الحاكم ٢/٣٣٨ من وجه آخر عن شعبة عن يونس بن عبيد وعلي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران به. وقال: حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي!. وليس كما قالا، فقد ظن الحاكم أن الذي في الإسناد هو يوسف بن ماهك، فذاك روى له الشيخان، وقد فرّق بينهما ابن حجر كما تقدم، وكذا الذهبي في «الميزان» ٤/ ٤٧٤. فالإسناد لين، لكن توبع، فقد أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» ص ٣٨ من وجه آخر وفيه أبو جعفر الرازي وهو ضعيف الحديث، لكن يصلح للمتابعة. فالحديث حسن من جهة الإسناد.

- ويأتي الكلام على الجمع بين هذه الأحاديث إن شاء الله، والله أعلم.

---

(١) النحل: ٩٨.

عدا مالكاً فإنه لا يستحبّ قراءتها في الصلاة(١).

واختلفوا في الجَهر بها في الصلاة فيما يجهر به(٢)، فنقل جماعةٌ عن أحمدَ: أنه لا يُسنّ الجَهر بها، وهو قول أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ، وعليٍّ، وابن مسعودٍ، وعمَّار بن ياسرٍ، وابن مغفَّلٍ، وابن الزُّبير، وابن عباسٍ، وقال به من كبراء التابعين ومن بعدهم: الحَسن، والشَّعبيُّ، وسعيد بن جُبير، وإبراهيم، وقَتادةُ، وعمرُ بن عبد العزيز، والأَعْمَش، وسُفيانُ الثوري، ومالكٌ، وأبو حنيفةَ، وأبو عُبيدٍ في آخرين. وذهب الشَّافعي إلى أن الجهر بها مسنونٌ، وهو مرويٌّ عن مُعاوية بن أبي سُفيانَ، وعطاءٍ، وطَاوسٍ، ومُجاهدٍ.

فأمّا تفسيرها: فقوله: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ اختصارٌ، كأنه قال: أبدأُ باسم الله، أو: بدأتُ باسم الله. وفي الاسم خمس لغاتٍ: اسم بكسر الألف، وأُسم بضم الألف إذا ابتدأت بها، وسِم بكسر السين، وسُم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ١٣٢: وجملة مذهب مالك وأصحابه: أنها ليست عندهم آية من فاتحة الكتاب ولا غيرها، ولا يقرأ بها المصلي في المكتوبة، ولا في غيرها سراً ولا جهراً. ويجوز أن يقرأها في النوافل. هذا هو المشهور في مذهبه عند أصحابه. وعنه رواية أخرى أنها تقرأ أول السورة في النوافل، ولا تقرأ أول أم القرآن. وروي عن ابن نافع ابتداء القراءة بها في الصَّلاة الفرض والنفل ولا تترك بحال. ومن أهل المدينة من يقول: إنه لا بد فيها من ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ منهم ابن عمر وابن شهاب. وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد. وهذا يدل على أن المسألة مسألة اجتهادية لا قطعية كما ظن بعض الجهّال من المتفقهة الذي يلزم على قوله تكفير المسلمين، وليس كما ظن لوجود الاختلاف المذكور، والحمد لله. وقد ذهب جمع من العلماء إلى الإسرار بها مع الفاتحة، منهم: أبو حنيفة، والثوري ورُوي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وعمّار وابن الزبير، وهو قول الحكم وحمّاد وبه قال أحمد بن حنبل وأبو عبيد، ورُوي عن الأوزاعي مثل ذلك. وانظر المغني ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٩.

(٢) قال الإمام الموفّق رحمه الله في «المغني» ٢/ ١٤٩ ـ ١٥١: ولا تختلف الرِّواية عن أحمد أن الجهر بها غير مسنون. قال الترمذي: وعليه العمل عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم التابعين منهم أبو بكر وعمر وعثمان، وعليّ. وذكره ابن المنذر، عن ابن مسعود، وابن الزبير وعمار. وبه يقول الحكم وحمّاد، والأوزاعي، والثّوري، وابن المبارك، وأصحاب الرأي. ويُرْوَى عن عطاء، وطاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، الجهر بها. وهو مذهب الشافعي لحديث أبي هريرة، أنهّ قرأها في الصّلاة. وقد صح عنه أنه قال: ما أسمعنا رسول الله ﷺ أسمعناكم، وما أخفى أخفيناه عليكم. متفق عليه. وعن أنس، أنه صلّى وجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم. وقال: أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ. ولِمَا تقدّم من حديث أم سلمة وغيره، ولأنّها آية من الفاتحة فيجهر بها الإمام في صلاة الجهر، كسائر آياتها. ولنا حديث أنس وعبد الله بن المغفّل، وعن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين. متفق عليه. وروى أبو هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾. قال الله: حمدني عبدي» وذكر الخبر. أخرجه مسلمٌ. وهذا يدل على أنه لم يذكر ﴿بسم الله الرّحمٰن الرّحيم﴾، ولم يجهر بها. وحديث أبي هريرة الذي احتجوا به ليس فيه أنّه جهر بها، ولا يمتنع أن يسمع منه حال الإسرار، كما سمع الاستفتاح والاستعاذة من النبي ﷺ، مع إسراره بهما، وقد روى أبو قتادة، أن النبي ﷺ كان يسمعهم الآية أحياناً في صلاة الظهر. متفق عليه. وحديث أم سلمة ليس فيه أنه جهر بها، وسائر أخبار الجهر ضعيفة، فإن رُواتها هم رُوَاة الإخفاء، وإسناد الإخفاء صحيح ثابت بغير خلافٍ فيه، فدل على ضعف رواية الجهر، وقد بلغنا أن الدارقطني قال: لم يصح في الجهر حديث.

بضمّها، وسَما. قال الشاعر(١):

والـلَّـهُ أسْـمَـاكَ سُـمـىً مـبـاركـا　　آثَـرَكَ الـلَّـهُ بـه إيـثـارَكـا

وأنشدوا(٢):

بـاسـم الـذي فـي كـلِّ سُـورةٍ سِـمُـهْ

قال الفرَّاء: بعض قيس يقولون: سِمُه، يريدون: إسمهُ، وبعض قُضاعةَ يقولون: سُمُه. أنشدني بعضهم:

وعـامُـنـا أعـجَـبَـنـا مُـقـدَّمُـه　　يُـدعـى أبا السَّـمـح وقِرْضَابٌ سُمُـه(٣)

والقِرْضَابُ: القَطَّاع، يُقال: سيفٌ قِرْضَابٌ.

واختلف العلماء في اسم الله الذي هو «الله»؛ فقال قومٌ: إنه مشتقٌّ، وقال آخرون: إنه عَلَمٌ ليس بمشتقٍّ. وفيه عن الخليل روايتان: إحداهما: أنه ليس بمشتقٍّ، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمٰن. والثانية: رواها عنه سِيبوَيه: أنه مشتقٌّ. وذكر أبو سُليمان الخَطَّابيّ عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتقٌّ من: أَلِهَ الرجل يَألَه: إذا فزع إليه من أمرٍ نزل به. فَألَهَهُ، أي: أجَارَه وأمَّنه، فسمي إلٰهاً كما يُسمَّى الرجل إماماً. وقال غيره: أصله وِلاَه. فأبدلت الواو همزةً فقيل: إله كما قالوا: وِسَادَة وإسَادَة، ووِشَاح وإشَاح. واشتُقَّ من الوَلَه، لأن قلوب العباد تُولَهُ نحوه، كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾(٤). وكان القياس أن يقال: مَألوهٌ، كما قيل: معبودٌ، إلا أنهم خالفوا به البِناء ليكون عَلَماً، كما قالوا للمَكتوب: كتاب، وللمَحسوب: حِساب. وقال بعضهم: أصله من: أَلِهَ الرجلُ يَألَه إذا تحيَّر، لأن القلوب تتحيَّر عند التفكّر في عظمته. وحُكي عن بعض اللّغويين: أَلَه الرجل يَألَه إلاهَةً، بمعنى: عَبَدَ يعبُد عِبادةً. وروي عن ابن عباس أنه قال: «وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ» أي: عبادَتَك. قال: والتَّألُّه: التَّعبُّد. قال رُؤْبَة:

لـلَّـه دَرُّ الـغَـانـيـات الـمـدَّه　　سبَّـحـن واستَـرجَـعْـنَ مِـنْ تَـألُّـهِـي

فمعنى الإله: المعبود.

فأما «الرحمٰن»: فذهب الجمهور إلى أنه مشتقٌّ من الرحمة، مبنيٌّ على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظيرَ له فيها. وبناء فَعلان في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولون للشديد الامتلاء: مَلآن، وللشديد الشِّبْع: شَبعان. قال الخطّابيّ: فـ«الرحمٰن»: ذو الرحمة الشاملة التي وَسِعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمَّت المؤمن والكافر. و«الرحيم»: خاصٌّ للمؤمنين. قال عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾(٥). والرحيم: بمعنى الرَّاحِم.

---

(١) هو أبو خالد القناني كما في «اللسان» ١٤/ ٤٠١، ٤٠٢ مادة (سما).
(٢) هو لرؤبة بن العجّاج وتمامه: قد وردت على طريق تعلمه.
(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١/ ١٣٧: قَرْضَبَ الرّجل: إذا أكل شيئاً يابساً فهو قرضاب. وفي «القاموس» القرضاب: الذي لا يدع شيئاً إلا أكله.
(٤) النحل: ٥٣.
(٥) الأحزاب: ٤٣.

سورة الفاتحة

ترتيبها ١ — آياتها ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

[٩] روى أبو هريرةَ أن رسول الله ﷺ قال ـ وقرأ عليه أُبيُّ بن كعبٍ أمَّ القرآن ـ فقال: «والذي نفسي بيده، ما أُنزل في التَّوراة، ولا في الإنجيلِ، ولا في الزَّبُور، ولا في الفُرقان مثلُها، هي السَّبعُ المَثاني والقرآنَ العظيم الذي أُوتيتُهُ».

فمِن أسمائها: الفَاتحة، لأنه يُستفتح الكتاب بها تلاوةً وكتابةً. ومن أسمائها: أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، لأنها أمَّت الكتاب بالتقدم. ومن أسمائها: السَّبع المَثاني، وإنما سُمّيت بذلك لما سنشرحه في (الحِجْر) إن شاء الله.

واختلف العلماء في نزولها على قولين: **أحدهما**: أنها مكيَّة، وهو مَرويٌّ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ، والحسَن، وأبي العَالِيَةِ، وقَتَادة، وأبي مَيْسَرة. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، وهو مَرويٌّ عن أبي هريرةَ، ومُجاهدٍ، وعُبيد بن عُميرٍ، وعَطاءِ الخَراسَانيّ. وعن ابن عباسٍ كالقولين[1].

---

[٩] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١٢٥ والنسائي ٢/ ١٣٩ وأحمد ٥/ ١١٤ وابن خزيمة ٥٠٠ وابن حبان ٧٧٥ وصححه الحاكم ١/ ٥٥٧ ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. وأخرجه الترمذي ٢٨٧٥ والطبري ١٥٨٨٩ والبغوي ١١٨٣ من حديث أبي هريرة مطوّلاً، وإسناده حسن. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ووافقه البغوي وعجزه، أخرجه البخاري ٤٧٠٤ من حديث أبي هريرة أيضاً. وفي الباب من حديث أبي سعيد بن المعلى أخرجه البخاري ٤٤٧٤ و٤٦٤٧ و٤٧٠٣ و٥٠٠٦ وأبو داود ١٤٥٨ وابن ماجة ٣٧٨٥ والطيالسي ٢/ ٩ وأحمد ٣/ ٢١١ و٤٥٠ وابن حبّان ٧٧٧ والطبراني ٢٢/ ٣٠٣ والبيهقي ٢/ ٣٦٨ وانظر «فتح الباري» ٨/ ١٥٧.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ١/ ١٥٤: اختلفوا أهي مكية أم مدنية؟ فقال ابن عباس وقتادة وأبو العالية الرياحي ـ واسمه رفيع ـ وغيرهم: هي مكية. وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري وغيرهم: هي مدنية. ويقال نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة. حكاه أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي في تفسيره. =

فصل: فأمّا تفسيرها: فـ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ رُفع بالابتداء، و﴿لِلَّهِ﴾ الخبر. والمعنى: الحمد ثابتٌ لله، ومستقرٌ له، والجمهور على كسر لام «لِلَّه»، وضمَّها ابن [أبي][١] عَبْلة، قال الفرَّاء: هي لغة بعض بني رَبيعةَ، وقرأ ابن السَّميفعِ[٢]: «الحمدَ» بنصب الدال «لِلَّه» بكسر اللام. وقرأ أبو نَهِيْك بكسر الدال واللام جميعاً.

واعلم أن الحمد: ثناءٌ على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقاً، وهو: أن الحمد قد يقع ابتداءً للثناء، والشكر لا يكون إلاّ في مقابلة النعمة، وقيل: لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد لله. وقال ابن قُتيبةَ: (الحمد) الثناء على الرجل بما فيه من كَرم أو حسبٍ أو شجاعةٍ، وأشباه ذلك. والشكر: الثناء عليه بمعروفٍ أَوْلاكَهُ، وقد يُوضع الحمد موضع الشّكر. فيقال: حَمِدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرت له على شجاعته.

فأما «الرَّبُّ» فهو المَالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة، فيقال: هذا رَبُّ الدار، ورَبُّ العبد. وقيل: هو مأخوذ من التَّربية. قال شيخنا أبو مَنصورِ اللغَويّ: يقال: رَبّ فلان صنيعتَه يَرُبُّها رَبّاً: إذا أَتَمَّها وأصلحها، فهو رَبٌّ ورَابٌّ. قال الشاعر:

يَـرُبُّ الـذي يـأتـي مـن الـخـيـر إنـه ... إذا سُـئـل الـمـعـروفَ زادَ وتـمَّـمَـا

قال: والرَّبُّ يقال على ثلاثة أوجه: **أحدها**: المَالك. يقال: رَبُّ الدار. **والثاني**: المُصلح، يقال: رَبُّ الشيء. **والثالث**: السَّيد المُطاع. قال تعالى: ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[٣].

والجمهور على خَفْضِ باء «ربِّ». وقرأ أبو العَالِيَة، وابن السَّمَيْفعِ، وعيسى بن عمرَ بنصبها. وقرأ أبو رَزِينٍ العَقيليّ، والرّبيع بن خُثَيْم[٤] وأبو عمران الجوني، برَفعها.

فأما ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فجمع عَالَم، وهو عند أهل العربية: اسمٌ للخلق من مبتداهم إلى منتهاهم، وقد سمّوا أهل الزمان الحاضر عالَماً. فقال الحطيئة:

أراحَ الـلّـهُ مـنـكِ الـعَـالَـمِـيـنَـا[٥]

= والأول أصح لقوله تعالى: **﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾** [الحجر: ٨٧] والحجر مكية بإجماع. ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة. وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير «الحمد لله رب العالمين»؛ يدل على هذا قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وهذا خبر عن الحُكم، لا عن الابتداء، والله أعلم.

(١) سقط من نسخ المطبوع، والاستدراك عن كتب التراجم، و «تفسير القرطبي» ١/ ١٨١ طبع «دار الكتاب العربي» بتخريجنا. وابن أبي عبلة اسمه إبراهيم، تابعي ثقة، توفي سنة ١٥٢.

(٢) كذا في الأصل و «الميزان» للذهبي و «اللسان» لابن حجر، ووقع في «لسان العرب» و «شرح القاموس» «السميقع». والمثبت هو الراجح، فإن الذهبي ضبطه كذلك، وهو إمام علم الحديث والرجال من المتأخرين. قال الذهبي في «الميزان» ٣/ ٥٧٥: محمد بن السَّميفع اليماني، أحد القرّاء، له قراءة شاذة منقطعة السند، قاله أبو عمرو الدّاني وغيره، روى أخباره محمد بن مسلم المكي ذاك الواهي.

(٣) يوسف: ٤١.

(٤) وقع في المطبوع هنا وبعد قليل: (خيثم) والتصويب عن «التقريب» وكتب التراجم.

(٥) هو عجز بيت، وصدره: تنحي فاجلسي مني بعيداً.

فأمّا أهل النظر، فالعالَم عندهم: اسمٌ يقع على الكون الكلّي المُحدَث من فَلَكٍ، وسماءٍ، وأرضٍ، وما بين ذلك.

وفي اشتقاق «العالَم» قولان: **أحدهما**: أنه من العلم، وهو يقوّي قولَ أهل اللغة. **والثاني**: أنه من العَلامَةِ، وهو يقوّي قولَ أهل النظر، فكأنه إنما سُمّي عندهم بذلك، لأنه دالٌّ على خالقه.

وللمفسّرين في المراد بـ «العالمين» ها هنا خمسة أقول: **أحدها**: الخلق كلّه، السمٰوات والأرضون ما فيهنّ وما بينهنّ. رواه الضحّاك عن ابن عباسٍ. **والثاني**: كلُّ ذي رُوحٍ دَبَّ على وجه الأرض. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهم الجنّ والإنس. رُوي أيضاً عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنهم الجنّ والإنس والملائكة، نقل عن ابن عباس أيضاً، واختاره ابن قتيبة. **والخامس**: أنّهم الملائكة، وهو مرويٌّ عن ابن عباسٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾. قرأ أبو العَالية، وابن السَّميفع، وعيسى بن عُمَر بالنصب فيهما، وقرأ أبو رَزِينٍ العقيليّ، والرَّبيع بن خُثَيم، وأبو عِمرانَ الجُونيّ بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. قرأ عاصمٌ والكِسائِيّ، وخَلفٌ ويَعقوبُ: «مالك» بألف. وقرأ ابن السَّميفع، وابن أبي عَبلةَ كذلك، إلاّ أنهما نصبا الكاف. وقرأ أبو هريرةَ، وعاصمٌ الجَحْدَرِيّ: «مَلْكِ» بإسكان اللام من غير الألف مع كسر الكاف، وقرأ أبو عثمانَ النَّهدِيّ، والشَّعبيُّ «مَلِكَ» بكسر اللام ونصب الكاف من غير ألف. وقرأ سعد بن أبي وقّاصٍ، وعائشةُ، ومُورِّقٌ العِجليّ: «مَلِكُ» مثل ذلك إلاّ أنهم رفعوا الكاف. وقرأ أُبيّ بن كَعبٍ، وأبو رَجاءٍ العُطَارِيّ «مليك» بياء بعد اللام مكسورةِ الكاف من غير ألف. وقرأ عَمرو بن العَاص كذلك، إلاّ أنه ضمَّ الكاف. وقرأ أبو حنيفةَ، وأبو حَيْوَةَ «مَلَكَ» على الفعل الماضي، «ويومَ» بالنصب. وروى عبد الوارث عن أبي عمرٍو: إسكانَ اللام، والمشهور عن أبي عمرٍو وجمهور القراء «مَلِك» بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المَدح، لأن كل مَلِكٍ مالكٌ، وليس كلُّ مَالكٍ مَلِكاً.

وفي «الدِّين» ها هنا قولان: **أحدهما**: أنه الحساب. قاله ابن مسعودٍ. **والثاني**: الجزاء. قاله ابن عباسٍ. ولما أخبرَ الله عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنه مالك الدنيا. دلَّ بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ على أنه مالكُ الأُخرى. وقيل: إنما خصَّ يومَ الدِّين، لأنه ينفرد يومئذٍ بالحُكم في خَلْقِه.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾. وقرأ الحَسنُ، وأبو المتوكِّل، وأبو مِجلَزٍ «يُعْبَدُ» بضم الياء وفتح الباء. قال ابن الأَنْبَاريّ: المعنى: قل يا محمَّدُ: إياكَ يُعْبَدُ، والعرب ترجع من الغَيْبَة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغَيْبَة؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[1]، وقوله: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾[2]. وقال لبيد:

بَاتَتْ تَشَكَّى إليَّ النفسُ مُجْهِشَةً وقد حَمَلْتُكَ سَبعاً بعدَ سَبعينا

وفي المراد بهذه العبارة ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنها بمعنى التَّوحيد. روي عن عليٍّ، وابن عباس في آخرين. **والثاني**: أنها بمعنى الطَّاعة، كقوله: ﴿لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾[3]. **والثالث**: أنها بمعنى

(١) يونس: ٢٢. (٢) الدهر: ٢١، ٢٢. (٣) يس: ٦٠.

الدُّعاء؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾(١).

قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ فيه أربعة أقوال: **أحدها**: ثَبِّتنا. قاله عليٌّ، وأُبيٌّ. **والثاني**: أَرْشِدْنا. **والثالث**: وَفِّقْنا. **والرابع**: أَلْهِمْنا. رُويت هذه الثلاثة عن ابن عباسٍ.

و﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريقُ. ويقال: إن أصله بالسِّين، لأنه من الاسْتِرَاط وهو: الابتِلاع، فالسِّراط كأنه يَسْتَرِط المَارِّين عليه، فمن قرأ بالسين، كمجاهدٍ، وابن مُحَيْصِنٍ، ويَعقوبَ، فعلى أصل الكلمة، ومن قرأ بالصاد، كأبي عمرٍو، والجمهور، فلأنها أخفُّ على اللّسان، ومن قرأ بالزاي، كرواية الأَصْمَعِيِّ عن أبي عمرٍو، واحتجّ بقول العرب: صَقْر وسَقَرَ وزَقَر. ورُوِي عن حَمْزَةَ: إِشْمَامُ السين زاياً، ورُوي عنه أنه تلفَّظ بالصِّراط بين الصاد والزاي. قال الفَرَّاء: اللغة الجيدة بالصاد، وهي لغة قريشٍ الأُولى، وعامّة العرب يجعلونها سيناً، وبعضُ قَيسٍ يُشِمُّون الصاد، فيقول: الصراط بين الصاد والسين، وكان حَمزةُ يقرأ «الزِّراط» بالزاي، وهي لغة لعُذْرَةَ وكلب وبَني القَين. يقولون في «أصدق»: أَزْدَق. وفي المراد بالصِّراط ها هنا أربعة أقوال:

[١٠] **أحدها**: أنه كتاب الله، رواه عليٌّ عن النبيّ ﷺ.

---

[١٠] المرفوع ضعيف، والصحيح موقوف. ورد من وجوه متعددة، أشهرها حديث الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي رضي الله عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أنَّ النَّاس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوَقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن ـ أي لم يتوقفوا ـ في قبوله، وأنه كلام الله تعالى إذ سمعتهُ حتى قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراطٍ مستقيم» خذها إليك يا أعور. أخرجه الترمذي ٢٩٠٦ وابن أبي شيبة ١٠/ ٤٨٢ والدارمي ٢/ ٤٣٥ والبزار في مسنده ٣/ ٧١ ـ ٧٢ والفريابي في «فضائل القرآن» ٨١ وأبو بكر الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٥ ـ ٦. ومحمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» ص ١٥٧ ويحيى بن الحسين الشجري في «الأمالي» ١/ ٩١ والبيهقي في «الشعب» ٤/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧ من طريق حمزة الزَّيات بهذا الإسناد، وإسناده ضعيف لضعف الحارث بن عبد الله. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال اهـ. وورد من طريق سعيد بن سنان البُرجمي عن عروة بن مرة عن سعيد بن فيروز عن الحارث الأعور به. عند الدارمي ٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ والفريابي في «فضائل القرآن» ٧٩، والبزار ٣/ ٧٠ ـ ٧١ وأبو الفضل الرازي في «فضائل القرآن» ٣٥. وأخرجه أحمد ١/ ٩١ وأبو يعلى ١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ والبزار ٣/ ٧٠ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث به. وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٨/ ٣٢١ من طريق أبي هاشم عمن سمع علياً. . . وهذا إسناد ضعيف، فيه من لم يسم، والظاهر أنه الحارث، وقال الحافظ ابن كثير في «فضائل القرآن» ص ١٧ ـ ١٨ بعد أن ذكر هذه الروايات وتكلم عليها: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح اهـ.

=

---

(١) غافر: ٦٠.

والثاني: أنه دين الإسلام. قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، والحسنُ، وأبو العَاليَة في آخرين. **والثالث**: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه طريق الجنّة، نُقل عن ابن عباسٍ أيضاً. فإن قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ فعنه ثلاثة أجوبة: **أحدها**: أن المعنى: اهدنا لزومَ الصّراط، فحذف اللزوم. قاله ابن الأنْبَارِيّ. **والثاني**: أن المعنى: ثَبّتنا على الهُدى، تقول العرب للقائم: قُمْ حتى آتيك، أي: اثْبُت على حالك. **والثالث**: أن المعنى: زِدْنا هدايةً.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ﴾. قال ابن عباس: هم النبيُّون، والصِّدِّيقون، والشُّهداء، والصَّالحون. وقرأ الأكثرون «عليهِم» بكسر الهاء، وكذلك «لديهِم» و«إليهِم» وقرأهُنَّ حمزةُ بضمّها. وكان ابن كَثِيرٍ يَصِلُ[1] ضمّ الميمَ بواوٍ. وقال ابن الأنْبَارِيّ: حكى اللّغويون في «عليهم» عشرَ لغاتٍ، قُرئ بعامّتها «عليهُمْ» بضم الهاء وإسكان الميم «وعليهِمْ» بكسر الهاء وإسكان الميم، و«وعليهِمي» بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة، و«عليهِمُو» بكسر الهاء وضمّ الميم وزيادة واو بعد الضمّة، و«عليهُمُو» بضم الهاء والميم وإدخال واو بعد الميم، و«عليهُمُ» بضم الهاء والميم من غير زيادة واو، وهذه الأوجه الستة مأثورةٌ عن القُرّاء، وأوجهٌ أربعةٌ منقولةٌ عن العرب «عليهُمِي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم، و«عليهُمِ» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء، و«عليهِمُ» بكسر الهاء وضمّ الميم من غير إلحاق واو، و«عليهِمِ» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم.

[١١] فأمّا «المغضوب عليهم» فهمُ اليهود؛ و«الضّالون»: النّصارى. رواه عَدِيُّ بن حَاتمٍ عن

= ـ وله شاهد من حديث ابن مسعود أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ٢١ وابن الضريس ٥٨ والحاكم ١/ ٥٥٥ والآجري في «أخلاق حملة القرآن» ١١ وابن حبان في «المجروحين» ١/ ١٠٠ وأبو الشيخ في «طبقات أصبهان» ٤/ ٢٥٢ وأبو الفضل الرازي ٣٠ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/ ٢٧٨ وابن الجوزي في «العلل» ١/ ١٠١ ـ ١٠٢ ويحيى بن الحسين الشجري في «الأمالي» ١/ ٨٨ والبيهقي في «الشعب» ٤/ ٥٥٠.

وإسناده ضعيف فيه إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو لين الحديث. والحديث صححه الحاكم، وقال الذهبي: إبراهيم بن مسلم ضعيف اهـ. وقال ابن الجوزي: يشبه أن يكون من كلام ابن مسعود اهـ. وقال ابن كثير في «فضائل القرآن» ص ١٧ ـ ١٨: وهذا غريب من هذا الوجه، وإبراهيم بن مسلم هو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس بالقوي. وقال أبو الفتح الأزدي: رفّاع كثير الوهم. قال ابن كثير: فيحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم اهـ.

ـ والموقوف على ابن مسعود أخرجه الدارمي ٢/ ٤٣١ والطبراني في «الكبير» ٩/ ١٣٩ وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/ ٢٧٢ وأبو الفضل الرازي ٣١ و٣٢ والبيهقي في «الشعب» ٤/ ٥٤٩.

ـ وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الطبري ٧٥٧٠ وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف، والأشبه في هذه الأحاديث كونها موقوفة على هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وقد أنكر الذهبي رحمه الله هذا الحديث، كونه مرفوعاً، وصوّب ابن كثير فيه الوقف، وهو الراجح، والله أعلم.

[١١] صحيح. أخرجه الترمذي ٢٩٥٤ وأحمد ٤/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ وابن حبان ٧٢٠٦ والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٣٩ ـ =

---

(١) قال السيوطي في «الدر» ١/ ٤٢: وأخرج ابن الأنباري عن ابن كثير أنه كان يقرأ «عليهِمُو» بكسر الهاء وضم الميم مع إلحاق الواو. وأخرج أيضاً عن ابن إسحاق أنه قرأ «عليهُمُ» بضم الهاء والميم من غير إلحاق واو. وانظر «تفسير الشوكاني» ١/ ٢٩.

النبيّ ﷺ. قال ابن قُتَيبةَ: والضّلال: الحَيْرَة والعُدول عن الحقّ.

فصل: ومن السُّنَّة في حق قارىء الفاتحة أن يعقبها بـ «آمين». قال شيخنا أبو الحسن عليُّ بن عُبيدِ الله: وسواءٌ كان خارجَ الصلاة أو فيها.

[١٢] لما روى أبو هُريرةَ عن النّبي ﷺ أنه قال: «إذا قالَ الإمامُ (غَيْرِ المغْضوب عَلْيهم ولا الضّالين) فقال مَنْ خَلْفَه: آمين، فوافَق ذلك قولَ أهل السماء، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذَنْبِه».

وفي معنى «آمين» ثلاثة أقوال: **أحدها**: أن معنى آمين: كذلكَ يكونُ. حكاه ابن الأنْبَارِيّ عن ابن عباسٍ، والحسَن. **والثاني**: أنها بمعنى: اللهُمَّ استَجبْ. قاله الحسنُ والزَّجّاج. **والثالث**: أنه اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ. قاله مُجاهدٌ، وهِلال بن يَساف، وجعفرُ بن محمَّدٍ.

وقال ابن قُتيبةَ: معناها: يا أَمينُ أَجِبْ دُعاءَنا، فسَقَطَت يا، كما سقطت في قوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[(١)]، تأويله: يا يوسفُ. ومن طَوَّل الألف فقال: آمين، أدخل ألف النداء على أَلِف أَمِين، كما يقال: آزَيدُ أَقْبِل: ومعناه: يا زيدُ. قال ابن الأَنْبَاريّ: وهذا القول خطأٌ عند جميع النَّحويين، لأنه إذا أدخل «يا» على «آمين» كان منادىً مفرداً، فحُكم آخره الرفعُ، فلما أجمعت العرب على فتح نونه، دلَّ على أنه غير منادًى، وإنما فُتحت نون «آمين» لسكونها وسكون الياء التي قبلها، كما تقول العرب: ليتَ، ولعلَّ. قال: وفي «آمين» لغتان: «أمينَ» بالقَصْر، و«آمينَ» بالمَدِّ، والنون فيهما مفتوحةٌ. أنشدنا أبو العبَّاس عن ابن الأعْرَابِيّ:

سَقى اللّهُ حَيّاً بين صَارةَ والحِمَى ... حِمَى فَيْدَ صوبَ المُدْجِنَاتِ المَوَاطِرِ[(٢)]

أَمِينَ وأدّى اللّهُ رَكْباً إليهمُ ... بخيرٍ ووقَّاهم حِمَامَ المَقَادِرِ

= ٣٤١ والطبراني ١٧/ ٢٣٧ من حديث عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضلال»، وحسّن إسناده الترمذي. وقال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٣٣٥: رجال أحمد رجال الصحيح غير عباد بن حبيش، وهو ثقة اهـ. وتوبع عباد عند الطبري ٢٠٧ وقد تقدم ومن وجه آخر ٢٠٩ فهو صحيح. ويشهد له ما أخرجه أحمد ٥/ ٣٢ ـ ٣٣ والطبري ٢١٢ وعبد الرزاق في «تفسيره» ١٣ عن عبد الله بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي ﷺ وهو بوادي القرى، وهو على فرسه فسأله رجل من بلقين، فقال: يا رسول الله: «من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المغضوب عليهم ـ وأشار إلى اليهود ـ قال: فمن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الضالين ـ يعني النصارى ـ قال: وجاء رجل فقال: استشهد مولاك، أو قال: غلامك فلان، قال: بل يجر إلى النار في عباءة غلها». وإسناده إليه صحيح وجهالة الصحابي لا تضر. وانظر «المجمع» ١٠٨٠٩ و١٠٨١٠. وانظر «تفسير الشوكاني» ١/ ٢٩ بتخريجنا.

[١٢] صحيح. أخرجه البخاري ٧٨٠ ـ ٧٨١ ـ ٧٨٢ ـ ٦٤٠٢ ومسلم ٤١٠ وأبو داود ٩٣٦ والترمذي ٢٥٠ والنسائي ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤ وابن ماجة ٨٥٢ ومالك ١/ ٨٧ والشافعي في «المسند» ١/ ٧٦ وعبد الرزاق في «المصنّف» ٢٦٤٤ وأحمد ٢/ ٢٣٣، والدارمي ١/ ٢٨٤ وابن حبان ١٨٠٤ والبيهقي في «السنن» ٢/ ٥٧ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفِر له ما تقدّم من ذنبه» قال ابن شهاب وكان رسول الله ﷺ يقول: «آمين». لفظ البخاري.

(١) يوسف: ٢٩.

(٢) الدّاجِنَة: المطرة المطبقة كالدِّيمة. والدّجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء، والمطر الكثير.

وأنشدنا أبو العبَّاس أيضاً:

تـبـاعَـدَ مِـنّـي فَـطْـحَـل وابـن أمِّـه ... أمِـيـنَ فـزادَ الـلّـهُ مـا بـيـنَـنـا بُـعـدا

وأنشدنا أبو العبَّاس أيضاً:

يـا ربِّ لا تَـسْـلُـبـنّـي حـبَّـهَـا أبـداً ... ويـرحَـمُ الـلّـهُ عـبـداً قـالَ آمِـيـنَـا

وأنشدني أَبي:

أَمِـيـنَ ومَـنْ أعـطَـاكَ مـنِّـي هـوادةً ... رَمَـى الـلّـهُ فـي أَطْـرَافِـهِ فَـاقْـفَـعَـلَّـتِ(١)

وأنشدني أَبي:

فـقـلـتُ لـه قـد هِـجْـتَ لـي بـارحَ الـهـوى ... أَصَـاب حِـمَـامُ الـمَـوتِ أَهْـوَنَـنـا وَجْـدَا

أَمِـيـنَ وَأَضْـنَـاهُ الـهَـوى فـوقَ مَـا بِـهِ ... أَمِـيـنَ ولاقَـى مِـنْ تَـبَـارِيـحِـهِ جَـهْـدَا

فصل: نقل الأكثرون عن أحمدَ أن الفاتحة شرطٌ في صحَّة الصلاة، فمن تركها مع القُدرة عليها لم تَصحَّ صلاتُه وهو قول مالكٍ، والشَّافعيّ. وقال أبو حنيفةَ رحمه الله: لا تَتَعَيَّنُ، وهي روايةٌ عن أحمدَ(٢).

[١٣] ويدلّ على الرواية الأولى: ما رُوي في «الصَّحيحين» من حديث عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «لا صلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ».

---

[١٣] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥٦ ومسلم ٣٩٤ وأبو داود ٨٢٢ والنسائي ٢/ ١٣٧ والدارمي ١/ ٢٨٣ وابن ماجة ٨٣٧ وابن الجارود ١٨٥ والحميدي ٣٨٦ والشافعي ١/ ٧٥ وأحمد ٥/ ٣١٤ ـ ٣٢١ وابن حبّان ١٧٨٢ و١٧٨٦ كلهم من حديث عبادة بن الصامت: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». ورواية لمسلم «لا صلاة لمن لم يقترىء بأم القرآن». وانظر «تفسير القرطبي» ١/ ١٥٤ ـ ١٥٧ بتخريجي.

---

(١) في «القاموس» اقفعلّت يداه اقفعلالاً: تشنجت وتقبّضت.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١/ ١٥٧ ـ ١٦٠.: واختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة فقال مالك وأصحابه: هي متعيِّنة للإمام والمنفرد في كل ركعة. قال ابن خويز منداد البصري المالكي: لم يختلف قول مالك أنه من نسيها في صلاة ركعة من صلاة ركعتين أن صلاته تبطل ولا تجزيه. واختلف قوله فيمن تركها ناسياً في ركعة من صلاة رباعية أو ثلاثية؛ فقال مرة: يعيد الصلاة، وقال مرة أُخرى: يسجد سجدتي السهو، قال ابن عبد البر: الصحيح من القول إلغاء تلك الركعة ويأتي بركعة بدلاً منها كمن أسقط سجدةً سهواً. وقال أبو الحسن البصري: إذا قرأ بأم القرآن مرة واحدة في الصلاة أجزأه ولم تكن عليه إعادة لأنها صلاة قد قرأ فيها بأم القرآن وهي تامة لقوله عليه السلام: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن» وهذا قد قرأ بها. قلت: ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرأ بها في كل ركعة وهو الصحيح على ما يأتي. وقال أبو حنيفة والثوري والأوزاعي: إن تركها عامداً في صلاته كلها وقرأ غيرها أجزأه؛ على اختلاف عن الأوزاعي في ذلك. وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن: أقلّه ثلاث آيات أو آية طويلة كآية الدّين. والصحيح من هذه الأقوال قول الشافعي وأحمد ومالك في القول الآخر وأن الفاتحة متعينة في كل ركعة لكل أحد على العموم؛ لقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب» وقوله: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» ثلاثاً. وقال أبو هريرة: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي أنه: «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب فما زاد» أخرجه أبو داود. كما لا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة أُخرى فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها.

سورة البقرة
ترتيبها ٢ — آياتها ٢٨٦

فصلٌ في فضيلتها

[١٤] رَوى أبو هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا تَجْعَلوا بيوتَكُم مقَابِرَ، فإنَّ البيتَ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البَقَرة لا يدخُلُهُ الشَّيْطانُ».

[١٥] ورَوى أبو أُمَامَةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْن: البقرةَ وآلَ عِمْرَانَ، فإنَّهما يأتيان يومَ القيامة كأنَّهما غَمَامَتانِ، أو غَيَايَتانِ، أو فِرْقَان من طَيْرٍ صَوَافّ، اقرأُوا البقرةَ، فإنَّ أَخْذَها بركةٌ، وتركَها حَسرةٌ، ولا تستطيعها البَطَلَةُ». والمُرادُ بالزَّهْرَاوين: المُنيرَتَيْن. يقال لكل مُنِير: زَاهِر. والغَيَايَةُ: كل شيء أظلَّ الإنسانَ فوق رأسه، مثل السَّحابة والغَبْرَة. يقال: غَايَا القومُ فوق رأس فلانٍ بالسيف، كأنهم أظلُّوه به. قال لَبِيدٌ:

فَتَدَلَّيتُ عليه قَافِلاً   وعلى الأرض غَيَايَاتُ الطَّفَل

ومعنى فِرقَان: قطعتان. والفِرْق: القطعة من الشيء. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (١). والصوَّافّ: المُصْطَفَّة المُتَضَامَّةُ لِتُظلَّ قارئَها. والبَطَلَةُ: السَّحَرَة.

فصلٌ في نُزولها

قال ابن عباس: هي أوّل ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحَسن، ومُجاهِدٍ، وعِكْرِمَةَ، وجابر بن زيدٍ، وقَتَادَةَ، ومُقاتلٍ. وذكر قوم أنها مدنية سوى آيةٍ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (٢)، فإنها نزلت يوم النَّحر بمِنًى في حَجَّة الوداع.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ١﴾

فصل: وأمّا التفسير فقوله: ﴿الٓمٓ﴾. اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطَّعة في أوائل

---

[١٤] صحيح. أخرجه مسلم ٧٨٠ والترمذي ٢٨٧٧، والنسائي في «الكبرى» ٦/ ١٠٨٠١.
[١٥] صحيح. أخرجه مسلم ٨٠٤ من حديث أبي أمامة.

---

(١) الشعراء: ٦٣.   (٢) البقرة: ٢٨١.

السور على ستة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلاّ الله. قال أبو بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه: لله عزَّ وجلَّ في كل كتابٍ سرٌّ، وسرّ الله في القرآن أوائل السّور، وإلى هذا المعنى ذهب الشَّعبيُّ، وأبو صالح، وابن زَيدٍ. **والثاني**: أنها حروفٌ من أسماء، فإذا أُلِّفت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أسماء الله عزَّ وجلَّ. قال عليُّ بن أبي طالبٍ: هي أسماء مقطَّعةٌ، لو علم الناس تأليفَها علموا اسمَ الله الذي إذا دُعي به أجاب. وسُئِل ابن عباس عن «الر» و«حم» و«نون»، فقال: اسم الرحمٰن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العَالِيَة، والرَّبيع بن أنسٍ. **والثالث**: أنها حروفٌ أقسَمَ اللَّهُ بها، قاله ابن عباسٍ، وعِكرمةُ. قال ابن قُتَيبَةَ: ويجوز أن يكون أقسَمَ بالحروف المقطَّعة كلِّها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ت ث» وهو يريد سائرَ الحروف، وكما يقول: قرأتُ الحمد، يريد فاتحةَ الكتاب، فيسمّيها بأوّل حرفٍ منها، وإنما أقسَم بحروف المُعجم لشرفها، ولأنها مباني كتبه المنزَّلة، وبها يُذكر ويُوَحَّد. قال ابن الأنْباريّ: وجواب القسم محذوفٌ، تقديره: وحروفِ المُعجم لقد بَيَّنَ الله لكم السبيلَ، وأنهجتُ لكمُ الدّلالاتِ بالكتاب المنزَّل، وإنما حُذف لعِلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ دليلاً على الجواب. **والرابع**: أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى: أنه لما كانت الحروف أُصولاً للكلام المؤلَّف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلَّف من هذه الحروف، قاله الفرَّاء، وقُطْرُبُ. فإن قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟ فالجواب أنه نبَّه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلِّفون منها كلامكم، فما بَالُكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمّدٍ عليه السلام.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٣٥ ـ ٣٧: قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السّور. فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسروها. ومنهم من فسَّرها، واختلف هؤلاء في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما هي أسماء السور. وقال الزمخشري في «تفسيره»: وعليه إطباق الأكثر ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (آلم) السجدة، و (هل أتى على الإنسان). وقال سفيان الثوري آلم، حم، والمص، وص، فواتح افتتح الله بها القرآن. وفي رواية عن ابن أبي نجيح أنه قال: آلم اسم من أسماء القرآن. ولعل هذا يرجع إلى معنى القول اسم من أسماء السور فإنه يبعد أن يكون المص اسماً للقرآن كله لأن المتبادر إلى فهم السامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى قال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال: آلم اسم الله الأعظم. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى. قلت مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدداً والمذكور منها أشرف من المتروك. قال الزمخشري: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة. . . وقد سردها مفصلة ثم قال فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت. وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره. وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته. وهو ممن لا يحتج به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم. والله أعلم.

والخامس: أنها أسماء للسُّور. رُوي عن زيد بن أَسْلَم، وابنه، وأبي فَاخِتَةَ سعيدِ بن عِلاَقة مولى أم هانِئٍ. **والسادس**: أنها من الرَّمز الذي تستعمله العرب في كلامها. يقول الرجل للرجل: هل تا؟ فيقول له: بلى، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قُلنا لها قِفِي لنَا فقالَتْ قَاف[١]

أراد: قالت: أقف. ومثله:

نَادُوهُمُ أَنِ الْجِمُوا ألاَ تَا ... قَالُوا جميعاً كُلُّهُم بَلى فَا

يريد: ألا تركبون؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخَيرِ خَيرات وإِنْ شراً فَا ... ولا أريدُ الشرَّ إلاَّ أَنْ تَا

معناه: وإنْ شراً فشرٌ ولا أريدُ الشرَّ إلا أن تشاءَ. وإلى هذا القول ذهب الأَخْفَشُ، والزَّجَّاجُ، وابن الأَنْبَارِيّ. وقال أبو رَوْقٍ عَطِيَّةُ بن الحَارِثِ الهَمْدَانِيّ[٢]:

[١٦] كان النبيُّ ﷺ يَجْهَر بالقراءة في الصلوات كلّها، وكان المشركونَ يُصفقون ويُصَفِّرون، فنزلَت هذه الحروف المقطَّعة، فسمعوها فبَقوا متحيِّرين. وقال غيره: إنما خاطبهم بما لا يفهمون لِيُقْبِلوا على استماعه، لأن النفوس تتطلَّع إلى ما غابَ عنها. معناه: فإذا أقبلوا إليه خاطبهم بما يفهمون، فصار ذلك كالوسيلة إلى الإبلاغ، إلا أنه لا بدّ له من معنىً يعلَمُه غيرهم، أو يكون معلوماً عند المخاطب، فهذا الكلام يَعُمُّ جميعَ الحروف.

وقد خصَّ المفسّرون قوله «الم» بخمسة أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه من المُتَشَابِهِ الذي لا يعلم معناه إلا الله عزَّ وجلّ، وقد سبق بيانه. **والثاني**: أن معناه: أنا اللَّهُ أعلمُ. رواه أبو الضُّحَى عن ابن عباسٍ، وبه قال ابن مسعودٍ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ. **والثالث**: أنه قَسَمٌ. رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وخالدٌ الحَذَّاء عن عِكْرِمَةَ. **والرابع**: أنها حروفٌ من أسماء. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أن الألف من «اللّه» واللام من «جِبْرِيل» والميم من «محمّد»، قاله ابن عبَّاسٍ. فإن قيل: إذا كان قد تُنُووِلَ من كل اسم حرفه الأول اكتفاءً به، فلم أُخذت اللام من جبريل وهي آخر الاسم؟! فالجواب: أن مبتدأ القرآن من الله تعالىٰ، فدلَّ على ذلك بابتداء أول حرفٍ من اسمه، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء، فتنوول من اسمه نهاية حروفه، و«محمد» مبتدأ في الإِقْرَاء، فَتُنُوول أول حروفه. **والقول الثاني**: أن الألف من «الله» تعالىٰ، واللام من «لطيف» والميم من «مَجِيد» قاله أبو العَالِيَة. **والخامس**: أنه اسمٌ من أسماءِ القرآن، قاله مُجاهدٌ، والشَّعبِيُّ، وقَتَادةُ، وابن جُرَيْجٍ.

---

[١٦] لم أقف على إسناده إلى أبي روق، وأبو روق تابعي، فالخبر مرسل، والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث.

---

(١) صدر بيت وعجزه «لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف».
(٢) نسبة إلى همدان، وهي قبيلة يمنية، وأما هَمَذَان ـ بفتحات وبالذال، فهي مدينة في فارس.
(٣) الصحيح في ذلك أن يقال: الله أعلم بمراده، فهذا نكل علمه إلى الله سبحانه، وتقدم كلام الحافظ ابن كثير.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وعِكرِمَةَ، والكِسَائِيّ، وأبي عُبيدةَ، والأخفش. واحتجَّ بعضهم بقول خُفَافِ بن نُدْبَة:

أقولُ لهُ والرمحُ يأطُرُ متنهُ ... تأمَّل خُفافاً إنني أنا ذلكا[1]

أي: أنا هذا. وقال ابن الأنْبَارِيّ: إنما أراد: أنا ذلك الذي تعرفه.

والثاني: أنها إشارةٌ إلى غائبٍ. ثم فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه أراد به ما تقدم إنزالهُ عليه من القرآن. **والثاني**: أنه أراد به ما وَعَده أن يوحِيَه إليه في قوله: ﴿سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[2]. **والثالث**: أنه أراد بذلك ما وعدَ به أهلَ الكتب السَّالفة، لأنهم وُعِدوا بنبيٍّ وكتابٍ.

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: القرآن. وسمِّي كتاباً، لأنه جُمع بعضُه إلى بعضٍ، ومنه الكَتِيبَة، سُمِّيت بذلك لاجتماع بعضها إلى بعضٍ. ومنه: كتبت البَغْلة[3].

قوله تعالىٰ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. الرَّيْب: الشَّك. والهُدى: الإرشاد. والمتَّقون: المُحترِزون مما اتَّقوه. وفرَّق شيخنا عليٌّ بن عُبيد الله بين التقوى والوَرَع، فقال: التقوى: أَخذُ عُدَّةٍ، والورع: دَفعُ شُبهةٍ، فالتقوى: متحقِّق السَّبب، والورع: مظنون المُسَبَّب.

واختلف العلماء في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن ظاهرها النفي، ومعناها النهي، وتقديرها: لا ينبغي لأحدٍ أن يرتابَ به لإتقانه وإحكامه. ومثله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[4]، أي: ما ينبغي لنا. ومثله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾[5]، وهذا مذهب الخليل، وابن الأَنْبَارِيّ. **والثاني**: أن معناها: لا ريبَ فيه أنه هدىً للمتقين. قاله المُبرِّد. **والثالث**: أن معناها: لا ريبَ فيه أنه من عند الله، قاله مُقاتلٌ في آخرين. فإن قيل: فقد ارتاب به قومٌ. فالجواب: أنه حقٌّ في نفسه، فمن حقق النظر فيه عَلِمَ. قال الشاعر[6]:

ليسَ في الحقِّ يا أُمامةَ ريبٌ ... إنما الرَّيبُ ما يقولُ الكذوبُ

فإن قيل: فالمُتَّقي مهتَدٍ، فما فائدة اختصاص الهداية به؟ فالجواب من وجهين: **أحدهما**: أنه أراد المتقين والكافرين، فاكتفى بذكر أحد الفريقين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[7]، أراد: والبرد. **والثاني**: أنه خصَّ المتَّقين لانتفاعهم به؛ كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[8]، وكان منذراً لمن يخشى ولمن لا يخشى.

---

(١) في «القاموس» تأطَّر الرمح: تثنى وانعطف. المتن من السهم: ما بين الريش إلى وسطه.
(٢) المزمل: ٥.
(٣) في «القاموس» كُتِبتُ الناقة: ختم حياؤها، أو خزم بحلقة من حديد ونحوه. وكتب الناقة: ظأرها فخزم منخريها بشيء لئلا تشمّ اهـ مع التصرف.
(٤) يوسف: ٣٨.
(٥) البقرة: ١٩٦.
(٦) هو عبد الله بن الزِّبعرىٰ. انظر «تفسير القرطبي» ١/٢٠٥.
(٧) النحل: ٨١. (٨) النازعات: ٤٥.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، الإيمان في اللغة: التَّصديق، والشرع أقرّه على ذلك، وزاد فيه القول والعمل. وأصل الغيب: المكان المطمئِنّ الذي يُستتر فيه لنزوله عمّا حوله، فسمّي كلُّ مُسْتَتِرٍ: غَيْباً. وفي المراد بالغيب ها هنا ستّة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَحي، قاله ابن عباسٍ، وابن جُريج. **والثاني**: القرآن، قاله أبو رَزينٍ العُقَيْليّ، وزِرُّ بن حُبَيْشٍ. **والثالث**: الله عزَّ وجلَّ، قاله عطاءٌ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ. **والرابع**: ما غَابَ عن العباد من أمر الجنّة والنار، ونحو ذلك مما ذُكر في القرآن. رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العَالِيَة، وقَتَادَةُ. **والخامس**: أنه قَدَرُ الله عزّ وجلّ، قاله الزُّهريُّ. **والسادس**: أنه الإيمان بالرسول في حقّ من لم يَرَهُ. قال عمرو بن مُرَّة: قال أصحاب عبد الله[1] له: طُوبى لك، جاهدتَ مع رسول الله ﷺ، وجالستَه. فقال: إن شأنَ رسولِ الله ﷺ كان مُبيِّناً لمن رآه، ولكنْ أعجبُ من ذلك: قومٌ يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يَرَوْه، ثم قرأ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. الصلاة في اللغة: الدُّعاء. وفي الشريعة: أفعالٌ وأقوالٌ على صفاتٍ مخصوصةٍ. وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها سمّيت بذلك لرَفع الصَّلا، وهو مَغْرَزُ الذَّنَبِ من الفَرَسِ. **والثاني**: أنها من صَلَيْتُ العودَ، إذا ليَّنْته، فالمصلّي يَلِينُ ويَخْشَع. **والثالث**: أنها مبنيةٌ على السؤال والدُّعاء، والصَّلاة في اللغة: الدُّعاء، وهي في هذا المكان اسم جنسٍ. قال مُقاتلٌ: أراد بها هاهنا: الصلواتِ الخمس.

وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَمَامُ فعلها على الوجه المَأمور به، رُوي عن ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ. **والثاني**: أنه المحافظة على مواقِيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، قاله قَتادةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه إِدَامَتُها، والعرب تقول في الشيء الرَّاتِب: قَائِم، وفلان يُقيم أرزاقَ الجُند، قاله ابن كَيْسَان.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ أي: يُخرجون. وأصل الإنفاق الإخرَاج. يقال: نَفَقَت الدَّابةُ: إذا خَرجت رُوحها. وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال: **أحدها**: أنها النفقة على الأهل والعيال، قاله ابن مسعودٍ، وحُذَيْفَةُ. **والثاني**: أنها الزكاة المفروضة، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ. **والثالث**: أنها الصدقات النَّوافل، قاله مُجاهدٌ والضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنها النفقة التي كانت واجبةً قبل وجوب الزكاة، ذكره بعض المفسّرين، وقالوا: إنه كان فُرض على الرجل أن يُمسك مما في يده مقدارَ كفايته يومَه وليلتَه. ويُفرِّق باقيه على الفقراء. فعلى قول هؤلاء، الآية منسوخةٌ بآية الزكاة، وغيرُ هذا القول أَثْبَتُ. واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليفٌ يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسمٌ رابعٌ، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو مُمتزجٌ بين اثنين منهما، كالحَجِّ والصَّوم ونحوهما.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾

(١) هو عبد الله بن مسعود، أحد الصحابة السابقين، توفي سنة ٣٣ رضي الله عنه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، اختلفوا فيمن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها نزلت في عبد الله بن سَلَام وأصحابه، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، واختاره مُقَاتِلٌ[(١)]. **والثاني**: أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبيّ وبما أُنزل من قبله. رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ[(٢)]. قال المفسّرون: الذي أنزل إليه، القرآن. وقال شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله: القرآن وغيره مما أُوحي إليه. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني الكتبَ المتقدّمة والوحي، فأما (الآخرة) فهي اسمٌ لما بعد الدنيا، وسُمّيت آخرة، لأنَّ الدنيا قد تقدَّمتها. وقيل: سُمّيت آخرةً لأنها نهاية الأمر. قوله تعالىٰ: ﴿يُوقِنُونَ﴾، اليقين: ما حصلت به الثقة، وثَلُجَ به الصدرُ، وهو أبلغ علمٍ مُكتسبٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ أي على رشادٍ. وقال ابن عبَّاسٍ: على نورٍ واستقامةٍ. قال ابن قُتَيْبَة: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ببقاء الأبد. وأصل الفَلَاح: البقاء. ويشهد لهذا قول لَبيدٍ:

نَحُلُّ بِلاداً كُلُّها حُلَّ قَبْلَنا ... ونرجو الفَلاحَ بعدَ عادٍ وحِمْيَرِ

يريد: البقاء، وقال الزَّجَّاجُ: المُفلح: الفائز بما فيه غاية صلاحِ حاله. قال ابن الأَنْبَارِيّ: ومنه: حيَّ على الفَلاح، معناه: هَلُمُّوا إلى سبيل الفوز ودخول الجنّة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في نزولها أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في قادة الأَحزاب، قاله أبو العَالِيَة. **والثاني**: أنها نزلت في أبي جَهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنها نزلت في طائفةٍ من اليهود، ومنهم حُيَيّ بن أَخْطَب، قاله ابن السَّائِب. **والرابع**: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهلٍ وأبي طالبٍ وأبي لهبٍ وغيرهم ممن لم يُسلم[(٣)]، قاله مقاتل.

فأمّا تفسيرها، فالكفر في اللغة: التغطية. تقول: كفرت الشيء إذا غطّيته، فسمّي الكافر كافراً، لأنه يغطي الحق. قوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾، أي: متعادلٌ عندهم الإنذار وتركه، والإنذار: إعلامٌ مع تخويفٍ، وتَنَاذَرَ بنو فلانٍ هذا الأمر: إذا خَوَّفَهُ بعضُهم بعضاً.

---

(١) أثر ابن عباس لم أقف عليه، ولا يصح، فإنه من رواية الضّحّاك، وهو لم يلق ابن عباس، والراوي عن الضحاك هو جويبر بن سعيد، ذاك المتروك، وهو إن لم يذكره المصنف، فهو المتعين، لأنه يروي عن الضحّاك عن ابن عباس تفسيراً كاملاً، ولا يصح. وأما أثر مقاتل، فهو واهٍ أيضاً، فهو مرسل، ومع إرساله مقاتل إن كان ابن سليمان فهو كذاب، وإن كان ابن حيان، فقد روى مناكير، والراجح عند الإطلاق ابن سليمان. والصحيح عموم الآية، والله أعلم.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٢٩٢ من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، لضعف أبي صالح، واسمه باذان، ويقال باذام.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٥: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول وهو الأظهر ويفسر ببقية الآيات التي في معناها والله أعلم.

قال شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله: هذه الآية وردت بلفظ العموم، والمُراد بها الخصوص، لأنها آذَنت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن، وقد آمن كثيرٌ من الكفار عند إنذارهم، ولو كانت على ظاهرها في العموم، لكان خبر الله لهم خلافَ مَخْبَرِه، ولذلك وجب نقلها إلى الخصوص.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، الخَتْمُ: الطَّبع، والقلب: قطعةٌ من دم جامدةٌ سوداءُ، وهو مُسْتَكِنٌ في الفؤاد، وهو بيت النَّفس، ومسكن العقل، وسمّي قلباً لِتقَلُّبِه. وقيل: لأنه خالص البدن، وإما خصَّه بالخَتْم لأنه مَحَلُّ الفهم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، يريد: على أسماعهم، فذكره بلفظ التوحيد، ومعناه: الجمع، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[1]. وأنشدوا من ذلك:

كُلُوا في نِصْفِ بَطْنِكُم تَعيشُوا ... فَإنَّ زَمانَكُم زَمَنٌ خَميصُ

أي: في أنصاف بطونكم. ذكر هذا القولَ أبو عُبيدة، والزَّجَّاجُ. وفيه وجهٌ آخر، وهو أن العرب تذهب بالسمع مذهب المصدر، والمصدر يُوَحَّد، تقول: يعجبني حديثكم، ويعجبني ضَرْبكم. فأما البصر والقلب فهما اسمان لا يجريان مجرى المصادر في مثل هذا المعنى. ذكره الزَّجَّاج، وابن القَاسم. وقد قرأ عمرو بن العَاص، وابن أبي عَبْلَة: (وعلى أسماعهم).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، الغشاوة: الغطاء. قال الفَرَّاء: أما قريشٌ وعامّة العرب، فيكسرون الغين من «غِشَاوة»، وعُكل يضمّون الغين، وبعض العرب يفتحها، وأظنها لِرَبِيعَة. وروى المُفَضَّل عن عَاصم «غِشاوةً» بالنصب على تقدير: وجعل على أبصارهم غشاوةً. فأما العذاب، فهو الألم المُستمر، وماءٌ عَذْبٌ: إذا استمرّ في الحَلْق سائغاً.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها في المنافقين، ذكره السُّدِّيّ عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وبه قال أبو العَالِية، وقَتادةُ، وابن زيدٍ[2]. **والثاني**: أنها في منافقي أهل الكتاب. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وقال ابن سِيرين: كانوا يتخوّفون من هذه الآية. وقال قَتادةُ: هذه الآية نَعت المنافقِ، يَعْرِف بلسانه، ويُنكر بقلبه، ويُصدّق بلسانه، ويُخالف بعمله، ويُصبح على حالٍ، ويُمسي على غيرها، ويَتَكَفَّأ تَكَفُّؤَ السَّفينة، كلما هبّت ريحٌ هبَّ معها.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾. قال ابن عباسٍ: كان عبدُ الله بن أُبيّ، ومُعَتِّبُ بن قُشَيرٍ، والجَدُّ بن

---

(١) الحج: ٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري، مولاهم المدني أخو عبد الله وأسامة. قال البخاري: عبد الرحمن ضعفه عليّ جداً، وقال النسائي: ضعيف. وقال أحمد: عبد الله ثقة والآخران ضعيفان. كما في الميزان.

القَيْس؛ إذا لَقوا الذين آمنوا قالوا: آمنّا، ونشهد أن صاحبكم صادق، فإذا خَلَوْا لم يكونوا كذلك، فنزلت هذه الآية[١]. فأمّا التفسير، فالخَديعَة: الحِيلة والمَكر، وسُمّيت خديعةً، لأنها تكون في خَفَاءٍ. والمَخْدَع: بيتٌ داخل البيت تختفي فيه المرأة، ورجل خَادِع: إذا فعل الخديعة، سواءٌ حصل مقصوده أو لم يحصل، فإذا حصل مقصوده، قيل: قد خَدَعَ. وانخدَع الرجل: استجابَ للخَادِع، سواءٌ تعمَّد الاستجابة أو لم يقصدها، والعرب تسمّي الدَّهر خَدَّاعاً، لتَلوُّنِهِ بما يُخفيه من خيرٍ وشرٍّ. وفي معنى خِدَاعِهِم الله خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يُخَادعون المؤمنين، فكأنهم خادعوا الله. روي عن ابن عباسٍ؛ واختاره ابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنهم كانوا يخادعون نبيَّ الله، فأقام الله نبيه مقامَه، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[٢]، قاله الزَّجّاج. **والثالث**: أن الخَادِع عند العرب: الفاسِد. وأنشدوا[٣]:

[أبيضُ اللونِ لذيذٌ طَعْمُهُ][٤] طَيِّبُ الرِّيقِ إذا الرِّيقُ خَدَع

أي: فَسَد. رواه محمَّدُ بن القاسِم عن ثَعْلَبٍ عن ابن الأعْرَابيّ. قال ابن القَاسم: فتأويل: يُخادعون الله: يُفسدون ما يُظهرون من الإيمان بما يُضْمِرون من الكفر.

والرابع: أنهم كانوا يفعلون في دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خِدَاعاً.

والخامس: أنهم كانوا يُخفون كفرَهم، ويُظهرون الإيمانَ به.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عَمروٍ: «وما يخادعون» وقرأ الكوفيون، وابن عَامِرٍ: (يخدعون)، والمعنى: أن وَبَالَ ذلك الخِداع عائدٌ عليهم.

ومتى يعود وَبالُ خداعهم عليهم؟ فيه قولان:

أحدهما: في دار الدنيا، وذلك بطريقين: **أحدهما**: بالاستِدراج والإمهَال الذي يزيدهم عذاباً.

والثاني: بإطلاع النبيّ ﷺ والمؤمنين على أحوالهم التي أَسَرُّوها.

والقول الثاني: أن عَودَ الخداع عليهم في الآخرة. وفي ذلك قولان: **أحدهما**: أنه يعود عليهم عند ضرب الحِجاب بينهم وبين المؤمنين، وذلك قوله: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾[٥] الآية... **والثاني**: أنه يَعود عليهم عند اطِّلاع أهل الجنّة عليهم، فإذا رأوهم طمعوا في نَيْل راحةٍ من قِبَلِهِم، فقالوا: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[٦]، فيُجيبُونهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٧].

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: وما يعلمون. وفي الذي لم يشعروا به قولان:

---

(١) باطل. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٦ عن ابن عباس إسناده واه جداً فيه محمد بن مروان بن السائب عن الكلبي عن أبي صالح، أطلق العلماء على هذا الإسناد: سلسلة الكذب والأثر ذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٣١ وعزاه للواحدي والثعلبي بسندٍ واهٍ.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة عن «اللسان».

(٥) الحديد: ١٣. (٦) الأعراف: ٥٠. (٧) الأعراف: ٥١.

أحدهما: أنه إطْلاعُ الله نبيَّه على كَذِبِهِم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثاني: أنه إسرارَهم بأنفسهم بكفرهم، قاله ابن زيدٍ.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، المَرَض ها هنا: الشَّك، قاله عِكْرِمَة، وقَتَادَةُ. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ هذا الإخبار من الله عزّ وجلّ أنه فعل بهم ذلك، و«الأليم» بمعنى المُؤلم، والجمهور يقرأون «يكذِّبون» بالتشديد، وقرأ الكوفيون سوى أَبان عن عَاصم بالتخفيف مع فتح الياء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وهو قول الجمهور، منهم ابن عباسٍ، ومُجَاهِدٍ.

والثاني: أن المراد بها قومٌ لم يكونوا خُلقوا حين نزولها، قاله سلمانُ الفارسيُّ. وكان الكِسَائِيُّ يقرأ بضم القاف من «قيل» والحاء من «حِيلَ» والغين من «غِيضَ»، والجيم من «جِيءَ»، والسين من «سِيئَ» و«سِيئَتْ». وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلاثة: «حيل» و«سيق» و«سيئ». وكان نَافعٌ يضم «سِيئ» و«سيئت»، ويكسر البواقي، والآخرون يكسرون جميع ذلك. وقال الفَرَّاءُ: أهل الحجاز من قريشٍ ومَنْ جاورَهم من بني كِنَانَةَ يكسرون القاف في «قِيل» و«جيئ» و«غِيض»، وكثيرٌ من عَقِيل ومَنْ جَاوَرَهم وعامة أَسَدٍ، يُشِمُّون إلى الضمة من «قيل» و«جيئ».

وفي المراد بالفساد ها هنا خمسة أقوال: **أحدها**: أنه الكفر، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: العمل بالمعاصي، قاله أبو العَالِيَة، ومُقَاتِلٌ. **والثالث**: أنه الكفر والمعاصي، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والرابع**: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنه النفاق الذي صَادفوا به الكفار، وأطلعوهم على أسرار المؤمنين، ذكره شيخنا عليّ بن عُبيدِ الله.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يُوجب الفساد. **والثاني**: أن معناه: إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والقولان عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهم أرادوا: في مُصَافاة الكفار صلاحٌ لا فساد، قاله مُجاهدٌ وقَتادةُ. **والرابع**: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمَّدٍ هو الفساد، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنهم ظنوا أن مُصَافَاة الكفار صلاحٌ في الدنيا لا في الدين، لأنهم اعتقدوا أن الدُّولة[1] إن كانت للنبيّ ﷺ فقد أَمِنُوه بمتابعته، وإن كانت للكفار فقد أَمِنُوهُم بمصافَاتهم، ذكره شيخُنا.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾، قال الزَّجَّاجُ: أَلاَ: كلمةٌ يُبتدأ بها، يُنَبَّه بها المخاطبُ،

---

(١) في «القاموس» الدُّولة: انقلاب الزمان، والغلبة.

تدلّ على صحة ما بعدها. و«هم»: تأكيدٌ للكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يشعرون أن الله يُطلع نبيَّه على فسادهم. **والثاني**: لا يشعرون أن ما فعلوه فسادٌ، لا صلاح.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾، في المقول لهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: المنافقون، قاله مُجاهِدٌ، وابن زيدٍ.

وفي القائلين لهم قولان: **أحدهما**: أنهم أصحاب النبيّ ﷺ، قاله ابن عبَّاسٍ، ولم يُعيِّن أحداً من أصحابه. **والثاني**: أنهم مُعيَّنون، وهم سعدُ بنُ مُعاذٍ، وأبو لُبابَةَ وأُسَيْدُ، ذكره مُقاتِلٌ.

وفي الإيمان الذي دُعوا إليه قولان: **أحدهما**: أنه التصديق بالنَّبيِّ، وهو قول من قال: هُمُ اليهود. **والثاني**: أنه العمل بمُقتضى ما أظهروه، وهو قول من قال: هم المنافقون.

وفي المراد بالناس ها هنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. **والثاني**: عبدُ الله بن سَلاَم، ومن أسلم معه من اليهود، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: معاذُ بن جَبَلٍ، وسعدُ بن مُعاذٍ، وأُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ، وجماعة من وجوه الأنصار، عَدَّهم الكَلْبيُّ.

وفيمن عُنوا بالسفهاء ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: جميع الصحابة، قاله ابن عبَّاسٍ. **والثاني**: النساء والصبيان، قاله الحَسنُ. **والثالث**: ابن سَلام وأصحابه، قاله مُقاتِلٌ.

وفيما عَنَوْه بالغيب من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنهم أرادوا دينَ الإسلام، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنهم أرادوا البعث والجزاء، قاله مجاهدٌ. **والثالث**: أنهم عَنوا مكاشفة الفريقين بالعداوة من غير نظرٍ في عاقبةٍ، وهذا الوجه والذي قبله يُخرَّج على أنهم المنافقون، والأول يُخرَّج على أنهم اليهود. قال ابن قُتَيبة: السُّفهاء: الجَهَلة، يقال: سَفِهَ فلانٌ رأيَه، إذا جهله، ومنه قيل للبذاء: سَفَه، لأنه جَهلٌ. قال الزَّجَّاج: وأصل السَّفَه في اللغة: خِفَّة الحِلْم، ويقال: ثوبٌ سَفِيه: إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفَّهت الريح الشجر: إذا مالَت به. قال الشاعر[١]:

مَشَيْنَ كما اهتزَّتْ رماحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[٢]

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾. قال مُقاتلٌ: لا يعلمون أنهم هُمُ السّفهاء.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ وأصحابه، قاله ابن عبَّاسٍ[٣]. **والثاني**: أنها نزلت في المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب

---

(١) هو ذو الرّمّة ـ غيلان بن عقبة.

(٢) النواسم: الرياح الضعيفة الهبوب، قاله يصف النساء، وهن يمشين.

(٣) تقدم أنه ورد بسند ساقط.

الذين كانوا يُظهرون للنبيّ ﷺ من الإيمان ما يَلْقون رؤساءَهم بضدّه، قاله الحَسَن.

فأمّا التفسير: فـ«إلى»: بمعنى «مع»، كقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[١] أي: مع الله. والشَّياطين: جمع شَيطان، قال الخَليل: كل مُتمرّدٍ عند العرب شيطان. وفي هذا الاسم قولان: **أحدهما**: أنه من شَطَنَ، أي: بَعُدَ عن الخير، فعلى هذا تكون النون أصليّة. قال أُميّة بن أبي الصَّلْت في صفة سُليمانَ عليه السلام:

أَيّـمـا شـاطِـنٍ عَـصـاهُ عَـكَـاهُ ... ثُـمَّ يُـلْـقَـى فـي الـسِّـجـن والأَغْـلالِ

عَكَاهُ: أوثقه. وقال النّابغة:

نَـأَتْ بـسُـعَـادَ عـنـكَ نـوىً شَـطُـونٌ ... فـبـانَـتْ والـفـؤادُ بـهَـا رَهِـيـنُ

والثاني: أنه من شَاطَ يَشِيطُ: إذا التهب واحترق، فتكون النون زائدة. وأنشدوا:

وَقَدْ يَشِيطُ على أَرْمَاحِنَا البَطَلُ[٢]

أي: يَهْلِك. وفي المراد: بشياطينهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم رؤوسهم في الكفر، قاله ابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ، والحسنُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: إخوانهم من المشركين، قاله أبو العَاليَة، ومُجَاهِدٌ. **والثالث**: كَهَنَتُهم، قاله الضَّحَّاكُ، والكَلبيُّ.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾. فيه قولان: **أحدهما**: أنَّهم أرادوا: إنا معكم على دينكم. **والثاني**: إنا معكم على النّصرة والمُعاضَدة. والهُزء: السُّخرية.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾. اختلف العلماء في المراد، باستهزاء الله بهم على تسعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه يُفتح لهم بابٌ من الجنّة وهم في النار، فيُسرعون إليه فيُغلق، ثم يُفتح لهم بابٌ آخر، فيسرعون فيُغلق، فيَضحك منهم المؤمنون. روي عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه إذا كان يوم القيامة جَمدَت النَّار لهم كما تَجمُدُ الإهالَة[٣] في القِدْر، فيمشون فتنخسِف بهم. روي عن الحسن البَصْرِيِّ. **والثالث**: أن الاستهزاءَ بهم: إذا ضُرب بينهم وبين المؤمنين بِسُورٍ له بابٌ، باطنه فيه الرحمةُ وظاهره من قِبَلِه العذابُ، فيبقون في الظلمة، فيُقال لهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[٤]، قاله مقاتلٌ. **والرابع**: أن المراد به: يُجازيهم على استهزائهم، فقُوبل اللفظُ بمثله لفظاً وإن خالفه معنىً، فهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[٥]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٦]. وقال عمرو بن كُلثوم:

---

(١) الصف: ١٤.

(٢) هو عجز بيت للأعشى وصدره: قد نخضب العير في مكنون فائله.
ـ وانظر «المعجم المفصل». والفائل: عرق من الفخذ يكون في خربة الورك ينحدر في الرجلين، ومكنون فائله: دمه الذي كنّ فيه. وأراد: إنا حذّاق بالطعن.

(٣) الإهالة: الشحم.

(٤) الحديد: ١٣.

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) البقرة: ١٩٤.

أَلا لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا

أراد: فنعاقبه بأغلظ من عُقوبته. **والخامس**: أن الاستهزاء من الله تعالىٰ التَّخْطِئَة لهم، والتَّجْهِيل، فمعناه: الله يُخَطِّئ فعلَهم، ويُجَهِّلُهم في الإقامة على كفرهم. **والسادس**: أن استهزاءه: استدراجُهُ إيَّاهُم. **والسابع**: أنه إيقاع استهزائهم بهم، وردّ خداعهم ومكرهم عليهم. ذكر هذه الأقوال محمّد بن القاسم الأنْبَارِي. **والثامن**: أن الاستهزاء بهم أن يُقال لأحدهم في النار وهو في غاية الذل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾(١). ذكره شيخنا في كتابه. **والتاسع**: أنه لما أظهروا من أحكام إسلامهم في الدنيا خلافَ ما أبطن لهم في الآخرة، كان كالاستهزاء بهم.

قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: يُمَكِّن لهم، قاله ابن مسعودٍ. **والثاني**: يُملي لهم، قاله ابن عباسٍ. **والثالث**: يزيدُهم، قاله مُجاهدٌ. **والرابع**: يُمْهِلُهم، قاله الزَّجّاجُ. والطُّغيان: الزيادة على القَدْر، والخروجُ عن حَيِّز الاعتدال في الكَثْرة، يقال: طَغى البحر: إذا هاجَت أمواجه، وطغى السَّيل: إذا جاء بماءٍ كثيرٍ. وفي المُراد بطغيانهم قولان: **أحدهما**: أنه كُفرهم، قاله الجمهور. **والثاني**: أنه عُتُوُّهم وتكبُّرهم، قاله ابن قُتيبة.

و﴿يَعْمَهُونَ﴾ بمعنى: يَتَحيَّرون، يقال: رجل عَمِه وعَامِه، أي: مُتَحَيِّرٌ. قال الرَّاجِز(٢):

ومَخْفَقٍ مِنْ لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ مِنْ مَهْمَهٍ يَجْتَنْبُهُ في مَهْمَهِ
أعْمَى الهُدى بالجَاهِلِينَ العُمَّهِ(٣)

وقال ابن قُتيبةَ: (يعمَهون) يركبون رؤوسهم، فلا يُبصرون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾. في نزولها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في جميع الكفار، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ. **والثاني**: أنها في أهل الكتاب، قاله قَتادةُ والسُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنها في المنافقين، قاله مُجاهِدٌ.

و﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾: بمعنى استبدلوا، والعرب تجعل من آثر شيئاً على شيءٍ مُشترياً له، وبائعاً للآخر. والضلالة والضلال بمعنىً واحدٍ. وفيهما للمفسّرين ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن المراد بها ها هنا الكفر، والمراد بالهدى: الإيمان، روي عن الحَسن وقَتادةَ والسُّدِّيّ. **والثاني**: أنها الشك، والهُدى: اليقين. **والثالث**: أنها الجهل، والهُدى: العلم. وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم آمنوا ثم كفروا، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أن اليهود آمنوا بالنَّبيّ قبل مَبعثه، فلما بُعث كفروا به، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أن الكفار لما بلغهم ما جاء به النَّبيّ ﷺ من الهدى فردّوه واختاروا الضلال، كانوا كمن أبدل شيئاً بشيءٍ، ذكره شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله.

---

(١) الدخان: ٤٩.
(٢) هو رؤبة بن العجّاج.
(٣) المخفق: الأرض الواسعة المستوية التي يضطرب فيها السراب. واللهله: الأرض الواسعة أيضاً. والمهمه: المفازة المقفرة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾. من مجاز الكلام، لأن التجارة لا تربح، وإنما يُربح فيها، ومثله قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[١]، يريد: بل مَكرُهم في الليل والنهار. ومثله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾[٢]، أي: عزم عليه. وأنشدوا[٣]:

حَـارِثُ قَـدْ فـرَّجْـتَ عـنِّـي هَـمِّـي ... فـنـامَ لـيـلِـي وتَـجـلَّـى غَـمِّـي

والليل لا ينام، بل يُنام فيه، وإنما يُستعمل مثل هذا فيما يزول فيه الإشكال ويُعلم مقصود قائله، فأمّا إذا أُضيف إلى ما يَصلح أن يُوصف به، وأُريد به ما سواه، لم يَجز، مثل أن يقول: ربح عبدك، وتريد: ربحتَ في عبدك. وإلى هذا المعنى ذهب الفرّاء وابن قُتيبة والزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾. فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: وما كانوا في العلم بالله مهتدين. **والثاني**: وما كانوا مهتدين من الضلالة. **والثالث**: وما كانوا مهتدين إلى تجارة المؤمنين. **والرابع**: وما كانوا مهتدين في اشتراء الضلالة. **والخامس**: أنه قد لا يربح التاجر ويكون على هدىً من تجارته غير مستحقٍّ للذَّم فيما اعتمدَهُ، فنفى الله عزّ وجلّ عنهم الأمرين مبالغةً في ذَمِّهم.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾. هذه الآية نزلت في المنافقين. والمَثَل بتحريك الثاء: ما يُضرب ويُوضع لبيان النُّظائر في الأحوال.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ قولان: **أحدهما**: أن السين زائدة، وأنشدوا[٤]:

وَدَاعٍ دَعَـا يـا مَـنْ يُـجِـيـبُ إلـى الـنَّـدَى ... فـلَـمْ يَـسْـتَـجِـبْـهُ عـنـدَ ذاكَ مُـجِـيـبُ

أراد: فلم يُجِبْه، وهذا قول الجمهور، منهم الأخفش وابن قُتيبة.

والثاني: أن السين داخلةٌ للطلب، أراد: كمن طلب من غيره ناراً.

وفي ﴿أَضَآءَتْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه من الفعل المتعدّى، قال الشاعر:

أضـاءَت لـهُـم أحـسَـابُـهُـم وَوجـوهـهـم ... دُجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه[٥]

وقال آخر[٦]:

أضـاءت لـنـا الـنـار وجـهـاً أغـر ... مـلـتـبـسـاً بـالـفـؤاد الـتـبـاسـا

والثاني: أنه من الفعل اللازم. قال أبو عُبيدٍ: يُقال: أضاءت النّارُ، وأضاءها غيرُها. وقال الزَّجّاجُ: يقال: ضاء القمرُ، وأضاءَ.

وفي «ما» قولان: **أحدهما**: أنها زائدة، تقديره: أضاءت حوله. **والثاني**: أنها بمعنى الذي.

---

(١) سبأ: ٣٣. (٢) محمد: ٢١.
(٣) هو لرؤبة بن العجّاج يمدح الحارث بن سُليم.
(٤) هو لكعب بن سعد الغنوي، يرثي أخاه أبا المغوار. انظر «تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٧ بتخريجي.
(٥) في «القاموس»: الجزع: الخرز اليماني، تشبّه به الأعين.
(٦) هو النابغة الجعدي.

وحولَ الشَّيء: ما دَارَ مِنْ جوانبه. والهاء: عائدةٌ على المستَوقِد. فإن قيل: كيف وحّد، فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾، ثم جمع فقال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؟ فالجواب: أن ثَعْلَباً حكى عن الفرَّاءِ أنه قال: إنما ضُرب المَثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق، وإنما قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ لأن المعنى ذاهبٌ إلى المنافقين، فجمع لذلك. قال ثَعلبُ: وقال غير الفرَّاء: معنى الذي: الجمع، وُحّدَ أولاً للفظه، وجمع بعدُ لمعناه، كما قال الشاعر[١]:

فإن الذي حانت بفَلْجٍ دماؤُهم هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أمَّ خالِدِ[٢]

فجعل «الذي» جمعاً.

فصل: اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالىٰ له هذا المَثَل من أحوال المنافقين على قولين: **أحدهما**: أنه ضُرب لكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة النفس وحَقن الدِّماء، فإذا ماتوا سَلَبَهم الله ذلك العِزَّ، كما سَلَبَ صاحب النَّار ضوءه. وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه ضُرب لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول، فذهاب نورهم: إقبالهم على الكافرين والضلال، وهذا قول مُجاهدٍ.

وفي المراد بـ «الظلمات» ها هنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: العذاب، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: ظُلمة الكفر، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: ظُلمةٌ يُلقيها الله عليهم بعد الموت، قاله قَتادة. **والرابع**: أنها نفاقهم، قاله السُّدّيُّ.

فصل: وفي ضرب المثَل لهم بالنار ثلاث حِكَم: **إحداهنَّ**: أن المستضيء بالنار مستضيءٌ بنورٍ من جهة غيره، لا من قِبَل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بَقي في ظلمةٍ، فكأنهم لما أقروا بألسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم؛ كان نور إيمانهم كالمُستَعَار. **والثانية**: أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة الحطب، وهو له كغذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم. **والثالثة**: أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشدُّ على الإنسان من ظلمةٍ لم يجد معها ضياءً، فشبَّه حالَهم بذلك.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾. الصَّمَمُ: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطَّرَش.

وفي البَكَم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الخَرَس، قاله مُقاتلٌ، وأبو عُبيدٍ، وابن فَارسٍ. **والثاني**: أنه عيبٌ في اللسان لا يتمكن معه من النطق، وقيل: إن الخَرَسَ يحدُث عنه. **والثالث**: أنه عيبٌ في الفؤاد يمنعه أن يَعِيَ شيئاً فيفهمه، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق. ذكر هذين القولين شيخنا.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله قَتادةُ ومُقاتلٌ. **والثاني**: لا يرجعون إلى الإسلام، قاله السُّدّيُّ. **والثالث**: لا يرجعون عن الصَّمَم والبَكَم والعَمى، وإنما أضاف الرجوع إليهم، لأنهم انصرفوا باختيارهم، لغلبة أهوائهم عن تَصَفُّح الهدى بآلات

---

(١) هو الأشهب بن رميلة. انظر «المعجم المفصّل».

(٢) في «اللسان» فلج: اسم بلد وقيل: هو وادٍ بطريق البصرة إلى مكة ببطنه منازل للحاج.

التَّصَفُّح، ولم يكن بهم صَممٌ ولا بَكمٌ حقيقةً، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والنطق به؛ كانوا كالصُّم البُكم. والعرب تُسمّي المُعرض عن الشيء: أعمى، والمُلتفتَ عن سماعه: أصمّ، قال مِسكينُ الدَّارِميّ:

مَـا ضَـرَّ لـي جَـاراً أُجَـاوِرُهُ ... ألاَّ يَـكُـونَ لِـبَـابِـهِ سِـتْـرُ
أُعـمَـى إذا مـا جَـارتي خَـرَجَـتْ ... حـتـى يُـواري جَـارَتـي الـخِـدْرُ
وتُـصَـمُّ عـمـا بـيـنَـهُـم أُذُنـي ... حـتـى يـكـونَ كـأنَّـه وَقْـرُ[١]

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، أو: حرف مردودٌ على قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[٢]، واختلف العلماء فيه على ستة أقوالٍ:

أحدها: أنه داخل ها هنا للتخيير، تقول العرب: جَالسِ الفقهاءَ أو النَّحويين، ومعناه: أنت مخيّرٌ في مجالسة أي الفريقين شئتَ، فكأنه خيَّرنا بين أن نضربَ لهمُ المَثَل الأوّل أو الثاني.

والثاني: أنه داخلٌ للإبهام فيما قد علم الله تحصيله، فأبهمَ عليهم ما لا يطلبون تفصيله، فكأنه قال: مَثَلهم كأحد هذين، ومِثْله قوله تعالىٰ: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٣]، والعرب تُبهم ما لا فائدة في تفصيله. قال لَبيدٌ:

تَـمَـنَّـى ابـنـتـايَ أن يـعـيـشَ أبـوهُـمـا ... وهَـل أنَـا إلاَّ مِـنْ ربـيـعـةَ أو مُـضَـر

أي: هل أنا إلا من أحد هذين الفريقين، وقد فَنِيَا، فسبيلي أن أفنى كما فَنِيَا.

والثالث: أنه بمعنى: بل. وأنشد الفرَّاءُ:

بَدَتْ مثلَ قرنِ الشمس في رَونقِ الضُّحى ... وصُـورَتِـهَـا أو أنـتِ فـي الـعَـيْـنِ أَمْـلَـح

والرابع: أنه للتفصيل، ومعناه: بعضهم يُشبَّه بالذي استوقد ناراً، وبعضهم بأصحاب الصَّيِّب. ومثله قوله تعالىٰ: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[٤]، معناه: قال بعضهم، وهم اليهود: كونوا هُوداً، وقال النصارى: كونوا نصارى. وكذلك قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[٥]، معناه: جاء بعضهم بأسُنا بياتاً، وجاء بعضهم بأسُنا وقت القائلة.

والخامس: أنه بمعنى الواو. ومِثْله قوله تعالىٰ: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾[٦]. قال جَريرٌ:

نَـالَ الـخـلافـةَ أو كَـانـتْ لَـه قَـدَراً ... كَـمَـا أَتَـى رَبَّـهُ مُـوسَـى عـلـى قَـدَرِ[٧]

---

(١) الوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله، وجاء في القرطبي ١/ ٢٥٩ حتى يواري جارتي الجُدْرُ.
(٢) البقرة: ١٧.
(٣) البقرة: ٧٤.
(٤) البقرة: ١٣٥.
(٥) الأعراف: ٤.
(٦) النور: ٦١.
(٧) قاله جرير في عمر بن عبد العزيز.

والسادس: أنه للشك في حقِّ المخاطبين، إذ الشك مرتفعٌ عن الحق عزَّ وَجلَّ، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]، يريد: الإعادةُ أهون من الابتداء فيما تظنون.

فأمّا التفسير لمعنى الكلام: أو كأصحاب صَيِّبٍ، فأضمر الأصحاب، لأن في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾، دليلاً عليه. والصَّيِّب: المطر. قال ابن قُتيبةَ: هو فَيعِل من صَابَ يَصُوبُ: إذا نزل من السماء، وقال الزَّجّاج: كل نازلٍ من عُلوٍّ إلى استِفَالٍ، فقد صَابَ يَصُوبُ، قال الشاعر[2]:

كأنهم صَابَتْ عليهم سَحَابَةٌ ... صَوَاعِقُها لطَيرِهِنَّ دَبِيبُ

وفي «الرَّعد» ثلاثة أقوالٍ:

[١٧] أحدها: أنه صوت ملك يزجر السحاب، وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ، وبه

---

[١٧] الراجح وقفه. أخرجه الترمذي ٣١١٧ والنسائي في «الكبرى» ٩٠٧٢ وأحمد ١/ ٢٧٤ والطبراني في «الكبير» ١٢٤٢٩ وابن مندة في «التوحيد» ٤٨ وأبو نعيم ٤/ ٣٠٥ وأبو الشيخ في «العظمة» ٧٦٩ كلهم من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ، فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال ملك من الملائكة موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا صدقت. فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه؟ قال اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلاّ لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرّمها، قالوا صدقت، قال الترمذي: حسن غريب؛ اهـ. ومداره على بكير، وهو مقبول، لا يحتج بما ينفرد به، وثقه ابن حبان وحده، وقال أبو حاتم: شيخ. ولم يرو إلاّ هذا الحديث. وأخرجه الطبراني في «الكبير»: (١٢٤٢٩) مطوّلاً، وفيه أبو نعيم ضرار بن صرد، وهو ضعيف، وفيه أيضاً، بكير بن شهاب. وقال ابن منده: هذا إسناد متصل، ورواته مشاهير ثقات!!. كذا قال رحمه الله، والصواب أنه تفرد به راوٍ شبه مجهول، لم يوثقه سوىٰ ابن حبان علىٰ قاعدته في توثيق المجاهيل، ولم يرو إلاّ هذا الحديث الواحد، فمثله غير حجة، وهو غير معروف بحمل العلم. وقال أبو نعيم: غريب من حديث سعيد ـ بن جبير ـ تفرد به بكير.

ـ وله شاهد بإسناد ساقط: أخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٤/ ٩٥ من حديث جابر.

ـ وذكر الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٥١٩ بعض إسناده حيث قال: وفي الطبراني الأوسط عن أبي عمران الكوفي عن ابن جريج وعن عطاء عن جابر، مختصراً فذكر فيه الرعد. سكت عليه الحافظ، وإسناده ساقط، أبو عمران الكوفي لم أجد له ترجمة، وابن جريج مدلس، وقد عنعن. والحديث لم أره في معاجم الطبراني بعد بحث، ولا في «المجمع» مع أنه ذكر حديث ابن عباس، والظاهر أنه تفرد به ابن مردويه كما في «الدر» ويكل حال الإسناد ساقط. لكن ورد في ذلك آثار عن ابن عباس وعلماء التفسير من التابعين. انظر «الدر المنثور» ٤/ ٩٤ ـ ٩٧، و «جامع البيان» ٤١٩ ـ ٤٤٢، وذكره الألباني في «الصحيحة» ١٨٧٢. قلت: المرفوع، لا يثبت، ولا يحتج بإسناده، والأشبه كونه موقوفاً، والله أعلم كذا جاء في روايات كثيرة عن ابن عباس في أن الرعد ملك وورد عن مجاهد وعكرمة وغيرهما. ولو صح هذا مرفوعاً لما تكلم هؤلاء من تلقاء أنفسهم في ذلك. ومما يدل على عدم ثبوت المرفوع، هو أن البغوي ذكر في «تفسيره» ١/ ٥٣ أثر علي وابن عباس ومجاهد وغيرهم ولم يذكر المرفوع. وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ١٣٦٥ عن معمر قال: سألت الزهري عن الرعد: ما هو؟ فقال: الله أعلم. الخلاصة: هذا كله دليل علىٰ عدم ثبوت المرفوع، وأن الصواب في ذلك هو الموقوف والمقطوع، والله أعلم.

---

(١) الروم: ٢٧.

(٢) هو علقمة بن عبده كما في «جامع البيان» ١/ ١٨٢ للطبري.

قال ابن عباسٍ ومُجاهدٌ. وفي رواية عن مُجاهدٍ: أنه صوت مَلَكٍ يُسَبِّح. وقال عِكرِمَةُ: هو مَلَكٌ يسوق السحاب كما يسوق الحَادي الإِبل.

والثاني: أنه ريحٌ تختنق بين السماء والأرض. وقد روي عن أبي الجَلْد أنه قال: الرعد: الريح. واسم أبي الجَلْد: جَيْلاَنُ بن أبي فَرْوَةَ البَصْرِيّ، وقد روى عنه قَتَادَةُ.

والثالث: أنه اصْطِكَاك أجرام السحاب(١)، حكاه شيخنا علي بن عُبيد الله.

وفي البرق ثلاثة أقوالٍ(٢):

[١٨] **أحدها**: أنه مَخَاريقُ يسوق بها المَلَك السحابَ، روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ، وهو قول عليّ بن أبي طالبٍ. وفي روايةٍ عن عليٍّ قال: هو ضربه بمِخْرَاقٍ من حديدٍ. وعن ابن عباس: أنه ضربه بسَوطٍ من نُورٍ. قال ابن الأنْبَارِيّ: المَخَارِيقُ: ثيابٌ تُلَفُّ، ويَضرب بها بعضُ الصبيان بعضاً، فشبّه السَّوط الذي يُضرب به السحاب بذلك المِخْرَاق. قال عمرو بن كُلثوم:

كأن سيوفَنا فينا وفيهم ... مَخَارِيقٌ بأَيدي لاعِبِينا

وقال مُجاهدٌ: البرق: مَصْعُ مَلَكٍ، والمَصْعُ: الضَّرب والتَّحريك. **والثاني**: أن البَرق: الماءُ، قاله أبو الجَلْد. وحكى ابن فارسٍ أن البرق: تَلألُؤ الماءِ. **والثالث**: أنه نارٌ تنقدح من اصطِكَاك أجرام السحاب لِسَيْرِه، وضربِ بعضه لبعض، حكاه شيخنا.

والصواعق: جمع صاعقةٍ، وهي صوتٌ شديدٌ من صوت الرعد يقع معه قطعةٌ من نارٍ تحرق ما تصيبه. وروي عن شَهْرِ بن حَوْشَب: أن المَلَكَ الذي يسوق السحاب، إذا اشتدّ غضبه، طار مِنْ فِيهِ النارُ، فهي الصواعق. وقال غيره: هي نارٌ تنقدح من اصطِكَاكِ أجرام السحاب. قال ابن قُتيبةَ: وإنما سُمّيت صاعقةً، لأنها إذا أصابت قَتَلت، يقال: صَعقتُهم، أي: قَتلتُهم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾. فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه لا يفوته أحدٌ منهم، فهو جامعهم يومَ القيامة. ومثله قوله تعالىٰ: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(٣)، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أن الإِحاطة: الإِهلاك، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾(٤). **والثالث**: أنه لا يخفى عليه ما يفعلون.

---

[١٨] لم أره مرفوعا، وإنما ورد عن علي موقوفاً، أخرجه الطبري ٤٣٩ وأبو الشيخ ٧٧١ وإسناده ضعيف لجهالة ربيعة بن أبيض، وكرره الطبري ٤٤١ وفيه من لم يسم، وكرره أبو الشيخ ٧٧٢ من وجه آخر، وفيه بشير بن أبي ميمونة وهو مجهول أيضاً.
الخلاصة: المرفوع لم أجده بهذا اللفظ، وإنما الوارد في ذلك ما تقدم من حديث ابن عباس، وأما الموقوف على علي، فقد ورد بأسانيد واهية، وهو غريب جداً، والصواب أن البرق، هو الضياء كما تقدم.

---

(١) يمكن الجمع بين الخبر المرفوع مع ضعفه والآثار، وهذا القول، بأن يكون الملك الموكل بالرعد اسمه الرعد، ويكون الصوت الذي ينتج عن اصطكاك الأجرام هو الرعد كما هو معروف لدى الناس.
والقول الثاني ليس بشيء.

(٢) أعدل الأقوال هو الأخير، لكن لا يتعين كونه ناراً، وإنما هو ضياء ونور ولمعان ينتج عقب اصطكاك الأجرام.

(٣) الطلاق: ١٢. (٤) الكهف: ٤٢.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾، يكاد بمعنى: يُقارب، وهي كلمة إذا أُثبتت انتفى الفعل، وإذا نُفيت ثبت الفعل. وسُئل بعض المتأخرين فقيل له:

أَنَحْوِيَّ هَذا العَصْرِ ما هي كلمةٌ ... جَرَتْ بِلِسَانَيْ جُرْهُمٍ وثَمُودِ
إذا نُفِيَتْ واللّهُ يَشْهدُ أُثْبِتَتْ ... وإنْ أُثْبِتَتْ قامَتْ مقامَ جُحُودِ

ويشهدُ للإثبات عند النفي قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[1]، وقوله: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[2]، ومثله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[3]، ويشهد للنفي عند الإثبات قوله تعالىٰ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ و ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾[4] و﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾[5]. وقال ابن قُتيبةَ: كاد: بمعنى هَمَّ ولم يفعَلْ. وقد جاءت بمعنى فَعَلَ. قال ذو الرُّمَّة:

ولَو أنَّ لُقمانَ الحكيمَ تعرَّضَتْ ... لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سَافِراً كَادَ يَبرَقُ

أي: لو تعرَّضت له لَبرِقَ، أي: دُهش وتحيَّر. قلت: وقد قال ذو الرُّمَّة في المَنفيَّة ما يدل على أنها تُستعمل على خلاف الأصل، وهو قوله:

إذا غيَّر النَّأْيُ المُحبِّينَ لَمْ يَكَدْ ... رَسِيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحِ[6]

أراد: لم يَبْرَحْ.

قوله تعالىٰ: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾. قرأ الجمهور «يخطف» بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الطاء، وقرأ أَبان بن تَغْلِبٍ، وأَبان بن يزيدَ كلاهما عن عاصم، بفتح الياء وسكون الخاء وكسر الطاء مخففاً. ورواه الجَعْفِيُّ عن أبي بكرٍ عن عاصم، بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الطاء، وهي قراءة الحسن كذلك، إلاّ أنه كسر الياء. وعنه: فتح الياء والخاء مع كسر الطاء المشدّدة.

ومعنى «يخطف»: يَسْتَلِب، وأصل الاختِطَاف: الاستِلاَب، ويقال لما يخرج به الدَّلو: خَطَّاف، لأنه يختَطِفُ ما علق به. قال النَّابغة:

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ في حِبَالٍ مَتِينَةٍ ... تُمَدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ

والحجن: المُتَعَقِّفَة، وجَمَلٌ خَيْطَفٌ: سريع المَرِّ، وتلك السرعة الخَطَفَى.

قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ضاءَ الشيء يَضُوء، وأضاء يُضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة.

فصل: واختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التخويف الذي في القرآن، قاله ابن عبَّاسٍ. **والثاني**: أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب

---

(١) النساء: ٧٨. (٢) النور: ٤٠. (٣) الزخرف: ٥٢.
(٤) النور: ٤٣. (٥) النور: ٣٥.
(٦) النأي: البعد والمفارقة. والرسيس: الشيء الثابت وابتداء الحب.

إذا عَلِمَ النبيُّ والمؤمنون بنفاقهم، قاله مُجاهدٌ والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه ما يخافونه من الدعاء إلى الجهاد، وقتال من يُبطنون مودَّته، ذكره شيخنا.

واختلفوا: ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما يتبيّن لهم من مواعظ القرآن وحكمه. **والثاني**: أنه ما يُضيء لهم من نور إسلامهم الذي يُظهرونه. **والثالث**: أنه مَثَلٌ لما ينالونه بإظهار الإسلام من حَقْنِ دمائهم، فإنه بالإضافة إلى ما ذُخِرَ لهم في الأجل كالبرق. واختلفوا في معنى قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾، على قولين: **أحدهما**: أنهم كانوا يَفِرُّون من سماع القرآن لئلا يأمرهم بالجهاد مخافةَ الموت، قاله الحسنُ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه مثلٌ لإعراضهم عن القرآن كراهيةً له، قاله مُقاتلٌ. واختلفوا في معنى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: كلما أتاهم القرآن بما يحبون تابعوه، قاله ابن عبَّاسٍ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أن إضاءة البرق حصول ما يرجُونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلى متابعته، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أن تكلُّمَهم بالإسلام، ومشيَهُم فيه: اهتداؤهم به، فإذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالةٍ، قاله مُقاتلٌ. **والرابع**: أن إضاءَته لهم: تركُهم بلا ابتلاءٍ ولا امتحانٍ، ومشيَهم فيه: إقامتُهم على المُسالمة بإظهار ما يظهرونه. ذكره شيخنا.

فأمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾، فمن قال: إضاءته: إتيانه إياهم بما يحبون، قال: إظلامه: إتيانه إياهم بما يكرهون. وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس. ومعنى ﴿قَامُوا۟﴾: وَقَفُوا. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾، قال مُقاتلٌ: معناه: لو شاء لأذهب أسماعَهم وأبصارَهم عقوبةً لهم.

قال مُجاهِدٌ: من أول البقرة أربع آياتٍ في نَعْتِ المؤمنين، وآيتان في نَعْتِ الكافرين، وثلاث عشرة في نَعْتِ المنافقين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾. اختلف العلماء فيمن عَنَى بهذا الخطاب على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه عامٌّ في جميع الناس، وهو قول ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه خطابٌ لليهود دون غيرهم، قاله الحَسنُ ومُجاهدٌ. **والثالث**: أنه خطابٌ للكفار من مُشركي العرب وغيرهم، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: أنه خطابٌ للمنافقين واليهود، قاله مُقاتلٌ.

و﴿ٱلنَّاسُ﴾ اسمٌ للحيوان الآدمي وسُموا بذلك لتحرّكهم في مُراداتهم. والنوس: الحركة. وقيل: سُمّوا ناساً لما يعتريهم من النسيان. وفي المراد بالعبادة ها هنا قولان: **أحدهما**: التوحيد. **والثاني**: الطاعة، رُويا عن ابن عباسٍ. والخَلقُ: الإيجاد. وإنما ذكر من قبلهم، لأنه أبلغ في التذكير، وأقطع للجَحْدِ، وأحْوَطُ في الحُجَّة. وقيل: إنما ذكر من قبلهم، لينبّههم على الاعتبار بأحوالهم في إثابة مُطيعٍ، ومعاقبة عاصٍ.

وفي (لعل) قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى كي، وأنشدوا في ذلك:

وقُلتُم لنا كُفُّوا الحروبَ لعلَّنا ... نَكُفُّ ووثَّقتُم لنا كلَّ مَوثِقِ
فلمَّا كَفَفْنا الحربَ كانت عهودُكم ... كَلَمْعِ سَرابٍ في المَلا مُتألِّقِ

يريد: لكي نكُفَّ، وإلى هذا المعنى ذهب مُقاتلٌ وقُطْرُبُ وابن كَيْسَانَ.

والثاني: أنها بمعنى التَّرَجِّي، ومعناها: اعبدوا الله رَاجِينَ للتقوى، ولأن تَقُوا أنفسَكم ـ بالعبادة ـ عذاب ربكم. وهذا قول سِيبوَيْه. قال ابن عباسٍ: لعلّكم تتقون الشرك، وقال الضَّحَّاك: لعلّكم تتقون النار. وقال مُجاهدٌ: لعلّكم تطيعون.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾. إنّما سُمّيت الأرض أرضاً لِسِعَتِهَا، من قولهم: أرضت القرحة: إذا اتسعت، وقيل: لانحطاطها عن السّماء، وكل ما سَفُل: أرضٌ، وقيل: لأن الناس يرضُّونها بأقدامهم، وسُمّيت السماء سماءً لعلوِّها. قال الزَّجّاجُ: وكل ما عَلا على الأرض فاسمه بناءٌ، وقال ابن عباسٍ: البِنَاء ها هنا بمعنى السَّقف.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني: من السحاب، ﴿مَآءً﴾ يعني المطر. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء، أمثالاً. يقال: هذا ندُّ هذا، ونَدِيدُه. وفيما أريد بالأنْداد ها هنا قولان: **أحدهما**: الأصنام، قاله ابن زَيدٍ. **والثاني**: رجالٌ كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السُّدِّيّ. قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. فيه ستة أقوالٍ: **أحدها**: وأنتم تعلمون أنه خَلَقَ السماء، وأنزل الماء، وفعلَ ما شرحه في هذه الآيات، وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عباسٍ وقتادةَ ومُقاتلٍ. **والثاني**: وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والإنجيل، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً، وهو يُخرج على قول من قال: الخطاب لأهل الكتاب. **والثالث**: وأنتم تعلمون أنه لا نِدَّ له، قاله مجاهدٌ. **والرابع**: أن العلم ها هنا بمعنى العقل، قاله ابن قُتيبةَ. **والخامس**: وأنتم تعلمون أنه لا يقدر على فعل ما ذكره أحدٌ سواه. ذكره شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله. **والسادس**: وأنتم تعلمون أنها حجارةٌ، سمعتُه من الشيخ أبي محمَّدِ بن الخشّاب.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾. سبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمدٌ لا يشبه الوحي، وإنا لفي شَكٍّ منه، فنزلت هذه الآية. وهذا مرويٌّ عن ابن عباسٍ ومُقاتلٍ. و«إن» ها هنا لغير شكٍّ، لأن الله تعالىٰ علم أنهم مُرتابون، ولكن هذا عادة العرب، يقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فأطِعْني. وقيل: إنها ها هنا بمعنى إذ، قال أبو زَيدٍ: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١). قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، قال ابن قُتيبةَ: السورة تُهمزَ ولا تُهمَز، فمن هَمَزَها جعلها من أَسأرت، يعني أَفْضَلَتْ كأنها قطعةٌ من القرآن، ومن لم يَهْمِزْها جعلها من سُورَة البِنَاء، أي مَنْزِلَة بعد مَنْزِلَة. قال النَّابغةُ في النُّعمان:

---

(١) البقرة: ٢٧٨.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أعطاكَ سُورةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دونَها يَتَذَبْذَبُ

والسُّورة في هذا البيت: سُورة المَجد، وهي مستعارةٌ من سُورَة البِنَاء. وقال ابن الأَنْبَارِيِّ: قال أبو عُبيدةَ: إنما سُمِّيت السورة سورةً لأنه يُرتفع فيها من منزلة إلى منزلةٍ، مثل سُورة البناء. معنى: أعطاك سُورة، أي: منزلةَ شرفٍ ارتفعتَ إليها عن منازلِ الملوك. قال ابن القَاسم: ويجوز أن تكون سُمّيت سُورة لشرفها، تقول العرب: له سُورةٌ في المجد، أي: شرفٌ وارتفاعٌ، أو لأنها قطعةٌ من القرآن من قولك: أَسْأَرتُ سُؤراً، أي: أبقيتُ بقيةً. وفي هاء «مثله» قولان: **أحدهما**: أنها تعود على القرآن المُنَزَّل[1]، قاله قَتادةُ والفَرَّاءُ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها تعود على النبيّ ﷺ، فيكون التقدير: فأتوا بسورةٍ من مثل هذا العبد الأُمّي، ذكره أبو عُبيدةَ والزَّجّاجُ وابن القَاسِم. فعلى هذا القول: تكون «مِنْ» لابتداء الغاية، وعلى الأول: تكون زائدة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه: استعينوا من المَعُونة، قاله السُّدِّيُّ والفَرَّاءُ. **والثاني**: استغِيثوا، من الاستغاثة، وأنشدوا:

فلمَّا التَقتْ فُرسانُنا ورجالُهم ... دَعَوْا يَالَ كعبٍ واعتَزَيْنَا لعَامِرِ[2]

وهذا قول ابن قتيبة. وفي «شهدائهم» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم آلهتهم، قاله ابن عباسٍ والسُّدِّيُّ ومُقاتلٌ والفَرَّاءُ. قال ابن قُتيبةَ: وسُموا شهداء، لأنهم يشهدونهم ويحضرونهم. وقال غيره: لأنهم عبدوهم لِيَشهدوا لهم عند الله. **والثاني**: أنهم أعوانهم، روي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أن معناه: فأتوا بناسٍ يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن، رُوي عن مُجاهدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي في قولكم: إن القرآن ليس من عند الله، قاله ابن عباسٍ.

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ في هذه الآية مضمرٌ مقدَّرٌ، يقتضي الكلام تقديمه، وهو أنه لما تحدّاهم بما في الآية الماضية من التَّحدِّي، فسكتوا عن الإجابة؛ قال: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ أعظمُ دلالةٍ على صحة نبوَّة نبيِّنا، لأنه أخبر أنهم لا يفعلون، ولم يفعلوا. والوَقود: بفتح الواو: الحَطَب، وبضمها: التَّوقُّد، كالوضوء بالفتح: الماء، وبالضم: المصدر، وهو اسم حركات المتوضئ. وقرأ الحسنُ وقَتادةُ: وُقودها، بضم الواو، والاختيار الفتح. والناس أُوقِدُوا فيها بطريق العذاب. والحجارة، لبيان قوّتها وشدّتها، إذ هي مُحرقةٌ للحجارة. وفي هذه الحجارة

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٩/ ٦٠: فأتوا بسورة من مثله يعني من مثل القرآن قاله مجاهد وقتادة واختاره ابن جرير الطبري والزمخشري والرازي ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري وأكثر المحققين ورجح ذلك بوجوه أحسنها أنه تحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم وذلك أكمل في التحدي وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئاً من العلوم وبدليل قوله تعالى: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾ وقوله ﴿لا يأتون بمثله﴾ وقال بعضهم من مثل محمد ﷺ يعني من رجل أمي مثله والصحيح الأول.

ـ وقال القرطبي رحمه الله ١/ ٢٧٥: والضمير في «مثله» عائد على القرآن عند الجمهور.

(٢) البيت للرّاعي النميري. واعتزى: انتسب، صدقاً كان أو كذباً، وانتمى إليهم مثله.

قولان: **أحدهما**: أنها أصنامهم التي عبدوها، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ. **والثاني**: أنها حجارة الكِبريت، وهي أشدّ الأشياء حرّاً، إذا أُحميت يعذَّبون بها.

ومعنى ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَتْ. وإنما خوَّفهم بالنار إذا لم يأتوا بمثل القرآن، لأنهم إذا كذَّبوه، وعجزوا عن الإتيان بمثله؛ ثبتت عليهم الحُجَّة، وصار الخلاف عِناداً، وجزاء المعاندين النار.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. البِشَارَة: أول خبر يَرِدُ على الإنسان، وسُمّي بِشَارة، لأنه يُؤثر في بَشَرَتِه، فإن كان خيراً، أثر المَسَرَّة والانبساط، وإن شراً، أثر الانجماع والغَمّ، والأغلب في عُرف الاستعمال أن تكون البِشارة بالخير، وقد تُستعمل في الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. يشمل كل عملٍ صالحٍ، وقد رُوي عن عثمانَ بن عفَّان أنّه قال: أخلصوا الأعمال. وعن عليّ عليه السلام أنه قال: أقاموا الصّلوات المفروضات.

فأما الجنَّات، فجمع جنَّةٍ. وسُميت الجنة جنةً، لاستِتَار أرضها بأشجارها، وسُمّي الجِنّ جِنًّا، لاستِتارهم، والجَنين من ذلك، والدِّرع جُنَّة، وجَنَّ الليل: إذا سَتَر، وذُكِرَ عن المُفضَّل أن الجنّة: كل بستانٍ فيه نخلٌ. وقال الزَّجّاجُ: كل نبتٍ كَثُفَ وكَثُرَ وسَتَرَ بعضُه بعضاً، فهو جنةٌ.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾، أي: من تحت شجرها لا من تحت أرضها.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: هذا الذي طَعِمْنا من قبلُ، فرِزقُ الغَداة كرزق العَشِيّ، رُوي عن ابن عباسٍ والضَّحَّاكِ ومُقاتلٍ. **والثاني**: هذا الذي رُزقنا من قبل في الدنيا، قاله مُجاهدٌ وابن زيدٍ. **والثالث**: أن ثَمر الجنّة إذا جُنِيَ خَلَفَه مِثلُه، فإذا رأوا ما خَلَفَ الجَنَى، اشتبه عليهم، فقالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، قاله يحيى بن أبي كثيرٍ وأبو عُبيدة. قوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه متشابهٌ في المنظر واللّون، مختلفٌ في الطَّعم، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ وأبو العَالِيَة والضَّحّاك والسُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه متشابهٌ في جودته، لا رديءَ فيه، قاله الحسنُ وابن جُريجٍ. **والثالث**: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخِلْقَة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطَّعم، قاله قَتادةُ وابن زيدٍ.

فإن قال قائل: ما وجه الامتنان بمتشابهه، وكلّما تنوّعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟! فالجواب: أنا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم، كان أغرب عند الخَلق وأحسن، فإنك لو رأيت تفاحةً فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهايةً في العَجَب. وإن قلنا: إنه متشابهٌ في الجودة؛ جاز اختلافه في

(١) النساء: ١٣٨.

الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني؛ كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرةٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. أي: الخلق، فإنهن لا يحضن ولا يبلن ولا يأتين الخلاء، وفي الخُلُق، فإنهن لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. قال ابن عباسٍ: نقية عن القَذَى والأَذَى. قال الزَّجَّاج: و﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أبلغُ من طاهِرة؛ لأنه للتكثير. والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾. في سبب نزولها قولان: **أحدهما**: أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾(١)، ونزل قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾(٢). قالت اليهود: وما هذا من الأمثال؟! فنزلت هذه الآية(٣)، قاله ابن عباسٍ والحسنُ وقَتادةُ ومُقاتلٌ والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنه لما ضرب الله المثلين، وهما قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾(٤)، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(٥)، قال المنافقون: الله أَجَلُّ وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه. وروي عن الحَسن ومُجاهدٍ نحوه.

والحَياء بالمد: الانقباض والاحتِشام، غير أن صفات الحق عزَّ وجلَّ لا يُطَّلع لها على ماهيةٍ وإنما تُمَرُّ كما جاءت.

[١٩] وقد قال النبيّ ﷺ: «إن ربكم حَييٌّ كريم»، وقيل: معنى لا يستحيي: لا يَترُك، لأن كل ما

---

[١٩] صحيح. أخرجه أبو داود ١٤٨٨ والترمذي ٣٥٥٦ وابن ماجة ٣٨٦٥ وأحمد ٥/ ٤٣٨ وابن حبان ٨٧٦ و٨٨٠ والحاكم ١/ ٤٩٧ والطبراني ٦١٣٠ عن سلمان مرفوعاً، قال رسول الله ﷺ: «إن الله حييٌّ كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يده أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وجوّده الحافظ في «فتح الباري» ١١/ ١٤٣. وورد من حديث أنس أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨) وإسناده ضعيف لضعف عامر بن يساف وتابعه أبان بن أبي عياش عند البغوي ١٣٨٦ «شرح السنة» لكن أبان متروك. وله شاهد من حديث جابر عزاه الحافظ في تخريج الكشاف ١/ ١١٣ لأبي يعلى وأعله بيوسف بن محمد وأنه متروك. ولم أره في «مسنده» ولعله في «الكبير». وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني (١٣٥٥٧) عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حييّ كريم يستحي أن يرفع العبد يديه فيردهما صفراً لا خير فيهما فإذا رفع =

---

(١) الحج: ٧٣. (٢) العنكبوت: ٤١.

(٣) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٠ عن ابن عباس ورجاله ثقات، لكن فيه عنعنة ابن جريج، وأخرجه عبد الرزاق ٢٧ عن قتادة، وورد من وجوه لكن وقع في بعض الروايات «المشركين» بدل «اليهود» وفي بعض الروايات «المنافقين».

(٤) البقرة: ١٧. (٥) البقرة: ١٩.

يستحيي منه يترك. وحكى ابن جَرير الطَّبَريُّ عن بعض اللغويين أن معنى لا يستحيي: لا يخشى. ومثله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[(١)]، أي: تستحيي منه. فالاستحياء والخشية ينوبُ كل واحدٍ منهما عن الآخر. وقرأ مُجاهدٌ وابن مُحَيْصِنٍ: لا يستحي بياءٍ واحدةٍ، وهي لغةٌ.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾. قال ابن عباسٍ: أن يذكر شَبَهاً، واعلم أن فائدة المثل أن يبيّن للمضروب له الأمر الذي ضُرب لأجله، فينجلي غامضه. قوله تعالىٰ: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾. «ما» زائدة، وهذا اختيار أبي عُبيدةَ والزَّجّاج والبصريين. وأنشدوا للنّابغة:

قَالَتْ: أَلاَ لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا [إلى حمامتنا أو نصفه فقد][(٢)]

وذكر أبو جعفر الطَّبَريّ أن المعنى: ما بين بعوضةٍ إلى ما فوقها، ثم حذف ذكر «بين» و «إلى» إذ كان في نصب البعوضة، ودخول الفاء في «ما» الثانية؛ دلالةٌ عليهما، كما قالت العرب: مطرنا ما زُبَالَةَ فالثَّعلبيَّةَ، وله عشرون ما ناقةً فجمَلاً، وهي أحسنُ الناسِ ما قرناً فقدماً [يعنون: ما بين قرنها إلى قدمها]. وقال غيره: نصب البعوضة على البدل من المَثَل. وروى الأَصمَعِيُّ عن نافعٍ: «بعوضةٌ» بالرفع، على إضمار هو، والبعوضة: صَغيرة البَقّ.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه فما فوقها في الكِبَر، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، وابن جُريجٍ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: فما فوقها في الصِّغَر، فيكون معناه: فما دونها، قاله أبو عُبيدةَ. قال ابن قُتَيبةَ: وقد يكون الفَوق بمعنى: دُون، وهو من الأضداد، ومثله: الجون؛ يقال للأسود والأبيض. والصَّريم: الصبح والليل. والسُّدفَة: الظلمة والضوء. والجَلَل: الصغير والكبير. والنَّاهِل: العطشان والرَّيان. والمَاثِل: القائم واللاطِيء بالأرض. والصَّارِخ: المُغيث والمُستَغيث. والهَاجِد: المُصلّي بالليل والنائم. والرَّهوَة: الارتفاع والانحدار. والتَّلْعَة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط من الأرض. والظَّنُّ: يقينٌ وشَكٌّ. والأَقْرَاء: الحِيَض والأطهَار. والمَفْرَع في الجبل: المَصْعَد، وهو المنحدر. والوَرَاء: يكون خَلفاً وقدّاماً. وأسرَرتُ الشيءَ: أخفيتُه وأعلنتُه. وأخفيتُ الشيءَ: أظهرتُه وكَتَمتُه. ورَتوتُ الشيءَ: شدَدْتُه، وأرخَيتُه. وشَعَبْتُ الشيءَ: جَمَعْتُه وفرَّقْتُه. وبُعْتُ الشيء بمعنى: بِعتُه واشتريته. وشرَيْتُ الشيءَ: اشتريتُه وبعتُه. والحَيّ خُلُوفٌ: غُيَّبٌ، ومتخلّفون.

واختلفوا في قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾، هل هو من تمام قول الذين قالوا: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾، أو هو مبتدأٌ من كلام الله عزَّ وجلّ؟ على قولين: **أحدهما**: أنه تمام الكلام الذي قبله، قاله الفَرَّاء، وابن قُتيبةَ. قال الفرَّاءُ: كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمَثَلٍ لا يعرفه كل أحدٍ، يضلّ به هذا، ويهدي به هذا؟! ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله. فقال الله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾. **والثاني**: أنه مبتدأٌ من قول الله تعالىٰ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتلٌ.

= أحدكم يديه فليقل: يا حي لا إله إلاّ أنت يا أرحم الراحمين، ثلاث مرات، ثم إذا ردّ يديه فليفرغ ذلك الخير إلى وجهه». وإسناده ضعيف، سكت عليه الحافظ في «تخريج الكشاف» (١/ ١١٣). وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٦٩ ح ١٧٣٤٠): فيه الجارود بن يزيد، وهو متروك اهـ.

---

(١) الأحزاب: ٣٧. (٢) زيادة عن ديوان النابغة.

فأما الفسق؛ فهو في اللغة: الخُروج، يقال: فَسُقَت الرُّطبة: إذا خرجت من قشرها، فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إلى معصيته. وفي المراد بالفاسقين ها هنا، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ ومُقاتلٌ. **والثاني**: المنافقون، قاله أبو العَالِيَة والسُّدِّيّ. **والثالث**: جميع الكفار.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾. هذه صفةٌ للفاسقين، وقد سبقت فيهم الأقوال الثلاثة. والنقض: ضد الإبْرَام، ومعناه: حَلُّ الشيء بعد عقده. وينصرف النقض إلى كل شيءٍ بحسبه، فنقض البناء: تفريق جمعه بعد إحكامه. ونقض العهد: الإعراض عن المقام على أحكامه. وفي هذا العهد ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما عُهِدَ إلى أهل الكتاب من صفة محمَّدٍ ﷺ والوصية باتّباعه، قاله ابن عباس ومُقاتلٌ. **والثاني**: ما عُهِدَ إليهم في القرآن، فأقرّوا به ثم كفروا فنقضوه، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه الذي أخذه عليهم حين استخرج ذرّية آدم من ظهره، قاله الزَّجَّاجُ. ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق فيجب الإيمان به.

وفي «من» قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ. **والثاني**: أنها لابتداء الغاية، كأنه قال: ابتداء نقض العهد من بعد ميثاقه. وفي هاء «ميثاقه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الله سبحانه. **والثاني**: أنها ترجع إلى العهد، فتقديره: بعد إحكام التَّوثُّق فيه.

وفي الذي أمر الله به أن يُوصل، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الرَّحِمُ والقَرابة، قاله ابن عباسٍ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه رسول الله ﷺ قطعوه بالتكذيب، قاله الحَسَن. **والثالث**: الإيمان بالله، وأن لا يفرق بين أحدٍ من رسله، فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، قاله مُقاتلٌ.

وفي فسادهم في الأرض ثلاثة أقوالٍ: **أحدُها**: استدعاؤهم الناس إلى الكفر، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه العمل بالمعاصي، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: أنه قطعهم الطريق على من جاء مهاجراً إلى النبيِّ ﷺ، ليمنعوا الناس من الإسلام. والخسران في اللّغة: النُّقصان.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾، في «كيف» قولان: **أحدهما**: أنه استفهامٌ في معنى التعجّب، وهذا التعجّب للمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون، وقد ثبتت حجة الله عليهم، قاله ابن قُتيبةَ والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنه استفهامٌ خارجٌ مخرجَ التقرير والتوبيخ، تقديره: وَيْحَكُم كيف تكفرون بالله! قال العَجّاجَ:

أَطَرَباً وأنتَ قِنَّسْرِيُّ   [والدّهرُ بالإنسانِ دَوّاريُّ][1]

أراد: أتطربُ وأنت شيخٌ كبيرٌ؟! قاله ابن الأنْبَارِيّ.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾. قال الفرّاء: أي: وقد كنتم أمواتاً. ومثله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ

(١) ما بين معقوفتين زيادة عن اللسان مادة (قنسر).

صُدُورُهُمْ﴾[١]، أي: قد حَصِرَتْ. ومثله: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾[٢]، فقد كذبت، ولولا إضمار «قد» لم يَجُزْ مثله في الكلام.

وفي الحياتين، والمَوتتين أقوالٌ: أصحها: أن المَوْتة الأولى، كونهم نُطفاً وعُلَقاً ومُضَغاً، فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم إلى الدنيا، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن عباسٍ وقَتادةَ ومقاتلٍ والفَرّاءِ وثعلبٍ، والزَّجّاجِ، وابن قُتيبة، وابن الأنْبَارِيِّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، أي: لأَجلكم، فبعضه للانتفاع، وبعضه للإتباع. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: عَمَد إلى خَلقها، والسماء: لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع، بدليل قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾. وأيّهما أسبق في الخلق: الأرض، أم السماء؟ فيه قولان: **أحدهما**: الأرض، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: السماء، قاله مُقاتلٌ. واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها، فقال ابن عبَّاسٍ: بدأ بخَلْق الأرض في يومين، ثم خلق السمٰوات في يومين، ثم دَحَا الأرض وبينها الجبال، وقدّر فيها أقواتها في يومين. وقال الحسنُ ومجاهدٌ: جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية، ثم خلق السماء في يومين.

والعليمُ: جاء على بناء: فَعِيل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾. كان أبو عُبيدةَ يقول: «إذ» ملغاةٌ، وتقدير الكلام: وقال ربك، وتابعه ابن قُتيبةَ، وعاب ذلك عليهما الزَّجّاجُ وابن القَاسم. وقال الزَّجّاجُ: إذ: معناها: الوقت، فكأنه قال: ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة.

والملائكة: من الألوكِ، وهي الرسالة، قال لَبيدٌ:

وَغُلامٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ ... بِأَلوكٍ فَبَذَلْنا ما سَأَل

وواحد الملائكة: مَلَك، والأصل فيه: مَلأَك. وأنشد سِيبَوَيْه:

فَلَسْتَ لإنْسِيّ ولكن لِمَلأكٍ ... تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السماء يَصُوبُ

قال أبو إسحاق: ومعنى مَلأَك: صاحب رسالة، يقال: مَألَكة ومَألُكة ومَلأكَة. ومَآلِك: جمع مَألَكة. قال الشاعر[٣]:

أبلِغِ النُّعمانَ عنِّي مَألَكاً ... أنه قد طالَ حَبسي وانتِظَاري

وفي هؤلاء الملائكة قولان: **أحدهما**: أنهم جميع الملائكة، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثاني**:

---

(١) النساء: ٩٠. (٢) يوسف: ٢٦.

(٣) هو عدي بن زيد كما في «اللسان» مادة (ألك).

أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أُهبط إلى الأرض، ذكره أبو صالح عن ابن عباسٍ. ونقل أنه كان في الأرض خلقٌ قبل آدم، فأفسدوا، فبعث الله إبليس في جماعةٍ من الملائكة فأهلكوهم.

واختلفوا ما المقصود في إخبار الله عزَّ وجلَّ الملائكة بخلق آدم على ستة أقوالٍ: **أحدها**: أن الله تعالىٰ علم في نَفْس إبليس كِبْراً، فأحبَّ أن يطلع الملائكة عليه، وأن يظهر ما سبق عليه في علمه، رواه الضَّحَّاك عن ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثاني**: أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة، قاله الحسن. **والثالث**: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: ربنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية منهم، وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم، فقال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، قاله ابن زيدٍ. **والرابع**: أنه أراد إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه. فأخبرهم حتى قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ فأجابهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. **والخامس**: أنه أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده، ليكونوا معظِّمين له إذ أوجده. **والسادس**: أنه أراد إعلامهم بأنه خلقه لِيُسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خَلْقه في السماء.

والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا خَلَفُ فلان وخليفته. قال ابن الإِنْبَاريّ: والأصل في الخليفة خَلِيف، بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة بهذا الوصف، كما قالوا: علاَّمة ونسَّابة. وفي معنى خلافة آدم قولان: **أحدهما**: أنه خليفة عن الله تعالىٰ في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحُكْم في خلقه، وهذا قول ابن مسعودٍ ومُجاهدٍ(١). **والثاني**: أنه خَلَفَ من سَلَفَ في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباسٍ والحَسَن.

قوله تعالىٰ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن ظاهر الألف للاستفهام، دخل على معنىٰ العلم ليقع به تحقيق، ومعناها الإيجاب، تقديره: ستجعل فيها من يفسد فيها، قاله أبو عبيدة. قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

معناه: أنتم خير من ركب المطايا. **والثاني**: أنهم قالوه لاستعلام وجه الحِكْمَة، لا على وجه الاعتراض، ذكره الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبِّح بحمدك، أم لا؟

وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالىٰ، أم قَاسُوا على حال من قَبْلهم؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه بتوقيفٍ من الله تعالىٰ، قاله ابن مسعودٍ وابن عباسٍ والحَسَن ومُجاهدٌ وقَتادةُ، وابن زيدٍ وابن قُتيبةَ، وروى السُّدِّيُّ عن أشياخه: أنهم قالوا: ربَّنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذريّةٌ يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. **والثاني**: أنهم قَاسُوه على أحوال من سَلَفَ قبل آدم، روي نحو هذا عن ابن عباسٍ وأبي العَالِيَة ومُقاتلٍ.
قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. قرأ الجمهور بكسر الفاء، وضمّها طلحةُ بن مُصرفٍ وإبراهيمُ بن أبي عَبْلَة، وهما لغتان، وروي عن طلحةَ وابن مِقْسَم «ويُسَفِّك»: بضم الياء وفتح السين وتشديد الفاء مع

---

(١) ذكر الإمام القرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٠٥ بحثاً نفيساً في الإمامة الكبرى وهي الخلافة، فانظره فإنه هام.

كسرها، وهي لتكثير الفعل وتكريره. وسفكُ الدم: صَبُّه وإراقته وسفحه، وذلك مستعملٌ في كل مُضيّعٍ، إلا أن السفك يختصُّ الدمَ، والصَّب والسَّفح والإراقة يقال في الدَّم وفي غيره. وفي معنى تسبيحِهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الصلاة، قاله ابن مسعودٍ وابن عباسٍ. **والثاني**: أنه قول: سبحان الله، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه التعظيم والحمد، قاله أبو صالحٍ. **والرابع**: أنه الخضوع والذل، قاله محمدُ بن القاسِم الأنْبارِيّ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. القُدس: الطهارة، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: نتطهّر لك من أعمالهم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: نعظّمك، ونكبّرك، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: نصلّي لك؛ قاله قَتادةُ.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾. فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: أعلم ما في نفس إبليس من البَغي والمعصية، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثاني**: أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أعلم أني أملأ جهنّم من الجنّة والنّاس، قاله ابن زيدٍ. **والرابع**: أعلم عواقب الأمور، فأنا أبتلي من تظنّون أنه مطيعٌ، فيؤدِّيه الابتلاء إلى المعصية كإبليس، ومن تظنّون به المعصية فيُطيع، قاله الزَّجّاجُ.

الإشارة إلى خَلْقِ آدمَ عليه السّلام

[٢٠] روى أبو موسى عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «إنّ الله، عزَّ وجلَّ، خلق آدم من قبضةٍ قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْرِ الأرض، منهم الأحمرُ والأبيض والأسودُ، وبين ذلك، والسَّهل والحَزنُ، وبين ذلك، والخبيث والطَّيِّب»، قال التِّرمذيُّ: هذا حديثٌ صحيح.

[٢١] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين» من حديث أبي هُريرةَ عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «خَلَقَ اللَّهُ تعالىٰ آدمَ طُولُهُ ستونَ ذِراعاً».

[٢٢] وأخرج مُسلمٌ في أفراده من حديث أبي هُريرةَ عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدمَ بعدَ

---

[٢٠] صحيح. أخرجه أبو داود ٤٦٩٣ والترمذي ٢٩٥٥ وأحمد ٤/ ٤٠٠ وابن حبان ٦١٦٠ وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٦ وعبد بن حميد في «المنتخب» ٥٤٨ والطبري ٦٤٥ والحاكم ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢. والبيهقي في «الصفات» ص ٣٨٥ من طرق عن عوف العبدي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري. وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم وأقره الذهبي وقال الترمذي: حسن صحيح. وله شواهد ستأتي.

[٢١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٢٦ و٦٢٢٧ ومسلم ٢٨٤١ وأحمد ١/ ٣١٥ وابن حبان ٦١٦٢. وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٤٠ ـ ٤١ واللالكائي في «أصول الاعتقاد» ٧١١ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٨١٢ والبغوي ٣٢٩٨.

[٢٢] الصحيح موقوف، والمرفوع معلول، وهو أحد الأحاديث الضعيفة في «صحيح مسلم». أخرجه مسلم ٢٧٨٩ وأحمد ٢/ ٣٢٧ والنسائي في «التفسير» ٣٠ والطبري في «التاريخ» ١/ ٢٣ والبيهقي في «الصفات» ٣٨٣ من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سليم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله، عزَّ وجلَّ، التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد. وخلق الشجر يوم الاثنين. وخلق المكروه يوم الثلاثاء. وخلق النور =

العصر يومَ الجُمعةِ آخر الخَلْق، في آخر ساعةٍ من ساعات الجُمعة، ما بين العصر إلى الليل».

قال ابن عباسٍ: لما نفخ فيه الروح، أتته النَّفخة من قِبَل رأسِه، فجَعَلَتْ لا تجري منه في شيءٍ إلاّ صارَ لحماً ودماً.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾. في تسميته بآدم قولان: **أحدهما**: لأنه خُلق من أديم

= يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السَّلام بعد العصر من يوم الجمعة. في آخر الخلق. في آخر ساعة من ساعات الجمعة. فيما بين العصر إلى الليل» لفظ مسلم. وأخرجه ابن معين في «تاريخه» ٣٠٥ وعنه الدولابي في «الكنى» ١/ ١٧٥ عن هشام بن يوسف عن ابن جريج، به. وأخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» ٣٣ ـ ٣٤ من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد، وإبراهيم متروك. وعلقه البخاري في «تاريخه» ١/ ٤١٣ ـ ٤١٤ من طريق أيوب وقال: وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب، وهو أصح.

ـ قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٩٩: هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً. وذكره أيضاً في «تفسيره» ٣/ ٤٢٢ وقال: فيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: **﴿في ستة أيام﴾**. وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» ١٧/ ٢٣٦: وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة، يوم السبت» فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الأحبار. وقال المناوي في «فيض القدير» ٣/ ٤٤٨: قال بعضهم: هذا الحديث في متنه غرابة شديدة فمن ذلك: أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام، وهذا خلاف القرآن لأن الأربعة خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السماوات في يومين. وقال البيهقي: وزعم بعض أهل العلم أنه غير محفوظ لمخالفته ما عليه أهل التفسير، وأهل التواريخ، وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أُمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن أيوب بن خالد، وإبراهيم غير محتج به. ثم أسند البيهقي ٨١٣ من طريق الحاكم عن أحمد بن محمد عن محمد بن نصر عن محمد بن يحيىٰ الذهلي قال: سألت علي بن المديني عن حديث أبي هريرة «خلق الله التربة...». فقال علي: هذا حديث مدني، رواه هشام بن يوسف عن ابن جريج عن إسماعيل بن أُمية عن أيوب بن خالد عن أبي رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، قال علي: وشبك بيدي إبراهيم بن أبي يحيىٰ، وقال لي: شبك بيدي عبد الله بن رافع، وقال لي: شبك بيدي أبو هريرة، وقال لي: شبك بيدي أبو القاسم، وقال لي: خلق الله التربة....» فذكر الحديث بنحوه. قال علي المديني: وما أرىٰ إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلاّ من إبراهيم بن أبي يحيى.

ـ ويؤيد ما قاله علي المديني، هو ما أخرجه الحاكم في «علوم الحديث» ص ٣٣ في «بحث المسلسل»: من طريق الحسن بن بكر بن الشرود قال: شبك بيدي إبراهيم بن أبي يحيى، وقال إبراهيم... الحديث.

ـ قلت: فالخبر معلول، وهو غريب جداً، وحسبه الوقف، وأن مصدره كعب الأحبار وعبد الله بن سلام.

ـ ومما يدل على غرابته بل نكارته أنه ليس عند مسلم ذكر خلق السماوات أصلاً، وهذا عجيب معارض بقوله تعالىٰ في سورة فُصّلت [٩ ـ ١٢] **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، فقضاهن سبع سمٰوات في يومين...﴾**. فمن تأمل الآيات ظهر له الأمر جلياً، والله أعلم.

الأرض، قاله ابن عباسٍ وابن جُبيرٍ والزَّجّاج. **والثاني**: أنه من الأُدمة في اللّون، قاله الضَّحّاكُ والنَّضرُ بن شُميلٍ وقُطْرُب. وفي الأسماء التي علَّمه قولان: **أحدهما**: أنه علّمه كل الأسماء، وهذا قول ابن عباسٍ وسعيد بن جُبيرٍ ومُجاهدٍ وقَتادةَ. **والثاني**: أنه علّمه أسماء معدودةً لمسمّياتٍ مخصوصةٍ. ثم فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه علَّمه أسماء الملائكة، قاله أبو العَالِيَة. **والثاني**: أنه علّمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إنسانٌ ومَلَكٌ وجِنّيٌّ وطائرٌ، قاله عِكْرِمَةُ. **والثالث**: أنه علّمه أسماء ما خَلَقَ في الأرض من الدواب والهَوام والطير، قاله الكَلبيُّ ومُقاتلُ ابن قُتيبةَ. **والرابع**: أنه علّمه أسماء ذرّيته، قاله ابن زَيْدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾. يريد: أعيانَ الخَلْق على الملائكة، قال ابن عباسٍ: الملائكة هاهنا: هم الذين كانوا مع إبليس خاصةً. قوله تعالىٰ: ﴿أَنْبِئُونِي﴾: أخبروني. قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. فيه قولان: **أحدهما**: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً هو أفضل منكم وأعلم، قاله الحَسَن. **والثاني**: أني أجعل فيها من يفسد فيها، قاله السُّدّيُّ عن أشياخه.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾. قال الزَّجّاجُ[١]: لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو: التنزيه لله تعالىٰ عن كل سوءٍ. والعليم بمعنى: العَالِم؛ جاء على بناء «فَعِيل» للمبالغة.

وفي الحكيم قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الحاكم، قاله ابن قُتيبةَ[٢]. **والثاني**: المُحْكِمُ للأشياء، قاله الخَطّابيُّ[٣].

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾، أي: أخبرهم، وروي عن ابن عباسٍ: «أنبئهِم» بكسر الهاء، قال أبو عليٍّ: قراءة الجمهور على الأصل، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومةً فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهُم وأبناءهُم، وهذا لهُم. ومن كَسَرَ أَتْبَعَ كَسْرَ الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء. والهاء والميم تعود على الملائكة. وفي الهاء والميم من «أسمائهم» قولان: **أحدهما**: أنها تعود على المخلوقات التي عرضها، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنها تعود على الملائكة، قاله الرَّبيعُ بن أَنَسٍ. وفي الذي أبدَوه قولان: **أحدهما**: أنه قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، ذَكَرَهُ السُّدّيُّ عن أشياخه. **والثاني**: أنه ما أظهروه من السمع والطاعة لله حين مَروا على جسد آدم، فقال إبليس: إن فُضِّل عليكم هذا ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربّنا، فقال إبليس في نفسه: لئن فُضِّلتُ عليه لأُهلكنَّه، ولئن فُضِّل عليَّ

---

(١) هو إبراهيم بن السّري أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة من كتبه «معاني القرآن» توفي سنة ٣١١.

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري توفي سنة ٢٧٦.

(٣) هو الإمام العلاّمة حمد، ويقال: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي من مؤلفاته «بيان إعجاز القرآن الكريم» توفي سنة ٣٨٨.

لأعصيَنّه، قاله مُقاتلٌ. وفي الذي كَتَموهُ قولان: **أحدهما**: أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالىٰ لا يخلُق خلقاً أكرمَ منهم، قاله الحَسنُ وأبو العَاليَة وقَتادةُ. **والثاني**: أنه ما أَسَرَّه إبليس من الكِبْرِ والعصيان. رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وبه قال مُجاهِدٌ وابنُ جُبيرٍ ومُقاتلٌ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ﴾. عامة القُرَّاء على كسر التاء من الملائكة، وقرأ أبو جَعْفَر والأَعْمَشُ بضمّها في الوصل، قال الكِسَائِيُّ: هي لغةٌ، أَزْد شَنُوءَة. وفي هؤلاءِ الملائكة قولان: **أحدهما**: أنهم جميع الملائكة، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثاني**: أنهم طائفةٌ من الملائكة، رُوي عن ابن عباسٍ، والأول أصح. والسجود في اللغة: التواضع والخضوع، وأنشدوا:

سَاجِدُ المِنْخَرِ ما يَرْفَعُهُ   خَاشِعُ الطَّرْفِ أَصَمُّ المُسْتَمَعِ

وفي صفة سجودهم لآدم قولان: **أحدهما**: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو الأظهر. **والثاني**: أنه الانحناء والميل المُساوي للركوع.

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾. في هذا الاستثناء قولان[١]:

أحدهما: أنه استثناء من الجنس، فهو على هذا القول من الملائكة، قاله ابن مسعودٍ في روايةٍ، وابن عباسٍ. وقد روي عن ابن عباسٍ أنه كان من الملائكة، ثم مَسَخَهُ الله تعالىٰ شيطاناً.

والثاني: أنه من غير الجنس، فهو من الجِنّ، قاله الحَسَن والزُّهريُّ.

قال ابن عباسٍ: كان إبليس من خُزَّان الجنّة، وكان يُدير أمر السماء الدنيا. فإن قيل: كيف استُثني وليس من الجنس؟ فالجواب: أنه أُمر بالسجود معهم، فاستُثني منهم لأنه لم يسجد، وهذا كما تقول: أمرتُ عبدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبدي، هذا قول الزَّجَّاج.

وفي إبليس قولان: **أحدهما**: اسمٌ أعجميٌّ ليس بمشتقٍّ، ولذلك لا يُصرف، هذا قول أبي عُبيدةَ، والزَّجَّاج وابن الأَنْبَاريّ. **والثاني**: أنه مشتقٌّ من الإِبْلاَسِ، وهو: اليَأس، روي عن أبي صالح، وذكره ابن قُتيبةَ وقال: إنه لم يُصرف، لأنه لا سَمِيَّ له، فاستُثقِل. قال شيخنا أبو منصورٍ اللّغويّ[٢]: والأول أصحُّ، لأنه لو كان من الإِبلاَس لَصُرف، ألا ترى أنك لو سميتَ رجلاً: بإِخْرِيْط وإِجْفِيل؛ لصرف في المعرفة.

قوله تعالىٰ: ﴿أَبَىٰ﴾ معناه: امتنع، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ استفعَل من: الكِبْر.

وفي ﴿وَكَانَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى: صار، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنها بمعنى الماضي، فمعناه: كان في علم الله كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري.

---

(١) القول الثاني هو الصواب، والحجة في ذلك قوله تعالى في سورة الكهف **﴿وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾** فهو من الجن إذن، وقال تعالى **﴿والجانّ خلقناه من قبل من نار السّموم﴾** وقال أيضاً **﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار﴾** ومعلوم أن الملائكة لم يخلقوا من نار. فإبليس أصل الجن، وآدم أصل الإنس. والله أعلم.

(٢) هو الإمام موهوب بن أحمد الجواليقي، عارف باللغة والأدب، توفي سنة ٥٤٠ ببغداد.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، زوجه: حواء، قال الفرَّاء: أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها: الأزواج، وتَمِيم وكَثيرٌ من قَيسٍ وأهل نَجدٍ يقولون: زوجة، ويجمعونها: زوجات. قال الشاعر:

فـإنَّ الـذي يَـسـعـى يُـحَـرِّش زوجـتـي ... كَـمَاشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا[١]

وأنشدني أبو الجَرَّاح:

يـا صـاحِ بَـلِّـغْ ذوي الزَّوْجَاتِ كُـلَّـهُـمُ ... أنْ لَيْسَ وَصْلٌ إذا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنَبِ

وفي الجنّة التي أُسْكِنَهَا آدمُ قولان: **أحدهما**: جنّة عَدنٍ. **والثاني**: جنة الخلد.

والرَّغَد: الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلانٌ: إذا صار في خِصبٍ وسَعَةٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: بالأكل لا بالدُّنو منها. وفي الشجرة ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنها السُّنبُلة، وهو قول ابن عباسٍ، وعبد الله بن سَلام، وكعب الأحبَار، ووَهْب بن مُنَبِّه، وقَتادةَ، وعَطِيَّة العوفيّ، ومُحارِبِ بن دِثَارٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنها الكَرْمُ، روي عن ابن مسعودٍ وابن عباسٍ وسعيد بن جُبيرٍ وجعدَة بن هُبيرة. **والثالث**: أنها التِّين، روي عن الحَسن، وعَطاءِ بن أبي رَباحٍ، وابن جُريجٍ. **والرابع**: أنها شجرةٌ يقال لها: شجرة العلم، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والخامس**: أنها شجرةُ الكافور، نقل عن عليّ بن أبي طالبٍ. **والسادس**: أنها النَّخلَة، روي عن أبي مالكٍ. وقد ذكروا وجهاً سابعاً عن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ أنه قال: هي شجرةٌ يقال لها شجرة الخُلد، وهذا لا يُعدّ وجهاً لأن الله تعالىٰ سمّاها شجرةَ الخلد وإنما الكلام في جنسها.

قوله تعالىٰ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قال ابن الأنباريّ: الظُّلم: وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلم الرجل سِقَاءه إذا سقاه قبل أن يخرج زُبده. قال الشاعر:

وصَـاحِـب صِـدْقٍ لـم تَـرِبْـنِـي شَـكَـاتُـهُ ... ظَـلَـمـتُ وفـي ظُـلـمـي لـهُ عَـامـداً أجـرُ

أراد بالصاحب: وطب اللبن، وظلمه إياه: أن يسقيه قبل أن يخرج زُبده.

والعرب تقول: هو أظلمُ من حيَّةٍ، لأنها تأتي الحَفْرَ الذي لم تحفره فتسكنه، ويقال: قد ظلم الماءُ الوادي: إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى.

فإن قيل: ما وجه الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالنهي؟ فالجواب: أنه ابتلاءٌ من الله تعالىٰ بما أراد. وقال أبو العَالِيَة[٢]: كان لها ثُفل[٣] من بين أشجار الجنّة، فلما أكل منها، قيل: أُخرج إلى

---

(١) في «اللسان» يستبيلها: يأخذ بولها في يده. والبيت للفرزدق.
(٢) أبو العالية: هو رُفَيع بن مهران الرياحي بكسر الراء والتحتانية، قال ابن حجر في «التقريب»: ثقة كثير الإرسال، من الطبقة الثانية، توفي سنة ٩٠ هـ وقيل ٩٣ وقيل بعد ذلك. روى له الجماعة.
(٣) في «اللسان»: ثُفل كل شيء: ما استقر تحته من كدرة.

الدار التي تصلح لما يكون منك.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾. أزلّهما بمعنى: استزلّهما، وقرأ حَمزةُ[١]: «فأزالهما»، أراد: نحّاهما. قال أبو عليٍّ الفارسيّ: لما كان معنى ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: اثبُتا فيها، فثبتا فأزالهما، وقابل حَمزةُ الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾. والشيطان: إبليس، وأضيف الفعل إليه، لأنه السبب.

وفي هاء ﴿عَنْهَا﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها تعود إلى الجنّة. **والثاني**: ترجع إلى الطاعة. **والثالث**: ترجع إلى الشجرة. فمعناه: أزلّهما بزلّةٍ صدرت عن الشجرة.

وفي كيفيّة إزلاله لهما، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه احتال حتى دخل إليهما الجنّة، وكان الذي أدخله الحيّةُ[٢]، قاله ابن عباسٍ والسُدِّيُ. **والثاني**: أنه وقف على باب الجنة، وناداهما، قاله الحَسَن. **والثالث**: أنه وسوس إليهما، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبةٍ ولا مشاهدةٍ، قاله ابن إسحاقَ[٣]، وفيه بُعدٌ. قال الزَّجّاجُ: الأجودُ: أن يكون خاطبَهما، لقوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾[٤].

واختلف العلماء في معصية آدم بالأكل، فقال قومٌ: إنه نُهي عن شجرةٍ بعينها، فأكل من جنسها، وقال آخرون: تأوّل الكراهة في النهي دون التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾، الهُبوط بضم الهاء: الانحدار من علو، وبفتح الهاء: المكان الذي يُهبط فيه. وإلى من انصرف هذا الخطاب؟ فيه ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه انصرف إلى آدم وحوّاء والحيّة، قاله أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: إلى آدم وحواء وإبليس والحية، حكاه السُدِّيُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: إلى آدم وإبليس، قاله مُجاهدٌ[٥]. **الرابع**: إلى آدم وحواء وإبليس، قاله مقاتل. **والخامس**: إلى آدم وحواء وذرّيتهما، قاله الفَرّاءُ. **والسادس**: إلى آدم وحواء فحسب، ويكون لفظ الجمع واقعاً على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[٦] ذكره ابن الأنباريّ، وهو العلة في قول مُجاهدٍ أيضاً.

واختلف العلماء: هل أُهبطوا جملةً أو متفرّقين؟ على قولين:

---

(١) هو الإمام الحبر حمزة بن حبيب الزيّات القارىء، أبو عمارة، الكوفي، التيمي مولاهم، صدوق زاهد ربما وهم، من الطبقة السابعة، توفي سنة ١٥٦ أو ١٥٨ هـ. روى له مسلم والأربعة. «التقريب» لابن حجر.

(٢) هذه الأقوال مصدرها الإسرائيليات، لا حجة في شيء من ذلك.

(٣) ابن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطّلبي مولاهم، المدني نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلّس ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخمسة، روى له البخاري تعليقاً ومسلم متابعة والأربعة. توفي سنة ١٥٠، ويقال بعدها.

(٤) الأعراف: ٢١.

(٥) مجاهد: هو مجاهد بن جَبْر، بفتح الجيم وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة، توفي سنة ١٠٤، روى عنه الجماعة.

(٦) الأنبياء: ٧٨.

أحدهما: أنهم أهبطوا جملةً، لكنهم نزلوا في بلاد متفرّقةٍ، قاله كعبٌ[١]، ووَهْبٌ.

والثاني: أنهم أهبطوا متفرّقين، فهبط إبليس قبل آدم، وهبط آدم بالهند، وحواء بجُدَّة، وإبليس بالأُبُلَّة[٢]، قاله مُقاتلٌ. وروي عن ابن عباسٍ أنه قال: أُهبطت الحية بنصيبين، قال: وأمر الله تعالىٰ جبريلَ بإخراج آدم، فقبض على ناصيته وخلّصه من الشجرة التي قبضت عليه، فقال: أيها المَلَك ارفق بي. قال جبريلُ: إني لا أرفق بمن عصى الله، فارتعد آدم واضطرب، وذهب كلامه، وجبريلُ يعاتبه في معصيته، ويعدّد نِعَم الله عليه، قال: وأُدخل الجنّة ضَحوةً، وأُخرج منها بين الصلاتين، فمكث فيها نصف يومٍ، خمسمائة عام مما يَعُدُّ أهلُ الدنيا.

وفي العداوة المذكورة هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن ذرية بعضهم أعداءٌ لبعضٍ، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أن إبليس عدوٌّ لآدم وحوّاء، وهما له عدوٌ، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أن إبليس عدوٌّ للمؤمنين، وهم أعداؤه، قاله الزَّجّاجُ.

وفي المُسْتَقَر قولان: **أحدهما**: أن المراد به القبور، حكاه السُّدّيّ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: موضع الاستقرار، قاله أبو العَالِيَة، وابن زيدٍ، والزَّجّاج، وابن قُتيبةَ، وهو أصح. والمَتَاع: المنفعة. والحِين: الزمان. قال ابن عباسٍ: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾، أي: إلى فناء الأجل بالموت.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾. تلقّى: بمعنى أخذ، وقَبِلَ. قاله ابن قُتيبةَ: كأن الله تعالىٰ أوحى إليه أن يستغفره ويستقبله بكلام من عنده، ففعل ذلك آدم فتاب عليه. وقرأ ابن كَثيرٍ: (فتلقى آدمَ) بالنصب، (كلماتٌ) بالرفع؛ على أن الكلمات هي الفاعلة.

وفي الكلمات أقوالٌ: **أحدها**: أنها قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]، قاله ابن عباس، والحسنُ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، وعَطاء الخُراسانيّ، وعُبيد بن عُميرٍ، وأُبيّ بن كَعبٍ، وابن زيدٍ[٤]. **والثاني**: أنه قال: أي ربِّ؛ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: ألم تنفخ فيَّ من رُوحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك إليّ قبل غضبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسجد لي ملائكتك وتسكني جنتك؟ قال: بلىٰ. قال: أي ربِّ، إن تُبْتُ وأصلحتُ، أَراجِعي أنتَ إلى الجنّة؟ قال: نعم. حكاه السُّدّيّ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه قال: اللّهمّ لا إله إلاّ أنت، سبحانكَ وبحمدك، ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللّهمّ لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، ربِّ إني ظلمت نفسي فارحمني، فأنتَ خيرُ الراحمين، اللّهمّ لا إله إلا أنت، سبحانك،

---

(١) كعب: هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، كان من أهل اليمن فسكن الشام، توفي في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة.
وليس له في البخاري رواية إلاّ حكاية معاوية فيه.

(٢) في «معجم البلدان» الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وانظر تراجم هؤلاء في المقدمة.

وبحمدك، ربِّ إني ظلمت نفسي فتُبْ عليَّ، إنك أنتَّ التواب الرحيم، رواه ابن [أبي نجيح][(١)] عن مُجاهدٍ، وقد ذكرت أقوالٌ من كلمات الاعتذار تُقارب هذا المعنى.

قوله تعالىٰ: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. أصل التوبة: الرجوع، فالتوبة من آدم: رجوعه عن المعصية، وهي من الله تعالىٰ: رجوعه عليه بالرحمة، والثواب الذي كلما تكرّرت توبة العبد تكرّر قَبوله، وإنما لم تُذكر حوّاء في التوبة، لأنه لم يَجْرِ لها ذكرٌ، لا أن توبتها لم تقبل. وقال قومٌ: إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً؛ جاز أن يُذكر أحدهما ويكون المعنى لهما؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾[(٣)].

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾. في إعادة ذكر الهبوط ـ وقد تقدم ـ قولان:

أحدهما: أنه أُعيد لأن آدم أُهبط إهباطَين، **أحدهما** من الجنّة إلى السماء، **والثاني** من السماء إلى الأرض. وأيهما الإهباط المذكور في هذه الآية؟ فيه قولان.

والثاني: أنه إنما كرّر الهبوط توكيداً.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا﴾، قال الزَّجّاجُ: هذه «إن» التي للجزاء، ضُمّت إليها «ما»، والأصل في اللفظ «إن ما» مفصولةً، ولكنها مُدغمةٌ، وكُتبت على الإدغام، فإذا ضُمَّت «ما» إلى «إن» لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة. وإنما تلزمه النون لأن «ما» تدخل مؤكّدةً، ودخلت النون مؤكدة أيضاً، كما لزمت اللامُ النون في القَسَم في قولك: والله لتفعلن، وجواب الجزاء الفاء.

وفي المراد بـ «الهدى» هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه الرسول، قاله ابنُ عباسٍ ومُقاتلٌ. **والثاني**: الكتاب، حكاه بعض المفسّرين.

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. وقرأ يعقوب «فلا خوفَ» بفتح الفاء من غير تنوينٍ، وقرأ ابن مُحَيصِنٍ بضم الفاء من غير تنوينٍ. والمعنى: فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب، ولا هم يحزنون عند الموت. والخوف لأمرٍ مستقبلٍ، والحزن لأمرٍ ماضٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، في «الآية» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها العَلامَة، فمعنى آية: عَلامَةٌ لانقطاع الكلام الذي قبلها والذي بعدها، قال الشاعر:

ألاَ أبْـلِـغْ لَـدَيْـكَ بَـنِـي تَـمِـيْـم ... بـآيَـة مـا يُـحِـبُّـون الـطَّـعَـامَـا

وقال النَّابغة:

تَـوهَّـمـتُ آيـاتٍ لـهَـا فَـعَـرَفْـتُـهَـا ... لِـسِـتَّـةِ أعـوامٍ وذَا الـعَـامُ سَـابِـعُ

---

(١) في النسخ «ابن كثير» والمثبت عن الطبري ٧٨٨ فابن أبي نجيح هو راويه عن مجاهد، بل لمجاهد تفسير مطبوع متداول هو من رواية ابن أبي نجيح.

(٢) التوبة: ٦٣. (٣) طه: ١١٧.

وهذا اختيار أبي عُبيدٍ. **والثاني**: أنها سُمّيت آيةً، لأنها جماعة حروفٍ من القرآن، وطائفةٌ منه. قال أبو عَمرٍو الشّيبانيّ: يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم. وأنشدوا:

خرجنا مِنَ النّقبينِ لا حيَّ مِثلنا ... بآيَتِنا نُزجي اللقَاحَ المَطافِلا[1]

والثالث: أنها سُمّيت آيةً، لأنها عَجَبٌ، وذلك أن قارئها يستدلّ إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلانٌ آيةٌ من الآيات؛ أي: عَجَبٌ من العجائب. ذكره ابن الأنباريّ.

وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوالٍ: **أحدها**: آيات الكتب التي تُتلى. **والثاني**: معجزات الأنبياء. **والثالث**: القرآن. **والرابع**: دلائل الله في مصنوعاته.

وأصحاب النار: سُكّانها، سُمُّوا أصحاباً، لصُحبتهم إياها بالمُلازمة.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. إسرائيلُ: هو يعقوبُ، وهو اسمٌ أعجميٌّ. قال ابن عباسٍ: ومعناه: عبد الله. وقد لفظت به العرب على أوجهٍ، فقالت: إسرائل، وإسرال، وإسرائيل. وإسرائين. قال أميّةُ[2]:

إنّني زارِدُ الحديدِ على النّا ... سِ دُروعاً سَوابِغَ الأذيالِ
لا أرى مَنْ يُعينُني في حَياتي ... غَيرَ نَفسي إلا بَني إسْرالِ

وقال أعرابيٌّ صاد ضبّاً، فأتى به أهله:

يقولُ أهلُ السوقِ لمّا جِينَا: ... هذا وربِّ البَيتِ إسْرائينا

أراد: هذا مما مُسخ من بني إسرائيل.

والنعمة: المِنّة، ومثلها: النَّعماء. والنَّعْمة: بفتح النون: التّنعم، وأراد بالنعمة: النِّعَم، فوحدها، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[3]، أي: ظُهراء. وفي المراد بهذه النِّعمة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوَّهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسنُ والزّجّاجُ، وإنما مَنَّ عليهم بما أعطى آباءهم، لأن فخر الآباء فخرٌ للأبناء، وعار الآبار عارٌ على الأبناء. **والثالث**: أنها جمع نعمةٍ على تصريف الأحوال.

والمراد من ذكرها: شكرها، إذ مَنْ لم يشكر فما ذَكَر.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟﴾. قال الفرّاءُ: أهل الحجاز يقولون: أَوفيتُ، وأهل نجدٍ يقولون: وَفَّيتُ، بغير ألف. قال الزّجّاجُ: يقال: وفَى بالعهد، وأوفى به، وأنشد:

---

(١) في «اللسان»: تزجي السَّحاب: تسوقه سوقاً رفيقاً. اللَّقاح: مصدر قولك لَقِحت الناقة إذا حملت. نوق مطافل: معها أولادها، وفي الحديث سارت قريش بالعوذ المطافيل، أي الإبل مع أولادها.

(٢) هو ابن أبي الصلت.

(٣) التحريم: ٤.

أمّـا ابـن طَـوقٍ فـقـد أوفـى بـذِمَّـتِـهِ كَـمَـا وَفَـى بـقِـلاَصِ الـنّـجـم حَـادِيـهَـا[١]

وقال ابن قُتيبةَ: يُقال: وفيت بالعهد، وأوفيت به، وأوفيت الكيل، لا غير.

وفي المراد بعهده: أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما عَهِده إليهم في التوراة من صفة محمّدٍ ﷺ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، رواه الضَّحّاكُ عن ابن عباس. **والثالث**: أنه الإسلام، قاله أبو العَاليَة. **والرابع**: أنه العهد المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[٢]، قاله قتادةُ.

قوله تعالىٰ: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال ابن عباسٍ: أُدخِلْكُمُ الجنّةَ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، أي: خافُون.

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾، يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني التوراة أو الإنجيل، فإن القرآن يصدِّقهما أنهما من عند الله، ويوافقهما في صفة النبيّ ﷺ. ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾. إنّما قال: أوّل كافرٍ، لأن التقدّم إلى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك، إذ المبادرُ لم يتأمل الحجّةَ، وإنما بَادَرَ بالعناد، فحاله أشدّ. وقيل: ولا تكونوا أول كافرٍ به بعد أن آمن، والخطاب لرؤساء اليهود. وفي هاء «به» قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى المُنَزَّل، قاله ابن مسعودٍ وابن عباسٍ. **والثاني**: أنها تعود على ما معهم، لأنهم إذا كتموا وصفَ النبيّ ﷺ وهو معهم، فقد كفروا به، ذكره الزّجّاجُ. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾. أي: لا تستبدلوا ثمناً قليلاً. وفيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما كانوا يأخذون من عَرَضِ الدنيا. **والثاني**: بقاء رئاستهم عليهم. **والثالث**: أخذ الأُجرة على تعليم الدين.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾. تَلْبِسُوا: بمعنى تَخْلُطوا. يُقال: لبستُ الأمرَ عليهم، أُلْبِسُهُ: إذا عَمَّيتُهُ عليهم، وتخليطهم: أنهم قالوا: إن الله عَهِدَ إلينا أن نؤمن بالنّبيِّ الأمّي، ولم يذكر أنه من العرب. وفي المراد بالحق قولان: **أحدهما**: أنه أمرُ النبيّ ﷺ، قاله ابن عباسٍ، ومجاهدٌ وقَتادةُ، وأبو العَاليةِ، والسُّدّيّ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه الإسلام، قاله الحَسنُ.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. يريد: الصلواتِ الخمس، وهي هاهنا اسم جنسٍ، والزكاة: مأخوذة من الزَّكَاء، وهو النَّماء والزِّيادةُ. يُقال: زَكَا الزرعُ يَزْكُو زَكَاءً. وقال ابن الإنْباريّ:

---

(١) في «اللسان» قلاص النجم: هي العشرون نجماً التي ساقها الدبران في خطبة الثريا كما تزعم العرب. انظر مادة ـ قلص ـ. والبيت لطفيل الغنوي.

(٢) المائدة: ١٣.

معنى الزّكاة في كلام العرب: الزيادة والنماء، فسمِّيت زكاةً، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفِّره، وتَقِيه من الآفات، ويُقال: هذا أزكى من ذاك، أي: أَزْيَدُ فضلاً منه. قوله تعالىٰ: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾. أي: صَلُّوا مع المصلّين. قال ابن عباس: يريد محمّداً ﷺ، وأصحابَه رضي الله عنهم. وقيل: إنما ذكر الركوع، لأنه ليس في صلاتهم ركوعٌ، والخطابُ لليهود. وفي هذه الآية دلالةٌ على أن الكفار مخاطبون بالفروع، وهي إحدى الروايتين عن أحمدَ رضي الله عنه.

﴿۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾. قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كان الرجل يقول لقرابته من المسلمين في السِّر: اثبُت على ما أنتَ عليه فإنه حقٌّ[1]. والألف في «أتأمرون» ألف الاستفهام، ومعناه التوبيخ. وفي «البر» هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التمسّك بكتابهم، كانوا يأمرون باتِّباعه ولا يقومون به. **والثاني**: اتّباع محمدٍ ﷺ، روي القولان عن ابن عباسٍ. **والثالث**: الصَّدقة، كانوا يأمرون بها، ويبخلون. ذكره الزَّجّاجُ. قوله تعالىٰ: ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾، أي: تتركون. وفي «الكتاب» قولان: **أحدهما**: أنه التوراة، قاله الجمهور. **والثاني**: أنه القرآن، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾. الأصل في الصبر: الحَبْس، فالصابر حابِسٌ لنفسه عن الجَزَع. وسُمِّي الصائم صابراً لحَبْسِه نفسَه عن الأكل والشرب والجِمَاع، والمَصْبُورة: البهيمة تُتَّخَذُ غرضاً. وقال مُجاهدٌ: الصبر هاهنا: الصوم.

وفيما أُمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه أداء الفرائض، قاله ابن عباسٍ ومقاتلٌ. **والثاني**: أنه ترك المعاصي، قاله قَتادةُ. **والثالث**: عدم الرئاسة، وهو خطابٌ لأهل الكتابَين، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يُتلى فيها ما يُرغِّب في الآخرة، ويُزَهِّد في الدنيا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهَا﴾، في المُكَنّى عنها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الصلاة، قاله ابن عباسٍ والحسنُ ومُجاهدٌ والجمهور. **والثاني**: أنها الكعبة والقِبْلة، لأنها لما ذكر الصّلاة، دلّت على القِبْلة، ذكره الضَّحّاكُ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُقاتلٌ. **والثالث**: أنها الاستعانة، لأنها لما قال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾ دلّ على الاستعانة، ذكره محمّد بن القاسم النَّحويّ. قوله تعالىٰ: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾، قال الحسنُ والضَّحّاكُ: الكبيرة: الثقيلة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾[2]، أي: ثَقُل. والخشوع في اللغة: التَّطامُن والتَّواضع، وقيل: السُّكون.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾. الظنّ هاهنا: بمعنى اليقين[3]، وله وجوهٌ قد ذكرناها

(١) أخرجه الواحدي عن ابن عباس ٣١، وإسناده ساقط، فيه الكلبي متروك متهم بالكذب.
(٢) الشورىٰ: ١٣.
(٣) قال القرطبي ١/٤١٨: الظنّ هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين، ومنه قوله تعالى: ﴿إني ظننت إني ملاق =

في كتاب «الوجوه والنظائر».

﴿يَبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، يعني: على عالَمِي زمانهم، قاله ابن عباسٍ، وأبو العَالِيَة ومُجاهدٌ وابن زيدٍ. قال ابن قُتيبة: وهو من العام الذي أُريد به الخاص.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قال الزَّجَّاجُ: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء تشفع لهم يوم القيامة، فآيَسَهُم الله بهذه الآية من ذلك. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ إضمارٌ، تقديره: اتّقوا عذابَ يوم، أو: ما في يومٍ. والمراد باليوم: يوم القيامة. و «تجزي» بمعنى تقضي. قال ابن قتيبةَ: يُقال: جزَى الأمر عني يجزِي، بغير همز، أي: قضى عني، وأجزأني يُجزئني، مهموزٌ، أي: كفاني.

قوله تعالىٰ: ﴿نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ﴾، قالوا: المراد بالنَّفس هاهنا: النَّفس الكافرة، فعلى هذا يكون من العامِّ الذي أُريد به الخاصّ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾. قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمروٍ بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، إلا أن قَتادةَ فتح الياء، ونصب الشفاعة، ليكون الفعل لله تعالىٰ، قال: أبو علي: من قرأ بالتاء، فلأن الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث، ومن قرأ بالياء فلأن التأنيث في الاسم الذي أسند إليه الفعل ليس بحقيقي، فحمل على المعنىٰ، كما أن الوعظ والموعظة بمعنىٰ واحد، وفي الآية إضمار، تقديره: لا يقبل منها فيه شفاعة. والشفاعة مأخوذةٌ من الشَّفْع الذي يخالف الوتر، وذلك أن سؤال الشَّفيع يَشفَع سؤالَ المشفوع له.

فأمّا «العدل» فهو الفِدَاء، وسمِّي عَدلاً، لأنه يُعادل المُفدى. واختلف اللغويون: هل «العَدل» و«العِدل» فتح العين وكسرها يختلفان، أم لا؟ فقال الفَرَّاءُ: العَدل بفتح العين: ما عادل الشيءَ من غير جنسه، والعِدل بكسرها: ما عادل الشيء من جنسه، فهو المِثْل، تقول: عندي عَدل غلامك، بفتح العين: إذا أردت قيمَتَه من غير جنسه، وعندي عِدل غلامك، بكسر العين: إذا كان غلامٌ يعدِل غلاماً. وحكى الزَّجَّاجُ عن البَصريين أن العَدل والعِدل في معنى المِثل، وأن المعنى واحدٌ، سواءٌ كان المِثل من الجنس أو من غير الجنس.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾، أي: يُمنعون من عذاب الله.

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾﴾

= حسابيه﴾ وقوله ﴿فظنّوا أنهم مواقعوها﴾. وقد قيل إن الظنّ في الآية أن يكون على بابه ويضمر في الكلام بذنوبهم؛ فكأنهم يتوقّعون لقاءه مذنبين؛ ذكر المهدوي والماوردي. قال ابن عطية: وهذا تعسُّف. وقاعدته الشك مع ميل إلى أحد معتقديه، وقد يوقع موقع اليقين، كما في هذه الآية وغيرها ولكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحسّ، لا تقول العرب في رجل مرئيّ حاضر: أظن هذا إنساناً. وإنما تجد الاستعمال فيما لم يخرج إلى الحسّ بعد، كهذه الآية. وقد يجيء اليقين بمعنى الظن.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ تقديره: واذكروا إذ نجّيناكم، وهذه النِّعم على آبائهم كانت. وفي ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أهل مِصر، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أهل بيته خاصةً، قاله أبو عُبيدةَ. **والثالث**: أتباعه على دينه، قاله الزَّجَّاجُ. وهل الآل والأهل بمعنىً، أو يختلفان؟ فيه قولان. وقد شرحتُ معنى الآل في كتاب «النظائر». وفِرعون: اسمٌ أعجميٌّ، وقيل: هو لقبه. وفي اسمه أربعة أقوال: **أحدها**: الوليدُ بن مُصعبٍ، قاله الأكثرون. **والثاني**: فيطُوس، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: مُصعب بن الريَّان، حكاه ابن جريرٍ الطَّبريّ. **والرابع**: مُغيث، ذكره بعض المفسّرين. قوله تعالىٰ: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، أي: يُولُونكم، يقال: فلانٌ يَسُومُك خَسفاً، أي: يُولِيك ذُلاً واستخفافاً. و ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شديده. وكان الزَّجَّاجُ يرى أن قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ تفسيرٌ لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، وأبى هذا بعض أهل العلم، فقال: قد فرّق الله بينهما في موضعٍ آخر، فقال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾[1]، وإنما سوء العذاب: استخدامهم في أصعب الأعمال، وقال الفَرَّاءُ: الموضع الذي فيه الواو، يبيّن أنه قد مسّهم من العذاب غير الذبح، فكأنه قال: يعذّبونكم بغير الذبح وبالذبح.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾، أي: يَستَبقُون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾، أي: بناتِكم. وإنما استبقَوا نساءكم للاستذلال والخِدمة. وفي البلاء هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى النِّعمة، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ وأبو مالكٍ، وابن قُتيبةَ والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه النِّقمة، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه. فعلى هذا القول يكون «ذا» في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم﴾: عائداً على سَومهم سوء العذاب، وذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وعلى القول الأوّل يعود على النجاة من آل فرعون. قال أبو العَالِيَة: وكان السبب في ذبح الأبناء، أن الكَهَنة قالت لفرعون: سيُولد العامَ بمصر غلامٌ يكون هلاكُك على يديه، فقتل الأبناء. قال الزَّجَّاجُ: فالعجب من حُمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقاً، فما ينفع القتل؟! وإن كان كاذباً فما معنى القتل؟!

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، الفَرْقُ: الفَصل بين الشيئين، و«بكم» بمعنى «لكم». وإنما ذكر آل فرعون دونه، لأنه قد عُلم كونه فيهم. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، قولان: **أحدهما**: أنه من نظر العين، ومعناه: وأنتم ترونهم يغرقون. **والثاني**: أنه بمعنى: العلم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[2]، قاله الفرّاء.

الإشارة إلى قصتهم

روى السُّدِّيّ عن أشياخه: أن الله تعالىٰ أمر موسى أن يَخرج ببني إسرائيل، وألقى على القِبط الموت، فمات بكر كل رجلٍ منهم، فأصبحوا يدفنونه، فشُغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس، قال عمرو بن مَيْمُونٍ: فلما خرج موسى بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك، فما صاح ديكٌ لَيلَتَئِذٍ. قال أبو السَّلِيل: لما انتهى موسى إلى البحر قال: هيه أبا خَالدٍ[3]، فأخذه أفكلٌ، يعني:

---

(١) إبراهيم: ٦. (٢) الفرقان: ٤٥.
(٣) قوله «أبا خالد» كنية كنّى موسى بها البحرَ، انظر الطبري ٩٠٥.

رِغْدَة، قال مُقاتلٌ: تفرق الماء يميناً وشمالاً كالجبلين المتقابلين، وفيهما كُوىً ينظر كل سبطٍ إلى الآخر. قال السُّديُّ: فلما رآه فرعون مُتفرِّقاً قال: ألا ترون البحر فرق مني، فانْفَتَحَ لي؟! فأتت خيلُ فرعون فأبت أن تقتحم، فنزل جبريلُ على مَاذِيَانَة فتشامَّت الحُصُن[1] ريحَ المَاذِيَانَة، فاقتحمت في إثرها، حتى إذا هَمَّ أولهم أن يخرج، ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو: «وعدنا» بغير ألفٍ هاهنا، وفي (الأعراف) و(طه)، ووافقهما أَبَانُ عن عاصمٍ في (البقرة) خاصةً. وقرأ الباقون «واعدنا» بألفٍ. ووجه القراءة **الأولى**: إفراد الوَعد من الله تعالىٰ، ووَجه **الثانية**: أنه لما قبل موسى وعد الله عزّ وجلّ، صار ذلك مُواعدةً بين الله تعالىٰ وبين موسى. ومثله: ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[2]. ومعنى الآية: وعدنا موسى تتمةَ أربعين يوماً أو انقضاءَ أربعين ليلةً. وموسى: اسمٌ أعجميٌّ، أصله بالعبرانية: مُوشَا، فمُو: هو الماء، وشَا: هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر، فعُرِّب بالسين. ولماذا كان هذا الوعد؟ فيه قولان: **أحدهما**: لأخذ التوراة. **والثاني**: للتكليم. وفي هذه المدّة قولان: **أحدهما**: أنها ذو القعدة وعشرٌ من ذي الحِجَّة! وهذا قول من قال: كان الوعد لإعطاء التوراة. **والثاني**: أنها ذو الحجّة وعشر من المحرَّم، وهو قول من قال: كان الوعد للتكليم. وإنما ذُكرت الليالي دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأَهِلَّة، فصارت الأيام تَبَعاً لليالي. وقال أبو بكرِ النَّقَّاشُ[3]: إنما ذكر الليالي، لأنه أَمرَهُ أن يصوم هذه الأيام ويواصلها بالليالي، فلذلك ذكر الليالي، وليس بشيءٍ.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ﴾، من بعده، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل.

الإشارة إلى اتخاذهم العجل

روى السُّدِّيُّ عن أشياخه أنه لما انطلق موسى، واستخلف هَارونَ، قال هارونُ: يا بَني إسرائيل! إن الغنيمة لا تَحِل لكم، وإن حُليّ القبط غنيمةٌ فاجمعوه واحفِروا له حفِيرةً[4]، فادفنوه، فإن أحلّه

---

(١) الماذيانة: الفرس. والحصن: جمع حصان.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، ثم البغدادي، أبو بكر النقاش المقرىء المفسّر. روى عن أبي مسلم الكجي، وطبقته، وقرأ بالروايات، ورحل إلى عدة مدائن، وتعب واحتيج إليه، وصار شيخ المقرئين في عصره على ضعفٍ فيه. قال طلحة بن محمد الشاهد: كان النقاش يكذب في الحديث، والغالب عليه القصص. وقال البرقاني: كل حديث النقاش منكر. قال أبو القاسم اللالكائي: تفسير النقاش إشقاء الصدور، وليس بشفاء الصدور توفي النقاش ٣٥١. وانظر «الميزان» للذهبي ٧٤٠٤.

(٤) في «اللسان» الحَفِيرَةُ والحَفَرُ والحَفِيرُ: البئر الموسعة فوق قدرها.

موسى فخذوه، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه، ففعلوا. قال السُّدّيّ: وكان جبريل قد أتى إلى موسى ليذهب به إلى ربّه، فرآه السّامريّ، فأنكره وقال: إنَّ لهذا شأناً، فأخذ قبضةً من أَثَرِ حَافِرِ الفَرَسِ، فقذفها في الحفِيْرة، فظهر العِجْلُ. وقيل: إن السّامريّ أمرهم بإلقاء ذلك الحُليّ، وقال: إنما طالت غيبة موسى عنكم لأجل ما معكم من الحُلِيّ، فاحفروا لها حفيرةً وقرّبوه إلى الله، يبعثْ لكم نبيَّكم، فإنه كان عَارِيَّةً، ذكره أبو سُليمانَ الدّمشقيّ. وفي سبب اتّخاذ السّامريّ عجلاً قولان: **أحدهما**: أن السّامريّ كان من قوم يعبدون البَقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أن بني إسرائيل لما مروا على قومٍ يعكفونَ على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم، أخرجَ السّامريّ لهم في غَيبته عجلاً لِمَا رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيدٍ. وفي كيفية اتخاذ العجل قولان: **أحدهما**: أن السّامريّ كان صَوّاغاً فصاغَه وألقى فيه القبضة، قاله عليٌّ وابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم حفروا حفيرةً، وألقوا فيها حُلِيَّ قوم فرعون وعَوارِيّهم تنزّهاً عنها، فألقى السّامريّ القبضة من التراب فصار عجلاً. روي عن ابن عباسٍ أيضاً. قال ابن عباسٍ: صار لحماً ودماً وجسداً، فقال لهم السّامريّ: هذا إلٰهكم وإله موسى قد جاء، وأخطأ موسى الطريقَ، فعبدوه وزَفَنوا حوله[١].

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾، الكتاب: التوراة. وفي الفرقان خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه النّصر، قاله ابن عباسٍ وابن زيدٍ. **والثاني**: أنه ما في التوراة من الفَرق بين الحقّ والباطل، فيكون الفرقان نَعتاً للتوراة، قاله أبو العَالِيَة. **والثالث**: أنه الكتاب، فكرّره بغير اللفظ. قال عديُّ بن زيدٍ:

فـألـفـى قـولـهـا كـذبـاً ومَـيْـنـا[٢]

وقال عنترةُ:

أَقْـوَى وأَقْـفَـرَ بـعـدَ أمّ الـهَـيْـثَـمِ[٣]

هذا قول مُجاهدٍ، واختيار الفرّاءِ والزّجّاجِ. **والرابع**: أنه فَرْق البحر لهم، ذكره الفَرّاءُ والزّجّاجُ وابن القاسمِ. **والخامس**: أنه القرآن. ومعنى الكلام: لقد آتينا موسى الكتاب، ومحمّداً الفرقان، ذكره الفَرّاءُ، وهو قول قُطْرُبٍ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾. القوم: اسمٌ للرجال والنساء،

(١) الزّفن: الرّقص، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: «قدم وفد الحبشة فجعلوا يزفنون ويلعبون» أي يرقصون.
(٢) هو عجز بيت وصدره: فقددت الأديم لراهشيه. والقدّ: القطع. والراهشان: عرقان في باطن الذراع. والمَيْن: الكذب. وانظر «اللسان» مادة ـ مين ـ.
(٣) هو عجز بيت وصدره: حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تقادم عهده. انظر «تفسير القرطبي» ١/ ٤٤٠.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾[١]، وقال زُهير:

وما أدري وسوف إخالُ أدري ... أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نِساءُ؟!

وإنما سُمّوا قوماً، لأنهم يقومون بالأمور.

قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾، قال أبو عليٍّ: كان ابن كَثير ونافعٌ[٢] وعاصمٌ[٣] وابن عامر[٤] وحَمزةُ والكِسائِيّ[٥] يكسرون الهمزة من غير اختلاسٍ ولا تخفيفٍ. وروى اليَزيدِيُّ وعبدُ الوارث[٦] عن أبي عمرو[٧]: «بارِئْكم» بجزم الهمزة. روى عنه العباسُ بن الفَضْل[٨]: «بارئكم» مهموزةً غير مثقلةٍ. وقال سِيبوَيه[٩]: كان أبو عمرو يختَلِس الحركة في: «بارئكم» و«يأمركم» وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات، فيرى من يسمعه أنه قد أسكن ولم يسكن. والبارئ: الخالق. ومعنى ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: لِيَقْتُل بعضكم بعضاً. قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ.

واختلفوا فيمن خُوطب بهذا على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه خطابٌ للكل، قاله السُّديّ عن أشياخه. **والثاني**: أنه خطابٌ لمن لم يَعبُد ليقتل من عَبَد، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنه خطابٌ للعابدين فحسب، أُمروا أن يقتل بعضهم بعضاً، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. وفي الإشارة بقوله: «ذا» في: «ذلكم» قولان: **أحدها**: أنه يعود إلى القتل. **والثاني**: أنه يعود إلى التوراة.

الإشارة إلى قصتهم في ذلك

قال ابن عباسٍ: قالوا لموسى: كيف يقتل الآباء الأبناء، والإخوة الإخوة؟ فأنزل الله عليهم ظُلمةً

---

(١) الحجرات: ١١.

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم القارىء، المدني، مولى بني ليث، أصله من أصبهان، وقد نسب لجده صدوق ثبت في القراءة، من كبار السابعة، توفي ١٦٩، وروى له ابن ماجة في «التفسير».

(٣) هو عاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النّجود الأسدي مولاهم، الكوفي، أبو بكر المقرىء، صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون، من السادسة، توفي ١٢٨. انظر «التقريب» ٣٠٥٤.

(٤) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليَحْصَبِيّ، الدمشقي، المقرىء، أبو عمران، وقيل غير ذلك في كنيته، ثقة، من الثالثة، توفي سنة ١١٨ وله سبع وتسعون سنة على الصحيح، روى له مسلم والترمذي. انظر «التقريب» ٣٤٠٥.

(٥) هو إمام القُرّاء، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكوفي، المعروف بالكِسَائِي، النحويّ، مولى بني أسد، أحد الأئمة القُرّاء. وقيل له لِمَ سميت الكسائي قال: لأني أحرمت في كساء. توفي سنة ١٨٩ في «برنبوية» قرية من قُرى الرّيّ. انظر «الأنساب» للسمعاني ٥/٦٦.

(٦) هو الإمام القارىء الحافظ، أبو عبيدة التنوري، عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان الغبري مولاهم، البصري، ثقة ثبت، رمي بالقدر ولم يثبت عنه، من الثامنة. توفي سنة ١٨٠ روى له الجماعة.

(٧) هو مقرىء البصرة، الإمام أبو عمرو بن العلاء بن عمّار التميمي المازني البصري أحد السبعة، قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية والشعر وأيام العرب وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها. وهو في النحو في الطبقة الرابعة. توفي في الكوفة سنة ١٥٤.

(٨) العباس بن الفضل، أحد القُراء، توفي سنة ١٨٦.

(٩) هو عمرو بن عثمان، إمام النحو واللغة، توفي سنة ١٦١.

لا يرى بعضهم بعضاً، فقالوا: فما آيةُ توبتنا؟ قال: أن يقومَ السلام ولا يقتل، وتُرفع الظُّلمة. فقتلوا حتى خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى: العفوَ العفوَ. فبكى موسى، فنزلت التوبة، وقام السَّلام، وارتفعت الظُّلمةُ. قال مُجاهدٌ: بلغ القتلى سبعين ألفاً. قال قَتادةُ: جُعل القتل للقتيل شهادةً، وللحيِّ توبةً.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. في القائلين لموسى ذلك قولان: **أحدهما**: أنهم السبعون المختارون، قاله ابن مسعودٍ وابن عباسٍ. **والثاني**: جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم، قاله ابن زيدٍ، قال: وذلك أنه أتاهم بكتاب الله، فقالوا: والله لا نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرةً؛ فيقول: هذا كتابي.

وفي ﴿جَهْرَةً﴾ قولان: **أحدهما**: أنه صفةٌ لقولهم، أي: جَهَروا بذلك القول، قاله ابن عباسٍ، وأبو عُبيدةَ. **والثاني**: أنها الرؤية البيِّنة، أي: أرِناه غير مُستترٍ بشيءٍ، يقال: فلانٌ يتجاهر بالمعاصي، أي: لا يَسْتَتِرُ من الناس، قاله الزَّجَّاجُ. ومعنى «الصاعقة»: ما يُصعقون منه، أي: يموتون. ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ هذا قول الأكثرين. وزعم قومٌ أنهم لم يموتوا، واحتجّوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1] وهذا قولٌ ضعيفٌ، لأن الله تعالىٰ فَرق بين الموضعين، فقال هناك: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾، وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ والإفاقةُ للمغشيِّ عليه، والبَعْثُ للميت. قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: ينظر بعضكم إلى بعضٍ كيف يقع ميتاً. **والثاني**: ينظر بعضكم إلى إحياء بعض. **والثالث**: تنظرون العذاب كيف ينزل بكم، وهو قول من قال: نزلت نارٌ فأحرقتهم.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾. الغمام: السَّحاب، سُمّي غماماً، لأنه يَغُمّ السماء، أي: يسترها، وكل شيءٍ غطيتَهُ فقد غَمَمْتَهُ، وهذا كان في التِّيهِ.

وفي «المَنّ» ثمانية أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباسٍ والشَّعبيُّ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه التَرنجبين[2]، روي عن ابن عباسٍ أيضاً، وهو قولُ مُقاتلٍ. **والثالث**: أنه صمغة، قاله مُجاهدٌ. **والرابع**: أنه يشبه الرُّبّ الغليظ[3]، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: أنه شرابٌ، قاله أبو العَالِيَة، والرَّبيعُ بن أنسٍ. **والسادس**: أنه خبز الرُّقاق مثل الذُّرة، أو مثل النَّقي، قاله وَهبٌ.

---

(١) **الأعراف**: ١٤٣.
(٢) **الترنجبين**: هو ندى شبيه بالعسل يقع من السماء.
(٣) **الرُّبُّ**: بالضمّ دبس الرُّطب إذا طبخ. انظر «المصباح».

والسابع: أنه عَسَلٌ، قاله ابن زيدٍ. **والثامن**: أنه الزَّنجَبيل، قاله السُّدي[١].

وفي «السَّلوى» قولان: **أحدهما**: أنه طائرٌ، قال بعضهم: يشبه السُّمانيّ، وقال بعضهم: هو السُّمانيّ. **والثاني**: أنه العَسَلُ، ذكره ابن الأنباريّ، وأنشد[٢]:

وقاسَمَها باللهِ جَهْداً لأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذا ما نَشُورُهَا

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، قال ابن عباسٍ: ما نقصونا وضرُّونا، بل ضرُّوا أنفسهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾. في القائل لهم قولان: **أحدهما**: أنه موسى بعد مُضيّ الأربعين سنةً. **والثاني**: أنه يُوشَع بن نُون بعد موت موسى.

والقرية: مأخوذةٌ من الجمع، ومنه: قَرَيْتُ الماء في الحوض. والمِقْرَاة: الحوض يُجمع فيه الماء. وفي المراد بهذه القرية قولان: **أحدهما**: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعودٍ وابن عباسٍ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ والرَّبيعُ، وروي عن ابن عباسٍ أنها أريحا. قال السُّدِّيُّ: وأريحا: هي أرض بيت المَقدس. **والثاني**: أنها قريةٌ من أَدَاني قرى الشام، قاله وَهْبٌ[٣].

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾، قال ابن عباسٍ: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٩٥: والظاهر والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد. فالمنّ المشهور إن أكل وحده كان طعاماً وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن ركّب مع غيره صار نوعاً آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده. والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال النبيﷺ: (الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين).

(٢) البيت للهُذَليّ هو خالد بن زهير. قال القرطبي رحمه الله ١/ ٤٤٧: قال ابن عطية: السلوى طير بإجماع المفسرين. وقد غلِطَ الهُذَليّ فقال:

وقاسمهما باللّه جهداً لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نَشُورُهَا

ظَنَّ أن السلوى العسل. قلت: ما ادّعاه من الإجماع لا يصح؛ وقد قال المؤرّج (وهو مؤرج بن عمر الدّوسي من أصحاب الخليل بن أحمد) أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل، واستدل ببيت الهذليّ، وذكر أنه كذلك بلغة كنانة، سُمّيَ به لأنه يسلى به. وقال الجوهري: والسلوى العسل، وذكر بيت الهُذَليّ ولم يذكر غلطاً. والسُّلوانة (بالضم): خرزة كانوا يقولون إذا صُبَّ عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا قال:

شربت على سُلوانةٍ ماء مُزنةٍ فلا وجديد العيش يا مَيّ ما أسلو

واسم ذلك الماء السلوان. وقال بعضهم: السلوان دواء يسقاه الحزين فيسلو والأطباء يسمّونه المُفَرِّح، يقال سليت وسلوت، لغتان. وهو في سُلوة من العيش. أي في رغد، عن أبي زيد.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٩٨: يقول الله تعالىٰ لائماً لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر بصُحبة موسى عليه السّلام، فأمروا بدخول الأرض المقدسة، التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا فرماهم الله في التيه عقوبة لهم كما ذكره الله تعالى في سورة المائدة، ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس.

باب حِطَّة، وقوله: ﴿سُجَّدًا﴾، أي: رُكَّعاً. قال وَهْبٌ: أُمروا بالسجود شكراً لله عزَّ وجلَّ إذ رَدَّهُم إليها. قوله تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ قرأ ابن السَّميفع وابن أبي عَبلةَ (حطةً) بالنصب. وفي معنى «حِطَّة» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: استغفروا، قاله ابنُ عباسٍ ووَهْبٌ. قال ابن قُتيبةَ: وهي كلمةٌ أمروا أن يقولوها في معنى الاستغفار، من: حَطَطْتُ، أي: حُطَّ عنا ذنوبَنا. **والثاني**: أن معناها: قولوا: هذا الأمر حقٌّ كما قيل لكم، ذكره الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن معناها: لا إله إلاّ الله، قاله عِكرمَةُ. قال ابن جريرَ الطَّبَريّ: فيكون المعنى: قولوا الذي يَحُطُّ عنكم خطاياكم، وهو قول «لا إله إلا الله».

ولماذا أُمروا بدخول القرية؟ فيه قولان: **أحدهما**: أن ذلك لذنوبٍ رَكِبوها فقيل: (ادخلوا القرية) (وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم)، قاله وَهْبٌ. **والثاني**: أنهم مَلُّوا المَنَّ والسَّلْوَى، فقيل: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾، فكان أول ما لقيهم أريحا، فأُمروا بدخولها.

قوله تعالىٰ: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيّ: (نغفِر لكم) بالنون مع كسر الفاء. وقرأ نافعٌ وأَبانُ عن عاصم «يُغفَر» بياء مضمومة وفتح الفاء. وقرأ ابن عامرٍ بتاء مضمومةٍ مع فتح الفاء.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾. اعلم أن الله عزَّ وجلَّ، أَمَرَهم في دخولهم بفعلٍ وقولٍ، فالفعل السجود، والقول: حِطَّة، فغيَّر القوم الفعل والقول. فأمّا تغيير الفعل؛ ففيه خمسة أقوالٍ:

[٢٣] **أحدها**: أنهم دخلوا مُتزحِّفين على أوراكِهم. رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ.

والثاني: أنهم دخلوا من قِبَل أَستاهِهم، قاله ابن عباسٍ وعِكرمةُ. **والثالث**: أنهم دخلوا مُقْنِعِي رؤوسَهم، قاله ابن مسعودٍ. **والرابع**: أنهم دخلوا على حُروف عيونهم، قاله مُجاهدٌ. **والخامس**: أنهم دخلوا مُستلْقين، قاله مُقاتلٌ.

وأما تغيير القول؛ ففيه خمسة أقوالٍ:

[٢٤] **أحدها**: أنهم قالوا مكان «حطّة»: حَبَّةٌ في شَعْرَةٍ، رواه أبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ.

والثاني: أنهم قالوا: حِنْطَة، قاله ابن عباسٍ، وعِكرمةُ، ومجاهدٌ، ووَهْبٌ، وابن زيدٍ.

والثالث: أنهم قالوا: حِنطةٌ حمراء فيها شعرةٌ، قاله ابن مسعودٍ.

---

[٢٣] لم أره مرفوعاً بهذا اللفظ، وإنما أخرجه البخاري ٣٤٠٣ و٤٦٤١ و٤٤٧٩ ومسلم ٣٠١٥ والترمذي ٢٩٥٦ وابن حبّان ٦٢٥١. من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سُجّداً وقولوا حِطّةٌ يغفر لكم خطاياكم فبدّلوا فدخلوا الباب على أستاهم وقالوا حَبّةٌ في شعرة». والرواية التي ذكرها المصنف هي من قول الحسن كما في تفسير الطبري ١٠٢٧.

[٢٤] انظر الحديث المتقدم.

والرابع: أنهم قالوا: حَبَّةُ حِنطةٍ مثقوبةٌ فيها شعيرةٌ سوداءُ، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه.
والخامس: أنهم قالوا: سنبلاثًا، قاله أبو صالح.

فأما الرِّجز؛ فهو العذاب، قاله الكِسائيُّ وأبو عُبيدةَ والزَّجَّاج. وأنشدوا لرُؤبَةَ:

كَـمْ رَأَيـنـا فـي ذِي عَـديـدٍ مُـبـزي حـتـى وَقَـمْـنـا كـيـدَه بـالـرِّجـزِ(١)

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ظلمةٌ وموتٌ، فمات منهم في ساعةٍ واحدةٍ، أربعةٌ وعشرون ألفاً، وهلك سبعون ألفاً عقوبةً، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه أصابهم الطاعون، عُذّبوا به أربعين ليلةً ثم ماتوا، قاله وَهبُ بن مُنبِهٍ. **والثالث**: أنه الثلج، هلك به منهم سبعون ألفاً، قاله سعيدُ بن جُبير.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾. استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: استنصر. وفي «الحَجَر» قولان: **أحدهما**: أنه حجرٌ معروفٌ عُيِّن لموسى، قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، وقَتادةُ، وعَطيَّةُ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ، واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان حجراً مربعاً، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: كان مثل رأس الثور، قاله عطيَّةُ. **والثالث**: مثل رأس الشاة، قاله ابن زيدٍ. وقال سعيد بن جُبير: هو الذي ذهب بثياب موسى. فجاءه جبريل فقال: إن الله تعالىٰ يقول لك: ارفع هذا الحجر، فَلِي فيه قدرةٌ، ولك فيه معجزةٌ، فكان إذا احتاج إلى الماء ضَرَبَه. **والقول الثاني**: أنه أُمر بضرب أي حجرٍ كان، والأول أثبتُ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ﴾. تقدير معناه: فضرب فانفجرت، فلما عُرف بقوله: «فانفجرت» أنه قد ضرب، اكتفى بذلك عن ذكر الضرب، ومثله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾(٢)، قاله الفرَّاءُ. ولما كان القوم اثني عشر سِبطاً، أخرج الله لهم اثني عشرة عيناً، ولأنه كان فيهم تشاحنٌ فسلِموا بذلك منه. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾. العَثو: أشدّ الفساد، يقال: عَثِيَ، وعَثَا، وعاثَ. قال ابن الرِّقاع:

لـولا الـحـيـاءُ وأنَّ رأسـي قَـدْ عَـثَـا فـيـه الـمَـشِـيـبُ لـزُرتُ أمَّ الـقَـاسِـمِ

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾، هذا قولهم في التِّيهِ، وعَنوا بالطعام

---

(١) في «اللسان»: وَقَمتُ الرجل عن حاجته: رددته أقبح الرَّدِّ.
(٢) الشعراء: ٦٣.

الواحد: المَنّ والسَّلوى. قال محمّد بن القاسِم: كان المنُّ يُؤكل بالسَّلوى؛ والسَّلوى بالمَنِّ، فلذلك كانا طعاماً واحداً. والبَقلُ هاهنا: اسم جنسٍ، وعَنوا به: البقول، وقرأت على شيخنا أبي منصورٍ اللغويّ قال: تذهب العامة إلى أن البقل: ما يأكله الناس خاصةً دون البهائم من النبات الناجم الذي لا يُحتاج في أكله إلى طبخ، وليس كذلك؛ إنما البقل: العشب، وما يُنبت الربيعُ مما يأكله الناس والبهائم، يقال: بَقَلَت الأرض، وأبْقَلت، لغتان فصيحتان: إذا أنبت البقل. وابْتَقَلَت الإبل وتَبَقَّلَت: إذا رَعَت. قال أبو النَّجم يصف الإبل:

تَـبَـقَّـلَـتْ فـي أَوَّلِ الـتَّـبَـقُّـلِ بـيـنَ رِمَـاحَـيْ مَـالـكٍ ونَـهْـشَـلِ

وفي «القثاء» لغتان: كسر القاف، وضمّها، والكسر أجود، وبه قرأ الجمهور. وقرأ ابن مسعودٍ، وأبو رَجاء[١]، وقَتادةُ وطَلحةُ بن مُصرِّفٍ، والأَعمَشُ بضم القاف. قال الفَرَّاءُ: الكسر لغة أهل الحجاز، والضم لغة تيم، وبعض بني أَسَدٍ. وفي «الفوم» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحنطةِ، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه، والحَسَن وأبو مالكٍ. قال الفَرَّاءُ: هي لغةٌ قديمةٌ، يقول أهلها: فَوِّمُوا لنا، أي: اختبزوا لنا. **والثاني**: أنه الثوم، وهو قراءة عبد الله وأُبيّ: «وثومها» واختاره الفَرَّاءُ، وعلّل بأنه ذُكر مع ما يشاكله، والفاء تُبدل من الثاء، كما تقول العرب: الجَدث، والجَدف: للقبر، والأثافِي والأَفافِي: للحجارة التي توضع تحت القِدْر. والمَغَاثِير والمَغَافِير: لضَربٍ من الصَّمغ. وهذا قول مُجاهدٍ، والرَّبيع بن أنسٍ، ومُقاتلٍ، والكِسائيّ، والنَّضر بن شُميلٍ وابن قُتيبةَ. **والثالث**: أنه الحُبوب، وذكره ابن قُتيبةَ والزَّجّاجُ.

قوله تعالىٰ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾، أي: أردأ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾، أي: أعلى، يريد: أن المنّ والسَّلوى أعلى ما طلبتم. قوله تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه اسمٌ لِمصرٍ من الأمصار غير مُعيَّنٍ، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وقَتادةُ، وابن زيدٍ، وإنما أُمروا بالمِصر، الذي طلبوه في الأمصار.

والثاني: أنه أراد البلد المسمّى بمِصر. وفي قراءة عبد الله والحَسَن وطلحةَ بن مُصرِّف والأَعمَش «مصر» بغير تنوين، قال أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ: أراد مِصر فرعون، وهذا قول أبي العَالِيَة والضَّحّاك، واختاره الفَرَّاء، واحتجَّ بقراءة عبدَ الله. قال: وسئل عنها الأَعمَشُ، فقال: هي مصر التي عليها صالح بن عليّ[٢]. وقال مُفضَّلٌ الضَّبّيّ[٣]: سُمّيت مصراً، لأنها آخر حدود المشرق، وأوّل حدود المغرب، فهي حدٌّ بينهما. والمصر: الحَدّ. وأهل هَجَر يكتبون في عهدهم: اشترى فلان الدار بمُصورِها، أي: بحدودها. وقال عَديٌّ:

وجـاعـلُ الـشـمـسِ مِـصْـراً لا خـفـاءَ بـه بـيـنَ الـنـهـارِ وبـيـنَ الـلّـيـلِ قَـدْ فَـصَـلا

وحكى ابن فارسٍ أن قوماً قالوا: سُمّيت بذلك لقصد الناس إياها. كقولهم: مَصَرْتُ الشاة، إذا حلبتها، فالناس يقصدونها، ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها.

---

(١) أبو رجاء هو عمران بن مِلحان العطاردي، مخضرم ثقة، توفي سنة ١٠٥ وله ١٢٠ سنة، روىٰ له الجماعة.
(٢) هو أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة ١٣٣ هـ. وفي بعض النسخ «سليمان بن علي» خطأ.
(٣) هو المفضل بن محمد بن يعلىٰ، أبو العباس، عارف بالأدب والشعر، توفي سنة ١٦٨.

قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾، أي: أُلزمُوها، قال الفرَّاء: الذِّلة والذُّل: بمعنىً واحدٍ، وقال الحَسَن: هي الجِزية. وفي المَسْكَنة قولان: **أحدهما**: أنها الفقر والفاقة، قاله أبو العَالية، والسُّدِّيُّ، وأبو عُبيدةَ، وروي عن السُّدِّيّ قال: هي فقر النفس. **والثاني**: أنها الخضوع، قاله الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿وَبَآءُو﴾، أي: رجعوا. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الغضب. وقيل: إلى جميع ما ألزموه من الذِّلة والمسكنة وغيرهما. قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾. كان نافع يهمز «النبيّين» و«الأنبياء» و«النبوّة» وما جاء من ذلك، إلا في موضعين في الأحزاب: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾[١]، ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾[٢]، وإنما ترك الهمزة في هذين الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنسٍ واحد، وباقي القُرَّاء لا يهمزون جميع المواضع. قال الزَّجَّاجُ: الأجود تركُ الهمز. واشتقاق النبيّ من: نبأ، وأنبأ، أي: أخبر. ويجوز أن يكون من: نبا ينبو: إذا ارتفع، فيكون بغير همزٍ: فَعِيلاً، من الرِّفعة. قال عبد الله بن مسعودٍ: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبيٍّ، ثم تقومُ سوق بقلِهِم في آخر النهار.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: بغير جُرم، قاله ابن الأنْبَاريّ. **والثاني**: أنه توكيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٣]. **والثالث**: أنه خارجٌ مخرج الصِّفة لقتلهم أنه ظلمٌ، فهو كقوله: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[٤]، فوصف حكمه بالحق، ولم يدلّ على أنه يحكم بغير الحق. قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾، العدوان: أشدُّ الظلم. وقال الزَّجَّاج: الاعتداء: مجاوزة القَدْر في كل شيء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فيهم خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قومٌ كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يُبعث محمدٌ ﷺ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فآمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمدٌ. وهذا قول السُّدِّيّ عن أشياخه. **والثالث**: أنهم المنافقون، قاله سُفيانُ الثَّوريّ[٥]. **والرابع**: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقِس بن سَاعِدَة، وبَحِيرا، ووَرَقَة بن نَوفَلٍ، وسَلمان. **والخامس**: أنهم المؤمنون من هذه الأمّة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، قال الزَّجَّاج: أصل هادوا في اللغة: تابوا. وروي عن ابن مسعودٍ أن اليهود سُمّوا بذلك لقول موسى: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[٦]، والنصارى لقول عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وقيل سُمّوا النصارى لقريةٍ نزلها المسيح، اسمها: ناصِرَة، وقيل: لتناصرهم.

فأما «الصابئون» فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن. وكان نافعٌ لا يهمز كل المواضع. قال

---

(١) الأحزاب: ٥٣.
(٢) الأحزاب: ٥٠.
(٣) الحج: ٤٦.
(٤) الأنبياء: ١١٢.
(٥) هو الإمام الفقيه، أمير المؤمنين في الحديث، توفي سنة ١٦١.
(٦) الأعراف: ١٥٦.

الزَّجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دينٍ إلى دينٍ، يقال: صبأ فلانٌ: إذا خرج من دينه. وصَبَأت النجوم: إذا طلعت، وصَبأ نابُه: إذا خرج. وفي الصابئين سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه صنفٌ من النصارى ألْيَنُ قولاً منهم، وهم السَّائحون المُحَلَّقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم قومٌ بين النصارى والمَجوس، ليس لهم دينٌ، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: أنهم قومٌ بين اليهود والنصارى، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والرابع**: قومٌ كالمجوس، قاله الحسنُ والحَكَمُ. **والخامس**: فرقةٌ من أهل الكتاب يقرأون الزَّبور، قاله أبو العَالِيَة. **والسادس**: قومٌ يُصلّون إلى القِبْلَة، ويعبدون الملائكة، ويقرأون الزَّبور، قاله قَتادةُ. **والسابع**: قومٌ يقولون: لا إله إلاّ الله، فقط، وليس لهم عملٌ ولا كتابٌ ولا نبيٌّ، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، في إعادة ذكر الإيمان ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه لما ذُكر مع المؤمنين طوائفُ من الكفار رجع قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ إليهم. **والثاني**: أن المعنى من أقام على إيمانه. **والثالث**: أن الإيمان الأول نطق المنافقين بالإسلام. والثاني: اعتقاد القلوب.

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾. قال ابن عباسٍ: أقام الفرائض.

فصل: وهل هذه الآية محكمةٌ أم منسوخةٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنها محكمةٌ، قاله مجاهدٌ والضَّحَّاك في آخرين، وقدروا فيها: إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا. **والثاني**: أنها منسوخةٌ بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1]، ذكره جماعةٌ من المفسّرين.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾. الخطاب بهذه الآية لليهود. والميثاق: مِفْعَال من التوثّق بيمينٍ أو عهدٍ أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكّد القول. وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكرهوا الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مُقاتلٌ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: أعطوا الله عهداً ليعملُنَّ بما في التوراة، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من التثقيل، امتنعوا من أخذها، فرفع الطور عليهم.

والثاني: أنه ما أخذه الله تعالىٰ على الرّسل وتابعيهم من الإيمان بمحمدٍ ﷺ، ذكره الزَّجَّاج.

والثالث: ذكره الزَّجّاج أيضاً، فقال: يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذُّرّية من ظَهر آدم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾، قال أبو عُبيدةَ: الطور في كلام العرب: الجبل. وقال ابن قُتيبةَ: الطور: الجبل بالسريانية. وقال ابن عباسٍ: ما أنبت من الجبال فهو طورٌ، وما لم ينبت فليس بطورٍ. وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: جبلٌ من جبال فلسطين، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: جبلٌ نزلوا بأصله، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الجبل الذي تجلّى له ربُّه، قاله مُجاهدٌ.

وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة. وقال السُّدّيّ: لإبائهم دخول الأرض المقدّسة.

---

(١) آل عمران: ٨٥.

قوله تعالىٰ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾. وفي المراد «بقوّة» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: الجِدّ والاجتهاد، قاله ابن عبّاسٍ وقَتادةُ والسُّدّيّ. **والثاني**: الطاعة، قاله أبو العَالِيَة. **والثالث**: العمل بما فيه، قاله مُجاهدٌ. **والرابع**: الصّدق، قاله ابن زيدٍ. قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾، قولان: **أحدهما**: اذكروا ما تضمّنه من الثواب والعقاب، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: معناه: ادرسوا ما فيه، قاله الزَّجّاجُ. قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال ابن عباسٍ: تتّقون العقوبة.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾، أي: أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء المواثيق ليأخذنّه بجدٍّ، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾. السَّبت: اليوم المعروف، قاله ابن الأَنْبَاريّ: ومعنى السبت في كلام العرب: القَطْعُ، يقال: قد سَبَتَ رأسه: إذا حلقه وقطع الشعر منه، ويقال: نعلٌ سَبتيَّةٌ: إذا كانت مدبوغةً بالقَرْظ محلوقة الشعر، فسمّي السبت سبتاً، لأن الله عزّ وجلّ ابتدأ الخَلق فيه، وقطع فيه بعض خَلق الأرض، أو: لأن الله تعالىٰ أمر بني إسرائيل بقطع الأعمال وتركها. وقال بعضهم: سُمّي سبتاً، لأن الله تعالىٰ أمرهم بالاستراحة فيه من الأعمال، وهذا خطأٌ، لأنه لا يعرف في كلام العرب: سَبَتَ بمعنى: استراح.

وفي صفة اعتدائهم في السَّبت قولان: **أحدهما**: أنهم أخذوا الحيتان يوم السَّبت، قاله الحَسنُ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفرة؛ ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرّم الله عليه العمل يوم السبت، فيُقبل الموج بالحيتان حتى يُلقيها في الحُفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يُطيق، فيأخذها يوم الأحد، قاله السُّدّيُّ.

الإشارة إلى قصة مَسخِهم

روى عُثمانُ بن عَطاءٍ عن أبيه قال: نُودي الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصواتٍ: نُودوا: يا أهل القرية، فانتبهت طائفةٌ [ثم نُودوا: يا أهل القرية فانتبهت طائفةٌ][1] أكثر من الأولى، ثم نُودوا: يا أهل القرية، فانتبه الرجال والنساء والصبيان، فقال الله لهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾، فجعل الذين نَهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلانُ ألم نَنْهَكُم؟ فيقولون برؤوسهم: بلى. قال قَتادةُ: فصار القوم قردةً تعاوَى، لها أذنابٌ بعدمَا كانوا رجالاً ونساء. وفي روايةٍ عن قَتادةَ: صار الشُّبان قردةً، والشيوخ خَنازيرَ، وما نجا إلا الذين نَهوْا، وهلك سائرهم. وقال غيره: كانوا نحواً من سبعين ألفاً، وعلى هذا القول العلماء، غير ما رُوي عن مُجاهدٍ أنه قال: مُسِخَت قلوبهم ولم تُمسخ أبدانهم، وهو قولٌ بعيدٌ، قال ابن

(١) زيادة عن بعض النسخ.

عباسٍ: لم يَحيوا على الأرض إلا ثلاثة أيّام، ولم يَحي مسخٌ في الأرض فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشربْ ولم يَنسِل. وزعم مُقاتلٌ أنهم عاشوا سبعةَ أيامٍ، وماتوا في اليوم الثامن، وهذا كان في زمان داود عليه السلام.

قوله تعالىٰ: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: الخَاسِئ في اللغة: المُبْعَد، يقال للكلب: اخسأ، أي: تباعد.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾. في المَكنِيِّ عنها أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الخطيئة، رواه عَطيةُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: العقوبة، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. وقال الفَرَّاءُ: الهاء كنايةٌ عن المَسْخَة التي مُسِخُوها. **والثالث**: أنها القرية، والمراد أهلُها، قاله قَتادةُ وابن قُتيبةَ. **والرابع**: أنها الأمَّة التي مُسِخت، قاله الكِسَائيُ، والزَّجَّاجُ. وفي النَّكال قولان: **أحدهما**: أنه العقوبة، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: العِبرة، قاله ابن قُتيبةَ والزَّجَّاجُ.

قوله تعالىٰ: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لِمَا بين يديها من القُرَى وما خَلْفَها، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: لِمَا بين يديها من الذنوب، وما خَلْفَها: ما عملوا بعدها، رواه عَطيةُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: لِمَا بين يديها من السنين التي عملوا فيها بالمعاصي، وما خلفها: ما كان بعدَهم في بني إسرائيل لئلا يعملوا بمثل أعمالهم، قاله عَطيةُ.

وفي المتّقين قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في كل مُتَّقٍ إلى يوم القيامة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أن المراد بهم أمّة محمدٍ ﷺ، قاله السُّدِّيُ عن أشياخه، وذكره عَطيةُ وسُفيانُ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾.

ذكر السبب في أمرهم بذَبح البقرة

روى ابن سِيرين عن عَبيدةَ قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ عقيمٌ لا يُولد له، وله مالٌ كثيرٌ، وكان ابن أخيه وارثَه، فقتله واحتمله ليلاً، فأتى به حيّاً آخرين، فوضعه على باب رجلٍ منهم، ثم أصبح يدَّعيه حتى تَسَلَّحوا، وركب بعضهم إلى بعضٍ، فأتوا موسى فذكروا له ذلك، فأمرهم بذبح البقرة. وروى السُّدِّيُ عن أشياخه أن رجلاً من بني إسرائيل كانت له بنتٌ وابن أخ فقير، فخطب إليه ابنته، فأبى، فغضب وقال: والله لأقتلنَّ عمي، ولآخُذنَّ مالَه ولأنكحنّ ابنته، ولآكُلنّ ديته، فأتاه فقال: قد قدم تجّارٌ في بعض أسباط[1] بني إسرائيل، فانطلِقْ معي فخُذ لي من تجارتهم لعلّي أصيب فيها ربحاً، فخرج معه، فلما بلغا ذلك السِّبْطَ، قتله الفتى، ثم رجع، فلما أصبح، جاء كأنه يطلب عمَّه لا يدري أين هو،

(١) في «اللسان»: السِّبْط من اليهود كالقبيلة من العرب.

فإذا بذلك السبط قد اجتمعوا عليه، فأمسكهم وقال: قتلتم عمّي، وجعل يبكي وينادي: واعمّاه. قال أبو العَالِية: والذي سأل موسى أن يسأل الله البيانَ: القاتلُ، وقال غيره: بل القوم اجتمعوا فسألوا موسى.

فلما أمرهم بذبح بقرةٍ ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ﴾؟ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكِسَائيّ: «هُزُوًا» بضم الهاء والزاي والهمزة، وقرأ حَمزةُ، وإسماعيلُ، وخلفٌ في اختياره، والفَرّاءُ عن عبد الوارث، والمُفَضّل: «هُزْءاً» بإسكان الزاي. ورواه حفصٌ بالضمّ من غير همزةٍ، وحكى أبو عليّ الفَارسيّ أن كل اسم على ثلاثة أحرفٍ أوّله مضموم، فمن العرب من يثقّله، ومنهم من يخفّفه، نحو العُسر واليُسر. قولهُ تعالىٰ: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. وإنما انتفى من الهُزء، لأن الهازئ جاهلٌ لاعبٌ. فلما تبيّن لهم أن الأمر من عند الله، ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾. قال الزَّجّاج: وإنما سألوا: ما هي، لأنهم لا يعلمون أن بقرةً يحيا بِضَرب بعضها ميّت.

فأمّا الفَارِض فهي: المُسِنّة، يقال: فَرضَت البقرة فهي فَارِض: إذا أَسَنَّت. والبِكْر: الصغيرة التي لم تلد، والعَوَان: دون المُسِنّة، وفوق الصغيرة، يقال: حربٌ عَوان: إذا لم تكن أول حربٍ، وكانت ثانيةً.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

في الصفراء قولان: **أحدهما**: أنه من الصُّفرَة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، وابن زيدٍ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنها السَّوداءُ، قاله الحسنُ البَصريُّ، وردّه جماعةٌ، فقال ابن قُتيبةَ: هذا غلطٌ في نعوت البقر، وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: بعيرٌ أصفر، أي: أسود، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادَها صُفرةٌ، ويدلّ على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾، والعرب لا تقول «أسود فاقع» إنما تقول: «أسود حالك» و«أصفر فاقع». قال الزَّجّاج: وفاقعٌ نعتٌ للأصفر الشديد الصُّفرة، يقال: أصفر فاقعٌ، وأحمر قانِئ وأخضر ناضِرٌ، وأبيضُ يقق، وأسود حَالِكٌ، وحلكوكٌ ودجُوجِيٌّ، فهذه صفات المبالغة في الألوان(١).

ومعنى ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: تُعجبهم، قال ابن عباسٍ: شدَّد القوم فشُدِّد عليهم.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٨٧: قوله (صفراء) جمهور المفسرين أنها صفراء اللون من الصفرة المعروفة، قال مكي عن بعضهم: حتى القرن والظلف. وقال الحسن وابن جبير: كانت صفراء القرن والظِّلْف فقط. وعن الحسن أيضاً: (صفراء) معناه سوداء؛ قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هنّ صفرٌ أولادها كالزبيب

قلت: والأول أصح لأنه الظاهر، وهذا شاذ لا يستعمل مجازاً إلاّ في الإبل؛ ولو أراد السواد لما أكده بالفقوع، وذلك نعت مختص بالصفرة وليس يوصف السواد بذلك، تقول العرب: أسودُ حالك وَحَلَكُوك وحُلْكُوك، وَدَجُوجِيّ وغربيب. وأحمر قانىء وأبيض ناصع وأخضر ناضر وأصفر فاقع. هكذا نص نقلة اللغة عن العرب.

[٢٥] وروى أبو هُريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «لولا أنَّ بني إسرائيل استثْنوا لم يُعطوا الذي أُعطوا»، يعني بذلك قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

وفي المراد باهتدائهم قولان: **أحدهما**: أنهم أرادوا: المهتدون إلى البقرة، وهو قول الأكثرين. **والثاني**: إلى القاتل، ذكره أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾، قال قَتادةُ: لم يُذلْها العمل فتثير الأرض. قال ابن قُتيبةَ: يقال في الدواب: دابةٌ ذَلولٌ: بيِّنةُ الذُّل. بكسر الذال، وفي الناس: رجل ذَليل بيِّنُ الذُّل، بضم الذال. ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ويقال للبقرة: المُثيرة. قال الفرَّاء: لا تَقِفَنّ على ذَلُول، لأن المعنى: ليست بذَلُولٍ فتثير الأرض. وحكى ابنُ القاسم أن أبا حَاتمٍ السِّجِسْتَانيّ أجاز الوَقْفَ على ذَلُول، ثم أنكره عليه جداً، وعلّل بأن التي تُثير الأرض لا يُعدم منها سقْي الحَرث، ومتى أثارت الأرض كانت ذَلُولاً.

ومعنى: ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: لا يُستقى عليها الماء لسَقي الزرع.

قوله تعالىٰ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: مُسلَّمةٌ من العيوب، قاله ابن عباسٍ، وأبو العَالية، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: مُسلَّمةٌ من العمل، قاله الحسَن وابن قُتيبةَ. **والثالث**: مُسلَّمةٌ من الشّيَةِ، قاله مُجاهدٌ وابن زَيدٍ. **والرابع**: مُسلَّمةُ القوائم والخَلق، قاله عَطاءٌ الخُراسَانيّ.

فأما الشِّيَةُ، فقال الزَّجَّاجُ: الوَشيُ في اللغة: خلط لونٍ بلون. ويقال: وَشَيْتُ الثوبَ أَشِيهُ شِيَةً ووَشْياً، كقولك: وَدَيْتُ فلاناً أَدِيهُ دِيَةً. ونصب: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾، على النفي. معنى الكلام: ليس فيها لونٌ يفارق سائر لونها، وقال عَطاءٌ الخُراسانيّ: لونها لونٌ واحدٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾، قال ابن قُتيبةَ: الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حدّ الزمانين، حدُّ الماضي من آخره، وحدُّ المستقبل من أوّله، ومعنى ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾: بيَّنتَ لنا. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: لغَلاء ثمنها، قاله ابن كَعبٍ القرظيّ. **والثاني**: لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وَهْبٌ. قال ابن عباسٍ: مكثوا يطلبون البقرة

---

[٢٥] ضعيف جداً. أخرجه البزار ٢١٨٨ «كشف» وابن أبي حاتم كما في «التفسير» لابن كثير ١/ ١١٥ وإسناده ضعيف لضعف عباد بن منصور، وفيه سرور بن مغيرة، قال عنه الأزدي: عنده مناكير. واكتفىٰ الهيثمي في «المجمع» ١٠٨٣٤ بقوله: عبّاد بن منصور ضعيف. وقال الحافظ ابن كثير: غريب، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة. وورد من مرسل ابن جريج؛ أخرجه الطبري ١٢٤٦. وما يرسله ابن جريج ساقط؛ قال الإمام أحمد: هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ١٥١: هو معضل اهـ. وله شاهد من مرسل قتادة؛ أخرجه الطبري ١٢٤٨ ومع إرساله هو بصفة التمريض فالخبر واهٍ، والراجح كونه من كلام قتادة ونحوه. أو من كلام أبي هريرة كما اختار ابن كثير، والله أعلم.

أربعين سنةً حتى وجدوها عند رجلٍ، فأبى أن يبيعها إلا بمِلءِ مسكِها ذهباً، وهذا قول مُجاهدٍ، وعِكرمةَ، وعُبيدةَ، ووَهْبٍ، وابن زيدٍ، والكَلبيّ، ومُقاتلٍ في مقدار الثمن.

فأمّا السبب الذي لأجله غَلا ثمنها، فيحتمل وجهين: **أحدهما**: أنهم شدَّدوا فشَدَّد الله عليهم. **والثاني**: لإكرام الله عزّ وجلّ صاحبها، فإنه كان بَرّاً بوالديه. فذكر بعض المفسّرين أنه كان شابٌ من بني إسرائيل بَراً بأبيه، فجاء رجلٌ يطلب سِلعةً هي عنده، فانطلق ليبيعه إياها، فإذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائمٌ، فلم يوقظه وردَّ المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلى أبيه فوجده نائماً، فعاد إلى المشتري فردَّه، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دَأبهما حتى ذهب المشتري، فأثابه الله على بِرّه بأبيه أن نتجت له بقرةٌ من بقره تلك البقرة. وروي عن وَهْبِ بن مُنبهٍ في حديثٍ طويلٍ: أن فتىً كان بَراً بوالديه، وكان يحتطب على ظهره، فإذا باعه تصدَّق بثلثه، وأعطى أمه ثلثه، وأبقى لنفسه ثلثه، فقالت له أمّه يوماً: إني ورثت من أبيك بقرةً، فتركتها في البقر على اسم الله، فإذا أتيتَ البقر، فادعُها باسم إله إبراهيمَ، فذهب فصاح بها، فأقبلَتْ، فأنطقَها الله، فقالت: اركبني يا فتى، فقال: لم تأمرني أمي بهذا. فقالت: أيها البَرّ بأمه، لو ركبتني لم تَقْدِر عليّ، فانطلِقْ، فلو أمرتَ الجبل أن ينقلع من أصله لانقلَع ببرّك لأمك. فلما جاء بها قالت أمّه: بِعْهَا بثلاثة دنانير على رِضىً مني، فبعث الله مَلَكاً فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنانير على رِضىً من أمي. قال: لك ستةٌ ولا تستأمِرْها، فأبى، ورجع إلى أمه فأخبرها، فقالت: بعها بستة على رِضىً مني، فجاء المَلَكُ فقال: خُذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بنيَّ، ذاك مَلَكٌ، فقل له: بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتى يشتري بقرتَكَ هذه مُوسى بن عِمرَان لقتيلٍ يُقتل في بني إسرائيل[١].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هذه الآية مؤخَّرةٌ في التلاوة، مقدَّمةٌ في المعنى، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النَّفس، فتقدير الكلام: وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها، فسألتم موسى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. ونظيرُها قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾[٢]، أراد: أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عِوَجاً، فأخّر المُقدَّم وقدَّمَ المُؤخَّر، لأنه من عادة العرب، قال الفَرَزْدَقُ:

إنَّ الفَرزدقَ صخرةٌ مَلمومةٌ ... طَالَت فليسَ تَنالُها الأوعالا

أراد: طَالَت الأوْعَال. وقال جَريرٌ:

طافَ الخيالُ وأينَ منكَ لِمَامَا ... فارجِعْ لزورِكَ بالسَّلامِ سَلاما

أراد: طاف الخيال لماماً، وأين هو منك؟ وقال الآخر:

خيرٌ من القَوْم العُصاةِ أميرُهُم ... ـ يا قومُ فاستَحْيوا ـ النساءُ الجُلَّسُ

أراد: خير من القوم العصاة النساء، فاستحيوا من هذا.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَادَّارَءْتُمْ﴾: اختلفتم، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ. وقال الزّجّاج: ادارأتم،

---

(١) هذا الأثر مصدره كتب الأقدمين، فقد روى وهب الكثير عن أهل الكتاب.
(٢) الكهف: ١ ـ ٢.

بمعنى: تَدارَأتم، أي: تَدافعتم، وألقى بعضكم على بعضٍ، تقول: دَرَأْتُ فلاناً: إذا دَفعته، ودَارَيْتُه: إذا لاَينتَه، ودَرَيْتُه إذا خَتَلْتَه، فأُدغمت التاء في الدال، لأنهما من مخرجٍ واحدٍ، فأما الذي كَتَمُوه؛ فهو أمر القتيل.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾. من قال: أقاموا في طلبها أربعين سنةً، قال: ضَربوا قبرَه، ومن لم يقل ذلك، قال: ضربوا جسمَه قبل دفنه، وفي الذي ضُرب به ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ضُرب بالعظم الذي يلي الغُضروفَ، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ. قال أبو سُليمان الدِّمشقيّ: وذلك العظم هو أصل الأُذن، وزعم قومٌ أنه لا يكسر ذلك العظم من أحدٍ فيعيش. قال الزَّجَّاجُ: الغُضروف في الأُذن، وهو: ما أشبه العظم الرقيق من فوق الشَّحمة، وجميع أعلى صَدَفَة الأُذن، وهو مُعلق الشّنوف، فأما العظمان اللذان خلف الأُذن الناتئان من مؤخَّر الأُذن، فيقال لهما: الخُشَّاوان، والخَشَشَاوان، واحدهما: خُشَّاء، وخُشُشاء. **والثاني**: أنه ضُرب بالفَخِذ، روي عن ابن عباسٍ أيضاً، وعِكرمةَ، ومُجاهدٍ، وقَتادةَ، وذكر عِكرمةُ ومُجاهدٌ أنه الفَخِذ الأيمن. **والثالث**: أنه البَضْعَة التي بين الكتفين، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والرابع**: أنه الذَّنَبُ، رواه ليثٌ عن مجاهدٌ. **والخامس**: أنه عُجْب الذَّنَب، وهو عظمٌ عليه بُنِي البدن، روي عن سعيد بن جُبيرٍ. **والسادس**: أنه اللّسان، قاله الضَّحَّاكُ. وفي الكلام اختصارٌ تقديره: فقلنا: اضربوه ببعضها ليَحيا، فضربوه فحَيِيَ، فقام فأخبر بقاتله. وفي قاتله أربعة أقوالٍ: **أحدها**: بنو أخيه، رواه عَطيةُ عن ابن عبّاسٍ. **والثاني**: ابنا عمّه، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وهذان القولان يدلاّن على أن قاتله أكثر من واحدٍ. **والثالث**: ابن أخيه، قاله السُّدّيّ عن أشياخه وعَبيدةُ. **والرابع**: أخوه، قاله عبد الرحمٰن بن زيدٍ. قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه خطابٌ لقوم موسى. **والثاني**: لمشركي قريش، احتجَّ عليهم إذ جَحَدوا البعثَ بما يوافق عليه أهل الكتاب. قال أبو عُبيدةَ: وآياته: عجائبه.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾، قال إبراهيم بن السّريّ: قست في اللغة: غَلُظَت ويَبِسَت وعَسَت. فقسوة القلب: ذهابُ اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي والعَاسِي: الشديد الصلابة. وقال ابن قُتيبة: قَسَت وعَسَت وعتَت واحدٌ، أي: يَبِسَتْ.

وفي المشار إليهم بها قولان: **أحدهما**: جميع بني إسرائيل. **والثاني**: القاتل.

قال ابن عباسٍ: قال الذين قتلوه بعد أن سمَّى قاتله: والله ما قتلناه. وفي كاف «ذلك» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إشارةٌ إلى إحياء الموتى، فيكون الخطاب لجميع بني إسرائيل. **والثاني**: إلى كلام القتيل، فيكون الخطاب للقاتل، ذكرهما المفسّرون. **والثالث**: إلى ما شرح من الآيات من مَسْخ القِردة والخَنازير، ورفع الجبل وانبِجَاس الماء، وإحياء القتيل، ذكره الزَّجَّاجُ.

وفي «أو» أقوالٌ، هي بعينها مذكورةٌ في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾[١]، وقد تقدّمت.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾، قال مُجاهدٌ: كل حجرٍ ينفجر منه الماء، وينشقُّ عن ماءٍ، أو يتردّى من رأس جبلٍ، فمن خشية الله.

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾. في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه النبيّ ﷺ خاصةً، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ.

والثاني: أنهم المؤمنون، تقديره: أفتطمَعون أن تُصدّقوا نبيَّكم، قاله أبو العَالِية وقَتادةُ.

والثالث: أنهم الأنصار، فإنهم لما أسلَموا أحبّوا إسلامَ اليهود للرّضاعة التي كانت بينهم، ذكره النَّقّاشُ. قال الزَّجّاج: وألِف «أفتَطْمَعُون» ألف استخبارٍ، كأنه آيَسَهُم من الطّمع في إيمانهم.

وفي سماعهم لكلام الله قولان: **أحدهما**: أنهم قرأُوا التوراة فحرَّفُوها، هذا قول مُجاهدٍ والسُّدِّيّ في آخرين، فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيّهم، وتحريفُهم: تغيير ما فيها. **والثاني**: أنهم التّسعون رجلاً الذين اختارهم موسى، فسمعوا كلام الله كِفَاحاً عند الجبل، فلمّا جاؤوا إلى قومهم قالوا: قال لنا: كذا وكذا، وقال في آخر قوله: إن لم تستطيعوا تركَ ما أنهاكم عنه؛ فافعلوا ما تستطيعون. هذا قول مُقاتلٍ، والأول أصحُّ. وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم التِّرمذيُّ صاحب «النوادر» هذا القولَ إنكاراً شديداً، وقال: إنما خصّ بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزةٍ؟ وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكَلبيُّ وكان كذّاباً.

ومعنى ﴿عَقَلُوهُ﴾: سمعوه ووَعَوْه. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: وهم يعلمون أنهم حرَّفوه. **والثاني**: وهم يعلمون عقاب تحريفه.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. هذه الآية نزلت في نفرٍ من اليهود، كانوا إذا لَقوا النبيَّ ﷺ والمؤمنين قالوا: آمنّا، وإذا خلا بعضهم إلى بعضٍ، قالوا: أتحدّثونهم بما فتحَ الله عليكم، هذا قول ابن عباسٍ وأبي العَالِيَة ومُجاهدٍ وقَتادةَ وعَطاءٍ الخُراسانيّ وابن زيدٍ ومُقاتلٍ[٢].

وفي معنى: ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: بما قضى الله عليكم، والفَتْح: القضاء،

---

(١) البقرة: ١٩.

(٢) أخرجه الطبري ١٣٣٨ عن ابن عباس بإسناد ضعيف، وكرره ١٣٣٩ وإسناده ضعيف أيضاً، الضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه ١٣٤١ عن السُّدّي وهذا مرسل، وكرره ١٣٤٤ عن أبي العالية مرسلاً، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾[١]، قال السُّدِّيُّ عن أشياخه: كان ناسٌ من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدّثون المؤمنين بما عذّبوا به، فقال بعضهم لبعضٍ: أتحدّثونهم بما فَتَح الله عليكم من العذاب، ليقولوا: نحن أحبّ إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم. **والثاني**: أن معناه: بما علَّمَكم الله. قال ابن عباسٍ وأبو العَالِيَة وقَتادةُ: الذي فتحه عليهم، ما أنزله من التوراة في صفة محمّدٍ ﷺ. وقال مُقاتلٌ: كان المسلم يلقى حَلِيفَه، أو أخاه من الرَّضاعة من اليهود، فيسأله: أتجدون محمَداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، إنه لحقٌّ. فسمع كَعبُ بن الأَشْرَف وغيره، فقال لليهود في السِّر: أتحدّثون أصحاب محمدٍ بما فتحَ الله عليكم؟ أي: بما بيّن لكم في التوراة من أمر محمدٍ ليخاصمُوكم به عند ربكم باعترافكم أنه نبيٌّ، أفلا تعقلون أن هذا حجةٌ عليكم[٢]؟!

قوله تعالىٰ: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى: في حُكم ربكم، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[٣]. **والثاني**: أنه أراد به يوم القيامة.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾، يعني: اليهودَ. والأُمّيُّ: الذي لا يكتب ولا يقرأ، قاله مُجاهدٌ. وفي تسميته بالأُمّيِّ قولان: **أحدهما**: لأنه على خِلْقَة الأمَة التي لم تتعلّم الكتاب، فهو على جِبِلَّتِه، قاله الزَّجّاجُ. **والثاني**: أنه يُنسب إلى أمِّه، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء. وقيل: لأنه على ما ولدته أمّه. قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، قال قَتادةُ: لا يَدرون ما فيه. قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ جمهور القرّاء على تشديد الياء، وقرأ الحسنُ، وأبو جَعفرَ، بتخفيف الياء، وكذلك: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[٤] و﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٥] ﴿فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[٦]، و﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾[٧]، كلّه بتخفيف الياء وكسر الهاء من «أمانيهم» ولا خلاف في فتح ياء «الأماني». وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأكاذيب. قال ابن عباسٍ: إلا أمانيَّ: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كَذِباً. وهذا قول مُجاهدٍ واختيار الفَرّاءِ. وذكر الفَرّاءُ أن بعض العرب قال لابن دَأْبٍ[٨] وهو يحدّث: أهذا شيءٌ رويته، أم شيء تمنّيتَه؟ يريد: افتعلته. **والثاني**: أن الأماني: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يُتلى عليهم، قال الشاعر:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أولَ لَيْلَةٍ ... تَمَنِّيَ داودَ الزَّبُورَ على رِسلِ

---

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) عزاه المصنف لمقاتل، وهذا مرسل، وورد نحوه عن ابن عباس، أخرجه الطبري ١٣٤٣ وفيه راوٍ مجهول، وكرره ١٣٤٤ من مرسل أبي العالية وبرقم ١٣٤٥ من مرسل قتادة. فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم.

(٣) النور: ١٣.

(٤) البقرة: ١١١.

(٥) النساء: ١٢٣.

(٦) الحج: ٥٢.

(٧) الحديد: ١٤.

(٨) هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي، المدني، كان أخبارياً علامّة نسابة، لكن حديثه واهٍ، كان يضع الحديث، وقال البخاري وغيره: منكر الحديث كما في «الميزان».

وهذا قول الكِسَائيِّ والزَّجَّاج. **والثالث**: أنها أمانيهم على الله، قاله قَتادةُ. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، قال مُقاتلٌ: ليسوا على يقينٍ، فإن كذب الرؤساء أو صدقوا تابعوهم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. هذه الآية نزلت في أهل الكتاب الذين بدّلوا التوراة وغيَّروا صفةَ النبيِّ ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباسٍ وقَتادة وابن زيدٍ وسُفيانَ.

فأما الوَيلُ: فروى أبو سعيدٍ الخدريُّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٢٦] «ويلٌ: وادٍ في جهنَّم، يَهوي الكافرُ فيه أربعينَ خريفاً قبل أن يَبْلُغَ قَعرَهُ».

وقال الزَّجَّاجُ: الويلُ: كلمةٌ تقولها العرب لكل مَنْ وقع في هَلَكةٍ، ويستعملها هو أيضاً. وأصلها في اللغة: العذاب والهَلاك. قال ابن الأنباريِّ: ويُقال: معنى الوَيل: المَشقَّة من العذاب، ويُقال: أصله: وَيْ لفلانٍ، أي: حُزنٌ لفلانٍ، وكَثُر الاستعمال للحرفين، فوُصِلت اللام بـ «وي» وجُعلت حرفاً واحداً ثم خُبِّر عن «ويل» بلامٍ أُخرى، وهذا اختيار الفَرَّاء. والكتاب هاهنا: التوراة. وذكر الأيدي توكيدٌ، والثمن القليل: ما يَفنى من الدنيا.

وفيما يكسبون قولان: **أحدهما**: أنه عِوَضُ ما كتبوا. **والثاني**: إثمُ ما فعلوا.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وهم: اليهود. وفيما عَنوا بهذه الأيام قولان: **أحدهما**: أنهم أرادوا أربعين يوماً، قاله ابن عباسٍ وعِكرمةُ، وأبو العَالِيَة، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ. ولماذا قدروها بأربعين؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا: بين طَرَفي جهنم مسيرةُ أربعين

---

[٢٦] ضعيف منكر. أخرجه الترمذي ٣١٦٤ وأبو يعلى ١٣٨٣ من طريق الحسن بن موسى والبيهقي من طريق كامل كلاهما عن ابن لهيعة عن درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث ابن لهيعة. وتعقبه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٢١ بقوله: لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكر.
قلت: مداره على درّاج أبي السّمح، وهو ضعيف في روايته عن أبي الهيثم خاصة.
ـ وأخرجه الطبري ١٣٨٧ وابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٢١ من طريق يونس والحاكم ٤/ ٥٩٦، والبيهقي في «البعث» ٤٦٦ من طريق بحر بن نصر والحاكم ٢/ ٥٠٧، والبيهقي ٤٦٥ من طريق أبي عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب. ثلاثتهم عن ابن وهب بهذا الإسناد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، لكن قال الذهبي في مواضع أخرى: درّاج ذو مناكير. وأخرجه ابن حبّان ٧٤٦٧ عن ابن أسلم عن حرملة عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، مرفوعاً.
ـ الخلاصة: مداره على درّاج، وهو ضعيف. قال الذهبي في «الميزان» ٢/ ٢٤: قال أحمد: درّاج أحاديثه مناكير، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال النسائي: منكر الحديث.

سنةً، ونحن نقطع مسيرةَ كلِّ سنةٍ في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم قالوا: عَتِبَ علينا ربُّنا في أمرٍ، فأقسَمَ ليُعَذِّبنا أربعين ليلةً، ثم يُدخلنا الجنّة، فلن تَمَسَّنا النار إلا أربعين يوماً تَحِلَّة القَسَم، وهذا قول الحَسَن وأبي العَالِية. **والثالث**: أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله مُقاتلٌ. **والقول الثاني**: أن الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأن عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يُعذّبون لكل ألف سنةٍ يوماً من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب، قاله ابن عباسٍ.

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾، أي: عهِد إليكم أنه لا يُعذّبكم إلا هذا المقدار؟!

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ بلى: بمنزلة «نعم» إلا أن «بلى» جواب النهي، و«نعم» جواب الإيجاب، قال الفَرَّاءُ: إذا قال الرجل لصاحبه: مَا لَكَ عليَّ شيءٌ، فقال الآخر: نعم، كان تصديقاً أَنْ لا شيءَ لهُ عليه. ولو قال: بلى؛ كان رَدّاً لقوله: قال ابن الأَنْبَارِيّ: وإنما صارت «بلى» تتصل بالجحد، لأنها رجوعٌ عن الجَحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة «بل». و«بل» سبيلها أن تأتي بعد الجَحد، كقولهم: ما قام أخوك، بل أبوك. وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟ فقال له: بلى؛ أراد: بل أقوم، فزاد الألف على «بل» ليَحسُن السكوت عليها، لأنه لو قال: بل، كان يتوقع كلاماً بعد بل، فزاد الألف ليزول هذا التوهم عن المخاطب، ومعنى ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: بل من كسب. قال الزَّجَّاجُ: بلى: رَدٌّ لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾. والسيّئة هاهنا: الشِّرك في قول ابن عباسٍ وعِكرمةَ، وأبي وَائلٍ، وأبي العَالِيَة، ومُجاهدٍ، وقَتادةَ، ومُقاتلٍ. ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ﴾، أي: أحدقَت به ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، وقرأ نافعٌ «خطيئاته» بالجمع. قال عِكرمةُ: مات ولم يَتُبْ منها، وقال أبو وائلٍ: الخطيئة: صفةٌ للشرك، قال أبو عَليٍّ: إما أن يكون المعنى: أحاطت بحسنته خطيئتُهُ، أي: أحبطَتها، من حيث أن المحيط أكثر من المُحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١)، وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(٢)، أو يكون معنى أحاطت به: أهلكته، كقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾(٣).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، هذا الميثاق مأخوذٌ عليهم في التوراة. وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ قرأ عاصمٌ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابن عامرٍ: بالتاء على الخطاب لهم. وقرأ ابن كَثيرٍ وحَمزةُ والكِسائيُّ: بالياء على الإخبار عنهم. قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، أي: ووصّيناهم بآبائهم

---

(١) التوبة: ٤٩. (٢) الكهف: ٢٩. (٣) يوسف: ٦٦.

وأمّهاتهم خيراً. قال الفرّاء: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وآمُرك به خيراً، والمعنى: آمرك أن تفعل به، ثم تحذف «أن» فيوصل الخير بالوصية والأمر. قال الشاعر:

عَجِبتُ من دَهماءَ إذ تَشكُونا ... ومِنْ أَبي دَهماءَ إذ يُوصِينَا

خَيراً بها كأنَّنا جافُونا

وأما الإحسان إلى الوالدين؛ فهو بِرُّهما. قال ابن عبَّاسٍ: لا تنفض ثوبك فيصيبَهما الغبار. وقالت عائشة: ما بَرَّ والدَه من شَدَّ النظرَ إليه، وقال عُروةُ: لا تمتنعْ عن شيءٍ أحبَّاه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، أي: ووصّيناهم بذي القُربى أن يصلوا أرحامهم. وأما اليتامى؛ فجمعُ: يتيم. قال الأَصمعيّ: اليُتم في الناس، من قِبَل الأب، وفي غير النَّاس: من قِبَل الأمِّ. وقال ابن الأَنْبارِيِّ: قال ثَعلبٌ: اليُتم معناه في كلام العرب: الانفراد: فمعنى صبيٍّ يتيمٌ: منفردٌ عن أبيه. وأنشدنا:

أَفاطِمُ إنِّي هالكٌ فتَبَيَّنِي ... ولا تَجزَعِي كُلُّ النِّساء يَتيمُ

وقال: يُروى: يَتِيم ويَئِيم، فمن روى يتيم بالتاء؛ أراد: كلُّ النساء ضعيفٌ منفردٌ. ومن روى بالياء أراد: كلُّ النساء يموت عنهن أزواجُهن. وقال: أنشدنا ابن الأعْرابيِّ:

ثَلاثةُ أحبابٍ: فحُبٌّ عَلاقةٍ ... وحُبُّ تِملاَّقٍ وحُبٌّ هو القَتلُ[1]

قال: فقلنا له: زِدنا، فقال: البيت يتيمٌ، أي: هو منفردٌ. وقرأت على شيخنا أبي منصورٍ اللُّغويّ، قال: إذا بلغ الصبي، زال عنه اسم اليُتم. يقال منه: يَتَم يَيْتِمُ يُتْماً ويَتْماً، وجمع اليتيم: يتامى، وأيتام. وكل منفردٍ عند العرب يتيمٌ ويتيمةٌ. قال: وقيل: أصل اليُتم: الغفلة، وبه سُمّي اليتيم، لأنه يُتَغافَل عن بِرِّه. والمرأة تُدعى: يتيمةً ما لم تزوج، فإذا تزوّجت زال عنها اسم اليُتم، وقيل: لا يزول عنها اسم اليُتم أبداً. وقال أبو عمرٍو، اليُتم: الإبطَاء، ومنه أُخذ اليتيم، لأن البِرَّ يُبطِئ عنه.

«والمساكين»: جمع مسكين، وهو اسمٌ مأخوذٌ من السكون، كأن المسكين قد أسكنه الفقرُ. وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابن عامرٍ: ﴿حُسْنًا﴾ بضم الحاء والتخفيف، وقرأ حَمزةُ والكسائيُّ: (حَسَناً) بفتح الحاء والتثقيل. قال أبو عليٍّ: من قرأ «حُسْناً» فجائزٌ أن يكون الحُسْن لغةً في الحَسَن، كالبُخْل، والبَخَل، والرُّشد والرَّشَد. وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهم قالوا: العُرب والعَرب ويجوز أن يكون الحُسن مصدراً كالكفر والشكر والشغل، وحذف المضاف معه، كأنه قال: قولوا قولاً ذا حُسنٍ. ومن قرأ (حَسَناً) جعله صفةً، والتقدير عنده: قولوا للناس قولاً حَسَناً، فحذف الموصوف. واختلفوا في المخاطب بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، وابن جُريجٍ. ومعناه: اصدُقوا وبيِّنوا صفةَ النبيِّ ﷺ. **والثاني**: أنهم أمّةُ محمدٍ ﷺ، قال أبو العَالية: قولوا للناس معروفاً، وقال محمَّد بن عليِّ بن الحسين عليه السلام: كلِّموهم بما تُحبون أن يقولوا لكم. وزعم قومٌ أن المراد بذلك مُساهَلة الكفار في دعائهم إلى الإسلام. فعلى هذا، تكون منسوخةً بآية السيف.

(١) في «اللسان»: المَلَقُ: الوُدّ واللطف الشديد. مَلِقَ مَلَقاً وتَمَلَّقَ تِملاَّقاً أي تودد إليه وتلطف له.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي: أعرضتم إلا قليلاً منكم، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم أوَّلُوهم الذين لم يُبدلوا. **والثاني**: أنهم الذين آمنوا بالنبيّ محمَّدٍ ﷺ في زمانه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾، أي: لا يَسْفِكُ بعضكم دَمَ بعضٍ، ولا يُخرج بعضكم بعضاً من داره. قال ابن عباسٍ: ثم أقررتم يومئذٍ بالعهد، وأنتم اليوم تشهدون على ذلك، فالإقرار على هذا متوجِّهٌ إلى سَلَفِهم، والشهادة متوجِّهةٌ إلى خَلَفِهم. ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، أي: يقتل بعضكم بعضاً. روى السُّدِّيُّ عن أشياخه قال: كانت قُرَيظةُ حلفاءَ الأَوْسِ، والنَّضيرُ حلفاءَ الخَزْرَجِ؛ فكانوا يُقاتلون في حرب سُميرٍ[١]، فيقاتل بنو قُريظةَ مع حلفائها النَّضِير، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءَها، فيغلبونهم فيقتلون ويُخربون الديار ويخرجون منها، فإذا أُسِر الرجلُ من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يَفْدُوه، فتعيِّرهم العرب بذلك؛ فتقول: كيف تُقاتلونهم وتَفدُونهم؟! فيقولون: أُمرنا أن نَفديَهم، وحُرِّم علينا قتلُهم. فتقول العرب: فلِمَ تُقاتلونهم؟ فيقولون: نَستحيي أن يُستَذَلَّ حلفاؤنا، فعيَّرهم الله عزَّ وجلَّ، فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، فكان إيمانهم ببعضه فِداءَهم الأُسارَى، وكُفرهم قتلُ بعضهم بعضاً.

قوله تعالىٰ: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾، قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكِسائيُّ (تظاهرون)، وفي التحريم: ﴿تَظَٰهَرَا﴾[٢]، بتخفيف الظاء، وقرأ ابن كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو بتشديد الظاء مع إثبات الألف. قال أبو علي: من قرأ (تظّاهرون) بتشديد الظاء، أدغم التاء في الظّاء، لمقاربتها لها، فخفف بالإدغام. ومن قرأ (تظاهرون) خفيفة، حذف التاء التي أدغمها أولئك من اللفظ، فخفَّف بالحذف. والتاء التي أدغمها ابن كثير هي التي حذفها عاصم. وروي عن الحسَن وأبي جَعفَر «تظَّهرون» بتشديد الظاء من غير ألف، فالتَّظَاهر: التعاون. قال ابن قُتيبةَ: وأصله من الظَّهر، فكأن التَّظاهر: أن يجعل كل واحدٍ من الرجلين الآخر ظَهْراً له يتقوّى به، ويستند إليه. قال مُقاتلٌ: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾، أصل الأَسْر: الشَّدُّ. قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرو وابن عامرٍ (أُسارى)، وقرأ الأعمشُ وحَمزةُ «أسرى»، قال الفَرَّاءُ: أهل الحجاز يجمعون الأسير: «أُسارى» وأهلُ نجدٍ أكثر كلامهم «أَسرى» وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصرعى، وروى الأصمعيُّ عن أبي عمرٍو قال: الأُسارى: ما شُدُّوا، والأَسرى: في أيديهم،

---

(١) اسم رجل سميت بذلك لأنه السبب. (٢) التحريم: ٤.

إلا أنهم لم يُشدُّوا. قال الزَّجاجُ: «فَعلى» جمعٌ لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم. يقال هالكٌ وهَلْكى، ومريضٌ ومَرضى، وأحمقٌ وحَمقى، وسَكران وسَكْرَى، فمن قرأ: ﴿أَسۡرَىٰ﴾، فهي جمع الجمع. يقال: أَسير وأَسرى وأُسارى جمع أسرى.

قوله تعالىٰ: ﴿تُفَٰدُوهُمۡ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابن عامرٍ: «تفدوهم»، وقرأ نافع وعاصم والكسائيّ: ﴿تُفَٰدُوهُمۡ﴾ بألف. والمُفَادة: إعطاء شيءٍ، وأخذ شيءٍ مكانه. ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وهو: فِكَاكُ الأَسرى. ﴿وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ وهو: الإخراجُ والقتل. وقال مُجاهدٌ: تَفديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟! وفي المراد بالخِزي قولان: **أحدهما**: أنه الجِزية، قاله ابن عبّاسٍ. **والثاني**: قتلُ قُريظة ونفيُ النَّضِير، قاله مُقاتلٌ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾. قال ابن عباسٍ: هم اليهود. وقال مُقاتلٌ: باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يريد التوراة: وقفَّينا: أَتبَعنا. قال ابن قُتيبةَ: وهو مأخوذٌ من القَفَا، يقال: قَفَوْتُ الرجلَ: إذا سِرتُ في أَثرِه. والبيِّنات: الآيات الواضحات كإبراء الأكْمَه والأبْرَاص، وإحياء الموتى. وأَيَّدناه: قوَّيناه. والأَيْد: القوة. وفي رُوح القُدُس ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه جِبْريل. والقُدُس: الطهارة، وهذا قول ابن عباسٍ، وقَتادةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيّ في آخرين. وكان ابن كثيرٍ يقرأ: (بروح القُدْس) ساكنةَ الدال. قال أبو عليٍّ: التخفيف والتثقيل فيه حَسَنان، نحو: العُنْق والعُنُق، والطُّنْب والطُّنُب.

وفي تأييده به ثلاثة أقوالٍ؛ ذكرها الزَّجاجُ: **أحدها**: أنه أُيِّد به لإظهار حجّته وأمر دينه. **والثاني**: لدَفع بني إسرائيل عنه إذا أرادوا قتله. **والثالث**: أنه أُيِّد به في جميع أحواله.

والقول الثاني: أنه الاسم الذي كان يُحيي به الموتى، رواه الضَّحّاكُ عن ابن عباسٍ.

والثالث: أنه الإنجيل، قاله ابن زيدٍ.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ قرأ الجمهور بإسكان اللام، وقرأ قومٌ؛ منهم الحسَن وابن مُحَيصنٍ بضمّها. قال الزَّجاجُ: من قرأ: ﴿غُلۡفُۢۚ﴾ بتسكين اللام، فمعناه: ذواتُ غُلفٍ، فكأنهم قالوا: قلوبنا في أوعيةٍ، ومن قرأ «غُلُفٍ» بضمّ اللام، فهو جمع «غِلاف» فكأنهم قالوا: قلوبنا أوعيةٌ للعلم، فما بالها لا تفهم وهي أوعيةٌ للعلم؟! فعلى **الأول**؛ يقصدون إعراضه عنهم، وكأنهم يقولون: ما نفهم شيئاً. وعلى **الثاني** يقولون: لو كان قولُك حقاً لَقَبِلَته قلوبُنا.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: فقليلٌ مَنْ يؤمن منهم، قاله ابن

عباسٍ وقَتادةُ. **والثاني**: أن المعنى: قليلٌ ما يؤمنون به. قال مَعْمَرُ: يؤمنون بقليلٍ مما في أيديهم، ويكفرون بأكثره. **والثالث**: أن المعنى: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً. ذكره ابن الأنْبَاريِّ، وقال: هذا على لغة قوم من العرب، يقولون: قلَّما رأيت مثل هذا الرجل، وهم يريدون: ما رأيتُ مثله. **والرابع**: فيؤمنونَ قليلاً من الزمان؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾[(١)]، ذكره ابن الأنباريِّ أيضاً. **والخامس**: أن المعنى: فإيمانهم قليلٌ، ذكره ابن جَريرِ الطَّبريّ. وحكى في «ما» قولين: **أحدهما**: أنها زائدةٌ. **والثاني**: أن «ما» تجمع جميع الأشياء ثم تَخُصُّ بعضَ ما عَمَّته بما يذكر بعدها.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعني: القرآن. و﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستنصرون. وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبيِّ الله محمدٍ ﷺ[(٢)].

قوله تعالىٰ: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾، بئس: كلمةٌ مستوفيةٌ لجميع الذم، ونقيضها: «نِعْمَ». واشتروا، بمعنى: باعوا، والذي باعوها به قليلٌ من الدنيا. قوله تعالىٰ: ﴿بَغْيًا﴾ قال قَتادةُ: حسداً. ومعنى الكلام: كفروا بَغياً، لأنْ نزَّل الله الفضل على النبيِّ ﷺ.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أن الغضب الأول لاتخاذهم العجلَ، والثاني: لكُفرهم بمحمَّدٍ، حكاه السُّدِّيُّ عن ابن مسعودٍ وابن عباسٍ. **والثاني**: أن الأول

---

(١) آل عمران: ٧٢.

(٢) ورد في معناه روايات كثيرة منها ـ وهو ضعيف جداً ـ ما أخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٣ عن ابن عباس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدّعاء، وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلاّ نصرتنا عليهم.
قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان. فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله تعالى: **﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾** أي بك يا محمد، إلى قوله **﴿فلعنة الله على الكافرين﴾**.
ـ وقال الحاكم: أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير، وهو غريب من حديثه.
ـ وقال الذهبي: لا ضرورة لإخراجه في ذلك فعبد الملك متروك هالك.
وأخرجه الطبري ١٥٢٥ عن ابن عباس قال: **﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾**، يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشركي العرب ـ يعني بذلك أهل الكتاب ـ فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوه من غيرهم، كفروا به وحسدوه.
ـ وله شواهد بمعناه، أخرجه الطبري برقم ١٥٢٣ و١٥٢٤ عن ابن عباس وبرقم ١٥٢٢ و١٥٢٨ عن قتادة و١٥٢٦ عن علي الأزدي و١٥٢٩ عن أبي العالية و١٥٣٠ عن السدي و١٥٣١ عن ابن جريج.
ـ الخلاصة: هو خبر صحيح بلفظ الطبري، وذلك بمجموع طرقه وشواهده، وأما ما أخرجه الحاكم، فهو ضعيف الإسناد جداً، والمتن منكر.

لتكذيبهم رسولَ الله. والثاني: لعداوتهم لجبريلَ. رواه شَهْرُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن الأول حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[1]، والثاني: حين كذَّبوا نبيَّ الله. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ. **والرابع**: أن الأول لتكذيبهم بعيسى والإنجيل. والثاني: لتكذيبهم بمحمدٍ والقرآن، قاله الحسنُ، والشَّعبيُّ، وعِكْرِمَةُ، وأبو العَالِيَة، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والخامس**: أن الأوّل لتبديلهم التَّوراة. والثاني: لتكذيبهم محمّداً ﷺ، قاله مُجاهدٌ. والمُهين: المُذِلّ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، يَعْنُونَ: التَّوراة. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه أراد بما سِواه. ومثله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[2]، قاله الفرَّاءُ ومُقاتلٌ. **والثاني**: بما بعدَ الذي أُنزل عليهم، قاله الزَّجّاجُ. قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعود على ما وراءه. قوله تعالىٰ: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هذا جواب قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فإن الأنبياء جاؤوا بتأييد التوراة. وإنما نسب القتل إلى المتأخِّرين لأنهم في ذلك على رأي المتقدِّمين. وتقتلون بمعنى: قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الوهمَ لا يذهب إلى غيره. وأنشدوا في ذلك:

شَهِدَ الحُطَيئةُ حين يَلْقَى رَبَّهُ ... أنَّ الوَليدَ أحقُّ بالعُذْرِ

أراد: يشهد.

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، فيها قولان: **أحدهما**: ما في الألواح من الحلال والحرام، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الآيات التسع، قاله مُقاتلٌ.

وفي هاء «بعده» قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى موسى، فمعناه: من بعد انطلاقه إلى الجبل، قاله ابن عباسٍ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها تعود إلى المجيء، لأن «جاءكم» يدل على المجيء، وفي ذِكرِ عبادتهم العجل تكذيبٌ لقولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، قال ابن عباسٍ: كانوا إذا نظروا إلى الجبل، قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾، أي: سُقوا حُبَّ العجل، فحذفَ المضافَ، وهو الحُبُّ، وأقام المضاف إليه مقامه، ومثله قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[3] أي: وقت الحج. وقوله:

---

(١) المائدة: ٦٤. (٢) النساء: ٢٤. (٣) البقرة: ١٩٧.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾[1] أي: أجعلتم صاحب سقاية الحاج. وقوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[2]، أي: أهلها. وقوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوٰةِ﴾[3]، أي: ضعف عذاب الحياة. وقوله: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ﴾[4]، أي: بيوت صلواتٍ. وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[5]، أي: مَكْرُكُم فيهما. وقوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾[6]، أي: أهله. ومن هذا قول الشاعر:

أُنبئْتُ أنَّ النَّارَ بَعدَكَ أُوقِدَتْ ... واستبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

أي: أهل المجلس، وقال الآخر:

وشَرُّ المَنَايَا مَيِّتٌ بينَ أهلِهِ

أي: وشرُّ المنايا مَنِيَّة ميِّتٍ بين أهله.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَانُكُمْ﴾، أي: أن تُكذِّبوا المرسلين، وتقتلوا النبيِّين بغير حقٍّ، وتكتموا الهدى. قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، في «إن» قولان:

أحدهما: أنها بمعنى: الجَحْدِ، فالمعنى: ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله، وعبدتُم العجلَ.

والثاني: أن تكون «إن» شرطاً مُعلَّقاً بما قبله، فالمعنى: إن كنتم مؤمنين؛ فبئس الإيمان إيمانٌ يأمُركم بعبادة العجل وقَتْل الأنبياء، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾، كانت اليهود تزعم أن الله تعالىٰ لم يخلق الجنة إلا لإسرائيلَ وَوَلَدِه، فنزلت هذه الآية. ومن الدليل على علمهم بأن النبيَّ ﷺ صادقٌ، أنهم ما تَمَنَّوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه أنه أَخْبَرَ أنهم لا يتمنونه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ فما تمنَّاهُ أحدٌ منهم. والذي قدمته أيديهم: قَتْلُ الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾، اللام: لام القسم، والنون توكيدٌ له، والمعنى: ولتجدنَّ اليهود في حال دُعائهم إلى تَمَنِّي الموت أحرصَ الناس على حياة، وأحرصَ مِنَ الذين أشركوا.

وفي ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم: المَجُوسُ، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن قُتيبةَ والزَّجَّاجُ. **والثاني**: مشركو العرب، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، في الهاء والميم من «أحدهم» قولان: **أحدهما**: أنها تعود على الذين أشركوا، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: ترجع إلى اليهود، قاله مُقاتلٌ.

---

(١) التوبة: ١٩. (٢) يوسف: ٨٢. (٣) الإسراء: ٧٥.
(٤) الحج: ٤٠. (٥) سبأ: ٣٠. (٦) العلق: ١٧.

قال الزَّجَّاجُ: وإنما ذكر ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ لأنها نهاية ما كانت المَجوسُ تدعو بها لملوكها، كان الملك يُحَيَّا بأن يقال له: عِشْ ألفَ نَيْرُوز، وألفَ مِهرَجَان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ فيه قولان؛ ذكرهما الزَّجَّاجُ: **أحدهما**: أنه كنايةٌ عن أحدهم الذي جرى ذكره، تقديره: وما أحدهم بمُزَحْزِحِه من العذاب تعميرُهُ. **والثاني**: أن يكون «هو» كنايةً عما جرى من التَّعمير، فيكون المعنى: وما تعميرُه بمُزَحزِحِه من العذاب، ثم جعل «أن يعمّر» مُبيناً عنه، كأنه قال: ذلك الشيء الدَّنيء ليس بمُزحزِحِه من العذاب.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾. قال ابن عباسٍ:

[٢٧] أَقبلَت اليهود إلى النبيِّ ﷺ، فقالوا: مَنْ يأتيك مِنَ الملائكة؟ قال: جِبْرِيلُ. فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدوّنا، فنزلت هذه الآية والتي تليها.

وفي جِبريلَ إحدى عشرة لغةً: **إحداها**: جِبْرِيل، بكسر الجيم والراء من غير همزٍ، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ ابن عامرٍ، وأبو عمرٍو. قال ورقةُ بن نَوفلٍ:

وجِبرِيلُ يَأتيهِ ومِيكَالُ مَعْهُما ... مِنَ اللَّهِ وَحْيٌ يشرَحُ الصَّدرَ مُنْزَلُ

وقال عِمرانُ بن حِطَّان:

والرُّوح جِبرِيلُ فيهم لا كِفَاءَ لَهُ ... وكانَ جِبْرِيلُ عندَ اللَّهِ مأمُونَا

---

[٢٧] حسن. أخرجه أحمد ١/ ٢٧٤ والترمذي ٣١١٧ والنسائي في «عشرة النساء» ١٩٠ والطبري ١٦٠٨ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٢٦٦ وإسناده حسن فيه شهر بن حوشب، صدوق يخطىء.
ـ وورد مرسلاً أخرجه الطبري ١٦٠٩ عن شهر بن حوشب و١٦١٠ من مرسل القاسم بن أبي بزّة. فالحديث حسن إن شاء الله. وأصله أخرجه البخاري ٣٣٢٩ و٣٩٣٨ و٤٤٨٠ والنسائي في «التفسير» ١٢ وأحمد ٣/ ١٠٨ ـ ٢٧١ والبغوي ٣٧٦٩ وابن مندة في «التوحيد» ١/ ٢٢٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٢٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بلغ عبد الله بن سلام مَقْدَمُ النبي ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يَعْلَمهُنَّ إلاّ نبيّ، ما أول أشراط السَّاعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء يَنزعُ الولَدُ إلى أبيهِ، ومن أي شيء يَنزعُ إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني بهن آنفاً جبريل» قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا أول أشراط السَّاعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حُوتٍ، وأما الشَّبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخبرُنا وابن أخبَرِنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلمَ عبد الله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا ووقعوا فيه». لفظ البخاري. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٨ و١٩٩ بتخريجنا، طبع دار الكتاب العربي.

وقال حسان:

وجِـبـريـلٌ رسـولُ الـلّـهِ فـيـنَـا ... ورُوح الـقُـدْسِ لَـيـس لـه كِـفَـاءُ

واللغة الثانية: «جَبرِيل» بفتح الجيم وكسر الراء، وبعدها ياءٌ ساكنةٌ من غير همزٍ على وزن: فَعْلِيل، وبها قرأ الحسنُ البصريُّ، وابن كَثيرٍ، وابن مُحَيْصِنٍ. وقال الفَرَّاءُ: لا أشتهيها، لأنه ليس في الكلام فعْلِيل، ولا أرى الحسنَ قرأها إلا وهو صوابٌ، لأنه اسمٌ أعجميٌّ.

والثالثة: «جَبرَئِيل»: بفتح الجيم والراء، وبعدها همزةٌ مكسورةٌ على وزن: جَبْرَعِيل، وبها قرأ الأَعْمَشُ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ. قال الفَرَّاءُ: وهي لغةُ تَمِيمٍ وقَيسٍ، وكثيرٍ من أهل نَجدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: هي أجود اللغات، وقال جَريرٌ:

عَـبَـدوا الـصَّـلـيـبَ وكَـذَّبـوا بـمـحـمَّـدٍ ... وبِـجَـبْـرَئِـيـلَ وكـذَّبُـوا مـيـكَـالا

والرابعة: جَبرَئِل، بفتح الجيم والراء وهمزةٍ بين الراء واللام، مكسورةٍ من غير مدٍّ على وزن جَبْرَعِل، رواها أبو بكرٍ عن عاصم. **والخامسة**: «جَبْرَئِلّ» بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام، وهي قراءة أَبَان عن عاصم ويحيَى بن يَعْمرَ. **والسادسة**: جِبْرَائِيلَ، بهمزةٍ مكسورةٍ بعدها ياءٌ مع الألف. **والسابعة**: جِبْرَايِيل بيائين بعد الألف أولاهما مكسورة. **والثامنة**: جَبْرِين، بفتح الجيم ونونٍ مكان اللام. **والتاسعة**: جِبْرِين، بكسر الجيم وبنونٍ، قال الفَرَّاءُ: هي لغة بني أَسَدٍ. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللُّغَويّ عن ابن الأَنْباريّ قال: في جبريل تسع لغاتٍ، فذكرهنَّ. وذكر ابنُ الأَنباريّ في كتاب «الردّ على من خالف مصحف عثمان»: «جَبرائِل»، بفتح الجيم وإثبات الألف مع همزةٍ مكسورةٍ ليس بعدها ياءٌ. وجَبرئِين، بفتح الجيم مع همزةٍ مكسورةٍ بعدها ياءٌ ونونٌ.

فأمّا ميكائيل، ففيه خمس لغاتٍ: **إحداهن**: «مِيكَال»، مثل: مِفْعَال بغير همزٍ، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ أبو عمرٍو وحفصٌ عن عاصم. **والثانية**: «مِيكائِيل» بإثبات ياء ساكنةٍ بعد الهمزة، مثل: مِيكاعِيل، وهي لغة تَميم وقَيسٍ، وكَثيرٍ مَن أهل نَجدٍ، وبها قرأ ابن عامرٍ، وابن كَثيرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصم. **والثالثة**: «ميكائِل» بهمزةٍ مكسورةٍ بعد الألف من غير ياء، مثل ميكاعِل، وبها قرأ نافعٌ وابن شُنْبُوذٍ، وابن الصَّباح، جميعاً عن قُنْبُلٍ. **والرابعة**: «مِيكئِل»، على وزن مِيكعِل، وبها قرأ ابن مُحيصِنٍ. **والخامسة**: «ميكَائِين» بهمزةٍ معها ياءٌ ونونٌ بعد الألف، ذكرها ابن الأَنباريّ.

قال الكِسَائيُّ: جبريل وميكائيل، اسمان لم تكن العرب تعرفهما، فلما جاءا عَرَّبتهما. قال ابن عباسٍ: جبريل وميكائيل، كقوله: عبد الله، وعبد الرحمٰن، ذهب إلى أن «إيل» اسم الله، واسم المَلَك «جبر» و«ميكا». وقال عِكرمَةُ: معنى جبريل: عبد الله، ومعنى ميكائيل: عُبيد الله. وقد دخل جبريل وميكائيل في الملائكة، لكنه أعاد ذكرهما لشرفهما، كقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾[1]. وإنما قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، ولم يقل: لهم، ليدلّ على أنهم كافرون بهذه العداوة.

---

(١) الرحمن: ٦٨.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا﴾، الواو واو العطف، أُدخلت عليها ألف الاستفهام. قال ابن عباسٍ ومجاهدٌ: والمُشار إليهم: اليهود، وقيل: العهد الذي عاهدوه، أنهم قالوا: والله لئن خرج محمَّدٌ لنؤمننَّ به. ورُوِي عن عَطاءٍ أنها العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم، فنقضوها، كفِعْل قُريظة والنَّضير. ومعنى نَبَذَه: رَفَضَه. قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني اليهود. والكتاب: التوراة. وفي قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه القرآن. **والثاني**: أنه التوراة، لأن الكافرين بمحمَّدٍ ﷺ قد نبذوا التوراة.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ في سبب نزولها قولان: **أحدهما**: أن اليهود كانوا لا يسألون النبيَّ عن شيءٍ من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السِّحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العَالِيَة. **والثانية**: أنه لما ذُكِر سُليمانُ في القرآن قال يهودُ المدينة: ألا تعجبون لمحمَّدٍ يزعُم أن ابن دَاودَ كان نبياً؟! والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن إسحاق.

و «تَتْلُو» بمعنى: تَلَتْ، و«على» بمعنى: «في» قاله المُبَرِّدُ. قال الزَّجَّاجُ وقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ﴾، أي: على عَهْدِ مُلك سُليمانَ. وفي كيفية ما تلت الشياطين على مُلك سُليمانَ ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه لما خرج سليمانُ عن مُلكه؛ كتبت الشياطينُ السِّحر، ودفنته في مُصلاَّه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك المُلكَ، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، وهو قول مُقاتِلٍ. **والثاني**: أن آصِفَ كان يكتب ما يأمر به سُليمانُ، ويدفنه تحت كُرسيّه، فلما مات سليمانُ، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كلِّ سطرين سِحراً وكَذِباً، وأضافوه إلى سُليمانَ، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ. **والثالث**: أن الشياطين كتبت السحرَ بعد موتِ سُليمانَ، ثم أضافته إليه، قاله عِكرمةُ. **والرابع**: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذه سُليمانُ، فدفنه تحت كرسيه لئلا يتعلَّمَه الناس، فلما قُبض استخرجته، فعلَّمَته الناسَ وقالوا: هذا علمُ سليمانَ، قاله قَتادةُ. **والخامس**: أن سُليمانَ أخذ عهود الدَّوابِّ، فكانت الدَّابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فتخَلِّي عنه، فزاد السَّحَرةُ السَّجعَ والسحر، قاله أبو مِجْلِز. **والسادس**: أن الشياطين كانت في عهد سُليمانَ تَسْتَرِق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موتٍ أو غيثٍ أو أمرٍ، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتُحدِّثُ الكهنةُ

الناسَ، فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أَمِنَتْهم الكهنة كذبوا لهم، وأدخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمةٍ سبعينَ كلمةً، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشَا في بني إسرائيل أن الجنّ تعلم الغيب، فبعث سُليمانُ في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوقٍ، ثم دفنها تحت كرسيّه، ولم يكن أحدٌ من الشياطين يستطيع أن يدنوَ من الكرسيّ إلا احترق، وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سُليمانُ؛ جاء شيطانٌ إلى نَفَرٍ من بني إسرائيل، فدَلَّهم على تلك الكتبِ وقال: إنما كان سليمانُ يضبط أمر الخَلْق بهذا؛ ففشَا في الناس أن سُليمانَ كان ساحراً، واتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمدٌ ﷺ، خاصموه بها، هذا قول السُّدّيّ.

و«سليمانُ»: اسمٌ عبرانيٌّ، وقد تكلّمت به العرب في الجاهلية، وقد جعله النّابغةُ سُلَيماً ضرورةً، فقال:

ونَسْجُ سُلَيْمٍ كلَّ قَضَّاءَ ذَائِلِ[1]

واضطُر الحُطيئَةُ فجعله: سَلاَّماً، فقال:

فيه الرِّماحُ وفيه كُلُّ سَابِغَةٍ ... جَدْلاءَ مُحْكَمَةٍ من نَسْجِ سَلاَّمِ

وأرادا جميعاً: دَاودَ أبا سُليمانَ، فلم يستقم لهما الشعر، فجعلاه: سُليمانَ وغيّراه. كذلك قرأتُه على شيخنا أبي منصورٍ اللّغويّ.

وفي قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ دليل على كُفر الساحر، لأنهم نسبوا سليمانَ إلى السحر، لا إلى الكفر. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾. وقرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ بتشديد نون (ولكنّ) ونصب نون (الشياطينَ). وقرأ ابن عامرٍ وحَمزةُ والكِسائيُّ بتخفيف النون من «لكن» ورفع نون «الشياطين». قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾، وقرأ ابن عباسٍ، والحسنُ، وسعيد بن جُبيرٍ، والزُّهريُّ «الملِكين» بكسر اللام، وقراءة الجمهور أصحّ. وفي «ما» قولان[2]: **أحدهما**: أنها

---

(١) في «اللسان»: صدر البيت: وكل صَمُوتٍ نَثْلةٍ تُبَّعيَّةٍ. والصموت: الدروع التي إذا صبت لم يسمع لها صوت. والقضاء من الدروع: التي فرغ من عملها وأحكمت. والذّائل: الدرع الطويلة الذّيل.

(٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٩٧. القول في تأويل قوله تعالى **﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾** قال أبو جعفر: اختلف أهل العلم في تأويل «ما» التي في قوله: **﴿وما أنزل على الملكين﴾** فقال بعضهم: معناه الجحد، وهي بمعنى «لم». ذكرُ من قال ذلك: عن ابن عباس قوله: **﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾**، فإنه يقول: لم ينزل الله السحر.
وعن الربيع بن أنس: **﴿وما أنزل على الملكين﴾** قال: ما أنزل الله عليهما السحر.
فتأويل الآية على هذا المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والربيع، من توجيههما معنى قوله **﴿وما أنزل على الملكين﴾** إلى: ولم ينزل على الملكين ـ: واتّبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السّحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر، **﴿ببابل، هاروت وماروت﴾** فيكون حينئذ قوله: **﴿ببابل هاروت وماروت﴾** من المؤخّر الذي معناه التقديم.
فإن قال قائل: وكيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر وما أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت. فيكون معنياً بـ «الملكين»: جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهما الله بذلك، وأخبر نبيّه محمداً ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط، وبرأ سليمان مما نحلوه من السّحر، وأخبرهم أن السحر =

معطوفةٌ على «ما» الأولى، فتقديره: واتَّبعوا ما تتلو الشياطين وما أُنزل على الملَكين. **والثاني**: أنها معطوفةٌ على السِّحر، فتقديره: يعلّمون الناس السِّحر، ويعلّمونهم ما أُنزِل على الملَكين. فإن قيل: إذا كان السحر نزل على الملَكين، فلماذا ذكره؟ فالجواب من وجهين: ذكرهما ابن السُّرّي: **أحدهما**: أنهما كانا يعلِّمان الناس: ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمةٌ؛ لأن سائلاً لو قال: ما الزِّنى؟ لوجب أن يُوقف عليه، ويُعلَّم أنه حرامٌ. **والثاني**: أنه من الجائز أن يكون الله تعالىٰ امتحن الناس بالملَكين، فمن قَبِلَ التعلُّم كان كافراً، ومن لم يقبَلْه فهو مؤمنٌ، كما امتحن بنهر طَالُوت.

وفي الذي أُنزل على الملكين قولان: **أحدهما**: أنه السحر، روي عن ابن مسعودٍ والحسَن، وابن زيدٍ. **والثاني**: أنه التَّفرقة بين المرء وزوجه، لا السحر، روي عن مُجاهدٍ وقَتادةَ، وعن ابن عباسٍ كالقولين. قال الزَّجَّاجُ: وهذا من باب السحر أيضاً.

الإشارة إلى قصة المَلَكين

ذكر العلماء أن الملكين إنما أُنزلا إلى الأرض لسببٍ، وهو أنه لما كثُرت خطايا بني آدم؛ دعت عليهم الملائكةُ، فقال الله تعالىٰ: لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما من بني آدم، لفعلتم مثلَ ما فعلوا، فحدَّثوا أنفسهم أنهم إن ابتُلوا، اعتصموا، فأوحى الله إليهم أن اختاروا مِنْ أفضلكم ملَكين،

= من عمل الشياطين، وأنها تعلِّم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمانهم ذلك رجلان: اسم أحدهما هاروت، واسم الآخر ماروت. فيكون «هاروت وماروت»، على هذا التأويل، ترجمة على «الناس» ورداً عليهم. وقال آخرون: بل تأويل «ما» التي في قوله: ﴿**وما أنزل على الملكين**﴾ ـ «الذي».

ـ وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٥٠ ـ ٥١: قوله تعالى: ﴿**وما أنزل على الملكين**﴾ «ما» نفي، والواو للعطف على قوله: ﴿**وما كفر سليمان**﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك. وفي الكلام تقديم وتأخير، التقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله ﴿**ولكن الشياطين كفروا**﴾. هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه، فالسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم، ودقة أفهامهم، وأكثر ما يتعاطاه من الإنس النساء وخاصةً في حال طمثهنّ، قال الله تعالى: ﴿**ومن شر النفاثات في العقد**﴾ وقال الشاعر:

أعـوذ بـربـي مـن الـنّـافـثـات ......

إن قال قائل: كيف يكون اثنان بدلاً من جَمع والبدل إنما يكون على حدّ المبدل منه، فالجواب من وجوه ثلاثة، الأول: أن الاثنين قد يطلق عليهما اسم الجمع، كما قال تعالى: ﴿**فإن كان له إخوة فلأمه السدس**﴾ ولا يحجبها عن الثلث إلى السدس إلا اثنان من الإخوة فصاعداً؛ والثاني: أنهما لما كانا الرأس في التعليم نصّ عليهما دون أتباعهما؛ كما قال تعالى: ﴿**عليها تسعة عشر**﴾. الثالث: إنما خُصّا بالذكر من بينهم لتمردهما، كما قال تعالى: ﴿**فيها فاكهة ونخل ورمان**﴾ وقوله: ﴿**وجبريل وميكال**﴾ وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب، فقد ينص بالذكر على بعض أشخاص العموم إما لشرفه وإما لفضله، كقوله تعالى: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي**﴾ وقوله: ﴿**وجبريل وميكال**﴾ وإما لطيبه ﴿**فاكهة ونخل ورمان**﴾ وإما لأكثريته، كقوله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهوراً» وإما لتمرده وعتوه كما في هذه الآية، والله أعلم. وقد قيل: إن «ما» عطف على السحر وهي مفعولة، فعلى هذا يكون «ما» بمعنى الذي، ويكون السحر منزلاً على الملكين فتنة للناس وامتحاناً، ولله أن يمتحن عباده بما شاء.

فاختاروا هَاروتَ وماروتَ. وهذا مرويٌّ عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ. واختلف العلماء: ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهما زَنَيا، وقَتَلا، وشَرِبا الخمرة، قاله ابن عباس. **والثاني**: أنهما جَارا في الحُكم، قاله عُبيد الله بن عُتْبَة. **والثالث**: أنهما هَمَّا بالمعصية فقط. ونقل عن عليٍّ عليه السلام أن الزُّهرة كانت امرأة جميلة وأنها خاصمت إلى الملكين هارون وماروت، فراودها كل واحدٍ منهما على نفسها، ولم يُعْلِم صاحبه، وكانا يصعدان السماءَ آخر النهار، فقالت لهما: بِمَ تهبطان وتصعدان؟ قالا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنا بمُواتِيتُكما إلى ما تريدان حتى تُعَلِّمَانِيه، فعلَّماها إياه، فطارت إلى السماء، فمَسَخَها الله كوكباً[1].

[٢٨] وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ «لعنَ الزُّهرةَ، وقال: إنها فَتَنت مَلَكين»، إلا أن هذه الأشياء

---

[٢٨] لا أصل له في المرفوع، وإنما هو من الإسرائيليات. ورد مرفوعاً وموقوفاً ومقطوعاً.
ـ والمرفوع ورد من حديث ابن عمر: أخرجه الطبري ١٦٩١ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٨٦ والذهبي في «الميزان» ٣٥٦٧ من طريق سُنيد بن داود عن فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، وهذا إسناد ساقط قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، والفرج بن فضالة قد ضعفه يحيى، وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة، وأما سنيد، فقد ضعفه أبو داود، وقال النسائي: ليس بثقة اهـ. وقد استغربه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٣ جداً.
ـ وورد من وجه آخر أخرجه أحمد ٢/ ١٣٤ والبزار ٢٩٣٨ «كشف» وابن حبان ٦١٨٦ والبيهقي ١/ ٤ ـ ٥ كلهم من طريق يحيى بن أبي بُكير عن زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً بنحوه وأتم، وهذا إسناد ساقط، زهير بن محمد مختلف فيه، وقد ضعفه غير واحد، واتفقوا على أنه روى مناكير، والظاهر أن هذا منها، فقد خالفه موسى بن عقبة، وهو أوثق منه وأحفظ، فجعله عن ابن عمر عن كعب الأحبار. كذا أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٩٧ وعنه الطبري ١٦٨٧ كلاهما عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار، وهذا إسناد كالشمس، لا غبار عليه البتة. .
وكرره الطبري ١٦٨٨ عن عبد العزيز بن مختار عن موسى به، وقد قدح في رفع الحديث البزار والبيهقي وغيرهما. قال البزار عقب الحديث: رواه بعضهم عن نافع عن ابن عمر موقوفاً، وإنما أتى رفع هذا عندي من زهير لأنه لم يكن بالحافظ. وكذا ذكر البيهقي، وهو الذي اختاره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٣ والعجب أن البيهقي أخرجه في «الشعب» ١٦٣، عن موسى بن جبير عن موسى بن عقبة به مرفوعاً، لكن فيه محمد بن يونس الكديمي، وهو متروك كذاب، والحمل عليه في هذا الحديث. ثم كرره البيهقي١٦٤ عن ابن عمر عن كعب الأحبار، وصوَّبه.
ـ وورد حديث ابن عمر من وجه آخر أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ١٤٣ وإسناده ساقط فيه موسى بن سرجس، وهو مجهول، وفيه هشام بن علي بن هشام، وثقه ابن حبان وحده على قاعدته في توثيق المجاهيل، وسعيد بن سلمة، وإن روى له مسلم فقد ضعفه النسائي، وجهله ابن معين.
ـ ولحديث ابن عمر شاهد من حديث علي أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦ وقال: موضوع والمتهم به مغيث قال الأزدي: خبيث كذاب. وبهذا الإسناد أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ١٤٣. وكرره ابن مردويه من وجه آخر، وفيه جابر الجعفي، وهو متروك، وقد كذبه أبو حنيفة رحمه الله. قال الحافظ ابن كثير: لا يصح، وهو منكر جداً.
ـ وقد جاء موقوفاً ومقطوعاً، فقد أخرجه الطبري ١٦٨٤ عن ابن عباس، وفيه أبو شعبة العدوي، وهو =

---

(١) هذه الآثار جميعاً من الإسرائيليات، لا حجة في شيء منها.

بعيدة عن الصحة. وتأوَّل بعضهم هذا فقال: إنه لما رأى الكوكب، ذَكَر تلك المرأةَ، لا أن المرأة مُسِخَت نجماً. واختلف العلماء في كيفية عذابهما؛ فرُوي عن ابن مسعودٍ أنهما مُعلَّقان بشعورهما إلى يوم القيامة، وقال مجاهدٌ: إن جُبّاً مُلِئَ ناراً فجُعلا فيه.

فأمّا بَابِل؛ فروي عن الخليل أن أَلسُنَ الناس تَبَلْبَلَت بها. واختلفوا في حدِّها على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها: الكُوفَة وسَوادها، قاله ابن مسعودٍ. **والثاني**: أنها من نُصَيْبِين إلى رأس العَين، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنها جبلٌ في وَهْدَةٍ من الأرض، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي اختبار وابتلاء. قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يريد: بقضائه. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾: إشارةٌ إلى اليهود ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾، يعني: اختاره، يريد: السحر. واللام لام اليمين. فأما الخَلاَق؛ فقال الزَّجّاجُ: هو النَّصيب الوافر من الخير. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾، أي: باعوها به، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ العقاب فيه.

فصل: اختلف الفقهاء في حُكم الساحر[1]؛ فمذهب إمامنا أحمدَ رضي الله عنه أنه يكفُر بسِحره، قتلَ به، أو لم يقتل، وهل تُقبل توبته؟ على روايتين. وقال الشّافعيُّ: لا يكفُر بسِحره، فإن قَتَلَ بسحره وقال: سحري يقتلُ مثلَه، وتعمَّدتُ ذلك، قُتل قَوداً. وإن قال: قد يقتل، وقد يُخطئ، لم يُقتل، وفيه الدِّية. فأما ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يُقتل عند أحمدَ إلا أن يضرَّ بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد، وسواءٌ في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حَنيفةَ: حُكم ساحر أهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في

= مجهول، وكرره الطبري ١٦٨٥ عن ابن مسعود وابن عباس، وفيه علي بن زيد ضعيف روى مناكير.
- وكرره برقم ١٦٨٦ عن علي، وقد استغربه ابن كثير ١/ ١٤٣ جداً، وأعله ابن حزم في «الملل» بعمير بن سعيد واتهمه بهذا الحديث، وأنه كذب.
- وكرره ١٦٨٩ عن السدي قوله و١٦٩٠ عن الربيع قوله و١٦٩٢ عن مجاهد قوله، وهو الراجح.
فهو باطل مرفوعاً، وإنما هو عن كعب الأحبار، وعنه أخذه مجاهد وغيره، ولا أصل له في المرفوع، ولهذا لم يروه البغوي مرفوعاً، وقد قدح بصحته ابن العربي في «أحكام القرآن» حيث قال: إنما سقنا هذا الخبر لأن العلماء رووه ودونوه، وتحقيق القول أنه لم يصح سنده. ورده القرطبي أيضاً في «تفسيره» ٢/ ٥٢ حيث قال: هذا كله ضعيف، وبعيد عن ابن عمر وغيره، لا يصح منه شيء اهـ باختصار. وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي بتخريجي رقم ٢٣١ و «تفسير الشوكاني» ٢٠٠ بتخريجي، والله الموفق.
الخلاصة: هو حديث باطل لا أصل له. والظاهر أنه من أساطير الإسرائيليين وافتراءاتهم، ومصدره كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ممن يروي الإسرائيليات.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٢٩٩: السحر: وهو عُقَدٌ ورُقىً وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له. وله حقيقة، فمنه ما يَقتل وما يُمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرّق بين المرء وزوجه وما يبغّض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين الاثنين وهذا قول الشافعي. وذهب بعض أصحابه إلى أنه لا حقيقة له، إنما هو تخييل، لأن الله تعالى قال: **﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾**. وقال أصحاب أبي حنيفة: إن كان شيئاً يصل إلى بدن المسحور كدخان ونحوه، جاز أن يحصل منه ذلك، فأما أن يحصل المرض والموت من غير أن يصل إلى بدنه شيء فلا يجوز ذلك.

إيجاب القتل، فأمّا المرأة الساحرة، فقال: تُحبس، ولا تُقتل[(١)].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: اليهود، والمَثوبة: الثواب. ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: يعلمون بعلمهم. قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ قرأ الجمهور بلا تنوين، وقرأ الحسنُ، والأعمشُ، وابن مُحَيْصِنٍ[(٢)] بالتنوين، و«راعنا» بلا تنوينٍ من رَاعَيت، وبالتنوين من الرُّعُونَة، قال ابن قُتيبة: راعِناً بالتنوين: هو اسم مأخوذٌ من الرعن والرُّعونَة، أراد: لا تقولوا جَهلاً ولا حُمقاً. وقال غيره: كان الرجل إذا أراد استنصَات صاحبه، قال: راعني سمعَك، فكان المنافقون يقولون: راعِنا، يريدون: أنت أرْعَن. وقوله: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ بمعنى: انتظرنا، وقال مُجاهدٌ: انظُرنا: اسمع منّا،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٤٧: واختلف الفقهاء في حكم الساحر المسلم والذميّ فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً، يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته لأنه أمرٌ يستسر به كالزنديق والزاني، ولأن الله تعالىٰ سمّى السحر كفراً بقوله ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر﴾. وهو قول أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق، والشافعي وأبي حنيفة.
وقال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٣٠٠: قال أصحابنا: ويكفر الساحر بتعلّمه وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته. ورُوي عن أحمد ما يدل على أنه لا يكفر فإن حنبلاً رُوي عنه، قال: قال عمّي في العرّاف والكاهن والساحر: أرى أن يستتاب من هذه الأفاعيل كلّها فإنه عندي في معنى المرتد، فإن تاب وراجع ـ يعني ـ خُلّي سبيله. قلت له: يُقتَل؟ قال: لا، يحبس، لعلّه يرجع. قلت له: لم لا تقتله؟ قال: إذا كان يُصلّي، لعلّه يتوب ويرجع. وهذا يدلّ على أنه لم يكفّره، لأنه لو كفّره لقتله. وقوله: في معنى المرتد. يعني في الاستتابة. وقال أصحاب أبي حنيفة: إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء، كفر، وإن اعتقد أنّه تخييل لم يكفر. وقال الشافعي: إن اعتقد ما يوجب الكفر، مثل التقرب إلى الكواكب السّبعة، وأنها تفعل ما يلتمس، أو اعتقد حلّ السحر، كفر، لأن القرآن نطق بتحريمه، وثبت بالنقل المتواتر والإجماع عليه، وإلاّ فُسّق ولم يُكفَّر؛ لأن عائشة باعت مدبَّرة لها سحرتها بمحضر من الصحابة.
ـ وحدّ الساحر القتلُ، روي ذلك عن عمر، وعثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز. وهو قول أبي حنيفة، ومالك. ولم ير الشافعيُّ عليه القتل بمجرد السحر وهو قول ابن المنذر. ورواية عن أحمد ذكرناها فيما تقدّم. ووجه ذلك أن عائشة رضي الله عنها باعت مُدبّرة سحرتها، ولو وجب قتلها لما حلّ بيعها، ولأن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرىءٍ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث، كفرٌ بعد إيمان، أو زنىً بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حقّ». ولم يصدر منه أحد الثلاثة، فوجب أن لا يحلّ دمه، ولنا ما روى جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «حد الساحر، ضربةٌ بالسّيف». قال ابن المنذر: رواه إسماعيل بن مسلم، وهو ضعيف وأخرجه سعيد في «السنن» ٢/ ٩٠، ٩١ عن بجالة قال: كنت كاتباً لجَزْءِ بن معاوية، عمّ الأحنف بن قيس، إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنةٍ: اقتلوا كلّ ساحرٍ، فقتلنا ثلاث سواحرٍ في يوم وهذا اشتهر فلم يُنكر، فكان إجماعاً وقتلت حفصة جارية لها سحرتها وقتل جندب بن كعب ساحراً كان يسحر بين يدي الوليد بن عقبة. ولأنه كافر فيُقتل، للخبر الذي رووه. وهل يستتاب الساحر؟ فيه روايتان؛ أحدهما، لا يستتاب، وهو ظاهر ما نقل عن الصحابة، فإنه لم ينقل عن أحدٍ منهم أنه استتاب ساحراً.

(٢) هو الإمام المقرىء محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، المتوفى سنة ١٢٣.

وقال ابن زيد: لا تعجل علينا. قوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي: ما تؤمرون به.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. قال ابن عباسٍ: هم يهود المدينة، ونصارى نَجْران، فالمشركون مشركو أهل مكّة. ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾، أي: على رسولكم. ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أراد: النبوّة والإسلام. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: أراد بالخير: العلم والفقه والحكمة. ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾. في هذه الرحمة قولان: **أحدهما**: أنها النبوّة، قاله عليّ بن أبي طالبٍ، ومحمّد بن عليّ بن الحُسين، ومُجاهدٌ والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنها الإسلام، قاله ابن عباسٍ ومُقاتلٌ.

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾. سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نُسخت القِبْلَة: إن محمّداً يُحلُّ لأصحابه إذا شاء، ويُحرِّم عليهم إذا شاء؛ فنزلت هذه الآية. قال الزَّجّاجُ: النَّسخُ في اللغة: إبطال شيءٍ وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نَسَخَت الشمسُ الظلَّ: إذا أذهبته وحلَّت محلَّه. وفي المراد بهذا النَّسخ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: رفع اللفظ والحُكم. **والثاني**: تبديل الآية بغيرها. رُويا عن ابن عباسٍ، والأول قول السُّدِّيِّ، والثاني قول مُقاتلٍ. **والثالث**: رفع الحُكم مع بقاء اللفظ، رواه مُجاهدٌ عن أصحاب ابن مسعودٍ، وبه قال أبو العَالِية. وقرأ ابن عامرٍ: «ما نُنْسِخ» بضم النون، وكسر السين. قال أبو عليٍّ: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحْمَدتُ فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنَسْخه إياه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرو: «نَنسأها» بفتح النون مع الهمزة، والمعنى: نؤخِّرها. قال أبو زيد: نسَأت الإبل عن الحوض، فأنا أَنْسأها: إذا أخَّرتها، ومنه: النَّسِيئَة في البيع. وفي معنى نؤخِّرها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: نؤخِّرها عن النَّسخ فلا ننسخها، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: نؤخِّر إنزالها، فلا نُنزلها البتَّة. **والثالث**: نؤخِّرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو عليٍّ الفارسيّ. وقرأ سعدُ بن أبي وقاصٍ «تَنسها» بتاءٍ مفتوحةٍ ونونٍ. وقرأ سعيد بن المُسَيِّب والضَّحَّاكُ «تُنسها» بضم التاء. وقرأ نافعٌ: «أو نُنْسِها» بنونين: الأولى مضمومةٌ، والثانية ساكنةٌ. أراد: أو نُنسِكَها، من النسيان.

قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾، قال ابن عباسٍ: بألين منها، وأيسرَ على الناس.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾، أي: في الثواب والمنفعة، فتكون الحِكمة في تبديلها بمثلها الاختبارَ. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التَّوقيف والتقرير. والمُلك في اللغة: تمام القُدرة واستحكامها، فالله عزَّ وجلَّ يحكم بما يشاء على عباده ويغيِّر ما يشاء من أحكام.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾. في سبب نزولها خمسة أقوالٍ:

[٢٩] أحدها: أن رَافعَ بن حريملة، ووَهْبَ بن زيدٍ، قالا لرسول الله ﷺ: ائتِنا بكتابٍ نَقرؤه تُنزله مِنَ السماء علينا، وفَجِّر لنا أنهاراً حتى نَتبعَكَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ.

[٣٠] والثاني: أن قُريشاً سألت النبيّ ﷺ أن يجعل لهم الصَّفا ذهباً، فقال: «هُوَ لَكُم كالمَائِدة لِبَني إسرائيلَ» فأبوا. قاله مُجاهدٌ.

[٣١] والثالث: أن رجلاً قال: يا رسولَ الله، لو كانت كفَّاراتُنا ككفَّارات بني إسرائيلَ، فقال النبيُّ ﷺ: «اللّهمّ لا نَبْغِيهَا، ما أعطاكُمُ اللّهُ خيرٌ ممَّا أعطَى بني إسرائيلَ، كانوا إذا أصابَ أحدُهم الخطيئةَ؛ وجدَها مكتوبةً على بابهِ وكفَّارتَها، فإن كفَّرها كانت له خِزياً في الدُّنيا، وإن لم يُكَفِّرْها كانت له خِزياً في الآخرة، فقد أعطاكُمُ اللّهُ خيراً ممَّا أعطى بني إسرائيلَ، فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[1] الآية. وقال: «الصَّلوات الخمسُ، والجُمعةُ إلى الجُمعةِ كفَّاراتٌ لِمَا بينَهُنَّ» فنزلت هذه الآية، قاله أبو العَالية.

[٣٢] والرابع: أن عبد الله بن أبي أُميَّةَ المَخْزوميّ أتى النبيَّ ﷺ في رَهْطٍ من قريش، فقال: يا محمَّد، واللّهِ لا أؤمِنُ بكَ حتى تأتيَ بالله والملائكةِ قَبِيلاً، فنزلت هذه الآية. ذكره ابن السَّائِبِ.

[٣٣] والخامس: أن جماعةً من المشركين جاؤوا إلى النبيّ ﷺ، فقال بعضهم: لن نُؤمِنَ لكَ حتى تفجُرَ لنا مِنَ الأرض ينبُوعاً. وقال آخر: لن أؤمنَ حتى تُسيِّر لنا جبالَ مكَّةَ، وقال عبد الله بن أبي أُميَّةَ: لن أؤمِنَ لكَ حتى تأتيَ بكتابٍ من السماء، فيه: مِنَ الله ربِّ العالمينَ إلى ابن أُميَّةَ: اعلَمْ أني قد أرسلتُ محمَّداً إلى النَّاس. وقال آخر: هلاَّ جئتَ بكتابكَ مُجتمعاً، كما جاء موسى بالتَّوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمَّد بن إسحاقَ الأنباريّ.

وفي المخاطَبين بهذه الآية ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قريشٌ، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ. **والثاني**:

---

[٢٩] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٨٠ عن ابن عباس. وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.

[٣٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٧٨٣ و١٧٨٤ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث. ثم إن السورة مدنية، وسياق الخبر يدل على أنه مكي؟!.

[٣١] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٨٦ عن أبي العالية مرسلاً. والمرسل من قسم الضعيف. لكن قوله: «والصلوات. . . . بينهن» ورد في أحاديث أخر. وانظر «تفسير الشوكاني» ١/ ١٥٠ بتخريجنا.

[٣٢] لا أصل له، ذكره الواحدي نقلاً عن المفسرين بلا سند في «أسباب النزول» ٥٠.
ـ وعزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وقد كذبه غير واحد، ورواياته ساقطة ليست بشيء.
ـ ثم إن السورة مدنية، وسياق الخبر أنه مكي؟!.

[٣٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٠ بلا سند نقلاً عن المفسرين. فهو كسابقه.

---

(١) النساء: ١١٠.

اليهود، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: جميع العرب، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ.

وفي ﴿أَمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى: بَلْ، تقول العرب: هل لك عليّ حقٌّ، أمْ أنت معروفٌ بالظُّلم. يريدون: بل أنت. وأنشدوا:

بَدَتْ مثلَ قَرْنِ الشَّمس في رَوْنَقِ الضُّحَى ... وصُورَتِـهَـا أَمْ أنـتِ فـي الـعَـيـن أمْـلَـح

ذكره الفَرّاءُ والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنها بمعنى الاستفهام. فإن اعترض معترضٌ، فقال: إنما تكون للاستفهام إذا كانت مردودةً على استفهام قبلها، فأين الاستفهام الذي تقدَّمها؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه قد تقدَّمها استفهامٌ، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ذكره الفَرّاءُ، وكذلك قال ابن الأنباريّ: هي مردودةٌ على الألف في: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾، فإن اعترض على هذا الجواب، فقيل: كيف يصح العطف ولفظ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يُنبئ عن الواحد، و﴿تُرِيدُونَ﴾ عن جماعةٍ؟ فالجواب: أنه إنما رجع الجواب من التوحيد إلى الجمع، لأن ما خُوطب به النبيُّ ﷺ فقد خُوطبت به أمّتُه، فاكتفى به من أمّته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1]. ذكر هذا الجواب ابن الأنباريّ.

فأما **الجواب الثاني** عن ﴿أَمْ﴾؛ فهو أنها للاستفهام، وليست مردودةً على شيءٍ. قال الفَرّاءُ: إذا توسَّط الاستفهام الكلام؛ ابتُدئ بالألف وبأمْ، وإذا لم يسبقه كلامٌ؛ لم يكن إلا بالألف أو بـ« هل».

وقال ابن الأنباريّ: «أم» جارية مجرى «هل»، غير أن الفرق بينهما: أن «هل» استفهامٌ مبتدأ، لا يتوسَّط ولا يتأخر، و«أم»: استفهامٌ متوسِّطٌ، لا يكون إلا بعد كلام.

فأما الرسول ها هنا: فهو: محمَّدٌ ﷺ، والذي سُئِلَ موسى من قَبْلُ قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[2]، وهل سألوا ذلك نبياً أم لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم سألوا ذلك، فقالوا: **﴿لن نؤمن لك حتى... تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾**[3]، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم بالغوا في المسائل، فقيل لهم بهذه الآية: لعلّكم تُريدون أن تسألوا محمَّداً أن يُريكم الله جهرةً، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ.

والكُفر: الجُحود. والإيمان: التَّصديق. وقال أبو العَالية: المعنى: ومن يتبدَّل الشدة بالرَّخاء. وسواءُ السبيل: وَسَطُه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٣٤] **أحدها**: أن حُييَّ بن أَخْطَبَ، وأبا يَاسِرٍ كانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبّاسٍ.

---

[٣٤] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٩١ عن ابن عباس، وفيه محمد بن أبي محمد، شيخ ابن إسحاق، وهو مجهول.

---

(١) الطلاق: ١.　(٢) النساء: ١٥٣.　(٣) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٢.

[٣٥] والثاني: أن كَعْبَ بن الأَشْرف كان يهجو النبيَّ ﷺ، ويُحَرِّض عليه كفار قريش في شِعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسولَ الله ﷺ حين قَدِمَها، فأمرَ النبيُّ ﷺ بالصَّفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كَعبِ بن مالكٍ.

[٣٦] والثالث: أن نَفراً من اليهود دعوا حُذيفةَ وعَمَّاراً إلى دينهم، فَأَبَيَا، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ.

ومعنى ﴿وَدَّ﴾: أحبَّ وتمنَّى. و﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود. قال الزَّجَّاج: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ موصولٌ: بـ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾، لا بقوله: ﴿حَسَدًا﴾، لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه. والمعنى: مودَّتهم لكفركم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق. فأما الحسد: فهو تمَنِّي زوال النِّعمة عن المحسود، وإن لم يَصِر للحاسد مثلها، وتُفارقه الغِبْطَة، فإنها تمنِّي مثلها من غير حُبِّ زوالها عن المَغبوط. وحَدَّ بعضُهم الحسد، فقال: هو أذًى يُلْحَق بسبب العلم بحُسن حال الأَخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضِلُ حسوداً، لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. وقال بعض الحكماء: كل أحدٍ يمكن أن ترضيَه إلا الحاسد، فإنه لا يُرضيه إلا زوال نعمتك. وقال الأصمَعيُّ: سمعتُ أعرابياً يقول: ما رأيتُ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حُزنٌ لازِم، ونَفَسٌ دائم، وَعقلٌ هَائم، وحسرةٌ لا تنقضي. قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، قال ابن عباسٍ: فجاء الله بأمره في النَّضِير بالجَلاء والنَّفي، وفي قُريظة بالقَتل والسَّبي.

فصل: وقد رُوي عن ابن عباسٍ وابن مسعودٍ، وأبي العَالِيَة، وقَتادة رضي الله عنهم: أن العفو والصَّفح منسوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾(١)، وأبى هذا القولَ جماعةٌ من المفسّرين والفقهاء، واحتجُّوا بأن الله لم يأمر بالصَّفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غايةٍ، وما بعدَ الغاية يُخالف حُكمَ ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المَنْسُوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدَّتُه بغَايته، والآخر يَحتاج إلى حُكمٍ آخر.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿تَجِدُوهُ﴾، أي: تجدوا ثوابه.

---

[٣٥] مرسل. أخرجه أبو داود ٣٠٠٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٥٢ من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، ورجاله رجال الشيخين إلاّ أنه مرسل.

[٣٦] لا أصل له. ذكره الزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٧٩، وقال الحافظ في تخريجه: لم أجده مسنداً، وهو في تفسير الثعلبي كذلك بلا سند ولا راوٍ.

ـ قلت: عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيثما أطلق، وهو كذاب. وخبره هذا لا أصل له.

---

(١) التوبة: ٢٩.

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾. قال ابن عباسٍ:

[٣٧] اخْتَصَمَ يهودُ المدينة ونصارى نَجْرَان عند النبيِّ ﷺ، فقالت اليهودُ: ليست النَّصارى على شيءٍ، ولا يدخُل الجنَّة إلاَّ مَنْ كان يهودياً، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وقالت النَّصارى: ليست اليهود على شيءٍ، وكفروا بالتوراة وموسى، فقال الله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

واعلم أن الكلام في هذه الآية مجمل ومعناه: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً. وقالت النصارىٰ: لن يَدخُلَ الجنَّة إلاَّ مَنْ كان نَصْرانياً. والهُودُ، جمع: هائِدٍ. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، أي: ذَاكَ شيءٌ يَتَمَنَّوْنَهُ، وظَنٌّ يظُنُّونَهُ، هذا معنى قول ابن عباسٍ، ومُجاهِدٍ. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، أي: حُجَّتَكُم إن كنتم صادقين بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى. ثم بين الله تعالى أن ليس كما زعموا، فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾، وأسْلَمَ، بمعنى: أَخْلَصَ. وفي الوَجْهِ قولان: **أحدهما**: أنه الدِّينُ. **والثاني**: العَمَلُ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: في عَمَلِهِ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾، قال الزَّجَّاجُ: يُريد: فهو يَدْخُلُ الجَنَّةَ. قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، أي: كُلٌّ منهم يَتْلو كتابَهُ بتَصْديقِ ما كَفَرَ به، قاله السُّدِّيُّ، وقَتادةُ. ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم مُشركُو العرب قالوا لِمُحَمَّدٍ وأصحابه: لَسْتُم على شيءٍ، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثاني**: أنهم أُمَمٌ كانوا قبل اليهود والنَّصارى، كَقَوْمِ نُوحٍ وهُودَ وصَالحٍ، قاله عَطاءٌ. قوله تعالىٰ: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، قال الزَّجَّاجُ: يريد حُكْمَ الفَصْلِ بينهم، فَيُرِيهِم مَنْ يدخل الجَنَّةَ عَيَاناً، ومن يدخل النار عيانا، فأمَّا الحُكْمُ بينهم في العَقْدِ فقد بَيَّنَه لهم في الدُّنيا بما أقامَ على الصواب مِنَ الحُجَجِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، اختلفوا فيمن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها نزلت في الرُّوم، كانوا ظَاهَرُوا بختنَصَّر على خَرابِ بيت المَقْدِس مِنْ أجل أنَّ بني إسرائيلَ قتلوا يَحْيَى بنَ زَكَرِيَّا، فَخُرِّبَ وطُرِحَت الجِيَفُ فيه، قاله ابن عباسٍ في آخرين. **والثاني**: أنها في المشركين

---

[٣٧] ضعيف. أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٨١٣ وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.
وانظر «تفسير القرطبي» ٦٢٧ بتخريجنا.

الذين حَالُوا بينَ رسول الله ﷺ وبينَ مكَّةَ يوم الحُديبية، قاله ابن زيدٍ.

وفي المُراد بخَرَابها قولان: **أحدهما**: أنه نَقضُها. **والثاني**: مَنعُ ذِكرِ الله فيها.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنه إخبارٌ عن أَحْوَالِهم بعد ذلك. قال السُّدِّيُّ: لا يدخل رُوميٌّ بيتَ المَقدس إلاَّ وهو خَائفٌ أن يُضرب عُنُقُه، أو قد أُخِيفَ بأداء الجِزيَة. **والثاني**: أنه خَبَرٌ في معنى الأَمرِ، تقديره: عَلَيْكُم بالجدِّ في جِهادِهم كي لا يَدْخُلَها أَحَدٌ إلا وهو خائفٌ. ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ خِزيَهُم الجِزيَةُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه فَتحُ القُسطَنطِينة، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه طَرْدُهُم عن المسجد الحرام، فلا يدخلُه مشركٌ أبداً ظَاهِراً، قاله ابن زيدٍ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾. في نزولها أربعة أقوالٍ:

[٣٨] أحدها: أنَّ الصحابة كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ في ليلةٍ مُظلمةٍ، فلم يعرفوا القِبلَة، فجعلَ كلُّ واحدٍ منهم مسجداً بين يديه وصَلَّى، فلمَّا أَصْبَحُوا إذا هُمْ على غير القِبْلة، فذَكَرُوا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. رواه عَامرُ بن رَبيعَةَ.

[٣٩] والثاني: أنها نزلت في التَّطوُّع بالنَّافِلة. قاله ابن عُمَر.

[٤٠] والثالث: أنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾(١)، قالوا: إلى أين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مُجاهدٌ.

[٤١] والرابع: أنه لمَّا مات النَّجاشِيُّ، وأَمَرَهُم النبيُّ ﷺ بالصَّلاة عليه؛ قالوا: إنه كان لا يُصَلِّي إلى القِبْلَة؛ فنزلت هذه الآية، قاله قَتَادَةُ.

---

[٣٨] حسن بشواهده. أخرجه الترمذي ٣٤٥ ـ ٢٩٥٧ وابن ماجه ١٠٢٠ والدارقطني ١/ ٢٧٢ والبيهقي في السنن ٢/ ١١ والعقيلي في الضعفاء ١/ ٣١ وأبو نعيم ١/ ١٧٩ والطبري ١٨٤٣ و١٨٤٥ وفيه أشعث بن سعيد، وبه أعله الترمذي وتوبع عند الطيالسي وإنما علته عاصم بن عبيد الله، وهو واهٍ.
وورد من حديث جابر أخرجه الدارقطني ١/ ٧٢ والحاكم ١/ ٢٠٦ والبيهقي ٢/ ١٠ ـ ١٢ وإسناده ضعيف لضعف أبي سهل. وورد من طرق واهية تبلغ درجة الحسن أو تقرب من الحسن كما قال ابن كثير ١/ ١٦٣.

[٣٩] صحيح. أخرجه البخاري ١٠٩٦ ومسلم ٧٠٠ ومالك ١/ ١٥١ وأحمد ٢/ ٦٦ وأبو داود ١٢٢٤ والنسائي ١/ ٢٤٣ وابن الجارود ٢٧٠ وابن حبان ٢٥١٧ والبيهقي ٢/ ٤. عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي، وهو مقبل من مكة إلى المدينة، على راحلته حيث كان وجهه قال: وفيه نزلت **﴿فأينما تولّوا فثم وجه الله﴾**؛ واللفظ لمسلم. وانظر «تفسير القرطبي» ٢/ ٧٨.

[٤٠] ضعيف أخرجه الطبري ١٨٤٩ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف وهو بهذا اللفظ منكر.

[٤١] ضعيف. أخرجه الطبري ١٨٤٦ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف بهذا اللفظ. وكونه عليه السّلام صلّى على النجاشي دون نزول الآية. أخرجه البخاري ١٣١٧ و١٣٢٠ ومسلم ٩٥٢ من حديث جابر.

---

(١) غافر: ٦٠.

قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: فَثَمَّ اللّهُ، يريد: عِلْمُهُ مَعَكُم أينَ كُنتم. وهذا قول ابن عباسٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: فَثَمَّ قِبْلَةُ اللّهِ، قاله عِكرمةُ، ومُجاهدٌ. والوَاسِعُ: الذي وَسِعَ غِنَاهُ بمَفَاقِرَ عِبَادِهِ، ورِزْقُهُ جميعَ خَلْقه. والسَّعَةُ في كلام العرب: الغِنَى.

فصل: وهذه الآية مستعملةُ الحُكْم في المُجْتَهِدِ إذا صلَّى إلى غيرِ القِبْلَة، وفي صلاة المُتَطَوِّع على الرَّاحِلَة، والخَائِف. وقد ذهب قومٌ إلى نَسْخِهَا، فقالوا: إنها لمَّا نزلت؛ تَوَجَّه رسولُ الله إلى بيت المَقدس، ثم نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾(١)، وهذا مَرويٌّ عن ابن عباس. قال شيخنا عليُّ بنُ عُبيد الله: وليسَ في القرآن أمرٌ خاصٌّ بالصَّلاة إلى بيت المَقدس، وقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدلُّ على أنَّ الجِهات كُلَّها سواءٌ في جواز التَّوجُّه إليها، فإذا ثَبَتَ هذا، دَلَّ على أنه وَجَبَ التَّوَجُّه إلى بيت المَقدس بالسُّنَّة، ثم نُسِخَ بالقرآن.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في اليهود إذْ جَعَلُوا عُزَيْراً ابنَ الله، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: أنها نزلت في نَصارَى نَجْران حيثُ قالوا: عيسى ابنُ اللّهِ، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنها في النَّصارى ومُشركي العرب، لأنَّ النَّصارى قالت: عيسى ابنُ الله، والمشركين قالوا: الملائكة بَنَاتُ اللّهِ، ذَكَرَهُ إبراهيمُ بن السَّرِيّ. **والرابع**: أنها في اليهود والنَّصارى ومُشركي العرب، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ.

فأمّا القُنوتُ؛ فقال الزَّجَّاجُ: هو في اللغة بِمَعْنَيَيْن: **أحدهما**: القِيامُ. **والثاني**: الطَّاعة. والمشهور في اللغة والاستعمال أنَّ القُنوتَ: الدُّعَاء في القيام، فالقَانِتُ: القائم بأَمْرِ الله. ويجوز أنْ يقعَ في جميع الطَّاعات، لأنه إنْ لَم يَكُنْ قيامٌ على الرِّجْلَيْنِ، فهو قيامٌ بالنِّيَّة. وقال ابن قُتيبةَ: لا أرى أَصْلَ القُنوت إلاَّ الطَّاعة، لأنَّ جميع الخِلال مِنَ الصَّلاة، والقيام فيها والدُّعاءِ وغيرِ ذلك يكونُ عنها. وللمُفَسِّرين في المُراد بالقُنوت هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الطَّاعة، قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنه الإِقرارُ بالعِبادة، قاله عِكرمةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: القِيام، قاله الحَسَنُ، والرَّبيعُ. وفي معنى القيام قولان: **أحدهما**: أنه القيام له بالشَّهادة بالعُبودية. **والثاني**: أنه القيام بين يديه يومَ القيامة. فإنْ قيل: كيف عَمَّ بهذا القول وكثيرٌ من الخَلْقِ ليس له بِمُطِيعٍ؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أنْ يكون ظَاهِرُها ظاهرُ العُموم، ومعناها معنى الخُصوص. والمعنى: كُلُّ أهل الطَّاعة له قَانِتُون. **والثاني**: أن الكفَّار تَسْجُدُ ظِلالُهُم لله بالغُدواتِ والعَشِيَّات، فنَسَبَ القُنوتَ إليهم بذلك. **والثالث**: أن كلَّ مخلوقٍ قَانِتٌ له بأثَرِ صُنْعِهِ فيه، وجَرْيِ أَحْكَامِه عليه، فذلك دليلٌ على ذُلِّهِ لِرَبِّه. ذكرهنَّ ابنُ الأنبارِيّ.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾. البَدِيعُ: المُبْدِعُ، وكلُّ مَنْ أَنْشَأَ شيئاً لم يُسبق إليه قيل له:

---

(١) البقرة: ١٤٤.

أَبْدَعْتَ. قال الخطَّابيُّ: البَدِيعُ، فَعِيل بمعنى: مُفْعِل، ومعناه: أنه فَطَرَ الخَلْقَ مُخْتَرِعاً له لا على مِثَالٍ سَبَقَ. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾، قال ابن عباسٍ: معنى القَضَاءِ: الإِرَادة. وقال مُقاتلٌ: إذا قضى أَمْراً في عِلمه، فإنما يقول له: كُنْ فيكون. والجمهور على ضَمِّ نون ﴿فَيَكُونُ﴾، بالرَّفع على القَطْع. والمعنى: فهو يكون. وقرأ ابن عَامِرٍ بنصب النون. قال مَكيُّ بن أبي طَالِبٍ: النصب على الجَواب لـ«كن»، وفيه بُعْدٌ.

فصل: وقد استَدَلَّ أصحابُنا على قِدَم القرآن بقوله: ﴿كُن﴾ فقالوا: لو كانت «كُنْ» مخلوقةً؛ لافْتَقَرَتْ إلى إيجَادِها بمِثْلِهَا وتَسَلْسَلَ ذلكَ، والتَّسَلْسُلُ مُحَالٌ[١]. فإن قيل: هذا خِطَابٌ لِمَعْدُوم؛ فالجواب أنه خِطَابُ تَكْوينٍ يُظْهِرُ أثَرَ القُدرة، ويستحيلُ أنْ يكونَ المُخاطَب به موجوداً، لأنه بالخِطَاب كانَ، فامْتَنَعَ وُجُودُه قَبْلَهُ أو مَعَهُ. ويُحقق هذا أنَّ ما سيكون مُتَصَوَّرُ العِلْمِ فَضَاهَى بذلك الموجودَ، فَجَازَ خِطَابُه لذلك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾، فيهم ثلاثة أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: النَّصارى، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: مُشركو العرب، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه. و﴿لَوْلَآ﴾ بمعنى: هَلاَّ.

وفي ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: اليهود والنَّصارى، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثالث**: اليهود والنَّصارى وغيرُهم من الكفَّار، قاله قَتادةُ[٣]. ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾، أي: في الكُفر.

---

(١) لأنه يؤدي إلى حوادث لا أول لها.

(٢) قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره ١/ ٥٦٠: وأولى هذه الأقوال بالصّحة والصواب قول القائل: إن الله عنىٰ بقوله: **﴿وقال الذين لا يعلمون﴾** النصارى دون غيرهم لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افترائهم عليه، وادّعائهم له ولد. وقال ابن كثير رحمه الله ١/ ١٦١: وفي ذلك نظر وحكى القرطبي **﴿لولا يكلمنا الله﴾** أي يخاطبنا بنبوتك يا محمد (قلت) وهو ظاهر السياق والله أعلم.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ١٦١: وقال قتادة في تفسير هذه الآية: هذا قول كفار العرب **﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾** قال هم اليهود والنصارى ويؤيد القول وأن القائلين ذلك هم مشركو العرب قوله تعالى: **﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾**. وقوله تعالى: **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾** إلى قوله **﴿قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً﴾**. وقوله تعالى: **﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾** إلى غير ذلك من الآيات الدّالة على كفر مشركي العرب وعتوهم وعنادهم وسؤالهم ما لا حاجة لهم به إنما هو الكفر والمعاندة كما قال من قبلهم من الأمم الخالية من أهل الكتابين وغيرهم كما قال تعالى: **﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾**. وقوله تعالى: **﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلاّ قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به﴾**.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾. في سبب نزولها قولان:

[٤٢] أحدهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال يوماً: «ليتَ شِعْرِي ما فَعَلَ أَبَوَاي!»، فنزلت هذه الآية، قاله ابنُ عباسٍ.

[٤٣] والثاني: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَأْسَهُ باليهودِ لآمَنُوا» فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ.

وفي المراد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الإِسلام، قاله ابنُ كَيْسَانَ. **والثالث**: الصِّدق. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾، قرأه الأكثرون بضمِّ التاء، على الخَبَرِ، والمعنى: لستَ بِمَسؤولٍ عن أعمالهم. وقرأ نافعٌ ويعقوبُ بفتح التاء وسكون اللام، على السُّؤال عنهم. وجوَّز أبو الحَسَنِ الأَخْفَش أنْ يكون معنى هذه القراءة: لا تَسألْ عنهم فإنهم في أمرٍ عظيم، فيكون ذلك على وَجْهِ التَّعظيم لِمَا هُمْ فيه، فأمَّا الجحيم؛ فقال الفَرَّاء: النَّار على النَّار والجَمْرُ علَى الجَمْر. وقال أبو عُبيدة: الجَحِيمُ: النار المُسْتَحْكِمَة المُسَلَّطَة. وقال الزَّجَّاجُ: الجَحِيمُ: النَّارُ الشديدة الوَقُود، وقد جَحَمَ فلانٌ النارَ: إذا شَدَّد وقودَها، ويُقال لِعَينِ الأَسَدِ: جَحمَةٌ لِشِدَّةِ تَوَقُّدِهَا. ويُقال لوقود الحرب، وهو شدَّةُ القِتَال فيها: جَاحِم. وقال ابنُ فارسٍ: الجَاحِمُ: المكان الشَّديد الحَرِّ. قال الأَعْشَى:

يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا ... غَدَاةَ احْتِضَارِ البَأْسِ والمَوتُ جَاحِمُ

ولذلك سُمِّيت الجَحِيم. وقال ابنُ الأنباريِّ: قال أحمدُ بن عُبيدٍ: إنما سُمِّيت النَّارُ جَحِيماً، لأنها أكثرُ وقودها، مِنْ قول العرب: جَحَمْتُ النارَ أَجْحَمُها: إذا أكثرتُ لها الوقودَ. قال عِمْرانُ بنُ حَطَّانَ:

يَرَى طَاعَةَ اللَّهِ الهُدَى وخِلافَهُ ... الضَّلالةَ يُصْلِي أَهْلَها جَاحِمَ الجَمْرِ

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾. في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٤٤] أحدها: أنَّ يهودَ المدينة ونَصَارَى نَجْرَانَ كانوا يَرْجُون أنْ يُصلِّي النبيُّ ﷺ إلى قِبْلَتِهِم، فلمَّا

---

[٤٢] ضعيف. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١٢٦ والطبري ١٨٧٧ و١٨٧٨ كلاهما من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلاً. وذكره السيوطي في «الدر» ١/٢٠٩ وزاد نسبته إلى وكيع وسفيان وعبد بن حميد وابن المنذر وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي ضعيف جداً كما في «التقريب». وذكره العقيلي في «الضعفاء» وابن حبان في «المجروحين» وضعفه ابن كثير ١/١٦٢ والسيوطي في «الدر» وقال: هذا مرسل ضعيف الإسناد. وله شاهد آخر أخرجه الطبري ١٨٧٩ مرسلاً عن داود بن أبي عاصم. وذكره السيوطي في «الدر» وقال: والآخر معضل الإسناد ضعيف لا يقوم به ولا بالذي قبله حجة. وعزاه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٤ لابن عباس بدون إسناد فالمتن ضعيف.

[٤٣] ضعيف جداً، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٥ بلا سند عن مقاتل، فهو واهٍ، وتقدم الكلام على مقاتل.

[٤٤] واهٍ بمرة، أخرجه الثعلبي كما في «أسباب النزول» ٥٩ للسيوطي. عن ابن عباس، ولم أقف على إسناده، =

صُرِفَ إلى الكَعْبَةِ يَئِسُوا منه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم دَعَوهُ إلى دِينهم، فنزلت، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنهم كانوا يسألونه الهُدْنَةَ، ويُطْمِعُونَهُ في أنه إنْ هَادَنَهُمْ وافقوه؛ فنزلت، ذَكَرَ معناه الزَّجَّاجُ.

قال الزَّجَّاجُ: والمِلَّةُ في اللغة: السُّنَّةُ والطَّريقة[1]. قال ابن عباسٍ: و﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ هاهنا: الإسلامُ. وفي الذي جاءَهُ مِنَ العِلْم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التَّحوُّل إلى الكَعْبة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه البيانُ بأنَّ دينَ الله الإسلامُ. **والثالث**: أنه القرآن. **والرابع**: العِلْمُ بِضلالة القوم. ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يَنْفعُكَ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمْنَعُكَ من عُقوبته.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على قولين: **أحدهما**: أنها نزلت في الذين آمَنُوا مِنَ اليهود، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: في المؤمنين مِنْ أصحاب النبيِّ ﷺ، قاله عِكرمةُ، وقَتادةُ. وفي الكِتابِ قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه التَّوراة، قاله مُقاتلٌ. قوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، أي: يعملون به حَقَّ عَمَلِهِ، قاله مُجاهدٌ. قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في هاء ﴿بِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها تَعُودُ على الكتاب. **والثاني**: على النبيِّ محمَّدٍ ﷺ. وما بعد هذا قد سَبَقَ بيانُه إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾، والابتلاءُ: الاخْتِبَارُ. وفي إبراهيمَ ست لُغاتٍ: **أحدها**: إبراهيمُ، وهي اللغة الفَاشِيَةُ. **والثانية**: إبراهُم. **والثالثة**: إبراهَم. **والرابعة**: إبراهِمْ، ذكرهنَّ الفَرَّاءُ. **والخامسة**: إبراهَام. **والسادسة**: إبرهم. قال عبدُ المُطَّلبِ:

عُـذْتُ بِـمَـا عَـاذَ بِـهِ إِبْـرَهُـمُ ... مُسْتَقْبِلَ الكَعْبَةِ وهو قَائِمُ

وقال أيضاً:

نَحْنُ آلُ الـلَّـهِ فـي كَـعْـبَـتِـهِ ... لَـمْ يَـزَلْ ذاكَ عـلـى عَـهْـدِ ابـرَهَـم

= وتفرد الثعلبي به دليل وهنه، فإنه يروي عن المتروكين والكذابين من غير تعمد، وإنما هو كحاطب ليل كما وصفه بذلك الإمام ابن تيمية في كتابه «مقدمة في أصول التفسير».

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٩١: والملّة: اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله: فكانت الملّة والشريعة سواء. فأما الدين فقد فرّق بينه وبين المِلّة والشريعة، فإن المِلّة والشريعة ما دعا الله عباده إلى فعله، والدّين ما فعله العباد عن أمره. تمسّك بهذه الآية جماعة من العلماء منهم أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل على أن الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى ﴿ملتهم﴾ فوحّد الملّة وبقوله تعالى ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ وبقوله عليه السّلام: «لا يتوارث أهل ملتين» على أن المراد به الإسلام والكفر بدليل قوله عليه السّلام: «لا يرث المسلم الكافر». وذهب مالك وأحمد في الرواية الأخرى إلى أن الكفر مِللٌ فلا يرث اليهودي النصراني، ولا يرثان المجوسي، أخذاً بظاهر قوله عليه السّلام: «لا يتوارث أهل ملتين».

وفي الكلمات خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنها خمسٌ في الرَّأس، وخمسٌ في الجسد. أمَّا التي في الرَّأس، فالفَرْقُ، والمَضْمَضَةُ، والاسْتِنْشَاقُ، وقَصُّ الشَّارب، والسِّواك. وفي الجسد: تَقليمُ الأظافِرِ، وحَلْقُ العَانَةِ، ونَتْفُ الإبِط، والاسْتِطَابَةُ بالمَاءِ، والخِتَانُ، رواه طَاوسٌ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها عشرٌ ستٌّ في الإنسان، وأربعٌ في المَشَاعِرِ، فالتي في الإنسان: حَلْقُ العَانَة، ونَتْفُ الإبط، وتقليمُ الأظافِرِ، وقَصُّ الشَّارب، والسِّواك، والغسل من الجَنَابَة، والغُسل يومَ الجمعة. والتي في المشاعر: الطَّوافُ بالبيت، والسَّعيُ بين الصَّفَا والمَرْوَة، ورَمْيُ الجِمَار، والإِفَاضَةُ. رواه حَنَشُ بنُ عبدِ اللّهِ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنها المَنَاسِكُ، رواه قَتادةُ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه ابْتَلاهُ بالكَوْكَبِ، والشَّمس، والقَمَر، والهِجْرَة، والنَّار، وذَبْحِ وَلَدِهِ، والخِتَانِ، قاله الحَسَنُ. **والخامس**: أنها كلُّ مسألةٍ في القرآن، مِثْل قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾(١)، ونحو ذلك، قاله مُقاتلٌ. فمَنْ قالَ: هي أفعَالٌ فَعَلَهَا؛ قال: معنى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: عَمِلَ بهنَّ. ومَنْ قال: هي دَعَواتٌ ومسائلُ؛ قال: معنى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أجابَهُ اللّهُ إليهنَّ. وقد رُوي عن أبي حَنيفة أنه قرأ(٢) «إبراهيمُ» برفع الميم «ربَّه» بنصب الباء، على معنى: اخْتَبَرَ رَبَّهُ هل يَستجيبُ دُعاءَه، ويَتَّخِذُهُ خليلاً أَمْ لا؟

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، في الذُّرِّيَّة قولان: **أحدهما**: أنها فُعْلِيَّةٌ من الذَّرِّ، لأنَّ الله أخرج الخَلْقَ مِنْ صُلب آدم كالذَّرِّ. **والثاني**: أنَّ أصلَها ذرُّورة، على وزن: فَعْلُولَة، ولكنْ لَمَّا كَثُرَ التضعيف أُبْدِلَ مِنَ الرَّاء الأخيرة ياءً، فصَارَت: ذَرُويَّة، ثم أُدغمت الواو في الياء، فصارَتْ: ذُرِّيَّة، ذكرهما الزَّجَّاجُ، وصوَّب الأوَّلَ. وفي العَهْدِ هاهنا سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الإِمَامَةُ(٣)، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وسعيدُ بن جُبيرٍ. **والثاني**: أنه الطَّاعة، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عبَّاسٍ. **والثالث**: الرَّحمةُ، قاله عَطاءٌ وعِكرمةُ. **والرابع**: الدِّين، قاله أبو العَالِيَة. **والخامس**: النُّبوَّة، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والسادس**: الأَمَانُ، قاله أبو عُبيدةَ. **والسابع**: المِيثَاقُ، قاله ابنُ قُتيبةَ، والأَوَّلُ أصحُّ. وفي المُراد بالظَّالمين هاهنا قولان: **أحدهما**: أنهم الكفَّار، قاله ابن جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: العُصَاة، قاله عَطاءٌ.

---

(١) إبراهيم: ٣٥.

(٢) قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبه إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعة؛ أن الكتاب موضوع لا أصل له. قال ابن الجزري: وقد رأيت الكتاب المذكور، ومنه **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه، وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة لبريء منها. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ١/١٦.

(٣) فائدة: قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ١/٢١١: **﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾** وقرىء «الظالمون»، أي من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة. وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته. ولا تجب طاعته، ولا يقبل خبره، ولا يقدّم للصلاة. وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن عليّ رضوان الله عليهما، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة، كالدوانيقي وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل. فقال: ليتني مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدّ آجره لما فعلت. وعن ابن عيينة: لا يكون الظالم إماماً قط. وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة. فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، البيتُ هاهنا: الكَعْبَةُ، والألف واللام تدخل للمَعْهود، أو للجِنس، فلمَّا عَلِمَ المُخاطَبون أنه لم يُرِدْ الجنسَ؛ انصرفَ إلى المَعْهود، قال الزَّجَّاجُ: والمَثَابُ والمَثَابَةُ واحدٌ، كالمَقَام والمَقَامَة، قال ابنُ قُتيبةَ: والمَثَابَةُ: المَعَادُ، مِنْ قولك: ثُبْتُ إلى كذا، أي: عُدْتُ إليه، وثَابَ إليه جِسمُه إذا رَجَعَ بعد العِلَّة، فأراد: أنَّ الناس يعودون إليه مرَّةً بعد مرَّةٍ. قوله تعالى: ﴿وَأَمْنًا﴾، قال ابن عباسٍ: يُريد أنَّ مَنْ أحْدَثَ حَدَثاً في غيرِه، ثمَّ لَجَأَ إليه؛ فهو آمِنٌ، ولكن ينبغي لأهل مَكَّةَ أنْ لا يُبَايِعُوه، ولا يُطْعِمُوه، ولا يَسْقُوه، ولا يُؤْووهُ، ولا يُكَلِّمُ حتى يخرجَ، فإذا خرجَ أُقِيمَ عليه الحدُّ(١). قال القاضي أبو يَعْلَى: وصفَ البيتَ بالأَمْنِ، والمُراد جميع الحرم؛ كما قال: ﴿هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾، والمراد: الحرم كلّه لأنه لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحَرَام، وهذا على طريق الحُكْم، لا على وَجْهِ الخَبَرِ فقط.

وفي ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحَرَمُ كُلُّه، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: عَرَفَةُ والمُزْدَلِفَةُ والجِمَارُ، قاله عَطاءٌ. وعن مُجاهدٍ كالقولين. وقد رُوي عن ابن عباسٍ، وعَطاءٍ، ومُجاهدٍ، قالوا: الحَجُّ كُلُّهُ مقامُ إبراهيمَ. **والثالث**: الحَجَرُ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، وهو الأصحُّ.

[٤٥] قال عُمَرُ بن الخَطَّابِ: قلتُ: يا رسول الله! لو اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلًّى، فنزلت.

وفي سبب وقوف إبراهيمَ على الحَجَرِ قولان: **أحدهما**: أنه جاء يَطْلُبُ ابنَهُ إسمَاعيلَ، فلم يَجِدْهُ، فقالت له زَوْجَتُه: انْزِلْ، فأَبَى، فقالت: فدَعْنِي أَغْسِلْ رَأْسَكَ، فَأَتَتْهُ بحَجَرٍ فوضعَ رِجْلَهُ عليه، وهو رَاكِبٌ، فغَسَلَتْ شِقَّهُ، ثم رَفَعَتْهُ وقد غَابَتْ رِجْلُهُ فيه، فَوَضَعَتْهُ تحتَ الشِّقِّ الآخر وغَسَلَتْهُ، فغَابَتْ رِجْلُهُ فيه، فجعله الله مِنْ شِعَارِهِ، ذَكَرَهُ السُّدِّيُّ عن ابن مسعودٍ وابن عباسٍ. **والثاني**: أنه قامَ على الحَجَرِ لِبِنَاءِ البيتِ، وإسمَاعيلُ يُنَاوِلُه الحِجَارَةَ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

---

[٤٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٢ و٤٤٨٣ و٤٧٩٠ و٤٩١٦ ومسلم ٢٣٩٩ والترمذي ٢٩٥٩ و٢٩٦٠ والنسائي في «التفسير» ١٨ وابن ماجه ١٠٠٩ رووه عن أنس عن عمر قال: «وافقت ربي في ثلاثٍ: قلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلّى فنزلت **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾** وآية الحجاب، قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنّه يكلّمهن البرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: **﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾** فنزلت هذه الآية».

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ١١١: قوله تعالى **﴿وأمناً﴾** استدل به أبو حنيفة وجماعة من فقهاء الأمصار على ترك إقامة الحدّ في الحرم على المحصن والسارق إذا لجأ إليه، وعضدوا ذلك بقوله تعالى: **﴿ومن دخله كان آمناً﴾** كأنه قال: أمنوا من دخل البيت. والصحيح إقامة الحدود في الحرم، وأن ذلك من المنسوخ لأن الاتفاق حاصل أنه لا يُقتل في البيت ويقتل خارج البيت. وإنما الخلاف هل يقتل في الحَرَم أم لا؟. والحرم لا يقع عليه اسم البيت حقيقة. وقد أجمعوا أنه لو قَتَل في الحرم قُتِل به. وقال أبو حنيفة: لا يقتل فيه ولا يُتابع ولا يزال يضيق عليه حتى يموت أو يخرج.

قرأ الجُمهور، منهم: ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بكسر الخاء؛ على الأمرِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عَامرٍ بفتح الخاء على الخَبَرِ.

[٤٦] قال ابن زيدٍ: قال النبيُّ ﷺ: «أينَ تَرَوْنَ أَنْ أُصَلِّي بكُم»؟ فقال عُمَرُ: إلى المَقَام، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. قال: رَضِيَ اللَّهُ ذلك مِنْ أعمالِهم. وقال أبو عليٍّ: وَجْهُ فَتْحِ الخاء أنه معطوفٌ على ما أُضيف إليه، كأنَّه قال: وإذ اتَّخذوا. ويؤكد الفتح في الخاء أنَّ الذي بعدَه خَبَرٌ، وهو قوله: ﴿وَعَهِدْنَآ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾، أي: أَمَرْناهما وأَوْصَيْناهما. وإسماعيلُ: اسمٌ أعجميٌّ، وفيه لغتان: إسماعِيل، و: إسماعِين. وأنشدوا:

قَالَ جَوَارِي الحَيِّ لَمَّا جِينَا هَذَا وَرَبِّ البَيْتِ إسْمَاعِينَا

قوله تعالىٰ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾، قال قَتادةُ: يُريد مِن عِبادة الأَوْثان والشِّرك، وقولِ الزُّور. فإن قيل: لم يكن هناك بيتٌ، فما معنى أَمْرِهِمَا بتطهيره؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه كانت هناك أَصْنَامٌ، فأُمِرَ بإخراجِهَا، قاله عِكرمةُ. **والثاني**: أن معناه: ابْنِيَاهُ مُطَهّراً، قاله السُّدِّيُّ. والعَاكِفُون: المُقيمُون، يقال: عَكَفَ يَعْكِفُ ويَعْكُفُ عُكُوفاً: إذا أَقَامَ، ومنه: الاعْتِكَافُ.

[٤٧] وقد رَوى ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «إنَّ الله تعالىٰ ينزل في كلِّ ليلةٍ ويوم عشرينَ ومائةَ رحمةً تنزلُ على البيت: ستُّونَ للطَّائفين، وأربعون للمُصَلِّين، وعشرون للنَّاظِرين».

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، البَلَدُ: صَدْرُ القُرى، والبَالِدُ: المُقيم بالبلد، والبَلْدَةُ: الصَّدر، ووَضعتِ النَّاقةُ بَلْدَتَها: إذا بَرَكَتْ. والمراد بالبَلَدِ هاهنا: مَكَّة. ومعنى ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أَمْنٍ. وأَمْنُ البلدة مَجَازٌ، والمُراد: أَمْنُ مَنْ فيه. وفي المُراد بهذا الأَمْنِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه سَأَلَهُ

---

[٤٦] منكر بهذا اللفظ. عزاه المصنف لابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو حديث معضل، وهو متروك الحديث إذا وصله فكيف إذا أرسله؟!. وهو بهذا اللفظ منكر، فإن النبي ﷺ ما كان يسأل أصحابه أين يتوجه، بل الصحيح أن عمر كان يطلب منه التحول، ولم يوافقه حتى نزل القرآن.

[٤٧] ضعيف، أخرجه الطبراني في «الكبير» ١١٤٧٥ من طريق يوسف بن السفر عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده ساقط، يوسف بن السفر، متروك متهم بالكذب. وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/ ٢٩٢: يوسف متروك. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٣١٠ من طريق عبد الرحمن بن السفر قال حدثنا الأوزاعي به. وعبد الرحمن هذا لم أجد له ترجمة، وأخشىٰ أن يكون قلب اسمه وأن الصواب يوسف بن السفر، وبكل حال، هو في حكم المجهول. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١١٢٤٨ من وجه آخر عن خالد بن يزيد العمري عن محمد بن عبد الله الليثي عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس به. وإسناده ساقط، خالد كذاب، وشيخه متروك. وأخرجه ابن عدي ٦/ ٢٧٨ والخطيب ٦/ ٢٧. من وجه آخر عن محمد بن صفوان عن ابن جريج عن عطاء به. وإسناده واهٍ، ابن جريج مدلس، وقد عنعن، وابن صفوان مجهول، وعنه محمد بن معاوية، وهو متروك.

الأمْنَ مِنَ القتل. **والثاني**: مِنَ الخَسْفِ والقَذْفِ. **والثالث**: مِنَ القَحْطِ والجَدْبِ. قال مُجاهدٌ: قال إبراهيمُ: لِمَنْ آمَنَ، فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ومَنْ كفَرَ فَسأرزُقُهُ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾، وقرأ ابن عامرٍ: «فأُمْتِعُهُ» بالتخفيف، من أمْتَعْتُ. وقرأ الباقون بالتَّشديد مِنْ: متَّعتُ. والإمْتاعُ: إعطاءُ ما تَحصلُ به المُتعة. والمُتعة: أخْذُ الحَظِّ من لَذَّةِ ما يُشتهى. وبماذا يُمتِّعه؟ فيه قولان: **أحدهما**: بالأمْنِ. **والثاني**: بالرِّزقِ. والاضْطِرارُ: الإلْجاءُ إلى الشَّيء، والمَصيرُ: ما ينتهي إليه الأمْرُ.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾. القَواعِدُ: أساسُ البيت، واحدُها: قاعِدَةٌ. فأمَّا قواعد النِّساء؛ فواحِدَتُها: قاعِد، وهي العَجُوز. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، أي: يقولان: رَبَّنا، فحذَفَ ذلك؛ كقوله: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾[1]، أرادَ: يقولون. و﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ بمعنى: السَّامِع، لكنه: أبْلَغُ، لأن بِناء فَعِيل للمُبالغة. قال الخَطَّابيُّ: ويكون السَّماع بمعنى القَبُول والإجابَة. كقول النبيِّ ﷺ:

[٤٨] «أعوذُ بِكَ مِنْ دُعاءٍ لا يُسْمَع»، أي: لا يُستَجابُ. وقول المُصلِّي: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، أي: قَبِلَ اللَّهُ حَمْدَ مَنْ حَمِدَهُ. وأنشدوا:

دَعَـوْتُ الـلَّـهَ حـتَّـى خِـفْـتُ أَنْ لاَ ... يَـكُـونَ الـلَّـهُ يَـسْـمَـعُ مـا أَقُـولُ

إشارةُ إلى بنَاءِ البيت

[٤٩] روى أنسٌ عن النبيِّ ﷺ، قال: «كانت الملائكةُ تَحُجُ إلى البيت قبلَ آدمَ».

---

[٤٨] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٢٢ عن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلاَّ كما كان رسول الله ﷺ يقول كان يقول: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها. أنت وليها ومولاها. اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها». وله شاهد أخرجه أبو داود ١٥٤٩ وابن أبي شيبة ١٠/١٨٧، ١٨٨ وأحمد ٣/ ٢٥٥ ـ ٣/ ١٩٢ والطيالسي ١/٢٥٨ وابن حبان ١٠٥١ وأبو يعلى ٢٨٤٥ عن أنس. وورد من وجه آخر عند أحمد ٣/ ٢٨٣ والنسائي ٨/ ٢٨٣ و٢٨٤ عن أنس. وله شاهد أخرجه ابن ماجه ٢٥٠ وصححه الحاكم ١/ ١٠٤ ووافقه الذهبي وأبو يعلى ٦٥٣٧ عن أبي هريرة.

[٤٩] باطل. أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٣٩٨٦ عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «كان موضع البيت في زمن آدم عليه السَّلام شبراً أو أكثر عَلَماً فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم ثم حجّ آدم فاستقبلته الملائكة =

---

(١) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤.

وقال ابنُ عباسٍ: لمَّا أُهبِطَ آدمُ؛ قال الله تعالىٰ لهُ: يا آدمُ! اذْهَبْ فَابْنِ لي بيتاً فطُفْ به، واذكُرني حَوْلَهُ كما رأيتَ ملائكتي تَصنعُ حولَ عَرْشي. فأقبلَ يسعى حتى انتهى إلى البيت الحَرَام، وبناهُ من خَمْسَةِ أَجْبُلٍ: من لُبنانَ، وطُورِ سِيناءَ، وطُورِ زيتا، والجُودِي، وحِرَاء، فكان آدمُ أوَّلَ مَنْ أَسَّسَ البيتَ، وطَافَ به، ولم يَزَلْ كذلك حتى بَعَثَ اللَّهُ الطُّوفانَ، فدَرَسَ مَوضعُ البيت، فبَعَثَ اللَّهُ إبراهيمَ وإسمَاعيلَ. وقال عليُّ بن أبي طَالبٍ، عليه السَّلام: لمَّا أَمَرَ اللَّهُ تعالىٰ إبراهيمَ ببناء البيت؛ ضَاقَ به ذَرْعاً، ولم يَدْرِ كيف يَصنعُ، فأنزل اللَّهُ عليه كَهَيْئَةِ السَّحَابَة، فيها رأسٌ يَتكلَّمُ، فقال: يا إبراهيمُ! عَلِّم على ظِلِّي، فلمَّا عَلَّم ارتفعت. وفي روايةٍ عنه أنه كان يَبْنِي عليها كلَّ يوم، قال: وحَفَرَ إبراهيمُ من تحت السكينة، فأبْدَى عن قَوَاعِد، ما تُحرِّكُ القاعدة منها دونَ ثلاثين رَجُلاً. فلمَّا بلغَ موضعَ الحَجَرِ، قال لإسمَاعيل: التمس لي حجراً فذهب يطلب حجراً، فجاء جبريل بالحجر الأسود، فوضعه، قال: مَنْ جاءكَ بهذا الحَجَرِ؟ قال: جاء به مَنْ لم يَتَّكِلْ على بِنَائي وبِنَائِكَ. وقال ابنُ عباسٍ، وابن المُسَيِّب، وأبو العَالِيَة: رَفَعَا القَوَاعِدَ التي كانت قَوَاعِدَ قبلَ ذلك. وقال السُّدِّيُّ: لمَّا أَمَرَهُ بِبِناء البَيت؛ لَمْ يَدْرِ أينَ يبني، فبعثَ الله رِيحاً، فَكَنَسَتْ حولَ الكَعْبَة عن الأَسَاسِ الأوَّل الذي كان البيتُ عليه قبل الطُّوفَانِ.

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، قال الزَّجَّاجُ: المُسلم في اللغة: الذي قد اسْتَسْلَمَ لأَمرِ الله، وخَضَعَ. والمَنَاسِكُ: المُتَعَبَّدَات. فكلُّ مُتَعَبَّدٍ مَنْسَكٌ ومَنسِكٌ. ومنه قيل للعَابِد: نَاسِك. وتُسمَّى الذَّبيحة المُتَقرَّبُ بها إلى الله تعالىٰ: النَّسِيكَةُ. وكأنَّ الأصل في النُّسُكِ إنَّما هو مِنَ الذَّبيحة للَّهِ تعالىٰ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، أي: مَذَابِحَنا، قاله مجاهدٌ. وقال غيرُه: هي جميعُ أفعالِ الحَجِّ. وقرأ ابن كَثيرٍ: «وأرْنا» بجزم الراء. و«رب أرني» و«أرنا اللذين أضلانا». وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ ﴿وَأَرِنَا﴾ بكسر الراء في جميع ذلك. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصم وابن عامرٍ كذلك، إلاَّ أنَّهما أسْكَنا الراء مِنْ «أرْنا اللذين» وحدَها. قال الفَرَّاء: أهلُ الحجاز يقولون: «أرْنا اذين أضلانا» وكثيرٌ من العرب يجزم الراء، فيقول: «أرْنا مناسكنا»، وقرأ بها بعضُ الثِّقات. وأنشد بعضهم:

قَـالَـتْ سُـلَـيْـمَـى اشْـتَـرْ لَـنَـا دَقِـيـقـاً ... واشْـتَـرْ فَـعَـجِّـلْ خَـادِمـاً لِـبِـيـقَـا

وأنشدني الكِسَائيُّ:

ومَـــنْ يَـــتَّـــقْ فـــإنَّ الـــلَّـــهَ مَـــعَـــه ... ورزقُ الـــلَّـــهِ مُـــؤتَـــابٌ وغَـــادِي(١)

قال قَتادةُ: أَرَاهُمَا اللَّهُ مَنَاسِكَهُما: المَوْقِفَ بعَرَفَاتٍ، والإفاضَةَ من جَمْعٍ، ورَمْيَ الجِمَار، والطَّوافَ، والسَّعْيَ. وقال أبو مِجْلِز: لمَّا فرَغَ إبراهيمُ مِنَ البيت أتاه جبريلُ، فأرَاه الطَّوافَ، ثم أتى به جَمْرَةَ العَقَبَة، فَعرض له الشيطانُ، فأخذ جِبريلُ سبعَ حَصياتٍ، وأعطى إبراهيم سَبْعاً، وقال له: ارْمِ

= قالوا: يا آدم من أين جئت؟ قال: حججت البيت، فقالوا: قد حجته الملائكة قبلك» وإسناده ساقط وعلته سعيد بن ميسرة، وهو متروك متهم، وكذبه القطان، وقال الحاكم: روى عن أنس موضوعات وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، انظر «الميزان» ٢/ ١٦٠.

---

(١) في «اللسان» المآب: المَرْجِع، وأتاب مثل آب، فَعَل وافتعل بمعنى.

وكَبِّر، فرَمَيَا وكَبَّرَا مع كل رَمْيَةٍ حتى غابَ الشيطانُ. ثم أتى به الجَمْرَةَ الوسطى، فعرَضَ لهما الشيطانُ، فأخذ جِبريلُ سبعَ حَصيَاتٍ، وأعطى إبراهيمَ سبعَ حَصيَاتٍ، فقال له: ارم وكَبِّر، فرَمَيَا وكَبَّرَا مع كلِّ رميَةٍ حتى غابَ الشَّيطان. ثمَّ أتى به الجَمْرَةَ القُصْوى، فعرضَ لَهُمَا الشَّيطانُ، فأخذ جِبريلُ سبعَ حَصياتٍ، وأعطى إبراهيمَ سبعَ حَصَياتٍ. فقال له: ارم وكَبِّرْ، فَرَمَيا وكَبَّرَا مع كل رَميةٍ حتى غابَ الشيطانُ، ثم أتى به مِنَى، فقال: هاهنا يَحْلِقُ الناسُ رُؤوسَهُم، ثمَّ أتى به جَمْعاً، فقال: هاهنا يجمع الناس، ثمَّ أتى به عَرَفَة، فقال: أعَرَفْتَ؟ قال: نعم. قال: فَمِنْ ثُمَّ سُمِّيت عَرَفات.

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، في الهاء والميم من ﴿فِيهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها تعود على الذُّرِّيَّة، قاله مُقاتلٌ والفرَّاءُ.

والثاني: على أهل مكَّةَ في قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ﴾، والمراد بالرَّسول: محمَّدٌ ﷺ.

[٥٠] وقد روى أبو أُمَامَة عن النبيِّ ﷺ، أنّه قيل: يا رسولَ الله! ما كانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ قال: «دَعْوَةُ أبي إبراهيمَ، وبُشْرى عيسى، ورأتْ أُمّي أنه خرج منها نُورٌ أضاءَتْ له قُصورُ الشَّام».

والكتابُ: القرآنُ. والحِكْمَةُ: السُّنَّةُ، قاله ابن عبَّاسٍ. ورُوي عنه: الحِكْمَةُ: الفِقْهُ والحَلالُ والحرامُ، ومَواعِظُ القرآن. وسُمِّيت الحِكْمَةُ حِكْمَةً، لأنها تَمْنَعُ من الجهل.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: يأخذ الزَّكَاة منهم فيُطَهِّرهم بها، قاله ابن عباس والفَرَّاءُ. **والثاني**: يُطهِّرهم من الشِّرك والكُفر، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: يدعوهم إلى ما يَصيرون به أَزْكِياءَ. قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾، قال الخَطَّابيُّ: العِزُّ في كلام العرب على ثلاث أوجُهٍ: **أحدها**: بمعنى الغَلَبَة، يقولون: مَنْ عَزَّ بزَّ، أي: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، يُقال منه: عَزَّ يعُزُّ، بضم العين من يَعُزُّ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾(١). **والثاني**: بمعنى الشِّدة والقوة، يُقال منه: عَزَّ يَعَزُّ، بفتح العين من يَعَزُّ. **والثالث**: أنْ يكون بمعنى نَفاسَة القَدْر، يُقال منه: عَزَّ يَعِزُّ، بكسر العين مِنْ يَعِزُّ، ويتأول معنى العَزيز على أنّه الذي لا يُعادله شيءٌ، ولا مِثْلَ له.

---

[٥٠] حسن صحيح. أخرجه الطيالسي ١١٤٠ وأحمد ٥/ ٢٦٢، وابن سعد ١/ ١٠٢ والطبراني ٧٧٢٩ والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٤ وإسناده ضعيف لضعف فرج بن فضالة، والسياق لأحمد، وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٢٢: إسناد أحمد حسن. وله شاهد أخرجه أحمد ٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨ والبخاري في «التاريخ الكبير» ٦/ ٦٨ وابن حبان ٦٤٠٤ وابن أبي عاصم في «السنة» ٤٠٩ والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٠ و٢/ ٣٠ عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ مرفوعاً، وإسناده حسن في الشواهد لأجل سعيد بن سويد. وصححه الحاكم ٢/ ٦٠٠ ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبّان. وورد عن خالد بن معدان عن نفر من الصحابة مرفوعاً أخرجه الحاكم ٢/ ٦٠٠ والطبري ٢٠٧٥ والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٨٣ وإسناده قوي كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية» ٢/ ٢٧٥ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن في أقل تقدير بل هو صحيح والله أعلم، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٧١٠ بتخريجنا.

---

(١) ص: ٢٣.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾. سبب نزولها: أن عبد الله بن سَلاَّم دَعَا ابنَي أخيه مُهاجراً وسَلَمَةَ إلى الإسلام، فأسْلَمَ سَلَمَة، ورَغِبَ عن الإسلام مُهاجرٌ، فنزلت هذه الآية[١]، قاله مُقاتلٌ. قال الزَّجّاجُ: و«مَنْ» لَفظُها لفظُ الاستفهام، ومعناها التَّقرير والتَّوبيخ. والمعنى: ما يَرغبُ عن مِلَّة إبراهيمَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ. ويُقال: رَغِبتُ في الشيء: إذا أَرَدْته. ورَغِبْتُ عنه: إذا تَرَكْتُهُ. ومِلَّةُ إبراهيمَ: دِينه.

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناها: إلاَّ مَنْ سَفَّه نَفْسَهُ، قاله الأَخْفَشُ ويُونُس. قال يُونُس: ولذلك تعدَّى إلى النَّفي فنَصَبَها، وقال الأَخْفَشُ: نُصبت النَّفس لإسقاطِ حرف الجرِّ، لأنَّ المعنى: إلاَّ مَنْ سَفِهَ في نَفْسِهِ. قال الشاعر:

نُغَالِي اللحمَ للأَضيافِ نَيْئاً ... ونُرخِصُهُ إذا نَضِجَ القُدُور

والثاني: إلاَّ مَنْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ، قاله أبو عُبيدةَ. **والثالث**: إلاَّ مَنْ سَفِهَتْ نَفْسه، كما يُقال: غَبِنَ فلانٌ رأيَهُ، وهذا مذهب الفرَّاءِ وابن قُتيبة. قال الفرَّاءُ: نقل الفعل عن النَّفس إلى ضَمير «من»، ونُصبت النَّفْس على التَّشبيه بالتَّفسير، كما يُقال: ضُقْتُ بالأمر ذَرْعاً، يريدون: ضَاقَ ذَرْعِي بهِ، ومِثْلهُ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[٢]. **والرابع**: إلاَّ مَنْ جَهِلَ نَفْسَهُ، فلم يُفكِّر فيها، وهو اختيار الزجَّاجِ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، قال ابنُ الأنباريِّ: لَمِنَ الصَّالِحِي الحَالِ عند الله تعالىٰ. وقال الزجَّاجُ: الصَّالح في الآخرة: الفائِزُ.

قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾، وذلك حينَ وقُوع الاصطِفَاءِ، قال ابن عباسٍ: لمَّا رأى الكوكبَ والقمرَ والشمسَ، قال لهُ ربُّه: أَسْلِمْ، أي: أَخْلِصْ. قوله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ﴾، قرأ ابن عامرٍ وأهلُ المدينة: «وأوصى» بألفٍ، مع تخفيف الصاد، والباقون بغير ألفٍ مشددةَ الصاد، وهذا لاختلاف المَصَاحِفِ. أخبرنا ابنُ ناصرٍ، قال: أخبرنا ثابتٌ، قال: أخبرنا ابن قشيش، قال: أخبرنا ابنُ حيُّويه، قال: حدثنا ابنُ الأنباريِّ، قال: أخبرنا ثَعْلَبُ، قال: أَمْلَى عليَّ خَلَفُ بن هِشَام البَزَّاز، قال: اختلفَ مُصحفا أهل المدينة وأهل العِراق في اثني عشرَ حرفاً:

كتب أهلُ المدينة: «وأوصى»، وأهلُ العراق: «ووصّى».

وكتب أهلُ المدينة: «سارعوا إلى مغفرةٍ» بغير واو، وأهل العِراق: «وسارعوا»[٣].

وكتب أهلُ المدينة: «يقول الذين آمنوا»، وأهلُ العراق: «ويقول»[٤].

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهذا معضل، ومقاتل متهم. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٦٣ بقوله قال ابن عيينة: وروى بمثله، ولم أره مسنداً. الخلاصة: هو أثر واهٍ بمرة، والمتن منكر، والصواب عموم الآية.

(٢) مريم: ٤. (٣) آل عمران: ١٣٣. (٤) المائدة: ٥٣.

وكتب أهلُ المدينة: «مَنْ يرتدد»، وأهلُ العراق: «مَنْ يرتدَّ»[١].

وكتب أهلُ المدينة: «الذين اتَّخذوا مسجداً»، وأهلُ العراق: «والذين»[٢].

وكتب أهلُ المدينة: «خيراً منهما مُنقلباً»، وأهلُ العِراق: «منها»[٣].

وكتب أهل المدينة: «فتوكَّل على العزيز»، وأهلُ العراق: «وتوكَّل»[٤].

وكتب أهلُ المدينة: «وأن يظهر في الأرض الفساد»، وأهلُ العِراق: «أو أن يظهر»[٥].

وكتب أهلُ المدينة في «حم عسق»: «بما كسبت أيديكم» بغير فاءٍ، وأهلُ العراق: «فبما»[٦].

وكتب أهلُ المدينة: «ما تشتهيه الأَنْفس»[٧] بالهاء، وأهلُ العراق: «ما تشتهي».

وكتب أهلُ المدينة: «فإن الله الغني الحميد» في سورة الحَديد، وأهل العِراق: «فإن الله هو الغني»[٨]. وكتب أهلُ المدينة: «فلا يخاف عُقباها» بالفاء، وأهلُ العِراق: «ولا يخاف»[٩].

ووصَّى أبلغ مِنْ أَوْصَى، لأنَّها تكون لمَرَّاتٍ كثيرةٍ، وهاء «بها» تعود على المِلَّة، قاله عِكرمةُ والزجَّاجُ. قال مُقاتلٌ: وبَنُوه أربعةٌ: إسماعيلُ، وإسحاقُ، ومَدْيَنُ، ومَدَائِنُ. وذَكَرَ غيرُ مُقاتلٍ أنهم ثمانيةٌ. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، يريد: الْزَمُوا الإِسلامَ، فإذا أَدْرَكَكُم الموتُ صَادَفكُم عليه.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾.

[٥١] سببُ نزولها: أنَّ اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ: أَلَسْتَ تعلمُ أنَّ يعقوبَ أَوْصَى بَنِيه يومَ ماتَ باليَهوديَّة؟ فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، أي: مَضَتْ، يُشير إلى إبراهيمَ وبَنِيهِ، ويَعقوب وبَنِيه.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

---

[٥١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم، صنف تفسيراً وضع فيه أحاديث كثيرة، وقد نقل عنه المفسرون فيما بعد. وذكره البغوي في «تفسيره» ١/١١٨ بقوله: قيل. فالخبر لا شيء.

---

(١) المائدة: ٥٤. (٢) التوبة: ١٠٧. (٣) الكهف: ٣٦.
(٤) الشعراء: ٢١٧. (٥) المؤمن: ٢٦. (٦) الشورىٰ: ٣٠.
(٧) الزخرف: ٧١. (٨) الحديد: ٢٤. (٩) الشمس: ١٥.

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾. معناه: قالت اليهود: كُونوا هُوداً، وقالت النَّصارى: كُونوا نَصارى، تَهتَدُوا. ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾، المعنى: بل نَتَّبعُ مِلَّةَ إبراهيمَ في حالِ حَنيفيَّتِهِ، وفي الحَنيفِ قولان: **أحدهما**: أنه المائِلُ إلى العِبادة، قال الزجّاجُ: الحَنِيفُ في اللغة: المائِلُ إلى الشَّيء، أُخِذَ مِنْ قولهم: رجلٌ أَحْنَفُ، وهو الذي تميلُ قَدَمَاهُ كلُّ واحدةٍ منهما إلى أُختها بأصابعها. قالت أمُّ الأَحْنَفِ تُرَقِّصُه[1]:

والـلّـهِ لـولاَ حَـنَـفٌ بِـرِجْـلِـهِ ودِقَّـةٌ فـي سـاقِـهِ مِـنْ هـزْلِـهِ
مـا كـانَ فـي فِـتْـيَـانِـكُـمْ مِـنْ مِـثْـلِـهِ

والثاني: أنه المُستقيم، ومنه قيل للأعرَجِ: حَنيفٌ، نَظَراً لهُ إلى السلامة، هذا قول ابن قتيبةَ. وقد وصف المُفسِّرون الحنيفَ بأوصافٍ، فقال عَطاءٌ: هو المُخلص، وقال ابن السَّائِبِ: هو الذي يَحُجُّ. وقال غيرُهما: هو الذي يُوَحِّدُ ويَحُجُّ، ويُضَحِّي ويَختَتِنُ، ويَستقبلُ الكَعْبَةَ.

فأمّا الأَسْباطُ: فهم بَنُو يَعقوبَ، وكانوا اثني عشرَ رجلاً، قال الزجّاجُ: السِّبْطُ في اللغة: الجَماعَةُ الذين يَرجِعون إلى ربٍّ واحدٍ. والسَّبَطُ في اللغة: الشَّجرة، فالسِّبْطُ: الذين هُمْ مِنْ شجرةٍ واحدةٍ.

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾، يعني: أهلَ الكتاب. وفي قوله تعالىٰ: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: مثلَ إيمانكم، فَزيدَتْ الباءُ للتَّوكيد، كما زِيدَتْ في قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[2]، قاله ابنُ الأنباريّ. **والثاني**: أنَّ المُراد بالمِثْلِ هاهنا: الكتاب، وتقديرُهُ: فإنْ آمَنوا بكتابكم كَما آمَنتُمْ بكِتابِهِم، قاله أبو مُعاذٍ النَّحويُّ. **والثالث**: أنَّ المِثْلَ هاهنا: صِلَةٌ، والمعنى: فإنْ آمَنوا بِما آمَنتُم به. ومِثْلُهُ قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3]، أي: ليس كَهُوَ شيءٌ. وأنشدوا:

يَـا عَـاذِلِـي دَعْـنِـي مِـنْ عَـذْلِـكَـا مِـثْـلِـيَ لا يَـقْـبَـلُ مِـنْ مِـثْـلِـكَـا

أي: أنا لا أَقْبَلُ منكَ. فأمّا الشِّقاقُ؛ فهو المُشاقَّةُ والعَداوةُ، ومنه قولهم: فُلانٌ قَدْ شَقَّ عَصَا المسلمين، يريدون: فارَقَ ما اجْتَمَعُوا عليه من اتِّباعِ إمامِهِم، فكأنَّه صارَ في شِقٍّ غيرِ شِقِّهِم.

قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾، هذا ضمانٌ لنَصرِ النبيِّ ﷺ.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾. سبب نزولها: أنَّ النَّصارى كانوا إذا وُلِدَ لأحدهم وَلَدٌ، فأتى عليه سبعةُ أيامٍ، صبَغُوه في ماءٍ لَهُم، يُقال له: المَعْمُوديَّة، لِيُطَهِّروه بذلك، ويقولون: هذا طُهُورٌ مكانَ

---

(١) في اللسان: أرقصت الأم صبيها ورقصَتْهُ: نَزَّته. والمِنَزُ: المهد، مهد الصبي.
(٢) مريم: ٢٤.
(٣) الشورىٰ: ١١.

الخِتَانِ، فإذا فَعلُوا ذلك؛ قالوا: صَارَ نَصْرانياً حَقّاً، فنزلت هذه الآية[١]، قاله ابن عباسٍ.

قال ابن مسعودٍ وابن عباسٍ، وأبو العَالِيَة، ومُجاهدٌ، والنَّخعيُّ، وابن زيدٍ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: دِينُهُ. قال الفَرَّاء: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ مَردودةٌ على المِلَّة[٢]. وقرأ ابن عَبْلَةَ: «صبغةُ الله» بالرَّفع على معنى: هذه صِبغةُ الله. وكذلك قرأ: «ملةُ إبراهيم» بالرفع أيضاً على معنى: هذه مِلَّةُ إبراهيمُ.

قال ابن قُتيبةَ: المُراد بصِبْغَةِ الله: الخِتَانُ، فسَمَّاهُ صِبْغَةً، لأنَّ النَّصارى كانوا يَصبغونَ أولادَهُم في ماءٍ ويقولون: هذا طهرة لهم، كالختان للحنفاء، فقال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾، أي: الزَمُوا صِبغةَ الله، لا صِبْغَةَ النَّصارى أولادهم، وأرَاد بها مِلَّة إبراهيمَ، وقال غيرُه: إنَّما سُمِّي الدِّينُ صِبغةً لِبيانِ أثَرِهِ على الإنسان، كَظُهور الصِّبْغِ على الثَّوب.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباسٍ: يُريد: يهودَ المدينة، ونَصارى نَجْرانَ. والمُحاجَّة: المُخاصَمَة في الدِّين، فإنَّ اليهودَ قالت: نحنُ أهلُ الكتاب الأوَّل. وقيل: ظَاهَرت اليهودُ عَبَدَةَ الأوْثان، فقيل لهم: تَزعُمون أنَّكم مُوحِّدون، ونحن نُوحِّد، فلِمَ ظَاهَرتُم مَنْ لا يُوحِّد؟! قوله تعالى: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾، قال أكثر المفسِّرين: هذا الكلام اقْتَضى نوعَ مُساهَلَةٍ، ثمَّ نُسِخ بآية السَّيفِ.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾.. الآية. سبب نزولها: أنَّ يهودَ المدينة، ونَصارى نَجْران قالوا للمؤمنين: إنَّ أنبياء الله كانوا مِنَّا مِنْ بني إسرائيلَ، وكانوا على دِيننا، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ[٣]. ومعنى الآية: إنَّ الله قد أعلمنا بدِين الأنبياء، ولا أحد أعْلَمُ به منه. قرأ ابن كَثيرٍ ونافعٌ وعاصمٌ في رواية أبي بَكرٍ، وأبو عمرٍو «أم يقولون» بالياء على وَجهِ الخَبَرِ عن اليهود. وقرأ ابن عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء لأنَّ ما قبلها مُخاطبةٌ، وهي ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾، وبعدها ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾.

وفي الشهادة التي كَتَمُوها قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى شَهِدَ عندهم بشهادةٍ لإبراهيمَ ومَنْ ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكَتَمُوها، قاله الحسنُ، وزَيْدُ بن أسْلَمَ. **والثاني**: أنهم كَتَمُوا الإسلامَ وأمْرَ محمَّدٍ وهم يعلمون أنه نبيٌّ ودِينه الإسلام، قاله أبو العَالِيَة، وقَتادةُ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس بدون إسناد، فهو لا شيء. وأخرجه الطبري ٢١١٨ عن قتادة.

(٢) أي بدل منها.

(٣) عزاه لمقاتل وهو متروك متهم كما تقدم، فهذا السبب ليس بشيء.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ (١٤٢)﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. فيهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله البَرَاءُ بن عازِبٍ، ومُجاهدٌ، وسعيدُ بن جُبيرٍ. **والثاني**: أنهم أهلُ مكَّة، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهم المنافقون، ذكره السُّدِّيُّ عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ. وقد يُمكن أن يكون الكلّ قالوا ذلك، والآية نزلت بعد تَحْويلِ القِبْلَة. والسُّفَهاءُ: الجَهَلَة. ما وَلاّهُم، أي: صَرَفَهُم عن قِبْلَتِهِم، يُريد: قِبْلَةَ المَقْدِس. واختلف العلماء في مُدَّة صلاة النبيِّ ﷺ إلى بيت المَقدس، بعد قُدومه المدينة على ستة أقوالٍ:

[٥٢] **أحدها**: أنه ستةَ عشرَ شهراً، أو سبعةَ عشرَ، قاله البَرَاءُ بن عازِبٍ.

والثاني: سبعةَ عشرَ شهراً، قاله ابن عباسٍ. **والثالث**: ثلاثةَ عشرَ شهراً، قاله مُعاذُ بن جَبَلٍ. **والرابع**: تسعةُ أشهرٍ، قاله أنسُ بن مَالكٍ. **والخامس**: ستةَ عشرَ شهراً. **والسادس**: ثمانيةَ عشرَ شهراً، رُوي القولان عن قَتادةَ.

وهل كان استقبالُه بيتَ المَقدس برأيهِ، أو عن وَحيٍ؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه كان بأمرِ الله تعالىٰ ووَحْيِهِ، قاله ابن عباسٍ(١)، وابن جُريجٍ.

---

[٥٢] صحيح. أخرجه البخاري ٤٤٨٦ و٧٢٥٢ ومسلم ٥٢٥ والترمذي ٣٤٠ وأحمد ٤/ ٢٨٣ وابن ماجة ١٠١٠ وابن حبان ١٧١٦ عن البراء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ـ أو سبعة عشر شهراً ـ وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلّى صلاة العصر وصلّى معه قومٌ، فخرج رجلٌ ممن كان صلّى معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صلّيت مع النبي ﷺ قبل مكّة، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجالٌ قتلوا لم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالنّاس لرؤوف رحيم﴾. واللفظ للبخاري.
ـ وقال الحافظ في «الفتح» ١/ ٩٦ ـ ٩٧ تعليقاً على قوله في الحديث «ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً»: رواه أبو عوانة في صحيحه عن عمَّار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم فقال «ستة عشر» من غير شك وكذا لمسلم وللنسائي ولأحمد بسند صحيح عن ابن عباس. وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف «سبعة عشر» وكذا للطبراني عن ابن عباس. والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معاً، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس. وقال ابن حبان «سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام» وهو مبني على القدوم الذي كان في ثاني عشر شهر ربيع الأول. ومن الشذوذ رواية «ثمانية عشر شهراً» وثلاثة عشر شهراً ورواية تسعة أشهر أو عشرة أشهر ورواية شهرين ورواية سنتين، وهذه الأخيرة يمكن حملها على الصواب. وأسانيد الجميع ضعيفة. والاعتماد على القول الأول.

---

(١) هذا الراجح، فقد أخرج أحمد ٢٢٥٢ والبزار كما في «المجمع» ١٩٦٧ كلاهما عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يصلّي وهو بمكة نحو البيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صرف إلى الكعبة» سكت عليه الحافظ في «تخريجه» ١/ ٢٠٠ وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح اهـ. وله شواهد كثيرة.

والثاني: أنه كان باجتهاده ورأيِهِ، قاله الحسَنُ وأبو العَالِيَة، وعِكرمةُ، والرَّبيعُ.

وقال قَتادةُ: كان الناسُ يتوجَّهون إلى أيِّ جهةٍ شاؤوا، بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾. ثم أمَرَهُم باستقبال بيت المَقدس. وفي سبب اختياره بيتَ المَقدس قولان: **أحدهما**: لِيَتألَّف أهلَ الكتاب، ذكره بعضُ المُفسِّرين. **والثاني**: لامْتِحانِ العربِ بغيرِ ما أَلِفوهُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. سبب نزولها: أنَّ اليهود قالوا: قِبلتُنا قِبلَةُ الأنبياء، ونحن عَدْلٌ بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ. والأُمَّةُ: الجماعة. والوَسَطُ: العَدْلُ، قاله ابن عباس، وأبو سعيدٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، وقال ابنُ قُتيبةَ: الوَسَطُ: العَدْلُ الخِيَارُ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾[1]، أي: أعْدلُهم وخيْرُهم. قال الشَّاعر:

هُمْ وَسَطٌ يَرضَى الأَنَامُ بِحُكْمِهِم ... إذا نَزَلَتْ إحدى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

وأصل ذلك أنَّ خَيْرَ الأشياء أوسَاطُها، والغُلُوّ والتَّقصير مَذمُومان. وذكر ابن جَريرٍ الطَّبريّ أنه من التَّوسُّط في الفِعل، فإنَّ المسلمين لم يُقصِّروا في دِينهم كاليهود، فإنهم قَتَلوا الأنبياء، وبدَّلوا كتابَ الله، ولم يَغْلُوا كالنَّصارى، فإنهم زَعَموا أنَّ عيسى ابنُ الله. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: في هذا الكلام محذوفٌ، ومعناه: جَعلْتُ قِبْلَتكم وَسَطاً بين القِبْلتين، فإنَّ اليهود يُصلُّون نحوَ المغرب، والنَّصارى نحو المَشرق، وأنتم بينَهُما.

قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: لِتَشْهَدوا للأنبياء على أُمَمِهِم.

[٥٣] روى أبو سعيدٍ الخُدريّ عن النبيِّ ﷺ قال: «يجيءُ النبيُّ يومَ القيامة ومعه الرجلُ. ويجيءُ النبيُّ ومعه الرَّجلانُ، ويجيءُ النبيُّ ومعه أكثرُ من ذلك، فيُقال لهم: أبَلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيُقال للنبيِّ: أبَلَّغتَهُم؟ فيقول: نعم، فيُقال: مَنْ يشهد لكَ؟ قال: محمَّدٌ وأُمَّتُه فيَشْهَدُون أنَّ الرُّسلَ قد بَلَّغوا فيُقال: ما عِلمُكُم؟ فيقولون: أخبَرنا نبيُّنا أنَّ الرُّسُلَ قد بَلَّغوا، فصَدَّقْناه، فذلك قوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾»، وهذا مذهبُ عِكرمةَ، وقَتادةَ. **والثاني**: أن معناه: لِتكُونوا شهداءَ لمحمَّد ﷺ على الأُمَم: اليهودِ والنَّصارى والمَجُوسِ، قاله مُجاهدٌ.

---

[٥٣] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٣٩ و٤٤٨٧ و٧٣٤٩ والترمذي ٢٩٦١ وبإثر حديث ٢٩٦٥ والنسائي في «الكبرى» ١١٠٠٦ و١١٠٠٧ وابن ماجه ٥٢٨٤ والطبري ٢١٦٥ و٢١٦٦ وابن حبان ٧٢١٦ و٦٤٧٧ وأحمد ٣/٩ و٥٨ مختصراً ومطوّلاً، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري. وصدره عند البخاري وغيره «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك...».

---

(١) القلم: ٢٨.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، يعني: محمَّداً ﷺ، وبماذا يَشْهَدُ عليهم؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: بأعمالهم، قاله ابن عباسٍ، وأبو سعيدٍ الخدريّ، وابن زيدٍ. **والثاني**: بتبليغهم الرِّسالة، قاله قَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: بإيمانهم، قاله أبو العاليَة. فيكون على هذا «عليكم» بمعنى: لَكُمْ. قال عِكرمةُ: لا يُسألُ عن هذه الأمَّة إلا نبيُّها.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾، يريد: قِبلَة بيت المَقدس. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: لِنَرى. **والثاني**: لِنَميز. رُويَا عن ابن عباسٍ. **والثالث**: لِنَعْلَمَهُ واقعاً، إذ عِلْمُهُ قديمٌ، قاله جماعةٌ من أهل التَّفسير وهو يَرجعُ إلى قول ابن عباسٍ: «لِنَرى». **والرابع**: أنَّ العلمَ راجعٌ إلى المُخاطَبين، والمعنى: لِتَعلَموا أنتم، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالىٰ: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، أي: يَرْجِعُ إلى الكُفر، قاله ابن زيدٍ، ومُقاتلٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾، في المُشار إليها قولان:

أحدهما: أنه التَّوليَةُ إلى الكَعْبَة، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ.

والثاني: أنها قِبْلَةُ بيت المَقدس قبلَ التَّحوّل عنها، قاله أبو العاليَة، والزجَّاجُ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾، نزل على سببٍ:

[٥٤] وهو أنَّ المسلمين قالوا: يا رسولَ الله، أرأيتَ إخوانَنا الذين مَاتُوا وهُم يُصَلُّون إلى بيت المَقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

والإيمانُ المذكورُ هاهنا أُرِيدَ به: الصَّلاة في قول الجماعة. وقيلَ: إنَّما سمىٰ الصَّلاة إيماناً، لاشتِمالِها على قولٍ ونيَّةٍ وعَمَلٍ. قال الفَرَّاء: وإنما أَسنَدَ الإيمانَ إلى الأَحْياءِ مِنَ المؤمنين، والمعنى: فيمن مات مِنَ المسلمين قبل أنْ تُحَوَّل القِبْلَة لأنهم دَاخِلون معهم في المِلَّة. قوله تعالىٰ: ﴿لَرَءُوفٌ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ، وحفصٌ عن عاصم: «لرؤوف» على وزن: لَرَعُوفٌ، في جميع القرآن، ووجهها: أن فَعُولاً أكثر في كلامهم مِنْ فَعِلَ، فبابُ ضَرُوب وشَكُور، أوسعُ من باب حَذِرَ ويَقِظَ. وقرأ أبو عَمرٍو وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «لرؤفٍ» على وزن: رَعُف، ويقال: هو الغالب على أهل الحجاز. قال جَريرٌ:

ترَى للمُسلمين عليكَ حقاً ... كَفِعْلِ الوالِدِ الرَّؤُف الرَّحِيمِ

والرؤوف بمعنى: الرَّحيم، هذا قول الزَّجاج، وذكر الخَطَّابيُّ عن بعض أهل العلم أن الرَّأفة أبلغ الرَّحمة وأرَقُّها. قال: ويُقال: الرَّأفة أخصُّ، والرَّحمة أعَمُّ.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾

---

[٥٤] صحيح. أخرجه أبو داود ٤٦٨٠ والترمذي ٢٩٦٤. وأحمد ١/ ٢٩٥ ـ ٣٠٤ والطيالسي ٢٦٧٣ وابن حبان ١٧١٨ والحاكم ٢/ ٢٦٩ من حديث ابن عباس وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وفي سماك بن حرب كلام، لكن توبع عليه، حيث ورد معناه من حديث البراء المتقدم برقم ٥٢.

قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. سبب نزولها: أن النبيَّ ﷺ كان يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة، قاله البَرَاءُ[1]، وابن عباسٍ، وابن المُسَيِّبِ، وأبو العَالِيَة، وقَتادةُ.

وذكر بعض المُفسِّرين أنَّ هذه الآية مُقدَّمةٌ في النزول على قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. واختلفوا في سبب اختيار النبيِّ ﷺ الكَعبة على بيت المَقدس على قولين: **أحدهما**: لأنَّها كانت قِبْلَةَ إبراهيمَ، رُوي عن ابن عباسٍ. **والثاني**: لِمُخَالفة اليهود، قاله مُجاهدٌ.

ومعنى تَقَلُّب وجهه: نَظَرُهُ إليها يميناً وشمالاً. و(في) بمعنى إلى، و﴿تَرْضَىٰهَا﴾ بمعنى: تُحِبُّها. و(الشَّطْر): النَّحو من غير خلاف.

[٥٥] قال ابن عُمَر: أتى الناسَ آتٍ وهُمْ في صلاة الصُّبح بقُباء، فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلةُ قرآنٌ، وأُمِرَ أن يستقبلَ الكعبةَ، ألاَ فاسْتَقْبِلُوهَا، وكانت وجوههم إلى الشام، فَاسْتَدَارُوا وَهُمْ في صَلاتِهِم.

فصل: اختلف العلماء أيّ وقتٍ حُوِّلَتْ القِبْلَةُ؟ على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها حُوِّلت في صلاة الظُّهر يومَ الاثنين للنِّصف من رَجَب على رأس سبعةَ عشرَ شهراً من مَقْدَم رسولِ الله ﷺ المَدينة، قاله البَراءُ بن عازبٍ[2]، ومَعْقِلُ بن يَسَارٍ. **والثاني**: أنها حُوِّلت يوم الثُّلاثاء للنِّصف من شعبانَ على رأس ثمانيةَ عشرَ شهراً من مَقْدَمه المدينة، قاله قَتادةُ. **والثالث**: جَمَادَى الآخِرة، حكاه ابنُ سَلامَةَ المُفسِّرُ عن إبراهيمَ الحَربيّ.

وفي ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قولان: **أحدهما**: اليهود، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: اليهود والنَّصارى، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قوله تعالىٰ: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ يُشير إلى ما أُمِرَ به من التَّوجه إلى الكَعبة، ثم تَوعَّدَهُم بباقي الآية على كِتمانِهِم ما عَلِمُوا. ومِن أين عَلِمُوا أنه الحقُّ؟ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ في كتابهم الأَمْرَ بالتَّوجه إليها، قاله أبو العَالِيَة. **والثاني**: يعلمون أنَّ المسجدَ الحرامَ قِبْلَةُ إبراهيمَ. **والثالث**: أنَّ في كتابهم أنَّ محمَّداً رسولٌ صادقٌ، فلا يَأْمُر إلا بحقٍّ. **والرابع**: أنهم يعلمون جوازَ النَّسْخ.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾. سبب نزولها أنَّ يهودَ المدينة ونصارى

---

[٥٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣ و٤٤٩١ و٤٤٩٤ و٧٢٥١ ومسلم ٥٢٦ والنسائي ٤٩٣ وأحمد ٢/ ١٦ ـ ٢٦ ـ ١٠٥ ـ ١١٣ والدارمي ١/ ٢٨١ ومالك ١/ ١٩٥ والشافعي في «مسنده» ١٩١ وابن أبي شيبة ١/ ٣٣٥ والترمذي ٣٤١ مختصراً وأبو عوانة ١/ ٣٩٤ وابن حبان ١٧١٥ والبيهقي ٢/ ٢ ـ ١١ والبغوي في «شرح السنة» ٤٤٥ وفي «تفسيره» ١٠٠ من طرق من حديث ابن عمر.

---

(١) تقدم برقم ٥٢. (٢) تقدم برقم ٥٢.

نجرانَ قالوا للنبيِّ ﷺ: ائتِنا بآية كَما أتى الأنبياءُ قَبْلَكَ، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ[١].

قوله تعالىٰ: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾، يريد: الكَعبة ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأنَّ اليهود يُصلُّون قِبَلَ المَغرب إلى بيت المَقدس، والنَّصارى قِبَلَ المَشرق ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فصلَّيتَ إلى قِبلَتِهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، قال مُقاتلٌ: يريد بالعِلم: البيان.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾. في هاء «يعرفونه» قولان: **أحدهما**: أنَّها تعود على النبيِّ ﷺ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: تعود على صَرْفِهِ إلى الكعبة، قاله أبو العَالِيَة، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. ورُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. وفي الحقِّ الذي كَتَمُوه قولان: **أحدهما**: أنه النبيُّ ﷺ، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أنه التَّوجّه إلى الكعبة، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ في آخرين. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: وهم يعلمون أنه حقٌّ. **والثاني**: وهم يعلمون ما على مُخالفته مِنَ العِقاب.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾. قال الزَّجّاجُ: أي: هذا الحقُّ من ربِّك. والمُمْتَرُون: الشَّاكُّون، والخِطابُ عامٌّ.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾، أي: لكلِّ أهلِ دينٍ وِجْهَةٌ. المراد بالوِجْهَة: القِبْلَة، قاله ابن عباسٍ في آخرين. قال الزَّجّاجُ: يقال: جِهَة، ووِجْهَة. وفي «هو» ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنها تَرجع إلى الله تعالىٰ، فالمعنى: الله مُوَلِّيها إيَّاهم، أي: أَمَرَهُم بالتَّوجّه إليها.

والثاني: ترجع إلى المُتَوَلِّي، فالمعنى: هو مُوَلِّيها نفسه، فيكون «هو» ضميرَ كلّ.

والثالث: يرجع إلى البيت، قاله مُجاهدٌ: أَمَرَ كلَّ قوم أنْ يُصلُّوا إلى الكعبة. والجمهور يقرأون: «موليها»، وقرأ ابن عامرٍ، والوليد عن يَعقوب: «هو مَولَّاهَا» بألف بعد اللام، فضمير «هو» لكلّ، ومعنى القِراءتين مُتقاربٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، أي: بَادِرُوها. وقال قَتادةُ: لا تغلبوا على قِبلَتِكم، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، قال ابن عباسٍ وغيره: هذا في يوم القيامة. فأمَّا إعادةُ قوله:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ

---

(١) تكرر عن مقاتل سبب النزول هذا، ومقاتل متروك، فخبره لا شيء.

لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، فإنه تكريرُ تأكيدٍ، لِيَحْسِمَ طمعَ أهل الكتاب في رُجوع المسلمين أبداً إلى قِبلتِهِم.

قوله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾، في «الناس» قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ الكتاب، قاله ابن عباس، وأبو العَالِيَة، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: مُشركو العرب، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه. فمَنْ قال بالأوَّل؛ قال: احتجاجُ أهل الكتاب أنهم قالوا للنبيِّ ﷺ: مَا لَكَ تركتَ قِبلَةَ بيت المَقدس؟! إنْ كانت ضلالةً؛ فقد دِنْتَ اللَّهَ بها، وإنْ كانت هُدًى، فقد نُقِلْتَ عنها. وقال قَتادةُ: قالوا: اشتاقَ الرجلُ إلى بيت أبيه ودِين قومه. ومَنْ قال بالثاني؛ قال: احتجاجُ المشركين أنهم قالوا: قد رَجع إلى قِبْلَتِكُمْ، ويُوشك أنْ يعودَ إلى دِينكم.

وتسمية باطلهم حُجَّةً على وَجهِ الحِكَاية عن المُحتَجِّ به، كقوله تعالىٰ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1]، وقوله: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾[2]. قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، قال الزَّجَّاج: معناه: إلاَّ مَنْ ظلَمَ باحتِجَاجِهِ فيما قد وَضحَ له، كما تقول: ما لكَ عليَّ حُجَّةٌ إلاَّ الظُّلم، أي: إلاَّ أنْ تَظلِمَني، أي: ما لك عليَّ البتة ولكنك تظلمين. قال ابن عباسٍ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ في انْصِرافِكم إلى الكعبة ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في تَرْكِها.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾، قال الزَّجَّاج: «كما» لا تصلح أن تكون جواباً لِمَا قبلَها، والأَجْوَدُ أن تكون مُعلَّقةً بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، وقد رُوي معناه عن عليٍّ، وابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، ومُقاتلٍ. والآية خِطابٌ لمُشركي العرب. وفي قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، ثلاثة أقوالٍ، قد سبق ذِكرُها في قصة إبراهيمَ. والكتاب: القُرآن. والحِكمةُ: السُّنَّةُ.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾. قال ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ: اذكُروني بطَاعتي أذكُركم بمغفِرتي. وقال إبراهيمُ بن السَّرِي: كما أنعمتُ عليكم بالرِّسالة، فاذكُروني بتَوْحِيدي وتصديق نَبِيي. قال: فإنْ قيلَ: كيفَ يكونُ جوابُ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، فإنَّ قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ أمْرٌ، وقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ جَزاؤُهُ؛ فالجواب: أنَّ المعنى: إنْ تَذكُروني أذكُركم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾، الشُّكرُ: الاعتِرافُ بحقِّ المُنعِم، مع الثَّناءِ عليه.

---

(١) الشورى: ١٦.
(٢) غافر: ٨٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾. سبب نزولها: أنَّ المشركين قالوا: سَيَرجعُ محمَّدٌ إلى دِينِنا، كما رجع إلى قِبلَتِنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادةُ. وقال ابن عباسٍ: اسْتَعِينُوا على طَلَبِ الآخرة بالصَّبر على أَداءِ الفرائض، وبالصَّلاة، وقد سبقَ الكلام في الصَّبر، وبيان الاستِعانَة به وبالصَّلاة.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ﴾. سبب نزولها: أنهم كانوا يقولون لِقَتْلَى بَدْرٍ وأُحُدٍ: ماتَ فُلانٌ ببَدْرٍ، مات فُلانٌ بأُحُدٍ، فنزلت هذه الآيةُ[1]، قاله ابن عباسٍ.

ورفعُ الأمواتِ بإضمار مَكنيٍّ مِنْ أسمائهم، أي: لا تَقُولوا: هُمْ أمواتٌ، ذكر نحوه الفَرَّاءُ. فإنْ قيل: فنحن نَرَاهُم مَوتَى، فما وَجهُ النَّهي؟ فالجواب أنَّ المعنى: لا تقولوا: هم أمواتٌ لا تَصِلُ أرواحُهم إلى الجنَّات، ولا تَنالُ مِنْ تُحَفِ اللَّهِ ما لا يَنالُه الأحياءُ، بل هُمْ أحياءٌ، أرواحُهم في حَواصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ في الجنَّة، فهم أحياءٌ مِنْ هذه الجهة، وإنْ كانوا أمواتاً مِنْ جهة خُروج الأرواح؛ ذكره ابن الأنباريِّ. فإنْ قيل: أليسَ جميع المؤمنين مُنَعَّمين بعدَ موتِهم؟ فلِمَ خَصَصْتُم الشهداءَ؟ فالجواب: أنَّ الشهداء فُضِّلوا على غيرهم بأنهم مَرْزُوقون مِنْ مَطَاعِمِ الجنَّة ومآكِلِهَا، وغيرُهم مُنعَمٌ بما دونَ ذلك، ذكره ابن جَريرٍ الطَّبريّ.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾. قال الفَرَّاءُ: «مِن» تدلّ على أنَّ لكلّ صنفٍ منها شيئاً مُضْمَراً، فتقديره: بشيءٍ من الخوف، وشيءٍ من الجُوع، وشيءٍ مِنْ نَقْصِ الأموال.

وفيمن أُريد بهذه الآية أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أصحابُ النبيِّ خاصَّةً، قاله عَطاءٌ. **والثاني**: أنهم أهلُ مكَّةَ. **والثالث**: أنَّ هذا يكون في آخر الزَّمان. قال كَعْبٌ: يأتي على الناس زمانٌ لا تَحمِلُ النَّخْلَةُ إلاَّ تَمْرَةً. **والرابع**: أنَّ الآية على عُمومها.

فأمَّا الخوفُ؛ فقال ابن عباسٍ: وهو الفَزَعُ في القتال. والجوعُ: المَجاعَةُ التي أصابت أهلَ مكَّةَ سبعَ سنين. ونَقصٍ من الأموال: ذهابُ أموالهم، والأنفُس بالمَوت والقَتلِ الذي نَزَلَ بهم، والثَّمرات لم تخرج كما كانت تخرج. وحكى أبو سُليمان الدِّمشقيُّ عن بعض أهل العلم: أنَّ الخوف في الجهاد والجُوعَ في فَرضِ الصَّوم، ونقصَ الأموالِ: ما فُرِضَ فيها من الزَّكاة والحَجّ ونحو ذلك. والأنفُس: ما يُسْتَشْهَدُ منها في القتال، والثَّمرات: ما فُرض فيها من الصَّدقات. ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذه البَلاوِي

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٢٧١ ونسبه للثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس، وما قبل ابن عباس سلسلة الكذب.

بالجَنَّة. واعلم أنه إنَّما أخبرهم بما سَيُصيبهم، ليوَطِّنوا أنفسَهُم على الصَّبر، فيكون ذلك أبْعَدَ لهم من الجَزَع.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾، يُريدون: نحنُ عَبِيدُهُ يفعلُ بنا ما يَشاءُ، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، يُريدون: نحنُ مُقِرُّون بالبَعْثِ والجَزاء على أعْمالِنا، والثَّواب على صَبْرِنا. قال سعيدُ بن جُبير: لقد أُعطيت هذه الأُمَّةُ عند المُصيبة شيئاً لم يُعطَهُ الأنبياء قَبْلَهُم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. ولو أُعْطِيَها الأنبياءُ لأعْطِيَها يَعقوبُ، إذ يقولُ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(١). قال الفَرَّاءُ: وللعرب في المُصيبة ثلاثُ لغاتٍ: مُصيبة، ومصَابَة، ومَصُوبَة، زعمَ الكِسَائيُّ أنه سمع أعرابياً يقول: جَبَرَ اللَّهُ مَصُوبَتَكَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾. قال سعيدُ بن جُبيرٍ: الصَّلوات مِنَ الله: المَغْفِرَةُ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ بالاسْتِرْجَاع. وقال عُمرُ بن الخطَّابِ: نِعْمَ العدلان، ونِعْمَتِ العِلاَوَةُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾. في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٥٦] أحدها: أنّ رجالاً مِنَ الأنصار مِمَّن كان يُهِلُّ لِمَنَاة في الجاهليةِ ـ ومَنَاةُ: صَنَمٌ كان بين مكَّةَ والمدينة ـ قالوا: يا رسولَ الله! إنَّا كُنَّا لا نطوِّف بين الصَّفا والمَروة تعظيماً لِمَنَاة، فهل علينا من حَرَجٍ أن نطوِّفَ بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواهُ عُروةُ عن عائشة.

[٥٧] والثاني: أنَّ المسلمين كانوا لا يطُوفون بين الصَّفا والمَرْوَةَ، لأنه كان على الصَّفا تماثيلُ وأصنامٌ؛ فنزلت هذه الآية. رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ.

---

[٥٦] صحيح. أخرجه البخاري ١٧٩٠ ومسلم ١٢٧٧ وأبو داود ١٩٠١ وابن ماجه ٢٩٨٦ وابن خزيمة ٢٧٦٩ والطبري ٢٣٥٧ وابن حبان ٣٨٣٩ من طريق هشام بن عروة عن عروة عن عائشة.
ـ وأخرجه البخاري ١٦٤٣ ومسلم ١٢٧٧ والترمذي ٢٩٦٥ والنسائي ٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ والحميدي ٢١٩ وأحمد ٦/ ١٤٤ وابن حبان ٣٨٤٠ عن الزهري عن عروة عن عائشة.

[٥٧] صحيح. أخرجه الحاكم ٢/ ٢٧٢ من طريق أبي مالك عن ابن عباس، وإسناده حسن في الشواهد، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأخرجه ٢/ ٢٧١ من وجه آخر، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبري ٢٣٤٦ من وجه آخر، وفيه جابر الجعفي متروك، والحجة فيما تقدم.

---

(١) يوسف: ٨٤.

[٥٨] وقال الشَّعبيُّ: كان وَثَنٌ على الصَّفا يُدعى: إساف، ووَثَنٌ على المَرْوَةِ يُدعى: نَائِلَة، وكان أهل الجاهلية يَسْعون بينهما ويَمْسَحُونَهُما، فلما جاء الإسلام كَفُّوا عن السَّعي بينهما، فنزلت هذه الآية.

[٥٩] **والثالث**: أنَّ الصحابة قالت للنبيِّ ﷺ: إنَّا كُنَّا نطُوفُ في الجاهليَّة بين الصَّفا والمَرْوَة، وإنَّ الله تعالىٰ ذَكَرَ الطَّوَافَ بالبيت، ولم يذكره بينَ الصَّفا والمَرْوَة، فهل علينا مِنْ حَرَجٍ أنْ لا نطَّوَّف بهما، فنزلت هذه الآية. رواه الزُّهريُّ، عن أبي بكرِ بن عبدِ الرَّحمٰن عن جماعةٍ من أهلِ العلم.

قال إبراهيمُ بن السَّري: الصَّفَا في اللغة: الحِجَارة الصَّلبة الصَّلْدَة التي لا تُنبِتُ شيئاً، وهو جَمْعٌ، واحِدُه صَفَاة وصَفَا، مثل: حَصَاة وحَصَى. والمَرْوَة: الحجَارَةُ الليِّنَة، وهذان المَوْضِعان مِنْ شَعَائِرِ الله، أي: من أَعْلام مُتَعَبَّدَاته. وواحدُ الشَّعائِر: شَعِيرَة. والشَّعائِر: كلُّ ما كان من مَوقفٍ أو مَسعًى أو ذبحٍ. والشَّعائِرُ: من شَعَرتُ بالشَّيء: إذا عَلِمْت به، فسُمِّيت الأَعْلامُ التي هي مُتَعَبَّداتُ الله: شعائِرَ. والحَجُّ في اللغة: القَصْدُ، وكذلك كلُّ قاصِدٍ شيئاً فقد اعْتَمَرَهُ. والجُنَاحُ: الإثمُ، أخذ من جَنَحَ: إذا مالَ وعَدَلَ، وأصله من جَنَاح الطَّائر، وإنما اجْتَنَبَ المسلمون الطَّوافَ بينهما، لِمَكَان الأَوْثَان، فقيل لهم: إنَّ نَصْبَ الأَوْثَان بينَهُما قبلَ الإسلام لا يُوجب اجْتِنَابَهُما، فأَعْلَم اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه لا جُنَاحَ في التَّطَوّف بهما، وأنَّ مَنْ تطوَّعَ بذلك فإنَّ الله شاكرٌ عليمٌ. والشُّكرُ مِنَ الله، المُجَازَاةُ والثَّنَاء الجميل، والجمهور قرأوا ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ بالتاء ونصب العين، منهم: ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابن عامرٍ، وقرأ حمزة، والكِسائيُّ «يطوعْ» بالياء وجزم العين. وكذلك خِلافُهُم في التي بعدَها بآياتٍ.

فصل: اختلفت الرِّواية عن إمامنا أحمدَ في السَّعي بين الصَّفا والمَرْوَة، فنقل الأَثْرَمُ أنَّ مَنْ تَرَكَ السَّعيَ لم يُجْزِهِ حجه. ونقل أبو طالبٍ: لا شيءَ في تَرْكِهِ عَمْداً أو سَهْواً، ولا ينبغي أنْ يَتْرُكَهُ. ونقلَ المَيْمُونيُّ أنه تَطَوُّعٌ(١).

---

[٥٨] مرسل، أخرجه الطبري ٢٣٤١ و٢٣٤٢ و٢٣٤٣ بسند صحيح عن الشعبي، وهذا مرسل.
[٥٩] هو عجز الحديث المتقدم برقم ٥٦.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ١٧٨: واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة، فقال الشافعي وابن حنبل: هو ركن، وهو المشهور من مذهب مالك لقوله عليه السَّلام: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»، فمن تركه عامداً أو ناسياً رجع من بلده أو من حيث ذكر إلى مكة، فيطوف ويسعى؛ لأن السعي لا يكون إلاَّ متصلاً بالطّواف. وسواء عند مالك كان ذلك في حج أو عُمرة وإن لم يكن في العمرة فرضاً، فإن أصاب النساء فعليه عمرة وهدي عند مالك مع تمام مناسكه. وقال الشافعي: عليه هدي ولا معنى للعمرة إذا رجع وطاف وسعى. وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والشعبي: ليس بواجب فإن تركه أحد من الحاج حتى يرجع إلى بلاده جبره بالدم، لأنه سنة من سنن الحج. وهو قول مالك في العتبية. والصحيح ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى. وقال ابن كثير رحمه الله ١/ ١٩٩: إن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعي ومن وافقه ورواية عن أحمد وهو المشهور عن مالك. وقيل إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمداً أو سهواً جبره بدم وهو رواية عن أحمد وبه يقول طائفة. وقيل: بل مستحب وإليه ذهب أبو حنيفة والثوري والشعبي ومن وافقهم واحتجوا بقوله تعالى﴿**فمن تطوع خيراً**﴾. والقول الأول أرجح لأنه عليه السَّلام طاف بينهما وقال «لتؤخذوا عني مناسككم» فكل ما فعله في حجته تلك واجب لا بد من فعله في الحج إلاَّ ما خرج بدليل والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾، قال أبو صالح عن ابن عباسٍ: نزلت في رُؤساء اليهود، كَتَمُوا ما أنزل الله في التَّوراة من البيِّنات والهدى[1]. فَالبَيِّناتُ: الحَلالُ والحرامُ والحدودُ والفَرائِض. والهُدى: نَعْتُ النَّبيِّ ﷺ وَصِفَتُهُ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾، قال مُقاتلٌ: لِبَنِي إسرائيلَ، وفي الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه التَّوراة، وهو قول ابن عباسٍ. **والثاني**: التَّوراة والإنجيل، قاله قَتادةُ. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الكاتِمينَ ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال ابن قُتيبة: أصلُ اللعنِ في اللغة: الطَّرْدُ، ولَعَنَ اللّهُ إبليسَ، أي: طَرَدَهُ، ثم انتقل ذلك فصارَ قولاً. قال الشَّمَّاخُ وذكر مَاءً:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا ونَفَيْتُ عَنْهُ ... مَقامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

أي: الطَّريد. وفي اللاعِنين أربعة أقوالٍ:

[٦٠] **أحدها**: أنَّ المُراد بهم: «دَوابّ الأرض»، رواه البَراءُ عن النبيِّ ﷺ، وهو قول مُجاهِدٍ، وعِكرمةَ. قال مُجاهدٌ: يقولون إنما مُنِعْنا القَطْرَ بذنوبكم فيَلْعَنُونهم.

والثاني: أنهم المؤمنون، قالهُ عبدُ الله بن مَسعودٍ. **والثالث**: أنهم الملائكة والمؤمنون، قاله أبو العَاليَة، وقَتادةُ. **والرابع**: أنهم الجِنُّ والإِنْسُ وكلُّ دابَّةٍ، قاله عَطاءٌ.

فصل: وهذه الآية تُوجب إظهارَ عُلوم الدِّين، مَنصوصةً كانت أو مُستنبطةً، وتدلُّ على امتناعِ جوازِ أَخْذِ الأَجْرَة على ذلك، إذْ غيرُ جَائِزٍ استحقاقُ الأَجْرِ على ما يَجِبُ فِعْلُهُ.

[٦١] وقد روى الأعْرَجُ عن أبي هُريرةَ أنه قال: إنَّكم تقولون: أَكْثَرَ أبو هُريرة عن النبيِّ ﷺ، واللّهُ الموعدُ، وأيْمُ اللّهِ: لولا آيةٌ في كتاب الله ما حَدَّثْتُ أحداً بشيءٍ أبداً، ثُمَّ تَلاَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا﴾ . . . إلى آخِرِها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾. قال ابن مسعودٍ: إلاَّ الذين تَابُوا من اليهود وأَصْلَحُوا أعمَالَهم، وبَيَّنُوا صِفَةَ رسولِ الله ﷺ في كتابِهم.

فصل: وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ الآية التي قبلَ هذه مَنْسُوخَةٌ بالاستثناء في هذه، وهذا ليس بِنَسْخٍ، لأنَّ الاستثناء إخراجُ بعض ما شَمَلَهُ اللفظُ، وذلك يقتضي التَّخصيصَ دونَ النَّسْخِ، ومما يُحقِّق هذا أنَّ

---

[٦٠] ضعيف، أخرجه ابن ماجة ٤٠٢١ وفيه ليث، وهو ضعيف أعله البوصيري في الزوائد بضعف ليث بن أبي سليم. وانظر «تفسير القرطبي» ٧٧٣ بتخريجنا.

[٦١] صحيح. أخرجه البخاري ١١٨ من طريق الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة.

---

(١) إسناده ساقط، أخرجه الثعلبي كما في «أسباب النزول» للسيوطي ٧٨ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب كما تقدم، وأبو صالح متروك، لكن كون المراد بالآيات اليهود هو ظاهر القرآن، وورد عن ابن عباس أخرجه الطبري ٢٣٧٦ بسند فيه مجهول. وورد من مرسل قتادة، أخرجه برقم ٢٣٨٠ ومن مرسل مجاهد برقم ٢٣٧٧ ومن مرسل السدي برقم ٢٣٨١.
ـ الخلاصة: أصل الخبر محفوظ بشواهده.

النَّاسخَ والمَنْسُوخَ لا يُمكن العملُ بأحدِهما إلا بِتَرْكِ العملِ بالآخر، وهاهُنا يمكنُ العملُ بالمُستثنى والمُستثنى مِنهُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾. إنَّما شَرَطَ الموتَ على الكُفر، لأنَّ حُكمه يستقرُّ بالموت عليه، فإنْ قيل: كيفَ قال: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وأهلُ دِينه لا يَلْعَنُونَهُ، فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّهم يَلْعَنُونَه في الآخرة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾. **والثاني**: أنَّ المراد بالنَّاس هاهنا المُؤمنون، قاله ابن مسعودٍ وقَتادةُ ومُقاتلٌ. فيكون على هذا من العامِّ الذي أُريد به الخَاصُّ. **والثالث**: أنَّ اللعنةَ مِنَ الأكثر يُطلق عليها: لَعْنَة جميع النَّاس تَغْليباً لحُكْم الأكثرِ على الأقلِّ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في هاء الكِناية قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى اللعنةَ، قاله ابن مسعودٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها ترجع إلى النَّار، وإنْ لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ فقد عُلمت.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. قال ابن عباسٍ: إنَّ كفارَ قُريشٍ قالوا: يا محمَّدُ صِفْ لنا ربَّكَ وانْسُبْهُ، فنزلت هذه الآية، وسورةُ الإخلاص. والإله بمعنى: المَعْبُود.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: اجعلْ لَنا الصَّفَا ذَهباً إنْ كنتَ صادقاً؛ فنزلت هذه الآية، حكاه السُّدِّيُّ عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ[(١)]. **والثاني**: أنهم لمَّا قالوا: انسُبْ لنا ربَّكَ وَصِفْهُ، فنزلت: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، قالوا: فَأَرِنَا آيةَ ذلك؛ فنزلت: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ[(٢)]. **والثالث**: أنه لمَّا نزلت ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، قال كُفَّارُ قُريشٍ: كيفَ يَسَعُ النَّاسَ إلَهٌ واحدٌ؟

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ١/٢٠٢، وإسناده لين، وفيه جعفر بن أبي المغيرة، وهو غير قوي وبخاصة في روايته عن سعيد بن جبير. وهذا منها. ثم إن الآية مدنية في قول عطاء وغيره. راجع أسباب النزول للواحدي ٨٤. والمتن غريب، فإن السورة مدنية باتفاق. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٢. وأخرجه الطبري ٢٤١٢ عن السدي مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، ولم أره عن ابن مسعود ولا ابن عباس، ولا يصح.

(٢) عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح روى عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً، انظر ترجمته في المقدمة.

فنزلت هذه الآية، قاله عطاء[١].

فأمّا ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، فتدلُّ على صَانِعِهَا، إذْ هي قائمةٌ بغير عَمَدٍ، وفيها من الآيات الظَّاهرة، ما يَدلُّ يَسِيرُهُ على مُبْدِعِهِ، وكذلك الأرضُ في ظُهور ثِمَارِها، وتَمهِيدِ سُهولها؛ وإرساءِ جبالها، إلى غير ذلك. ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ كلُّ واحدٍ منهما حادثٌ بعدَ أنْ لم يَكُنْ، وزَائِلٌ بعد أنْ كان، ﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾: السُّفن. قال ابن قُتيبةَ: الواحدُ والجَمْعُ بلفظٍ واحدٍ. وقال اليَزِيديُّ: وَاحِدُهُ فَلَكة، ويُذكَّر ويُؤنَّث. وقال الزجَّاجُ: الفُلك السُّفُنُ، ويكون واحداً، ويكون جمعاً، لأنَّ فَعَل، وفُعْل جَمْعُهما واحدٌ، ويأتيان كثيراً بمعنىً واحدٍ. يُقال: العَجم والعُجم، والعَرب والعُرب، والفَلَك والفُلك. والفُلْكُ: يُقال لكلِّ مُستدير، أو فيه استِدَارَةٌ. و«البحر»: الماءُ الغَزيرُ ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من المَعَايِش. ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ﴾، يعني: المَطَر، والمَطَرُ ينزل على معنىً واحدٍ، وأجزاءُ الأرض والهَواء على معنىً واحدٍ، والأنواع تختلف في النَّبَات والطُّعُوم والألوان والأشكال المُختلفات، وفي ذلك ردٌّ على مَنْ قال: إنه من فِعْلِ الطَّبيعة، لأنه لو كانَ كذلكَ لوَجَبَ أن يتَّفِقَ مُوجِبُها، إذ المُتَّفقُ لا يُوجب المُختلف، وقد أشارَ سُبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾[٢].

قوله تعالىٰ: ﴿وَبَثَّ﴾، أي: فرَّقَ. قرأ ابن كثير ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ على الجَمْعِ في خمسة مواضعَ: هاهنا. وفي (الحِجْرِ): ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[٣]، وفي (الكهف): ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾[٤]، وفي (الرُّوم): الحرف الأول ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾. وفي (الجاثِيَة): ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾[٥]، وقرأ باقي القرآن ﴿ٱلرِّيحَ﴾. وقرأ أبو جَعفرَ ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ في خمسة عشرَ موضعاً في (البقرة)، وفي (الأعراف): ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾[٦]، وفي (إبراهيم): «اشتدت به الرياح»، وفي (الحجر): ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾، وفي (سبحان)[٧]، وفي (الكَهف): ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾، وفي (الأنبياء)؛ وفي (الفُرقان): ﴿أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾[٨]، وفي (النَّمل). والثاني من (الرُّوم): وفي (سبأ)، وفي (فَاطِر): ﴿أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾[٩]، وفي (عسق): «يسكن الرياح»، وفي (الجاثِيَة): ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾، تابعه نافعٌ إلا في (سبحان)، و«رياح» سليمان. وتابع نافعاً أبو عمرو إلا في حرفين: «الريح» في (إبراهيم) و(عسق). ووافق أبا عُمر، وعَاصمٌ، وابنُ عامر. وقرأ حَمزةُ ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ جَمْعاً في موضعين: في (الفرقان)، والحرف الأول من (الرُّوم)، وباقيهنَّ على التَّوحيد. وقرأ الكِسائيُّ مثلَ حَمْزَة، إلا أنَّه زادَ عليه في (الحِجْر): ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾، ولم يختلفوا فيما ليس فيه ألفٌ ولامٌ، فمَنْ جَمَعَ؛ فكلُّ ريحٍ تُساوي أختها في الدَّلالة على التَّوحيد والنَّفع، ومَنْ وَحَّدَ؛ أراد الجنس.

ومعنى تصريف الرِّياح: تَقَلُّبها شمالاً مرَّةً، وجنوباً مرَّةً، ودبُوراً أُخرى، وعذاباً ورحمةً، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ﴾: المُذلَّل. والآية فيه من أربعة أوجهٍ: ابتداء كَونِهِ، وانتهاءُ تَلاشِيه، وقيامُه بلا

---

(١) ضعيف، أخرجه الطبري ٢٤٠٦ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٤ عن عطاء مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، والسورة مدنية، فهذا خبر واهٍ، لا شيء.
(٢) الرعد: ٤.
(٣) الحجر: ٢٢.
(٤) الكهف: ٤٥.
(٥) الجاثية: ٥.
(٦) الأعراف: ٥٧.
(٧) أي سورة الإسراء.
(٨) الفرقان: ٤٨.
(٩) فاطر: ٩.

دِعامةٍ ولا عَلاقَةٍ، وإرسالُهُ إلى حيثُ شاءَ اللَّهُ تعالىٰ. (لآياتٍ). الآيَةُ: العَلامَةُ.

أخبرنا عبد الوهّاب الحافظ، قال: أخبرنا عَاصِمٌ قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابنُ صَفْوان قال: حدثنا ابن أبي الدُّنيا قال: حدّثني هَارُونُ قال: حدّثني عَفَّانُ عن مُبارَكِ بن فَضَالَةَ قال: سمعتُ الحسنَ يقول: كانوا يقولون ـ يعني أصحابَ النبيِّ ﷺ: الحَمْدُ للَّهِ الرَّفيق، الذي لَو جعلَ هذا الخَلْقَ خَلْقاً دائماً لا يَنْصَرِفُ، لقَالَ الشَّاكُّ في الله: لَو كانَ لهذا الخَلْقِ رَبٌّ لَحَادَثَهُ، وإنَّ الله تعالىٰ قد حَادَثَ بما تَرَوْنَ مِنَ الآيات، إنه جاءَ بضوءٍ طَبَّق ما بين الخَافقَين؛ وجعلَ فيها مَعاشاً، وسِراجاً وَهَّاجاً، ثمَّ إذا شاءَ ذَهبَ بذلك الخَلْقِ، وجاء بظُلْمَةٍ طَبَّقت ما بين الخَافِقين، وجعل فيه شُهُباً ونُجُوماً، وقَمَراً مُنيراً، وإذا شاءَ بَنَى بناءً، جعلَ فيه المطرَ، والبَرْقَ، والرَّعدَ، والصَّواعقَ، ما شاءَ، وإذا شاءَ صَرفَ ذلك، وإذا شاءَ جاءَ ببَرْدٍ يقرقف[1] الناسَ، وإذا شاء ذهبَ بذلك، وجاءَ بحرٍّ يأخذُ أنفاسَ الناس، ليعلَمَ الناسُ أنَّ لهذا الخَلْقِ رَبّاً يُحَادِثُهُ بما تَرَوْنَ من الآيات، كذلك إذا شاءَ ذهبَ بالدُّنيا وجاءَ بالآخرة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾. في الأَنْداد قولان؛ قد تَقَدَّما في أوَّل السُّورة. وفي قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: يُحِبُّونَهم كَحُبِّ الذين آمنوا للَّهِ، هذا قول ابن عباسٍ، وعِكرمةَ، وأبي العَالِيَة، وابن زيدٍ، ومُقاتلٍ، والفَرَّاءِ. **والثاني**: يحبُّونهم كَمَحَبَّتِهم للَّهِ، أي: يُسَوونَ بين الأَوْثَان وبينَ اللَّهِ تعالىٰ في المَحَبَّةِ. هذا اختيارُ الزَّجّاج، قال: والقولُ الأوَّل ليس بشيءٍ، والدَّليلُ على نَقْضِهِ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، قال المُفسّرون: أشدُّ حُبّاً للَّهِ مِنْ أهل الأوثان لأَوْثانِهم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وابن كَثيرٍ، وعاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «يرى» بالياء، ومعناه: لو يَرَوْنَ عذابَ الآخرة؛ لعَلِمُوا أنَّ القوةَ لله جميعاً. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: «ولو ترى» بالتاء، على الخِطابِ للنبيِّ ﷺ، والمُراد به جميعُ الناس، وجوابُه محذوفٌ، تقديره: لَرأيتُم أمراً عظيماً، كَما تقول: لو رأيتَ فُلاناً والسِّياطُ تَأخُذُهُ. فإنَّما حذفَ الجوابَ، لأنَّ المعنى مَعلومٌ. قال أبو عليٍّ: وإنَّما قال: «إذ» ولم يَقُلْ: «إذا» وإنْ كانت «إذ» لِمَا مَضى، لإرادةِ تَقْريبِ الأَمْرِ، فأتى بمِثَالِ المَاضِي، وإنَّما حَذفَ جوابَ «لو» لأنَّه أفخَمُ، لِذَهَابِ المُتوعَّد إلى كلِّ ضَرْبٍ من الوَعِيد. وقرأ أبو جَعفر: «إن القوة» و «إن الله» بكَسْرِ الهمزة فيهما على الاسْتِئْنافِ، كأنَّه يقول: ولا يَحْزُنكَ ما تَرى مِنْ مَحبَّتِهم أصْنامهم «إن القوة لله جميعاً»، قال ابن عباسٍ: القُوَّةُ: القُدْرَةُ، والمَنَعَةُ.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

(١) القرقفة: الرعدة، وقرقف: أرعد.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾، فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم القَادةُ والرُّؤساءُ، قاله ابن عباسٍ، وأبو العَاليَة، وقَتادةُ، ومُقاتل، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنهم الشَّياطين، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، يَشملُ الكلَّ. ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، أي: عَنهُم، مِثل قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[1]. وفي ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَودَّاتُ، وإلى نَحْوِهِ يذهبُ ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنَّها الأعمالُ، رَواه السُّدِّيُّ عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وهو قولُ أبي صالحٍ وابن زيدٍ. **والثالث**: أنَّها الأرحامُ، رواه ابن جُريجٍ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنَّها تَشمَلُ جميعَ ذلكَ. قال ابنُ قُتيبةَ: هي الأسبابُ التي كانوا يَتَواصَلُون بها في الدُّنيا، فأمَّا تَسمِيَتُها بالأسباب، فالسَّببُ في اللغة: الحَبْلُ، ثم قيل لكلِّ ما يُتَوَصَّلُ به إلى مَقْصُودٍ: سَبَبٌ. والكَرَّةُ: الرَّجْعَةُ إلى الدُّنيا، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ في آخرين ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾، يُريدون: مِنَ القادة ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ في الآخرة. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾، قال الزجَّاجُ: أي: كتَبَرُّؤِ بعضِهم مِن بعضٍ، يُريهم اللَّهُ أعمالَهم حسراتٍ عليهم، لأنَّ أعمالَ الكافر لا تَنفعُهُ. وقال ابن الأنباريِّ: يُريهم اللَّهُ أعمالَهم القَبيحةَ حَسراتٍ عليهم إذا رَأوا أحسَن المُجازاة للمؤمنين بأعمَالِهم، قال: ويجوزُ أن يكون: كذلك يُريهم اللَّهُ ثوابَ أعمالِهم وجَزاءَها، فحذفَ الجزاءَ وأقامَ الأعمالَ مَقامَه. قال ابنُ فارسٍ: والحَسْرَةُ: التَّلَهُّفُ على الشَّيءِ الفَائتِ. وقال غيره: الحَسْرَةُ: أَشَدُّ النَّدامَةِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ نزلت في ثَقيفٍ، وخُزاعَة، وبني عامرِ بن صَعْصَعَة، حَرَّمُوا على أنفُسِهم من الحَرْثِ والأنعامِ، وحَرَّمُوا البحيرَة، والسَّائبَة، والوَصيلَة، والحَامَ، قاله ابن السَّائِبِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصم «خُطوات» مُثقَّلَةً. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بَكرٍ عن عاصم، وحَمزة «خُطْوات» ساكنةَ الطَّاء خفيفةً. وقرأ الحسنُ، وأبو الجَوزاءِ «خَطْوات» بفتح الخاء وسكونِ الطَّاء مِن غير همزٍ. وقرأ أبو عمران الجوني بضم الخاء والطاء مع الهمز. قال ابن قُتيبة: خطواته: سبيله ومسلكه، وهي جمع خُطْوَة، والخُطوَة بضم الخاء: ما بين القَدَمَين، وبفتحها: الفِعْلةُ الوَاحِدَةُ. واتِّباعُهم خُطُواته: أنهم كانوا يُحَرِّمون أشياءَ قد أحَلَّها اللَّهُ، ويُحِلُّون أشياءَ قد حَرَّمَهَا اللَّهُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، أي: بَيِّنٌ. وقيل: أَبَانَ عَداوَتَهُ بما جَرَى له مع آدمَ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾، السُّوء: كُلُّ إثمٍ وقُبحٍ. قال ابن عباسٍ: وإنَّما سُمِّيَ سُوءاً، لأنه تَسُوء عَواقِبُهُ، وقيل: لأنه يَسُوءُ إظهارُه ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ مِنْ: فَحُشَ الشيءُ: إذا جَازَ قَدْرَهُ. وفي المُراد بها هاهنا خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنها كلُّ معصيةٍ لها حَدٌّ في الدنيا. **والثاني**: أنها ما لا يُعرف في

---

(١) الفرقان: ٥٩.

شريعةٍ ولا سُنَّةٍ. **والثالث**: أنها البُخلُ، وهذه الأقوال الثلاثة منقولةٌ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها الزِّنا، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: المعاصي، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. أي: أنه حَرَّمَ عليكم ما لم يُحَرِّم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها في الذين قِيل لهم: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، فعلَى هذا تكون الهاء والميمُ عائدةً عليهم، وهذا قول مُقاتلٍ. **والثاني**: أنها نزلت في اليهودِ، وهي قِصَّةٌ مُستأنَفَةٌ، فتكون الهاء والميمُ كناية عن غير مذكورٍ، ذَكَرَهُ ابنُ إسحاقَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنها في مُشركي العرب وكُفَّار قريشٍ، فتكون الهاء والميمُ عائدة إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾، فعلى القولِ **الأوَّل**؛ يكون المُراد بالذي أنْزَلَ الله: تَحليلُ الحلال، وتَحريمُ الحرام. وعلى **الثاني** يكون: الإسلام. وعلى **الثالث**: التَّوحيد والإسلامُ. و﴿أَلْفَيْنَا﴾ بمعنى: وَجَدْنا. قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ مِن الدِّين، ولا يَهْتَدُون لهُ، أَيَتبَعُونَهُم في خَطَئِهم وافْتِرائِهم!

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾. في معنى هذه الآية ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ معناها: ومَثَلُ الذين كفروا كَمَثَل البَهائِم التي يَنْعِقُ بها الرَّاعي، وهذا قول الفَرَّاءِ، وثَعْلَبٍ، قالا جميعاً: أضافَ المَثَل إلى الذين كفَرُوا، ثم شَبَّهَهُم بالرَّاعي، ولَمْ يَقُل: كالغَنَم، والمعنى: ومَثَلُ الذين كفروا كالبَهائِم التي لا تَفْقَهُ ما يقول الرَّاعي أكثرَ مِنَ الصَّوت، فلو قالَ لها الرَّاعي: ارْعِي، أو اشْرَبي، لم تَدْرِ ما يقولُ، فكذلك الذين كفَرُوا فيما يأتيهم مِنَ القرآن، وإنذارِ الرَّسول، فأُضيف التَّشبيه إلى الرَّاعي، والمعنى في المَرْعِيّ، وهو ظاهرٌ في كلام العرب، يقولون: فلانٌ يَخافُكَ كَخوفِ الأَسَدِ، والمعنى: كَخَوْفِهِ الأَسَدَ، لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف. قال الشاعر:

كانَتْ فَريضَةُ ما تَقُولُ كَمَا ... كانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى: كَمَا كان الرَّجمُ فريضةَ الزِّنى.

والثاني: أنَّ معناها: ومَثَلُ الذين كفَرُوا، ومَثَلُنا في وَعْظِهِم، كَمَثَل النَّاعِقِ والمَنْعُوقِ به، فحُذفَ «ومَثَلُنا» اخْتِصاراً، إذْ كان في الكلامُ ما يدلُّ عليه. وهذا قول ابن قُتيبةَ، والزجَّاج.

والثالث: ومَثَلُ الذين كفروا في دُعائِهم آلهتهم التي يَعْبُدون، كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ، هذا قول ابن زيدٍ، والذي يَنْعِقُ هو الرَّاعي، يُقال: نَعَقَ بالغَنَم، يَنْعِقُ نَعْقاً ونَعِيقاً ونُعاقاً ونُعْقاناً. قال ابنُ الأنباريِّ: والفاشِي في كلام العرب أنه لا يُقال: نَعَقَ، إلاَّ في الصِّياح بالغَنَم وحدَها، فالغَنَمُ تَسْمَعُ الصوتَ ولا تَعْقِلُ المعنى. ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ إنَّما وَصَفَهم بالصُّمِّ والبُكْمِ، لأنهم في تَرْكِهِم قَبُول ما يسمعون بمنزلة مَنْ لا

يسمع، وكذلك في النُّطق والنَّظر، وقد سبقَ شرحُ هذا المعنى.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾. قرأ أبو جعفر «الميتة» هاهنا، وفي (المائدة) و(النَّحل)، و«بلدة ميِّتاً» بالتشديد، حيث وقع. والمَيْتَة في عُرف الشَّرع: اسمٌ لكلِّ حيوانٍ خرجت رُوحه بغير ذَكَاةٍ. وقيل: إنَّ الحِكْمَة في تحريم المَيتة أنَّ جُمودَ الدَّم فيها بالمَوت يُحدث أذىً للآكل، وقد يُسمَّى المَذْبوح في بعض الأَحوال: مَيْتةً حُكماً، لأنَّ حُكمَه حُكمُ المَيْتَة، كذبيحة المُرْتَدِّ؛ فأما الدم فالمُحرَّم منه: المَسفُوح، لقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[(١)]. قال القاضي أبو يَعْلَى: فأمَّا الدَّمُ الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذَّبح، وما يبقى في العُروق؛ فهو مُباحٌ.

فأمَّا لَحْمُ الخِنزير؛ فالمُراد: جُملته، وإنما خَصَّ اللحمَ، لأنَّه معظمُ المَقصود. قال الزَّجَّاجُ: الخِنزير يشتملُ على الذَّكر والأُنثى. ومعنى ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ما رُفع فيه الصوتُ بتسمية غير الله، ومِثْلُهُ الإِهْلالُ بالحَجِّ، إنَّما هو رَفْعُ الصَّوت بالتَّلبية.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾، أي: أُلجِىء بضرورةٍ. وقرأ أبو جَعفَر: (فمن اضطِر) بكسر الطاء حيث كانَ. وأدغَم ابنُ مُحيصِنٍ الضاد في الطاء.

قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، قال الزجَّاجُ: البَغْي: قَصْدُ الفَساد، يقول: بَغَى الجُرح: إذا تَرامى إلى الفَساد. وفي قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه غيرَ باغ على الوُلاة، ولا عَادٍ يَقْطَعُ السَّبيلَ، هذا قول سعيدِ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٍ. **والثاني**: غيرَ باغٍ في أَكْلِهِ فَوقَ حَاجَتِهِ، ولا مُتعَدٍّ بأَكْلِها وهو يجدُ غيرَها. هذا قول الحسنِ، وعكرمةَ، وقَتادةَ، والرَّبيع. **والثالث**: غيرَ باغٍ، أي: مُسْتَحِلٍّ، ولا عَادٍ: غيرَ مُضْطَرٍّ، رُوي عن سعيدِ بن جُبيرٍ، ومُقاتلٍ. **والرابع**: غيرَ باغٍ شَهْوَتَهُ بذلك، ولا عادٍ بالشِّبع منه، قاله السُّدِّيُّ.

فصل: معنى الضَّرورة في إباحة المَيْتَة: أنْ يخافَ على نَفْسِهِ أو بعض أَعْضَائِه. سُئِل أحمدُ، رضي الله عنه، عن المُضطَرِّ إذا لم يأكل المَيْتَة، فذَكَرَ عن مَسْرُوقٍ أنه قال: مَنِ اضْطُرَّ فلم يَأْكُلْ فماتَ دخلَ النَّارَ. وأمَّا مِقدار ما يأكل؛ فنَقَلَ حَنْبَلُ: يأكلُ بمقدارِ ما يُقيمه عن المَوْتِ، ونقلَ ابن مَنصورٍ: يأكلُ بقدر ما يستغني. فظاهرُ الأُولى: أنَّه لا يجوز له الشِّبع، وهو قول أبي حَنيفةَ والشَّافعيِّ، وظاهرُ الثانية: جَوازُ الشِّبَع؛ وهو قول مَالكٍ[(٢)].

(١) الأنعام: ١٤٥.
(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٣٣٠: أجمع العلماء على تحريم الميتة حالة الاختيار، وعلى إباحة الأكل منها في الاضطرار. وكذلك سائر المحرمات. والأصل في هذا قول الله تعالى: **﴿إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه﴾** ويُباح له أكل ما يسدّ الرمق، ويأمن معه الموت، بالإجماع. ويَحْرُمُ ما زاد على الشِّبع، بالإجماع أيضاً. وفي الشّبع روايتان؛ أظهرهما، لا يباح. وهو قول أبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن مالك وأحد القولين للشافعي. قال الحسن: =

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كَتَموا اسمَ النبيِّ ﷺ، وغيَّروه في كِتابِهم[1]. والثَّمَنُ القليلُ: ما يُصيبونَهُ مِنْ أتباعهم مِنَ الدنيا. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾، قال الزجَّاجُ: معناه: إنَّ الذينَ يَأْكُلُونَهُ يُعَذَّبون به، فكأنَّهم يأكلون النَّار، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ هذا دليلٌ على أنَّ اللّهَ لا يُكَلِّمُ الكُفَّار ولا يُحاسبهم. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لا يُزَكي أعمالَهم، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: لا يُثني عليهم، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: لا يُطَهِّرهم مِنْ دَنَسِ كُفرهم وذُنوبهم، قاله ابنُ جَريرٍ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، أي: اختاروها على الهُدَى. وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: فَمَا أَصْبَرَهُم على عملٍ يُؤدِّيهم إلى النَّار! قاله عِكرمةُ، والرَّبيعُ. **والثاني**: مَا أَجْرَأَهُم على النَّار؛ قاله الحَسَنُ، ومُجاهدٌ. وذكرَ الكِسائيُّ أنَّ أعرابياً حَلَفَ له رجلٌ كاذباً، فقال الأعرابيُّ: ما أَصْبَرَكَ على الله، يُريد: ما أَجْرَأَكَ. **والثالث**: ما أَبْقاهُمْ في النَّار، كما تقول: ما أَصْبَر فُلاناً على الحَبْسِ، أي: ما أَبْقَاهُ فيه، ذكره الزجَّاجُ. **والرابع**: أنَّ المعنى: فأيُّ شيءٍ صَبَّرَهُم على النَّار؟! قاله ابنُ الأنْباريِّ. وفي «ما» قولان: **أحدهما**: أنها للاستفهام، تقديرها: ما الذي أَصْبَرَهُم؟ قاله عطاءٌ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ، وأبو بَكْر بن عيَّاشٍ. **والثاني**: أنها للتعجّب،

= يأكل قدر ما يقيمه، لأن الآية دلّت على تحريم الميتة، واستثنى ما اضطر إليه، فإذا اندفعت الضرورة لم يحل له الأكل، كحالة الابتداء، ولأنه بعد سدّ الرمق غير مضطرٌ، فلم يحل له الأكل، للآية، يحققه أنه بعد سدّ رمقه كهو قبل أن يضطر، وثمّ لم يبح له الأكل كذا ههنا. والثانية: يباح له الشبع. اختارها أبو بكر، لما روى جابر بن سمرة أن رجلاً نزل الحرّة، فنفقت عنده ناقةٌ، فقالت له امرأته: اسلخها، حتى نقدّد شحمها ولحمها، ونأكله. فقال حتى أسأل رسول الله ﷺ. فسأله فقال: «هل عندك غنىً يغنيك؟». قال: لا. قال: «فكلوها» ولم يفرّق. رواه أبو داود ولأن ما جاز سد الرمق منه، جاز الشبع منه، كالمباح. ويحتمل أن يفرّق بين إذا ما كانت الضرورةُ مستمرةً، وبين ما إذا كانت مرجوة الزوال فما كانت مستمرة، كحال الأعرابي الذي سأل رسول الله ﷺ جاز له الشّبع، لأنه إذا اقتصر على سدّ الرمق، عادت الضرورة إليه عن قرب، ولا يتمكن من البعد عن الميتة، مخافة الضرورة المستقبلية، ويفضي إلى ضعف بدنه، وربما أدى ذلك إلى تلفه. بخلاف التي ليست مستمرة، فإنه يرجو الغنى عنها بما يحلّ له. والله أعلم. إذا ثبت هذا، فإن الضرورة المبيحة، هي التي يخاف التلف بها إن ترك الأكل. قال أحمد: إذا كان يخشى على نفسه، سواء كان من جوع، أو يخاف إن ترك الأكل عجز المشي، وانقطع عن الرفقة فيهلك، أو يعجز عن الركوب فيهلك، ولا يتقيد ذلك بزمن محصور. وهل يجب الأكل من الميتة على المضطر؟ فيه وجهان: أحدهما يجب وهو قول مسروق، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي. قال الأثرم: سئل أبو عبد الله عن المضطر يجد الميتة، ولم يأكل؟. فذكر قول مسروق: فمن اضطر فلم يأكل ولم يشرب، فمات، دخل النار. وهذا اختيار ابن حامد. والثاني: لا يلزمه.

(١) تقدم عند الآية ١٥٩.

كقولك: ما أحسنَ زيداً، وما أعلمَ عمراً. وقال ابنُ الأنباريّ: معنى الآية التَّعجّب، والله يُعَجِّبُ المَخْلُوقين، ولا يَعْجَبُ هو كَعَجَبِهِم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ الإشارةُ بذلك إلى ما تقدَّمَ مِنَ الوَعيد بالعذاب، فتقديره: ذلك العذاب بأنّ الله نَزّل الكتابَ بالحقّ، فكَفَرُوا به واختلفوا فيه.

وفي «الكتاب» قولان: **أحدهما**: أنه التَّوراةُ. **والثاني**: القُرآنُ. وفي «الحقّ» قولان: **أحدهما**: أنه العَدْلُ، قاله ابن عباس. **والثاني**: أنه ضِدُّ الباطل، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه التَّوراةُ، ثمَّ في اختلافهم فيها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ اليهودَ والنَّصارى اختلفوا فيها، فادَّعى النَّصارى فيها صِفَةَ عيسى، وأنكرَ اليهودُ ذلك. **والثاني**: أنهم خَالَفُوا ما في التَّوراة مِنْ صِفةِ محمَّدٍ ﷺ. **والثالث**: أنهم خَالفُوا سَلَفَهُمْ في التَّمسُّك بها.

والثاني: أنه القُرآن، فمنهم مَنْ قال: شِعْرٌ، ومنهم مَنْ قال: إنَّما يُعَلِّمُه بَشَرٌ.

والشقاق: مُعَاداة بعضهم لبعضٍ. وفي معنى «بعيد» قولان: **أحدهما**: أنَّ بعضَهم مُتَبَاعِدٌ في مُشاقَّة بعضٍ، قاله الزجَّاجُ. **والثاني**: أنه بَعيدٌ من الهُدى.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾. قال قتادة:

[٦٢] ذُكِر لنا أنَّ رَجُلاً سألَ عن «البرّ»، فأُنزلت هذه الآية، فدَعَاهُ رسولُ الله، فتَلاهَا عليه.

وفيمن خُوطِبَ بها قولان: **أحدهما**: أنهم المُسلمون. **والثاني**: أهلُ الكِتَابَيْن. فعلى القول **الأوَّل**؛ معناها: ليس البِرُّ كُلُّهُ في الصَّلاة، ولكنَّ البِرَّ ما في هذه الآية. وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وعَطاءٍ، والضَّحَّاكِ وسُفيانَ. وعلى القول **الثاني**؛ معناها: ليسَ البِرُّ صلاةَ اليهود إلى المَغرب، وصلاة النَّصارى إلى المَشْرق، ولكنَّ البِرَّ ما في هذه الآية، وهذا قول قَتادةَ، والرَّبيعِ، وعَوفٍ الأعرابيّ، ومُقاتلٍ.

وقرأ حَمزةُ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بنصب الراء، وقرأ الباقون برفعها، قال أبو عليٍّ:

---

[٦٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٥٢٧ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٨ عن قتادة بدون إسناد.

كلاهما حَسَنٌ، لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ الاسمين؛ اسمُ «ليس» وخَبَرُها، معرفةٌ، فإذا اجتمعا في التَّعريف تكافآ في كونِ أحدهما اسماً، والآخر خَبَراً، كما تتكافأ النَّكِرَتان.

وفي المُراد بالبِرِّ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الإيمانُ. **والثاني**: التَّقوى. **والثالث**: العَمَلُ الذي يُقَرِّبُ إلى الله. قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: ولكنَّ البِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بالله. **والثاني**: ولكنَّ ذا البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله، حكاهما الزجَّاجُ.

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «ولكنِ البرُّ» بتخفيف نون «لكن» ورفع «البرّ». وإنما ذَكَرَ اليومَ الآخِرِ، لأنَّ عَبَدَةَ الأوثَان لا يُؤمنون بالبَعْثِ. وفي المُراد بالكتاب هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه القُرآن. **والثاني**: أنه بمعنى الكُتُب، فيدخل في هذا اليهود، لِتكْذيبِهِم بعض النَّبيينَ وردِّهِم القرآن.

قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، في هاء «حُبِّه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى المَال. **والثاني**: إلى الإيتاء. وكان الحَسَنُ إذا قرأَهَا قال: سِوى الزَّكاة المَفْرُوضَة.

قوله تعالىٰ: ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، يُريد: قَرابَة المُعطي. وقد شرحنا معنى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ عند رأس ثلاثٍ وثمانين آيةً مِنْ هذه السُّورة.

فأمَّا «ابن السبيل» ففيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الضَّيْفُ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ، والزجَّاجُ. **والثاني**: أنه الذي يَمُرُّ بكَ مُسافراً، قاله الرَّبيعُ بن أَنَسٍ، وعن مُجاهدٍ، وقَتادة كالقولين. وقد رُوي عن الإمام أحمدَ أنّه قال: هو المُنْقَطِعُ به يُريد بلداً آخَرَ وهو الطَّريقُ، وابنُهُ: صَاحِبُهُ الضَّاربُ فيه، فَلَهُ حَقٌّ على مَنْ يَمُر به إذا كان مُحتاجاً. ولعلَّ أصحابَ القولِ الأوَّل أشارُوا إلى هذا، لأنَّه إنْ كان مُسافراً، فإنه ضَيْفٌ لم يَنْزِلْ. **والقول الثالث**: أنه الذي يُريد سَفَراً، ولا يَجِدُ نفقةً، ذكره المَاوَرديُّ وغيرُه عن الشَّافعيِّ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ أي في فكِّ الرِّقاب. ثم فيه قولان: **أحدهما**: أنهم المُكاتَبُون يُعانُون في كِتَابَتِهِم بما يُعْتَقُون به، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وهو مَرويٌّ عن عليِّ بن أبي طالبٍ، والحَسَنِ، وابن زيدٍ، والشَّافعيِّ. **والثاني**: أنهم عَبيدٌ يُشْتَرَون بهذا السَّهم ويُعْتَقُون، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، وبه قال مالكُ بن أنَسٍ، وأبو عُبيدٍ، وأبو ثَورٍ. وعن أحمدَ كالقَولين.

وأمَّا البَأساءُ؛ فهي: الفَقرُ. والضَّرَّاءُ: المَرَضُ. وحينَ البأسِ: القتال؛ قاله الضَّحَّاك. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾، قال أبو العَاليَة: تكلَّمُوا بالإيمان وحَقَّقُوه بالعمل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾. رَوى شَيْبانُ عن قَتادة أنَّ أهلَ الجاهلية كان فيهم بَغْيٌ، وكان الحيُّ منهم إذا كان فيهم عددٌ وعُدَّةٌ، فقتَلَ عبدَهم عبدُ قوم آخرين؛ قالوا: لن نقتل به إلا حُرّاً، تَعَزُّزاً لفضلهم على غيرهم. وإذا قتلت امرأةٌ منهم امرأةٌ مِنْ آخرين؛ قالوا: لن نقتلَ بها إلاَّ

رجلاً؛ فنزلت هذه الآية[١]. ومعنى «كتب»: فرض، قاله ابن عباسٍ وغيره. والقِصَاصُ: مُقابلةُ الفعل بمِثْلِهِ، مأخوذٌ من: قَصِّ الأثر، فإن قيل: كيف يكون القِصَاصُ فَرْضاً والوَلِيُّ مُخَيَّرٌ بينه وبين العَفْوِ؟ فالجواب: أنه فَرْضٌ على القَاتِلِ للوَلِيِّ، لا على الوَلِيِّ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، أي: مِنْ دَمِ أخيه؛ أي: تَرَكَ له القتل، ورَضِيَ منه بالدِّيَة. ودَلَّ قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ على أنَّ القاتل لم يخرج عن الإسلام، ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: مُطالبته بالمعروف، يأمر آخذ الدِّيَة بالمُطالبة الجَميلة التي لا يُرهقه فيها. ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ يأمر المُطالب بأنْ لا يَبْخس ولا يُماطِل ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، قال سعيدُ بن جُبيرٍ: كان حُكْمُ الله على أهل التَّوْراة أن يُقتل قاتلُ العَمْدِ، ولا يُعفى عنه، ولا يُؤخذ منه دِيَةٌ، فَرَخَّص اللَّهُ لأمَّةِ محمَّدٍ، فإنْ شاءَ وَلِيُّ المقتول عَمْداً قَتَلَ، وإنْ شاءَ عَفَا، وإنْ شاءَ أخَذَ الدِّيَة.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾، أي: ظَلَمَ، فقتَلَ قَاتِلَ صاحبه بعد أَخْذِ الدِّيَةِ؛ ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال قَتادةُ: يُقتل ولا تُقبل منه الدِّيَةُ.

فصل: ذهب جماعةٌ من المُفسِّرين إلى أنَّ دليلَ خِطَابِ هذه الآية مَنْسُوخٌ، لأنَّه لمَّا قال: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾؛ اقْتَضى أنْ لا يُقتل العبدُ بالحُرِّ، وكذلك لمَّا قال: ﴿وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ اقْتَضى أنْ لا يُقتل الذَّكر بالأنثى مِن جهةِ دليل الخِطَاب، وذلك مَنْسُوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[٢]، وقال شيخُنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ: وهذا عند الفقهاء ليسَ بنَسْخٍ، لأنَّ الفقهاء يقولون: دليلُ الخِطَاب حُجَّةٌ ما لَمْ يُعَارِضه دليلٌ أقْوَى منه[٣].

---

(١) أخرجه الطبري ٢٥٦٧ عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلاً، وأخرجه عبد الرزاق ١٦٣ والطبري ٢٥٦٨ عن معمر عن قتادة. ولم أره عن شيبان عن قتادة، وشيبان هو ابن عبد الرحمن، وهو ممن يروي عن قتادة. وله شاهد من مرسل الشعبي، أخرجه الطبري ٢٥٦٦، فهذا الشاهد يقوي ما قبله، والله أعلم.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني»: ويقتل الذكر بالأنثى، والأنثى بالذكر، هذا قول عامة أهل العلم، منهم النخعي، والشعبي، والزهري، وعمر بن عبد العزيز ومالك، وأهل المدينة، والشافعي وإسحاق، وأصحاب الرأي، وغيرهم. ورُوي عن علي رضي الله عنه، أنه قال: يقتل الرجل بالمرأة، ويُعطى أولياؤه نصف الدية. أخرجه سعيد. وروي مثل هذا عن أحمد. وحكي ذلك عن الحسن، وعطاء. وحكي عنهما مثل قول الجماعة. ولعلّ من ذهب إلى القول الثاني يَحتجُّ بقول عليٍّ، رضي الله عنه، ولأن عَقْلها نصف عقله، فإذا قتل بها بقي له بقية، فاستُوفيت ممن قَتَله. ولنا قوله تعالى: ﴿النفس بالنفس﴾. وقوله: ﴿الحر بالحر﴾ مع عموم سائر النصوص، وقد ثبت أن النبي ﷺ أرسل قتل يهودياً رضّ رأس جارية من الأنصار. وروى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن بكتابٍ فيه الفرائض والأسنان، وأن الرجل يُقتَل بالمرأة. وهو كتاب مشهور عند أهل العلم، متلقى بالقبول عندهم، ولأنهما شخصان يُحَدُّ كل واحدٍ منهم بقذف صاحبه، فقتل كل واحد منهما بالآخر، كالرجلين، ولا يجب مع القصاص شيء، لأنه قصاص واجب، فلم يجب معه شيء على المقتص، كسائر القصاص، واختلاف الأبدال لا عبرة به في القصاص بدليل أن الجماعة يقتلون بالواحد، والنصراني يؤخذ بالمجوسي، مع اختلاف دينيهما، ويؤخذ العبد بالعبد، مع اختلاف قيمتهما. ويقتل كل واحدٍ من الرجل والمرأة بالخنثى، ويقتل بهما، لأنه لا يخلو من أن يكون ذكراً أو أنثى. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠: ذهب أبو حنيفة إلى =

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾. قال الزَّجّاج: إذا عَلِمَ الرجلُ أنه إنْ قَتَلَ قُتِل؛ أَمْسَكَ عن القَتْل، وكان في ذلك حياةٌ للذي هَمَّ بقتله ولِنَفْسِهِ، لأنَّه مِنْ أجل القِصاص أَمْسَكَ. وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أَبْلِغْ أَبَا مَالِكٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً وفي العِتَابِ حَيَاةٌ بينَ أَقْوَامِ(١)

يريد: أنَّهم إذا تَعاتَبُوا أَصْلَحَ ما بينهم العِتَابُ. والألْبَابُ: العُقول، وإنّما خَصَّهم بهذا الخِطاب وإنْ كان الخِطاب عَامّاً، لأنهم المُنتفعون بالخِطاب، لِكَوْنهم يَأْتَمِرُون بِأَمْرِهِ ويَنْتَهُون بِنَهْيِهِ. وقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال ابن عباسٍ: لعلكم تتَّقُون الدِّمَاءَ. وقال ابن زيدٍ: لعلَّكَ تَتَّقِي أَنْ يقتلَهُ فتُقْتَلَ به.

فصل: نقل ابنُ منصورٍ عن أَحْمَدَ: إذا قَتَلَ رجلٌ رجلاً بِعَصَا أو خَنَقَهُ أو شَدَخَ رَأْسَهُ بحَجَرٍ؛ يُقتل بمِثْلِ الذي قَتَلَ به. فظاهرُ هذا أنَّ القِصاص يكون بغير السَّيف، ويكون بمِثْلِ الآلة التي قَتَلَ بها، وهو قولُ مالكٍ والشَّافعيِّ. ونَقَلَ عنه حَرْبٌ: إذا قَتَلَهُ بِخَشَبَةٍ قُتِلَ بالسَّيف. ونقل أبو طَالبٍ: إذا خَنَقَهُ قُتل بالسَّيف. فظاهرُ هذا أنه لا يكون القِصاص إلاّ بالسَّيف، وهو قول أبي حَنِيفَةَ(٢).

= أن الحر يقتل بالعبد لعموم آية المائدة وإليه ذهب الثوري وابن أبي ليلى وداود وهو مروي عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وقتادة والحكم. قال البخاري وعلي بن المديني وإبراهيم النخعي والثوري في رواية عنه: ويقتل السيد بعبده لعموم حديث الحسن عن سمرة «من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن خصاه خصيناه». فقالوا لا يقتل الحر بالعبد لأن العبد سلعة لو قتل خطأ لم يجب فيه دية، وإنما تجب فيه قيمته ولأنه لا يقاد بطرفه ففي النفس بطريق الأولى وذهب الجمهور إلى أن المسلم لا يقتل بالكافر لما ثبت في البخاري عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» ولا يصح حديث ولا تأويل يخالف هذا. وأما أبو حنيفة فذهب إلى أنه يقتل به لعموم آية المائدة. قال الحسن وعطاء لا يقتل الرجل بالمرأة لهذه الآية وخالفهم الجمهور لآية المائدة ولقوله عليه السَّلام: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» وقال الليث إذا قتل الرجل امرأته لا يقتل بها خاصة.

(١) في «اللسان»: المغلغلة: الرّسالة. ورسالة مغلغلة: محمولة من بلدٍ إلى بلد.

(٢) قال الإمام الموفّق رحمه الله في «المغني» ١١/٥٠٨: اختلفت الرّواية عن أحمد في كيفية الاستيفاء، فروي عنه، لا يستوفى إلا بالسيف في العنق. وبه قال عطاء، والثوري، وأبو يوسف، ومحمد، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا قَوَدَ إلا بالسيف» رواه ابن ماجة. ولأن القصاص أحد بدلي النفس، فدخل الطرف في حكم الجملة كالدية فإنه لو صار الأمر إلى الدية، لم تجب إلا دية النفس، ولأن القصد من القصاص في النفس تعطيل الكل، وإتلاف الجملة، وقد أمكن هذا بضرب العنق، فلا يجوز تعذيبه بإتلاف أطرافه، كما لو قتله بسيف كال، فإنه لا يُقتل بمثله. والرواية الثانية عن أحمد قال: إنه لأَهْلٌ أن يُفعَلَ به كما فَعَل. يعني أن للمستوفي أن يقطع أطرافه، ثم يقتله. وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأبي ثور. لقول الله تعالى: **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾** وقوله سبحانه: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾**. ولأن النبي ﷺ رضخ رأس يهودي لرضخه رأس جاريةٍ من الأنصار بين حجرين. ولأن الله تعالى قال: **﴿والعين بالعين﴾**. وهذا قد قلع عينه، فيجب أن تقلع عينه، للآية. ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «من حرّق حرّقناه، ومن أغرق غرّقناه». ولأن القصاص موضوع على المماثلة، ولفظه مشعر =

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾. قال الزجَّاجُ: المعنى: وكُتِبَ عليكم، إلاَّ أنَّ الكلامَ إذا طالَ استغْنَى عن العطف بالواو. وعُلم أنَّ معناه معنى الواو، وليسَ المُراد: كُتب عليكم أنْ يُوصيَ أحدُكم عندَ الموت، لأنَّه في شُغلٍ حِينئذٍ، وإنَّما المعنى: كُتِب عليكم أنْ تُوصوا وأنتم قادرون على الوَصِيَّة، فيقول الرجلُ: إذا أنا مِتُّ، فَلِفُلان كذا، فأمَّا الخَيْرُ هاهنا؛ فهو المَالُ في قول الجماعة. وفي مِقدار المَال الذي تقعُ هذه الوصيَّةُ فيه ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ألفُ درهمٍ فصَاعِداً، رُوي عن عليٍّ، وقَتادةَ. **والثاني**: أنه سبعمائة دِرْهَم فمَا فوقَها، رواه طاوسٌ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: ستونَ ديناراً فما فوقَها، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه المالُ الكثير الفَاضِلُ عن نَفَقَةِ العِيَال. قالت عائشةُ لرجلٍ سألَها: إني أُريد الوَصِيَّةَ، فقالت: كم مالُك؟ قال: ثلاثةُ آلافٍ، قالت: كَمْ عِيَالُكَ؟ قال: أربعةٌ. قالت: هذا شيءٌ يسيرٌ، فَدَعْهُ لِعِيالِكَ. **والخامس**: أنه مِنْ أَلْفِ درهمٍ إلى خمسمائةٍ، قاله إبراهيمُ النَّخعيُّ. **والسادس**: أنه القليلُ والكثيرُ، رواه مَعْمَر عن الزُّهريِّ. فأمَّا المَعْروفُ؛ فهو الذي لا حَيْفَ فيه.

فصل: وهل كانت الوصيَّةُ نَدْباً أو واجبةً؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنها كانت نَدْباً. **والثاني**: أنها كانت فَرْضاً، وهو أصحُّ، لقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ﴾، ومعناه: فُرِضَ. قال ابنُ عُمَرَ: نُسِخَتْ هذه الآية بآية المِيراثِ. وقال ابنُ عباسٍ: نَسَخَها: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾. والعلماء مُتَّفِقُون على نَسْخِ الوَصِيَّة للوَالِدَين والأَقْرَبين الذين يَرِثُون، وهم مُختلفون في الأَقْرَبين الذين لا يَرِثُون: هل تَجِبُ الوَصِيَّةُ لهم؟ على قولين، أَصَحُّهما أنها لا تَجِبُ لأَحَدٍ[1].

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾، قال الزجَّاجُ: مَنْ بَدَّلَ أمرَ الوصيَّة بعد سَماعه إيَّاها، فإنَّما إثْمُهُ على مُبَدِّلِه، لا على المُوصي، ولا على المُوصَى لَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا قد قاله المُوصِي ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله المُوصَى إليه.

= به، فوجب أن يُستَوفى منه مثل ما فعل، كما لو ضرب العنق آخر غيره. فأما حديث: «لا قَوَدَ إلا بالسيف». فقال أحمد: ليس إسناده بجيدٍ.

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٢٥٥: اختلف العلماء في وجوب الوصية على من خلّف مالاً، بعد إجماعهم على أنها واجبة على من قبله ودائع وعليه ديون. وأكثر العلماء على أن الوصية غير واجبة على من ليس قِبله شيء من ذلك وهو قول مالك والشافعي والثوري موسِراً كان الموصي أو فقيراً. وقال الزهري وأبو مجلز: الوصية واجبة على ظاهر القرآن قليلاً كان المال أو كثيراً وقال أبو ثور: ليست الوصية واجبة إلا على رجل عليه دين أو عنده مال لقوم فواجب أن يكتب وصيته ويخبر بما عليه. أما من لا دين عليه ولا وديعة عنده فليست بواجبة عليه إلا أن يشاء. قال ابن المنذر: وهذا حسن. واحتج الأولون بما رواه ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرىء مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده».

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾، قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصم (مُوصٍ) ساكنةَ الواو، وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصم «مُوَصٍّ» مفتوحةَ الواو مُشَدَّدةَ الصَّاد. وفي المُراد بالخَوف هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه العلم. **والثاني**: نفسُ الخَوف، فعَلَى **الأوَّل**؛ يكون الجَورُ قد وُجِدَ. وعلى **الثاني**: يُخشى وجُودُه. و«الجَنَفُ»: المَيْلُ عن الحقِّ. قال الزجَّاجُ: جَنَفاً، أي: مَيْلاً، أو إثماً؛ أي قَصدَ الإثْم. وقال ابن عباسٍ: الجَنَفُ: الخَطأُ، والإثمُ: التَّعمُّدُ، إلاَّ أنَّ المُفَسِّرين عَلَّقُوا الجَنَفَ على المُخطِىء، والإثمَ على العَامِدِ. وفي تَوجيهِ هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنَّ معناها: مَنْ حَضَرَ رجلاً يموتُ، فأسْرَفَ في وَصِيَّتِهِ؛ أو قَصَّرَ عن حقٍّ، فليَأمُرْه بالعَدْلِ، وهذا قول مُجاهدٍ. **والثاني**: أنَّ معناها: مَنْ أَوْصَى بجورٍ، فردَّ وليُّهُ وَصِيَّتَه، أو رَدَّهَا مِنْ أئمَّة المسلمين إلى كتاب الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ؛ فلا إثمَ عليه، وهذا قول قَتادةَ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: بينَ الذين أَوْصَى لَهُم، ولم يَجرِ لهم ذِكرٌ، غيرَ أنَّه لمَّا ذَكَرَ المُوصِي أفادَ مفهومُ الخِطَاب أنَّ هناك مُوصًى لهُ، وأنشد الفَرَّاءُ:

وَمَـا أدْرِي إذا يَـمَّـمْـتُ أَرْضـاً أُرِيـدُ الـخَـيْـرَ أَيُّـهُـمَـا يَـلِـيـنِـي؟!
أَأَلْـخَـيْـرُ الَّـذي أَنَـا أَبْـتَـغِـيـهِ أَم الـشَّـرُّ الَّـذي هُـوَ يَـبْـتَـغِـيـنِـي

فكَنَّى في البيت الأوَّل عن الشَّر بعدَ ذِكره الخير وحدَهُ، لِمَا في مفهوم اللفظِ مِنَ الدَّلالة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. الصِّيام في اللغة: الإمْسَاكُ في الجُمْلَة، يقال: صَامَتِ الخَيْلُ: إذا أَمْسَكتْ عن السَّيْر، وصَامتِ الرِّيحُ: إذا أَمْسَكَتْ عن الهُبُوب. والصَّوم في الشَّرع: عبارةٌ عن الإمْسَاكِ عن الطَّعام والشَّراب والجِمَاع مع انْضِمَام النِّيَّة إليه.

وفي الذين مِنْ قبلنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أهلُ الكتاب، رواه عَطاءُ الخُراسانيُّ عن ابن عباسٍ، وهو قول مُجاهدٍ. **والثاني**: أنهم النَّصارى، قاله الشَّعبيُّ، والرَّبيعُ. **والثالث**: أنهم جميع أهل المِلَلِ، ذكره أبو صَالح عن ابن عباسٍ.

وفي موضع التَّشبيه في كاف ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ قولان: **أحدهما**: أن التَّشبيه في حُكم الصَّوم وصِفَتِه، لا في عَدَدِه. قال سعيدُ بن جُبيرٍ: كُتِبَ عليهم إذا نامَ أحدُهم قبل أن يَطْعَمَ لم يَحِلَّ له أن يَطْعَمَ إلى القَابِلَة، والنِّساء عليهم حرامٌ ليلةَ الصِّيام، وهو عليهم ثابتٌ. وقد أُرْخِصَ لكم. فعَلَى هذا تكون هذه الآية مَنْسُوخةً بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾، فإنها بينَ صوم أهل الكتاب وبينَ صوم المسلمين. **والثاني**: أن التَّشبيه في عدد الأيَّام. ثمَّ في ذلك قولان: **أحدهما**: أنه فَرض على هذه الأُمَّةِ صومُ ثلاثة أيام مِن كلِّ شهرٍ، وقد كان ذلك فَرْضاً على مَنْ قبلهم. قال عَطيَّةُ عن ابن عباسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، قال: كان ثلاثةَ أيام من كلِّ شهرٍ، ثم نُسِخَ برمضان. وقال مَعْمَرُ عن قَتادة: كان الله قد كَتَبَ على الناس قبل رمضانَ ثلاثةَ أيام مِنْ كلِّ شهرٍ، فعَلَى هذا القول تكون الآية مَنْسُوخةً بقوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾. **والثاني**: أنه فُرِضَ على مَن

قَبْلَنا صَومُ رمضانَ بِعَيْنِهِ. قال ابن عبَّاس: فَقَدَّمَ النَّصارى يوماً ثم يوماً، وأَخَّروا يوماً، ثمَّ قالوا: نُقدِّم عَشراً ونُؤَخِّر عشراً. وقال السُّدِّيُّ عن أشياخه: اشتدَّ على النَّصارى صومُ رمضانَ، فجعلَ يتقلَّب عليهم في الشتاء والصَّيف، فلمَّا رَأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياماً في الفَصْلِ بين الشتاء والصَّيْف، وقالوا: نزيد عشرين يوماً نُكَفِّر بها ما صَنَعْنا، فعَلَى هذا تكون الآية مُحْكَمَةً غير مَنْسُوخةٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لأنَّ الصِّيام وَصْلَةٌ إلى التُّقى، إذ هو يَكُفُّ النَّفْسَ عن كثيرٍ ممَّا تَتطلَّعُ إليه مِنَ المعاصي، وقيل: لَعَلَّكم تَتَّقون مَحْظُوراتِ الصَّوم.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، قال الزجَّاج: نَصَبَ «أياماً» على الظَّرف، كأنَّه قال: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام. والعَامِلُ فيه «الصِّيام»، كأنَّ المعنى: كتب عليكم أنْ تصوموا أياماً مَعْدُوداتٍ. وفي هذه الأيام ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها ثلاثةُ أيام من كلِّ شهرٍ. **والثاني**: أنها ثلاثة أيام مِنْ كلِّ شهرٍ ويومُ عاشُوراء. **والثالث**: أنها شهرُ رمضانَ، وهوَ الأصحُّ، وتكون الآية مُحْكَمَةً في هذا القول، وفي القولين قَبْلَهُ تكون مَنْسُوخةً. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾، فيه إضمارُ: فَأَفْطَرَ.

فصل: وليس المَرَضُ والسَّفَرُ على الإطلاق، فإنَّ المريضَ إذا لم يُضِرَّ به الصَّومُ؛ لم يَجزْ له الإفطارُ، وإنَّما الرخصة موقوفةٌ على زيادة المَرَض بالصَّوم. واتَّفق العلماء أنَّ السفرَ مُقَدَّرٌ، واختلفوا في تقديره، فقال أحمدُ، ومالكٌ، والشَّافعيُّ: أَقَلُّهُ مسيرة ستةَ عشرَ فَرْسَخاً: يومانِ، وقال أبو حنيفةَ وأصحابُه: أَقَلُّهُ مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعةٍ وعشرين فَرْسَخاً. وقال الأَوْزاعيُّ: أَقَلُّه مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فَرَاسِخَ. وقيل: إنَّ السَّفر مُشْتَقٌّ من السَّفْرِ الذي هو الكَشْفُ، يُقال: سَفَرتِ المرأةُ عن وَجْهِهَا، وأَسْفَرَ الصُّبْحُ: إذا أَضَاءَ، فسُمِّيَ الخروجُ إلى المكان البعيد: سَفَراً، لأنَّه يكشفُ عن أخلاقِ المُسَافِرِ(١).

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/٢٧٣: اختلف العلماء في السفر الذي يجوز فيه الفطر والقصر، بعد إجماعهم على سفر الطاعة كالحج والجهاد. ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضروري. أما سفر التجارات والمباحات فمختلف فيه بالمنع والإجازة والقول بالجواز أرجح. وأما سفر العاصي فيختلف فيه بالجواز والمنع، والقول بالمنع أرجح، قاله ابن عطية. ومسافة الفطر عند مالك حيث تقصر الصلاة. واختلف العلماء في قدر ذلك؛ فقال مالك: يوم وليلة، ثم رجع فقال: ثمانية وأربعون ميلاً؛ وقال ابن خويز منداد: وهو ظاهر مذهبه؛ وقال مرّة: اثنان وأربعون ميلاً؛ وقال مرة: ستة وثلاثون ميلاً؛ وقال مرّة: مسيرة يوم وليلة، وروي عنه يومان؛ وهو قول الشافعي. وفصّل مرة بين البر والبحر؛ فقال في البحر مسيرة يوم وليلة، وفي البر ثمانية وأربعون ميلاً. وفي المذهب ثلاثون ميلاً. وفي غير المذهب ثلاثة أميال. وقال ابن عمرو وابن عباس والثوري: الفطر في سفر ثلاثة أيام.
ـ واختلف العلماء في الأفضل من الفطر أو الصوم في السفر؛ فقال مالك والشافعي في بعض ما روي عنهما: الصوم أفضل لمن قوي عليه. وجُلّ مذهب مالك التخيير وكذلك مذهب الشافعي. قال الشافعي ومن اتبعه: =

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، نُقل عن ابن مسعودٍ، ومعاذِ بن جبلٍ، وابن عُمرَ، وابن عباسٍ، وسَلَمَةَ بن الأكوَع، وعلْقَمَةَ، والزُهريّ في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان مَنْ شاء صامَ، ومَنْ شاء أفطر وافتَدَى، يُطعم عن كل يوم مسكيناً، حتى نزلت: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، فعَلَى هذا يكون معنى الكلام: وعلى الذين يُطيقونه ولا يَصُومونه فِدْيَةٌ، ثم نُسِخَتْ. وروي عن عِكرمةَ أنّه قال: نزلت في الحَامِلِ والمُرضِع. وقرأ أبو بكرٍ الصِّديق، وابنُ عباسٍ: «وعلى الذين يُطَوَّقونه» بضمّ الياء وفتح الطاء وتشديد الواو. قال ابن عباسٍ: هو الشَّيخ والشَّيخة. قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرو، وعَاصمٌ، وحَمزةُ والكِسائيُّ (فِدْيَةٌ) منون ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ مُوَحّدٌ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «فِدْيَةُ» بغير تنوينِ «طعام» بالخَفْضِ «مساكين» بالجمع، وقال أبو عليٍّ: معنى القِراءة الأولى: على كلِّ واحدٍ طعامُ مسكينٍ. ومِثْلُه: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ﴾[1]، أي: اجلدوا كلَّ واحدٍ ثمانين. قال أبو زيدٍ: أَتَيْنا الأميرَ فكَسانا كُلَّنا حُلَّةً، وأعطانا كُلَّنا مئةً، أي: فعلَ ذلكَ بكلِّ واحدٍ منَّا. قال: فأمَّا مَنْ أضاف الفِدْيَةَ إلى الطعام، فكإضافةِ البعض إلى ما هو بعضٌ له، وذلك أنه سَمَّى الطعام الذي يَفْدي به فِدْيَةً، ثم أضاف الفِدْيَةَ إلى الطعام الذي يَعمُّ الفِدْيَةَ وغيرَها، فهو على هذا من باب: خاتَمُ حَديدٍ. وفي قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: مَنْ أطْعَمَ مِسكِينَيْن، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: أن التَّطوّع إطعامُ مساكينَ، قاله طَاوسٌ. **والثالث**: أنه زيادةُ المسكين على قُوته، وهو مرويٌّ عن مُجاهدٍ، وفعَلَهُ أنسُ بن مالكٍ لمَّا كَبُرَ. ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عائدٌ إلى مَنْ تقدَّم ذِكْرُهُ مِنَ الأصحّاء المُقيمين المُخَيَّرين بين الصَّوم والإطعام على ما حَكَيْنا في أوّل الآية عن السَّلَف، ولم يرجع ذلك إلى المرضى والمسافرين، والحَامِلِ والمُرضِع، إذ الفِطرُ في حقِّ هؤلاءِ أفضلُ من الصَّوم، وقد نُهوا عن تَعريضِ أنفسهم للتَّلَفِ، وهذا يُقَوِّي قولَ القائلينَ بنَسْخِ الآية.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾. قال الأخفَشُ: شهرُ رمضانَ بالرَّفع على تفسير الأيام، كأنّه لمَّا قال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ فسّرها فقال: هي شهرُ رمضانَ، قال أبو عُبيدٍ: وقرأ مُجاهدٌ: «شهرَ رمضانَ» بالنَّصب، وأَرَاهُ نَصَبَهُ على معنى الإغْرَاءِ: عليكُم شهرَ رمضانَ فَصُومُوه كقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾[2]،

= هو مخيّر، ولم يفضّل وكذلك ابن عُلَيَّه؛ لحديث أنس قال: سافرنا مع النبي ﷺ في رمضان فلم يَعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم، خرّجه مالك والبخاري ومسلم. وروي عن عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وروي عن ابن عمر وابن عباس: الرخصة أفضل، وقال به سعيد بن المسيب والشعبي وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والأوزاعي وأحمد وإسحق. كل هؤلاء يقولون الفطر أفضل؛ لقوله تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**.

(١) النور: ٤. (٢) الحج: ٧٨.

وقوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[(١)]، قلتُ: وممن قرأ بالنَّصب مُعاويةُ والحسَنُ وزيدُ بن عليٍّ وعِكرمةُ ويحيَى بنُ يَعْمُر. قال ابنُ فارسٍ: الرَّمَضُ: حَرُّ الحجارة مِنْ شِدَّة حَرِّ الشمس، ويُقال: شهرُ رمضانَ، من شِدَّة الحَرِّ، لأنهم لما نَقَلوا أسماءَ الشُّهور عن اللغة القديمة، سَمَّوها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافَقَ هذا الشَّهرُ أيامَ رَمَضِ الحَرِّ، ويُجمع على رَمَضانات وأرْمِضاء وأرْمِضَة. قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه أُنزل القرآنُ فيه جُملةً واحدةً، وذلك في ليلة القَدْرِ إلى بيتِ العِزَّة من السماء الدنيا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ معناه: أُنزل القرآنُ بِفَرْضِ صيامِهِ، ورُوي عن مُجاهدٍ، والضَّحاكِ. **والثالث**: أن معناه: إنَّ القرآن ابتُدِىء بنزوله فيه على النبيِّ ﷺ، قاله ابنُ إسحَاقَ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قال مُقاتلٌ: والفرقان المُخرِجُ في الدِّين من الشُّبْهَة والضَّلالة. قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[(٢)]، أي: مَنْ كان حاضراً غير مُسافرٍ. فإن قيل: ما الفائدةُ في إعادة

---

(١) البقرة: ١٣٨.

(٢) فائدة: قال الإمام الموّفق رحمه الله في «المغني» ٤/ ٣٢٥ ما ملخصه: (وإذا مضى من شعبان تسعة وعشرون يوماً، طلبوا الهلال، فإن كانت السماء مصحية لم يصوموا ذلك اليوم). وجملة ذلك أنه يستحب للناس ترائي الهلال ليلة الثلاثين من شعبان، وتطلبه ليحتاطوا بذلك لصيامهم، ويَسْلَموا من الاختلاف. وقد روى الترمذي، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «أحصوا هلال شعبان لرمضان» فإذا رأوه وجب عليهم الصيام إجماعاً، وإن لم يروه وكانت السماء مصحيةً، لم يكن لهم صيام ذلك اليوم، إلا أن يوافق صوماً كانوا يصومونه، مثل من عادته صوم يوم وإفطار يوم، أو صوم يوم الخميس، أو صوم آخر يوم من الشهر، وشبه ذلك إذا وافق صومه، أو من صام قبل ذلك بأيام، فلا بأس بصومه لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصيام يوم أو يومين، إلا أن يكون رجلٌ يصوم صياماً فليصمه» متفق عليه. وقال عمار: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ. وإذا رأى الهلال أهل بلدٍ، لزم جميع البلاد الصوم. وهذا قول الليث وبعض أصحاب الشافعي، وقال بعضهم: إن كان بين البلدين مسافةٌ قريبةٌ لا تختلف المطالع لأجلها كبغداد والبصرة، لزم أهلهما الصوم برؤية الهلال في أحدهما، وإن كان بينهم بعد، كالعراق والحجاز والشام، فلكلّ أهل بلد رؤيتهم، وروي عن عكرمة، أنه قال: لكل أهل بلد رؤيتهم. وهو مذهب القاسم وسالم، وإسحاق.
ـ قال: وإن حال دون منظره غيمٌ أو قترٌ وجب صيامه وقد أجزأ إذا كان من شهر رمضان. اختلفت الرواية عن أحمد رحمه الله في هذه المسألة، فروي عنه مثل ما نقل الخرقي، اختارها أكثر شيوخ أصحابنا، وهو مذهب عمر، وابنه، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأنس، ومعاوية، وعائشة وأسماء ابنتَي أبي بكرٍ. وبه قال بكر بن عبد الله، وأبو عثمان النهدي وابن أبي مريم ومطرّف وميمون بن مهران، وطاوس ومجاهد ورُوي عنه أن الناس تبع للإمام، فإن صام صاموا، وإن أفطر أفطروا. وهذا قول الحسن، وابن سيرين، لقول النبي ﷺ: «الصوم يومَ تصومون، والفِطْرُ يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون». قيل معناه أن الصوم والفطر مع الجماعة. وعن أحمد، رواية ثالثة: لا يجب صومه ولا يجزئه عن رمضان إن صامه. وهو قول أكثر أهل العلم، منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي ومن تبعهم، لما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبّيَ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» رواه البخاري. وعن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غمّ عليكم فاقدروا له ثلاثين». رواه مسلم. وقد صح أن النبي ﷺ نهى عن صوم يوم الشك. متفق عليه. وهذا يوم شك. ولأن الأصل بقاء شعبان، فلا ينتقل عنه الشك. ولنا ما روى نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الشهر تسع وعشرون، فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمّ عليكم فاقدروا له». قال نافع: كان عبد الله إذا مضى من شعبان تسعة وعشرون يوماً، بعث من ينظر له الهلال، فإن رأى فذاك، وإن لم يَرَ ولم يحل دون منظره سحابٌ =

المَرَض والسَّفر في هذه الآية، وقد تقدَّم ذلك؟ قِيل: لأنَّ في الآية المُتَقَدِّمة مَنْسُوخاً، فَأَعادَهُ لِئَلاّ يكون مَقْرُوناً بالمَنْسُوخ. قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾، قال ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ وقَتادةُ والضَّحّاكُ: اليُسر: الإفطارُ في السَّفر، والعُسر: الصَّوم فيه. وقال عُمَرُ بن عبد العزيز: أي ذلك كان أيْسَرَ عليكَ فافعَلْ: الصَّوم في السَّفر، أو الفِطر. قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وابن عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيّ: «ولتكمِلوا» بإسكان الكاف خفيفةً. وقرأ أبو بكرٍ عن عَاصم بتشديد الميم، وذلك مثل: «وصّى» و «أوصى» وقال ابن عباسٍ: ولِتُكمِلوا عِدة ما أفطرتُم. وقالَ بعضُهم: المُراد به: لا تَزيدُوا على ما افترض، كما فَعَلَت النَّصارى، ولا تَنْقُلوه عن زمانه كما نَقَلَتْهُ، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، قال ابن عباسٍ: حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هِلال شَوَّال، أن يُكَبِّرُوا للّهَ حتى يَفرَغُوا من عِيدِهم. فإنْ قيل: ما وَجهُ دُخول الواو في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وليس هناك ما يُعْطَفُ عليه؟ فالجواب: أنَّ هذه الواو عَطَفَت اللامَ التي بعدَها على لام محذوفةٍ، والمعنى: ولا يُريدُ بكمُ العُسْرَ، لِيُسْعِدَكُم، ولِتُكْمِلُوا العِدَّةَ، فَحُذفت اللام الأولى لوضوح معناها، ذكره ابنُ الأنْباريّ.

فصل: ومن السُّنَّة إظهارُ التَّكبير ليلةَ الفِطر، وليلةَ النَّحرِ، وإذا غَدوا إلى المُصَلّى. واختلفت الرِّوايةُ عن أَحمد، رضي اللّهُ عنه، متى يُقْطَعُ في عيد الفِطر، فَنَقَلَ عنه حَنْبَلُ: يُقطع بعد فَراغ الإمام مِنَ الخُطبة. ونَقلَ الأَثْرَمُ: إذا جاء المُصَلّى، قطع. قال القاضي أبو يَعْلَى: يعني: إذا جاء المُصَلّى وخرجَ الإمامُ[1].

= ولا قترٌ أصبح مفطراً، وإن حال دون منظره سحاب أو قترٌ أصبح صائماً. رواه أبو داود. ومعنى اقدروا له: أي ضيقوا له العدد من قوله تعالى: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ أي ضُيّق عليه. وقوله: ﴿**يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾. والتضييق له أن يجعل شعبان تسعة وعشرون يوماً. وقد فسره ابن عمر بفعله، وهو راويه، وأَعْلَمُ بمعناه. قال علي وأبو هريرة وعائشة: لأن أصوم يوماً من شعبان، أحبُّ إليَّ من أن أفطر يوماً من رمضان. ولأن الصوم يحتاط له، ولذلك وجب الصوم بخبرٍ واحدٍ ولم يفطر إلا بشهادة اثنين. فأما خبر أبي هريرة الذي احتجوا به، فإنه يرويه محمد بن زياد، وقد خالفه سعيد بن المسيب، فرواه عن أبي هريرة: «فإن غمّ عليكم فصوموا ثلاثين». وروايته أولى بالتقديم، لإمامته، واشتهار عدالته وثقته، وموافقته لرأي أبي هريرة ومذهبه، ولخبر ابن عمر الذي رويناه ورواية ابن عمر: «فاقدروا له ثلاثين» مخالفة للرواية الصحيحة المتفق عليها ولمذهب ابن عمر ورأيه. والنهي عن صوم يوم الشك محمول على حال الصحو بدليل ما ذكرنا.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٣/٢٨٧ ـ ٢٩٢ ما ملخصه: لا خلاف بين العلماء، رحمهم الله، في أن التكبير مشروع في عيد النحر واختلفوا في مدته، فذهب إمامنا، رضي الله عنه، إلى أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر في آخر أيام التشريق، وهو قول عمر، وعلي، وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم. وإليه ذهب الثوري، وابن عينية وأبو يوسف ومحمد والشافعي في بعض أقواله. وعن ابن مسعود أنه كان يكبر من غداة عرفة إلى العصر من يوم النحر. وإليه ذهب علقمة، والنخعي، وأبو حنيفة، لقوله: ﴿**ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**﴾ وهي العشر، وأجمعنا على أنه لا يكبّر قبل يوم عرفة، فينبغي أن يكبر يوم عرفة ويوم النحر. وعن ابن عمر وعمر بن عبد العزيز، أن التكبير من صلاة الظهر يوم النحر إلى الصبح من آخر أيام التشريق. وبه قال مالك، والشافعي في المشهور عنه؛ لأن الناس تبع للحاج، والحاجُ يقطعون التلبية مع أول حصاة. ويكبرون مع الرمي، وإنما يرمون يوم النحر، فأول صلاة بعد الظهر وآخر صلاة يصلون بمنى الفجر من اليوم الثالث من أيام التشريق. ولنا ما روى جابر أن النبي ﷺ صلى الصبح يوم عرفة وأقبل علينا، فقال: «الله أكبر، =

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ . في سبب نزولها خمسة أقوالٍ:

[٦٣] **أحدها**: أنَّ أعرابياً جاء إلى النبيِّ ﷺ، فقال: أَقَرِيبٌ رَبُّنا فَنُنَاجِيهِ، أمْ بعيدٌ فَنُنَادِيه؟ فنزلت هذه الآيةُ، رواه الصَّلْتُ بن حَكِيم عن أبيه عن جَدِّه.

[٦٤] **والثاني**: أنَّ يهودَ المدينة قالوا: يا محمَّدُ! كيف يَسمعُ رَبُّنا دُعاءَنَا، وأنتَ تزعمُ أنَّ بيننا وبينَ السَّماء مَسِيرة خمسمائة عام؟! فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[٦٥] **والثالث**: أنَّهم قالوا: يا رسولَ الله! لو نَعْلَمُ أيَّةَ ساعةٍ أحبُّ إلى الله أنْ نَدْعُوَ فيها دَعَوْنَا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عَطاءٌ.

[٦٦] **والرابع**: أنَّ أصحابَ النبيِّ قالوا له: أينَ اللَّهُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله الحسنُ.

[٦٧] **والخامس**: أنه لمَّا حُرِّمَ في الصَّوم الأول على المسلمين بعد النَّومِ الأكلُ والجِماعُ؛ أكلَ

---

[٦٣] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٩١٢ عن الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده، وإسناده ضعيف لجهالة الصلت.

[٦٤] باطل. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهو من رواية الكلبي كما صرّح بذلك البغوي. قال في «معالم التنزيل» ١/ ١٥٥: رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والكلبي كذاب، وأبو صالح ليس بثقة، وقد رويا تفسيراً موضوعاً عن ابن عباس، انظر المقدمة. ثم لفظ «عبادي» يدل علىٰ أن السائل من المؤمنين إن كان ثمَّ سائل، والصواب عدم صحة سبب نزول في هذه الآية، وإذا هنا بمعنى لو. أي لو سألك عبادي. والله أعلم.

[٦٥] ضعيف، أخرجه الطبري ٢٩١٥ و٢٩١٦ عن عطاء مرسلاً، فهو ضعيف.

[٦٦] ضعيف، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١٩٦ والطبري ٢٩١٣ عن الحسن مرسلاً، ومراسيل الحسن واهية لأنه كان يحدث عن كل أحد، كما هو مقرر في كتب المصطلح.

[٦٧] باطل، عزاه المصنف لمقاتل، وإذا أطلق فهو ابن سليمان المفسر المشهور، وهو متهم بالكذب.

ـ الخلاصة: لم يصح في هذه الآية سبب نزول، والذي يستفاد من الآية هو أن الله عزَّ وجلَّ قريب من عباده، =

= الله أكبر». ومدّ التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق. أخرجه الدار قطني من طرق، وفي بعضها: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد» ولأنه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، روي ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود. رواه سعيد عن عمر وعلي وابن عباس ورَوَى بإسناده عن عُمير بن سعيد، أن عبد الله كان يكبر من صلاة الغداة يوم عرفة إلى العصر من يوم النحر، فأتانا عليٌ بعده فكبّر من غداة عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد. قيل لأحمد، رحمه الله: بأي حديث تذهب، إلى أن التكبير من صلاة الفجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق؟ قال: بالإجماع، عمر، وعلي، وابن عباس وابن مسعود، رضي الله عنهم، ولأن الله تعالى قال: ﴿**واذكروا الله في أيام معدودات**﴾ وهي أيام التشريق، فيتعين الذكر في جميعها.

ـ وصفة التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. وهذا قول عمر، وعلي، وابن مسعود. وبه قال الثوري وأبو حنيفة، وإسحق، وابن المبارك، إلا أنه زاد: على ما هدانا. لقوله: ﴿**لتكبروا الله على ما هداكم**﴾.

رجلٌ منهم بعد أن نامَ، ووَطِيءَ رجلٌ بعد أنْ نامَ، فسألوا: كيف التَّوبةَ مِمَّا عَمِلوا؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتلٌ. ومعنى الكلام: إذا سَألُوكَ عنّي؛ فأَعْلِمْهُم أنّي قريبٌ.

وفي معنى «أُجيب» قولان: **أحدهما**: أسْمَعُ، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ القاسِم. **والثاني**: أنه من الإجابة: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾، أي: فَلْيُجِيبُوني. قال الشَّاعرُ:

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أراد: فَلَمْ يُجِبْهُ. وهذا قول أبي عُبيدةَ، وابنِ قُتيبةَ، والزجَّاجِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، قال أبو العَالِيَة: يعني: يَهْتَدُون.

فصل: إنْ قال قائلٌ: هذه الآيةُ تدلُّ على أنَّ الله تعالىٰ يُجيب أدعيةَ الدَّاعِين، وتَرَى كثيراً مِنَ الدَّاعِين لا يُستجاب لَهُم!

[٦٨] فالجواب: أن أبا سعيدٍ رَوى عن النبيِّ ﷺ، أنّه قال: «ما مِنْ مُسلم دَعَا اللَّهَ بدَعوةٍ ليس فيها قَطيعَةُ رحم ولا إثمٌ؛ إلاّ أعطاهُ اللَّهُ بها إحدَى ثلاث خِصَالٍ: إمَّا أنْ يُعَجِّل دَعْوَتَهُ، وإمَّا أنْ يَدَّخِرَها له في الآخِرة، وإمَّا أن يَدْفَعَ عنه مِنَ السُّوء مِثْلَهَا».

وجوابٌ آخرُ: وهو أنَّ الدعاء تفتقرُ إجابته إلى شروطٍ أَصْلُها الطَّاعة للَّهِ، ومنها أَكْلُ الحَلال، فإن أَكل الحرام يمنع إجابةَ الدُّعاء، ومنها حُضورُ القلب.

[٦٩] ففي بعض الحديث: «لا يَقْبَلُ اللَّهُ دعاءً مِنْ قَلْبٍ غافلٍ لاَهٍ».

= فلا يجوز أن يجعل الإنسان بينه وبين الله واسطة وإنما يدعوه ويسأله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا.

- قال الإمام عبد الله بن محمود في كتاب «الاختيار» في فروع الحنفية ٤/ ١٦٤ نقلاً عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد: ويكره أن يدعو الله إلاّ به. قال في شرحه: فلا يقول أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك، ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق علىٰ الخالق.

[٦٨] صحيح. أخرجه أحمد ٣/ ١٨ والبخاري في «الأدب المفرد» ٧١٠ والحاكم ١/ ٤٩٣ من حديث أبي سعيد وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وكذا صححه القاضي عبد الحق كما نقل القرطبي ٩١٩ بتخريجنا.
وله شاهد أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٧١١ من حديث أبي هريرة وإسناده حسن.

[٦٩] حديث ضعيف، لا يتقوىٰ بشواهده بسبب شدة ضعفها. أخرجه أحمد ٢/ ١٧٧ من طريق حسن عن ابن لهيعة عن بكر بن عمرو عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص «أن رسول الله ﷺ قال: القلوب أوعية، وبعضها أوعىٰ من بعض، فإذا سألتم الله عزّ وجلّ أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل». إسناده ضعيف مداره علىٰ ابن لهيعة، وقد اختلط، وليس الراوي عنه أحد العبادلة. ومع ذلك قال المنذري في «الترغيب» ٢٤٥٩: رواه أحمد بإسناد حسن!!. وتبعه علىٰ ذلك الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٤٧/ ١٣٢٠٣ فقال: رواه أحمد بإسناد حسن!!، وصححه أحمد شاكر في «المسند» ٦٦٥٥؟!.

- وله شاهد من حديث ابن عمر: أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١٠/ ١٤٧/ ١٧٢٠٥ وقال الهيثمي: فيه بشير بن ميمون الواسطي، وهو مجمع علىٰ ضعفه. قلت: بل هو متروك، قال البخاري: يذكر بوضع الحديث، وقال النسائي متروك، فهذا شاهد لا يفرح به، ولا فائدة منه. وله شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه الترمذي ٣٤٧٩ والحاكم ١/ ٤٩٣ وابن حبان في «المجروحين» ١/ ٣٧٢ والخطيب ٤/ ٣٥٦ وابن عدي ٤/ ٦٢ وابن عساكر ٤/ ٣٦٠ من طرق عن صالح بن بشير المري عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي =

وجوابٌ آخرُ: وهو أنَّ الدَّاعي قد يَعتقدُ المَصْلَحَة في إجَابَتِهِ إلى ما سَأَلَ، وقد لا تكون المَصلحةُ في ذلك، فيُجاب إلى مَقْصُوده الأصلي، وهو: طَلَبُ المَصلحةِ، وقد تكون المَصلحةُ في التأخير أو في المَنع.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾. سبب نزول هذه الآية:

[٧٠] أنَّ الصحابة كانوا إذا نامَ الرجلُ قبلَ الأكْل والجِمَاع، حُرِّمَا عليه إلى أنْ يُفطر، فجاء شيخٌ

= هريرة به مرفوعاً. وإسناده واهٍ لأجل صالح بن بشير. قال الذهبي في «الميزان» ٢/ ٢٨٩: ضعفه ابن معين والدارقطني، وقال أحمد: هو صاحب قصص، ليس هو صاحب حديث، ولا يعرف الحديث، وقال الفلاس: منكر الحديث جداً، وقال النسائي: متروك، وقال البخاري منكر الحديث. قال الذهبي: وروىٰ عباس عن يحيىٰ: ليس به بأس، لكن روىٰ خمسة عن يحيىٰ جرحه. وقال ابن حبان: كان يروي الشيء الذي سمعه من ثابت والحسن وهؤلاء على التوهم، فيجعله عن أنس عن رسول الله ﷺ، فظهر في روايته الموضوعات التي يرويها عن الأثبات، واستحق الترك، وكان ابن معين شديد الحمل عليه، وهو الذي يروي عن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ادعوا الله..» الحديث. قلت: فالرجل ضعيف جداً متروك الحديث، وقد جاء بهذا المتن عن هشام عن ابن سيرين وحده، ولم يتابع عليه، ولو كان هذا الحديث عند هشام أو ابن سيرين لرواه الثقات لأن كلاً منهما إمام يجمع حديثه، فكيف ولم يتابعه عليه ضعيف مثله أو دونه،، لذا أورده ابن حبان وابن عدي وغيرهما في كتب الضعفاء. وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وأما الحاكم، فقال: حديث مستقيم الإسناد، تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة. وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: صالح متروك. وقال المنذري ٢٤٦٠ بعد كلام الحاكم: صالح لا شك في زهده،. لكن تركه أبو داود والنسائي. وذكر ذلك الألباني في «الصحيحة» ٥٩٤ وقال: لكن روي له شاهد بسند ضعيف أخرجه أحمد ٢/ ١٧٧ فذكر حديث ابن عمرو المتقدم. قلت: ولم يصب الألباني بإدراجه في «الصحيحة» بل وليس هو من قبيل الحسن لشدة ضعف حديث أبي هريرة، ويكفي في ذلك قول البخاري عن صالح المري: منكر الحديث. وقد قال البخاري: كل من قلت عنه منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه.

ـ الخلاصة: حديث أبي هريرة ضعيف جداً وكذا حديث ابن عمر، وأما حديث ابن عمرو فهو ضعيف فحسب، ولا يتقوىٰ بشاهديه لشدة ضعف إسناديهما، والله أعلم.

[٧٠] أصله قوي. أخرجه وكيع وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» ١/ ٣٥٨ والطبري ٢٩٤٣ و٢٩٤٤ من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ مرسلاً مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه، والسياق لوكيع وعبد بن حميد. وإسناده صحيح إلى ابن أبي ليلىٰ، وعلته الإرسال فقط، فالمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث.

ـ وورد بنحوه من مرسل السدي: أخرجه الطبري ٢٩٥٧. وورد عن ابن عباس: أخرجه الطبري ٢٩٥١ وإسناده واهٍ، فيه عطية العوفي واهٍ، وعنه من لا يعرف. وورد من مرسل عكرمة: أخرجه الطبري ٢٩٥٩.

ـ وقد ورد روايات أخرىٰ في قصة عمر بمفرده وكذا في قصة أبي قيس بن صرمة. وأصح شيء ورد في هذا هو =

من الأنصار وهو صائمٌ إلى أهله، فقال: عَشُوني، فقالوا: حتى نُسخِّنَ لك طعاماً، فوضع رأسَهُ فنَام، فجاؤوا بالطعام، فقال: قد كنتُ نِمتُ، فباتَ يتقلَّبُ ظَهراً لِبطنٍ، فلمَّا أصبحَ أتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقام عُمَرُ بن الخطَّاب فقال: يا رسول الله! إني أردتُ أهلي الليلةَ، فقالت: إنها قَدْ نامتْ، فظَنَنْتُها تعْتَلُّ، فواقعْتُها، فأخبرَتني أنها قد نامَتْ، فأنزلَ اللّهُ تعالىٰ في عُمر بن الخطَّاب: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، وأنزل الله في الأنصاري: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، هذا قول جماعةٍ من المُفسِّرين. واختلفوا في اسم هذا الأنصاريّ على أربعة أقوالٍ[١]:

أحدها: قَيْسُ بنُ صِرْمَةَ، قاله البَراءُ. **والثاني**: صِرْمَةُ بنُ أنسٍ، قاله القَاسمُ بن مُحمَّدٍ. وقال عبدُ الرحمٰن بنُ أبي لَيْلَى: صِرْمَةُ بنُ مَالكٍ. **والثالث**: ضَمْرَةُ بن أنسٍ. **والرابع**: أبو قَيْسِ بنُ عُمَرَ. وذكرَ القولين أبو بَكرٍ الخطِيبُ. فأمَّا «الرَّفَثُ» فقال ابنُ عُمَرَ وابن عباسٍ ومُجاهدٌ وعَطاءٌ والحَسَنُ وابنُ جُبيرٍ في آخرين: هو الجِماعُ.

قوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ اللباسَ السَّكَنُ. ومِثْلُهُ ﴿جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أي سَكَناً. وهذا قول ابن عباسٍ وابنِ جُبيرٍ ومُجاهدٍ وقَتادةَ. **والثاني**: أنهنَّ بمنزلة اللباس لإفضاء كلِّ واحدٍ بِبَشرته إلى بَشَرَة صاحبِهِ، فكَنَّى عن اجْتِمَاعِهِما مُتجَرِّدِينَ باللّباس. قال الزجَّاجُ: والعرب تُسَمِّي المرأة: لِباساً وإِزاراً، قال النَّابغةُ الجَعْدِيّ:

إذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا ... تَثَنَّتْ فكَانَتْ عليهِ لِبَاسَا

وقال غيرُه:

ألاَ أبْلِغْ أبَا حَفْصٍ رَسُولاً ... فِدَىً لكَ مِنْ أخي ثِقَةٍ إِزَارِي

يُريد بالإزارِ: امْرَأتَه.

قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، قال ابنُ قتيبة: يُريد: تَخُونُونَها بارتكاب ما حُرِّم عليكُم. قال ابن عباسٍ: وعَنَى بذلكَ فِعْلَ عُمَرَ، فإنه أتى أَهْلَهُ، فلمَّا اغْتسَلَ أخذ يَلُوم نَفْسَهُ ويبكي. ﴿فَالْـَٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾، أصلُ المُباشَرة: إلصَاق البَشَرةِ بالبَشَرة. وقال ابن عباسٍ: المُراد بالمُبَاشَرة هاهنا الجِمَاع. ﴿وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه الوَلَدُ، قاله ابنُ

= ما أخرجه البخاري ١٩١٥ وأبو داود ٢٣١٤ والترمذي ٢٩٦٨ وأحمد ٤/ ٢٩٥ والدارمي ٢/ ٥ والنسائي في «التفسير» ٤٣ والواحدي في «الأسباب» ٩٢ كلهم عن البراء بن عازب: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك! فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿**أحل لكم**. . .﴾ الآية ففرحوا فرحاً شديداً» لفظ البخاري.

(١) قال الحافظ في «الفتح» ٤/ ١٣٠ بعد أن ذكر روايات متعددة مختلفة في تعيين الأنصاري: والجمع بين هذه الروايات أنه أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي بن عامر. . .

(٢) القول الأول هو الذي ذهب إليه الأكثر كما في تفسير الطبري ٢٩٧٣ فما بعد، وهو الذي اختاره الطبري، مع =

عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهدٌ في آخرين. قال بعضُ أهلِ العِلْم: لمَّا كانت المُباشَرة قد تقع على ما دونَ الجِمَاع، أبَاحَهم الجِمَاعَ الذي يكون مِنْ مِثْلِهِ الوَلَدُ، فقال: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، يُريد: الوَلَد. **والثاني**: أنَّ الذي كُتبَ لهم الرُّخْصَةُ، وهو قول قَتادةَ، وابن زيدٍ. **والثالث**: أنه ليلةُ القَدْرِ، رواه أبو الجَوْزَاء عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه القرآنُ، فمعنى الكلام: اتَّبِعُوا القرآنَ، فما أُبيحَ لكم وأُمرتُم به فهو المُبْتَغى، وهذا اختيارُ الزجَّاج.

قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾. قال عَدِيُّ بن حَاتم:

[٧١] لمَّا نزلت هذه الآية، عَمدتُ إلى عِقالَيْنِ، أبيض وأسود، فجَعلْتُهُما تحت وِسَادَتي، فجعلتُ أقومُ في الليل ولا أَسْتَبِينُ الأسودَ مِنَ الأَبيض، فلمَّا أصبحتُ؛ غَدوتُ على رسولِ الله فأخْبَرْتُه، فضَحِكَ وقال: «إنْ كانَ وِسَادُكَ إذاً لعَرِيض، إنَّما ذاكَ بياضُ النَّهارِ من سَوَادِ اللَّيل».

[٧٢] وقال سَهْلُ بن سعدٍ: نزلت هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزل: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، وكان رجالٌ إذا أرادوا الصَّومَ رَبَطَ أحدُهم في رِجْلَيْهِ الخيطَ الأسودَ والخيطَ الأبيضَ، فلا يزالُ يأكلُ ويشربُ حتى يتبيَّن له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ذلك ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعَلِمُوا أنَّما يعني بذلك الليلَ والنهارَ.

فصل: إذا شكَّ في الفَجْرِ، فهل يَدَعُ السُّحورَ أمْ لا؟ فظاهرُ كلام أحمدَ يدلُّ على أنَّه لا يَدَعُ السُّحور، بل يأكلُ حتى يستيقنَ طلوعَ الفجرِ. وقال مَالكٌ: أكْرَهُ له أنْ يأكُلَ إذا شكَّ في طُلوعِ الفجر، فإنْ أكلَ فعليهِ القَضاءُ. وقال الشَّافعيُّ: لا شيءَ عليه(١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾، في هذه المُبَاشَرة قولان: **أحدهما**: أنها المُجَامَعَةُ، وهو قول الأكثرين. **والثاني**: أنها ما دُونَ الجِمَاع مِنَ اللَّمْسِ والقُبْلَة، قاله ابن زَيدٍ. وقال قَتادةُ: كان الرجلُ المُعْتَكِفُ إذا خَرَجَ من المسجد، فَلَقِيَ امرأتَهُ بَاشَرَهَا إذا أرادَ ذلكَ، فوعَظَهُمْ اللَّهُ في ذلك.

فصل: الاعتكَافُ في اللغة: اللُّبْثُ، يقال: فُلانٌ مُعْتَكِفٌ على كذا، وعَاكِفٌ. وهو فِعلٌ مَنْدوبٌ إليه، إلاَّ أنْ يَنْذُرَهُ الإنسانُ، فيجبُ. ولا يجوز إلاَّ في مسجدٍ تُقام فيه الجَمَاعَاتُ، ولا يُشترط في حقِّ

---

[٧١] صحيح. أخرجه البخاري ١٩١٦ و٤٥٠٩ و٤٥١٠ ومسلم ١٠٩٠ وأبو داود ٢٣٤٩ والترمذي ٢٩٧٠ و٢٩٧١ وأحمد ٤/ ٣٧٧ والدارمي ٢/ ٥ والطحاوي ٢/ ٥٣ وابن خزيمة ١٩٢٥ وابن حبان ٣٤٦٢ و٣٤٦٣ والحميدي ٩١٦ وابن أبي شيبة ٣/ ٢٨ والطبراني ١٧٢ و١٧٩ والبيهقي ٤/ ٢١٥ والبغوي ١/ ١٥٨ من طرق عن عدي بن حاتم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٩٠ بتخريجنا.

[٧٢] صحيح. أخرجه البخاري ١٩١٧ ومسلم ١٠٩١ والنسائي في «التفسير» ٤٢ والطبري ٢/ ١٠٠ والبيهقي ٤/ ٢١٥ من حديث سهل بن سعد. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٩ بتخريجنا.

= أن القول الثاني هو الأقرب يدل عليه سياق الآيات وسباقها. وأما القول الثالث فهو غريب بعيد. وأما القول الرابع فهو مما يدخل في القول الثاني، والله أعلم.

(١) فائدة: قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٣٢٥: من شك في طلوع الفجر لزمه الكف عن الأكل، فإن أكل مع شكه فعليه القضاء، كالناس. ومن أهل العلم بالمدينة وغيرها من لا يرى عليه شيئاً حتى يتبين له طلوع الفجر.

المرأة مسجدٌ تُقام فيه الجماعة، إذِ الجماعةُ لا تَجِبُ عليها. وهل يَصِحُّ بغير صَومٍ؟ فيه عن أحمدَ روايتان[١].

قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباسٍ: يعني: المُباشَرة ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، قال الزجَّاجُ:

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٤/٤٥٦: والاعتكاف سنة، إلا أن يكون نذراً، فيلزم الوفاء به ولا خلاف. قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن الاعتكاف لا يجب على الناس فرضاً، إلا أن يوجب المرء على نفسه الاعتكاف نذراً، فيجب عليه. ومما يدل على أنه سنة، فعل النبي ﷺ ومداومته عليه، تقرباً إلى الله تعالى، ويدل على أنه غير واجب أن أصحابه لم يعتكفوا ولا أمرهم النبي ﷺ به إلا من أراده. وقال عليه السلام: «من أراد أن يعتكف، فليعتكف العشر الأواخر». ولا يجوز الاعتكاف إلا في مسجد يجمع فيه يعني تقام الجماعة فيه وإنما اشترط ذلك، لأن الجماعة واجبةٌ، واعتكاف الرجل في مسجدٍ لا تقام فيه الجماعة يفضي إلى أحد أمرين: إما ترك الجماعة الواجبة، وإما خروجه إليها، فيتكرر ذلك منه كثيراً مع إمكان التحرز منه وذلك منافٍ للاعتكاف. إذ هو لزوم المعتكف والإقامة على طاعة الله فيه. ولا يصح الاعتكاف في غير مسجدٍ إذا كان المعتكف رجلاً. ولا نعلم في هذا بين أهل العلم خلافاً. وقال مالك: يصح الاعتكاف في كل مسجد، لعموم قوله تعالى «وأنتم عاكفون في المساجد» وهو قول الشافعي إذا لم يكن اعتكافه يتخلله جمعة. وللمرأة أن تعتكف في كل مسجد. ولا يشترط إقامة الجماعة فيه لأنها غير واجبة عليها. وبهذا قال الشافعي. وليس لها الاعتكاف في بيتها. وقال أبو حنيفة والثوري: لها الاعتكاف في مسجد بيتها، وهو المكان الذي جعلته للصلاة منه. واعتكافها فيه أفضل. وحُكي عن أبي حنيفة، أنها لا يصح اعتكافها في مسجد الجماعة. ولأن النبي ﷺ ترك الاعتكاف في المسجد، لما رأى أبنية أزواجه فيه، وقال: «آلبر تردن». ولأن مسجد بيتها موضع فضيلة صلاتها. ولنا قوله تعالى: ﴿**وأنتم عاكفون في المساجد**﴾ المراد به المواضع التي بنيت للصلاة فيها وموضع صلاتها في بيتها ليس بمسجد، لأنه لم يبن للصلاة فيه وإن سمي مسجداً كان مجازاً، كقول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً». ولأن أزواج النبي ﷺ استأذنه في الاعتكاف في المسجد، فأذن لهن، ولو لم يكن موضعاً لاعتكافهن لما أذن فيه، ولو كان الاعتكاف في غيره أفضل لدلهن عليه.. وقال: ويجوز بلا صوم إلا أن يقول في نذره بصوم، والمشهور في المذهب أن الاعتكاف يصح بغير صوم. روي ذلك عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيّب وعمر بن عبد العزيز والشافعي وإسحاق وعن أحمد رواية أخرى، أن الصوم شرط في الاعتكاف. قال: إذا اعتكف يجب عليه الصوم وبه قال الزهري ومالك وأبو حنيفة والليث، والثوري، لما روي عن عائشة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا اعتكاف إلا بصوم» رواه الدارقطني. وعن ابن عمر أن عمر جعل عليه أن يعتكف في الجاهلية، فسأل النبي ﷺ، فقال: «اعتكف وصم» ولأنه لبثٌ في مكان مخصوص فلم يكن بمجرده قربة، كالوقوف. ولنا ما روى ابن عمر عن عمر أنه قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. فقال النبي ﷺ: «أوف بنذرك» رواه البخاري. ولو كان الصوم شرطاً لما صح اعتكاف الليل، لأنه لا صيام فيه ولأنه عبادة تصح في الليل، ولأن إيجاب الصوم حكم لا يثبت إلا بالشرع ولم يصح فيه نصٌ ولا إجماع. قال سعيد: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن أبي سهل، قال: كان على امرأة من أهلي اعتكاف، فسألت عمر بن عبد العزيز. فقال: ليس عليها صيام، إلا أن تجعله على نفسها. فقال الزهري: لا اعتكاف إلا بصوم. فقال عمر: عن النبي ﷺ؟ قال: لا. قال فعن أبي بكر؟ قال: لا. قال: فعن عمر؟ قال: لا. قال: وأظنه قال: فعن عثمان؟ قال: لا. فخرجت من عنده، فلقيت عطاءً وطاوساً، فسألتهما، فقال طاوس: كان فلان لا يرى عليها صياماً، إلا أن تجعله على نفسها، وأحاديثهم لا تصح. أما حديثهم عن عمر، فتفرّد به ابن بديل، وهو ضعيف. والصحيح ما رويناه، أخرجه البخاري والنسائي، وغيرهما. وحديث عائشة موقوف عليها، ومن رفعه فقد وهم. فإن الصوم فيه أفضل. ويخرج به من الخلاف.

الحُدود ما مَنَعَ اللَّهُ مِنْ مُخالفتها، فلا يجوزُ مجاوزتُها. وأصلُ الحدّ في اللغة: المَنْعُ، ومنه: حَدُّ الدّار، وهو ما يَمْنَعُ غيرَها مِنَ الدُّخول فيها. والحَدَّادُ في اللغة: الحَاجِبُ والبَوَّابُ، وكلُّ ما مَنَعَ شيئاً فهو حَدَّادٌ، قال الأعشى:

فَقُمْنَا ولمَّا يَصِحْ دِيكُنَا ... إلى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

أي: عندَ رَبِّها الذي يَمْنَعُها إلا بما يُريده. وأَحَدَّتْ المرأةُ على زَوْجِهَا، وحَدَّت فهي حَادٌّ، ومُحِدٌّ: إذا قَطَعَتْ الزِّينة، وامتنعت منها، وأَحْدَدْتُ النَّظَرَ إلى فُلانٍ: إذا مَنَعتَ نَظَرَكَ مِنْ غيره. وسمي الحديد حديداً، لأنه يمتنع به من الأعداء.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾، أي: مِثْلَ هذا البَيَانِ الذي ذُكر.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾.

[٧٣] سبب نزولها: أنّ امرأَ القَيْسِ بن عَابِسٍ وعَبْدَانَ الحَضْرَميّ، اخْتَصَمَا في أرضٍ، وكان عَبْدَانُ هو الطَّالِبُ ولا بَيِّنَةَ لهُ، فأراد امرُؤ القيس أن يَحْلِف، فقرأ عليه النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فَكَرِهَ أنْ يَحْلِفَ، ولم يُخَاصِمْ في الأرض، فنزلت هذه الآيةُ. هذا قول جماعةٍ، منهم: سعيدُ بن جُبيرٍ.

ومعنى الآية: لا يَأكل بعضُكم مالَ بعضٍ، كقوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾. قال القاضي أبو يَعْلَى: والبَاطِلُ على وَجْهَيْن: **أحدهما**: أنْ يأخذَه بغير طِيبِ نَفْسٍ مِن مَالِكِهِ، كالسَّرِقة، والغَصْبِ، والخِيَانَةِ. **والثاني**: أنْ يَأْخُذَه بطِيبِ نَفْسِهِ، كالقِمَار، والغِنَاء، وثَمَنِ الخَمْرِ، وقال الزجّاجُ: البَاطِلُ: الظُّلم «وتُدلوا» أصله في اللغة من: أدْلَيت الدَّلوَ: إذا أَرْسَلْتَها لِتَمْلأَهَا، ودَلَوْتُهَا؛ إذا أَخْرَجْتُها. ومعنى أدْلَى فلانٌ بحُجَّتِهِ: أَرْسَلَهَا، وأَتى بها على صِحَّةٍ. فمعنى الكلام: تعملون على ما يُوجِبُه إدْلاءُ الحُجَّة، وتَخُونُون في الأمانة، وأنتم تعلمون أنَّ الحُجَّة عليكم في البَاطِنِ(١). وفي هاء «بها» قولان: **أحدهما**:

---

[٧٣] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «أسباب النزول» ٩٤ للسيوطي عن سعيد بن جبير مرسلاً، ولم أقف على إسناده إلى سعيد، وهو ضعيف بكل حال، لإرساله، فالمرسل ضعيف عند أهل الحديث.
ـ وذكره الواحدي ٩٥ وعزاه لمقاتل بن حيان، وهذا مرسل، وهو بدون إسناد، ومقاتل ذو مناكير.
ـ وأصله صحيح، انظر صحيح البخاري ٢٤١٦ ومسلم ١٣٩ فهو بهذا اللفظ مع ذكر سبب النزول ضعيف.

---

(١) فائدة: قال القرطبي رحمه الله ٢/٣٣٦: من أخذ مال غيره لا على وجه إذن الشرع فقد أكله بالباطل. ومن الأكل بالباطل أن يقضي القاضي لك وأنت تعلم أنك مبطل، فالحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي، لأنه إنما يقضي بالظاهر. وهذا إجماع في الأموال، وإن كان عند أبي حنيفة قضاؤه ينفذ في الفروج باطناً، وإذا كان قضاء القاضي لا يغير حكم الباطن في الأموال فهو في الفروج أولى. وروى الأئمة عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ: (إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من نار ـ في رواية ـ فليحملها أو يذرها) =

أنَّها تَرْجِعُ إلى الأموال، كأنَّه قال: لا تُصَانِعُوا ببعضها جَوَرَةَ الحُكَّام. **والثاني: أنَّها تَرْجِعُ إلى الخُصُومَة.**

إنْ قيل: كيف أعادَ ذِكرَ الأكل فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟﴾ ﴿لِتَأْكُلُوا۟﴾؟ فالجواب: أنه وَصَلَ اللفظة الأولى بالبَاطِل، والثانية بالإثم، فأعادَها للزِّيادة في المعنى، ذَكَرَهُ ابنُ الأنباريِّ.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. هذه الآية من أوَّلها إلى قوله: ﴿وَٱلْحَجِّ﴾، نزلت على سببٍ:

[٧٤] وهو أنَّ رَجُلين من الصَّحابة قَالا: يا رسولَ الله! ما بالُ الهِلالِ يَبْدُو دَقِيقاً، ثم يَزيدُ ويَمْتَلِيءُ حتى يستديرَ ويَستوي، ثمَّ لا يزالُ يَنْقُص ويَدِقُّ حتى يَعودَ كما كانَ؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، هذا قولُ ابن عباسٍ[(١)].

ومن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ إلى آخرها يدلُّ على سببٍ آخر:

[٧٥] وهو أنَّهم كانوا إذا حَجُّوا، ثمَّ قَدِمُوا المدينةَ، لَمْ يدخلوا من بابٍ، ويأتون البيوتَ مِنْ ظُهورها، فنسيَ رجلٌ، فدخلَ مِنْ بابٍ، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ هذا قول البَراءِ بن عَازِبٍ.

وفيما كانوا لا يدخلون البيوتَ مِنْ أبوابها لأَجْلِهِ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأَجْلِ الإحرَام، قاله ابن عباسٍ، وأبو العَالِيَة، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ، وقَيْسٌ النَّهشَليّ. **والثاني**: لأَجْلِ دُخول الشَّهر الحَرَام، قاله البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ. **والثالث**: أنَّ أهلَ الجاهليّة كانوا إذا هَمَّ أحدُهم بالشيء فاحْتَبَسَ عنه؛ لم يَأْتِ بيتَهُ مِنْ بابه حتى يأتيَ الذي كانَ هَمَّ به، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: أنَّ أهلَ المدينة كانوا إذا رَجَعُوا مِنْ عِيدِهِمْ فَعَلُوا ذلك، رَوَاهُ عُثْمَانُ بن عَطَاءٍ عن أبيه.

---

[٧٤] باطل. أخرجه أبو نعيم وابن عساكر كما في «أسباب النزول» ٩٧ للسيوطي من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا إسناد ساقط، بل هذه السلسلة هي سلسلة الكذب، فالسدي هو الصغير متهم، والكلبي كذبه غير واحد، وتقدم في المقدمة بيانه. وعزاه الواحدي في «الأسباب» ٩٨ للكلبي.

[٧٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥١٢ ومسلم ٣٠٢٦ والواحدي في «أسباب النزول» ٩٩ عن البراء بن عازب.

= وعلى هذا الحديث جمهور العلماء وأئمة الفقهاء. وهو نص في أن حكم الحاكم على الظاهر لا يغير حكم الباطن. واتفق أهل السنة على أن من أخذ ما وقع عليه اسم مالٍ قلّ أو كثر أنه يفسق بذلك، وأنه محرّم عليه أخذه. خلافاً لبشر بن المعتمر ومن تابعه من المعتزلة حيث قالوا: إن المكلّف لا يفسق إلا بأخذ مائتي درهم ولا يفسق بدون ذلك. وكله مردود بالقرآن والسنة واتفاق العلماء، قال ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» الحديث متفق عليه.

(١) كذا وقع للمصنف رحمه الله! وهو غريب، إذ ورد عن ابن عباس مرفوعاً، ثم مع ذلك يُنسب ذلك لابن عباس، مع أن ابن الجوزي رحمه الله من أهل الحديث، ولكل جواد كبوة، والله الموفق للصواب.

فأمّا التّفسير؛ فإنّما سألوه عن وَجهِ الحِكْمَةِ في زيادة الأهِلّة ونُقصانها، فأخبرهم أنها مَقادِيرُ لِما يحتاجُ الناسُ إليه في صَومهم وحَجِّهم وغيرِ ذلك. والأهِلّة: جمعُ هِلالٍ. وكم يبقى الهِلالُ على هذه التّسمية؟ فيه للعرب أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه يُسمّى هِلالاً لِلَيلَتَيْن مِنَ الشّهر. **والثاني**: لِثلاثِ لَيالٍ، ثم يُسمّى قَمراً. **والثالث**: إلى أنْ يُحجَرَ، وتَحجِيرُهُ: أنْ يَستديرَ بخطّةٍ دقيقةٍ، وهو قولُ الأصمعيّ. **والرابع**: إلى أن يَبْهَرَ ضَوؤُه سوادَ الليل. حكى هذه الأقوالَ ابن السّرِيّ واختارَ الأوّلَ، قال: واشتِقاقُ الهِلال مِن قولهم: استَهلَّ الصبيُّ: إذا بَكى حين يُولد. وأهَلَّ القومُ بالحَجِّ: إذا رَفعُوا أصواتَهم بالتّلبية، فسُمّي هِلالاً لأنه حين يُرى يُهِلُّ الناسُ بِذِكْرِه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، مثلُ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، وقد سبقَ بيانُه، واختلفَ القُرّاءُ في البُيوت وما أشبَهَهَا، قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ بكسر باء «البِيوت» وعين «العيون» وغين «الغيوب»، ورُوي عن نَافع أنه ضَمَّ باءَ «البُيوت» وعين «العُيون» وغين «الغُيوب» وجيم «الجُيوب» وشين «الشُيوخ»، ورَوى عنه قَالُون أنه كَسَر باءَ «البِيوت»، وقرأ أبو عَمرٍو، وأبو جَعْفَر بضمّ الأحرف الخمسة، وكَسَرَهُنَّ جميعاً حَمزةُ، واختلف عن عاصم. قال الزجّاج: من ضم «البيوت» فعلىٰ أصل الجمع: بَيْت وبُيُوت، مثل: قَلْب وقُلُوب، وفَلْس وفُلُوس. ومَنْ كسر، الياء بعد الباء، وذلك عند البَصرِيين رديءٌ جداً، لأنه ليس في الكلام فِعول بكسر الفاء. وسمعتُ شيخنا أبا منصورٍ اللُّغويّ يقول: إذا كان الجَمْعُ على فُعول، وثانيه ياءٌ، جاز فيه الضّمُّ والكَسْرُ، تقول: بُيوتٌ وبِيوت، وشُيوخٌ وشِيوخ، وقُيود وقِيود.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾.

[٧٦] سببُ نزولها: أنّ رسولَ الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت، ونَحرَ هَدْيَه بالحُديبية، وصَالَحَهُ المشركون على أن يرجعَ مِنَ العام المُقبل؛ رجَعَ، فلمّا تَجهّزَ في العام المُقبل؛ خافَ أصحابُه أنْ لا تَفيَ لهم قُريشٌ بذلك، وأن يَصُدُّوهم ويُقاتلوهم، وكَرِهَ أصحابُه القتالَ في الشّهر الحَرام؛ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابن عباسٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾، أي: ولا تَظْلِمُوا. وفي المُراد بهذا الاعتداء أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَتْلُ النساء والوِلْدَان، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنّ معناه: لا تُقاتلوا مَنْ لم يُقاتِلْكُم، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، وأبو العَالِيَة، وابن زيدٍ. **والثالث**: أنه إتيانُ ما نُهوا عنه، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: أنه ابْتِداؤهم بالقتال في الحَرَمِ في الشّهر الحَرام، قاله مُقاتلٌ.

فصل: اختلف العلماء: هل هذه الآية مَنسُوخَةٌ أمْ لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها مَنسُوخَةٌ. واختلف أربابُ هذا القول في المَنسُوخ مِنها على قولين: **أحدهما**: أنه

---

[٧٦] ضعيف جداً، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٠٢ تعليقاً عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به، وهذا إسناد ساقط، وتقدم بيانه في المقدمة. وسيأتي بنحو هذا السياق عند الآية ١٩٤.

أوَّلُها، وهو قوله: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾، قالوا: وهذا يقتضي أنَّ القتالَ يُباح في حقِّ مَنْ قَاتَلَ من الكُفَّار، ولا يُباح في حقِّ مَنْ لَمْ يُقاتِل، وهذا مَنْسُوخٌ بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. **والثاني**: أنَّ المَنْسُوخَ منها: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾، ولهؤلاءِ في هذا الاعتداءِ قولان: **أحدهما**: أنه قَتْلُ مَنْ لَمْ يُقاتِل. **والثاني**: أنه ابتداءُ المُشركين بالقتال، وهذا مَنْسُوخٌ بآية السَّيف.

والقول الثاني: أنها مُحْكَمَةٌ، ومعناها عند أربابِ هذا القول: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾، وهم الذين أَعدُّوا أَنفسَهم للقتال، فأمَّا مَنْ لَيسَ بمُعِدٍّ نَفسَه للقِتال، كالرُّهبان والشُّيوخ الفُنَاة، والزَّمنَى، والمَكَافِيف، والمَجَانِين، فإنَّ هؤلاءِ لا يُقاتلون؛ وهذا حُكْمٌ باقٍ غيرُ مَنْسُوخٍ[1].

فصل: واختلف العلماءُ في أوَّلِ آيةٍ نزلت في إباحَةِ القتال على قولين: **أحدهما**: أنَّها قوله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾، قاله أبو بَكرٍ الصِّدِّيق، وابنُ عباسٍ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، والزُّهريُّ. **والثاني**: أنها هذه الآية: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قاله أبو العَالِيَة، وابنُ زيدٍ.

---

(١) فائدة: قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٣٤٦: وللعلماء فيهم صور ست: الأُولى: النساء إن قاتلن قتلن، قال سحنون: في حالة المقاتلة وبعدها، لعموم قوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ وللمرأة آثار عظيمة في القتال، منها الإمداد بالأموال، ومنها التحريض على القتال، وقد يخرجن ناشرات شعورهن نادبات مثيرات معيّرات بالفرار، وذلك يبيح قتلهن، غير أنهن إذا حصلن في الأسر فالاسترقاق أنفع لسرعة إسلامهن ورجوعهن عن أديانهن، وتعذر فرارهن إلى أوطانهن بخلاف الرجال.
الثانية: الصبيان فلا يُقتلون للنهي الثابت عن قتل الذرية، ولأنه لا تكليف عليهم فإن قاتل الصبي قتل.
الثالثة: الرهبان لا يقتلون ولا يسترقّون، بل يترك لهم ما يعيشون به من أموالهم وهذا إذا انفردوا عن أهل الكفر، لقول أبي بكر ليزيد: «وستجد أقواماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له». فإن كانوا مع الكفار في الكنائس قتلوا. ولو ترهبت المرأة لا تُهاج. رواه أشهب وقال سحنون: لا يغير الترهب حكمها.
الرابعة: الزَّمْنَى. قال سحنون: يُقتلون. وقال ابن حبيب: لا يُقتلون. والصحيح أن تعتبر أحوالهم، فإن كانت فيهم إذاية قتلوا، وإلا تركوا وما هم بسبيله من الزمانة وصاروا مالاً على حالهم وحشوة.
الخامسة: الشيوخ. قال مالك في كتاب محمد: لا يُقتلون. والذي عليه جمهور الفقهاء: إن كان شيخاً كبيراً هرماً لا يُطيق القتال، ولا ينتفع به في رأي ولا مدافعة فإنه لا يُقتل، وبه قال مالك وأبو حنيفة. وللشافعي قولان: أحدهما: مثل قول الجماعة. والثاني: يُقتل هو والراهب. والصحيح الأول لقول أبي بكر ليزيد، ولا مخالف له فثبت به إجماع. وأيضاً فإنه ممن لا يُقاتل ولا يعين العدو فلا يجوز قتله كالمرأة، وأما إن كان ممن تخشى مضرته بالحرب أو الرأي أو المال فهذا إذا أسر يكون الإمام فيه مخيّراً بين خمسة أشياء: القتل أو المنّ أو الفداء أو الاسترقاق أو عقد الذّمة على أداء الجزية.
السادسة: العسفاء، وهم الأجراء والفلاحون، فقال مالك في كتاب محمد: لا يُقتلون. وقال الشافعي: يُقتل الفلاحون والأجراء والشيوخ الكبار إلا أن يسلموا أو يؤدوا الجزية والأول أصح، لقوله عليه السلام في حديث رباح بن ربيع: «الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً» وقال عمر بن الخطاب: اتقوا الله في الذرية والفلاحين لا ينصبون لكم الحرب. وكان عمر بن عبد العزيز لا يقتل حرّاثاً. وقوله تعالى ﴿لا تعتدوا﴾ قيل في تأويله ما قدمناه، فهي محكمة. وقال قوم: المعنى لا تعتدوا في القتال لغير وجه الله، كالحمية وكسب الذكر، بل قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، يعني ديناً وإظهاراً للكلمة. وقيل: ﴿لا تعتدوا﴾ أي لا تقاتلوا من لم يقاتل فعلى هذا تكون الآية منسوخة بالأمر بالقتال لجميع الكفار والله أعلم.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. أي: وَجَدْتُموهم. يُقال: ثَقِفْتُهُ أَثْقَفُهُ: إذا وَجَدْتُهُ. قال القاضي أبو يَعْلَى: قوله تعالىٰ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، عامٌّ في جميع المُشركين، إلاَّ مَنْ كان بمَكَّة، فإنهم أُمِرُوا بإخْراجِهم منها، إلاَّ مَنْ قاتَلَهُم فإنَّهم أُمِرُوا بقتالهم، يدلُّ على ذلك قولُه في نَسَقِ الآية: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، وكانوا قد آذَوا المسلمين بمَكَّة حتى اضطَرُّوهم إلى الخُروج، فكأنَّهم أخرَجُوهم. فأمَّا الفِتْنَةُ، ففيها قولان: أحدهما: أنها الشِّركُ، قاله ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وابنُ عُمَرَ وقَتادةُ في آخرين. والثاني: أنها ارتدادُ المؤمن إلى عبادة الأَوْثان، قاله مُجاهدٌ. فيكون معنى الكلام على القول الأوَّل: شِركُ القوم أعظمُ مِنْ قتلكم إيَّاهم في الحَرَم. وعلى الثاني: ارتدادُ المؤمن إلى الأوثان أشدُّ عليه من أن يُقتل مُحقاً. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وعاصمٌ وابنُ عامرٍ: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾، وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ وخَلَفٌ: (ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم)، بحذف الألف فيهنَّ. وقد اتَّفق الكلُّ على قوله: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾، فاحتجَّ مَنْ قرأ بالألف بقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، واحتجَّ من حذف الألف بقوله: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾.

فصل: واختلف العُلماء في قوله: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، هل هو مَنْسوخٌ أم لا؟ فذهب مُجاهدٌ في جماعةٍ من الفقهاء إلى أنه مُحْكَمٌ وأنه لا يُقاتل فيه إلاَّ من قاتل.

[٧٧] ويدلُّ على ذلك الحديثُ الصحيحُ عن النبيِّ ﷺ، أنه خَطَبَ يومَ فتح مكَّة، فقال: «يا أيُّها النَّاس! إنَّ اللَّهَ حَرَّم مكَّة يومَ خلقَ السمٰواتِ والأرضَ، ولَمْ تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلي، ولا تَحِلُّ لأَحَدٍ بعدي. وإنَّما أُحِلَّت لي ساعةً مِنْ نَهارٍ، ثم عادت حَراماً إلى يومِ القِيامة».

فبيَّن ﷺ أنه خُصَّ في تلك الساعة بالإِباحة على سبيل التَّخصيص، لا على وجه النَّسْخِ، فثبتَ بذلك حظرَ القتال في الحَرَم، إلاَّ أن يُقاتلوا فيدفعون دَفْعاً، وهذا أمْرٌ مستمر الحُكْم غيرُ مَنْسُوخٍ، وقد ذهب قَتادةُ إلى أنه مَنْسوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، فأمَرَ بقتالهم في الحِلِّ والحَرَم وعلى كلِّ حالٍ. وذهب الرَّبيعُ بن أنسٍ، وابنُ زيدٍ، إلى أنه مَنْسُوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وزعم مقاتلٌ إلى أنه مَنْسُوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾. والقول الأوَّل أصَحُّ. قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾، قال مُقاتلٌ: أي: فقاتلوهم.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾. فيه ثلاثة أقوالٍ: أحدها: أنَّ معناه: فإن انْتَهَوا عن شِركهم وقِتالكم.

---

[٧٧] صحيح. أخرجه البخاري ١١٢٠ و٢٤٣٤ و٦٨٨٠ ومسلم ١٣٥٥ و٤٤٨ وأبو داود ٢٠١٧ و٤٥٠٥ والترمذي ١٤٠٥ و٢٦٦٧ والبيهقي ٨/ ٥٣ وقال الترمذي: حسن صحيح وابن ماجه مختصراً ٢٦٢٤ وابن حبان ٣٧١٥ وأحمد مطولاً ومفرقاً ٢/ ٢٣٨ والبيهقي في «السنن» ٨/ ٥٢ من طرق عن أبي هريرة.

والثاني: عن كُفرهم. **والثالث**: عن قِتالكم دونَ كُفرهم، فعَلَى القولين الأوَّلين تكون الآية مُحكَمَةً، ويكون معنى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفورٌ لشِركهم وجُرمهم، وعلى القول الأخير؛ يكون في معنى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قولان: **أحدهما**: غفورٌ لكم حيثُ أسقطَ عنكم تَكْليفَ قِتالهم. **والثاني**: أنَّ معناه: يَأمُركم بالغُفران والرَّحمة لهم. فعَلَى هذا تكون الآية مَنْسوخةً بآية السَّيف.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾. قال ابنُ عباسٍ والحَسَنُ ومُجاهدٌ وقَتادةُ في آخرين: الفِتْنَةُ هاهنا: الشِّرْكُ. قوله تعالىٰ: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، قال ابنُ عباسٍ: أي يُخْلَص له التَّوحيد. والعُدْوانُ: الظُّلمُ، وأُريد به هاهنا الجَزاء، فسُمِّي الجزاءُ عُدواناً مقابلةً للشيء بمِثْلِه، كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾، والظَّالمون هاهنا المُشركون، قاله عِكرمة وقَتادةُ في آخرين.

فصل: وقد رُوي عن جماعةٍ من المُفسِّرين، منهم قَتادةُ، أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، مَنْسوخٌ بآية السَّيف، وإنَّما يستقيم هذا إذا قُلنا: إنَّ معنى الكلام: فإن انْتَهَوا عن قِتالكم مع إقامتهم على دِينهم، فأمَّا إذا قلنا: إنَّ معناه: فإن انْتَهَوْا عن دِينهم؛ فالآية مُحْكَمَةٌ.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هذه الآية نزلت على سببٍ واختلفوا فيه على قولين:

[٧٨] **أحدهما**: أنَّ النبيَّ ﷺ أقْبَل هو وأصحابه مُعتمِرين في ذِي القِعْدَة ومعهم الهَدْيُ، فصَدَّهُم المشركون، فصَالَحَهم نبيُّ الله على أن يرجعَ عنهم ثمَّ يعود في العام المُقبل، فيكون بمكَّة ثلاثَ ليالٍ، ولا يدخلها بسلاحٍ، ولا يخرج بأحَدٍ من أهل مكَّةَ، فلمَّا كان العام المُقبل؛ أقْبَلَ هو وأصحابه فدخلوها، فافْتَخَرَ المشركون عليه إذ رَدُّوهُ يومَ الحُديبية، فأقَصَّهُ اللَّهُ منهم وأدْخَلَهُ مكَّةَ في الشهر الذي رَدُّوهُ فيه، فقال: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾، وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعَطاءٌ، وأبو العَالِيَة، وقَتادةُ في آخرين.

[٧٩] **والثاني**: أنَّ مُشركي العرب قالوا للنبيِّ عليه السَّلام: أنُهيتَ عن قتالنا في الشَّهر الحرام؟ قال: «نعم»، وأرادُوا أنْ يُغْتَرُّوه في الشهر الحَرام، فيُقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول: إن استَحَلُّوا منكم شيئاً في الشَّهر الحَرام، فاسْتَحِلُّوا منهم مِثْلَه، هذا قول الحَسَنِ، واختاره إبراهيمُ بن السَّرِيّ الزجَّاجُ.

---

[٧٨] حسن صحيح بشواهده. أخرجه الطبري ٣١٣٩ عن قتادة مرسلاً. وكرره ٣١٤٠ من مرسل قتادة ومقسم، وبرقم ٣١٣٧ من مرسل مجاهد و٣١٤١ من مرسل السدي، وبرقم ٣١٤٣ من مرسل الربيع بن أنس وبرقم ٣١٤٤ عن ابن عباس، لكن إسناده واهٍ، فيه مجاهيل.
الخلاصة: رووه بألفاظ متقاربة والمعنى واحد، فالخبر حسن بشواهده.

[٧٩] عزاه المصنف للحسن، ولم أقف على إسناده، وهو مرسل، بكل حال، ومراسيل الحسن واهية، والخبر المتقدم هو المحفوظ في هذا.

وأما أربابُ القول الأول؛ فيقولون: معنى الآية: الشَّهر الحَرامُ الذي دخلتُم فيه الحَرَم بالشَّهر الحرام الذي صَدُّوكم فيه عامَ أوَّل. ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾: اقْتَصصْتُ لكم منهم في ذِي القِعْدَة كما صَدُّوكم في ذِي القِعْدَة. وقال الزجَّاجُ: الشهرُ الحَرامُ، أي: قتالُ الشَّهر الحَرام بالشَّهر الحَرام، فأعْلَمَ اللّٰهُ عزَّ وجلَّ أنَّ أمْرَ هذه الحُرُمات لا تجوز للمسلمين إلا قِصَاصاً، ثم نَسَخَ ذلك بآية السَّيف، وقيل: إنَّما جَمَعَ الحُرُمات، لأنه أراد الشَّهْرَ الحَرَامَ بالبلدِ الحَرَامِ، وحُرمَةَ الإِحْرَام.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾، قال ابن عباسٍ: مَنْ قاتلكم في الحَرَم فقَاتِلُوه. وإنما سَمَّى المُقَابَلَةَ على الاعْتِداء اعتداءً، لأنَّ صورة الفِعْلَين واحدةٌ، وإنْ كان أحَدُهما طاعَةً والآخرُ معصيةً. قال الزجَّاجُ: والعرب تقول: ظَلَمَني فُلانٌ فظَلَمْتُهُ، أي: جَازَيْتُهُ بِظُلمه. وجَهِلَ فُلانٌ عَليَّ، فَجَهِلْتُ عليه. وقد سبق بيانُ هذا المعنى في أوَّل السُّورة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، قال سعيدُ بن جُبيرٍ: واتَّقوا الله ولا تَبْدَأُوهم بقتالٍ في الحَرَم.

﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. هذه الآية نزلت على سببٍ، وفيه قولان:

[٨٠] **أحدهما**: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا أمَرَ بالتَّجهُّز إلى مكَّةَ، قال نَاسٌ مِنَ الأعراب: يا رسولَ الله! بماذا نَتَجَهَّز؟ فَوَاللّٰهِ ما لنا زَادٌ ولا مالٌ! فنزلت، قاله ابنُ عباسٍ.

[٨١] **والثاني**: أن الأنصار كانوا يُنفقون ويَتَصدَّقُون، فأصابهم سَنَةٌ، فأمْسَكوا؛ فنزلت، قاله أبو جبيرة بن الضحاك.

والسَّبيل في اللُّغة: الطَّريق. وإنما استُعملت هذه الكلمةُ في الجِهاد، لأنه السَّبيل الذي يُقاتل فيه على عَقْدِ الدِّين. والتَّهْلُكَة: بمعنى الهَلاك، يُقال: هَلَكَ الرجل يَهْلِك هَلاكاً وهُلْكاً وتَهْلُكَةً. قال المُبَرِّد: وأراد بالأَيْدِي: الأَنْفس؛ فعَبَّر بالبعض عن الكُلّ. وفي المُراد بالتَّهْلُكة هاهنا أربعة أقوالٍ:

---

[٨٠] لم أقف عليه بعد البحث، ولم يذكره سوى المصنف والقرطبي ٢/ ٣٦٠، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد.
ـ وانظر ما بعده.

[٨١] صحيح. أخرجه أبو يعلىٰ كما في «إتحاف المهرة» ٦٣٤٥ وابن حبان ٥٧٠٩ والطبراني ٢٢/ ٣٩٠ والواحدي في «الأسباب» ١٠٥ من طريق هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن الضحاك بن أبي جبيرة به. كذا وقع عندهم سوىٰ الطبراني قال: أبو جبيرة بن الضحاك. وهذا هو الصواب. ورجال إسناده رجال البخاري ومسلم سوىٰ حمّاد فقد تفرد عنه مسلم. وصحابيه مختلف في صحبته. قال البوصيري في «الإتحاف»: رجال أبي يعلىٰ ثقات. وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٣١٧: رجاله رجال الصحيح.

أحدها: أنها تَرْكُ النَّفقة في سبيل الله، قاله حُذَيْفَةُ، وابنُ عباسٍ، والحَسَنُ، وابنُ جُبيرٍ، وعِكرمةُ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها القُعود عن الغَزو شُغْلاً بالمال، قاله أبو أيُّوبَ الأنْصاريّ. **والثالث**: أنها القُنوطُ مِنْ رحمة الله، قاله البَرَاءُ، والنُّعمانُ بن بَشيرٍ، وعَبيدةُ. **والرابع**: أنها عذابُ الله، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ(١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: أحْسِنُوا الإنْفَاقَ، وهو قولُ أصحاب القول الأوَّل. **والثاني**: أحْسِنُوا الظَّنَّ باللَّهِ، قاله عِكرمةُ، وسُفيانُ، وهو يُخَرَّج على قول مَنْ قال: التَّهْلُكَة: القُنوطُ. **والثالث**: أن معناه: أدُّوا الفَرَائضَ، رواه سُفيانُ عن أبي إسْحَاقَ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، قال ابنُ فَارِسٍ: الحَجُّ في اللغة: القَصْدُ، والاعْتِمَارُ في الحَجِّ أصله: الزِّيَارَة. قال ثَعْلَب: الحَجُّ بفتح الحاء: المصدرُ، وبكسرها: الاسمُ. قال: وربَّما قال الفَرَّاءُ: هُما لُغتان. وذكر ابنُ الأنباريّ في العُمْرَةِ قولين: **أحدهما**: الزِّيارَة. **والثاني**: القَصْدُ. وفي إتمامها أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معنى إتْمَامها: أنْ يَفْصِلَ بينهما، فيأتي بالعُمْرَة في غير أشْهُر الحَجِّ، قاله عُمَرُ بن الخَطَّابِ، والحسَنُ وعَطاءٌ. **والثاني**: أن يُحرم الرجلُ مِنْ دُوَيْرَة أهْلِهِ، قالهُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وطَاوسٌ، وابنُ جُبيرٍ. **والثالث**: أنه إذا شَرَعَ في أحدِهما لم يَفْسَخْهُ حتى يَتِمَّ، قاله ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه فعلُ ما أَمَرَ اللَّهُ فيهما، قاله مُجاهدٌ.

وجمهور القُرَّاءِ على نصب «العُمْرة» بإيقاع الفعل عليها. وقرأ الأصْمَعيُّ عن نَافعٍ والقَزَّازُ عن أبي عَمرٍو والكِسَائيُّ عن أبي جَعفر برفعها، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ وأبي رَزينٍ والحسَنِ والشَّعبيّ.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٣٦٠ بعد أن ذكر الأقوال المتقدمة: وقال زيد بن أسلم: المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد، وقد كان فعل ذلك قوم فأدّاهم ذلك إلى الانقطاع في الطريق، أو يكون عالة على الناس. فهذه خمسة أقوال. و «سبيل الله» هنا: الجهاد، واللفظ يتناول بعد جميع سبله. وقيل: لا تأخذوا فيما يهلككم قاله الزجاج وغيره. أي إن لم تنفقوا عصيتم وهلكتم وقيل إن معنى الآية لا تمسكوا أموالكم فيرثها منكم غيركم فتهلكوا بحرمان منفعة أموالكم. ويقال لا تنفقوا من حرام فيُرَدّ عليكم فتهلكوا ونحوه عن عكرمة وقال الطبري: قوله «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» عام في جميع ما ذكر لدخوله فيه إذ اللفظ يحتمله. واختلف العلماء في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده فقال القاسم بن مخيمرة: لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة، وكان لله بنيّة خالصة، فإن لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة. وقيل: إن خلصت الشهادة وخلصت النية فليحمل لأن مقصوده واحد منهم. وقال ابن خُوَيْز منداد: فأما أن يحمل الرجل على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان: إن غلب على ظنه أن سيَقتل مَن حمل عليه وينجو فحسن، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يُقتل ولكن سينكي نِكاية أو سيُبلي أو يؤثر أثراً ينتفع به المسلمون فجائز أيضاً. وقد بلغني أن عسكر المسلمين لما لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة، فعمد رجل منهم فصنع فيلاً من طين وأنّس به فرسه حتى ألفه، فلما أصبح لم يَنْفُرْ فرسه من الفيل فحمل على الفيل الذي يقدمها فقيل له: إنه قاتلك. فقال: لا ضير أن أُقتل ويُفتح للمسلمين. وكذلك يوم اليمامة لما تحصنت بنو حنيفة بالحديقة، قال رجل ـ هو البراء بن مالك أخو أنس بن مالك كما في تاريخ الطبري ـ من المسلمين: ضعوني في الحجفة وألقوني إليهم، ففعلوا وقاتلهم وحده وفتح الباب. ومن هذا ما رُوي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أرأيت إن قُتِلت في سبيل الله صابراً محتسباً؟ قال: «فلك الجنة» فانغمس في العدو حتى قتل.

وممَّن ذهبَ إلى أنَّ العُمرةَ واجِبَةٌ، عليٌّ، وابنُ عُمَرَ، وابن عباسٍ، والحَسَنُ، وابن سِيرينَ، وعَطاءٌ، وطَاوسٌ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، وأحمدُ، والشَّافعيُّ. ورُوي عن ابن مسعودٍ، وجَابرٍ، والشَّعبيِّ، وإبراهيمَ، وأبي حَنيفةَ، ومَالكٍ، أنها سُنَّةٌ وتَطوُّعٌ[1].

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، قال ابنُ قُتيبة: أَحْصَرَهُ المرضُ والعدو: إذا مَنَعَهُ من السَّفر، ومنه هذه الآية. وحَصَرَهُ العدوّ: إذا ضَيَّقَ عليه. قال الزجّاجُ: يُقال للرجل إذا مَنَعَهُ الخوفُ والمَرَضُ من التَّصرّف قد أُحْصِرَ فهو مُحْصَرٌ. يُقال للرجل إذا حُبِسَ: قد حُصِرَ، فهو مَحْصُورٌ. وللعلماء في هذا الإِحْصَارِ قولان: **أحدهما**: أنه لا يكون إلاَّ بالعدو، ولا يكون المريضُ مُحْصَراً. وهذا مذهبُ ابن عُمَر، وابنِ عباسٍ، وأنسٍ، ومَالكٍ، والليْثِ، والشَّافعيِّ، وأحمدَ. ويدلُّ عليه قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾.

والثاني: أنه يكون بكلِّ حَابِسٍ مِنْ مرضٍ أو عدوٍّ أو عُذرٍ، وهو قول عَطاءٍ، ومُجاهدٍ، وقَتادةَ، وأبي حَنيفةَ. وفي الكلام اختصارٌ وحَذْفٌ، والمعنى: فإن أُحْصِرْتُم دونَ تمام الحَجِّ والعُمْرَة فحَلَلْتُم؛ فعليكم ما اسْتَيْسَرَ من الهَدْي. ومِثْلُه: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾، تقديره: فحلق، ففدية. والهَدْيُ: ما أُهْدِيَ إلى البيت. وأصله: هَدِيّ مشددٌ، فخُفِّفَ، قاله ابنُ قُتيبةَ. وبالتشديد يقرأ الحَسَنُ ومُجاهدٌ. وفي المُراد ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه شَاةٌ، قاله عليُّ بن أبي طالبٍ وابنُ عباسٍ والحسَنُ وعَطاءٌ وابنُ جُبيرٍ وإبرَاهيمُ وقَتادةُ والضحَّاكُ ومُغِيرَةُ. **والثاني**: أنه ما تَيَسَّرَ مِنَ الإِبل والبقر لا غير، قالهُ ابنُ عُمر وعَائشةُ، والقَاسِمُ. **والثالث**: أنه على قَدْرِ المَيْسَرَة، رَواهُ طاوسٌ عن ابن عباسٍ، ورُوي عن الحسَنِ وقَتادةَ قالا: أَعْلاه بَدَنَةٌ، وأَوْسَطُه بقرةٌ، وأَخَسُّهُ شَاةٌ. وقال أحمدُ: الهَدْيُ مِنَ الأصناف الثلاثة، الإِبل والبقر، والغنم، وهو قولُ أبي حنيفةَ ومالكٍ والشَّافعيّ رحمهم الله.

قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾، قال ابنُ قُتيبةَ: المَحِلّ: الموضع الذي يَحِلُّ به نَحْرُهُ وهو من: حَلَّ يَحِلُّ. وفي المَحِلّ قولان: **أحدهما**: أنه الحَرَمُ، قاله ابنُ مسعودٍ، والحَسَنُ، وعَطاءٌ، وطَاوسٌ،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/ ٣٦٦: في هذه الآية دليل على وجوب العمرة، لأنه تعالى أمر بإتمامها كما أمر بإتمام الحج وممن ذهب إلى وجوبها من التابعين عطاء وطاوس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد وابن الجهم من المالكيين. وقال الثوري سمعنا أنها واجبة. وروي مرفوعاً عن محمد بن سيرين عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: «إن الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت» أخرجه الدارقطني وكان مالك يقول: «العمرة سنة ولا نعلم أحداً أرخص في تركها». وحكى بعض القرويين والبغداديين عن أبي حنيفة أنه كان يوجبها كالحج وبأنها سنة ثابتة قاله ابن مسعود وجابر بن عبد الله. فعن جابر بن عبد الله قال: سأل رجل رسول الله ﷺ عن الصلاة والزكاة والحج. أواجب هو؟ قال: «نعم» فسأله عن العمرة: أواجبة هي؟ قال: «لا، وأن تعتمر خير لك» رواه يحيى بن أيوب عن حجاج عن ابن المنكدر عن جابر موقوفاً من قول جابر. أخرجه الدارقطني فهذه حجة من لم يوجبها من السنة.
قالوا: وأما الآية فلا حجة فيها للوجوب، لأن الله سبحانه إنما قرنها في وجوب الإتمام لا في الابتداء، فإنه ابتدأ الصلاة والزكاة فقال: **﴿وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة﴾** وابتدأ بإيجاب الحج فقال: **﴿ولله على الناس حج البيت﴾** ولما ذكر العمرة أمر بإتمامها بابتدائها، فلو حج عشر حجج، أو اعتمر عشر عمر لزم الإتمام في جميعها، فإنما جاءت الآية لإلزام الإتمام لا لإلزام الابتداء والله أعلم. واحتج المخالف من جهة النظر على وجوبها بأن قال: عماد الحج الوقوف بعرفة وليس في العمرة وقوف، فلو كانت كسُنَّة الحج لوجب أن تساويه في أفعاله، كما أن سنة الصلاة تساوي فريضتها في أفعالها.

ومُجاهدٌ، وابنُ سيرينَ، والثَّوريُّ، وأبو حَنيفةَ. **والثاني**: أنه المَوضِعُ الذي أُحْصِرَ به فيذبحه ويُحِلّ، قاله مَالكٌ، والشَّافعيُّ، وأحمدُ(١).

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾، هذا نزلَ على سببٍ:

[٨٢] وهو أنَّ كَعْبَ بنَ عُجْرَةَ كَثُرَ قَمْلُ رأسه حتى تَهافَتَ على وَجْهِهِ، فنزلت هذه الآية فيه، فكان يقول: فِيَّ أُنزلت خاصَّةً.

---

[٨٢] صحيح. أخرجه البخاري ١٨١٥ مع اختلاف يسير فيه، وانظر ما بعده.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ١٩٤ ـ ١٩٧ و٢٠٢ ـ ٢٠٣: أجمع أهل العلم على أن المحرم إذا حصره عدوٌ من المشركين، فمنعوه الوصول إلى البيت، ولم يجد طريقاً آمناً، فله التحلل وقد نصّ الله تعالى عليه بقوله: **﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾** وثبت أن النبي ﷺ أمر أصحابه يوم حصروا في الحديبية أن ينحروا ويحلقوا ويَحِلُّوا. وسواء كان الإحرام بحج أو بعمرة أو بهما في قول إمامنا، وأبي حنيفة والشافعي. وحُكي عن مالك أن المعتمر لا يتحلل، لأنه لا يخاف الفوات. وليس بصحيح، لأن الآية إنما نزلت في حصر الحديبية وكان النبي ﷺ وأصحابه محرمين بعمرة فحلّوا جميعاً. وإن منع من الوصول إلى البيت بمرض أو ذهاب نفقة، بعث الهدي، إن كان معه ليذبحه بمكة، وكان على إحرامه حتى يقدر على البيت. والمشهور في المذهب أن من يتعذر عليه الوصول إلى البيت لغير حصر العدو من مرض أو عرج أو ذهاب نفقة ونحوه، أنه لا يجوز له التحلل بذلك رُوي ذلك عن ابن عمر وابن عباس ومروان. وبه قال مالك والشافعي وإسحاق. وعن أحمد رواية أخرى: له التحلل بذلك. رُوِي نحوه عن ابن مسعود وهو قول عطاء، والنخعي، والثوري، وأصحاب الرأي، لأن النبي ﷺ قال: «من كسر، أو عرج فقد حل، وعليه حجة أخرى» رواه النسائي ولأنه محصر يدخل في عموم قوله تعالى: **﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾**.
ووجه الأولَى أنه لا يستفيد بالإحلال الانتقال من حاله ولا التخلص من الأذى الذي به. ولأن النبي ﷺ دخل على ضباعة بنت الزبير فقالت: إني أريد الحج، وأنا شاكية. فقال: «حجّي، واشترطي أن مَحِلِّي حيث حبستني». فلو كان المرض يبيح الحل، ما احتاجت إلى شرط وحديثهم متروك الظاهر، فإن مجرد الكسر والعرج لا يصير به حلالاً فإن حملوه على أنه يبيح التحلل، حملناه على ما إذا اشترط الحل بذلك، على أن حديثهم كلاماً، فإنه يرويه ابن عباس ومذهبه خلافه. فإن قلنا: يتحلل فحكمه حكم من أحصر بعد وإن قلنا لا يتحلل. فإنه يقيم على إحرامه، ويبعث ما معه من الهدي ليذبح بمكة وليس له نحره في مكانه لأنه لم يتحلل.
فإن فاته الحج تحلل بعمرة، كغير المريض وإذا قدر المحصر على الهدي فليس له الحل قبل ذبحه. فإن كان معه هدي قد ساقه أجزأه، وإن لم يكن معه لزمه شراؤه إن أمكنه ويجزئه أدنى الهدي، وهو شاة أو سُبُع بدنة لقوله تعالى: **﴿فما استيسر من الهدي﴾** وله نحره في موضع حصره، من حل أو حرم. نص عليه أحمد. وهو قول مالك والشافعي. إلا أن يكون قادراً على أطراف الحرم، ففيه وجهان: أحدهما، يلزمه نحره فيه، لأن الحرم كله منحر، وقد قدر عليه. والثاني، ينحره في موضعه لأن النبي ﷺ نحر هديه في موضعه. وعن أحمد: ليس للمحصر نحر هديه إلا في الحرم فيبعثه، ويواطىء رجلاً على نحره في وقت يتحلل فيه. وهذا يُروى عن ابن مسعود، في من لدغ في الطريق. ورُوي نحو ذلك عن الحسن والشعبي والنخعي والله أعلم، في من كان حصره خاصاً وأما الحصر العام فلا ينبغي أن يقوله أحد، ولأن النبي ﷺ وأصحابه نحروا هداياهم في الحديبية، وهي من الحل. قال البخاري: قال مالك وغيره: إن النبي ﷺ وأصحابه حلقوا وحلُّوا من كل شيء، قبل الطواف. وقبل أن يصل الهدي إلى البيت ولم يذكر أن النبي ﷺ أمر أحداً أن يقضي شيئاً، ولا يعودوا له.

فصل: قال شيخنا عليُّ بن عبيدُ الله: اقتَضى قولُه: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾، تحريمَ حِلاقِ الشَّعر، سواءٌ وَجَدَ به الأذى، أو لم يَجِدْ، حتى نزل ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾، فاقْتَضى هذا إباحةَ حَلْقِ الشَّعر عند الأذى مع الفِديَةِ، فصار ناسِخاً لتحريمه المُتقَدِّم. ومعنى الآية: فمَنْ كان منكم ـ أي: مِنَ المُحْرِمين، مُحْصَراً كان أو غيرَ مُحْصَرٍ ـ مريضاً، واحتاج إلى لُبسٍ أو شيءٍ يُحظِره الإحرامُ، ففعَلَهُ، أو به أذىً مِنْ رأسه فحلَق؛ ففِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ. وفي الصِّيام قولان:

[٨٣] **أحدهما:** أنه ثلاثةُ أيام، رُوي في حديث كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ رضيَ الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، وهو قول الجُمهور. **والثاني:** أنه صِيامُ عشرةِ أيامٍ، رُوي عن الحسَنِ وعِكرمةَ ونَافعٍ.

وفي الصَّدَقَةِ قولان: **أحدهما:** إطعامُ ستة مساكينَ، رُوي في حديثِ كَعْبٍ، وهو قول مَنْ قال: الصَّومُ ثلاثةُ أيام. **والثاني:** أنها إطعامُ عشرة مساكينَ، وهو قول مَنْ أوْجَبَ صَوْمَ عشرة أيامٍ. والنُّسُكُ: ذَبْحُ شَاةٍ، يقالَ: نَسكتُ لله، أي: ذَبَحْتُ له. وفي النُّسُك لُغتان: ضمُّ النون والسينَ، وبها قرأ الجمهور، وضمُّ النون مع تسكين السين، وهي قراءة الحَسَن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾، أي: مِنَ العدوّ، إذ المرضُ لا تُؤمَنُ مُعاوَدَتُه، وقال عَلْقَمَةُ في آخرين: فإذا أَمِنتُم مِنَ الخوف أو المرض. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾، معناه: مَنْ بَدأ بالعُمرة في أشهر الحَجِّ، وأقامَ الحجَّ مِنْ عامِهِ ذلك؛ فعليه ما استَيْسَرَ من الهَدْي. وهذا قول ابن عُمرَ وابن عباسٍ، وابن المُسَيّبِ، وعَطاءٍ، والضَّحَّاك. وقد سبق الكلامُ فيما اسْتَيْسَرَ من الهَدْي. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾، قال الحسَنُ: هي قبل التَّرْوِيَة بيوم والتَّروِيَةِ، وعَرَفَةَ، وهذا قول عَطاءٍ، والشَّعبيِّ، وأبي العَالِيَة، وابن جُبيرٍ، وطَاوسٍ، وإبراهيمَ. وقد نُقِلَ عن عليٍّ عليه السَّلام. وقد رُوي عن الحسنِ، وعطاءٍ قالا: في أيِّ العَشْرِ شاءَ صَامَهُنَّ. ونُقل عن طَاوسٍ، ومُجاهدٍ، وعَطاءٍ، أنهم قالوا: في أيِّ أشهُرِ الحَجِّ شاءَ فَلْيَصُمْهُنَّ. ونُقل عن ابن عُمر أنّه قال: مِنْ حين يُحرم إلى يوم عَرَفَة.

فصل: فإنْ لَمْ يَجِدِ الهَدْيَ، ولم يَصُمْ الثلاثةَ الأيام قبلَ يوم النَّحْرِ، فماذا يصنعُ؟ قال عُمَرُ بن الخَطَّاب، وابنُ عباسٍ، وابنُ جُبيرٍ، وطاوسٌ، وإبراهيمُ: لا يَجْزيه إلاّ الهَدْيُ ولا يصوم. وقال ابن عُمَر وعائشةُ: يصوم أيامَ منى. ورواه صالحٌ عن أحمدَ، وهو قول مَالكٍ. وذهب آخرون إلى أنه لا يصوم أيامَ التَّشريق، بل يصوم بعدَهُنَّ. رُوي عن عليٍّ. ورواه المَرُّوذي عن أحمدَ، وهو قول الشَّافعيِّ[١].

---

[٨٣] صحيح. أخرجه البخاري ١٨١٤ ومسلم ١٢٠١ وأبو داود ١٨٥٦ و١٨٥٧ والترمذي ٢٩٧٣ والنسائي ٥/ ١٩٥ والطيالسي ١٠٦٢ وأحمد ٤/ ٢٤١ و٢٤٢ كلهم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال له: «لعلك آذاك هوامك؟» قال: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «احلق رأسك وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك بشاة». رووه بألفاظ متقاربة، واللفظ للبخاري.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٢٠٠: فإن لم يكن معه هدي، ولا يقدر عليه، صام عشرة أيام، ثم حلّ وجملة ذلك أن المحصر، إذا عجز عن الهدي، انتقل إلى صوم عشرة أيام ثم حلّ. وبهذا قال الشافعي، في أحد قوليه. وقال مالك، وأبو حنيفة: ليس له بدلٌ، لأنه لم يذكر في القرآن، ولنا أنه دم واجبٌ للإحرام فكان له بدل، كدم التمتع والطيب واللباس. ويتعين الانتقال إلى صيام عشرة أيام، كبدل هدي التمتع، =

فصل: فإنْ وَجدَ الهَدْيَ بعد الدخول في صوم الثلاثةِ الأيام، لَمْ يَلْزَمْهُ الخروجُ منه، وهو قول مالكٍ، والشّافعيِّ. وقال أبو حنيفة: يلزمه الخُروجُ، وعليه الهَدْيُ. وقال عطاءٌ: إنْ صامَ يومين ثم أيْسَرَ؛ فعليه الهَدْيُ. وإنْ صامَ ثلاثةً ثم أيْسَرَ، فَلْيَصُم السَّبْعةَ، ولا هَدْيَ عليه[١].

وفي معنى قوله: ﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾، قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: في أَشْهُرِ الحَجِّ. **والثاني**: في زَمَنِ الإِحْرَامِ بالحَجِّ. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، قولان: **أحدهما**: إذا رَجَعْتُم إلى أَمْصَارِكُم، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وأبو العَالِيَة، والشَّعبيُّ، وقَتادةُ. **والثاني**: إذا رَجَعْتُم مِنْ حَجِّكم، وهو قول عَطاءٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وأبي حَنيفةَ، ومالكٍ. قال الأَثْرَمُ: قلتُ لأبي عُبيد الله، يعني: أحمدَ بن حَنبلٍ: فصيامُ السَّبعة الأيام إذا رجعَ متى يَصومُهنَّ؟ أَفِي الطَّريق، أمْ في أهله؟ قال: كلُّ ذلك قد تَأَوَّله الناسُ. قيل لأبي عبدِ الله: فَفرّق بينهنَّ، فرخَّصَ في ذلك[٢].

قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: كاملةٌ في قِيامها مقامَ الهَدْي، وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ عباسٍ، والحسَنُ. قال القاضي أبو يَعْلَى: وقد كان يجوز أنْ يَظُنَّ ظَانٌّ أنَّ الثلاثةَ قد قامتْ مقامَ الهَدْي في باب استِكْمَالِ الثَّواب، فأعلمنا اللّهُ تعالىٰ أنَّ العَشَرَةَ بكمالِها هي

= وليس له أن يتحلل إلا بعد الصيام، كما لا يتحلل واجد الهدي إلا بنحره. ولا يتحلل إلا بالنية، فيحصل الحل بشيئين، النحر أو الصوم والنية. إن قلنا الحلاق ليس بنسك، وإن قلنا: هو نسك حصل بثلاثة أشياء، الحلاقُ مع ما ذكرنا.

(١) قال القرطبي رحمه الله ٢/٣٩٦: وأجمع العلماء على أن الصوم لا سبيل للمتمتع إليه إذا كان يجد الهدي واختلفوا فيه إذا كان غير واجد للهدي فصام ثم وجد الهدي قبل إكماله صومه فذكر ابن وهب عن مالك قال: إذا دخل في الصوم ثم وجد هدياً فأحبُّ إليّ أن يُهدي، فإن لم يفعل أجزأه الصيام. وقال الشافعي: يمضي في صومه وهو فرضه، وكذلك قال أبو ثور وهو قول الحسن وقتادة، واختاره ابن المنذر. وقال أبو حنيفة: إذا أيسر في اليوم الثالث من صومه بطل صومه ووجب عليه الهدي وإن صام ثلاثة أيام في الحج ثم أيسر كان له أن يصوم السبعة الأيام لا يرجع إلى الهدي، وبه قال الثوري وابن أبي نجيح وحماد.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ٢/٣٩٨: قوله تعالى: ﴿إذا رجعتم﴾ يعني إلى بلادكم، قاله ابن عمر وقتادة والربيع ومجاهد وعطاء، وقاله مالك في كتاب محمد، وبه قال الشافعي. قال قتادة والربيع: هذه رخصةٌ من الله تعالى، فلا يجب على أحد صوم السبعة إلاّ إذا وصل وطنه، إلاّ أن يتشدّد أحد، كما يفعل من يصوم في السفر في رمضان وقال أحمد وإسحاق: يجزيه الصوم في الطريق، وروي عن مجاهد وعطاء. قال مجاهد: إن شاء صامها في الطريق، إنما هي رخصة، وكذلك قال عكرمة والحسن وقال مالك في الكتاب: إذا رجع من منى فلا بأس أن يصوم قال ابن العربي: «إن كان تخفيفاً ورُخصةً فيجوز تقديم الرّخص وترك الرفق فيها إلى العزيمة إجماعاً. وإن كان ذلك توقيتاً فليس فيه نص، ولا ظاهر أنه أراد البلاد، وأنها المراد في الأغلب». قلت: بل فيه ظاهر يقرب إلى النص يبينه ما رواه مسلم عن ابن عمر قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعمرة إلى الحج وأهدى، فساق معه الهدي من ذي الحُليفة، وبدأ رسول الله ﷺ فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله ﷺ بالعمرة إلى الحج، فكان من الناس من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة قال للناس: (من كان منكم أهدى فإنه لا يحلّ من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصّر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله)، الحديث. وهذا كالنص في أنه لا يجوز صوم السبعة الأيام إلاّ في أهله وبلده والله أعلم.

القائمةُ مَقامَهُ. **والثاني**: أنَّ الواو قد تقومُ مقامَ «أو» في مَواضِعَ، منها قوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾، فأزالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ احتمالَ التَّخيير في هذه الآية بقوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، وإلى هذا المعنى ذهبَ الزجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ ذلك للتَّوكيد. وأنشدوا للفَرَزْدَقِ:

ثَـلاثٌ واثْـنَـتَـانِ فَـهُـنَّ خَـمْـسٌ   وسَـادِسَـةٌ تَـمِـيـلُ إلـى شِـمَـامِ(١)

وقال آخرُ:

هَلاَّ سَأَلْت جُوعَ كِنْدَةَ يومَ وَلَّوا أينَ أيْنَا

وقال آخرُ:

كَـمْ نِـعْـمَـةً كـانـت لَـهُ كَـمْ كَـمْ وكَـمْ

والقرآنُ نزلَ بلُغة العرب، وهي تُكرِّرُ الشيءَ لتَوْكِيدِهِ. **والرابع**: أنَّ معناه: تلك عشرةٌ كاملةٌ في الفَضْلِ، وإن كانت الثلاثةُ في الحَجِّ، والسبعةُ بعدَهُ، لِئَلاَّ يسبقَ إلى وَهْم أحدٍ أنَّ السبعةَ دونَ الثلاثةِ. قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. **والخامس**: أنها لفظةُ خَبَرٍ ومعناها: الأَمْرُ، فتقديره: تلكَ عشرةٌ فَأَكْمِلُوهَا.

قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، في المُشَار إليه بذلك قولان:

أحدهما: أنه التَّمتُّع بالعُمرة إلى الحَجِّ. **والثاني**: أنه الجَزاءُ بالنُّسُك والصِّيام. واللام من «لمن» في هذا القول بمعنى: «على». فأمَّا حَاضِرُو المسجد الحَرَام؛ فقال ابن عباسٍ، وطاوسٌ، ومُجاهدٌ: هُمْ أهلُ الحَرَم. وقال عَطاءٌ: مَنْ كان مَنْزِلُهُ دونَ المَوَاقِيت. قال ابنُ الأنباريّ: ومعنى الآية: إنَّ هذا الفَرْض لِمَنْ كان مِنَ الغُرباء، وإنما ذَكَرَ أهلَه، وهو المُراد بالحُضور، لأنَّ الغالب على الرجل أنْ يسكُنَ حيثُ أهلُهُ سَاكِنُون.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾. في الحَجِّ لُغتان: فتح الحاء، وهي لأهل الحِجاز، وبها قرأ الجُمهور. وكَسْرُها، وهي لِتَمِيم، وقيل: لأهل نَجْدٍ، وبها قرأ الحسَنُ. قال سِيبوَيْه: يُقال: حَجَّ حِجّاً، كقولهم: ذَكَرَ ذِكْراً. وقالوا: حِجَّةً، يُريدون: عملَ سنةٍ. قال الفرَّاءُ: المعنى: وقتُ الحَجِّ هذه الأشْهُر. وقال الزجَّاجُ: معناه: أشْهُرُ الحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ.

وفي أشهر الحَجِّ قولان: **أحدهما**: أنها شَوَّالُ وذُو القِعْدَة وعَشْرٌ مِنْ ذي الحِجَّة، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عُمَرَ وابنُ عباسٍ، وابنُ الزُّبير، والحسَنُ، وابنُ سِيرِينَ، وعَطاءٌ، والشَّعبيُّ، وطَاوسٌ، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ، ومَكحُولٌ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وأبو حَنيفةَ، وأحمدُ بن حَنبَلٍ، والشَّافعيُّ، رضي الله عنهم. **والثاني**: أنها شَوَّالُ وذو القِعْدَة وذُو الحِجَّة، وهو مرويٌّ عن ابن عُمَرَ أيضاً، وعَطاءٍ، وطَاوس، ومُجاهدٍ، والزُّهريّ، والرَّبيع، ومَالك بن أنسٍ. قال ابن جرير الطَّبريّ: إنَّما أرادَ هؤلاءِ أنَّ هذه الأشهرَ ليست أشهرَ العُمْرَة، إنما هيَ للحَجِّ، وإنْ كان عملُ الحَجِّ قد انْقَضى بانْقِضاءِ أيام مِنَى، وقد

---

(١) في «اللسان»: الشَّمم: القرب، والدّنو.

كانوا يَسْتَحِبُّون أنْ يفعلوا العمرة في غيرها. قال ابنُ سيرينَ: ما أحدٌ مِنْ أهل العلم شَكَّ في أنَّ عُمْرَةً في غير أشهُر الحَجِّ أفضَلُ من عُمرة في أشهر الحَجِّ، وإنما قال: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾، وهي شَهْرَانِ وبعضُ الآخر على عادةِ العرب. قال الفَرَّاء: تقول العربُ: له اليومَ يومان لَمْ أَرَهُ، وإنما هو يومٌ، وبعضُ آخرَ. وتقول: زُرْتُكَ العامَ، وأتَيْتُكَ اليومَ، وإنَّما وقع الفعلُ في ساعةٍ. وذكر ابنُ الأنباريّ في هذا قولين: **أحدهما**: أنَّ العربَ تُوقع الجمعَ على التَّثنية، إذا كانت التَّثنية أقلَّ الجمع. كقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾[1]، وإنما يُريد عائشةَ وصَفْوَانَ، وكذلكَ قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[2]، يُريد: داودَ وسُليمانَ. **والثاني**: أنَّ العربَ تُوقع الوقتَ الطَّويلَ على الوقت القَصير، فيقولون: قُتِلَ ابنُ الزُّبير أيامَ الحَجِّ، وإنما كان القَتْلُ في أقصَرِ وقتٍ.

فصل: اختلف العلماءُ فيمن أحْرَم بالحَجِّ قبلَ أشْهُر الحَجِّ، فقال عَطاءٌ، وطاوسٌ ومُجاهدٌ، والشَّافعيُّ: لا يُجزئه ذلك، وجعلوا فائدةَ قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ أنه لا يَنْعَقِدُ الحجُّ إلاَّ فيهنَّ. وقال أبو حَنيفةَ، ومالكٌ، والثَّوريُّ، والليثُ بن سَعْدٍ، وأحمدُ بن حَنبلٍ: يصحُّ الإِحْرام بالحجِّ قبلَ أشْهُرِه[3]، فعَلَى هذا يكون قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، أي: معظمُ الحَجِّ يقعُ في هذه الأَشْهُر.

[٨٤] كما قال النبيُّ ﷺ: «الحَجّ عَرَفَة».

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾، قال ابن مسعودٍ: هو الإِهْلالُ بالحَجِّ والإِحْرَامُ به. وقال طَاوسٌ وعَطاءٌ: هو أن يُلَبِّي. ورُوي عن عليٍّ وابنِ عُمر ومُجاهدٍ والشَّعبيِّ في آخرين: أنه إذا قَلَّد بَدَنَتَهُ فقد أَحْرَمَ، وهذا محمولٌ على أنه قَلَّدَها نَاوِياً الحجَّ. ونصَّ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه في رواية الأثْرَم: أنَّ الإِحْرَامَ بالنِّيَّة. قيل له: يكونُ مُحرِماً بغير تَلْبِيَةٍ؟ قال: نعم إذا عَزَمَ عَلى الإِحْرام، وهذا قولُ مالكٍ والشَّافعيِّ، وقال أبو حَنيفةَ: لا يجوز الدُّخول في الإِحْرَام إلاَّ بالتَّلبية أو تَقْلِيدِ الهَدْيِ وسَوْقِهِ. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾، قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وأبو جَعفرَ: «فلا رفثٌ ولا فسوقٌ» بالضَّمِّ والتنوين. وقرأ نافعٌ وعَاصمٌ وابنُ عامرٍ وحَمزةُ والكِسائيُّ بغير تنوينٍ، ولم يرفع أحدٌ منهم لامَ «جدالَ» إلا أبو جعفرَ. قال أبو عليٍّ: حجَّةُ مَنْ فَتَحَ أنه أشدُّ مطابقةً للمعنى المقصود، لأنه بالفتح قد نَفَى جميع الرَّفث والفُسوق، كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فإذا رُفِعَ ونُوِّن، كان النفي لواحدٍ منه، وإنما فَتَحُوا لامَ (الجدال)، ليتناول النفيُ جميعَ جنسه، فكذلك ينبغي أنْ يكونَ جمعُ الاسمين قبلَهُ. وحجَّةُ مَنْ رفعَ أنه قد عُلِمَ من فَحْوَى الكلام نَفْيُ جميع الرَّفَث، وقد يكون اللفظُ واحداً والمراد بالمعنى الجميع، قال الشاعر:

---

[٨٤] جيد. أخرجه أبو داود ١٩٤٩ والترمذي ٩٨٩ والنسائي ٥/٢٥٦ وابن ماجه ٣٠١٥ والدارمي ١٨٢٧ والطيالسي ١٣٠٩ وأحمد ٤/٣٠٩ ـ ٣٣٥ والحاكم ١/٤٦٤ والبيهقي ٥/١١٦ وإسناده جيد وصححه الحاكم، وأقره الذهبي. وقال الترمذي قال ابن عيينة: هذا أجود حديث رواه الثوري.

---

(١) النور: ٢٦. (٢) الأنبياء: ٧٨.

(٣) قال القرطبي رحمه الله ٢/٤٠١: قوله تعالى ﴿الحج أشهر معلومات﴾ لما ذكر الحج والعمرة سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ بيّن اختلافهما في الوقت، فجميع السنة وقت للإحرام بالعمرة، ووقت العمرة. وأما الحج فيقع في السنة مرة، فلا يكون في غير هذه الأشهر.

فَقَتْلاً بتَقْتِيلٍ وضَرْباً بضَرْبِكُم

وفي الرَّفثِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الجِمَاعُ، قاله ابنُ عُمَر، والحسَنُ، وعِكرمةُ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ في آخرين. **والثاني**: أنه الجِمَاعُ، وما دُونَهُ من التَّعْريض به، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عُمرَ أيضاً، وابنِ عباسٍ، وعمرو بن دِينارٍ في آخرين. **والثالث**: أنه اللَّغْو مِنَ الكلام، قاله أبو عبدِ الرَّحمٰن اليَزيديّ. وفي الفُسُوق ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه السِّبابُ، قاله ابنُ عُمرَ، وابن عباسٍ، وإبراهيمُ في آخرين. **والثاني**: أنه التَّنابُزُ بالألْقابِ، مثلُ أن تقول لأخيك: يا فَاسِقُ، يا ظَالِمُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباس. **والثالث**: أنه المعاصي، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ، وطاوسٌ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ في آخرين، وهو الذي نختاره، لأنَّ المعاصي تشمل الكُلَّ، ولأنَّ الفاسقَ: الخارجُ مِنَ الطَّاعة إلى المعصية. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾، الجِدَالُ: المِراءُ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: لا يُمارِيَنَّ أحدٌ أحداً، فيُخرجه المِراءُ إلى الغضب، وفعلِ ما لا يَليقُ بالحَجِّ، وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ عُمرَ، وابن عباسٍ، وطاوسٌ، وعَطاءٌ، وعِكرمةُ، والنَّخعيُّ، وقَتادة، والزُّهريُّ، والضَّحَّاكُ في آخرين. **والثاني**: أنَّ معناه: لا شَكَّ في الحَجِّ ولا مِراءَ، فإنه قد استقَامَ أمْرُهُ وعُرِفَ وقته وزَالَ النَّسِيءُ عنه.

[٨٥] قال مُجاهدٌ: كانوا يَحُجُّون في ذي الحِجَّة عامَين، وفي المُحَرَّم عامَين، ثم حَجُّوا في صَفَر عامَيْن، وكانوا يَحُجُّون في كلِّ سنةٍ في كلِّ شهرٍ عامَيْن حتى وافقت حِجَّةُ أبي بكرٍ الآخرَ مِنَ العامَيْن في ذي القِعْدَة قبل حِجَّة النبيِّ ﷺ بسَنَةٍ، ثم حَجَّ النبيُّ ﷺ مِنْ قابلٍ في ذي الحِجَّة، فذلك حينَ قال: «إنَّ الزَّمانَ قد استَدارَ كهَيئَتِهِ يومَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰواتِ والأرضَ»، وإلى هذا المعنى ذهبَ السُّدِّيُّ عن أشياخه، والقاسمُ بن محمَّدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

[٨٦] قال ابنُ عباسٍ: كان أهلُ اليَمَن يَحُجُّون ولا يَتَزَوَّدون ويقولون: نحن المُتَوكِّلون، فيَسْألون النـاسَ، فأنزلَ اللّـهُ تعـالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، قال الزجَّاجُ: أُمِرُوا أنْ يَتزَوَّدُوا، وأُعْلِمُوا أن خيرَ ما تُزُوِّدَ تقوى اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[٨٧] كانوا يتَّقون البُيوعَ والتِّجارة في المَوْسِم، ويقولون: أيَّامُ ذِكْرٍ؛ فنزلت هذه الآية.

---

[٨٥] أخرجه الطبري ٣٧١٨ عن مجاهد مرسلاً، فهو ضعيف، والمرفوع منه صحيح، أخرجه البخاري ٣١٩٧ ومسلم ١٦٧٩ وأبو داود ١٩٤٧ وابن حبان ٥٩٧٥ و٣٨٤٨ من حديث أبي بكرة. وسيأتي.

[٨٦] صحيح. أخرجه البخاري ١٥٢٣ وأبو داود ١٧٣٠ والنسائي في «الكبرى» ١١٠٣٣ و «التفسير» ٥٣ والواحدي في «الأسباب» ١١٣ من حديث ابن عباس.

[٨٧] حسن. أخرجه الطبري ٣٧٨٧ من طريق يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس به، وإسناده غير قوي =

والابتِغاءُ: الالتِماسُ. والفَضلُ هاهنا: النَّفعُ بالتِّجارة والكَسْب؛ قال ابنُ قُتيبةَ: أَفَضْتُم، بمعنى: دَفَعْتُم، وقال الزجَّاجُ: معناه: دَفَعْتُم بكَثْرَةٍ، يقال: أَفَاضَ القومُ في الحَديث: إذا انْدَفَعُوا فيه، وأَكْثَرُوا التَّصَرُّف. وفي تسمية «عَرَفَات» قولان: **أحدهما**: أنَّ اللَّهَ تعالىٰ بعثَ جبريلَ إلى إبراهيمَ فحجَّ به، فلمَّا أَتى عَرَفَاتٍ قال: قَدْ عَرَفْتَ، فسُمِّيت «عَرَفَة»، قاله عليٌّ عليه السَّلام[(١)]. **والثاني**: أنها سُمِّيت بذلك لاجْتِمَاع آدمَ وحَوَّاءَ، وتَعَارفهما بها، قاله الضَّحَّاكُ[(٢)]. قال الزجَّاجُ؛ والمَشْعَرُ: المَعْلَمُ، سُمِّيَ بذلك لأنَّ الصلاة عنده. والمَقَامُ والمَبِيتُ والدُّعَاءُ مِنْ مَعَالِم الحَجِّ، وهو مُزْدَلِفَةُ وهي جمعٌ يُسمَّى بالاسمين. قال ابنُ عُمَرَ ومُجاهدٌ: المَشْعَرُ الحَرَامُ المُزْدَلِفَةُ كُلُّها.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾، أي: جَزَاءَ هِدَايَتِهِ لكُم، فإنْ قِيل: ما فائدةُ تكريرِ الذِّكر؟ قيل: فَعَنْهُ أربعة أجوبةٍ: **أحدها**: أنه كَرَّرَهُ للمُبالغة في الأَمْرِ به. **والثاني**: أنه وَصَلَ بالذِّكر الثاني ما لَمْ يَصِل بالذِّكر الأَوَّل، فحَسُنَ تكريرُه. فالمعنى: اذْكُرُوه بتوحيده كما ذَكَرَكُمْ بهدايته. **والثالث**: أنه كَرَّرَه ليدلَّ على مُوَاصَلَتِه، والمعنى: اذْكُرُوه ذِكراً بعد ذِكرٍ، ذَكَرَ هذه الأقوال محمَّدُ بن القاسِم النَّحويّ. **والرابع**: أنَّ الذِّكر في قوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾، هو: صَلاةُ المَغْرب والعِشاء اللَّتَان يُجمع بينهما بالمُزْدَلِفة. والذِّكرُ في قوله: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ هو: الذِّكرُ المَفْعُولُ عند الوُقُوفِ بمُزْدَلِفَة غَدَاةَ جَمْعٍ، حكاه القاضي أبو يَعْلَى.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾، في هاء الكِنَايَة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجع إلى الإسلام، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها ترجع إلى الهُدى، قاله مُقاتلٌ، والزجَّاج. **والثالث**: أنها ترجع إلى القُرآن، قاله سُفيانُ الثَّوريُّ.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾. قالت عائشةُ:

[٨٨] كانت قُريشٌ ومَنْ يدينُ بدِينِها، وهُم الحُمْسُ، يَقفُون عَشِيَّةَ عَرَفَة بالمُزْدَلِفَة، يقولون: نحنُ قطينِ البيتِ، وكانَ بَقيَّةُ العرب والناس يَقِفُونَ بعَرَفَاتٍ، فنزلت هذه الآية. قال الزجَّاجُ: سُمُّوا الحُمْسُ لأنهم تَحَمَّسُوا في دِينهم، أي: تَشَدَّدوا. والحَمَاسَةُ: الشِّدَّةُ في كلِّ شيءٍ.

وفي المُراد بالناس هاهنا أربعة أقوالٍ[(٣)]: **أحدها**: أنهم جميعُ العرب غير الحُمْسِ، ويدلُّ عليه حديثُ عائشةَ، وهو قول عُرْوَةَ، ومُجاهدٍ، وقَتَادةَ. **والثاني**: أنَّ المراد بالناس هاهنا: إبرَاهيمُ الخَلِيل،

= لأجل يزيد. وأخرجه أبو داود ١٧٣١ بهذا الإسناد مع اختلاف يسير فيه. وأخرجه الطبري ٣٧٨٦ بإسناد ضعيف عن ابن عباس نحوه. وأصله عند البخاري ٤٥١٩ والطبري ٣٧٩٤.

[٨٨] صحيح بهذا السياق. أخرجه الترمذي ٨٨٤ من حديث عائشة وقال: حسن صحيح، وهو كما قال.
ـ وأصله صحيح، أخرجه البخاري ٤٥٢٠ ومسلم ١٢١٩ وابن حبان ٣٨٥٦ وأبو داود ١٩١٠ والنسائي ٥/ ٢٥٤ من حديث عائشة. وله شواهد كثيرة أوردها الطبري ٣٨٣٥ ـ ٣٨٤٣.

---

(١) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٧٩٧ عن ابن جريج عن ابن المسيب عن علي، وفيه إرسال بين ابن جريج وابن المسيب، وما يرسله ابن جريج واهٍ بمرة.

(٢) لم أقف عليه، والضحاك يروي عن كتب الأقدمين، فخبره هذا لا شيء.

(٣) القول الأول هو الصواب، وباقي الأقوال منكرة ليست بشيء.

عليه السَّلام، قاله الضَّحَّاكُ بن مُزَاحِم. **والثالث**: أنَّ المراد بالناس آدَمُ، قاله الزُّهريُّ. وقد قرأ أبو المُتوكِّل، وأبو نُهيك، ومُورِّقٌ العجليّ: «النَّاسي» بإثبات الياء. **والرابع**: أنهم أهلُ اليمن ورَبِيعَة، فإنهم كانوا يُفيضون من عَرَفاتٍ، قاله مُقاتلٌ.

وفي المُخاطَبين بذلك قولان: **أحدهما**: أنه خِطابٌ لقُرَيشٍ، وهو قول الجمهور. **والثاني**: أنه خِطابٌ لجميع المسلمين، وهو يُخَرَّج على قول مَنْ قال: النَّاسُ آدمُ، أو إبراهيمُ.

والإفاضَةُ هاهنا على ما يقتضيه ظاهرُ اللفظ: هي الإفاضَة من المُزْدَلِفَة إلى مِنَى صبيحةَ النَّحر، إلاَّ أنَّ جمهور المُفسِّرين على أنها الإفاضةُ مِنْ عَرَفاتٍ، فظاهرُ الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يُقال: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، ثم أَفِيضُوا مِنْ عَرَفاتٍ؟! غيرَ أنّي أقولُ: وَجه الكلام على ما قال أهلُ التَّفسير: إنَّ فيه تقديماً وتأخيراً، تقديرُه: ثمَّ أَفِيضُوا مِنْ حيثُ أفاضَ الناسُ، فإذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فاذكُرُوا اللَّهَ.

و«الغَفُور»: مِنْ أسماء الله، عزَّ وجلَّ، وهو مِنْ قولك: غَفَرْتُ الشيءَ: إذا غَطَّيْته، فكأنَّ الغفور السَّاتِرُ لعبده برَحْمَتِهِ، أو السَّاترُ لذنوب عباده. والغَفُور: هو الذي يُكثِر المَغْفِرة، لأنَّ بناء المَفْعُول للمُبالغة مِنَ الكَثْرَة، كقولك: صَبُور، وضَرُوب، وأَكُول.

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾. في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالمَوْسِم، ذَكَرُوا أفعالَ آبائهم وأيَّامَهُم وأنْسابَهُم في الجاهلية، فتَفَاخَرُوا بذلك؛ فنزلت هذه الآية[1]. وهذا المعنى مرويٌّ عن الحسَنِ، وعَطاءٍ، ومُجاهدٍ.

والثاني: أنَّ العرب كانوا إذا حَدَّثُوا أو تَكَلَّمُوا يقولون: وأبِيكَ إنهم لَفَعَلُوا كذا وكذا؛ فنزلت هذه الآية. وهذا مرويٌّ عن الحسَنِ أيضاً[2]. **والثالث**: أنهم كانوا إذا قَضَوْا مَنَاسِكَهُم، قامَ الرَّجُلُ بمِنَى، فقال: اللَّهُمَّ إنَّ أبي كان عظيمَ الجَفْنَة، كثيرَ المال، فأَعْطِني مثلَ ذلك، فلا يَذْكُرُ اللَّهَ، إنما يذكُرُ أباهُ ويسألُ أن يُعطى في دُنياه؛ فنزلت هذه الآية، وهذا قول السُّدِّي[3].

---

(١) أخرجه الطبري ٣٨٥٤ و٣٨٥٥ و٣٨٥٦ و٣٨٥٧ عن مجاهد مرسلاً، وكرره ٣٨٥٨ و٣٨٥٩ عن قتادة مرسلاً، وكرره ٣٨٦٠ عن سعيد بن جبير وعكرمة، وأخرجه برقم ٣٨٩٢ عن أبي وائل.
ـ الخلاصة: هذه المراسيل تتأيد بمجموعها، فهذا أرجح الأقوال في تفسير الآية.

(٢) عزاه المصنف للحسن، ولم أقف عليه مسنداً، وإنما ذكره الواحدي عنه في «الأسباب» ١٢٠ بدون إسناد، ومراسيل الحسن واهية، وهذا قول منكر.

(٣) أخرجه الطبري ٣٨٦٩ عن السدي مرسلاً، ويشهد لبعضه القول الأول، وبعضه غريب.

والمَنَاسِكُ: المُتَعَبَّداتُ، وفي المراد بها هاهنا قولان: **أحدهما**: أنها أفعالُ الحَجِّ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنها إراقةُ الدِّماء، قاله مُجاهدٌ. وفي ذِكرهم آباءَهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إقرارُهم بهم. **والثاني**: أنه حَلِفُهُم بهم. **والثالث**: أنه ذِكرُ إحسانِ آبائِهم إليهم، فإنَّهم كانوا يَذْكُرونهم ويَنْسَوْنَ إحسَانَ الله إليهم. **والرابع**: أنه ذِكرُ الأطفالِ الآباء، لأنهم أوّل نُطقِهم بذِكرِ آبائِهم، رُوي هذا المعنى عن عَطاءٍ، والضَّحَّاكُ. وفي «أو» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «بل». **والثاني**: بمعنى الواو. و«الخَلاَّق» قد تَقدَّم ذِكرُه.

وفي حَسَنَة الدُّنيا سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها المرأةُ الصَّالحة، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: أنها العبادة، رواه سُفيان بن حُسينٍ عن الحسَنِ. **والثالث**: أنها العلمُ والعِبادة، رواه هِشَامٌ عن الحسَنِ. **والرابع**: المالُ، قاله أبووائلٍ، والسُّدِّي، وابن زيدٍ. **والخامس**: العَافِيَة، قاله قَتادةُ. **والسادس**: الرِّزْقُ الواسع، قاله مُقاتلٌ. **والسابع**: النِّعْمَة، قاله ابنُ قُتيبة.

وفي حَسَنَةِ الآخرة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحُورِ العِين، قاله عليٌّ عليه السّلام. **والثاني**: الجنَّة، قاله الحسَنُ، والسُّدِّي، ومُقاتلٌ. **والثالث**: العَفْو والمُعافاة، رُوي عن الحسَنِ، والثَّوريّ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾، قال الزجّاجُ: معناه: دُعاؤهم مُستجابٌ، لأن كَسْبَهم هاهنا هو الدُّعاء، وهذه الآية مُتعلِّقةٌ بما قبلها، إلاَّ أنه قد رُوي أنها نزلت على سببٍ يُخالف سببَ أخواتها.

[٨٩] فرَوى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، ماتَ أبي ولم يَحُجّ، أفَأَحُجُّ عنه؟ فقال: «لو كانَ على أبيكَ دَينٌ قَضَيْتَهُ، أفكانَ ذلك يُجزئ عنهُ؟» قال: نعم، قال: «فَدَيْنُ الله أحَقُّ أنْ يُقْضَى»! قال: فهل لي مِنْ أجْرٍ؟ فنزلت هذه الآية.

وفي معنى سُرعة الحِسَاب خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه قِلَّتُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه قُرب مجيئه، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنه لمَّا عَلِمَ ما للمُحاسَب وما عليه قبل حِسَابه، كان سريعَ الحِسَاب لذلك. **والرابع**: أنَّ المعنى: واللَّهُ سريعُ المُجازَاة، ذكرَ هذا القولَ والذي قبله الزجَّاجُ. **والخامس**: أنه لا يحتاجُ إلى فِكرٍ ورَوِيَّةٍ كالعاجزين، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ في هذا الذِّكر قولان:

أحدهما: أنه التَّكبير عند الجَمَرَاتِ، وأدْبَارَ الصَّلوات، وغير ذلك مِنْ أوقات الحَجِّ.

---

[٨٩] متن صحيح دون ذكر نزول الآية، فإنه باطل. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، ولم أره في شيء من كتب الحديث والأثر والتفسير، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيراً كاملاً ليس له أصل.
ـ والحديث دون ذكر نزول الآية: أخرجه النسائي ٥/ ١١٨ وفي «الكبرى» ٣٦١٨ والبيهقي ٤/ ٣٢٩ وابن حبان ٣٩٩٠ والدارقطني ٢/ ٢٦٠ بألفاظ متقاربة وليس فيه «فنزلت هذه الآية». وأخرجه البخاري ١٥١٣ و١٨٥٥ ومسلم ١٣٣٤ وأبو داود ١٨٠٩ والترمذي ٩٢٨ والنسائي ٥/ ١١٨ و١١٩ و٨/ ٢٢٨ وابن ماجة ٢٩٠٩ وابن حبان ٢٩٩٠ والشافعي ١/ ٩٩٣ ومالك ١/ ٣٥٩ وأحمد ١/ ٣٤٦ و٣٥٩ من حديث ابن عباس لكن السائل هو امرأة. الخلاصة: الحديث صحيح دون ذكر نزول الآية، فإنه باطل.

والثاني: أنه التَّكبير عُقَيْب الصَّلوات المَفْرُوضات. واختلف أربابُ هذا القول في الوقت الذي يبتدئ فيه بالتَّكبير ويَقْطَعُ على ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه يُكَبِّر مِنْ صلاة الفجر يومَ عَرَفَة، إلى ما بعد صلاة العَصْرِ مِنْ آخر أيام التَّشريقِ، قاله عليٌّ عليه السلام، وأبو يُوسفَ، ومحمَّدٌ. **والثاني**: أنه مِنْ صلاة الفجر يومَ عَرَفَة إلى صلاة العَصْرِ مِنْ يوم النَّحرِ، قاله ابن مسعودٍ، وأبو حَنيفةَ. **والثالث**: مِنْ بعد صلاة الظُّهر يومَ النَّحْرِ إلى ما بعد العَصْرِ مِنْ آخر يوم التَّشريق، قاله ابنُ عُمَر، وزيدُ بن ثابتٍ وابن عباسٍ، وعطاءٌ. **والرابع**: أنه يُكَبِّرُ مِنْ صلاة الظُّهر يومَ النَّحْرِ إلى ما بعد صلاة الظُّهر مِنْ يوم النَّفرِ، وهو الثاني مِنْ أيام التَّشريق، قاله الحسَنُ. **والخامس**: أنه يُكَبِّرُ مِنَ الظُّهر يوم النَّحرِ إلى صلاة الصُّبح مِنْ آخر أيامِ التَّشريق، قاله مالكُ بن أنسٍ، وهو أحدُ قولي الشَّافعيّ. **والسادس**: أنه يُكبِّر مِنْ صلاة المَغْرب ليلةَ النَّحرِ إلى صلاة الصُّبح مِنْ آخر أيام التَّشريق، هذا قول للشَّافعيّ، ومذهبُ إمامنا أحمدَ أنَّه إنْ كان مُحِلاً، كَبَّرَ عُقَيب ثلاثٍ وعشرين صلاةً؛ أوَّلُها الفجر يومَ عَرَفَة، وآخِرُها العَصْرُ مِنْ آخر أيامِ التَّشريق، وإنْ كان مُحرماً كَبَّرَ عُقَيب سبعةَ عشرَ؛ أوَّلُها الظُّهرُ من يومِ النَّحر، وآخرُها العَصْرُ مِنْ آخر أيام التَّشريق.

وهل يختصُّ هذا التَّكبيرُ عُقَيب الفَرَائض بكَونها في جماعةٍ، أمْ لا؟ فيه عن أحمدَ روايتان:

إحداهما: يختصُّ بمَنْ صَلاَّهَا في جماعةٍ، وهو قولُ أبي حَنيفةَ رحمه الله. **والثانية**: يختص بالفَريضة، وإنْ صَلاها وحدَهُ، وهو قول الشَّافعيّ[1].

وفي الأيام المعدُودات ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها أيامُ التَّشريق، قاله ابنُ عُمَر، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعَطاءٌ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ في آخرين. **والثاني**: أنها يومُ النَّحرِ ويومان بعدَهُ، رُوي عن عليٍّ، وابن عُمرَ. **والثالث**: أنها أيام العَشْرِ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، والنَّخعيُّ.

قال الزجَّاجُ: و«مَعْدُودات» يُستعمل كثيراً للشَّيء القليل، كما يقال: دُرَيْهِمَات وحَمَّامَات.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، أي: فَمَنْ تعجَّلَ النَّفر الأوَّل في اليوم الثاني مِنْ أيَّامِ مِنَى، فلا إثْمَ عليه، ومَنْ تأخَّر إلى النَّفرِ الثاني، وهو اليومُ الثالثُ من أيام مِنَى، فلا إثْمَ عليه.

فإنْ قيل: إنَّما يخافُ الإثمَ المُتعَجِّلُ، فما بالُ المُتأخِّر أُلحقَ به، والذي أتى به أفضلُ؟! فعنه أربعة أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: لا إثْمَ على المُتَعَجِّلِ، والمُتأخِّرُ مأجورٌ، فقال: لا إثْمَ عليه، لِتُوافقَ اللفظةُ الثانيةُ الأولَى كقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾. **والثاني**: أنَّ المعنى: فلا إثْمَ على المُتأخِّر في تَرْكِ استعمال الرُّخصَة. **والثالث**: أنَّ المعنى: قد زالت آثامُ المُتعَجِّل والمُتأخِّر التي كانت عليهما قبلَ حَجِّهما. **والرابع**: أنَّ المعنى: طَرْحُ المَأْثم عن المُتعَجِّل والمُتأخِّر إنما يكون بشرط التَّقوى.

وفي معنى «لمن اتقى» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لِمَنِ اتَّقَى قَتْلَ الصَّيدِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لِمَنِ اتَّقى المعاصي في حَجِّه، قاله قَتادةُ. وقال ابنُ مسعودٍ: إنَّما مغفرةُ اللَّهِ لِمَن اتَّقَى اللَّهَ في حَجِّه. **والثالث**: لِمَن اتَّقى فيما بقيَ مِنْ عُمره، قاله أبو العَالِيَة، وإبراهيمُ.

---

(١) تقدّم التعليق على هذا البحث عند الآية ١٨٥.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها نزلت في الأَخْنَس بن شَريق، كانَ لَيِّنَ الكلام، كافرَ القلب، يُظْهِر للنبيِّ ﷺ الحُسنَ، ويَحْلِفُ له أنه يُحِبُّه ويَتَّبِعُه على دِينه، وهو يُضْمِرُ غيرَ ذلك[1]، هذا قولُ ابن عباسٍ، والسُّدِّيّ ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنَّها فيمن نَافقَ فأظْهَر بلسانه ما ليسَ في قَلْبِهِ. وهذا قول الحسَنِ، وقَتادةَ، وابن زيدٍ.

[٩٠] **والثالث**: أنها نزلت في سَرِيَّة الرَّجِيع، وذلك أنَّ كُفَّارَ قُريشٍ بَعثُوا إلى النبيِّ ﷺ وهو بالمَدِينة: إنَّا قَدْ أَسْلَمْنا، فَابْعَثْ لَنا نَفَراً مِنْ أَصْحَابِكَ يُعَلِّمُونَا دِينَنا، فبعَثَ ﷺ خُبَيْبَ بنَ عَدِيٍّ، ومرثداً الغنويّ، وخالدَ بن بُكير، وعبدَ اللَّهِ بن طَارقٍ، وزيدَ بن الدَّثِنَّة، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابتٍ، فسَارُوا نحو مكَّةَ، فنزلوا بين مكَّة والمدينة ومعهم تَمْرٌ، فأكَلُوا منه، فمَرَّتْ عجوزٌ فأبْصَرَتْ النَّوَى، فرجعتْ إلى قومها وقالت: قد سَلَكَ هذا الطَّريقَ أهلُ يَثْرِب، فركبَ سبعونَ منهم حتَّى أحاطُوا بهم، فحَارَبُوهُم فقتلوا مَرْثداً، وخالداً، وابنَ طارقٍ، ونَثَرَ عاصمٌ كِنَانَتهُ وفيها سبعةُ أسهُم، فقتل بكلِّ سهم رجلاً من عُظمائهم، ثمَّ قال: اللَّهُمَّ إني حَمَيْتُ دِينكَ صدرَ النهار، فاحمِ لَحْمي آخرَ النَّهار، ثم أحاطُوا به فقتَلُوه، وأرَادُوا حَزَّ رأسه لِيَبِيعُوه مِنْ سُلافَةَ بنتِ سعدٍ، وكان قَتَلَ بعضَ أهلها، فنَذَرَتْ: لَئِنْ قَدرتْ على رأسه لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفه الخَمْر، فأرسلَ اللَّهُ تعالىٰ رَجْلاً من الدبر ـ وهي الزَّنابير ـ فحَمَتْهُ، فلم يَقْدِرُوا عليه، فقالوا: دَعُوه حتى يُمسي فجاءت سَحَابةٌ فأمطرت كالعزالي[2]، فبعثَ اللَّهُ الوَادي، فاحْتَمَلَهُ فذهبَ به، وأَسَرُوا خُبَيْباً وزَيْداً، فابتَاعَ بَنُو الحارثِ بن عامرٍ خُبَيْباً لِيقتلوه، لأنه قَتَلَ آباءَهم، فلمَّا خرَجُوا به لِيَقْتُلوه، قال: دَعُوني أُصلِّي رَكعتين، ثمَّ قال: لولاَ أنْ تقولوا: جَزِعَ خُبَيْبٌ، لَزِدْتُ، وأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي
وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

---

[٩٠] عزاه المصنف لابن عباس، ولم أقف عليه بهذا التمام. وإنما هو منتزع من أحاديث.
ـ أما كون الآية نزلت في سرية الرجيع فهو ضعيف. عزاه البغوي في «تفسيره» ٢١٢ لابن عباس والضحاك بدون إسناد. وأخرجه الطبري ٣٩٦٥ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، فذكر عجزه، وهو «قال بعض المنافقين...» وفيه نزول الآية. وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحق. وأما قوله «أيكم يحمل خبيباً...» وذكر الزبير والمقداد. فهذا باطل، لم أره في شيء من كتب الحديث والأثر. وأما باقي الحديث دون ما استثنيت من ألفاظ، فهو صحيح لكن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٣٠٤٥ و٣٩٨٩ و٤٠٨٦ و٧٤٠٢ وأبو داود ٢٦٦٠ و٢٦٦١ والطيالسي ٢٥٩٧ وأحمد ٢/ ٢٩٤ و٢٩٥ و٣١٠ ـ ٣١١ وعبد الرزاق ٩٧٣٠ وابن حبان ٧٠٣٩ والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥ من طرق بألفاظ متقاربة. وانظر هذا الخبر في «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ١٣٤ ـ ١٤٦ و «السيرة النبوية» لابن كثير ٣/ ١٢٣ ـ ١٣٠ و «دلائل النبوة» ٣/ ٣٢٤.

---

(١) أخرجه الطبري ٣٩٦٤ عن السدي مرسلاً، ولم أره عن ابن عباس ومقاتل، وورد عن الكلبي كما في «الدر» ١/ ٢٣٢. والكلبي متروك، فالخبر ضعيف، وانظر الأسباب للواحدي ١٢١ والسيوطي ١٢١ و١٢٢.

(٢) العزالي: فم المزادة الأسفل، شبه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة.

فَصَلَبُوهُ حَيّاً، فقال: اللَّهُمَّ إنكَ تعلمُ أنه ليس حَولي مَنْ يُبلِّغ رسولَكَ سَلامِي، فجاءَهُ رجلٌ منهم يُقال له: أبو سَرْوَعَةَ، ومعه رُمحٌ، فوَضَعَهُ بين يَدَي خُبَيْبٍ، فقال له خُبَيْبٌ: اتَّقِ اللَّهَ، فما زَادَهُ ذلك إلا عُتُوّاً. وأمّا زَيْدٌ فَابْتَاعَهُ صفوانُ بن أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بأبيه، فَجَاءَهُ سُفيانُ بن حَرْبٍ حين قَدِمِ لِيَقتلَهُ، فقال: يا زيدُ! أَنْشُدُكَ اللَّهَ، أَتُحِبُّ أنَّ محمَّداً مَكَانَكَ، وأنَّكَ في أهلكَ؟ فقال: واللَّهِ ما أُحبُّ أنَّ محمَّداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شَوْكَةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي، ثم قُتِلَ. وبلغَ النبيَّ ﷺ الخبَرُ، فقال: أيُّكم يحتملُ خُبَيباً عن خَشَبَتِهِ ولهُ الجَنَّةُ؟ فقال الزُّبيرُ: أنا وصَاحِبِي المِقْدادُ، فخَرَجَا يَمْشِيَان بالليل ويَمْكُثَانِ بالنَّهار، حتى وَافَيا المَكانَ، وإذا حولَ الخَشَبَةِ أربعون مُشركاً نِيَامٌ نَشَاوَى، وإذا هو رَطْبٌ يَتَثَنَّى لم يَتَغَيَّر فيه شيءٌ بعدَ أربعينَ يوماً، فحَمَلَهُ الزُّبَيْرُ على فَرَسِه وسارَ، فَلَحِقَهُ سبعونَ منهم، فقَذَفَ الزُّبيرُ خُبَيباً فَابتَلَعَتْهُ الأرضُ، وقال الزُّبيرُ: ما جرَّأَكُم علينا يا معشرَ قُرَيشٍ؟! ثُمَّ رَفَعَ العِمَامَةَ عن رأسه وقال: أنا الزُّبيرُ بن العَوَّام، وأُمِّي صَفِيَّةُ بنتُ عبد المُطَّلِب، وصَاحِبِي المِقْدَادُ، أَسَدانِ رَابِضَان يَدْفَعانِ عن شِبْلِهِما، فإنْ شِئْتُمْ نَاضَلْتُكم، وإنْ شِئْتُمْ نَازَلْتُكم، وإنْ شِئْتُم انْصَرَفْتُمْ، فانْصَرَفُوا، وقَدِمَا على رسولِ الله ﷺ وجِبريلُ عندَهُ، فقال: «يا محمَّدُ إنَّ المَلائكةَ لَتُبَاهِي بهَذَيْنِ مِنْ أَصْحَابِكَ».

وقال بعضُ المنافقين في أصحاب خُبَيْبٍ: وَيْحَ هؤلاءِ المَقْتُولِيْن لا في بُيوتهم قَعَدُوا، ولا رسالةَ صاحِبِهم أدَّوا، فأنزل اللَّهُ تعالىٰ في الزُّبَيْرِ والمِقْدَادِ وخُبَيْبٍ وأصحابِهِ والمنافقين هذه الآيَةَ، وثلاثَ آياتٍ بعدَها. وهذا الحديثُ بطوله مرويٌّ عن ابن عباسٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي. **الثاني**: أنه يقول: اللَّهُمَّ اشهَدْ عَلَيَّ بهذا القول.

وقرأ ابنُ مسعودٍ: «ويستشهد الله» بزيادة سينٍ وتاء. وقرأ الحَسَنُ، وطَلْحَةُ بن مُصرِّفٍ، وابنُ مُحَيْصِنٍ وابنُ أبي عَبْلَةَ: «وَيشهد» بفتح الياء «اللَّهُ» بالرفع.

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾، الخِصَامُ: جمعُ خَصْم، يقال: خَصْمٌ وخِصَامٌ وخُصُومٌ. قال الزجَّاجُ: والألَدُّ: الشديدُ الخُصُومَة، واشتقاقه مِنْ لَدِيدَي العُنُق، وهما صَفْحَتَا العُنُق، ومعناه: أنَّ خَصْمَهُ في أيِّ وَجهٍ أخذَ مِنْ أبواب الخُصُومَة، غَلَبَهُ في ذلك.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى: غَضِبَ، رُوي عن ابن عباسٍ، وابن جُريج. **والثاني**: أنه الإنصرافُ عن القول الذي قالَهُ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: أنه من الوِلايَةِ، فتَقديرُه: إذَا صارَ والِياً، قاله مُجاهدٌ والضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه الإنصرافُ بالبَدَنِ، قاله مُقاتلٌ وابنُ قُتيبة. وفي معنى «سعى» قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى: عَمِلَ، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنه من السَّعي بالقَدَم، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. وفي الفَسَادِ قولان: **أحدهما**: أنه الكُفْرُ. **والثاني**: الظُّلْمُ. والحَرْثُ: الزَّرْعُ. والنَّسْلُ: نَسْلُ كلِّ شيءٍ من الحيوان، هذا قول ابن عباسٍ وعِكرِمَةَ في آخرين. وحكى الزجَّاجُ عن قوم: أنَّ الحَرْثَ: النِّساء، والنَّسْلَ: الأولاد. قال: وليسَ هذا بمُنْكَرٍ، لأنَّ المرأة تُسمَّى حَرْثاً. وفي معنى إهلاكه للحَرْثِ والنَّسْلِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إهلاكُ ذلك بالقَتْلِ والإحراقِ والإفسادِ، قاله

الأكثرون. **والثاني**: أنه إذا ظَلَمَ كان الظُّلم سبباً لقَطْعِ القَطْرِ، فيُهلك الحَرْثَ والنَّسلَ، قاله مُجاهدٌ. وهو يُخَرَّج على قول مَنْ قال: إنه من التَّوَلِّي. **والثالث**: أنه إهلاكُ ذلك بالضَّلال الذي يؤولُ إلى الهَلاكِ، حكاه بعضُ المُفسِّرين.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾، قال ابن عباسٍ: لا يَرْضَى بالمعاصي.

وقد احْتَجَّتْ المُعْتَزِلَةُ بهذه الآية، فأجابَ أصحابُنا بأجوبةٍ. منها: **الأول**: أنه لا يُحِبُّه دِيناً، ولا يُريده شَرْعاً، فأمَّا أنه لم يُرِدْهُ وجُوداً؛ فَلاَ. **والثاني**: أنه لا يُحبُّه للمؤمنين دونَ الكافرين. **والثالث**: أنَّ الإرادةَ معنىً غيرُ المحبَّة، فإنَّ الإنسانَ قد يتناول المُرَّ، ويُريد رَبْطَ الجُرح، ولا يُحبُّ شيئاً مِنْ ذلك. وإذا بَانَ في المَعْقُولِ الفَرْقُ بين الإرادة والمَحبَّة، بَطَلَ ادِّعَاؤُهم التَّساوي بينهما، وهذا جوابٌ مُعتَمَدٌ. وفي معنى هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾(١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾، قال ابن عباسٍ: هي الحَمِيَّةُ. وأنشدوا:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهِ فَتَوَلَّى مُغْضَباً فِعْلَ الضَّجِر

ومعنى الكلام: حَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ على الفعل بالإِثم. وفي «جهنَّم» قولان، ذَكَرَهما ابنُ الأنباريّ:
أحدهما: أنها أعجميَّةٌ لا تُجَرُّ للتعريف والعُجْمَةِ. **والثاني**: أنها اسمٌ عربيٌّ، ولم يُجَر للتَّأنيث والتَّعريف. قال رُؤْبَةُ: رَكِيَّة جهنَّام: بعيدةُ القَعْرِ. وقال الأعْشَى:

دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلاً ودَعَوا لَهُ جُهُنَّامَ جَدْعاً لِلْهَجِينِ المُذَمَّمِ

فَتَرْكُ صَرْفِهِ يدلُّ على أنه اسمٌ أعجميٌّ مُعرَّبٌ.

وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: فحَسْبُه جهنَّم جزاءً عن إثمِهِ. **والثاني**: فحَسْبُهُ جهنَّم ذُلاً مِنْ عِزِّهِ. والمِهَادُ: الفِرَاشُ، ومَهَّدْتُ لِفُلان: إذا وَطَّأتُ له، ومنه: مَهْدُ الصَّبي.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾، اختلفوا فيمن نزلت هذه الآيةُ على خمسة أقوالٍ:
أحدها: أنها نزلت في الأمْرِ بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، وهو معنى قولِ عُمر وعليٍّ عليهما السَّلامُ.
والثاني: أنها نزلت في الزُّبيرِ والمِقدادِ حين ذَهَبَا لإنزال خُبَيْبٍ مِنْ خَشَبَتِهِ، وقد شرحنا القصة. وهذا قول ابن عباسٍ والضحَّاكِ. **والثالث**: أنها نزلت في صُهَيبِ الرُّوميّ، واختلفوا في قصّته.

[٩١] فرُوي أنه أَقْبَلَ مُهاجراً نحو النبيِّ ﷺ، فاتَّبعهُ نَفَرٌ مِنْ قُريشٍ، فنزل، فانْتَثَلَ كِنَانَتَهُ، وقال:

---

[٩١] حسن. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٧١ من طرق عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلاً. وإسناده ضعيف لضعف ابن زيد. وأخرجه الحاكم ٣/ ٤٠٠ من وجه آخر عن سعيد عن صهيب، وإسناده ضعيف لجهالة حصين بن حذيفة، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي!. وأخرجه الطبراني ٧٣٠٨ من وجه آخر =

---

(١) الزمر: ٧.

قَدْ عَلِمْتُم أنّي مِن أَرْمَاكُم بِسَهْم، وايْمُ اللّهِ لا تَصِلُونَ إليَّ حتى أَرْمِيَكُمْ بكلِّ سهم معي، ثم أَضْرِبكُم بسيفي ما بقيَ في يَدَيَّ منه شيءٌ، فإنْ شِئتُم دَلَلْتُكُمْ على مَالِي. قالوا: فَدُلَّنا على مَالِكَ نُخلِّ عنكَ، فَعَاهَدَهُمْ على ذلك، فنزلت فيه هذه الآية، فلمّا رآه النبيُّ ﷺ قال: «رَبِحَ البيعُ يا أبا يَحْيَى»؟ وقرأ عليه القرآن. هذا قول سعيدِ بن المُسَيّبِ، وذكر نحوَه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وقال: إنَّ الذي تَلَقّاهُ فبَشّرَهُ بما نزل فيه أبو بَكرٍ الصِّدِّيق[١].

وذكر مُقاتلٌ أنه قال للمشركين: أنا شيخٌ كبيرٌ لا يَضُرُّكُمْ إنْ كنتُ معكم أو عليكم، وَلِي عليكم حَقٌّ لِجواري فَخُذُوا مَالي غيرَ رَاحِلَةٍ، واترُكُوني ودِيني، فاشترطَ أن لا يُمنع عن صلاةٍ ولا هِجرةٍ، فأقامَ ما شاءَ الله، ثم رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فأتى المدينةَ مُهَاجراً، فَلَقِيَهُ أبو بَكرٍ فبَشَّرَهُ وقال: نزلت فيك هذه الآية[٢]. وقال عِكْرِمةُ: إنها نزلت في صُهَيْبٍ، وأبي ذَرٍّ الغِفَارِيّ، فأما صُهَيْبٌ، فأخذه أهْلُهُ فافتَدَى بِمَالِهِ، وأمّا أبو ذَرٍّ، فأخذه أهلُه فأَفْلَتَ منهم حتى قَدِمَ مُهاجراً[٣].

والرابع: أنها نزلت في المجاهدين في سبيلِ الله، قاله الحَسَنُ وابنُ زيدٍ في آخرين.

والخامس: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قَاتَلُوا على دِين الله حتى ظَهَرُوا، هذا قولُ قَتادةَ. و«يشري» كلمةٌ من الأضْدادِ، يُقال: شَرَى، بمعنى: بَاعَ، وبمعنى: اشترى، فمعناها على قول مَنْ قال: نزلت في صُهَيْبٍ؛ معنى: يشتري. وعلى بقيةِ الأقوال بمعنى: يَبِيعُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾، اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت فيمَنْ أسْلَمَ مِنْ أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامِهِم يتّقون السَّبتَ ولحمَ الجَمَلِ، وأشياءَ يَتّقيها أهلُ الكتاب، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ[٤]. **والثاني**: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين

= عن صهيب، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة، وهو واهٍ. وأخرجه الحاكم ٣/ ٣٩٨ من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بنحوه، وإسناده على شرط مسلم، وكذا صححه الحاكم على شرطه، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن سعد ٣/ ١٧٢ عن عمر بن الحكم مرسلاً، وفيه الواقدي، وهو متروك. وورد من مرسل أبي عثمان، أخرجه ابن سعد ١/ ١٧١ وإسناده قوي، وليس فيه نزول الآية. وورد من مرسل الربيع بن أنس: أخرجه الطبري ٤٠٠٥. وانظر ما بعده.

ـ الخلاصة: هذه الروايات تتأيد بمجموعها، فالحديث حسن في أقل تقدير إن شاء الله.

---

(١) عزاه لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح، هو الكلبي وهو كذاب، وأبو صالح متروك عن ابن عباس. فلا فائدة من هذه الطريق، والعبرة بما تقدم.

(٢) عزاه لمقاتل، وهو متهم أيضاً، وانظر ما بعده.

(٣) أخرجه الطبري ٤٠٠٤ عن عكرمة مرسلاً. وأخرجه الحاكم ٣١٣/ ٤٠٠ عن ابن جريج، وهذا معضل.

(٤) تقدم أنه من رواية الكلبي، وهو متهم عن أبي صالح، وهو واهٍ.

لم يُؤمنوا بالنبيِّ محمَّدٍ ﷺ، أُمِرُوا بالدُّخول في الإسلام. رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً، وبه قال الضَّحَّاكُ[١]. **والثالث**: أنها نزلت في المسلمين، يَأْمُرهم بالدُّخول في شرائع الإسلام كُلِّها، قاله مُجاهدٌ وقَتادةُ[٢].

وفي «السِّلْم» ثلاثُ لُغاتٍ: كَسْرُ السِّين وتَسكينُ اللام. وبها قرأ أبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ في «البقرة» وفتَحَا السينَ في «الأنفَال» وسورة «محمَّد». وفتح السين مع تسكين اللام. وبها قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ والكِسَائيُّ في المَوَاضعِ الثلاثة، وفتح السين واللام. وبها قَرأ الأعمَشُ في «البقرة» خاصةً. وفي معنى «السِّلْم» قولان: **أحدهما**: أنه الإسلامُ، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمةُ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابنُ قُتيبةَ، والزجَّاجُ في آخرين. **والثاني**: أنها الطَّاعة، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً، وهو قولُ أبي العَالِيَة، والرَّبيعِ.

وقال الزجَّاجُ: و«كافَّة» بمعنى الجميع، وهو في اشتقاق اللغة: ما يَكُفُّ الشيءَ في آخِرِه، من ذلك: كُفَّة القميص، وكلُّ مستطيلٍ فحَرْفُه كُفَّة: بضمِّ الكاف. ويُقال في كلِّ مُستدِيرٍ: كِفَّة بكسر الكاف نحو: كِفَّة الميزان. ويُقال: إنَّما سُمِّيت كُفَّة الثَّوب، لأنها تَمْنَعُهُ أن يَنْتَشِرَ، وأصل الكَفِّ: المَنْعُ، وقيل لِطرفِ اليَدِ: كفٌّ، لأنها تَكفُّ بها عن سائِرِ البَدَن، ورَجُلٌ مَكفُوفٌ: قد كُفَّ بَصَرُهُ أنْ ينظرَ. واختلفوا: هل قوله: «كافة» يَرْجِعُ إلى السِّلم، أو إلى الدَّاخلين فيه؟ على قولين: **أحدهما**: أنه راجعٌ إلى السِّلم، فتقديره: ادْخُلوا في جميع شرائع الإسلام. وهذا يُخَرَّجُ على القول الأوَّل الذي ذَكَرْنَاهُ في نزول الآيَة. **والثاني**: أنه يَرْجَعُ إلى الدَّاخلينَ فيه، فتقديره: ادْخُلوا كُلُّكُم في الإِسلام، وبهذا يُخَرَّجُ على القول الثاني. وعلى القول الثالث يَحْتَمِلُ قوله: «كافة» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يكونَ أمراً للمؤمنين بألسنتهم أنْ يُؤمنوا بقُلوبهم. **والثاني**: أن يكونَ أمراً للمؤمنين بالدُّخول في جميع شَرَائِعه. **والثالث**: أنْ يكونَ أمراً لهم بالثَّبات عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[٣].

و«خطوات الشيطان»: المَعاصي. وقد سبقَ شَرْحُها. و«البَيِّنات»: الدَّلالاَتُ الوَاضِحَاتُ. وقال ابنُ جُرَيْجٍ: هي الإِسلامُ والقرآنُ. و«ينظرون» بمعنى: يَنْتَظِرُون.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذَكَرَ القاضي أبو يَعْلَى عن أحمدَ أنَّه قال: المُراد به: قُدرته وأَمْرُه. قال: وقد بَيَّنَهُ في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾. قوله تعالىٰ: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾، أي: بظُلَلٍ. والظُّلَلُ: جمعُ ظُلَّةٍ. و«الغَمَام»: السَّحابُ الذي لا ماءَ فيه. قال الضَّحَّاكُ: في قِطَعٍ مِنَ السَّحاب. ومتى يكون مجيءُ المَلائكة؟ فيه قولان:

---

(١) من رواية الضحاك عن ابن عباس، وعن الضحاك جويبر، وهو متروك.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٢/٣٣٧ ـ ٣٣٨: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها. وقد يدخل في ﴿الذين آمنوا﴾ المصدّقون بمحمد ﷺ وبما جاء به، والمصدّقون بمن قبله من الأنبياء والرّسل وما جاءوا به. وقد دعا الله عزَّ وجلَّ كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام وحدوده، والمحافظة على فرائضه التي فرضها، ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك، فالآية عامة لكل من شمله اسم «الإيمان»، فلا وجه لخصوص بعض بها دون بعض.

(٣) النساء: ١٣٦.

أحدهما: أنه يومَ القيامة أيضاً، وهو قول الجُمهور. **والثاني**: أنه عند الموت، قاله قَتادةُ. وقرأ الحسَنُ بخفض «الملائكةِ». و﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾: فُرِغَ منه. و﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾، أي: تَصِيرُ. قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وعَاصمٌ، «تُرجع» بضمِّ التاء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ بفتحها. فإنْ قيل: فكأنَّ الأمورَ كانت إلى غَيرِه؟ فعنه أربعة أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ المُراد به إعلامُ الخَلْقِ أنه المُجازي على الأعمال بالثَّواب والعِقَاب، قاله الزجّاجُ. **والثاني**: أنه لمَّا عَبدَ قومٌ غَيرَهُ، ونَسَبُوا أفعالَهُ إلى سِواه، ثمّ انكَشفَ الغِطاءُ يومَ القيامة؛ رَدُّوا إليه ما أَضافُوا إلى غيره. **والثالث**: أنَّ العربَ تقول: قد رجعَ عليَّ مِنْ فُلانٍ مَكْرُوهٌ: إذا صارَ إليه منه مَكْرُوهٌ، وإنْ لم يَكُنْ سبقَ. قال الشاعر:

فَـإنْ تَـكُـنِ الأَيَّـامُ أَحْـسَـنَّ مَـرَّةً ... إلـيَّ فَـقَـدْ عَـادَتْ لَـهُـنَّ ذُنُـوبُ

ذكرهما ابنُ الأنباريِّ. ومما يُشبه هذا قولُ لَبيدٍ:

ومَـا الـمَـرْءُ إلا كـالـشِّـهـابِ وضَـوْئِـهِ ... يَـحُـورُ رَمَـاداً بـعـد إذْ هُـوَ سَـاطِـعُ

أراد: يَصيرُ رَماداً لا أنَّهُ كَانَ رَماداً، ومِثْلُهُ قولُ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ:

تـلـكَ الـمَـكَـارِمُ لا قـعـبانَ مِـنْ لَـبَـنٍ ... شِـيـبَـا بِـمَـاءٍ فَـعَـادَا بَـعْـدُ أَبْـوَالا[(١)]

أي: صَارَا. **والرابع**: أنه لمَّا كانت الأمورُ إليه قَبْلَ الخَلْقِ، ثم أَوْجَدَهُم فمَلَّكَهُم بعضَها رَجعت إليه بعدَ هلاكهم. فإنْ قيل: قَدْ جرى ذِكرُ اسمه تعالىٰ في قوله: ﴿أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، فَمَا الحِكْمَةُ في أنه لم يَقُل: وإليه ترجع الأمورُ؟ فالجواب: أنَّ إعادةَ اسمِهِ أفخمُ وأعظَمُ، والعرب إذا جَرَى ذِكْرُ شيءٍ يَفْخُمُ أعادوا لَفْظَهُ، وأنشدوا:

لا أَرَى الـمـوتَ يَـسْـبِـقُ الـمَـوْتَ شَـيْءٌ ... نَـغـصَ الـمـوتُ ذا الـغِـنَـى والـفَـقِـيـرَا

فأعادوا ذِكْرَ الموتِ لِفَخامَتِهِ في صُدورهم، ذَكرَهُ الزجّاجُ.

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾

قوله تعالىٰ: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الخِطَابُ للنبيِّ ﷺ، والمعنى: لهُ وللمؤمنين. قال الفَرَّاءُ: أهلُ الحِجَازِ يقولون: «سَلْ» بغير هَمْزٍ، وبعضُ تَمِيم يقولون: «اسأل» بالهمز، وبعضهم يقول: «إِسَلْ»[(٢)] بالألف وطَرْحِ الهَمز، والأولى أَغْرَبُهنَّ، وبها جَاء الكتابُ. وفي المُراد بالسؤال قولان: **أحدهما**: أنه

(١) في اللسان: القعب: القدح الضخم.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ٣/٢٩ و٣٠: قوله تعالى: **﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾** «سل» من السؤال بتخفيف الهمز، فلما تحركت السين لم يحتج إلى ألف الوصل. وقيل: إن للعرب في سقوط ألف الوصل في «سل» وثبوتها في «واسأل» وجهين: أحدهما ـ حذفها في إحداهما وثبوتها في الأخرى، وجاء القرآن بهما. فاتبع خط المصحف في إثباته للهمزة وإسقاطها. والوجه الثاني ـ أنه يختلف إثباتها وإسقاطها باختلاف الكلام المستعمل فيه فتحذف الهمزة في الكلام المبتدأ، مثل قوله: **﴿سل بني إسرائيل﴾** وقوله: **﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾** [ن: ٤٠] وتثبت في العطف، مثل قوله: **﴿واسأل القرية﴾** [يوسف: ٨٢] **﴿واسألوا الله من فضله﴾** [النساء: ٣٢] قاله علي بن عيسى. وقرأ أبو عمرو في رواية ابن عباس عنه «اسأل» على الأصل. وقرأ قوم «اسَل» على نقل الحركة إلى السين وإبقاء ألف الوصل، على لغة من قال: الاحَمر.

التَّقريرُ والإذْكَارُ بالنِّعَم. **والثاني**: التَّوبيخُ على تَرْكِ الشُّكر.

والآية البَيِّنَةُ: العَلامةُ الواضحَةُ، كالعَصَا، والغَمَام، والمَنِّ، والسَّلْوَى، والبَحْرِ. وفي المُراد بنِعْمَةِ اللَّهِ قولان: **أحدهما**: أنَّها الآياتُ التي ذَكَرناها، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنها حُجَجُ اللهِ الدَّالةُ على أمْرِ النَّبيِّ ﷺ، قاله الزجَّاجُ. وفي معنى تَبْدِيلِهَا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكُفْرُ بها، قاله أبو العَالِيَة ومُجاهدٌ. **والثاني**: تَغييرُ صفةِ النَّبيِّ ﷺ في التَّوْراةِ، قاله أبو سُليمان الدِّمشقيُّ. **والثالث**: تعطيلُ حُجَجِ الله بالتَّأويلاتِ الفَاسِدَةِ.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، في نزولها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في أبي جَهلٍ وأصحابه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: نزلت في عُلماءِ اليهودِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: في عبدِ الله بن أُبَيٍّ وأصحابِهِ مِنَ المُنافقين، قاله مُقاتلٌ. قال الزجَّاجُ: وإنَّما جازَ في «زُيِّن» لفظُ التَّذكير، لأنَّ تأنيثَ الحياة ليس بحقيقيٍّ، إذْ معنى الحَيَاة ومعنى العَيْشِ واحدٌ. وإلى مَنْ يُضاف هذا التَّزيينُ[1] فيه قولان: **أحدهما**: أنه يُضَافُ إلى اللَّهِ. وقرأ أُبَيُّ بن كَعْبٍ والحسَنُ، ومُجاهدٌ، وابنُ مُحَيْصِنٍ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «زَيَّن» بفتح الزاي والياء، على معنى: زَيَّنَها اللَّهُ لهم. **والثاني**: أنه يُضَافُ إلى الشَّيطان، رُوي عن الحسَنِ. قال شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ اللَّهِ: والتَّزيينُ مِنَ اللَّهِ تعالى: هو التَّركيبُ الطَّبيعيُّ فإنه وَضَعَ في الطَّبائِع محبةَ المَحْبُوب لصُورةٍ فيه تَزَيَّنت للنَّفْسِ، وذلك مِنْ صُنعه، وتزيينُ الشَّيطان بإذْكَارِ ما وَقَعَ مِنْ إغْفَالِهِ ممَّا مثلُهُ يَدْعُو إلى نَفْسِهِ لزينَتِهِ، فاللَّهُ تعالى يُزَيِّن بالوَضْعِ، والشَّيطانُ يُزَيِّن بالإذْكَارِ.

وما السببُ في سُخرية الكُفَّار مِنَ المؤمنين؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم سَخِرُوا منهم للفَقْرِ. **والثاني**: لتَصْدِيقِهِمْ بالآخرة. **والثالث**: لاتِّبَاعِهِم للنبيِّ ﷺ، وقيلَ: إنَّهم كانوا يُوهِمُونَهُم أنَّكم على الحقِّ، سُخريةً منهم بهم. وفي معنى كَونهم «فوقَهم» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ ذلك على أصْلِهِ، لأنَّ المؤمنين في عِلِّيينَ، والكُفَّار في سِجِّينٍ. **والثاني**: أنَّ حُجَجَ المُمؤمنين فوقَ شُبَهِ الكافرين، فهُمُ المَنْصُورون. **والثالث**: في أنَّ نعيمَ المؤمنين في الجنَّة فوقَ نعيم الكافرين في الدُّنيا. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنه يَرْزُقُ مَنْ يشاء رِزْقاً واسعاً غيرَ ضَيِّقٍ. **والثاني**: يَرْزُقُ مَنْ يشاء بلا مُحاسَبَةٍ في الآخرة.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/ ٣٠: وقوله تعالى: **﴿زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا﴾** على ما لم يسم فاعله. والمراد رؤساء قريش. وقرأ مجاهد وحُميد بن قيس على بناء الفاعل. قال النحاس: هي قراءة شاذة لأنه لم يتقدّم للفاعل ذكر. وقرأ ابن أبي عبلة (زُيِّنت) بإظهار العلامة، وجاز ذلك لكون التأنيث غير حقيقي والمُزَيِّن هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر، ويزينها الشيطان بوسوسته وإغوائه. وخصّ الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين جملة، وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة بسببها وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ليبلو الخلق أيهم أحسن عملاً فالمؤمنون الذي هم على سنن الشرع لم تفتنهم، الزينة والكفار تملكتهم لأنهم لا يعتقدون غيرها. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين قُدم عليه بالمال: اللهم إنا لا نستطيع إلاَّ أن نفرح بما زينت لنا.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، في المُراد بـ «النَّاس» هاهنا ثلاثة أقوالٍ[1]: **أحدها**: جميعُ بَني آدمَ، وهو قولُ الجمهور. **والثاني**: آدمُ وحدَهُ، قاله مُجاهدٌ. قال ابنُ الأنباريِّ: وهذا الوجهُ جائزٌ، لأنَّ العربَ تُوقِعُ الجمعَ على الواحدِ. ومعنى الآية: كانَ آدمُ ذا دِينٍ واحدٍ، فاختلَفَ ولَدُهُ بَعْدَهُ. **والثالث**: آدمُ وأولادُه كانوا على الحقِّ، فاختلفوا حينَ قَتَلَ قابيلُ هابِيلَ. ذكره ابنُ الأنباريِّ. والأُمَّةُ هاهنا: الصِّنفُ الواحدُ على مَقْصِدٍ واحدٍ. وفي ذلك المَقصدِ الذي كانوا عليه قولان: **أحدهما**: أنه الإسلامُ، قاله أُبيُّ بنُ كَعْبٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه الكُفرُ، رواه عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ. ومتى كان ذلك، فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه حينَ عُرِضُوا على آدمَ وأَقَرُّوا بالعُبودِيَّةِ، قالهُ أُبيُّ بنُ كَعْبٍ. **والثاني**: في عَهْدِ إبراهيمَ كانوا كُفَّاراً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: بينَ آدمَ ونُوحٍ، وهو قول قَتادةَ. **والرابع**: حين ركبوا السفينة، كانوا على الحق، قاله مقاتلٌ. **والخامس**: في عهد آدمَ. ذكره ابن الأنباريّ.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنَّة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنَّار. هذا قول الأكثرين. وقال بعض السَّلف: مبشّرين لِمَن آمن بك يا محمَّد، ومنذرين لمن كذَّبك. والكتاب: اسم جنسٍ، كما تقول: كثُر الدرهم في أيدي الناس. وذكر بعضهم أنه في التوراة. وفي المراد بالحق هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الصدق والعدل. **والثاني**: أنه القضاء فيما اختلفوا فيه. ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، في الحَاكم هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الله تعالىٰ. **والثاني**: النبيُّ الذي أُنزل عليه الكتاب. **والثالث**: الكتاب؛ كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾، وقرأ أبو جعفرَ: «لِيُحكَم» بضم الياء وفتح الكاف. وقرأ مُجاهدٌ «لتحكُم» بالتاء على الخطاب للنبيِّ ﷺ.

قوله تعالىٰ: ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يعني: الدِّين. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها تعود إلى محمَّدٍ ﷺ، قاله ابن مسعودٍ. **والثاني**: إلى الدين، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: إلى الكتاب، قاله أبو سُليمان الدِّمشقيّ. فأما هاء «أوتوه» فعائدةٌ على الكتاب من غير خلافٍ. قال الزجَّاجُ: ونصب «بغياً» على معنى المفعول له، فالمعنى: لم يُوقعوا الاختلاف إلا للبغي، لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كُتبهم. وقال الفرَّاء: في اختلافهم وجهان: **أحدهما**: كُفر بعضهم بكتاب بعضٍ. **والثاني**: تبديل ما بدَّلوا.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٢٥٠: أخرج ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا» ورواه الحاكم في مستدركه من حديث بندار عن محمد بن بشار ثم قال. صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال العوفي عن ابن عباس ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ يقول كانوا كفاراً ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ والقول الأول عن ابن عباس أصح إسناداً ومعنى لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السّلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، أي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه. وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال:

أحدها: أنه الجُمعة، جعلها اليهودُ السَّبت، والنصارى الأحد.

[٩٢] فروى البخاريُّ ومسلمٌ في «الصحيحين» من حديث أبي هريرةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخِرون السابقون يومَ القيامة بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قَبْلِنا، وأُوتِينَاه من بَعْدِهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله لهُ. اليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غدٍ للنَّصارى».

والثاني: أنه الصَّلاة، فمنهم من يُصلي إلى المَشرق، ومنهم من يصلي إلى المَغرب.

والثالث: أنه إبراهيمُ. قالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النَّصارى: كان نصرانياً.

والرابع: أنه عيسى، جعلته اليهود لِفِرْيَةٍ، وجعلته النَّصارى إلهاً.

والخامس: أنه الكُتُب، آمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها.

والسادس: أنه الدِّين، وهو الأصح، لأن جميع الأقوال داخلةٌ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾، قال الزجَّاجُ: إذنه: عِلْمه. وقال غيره: أَمْره. قال بعضهم: توفيقه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن الصحابة أصابهم يوم الأحزاب بلاءٌ وحَصْرٌ، فنزلت هذه الآية، ذكره السُّدّيّ عن أشياخه وهو قول قَتادةَ(1).

[٩٣] والثاني: أن النبيَّ ﷺ لما دخل المدينة هو وأصحابه اشتدَّ بهم الضُّرّ، فنزلت هذه الآية، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أن المنافقين قالوا للمؤمنين: لو كان محمدٌ نبياً لم يُسلّط عليكم القتل، فأجابوهم: من قُتل منا دخل الجنّة، فقالوا: لِمَ تُمنُّون أنفسكم بالباطل؟ فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ. وزعم أنها نزلت يوم أحدٍ(2).

قال الفَرَّاء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ بمعنى: أَظَنَنْتم، وقال الزجَّاجُ: «أم» بمعنى: بل. وقد شرحنا «أم» فيما تقدم شرحاً كافياً. والمَثَل بمعنى: الصِّفة. و«زلزلوا» خُوِّفوا وحُرِّكوا بما يؤذي، وأصل الزَّلزلَة في اللغة من: زَلَّ الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زَلْزَلْتُه، فتأويله: كررت زَلْزَلَته مِن مكانه، وكل ما كان فيه تَرجيعٌ كرّرت فيه فاءَ الفعل، تقول: أَقَلَّ فلانٌ الشيء: إذا رفعه من مكانه، فإذا كرَّر رفعَه وردّه، قيل:

---

[٩٢] صحيح. أخرجه البخاري ٢٣٨ و٨٧٦ و٢٩٥٦ و٦٦٢٤ و٧٠٣٦ و٧٤٩٥ ومسلم ٨٥٥ وأحمد ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٩ والنسائي ٣/٨٧ وابن ماجه ١٠٨٣ وابن حبان ٢٧٨٤ عن أبي هريرة مرفوعاً.

[٩٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٢٨ عن عطاء بدون إسناد، فهو لا شيء.

---

(1) أخرجه الطبري ٤٠٦٧ عن السدي مرسلاً. وأخرجه ٤٠٦٨ عن قتادة مرسلاً، فلعل هذه المراسيل تتأيد بمجموعها.

(2) عزاه لمقاتل، وتقدم أنه متهم بالكذب.

قَلْقَلَه. فالمعنى: أنه تكرّر عليهم التحريك بالخوف، قاله ابن عباس. البَأْسَاءُ: الشدّة والبؤس، والضَّرَّاء: البلاء والمرض. وكل رسولٍ بُعث إلى أمّته يقول: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، والنَّصر: الفَتح، والجمهور على فتح لام «حتى يقول»، وضمُّها نافعٌ.

فصل: ومعنى الآية: أن البلاء والجهد بلغ بالأمم المتقدمة إلى أن استَبْطَؤوا النصرَ لشدة البلاء. وقد دلّت على أن طريق الجنّة إنما هو الصبر على البلاء.

[٩٤] قالت عائشةُ: ما شَبعَ رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تِبَاعاً من خُبز بُرٍّ حتى مضىٰ لسبيله.

[٩٥] وقال حُذيفةُ: أَقَرُّ أيامي لعَيني، يوم أَرجِعُ إلىٰ أهلي فيَشكُون إليَّ الحاجةَ. قيل: ولِمَ ذلك؟ قال: لأنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يتعاهَدُ المؤمنَ بالبلاء كما يتعاهَدُ الوالدُ ولَدَه بالخير، وإنَّ الله لَيَحمي المؤمنَ مِنَ الدُنيا، كما يَحْمِي المريضَ أهلُه الطَّعامَ».

أخبرنا أبو بكرٍ الصُوفيّ، قال: أخبرنا أبو سعيدِ بن أبي صَادقٍ، قال: أخبرنا أبو عبد الله الشّيرازيّ، قال: سمعتُ أبا الطيِّب بن الفرخَان يقول: سمعتُ الجُنيد يقول: دخلت على سَرِيِّ السَّقَطِيّ وهو يقول:

وما رُمْتُ الدُخولَ عليهِ حتّىٰ ... حَلَلْتُ مَحلَّةَ العبدِ الذَّليلِ
وأَغضَيتُ الجُفونَ على قَذَاهَا ... وصُنتُ النَّفسَ عَنْ قَالٍ وقِيلِ(١)

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ (٢١٥)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾، في سبب نزولها قولان:

[٩٦] **أحدهما:** أنها نزلت في عمرو بن الجَمُوح الأنصاريّ، وكان له مالٌ كثيرٌ، فقال: يا

---

[٩٤] صحيح. أخرجه البخاري ٥٤١٦ و٦٤٥٤ ومسلم ٢٩٧٠ وابن سعد ١/ ٤٠٢ و٤٠٣ وأحمد ٦/ ١٥٦ و٢٥٥ ووكيع ١/ ١٠ و١٠٩ وهنّاد بن السّري ٧٢٥ و٧٢٨ في «الزهد» من طرق عن عائشة.
ـ ويشهد له ما أخرجه البخاري ٢٠٦٩ و٢٥٠٨ والترمذي ١٢١٥ وأحمد ٣/ ٢٣٨ وابن ماجه ٤١٤٧ وابن حبان ٦٣٤٩ من طرق عن أنس بن مالك. أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز وإهالة سَنِخة، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه الشعير لأهله، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع بُرّ ولا صاع حبّ». ويشهد له ما أخرجه مسلم ٢٩٧٦ والترمذي ٢٣٥٨ وابن ماجه ٣٣٤٣ عن أبي هريرة قال: ما أشبع رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز البُرّ حتى فارق الدنيا.

[٩٥] صدره ضعيف، وعجزه صحيح بشاهده. أخرجه الطبراني في «الكبرى» ٣٠٠٤ وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٧٧ من حديث حذيفة، وإسناده ضعيف. قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٨٥: وفيه من لم أعرفه.
ـ ويشهد لعجزه ما أخرجه الترمذي ٢٠٣٦. وأحمد في «الزهد» ١٧ والحاكم ٤/ ٢٠٧ و٤/ ٣٠٩ وابن حبان ٦٦٩ عن قتادة بن النعمان، قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أحبّ الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أَحَدُكم يحمي سقيمه الماء». وإسناده على شرط مسلم، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

[٩٦] لا أصل له. عزاه لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح متروك في روايته عن ابن عباس، وراوية أبي صالح =

---

(١) الرّوم: رام الشيء، طلبه. القذى: ما يقع في العين وترمىٰ به والقذى: إذا سكت على الذل والضيم.

رسولَ الله بماذا نتصدَّق، وعلى مَنْ نُنفق؟ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ.

[٩٧] **والثاني**: أن رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: إن لي ديناراً، فقال: «أَنْفِقْهُ على نَفْسِكَ»، فقال: إن لي دينارين، فقال: «أَنْفِقْهما على أَهْلِكَ»، فقال: إن لي ثلاثة، فقال: «أَنْفِقْها على خادِمِكَ»، فقال: إن لي أربعة، فقال: «أَنْفِقْها على وَالِدَيْك»، فقال: إن لي خمسة، فقال: «أنفقها على قَرَابَتِكَ»، فقال: إن لي ستة، فقال: «أنفقها في سَبيلِ الله، وهو أَحْسَنُها»، فنزلت فيه هذه الآية، رواه عطاءٌ عن ابن عباسٍ.

قال الزجَّاجُ: «ماذا» في اللغة على ضَربين: **أحدهما**: أن تكون «ذا» بمعنى الذي، و«ينفقون» صِلَته، فيكون المعنى: يسألونك: أيَّ شيءٍ الذي ينفقون؟ **والثاني**: أن تكون «ما» مع «ذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: يسألونك أيَّ شيءٍ ينفقون، قال: وكأنهم سألوا: على مَن ينبغي أن يُفضلوا، وما وجه الذي ينفقون؟ لأنهم يعلمون ما المُنفَق، فأعلمهم الله أن أولَى مَن أُفضِل عليه الوالدان والأَقرَبُون. والخَيْر: المال، قاله ابن عباسٍ في آخرين. وقال: ومعنى«فللوالدين»: فعَلَى الوالدَين.

فصل: وأكثر علماء التفسير على أن هذه الآية منسوخةٌ، قال ابن مسعودٍ: نسختْها آيةُ الزكاة. وذهب الحَسَن إلى إحكامها، وقال ابن زيدٍ؛ هي في النوافل، وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي النَّدب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخةٌ، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوبَ النفقة على المذكورين فيها.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾، قال ابن عباسٍ: لما فرض اللّهُ على المسلمين الجهاد شَقَّ عليهم وكَرِهُوه، فنزلت هذه الآية. و«كُتب» بمعنى: فُرض في قول الجماعة.

قال الزجَّاجُ: كرِهت الشيءَ أكرهه كَرهاً وكُرهاً، وكَراهةً وكَراهيةً. وكلُّ ما في كتاب الله من الكُره، فالفتح فيه جائزٌ، إلا أن أبا عُبيدٍ ذكر أن الناس مجتمعون على ضَمِّ هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقَّته على النفوس، لا أنهم كَرهوا فرضَ الله تعالىٰ. وقال الفَرَّاءُ: الكُره والكَره: لغتان. وكأن النَّحويين يذهبون بالكُره إلى ما كان منك ممَّا لم تُكرَه عليه، فإذا أُكرِهتَ على الشيء استحبَوا «كَرهاً» بالفتح. وقال ابن قُتيبةَ: الكَره بالفتح، معناه الإكراه والقَهر، وبالضَّم معناه: المَشَقَّة. ومن نظائر هذا: الجُهْد: الطَّاقة، والجَهْد: المشقَّة. ومنهم مَن يجعلُهما واحداً. وعُظْم الشيء: أكْبَرُه وعَظْمه: نَفْسُه. وعُرض الشيء: إحدى نَواحيه. وعَرضُه: خلاف طوله. والأَكل: مصدر أكلتُ، والأُكل: المَأكول، وقال أبو عليٍّ: هما لغتان، كالفَقر والفُقر، والضَّعف والضُّعف، والدَّف والدُّف، والشَّهد والشُّهد. قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾، قال ابن عباسٍ: يعني الجهادَ. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فتحٌ وغنيمةٌ أو شهادةٌ. ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو القُعود عنه. ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، لا تُصيبون

= هو الكلبي، وهو كذاب.

[٩٧] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٢٩ عن عطاء عن ابن عباس ولم أقف له على إسناد، فهو لا شيء.

فتحاً ولا غنيمةً ولا شهادةً. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خيرٌ لكم. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ حين أحببْتُم القُعودَ عنه.

فصل: اختلف علماء النَّاسخ والمَنْسُوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها من المُحْكَم النَّاسخ للعفو عن المشركين. **والثاني**: أنها مَنْسُوخةٌ، لأنها أوجبت الجهاد على الكُلِّ، فنَسَخ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾(1). **والثالث**: أنها ناسخةٌ من وجهٍ، مَنسوخةٌ من وجهٍ. وقالوا: إن الحال في القتال كانت على ثلاثة مراتبَ: **الأولى**: المَنْعُ من القتال، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾(2). **والثانية**: أمرُ الكلِّ بالقتال، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾(3)، ومثلُها هذه الآية. **والثالثة**: كون القتال فَرضاً على الكفاية، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، فيكون النَّاسخ منها إيجاب القتال بعد المَنْع منه، والمَنْسُوخ وجوبُ القتال على الكلِّ.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ (٢١٧)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾.

[٩٨] روى جُنْدَبُ بن عبد الله أن رسولَ الله ﷺ بعثَ رَهطاً واستعمل عليهم أبا عُبيدة بن الحارثِ فلما انطلق ليتوجَّه بكى صَبابةً إلى رسول الله ﷺ، فبعثَ مكانَه عبد الله بنَ جَحْشٍ، وكتب له كتاباً، وأمره ألا يقرأه إلا بمكانِ كذا وكذا، وقال: «لا تُكرهنَّ أحداً مِن أصحابك على المسير معكَ»، فلما صار إلى المكان، قرأ الكتاب واستَرْجَعَ، وقال: سمعاً وطاعة لأمر الله ولرسوله فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب. فرَجع رجلانِ من أصحابه، ومضى بقيَّتُهم، فأتوا ابن الحَضْرَميِّ فقتَلُوه، فلم يَدرُوا ذلك اليومَ، أَمِنْ رجَبٍ، أو مِنْ جُمادى الآخرة؟ فقال المشركون للمسلمين: قَتلتُم في الشهر الحرام، فأتوا

---

[٩٨] صحيح دون تأمير أبي عبيدة وبكائه، فإنه ضعيف. أخرجه أبو يعلىٰ ١٥٣٤ والطبري ٤٠٨٧ والطبراني ١٦٧٠ والبيهقي ٩/ ١١ ـ ١٢ من حديث جندب بن عبد الله، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ مجهول.
ـ وأصله محفوظ بشواهده، أخرجه الطبري ٤٠٨٥ من مرسل عروة. وورد من مرسل السدي، أخرجه الطبري ٤٠٨٦. وورد من مرسل أبي مالك: أخرجه الطبري ٤٠٩٢. وورد عن ابن عباس: أخرجه الطبري ٤٠٨٩ وإسناده حسن. وكرره ٤٩٠ وإسناده واهٍ لأجل عطية العوفي. وورد من مرسل الضحاك: أخرجه الطبري ٤٠٩٦ وله شواهد أُخرى عامتها مرسل.
ـ الخلاصة: هو حديث صحيح بطرقه وشواهده دون قوله «استعمل عليهم أبا عبيدة. . . . فبعث مكانه». والصواب أن الأمير من أول الأمر هو عبد الله بن جحش.

---

(١) التوبة: ١٢٢. (٢) النساء: ٧٧. (٣) التوبة: ٤١.

النبي فحدثوه الحديث فنزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لَئِن كان أصابهم خيرٌ فما لهم أجرٌ، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾.

قال الزُّهريُّ: اسم ابن الحَضرَمِيّ: عَمرو، واسم الذي قتله عبد الله بن وَاقِدٍ اللَّيثِيّ. قال ابن عباسٍ: كان أصحاب النبيِّ ﷺ، يظنّون تلك الليلةَ من جُمادى، وكانت أوّل رَجَب.

وقد روى عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ أنها نزلت في شيئين: **أحدهما**: هذا. **والثاني**: دخولُ النبيِّ ﷺ مكةَ في شهرٍ حرامٍ يوم الفَتح، حين عابَ المشركون عليه القتالَ في شهرٍ حرام[١].

وفي السائلين النبيّ ﷺ عن ذلك قولان: **أحدهما**: أنهم المسلمون، سألوه: هل أخطأوا أم أصابوا؟ قاله ابن عباسٍ وعِكرمَةُ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنهم المشركون سألوه على وجه العَيب على المسلمين، قاله الحسَنُ، وعُروةُ، ومُجاهدٌ. والشَّهر الحرام: شهر رَجَب، وكان يُدعى الأَصَمّ، لأنه لم يكن يُسمع فيه للسلاح قَعْقعةٌ تعظيماً له، ﴿قِتَالٍ فِيهِۖ﴾ أي: يسألونك عن قتالٍ فيه. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ قال ابن مسعودٍ وابن عباسٍ: لا يَحِلّ. قال القاضي أبو يَعْلَى: كان أهل الجاهلية يعتقدون تحريمَ القتال في هذه الأشهر، فأعلمَهُم الله تعالىٰ في هذه الآية ببقاء التَّحريم.

فصل: اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم: هل هو باقٍ أم نُسِخ؟ على قولين[٢]: **أحدهما**: أنه بَاقٍ. روى ابن جُريج أن عَطاءَ كان يحلِف بالله: ما يَحِلُّ للناس الآن أن يغزوا في الحَرَم، ولا في الأشهر الحُرُم، إلا أن يُقاتَلوا فيه أو يغزَوا، وما نُسخت. **والثاني**: أنه منسوخٌ، قال سعيدُ بن المُسَيّب، وسُليمانُ بن يَسار: القتال جائزٌ في الشهر الحرام، هذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٣]، وبقوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٤]، وهذا قولُ فقهاءِ الأمصار.

---

(١) أخرجه الطبري ٤٠٩٠ عن ابن عباس بسند فيه مجاهيل، وكرره ٤٠٨٨ عن مجاهد مرسلاً.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ٣/٤٣: واختلف العلماء في نسخ هذه الآية، فالجمهور على نسخها، وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح واختلفوا في ناسخها، فقال الزهري: نسخها ﴿**وقاتلوا المشركين كافة**﴾.
وقيل نسخها غزو النبي ﷺ ثقيفاً في الشهر الحرام، وإغزاؤه أبا عامر إلى أوطاس في الشهر الحرام.
وقيل نسخها بيعة الرضوان على القتال في ذي القعدة، وهذا ضعيف؛ فإن النبي ﷺ لما بلغه قتل عثمان بمكة وأنهم عازمون على حربه بايع حينئذٍ المسلمين على دفعهم لا على الابتداء بقتالهم.
وذكر البيهقي عن عروة بن الزبير من غير حديث محمد بن إسحاق في أثر قصة الحضرمي: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه**﴾ الآية، قال: فحدَّثهم الله في كتابه أن القتال في الشهر الحرام حرام كما كان، وأن الذي يستحلون من المؤمنين هو أكبر من ذلك من صدهم عن سبيل الله حين يسجنونهم ويعذبونهم ويحبسونهم أن يهاجروا إلى رسول الله ﷺ، وكفرهم بالله وصدّهم المسلمين عن المسجد الحرام في الحج والعمرة والصَّلاة فيه، وإخراجهم أهل المسجد الحرام وهم سكانه من المسلمين وفتنتهم إياهم عن الدين، فبلغنا أن النبي ﷺ عقل ابن الحضرمي وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرّمه حتى أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿**براءة من الله ورسوله**﴾. وكان عطاء يقول: الآية محكمة، ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم ويحلف على ذلك، لأن الآيات التي وردت بعدها عامة في الأزمنة، وهذا خاص والعام لا ينسخ الخاص باتفاق.
وروى أبو الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل في الشهر الحرام إلاَّ أن يُغزى.

(٣) التوبة: ٥.

(٤) التوبة: ١٩.

قوله تعالىٰ: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، هو مرفوعٌ بالابتداء، وخبر هذه الأشياء: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾. وفي المراد بـ «سبيل الله» هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه الحج، لأنهم صدُّوا رسولَ الله ﷺ عن مكة. قاله ابن عباسٍ والسُّدِّيّ عن أشياخه. **والثاني**: أنه الإِسلام، قاله مقاتل. وفي هاء الكناية في قوله «وكفر به» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الله تعالىٰ، قاله السُّدِّيّ عن أشياخه، وقَتادةَ، ومُقاتلٍ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنها تعود إلى السبيل، قاله ابن عباسٍ. قال ابن قُتيبة: وخَفَضَ «المسجدِ الحرام» نَسَقاً على: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، كأنه قال: وصدٌّ عن سبيلِ الله، وعن المسجدِ الحرام. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ لَمَّا آذوا رسولَ الله ﷺ وأصحابَه؛ اضطرّوهم إلى الخروج فكأنهم أخرجوهم، فأعلَمَهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قَتل كل كافرٍ. «والفتنة» هاهنا بمعنى الشِّرك، قاله ابنُ عُمر، وابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وابن جُبيرٍ، وقَتادةُ، والجماعة. والفتنة في القرآن على وجوهٍ كثيرٍ، قد ذكرتُها في كتاب «النَّظائر». ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، يعني الكفّار، ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ يعني: المسلمين. و﴿حَبِطَتْ﴾ بمعنى: بَطَلَت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾، في سبب نزولها قولان: **أحدهما**: أنه لما نزل القرآن بالرُّخصة لأصحاب عبد الله بن جَحشٍ في قتل ابن الحَضرَمِيّ، قال بعض المسلمين: ما لَهم أجرٌ، فنزلت هذه الآية(1)، وقد ذكرنا هذا في سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾، عن جُندُبِ بن عبد الله. **والثاني**: أنه لما نزلت لهم الرُّخصة قاموا، فقالوا: يا رسول الله أنطمعُ أن تكون لنا غزاة نعطى فيها أجر المجاهدين، فنَزَلَت هذه الآية(2)، قاله ابن عباسٍ. وقال: ﴿هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ في طاعة الله ابنَ الحَضرَمِيّ وأصحابَه. و﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: مغفرته وجنَّته. قال الشَّعبيّ: أوَّل لواءٍ عُقد في الإِسلام لواء عبد الله بن جَحْشٍ، وأول مَغْنَمٍ قسم في الإِسلام: مَغْنَمُه.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾، في سبب نزولها قولان:

[٩٩] **أحدهما**: أن عمرَ بن الخَطَّابِ قال: اللَّهُمّ بَيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية.

[١٠٠] **والثاني**: أن جماعةً من الأنصار جاؤوا إلى النبيِّ ﷺ، وفيهم عُمَرُ، ومُعاذٌ، فقالوا: أفتِنا

---

[٩٩] حسن. أخرجه أبو داود ٣٦٧٠ والترمذي ٣٠٤٩ والنسائي ٨/ ٢٨٦ والحاكم ٢/ ٢٧٨ وأحمد ١/ ٥٣ والطبري ١٢٥٦١ والبيهقي ١/ ٥٣ من حديث عمرو بن شرحبيل عن عمر. وإسناده حسن، رجاله ثقات، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. ويأتي في سورة المائدة إن شاء الله تعالى.

[١٠٠] لم أره مسنداً، ذكره المصنف هكذا بدون إسناد ومن غير عزوٍ لقائل. وكذا ذكره الواحدي في «الأسباب» ١٣٢ =

---

(١) أخرجه الطبري ٤١٠٥ من حديث جندب بسند فيه مجهول، فهو ضعيف وتقدم.

(٢) أخرجه الطبري ٤١٠٦ بسند عن عروة مرسلاً، ومراسيل عروة جياد. ولم أره عن ابن عباس.

في الخمر، فإنها مَذْهَبَةٌ للعقل مَسْلَبَةٌ للمال، فنزلت هذه الآية.

وفي تسمية الخمر خمراً ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها سُمّيت خمراً، لأنها تُخامِر العقلَ، أي: تُخالطه. **والثاني**: لأنها تَخْمُر العقلَ، أي: تَسْتُره. **والثالث**: أنها تُخمَّر، أي: تُغَطّى. ذكر هذه الأقوال محمَّدُ بن القَاسم. وقال الزجَّاجُ: الخمر في اللغة: ما سَتَر على العقل، يُقال: دخل فلانٌ في خِمَار الناس، أي: في الكثير الذي يُستَتر فيهم، وخِمَار المرأة قِنَاعُها، سُمّي خِماراً لأنه يُغطّي. قال: والخمر هاهنا في المُجمَع عليها، وقياسُ كلِّ ما عَمِلَ عَمَلَها أن يُقال له: خَمْرٌ، وأن يكون في التحريم بمنزلتها، لأن العلماء أجمَعوا على أن القِمَار كُلَّه حرامٌ، وإنما ذكر المَيْسِرَ من بَيْنِه، وجُعل كلُّه قياساً على المَيْسِر، والمَيْسر إنما يكون قِماراً في الجُزُر[1] خاصةً. فأما المَيسِر، فقال ابن عباسٍ، وابن عُمرَ، والحَسنُ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٍ، وقَتادةُ في الآخرين: هو القِمَار. قال ابن قُتيبةَ: يقال: يسرت: إذا ضربت بالقِدَاح، ويقال للضَّارب بالقِدَاح: يَاسِر ويَاسِرون، ويُسُر وأَيْسَار. وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكَلَبِه ينحَرون جَزُوراً ويُجزّئونَها أجزاءً ثم يضربون عليها بالقِدَاح فإذا قَمر القامِر، جعل ذلك لذوي الحاجة والمَسْكَنة، وهو النفع الذي ذكره الله تعالىٰ، وكانوا يتمادحون بأخذ القِدَاح، ويَتَسابُّون بتركها ويعيبون من لا يَيْسِر.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، قرأ الأكثرون «كبير» بالباء، وقرأ حَمزةُ والكِسَائيُّ بالثاء. وفي إثم الخمر ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن شُربها يُنقص الدّينَ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه إذا شرب سَكِرَ فآذى الناس، رواه السُّدّيُّ عن أشياخه. **والثالث**: أنه وقوع العداوة والبغضاء وتغطية العقل الذي يقع به التمييز، قاله الزجّاجُ. وفي إثم المَيْسِر قولان: **أحدهما**: أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ويُوقع العداوة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه يدعو إلى الظلم ومنع الحق. رواه السُّدّيُّ عن أشياخه وجائزٌ أن يُراد جميع ذلك. وأمَّا منافع الخمر؛ فمن وجهين: **أحدهما**: الرِّبح في بيعها. **والثاني**: انتفاع الأبدان[2] مع التِذَاذ النفوس. وأما منافع المَيسِر: فإصابة الرجل المالَ من غير تعبٍ. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، قولان: **أحدهما**: أن معناه: وإثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ والضحَّاكُ ومُقاتلٌ. **والثاني**: وإثمهما قبل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضاً. لأن الإثم الذي يحدث في أسبابهما أكبر من نفعهما. وهذا منقولٌ عن ابن جُبيرٍ أيضاً، واختلفوا بماذا كانت الخَمرةُ مباحةً؟ على قولين: **أحدهما**: بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾[3]، قاله ابن جُبيرٍ. **والثاني**: بالشريعة الأولى، وأقرَّ المسلمون على ذلك حتى حُرِّمت.

فصل: اختلف العلماء: هل لهذه الآية تأثيرٌ في تحريم الخمر أم لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنها

= بقوله: نزلت. . . من غير عزو لقائل ولا إسناد، فهذا خبر لا أصل له لخلوه عن الإسناد.

---

(١) الجزر: جمع جزور وهي النوق.
(٢) بل الخمر مضرة للجسم، مضرة للعقل، والقول المتقدم هو الصواب.
(٣) النحل: ٦٧.

تقتضي ذمَّها دون تحريمها، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وبه قال سعيد بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. وعلى هذا القول تكون هذه الآية مَنسوخةً. **والقول الثاني**: أن لها تأثيراً في التحريم، وهو أن الله تعالىٰ أخبر أن فيها إثماً كبيراً والإثم كلّه مُحرَّمٌ بقوله: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾[١]، هذا قول جماعةٍ من العلماء، وحكاه الزجّاجُ، واختاره القاضي أبو يَعْلَى للعلَّة التي بيَّنَّاها، واحتجّ لصحته بعض أهل المعاني، فقال: لما قال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، وقع التساوي بين الأمرين، فلما قال: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ صار الغالب الإثم، وبقي النفع مُستغرَقاً في جَنبِ الإثم، فعاد الحُكم للغالب المُسْتغرِق، فغلب جانب الخَطَر.

فصل: فأما المَيْسِر؛ فالقول فيه مثل القول في الخمر، إن قلنا: إن هذه الآية دلَّت على التحريم، فالمَيسِر حكمها حرام أيضاً، وإن قلنا: إنها دلَّت على الكراهة؛ فأقوَم الأقوال أن نقول: إن الآية التي في المائدة نصت على تحريم الميسِر.

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾، قال ابن عباسٍ: الذي سأله عن ذلك عمرو بن الجَمُوح. قال ابن قُتيبةَ: والمراد بالنفقة هاهنا: الصَّدقة والعطاء. قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، قرأ أبو عمرٍو برفع واو «العفو»، وقرأ الباقون بنصبها، قال أبو عليٍّ: «ماذا» في موضع نصبٍ، فجوابه العفو بالنصب، كما تقول في جواب: ماذا أنفقت؟ درهماً، أي: أنفقت درهماً، هذا وجه نصب العفو. ومن رفع جعل «ذا» بمنزلة الذي، ولم يجعل «ماذا» اسماً واحداً، فإذا قال قائلٌ: ماذا أنزل ربُّكم؟ فكأنه قال: ما الذي أنزل ربُّكم؟ فجوابه: قرآن. قال الزجّاجُ: «العفو» في اللغة: الكَثرة والفَضل، يقال: قد عَفَا القومُ: إذا كثُروا. و«العفو»: يأتي بغير كُلفةٍ. وقال ابن قُتيبةَ: العفو: المَيْسُور. يقال: خُذْ ما عَفَاك، أي: ما أتاك سهلاً بلا إكراهٍ ولا مشقّةٍ.

وللمفسّرين في المراد بالعَفو هاهنا خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما يَفْضُل عن حاجة المرء وعياله، رواه مقسِمٌ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: ما تطيب به أنفسهم من قليلٍ وكثيرٍ، رواه عطيَّةُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه القَصْد من الإسراف والإقتار، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ، وسعيدُ بن جُبيرٍ. **والرابع**: أنه الصَّدقة المفروضة، قاله مُجاهدٌ. **والخامس**: أنه ما لا يتبيَّن عليهم مقدارُه، من قولهم: عَفَا الأثَرُ إذا خَفِيَ ودَرَس، حكاه شيخنا عن طائفةٍ من المفسّرين[٢].

فصل: وقد تكلّم علماء النّاسخ والمَنسُوخ في هذه الآية، فروى السُّدِّيُّ عن أشياخه أنها نُسخت بالزّكاة، وأبى نسخَها آخرون. وفصلُ الخِطَاب في ذلك: أنّا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصدّق بفاضِل المال، أو قلنا: أوجَبتْ عليهم هذه الآية صدقةً قبل الزّكاة، فالآية منسُوخةٌ بآية الزّكاة،

---

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ٣/ ٥٩: لما كان السؤال في الآية المتقدمة ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ عن قدر الإنفاق وهو في شأن عمرو بن الجموح فلما نزلت الآية ﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين﴾ [البقرة: ٢١٥] قال: كم أنفق؟ فنزل ﴿قل العفو﴾ والعفو ما سهل وتيسر وفضل، ولم يشق على القلب إخراجه، فالمعنى أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة، هذا أولى ما قيل في تأويل الآية. وهو معنى قول الحسن وقتادة وعطاء والسّدي والقرظي وغيرهم قالوا: العفو ما فضل عن العيال ونحوه عن ابن عباس.

ومتى قلنا: إنها محمولةٌ على الزَّكاة المفروضة كما قال مُجاهدٌ، أو على الصَّدقة المندوبِ إليها، فهي مُحْكَمَةٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾، قال الزجّاجُ: إنما قال كذلك، وهو يخاطب جماعةً، لأن الجماعة معناها: القَبِيلُ، كأنه قال: كذلك يا أيها القَبِيلُ. وجائزٌ أن تكون الكاف للنبيِّ ﷺ، كأنه قال: كذلك يا أيُّها النبيُّ ﷺ، لأن الخطاب له مشتملٌ على خِطاب أمّتِه. وقال ابن الأنباريّ: الكاف في «كذلك» إشارةٌ إلى ما بيّن من الإنفاق، فكأنه قال: مثل ذلك الذي بيَّنه لكم في الإنفاق يبين الآيات. ويجوز أن يكون «كذلك» غير إشارةٍ إلى ما قبله، فيكون معناه: هكذا، قاله ابن عباسٍ. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في الدنيا والآخرة فتعرفون فضلَ ما بينهما، فتعملون للباقي منهما.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، في سبب نزولها قولان:

[١٠١] **أحدهما**: أنه لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١)، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾(٢)، انطلق مَنْ كان عنده مالُ يتيم، فعزَلَ طعامَه من طعامِه، وشرابَه من شرابِه، وجعل يَفْضُل الشيءُ من طعامِه فيُحْبس له حتى يأكلَه أو يَفسُدَ. فاشتدَّ ذلك عليهم، فذكروه للنبيِّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ، وعَطاءٍ، وسعيد بن جُبيرٍ، وقَتادةَ، ومُقاتلٍ.

[١٠٢] **والثاني**: أن العرب كانوا يشدِّدون في أمر اليتيم حتى لا يأكلون معه في قَصْعَتِه، ولا يستخدمون له خادماً، فسألوا النبيَّ ﷺ عن مخالطَتِهم، فنزلت هذه الآية، ذكره السُّدِّيّ عن أشياخه، وهو قول الضحّاكِ.

وفي السائلين للنبيِّ ﷺ عن ذلك قولان: **أحدهما**: أن الذي سأله ثابتُ بن رِفاعَةَ الأنصاريّ، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: عبد الله بن رَواحَة، قاله أبو سُليمان الدِّمشقيُّ.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، قال ابن قُتيبة: معناه: تثمير أموالِهم، والتَّنزُّه عن أكلها لمن وَلِيَها خير. ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾، أي: فَهُم إخوانكم، حُكمهم في ذلك حكم إخوانكم. قال ابن عباسٍ: والمُخالَطة: أن يشرب من لبنك، وتشرب من لبنه، ويأكل في قَصْعَتِك، وتأكلَ في قصعته.

---

[١٠١] حسن. أخرجه أبو داود ٢٨٧١ والنسائي ٦/٢٥٦ والحاكم ٢/٢٧٨ والطبري ٤١٨٦ والواحدي ١٣٤ عن ابن عباس. وإسناده حسن بشواهده لأجل عطاء بن السائب، فقد اختلط. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
ـ وله شاهد من مرسل عبد الرحمن بن أبي ليلى: أخرجه الطبري ٤١٨٨. وله شاهد من مرسل قتادة: أخرجه الطبري ٤١٨٩. وله شاهد من مرسل الربيع بن أنس: أخرجه برقم ٤١٩١.

[١٠٢] حسن. أخرجه الطبري ٤١٩٨ عن السّدي مرسلاً وأخرجه الطبري ٤٢٠٠ عن الضحاك مرسلاً أيضاً. وأخرجه ٤١٩٣ عن الشعبي مرسلاً. وأخرجه ٤١٩٥ عن عطاء مرسلاً، فهذا خبر حسن بشواهده، وهو يشهد لما قبله.

---

(١) الإسراء: ٣٤. (٢) النساء: ٩.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾، يريد: المُتَعَمِّد أكل مال اليتيم، من المُتَحَرِّج الذي لا يألو إلا الإصلاح. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾، قال ابن عباسٍ: أي لأحرجَكم، ولضيَّقَ عليكم. وقال ابنُ الأنباريّ: أصل العَنَت: التَّشديد. تقول العرب: فلان يتعنَّتُ فلاناً ويُعنِتُه، أي: يُشَدِّد عليه، ويُلزمه المَشاقَّ، قال: ثم نقلت إلى معنى الهلاك، واشتِقاقُ الحَرْفِ[1] من قول العرب: أَكَمَةٌ عَنُوت: إذا كانت شديدةً شاقة المصعد، فجُعلت هذه اللفظة مستعملةً في كل شدَّةٍ.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾ في سبب نزولها قولان:

[١٠٣] **أحدهما**: أن رجلاً يُقال له: مَرْثَدِ بن أبي مَرْثَدٍ بعثه النبيُّ ﷺ، إلى مكةَ ليُخرج ناساً من المسلمين بها أسرى، فلما قدمها سمعت به امرأةٌ يُقال لها: عَنَاق، وكانت خليلةً له في الجاهلية، فلما أسلم أعرضَ عنها، فأتته فقالت: وَيْحَكَ يا مَرْثَد، ألا تخلو؟ فقال: إن الإسلامَ قد حَالَ بيني وبينَكِ، ولكن إن شئتِ تزوَّجتُكِ، إذا رَجعتُ إلى رسول الله ﷺ، استأذنتُهُ في ذلك، فقالت: أبي يَتَبَرَّم؟! واستغاثَت عليه، فضربوه ضرباً شديداً، ثم خَلُّوا سبيلَه، فلما قضى حاجته بمكة رَجع إلى النبيِّ ﷺ، فسأله: أَتَحِلُّ لي أن أتزوَّجَها؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ. وذكر مُقاتلُ بن سُليمانَ أنه أبو مَرْثَد الغَنَويّ.

[١٠٤] **والثاني**: أن عبد الله بن رَوَاحَة كانت له أمَةٌ سوداءُ، وأنه غضب عليها فلطَمَها، ثم فَزِع، فأتى النبيَّ ﷺ، فأخبره خبرَها؛ فقال له النبي ﷺ: «وما هي يا عبد الله»؟ فقال: يا رسولَ الله، هي تصومُ وتُصلّي وتُحسن الوُضوء، وتشهدُ أنَّ لا إله إلاّ اللّهُ، وأنكَ رسولُ الله، فقال: «يا عبد الله، هذه مؤمنةٌ». فقال: والذي بعثَكَ بالحق لأُعتِقَنّها ولأَتَزَوَّجَنَّها ففعَلَ، فعابَهُ ناسٌ من المسلمين، وقالوا: أنكح أمَةً، وكانوا يرغبون في نكاح المُشركات رغبةً في أحسابِهِنّ، فنزلت هذه الآية. رواه السُّدّيّ عن أشياخه. وقد ذكر بعض المفسّرين أن قصة عناق وأبي مَرْثَدٍ كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ

---

[١٠٣] ضعيف جداً. ذكره الواحدي في «الأسباب» ١٣٧ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس تعليقاً، والكلبي كذاب، وأبو صالح روى عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً. وورد عن مقاتل بن حيان مرسلاً مختصراً، أخرجه الواحدي ١٣٥ ومقاتل ذو مناكير، فهو ضعيف جداً. وهذه القصة محفوظة لكن نزل في ذلك أوائل سورة النور. وسيأتي هناك باستيفاء إن شاء الله.

[١٠٤] أخرجه الطبري ٤٢٢٨ عن السدي مرسلاً. ووصله الواحدي في «الأسباب» ١٣٦ عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به. وإسناده لين، السدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن، فيه لين، وعنه أسباط بن نصر، وهو صدوق كثير الخطأ.

---

(١) أي الكلمة وهي «عنت».

﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، وقصة ابن رواحة كانت سبباً لنزول قوله تعالىٰ: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾.

فأمّا التفسير، فقال المُفَضَّل: أصل النِّكاح: الجِمَاع، ثم كثر ذلك حتى قيل للعَقد: نِكَاح. وقد حرَّم الله عزَّ وجلَّ نكاح المشركات عَقداً ووَطْءاً. وفي «المشركات» هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه يُعم الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين[1]. **والثاني**: أنه خاصٌّ في الوثنيات، وهو قول سعيدِ بن جُبيرٍ، والنَّخعِيّ، وقَتادةَ. وفي المراد بالأَمَة قولان: **أحدهما**: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولَنِكَاح أَمَةٍ مؤمنةٍ خيرٌ من نكاح حُرَّةٍ مُشركةٍ. **والثاني**: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكةً، كما يُقال: هذه أَمَةُ الله، هذا قول الضحَّاكِ، والأول أصحُّ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: بجمالها وحسنها. **والثاني**: بحسبها ونسبها.

فصل: اختلف علماء النَّاسخ والمَنْسُوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي مُحكَمةٌ، وزعم بعض من نَصَرَ هذا القول أن اليهود والنصارى ليسوا بمشركين بالله، وإن جحدوا بنبوّة نبيِّنا. قال شيخنا: وهو قولٌ فاسدٌ من وجهين: **أحدهما**: أن حقيقة الشرك ثابتةٌ في حقّهم حيث قالوا: عُزَيرٌ ابن الله، والمَسِيح ابن الله. **والثاني**: أن كفرهم بمحمَّدٍ ﷺ، يُوجب أن يقولوا: إن ما جاء به ليس من عند الله، وإضافةُ ذلك إلى غير الله شركٌ.

فأما القائلون بأنها عامةٌ في جميع المشركات، فلهم في ذلك قولان: **أحدهما**: أن بعض حُكْمِها

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/ ٦٥: قال إسحاق بن إبراهيم الحربي: ذهب قوم فجعلوا الآية التي في «البقرة» هي الناسخة، والتي في المائدة هي المنسوخة، فحرمّوا نكاح كل مشركة كتابية أو غير كتابية.
قال النحاس: ومن الحجة لقائل هذا مما صح سنده ما حدَّثناه محمد بن ريان قال حدثنا محمد بن رُمح قال حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية قال: حرم الله المشركات على المؤمنين ولا أعرف شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسىٰ، أو عبدٌ من عباد الله! . قال النحاس: وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة، لأنه قال بتحليل نكاح نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعةٌ، منهم عثمان وطلحة وابن عباس وجابر وحذيفة. ومن التابعين سعيد بن المسيب وسعيد بن جُبير والحسن ومجاهد وطاوس وعكرمة والشعبي والضحاك، وفقهاء الأمصار عليه. وأيضاً يمتنع أن تكون هذه الآية من سورة «البقرة» ناسخة للآية التي في سورة المائدة لأن «البقرة» أول ما نزل بالمدينة والمائدة من آخر ما نزل. وإنما الآخر ينسخ الأول. وأما حديث ابن عمر فلا حجة فيه، لأن ابن عمر رحمه الله كان رجلاً متوقفاً، فلما سمع الآيتين، في واحدةِ التحليل، وفي الأُخرى التحريم ولم يبلغه النسخ توقف، ولم يؤخذ عنه ذكر النسخ وإنما تؤول عليه، وليس يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتأويل. وذكر ابن عطية: وقال ابن عباس في بعض ما روي عنه: إن الآية عامة في الوثنيات والمجوسيات والكتابيات، وكل من على غير الإسلام حرام. فعلى هذا تكون هي ناسخة للآية التي في «المائدة». وينظر إلى هذا قول ابن عمر. ورُوي عن عمر: أنه فرّق بين طلحة بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان وبين كتابيتين وقالا نطلّق يا أمير المؤمنين ولا تغضب، فقال لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما! ولكن أُفرِّقُ بينكما صَغرة قَمْاه ـ قَمأ: ذلّ وصَغر ـ. قال ابن عطية: وهذا لا يستند جيداً، وأسند منه أن عمر أراد التفريق بينهما فقال له حذيفة: أتزعم أنها حرام فأخلي سبيلها يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أزعم أنها حرام. ولكني أخاف أن تعاطوا الموسمات منهن. وروي عن ابن عباس نحو هذا. وذكر ابن المنذر جواز نكاح الكتابيات عن عمر بن الخطاب، ومَنْ ذُكر من الصحابة والتابعين في قول النحاس. وقال في آخر كلامه: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك.

مَنسُوخٌ بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وبقي الحُكم في غير أهل الكتاب مُحْكَماً.
والثاني: أنها ليست بمنسوخةٍ، ولا ناسخةً، بل هي عامةٌ في جميع المشركات، وما أُخرج عن عمومها من إباحة كافرةٍ؛ فدليلٌ خاصٌ، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، فهذه خَصَّصت عمومَ تلك من غير نَسخٍ، وعلى هذا عامَّة الفقهاء. وقد رُوي معناه عن جماعةٍ من الصحابة، منهم: عثمانُ، وطَلحةُ، وحُذيفةُ، وجَابرٌ، وابن عباسٍ(١).

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، أي: لا تُزوِّجوهم بمسلمةٍ حتى يؤمنوا؛ والكلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، مثلُ الكلام في أول الآية.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾، قرأ الجمهور بخفض «المغفرة» وقرأ الحسنُ، والقزّازُ، عن أبي عمرٍو، برفعها.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾. روى ثابتٌ عن أنسٍ، قال:

[١٠٥] كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهنَّ لم يُؤاكِلُوها، ولم يُشاربوها، ولم يُجامِعوها في البيوت، فسُئل النبيُّ ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرهم النبيُّ ﷺ أن يُؤاكِلُوهنّ ويُشارِبُوهن ويكونوا معهنّ في البيوت، وأن يفعلوا كل شيءٍ ما عدا النِّكاح.

[١٠٦] وقال ابن عباسٍ: جاء رجلٌ يُقال له: ابن الدَّحداحَة من الأنصار، إلى النبيِّ ﷺ، فقال: كيف نصنع بالنساء إذا حِضْنَ؟ فنزلت هذه الآية.

---

[١٠٥] صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢ وأبو داود ٢٥٨ و٢١٦٥ والترمذي ٢٩٧٧ والنسائي ١/ ١٥٢ و١٨٧ وابن ماجه ٦٤٤ والطيالسي ٢٠٥٢ والدارمي ١/ ٢٤٥ وأبو عوانة ١/ ٣١١ وابن حبان ١٣٦٢ من حديث أنس.
ـ وانظر «تفسير القرطبي» ١١٦٨ بتخريجنا.

[١٠٦] أخرجه الماوردي في كتابه «الصحابة» كما في «أسباب النزول» ١٤١ للسيوطي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس. وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق، فإنه لا يعرف، ولم =

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/ ٦٥ ـ ٦٧. وقال بعض العلماء: وأما الآيتان فلا تعارض بينهما؛ فإن ظاهر لفظ المشرك لا يتناول أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم**﴾ ففرق بينهم في اللفظ وظاهر العطف يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه. وأما نكاح أهل الكتاب إذا كانوا حرباً فلا يحلّ وسُئل ابن عباس عن ذلك فقال: لا يحلّ، وتلا قول الله تعالىٰ: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ إلى قوله ﴿**صاغرون**﴾ [التوبة: ٢٩]. وكره مالك تزوج الحربيات، لعلة ترك الولد في دار الحرب ولتصرفها في الخمر والخنزير. واختلف العلماء في نكاح إماء أهل الكتاب فقال مالك: لا يجوز نكاح الأمة الكتابية. وقال أبو حنيفة وأصحابه يجوز نكاح إماء أهل الكتاب. واختلفوا في نكاح نساء المجوس، فمنع مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي وإسحاق من ذلك، وقال ابن حنبل: لا يعجبني، ورُوي أن حذيفة بن اليمان تزوج مجوسية، وأن عمر قال له: طلّقها. وقال ابن القصار: قال بعض أصحابنا: يجب على أحد القولين: أن من لهم كتاباً أن تجوز مناكحتهم. وانظر التعليق السابق.

وفي المَحِيض قولان: **أحدهما**: أنه اسمٌ للحَيْض، قال الزجّاجُ: يُقال: قد حاضت المرأةُ تَحِيضُ حَيْضاً ومَحَاضاً ومَحِيضاً. وقال ابن قُتيبةَ: المَحِيضُ: الحَيْضُ. **والثاني**: أنه اسمٌ لموضع الحَيْض، كالمَقِيل، فإنه موضع القَيْلُولَة، والمَبِيت موضعُ البَيْتُوتَة. وذكر القاضي أبو يَعْلَى أن هذا ظاهر كلام أحمدَ. فأما أرباب القول الأوّل؛ فأكّدوه بأن في اللفظ ما يدل على قولهم، وهو أنه وَصَفَه بالأذى، وذلك صفةٌ لتفسير الحَيْض، لا لمكانه. وأما أرباب القول الثاني، فقالوا: لا يمتنع أن يكون المَحِيض صفةً لمَوضع، ثم وصفَهُ بما قاربه وجاوره، كالعَقِيقَة، فإنها اسمٌ لشَعر الصبيّ، وسُميت بها الشاةُ التي تُذبح عند حَلْق رأسه مَجازاً. والرَّاوية: اسم للجَمَل، وسُميت المَزَادَةُ رَاوِيَةً مَجازاً. والأذى يحصل للواطِئ بالنَّجاسة، ونَتَنِ الرِّيح. وقيل: يُورث جماعُ الحائض عِلّةً بالغةً في الألَم. ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، المراد به اعتزال الوطء في الفَرْج، لأن المَحِيض نفسُ الدَّم أو نَفسُ الفَرْج، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾، أي: لا تقربوا جِماعَهُنَّ، وهو تأكيدٌ لقوله: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾. قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابن عامرٍ، وحَفْصٌ، عن عاصم (حتى يطهرن) خفيفةً. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ، وأبو بكرٍ، عن عاصم (يطَّهّرن) بتشديد الطّاء والهاء وفتحهما. قال ابن قُتيبة: يَطهُرن: ينقطع عنهن الدم، يقال: طَهُرت المرأةُ وطهَرت: إذا رأت الطُّهرَ، وإن لم تغتسل بالماء. ومن قرأ: «يطَّهَّرن» بالتشديد أراد: يغتسلنَ بالماء. والأصل يتطهَّرن، فأُدغمت التاء في الطاء. قال ابن عباسٍ ومُجاهدٌ: حتى يطهُرن من الدم، فإذا تطهَّرن اغتسلنَ بالماء.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ إباحةٌ من حَظرٍ، لا على الوجوب. قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: مِنْ قِبَلِ الطُّهر، لا مِنْ قِبَلِ الحَيْض، قاله ابن عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيّ في آخرين. **والثاني**: أن معناه: فأتوهنَّ من حيث أمركم الله أن لا تقربوهنَّ فيه، وهو محلُّ الحَيْضِ، قاله مُجاهدٌ. وقال من نَصَرَ هذا القولَ: إنما قال: ﴿أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾، والمعنى: نَهاكُم، لأن النهي أمرٌ بترك المنهيِّ عنه، و«من» بمعنى «في»، كقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾[1]. **والثالث**: فأتوهُنَّ من قِبَل التزويج والحلال، لا من قِبَل الفُجور، قاله ابن الحَنَفيَّة. **والرابع**: أن معناه: فأتوهنَّ من الجهات التي يَحِلُّ أن تُقرب فيها المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كنَّ صائماتٍ أو مُعتكفاتٍ أو مُحْرِماتٍ. وهذا قول الزجّاج وابن كَيْسان. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾، قولان: **أحدهما**: التوّابين من الذنوب، قاله عَطاءٌ، ومُجاهدٌ في آخرين. **والثاني**: التوّابين من إتيان الحَيْض، ذكره بعض المفسّرين. وفي قوله: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: المُتَطَهِّرين من الذنوب، قاله مُجاهدٌ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وأبو العَالِية. **والثاني**: المتطهّرين بالماء، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: المتطهّرين من إتيان أدبار النساء، رُوي عن مُجاهدٍ.

= يرو عنه سوى ابن إسحاق. وأخرج الطبري ٤٢٣٧ عن السدي أن السائل هو ثابت. وورد من مرسل مقاتل بن حيان، أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ١/ ٢٢٢. وذكره الواحدي ١٤٠ بقوله: قال المفسرون. **فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها.**

---

(١) الجمعة: ٩.

فصل: أقلُّ الحَيْضِ يومٌ وليلةٌ في **إحدى** الروايتين عن أحمدَ. **والثانية**: يومٌ(١). وقال أبو حَنيفةَ: أقلُّه ثلاثة أيام. وقال مالكٌ وداودُ: ليس لأقلّه حدٌّ. وفي أكثره روايتان عن أحمدَ: **إحداهما**: خمسةَ عشر يوماً، وهو قول مالكٍ والشَّافعيّ. **والثانية**: سبعةَ عشرَ يوماً، وقال أبو حَنيفةَ: أكثرُه عشرةُ أيامٍ.

والحَيضُ مانعٌ من عشرة أشياء: فعل الصّلاة، ووجُوبها، وفعل الصّيام دون وجُوبه، والجلوس في المسجد، والاعتكاف، والطَّواف، وقراءة القرآن، وحمل المصحف، والاستمتاع في الفَرج، وحصول نيّة الطَّلاق.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٠٧] **أحدها**: أن اليهود أنكرت جوازَ إتيان المرأة إلا مِنْ بين يديها، وعابَت من يأتيها على غير تلك الصفة، فنزلت هذه الآية. رُوي عن جابرٍ، والحسَنِ، وقَتادةَ.

[١٠٨] **والثاني**: أن حَيّاً من قريش كانوا يتزوّجون النساء بمكّةَ، ويتلذَّذون بهن مُقبلات ومُدبرات، فلما قَدِمُوا المدينة، تزوّجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا ذلك، فأنكرنه، وانتهى الحديث إلى النبيِّ ﷺ، فنزلت هذه الآية. رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ.

[١٠٩] **والثالث**: أن عُمرَ بن الخطَّابِ جاء إلى النبيِّ ﷺ، فقال: هلكتُ، حوّلتُ رَحلي الليلةَ،

---

[١٠٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٢٨ ومسلم ١٤٣٥ والترمذي ٢٩٧٨ والنسائي في عشرة النساء ٩٣ وابن ماجه ١٩٢٥ والواحدي ١٤١ والحميدي ١٢٦٣ وأبو يعلى ٢٠٢٤ والطحاوي في «المعاني» ٣/ ٤٠ من حديث جابر بألفاظ متقاربة. وانظر «تفسير القرطبي» ١١٨١ بتخريجنا.

[١٠٨] حسن. أخرجه أبو داود ٢١٦٤ والحاكم ٢/ ٢٧٩ من حديث ابن عباس وقال الذهبي: على شرط مسلم.

[١٠٩] جيد. أخرجه أحمد ١/ ٢٩٧ والترمذي ٢٩٨٠ والنسائي في «التفسير» ٦٠ وأبو يعلى ٢٧٣٦ وابن حبان ٤٢٠٢ =

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/ ٨٠ ـ ٨٣: واختلف العلماء في مقدار الحيض فقال فقهاء المدينة: إن الحيض لا يكون أكثر من خمسة عشر يوماً، وجائز أن يكون خمسة عشر يوماً فما دون، وما زاد على خمسة عشر يوماً لا يكون حيضاً وإنما هو إستحاضة، وهذا مذهب مالك وأصحابه. وقد روي عن مالك أنه لا وقت لقليل الحيض ولا لكثيره إلاَّ ما يوجد في النساء، فكأنه ترك قوله الأول ورجع إلى عادة النساء. قال محمد بن مسلمة: أقل الطهر خمسة عشر يوماً، وهو اختيار أكثر البغداديين من المالكيين، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما والثوري، وهو الصحيح في الباب. وقال الشافعي: أقلّ الحيض يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر يوماً وقد رُوي عنه مثل قول مالك: إن ذلك مردود إلى عرف النساء. وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة. قال ابن عبد البر: ما نقص عند هؤلاء عن ثلاثة أيام فهو استحاضة، لا يمنع من الصّلاة إلاَّ عند أول ظهوره لأنه لا يعلم مبلغ مدته. ثم على المرأة قضاء صلاة تلك الأوقات. وكذلك ما زاد على عشرة أيام عند الكوفيين. وعند الحجازيين ما زاد على خمسة عشر يوماً فهو استحاضة، وما كان أقل من يوم وليلة عند الشافعي فهو استحاضة. وممن قال: أقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يوماً عطاء بن أبي رباح وأبو ثور وأحمد بن حنبل.

فنزلت هذه الآية. رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ.

والحَرثُ: المُزْدَرَع، وكنّى به هاهنا عن الجِمَاع، فسمَّاهنَّ حَرْثاً، لأنهن مَزْدَرَع الأولاد، كالأرض للزرع، فإن قيل: النساء جمعٌ، فلِمَ لم يقل: حروث؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ، ذكرها ابن القَاسم الأنباريّ النَّحويّ: **أحدها**: أن يكون الحَرْثُ مصدراً في موضع الجَمْع، فلَزِمه التوحيد، كما تقول العرب: إخوتُك صَومٌ، وأولادُك فُطرٌ، يريدون: صائمين ومفطرين، فيؤدي المصدر بتوحيده عن اللفظ المجموع. **والثاني**: أن يكون أراد: حُروثٌ لكم، فاكتفى بالواحد من الجمع، كما قال الشاعر:

كُلُوا في نصفِ بَطْنِكُم تَعيشُوا

أي: في أنصاف بطونكم. **والثالث**: أنه إنما وحَّد الحَرْث، لأن النساء شُبِّهن به، ولَسْنَ من جنسه، والمعنى: نساؤكم مثل حُروثٍ لكم.

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى: كيف شئتم، ثم فيه قولان: **أحدهما**: أن المعنى: كيف شئتم، مُقبلةً أو مُدبرةً، وعلى كل حالٍ، إذا كان الإتيان في الفَرْج. وهذا قول ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وعَطيّةَ، والسُّدّيّ، وابن قُتيبةَ في آخرين. **والثاني**: أنها نزلت في العَزْلِ، قاله سعيدُ بن المُسَيّب، فيكون المعنى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا. **والقول الثاني**: أنه بمعنى: إذا شئتم، ومتى شئتم، وهو قول ابن الحَنَفِيّة والضحَّاكِ، ورُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنه بمعنى: حيث شئتم، وهذا محكيٌّ عن ابن عمرَ ومالكِ بن أنسٍ، وهو فاسِدٌ من وجوه: **أحدها**: أن سالمَ بن عبد الله لما بلغَه أن نافعاً تحدَّث بذلك عن ابن عمرَ، قال: كذبَ العبد، إنما قال عبد الله: يؤتَون في فروجهنَّ من أدبارهنَّ. وأمّا أصحاب مالكٍ، فإنهم يُنكرون صحته عن مالك(١).

= والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٩٨ والطبراني ١٢٣١٧ والطبري ٢/ ٢٣٥ وإسناده جيد رجاله ثقات كلهم. وقال الترمذي: حسن غريب وصححه الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٩١.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢: روى أبو داود عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن ابن عمر ـ والله يغفر له ـ أوهم وإنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من أمر أهل الكتاب لا يأتون النساء إلاّ على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة... فذكر القصة بتمام سياقها، وقول ابن عباس إن ابن عمر ـ والله يغفر له ـ أوهم كأنه يشير إلى ما رواه البخاري عن نافع قال كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عنه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال. أتدري فيم أنزلت؟ قلت لا قال: أنزلت في كذا وكذا ثم مضى. وعن عبد الصمد قال حدثني أبي حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر **﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** قال أن يأتيها في؟ هكذا رواه البخاري. وقد تفرّد به من هذا الوجه. وقال ابن جرير عن ابن عون عن نافع: قال قرأت ذات يوم **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** فقال ابن عمر أتدري فيم نزلت؟ قلت لا قال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن. وروي من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر ولا يصح. وروى النسائي أن رجلاً أتى امرأته في دبرها فوجد في نفسه من ذلك وجداً شديداً فأنزل الله [الآية]، وهذا الحديث محمول على أنه يأتيها في قبلها من دبرها. لما رواه النسائي عن أبي النضر قال لنافع مولى ابن عمر إنه قد أكثر عليك القول أنك تقول عن ابن عمر أنه أفتى أن تؤتى النساء في أدبارهن قال: كذبوا عليّ ولكن سأحدثك كيف كان الأمر. إن ابن عمر عرض المصحف يوماً وأنا عنده حتى بلغ **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** فقال يا نافع =

[١١٠] **والثاني**: أن أبا هُريرةَ روى عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «مَلعونٌ مَنْ أتى النِّساءَ في أدبارهنَّ»، فدلَّ على أن الآية لا يُراد بها هذا. **والثالث**: أن الآية نبَّهت على أنه مَحَلُّ الولد بقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾، وموضع الزَّرْع: هو مكان الولد. قال ابن الأنباريّ: لما نصَّ الله على ذكر الحَرْث، والحَرْث به يكون النَّبَاتُ، والولد مشبَّهٌ بالنَّبات، لم يَجُز أن يقع الوَطْءُ في محلٍّ لا يكون منه ولد. **والرابع**: أن تحريم إتيان الحَائِض كان لعِلَّة الأذى، والأذى مُلازمٌ لهذا المَحَلِّ لا يُفارقه.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: وقدِّموا لأنفسكم من العمل الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: وقدِّموا التسميةَ عند الجِماع، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: وقدِّموا لأنفسكم في طَلَب الولد، قاله مُقاتلٌ. **والرابع**: وقدِّموا طاعة الله واتّباع أمره، قاله الزجّاجُ.

---

[١١٠] حسن. أخرجه أبو داود ٢١٦٢ وأحمد ٢/ ٤٤٤ والنسائي في «الكبرى» ٩٠١٤ وفيه الحارث بن مخلد وهو مجهول كما في «التقريب» لكن للحديث شواهد يحسن بها.
ـ وفي الباب «إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن». أخرجه الشافعي ٢/ ٢٩ والنسائي في «الكبرى» ٨٩٨٢ و٨٩٨٤ و٨٩٨٥ و٨٩٨٩ والدارمي ١/ ٢٦١ و٢/ ١٤٥ وأحمد ٥/ ٢١٣ ـ ٢١٥ وصححه ابن حبان ٤١٩٨ و٤٢٠٠ والطحاوي ٣/ ٤٣ وابن ماجه ١٩٢٤ وابن الجارود ٧٢٨ والطبراني ٣٧٤١ و٣٧٤٢ و٣٧٤٣ والبيهقي ٧/ ١٩٧ والخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٣٧٦ والبغوي في «التفسير» ١/ ١٩٩ من طرق كلهم من حديث خزيمة بن ثابت، وهو حديث قوي الإسناد لمجيئه من عدة طرق وله شواهد. وفي الباب عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في دبرها». إسناده حسن، رجاله رجال الصحيح، لكن في أبي خالد الأحمر ـ وهو سليمان بن حيَّان ـ كلام ينزله عن رتبة الصحيح. وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في التحفة ٥/ ٢١٠ والترمذي ١١٦٥ وقال الترمذي حسن غريب. وأخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ وأبو يعلى ٢٣٧٨ وابن حبان ٤٢٠٤ و٤٤١٨. وفي الباب أحاديث كثيرة تبلغ حد الشهرة.

= هل تعلم من أمر هذه الآية؟ قلت: لا قال: إنا كنا معشر قريش نجبي النساء فلما دخلنا المدينة ونكحنا نساء الأنصار أردنا منهن مثل ما كنا نريد فآذاهن فكرهن ذلك وأعظمنه وكانت نساء الأنصار قد أخذن بحال اليهود. إنما يؤتين على جنوبهن فأنزل الله ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾. وهذا إسناد صحيح وقد رواه ابن مردويه عن الطبراني عن كعب بن علقمة فذكره. وقد روينا عن ابن عمر خلاف ذلك صريحاً وأنه لا يباح ولا يحل وإن كان قد نسب هذا القول إلى طائفة من فقهاء المدينة وغيرهم وعزاه بعضهم إلى الإمام مالك في كتاب السر وأكثر الناس ينكر أن يصح ذلك عن الإمام مالك رحمه الله وقد وردت الأحاديث المروية من طرق متعددة بالزجر عن فعله وتعاطيه فعل جابر قال قال رسول الله ﷺ: «استحيوا إن الله لا يستحي من الحق لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن» وفي رواية أحمد (أعجازهن) والنسائي وابن ماجه من طرق عن خزيمة بن ثابت. فائدة: قال الطحاوي في «مجمع الآثار» ٣/ ٤٦ فلما تواترت هذه الآثار عن النبي ﷺ بالنهي عن وطأ المرأة في الدبر ثم جاء عن أصحابه وتابعيهم ما يوافق ذلك وجب القول به، وترك ما يخالفه اهـ. وفائدة أخرى: الآن ظهر الأمر جلياً وذلك بمرض الإيدز ـ أي فقد المناعة ـ فقد أجمع الأطباء على أن الإتيان في الدبر سواء للرجل أو المرأة هو أكثر العوامل التي تسبب مرض الإيدز وهذا مما يؤيد ما نصّ عليه شرعنا الحنيف، فهو حرام قطعاً ويقيناً لا مجال للخوض فيه ولا للمناقشة وقد تقدم عن النبي ﷺ أحاديث بألفاظ مختلفة والمعنى واحد وهي تبلغ حد الشهرة، ومشى إلى ذلك الصحابة والتابعون والفقهاء وأهل العلم سوى من شذ والله أعلم. وانظر مزيد الكلام عليه في «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٢ عند هذه الآية بتعليقي. وانظر «تفسير الشوكاني» ١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ بتعليقي، والله الموفق للصواب.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾، في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[١١١] **أحدها**: أنها نزلت في عبد الله بن رَوَاحَة، كان بينه وبين خَتَنِه[١] شيءٌ، فحَلَف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يُكلِّمه، وجعل يقول: قد حلفتُ بالله، ولا يَحِلُّ لي، إلا أن تبرَّ يميني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: إن الرَّجل كان يحلِفُ بالله أن لا يصل رَحِمَه، ولا يُصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ. **والثالث**: أنها نزلت في أبي بكرٍ حين حَلَفَ: لا يُنفق على مِسْطَحٍ، قاله ابن جُريج[٢]. **والرابع**: نزلت في أبي بكرٍ، حَلَفَ أن لا يصِلَ ابنه عبدَ الرَّحمٰن حتى يُسْلِمَ، قاله المُقاتِلان: ابن حَيَّانَ، وابن سُلَيْمانَ[٣].

قال الفَرَّاءُ: والمعنى: ولا تجعلوا الله مُعترضاً لأيمانكم. وقال أبو عُبيدٍ: نصباً لأيمانكم، كأنه يعني: أنكم تَعْتَرِضونه في كل شيءٍ فتَحْلِفُونَ به.

وفي معنى الآية ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تَبرُّوا ولا تتَّقوا ولا تُصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وعَطاءٍ، وابن جُبيرٍ، والضحَّاكِ، وقَتادةَ، والسُّدِّيّ، ومُقاتلٍ، والفَرَّاءِ، وابن قُتيبةَ، والزجَّاجِ في آخرين. **والثاني**: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتَّقوا المخلوقين وتَبرُّوهم، وتُصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عَطيَّةُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن معناها: لا تُكثروا الحلفَ بالله وإن كنتم بارِّينَ مُصلحين، فإن كثرة الحَلْف بالله ضربٌ من الجُرأة عليه، هذا قول ابن زيدٍ.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾، قال الزجَّاجُ: اللَّغو في كلام العرب: ما اطُّرِحَ ولم يُعقد عليه أمرٌ، ويُسمّى ما لا يُعتَدُّ به، لَغواً. وقال ابن فارسٍ: اشتقاق ذلك من قولهم لِمَا لا يُعَدُّ من أولاد الإبل في الدِّيَة أو غيرها لَغو، يقال منه: لَغَا يَلْغُو، وتقول: لَغِيَ بالأمر يَلْغَى: إذا لَهِجَ به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه: أي يلهج صاحبها بها. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أن يحلف على الشيء ويظنَّ أنه كما حَلَفَ، ثم يتبينَ له أنه بخلافه، وإلى هذا المعنى ذهب أبو هُريرةَ، وابن عباسٍ، والحسَنُ، وعَطاءٌ، والشَّعبيُّ، وابن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه، ومالكٌ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه: لا واللَّهِ، وبلى واللَّهِ، من غير قصدٍ لعقد اليمين، وهو قول عائشةَ، وطَاوسٍ، وعُروةَ، والنَّخعيُّ، والشَّافعيّ. واستدلّ أرباب هذا القول بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، وكَسْبُ القلب: عَقْدُه وقَصْدُه، وهذان القولان منقولان عن الإمام أحمدَ، روى عنه ابنه

---

[١١١] لا أصل له. ذكره الواحدي ١٤٨ عن الكلبي، وهو معضل والكلبي متهم.

---

(١) ورد في الأثر المتقدم أنه النعمان بن بشير، لكن الأثر باطل كما تقدم.
(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٤٣٧١ وهذا معضل، وما يرسله ابن جريج واه بمرة.
(٣) هذا واهٍ ليس بشيء، مقاتل بن سليمان كذاب، وابن حيان ذو مناكير.

عبد الله أنه قال: اللّغو عندي أن يَحلفَ على اليمين، يرى أنه كذلك، ولا كفارةَ. والرجل يَحْلِفُ ولا يَعْقِدُ قلبه على شيءٍ، فلا كفارةَ. **والثالث**: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طَاوسٌ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه حلف الرجل على معصيةٍ، فليَحنَث، وليُكفِّر، ولا إثمَ عليه، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والخامس**: أن يحلف الرجل على شيءٍ، ثم ينسَاه، قاله النُّخعيُّ. وقول عائشةَ أصح الجميع. قال حنبلُ: سُئِل أحمدُ عن اللّغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا واللّهِ، وبلى واللّهِ، لا يُريد عقدَ اليمين، فإذا عقدَ على اليمين لزمَتْهُ الكفّارةُ. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾، قال مُجاهدٌ: أي: ما عَقَدَت عليه قلوبكم. «والحليم»: ذو الصَّفح الذي لا يستفِزُّه غضبٌ، فيُعجِل، ولا يستخفُّه جهل جاهلٍ مع قدرته على العقوبة. قال أبو سُليمانَ الخَطّابيّ: ولا يستحق اسمَ الحليم مَنْ سامحَ مع العجز عن المُجازاة، إنما الحليم الصَّفوح مع القدرة، المُتأنّي الذي لا يُعجِلُ بالعقوبة. وقد أنعمَ بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى، فقال:

لا يُـدركُ الـمـجـدَ أقـوامٌ وإن كَـرُمُـوا ... حـتَّـى يُـذلّـوا وإن عَـزّوا لأقـوامِ
ويُـشْـتَـمُـوا فـتُـرى الألـوانُ مُـسْـفِـرَةً ... لا صَـفْـحَ ذُلٍّ ولـكـن صَـفْـحَ أحـلامِ

قال: ويقال: حَلُم الرجل يَحْلُمُ حُلماً بضم اللام في الماضي والمستقبل. وحَلَم في النّوم، بفتح اللام، يحلُم حُلماً، اللام في المستقبل والحاء في المصدر مضمومتان.

فصل: الأيمان على ضَربين، ماضٍ ومستقبل، فالماضي على ضربين: يمينٌ محرَّمةٌ، وهي: اليمين الكاذبة، وهي أن يقول: واللّهِ ما فعلتُ، وقد فعَل. أو: قد فعلتُ، وما فَعَلَ. ويمينٌ مُباحةٌ، وهي أن يكون صادقاً في قوله: ما فعلتُ، أو: لقد فعلتُ. والمُستقبَلة على خمسة أقسام: **أحدها**: يمينٌ عقدُها طاعةٌ والمقام عليها طاعةٌ، وحَلُّها معصيةٌ، مثل أن يحلِفَ: لأصلينَّ الخمْسَ، ولأصومنَّ رمضانَ، أو: لاَ شَربتُ الخمرَ. **والثاني**: عقدُها معصيةٌ، والمقام عليها معصيةٌ، وحَلُّها طاعةٌ، وهي عكس الأولى. **والثالث**: يمين عقدُها طاعةٌ، والمقام عليها طاعةٌ، وحلُّها مكرَهةٌ، مثل أن يحلف: ليَفعلنَّ النوافل من العبادات. **والرابع**: يمينٌ عقدُها مكروهٌ، والمقام عليها مكروهٌ، وحلُّها طاعةٌ، وهي عكس التي قبلها. **والخامس**: يمينٌ عقدُها مباحٌ، والمقام عليها مباحٌ، وحلُّها مباحٌ مثل أن يحلف: لا دخلتُ بلداً فيه من يظلم الناس، ولا سلكتُ طريقاً مَخُوفاً، ونحو ذلك[1].

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾.

[١١٢] قال ابن عباسٍ: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً، فأبَت أن تعطيه؛

---

[١١٢] حسن. أخرجه سعيد بن منصور ١٨٨٤ والطبراني في «الكبير» ١١/ ١٥٨ والبيهقي في ٧/ ٣٨١ والواحدي في «أسباب النزول» ١٤٩ عن ابن عباس وإسناده حسن، ورجاله ثقات.

---

(١) قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ مثل قوله تعالى: ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ [المائدة: ٨٩] وهناك يأتي الكلام فيه مستوفى، إن شاء الله تعالى.

حلف أن لا يقربها السنةَ، والثلاثَ، فيَدَعها لا أيِّماً ولا ذاتَ بَعلٍ، فلما كان الإسلام؛ جعل الله تعالىٰ ذلك للمسلمين أربعةَ أشهرٍ، وأنزل هذه الآية. وقال سعيدُ بنُ المُسَيّب: كان الإيلاءَ ضِرارَ أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوّجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالىٰ الأجَل الذي يُعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعةَ أشهرٍ، وأنزل هذه الآية. قال ابن قُتيبة: يُؤلُون، أي: يَحْلِفُون، يقال: آلَيْتُ من امرأتي، أُولي إيلاء: إذا حلف لا يُجامِعُها. والاسم: الأَلِيَّة. وقال الزجّاجُ: يُقال من الإيلاء: آلَيْتُ أُولي إيلاءً وأَلِيَّة وأَلْوَةً وأُلْوَةً وإِلْوَةً، وهي بالكسر أقلّ اللغات، قال كُثَيّر:

قَـلِـيـلُ الأَلايَـا حَـافِـظٌ لِـيَـمِـيـنِـهِ   وإنْ بَـدرتْ مِـنْـهُ الأَلِـيَّـةُ بَـرَّتِ

وحكى ابن الأَنباريّ عن بعض اللغويّين أنه قال: «من» بمعنى: «في» أو: «على»، والتقدير: على وَطْءِ نسائهم، فحذف الوطءَ، وأقام النساء مقامه، كقوله تعالىٰ: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[1]، أي: على ألسنة رُسُلك. وقيل: في الكلام حَذفٌ، تقديره: يُؤلُون، يعتزلون من نسائهم. والتَّربُّصُ: الانتظار. ولا يكون مُؤلياً إلا إذا حلف بالله لا يُصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهرٍ فما دون، لم يكن مُؤلياً. وهذا قول مالكٍ، وأحمدَ، والشّافعيّ[2]. وفَاؤوا: رَجَعُوا، ومعناه رجعوا إلى

---

(١) آل عمران: ١٩٤.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ٣/ ١٠٠: واختلف العلماء فيما يقع فيه الإيلاء من اليمين، فقال قوم: لا يقع الإيلاء إلاَّ باليمين بالله تعالى وحده. لقوله ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» وبه قال الشافعي في الجديد. وقال ابن عباس: كل يمين منعت جماعاً فهي إيلاء وبه قال النخعي ومالك والشعبي وأهل الحجاز وسفيان الثوري وأهل العراق والشافعي في القول الآخر. قال ابن عبد البر: وكل يمين لا يقدر صاحبها على جماع امرأته من أجلها إلاَّ بأن يحنث بها فهو بها مولٍ، إذا كانت يمينه على أكثر من أربعة أشهر. فإن قال: أقسم أو عزم ولم يذكر الله فقيل: لا يدخل عليه الإيلاء، إلاَّ أن يكون أراد بـ «الله» ونواه. واختلف العلماء في الإيلاء المذكور في القرآن، فقال ابن عباس: لا يكون مولياً حتى يحلف ألا يمسها أبداً. وقالت طائفة: إذا حلف ألا يقرب امرأته يوماً أو أقل أو أكثر ثم لم يطأ أربعة أشهر بانت منه بالإيلاء قال ابن المنذر: وأنكر هذا القول كثير من أهل العلم. وقال الجمهور: الإيلاء هو أن يحلف ألا يطأ أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة فما دونها لا يكون مولياً وكانت عندهم يميناً محضاً. لو وطىء في هذه المدة لم يكن عليه شيء كسائر الأيمان، هذا قول مالك والشافعي وأحمد وأبي ثور. وقال مالك والشافعي: جعل الله للمولي أربعة أشهر، فهي بكمالها لا اعتراض لزوجته عليه فيها، كما أن الدين المؤجّل لا يستحق صاحبه المطالبة به إلاَّ بعد تمام الأجل. واختلفوا فيمن حلف ألا يطأ امرأته أكثر من أربعة أشهر فانقضت الأربعة أشهر فلم تطالبه امرأته ولا رفعته إلى السلطان ليوقفه، لم يلزمه شيء عند مالك وأصحابه وأكثر أهل المدينة. ومن علمائنا من يقول: يلزمه بانقضاء الأربعة أشهر طلقة رجعية. ومن غيرهم من يقول: طلقة بائنة والصحيح ما ذهب إليه مالك وأصحابه، وذلك أن المولي لا يلزمه طلاق حتى يوقفه السلطان بمطالبة زوجته له ليفيء ويكفر عن يمينه أو يطلق ولا يتركه حتى يفيء أو يطلق. وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور واختاره ابن المنذر. وأجل المولي من يوم الحلف لا من يوم تخاصمه امرأته وترفعه إلى الحاكم. وأوجب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم وجمهور العلماء الكفارة على المولي إذا فاء بجماع امرأته وقال الحسن: لا كفارة عليه، وبه قال النخعي. قلت: وقد يستدل لهذا القول من السنة بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليتركها فإنّ تركها كفارتها».

الجِمَاع، قاله عليٌّ، وابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، ومَسْرُوقٌ، والشَّعبيُّ، وإِذا كان للمُؤْلي عذرٌ لا يقدر معه على الجِماع، فإنه يقول: متى قَدرتُ جامعتُها، فيكون ذلك من قوله فَيْئَةً؛ فمتى قَدرَ فلم يفعل، أُمر بالطلاق، فإن لم يُطلِّق، طلَّق الحاكمُ عليه.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عليٌّ، وابن عباسٍ: غفورٌ لإثم اليمين.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾، أي: حَقَّقُوه[١]. وفي عَزمِ الطَّلاق قولان:

أحدهما: أنه إذا مضت الأربعةُ أشهر استحقَّ عليه أن يَفِيءَ، أو يُطلِّق، وهو مرويٌّ عن عُمرَ، وعُثمانَ، وعليٍّ، وابن عُمرَ، وسَهلِ بن سعدٍ، وعائشةَ، وطَاوسٍ، ومُجاهدٍ، والحَكَم، وأبي صالحٍ. وحكاه أبو صالحٍ عن اثني عشرَ رجلاً من الصحابة، وهو قول مالكٍ، وأحمدَ، والشَّافعيِّ. **والثاني**: أنه لا يَفِيءُ حتى يمضيَ أربعةُ أشهرٍ، فتطْلُق بذلك من غير أن يتكلَّم بطلاقٍ.

واختلف أرباب هذا القول فيما سيلحقها من الطَّلاق على قولين: **أحدهما**: طَلقةٌ بائنةٌ. رُوي عن عثمانَ، وعليٍّ، وابن عُمرَ، وزيدِ بن ثابتٍ، وقُبيصةَ بن ذُؤَيبٍ. **والثاني**: طَلقةٌ رجعيَّةٌ، رُوي عن سعيد بن المُسَيَّب، وأبي بكرِ بن عبد الرَّحمٰن، وابن شُبْرمَة. قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سميعٌ لطلاقه، عليمٌ بِنيَّتِهِ. **والثاني**: سميعٌ ليمينه، عليمٌ بها.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طُلقت وهي راغبةٌ في زوجها، قالت: أنا حُبلى، وليست حبلىٰ، لكي يُراجعَها، وإن كانت حُبلى وهي كارهةٌ، قالت: لست بحُبلى، لكي لا يَقدِرَ على مُراجعتِها. فلما جاء الإسلام ثَبَتُوا على هذا، فنزل قوله تعالىٰ:

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/١٠٧: في قوله تعالى ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ دليل على أنها لا تطلق بمضي أربعة أشهر كما قال مالك، ما لم يقع إنشاء تطليق بعد المدة. وأيضاً فإنه قال: «سميع» وسميع يقتضي مسموعاً بعد المضي. وقال أبو حنيفة: «سميع» لإيلائه «عليمٌ» بعزمه الذي دل عليه مضي أربعة أشهر قال القاضي ابن العربي: وتحقيق الأمر أن تقدير الآية عندنا: ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا﴾ بعد انقضائها ﴿فإن الله غفور رحيم. وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾. وتقديرها عندهم ﴿للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤا﴾ فيها ﴿فإن الله غفور رحيم. وإن عزموا الطلاق﴾ بترك الفيئة فيها، يريد مدة التربص فيها ﴿فإن الله سميع عليم﴾. قال ابن عربي: وهذا احتمال متساوٍ ولأجل تساويه توقفت الصحابة فيه.
قلت: وإذا تساوى الاحتمالين كان القول قياساً على المعتدة بالشهور والأقراء إذ كل أجل ضربه الله تعالى فبانقضائه انقطعت العصمة وأبينت من غير خلاف ولم يكن لزوجها سبيل عليها إلاّ بإذنها، فكذلك الإيلاء، حتى لو نسي الفيء وانقضت المدة لوقع الطلاق والله أعلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾[١]، ثم نزلت: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

فأما التفسير؛ فالطَّلاق: التَّخليَةُ. قال ابن الأنباريّ: هي من قول العرب: أطلقتُ الناقة، فطَلُقت: إذا كانت مشدودةً، فأزَلت الشدَّ عنها، وخلَّيتها، فشُبِّه ما يقع للمرأة بذلك، لأنها كانت متّصلةَ الأسباب بالرجل، وكانت الأسباب كالشَّدِّ لها فلما طلَّقَها قطعَ الأسباب. ويُقال: طَلُقَت المرأة وطُلِّقت. وقال غيره: الطَّلاقُ: من أطلَقتُ الشيء من يدي، إلا أنهم لكثرة استعمالهم اللفظتين فرَّقوا بينهما، ليكون التَّطليقُ مقصوراً في الزوجات. وأمّا القُرُوء: فيُراد بها: الأطْهار، ويراد بها الحَيْض. يقال: أقْرَأَت المرأةُ إذا حاضَت، وأقْرَأَت: إذا طَهُرَت.

[١١٣] قال النبيُّ ﷺ في المُستَحاضة: «تَقْعُدُ أيامَ أقْرائِها»، يريد: أيامَ حَيْضِها.

وقال الأعْشَى:

وفي كُلِّ عامٍ أنتَ جَاشِمُ غَزوةٍ تَشُدُّ لأقصَاهَا عَزيمَ عَزائِكَا[٢]
مُورِّثَةٍ مالاً، وفي الحَيِّ رِفْعَةً لِمَا ضَاع فيها من قُرُوءِ نِسَائِكَا

أراد بالقُرُوء: الأطْهار، لأنه لما خرج عن نسائه أضاع أطهارَهنّ. واختلف أهل اللغة في أصل القُرُوء على قولين: **أحدهما**: أن أصله الوقت، يقال: رجع فلان لقُرئِه، أي: لوقته الذي كان يرجع

---

[١١٣] ضعيف. أخرجه الدارقطني ١/ ٢١٢ عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ، قالت: يا رسول الله إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصَّلاة؟ فقال: «دعي الصَّلاة أيام أقرائك، ثم اغتسلي وصلّي وإن قطر الدم على الحصير». وقال غيره عن وكيع «وتوضئي لكل صلاة». وهو معلول. قال الدارقطني: قال يحيى بن سعيد: الثوري أعلم الناس بهذا، زعم أن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة بن الزبير شيئاً، ونقل الآبادي في «التعليق المغني» عن البيهقي في «المعرفة» قوله: حديث حبيب بن أبي ثابت ضعفه يحيى القطان وعلي المديني وابن معين، وكذا الثوري ا.هـ ملخصاً. ولو صح هذا اللفظ لكان فيصلاً في هذه المسألة إلاَّ أن عدم ثبوته جعل الناس مختلفين في شأن «القرء» هل المراد الطهر أو الحيض والله تعالى أعلم، وقد صح هذا الخبر موقوفاً كما رجح غير واحد؛ وهو الصواب، والمرفوع بهذا اللفظ ضعيف.

- وأصل الخبر في «الصحيح» دون لفظ «أقرائك». أخرجه البخاري ٢٢٨ و٣٠٦ و٣٢٠ و٣٣١ ومسلم ٣٣٣ وأبو داود ٢٨٢ والترمذي ١٢٥ والنسائي ١/ ٨١ و٨٥ و١٨٦ ومالك ١/ ٦١ والشافعي ١/ ٣٩ ـ ٤٠ وعبد الرزاق ١١٦٥ وابن أبي شيبة ١/ ١٢٥ والدارمي ١/ ١٩٩ وابن حبان ١٣٥٠ والطحاوي في «المعاني» ١/ ١٠٢ والبيهقي ١/ ٢٠٦ و٢٠٧ وأبو عوانة ١/ ٣١٩ وابن الجارود ١١٢ والبيهقي ١/ ٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٥ و٣٢٧ و٣٢٩ من طرق عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصَّلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: لا إنما ذلك عرق، وليس بالحيضة، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصَّلاة، وإذا أدبرت، فاغسلي عنك الدم ثم صلي. قال: وقال أبي: ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت. وانظر «تلخيص الحبير» ١/ ٧١.

---

(١) الطلاق: ١.
(٢) في اللسان: جَشِمَ الأمر تكلّفه على مشقة. والعَزْم: الجِدُّ. وَالعَزَاء: الصبر.

فيه، ورجع لقارئه أيضاً. قال الهذلي:

كرهت العقر عقر بني شليل ... إذا هبت لقارئها الرياح

فالحَيْضُ يأتي لوقتٍ، والطُّهر يأتي لوقتٍ، هذا قول ابن قُتيبة. **والثاني**: أن أصله الجمع. وقولهم: قرأتُ القرآن، أي: لفظتُ به مجموعاً. والقرءُ: اجتماع الدَّم في البدن، وذلك إنما يكون في الطُّهر، وقد يجوز أن يكون اجتماعه في الرَّحِم، وكلاهما حسنٌ، هذا قول الزجَّاجِ.

واختلف الفقهاء في الأقْراء على قولين[١]: **أحدهما**: أنها الحيض، روي عن عمرَ، وعليٍّ، وابن مسعودٍ، وأبي موسى، وعُبادةَ بن الصَّامتِ، وأبي الدَّرداءِ، وعِكرمةَ، والضحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، وسُفيانَ الثَّوريّ، والأوزاعيّ، والحسَنِ بن صالح، وأبي حَنيفةَ وأصحابه وأحمدَ بن حنبلٍ رضي الله عنه، فإنه قال: قد كنتُ أقولُ: إن القُرُوء: الأطهارُ، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحَيْضُ. **والثاني**: أنها الأطهار، رُوي عن زيد بن ثابتٍ، وابن عُمر، وعائشةَ، والزُّهريّ، وأبَان بن عُثمانَ، ومالكِ بن أنسٍ، والشَّافعيّ، وأومأ إليه أحمدُ.

ولفظ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾، لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٢]، وقد يأتي لفظ الأمر في معنى الخبر كقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا﴾[٣]، والمراد بالمطلّقات في هذه الآية، البالغات المَدْخُول بهن غير الحَوامِلِ. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنّه الحَمْلُ، قاله عُمرُ، وابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ، وابن قُتيبةَ، والزجَّاجُ. **والثاني**: أنه الحَيْضُ، قاله عِكرمَةُ، وعطيَّةُ، والنَّخعيُّ، والزُّهريّ. **والثالث**: الحَملُ والحَيْضُ، قاله ابن عُمر، وابن زيدٍ. وقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، خُرِّج مخرج الوعيد لهنَّ والتوكيد، قال الزجَّاجُ: وهو كما تقول للرجل: إن كنتَ مؤمناً فلا تظلم. وفي سبب وعيدهم بذلك قولان: **أحدهما**: أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرَّجعة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: لأجل إلحاق الولد بغير أبيه، قاله قَتادةُ. وقيل: كانت المرأة إذا

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/١٠٨: اختلف العلماء في الأقراء. فقال أهل الكوفة: هي الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي. وذلك لاجتماع الدم في الرحم. وقال أهل الحجاز: هي الأطهار، وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري وأبان بن عثمان والشافعي وجعله اسماً للطهر لاجتماعه في البدن. وقال قوم: هو مأخوذ من قرء الماء في الحوض، وهو جمعه، ومنه القرآن لاجتماع المعاني ويُقال لاجتماع حروفه قال ابن عبد البر: قول من قال: إن القرء مأخوذ من قولهم: قريت الماء في الحوض ليس بشيء، لأن القرء مهموز وهذا غير مهموز. وقيل: القرء، الخروج وعلى هذا قال الشافعي القرء الانتقال من الطهر إلى الحيض ولا يرى الخروج من الحيض إلى الطهر قرءاً. وكان يلزم بحكم الاشتقاق أن يكون قرءاً، ويكون معنى قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ أي ثلاثة أدوار أو ثلاثة انتقالات والمطلقة متصفة بحالتين فقط، فتارة تنتقل من طهر إلى حيض وتارة من حيض إلى طهر فيستقيم معنى الكلام ودلالته على الطهر والحيض جميعاً، فيصير الاسم مشتركاً. ويقال: إذا ثبت أن القرء الانتقال فخروجها من طهر إلى حيض غير مراد بالآية أصلاً، ولذلك لم يكن الطلاق في الحيض سُنّياً مأموراً به، وهو الطلاق للعدة فإن الطلاق للعدة ما كان في الطهر، وذلك يدل على كون القرء مأخوذاً من الانتقال، والطلاق في الطهر سنياً.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(٣) مريم: ٧٥.

رغبت عن زوجها، قالت: إني حائضٌ، وقد طَهُرت. وإذا زهدت فيه، كَتَمَتْ حيضَها حتى تغتسل، فتَفُوته.

والبُعولَة: الأزواج. و«ذلك»: إشارةٌ إلى العِدَّة، قاله مُجاهدٌ، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ في آخرين.

وفي الآية دليلٌ على أن خصوص آخر اللفظ لا يمنع عمومَ أوَّله، ولا يُوجب تخصيصه، لأن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾، عامٌّ في المَبْتُوتات والرَّجعيَّات، وقوله تعالىٰ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ خاصٌّ في الرَّجعيَّات.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾، قيل: إن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته، طلَّقَها واحدةً وتركها، فإذا قارب انقضاء عدَّتها راجعها، ثم تركها مدةً، ثم طلَّقها، فنُهوا عن ذلك. وظاهر الآية يقتضي أنه إنما يملك الرَّجعةَ على غير وجه المُضارَّة بتطويل العدَّة عليها، غير أنه قد دلَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾، على صحة الرَّجعة وإن قصد الضِّرار، لأن الرَّجعة لو لم تكن صحيحةً إذا وقعت على وجه الضِّرار؛ لما كان ظالماً بفعلها.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وهو: المُعاشَرة الحسنة، والصحبة الجميلة.

[١١٤] رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه سُئل عن حق المرأة على الزوج؛ فقال: «أن يُطْعِمَها إذا طَعِم، ويكسُوَها إذا اكْتَسَى، ولا يضرب الوَجْهَ، ولا يُقَبِّح، ولا يهجُرَ إلاَّ في البيت».

وقال ابن عباسٍ: إني أحبُّ أن أتزيَّن للمرأة، كما أحبُّ أن تتزيَّن لي لهذه الآية.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، قال ابن عباسٍ: بما سَاقَ إليها من المَهْر، وأنفق عليها من المال. وقال مجاهدٌ: بالجهاد والميراث. وقال أبو مالكٍ: يُطَلِّقُها، وليس لها من الأمر شيءٌ. وقال الزجَّاجُ: تنال منه من اللذَّة كما ينالُ منها، وله الفَضْلُ بنفقته.

[١١٥] وروى أبو هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لو أمرتُ أحداً أن يسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجها».

---

[١١٤] صحيح. أخرجه النسائي في «الكبرى» ٩١٧١ و١١١٠٤ وابن ماجه ١٨٥٠ وأحمد ٤/ ٤٤٧ وابن حبان ٤١٧٥ والطبراني ١٩/ ١٠٣٤ و١٠٣٧ و١٠٣٨ والحاكم ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨ وابن أبي الدنيا في «العيال» ٤٨٨ والبيهقي ٧/ ٢٩٥ و٣٠٥ من طرق عن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه أبو داود ٢١٤٣ وأحمد ٥/ ٥ والطبراني ١٩/ ١٠٠٠ وابن أبي الدنيا ٤٨٩ من طرق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وأخرجه أحمد ٥/ ٣ عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن أبي قزعة وعطاء.

[١١٥] صحيح بشواهده. أخرجه الترمذي ١١٥٩ وابن حبان ٤١٦٢ والبيهقي ٧/ ٢٩١ من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به. ومحمد بن عمرو حسن الحديث. وأخرجه الحاكم ٤/ ١٧١ ـ ١٧٢ والبزار ١٤٦٦ من طريق سليمان بن داود من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وقال الذهبي: بل سليمان هو اليمامي ضعفوه. وكذا ضعفه الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٣٠٧. وله شواهد ـ منها حديث أنس عند النسائي في «الكبرى» ٩١٤٧ وأحمد ٣/ ٥٨ والبزار ٢٤٥٤ وابن أبي الدنيا ٥٢٩. وفي إسناده، خلف بن خليفة صدوق اختلط في الآخر كما في «التقريب». وحديث عائشة عند ابن ماجة ١٨٥٢ وأحمد ٦/ ٨٦. وابن أبي الدنيا ٥٤١ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. وحديث ابن عباس عند الطبراني ١٢٠٠٣ والبزار ١٤٦٧ وابن أبي الدنيا في «العيال» ٥٤٢ وفيه الحكم بن طهمان، وهو ضعيف. وحديث معاذ بن جبل من طريق أبي ظبيان. =

وقالت ابنة سعيد بن المُسيّب: ما كنا نُكلِّم أزواجَنا إلا كما تُكلِّمون أمراءَكُم.

فصل: اختلف العلماء في هذه الآية: هل تدخل في الآيات المَنسُوخات أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها تدخل في ذلك. واختلف هؤلاء في المَنسُوخ منها، فقال قومٌ: المَنسُوخ منها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، وقالوا: فكان يجب على كل مطلقةٍ أن تَعتَدَّ بثلاثة قُروءٍ، فنُسِخَ حكمُ الحامل بقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (١)، وحُكمُ المطلّقة قبل الدخول بقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ (٢)، وهذا مرويٌّ عن ابن عباسٍ، والضحّاكِ في آخرين. وقال قومٌ: أوّلها مُحكَمٌ، والمَنسُوخ قوله تعالىٰ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، قالوا: كان الرجل إذا طلّق امرأته كان أحقَّ برَجْعَتِهَا، سواءٌ كان الطلاق ثلاثاً، أو دون ذلك، فنُسخ بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ (٣).

والقول الثاني: أن الآية كلها مُحكَمَةٌ، فأوّلها عامٌّ. والآيات الواردة في العِدَد خَصّت ذلك من العموم، وليس بنَسخ. وأما ما قيل في الارتجاع، فقد ذكرنا أن معنى قوله تعالىٰ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، أي: في العِدَّة قبل انقضاء القُروء الثلاثة، وهذا القول هو الصحيح.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾.

= أخرجه أحمد ٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ (٢١٤٨٠) وإسناده منقطع أبو ظبيان لم يسمع من معاذ. وأخرجه أيضاً برقم ٢١٤٨١ من طريق ابن نمير عن الأعمش قال سمعت أبا ظبيان يحدث عن رجل من الأنصار عن معاذ بن جبل... فذكره. وورد من طريق أخرى عن معاذ بن جبل مرفوعاً عند الحاكم ٤/ ١٧٢ والبزار ١٤٦١ والطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٥٢ وابن أبي الدنيا في «العيال» ٥٣٨ وصححه الحاكم على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي! مع أنه من رواية القاسم بن عوف الشيباني، وقد تفرد عنه مسلم، ولم يدرك معاذاً. وقال الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٣٠٩ (٧٦٤٩)؛ ورجال البزار رجال الصحيح، وكذلك طريق من طرق أحمد، وروى الطبراني بعضه أيضاً اهـ. وأخرجه ابن ماجه ١٨٥٣ وأحمد ٤/ ٣٨١ وابن حبان ٤١٧١ والبيهقي ٧/ ٢٩٢ عن أيوب عن القاسم بن عوف الشيباني عن ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله ﷺ...... فذكره. وفي إسناده القاسم وثقه ابن حبان، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، ومحله عندي الصدق. وروى له مسلم حديثاً واحداً. وأخرجه البزار ١٤٧٠ والطبراني ٧٢٩٤ وابن أبي الدنيا في «العيال» ٥٣٩ عن القاسم بن عوف عن ابن أبي ليلى عن أبيه عن صهيب أن معاذاً..... فذكره. وقال الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٣١٠: وفيه النهاس بن قهم، وهو ضعيف اهـ. وأخرجه البزار ١٤٦٨ و١٤٦٩ والطبراني في «الكبير» ٥١١٧ وابن أبي الدنيا ٥٤٣. وقال الهيثمي: وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، خلا صدقة بن عبد الله السمين، وثقه أبو حاتم وجماعة، وضعفه البخاري وجماعة اهـ. الخلاصة: المرفوع منه صحيح بمجموع طرق شواهده.

---

(١) الطلاق: ٤. (٢) الطلاق: ١. (٣) البقرة: ٢٣٠.

[١١٦] سبب نزولها: أن الرجل كان يُطلّق امرأته، ثم يُراجعها ليس لذلك شيءٌ ينتهي إليه، فقال رجلٌ من الأنصار لامرأته: والله لا أُؤويكِ إليَّ أبداً ولا تَحِلّين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أُطلّقكِ، فإذا دَنَا أجلُكِ، راجعتُكِ، فذهبت إلى النبيِّ ﷺ، تشكو إليه ذلك؛ فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس جديداً من كان طَلّق، ومن لم يكن يُطلّق. رواه هِشامُ بن عُروة عن أبيه.

فأمّا التفسير، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بيانٌ لسُنَّة الطلاق، وأن يوقع في كل قُرءٍ طلقةً، قاله ابن عباس، ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنه بيانٌ للطلاق الذي تملك معه الرَّجعةَ، قاله عُروةُ، وقَتادةُ، وابن قُتيبةَ، والزجّاجُ في آخرين.

قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾، معناه: فالواجب عليكم إمساكٌ بمعروفٍ، وهو ما يُعرف من إقامة الحقّ في إمساك المرأة. وقال عَطاءٌ، ومُجاهدٌ، والضحّاكُ، والسُّدّيّ: المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾: الرَّجعة بعد الثانية. وفي قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾، قولان:

أحدهما: أن المراد به: الطَّلقة الثالثة، قاله عَطاءٌ، ومُجاهدٌ، ومُقاتلٌ.

والثاني: أنه الإمساك عن رَجعتِها حتى تنقضيَ عِدَّتُها، قاله الضحّاكُ، والسُّدّيُّ. قال القاضي أبو يَعلى محمَّدُ بن الحُسين بن الفَرّاء وهذا هو الصحيح، لأنه قال عُقيبَ الآية: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾، والمراد بهذه الطلقة الثالثة بلا شكٍّ، فيجب إذن أن يُحمَل قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ على تركها حتى تنقضيَ عِدَّتُها، لأنه إن حُمل على الثالثة، وجب أن يُحمل قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ على رابعةٍ، وهذا لا يجوز.

فصل: الطلاق على أربعة أضرُبٍ: واجبٌ، ومندوبٌ إليه، ومَحظُورٌ، ومكرُوهٌ. فالواجب: طلاق المُولي بعد التّربُّص، إذا لم يَفِئ، وطلاق الحَكَمين في شِقَاق الزوجين، إذا رَأيا الفُرْقَة. والمندوبُ: إذا لم يَتّفقا، واشتدَّ الشِّقَاق بينهما، ليتخلّصا من الإثم. والمَحظُور: في الحَيْض، إذا كانت مَدخولاً بها، وفي طُهر جامعَها فيه قبل أن تَطهُر. والمكرُوه: إذا كانت حالُهُما مستقيمةً، وكل واحدٍ منهما قَيِّمٌ بحَال صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾.

[١١٧] نزلت في ثابتِ بن قيسِ بن شَمَّاس، أتت زوجته إلى النبيِّ ﷺ، فقالت: واللّهِ ما أعيبُ على ثابتٍ في دِينٍ ولا خُلُقٍ، ولكنّي أكره الكفر في الإسلام، لا أُطيقُه بُغضاً. فقال لها النبيُّ ﷺ:

---

[١١٦] أخرجه مالك ٢/٥٨٨ والطبري عن عروة مرسلاً. ووصله الترمذي ١١٩٢ والحاكم ٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠ والواحدي ١٥٢ والبيهقي ٧/٣٣٣ من حديث عائشة، وصححه الحاكم، وضعفه الذهبي بقوله: يعقوب بن حميد غير واحد. قلت: وفيه يعلى بن شبيب وثقه ابن حبان وهو مجهول، فالراجح إرساله لكن مراسيل عروة جياد. ولبعضه شاهد من مرسل قتادة أخرجه الطبري ٤٧٨٥، ومن مرسل ابن زيد أخرجه برقم ٤٧٨٧.

[١١٧] جيد. أخرجه ابن ماجة ٢٠٥٦ بهذا اللفظ من حديث ابن عباس وإسناده جيد كما قال ابن كثير.

ـ وأصله. أخرجه البخاري ٥٢٧٣ و٥٢٧٤ و٥٢٧٥ و٥٢٧٦ والنسائي ٦/١٦٩ والبيهقي ٧/٣١٣ من حديث ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكن لا أطيقه! فقال: «أتردين عليه حديقته؟» قالت نعم. وفي الباب روايات وألفاظ أخرى.

«أَتَرُدِّينَ عليه حَدِيقَتَهُ»؟ قالت: نعم، فأمَرَهُ النبيُّ ﷺ، أن يأخُذَها، ولا يَزداد. رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ. واختلفوا في اسم زوجته، فقال ابن عباس: جميلة. ونَسَبَها يحيَى بن أبي كثيرٍ، فقال: جميلة بنتُ عبد الله بن أُبَيّ بنِ سَلُولٍ، وكنَّاها مُقاتلٌ، فقال: أُمّ حَبيبةَ بنتُ عبدِ الله بن أُبيّ. وقال آخرون: إنما هي جميلة أُختُ عبد الله بن أُبيّ، وروَى يحيَى بن سعيدٍ عن عَمْرَة روايتين: **إحداهما**: أنها حَبيبة بنت سَهلٍ. **والثانية**: سَهْلَة بنت حَبيبٍ. وهذا الخَلْع أول خَلْعٍ كان في الإسلام. والخوف في الآية بمعنى: العلم. والحدود قد سبق بيان معناها.

ومعنى الآية: أن المرأة إذا خافت أن تعصيَ الله في أمر زوجها لبُغضها إياه، وخاف الزوج أن يعتديَ عليها لامتناعها عن طاعته؛ جازَ له أن يأخذ منها الفِدْيَة، إذا طلبت ذلك. هذا على قراءة الجمهور في فتح «ياء» ﴿يَخَافَآ﴾، وقرأ الحسنُ، ومُجاهدٌ، وأبو جَعفرَ، وحَمزةُ والأعمَشُ: (يُخافا) بضم الياء. قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، قال قَتادةُ: هو خطابٌ للولاة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ على المرأة ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، وعلى الزوج فيما أخَذَ، لأنه ثمنُ حَقِّه. وقال الفَرَّاءُ: يجوز أن يُراد الزوج وحدَه، وإن كانا قد ذُكرا جميعاً؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾[1]، وإنما يخرج من أحدهما. وقوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[2]: وإنما نَسِيَ أحدُهما.

فصل: وهل يجوز له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها؟ فيه قولان[3]: **أحدهما**: يجوز، وبه قال عمرُ بن الخطَّاب وعُثمانُ وعليٌّ وابن عباسٍ والحسَن ومُجاهدٌ والنَّخعيُّ والضحَّاكُ ومالكٌ والشَّافعيُّ. **والثاني**: لا يجوز، وبه قال سعيدُ بن المُسَيَّب وعَطاءٌ والشَّعبيُّ وطاوسٌ وابنُ جُبيرٍ والزُّهريُّ وأحمدُ بن

---

(١) الرحمن: ٢٢. (٢) الكهف: ٦١.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٠/٢٦٩ ـ ٢٧٠: ولا يستحب له أن يأخذ أكثر مما أعطاها، هذا القول يدلُّ على صحة الخلع بأكثر من الصداق، وأنهما إذا تراضيا على الخلع بشيء صح. وهذا قول أكثر أهل العلم. روي ذلك عن عثمان وابن عمر، وابن عباس، وعكرمة ومجاهد وقبيصة بن ذؤيب، والنخعي، ومالك، والشافعي وأصحاب الرأي، ويُرْوَى عن ابن عباس وابن عمر، أنهما قالا: لو اختلعت امرأة من زوجها بميراثها، وعقاص رأسها، كان ذلك جائزاً. قال عطاء، وطاوس والزهري وعمرو بن شعيب: لا يأخذ أكثر مما أعطاها. وروي ذلك عن عليّ بإسناد منقطع. واختاره أبو بكر، قال: فإن فعل رد الزيادة. وعن سعيد بن المسيب قال: ما أرى أن يأخذ كل مالها، ولكن ليدع لها شيئاً. واحتجوا بما رُوي أن جميلة بنت سلول أتت النبي ﷺ، فقالت: والله ما أعيب على ثابت في دينٍ ولا خلق، ولكن أكره الكفر في الإسلام، لا أطيقه بغضاً. فقال لها النبي ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم فأمره النبي ﷺ أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد. رواه ابن ماجة، ولأنه بَذْلٌ في مقابلة فسخ، فلم يزد على قدره في ابتداء العقد، كالعوض في الإقالة. ولنا قول الله تعالى: ﴿فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾. ولأنه قول من سمينا من الصحابة قالت الربيع بنت مُعَوِّذ: اختلعت من زوجي بما دون عقاص رأسي فأجاز ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومثل هذا يشتهر، فلم يُنْكَر، فيكون إجماعاً، ولم يصح عن عليّ على خلافه. فإذا ثبت هذا، فإنه لا يستحب له أن يأخذ أكثر مما أعطاها. وبذلك قال سعيد بن المسيب، والحسن، والشعبي، والحكم ومالك والشافعي. قال مالك: لم أزل أسمع إجازة الفداء بأكثر من الصداق. ولنا، حديث جميلة. ورُوي عن عطاء، عن النبي ﷺ، أنه كره أن يأخذ من المختلعة أكثر مما أعطاها. رواه أبو حفص بإسناده. وهو صريح في الحكم، فنجمع بين الآية والخبر، فنقول الآية دالةٌ على الجواز، والنهي عن الزيادة للكراهية. والله أعلم.

حَنبلٍ، وقد نُقل عن عليٍّ والحَسن أيضاً. وهل يجوز الخَلع دون السُّلطان؟ قال عُمرُ وعُثمانُ وعليٌّ وابن عمرَ وطاوسٌ وشُرَيْحٌ والزُّهريُّ: يجوز، وهو قول جمهور العلماء. وقال الحسَنُ وابن سِيرينَ وقَتادةُ: لا يجوز إلا عند السُّلطان.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ﴾، ذكر مقاتلٌ أن هذه الآية نزلت في تَمِيمَةَ بنت وَهْبِ بن عَتِيكٍ النَّضيريّ، وفي زوجها رِفاعَةَ بن عبد الرحمٰن القُرظِيّ.

[١١٨] وقال غير مُقاتلٍ: إنها عائشةُ بنت عبد الرحمٰن بن عَتِيك، كانت تحتَ رِفاعةَ بن وَهْبِ بن عَتيكٍ وهو ابن عمِّها، فطلّقها ثلاثاً، فتزوّجت بعده عبدَ الرحمٰن بنَ الزُّبير، ثم طلّقها، فأتت إلى النبيِّ ﷺ، فقالت: إني كنت عند رِفاعَةَ، فطلَّقني، فأبَتَّ طلاقي، فتزوجتُ بعدَه عبدَ الرحمٰن بن الزُّبيرِ، وإنه طلَّقني قبل أن يَمَسَّني، أفأرجع إلى ابن عمي؟ فتبسَّم رسولُ الله ﷺ، وقال: «أتُريدِينَ أن تَرجِعي إلى رِفاعَةَ؟ لا، حتى تَذُوقي عُسَيْلَتَهُ ويذوقَ عُسَيْلَتَكِ».

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾، يعني: الزوج المُطلِّق مرتين. قال ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ: هي الطَّلقة الثالثة. واعلم أن الله تعالىٰ عَادَ بهذه الآية بعد الكلام في حُكم الخَلْع إلى تمام الكلام في الطلاق. قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾، يعني: الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ يعني: المرأة، والزوج الأول ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، قال طاوسٌ: ما فرض الله على كل واحد منهما من حُسنِ العِشْرَة والصُّحْبة. قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾ قراءة الجمهور (يبينها) بالياء. وقرأ الحسَنُ، ومُجاهدٌ، والمُفضَّلُ عن عاصم بالنون ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، قال الزجّاجُ: يعلمون أن أمر الله حقٌّ.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، قال ابن عباسٍ: كان الرجل يُطلِّق امرأته، ثم يُراجعها قبل انقضاء عِدَّتها، ثم يُطلِّقها، يفعل ذلك يُضارُّها ويعضلها بذلك، فنزلت هذه الآية. والأَجَلُ هاهنا: زمان العِدَّة. ومعنى البُلوغ هاهنا: مقاربَة الأَجَل دون حقيقة الانتهاء إليه، يُقال: بلغتُ المدينة: إذا قاربتُها، وبلغتُها: إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المُقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العِدَّة رجعةٌ. قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، قال ابن عباسٍ، والحسنُ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ: المراد به الرَّجعةُ قبل انقضاء العِدَّة. قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ﴾، وهو تركها حتى تنقضيَ عِدَّتُها.

---

[١١٨] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٣٩ و٢٧٩٢ و٦٠٨٤ ومسلم ١٤٣٣ ح ١١١ و١١٢ والترمذي ١١١٨ والنسائي ٦/ ٩٣ والدارمي ٢/ ١٦١ وابن ماجه ١٩٣٢ من حديث عائشة مع اختلاف يسير فيه.
وأخرجه أبو داود ٢٣٠٩ وأحمد ٦/ ٤٢ والنسائي ٦/ ١٤٦ وابن حبان ٤١٢٢ من وجه آخر عن عائشة.

والمعروف في الإمساك: القيام بما يجب لها من حقٍّ، والمعروف في التَّسريح: أن لا يقصد إضرارَها، بأن يُطيل عِدَّتها بالمُراجعة، وهو معنى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾، قاله الحسنُ ومُجاهدٌ، وقتادةُ في آخرين. وقال الضحَّاكُ: إنما كانوا يُضارُّون المرأة لتفتدي ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ الاعتداء، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بارتكاب الإثم. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الرجل يُطلِّق أو يُراجع، أو يُعتِق، ويقول: كنتُ لاعباً. روي عن عُمرَ، وأبي الدَّرداءِ، والحسَن. **والثاني**: أنه المُضارُّ بزوجته في تطويل عِدَّتها بالمُراجعة قبل الطلاق، قاله مَسروقٌ، ومُقاتلٌ. ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، قال ابن عباس: احفظوا مِنَّتَهُ عليكم بالإسلام. قال: والكتاب: القرآن. والحكمة: الفقه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، في الضِّرار ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ به وبغيره ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ في سبب نزولها قولان:

[١١٩] **أحدهما**: ما روى الحسنُ أن مَعْقِلَ بن يَسَارٍ زوَّج أخته من رجلٍ من المسلمين، فكانت عنده ما كانت، فطلَّقها تطليقةً ثم تركها ومضت العِدَّة، وكانت أحقَّ بنفسها، فخطَبَها مع الخُطَّاب، فرضيت أن ترجِعَ إليه، فخطَبَها إلى مَعْقِل، فغضب معقِلٌ، وقال: أكرمتك بها، فطلَّقتها؟! لا واللهِ! لا ترجع إليكَ آخر ما عليك. قال الحسنُ: فعَلِمَ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، حاجةَ الرجل إلى امرأته، وحاجة المرأة إلى بَعْلِها، فنزلت هذه الآية، فسمعها مَعْقِلُ، فقال: سمعاً لِربِّي، وطاعةً، فدعا زوجَها، فقال: أزوِّجُك، وأُكرمك. ذكر عبد الغنيّ الحافظ عن الكلبيّ أنه سمَّى هذه المرأة، فقال: جميلة بنت يَسَارٍ.

[١٢٠] **والثاني**: أن جابرَ بن عبد الله الأنصاريّ كانت له ابنة عمٍّ، فطلَّقها زوجها تطليقةً، فانقضت عِدَّتُها، ثم رجع يريد رَجْعَتَها، فأبَى جابرٌ، وقال: طلقتَ ابنة عمِّنا، ثم تريد أن تنكِحَها الثانية؟! وكانت المرأة تُريد زوجَها، قد راضَتْهُ، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّيُّ.

فأمّا بلوغ الأجل في هذه الآية، فهو انقضاء العِدَّة، بخلاف التي قبلها. قال الشَّافعيُّ رضي الله عنه: دلَّ اختلاف الكلامين على افتراق البُلوغين. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، خطابٌ للأولياء، قال ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، وابن قُتيبةَ في آخرين: معناه لا تحبِسُوهنَّ، والعرب تقول للشدائد: مُعْضِلاَت. وداءٌ عُضالٌ: قد أعْيَا. قال أوسُ بن حَجَرٍ:

وليسَ أخُوكَ الدَّائمُ العَهْدِ بالذي ... يَذُمُّكَ إن ولَّى ويُرضِيكَ مُقبِلا
ولكنَّه النَّائي إذا كنتَ آمِناً ... وصاحبُكَ الأدنى إذا الأمرُ أعْضَلا

---

[١١٩] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٢٩ و٥١٣٠ و٥١٣١ وأبو داود ٢٠٨٧ والترمذي ٢٩٨١ واستدركه الحاكم ٢/ ٢٨٠ والواحدي ١٥٣ من حديث الحسن عن معقل بن يسار.

[١٢٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٤٩٤٢ والواحدي في «أسباب النزول» ١٥٦ وذكر هذا القول ابن كثير في تفسيره وقال: الصحيح الأول أي حديث معقل.

وقالت ليلى الأخيلية:

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة … تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها … غلامٌ إذا هز القناة سقاها

قال الزجاج: وأصل العَضل، من قولهم: عَضلَتِ الدَّجاجةُ، فهي مُعْضِل: إذا احتبس بيضها ونَشَب[1] فلم يخرج، وعَضلَت الناقة أيضاً: إذا احتَبَس ولدُها في بطنها.

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال السُّدِّيُّ، وابن قُتيبةَ: معناه إذا تراضى الزوجان بالنِّكاح الصحيح. قال الشَّافِعيُّ: وهذه الآية أبينُ آيةٍ في أنه ليس للمرأة أن تتزوّج إلا بوليٍّ.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾، قال مُقاتلٌ: الإشارة إلى نهي الولي عن المنع. قال الزجَّاجُ: إنما قال: «ذلك» ولم يَقُل: «ذلكم» وهو يخاطب جماعةً، لأن لفظ الجماعة لفظ الواحد، فالمعنى: ذلك أيها القَبيل. قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ﴾، يعني رَدُّ النساء إلى أزواجهنَّ، أفضلُ من التَّفرقة بينهم، ﴿وَأَطْهَرُ﴾، أي: أنقى لقلوبكم من الرِّيبَة لئلا يكون هناك نوعُ محبَّةٍ، فيجتمعان على غير وجه صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه: يعلم ودَّ كل واحدٍ منهما لصاحبه، قاله ابن عباسٍ، والضحَّاكُ. **والثاني**: يعلم مصالحكم عاجلاً وآجلاً، قاله الزجَّاجُ في آخرين.

﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[2]، وقال القاضي أبو يَعْلَى: وهذا الأمر انصرف إلى الآباء، لأن عليهم الاسترضاع، لا إلى الوالدات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[3]، فلو كان مُتحتِّماً على الوالدة، لم تستحقَّ الأجرةَ، وهل هو عامٌّ في جميع الوالدات؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه خاصٌّ في المُطلَّقات، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، والضحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ في آخرين. **والثاني**: أنه عامٌّ في الزوجات والمُطلَّقات، ولهذا يقال: لها أن تُؤجِّر نفسها لرَضاع ولدها، سواءٌ كانت مع الزوج، أو مطلقةً، قاله القاضي أبو يَعْلَى، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيَّ في آخرين.

والحَوْلُ: السَّنَةُ، وفي قوله: ﴿كَامِلَيْنِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه دخل للتوكيد؛ كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[4]. **والثاني**: أنه لما جاز أن يقول: «حولين»، ويُريد أقلَّ منهما، كما قال: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[5]، ومعلومٌ أنه يتعجَّل في يومٍ، وبعضِ آخر. وتقول العرب: لم أرَ فلاناً منذ يومين، وإنما

---

(١) في «القاموس» نشب وانتشب: اعتلق، وتناشبوا: تضاموا وتعلق بعضهم ببعض.
(٢) البقرة: ٢٢٨.
(٣) النساء: ٢٤.
(٤) البقرة: ١٩٦.
(٥) البقرة: ٢٠٣.

يُريدون: يوماً وبعضَ آخر ـ قال: كاملين لتبيين أنه لا يجوز أن يُنْقَصَ منهما، وهذا قول الزجّاجِ، والفرَّاءِ.

فصل: اختلف علماء النَّاسخ والمَنْسُوخ في هذا القَدْرِ من الآية، فقال بعضهم: هو مُحْكَمٌ، والمقصود منه بيان مدَّة الرَّضاع، ويتعلَّقُ به أحكامٌ، منها أنه كمالُ الرَّضاع، ومنها أنه يُلْزِم الأبَ نفقة الرَّضاع مدَّةَ الحَوْلين، ويُجْبِره الحاكمُ على ذلك، ومنها أنه يثبت تحريم الرَّضاع في مُدَّة الحَوْلين، ولا يثبُت فيما زاد، ونُقل عن قَتادة، والرَّبيع بن أنسٍ في آخرين أنه منسُوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾، قال شيخنا عليُّ بن عُبيد الله: وهذا قولٌ بعيدٌ، لأنَّ الله تعالىٰ قال في أوَّلها: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، فلـمَّا قال في الثاني: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾ خَيَّرَ بين الإرادتين، وذلك لا يُعارض المدَّةَ المقدَّرةَ في التَّمام.

قوله تعالىٰ: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، أي: هذا التقدير بالحَوْلين لمُريدي إتمام الرَّضاعة. وقرأ مُجاهدٌ بتاءين «تتم الرضاعةُ» وبالرفع، وهي رواية الحَلَبيّ عن عبد الوارث. وقد ذكر التمام على نفي حُكم الرَّضاع بعد الحولين، وأكثر القُرَّاء على فتح راء «الرضاعة»، وقرأ طَلحةُ بن مُصرِّف، وابن أبي عَبْلَة، وأبو رَجاءٍ بكسرها، قال الزَّجَّاجُ، يقال: الرَّضاعة بفتح الراء وكسرها، والفتح أكثر، ويقال: ما حمله على ذلك إلا اللؤمُ والرَّضاعةُ بالفتح هاهنا لا غير.

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾، يعني: الأب. ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ يعني: المُرضعات. وفي قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ دلالةٌ على أن الواجب على قَدر حال الرجل في إعسارِه ويَسارِه، إذ ليس من المعروف إلزام المُعسر ما لا يُطيقه، ولا المُوسِر النَّزر الطَّفيف. وفي الآية دليلٌ على تسويغ اجتهاد الرأي في أحكام الحَوادث، إذ لا يُتوصَّل إلى تقدير النفقة بالمعروف إلاّ من جهة غالب الظنِّ، إذ هو معتبرٌ بالعادة. قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾، أي: إلا ما تُطيقه. ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾، قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبَان عن عاصم (لا تضارُّ) برفع الراء، وقرأ نافعٌ وعاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ بنصبها، قال أبو عليٍّ: مَنْ رفع، فلأجَل المرفوع قبله، وهو «لا تكلفُ»، فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نَصب جعله أمراً، وفتحَ الراء لتكون حركته موافقةً لما قبلها وهو الألف، قال ابن قُتيبةَ: معناه: لا تُضارر، فأُدغمت الراء في الراء. وقال سعيدُ بن جُبيرٍ: لا يَحملنَّ المطلقةَ مضارَّةُ الزوج أن تُلقيَ إليه ولدَه. وقال مُجاهدٌ: لا تأبى أن تُرضعه ضِراراً بأبيه، ولا يُضَار الوالدُ بولَدِه، فيمنعَ أمَّه أن تُرضعَه، ليَحْزُنَها بذلك. وقال عَطاءٌ، وقَتادةُ، والزُّهريُّ، وسُفيانُ، والسُّدِّيُّ في آخرين: إذا رَضِيَت بما يرضى به غيرها، فهي أحقُّ به. وقرأ أبو جعفرَ: «لا تضار» بتخفيفها وإسكانها.

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه وارث المولود، وهو قول عَطاءٍ، ومُجاهدٍ، وسعيد بن جُبيرٍ، وابن أبي لَيْلَى، وقَتادةَ، والسُّدِّيّ، والحسَن بن صالحٍ، ومُقاتلٍ في آخرين؛ واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عَصَبَته، كائناً من كان، وهذا مرويٌّ عن عمرَ، وعَطاءٍ، والحسَن، ومُجاهدٍ، وإبراهيمَ، وسُفيانَ. وقال بعضهم: هو وارث المولود على الإطلاق من الرجال والنساء، رُوي عن ابن أبي لَيْلَى، وقَتادةَ، والحسَن بن صالحٍ، وإسحاقَ، وأحمدَ بن حنبلٍ. وقال آخرون: هو مَنْ كان ذا رَحِمٍ محرمٍ من ورثة المولود، رُوي عن أبي حَنيفةَ،

وأبي يُوسفَ، ومُحمّدٍ. **والقول الثاني**: أن المراد بالوارث هاهنا، وارث الوالد، روي عن الحسَن والسُّدِّيّ. **والثالث**: أن المراد بالوارث الباقي من والدَي الولد بعد وفاة الآخر، رُوي عن سُفيانَ. **والرابع**: أنه أريد بالوارث الصبيُّ نفسه، فالنفقة عليه، فإن لم يملك شيئاً، فعلى عَصَبَته، قاله الضحَّاكُ، وقَبيصَةُ بن ذُؤَيب. قال شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله: وهذا القول لا يُنافي قول من قال: المراد بالوارث وارث الصبي، لأن النفقة تَجب للموروث على الوارث إذا ثبت إعسَارُ المُنفَقِ عليه. وفي قوله تعالىٰ: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الإشارة إلى أُجرة الرَّضاع والنفقة، روي عن عُمرَ، وزيد بن ثابتٍ، والحسَن، وعَطاءٍ، ومُجاهدٍ، وإبراهيمَ، وقَتادةَ، وقَبيصة بن ذُؤَيبٍ، والسُّدِّيّ. واختاره ابن قُتيبةَ. **والثاني**: أن الإشارة بذلك إلى النهي عن الضِّرار، روي عن ابن عباسٍ والشَّعبيّ والزُّهريّ. واختاره الزجَّاجُ. **والثالث**: أنه إشارةٌ إلى جميع ذلك، روي عن سعيد بن جُبيرٍ ومُجاهدٍ ومُقاتلٍ وأبي سليمانَ الدِّمشقيّ واختاره القاضي أبو يَعْلَى. ويشهد لهذا أنه معطوفٌ على ما قبله، وقد ثبت أن على المولود له النفقة والكسوة، وأن لا يُضارّ، فيجب أن يكون قوله: ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ مشيراً إلى جميع ما على المولود له.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾، الفِصَال: الفِطَام. قال ابن قُتيبةَ: يقال: فَصَلتُ الصبيَّ من أمِّه: إذا فَطَمْته. ومنه قيل للحُوارِ[1] إذا قُطع عن الرَّضاع: فَصِيل، لأنه فُصِل عن أمِّه، وأصل الفَصل: التَّفريق. قال مُجاهدٌ: التشاور فيما دون الحَوْلين إن أرادت أن تَفطِم وأبى، فليس لها، وإن أراد هو، ولم تُرِد، فليس له ذلك حتى يقعَ ذلك عن تراضٍ منهما وتَشَاوُرٍ، يقول: غير مُسيئين إلى أنفسهما وإلى صبيهما. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾، قال الزجَّاجُ: أي: لأولادكم. قال مُقاتلٌ: إذا لم ترضَ الأم بما يرضى به غيرها، فلا حَرَجَ على الأب أن يسترضعَ لولدِه. وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قولان: **أحدهما**: إذا سلَّمتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أُجورَ ما أرضعنَ قبل امتناعهن، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: إذا سلَّمتُم إلى الظِّئر أجرَها بالمعروف، قاله سَعيدُ بن جُبيرٍ، ومُقاتلٌ. وقرأ ابن كثيرٍ (ما أتيتم) بالقصر، قال أبو عليّ: وجهه أن يقدَّر فيه: ما أوتيتم نَقده أو أوتيتم سَوقه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كما تقول: أتيتُ جميلاً، أي: فَعلْتُهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾، أي: يُقبضون بالموت. وقرأ المُفضَّل عن عاصم «يَتوفون» بفتح الياء في الموضعين. قال ابن قُتيبةَ: هو من استيفاء العَدَد، واستيفاءُ الشيء: أن نستقصيه كلَّه، يقال: توفَّيته واستوفيته، كما يقال: تيقَّنت الخبر واستيقَنته، هذا الأصل، ثم قيل للموت: وَفاة وتَوَفٍّ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ ينتظِرنَ، قال الفرَّاءُ: وإنما قال: ﴿وَعَشْرًا﴾ ولم يقل: عشرة، لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام، غلَّبوا عليه الليالِيَ على الأيام، حتى إنهم ليقولون: صمنا عشراً من شهر رمضان،

(١) في «اللسان» الحُوَار: ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل.

لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا مع العدد تفسيرَه، كانت الإناث بغير هاءٍ، والذُّكور بالهاء[(١)]؛ كقوله تعالىٰ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[(٢)]. فإن قيل: ما وجه الحكمة في زيادة هذه العشرة؟ فالجواب: أنه يُبيِّن صحةَ الحَمْل بنفخِ الرُّوح فيه، قاله سعيد بن المُسَيّب، وأبو العَالِيَة.

[١٢١] ويشهدُ له الحديث الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ خَلْقَ أحدِكُم يُجمع في بطن أمِّه أربعينَ يوماً نطفة، ثم يكون عَلَقَةً مثلَ ذلك، ثم يكون مُضْغَةً مثلَ ذلك، ثم يُرْسَلُ إليه المَلَكُ، فينفُخُ فيه الرُّوحَ».

فصل: وهذه الآية ناسخةٌ للتي تشابهها، وهي تأتي بعد آياتٍ، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾؛ لأن تلك كانت تقتضي وجوبَ العِدَّة سنةً،

---

[١٢١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٨ و٣٣٣٢ و٦٥٩٤ و٧٤٥٤ ومسلم ٢٦٤٣ وأبو داود ٤٧٠٨ والترمذي ٢١٣٧ والنسائي ٦/ ٢٩ وابن ماجه ٧٦ وابن حبان ٦١٧٤ والبيهقي ٣٨٧ و١٣٧ ـ ١٣٨ من حديث ابن مسعود: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلةً، ثم يكون علقةً مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح، فإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النَّار فيدخل النار وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها» لفظ البخاري.

---

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٣٤: ولا يحتاج إلى تأويل عشر بأنها ليال لأجل حذف التاء ولا إلى تأويلها بمدد كما ذهب إليه «المبرد» بل الذي نقل أصحابنا إنه إذا كان المعدود مذكراً وحذفته فلك فيه وجهان أحدهما وهو الأصل أن يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود فتقول صمت خمسة تريد خمسة أيام قالوا وهو الفصيح قالوا ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث، وحكى «الكسائي» عن أبي الجراح صمنا من الشهر خمساً ومعلوم أن الذي يصام من الشهر إنما هي الأيام واليوم مذكر. وقوله ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه كما ذكر بل استعمال التذكير هو الكثير الفصيح فيه كما ذكرنا وقوله ومن البين فيه إن لبثتم إلا عشراً قد بينا مجيء هذا على الجائز فيه وأن محسن ذلك إنما هو كونه فاصلة وقوله: ﴿إن لبثتم إلا يوماً﴾ [طه: ١٠٤].
فائدة: ذكر «الزمخشري» هذا أنه على زعمه أراد الليالي والأيام داخلة معها فأتى بقوله إلا يوماً للدلالة على ذلك وهذا عندنا يدل على أن قوله عشراً إنما يريد بها الأيام لأنهم اختلفوا في مدة اللبث فقال قوم عشر، وقال أمثلهم طريقة يوم، فقوله: إلا يوماً مقابل لقولهم إلا عشراً ويبين أنه أريد بالعشر الأيام إذ ليس من التقابل أن يقول بعضهم عشر ليال، ويقول بعض يوماً، وظاهر قوله أربعة أشهر ما يقع عليه اسم الشهر فلو وجبت العدّة مع رؤية الهلال لاعتدّت بالأهلة، كان الشهر تاماً أو ناقصاً وإن وجبت في بعض شهر فقيل تستوفي مائة وثلاثين يوماً وقيل تعتدّ بما يمر عليها من الأهلة شهوراً ثم تكمل الأيام الأول، وكلا القولين عن أبي حنيفة ولما كان الغالب على من مات عنها زوجها أن تعلم ذلك فتعتد إثر الوفاة جاء الفعل مسنداً إليهن وأكد بقوله ﴿بأنفسهن﴾ فلو مضت عليها مدة العدة من حين الوفاة وقامت على ذلك البينة ولم تكن علمت بوفاته إلى أن انقضت العدة فالذي عليه الجمهور أن عدتها من يوم الوفاة.

(٢) الحاقه: ٧.

وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إنْ شاءَ الله. فأما التي نحن في تفسيرها: فقد رُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: نسختْها ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[1]. والصحيح: أنها عامةٌ دخلَها التَّخصيص، لأن ظاهرها يقتضي وجوبَ العِدَّة على المُتوفَّى عنها زوجها أربعةَ أشهرٍ وعشراً، سواءٌ كانت حاملاً، أو غيرَ حاملٍ، غير أن قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خصَّ أولاتِ الحَمْل، وهي خاصةٌ أيضاً في الحَرائرِ، فإن الأَمَة عِدَّتُها شَهرانِ وخمسةُ أيام، فَبَانَ أنها من العامِّ الذي دَخلَه التَّخصيص.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يعني: انقضاء العِدَّة. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما** أن معناه: فلا جُناح على الرجال في تزويجهنَّ بعد ذلك. **والثاني**: فلا جُناح على الرجالِ في تَرْكِ الإنكار عليهنَّ إذا تزيَّن وتزوجن. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: وهو خطابٌ لأوليائهنَّ.

قوله تعالىٰ: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه التَّزيُّن والتَّشَوُّف للنِّكاح، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه النِّكاح، قاله الزُّهريُّ، والسُّدِّيُّ.

و«الخَبير» من أسماء الله تعالىٰ، ومعناه: العالِمُ بكُنه الشيءِ المُطَّلع على حقيقته. و«الخَبير» في صفة المخلوقين، إنما يُستعمل في نوعٍ من العلم، وهو الذي يُتوصَّل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببَدائِه العقول. وعلمُ الله تعالىٰ سواءٌ فيما غَمُضَ ولَطُف وفيما تَجَلَّى وظَهَر.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾، هذا خطابٌ لمن أراد تزويجَ مُعتدَّةٍ. والتَّعريضُ: الإيماء والتَّلويح من غير كَشفٍ، فهو إشارةٌ بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكرٌ. والخِطْبةُ بكسر الخاء: طَلَبُ النِّكاح، والخُطبة بضم الخاء: مثل الرِّسالة التي لها أولٌ وآخر. وقال ابن عباسٍ: التَّعريضُ أن يقول: إني أريد أن أتزوّج. وقال مُجاهدٌ: أن يقول: إنكِ لجميلةٌ، وإنَّكِ لحسنةٌ، وإنَّكِ لإلى خيرٍ. قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، قال الفَرَّاءُ: فيه لغتان: كَنَنْتُ الشيءَ، وأكْنَنْتُه. وقال ثَعلبٌ: أكْنَنْتُ الشيءَ: إذا أخفيته في نَفسِك، وكَنَنْتُه: إذا سَتَرْتَه بشيءٍ. وقال ابن قُتيبة: أكْنَنْتُ الشيءَ: إذا سَتَرْتُه، ومنه هذه الآية، وكَنَنْتُه: إذا صُنْتُه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾[2]، قال بعضهم: يجعل كَنَنْته، وأكْنَنْته، بمعنىً. قوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾، قال مجاهدٌ: ذِكرُه إياها في نفسه. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن المراد بالسِّرِّ هاهنا: النِّكاح، قاله ابن عباسٍ. وأنشد بيتَ امرئِ القَيْس:

ألا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ[3] اليومَ أنَّني ... كَبُرْتُ وأنْ لا يَشْهَدَ السِّرَّ أمْثَالي

---

(١) الطلاق: ٤.
(٢) الصافات: ٤٩.
(٣) في «القاموس» بسباسة: إمرأة من بني أسد.

وفي روايةٍ: يشهد اللّهو. قال الفَرّاءُ: ويرى أنه مما كنّى الله عنه كقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾[1]. وذكر الزجّاجُ عن أبي عُبيدةَ أن السِّرَّ: الإفضاء بالنّكاح المحرم، وأنشد[2]:

ويَحْرمُ سِرُّ جارَتِهم عليهِمْ ... ويأكُلُ جارُهُم أنفَ القِصَاعِ[3]

قال ابن قُتيبةَ: استُعير السِّرُّ للنّكاح، لأن النّكاح يكون سِرّاً، فالمعنى: لا تواعدوهنَّ بالتزويج، وهن في العدة تصريحاً، ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ لا تذكرون فيه رَفَثاً ولا نِكاحاً. **والثاني**: أن المُواعَدة سِرّاً: أن يقول لها: إنّي لك محبٌّ، وعاهِديني أن لا تتزوجي غيري، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أن المراد بالسِّرِّ الزِّنَى، قاله الحسَنُ، وجابرُ بن زيدٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وإبراهيمُ، وقَتادةُ، والضحّاكُ. **والرابع**: أن المعنى: لا تنكحوهنَّ في عِدَّتهنَّ سِرّاً، فإذا حلَّت أظهرتُم ذلك، قاله ابن زيدٍ.
وفي القول المعروف قولان: **أحدهما**: أنه التَّعريض لها، وهو قول ابن عباسٍ، وسعيد بن جبيرٍ، وعَطاءٍ، والقاسمِ بن محمَّدٍ، والشّعبيِّ، ومُجاهدٍ، وإبراهيمَ، وقَتادةَ، والسُّدِّيِّ. **والثاني**: أنه إعلامُ وليِّها برغبته فيها، وهو قول عُبيدةَ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾، قال الزجّاجُ: لا تعزمُوا على عُقْدَة النّكاح، وحُذفت «على» استخفافاً، كما قالوا: ضرب زيد الظّهر والبطنَ، معناه: على الظّهر والبطن. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾، أي: حتى يبلغَ فرضُ الكتاب أجلَه، قال: ويجوز أن يكون «الكتاب» بمعنى «الفرض»؛ كقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[4]، فيكون المعنى: حتى يبلُغ الفرضُ أجلَه. قال ابن عباسٍ، ومُجاهد، والشّعبيُّ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ: بلوغ الكتاب أجَله: انقضاءُ العِدَّة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، قال ابن عباسٍ: من الوَفاء، فاحذروه أن تُخالفوه في أمره. والحَليم قد سبق بيانه.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وابن عامرٍ، وأبو عمرٍو «تمسوهن» بغير ألفٍ حيثُ كانَ، وبفتح التاء. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ «تماسُّوهن» بألفٍ وضمِّ التاء في الموضعين هنا، وفي الأحزاب ثالث. قال أبو عليٍّ: وقد يُراد بكل واحدٍ من «فاعل» و«فعل» ما يُراد بالآخر، تقول: طارقت النعال وعاقبت اللص.

[١٢٢] قال مقاتلٌ بن سُليمانَ: نزلت هذه الآية في رجلٍ من الأنصار تزوج امرأةً من بني حَنيفةَ،

---

[١٢٢] لا أصل له. عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهذا معضل، ومع ذلك مقاتل كذاب يضع الحديث، وقد تفرد بهذا الخبر. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١/ ٢٨٥ لم أجده. وذكره القرطبي في تفسير ٣/ ٣٥ =

---

(١) النساء: ٤٣.
(٢) البيت للحطيئة.
(٣) في «اللسان»: القصعة الضخمة تشبع العشرة والجمع قِصاع. وأنف كل شيء: طرفه وأوله.
(٤) البقرة: ١٨٣.

ولم يُسَمِّ لها مَهراً، فطلَّقها قبل أن يَمَسَّها، فقال النبيُّ ﷺ: «هل متَّعتَها بشيءٍ؟» قال: لا، قال: «مَتِّعها ولو بِقَلَنْسُوَتِكَ»، ومعنى الآية: ما لم تمسوهنَّ، ولم تفرضوا لهنَّ فريضة. وقد تكون «أو» بمعنى الواو. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[1].

والمس: النكاح، والفريضة: الصداق، وقد دلّت الآية على جواز عقد النكاح بغير تسمية مهر ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على قدر أحوالكم في الغنى والفقر. والمتاع: اسم لما ينتفع به، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾، وقرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو «قَدْره» بإسكان الدال في الحرفين، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بتحريك الحرفين، وعن عاصم: كالقراءتين وهما لغتان.

فصل: وهل هذه المُتْعَة واجبةٌ، أم مستحبةٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: واجبةٌ، واختلف أرباب هذا القول، لأيِّ المطلَّقات تَجِب، على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها واجبةٌ لكل مطلَّقةٍ، روي عن عليٍّ والحسنِ وأبي العالِية والزُّهريّ. **والثاني**: أنها تَجِب لكل مطلَّقةٍ إلا المطلَّقة التي فرضَ لها صَداقاً ولم يَمَسَّها، فإنه يجب لها نصفُ ما فرضَ، رُوي عن ابن عمرَ والقَاسم بن محمَّدٍ وشُرَيح وإبراهيمَ. **والثالث**: أنها تَجِبُ للمطلَّقة قبل الدُّخول إذا لم يُسَمِّ لها مهراً، فإن دَخَلَ بها، فلا مُتعةَ، ولها مَهرُ المثل، رُوي عن الأوزاعيِّ والثَّوريِّ وأبي حَنيفةَ وأحمدَ بن حَنبلٍ.

والثاني: أن المُتعة مستحبَّةٌ، ولا تجب على أحدٍ، سواءٌ سمَّى للمرأة، أو لم يُسَمِّ، دَخلَ بها، أو لم يَدْخُل، وهو قول مالكٍ، واللَّيثِ بن سَعدٍ، والحَكَمِ، وابن أبي لَيْلَى.

واختلف العلماء في مقدار المُتْعَة، فنُقل عن ابن عباسٍ، وسعيد بن المُسَيّب: أعلاها خادم، وأدناها كِسْوةٌ يجوز لها أن تُصلّي فيها، ورُوي عن حمَّادٍ وأبي حَنيفةَ: أنه قَدْرُ نصف صَداقِ مثلها. وعن الشَّافعيِّ وأحمدَ: أنه قَدْر يَسَارِه وإعسَارِه، فيكون مقدراً باجتهاد الحاكِم. ونُقل عن أحمدَ: أن المُتْعَة بقدر ما تجزىء فيه الصَّلاة من الكُسْوة، وهو دِرعٌ وخِمَارٌ.

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أي: بقَدْرِ الإمكان، والحق: الوَاجب. وذِكْرُ المُحْسنين والمُنفقين ضَربٌ من التأكيد.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾، أي: قبل الجِماع ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي:

= ١٩٠ ونسبه للثعلبي، وتفرد الثعلبي به يدل على أنه غير حجة لأنه كحاطب ليل حتى الواحدي لم يذكره في «أسباب النزول». وكذا السيوطي وهذا الخبر أمارة الوضع لائحة عليه.

(١) الدهر: ٢٤.

أوجبتم لهنّ شيئاً التزمتُم به، وهو المَهرُ ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾، يعني: النساء، وعَفو المرأة: تَركُ حقِّها من الصَّداق. وفي ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ ثلاثة أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه الزَّوج، وهو قول عليٍّ، وجُبير بن مُطعِم، وابن المُسَيّب، وابن جُبيرٍ، ومُجاهدٍ، وشُرَيحٍ، وجابر بن زيدٍ، والضحَّاكِ، ومحمَّد بن كعبٍ القُرَظِيّ، والرَّبيعِ بن أنسٍ، وابن شِبرمَة، والشَّافعيّ، وأحمدَ رضي الله عنهم في آخرين. **والثاني**: أنه الوَليُّ، رُوي عن ابن عباسٍ، والحسن، وعَلقمَة، وطاوسٍ، والشَّعبيّ، وإبراهيمَ في آخرين. **والثالث**: أنه أبو البِكرِ، روي عن ابن عباسٍ، والزُّهريِّ، والسُّدِّيِّ في آخرين. فعلى القول الأول عَفو الزوج: أن يُكمل لها الصَّداق، وعلى الثاني: عَفو الوَليِّ: ترك حقِّها إذا أَبَتْ، رُوي عن ابن عباسٍ، وأبي الشَّعثاءِ. وعلى الثالث يكون قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ يختصّ بالثَّيِّباتِ. وقوله: ﴿أَوۡ

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٠/ ١٦٠: اختلف أهل العلم في الذي بيده عقدة النكاح، فظاهر مذهب أحمد رحمه الله. أنه الزوج. وروي ذلك عن عليٍّ وابن عباس، وجبير بن مطعم رضي الله عنهم، وبه قال سعيد بن المسيب، وشريح، وسعيد بن جبير، ونافع بن جبير، ونافع مولى ابن عمرَ، ومجاهد وإياس بن معاوية، وجابر بن زيد، وابن سيرين، والشّعبي والثوري، وإسحاق، وأصحاب الرأي. والشافعي في الجديد وعن أحمد أنه الوليُّ إذا كان أبا الصغيرة وهو قول الشافعي القديم إذا كان أباً أو جداً وحكي عن ابن عباس وعلقمة والحسن وطاوس والزهري وربيعة ومالك، أنه الوليّ لأن الوليَّ بعد الطلاق هو الذي بيده عقدة النكاح، لكونها قد خرجت عن يد الزّوج ولأن الله تعالى ذكر عفو النساء عن نصيبهنّ، فينبغي أن يكون عفو الذي بيده عقدة النكاح عنه، ليكون المعفو عنه في الموضعين واحداً، ولأن الله تعالى بدأ بخطاب الأزواج على المواجهة بقوله **﴿وإن طلقتموهنَّ من قبل أن تمسوهنَّ﴾** ثم قال: **﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾** وهذا خطاب غير حاضر. ولنا، ما روى أنه الدارقطني بإسناده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «وليُّ العُقْدَةِ الزوجُ» ولأن الذي بيده عقدة النكاح بعد العقد هو الزوج فإنه يتمكّن من قَطْعِه وفسخه وإمساكه، وليس إلى الوَليّ منه شيء، ولأنَّ الله تعالى قال: **﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾** والعفوُ الذي هو أقرب إلى التّقوى ولأن المهر مال للزوجة، فلا يملك الوليُّ هبَته وإسقاطه، كغيره من أموالها وحقوقها، كسائر الأولياء، ولا يمتنع العدول عن خطاب الحاضر إلى خطاب الغائب كقوله تعالى: **﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول فإن تولّوا فإنما عليه ما حمّل وعليكم ما حُمّلتم﴾**. فعلى هذا متى طلق الزّوج قبل الدخول تنصَّف المهر بينما إن عفا الزّوج لها عن النّصف الذي له، كَمَلَ لها الصَّداق جميعه، وإن عفت المرأة عن النّصف الذي لها منه، وتركت له جميع الصداق، جاز إذا كان العافي منهما رشيداً جائزاً تصرُّفه في ماله، وإن كان صغيراً أو سفيهاً، لم يصحّ عفوه لأنه ليس له التّصرُّفُ في ماله بهبة ولا إسقاط. ولا يصحُّ عفو الوليِّ عن صداق الزّوجة، أباً كان أو غيره، صغيرةً كانت أو كبيرة. نصَّ عليه أحمد، في رواية الجماعة، وروى عنه ابن منصور: إذا طلّق امرأته وهي بكر قبل أن يدخلَ بها، فعفا أبوها أو زوجها، ما أرى عفو الأب إلاَّ جائزاً. قال أبو حفص: ما أرى ما نقله ابن منصور إلاَّ قولاً لأبي عبد الله قديماً. وظاهر قول أبي حفص أن المسألة رواية احدة، وأن أبا عبد الله رجع عن قوله بجواز عفو الأب وهو الصحيح، لأن مذهبه أنه لا يجوز للأب إسقاط ديون ولده الصغير ولا إعتاق عبيده، ولا تصرُّفه له إلاَّ بما فيه مصلحته ولا حظَّ لها في هذا الإسقاط فلا يصح ـ وإنْ قلنا برواية ابن منصور، لم يصحَّ إلاَّ بخمس شرائط: الأول أن يكون أباً لأنّه الذي يلي مالها، ولا يتّهم عليه. والثاني أن تكون صغيرة ليكون ولياً على مالها، فإنَّ الكبيرة تلِي مال نفسها. الثالث أن تكون بكراً لتكون غير مبتذلة، ولأنّه لا يملك تزويج الثيّب وإن كانت صغيرةً، فلا تكون ولايته عليها تامة. الرابع، أن تكون مطلقةً، لأنها قبل الطلاق معرَّضَة لإتلاف البُضـع. الخامس أن تكون قبل الدُّخول، لأنّ ما بعده قد أتلف البُضعُ فلا يعفو عن بَدَلٍ مُتلَفٍ. ومذهب الشافعيِّ على نحو هذا إلاَّ أنّه يجعل الجدَّ كالأبِ.

يَعْفُوَاْ﴾، يختصُّ أبا البِكْر، قاله الزُّهريُّ، والأول أصحُّ، لأن عُقدةَ النِّكاح خرجت من يد الوليِّ، فصارت بيد الزَّوج، والعَفْو إنما يُطلق على مِلْك الإنسان، وعَفو الوليّ عفوٌ عما لا يملِك، ولأنه قال: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾، والفَضل في هِبَة الإنسان مَال نفسه، لا مالَ غيره. قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنه خطابٌ للزوجين جميعاً، رُوي عن ابن عباسٍ، ومُقاتِل. **والثاني**: أنه خطابٌ للزوج وحدَه، قاله الشَّعبيُّ، وكان يقرأ: «وأن يعفو» بالياء. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾، خطابٌ للزوجين، قال مُجاهدٌ: هو إتمام الرجل الصَّداق، وتَرْكُ المرأة شَطْرَها.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، المحافظة: المُواظبة والمُداومة، والصَّلوات بالألف واللام يَنصَرف إلى المعهود، والمُراد: الصَّلوات الخَمْسُ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذه الواو تنصرف إلى المعهود والمراد الصلوات الخمس إذا جاءت مُخصِّصةً، فهي دالَّةٌ على فَضْلِ الذي تُخصِّصُه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾(١) قال سعيدُ بن المُسَيِّب: كان أصحابُ رسول الله ﷺ، في الصلاة الوسطى هكذا، وشَبَّكَ بين أصابعه(٢).

ثم فيها خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنها العصر.

[١٢٣] روى مُسلمٌ في أفراده من حديث عليّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، أنه قال يومَ الأَحزاب: «شغَلونا عن الصَّلاةِ الوُسطَى صلاةِ العَصْرِ، مَلأَ قبورَهم وبيوتَهم ناراً».

[١٢٤] وروى ابن مسعودٍ، وسَمُرَةُ، وعائِشَةُ عن النبيِّ ﷺ أنها صلاة العصر.

---

[١٢٣] أخرجه البخاري ٢٩٣١ و٤١١١ و٤٥٣٣ و٦٣٩٦ ومسلم ٦٢٧ وأبو داود ٤٠٩ وأحمد ١/ ١٢٢ والدارمي ١/ ٢٨٠ من طريق هشام بن حسَّان عن محمد بن سيرين عن عَبيدة السلماني عن علي. وأخرجه مسلم ٦٢٧ ح ٢٠٣ والترمذي ٢٩٨٤ والنسائي ١/ ٣٦ وأحمد ١/ ١٣٥ و٣٧ و١٥٣ و١٥٤ والطبري ٥٤٢٥ و٥٤٣٢ من طرق عن أبي حسَّان عن عبيدة. وأخرجه مسلم ٦٢٧ ح ٢٠٥ وعبد الرزاق ٣١٩٤ وأحمد ١/ ٨١ و٨٢ و٨٣ و١٢٦ و١٤٦ والطبري ٥٤٢٧ و٥٤٢٩ والبيهقي ١/ ٤٦٠ و٢/ ٢٢٠ من طريق الأعمش عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن شتير بن شَكَلٍ عن علي.

[١٢٤] حديث ابن مسعود، أخرجه مسلم ٦٢٨ والترمذي ١٨١ و٢٩٨٥ والطيالسي ٣٦٦ وأحمد ١/ ٣٩٢ و٤٠٣ و٤٠٤ و٤٥٦ والطبري ٥٤٣٣ والطحاوي ١/ ١٧٤ والبيهقي ١/ ٤٦١ من طريق محمد بن طلحة عن زبيد بن الحارث عن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود. قال حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتَّى احمرَّت الشَّمسُ أو اصفرَّت. فقال رسول الله ﷺ «شغلونا عن الصَّلاة الوسطى صلاة العصر. ملأ اللَّهُ أَجْوَافَهُمْ وقبُورَهُمْ نَاراً» أو قال: «حشا اللَّه أجوافهم وقبورهم ناراً».

- وحديث سمرة أخرجه الترمذي ٢٩٨٣ وأحمد ٥/ ١٣ و٢٢ ولفظه «إن النبي ﷺ قال: صلاة الوسطى صلاة العصر». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) البقرة: ٩٧.

(٢) أخرجه الطبري ٥٤٩٥ عن قتادة عن ابن المسيب، وفيه إرسال بينهما فإن قتادة لم يسمعه من سعيد فهو ضعيف. وقوله «وشبك بين أصابعه» أي مختلفين كما في رواية الطبري.

[١٢٥] وروى مُسلمٌ في أفراده من حديث البَرَاء بن عازبٍ قال: نزلت هذه الآية «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر»، فقرأناها ما شاءَ الله، ثم نسخَها الله، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وهذا قول عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وابن مسعودٍ، وأُبيٍّ، وأبي أيوبَ، وابن عُمرَ في روايةٍ، وسَمُرةَ بن جُندُبٍ، وأبي هُريرةَ، وابن عباسٍ في رواية عطيَّة، وأبي سعيدٍ الخُدريِّ، وعائشةَ في روايةٍ، وحفصةَ، والحسَنِ، وسعيدِ بن المُسَيِّب، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وعَطاءٍ في روايةٍ، وطاوسٍ، والضحَّاكِ، والنَّخعيِّ، وعُبيدِ بن عُميرٍ، وزِرِّ بن حُبَيْشٍ، وقَتادةَ، وأبي حَنيفةَ، ومُقاتلٍ في آخرين، وهو مذهب أصحابنا.

والثاني: أنها الفَجرُ، روي عن عُمرَ، وعليٍّ في روايةٍ، وأبي موسى، ومُعاذٍ، وجابرِ بن عبد الله، وأبي أُمَامَةَ، وابن عُمرَ في روايةِ مُجاهدٍ، وزيد بن أسلَمَ، في رواية أبي رَجاءِ العطارِديّ، وعِكرمةَ، وجابرِ بن زيدٍ، وأنسِ بن مالكٍ، وعطاءٍ، وطاوسٍ في روايةِ ابنِه، وعبد الله بن شَدَّادٍ، ومُجاهدٍ، ومَالكٍ، والشَّافعيِّ. وروى أبو العَاليةِ قال صَلَّيتُ مع أصحاب رسول الله ﷺ الغَداة فقلتُ لهم: أيّما الصلاة الوسطى؟ فقالوا: التي صَلَّيتَ قَبْلُ. **والثالث**: أنها الظُّهر، رُوي عن ابن عمرَ، وزيد بن ثابتٍ، وأسامة بن زيدٍ، وأبي سعيدِ الخُدريِّ، وعائشةَ في روايةٍ، وروى [عاصم بن ضمرة](١) عن عليٍّ عليه السلام قال: هي صلاة الجُمعة، وهي سائرُ الأيام الظُّهر. **والرابع**: أنها المَغرب، روي عن ابن عباسٍ، وقُبيصةَ بن ذُؤيبٍ. **والخامس**: أنها العِشاء الأخيرة، ذكره عليُّ بن أحمدَ النَّيْسَابوريّ في «تفسيره».

وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها أوسَط الصلوات مَحلّاً. **والثاني**: أوسطها مقداراً. **والثالث**: أفضلها، ووسَط الشيء: خيرُه وأعدلُه. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(٢)، فإن قلنا: إن الوسطى بمعنى: الفُضلَى، جاز أن يدَّعيَ هذا كلُّ ذي مَذهبٍ فيها. وإن قلنا: إنها أوسطها مقداراً، فهي المَغرب، لأن أقل المفروضات ركعتان، وأكثرها أربعاً. وإن قلنا: أوسطُها مَحلّاً، فللقائلين: إنها العَصر أن يقولوا: قبلَها صلاتان في النهار، وبعدها صلاتان في الليل، فهي الوسطى.

= وحديث عائشة أخرجه مسلم ٦٢٩ وأبو داود ٤١٠ والترمذي ٢٩٨٢ والنسائي ٦٦ وأخرجه مالك ١/ ١٣٨ - ١٣٩ وأحمد ٦/ ٧٣ و١٧٨ والطحاوي في المعاني ١/ ١٧٢ وابن أبي داود في المصاحف ص ٨٤ والبيهقي ١/ ٤٦٢ من طريق زيد بن أسلم به. وأخرجه الطبري ٥٤٧٠ من طريق زيد بن أسلم أنه بلغه عن أبي يونس: عن عائشة. وأخرجه مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميميُّ قال قرأت على مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم، عن أبي يونس مولى عائشة، أنه قال: «أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿حافظوا على الصَّلواتِ والصَّلاة الوسطى﴾ [البقرة، الآية: ٢٣٨] فلمَّا بلغتُها آذنتها. فأملت عليّ: حافظوا على الصَّلوات والصَّلاة الوسطى وصلاة العصر. وقوموا لله قانتين قالت عائشة سمعتها من رسول الله ﷺ.

[١٢٥] صحيح. أخرجه مسلم ٦٣٠ والطبري ٥٤٣٧ والحاكم ٢/ ٢٨١ والطحاوي في «المشكل» ٢٠٧١ والبيهقي ١/ ٤٥٩ من حديث البراء بن عازب.

---

(١) ما بين المعقوفتين في نسخة «الفكر» «أبو ضمرة» وفي نسخة «المكتب» ضمرة وكلاهما خطأ، ليس في الرواة عن علي ضمرة أو أبو ضمرة، وإنما يروي عنه عاصم بن ضمرة.

(٢) البقرة: ١٤٢

ومَن قال: هي الفَجْر، فقال عِكرمةُ: هي وسطٌ بين الليل والنهار، وكذلك قال ابن الأنباريّ: هي وسطٌ بين الليل والنهار، وقال: وسمعتُ أبا العبَّاس يعني، ثَعْلباً يقول: النهار عند العرب أوَّلُه: طلوع الشمس. قال ابن الأنباريّ: فعلى هذا صلاة الصبح من صلاة الليل، قال: وقال آخرون: بل هي من صلاة النهار، لأن أول وقتها أول وقت الصوم. قال: والصواب عندنا أن نقول: الليل المَحض خاتمتُه طُلوع الفَجر، والنَّهار المَحض أوّلُه: طلوعُ الشمس، والذي بين طلوع الفَجر، وطلوع الشّمس يجوز أن يُسمى نهاراً، ويجوز أن يُسمّى ليلاً، لما يُوجد فيه من الظُّلمة والضَّوء، فهذا قولٌ يصحُّ به المذهبان. قال ابن الأنباريّ: ومَنْ قال: هي الظُّهر، قال: هي وسط النهار، فأمّا من قال: هي المَغرب، فاحتجَّ بأن أوّل صلاة فُرضت، الظُّهر، فصارت المَغرب وُسطى، ومن قال: هي العِشَاء، فإنه يقول: هي بين صلاتين لا تُقصران. قوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأمّا القُنُوت، فقد شرحناه فيما تقدم. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الطَّاعة، قاله ابن عباس، والحسنُ، ومُجاهدٌ، وابن جُبيرٍ، والشَّعبيُّ، وطاوسٌ، والضَّحّاكُ، وقَتادةُ في آخرين. **والثاني**: أنه طُول القيام في الصلاة، روي عن ابن عُمَرَ، والرَّبيعِ بن أنسٍ، وعن عَطاءٍ كالقولين. **والثالث**: أنه الإمسَاك عن الكلام في الصَّلاة.

[١٢٦] قال زيدُ بن أرْقَمَ: كنّا نتكلّم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسُّكوت ونهينا عن الكلام.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾، أي: خِفتُم عدواً، فصلُّوا رِجَالاً، وهو جمع رَاجِلٍ، والرُّكبان جمع رَاكِبٍ، وهذا يدلّ على تأكيد أمْرِ الصلاة، لأنه أمَرَ بفعلها على كلِّ حالٍ. وقيل: إنّ هذه الآية أُنزلت بعد التي في سورة النِّساء، لأن الله تعالىٰ وصف لهم صلاةَ الخَوفِ في قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[(١)]، ثم أنزل هذه الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، أي: خَوفاً أشدَّ من ذلك، فصَلُّوا عند المُسايفة كيف قَدرتُم. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآيَة، وبين:

[١٢٧] ما روى ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه صلّى يومَ الخَندَق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعدما غاب الشَّفقِ؟ فالجواب:

---

[١٢٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٣٤ ومسلم ٥٣٩ وأبو داود ٩٤٩ والترمذي ٢٩٨٦ و٥٥٢٤ والنسائي ٣/١٨ وابن خزيمة ٨٥٦ وابن حبان ٢٢٤٥ و٢٢٤٦ و٢٢٥٠ والطبري ٥٥٢٧ والطبراني ٥٠٦٣ و٥٠٦٤ والبيهقي ٢/٢٤٨ من حديث زيد بن الأرقم.

[١٢٧] لم أره من حديث ابن عباس، ولعله سبق قلم، وإنما هو من حديث ابن مسعود. كذا أخرجه الترمذي ١٧٩ والنسائي ١/٢٩٧ و٢/١٧ والطيالسي ٣٣٣ وأحمد ١/٤٢٣ والبيهقي ١/٤٠٣ كلهم من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: «كنا في غزوة مع رسول الله ﷺ فحبسنا المشركون عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما انصرف المشركون أمر رسول الله ﷺ منادياً، فأقام لصلاة الظهر...» الحديث. =

---

(١) النساء: ١٠٢.

[١٢٨] أن أبا سعيدٍ روى أن ذلك كان قبلَ نزول قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، قال أبو بكرٍ الأثرم: فقد بيَّن أن ذلك الفعلَ الذي كان يوم الخندق منسُوخٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾، في هذا الذِّكر قولان: **أحدهما**: أنه الصَّلاة، فتقديره: فصلّوا كما كنتم تُصلّون آمنين. **والثاني**: أنه الثَّناء على الله، والحمدُ له.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾.

[١٢٩] روى ابن حَيَّانَ أن هذه الآية نزلت في رجلٍ من أهل الطَّائف، يُقال له: حَكِيمُ بن الحَارِث هاجر إلى المدينة، ومعه أبواه وامرأته، وله أولادٌ، فمات فُرفعَ ذلك إلى النبيّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطى النبيُّ ﷺ أبويه وأولادَه من ميراثه، ولم يُعطِ امرأتَه شيئاً، غير أنَّه أمرَهُم أن يُنفقوا عليها من تَرِكَةِ زوجِها حَولاً.

قوله تعالىٰ: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحَمزةُ، وابن عامرٍ «وصية» بالنصب، وقرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، والكِسَائيُّ «وصيةٌ» بالرفع. وعن عاصم كالقراءتين. قال أبو عليٍّ: من نصب حَمَلَهُ على الفعل، أي: ليُوصوا وصيةً، ومن رَفَعَ، فمِن وجهين: **أحدهما**: أن يجعل الوصيَّة مبتدأً، والخبر لأزواجهم. **والثاني**: أن يُضمر له خبراً، تقديره: فعليهم وصيةٌ. والمراد منه من قَاربَ الوفاةَ، فليُوصِ، لأن المُتَوَفّى لا يُؤمر ولا يُنهى. قوله تعالىٰ: ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾، أي: مَتِّعوهنَّ إلى الحَوْل، ولا تُخرجوهنَّ. والمراد بذلك نَفقَةُ السَّنة وكِسْوَتها وسكناها ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ أي: من قِبَلِ أنفسهنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أولياءَ الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ يعني التَّشَوُّف للنِّكاح. وفي ماذا رفع الجُنَاح عن الرِّجال؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه في قَطْع النَّفقة عنهنَّ إذا خرجنَ قبل انقضاء الحَوْل.

= إسناده ضعيف، لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه. قال الترمذي: إسناده ليس به بأس، إلاَّ أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. قلت: وليس فيه لفظ بعدما غربت، وإنما جاءت هذه اللفظة في حديث جابر، لكن في هذا الأخير أن صلاة العصر فقط هي التي فاتته. كذا أخرجه البخاري ٥٩٦ و٥٩٨ ومسلم ٦٤١ وغيرهما. وكذا ورد لفظ «حتى غربت» في حديث أبي سعيد، وهو الآتي.

ـ الخلاصة: حديث ابن مسعود ضعيف الإسناد، إلاَّ أن أصله محفوظ بشاهده الآتي عن أبي سعيد، فهو يشهد له في كونه عليه الصَّلاة والسَّلام فاتته أربع صلوات، ويعارضه، بأن فيه «قبل نزول الآية».

[١٢٨] صحيح. أخرجه الشافعي في «السنن» ١ و «الأم» ١/ ٧٥ وأحمد ٣/ ٦٧ ـ ٦٨ والدارمي ١/ ٣٥٨ والنسائي ٢/ ١٧ وابن حبان ٢٨٩٠ والبيهقي ١/ ٤٠٣ كلهم من حديث أبي سعيد قال: «شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس، وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالاً، فأقام لصلاة الظهر. . .» الحديث. إسناده صحيح على شرط مسلم. وكذا صححه ابن السكن، ووافقه الحافظ في «تلخيص الحبير» ١/ ١٩٥. وقال السيوطي في «شرح سنن النسائي» ٢/ ١٨: قال ابن سيد الناس: هذا إسناد صحيح جليل.

[١٢٩] ضعيف. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ١٥٧ وإسحاق بن راهويه في «تفسيره» كما في «أسباب النزول» للسيوطي ١٧٠ عن مقاتل بن حيان، وهذا معضل، فالخبر واهٍ.

والثاني: في تَرْكِ منعهنَّ من الخروج، لأنه لم يكن مقامُها الحَوْلَ واجباً عليها، بل كانت مخيَّرةً في ذلك.

[١٣٠] **فصل**: ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كان إذا مات أحدهم، مكثَت زوجتُه في بيته حَولاً، يُنفَق عليها من ميراثه، فإذا تمّ الحَوْل، خرجَت إلى باب بيتها، ومعها بَعْرَةٌ، فرمَتْ بها كَلباً، وخرجت بذلك من عِدَّتِها. وكان معنى رَميها بالبَعرة أنها تقول: مُكثي بعد وفاة زوجي أهونُ عندي من هذه البَعرة. ثم جاء الإسلامُ، فأقرَّهم على ما كانوا عليه من مُكث الحَوْل بهذه الآية، ثم نُسِخ ذلك بالآية المتقدِّمة في نظم القرآن على هذه الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.

ونُسخ الأمر بالوصية لها بما فَرَض لها من ميراثه[١].

---

[١٣٠] ورد هذا المعنى في حديث مرفوع: «قالت زينب: سمعت أمي أُم سلمة تقول جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عيناها فنكحُلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا» مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: «لا إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول». أخرجه البخاري ٥٣٣٤ ومسلم ١٤٨٦ وأبو داود ٢٢٩٩ والترمذي ١١٩٥ و١١٩٦ و١١٩٧ والنسائي ٦/ ٢٠١ والشافعي ٢/ ٦١ والبيهقي ٧/ ٤٣٧ وعبد الرزاق ١٢١٣٠.

---

(١) قال الطبري في تفسيره ٢/ ٥٩٣ وقرأ آخرون: «وصيةٌ لأزواجهم» برفع «الوصية» ثم اختلف أهل العربية في وجه رفع «الوصية» فقال بعضهم: رفعت بمعنى: كتبت عليهم الوصية واعتل في ذلك بأنها كذلك في قراءة عبد الله فتأويل الكلام على ما قاله هذا القائل: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً، كتبت عليهم وصية لأزواجهم ـ ثم ترك ذكر «كتبت» ورفعت «الوصية» بذلك المعنى، وإن كان متروكاً ذكره. وقال آخرون منهم: بل «الوصية» مرفوعة بقوله **﴿لأزواجهم﴾** فتأوّل: لأزواجهم وصية. والقول الأول أولى بالصواب في ذلك وهو أن تكون «الوصية» إذا رفعت مرفوعة بمعنى: كتب عليكم وصية لأزواجكم. لأن العرب تضمر النكرات مرافعها قبلها إذا أضمرت، فإذا أظهرت بدأت به قبلها، فتقول: جاءني رجل اليوم»، وإذا قالوا: «رجل جاءني اليوم» لم يكادوا يقولونه إلاّ والرجل حاضر يشيرون إليه بـ «هذا» أو غائب قد علم المخبر عنه خبره، أو كحذف «هذا» وإضماره وإن حذفوه لمعرفة السامع بمعنى المتكلم، كما قال الله تعالى ذكره **﴿سورة أنزلناها﴾** [النور: ١] و **﴿براءة من الله ورسوله﴾** [التوبة: ١] فكذلك ذلك في قوله: «وصيةٌ لأزواجهم». قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه رفعاً، لدلالة ظاهر القرآن على أن مقام المتوفى عنها زوجها في بيت زوجها المتوفى حولاً كاملاً، كان حقاً لها قبل نزول قوله: **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصن بأنفسهنَّ أربعةَ أشهر وعشراً﴾** [البقرة: ٢٣٤] وقبل نزول آية الميراث، ولتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بنحو الذي دل عليه الظاهر من ذلك، أوصى لهنَّ أزواجهنَّ بذلك قبل وفاتهن، أو لم يوصوا لهن به. فإن قال قائل: وما الدلالة على ذلك؟ قيل: لمّا قال الله تعالى ذكره **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم﴾** وكان الموصي لا شك، إنما يوصي في حياته بما يأمر بإنفاذه بعد وفاته، وكان محالاً أن يوصي بعد وفاته وكان تعالى ذكره إنما جعل لامرأة الميت سكن الحول بعد وفاته، علمنا أنه حقٌّ لها وجب في ماله بغير وصية منه لها، إذ كان الميت مستحيلاً أن تكون منه وصية بعد وفاته. ولو كان معنى الكلام على ما تأوله من قال: «فليوص وصية»، لكان التنزيل: والذين تحضرهم الوفاة ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم، كما قال: **﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية﴾** [البقرة: ١٨٠]. وبعد، فلو كان ذلك واجباً لهن بوصية من أزواجهن المتوفين، لم يكن ذلك حقاً لهن إذا لم يوصِ أزواجهن لهن به قبل وفاتهم =

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قد سبق الكلام في المُتعة بما فيه كفايةٌ.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾، أي: كما بين الذي تقدم من الأحكام ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: يُثبت لكم وصفَ العقلاء باستعمال ما بيَّن لكم، وثمرة العقل استعمال الأشياء المستقيمة، ألا ترى إلى قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[1]، وإنما سُموا جُهَّالاً لأنهم آثروا أهواءَهم على ما عَلِموا أنه الحق.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾، معناه: ألم تَعْلَم. قال ابن قُتيبةَ: وهذا على جهة التعجّب، كما تقول: ألا ترى إلى ما يصنع فلان؟ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه: وهم مُؤتلفون، قاله ابن زيدٍ. **والثاني**: أنه من العَدَد، وعليه العلماء. واختلفوا في عددهم على سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا أربعةَ آلاف. **والثاني**: أربعين ألفاً، والقولان عن ابن عباس. **والثالث**: تسعين ألفاً، قاله عَطاءُ بن أبي رَباحٍ. **والرابع**: سبعة آلافٍ، قاله أبو صالحٍ. **والخامس**: ثلاثين ألفاً، قاله أبو مالكٍ. **والسادس**: بضعةً وثلاثين ألفاً، قاله السُّدِّيُّ. **والسابع**: ثمانية آلافٍ، قاله مُقاتلٌ. وفي معنى: حَذَرِهم من الموت، قولان: **أحدهما**: أنهم فرُّوا من الطَّاعون، وكان قد نزل بهم، قاله الحسَنُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنهم أُمروا بالجهاد، ففرُّوا منه، قاله عِكرمةُ، والضحَّاكُ، وعن ابن عباسٍ، كالقولين.

الإشارة إلى قصّتهم

روى حُصينُ بن عبد الرحمٰن عن هلالِ بن يسَافٍ قال: كانت أُمَّةٌ من بني إسرائيلَ إذا وقع فيهم الوجعُ، خرج أغنياؤهم، وأقام فقراؤهم، فمات الذين أقاموا، ونجا الذين خرجوا، فقال الأشراف: لو

= ولكان قد كان لورثتهم إخراجهنَّ قبل الحول، وقد قال الله تعالى ذكره: ﴿غير إخراج﴾ ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنه في تأويله قارئه: ﴿وصيةٌ لأزواجهم﴾ بمعنى: أنَّ الله تعالى كان أمر أزواجهن بالوصية لهنَّ. وإنما تأويل ذلك: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً، كتب الله لأزواجهم عليكم وصية منه لهن أيها المؤمنون ـ أن لا تخرجوهن من منازل أزواجهن حولاً كما قال تعالى ذكره في «سورة النساء» ﴿غير مضارٍّ وصية من الله﴾ [النساء: ١٢] ثم ترك ذكر «كتب الله» اكتفاء بدلالة الكلام عليه، ورفعت «الوصية» بالمعنى الذي قلنا قبل. فإن قال قائل: فهل يجوز نصب ﴿الوصية﴾ على الحال، بمعنى: موَصِّين لهنَّ وصيةً؟ قيل: لا، لأن ذلك إنما كان يكون جائزاً لو تقدم «الوصية» من الكلام ما يصلح أن تكون الوصية خارجة منه فأما ولم يتقدمه ما يحسن أن تكون منصوبة بخروجها منها فغير جائز نصبها بذلك المعنى.

(١) النساء: ١٧.

أقمنا كما أقام هؤلاء لهلَكنا؛ وقال الفقراء: لو ظَعنَّا كما ظَعن هؤلاء سَلِمنا، فأجمَعَ رأيهم في بعض السنين على أن يظعنوا جميعاً، فظَعنوا فماتوا، وصاروا عِظاماً تَبْرُق، فكَنَسهم أهلُ البيوت والطرق عن بيوتهم وطُرقهم، فمرَّ بهم نبيٌّ من الأنبياء، فقال: يا ربِّ لو شئتَ أحييتَهم، فعَبَدوك، وولَدوا أولاداً يعبدُونَكَ ويَعمُرون بلادَكَ. قال: أو أحب إليك أن أفعل؟ قال: نعم. فقيل له: تكلَّم بكذا وكذا، فتكلَّم به، فنظر إلى العِظَام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلى التي هي منها ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا فتكلم به فنظر إلى العظام تُكسى لَحْماً وعَصَباً، ثم قيل له: تكلَّم بكذا وكذا، فنظرَ فإذا هم قُعودٌ يسبِّحون الله ويقدسونه. وأنزل الله تعالىٰ فيهم هذه الآية. وهذا الحديث يدلُّ على بُعد المُدَّة التي مَكَثُوا فيها أمواتاً. وفي بعض الأحاديث: أنهم بَقوا أمواتاً سبعةَ أيام، وقيل: ثمانية أيام. وفي النبيِّ الذي دَعا لهم قولان: **أحدهما**: أنه حزقيل. **والثاني**: أنه شَمعُون. فإن قيل كيف أُميتَ هؤلاء مرتين في الدنيا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾(١)، فالجواب أن موتَهم بالعقوبة لم يُفنِ أعمارَهم، فكان كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾(٢)، وقيل: كان إحياؤهم آيةً من آيات نبيِّهم، وآيات الأنبياء نوادرُ لا يُقاس عليها، فيكون تقدير قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ التي ليست من آيات الأنبياء، ولا لأمرٍ نادرٍ. وفي هذه القصة احتجاجٌ على اليهود إذ أخبرهم النبيُّ ﷺ بأمرٍ لم يُشاهدوه، وهم يعلمون صحته واحتجاجٌ على المُنكرين للبعث، فدلَّهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا، ذكر ذلك جميعه ابنُ الأنباريِّ.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، نبَّه عزَّ وجلَّ بذكر فضله على هؤلاء على فضله على سائر خلقه مع قلَّة شكرهم.

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في المخاطبين بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم الذين أماتَهم الله، ثم أحياهم، قاله الضحَّاك. **والثاني**: أنه خطابٌ لأُمَّة محمدٍ ﷺ، فمعناه: لا تَهرُبوا من الموت كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تنطوي عليه ضمائرُكم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾، قال الزجَّاجُ: أصل القَرْض ما يعطيه الرجل أو يفعله لِيُجازى عليه، وأصله في اللغة القَطْع، ومنه أخذ المِقْراض. فمعنى أقرَضْتُه: قطعت له قطعةً يُجازيني عليها. فإن قيل: فما وجه تسمية الصَّدقة قَرضاً؟ فالجواب من ثلاثة أوجهٍ: **أحدها**: أن القَرضَ يُبدل بالجزاء. **والثاني**: لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة. **والثالث**: لتأكيد استحقاق الثواب به، إذ لا يكون قَرضٌ إلا والعِوضُ مستحقٌّ به. فأمّا اليهود فإنهم جهلوا هذا، فقالوا: أيَستَقرضُ الله منا؟ وأما المسلمون فوثِقوا بوعد الله، وبادروا إلى معاملته. قال ابن مسعودٍ:

---

(١) الدخان: ٥٦. (٢) الزمر: ٤٢.

[١٣١] لما نزلت هذه الآية، قال أبو الدَّحْدَاح: وإن الله تعالىٰ ليُريدُ منا القَرْضَ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم». قال: أرني يَدكَ. قال: إني أقرضتُ ربِّي حَائِطي، قال: وحائِطُه فيه ستمائة نَخلةً، ثم جاء إلى الحَائِط، فقال: يا أمَّ الدَّحْدَاحِ اخرجي من الحَائِط، فقد أقرضتُهُ رَبِّي.

[١٣٢] وفي بعض الألفاظ: فعمَدَتْ إلى صبيانها تُخرج ما في أفواههم، وتَنفُضُ ما في أكمامِهِم، فقال النبيُّ ﷺ: «كَمْ مِنْ عِذقٍ[1] رَداحٍ في الجنَّة لأبي الدَّحْدَاح».

وفي معنى القَرْضِ الحَسَن ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الخالص لله، قاله الضحَّاكُ. **والثاني**: أن يخرج عن طيب نفس، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أن يكون حلالاً، قاله ابن المُباركِ. **والرابع**: أن يُحتسب عند الله ثوابه. **والخامس**: أن لا يُتبعه مَنّاً ولا أذىً. **والسادس**: أن يكون من خِيَار المال. قوله تعالىٰ: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ قرأ أبو عمرٍو فيضاعفُه بألف مع رفع الفاء، وكذلك في جميع القرآن، إلا في الأحزاب «يضعف لها العذاب ضعفين»، وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ، جميع ذلك بالألف مع رفع الفاء، وقرأ ابن كثيرٍ (فيُضعفُه) برفع الفاء من غير ألف في جميع القرآن، وقرأ ابن عامرٍ (فيضعفه) بغير ألفٍ مشددة في جميع القرآن، ووافقه عاصمٌ على نصب الفاء في «فيضاعفَه» إلا أنه أثبت الألف في جميع القرآن. قال أبو عليٍّ: للرفع وجهان: **أحدهما**: أن يعطفه على ما في الصِّلة، وهو يُقْرِض. **والثاني**: أن يستأنفَه. ومن نَصَب حمل الكلام على المعنى، لأن المعنى: أيكون قَرضٌ؟ فحُمل عليه «فيضاعفه»، وقال: معنى ضَاعَف وضَعَّف واحدٌ، والمُضاعفة: الزِّيادة على الشيء حتى يصيرَ مِثلين أو أكثر. وفي الأَضعَاف الكثيرة قولان:

أحدهما: أنها لا يُحصى عددها، قاله ابن عباسٍ والسُّدِّيُّ.

---

[١٣١] حسن. أخرجه أبو يعلىٰ ٤٩٨٦ والبزار ٩٤٤ «كشف» والطبري ٥٦٢٣ والطبراني ٢٢/ ٣٠١ والبيهقي في «الشعب» ٣٤٥٢ كلهم من طريق حميد بن عطاء الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود به. وإسناده ضعيف لضعف حميد بن عطاء. وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/ ١١٤: فيه حميد بن عطاء؛ وهو ضعيف.
ـ وله شاهد من مرسل زيد بن أسلم: أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٠٧ والطبري ٥٦٢١ من طريقه عن معمر به، وهذا مرسل صحيح، ليس له علة إلاَّ الإرسال، لكن يصلح شاهداً لما قبله. ووصله ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٩٩ من وجه آخر عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر. وإسناده واهٍ لأجل عبد الرحمن. وهو عند الطبراني في «الأوسط» ١٨٨٧ من طريق عبد الرحمن، وعنه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو متروك.
ـ وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٥٦٢٢ مختصراً، ولم يسم الصحابي.
ـ وله شاهد صحيح من حديث أنس: أخرجه أحمد ٣/ ٤٦ وابن حبان ٧١٥٩. وإسناده صحيح على شرط مسلم. وليس فيه ذكر الآية. وأصله عند مسلم ٩٦٥ من حديث جابر بن سمرة، وليس فيه ذكر القصة.
ـ الخلاصة: حديث الباب حسن بشاهده المرسل. وأما أصله وهو بشارة أبي الدحداح من النبي ﷺ وكذا قصته مع امرأته فصحيح.

[١٣٢] لم أقف علىٰ هذا اللفظ، وهو منكر، والأشبه أنه موضوع إذ لا يستدعي الأمر إخراج ما في فم الأولاد الصغار، وبكل حال لم أقف له على إسناد، وهذا ما يعبر عنه أهل الحديث بقولهم: ليس له أصل.
ـ والمحفوظ ما قبله.

---

(١) في «القاموس» العَذْقُ: النخلة بحملها، وبالكسر «العِذْقُ» القِنْوُ منها. ورَداح: ثقيل.

[١٣٣] وروى أبو عثمانَ النهديّ عن أبي هُريرةَ أنّه قال: إن الله يكتب للمؤمن بالحَسَنة الواحدة ألفي ألفَ حسنة. وقرأ هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة».

والثاني: أنها معلومة المقدار، فالدِّرهم بسبعمائةٍ، كما ذكر في الآية بعدها، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾، قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحَمزةُ، والكِسائيُّ «يَبْسُط» و«بَسْطة» بالسين، وقرأهما نافعٌ بالصاد.

وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أن معناه: يُقتر على من يشاء في الرزق، ويبسُطه على من يشاء، قاله ابن عباسٍ، والحسنُ، وابن زيدٍ ومُقاتلٌ. **والثاني**: يقبِضُ يَدَ من يشاء عن الإنفاق في سبيله، ويبسُط يَدَ من يشاء بالإنفاق، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ في آخرين.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، قال الفرَّاءُ: المَلأ: الرجال في كل القرآن لا يكون فيهم امرأةٌ، وكذلك القوم والنَّفَر والرَّهط، وقال الزجَّاجُ: المَلأ: هم الوجُوه، وذَوو الرأي، وإنما سُمّوا ملأً، لأنهم مَليئون بما يُحتاج إليه منهم.

وفي نبيِّهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه شَمْويل، قاله ابن عباسٍ، ووَهْبٌ. **والثاني**: أنه يُوشَع بنُ نُون، قاله قتادة. **والثالث**: أنه نبيٌّ، يُقال له: سَمعُون بالسين المهملة، سمَّته أمُّهُ بذلك، لأنها دعت الله أن يرزقَها غلاماً، فسُمِع دعاؤها فيه، هذا قول السُّدِّيّ. وسبب سؤالهم مَلِكاً أن عدوَّهم غَلَبَ عليهم. قوله تعالىٰ: ﴿نُّقَٰتِلۡ﴾ قراءة الجمهور بالنون والجزم، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة بالياء والرفع، كناية عن المَلِك. قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾، قراءة الجمهور بفتح السين، وقرأ نافعٌ بكسرها هاهنا، وفي سورة «محمّد» وهي لغتان. قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾، أي فُرِض ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ أي: لعلّكم تَجبُنون. قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾، يعنون: أُخرِجَ بعضُنا، وهم الذين سُبُوا منهم وقُهِروا. فظاهره العمومُ، ومعناه الخصوصُ. قوله تعالىٰ: ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾، أي: أَعرَضُوا عن الجهاد. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ وهم الذين عَبَروا النَّهرَ، وسيأتي ذِكرُهم.

---

[١٣٣] ذكره المصنف موقوفاً، وورد مرفوعاً، وهو ضعيف. أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٦ ـ ٥٢١ ـ ٥٢٢ من طريق علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد. وضعفه الحافظ ابن كثير ١/ ٢٩٩ بقوله: غريب، وعلي بن زيد عنده مناكير. قلت: جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه. ومع ذلك قال الهيثمي ١٠/ ١٤٤: رواه أحمد بإسنادين، واحد إسناديه جيد؟!!!. مع أن فيه ابن زيد. وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٩٩ من وجه آخر عن زياد الجصاص عن أبي عثمان به. وإسناده واهٍ، زياد هو ابن أبي زياد، متروك الحديث. والراجح فيه الوقف. وانظر «فتح القدير» ٣٩١ بتخريجنا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، ذكر أهل التفسير أن نبيَّ بني إسرائيل سأل اللّه أن يبعث لهم مَلِكاً، فأُتي بعصا وقَرنٍ فيه دُهنٌ، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون مَلِكاً يكون طوله طولَ هذه العصا، ومتى دخل عليكَ رجلٌ فنَشَقَ الدُهنَ، فهو المَلِك، فادْهَنْ به رأسه، ومَلِّكهُ على بني إسرائيل؛ فقاسَ القوم أنفسهم بالعصا، فلم يكونوا على مقدارها. قال عِكرمةُ، والسُّديُّ: كان طالوتُ سَقَّاء يسقي على حمارٍ له، فَضَلَّ حماره، فخرج يطلبه. وقال وَهْبٌ: بل كان دَبَّاغاً يعمل الأدَمَ، فضلَّت حُمرٌ لأبيه فأرسله مع غلام له في طلبها، فمرّا ببيت شَمْوِيل النبيّ فدخلا ليسألاه عن ضالّتهما، فنَشَقَ الدُهن، فقام شَمْوِيل، فقاسَ طَالُوتَ بالعَصَا، وكان على مقدارها، فدَهَنَه، ثم قال له: أنت مَلِكُ بَني إسرائيلَ، فقال طالُوت: أما علمت أن سِبْطي أدنى أسبَاط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوتهم؟ قال: بلى، قال: فبأيّة آيةٍ؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمُره، فكان كما قال. قال الزجَّاجُ: طَالُوتُ، وجَالُوتُ، ودَاوُد تنصرِف، لأنها أسماءٌ أعجميةٌ، وهي معارفُ، فاجتمع فيها التعريف والعُجمَة.

ومعنى قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ من أي جهةٍ يكون له المُلك علينا. قال ابن عباسٍ: إنما قالوا ذلك؛ لأنه كان في بني إسرائيلَ سِبْطَان، في أحدهما النبوّة، وفي الآخر المُلك، فلم يكن هو من أحد السِّبْطَين. قال قَتادةُ: كانت النبوّة في سِبط لاَوِي، والمُلك في سِبط يَهُوذا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾، أي: لم يُؤْتَ ما يتمَلَّك به المُلوك. ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: اختاره، وهو «افْتَعَلَ» من الصَّفْوة. والبَسْطَة: السَّعَة، قال ابن قُتيبةَ: هو من قولك: بَسطتُ الشيء: إذا كان مَجْمُوعاً، ففتحتَهُ، ووسَّعْتَهُ. قال ابن عباس: كان طَالوتُ أعلمَ بني إسرائيلَ بالحرب، وكان يَفُوق الناس بمنكبَيه وعُنقه ورأسه. وهل كانت هذه الزيادة قبل المُلك، أم أُحْدِثَت له بعدُ؟ فيه قولان: **أحدهما**: قبل المُلك، قاله وَهْبٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: بعد المُلك، قاله ابن زيدٍ. والمراد بتعظيم الجسم، فَضْلُ القوة، إذ العادة أن من كان أعظم جسماً، كان أكثرَ قوةً. والواسعُ: الغَنِيُّ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾، الآية: العَلامة، فمعناه: علامَةُ تمليك الله إياه ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وهذا من مجاز الكلام، لأن التّابوت يُؤتى به، ولا يأتي، ومثله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ

ٱلْأَمْرُ ﴾[١]، وإنما جاز مثل هذا، لِزَوْلِ اللّبْسِ فيه، كما بيَّنا في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾[٢]. وروي عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ: أنهم قالوا لنبيِّهم: إن كنتَ صادقاً؛ فأتِنا بآيةٍ تدل على أنه مَلِكٌ، فقال لهم ذلك. وقال وَهْبٌ: خيَّرهم، أيَّ آية يريدون؟ فقالوا: أن يردَّ علينا التابوتَ. قال ابن عباسٍ: كان التّابوت من عُود الشمشَار عليه صفائح الذهب، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً، قدَّموه بين أيديهم يستنصرون به، وفيه السَّكِينَة. وقال وَهْبُ بن مِنْبِهٍ: كان نَحواً من ثلاث أذْرُعٍ في ذراعين. قال مُقاتلٌ: فلما تفرّقت بنو إسرائيل، وعَصَوا الأنبياء، سلَّطَ الله عليهم عدوّهم، فغلبوهم عليه.

وفي السَّكينَة سبعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، رواه أبو الأحوص عن عليٍّ رضي الله عنه. **والثاني**: أنها دابةٌ بمقدار الهِرّ، لها عينان لهما شُعاعٌ، وكانوا إذا التقى الجمعان، أخرَجَتْ يدها، ونظرت إليهم، فيُهزم الجيش من الرعب. رواه الضحَّاكُ عن ابن عباسٍ. وقال مُجاهدٌ: السَّكينةَ لها رأسٌ كرأس الهِرَّة وذَنَبٌ كذنب الهِرَّة، وجناحان. **والثالث**: أنها طِستٌ من ذهبٍ تُغسل فيه قلوب الأنبياء، رواه أبو مالكٍ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها رُوحٌ من الله تعالىٰ تتكلَّم، كانوا إذا اختلفوا في شيءٍ، كلَّمهم وأخبرهم ببيانِ ما يريدون، رواه عبدُ الصمد بن مَعْقِلٍ عن وَهْبِ بن مُنبِهٍ. **والخامس**: أن السَّكينة ما يعرفون من الآيات فيَسكنُون إليها، رواه ابن جُريجٍ عن عَطاءِ بن أبي رَبَاحٍ، وذهب إلى نحوه الزجَّاجُ، فقال: السَّكينةُ: من السُّكون، فمعناه: فيه ما تَسكُنون إليه إذا أتاكُم. **والسادس**: أن السَّكِينَة معناها هاهنا: الوَقَار، رواه مَعْمَرٌ عن قَتادَةَ. **والسابع**: أن السَّكينةَ: الرَّحمة، قاله الرَّبيع بن أنسٍ.

وفي البَقِيَّة تسعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها رُضَاضُ[٤] الألواح التي تكسَّرت حين ألقاها موسى وعَصَاهُ، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنها رُضَاض الألواح، قاله عِكرمةُ، ولم يَذكُر العَصَا. وقيل: إنما اتَّخذ موسى التابوت ليجمع رُضاضَ الألواح فيه. **والثالث**: أنها عَصا موسى، والسَّكينَة، قاله وَهْبٌ. **والرابع**: عصا موسى، وعصا هارونَ، وثيابُهما، ولَوْحان من التوراة، والمَنُّ، قاله أبو

---

(١) محمد: ٢١. (٢) البقرة: ١٦.

(٣) قال الإمام الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» ١/٣٠٦ بعدَ أن ذكر هذه الأقوال: هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقمأهم الله، فجاؤوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً وتارة جماداً وتارة شيئاً لا يعقل، كقول مجاهد: كهيئة الريح لها وجه كوجه الهرّ، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر. وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروياً عن النبي ﷺ ولا رأياً رآه قائله، فهم أجلّ قدراً في التفسير بالرأي وبما لا مجال للاجتهاد فيه. إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي ﷺ لوجب علينا المصير إليه والقول به، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوة القرآن كما في صحيح مسلم عن البراء، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها: فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السكينة نزلت للقرآن».

(٤) في «اللسان» رُضَاضُ الشيء: فتاته وكل شيء كسّرته فقد رضرضته.

صالح. **والخامس**: أن البَقِيَّة، العلم والتوراة، قاله مُجاهدٌ، وعطاءُ بن رَبَاح. **والسادس**: أنها رُضاض الألواح، وقَفِيزٌ[١] من مَنٍّ في طِستٍ من ذهَب، وعصا موسى وعَمَامَتُه، قالهُ مُقاتلٌ. **والسابع**: أنها قَفِيزٌ من مَنٍّ ورُضَاض الألواح، حكاه سُفيانُ الثَّوريُّ عن بعض العلماء. **والثامن**: أنها عصا موسى والنَّعْلان: ذكره الثَّوريُّ أيضاً عن بعض أهل العلم. **والتاسع**: أن المراد بالبقيَّة: الجهاد في سبيل الله، وبذلك أُمروا، قاله الضحَّاكُ.

والمراد بآل موسى وآل هَارونَ: موسى وهَارون. وأنشد أبو عُبيدةَ:

ولاَ تَبْكِ مَيتاً بعد مَيت أحبَّةٍ ... عَلِيٍّ وعَبَّاسٍ وآلِ أبي بَكْرِ

يريد: أبا بكرٍ نفسه.

قوله تعالىٰ: ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ قرأ الجمهور «تحمله» بالتاء، وقرأ الحسَنُ ومُجاهدٌ والأعمَشُ بالياء. وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان: **أحدهما**: أنه كان مرفوعاً مع الملائكة بين السماء والأرض، منذ خرج عن بني إسرائيلَ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنه كان في الأرض. وفي أيِّ مكان كان؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه كان في أيدي العَمَالقة قد دفنوه، قال ابن عباسٍ: أخذ التَّابوتَ قومُ جالُوتَ، فدفنوه في مُتَبَرَّزٍ لهم، فأخذهم البَاسُور فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينةٍ أخرى، فأخذهم بلاءٌ، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتى هلكت خمسُ مدائن، فأخرجوه على بقرتين، ووجَّهوهما إلى بني إسرائيل، فساقتهُما الملائكة. **والثاني**: أنه كان في بَرِّيَة التِّيهِ، خلَّفه فيها يُوشَع، ولم يعلموا بمكانه حتى جاءت به الملائكة، قاله قَتادةُ.

وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان: **أحدهما**: أنها جاءت به بأنفسها، قال وَهْبٌ: قالوا لنبيِّهم: اجعل لنا وقتاً يأتينا فيه، فقال: الصُّبح، فلم يناموا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفَجر، فسمعوا حَفيفَ الملائكة تحمله بين السماء والأرض. **والثاني**: أن الملائكة جاءت به على عِجْلَةٍ وثورين، ذُكر عن وَهْبٍ أيضاً. فعلى القول الأول: يكون معنى تَحْمِله: تُقِلُّه، وعلى الثاني: يكون معنى حَمْلها إياه: تَسَبُّبها في حَمْلِه.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ﴾، أي: عَلامَةً تدل على تمليك طَالوتَ. قال المفسِّرون: فلما جاءهم التابوت وأقرُّوا له بالمُلك، تأهَّب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالىٰ:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾، أي: خرج وشَخَصَ. وفي عددِ مَن خرج معه ثلاثة أقوالٍ:

---

(١) في «اللسان» القفيز: من المكاييل، معروف، وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق.

أحدها: سبعونَ ألفاً، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: ثمانون ألفاً، قاله عِكرمةُ والسُّدِّيُّ. **والثالث**: مائة ألفٍ، قاله مُقاتلٌ. قال: وسَاروا في حرٍّ شديد، فابتلاهم الله بالنَّهر. والابتلاء: الاختبار. وفي النَّهر لغتان: **إحداهما**: تحريك الهاء، وهي قراءة الجمهور. **والثانية**: تسكينها، وبها قرأ الحسنُ ومُجاهدٌ. وفي هذا النَّهر قولان: **أحدهما**: أنه نهر فلسطين، قاله ابن عباسٍ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: نهرٌ بين الأُردن وفلسطين، قاله عِكرمةُ، وقتادةُ، والرَّبيعُ بن أنسٍ.

ووجه الحكمة في ابتلائهم أن يعلم طالُوت من له نيَّةٌ في القتال منهم، ومَنْ ليس له نيَّةٌ.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أصحابي. قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ﴾، قرأ ابن كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو: «غَرفة» بفتح الغين، وقرأ ابن عامرٍ وعاصمٌ وحَمزةُ والكِسَائيُّ بضمِّها، قال الزجَّاجُ: من فتح الغين أراد المرَّة الواحدة باليد، ومن ضمَّها أراد مِلء اليد. وزعم مقاتلٌ أن الغَرفة كان يشرب منها الرجل ودابّته وخدمُه ويملأ قِرْبَتَهُ. وقال بعض المفسّرين: لم يُرد به غَرْفَة الكفِّ، وإنما أراد المَرَّة الواحدة بقِربةٍ أو جَرَّةٍ أو ما أشبه ذلك. وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غَرفةً قولان: **أحدهما**: أنهم أربعة آلافٍ، قاله عِكرمةُ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: ثلاثمائةٍ وثلاثة عشر رجلاً، وهو الصحيح، لما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال لأصحابه يومَ بدرٍ:

[١٣٤] «أنتُم بعِدَّةِ أصحابِ طالُوتَ يومَ لقاءِ جَالُوتَ»، وكانوا يومَ بدرٍ ثلاثمائةٍ وثلاثةَ عشر.

قوله تعالىٰ: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾، أي: لا قوَّةَ لنا، قال الزجَّاجُ: أطَقْتُ الشيءَ، إطاقةً وطاقةً، وطَوْقاً، مثل قولك: أطَعْتُه إطاعةً وطاعةً وطَوْعاً. واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين شربوا أكثر من غَرفةٍ، فإنهم انصرفوا ولم يشهدوا، وكانوا أهل شكٍّ ونفاقٍ، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنهم الذين قَلَّت بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسنُ، وقتادةُ، وابن زيدٍ. **والثالث**: أنه قول الذين جاوزوا معه، وإنما قال ذلك بعضهم لبعضٍ، لِمَا رأوا من قِلَّتِهم، وهذا اختيار الزجَّاج.

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ في هذا الظَّنِّ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى اليقين، قاله السُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: أنه الظنُّ الذي هو التَّردّد، فإن القوم توهموا لِقلَّة عَددهم أنهم سيُقتلون فيلقون الله، قاله الزجَّاجُ في آخرين. وفي الظَّانين هذا الظَّن قولان: **أحدهما**: أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، قالوا للراجعين: كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنهم أُولو العَزم والفَضل من الثلاثمائة والثلاثة عشر. والفِئَة: الفِرْقَة، قال الزجَّاجُ: وإنما قيل لهم: فِئة من قولهم: فَأَوتُ رأسَه بالعصا، وفَأَيْتُه: إذا شَقَقْته. قوله تعالىٰ: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، قال الحسَنُ: بنصر الله. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: أي بالنصر والإعانة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾

---

[١٣٤] أخرجه الطبري ٥٧٣٢ عن قتادة مرسلاً. وورد عن البراء بن عازب قال «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلاّ مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة». أخرجه البخاري ٣٩٥٨ وهذا هو الصواب، كونه موقوفاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾، أي: صاروا بالبراز من الأرض، وهو ما ظهر واستوى. و﴿أَفْرِغْ﴾ بمعنى: اصببْ ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: قوِّ قلوبنا لتثبيت أقدامنا، وإنما تثبت الأقدام عند قوة القلوب. قال مُقاتلٌ: كان جالوتُ وجنوده يعبدون الأوثان.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ أي: كَسَرُوهم وردُّوهم، قال الزجّاجُ: أصل الهزم في اللغة: كَسْرُ الشيء، وثَنْيُ بعضه على بعضٍ، يقال: سِقاءٌ مُنهزمٌ ومهزم إذا كان بعضه قد ثُني على بعضٍ مع جفافٍ، وقَصَبٌ مُنهزمٌ: قد كُسر وشُقق، والعرب تقول: هَزمتُ على زيدٍ، أي: عَطَفتُ عليه. قال الشاعر:

هَزَمْتُ عليكِ اليومَ يا ابنة مالكٍ ... فَجُودي علينا بالنَّوالِ وأَنْعِمِي

ويقال: سمعتُ هَزْمَة الرّعد، قال الأصمعيُّ: كأنه صوتٌ فيه تَشقُّق.

وداودُ: هو نبيُّ الله أبو سُليمان، وهو اسمٌ أعجميٌّ، وقيل: إن إخوة داودَ كانوا مع طالوتَ، فمضى داودُ لينظر إليهم، فنادته أحجارٌ: خُذني، فأخذها، وجاء إلى طالوتَ، فقال: ما لي إن قتلتُ جالوتَ؟ قال: ثُلثُ مُلكي، وأُنكحكَ ابنتي، فقتلَ جالوتَ.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، يعني: آتى داودَ مُلكَ طالوتَ. وفي المراد بـ «الحكمة» هاهنا قولان: **أحدهما**: أنها النبوّة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الزّبور، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾، فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها صنعة الدُّروع. **والثاني**: الزّبور. **والثالث**: مَنطِق الطَّير. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قرأ الجمهور ﴿دَفْعُ﴾ بغير ألفٍ هاهنا، وفي «الحج» «إن الله يدفع»، وقرأ نافعٌ، ويَعقوبُ، وأبانُ (ولولا دفاع الله). قال أبو عليٍّ: المعنيان مُتقاربان، قال الشاعر[1]:

ولقد حَرِصتُ بأنْ أُدافِعَ عنهمُ ... فإذا المَنِيَّةُ أَقبلَتْ لا تُدْفَعُ

وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أن معناه: لولا أن الله يدفع بمن أطاعه عن من عصاه، كما دفع عن المتخلّفين عن طالوتَ بمن أطاعه، لهلك العُصاة بسرعة العقوبة، قاله مُجاهدٌ.

والثاني: أن معناه، لولا دَفْعُ الله المشركين بالمسلمين، لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المسلمين، وخرّبوا المساجد، قاله مُقاتلٌ. ومعنى: ﴿لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: لهَلَك أهلها.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾، أي: نَقصُّ عليك من أخبار المُتقدِّمين. ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ حُكمُك حكمُهم، فمن صدَّقك، فسبيله سبيل من صدَّقهم، ومن عصاك، فسبيله سبيل من عصاهم.

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي.

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾، يعني: موسى عليه السلام. وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو نَهيك[1]، وابن السَّمَيْفع: «منهم من كَالَم اللّهَ» بألفٍ خفيفةِ اللام، ونصب اسم «الله».

وفي المراد بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ قولان: **أحدهما**: عنى بالمرفوع درجاتٍ، محمَّداً عليه السلام، فإنه بُعث إلى الناس كافةً، وغيره بُعث إلى أُمَّتِه خاصةً، هذا قول مُجاهدٍ. **والثاني**: أنه عنى تفضيل بعضهم على بعضٍ فيما آتاه الله، هذا قول مُقاتلٍ. قال ابن جَريرِ الطَّبريّ: والدَّرجات: جمع دَرَجةٍ، وهي المَرْتَبة، وأصل ذلك: مَراقي السُّلَّم ودَرَجه، ثم يستعمل في ارتفاع المنازل والمراتب. وقد تقدم تفسير «البينات» و«روح القدس».

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾، أي: من بعد الأنبياء. وقال قتادةُ: من بعد موسى وعيسى. قال مُقاتلٌ: وكان بينهما ألفُ نبيٍّ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعني: الأمم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾، هذه الآية تحثُّ على الصَّدقات، والإنفاق في وجوه الطاعات. وقال الحسنُ: أراد الزكاة المفروضة.

قوله تعالىٰ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾، يعني: يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمروٍ: (لا بيعَ فيه ولا خلةَ ولا شفاعة) بالنصب من غير تنوينٍ، ومثله في «إبراهيم»: «لا بيعَ فيه»، وفي الطُّور: «لا لغوَ فيها ولا تأثيمَ»، وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابن عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ، جميعَ ذلك بالرفع والتنوين. قال ابن عباسٍ: لا فديةَ فيه، وقيل: إنما ذكر لفظ البيع لما فيه من المُعَاوضة، وأخْذِ البَدَل. والخُلَّة: الصَّداقة. وقيل: إنما نفى هذه الأشياء، لأنه عنى عن الكافرين، وهذه الأشياء لا تنفعهم، ولهذا قال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

---

(١) هو عثمان بن نهيك، تابعي ثقة.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾.

[١٣٥] روى مسلمٌ في «صحيحه» عن أُبيّ بن كعبٍ، أن النبيَّ ﷺ قال له: «يا أبا المُنذر! أتدري أي آيةٍ من كتاب الله أعظمُ؟» قال: قلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، قال: فضربَ في صَدري! قال: «لِيَهْنَكَ العِلمُ يا أبا المُنذِر».

قال أبو عُبيدة: القَيُّوم: الذي لا يَزُول، لاستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز عليه التغيير بوجهٍ من الوجوه. وقال الزجّاجُ: القَيُّوم: القائم بتدبير أمر الخَلْق. وقال الخطّابيُّ: القَيُّوم: هو القائم الدائم بلا زوالٍ، وزنه: «فَيْعُول» من القيام، وهو نَعْتٌ للمبالغة للقيام على الشيء، ويقال: هو القائم على كل شيءٍ بالرِّعاية، يقال: قُمتُ بالشيء: إذا وَلِيْتُه بالرعاية والمَصلحة. وفي «القَيُّوم» ثلاث لغاتٍ: القَيُّوم، وبه قرأ الجمهور، والقيَّام، وبه قرأ عمرُ بن الخطّاب، وابن مسعودٍ، وابن أبي عَبْلَةَ، والأعْمَشُ. و«القَيِّم»، وبه قرأ أبو رَزِينٍ، وعَلقمةُ. وذكر ابن الأنباريِّ أنه كذلك في مصحف ابن مسعودٍ، قال: وأصل القَيُّوم: القيووم. فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكنٌ، جُعلتا ياءً مشددةً. وأصل القَيَّام: القَوَّام، قال الفَرَّاءُ: وأهل الحجاز يَصرِفون الفَعَّال إلى الفَيْعَال، فيقولون للصَّوَّاغ: صَيَّاغ.

فأما «السِّنَة» فهي: النُّعَاس من غير نوم، ومنه: الوَسْنَان. قال ابن الرِّقَاع:

وكـأنَّـهـا بـيـن الـنِّـسـاء أَعَـارَهـا ... عـيـنَـيْـهِ أَحْـوَرُ مِـنْ جَـآذِرِ جَـاسِـمِ
وَسْـنَـانُ أَقْـصَـدَهُ الـنُّـعـاس فَـرَنَّـقَـتْ ... فـي عـيـنِـهِ سِـنَـةٌ ولـيـسَ بـنَـائِـمِ (١)

قوله تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، قال بعض العلماء: إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذِكرُ الجمع في السمٰوات، فاستغنى بذلك عن إعادته، ومثله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ ولم يقُل: والأنوار. قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، فيه ردٌّ على من قال: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفىٰ. قوله تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، ظاهر الكلام يقتضي الإشارة إلى جميع الخَلْق، وقال مُقاتلٌ: المراد بهم الملائكة. وفي المراد بـ ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن الذي بين أيديهم أمْرُ الآخرة، والذي خلفَهم أمرُ الدُّنيا، رُوي عن ابن عباسٍ، وقَتادةَ. **والثاني**: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه، ومُجاهدٌ، وابن جُريجٍ، والحَكَمُ بن عُتَيْبَة. **والثالث**: ما بين أيديهم: ما قبل خَلْقِهِم، وما خلفَهم: ما بعد خَلْقِهِم، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾، قال اللَّيْثُ: يقال لكل من أَحرزَ شيئاً، أو بلغ علمُه أقصاه: قد أحاط به. والمراد بالعلم هاهنا المعلوم. ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾، أي: احتمل وأطاقَ. وفي المراد بالكرسيّ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه كرسيٌّ فوق السماء السابعة دون العرش.

---

[١٣٥] صحيح. أخرجه مسلم ٨١٠ وأبو داود ١٤٦٠ وأحمد ٥/٥٨. وانظر «تفسير الشوكاني» ٤٠٣ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان» الحَوَرُ شدة سواد المقلة في شدة بياضها، في شدة بياض الجسد. والجآذر: جمع الجؤذر وهو ولد البقر، وفي «الصحاح»: البقرة الوحشية. رنّق النوم في عينه: خالطها.

[١٣٦] قال النبيُّ ﷺ: «ما السَّمٰواتُ السَّبْعُ في الكُرسيِّ إلا كحَلْقَةٍ مُلْقاةٍ في أرضٍ فَلاة». وهذا قول ابن عباسٍ في رواية عَطاءٍ. **والثاني**: أن المراد بالكُرسيّ عِلْمُ الله تعالىٰ، رواه ابنُ جُبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن الكرسيَّ هو العَرْشُ، قاله الحسنُ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ﴾، أي: لا يُثْقِلُه، يقال: آدَه الشيء يَؤُوده أَوْداً وإيَاداً. والأَوْد: الثِّقل، وهذا قول ابن عباسٍ، وقتادةَ، والجماعة. والعَلِيّ: العالي القاهر، «فَعِيل» بمعنى «فَاعِل» قال الخَطَّابيّ: وقد يكون من العُلوّ الذي هو مصدر: عَلا يعلُو، فهو عَالٍ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[١]، ويكون ذلك من عَلاءِ المَجد والشَّرف، يُقال منه: عَلِيَ يَعْلَى عَلاءً. ومعنى العظيم: ذو العَظَمة والجَلال، والعِظَم في حقه تعالىٰ مُنصرفٌ إلى عِظَم الشأن، وجلالة القَدْر، دون العِظَم الذي هو من نعوت الأجسام.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾، في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[١٣٧] **أحدها**: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يَعِشْ لها ولدٌ، تحلِفُ: لئن

---

[١٣٦] حسن بشواهده، ورد مرفوعاً من وجوه، فقد أخرجه الطبري ٥٧٩٥ وأبو الشيخ في «العظمة» ٢٢٢ كلاهما عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مرسلاً، ومع إرساله، فإن ابن زيد واهٍ. قاله الذهبي في «العلو» ص ٩١ اهـ. وقد أخرجه ابن حبان ٣٦١ وأبو نعيم في «الحلية» ١/١٦٦ وأبو الشيخ في «العظمة» ٢٦١ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٨٦٢ من طريق إبراهيم بن هشام الغساني بسنده عن أبي ذر، والغساني هذا ضعيف جداً، وقال الذهبي: متروك وكذبه أبو حاتم وأبو زرعة. لكن تابعه يحيى بن سعيد القرشي السعدي عند ابن عدي ٧/٢٦٩٩ وأبي الشيخ في «العظمة» ٢٠٨ وأبي نعيم ١/١٦٨ والطبراني ٥٧٩٥ والبيهقي ٩/٤ وفي الأسماء والصفات ٨٦١ من حديث أبي ذر. ويحيى القرشي هذا ضعيف، جرحه ابن حبان وقال ابن عدي: هذا حديث منكر من هذا الطريق. وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٢٥٤ عن إسماعيل من عياش بسنده عن أبي ذر، به، وإسماعيل ضعيف في روايته عن غير الشاميين، وشيخه ههنا حجازي، وفي الإسناد انقطاع. وأخرجه ابن أبي شيبة في «العرش» ٥٨ من وجه آخر من حديث أبي ذر، وفي إسناده إسماعيل بن مسلم وهو المكي، وهو ضعيف. وتابعه عليه القاسم بن محمد المصري عند ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ١/٣١٧ والقاسم ضعيف. وانظر مزيد الكلام عليه في «تفسير ابن كثير» بتخريجي. وصححه الألباني في «الصحيحة» ١٠٩ لطرقه والصواب أنه لا يرقى عن درجة الحسن، فعامة طرقه شديدة الضعف.

تنبيه: وقع عند الألباني في «الصحيحة» ١/١٧٥ أن ابن زيد في رواية الطبري هو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فوهم بذلك فإن ابن جرير يروي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو المراد عند الإطلاق في تفسيره.

[١٣٧] حسن. أخرجه الطبري ٥٨١٩ والبيهقي ٩/١٨٦ من طريق أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلاً. ووصله أبو داود ٢٦٨٢ والنسائي في «الكبرى» ١١٠٤٨. وابن حبان ١٤٠ والطبري ٥٨١٣ والنحاس في =

---

(١) طه: ٥.

عاش لها ولدٌ لَتُهَوِّدنَّه. فلما أُجليت يهود بني النَّضير، كان فيهم ناسٌ من أبناء الأنصار. فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ.

وقال الشَّعبيُّ: قالت الأنصار: واللّهِ لنُكرهَنَّ أولادَنا على الإسلام، فإنَّا إنَّما جعلنا في دين اليهود إذ لم نَعْلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية.

[١٣٨] **والثاني**: أن رجلاً من الأنصار تنصّر له ولدان قبل أن يُبعث النبيُّ ﷺ، ثم قَدِمَا المدينة فلزمهما أبوهما، وقال: واللّهِ لا أدعُكما حتى تُسلِمَا، فأَبيا، فاختصموا إلى النبيِّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول مَسْرُوقٍ.

والثالث: أن ناساً كانوا مُسْتَرضَعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النَّضِير، قالوا: والله لَنذهبنَّ معهم، ولَنَدِينَنَّ بدِينِهم، فمَنَعهم أهلُوهم، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت الآية(١).

والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلامٌ اسمه صبَيْحٌ، كان يُكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية، والقولان عن مُجاهدٍ.

فصل: واختلف علماء النَّاسخ والمَنْسُوخ في هذا القَدْر من الآية، فذهب قومٌ إلى أنه مُحكَمٌ، وأنه من العامِّ المخصوص، فإنه خصَّ منه أهل الكتاب بأنهم لا يُكرَهون على الإسلام، بل يُخَيَّرون بينه وبين أداء الجِزْيَة، وهذا معنى ما رُوي عن ابن عباسٍ ومُجاهدٍ وقتادةَ. وقال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: ليس الدين ما تَدِينُ به في الظاهر على جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدِّين هو المنعَقد بالقلب. وذهب قومٌ إلى أنه مَنسُوخٌ، وقالوا هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسُوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، وابن زيدٍ.

والدِّين هاهنا: أُريد به الإسلام. والرُّشد: الحق، والغَيّ: الباطل. وقيل: هو الإيمان والكفر.

وأما الطَّاغوت؛ فهو اسمٌ مأخوذٌ من الطغيان، وهو مجاوزة الحدِّ، قال ابن قُتيبةَ: الطَّاغوت: واحدٌ، وجمعٌ، ومذكَّرٌ، ومؤنثٌ. قال تعالىٰ: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾(٢)، والمراد بالطَّاغوت هاهنا خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشيطان(٣)، قاله عمرُ وابنُ عباسٍ

= «الناسخ والمنسوخ» ص ٨٢ والواحدي في «أسباب النزول» ١٥٨ و١٥٩. والبيهقي ٩/١٨٦ من طرق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهذا الإسناد رجاله رجال الصحيح. لكن أرسله أبو عوانة فيما تقدم فالحديث حسن إن شاء الله.

[١٣٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٦٢ عن مسروق بدون سند فلا حجة فيه، وله شاهد من مرسل السدي، أخرجه الطبري ٥٨٢٠ ومع إرساله، السدي يروي مناكير.
- وفي الباب من حديث ابن عباس عن الطبري ٥٨١٨ لكن إسناده ضعيف فيه محمد بن أبي محمد، وهو مجهول، والراجح في هذا هو المتقدم أولاً عن ابن عباس وغيره، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري ٥٨٢١ و٥٨٢٢ من طريقين عن مجاهد، وهذا مرسل.
(٢) الزمر: ١٧.
(٣) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣١١: معنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان، قوي جداً فإنه يشمل كل شرٍّ كان عليه أهل الجاهلية. من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها.

ومُجاهدٌ والشَّعبيُّ والسُّدِّيُّ ومُقاتلٌ في آخرين. **والثاني**: أنه الكاهن، قاله سعيدُ بن جُبير وأبو العَالِيَة. **والثالث**: أنه السَّاحر، قاله محمَّد بن سِيرينَ. **والرابع**: أنه الأصنام، قاله اليَزيديُّ والزجَّاجُ. **والخامس**: أنه مَرَدَةُ أهل الكتاب، ذكره الزجَّاجُ أيضاً. قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ هذا مثلٌ للإيمان شبَّه التمسُّك به بالمتمسِّك بالعُروة الوَثيقة. وقال الزجَّاجُ: معنى الكلام: فقد عَقَدَ لنفسه عَقْداً وثيقاً. والانفصام: كَسْر الشَّيء من غير إبانةٍ.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي: مُتولِّي أمورهم، يَهْديهم، وينصرهم، ويُعِينهم. والظُّلمات: الضَّلالة، والنُّور، الهُدى، والطَّاغوت: الشياطين، هذا قول ابن عباسٍ، وعِكرمةَ في آخرين. وقال مُقاتلٌ: الذين كفروا: هم اليَهودُ، والطَّاغوت: كَعبُ بن الأَشرَفِ. قال الزجَّاجُ: الطَّاغوت هاهنا: واحدٌ في معنى جماعةٍ، وهذا جائزٌ في اللغة إذا كان في الكلام دليلٌ على الجماعة. قال الشاعر[1]:

بِهَا جِيَفُ الحَسرى فأمَّا عِظَامُها ... فَبِيضٌ وأمَّا جِلدُها فَصَلِيبُ

يريد جلودها، فإن قيل: متى كان المؤمنون في ظُلمةٍ؟ ومتى كان الكفار في نورٍ؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أن عصمة الله للمؤمنين عن مُواقعة الضَّلال، إخراجٌ لهم من ظلام الكفر، وتزيين قُرَناء الكفار لهم الباطل الذي يَحيدُون به عن الهدى، إخراجٌ لهم من نور الهدى، و«الإخراج» مستعارٌ هاهنا. وقد يُقال للممتنع من الشيء: خَرَجَ منه، وإن لم يكن دَخَلَ فيه. قال تعالىٰ: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2]، وقال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾[3]، وقد سبقت شواهد هذا في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[4]. **والثاني**: أن إيمان أهل الكتاب بالنبيّ قبل أن يظهرَ نورٌ لهم، وكفرَهم به بعد أن ظَهَر، خروجٌ إلى الظُّلمات. **والثالث**: أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ، كان المخالف له خارجاً من نورٍ قد عَلِمَه، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾، قد سبق معنى «ألم ترَ». وحَاجَّ: بمعنى خاصَمَ، وهو نُمرُوذُ في قول الجماعة. قال ابن عباسٍ: مَلَكَ الأرضَ شرقها وغربها؛ مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان سُليمان بن داودَ، وذو القَرنين. والكافران: نُمروذُ، وبُخْتُنَصَّر[5]. قال ابن قُتيبة:

---

(١) هو علقمة بن عبدة بن النعمان. والحسرىٰ: الإبل المعيية المريضة. الصليب هنا: الجلد اليابس.
(٢) يوسف: ٣٧. (٣) النحل: ٧٠. (٤) البقرة: ٢١٠.
(٥) هذا قول بلا برهان، مصدره كتب الأقدمين، وهو قول بعيد جداً.

معنى الآية: حَاجَّ إبراهيمَ، لأن الله آتاه المُلك، فأعجب بنفسه وملكه.

قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، قال بعضهم: هذا جواب سؤالٍ سابقٍ غير مذكور، تقديره: أنه قال له: من ربُّك؟ فقال: ربّيَ الذين يُحيي ويُميت. قال نُمروذُ: أنا أُحيي وأُميت. قال ابن عباسٍ: يقول: أتركُ من شئتُ، وأقتلُ من شئتُ. فإن قيل: لِمَ انتقل إبراهيمُ إلى حُجَّةٍ أخرى، وعَدَلَ عن نُصرة الأولى؟ فالجواب: أن إبراهيمَ رأى من فساد معارضته أمراً يدل على ضعف فهمه، فإنه عارض اللفظ بمثله، ونَسي اختلافَ الفعلين، فانتقل إلى حُجَّةٍ أخرى، قصداً لقطع المُحَاجِّ لا عَجزاً عن نُصرة الأولى.

وقرأ أبن رَزينٍ العَقيليّ، وابن السَّميفع: فبَهت، بفتح الباء والهاء، وقرأ أبو الجَوزَاء، ويحيَى بن يَعمُرَ، وأبو حَيْوَة: فبَهُت؛ بفتح الباء، وضم الهاء. قال الكسَائيُّ: ومن العرب من يقول: بُهِتَ، وبَهِت، بكسر الهاء وضمّها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، يعني: الكافرين. قال مُقاتلٌ: لا يهديهم إلى الحُجَّة، وعنى بذلك نُمروذَ.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾، قال الزجَّاجُ: هذا معطوفٌ على معنى الكلام الذي قبله، أرأيت كالذي حَاجَّ إبراهيمَ، أو كالذي مرَّ على قريةٍ؟ وفي المُراد بالقَرية قولان: **أحدهما**: أنها بيتُ المَقْدِس لما خرَّبَه بُختنصَّر، قاله وَهبٌ، وقَتادةُ، والرَّبيعُ بن أنسٍ. **والثاني**: أنها التي خرج منها الألُوف حذرَ الموت، قاله ابن زيدٍ. وفي الذي مرَّ عليها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه عُزيرٌ، قاله عليُّ بن أبي طالبٍ، وأبو العَاليَة، وعِكرمةُ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وناجيَةُ بن كَعبٍ، وقتادةُ، والضحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه أَرْمِيَاء، قاله وَهبٌ، ومُجاهدٌ وعبد الله بن عُبيدِ بن عُمَيرٍ. **والثالث**: أنه رجلٌ كافرٌ شكَّ في البَعث، نُقل عن مُجاهدٍ أيضاً.

والخَاويَة: الخَاليَة، قاله الزجَّاجُ. وقال ابن قُتيبةَ: الخاوية: الخَرَاب، والعُرُوش: السُّقُوف، وأصل ذلك أن تسقطَ السُّقُوف، ثم تسقط الحِيطَان عليها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ﴾، أي: كيف يُحييها. فإن قلنا: إن هذا الرجل نبيٌّ، فهو كلام من يُؤثِر أن يرى كيفيَّة الإعادة، أو يَستَهولُهَا، فيُعظِّم قدرة الله، وإن قلنا: إنه كان رَجُلاً كافراً، فهو كلامُ شاكٍّ، والأول أصح.

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

الإشارة إلى قصته

روى نَاجيَة بن كَعْبٍ عن عليّ عليه السلام، قال: خرج عُزَيرٌ نبيُّ الله من مدينته، وهو رجلٌ شابٌّ، فمَرَّ على قريةٍ، وهي خاويةٌ على عُروشها، فقال: أنَّى يُحيي هذه اللَّهُ بعد موتها، فأماته الله مائة

عام، ثم بعثه، وأوّل ما خَلَق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلى عُظمه تنضَمُّ بعضها إلى بعضٍ، ثم كُسيت لحماً، ونُفِخ فيها الرُّوح. قال الحسنُ: قَبضَه الله أول النهار، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنةٍ. قال مُقاتلٌ: ونُودي من السماء: كم لبثتَ؟ قال قتادةُ: فقال: لبثتُ يوماً، ثم نظر فرأى بقيَّةً من الشمس، فقال: أو بعضَ يوم. فهذا يدل على أنه عُزيرٌ.

وقال وَهْبُ بن مُنبِّهٍ: أقام أرمِيَا بأرض مصر فأوحى الله إليه أن الْحق بأرض إيلياء، فركب حماره، وأخذ معه سلَّةً من عِنبٍ وتينٍ، ومعه سِقاءٌ جديدٌ، فيه ماءٌ، فلما بدا له شَخْصُ بيتِ المقدس وما حوله من القرى والمساجد نظر إلى خَرابٍ لا يُوصف فلما رأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال: أنَّى يُحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، وربط حماره، وعلق سقاءه، وألقى الله عليه النوم، ونزع روحه مئة عام، فلما مرَّ منها سبعون عاماً، أرسل الله مَلَكاً إلى مَلِكٍ من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرُكَ أن تنفِرَ بقومك، فتعْمُرَ بيتَ المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أعمرَ ما كانت، فانتدب ثلاثمائة قَهْرَمان، ودفع إلى كل قَهْرَمان ألفَ عاملٍ، وما يُصلحه من أداة العمل، فسار إليها قهارمته ومعهم ثلاثمئة ألف عامل. فلما وقعوا في العمل، ردَّ الله روح الحياة في عيني أرمِيَا، وآخرُ جسده ميتٌ، فنظر إليها تُعمر، فلما تَمَّتْ بعد ثلاثين سنة؛ ردَّ الله إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه فلم يَتَسنَّه، ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرِّمَّة في عنق الحمار لم تتغير ولم تنتقص شيئاً وقد نحل جسم أرميا من البلى، فأنبت الله له لحماً جديداً ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: (انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال: اعلم أن الله على كل شيء قدير). وزعم مُقاتلٌ أن هذه القصة كانت بعد رَفع عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ «لبثت» و«لبثتم» في كل القرآن بإظهار التاء، وقرأ أبو عمروٍ، وابن عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ بالإدغام، قال أبو عليٍّ الفارسيّ: من بَيَّن «لبثت» فلتباين المَخرَجين، وذلك أن الظاء والذال والثاء من حَيِّزٍ، والطاء والتاء والدال من حَيِّزٍ، فلما تباين المَخرجان، واختلف الحَيِّزان، لم يُدغم. ومن أدغمهما أجراها مجرى المِثْلين، لاتِّفاق الحرفين في أنهما من طرف اللّسان وأصول الثَّنايا، واتّفاقهما في الهَمس، ورأى الذي بينهما من الاختلاف يسيراً، فأجراهما مجرى المِثْلَين. فأما طعامه وشرابه، فقال وَهْبٌ: كان معه مِكْتَلٌ فيه عِنبٌ وتينٌ، وقُلَّةٌ فيها ماءٌ. وقال السُّدِّيُّ: كان معه تينٌ وعِنبٌ، وشرابه من العصير، ولم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وعاصمٌ، وابن عامرٍ: ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ و ﴿اقْتَدِهْ﴾[1] و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾﴾[2] و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾[3] و﴿مَا هِيَهْ﴾[4] بإثبات الهاء في الوصل. وقرأ الكِسائيُّ في حذف موضعين ﴿يَتَسَنَّهْ﴾ و﴿اقْتَدِهْ﴾ وكلهم يَقِفُ على الهاء. ولم يختلفوا في ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ و﴿حِسَابِيَهْ﴾ بالهاء وصلاً ووَقْفاً. فأما معنى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، فقال ابن عباسٍ، والحسنُ،

---

(١) الأنعام: ٩٠.
(٢) الحاقة: ٢٨.
(٣) الحاقة: ٢٩.
(٤) القارعة: ١٠.

وقتادةُ في آخرين: لم يَتغيَّر. وقال ابن قُتيبة: لم يتغيَّر بمَرِّ السنين عليه، واللفظ مأخوذٌ من السَّنَه، يقال: سَانَهت النَّخلَة: إذا حَمَلت عاماً، وحَالت عاماً.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾، قال مُقاتلٌ: انظر إليه، وقد ابيَضَّت عظامُه، وتفرَّقت أوصَالُه، فأعادَه الله. قوله تعالىٰ: ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ﴾ اللام صلةُ مُضمرٍ تقديره: فعلنا بك ذلك لنُريَك قدرتنا، ولنجعلك آيةً للناس، أي: عَلَماً على قدرتنا، فأضمَرَ الفعل لبيان معناه. قال ابن عباسٍ: مات وهو ابن أربعين سنةً، وابنه ابن عشرين سنةً، ثم بُعث وهو ابن أربعينَ وابنه ابن عشرين ومائةٍ، ثم أقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال لهم: أنا عُزيرٌ، فقالوا: حدَّثنا آباؤنا أن عُزيراً مات بأرض بَابِلَ، فقال لهم: أنا هو أرسلني الله إليكم أُجدِّد لكم تَورَاتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحدٌ يقرؤها فأملاها عليهم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾، قيل: أراد عِظَام نفسه، وقيل: عِظَام حماره، وقيل: هما جميعاً. قوله تعالىٰ: ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ قرأ ابن كَثير، ونافعٌ، وأبو عمرٍو «نُنشِرُها» بضم النون الأولى، وكسر الشين وراءٍ مضمومةٍ. ومعناه: نُحييها. يقال: أنشَرَ الله الميت، فنُشِر. وقرأ عاصمٌ، وابن عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: (نُنشزُها) بضم النون مع الزاي، وهو من النَّشز الذي هو الارتفاع. والمعنى: نرفع بعضها إلى بعضٍ للإحياء. وقرأ الأعمَش: (نَنشُزها) بفتح النون ورفع الشين مع الزاي. وقرأ الحسنُ، وأبَانَ، عن عاصم: نَنشرَها، بفتح النون مع الراء، كأنه من النَّشر عن الطَّي، فكأن الموت طَواها، والإحياء نَشرَها. قوله تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾، أي: بان له إحياء الموتى، ﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابن عامرٍ: «أعلم» مقطوعة الألف، مضمومة الميم. والمعنى: قد عَلِمْتُ ما كنت أعلمُه غيباً مشاهدةً. وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ بوصل الألف، وسكون الميم على معنى الأمر، والابتداء، على قراءتهما بكسر الهمزة، وظاهر الكلام أنه أمرٌ من الله له. وقال أبو علي: نزل نفسه منزلة غيره فأمرها وخاطبها. وقرأ الجُعفيُّ[1] عن أبي بكرٍ: «أَعلِمْ» بكسر اللام على معنى الأمر بإعلام الغير.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ في سبب سؤاله هذا أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنه رأى مَيتةً تُمزِّقها الهَوامُ والسِّباعُ فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباسٍ، والحسنِ، وقتادةَ، والضحَّاكِ، وعطاءِ الخُراسانيِّ، وابن جُريج، ومُقاتلٍ. وما الذي كانت هذه الميتة؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: كان رجلاً ميتاً، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: كان جِيفَةَ حمارٍ، قاله ابن جُريجٍ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: كان حُوتاً ميتاً، قاله ابن زيدٍ.

---

(١) هو الإمام أبو علي الحسين بن علي الجعفي الكوفي، توفي سنة ٢٠٣.

والثاني: أنه لما بُشِّر باتخاذ الله له خليلاً، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البِشَارة، ذكره السُّدِّيُّ عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ. وروي عن سعيدِ بن جُبيرٍ أنه لما بُشِّر بذلك، قال: ما علامَةُ ذلك؟ قال: أن يُجيب اللَّهُ دعاءَكَ، ويُحيي الموتى بسؤالكَ، فسأل هذا السؤال.

والثالث: أنه سأل ذلك ليُزيل عوارضَ الوسواس، وهذا قول عطاءِ بن أبي رباحٍ.

والرابع: أنه لما نازعه نُمروذُ في إحياء الموتى سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله تعالىٰ، وهذا قول محمَّد بن إسحاقَ.

قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾، أي: أولستَ قد آمنتَ أنّي أُحيي الموتى؟ وقال ابن جُبيرٍ: ألَمْ تُوقِنْ بالخُلَّة؟ قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾، «اللام» متعلقةٌ بفعلٍ مُضمرٍ، تقديره: ولكن سألتُك لِيطمئنَّ، أو أَرِني ليطمئنَّ قلبي، ثم في المعنى أربعة أقوالٍ: **أحدها**: لأَعلَم أنكَ تُجيبني إذا دعوتُك، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: لِيَزْدَاد قلبي يقيناً، قاله سعيد بن جُبيرٍ. وقال الحسنُ: كان إبراهيمُ مُوقِناً، ولكن ليس الخَبَرُ كالمُعايَنة. **والثالث**: ليطمئنَّ قلبي بالخُلَّة، روي عن ابن جُبيرٍ أيضاً. **والرابع**: أنه كان قلبه متعلِّقاً برؤية إحياء الموتى، فأراد: ليطمئنَّ قلبه بالنَّظر، قاله ابن قُتيبةَ. وقال غيره: كانت نفسه تائقةً إلى رؤية ذلك، وطالِبُ الشيء قَلِقٌ إلى أن يَظْفَر بطُلْبَتِهِ، ويدلّ على أنه لم يَسْأَل لشَكٍّ، أنه قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وما قال: هل تُحيي الموتى؟

قوله تعالىٰ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ في الذي أخذ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحَمَامَة، والدِّيكُ، والكُركيّ، والطَّاووس، رواه عبد الله بن هُبيرَةَ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها الطَّاووس، والدِّيك، والدَّجَاجَة السِّنديَّة، والأَوَزَّة، رواه الضحَّاكُ عن ابن عباسٍ. وفي لفظٍ آخر، رواه الضحَّاكُ مكان الدَّجاجة السِّنديَّة الرَّأل، وهو فَرخُ النَّعام. **والثالث**: أنها الشَّعَانين، وكان قُرباهُم يومئذٍ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها الطَّاووس، والنَّسر، والغُراب، والدِّيك، نُقل عن ابن عباسٍ أيضاً. **والخامس**: أنها الدِّيك، والطَّاووس والغُراب، والحَمَام، قاله عِكرمةُ، ومُجاهدٌ، وعَطاءٌ، وابنُ جُريج، وابن زيدٍ. **والسادس**: أنها ديكٌ، وغُرابٌ، وبَطٌّ، وطاووس، رواه لَيثٌ عن مُجاهدٍ. **والسابع**: أنها الدِّيك، والبطَّة، والغُراب، والحَمامة، قاله مُقاتلٌ. وقال عطاءٌ الخُراسانيُّ: أوحى الله إليه أن خُذْ بطَّةً خضراءَ وغُراباً أسودَ، وحمامةً بيضاءَ، ودِيكاً أحمرَ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، قرأ الجمهور بضم الصاد، والمعنى: أَمِلهنَّ إليك، يقال: صُرْتُ الشيء فانصارَ، أي: أَمَلْتُه فَمَالَ، وأنشدوا[١]:

اللَّهُ يعلَمُ أنَّا في تَلَفُّتِنا ... يومَ الفِراقِ إلى جيرانِنا صورُ[٢]

فمعنى الكلام: اجمَعهنَّ إليكَ. ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فيه إضمار قَطِّعهنَّ. قال ابن قُتيبةَ: أضمر «قَطِّعهنَّ»، واكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، عن قوله: «قَطِّعهن» لأنه يدلّ عليه، وهذا كما تقول: خُذْ هذا الثوب، واجعل على كلِّ رُمحٍ عندك منه عَلَماً. يريد: قَطِّعه،

---

(١) البيت ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «صور» ولم ينسبه لقائل.
(٢) في «اللسان»: الصَّوَرُ: الميل ورجل أصور بين الصَّوَرِ: مائل مشتاق.

وافعل ذلك، وقرأ أبو جعفرَ، وحَمزةُ، وخلفٌ، والمُفَضَّل، عن عاصم «فَصِرْهُنَّ» بكسر الصاد. قال اليَزيديُّ: هما واحدٌ، وقال ابن قُتيبةَ: الكسر والضم لغتان. قال الفَرَّاءُ: أكثر العرب على ضم الصاد، وحدّثني الكِسائيُّ أنه سمع بعض بني سُلَيم يقول: صِرته، فأنا أصِيرُهُ. وروي عن ابن عباسٍ ووَهْبٍ، وأبي مالكٍ، وأبي الأَسودَ الدُّؤليّ، والسُّدِّيّ، أن معنى المكسورة الصاد: قطّعهن.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، قال الزجَّاجُ: معناه: اجعل على كل جبلٍ من كل واحدٍ منهنَّ جزءاً. وروى عَوفٌ عن الحَسن قال: اذبحهنَّ ونتِّفهنَّ، ثم قطِّعهنَّ أعضاءً، ثم خلِّط بينهنَّ جميعاً، ثم جزِّأهما أربعة أجزاءٍ، وضَعْ على كل جبلٍ جُزءاً. ثم تنحّى عنهنَّ، فدعاهُنَّ، فجعل يعدو كل جزءٍ إلى صاحبه حتى استوَيْنَ كما كُنَّ، ثم أتَيْنَه يَسْعِين. وقال قتادةُ: أَمْسَكَ رؤوسَها بيده، فجعل العَظْمُ يذهب إلى العَظم، والرِّيشة إلى الرِّيشة، والبُضعَة إلى البُضْعَة، وهو يرى ذلك، ثم دَعاهنَّ، فأقبلنَ على أرجُلهنَّ يُلقي لكل طائرٍ رأسه. وفي عدد الجبال التي قُسمنَ عليها قولان: **أحدهما**: أنه قَسمهنَّ على أربعة جبالٍ، قاله ابن عباسٍ، والحسنُ، وقتادةُ. وروي عن ابن عباسٍ قال: جعلهنَّ أربعة أجزاءٍ في أرباع الأرض، كأنه يعني جهات الإنسان الأربع. **والثاني**: أنه قَسمهنَّ سبعة أجزاءٍ على سبعة أجبالٍ، قاله ابن جريجٍ، والسُّدّيّ.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾، قال ابن قُتيبةَ: يُقال: عَدْواً، ويقال: مشياً على أرْجُلهنَّ، ولا يقال للطائر إذا طار: سَعى ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: مَنيعٌ لا يُغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُدبِّر. ويزعم مُقاتلٌ أن هذه القصة جَرَتْ لإبراهيمَ بالشَّام قبل أن يكون له ولدٌ، وقبل نزول الصُّحف عليه، وهو ابن خمسٍ وسبعين سنةً[١].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٣/٢٨٣: اختلف الناس في هذا السؤال هل صدر من إبراهيم عن شك أم لا؟. فقال الجمهور: لم يكن إبراهيم عليه السّلام شاكاً في إحياء الموتى قط وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة». وقال الأخفش: لم يُرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين. قال ابن عطية: وترجم الطبري في تفسيره فقال: وقال آخرون سأل ذلك ربه، لأنه شك في قدرة الله تعالى. وأدخل تحت الترجمة عن ابن عباس قال ما في القرآن آية أرجى عندي منها وذُكر عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: دخل قلبَ إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال: رب أرني كيف تحيي الموتى وذكر حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ثم رجّح الطبري هذا القول. قلت: حديث أبي هريرة خرجه البخاري ومسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال **﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أوَ لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾** «ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». قال ابن عطية: وما ترجم به الطبري عندي مردود. وما أدخل تحت الترجمة متأول، فأما قول ابن عباس: «هي أرجى آية». فمن حيث فيها الإدلال على الله تعالى وسؤال الإحياء في الدنيا وليست فطنة ذلك، ويجوز أن يقول: هي أرجى آية لقوله **﴿أو لم تؤمن﴾** أي أن الإيمان كافٍ لا يحتاج معه إلى تنقيح وبحث. وأما قول عطاء: «دخل قلب إبراهيم بعضُ ما يدخل قلوب الناس» فمعناه من حيث المعاينة على ما تقدّم. وأما قول النبي ﷺ «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فمعناه أنه لو كان شاكاً لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى ألا يشك فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم. والذي ورد فيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ذلك محض الإيمان» إنما هو في الخواطر التي لا تثبت، وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وذلك هو المنفي عن الخليل عليه السلام. وإحياء الموتى. إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم أعلم به يدلك على ذلك **﴿ربي الذي يحيي** =

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، حُدِّثنا عن ثعلب أنه قال: إنما المَثَل ـ والله أعلم ـ للنَّفقة، لا للرجال، ولكن العرب إذا دلّ المعنى على ما يريدون، حَذَفوا، مِثْلَ قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾، فأضمرَ «الحُبَّ» لأن المعنى معلومٌ، فكذلك هاهنا. أراد: مثل نَفَقة الذين يُنفقون ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾[(١)]. يريد: بُخلَ البَاخِلين فحَذَف البُخل. وفي المراد بـ «سبيل الله» قولان: **أحدهما**: أنه الجهاد. **والثاني**: أنه جميع أبواب البِرّ. قال أبو سُليمان الدِّمشقيّ: والآية مَردودةٌ على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾، وقد أعْلَم الله عزَّ وجلَّ بضَرب هذا المَثَل، أن الحسنة في النَّفقة في سبيله تُضاعف بسبعمائة ضعفٍ. وقال الشعبي: نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف بسبعمائة ضعف. قال ابن زيدٍ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾، أي: يزيد على السَّبعمائة.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن السَّائِب ومُقاتلٌ: نزلت في عثمانَ بن عفَّان في نَفَقته في غزوة تَبوكٍ، وشِرائه بئر رومَة، ركيَة بالمدينة، تصدَّق بها على المسلمين، وفي عبد الرحمٰن بن عوفٍ حين تصدَّق بأربعة آلاف درهمٍ، وكانت نصفَ مالِه[(٢)].

وأما المَنُّ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه المَنُّ على الفقير، ومثل أن يقول: قد أحسنتُ إليكَ ونعشتُكَ، وهو قول الجمهور. **والثاني**: أنه المَنُّ على الله بالصَّدقة، روي عن ابن عباسٍ. فإن قيل: كيف مَدَحهم بتَرْكِ المَنِّ. ووصف نفسه بالمَنَّان؟ فالجواب: يُقال: مَنَّ فلانٌ على فلانٍ: إذا أنعمَ عليه، فهذا المَمْدوح، قال الشاعر:

= **ويميت﴾** فالشك يبعد على من تثبت قدمه في الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخُلّة والأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة إجماعاً. وإذا تأملت سؤاله عليه السلام وسائر ألفاظ الآية لم تعطِ شكاً وذلك أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متفرد الوجود عند السائل والمسؤول. ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء قد يعبّرون عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لا تصح فيلزم من ذلك أن الشيء في نفسه لا يصح، فلما كانت عبارة الخليل إبراهيم عليه السلام بهذا الاشتراك المجازي، خلص الله له ذلك وحمله على أن بين له الحقيقة فقال له: **﴿أو لم تؤمن قال بلى﴾** فكمل الأمر وتخلّص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمأنينة.

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) لا أصل له. عزاه المصنف لابن السائب ومقاتل. أما ابن السائب، فهو محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك كذاب. وأما مقاتل فهو ابن سليمان حيثما أطلق، وهو كذاب أيضاً، فهذا أثر باطل لا أصل له، ولم أجده عن غيرهما.

فَمُنِّي علينا بالسَّلام فإنَّما ... كلامُكِ ياقوتٌ ودرٌ مُنَظَّمُ

أراد بالمَنِّ الإنعام. وأما الوجه المَذْمُوم، فهو أن يقال: مَنَّ فلانٌ على فلانٍ، إذا استعظَم ما أعطاه، وافتخر بذلك قال الشاعر في ذلك:

أنلْتَ قليلاً ثمَّ أسرعتَ مِنَّةً ... فَنَيْلُكَ مَمْنُونٌ كذاكَ قليلُ

ذكر ذلك أبو بكرٍ الأنباريّ.

وفي الأذى قولان: **أحدهما**: أنه مواجهة الفقير بما يؤذيه، مثل أن يقول له: أنتَ أبداً فقيرٌ، وقد بُليتُ بكَ، وأراحني اللّهُ منكَ. **والثاني**: أنه يُخبر بإحسانه إلى الفقير، مَنْ يكره الفقيرُ اطِّلاعَه على ذلك، وكلا القولين يُؤذي الفقير وليس من صِفَة المُخلصين في الصَّدقة. ولقد حُدِّثنا عن حسانَ بن أبي سِنَان أنه كان يشتري أهلَ بيت الرجل وعيالَه، ثم يعتقهم جميعاً، ولا يَتعرَّف إليهم، ولا يُخبرهم مَنْ هوَ.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، أي: قولٌ جميلٌ للفقير، مثل أن يقول له: يُوسع اللّهُ عليكَ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: يَستُرُ على المسلم خِلَّتَه وفاقته، وقيل: أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطَال على المسؤول وقت ردِّه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ﴾ وقد سبق بيانه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم﴾، أي: لا تُبطلوا ثوابها، كما تبطل ثواب صدقة المُرائي الذي لا يؤمن بالله، وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾، أي: مَثَلُ نفقته، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، قال ابن قُتيبة: الصَّفوانُ: الحَجَر، والوابِل: أشدُّ المطر، والصَّلدُ: الأملَس. وقال الزجَّاجُ: الصَّفوان: الحَجَر الأملَس، وكذلك الصَّفا. وقال ثَعلبٌ: الصَّلد: النَّقيّ. وروي عن ابن عباسٍ، وقتادةَ، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ﴾، قالا: ليس عليه شيءٌ. وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالىٰ للمُرائي بنفقته، لا يَقْدِر يوم القيامة على ثواب شيءٍ مما أنفق.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾، أي: طلباً لرضاه. وفي معنى التَّثبيت قولان: **أحدهما**: أنه الإنفاق عن يقينٍ وتصديقٍ، وهذا قول الشَّعبيّ، والسُّدّيّ، في آخرين. **والثاني**: أنه التَّثبيت لارتياد مَحَلِّ الإنفاق، فهم ينظرون أين يضعونها، وهذا قول الحسنِ، ومُجاهدٍ، وأبي صالح. قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ﴾ الجنّة: البُستان، وقرأ مُجاهدٌ، وعاصمٌ الجُحْدُريّ «حبة» بالحاء. والرَّبوة: ما ارتفع. وقرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَمزةُ، والكسائيُّ «برُبوة» بضم الراء.

وقرأ عاصمٌ، وابن عامر، بفتح الراء وقرأ الحسنُ والأعمشُ بكسر الراء، وقرأ ابن عباسٍ، وأبو رَزين، برَباوة، بزيادة ألفٍ، وفتح الراء، وقرأ أُبيُّ بن كعبٍ، والجُحْدُرِيُّ كذلك، إلا أنهما ضمَّا الراء، وكذلك خلافهم في «المؤمنين»، قال الزجّاجُ: يقال رَبوة ورِبوة ورُبوة ورباوة. والموضع المرتفع من الأرض، إذا كان له ما يرويه من الماء، فهو أكثر رَيْعاً من السُّفل. وقال ابن قُتيبةَ: الرَّبوة الارتفاع، وكل شيءٍ ارتفع وزاد، فقد رَبَا، ومنه الرِّبا في البيع. قوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ: أكْلها. والأكْل بسكون الكاف حيث وقع، ووافقهما أبو عمرو، فيما أضيف إلى مؤنثٍ، مثل: «أكْلها»، فأمّا ما أضيف إلى مذكرٍ مثل: أكله؟ أو كان غير مضافٍ إلى مَكْنيّ: مثل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ فثقّله أبو عمرٍو. وقرأ عاصمٌ، وابن عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ جميع ذلك مُثقَّلاً. وأُكلها: ثمرها. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مِثْلَين. فأما «الطَّلّ» فقال ابن قُتيبةُ: هو أضعف المطر، وقال الزجَّاجُ: هو المطر الدائم، الصِّغار القَطْر الذي لا تكاد تسيل منه المَثَاعِبُ. قال ثعلبٌ: وهذا لفظ مستقبل وهو لأمر ماض، فمعناه: فإن لم يكن أصابها وابل فطل، ومعنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنّة لا يَخيبُ، فإنها إن أصابها الطَّلّ حَسُنت، وإن أصابها الوابل أضعفَت، فكذلك نفقة المؤمن المُخلص. والبَصير: من أسماء الله تعالىٰ، معناه: المُبصر. قال الخَطّابيُّ: وهو فَعيلٌ بمعنى مُفْعِل، كقولهم: أَلِيم بمعنى مُؤْلِم.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾، هذه الآية متصلةٌ بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾، ومعنى: «أيودُّ» أيُحِبُّ، وإنما ذكر النَّخيل والأعناب، لأنهما من أنفَس ما يكون في البساتين، وخصَّ ذلك بالكبير، لأنه قد يَئِسَ من سَعي الشباب في إكسابهم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾، أي: ضِعَاف، وإذا ضَعُفَت الذُّرِّيَّة كان أحنى عليهم، وأكثرَ إشفاقاً ﴿فَأَصَابَهَآ﴾ يعني: الجنّة ﴿إِعْصَارٌ﴾ وهي ريحٌ شديدةٌ، تَهُبُّ بشدةٍ، فترفع إلى السَّماء تراباً، كأنه عَمُودٌ. قال الشاعر:

إنْ كُنتَ ريحاً فقد لاقَيتَ إعصارا

أي: لاقيتَ أشدَّ منكَ. فإن قيل: كيف جاز في الكلام أن يكون له جنّة فأصابها، ولم يقل: فيُصيبُها؟ أفيجوز أن يقال: أيودُّ أن يُصيبَ مالاً، فضَاع، والمراد: فيَضيع؟ فالجواب: أن ذلك جائزٌ في «وَدِدت» لأن العرب تلقاها مرَّةً بـ«أن»، ومرَّة بـ«لو»، فيقولون: وَدِدْتُ لو ذهبتَ عنَّا، ووَدِدْتُ أن تذهبَ عنا، قاله الفَرّاءُ، وثَعْلَبٌ.

فصل: وهذه الآية مثلٌ ضَربَه الله تعالىٰ في الحَسْرةِ بسَلْب النِّعمة عند شدَّة الحَاجَة. وفيمن قَصَدَ به ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه مَثَل الذي يُختم له بالفساد في آخر عُمره، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه مَثَلٌ للمُفرط في طاعة الله تعالىٰ حتى يموت، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: أنه مَثَلٌ للمُرائي في النفقة، ينقطع عنه نفعها أحْوَجَ ما يكون إليه، قاله السُّدِّيُّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، في سبب نزولها قولان:

[١٣٩] **أحدهما**: أن الأنصار كانوا إذا جَذوا النَّخل، جاء كل رجلٍ بشيءٍ من ذلك فعلَّقه في المسجد، فيأكل منه فقراءُ المهاجرين، وكان أناسٌ ممن لا يَرغب في الخير يجيء أحدُهم بالقُنو[١] فيه الحَشَف والشِّيص، فيعلِّقه، فنزلت هذه الآية. هذا قول البَراءِ بن عازبٍ.

[١٤٠] **والثاني**: أن النبيَّ ﷺ أمرَ بزكاة الفِطر، فجاء رجلٌ بتَمر رديءٍ، فنزلت هذه الآية. هذا قول جابرِ بن عبد الله.

وفي المراد بهذه النفقة قولان: **أحدهما**: أنها الصَّدقة المفروضة، قاله عبيدة السَّلْمَانيُّ في آخرين. **والثاني**: أنها التَّطوع. وفي المراد بالطَّيِّب هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه الجَيِّد الأَنْفس، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه الحَلال، قاله أبو مَعْقِلٍ في آخرين. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾، أي: لا تَقْصِدوا. والتَّيَمُّم في اللغة: القَصْدُ. قال مَيْمُونُ بن قَيْسٍ:

تَيَمَّمْتُ قَيْساً وكَمْ دونَه ... مِنَ الأرضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنْ[٢]

وفي الخَبيث قولان: **أحدهما**: أنه الرَّديء، قاله الأكثرون، وسبب الآية يدلّ عليه. **والثاني**: أنه الحَرَام، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾، قال ابن عباسٍ: لو كان بعضكم يطلب من بعضٍ حقاً له، ثم قضاه ذلك، ولم يأخُذه إلى أن يرى أنه قد أغمَضَ عن بعض حقّه. وقال ابن قُتيبةَ: أصلُ هذا أن يَصْرِفَ المرء بصرَه عن الشيء، ويُغْمِضَه، فسمِّي التَّرخُّص إغماضاً. ومنه قول الناس للبائع: أغْمِض، أي: لا تَشخَص، وكُنْ كأنك لا تُبصر. وقال غيره: لما كان الرجل إذا رأى ما يكره

---

[١٣٩] جيد. أخرجه ابن ماجه ١٨٢٢ والحاكم ٢/ ٢٨٥ والطبري ٦١٣٨ و٦١٣٩ والواحدي ١٧٢ من طريق أسباط عن السدي عن عدي بن ثابت به. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وهو كما قالا: لكن في أسباط بن نضر ضعف ينحط حديثه عن درجة الصحيح ومثله السدي. وأخرجه الترمذي ٢٩٨٧ والبيهقي ٤/ ١٣٦ من طريق السدي عن أبي مالك عن البراء به وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وله شاهد من حديث سهل بن حنيف، أخرجه الحاكم ٢/ ٢٨٤ وإسناده حسن.

[١٤٠] أخرجه الحاكم ٢/٢٨٣ والواحدي في «الأسباب» ١٧٢ من حديث جابر، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وفيه قيس بن أنيف لم أجد له ترجمة. ويشهد لأصله ما تقدم دون تعيين ذلك بكونه في زكاة الفطر. وفي حديث سهل بن حنيف المتقدم «أمر بصدقة» ولعل المراد صدقة الفطر وبكل حال أصل الخبر محفوظ بشواهده.

---

(١) القنو: العذق بما فيه من الرطب. والحشف من التمر: اليابس الفاسد. والشيص: رديء التمر ويقال للتمر الذي لا يشتد نواه ويقوى وقد لا يكون له نوى أصلاً، هو الشيص.

(٢) المهمه: المفازة. الشَّزَن: شدة الإعياء من الحفا، والشدة والغلظة، والغِلَظ من الأرض اهـ قاموس.

أغمَض عينيه، لئلا يرى جميعَ ما يكره؛ جُعل التَّجاوز والمُساهَلة في كل شيء إغماضاً. قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾، قال الزجّاجُ: لم يأمركم بالتصدّق عن عِوَزٍ، لكنه بَلاَ أخبارَكم، فهو حميدٌ على ذلك. يُقال: قد غَنِيَ زيدٌ، يَغْنَى غِنىً، مقصورٌ: إذا استغنى، وقد غَنِيَ القومُ: إذا نَزَلُوا في مكانٍ يُغْنِيهِم، والمكان الذي ينزلون فيه مَغْنَى. والغَواني: النساء، قيل: إنما سُمِّين بذلك، لأنهنَّ غُنِينَ بجمالهنّ، وقيل: بأزواجهنّ. فأما «الحَميد» فقال الخطّابيُّ: هو بمعنى المَحمود، فَعِيل بمعنى مَفْعُول.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾، قال الزجّاجُ: يُقال: وعدتُه أعِدُه وَعْداً وَعِدَةً ومَوْعِداً ومَوعِدَة ومَوْعُوداً، ويُقال: الفَقر، والفُقر. ومعنى الكلام: يَحْمِلُكم على أن تُؤَدُّوا من الرَّديء، يُخَوِّفكم الفقرَ بإعطاء الجَيِّد. ومعنى: يَعِدُكم الفقرَ، أي: بالفقر، وحُذفت الباء. قال الشاعر[1]:

أَمَـرتُـكَ الـخيـرَ فـافـعَـل مـا أُمِـرْتَ بـهِ ... فَـقَـدْ تـركـتُـكَ ذا مـالٍ وذا نَـشَـبِ

وفي الفَحشاء قولان: **أحدهما**: البُخل. **والثاني**: المَعاصي. قال ابن عباسٍ: والله يعدِكُم مغفرةً لفَحْشَائكم، وفضلاً في الرِّزق.

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ﴾، في المراد بهذه الحكمة أحدَ عشر قولاً[2]: **أحدها**: أنها القرآن، قاله ابن مسعودٍ، ومُجاهدٌ، والضحَّاكُ، ومُقاتلٌ في آخرين. **والثاني**: معرفة نَاسِخ القرآن، ومَنْسُوخِه، ومُحْكَمِه، ومُتَشابهه، ومُقدَّمه، ومؤخَّره، ونحو ذلك، رواه عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: النُّبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والرابع**: الفَهم في القرآن، قاله أبو العَالِيَة، وقَتادَةُ، وإبراهيم. **والخامس**: العلمُ والفِقه، رواه لَيْثٌ عن مُجاهدٍ. **والسادس**: الإصَابة في القول، رواه ابن أبي نَجِيح عن مُجاهدٍ. **والسابع**: الورَع في دين الله، قاله الحسنُ. **والثامن**: الخَشية لله، قاله الرَّبيع بن أنسٍ. **والتاسع**: العقل في الدِّين، قاله ابن زيدٍ. **والعاشر**: الفَهمُ، قاله شَريكٌ. **والحادي عشر**: العلم والعمل، لا يُسمَّى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما، قاله ابن قُتيبةَ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾، قرأ يعقوبُ بكسر تاء «يؤت»، ووَقفَ عليها بهاء والمعنى: ومن يؤتِه الله الحكمة. وكذلك هي في قراءة ابن مسعودٍ بهاءٍ بعد التاء. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾، قال الزجَّاجُ: أي: وما يُفكِّر فكراً يذكر به ما قصَّ من آيات القرآن إلا ذَوو العقول. قال ابن قُتيبةَ: «أولو» بمعنى: ذَوو، وواحد «أُولو» «ذو»، و«أُولات» «ذَات».

---

(١) هو عمرو بن معدي كرب.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٢٢: والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في بعض الأحاديث «من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه».

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾، النَّذْر: ما أوجبه الإنسان على نفسه، وقد يكون مُطلقاً، ويكون معلّقاً بشرطٍ. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾، قال مُجاهدٌ: يُحْصِيه، وقال الزجَّاجُ: يُجَازي عليه. وفي المراد بالظَّالمين هاهنا، قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: المنفقون بالمَنِّ والأذى والرِّياء، والمُنْذِرون في المعصية، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. والأنصار: المَانِعون. فمعناه: ما لهم مانعٌ يمنعُهُم من عذاب الله.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

[١٤١] قال ابن السَّائِب: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾، قالوا: يا رسولَ الله، صدقَةُ السِّرِّ أفضلُ، أم العلانِيَة؟ فنزلت هذه الآية. قال الزجَّاجُ، يُقال: بَدا الشيءُ يَبْدُو: إذا ظَهَرَ، وأبْدَيْته إبداءً: إذا أظْهرتُه، وبَدَا لي بداءٌ: إذا تغيَّر رَأْيي عمَّا كان عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾، في «نِعم» أربع لغاتٍ: «نَعِم» بفتح النون، والعين، مثل: عَلِم. و«نِعِم» بكسرها، و«نَعْم» بفتح النون، وتسكين العين، و«نِعْم» بكسر النون، وتسكين العين. وأمّا قوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قرأ نافعٌ في غير رواية «وَرْشٍ»، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، والمُفضَّل: «فَنِعْما»، بكسر النون، والعين ساكنةٌ. وقرأ ابن كثيرٍ، وعاصمٌ في رواية حَفصٍ، ونافعٌ في رواية «وَرْشٍ»، ويعقوبُ بكسر النون والعين. وقرأ ابن عامرٍ، وحَمزةُ والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «فَنَعِمّا» بفتح النونِ، وكسر العين، وكلّهم شدَّدوا الميم. وكذلك خلافهم في سورة النِّساء. قال الزجَّاجُ: «ما» في تأويل الشيء، أي: فنعمَّ الشيءُ هو. قال أبو عليّ: نِعْم الشيء إبداؤها. قوله تعالى: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فهو الإخفاء. واتفق العلماء على أن إخفاء الصدقة النَّافلة أفضلُ من إظهارها، وفي الفَريضة قولان: **أحدهما**: أن إظهارها أفضل، قاله ابن عباسٍ في آخرين. واختاره القاضي أبو يَعْلَى. وقال الزجَّاجُ: كان إخفاء الزَّكاة على عهد رسول الله ﷺ، أحسنَ، فأمَّا اليوم، فالناس مُسيئون الظنّ، فأظهارُها أحسنُ. **والثاني**: إخفاؤها أفضل، قاله الحسَنُ، وقتادةُ، ويزيدُ بن أبي حَبيبٍ. وقد حَمَلَ أرباب القول الأول الصدقات في الآية على الفريضة، وحَمَلوا ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ على النَّافلة، وهذا قولٌ عجيبٌ. وإنما فُضِّلت صدقة السِّرِّ لمَعنيين: **أحدهما**: يَرجعُ إلى المُعْطِي، وهو بُعْدُه عن الرِّيَاء، وقُربه من الإِخلاص، والإعراض عمَّا تُؤْثِرُ النَّفس من العَلانية. **والثاني**: يَرجعُ إلى المُعطَى، وهو دفعُ الذُّلِّ عنه بإخفاء الحال، لأنه في العلانية يَنْكَسِرُ. قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾، قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو بَكرٍ عن عاصمٍ (ونُكَفِّرُ) بالنون والرفع، والمعنى: ونحن نُكَفِّر، ويجوز أن يكون مُستأنفاً.

---

[١٤١] لا أصل له، ذكره المصنف عن الكلبي تعليقاً بدون إسناد، ومع ذلك هو معضل، والكلبي واسمه محمد بن السائب متروك كذاب، فهذا خبر لا أصل له.

وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكسائيُّ: «ونُكفِّرْ» بالنون وجزم الراء. قال أبو عليٍّ: وهذا على حَمْل الكلام على موضع قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في موضع جزم، ألا ترى أنه لو قال: وإن تخفوها يكُون أعظم لأجركم لَجزَمَ، ومثله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾[1]، حمل قوله و«أكن» على موضع «فأصدِّق». وقرأ ابن عامرٍ: «ويُكفِّرُ» بالياء والرفع، وكذلك حَفصٌ عن عاصم على الكناية عن الله عزَّ وجلَّ، وقرأ أبانُ عن عاصم، «وتُكفِّرْ» بالتاء المرفوعة، وفتح الفاء مع إسكان الراء. قوله تعالىٰ: ﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، في «مِنْ» قَولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ. **والثاني**: أنها داخلةٌ للتَّبعيض. قال أبو سُليمان الدِّمشقيُّ: ووجه الحِكمة في ذلك أن يكون العباد على خوفٍ ووَجَلٍ.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ في سبب نزولها قولان:

[١٤٢] **أحدهما**: أن المسلمين كرهوا أن يتصدَّقوا على أقربائهم من المُشركين، فنزلت هذه الآية، هذا قول الجمهور.

[١٤٣] **والثاني**: أن النبيَّ ﷺ قال: «لا تتصدَّقوا إلاَّ على أهل دِينِكم»، فنزلت هذه الآية، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

والخير في الآية، أُريد به المال، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. ومعنى: ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، أي: فلكم ثوابه. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾، قال الزجَّاج: هذا خاصٌّ للمؤمنين، أعلمهم الله أنه قد علِمَ أن مُرادَهم ما عنده، وإذا أعْلَمَهُم بصحة قَصدِهم، فقد أعلمَهُم بالجزاء عليه. قوله تعالىٰ: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، أي: تُوَفَّون أجره. ومعنى الآية: ليس عليكَ أن يهتدوا، فتمنَعَهُم الصدقةَ ليدخلوا في الإسلام، فإن تصدّقتم عليهم أُثِبْتُم. والآية محمولةٌ على صدقة التَّطوّع، إذ لا يجوز أن يُعطى الكافر من الصَّدقة المفروضة شيئاً.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

---

[١٤٢] أخرجه الواحدي في «الأسباب» ١٧٤ عن ابن الحنفية به، وفي الإسناد سلمان المكي، لم أجد له ترجمة.
ـ ولمعناه شواهد منها عن ابن عباس: أخرجه الطبري ٦٢٠٠ وكرره ٦٢٠٣ من وجه آخر، وإسناده حسن.
وفي الباب مراسيل كثيرة، فالخبر قوي بشواهده.

[١٤٣] ضعيف. أخرجه الواحدي في «الأسباب» ١٧٣ وابن أبي شيبة كما في «الدر» ١/ ٦٣١ عن سعيد بن جبير مرسلاً، فهو ضعيف لإرساله.

---

(١) المنافقون: ١٠.

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾، لمَّا حثَّهم على الصَّدقات والنَّفقات، دَلَّهم على خير من تُصُدِّق عليه. وقد تقدَّم تفسير الإحصار عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[1].

وفي المراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّهم أهل الصُّفَّة حَبَسُوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيءٌ، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنهم فقراء المُهاجرين، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: أنهم قومٌ حَبَسُوا أنفسهم على الغَزْو، فلا يَقدِرُون على الاكتساب، قاله قَتادةُ. **والرابع**: أنهم قومٌ أصابَتْهم جِراحَاتٌ مع النَّبيِّ ﷺ، فصاروا زَمْنَى. قاله سعيد بن جبير، واختاره الكِسَائيُّ، وقال: أُحْصِروا من المَرَض، ولو أراد الحَبْسَ، لَقَال: حُصِرُوا، وإنَّما الإحصَار من الخَوْف، أو المَرض. والحَصْرُ: الحَبْس في غيرهما. وفي سبيل الله قولان: **أحدهما**: أنه الجهاد. **والثاني**: الطَّاعة. وفي الضَّرب في الأرض قولان: **أحدهما**: أنه الجهاد لم يُمكنهم لفقرهم، نُقل عن ابن عباسٍ. **والثاني**: الكَسْبُ، قاله قتادة. وفي الذي مَنَعَهُم من ذلك ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الفقر، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أمراضُهم، قاله ابن جبيرٍ، وابن زيدٍ. **والثالث**: التِزَامُهُم بالجهادِ، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾، قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، والكِسائيُّ: «يحسِبهم» و«يَحْسِبَنَّ» بكسر السين في جميع القرآن. وقرأ ابن عامرٍ، وعاصمٌ، وحَمزةُ، بفتح السين في الكلِّ. قال أبو عليٍّ: فتح السين أَقْيَسُ، لأن الماضي إذا كان على «فَعِلَ»، نحو: حَسِبَ، كان المضارع على «يَفعَلُ»، مثل: فَرِقَ يَفرَقُ، وشَرِبَ يَشْرَبُ، والكسر حسنٌ لموضع السَّمع. قال ابن قُتيبةَ: لم يُرِدِ الجَهْلَ الذي هو ضِدّ العقل، إنما أراد الجَهل الذي هو ضِدُّ الخُبْر، فكأنه قال: يَحْسَبَهُم مَنْ لا يَخْبرُ أَمْرَهُم. والتَّعَفُّفُ: تَرْكُ السؤال، يُقال: عَفَّ عن الشيء وتَعَفَّف. والسِّيمَا: العَلامَة التي يُعرف بها الشيء، وأصله من السِّمَة. وفي المُراد بِسِيمَاهُم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تَجَمُّلُهُم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: خُشوعهم، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: أثَرُ الفقر عليهم، قاله السُّدِّيُّ والرَّبيعُ بن أنسٍ. وهذا يدلّ على أن للسِّيمَا حُكماً يتعلَّق بها. قال إمامنا أحمدُ في الميت يُوجد في دار الحَرب، ولا يُعرف أمره: يُنظر إلى سِيمَاه، فإن كان عليه سِيمَا الكُفَّار من عَدَم الخِتَان، حُكِمَ له بحُكمهم، فلم يُدفن في مقابر المسلمين، ولم يُصَلَّ عليه، وإن كان عليه سِيمَا المسلمين حُكِمَ له بحُكْمِهِم[2]. فأما الإِلْحَافُ، فهو: الإِلحاحُ، قال ابن قُتيبةَ: يقال: أَلحَفَ في المسألة: إذا أَلَحَّ، وقال الزجَّاجُ: معنى أَلْحَفَ: شَمِل بالمسألة، ومنه اشتقاق اللِّحَاف، لأنه يَشْمل الإنسان بالتَّغطية، فإن قيل: فهل كانوا يسألون غير

---

(١) البقرة: ١٩٦.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في (المغني) ٣/ ٤٧٧: فإن اختلط موتى المسلمين بموتى المشركين، فلم يميزوا، صلّى على جميعهم بنية المسلمين. قال أحمد: ويجعلهم بينه وبين القبلة، ثم يصلي عليهم وإلا فلا، لأن الاعتبار بالأكثر، بدليل أن دار المسلمين الظاهر فيها الإسلام، لكثرة المسلمين بها، وعكسها دار الحرب، لكثرة من بها من الكفار. ولنا، أنه أمكن الصلاة على المسلمين من غير ضرر، فوجب، كما لو كانوا أكثر، ولأنه إذا جاز أن يقصد بصلاته ودعائه الأكثر، جاز قصد الأقل وإن وجد ميتٌ، فلم يعلم أمسلم هو أم كافر، نظر إلى العلامات من الختان، والثياب والخضاب، فإن لم يكن عليه علامة، وكان في دار الإسلام، غسّل وصُلّي عليه، وإن كان في دار الكفر، لم يُغَسّل، ولم يُصَلَّ عليه. نصَّ عليه أحمد، لأن الأصل أنّ من كان في دارٍ فهو من أهلها، يثبت له حكمهم ما لم يقم على خلافه دليل.

مُلْحِفِين؟ فالجواب: أنْ لا، وإنما معنى الكلام: أنه لم يَكُنْ منهم سؤالٌ، فيكون إلْحافٌ. قال الأَعْشَى:

لاَ يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولاَ وَصَبٍ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ(١)

معناه: ليس بساقِهِ أَيْنٌ ولا وَصَبٌ، فيغمِزَها لذلك. قال الفَرَّاءُ: ومثله أن تقول: قَلَّ ما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلّك لَمْ تَرَ قليلاً ولا كثيراً من أشباهه، فهم لا يسألون الناس إلْحَافاً، ولا غير إلْحَافٍ. وإلى نحو هذا ذهب الزجّاجُ، وابن الأنباريّ في آخرين.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ:

[١٤٤] **أحدها**: أنها نَزَلت في الذين يَرْتَبِطُون الخَيْلَ في سبيل الله عزَّ وجلَّ، رواه حَنَشٌ الصَّنعَانيّ عن ابن عباسٍ، وهو قول أبي الدَّرداءِ وأبي أُمامَة، ومَكحُولٍ، والأَوْزاعيّ في آخرين.

[١٤٥] **والثاني**: نزلت في عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فإنه كانت معه أربعةُ دراهِمَ، فأنفق في الليل دِرْهماً وبالنهار دِرهماً، وفي السِّرِّ دِرهماً، وفي العلانية دِرْهَماً، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وابن السَّائِبِ، ومُقاتلٌ.

[١٤٦] **والثالث**: أنها نزلت في عليٍّ وعبدِ الرحمٰن بن عوفٍ، فإن عليًّا بعث بوسْقٍ من تَمرٍ إلى أهل الصُّفَّة ليلاً وبعث عبد الرحمٰن إليهم بدنانيرَ كثيرةٍ نهاراً، رواهُ الضحَّاكُ عن ابن عباسٍ.

---

[١٤٤] أخرجه الواحدي في «أسبابه» ١٧٦ عن حنش الصنعاني عن ابن عباس، وفي إسناده، عبد الله بن صالح، وهو ضعيف. وله شاهد عن أبي الدرداء، أخرجه الطبري ٦٢٣٠ وفيه راوٍ لم يسم ممن يراد بهذه الآية، لأن الآية خاصة في ذلك، والله أعلم.

[١٤٥] باطل. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٣٤٤ والواحدي ١٨٠ والطبراني ١١١٦٤ عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس. إسناده ضعيف جداً، ابن مجاهد متروك ولم يسمع من أبيه كما في «الميزان» وهذا أثر باطل لا أصل له، ولا يصح عن مجاهد لأنه من رواية ابنه، ونسبه المصنف لابن السائب. الكلبي، وهو متروك كذاب. وعزاه المصنف لمقاتل، وهو كذاب أيضاً، والصواب عموم الآية.

[١٤٦] باطل. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، ولم أر من أسنده إلىٰ الضحاك، وبكل حال هو أثر ساقط، الضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، حيث روىٰ عن الضحاك عن ابن عباس تفسيراً كاملاً، وجويبر متروك متهم. فهذا خبر ساقط، لا أصل له.

ـ والصواب عموم الآية، وأن الآية في كل من يتصف بذلك، والله أعلم.

---

(١) في «اللسان»: الغميزة: العيب وليس في فلان غميزة أي ما فيه ما يُغمزُ فيعاب به ولا مطعن. والأين: الإعياء والتعب، والشرسوف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. والصّفر: دابة تعض الضلوع والشراسيف، وقيل الصَّفَر ههنا الجوع.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، الرِّبا: أصله في اللغة: الزِّيادة، ومنه الرَّبوة والرَّابِية، وأربَى فلانٌ على فلانٍ: زادَ. وهذا الوعيد يشمل الأكلَ، والعَامِلَ به، وإنما خصَّ الآكل بالذِّكر، لأنه مُعظم المقصود.

[١٤٧] وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ، أنه: «لعن آكلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ وشَاهدَيْهِ وكاتِبَهُ».

قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾، قال ابن قُتيبة أي: يوم البعث من القبور. والمَسُّ: الجُنون، يُقال: رجلٌ مَمْسُوسٌ. فالناس إذا خرجوا من قبورهم أسرعوا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾(١). إلا أَكَلَةَ الرِّبَا، فإنهم يقومون ويسقُطون، لأن الله أربَى الرِّبَا في بُطونهم يوم القيامة حتى أثقَلَهُم، فلا يَقدِرُون على الإسْراع. وقال سعيد بن جُبيرٍ: تلك علامَةُ آكِلِ الرِّبا إذا استَحَلَّهُ يوم القيامة. قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: هذا الذي ذُكِرَ من عِقابهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، وقيل: إن ثَقِيفَ كانوا أكثر العرب رِباً، فلما نُهوا عنه؛ قالوا: إنَّما هو مِثْلُ البيع.

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، قال الزجَّاجُ: كلُّ تأنيثٍ ليس بحقيقيٍّ، فتَذْكِيرُهُ جائزٌ، ألا ترى أن الوَعظَ والمَوعظَة مُعبِّران عن معنىً واحدٍ؟ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾، أي: ما أَكَلَ من الرِّبا. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، قولان: **أحدهما**: أن «الهاء» تَرجع إلى المُرْبي، فتقديره: إن شاء عَصَمَه منه، وإن شاء لم يفعل، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها ترجع إلى الرِّبا، فمعناه: يعفو الله عمَّا شاء منه، ويُعاقب على ما شاء منه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾، قال ابن جُبيرٍ: من عَادَ إلى الرِّبا مُسْتَحِلاً مُحتَجّاً بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

---

[١٤٧] صحيح. أخرجه مسلم ١٥٩٨ وأحمد ٣/ ٣٠٤ والبيهقي ٥/ ٢٧٥ وأبو يعلى ١٨٤٩ من طرق عن جابر قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه» وقال: «هم سواء».

ـ ويشهد له ما أخرجه أحمد ١/ ٤٠٩ و٤٣٠ و٤٦٤ و٤٦٥، والنسائي ٨/ ١٤٧ وابن حبان ٣٢٥٢ وأبو يعلى ٥٢٤١ وعبد الرزاق ١٥٣٥٠ وابن خزيمة ٢٢٥٠ والحاكم ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ وعنه البيهقي ٩/ ١٩ من طرق عن عبد الله بن مسعود قال: «آكل الرّبا وموكله وكاتبه وشاهداه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن، ولاوي الصدقة والمرتد أعرابياً بعد هجرته ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة».

---

(١) المعارج: ٤٣.

قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن معنى مَحْقِه: تَنْقِيصُه واضمِحْلالُه، ومنه: مَحَاقُ الشهر، لنُقصان الهِلال فيه. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثاني**: أنه إبطال ما يكون منه من صدقةٍ ونحوها، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. قوله تعالىٰ: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، قال ابن جُبيرٍ: يُضاعِفُها. والكَفَّار: الذي يُكثر فعل ما يَكْفُر به، والأَثِيم: المُتَمادي في ارتكاب الإثم المُصِرُّ عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ في نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٤٨] **أحدها**: أنها نزلت في بني عَمرو بن عُميرِ بن عوفٍ من ثَقِيفَ، وفي بَني المُغِيرة مِنْ بَني مَخزُوم، وكان بَنو المُغِيرَة يأخذون الرِّبا من ثَقِيفَ، فلمَّا وضَعَ اللَّهُ الرِّبا، طالبت ثقيفُ بني المُغِيرة بما لهُم علَيهم، فنزلت هذه الآية، والتي بعدَها، هذا قول ابن عباسٍ.

[١٤٩] **والثاني**: أنها نزلت في عُثمان بن عَفَّان، والعبَّاس، كانا قد أسْلَفَا في التَّمر، فلما حضر الجِذاذُ، قال صاحبُ التَّمر: إن أخذتُما مالَكُما لم يبقَ لي ولعيالي ما يكفي، فهل لكما أن تأخُذوا النصفَ وأُضعِّفُ لكما؟ ففعَلا، فلما حَلَّ الأجلُ، طلبا الزيادةَ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فنهاهُما عليه السَّلامُ، فنزلت هذه الآية، هذا قول عَطاءٍ وعِكرمةَ.

[١٥٠] **والثالث**: أنها نزلت في العبَّاسِ وخالدِ بن الوليدِ، وكانا شريكين في الجاهلية وكانا يُسْلِفَان في الرِّبا، فجاء الإسلام ولهما أموالٌ عظيمةٌ في الرِّبا، فنزلت هذه الآية، فقال النبيُّ ﷺ: «ألا إنَّ كُلَّ رِباً مِنْ رِبَا الجاهلية مَوضُوعٌ وأولُ رِبا أَضَعُهُ رِبا العبَّاسِ» هذا قول السُّدِّيِّ.

قال ابن عباسٍ، وعِكرمةُ، والضحَّاكُ، إنما قال: ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ لأن كلَّ رِباً كان قد تُرِكَ، فلم يبقَ إلا رِبَا ثَقِيفَ. وقال قومٌ: الآية محمولةٌ على مَنْ أَرْبَى قبل إسلامه، وقَبَضَ بعضَه في كفره، ثم أَسْلَمَ، فيجب عليه أن يترك ما بقي، ويُعفى له عمّا مضى. فأمّا المُرَابَاة بعد الإسلام، فمردودةٌ فيما قَبَض، ويسقط ما بقي.

---

[١٤٨] أخرجه أبو يعلى ٦٦٨ ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٣ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وإسناده ضعيف جداً، الكلبي متروك، وأبو صالح متروك في حديثه عن ابن عباس، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٤/ ١١٩ ـ ١٢٠ وقال: رواه أبو يعلى وفيه محمد بن السائب الكلبي، وهو كذاب اهـ.
وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» ٣٥٣٧ ونقل الشيخ الأعظمي عن البوصيري تضعيفه للكلبي! مع أنه متروك متهم. وأخرجه الطبري ٦٢٥٧ عن ابن جريج بنحوه، وأتم. وورد عن عكرمة مع أثر ابن جريج عند الطبري، فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها والله تعالى أعلم. وانظر «فتح الباري» ٤/ ٣١٣.

[١٤٩] ذكره الواحدي ١٨٤ عن عطاء وعكرمة بدون إسناد، ولم أره عند غيره، فهو لا شيء، وذكر عثمان في هذا الخبر باطل لا أصل له، وأما ذكر العباس، فله ما يؤيده، وانظر ما بعده.

[١٥٠] هو في «أسباب النزول» ١٨٥ للواحدي عن السدي بدون إسناد. وأخرجه الطبري ٦٢٥٦ عن السدي، وليس فيه اللفظ المرفوع، وهذا مرسل. واللفظ المرفوع منه صحيح، ورد في أحاديث أخر.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟﴾، قرأ ابن كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابن عامرٍ ﴿فَأْذَنُوا۟﴾ مقصورةً مفتوحةً. وقرأ حَمزةُ وأبو بكرٍ عن عاصم «فآذِنوا» بمدِّ الألف وكسر الذال. قال الزجّاجُ: من قرأ: فأذنوا، بقصر الألف وفتح الذال، فالمعنىٰ: أيقِنوا. ومن قرأ بمدِّ الألف وكسر الذال، فمعناه: أعْلِموا كلَّ مَنْ لم يَتْرُكِ الرِّبا أنه حَربٌ. قال ابن عباسٍ: يُقال يوم القيامة لآكل الربا: خُذْ سلاحَكَ للحَرْبِ. قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي التي أقْرَضتُموها، لا تَظْلِمون فتأخذون أكثرَ منها، ولا تُظلَمون فتُنْتَقصُون منها، والجمهور على فتح «تاء» تَظلمون الأولى، وضم «تاء» تُظلمون الثانية. وروى المُفَضَّلُ عن عاصمٍ: ضمَّ الأولى، وفتحَ الثانية.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾. ذكر ابن السَّائِب، ومُقاتلٌ أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾، قال بنو عمرو بن عُميرٍ لبني المُغيرة: هاتوا رؤوسَ أموالنا، ونَدَع لكمُ الرِّبا، فشكا بنو المُغيرة العُسْرَة، فنزلت هذه الآية[1]. فأمَّا العُسْرَة، فهي الفقر، والضِّيق. والجمهور على تسكين السين، وضمَّها أبو جعفرَ هاهنا، وفي ﴿سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[2]. وقرأ الجمهور بفتح سين «المَيْسَرة»، وضمَّها نافعٌ، وتابعه زيدٌ عن يعقوبَ على ضمِّ السين، إلا أنه زادَ، فكسر الراءَ، وقلب الياءَ هاءً، ووصلها بياءٍ. قال الزجّاجُ: ومعنى وإن كان: وإنْ وقع. والنَّظِرَة: التَّأخير، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الرِّبا إذا كان المُطالَب مُعسِراً، وأعلمهم أن الصَّدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ والأكثرون على تشديد الصاد، وخففها عاصمٌ مع تشديد الدال. وسكَّنها ابن أبي عَبْلَة مع ضمِّ الدال فجعَلَه من الصِّدق.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، قرأ أبو عمرٍو بفتح تاء «ترجعون» وضمَّها الباقون. قال ابن عباسٍ، وأبو سعيدِ الخُدريّ، وسعيدُ بن جُبير، وعطيَّةُ، ومُقاتلٌ في آخرين: هذه آخر آيةٍ نزلت من القرآن[3]. قال ابن عباسٍ: وتُوفِّي رسول الله ﷺ بعدها بأحَد وثمانين

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٦ عن الكلبي، وهو محمد بن السائب بدون إسناد، والكلبي متهم. ـ وأما أثر مقاتل، فهو لا شيء أيضاً، لكن ورد هذا الخبر من وجوه أخر، انظر الحديث ١٤٨.

(٢) سورة التوبة: ١١٧.

(٣) أثر ابن عباس صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٧٧ و٧٨ عن ابن عباس موقوفاً وإسناده جيد. وبوب به البخاري فقال باب ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ ثم أخرج ٤٥٤٤ عن ابن عباس: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. وأثر عطية العوفي، أخرجه الواحدي في «الأسباب» ٩، وهذا مرسل. وأثر ابن جبير، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ١/٦٥٣، ولم أر من أسنده إلى أبي سعيد، وبكل حال الخبر صحيح، في أنها آخر آية نزلت.

يوماً[١]، وقال ابن جُريجٍ: تُوفي بعدها بتسع ليالٍ. وقال مُقاتلٌ: بسبع ليالٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾، قال الزجَّاجُ: يُقال: دَايَنْتُ الرجلَ إذا عامَلْتُه، فأخَذْتُ منه بدَيْنٍ، وأعطيتُه. قال الشاعر[٢]:

دَايَـنْـتُ أَرْوَى والـدُّيـونُ تُـقْـضَـى فَـمَـاطَـلَـتْ بَـعْـضـاً وأَدَّتْ بَـعْـضَـا

والمعنى: إذا كان لبعضكم على بعضٍ دَيْنٌ إلى أجلٍ مُسمّىً، فاكْتُبُوه، فأمَرَ اللَّهُ تعالىٰ بكَتْبِ الدَّين والإشهاد حفظاً منه للأموال وللناس من الظُّلم، لأن من كانت عليه البيِّنة قَلَّ تحديثُه لنفسه بالطمع في إذهابه. وقال ابن عباسٍ: نزلت هذه الآية في السَّلْم خاصةً. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: «بِدَيْنٍ»، و«تَدَاينتم» يكفي عنه؟ فالجواب: إن تدايَنْتُم يقَعُ على معنيَيْن: **أحدهما**: المُشَارَاة والمُبَايَعَة والإقْرَاض. **والثاني**: المُجَازَاة بالأفعال، فالأول يُقال فيه: الدَّين بفتح الدال، والثاني: يُقال منه: الدِّين بكسر الدال. قال تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢﴾، أي: يوم الجزاء. وأنشدوا[٣]:

دِنَّـــاهُـــم كَـــمَـــا دَانُـــوا

فدَلَّ بقوله: «بِدَينٍ» على المراد بقوله: «تداينتم»، ذكره ابن الأنباريّ. فأمّا العدل فهو الحق. قال قَتادةُ: لا تَدَعَنَّ حقاً، ولا تَزيدَنَّ باطلاً.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ﴾، أي: لا يَمْتَنِع أن يكتبَ كما علَّمه الله، وفيه قولان:

---

(١) أخرجه الفريابي وابن المنذر كما في «الدر» ١/ ٦٥٣ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط كما تقدم غير مرة، وقول ابن جريج الآتي أقرب للصواب، وهو يوافق قول سعيد بن جبير كما في «الدر» ١/ ٦٥٣ وكذا قول مقاتل، والله أعلم. وأثر ابن جريج، أخرجه الطبري ٦٣١٢. وانظر «فتح الباري» ٨/ ٢٠٥.

(٢) هو رؤبة بن العجاج.

(٣) البيت من الهزج، وهو للفند الزماني ـ شهل بن شيبان ـ كما في المعجم المفصّل، وتمامه:

ولـم يـبـق سـوى الـعُـدْوان دِنّـاهـم كـمـا دانـوا.

أحدهما: كما علّمه اللهُ الكتابة، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. وقال الشَّعبيُّ: الكتابة فرضٌ على الكفاية كالجهاد. **والثاني**: كما أمره الله به من الحق، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾، قال سعيدُ بن جُبيرٍ: يعني المَطْلُوب، يقول: ليمل ما عليه مِنْ حقِّ الطَّالِب على الكَاتِب، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾، أي: لا يُنْقِص عند الإملاء. قال شيخنا أبو منصورٍ اللُّغويّ: يُقال: أمْلَلْتُ أمِلُّ، وأمْلَيْتُ أمْلِي لغتان: فأمْليتُ من الإملاء وأمْلَلْتُ من المَلَلِ والمِلاَلِ، لأن المملَّ يُطيل قولَه على الكاتب ويُكرِّره.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾، في المراد بالسَّفيه هاهنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الجاهل بالأموال، والجاهل بالإملاء، قاله مُجاهدٌ، وابن جُبيرٍ. **والثاني**: أنه الصبي والمرأة، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: أنه الصغير، قاله الضحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. **والرابع**: أنه المُبَذِّرُ، قاله القاضي أبو يَعْلَى. وفي المراد بالضَّعيف ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه العاجز والأخرس ومَنْ به حُمْقٌ، قاله ابن عباسٍ وابن جُبيرٍ. **والثاني**: أنه الأحمق، قاله مُجاهدٌ والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه الصغير، قاله القاضي أبو يَعْلَى. قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾، قال ابن عباسٍ: لا يستطيع لِعِيِّه. وقال ابن جُبيرٍ: لا يُحسن أن يُمِلَّ ما عليه، وقال القاضي أبو يَعْلَى: هو المجنون.

قوله تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ في هاء الكناية قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى الحق، فتقديره: فليُمْلِل وليُّ الحق، هذا قول ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، والرَّبيع بن أنسٍ، ومُقاتلٍ، واختاره ابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنها تعود إلى الذي عليه الحق، وهذا قول الضحَّاكِ، وابن زيدٍ، واختاره الزجَّاجُ، وعَابَ قولَ الأوَّلين، فقال: كيف يَقْبَلُ المُدَّعي! وما حاجته إلى الكِتَاب والإشهاد، والقولُ قَوْلُه؟! وهذا اختيار القاضي أبي يَعْلَى أيضاً. والعَدْلُ: الإنصاف. وفي قوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾، قولان: **أحدهما**: أنه يعني الأحرار، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أهل الإسلام، وهذا اختيار الزجَّاجِ، والقاضي أبي يَعْلَى، ويدلّ عليه أنه خاطَبَ المؤمنين في أوّل الآية.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾، أراد: فإن لم يكن الشهيدان رَجلين ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، ولم يُرِد به: إن لم يُوجَد رجلان.

قوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، قال ابن عباسٍ: من أهل الفَضْل والدِّين.

قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾، ذكر الزجَّاجُ، أن الخليلَ، وسيبويه، وسائر النحويّين الموثُوق بعلمهم، قالوا: معناه: استشهدوا امرأتين، لأنْ تُذَكِّر إحداهُما الأخرى. ومن أجل أن تُذَكِّر إحداهُما الأخرى. وقرأ حَمزةُ «إن تضل» بكسرالألف. والضَّلال هاهنا: النِّسيان، قاله ابن عباسٍ، والضحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ، وأبو عُبيدةَ، وابن قُتيبةَ. فأمّا قوله: «فتذكر» فقرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرٍو، بالتخفيف مع نصب الراء، وقرأ حَمزةُ بالرفع مع تشديد الكاف، وقرأ الباقون بالنصب وتشديد الكاف، فمن شدَّد أراد الإذكار عند النسيان، وفي قراءة من خَفَّفَ قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى المُشَدَّدَة أيضاً، وهذا قول الجمهور. قال الضحَّاكُ، والرَّبيع بن أنسٍ، والسُّدِّيُّ: ومعنى القراءتين واحدٌ. **والثاني**: أنها بمعنى: تُجعل شهادتُهما بمنزلة شهادة ذَكَرٍ، وهذا مذهبُ سُفيان بن عُيينَة، وحكى الأصمعيُّ عن أبي عمرٍو نحوَه. واختاره القاضي أبو يَعْلَى، وقد رَدَّهُ جماعةٌ، منهم ابنُ قُتيبةَ. قال أبو

عليٌّ: ليس مذهب ابن عُيينَة بالقوي، لأنهنَّ لو بَلَغْنَ ما بَلَغن، لم تَجُز شهادتهن إلا أن يكون معهنَّ رجلٌ، ولأن الضلال هاهنا: النِّسيان، فينبغي أن يُقابَل بما يُعادِله، وهو التَّذكير.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾، قال قتادةُ: كان الرجل يَطُوفُ في الحِواءِ[1] العظيم، فيه القوم فيدعوهم إلى الشهادة فلا يَتْبَعُه منهم أحدٌ، فنزلت هذه الآية. وإلى ماذا يكون هذا الدُّعاء؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: إلى تَحمُّل الشهادة، وإثباتِها في الكتاب، قاله ابن عباسٍ، وعطيَّةُ، وقتادةُ، والرَّبيعُ. **والثاني**: إلى إقامتها وأدائها عند الحُكَّام بعد أن تقدَّمت شهادتُهم بها، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، وطاوسٌ، ومُجاهدٌ، وعِكرمَةُ، وعطاءٌ، والشَّعبيُّ، وأبو مِجْلِز، والضحَّاكُ، وابن زيدٍ، ورواه المَيْمُونيُّ عن أحمدَ بن حَنْبلٍ. **والثالث**: إلى تحمُّلِها وإلى أدائها، رُوي عن ابن عباسٍ، والحسَنِ، واختاره الزجَّاجُ، قال القاضي أبو يَعْلَى: إنما يَلْزَم الشاهد أن لا يأبَى إذا دُعي لإقامة الشهادة إذا لم يُوجَد من يشهَدُ غيره، فأما إن كان قد تحمَّلَها جماعةٌ، لم تتعيَّن عليه، وكذلك في حال تَحمُّلها، لأنه فرضٌ على الكفاية كالجهاد، فلا يجوز لجميع الناس الامتناع منه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾، أي: لا تَمَلُّوا ولا تَضجَرُوا أن تكتبوا القليلَ والكثيرَ الذي قد جَرَت العادة بتأجيله إلى أجَلِه، أي: إلى مَحلّ أجَله ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: أعدل، ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ لأن الكتاب يُذكِّر الشهود جميع ما شهدوا عليه ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ أي: أقرب ﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي: لا تَشُكّوا ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ الأموال ﴿تِجَٰرَةً﴾ أي: إلا أن تقع تجارةٌ. وقرأ عاصمٌ «تجارة» بالنصب على معنى: إلا أن تكون الأموال تجارةً حاضرةً، وهي البُيوع التي يستحق كل واحدٍ منهما على صاحبه تسليمَ ما عَقَدَ عليه من جهته بلا تأجيلٍ. فأباح ترك الكِتاب فيها تَوْسِعَةً، لئلا يضيق عليهم أمرُ تبايعهم في مأكولٍ ومشروبٍ. قوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾، الإشهاد مندوبٌ إليه فيما جرتِ العادة بالإشهاد عليه.

فصل: وهذه الآية تتضمّن الأمرَ بإثبات الدَّين في كتابٍ، وإثبات شهادةٍ في البَيْع والدَّين. واختلف العلماء، هل هذا أمرُ وجوبٍ[2]، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمرَ نَدبٍ واستحبابٍ، فعلى هذا هو مُحكَمٌ، وذهبت طائفةٌ إلى أن الكتابة والإشهاد واجبان، روي عن ابن عمرَ وأبي موسى ومُجاهدٍ وابن سِيرينَ وعَطاءٍ والضحَّاكِ وأبي قُلابَةَ والحَكَم وابن زيدٍ. ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحُكْمُ باقٍ أم منسوخٌ؟ فذهب أكثرهم إلى أنه مُحكمٌ غير مَنْسُوخٍ، وذهبت طائفةٌ إلى أنه مَنسوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، قرأ أبو جعفرَ بتخفيف الراء من «يضار» وسكونها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: لا يُضارّ بأن يُدعى وهو مشغولٌ، هذا قول ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وعِكرمة، والسُّدّيّ، والرَّبيعِ بن أنسٍ، والفرَّاءِ، ومُقاتلٍ. وقال الرَّبيعُ: كان أحدهم

---

(١) في «اللسان»: الحواء: جماعة بيوت الناس إذا تدانت، والجمع الأحوية.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ١/ ٣٣٦ عند هذه الآية؛ وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب لا على الوجوب.

يجيء إلى الكاتب فيقول: اكتُبْ لي، فيقول: إني مشغولٌ، فيُلزمه، ويقول: إنك قد أُمرتَ بالكتابة، فيُضَارّه، ولا يَدَعُه، وهو يجد غيره، وكذلك يفعل الشاهد، فنزلت ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

والثاني: أن معناه: النَّهي للكاتب أن يُضار مَنْ يكتب له بأن يكتب غيرَ ما يُمِلّ عليه، وللشاهد أنْ يَشْهد بما لم يُستَشْهَد عليه، هذا قول الحسنِ، وطاوسٍ، وقتادةَ، وابن زيدٍ، واختاره ابن قُتيبةَ، والزجَّاجَ. واحتجَّ الزجَّاجُ على صحته بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾، قال: ولا يُسمَّى من دعا كاتباً ليكتُب، وهو مشغولٌ، أو شاهداً؛ فاسقاً، إنما يُسمَّى من حَرَّفَ الكتابَ، أو كَذَبَ في الشهادة، فاسقاً. **والثالث**: أن معنى المُضارَّة: امتناع الكاتب أن يكتبَ، والشاهد أن يَشْهَدَ، وهذا قول عَطاءٍ في آخرين.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾، يعني: المُضارَّة.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، إنما خَصَّ السفرَ، لأن الأغلب عدم الكاتب والشاهد فيه، ومقصود الكلام: إذا عَدِمْتُم التَّوثُّق بالكتاب والإشهاد، فخُذوا الرَّهن.

قوله تعالىٰ: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمروٍ، وعبدُ الوارث (فرُهُن) بضم الراء والهاء من غير ألف، وأسكن الهاءَ عبدُ الوارث وجماعةٌ. وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ بكسر الراء، وفتح الهاء، وإثبات الألف. قال ابن قُتيبةَ؛ من قرأ ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ أراد: جمع رَهن، ومن قرأ «رهن» أراد: جمع رِهَان، فكأنه جمعَ الجمعَ. وقوله تعالىٰ: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾، يدلّ على أن من شرط لزوم الرَّهن القَبْضُ، وقبض الرَّهن أَخْذُه مِنْ رَاهِنِهِ مَنْقُولاً، فإن كان مما لا يُنْقَلُ، كالدُّور والأرَضين، فقَبْضُهُ تَخْلِيَةُ رَاهِنِهِ بينه وبينَ مُرْتَهِنِه.

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، أي: فإن وَثِقَ رَبُّ الدَّين بأمانة الغَريم، فدفع مالَه بغير كتابٍ ولا شهودٍ، ولا رَهنٍ، ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ وهو المَدِينُ ﴿أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ أن يخونَ من ائْتَمَنَهُ. وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾، قال السُّدِّيُّ عن أشياخه: فإنه فاجرٌ قلبُه. قال القاضي أبو يَعْلَى: إنما أضاف الإثمَ إلى القلب، لأن المآثم تتعلَّق بعَقْدِ القلب، وكتمانُ الشهادة إنما هو عَقْدُ النِّيَّة لِتَرك أدائِها.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أما إبداء ما في النَّفس، فإنه العمل بما أضمَرَه العبد، أو النُّطق، وهذا مما يُحاسَب عليه العبدُ، ويُؤاخذ به، وأمّا ما يُخفيه في نَفْسه، فاختلف العلماء في المُراد بالمَخْفِيِّ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنه عامٌ في جميع المَخْفِيَّات، وهو قول الأكثرين. واختلفوا: هل هذا الحُكم ثابتٌ في المُؤاخذة أم مَنسوخٌ؟ على قولين: **أحدهما**: أنه منسوخٌ بقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، هذا قول ابن مسعودٍ، وأبي هُريرةَ، وابن عباسٍ في روايةٍ، والحسَنِ، والشَّعبيِّ، وابن سِيرينَ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وقتادةَ، وعَطاءِ الخُراسانيِّ، والسُّدِّيِّ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنه ثابتٌ في المُؤاخَذة على العموم، فيُؤاخِذُ به مَنْ يشاء، ويَغْفِرُه لمن يشاء، وهذا مَرويٌّ عن ابن عمرَ، والحسنِ، واختاره أبو سُليمان الدِّمشقيّ، والقاضي أبو يَعْلى. وروى ابن أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ أنه قال: هذه الآية لم تُنسَخ، ولكن الله عزَّ وجلَّ إذا جمع الخلائق، يقول لهم: إني مُخبِرُكم بما أخفيتُم في أنفسكم مما لم تطَّلع عليه ملائكتي، فأمّا المؤمنون فيُخبرهم، ويَغفرُ لهم ما حَدَّثوا به أنفسَهم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، يقول: يُخبِرْكُم به الله، وأمّا أهل الشِّرك والرِّيب، فيخبرُهم بما أخْفَوا من التكذيب وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾، والأكثرون على تسكين راء «فيَغفِر» وباء «يُعذِّب» منهم ابن كثيرٍ ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَمزةُ، والكِسائيُّ. إنما جزَمُوا لإتباع هذا ما قبلَه، وهو «يُحاسِبْكم» وقرأ أبو جَعفرَ، وابن عامرٍ، وعاصمٌ ويعقوبُ: برفع الراء، والباء فيهما. فهؤلاء قَطَعُوا الكلام عن الأوّل، قال ابن الأنباريّ: وقد ذهب قومٌ إلى أن المُحَاسَبة هاهنا هي إطلاع الله العبدَ يومَ القيامة على ما كان حَدَّث به نفسَه في الدنيا، ليعلم أنه لم يَعزُبْ عنه شيءٌ. قال: والذي نختاره أن تكون الآية مُحكَمَةً، لأنَّ النَّسخَ إنما يدخل على الأمر والنَّهي. وقد رُوي عن عائشةَ أنها قالت: أمّا ما أعلنتَ، فالله يُحاسِبُك بهِ، وأمّا ما أخفيتَ، فما عُجِّلَتْ لكَ بهِ العُقوبَةُ في الدُّنيا.

والقول الثاني: أنه أمرٌ خاصٌ في نوعٍ من المَخْفِيَّاتِ، ولأرباب هذا القول فيه قولان: **أحدهما**: أنه كتمان الشهادة، قاله ابن عباسٍ في روايةٍ، وعِكرِمَةُ والشَّعبيُّ. **والثاني**: أنه الشَّكُّ واليقين، قاله مُجاهدٌ. فعلى هذا المذكور تكون الآية مُحْكَمَةً.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾.

[١٥١] روى البُخاريُّ ومسلمٌ في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعودٍ البَدْرِيّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الآيتان مِنْ آخر سورة البَقرة من قَرَأهما في ليلةٍ كَفَتَاهُ»، قال أبو بكرِ النَّقّاشُ: معناه: كفتاه عن قيامِ الليل. وقيل: إنهما نزلتا على سببٍ.

[١٥٢] وهو ما روى العَلاءُ عن أبيه عن أبي هُريرةَ، قال: لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ

---

[١٥١] صحيح. أخرجه البخاري ٥٠٠٨ و٥٠٠٩ و٥٠٤٠ و٥٠٥١ ومسلم ٨٠٧ والطيالسي ٢/ ١٠ وأحمد ٤/ ١٢١ وأبو داود ١٣٩٧ والترمذي ٢٨٨١ والنسائي في «اليوم والليلة» ٧١٩ وابن ماجة ١٣٦٩ والدارمي ١/ ٣٤٩ وابن حبان ٧٨١ والبغوي ١١٩٩ من حديث أبي مسعود البدري.

[١٥٢] صحيح. أخرجه مسلم ١٢٥ وأحمد ٢/ ٤١٢ والطبري ٦٤٥٣ وأبو عوانة ١/ ٧٦ و٧٧ وابن حبان ١٣٩ والواحدي في «أسباب النزول» ١٨٧ من طرق عن أبي هريرة.

﴿أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، اشتدَّ ذلك على أصحاب النبيِّ ﷺ، فأتوا رسول الله ثم جثوا على الركب. فقالوا: قد أُنزل عليكَ هذه الآية ولا نُطيقُها. فقال: «أتُرِيدون أن تقولوا كما قال أهل الكِتابَيْن مِنْ قَبلكم: سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا غُفرانكَ ربَّنَا وإليكَ المَصِير». فلما قالوها وذلَّت بها ألسنتُهم، أنزل الله في أثرِها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾.

قال الزجّاجُ: لما ذَكَرَ ما تشتمل عليه هذه السورة من القَصَص والأحكام ختمها بتصديق نَبيِّه، والمؤمنين. وقرأ ابن عباسٍ «وكتابه»، فقيل له في ذلك، فقال: كتابٌ أكثر من كُتُبٍ، ذهب به إلى اسم الجنس، كما تقول: كَثُر الدِّرهمُ في أيدي الناس. وقد وافق ابن عباسٍ في قراءته حَمزة والكسائي وخَلف، وكذلك في «التحريم» وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، وابن عامرٍ (وكتبه) هاهنا بالجمع، وفي «التحريم» بالتَّوحيد. وقرأ أبو عمروٍ بالجمع في الموضعين. قوله تعالىٰ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾، قرأ أبو عمروٍ ما أضيف إلى مَكنيٍّ على حرفين، مثل «رسلنا» و«رسلكم» بإسكان السين، وثقَّل ما عدا ذلك. وفي قوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، روايتان، بالتخفيف والتثقيل وقرأ الباقون كل ما كان في القرآن من هذا الجنس بالتثقيل، ومعنى قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾، أي: لا نفعَلُ كما فعلَ أهلُ الكِتَاب، آمنوا ببعضٍ، وكفروا ببعضٍ، وقرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء وفتح الراء.

قوله تعالىٰ: ﴿غُفْرَانَكَ﴾، أي: نسألك غُفْرانَك. والمَصِير: المَرْجِع.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، الوُسْعُ: الطَّاقةُ، قاله ابن عباسٍ، وقتادةُ. ومعناه: لا يُكلِّفها ما لا قُدرةَ لها عليه لاستِحالَته، كتكليف الزَّمن السَّعي، والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المُكلَّف، لا لفقد الآلات، فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يُؤمن الإيمان، فالآية محمولةٌ على القول الأوّل. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالىٰ في سياق الآية ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، فلو كان تكليف ما لا يُطاق ممتنعاً، كان السؤال عبثاً، وقد أمر الله تعالىٰ نبيَّه بدُعاء قوم قال فيهم: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾[1]، وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: لا تُحمِّلنا ما يثقُل علينا أداؤه، وإنْ كنا مُطيقِينَ له على تَجشُّم، وتَحمُّل مكروهٍ، فخاطب العرب على حَسْبَ ما تَعْقِل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يُبْغِضه: ما أُطيق النَّظر إليكَ، وهو مُطيقٌ لذلك، لكنه يَثْقُلُ عليه، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾[2]. قوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، قال ابن عباسٍ: لها ما كَسَبَتْ من طاعةٍ ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من معصيةٍ. قال أبوبكرٍ النَّقَّاش: فقوله: «لها» دليلٌ على الخير، و«عليها» دليلٌ على الشَّرِّ. وقد ذهب قومٌ إلى أن «كَسَبَتْ» لمرةٍ ومراتٍ

(١) الكهف: ٥٧.
(٢) هود: ٢٠.

و«اكتَسَبَتْ» لا يكون إلا لشيءٍ بعدَ شيءٍ، وهما عند آخرين لغتان بمعنى واحدٍ؛ كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾[1].

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾، هذا تعليمٌ من الله تعالىٰ للخَلْق أن يقولوا ذلك، قال ابن الأنباريّ: والمراد بالنِّسيان هاهنا: التَّرْكُ مع العَمْدِ، لأن النسيان الذي هو بمعنى الغَفْلَة قد أُمِنَتْ الآثامُ من جهته. والخطأ أيضاً هاهنا من جهة العمْد، لا من جهة السَّهْوِ، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمَّدَ، كما يقال: أخطأ إذا أغفَلَ. وفي «الإصْر» قولان: **أحدهما**؛ أنه العَهْد، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، والضحَّاكُ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: الثِّقل، أي: لا تُثقل علينا من الفروض ما ثَقَّلْتَه على بَني إسرائيلَ، قاله ابن قُتيبة. قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، فيه خمسة أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه ما يَصعُب ويشُقُّ من الأعمال، قاله الضحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه المحبَّة، رواه الثَّوريُّ عن منصورٍ عن إبراهيمَ. **والثالث**: الغُلمة[3]، قاله مَكحُولٌ. **والرابع**: حديثُ النَّفْس ووَساوِسُها. **والخامس**: عذابُ النَّار.

قوله تعالىٰ: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾، أي أنتَ وَلِيُّنا ﴿فَٱنصُرْنَا﴾ أي: أعِنَّا.

وكان مُعاذٌ إذا فرَغ من هذه السُّورة، قال: آمين.

---

(١) الطارق: ١٧.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٤٣: وقوله ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي من التكليف والمصائب والبلاء لا تبتلنا بما لا قبل لنا به اهـ. قلت: فالقول الأول هو الصواب إن شاء الله تعالى.

(٣) في «اللسان»: الغُلمة: هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل.

سورة آل عمران

ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

[١٥٣] ذكر أهل التفسير أنها مَدَنِيَّةٌ، وأن صَدْراً من أوّلها نزل في وفد نَجْران، قَدِمُوا على النبيّ ﷺ في ستّين راكباً، فيهم العَاقِبُ، والسَّيِّدُ، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن وَلَدَ الله، فمن أبُوه؟ فنزَلت فيهم صدرُ (آل عِمْران) إلى بِضْعٍ وثمانين آيةً منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: العَدْل. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكُتُب. وقيل: إنما قال في القرآن: «نزّل» بالتشديد، وفي التوراة والإنجيل: أَنْزل، لأنّ كل واحدٍ منهما أُنزل في مرّةٍ واحدةٍ، وأُنزل القرآن في مرّاتٍ كثيرة. فأمّا التَّوراة. فذكر ابنُ قُتيبةَ عن الفرَّاءِ أنه يجعلها من: وَرِيَ الزّنْد يَرِي: إذا خَرجَت ناره، وأوريتُه، يريد أنها ضِيَاء. قال ابن قُتيبةَ: وفيه لغةٌ أخرى: وَرَى يَرِي، ويُقال: وَرِيَتْ بك زِنَادِيَ. والإنجيل، من نَجَلْتُ الشيء: إذا أخرجتُه، ووَلَدُ الرجل: نَجْلُه، كأنه هو استخرجَه، يقال: قَبَّحَ الله نَاجِلَيْه، أي: وَالِدَيه، وقيل للماء يظهر من البئر: نَجْل، يُقال: قَدِ استَنْجَل الوادي: إذا ظهر نزوزه. وإنْجيل: إفْعِيل مِن ذلك، كأنَّ الله أظْهَرَ به عَافِياً من الحق دَارِساً. قال شيخنا أبو منصورٍ اللغويّ: والإنجيل: أعجميٌ مُعَرَّبٌ، قال: وقال بعضهم: إن كان عربياً، فاشتقاقه من النَّجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض، واتّساعه، ونَجَلتُ الشيء: إذا استخرجتُه وأظهرتُه، فالإنجيل مُستَخْرَجٌ به علومٌ وحِكَمٌ، وقيل: هو إفعيل من النَّجْل وهو الأصل: فالإنجيل أصلٌ لعلوم وحِكَم. وفي الفُرقان هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله قتادةُ، والجمهور. قال أبو عُبيدةَ: سُمّيَ القرآنُ فُرقاناً، لأنه فَرقَ بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. **والثاني**: أنه الفَصْلُ بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقال السُّدِّيُّ: في الآية

---

[١٥٣] أخرجه الطبري ٦٥٤٠ وابن هشام في «السيرة» ٢/ ١٦٤ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير. وكذا ابن كثير في «التفسير» ١/ ٣٧٦ من طريق ابن إسحاق وعزاه البغوي في «تفسيره» ٣٥٨ للكلبي والربيع بن أنس وغيرهما. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٠ نقلاً عن المفسرين. وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤ وهذه المراسيل تتأيد بمجموعها.

تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وأنزل التوراةَ، والإنجيلَ، والفرقانَ، فيه هُدًى للناس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ: يريد وَفْدَ نَجْرانَ النَّصارى، كفروا بالقرآن، وبمحمَّدٍ. والانتقام: المبالغة في العقوبة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: هذا تعريضٌ بنصارى أهل نَجْرَان فيما كانوا ينطَوون عليه من كَيدِ النبيِّ عليه السلام. وذِكْرُ التصوير في الأرحام تنبيهٌ على أمر عيسى.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾

قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المُحْكَم: المُتْقَن المُبَيَّن. وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال[(١)]:

أحدها: أنه النَّاسِخُ، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وقَتادةُ، السُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباسٍ ومُجاهدٍ. **والثالث**: أنه ما عَلِمَ العلماءُ تأويلَه، رُوي عن جابرِ بن عبد الله. **والرابع**: أنه الذي لم يُنسَخ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيدٍ. **والسادس**: أنه ما استقلَّ بنفسه، ولم يَحتَجْ إلى بيانٍ، ذكره القاضي أبو يَعلَى عن الإمام أَحمدَ. وقال الشَّافعيُّ، وابنُ الأنباريّ: هو ما لَمْ يحتمل من التأويل إلا وَجْهاً واحداً. **والسابع**: أنه جميع القرآن غير الحروف المُقَطَّعَة. **والثامن**: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يَعلَى بن الفَرَّاء.

وأُمُّ الكتاب أَصلُه. قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، فكأنه قال: هُنَّ أصل الكتاب اللواتي يُعْمَلُ عليهنَّ في الأحكام، ومَجْمَعُ الحلال والحرام.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٤٥: وأحسن ما قيل فيه الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال: ﴿منه آيات محكمات﴾ فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه. قال: والمتشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق.
ـ وقال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» ١/ ٣٦٠ بعد أن ذكر الأقوال المتقدمة: والأولى أن يقال: إن المحكم هو الواضح المعنىٰ، الظاهر الدلالة؛ إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره.
ـ والمتشابه: مالا يتضح معناه، أولا تظهر دلالته، لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره.
ـ وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٤/ ١٣ ـ ١٤ بتخريجنا ـ طبع «دار الكتاب العربي».

وفي المُتَشابِه سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه المَنْسُوخ، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: أنه ما لَمْ يكُن للعلماء إلى معرفته سبيلٌ، كقيام السَّاعة، روي عن جابرِ بن عبد الله. **والثالث**: أنه الحُرُوف المُقَطَّعَة كقوله: «الم» ونحو ذلك، قاله ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مُجاهدٌ. **والخامس**: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيدٍ. **والسادس**: أنه ما احتاج إلى بيانٍ، ذكره القاضي أبو يَعلَى عن أحمدَ. وقال الشَّافعيُّ: ما احتمل من التَّأويل وُجوهاً. وقال ابن الأنباريّ: المُحْكَمُ ما لا يحتَمِل التأويلاتِ، ولا يَخْفى على مُمَيِّزٍ، والمُتَشابِه: الذي تَعْتَوِرُه تأويلاتٌ. **والسابع**: أنه القَصَص والأمثال، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

فإن قيل: فما فائدة إنزال المُتَشابه، والمراد بالقرآن البيان والهُدى؟ فعنه أربعة أجوبةٍ:

أحدها: أنه لما كان كلام العرب على ضَرْبَين: **أحدهما**: المُوجزَ الذي لا يَخْفَى على سامِعِه، ولا يحتمل غير ظاهره. **والثاني**: المَجَاز، والكنايات، والإشارات، والتَّلويحَات، وهذا الضَّرب الثاني هو المُسْتَحلَى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالىٰ القرآن على هذين الضَّربَين، ليتحقق عجزهُم عن الإتيان بمِثْله، فكأنه قال: عَارِضُوه بأيِّ الضَّربين شِئتُم، ولو نزل كلُّه مُحكَمَاً واضحاً، لقالوا: هَلاَّ نزل بالضَّرب المُسْتَحسَن عندنا؟ ومتى وقع الكلام إشارةً أو كنايةً، أو تعريضَ أو تشبيهَ، كان أفصحَ وأغرَبَ. قال امرؤ القَيْسِ:

مـا ذَرفَـتْ عَـيـنَـاكِ إلاَّ لِـتَـضْـرِبـي ... بِـسَـهْـمَـيْـكِ فـي أَعْـشَـارِ قَـلْـبٍ مُـقَـتَّـلِ

فجعل النظر بمنزلة السَّهم على جهة التشبيه، فحَلاَ هذا عند كل سامعٍ ومُنشدٍ، وزاد في بلاغته، وقال امرؤ القَيْس أيضاً:

رَمَـتْـنِـي بِـسَـهْـمٍ أصـابَ الـفُـؤاد ... غَـدَاةَ الـرَّحِـيْـلِ فَـلَـمْ أَنْـتَـصِـرْ

وقال أيضاً:

فـقُـلْـتُ لـه لـمَّـا تَـمـطَّـى بـصُـلْـبِـهِ ... وأَرْدَفَ أعْـجَـازاً ونَـاءَ بِـكَـلْـكَـلِ(١)

فجعل لليل صُلباً وصَدراً على جهة التشبيه، فحَسُن بذلك شعره. وقال غيره:

مِـنْ كُـمَـيْـتٍ أَجَـادَهـا طَـابِـخَـاهَـا ... لَـم تَـمُـتْ كـلُّ مَـوتِـهَـا فـي الـقُـدُورِ

أراد بالطَّابخَين: الليل والنهار على جهة التشبيه. وقال آخر:

تَـبـكـي هَـاشِـمَـاً فـي كـلِّ فَـجْـرٍ ... كـمـا تَـبـكِـي عَـلـى الـفَـنَـنِ الـحَـمَـامُ

وقال الآخر:

عَـجِـبـت لـهـا أنَّـى يـكـون غِـنَـاؤهَـا ... فَـصِـيْـحَـاً ولـم تَـفْـتَـحْ بِـمَـنْـطِـقِـهَـا فَـمَـا

فجعل لها غناءً وفَماً على جهة الإستعارة.

والجواب الثاني: أنَّ الله تعالىٰ أنزَلَه مختبَراً به عبادَه، ليقفَ المؤمن عنده، ويَرُدَّه إلى عَالِمه، فيعَظُم بذلك ثَوابُه، ويرتَابُ به المنافق، فيداخِله الزَّيغ، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاهم بنَهر

---

(١) في «اللسان»: الكلكل من الفرس: ما بين محزمه إلى ما مسّ الأرض منه إذا رَبضَ وقد يستعار الكلكل لما ليس بجسم في صفة الليل.

طَالُوتَ. **والثالث**: أن الله تعالىٰ أراد أن يشغَل أهلَ العلم بِرَدِّهم المتَشَابهَ إلى المُحْكَم فيطول بذلك فِكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم فيُثَابون على تَعَبِهم، كما أُثيبوا على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله مُحْكَماً لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولَمَاتت الخواطرُ، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى الفَهم، وقد قال الحكماء: عيبُ الغِنَى: أنه يُورث البَلادَة، وفضلُ الفقر: أنه يبعثُ على الحِيْلَة، لأنه إذا احتاجَ احتَالَ. **والرابع**: أن أهل كل صناعةٍ يجعلون في علومهم معاني غامضةً، ومسائلَ دقيقةً ليُحرجوا بها من يُعلِّمون، ويُمَرِّنوهم على انتزاع الجواب، لأنهم إذا قدروا على الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حَسَناً عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالىٰ من المُتَشَابه على هذا النَّحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابنُ قُتيبةَ وابن الأنباريِّ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ في الزيغ قولان: **أحدهما**: أنه الشَّكُّ، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه المَيْلُ، قاله أبو مالكٍ، وعن ابن عباسٍ كالقولين، وقيل: هو المَيْلُ عن الهُدى. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الخَوارِج، قاله الحَسنُ. **والثاني**: المنافقون، قاله ابن جُريجٍ. **والثالث**: وفدُ نَجْرَانَ من النصارى، قاله الرَّبيعُ. **والرابع**: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمَّة مِن حسابِ الجُمَّلِ، قاله ابن السَّائِبِ. قوله تعالىٰ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ قال ابن عباسٍ: يُحيلون المُحكَمَ على المُتَشَابِه، والمُتَشَابِهَ على المُحكَم، ويُلَبِّسُون. وقال السُّدِّيُّ يقولون: ما بَالُ هذه الآية عُمِلَ بها كذا وكذا، ثم نُسِخَت. وفي المراد بالفتنة هاهنا، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الكفر، قاله السُّدِّيُّ، والرَّبيعُ، ومُقاتلٌ، وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: الشُّبُهَاتُ، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: إفسادُ ذاتِ البَيْن، قاله الزَّجَّاجُ. وفي التأويل وجهان: **أحدهما**: أنه التَّفسير. **والثاني**: العاقبة المُنْتَظَرة. والرَّاسِخ: الثَّابت، رَسَخَ يَرْسَخُ رُسُوخاً.

وهل يعلم الرَّاسخُون تأويله أم لا؟ فيه قولان[1]: **أحدهما**: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مُسْتَأْنفُون،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٣٤٦: وقوله تعالى: **﴿وما يعلم تأويله إلاَّ الله﴾** اختلف القُراء في الوقف هٰهنا فقيل على الجلالة كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء، فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلاَّ الله. . . وعن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا أخاف على أُمتي إلاَّ ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله **﴿وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به﴾** الآية وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألون عنه» غريب جداً. . . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به» وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ (وما يعلم تأويله إلاَّ الله ويقول الراسخون آمنا به). وكذا رواه ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله. وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود: (إن تأويله إلاَّ عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) وكذا عن أُبي بن كعب. ومنهم من يقف على قوله (والراسخون في العلم) وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأُصول وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد وقد روي عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وقال مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به. وقال محمد بن جعفر بن الزبير: (وما يعلم تأويله) الذي أراد ما أراد (إلاَّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) ثم ردوا تأويل المتشابهات على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا =

وقد روى طَاوسٌ عن ابن عباسٍ أنه قرأ «ويقول الرَّاسخون في العلم آمنّا به» وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعودٍ، وأُبيّ بن كعبٍ، وابنُ عباسٍ، وعُروةُ، وقَتادةُ، وعُمرُ بن عبد العَزيز، والفَرّاءُ، وأبو عُبيدةَ، وثَعلبُ، وابنُ الأنباريّ، والجمهور. قال ابن الأنباريّ: في قراءة عبد الله «إنْ تأويله، إلاّ عندَ الله» وفي قراءة أُبيٍّ، وابن عباسٍ «ويقول الرَّاسخون» وقد أنزل الله تعالىٰ في كتابه أشياء، استأثر بعِلْمِها، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُرُونَا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾[1] فأنزل تعالىٰ المُجْمَل، ليؤمن به المؤمنُ، فيَسعَدَ، ويكفر به الكافر، فيَشقى. **والثاني**: أنهم يعلمون، فهم دَاخِلون في الاستثناء. وقد روى مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ أنه قال: أنا مِمَّن يعلمُ تأويلَه، وهذا قول مُجاهدٍ، والرَّبيع، واختاره ابنُ قُتيبةَ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. قال ابن الأنباريّ: الذي روى هذا القولَ عن مُجاهدٍ ابنُ أبي نَجيحٍ، ولا تصح روايته التفسيرَ عن مُجاهدٍ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي يقولون: ربنا لا تُمِلْ قلوبَنا عن الهُدى بعد إذ هديتنا. قال أبو عبد الرحمٰن السُّلَميّ، وابن يَعْمُر، والجُحدُريّ «لا تَزغ» بفتح التاء «قلوبُنا» برفع الباء. ولَدُنْكَ: بمعنى عِنْدَكَ. والوَهَّاب: الذي يَجُود بالعطاء من غير استِثَابَةٍ، والمخلوقون لا يملكون أن يَهَبوا شفاءً لسَقيمٍ، ولا ولداً لعقيمٍ، والله تعالىٰ قادرٌ على أن يَهَب جميع الأشياء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي: لن تدفعَ، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا، وكذلك الأولاد، فأما في الآخرة، فلا ينفع الكافرَ مالُه، ولا ولدُه. وقوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: من عَذَابِه

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، في الدَّأب قولان: **أحدهما**: أنه العَادة، فمعناه: كعَادة آلِ

= تأويل لأحد فيها إلاّ تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً فنفذت الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودفع به الكفر. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: «اللّهُمّ فقهه في الدين وعلمه التأويل». ومن العلماء من فصل في هذا المقام وقال: التأويل يطلق ويُراد به في القرآن معنيان أحدهما التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه ومنه قوله تعالى: **﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾** وقوله: **﴿هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله﴾** أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلاّ الله عزّ وجلّ ويكون قوله: **﴿والراسخون في العلم﴾** مبتدأ و **﴿يقولون آمنا به﴾** خبره، وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله: **﴿نبئنا بتأويله﴾** أي بتفسيره فإن أُريد به هذا المعنى فالوقف على **﴿والراسخون في العلم﴾** لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله **﴿يقولون آمنا به﴾** حالاً منهم.

(١) الفرقان: ٣٨.

فِرعونَ، يريد: كُفر اليهود. كَكُفر مَنْ قبلَهم، قاله ابن قُتيبةَ. وقال ابن الأنباريِّ: و«الكاف» في «كدأب» متعلقةٌ بفعلٍ مُضمرٍ، كأنه قال: كفرت اليهود كَكُفر آل فِرعونَ. **والثاني**: أنه الاجتهاد، فمعناه: أنَ دَأبَ هؤلاء وهو اجتهادهم في كُفرهم، وتَظَاهرهم على النَّبيِّ ﷺ كتَظَاهُر آل فِرعونَ على موسى عليه السلام، قاله الزَّجّاجُ.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وعَاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابن عامرٍ ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالتاء و﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالياء، وقرأ نافعٌ ثلاثَتَهُنَّ بالتاء! وقرأهنَّ حَمزةُ، والكِسائيُّ بالياء. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٥٤] **أحدها**: أن يهود المدينة لما رأوا وقعة بَدرٍ، هَمُّوا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبيُّ الذي نجده في كتابنا، لا تُرَدُّ له رايةٌ، ثم قال بعضهم لبعضٍ: لا تعجَلوا حتى تنظروا له وقعةً أخرى، فلما كانت أُحدٌ، شَكُّوا، وقالوا: ما هوَ بهِ، ونَقَضوا عهداً كان بينَهم وبين النبيِّ ﷺ، وانطلقَ كعْبُ بن الأشرفِ في ستين راكباً إلى أهل مكةَ، فقالوا: تكون كلمتُنا واحدةً، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ.

[١٥٥] **والثاني**: أنها نزلت في قريشٍ قبل وقعة بدرٍ، فحقَّق الله وعدَه يوم بدرٍ، روي عن ابن عباسٍ، والضَّحَّاكُ.

[١٥٦] **والثالث**: أن أبا سُفيانَ في جماعةٍ من قريشٍ، جمعوا لرسول الله ﷺ بعد وقعة بدرٍ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السَّائِبِ.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ في المُخاطبين بهذا ثلاثة أقوالٍ(١): **أحدها**:

---

[١٥٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩١ قال الكلبي قال أبو صالح قال ابن عباس. وهذا الإسناد ساقط، الكلبي متروك متهم، وأبو صالح متروك في روايته عن ابن عباس. وورد من وجه آخر، أخرجه الطبري ٦٦٦٣ وفيه محمد بن أبي محمد، وهو مجهول. وورد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٦٦٦٤، وورد من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ٦٦٦٧. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

[١٥٥] ذكره الماوردي في «تفسيره» عن ابن عباس والضحاك بدون إسناد. فهذا الخبر لا شيء لخلوه عن الإسناد.

ـ والقول المتقدم هو الصواب، فإن الآية الآتية تدل على أن ذلك كان بعد بدر.

[١٥٦] لا أصل له. عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي واسمه محمد، وهو متروك متهم بالكذب، فهذا الأثر لا شيء. والقول الأول هو الصواب، والله أعلم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٥٠: يقول الله تعالى: **﴿قد كان لكم آية﴾** أي قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم آية أي دلالة على أن الله معزّ دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومعدل أمره.

أنهم المؤمنون، روي عن ابن مسعودٍ، والحَسنِ. **والثاني**: الكفار، فيكون معطوفاً على الذي قبله، وهو يخرج على قول ابن عباسٍ الذي ذكرناه آنفاً. **والثالث**: أنهم اليهود، ذكره الفَرَّاءُ، وابنُ الأنباريّ، وابنُ جَرِيرٍ. **فإن قيل**: لِمَ قال ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ ولم يَقُل قد كانت لكم: فالجواب من وجهين: **أحدهما**: أنَّ ما ليس بمؤنثٍ حقيقي، يجوزُ تذكيره. **والثاني**: أنه رَدَّ المعنى إلى البيان، فمعناه: قد كان لكم بيانٌ فذَهبَ إلى المعنى، وتَرَكَ اللفظ، وأنشدوا:

إنَّ امـرأً غَـرَّهُ مـنـكـنَّ واحـدةٌ بَـعـدِي وبَـعـدَكَ فـي الـدُّنـيـا لَـمَـغْـرُورُ

وقد سبق معنى «الآية»، و«الفئة» وكل مُشْكِلٍ تركتُ شرحَه، فإنكَ تجدُهُ فيما سبقَ، والمراد بالفئتين: النبيُّ ﷺ وأصحابُه، ومشركو قريشٍ يومَ بدرٍ. قاله قَتادةُ والجماعة.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ قولان: **أحدهما**: يرونَهم ثلاثةَ أمثالهم قاله الفَرَّاءُ، واحتجَّ بأنك إذا قلت: عندي ألف دينارٍ، وأحتاج إلى مثليه، فإنك تحتاج إلى ثلاثة آلافٍ. **والثاني**: أن معناه يرونَهم ومِثلَهم، قال الزَّجَّاجُ: وهو الصحيح.

قوله تعالىٰ: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي: في رَأْيِ العين. قال ابن جَرِيرٍ: جاء هذا على مصدر رَأَيْتُه، يقال: رَأَيْته رَأْياً، ورُؤْيَةً. واختلفوا في الفئة الرَّائِيَة على ثلاثة أقوالٍ: هي التي ذكرناها في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ فإن قلنا: إن الفئة الرَّائِيَة المسلمون، فوَجْهُه أنَّ المشركين كانوا يَضْعُفُون على عدد المسلمين، فرأوهم على ما هُمْ عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثيرُ المسلمين في أعيُنهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافعٌ: «ترونهم» بالتاء. قال ابن الأنباريّ: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال الفَرَّاءُ: ويجوز لمن قرأ «يرونهم» بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ لأنَّ العرب ترجع من الخطاب إلى الغَيبة، ومن الغَيبة إلى الخطاب. وقد شرحنا هذا في «الفاتحة» وغيرها. فإن قيل: كيف يُقال: إن المشركين استكثَرُوا المسلمين، وإنَّ المسلمين استكثروا المشركين، وقد بَيَّنَ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[1] أنَّ الفئتين تَساوَتا في استِقْلالِ إحداهما للأخرى؟ فالجواب: أنهم استكثَرُوهم في حالٍ، واستَقَلُّوهم في حالٍ، فإن قلنا: إن الفئة الرَّائِيَة المسلمون، فإنَّهم رَأَوا عدَد المشركين عند بداية القتال على ما هُمْ عليه، ثم قَلَّلَ اللهُ المشركين في أعيُنهم حتى اجترَؤوا عليهم، فنصرَهُم اللهُ بذلك السبب. قال ابن مسعودٍ: نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يَضْعُفُون علينا، ثم نظرنا إليهم، فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في روايةٍ أخرى: لقد قُلِّلُوا في أعيُننا حتى قلتُ لرجلٍ إلى جَنْبي: تَراهُم سبعين؟ قال: أَراهُم مئةً، فأَسَرنا منهم رجلاً فقلتُ: كَمْ كُنتم؟ قال: ألفاً. وإنْ قُلنا: إنَّ الفئة الرَّائِيَةَ المشركون فإنهم استَقَلُّوا المسلمين في حالٍ، فاجترَؤوا عليهم، واستكثروهم في حالٍ، فكان ذلك سببَ خِذْلانِهم، وقد نُقل أن المشركين لما أُسِروا يومئذٍ، قالوا للمسلمين: كم كُنتم؟ قالوا: كنا ثلاثمائةٍ وثلاثة عشر. قالوا: ما كُنَّا نَراكم إلا تَضْعُفُون علينا.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾، أي: يُقَوِّي، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ في الإشارة قولان: **أحدهما**: أنها

(١) الأنفال: ٤٤.

ترجع إلى النَّصر. **والثاني**: إلى رُؤية الجيش مِثْلَيهم. والعِبْرَة: الدلالة المُوصلة إلى اليقين، المُؤدِّية إلى العلم، وهي من العُبور، كأنه طريقٌ يُعبَرُ به ويُتوَصَّل به المُراد. وقيل: العِبْرَة: الآيَة التي يُعْبَرُ منها من منزلة الجهل إلى العلم. والأَبصار: العقول والبصائر.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قرأ أبو رَزِينٍ العَقِيْليّ وأبو رَجاءٍ العطارديّ، ومُجاهدٌ، وابن مُحَيْصنٍ «زَين» بفتح الزاي «حبَّ» بنصب الباء، وقد سبق في «البقرة» بيان التَّزْيين. والقَناطِير: جمع قِنطَار، قال ابن دُرَيدٍ: ليست النون فيه أصلية، وأحسب أنه مُعَرَّبٌ. واختلف العلماء: هل هو محدودٌ أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه محدودٌ، ثم فيه أحدَ عشرَ قولا:

[١٥٧] **أحدها**: أنه ألفٌ ومئتا أَوقيَّة، رواه أُبيُّ بن كَعبٍ عن النبيِّ ﷺ، وبه قال مُعاذُ بن جَبلٍ، وابنُ عُمرَ، وعَاصمٌ بن أَبي النُّجودِ، والحَسنُ في روايةٍ.

[١٥٨] **والثاني**: أنه اثنا عشرَ ألفَ أوقيةٍ، رواه أبو هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ، وعن أبي هُريرة كالقولين، وفي روايةٍ عن أبي هُريرة أيضاً: اثنا عشر أوقيَّة.

[١٥٩] **والثالث**: أنه ألفٌ ومئتا دينارٍ، ذَكَرَهُ الحسَنُ عن النبيِّ ﷺ، ورواهُ العُوفيُّ عن ابن عباسٍ.

والرابع: أنه اثنا عشرَ ألفِ درهمٍ، أو ألف دينارٍ، رواه ابن أبي طَلحةَ عن ابن عباسٍ، ورُوي عن الحَسنِ، والضَّحَّاكِ، كهذا القول، والذي قبله. **والخامس**: أنه سبعونَ ألفَ دينارٍ، روي عن ابن عُمرَ، ومُجاهدٍ. **والسادس**: ثمانونَ ألفَ درهمٍ، أو مئةَ رطْلٍ من الذَّهبِ، روي عن سَعيدِ بن المُسَيِّبَ، وقَتادةَ. **والسابع**: أنه سبعةُ آلافَ دينارٍ، قالَه عَطاءٌ. **والثامن**: ثمانيةُ آلافِ مِثْقالٍ، قاله السُّدِّيُّ. **والتاسع**: أنه ألفُ مِثْقَالٍ ذهبٍ أو فضَّةٍ، قاله الكَلبيُّ. **والعاشر**: أنه مِلءُ مسْكِ ثور ذهباً، قاله أبو نضرَة، وأبو عُبيدةَ. **والحادي عشر**: أن القِنطَار: رطْلٌ من الذَّهب، أو الفِضَّة، حكاه ابن الأنباريِّ.

---

[١٥٧] أخرجه الطبري ٦٦٩٨ وإسناده ضعيف جداً. له علتان: علي بن زيد وعنه مخلد بن عبد الواحد، وهذا الأخير منكر الحديث جداً، والأول ضعيف. وقد رجح ابن كثير رحمه الله فيه الوقف ١/ ٣٥٩ فقد ورد عن جماعة من الصحابة موقوفاً. وشدة الاختلاف في ذلك يدل على عدم صحة المرفوع أصلاً، وانظر مزيد الكلام عليه في تفسير ابن كثير بتخريجي عند هذه الآية. وانظر «تفسير الشوكاني» ٤٧٦.

[١٥٨] أخرجه الترمذي ٣٠٢٣ والحاكم ٢/ ٣٠٠ والطبري ٨٣٦٨ وعبد الرزاق في «تفسيره» ٤٩٨ والواحدي ٢٨٥ من حديث أم سلمة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وهو حديث حسن. قال عبد الرزاق في روايته، وكذا الترمذي والطبري: عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة. وأما الواحدي فقال: عن سلمة بن عمر رجل من ولد أم سلمة. وصححه الألباني وأورده في صحيح الترمذي، والله أعلم.

[١٥٩] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٦٦٩٩ عن الحسن مرسلاً، ومع إرساله مراسيل الحسن واهية، وكرره الطبري ٦٧٠٠ عن الحسن قوله، وهو الصحيح.

والقول الثاني: أن القِنطَار ليس بمحدودٍ. وقال الرَّبيعُ بن أنسٍ[(١)]: القِنطَار: المال الكثير، بعضه على بعضٍ، وروي عن أبي عُبيدةَ أنه ذكر عن العرب أن القِنطَار وزنٌ لا يُحَدُّ، وهذا اختيار ابن جَريرِ الطَّبريّ. قال ابنُ الأنباريّ قال بعض اللُّغويين القنطار العُقْدَةُ الوثيقة المُحْكَمَةُ من المال.

وفي معنى المُقَنْطَرة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها المُضَعَّفة، قال ابن عباسٍ: القَناطِير ثلاثةٌ، والمُقنطَرةُ تسعةٌ، وهذا قول الفرَّاءِ. **والثاني**: أنها المُكَمَّلَة، كما تقول: بَدْرَةٌ مبدَّرةٌ، وألفٌ مؤلَّفةٌ، وهذا قول ابن قُتيبةَ. **والثالث**: أنها المَضرُوبَة حتى صارت دنانيرَ ودراهم، قاله السُّدِّيُّ.

في المُسَوَّمَة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الرَّاعِيَة، رواه العُوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، والرَّبيعُ، ومُقاتلٌ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال: سَامَت الخيلُ، وهي سَائِمَةٌ: إذا رعت، وأَسَمْتُهَا وهي مُسَامَةٌ، وسَوَّمْتُها، فهي مُسَوَّمَةٌ: إذا رعَيتها، والمُسَوَّمَةُ في غير هذا: المُعَلَّمَة في الحرب بالسَّومَة وبالسِّيمَاء أي: بالعَلاَمَة. **والثاني**: أنها المُعَلَّمَة، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، واختاره الزَّجَّاجُ، وعن الحَسنِ كالقولين وفي معنى المُعَلَّمَة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها مُعَلَّمَة بالشِّيَة، وهو اللون الذي يُخَالِف سائر لونها، رُوي عن قَتادةَ. **والثاني**: بالكَيِّ، روي عن المُؤرجِ. **والثالث**: أنها البُلْقُ، قاله ابن كَيْسَانَ. **والثالث**: أنها الحِسَانُ، قاله عِكرِمَةُ، ومُجاهدٌ.

فأمَّا الأنعام، فقال ابن قُتيبةَ: هي: الإبلُ، والبَقر، والغَنم، واحدها نَعَم وهو جمعٌ لا واحدَ له من لفظه. والمَآب: المَرجِع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسُن نيَّة العبد بالتَّلبس بها، فيُثَاب عليها، وإنما يَتَوجَّه الذَّم إلى سوء القَصْدِ فيها.

﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾، روى عطاءُ بن السَّائِبِ عن أبي بَكرِ بن حَفْصٍ قال: لما نزلت ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ قال عُمَرُ: يا ربِّ الآن حين زَيَّنْتَها؟! فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾ ووَجْهُ الآية أنه خَبَّر أنَّ ما عندَه خيرٌ ممَّا في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليتركوا ما يُحبون لِمَا يَرجُون. فأما الرِّضوان فقرأ عاصمٌ، إلا حَفصاً وأَبان بن يَزيدَ عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيَى والعُلَيميُّ كسر الراء في المائدة في قوله تعالىٰ: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾[(٢)]، وقراء الباقون بكسر الراء، والكَسرُ لغة قُريشٍ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: رَضيت الشيءَ أَرْضَاه رِضًى ومَرْضَاةً ورِضوَاناً ورُضواناً، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، يعلم من يُؤثِرُ ما عنده ممن يُؤثِرُ شهواتِ الدنيا، فهو يُجازيهم على أعمالهم.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٤/٣٣: وقال الربيع بن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وهذا المعروف عند العرب ومنه قوله تعالى: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً﴾ أي مالاً كثيراً. ومنه الحديث ـ الأثر ـ «إن صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه» أي صار له قنطار من المال.

(٢) المائدة: ١٦.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: على طاعة الله عز وجل، وعن محارمه ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بمعنى المُطيعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ في طاعته. وقال ابنُ قُتيبة يعني: بالنَّفقةِ الصَّدَقَة. وفي معنى استغفارهم قولان: **أحدهما**: أنه الاستغفار المعروف باللسان، قاله ابن مسعودٍ، والحسنُ في آخرين. **والثاني**: أنه الصَّلاة. قاله مُجاهدٌ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ ومُقاتلٌ في آخرين. فعلى هذا إنما سُمِّيت الصلاة استغفاراً، لأنهم طلبوا بها المغفرة. فأما السَّحرَ، فقال إبراهيمُ بن السَّرِيّ: السَّحَر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طُلوع الفَجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنهم لشدَّة خوفهم يستغفرون.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

[١٦٠] سبب نزول هذه الآية أن حَبْرَين من أَحْبار الشَّام قَدِمَا النبيَّ ﷺ، فلما أبصَرَا المدينةَ، قال أحدُهما لصاحبه: ما أشبهَ هذه المدينة بصِفة مدينة النبيِّ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النَّبيِّ ﷺ، عَرَفَاه بالصِّفَة، فقالا: أنت محمَّدٌ؟ قال: «نَعَمْ». قالا: وأحمدُ؟ قال: «نَعَمْ». قالا: نسألُك عن شهادةٍ، فإن أخبرتَنا بها، آمنَّا بكَ، فقال: «سَلاَني». فقالا أخبرنا عن أعظَمِ شهادةٍ في كتاب الله، فنزلت هذه الآيَةُ، فأسلَمَا، قاله ابن السَّائِب.

وقال غيره: هذه الآية رَدٌّ على نَصارى نَجْرَان فيما ادَّعوا في عيسى عليه السلام، وقد سبق ذِكرُ خبرهم في أوَّل السُّورة. وقال سَعيدُ بن جُبيرٍ: كان حولَ الكعبة ثلاثمائةٍ وستون صَنَماً، وكان لكل حيٍّ من العرب صَنمٌ أو صَنمان، فلما نزلت هذه الآية، خرَّت الأصنام سُجَّداً. وفي معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى قَضَى وحَكَمَ، قاله مُجاهدٌ والفَرَّاءُ وأبو عُبيدةَ. **والثاني**: بمعنى بَيَّنَ، قاله ثَعلَبٌ والزَّجَّاجُ. قال ابن كَيْسانَ: شَهِدَ الله بتدبيره العجيب، وأموره المُحْكَمَة عند خَلْقِه، أنه لا إله إلا هو. وسُئل بعضُ الأعرَاب: ما الدليل على وجود الصَّانع؟ فقال: إن البَعرَة تَدلُّ على البَعير، وآثار القَدَم تدلُّ على المَسير، فهيكَلٌ علويٌّ بهذه اللطافَة، ومركزٌ سُفليٌّ بهذه الكَثافَة، أَمَا يَدُلاَّن على الصَّانع الخَبير؟! وقرأ ابنُ مسعودٍ وأُبيُّ بن كَعبٍ وعَاصمٌ الجُحْدُريُّ (شُهَدَاءُ اللهِ) بضمِّ «الشين» وفتح «الهاء والدال» وبهمزةٍ مرفوعةٍ بعد المَدِّ، وخفض «الهاء» من اسم الله تعالىٰ. ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعَدل.

قال جَعفرُ الصَّادقُ: وإنما كرَّر ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأن **الأولى** وصفٌ وتوحيدٌ، **والثانية** رَسْمٌ وتَعليمٌ، أي قولوا: لا إله إلا هو.

---

[١٦٠] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسبابه» ١٩٣ عن الكلبي وهو محمد بن السائب، وتقدم أنه يضع الحديث.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ **الجمهور على كسر «إن» إلا الكِسَائيّ، فإنه فتح «الألف»**، وهي قراءة ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وأبي رزينٍ، وأبي العَالِية، وقَتادة. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: لما ادَّعتِ اليهودُ أنه لا دينَ أفضلَ من اليهوديَّة، وادَّعتِ النَّصارى أنه لا دينَ أفضلَ من النَّصرانية، نزلت هذه الآية. قال الزَّجَّاجُ: الدِّين: اسمٌ لجميع ما تَعَبَّدَ الله به خَلْقَهُ، وأَمَرَهُم بالإقامة عليه، وأن يكون عادتَهم، وبه يَجزيهم. وقال شيخنا عليُّ بن عُبيد الله: الدِّينُ: ما التزمه العبدُ لله عزَّ وجلَّ. قال ابن قُتيبةَ: والإسلام الدُّخول في السِّلْم، أي: في الانقياد والمُتَابَعة، ومثله الاستِسلام، يُقال: سَلَّمَ فلانٌ لأَمرِكَ، واستَسْلَمَ، وأَسلَمَ، كما تقول: أَشتَى الرجلُ، أي: دخل في الشِّتاء، وأَرْبَعَ: دخل في الرَّبيع. وفي الذين أُوتوا الكتابَ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله الرَّبيعُ. **والثاني**: أنهم النَّصارى، قاله محمَّدُ بن جعفرَ بن الزُّبَير. **والثالث**: أنهم اليهودُ، والنَّصارى، قاله ابن السَّائِب. وقيل: الكتاب هاهنا: اسم جنسٍ بمعنى الكُتُب. وفي الذين اختلفوا فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: دِينُهم. **والثاني**: أَمرُ عيسى. **والثالث**: دينُ الإسلام، وقد عَرَفوا صِحَّته. **والرابع**: نبوةُ محمَّدٍ ﷺ، وقد عَرَفوا صِفَتَهُ. **قوله تعالى:** ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي: الإيضاح لِمَا اختلفوا فيه ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: اختلفوا للبَغْي، لا لقصد البرهان، وقد ذكرنا في «البقرة» معنى: سريع الحساب.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: جَادَلُوكَ، وخاصَمُوكَ. قال مُقاتلٌ: يعني اليهود، قال ابن جرير: يعني نصارى نَجْرَان في أمرِ عيسى، وقال غيرُهما: اليهود والنَّصارى. ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ﴾ قال الفرَّاءُ: معناه: أخلَصتُ عَمَلي، وقال الزَّجَّاجُ: قَصدتُ بعبادتي إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ أثبتَ الياء في الوَصل دون الوَقف أهل المدينة والبَصْرَة، وابنُ شَنْبُوذٍ عن قُنبلٍ، ووقَفَ ابنُ شَنْبُوذٍ ويعقوبُ بياءٍ. قال الزَّجَّاجُ: والأحبُّ إليَّ اتِّباعُ المُصْحَف. وما حُذِفَ من الياءات في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ و﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ و﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ و﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾. فهو على ضَربَين: **أحدهما**: ما كان مع النون، فإن كان رأسَ آيةٍ، فأهلُ اللغة يُجيزون حذفَ الياء، ويُسَمُّون أواخرَ الآي الفَواصِل، كما أجازوا ذلك في الشعر. قال الأعشى:

ومِـنْ شَـانِـىءٍ كَـاسِـفٍ بَـالُـهُ ... إذَا مَـا انـتَـسَـبْـتُ لَـهُ أَنْـكَـرَن[1]

وهَـل يَـمْـنَـعُـنِـي ارْتِـيَـادِي الـبِـلا ... دَ مِـنْ حَـذَرِ الـمَـوتِ أَنْ يَـأْتِـيَـن

فأمَّا إذا لم يكن آخرَ آيةٍ أو قافيةٍ، فالأكثر إثباتُ الياء، وحذفُها جيدٌ أيضاً، خاصةً مع النُّونات، لأن أصل «اتبعني» «اتبعي» ولكن «النون» زِيدَت لتَسْلَمَ فتحةُ العَين، فالكسرة مع النون تنوبُ عن الياء،

(١) الشانىء: المبغض. كاسف الوجه: عابسه من سوء الحال. والكسوف في الوجه: الصفرة والتغير.

فأما إذا لم تكن النون، نحو غُلامي وصَاحبي، فالأجودُ إثباتها، وحذفُها عند عدم النون جائز على قِلَّتِه، تقول: هذا غُلام، قد جاء غُلاميَ، وغُلامي. بفتح الياء وإسكانها، فجازَ الحذفُ، لأنَّ الكسرة تدلُّ عليها. قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يريد اليَهود والنَّصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ بمعنى مُشركي العرب، وقد سبق في البقرة شرحُ هذا الاسم. قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: هو استفهامٌ ومعناه الأمرُ، كقوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1].

فصل: اختلف علماء النَّاسِخ والمَنْسُوخ في هذه الآية، فذهبت طائفةٌ إلى أنها مُحْكَمَةٌ، وأن المراد بها تَسْكِينُ نَفْسِ النبيِّ ﷺ عند امتناع مَنْ لم يُجِبْهُ، لأنه كان يحرص على إيمانهم، ويتألَّم من تَرْكِهِم الإجابة. وذهبت طائفةٌ إلى أن المراد بها الاقتصار على التَّبليغ، وهذا منسُوخٌ بآية السيف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال أبو سُليمانُ الدِّمشقيُّ: عنى بذلك اليهود والنَّصارى. قال ابن عباسٍ: والمراد بآيات الله محمَّدٌ والقرآن. وقد تقدَّم في «البقرة» شرحُ قَتْلِهِم الأنبياء، والقِسْط، والعَدْل. وقرأ الجمهور ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾ وقرأ حَمزةُ «ويُقاتلون» بألف. وروى أبو عُبيدةَ بنُ الجَرَّاحِ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال:

[١٦١] «قَتَلَتْ بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيّاً من أوَّل النهار في ساعةٍ واحدةٍ، فقام مائةٌ واثنا عشرَ رجلاً من عُبَّاد بني إسرائيلَ، فأمروا من قَتَلَهُم بالمعروف، ونَهوهُم عن المنكر، فقُتلوا جميعاً في آخر النهار» فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم، وإنما وبخ بهذا الذين كانوا في زمن النَّبيِّ عليه السلام لأنهم تَوَلَّوا أولئك، ورَضُوا بفعلِهِم. ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ بمعنى: أَخبِرهُم، وقد تقدَّم شرحه في «البقرة». ومعنى ﴿حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

---

[١٦١] أخرجه الطبري ٦٧٧٧ وإسناده ضعيف. لضعف محمد بن حفص الحمصي، ضعفه ابن منده كما في «الميزان». وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٦٣ والبزار ٣٣١٤ «كشف» ومداره على أبي الحسن مولى بني أسد، وهو مجهول كما قال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٣٤٨ وفيه أيضاً محمد بن حمير لين الحديث. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٢١٦٦: فيه من لم أعرفه اثنان اهـ. وفي الباب من حديث ابن عباس وفيه «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي. . . . .» أخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٨٨٨. وإسناده واهٍ، فيه محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف متروك.

---

(١) المائدة: ٩١.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[١٦٢] أحدها: أن النبيّ ﷺ دخلَ بيتَ المِدْرَاسِ على جماعةٍ من اليهود، فدَعَاهُم إلى الله فقال رجلان منهم: على أيِّ دِينٍ أنتَ؟ فقال: على مِلةِ إبراهيمَ. قالا: فإنَّه كان يهودياً. قال: فَهَلُمُّوا إلى التَّوراة، فأبَيَا عليه، فنزلت هذه الآية. رواه سعيدُ بن جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ.

[١٦٣] والثاني: أنَّ رجلاً وامرأةً من اليهود زَنَيَا، فكرهوا رجمَهُما لشَرَفِهما، فرفعوا أمرَهُما إلى النَّبيِّ عليه السلام رجاءَ أن يكون عنده رُخصةٌ، فحكَمَ عليهِمَا بالرَّجْم، فقالوا: جُرْتَ علينا يا محمَّدُ، ليس علينا الرَّجمُ. فقال: بيني وبينَكم التَّوراةُ، فجاء ابن صُوريَا، فقَرأ من التَّوراة، فلمَّا أتى على آيةِ الرَّجْم، وضَعَ كفَّهُ عليها، وقرأ ما بَعدَها، فقال ابن سَلاَم: قد جاوزها، ثم قام، فقرأها، فأمرَ رسولُ الله ﷺ باليهوديّين، فرُجِمَا، فغضب اليهودُ. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[١٦٤] والثالث: أن النبيَّ ﷺ دَعَا اليهودَ إلى الإسلام، فقال نُعمَانُ بن أبي أوفى: هَلُمَّ نُحَاكِمكَ إلى الأَحبَار. فقال: بَلْ إلى كتاب الله، فقال: بَلْ إلى الأَحبَار، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّيُّ.

[١٦٥] والرابع: أنَّها نزلت في جماعةٍ من اليهود، دعاهُمُ النبيُّ إلى الإسلام، فقالوا: نحن أحقُّ بالهُدى منكَ، وما أرسلَ الله نبيّاً إلاَّ من بَني إسرائيلَ. قال: فأخرِجُوا التَّوراةَ، فإنِّي مكتوبٌ فيها أنِّي نبيٌّ، فَأَبَوْا، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلُ بن سُليمانَ.

فأما التفسير، فالنَّصيبُ الذي أُوتوه: العلم الذي عَلِمُوه من التَّوراة. وفي الكتاب الذي دُعُوا إليه قولان: أحدهما: أنه التَّوراةُ، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وهو قول الحَسنِ وقَتادةَ. وفي الذي أُريدَ أن يَحْكُمَ الكتابُ بينهم فيه أربعة أقوالٍ: أحدها: مِلَّةُ إبراهيمَ. والثاني: حَدُّ الزِّنى. رُويا عن ابن عباسٍ. والثالث: صحَّةُ دِينِ الإسلام، قاله السُّدِّيُّ. والرابع: صحَّةُ نبوَّة محمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتلٌ. فإن قيل: التَّولِّي هو الإعراضُ، فما فائدة تكريره؟ فالجواب من أربعة أوجهٍ: أحدها: التأكيد. والثاني: أن يكون المعنى: يَتولَّون عن الدَّاعي، ويُعرضون عمَّا دعا إليه. والثالث: يتولَّون بأبدانهم، ويُعرضون عن الحق بقلوبهم. والرابع: أن يكون الذين تولَّوا علماءَهم، والذين أعرضوا أتباعهم، قاله ابنُ الأنباريِّ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ يعني: الذي حمَلَهُم على التَّولي والإعراض أنهم قالوا: ﴿لَن

---

[١٦٢] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر» ١/ ٢٤ والطبري ٦٧٧٨٠ عن ابن عباس. وفيه محمد بن أبي محمد. قال الذهبي: في «الميزان» لا يُعرف. وانظر «تفسير القرطبي» ١٦٣٩ بتخريجنا.

[١٦٣] عزاه المصنف، وكذا البغوي في «تفسيره» ٣٧٣ للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط، ومر في المقدمة. وأصل هذا الخبر صحيح دون ذكر نزول الآية، وسيأتي في بحث التراجم.

[١٦٤] عزاه المصنف للسدي، وهذا مرسل، ولم أقف على إسناده فهذا خبر لا حجة فيه.
ـ وكذا الواحدي في «الأسباب» ١٩٤ للسدي بدون إسناد.

[١٦٥] عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهو متروك كذاب.
ـ ولم يصح في سبب نزول هذه الآية شيء، إلاَّ أنه لا ريب أن المراد بالآية اليهود.

تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وقد ذكرناها في «البقرة». و﴿يَفْتَرُونَ﴾: يختلقون. وفي الذي اختلقوه قولان: **أحدهما**: أنه قولهم: لن تمسَّنا النار إلا أياماً معدوداتٍ، قاله مُجاهدٌ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، قاله قَتادةُ، ومُقاتلٌ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ﴾ معناه: فكيف يكون حَالُهم إذا جمعناهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: لجزاء يوم، أو لحساب يومٍ. وقيل «اللام» بمعنى: «في».

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٦٦] **أحدها**: أن النبيّ ﷺ، لما فتح مكةَ، ووعد أُمّته مُلكَ فارسِ والرُّوم، قال المنافقون واليهود: هَيهاتَ هَيهاتَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ، وأنسُ بن مالكٍ.

[١٦٧] **والثاني**: أن النبيّ ﷺ سأل ربَّه أن يجعل مُلكَ فارسَ والرُّوم في أُمّته، فنزلت هذه الآية، حكاه قَتادةُ.

والثالث: أن اليهود قالوا: واللهِ لا نُطيعُ رجلاً جاء ينقل النبوةَ من بني إسرائيلَ إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

فأما التفسير، فقال الزَّجّاجُ: قال الخَليلُ وسِيبَوَيه وجميع النَّحويين الموثوق بعلمهم: «اللهمَّ» بمعنى «يا الله»، و«الميم» المشددةِ زيدَت عِوَضاً من «يا» لأنهم لم يجدوا «يا» مع هذه «الميم» في كلمةٍ، ووجدوا اسمَ الله عزَّ وجلَّ مستعملاً بـ «يا» إذا لم تُذكر الميم، فعلموا أن الميمَ في آخر الكلمة بمنزلةِ «ياء» في أولها والضَّمة التي في «الهاء» هي ضمَّة الاسم المنادى المفرد. قال أبو سُليمانَ الخَطّابيّ: ومعنى «مالك الملك»: أنه بيده، يؤتيه مَنْ يشاء، قال: وقد يكون معناه: مَالِك المُلوك، ويحتمل أن يكون معناه: وَارِث المُلك يوم لا يدَّعيه مُدَّع، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾. قوله تعالىٰ: ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ في هذا المُلك قولان: **أحدهما**: أنه النُّبوة، قاله ابن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنه المال، والعبيد، والحَفَدَة، ذكره الزَّجّاجُ. وقال مُقاتلٌ: تؤتي المُلكَ من تشاء، يعني محمَّداً وأُمَّتَهُ، وتنزع الملك ممن تشاء، يعني فَارسَ الرُّومَ. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ محمَّداً وأُمّته ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ فارسَ والرُّومَ. وبماذا يكون هذا العزّ والذُّلُّ؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: العزُّ بالنَّصر، والذلُّ بالقَهر. **والثاني**: العزُّ بالغِنى، والذلُّ بالفقر. **والثالث**: العزُّ بالطَّاعة، والذلُّ بالمعصية. قوله تعالىٰ: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ قال ابن عباسٍ: يعني النصر والغَنيمة، وقيل: معناه بيدك الخير والشر، فاكتفى بأحدهما، لأنه المرغوب فيه.

---

[١٦٦] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٧ عن ابن عباس وأنس بدون إسناد. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٣٥٠: ولم أجد له إسناداً. اهـ. فالخبر ليس بحجة، بل هو لا شيء لخلوه عن الإسناد.

[١٦٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٦٧٨٧ والواحدي ١٩٨ عن قتادة مرسلاً. فهو ضعيف لإرساله.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ أي: تُدخل ما نَقَّصت من هذا في هذا. قال ابن عباس، ومُجاهدٌ: ما يَنْقُص من أحدهما يدخل في الآخر. قال الزَّجَّاج: يقال: وَلَجَ الشيء يَلِجُ ولُوجاً ووَلْجاً ووَلْجَةً. قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابن عَامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم «وتُخرجُ الحيَّ من الميْتِ وتُخرجُ المَيْتَ من الحيِّ»، و«لِبَلَدٍ مَيْتٍ»[1]، و﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾[2]، و﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾[3]، و﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[4]: كله بالتخفيف. وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ و﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ و﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[5]، وخفَّف حَمزةُ، والكِسَائيُّ غيرَ هذه الحروف. وقرأ نافعٌ: «أَوَ مَنْ كان مَيِّتاً»، و«الأرض المَيِّتةُ»، و«لحمَ أخيه مَيِّتاً»[6]، وخفف في سائر القرآن ما لَم يَمُتْ. وقال أبو عَلي: الأصل التثقيل، والمُخفف محذوفٌ منه، ومَا ماتَ، وما لَم يَمُتْ في هذا الباب مُستويان في الاستعمال. وأنشدوا:

ومَنْهَلٍ فيه الغُرابُ مَيْتُ سَقَيْتُ مِنه القومَ واستَقَيْتُ

فهذا قد مَاتَ. وقال آخر:[7]

ليسَ مَنْ ماتَ، فاستراحَ بميتٍ إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ

فخفف ما مات، وشدد ما لَم يَمُتْ. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[8]. ثم في معنى الآية ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إخراج الإنسان حَيّاً من النُّطفَة، وهي ميتةٌ. وإخراج النُّطفة من الإنسان، وكذلك إخراج الفَرْخ من البَيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وابن جُبيرٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان، روى نحو هذا الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وهو قول الحسنِ، وعَطاءٍ. **والثالث**: أنه إخراج السُّنبلة الحَيَّة من الحبَّة الميِّتة، والنَّخلة الحيَّة من النَّواة الميتة، والنواة الميِّتة من النخْلة الحيَّة، قاله السُّدِّيُّ. وقال الزَّجَّاجُ: يخرج النبات الغَضَّ من الحَبِّ اليابس، والحبَّ اليابس من النبات الحيّ النَّامي.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير تَقْتيرٍ. قال الزَّجَّاجُ: يقال للذي يُنفق مُوسِعاً: فلانٌ ينفق بغير حسابٍ، كأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾، في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

---

(١) الأعراف: ٥٧. (٢) الأنعام: ١٢٢. (٣) الأنعام: ١٣٩.
(٤) يس: ٣٣. (٥) فاطر: ٩. (٦) الحجرات: ١٢.
(٧) هو عدي بن الرَّعلاء. كما في «اللسان». (٨) الزمر: ٣٠.

[١٦٨] **أحدها**: أن عبادةَ بن الصَّامتِ كان له حُلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائةٍ من اليهود، وقد رأيتُ أن أستَظْهِرَ بهم على العدو، فنزلت هذه الآية، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ

[١٦٩] **والثاني**: أنها نزلت في عبد الله بن أُبيّ وأصحابه من المنافقين كانوا يتولُّون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يَرجُون لهم الظَّفَر من النبيّ ﷺ، فنهى الله المؤمنين عن مثل فِعلِهم، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[١٧٠] **والثالث**: أن قوماً من اليهود، كانوا يُباطِنُون نَفَراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنهاهم قومٌ من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتَنِبُوا هؤلاءِ اليهود، فأَبَوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عباسٍ أيضاً.

[١٧١] **والرابع**: أنها نزلت في حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعَة وغيره، كانوا يُظهرون المودَّة لكفار مكةَ، فنهاهُم الله عزَّ وجلَّ عن ذلك، هذا قول المُقَاتِلَين، ابنِ سُليمانَ، وابنِ حَيَّانَ.

فأما التفسير، فقال الزَّجَّاجُ: معنى قوله تعالىٰ: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجعل المؤمنُ ولايَتَهُ لِمَنْ هو غيرُ مؤمنٍ، أي: لا يتناول الولايَة من مكانٍ دون مكان المؤمنين، وهذا كلامٌ جرى على المَثَل في المكان، كما تقول: زيدٌ دونَكَ، ولست تُريد المَكَانَ، ولكنكَ جعلتَ الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسَّة كالاستِفَالِ في المكان. ومعنى ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فالله بريءٌ منه. قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ قرأ يَعقوبُ والمُفَضَّلُ عن عَاصم «تَقِيَّةً» بفتح التاء من غير ألف، قال مُجاهدٌ: إلا مُصَانَعةً في الدُّنيا. قال أبو العَالِية: التُّقَاة باللسان لا بالعَمَل.

فصل: والتَّقِيَّةُ رُخصةٌ، وليست بعَزيمةٍ. قال الإمام أحمَدُ: وقد قيل: إن عُرِضتَ على السيف تُجيبُ؟ قال: لا. وقال: إذا أجابَ العَالِم تَقِيَّةً، والجاهل بجهلٍ، فمتى يتبيَّن الحق؟ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾(١)، إنْ شاء الله.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

---

[١٦٨] ضعيف جداً. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٢ عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قوله، وجويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس. وانظر «تفسير القرطبي» ٤/ ٦٠.

[١٦٩] واه بمرة. ذكره الواحدي ٢٠١ عن الكلبي به، والكلبي متهم بالكذب وعزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي فالخبر ساقط.

[١٧٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٦٨٢١ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وإسناده ضعيف لجهالة محمد شيخ ابن إسحاق.

[١٧١] عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان. وهو كذاب. وعزاه لمقاتل بن حيان، وهو ذو مناكير. وذكره البغوي ٢٩١ بدون إسناد.

---

(١) النحل: ١٠٦.

قوله تعالى: ﴿إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ قال ابن عباسٍ: يعني مِنَ اتِّخاذ الكافرين أولياء.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ قال الزَّجّاجُ: نصب «اليوم» بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ في ذلك اليوم. قال ابن الأنباريِّ: يجوز أن يكون متعلّقاً بالمَصير، والتقدير: وإلى الله المصير يومَ تَجِدُ. ويجوز أن يكون متعلّقاً بفعلٍ مُضمَرٍ، والتقدير: اذكُرْ يومَ تَجِدُ. وفي كيفية وجود العمل وجهان: **أحدهما**: وجوده مكتوباً في الكِتاب. **والثاني**: وجود الجزاء عليه. والأمَدُ: الغَايَة. قال الطِّرِمّاحُ:

كلُّ حيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْـ ... ـرِ ومُودٍ إذا انقَضَى أَمَدُه

يريد: غَايَة أَجَلِه.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾، في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[١٧٢] **أحدها**: أن النبيَّ ﷺ، وقف على قُريش، وقد نَصَبُوا أصنامَهم. فقالوا: يا محمَّدُ إنما نعبد هذه حُبّاً لله، ليُقرِّبونا إلى الله زُلْفَى، فنزلت هذه الآية، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ.

[١٧٣] **والثاني**: أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحبّاؤه، فنزلت هذه الآية، فعَرَضَها النبيُّ ﷺ عليهم، فلم يَقْبَلُوها، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[١٧٤] **والثالث**: أن ناساً قالوا: إنّا لَنُحِبُّ ربَّنا حُبّاً شديداً، فأحبَّ الله أن يجعل لحُبِّه عَلَماً، فأنزل هذه الآية، قاله الحسنُ، وابن جُريج.

[١٧٥] **والرابع**: أن نصارى نَجْرانَ، قالوا: إنما نقول هذا في عيسى حُبّاً لله وتعظيماً له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن إسحاقَ عن مُحمَّد بن جعفرَ بن الزُّبير، واختاره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

---

[١٧٢] باطل. لا أصل له عن ابن عباس، فالضحاك لم يلق ابن عباس وهو بدون إسناد كما ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/٤٢٩ من رواية الضحاك عن ابن عباس فلا حجة فيه وهو منكر، وعزاه في «الأسباب» ٢٠٣ لابن عباس من طريق جويبر عن الضحاك وجويبر ابن سعيد، وهو متروك. ليس بشيء. ثم إن هذه السورة مدنية، والحديث يدل على أن ذلك كان في مكة؟!.

[١٧٣] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٤ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط. الكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح متروك في روايته عن ابن عباس.

[١٧٤] أخرجه الطبري ٦٨٤٠ عن الحسن، ومراسيل الحسن واهية. وورد من مرسل ابن جريج، أخرجه برقم ٦٨٤٢ ومراسيل ابن جريج ساقطة.

[١٧٥] ضعيف. أخرجه الطبري ٦٨٤٤ هكذا مرسلاً عن محمد بن جعفر، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٥ عن محمد بن جعفر بن الزبير.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٧٦] **أحدها**: أن عبد الله بن أبيّ قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمُرنا أن نُحبَّه كما أحبَّت النَّصارى عيسى ابن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ.

[١٧٧] **والثاني**: أن النبيّ ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحبَّاؤه، ونحن أشدُّ حبّاً لله ممّا تدعونا إليه، فنزلت ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ونزلت هذه الآية، هذا قول مُقاتلٍ. **والثالث**: أنها نزلت في نصارى نَجْران[١]، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾، قال ابن عباسٍ: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيمَ، وإسحاقَ، ويعقُوبَ، ونحن على دِينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزَّجّاجُ: ومعنىٰ اصْطَفَاهُم في اللغة: اختارَهُم، فجعلهم صَفْوَةَ خَلْقِهِ، وهذا تمثيلٌ بما يُرى، لأن العرب تُمَثِّل المعلومَ بالشيء المَرئي، فإذا سَمِع السَّامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يُشاهدُ عياناً، فنحن نُعاينُ الشيء الصَّافي أنه النقي من الكَدَر، فكذلك صَفْوَةُ الله من خَلْقِه. وفيه ثلاث لغاتٍ: صَفْوَة، وصِفْوَة، وصُفْوَة. وأمّا آدَمُ فعربيٌّ وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة». وأما نُوحٌ، فأعجميٌّ مُعرَّبٌ، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: اسم نُوح: السَّكن، وإنما سمي نُوحاً، لكثرةَ نَوحِه. وفي سبب نَوحِهِ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان يَنُوحُ على نَفْسِهِ، قاله يَزيدُ الرَّقاشِيُّ. **والثاني**: أنه كان يَنُوحُ لمعاصي أهله، وقومه. **والثالث**: لمُراجعته رَبّه في ولده. **والرابع**: لدُعائِه على قومه بالهلاك. **والخامس**: أنه مَرَّ بكلبٍ مَجْذُومٍ، فقال: اخْسَأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أَعِبْتَني يا نوحُ أمْ عِبْتَ الكلبَ؟

وفي آل إبراهيمَ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم مَنْ كان على دينه، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: أنهم إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، قاله مقاتل. **والثالث**: أن المراد بـ «آلِ إبراهيمَ» هو نَفْسُه، كقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾[٢]، ذكره بعض أهل التفسير. وفي «عِمْران» قولان: **أحدهما**: أنه والد مَرْيَم، قاله الحسنُ ووهب. **والثاني**: أنه والد موسى وهَارُونَ، قاله مُقاتلٌ.

وفي «آله» ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه عيسى عليه السلام، قاله الحسن. **والثاني**: أن آله موسى وهارون، قاله مقاتل. **والثالث**: أن المراد بـ «آلِهِ» نَفْسُهُ، ذكره بعض المفسّرين. وإنما خَصَّ هؤلاءِ بالذِّكرِ، لأن الأنبياء كلَّهُم من نَسْلِهِم.

وفي معنى اصْطِفاء هؤلاءِ المذكورين ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن المراد اصطفى دِينَهم على سائر

---

[١٧٦] هو مكرر الحديث ١٧٣، وإسناده ساقط. وليس في هذا الأقوال شيء صحيح ولا حسن، ولا يلزم في كل آية وجود سبب لنزولها كما يظنه الكلبي ومقاتل وجويبر وغيرهم، وعامة ما يرويه هؤلاء موضوع.

[١٧٧] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيثما أطلق، وهو متروك كذاب.

---

(١) هو المتقدم برقم ١٧٥.

(٢) البقرة: ٢٤٨.

الأديان، قاله ابن عباس، واختاره الفَرَّاءُ، والدِّمشقيُّ. **والثاني**: اصطفاهم بالنُّبوة، قاله الحسَنُ، ومُجاهدٌ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميَّزهُم بها على أهل زمانهم. والمُراد بـ «العَالَمين»: عَالَمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾، قال الزجّاجُ: نصبُها على البَدَل، والمعنى: اصطفى ذُرِّيةَ بعضها من بعضٍ. قال ابن الأنباريّ: وإنما قال: بعضها، لأن لفظ الذُّرِّيَّة مؤنثٌ، ولو قال: بعضهم، ذهب إلى معنى الذُّرِّيَّة. وفي معنى هذه البَعضيَّة قولان: **أحدهما**: أن بعضهم من بعضٍ في التَّناصُر والدِّين، لا في التَّناسُل، وهو معنى قول ابن عباسٍ، وقتادةِ. **والثاني**: أنه في التَّناسُل، لأن جميعهم ذُرِّيَّة آدم، ثم ذريَّة نُوحٍ، ثم ذريَّة إبراهيم، ذكره بعض أهل التفسير. قال أبو بكرِ النَّقّاشُ: ومعنى قوله: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ أن الأبناء ذريَّةٌ للآباء، والآباء ذريَّةٌ للأبناء؛ كقوله تعالىٰ: ﴿حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾(١)، فجعل الآباء ذريَّةً للأبناء، وإنما جاز ذلك، لأن الذرِّيَّة مأخوذةٌ من قوله: ذَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ، فسُمِّي الولد للوالد ذريَّةً، لأنه ذُرِىءَ منه، وكذلك يجوز أن يقال للأب: ذريَّةٌ للابن، لأن ابنه ذُرِىءَ منه، فالفعل يتصل به من الوجهين، ومثله: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾، فأضاف الحُبَّ إلى الله، والمعنى: كحُبِّ المؤمن لله، ومثله ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، فأضاف الحُبَّ إلى الطعام.

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾، في «إذ» قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، واختاره أبو عُبيدةَ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنها أصلٌ في الكلام، وفيها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن المعنى: اذكُرْ إذ قالت امرأةُ عِمْرَان، قاله المُبَرِّدُ، والأخفشُ. **والثاني**: أن العامل في ﴿إِذۡ قَالَتِ﴾ معنى الاصطِفَاء، فيكون المعنى: اصطفى آلَ عِمْرَانَ، إذْ قالتِ امرأةُ عِمْرَانَ، واصطفاهُم إذ قالتِ الملائكَةُ: يا مريمُ، هذا اختيارُ الزجّاجِ. **والثالث**: أنها من صِلَة «سميعٌ» تقديره: والله سميعٌ إذ قَالَت، وهذا اختيارُ ابنِ جَريرِ الطَّبَريّ. قال ابن عباسٍ: واسمُ امرأة عِمْران حَنّة، وهي أمّ مريم، وهذا عِمْرانُ بن مَاتَان، وليس بـ «عِمْرَان أبي مُوسى»، وليست هذه مَريمُ أُخت مُوسى. وبين عيسى ومُوسى ألفٌ وثمانمائة سنة. والمُحَرَّرُ: العَتيقُ. قال ابن قُتيبةَ: يقال: أعتقْتُ الغُلام، وحرَّرتُه: سواءٌ. وأرادت: أي: نَذَرتُ أن أجعلَ ما في بطني مُحَرَّراً من التَّعبيد للدنيا، ليَعْبُدَكَ. وقال الزجّاجُ: كان على أولادهم فَرضاً أن يُطيعوهم في نَذْرِهم، فكان الرجل يَنذُر في ولده أن يكون خادماً في مُتَعَبَّدِهم. وقال ابن إسحاقَ: كان السبب في نَذْرِهَا أنه أُمْسِكَ عنها الولدُ حتى أسَنَّتْ، فرأت طائراً يُطعم فَرخاً له، فدَعت الله أن يَهَبَ لها ولداً، وقالت: اللّهُمَّ لكَ عليَّ إن رزقتني ولداً أن أتصدَّقَ به على بَيْتِ المَقْدس، فحَمَلَتْ بمَرْيَمَ، وهلك عِمْرَان، وهي حامِلٌ. قال القاضي أبو يَعْلَى: والنَّذر في مثل ما نَذَرت صحيحٌ في شريعتنا، فإنه إذا نذر الإنسان أن يُنشىء ولده الصغير على عبادة الله وطاعته، وأن يُعلِّمه القرآن، والفِقه، وعلمَ الدِّين، صحَّ النَّذر.

---

(١) يس: ٤١.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ إلا حَفصاً ويَعقوبَ (بما وضعْتُ) بإسكان العين، وضمِّ التاء. وقرأ الباقون بفتح العين، وجزم التاء، قال ابن قُتيبةَ: من قرأ بجزم التاء، وفتح العين، فيكون في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: إني وضعتُها أنثى، وليس الذَّكرُ كالأنثى، والله أعلمُ بما وضَعَتْ. ومن قرأ بضم التاء، فهو كلامٌ مُتَّصِلٌ من كلام أمِّ مَريَمَ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، مِنْ تَمام اعتذارها، ومعناه: لا تَصْلُح الأُنثى لما يَصلُح له الذَّكَرُ، من خدمته المسجد، والإقامة فيه، لما يلحق الأنثىٰ من الحيض والنفاس. قال السُّدِّيُّ: ظَنَّت أن ما في بطنها غُلامٌ، فلما وَضعَتْ جاريةً، اعتذرت. ومَريمُ: اسمٌ أعجميٌّ. وفي الرَّجِيم قولان: **أحدهما**: أنه المَلْعُون، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه المَرْجُوم بالحجارة، كما تقول: قَتِيل بمعنى مَقْتُول، قاله أبو عُبيدةَ، فعلى هذا سُمِّي رَجِيماً، لأنه يُرمى بالنُّجُوم.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾، وقرأ مُجاهدٌ (فتقبَّلْها) بسكون اللام «ربَّها» بنصب الباء (وأنبِتها) بكسر الباء وسكون التاء على معنى الدُّعاء. قال الزجَّاجُ: الأصل في العربية: فتقبَّلها بتقبُّلٍ حَسَنٍ، ولكن «قَبول» محمولٌ على قَبِلَها قُبُولاً يقال: قَبِلتُ الشيء قبولاً، ويجوز قُبولاً: إذا رَضِيتُهُ. ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، أي: جعلَ نُشُوءَها نُشوءاً حَسناً، وجاء «نباتاً» على غير لفظ أَنْبَتَ، على معنى: نَبَتَتْ نباتاً حسناً. وقال ابنُ الأنباريّ: لما كان «أنْبَتَ» يدلّ على نَبَتَ حَمَلَ الفعلَ على المعنى، فكأنّه قال: وأَنْبَتَها، فنبَتَتْ هي نَباتاً حسناً. قال امرؤُ القَيْسِ:

فَصِرْنَا إِلى الحُسْنَى وَرَقَّ كَلامُنَا ... وَرُضْتُ فَذلَّتْ صَعْبَةٌ أَيَّ إِذْلَالِ

أراد: أي رِياضَة، فلما دلَّ «رُضْتُ» على «أذْلَلْتُ» حمله على المعنى.

وللمفسرين في معنى النَّباتِ الحَسَن، قولان:

أحدهما: أنه كمال النُّشوء، قال ابن عباسٍ: كان تَنْبُتُ في اليوم ما ينبتُ المولود في عامٍ.

والثاني: أنه تَرْكُ الخطايا، حُدِّثْنا أنها كانت لا تُصيب الذنوبَ، كما يُصيبُ بَنُو آدم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾، قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابن عامرٍ: «كَفَلَها» بفتح الفاء خفيفة، و«زكرياء» مرفوعٌ ممدودٌ. وروى أبو بكرٍ عن عاصم: تشديد الفاء، ونصب «زكرياء»، وكان يَمُدُّ «زكرياء» في كل القرآن في رواية أبي بكرٍ. وروى حفصٌ عن عاصم: تشديد الفاء و«زكريا» مقصورٌ في كل القرآن. وكان حَمزةُ والكسائيُّ يُشدِّدان و«كَفَّلها»، ويقصُران «زكَريا» في كل القرآن. فأما «زكريا» فقال الفَرَّاءُ: فيه ثلاث لغاتٍ: أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء، مقصُورٌ، وزكرياء، ممدودٌ، وأهل نَجْدٍ يقولون: زَكَرِي، فيُجرونه، ويُلقون الألف. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورِ اللُّغويّ، عن ابن

دُريدٍ، قال: زكريا اسمٌ أعجميٌ، يقال: زَكَريُّ، وزكرياء ممدودٌ، وزكريا مقصورٌ. وقال غيره: وزَكَري بتخفيف الياء، فمن قال: زكرياء بالمدّ، قال في التَّثنية: زَكَرِيَاوَان، وفي الجمع زَكَرِيَاوُون، ومن قال: زكريا بالقَصْر، قال في التَّثْنِيَة زَكَرِيَّان كما نقول: مَدَنِيَّان، ومن قال: زَكَرِي بتخفيف الياء، قال في التثنية: زَكَرِيَان الياء خفيفة، وفي الجمع: زَكَرُون بطرح الياء.

الإشارة إلى كفالة زكريا مريم

قال السُّدِّيُّ: انطلقت بها أُمُّها في خِرَقِها، وكانوا يَقترعُون على الذين يُؤتَون بهم، فقال زكريا وهو نبيُّهم يومئذٍ: أنا أحقُّكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا إلى نهر الأُردُن، فألقوا أقلامَهم التي يكتبون بها، فجَرَت الأقلامُ، وثبَتَ قلمُ زكريا، فكَفِلها، قال ابن عباسٍ: كانوا سبعةً وعشرين رجلاً، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن صَعَدَ قلمُه مُغالباً للجَرية فهو أحق بها، فصَعَد قلمُ زكريا، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمصاعدة قلمه، وعلى قول السُّدِّيّ بوقوفه في جريان الماء. وقال مقَاتلٌ: كان يُغْلِقُ عليها الباب، ومعه المِفتاحُ، لا يأمَنُ عليه أحداً، وكانت إذا حَاضَتْ، أخرجَها إلى منزله تكون مع أختها أمِّ يَحيَى، فإذا طَهُرَت، رَدَّها إلى بيت المقدس. والأكثرون على أنه كَفِلَها منذ كانت طفلةً بالقُرعة، وقد ذهب قومٌ إلى أنه كَفِلَها عند طفولتها بغير قُرعةٍ، لأجل أن أمها ماتت وكانت خالتها عنده. فلما بَلَغَتْ، أدخلوُها الكنيسةَ لنَذْرِ أمِّها، وإنما كان الاقتِراعُ بعد ذلك بمدةٍ، لأجل سَنَةٍ أصابتهم. فقال محمدُ بن إسحاقَ: كَفِلَها زكريا إلى أن أصابت الناسَ سَنَةٌ، فشكا زكريا إلى بني إسرائيلَ ضيقَ يَدِهِ، فقالوا: ونحنُ أيضاً كذلك، فجعلوا يتدافعونَها حتى اقتَرَعُوا، فخرَجَ السهم على جُرَيجِ النَّجار، وكان فقيراً، وكان يأتيها باليسير، فيَنْمَى، فدخل زكريا، فقال: ما هذا على قَدْرِ نفقة جُريجٍ، فمن أين هذا؟ قالت: هو مِنْ عند الله. والصحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تَشَاحّوا على كفالتها، لأنها كانت بنت سَيِّدهم وإمامهم عِمْرانَ، كذلك قال قَتادةُ في آخرين، وأن زكريا ظَهَر عليهم بالقرعة منذ طفولتها.

فأما المحراب فقال أبو عُبيدةَ: المِحْراب سيِّد المجالس، ومقدَّمُها، وأشرفها، وكذلك هو مِنَ المسجد. وقال الأصمَعيُّ: المِحْراب هاهنا: الغُرفة. وقال الزجَّاجُ: المِحْراب في اللغة: المَوضِع العالي الشريف. قال الشاعر[1]:

رَبَّةُ مِحرَابٍ إذا جِئتُها ... لَمْ أَلْقَها أو أَرْتَقِي سُلَّمَا

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، قال ابن عباسٍ: ثِمار الجنة، فاكهةُ الصَّيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصَّيف، وهذا قول الجماعة. قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي: مِنْ أين؟ قال الرَّبيعُ بن أنس: كان زكريا إذا خرج أغلق عليها سبعةَ أبوابٍ[2]، فإذا دخل وجد عندها رزقاً. وقال الحسَنُ: لم تَرتَضِع ثَدياً قط، وكان ياتيها رزقها من الجنَّة، فيقول زكريا: أنّى لكِ هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلَّمت وهي صغيرةٌ، وزعم مُقاتلٌ أن زكريا استأجر لها ظِئراً، وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاقَ يكون

---

(١) هو وضّاح اليمن ـ واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل.
(٢) هذا من الإسرائيليات المنكرة، فلماذا هذه الأبواب السبعة؟!!!.

قوله لها: أنَّى لك هذا؟ لاستكثار ما يرَى عندها. وما عليه الجمهور أصحُ. والحِسَاب في اللغة: التَّقْتِيرُ والتَّضْيِيقُ.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ قال المُفسرون: لما عَاينَ زكريا هذه الآية المُعجِبَة من رزق الله تعالى مريمَ الفاكهةَ في غير حِينِها، طَمِعَ في الولد على الكِبَر. و﴿مِن لَّدُنكَ﴾ بمعنى: من عِندِك. والذرية، تُقال للجمع، وتُقال للواحد، والمراد بها هاهنا: الواحد. قال الفرَّاءُ: وإنما قال: طيِّبَةً، لتأنيث الذريَّة، والمراد بالطَّيبة: النَّقيَّة الصالحة. والسَّميع: بمعنى السَّامع. وقيل: أراد مُجيب الدُّعاء.

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ ابن كَثيرٌ، ونَافعٌ، وعَاصمٌ، وأبو عَمرو، وابنُ عامرٍ: «فنادته» بالتاء، وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «فناداه» بألفٍ مُمَالةٍ، قال أبو عليّ: هو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ﴾[1]. وقرأ عليٌّ، وابن مسعودٍ، وابن عباسٍ: «فناداه» بألفٍ. وفي الملائكة قولان: **أحدهما**: جِبْريلُ وحدَه، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ، ووجهه أن العرب تُخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول ركبتُ في السُّفن، وسمعتُ هذا مِنَ الناس. **والثاني**: أنهم جماعةٌ من الملائكة، وهو مَذْهَب قوم، منهم ابن جَريرِ الطَّبريّ. وفي المِحْرَاب قولان: **أحدهما**: أنه المَسْجِدُ. **والثاني**: أنه قِبْلَة المسجد. وفي تسمية مِحْراب الصَّلاة مِحْرَاباً، ثلاثة أقوال: **أحدها**: لانفِرَاد الإمام فيه، وبُعْدِه من الناس، ومنه قولهم: فُلانٌ حَرْبٌ لفلانٍ: إذا كان بينهما مُباغضَةٌ، وتباعُدٌ، ذكره ابن الأنباريّ عن أبيه، عن أحمدَ بن عُبيدٍ. **والثاني**: أن المِحْرَاب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام. **والثالث**: أنه من الحَرْبِ، فالمُصلّي مُحاربٌ للشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ قرأ الأكثرون بفتح الألف على معنى: فنادته الملائكة بأن الله، فلَّما حَذفَ الجَارَّ منها، وصل الفعل إليها، فنصَبَها. وقرأ ابن عامرٍ، وحَمزةُ، بكسر «إنَّ» فأضمر القول. والتقدير: فنادته، فقالت: إن الله يُبشِّرك. وقرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرو: «يُبَشِّرُكَ» بضم الياء، وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في «حم عسق»: ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾[2] فإنهما فتحا الياء وضما الشين، وخففاها. فأمَّا نافعٌ، وابن عامرٍ، وعَاصمٌ، فشدَّدا كلَّ القرآن. وقرأ حَمزةُ: «يبشر» خفيفاً في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[3]. وقرأ الكِسائيُّ «يبشر» مخففة في خمسة مواضعَ، في (آل عمران) في قصة زكريا، وقصة مريم، وفي بني (إسرائيل) وفي (الكهف) وفي (حم عسق)، قال الزجَّاجُ: وفي «يبشرك» ثلاث لغاتٍ: **أحدها**: يُبَشِّرك بفتح الباء وتشديد الشين. **والثانية**: «يبْشُرك» بإسكان الباء، وضم الشين. **والثالثة**: «يُبْشِرك» بضم الياء وإسكان الباء، فمعنى «يُبَشِّرك» بالتشديد

---

(١) يوسف: ٣٠. (٢) الشورى: ٢٣. (٣) الحجر: ٥٤.

و«يُبشرك» بضم الياء: البِشارة. ومعنى «يَبشرك» بفتح الياء: يَسُرّك ويُفرِحُكَ، يقال: بشَرت الرجلَ أبشرُه، : إذا أفرحتَه، وبَشَرَ الرجل يبشَر: وأنشد الأخفشُ والكِسَائيُّ:

وإذا لَقِيتَ البَاهِشِينَ إلى النَدى غُبْراً أكفُّهمْ بقَاعٍ مُمحِلِ
فأَعِنْهُمُ وابشَر بما بَشِروا به وإذا هُمُ نزلوا بضنكٍ فانزِلِ(١)

فهذا على بَشَر يبشَر: إذا فرح. وأصل هذا كله أن بَشَرَةَ الإنسان تنبَسِطُ عند السرور، ومنه قولهم: يَلقاني ببِشرٍ، أي: بوَجهٍ منبسطٍ.

وفي معنى تسميته «يحيىَ» خمسة أقوالٍ: **أحدها**: لأن الله تعالى أحيا به عُقْر أمِّه. قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: لأن الله تعالى أحيا قلبَه بالإيمان. قاله قَتادةُ. **والثالث**: لأنه أحياه بين شيخٍ وعجوزٍ، قاله مُقاتلٌ. **والرابع**: لأنه حَيِيٌّ بالعلم والحكمة التي أُوتيها، قاله الزجَّاجُ. **والخامس**: لأن الله أحياه بالطاعة، فلم يَعصِ، ولم يَهمَّ، قاله الحسنُ بن الفَضْلِ.

وفي «الكلمة» قولان: **أحدهما**: أنها عيسى، وسُمِّي كَلِمَةً، لأنه بالكلمة كان، وهي «كُنْ» وهذا قول ابن عباسٍ، والحسنِ، ومُجاهدٍ، وقَتادةَ والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٍ، وقيل: إن يحيَى كان أكبرَ من عيسى بستة أشهرٍ، وقُتل يحيَى قبل رَفع عيسى. **والثاني**: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عُبيدةَ في آخرين. ووجهُهُ أن العرب تقول: أنشدني فلانٌ كلمةً، أي: قصيدةً.

وفي معنى السَّيد ثمانية أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكريم على ربِّه، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنه الحَليم التَّقيُّ، روي عن ابن عباسٍ أيضاً، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه الحَكِيم، قاله الحَسنُ وسعيدُ بن جُبيرٍ وعِكرِمَةُ وعَطاءٌ وأبو الشَّعْثاء والرَّبيعُ ومُقاتلٌ. **والرابع**: أنه الفَقيه العَالِم، قاله سعيدُ بن المُسَيّب. **والخامس**: أنه التّقي، رواه سالمٌ عن ابن جُبيرٍ. **والسادس**: أنه الحَسَن الخلُقِ، رواه أبو رَوقٍ عن الضَّحَّاكِ. **والسابع**: أنه الشَّريفُ، قاله ابن زَيدٍ. **والثامن**: أنه الذي يَفُوقُ قومَه في الخير، قاله الزجَّاجُ. وقال ابن الأنباريّ: السَّيِّد هاهنا الرَّئيس، والإمام في الخَير.

فأما «الحَصُورُ» فقال ابن قُتيبةَ: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فَعُول بمعنى مَفْعُول، كأنه مَحْصور عنهنَّ، أي: مَحبوسٌ عنهنَّ. وأصل الحَصْر: الحَبْسُ. ومما جاء على «فَعُول» بمعنى «مَفْعُول»: ركُوب بمعنى مَرْكُوب، وحَلُوب بمعنى مَحلُوب، وهَيُوب بمعنى مَهِيْب، واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النِّساء؟ على أربعة أقوال: **أحدها**: أنه لم يكن له ما يأتي به النِّساء.

[١٧٨] فروى عمرو بن العَاصِ عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ بني آدم يأتي يومَ القيامة وله ذَنْبٌ إلا

---

[١٧٨] ضعيف جداً، والصحيح موقوف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير ١/٣٦٩ من حديث عمرو بن العاص مرفوعاً. وقال ابن كثير: هذا غريب جداً، ثم كرره ابن أبي حاتم موقوفاً وهو أصح من المرفوع وأخرجه من حديث أبي هريرة اهـ. قلت وفي إسناد حديث أبي هريرة حجاج بن سليمان قال أبو زرعة: منكر الحديث. =

---

(١) البيتان لعبد قيس بن خفاف البرجمي كما ورد في «لسان العرب» مادة «بشر». وبَشَر الرجل: فرح. والبَهْش: المسارعة إلى أخذ الشيء، ورجل باهش وبهوش. والقاع: الأرض الحُرّة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها. المُمْحِل: من المَحْل الجدب وهو انقطاع المطر ويُبس الأرض.

ما كان من يحيَى بن زكريًا» قال: ثم دَلَّى رسول الله ﷺ يدَهُ إلى الأرض، فأخذ عُوداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنَّه لـم يكُن له ما للرِّجال إلا مثلَ هذا العُود، ولذلك سمَّاهُ الله سَيِّداً وحَصُوراً» وقال سعيدُ بن المُسَيَّب: كان له كالنَّواة.

والثاني: أنه كان لا ينزِل الماءَ، قاله ابن عباسٍ والضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسنُ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ. **والرابع**: أنه كان يمنع نفسَه من شهواتها، ذكره المَاوَرْدِيُّ[(١)].

قوله تعالىٰ: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ قال ابنُ الأنباريِّ: معناه: من الصَّالحي الحال عند الله.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ﴾ أي كيف يكون؟!. قال الكُمَيْتُ:

أَنَّـى ومـن أيـنَ آبَـكَ الـطَّـربُ[(٢)]

قال العلماء، منهم الحسنُ، وابنُ الأنباريِّ، وابن كَيْسَانَ: كأنه قال: من أيِّ وجهٍ يكون لي الولد؟ أيكون بإزالة العُقر عن زوجتي، ورَدِّ شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشَّكِّ، قال الزجَّاجُ: يقال: غُلامٌ بَيِّن الغُلوميَّة، وبَيِّن الغُلاميَّة، وبَيِّن الغُلومَة. قال شيخنا أبو منصورٍ اللغويّ: الغُلام: فُعَال، من الغُلْمَة، وهي شِدَّة شهوة النِّكاح، ويقال للكَهْل: غُلام. قالت ليلى الأَخْيَلِيَّة تمدح الحَجَّاجَ:

غُـلامٌ إذا هَـزَّ الـقَـنَـاة سَـقَـاهَـا[(٣)]

وكأن قولهم للكَهل: غُلام، أي: قد كان مرَّةً غلاماً. وقولهم للطِّفل: غُلام على معنى التفاؤل، أي: سيَصيرُ غلاماً. قال: وقيل: الغُلام الطار الشارب، ويقال للجارية: غُلامة. قال الشاعر[(٤)]:

يُـهَـانُ لـهَـا الـغُـلامَـةُ والـغُـلامُ

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: وقد بلغتُ الكِبَرَ، قال الزجَّاجُ: كل شيءٍ بَلَغْتَهُ فقد بَلَغَكَ. وفي سِنِّه يومئذٍ ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان ابنَ مائةٍ وعشرين سنةً، وامرأتُه بنتَ ثمانٍ وتسعينَ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه كان ابنَ بِضْعٍ وسبعين سنةً، قاله قَتادةُ. **والثالث**: ابن خمسٍ وسبعين، قاله

= انظر الميزان، ورجّح السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٢ الوقف فيه ومع ذلك هو منكر، وهو من الإسرائيليات، فإن ابن عمرو روىٰ عن أهل الكتاب، وهذا منها. وانظر «تفسير القرطبي» ١٦٦٦، ويأتي تفصيل ذلك في سورة مريم.

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٦١: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان (حصوراً). معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها، معصوم عن الفواحش والقاذورات. ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا عليه السَّلام (**هب لي من لدنك ذرية طيبة**) كأنه قال ولداً له ذرية ونسل وعقب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) صدره: من حيث لا صبوة ولا ريب.

(٣) صدره: شفاها من الداء العضال الذي بها.

(٤) هو أوس بن غلفاء الهجيمي. وصدر بيته: ومركضة صريحيّ أبوها.

مُقاتلٌ. **والرابع**: ابنَ سبعين، حكاه فُضَيلُ بن غُزْوان. **والخامس**: ابنَ خَمسٍ وستينَ. **والسادس**: ابنَ ستينَ، حكاهما الزجّاجُ. قال اللغويون: والعاقِرُ من الرِّجال والنِّساء: الذي لا يأتيه الوَلَدُ، وإنما قال: «عَاقِر» ولم يقُل: عَاقِرَة، لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث، والمُذَكّر فيه كالمُستعار، فأُجرِيَ مجرى «طالق» و«حائض»، هذا قول الفَرَّاءِ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: عَلامةً على وجود الحَمْل. وفي عِلَّة سؤاله «آية» قولان: **أحدهما**: أن الشيطان جاءه، فقال: هذا الذي سمعتَ من صوت الشيطان، ولو كان من وَحي الله، لأوحَاه إليكَ، كما يُوحي إليكَ غيرَه، فسأل الآيةَ، ذكره السُّدِّيُّ عن أشياخه. **والثاني**: أنه إنما سأل الآيةَ على وجود الحَمْل ليُبادر بالشكر، وليتَعجَّل السرور، لأن شأن الحَمْل لا يتحقَّقُ بأوَّله فجعل الله آية وجود الحَمْل حَبْس لسانه ثلاثة أيام. فأما «الرَّمزُ» فقال الفَرَّاءُ: الرَّمز بالشَّفتين، والحَاجبَين، والعَيْنَين، وأكثره في الشَّفتين. قال ابن عباسٍ: جعل يُكلِّم الناسَ بيده، وإنما مُنع من مخاطبة الناس ولم يُحبس عن الذِّكر لله تعالىٰ. وقال ابن زيدٍ: كان يذكُرُ الله، ويُشير إلى الناس. وقال عَطاءُ بن السَّائِبِ: اعتُقِلَ لسانُه من غير مرضٍ. وجمهور العلماء على أنه إنما اعتُقِلَ لسانُه آيةً على وجود الحَمْلِ. وقال قَتادةُ، والرَّبيعُ بن أنسٍ: كان ذلك عقوبةً له إذ سأل الآيةَ بعد مُشافَهَةِ الملائكة بالبِشارَة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ﴾ قال مُقاتلٌ: صَلِّ. قال الزجّاج: يقال: فَرَغتُ من سُبحَتي، أي: من صَلاتي. وسُمّيت الصلاة تسبيحاً، لأن التَّسبيح تعظيمُ الله، وتَبرئَتُه من السوء، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يُبرِّئه من السُّوء. قوله تعالىٰ: ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ العَشِي: من حين نُزول الشمس إلى آخر النهار ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ ما بين طُلوع الفجر إلى وقت الضُّحى: قال الشاعر:

فلا الظِّلَّ في بَردِ الضُّحى تَستَطِيعهُ　　ولا الفَيءَ من بَردِ العَشِيِّ يَذُوقُ

قال الزجّاجُ: يقال: أَبكَرَ الرجلُ يُبْكِر إبكَاراً، وبَكَّرَ يُبَكِّرُ تَبْكِيراً، وبَكَرَ يَبكُرُ في كل شيء تقدّم فيه.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾، قال جماعةٌ من المفسرين: المراد بالملائكة: جِبريلُ وحده، وقد سبق معنى الاصطفاء. وفي المُراد بالتَّطهير هاهنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التَّطهير من الحَيْض، قاله ابن عباسٍ. وقال السُّدِّيُّ: كانت مريمُ لا تحيضُ. وقال قومٌ: من الحَيْضِ والنِّفاس. **والثاني**: مِنْ مَسِّ الرجال، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: من الكُفر، قاله الحَسنُ ومُجاهدٌ. **والرابع**: من الفَاحشة والإثم، قاله مُقاتلٌ. وفي هذا الاصطفاء الثاني أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه تأكيدٌ للأول. **والثاني**: أن الأوّل للعبادة. والثاني لولادة عيسى عليه السلام. **والثالث**: أن الاصطفاء الأوّل اختيارٌ مبهم، وعمومٌ يدخل فيه صَوالِحُ من النساء، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها على نساءِ العَالمين. **والرابع**: أنه لما أطلق الاصطفَاء الأول، أَبَانَ بالثاني أنها مُصْطَفَاةٌ على النساء دون الرجال. قال ابن

عباسٍ، والحَسَنُ، وابن جُريج: اصطفاها على عَالَمِي زمانها. قال ابن الأنباريّ: وهذا قول الأكثرين.

﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ قد سبق شرح القُنوت في «البقرة»، وفي المُراد به هاهنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه العبادة، قاله الحسَنُ. **والثاني**: طُول القيام في الصلاة، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: الطاعة، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ. **والرابع**: الإخلاص، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن الواو لا تقتضي التَّرتيب، وإنما تؤذن بالجمع، فالركوع مقدَّمٌ، ذَكَرَهُ الزجَّاجُ في آخرين. **والثاني**: أن المعنى استعمِلي السجودَ في حالٍ، والركوعَ في حالٍ، لا أنهما يجتمعان في رَكعةٍ، فكأنه حَثٌّ لها على فِعل الخير. **والثالث**: أنه مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ، والمعنى: اركعي واسجُدي، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[1] ذكرهما ابن الأنباريّ. **والرابع**: أنه كذلك كان في شريعتهم تقديمُ السُّجود على الرُّكُوع، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قال مُقاتلٌ: ومعناه اركَعي مع المُصلِّين قُرَّاءِ بيت المَقدس. قال مُجاهدٌ: سَجدَتْ حتى قَرحَتْ.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ «ذلك» إشارةٌ إلى ما تقدَّم من قِصَّة زكريا، ويحيَى، وعيسَى، ومريمَ. والأنباءُ: الأخبار. والغَيْبُ: ما غَابَ عنكَ. والوَحيُ: كل شيءٍ دَلَلْتَ به من كلامٍ أو كتابٍ، أو إشارةٍ، أو رسالةٍ، قاله ابن قُتيبةَ. والوَحيُ في القرآن على أوجُهٍ تراها في كتابنا المَوسُوم بـ «الوجوه والنظائر» مُونَّقةً. وفي الأقلاَم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها التي يُكتب بها، قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنها العِصِيُّ، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ. **والثالث**: أنها القِداحُ، وهو اختيار ابن قُتيبةَ، وكذلك قال الزجَّاجُ: هي قِدَاحٌ جَعلوا عليها عَلاماتٍ يعرفُونها على جهة القُرعَة. وإنما قيل للسَّهم: القَلَم، لأنه يُقلَّم، أي: يُبْرَى. وكل ما قَطَعتَ منه شيئاً بعد شيءٍ، فقد قَلَّمْتَه، ومنه القَلَم الذي يُكتب به، لأنه قُلِّم مرةً بعد مرةٍ، ومنه: قَلَّمْتُ أظفاري. قال: ومعنى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ لينظروا أيُّهم تَجبُ له كَفالَةُ مَرْيَمَ، وهو الضمان للقيام بأمرها. ومعنى ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندَهم. وقد سبَقَ شرحُ كَفالَتِهم لها آنفاً.

وفي المراد بالكَلِمَة هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه قولُ الله لهُ: «كُن» فكانَ، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنها بِشارةُ الملائكة مريَم بعيسى، حكاه أبو سُليمانَ. **والثالث**: أن الكلمة اسمٌ لعيسَى، وسُمِّي كَلِمَةً، لأنه كان عن الكَلِمَةِ. وقال القاضي أبو يَعلَى: لأنه يُهتدى به كما يُهتدى بالكَلِمَة مِنَ الله تعالىٰ. وفي تسميته بالمَسِيح ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه لم يكن لقَدَمِه أَخْمَص، والأَخْمَصَ: ما يتجافى عن الأرض من القَدَم، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه كان لا يمسح بيده ذا عَاهَة إلا بَرأَ، رواه

(١) آل عمران: ٥٥.

الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه مسحَ بالبَرَكَة، قاله الحَسنُ، وسعيدٌ. **والرابع**: أن معنى المَسِيْح: الصِّدِّيق؛ قاله مُجاهدٌ، وإبراهيمُ النَّخعيّ، وذكره اليَزيدِيُّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: ومعنى هذا أن الله مَسَحه، فطهَّره من الذنوب. **والخامس**: أنه كان يمسَحُ الأرضَ أي: يَقْطَعُهَا، ذكرَهُ ثَعْلَبٌ. وبيانه: أنه كان كثير السياحةُ. **والسادس**: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عُبيدٍ: المَسيحُ في كلام العرب على مَعنَيين: **أحدهما**: المَسيحُ الدَّجَّال، والأصل فيه: المَمْسُوح، لأنه ممسُوحُ أَحَدِ العَينين. والمسيحُ عيسى، وأصلهُ بالعبرانية «مَشِيْحَا» بالشين، فلما عرَّبَتهُ العربُ، أبدلَت من شينه سيناً، كما قالوا: موسى، وأصله بالعبرانية مُوشَى. قال ابنُ الأنباريّ: وإنما بدأ بلَقبه، فقال: المسيحُ عيسى ابن مَرْيَمَ، لأن المَسيح أشهر من عيسى، لأنه قلَّ أن يقعَ على سَمِيٍّ يشتَبه به، وعيسى قد يقع على عددٍ كثيرٍ، فقدَّمه لشهرته، ألا ترى أن ألقاب الخُلفاء أشهر من أسمائهم. فأما قوله: عيسى ابن مريم، فإنما نسبَهُ إلى أُمِّه لينفيَ ما قاله عنه المُلحِدُون من النَّصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالىٰ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَجِيهًا﴾ قال ابن زيدٍ: الوَجِيهُ في كلام العرب: المُحَبَّبُ المَقبُول. وقال ابن قُتيبةَ: الوَجِيْهُ: ذو الجَاه. وقال الزجَّاجُ: هو ذو المَنزلَة الرَّفيعة عند ذوي القَدْرِ والمَعرفة، يُقال: قد وَجُهَ الرجل يَوْجُه وَجَاهَةً، ولفُلانٍ جَاهٌ عند الناس، أي: مَنزلةٌ رفيعةٌ. قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ قال قَتادةُ: عند الله يومَ القيامة. والمَهْدُ: مَضجع الصَّبيّ في رَضَاعه، وهو مأخوذ من التَّمهيد، وهو التَّوطِئَة. وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان: **أحدهما**: لِتَبرئَة أُمِّه مما قُذِفَتْ به. **والثاني**: لتحقيق معجزته الدَّالة على نُبوَّته. قال ابن عباسٍ: تكلم ساعةً في مَهْدِهِ، ثم لم يتكلم حتى بلغَ مبلَغَ النُّطق. ﴿وَكَهْلًا﴾ قال: ابن ثلاثين سنةً أرسله الله تعالىٰ، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رَفَعَهُ الله. وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سَنَةٍ؛ فمكث في نبوته ثلاثَ سنين، ثم رَفَعَهُ الله. وقال ابن الأنباريّ: كان عليه السلام قد زاد على الثلاثين، ومن أَرْبَى عليها، فقد دخل في الكُهُولة. والكَهْلُ عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سُمِّي الكَهْلُ كَهْلاً، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قد اكتَهَلَ النَّبَاتُ. وقال ابن فارسٍ: الكَهْلُ: الرجل حين وخطَهُ الشَّيب. فإن قيل: فقد عُلم أن الكَهْل يتكلَّم، فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أن هذا الكلام خرج مخرجَ البِشَارة بطُول عُمره، أي: أنه يبلغ الكهُولة، وقد رُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: ﴿وَكَهْلًا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء. **والثاني**: أنه أخبرهم أن الزمان يُؤَثِّر فيه، وأن الأيام تنقله من حالٍ إلى حالٍ، ولو كان إلهاً لَمْ يَدْخُلْ عليه هذا التَّغير، ذكره ابن جريرٍ الطَّبَريّ. **والثالث**: أن المراد بالكَهْل: الحَلِيم، قاله مُجاهدٌ.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ في عِلَّة قولها هذا قولان: **أحدهما**: أنها قالت هذا تَعجُّباً واستفهاماً، لا شَكّاً وإنكاراً، على ما أشرنا إليه في قصة زكريّا، وعلى هذا الجمهور. **والثاني**: أن الذي خاطبها كان جِبريلُ، وكانت تظنُّه آدمياً يُريد بها سُوءاً، ولهذا قالت: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ فلما بَشَّرها

لم تتيقَّن صحَّةَ قولِهِ، لأنها لم تَعلَمْ أنه مَلَكٌ، فلذلكَ قالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾، قاله ابنُ الأنباريِّ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: ولم يَقْرَبْنِي زَوجٌ. والمَسُّ: الجِمَاعُ، قاله ابن فارِس. وسمِّي البَشَرُ بَشَراً، لظُهورِهِم، والبَشَرَةُ: ظاهرُ جلد الإنسان، وأَبْشَرَت الأَرضُ: أخرجَت نباتَها. وبَشَرْتُ الأَديمَ: إذا قَشَرت وَجْهَه، وتَباشِيرُ الصُّبح: أوائله. قال: يعني جِبريل: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بسببٍ، وبغير سببٍ. وباقي الآية مفسَّرٌ في «البقرة».

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ قرأ الأكثرون «ونُعلمه» بالنون. وقرأ نافعٌ، وعَاصمٌ بالياء، فعطفاه على قوله «يبشرك». وفي الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه كُتُبُ النَّبيين وعِلمُهم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الكتابة، قاله ابنُ جُريجٍ ومُقاتلٌ. قال ابن عباسٍ: والحِكمَة الفِقْهُ وقضاء النَّبيين.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَسُولًا﴾ قال الزجَّاجُ: ينتَصبُ على وجهين: **أحدهما**: ونجعَلهُ رسولاً، والاختيار عندي: ويُكلِّمُ النَّاسَ رسولاً.

قوله تعالىٰ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾ قرأ الأكثرون «أنّي» بالفتح، فجعلوها بَدَلاً من آيةٍ، فكأنه قال: قد جئتكم بأنّي أخلُقُ، وقرأ نافعٌ بالكسر، قال أبو عليٍّ[1]: يحتمل وجهين: **أحدهما**: أن يكون مُستأنَفاً. **والثاني**: أنه فسَّر الآيةَ بقوله: إني أَخْلُقُ، أي: أُصَوِّر وأقدر. قال ابن عباسٍ: أخذ طيناً، وصنع منه خفّاشاً، ونفخ فيه، فإذا هو يَطيرُ، ويقال: لم يصنع غيرَ الخفَّاش، ويقال: إنَّ بني إسرائيل نَعَتُوه بذلك؛ لأنَّ الخفَّاش عجيبة الخَلْق. ورُوي عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفَّاش. فسألوه أشدَّ الطير خَلْقاً، لأنه يطير من غير ريشٍ. وقال وَهْبٌ: كان الذي صنَعه يطير ما دام النَّاس ينظُرُونَه، فإذا غابَ عن أعينُهم، سَقط مَيتاً، ليتميَّز فعلُ الخَلْقِ من فعل الخَالِقِ. والأكثرون قرؤوا ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وقرأ نافعٌ هاهنا وفي (المائدة) «طائراً» قال أبو عليٍّ: حُجَّة الجمهور قوله تعالىٰ: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ولم يقل: كهيئة الطائر. ووُجهَة قراءة نافعٍ، أنه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلُقُه، طائراً.

وفي «الأَكْمَهِ» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي يُولَدُ أعمَى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وسعيدٌ عن قَتادةَ، وبه قال اليَزيدِيُّ، وابنُ قُتيبةَ، والزجّاجُ. **والثاني**: أنه الأَعمَى، ذكره ابن جُريجٍ عن ابن عباسٍ، ومَعْمَرٌ عن قَتادةَ، وبه قال الحَسنُ، والسُّدِّيُّ، وحكى الزجَّاجُ عن الخَليلِ أن الأَكْمَهَ: هو الذي يُولد أَعمَى، وهو الذي يُعْمَى، وإن كان بصيراً. **والثالث**: أنه الأَعمَشُ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنه الذي يُبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مُجاهدٌ والضَّحَّاكُ.

---

(١) هو الفارسي النحوي صاحب كتاب «الحلبيات» في اللغة والأدب.

والأَبْرَصُ: الذي به وَضَحٌ. وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام، علمُ الطّب، فأراهم المُعجزة من جنس ذلك، إلا أنه ليس في الطب إبراءُ الأكمَه والأبرصَ، وكان ذلك دليلاً على صِدْقِه. قال وَهْبٌ: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يُداويهم بالدُّعاء. وذكر المفسرون أنه أحيا أربعةَ أنفسٍ من المَوتَى. وعن ابن عباسٍ: أن الأربعةَ كلَّهم بقيَ حتى وُلِدَ لهُ، إلا سامَ بن نُوح.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ قال سعيدُ بن جُبيرٍ: كان عيسى إذا كان في المَكتب يُخبرهم بما يأكلون، ويقول للغُلام: يا غُلام إن أهلَكَ قد هَيَّأوا لكَ كذا وكذا من الطعام فتُطعِمُني منه؟ وقال مُجاهدٌ: بما أكلتُم البارحةَ، وبما خَبَّأتُم منه. وعلى هذا المفسرون، إلا أن قَتادةَ كان يقول: وأُنبِّئُكم بما تأكلون من المَائدة التي تُنزل عليكم، وما تَدَّخِرُونَ منها، وكان أَخذَ عليهم أن يأكُلوا منها، ولا يَدَّخِروا، فلما خَانُوا، مُسِخُوا خَنازيرَ.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قال الزجّاجُ: نَصَبَ «مصدقاً» على الحَال، أي: وجئتُكم مُصَدِّقاً ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال قَتادةُ: كان قد حَرَّمَ عليهم موسى الإبلَ والثروبَ[1] وأشياءَ من الطَّير، فأحَلَّها عيسى. قوله تعالىٰ: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: بآياتٍ تعلمون بها صِدْقِي؛ وإنما وَحَّدَ، لأنَّ الكُلَّ من جنسٍ واحدٍ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: مِنْ عندِ ربِّكم.

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: عَلِمَ. قال شيخُنا أبو منصورٍ اللُّغويُّ: يُقال: أَحسَسْتُ بالشيء، وحَسَسْتُ به، وقول الناس في المَعلومات «مَحْسُوسَات» خطأ، إنما الصواب «المُحَسَّات» فأما المَحسُوسَات، فهي المَقتُولات، يُقال: حَسَّهُ: إذا قَتَلَهُ. والأَنْصار: الأَعْوَان. و«إلى» بمعنى «مع» في قول الجماعة، قال الزجّاجُ: وإنما حَسُنَتْ في موضع «مع» لأنَّ «إلى» غايةٌ و«مع» تضمُّ الشيءَ بالشيء. قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يكون المعنى: مَنْ أنصاري إلى أن أُبيِّنَ أمرَ الله. واختلفوا في سبب استنصاره بالحَوَاريّين، فقال مُجاهدٌ: لما كَفَرَ به قومُه، وأرادوا قتلَه، استنصر الحَوَاريّينَ. وقال غيره: لما كفر به قومه، وأخرجوه من قريتهم، استنصَر الحَواريّينَ. وقيل: استنصَرَهُم، لإقامة الحق، وإظهار الحُجَّة. والجمهور على تشديد «ياء» الحَواريّين. وقرأ الجُونيُّ، والجُحدُريُّ، وأبو حَيْوَة: الحَوارِيُون بتخفيف الياء.

وفي معنى الحَواريّين أقوالٌ: **أحدها**: أنهم الخَواصُّ الأَصفِيَاء، قال ابن عباسٍ: الحَوارِيُّون: أَصفياءُ عيسى. وقال الفَرّاءُ: كانوا خاصّة عيسى. وقال الزجّاجُ: الحَواريُّون في اللغة: الذين أخلَصُوا،

(١) في «اللسان»: الثَّرْبُ: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، وجمعه ثروب.

ونَقُوا من كل عيْبٍ، وكذلك الدَّقيقُ: الحُوَّاريّ، إنما سُمِّي بذلك، لأنه يُنقى من لُبَاب البُرّ وخالصه. قال حُذَّاقُ اللغويين: الحَوارِيُّون: صفوةُ الأنبياء الذين خَلُصُوا وأَخْلَصُوا في تصديقهم ونُصرتهم. ويقال: عينٌ حَورَاء: إذا اشتدَّ بياضُها، وخَلُصَ، واشتدَّ سوادُها، ولا يُقال: امرأةٌ حَوراء، إلا أن تكونَ مع حَوَرِ عينها بَيْضَاءَ. **والثاني**: أنهم البِيْضُ الثياب، روى سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ أنهم سُمُّوا بذلك، لِبَيَاضِ ثيابهم. **والثالث**: أنهم القَصَّارُون، سُمُّوا بذلك، لأنهم كانوا يُحَوِّرون الثياب، أي: يُبَيِّضُونها. قال الضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ: الحَوارِيُّون: هم القَصَّارُون. قال اليَزيديُّ: ويقال للقصَّارين: الحَوارِيُّون، لأنهم يُبَيِّضُون الثياب، ومنه سُمِّي الدقيق: الحُوَّاريّ، والعَينُ الحَورَاء: النَّقِيَّةُ المَحَاجِرِ. **والرابع**: الحَوارِيُّون: المُجَاهِدُون. وأنشدوا:

ونحنُ أناسٌ يَمْلأُ البِيْضَ هامُنا ... ونحنُ حَوارِيُّونَ حينَ نُزاحِفُ
جَماجِمُنا يومَ اللِّقاءِ تِراسُنا ... إلى الموت نَمشي ليسَ فينَا تَحانُفُ[(١)]

والخامس: الحَوارِيُّون: الصَّيَّادون. **والسادس**: الحَوارِيُّون: المُلوك[(٢)]، حكى هذه الأقوال الثلاثة ابنُ الأنباريّ. قال ابن عباسٍ: عدد الحَوارِيّين اثنا عشرَ رجلاً. وفي صناعتهم قولان: **أحدهما**: أنهم كانوا يصطادون السمك رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم كانوا يغسلون الثياب، قاله الضَّحَّاكُ، وأبو أَرْطَأة.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ هذا قول الحَوارِيّين. والذي أَنْزَلَ: الإنجيل. والرّسول: عيسى. وفي المراد بالشّاهدين خمسة أقوال: **أحدها**: أنهم محمَّدٌ ﷺ، وأُمَّتُه، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ، رواه عِكرِمَةُ عن ابن عباسٍ[(٣)]. **والثاني**: أنهم مَنْ آمن قبلهم من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهم الأنبياء، لأن كلَّ نبيّ شاهدُ أُمَّتِه، قاله عَطاءٌ. **والرابع**: أن الشَّاهِدِين: الصَّادقون، قاله مُقاتلٌ. **والخامس**: أنهم الذين شهدوا للأنبياء بالتَّصديق. فمعنى الآية: واعتَرفنا فاكتُبْنَا مع من فَعَلَ فِعْلَنَا، هذا قول الزجّاج.

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ قال الزجّاجُ: المَكْرُ من الخَلْق: خُبْثٌ وخِداعٌ، ومن الله عزَّ وجلَّ: المُجَازَاة، فسُمِّي باسم ذلك، لأنه مُجازَاةٌ عليه، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[(٤)]، ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) في «اللسان»: الحَنَفُ: الاعوجاج في الرِّجْل.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٦٥: والصحيح أن الحواري الناصر كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «لكل نبي حواريّ وحواري الزبير».

(٣) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٦٥: قوله ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع أمة محمد ﷺ أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس. وهذا إسناد جيد اهـ.
ـ قلت: ولعل الراجح قول الزجاج وهو الأخير، فإنه عامّ شامل.

(٤) البقرة: ١٥.

خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، لأن مكْرَه مُجازَاةٌ، ونَصْرٌ للمؤمنين. قال ابن عباسٍ: ومَكْرهُم، أن اليهود أرادوا قتلَ عيسى، فدخل خوخة[١]، فَدخَلَ رجل منهم، فأُلقي عليه شَبَهُ عيسى، ورُفع عيسى إلى السماء، فلما خرج إليهم، ظَنُّوه عيسى، فقتلوه.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ قال ابن قُتيبة: التَّوفِّي، من استِيفاء العَدَد يقال: تَوَفَّيتُ، واستوفَيْتُ، كما يقال: تَيَقَّنْتُ الخَبَرَ، واستَيْقَنْتُهُ، ثم قيل للموت: وفاةٌ، وتَوَفٍّ. وأنشد أبو عُبيدة[٢]:

إنَّ بَـنـي الأدْرَدِ لَـيْـسُـوا مِـنْ أَحَـدْ لَـيْـسُـوا إلى قَـيْـسٍ ولَـيْـسُـوا مِـنْ أَسَـدْ
وَلا تُـوَفَّـاهُـم قُـرَيْـشٌ فـي الـعَـدَدْ

أي: لا تجعلهم وفاءً لعددها، والوفاء: التَّمام. وفي هذا التَّوَفِّي قولان: **أحدهما**: أنه الرَّفع إلى السماء. **والثاني**: أنه الموت. فعلى القول الأول يكون نَظْمُ الكلام مُستقيماً من غير تقديم ولا تأخيرٍ، ويكون معنى «مُتَوَفِّيكَ» قابضُك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحَسنِ، وابن جُريجٍ، وابن قُتيبةَ، واختاره الفَرَّاءُ. ومما يشهَد لهذا الوجه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[٣]، أي: رَفَعْتَني إلى السماء من غير موتٍ، لأنهم إنما بدَّلوا بعد رفعه، لا بعد موته. وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: إنِّي رافعُكَ إليَّ ومُطهِّرك من الذين كفروا، ومُتَوَفِّيكَ بعد ذلك، هذا قول الفَرَّاء، والزَّجَّاجُ في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتَّوَفِّي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته[٤]. قال سعيدُ بن المُسَيَّب: رُفع عيسى وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً. وقال مُقاتلٌ: رُفع من بيت المَقدس ليلةَ القَدْر في رمضانَ. وقيل: عاشت أمُّهُ مريمُ بعد رفعه ستَّ سنينَ. ويقال: ماتت قبل رَفْعه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه رَفَعَه من بين أَظْهُرِهِم. **والثاني**: مَنَعَهُم من قَتْله[٥]. وفي الذين اتبعوه قولان: **أحدهما**: أنهم مسلمون من أُمَّة محمَّدٍ عليه السلام، لأنهم صدَّقوا بنبوَّته، وأنه رُوح الله وكَلِمَتُه، وهذا قول قتادةَ، والرَّبيعِ، وابن السَّائِبِ. **والثاني**:

---

(١) في «اللسان»: الخوخة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب.
(٢) الرجز لمنظور الوبري. انظر «اللسان» مادة (وفي).
(٣) المائدة: ١١٧.
(٤) قال ابن كثير رحمه الله ١/٣٦٦: قال الأكثرون: المراد بالوفاة هٰهنا النوم، كما قال تعالى: **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾**. وقال تعالى: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾**. وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا» الحديث. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال: في قوله تعالى: **﴿إني متوفيك﴾** يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة».
(٥) وقع في المطبوع: قبله، والتصويب من «تفسير الماوردي» ١/٣٩٧.

أنهم النَّصارى، فهُم فوقَ اليهود، واليهود مُستَذَلُّون مَقهُورون، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يعني الدِّين.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: همُ اليهود والنَّصارى. وعذابُهم في الدنيا بالسَّيف والجِزْيَة، وفي الآخرة بالنَّار.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بالنون، وقرأ الحسنُ، وقَتادةُ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: «فيوفيهم» بالياء معطوفاً على قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يعني ما جرى من القَصَص. ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾ يعني الدَّلالات على صحة رسالتك، إذ كانت أخباراً لا يَعْلَمُها أميٌّ. ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قال ابن عباسٍ: هو القرآن. قال الزجَّاجُ: معناه: ذو الحِكْمَة في تأليفه ونظمه، وإبَانَة الفوائد منه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية، مُخَاصَمة وفد نَجْرانَ من النَّصارى للنبيِّ ﷺ، في أمر عيسى، وقد ذكرناه في أول السورة[1]. فأما تَشْبِيهُ عيسى بآدم، فلأنهما جميعاً من غير أبٍ.

وقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: آدم. قال ثَعلبٌ: وهذا تفسيرٌ لأَمْرِ آدم. وليس بِحَالٍ.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ﴾ يعني لآدم، وقيل لعيسى ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فكان: فأُريد بالمُستقبل الماضي، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[2] أي: ما تَلَتْ.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الحقُّ مرفوعٌ على خبرِ ابتداءٍ محذوفٍ، المعنى: الذي أنبأتُكَ به في قصة عيسى الحقُّ من ربِّكَ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشَّاكِّين. والخطاب للنبيِّ خطابٌ للخلْق، لأنه لم يَشُك.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ في هاء «فيه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى عيسى. **والثاني**:

---

(١) تقدم برقم ١٥٣.

(٢) البقرة: ١٠٢.

إلى الحق. والعِلمُ: البيان والإيضاح.

قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ قال ابن قُتيبة: تَعَالَ: تَفاعَل، من عَلَوتُ، ويقال للاثنين من الرجال والنساء: تَعَالَيَا، وللنساء: تَعَالَينَ. قال الفَرَّاء: أصلها من العُلُوّ، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة «هَلُمّ» حتى استجازوا أن يقولوا للرجل، وهو فوق شُرُفٍ: تَعالَ، أي: اهبط. وإنما أصلها: الصُّعود. قال المفسرون: أراد بأبنائنا: فاطمة، والحَسن، والحُسين. وروى مسلمٌ في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقَّاصٍ قال:

[١٧٩] لما نزلت هذه الآية ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عَلّياً وفاطمةَ وحَسَناً وحُسيناً فقال: «اللهُمّ هؤلاءِ أهلي».

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أراد عليَّ بن أبي طالبٍ، قاله الشَّعبيُّ. والعرب تخبر عن ابن العَمّ بأنه نفسُ ابن عمه. **والثاني**: أراد الأخوان، قاله ابن قُتيبةَ. **والثالث**: أراد أهلَ دِينه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. **والرابع**: أراد الأزواج. **والخامس**: أراد القَرابة القريبة، ذكرهما عليُّ بن أحمدَ النَّيسابوريّ. فأما الابتِهَال، فقال ابن قُتيبةَ: هو التَّداعي باللَّعْن، يُقال: عليه بَهْلَةُ الله، وبُهْلَته، أي: لَعْنَته. وقال الزجّاجُ: معنى الابتهال في اللغة: المُبالغة في الدُّعاء وأصله: الالتِعَان، يُقال: بَهلَه الله، أي: لَعَنَه. وأمر بالمُبَاهلة بعد إقامة الحُجّة.

[١٨٠] قال جابرُ بن عبد الله: قَدِمَ وفدُ نَجْرَانَ فيهم السَّيد والعَاقِبُ فذكر الحديث.. إلى أن قال: فدَعَاهُما إلى المُلاعنة، فواعداه أن يُغادِيَاهُ، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمةَ والحَسنِ والحُسينِ، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يُجيباهُ، فأقَرّا له بالخَراجِ فقال: «والذي بَعَثني بالحقّ لو فَعَلا لأُمطِرَ الوادي ناراً»

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الزجّاجُ: دَخَلَتْ «مِن» هاهنا توكيداً ودليلاً على نفي جميع ما ادَّعى المُشركون مِنَ الآلهة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: عن المَلاعنة، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أنه عن البيان الذي أتى به النبيُّ ﷺ، قاله الزجّاجُ. **والثالث**: عن الإقرار بوحدانية الله، وتَنْزِيهِه عن الصَّاحبَة والوَلَد، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وفي الفَساد هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه العمل بالمعاصي، قاله

---

[١٧٩] صحيح. أخرجه مسلم ٢٤٠٤ والترمذي ٢٩٩٩ والحاكم ٣/١٤٧ من حديث سعد، وفيه قصة. انظر «تفسير الشوكاني» ٥٠٤.

[١٨٠] أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ٢٤٤ والواحدي ٢٠٩ من حديث جابر، وفيه بشر بن مهران الخصاف، قال ابن أبي حاتم: ترك أبي حديثه وفيه أيضاً محمد بن دينار، وهو ضعيف. وقد جعل الواحدي كلام جابر الأخير من كلام الشعبي، ويؤيد ذلك هو أن الحاكم أخرج حديث جابر ٢/٥٩٣ دون كلام جابر. وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

مُقاتلُ. **والثاني**: الكُفر، قاله أبو سليمان الدِّمشقيُّ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله قَتادةُ، وابن جُريج، والرَّبيعُ بن أنس. **والثاني**: وَفْدُ نَجْرَان الذين حاجُّوا في عيسى، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتلٌ. **والثالث**: أَهْل الكِتَابَين جميعاً[1]، قاله الحسنُ.

[١٨١] وقال ابنُ عباسٍ: نزلت في القِسِّيسِينَ والرُّهبَان، فبعث بها النبيُّ ﷺ إلى جعفرَ وأصحابه بالحَبَشة. فقرأها جعفرُ، والنَّجاشِيُّ جالسٌ، وأشرافُ الحَبَشة.

فأمّا «الكلمة» فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله. فإن قيل: فهذه كلماتٌ، فلِمَ قال كلمة؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أن الكلمة تُعَبِّر عن ألفاظٍ وكلماتٍ. قال اللُّغويُّون: ومعنى كلمة: كلامٌ فيه شَرْحُ قصةٍ وإنْ طالَ، تقول العرب قال زُهيرٌ في كلمته يُراد في قصيدته: قالت الخَنْسَاءُ:

وقَـافِـيَـةٍ مِـثْـلِ حـدِّ الـسِّـنَـا ... نِ تَـبْـقَـى ويَـذهَـبُ مَـنْ قَـالَـهَـا
تُـقَـدُّ الـذُّؤابَـةُ مِـن يَـذبُـلٍ ... أَبَـتْ أَنْ تُـزايـلَ أوعَـالَـهَـا[2]
نَـطَـقْـتَ ابـنَ عَـمـرٍو فَـسَـهَّـلْـتَـهـا ... ولَـمْ يَـنْـطِـقِ الـنَّـاسُ أمـثَـالَـهـا

فأوقعت القافيةَ على القصيدة كلِّها، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمةٍ، من البيت، وإنما سُمِّيت قافيةً، لأن الكلمةَ تَتبَعُ البيتَ، وتقعُ آخرَه، فسُمِّيت قافية، من قول العرب: قَفَوتُ فُلاناً: إذا اتَّبعْتهُ، وإلى هذا الجواب يذهب الزجّاجُ وغيره.

والثاني: أن المراد بالكلمة: كلماتٌ، فاكتفى بالكلمة من كلماتٍ كما قال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة:

بـهـا جِـيَـفُ الـحَـسـرى فـأمّـا عِـظـامُـهـا ... فَـبِـيْـضٌ وأمّـا جِـلْـدُهَـا فَـصَـلِـيْـبُ

أراد: وأما جُلودها، فاكتفى بالواحد من الجمع، ذكره والذي قبلَه ابنُ الأنبَاريّ.

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال الزجّاجُ: يعني بالسَّواء العَدْل، وهو من استواء الشيء، ويقال: للعَدْل سَواء وسُوَاء وسِواء. قال زُهيرُ بن أبي سُلْمَى:

أَرُونِـي خُـطَّـةً لا ضَـيـمَ فِـيـهـا ... يُـسَـوِّي بـيـنَـنـا فِـيـهَـا الـسَّـوَاءُ
فـإن تَـرَكَـا الـسَّـوَاءَ فـلـيـسَ بَـيـنـي ... وبـيـنَـكُـمُ بَـنـي حِـصْـنٍ بَـقَـاءُ

قال: وموضوع «أن» في قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خُفض على البَدَل من «كلمة» المعنى:

---

[١٨١] لم أقف له على إسناد، وهو غريب جداً، ويأتي في مطلع سورة مريم شيء من هذا.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ١/ ٣٧١: هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم.

(٢) في «اللسان» سنان الرمح: حديدته لصقالتها، وملاستها. القد: القطع المستأصل والشق طولاً. الذؤابة: ذؤابة كل شيء أعلاه. يَذبل: جبل في أقصى أرض بني كلاب. تزايل: من تَزَيَّل: تفرّق.

تعالَوا إلى أنْ لا نعبدَ إلا الله. وجائزٌ أن يكون «أن» في موضوع رَفعٍ، كأنَّ قائلاً قال: ما الكلمة؟ فأُجيب، فقيل: هي ألاّ نعبد إلا الله.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه سجودُ بعضهم لبعضٍ، قاله عِكرمةُ. **والثاني**: لا يُطيع بعضُنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جُريجٍ. **والثالث**: لا نجعلُ غيرَ الله ربّاً، كما قالت النَّصارى في المَسيح، قاله مُقاتلٌ والزجّاجُ.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾. قال ابن عباسٍ والحسنُ والسُّدِّيُّ:

[١٨٢] اجتمع عند النبيِّ ﷺ نصارى نَجرانَ، وأحبارُ اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيمُ إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانياً. فنزلت هذه الآية.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ «هأنتم» مثل: هَعَنتُم، فأبدل من همزةِ الاستفهام «الهاء» أراد: أأنتم. وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو «هَانتُم» ممدوداً استفهامٌ بلا هَمزةٍ، وقرأ عَاصمٌ، وابن عامِر، وحَمزةُ، والكِسائيُّ، «ها أنتم» ممدوداً مهموزاً ولم يختلفوا في مدِّ «هؤلاء» و«أولاء».

قوله تعالىٰ: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ما رَأَوا وعَاينوا قاله قَتادةُ. **والثاني**: ما أُمروا به ونُهوا عنه، قاله السُّدِّيُّ. فأما الذي ليس لهم به علمٌ، فهو شأن إبراهيمَ عليه السلام. روى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ أنه كان بين إبراهيمَ ومُوسى، خمسمائة وخمسٌ وسبعون سنةً. وبين مُوسى وعيسى ألفٌ وستمائةٍ واثنتان وثلاثون سنةً[١]. وقال ابن إسحاقَ: كان بين إبراهيمَ وَموسى خمسمائةٍ وخمسٌ وستون سنةً، وبين موسى وعيسى ألفٌ وتسعمائةٍ وخمسٌ وعشرون سنةً. وقد سبق في «البقرة» معنى الحَنيف.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

---

[١٨٢] أثر ابن عباس أخرجه الطبري ٧١٩٨ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لجهالة محمد، شيخ ابن إسحاق.
ـ وأثر السدي أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٢/ ٧٢ وهذا مرسل.
ـ وأثر الحسن لم أره مسنداً، وإنما ذكره الواحدي ٢١٤ بدون إسناد.

---

(١) هذه الأقوال مصدرها الإسرائيليات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾، في سبب نزولها قولان:

[١٨٣] **أحدهما**: أن رؤساء اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ: لقد علمتَ أنّا أَوْلى بدين إبراهيمَ منكَ، وأنه كان يهودياً، وما بكَ إلا الحَسَدُ، فنزلت هذه الآية. ومعناها: أحقُّ النَّاس بدين إبراهيمَ، الذين اتَّبعوه على دِينه، وهذا النبيّ محمَّدٌ ﷺ على دِينِهِ، قاله ابن عباسٍ.

[١٨٤] **والثاني**: أن عمرَو بن العاصِ أراد إن يُغضِب النَّجَاشِيَّ على أصحاب النبي ﷺ، فقال للنَّجَاشِيِّ: إنهم ليَشتُمون عيسى. فقال النَّجَاشِيُّ: ما يقول صاحبُكم في عيسى؟ فقالوا: يقول: إنه عبدُ الله ورُوحه، وكلمتُه ألقاها إلى مَرْيَمَ. فأخذ النَّجَاشِيُّ من سِوَاكِهِ قَدْرَ ما يُقْذِي العينَ، فقال: واللهِ ما زاد على ما يقول صاحبُكم ما يَزِنُ هذا القَذَى، ثم أَبْشِرُوا، فلا دَهْوَرَةَ[١] اليومَ على حِزبِ إبراهيمَ. قال عمرُو بن العاص: ومَن حِزبُ إبراهيمَ؟ قال: هؤلاءِ الرَّهْطُ وصاحِبهُمُ فأنزل الله يوم خصُومتهم على النبيِّ ﷺ هذه الآية، هذا قول عبد الرحمٰن بن غنْم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا لمُعاذ بن جَبلٍ، وعمَّارِ بن يَاسرٍ: تركتُما دينَكُما، واتبعتُما دينَ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآية[٢]، قاله ابنُ عباسٍ. والطَّائفة: اسمٌ لجماعةٍ مجتمعين على اجتمعوا عليه من دِينٍ، ورأيٍ، ومذهبٍ، وغير ذلك. وفي هذه الطائفة قولان: **أحدهما**: أنهم اليهودُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: اليهود والنَّصارى، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. والضَّلال: الحَيْرة. وفيه هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه الاستِنْزَال عن الحقِّ إلى الباطل، وهو قول ابن عباسٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: الإهلاك، ومنه ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٣] قاله ابن جَريرٍ، والدِّمشقيُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: وما يشعرون أنَّ الله يدلُّ المؤمنين على حَالِهم. **والثاني**: وما يشعرون أنهم يُضِلُّون أنفسَهُم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

---

[١٨٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٠ عن ابن عباس بدون إسناد، فهو لا شيء.

[١٨٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١ عن أبي صالح عن ابن عباس. وهذا إسناد ساقط كما تقدم غير مرة. وورد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٢/ ٧٣ وهذا مرسل، وشهر بن حوشب غير قوي. وله شاهد موصول من حديث أبي موسى: أخرجه الحاكم ٢/ ٣٠٩ وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، لكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية.

---

(١) في «اللسان»: الدهورة: جمعك الشيء وقذفك به في مهواة؛ ودهورت الشيء: كذلك. وفي حديث النجاشي: فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم، كأنه أراد لا ضيعة عليهم ولا يترك حفظهم وتعهدهم.

(٢) ذكره الواحدي ٢١٣ بدون عزو لأحد فهو ساقط، ليس بشيء. وانظر «تفسير القرطبي» ٤/ ١١٠.

(٣) السجدة: ١٠.

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ **قال قتادةُ: يعني: محمَّداً والإسلامَ** ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ **أنَّ بَعْثَ محمَّدٍ في كتابِكم، ثم تكفرون به.**

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ **قال اليَزِيديُّ:** معناه: لِمَ تَخْلِطُون الحقَّ بالباطل؟ قال ابن فارسٍ: واللَّبْسُ: اختِلاطُ الأمر، وفي الأمر لُبسَةٌ، أي: ليس بواضح. وفي الحق والباطل أربعة أقوالٍ: **أحدها:** أن الحق: إقرارُهم ببعض أمر النبيِّ ﷺ، والباطل: كِتمانُهم بعض أَمْرِه. **والثاني:** الحق: إيمانهم بالنبيِّ ﷺ غُدوةً، والباطل: كفرهم به عَشِيَّةً، رُويا عن ابن عباسٍ. **والثالث:** الحق: التَّوراة، والباطل: ما كتبوه فيها بأيديهم، قاله الحسنُ، وابن زيدٍ. **والرابع:** الحق: الإسلام. والباطل: اليهودية والنَّصرانية، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ **قال قتادة: كَتَموا الإسلام، وكَتَموا محمَّداً ﷺ.**

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها قولان: **أحدهما:** أن طائفةً من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحابَ محمَّدٍ أول النهار، فآمِنوا، وإذا كان آخِرُه، فصَلُّوا صلاتَكم لعلهم يقولون: هؤلاءِ أهلُ الكِتاب، وهُمْ أعلَمُ منا، فيَنقلِبُون عن دِينهم، رواه عَطيَّةُ عن ابن عباسٍ[1]. وقال الحسنُ والسُّدِّيّ: تَواطَأَ اثنا عشرَ حَبْراً من اليهود، فقال بعضهم لبعضٍ: ادخُلوا في دين محمَّدٍ باللسان أول النهار، واكفُروا آخرَه، وقولوا: إنَّا نَظَرنا في كُتُبنا، وشاورنا علماءَنا، فوجدنا محمَّداً ليس بذلك، فيشكَّ أصحابه في دِينهم، ويقولون: هُمْ أهلُ الكِتاب، وهُمْ أعلَمُ منَّا، فيرجِعُون إلى دِينكم، فنزلت هذه الآية[2]. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. **والثاني:** أن الله تعالى صَرَفَ نبيَّه إلى الكعبة عند صَلاةِ الظُّهر، فقال قومٌ من علماء اليهود: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ يقولون: آمِنوا بالقِبْلَة التي صَلُّوا إليها الصُّبحَ، واكفُروا بالتي صَلُّوا إليها آخرَ النهار، لعلَّهم يرجِعُون إلى قِبْلَتِكم، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ[3]. قال مُجاهدٌ وقَتادةُ، والزجَّاجَ في آخرين: وَجْهُ النهار: أوَّلُه. وأنشد الزجَّاجُ[4]:

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ

---

(١) أخرجه الطبري ٧٢٣٣ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي. وهو ضعيف عن ابن عباس، فالإسناد واهٍ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٤ عن الحسن والسدي بدون إسناد. وأثر السدي، أخرجه الطبري ٧٢٢٩ مع اختلاف يسير فيه. وورد من مرسل أبي مالك، أخرجه الطبري ٧٢٢٨.

(٣) عزاه المصنف لابن عباس، وهو من رواية أبي صالح، وهو متروك في روايته عن ابن عباس، وراوية أبي صالح، هو الكلبي، كذبه الجمهور. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٥ عن مجاهد ومقاتل والكلبي بدون إسناد.

(٤) البيتان لربيع بن زياد، يرثي مالك بن زهير العبسي.

يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِراً يَنْدُبْنَهُ قَدْ قُمْنَ قَبْلَ تَبَلُّجِ الأَسْحَارِ[(١)]

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: ولا تُصدِّقوا إلا من تبع دينكم، ولا تُصدِّقوا أن يُؤتى أحدٌ مما أُوتيتم من العلم، وفَلْقِ البحر، والمَنِّ والسَّلوى، وغير ذلك، ولا تُصدِّقوا أن يُجادِلُوكم عند ربِّكم، لأنكم أصحُّ ديناً منهم، فيكون هذا كلُّه من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صِلَةً، ويكون قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ كلاماً مُعترضاً بين كلامين، هذا معنى قول مُجاهِدٍ، والأخفشِ. **والثاني**: أن كلام اليهود تامٌّ عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء مِنْ قَولهم، وتقديره: قل يا محمَّدُ: إن الهُدى هُدى الله أَنْ يؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم يا أُمَّةَ محمَّدٍ، إلاّ أن تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى قول الحَسَنِ، وسعيدِ بن جُبير. وقال الفَرَّاء: معنى: «أنْ يُؤتى»: أَنْ لا يُؤتى. **والثالث**: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره: ولا تُؤمنوا أن يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم، إلا مَنْ تَبع دينَكم، فأُخرت «أَنْ»، وهي مقدَّمةٌ في النِّية على مذهب العرب في التَّقديم والتَّأخير، ودخلت اللام على جهة التَّوكيد، كقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾[(٢)] أي: رَدِفَكُم. وقال الشاعر:

مَا كُنْتُ أَخْدَعُ لِلْخَلِيلِ بِخُلَّةٍ حتَّى يكونَ لِيَ الخَليلُ خَدُوعَا

أراد: ما كنت أخدع الخليل. وقال الآخر[(٣)]:

يَذمُّون لِلدُّنيا وهُم يَحْلِبُونَها أَفَاوِيقَ حتَّى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ

أراد: يذمُّون الدنيا، ذكره ابن الأنباريِّ. **والرابع**: أن اللام غير زائدةٍ، والمعنى: لا تَجعَلُوا تصديقكُم النبيَّ في شيءٍ مما جاء به إلا لليهود. فإنكم إن قُلتم ذلك للمشركين كان عَوناً لهُم على تَصْدِيقِه، قاله الزجَّاجُ. وقال ابن الأنباريِّ: لا تؤمنوا أنَّ محمَّداً وأصحابه على حقٍ، إلا لِمَن تَبعَ دينكم، مخافةَ أن يطَّلع على عِنادكم الحقَ، ويحاجُّوكُم به عند ربِّكم. فعلى هذا يكون معنى الكلام: لا تُقروا بأَنْ يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم إلا لِمن تَبِعَ دينكم، وقد ذكر هذا المعنى مَكيُّ بن أبي طالب النَّحويُّ. وقرأ ابن كَثيرٍ: «أأن يُؤتى» بهمزتين: الأولى مخفَّفة، والثانية مُليَّنة على الاستفهام، مثل: أأنتم أعلَمُ. قال أبو عليٍ: ووجهها أنَّ «أن» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: يصدقون به، أو يعترفون به، أو يذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصباً، فيكون المعنى: أَتُشِيعُون، أو أَتَذْكُرُونَ أن يؤتى

(١) في «اللسان»: البُلْجَة: ضوء الصبح آخر الليل عند انصداع الفجر.
(٢) النمل: ٧٢.
(٣) هو ابن همَّام السَّلولي كما في «اللسان» مادة (ثعل). والأفاويق: واحدها: فيقة: وهي اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويُقال شاة ثعول: تُحلب من ثلاثة أمكنة وأربعة للزيادة التي في الطُّبْيِ. وإنما ذكر الثُّعل للمبالغة في الارتضاع. والثعل لا يدرّ.

أحدٌ، ومثله في المعنى: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[(١)]. وقرأ الأعمَشُ وطلحةُ بن مُصرِّف: «إن يُؤتى»، بكسر الهمزة، على معنى: ما يؤتى.

وفي قوله تعالى ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: ولا تُصَدِّقوا أنهم يُحاجُوكم عند ربكم، لأنهم لا حجةَ لهم، قاله قَتادةُ. والثاني: أن معناه: حتى يُحاجُوكم عند ربكم على طريق التعبُّد، كما يقال: لا يَلقاهُ أو تقومَ السَّاعةُ، قاله الكِسائيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ: يعني النبوَّة، والكتاب، والهُدى ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ لا ما تمنَّيتموه أنتم يا معشرَ اليهود مِنْ أنه لا يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ في الرَّحمة ثلاثة أقوالٍ: أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباسٍ ومُقاتلٌ. والثاني: النُبوَّة، قاله مُجاهدٌ. والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جُريجٍ.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ قال ابن عباسٍ: أودَعَ رجلٌ ألفاً ومئتي أوقيةٍ مِن ذَهب عبدَ الله بنَ سَلَام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودَعَ رجلٌ فِنحاصَ بن عَازوراءَ دِيناراً، فخانَه[(٢)]. وأهل الكتاب: اليهود. وقد سبق الكلام في القِنطَار. وقيل. إن «الباء» في قوله: «بقنطارٍ» بمعنى «على». فأما الدِّينار، فقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغويِّ، قال: الدِّينار فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، وأصله: دِنَّار، وهو وإن كان مُعَرَّباً، فليس تعرفُ له العرب اسماً غير الدِّينار، فقد صار كالعربيِّ ولذلك ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه، لأنه خاطبَهم بما عَرفوا، واشتقُّوا منه فِعلاً، فقالوا: رجلٌ مُدَنَّر: كثير الدَّنانير. وبِرذَوْن[(٣)] مدنَّر: أشهبُ مستديرُ النَّقش ببياضٍ وسوادٍ. فإن قيل: لِمَ خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخَلقُ على ذلك، فالجواب: أنهم يَخُونون المسلمين استِحْلالاً لذلك، وقد بيَّنه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ فحذَّر منهم. وقال مُقاتلٌ: الأمانة إلى من أَسْلَمَ منهم، والخيانة إلى من لم يُسلِم. وقيل: إن الذين يؤدُّون الأمانة: النَّصارى، والذين لا يؤدونها: اليهود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال الفرَّاءُ: أهل الحجاز يقولون: دُمتَ ودُمتُم، ومُتَّ ومُتُّم، وتَميمٌ يقولون: مِتَّ ودِمتَ بالكسر، ويجتمعون في «يفعل» يدُوم ويَموت. وفي هذا القيام

---

(١) البقرة: ٧٦.

(٢) لا أصل له، ذكره البغوي في «تفسيره» ٣١٧ (آل عمران: ٧٥) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وجويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس، فالخبر باطل، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٤/ ١١٤ بدون سند. وكذلك ذكره في «الكشاف» ١/ ٤٠١ بدون سند.

(٣) في «اللسان»: برذون: دابة معروفة.

قولان: **أحدهما**: أنه التَّقاضي، قاله مُجاهدٌ، وقَتادةُ، والفَرَّاءُ، وابن قُتيبةَ، والزجَّاجُ. قال ابن قُتيبة: والمعنى: ما دُمت مواظباً بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أنَّ المُطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرَّف والتَّارك له يَقْعُدُ عنه، قال الأعشى:

يـقـوم عـلـى الـرّغـم فـي قـومـه ... فـيـعـفـو إذا شـاء أو يـنـتـقـم

أي: يطالب بالذَّحل[1] ولا يقعد عنه. قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[2] أي: عامِلَةٌ غيرُ تاركةٍ، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[3] أي: آخِذٌ لها بما كَسَبَت. **والثاني**: أنه القيام حقيقةً، فتقديره: إلا ما دُمتَ قائماً على رأسه، فإنه يَعْتَرِف بأَمَانَتِه، فإذا ذهبتَ ثم جئتَ، جَحَدَكَ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: الخِيانة. والسَّبيل: الإثم والحَرَج، ونظيره ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾[4] قال قَتادةُ: إنما استَحَلَّ اليهود أموالَ المسلمين، لأنهم عندهم لَيْسُوا أهلَ كِتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ قال السُّدِّيُّ: يقولون: قد أحلَّ الله لنا أموالَ العرب. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يعلمون أن الله قد أنزل في التَّوراة الوفاءَ، وأداءَ الأمانةِ. **والثاني**: يقولون الكذبَ، وهم يعلمون أنه كَذبٌ.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ رَدَّ الله عزَّ وجلَّ عليهم قولَهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ قال الزجَّاجُ: وهو عندي وقفُ التَّمام، ثم استأنَفَ، فقال: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾، ويجوز أن يكون استأنَفَ جملةَ الكلام بقوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ﴾. والعَهْدُ: ما عَاهَدَهُم الله عزَّ وجلَّ عليه في التَّوراة. وفي «هاء» ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الله تعالى. **والثاني**: إلى المُوفي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٨٥] **أحدها**: أن الأشعَثَ بن قَيسٍ خاصمَ بعضَ اليهود في أرضٍ، فجَحَدَه اليهوديُّ فقدَّمه إلى

---

[١٨٥] صحيح. أخرجه البخاري ٢٣٥٦ و٢٣٥٧ و٢٦٧٦ و٢٦٧٧ و٤٥٤٩ و٤٥٥٠ و٦٦٥٩، و٦٦٦٠، و٦٦٧٦ و٦٦٧٧ و٧١٨٣ و٧١٨٤ ومسلم ١٣٨ والشافعي ٢/ ٥١ وأحمد ١/ ٤٤ و٥/ ٢١٢ والطيالسي ٢٦٢ و١٠٥١ وأبو داود ٣٢٤٣ والترمذي ١٢٦٩ وابن ماجه ٢٣٢٣ والطبري ٧٢٧٩ والواحدي في «أسباب النزول» ٢١٦ والبغوي ١/ ٣١٨ وابن حبان ٥٠٨٤ والبيهقي ١٠/ ٤٤ من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان قال: فقال الأشعث: فيَّ والله كان ذلك. كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي =

---

(١) في «اللسان» الذَّحل: الثأر، وقيل: طلب المكافأة بجناية العداوة والحقد.
(٢) آل عمران: ١١٣. (٣) الرعد: ٣٣. (٤) التوبة: ٩١.

النبيِّ ﷺ، فقال له: «أَلَكَ بيِّنةٌ»؟ قال: لا. قال لليهودي: «أَتَحْلِفُ»؟ فقال الأشعثُ: إذاً يَحْلِفُ فيذهَبَ بِمَالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ.

[١٨٦] **والثاني**: أنها نزلت في اليهود، عَهِدَ الله إليهم في التوراة تَبْيِّن صِفَةِ النبيِّ عليه السلام، فجَحَدوا، وخالفوا لما كانوا يَنالون مِنْ سَفَلَتِهِم من الدنيا، هذا قول عِكرمةَ، ومُقاتِلٍ.

[١٨٧] **والثالث**: أنَّ رجلاً أقام سِلْعَتَه في السُّوق أوَّل النهار، فلما كان آخرُه، جاء رجلٌ يُسَاوِمُهُ، فحَلَفَ: لقد مَنَعَها أول النهار مِن كذا، ولولا المساءُ لَمَا باعَهَا به، فنزلت هذه الآية. هذا قول الشَّعبيِّ، ومُجاهِدٍ.

فعلى القول الأول، والثالث، العَهْدُ: لُزُوم الطَّاعة، وتَرْكُ المعصية، وعلى الثاني: ما عَهِدَه إلى اليهود في التَّوراة. واليَمِيْنُ: الحَلْفُ. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكُفار، فإن الله لا يُكلِّمهم يومَ القيامة أصلاً. وإن قُلنا: إنها في العُصاة، فقد رُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: لا يُكلِّمهم الله كلامَ خَيْرٍ. ومعنى ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، أي: لا يَعطِفُ عليهم بخيرٍ مَقْتاً لهم، قال الزجَّاجُ: تقول: فُلانٌ لا ينظُرُ إلى فلانٍ، ولا يُكلِّمه معناه: أنه غَضْبَانُ عليه.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يُطَهِّرُهم من دَنَس كُفرهم وذنوبهم.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها نزلت في اليهود، رواه عَطيَّةُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: في اليهود والنَّصارى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ﴾ هي كلمةٌ مؤكِّدةٌ، واللام في قوله: «لَفريقاً» توكيدٌ زائدٌ على توكيد «إنَّ»، قال ابنُ قُتيبة: ومعنى ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾: يَقْلِبُونها بالتَّحريفِ والزِّيادة. والألْسِنَةُ: جمعُ لسَانٍ، قال أبو عمرٍو: اللسَانُ يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ، فمَنْ ذَكَّرَه جَمَعَه: أَلْسِنَةَ، ومَنْ أنَّثه، جَمَعَه: أَلسناً. وقال الفَرَّاءُ: اللسَانُ بعَيْنِه لم نسمَعْهُ من العرب إلا مُذكَّراً. وتقول: سَبَقَ من فُلانٍ لِسَانٌ، يَعنُون به الكَلامَ، فيُذكِّرونه. وأنشد ابنُ الأعرابيِّ:

لِسانُكَ مَعْسُولٌ ونَفْسُكَ شَحَّةٌ وعِنْدَ الثُّرَيَّا من صَدِيقِكَ مَالُكَا

وأنشد ثَعلَبٌ[١]:

= رسول الله ﷺ «ألك بينة» قلت لا. قال، فقال لليهودي: «احلف». قال قلت: يا رسول الله إذاً يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾** إلى آخر الآية».

[١٨٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٧٢٧٥ عن عكرمة مرسلاً. وذكره السيوطي في «اللباب» ص ٥٨، ونقل عن الحافظ قوله: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح اهـ. وهو المتقدم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٠ بدون إسناد.

[١٨٧] أخرجه الطبري ٧٢٨٠ عن عامر الشعبي مرسلاً، ورجاله ثقات، لكنه مرسل. ولأصله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى: أخرجه البخاري ٤٥٥١ والواحدي في «أسباب النزول» ٢١٩.

---

(١) البيت للحطيئة كما في «اللسان» مادة «عكم».

نَـدِمـتُ عـلـى لِـسَـانٍ كَـانَ مِـنِّـي فَـلَـيـتَ بـأنَّـه فـي جَـوْفِ عِـكْـمِ[1]

والعِكْمُ: العِدْلُ. ودلَّ بقوله: كان مِنِّي، على أن اللسان الكلام. وأنشد ثعلبٌ:

أَتَـتْـنِـي لِـسَـانُ بَـنِـي عَـامِـرٍ أَحَـادِيـثُـهـا بَـعْـدَ قَـولٍ نُـكُـرْ

فأنَّثَ لسَانَ، لأنه عَنَى الكلمةَ والرِّسالةَ.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾، في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٨٨] **أحدها**: أن قوماً من رؤساء اليهود والنَّصارى، قالوا: يا محمَّدُ أتُريدُ أن نَتَّخِذَكَ رَبّاً؟ فقال: مَعاذَ الله، ما بِذلكَ بعَثَني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ.

[١٨٩] **والثاني**: أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: ألا نَسْجُدُ لكَ؟ قال «لا، فإنَّه لا يَنْبَغِي أن يُسجَدَ لأحدٍ مِنْ دُونِ الله» فنزلت هذه الآية، قاله الحسنُ البَصريُّ.

والثالث: أنها نزلت في نَصارى نَجْران حيثُ عَبَدُوا عيسى. قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ.

وفيمن عنى بـ «البَشَر» قولان: **أحدهما**: محمَّدٌ ﷺ. والكتابُ: القرآنُ، قاله ابن عباسٍ، وعَطاءٌ. **والثاني**: عيسى، والكتاب: الإنجيلُ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ. والحُكْمُ: الفِقه والعِلمُ، قاله قَتادةُ في آخرين. قال الزجَّاجُ: ومعنى الآية لا يجتمع لرجلٍ نبوَّةٌ، والقولُ للناس: كُونوا عِباداً لي مِنْ دُونِ الله، لأن اللَّه لا يَصْطَفي الكَذَبَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا﴾ أي: ولكن يقولُ لَهُم: كُونوا، فحذَفَ القولَ لدَلالَة الكلام عليه. فأما الرَّبَّانيُّون، فرُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: هُم الذين يُغَذُّون الناسَ بالحِكْمَة، ويُرَبُّونَهم عليها. وقال ابن عباسٍ، وابنُ جُبيرٍ: هُمُ الفقهاء المُعَلِّمون. وقال قَتادةُ، وعَطاءٌ: هم الفُقهاء العُلماء الحُكَماء. قال ابنُ قُتيبةَ: وَاحِدهم رَبَّاني، وهُمُ العُلماء المُعَلِّمون. وقال أبو عُبيدٍ: أحسبُ الكلمة ليست بعربيةٍ، إنما هي عِبْرانيةٌ، أو سريَانيَّةٌ، وذلك أن عُبيدةَ زعم أن العرب لا تعرف الرَّبَّانيينَ. وقال أبو عُبيدٍ: وإنما عرفها الفُقهاء، وأهل العِلم، قال: وسمعتُ رجلاً عَالِماً بالكُتب يقول: هُمُ العُلماء

---

[١٨٨] ضعيف. أخرجه الطبري ٧٢٩٤ والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٨٤ من حديث ابن عباس وفيه محمد بن أبي محمد، وهو مجهول. وعزاه السيوطي في «الدر» ٢/ ٨٢ لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

[١٨٩] ضعيف جداً. عزاه المصنف للحسن، وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ وعزاه السيوطي في «الدر» ٢/ ٨٢ (آل عمران: ٨٠) لعبد بن حميد عن الحسن.
ـ تنبيه: والمرفوع منه صحيح، له شواهد، والوهن فقط في ذكر نزول الآية. والمرفوع سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) في «اللسان» عِكْم: داخل الجنب على المَثَل بالعِكم، وهو النَّمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

بالحَلال والحَرام، والأمرَ والنَّهي. وحكى ابنُ الأنباريِّ عن بعض اللغويين: الرَّبَّانيُّ: منسوبٌ إلى الرَّبِّ، لأن العِلْمَ: مما يُطاع الله به، فدخلت الألفُ والنونُ في النِّسبة للمُبالغة، كما قالوا: رجلٌ لَحْيانيٌّ: إذا بالغوا في وصفة بكِبَرِ اللحْيَة.

قوله تعالىٰ: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عمرو: «تعْلَمون»، بإسكان العين، ونصب اللام، وقرأ عَاصمٌ، وابن عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: (تُعَلِّمون) مثقلاً، وكلهم قرأوا: «تَدْرُسُون» خفيفةً. وقرأ ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وأبو رَزينٍ وسعيدُ بن جُبيرٍ، وطَلحةُ بن مُصرِّف، وأبو حَيْوَة: «تُدَرِّسون»، بضم التاء مع التشديد. والدِّراسة: القِراءَة. قال الزجَّاجُ: ومعنى الكلام: لِيَكن هَدْيُكم في التعليم هَدْيَ العُلماء والحُكَماء، لأنَّ العَالِم إنما يستحقُّ هذا الاسمَ إذا عَمِلَ بعِلْمِهِ.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرأ ابن عامرٍ، وحَمزةُ، وخَلَفٌ، ويعقُوبُ، وعَاصمٌ في بعض الرِّوايات عنه وعَبدُ الوَارثِ، عن أبي عمرو، واليَزيديُّ في اختيارِه، بنصب الرَّاء. وقرأ الباقون برفع الراء، فمن نَصَبَ كان المعنى: وما كان لبَشَرٍ أن يأمُرَكُم، ومَنْ رَفَع قَطَعَه مِمَّا قبله. قال ابن جُريجٍ: ولا يأمُرُكُم محمَّدٌ.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨١)﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، قال الزجَّاجُ: موضع «إذ» نصبٌ، المعنى: واذكر في أقاصِيصِكَ إذ أخذَ الله. قال ابن عباسٍ: المِيثَاقُ: العَهْدُ. وفي الذي أَخَذَ ميثَاقَهم عليه قولان:

أحدهما: أنه تصديقُ محمَّد ﷺ، رُوي عن عليٍّ، وابن عباسٍ، وقَتادةَ، والسُّدِّيِّ.

والثاني: أنه أَخَذَ ميثَاقَ الأوَّلِ مِنَ الأنبياء ليُؤمِنُنَّ بما جاء به الآخِرُ منهم، قاله طَاوسٌ. قال مُجاهدٌ والرَّبيعُ بن أنسٍ: هذه الآية خَطأٌ مِنَ الكُتَّابِ[1]، وهي في قراءة ابن مَسعودٍ: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» واحتجَّ الرَّبيعُ بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾. وقال بعضُ أهل العلم: إنما أَخَذَ الميثاقَ على النبيين وأُمَمِهِم، فاكتفى بذِكْرِ الأنبياء عن ذِكْرِ الأُمَم، لأن في أخذ الميثاق على المَتْبُوع دلالةً على أخذه على التَّابع، وهذا معنى قول ابن عباسٍ والزَّجَّاج.

---

(١) باطل. أما أثر مجاهد، فأخرجه الطبري ٧٣٢١ من طريق عيسىٰ بن أبي عيسى الرازي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وإسناده واهٍ إلىٰ مجاهد لأجل عيسىٰ هذا.
ـ وأما أثر الربيع، فأخرجه الطبري ٧٣٢٣ من طريق عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع به وأبو جعفر هو الرازي واسمه عيسىٰ بن أبي عيسى، وهو المتقدم في إسناد مجاهد، وعنه ابنه عبد الله وهو واهٍ، فهذا لا يصح عنهما، وهو قول باطل بكل حال، والصواب ما هو رسم المصحف، وهو المجمع عليه.

واختلف العلماء في لام «لَمَا» فقرأ الأكثرون «لَمَا» بفتح اللام مع التخفيف، وقرأ حَمزةُ مثلها، إلا أنه كسر اللام، وقرأ سَعيدُ بن جُبيرٍ «لمَّا» مشدَّدة الميم، فقراءة ابن جُبيرٍ، معناها: حين آتيْتُكم. وقال الفرَّاء في قراءة حَمزة: يُريد أخذ الميثاق للذي آتاهُم، ثم جعل قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ من الأَخْذِ. قال الفرَّاءُ: ومن نصب اللام جَعَلها زائدةً. و«ما» هاهنا بمعنى الشَّرط والجَزاء، فالمعنى: لَئِنْ آتيتُكم ومهمَا آتيتُكم شيئاً من كِتَابٍ وحِكمَةٍ. قال ابن الأنباريّ: اللام في قوله تعالىٰ: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ على قراءة مَنْ شدَّد أو كَسَرَ: جوابٌ لأَخْذِ الميثاق، لأن أخذ الميثاق يمين. وعلى قراءة مَنْ خفَّفها، معناها: القَسَم، وجوابُ القسم اللامُ في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ وإنما خاطب، فقال: آتَيْتُكم. بعد أن ذكر النَّبيِّين وهم غُيَّبٌ، لأن في الكلام معنى قولٍ وحكايةٍ، فقال مُخاطباً لهم: لَمَا آتيتُكم. وقرأ نافعٌ «آتيناكُم» بالنون والألف.

قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ قال عليٌّ عليه السلام: ما بَعَثَ الله نبياً إلا أَخَذَ عليه العهدَ، إنْ بُعِثَ محمَّدٌ وهو حيٌّ لَيُؤمِنَنَّ به ولَيَنْصُرَنَّهُ. وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أنْ يُصدِّق بعضُهم بعضاً. والإِصْرُ هُهنا: العهد في قول الجماعة. قال ابن قتيبة: أصل الإصر الثقل، فسمي العهد إصراً، لأنه مَنْعٌ من الأمر الذي أُخِذَ له، وثقلٌ وتشديد. وكُلُّهُم كَسَرَ ألفَ «إِصْرِي» وروى أبو بكرٍ، عن عَاصمٍ ضَمَّه. قال أبو عليٍّ: يُشْبِهُ أن يكون الضمُّ لغةً.

قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ قال ابن فارسٍ: الشَّهادة: الإخبار بما شُوهد. وفيمن خُوطب بهذا قولان: **أحدهما**: أنه خطابٌ للنَّبيين ثم فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه: فاشهدوا على أُمَمِكُم، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ. **والثاني**: فاشهدوا على أنفسكم، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أنه خطابٌ للملائكة، قاله سَعيدُ بن المُسَيّبِ، فعلى هذا يكون كنايةً عن غير مذكورٍ.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ قرأ أبو عمرٍو: «يَبغون» بالياء مفتوحة. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء مضمومةً، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين. وروى حَفصٌ عن عَاصمٍ: «يَبغون» و«يَرجِعون» بالياء فيهما، وفتح الياء وكسر الجيم، يَعقوبُ على أصله.

[١٩٠] قال ابن عباسٍ: اختصم أهلُ الكِتَابين، فزعمت كلُّ فِرقةٍ أنها أَولَى بدين إبراهيمَ، فقال النبيُّ ﷺ: «كِلا الفريقين بَريءٌ من دِين إبراهيمَ». فغضبوا، وقالوا: واللهِ لا نرضى بقَضَائِكَ، ولا نَأخُذُ بدِينِكَ، فنزلت هذه الآية.

والمُراد بدين الله، دِين محمَّدٍ ﷺ. ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ انقادَ، وخَضَعَ ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الطَّوعُ: الانقِيادُ بسهولةٍ، والكرهُ: الانقياد بمَشقَّةٍ وإباءٍ من النَّفس. وفي معنى الطَّوع والكره ستة أقوالٍ: **أحدها**:

---

[١٩٠] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٤ بدون إسناد. ولم أره عند غيره، فهذا متن باطل لا أصل له لخلوه عن الإسناد، والظاهر أنه من رواية الكلبي بسلسلته المشهورة.

أن إسلام الكُلّ كان يوم الميثاق طَوعاً وكَرهاً، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، والأَعمَشُ عن مُجاهدٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. **والثاني**: أن المؤمن يسجُدُ طائعاً، والكافرَ يسجُدُ ظِلُّه وهو كَارهٌ، روي عن ابن عباسٍ، ورواه ابن أبي نَجيحٍ، ولَيثٌ عن مُجاهدٍ. **والثالث**: أن الكُلَّ أقَرُّوا له بأنه الخالق، وإنْ أشرك بعضهم، فإقرَارُه بذلك حجةٌ عليه في إشرَاكِه، هذا قول أبي العَالِية، ورواه منصورٌ عن مُجاهدٍ. **والرابع**: أن المؤمن أسلم طَائِعاً، والكافرَ أسلَمَ مخافةَ السَّيف، هذا قول الحَسَنِ. **والخامس**: أن المؤمن أسلَمَ طائِعاً، والكافرَ أسلم حين رأى بَأسَ اللهِ، فلم يَنْفَعْه في ذلك الوقت، وهذا قول قَتادةَ. **والسادس**: أن إسلام الكُلّ خضوعُهم لنفَاذِ أمْرِه في جِبِلَّتِهم، لا يَقدِرُ أحدُهم أن يمتنعَ من جِبِلَّةٍ جَبَلَهُ عليها، ولا على تَغييرِهَا، هذا قول الزجّاجِ، وهو معنى قول الشَّعبيِّ: انقادَ كُلُّهم له.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[١٩١] **أحدها**: أنَّ رجلاً من الأنصار ارتَدَّ، فلَحِقَ بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلى قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ فكَتَبَ بها قومُه إليه، فرَجَع تائباً فقبل النبي ﷺ ذلك منه وخلّىٰ عنه. رواه عُكرمَةُ عن ابن عباسٍ. وذكر مُجاهدٌ والسُّدِّيُّ أن اسم ذلك الرجل: الحَارِثُ بن سُوَيْدٍ.

والثاني: أنها نزلت في عَشرة رَهْطٍ ارتَدُّوا، فيهم الحَارِثُ بن سُوَيدٍ، فنَدِمَ، فرَجَعَ(١). رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال مُقاتلٌ. **والثالث**: أنها في أهل الكتاب، عَرَفُوا النبيَّ ﷺ، ثم كفروا به. رواه عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ(٢). وقال الحَسَنُ: هم اليهود والنَّصاري. وقيل: إنَّ «كيف» هاهنا لفظُها لفظُ الاستفهام، ومعناها الجُحْدُ، أي: لا يَهدِي الله هؤلاءِ.

---

[١٩١] صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٨٥ وأحمد ١/٢٤٧ وابن حبان ٤٤٦٠ والحاكم ٢/١٤٢ و٤/٣٦٦ والطبري ٧٣٥٨ والبيهقي ٨/١٩٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٥ من حديث ابن عباس، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وله شواهد مرسلة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٥٢٠ بتخريجنا.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» ٣٢٤ عن الكلبي بدون إسناد، والكلبي كذبه غير واحد، روى عن أبي صالح عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً، والصواب ما تقدم.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٧٣٦٦ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو ضعيف عن ابن عباس. وذكره السيوطي في «الدر» ٢/٨٨ وعزاه لابن أبي حاتم. والصحيح ما تقدم عن ابن عباس.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ أي: في عذاب اللعنة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون عن الوقت. ومعنى: ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أي: أَظْهَرُوا أَنَّهم كانوا على ضَلالٍ، وأَصلَحوا ما كانوا أفسدُوه، وَغرُّوا به مَنْ تَبِعَهُم مِمَّن لا عِلمَ لهُ.

فصل: وهذه الآية استثْنَت مَن تابَ ممَّن لم يَتُبْ، وقد زعم قومٌ أنها نَسخَتْ ما تضمَّنتهُ الآيات قبلَهَا من الوعيد، والاستثناء ليس بِنَسخٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها نزلت فيمن لم يَتُبْ من أصحاب الحَارثِ بن سُوَيدٍ، فإنهم قالوا: نُقيم بمكةَ ونتربَّص بمحمَّدٍ ريبَ المَنُون[1]، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، ثم ازدادوا كُفراً بمحمَّدٍ والقرآن، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، وعَطاءٌ الخُراسانيُّ. **والثالث**: أنها نزلت في اليهود والنَّصارى، كفروا بمحمَّدٍ بعد إيمانهم بصِفَتِه، ثم ازدادوا كُفراً بإقامتهم على كُفرهم، قاله أبو العَالِية. قال الحَسنُ: كلما نزلت آيةٌ كَفرُوا بها، فازدادوا كُفراً.

وفي عِلَّة امتِناعِ قَبول تَوبَتِهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم ارتدُّوا، وعَزَموا على إظهار التوبة لِسَترِ أحوالهم، والكُفر في ضَمائرِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم قومٌ تابوا من الذنوب في الشِّرك، ولم يَتُوبوا من الشِّرك، قاله أبو العَالِية. **والثالث**: أَنَّ معناه: لن تُقبَلَ تَوبتُهم حين يَحْضُرهم الموتُ، وهو قول الحَسَنِ، وقَتادةَ، وعَطاءِ الخُراسانيِّ، والسُّدِّيِّ. **والرابع**: لن تُقبل تَوبَتُهم بعد الموت إذا ماتوا على الكُفر، وهو قول مُجاهدٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

[١٩٢] روى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ أن النبيَّ ﷺ لما فتحَ مكةَ، دخل مَنْ كان من أصحاب

---

[١٩٢] باطل. عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، ورواية أبي صالح عن الكلبي، وهذه تعرف بسلسلة الكذب عند العلماء، وهذا خبر باطل، فالسورة نزلت قبل فتح مكة بزمن طويل.

---

(١) تقدم معناه عن ابن عباس، ولم أره مسنداً بهذا اللفظ عن ابن عباس. وإنما ورد عن مجاهد بأتم منه، أخرجه الطبري ٧٣٦٥ والواحدي في «الأسباب» ٢٢٦ وهذا مرسل، لكن يشهد لأصل حديث ابن عباس المتقدم أولاً.

الحارثِ بن سُوَيدٍ حَيّاً في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمَنْ ماتَ منهم كافِراً.

قال الزجّاجُ: ومِلءُ الشيءِ: مِقْدارُ ما يَمْلَؤهُ. قال سِيبويه، والخَليلُ: والمَلءُ بفتح الميم: الفَعْلُ، تقول: مَلأْتُ الشيءَ أَملَؤه مَلأً، المصدرُ بالفتح لا غير. والمَلاءَة: التي تُلبَس، ممدودةٌ. والمَلاوَةُ من الدَّهر: القِطعة الطَّويلة منه، يقولون: إبْلِ جَديداً، وتَملَّ حَبيباً، أي: عِشْ معه دَهراً طويلاً. و﴿ذَهَبًا﴾ منصوبٌ على التَّمييز. وقال ابن فارسٍ: ربما أُنِّث الذهب، فقيل: ذَهَبَة، ويُجمع على الأذْهَاب.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ﴾ قال الفرَّاء: الواو هاهنا قد يُستغنى عنها، ولو حُذفت كان صواباً، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[1]. قال الزجّاجُ: هذا غَلَطٌ، لأن فائدةَ الواو بَيِّنَةٌ، فليست مِمّا يُلْقَى. قال النحاس: قال أهل النظر من النحويين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة وتقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدى به.

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾، في البِرّ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الجنَّة، قاله ابن عباسٍ، ومجاهدٌ، والسُدِّيُّ في آخرين. قال ابن جَرير: فيكون المعنى: لن تنالوا برَّ الله بكُم الذي تطلبونه بطاعتكم. **والثاني**: التقوى، قاله عَطاءٌ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: الطّاعة، قاله عَطيَّة. **والرابع**: الخير الذي يُستحَق به الأجر، قاله أبو رَوْقٍ. قال القاضي أبو يَعلىَ: لم يُرد نفيَ الأصل، وإنما نفي وجود الكمال. فكأنه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فيه قولان:

[١٩٣] **أحدهما**: أنه نفقة العبد من ماله وهو صحيحٌ شَحِيْحٌ، رواه ابن عُمرَ عن النَّبيِّ ﷺ.

والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قَتادةُ، والضَّحَّاكُ. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الصَّدقة المَفروضة، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها جميع الصَّدقات، قاله ابن عُمَر. **والثالث**: أنها جميع النفقات التي يُبتغَى بها وجه الله تعالى، سواءٌ كانت صدقةً، أو لم تكُن، نُقل عن الحسَن، واختاره القاضي أبو يَعلَى.

[١٩٤] وروَى البُخاريُّ ومسلمٌ في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالكٍ قال: كان أبو طَلْحَة

---

[١٩٣] لم أره من حديث ابن عمر بعد بحث، وإنما صح من حديث أبي هريرة، وقد ساقه المصنف بمعناه. وحديث أبي هريرة، أخرجه البخاري ١٤١٩ و ٢٧٤٨ ومسلم ١٠٣٢ وأبو داود ٢٨٦٥ والنسائي ٥/ ٨٦ و ٦/ ٢٣٧ وابن ماجه ٢٧٠٦ وأحمد ٢/ ٢٥ و ٢٣١ و ٤١٥ و ٤٤٧ والبغوي ١٦٧١ من طرق عن أبي هريرة، قال: أتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم؛ قال: «أن تصدّق وأنت صحيح شحيح. تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قُلْتَ: لِفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، ألا وقد كان لفلان».

[١٩٤] صحيح. أخرجه البخاري ١٤٦١ و ٢٣١٨ و ٢٧٥٢ و ٢٧٦٩ و ٤٥٥٤ و ٥٦١١ ومسلم ٩٩٨ وأحمد ٣/ ١٤١ والدارمي ٢/ ٣٩٠ وابن حبان ٣٣٤٠ والبيهقي ٦/ ١٦٤ ـ ١٦٥ و ٢٧٥ ومالك ٢/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ من =

---

(١) الأنعام: ٧٥.

أكثر أنصاريّ بالمدينة مالاً من نَخلٍ، وكان أحبَّ أمواله إليه بَيْرَحاء[١]، وكانت مستقبلةَ المسجد، وكان النبيُّ ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيِّب. قال أنسٌ: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طَلْحَة، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحبَّ أموالي إليَّ بيْرَحاء، وإنها صدقةٌ لله، أرجو بِرَّها وذُخرَها عند الله تعالى، فَضَعْها حيث أراكَ الله، فقال ﷺ: «بَخٍ بَخٍ، ذاك مالٌ رابحٌ أو رائحٌ ـ شكَّ الرَّاوي[٢] ـ وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعَلَها في الأقرَبين» فقسَمَها أبو طَلحة في أقاربه، وبَني عمّه.

ورُوي عن عبدالله بن عُمَر أنه قرأ هذه الآية فقال: لا أجدُ شيئاً أحبَّ إليَّ من جاريتي رُمَيْثَة[٣]، فهي حُرَّةٌ لوجه الله، ثم قال: لَولا أني أعُود في شيءٍ جعلته لله لنَكَحْتُها، فأنكَحَها نافِعاً، فهي أمُّ وَلَدِهِ[٤]. وسُئل أبو ذَرّ: أيُّ الأعمال أفضلُ؟ فقال: الصَّلاةُ عِمَادُ الإسلام، والجِهادُ سَنَامُ العمَل، والصَّدقةُ شيءٌ عَجَبٌ. فقال السَّائل: يا أبا ذَرّ لقد تركتَ شيئاً هو أوثق عملٍ في نَفْسي ما ذَكَرْتَه. قال: ما هو؟ قال: الصِّيام. فقال: قُرْبَةٌ وليس هناك، وتَلا قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥]. قال الزجّاجُ: ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي يُجازي عليه.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ سببُ نزولها أن النبيَّ ﷺ قال:

[١٩٥] «أنا على مِلَّةِ إبراهيمَ» فقالت اليهودُ: كيف وأنتَ تأكل لحومَ الإبلِ، وتشربُ ألبانها؟ فقال: «كان ذلكَ حَلالاً لإبراهيمَ». فقالوا: كلُّ شيءٍ نُحَرِّمه نحن، فإنه كان مُحَرَّماً على نُوحٍ وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم. قاله أبو رَوْقٍ، وابن السَّائب.

و«الطَّعَام»: اسمٌ للمأكُول. قال ابن قُتيبَة: والحِلّ: الحَلال، والحُرْم والحرام، واللُّبْس واللِّبَاس. وفي الذي حَرَّمه على نفسه، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لحوم الإبل وألبَانها. روي عن ابن عباسٍ، وهو قول الحَسَنِ، وعَطاءِ بن أبي رَبَاحٍ، وأبي العَالِيَة في آخرين. **والثاني**: أنه العُرُوق، رواه سعيد بن جبير عن

= حديث أنس. وأخرجه الترمذي ٢٩٩٧ من وجه آخر عن أنس بنحوه. وأخرجه البخاري ٢٧٥٨ وأحمد ٣/ ٢٥٦ من طرق. عن أنس بن مالك.

[١٩٥] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٩ عن أبي روق والكلبي به، وهذا واهٍ بمرة، شبه موضوع، الكلبي هو محمد بن السائب متهم بالوضع، وأبو روق، خبره معضل.

(١) في «اللسان»: بَيْرَحاء: وهو اسم مال، وموضع بالمدينة، وإنها فيعل من البراح، وهي الأرض الظاهرة.
(٢) هو القَعْنبي، واسمه عبد الله بن مسلمة شيخ البخاري.
(٣) في «الدر المنثور» ٢/ ٨٩ «مرجانة» وكذا في «المجمع» ١٠٨٩٢.
(٤) أخرجه البزار ٢١٩٤ وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٣٢٦/ ١٠٨٩٢: فيه من لم أعرفه.
(٥) أخرجه الطبري ٧٣٩٤ من طريق ليث عن ميمون بن مِهران عن أبي ذر به، وإسناده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سُليم، وميمون لم يدرك أبا ذر.

ابن عباس، وهو قول مُجاهِدٍ، وقتادة، والضَّحَّاكَ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثالث**: أنه زَائِدَتَا الكَبد، والكِليتان، والشَّحمُ إلا ما على الظَّهر، قاله عِكرمةُ.

وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوالٍ:

[١٩٦] **أحدها**: أنه طالَ به مَرَضٌ شديدٌ، فَنَذَر: لَئِنْ شفاه الله، ليُحرِّمَنَّ أحبَّ الطعام والشَّراب إليه، رُوي عن النبيِّ ﷺ.

والثاني: أنه اشتكى عِرْقَ النَّسا فحرَّم العُرُوق، قاله ابن عباسٍ في آخرين. **والثالث**: أن الأطباء وصَفُوا له حين أصابه «النَّسا» اجتنابَ ما حَرَّمَهُ، فحَرَّمَهُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابَهُ عِرْقُ النَّسا فيَبيتُ وَقِيذاً[1]، فَحَرَّمَه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. واختلفوا: هل حرَّم ذلك بإذن الله، أم باجتهاده؟ على قولين. واختلفوا: بماذا ثَبَتَ تحريم الطعام الذي حرَّمه على اليهود، على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه حرَّم عليهم بتحريمه، ولم يكن مُحرَّماً في التَّوراة، قاله عَطيَّةُ. وقال ابن عباس: قالَ يعقوبُ: لَئِنْ عافاني الله لا يأكُله لي وَلَدٌ. **والثاني**: أنهم وافقوا أباهم يعقوبَ في تحريمه، لا أنه حُرِّم عليهم بالشَّرع، ثم أضافوا تحريمَه إلى الله، فأكذَبَهُم الله بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾، هذا قولُ الضَّحَّاكِ. **والثالث**: أن الله حرَّمه عليهم بعد التوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذَنْباً عظيماً، حُرِّم عليهم به طعامٌ طَيِّبٌ، أو صُبَّ عليهم عذابٌ، هذا قول ابن السَّائبِ. قال ابن عباسٍ: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ هل تجدون فيها تحريمَ لُحوم الإبل وألبانها!.

﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ﴾ يقول: اخْتَلَقَ ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد البيان في كتابهم، وقيل: من بعد مَجيئكم بالتَّوراة وتلاوتكم.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ الصِّدق: الإخبار بالشيء على ما هو به، وضِدُّه الكَذِب. واختلفوا أيّ خبرٍ عنىٰ بهذه الآية؟ على قولين:

أحدهما: أنه عَني قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾، قاله مُقاتلٌ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والثاني: أنه عَنَى قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ قاله ابن السَّائب.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

---

[١٩٦] حسن. أخرجه الترمذي ٣١٧ والنسائي في «الكبرى» ٩٠٧٢ وأحمد ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ من حديث ابن عباس. وفيه عبد الله بن الوليد. لينه الحافظ. وتوبع، فقد أخرجه الطبري ٧٤١٨ من وجه آخر بإسناد لا بأس به عن ابن عباس مرفوعاً، فالحديث حسن إن شاء الله. وقد حسنه الترمذي عن ابن عباس «أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: فأخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: كان يسكن البدو، فاشتكى عرق النسا، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا تحريم الإبل وألبانها، فلذلك حرّمها»، انظر «تفسير الشوكاني» ٥٢٣ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: الوقيذ الشديد المرض، الذي قد أشرف على الموت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قال مُجاهدٌ: افتخر المسلمون واليهودُ، فقالت اليهود: بيتُ المَقْدِس أفضلُ من الكَعبة. وقال المسلمون: الكَعبة أفضلُ. فنَزَلَت هذه الآية. وفي معنى كونه أوَّلاً قولان: **أحدهما**: أنه أوَّلُ بيتٍ كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أوَّلَ بيتٍ على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ظَهَرَ على وَجْه الماء حين خَلَقَ اللهُ الأرضَ، فَخَلَقَه قبلَها بألفي عام، ودَحَاها مِنْ تَحتِه، فروى سعيدٌ المَقْبُريُّ عن أبي هُريرَة قال: كانت الكَعبةُ حَشَفَةً[1] على وَجْه الماء، عليها مَلَكانِ يُسَبِّحانِ الليلَ والنَّهار قبل الأرض بألفي سنةٍ. وقال ابن عباسٍ: وُضِع البيتُ في الماء على أربعة أركانٍ قبلَ أن تُخلق الدنيا بألفَي سنةٍ، ثم دُحِيَت الأرضُ مِنْ تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عُمَرَ، وابن عَمرٍو، وقَتادةُ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: أن آدم استوحَشَ حين أُهبِط، فأوحى الله إليه، أن: ابْنِ لي بيتاً في الأرض، فاصنع حولَه نحوَ ما رأيتَ ملائكتي تَصنَعُ حول عَرشي، فبَنَاهُ، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه أُهبِط مع آدمَ، فلما كان الطُّوفان، رُفع فصَار معمُوراً في السماء، وبنى إبراهيمُ على أثَرِه، رواه شَيْبَانُ عن قَتادَة. **القول الثاني**: أنه أوَّل بيتٍ وُضع للناس للعبادة، وقد كانت قبلَه بيوتٌ، هذا قول عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، والحَسنِ، وعَطاءِ بن السَّائبِ في آخرين.

فأما بَكَّةُ، فقال الزجّاجُ: يصلُح هذا الاسم أن يكون مُشتقاً من البَكّ. يُقال: بَكَّ الناسُ بعضهم بعضاً، أي: دفَعَ. واختلفوا في تسميتها ببكَّةَ على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لازدحام الناس بها، قاله ابن عباسٍ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وعِكرمةُ، وقَتادةُ، والفَرَّاءُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: لأنها تَبُكُّ أعناقَ الجَبابرة، أي: تَدُقُّها، فلم يَقصِدْها جَبَّارٌ إلا قَصَمَه الله، رُوي عَنْ عبدالله بن الزُّبير، وذكره الزجَّاجُ. **والثالث**: لأنها تَضعُ من نَخْوةِ المُتجبِّرين، يقال: بَكَكْتُ الرجلَ، أي: وَضَعتُ منه، ورَدَدْتُ نَخوتَهُ، قاله أبو عبدالرحمن اليَزيدِيّ، وقُطْرُبٌ. واتفقوا على أنَّ مَكَّةَ اسمٌ لجميع البَلدة. واختلفوا في بَكَّة على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمٌ للبُقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وأبو مَالكٍ، وإبرَاهيمُ، وعطيَّة. **والثاني**: أنها ما حوْلَ البيت، ومكَّةُ ما وراءَ ذلك، قالَه عِكرَمةُ. **والثالث**: أنها المسجد، والبيت. ومكَّة: اسمٌ للحَرَم كُلِّه، قاله الزُّهريُّ، وضَمْرَةُ بن حَبيبٍ. **والرابع**: أن بَكَّة هي مكَّة، قاله الضَّحَّاكُ، وابن قُتيبةَ، واحتجَّ ابن قُتيبةَ بأن الباء تُبدَل من الميم؛ يُقال: سَمَدَ رأسَه، وسَبَدَ رأسَه: إذا استأصَلَهُ. وشَرٌّ لازِمٌ، ولازِبٌ.

قوله تعالى: ﴿مُبَارَكًا﴾ قال الزجّاجُ: هو منصوبٌ على الحال. المعنى: الذي استقرَّ بمكَّةَ في حال بَرَكَتِه. ﴿وَهُدًى﴾، أي: وذا هدىً. ويجوز أن يكون «هدى» في موضع رفع، المعنى: وهو هدىً. فأمّا بركتُه، ففيه تُغفَر الذنوبُ، وتُضاعَف الحَسناتُ، ويَأمَنُ مَن دَخَلَه.

[١٩٧] وروى ابن عُمَر عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ طَافَ بالبَيت، لم يَرْفَعْ قَدَماً، ولم يَضَعْ

---

[١٩٧] حسن بشواهده. أخرجه الترمذي ٩٥٩ وابن خزيمة ٢٧٥٣ وابن حبان ٣٦٩٧ والحاكم ١/ ٤٨٩ من طريق جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن ابن عمر مرفوعاً. =

---

(١) في «القاموس»: الحشفة صخرة رِخوة حولها سهل من الأرض، أو صخرة تنبت في البحر.

أُخرى، إلا كَتبَ الله له بها حسنةً، وحَطَّ عنه بها خَطيئةً، وَرَفَعَ له بها دَرَجةً».

قوله تعالى: ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، في معنى الهُدى هاهنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى القِبْلَة، فتقديره: **وقِبْلَةً** للعَالَمِين. **والثاني**: أنه بمعنى: الرَّحمة. **والثالث**: أنه بمعنى: الصَّلاح، لأن مَنْ قَصَدَه، صَلُحَت حَالُه عند رَبِّه. **والرابع**: أنه بمعنى: البيَان، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يَقْدِرُ عليها غيرُه، حيث يجتمع الكَلْبُ والظَّبيُ في الحَرَم، فلا الكلب يُهَيِّجُ الظَّبيَ، ولا الظَّبي يستوحِشُ منه، قاله القاضي أبو يَعلَى.

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩٧)﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾، الجمهور يقرأون: آيات. وروى عَطاءٌ عن ابن عباسٍ أنه قرأ: (فيه آيةٌ بيِّنَةٌ مقام إبراهيمَ)، وبها قرأ مُجاهدٌ. قالا: مَقامُ إبراهيم. فأمَّا من قرأ: ﴿ءَايَٰتُۢ﴾ فقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الآيات: مقامُ إبراهيمَ، وأَمْنُ مَنْ دَخَلَهُ. فعلى هذا يكون الجَمْعُ معبِّراً عن التثنية، وذلك جائزٌ في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[1] وقال أبو رَجاءٍ: كان الحَسَنُ يَعُدُّهنَّ، وأنا أنظرُ إلى أصابعه: مَقَام إبراهيم، وَمن دَخَلَهُ كان آمِناً، ولله على النَّاس حِجُّ البيت. وقال ابن جَرير: في الكلام إضمارٌ، تقديره: منهنَّ مقام إبراهيمَ. قال المُفسرون: الآيات فيه كثيرةٌ، منها مَقَام إبراهيمَ، ومنها: أَمْنُ مَنْ دَخَلَهُ، ومنها: امتناعُ الطَّير من العُلُوِّ عليه، واستِشْفاءُ المريض منها به، وتعجيلُ العُقوبةِ لمن انتَهَكَ حُرمَتَهُ، وإهلاكُ أصحاب الفِيل لما قَصَدُوا إخرابَهُ، إلى غير ذلك. قال القاضي أبو يَعلَى: والمُراد بالبيت هاهنا: الحَرَمُ كلُّه، لأن هذه الآيات موجودةٌ فيه، ومقام إبراهيمَ ليس في البيت، والآية في مَقامِ إبراهيمَ أنه قام على حَجَرٍ، فأثَّرت قدمَاهُ فيه، فكان ذلك دليلاً على قُدرة الله، وصِدْقِ إبراهيمَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾، قال القاضي أبو يعلَى: لفظه لفظ الخبَر، ومعناه: الأَمر، وتقديره: وَمَن دخَله، فأَمِّنُوه، وهو عامٌّ فيمن جَنَى جناية قبل دُخوله، وفيمن جَنَى فيه بعد دخوله، إلا

= وإسناده ضعيف، جرير سمع من عطاء بعد الاختلاط. وأخرجه الطيالسي ١٩٠٠ وأحمد ٢/ ٩٥ و ٢/ ٢٢ ـ مطولاً ـ وابن خزيمة ٢٧٥٣ عن محمد بن فضيل وهشيم عن عطاء به. وكلاهما سمع من عطاء بعد الاختلاط. وأخرجه النسائي ٥/ ٢٢١ عن حماد عن عطاء عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عمر لكن بلفظ «من طاف سبعاً فهو كعدل رقبة». ورجاله ثقات، وهو صحيح إن كان سمعه عبد الله من ابن عمر، فإن عبارته تدل على الإرسال. لكن لهذا اللفظ طريق آخر، أخرجه ابن ماجه ٢٩٥٦ من طريق العلاء بن المسيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر به. وهذا إسناد صحيح، رجاله رجال الشيخين. وقال البوصيري: رجاله ثقات.

ـ قلت: فلفظ النسائي صحيح. وأما لفظ المصنف، فلم يرد من وجه صحيح عن ابن عمر، لكن في الباب أحاديث تشهد له، فهو حسن، والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٨.

أن الإجماع انعقد على أن من جنىٰ فيه لا يُؤَمَّن، لأنه هَتَكَ حُرْمَةَ الحَرم وردَّ الأمانَ، فبقي حُكمُ الآية فيمن جَنَى خارجاً منه، ثم لجأ إلى الحَرَم. وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فقال أَحمدُ في رواية المَروذِيِّ: إذا قَتَلَ، أو قَطَع يداً، أو أتى حَدّاً في غير الحَرَم، ثم دخله، لم يُقَمْ عليه الحدُّ، ولم يُقتصَّ منه، ولكن لا يُبايَع، ولا يُشارَى، ولا يُؤاكل حتى يَخرُجَ، فإن فعل شيئاً من ذلك في الحَرَم، استُوفيَ منه. وقال أحمدُ في رواية حَنبلٍ: إذا قَتلَ خارج الحَرَم، ثم دخله، لم يُقتل. وإن كانت الجِنَاية دُون النَّفس، فإنه يُقام عليه الحَدُّ، وبه قال أبو حَنيفةَ وأصحابُه. وقال مالكٌ والشَّافعيُّ: يُقام عليه جميعُ ذلك في النَّفْس، وفيما دُون النَّفس[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ دليلٌ على أنه لا يُقام عليه شيءٌ من ذلك، وهو مذهبُ ابن عُمرَ، وابن عباسٍ، وعَطاءٍ، والشَّعبيِّ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وطَاوسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، الأكثرون على فتح حاء «الحج»، وقرأ حَمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عَاصم: بكسرها. قال مُجاهدٌ: لما أُنزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ قال أهل المِلَل كلُّهم: نحن مُسلمون، فنزلت هذه الآية، فَحجَّه المسلمون، وتَركَهُ المشركون، وقالت اليهودُ: لا نَحُجُّه أبداً.

قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾، قال النَّحويون: «من» بدلٌ مِنَ «الناس»، وهذا بَدَلُ البَعض، كما تقول: ضربتُ زيداً رأسَهُ.

[١٩٨] وقد رُوي عن ابن مسعودٍ، وابن عمرَ، وأنسٍ، وعائشةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنه سُئِلَ: ما السَّبيلُ؟ فقال: «مَنْ وَجَدَ الزَّادَ والرَّاحِلَةَ».

---

[١٩٨] ورد عن جماعة من الصحابة بأسانيد واهية، لا تقوم بها حجة، منها:
١ ـ حديث ابن عمر، أخرجه الترمذي ٨١٣ و ٢٩٩٨ وابن ماجه ٢٨٩٦ والدارقطني ٢/ ٢١٧ والطبري ٧٤٨٢ و ٧٤٨٣ والبيهقي ٤/ ٣٣٠. وأشار الترمذي إلى ضعفه، حيث قال: إبراهيم هو ابن يزيد الخوزي وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه اهـ. وكذا ضعف إسناده الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٣٩٠. لكن تابعه محمد بن عبد الله الليثي عند ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٤، لكن الليثي هذا واهٍ.
٢ ـ حديث ابن مسعود، أخرجه أبو يعلى ٥٠٨٦ وذكره الهيثمي في «المجمع» ٣/ ٢٢٤ وقال: وفيه رجل ضعيف اهـ. وهو في مسند أبي حنيفة ٢٢٣.
٣ ـ حديث أنس، أخرجه الدارقطني ٢/ ٢١٦ والحاكم ١/ ٤٤٢ وصححه على شرطهما، وقال: وقد توبع سعيد بن أبي عروبة، تابعه حمّاد بن سلمة عن قتادة، ثم أسنده هو والدارقطني من طريق حماد وقال: صحيح على شرط مسلم! وسكت الذهبي! وليس كذلك بل فيه عبد الله بن واحد الحراني، وهو متروك.
٤ ـ حديث عائشة: أخرجه الدارقطني ٢/ ٢١٧ والعقيلي ٣٢٣ والبيهقي ٤/ ٣٣٠ وأعلّه العقيلي بعتاب بن أعين وقال: وهم فيه والصواب عن الحسن مرسلاً. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٣٩٠: حديث ابن عمر ضعيف، وحديث أنس معلول، وصوّب البيهقي أن يكون من مرسل الحسن، وأخرجه الدارقطني، بأسانيد ضعيفة اهـ باختصار.
ـ وجاء في «تلخيص الحبير» ٢/ ٢٢١ ما ملخصه: وطرقه كلها ضعيفة، وكذا قال عبد الحق. وقال ابن منذر: =

---

(١) تقدم هذا البحث في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: مَنْ كَفَرَ بالحَجِّ فاعتقده غيرَ واجبٍ، رواه مُقْسِم عن ابن عباسٍ، وابن جُريج عن مُجاهدٍ، وبه قال الحَسَنُ، وعَطاءٌ، وعكرِمةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: مَنْ لم يَرْجُ ثوابَ حَجِّه، ولم يَخَفْ عقابَ تَرْكِه، فقد كَفَرَ به، رواه عليُّ بن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، وابن أبي نَجيح عن مجاهد. **والثالث**: أنه الكُفْرُ بالله، لا بالحجِّ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن عِكرمةَ، ومُجاهدٍ. **والرابع**: أنه إذا أمكنَه الحجُّ، فلم يَحُجَّ حتى مات، وُسِمَ بين عينيه: كَافِرٌ، هذا قول ابن عُمَر. **والخامس**: أنه أراد الكُفرَ بالآيات التي أُنزلت في ذِكر البيت، لأن قوماً من المشركين قالوا: نحن نَكْفُرُ بهذه الآيات، هذا قول ابن زيدٍ.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. قال الحَسَنُ: هُم اليهود والنَّصارى. فأمَّا آياتُ الله فقال ابن عباسٍ: هي القرآن ومحمَّدٌ ﷺ. وأما الشَّهيد، فقال ابن قُتيبةَ: هو بمعنى الشَّاهِد، وقال الخَطَّابيُّ: هو الذي لا يَغِيبُ عنه شيءٌ، كأنه الحَاضِر الشَّاهِد.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾. قال مُقاتلٌ: دَعَتِ اليهودُ حُذَيفةَ، وعَمَّارَ بن ياسرٍ، إلى دِينِهم، فنزلت هذه الآية.

وفي المُراد بأهل الكتاب هاهنا قولان: **أحدهما**: أنهم اليهودُ والنَّصارى، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: اليهود. قاله زَيدُ بن أَسلَمَ، ومُقاتلٌ. قال ابن عباسٍ: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام، والحَجّ. وقال قَتادةُ: لمَ تَصُدُّونَ عن نَبيِّ الله، وعن الإسلام. قال السُّدِّيُّ: كانوا إذا سُئلوا: هل تجدون محمَّداً في كُتبكم؟ قالوا: لا. فَصَدُّوا عنه الناسَ.

قوله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا﴾، قال اللغويُّون: الهاء كنايةٌ عن السَّبيل، والسَّبيل يُذكَّر ويُؤنَّث. وأنشدوا:

فَلاَ تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَىٰ أُناسٍ ... سَيُصْبِحُ سَالِكاً تلكَ السَّبِيلا

ومعنى «تبغونها»: تَبْغُونَ لها، تقول العربُ: أبغني خادماً، يُريدون: ابْتَغِهِ لِي، فإذا أرادوا: ابْتَغِ معي، وأَعِنِّي على طَلَبه، قالوا: أَبْغِنِي، ففتحوا الألف، ويقولون: وَهَبْتُكَ درهماً، كما يقولون: وَهَبْتُ لكَ. قال الشاعر:

فَتَوَلَّى غُلامُهُم ثُمَّ نَادَى ... أَظَلِيماً أَصِيدُكُمْ أَمْ حِمَارَا؟[1]

أراد: أَصِيدُ لكم. ومعنى الآية: يلتَمِسُون لسبيل الله الزَّيغَ والتَّحريفَ، ويُريدونَ رَدَّ الإيمان والاستقامة إلى الكُفر والاعوِجَاج، ويطلبون العُدول عن القَصْدِ، هذا قول الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ، واللغويين.

= لا يثبت مسنداً، والصواب من الروايات رواية الحسن المرسلة ا هـ. ولمزيد الكلام عليه راجع «نصب الراية» ٣/ ٨ ـ ١٠ فقد ذكر طرقه وكشف عن عللها. وانظر «تفسير ابن كثير» بتخريجي عند هذه الآية، وكذا «فتح القدير» للشوكاني.

---

(١) في «اللسان»: ظليم: الذكر من النعام. وأصيدكم: يعني أصيد لكم.

قال ابن جُريرٍ: خرج هذا الكلامُ على السَّبيلِ، والمعنى: لأهْلِهِ، كأنَّ المعنى: تَبْغُونَ لأهل دِين الله، ولِمَنْ هو على سبيل الحقّ عِوجاً. أي: ضَلالاً. قال أبو عُبيدةَ: العِوَجُ بكسر العين، في الدِّين، والكلام، والعملِ، والعَوَج بفتحها، في الحَائطِ والجِذْعِ. وقال الزجّاجُ: العِوَج بكسر العين: فيما لا تَرَى له شخصاً، وما كان له شَخْصٌ قلتَ: عَوَج بفتحها، تقول: في أمره ودينه عِوَجٌ، وفي العَصَا عَوَجٌ. وروى ابن الأنباريّ عن ثَعْلَبٍ قال: العِوَج عند العرب بكسر العين: في كلِّ ما لا يُحاطُ به، والعَوَج بفتح العين في كل ما لا يُحَصَّل، فيُقال: في الأرض عِوَج، وفي الدِّين عِوَجٌ، لأن هذين يتَّسِعَان، ولا يُدركان. وفي العَصا عَوج، وفي السِّنّ عَوَجٌ، لأنهما يُحَاطُ بهما، ويُبلغ كُنْهُهُما. وقال ابن أبي فَارسٍ: العَوَج بفتح العين: في كل مُنْتَصِبٍ، كالحَائط. والعِوَج: ما كان في بِسَاطٍ أو أرضٍ، أو دِينٍ، أو مَعَاشٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه، وأنتم شاهدون بصحَّة ما صَدَدْتُم عنه، وبُطْلاَن ما أنتم فيه، وهذا المعنى مَرويّ عن ابن عباسٍ، وقَتادةَ، والأكثرين. **والثاني**: أن معنى الشهداء هاهنا: العُقَلاء، ذكره القاضي أبو يعلَى في آخرين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

[١٩٩] سبب نزولها أنَّ الأوْسَ والخَزْرَجَ كان بينهما حَربٌ في الجاهلية، فلمَّا جاءَ النَّبيُّ عليه السلام أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رَجُلان أوسِيٌّ وَخزرجِيٌّ يتحدَّثان، ومعهما يهوديٌّ، جعل اليهوديُّ يُذكِّرهُما أيامَهُمَا، والعَداوةَ التي كانت بينهما حتى اقتَتَلا، فنادى كلُّ واحدٍ منهما بقَومِه، فخرجوا بالسِّلاح، فجاء النبيُّ ﷺ، فأصلَحَ بينهم، فنزلت هذه الآية، قاله مُجاهدٌ، وعِكرمةُ، والجماعة. قال المفسرون: والخِطاب بهذه الآية للأوسِ والخَزْرَج. قال زيدُ بن أسلَمَ: وعَنَى بذلك الفَريقِ: شَاسَ بن قَيْسٍ اليهوديّ وأصحابَه. قال الزجّاجُ: ومعنى طَاعَتِهِم: تَقْلِيدُهُم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾. قال ابن قتيبة: أي: يَمْتَنِع، وأصل العِصْمَة: المَنْعُ، قال الزجَّاجُ: ويعتَصِمْ جُزمَ بـ «من» والجواب: ﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

قال عِكرمةُ: نزلت في الأوسِ والخَزرَج حين اقتَتَلوا، وأصلَحَ النبيُّ ﷺ بينهم.

وفي ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

[٢٠٠] **أحدها**: أن يُطاعَ فلا يُعصَى، وأن يُذكَرَ فلا يُنسَى، وأن يُشكَرَ فلا يُكفر، رواه ابن مسعودٍ

---

[١٩٩] ضعيف. أخرجه ابن المنذر كما في «الدر» ٢/١٠٣ (آل عمران: ١٠٠) والواحدي في «أسباب النزول» ٢٣١ عن عكرمة مرسلاً، فهو ضعيف.

[٢٠٠] الصواب موقوف، كذا أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٤٤١ والحاكم ٢/٢٩٤ والطبراني ٨٥٠١ والطبري =

عن النبيِّ ﷺ. وهو قول ابن مسعودٍ، والحَسَنِ، وعِكرمةُ، وقتادة، ومُقاتِلٍ.

والثاني: أن يُجاهد في الله حقَّ الجهاد، وأن لا يأخُذَ العبدَ فيه لَوَمَةُ لائِمٍ، وأن يقوموا له بالقِسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ.

والثالث: أن معناه: اتَّقوه فيما يَحِقُّ عليكم أن تَتَّقوه فيه، قاله الزجّاجُ.

فصل: واختلف العلماء: هل هذا الكلام مُحكَمٌ أو مَنْسُوخٌ؟ على قولين: **أحدهما**: أنه مَنسوخٌ، وهو قول ابن عباسٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وقتادة، وابن زيدٍ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شَقَّت على المسلمين، فنَسَخها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1]. **والثاني**: أنها مُحكَمَةٌ، رواه عليُّ بن أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ، وهو قول طَاوسٍ. قال شيخنا عليُّ بن عبد الله: والاختلاف في نَسْخِها وإحكامِها، يرجع إلى اختلاف المعنى المُراد بها، فالمُعتَقِد نسخَها يرى أنَّ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ الوقوفُ مع جميع ما يجب له ويَستَحِقُّه، وهذا يعجز الكلُّ عن الوفاء به، فتحصيلُه من الواحد مُمتَنِعٌ، والمُعتَقِد إحكامَها يرى أنَّ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أداء ما يلزمُ العبدَ على قَدْرِ طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ لا ناسِخاً ولا مُخَصِّصاً.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال الزجاجُ: اعتَصِموا: استَمْسِكُوا. فأما الحَبْلُ، ففيه ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه كتابُ الله: القُرآن. رواه شَقِيقٌ عن ابن مسعودٍ، وبه قال قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه الجماعة، رواه الشَّعبيُّ عن ابن مسعودٍ. **والثالث**: أنه دِينُ الله، قاله ابن عباسٍ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ، وابن قُتيبةَ. وقال ابن زيدٍ: هو الإسلام. **والرابع**: عَهْدُ الله، قاله مُجاهدٌ، وعَطاءٌ، وقَتادةُ في روايةٍ، وأبو عُبيدٍ، واحتجَّ له الزجاجُ بقول الأعشى:

وإذا تُجَوِّزُها حِبالُ قَبيلَةٍ … أَخَذَتْ مِنَ الأُخرى إليكَ حِبالَها

وأنشد ابن الأنباريِّ:

فَلَو حَبلاً تَناوَلَ مِن سُلَيمى … لَمَدَّ بِحَبلِها حَبلاً مَتيناً[2]

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العَالِية. **والسادس**: أنه أَمْرُ الله وطاعته، قاله مُقاتلُ بن حَيَّان.

قال الزجّاجُ: وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ منصوبٌ على الحال، أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام به. وأصل

= ٧٥٣٩ عن ابن مسعود. وصححه الحاكم على شرطهما، وكرره الطبري ٧٥٣٤ و ٧٥٣٥ و ٧٥٣٦ موقوفاً و ٧٥٣٧ و ٧٥٣٨ و ٧٥٤٠ و ٧٥٤١ من طرق موقوفاً. ولم أجده مرفوعاً، فقد رواه الأئمة كما رأيت موقوفاً، وهو الصواب. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٥٣٨.

---

(١) التغابن: ١٦

(٢) في «اللسان»: الحَبْل الوصال.

﴿تَفَرَّقُوا﴾: تتفرَّقوا، إلا أن التاء حُذفت لاجتماع حرفين من جنسٍ واحدٍ، والمحذوفة هي الثَّانية، لأن الأولى دَليلَةٌ على الاستقبال، فلا يجوز حذفُ الحرف الذي يَدُلُّ على الاستقبال، وهو مجزومٌ بالنَّهي، والأصل: ولا تتفرقون، فحذفت النون، لتدلَّ على الجَزم.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، اختلفوا فيمن أُريد بهذا الكلام على قولين:

أحدهما: أنهم مُشركو العرب، كان القويُّ يستَبيح الضعيفَ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ.

والثاني: الأوَسُ والخَزرَجُ، كان بينهم حربٌ شديدٌ، قاله ابن إسحَاقَ. والأعداءُ: جمع عَدُوٍّ. قال ابن فَارسٍ: وهو من عَدَا: إذا ظَلَمَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ أي: صِرتُم. قال الزجَّاجُ: وأصل الأخ في اللغة أنه الذي مَقْصِدُهُ مَقْصِدُ أخيه، والعرب تقول: فُلانٌ يَتَوَخَّى مَسَارَّ فُلانٍ، أي: ما يَسُرُّه. والشَّفَا: الحَرْفُ. واعلم أن هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله لإشرَافِهم على الهلاك، وقُربهم من العذاب، كأنه قال: كُنتم على حَرْفِ حُفرةٍ من النَّار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت على الكُفر. قال السُّدِّيُّ: فأنقذكم منها محمَّدٌ ﷺ.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ قال الزجَّاجُ: معنى الكلام: ولتكونوا كلكم أُمة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» ها هنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ معناه: اجتنبوا الأوثان، فإنها رجسٌ. ومثله قول الشاعر[1]:

أَخُو رَغَائِبَ يُعطِيهَا ويُسأَلُهَا ... يَأبَى الظُّلامَةَ منهُ النَّوفَلُ الزُّفَرُ

وهو النَّوفَلُ الزُّفَرُ. لأنه وصفه بإعطاء الرَّغائب. والنَّوفل: الكثير الإعطاء للنَّوافل، والزُّفَر: الذي يحمل الأثقالَ. ويدلُّ على أن الكُلَّ أُمِروا بالمعروف والنهي عن المُنكر قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ قال: ويجوز أن يكون أَمَرَ منهم فِرقَةً، لأنَّ الدُّعَاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يَدعُون إليه، وليس الخَلْقُ كلهم علماء ينوب بعض الناس فيه عن بعضٍ، كالجهاد. فأمَّا الخير، ففيه قولان: **أحدهما**: أنه الإسلام، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: العمل بطاعة الله، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وأما المعروف؛ فهو ما يَعرِفُ كلُّ عاقلٍ صوابَه، وضدُّه المُنكر، وقيل: المعروف ها هنا: طاعة الله، والمُنكر: معصيته.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود والنَّصارى، قاله ابن عباسٍ، والحَسنُ في آخرين. **والثاني**: أنهم الحروريَّة[2]، قاله أبو أُمَامَة.

---

(١) هو أعشىٰ باهلة ـ عامر بن الحارث ـ كما في «اللسان» مادة (نفل).

(٢) حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة وقيل على ميلين منها نزل بها الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا إليها ـ انظر معجم البلدان ٢/ ٢٤٥.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قرأ أبو رَزِينٍ العَقِيليُّ، وأبو عِمران الجُونيُّ، وأبو نَهيك: تبيضُّ وتسوَدُّ، بكسر التاء فيهما. وقرأ الحَسن، والزُّهريُّ، وابن مُحَيْصِنٍ، وأبو الجَوزاء: تَبياضُّ وتَسْوادُّ بألف، ومَدَّةٍ فيهما. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يَعْمُر. «فأمَّا الذين اسوادَّت وأمَّا الذين ابياضَّت» بألفٍ ومَدَّةٍ. قال الزجاجُ: أخبر الله بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيضُّ وجُوهٌ. قال ابن عباسٍ: تبيضُّ وجوهُ أهلِ السُّنَّة، وتسوَدُّ وجوه أهل البِدعة. وفي الذين اسودَّت وجوهُهم، خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كلُّ مَنْ كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أُبيُّ بن كَعْبٍ. **والثاني**: أنهم الحروريَّةُ، قاله أبو أُمامة، وأبو إِسحاقَ الهَمذانيُّ. **والثالث**: اليهود، قاله ابن عباسٍ. **والرابع**: أنهم المنافقون، قاله الحَسنُ. **والخامس**: أنهم أهل البِدَع، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتُم﴾ قال الزجاجُ: معناه: فيُقال لهم: أَكَفرتُم، فحذف القولَ لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾[(١)]، أي ويقولان: ربَّنا تقبَّل منا. ومِثْلُه: ﴿مِن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ والمعنى: يَقولُون: سلامٌ عليكم. والألف لَفظُها لفظ الاستفهام، ومعناها التَّقرير والتَّوبيخ. فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يومَ الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحَروريَّةُ، وأهلُ البِدَع، فكُفرهم بعد إيمانهم: مفارقةُ الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فإنهم آمنوا بالنبيِّ قبل مَبْعَثِه، ثم كَفَرُوا بعد ظُهوره، وإن قلنا: المُنافقون، فإنَّهم قالوا بألسِنتهم، وأنكروا بقُلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أصلُ الذَّوق إنما يكون بالفَم، وهذا استعارةٌ منه، فكأنَّهم جَعلوا ما يُتَعرَّف ويُعرَفُ مَذوقاً على وجه التشبيه بالذي يُعرف عند التَّطعم، تقول العرب: قد ذُقتُ من إكرام فلانٍ ما يُرَغبني في قَصْدِهِ، يَعْنُون: عَرَفتُ، ويقولون ذُقِ الفَرَسَ، فاعرِف ما عنده. قال تَميمُ بن مُقْبِلٍ:

أو كـاهـتِـزازِ رُدَيـنـيٍّ تُـذاوِقُـه ... أَيـدِي الـتُّـجَـارِ فَـزادُوا مَـتْـنَـهُ لِـيـنَـا

وقال الآخر:

وإنَّ الـلَّـه ذاقَ حُـلُـومَ قَـيـسٍ ... فَـلَـمَّـا راءَ خِـفَّـتَـهَـا قَـلاهَـا

يعنون بالذَّوق: العِلم. وفي كتاب الخَليل: كل ما نزل بإنسانٍ من مَكروهٍ، فقد ذَاقَهُ.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ قال ابن عباسٍ: همُ المؤمنون. ورحمةُ الله: جَنَّته، قال ابن قُتيبةَ: وسمَّى الجنَّة رحمةً، لأن دخولَهم إيَّاها كان برحمته. وقال الزجَّاجُ: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعادَ ذِكْرَ «فيها» تَوكيداً.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قال بعضهم: معناه: لا يُعاقبهم بلا جُرمٍ. وقال الزجَّاجُ: أعلمَنا أنه يُعذِّب من عَذَّبه باستِحْقاقٍ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ سبب نزولها أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل: ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضلُ منكم، فنزلت هذه الآية[١]، هذا قول عكرمة ومقاتل.

وفيمن أريد بهذه الآية، أربعة أقوالٍ: أحدها: أنهم أهل بدرٍ. والثاني: أنهم المهاجرون. والثالث: جميع الصحابة. والرابع: جميع أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباسٍ.

[٢٠١] وقد روى بَهْزُ بن حَكِيم عن أبيه عن جدِّه عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «إنّكم تُوَفُّون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله عز وجَل». قال الزجّاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبيِّ ﷺ، وهو يَعُمُّ سائر أُمَّتِهِ.

وفي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ﴾، قولان: **أحدهما**: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوالٍ: أحدها: أن معناه: كُنتم في اللَوح المَحفُوظ. والثاني: أن معناه: خُلِقتُم ووُجِدتُم. ذكرهما المفسرون. والثالث: أن المعنى: كُنتم مُذ كُنتم، ذكره ابن الأنباريّ. **والثاني**: أن معنى كُنتم: أنتُم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]. ذَكرَهُ الفرَّاءُ، والزجّاجُ. قال ابن قُتيبةَ: وقد يأتي الفعل على بِنْيَةِ الماضي، وهو رَاهِنٌ، أو مُستقبلٌ، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ﴾ ومعناه: أَنتم، ومِثلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾[٣]، أي: وإِذْ يقولُ. ومِثلُه: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[٤]، أي: سَيأتي، ومِثلُه: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي

---

[٢٠١] حديث صحيح بشواهده. إسناده حسن للاختلاف المعروف في بَهْز عن آبائه، وهي سلسلة الحسن، وللحديث شواهد، جد بهز هو معاوية بن حَيْدَة رضي الله عنه. أخرجه الترمذي ٣٠٠١ وابن ماجه ٤٢٨٧ وأحمد ٤/ ٤٤٧ والحاكم ٤/ ٨٤ والطبري ٧٦١٩ والطبراني في «الكبير» ١٩/ ١٠٢٣ و ١٠٣٠ من حديث بهز بن حكيم. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حديث حسن. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

ـ وأخرج الطبري ٧٦٢١ عن قتادة قال: «ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ قال ذات يوم وهو مسند ظهره إلى الكعبة: نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة، نحن آخرها وخيرها» اهـ. وللحديث شواهد يتقوى بها إن شاء الله تعالى. ويشهد له ما أخرجه أحمد ٣/ ٦١ (١١١٩٣) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «ألا وإن هذه الأمة تُوَفِّي سبعين أمة هي أَخْيَرُها وأكرمُها على الله عز وجل». وهو حديث حسن، وسيأتي.

---

(١) ضعيف. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٣٥ عن عكرمة ومقاتل بدون إسناد وأخرجه الطبري ٧٦٠٧ عن عكرمة مرسلاً مختصراً.

(٢) سورة النساء: ٩٦. (٣) سورة المائدة: ١١٦. (٤) سورة النحل: ١.

﴿ٱلْمَهْدِ﴾[1]، أي: مَنْ هو في المَهْد، ومِثْلُه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2] أي: والله سَميعٌ بَصيرٌ، ومِثْلُه: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾[3] أي: فَنَسُوقُه.

وفي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قولان: **أحدهما**: أن معناه: كُنتم خيرَ النَّاس للنَّاس. قال أبو هُريرةَ: يأتون بهم في السَّلاسِل حتى يُدخِلُوهم في الإِسلام. **والثاني**: أن معناه: كُنتم خيرَ الأُمم التي أخرجت.

وفي قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه شَرْطٌ في الخَيْرِيَّة، وهذا المعنى مَرويّ عن عُمرَ بن الخَطَّاب، ومُجاهِدٍ، والزجَّاج. **والثاني**: أنه ثَناءٌ مِنَ الله عليهم، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ. قال أبو العَاليَة: والمَعروفُ: التَّوحيد. والمُنكرُ: الشِّرك. قال ابن عباسٍ: وأهل الكتاب: النَّصارى واليهود.

قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مَنْ أسلَم، كعبد الله بن سلاَّمٍ وأصحابِه. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ يعني: الكافرين، وهُمُ الذين لم يُسْلِموا.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ قال مُقاتلٌ: سَبَبُ نزولها أن رؤساء اليهود عَمَدُوا إلى عبد الله بن سَلاَّمٍ وأصحابه فآذَوهم لإِسلامهم، فنزَلت هذه الآية[4]. قال ابن عباسٍ: والأذى قولهم: «عُزيرٌ ابن الله» وَ «المسيح ابن الله» و «ثالث ثلاثة». وقال الحَسنُ: هو الكَذِبُ على الله، ودعاؤهم المسلمين إلى الضلالة. وقال الزجاج: هو البهت والتحريف. ومقصود الآية إعلام المسلمين بأنَّه لن يَنالَهُم منهم إلا الأذى باللِسَان مِنْ دُعَائِهِم إِيَّاهُم إلى الضَّلال، وإسمَاعِهِم الكُفرَ، ثم وَعَدَهُم النَّصرَ عليهم في قوله: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، وكذلك كان.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ معناه: أُدرِكُوا وَوُجِدُوا، وذلك أنهم أين نزلوا احتاجُوا إلى عَهدٍ من أهل المكان، وأداءِ جِزيَةٍ. قال الحَسنُ: أَدرَكَتْهُم هذه الأمة، وإنَّ المَجُوسَ لَتُجْبِيهُم الجِزيَة. وأمَّا الحَبْلُ، فقال ابن عباسٍ، وعَطاءٌ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ: الحَبْلُ: العَهْدُ، قال بعضُهم: ومعنى الكلام: إلا بعَهدٍ يأخذونه من المؤمنين بإذن الله. قال الزجَّاجُ: وما بعد الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ليس من الأوَّل، وإنما المعنى: أنهم أذِلاَّءُ، إلا أنهم يَعتَصِمون بالعهد إذا أُعطُوه. وقد سبق في «البقرة» تفسير باقي الآية.

---

(١) سورة مريم: ٢٩. (٢) سورة النساء: ٣٤. (٣) سورة فاطر: ٩.

(٤) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيثما أطلق، وهو متروك متهم بالكذب، فخبره لا شيء.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، في سبب نزولها قولان:

[٢٠٢] **أحدهما**: أن النبيَّ ﷺ، احتبَسَ عن صلاة العِشَاء ليلةً حتى ذهب ثُلُثُ الليل، ثم جاء فبَشَّرَهم، فقال: «إنَّه لا يُصلِّي هذه الصَّلاةَ أحَدٌ مِنْ أهل الكِتَاب»، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مَسعودٍ. **والثاني**: أنه لَمَّا أَسلَمَ ابن سَلاَمٍ في جماعةٍ من اليهود، قال أحْبَارُهم: ما آمَنَ بمحمَّدٍ إلا أشرارُنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتِلٌ.

وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: ليس أمَّةُ محمَّدٍ واليهودُ سواءً، هذا قول ابن مسعودٍ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: ليس اليهودُ كُلُّهم سواءً، بل فيهم مَنْ هو قائمٌ بِأمْرِ الله، هذا قول ابن عباسٍ، وقَتادَة. وقال الزجَّاجُ: الوَقْفُ التَّامُّ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أَهلُ الكِتاب مُتَساوين.

وفي معنى «قائمةٌ» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الثَّابتة على أمرِ الله، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنها العَادِلة، قاله الحَسنُ، ومُجاهدٌ، وابن جُريجٍ. **والثالث**: أنها المُستقيمة، قاله أبو عُبَيدٍ، والزجاجُ. قال الفَرَّاءُ: ذَكَرَ أُمَّةً واحدةً ولَمْ يَذْكرْ بعدَها أُخْرى، والكلام مبنيٌّ على أُخرى، لأن «سواءً» لا بُدَّ لها مِن اثنين، وقد تَسْتَجِيزُ العربُ إضمارَ أحَدِ الشَّيئين إذا كان في الكلام دليلٌ عليه، قال أبو ذُؤَيْبٍ:

عَصَيْتُ إِلَيهَا القَلْبَ إِنِّي لأَمْرِهِ سَمِيْعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلابُهَا؟!

ولَمْ يَقُلْ: أَمْ لا، ولا أَمْ غِيٌّ، لأنَّ الكلام معروفُ المعنى. وقال آخرُ(١):

وَمَا أَدري إِذَا يَمَّمْتُ أَرضاً أُرِيدُ الخَيرَ أَيُّهُمَا يَلِيْنِي

أَأَلْخَيْرُ الَّذي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمِ الشَّرُّ الَّذي هُوَ يَبْتَغِيْنِي

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ ولم يَذْكر ضِدَّه، لأن في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)، دليلاً على ما أَضْمَرَ من ذلك، وقد رَدَّ هذا القولَ الزجَّاجُ، فقال: قد جرى ذِكْرُ أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فأَعلَمَ الله أنَّ منهم أُمةً قائمةً. فما الحاجة إلى أن يقال: وأُمَّةٌ غيرُ قائمةٍ؟ وإنما بدأ بذِكر فِعلِ الأكثر منهم، وهو الكُفر والمُشاقَّة، فذَكَر مَنْ كان منهم مُبايناً لهؤلاء. قال: و ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ سَاعَاتُه، وواحد

---

[٢٠٢] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٩٣ وأحمد ١/ ٣٩٦ وأبو يعلى ٥٣٠٦ وابن حبان ١٥٣٠ والبزار ٣٧٥ «كشف» والواحدي في «أسباب النزول» ٢٣٨ من حديث ابن مسعود، وإسناده حسن لأجل عاصم بن أبي النجود، وحسنه السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٥ وكما نقل الشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٤٣٠ ووافقه، وله شاهد من حديث عائشة، أخرجه البخاري ٥٦٦ ومسلم ٦٣٨. وشاهد آخر من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ٥٦٤ ومسلم ٦٣٩ وليس فيهما نزول الآية. فالحديث حسن بتمامه، وأصله صحيح بشواهده، والله أعلم.

---

(١) هو المثقب العبدي ـ عائذ بن محصن، والبيت من قصيدة جيدة في المفضليات.
(٢) سورة الزمر: ٩.

الآناءِ: إِني. قال ابن فَارِسٍ: يُقال: مضى من الليل إِنى وإِنيَان، والجَمْعُ: الآناءُ. واختلف المفسرون: هل هذه الآناءُ مُعيَّنةٌ من الليل أم لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنها مُعيَّنةٌ، ثم فيها ثلاثة أقوالٍ: أحدها: أنها صلاةُ العِشاء، قاله ابن مسعودٍ، ومُجاهدٌ. والثاني: أنَّها ما بين المَغرب والعِشاء، رواه سُفيانُ عن مَنصورٍ. والثالث: جَوفُ الليل، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنها ساعاتُ الليل من غير تَعيينٍ، قاله قتادةُ في آخرين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، قولان: **أحدهما**: أنه كنايةٌ عن الصلاة، قاله مُقاتلٌ، والفَرَاءُ، والزجَّاجُ. **والثاني**: أنه السُّجود المعروف، وليس المراد أنهم يَتْلُون في حال السجود، ولكنهم جَمَعُوا الأمرين، التلاوةَ والسُّجود.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ وأبو بكرٍ عن عَاصم: تَفعلوا، وتُكفَروه، بالتاء في الموضعين على الخطاب، لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. قال قَتادةُ: فلن تُكفَرُوه: لن يَضِلَّ عنكم. وقرأ قومٌ، منهم: حَمزةُ، والكِسائيُّ، وحفصٌ عن عَاصم، وعبدُ الوَارث عن أبي عمروٍ: يَفعلوا، ويُكفروه، بالياء فيهما، إخباراً عن الأمَّةِ القائمة. وبَقيَّةُ أصحَاب أبي عمروٍ يُخيِّرون بين الياء والتاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن أُنزلت على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها في نَفقات الكُفَّار، وَصَدَقاتهم، قاله مُجاهدٌ. **الثاني**: في نَفقة سَفَلَةِ اليهود على عُلمائهم، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: في نَفقَة المُشركين يومَ بدرٍ. **والرابع**: في نَفقَة المُنافقين إذا خَرَجوا مع المسلمين لحَرْب المشركين، ذَكَرَ هذين القولين أبو الحَسن الماورديُّ. وقال السُّدِّيُّ: إنما ضَرَبَ الإِنفاقَ مَثَلاً لأعمالهم في شِرْكهم.

وفي الصِّرِّ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه البَرْدُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه النَّارُ، قاله ابن عباسٍ، قال ابن الأنباريِّ: وإنما وُصِفَت النَّار بأنها صِرٌّ لتَصويتِهَا عند الالتِهَاب. **والثالث**: أن الصِّرَّ: التَّصْويتُ، والحَرَكَةُ مِنَ الحَصَى والحِجَارة، ومنه: صَريرُ النَّعْل، ذَكَره ابن الأنباريِّ.

والحَرْثُ: الزَّرع. وفي معنى ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: ظلمُوها بالكُفر، والمَعاصي، ومَنْعِ حقِّ الله تعالى. **والثاني**: بأن زَرَعُوا في غير وقت الزَّرعِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباسٍ: أي: ما نقصَهُم ذلك بغير جُرمٍ أصابُوه، وإنما أُنزل بهم ذلك لظُلمهم أنفسَهُم بمَنْع حقِّ الله منه، وهذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله لإبطَال أعمالِهم في الآخرة.

وحُدِّثنا عن ثَعْلب، قال: بَدأ الله عزّ وجلّ هذه الآيَة بالرّيح، والمعنى: على الحَرْث، كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[1] وإنما المعنى على المَنْعُوق به. وقَريبٌ منه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾[2] فخبَّرَ عن «الأزواج» وترَكَ «الذين»، كأنَّه قال: أزواجُ الذين يُتوفَّون منكم يَترَبَّصنَ، فبَدَأ بالذين، ومُرادُه: بعدَ الأزواج. وأنشد:

لَعَلِّيَ إن مَالَتْ بيَ الرِّيحُ مَيْلَةً عَلى ابنِ أَبِي ذَيّانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا

فخبَّرَ عن ابنِ أبي ذيان، وترَكَ نَفْسَه، وإنما أراد: لَعلَّ ابنَ أبي ذيَّان أن يَتَنَدَّمَا إنْ مَالَتْ بيَ الرِّيحُ مَيْلَةً. وقد يبدأ بالشيء، والمُراد التَّأخيرُ، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[3] والمعنى: ترى وجُوهَ الذين كَذَبُوا على الله مسودَّةً يومَ القيامة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ قال ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يُصافُون المنافقين، ويُوَاصِلون رجالاً من اليهود لِمَا كان بينهم من القَرابَة، والصَّداقَة، والجِوَار، والرَّضاع، والحِلْف، فنُهوا عن مُباطَنَتِهم. قال الزجّاجُ: البِطَانَة: الدُّخَلاءُ الذين يُسْتَبْطَنُون أمره ويُنْبَسطُ إليهم، يقال: فُلانٌ بِطانَةٌ لفُلانٍ، أي: مُداخِلٌ له، مُؤانسٌ. ومعنى لا يَألُونكم: لا يَتَّقُون غايةً في إلقائِكم فيمَا يَضُرُّكم.

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عَنَتَكُم، وهو ما نزل بكم من مَكروهٍ وضُرٍّ، ويُقال: فلانٌ يُعْنِتُ فُلاناً، أي: يقصِدُ إدخالَ المَشَقَّة والأذى عليه، وأصلُ هذا من قولهم: أَكَمَةٌ عَنُوتٌ، إذا كانت طويلةً، شاقَّة المَسْلَكِ. قال ابن قُتيبةَ: ومعنى ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: مِنْ غير المسلمين. والخَبالُ: الشَّرُّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ قال ابن عباسٍ: أي: قد ظَهر لكم منهم الكَذِبُ، والشَّتْمُ، ومُخالفة دِينكم، قال القاضي أبو يَعْلى: وفي هذه الآية دلالةٌ على أنَّه لا يجوز الاستعانةُ بأهل الذِّمَّة في أمور المسلمين من العُمَّالات والكَتَبَة[4]، ولهذا قال أحمدُ: لا يستعينُ الإمامُ بأهل الذِّمَّة على قتالِ أهل الحَربِ، ورُوي عن عُمَر أنه بَلَغَهُ أنَّ أبا موسى استَكْتَبَ رجلاً من أهل الذِّمَّة، فكتب إليه يُعَنِّفُهُ، وقال: لا تَرُدُّوهم إلى العِزِّ بعد إذ أَذَلَّهُمُ اللَّهُ.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

---

(١) سورة البقرة: ١٧١. (٢) سورة البقرة: ٢٣٤. (٣) سورة الزمر: ٦٠.

(٤) **قال ابن كثير رحمه الله ١/٣٩٨: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً فقال: قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين، ففي هذا الأثر مع هذه الآية، دليلٌ على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين، واطلاع على دواخل أمورهم التي يُخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب.**

قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ قال ابن عباسٍ: كان عامَّةُ الأنصار يُواصلون اليهود ويُواصلُونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتيبة: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فأمَّا «تحبونهم»، فالهاء والميم عائدةٌ إلى الذين نُهوا عن مُصَافَاتِهم. وفي معنى مَحبَّة المؤمنين لهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَيْلُ إليهم بالطِّبَاع، لموضع القَرَابة والرَّضاع والحِلْفِ، وهذا المعنى منقولٌ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها بمعنى الرَّحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يُقابلُها العذابُ الشَّديد، وهذا المعنىٰ منقولٌ عن قتادَة. **والثالث**: أنها لِمَوضع إظهار المُنافقين الإيمان، رُوي عن أبي العَالِيَة. **والرابع**: أنها بمعنى الإسلام لَهُم، وهم يريدون المسلمين على الكُفر، وهذا قول المُفَضَّلِ، والزجَّاج. والكِتَابُ: بمعنى الكُتُب، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذه حَالةُ المنافقين، وقال مُقاتلٌ: همُ اليهود. والأَنَامِل: أطرافُ الأصابع. قال ابن عباسٍ: والغَيْظُ: الحَنَقُ عليكم، وقيل: هذا من مجَازِ الكلام، ضُرِب مثلاً لما حَلَّ بهم، وإن لم يكن هناك عَضٌّ على أُنمُلةٍ، ومعنى ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾: ابقُوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رُؤية شَمْلِ المسلمين مُلتئماً. قال ابن جرير: هذا أمرٌ من الله تعالى لنبيه أنْ يَدعُو عليهم بأن يُهلكم الله كَمَداً مِنَ الغيظ.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ قال قتادةُ: وهي الأُلفَةُ والجماعة. والسَّيِّئة: الفُرقة والاختلاف، وإصَابَةُ طَرَفٍ من المسلمين. وقال ابن قتيبة: الحَسنةُ: النِّعمة. والسَّيئة: المُصيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: على أذَاهم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: على أَمرِ الله، قاله مُقاتلٌ. وفي قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ قولان: **أحدهما**: الشِّرك، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: المعاصي، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو «لا يَضِرْكُمْ» بكسر الضاد، وتخفيف الراء. وقرأ عَاصمٌ، وابن عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «لا يضُرُّكم» بضم الضاد وتشديد الراء. قال الزجاجُ: الضُّرُّ والضَّيْرُ بمعنى واحدٍ. فأمَّا الكَيْدُ فقال ابن قُتيبةَ: هو المَكْرُ. قال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: والمُحِيطُ: الذي أَحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأشياء كُلِّها.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قال المفسرون: في هذا الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: ولقد نَصرَكُم الله ببدرٍ، وإذ غَدوتَ من أهلِكَ. وقال ابن قُتيبةَ: تُبَوِّيء، من قولك: بَوَّأتُكَ مَنزِلاً: إذا أَفَدْتُكَ إيَاهُ، أو أَسْكَنتكه. ومعنى مقاعد للقتال: المُعسكر والمَصاف. واختلفوا في أيِّ يوم كان ذلك، على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه يومُ أُحُدٍ، قاله عبدُ الرحمن بن عوفٍ، وابن مسعودٍ، وابن عَباسٍ، والزُّهريُّ، وقتادةُ والسُّدِّيُّ، والرَّبيعُ وابن إسحاقَ، وذلك أنه خَرَجَ يومَ أُحُدٍ من بيت عَائشَة إلى أُحُدٍ، فجعَل يَصُفُّ أصحَابَهُ للقتال. **والثاني**: أنه يومُ الأَحزاب، قاله الحَسنُ، ومُجاهدٌ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: يوم بدرٍ نُقل عن

الحَسنِ أيضاً. قال ابن جَريرٍ: والأوّل أصحُّ، لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ وقد اتَّفق العلماء أن ذلك كان يوم أُحُدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: سَميعٌ لمُشاورتك إيَّاهُم في الخُروج، ومُرادِهِم للخُروج؛ عَليمٌ بما يُخفون من حُبِّ الشهادة.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ قال الزجاجُ: كانت التبوئة في ذلك الوقت. وتفشلا: تَجبُنا، وتَخُورَا. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، أي: ناصرهما. قال جابر بن عبد الله:

[٢٠٣] نحن هم بَنو سلِمة، وبَنُو حارِثَة، وما نُحبُّ أن لو لَم يكُنْ ذلك لقول الله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. وقال الحَسنُ: هما طائفتان من الأنصار هَمَّتَا بذلك، فعَصَمَهُمَا اللهُ. وقيل: لَمَّا رَجَعَ عبد الله بن أُبيٍّ في أصحابه يومَ أُحُدٍ، هَمَّت الطَّائفتان باتِّباعِهِ، فَعَصَمَهُمَا اللهُ.

فصل: فأما التَّوكل، فقال ابن عباس: هو الثِّقة بالله. وقال ابن فَارِسٍ: هو إظهَار العَجز في الأمر والاعتماد على غَيرِك، ويُقال: فُلانٌ وُكَلَةٌ تُكَلَةٌ، أي: عَاجِزٌ، يَكِلُ أمرَه إلى غيره. وقال غيره: هو تَفعُّل من الوَكالة، يقال: وَكَلْتُ أمري إلى فُلانٍ فَتَوكَّلَ به، أي: ضَمِنَهُ، وقامَ به، وأنا مُتَوكِّلٌ عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمْرِ إلى الله ثِقَةً بحُسن تدبيره.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ في تسمية بَدرٍ قولان: **أحدهما**: أنها بِئرٌ لرَجُلٍ اسمه بَدْر، قاله الشَّعبيُّ. **والثاني**: أنه اسمٌ للمكانِ الذي التقوا عليه، ذكره الوَاقديُّ عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي لِقِلَّة العَدَد والعُدَد ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لِتَكُونُوا من الشَّاكرين.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ قال الشَّعبيُّ: قال كُرزُ بن جَابرٍ لمُشركي مَكَّةَ: إني أَمُدُّكم بقومي، فاشتدَّ ذلك على المسلمين، فنَزَلت هذه الآية. وفي أيِّ يوم كان ذلك؟ فيه قولان: **أحدهما**: يومَ بَدرٍ، قاله ابن عباسٍ، وعِكرمَةُ ومُجاهدٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: يومَ أُحُدٍ، وَعَدَهُم فيه بالمَدَدِ إنْ صبروا، فلمَّا لَم يَصبِروا لَم يُمَدُّوا، رُوي عن عِكرمَةَ، والضَّحَّاكِ، ومُقاتِلٍ. والأوَّل أصَحُّ. والكِفَايَة: مِقْدارُ سَدِّ الخُلَّة. والاكتِفَاء: الاقتِصَار على ذلك. والإِمدَاد: إعطاءُ الشيء بعدَ الشيء.

قوله تعالى: ﴿مُنزَلِينَ﴾ قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي، وشدَّدها ابن عامرٍ.

---

[٢٠٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٥٨ ومسلم ٢٥٠٥ والطبري ٧٧٢٧ من حديث جابر.
تنبيه: في هذا ردّ على الرافضة الذين اختصوا علياً وحده بالولاية. والآية نزلت في الأنصار بالاتفاق، وهؤلاء كلهم أولياء الله، والله وليهم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: مِنْ وَجْهِهِم وسَفَرِهِم هذا، قاله ابن عباسٍ والحسنُ، وقتاده ومُقاتلٌ، والزجَّاجُ. **والثاني**: من غَضَبِهِم هذا، قاله عِكرمةُ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ في آخرين. قال ابن جَرير: مَنْ قال: مِنْ وَجْهِهِم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر. وأصل الفور ابتداءَ الأَمْرِ يُؤخذ فيه، يُقال: فَارَتِ القِدْرُ: إذ ابتدأ ما فيها بالغَلَيان، ثمَّ اتَّصلَ. وقال ابن فَارسٍ: الفَورُ: الغَلَيانُ، يقال: فَارَتِ القِدْرُ تَفُورُ، وفَارَ غَضَبُهُ: إذا جَاشَ، ويقولون: فَعَلَه مِنْ فَورِهِ، أي: قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَ. وفي يَوم فَوْرِهِم قولان: **أحدهما**: أنه يومُ بَدرٍ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: يومُ أُحُدٍ، قال مُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ: كانوا غَضِبوا يومَ أُحُدٍ ليوم بَدرٍ ممَّا لَقُوا.

قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعَاصمٌ بكسر الواو، والباقون بِفَتْحِهَا، فَمَنْ فَتَحَ الواو، أراد أن الله سَوَّمَهَا، ومَنْ كَسَرَها، أراد أن الملائكة سَوَّمَت أنفُسَهَا. وقال الأخفش: سَوَّمَت خَيْلَها. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال يومَ بَدرٍ:

[٢٠٤] «سَوِّمُوا فإنَّ الملائكةَ قَدْ سَوَّمَتْ» ونسب الفعلَ إليها، فهذا دليلُ الكَسْرِ.

قال ابن قُتيبةَ: ومعنى مُسَوَّمين: مُعَلَّمين بعَلامَةِ الحَرْب، وهو مِنَ السِّيماء، والسَّومَةُ: العَلامَةُ التي يُعَلِّم بها الفارسُ نَفْسَهُ. قال عليٌّ عليه السلام: وكان سِيماءُ خَيْلِ الملائكة يومَ بَدرٍ، الصُّوفُ الأبيض في أذنابِها ونَوَاصِيها. وقال أبو هُريرةَ: العِهْنُ الأَحْمَرُ. وقال مُجاهدٌ: كانت أذنابُ خيولهم مَجْزُوزةً، وفيها العِهْنُ. وقال هِشامُ بن عُروَةَ: كانت الملائكة على خَيْلٍ بُلْقٍ، وعليهم عَمائِمُ صُفْرٌ.

[٢٠٥] وروى ابن عباسٍ عن رجلٍ من بني غِفَار قال: حضرتُ أنا وابنُ عَمٍّ لي بَدْراً، ونحن على شِرْكِنا، فأقبلَتْ سَحابةٌ، فلما دَنَتْ من الجبل سمعنا فيها حَمْحَمَةَ الخَيْل، وسمعنا فارساً يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فأمَّا صاحبي فماتَ مكانَه، وأما أنا فَكِدْتُ أَهْلِكُ، ثمَّ انْتَعَشْتُ.

[٢٠٦] وقال أبو داود المازني: إني لأَتْبَعُ يومَ بَدرٍ رجلاً من المشركين لأَضْرِبَهُ، فوَقَعَ رَأْسُهُ قبل أن يَصِلَ إليه سيفي، فعرفتُ أنَّ غيري قد قَتَلَهُ.

---

[٢٠٤] ضعيف. أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/٢٥٨ والطبري ٧٧٧٥ عن عمير بن إسحاق قال: إن أول ما كان الصوف يومئذ ـ يعني بدر ـ قال رسول الله ﷺ: «تسوّموا فإن الملائكة قد تسوّمت»، وهذا مرسل والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث.

[٢٠٥] ضعيف. أخرجه الطبري ٧٧٤٨ من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّث عن ابن عباس... فذكره. وإسناده ضعيف، لجهالة المحدث لعبد الله.

[٢٠٦] صحيح. أخرجه الطبري ٧٧٥٠ من طريق ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني به. وإسناده ضعيف، في الإسناد من لم يسمّ. وذكره ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٢٧٤ وكذا الحافظ في «الإصابة» ٤/٥٨. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه مسلم ١٧٦٣ بهذا السياق في أثناء حديث طويل، فالخبر صحيح إن شاء الله.

وفي عدد الملائكة يومَ بدرٍ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: خمسة آلافٍ، قاله الحَسَنُ.

[٢٠٧] وروى [محمد بن][1] جُبيرُ بن مُطْعِم عن عليٍّ عليه السلام قال: بَيْنَا أنا أَمْتَحُ[2] من قَلِيْب بَدْرٍ، [إذ] جاءت رِيحٌ شَديدةٌ لَمْ أَرَ أَشَدَّ منها، ثُمَّ جاءت رِيحٌ شديدةٌ لم أرَ أشدَّ منها إلا التي كانت قَبْلَهَا، ثم جاءت رِيحٌ شديدةٌ لم أرَ أشدَّ منها، فكانت الريح الأولى جِبْرِيلَ نَزَلَ في أَلْفَين من الملائكة، وكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الرِّيحُ الثانية مِيْكَائِيْلُ نزل في أَلْفَيْن من الملائكة عن يَمينِ رسول الله، وكانت الرِّيحُ الثالثة إِسْرَافِيْلَ نزل في ألفٍ من الملائكة عن يسارِ رسول الله، وكنت عن يسارِه، وهَزَمَ اللَّه أعداءَه.

والثاني: أربعةُ آلافٍ، قاله الشَّعبيُّ. **والثالث**: أَلفٌ، قاله مُجاهدٌ. **والرابع**: تسعةُ آلافٍ، ذكره الزجَّاجُ. **والخامس**: ثمانيةُ آلافٍ، ذَكَرَهُ بعض المفسرين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني المَدَد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، أي: إلا بِشارَةً تُطَيِّبُ أَنْفُسَكُم، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾، فتَسْكُنَ في الحرب، ولا تَجْزَع. والأكثرون على أنَّ هذا المَدَدَ يوم بَدرٍ. وقال مُجاهدٌ: يومَ أُحُدٍ، ورُوِي عنه ما يدل على أن الله أَمَدَّهم بالملائكة في اليومين جميعاً، غير أن الملائكة لم تُقاتل إلا يوم بَدرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس بكَثْرَة العَدَد والعُدَد.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ معناه: نَصَرَكُم ببَدرٍ ليَقْطَعَ طَرَفاً. قال الزجَّاج: أي: لِيَقْتُلَ قِطْعَةً منهم. وفي أيِّ يوم كان ذلك فيه قولان: **أحدهما**: في يوم بدرٍ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ، والجُمهور. **والثاني**: يوم أُحُدٍ، قُتل منهم ثمانيةٌ وعشرون، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ فيه سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: يَهْزِمُهُم، قاله ابن عباسٍ، والزجَّاجُ. **والثاني**: يُخْزِيهم، قاله قَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: يَصْرَعُهُم، قاله أبو عُبيدٍ، واليَزيديُّ. وقال الخَليلُ: هو الصَّرْعُ على الوَجْهِ. **والرابع**: يُهْلِكُهُم، قاله أبو عُبيدةَ. **والخامس**: يَلْعَنُهُم، قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: يُظَفِّرُ عليهم، قاله المُبَرِّدُ. **والسابع**: يُغِيْظُهُم، قاله النَّضرُ بن شُمَيْلٍ واختاره ابن قُتيبةَ. وقال ابن قُتيبةَ: أهل النَّظَر يَرَون أن التاء فيه مُنقَلِبةٌ عن دالٍ، كأنَّ الأصل فيه: يَكْبِدُهُم، أي: يُصيبُهم في

---

[٢٠٧] ضعيف. أخرجه أبو يعلى ٤٨٩ والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٥٥ من طريق موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن علي، وإسناده ضعيف، أبو الحويرث هو عبد الرحمن بن معاوية وصفه الحافظ بأنه سيء الحفظ، ثم هو منقطع بين محمد بن جبير وعلي. ومع ذلك قال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٧٦: رجاله ثقات؟!.

---

(١) ما بين معقوفتين زيادة عن «مسند أبي يعلى» و «دلائل النبوة» ٣/ ٥٥.

(٢) في «اللسان» الماتح: المستقي، ومتح: جذب الدلو من البئر مستقياً.

أكبادِهم بالحزن والغَيظ، وشدَّةِ العداوة، ومنه يُقال: فلانٌ قد أحرَقَ الحُزنُ كَبِدَهُ، وأحرقت العداوةُ كَبِدَهُ، والعرب تقول: العَدُوُّ: أسودُ الكَبِدِ، قال الأعشَى:

فَـمَـا أُجْـشِـمْـتُ مِـنْ إتـيَـانِ قَـوم ... هُـمُ الأعْـدَاءُ والأكْـبَـادُ سُـودُ

كأنَّ الأكْبَادَ لمَّا احترَقَت بشِدَّة العَداوة، اسوَدَّت، ومنه يُقال للعَدو: كَاشِح، لأنه يخبأ العَداوةَ في كَشحِهِ. والكَشحُ: الخَاصِرَةُ، وإنما يريدون الكَبِدَ. لأن الكَبِدَ هناك. قال الشاعر:

وأُضْمِرُ أَضْغَاناً عَلَيَّ كُشُوحُهَا(١)

والتّاء والدّال متقاربتا المَخرج، والعرب تُدغِم إحداهما في الأخرى، وتُبدِل إحداهما من الأخرى، كقولهم: هَرَتَ الثوبَ وَهَرَدَهُ: إذا خَرَقَهُ، وكذلك: كَبَتَ العدوَّ، وكَبَدَهُ، ومِثْلُهُ كثيرٌ.

قوله تعالى: ﴿فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ قال الزجّاجُ: الخَائِبُ: الذي لم يَنَلْ ما أمَّلَ. وقال غيره: الفَرْقُ بين الخَيبة واليأس، أنَّ الخَيبة لا تكون إلا بعد الأمل، واليأس قد يكون من غير أمَلٍ.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوالٍ:

[٢٠٨] **أحدها**: أن النبيَّ ﷺ كُسِرَت رُبَاعِيَّتُهُ يومَ أُحُدٍ، وشُجَّ في جَبْهَتِه حتى سال الدَّمُ على وَجْهِهِ، فقال: «كيفَ يُفلِحُ قومٌ فعلوا هذا بنَبِيِّهم، وهوَ يَدْعُوهُم إلى ربِّهم عزَّ وجلَّ؟!» فنزلت هذه الآيَة. أخرجه مسلمٌ في أفرَادِهِ من حديث أنسٍ. وهو قول ابن عباسٍ، والحَسَنِ، وقَتَادَة، والرَّبيعِ.

[٢٠٩] **والثاني**: أن النبيَّ ﷺ، لَعَنَ قوماً من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عُمرَ.

والثالث: أن النبيَّ ﷺ هَمَّ بِسَبِّ الذين انهزَمُوا يومَ أُحُدٍ، فنزلت هذه للآية، فكَفَّ عن ذلك، نُقل عن ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ(٢).

---

[٢٠٨] حديث صحيح. أخرجه مسلم ١٧٩١ وأحمد ٣/٢٥٣ و ٢٨٨ وابن حبان ٦٥٧٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٤٤ والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس.
وأخرجه الترمذي ٣٠٠٢ و ٣٠٠٣ وابن ماجه ٤٠٢٧ وأحمد ٣/ ٩٩ وابن حبان ٦٥٧٤ والواحدي ٢٤٢ والبغوي ٣٦٤٢ والطبري ٧٨٠٥ و ٧٨٠٦ و ٧٨٠٧ من طريق حميد الطويل عن أنس.

[٢٠٩] ساقه المصنف بمعناه، وهو حديث صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٦٩ و ٤٥٥٩ و ٧٣٤٦ والترمذي ٣٠٠٤ و ٣٠٠٥ وأحمد ٢/٩٣ وأبو يعلى ٥٥٤٧ وابن خزيمة ٦٢٢ وعبد الرزاق ٤٠٢٧ وابن حبان ١٩٨٧ والنسائي في «التفسير» ٩٥ و ٩٦ والبيهقي ٢/١٧٨ من حديث ابن عمر «أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله: **﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾** فهداهم الله للإسلام. وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه من حديث نافع عن ابن عمر ا هـ. وأخرجه الطبري ٧٨١٧ أيضاً من هذا الوجه. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٥٥٢ بتخريجنا.

---

(١) هو عجز بيت للنمر بن تولب، وصدره: تنفذ منهم نافذات تسؤنني.

(٢) لم أره مسنداً؛ ولا يصح، والصواب ما رواه الإمام مسلم وكذا البخاري.
ـ وذكره الماوردي في «تفسيره» ١/ ٤٢٣ (آل عمران: ١٢٨).

[٢١٠] **والرابع**: أن سبعينَ من أهل الصُفَّة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سُلَيم، عُصيَّة وذكْوان، فقُتِلوا جميعاً، فَدَعا النبيُّ ﷺ عليهم أربعينَ يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلُ بن سُليمانَ.

[٢١١] **والخامس**: أن النبيَّ ﷺ لما رأى حَمزةَ مُمَثَّلاً به، قال: «لأُمَثِّلَنَّ بكذا وكذا مِنْهُم» فنزلت هذه الآية، قاله الوَاقِديُّ.

وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: ليس لك من استِصْلاَحِهِم أو عَذَابِهِم شيءٌ. **والثاني**: ليس لك من النَّصر والهزيمة شيءٌ. وقيل: إنَّ «لك» بمعنى «إليك».

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: في نَصْبه وجهان؛ إنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ معطوفاً على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ وإِنْ شئتَ جعلتَ نصبَهُ على مذهب «حتى» كما تقول: لا أزالُ معكَ حتى تُعْطِيَنِي. ولمَّا نفى الأمرَ عن نَبِيِّه، أثبتَ أنَّ جميع الأمور إليه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾

---

[٢١٠] ضعيف. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك، وكذبه غير و احد. وله شاهد من مرسل الزهري ولكن مراسيل الزهري واهية، أرسله الزهري في أثناء حديثه.
ـ ويشهد له ما أرسله الزهري عقب حديث صحيح. وهو ما أخرج البخاري ٤٥٦٠ و ٦٢٠٠ ومسلم ٦٧٥ والنسائي ٢/ ٢٠١ والشافعي ١/ ٨٦ و ٨٧ وأحمد ٢/ ٢٥٥ وابن أبي شيبة ٢/ ٣١٦ و٣١٧ والطحاوي في «المعاني» ١/ ٢٤١ وأبو عوانة ٢/ ٢٨٠ و ٢٨٣ وابن حبان ١٩٧٢ وابن خزيمة ٦١٩ والدارمي ١/ ٣٧٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٤٦ والبيهقي ٢/ ١٩٧ و ٢٤٤ من حديث أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر، ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لِحيان ورِعلاً، وذكوان وعُصيّة عصت الله ورسوله. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: **﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾**.
ـ وقول «ثم بلغنا» هو من مرسل الزهري كما بينه الحافظ في «الفتح» ٨/ ٧١ فالخبر ضعيف.
وفي الباب من حديث أنس قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية يقال لهم: القرّاء فأصيبوا، فما رأيت النبي ﷺ وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهراً في صلاة الفجر ويقول: إن عصية عصوا الله ورسوله».
أخرجه البخاري ٦٣٩٤ ومسلم ٦٧٧.
ـ الخلاصة: خبر عُصية وذكوان ورعل صحيح، لكن كون الآية نزلت فيهم ضعيف. وقال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٢٢٧: قول الزهري ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت... هذا البلاغ لا يصح، لأن قصة رعل وذكوان كانت بعد أحد، ونزول الآية **﴿ليس لك من الأمر شيء...﴾** كان في قصة أحد، فكيف يتأخر السبب عن النزول؟!.

[٢١١] واهٍ بمرة؛ عزاه المصنف للواقدي واسمه محمد بن عمر، وهو متروك متهم بالكذب، فخبره لا شيء، والصواب في ذلك ما رواه مسلم وكذا البخاري، وأما الأقوال الثلاثة الأخيرة فليست بشيء.
ـ وخبر حمزة سيأتي في سورة النحل عند الآية: ١٢٦.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية. قال سعيد بن جبير: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حل الأجل، فيقول: أخر عنّي، وأزيدُكَ على مَالِكَ، فتلكَ الأضعافُ المُضَاعَفَةُ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هذا تهديدٌ للمؤمنين، لِئَلاَّ يَسْتَحِلُّوا الرِّبَا. قال الزجاجُ: والمعنى: اتقُوا أن تُحِلُّوا ما حَرَّم اللَّهُ فَتَكْفُرُوا.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ كلُّهم أثبتَ الواو في ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ إلا نَافِعاً، وابنَ عامِرٍ، فإنَّهما لم يَذْكُرَاهَا. وقال أبو عليّ: وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشَّام، فمَنْ قرأ بالواو، عطفَ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ على ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ ومن حَذَفَها، فَلأنَّ الجُملةَ الثانية مُلْتَبِسَةٌ بالأولى، فاستَغْنَت عن العطف. ومعنى الآية: بَادِرُوا إلى ما يُوجب المغفرةَ. وفي المُراد بمُوجب المَغفرة ها هنا عشرة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الإخلاص، قاله عثمانُ بن عفَّانَ رضي الله عنه. **والثاني**: أداءُ الفرائض، قاله عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. **والثالث**: الإسلام، قاله ابن عباسٍ. **والرابع**: التَّكبيرةُ الأولى من الصَّلاة، قاله أنسُ بن مالكٍ. **والخامس**: الطَّاعة، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والسادس**: التَّوبة، قاله عِكرِمَةُ. **والسابع**: الهِجْرَةُ، قاله أبو العَالِية. **والثامن**: الجهاد، قاله الضَّحَّاكُ. **والتاسع**: الصَّلوات الخَمْسُ، قاله يَمَانُ. **والعاشر**: الأعمال الصَّالحة، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ قال ابن قُتيبةَ: أراد بالعَرْض السَّعَة، ولَمْ يُرد العَرْضَ الذي يُخالف الطُّولَ، والعرب تقول: بلادٌ عَريضةٌ، أي: واسِعَةٌ.

[٢١٢] وقال النبيُّ ﷺ للمنهزمين يومَ أُحُدٍ: «لقد ذَهَبْتُم فيها عَرِيْضَةً».

قال الشاعر(١):

كَـأَنَّ بـلادَ الله وهـيَ عَـرِيـضَـةٌ … على الخَائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ

قال: وأصل هذا من العَرْض الذي هو خِلاف الطُّول، وإذا عَرُضَ الشيءُ اتَّسع، وإذا لم يَعْرُض ضَاقَ ودَقَّ. وقال سعيدُ بن جُبيرٍ: لو أَلْصَقَ بعضهنَّ إلى بعضٍ كانت الجنَّة في عَرضِهنَّ.

---

[٢١٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٨١٠٢ عن ابن إسحاق به، وهذا مرسل بل معضل، فهو ضعيف. وأخرجه ابن المنذر عن ابن إسحاق كما في «الدر» ٢/ ١٥٧.

---

(١) في «اللسان» مادة - كفف - قال ابن بري: شاهد كفة الحابل قول الشاعر ولم ينسبه لأحد. وكفة حابل: ما يصاد به الظباء، يجعل كالطوق. والحابل: الصائد، وكفته: حبالته التي يصيد بها.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال ابن عباسٍ: في العُسر واليُسر، ومعنى الآية: أنَّهم رَغِبُوا في معاملة الله، فلم يُبْطِرْهُم الرَّخاء فيُنْسِيَهُم، ولم تَمْنَعْهُمُ الضَّرَّاءُ فَيَبْخَلُوا.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ قال الزجَّاجُ: يقال: كَظَمْتَ الغيظَ: إذا أمسكتَ على ما في نَفْسِكَ منه، وكَظَمَ البَعيرُ على جِرَّتِهِ: إذا رَدَّدَهَا في حَلْقِهِ. وقال ابن الأنباريِّ: الأصل في الكَظْم: الإِمْسَاكُ على غَيظٍ وغَمٍّ.

[٢١٣] وروى ابن عُمرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما تَجَرَّعَ عبدٌ جَرْعَةً أفضلُ عند الله مِن جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكظِمُهَا ابتغاءَ وَجْهِ الله تبارك وتعالَى».

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه العَفوُ عن المَمَاليك، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه على إطلاقه، فهم يَعفُونَ عمَّن ظَلَمَهُم، قاله زيدُ بن أَسلَمَ، ومُقاتلٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً﴾، في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٢١٤] **أحدها**: أن امرأةً أتت إلى نَبهانَ التَّمَّارِ تشتري منه تمراً فضمَّها، وقَبَّلها، ثم نَدِمَ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك؛ فنزلت هذه الآية، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ.

[٢١٥] **والثاني**: أنَّ أنصارياً وثَقفِيّاً آخى النبيُّ ﷺ بينهما، فخرج الثَّقفيُّ مع النبيِّ ﷺ في بعض مَغَازيه، فكان الأنصاري يَتَعَاهَدُ أهلَ الثَّقفيِّ، فجاء ذات يوم فأَبصَرَ المرأة قد اغتسلَت وهي ناشِرةٌ شعرَهَا، فدَخَلَ ولم يَستأذِنْ؛ فذهبَ لِيَلْثُمَهَا فوَضَعَتْ كَفَّها على وجهها، فقبَّلَه ثم نَدِمَ، فأَدْبَرَ راجعاً،

---

[٢١٣] جيد. أخرجه ابن ماجه ٤١٨٩ والبيهقي في «الشعب» ٨٣٠٥ و ٨٣٠٧ وأحمد ٢/ ١٢٨ من حديث ابن عمر؛ وإسناده ضعيف، فيه عنعنة الحسن، وهو مدلس. قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات ا هـ. وورد من وجه آخر، أخرجه أحمد ٢/١٢٨ من طريق شجاع بن الوليد عن عمر بن محمد بن سالم عن ابن عمر، وإسناده حسن، رجاله ثقات. وفي الباب حديث ابن عباس، أخرجه أحمد ١/ ٣٢٧. وصدره «من أنظر معسراً، أو وضع له، وقاه الله فيح جهنم، . . .». وله شاهد آخر من حديث معاذ بن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء» أخرجه أبو داود ٤٧٧٧ والترمذي ٢٠٢٢ و ٢٤٩٥ وابن ماجه ٤١٨٦ وأبو يعلى ١٤٩٧ وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٤٧ ـ ٤٨ وأحمد ٣/ ٤٤٠ و ٤٣٨.

[٢١٤] لم أره مسنداً، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٤٧ عن ابن عباس في رواية عطاء بدون إسناد ولا يصح سبب النزول هذا، وقد ورد خبر نبهان التمار. انظر سورة هود آية: ١١٤.

[٢١٥] باطل. ذكره الواحدي ٢٤٨ عن ابن عباس من طريق الكلبي وهو باطل، الكلبي متروك كذاب، وأبو صالح لم يلق ابن عباس. ومقاتل إن كان ابن سليمان فهو كذاب و إن كان ابن حيان فقد روى مناكير كثيرة.

فقالت: سبحانَ اللّهِ خُنْتَ أمانتك، وعصيت ربك ولم تصب حاجتك، قال: فخرج يَسيحُ في الجبال، ويتوبُ إلى الله مِنْ ذَنْبه. فلما قَدِمَ الثَّقفيُّ أخبرتْهُ المرأةُ بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فندم على صنيعه، فوَافَقَهُ ساجداً يقول: ذَنْبي ذَنْبي، قد خُنْتُ أخي. فقال له: يا فلانُ انطَلِق إلى رسول الله ﷺ فَاسأَلْهُ عن ذَنْبِكَ، لعلَّ الله أن يجعلَ لك منه مَخْرَجاً، فرَجَعَ إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بِتَوْبَتِه، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وذكره مُقاتلٌ.

[٢١٦] **والثالث**: أن المسلمين قالوا للنبيِّ ﷺ: بَنُو إسرائيلَ أكرمُ على الله منَّا! كان أحدهم إذا أَذْنَبَ، أصبَحَتْ كفارةُ ذُنُوبه مكتوبةً في عَتَبَةِ بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبيُّ عليه السلام: «ألا أُخبِرُكم بخَيرٍ من ذلك»؟ فقرأ هذه الآية، والتي قَبْلَهَا، هذا قول عَطَاءٍ.

واختلفوا هل هذه الآية نعتٌ للمنفقين في السَّرَّاء والضَّرَّاء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين: **أحدهما**: أنها نعتٌ لهم، قاله الحسنُ. **والثاني**: أنها لِصِنفٍ آخرَ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والفاحشة: القَبيحة، وكل شيءٍ جاوز قَدْرَه فهو فاحشٌ. وفي المراد بها ها هنا قولان: **أحدهما**: أنها الزِّنى، قاله جابر بن زَيدٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها كلُّ كَبيرةٍ، قاله جماعةٌ من المفسرين. واختلفوا في «الظُّلم» المذكور بعدها، فلم يُفرِّق قومٌ بينه وبين الفَاحِشة، وقالوا: الظُّلم للنَّفس فاحشةٌ أيضاً، وَفرَّق آخرون، فقالوا: هو الصَّغائِرُ.

وفي قوله تعالى: ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه ذِكْرُ اللسان، وهو الاستِغْفار، قاله ابن مسعودٍ، وعَطاءٌ في آخرين. **والثاني**: أنه ذِكْرُ القلب، ثم فيه خمسة أقوال: **أحدها**: أنه ذِكْرُ العَرْض على الله، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه ذِكْرُ السُّؤال عنه يومَ القيامة، قاله الوَاقِديُّ. **والثالث**: ذِكْرُ وَعيدِ الله لهم على ما أَتَوا، قاله ابن جَريرٍ. **والرابع**: ذِكْرُ نَهي الله لهم عنه. **والخامس**: ذِكْرُ غُفرانِ الله؛ ذَكَرَ القولين أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

فأما الإِصْرَارُ، فقال الزجَّاجُ: هو الإِقامة على الشيء. وقال ابن فَارِسٍ: هو العَزْمُ على الشيء والثَّبات عليه. وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه مُواقَعةُ الذَّنْب عند الاهتمام به. وهذا مذهب مُجاهدٍ. **والثاني**: أنه الثُّبوت عليه من غير استغفارٍ، وهذا مذهب قَتادَة، وابن إسحاقَ. **والثالث**: أنه تَرْكُ الاستغفار منه، وهذا مذهب السُّدِّيِّ.

وفي معنى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: وهم يعلمون أنَّ الإِصْرَار يَضُرُّ، وأنَّ تَرْكَهُ أَوْلَى مِنَ التَّمادي، قاله ابن عباسٍ، والحَسنُ. **والثاني**: يعلمون أنَّ الله يتوب على مَنْ تَابَ، قاله مُجاهدٌ، وأبو عِمارَةَ. **والثالث**: يعلمون أنهم قد أَذْنَبُوا، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ السُّنَنُ: جَمْعُ سُنَّةٍ، وهي الطَّريقة. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: قد مضى قبلَكم أهل سُنَنٍ وشرائع، فانظروا ماذا صَنَعْنَا بالمُكَذِّبين منهم، وهذا قول

---

[٢١٦] ضعيف. أخرجه الواحدي ٢٤٩ في «الأسباب» عن عطاء مرسلاً، فهو حديث ضعيف.

ابن عباسٍ. **والثاني**: قد مَضَت قبلَكُم سُنَنُ الله في إهلاك مَنْ كَذَّبَ من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مُجاهِدٍ. وفي معنى ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه السَّيْرُ في السَّفَر. قال الزجّاجُ: إذا سِرْتُم في أسفارِكُم، عَرَفتُم أخبارَ الهالكين بِتكذيبهم. **والثاني**: أنه التَّفكُّر. ومعنى: فانظروا: إعتَبِرُوا، والعاقبة: آخِرُ الأَمْر.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ قال سعيدُ بن جُبيرٍ: هذه الآية أوّل ما نَزَل من «آل عِمْرَان».

وفي المُشَار إليه بـ «هذا» قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه شَرْحُ أخبار الأُمَم السَّالِفَة، قاله ابنِ إسحاقَ. والبَيَانُ: الكَشفُ عن الشيء، بَانَ الشَّيء: اتَّضَحَ، وفُلانٌ أَبْيَنُ من فُلانٍ، أي: أَفصَحُ. قال الشَّعبيُّ: هذا بَيانٌ للنَّاس من العَمَى، وهُدىً من الضَّلالة، ومَوعظةٌ من الجهل.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

[٢١٧] سبب نزولها أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ لَمَّا انهزموا يومَ أُحُدٍ، أَقْبَلَ خالدُ بن الوَلِيدِ بِخَيْل المُشركين يريد أن يَعْلُوَ عليهم الجَبَلَ، فقال النبيُّ ﷺ: «اللهُمَّ لا يَعْلُون عَلَينا، اللهُمَّ لا قوَّة لنا إلا بكَ» فنزَلت هذه الآيات، قاله ابن عباسٍ.

قال ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: ولا تَضْعُفُوا. وفيما نهُوا عن الحُزن عليه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَتْلُ إخوانِهم من المسلمين، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه هَزيمَتُهم يومَ أُحُدٍ، وقَتْلُهُم، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنه ما أَصابَ النبيَّ ﷺ من شَجِّهِ، وكَسْرِ رُبَاعِيَّتِه، ذَكَرهُ المَاوَرديُّ. **والرابع**: أنه ما فَاتَ من الغَنِيمَةِ، ذَكَرَه عليُّ بن أحمدَ النَّيسَابُورِيّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾، قال ابن عباسٍ: يقول: أنتم الغالبون وآخِرُ الأَمرِ لَكُم.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝١٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾. قال ابن عباس:

[٢١٨] أصابَهُم يومَ أُحُدٍ قَرْحٌ، فَشَكوا إلى النَّبيِّ ﷺ ما لَقُوا، فنزلت هذه الآية.

---

[٢١٧] ضعيف بهذا اللفظ، والمرفوع منه صحيح، دون ذكر نزول الآية. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٥٠ عن ابن عباس بهذا اللفظ وبدون إسناد، وليس بصحيح، فإن المشهور في الأحاديث الصحيحة أن خالداً ومن معه قد علوا الجبل وكروا على المسلمين، وكان ما كان. وأخرجه الطبري ٧٨٩١ عن ابن عباس مختصراً وفيه عطية العوفي وهو ضعيف وعنه مجاهيل، وهذا خبر منكر، وسيأتي في الصحيح ما يرده.
ـ وله شاهد أخرجه الطبري ٧٨٨٩ عن ابن جريج مرسلاً، ومراسيل ابن جريج واهية جداً.

[٢١٨] ضعيف. أخرجه الطبري ٧٨٩٩ عن عكرمة عن ابن عباس بنحوه، وفيه حفص بن عمر ضعيف.

=

فأمَّا المَسُّ، فهو الإصَابَة، وقرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابن عَامرٍ، ونَافعٌ «قَرْح» بفتح القاف. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عَاصم «قُرح» بضم القاف. واختلفوا هل معنى القِرَاءتين واحدٌ أمْ لا؟ فقال أبو عُبيدٍ: القَرْحُ بالفتح: الجِراحُ، والقَتْلُ. والقُرْحُ بالضَّمِّ: ألَمُ الجِراح. وقال الزجَّاجُ: هُما في اللغة بمعنىً واحدٍ، ومعناه: الجِراحُ وألَمُها، قال: ومعنى نُداوِلُها: أي: نجعل الدَّولةَ في وقت للكُفَّارِ على المؤمنين إذا عَصَى المؤمنون، فأمَّا إذا أطاعوا، فهُم مَنصُورُون، قال: ومعنى ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: لِيَعْلَم واقعاً منهم، لأنَّه عَالِمٌ قبلَ ذلك، وإنما يُجازي على ما وَقَع. وقال ابن عباسٍ: معنى العلم ها هنا: الرُّؤيَة.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ قال أبو الضُّحَى: نزلت في قَتلىٰ أُحُدٍ، قال ابنِ جُرَيج: كان المسلمون يقولون: رَبَّنا أرِنا يوماً كيومِ بَدْرٍ، نَلْتَمِسُ فيه الشَّهادةَ، فاتَّخَذَ منهم شُهداءَ يومَ أُحُدٍ. قال ابن عباسٍ: والظَّالمون ها هنا: المُنافقون. وقال غيرُه: هُمُ الذين انصَرَفُوا يومَ أُحُدٍ مع ابن أُبيٍّ المنافق.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: جعلَ اللهُ الأيامَ مُداوَلَةً بين الناس، لِيُمَحِّصَ المؤمنين، ويَمْحَقَ الكافرين. وفي التَّمْحِيصِ قولان:

أحدهما: أنه الابْتِلاء والاخْتِبَار، وأنشدوا(١):

رأيتُ فُضَيلاً كان شيئاً مُلَفَّفاً ... فكَشَّفَهُ التَّمْحيصُ حتى بَدَا لِيَا

وهذا قول الحَسنِ، ومُجاهدٍ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ، وابن قُتيبة في آخرين.

والثاني: أنه التَّنْقِيَةُ، والتَّخْلِيصُ، وهو قول الزجَّاج، وحُكي عن المُبَرِّدِ، قال: يُقال: مَحَصَ الحَبْلُ مَحْصاً: إذا ذَهَبَ منه الوَبَرُ حتى يَتَخَلَّصَ، ومعنى قوله: اللهم مَحِّصْ عنا ذُنوبَنا: أذْهِبْها عنا. وذكر الزجَّاجُ عن الخَليلِ أن المَحْصَ: التَّخليص، يقال: مَحَصْتُ الشيءَ أَمْحَصُهُ مَحْصاً: إذا أخلصْتُهُ. فعلى القول الأول التَّمْحِيص: ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تَنْقِيَتُهم من الذُّنوب بذلك. قال الفَرَّاءُ: معنى الآية: وليُمَحِّصَ اللهُ بالذُّنُوب عن الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: يُهْلِكُهُم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: يُذهِبُ دَعوتَهم، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: يُنقِصُهم ويُقلِّلهم، قاله الفرَّاءُ. **والرابع**: يُحْبِطُ أعمالَهُم، ذَكَرَهُ الزجَّاجُ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

= وأخرجه ابن المنذر من طريق ابن جريج كما في «الدر المنثور» ٢/ ١٤١ عن ابن عباس قال: نام المسلمون وبهم الكلوم ـ يعني يوم أحد ـ قال عكرمة: وفيهم أنزلت الآية. والآية **﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾** النساء: ١٠٤. وهو ضعيف، ابن جريج عن عكرمة منقطع.

---

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما في «الكامل» ١/ ١٨٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ قال ابن عباس: لمَّا أخبَرهم اللهُ تعالى على لسان نبيِّه ﷺ، بما فَعَل بشهداء يوم بَدرٍ من الكَرامَة، رَغِبوا في ذلك، فتَمَنَّوا قتالاً يُستَشهدُون فيه، فيَلحقُون بإخوانهم، فأرَاهُم اللَّهُ يومَ أُحدٍ، فلم يَلبَثوا أن انهزَموا إلا مَنْ شاء اللَّهُ منهم، فنزَل فيهم ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ يعني القِتَال ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ أي: مِنْ قبل أن تنظروا إليه يومَ أُحدٍ ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يومئذٍ، قال الفَرَّاءُ، وابن قتيبةَ: أي: رأيتُم أسبَابَه، وهي السَّيفُ ونحوه من السِّلاح. وفي معنى ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تنظرون إلى السُّيوف، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه ذُكِرَ للتوكيد، قاله الأخفشُ. وقال الزجَّاجُ: معناه: فقد رَأَيتُموه، وأنتم بُصَراءُ، كما تقول: رأيتُ كذا وكذا، وليسَ في عَيْنِكَ عِلَّةٌ، أي: رأيته رؤيةً حقيقيةً. **والثالث**: أن معناه: وأنتم تَنظرون ما تَمَنَّيْتم. وفي الآية إضمارٌ، أي: فقد رأيتموه فلِمَ انهزَمْتُم!؟

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾. قال ابن عباس:

[٢١٩] صَاحَ الشَّيطانُ يومَ أُحدٍ: قُتِلَ محمَّدٌ. فقال قومٌ: لئِنْ كان قُتل لَنُعطيَنَّهُم بأيدينا إنهم لَعشَائِرُنا وإخوانُنا، ولو كان محمَّدٌ حَيّاً لم نُهزَمْ، فتَرخَّصُوا في الفِرَار، فنزلت هذه الآية.

وقال الضَّحَّاكُ: قال قومٌ من المنافقين: قُتل محمَّدٌ، فالحَقُوا بدِينِكُم الأوَّل، فنزلت هذه الآية. وقال قتَادةُ: قال أُناسٌ: لو كان نَبيّاً ما قُتِل، وقال ناسٌ من عِلْيَةِ أصحاب رسول الله: قَاتِلُوا على ما قَاتَلَ عليه نَبيُّكم حتى تلحقُوا به، فنزلت هذه الآية. ومعنى الآية: أنَّه يموت كما مَاتَتْ قَبْلَه الرُّسل، أَفَإِنْ مات على فِرَاشِهِ، أو قُتل كَمَنْ قُتل قَبْلَهُ من الأنبياء، أتَنقَلِبُون على أعقابِكم؟! أي: تَرجِعُون إلى ما كُنتم عليه من الكُفر؟! وهذا على سبيل المَثَل، يُقال لكل مَنْ رَجَعَ عمَّا كان عليه: قد انقلَب على عَقِبَيْه، وأصله: رَجعَةُ القَهْقَرى، والعَقِبُ: مُؤَخّر القَدَم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ أي: لن يَنْقُصَ الله شيئاً برجُوعِهِ، وإنما يَضُرُّ نَفْسَه ﴿وَسَيَجْزِى﴾ أي: يُثِيبُ ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾، وفيهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الثَّابتون على دِينهم، قاله عليٌّ عليه السلام، وقال: كان أبو بكرٍ أميرَ الشَّاكِرين. **والثاني**: أنهم الشَّاكرون على التوفيق والهداية. **والثالث**: على الدِّين.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ في الإذْنِ قولان:

---

[٢١٩] ضعيف جداً. ذكره الواحدي في «أسبابه» ٢٥٢ وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر» ٢/ ١٤٤ ـ آل عمران: ١٤٤ ـ عن عطية العوفي، وعطية واهٍ. وأخرجه الطبري ٧٩٤٨ عن عطية عن ابن عباس، وإسناده واهٍ لأجل عطية، وعنه مجاهيل. وانظر «تفسير القرطبي» ١٨٤٧ بتخريجنا.

أحدهما: أنه الأَمْرُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الإِذْنُ نَفْسُهُ، قاله مُقاتلٌ.

وقال الزجّاجُ: ومعنى الآية: وما كانت نَفسٌ لِتَموتَ إلا بإذن الله.

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ توكيدٌ، والمعنى: كَتبَ اللهُ ذلك كتاباً ذا أَجَلٍ. والأَجَلُ: الوقت المعلوم، ومِثله في التوكيد ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[١]، لأنه لمَّا قال: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾[٢] دلَّ على أنه مَرفوضٌ، فأكّد بقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾[٣] لأنَّه لمَّا قال: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً﴾[٤] دلَّ على أنه خَلْقُ الله فأكّدَ بقوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ أي: من قَصَدَ بعمله الدنيا، أُعطِيَ منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قَصَدَ الآخرةَ بعمله، أُعطِيَ منها. وقال مُقاتلٌ: عَنَى بالآية: مَنْ ثَبتَ يوم أُحُدٍ، ومَنْ طَلَبَ الغنيمةَ.

فصل: وأكثر العلماء على أن هذا الكلام مُحكَمٌ، وذهبت طائفةٌ إلى نَسخِهِ بقوله تعالى: ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ والصَّحيح أنه مُحكمٌ، لأنه لا يُؤتى أحدٌ شيئاً إلا بِقُدرة الله ومشيئته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ أي ما نشاء، وما قَدَّرنا له، ولم يَقُل: ما يشاءُ هو.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ قرأ الجمهور ﴿وَكَأَيِّن﴾ في وزن «كَعَيِّن». وقرأ ابن كَثيرٍ «وكائِن» في وزن «كَاعِن». قال الفَرّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: «كَأَيِّن» مثل: «كعَيِّن» ينصبون الهمزة، ويُشددون الياء. وتَميمٌ يقولون: «وكائِن» كأنه فاعِلٌ من كِئتُ. وأنشدني الكِسائيُّ:

وكَائِن تَرَى يَسعَى من النَّاس جَاهِداً ... عَلى ابنِ غَدَا مِنهُ شُجاعٌ وعَقْرَبُ

وقال آخرُ:

وكائِن أصابَتْ مُؤمِناً من مُصيبةٍ ... على الله عُقباهَا ومِنهُ ثَوابُها

وقال ابن قُتيبة: كَائِن بمعنى «كَمْ» مِثلَ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾[٥] وفيها لغتان. «كَأَيِّن» بالهمزة وتشديد الياء، و «كَائِن» على وزن «قَائِل»، وقد قُرِئ بهما جميعاً في القرآن، والأكثرُ والأفصحُ تَخفيفُها. قال الشاعر[٦]:

وكَائِن أَرَيْنَا المَوتَ مِنْ ذِي تَحيَّةٍ ... إذا مَا ازدَرَانَا أو أَصرَّ لِمَأْثَمِ

وقال الآخر[٧]:

وكَائِن تَرى مِنْ صَامِتٍ لكَ مُعجِبٍ ... زِيَادتُهُ أو نَقْصُهُ في التَّكَلُّمِ

---

(١) سورة النساء: ٢٤. (٢) سورة النساء: ٢٤. (٣) سورة النمل: ٨٨.
(٤) سورة النمل: ٨٨. (٥) سورة الطلاق: ٨.
(٦) أنشده ابن فارس ولم ينسبه لقائل كما في «الصاحبي» ص ١٣٢.
(٧) هو زهير بن أبي سلمى من «معلقته» في «شرح الزوزني» ص ٨٩.

قوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ قرأ ابن كَثير، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وأَبَانُ، والمُفَضَّلُ كلاهما عن عَاصم: «قُتل» بضم القاف، وكسر التاء من غير ألفٍ، وقرأ الباقون: ﴿قَـٰتَلَ﴾ بألفٍ. وقرأ ابن مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو رَجاء، والحَسنُ، وابن يَعْمُر، وابن جُبيرٍ، وقَتادةُ، وعِكرمةُ، وأيوبُ: «رُبيون» بضم الراء. وقرأ ابن عباسٍ، وأنسٌ وأبو مِجلَزٍ، وأبو العَالية، والجُحْدُريُّ بفتحها. فعَلَى حذف الألف يحتمل وجهين ذكرَهُما الزجَّاجُ: **أحدهما**: أن يكون قُتِلَ للنبيِّ وحدَهُ، ويكون المعنى: وكَأَيِّن من نَبيّ قُتل، ومعه رِبِّيُّون، فَمَا وَهَنُوا بعد قَتْلِه. **والثاني**: أن يكون قتل للرِّبِّيين، ويكون «فما وَهَنُوا» لِمَنْ بقيَ منهم. وعلى إثبات الألف يكون المعنى: أنَّ القومَ قَاتَلُوا، فما وَهَنُوا. وفي معنى الرِّبِّيين خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الأُلوف، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ في روايةٍ، واختاره الفَرَّاءُ. **والثاني**: الجَمَاعاتُ الكثيرة رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وقتادةُ، والسُّدِّيُّ، والرَّبيعُ، واختاره ابن قُتيبةَ. **والثالث**: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، واختاره اليَزيديُّ، والزجَّاجُ. **والرابع**: أنهم الأَتْبَاعُ، قاله ابن زيدٍ. **والخامس**: أنهم المُتَأَلِّهُون العَارفون بالله تعالى، قاله ابن فَارسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الضَّعفُ، قاله ابن عباسٍ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنه العَجزُ، قاله قَتادةُ.

قال ابن قُتيبةُ: والاستِكَانَةُ: الخُشوع والذُّلُّ، ومنه أُخِذَ المسكينُ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: فما وَهَنُوا بالخوف، وما ضَعُفوا بنقصان القوة، ولا استَكَانُوا بالخُضوع. **والثاني**: فما وَهَنوا لِقَتْل نَبِيِّهِم، ولا ضَعُفُوا عن عدوهم، ولا استَكَانُوا لِمَا أصابهم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ يعني الرِّبِّيين. ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي: لم يكُن قولهم غير الاستغفار. والإِسْرَاف: مُجاوزةُ الحَدِّ، وقيل: أُريد بالذنوب الصَّغائر، وبالإسرَاف: الكَبائِر. قوله تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ قال ابن عباسٍ: على القتال. وقال الزجَّاجُ: معناه: ثَبِّتْنا على دِينِك، فإِنَّ الثَّابت على دِينِهِ ثابتٌ في حَرْبِه.

﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه النَّصر، قاله قَتادةُ. **والثاني**: الغَنيمَةُ، قاله ابن جُريجٍ. ورُوي عن ابن عباسٍ، أنه النَّصر والغَنِيمَة.

وفي حُسْنِ ثَواب الآخرة قولان: **أحدهما**: أنه الجَنَّة. **والثاني**: الأَجرُ والمَغفِرة. وهذا تعليمٌ من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العَدوِّ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. قال ابن عباسٍ: نزلت في قول ابن أُبَيّ للمسلمين لمَّا رَجعوا من أُحُدٍ: لو كان نَبِيّاً ما أصابَه الذي أصابَه(١).

وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المنافقون، على قول ابن عباسٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج. **والثالث**: أنهم عَبَدَةُ الأوثان، قاله السُّدِّيُّ. قالوا: وكانوا قد أَمَرُوا المسلمين بالرُّجوع عن دِينِهِم. ومعنى ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾: يَصْرِفُوكُم إلى الشِّرك. ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ﴾ بالعُقوبة.

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: وَلِيُّكم يَنصُرُكم عليهم، فاستَغْنُوا عن مُوالاَة الكُفَّار.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾.

[٢٢٠] قال السُّدِّيُّ: لمَّا ارتحَلَ المشركون يومَ أُحُدٍ نحو مكَّةَ ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قَتَلتُمُوهم حتى إذا لم يبقَ إلا الشَّرْذِمَة، تَركتُمُوهم؟! إرجِعُوا فاستأصِلُوهُم، فقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ، ونزلت هذه الآية.

والإلقاءُ: القَذْفُ. والرُّعبُ: الخوف. قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ وعَاصمٌ، وأبو عمروٍ، وحَمزةُ «الرُّعْب» ساكنةَ العين خفيفةً، وقرأ ابن عَامرٍ، والكِسائيُّ، ويَعقوبُ، وأبو جَعفرٍ، مضمومةَ العين، مُثَقَّلَةً، أينَ وَقَعَتْ. والسُّلطَانُ هاهنا: الحُجَّةُ في قول الجماعة. والمَأْوَى: المكان الذي يُؤوَى إليه. والمَثْوَى: المَقامُ، والثُّوى: الإقامة. قال ابن عباسٍ: والظَّالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾.

[٢٢١] قال محمَّدُ بن كَعبٍ القُرَظيُّ: لما رَجَع النبيُّ ﷺ وأصحابه من أُحُدٍ، قال قومٌ منهم: مِنْ أين أصَابَنا هذا، وقد وَعَدَنا اللهُ النَّصرَ؟! فنزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وَعَد اللهُ تعالى المؤمنين

---

[٢٢٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٨٠٠٢ عن السدي مرسلاً، فهو ضعيف.

[٢٢١] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٥٤ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً وبدون سند، فهو لا شيء. وانظر «تفسير القرطبي» ١٨٥٧.

---

(١) لم أقف عليه، وهو لا شيء لخلوه عن الإسناد.

النَّصرَ بأُحُدٍ، فنَصَرهُم فلمَّا خالفوا، وطَلَبُوا الغَنيمةَ، هُزِموا.

[٢٢٢] وقال ابن عباسٍ: ما نُصِر رسول الله ﷺ في مَوطِنٍ ما نُصِرَ في أُحُدٍ، فأُنكرَ ذلك عليه، فقال: بيني وبينَكُم كتابُ الله، إنَّ الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾. فأمَّا الحَسُّ، فهو القَتْلُ، قاله ابن عباسٍ، والحسنُ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، والجماعة. وقال ابن قُتيبةَ: تَحُسُّونَهُم، أي تَستأصِلُونَهُم بالقَتْلِ، يُقال: سَنَةٌ حَسُوسٌ: إذا أَتَتْ على كلِّ شيءٍ، وجَرادٌ مَحْسُوسٌ: إذا قَتَلَهُ البَرْدُ.

وفي قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: بأَمْرِهِ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: بعِلْمِهِ، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: بقَضَائِهِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ قال الزجَّاجُ: أي: جَبُنْتُم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ أي: اختَلَفْتُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ يعني: النُّصْرَةَ. وقال الفرَّاءُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه: حتى إذا تنازعتُم في الأمرِ، فَشِلتُم وعَصَيْتُم، وهذه الواو زائدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ (١) معناه: ناديناه.

[٢٢٣] فأما تَنازُعُهم، فإنَّ بعضَ الرُّمَاة قال: قد انهزَمَ المُشركون، فَما يَمْنَعُنا مِنَ الغَنِيْمَةِ؟ وقال بعضُهم: بل نَثْبتُ مكانَنَا كما أَمَرَنا رسولُ الله ﷺ، فتَرَكَ المركزَ بعضُهم، وطلبَ الغَنيمةَ، وتركُوا مكانَهم، فذلك عِصيَانُهم، وكان النبيُّ ﷺ قد أوصاهُم: «لَوْ رَأَيْتُم الطَّيْرَ تَخَطَّفُنا فلا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ».

قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ قال المفسرون: همُ الذين طلبوا الغَنيمةَ، وتركوا مكانَهم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهمُ الذين ثَبَتُوا. وقال ابن مسعودٍ: ما كنتُ أظنُّ أحداً من

---

[٢٢٢] أخرجه أحمد ٢٦٠٩ والحاكم ٢/٢٩٦ والبيهقي في «الدلائل» ٤/٢٦٩ و ٢٧٠ عن ابن عباس به، وأتم، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وإسناده لين لأجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، فهو غير قوي، ومقصد ابن عباس هو في بداية المعركة كما هو ظاهر في رواية الحاكم، فللخبر تتمة توضح ذلك.

[٢٢٣] هو بعض الحديث المتقدم عن ابن عباس.

ـ وله شاهد صحيح: أخرجه البخاري ٣٠٣٩ و ٤٠٤٣ وأبو داود ٢٦٦٢ والنسائي في «الكبرى» ١١٠٧٩ والطيالسي ٧٢٥ وأحمد ٤/٢٩٣ و ابن سعد في «الطبقات» ٢/٤٧ وابن حبان ٤٧٣٨ والبيهقي في «الدلائل» ٣/٢٢٩ ـ ٢٣٠ من طرق عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «جعل النبي على الرّجالة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلاً ـ عبد الله بن جبير فقال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هَزَمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم». فهزموهم. قال: فأنا والله رأيت النساء يَشْدُدن، قد بدت خلاخلهن وأَسْوُقهن رافعاتٍ ثيابهن. فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أُخراهم، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين، وكان أصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة وسبعين أسيراً وسبعين قتيلاً.....». واللفظ للبخاري.

---

(١) سورة الصافات: ١٠٣ـ ١٠٤.

أصحاب محمَّدٍ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: رَدَّكُم عن المشركين بقَتْلِكم وهَزيمَتِكم. ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: لِيَخْتَبِرَكُم، فَيُبَيِّنَ الصَّابِرَ مِنَ الجازِع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عَفَا عن عُقوبتكم، قاله ابن عباس. **والثاني**: عَفَا عن استِئْصَالِكُم، قاله الحسَنُ. وكان يقول: هؤلاءِ مع رسولِ الله، في سبيل الله غِضَابٌ لله، يُقاتِلُون أعداءَ الله، نهُوا عن شيءٍ فَضَيَّعُوهُ، فما تُرِكُوا حتى غُمُّوا بهذا الغَمِّ، والفاسقُ اليومَ يَتَجَرَّمُ كلَّ كَبيرةٍ ويَركبُ كلَّ دَاهيةٍ، ويَزعُمُ أنْ لابأسَ عليه، فسوف يَعْلَم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إذ عَفَا عنهم، قاله ابن عباس. **والثاني**: إذ لَمْ يُقتلوا جميعاً، قاله مُقاتلٌ.

﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ قال المفسرون: «إذ» مُتعلِّقَةٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ وأكثرُ القُرَّاءِ على ضَمِّ التاء، وكسر العين، من قوله تعالى: «تُصعِدُون» وهو من الإِصعادِ. ورَوى أَبَانُ عن ثَعلَبٍ، عن عَاصم فَتْحَهُمَا، وهي قراءة الحسَن، ومُجاهدٍ، وهو من الصُّعُود. قال الفَرَّاءُ: الإِصْعَادُ في ابتداءِ الأَسْفَارِ، والمَخَارِج، تقول: أَصْعَدْنَا من بغدادَ إلى خُرَاسَانَ، فإذا صَعَدْتَ على سُلَّم أو دَرَجَةٍ، قلت: صَعَدْتُ، ولا تقول: أَصْعَدْتُ. وقال الزجَّاجُ: كلُّ مَنِ ابتدأ مَسيراً من مكانٍ، فَقد أَصْعَدَ، فأما الصُّعُودُ، فهو من أسفل إلى فوق، قال ومَنْ فتح التاء والعين، أراد الصُّعُودَ في الجَبَل. وللمفسرين في معنى الآية قولان. **أحدهما**: أنه صُعُودُهم في الجَبَل، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنه الإِبعاد في الهزيمة، قاله قَتَادةُ، وابن قُتيبة.

و ﴿تَلْوُونَ﴾ بمعنى: تُعرِّجون. وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ عامٌّ.

[٢٢٤] وقد رُوي عن ابن عباسٍ أنه أُريدَ به النبيُّ ﷺ، قال: والنبيُّ ﷺ يُناديهم مِنْ خَلْفِهم: «إليَّ عبادَ الله، أنا رسولُ الله».

وقرأت عائشةُ وأبو مِجلَزٍ وأبو الجَوزاء وحُمَيدٌ «على أُحُدٍ» بضم الألف والحاء، يَعْنُونَ الجَبَلَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ أي: جَازاكم. قال الفَرَّاءُ: الإِثَابَةُ هاهنا بمعنى عِقَاب، ولكنه كما قال الشاعر(١):

أخـافُ زِيَـاداً أَنْ يـكـونَ عَـطَـاؤُهُ ... أداهِـمَ سُـوداً أو مُـحَـدْرَجَـةً سُـمْـرا

---

[٢٢٤] أخرجه الطبري ٨٠٥٣ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لانقطاعه، ابن جريج لم يدرك ابن عباس. وأخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن مرسلاً كما في «الدر» ٢/ ٥٤ ـ آل عمران: ١٥٣. وأخرجه الطبري أيضاً ٨٠٤٨ عن قتادة مرسلاً. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

---

(١) هو الفرزدق، كما في «اللسان» ـ حدرج ـ وحدرج السوط: أحكم فتله حتى استوى.

المُحَذرَجَةُ: السِّيَاطُ. والسُّودُ فيما يقال: القُيُودُ.

قوله تعالى: ﴿غَمَّا بِغَمٍّ﴾ في هذه الباء أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها بمعنى «مَعَ». **والثاني**: بمعنى «بَعدَ». **والثالث**: بمعنى «عَلَى»، فَعَلَى هذه الثلاثة الأقوال يتعلَّقُ الغَمَّانِ بالصَّحابة. وللمفسرين في المراد بهذين الغَمَّيْن خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أن الغَمَّ الأولَ ما أصابهم من الهزيمة والقَتْلِ، والثاني: إشرافُ خالدِ بن الوَليدِ بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس ومقاتل. **والثاني**: أن الأول قرارهم الأول، والثاني. قرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل، قاله مجاهد. **والثالث**: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح، والثاني: حين سمعوا أن النبيَّ ﷺ قد قُتِلَ، قاله قَتادةُ. **والرابع**: أنَّ الأول ما فَاتَهُم من الغَنيمةِ، والفَتْح، والثاني: إشرَافُ أبي سُفيانَ عليهم، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أن الأوَّل إشرَافُ خالدِ بن الوليدِ عليهم، والثاني: إشرَافُ أبي سُفيانَ عليهم، ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ. **والقولُ الرابع**: أن الباءَ بمعنى الجَزَاء، فتقديره: غَمَّكُم كما غَمَمْتُم غَيْرَكُم، فيكون أَحَدُ الغَمَّين للصحابة، وهو أَحدُ غُمُومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغَمُّ الذي جوزُوا لأجلِهِ لِغَيْرِهِم. وفي المُراد بِغَيْرِهِم قولان: **أحدهما**: أنهُمُ المشركون غَمُّوهُم يومَ بدرٍ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: أنه النبيُّ ﷺ غَمُّوه حيث خَالَفُوه، فجُوزُوا على ذلك بأن غُمّوا بما أَصَابَهُم، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ في «لا» قولان: **أحدهما**: أنها باقيةٌ على أصلها، ومعناها النَّفي، فعلى هذا في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: فأَثابَكُم غمّاً أَنسَاكُم الحُزنَ على ما فَاتَكُم وما أَصابَكُم، وقد رُوي أنهم لما سَمِعوا أنَّ النبيَّ ﷺ قد قُتِل، نَسُوا ما أَصَابَهُم وما فَاتَهُم. والثاني: أنه مُتَّصلٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ فمعنى الكلام: عَفَا عنكُم، لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا على ما فَاتَكُم وأَصابَكُم، لأنَّ عَفوَهُ يُذهِبُ كلَّ غَمّ. **والقول الثاني**: أنها صِلَةٌ، ومعنى الكلام: لكي تَحزَنُوا على ما فَاتَكُم وأَصابَكُم عقوبةً لكم في خِلافِكُم. ومِثلُها قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾(١) أي: لِيَعْلَمَ. هذا قول المُفَضَّلِ. قال ابن عباسٍ: والذي فَاتَهُم: الغَنيمةُ، والذي أَصَابَهُم: القَتلُ والهَزيمةُ.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ قال ابن قُتيبة: الأَمَنَةُ: الأَمْنُ. يُقال: وَقَعَت الأَمَنَةُ في الأرض. وقال الزجَّاجُ: معنى الآية: أَعْقَبَكُم بما نَالَكُم من الرُّعب أن أَمَّنَكُم أَمْناً تَنامُون معه، لأن الشَّديد الخوف لا يَكادُ ينام. و «نُعاساً» منصوبٌ على البَدَل من «أَمَنَة»، يُقال: نَعِسَ الرجل يَنْعَسُ

---

(١) سورة الحديد: ٢٩.

نُعَاساً، فهو نَاعِس. وبعضهم يقول: نَعسَانُ. قال الفرّاءُ: قد سمعتُها، ولكني لا أشتَهيها. قال العلماء: النُّعاسُ: أَخَفُّ النَّوم. وفي وجه الامتِنَان عليهم بالنُّعَاس قولان: **أحدهما**: أنه أَمَّنَهُم بعد خَوفِهم حتى نامُوا، فالمِنَّةُ بِزَوال الخوف، لأنَّ الخائفَ لا ينام. **والثاني**: قَوَّاهُم بالاستراحة على القتال.

قوله تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ قرأ ابن كَثير، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ، وعَاصمٌ، وابن عامرٍ: «يغشى» بالياء مع التَّفخيم، وهو يعود إلى النُّعاس. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ «تغشى» بالتاء مع الإمَالَةِ، وهو يَرْجِعُ إلى الأَمَنةِ. فأما الطَّائفة التي غَشِيَها النَّومُ، فهم المؤمنون، والطَّائفة الذين أَهمَّتهم أنفُسُهم: المُنافقون، أَهَمَّهُم خَلاصُ أنفسِهِم، فذهبَ النَّومُ عنهم.

[٢٢٥] قال أبو طَلحةَ: كان السَّيفُ يسقُطُ من يدي، ثم آخُذُهُ، ثم يسقطُ، وآخذه من النُّعاس. وجعلت أنظرُ، وما منهم أحدٌ يومئذٍ إلا يَمِيدُ تحتَ حَجَفَتِه(١) من النُّعاس.

[٢٢٦] وقال الزُّبَيرُ: أرسَلَ اللهُ علينا النَّومَ، فَمَا مِنَّا رجلٌ إلا ذَقْنُهُ في صدره، فَوَاللهِ إني لأَسْمَعُ كالحُلُم قولَ مُعتِبِ بن قُشَيرٍ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ فَحَفظتُها منه.

قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم ظنُّوا أنَّ الله لا يَنْصُرُ محمَّداً وأصحابَه، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم كَذَّبوا بالقَدَر، رواه الضَّحَّاكُ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهم ظَنُّوا أن مَحمَّداً قد قُتِلَ، قاله مُقاتلٌ. **والرابع**: ظنُّوا أن أمر النبي ﷺ مضمحل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، قال ابن عباسٍ: أي: كَظَنِّ الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ لفظُهُ لفظُ الاستفهام، ومعناه: الجَحْدُ، تقديره: مَا لَنَا من الأمر من شيءٍ. قال الحسنُ: قالوا: لو كان الأمرُ إلينا ما خَرَجْنَا، وإنما أُخْرِجنَا كُرهاً. وقال غيره: المُراد بالأمر: النَّصرُ والظَّفَرُ، قالوا: إنما النصر للمشركين، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾، أي: النصر والظفر، والقَضاءُ والقَدَرُ ﴿لِلَّهِ﴾. والأكثرون قرأوا ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ بنصب اللام، وقرأ أبو عمروٍ برَفعِها، قال أبو عليّ: حجَّةُ مَنْ نصب، أن «كلّه» بمنزلة «أجمعين» في الإحَاطة والعُموم، فلو قال: إنَّ الأمر أَجْمَعَ، لم يَكُن إلا النَّصب، و «كلّه» بمنزلة «أجمعين»، ومن رفع، فلأنَّه قد ابتدأ به، كما ابتدأ بقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ في الذي أَخفَوه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه قولهم: «لو كنا في

---

[٢٢٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٦٨ والترمذي ٣٠٠٧ والنسائي في «الكبرى» ١١١٩٨ وابن سعد ٣/ ٥٠٥ وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٠٦ والطبري ٨٠٧٥ والحاكم ٢/ ٢٩٧ والطبراني ٤٧٠٠ و البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٧٢ وأبو نعيم في «الدلائل» ٤٢١ من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت به. وإسناده على شرط مسلم.

[٢٢٦] أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٧٣ عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده عن الزبير به. وفي الإسناد أحمد بن عبد الجبار العُطاردي، وهو ضعيف، ومن فوقه ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فانحصرت العلة في أحمد هذا.

---

(١) الحجف: ضرب من الترسة، واحدتها حجفة، وقيل: هي من الجلود خاصة. وميد: تحرك ومال.

بيوتنا ما قُتلنا هاهنا». **والثاني**: أنه إِسرارُهم الكُفرَ، والشَّكُّ في أمر الله. **والثالث**: النَّدم على حُضورهم مع المسلمين بأُحُدٍ.

قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: والذي قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍۗ﴾ عبدُ الله بن أُبيّ. والذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ مُعتِبُ بن قُشَير.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ أي: لو تَخلَّفتُم، لَخرَج منكم مَنْ كُتب عليه القتلُ، ولم يُنجِهِ القُعودُ. والمَضاجعُ: المَصارِع بالقَتْل.

قال الزجَّاجُ: ومعنى ﴿بَرَزُوا﴾: صاروا إِلى براز، وهو المكان المُنكَشِفُ. ومعنى ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي: لِيَختبِرَهُ بأعمالكم، لأنه قد علِمَهُ غَيباً، فيَعْلَمُه شهادةً.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْۗ﴾ قال قَتادةُ: أرادَ لِيُظهِرَها من الشَّكِّ والارتياب، بما يُريكم من عجائب صُنعه من الأَمَنَةِ، وإِظهار سَرائِر المُنافقين. وهذا التَّمحِيصُ خاصٌّ للمؤمنين. وقال غيره: أراد بالتَّمحيص: إِبانَة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولِرَسُوله، وللمؤمنين، فهو خطابٌ للمُنافقين.
قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بِمَا فيها. وقال ابن الأنباريّ: معناه: عليمٌ بحقيقة ما في الصدور من المُضْمَرات، فتأنيثُ ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لَقِيتُهُ ذاتَ يومٍ. فيُؤَنِّثون لأنَّ مَقصِدَهم: لَقِيتُهُ مرةً في يومٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ الخطابُ للمؤمنين، وتَولِّيهم: فِرارُهم من العدوّ. والجَمْعَان: جَمْعُ المؤمنين، وجَمْعُ المشركين، وذلك يوم أُحد. واستَزَلَّهم: طَلَبَ زَلَلَهُمْ، قال ابن قُتيبَة: هو كما تقول: إِستَعْجَلتُ فُلاناً، أي: طَلَبْتُ عَجَلَتَهُ، واستَعمَلْتُهُ: طلَبتُ عَمَلَهُ. والذي كَسَبُوا: يريد به الذُّنوبَ. وفي سبب فِرارِهم يومئذٍ قولان: **أحدهما**: أنهم سمعوا أن النبيَّ ﷺ قد قُتِل، فتَرخَّصُوا في الفِرار[1]، قاله ابن عباسٍ في آخرين. **والثاني**: أن الشَّيطان أذْكَرَهُم خطاياهُم، فكرِهُوا لقاءَ الله إِلاَّ على حالٍ يَرْضَونَها، قاله الزجَّاجُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي كالمُنافقين الذين قالوا لإِخوانهم في النِّفاق، وقيل: إِخوانهم في النَّسَب. قال الزجَّاج: وإِنما قال: ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾ ولم يَقُل: إِذ ضَرَبُوا، لأنه يريد: شَأنُهم هذا أبداً، تقول: فُلانٌ إِذا حَدَّثَ صَدَقَ، وإِذا ضُرِب صَبَرَ. و «إِذا» لِمَا يُستَقْبَل، إِلا أنَّه لم يُحكَمْ لهُ بهذا المُستقبل إِلا لِمَا قَدْ خُبِرَ منه فيما مَضَى. قال المفسرون: ومعنى ﴿ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

(١) تقدم، تخريجه، وهو ضعيف جداً.

ساروا وسافروا. و «غزى» جمع غازي. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض فماتوا، أو غزوا، فقتلوا.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عباس: ليجعلَ الله ما ظنُّوا من أنَّهم لو كانوا عِندَهم، سَلِمُوا، ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: حُزناً. قال ابن فارس: الحَسْرَةُ: التَّلهُّفُ على الشيء الفائِت. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: ليس تَحَرُّزُ الإنسان يَمنَعُهُ من أجَلِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كُثير، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «يعملون» بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. قال أبو عليّ: حُجَّة من قرأ بالياء أنَّ قَبلَها غَيبَةً، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾، ومَنْ قرأ بالتاء، فحُجَّتُهُ ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ اللام في «لئن» لام القَسَم، تقديره: واللهِ لَئِنْ قُتلتم في الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ في إقامَتِكم. قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابن عامرٍ، وأبو بَكرٍ عن عاصم: «مُتَّ» و«مُتُّم» و «مُتْنا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حَفصٌ عن عاصم: ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ كلَّ ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من أعْراض الدُّنيا التي تتركون الجهاد لِجَمْعِها. وقرأ حَفص عن عاصم: يجمعون بالياء، ومعناه: خيرٌ ممَّا يجمعُ غيرُكم ممَّا تَركوا الجهادَ لِجَمْعِهِ. قال ابن عباسٍ: خيرٌ ممَّا يجمع المنافقون في الدنيا.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ أي: في إقامَتِكم. ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في جِهادكم. ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾. وهذا تخويفٌ من القيامة. والحَشر: الجَمْعُ من سَوْقٍ.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ وابن قُتيبةَ والزجَّاجُ: «ما» هاهنا صِلَةٌ، ومثله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾. قال ابن الأنبارِيِّ: دخول «ما» هاهنا يحدُثُ توكيداً. قال النَّابغَةُ:

المرءُ يَهوَى أنْ يَعِيـ ـشَ وطُولُ عَيشٍ ما يَضُرُّه

فأكَّدَ بذِكرِ «ما». وفيمن تَتعلَّقُ به هذه الرَّحمة قولان: **أحدهما**: أنها تَتعلَّقُ بالنبيِّ ﷺ. **والثاني**: بالمؤمنين.

قال قَتادةُ: ومعنى ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ لأنَ جانبُك، وحَسُنَ خُلُقُكَ، وكَثُرَ احتِمالُك. قال الزجَّاجُ: والفَظُّ: الغليظ الجانب، السَّيءُ الخُلُق، يقال: فَظِظْتَ تَفظُّ فَظاظَةً وفَظَظاً، والفَظُّ: ماء الكِرْشِ والفَرْث، وإنما سُمِّي فَظّاً لِغِلَظ مَشرَبِهِ. فأمَّا الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذِكرُ

الفَظَاظَة والغِلَظ ـ وإن كانا بمعنًى واحدٍ ـ توكيداً. وقال ابن عباسٍ: الفَظُّ: في القول، والغَليظ القلب: في الفِعْلِ.

قوله تعالى: ﴿لَانفَضُّواْ﴾ أي: تَفَرَّقُوا. وتقول: فَضَضْتُ عن الكِتَاب خَتْمَهُ: إذا فَرَّقْتَهُ عنه. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوز عن هَفَوَاتِهِم، وسَلِ الله المغفرَة لذُنُوبِهِم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ معناه: اِستَخْرِج آرَاءَهُمْ، واعلَمْ ما عِنْدَهُم. ويُقال: إنه من: شُرْتُ العَسَلَ. وأنشدوا[1]:

وقَاسَمَهَا بالله حَقّاً لأَنْتُم ... أَلَذُّ مِنَ السَّلوى إذا مَا نَشُورُهَا

قال الزجّاجُ: يقال: شَاوَرتُ الرجلَ مُشَاورةً وَشَوْراً، وما يكون عن ذلك اسمُهُ المَشُورَةُ وبعضهم يقول: المَشْوَرَة. ويُقال: فلانٌ حَسَنُ الصُّورة والشُّورَة، أي: حَسَنُ الهَيئَة واللباس. ومعنى قولهم: شَاورتُ فُلاناً، أظهرتُ ما عندَهُ وما عندي. وشُرْتُ الدَّابةَ: إذا امتَحَنْتها. فعرفت هَيئَتَها في سَيْرِها. وشُرْتُ العسلَ: إذا أخذتَهُ من مَوَاضِعِ النَّحْل. وعَسَلٌ مُشَارٌ. قال الأعشى:

كَأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيـ ... ـلَ بَاتَا بِفِيهَا وأَرْياً مُشَارَا

والأَرْيُ: العَسَلُ. واختلف العلماء لأي معنًى أَمَرَ الله نبيَّهُ بمُشَاورة أصحابه مع كونه كاملُ الرأي، تامُّ التَّدبير، على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لِيَستَنَّ به مَنْ بَعدَهُ، وهذا قول الحسَنِ، وسُفيانَ بن عُيَيْنَةَ. **والثاني**: لِتَطْيِبَ قلوبُهم، وهو قول قَتادةَ، والرَّبيعِ، وابن إِسحاقَ، ومُقاتلٍ. قال الشَّافعيُّ رضي الله عنه: نَظيرُ هذا قولُه عليه السلام:

[٢٢٧] «البِكْرَ تُستأمَرُ في نَفْسِهَا»، إنما أراد استطَابَةَ نَفْسِهَا، فإنها لو كَرِهَتْ، كان للأب أنْ يُزَوِّجَها، وكذلك مُشَاوَرَةُ إبراهيمَ عليه السلام لابنه حين أُمِرَ بِذَبْحه.

والثالث: للإعلامِ بَبرَكَةِ المُشاورة، وهو قول الضَّحَّاكِ.

ومِنْ فوائد المُشاورة أن المُشَاوِرَ إذا لم يَنْجَحْ أَمرُهُ، عَلِمَ أن امتناعَ النجاح مَحْضُ قَدَرٍ، فلَمْ يَلُمْ نَفْسَهُ، ومنها أنه قد يَعزِمُ على أمرٍ، فيبينُ له الصَّواب في قولِ غيرِه، فَيعلَمَ عَجزَ نَفْسِه عن الإحَاطة بفُنون المَصالِح. قال عليٌّ عليه السلام: الاستِشَارَةُ عينُ الهِدَاية، وقد خَاطَرَ من استغنى برأيه، والتَّدبيرُ قبلَ العمل يُؤَمِّنُكَ من النَّدم. وقال بعضُ الحكماء: ما اسْتُنبِط الصَّوابُ بِمِثْلِ المُشَاوَرَة، ولا حُصِنَتِ النِّعَم بمِثْلِ المُوَاسَاة، ولا اكتُسِبَت البَغضاءُ بِمِثْلِ الكِبْرِ. واعلم أنه إنَّما أَمِرَ النبيُّ ﷺ بمُشاورة أصحابه فيما لَمْ يَأْتِه فيه وَحْيٌ، وَعَمَّهُم بالذِّكر، والمقصود أرباب الفَضْل والتَّجَارب منهم.

وفي الذي أُمِرَ بمُشَاوَرَتِهم فيه قولان، حكاهُما القاضي أبو يعلَى: **أحدهما**: أنه أَمْرُ الدُّنيا خاصَّةً. **والثاني**: أمرُ الدِّين والدُّنيا، وهو أَصَحُّ.

---

[٢٢٧] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٢١ وأبو داود ٢٠٩٩ والنسائي ٦/ ٨٥ والدارقطني ٣/ ٢٤٠ و ٢٤٠ ـ ٢٤١ والطبراني ١٠/ ١٠٧٤٥ و ٤٠٨٤ و ٤٠٨٧ و ٤٠٨٩ وابن حبان ٤٠٨٨ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأمرها أبوها في نفسها، وإذنها صماتها».

---

(١) البيت لخالد بن زهير «ديوان الهذليين» ١/ ١٥٨.

وقد قرأ ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ «وشاورهم في بعض الأمر».

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ قال ابن فارسٍ: العَزْمُ: عَقْدُ القلب على الشيء ويُريد أن يَفْعَلَهُ. وقد قرأ أبو رَزِينٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وأبو العَالِية، وعِكرِمةُ، والجُحْدُريُّ: (فإذا عزمتُ) بضمّ التاء. فأمّا التَّوكُّل، فقد سبق شَرحُه.

ومعنى الكلام: فإذا عزمتَ على فِعْلِ شيءٍ، فَتَوَكَّل على الله، لاَ على المُشَاورة.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال ابن فارسٍ: النَّصر: العَوْنُ، والخِذْلاَنُ: تَرْكُ العَون. وقيل؛ الكِنَاية في قوله تعالى ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ تعودُ إلى خِذْلاَنِهِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾، في سبب نزولها سبعة أقوالٍ:

[٢٢٨] **أحدها**: أن قَطِيفَةً من المَغْنَمِ فُقِدت يومَ بدرٍ، فقال ناسٌ: لعلَّ النبيَّ ﷺ أَخذَها، فنزلت هذه الآية، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ.

[٢٢٩] **والثاني**: أنَّ رجلاً غلَّ من غنائم هَوازنَ يوم حُنَيْنٍ، فنزلت هذه الآية، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ.

[٢٣٠] **والثالث**: أن قوماً من أشراف النَّاس طَلَبُوا من رسول الله ﷺ أن يَخُصَّهُم بشيءٍ من الغَنائِم، فنزلت هذه الآية، نُقل عن ابن عباسٍ أيضاً.

[٢٣١] **والرابع**: أن النبيَّ ﷺ بَعثَ طَلائِعاً، فغَنِمَ النبيُّ ﷺ غنيمةً، ولم يُقَسِّم للطَّلائِعِ، فقالوا قَسَمَ الفَيءَ ولم يَقْسِمْ لنا، فنزلت هذة الآية، قاله الضَّحَّاكُ.

---

[٢٢٨] غير قوي. أخرجه أبو داود ٣٩٧١ والترمذي ٣٠٠٩ وأبو يعلى ٢٤٣٨ والطبري ٨١٣٨ والواحدي ٢٥٥ من طريق خصيف عن عكرمة عن ابن عباس. وفي إسناده ضعف من أجل خصيف بن عبد الرحمن الجزري فإنه صدوق لكنه سيء الحفظ، وقد رواه بعضهم مرسلاً.

ـ وأخرجه الطبري ٨١٣٧ عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم، ولم يذكر فيه ابن عباس اهـ.

وورد من وجه آخر عن ابن عباس، أخرجه الطبراني ١١/١٠١ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٥٦ وإسناده ضعيف لضعف محمد بن أحمد النرسي شيخ الطبراني. والله أعلم.

[٢٢٩] باطل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٥٧ م عن الضحاك عن ابن عباس والضحاك لم يسمع ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك الحديث والسورة نزلت قبل حنين بزمن، فهذا خبر باطل.

[٢٣٠] لم أقف على إسناده. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون إسناد، فهذا لا شيء، لخلوه عن الإسناد.

[٢٣١] ضعيف. أخرجه الطبري ٨١٤٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٥٧ عن الضحاك مرسلاً، فهو ضعيف.

[٢٣٢] **والخامس**: أنَّ قوماً غَلُّوا يومَ بدرٍ، فنزلت هذه الآية، قاله قَتادةُ.

[٢٣٣] **والسادس**: أنها نزلت في الذين تَركُوا مَرْكَزَهُم يومُ أُحُدٍ طَلَباً للغَنِيمَة، وقالوا: نَخَافُ أن يقولَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ شيئاً، فهُوَ لَهُ» فقال لهُمُ النبيُّ ﷺ: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيكُمْ أَلاَّ تَبرَحُوا؟! أَظَنَنْتُمْ أَنَّا نَغُلُّ؟!» فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابن السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ.

والسابع: أنها نزلت في غُلُولِ الوَحيِ، قاله القُرَظِيُّ، وابنُ إِسحاقَ(١).

وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عَيْبِ دِينِهِم وآلهتهم، فسَأَلُوه أن يَطْوِيَ ذلك، فنزلت هذه الآية.

واختلف القُرَّاءُ في «يَغُل» فقرأ ابن كثيرٍ، وعَاصِمٍ، وأبو عمروٍ: بفتح الياء وضمِّ الغين، ومعناها: يَخُونُ، وفي هذه الخيانة قولان: **أحدهما**: خِيانَةُ المالَ على قول الأكثرين. **والثاني**: خِيَانَةُ الوَحي على قول القُرَظيِّ، وابن إِسحاقَ. وقرأ الباقون: بضمِّ الياء وفتح الغين، ولها وجهان: **أحدهما**: أن يكون المعنى يُخَان، ويجوز أن يكون: يُلفى خائناً، يقال: أغللت فلاناً، أي: وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محموداً، قاله الحسنُ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: يُخَوَّن، قاله الفَرَّاءُ، وأجازه الزجَّاجُ، وردَّهُ ابن قُتيبةَ، فقال: لو أراد: يخون، لَقَالَ: يَغَلَّل، كما يُقال: يَفْسَق ويخون، ويفجر.

وقيل: «اللام» في قوله «لِنَبِيٍّ» مَنْقولَةٌ، ومعنى الآية: وما كان النبيُّ لِيَغُلَّ، ومِثْلُه: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾(٢) أي: ما كان الله لِيَتَّخِذَ وَلَداً. وهذه الآية من أَلْطَفِ التَّعريض، إِذ قد ثَبَتَتْ براءةُ سَاحَةِ النبيِّ ﷺ من الغُلُول، فدَلَّ على أنَّ الغُلُولَ في غيره. ومثله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٣) وقد ذُكِرَ عن السُّدِّيِّ نَحوُ هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الغُلُولُ: أَخْذُ شيءٍ من المَغْنَم خُفْيَةً، ومنه الغِلالَةُ، وهي ثوبٌ يُلبَسُ تحت الثياب، والغَلَل: وهو الماء الذي يجري تحت الشَّجر، والغِلُّ: وهو الحِقْدُ الكامِنُ في الصَّدر، وأصل الباب الاختفاء. وفي إِتيانه بما غَلَّ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه يأتي بما غَلَّهُ، يَحْمِلُهُ، ويدلُّ عليه ما روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» من حديث أبي هُريرةَ قال:

---

[٢٣٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٨١٥٢ وعبد بن حميد كما في «الدر» ٢/ ١٦٢ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف.

[٢٣٣] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٥٨ م عن الكلبي ومقاتل بدون إسناد. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٤٣٤: ذكره الثعلبي والواحدي في «أسبابه» عن الكلبي ومقاتل... ا هـ.
وهو معضل، مقاتل إن كان ابن سليمان فهو متروك متهم، وإن كان ابن حيان فقد روى مناكير كثيرة، وأما الكلبي فمتروك متهم ولم أر من أسنده، ولا روي عن غيرهما.

---

(١) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٨١٤٧ عن ابن إسحاق، وهذا معضل فهو ضعيف جداً.
(٢) سورة مريم: ٣٦. (٣) سورة سبأ: ٢٥.

[٢٣٤] قَامَ فينا رسولُ الله ﷺ يوماً فَذَكر الغُلولَ، فعظَّمَهُ، وعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثم قال: «لا أُلفِيَنَّ أحدَكُم يَجيءُ يومَ القيامة على رَقَبته بَعيرٌ له رُغاءٌ، يقول: يا رسولَ الله أَغِثْنِي، فأقول: لا أَمْلِكُ لكَ شيئاً، قد أَبلَغْتُكَ. لا أُلفِيَنَّ أحدَكُم يجيءُ يومَ القيامة على رَقَبتهُ فَرَسٌ له حَمْحَمَةٌ، فيقول: يا رسول الله أَغِثْني، فأقول: لا أَمْلِكُ لكَ شيئاً، قد أَبلَغْتُكَ. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا أُلفِيَنَّ أحدَكُمْ يَجيءُ يومَ القيامة على رَقَبتهِ نَفسٌ لها صِيَاحٌ، فيقول: يا رسولَ الله أَغِثْنِي، فأقول: لا أَمْلِكُ لكَ شيئاً، قد أَبلَغْتُكَ. لا أُلفِيَنَّ أحدكُمْ يجيءُ يومَ القيامة على رَقَبتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فيقول: يا رسولَ الله أَغِثْنِي، فأقول: لا أَمْلِكُ لَكَ شيئاً، قد أبلَغْتُكَ. لا أُلفِيَنَّ أحدَكُم يجيءُ يومَ القيامة على رَقَبَتِه صَامِتٌ، فيقول: يا رسولَ الله أَغِثْنِي، فأقول: لا أَمْلِكُ لكَ شيئاً، قد أَبْلَغْتُكَ». الرُّغَاءُ: صوتُ البَعِيْرِ، والثُّغاءُ: صوتُ الشَّاةِ، والنَّفسُ: ما يُغَلُّ من السَّبْيِ، والرِّقَاعُ: الثِّياب، والصَّامِتُ: المَالُ.

والقول الثاني: أَنَّهُ يأتي حَامِلاً إِثْمَ ما غَلَّ. **والثالث**: أنه يَرُدُّ عِوَضَ ما غَلَّ من حَسَنَاتِهِ. والقولُ الأَوَّلُ أصحُ لِمَكَان الأثَرِ الصَّحيح.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين:

أحدهما: أن معناها: أَفَمَن اتَّبَعَ رضوانَ الله، فلم يَغُلَّ، ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ حينَ غَلَّ؟! هذا قول سعيدِ بن جُبَيرٍ، والضَّحَّاكِ، والجمهور.

والثاني: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا أَمَرَ المسلمين باتِّباعِهِ يومَ أُحُدٍ، اتَّبعَهُ المؤمنون، وتَخلَّفَ جماعةٌ من المنافقين، فأَخبَرَ الله بحَالِ مَنْ تبعَهَ، وَمَنْ تَخلَّفَ عنه، هذا قول الزجَّاجِ.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾، قال الزجَّاجُ: معناه: هم ذَوُو دَرَجاتٍ. وفي معنى دَرَجات قولان:

أحدهما: أنَّها دَرَجاتُ الجنة، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنها فَضَائِلُهُم، فبعضهم أفضلُ من بعضٍ، قاله الفَرَّاءُ، وابن قُتَيْبة. وفِيْمَن عَنى بهذا الكلام قولان: **أحدهما**: أنهم الذين اتَّبعوا رضوانَ الله، والذين بَاؤُوا بسَخَطٍ من الله، فَلِمَن اتَّبع رضوَانه الثَّواب، ولِمَنْ بَاءَ بسَخَطِه العذاب، هذا قول ابن عباسٍ.

والثاني: أنهم الذين اتَّبعوا رضوانَ الله فقط، فإنَّهم يتفاوَتُون في المَنَازِل، هذا قول سعيدِ بن جُبيرٍ، وأبي صالحٍ، ومُقاتِلٍ.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

---

[٢٣٤] صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٧٣ ومسلم ١٨٣١ وابن حبان ٤٨٤٧ و ٤٨٤٨ والطبري ٨١٥٥ و ٨١٥٦ وأحمد ٢/ ٤٢٦ من حديث أبي هريرة بألفاظ متقاربة.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنْعَمَ عليهم. و «أنفسهم»: جماعتهم، وقيل: نَسَبُهُم. وقرأ الضَّحَّاك، وأبو الجَوزَاءِ: (من أَنْفَسهم) بفتح الفاء. وفي وجه الامتِنَان عليهم بِكَونِهِ من أَنْفُسِهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: لِكَونِه معروفَ النَّسَب فيهم، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةِ. **والثاني**: لِكَونِهِم قد خَبِرُوا أمره، وعَلِموا صِدقَه، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: ليسهل عليهم التعلُّم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. **والرابع**: لأن شَرَفَهُم يَتِمُّ بظهور نبيّ منهم، قاله المَاوَرديُّ. وهل هذه الآية خاصَّةٌ أم عامَّةٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنها خاصَّةٌ للعَرَب. رُوِي عن عائشة والجمهور. **والثاني**: أنها عامَّةٌ لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بَمَلَكٍ، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيارُ الزجَّاج. وقد سبق في (البقرة) بيانُ باقي الآية.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾، قال عُمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه: لَمَّا كان يوم أُحُدٍ، عُوقِبُوا بما صَنَعُوا يومَ بدرٍ، مِنْ أَخْذِهِم الفِدَاء، فقُتِلَ منهم سبعون، وفرَّ أصحابُ النبيِّ ﷺ، وكُسرت رُبَاعِيَّتُه، وهُشِّمَت البَيْضَةُ على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية إلى قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ قال: بأخذكم الفداء.

قوله تعالى ﴿أَوَلَمَّآ﴾ قال الزجَّاجُ: هذه واو النَّسَق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحةً على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تَكَلَّمَ فلانٌ بكذا وكذا فيقول المُجيب له: أَوَ هو مِمَّن يقول ذلك؟ فأمَّا «المصيبة» فما أصابهم يومَ أُحُدٍ، وكانوا قد أَصَابُوا مِثْلَيْهَا من المشركين يومَ بَدرٍ، لأنَّهم قُتل منهم سبعون، فَقَتَلُوا يومَ بدرٍ سبعين، وأَسَرُوا سبعين، وهذا قول ابن عباسٍ، والضَّحَّاكِ، وقَتادَة، والجماعة، إلا أن الزجَّاجَ قال: قد أَصَبْتُم يومَ أُحُدٍ مثلَهَا، ويومَ بَدْرٍ مثلَها، فجَعَلَ المِثْلَين في اليومين.

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾، قال ابن عباسٍ: مِنْ أين أصابَنا هذا ونحن مسلمون؟

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أن معناه: بِأَخْذِكُم الفِدَاءَ يومَ بدرٍ، قاله عمرُ بن الخطَّابِ.

[٢٣٥] وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: جاء جِبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ الله قد كَرِهَ ما صنعَ قومُكَ من أَخْذِهِم الفِدَاء، وقد أَمَرَكَ أن تُخَيِّرهم بين أن يَضْرِبُوا أعناقَ الأَسَارى، وبين أن يَأْخُذوا الفِدَاءَ على أن يُقْتَلَ منهم عِدَّتُهُم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عَشَائِرُنا وإخوَانُنا، بل نأخذُ منهمُ الفِدَاءَ، ويُسْتَشْهَدُ منا عِدَّتُهم، فقُتِلَ منهم يومَ أُحُدٍ سبعون، عَدَدَ أسارَى بَدرٍ، فعلى هذا يكون المعنى: قُلْ هو بِأَخْذِكُمُ الفِدَاء، واختيارِكم القَتْلَ لأنفُسِكم.

والثاني: أنه جَرَى ذلك بمَعصِيَةِ الرُّمَاة يومَ أُحُدٍ، وتَرْكِهِم أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، قاله ابن عباسٍ،

---

[٢٣٥] ضعيف. أخرجه الترمذي ١٥٦٧ والنسائي في «الكبرى» ٨٦٦٢ من حديث علي، وهو حديث ضعيف، ويأتي في سورة الأنفال باستيفاء، وقال الترمذي: حسن غريب.

ومُقاتلٌ في آخرين. **والثالث**: أنه بِمُخالَفتِهم الرسولَ في الخُروج من المدينة يوم أُحُدٍ، فإنه أَمَرهم بالتَّحصُّن فيها، فقالوا: بل نَخرُجُ، قاله قَتادةُ، والرَّبيعُ.

قال مُقاتلٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من النَّصر والهَزيمة ﴿قَدِيرٞ﴾.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ الجَمْعَان: النبيُّ وأصحابُه، وأبو سُفيانَ وأصحابُه، وذلك في يوم أُحُدٍ، وقد سبق ذِكْرُ ما أَصابَهم.

قوله تعالى: ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أَمْرُه. **والثاني**: قَضاؤه، رُويا عن ابن عباسٍ. **والثالث**: عِلْمُهُ، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لِيَظْهَرَ إيمان المؤمنين بثُبوتِهم على ما نَالَهم، ويظْهرَ نفاقُ المنافقين بفَشَلِهم وقِلَّة صبرهم.

قال ابن قُتيبةَ: والنِّفاق مأخوذٌ من نَافِقاء اليربُوع، وهو جُحْرٌ من جِحرَتِه، يخرج منه إذا أخذ عليه الجُحْر الذي دخَلَ فيه. قال ابن قُتيبةَ: قال الزِّياديُّ عن الأَصمَعيِّ: ولليربُوع أربعة أَجْحِرَةٍ: النَّافِقاء: وهو الذي يخرج منه كثيراً، ويدخل منه كثيراً. والقَاصِعَاءُ، سُمِّي بذلك لأنه يُخرج ترابَ الجُحْر، ثم يُقَصِّع ببعضه كأنه يَسُدُّ به فَمَ الجُحْر، ومنه يقال: جُرْحُ فُلانٍ قد قَصَعَ بالدَّم: إذا امتلأ ولم يَسِلْ. والدَّامَّاء، سُمِّي بذلك، لأنه يُخرج التراب من فَمِ الجُحْر، ثم يَدُمُّ به فَمَ الجُحْر، كأنه يَطْلِيْه، ومنه يُقال: ادمُم قِدْرَكَ بشَحمٍ، أي اِطلِهَا به. والرَّاهِطاء، ولم يُذكر اشتقاقه، وإنما يَتَّخِذ هذه الجحر عَدَداً، فإذا أخذ عليه بَعضُها، خَرَجَ من بعضٍ.

قال أبو زيدٍ: فَشبَّهَ المُنافقَ به، لأنه يَدخُلُ في الإِسلام بِلَفْظِه، ويخرج منه بعَقْدِهِ، كما يدخل اليربُوعُ من بابٍ ويخرج من بابٍ. قال ابن قُتيبةَ: والنِّفاق: لفظٌ إسلاميٌّ لم تكن العرب تَعرِفُهُ قبل الإِسلام. قال ابن عباسٍ: والمُراد بالذين نافقوا عبدالله بن أُبَيّ، وأصحابه.

[٢٣٦] قال مُوسى بن عُقْبَة: خرج النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ، ومعه المسلمون، وهم أَلْفُ رجلٍ، والمشركون ثلاثة آلافٍ، فرَجَعَ عنه ابن أُبَيّ في ثلاثمئةٍ.

فأمّا القتال، فمُباشَرةُ الحَربِ. وفي المراد بالدَّفع ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التَّكثِيْرُ بالعَدَدِ. رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، وهو قول الحَسنِ، وعِكرمةَ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابن جُريجٍ في آخرين. **والثاني**: أن معناه: اِدْفَعُوا عن أنفسكم وحَرِيمِكُم، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وهو قول مُقاتلٍ. **والثالث**: أنه بمعنى القتال أيضاً. قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: لو نَعلَمُ أن اليومَ يجري قتالٌ ما

---

[٢٣٦] هذا معضل. وأخرجه الطبري ٨١٩٤ عن السدي، وهذا مرسل، فهو ضعيف.

أَسلَمْنَاكُم، ذكره ابن إسحاقَ. **والثاني**: لو كنا نُحسِنُ القتالَ لاتَّبَعْنَاكُم. **والثالث**: إن معناه: أن هناك قتْلاً وليس بقتالٍ، ذكرهما المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ﴾ أي: إلى الكُفر ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، وإنما قال: يومئذٍ، لأنهم فِيْمَا قبلُ لم يُظهِرُوا مثل ما أَظهَرُوا، فكانوا بظاهر حَالِهِم فيما قبلُ أقربَ إلى الإيمان. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه وجهان ذَكَرَهما المَاورديُّ: **أحدهما**: يَنطِقون بالإيمان، وليس في قلوبهم إلا الكُفرُ. **والثاني**: يقولون: نحن أنصارٌ، وهم أعداءٌ. وذَكَرَ في الذي يكتُمُون وجهين: **أحدهما**: أنه النِّفاق. **والثاني**: العَدَاوَة.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ قال ابن عباسٍ: نزلت في عبدالله بن أُبيّ. وفي إخوانهم قولان: **أحدهما**: أنهم إخوانهم في النِّفاق، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: إخوانهم في النَّسَب، قاله مُقاتلٌ. فعلى الأول يكون المعنى: قالوا لإخوانهم المُنافقين: لو أطاعنا الذين قُتلوا مع محمَّدٍ ما قُتلوا، وعلى الثاني يكون المعنى: قالوا عن إخوانهم الذين اسْتُشهِدُوا بأُحُدٍ: لو أطاعونا ما قُتلوا.

قوله تعالى: ﴿وَقَعَدُوا۟﴾ يعني القائلين قَعَدُوا عن الجهاد. قوله تعالى: ﴿فَٱدْرَءُوا۟﴾ أي: فادفَعُوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ الحَذَرَ ينفع مع القَدَرِ.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ قرأ ابن عامرٍ: قُتِّلوا بالتشديد. واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في شهداء أُحُدٍ.

[٢٣٧] روى ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لما أُصيب إخوانُكم بأُحُدٍ، جعلَ الله أرواحَهم في أَجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، وتَأوي إلى قناديلَ من ذَهَبٍ مُعلَّقَةٍ في ظلِّ العَرشِ، فلما وجدوا طيبَ مَأكلِهم ومَشْرَبِهم، وحُسنَ مَقِيلِهم، قالوا: ليتَ إخوانَنَا يعلمون بما صَنَعَ الله لنا، لِئَلاً يزهَدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب؛ قال الله تعالى: أنا أُبلِغُهم عَنكُم، فأنزل الله تعالى هذه الآيَة» وهذا قول سعيدِ بن جُبيرٍ، وأبي الضُّحَى.

والثاني: أنها نزلت في شُهداء بَدرٍ لما أَفضَوا إلى كَرامَة الله عزَّ وجلَّ وقالوا: رَبَّنَا أَعلِمْ إخوانَنا،

---

[٢٣٧] حديث حسن بطرقه وشواهده. أخرجه أبو داود ٢٥٢٠ والحاكم ٢/ ٨٨ وأبو يعلى ٢٣٣١ وأحمد ١/ ٢٦٦ والبيهقي ٩/ ١٦٣ والواحدي في «أسباب النزول» ٢٦١ عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير عن سعيد بن جابر عن ابن عباس، ورجاله ثقات. وقد صرّح ابن إسحاق بالتحديث في رواية أحمد، وحديثه حسن. وأخرجه أحمد ١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ والطبري ٨٢٠٥ عن أبي الزبير عن ابن عباس وإسناده منقطع أبو الزبير لم يسمع من ابن عباس كما في مراسيل ابن أبي حاتم ص ١٩٣. ويشهد له حديث ابن مسعود. أخرجه مسلم ١٨٨٧ والطيالسي ١١٤٣ والبيهقي ٩/ ١٦٣ والطبري ٨٢٠٨، والله أعلم.

فنزلت هذه الآية والتي بعدَها، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ[(١)]، وهو قول مُقاتلٍ.

[٢٣٨] **والثالث**: أنها نزلت في شهداء بِئرِ مَعُونَةَ. روى محمَّدُ بن إسحاقَ عن أشياخٍ له، أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَ المُنذِرَ بن عَمرٍو في سبعين رجلاً من خِيَارِ المسلمين إلى أهل نَجْدٍ، فلمَّا نَزلوا بئرَ مَعُونَة، خرَج حَرامُ بن مِلْحَانَ إلى عامِرِ بن الطُّفَيلِ بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه عامرٌ، وخرج رجلٌ من كِسْر[(٢)] البيت برُمحٍ، فضربَ به في جَنْبِ حرامٍ حتى خرج من الشِّقِّ الآخر، فقال: الله أكبرُ، فُزْتُ وربِّ الكعبة، وقُتل سائرُ أصحابه غيرَ واحدٍ منهم، قال أنسُ بن مالكٍ: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلِّغوا قومَنا عنَّا أنَّا قد لَقِينا رَبَّنا، فرَضِيَ عنَّا ورَضِينا عنه» ثم رُفِعَتْ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾.

فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يُخبِرَ إخوانَهم بمَصِيرهم، وقد ذَكَرْناهُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنَّ رجلاً قال: يا لَيتَنا نعلَمُ ما لقي إخوانُنا الذين استُشْهِدوا، فنزلت، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنَّ أولياءَ الشُّهداء كانوا إذا أصابتهم نعمةٌ أو سُرورٌ، تَحَسَّرُوا، وقالوا نحن في النِّعْمَة والسُّرور، وآباؤنا، وأبنَاؤنا، وإخوانُنا، في القُبُور، فنزلت هذه الآية، ذكره عليُّ بن أحمدَ النَّيسابوريُّ.

فأما التَّفسير، فمعنى الآية: لا تَحسَبَنَّهم أمواتاً كالأموات الذين لم يُقتلوا في سبيل الله، وقد بيَّنَّا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حَيَاتِهم: أن أرواحهم في حَواصِلِ طَيرٍ تأكلُ من ثِمَار الجنَّة، وتشرب من أنهارها. قال مُجاهدُ: يُرزقون من ثَمَرِ الجنة.

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾ قال ابن قُتيبةَ: الفَرَحُ: المَسَرَّةُ، فأمَّا الذي آتاهُمُ الله، فمَا نَالُوا من كَرَامةِ الله ورزقِه، والاستِبْشَارُ: السُّرور بالبِشارة، ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ إخوانُهم من المسلمين. وفي سبب استِبْشَارِهم بهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الله تعالى لَمَّا أَخْبَرَ بكَرَامة الشهداء، أَخْبَرَ الشهداء بأنِّي قد أنزلتُ على نَبِيِّكُم، وأخبرتُهُ بأمركم فاستَبشرُوا، وعَلِمُوا أن إخوانهم سَيَحرِصُون على الشهادة، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثاني**: يَستَبْشِرُون بإخوانهم الذين يَرجُون لهمُ الشهادة، يقولون: إن قُتلوا نالوا ما نِلْنَا من الفَضْل، قاله قُتادةُ. **والثالث**: أن الشهيد يُؤتى بكتابٍ فيه ذِكْرُ من تَقْدم عليه من إخوانِه وأهلِهِ، وفيه يَقْدُمُ عليه فُلانٌ يومَ كذا وكذا، فيَستَبْشِرُ بقُدُومِهِ، كما يستبشرُ أهلُ الغائب به، هذا قول السُّدِّيِّ.

---

[٢٣٨] ذكره ابن هشام في «السيرة» ٣/ ١٤٧ في أثناء خبر مطول. وأخرج بعضه الطبري ٨٢٢٤ من حديث أنس. وانظر «الدر المنثور» ٢/ ١٦٩ و «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٣٨ ـ ٣٤١ وأصله في «صحيح البخاري» ٢٨٠١ من حديث أنس.

---

(١) لم أقف على إسناده إلى سعيد، ولا يصح، والصواب أنها نزلت في شهداء أحد.

(٢) في «اللسان»: كِسْر البيت: جانبه.

و«الهاء» و«الميم» في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ تعود إلى الذين لم يَلْحَقُوا بهم. قال الفَرَّاءُ: معناه: يَستَبشِرُون لهم بأنَّهم لا خوفٌ عليهم، ولا حُزنٌ. وفي ماذا يرتفع «الخوف» و«الحُزن» عنهم؟ فيه قولان:

أحدهما: لا خوفٌ عليهم فيمن خَلَّفوه من ذُرِّيَتِهم، ولا يَحزَنُونَ على ما خَلَّفُوا من أموالهم.

والثاني: لا خوفٌ عليهم فيما يقْدِمُون عليه، ولا يَحزَنون على مُفارقة الدُّنيا فَرَحاً بالآخرة.

﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال مُقاتلٌ: برحمةٍ ورزقٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويَستبشِرُون بأنَّ الله، وقرأ الكِسَائيُّ بالكسر على الاستئناف.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٢٣٩] **أحدهما:** أن المشركين لمَّا انصرفوا يومَ أُحُدٍ، نَدَبَ النبيُّ ﷺ أصحابَه لاتِّباعِهم، ثم خرج بمن انتَدب معه، فلَقِيَ أبو سُفيانَ قوماً، فقال: إن لَقِيتُم مُحَمَّداً، فأخبروه أني في جَمعٍ كثيرٍ، فَلَقِيَهُم النبيُّ ﷺ فسألَهُم عنه؟ فقالوا: لَقِينَاه في جَمعٍ كثيرٍ، ونَرَاكَ في قِلَّةٍ، فأبى إلاَّ أن يَطْلُبَه، فَسَبَقَهُ أبو سُفيانَ، فدخلَ مكَّةَ، فنزلت هذه الآية، هذا قولُ ابن عباسٍ، والجُمهور.

[٢٤٠] **والثاني:** أنَّ أبا سُفيانَ لمَّا أراد الانصراف عن أُحُدٍ، قال: يا محمَّدُ، مَوعدٌ بيننا وبينَك موسمُ بَدْرٍ، فلمَّا كانَ العامُ المُقبِل، خرج أبو سُفيانَ، ثم ألقى اللهُ في قلبه الرُّعب، فبَدَا له الرُّجوعُ، فلَقِيَ نُعيمَ بن مَسعودٍ، فقال: إني قد وَاعَدْتُ محمَّداً وأصحابَه أن نلتقيَ بموسم بَدرٍ الصُّغرى، وهذا عامُ جَدبٍ، لا يَصْلُحُ لنا، فَثَبِّطْهُم عَنَّا، وأَعلِمْهُم أنَّا في جَمْعٍ كثيرٍ، فَلَقِيَهُم فَخَوَّفَهم، فقالوا: حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكيل، وخرجَ النبيُّ ﷺ بأصحابه، حتى أقامُوا ببدرٍ ينتظرون أبا سُفيانَ، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآيات. وهذا المعنى مَرويٌّ عن مُجاهدٍ، وعِكرمةَ. والاستجابَةُ: الإجابَةُ. وأنشدوا:

فلم يَسْتَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ[1]

---

[٢٣٩] لم أره عن ابن عباس بهذا اللفظ، وإنما أخرجه الطبري ٨٢٣٨ بنحوه عن ابن عباس، وفي الإسناد مجاهيل. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٦٨ عن عمرو بن دينار مرسلاً بهذا السياق. وأخرجه الطبري ٨٢٣٦ عن قتادة بنحوه.

[٢٤٠] أخرجه الطبري ٤٢٤٦ عن ابن عباس بنحوه، وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي. وأخرج الطبري ٨٢٤٨ بعضه عن مجاهد وكرره برقم ٨٢٤٩ عن مجاهد وعن ابن جريج، وأخرجه ٨٢٥٠ عن عكرمة مختصراً أيضاً وليس فيه ذكر نُعيم بن مسعود.

---

(١) هو عجز بيت لكعب بن سعد الغنوي وصدره: وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى

أي: فلم يُجِبْهُ. وفي مُراد النبيِّ ﷺ وخروجِهِ ونَدْبِ الناس إلى الخروج ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: لِيُرْهِبَ العدوَّ باتِّباعِهِم. **والثاني**: لِمَوعدِ أبي سُفيَانَ. **والثالث**: لأنه بلَغَهُ عن القوم أنَّهم قالوا: أَصَبْتُم شَوْكَتَهُم، ثم تَرَكْتُمُوهُم. وقد سبق الكلام في القَرْحِ.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ أي: أحسنوا بطاعة الرسول، واتقوا مخالفته.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ في المراد بالنَّاس ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم رَكْبٌ لَقِيَهُم أبو سُفيانَ، فضَمِنَ لهم ضماناً لتخويف النبيِّ ﷺ وأصحابِه، قاله ابن عباسٍ، وابن إسحاقَ. **والثاني**: أنه نُعيمُ بن مسعودٍ الأَشْجَعِيِّ، قاله مُجاهدٌ، وعِكرمةُ، ومُقاتلٌ في آخرين. **والثالث**: أنهم المُنافقون، لَمَّا رَأَوا النبيُّ ﷺ يَتَجهَّزُ، نهوْا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أتيتُموهم في دِيارهم، لم يَرْجِع منكم أحَدٌ، هذا قول السُّدِّي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ يعني أبا سُفيانَ وأصحابَه.

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ قال الزجَّاجُ: زَادَهُم ذلك التَّخويف ثُبوتاً في دِينهم، وإقامةً على نُصرة نَبيِّهم، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: هو الذي يَكفِينا أَمْرَهُم. فأمَّا «الوكيل»، فقال الفرَّاءُ: الوَكِيْلُ: الكَافِي، واختاره ابن القَاسِم. وقال ابن قُتيبةَ: هو الكَفِيْلُ، قال: ووَكِيلُ الرجل في ماله: هو الذي كَفِلَهُ له، وقامَ به. وقال الخَطَّابيُّ: الوَكِيلُ: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحَقيقَتُه: أنه الذي يَستَقلُّ بالأمر المَوكُولِ إليه. وحَكَى ابن الأنباريِّ أنَّ قوماً قالوا: الوَكيلُ: الرَّبُّ.

﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الانقِلاَبُ: الرُّجوع. وفي النِّعمة، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأَجْرُ، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: العَافية، قاله السُّدِّيُ. **والثالث**: الإيمانُ والنَّصر، قاله الزجَّاجُ. وفي الفَضْل، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: رِبْحُ التِّجارة، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لِمَوعد أبي سُفيانَ. قال الزُّهريُّ: لما استَنْفَرَ النبيُّ ﷺ المسلمين لِمَوعد أبي سُفيانَ ببَدرٍ، خرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إنْ لَقِينَا أبا سُفيانَ، فهو الذي خرجنا إليه، وإن لم نَلْقَهُ ابتعنا ببضائعنا، وكانت بَدرٌ مَتْجَراً يُوافى كلَّ عام، فانطلقوا فقضَوا حوائِجَهُم، وأخلَفَ أبو سُفيانَ المَوعدَ. **والثاني**: أنهم أصابوا سَرِيَّةً بالصَّفراء، فرُزِقُوا منها، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنه الثَّواب، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ قال ابن عباس: لم يُؤذِهم أَحَدٌ. ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ في طَلَبِ القوم. ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ أي: ذو مَنّ بِدفعِ المشركين عن المؤمنين.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال الزجَّاجُ: معناه: ذلك التَّخويف كان فِعلَ الشيطان، سَوَّله للمُخَوَّفين. وفي قوله تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أن معناه: يُخوّفكم بأوليائه، قاله الفرّاء، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[(١)] أي: ببأسٍ، وبقوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[(٢)] أي: بيوم التّلاقِ. وقال الزجّاجُ: معناه: يخوّفكم مِنْ أوليائه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾. وهذا قول ابن عباسٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وعِكرمةَ، وإبراهيمَ، وابن قُتيبةَ. وأنشد ابن الأنباريّ في ذلك[(٣)]:

وأيقنتُ التَّفرُّقَ يومَ قالوا　　تُقسَّمُ مالُ أَرْبَدَ بالسِّهامِ

أراد: أيقنتُ بالتّفرُّق. قال: فلما أسقطَ الباء أعملَ الفعلَ فيما بعدَها ونَصبه. قال: والذي نختاره في الآية: أن المعنى: يُخَوِّفُكم أولياءَه. تقول العرب: قد أعطيتُ الأموالَ، يُريدون: أعطيتُ القومَ الأموالَ، فيحذفون القومَ، ويقتصرون على ذِكر المَفعول الثاني. فهذا أشبهُ من ادِّعاء «باء» ما عليها دليلٌ، ولا تدعو إليها ضرورةٌ.

والثاني: أن معناه: يُخوِّف أولياءَه المنافقين، لِيَقعُدُوا عن قتالِ المشركين، قاله الحسَنُ والسُّدّيُّ، وذكره الزجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني: أولياءَ الشّيطان ﴿وَخَافُونِ﴾ في تَرْكِ أَمْري. وفي «إِنْ» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى: «إذ»، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها للشّرط، وهو قول الزجّاجِ في آخرين.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، قرأ نافعٌ «يُحزنك» «ليُحزنني» «ليُحزن» بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في (الأنبياء) ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ﴾[(٤)]، فإنه فتح الياء، وضمّ الزاي. وقرأ الباقون كلَّ ما في القرآن بفتح الياء وضمِّ الزّاي. قال أبو عليّ: يشبه أن يكون نافعٌ تَبعَ في سورة (الأنبياء) أثراً، أو أحبَّ أن يأخذَ بالوَجهين. وفي الذين يُسارعون في الكُفر أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: المنافقون، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: كُفّارُ قُريشٍ، قاله الضَّحّاكُ. **والرابع**: قومٌ ارتدُّوا عن الإسلام، ذكره المَاورديُّ.

وقيل: معنى مُسارَعَتِهم في الكُفر: مُظاهَرتَهم للكُفّار، ونَصرُهم إيّاهم. فإن قيل: كيف لا يَحْزُنه المُسارَعةُ في الكُفر؟ فالجواب: لا يَحْزُنك فِعْلُهم، فإنَّك منصورٌ عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لَنْ يُنقِصُوا الله شيئاً بكُفرهم، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: لن يَضرُّوا أولياءَ الله شيئاً، قاله عَطاءٌ.

قال ابن عباسٍ: والحَظُّ: النَّصيبُ، والآخرة: الجَنّة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النَّار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

---

(١) سورة الكهف: ٤.　　(٢) سورة غافر: ١٥.
(٣) البيت للبيد بن ربيعة «الأغاني» ١٥/ ١٣٣.　　(٤) سورة الأنبياء: ١٠٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، قال مُجاهدٌ: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سَبَق في (البقرة) معنى الاشْتِرَاء.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾، اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: **أحدها**: في اليهود والنَّصارى والمنافقين، قاله ابن عباس. **والثاني**: في قُرَيْظَةَ والنَّضِير، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: في مُشركي مكَّةَ، قاله مُقاتلٌ. **والرابع**: في كلِّ كافرٍ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ، ونَافعٌ: «ولا يحسِبنَّ الذين كفروا» «ولا يحسِبنَّ الذين يبخلون» «ولا يحسِبنَّ الذين يفرحون» بالياء وكسر السين، ووَافقَهم ابن عامرٍ غيرَ أنَّه فَتح السين، وقرأ حَمزةُ بالتاء، وقرأ عَاصمٌ والكِسَائيُّ كلَّ ما في هذه السُّورة بالتاء غيرَ حرفين ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ فإنَّهما بالياء، إلا أن عَاصِماً فَتحَ السين، وكَسَرَها الكِسَائيُّ، ولم يَختلِفوا في ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ أنها بالتاء. ﴿نُمۡلِي لَهُمۡ﴾: أي: نُطِيْلُ لهُم في العُمر، ومِثْلُهُ: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾. قال ابن الأنباريّ: واشتقاق «نُملي لهم» من المَلْوَة، وهي المُدَّة من الزَّمان، يقال: مَلوةٌ من الدَّهر، ومِلوةٌ، ومُلْوَةٌ، ومَلاوَةٌ، ومِلاوةٌ، ومُلاوَةٌ، بمعنى واحد، ومنه قولهم: وتَملَّ حبيباً، أي: لِتَطُل أيَّامُك معه. قال مُتَمِّم بن نُوَيرَةَ:

بِـوِدّي لـو أنـي تَـمَـلَّـيْـتُ عُـمـرَه ... بـمـا لـيَ مِنْ مـالٍ طَـرِيـفٍ وتَـالِـدِ[١]

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ قُريشاً قالت: تَزْعُمُ يا محمَّدُ أنَّ من اتَّبعَكَ فهو في الجنَّة، ومن خالَفَكَ فهو في النَّار؟! فأَخبِرْنا بمِنْ يؤمنُ بكَ ومَنْ لا يؤمن، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ[٢].

والثاني: أن المؤمنين سألوا أن يعطَوا عَلامةً يُفرِّقُون بها بين المؤمن والمنافق، فنزلت هذه الآية، هذا قول أبي العَالِيَة.

[٢٤١] والثالث: أن النبيَّ ﷺ قال: عُرِضَتْ عليَّ أُمَّتي، وأُعْلِمْتُ مَنْ يؤمِنُ بي ومَنْ يَكْفُرُ، فَبَلَغَ ذلك المنافقين فاستَهْزَؤوا وقالوا: فنحن معه ولا يَعرِفُنا، فنزلت هذه الآية، هذا قول السُّدِّيِّ.

---

[٢٤١] لم أره مسنداً. وذكره الواحدي في «أسبابه» ٢٧١ عن السدي بدون إسناد فهو لا شيء. وأخرج الطبري ٨٢٧٣ نحوه عن السدي.

---

(١) في «اللسان» التالد: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك. وهو نقيض الطارف والطريف: ما استحدثت من المال واستطرفته.

(٢) ذكره الواحدي في «أسبابه» ٢٧٢ عن الكلبي بدون سند، والكلبي متهم وانظر الحديث الآتي.

والرابع: أنَّ اليهود، قالت: يا مُحمَّدُ قد كُنتم رَاضينَ بدِيْنِنا، فكيفَ بكُم لو ماتَ بعضُكُم قبل نزول كِتَابِكُم؟! فنزلت هذه الآية. هذا قول عُمرَ مولى غُفْرَةَ.

والخامس: أن قوماً من المنافقين ادَّعَوْا أنهم في إيمانهم مِثلُ المؤمنين، فأظهَرَ الله نِفاقهم يوم أُحُدٍ، وأنزل هذه الآية، هذا قول أبي سُليمانَ الدِّمشقيِّ.

وفي المُخاطَب بهذه الآية قولان: **أحدهما**: أنهم الكُفَّارُ والمنافقون، وهو قول ابن عباسٍ، والضَّحَّاكِ. **والثاني**: أنهم المؤمنون، فيكون المعنى: ما كانَ الله لِيَذَرَكُم على ما أنتم عليه من التِبَاسِ المؤمن بالمنافق. قال الثَّعلبيُّ: وهذا قول أكثر أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ وأبو عمرٍو، وابن عَامرٍ ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ و﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ بفتح الياء والتخفيف. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ، ويَعقوبُ: «يُمَيِّز» بالتشديد، وكذلك في الأنفال: «لِيُميِّز الله الخبيث». قال أبو عليّ: مِزتُ ومَيَّزتُ لغتان. قال ابن قُتيبةَ: ومعنى يَمِيْزُ: يُخَلِّص. فأمَّا الطَّيِّب، فهو المؤمن. وفي الخَبيث قولان: **أحدهما**: أنه المنافق، قاله مُجاهدٌ، وابن جُريجٍ. **والثاني**: الكافر، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ.

وفي الذي وَقَعَ به التَّمييز بينَهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الهجرةُ والقتالُ، قاله قَتادةُ، وهو قول مَنْ قال: الخَبيث: الكَافِر. **والثاني**: أنه الجهاد، وهو قول من قال: هو المنافق. قال مُجاهدٌ: فَمَيَّز الله يومَ أُحُدٍ بين المؤمنين والمنافقين، حيث أظهروا النِّفاق وتَخلَّفوا. **والثالث**: أنه جميع الفرائض والتَّكاليف. فإن المؤمن مَسْتورُ الحال بالإقرار، فإذا جاءت التَّكاليف بانَ أَمْرُهُ، هذا قول ابن كَيْسَانَ. وفي المُخاطب بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم كُفَّارُ قُريشٍ، فمعناه: ما كان الله لِيُبَيِّنَ لكُم المؤمن من الكافر، لأنهم طلبوا ذلك، فقالوا: أَخْبِرْنَا بمَنْ يُؤمنُ ومَنْ لا يُؤمنُ، هذا قول ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه النبيُّ ﷺ، فمعناه: وما كانَ الله لِيُطْلِعَ محمَّداً على الغيب، قاله السُّدِّيُّ. و «يجتبي» بمعنى يَخْتَار، قاله الزجَّاجُ وغيره. فمعنى الكلام على القول الأول: أن الله لا يُطْلِعُ على الغَيب أَحَداً إلا الأنبياءَ الذين اجْتَبَاهُم، وعلى القول الثاني: أنَّ الله لا يُطْلِعُ على الغَيب أَحَداً إلا أنه يَجْتَبِي مَنْ يشاء فيُطْلِعُهُ على ما يشاء.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في الذين يَبْخَلُون أن يُؤَدُّوا زكاةَ أموالهم، وهو قول ابن مسعودٍ وأبي هُريرةَ، وابن عباسٍ في رواية أبي صالحٍ، والشَّعبيُّ، ومُجاهِدٌ، وفي رواية السُّدِّيِّ في آخرين.

والثاني: أنها في الأَحْبَارِ الذين كَتَمُوا صِفةَ النبيِّ ﷺ، ونُبُوَّتَهُ، رواه عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ، وابن جُريجٍ عن مُجاهدٍ، واختاره الزجَّاجُ.

قال الفَرَّاءُ: ومعنى الكلام: لا يَحْسَبَنَّ البَاخِلُون البُخْلَ هو خيراً لهم، فاكتفى بِذِكْرِ «يبخلون» من البُخل، كما تقول: قَدِمَ فُلانٌ، فَسُرِرْتُ به، أي: سُرِرْتُ بِقُدُومِهِ. قال الشاعر:

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليهِ وخالفَ والسَّفِيهُ إلى خِلافِ(١)

يريد جرىٰ إلى السفه. والذي آتاهُم الله على قول مَنْ قال: البُخل بالزَّكاة: هو المال، وعلى قول من قال: البُخل بذِكْرِ صِفَة النَّبيِّ ﷺ هو العلم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ إشارةٌ إلى البُخل وليس مَذْكُوراً، ولكنه مَدلولٌ عليه بـ «يبخلون».

وفي معنى تَطْوِيقِهِم به أربعة أقوالٍ: أحدُها: أنه يُجعل كالحَيَّة يُطوِّق بها الإنسانُ.

[٢٤٢] روى ابن مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما مِنْ رَجُلٍ لا يُؤَدِّي زكاةَ مالِه إلا مُثِّلَ له يومَ القيامة شُجاعٌ(٢) أَقرعُ يَفِرُّ منه، وهو يَتْبَعُهُ حتى يُطوِّقَ في عُنُقِهِ» ثم قَرَأَ رسولُ الله ﷺ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وهذا مذهب ابن مسعودٍ، ومُقاتلٍ.

والثاني: أنه يُجعل طَوْقاً من نارٍ، رواه منصورٌ عن مُجاهدٍ، وإبراهيمَ.

والثالث: أن معنى تَطْوِيقِهِم به: تَكْلِيفُهُم أن يأْتُوا به، رواه ابن أبي نَجِيحٍ، عن مُجاهدٍ.

والرابع: أن معناه: يُلْزَمُ أعناقَهم إثمُهُ، قاله ابن قُتيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباسٍ: يَموتُ أهلُ السَّموات وأهلُ الأرض، ويبقى ربُّ العَالَمين، قال الزجَّاجُ: خُوطِبَ القومُ بما يعقلون، لأنَّهم يجعلون ما رَجَعَ إلى الإنسان مِيْرَاثاً إذا كان مُلْكاً له، وقال ابن الأنباريِّ: معنى المِيْرَاث: انفرادُ الرجل بما كان لا ينفرد به، فلمَّا مات الخَلْقُ، وانفرد عزّ وجلَّ صار ذلك له وراثةً.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «يعملُون» بالياء إتْبَاعاً لقوله تعالى ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ وقرأ الباقون بالتاء، لأنَّ قَبْلَه ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٢٤٣] أحدهما: أن أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه دخل بَيْتَ مِدْرَاسِ اليهود، فوجدَهُم قد

---

[٢٤٢] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٠١٢ والنسائي في «الكبرى» ٢٢٢١ و ١١٠٨٤ وابن ماجه ١٧٨٤ من حديث ابن مسعود. وقال الترمذي: حسن صحيح. وهو في صحيح البخاري ١٤٠٣ و ٤٥٦٥ ومالك ١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ وأحمد ٢/ ٢٧٩ والنسائي ٥/ ٣٩ وأبو يعلى ٦٣١٩ وابن حبان ٣٢٥٨ من حديث أبي هريرة. وورد من حديث جابر أخرجه مسلم ٩٨٨ والدارمي ١/ ٣٨٠ وابن حبان ٣٢٤٤ وله شواهد تبلغ به حد الشهرة. وانظر «تفسير القرطبي» ١٩٢٨ و «تفسير الشوكاني» ٥٧١ بتخريجنا.

[٢٤٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٧٥ عن عكرمة والسدي ومقاتل وابن إسحاق. وأخرجه الطبري ٨٣٠٠ =

---

(١) أنشده الفرّاء في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٨ وثعلب في «مجالسه» ١/ ٦٠ و «أمالي الشجري» ١/ ٦٨ والبغدادي في «الخزانة» ٢/ ٣٨٣ ولم ينسبوه لقائل.

(٢) وفي «اللسان»: الشجاع: الحية الذكر، وقيل: هو الخبيث المارد منها.

اجتمعوا على رجلٍ منهم، اسمه فِنحَاص، فقال له أبو بكر: اتَّقِ الله وأَسْلِمْ، فوَاللهِ إنك لتَعْلَمُ أن مُحمَّداً رسولُ الله. فقال: واللهِ يا أبا بكرٍ ما بِنَا إلى الله مِنْ فَقْرٍ. وإنَّه إلينا لَفَقِيرٌ، ولو كان غَنِيّاً عنَّا ما استَقْرَضَنا. فغَضِبَ أبو بكرٍ وَضَرَبَ وجهَ فِنْحَاص ضربةً شديدةً، وقال: واللهِ لولا العهدُ الذي بَينَنا لضَرَبْتُ عُنُقَكَ. فذهب فِنحَاصُ يَشكُو إلى النبيِّ ﷺ، وأخبرَهُ أبو بكر بما قال، فجَحَدَ فِنحَاصُ، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بَلَغَ من أبي بكرٍ من الغضب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾[1]، هذا قول ابن عباسٍ، وإلى نحوه ذهب مُجاهدٌ، وعِكرمَةُ والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ.

والثاني: أنه لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا﴾[2] قالت اليهودُ: إنَّما يَسْتَقْرِضُ الفقيرُ من الغَنِيِّ، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحَسنِ، وقَتادةَ.

وفي الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾، أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه فِنحَاصُ بن عَازوراءَ اليَهوديُّ، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: حُيَيُّ بن أَخْطَبَ، قاله الحسنُ وقَتادةُ. **والثالث**: أن جماعةً من اليهود قَالُوه. قال مُجاهدٌ: صَكَّ أبو بكرٍ رجلاً من الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ لِمَ يَسْتَقرِضُنا وهو غنيٌّ؟! **والرابع**: أنه النبَّاشُ بن عَمرٍو اليَهوديّ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ قرأ حَمزةُ وحدَه: «سيُكتب» بياءٍ مضمومةٍ و «قتلُهم» بالرَّفع و «يقول» بالياء، وقرأ الباقون: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ بالنُّون، و ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ بالنصَّب و «نقول» بالنون، وقرأ ابن مسعودٍ «ويقال» وقرأ الأعمَشُ وطَلحةُ: «ويقول».

وفي معنى ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ قولان: **أحدهما**: سَنَحْفَظُ عليهم ما قالوا، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: سَنَأمُرُ الحفَظَةَ بِكِتَابَتِه، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ أي: ونكتب ذلك. فإن قيل: هذا القائل لَمْ يَقتُلْ نَبيّاً قطُّ! فالجواب: أنه رَضِيَ بفعل مُتَقدِّميه لذلك، كما بَيَّنا في قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. قال الزجَّاجُ: ومعنى ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: عذابٌ مُحرِقٌ، أي: عذابٌ بالنَّار، لأن العذاب قد يكون بغير النَّار.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى العذاب، والذي قَدَّمت أيديهم: الكُفر والخَطَايا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

= من حديث ابن عباس، وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول. وأخرجه الطبري ٨٣٠٢ عن السدي مرسلاً، باختصار، و ٨٣١٦ عن عكرمة، مرسلاً فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، ويعلم أن له أصلاً، والله أعلم.

---

(١) آل عمران: ١٨٦. (٢) البقرة: ٢٤٥.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾. قال ابن عباسٍ:

[٢٤٤] نزلت في كَعبِ بن الأشرف، ومَالِكِ بن الصَّيف، وحُيَيّ بن أَخْطَب، وجماعةٍ من اليهود، أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: إنَّ الله عَهِدَ إلينا، أي: أَمَرنا في التَّوراة: أن لا نُؤمِنَ لرسولٍ، أي: لا نُصَدِّقَ رسولاً يَزْعُم أنه رسولٌ، حتى يأتينا بقُربَانٍ تأكُلُهُ النَّار.

قال ابن قُتيبةَ: والقُرْبَانُ: ما تُقَرِّبَ به إلى الله تعالى من ذَبْحٍ وغيره. وإنما طَلَبوا القُربَان، لأنه كان من سُنَنَ الأنبياء المُتقدِّمين، وكان نزول النَّار علامةَ القَبول. قال ابن عباسٍ: كان الرجل يَتَصَدَّقُ، فإذ قُبِلَت منه، نزلت نارٌ من السماء فأكلَتْه، وكانت ناراً لها دَوِيٌّ، وحَفِيفٌ. وقال عَطاءٌ: كان بَنو إسرائيلَ يذبحون لله، فيأخذون أَطَايِبَ اللحم، فيَضعُونَها في وَسَطِ البيت تحت السماء، فيقوم النبيُّ في البيت، ويُناجي رَبَّه، فتنزِلُ نارٌ، فتأخذ ذلك القُربَانَ، فيَخِرُّ النبيُّ ساجداً، فيُوحي اللَّهُ إليه ما يشاء. قال ابن عباسٍ: قُلْ يا محمَّدُ لليهود ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالآيات، ﴿وَبِٱلَّذِي﴾ سألتُم من القُرْبَانِ.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ معناه: لستَ بأوّل رَسولٍ كُذِّب.

قال أبو عَليّ: وقرأ ابن عَامرٍ وحدَهُ «بالبيِّناتِ وبالزُّبُرِ» بزيادة باء، وكذلك في مَصاحِف أهل الشَّام، ووَجهُه أن إعادة الباء ضَربٌ من التأكيد، ووَجه قراءة الجُمهور أنَّ الواو قد أَغْنَتْ عن تكرير العَامِل، تقول: مَرَرتُ بزيدٍ وعَمرٍو، فتَسْتَغْني عن تكرير الباء.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ قال أبو سُليمانَ: يعني به الكُتُب النَّيِّرة بالبراهين والحُجَج.

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾. قال ابن عباسٍ:

[٢٤٥] لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾(١) قالوا: يا رسولَ الله إنما نَزَلَ في بني آدمَ، فأين ذِكْرُ المَوت في الجِنّ، والطَّيْرِ، والأنْعام، فنزلت هذه الآية.

وفي ذِكرِ الموت تَهديدٌ للمُكذِّبين بالمَصِير، وتزهيدٌ في الدنيا وتَنْبِيهٌ على اغتِنَام الأَجَلِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ بشارةٌ للمُحسنين، وتَهديدٌ للمُسيئين.

---

[٢٤٤] لم أره عن ابن عباس، ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فقد روى الكلبي عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٧٧ عن الكلبي بلا سند، والكلبي متروك متهم بالكذب، والصواب الخبر المتقدم، وأن المراد بذلك فنحاص.

[٢٤٥] يأتي في سورة السجدة.

(١) السجدة: ١١.

قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ قال ابن قُتيبة: نُجِّي وأُبعِدَ. ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ قال الزجَّاج: تأويل فَازَ: تَباعَدَ عن المَكْرُوه ولَقِيَ ما يُحِبُّ، يُقال لِمَنْ نَجا مِنْ هَلَكَةٍ ولِمَنْ لَقِيَ ما يَغْتَبِطُ به: قد فازَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ يريد أنَّ العَيْشَ فيها يَغُرُّ الإنسانَ بما يُمَنِّيه من طُول البقاء، وسَيَنْقَطِعُ عن قريبٍ. قال سعيدُ بن جُبيرٍ: هي مَتَاعُ الغُرُور لِمَنْ لم يشتَغِلْ بِطَلَبِ الآخرة، فأما مَنْ يشتغل بِطَلَبِ الآخرة، فهي له مَتَاعُ بَلاغٍ إلى ما هو خَيرٌ منها.

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ **في سبب نزولها خمسة أقوالٍ:**

[٢٤٦] أحدها: أن النبيَّ ﷺ مَرَّ بمجلس فيه عبدُ الله بن أُبيٍّ، وعبدُ الله بن رَوَاحَة، فَغَشِيَ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابة، فَخَمَّرَ ابنُ أُبيٍّ أنْفَه بِرِدَائِه، وقال: لا تُغَبِّروا علينا، فنزل رسولُ الله ﷺ، ثم دعاهم إلى الله، وقرأ عليهمُ القرآن، فقال ابن أُبيٍّ: إنه لا أَحْسَنَ مِمَّا تقولُ، إنْ كان حَقًّا فلا تُؤذِنا في مَجَالِسِنَا. وقال ابن رَوَاحَة: اِغْشَنا به في مَجَالِسِنا يا رسولَ الله، فإنَّا نُحِبُّ ذلك، فاستَبَّ المسلمون، والمشركون، واليهودُ، فنزلت هذه الآية، رواه عُروةُ عن أسامةَ بن زيدٍ.

والثاني: أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبيَّ ﷺ وأصحابَه أشدَّ الأذى، فنزلت هذه الآية، قال كَعْبُ بن مالكٍ الأَنْصَارِيّ. **والثالث**: أنها نزلت فيما جرى بين أبي بكرٍ الصِّديق، وبين فِنْحَاصَ اليهوديِّ[١]، وقد سبق ذكره عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها نزلت في النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ الصِّدِّيق، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ. واختاره مُقاتلٌ. وقال عِكرمةُ: نزلت في النبيِّ ﷺ، وأبي بكرٍ الصِّدِّيق، وفِنْحَاصَ اليهوديِّ[٢].

[٢٤٧] والخامس: أنها نزلت في كَعْب بن الأَشْرَفِ، كان يُحَرِّضُ المشركين على رسول الله ﷺ

---

[٢٤٦] صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٨٧ ومسلم ١٧٩٨ والطبراني في الكبير ١/ ٣٨٩ من حديث أسامة بن زيد.
تنبيه: لفظ الحديث عند البخاري والطبراني. . . . قال الله عز وجل ﴿**ولتسمعن من الذين**. . .﴾ وليس لها ذكر عند مسلم. ولفظ فأنزل الله عند الواحدي والله أعلم بالصواب.

[٢٤٧] أخرجه الطبري ٨٣١٧ عن الزهري مرسلاً. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨ عن الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك مرسلاً. وخبر كعب بن الأشرف صحيح، لكن ليس فيه نزول الآية، فقد أخرج البخاري ٢٥١٠ و٣٠٣١ و٣٠٣٢ و٤٠٣٧ ومسلم ١٨٠١ وأبي داود ٢٧٦٨ من حديث جابر رضي الله عنه. يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله ﷺ»: فقال محمد بن مسلمة: أنا، فأتاه فقال: أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين. فقال: ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال فارهنوني أبناءكم. قالوا كيف نرهن أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رُهن بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأمة ـ قال سفيان: يعني السلاح ـ فوعده أن يأتيه، فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه». وورد بألفاظ أخرى.

---

(١) تقدم. (٢) تقدم.

وأصحابه في شِعْرِه، وهذا مَذهَبُ الزُّهريِّ.

قال الزجَّاجُ: ومعنى ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لَتُختَبَرُنَّ، أي: تُوقَع عليكم المِحَنُ، فيُعلَم المؤمن حقاً من غيره. و «النون» دخلت مؤكدةً مع لام القَسَم، وضُمَّت الواو لسكونها وسكون النُّون.

وفي البَلْوَى في الأموال قولان: **أحدهما**: ذَهَابُها ونُقْصَانُها. **والثاني**: ما فُرِضَ فيها من الحقوق.

وفي البَلْوَى في الأَنْفُس أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَصَائبُ، والقَتْلُ. **والثاني**: ما فُرِضَ من العبادات. **والثالث**: الأمراضُ. **والرابع**: المُصيبة بالأقارب، والعَشَائر.

وقال عطاءٌ: هُمُ المُهاجرون أخَذَ المشركون أموالَهم، وباعُوا رِبَاعَهُم، وعَذَّبُوهُم.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قال ابن عباس: هم اليهودُ والنَّصارى، و﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: مشركو العرب ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على الأذى ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ اللّه بمُجَانبة معَاصِيه. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: ما يَعْزِمُ عليه، لِظُهور رُشْدِهِ.

فصل: والجمهور على إحْكَامِ هذه الآية، وقد ذهب قومٌ إلى أن الصَّبْرَ المذكور مَنْسُوخٌ بآية السَّيف.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فيهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. فعلى هذا، الكِتَابُ: التَّوراة. **والثاني**: أنهم اليهود والنَّصارى، والكِتَابُ: التَّوراة والإنجيل. **والثالث**: أنهم جميع العلماء فيكون الكتاب اسمَ جنسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾. قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمروٍ، وأبو بَكرٍ، والمُفضَّلُ عن عَاصمٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ (لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يَكتُمونَه) بالياء فيهما، وقرأ البَاقون، وحَفصٌ عن عَاصم بالتَّاء فيهمَا. وفي هاء الكناية في «لَتُبيِّنُنَّهُ» و «تكتُمونَه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى النبيِّ محمَّدٍ ﷺ، وهذا قول من قال: هُمُ اليهود. **والثاني**: أنها ترجع إلى الكِتاب، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، وهو أصحُّ، لأن الكتاب أقرب المَذكُورَين، ولأن من ضرورة تَبيينهم ما فيه إظهارُ صِفَةِ محمَّدٍ ﷺ، وهذا قول مَنْ ذهب إلى أنه عامٌّ في كلِّ كتابٍ. وقال عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: ما أَخَذَ اللّهُ على أهل الجَهْلِ أن يَتَعلَّمُوا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّمُوا[1].

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٤٣٦ (آل عمران: ١٨٧): هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوهوا بذكره في الناس فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار».

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ قال الزجّاجُ: أي: رَمَوْا به، يُقال للذي يَطْرَحُ الشيءَ ولا يَعْبأُ به: قد جعلتَ هذا الأمر بِظَهْرٍ. قال الفَرَزْدَقُ:

تَـمِيـمَ بـن قَـيْـسٍ لا تَـكُـونَـنَّ حـاجَـتِـي بِـظَـهْـرٍ ولا يَـعْـيَـا عَـلَـيَّ جَـوابُـهَـا[١]

معناه: لا تكونَنَّ حاجتي مُهملةً عندكَ، مُطَّرَحةً.

وفي هاء «فنبذُوهُ» قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى المِيثاق. **والثاني**: إلى الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾ يعني: إستَبْدَلُوا بما أخذ الله عليهم القيامَ به، ووَعدهُم عليه الجنة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عَرَضاً يَسِيراً من الدنيا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا يَحْسَبَنَّ الذين يَفرَحُونَ بما أَتَوْا﴾ وقرأ أهل الكُوفَةِ: لا تحسبنَّ بالتاء. وفي سبب نزولها ثمانية أقوالٍ[٢]:

[٢٤٨] **أحدها**: أن النبيَّ ﷺ، سألَ اليهودَ عن شيءٍ، فكَتَمُوهُ، وأخبَرُوه بِغَيرِه، وأرَوهُ أنهم قد أخبروه به، واستَحْمَدُوا بذلك إليه، وفرِحُوا بما أَتَوا من كِتْمَانِهِم إياهُ، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فَرِحُوا بما يُصيبون من الدنيا، وأَحَبُّوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وهذا القول والذي قَبْلَه عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن اليهود قالوا: نحن على دِين إبراهيمَ، وكَتَمُوا ذِكْرَ محمَّدٍ ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ[٣]. **والرابع**: أن يهود المدينة كَتبتْ إلى يهود العِراق واليمن، ومَنْ بَلَغَهُم كتابُهم من اليهود في الأرض كلِّها، أنَّ محمَّداً ليس بِنَبِيٍّ، فاثْبُتُوا على دِينكم، فاجتمعت كلمتهُم على الكُفر به، فَفَرِحُوا بذلك، وقالوا: نحنُ أهل الصَّوم والصَّلاة، وأولياءُ

---

[٢٤٨] حديث صحيح لكن ليس فيه ذكر نزول الآية، وإنما فيه أنهم المراد بهذه الآية، فقد أخرجه البخاري ٤٥٦٨ ومسلم ٢٧٧٨ ح ٨ والترمذي ٣٠١٤ والنسائي في «التفسير» ١٠٦ والطبري ٨٣٤٩ والحاكم ٢/ ٢٩٩ والواحدي ٢٨١ من طرق أن مروان بن الحكم قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحبَّ أن يُحمَد بما لم يفعل معذباً لنعذبنَّ أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب**﴾ كذلك حتى قوله ﴿**يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا**﴾. واللفظ للبخاري.

---

(١) في «اللسان»: رجل تكلّف عملاً فيعيا به وعنه إذا لم يهتد لوجه عمله.

(٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٤٩ (آل عمران: ١٨٨): وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: «عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله عز وجل أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد ﷺ ولا يكتمونه». لأن قوله: ﴿**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا**﴾ الآية، في سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم، مع اتفاق أهل التأويل بأنهم معنيون بذلك.

(٣) أخرجه الطبري ٨٣٤٣ عن سعيد مرسلاً.

الله، فنزلت هذه الآية[١]، هذا قول الضَّحَّاكِ، والسُّدِّيّ.

[٢٤٩] **والخامس**: أن يهودَ خَيْبَر أَتَوا النبيَّ ﷺ وأصحابَه، فقالوا: نحن على رَأْيِكُم، ونحن لكم رِدْءٌ، وهم مُسْتَمسِكُون بضَلالَتِهِم، فأرادوا أن يَحْمَدَهُم نبيُّ الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قَتَادةُ.

والسادس: أن ناساً من اليهود جَهَّزوا جيشاً إلى النبيِّ ﷺ، واتَّفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيمُ النَّخَعِيُّ[٢]. **والسابع**: أن قوماً من أهل الكِتاب دَخَلُوا على النبيِّ ﷺ ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنَّهُم قد أُخبِرُوا بأشياءَ قد عَرَفُوها، فحَمَدُوهم، وأَبْطَنُوا خلافَ ما أَظْهَرُوا، فنزلت هذه الآية، ذكره الزجَّاجُ[٣].

[٢٥٠] **والثامن**: أن رجالاً من المنافقين كانوا يَتَخَلَّفُون عن الغَزو مع النبيِّ ﷺ، فإذا قَدِمَ اعتذروا إليه، وحَلَفُوا، وأَحَبُّوا أن يُحْمَدُوا بِمَا لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سَعيدٍ الخُدْرِيُّ، وهذا القول يدلُّ على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدلُّ على أنها في اليهود.

وفي الذي أَتَوا ثمانية[٤] أقوالٍ: **أحدها**: أنه كِتْمَانُهُم ما عَرَفوا من الحق. **والثاني**: تَبْدِيْلُهُم التَّوراة. **والثالث**: إِيثَارُهُم الفَانِي من الدنيا على الثَّواب. **والرابع**: إِضلالُهُم النَّاسَ. **والخامس**: اجتماعُهم على تكذيب النبيِّ. **والسادس**: نِفاقُهُم بإظهار ما في قلوبهم ضِدَّه. **والسابع**: اتِّفاقُهُم على مُحاربة النبيِّ ﷺ، وهذه أقوال من قال: هُمُ اليهود. **والثامن**: تَخَلُّفهم في الغَزَوات، وهذا قول من قال: هُمُ المنافقون.

وفي قوله تعالى: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ ستة أقوالٍ: **أحدها**: أَحَبُّوا أن يُحمَدُوا على إجابة النبيِّ ﷺ، عن شيءٍ سَأَلَهُم عنه وما أَجابُوه. **والثاني**: أَحَبُّوا أن يقولَ الناس: إنهم عُلماء، ولَيْسُوا كذلك. **والثالث**: أَحَبُّوا أن يُحمدُوا بما لم يفعلوا من الصَّلاة والصِّيام، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن

---

[٢٤٩] أخرجه الطبري ٨٣٥٠ عن قتادة مرسلاً بنحوه، و٨٣٥١ من طريق عبدالرزاق بن معمر عن قتادة مرسلاً باختصار. وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ١/ ١٩٢ عن الحسن مرسلاً مختصراً.

[٢٥٠] صحيح أخرجه البخاري ٤٥٦٧ ومسلم ٢٧٧٧ ح ٧ ص ٢١٤٢ والطبري ٨٣٣٥ والواحدي ٢٨٠ من طرق عن أبي سعيد الخدري.

---

(١) عزاه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٨٣ للضحاك بدون إسناد. وأخرجه الطبري ٨٣٤٠ عن جويبر عن الضحاك مع اختلاف يسير فيه، وجويبر هو ابن سعيد متروك، وكرره الطبري ٨٣٣٩ من وجه آخر عن الضحاك، وكرره ٨٣٤٢ عن السدي نحوه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أره مسنداً، وعزاه المصنف للزجاج.

(٤) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٤٩ عني بذلك أهل الكتاب وتأويل الآية: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وأنك لي رسول مرسل بالحق، وهم يجدونك مكتوباً عندهم في كتبهم، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك، وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك، يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك ومخالفتهم أمري.

عباسٍ. **والرابع**: أَحَبُّوا أن يُحْمَدُوا على قولهم: نحن على دِين إبراهيمَ، ولَيْسُوا عليه، قاله سعيدُ بن جُبير. **والخامس**: أَحَبُّوا أن يُحْمَدُوا على قولهم: إنَّا رَاضُونَ بما جاء به النبيُّ، ولَيْسُوا كذلك، قاله قَتادةُ. وهذه أقوال من قال: هُمُ اليهود. **والسادس**: أَنَّهم كانوا يَتَخلَّفُون للمسلمين، إذا نُصِرُوا: إنا قد سُرِرْنَا بِنَصْرِكُم، ولَيْسُوا كذلك، قاله أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ، وهو قول من قال: هُمُ المُنافقون.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «فلا يَحْسَبُنهم»، بالياء وضمِّ الباء. وقرأ نَافعٌ، وابن عامرٍ، وعَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: بالتَّاء، وفَتْح الباء. قال الزجَّاجُ: إنما كُررت «تحسبنهم» لِطُول القصَّة، والعرب تُعيد إذا طالت القصَّة «حَسِبْتَ» وما أَشْبَهها، إعلاماً أنَّ الذي يجري متَّصلٌ بالأوَّل، وتوكيداً له، فتقول: لا تَظُنَّنَّ زيداً إذا جاء وَكَلَّمَكَ بكذا وكذا، فلا تَظُنَّنَّهُ صادقاً. قوله تعالى ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ قال ابن زيدٍ، وابن قُتيبة: بِمَنْجَاةٍ.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه تكذيبُ القائلين: بأنه فقيرٌ. **وفي قوله تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ تهديدٌ لهم، أي: لو شئتُ لَعَجَّلتُ عَذابَهم.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٢٥١] **أحدها**: أنَّ قُريشاً قالوا لليهود: ما الذي جَاءَكُم به مُوسى؟ قالوا: عَصَاهُ وَيَدُهُ البَيْضَاءُ. وقالوا للنَّصارى: ما الذي جَاءَكُم به عيسى؟ قالوا: كان يُبْرِئُ الأَكْمَه والأَبْرَص ويُحْيِي المَوتَى. فأَتَوا النبيَّ ﷺ، وقالوا: ٱدْعُ رَبَّكَ يَجْعَلْ لنا الصَّفا ذَهَباً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أن أهل مَكَّةَ سَأَلوه أن يأتِيهم بآيةٍ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾(١) قالت قُريشٌ: قد سَوَّى بين آلهتنا، ٱئْتِنا بآيةٍ، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضُّحى، واسمه: مُسلِمُ بن صُبَيْحٍ. **فأما تفسير الآية فقد سَبَق**.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾ في هذا الذِّكر ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذِّكر في

---

[٢٥١] ضعيف منكر، أخرجه الطبراني ١٢٣٢٢ والواحدي في «الأسباب» ٢٨٤ عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف يحيى بن عبدالحميد الحِماني، وبه أعله الحافظ الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٣٢٩، ثم المتن منكر.
وقال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٢٣٥: فيه إشكال أن هذه السورة مدنية وقريش من أهل مكة ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة اهـ. وقال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٣٨: وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية وسؤالهم أن يكون الصفا ذهباً كان بمكة، والله أعلم.

---

(١) البقرة: ١٦٤.

الصَّلاة، يُصلي قائماً، فإن لم يَسْتَطِع، فعلى جَنْب، هذا قول عليٍّ، وابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وَقَتادة. **والثاني**: أنه الذِّكر في الصَّلاة وغيرها، وهو قول طائفةٍ من المفسرين. **والثالث**: أنه الخَوفُ، فالمعنى: يخافون الله قياماً في تَصرُّفِهم وقُعوداً في دَعَتِهم، وعلى جُنوبِهم في مَنامِهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن فارسٍ: الفِكْرَةُ: تَرَدُّد القلب في الشيء. قال ابن عباسٍ: رَكعَتان مُقتَصِدَتانِ في تَفكرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ، والقلبُ ساهٍ.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ قال الزجّاج: معناه: يقولون: ربَّنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ أي: خَلقْتَهُ دليلاً عليكَ، وعلى صِدقِ ما أتَتْ به أنبياؤُك. ومعنى ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: بَراءةٌ لك من السُّوء، وتنزيهاً لك أن تكون خَلَقْتَهما باطلاً، ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فقد صَدَّقنا أنَّ لك جنَّة وناراً.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ قال الزجّاج: المُخْزَى في اللغة المُذَلُّ المَحْقُور بأمرٍ لَزِمَهُ وبِحُجَّةٍ. يقال: أَخْزَيْتُهُ، أي: أَلْزَمْتُهُ حُجَّة أَذْلَلْتُه معها. وفيمن يتعلَّق به هذا الخِزيُ قولان: **أحدهما**: أنه يَتعلَّقُ بِمَنْ يدخلها مُخلَّداً، قاله أنسُ بن مالكٍ، وسعيدُ بن المُسَيّب، وابن جُبيرٍ، وقَتادةُ، وابن جُريجٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه يتعلَّق بكل داخلٍ إليها، وهذا المعنى مرويٌّ عن جَابرِ بن عبد الله، واختاره ابن جَريرٍ الطَّبريُّ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ قال ابن عباسٍ: وما للمشركين من مَانعٍ يَمنعُهم عذابَ الله تعالى.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ في المُنادي قولان: **أحدهما**: أنه النبيُّ ﷺ، قاله ابن عباسٍ، وابن جُريجٍ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه القرآن، قاله محمَّدُ بن كَعبٍ القُرظيُّ، واختاره ابن جَريرٍ الطَّبريُّ.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يُنادي إلى الإيمان، ومِثْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾(١)، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾(٢)، قاله الفرّاء. **والثاني**: بأنَّه مُقدَّمٌ ومُؤخَّرٌ، والمعنى: سَمِعْنا مُنادياً للإيمان يُنادي، قاله أبو عُبيدةَ.

قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ قال مُقاتلٌ: امْحُ عَنَّا خَطَايانا. وقال غيرُه: غطِّها عنَّا، وقيل: إنما جَمعَ بين غُفرانِ الذُّنوب، وتكفير السَّيئات، لأن الغُفران بمُجرَّد الفَضل، والتَّكفير بفعل الخير. ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وابن عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «الأبرار» و «الأشرار» و «ذات قرار» وما كان مِثْلهُ بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كَثيرٍ، وعَاصمٌ بالفتح. ومعنى ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: فِيهِم، قال ابن عباسٍ: وهُمُ الأنبياء والصَّالحون.

---

(١) الأعراف: ٤٣. (٢) الزلزلة: ٥.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾ قال ابن عباس: يَعْنُون: الجنَّة ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسِنَتِهم. فإن قيل: ما وجه هذه المسألة واللهُ لا يُخلف المِيْعَادَ؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ:

أحدها: أنه خرج مَخرج المَسْأَلة، ومعناه: الخَبَر، تقديره: فَآمَنَّا، فَاغفر لنا لِتُؤتِيَنَا ما وَعَدْتَنَا. **والثاني**: أنه سؤالٌ له، أن يَجعلَهُم مِمَّن آتاهُ ما وَعَدَهُ، لا أنَّهم استحقُّوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعُوا أنَّهم من الأبرار لَكانت تزكِيَةً لأنْفسِهم. **والثالث**: أنه سؤالٌ لِتعجيل ما وَعَدَهُم من النَّصر على الأعداء، لأنه وَعَدهمُ نَصراً غيرَ مُؤَقَّتٍ، فَرَغبوا في تعجِيْلِهِ، ذَكَرَ هذه الأجوبةَ ابنُ جَريرٍ، وقال: أَوْلَى الأقوال بالصَّواب، أنَّ هذه صِفةُ المهاجرين، رَغِبُوا في تعجيل النَّصر على أعدائِهم. فكأنَّهم قالوا: لا صبرَ لنا على حِلْمِكَ عن الأعداء فَعَجِّل خِزْيَهُم، وظَفِّرنا عليهم.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

[٢٥٢] رُوي عن أمّ سَلَمة أنها قالت: يا رسولَ اللّهِ، لا أَسمَعُ ذِكرَ النِّساء في الهِجرة بشيءٍ؟ فنزلت هذه الآية. واستجَابَ: بمعنى أجَابَ. والمعنى: أَجَابَهُم بأنْ قالَ لهم: إني لا أُضِيْعُ عملَ عاملٍ منكم ذكراً أو أنثى.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: بعضكم من بعضٍ في الدِّين، والنُّصْرَة والمُوالاة. **والثاني**: حُكْمُ جميعكم في الثَّواب واحدٌ، لأنَّ الذُّكورَ من الإناثِ والإناثَ من الذُّكور. **والثالث**: كُلُّكُم من آدمَ وحَوَّاءَ.

قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ أي: تَرَكُوا الأوطانَ والأَهْلَ والعَشَائِرَ ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ يعني: المؤمنين الذين أُخرجوا من مَكَّة بأذى المشركين، فهَاجَروا، ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ المشركين ﴿وَقُتِلُوا۟﴾. قرأ ابن كَثيرٍ، وابن عَامرٍ: «وقَاتلوا وقُتِّلوا» مشدَّدة التاء. وقرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وعَاصمٌ: «وقَاتلوا وقُتلوا» خفيفةٍ. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ: و «قُتلوا وقَاتَلوا». قال أبو عليٍّ: تَقديمُ «قُتلوا» جائزٌ، لأنَّ المعطوفَ بالواو يجوز أن يكون أَوَّلاً في المعنى، مُؤَخَّراً في اللفظ.

---

[٢٥٢] حديث حسن. أخرجه الطبري ٨٣٦٧ من طريق مجاهد عن أم سلمة. ورجال الإسناد ثقات رجال الشيخين، فهو صحيح إن كان مجاهد سمعه من أم سلمة وفيه نظر إذ قال فيه: قالت أم سلمة، وأخرجه عبدالرزاق في «التفسير» ٤٩٨ والترمذي ٣٠٢٣ عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٠٠ والواحدي ٢٨٥ عن عمرو بن دينار عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة ـ رجل من ولد أم سلمة قال: قالت أم سلمة. صححه الحاكم على شرط البخاري! وسكت الذهبي! مع أن في إسناده سلمة بن أبي سلمة، وهو مقبول كما في «التقريب» أي حديثه حسن في الشواهد، وقد توبع في ما تقدم، فهو حسن إن شاء الله تعالى. وسيأتي شيء من هذا في سورة الأحزاب.

قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال الزجّاجُ: هو مَصدرُ مُؤكِّدٌ لِمَا قَبْلَهُ، لأنَّ معنى ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: لأُثيبَنَّهم.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها نَزلت في اليهود، ثمَّ في ذلك قولان: أحدهما: أنَّ اليهود كانوا يَضرِبُون في الأرض. فيُصيبون الأموالَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ.

[٢٥٣] والثاني: أن النبيَّ ﷺ، أراد أن يَسْتَسْلِفَ من بعضهم شَعِيراً، فأَبى إلاَّ على رَهنٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «لَو أعطَانِي لأوفَيْتُهُ، إنّي لأَمِينٌ في السماء أَمِينٌ في الأَرض» فنزلت، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

والقول الثاني: أنها نزلت في مُشركي العرب كانوا في رَخاءٍ، فقال بعض المؤمنين: قد أَهلَكنا الجُهْدُ، وأعداءُ الله فيما تَرَونَ، فنزلت هذه الآية، هذا قولُ مُقاتلٍ. قال قَتادةُ: والخطاب للنبيِّ ﷺ، والمراد غيرُه. وقال غيرُه: إنما خاطبه تأديباً وتحذيراً، وإن كان لا يَغْتَرّ.

وفي معنى «تقلُّبهم» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تَصَرُّفهم في التِّجارات، قاله ابن عباسٍ، والفَرَّاءُ، وابن قُتيبةَ، والزجَّاج. **والثاني**: تَقلُّب لَيلِهم ونَهارِهم، وما يجري عليهم من النِّعم، قاله عِكرمةُ ومُقاتلٌ. **والثالث**: تَقلُّبهم غيرَ مأخُوذين بذنوبهم، ذكره بعض المُفسّرين. قال الزجاجُ: ذلك الكَسْبُ والرِّبحُ متاعٌ قليلٌ، وقال ابن عباسٍ: مَنفعةٌ يَسِيرةٌ في الدنيا. والمِهادُ: الفِراشُ.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: «لكنَّ» بالتشديد ها هنا، وفي «الزُّمر» قال مُقاتلٌ: وَحِّدُوا. قال ابن عَباسٍ: «النُّزُلُ» الثَّواب. قال ابنُ فارسٍ: النُّزُل: ما يُهَيَّأ للنَّزيل، والنَّزيلُ: الضَّيفُ.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نَزلت على أربعة أقوالٍ:

---

[٢٥٣] لم أقف عليه هكذا، والذي ورد في ذلك أن الآية التي نزلت هي قوله تعالى: **﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم....﴾** ـ طه: ١٣١ ـ أخرجه الواحدي ٦١٥ والطبري ٢٢٤٥٥ من حديث أبي رافع، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف، وكرره الطبري ٢٤٤٥٦ من طريق حسين بن داود عن أبي رافع وحسين واهٍ والمتن منكر، لأن سورة طه مكية، وخبر رهن الدرع متأخر جداً كما قال القرطبي، وسيأتي.
وانظر «تفسير القرطبي» ٤٣٣٢ بتخريجنا.

[٢٥٤] **أحدها**: أنها نزلت في النَّجاشِيِّ، لأنه لمَّا مات صلَّى عليه النبيُّ ﷺ، **فقال قائلٌ**: يُصَلِّي على هذا العِلْجِ النَّصرانيِّ، وهو في أرْضِهِ؟! فنزلت هذه الآية، هذا قولُ جابرِ بن عبد الله، وابن عباسٍ، وأنسٍ. وقال الحسنُ، وقتادةُ: فيهِ وفي أصحابِه.

والثاني: أنها نزلت في مُؤمِني أهلِ الكتاب من اليهود والنَّصارى، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ. **والثالث**: في عبد الله بن سَلاَّم، وأصحابِهِ، قاله ابن جُريجٍ، وابن زَيدٍ، ومُقاتلٌ. **والرابع**: في أربعين من أهل نَجْرانَ، وثلاثين من الحَبَشَة، وثمانيةٍ من الرُّومِ كانوا على دِينِ عيسى، فآمنوا بالنبيِّ ﷺ، قاله عَطاءٌ[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ يعني: كِتَابَهُم. والخَاشِعُ: الذَّلِيلُ. ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ أي: عَرَضاً من الدنيا كما فعلَ رؤساءُ اليهود. وقد سَلَفَ بيانُ سُرعةِ الحِسَابِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ قال أبو سَلَمةَ بنُ عبد الرَّحمن: نَزَلَتْ في انتظار الصَّلاة بعد الصَّلاة، وليسَ يومئذٍ غزوٌ يُرابَطُ.

وفي الذي أُمروا بالصَّبر عليه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: البَلاء والجهاد، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الدِّين، قاله الحسنُ، والقُرَظِيُّ، والزجَّاجُ. **والثالث**: المصَائبُ، رُوي عن الحَسنِ أيضاً. **والرابع**: الفَرائِضُ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والخامس**: طاعةُ الله، قاله قَتادةُ.

وفي الذي أُمِرُوا بمُصَابَرَتِه قولان: **أحدهما**: العَدُوُّ، قاله ابن عباسٍ، والجُمهور. **والثاني**: الوعدُ الذي وَعَدَهُم اللهُ: قاله عَطاءٌ، والقُرَظِيُّ.

---

[٢٥٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٨٧ بدون إسناد. عن جابر وابن عباس وأنس وقتادة، وعزاه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢٤٦ للثعلبي عن ابن عباس وقتادة.
- وخبر جابر، أخرجه الطبري ٨٣٧٦ وفيه رواد بن الجراح، وهو ضعيف. وورد بنحوه من حديث أنس أخرجه النسائي في «التفسير» ١٠٨ و١٠٩ والبزار «كشف الأستار» ٣٨٢ والطبراني في «الأوسط» ٢٦٨٨ والواحدي ٢٨٨ ورجاله ثقات كما قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٣٨، وصلاة الرسول على النجاشي ثابتة في «الصحيحين» دون هذه القصة. انظر البخاري ١٣٣٣ ومسلم ٩٥١.

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٦٠ (آل عمران: ١٩٩): فإن قال قائل: فما أنت قائل في الخبر الذي رويت عن جابر وغيره: أنها نزلت في النجاشي وأصحابه؟
قيل: ذلك خبر في إسناده نظر. ولو كان صحيحاً لا شك فيه، لم يكن لما قلنا في معنى الآية بخلاف.
وقد تنزل الآية في الشيء، ثم يعم بها كل من كان في معناه. فالآية وإن كانت نزلت في النجاشي، فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي، حكماً لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي في اتباعهم رسول الله ﷺ والتصديق بما جاءهم به من عند الله، بعد الذي كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده في الكتابين، التوراة والإنجيل.

وفيما أُمروا بالمُرابطة عليه قولان: **أحدهما**: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ في آخرين. قال ابن قُتيبةَ: وأصل المُرابَطة والرِّباط: أن يَرْبِطَ هؤلاء خُيُولَهم، وهؤلاءِ خُيُولَهم في الثَّغر، كُلٌّ يُعِدُّ لصاحبه. **والثاني**: أنه الصَّلاة، أُمِرُوا بالمُرَابَطة عليها، قاله أبو سَلَمَة بنُ عبد الرحمن. وقد ذَكَرْنَا في (البقرة) معنى «لَعَلَّ»، ومعنى «الفَلاَح»[1].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٤/٣١٣: قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا**﴾ الآية ختم تعالى السورة بما تضمنته هذه الآية من الوصاة التي جمعت الظهور في الدنيا على الأعداء والفوز بنعيم الآخرة، فحضّ على الصبر على الطاعات وعن الشهوات، والصبر الحبس. وأمر بالمصابرة، فقيل: معناه مصابرة الأعداء، وقيل: على الصلوات الخمس وقيل: إدامة مخالفة النفس عن الشهوات فهي تدعو وهو ينزع. والأول قول الجمهور. ولذلك اختلفوا في معنى قوله (ورابطوا) فقال جمهور الأمة: رابطوا أعداءكم بالخيل أي ارتبطوها كما يرتبطها أعداؤكم ومنه قول تعالى ﴿**ومن رباط الخيل**﴾ وفي الموطأ عن مالك بن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من مُنَزَّلِ شدة يجعل الله له بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله تعالى يقول في كتابه ﴿**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ وقال أبو سلمة بن عبدالرحمن: هذه الآية في انتظار الصلاة بعد الصلاة ولم يكن في زمان رسول الله ﷺ غزو يرابط فيه، واحتج بقوله عليه السلام: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاثاً. قال ابن عطية: والقول الصحيح هو أن الرباط الملازمة في سبيل الله أصلها من ربط الخيل، ثم كل ملازم لثغر من ثغور الإسلام مرابطاً، فارساً كان أو راجلاً.
قلت: إن الخليل بن أحمد أحد أئمة اللغة وثقاتها قد قال: الرباط ملازمة الثغور، ومواظبة الصلاة أيضاً. والمرابطة عند العرب: العقد على الشيء حتى لا ينحل، فيعود إلى ما كان صبر عنه، فيحبس القلب على النية الحسنة والجسم على فعل الطاعة. والمرابط في سبيل الله عند الفقهاء هو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما. وقال ابن خُوَيْزمَنْدَاد: للرباط حالتان: حالة يكون الثغر مأموناً منيعاً يجوز سكناه بالأهل والولد. وإن كان غير مأمون جاز أن يرابط فيه بنفسه إذا كان من أهل القتال، ولا ينقل إليه الأهل والولد لئلا يظهر العدو فيسبي ويسترق.

سورة النساء

ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

اختلفوا في نُزولها على قولين[١]: **أحدهما**: أنها مَكِّيَّةٌ، رواهُ عَطيَّةُ عن ابن عباسٍ، وهو قول الحسَنِ، ومُجاهدٍ، وجَابر بن زيدٍ، وقَتادةَ. **والثاني**: أنها مَدَنِيَّةٌ، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ، وهو قول مُقاتلٍ. وقيل: إنها مَدَنِيَّةٌ، إلا آيةً نزلت بمَكَّةَ في عُثمانَ بن طَلْحَةَ حين أراد النبيُّ ﷺ أَنْ يأخذ منه مفاتيح الكَعْبَة، فيُسلِّمَها إلى العبَّاسِ، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٢] ذكره المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الطَّاعة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: بمعنى الخَشْيَة. قاله مُقاتلٌ. والنَّفْسُ الوَاحدةُ: آدَمُ، وزَوْجُها حوَّاءُ، و «مِن» في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ للتَبعِيض في قول الجُمهور. وقال ابن بَحر: «منها»، أي: مِنْ جِنْسِهَا.

واختلفوا أيّ وقتٍ خُلِقَتْ لهُ، على قولين: **أحدهما**: أنها خُلقت بعد دخوله الجنَّة، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ. **والثاني**: قبل دُخوله الجنَّة، قاله كَعبُ الأَخبار، ووَهْبٌ، وابن إسحاقَ. قال ابن عباسٍ: لـمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ، أَلْقى عليه النَّومَ، فَخلَقَ حَوَّاءَ من ضِلَعٍ مِنْ أَضلاعِهِ اليُسرى، فَلَمْ تُؤذِهِ بشيءٍ، ولو وَجدَ الأذى ما عَطَفَ عليها أبداً، فلمَّا استَيْقَظَ؛ قيل: يَا آدَمُ ما هذه؟ قال: حَوَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ قال الفَرَّاءُ: بثَّ: نَشَرَ، ومن العرب من يقول: أَبَثَّ اللهُ الخَلْق، ويقولون: بَثَثْتُكَ ما في نَفسي، وأَبْثَثْتُكَ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، والبُرْجُمِي، عن أبي بَكرٍ، عن عَاصمٍ.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/٥: هي مدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي وهي قوله: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾. وهو الصحيح، فإن في صحيح البخاري - ٤٩٩٣- عن عائشة أنها قالت: ما نزلت سورة النساء إلا وأنا عند رسول الله ﷺ؛ تعني قد بنى بها. ولا خلاف بين العلماء أن النبي ﷺ إنما بنى بعائشة بالمدينة. ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها. والله أعلم.

(٢) النساء: ٥٨. وسيأتي الحديث أثناء تفسيرها.

واليَزيديّ، وشُجَاع، والجَعفِيُّ، وعبدُ الوارث، عن أبي عَمروٍ: «تسَّاءلون» بالتشديد. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزةُ والكِسَائيُّ، وكثيرٌ من أصحاب أبي عمروٍ عنه بالتخفيف. قال الزجّاجُ: الأصل: تَتَساءَلُون، فمن قرأ بالتشديد. أَدْغَمَ التَّاء في السين، لِقُرب مكان هذه مِنْ هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذفَ التاء الثانية لاجتماع التَّاءين. وفي معنى «تساءلون به» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تَتَعَاطَفُون به، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: تَتَعاقَدُونَ، وتَتَعاهَدونَ به. قاله الضَّحّاكُ، والرَّبيعُ. **والثالث**: تَطْلُبُون حُقُوقَكُم به، قاله الزجَّاجُ.

فأما قوله «والأرحامَ» فالجمهور على نصب الميم على معنى: واتَّقوا الأرحامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وفسَّرها على هذا ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعِكرمَةُ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ. وقرأ الحسَنُ، وقَتادةُ، والأَعمَشُ، وحَمزَةُ بخفض الميم على معنى: تَسَاءَلُون به وبالأرحام، وفسَّرها على هذا الحسَنُ، وعَطاءٌ والنَّخعِيُّ. وقال الزجّاجُ: الخَفضُ في «الأَرْحَام» خطأٌ في العربية لاَ يَجوزُ إلا في اضطِرَار الشِّعر، وخطأٌ في الدِّين، لأن النبيَّ ﷺ قال:

[٢٥٥] «لا تَحْلِفُوا بآبائِكم»، وذهب إلى نحو هذا الفرّاءُ. وقال ابن الأنَباريّ: إنما أراد، حَمزةُ الخَبَرَ عن الأَمْرِ القَديم الذي جَرَت عَادتُهم به، فالمعنى: الذي كُنتم تَسَاءَلُون به وبالأرحام في الجَاهِلِيَّة. قال أبو عليّ: مَنْ جَرَّ، عَطَفَ على الضَّمير المجرور بالباء، وهو ضَعيفٌ في القِيَاس، قليلٌ في الاستعمال، فَتَرْكُ الأَخْذِ به أحسَنُ.

فأما الرَّقِيبُ، فقال ابن عباس، ومُجاهدٌ: الرَّقيبُ: الحَافِظُ. وقال الخَطَّابيُّ: هو الحَافِظُ الذي لا يَغِيبُ عنه شيءٌ، وهو في نُعوت الآدميين المُوكَّل بحفظ الشيء، المُتَرَصِّدُ له، المُتَحرِّزُ عن الغَفْلَة فيه، يقال منه: رَقَبْتُ الشيءَ أرْقُبُه رِقْبَةً.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾.

[٢٥٦] سبب نزولها: أنَّ رجلاً من غَطَفانَ كان معه مالٌ كثيرٌ لابن أَخٍ له يَتِيمٍ، فلَمَّا بَلَغ، طلب ماله فمنَعَهُ، فخَاصَمَهُ إلى النبيِّ ﷺ، فنزلت، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

والخِطابُ بقوله تعالى: «وآتوا» للأَولِيَاء والأَوصِيَاء. قال الزجّاجُ: وإنما سُمُّوا يتامى بعد البُلوغ، بالاسم الذي كان لهم، وقد كان يُقال للنبيِّ ﷺ: يَتِيمُ أبي طَالبٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾، قرأ ابن مُحَيصِنٍ: «تبَدَّلوا» بتاءٍ واحدةٍ. ثمَّ في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنه إبدالٌ حقيقةً، ثمَّ فيه قولان: أحدهما: أنه أَخْذُ الجَيِّد، وإعطاءُ الرَّدِيء

---

[٢٥٥] صحيح. أخرجه البخاري ٣٨٣٦ و٦٦٤٨ ومسلم ١٦٤٦ وأحمد ٢/ ٢٠ ـ ٤٢ ـ ٧٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ألا من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله، فكانت قريش تحلف بآبائها فقال: لا تحلفوا بآبائكم». وانظر «تفسير القرطبي» ١٩٩١ بتخريجنا.

[٢٥٦] عزاه السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٠٧ لابن أبي حاتم عن ابن جبير، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٩١ بدون إسناد عن مقاتل والكلبي وعزاه ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٩٩٩ للثعلبي وقال: وسنده إليهما مذكور أول الكتاب ـ أي كتاب الثعلبي ـ وسكت الحافظ عليه. وهو معضل، والكلبي متروك متهم، ومقاتل إن كان ابن سليمان، فهو كذاب، وإن كان ابن حيان، فإنه صدوق فيه ضعف وقد روى مناكير كثيرة.

مكَانَهُ، قاله سعيدُ بن المُسَيّبِ، والضَّحّاكُ، والنَّخعِيُّ، والزُّهريُّ، والسُّدّيُّ. قال السُّدّيُّ: كان أحَدُهم يأخذ الشّاةَ السَّمِينَةَ مِنْ غَنَمِ اليتيم، ويجعلُ مكانَها المَهْزُولَة، ويأخُذُ الدَّراهِمَ الجِيَادَ، ويَطْرَحُ مكانَها الزُّيُوفَ. والثاني: أنه الرِّبحُ على اليتيم، واليتيم غُرٌّ لا عِلْمَ لَهُ، قاله عَطاءٌ. **والقول الثاني**: أنه ليس بإبدالٍ حقيقةً، وإنّما هو أَخْذُه مُسْتَهْلَكاً، ثمَّ فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا لا يُوَرِّثون النساءَ والصِّغارَ، وإنما يأخُذ الميراثَ الأكابرُ من الرِّجال، فنَصِيبُ الرَّجل من المِيراث طَيِّبٌ، وما أَخَذَهُ من حقِّ اليتيم خَبيثٌ، هذا قول ابن زيدٍ. والثاني: أنه أَكْلُ مَالِ اليتيم بَدَلاً مِنْ أَكْلِ أموالِهِم، قالهُ الزجّاجُ.

و «إلى» بمعنى «مع» والحُوبُ: الإثْمُ. وقرأ الحسنُ، وقَتادةُ، والنَّخعِيُّ بفتح الحاء. قال الفرّاءُ: أهل الحجاز يقولون: حُوب بالضَّم، وتَمِيمٌ يقولونه بالفتح. قال ابن الأنباريّ: وقال الفرّاءُ: المَضمومُ الاسمُ، والمَفتوح المصدرُ. قال ابن قتيبةَ: وفيه ثلاث لغاتٍ: حُوب، وحَوْب، وحَاب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ اختلفوا في تَنْزيلها وتأويلها على ستة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ القوم كانوا يَتزوَّجون عدداً كثيراً من النِّساء في الجَاهليَّة، ولا يَتحرَّجون من تَرْكِ العَدْل بينهنَّ، وكانوا يَتحرَّجون في شأن اليَتامَى، فقيل لهم بهذه الآية: إحذَروا من تَرْكِ العَدْلِ بين النِّساء، كما تَحذَرُون من تَرْكِه في اليتامَى. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ والضَّحّاكِ، وقَتادةَ، والسُّدِّيِّ ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنَّ أولياءَ اليَتامَى كانوا يَتزوَّجون النِّساءَ بأموال اليَتامَى، فلمَّا كَثُرَ النِّساء، مَالُوا على أموال اليَتامَى، فَقَصِرُوا على الأربع حِفْظاً لأموال اليَتامَى. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن عباس أيضاً، وعِكرمةَ. **والثالث**: أنَّ معناها: وإنْ خِفتُم يا أولياءَ اليتامَى أنْ لا تَعدِلُوا في صَدُقَاتِ اليتامَى إذا نَكَحتُموهُنَّ، فَانكِحُوا سِوَاهُنَّ مِنَ الغرائِبِ اللواتي أحلَّ اللهُ لكم، وهذا المعنى مَرويٌّ عن عائشةَ. **والرابع**: أنَّ معناها: وإنْ خِفتُم يا أولياءَ اليتامى أنْ لا تَعدِلُوا في نِكَاحِهِنَّ، وحَذِرْتُم سوءَ الصُّحبة لهنَّ، وقِلَّةَ الرَّغبة فيهنَّ، فَانكِحُوا غَيْرَهُنَّ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن عائشةَ أيضاً، والحَسنِ. **والخامس**: أنهم كانوا يَتحرَّجون من ولايَة اليَتامَى، فأُمِروا بالتَّحرُّج من الزِّنى أيضاً، ونُدِبُوا إلى النِّكاح الحَلال، وهذا المعنى مَرويٌّ عن مُجاهدٍ. **والسادس**: أنَّهم تَحرَّجُوا من نِكَاح اليَتامَى، كما تَحرَّجُوا من أموَالِهِم، فَرَخَّص اللهُ لَهُم بهذه الآية، وقَصَرَهُم على عددٍ يُمكن العَدلُ فيه، فكأنَّه قال: وإن خِفتُم يا أولياءَ اليتامَى أنْ لا تَعدِلُوا فيهنَّ، فَانكِحُوهُنَّ، ولا تَزيدُوا على أربعٍ لِتَعْدَلُوا، فإنْ خِفتُم أنْ لا تَعدِلُوا فيهنَّ، فَواحدةً، وهذا المعنى مَرويٌّ عن الحسَنِ[1].

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسيره ٣/ ٥٧٧ (النساء: ٣): وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية، قول من قال: تأويلها: **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ فكذلك خافوا في النساء، فلا تنكحوا منهن** إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن، من واحدة إلى الأربع. فإن خفتم الجور في الواحدة أيضاً، فلا تنكحوها، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهن». وإنما قلنا إن ذلك أولى بتأويل الآية، **لأن الله جل ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حق وخلطها بغيرها من** =

قال ابن قُتيبة: ومعنى قوله: وإنْ خِفتُمْ، أي: فإن عَلِمْتُم أنّكم لا تعدلون بين اليتامىٰ. يقال: أَقْسَطَ الرَّجلُ: إذا عَدَلَ، ومنه قول النبي ﷺ:

[٢٥٧] المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة.

ويقال قَسَطَ الرجلُ: إذا جَارَ، ومنه قول الله ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

وفي معنى العَدْلِ في اليَتامى قولان: **أحدهما**: في نِكَاح اليتامَى. **والثاني**: في أموالِهم.

قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ أي: ما حَلَّ لكم. قال ابن جَرير: وأراد بقوله تعالى: ما طابَ لكُم، الفِعْلُ دونَ أعيانِ النِّساء، ولذلك قال: «ما» ولم يَقُلْ: «مَنْ» واختلفوا: هل النِّكاح من اليتامَى، أو مِنْ غَيرِهِنَّ؟ على قولين قد سَبَقا.

قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾. قال الزجَّاجُ: هو بَدَلٌ من «ما طاب لكم» ومعناه: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. وإنَّما خَاطَبَ اللهُ العربَ بأفصح اللُغَات، وليس من شأن البَليغ أن يُعَبِّر في العدد عن التِّسعة باثنتين، وثلاثٍ، وأربع، لأنَّ التسعة قد وُضِعَتْ لهذا العدد، فيكون عِيّاً في الكلام. وقال ابن الأَنباريِّ: هذه الواو معناها التَّفَرُّقُ، وليست جامعةً، فالمعنى: فانكِحُوا ما طابَ لكُم من النِّساء مَثْنَى، وانكِحُوا ثُلاثَ في غير الحَال الأولى، وانكِحُوا رُباعَ في غير الحَالَيْنِ. وقال القاضي أبو يَعلَى: الواو هاهنا لإِبَاحَة أيِّ الأعداد شَاءَ، لا للجمع، وهذا العدد إنَّما هو للأَحرار، لا للعبيد، وهو قول أبي حَنيفَة والشَّافعيِّ. وقال مالكٌ: هُمْ كالأَحرار. ويدلُّ على قولنا: أنَّه قال: فانكِحُوا، فهذا مُنْصَرِفٌ إلى مَن يَمْلِكُ النِّكاحَ، والعبدُ لا يَمْلُكُ ذلك بنفسه، وقال في سِيَاقِها ﴿فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، والعبدُ لا مِلْكَ له، فلا يُباح له الجَمْعُ إلا بين اثنتين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عَلِمْتُم. **والثاني**: خَشِيتُم.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ قال القاضي أبو يَعلَى: أراد العَدْلَ في القَسْم بينهنَّ.

قوله تعالى: ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: فانكِحُوا واحدةً، وقرأ الحسَنُ، والأَعْمَشُ، وحُمَيدٌ: «فواحدةٌ» بالرَّفع، المعنى، فواحدةٌ تَقْنَعُ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعني: السَّرَارِيّ. قال ابن قُتيبة: معنى الآية: فكَمَا تخافون أَنْ لا تَعْدِلُوا بين اليتَامَى إذا كَفِلْتُمُوهُم، فخافوا أيضاً أَنْ لا تَعدِلوا بين النِّساء إذا نَكَحْتُمُوهنَّ، فَقَصَرَهُم على أربع، لِيَقْدِرُوا على العَدْلِ، ثم قال: فإن خِفْتُم أَنْ لا تَعْدِلُوا بين هؤلاءِ الأربع، فانكِحُوا واحدةً، واقْتَصِرُوا على مِلْكِ اليَمين.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: أقربُ. وفي معنى ﴿تَعُولُوا۟﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَمِيلُوا، قاله ابن عباسٍ، والحسنُ، ومُجاهدٌ، وعِكرمةُ، وعَطاءٌ، وإبراهيمُ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ، والفَرَّاءُ. وقال

---

[٢٥٧] صحيح. أخرجه مسلم ١٨٢٧ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

= الأموال. ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا الله في ذلك فتحرجوا فيه، فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج في أمر النساء مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى.

أبو مالكٍ، وأبو عُبيدة، تَجُوروا. قال ابن قُتيبة، والزجَّاج: تَجُوروا وتَميلُوا بمعنًى واحدٍ. وَاحتكَم رَجُلانِ من العرب إلى رجلٍ، فحَكَم لأحدِهما، فقال المَحكُومُ عليه: إنَّكَ واللهِ تَعُولُ عليَّ، أي تَمِيلُ وتَجُورُ. **والثاني**: تَضِلُّوا، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: تَكْثُرُ عِيالُكُم، قال ابن زيدٍ، ورواه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ في «تفسيره» عن الشَّافعيِّ، ورَدَّه الزجَّاجُ، فقال: أهلُ اللغة يقولون: هذا القول خَطأٌ، لأنَّ الواحدة يَعُولُها، وإباحةُ مِلْكِ اليمين أزْيَدُ في العِيال من أربعٍ.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ﴾ اختلفوا فيمن خُوطب بهذا على قولين:

أحدهما: أنَّهم الأزواجُ، وهو قولُ الجُمهور، واحتجُّوا بأن الخِطَابَ للنَّاكحينَ قد تَقدَّم، وهذا مَعطوفٌ عليه، وقال مُقاتلٌ: كان الرجل يتزوَّج بلا مَهْرٍ، فيقول: أَرِثُكِ وتَرِثِيْنِي، فتقول المرأةُ: نَعَمْ، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أنه مُتَوجِّهٌ إلى الأَولياءِ ثم فيه قولان: **أحدهما**: أن الزَّوجَ كان إذا زُوِّجَ أَيِّمَةً حَازَ صَداقَها دُونَها، فنُهوا بهذه الآية، هذا قول أبي صالح واختاره الفَرَّاءُ، وابن قُتيبة. **والثاني**: أَنَّ الرجل كان يُعطي الرجلَ أُختَه ويأخذُ أُخْتَهُ مكانَها مِنْ غير مَهْرٍ، فنُهوا عن هذا بهذه الآية، رواه أبو سُليمانَ التَّيْمِيُّ عن بعض أشياخه.

قال ابن قُتيبةْ: والصدقات: المهورُ، واحدها: صدقة.

وفي قوله تعالى: ﴿نِحْلَةً ۚ﴾ أربعة أقوال: **أحدها**: أنها بمعنى الفريضة، قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد ومقاتل. **والثاني**: أنها الهِبةُ والعطية، قاله الفراء. قال ابن الأنباريِّ: كانت العرب في الجاهلية لا تُعطي النساءَ شيئاً من مُهورهِنَّ، فلما فرَضَ الله لهنَّ المَهْرَ، كان نِحْلةً مِنَ الله، أي: هبَةً للنساء، فَرْضاً على الرِّجال. وقال الزجَّاجُ: هو هبةٌ من الله للنِّساء. قال القاضي أبو يَعلَى: وقيل: إنما سُمي المَهْرُ: نِحْلَةً، لأن الزَّوجَ لا يَملكُ بَدَلَهُ شيئاً، لأن البُضْعَ بعد النِّكاح في مِلْكِ المرأة، ألا ترى أنَّها لو وُطِئَت بشُبهةٍ، كان المَهرُ لها دون الزَّوج، وإنما الذي يستَحِقُّه الزوجُ الاستِباحة، لا المِلْك. **والثالث**: أنها العَطِيَّةُ بطِيْبِ نَفْسٍ، فكأنه قال: لا تُعطوهُنَّ مُهورَهنَّ وأنتم كَارهون، قاله أبو عُبيدةَ. **والرابع**: أنَّ معنى «النِّحلَة»: الدِّيَانةُ، فتقديره: وآتوهُنَّ صَدقَاتِهنَّ دِيَانَةً، يُقال: فلانٌ يَنْتَحِلُ كذا، أي: يَدِيْنُ به، ذكره الزجَّاجُ عن بعض العلماء.

قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ﴾ يعني: النِّساء المَنْكُوحَات. وفي ﴿لَكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه يعني الأَزواجَ. **والثاني**: الأوليَاء. و «الهاء» في ﴿مِّنْهُ﴾ كنايةٌ عن الصَّداق، قال الزَّجَّاجُ: و ﴿مِّنْهُ﴾ هاهنا للجنس، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ معناه: فاجتَنِبُوا الرِّجسَ الذي هو وَثَنٌ، فكأنه قال: كُلوا الشيءَ الذي هو مَهْرٌ، فيجوز أن يسأل الرجلُ المهرَ كُلَّهُ. و ﴿نَفْسًا﴾: منصوبٌ على التمييز.

فالمعنى: فإن طَابَتْ أَنْفسُهنَّ لكم بذلك، فكُلوه هَنيئاً مَريئاً. وفي الهَنِيءِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما تُؤمن عَاقِبَتُه. **والثاني**: ما أَعقَبَ نفعاً وشِفاءً. **والثالث**: أنه الذي لا يُنَغِّصُه شيءٌ. وأما «المَرِيءِ» فيقال: مَرِئَ الطَّعام: إذا انهضَمَ، وحُمِدَت عاقبتُه.

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾، المراد بالسُّفهاء خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم النِّساء، قاله ابن عُمرَ. **والثاني**: النِّساء والصِّبيان، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ، والفرَّاءُ، وابن قُتيبة. وعن الحَسنِ ومُجاهدٍ كالقولين. **والثالث**: الأولاد، قاله أبو مالكٍ، وهذه الأقوال الثلاثةُ مَرويَّةٌ عن ابن عباسٍ، ورُوي عن الحَسنِ، قال: هُم الأولاد الصِّغار. **والرابع**: اليتامَى، قاله عِكرمةُ، وسعيدُ بن جُبيرٍ في روايةٍ. قال الزجَّاج: ومعنى الآية: ولا تُؤتوا السُّفهاءَ أموالَهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ وإنّما قال: «أموالكم» ذِكراً للجنس الذي جَعلَهُ اللهُ أموالاً للنَّاس. وقال غيرُه: أضافَها إلى الوُلاة، لأنهم قُوَّامُها. **والخامس**: أن القول على إطلاقهِ، والمُراد به كُلُّ سَفيهٍ يَسْتحقُّ الحَجْرَ عليه، ذَكرَهُ ابن جَريرٍ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وغيرُهما، وهو ظاهر الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه أموالُ اليتامَى. **والثاني**: أموالُ السُّفهاء.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ قرأ الحسنُ: «اللاتي جعل الله لكم قِواماً». وقرأ ابن كَثيرٍ، وعَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو عمروٍ: «قِياماً» بالألف، وقرأ نَافعٌ، وابن عَامرٍ: «قِيَماً» بغير ألفٍ. قال ابن قُتيبةَ: قِياماً وقِواماً بمنزلةٍ واحدةٍ، تقول: هذا قِوَام أمْرِكَ وقِيَامُهُ، أي: ما يَقُومُ به أمرك. وذكر أبو عليّ الفارسيُّ أن «قِواماً» و «قِياماً» و «قِيَماً»، بمعنى القِوَام الذي يُقيم الشَّأنَ، قال: وليس قول من قال «القِيَم» هاهنا: جمع «قِيمَة» بشيءٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: مِنْهَا. وفي «القَول المَعروفُ» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: العِدَةُ الحسَنَة، قاله ابن عباسٍ، وعَطاءٌ، ومُجاهدٌ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: الرَّدُّ الجميلُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: الدُّعاء، كقولك: عَافَاكَ اللهُ، قاله ابن زيدٍ.

﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾.

[٢٥٨] سبب نزولها أنَّ رجلاً، يُقال له: رِفَاعَة، ماتَ وتَركَ ولداً صغيراً، يُقال له: ثَابتٌ، فوَلِيَهُ عَمُّه، فجاء إلى النبيِّ ﷺ، فقال: إن ابنَ أخي يَتيمٌ في حِجْرِي، فما يَحِلُّ لي مِنْ مَالِهِ؟ ومتى أَدْفَعُ إليه مالَه؟ فنزلت هذه الآية، ذكر نَحوَهُ مُقاتلٌ.

والابتِلاءُ: الاخْتِبَارُ. وبماذا يُخْتَبَرُون؟ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يُختَبرون في عُقولهم، قاله ابن عباس، والسُّدِّيُّ، وسُفيانُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: يُختَبرون في عُقولهم ودِينهم، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. وعن مُجاهدٍ كالقولين. **والثالث**: في عُقولهم ودِينهم، وحِفْظِهِم أموالَهم، ذكره الثَّعلَبيُّ. قال القاضي أبو يَعْلَى: وهذا الابتلاء قبل البُلوغ.

---

[٢٥٨] ضعيف. أخرجه الطبري ٨٦٤٠ عن قتادة مرسلاً، وذكره الواحدي في «أسبابه» ٢٩٤ بدون إسناد.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ قال ابن قُتيبة: أي: بَلَغُوا أن يَنْكِحُوا النِّساءَ ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أي: عَلِمْتُم، وتَبَيَّنْتُم. وأصل: آنسْتُ: أَبْصَرتُ. وفي الرُّشْد أربعة أقوالٍ: **أحدها**: الصَّلاحُ في الدِّين، وحِفظ المَالِ، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: الصَّلاحُ في العقل، وحِفظ المَالِ، رُوي عن ابن عباسٍ والسُّدِّيِّ. **والثالث**: أنه العقلُ، قاله مُجاهدٌ، والنَّخَعِيُّ. **والرابع**: العقلُ، والصَّلاحُ في الدِّين، رُوي عن السُّدِّيِّ.

فصل: واعْلَمْ أنَّ الله تعالى عَلَّق رَفْعَ الحَجْر عنِ اليَتامى بأمرين: بالبُلوغ والرُّشد، وأَمَر الأولياءَ باختِبَارِهم، فإذا استَبَانُوا رُشْدَهُم، وجبَ عليهم تَسليمُ أموالِهم إليهم.

والبُلوغ يكون بأحدِ خمسة أشياءَ، ثلاثةٌ يشتركُ فيها الرِّجال والنِّساء: الاحتِلامُ، واستكمالُ خمسَ عشرة سنةً، والإِنْبَاتُ، وشيئان يختصَّان بالنِّساء: الحَيْضُ والحَمْلُ[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ خطابٌ للأولياءِ، قال ابن عباسٍ: لا تأكلُوها بغير حقّ.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/٣٨: واختلف العلماء في تأويل «رشداً» على أقوال ـ وذكرها ـ قال سعيد بن جبير والشعبي: إن الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده، فلا يُدفع إلى اليتيم ماله وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشده. وهكذا قال الضحاك، وأكثر العلماء على أن الرشد لا يكون إلا بعد البلوغ، وعلى أنه إن لم يرشد بعد بلوغ الحلم وإن شاخ لا يزول الحجر عنه، وهو مذهب مالك وغيره. وقال أبو حنيفة: لا يحجر على الحرّ البالغ إذا بلغ مبلغ الرجال، ولو كان أفسق الناس وأشدهم تبذيراً إذا كان عاقلاً. وبه قال زفر بن الهُذيل، وهو مذهب النخعي. واحتجوا في ذلك بما رواه أنس أن حَبّان بن مُنْقِذ كان يبتاع وفي عقدته ضعف، فقيل: يا رسول الله احجر عليه، فإنه يبتاع وفي عقدته ضعف. فاستدعاه النبي ﷺ فقال: «لا تبع». فقال: لا أصبر. فقال له: «فإذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثاً». قالوا: فلما سأله القوم الحجر عليه لما كان من تصرفه من الغبن ولم يفعل عليه السلام، ثبت أن الحجر لا يجوز. وهذا لا حجة لهم فيه، لأنه مخصوص بذلك، فغيره بخلافه. وقال الشافعي: إن كان مفسداً لماله ودينه، أو كان مفسداً لماله دون دينه حُجر عليه، وإن كان مفسداً لدينه مصلحاً لماله فعلى وجهين: أحدهما يحجر عليه، وهو اختيار أبي العباس بن شريح. والثاني: لا حجر عليه، وهو اختيار أبي إسحاق المَرْوزيّ والأظهر من مذهب الشافعي. وإذا ثبت هذا فاعلم أن دفع المال يكون بشرطين: إيناس الرشد والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر لم يجز تسليم المال، كذلك نص الآية، وهو رواية ابن وهب عن مالك. وهو قول جماعة الفقهاء إلا أبا حنيفة وزفر والنخعي فإنهم أسقطوا إيناس الرشد ببلوغ خمس وعشرين سنة. قال أبو حنيفة: لكونه جَدّاً وهذا يدل على ضعف قوله حسب ما تقدم وماذا يعني كونه جَدّاً إذا كان غير جدّ، أي بخت. إلا أن علماءنا شرطوا في الجارية دخول الزوج بها مع البلوغ، وحينئذ يقع الابتلاء في الرشد. ولم يره أبو حنيفة والشافعي. وفرّق علماؤنا بينهما بأن قالوا: الأنثى مخالفة للغلام لكونها محجوبة لا تعاني الأمور ولا تبرز لأجل البكارة فلذلك وقف فيها على وجود النكاح، فبه تفهم المقاصد كلها. والذكر بخلافها، فإنه بتصرفه وملاقاته للناس من أول نشئه إلى بلوغه يحصل له الاختبار، ويكمل عقله بالبلوغ، فيحصل له الغرض. وما قاله الشافعي أصوب. ثم زاد علماؤنا فقالوا: لا بد بعد الدخول من مضي مدة من الزمان تمارس فيها الأحوال. قال ابن عربي: وذكر علماؤنا في تحديدها أقوالاً عديدة: منها الخمسة الأعوام والستة والسبعة في ذات الأب، وجعلوا في اليتيمة التي لا أب لها ولا وصي عليها عاماً واحداً بعد الدخول وليس في هذا كله دليل، وتحديد الأعوام عسير. والمقصود من هذا كله داخل تحت قوله تعالى: ﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ فتعين اعتبار الرشد ولكن يختلف إيناسه بحسب اختلاف حال الراشد. فاعرفه وركّب عليه واجتنب التحكّم الذي لا دليل عليه.

﴿وَبِدَارًا﴾ تُبادِرُون أَكْلَ المال قبل بُلوغ الصَّبيِّ ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بمَالِهِ عن مال اليتيم.

وفي الأكْل بالمعروف أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأخْذ على وجه القَرْضِ، وهذا مَرويٌّ عن عُمرَ، وابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، وأبي العَالِيَة، وعُبيدةَ، وأبي وَائلٍ، ومُجاهِدٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: الأكْل بمقدار الحَاجَة مِنْ غير إسرَافٍ، وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، والحَسنِ، وعِكرمةَ، وعَطاءٍ، والنُّخعِيِّ، وقَتادةَ، والسُّدِّيِّ. **والثالث**: أنه الأخْذُ بقَدْرِ الأُجرةِ إذا عَمِلَ لليتيم عَمَلاً، رُوي عن ابن عباسٍ، وعَائشةَ، وهي رواية أبي طالبٍ، وابن منصورٍ، عن أحمدَ رضي الله عنه. **والرابع**: أنه الأخْذُ عند الضَّرورة، فإن أَيْسَرَ قَضَاهُ، وإنْ لَمْ يُوسِرْ، فهو في حِلٍّ، وهذا قول الشَّعبيِّ[1].

فصل: واختلف العلماء هل هذه الآية مُحْكَمَةٌ أو مَنْسُوخَةٌ؟ على قولين:

أحدهما: مُحْكَمَةٌ، وهو قول عُمَر، وابن عباسٍ، والحسَنِ، والشَّعبيِّ، وأبي العَالِيَة، ومُجاهدٍ، وابن جُبيرٍ، والنَّخعِيِّ، وقَتادَة في آخرين. وحُكْمُهَا عندهم أن الغَنِيَّ ليس له أن يأكلَ من مال اليتيم شيئاً، فأما الفَقير الذي لا يَجِدُ ما يكفيه، وتَشْغَلُهُ رعايةُ مال اليتيم عن تحصيل الكِفَاية، فله أن يأخذَ قَدْرَ كِفَايَتِهِ بالمعروف من غير إسرَافٍ. وهل عليه الضَّمانُ إذا أَيْسَرَ؟ فيه قولان لهم: أحدهما: أنه لا ضمانَ عليه، بل يكون كالأُجرة له على عمله، وهو قول الحسَنِ، والشَّعبيِّ، والنُّخعِيِّ، وقَتادَة، وأحمدَ بن حَنبلٍ. والثاني: إذا أَيْسَرَ وجَبَ عليه القَضاءُ، رُوي عن عُمَر وغيره، وعن ابن عباس أيضاً كالقولين.

والقول الثاني: أنها مَنْسُوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[2] وهذا مروي عن ابن عباس ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: هذا على طريق الاحتياط لليتيم، والوَليِّ، وليسَ بواجبٍ، فأما اليتيم، فإنه إذا كانت عليه بَيِّنَةٌ، كان أبعدَ مِنْ أن يَدَّعيَ عدمَ القبض، وأما الوَلِيُّ، فإنه تظهر أَمَانَتُهُ، ويَسقُطُ عنه اليمينُ عند إنكار اليتيم للدَّفعِ.

وفي «الحَسِيبِ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشهيد، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه الكَافِي، من قولك: أَحْسَبني هذا الشيء، أي كفاني، والله حسيبي وحسيبك، أي: وكافينا، أي يكون حكماً بيننا كافياً، قال الشاعر[3]:

ونُقفي وليدَ الحي إن كان جائعاً ... ونُحسِبُه إن كان ليس بجائع

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٦٤: قال الفقهاء: له أن يأكل من أقل الأمرين أجرة مثله أو قدر حاجته. واختلفوا هل يَرُدّ إذا أيسر؟ على قولين: أحدهما: لا لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيراً؛ وهذا هو الصحيح عند أصحاب الشافعي. لأن الآية أباحت الأكل من غير بدل. قال أحمد؛ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ليس لي مال ولي يتيم؟ فقال: «كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثل مالاً ومن غير أن تقي مالك ـ أو قال ـ تفدي مالك. والثاني: نعم لأن مال اليتيم على الحظر؛ وإنما أبيح للحاجة فيردّ بدله كأكل مال الغير للمضطر لا عند الحاجة.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) في «اللسان»: قفي؛ نسب البيت لامرأة من بني قشير. ونقفيه أي نؤثره بالقفية؛ وهي ما يؤثر به الصبي والضيف.

أي: نعطيه ما يكفيه حتى يقول: حسبي. قاله ابن قُتَيبَة والخَطَّابيُّ. **والثالث**: أنه المُحَاسِبُ، فيكون في مذهب جَلِيس، وأَكِيل، وَشرِيب، حكاه ابن قُتيبةَ والخَطَّابيُّ.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾.

[٢٥٩] سبب نزولها أَنَّ أَوْسَ بن ثَابتٍ الأَنصاريَّ تُوفي وتَرَكَ ثلاثَ بناتٍ وامرأةً، فقامَ رجلان من بَني عَمِّه، يُقال لهما: قَتادةُ، وعَرْفَطَةُ[1] فأَخذوا مالَه، ولم يُعطيا امرأته، ولا بناتِه شيئاً، فجاءت امرأته إلى النبيِّ ﷺ فذَكَرتْ له ذلك، وشَكَتْ الفقرَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ. وقال قَتادةُ: كانوا لا يُوَرِّثون النساءَ، فنزلت هذه الآية.

والمُراد بالرجال: الذُّكور، وبالنِّساء: الإناث، صِغَاراً كانوا أو كِبَاراً. و «النصيب»: الحَظُّ من الشيء، وهو مُجْمَلٌ في هذه الآية، ومِقْدَارُهُ معلومٌ من مَوضع آخر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾[3]. والمَفْرُوضُ: الذي فَرَضَهُ الله، وهو آكَدُ مِنَ الوَاجب.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾

---

[٢٥٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٩٥ بدون إسناد، وأخرجه الطبري ٨٦٥٨ عن عكرمة مرسلاً لكن باختصار. ونسبه السيوطي في «الدر» ٢/ ٢١٧ لأبي الشيخ عن ابن عباس، وكذا ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ١٤ عن ابن عباس في رواية الكلبي باختصار، وبدون إسناد.
- وورد مختصراً من حديث جابر وسيأتي أخرجه أبو نعيم وأبو موسى كما في «الإصابة» ٤/ ٤٨٧ قال أبو موسى: كذا قال: ليس لهما شيء، وأراد ليس يعطيان شيئاً من ميراث أبيهما.
قال ابن حجر: قلت: راويه عن سفيان هو إبراهيم بن هراسة ضعيف، وقد خالفه بشر بن المفضل عن عبدالله بن محمد عن جابر أخرجه أبو داود من طريقه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فجاءت المرأة بابنتين لها فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عَمُّهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولهما مال، فقال رسول الله ﷺ «يقضي الله في ذلك» ونزلت سورة النساء **﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾** الآية، فقال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي المرأة وصاحبها» فقال لعمهما «أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فلك» قال أبو داود: أخطأ بشر فيه إنما هما ابنتا سعد بن الربيع، وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة. وانظر «الإصابة في تمييز الصحابة» ٤/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ ترجمة أم كجّه، وهو عند أبي داود ٢٨٩١ و٢٨٩٢ والترمذي ٢٠٩٢ وابن ماجه ٢٧٢٠ وأحمد ٣/ ٣٥٢ والحاكم ٤/ ٣٣٤ والواحدي ٢٩٨ والبيهقي ٦/ ٢٢٩ من حديث جابر بنحو سياق المصنف، وليس فيه تسمية المرأة بل فيه أن امرأة سعد بن الربيع، والحديث حسن الإسناد.

---

(١) في «أسباب النزول للواحدي» ٢٩٥ سويد وعرفجة، وفي «الدرّ المنثور» ٢/ ٢١٧.
(٢) الأنعام: ١٤١. (٣) التوبة: ١٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **في هذه القِسْمَةِ قولان: أحدهما:** قِسْمَةُ المِيْرَاث بعد موتِ المَورُوث، فعَلَى هذا يكون الخِطاب للوَارِثين، وبهذا قال الأكثرون، منهم ابن عباسٍ، والحسنُ، والزُهريُّ. **والثاني:** أنها وصيَّةُ الميِّت قبل موته، فيكون مَأموراً. بأن يُعَيِّن لِمَنْ لا يَرِثُه شيئاً، رُوِي عن ابن عباسٍ، وابن زيدٍ. قال المفسِّرون: والمُراد بأُولي القُربى: الذين لا يَرِثُون، ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: أعْطُوهم منه، وقيل: أَطْعِمُوهم، وهذا على الإِسْتِحْبَاب عند الأكثرين، وذهب قومٌ إلى أنه واجبٌ في المَال، فإن كان الوَرَثَةُ كباراً، تَوَلَّوا إعطاءَهم، وإن كانوا صِغاراً تولَّى ذلك عنهم وَليُّ مَالِهم، فرويَ عن عُبيدَة أنه قَسَمَ مالَ أيتام، فأمرَ بشاةٍ، فاشتريت من مَالِهم، وبطعام فَصُنِعَ، وقال: لولا هذه الآية لأَحْبَبْتُ أن يكون من مَالِي، وكذلك فعلَ محمَّدُ بن سِيْرِينَ في أيتام وَلِيَهُم، وكذلك رُوي عن مُجاهدٍ: أن ما تَضَمَّنَتْه هذه الآية واجِبٌ.

وفي «القول المعروف» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها:** أن يقول لَهُم الوَلِيُّ حين يُعطيهم: خُذْ بارك اللهُ فيكَ، رواه سالمٌ الأَفْطَسُ، عن ابن جُبيرٍ. **والثاني:** أن يقول الوَلِيُّ: إنه مالُ يَتامَى، ومَا لِيَ فيه شيءٌ، رواه أبو بِشْرٍ عن ابن جُبيرٍ، وفي روايةٍ أخرى عن ابن جُبيرٍ، قال: إنْ كان الميتُ أوصى لهم بشيءٍ أُنفِذَت لَهُم وصيَّتُهم، وإن كان الوَرَثَةُ كباراً رَضَخُوا لهم، وإن كانوا صغاراً، قال وَلِيُّهُم: إني لستُ أَملِكُ هذا المالَ، إنَّما هو للصِّغار، فذلك القول المعروف. **والثالث:** أنه العِدَةُ الحَسَنَةُ، وهو أن يقول لهم أولياءُ الوَرَثَةِ: إنَّ هؤلاءِ الوَرَثَة صغارٌ، فإذا بَلَغُوا أَمَرْنَاهُم أن يَعْرِفُوا حَقَّكُم. رواه عَطاءُ بن دِينارٍ، عن ابن جُبيرٍ. **والرابع:** أنهمُ يُعطَوْن من المال، ويُقال لهم عند قِسْمَة الأَرَضِين والرَّقِيْقِ: بورِكَ فيكم، وهذا القولُ المعروف. قال الحسَنُ والنَّخَعِي: أَدْرَكْنا الناسَ يفعلون هذا.

فصل: اختلف علماءُ النَّاسِخِ والمَنْسُوخ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها مُحْكَمَةٌ، وهو قول أبي مُوسى الأَشْعَرِيِّ، وابن عباس، والحَسَنِ، وأبي العَالِيَة، والشَّعبِيِّ، وعَطاءِ بن أبي رَبَاح، وسعيدِ بن جُبيرٍ، ومُجاهِدٍ، والنَّخعِيِّ، والزُّهرِيِّ، وقد ذكرنا أنَّ ما تضَمَّنَتْهُ مِنَ الأمر مُستحبٌّ عند الأكثرين، وواجبٌ عند بعضهم.

والقول الثاني: أنها منسوخةٌ، نَسَخَها قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، وهو قول سعيدِ بن المُسَيّبِ، وعِكرِمةَ، والضَّحَّاكِ، وقَتادَة في آخرين[1].

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/٤٨: بين الله تعالى أن من لم يستحق شيئاً إرثاً وحضر القسمة، وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون أن يكرموا ولا يحرموا، إن كان المال كثيراً، والاعتذار إليهم إذا كان عقاراً أو قليلاً لا يقبل الرضخ. وإن كان عطاء من قليل ففيه أجر عظيم، درهم يسبق مائة ألف فالآية على هذا القول محكمة قاله ابن عباس وامتثل ذلك جماعة من التابعين: عروة بن الزبير وغيره، وأمر به أبو موسى الأشعري. وروي عن ابن عباس أنها منسوخة نسخها قوله تعالى **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** والأول أصح. فإنها مبينة استحقاق الورثة لنصيبهم، واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم. قال ابن جبير: ضيّع الناس هذه الآية. قال الحسن: هي ثابتة ـ محكمة ـ ولكن الناس شحّوا. وفي البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾** قال: هي محكمة وليست بمنسوخة. وفي رواية قال: إن ناساً زعموا أن هذه الآية نسخت، لا والله ما نسخت! لكنها مما تهاون بها، هما واليان: والٍ يرث، وذلك الذي يرزق، ووالٍ لا يرث وذلك الذي يقول بالمعروف، ويقول: لا أملِ =

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾ اختلفوا في المخاطب بهذه الآية على ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه خِطابٌ للحَاضرين عند المُوصِي. وفي معنى الآية على هذا القول قولان:

أحدهما: وَلْيَخْشَ الذين يَحْضُرون مُوصِياً في مَالِه أن يَأمُروه بِتَفريقِه فيمن لا يَرِثُه، فيُفرِّقه ويَترُك وَرَثَتَهُ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، والحسَنِ، وسعيدِ بن جُبيرِ، ومُجاهدٍ، وقَتادةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ.

والثاني: على الضِّدِّ من هذا القول، وهو أنه نَهْيٌ لِحَاضِري المُوصي أَنْ يَمْنَعُوه من الوَصِيَّة لأقارِبِه، وأن يَأمُروه بالاقتِصَارِ على وَلَدِه، وهذا قول مُقْسِم، وسُليمانَ التَّيْمِيِّ في آخرين.

والقول الثاني: أنه خِطابٌ لأولياءِ اليتَامَى، مُتعلِّقٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ فمعنى الكلام: أَحْسِنُوا فيمن وُلِّيتُم من اليتَامَى، كما تُحبُّون أن يُحْسِنَ وُلاةُ أولادكم بَعْدَكُم، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، وابن السَّائِب.

والثالث: أنه خِطابٌ للأَوصِيَاءِ أُمِرُوا بأداء الوَصِيَّة على ما رَسَم المُوصِي، وأن تكون الوجُوه التي عَيَّنَها مَرْعِيَّةً بالمحافظة كَرَعْي الذُّرِّيَةِ الضِّعَافِ من غير تَبْدِيلٍ، ثم نَسَخَ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1] فأمر الوَصِي، بهذه الآية إذا وجَدَ مَيْلاً عن الحقّ أن يستعملَ قَضِيَّة الشَّرع، ويُصْلِحَ بين الوَرَثَة، ذكره شيخُنا عليُّ بن عُبيدِ الله، وغيره في «النَّاسِخِ والمَنْسُوخ»، فعلى هذا تكون الآية مَنْسُوخَةً، وعلى ما قَبْلَهُ تكون مُحْكَمَةً.

و «الضِّعافُ»: جمع ضَعيفٍ، وهُمُ الأولاد الصِّغار، وقرأ حَمزةُ: ضِعَافًا، بإمَالَةِ العَين.

قال أبو عليّ: وَوَجْهُها: أنَّ ما كان على «فِعَال» وكان أَوَّلُه حرفاً مُسْتَعْلِياً مكسوراً، نحو ضِعَاف، وقِفَاف، وخِفَاف؛ حَسُنَتْ فيه الإمَالَةُ، لأنه قد يُصَعِّدُ بالحرف المُسْتَعْلِي، ثم يُحْدَرُ بالكسر، فيُستحبُّ أن لا يُصَعِّد بالتَّفخيم بعد التَّصوُّب بالكسر، فيجعل الصَّوت على طريقةٍ واحدةٍ، وكذلك قرأ حَمزةُ: ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ بإمالة الخاء، والإمَالَةُ هاهنا حَسَنَةٌ، وإنْ كانت «الخاء» حَرْفاً مُسْتَعْلِياً، لأنه يَطْلُبُ

= لك أن أعطيك. قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم، ويتاماهم ومساكينهم من الوصية، فإن لم تكن وصية وصل لهم من الميراث. قال النحاس: فهذا أحسن ما قيل في الآية، أن يكون على الندب والترغيب في فعل الخير والشكر لله عز وجل. وقالت طائفة: هذا الرضخ ـ العطاء القليل ـ واجب على جهة الفرض، تعطي الورثة لهذه الأصناف ما طابت به نفوسهم، كالماعون والثوب الخَلَق وما خف. حكى هذا القول ابن عطية والقشيري. والصحيح أن هذا على الندب، لأنه لو كان فرضاً لكان استحقاقاً في التركة ومشاركة في الميراث، لأحد الجهتين معلوم وللآخر مجهول. وذلك مناقض للحكمة، وسبب للتنازع والتقاطع.

(١) البقرة: ١٨٢.

الكسرَة التي في «خِفت» فينحو نحوَها بالإمَالَة. والقولُ السَّدِيدُ: الصَّوابُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ في سبب نزولها قولان: **أحدهما**: أنَّ رجلاً من غَطَفَانَ، يُقال له: مَرْثَد بن زيدٍ، وَلِيَ مالَ ابن أخيه، فأكَلَه، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلُ بن حَيَّان[1]. **والثاني**: أن حَنظَلَةَ بنُ الشَمَرْدَل وَلِيَ يتيماً، فأكَلَ مالَه، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وإنما خَصَّ الأكْلَ بالذِّكرِ، لأنه معظم المقصود، وقيل: عَبَّر به عن الأَخْذِ.

قال سعيدُ بن جُبيرٍ: ومعنى الظُّلم: أن يأخذه بغير حقّ. وأما ذِكْرُ «البُطون» فللتوكيد، كما تقول: نظرتُ بعَيني، وسمعتُ بأُذُني. وفي المرادِ بِأكْلِهِم النَّارَ قولان:

أحدهما: أنهم سَيأكُلون يومَ القيامة ناراً، فسُمِّي الأكْلُ بما يَؤول إليه أمْرُهُم، كقوله تعالى: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[2] قال السُّدِّيُّ: يُبعث آكِلُ مال اليتيم ظُلماً، ولَهَبُ النار يخرج من فِيْهِ، ومِن مَسَامِعِه، وأُذُنَيه، وأَنفِه، وعَيْنَيه، يعرفه مَنْ رآه يأكل مالَ اليتيم.

والثاني: أنه مَثَلٌ. معناه: يأكلون ما يصيرون به إلى النَّار، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾[3] أي: رَأيْتُم أسبابَه.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، «وَسَيَصْلَون» بفتح الياء، وقرأ الحسَنُ، وابن عَامرٍ، بضمِّ الياء، ووافقهما ابن مُقْسم، إلا أنه شَدَّد. والمعنى: سَيُحرَّقون بالنَّار، ويُشْوَوْن. والسَّعير: النار المُستعرة، واستِعَار النَّارِ: تَوقُّدُها.

فصل: وقد تَوهَّم قومٌ لا علمَ لهم بالتفسير وَفِقْهِهِ، أنَّ هذه الآيَة مَنسُوخةٌ، لأنهم سمعوا أنها لمَّا نزلت، تَحَرَّج القومُ عن مُخالطة اليتامى، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾[4] وهذا غلطٌ، وإنما ارتفع عنهم الحَرَجُ بِشَرْط قَصْدِ الإصلاح، لا على إباحة الظُّلم.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٩٦ عن مقاتل بن حيان بدون إسناد، فهذه علة، ومقاتل ذو مناكير، وخبره معضل، فهو لا شيء.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) آل عمران: ١٤٣.

(٤) البقرة: ٢٢٠.

[٢٦٠] **أحدها**: أنَّ جابرَ بن عبد الله مَرِض، فَعَادَهُ رسول الله ﷺ، فقال: كيف أصنعُ في مالي يا رسولَ الله، فنزلت هذه الآية، رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ.

[٢٦١] **والثاني**: أنَّ امرأةً جاءت إلى النبيِّ ﷺ بابنَتَيْن لها، فقالت: يا رسولَ الله قُتِل أبو هَاتَيْن معكَ يوم أُحُدٍ، وقد اِستَفَاءَ(١) عمُّهما مَالَهما، فنزلت، رُوي عن جابرِ بن عبد الله أيضاً.

[٢٦٢] **والثالث**: أنَّ عبد الرحمن أَخَا حسَّانَ بن ثَابتٍ مات، وترك امرأةً، وخمسَ بناتٍ، فأَخَذَ وَرَثَتُهُ مَالَه، ولم يُعطوا امرأتَه، ولا بناتِه شيئاً، فجاءت امرأتُه تشكُو إلى النبيِّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول السُّدِّيِّ.

قال الزجَّاجُ: ومعنى يُوصِيكُم: يفرِضُ عليكم، لأن الوَصيَّة منه فَرضٌ(٢). وقال غيره: إنما ذكره بلفظ الوصية لأمرين: **أحدهما**: أن الوَصيَّة تزيد على الأمر، فكانت آكَدَ. **والثاني**: أن في الوَصيَّة حقاً للمُوصِي، فدَلَّ على تأكيد الحال بإضافته إلى حَقِّه. وقرأ الحسنَ. وابن أبي عَبْلَة: «يُوصِّيكم» بالتَّشديد.

قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ يعني، للابن من الميراث مثلُ حَظِّ الأنثيين. ثم ذكر نَصِيبَ الإناثِ من الأوَّل فقال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ يعني: البنات ﴿نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿فَوْقَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾. **والثاني**: أنها بمعنى الزِّيادة. قال القاضي أبو يعلَى: إنما نَصَّ على ما فوقَ الاثْنَتَيْن، والوَاحِدة، ولم يَنُصَّ على الاثْنَتَيْن، لأنه لمَّا جعل لكلِّ واحدةٍ مع الذَّكر الثُلُثَ، كان لها مع الأنثى الثُلُث أَوْلَى.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾ قرأ الجمهور بالنَّصب، وقرأ نافعٌ بالرَّفع، على معنى: وإِن وَقَعَتْ، أو وُجِدَت واحدةٌ.

---

[٢٦٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٧٧ ومسلم ١٦١٦ وأبو داود ٢٨٨٦ والترمذي ٣٠١٥ وابن ماجه ١٤٣٦ و٢٧٢٨ واستدركه الحاكم ٢/ ٣٠٣ من حديث جابر.

[٢٦١] حسن. أخرجه أبو داود ٢٨٩١ و٢٨٩٢ والترمذي ٢٠٩٢ وابن ماجه ٢٧٢٠ وأحمد ٣/ ٣٥٢ والحاكم ٤/ ٣٣٤ والواحدي ٢٩٨ والبيهقي ٦/ ٢٢٩ من حديث جابر، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو حسن لأن مداره على عبدالله بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث. وانظر الحديث المتقدم برقم ٢٥٩ وانظر «تفسير الشوكاني» ٦٠٧ بتخريجنا.

[٢٦٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٨٧٢٧ عن أسباط عن السدي مرسلاً فهو ضعيف.

---

(١) في «اللسان»: الاستيفاء: استرجع حقهما من الميراث وجعله فيئاً له.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٥٩ ـ ٦٠: إعلم أن الميراث كان يستحق في أول الإسلام بأسباب: منها الحلف، والهجرة والمعاقدة. ثم نُسخ على ما يأتي بيانه في هذه السورة. وأجمع العلماء على أن الأولاد إذا كان معهم من له فرض مسمّى أعطيه، وكان ما بقي من المال للذكر مثل حظ الأنثيين لقوله عليه السلام: «ألحقوا الفرائض بأهلها» رواه الأئمة. يعني الفرائض الواقعة في كتاب الله تعالى وهي ستة... والأسباب الموجبة لهذه الفروض بالميراث ثلاثة أشياء: نسب ثابت ونكاح منعقد، وولاء عتاقةٍ... ولا ميراث إلا بعد أداء الدين والوصية؛ فإذا مات المتوفى أخرج من تركته الحقوق المعينات، ثم ما يلزم من تكفينه وتقبيره، ثم الديون على مراتبها ثم يخرج من الثلث الوصايا، وما كان في معناها على مراتبها أيضاً، ويكون الباقي ميراثاً بين الورثة.

قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ قال الزجّاج: أبواه تثنيةُ أَبٍ وأَبَةٍ، والأصل في الأمِّ أن يُقال لها: أَبَة، ولكن استُغني عنها بأمّ، والكناية في قوله «لأبويه» عن الميت وإن لم يَجْرِ له ذِكْرٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ أي: إذا لم يُخلّف غير أبوين، فثُلُثُ ماله لأمّه، والباقي للأب، وإنما خصَّ الأمَّ بالذِّكرِ، لأنه لو اقتصر على قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ ظَنَّ الظَّانُّ أن المال يكون بينهما نِصفَين، فلما خَصَّها بالثُلث، دَلَّ على التفضيل.

وقرأ ابن كَثير، ونافعٌ وعَاصمٌ، وأبو عمروٍ، وابن عامرٍ: ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ و ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾[1] و ﴿فِيٓ أُمِّهَا﴾[2] و ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بالرَّفع. وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ كلَّ ذلك بالكسر إذا وَصَلا، وحُجَّتهما: أنهما أتبعا الهمزة ما قبلَها، من ياءٍ أو كسرةٍ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ أي: مع الأبوين، فإنَّهم يَحْجبُون الأم عن الثُلُث، فيَرُدُّونَها إلى السُّدُس، واتَّفقوا على أنَّهم إذا كانوا ثلاثة إخوةٍ؛ حَجَبُوا، فإنْ كَانَا أَخَوين، فهل يَحْجِبَانِها؟ فيه قولان: **أحدهما**: يَحْجِبانها عن الثُلُث، قاله عُمرُ، وعُثمانُ، وعَليٌّ، وزيدٌ، والجمهور. **والثاني**: لا يَحْجبُها إلا ثلاثةٌ، قاله ابن عباسٍ، واحتجَّ بقوله: إخوة. والإخوة: اسمُ جمعٍ، واختلفوا في أقلِّ الجمع، فقال الجمهور: أَقَلُّه ثلاثة، وقال قومٌ: اثنان، والأوَّل: أَصَحُّ. وإنما حجَبَ العلماء الأمَّ بأخوين لدليلٍ اتَّفقوا عليه، وقد يُسمَّى الاثنان بالجمعِ، قال الزجّاجُ: جميع أهل اللغة يقولون: إن الأَخَوين جماعةٌ، وحكى سِيبَويه أنَّ العرب تقول: وَضَعَا رِحالَهُما، يريدون: رَحْلَي رَاحِلَتَيْهِمَا.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾ أي: هذه السِّهام إنما تُقْسَمُ بعد الوَصيَّة والدَّين. وقرأ ابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، وأبو بكرٍ، عن عَاصم «يوصَى بها» بفتح الصَّاد في الحرفين. وقرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «يُوصي» فيهما بالكسر، وقرأ حَفصٌ، عن عاصمٍ الأولى بالكسر، والثانيةَ بالفتح.

واعلَمْ أن الدَّين مؤخَّرٌ في اللفظ، مُقدَّمٌ في المعنى، لأن الدَّين حقٌّ عليه، والوصيَّة حقٌّ له، وهما جميعاً مُقدَّمان على حقِّ الوَرَثة إذا كانت الوَصيَّة في ثُلُثِ المال، و «أو» لا تُوجب الترتيب، إنما تَدُلُّ على أن أحدهما إنْ كانَ، فالمِيراثُ بعدَه، وكذلك إن كَانَا.

قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه النَّفع في الآخرة، ثمَّ فيه قولان: أحدهما: أن الوَالِد إذا كان أرفعَ درجةً من وَلَدِه، رَفَعَ إليه وَلَدَهُ، وكذلك الوَلَدُ، رواه أبو صالح، عن ابن عباسٍ. والثاني: أنه شَفاعةُ بعضهم في بعضٍ، رواه عليُّ بن أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباسٍ. **والقول الثاني**: أنه النَّفع في الدُّنيا، قاله مُجاهدٌ. ثمَّ في معناه قولان: أحدهما: أن المعنى: لا تَدْرُونَ هل موتُ الآباء أقربُ، فينتفعَ الأبناءُ بأموالهم، أو موتُ الأبناءِ، فينتفعَ الآباءُ بأموالهم؟ قاله ابن بَحْرٍ. والثاني: أن المعنى: أن الآباءَ والأبناءَ يتفاوَتُون في النَّفع، حتى لا يُدرى أَيُّهم أقربُ نفعاً، لأنَّ الأَولاد يَنتفعون في صِغَرهم بالآباء، والآباء ينتفعون في كِبَرهم بالأبناء، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

وقال الزجّاجُ: معنى الكلام: أن الله قد فَرضَ الفَرائضَ على ما هو عنده حِكْمَةٌ. ولو وَكَلَ ذلك إليكم لم تعلموا أَيُّهم أنفعُ لكم، فتضعُون الأموالَ على غير حِكْمَةٍ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يُصلح

---

(١) الزمر: ٦. (٢) القصص: ٥٩.

خَلْقه، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما فرَض. وفي معنى «كان» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناها: كان عليماً بالأشياء قبل خَلْقِها، حكيماً فيما يُقدر تَدْبيرَه منها، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أن معناها: لم يَزَلْ. قال سِيْبَوَيه: كأنَّ القوم شاهدوا عِلْماً وحِكْمَةً، فقيل له: إنَّ الله كان كذلك، أي: لَمْ يَزَل على ما شَاهَدْتُم، ليس ذلك بحَادِثٍ. **والثالث**: أن لفظة «كان» في الخَبَر عن الله عزَّ وجلَّ يتساوى ماضيها ومُستَقبَلُها، لأن الأشياء عنده على حالٍ واحدةٍ، ذكر هذه الأقوال الزجَّاجُ.

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ قرأ الحسنُ: «يُورِّثُ» بفتح الواو، وكسر الراء مع التَّشديد. وفي الكَلالَة أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما دُونَ الوَالِد والوَلَد، قاله أبو بكرٍ الصِّدِّيق. وقال عُمَرُ بن الخطَّاب: أتى عليَّ حِينٌ وأنا لا أعرف ما الكَلالَة، فإذا هو: مَنْ لَمْ يكُنْ له وَالِدٌ ولا وَلَدٌ، وهذا قول عليّ، وابن مسعودٍ، وزيدِ بن ثابتٍ، وابن عباسٍ، والحسَنِ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وعَطاءٍ، والزُّهريِّ، وقتادةَ، والفرَّاءِ، وذكر الزجَّاجُ عن أهل اللغة، أن «الكَلالَة»: مِنْ قولهم: تَكَلَّلَهُ النَّسبُ، أي: لم يكن الذي يَرِثُه ابنُه، ولا أبَاه. قال: والكَلالَة سِوى الوَالد والوَلَد، وإنما هو كالإكْلِيل على الرَّأسِ. وذكر ابن قُتيبةَ عن أبي عُبيدَة أنه مصدرُ تَكَلَّلَهُ النَّسبُ: إذا أحَاطَ به. والابنُ والأبُ: طَرَفَان للرَّجل. فإذا مات، ولم يُخلِّفْهُما، فقد مات عن ذهاب طَرَفيه، فسُمِّي ذهابُ الطَّرفين: كَلالَةً. **والثاني**: أن الكَلالَة: مَنْ لا ولدَ له، رواه ابن عباسٍ، عن عُمرَ بن الخطَّابِ، وهو قول طَاوسٍ. **والثالث**: أن الكَلالَة: ما عدا الوَالِد، قاله الحَكَمُ. **والرابع**: أن الكَلالَة: بنو العَمِّ الأبَاعِد، ذكره ابنُ فارسٍ، عن ابن الأعرَابيِّ[1].

واختلفوا على ما يقع اسمُ الكَلالَة على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمٌ للحيِّ الوَارِث، وهذا مذهبُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعامَّة العلماء الذين قالوا: إن الكَلالَة من دون الوالد والولد، فإنهم قالوا: الكَلالَة: اسمٌ للوَرَثَة إذا لم يكن فيهم ولدٌ ولا والدٌ، قال بعض الأعرَاب: مَالي كثيرٌ، ويَرِثُني كَلالَةٌ مُتَراخٍ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٧٠: الكلالة مشتقة من الإكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه كما روي عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة فقال: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: الكلالة من لا ولد له ولا والد. وقد حكى الإجماع عليه غير واحد وورد فيه حديث مرفوع. قال أبو الحسين بن اللبان: وقد روي عن ابن عباس ما يخالف ذلك وهو أنه من لا ولد له والصحيح عنه الأول ولعل الراوي ما فهم عنه ما أراد.

نَسَبُهُم. **والثاني**: أنه اسمٌ للمَيِّت، قاله ابن عباسٍ: والسُّدِّيُّ، وأبو عُبيدَة في جماعةٍ. قال القاضي أبو يَعلَى: **الكَلالَةُ**: اسمٌ للمَيِّت، ولِحَالِه، وصِفته، ولذلك انتَصَبَ. **والثالث**: أنه اسمٌ للمَيِّت والحيِّ، قاله ابن زيد.

وفيما أُخذت منه الكَلالَة قولان: **أحدهما**: أنه اسمٌ مأخوذٌ من الإحَاطَة، ومنه الإكْلِيلُ، لإحَاطَتِه بالرأس. **والثاني**: أنه مأخوذٌ من الكَلال، وهو التَّعب، كأنه يَصلُ إلى المِيراث من بُعدٍ وإعياءٍ. قال الأَعشَى:

فـآلَـيـتُ لا أرثـي لـهَـا مِـنْ كَـلالَـةٍ ... ولا مِـنْ حَـفـىً حتَّـى تـزورَ مـحـمَّـدا

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ يعني: من الأُمّ بإجماعهم.

قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ قال قَتادةُ: ذَكَرهُم وأُنثاهُم فيه سواءٌ.

قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ قال الزجَّاجُ: «غيرَ» منصوبٌ على الحَال، والمعنى: يُوصي بها غيرَ مُضَارٍّ، يعني: للوَرَثَةِ.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾ قال ابن عباسٍ: يُريد ما حَدَّ الله من فرائضه في المِيرَاث ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في شأن المَواريث ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾ قرأ ابن عَامرٍ، ونَافعٌ: «نُدخله» بالنون في الحرفين جميعاً، والباقون بالياء فيهما.

﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ﴾ فلم يَرْضَ بِقَسْمِه ﴿يُدۡخِلۡهُ نَارًا﴾، فإن قيل: كيف قَطَع للعاصي بالخلود؟ فالجواب: أنه إذا رَدَّ حكمَ الله، وكَفر به، كان كافراً مُخلَّداً في النار.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ قال الزجّاج: «التي» تُجمع اللاتي واللَواتي. قال الشاعر:

مِـنَ الـلَـواتِـي والَّـتِـي والـلاَّتِـي ... زَعَـمْـنَ أنِّـي كَـبِـرتُ لِـدَاتِـي[(١)]

وتُجمع اللاتي بإثبات التاء وحذفها. قال الشاعر:

مِنَ اللاتِي لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسبَةً ... ولَـكِـنْ لِـيَـقْـتُـلْـنَ الـبَـريءَ الـمُـغَـفَّـلا

والفَاحِشَةُ: الزِّنى في قول الجماعة.

---

(١) قال البغدادي في «خزانة الأدب» ٢/ ٥٦٠ لا أعرف ما قبله ولا قائله مع كثرة وجوده في كتب النحو، وهو في «القرطبي» قال الجوهري: أنشد أبو عبيدة. وفي «اللسان»: أنشده أبو عمرو ـ مادة لتا ـ

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه خِطابٌ للأزواج. **والثاني**: خِطابٌ للحُكَّام، فالمعنى: اسمَعُوا شهادة أربعةٍ منكُم، ذكرهما المَاوَرديُّ. قال عُمر بن الخَطَّابِ: إنما جعل الله عزَّ وجلَّ الشهود أربعةً ستْراً سَتَرَكُم به دون فَواحِشِكُم. ومعنى «منكم»: مِنَ المسلمين. قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ قال ابن عباسٍ: كانت المرأة إذا زَنَتْ، حُبِسَت في البيت حتى تموت، فجعل الله لهنَّ سبيلاً، وهو الجَلْدُ أو الرَّجْمُ.

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (١٦)﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ: «واللذانِّ» بتشديد النون، و «هذانِّ» في طه والحج و «هاتينِّ» في القَصَص: «إحدى ابنتيَّ هاتينِّ» و «فذانِّك» كلُّه بتشديد النون. وقرأ نافعٌ، وعَاصمٌ، وابن عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، بتخفيف ذلك كلِّه، وشدَّد أبو عَمروٍ «فذانِّك» وحدَها.

وقوله: واللَّذَان: يعني: الزَّانِيَين. وهل هو عامٌّ، أمْ لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه عامٌّ في الأبْكَار والثُّيَّب من الرجال والنساء، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ.

والثاني: أنه خاصٌّ في البِكْرَين إذا زَنَيَا، قاله أبو صالحٍ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ، وسُفيانُ. قال القاضي أبو يَعلى: والأوَّل أصحُّ، لأن هذا تخصيصٌ بغير دَلالةٍ.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾ يعني الفاحشةَ. قوله تعالى ﴿فَآذُوهُمَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الأذى بالكلام، والتَّعيير، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه التَّعيير، والضَّربُ بالنِّعال، رواه ابن أبي طَلحةَ، عن ابن عباسٍ. ﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفَاحِشة ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العملَ ﴿فَأَعْرِضُوا﴾ عن أذاهُما. وهذا كلُّه كان قبل الحَدِّ.

فصل: كان حَدُّ الزانِيَيْن، فيما تقدَّم، الأذى لهُما، والحَبْسُ للمرأة خاصَّةً، فنُسِخَ الحُكْمَانِ جميعاً، واختلفوا بماذا وقع نَسْخُهُما:

[٢٦٣] فقال قومٌ بحديث عُبادةَ بن الصَّامتِ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قد جعلَ الله لهنَّ سبيلاً، الثَّيبُ بالثَّيب جَلْدُ مائةٍ، ورَجْمٌ بالحِجارة، والبِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ، ونَفْيُ سنةٍ»؛ وهذا على قول مَنْ يرى نَسْخَ القُرآن بالسُّنَّة.

وقال قومٌ: نُسِخَ بقوله تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾(١) قالوا: وكان قوله

---

[٢٦٣] صحيح. أخرجه مسلم ١٦٩٠ وأبو داود ٤٤١٥ و٤٤١٦ والترمذي ١٤٣٤ والنسائي في «التفسير» ١١٣ وابن ماجه ٢٥٥٠ والشافعي في «الرسالة» ٦٨٦ وعبدالرزاق ١٣٣٥٩ وابن أبي شيبة ١٠/ ٨٠ والطيالسي ٥٨٤ والدارمي ٢/ ١٨١ وابن الجارود ٨١٠ وأحمد ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٧ وابن حبان ٤٤٠٨ و٤٤٠٩ و٤٤١٠ والطحاوي في «المعاني» ٣/ ١٣٤ من طرق كلهم من حديث عبادة بن الصامت.

---

(١) النور: ٢.

تعالى ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا﴾ للبِكْرين، فنُسِخَ حُكْمُها بالجَلْدِ، ونُسِخَ حُكْمُ الثَّيِّب من النساء بالرَّجم[1].

وقال قومٌ: يحتمل أن يكون النَّسْخُ وَقع بقُرآنٍ، ثم رُفع رَسْمُهُ، وبقي حُكْمُه. لأن في حديث عُبادة «قَدْ جَعلَ اللّهُ لهنَّ سَبيلاً» والظاهر: أنه جُعِلَ بوَحي لم تَسْتَقِرَّ تِلاوتُه. قال القاضي أبو يعلَى: وهذا وجهٌ صحيحٌ، يخرج على قول من لَمْ يَنْسَخ القرآنَ بالسُّنَّة. قال: ويَمْتَنِعُ أن يقع النَّسْخُ بحديث عُبادَةَ، لأنه من أخبار الآحادِ، والنَّسْخُ لا يجوز بذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال الحَسنُ: إنما التوبة التي يَقْبَلُها اللّهُ. فأما «السُّوء»، فهو المعاصي، سُمّي سُوءاً لِسُوء عاقبته.

قوله تعالى: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال مُجاهدٌ: كلُّ عَاصٍ فهو جاهلٌ حين معصيته. وقال الحَسنُ، وعَطاءٌ، وَقتادةُ، والسُّدّي في آخرين: إنما سُمُّوا جُهَّالاً لِمَعاصيهم، لا أنهم غيرُ مُمَيِّزين.

وقال الزجَّاجُ: ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوءٌ، لأن المُسْلِمَ لو أتى ما يَجْهَلُهُ، كان كَمَنْ لم يُوقع سُوءاً، وإنما يحتمل أمرين: **أحدهما**: أنهم عَمِلُوه، وهم يجهلون المَكْرُوه فيه. **والثاني**: أنهم أَقْدَمُوا على بَصيرةٍ وعِلْمٍ بأن عاقبَته مكروهةٌ، وآثَرُوا العَاجِلَ على الآجِلِ، فسُمُّوا جُهَّالاً، لإيثارِهم القليلَ على الرَّاحة الكثيرةَ، والعَاقبة الدَّائمة.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٧٢: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج إلى أن تموت والسبيل الذي جعله الله هو الناسخ لذلك. قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم.
وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٨٣ـ ٨٤: قوله تعالى (فآذوهما) قال قتادة والسدي معناه التوبيخ والتعبير وقالت فرقة: هو السب والجفاء دون تعيير. ابن عباس: النيل باللسان والضرب بالنعال قال النحاس: وزعم قوم أنه منسوخ. قلت: رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (واللاتي يأتين الفاحشة) و (اللذان يأتيانها) كان في أول الأمر فنسختهما الآية التي في النور وقيل وهو أولى: إنه ليس بمنسوخ، وأنه واجب أن يؤدبا بالتوبيخ فيقال لهما: فجرتما وفسقتما وخالفتما أمر الله عز وجل.
واختلف العلماء أيضاً في القول بمتقضى حديث عبادة الذي هو بيان لأحكام الزناة فقال بمقتضاه علي بن أبي طالب لا اختلاف عنه في ذلك، وأنه جلد شُرَاحَة الهمدانية مائة ورجمها بعد ذلك، وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ. وقال بهذا القول الحسن البصري والحسن بن صالح بن حي وإسحاق وقال جماعة من العلماء: بل على الثيب الرجم بلا جلد وهذا يروى عن عمر وهو قول الزهري والنخعي ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي وأحمد وأبي ثور، متمسكين بأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما وبقوله عليه السلام لأُنَيس: «اغد على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها» ولم يذكر الجلد، فهو لو كان مشروعاً لما سكت عنه. قيل لهم: إنما سكت عنه، لأنه ثابت بكتاب الله تعالى، فليس يمتنع أن يسكت عنه لشهرته والتنصيص عليه في القرآن، لأن قوله تعالى **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾** يعم جميع الزناة والله أعلم. ويبين هذا فعل علي بأخذه عن الخلفاء رضي الله عنهم ولم يُنْكِر عليه فقيل له: عملت بالمنسوخ وتركت الناسخ. وهذا واضح.

وفي «القريب» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التَّوبة في الصِّحة، رواه أبو صالح، عن ابن عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، وابن السَّائبِ. **والثاني**: أنه التَّوبة قبل مُعاينة مَلَكِ المَوت. رواه ابن أبي طَلْحَة، عن ابن عباسٍ، وبه قال أبو مِجْلَزٍ. **والثالث**: أنه التَّوبة قبل المَوت، وبه قال ابن زيدٍ في آخرين.

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ في السيئات ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الشِّرك، قاله ابن عباسٍ، وعِكرمةُ. **والثاني**: أنها النِّفاق، قاله أبو العَالِيَة، وسعيدُ بن جُبيرٍ. **والثالث**: أنها سيئات المُسلمين، قاله سُفيانُ الثَّوريُّ، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ في الحُضور قولان: **أحدهما**: أنه السَّوْق[1]، قاله ابن عُمَر. **والثاني**: أنه مُعَايَنة الملائكة لِقَبْضِ الرُّوح، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقد رَوى عليُّ بن أبي طَلْحَة، عن ابن عباسٍ أنه قال: أنزل اللَّهُ تعالى بعدَ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[2] الآية. فحَرَّم المغفرةَ على مَنْ ماتَ مُشركاً، وأَرْجَأ أهلَ التَّوحيد إلى مشيئته، فعَلَى هذا تكون مَنسُوخَةً في حقِّ المؤمنين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾.

[٢٦٤] سبب نزولها: أنَّ الرَّجلَ كان إذا ماتَ، كان أَوْلِيَاؤُه أحقَّ بامرأَتِه، إنْ شَاؤُوا زَوَّجُوهَا، وإنْ شَاؤُوا لَمْ يُزَوِّجُوها، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباسٍ. وقال في روايةٍ أخرى: كانوا في أَوَّل الإسلام إذا مات الرجل، قام أَقْرَبُ الناس منه، فيُلقِي على امرأته ثَوباً، فَيرِثُ نِكَاحَها. وقال مُجاهدٌ: كان إذا تُوفِّي الرجل، فابنُهُ الأكبر أحقُّ بامرأته، فَيَنْكِحُها إنْ شاءَ، أو يُنْكِحُها مَنْ شاء.

[٢٦٥] وقال أبو أُمَامَة بن سَهلِ بن حَنيفٍ: لـمَّا تُوفي أبو قَيسِ بن الأَسْلَتِ أراد ابنُهُ أن يتزوَّج امرأَتَه مِنْ بَعْدِهِ، وكان ذلك لهم في الجَاهليَّة، فنزلت هذه الآية.

---

[٢٦٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٧٩ و٦٩٤٨ وأبو داود ٢٠٨٩ والنسائي في «التفسير» ١١٤ والطبري ٨٨٧٠ والبيهقي ٧/١٣٨ والواحدي في «الأسباب» ٢٩٩ عن ابن عباس.

[٢٦٥] حسن، أخرجه النسائي في تفسيره ١١٥ والطبري ٨٨٧١ عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف وحسّن إسناده الحافظ في «الفتح» ٨/٢٤٧، وهو كما قال. وله شاهد من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ٨٨٧٤.

---

(١) في «اللسان»: السَّوق أي الموت والسِّياق: نزع الروح كأن روحه تُساق لتخرج من بدنه.

(٢) النساء: ١١٦.

قال عِكرمَةُ، واسمُ هذه المرأة: كُبَيْشَةُ بنتُ مَعنِ بن عَاصم[١]، وكان هذا في العرب. وقال أبو مِجْلَز: كانت الأنصار تَفعَلُه. وقال ابن زيدٍ: كان هذا في أهل المدينة. وقال السُّدِّيُّ: إنما كان ذلك للأولياء ما لم تَسْبِق المرأةُ، فتذهبَ إلى أهلها، فإنْ ذهبت، فهي أحقُّ بنَفْسها.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ قولان: **أحدهما**: أَن تَرِثُوا نِكَاحَ النساء، وهذا قول الجمهور. **والثاني**: أَنْ تَرِثُوا أموالَهُنَّ كَرهاً. رَوى ابن أبي طَلحةَ، عن ابن عباسٍ، قال: كان يُلقي حَمِيمُ[٢] الميت على الجَارية ثَوباً، فإن كانت جميلةً تزوَّجها، وإن كانت دَمِيمَةً حَبَسَها حتى تموت، فَيَرِثُها.

واختلف القُرَّاء في فتح كاف «الكره» وضمِّها في أربعة مواضعَ: ها هنا، وفي التَّوْبة، وفي الأَحْقَاف في موضعين، فقرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ بفتح الكاف فيهنَّ، وضَمَّهنَّ حَمزةُ. وقرأ عَاصمٌ، وابن عَامرٍ بالفتح في النِّساء و التَّوبة، وبالضَّمِّ في الأَحْقَاف. وهُما لُغتان، قد ذكرناهما في البقرة. وفيمن خُوطِب بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه خِطابٌ للأزواج، ثم في العَضلِ الذي نَهى عنه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أَنَّ الرجل كان يَكرَهُ صُحبةَ امرأته، ولها عليه مَهرٌ، فَيَحْبِسُها، ويَضْرِبُها لِتَفْتَدِيَ، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنَّ الرجل كان يَنكحُ المرأةَ الشريفة، فَلعلَّها لا تُوافِقُه، فيُفارِقُها على أن لا تتزوَّج إلا بإذنِه، ويُشْهِدُ على ذلك، فإذا خُطِبَت، فَأَرْضَتْهُ، أَذِنَ لها، وإلا عَضَلَها، قاله ابن زيدٍ. **والثالث**: أنهم كانوا بعد الطَّلاق يَعْضُلُون، كما كانت الجاهليَّة تَفعَلُ، فَنُهوا عن ذلكَ، رُوي عن ابن زيدٍ أيضاً. وقد ذكرنا في البقرة أنَّ الرجل كان يُطلِّق المرأةَ، ثم يُرَاجِعُها، ثمَّ يُطَلِّقُها كذلك أبداً إلى غير غايةٍ، يَقْصِدُ إضرَارَها، حتى نزلت ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[٣].

والقول الثاني: أنه خِطابٌ للأولياء، ثُمَّ في ما نُهوا عنه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أَنَّ الرجل كان في الجاهليَّة إذا كانت له قَرَابةٌ قريبةٌ، ألقى عليها ثَوْبَه، فَلَمْ تتزوَّج أبداً غيرَه إلا بإذْنِه، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنَّ اليتيمةَ كانت تكون عند الرجل، فيَحْبِسُها حتى تموتَ، أو تتزوَّجَ بابنِهِ، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: أنَّ الأولياء كانوا يمنعون النساءَ من التَّزويج، لِيَرِثُوهنَّ، رُوي عن مُجاهدٍ أيضاً.

والقول الثالث: أنه خِطابٌ لِوَرَثَة أزواج النِّساء الذين قيل لهم: لا يَحلُّ لكم أن تَرِثوا النساءَ كَرهاً. كان الرجل يَرِثُ امرأةَ قَرِيبه، فيَعْضُلُهَا حتى تموتَ، أو تَرُدَّ عليه صَدَاقَها. هذا قول ابن عباسٍ في آخرين[٤] وعلى هذا يكون الكلام متَّصلاً بالأوَّل، وعلى الأقوال التي قبله يكون ذِكْرُ العَضْلِ منفصلاً عن

---

(١) ورد عن عكرمة في أثناء خبر، أخرجه الطبري ٨٨٧٤ وانظر ما قبله.

(٢) في «اللسان» الحميم: القرابة، وهو القريب الذي توده ويَوَدُّك.

(٣) البقرة: ٢٢٩.

(٤) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣/٦٥١ بعد أن ذكر أقوال السلف: وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله تعالى **﴿ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾** قول من قال: نهى الله عز وجل زوج المرأة عن التضييق عليها والإضرار بها، وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب، لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق. وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة، لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأة إلا لأحد الرجلين: إما لزوجها =

قوله تعالى: ﴿أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ .

وفي الفاحِشَة قولان: **أحدهما**: أنها النُّشوز على الزَّوج، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وقَتادةُ في جماعةٍ. **والثاني**: الزِّنى، قاله الحسنُ، وعَطاءٌ، وعِكرمةُ في جماعةٍ.

قد روى مَعْمَرٌ، عن عَطاءٍ الخُراسَانيّ، قال: كانت المرأةُ إذا أصابت فاحِشةً، أخَذَ زوجُها ما ساق إليها، وأخرَجَها، فَنُسِخَ ذلك بالحَدّ. قال ابن جَرير: وهذا القول ليس بصحيح، لأن الحَدَّ حقُّ الله، والافتِدَاء حقٌّ للزوج، وليس أحدهما مُبْطِلاً للآخر، والصَّحيح: أنها إذا أتَتْ بأيِّ فاحشةٍ كانت، من زنَى الفَرْج، أو بَذَاءَة اللسان، جَازَ له أن يَعْضُلَها، ويُضَيِّقَ عليها حتى تَفْتَدِيَ. فأما قوله تعالى: ﴿مُّبَيِّنَةٍ﴾ فقرأ ابن كَثيرٍ، وأبو بكرٍ، عن عاصمٍ: «مُبيَّنة»، و «آيات مبيَّناتٍ»[1] بفتح الياء فيهما جميعاً. وقرأ ابن عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ، عن عَاصم: بكسر الياء فيهما، وقرأ نافعٌ، وأبو عَمروٍ «مُبيِّنة» كسراً و «آيات مُبيَّنات» فتحاً. وقد سبق ذكر «العِشْرَة».

قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباسٍ: رُبَّما رَزَقَ الله منهما وَلَداً، فجعل اللّهُ في وَلَدِها خيراً كثيراً. وقد نَدَبَت الآيَةُ إلى إمسَاكِ المرأة مع الكَراهة لها، ونبَّهت على معنيين:

أحدهما: أنَّ الإنسان لا يَعلَمُ وُجوهَ الصَّلاح، فَرُبَّ مكروهٍ عَادَ محموداً، ومحمودٍ عَادَ مَذمُوماً.
والثاني: أنَّ الإنسان لا يكادُ يَجِدُ مَحبوباً ليس فيه ما يكره، فلْيَصْبِر على ما يكره لِمَا يُحِبُّ. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَمَن لم يُغَمِّضْ عينَه عن صَدِيقِه ... وعَنْ بَعضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وهو عَاتِبُ
ومَن يَتَتَبَّعْ جَاهِداً كلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْهَا ولا يَسْلَمْ لهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)﴾

قوله تعال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ هذا الخِطابُ للرِّجال. والزَّوج: المَرأة. وقد سبق ذكر «القِنطَار» في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ إنما ذلك في حَقِّ مَنْ وَطِئَهَا، أو خَلاَ بها، وقد بيَّنتْ ذلك الآيةُ التي بَعدَها. قال القاضي أبو يَعلَى: وإنما خَصَّ النَّهي عن أَخْذِ شيءٍ ممَّا أعطى بِحَال الاستِبْدَال، وإنْ كان المَنْعُ عَامّاً، لِئَلاَّ يَظُنَّ أنه لمَّا عَادَ البُضْعُ إلى مِلْكِها، وَجبَ أن يَسقُطَ حقُّها من المَهرِ، أو يَظُنَّ ظَانٌّ أنَّ الثانية أَوْلَى بالمَهرِ منها، لِقيامِها مَقَامَها.

وفي البُهْتَان قولان: **أحدهما**: أنه الظُّلم، قاله ابن عباسٍ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: البَاطِلُ، قاله الزجَّاجُ. ومعنى الكلام: أَتَأْخُذونه مُباهِتِينَ آثِمين.

= بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره، مضارة منه لها بذلك ليأخذ ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك، أو لوليها الذي إليه نكاحها. والولي معلوماً أنه ليس ممن آتاها شيئاً فيقال إن عضلها عن النكاح: «عضلها ليذهب ببعض ما آتاها».

(١) النور: ٣٤.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي: كيف تستجيزون أخذه. وفي «الإفضاءِ» قولان:

أحدهما: أنه الجِمَاع، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ، وابن قُتيبة. **والثاني:** الخَلْوَة بها، وإن لم يَغْشَهَا، قاله الفرَّاءُ.

وفي المراد بالميثاق ها هنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها:** أنه الذي أَخَذه اللهُ للنساء على الرجال؛ الإمساكُ بمعروفٍ، أو التَّسريح بإحسانٍ. هذا قول ابن عباسٍ، والحَسنِ، وابن سِيْرِيْنَ، وقَتادةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ. **والثاني:** أنه عَقْدُ النِّكاح، قاله مُجاهدٌ، وابن زيدٍ. **والثالث:** أنه أَمَانَةُ الله، قاله الرَّبيعُ.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾، قال ابن عباسٍ: كان أهل الجاهليَّة يُحَرِّمون ما حرَّم الله إلا امرأةَ الأبِ، والجَمْعَ بين الأختين، فنزلت هذه الآية.

[٢٦٦] وقال بعض الأنصار: تُوفي أبو قَيْسِ بن الأَسْلَتِ، فخَطبَ ابنُه قَيسٌ امرأتَهُ، فأتت النبيَّ ﷺ تَسْتأذِنُه، وقالت: إنما كنتُ أعدُّه ولَداً، فنزلت هذه الآية.

قال أبو عُمرَ غُلامُ ثَعْلَب: الذي حَصَّلْناهُ عن ثَعلَبٍ، عن الكُوفيين، والمُبَرِّد عن البَصْريِّين، أنَّ «النِّكاحِ» في أصل اللغة: اسمٌ للجَمع بين الشيئين. وقد سَمَّوا الوَطْءَ نَفْسَهُ نِكَاحاً من غير عَقْدٍ. قال الأعشَى:

ومَـنْـكُـوحَـةٍ غـيـرُ مَـمْـهُـورَةٍ[١]

يعني المَسْبِيَّةَ المَوطُوءَةَ بغير مَهْرٍ ولا عَقْدٍ. قال القاضي أبو يَعلَى: قد يُطلق النِّكاحُ على العَقْدِ، قال الله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[٢] وهو حقيقةٌ في الوَطءِ، مَجازاً في العَقْدِ، لأنه اسمٌ للجمع، والجَمْعُ: إنما يكون بالوَطءِ، فَسُمِّي العَقْدُ نِكاحاً، لأنه سَبَّب إليه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ﴾ فيه ستة أقوالٍ: **أحدها:** أنها بمعنى: بعدَ ما قَدْ سَلَفَ، فإنَّ الله يَغفِرُه، قاله الضَّحَّاكُ، والمُفَضَّلُ. وقال الأخفَشُ: المعنى: لا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكُم، فإنكم تُعذَّبون به، إلا ما قَدْ سَلَفَ، فقد وَضَعَهَ الله عنكم. **والثاني:** أنها بمعنى: سِوى ما قَدْ سَلَفَ، قاله الفَرَّاءُ.

---

[٢٦٦] أخرجه البيهقي ٧/ ١٦١ من طريق أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت الأنصاري، وقال البيهقي: هذا مرسل. والمرسل من قسم الضعيف، ومع ذلك، أشعث بن سوار ضعيف كما في «التقريب». و«المجروحين ١/ ١٧١»، وانظر ما تقدم آنفاً.

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: وأخرى يقال له: فادها.

(٢) الأحزاب: ٤٩.

والثالث: أنها بمعنى: لكن ما قَدْ سَلَفَ فَدَعُوهُ، قاله قُطْرُبُ. وقال ابن الأنباريّ: لكن ما قد سَلَفَ، فإنه كان فَاحشةً. **والرابع**: أن المعنى: ولا تَنكِحوا كَنِكَاحِ آبائِكم النِّساءَ، أي: كما نَكَحُوا على الوُجوه الفَاسدة التي لا تَجُوز في الإِسلام إلا ما قَدْ سَلَفَ في جَاهِلِيَّتِكم، من نِكاح لا يجوز إبتداءُ مِثْلِهِ في الإِسلام، فإنه مَعْفُوٌّ لكُم عنه، وهذا كقول القائل: لا تَفْعَلْ ما فعلتَ، أي: لا تَفعَل مِثْلَ ما فعلتَ، ذَكَرهُ ابن جَريرٍ(١). **والخامس**: أنها بمعنى «الواو» فتقديرها: ولا ما قَدْ سَلَفَ، فيكون المعنى: إقْطَعُوا ما أنتم عليه من نِكَاح الآباء، ولا تَبْتَدِئوا، قالهُ بعضُ أهل المعاني. **والسادس**: أنها للاستِثْناء، فتقدير الكلام: لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكم من النساء بالنِّكاح الجَائز الذي كان عقده بينهم إلا ما قَدْ سَلَفَ منهم بالزِّنَى، والسِّفَاحِ، فإنهنَّ حلالٌ لكم، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ يعني النِّكاحَ، و «الفَاحِشة»: ما يَفْحُشُ ويَقْبُحُ. و «المَقْتُ»: أَشدُّ البُغْض. وفي المراد بهذا «المَقْت» قولان: **أحدهما**: أنه اسمٌ لهذا النِّكاح، وكانوا يُسمُّون نِكاحَ امرأة الأب في الجاهليَّة: مَقْتاً، ويُسمُّون الولدَ منه: المَقْتِيّ. فأعلموا أن هذا الذي حُرِّم عليهم من نكاح امرأة الأب لم يزل مُنكراً في قلوبهم مَمْقُوتاً عندَهم. هذا قول الزجَّاجِ. **والثاني**: أنه يُوجب مَقْتَ الله لِفَاعِلِهِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ قال ابن قُتيبةَ: أي: قَبُحَ هذا الفعل طريقاً.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ قال الزجاجُ: الأصل في أُمَّهات: أُمات، ولكنَّ الهاء زِيْدَت مُؤَكِّدة، كما زادُوها في: أَهْرَقْتُ الماءَ، وإنما أصله: أَرَقْتُ.

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ إنما سُمِّين أُمَّهات، لِمَوضِع الحُرْمَة. واختلفوا: هل يُعتبر في الرَّضَاع العَدَدُ، أم لا؟ فَنَقَلَ حَنْبَلُ، عن أحمدَ: أنه يَتَعلَّق التحريمُ بالرَّضعة الواحدة، وهو قول عُمرَ، وعَليٍّ، وابن عباسٍ، وابن عُمرَ، والحَسنِ، وطَاوسٍ، والشَّعبيِّ، والنَّخعِيِّ، والزُّهريِّ، والأَوزاعيِّ، والثَّوريِّ، ومَالكٍ، وأبي حَنيفةَ، وأصحابهِ. ونَقَلَ مُحمَّدُ بن العبَّاسِ، عن أَحمدَ: أنه يتعلَّقُ التَّحريمُ بثلاث رَضَعاتٍ. ونَقَلَ أبو الحَارثِ، عن أحمَدَ: لا يَتَعلَّقُ بأقلَّ من خَمسِ رَضعاتٍ مُتفرِّقاتٍ، وهو قول الشَّافعيِّ(٢).

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٦٦١: وهو أولى الأقوال في ذلك بالصواب.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١١/ ٣٠٩-٣١٠: الأصل في التحريم بالرّضاع الكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقول الله تعالى: **﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾** وأما السنة: ما =

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ أُمهات النِّساء: يُحرَّمن بِنفْس العَقْدِ على البِنت، سواءٌ دخلَ بالبنت، أو لم يدخُلْ، وهذا قول عُمرَ، وابن مسعودٍ، وابن عُمَرَ، وعِمرَانِ بن حُصَينٍ ومَسروقٍ، وعَطاءٍ، وطَاوسٍ، والحَسنِ، والجمهور. وقال عليٌّ رضي الله عنه في رجلٍ طَلَّق امرأته قبل الدُّخول: له أَنْ يَتزوَّجَ أُمَّهَا، وهذا قول مُجاهِدٍ، وعِكرمَة[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ الرَّبِيْبَةُ: بِنتُ امرأة الرَّجل مِنْ غَيرِه. ومعنى الرَّبِيْبَة: مَرْبُوبَة، لأنَّ الرجلَ يُرَبِّيها، وخرج الكلامُ على الأعَمِّ من كون التَّربية في حِجْرِ الرَّجل، لا على الشَّرط[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ قال الزجَّاجُ: الحَلائِل: الأزواج. وحَلِيْلَة بمعنى مُحَلَّة، وهي

= روت عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إن الرضاعة تحرِّم ما تحرِّم الولادة». وفي لفظ «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». والرضاع الذي لا يُشك في تحريمه، أن يكون خمس رضعات فصاعداً. هذا الصحيح في المذهب ورُوي عن عائشة، وابن مسعود، وابن الزبير، وعطاء، وطاوس. وهو قول الشافعي. وعن أحمد رواية ثانية، أن قليل الرضاع وكثيره يحرِّم ورُوي ذلك عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب، والحسن ومكحول والزهري وأصحاب الرأي، وزعم الليث أن المسلمين أجمعوا على أن قليل الرضاع وكثيرة يحرِّم في المهد ما يفطر به الصائم واحتجوا بالكتاب والسنة. وعن عقبة بن الحارث، أنه تزوج أم يحيى بنت أبي إهاب، فجاءت امرأة سوداء، فقالت: قد أرضعتكما. فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «كيف، وقد زعمت أن قد أرضعتكما». ولأن ذلك فعل يتعلق به تحريم مؤبد. فلم يعتبر فيه العدد. والرواية الثالثة، لا يثبت التحريم إلا بثلاث رضعات، وبه قال أبو ثور وداود وابن المنذر. لقول النبي ﷺ: «لا تحرِّم المصّة ولا المصتان» لأن ما يعتبر فيه العدد والتكرار، يعتبر فيه الثلاث. وإذا وقع الشك في وجود الرضاع، أو في عدد الرضاع المُحَرِّم هل كملا أو لا؟ لم يثبت التحريم لأن الأصل عدمه، فلا تزول عن اليقين بالشك. والسّعوط: بأن يصب اللبن في أنفه من إناء، والوجور: أن يصبّ في حلقه صباً من غير الثدي. فأصح الروايتين أن التحريم يثبت بذلك كما يثبت بالرضاع. وإن عمل اللبن جبناً ثم أطعمه الصبي، ثبت به التحريم، بهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يحرِّم به، لزوال الاسم.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٩/ ٥١٥ـ ٥١٦: من تزوج امرأة حُرِّم عليه كل أمٍّ لها، من نسبٍ أو رضاعٍ، قريبةٍ أو بعيدةٍ بمجرد العقد. نص عليه أحمد. وهو قول أكثر أهل العلم، منهم، ابن مسعود، وابن عمرَ، وجابر، وعمران بن حصين وكثير من التابعين. وبه يقول مالك والشافعي، وأصحاب الرأي، وحكي عن علي رضي الله عنه أنها لا تحرم إلا بالدخول بابنتها، كما لا تحرم ابنتها إلا بالدخول. ولنا، قول الله تعالى ﴿وأمهات نسائكم﴾ والمعقود عليها من نسائه فتدخل أمها في عموم الآية. قال ابن عباس: أبهموا ما أبهم القرآن، يعني عمّموا حُكمها في كل حالٍ، ولا تفصلوا بين المدخول بها وبين غيرها. وروى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «من تزوج امرأةً، فطلقها قبل أن يدخل بها، فلا بأس أن يتزوج ربيبته، ولا يحلّ له أن يتزوج أمها». رواه أبو حفص بإسناده. وقال زيد: تحرّم بالدخول أو بالموت، لأنه يقوم مقام الدخول. وقد ذكرنا ما يوجب التحريم مطلقاً. وحديث علي رضي الله عنه، أخرجه الطبري ٨٩٥٢ عن خلاس بن عمرو عن علي مرسلاً.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥١٦ـ ٥١٧ روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، أنهما رخصا فيها إذا لم تكن في حجره وهو قول داود. قال ابن المنذر: وقد أجمع علماء الأمصار على خلاف هذا القول. وقال النبي ﷺ لأم حبيبة: «لا تَعرِضْنَ عليّ بناتكن، ولا أخواتكن». لأن التربية لا تأثير لها في التحريم كسائر المحرمات. وأما الآية فلم تَخرُج مخرج الشرط، وإنما وصفها بذلك تعريفاً لها بغالب حالها، وما خرج مخرج الغالب لا يصح التمسُّك بمفهومه. وإن لم يدخل بالمرأة لم تحرّم عليه بناتها.

مُشتقةٌ من الحَلال. وقال غَيرُه: سُمِّيت بذلك، لأنها تَحِلُّ معه أينَما كان. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورِ اللُّغويِّ، قال: الحَلِيلُ: الزَّوج، والحَلِيلَةُ: المَرأة، وسُمِّيا بذلك، إما لأنَّهما يَحُلاَّن في موضعٍ واحدٍ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُحَالُّ صاحبَه، أي: يُنَازِلُه، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَحُلُّ إزارَ صاحبه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ قال عَطاءٌ: إنما ذَكَر الأَصْلاَبَ، لأَجْلِ الأَدْعِيَاء. والكلام في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ على نحو ما تقدَّم في الآية التي قَبْلها. وقد زَادُوا في هذا قولين آخرين: **أحدهما**: إلا ما قَدْ سَلفَ من أمر يَعقُوبَ عليه السلام، لأنه جَمَعَ بين أُمِّ يُوسفَ وأُخْتِها، وهذا مَرويٌّ عن عَطاءٍ، والسُّدِّيِّ، وفيه ضَعفٌ لوجهين: أحدهما: أنَّ هذا التَّحريمَ يَتعلَّق بشريعتنا، وليس كلُّ الشَّرائع تَتَّفِقُ، ولا وَجهَ للعفو عَنَّا فيما فَعَلَهُ غَيْرُنا. والثاني: أنه لو طُولِبَ قائلُ هذا بتَصْحِيح نَقْلِه، لعَسُرَ عليه. **والقول الثاني**: أن تكون فائدة هذا الاستثناء أنَّ العُقودَ المُتقدِّمة على الأُختين لا تَنفَسِخُ، ويكون للإنسان أنْ يختار إحدَاهُما.

[٢٦٧] ومنه حديث فَيْرُوز الدَّيْلَميِّ قال: أَسلَمْتُ وعندي أُختَانِ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقال: «طَلِّقْ إحدَاهُمَا»، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾﴾

قوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾. أما سبب نزولها:

[٢٦٨] فروى أبو سعيدٍ الخُدريُّ قال: أَصَبنَا سَبَايَا يومَ أَوْطَاس لهنَّ أزواجٌ، فكَرِهنا أن نقعَ عليهنَّ، فَسألنَا النبيَّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، فَاستحللناهن.

وأما خلاف القُرَّاء، فقرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وعاصمٌ، وابن عَامرٍ، وحمزةُ بفتح الصَّاد في كل القرآن، وفتح الكِسائيُّ الصَّاد في هذه وحدَها، وقرأ سائر القرآن «والمحصِنات» و «محصِنات».

قال ابن قُتيبة: والإِحْصَانُ: أن يَحْمِيَ الشيءَ، ويَمْنَعَ منه، فالمُحْصَنَاتُ من النساء: ذواتُ الأزواج، لأن الأزواج أَحْصَنُوهنَّ، ومَنَعُوا منهنَّ. قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾، والمُحْصَنَاتُ: الحَرائِر وإن لم يَكُنَّ متزوجاتٍ، لأن الحُرَّة تُحْصَنُ وتُحْصِنُ، وليست كالأَمةِ، قال الله

---

[٢٦٧] حسن. أخرجه أبو داود ٢٢٤٣ والترمذي ١١٢٩ و١١٣٠ وابن ماجه ١٩٥٠ و١٩٥١ وعبدالرزاق ١٢٦٢٧ وابن أبي شيبة ٤/ ٣١٧ وأحمد ٢/ ٢٣٢ وابن حبان ٤١٥٥ والدارقطني ٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ والطبراني ١٨/ ٨٤٣ والبيهقي ٧/ ١٨٤ ـ ١٨٥ من طرق عن أبي وهب الجيشاني عن الضحاك بن فيروز عن أبيه به. وإسناده حسن، رجاله ثقات. وأخرجه الدارقطني ٣/ ٢٧٣ من وجه آخر، وفيه محمد بن يحيىٰ الأسلمي شيخ الشافعي، وهو متروك، والحجة في الرواية المتقدمة.

[٢٦٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٥٦ وأبو داود ٢١٥٥ والترمذي ١١٣٢ والنسائي ٦/ ١١٠ وفي «التفسير» ١١٦ و١١٧ وعبدالرزاق في «تفسيره» ٥٤٩ وأحمد ٣/ ٨٤ والطيالسي ٢٢٣٩ وأبو يعلى ١٣١٨ والبيهقي ٧/ ١٦٧ من طرق من حديث أبي سعيد. وله شاهد حسن من حديث ابن عباس أخرجه النسائي في «التفسير» ١١٨ وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٤٤١ بتخريجنا؛ والله الموفق.

تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقال: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني: الحرائر. والمحصنات: العفائف. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني العفائف وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: عفت. وفي المراد بالمحصنات هنا ثلاثة أقوال: **أحدها**: ذوات الأزواج. وهذا قول ابن عباس. وسعيد بن المسيب والحسن، وابن جبير، والنخعي، وابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. **والثاني**: العَفَائِفُ: فإنهنَّ حرامٌ على الرجال إلا بعقد نِكاحٍ، أو مِلْكِ يمينٍ. وهذا قول عُمرَ بن الخَطَّابِ، وأبي العَالِيَةِ، وعَطاءٍ، وعُبيدَة، والسُّدِّيِّ. **والثالث**: الحَرائِرُ، فالمعنى: أنهنَّ حَرامٌ بعدَ الأربع اللوَاتي ذُكِرْنَ في أَوَّل السُّورة، رُوي عن ابن عباسٍ، وعُبيدةَ.

فعلى القول الأول في معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أن معناه: إلاّ ما مَلَكت أيمانُكم من السَّبَايَا في الحُروب، وعلى هذا تأوَّلَ الآية عليٌّ، وعبدُ الرَّحمن بن عَوفٍ، وابن عُمَر، وابن عَباسٍ، وكان هؤلاء لا يَرَوْنَ بَيْعَ الأَمَةِ طَلاقاً. **والثاني**: إلا ما ملكت أيمانكم من الإمَاء ذوات الأزواج، بِسَبْيٍ أو غير سَبْيٍ، وعلى هذا تأوَّلَ الآيةَ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بن كَعبٍ، وجابرٌ، وأنسٌ. وكان هؤلاء يرون بَيْعَ الأَمَة طَلاقاً. وقد ذكر ابنُ جَريرٍ، عن ابن عباسٍ، وسَعيدِ بن المُسَيّبِ، والحَسنِ: أنهم قالوا: بَيْعُ الأَمَة طَلاقُها، والأوّلُ أَصَحُّ.

[٢٦٩] لأن النبيَّ ﷺ خيَّر بَرِيرَةَ إذ أَعتقَتْها عائشةُ، بين المَقَام مع زوجها الذي زوَّجها منه سَادَتُها في حال رِقِّها، وبين فِرَاقِهِ، ولم يَجعلِ النبيُّ ﷺ عِتقَ عائشَةَ إيَّاهَا طَلاقاً، ولو كان طَلاقاً لم يَكُنْ لِتَخْييره إيَّاهَا معنًى. ويدلُّ على صحَّةِ القول الأوَّل ما ذكرناه من سبب نزول الآية.

وعلى القول الثاني: العَفَائِفُ حَرامٌ إلا بِملْكٍ، والمِلْكُ يكون عَقْداً، ويكون مِلْكَ يَمينٍ.

وعلى القول الثالث: الحَرائِرُ حَرامٌ بعد الأربع إلا ما مَلَكَتْ أَيمانُكم من الإِمَاءِ، فإنهنَّ لم يُحصَرنَ بِعَدَدٍ.

قوله تعالى: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجَّاجُ: هو منصوبٌ على التَّوكيد، محمولٌ على المعنى، لأن معنى «حُرمت عليكم أمهاتكم»: كَتَبَ اللَّهُ عليكم هذا كتاباً، قال: ويجوز أن ينتصب على جهة الأمرِ، ويكون «عليكم» مُفسِّراً له، فيكون المعنى: اِلزَمُوا كتابَ الله. قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ما بَعدَ هذه الأشياء، إلا أن السُّنَّة قد حَرَّمت تزويجَ المرأة على عَمَّتِها، وتَزويجَهَا على خَالَتِها[١]. وقرأ ابن السَّمَيْفَعِ، وأبو عِمْرانَ: «كَتَبَ اللَّهُ عليكم» بفتح الكاف، والتاء، والباء، من غير أَلِفٍ، ورفع

---

[٢٦٩] صحيح. أخرجه البخاري ٢٥٧٨ ومسلم ١٥٠٤ وأبو داود ٢٩١٦ والنسائي ٦/ ١٦٢ وأحمد ٦/ ٤٥ ـ ٤٦ والبيهقي ٦/ ١٦١ والبغوي ١٦١١ وابن حبان ٤٢٦٩ من طرق كلهم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «اشتريت بريرة، فاشترط أهلها ولاءها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أعتقيها، فإن الولاء لمن أعطى الورق، فأعتقتها، فدعاها النبي ﷺ فخيرها من زوجها فقالت لو أعطاني كذا وكذا ما ثبت عنده. فاختارت نفسها». وله شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه البخاري ٢٥٨١ و٢٥٨٢ والترمذي ١١٥٦.

---

(١) هو الآتي.

الهاء. وقرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابن عَامرٍ: وأَحَلَّ بفتح الحاء، وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ: بِضَمِّ الأَلِف.

فصل: قال شيخنا عليُّ بن عُبيد الله: وعامَّة العلماء ذهبوا إلى أن قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ تحليلٌ وَرَدَ بلفظ العُموم، وأنه عُمومٌ دخله التَّخصيص، والمُخصِّص له:

[٢٧٠] نَهيُ النبيِّ ﷺ أن تُنكح المرأة على عَمَّتها، أو على خَالَتِها. وليس هذا على سبيل النَّسْخِ. وذهب طائفةٌ إلى أن التَّحْلِيْلَ المَذكور في الآية مَنسُوخٌ بهذا الحديث.

قوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم﴾ أي: تَطلُبوا إمّا بصَدَاقٍ في نِكاحٍ، أو ثَمَنٍ في مِلْكٍ ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ قال ابن قُتيبةَ: مُتزوِّجين، وقال الزجاجُ: عَاقِدين التَّزويج، وقال غيرهما: مُتعَفِّفين غير زَانِيْنَ. والسِّفَاح: الزِّنى، قال ابن قُتيبَة. . أصله من سَفَحْتُ القِرْبَةَ: إذا صَبَبْتَها، فسُمِّي الزِّنى سِفَاحاً، لأنه حين يُسَافِحُ يَصُبُّ النُّطفَةَ، وتَصُبُّ المرأةُ النُّطْفَة. وقال ابن فَارسٍ: السِّفَاحُ: صَبُّ المَاءِ بِلاَ عَقْدٍ، ولا نِكَاحٍ، فهو كالشَّيء يُسْفَحُ ضَيَاعاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الاستِمْتَاعُ في النِّكاح بالمُهُور، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهدٌ، والجُمهور.

والثاني: أنه الاستِمْتَاعُ إلى أَجَلٍ مُسمّىً من غير عَقْدِ نِكاحٍ. وقد رُوي عن ابن عباسٍ أنه كان يُفتي بجواز المُتْعَة، ثم رجَعَ عن ذلك. وقد تَكلَّف قومٌ من مُفسِّري القُرَّاء، فقالوا: المراد بهذه الآية نِكَاحُ المُتْعَةِ، ثم نُسِخَتْ بما رُوى عن النبيِّ ﷺ أنه:

[٢٧١] نَهى عن مُتعَة النِّساء، وهذا تكلُّفٌ لا يُحتَاجُ إليه، لأن النبيَّ ﷺ أجاز المُتْعَة، ثم مَنَعَ منها، فكان قَولُه مَنسُوخاً بقولِهِ. وأما الآية، فإنَّها لم تتضمَّن جوازَ المُتعَةِ، لأنه تعالى قال فيها: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ فدَلَّ ذلك على النِّكاح الصحيح.

---

[٢٧٠] صحيح. أخرجه البخاري ٥١٠٩ و٥١١٠ ومسلم ١٤٠٨ ح ٣٥ و٣٦ وأبو داود ٢٠٦٦ والنسائي ٦/ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ وابن ماجه ١٩٢٩ والشافعي ٢/ ١٨ وعبدالرزاق ١٠٧٥٣ وأحمد ٢/ ٤٣٢ ـ ٤٦٢ و٤٧٤ و٤٨٩ و٥٠٨ و٥١٦ وابن حبان ٤٠٦٨ والبيهقي ٥/ ٣٤٥ و٧/ ١٦٥ من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها». لفظ البخاري.

[٢٧١] صحيح. أخرج البخاري ٤٢١٦ و٥٥٢٣ ومسلم ١٤٠٧ والنسائي ٦/ ١٢٦ و٧/ ٢٠٢ والترمذي ١١٢١ و١٧٩٤ وابن ماجه ١٩٦١ وأحمد ١/ ٧٩ وسعيد بن منصور ٨٤٨ والحميدي ٣٧ والدارمي ٢/ ١٤٠ وابن حبان ٤١٤٠ و٤١٤٣ وأبو يعلى ٥٧٦ وابن أبي شيبة ٤/ ٢٩٢ والبيهقي ٧/ ٢٠١ و٢٠٢ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل الحمر الإنسية.

ـ وله شاهد من حديث الربيع بن سبرة الجهني عن أبيه أنه كان مع رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس! إني قد كنت أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء. وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة. فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله. ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً». أخرجه مسلم ١٤٠٦ وأحمد ٢/ ٤٠٤ والدارمي ٢/ ١٤٠ والنسائي ٦/ ١٢٦ وابن ماجه ١٩٦٢ وسعيد بن منصور ٨٤٧ وأبو يعلى ٩٣٨ وعبد الرزاق ١٤٠٤١ والحميدي ٨٤٧ والدارمي ٢/ ١٤٠ وابن الجارود ٦٩٩ وابن أبي شيبة ٤/ ٢٩٢ وابن حبان ٤١٤٤ و ٤١٤٦ و ٤١٤٨ والطحاوي ٣/ ٢٥ من حديث الربيع بن سبرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٦٢٩.

قال الزجّاج: ومعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فما نكحتموهنّ على الشَّريطة التي جرَتْ، وهو قوله: ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أي: عاقدين التَّزويج ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مُهورهُنَّ. ومَنْ ذهب في الآية إلى غيرَ هذا، فقد أخطأ، وجَهلَ اللغةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ فيه ستة أقوالٍ:

أحدها: أن معناه: لا جُناحَ عليكم فيما تَركَتْهُ المرأةُ من صَداقِها، ووَهَبَتْهُ لِزوجها، هذا مَرويٌ عن ابن عباسٍ، وابن زيدٍ. **والثاني**: ولا جُناح عليكم فما تَراضيتُم به من مُقام، أو فُرْقةٍ بعد أداء الفَريضة، روي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: ولا جُناحَ عليكم أيها الأزواج إذا أعْسَرتُم بعد الفَرض لِنسائِكم فيما تَراضيتُم به من أن يُنقِصْنكُم، أو يُبَرّئنكُم، قاله أبو سُليمانَ التَّيميُّ. **والرابع**: لا جُناحَ عليكم إذا انقضى أَجَلُ المُتعَةِ أن يَزدْنكُم في الأَجَل، وتَزيدُونهنَّ في الأَجرِ من غير استِبْراءٍ، قاله السُّدِّيُّ، وهو يعود إلى قِصّة المُتعة. **والخامس**: لا جُناحَ عليكم أن تَهبَ المرأةُ للرجل مَهرَهَا، أو يَهبَ هو للتي لم يَدْخل بها نِصفَ المَهرِ الذي لا يجب عليه. قاله الزجّاجُ. **والسادس**: أنه عامٌّ في الزِّيادة، والنُّقصان، والتَّأخير، والإبْراء، قاله القاضي أبو يَعلى[1].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ «الطَّول»: الغِنى والسَّعَة في قول الجماعة. و«المُحصَناتُ»: الحَرائِر، قال الزجّاجُ: والمعنى: مَنْ لم يقدر على مَهرِ الحُرَّة، يُقال: قد طَالَ فلانٌ طَولاً على فُلانٍ، أي: كان له فَضلٌ عليه في القُدْرَة. والمُراد بالفتيات هاهنا: المَمْلوكات، يُقال: للأَمَةِ: فَتاةٌ، وللعبد: فَتى، وقد سُمّي بهذا الاسم من ليس بمَمْلوكٍ. قرأتُ على شيخنا الإمام أبي منصورِ اللُّغويّ قال: المُتَفَتِّيَة: الفتاة والمُراهِقَة، ويقال للجَارية الحَدَثَة: فتاةٌ، وللغلام: فَتَى. قال القُتَيبِيُّ: وليس الفتى بمعنى الشاب والحَدَث، إنما هو بمعنى الكامل الجَزْل من الرِّجال.

فأما ذِكْرُ الإيمان، فشَرطٌ في إباحَتِهِنّ، ولا يَجوز نِكاح الأَمَة الكِتابِيَّة، هذا قول الجمهور، وقال أبو حَنيفةَ: يجوز.

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا حرج عليكم، أيها الناس، فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم من بعد إعطائهن أجورهن على النكاح الذي جرى بينكم وبينهن من حط ما وجب لهن عليكم، أو إبراء، أو تأخير ووضع. وذلك نظير قوله جل ثناؤه **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾** النساء: ٤.
فأما الذي قاله السدي، فقول لا معنى له، لفساد القول بإحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ﴾ قال الزجّاج: معناه: اِعملُوا على ظَاهِرِكُم في الإيمان، فإنّكم مُتَعَبَّدُون بما ظَهَر من بعضكم لبعض. قال: وفي قوله تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ وجهان: **أحدهما**: أنه أراد النَّسَبَ، أي كُلُّكم وَلَدُ آدمَ. ويجوز أن يكون معناه: دِينكم واحدٌ، لأنه ذَكَر هاهنا المؤمنات. وإنما قيل لهم ذلك، لأن العرب كانت تَطْعَنُ في الأنساب، وتَفْخَرُ بالأحسَابِ، وتُسمّي ابن الأمَةِ: الهَجِيْن، فأَعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن أمر العبيد وغيرهم مُسْتَوٍ في باب الإيمان، وإنما كُرِه التَّزويج بالأمَة، وحَرُمَ إذا وَجَدَ إلى الحُرَّة سبيلاً، لأن وُلْد الأمَةِ من الحُرِّ يَصِيرون رَقِيْقاً، ولأن الأمَةَ مُمْتَهَنَةٌ في عِشْرَة الرجال، وذلك يَشُقّ على الزوج.

قال ابن الأنباريّ: ومعنى الآية: كُلُّكم بنو آدمَ، فلا يَتَداخلكم شموخٌ وأَنَفَةٌ من تزوج الإمَاء عند الضرورة. وقال ابن جَرير: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: ومن لم يستطع منكم طَولاً أن ينكحَ المُحصنات المؤمنات فَلْيَنكِحْ بعضُكم من بعضٍ، لِيَنْكِح هذا فتاةَ هذا.

قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾ يعني: الإمَاءَ ﴿بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ﴾، أي: سَادَتِهِنَّ. و «الأجور»: المُهُور. وفي قوله: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مقدَّمٌ في المعنى، فتقديره: اِنْكِحوهنَّ بإذن أهلهنَّ بالمعروف، أي: بالنِّكاح الصَّحيح ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. **والثاني**: أن المعنى: وآتوهنَّ أجورَهنَّ بالمعروف، كمهُور أمثالهنَّ. قال ابن عباسٍ: ﴿مُحۡصَنَٰتٍ﴾: عَفَائِف غير زَوَانٍ ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾ يعني: أَخِلاَّء، كان الجاهليَّةُ يُحَرِّمون ما ظَهرَ من الزِّنى، ويَسْتَحِلُّون ما خَفِيَ. وقال في روايةٍ أخرى: «المسافحات»: المُعْلِنَات بالزِّنى. و «المتَّخذات أخدان»: ذاتُ الخَلِيل الواحد. وقال غيره: كانت المرأة تَتَّخِذُ صديقاً تَزْني معه، ولا تَزْني مع غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابن عامرٍ: «أُحصن» مضمومة الألِف. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ، والمُفَضَّل عن عَاصم: بفتح الألف، والصَّاد. قال ابن جَريرٍ: من قرأ بالفتح، أراد: أَسْلَمْنَ، فَصِرْنَ ممنوعاتِ الفُرُوج عن الحَرام بالإسلام، ومَنْ قرأ بالضَّم، أراد: فإذا تزوَّجنَ، فَصِرنَ مَمنوعاتِ الفُرُوجِ من الحَرام بالأزواج. فأما «الفاحشة»، فهي الزِّنى، و ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: الحَرَائِر، و «العذاب»: الحَدُّ. قال القاضي أبو يَعلَى: وليس الإسلام والتَّزويج شرطاً في إيجاب الحَدِّ على الأَمَةِ، بل يجب وإن عُدِمَا، وإنما شَرْطُ الإحْصَان في الحدِّ، لِئَلاَّ يَتوهَّم مُتوهِّمٌ أنَّ عليها نِصفُ ما على الحُرَّة إذا لم تكن مُحْصَنةٌ، وعليها مِثْلُ ما على الحُرَّة إذا كانت مُحْصَنةً.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإشارة إلى إباحة تَزويج الإمَاءِ. وفي ﴿ٱلۡعَنَتَ﴾ خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنه الزِّنَى، قاله ابن عباسٍ، والشَّعبيُّ، وابن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنه الهَلاكُ، ذكره أبو عُبيدةَ، والزجَّاجُ. **والثالث**: لِقاء المَشَقَّة في مَحبَّة الأَمَة، حكاه الزجَّاجُ. **والرابع**: أن العَنَت هاهنا: الإِثْمُ. **والخامس**: أنه العُقوبة التي تُعْنِتُهُ، وهي الحَدُّ، ذكرهما ابن جريرٍ الطَّبَريُّ.

قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الآية تدل على إباحة نِكاح الإمَاءِ المؤمنات بشرطين: **أحدهما**: عَدمُ طَوْلِ الحُرَّة. **والثاني**: خَوفُ الزِّنى، وهذا قول ابن عباسٍ، والشَّعبيِّ، وابن جُبيرٍ، ومَسرُوقٍ، ومَكْحولٍ، وأحمدَ، ومَالكٍ، والشَّافعيِّ. وقد رُوي عن عليّ، والحسَنِ، وابن المُسَيّبِ، ومُجاهدٍ،

والزُّهريّ، قالوا: يَنْكِحُ الأَمَةَ، وإِنْ كان مُوسِراً، وهو قول أبي حَنيفةَ وأَصحابِه.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، قال ابن عباسٍ والجماعة: عن نِكَاحِ الإِمَاء، وإِنما نَدبَ إِلى الصَّبر عنه، لاسِتِرْقَاق الأَولاد.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾. اللام بمعنى «أن»، وهذا مذهب جماعةٍ من أهل العربيّة، واختاره ابن جَرير، ومِثْلُهُ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾(١)، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾(٢)، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ﴾(٣).

والبيان من الله تعالى بالنَّص تارةً، وبدَلالَة النَّص أُخرى. قال الزجَّاج: و «السُّنن»: الطُّرُق، فالمعنى يَدُلُّكم على طاعته، كما دَلَّ الأنبياء وتَابِعيهم. وقال غيرُه: معنى الكلام: يريدُ الله ليُبَيِّن لكم سُنَنَ مَنْ قبلكم من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطلَ وتُجيبوا الحقَّ، ويَهْدِيكم إِلى الحق.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجَّاج: يريد أن يَدُلَّكم على ما يكون سَبَباً لِتوبَتِكم. وفي الذين اتَّبعوا الشَّهوات أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الزُّناة، قاله مُجاهدٌ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: اليهود والنَّصارى، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنهم اليهودُ خاصَّةً، ذكره ابن جَريرٍ. **والرابع**: أهلُ الباطل، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عن الحقّ بالمَعصية.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ التَّخفيف: تسهيلُ التَّكليف، أو إِزالَةُ بعضه. قال ابن جَريرٍ: والمعنى: يُريد أن يُيَسِّر لكم بإذْنِه في نِكاح الفتيات المؤمنات لِمَنْ لم يستطع طَوْلاً لِحُرَّة. وفي المراد بضَعف الإنسان ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الضَّعفُ في أصل الخِلْقَة. قال الحسَنُ: هو أنه خُلِقَ من ماءٍ مهينٍ. **والثاني**: أنه قِلَّةُ الصَّبر عن النساء، قاله طَاوسٌ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: أنه ضَعْفُ العزم عن قَهْرِ الهَوى، وهذا قول الزجَّاج، وابن كَيْسَانَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾، الباطِل: ما لا يَحِلُّ في الشَّرع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عمروٍ، وابن عَامرٍ: «تجارةٌ» بالرفع. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُ، وعَاصِمٌ بالنَّصب، وقد بَيَّنَّا العِلَّةَ في آخر (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه على ظَاهِره، وأن الله حَرَّمَ على

---

(١) سورة الشورى: ١٥. (٢) سورة الأنعام: ٧١. (٣) سورة الصف: ٨.

العبد قَتْلَ نَفسِه، وهذا الظَّاهر. **والثاني**: أن معناه: لا يَقْتُلْ بعضُكم بعضاً، وهذا قول ابن عباسٍ، والحسَنِ، وسعيدِ بن جُبير، وعِكرمةُ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ، وابن قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ المعنى: لا تُكلِّفوا أنْفُسَكم عملاً رُبَّما أدَّى إلى قَتْلِهَا وإنْ كان فَرْضاً.

[٢٧٢] وعلى هذا تأوَّلَها عَمرُو بن العَاصِ في غَزاةِ ذَاتِ السَّلاسِلِ حيث صَلَّى بأصحابه جُنُباً في ليلةٍ باردةٍ، فلمَّا ذُكر ذلك للنبيِّ ﷺ، قال له: يا عَمرو صَلَّيتَ بأصحابكَ وأنتَ جُنُبٌ؟ فقال: يا رسولَ الله إنِي اِحتلَمْتُ في ليلةٍ باردةٍ، وأشْفَقتُ إنِ اغتسلتُ أن أَهْلِكَ، فذكَرْتُ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، فضَحِكَ رسولُ الله ﷺ.

والرابع: أن المعنى: لا تَغْفلُوا عن حَظِّ أَنفسكم، فمن غَفل عن حَظِّها، فكأنَّما قَتَلَها، هذا قول الفُضَيل بن عِيَاضٍ. **والخامس**: لا تَقْتُلُوها بارتكاب المعاصي.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ في المُشَار إليه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَتْلُ النَّفْس، قاله ابن عباسٍ، وعَطاءٌ. **والثاني**: أنه عَائدٌ إلى كلِّ ما نهى الله عنه من أَوَّل السُّورة إلى هاهنا، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: قَتْلُ النَّفْسِ، وأَكْلُ الأموال بالباطل، قاله مُقاتلٌ.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، اِجْتِنابُ الشَّيء: تَرْكُهُ جانباً.

وفي الكبائر أحدَ عشرَ قولاً:

[٢٧٣] أحدها: أنها سَبْعٌ. فروى البُخاريُّ، ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» من حديث أبي هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «اِجتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رسولَ الله وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ بالله، والسِّحرُ، وقَتْلُ النَّفْس التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتيم، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤمناتِ الغَافِلاَتِ».

[٢٧٤] وقد رُوي هذا الحديث من طريقٍ آخر عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الكَبائرُ سَبْعٌ، الإِشراكُ بالله أَوَّلُهُنَّ، وقَتْلُ النَّفس بغير حَقِّها، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتيمِ بِدَاراً أَنْ يَكْبُرُوا، والفِرَارُ من الزَّحْفِ، ورَمْيُ المُحْصَنَاتِ، وانْقِلابٌ إلى أعرَابيَّةٍ بعدَ هِجْرَةٍ».

---

[٢٧٢] جيد. أخرجه أبو داود ٣٣٤ وأحمد ٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ والحاكم ١/ ١٧٧ والبيهقي ١/ ٢٢٥ من حديث عمرو بن العاص. وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح ١/ ٤٥٤: إسناده قوي. ونقل الزيلعي في نصب الراية ١/ ١٥٧ عن النووي قوله: حسن أو صحيح.

[٢٧٣] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٦٦ و ٥٧٦٤ و ٦٨٥٧ ومسلم ٨٩ وأبو داود ٢٨٧٤ والنسائي ٦/ ٢٥٧ وأبو عوانة ١/ ٥٤ ـ ٥٥ والطحاوي في «المشكل» ٨٩٤ وابن حبان ٥٥٦١ والبيهقي ٨/ ٢٤٩ من طرق وكلهم عن أبي هريرة مرفوعاً.

[٢٧٤] أخرجه البزار ١٠٩ «كشف» وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٠٣: رواه البزار، وفيه عمرو بن أبي سلمة، ضعفه شعبة وغيره، ووثقه أبو حاتم وابن حبان وغيره.

ورُوي عن عليٍّ عليه السلام قال: هي سَبْعٌ، فَعَدَّ هذه. ورُوي عن عَطاءٍ أنه قال: هي سبعٌ، وعدَّ هذه، إلا أنه ذكر مكانَ الإشراكِ والتعرُّب شهادةَ الزُّور وعُقوقَ الوَالِدَين.

[٢٧٥] والثاني: أنها تِسعٌ. رَوى عُبيدُ بن عُمَيرٍ، عن أبيه، وكان من الصَّحابة، عن النبيِّ ﷺ أنه سُئِلَ ما الكبائر؟ فقال: «تِسعٌ، أَعظمُهنَّ الإِشراكُ بالله، وقَتْلُ نَفْس المؤمن بغير حقّ، والفِرَار من الزَّحْفِ، وأَكْلُ مَالِ اليَتيم، والسِّحرُ، وأَكْلُ الرِّبا، وقَذْفُ المُحْصَنَة، وعُقوق الوَالِدَين المُسْلِمَيْن، واستِحْلالُ البيت الحَرَام قِبْلَتِكم أحياءً وأمواتاً».

[٢٧٦] والثالث: أنها أربعٌ. روى البُخاريُّ، ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» من حديث عبد الله بن عَمروٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الكَبائِرُ: الإِشراكُ بالله، وعُقوق الوَالِدَين، وقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِيْنُ الغَمُوسُ»[1].

[٢٧٧] ورَوى أنسُ بن مَالكٍ قال: ذَكَر رسولُ الله ﷺ الكبائرَ، أو سُئِل عنها، فقال: «الشِّركُ بالله، وقَتْلُ النَّفس، وعُقُوق الوالدين» وقال: «أَلاَ أُنَبِّئُكم بأَكبرِ الكَبائر؟ قَول الزُّور، أو شَهَادَة الزُّور».

ورُوي عن ابن مسعودٍ أنه قال: الكَبائر أربعٌ: الإِشراكُ بالله، والأَمْنُ لِمَكْرِ الله، والقُنُوطُ من رحمة الله، والإِيَاسُ مِنْ رَوحِ الله، وعن عِكرمةَ نحوه.

[٢٧٨] والرابع: أنها ثلاثٌ. فَرَوى عِمْرانُ بن حُصَين، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكم بأكبرِ الكبائِرِ؟ الشِّركُ بالله، وعُقُوق الوَالِدين ـ وكان مُتَّكِئاً فاحْتَفَزَ[2] ـ قال: والزُّورُ».

---

[٢٧٥] أخرجه أبو داود ٢٨٧٥ والنسائي ٧/ ٨٩ والحاكم ١/ ٥٩ ح ١٩٧ و ٤/ ٢٥٩ ح ٧٦٦٦ من حديث عبيد بن عمير بن قتادة عن أبيه. قال الحاكم عقب الرواية الأولى: قد احتجا برواة هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان، وتعقبه الذهبي بقوله: لم يحتجا به لجهالته. ووثقه ابن حبان وصححه الحاكم عقب الرواية الثانية! وسكت الذهبي! مع أن الإسناد واحد. وقال الحافظ في «التقريب» عن عبد الحميد بن سنان: مقبول ا هـ. أي حيث يتابع وقال الذهبي في «الميزان» ٤٧٧٨: لا يُعرف وقد وثقه بعضهم، وقال البخاري: روى عن عبيد بن عمير وفي حديثه نظر. وله شاهد عن ابن عمر لكن الجمهور رووه موقوفاً.

[٢٧٦] صحيح. أخرجه البخاري ٦٨٧ ـ ٦٩٢٠ والترمذي ٣٠٢١ والنسائي ٧/ ٨٩ و ٨/ ٦٣ وأحمد ٢/ ٢٠١ والدارمي ٢/ ١٩١ وأبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٢٠٢ وابن حبان ٥٥٦٢ والبيهقي ١٠/ ٣٥ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وورد من حديث عبد الله بن أنيس أخرجه الترمذي ٣٠٢٠ وأحمد ٣/ ٤٩٥ والحاكم ٤/ ٢٩٦ والطحاوي في «المشكل» ٨٩٣ من طريق الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد عن أبي أمامة عنه. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حسن غريب ا هـ.

[٢٧٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٥٣ ومسلم ٨٨ والترمذي ١٢٠٧ و ٣٠١٨ والطحاوي في «المشكل» ٨٩٧.

[٢٧٨] حسن. أخرجه الطبراني ٢٦٣٣ و ١٨/ ١٤٠ من حديث عمران. وقال الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٠٣: رجاله ثقات، إلا أن الحسن مدلس، وعنعنهُ. قلت: وقال أبو حاتم: لم يسمع الحسن من عمران. لكن للحديث شواهد، فهو حسن إن شاء الله.

---

(١) قال ابن الأثير رحمه الله في «النهاية» ٣/ ٣٨٦: اليمين الغموس هي اليمين الكاذبة الفاجرة، كالتي يقتطع بها الحالف مال غيره، سميت غموساً، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار.

(٢) أي استوى جالساً على وَرِكَيْه.

[٢٧٩] وروى البُخاريُّ، ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» من حديث أبي بَكْرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألاَ أُنبِّئُكُم بأكبرِ الكَبائِرِ؟ قلنا: بَلَى يا رسولَ الله، فقال: الإشراكُ بالله، وعُقوق الوَالِدين ـ وكان مُتَّكِئاً فجَلَسَ ـ فقال: وشَهَادة الزُّور» فما زال يُكرِّرها حتى قُلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

[٢٨٠] وأخرجَا في «الصَّحيحين» من حديث ابن مسعودٍ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذَّنب أكبرُ؟ قال: «أنْ تجعلَ لله تعالى نِدّاً وهُو خَلَقَكَ». قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: «ثمَّ أن تَقتُلَ وَلَدَكَ مخافةَ أن يَطْعَمَ معكَ». قلتُ: ثم أيُّ؟ قال: «أن تُزانِيَ حَلِيْلَةَ جارِكَ».

والخامس: أنها مذكورةٌ من أوَّل السُّورة إلى هذه الآية، قاله ابن مسعودٍ وابن عباسٍ.

والسادس: أنها إحدى عَشْرَةَ: الإشراكُ بالله، وعُقوقُ الوَالِدين، واليَمينُ الغَمُوسُ، وقَتْلُ النَّفس. وأكْلُ مَالِ اليَتيم، وأكْلُ الرِّبَا، والفِرَارُ من الزَّحفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ، وشَهادَةُ الزُّورِ، والسِّحرُ، والخِيَانَةُ. رُوي عن ابن مسعودٍ أيضاً. **والسابع**: أنها كلُّ ذَنْبٍ يَخْتِمُهُ اللهُ بِنَارٍ، أو غَضَبٍ، أو لَعْنَةٍ، أو عَذَابٍ، رواه ابن أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباسٍ. **والثامن**: أنها كلُّ ما أوجبَ الله عليه النَّارَ في الآخرة، والحَدَّ في الدُّنيا، روى هذا المعنى أبو صَالح، عن ابن عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والتاسع**: أنها كلُّ ما عُصِيَ اللهُ به، رُوي عن ابن عباسٍ، وعَبيدةَ[1]، وهو قولٌ ضَعيفٌ. **والعاشر**: أنها كلُّ ذنبٍ أوعَدَ الله عليه النَّار، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ في روايةٍ، والزجَّاجُ. **والحادي عشر**: أنها ثَمانٍ، الإشراك بالله، وعُقوق الوالدين، وقَتْلُ المؤمن، وقَذْفُ المُحصنة، والزِّنا، وأكْلُ مال اليتيم، وقول الزُّور، واقتِطاع الرَّجل بيَمِيْنِه وعَهْدِه ثمناً قليلاً. رواه مُحْرِزٌ، عن الحسَن البَصريِّ.

قوله تعالى: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ روى المُفَضَّل، عن عَاصم: «يُكفِّر» «ويُدخلكم» بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون فيهما، وقرأ نَافعٌ، وأَبَانٌ، عن عَاصم، والكِسَائيُّ، عن أبي بَكرٍ، عن عَاصم: «مَدخلاً» بفتح الميم هاهنا، وفي «الحجِّ» وضَمَّ الباقون «المَيم»، ولم يختلفوا في ضَمِّ «ميم» ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ و ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[2]. قال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: يجوز أن يكون «المدخل» مصدراً ويجوز أن يكون مكاناً، سواءٌ فتح، أو ضمَّ: قال السُّدِّيُّ: السَّيئات هاهنا: هي الصَّغائِر. والمُدخل الكريم: الجنَّة. قال ابن قُتيبةَ: والكريم: بمعنى: الشَّريف.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

---

[٢٧٩] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٥٤ و ٥٩٧٦ و ٦٢٧٣ و ٦٢٧٤ و ٦٩١٩ ومسلم ٨٧ والترمذي ١٩٠١ و ٣٠١٩ وأبو عوانة ١/ ٥٤ والطحاوي في المشكل ٨٩٢ والبيهقي ١٠/ ١٢١. عن أبي بكرة.

[٢٨٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٦١ و ٦٠٠١ و ٦٨١١ و ٦٨٦١ و ٧٥٣٢ ومسلم ٨٦ من وجوه، وأبو داود ٢٣١٠ والترمذي ٣١٨٢ والنسائي ٧/ ٨٩ ـ ٩٠ وأحمد ١/ ٤٣٤ ـ ٤٦٢ والطحاوي في «المشكل» ١/ ٣٧٩ ـ ٣٢ وابن حبان ٤٤١٤ و ٤٤١٥ و ٤٤١٦ والبغوي ٤٢ والبيهقي ٨/ ١٨ من طرق كثيرة كلهم عن ابن مسعود.

---

(١) هو السَّلْماني صاحب علي، ثقة ثبت من كبار التابعين.

(٢) سورة الإسراء: ٨٠.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٢٨١] **أحدها**: أنَّ أمَّ سَلَمَةَ قالت: يا رسولَ الله: يغزو الرجالُ، ولاَ نَغْزُو، وإنَّما لنا نصفُ المِيراث، فنزلت هذه الآية، قاله مُجاهدٌ.

[٢٨٢] **والثاني**: أنَّ النِّساء قُلنَ: وَدِدْنَ أنَّ اللهَ جعلَ لنا الغزو، فَنُصِيبُ من الأجر ما يُصيب الرجال، فنزلت هذه الآية، قاله عِكرمةُ.

[٢٨٣] **والثالث**: أنه لَمَّا نزل ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ قال الرجال: إنَّا لَنرجو أن نُفَضَّلَ على النساء بِحَسَناتنا، كما فُضِّلنا عليهنَّ في الميراث، وقال النساء: إنا لَنَرجُو أن يكون الوِزْرُ علينا نصفَ ما على الرجال، كما لنا الميراث على النِّصف مِنْ نَصِيبِهِم، فنزلت هذه الآية، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ.

وفي معنى هذا التَّمنِّي قولان: **أحدهما**: أن يَتمنَّي الرجل مالَ غيره، قاله ابن عباسٍ، وعَطاءٌ. **والثاني**: أن يَتمنَّى النساء أن يَكُنَّ رجالاً. وقد رُوي عن أمِّ سَلَمَةَ أنها قالت: يا لَيْتَنا كُنَّا رجالاً، فنزلت هذه الآية(١). وللتَّمنِّي وجوهٌ: **أحدها**: أن يتمنَّى الإنسان أن يحصلَ له مالُ غيره، ويَزولَ عن الغير، فهذا الحَسَدُ. **والثاني**: أن يتمنَّى مِثْلَ ما لِغَيْره، ولا يُحبَّ زوالَه عن الغير، فهذا هو الغِبْطَةُ ورُبَّما لم يكن نَيْلُ ذلك مصلحةً في حقِّ المُتَمنِّي. قال الحسَنُ: لا تَمَنَّ مالَ فُلانٍ، ولا مالَ فُلانٍ، وما يُدريك لعل هلاكَه في ذلك المال؟ **والثالث**: أن تَتمنَّى المرأة أن تكون رجلاً، ونحوَ هذا مِمَّا لا يقع، فَلْيَعْلَمِ العبدَ أن الله أَعلمُ بالمصالح، فَلْيَرضَ بقضاء الله، ولتكُن أَمَانِيهُ الزِّيادةَ من عمل الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المُراد بهذا الاكتساب: المِيراث، وهو قول ابن عباسٍ، وعِكرمةَ.

والثاني: أنه الثَّواب والعِقاب. فالمعنى: أنَّ المرأة تُثاب كَثَوَاب الرجل، وتَأثَمُ كَإِثمه، هذا قول قَتادةَ، وابن السَّائِب، ومُقاتِلٍ، واحتجَّ على صحته أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ بأن الميراث لا يحصل بالاكتساب، وبأنَّ الآية نزلت لأجل التَّمنِّي والفَضْلِ.

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ قرأ ابن كَثير، والكِسَائيُّ، وأَبانُ، وخَلَفٌ في اختياره «وسلوا الله» «فسل الذين» «فسَلْ بني إسرائيل» «وسَلْ من أرسلنا» وما كان مِثْلَهُ من الأَمْر المُوَاجَه به، وقبله «واو» أو «فاء» فهو غير مَهموزِ عندهم. وكذلك نُقل عن أبي جعفرَ، وشَيْبَةَ(٢). وقرأ الباقون

---

[٢٨١] حسن بشواهده. أخرجه الترمذي ٣٠٢٢ والحاكم ٢/ ٣٠٥ والواحدي ٣٠٦ من طريق مجاهد عن أم سلمة. قال الترمذي: هذا حديث مرسل ا هـ. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، إن كان سمع مجاهد من أم سلمة ووافقه الذهبي، وللحديث شواهد مرسلة، وهي الآتية.

[٢٨٢] أخرجه الطبري ٩٢٤٥ عن مجاهد وعكرمة، قالا: نزلت في أم سلمة.

[٢٨٣] مرسل. أخرجه الطبري ٩٢٤٧ عن السدي مرسلاً، وهو شاهد لما قبله.

---

(١) أخرجه الطبري ٩٢٤١ عن مجاهد: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ قول النساء يتمنين: «ليتنا رجالٌ فنغزوا»! وليس فيه ذكر أم سلمة وانظر الحديث المتقدم برقم ٢٨١.

(٢) هو شيبة بن نصاح، إمام ثقة، راجع «طبقات القرّاء» ١/ ٣٢٩.

بالهمز في ذلك كله، ولم يختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾[١] أنه مهموزٌ. وفي المراد بالفَضل قولان: **أحدهما**: أن الفَضل: الطَّاعة، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه الرِّزق، قاله ابن السَّائِبِ، فيكون المعنى: سَلُوا اللهَ ما تَتمنَّونه من النِّعم، ولا تَتمنَّوا مالَ غيركم.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ المَوالي: الأولياء، وهم الوَرثَة من العَصَبَة وغيرهم. ومعنى الآية: لكل إنسانٍ مَواليَ يَرثون ما تَركَ. وارتفاعُ الوَالدين والأقربين على معنيين من الإعراب: **أحدهما**: أن يكون الرَّفع على خبر الابتداء، والتقدير: وهُمُ الوالدان والأقربون، ويكون تمامُ الكلام قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾. **والثاني**: أن يكون رفعا على أن الفاعل التَّارك للمال، فيكون الوالدان، هُمُ المَولَى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابن عَامرٍ: «عَاقَدت» بالألف، وقرأ عَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «عَقَدَت» بلا ألفٍ. قال أبو علي: من قرأ بالألف، فالتقدير: والذين عاقدتهم أيمانكم، ومن حذف الألف، فالمعنى: عَقَدَت حِلْفهم أيمانُكم، فَحُذِفَ المضاف، وأُقِيم المضاف إليه مقامه. وفيهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أهل الحِلْف، كان الرجل يُحالِفُ الرجل، فأيُّهما مات وَرِثَهُ الآخر، فنُسِخَ ذلك بقوله تعالى ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[٢]، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، وروى عنه عَطِيَّةُ قال: كان الرجلُ يَلْحَقُ الرجلَ في الجاهلية، فيكون تَابِعَه، فإذا مات الرجل، صار لأهله الميراثُ، وبقي تَابعُهُ بغير شيءٍ، فأنزل الله «والذين عاقدت أيمانكم» فأُعطِي مِنْ ميراثه، ثم نزل من بعد ذلك ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، ومِمَّن قال هم الحُلَفَاءُ: سعيدُ بن جُبيرٍ وعِكرمةُ وقَتادةُ.

[٢٨٤] **والثاني**: أنهم الذين آخَى بينهم رسولُ الله ﷺ، وهمُ المهاجرون والأنصارُ، كان المهاجرون يُوَرِّثون الأنصارَ دون ذَوي رَحِمِهِم للأُخوَّة التي عَقَدَها رسولُ الله ﷺ بينهم. رواه سعيدُ بن جُبيرٍ، عن ابن عباسٍ. وبه قال ابن زيدٍ.

والثالث: أنهم الذين كانوا يَتبَنَّون أبناءَ غيرهم في الجاهليَّة، هذا قول سعيدِ بن المُسَيِّب.

فأمَّا أربابُ القول الأول، فقالوا: نُسِخَ حكمُ الحُلَفَاء الذين كانوا يتعاقدون على النُّصرة والميراث بآخِرِ (الأنفال)، وإليه ذهب ابن عباسٍ، والحسنُ، وعِكرمةُ، وقَتادةُ، والثَّوريُّ، والأَوزاعيُّ، ومَالكٌ، وأَحمدُ، والشَّافعيُّ. وقال أبو حَنيفةَ وأصحابُه: هذا الحُكم بَاقٍ غير أنه جَعلَ ذوي الأرحام أَوْلَى من

---

[٢٨٤] صحيح. أخرجه البخاري ٦٧٤٧ عن ابن عباس: **﴿ولكل جعلنا موالي... والذين عاقدت أيمانكم﴾** النساء: ٣٣ قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الأنصاري المهاجري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: **﴿ولكل جعلنا موالي﴾** قال: نسختها **﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾**، لفظ البخاري. وانظر «تفسير القرطبي» ٢١٥٥ بتخريجنا.

---

(١) سورة الممتحنة: ١٠.
(٢) سورة الأنفال: ٧٥.

موالي المُعَاقَدة. وذهب قومٌ إلى أن المراد: فآتوهم نَصيبَهم من النَّصر والنصيحة من غير ميراثٍ، وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ. وذهب قومٌ آخرون إلى أن المُعَاقدة: إنَّما كانت في الجاهلية على النُّصرة لا غير، والإسلامُ لم يُغيِّر ذلك، وإنما قرَّره.

[٢٨٥] فقال النبيُّ ﷺ: «أيّما حِلْفٍ كان في الجاهلية، فإنَّ الإسلام لم يَزِدْهُ إلاَّ شِدَّةً» أراد: النَّصر والعَون. وهذا قول سعيدِ بن جُبيرٍ، وهو يدلُّ على أن الآية مُحْكَمَةٌ.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

[٢٨٦] سبب نزولها: أن رجلاً لَطَمَ زوجتَه لَطْمَةً فَاسْتَعْدَتْ عليه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وذكر المفسِّرون أنه سَعدُ بن الرَّبيعِ الأنصاريُّ(١).

قال ابن عباسٍ: «قوَّامُون» أي: مُسَلَّطون على تأديب النساء في الحقِّ. وروى هشامُ بن محمَّدٍ عن أبيه(٢) في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ قال: إذا كانوا رجالاً، وأنشد:

أكُلَّ امرِئٍ تَحْسَبِيْنَ امرأً ... ونَاراً تَوَقَّدُ بالليل نَارا(٣)

قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: الرجال على النساء، وفَضَّل الرجل على المرأة بزيادة العَقل، وتوفير الحَظِّ في الميراث، والغَنيمة، والجُمُعة، والجَمَاعات، والخِلافَة، والإمَارة، والجهاد، وجَعْلِ الطَّلاق إليه، إلى غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ قال ابن عباسٍ يعني: المَهْر والنَّفقة عليهنَّ. وفي «الصَّالحات» قولان: **أحدهما**: المُحْسِنات إلى أزواجهنَّ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: العَامِلاتُ بالخَير، قاله ابنُ المُبَارَكِ. قال ابن عباسٍ: و «القانتات»: المُطيعات لله في أزواجهنَّ، والحَافِظَاتُ للغَيْب، أي:

---

[٢٨٥] صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٣٠ وأبو داود ٢٩٢٥ وأحمد ٤/ ٨٣ وابن حبان ٤٣٧١ والطبري ٩٢٩٥ والطبراني ١٥٩٧ والبيهقي ٦/ ٢٦٢ من حديث جبير بن مطعم، وصدره «لا حلف في الإسلام، وأيما...».
ـ وله شاهد أخرجه الطبري ٩٢٩٢ وأحمد ٥/ ٦١ والطبراني ١٨/ ٨٦٥ عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي ﷺ عن الحلف فقال: «ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الإسلام».
ـ وله شاهد أخرجه الطبري ٩٢٩٥ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أن النبي ﷺ قال في خطبته يوم فتح مكة: فوا بالحلف، فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام».
[٢٨٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٥٠٣ عن ابن عباس به، وفيه محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق، وهو مجهول.

---

(١) عزاه الواحدي ٣١٠ لمقاتل، وهو متروك متهم، فلا يحتج بمثل هذا الخبر.
(٢) هو محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك، وكذبه غير واحد.
(٣) البيت لأبي داود الإيادي كما في «الخزانة» ٤/ ١٩١.

لِغَيْبِ أزواجهنَّ. وقال عَطاءٌ، وقَتادةُ: يَحفظْنَ ما غابَ عنه الأزواجُ من الأموال، وما يجبُ عليهنَّ من صِيَانَة أنفُسِهنَّ لهم.

قوله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ قرأ الجمهور برفع اسم «الله». وفي معنى الكلام على قراءتهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: بِحِفْظ الله إياهنَّ، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعطاءٌ، ومُقاتلٌ، وروى ابنُ المُبارَكِ، عن سُفيانَ، قال: بِحِفْظ اللّهِ إيَّاها أَنْ جَعَلَها كذلك. **والثاني**: بما حَفِظَ اللّهُ لهنَّ مُهورَهنَّ، وإيجاب نَفَقتِهنَّ، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: أن معناه: حَافظاتٌ للغَيب بالشيء الذي يُحفَظُ به أمرُ الله، حكاه الزجَّاجُ. وقرأ أبو جَعفَر بنصب اسم الله. والمعنى: بحِفظهنَّ اللّه في طاعته.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ في الخَوف قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى العِلْم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: بمعنى الظَّنِّ لِمَا يبدو من دلائِل النُّشوز، قاله الفَرَّاءُ، وأنشد:

وما خِفْتُ يا سَلامُ أنكَ عائِبي[1]

قال ابن قتَيبةَ: والنُّشوز: بُغضُ المرأة للزَّوج، يقال: نَشَزَت المرأةُ على زوجها، ونَشَصَتْ: إذا فَرِكَتْه[2]، ولم تَطْمَئِنَّ عنده، وأصل النُّشوز: الانزِعَاج. وقال الزجَّاجُ: أصله من النَّشز، وهو المكان المرتَفع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ قال الخَليلُ: الوَعظ: التَّذكير بالخير فيما يَرِقُّ له القلبُ. قال الحَسنُ: يَعِظُها بلِسانه، فإِنْ أَبَتْ، وإلاَّ هَجَرَها. واختلفوا في المُراد بالهَجْر في المَضْجَع على أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَرْكُ الجِماع، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ، وابنُ أبي طَلْحَةَ، والعُوفيُّ، عن ابن عباسٍ، وبه قال ابنُ جُبيرٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنه تَرْكُ الكلام، لا تَرْكُ الجِماع، رواه أبو الضُّحى، عن ابن عباسٍ، وخُصَيْف، عن عِكرمةَ، وبه قال السُّدِّيُّ، والثَّوريُّ. **والثالث**: أنه قَول الهُجْرِ من الكلام في المَضاجِع، رُوي عن ابن عباسٍ، والحسَنِ، وعِكرمةَ. فيكون المعنى: قولوا لهنَّ في المَضاجِع هُجْراً مِنَ القول. **والرابع**: أنه هَجْرُ فِرَاشها، ومُضَاجَعَتِها. رُوي عن الحسَنِ، والشَّعبيِّ، ومُجاهِدٍ، والنَّخعيِّ، ومُقْسِم، وقَتادَة. قال ابن عباسٍ: أَهْجُرْهَا في المَضْجَع، فإنْ أَقبلَتْ وإلاَّ فقد أَذِنَ الله لك أن تَضْرِبَها ضرباً غير مُبرِّح. وقال جماعةٌ من أهل العلم: الآية على التَّرتيب، فالوَعظ عند خوف النُّشوز، والهَجْرُ عند ظهور النُّشوز، والضَّرب عند تَكرُّره، واللِجَاج فيه. ولا يجوز الضَّرب عند ابتداء النُّشوز. قال القاضي أبو يَعلَى: وعلى هذا مذهب أحمدَ. وقال الشَّافعيُّ: يجوز ضَربُها في ابتداء النُّشوز.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ قال ابن عباسٍ: يعني في المَضْجَع ﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي: فلا تَتَجنَّ عليها العِلَلَ. وقال سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ: لا تُكلِّفها الحُبَّ، لأنَّ قَلبَها ليس في يدِها. وقال ابن جَريرٍ: المعنى: فلا تلتمسوا سبيلاً إلى ما لا يَحِلُّ لكم من أبدانهنَّ وأموالهنَّ بالعِلَل، وذلك أَنْ تقول لها وهي مُطيعةٌ لكَ: لست لي مُحِبَّةً، فَتضربها، أو تُؤذيها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: لا تَبْغُوا على أزواجكم،

---

(١) هو عجز بيت لأبي الغول الطهوي كما في «الخزانة» ٣/ ١٠٩. وصدره: أتاني زمان عن نصيب بقوله

(٢) في «اللسان» فَرِكته: أبغضته.

فهو يَنْتَصِرُ لهنَّ منكم. وقال الخَطَّابيُّ: الكَبيرُ: الموصوف بالجَلاَل، وكِبَر الشَّأن، يَصْغُرُ دونَ جَلاَلِه كلُّ كبيرٍ. ويُقال: هو الذي كَبُرَ عن شَبَهِ المخلوقين.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، في الخوف قولان: **أحدهما**: أنه الحَذرُ مِن وجود ما لا يُتَيَقَّن وُجودُه، قاله الزجَّاجُ. **والثاني**: أنه العِلْمُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قال الزجَّاجُ: والشِّقَاقُ: العداوة، واشتقاقه من المُتَشَاقِين، كل صنفٍ منهم في شِقٍّ. و «الحَكَمُ»: هو القَيِّمُ بما يُسنَدُ إليه. وفي المأمور بإنفاذ الحَكَمَيْن قولان: **أحدهما**: أنه السُّلطان إذا ترافعا إليه، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: الزَّوجان، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ قال ابن عباسٍ: يعني الحَكَمَين. وفي قوله تعالى: ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنه راجعٌ إلى الحَكَمَين، قاله ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، وعَطاءٌ، والسُّدِّيُّ، والجمهور. **والثاني**: أنه راجعٌ إلى الزَّوجين، ذكره بعض المُفسِّرين.

فصل: والحَكَمان وكيلان للزوجين، ويُعتَبرُ رِضى الزوجين فيما يَحكُمَان به، هذا قول أَحمدَ وأبي حَنيفَة وأصحابِه. وقال مالكٌ والشَّافعيُّ: لا يفتقر حُكْمُ الحَكَمين إلى رِضى الزَّوجين[1].

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٠/٢٦٣: والزوجان إذا وقعت بينهما العداوة وخُشِي عليهما أن يخرجهما ذلك إلى العصيان، بعث الحاكم حكماً من أهله وحكماً من أهلها، مأمونين، برضى الزوجين، وتوكيليهما، بأن يَجمعا إذا رأيا أو يفرّقا، فما فعلا من ذلك لزمهما، وجملة ذلك أن الزوجين إذا وقع بينهما شقاق، نظر الحاكم، فإن بان له أنه من المرأة، فهو نشوز ـ وسيأتي عند الآية ١٢٨ـ وإن بان أنه من الرجل أسكنهما إلى جانب ثقة، يمنعه من الإضرار بها، والتعدي عليها. وكذلك إن بان من كل واحد منهما تعدٍّ أو ادّعى كلُّ واحدٍ منهما أن الآخر ظلمه، أسكنهما إلى جانب من يشرف عليهما ويلزمهما الإنصاف، فإن لم يتهيأ ذلك، وتمادى الشرُّ بينهما، وخيف الشقاق عليهما والعصيان، بعث الحاكم حكماً من أهله وحكماً من أهلها، فنظرا بينهما، وفعلا ما يريان المصلحة فيه، من جمع أو تفريق، لقوله تعالى: **﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾**.

واختلفت الرواية عن أحمد، رحمه الله، في الحكمين، ففي إحدى الروايتين عنه، أنهما وكيلان لهما، لا يملكان التفريق إلا بإذنهما. وهذا مذهب عطاء وأحد قولي الشافعي. وحُكي ذلك عن الحسن، وأبي حنيفة، لأنّ البضع حقه، والمال حقُّها وهما رشيدان، فلا يجوز لغيرهما التصرف فيه إلا بوكالة منهما، أو ولاية عليهما. والثانية أنهما حاكمان، ولهما أن يفعلا ما يريان من جمع وتفريق، بعوض وغير عوض، ولا يحتاجان إلى توكيل الزوجين ولا رضاهما. ورُوي ذلك عن علي، وابن عباس، والشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومالك والأوزاعي، وابن المنذر، لقول الله تعالى، فسّماهما حكمين ولم يعتبر رضى الزوجين ثم قال تعالى: **﴿إن يريدا إصلاحاً﴾**. فخاطب الحكمين بذلك. وروى أبو بكرٍ، بإسناده عن عبيدة السلماني، أن رجلاً وامرأة أتيا علياً، مع كل واحدٍ منهما فِئَامٌ من الناس، فقال علي رضي الله عنه: ابعثوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها، فبعثوا حكمين، ثم قال عليٌّ للحكمين: هل تدريان ما عليكما من الحقّ؛ إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرّقا فرّقتما. فقالت المرأة: رضيت بكتاب الله عَلَيَّ ولِي، فقال الرجل: أما الفرقة فلا. فقال عليٌّ: كذبت حتى تَرْضى بما رضيت به. وهذا يدل على أنه أجبره على ذلك. ولا يمتنع أن تثبت الولاية على =

﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: وَحِّدُوه.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ قال الفَرَّاءُ: أَغْرَاهم بالإِحسان إِلى الوالدين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الجَار الذي بينكَ وبينه قَرابةٌ، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعِكرمةُ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ في آخرين. **والثاني**: أنه الجَارُ المُسلم، قاله نَوْفُ الشَّاميُّ. فيكون المعنى: ذي القُربى منكم بالإِسلام.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ روى المُفضَّل، عن عَاصم: «والجَار الجَنْب» بفتح الجيم، وإِسكان النون. قال أبو عليٍّ: المعنى: والجار ذي الجَنْب، فحذفَ المضافَ. وفي الجار الجُنُب ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الغريب الذي ليس بينكَ وبينه قَرابةٌ، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرمةُ، والضَّحَّاكُ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ في آخرين. **والثاني**: أنه جَارُكَ عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديكَ، وخَلْفَكَ، رواه الضَّحاكُ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه اليهوديُّ والنَّصرانيُّ، قاله نَوْفُ الشَّاميُّ. وفي الصَّاحب بالجَنْبِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الزَّوجة، قاله عليٌّ، وابن مسعودٍ، والحسَنُ، وإِبراهيمُ النَّخعيُّ، وابنُ أبي لَيلَى. **والثاني**: أنه الرَّفيق في السَّفر، قاله ابن عباسٍ في رواية مُجاهدٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابن قُتيبةَ. وعن سعيدِ بن جُبيرٍ كالقولين. **والثالث**: أنه الرَّفيق، رواه ابن جُريجٍ، عن ابن عباسٍ، وبه قال عِكرمةُ. قال ابن زيدٍ: هو الذي يَلصَقُ بك رجاءَ خَيْرِكَ. وقال مُقاتلٌ: هو رَفيقك حَضَراً وسَفَراً. وفي ابن السَّبيل أقوالٌ قد ذكرناها في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ يعني: المَمْلوكين. وقال بعضهم: يدخل فيه الحيوان البَهِيْم. قال ابن عباسٍ: والمُخْتَال: البَطِرُ في مِشيَتِه، والفَخُور: المُفْتَخِر على الناس بكِبْرِه. وقال مُجاهدٌ: هو الذي يَعُدُّ ما أعطى، ولا يَشكُر اللّه، وقال ابن قُتيبةَ: المُخْتَال: ذو الخُيَلاء والكِبْر. وقال الزجَّاجُ: المُخْتَال: الصَّلِفُ التَّيَّاهُ الجَهول. وإِنما ذكر الاخْتِيَالَ ها هنا، لأن المُخْتَالَ يَأنَفُ من ذَوي قَرابَاتِه، ومِنْ جيرانه إِذا كانوا فقراء.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ ذكر المفسرون أنها نزلت في اليهود. فأمَّا سبب نزولها، فقال ابنُ عباسٍ: كان كَرْدَم بن زيدٍ حليف كعب بن الأشرف، وأسامةُ بن حَبيبٍ، ونَافعُ بن أبي نَافعٍ، وبَحْريّ بن عمروٍ، وحَيِيُ بن أَخْطَبَ، ورِفَاعةُ بن زيدِ بن التَّابوت، يَأتون رجالاً من الأنصار من أَصحاب رسولِ

= الرَّشيد عند امتناعه من أداء الحق، كما يُقضَى الدين عنه من ماله إذا امتنع، إذا ثبت هذا، فإن الحكمين لا يكونان إلا عاقلين بالغين عدلين مسلمين، لأن هذه من شروط العدالة، سواء قلنا: هما حاكمان أو وكيلان.

الله ﷺ وكانوا يُخالِطُونَهم، ويَنتَصِحون لهم، فيقولون لهم: لا تُنفقوا أموالكم، فإنَّا نخشى عليكمُ الفقرَ، ولا تُسارعوا في النَّفقة، فإنكم لا تَدْرُون ما يكون، فنزلت هذه الآية.

وفي الذي بَخِلوا به وأمروا الناس بالبُخل به قولان: **أحدهما**: أنه المال، قاله ابن عباسٍ، وابن زيدٍ. **والثاني**: أنه إظهار صِفَة النبيِّ ﷺ ونبوَّته، قاله مُجاهدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ قرأ ابن كَثير، ونَافعٌ، وأبو عمرٍو، وعَاصمٌ، وابن عامرٍ: «بالبخْل» خفيفاً. وقرأ حَمزةُ والكِسَائيُّ: «بالبَخل» مُحرَّكاً، وكذلك في سورة الحَديد.

وفي الذين آتاهم الله مِنْ فضله قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، أُوتوا علمَ نَعْتِ النبي ﷺ، فكَتَمُوه، هذا قول الجمهور. **والثاني**: أنهم أَربابُ الأموال بَخِلُوا بها، وكَتَمُوا الغِنى، ذكره المَاوَرديُّ في آخرين[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ قال الزجَّاج: معناه: جعلنا ذلك عَتاداً لهم، أي: مُثْبَتاً لهم.

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهود، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهدٌ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنهم المُنافقون، قاله السُّدِّيُّ، والزجَّاجُ وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. **والثالث**: مُشْرِكو مكَّةَ أنفقوا على عداوة النبيِّ ﷺ، ذَكرَهُ الثَّعْلَبيُّ.

والقَرِيْنُ: الصاحب المُؤالِفُ، وهو فَعِيلٌ من الاقتِرَانِ بين الشَّيئين. وفي معنى مُقَارنَةِ الشَّيطان قولان: **أحدهما**: مُصَاحَبتُه في الفِعل. **والثاني**: مُصاحبتُه في النَّار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: وأيُّ شيءٍ على هؤلاء الذين يُنفقون أموالَهم رِئَاءَ الناس، ولا يؤمنون بالله، لو آمنوا!. وفي الإنفاق المَذكُور ها هنا قولان: **أحدهما**: أنه الصَّدَقَةُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الزَّكاةُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ تَهديدٌ لهم على سُوء مَقاصِدِهم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٥٠٨: وقد حمل السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم من صفة محمد ﷺ وكتمانهم ذلك ولهذا قال تعالى: **﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾**. ولا شك أن الآية محتملة لذلك، والظاهر أن السياق في البخل بالمال وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك بطريق الأولى فإن السياق في الإنفاق على الأقارب والضعفاء وكذلك الآية التي بعدها.

وافقه الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/٨٩ وزاد: وإنما قلنا: هذا القول أولى بتأويل الآية، لأن الله جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل ولم يبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمر الناس بالبخل ديانة ولا تخلُّقاً، بل ترى ذلك قبيحاً وتَذُمّ فاعله، وتمتدح ـ وإن هي تخلّقت بالبخل واستعملته في أنفسها ـ بالسخاء والجود، وتعدّه من مكارم الأفعال وتحثُّ عليه. ولذلك قلنا: إن بخلهم الذي وصفهم الله به، إنما كان بخلاً بالعلم الذي كان الله آتاهموه فبخلوا بتبيينه للناس وكتموه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ قد شرحنا الظُّلْمَ فيما سَلَف، وهو مُستحيلٌ على الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ قوماً قالوا: الظُّلم: تَصَرُّفٌ فيما لا يَمْلِكُ، والكُلُّ مُلْكُهُ، وقال آخرون: هو وَضْعُ الشيء في غير موضعه، وحِكْمَتُه لا تقتضي فِعلاً لا فائدة تَحْتَه. ومِثْقَالُ الشَّيء: زِنَةُ الشَّيء. قال ابن قُتيبة: يُقال: هذا على مِثْقَالِ هذا، أي: على وَزْنِه. قال الزجَّاج: وهو مِفْعَالٌ من الثِّقَل.

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللُّغويِّ قال: يظنُّ الناس أن المِثْقَال وزن دِينارٍ لا غير، وليس كما يَظنُّون. مِثْقَالُ كل شيءٍ: وَزنُهُ، وكل وَزنٍ يُسمَّى مِثقَالاً، وإنْ كان وَزْن ألْفٍ. قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ﴾ قال أبو حَاتِم: سألتُ الأَصمعيَّ عن صَنْجة مِثْقَالِ الميزان، فقال: فَارسيٌّ، ولا أدري كيف أقول، ولكني أقول: مِثْقَالٌ، فإذا قلت للرجل: ناولني مِثْقَالاً، فأعطاكَ صَنْجَةَ أَلفٍ، أو صَنْجَةَ حَبَّةٍ، كان مُمْتَثِلاً.

وفي المراد بالذَّرَّة خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه رأس نملةٍ حمراءَ، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: ذَرَّةٌ يَسيرةٌ من التراب، رواه يزيدُ بن الأَصَمّ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أَصْغَرُ النَّمل، قاله ابنُ قُتيبةَ، وابنُ فارسٍ. **والرابع**: الخَرْدَلَةُ. **والخامس**: الوَاحدةُ من الهَبَاءِ الظاهر في ضوء الشمس إذا طَلَعَتْ من ثُقْبٍ، ذكرهما الثَّعْلَبيُّ. واعلَمْ أنَّ ذِكرَ الذَّرَّة ضَرْبُ مَثَلٍ بما يُعْقَل، والمقصود أنه لا يَظْلِمُ قليلاً ولا كثيراً.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ: «حَسَنَةٌ» بالرفع. وقرأ الباقون بالنَّصب. قال الزجَّاجُ: مَنْ رفع، فالمعنى: وإنْ تَحْدُثْ حسنةٌ، ومَنْ نَصَبَ، فالمعنى: وإن تَكُ فِعْلَتُه حَسنةً. قوله تعالى: ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ قرأ ابن عَامرٍ، وابن كَثيرٍ: «يُضَعِّفها» بالتشديد من غير أَلِفٍ. وقرأ الباقون: «يُضَاعِفها» بألِفٍ مع كسر العين. قال ابن قُتيبة: يُضَاعِفُهَا بالألف: يُعطي مِثلَها مراتٍ، ويُضَعِّفها بغير ألف: يُعطي مِثلها مرَّةً.

قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنۡهُ﴾ أي: مِنْ قبلِه. والأَجْرُ العظيم: الجنَّة[1].

﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ قال الزجَّاج: معنى الآية فكيف يكون حالُ هؤلاء يومَ القيامة، فحذفَ الحال، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. ولفظُ «كيف» لفظُ الاستفهام، ومعناها:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٥٠٩: يقول الله تعالى مخبراً أنه لا يظلم أحداً من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: **﴿ونضع الموازين القسط﴾** الآية وقال تعالى: مخبراً عن سليمان أنه قال: **﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾** وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل، وفيه «يقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه ذرة من إيمان فأخرجوه من النار»، وفي لفظ «أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار»، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقول أبو سعيد: اقرؤوا إن شئتم: **﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾** الآية.

التّوبيخ. والشّهيد: نَبيُّ الأُمّة. وبماذا يشهد فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: بأنه قد بَلّغ أُمّته. قاله ابن مسعودٍ، وابن جُريج، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: بإيمانهم، قاله أبو العَالِيَة. **والثالث**: بأعمالهم، قاله مُجاهدٌ، وقَتادةُ. **والرابع**: يَشهدُ لهم وعليهم، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يعني: نَبيَّنا ﷺ. وفي «هؤلاءِ» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم جميع أُمّتِه، ثمّ فيه قولان: أحدهما: أنه يَشهدُ عليهم. والثاني: يَشهدُ لهم فتكون «على» بمعنى: اللام. **والقول الثاني**: أنهم الكُفار يَشهدُ عليهم بتبليغ الرِّسالة، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: اليهود والنّصارى، ذكره المَاوَرديُّ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وعَاصمٌ، وأبو عَمرٍو: «لو تُسْوَى»، بضمّ التاء، وتخفيف السين. والمعنى: وَدُّوا لو جُعِلُوا تراباً، فكانوا هُم والأرض سواءً، هذا قول الفَرَّاءِ في آخرين. قال أبو هُريرة: إذا حَشَرَ اللّهُ الخَلائِقَ، قال للبَهائِم، والدّواب، والطّير: كُوني تُراباً. فعندها يقول الكافر: يا ليتني كنتُ تُراباً.

وقرأ نافعٌ، وابن عَامرٍ: «لو تَسَّوَّى»، بفتح التاء، وتشديد السين، والمعنى: لو تَتَسَوَّى، فأُدغمت التاء في السين، لقُربها منها. قال أبو عليٍّ: وفي هذه القراءة اتّساعٌ، لأن الفعل مُسنَدٌ إلى الأرض، وليس المراد: وَدُّوا لو صارت الأرضُ مِثلَهُم، وإنما المعنى: وَدُّوا لو يَتَسوَّون بها.

ثم في المعنى للمفسِّرين قولان: **أحدهما**: أن معناه: وَدُّوا لو تَخرَّقَتْ بهم الأرضُ، فَسَاخُوا فيها، قاله قَتادةُ، وأبو عُبيدةَ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أن معناه: وَدُّوا أنهم لم يُبْعَثُوا، لأن الأرض كانت مُستويةً بهم قبل خروجهم منها، قاله ابن كَيْسَانَ، وذكر نحوَه الزجَّاجُ.

وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «لو تَسوَّى»، بفتح التاء، وتخفيف السين والواو مشدّدةٌ مُمالةٌ، وهي بمعنى: تَتَسوَّى، فحذف التاء التي أدغمها نافعٌ، وابن عامرٍ. فأما معنى القِراءتين، فَواحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ في الحديث قولان: **أحدهما**: أنه قولهم: ما كُنَّا مشركين، هذا قول الجمهور. **والثاني**: أنه أَمرُ النبيِّ ﷺ وَصِفَتُهُ ونَعْتُهُ، قاله عَطاءٌ. فعلى الأول يتعلَّقُ الكِتمان بالآخرة، وعلى الثاني يتعلَّقُ بما كان في الدنيا، فيكون المعنى: وَدُّوا أنهم لم يَكْتُموا ذلك.

وفي معنى الآية ستة أقوالٍ: **أحدها**: وَدُّوا إذا فَضَحَتْهُم جَوارحُهم أنهم لم يَكْتُمُوا الله شِركَهُم، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم لما شَهِدَت عليهم جَوارحُهم لم يَكتُمُوا الله حديثاً بعد ذلك، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنهم في مَوطنٍ لا يَكْتُمُونَه حديثاً، وفي مَوطنٍ يَكتمون، ويقولون: ما كُنَّا مشركين، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ لا يتعلَّقُ بقوله: «لو تُسَوَّى بهم الأرض»، هذا قول الفَرَّاءِ، والزجّاجِ. ومعنى: لا يكتمون الله حديثاً: لا يَقدِرُون على كِتْمَانِه، لأنه ظاهرٌ عند الله. **والخامس**: أن المعنى: وَدُّوا لو سُوِّيت بهم الأرض، وأنهم لم يَكْتُموا الله حديثاً. **والسادس**: أنهم لم يعتقدوا قولهم: ما كُنَّا مشركين كَذِباً، وإنما اعتقدوا أن عبادةَ الأصنام طاعةٌ، ذكر القولين ابنُ الأنباريِّ. وقال القاضي أبو يَعلَى: أخبروا بما توهَّمُوا، إذ كانوا

يَظنُّون أنهم لَيسُوا بمشركين، وذلك لا يُخرِجُهم عن أن يكونوا قد كَذَبُوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾.

[٢٨٧] روى أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ، عن عليِّ بن أبي طالبٍ قال: صَنَع لنا عبدُ الرحمن بن عَوفٍ طعاماً، فدَعَانا، وسَقَانا من الخَمْرِ، فأَخذتْ الخمر مِنَّا، وحَضَرتْ الصَّلاةُ، فقدَّموني، فقرأت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحنُ نَعْبُدُ ما تَعبُدون، فنزلت هذه الآية. وفي روايةٍ أخرى، عن أبي عبد الرحمن، عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ الذي قَدَّمُوه، وخَلَطَ في هذه السورة، عبدُ الرَّحمن بنُ عَوفٍ.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا تَتَعرَّضُوا بالسُّكْرِ في أوقات الصَّلاة. **والثاني**: لا تَدْخُلوا في الصَّلاة في حال السُّكْرِ، والأوَّل أَصحُّ، لأن السَّكْرَان لا يَعْقِلُ ما يُخَاطب به. وفي معنى: ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ قولان: **أحدهما**: من الخَمْر، قاله الجمهور. **والثاني**: من النَّوم، قاله الضَّحَّاكُ، وفيه بُعْدٌ. وهذه الآية اِقْتَضَتْ إِباحةَ السُّكْرِ في غير أوقات الصَّلاة، ثم نُسِخَتْ بتحريم الخَمْر. قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ قال ابن قُتيبة: الجَنَابَةُ: البُعْدُ، قال الزَّجَّاجُ: يُقال: رجلٌ جُنُبٌ، ورَجُلان جُنُبٌ، ورجالٌ جُنُبٌ، كما يُقال: رجلٌ رِضَى، وقومٌ رِضَى. وفي تسمية الجُنُبِ بهذا الاسم قولان: **أحدهما**: لِمُجانَبَةِ مَائِهِ مَحلَّهُ. **والثاني**: لِمَا يَلزَمُهُ من اجتناب الصَّلاة، وقراءة القرآن، ومَسِّ المُصحف، ودخولِ المسجد(١).

---

[٢٨٧] حديث حسن. أخرجه أبو داود ٣٦٧١ والترمذي ٣٠٢٦ والحاكم ٢/ ٣٠٧ والطبري ٩٥٢٦ وإسناده حسن، وفيه أن الذي قدّم للصلاة هو علي رضي الله عنه، وفيه عطاء بن السائب لكن الثوري الراوي عنه سمع منه قبل الاختلاط، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، والله أعلم.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ١٩٧: والجمهور من الأمة على أن الجنب هو غير الطاهر من إنزال أو مجاوزة ختانٍ. وروي عن بعض الصحابة أن لا غسل إلا من إنزال، لقوله عليه السلام: «إنما الماء من الماء». أخرجه مسلم. وفي البخاري عن أبي بن كعب أنه قال: يا رسول الله، إذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل؟ قال «يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ ويصلي». قال أبو عبد الله: الغسل أحوط، وذلك الآخر إنما بيناه لاختلافهم. وأخرجه مسلم في صحيحه بمعناه وقال في آخر: قال أبو العلاء بن الشِّخِّير كان رسول الله ﷺ ينسخ حديثه بعضه بعضاً كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً. قال أبو إسحاق هذا منسوخ. وقال الترمذي: كان هذا الحكم في أول الإسلام ثم نسخ. قلت: على هذا جماعة العلماء من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، وأن الغسل يجب بنفس التقاء الختانين. وقد كان فيه خلاف بين الصحابة. قال ابن القصار: وأجمع التابعون ومن بعدهم بعد خلاف من قبلهم على الأخذ بحديث «إذا التقى الختانان» وإذا صح الإجماع بعد الخلاف كان مسقطاً للخلاف. قال القاضي عِياض: لا نعلم أحداً قال به بعد خلاف الصحابة إلا ما حكي عن الأعمش ثم بعده داود الأصبهاني. وقد روي أن عمر رضي الله عنه حمل الناس على ترك الأخذ بحديث: «الماء من الماء» =

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن المعنى: لا تقربوا الصَّلاة وأنتم جُنُبٌ إلا أن تكونوا مسافرين غير وَاجِدِينَ للماء فَتَيَمَّمُوا، وتُصَلُّوا. وهذا المعنى مَرويٌّ عن عليٍّ رضي الله عنه. ومُجاهِدٍ، والحَكَمِ، وقَتادةَ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٍ، والفَرَّاءِ، والزجَّاجِ.

والثاني: لا تقربوا مواضعَ الصَّلاة ـ وهي المسَاجدُ ـ وأنتم جُنُبٌ إلاَّ مُجْتَازين، ولا تَقعُدوا. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن مسعودٍ، وأنس بن مَالكٍ، والحسَنِ، وسعيدِ بن المُسَيّبِ، وَعِكرمةَ، وعَطاءِ الخُراسانيِّ، والزُّهريِّ، وعمروِ بن دِينارٍ، وأبي الضُّحَى، وأَحمَد، والشَّافعيِّ، وابن قُتيبةَ[1]. وعن ابن عباسٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، كالقولين، فعلى القول الأوَّل: «عابر السبيل»: المُسَافِرُ، و قُرْبَانُ الصَّلاة:

= لما اختلفوا، وتأوله ابن عباس على الاحتلام، أي إنما يجب الاغتسال بالماء من إنزال الماء في الاحتلام. ومتى لم يكن إنزال وإن رأى أنه يجامع فلا غسل. وهذا ما لا خلاف فيه بين كافة العلماء. وانظر «المغني» ١/ ٢٦٥ باب ما يوجب الغسل ففيه تفصيل وزيادة بيان.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ١٩٩ـ ٢٠١: ولا يقرأ القرآن جنبٌ ولا حائضٌ ولا نفساء وليس لهم اللبث في المسجد لقوله تعالى: **﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾**. وروت عائشة، قالت: جاء النبي ﷺ، وبيوت أصحابه شارعة في المسجد، فقال: «وجهوا هذه البيوت عن المسجد، فإني لا أحلُّ المسجد لحائض ولا جنب» رواه أبو داود. ويباح العبور للحاجة؛ من أخذ شيء أو تركه، أو كون الطريق فيه، فأما لغير ذلك فلا يجوز بحال. وممن نقلت عنه الرخصة في العبور: ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، وابن جبير، والحسن، ومالك والشافعي. وقال الثوري وإسحاق: لا يمر في المسجد إلا أن لا يجد بدًا، فيتيمم. وهو قول أصحاب الرأي، لقول النبي ﷺ: «لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»، ولنا قول الله تعالى: **﴿إلا عابري سبيل﴾** والاستثناء من المنهي عنه إباحة، وعن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال لها: «ناوليني الخُمْرَة من المسجد». قالت: إني حائض، قال: «إن حيضتك ليست في يدك» رواه مسلم. وعن جابر قال: كنا نمرّ في المسجد ونحن جنب. رواه ابن المنذر. وعن زيد بن أسلم، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يمشون في المسجد وهم جنب. رواه ابن المنذر أيضاً. وهذا إشارة إلى جميعهم فيكون إجماعاً. وإن خاف الجُنُبُ على نفسه أو ماله، أو لم يمكنه الخروج من المسجد، أو لم يجد مكاناً غيره، أو لم يمكنه الغسل ولا الوضوء، تيمم، ثم أقام في المسجد، وقال بعض أصحابنا: يلبث بغير تيمم، لأن التيمم لا يرفع الحدث. وهذا غير صحيح، لأنه يخالف قول من سمينا من الصحابة، ولأن هذا أمر يشترط له الطهارة فوجب التيمم له عند العجز عنها، كالصلاة وسائر ما يُشترط له الطهارة. وقولهم: لا يرفع الحدث. قلنا: إلا أنه يقوم مقام ما يرفع الحدث، في إباحة ما يستباح به. إذا توضأ الجنب فله اللبث في المسجد في قول أصحابنا وإسحاق. وقال أكثر أهل العلم: لا يجوز، للآية والخبر. واحتج أصحابنا بما رُوي عن زيد بن أسلم، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ، يتحدثون في المسجد على غير وضوء وكان الرجل يكون جنباً فيتوضأ، ثم يدخل، فيتحدَّث. وهذا إشارة إلى جميعهم، فيكون إجماعاً يخصُّ به العموم، ولأنه إذا توضأ خفّ حكم الحدث فأشبه التيمم عند عدم الماء، ودليل خفته أمر النبي ﷺ الجنب به إذا أراد النوم، واستحبابه لمن أراد الأكل ومعاوده الوطء. أما الحائض فلا يباح لها اللبث، لأن وضوءها لا يصح. وأما المستحاضة ومن به سلس البول، فلهم اللبث في المسجد والعبور إذا أمنوا تلويث المسجد، لما رُوي عن عائشة، أن امرأة من أزواج رسول الله ﷺ اعتكفت معه وهي مستحاضة، فكانت ترى الخمرة والصفرة، وربما وضعت الطست تحتها وهي تصلي. رواه البخاري. ولأنه حدثٌ لا يمنع الصلاة فلم يمنع اللبث، كخروج الدم اليسير من أنفه. فإن خاف تلويث المسجد فليس له العبور، فإن المسجد يُصان عن هذا، كما يصان عن البول فيه. ولو خشيت الحائض تلويث المسجد بالعبور فيه لم يكن لها ذلك.

فِعْلُهَا، وعلى الثاني: «عابر السبيل»: المُجْتَازُ في المسجد، و قُرْبَانُ الصَّلاة: دُخول المسجد الذي تُفْعَلُ فيه الصَّلاة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾، في سبب نزول هذا الكلام قولان:

[٢٨٨] **أحدهما**: أن رجلاً من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقومَ فيتوضَّأ، ولم يكن له خادمٌ، فأتى رسولَ الله ﷺ، فذكَر له ذلك، فنزلت: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ قاله مُجاهدٌ.

[٢٨٩] **والثاني**: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابَتْهُم جِراحَاتٌ، فَفَشَتْ فيهم وابتُلُوا بالجَنَابة فشَكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ الآية كلُّها، قاله إبراهيمُ النَّخعيُّ.

قال القاضي أبو يَعلَى: وظاهر الآية يقتضي جوازَ التَّيمم مع حصول المرض الذي يَسْتَضِرُّ معه باستعمال الماء، سواءٌ كان يخاف التَّلَفَ، أو لا يخاف، وكذلك السَّفر يجوز فيه التَّيممُ عند عَدَم الماء، سواءٌ كان قصيراً، أو طويلاً، وعَدَمُ الماء ليس بشرطٍ في جواز التَّيمم للمريض، وإنما الشَّرطُ: حصول الضَّرر، وأما السَّفر، فعدمُ الماء شرطٌ في إباحة التَّيمم، وليس السَّفرُ بشرطٍ، وإنما ذكر السَّفرَ، لأن الماءَ يُعْدَمُ فيه غالباً(١).

---

[٢٨٨] ضعيف. أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ٢/٢٩٦ عن مجاهد مرسلاً، فهو ضعيف.
[٢٨٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٦٣٩ عن إبراهيم النَّخعي مرسلاً.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/٣١٦ و ٣٣٤ـ ٣٣٦ (وإذا كان به قرح أو مرض مخوف، وأجنب، فخشي على نفسه إن أصابه الماء، غسل الصحيح من جسده، وتيمم لما لم يصبه الماء) فالجريح والمريض إذا خاف على نفسه من استعمال الماء جاز له التيمم، هذا قول أكثر أهل العلم، منهم ابن عباس ومجاهد، وعكرمة، وطاوس، والنخعي، وقتادة ومالك، والشافعي. ولم يُرَخِّص له عطاء في التيمم إلا عند عدم الماء، لظاهر الآية، ونحوه عن الحسن في المجدور الجنب، قال لا بد من الغُسل. ولنا، قول الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾. وحديث عمرو بن العاص حين تيمم من خوف البرد، وحديث ابن عباس، وجابر في الذي أصابته الشجّة ولأنه يباح له التيمم إذا خاف العطش، أو خاف من سبع، فكذلك ههنا، فإن الخوف لا يختلف، وإنما اختلفت جهاته. واختلف في الخوف المبيح للتيمم، فروي عن أحمد: لا يبيحه إلا خوف التّلف. وهذا أحد قولي الشافعي. وظاهر المذهب: أنه يباح له التيمم إذا خاف زيادة المرض أو تباطؤ البرء، أو خاف شيئاً فاحشاً، أو ألماً غير محتمل. وهذا مذهب أبي حنيفة والقول الثاني للشافعي. وهو الصحيح، لعموم قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر﴾ لأنه يجوز له التيمم إذا خاف ذهاب شيء من ماله، أو ضررًا في نفسه من لص، أو سبع أو لم يجد الماء إلا بزيادة على ثمن مثله كثيرة، فلأن يجوز ههنا أولى والمرض والجريح الذي لا يخاف الضرر باستعمال الماء، مثل من به الصداع والحمّى الحارة، أو أمكنه استعمال الماء الحار، ولا ضرر عليه فيه، لزمه ذلك. وحكي عن داود ومالك، إباحة التيمم للمريض مطلقاً، لظاهر الآية. ولنا، أنه واجدٌ للماء، لا يستضرّ باستعماله فلم يجز له التيمم، كالصحيح، والآية اشترط فيها عدم الماء، فلم يتناول محل النزاع، على أنه لا بد فيها من إضمار الضرورة، و الضرورة إنما تكون عند الضرر. ومن كان مريضاً لا يقدر على الحركة، ولا يجد من يناوله الماء، فهو كالعادم. قاله ابن أبي موسى. وهو قول الحسن، لأنه لا سبيل له إلى الماء فأشبه من وجد بئراً ليس له ما يستقي به منها. وإن كان له من يناوله الماء قبل خروج الوقت، فهو كالواجد، لأنه بمنزلة ما يستقى به في الوقت. وإن خاف خروج الوقت قبل مجيئه. قال ابن أبي موسى: له التيمم ولا إعادة عليه. وهو قول الحسن، لأنه عادم في الوقت، فأشبه =

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ «أو» بمعنى الواو، لأنها لو لَمْ تَكُن كذلك، لَكَانَ وجوبُ الطَّهارة على المريض والمُسافر غير مُتعلِّقٍ بالحَدَث. والغَائِط: المكان المُطْمَئِنُّ من الأرض، فكَنَّى عن الحدَث بمكانه، قاله ابن قُتيبةِ. وكذلك قالوا للمَزَادَة: رَاوِيَة، وإِنما الراويةُ للبعير الذي يُسْقَى عليه، وقالوا للنِّساء: ظَعَائن، وإِنما الظَّعَائِنُ: الهَوَادِجُ، وكُنَّ يَكُنَّ فيها، وسَمُّوا الحدَثَ عِذْرَةً، لأنهم كانوا يُلقُون الحَدَث بأَفْنِيَةِ الدُّور.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وعَاصمٌ، وابن عامرٍ: «أو لامَسْتُم» بألفٍ ها هنا، وفي (المائدة) وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وخلفٌ في اختياره، والمُفَضَّلُ عن عَاصمٍ، والوليدُ بن عُتْبَة، عن ابن عامرٍ «أو لَمَسْتُم» بغير ألفٍ ها هنا، وفي «المائدة».

وفي المُراد بالمُلامَسةِ قولان: **أحدهما**: أنها الجِماعُ، قاله عليٌّ، وابن عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنها المُلامَسةُ باليَدِ، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عُمرَ، والشَّعبيُّ، وعُبيدةُ، وعَطاءٌ، وابنُ سِيرِينَ، والنَّخعيُّ، والنَّهديُّ، والحَكَمُ، وحَمَّادٌ. قال أبو عليٍّ: اللَّمْسُ يكون باليَدِ، وقد اتُّسع فيه، فأُوقِعَ على غيره، فمِنْ ذلك ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾[1] أي: عَالَجْنا غيبَ السماء، ومنا مَنْ يَسْتَرِقُهُ فيُلْقِيه إلى الكَهَنةِ، ويُخبرهم به. فلما كان اللَّمْسُ يقع على غير المُباشرة باليَدِ، قال: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾[2] فخصَّ اليَد، لِئَلاَّ يَلتَبس بالوَجه الآخر، كما قال: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾[3] لأنَّ الابن قد يُتَبنَّى وليس من الصُّلبِ[4].

= العادم مطلقاً، ويحتمل أن ينتظر مجيء من يناوله، لأنه جاهز ينتظر حصول الماء قريباً، فأشبه المشتغل باستقاء الماء وتحصيله.

(١) سورة الجن: ٨. (٢) سورة الأنعام: ٧. (٣) سورة النساء: ٣٣.

(٤) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ٢٥٦: المشهور من مذهب أحمد، رحمه الله، أن لمس النساء لشهوة ينقض الوضوء ولا ينقضه لغير شهوة وهذا قول علقمة، وأبي عبيدة، والنخعيّ، والحكم، وحمّاد، ومالك، والثوري، وإسحاق، والشعبي، فإنهم قالوا: يجب الوضوء على من قبّل لشهوة، ولا يجب على من قبّل لرحمة. وممن أوجب الوضوء ابن مسعود وابن عمر، والزهري والشافعي. قال أحمد: المدنيون والكوفيون ما زالوا يرون أن القبلة من اللمس تنقض الوضوء، حتى كان بأخرة وصار فيهم أبو حنيفة، فقالوا: لا تنقض الوضوء. ويأخذون بحديث عروة ونرى أنه غلط. وعن أحمد، رواية ثانية، لا ينقض اللمس بحال. وروي ذلك عن علي، وابن عباس وبه قال أبو حنيفة، إلا أن يطأها دون الفرج فينتشر فيها، لما روى حبيب عن عروة، عن عائشة، أن النبي ﷺ قبّل امرأة من نسائه، وخرج إلى الصلاة، ولم يتوضأ. وهو حديث مشهور. ولأن الوجوب من الشرع ولم يرد بهذا شرع ولا هو في معنى ما ورد الشرع به، وقوله ﴿**أو لامستم النساء**﴾ أراد به الجماع، بدليل أن المس أريد به الجماع فكذلك اللمس، ولأنه ذكره بلفظ المفاعلة، والمفاعلة لا تكون من أقل من اثنين. وعن أحمد رواية ثالثة، أن اللمس ينقض بكل حال. وهو مذهب الشافعي، لعموم قوله تعالى: ﴿**أو لامستم النساء**﴾ وحقيقة اللمس ملاقاة البشرتين. وأما حديث القبلة فكل طرقه معلولة، قال يحيى بن سعيد: احك عني أن هذا الحديث شبه لا شيء. واللمس لغير شهوة لا ينقض، لأن النبي ﷺ كان يمس زوجته في الصلاة وتمسّه. ولو كان ناقضاً للوضوء لم يفعله، قالت عائشة: إن كان رسول الله ﷺ ليصلّي، وإني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة، فإذا أراد أن يسجد غمزني فقبضت رجلي. متفق عليه. وفي حديث آخر: فإذا أراد أن يوتر مسني برجله. يحققه أن اللمس ليس بحدث في نفسه، وإنما نقض لأنه يفضي إلى خروج المذي أو المني فاعتبرت الحالة التي تفضي إلى الحدث فيها، وهي حالة الشهوة. ولا فرق =

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾.

[٢٩٠] سبب نزولها: أن عَائشةَ رضي الله عنها كانت مع النبيِّ ﷺ في بعض أسفاره، فانقطع عِقْدٌ لها، فأقامَ النبيُّ ﷺ على التِمَاسِه، ولَيْسُوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، فنزلت هذه الآية، فقال أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ: ما هي بأوَّل بَرَكَتِكُم يا آل أبي بَكرٍ. أخرجه البُخاريُّ، ومُسلمٌ.

[٢٩١] وفي روايةٍ أخرى أخرجها البُخاريُّ، ومُسلمٌ أيضاً: أن عَائشةَ استعارت من أَسْمَاءَ قِلادَةً فَهَلَكَتْ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ رجالاً في طَلَبِهَا، فأدْرَكتهم الصَّلاةُ وليس معهم ماءٌ، فَصلَّوا بغير وضوءٍ، وشَكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزَلت آية التَّيمُّم.

والتَّيمُّم في اللغة: القَصْدُ، وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ﴾. وأمّا الصَعِيْدُ: فهو التراب، قاله عليٌّ، وابن مسعودٍ، والفَرَّاءُ، وأبو عُبيدٍ، والزجَّاجُ، وابن قُتيبةَ. وقال الشَّافعيُّ: لا يقعُ اسم الصَّعيد إلاَّ على تُرابٍ ذي غُبارٍ. وفي الطَّيِّب قولان: **أحدهما**: أنه الطَّاهر. **والثاني**: الحَلاَل.

قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ الوجه المَمْسُوح في التَّيمم هو المحدود في الوضوء.

---

[٢٩٠] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٤ و ٣٦٧٢ و ٤٦٠٧ و ٥٢٥٠ و ٦٨٤٤ ومسلم ٣٦٧ والنسائي ١/ ١٦٣ ـ ١٦٤ وعبد الرزاق ٨٨٠ والشافعي ١/ ٤٣ ـ ٤٤ وأبو عوانة ١/ ٣٠٢ وابن خزيمة ٢٦٢ وابن حبان ١٣٠٠ والبيهقي ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤. وأخرجه البخاري ٤٦٠٨ و ٦٨٤٥ والطبري ٩٦٤١ والبيهقي ١/ ٢٢٣ من طريق آخر. كلهم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يَطْعنُني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، ﴿فتيمموا﴾. فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته. لفظ البخاري.

[٢٩١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٦ و ٤٥٨٣ و ٥١٦٤ و ٥٨٨٢ ومسلم ٣٦٧ ح ١٠٩، وأبو داود ٣١٧ والنسائي ١/ ١٧٢ وابن ماجه ٥٦٨ والحميدي ١٦٥ وابن حبان ١٧٠٩ وأبو عوانة ١/ ٣٠٣ والطبري ٩٦٤٠ والبيهقي ١/ ٢١٤ من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وانظر الحديث المتقدم.

= بين الأجنبية وذات المحرم، والكبيرة والصغيرة. وقال الشافعي: لا ينقض لمس ذوات المحارم، ولا الصغيرة في أحد القولين، لأن لمسهما لا يفضي إلى خروج خارج، أشبه لمس الرجل الرجل. ولنا عموم النص، واللمس الناقض تعتبر فيه الشهوة، ومتى وجدت الشهوة فلا فرق بين الجميع. وسئل أحمد عن المرأة إذا مست زوجها؟ قال: ما سمعت فيه شيئاً، ولكن هي شقيقة الرجل. يعجبني أن تتوضأ لأن المرأة أحد المشتركين في اللمس، فهي كالرجل. وينتقض وضوء الملموس إذا وجدت منه الشهوة، لأن ما ينتقض بالتقاء البشرتين لا فرق فيه بين اللامس والملموس. وفيه رواية أخرى: لا ينتقض وضوء المرأة ولا وضوء الملموس، وللشافعي قولان كالروايتين. ووجه عدم النقض أن النص إنما ورد بالنقض بملامسة النساء، فيتناول اللامس من الرجال، فيختص به النقض، كلمس الفرج. ولأن المرأة والملموس لا نص فيه، ولا هو في معنى المنصوص، وإذا امتنع النص والقياس لم يثبت الدليل.

وفيما يَجِبُ مَسْحُهُ من الأيدي ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه إلى الكُوعَيْنِ حيث يُقْطَعُ السَّارِقُ.

[٢٩٢] روى عَمَّارٌ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «التَّيمُّمُ ضَرْبَةٌ للوَجهِ والكَفَّين»، وبهذا قال سَعيدُ بن المُسَيِّبِ، وعَطاءُ بن أبي رَباحٍ، وعِكرمةُ، والأوزَاعيُّ، ومَكْحُولٌ، ومَالكٌ، وأَحمدُ، وإِسحاقُ، ودَاودُ.

والثاني: أنه إلى المِرفَقين.

[٢٩٣] روى ابنُ عباسٍ عن النبي ﷺ: أنه تَيَمَّمَ، فمَسَحَ ذِرَاعَيْهِ. وبهذا قال ابنُ عُمرَ، وابنه سَالِمٌ، والحَسنُ، وأبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُّ، وعن الشَّعبيِّ كالقولين.

والثالث: أنه يَجِبُ المَسحُ من رؤوس الأَنَامِلِ إلى الآبَاطِ.

[٢٩٤] روى عمَّارُ بن يَاسرٍ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فنَزلت الرُّخْصَةُ في المَسْحِ،

---

[٢٩٢] صحيح. أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٣ من طريق يونس وعفان قال: حدثنا أبان حدثنا قتادة عن عزرة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزىٰ عن أبيه عن عمار بن ياسر: «أن نبي الله ﷺ - قال يونس: إنه سأل رسول الله ﷺ عن التيمم؟ - فقال: ضربة للكفين والوجه - قال عفان: إن النبي ﷺ كان يقول في التيمم: ضربة للوجه والكفين». وأخرجه البخاري ٣٣٩ - ٣٤٣ ومسلم ٣٦٨ ح ١١٢ و ١١٣ وأبو داود ٣٢٦ والنسائي ١/ ١٦٩ و ١٧٠ وابن ماجه ٥٦٩ والطيالسي ١/ ٦٣ وأحمد ٤/ ٢٦٥ و ٣٢٠ وأبو عوانة ١/ ٣٠٦ والطحاوي في «المعاني» ١/ ١١٢ والدارقطني ١/ ١٨٣ وابن الجارود ١٢٥ والبيهقي ١/ ٢٠٩ و ٢١٤ و ٢١٦ من طرق عن شعبه به، وبعضهم رواه مختصراً. وأخرجه أبو داود ٣٢٢ والنسائي ١/ ١٦٨ والطحاوي ١/ ١١٣ والبيهقي ١/ ٢١٠ من طريق أبي مالك عن عبد الرحمن بن أبزىٰ به. وأخرجه أبو داود ٣٢٣ وابن أبي شيبة ١/ ١٥٩ وأبو عوانة ١/ ٣٠٥ وابن خزيمة ٢٦٩ والطحاوي ١/ ١١٢ والدارقطني من طرق عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن عبد الرحمن عن أبيه به. قال عمار: «فضرب النبي ﷺ بيده الأرض فمسح وجهه وكفيه» لفظ البخاري. وحديث عمار ورد من طرق كثيرة.
وقد أخرج البخاري ٣٤٧ ومسلم ٣٦٨ ح ١١٠ وأبو داود ٣٢١ والنسائي ١/ ١٧٠ وابن أبي شيبة ١/ ١٥٨ و ١٥٩ وأحمد ٤/ ٣٩٦ و ٢٦٤ وابن حبان ١٣٠٤ و ١٣٠٥ والدارقطني ١/ ١٧٩ و ١٨٠ من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: كنت جالساً مع عبد الله وأبي موسى فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن الرجل يجنب فلا يجد الماء أيصلي؟ فقال: لا، فقال: أما تذكر قول عمار لعمر: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرّغ الدابة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «إنما كان يكفيك أن تصنع هكذا» فضرب بكفه ضربة على الأرض ثم نفضها ثم مسح بها ظهر كفه بشماله أو ظهر شماله بكفه ثم مسح بها وجهه؟. فقال عبد الله: ألم تر عمر لم يقنع بقول عمار.

[٢٩٣] أخرجه الدارقطني ١/ ١٧٧ وإسناده لين لأجل محمد بن ثابت العبدي. وورد من حديث أبي الجهيم، أخرجه الدارقطني ١/ ١٧٦، وإسناده ضعيف لضعف أبي صالح كاتب الليث، والصحيح في حديث أبي الجهيم ذكر «ويديه» بدل «ذراعيه» كذا رواه البخاري ٣٣٧ ومسلم ٣٦٩ وغيرهما.

[٢٩٤] أخرجه أبو داود ٣١٨ و ٣١٩ والنسائي ١/ ١٦٨ وابن ماجه ٥٧١ والشافعي ١/ ٤٤ وعبد الرزاق ٨٢٧ وأحمد ٤/ ٣٢٠ و ٣٢١ وابن حبان ١٣١٠ والبيهقي في «السنن» ١/ ٢٠٨ والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ١١٠ من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه عن عمار بن ياسر. قال الزيلعي في «نصب الراية» ١/ ١٥٥: وهو منقطع، فإن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة لم يدرك عمار بن ياسر. وأخرجه أبو داود ٣٢٠ والطحاوي ١/ ١١١ والبيهقي ١/ ٢٠٨ عن ابن عباس عن عمار، وذكره الطيالسي ١/ ٦٣ من طريق الزهري به. =

فَضَرَبْنَا بأيدينا ضَرْبةً لِوجُوهِنَا، وضَربةً لأَيْدِينا إلى المَنَاكِبِ والآبَاطِ. وهذا قول الزُّهريّ(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ قال الخَطَّابيُّ: «العَفُوُّ»: بِنَاءٌ للمُبالغة. و «العَفْوُ»: الصَّفْحُ عن الذنوب، وتَرْكُ مُجَازاة المُسِيء. وقيل: إنه مأخوذٌ من عَفَت الريحُ الأَثَر: إِذا دَرَسَتْهُ، وكأن العَافِي عن الذنوب يَمْحُوهُ بصَفْحِهِ عنه.

= وقال البغوي في «شرح السنة» ٢/ ١١٤: وما رُوي عن عمار أنه قال: تيممنا إلى المناكب، فهو حكاية فعله ولم ينقله عن رسول الله ﷺ، كما حكى عن نفسه التمعك في حال الجنابة، فلما سأل النبي ﷺ، وأمره بالوجه والكفين، انتهى إليه، وأعرض عن فعله. وفي «نصب الراية» ١/ ١٥٦ نقلاً عن الأثرم في هذا الحديث: إنما حكى فيه فعلهم دون النبي ﷺ، كما حكى في الآخر أنه أجنب، فعلمه عليه السلام. قال ابن حجر: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهيم وعمار «الفتح» ١/ ٤٤٤.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ٣٢٨: ولا خلاف في وجوب مسح الوجه والكفين لقول الله تعالى: **﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾** ويجب مسح جميعها، واستيعاب ما يأتي عليه الماء منها، لا يسقط إلا المضمضة والاستنشاق، وما تحت الشعور الخفيفة وبهذا قال الشافعي ولنا قوله تعالى: **﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾** الباء زائدة فيجب تعميمها فيضرب ضربة واحدة، فيمسح وجهه بباطن أصابع يديه، وظاهر كفيه إلى الكوعين بباطن راحتيه ويستحب أن يمسح إحدى الراحتين بالأخرى، ويخلل بين الأصابع، وليس بفرض وإن تيمم بضربتين للوجه واليدين إلى المرفقين فإنه يمسح بالأولى وجهه ويمسح بالثانية يديه فيضع بطون أصابع يده اليسرى على ظهور أصابع يده اليمنى، ويمرُّها على ظهر الكفّ، فإذا بلغ الكوع قبض أصابعه على حرف الذراع ويمرُّها إلى مرفقه، ثم يدير بطن الكف إلى بطن الذراع ويمرها عليه، ويرفع إبهامه، فإذا بلغ الكوع أمر الإبهام على ظهر إبهام يده اليمنى ويمسح بيده اليمنى يده اليسرى كذلك. ويمسح إحدى الراحتين بالأخرى. ويجب مسح اليدين إلى الموضع الذي يقطع منه السارق، أومأ أحمد إلى هذا لما سئل عن التيمم، فأومأ إلى كفه ولم يجاوزه. وقال: قال الله تعالى: **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾** من أين تقطع يد السارق؟ أليس من ههنا؟ وأشار إلى الرسغ. والجريح والمريض إذا أمكنه غسل بعض جسده دون بعض لزمه ما غسل ما أمكنه وتيمم للباقي وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: إن كان أكثر بدنه صحيحاً غسله، ولا يتيمم. وإن كان أكثره جريحاً تيمم ولا غسل عليه، لأن الجمع بين المبدل والبدل لا يجب ولنا ما روى جابر، قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً من اشجة في وجهه، ثم احتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك، فقال: «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا، إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم، ويعصب على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ثم يغسل سائر جسده». ولأن كل جزء من الجسد يجب تطهيره بشيءٍ إذا استوى الجسم كله في المرض أو الصحة. فيجب ذلك فيه وإن خالفه غيره. وما لا يمكن غسله في الصحيح إلا بانتشار الماء إلى الجريح، حكمه حكم الجريح فإن لم يمكنه ضبطه، وقدر أن يستنيب من يضبطه، لزمه ذلك، فإن عجز عن ذلك تيمم وصلى وأجزأه. وإذا كان الجريح جنباً، فهو مخير، إن شاء قدّم التيمم على الغسل، وإن شاء أخره، بخلاف ما إذا كان التيمم لعدم ما يكفيه لجميع أعضائه، فإنه يلزمه استعمال الماء أولاً، لأن التيمم للعدم، لا يتحقق إلا بعد فراغ الماء. وإن كان الجريح يتطهر للحدث الأصغر، فذكر القاضي أنه يلزمه الترتيب فيجعل التيمم في مكان الغسل الذي يتيمم بدلاً عنه. فإن كان الجرح في بعض وجهه خُيّر بين غسل صحيح وجهه ثم تيمم ـ أو العكس ـ وإن كان الجرح في عضو آخر، لزمه غسل ما قبله، واحتاج كل عضو إلى تيممٍ في محل غسله، ليحصل الترتيب.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ:
أحدها: أنها نزلت في رفاعة بن زيدِ بن التَّابوت.

[٢٩٥] **والثاني**: أنها نزلت في رجلين كَانَا إذا تكلّم النبيُّ ﷺ لَوَيَا ألسنتهما وعَابَاهُ، رُوي القولان عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنها نزلت في اليهود، قاله قَتادةُ.

وفي النَّصيب الذي أُوتوه قولان: **أحدهما**: أنه عِلْمُ نبوّة محمَّدٍ النبيِّ ﷺ. **والثاني**: العِلْمُ بما في كتابهم دون العمل.

قوله تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ قال ابن قُتيبة: هذا من الاختصار، والمعنى: يشترون الضَّلالَة بالهُدى، ومِثْلُهُ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[1] أي: تَرَكْنا عليه ثَناءً حَسناً، فَحذفَ الثَّناء لِعلْم المُخاطَب. وفي معنى اشترائِهم الضَّلالة أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسِتِبْدَالُهُم الضَّلالة بالإِيمان، قاله أبو صالح، عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه اسِتِبْدَالُهُم التكذيب بالنبيِّ ﷺ بعد ظُهوره بإيمانهم به قبل ظُهوره، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أنه إيثارُهم التكذيب بالنبيِّ لأَخْذِ الرِّشْوَة، وثُبوتِ الرِّئاسَةِ لهم، قاله الزجّاجُ. **والرابع**: أنه إعطاؤهم أحبارَهُم أموالَهم على ما يصنعونه من التكذيب بالنبيِّ ﷺ، ذَكَرَهُ المَاوردِيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟﴾ خِطَابٌ للمؤمنين. والمُراد بالسَّبيل: طريقُ الهُدى.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ فهو يُعلِمُكم ما هُمْ عليه، فلا تَسْتَنْصِحُوهُم، وهم اليهود، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ لَكُمْ، فمن كان وَلِيَّهُ، لم يَضُرّه عَدوُّه. قال الخَطَّابيُّ: «الوَليُّ»: النَّاصِر، و «الوَليُّ»: المُتَولِّي للأمر، والقائمُ به، وأصله من الوَلي، وهو القُرْبُ، و «النَّصِيرُ»: فَعِيْل بمعنى فَاعِل.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قال مُقاتلٌ: نزلت في رِفَاعَة بن زيدٍ، ومَالكِ ابن الضَّيف، وكَعْبِ بن أُسَيْدٍ، وكُلُّهم يهودٌ. وفي «مِن» قولان، ذكرهما الزجّاجُ:

أحدهما: أنها من صِلَةِ الذين أُوتوا الكتاب، فيكون المعنى: أَلَمْ تَرَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب مِنَ الذين هَادُوا. **والثاني**: أنها مُستأنفَةٌ، فالمعنى: مِنَ الذين هَادُوا قومٌ يُحرِّفون، فيكون قوله:

---

[٢٩٥] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٦٩٤ عن ابن عباس بإسناد ضعيف، فيه محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق، وهو مجهول.

---

(١) سورة الصافات: ٧٨.

يُحَرِّفون، صفةً، ويكون الموصوف محذوفاً، وأنشد سِيْبَوَيه:

ومـا الـدَّهـرُ إلاَّ تـارتَـانِ فَـمِـنْـهُـمَـا أموتُ وأُخرى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ[1]

والمعنى: فمنهما تارةٌ أموتُ فيها. قال أبو عليِّ الفَارسيُّ: والمعنى: وكفى بالله نصيراً من الذين هَادُوا، أي: إنَّ الله يَنْصُرُ عليهم.

فأما «التَّحْرِيفُ»، فهو التَّغيير. و ﴿ٱلْكَلِمَ﴾: جمع كَلِمَةٍ. وقيل: إن «الكَلام» مأخوذٌ من «الكَلْم»، وهو الجُرْحُ الذي يَشُقُّ الجلدَ واللحمَ، فسُمِّي الكلام كلاماً، لأنه يَشُقُّ الأسماعَ بِوصُولِهِ إليها، وقيل: بل لِتَشْقِيْقِهِ المعاني المطلوبة في أنواع الخِطاب.

وفي معنى تَحْرِيفِهِم الكَلِمَ قولان: **أحدهما**: أنهم كانوا يسألون النبيَّ ﷺ عن الشيء، فإذا خَرَجُوا، حَرَّفُوا كَلامَه، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه تَبْدِيْلُهُم التَّوراة، قاله مُجاهدٌ.

قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، أي: عن أماكِنِه ووجُوهِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال مُجاهدٌ: سَمِعْنَا قولَكَ، وعَصَيْنَا أمْرَكَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: اِسْمَعْ لا سَمِعْتَ، قاله ابن عباسٍ، وابن زيدٍ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنَّ معناه: اِسْمَعْ غيرَ مقبولٍ ما تَقولُ، قاله الحَسَنُ، ومُجاهدٌ. وقد تقدَّم في (البقرة) معنى: وَرَاعِنَا.

قوله تعالى: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ قال قَتادةُ: «اللَّيّ»: تحريكُ ألسنتِهم بذلك. وقال ابن قُتيبةَ معنى «لَيّاً بألسنتِهم»: أنهم يُحَرِّفون «رَاعِنَا» عن طريق المُرَاعَاة، والانتظار إلى السَّبِّ والرُّعُونة. قال ابن عباسٍ: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مِمَّا بَدَّلُوا ﴿وَأَقْوَمَ﴾ أي أعْدَلُ ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ بمحمَّدٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فلا يؤمنُ منهم إلا قليلٌ، وهم عبدُ الله بن سَلاَّم، ومَنْ تَبِعَهُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، قاله قَتادةُ، والزجَّاجُ. قال مُقاتلٌ: وهو اعتقادهم أن الله خَلَقَهُم وَرَزَقَهُم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ سبب نزولها:

[٢٩٦] أنَّ النبيَّ ﷺ دَعَا قوماً من أَحْبَار اليهود، مِنْهُمْ عبدُ الله بن صُورِيا، وكَعْبُ بن أسد إلى الإسلام، وقال لَهُمْ: إنكم لَتَعْلَمُونَ أنَّ الذي جئتُ به حقٌّ، فقالوا: ما نَعرفُ ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ.

---

[٢٩٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٧٢٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٣٤ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٢٧٠ بتخريجنا.

---

(١) البيت لتميم بن مقبل كما في «الكامل» ٣/ ٩٠٨ و «اللسان» مادة ـ كدح ـ والكدح: الاكتساب بمشقة.

وفي الذين أُوتوا الكتابَ قولان: **أحدهما**: أنهم اليَهودُ، قاله الجمهور. **والثاني**: اليَهودُ والنَّصارَى، ذكره المَاوَرديُّ. وعلى الأوَّل يكون الكتاب: التَّوراة، وعلى الثاني: التَّوراةُ والإنجيلُ. والمُراد بما نزَّلنا: القرآن، وقد سبق في (البقرة) بيانُ تَصْدِيقِهِ لِمَا معهم.

قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ في طَمْسِ الوجُوه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إعمَاءُ العيون، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه طَمْسُ ما فيها من عَيْنٍ، وأَنْفٍ، وحَاجِبٍ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، واختيارُ ابن قُتيبةَ. **والثالث**: أنه رَدُّها عن طريق الهُدى، وإلى هذا المعنى ذهب الحَسَنُ، ومُجاهدٌ، والضَّحاكُ، والسُّدِّيُّ. وقال مُقاتلٌ: مِنْ قبل أن نَطْمِسَ وُجوهاً، أي: نُحوِّل المِلَّةَ عن الهُدى والبَصيرة. فعلى هذا القول يكون ذِكْرُ الوَجه مَجازاً. والمُراد: البَصيرة والقُلوب. وعلى القولين قبله يكون المراد بالوَجه: العَضْو المعروف.

قوله تعالى: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: نُصيرُها في الأَقْفَاء، ونجعل عُيونَها في الأَقْفَاءِ، هذا قول ابن عباسٍ، وعَطِيَّةَ. **والثاني**: نُصَيِّرُها كالأَقْفَاءِ، ليس فيها فَمٌ، ولا حَاجِبٌ، ولا عَيْنٌ، وهذا قول قوم، منهم ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: نجعل الوَجْه مُنْبِتاً للشَّعْرِ، كالقُرُود، هذا قول الفَرَّاءِ. **والرابع**: نَنْفِيهَا مُدبرةً عن دِيَارِهَا ومَوَاضِعِها. وإلى نحوه ذهب ابنُ زيدٍ. قال ابنُ جَريرٍ: فيكون المعنى: مِنْ قبل أن نَطْمِسَ وجوهَهم التي هُمْ فيها. وناحِيَتَهم التي هم بها نُزُولٌ، (فَنَرُدَّها على أدبارِها) من حيثُ جاؤوا بَدِيًّا[1] من الشَّام. **والخامس**: نَرُدُّهَا في الضَّلالة، وهذا قول الحسَنِ، ومُجاهدٍ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ يعود إلى أصحاب الوُجُوه. وفي معنى لَعْنِ أصحابِ السَّبت قولان: **أحدهما**: مَسْخُهُم قِرَدةً، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: طَرْدُهُم في التِّيْهِ حتى هَلَكَ فيه أكثرُهم، ذكره المَاوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ قال ابن جَريرٍ: الأَمْرُ ها هنا بمعنى المَأْمُور، سُمِّي باسم الأمرِ لِحُدوثه عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾.

[٢٩٧] قال ابن عُمرَ: لـمَّا نزلت ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

[٢٩٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٧٣٥ و ٩٧٣٦ من طريقين عن ابن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع قال: أخبرني مخبر عن ابن عمر... فذكره، وإسناده ضعيف، وله علتان: جهالة المخبر للربيع بن أنس، فهذه علة، والثانية: ضعف أبي جعفر الرازي واسمه عيسى بن أبي عيسى. وسيأتي في سورة الزمر تمام البحث.

---

(١) في «اللسان» ومن كلام العرب بادي بدي بهذا المعنى إلا أنه لم يهمز الجوهري: افعل ذلك بادي بدِ وبادَي بَديَّ أي أولاً، قال وأصله الهمز وإنما ترك لكثرة الاستعمال.

﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾(١) قالوا لِرَسول الله ﷺ: والشِّركَ؟ فَكَرِهَ رسولُ الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه. وقد سبق معنى الإشْراك.

والمُراد من الآية: لا يَغْفِرُ لِمُشرِكٍ ماتَ على شِرْكِهِ. وفي قوله تعالى: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ نِعْمَةٌ عظيمة من وجهين: **أحدهما**: أنها تقتضي أنَّ كلَّ ميّتٍ على ذنبٍ دون الشِّرك لا يُقْطَع عليه بالعذاب، وإنْ ماتَ مُصِرًّا. **والثاني**: أنَّ تَعْلِيقَهُ بالمَشيئة فيه نَفْعٌ للمسلمين، وهو أنْ يكونوا على خَوفٍ وطَمَعٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾.

[٢٩٨] سبب نزولها: أن مرحب بن زيدٍ، وبَحري بن عون ـ وهما من اليهود، أَتيَا النبيَّ ﷺ بأطفالِهما، ومعهما طائفةٌ من اليهود فقالوا: يا محمَّدُ هل على هؤلاءِ مِنْ ذَنْبٍ؟ قال: لا، قالوا: واللهِ ما نحنُ إلاَّ كَهَيْئَتِهِم، ما مِنْ ذَنْبٍ نَعمَلُهُ بالنَّهار إلا كُفِّر عنَّا بالليل، وما مِنْ ذَنْبٍ نَعمَلُهُ بالليل إلا كُفِّر عنَّا بالنَّهار، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباسٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ قولان: **أحدهما**: أَلَمْ تُخْبَرْ، قاله ابن قُتيبة. **والثاني**: أَلَمْ تَعْلَمْ، قاله الزجَّاجُ. وفي الذين يُزَكُّون أنفُسَهم قولان: **أحدهما**: اليهود على ما ذكرنا عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وقَتادةُ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنهم اليهود، والنَّصارى، وبه قال الحَسَنُ، وابن زيدٍ. ومعنى «يُزَكُّون أَنْفُسَهُم»: يَزْعَمُون أنهم أَزْكِيَاءُ، يُقال: زَكَى الشيءُ: إذا نَمَا في الصَّلاح. وفي الذي زَكُّوا به أنفسهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم بَرَّؤوا أنفُسَهم من الذُّنوب، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنَّ اليهود قالوا: إنَّ أبناءَنا الذين ماتوا يُزَكُّوننا عند الله، ويَشْفَعُون لنا، رواه عَطِيَّةُ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن اليهود كانوا يُقَدِّمون صبيانهم في الصَّلاة فَيَؤُمُّونَهُم، يزعمون أنهم لا ذنوبَ لهم، هذا قول عِكرمةَ، ومُجاهدٍ، وأبي مَالكٍ. **والرابع**: أن اليهود والنَّصارى قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾(٢) وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾(٣)، هذا قول الحَسَنِ، وقَتادةَ.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يجعله زاكِيًا، ولا يَظلِم اللَّهُ أحداً مقدارَ فَتِيلٍ قال ابن جَرير: وأصل «الفَتِيلِ»: المَفْتُول، صُرِفَ عن مَفْعُول إلى فَعِيل، كَصَرِيع، ودَهِين.

وفي الفَتِيلِ قولان: **أحدهما**: أنه ما يكون في شِقِّ النَّواة، رواه عِكرمةُ، عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وعَطاءُ بن أبي رَباحٍ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، وعَطِيَّةُ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ، وأبو عُبيدةَ، وابن قُتيبةَ، والزجَّاجُ. **والثاني**: أنه ما يخرج بين الأصابع من الوَسَخ إذا دُلِكْنَ، رواه العوفيُّ، عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ، وأبو مَالكٍ، والسُّدِّيُّ، والفَرَّاءُ.

---

[٢٩٨] هذا الخبر ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٩ عن الكلبي بلا سند، والكلبي متهم بالكذب.
وعزاه الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٢٠ للثعلبي عن الكلبي فالخبر واهٍ بمرة، ليس بشيء.

---

(١) سورة الزمر: ٥٣. (٢) سورة المائدة: ١٨. (٣) سورة البقرة: ١١١.

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۝٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وهو قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ وقولهم ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ وقولهم: لا ذنبَ لنا ونحوَ ذلك ممَّا كذَّبوا فيه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ أي: وحَسْبُهُم بِقِيلِهِم الكَذِب ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾ يتبيَّن كَذِبُهُم لِسامِعيه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

أحدها: أن جماعةً من اليهود قَدِمُوا على قريشٍ، فسألوهم: أَدِينُنا خيرٌ، أم دِينُ محمَّدٍ؟ فقال اليهود: بل دِينكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ.

[٢٩٩] والثاني: أن كَعْبَ بن الأَشْرَفِ، وحُيَيَّ بن أَخْطَبَ، قَدِمَا مكَّةَ، فقالت لهما قريشٌ: أَنَحْنُ خيرٌ، أم محمَّدٌ؟ فقالا: أنتم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عِكرمةَ في روايةٍ. وقال قَتادةُ: نزلت في كَعْبٍ، وحُيَيٍّ، ورجلين آخرين من بني النَّضير قالوا لقُريشٍ: أنتم أَهْدَى مِنْ محمَّدٍ.

والثالث: أن كَعْبَ بن الأَشْرَفِ وهو الذي قال لِكُفَّار قُريشٍ: أَنْتُم أَهْدَى من مُحَمَّدٍ، فنزلت هذه الآية. وهذا قول مُجاهدٍ، والسُّدِّيّ، وعِكرمةَ في روايةٍ.

والرابع: أن حُيَيَّ بن أَخْطَبَ قال للمشركين: نحنُ وإيَّاكم خَيْرٌ مِنْ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيدٍ. والمُراد بالمذكورين في هذه الآية اليهود.

وفي «الجِبْتِ» سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه السِّحر، قاله عُمَرُ بن الخَطَّابِ، ومُجاهدٌ، والشَّعبيُّ. **والثاني**: الأصنام، رواه عَطِيَّةُ، عن ابن عباسٍ. وقال عِكرمةُ: الجِبْتُ: صَنَمٌ. **والثالث**: حُيَيُّ بن أَخْطَبَ، رواه ابن أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ. **والرابع**: كَعْبُ بن الأَشْرَفِ، رواه الضَّحَّاكُ، عن ابن عباسٍ، ولَيْثٌ عن مُجاهدٍ. **والخامس**: الكَاهِنُ، رُوي عن ابن عباسٍ، وبه قال ابنُ سِيرِينَ، ومَكْحُولٌ. **والسادس**: الشَّيطان، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ في روايةٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والسابع**: السَّاحِرُ، قاله أبو العَالِيَة، وابن زيدٍ. وروى أبو بِشْرٍ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ، قال: الجِبْتُ: السَّاحرُ بلسان الحَبَشَة.

وفي المُراد بالطَّاغُوت ها هنا ستة أقوالٍ: **أحدها**: الشَّيطان، قاله عُمَرُ بن الخَطَّابِ، ومُجاهدٌ في روايةٍ، والشَّعبيُّ، وابن زيدٍ. **والثاني**: أنه اسمٌ للذين يكونون بين يدَي الأصنام يُعَبِّرون عنها لِيُضِلُّوا النَّاسَ، رواه العوفيُّ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: كَعْبُ بن الأَشْرَفِ، رواه ابن أبي طَلْحَة، عن ابن عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ. **والرابع**: الكَاهِنُ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ، وأبو العَالِيَة، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والخامس**: أنه الصَّنَمُ، قاله عِكرمةُ. وقال: الجِبْتُ والطَّاغُوت صَنَمَان. **والسادس**: السَّاحر،

---

[٢٩٩] أخرجه الطبري ٩٧٩٤ عن عكرمة مرسلاً. وأخرج الطبري ٩٧٩١ عن ابن عباس مختصراً، وعن السدي مرسلاً أخرجه الطبري ٩٧٩٥ بنحوه، فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم.

رُوي عن ابن عباسٍ، وابن سِيْرِينَ، ومَكحُولٍ. فهذه الأقوال تدلُّ على أنهما اسمان لمُسمَّيين. وقال اللغويون منهم ابن قُتيبةَ، والزجَّاجُ: كلُّ معبودٍ مِنْ دون الله، من حَجَرٍ، أو صورةٍ، أو شَيطانٍ، فهو جِبتٌ وطَاغُوتٌ[1].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني لِمُشركي قُريشٍ: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعنون النبيَّ ﷺ وأصحابَه ﴿سَبِيلًا﴾ في الدِّيانة والاعتقاد.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكار، فالتقدير: لَيسَ لَهُمْ. وقال الفرَّاءُ: قوله ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ جوابٌ لجزاءٍ مُضمَرٍ، تقديره: ولَئِنْ كان لهم نَصِيبٌ لا يُؤتون النَّاس نَقِيراً. وفي «النَّقِير» أربعة أقوال: **أحدها**: أنه النُّقطَةُ التي في ظَهر النَّواة، رواه ابن أبي طَلْحَة، عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وعَطاءُ بن أبي رَبَاحٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ، ومُقاتلٌ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبة في آخرين. **والثاني**: أنه القِشْرُ الذي يكون في وَسَطِ النَّواة، رواه التَّيْمِيُّ، عن ابن عباسٍ. ورُوي عن مُجاهدٍ: أنه الخَيْطُ الذي يكون في وَسَطِ النَّواة. **والثالث**: أنه نَقْرُ الرجل الشيءَ بِطَرَفِ إبهامِهِ، رواه أبو العَالِيَة، عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه حَبَّةُ النَّواة التي في وَسَطِها، رواه ابن أبي نَجِيحٍ، عن مُجاهدٍ. قال الأزهريُّ: و «الفَتِيلُ» و «النَّقِيرُ» و «القِطْمِيرُ»: تُضرَبُ أمثالاً للشيء التَّافه الحقير.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾.

[٣٠٠] سبب نزولها: أنَّ أهل الكتاب قالوا: يَزْعُمُ محمَّدٌ أنه أُوتي ما أُوتي في تَواضُعٍ، وله تِسعُ نسوةٍ، فأيُّ ملكٍ أفضلُ مِنْ هذا، فنزلت، رواه العوفيُّ، عن ابن عباسٍ.

وفي «أَمْ» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى ألف الاستفهام، قاله ابن قُتيبةَ. **والثاني**: بمعنى «بَلْ» قاله

---

[٣٠٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٨٢٨ عن ابن عباس وإسناده واهٍ، فيه عطية العوفي ضعيف، وعنه مجاهيل. وورد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٩٨٣٠.

---

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٢٣٩: وقول مالك في هذا الباب حسن. وروى ابن وهب عن مالك بن أنس: الطاغوت ما عُبد من دون الله. وقيل: هما كل معبود من دون الله، أو مطاع في معصية وهذا حسن. يدل عليه قوله تعالى: **﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** [النحل: ٣٦] وقال تعالى: **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾** [الزمر: ١٧] وروى قطن بن المخارق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطرق والطيرة والعيافة من الجبت» الطَّرق: الزجر، والعيافة: الخط، خرجه أبو داود في سننه، وقيل: الجبت كل ما حرّم الله والطاغوت كل ما يطغى الإنسان. والله أعلم.

الزجّاجُ. وقد سبق ذكر «الحَسَدِ» في (سورة البقرة) والحَاسِدُون ها هنا: اليهود. وفي المراد بالنَّاس ها هنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: النبيُّ محمَّدٌ ﷺ، رواه عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ، وبه قال عِكرمةُ ومُجاهدٌ والضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ ومُقاتلٌ. **والثاني**: النبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعُمرُ، رُوي عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه. **والثالث**: العربُ، قاله قَتادةُ. **والرابع**: النبيُّ والصَّحابةُ، ذكره المَاوَرديُّ. وفي الذي آتاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: إباحةُ الله تعالى نَبِيَّهُ أن يَنْكِحَ ما شاء من النِّساء مِنْ غير عددٍ، رُوي عن ابن عباسٍ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه النبوَّة، قاله ابن جُريجٍ، والزجَّاجُ. **والثالث**: بِعْثَةُ نبيٍّ منهم على قول مَنْ قال: هُمُ العَربُ[١].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراة، والإنجيلَ، والزَّبورَ. كله كان في آل إبراهيمَ، وهذا النبيُّ من أولاد إبراهيمَ. وفي الحِكْمَة قولان: **أحدهما**: النُّبوَّة، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: الفِقه في الدِّين، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وفي المُلْكِ العظيم خمسة أقوالٍ[٢]: **أحدها**: مُلْكُ سُليمانَ، رواه عَطِيَّةُ، عن ابن عباسٍ. **والثاني**: مُلْكُ داودَ، وسُليمانَ في النِّساء، كان لِداودَ مائة امرأةٍ، ولِسُليمانَ سبعمائة امرأةٍ وثلاثمائة سَرِيَّة[٣]، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. **والثالث**: النُّبوَّة، قاله مُجاهدٌ. **والرابع**: التَّأييد بالملائكة، قاله ابن زيدٍ في آخرين. **الخامس**: الجَمْعُ بين سياسة الدنيا، وشرع الدِّين، ذكره المَاوَرديُّ.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ فيمن تعود عليه الهاء والميم قولان:

أحدهما: اليهود الذين أنذرهم نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، وهذا قول مُجاهدٍ، ومُقاتلٍ، والفرَّاءِ في آخرين. فعَلَى هذا القول في هاء ﴿بِهِۦ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تعود على ما أنزل الله على نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، قاله مُجاهدٌ: قال أبو سُليمانَ: فيكون الكلام مبنياً على قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو النُّبوَّة، والقرآن. **والثاني**: أنها تعود إلى النبيِّ ﷺ، فتكون مُتعلِّقةً بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني بالناس: محمَّداً ﷺ، ويكون المُراد بقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ عبد الله بن سَلَامٍ، وأصحابه. **والثالث**: أنها تعود إلى النَّبأ عن آل إبراهيمَ، قاله الفرَّاءُ.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٤٢: وأولى القولين في ذلك بالصواب هو قول قتادة، وابن جريج الذي ذكر: أن معنى الفضل في هذا الموضع: النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرّف بها العرب، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم. وليس النكاح وتزويج النساء، وإن كان من فضل الله عز وجل الذي آتاه عباده، بتقريظ لهم ومدح.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٤٤: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، القول الذي رُوي عن ابن عباس أنه قال: «يعني ملك سليمان». لأن ذلك معروف من كلام العرب ولأن كلام الله الذي خوطب به العرب، غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه، إلا أن تأتي دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك، يجب التسليم بها.

(٣) أبو صالح واهٍ، روى عنه الكلبي عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً، والذي صح في سليمان أن له مائة امرأة كذا أخرجه البخاري ٣٤٢٤ ومسلم ١٦٥٤.

والقول الثاني: أن الهاء، والميم في قوله ﴿فَمِنْهُم﴾ تعود إلى آل إبراهيمَ، فعلى هذا في هاء ﴿بِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها عائدةٌ إلى إبراهيمَ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: إلى الكتاب، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابن عباس، وابن جبير، وعِكرمةُ، وابنُ يَعْمُرَ، والجحْدرِيُّ: «من صُدّ عنه» برفع الصاد. وقرأ أُبيُّ بن كَعْبٍ، وأَبو الجَوزَاء وأَبو رجاء والجوني: بكسر الصاد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ قال الزجَّاجُ: أي نَشْويهم في نارٍ.

[٣٠١] ويُروى أن يهوديّةً أهدت إلى النبيِّ ﷺ شاةً مَصْليَّةً، أي مشويةً.

وفي قوله تعالى ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنها غَيْرُهَا حقيقةً، ولا يَلْزَمُ على هذا أن يُقال: كيف بُدِّلَتْ جلودٌ إلْتَذَّت بالمعاصي بجلودٍ ما الْتَذَّت، لأن الجلود آلةٌ في إيصال العذاب إليهم، كما كانت آلةً في إيصال اللذَّة، وهم المُعَاقبون لا الجُلود. **والثاني**: أنها هي بِعَيْنِها تُعاد بعد احتراقها، كما تُعاد بعد البِلَى في القبور. فتكون الغَيْريَّة عائدةً إلى الصِّفة، لا إلى الذَّات، فالمعنى: بدَّلنَاهم جُلوداً غير مُحترقةٍ، كما تقول: صُغتُ من خَاتمي خَاتماً آخر. وقال الحسنُ البَصْريُّ: في هذه الآية: تَأْكُلُهم النارُ كلَّ يوم سبعين ألفَ مَرَّةٍ، كُلَّما أَكلتهم قيل لهم: عُودوا، فَعادُوا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ قال الزجَّاجُ: هو الذي يُظلُّ من الحَرِّ والرِّيح، وليس كلُّ ظِلٍّ كذلك، فأَعْلَمَ اللهُ تعالى أن ظِلَّ الجنة ظَليلٌ لا حَرَّ معه، ولا بَرْد. فإن قيل: أفي الجنة بَردٌ أو حَرٌّ يحتاجون معه إلى ظِلٍّ؟ فالجواب: أنْ لا، وإنّما خاطَبهم بما يعقلون مِثْلَه، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾(١). وجوابٌ آخر: وهو أنه إشارةٌ إلى كمال وصفها، وتَمْكين بِنائِها، فلو كان البَرْد أو الحرُّ يتسلَّط عليها، لَكَان في أَبْنِيتها وشَجرها ظِلٌّ ظَليلٌ.

---

[٣٠١] لم أره بهذا اللفظ. وحديث اليهودية، أخرجه البخاري ٢٦١٧ عن أنس، أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها. . . وأخرجه البخاري ٤٢٢٩ من حديث أبي هريرة. وليس فيه اللفظ المذكور عند المصنف. وانظر «فتح الباري» ٥/ ٢٣١ و ٧/ ٤٩٧. وورد في حديث موقوف، أخرجه الترمذي ٦٨٦ وابن حبان ٣٥٨٥ عن صِلَة بن زفر قال: كنا عند عمار بن ياسر، فأتي بشاة مصلية، فقال كلوا، فتنحى بعض القوم، وقال: إني صائم، فقال عمار: من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم، إسناده صحيح.

---

(١) سورة مريم: ٦٢.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

[٣٠٢] **أحدها**: أن النبيَّ ﷺ لمَّا فتح مكةَ، طلب مِفتاح البيت من عُثمان بن أبي طَلْحَةَ، فذهب لِيُعطيَه إيَّاه، فقال العباسُ: بأبي أنت وأمِّي اجْمَعْهُ لي مع السِّقَاية، فكَفَّ عُثمانُ يدَه مخافة أن يُعطيَه للعباسِ، فقال النبيُّ ﷺ: «هاتِ المِفتاحَ» فأعادَ العباسُ قوله، وكَفَّ عُثمانُ، فقال النبيُّ ﷺ: «أرِني المِفتاحَ إنْ كنتَ تؤمن بالله وباليوم الآخِر» فقال: هَاكَهُ يا رسولَ الله بأمانة الله، فأخذ المِفتاح، ففتحَ البيتَ، فنزل جِبريلُ بهذه الآية، فدعَا عُثمانَ، فدَفعهُ إليه. رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، والزُّهريُّ، وابن جُريجٍ، ومُقاتلٌ.

والثاني: أنها نزلت في الأُمراء. رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباسٍ، وبه قال زَيدُ بن أَسْلَمَ، وابنُه، ومَكحُولٌ، واختاره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وقال: أُمِر الأُمراءُ أن يُؤدُّوا الأمانةَ في أموال المسلمين. **والثالث**: أنها نزلت عامَّةً، وهو مَرويٌّ عن أُبيِّ بن كَعْبٍ، وابن عباسٍ، والحسَنِ، وقَتادةَ، واختاره القاضي أبو يَعلَى. واعلم أن نزولها على سببٍ لا يمنع عمومَ حُكْمِها، فإنها عامَّةٌ في الوَدائع وغيرها من الأَمَاناتِ. وقال ابن مسعودٍ: الأمانة في الوضوء، وفي الصَّلاة، وفي الصَّوم، وفي الحَديث، وأشدُّ ذلك في الوَدائع.

قوله تعالى: ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾ يقول: نِعْمَ الشيءُ يَعِظُكم به، وقد ذكرناه في (البقرة).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٠٣] **أحدهما**: أنها نزلت في عبدِ الله بن حُذَافَةَ بنِ قَيسٍ السَّهْميِّ إذْ بَعثَهُ النبيُّ ﷺ في سَرِيَّةٍ، أخرجه البُخاريُّ، ومُسْلِمٌ، من حديث ابن عباسٍ.

---

[٣٠٢] أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح وفيه الكلبي ضعيف جداً. ومثله لا يحتج به، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٦٩ ـ ٧٠ وفي «الأسباب» ٣٢٣ بدون إسناد، ودون اللفظ المرفوع.
وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٢٣: ذكره الثعلبي، ثم البغوي بغير إسناد.
وخبر إعطاء المفتاح لعثمان ورد من وجوه، والوهن في هذا الخبر بذكر نزول الآية. وانظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٣٠ و «الدر» ٢/ ٣١٢.

[٣٠٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٨٤ ومسلم ١٨٣٤ والترمذي ١٦٧٢ والنسائي في «التفسير» ١٢٩ وأحمد ١/ ٣٣٧ وابن الجارود ١٠٤٠ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٣١١ عن ابن عباس به. وانظر كلام الحافظ في «فتح الباري» ٨/ ٢٤٥ حول هذا الخبر.
ـ ولعبد الله بن حذافة قصة معروفة أخرجها أحمد ٣/ ٦٧ وابن ماجة ٢٨٦٣ وأبو يعلى ١٣٤٩ وابن حبان ٤٥٥٨ من حديث أبي سعيد وإسناده حسن، لأجل محمد بن عمرو، وصححه البوصيري في الزوائد ١٨٣ أن =

[٣٠٤] والثاني: أن عمَّار بنَ يَاسِرٍ كان مع خَالد بن الوَليدِ في سَرِيَّةٍ، فهرب القومُ، ودخل رجلٌ منهم على عَمَّار، فقال: إني قد أَسْلَمْت، هل ينفعني، أو أذهب كما ذهب قومي؟ قال عمَّارُ: أَقِمْ فأنتَ آمِنٌ، فرجع الرجل، وأقامَ فجاء خَالد، فأخذ الرجلَ، فقال عمَّار: إنِّي قد أَمَّنْتُه، وإنه قد أَسْلَمَ، قال: أَتُجيرُ عليَّ وأنا الأمير؟ فتنَازَعا، وقَدِما على رسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ طاعةُ الرسول في حياته: امتثالُ أَمْرِه، واجتنابُ نَهْيِه، وبعد مَماتِه: اتِّباع سُنَّتِه. وفي أُولِي الأمر أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الأُمراءُ، قاله أبو هُريرةَ، وابن عباسٍ في روايةٍ، وزيدُ بن أَسْلَمَ والسُّدِّيُّ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنهم العلماء، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، وهو قول جَابر بن عبد الله والحسَنِ وأبي العَالِيَة وعَطاءٍ والنُّخعيِّ والضَّحَّاكِ، ورواه خُصَيف عن مُجاهدٍ. **والثالث**: أنهم أصحاب النبيِّ ﷺ، رواه ابن أبي نَجِيحٍ عن مُجاهدٍ، وبه قال بَكرُ بن عبد الله المُزَنِيُّ. **والرابع**: أنهم أبو بَكرٍ وعُمرُ، وهذا قول عِكرمةَ[١].

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ قال الزجَّاجُ: معناه: اِخْتَلَفْتُم. وقال كل فريقٍ: القولُ قَولي. واشتقاق المُنَازَعة: أنَّ كلَّ واحدٍ يَنْتَزِعُ الحُجَّةَ.

قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ في كيفيَّة هذا الرَّدِّ قولان: **أحدهما**: أنَّ رَدَّه إلى الله رَدُّهُ إلى كِتَابه، ورَدُّهُ إلى النبيِّ رَدُّهُ إلى سُنَّتِه، هذا قول مُجاهدٍ، وقَتادةَ، والجمهور. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا الرَّدُّ يكون من وجهين: أحدهما: إلى المَنْصُوص عليه باسمِه ومعناه. والثاني: الرَّدُّ إليهما من جهة الدَّلالة عليه، واعتباره من طريق القِيَاس، والنَّظَائر. **والقول الثاني**: أنَّ رَدَّهُ إلى الله ورسوله أن يقول مَنْ لا يَعْلَمُ الشيءَ: اللهُ ورسُولُه أَعْلَمُ، ذَكرهُ قومٌ، منهم الزجَّاجُ.

= أبا سعيد الخدري قال: «بعث رسول الله ﷺ علقمة بن محرز على بعث أنا فيهم، حتى انتهينا إلى رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق، أذن لطائفة من الجيش وأمر عليهم عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي وكان من أصحاب بدر وكانت فيه دعابة ـ يعني مزاحاً ـ وكنت ممن رجع معه، فنزلنا ببعض الطريق قال: وأوقد القوم ناراً ليصنعوا عليها صنيعاً لهم أو يصطلون، قال: فقال لهم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فما أنا بآمركم بشيء إن صنعتموه؟ قالوا بلى، قال: أعزم عليكم بحقي وطاعتي لما تواثبتم في هذه النار، فقام ناس فتحجزوا حتى إذا ظن أنهم واثبون، قال: احبسوا أنفسكم، فإنما كنت أضحك معكم، فذكروا ذلك للنبي ﷺ بعد أن قدموا، فقال النبي ﷺ: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه» لفظ أحمد. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٢٩٢ و «الشوكاني» ٦٧٣ بتخريجنا.

[٣٠٤] ضعيف. أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٣٠ من طريق الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس. والحكم بن ظهير متروك الحديث وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس. واسم أبي صالح باذام. وأخرجه الطبري ٩٨٦٦ عن السدي وهذا معضل، ومع ذلك فالسدي متكلم فيه إذا وصل الحديث فكيف إذا رواه معضلاً. وخبر خالد وعمار في الصحيح بغير هذا السياق، وليس فيه ذكر نزول الآية.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/ ١٥٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال هم الأمراء والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة.

وفي المراد بالتَّأويل أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الجَزَاءُ، والثَّواب، وهو قول مُجاهِدٍ، وقَتادة. **والثاني**: أنه العاقبة، وهو قول السُّدِّيّ، وابن زيدٍ، وابن قُتيبةَ، والزجَّاجِ. **والثالث**: أنه التَّصديق، مثل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾. قاله ابن زيدٍ في روايةٍ. **والرابع**: أن معناه: رَدُّكم إياه إلى الله ورسوله أحسنُ مِنْ تأويلكم، ذَكَرَهُ الزجَّاجُ[1].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ **في سبب نزولها أربعة أقوالٍ**:

[٣٠٥] أحدها: أنها نزلت في رجلٍ من المنافقين كان بَيْنَه وبين يهوديّ خصومةٌ، فقال اليهوديُّ: اِنْطَلِق بنا إلى محمَّدٍ، وقال المُنافق: بل إلى كَعبِ بن الأَشْرَف، فأَبى اليهوديُّ، فأَتَيا النبيَّ ﷺ، فقضى لليهوديّ، فلمّا خَرَجا، قال المُنافق: ننطلقُ إلى عُمَر بن الخَطَّابِ، فأَقْبَلا إليه، فقصَّا عليه القِصَّة، فقال: رُوَيداً حتى أَخْرُجَ إليكما، فدخلَ البيتَ، فاشتَمَلَ على السَّيف، ثم خَرَجَ، فضربَ به المُنافقَ حتى بَرِدَ[2]، وقال: هكذا أَقْضِي بينَ مَنْ لَمْ يَرْضَ بقضاء الله ورسولِهِ، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ.

---

[٣٠٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣١ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بدون إسناد، والكلبي متروك متهم. وكذا ذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٢٠ ونسبه للثعلبي من حديث ابن عباس.
ـ وأخرجه الطبري ٩٩٠٠ عن قتادة مرسلاً بنحوه دون ذكر عجزه، أي دون ذكر عمر بن الخطاب وفعله.
ـ وورد بنحوه عن عتبة بن ضمرة مرسلاً كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية. وكذا ذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٢٢ عن عتبة بن ضمرة ونسبه للحافظ دحيم في «تفسيره». وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود مرسلاً كما في «الدر» ٢/ ٣٢٢ وقال الحافظ ابن كثير ١/ ٥٣٣: وهذا مرسل غريب. وكذا أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن مكحول مرسلاً كما في «الدر» ٢/ ٣٢٣.
الخلاصة: أما قتل عمر للمنافق فهو ضعيف، وأما أصل التحاكم من غير ذكر عمر وما بعده، فله شواهد تعضده، راجع تفصيل ذلك في «أحكام القرآن» لابن العربي ٥١٥ بتخريجي. وانظر الآتي.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ١/ ٥٣٠ـ ٥٣١: وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال الله تعالى: **﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾** [الشورى: ١٠]، فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولهذا قال تعالى **﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم **﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** فدل على أن من لا يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر. وقوله: **﴿ذلك خير﴾** أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع في فصل النزاع إليهما خير **﴿وأحسن تأويلا﴾** أي: وأحسن عاقبة ومآلاً، كما قاله السدي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب.

(٢) حتى بَرِد: أي حتى مات.

[٣٠٦] **والثاني**: أنَّ أبا برزة[1] الأَسْلَميّ كان كَاهِناً يَقْضِي بين اليهود، فتنَافَر إِليه ناسٌ من المسلمين فنزلت هذه الآية، رواه عِكرمةُ، عن ابن عباسٍ.

[٣٠٧] **والثالث**: أنَّ يهوديّاً ومُنافقاً كانت بينهما خُصومةٌ، فدَعَا اليهوديُّ المنافقَ إِلى النبيِّ، لأنه لا يأخذ الرِّشوةَ، ودَعَا المُنافق إِلى حُكّامِهِم، لأنهم يأخذون الرِّشوةَ، فلمَّا اختَلفَا، اجتمعا أن يُحَكِّما كَاهِناً، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشَّعبيِّ.

[٣٠٨] **والرابع**: أنَّ رجلاً من بني النَّضِير قتل رجلاً من بَني قُرَيظَةَ، فاختصموا، فقال المنافقون منهم: اِنطَلِقوا إِلى أبي برزة الكَاهِن، فقال المسلمون من الفريقين: بل إِلى النبيِّ ﷺ، فأَبَى المنافقون، فانطلقوا إِلى الكَاهِن، فنزلت هذه الآية. هذا قول السُّدِّيِّ.

والزَّعم والزُّعم لُغتان، وأكثر ما يستعمل في قولٍ ما لا تَتَحقَّقُ صحته، وفي الذين زعموا أنهم آمنوا بما أنزل إِليه وما أنزل من قبله قولان: **أحدهما**: أنه المُنَافق. **والثاني**: أن الذي زَعَم أنه آمنَ بما أُنزل إِليه المُنافق، والذي زَعَم أنه آمنَ بما أُنزل مِنْ قبله اليهوديُّ. والطَّاغوت: كَعْبُ بن الأَشْرَف، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، والرَّبيعُ، ومُقاتلٌ. قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ قال مُقاتلٌ: أن يَتبَرَّؤوا من الكَهَنة، و «الضَّلال البعيد»: الطَّويل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝٦١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال مُجاهدٌ: هذه الآية والتي قَبْلَها نزلتَا في خُصومة اليهوديِّ، والمُنافق، والهاء والميم في «لهم»: إِشارةٌ إِلى الذين يَزعمُون، و ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: أحكامُ القرآن. ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: إِلى حُكْمِهِ[2].

---

[٣٠٦] حسن. أخرجه الطبراني ١١/ ١٢٠٤٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٨ عن ابن عباس وإسناده حسن، وقال الحافظ في «الإصابة ٤/ ١٩»: إسناده جيد. وأخرجه ابن أبي بسند صحيح كما في «الدر» ٣٢٠.

[٣٠٧] مرسل. أخرجه الطبري ٩٨٩٨ عن الشعبي مرسلاً، وهو شاهد لأصل الخبر المتقدم أولاً.

[٣٠٨] مرسل. أخرجه الطبري ٩٩٠١ عن السدي مرسلاً، فهو ضعيف، لكن يشهد للحديث المتقدم أولاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٢ عن السدي بدون إسناد.

---

(١) وقع في المطبوع هنا وفي الحديث الآتي (٣٠٨): «أبو بردة» والتصويب من كتب التخريج.

(٢) يفهم من سياق الآية عدم صحة إيمان من يتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأن الله عز وجل سمّى من يدعي الإيمان بالقرآن وبالكتب السابقة ثم هو يتحاكم إلى ما ابتدعه البشر من تشريعات وقوانين وغير ذلك، فقد سمى الله عز وجل ذلك المدعي للإيمان بأنه يزعم ذلك، يعني ليس ذلك بصحيح ولا مقبول منه، ثم ذكر الله المنافقين. وهذا دليل على أن الله عز وجل قد أدرج هذا الزاعم في زمرة المنافقين. وإن كان يدّعي الإسلام ويتظاهر بالصلاة ونحوها، وقد قال الله تعالى **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** نسأل الله السلامة. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٣١: هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، والآية أعم من ذلك كله فإنها ذامّة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا ولهذا قال **﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾** إلى آخرها. وقوله: =

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ﴾ أي: كيف يَصنَعون ويَحْتالُون إذا أصابتهم عُقوبةٌ من الله؟ وفي المراد بالمُصيبة قولان: **أحدهما**: أنه تهديدٌ ووعيدٌ. **والثاني**: أنه قَتْلُ المنافق الذي قَتَلَهُ عُمرُ. وفي الذي قَدَّمَتْ أيديهم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: نِفَاقهم واستهزاؤهم. **والثاني**: رَدُّهم حُكْمَ النبيِّ ﷺ. **والثالث**: مَعاصِيهم المُتَقدِّمة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ بمعنى. ما أَرَدْنَا. قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه لما قَتَلَ عُمرُ صاحبَهم، جاؤوا يطلبون بدَمِه، ويَحْلِفُون ما أَرَدْنا في المُطالبة بِدَمِه إلا إحساناً إلينا، وما يُوافق الحقَّ في أَمْرِنَا. **والثاني**: ما أردنا بالتَّرافُع إلى عُمرَ إلا إحساناً وتَوفيقاً. **والثالث**: أنهم جاؤوا يعتذرون إلى النبيِّ ﷺ مِنْ مُحاكَمَتِهم إلى غيره، ويقولون: ما أَرَدْنا في عُدُولِنا عنك إلا إحساناً بالتَّقريب في الحُكْم، وتوفيقاً بين الخُصوم دون الحَمْل على مُرِّ الحقِّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من النِّفاق والزَّيْغ. وقال ابن عباسٍ: إضْمَارهم خِلافَ ما يقولون ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تُعاقبهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلِسَانك ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا﴾ أي: تقدم إليهم: إنْ فعلتُم الثانيةَ، عاقبتُكم. وقال الزجَّاجُ: يُقال: بَلُغَ الرجلُ يَبْلُغُ بلاغةً فهو بَلِيغٌ: إذا كان يَبْلُغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قَلْبِه.

وقد تكلم العلماء في حَدِّ «البلاغة» فقال بعضهم: «البَلاغَةُ»: إيصالُ المعنى إلى القلب في أَحسن صُورةٍ من اللفظ، وقيل: «البَلاغَة»: حُسْنُ العبارة مع صِحَّة المعنى، وقيل: البَلاغَة: الإِيجازُ مع الإِفهَام، والتَّصرُّف من غير إضجَارٍ. قال خالدُ بن صَفوانَ: أحسنُ الكَلامِ ما قَلَّتْ ألفاظُه، وكثُرتْ معانيه، وخيرُ الكلام ما شوَّق أوَّله إلى سَماعِ آخره، وقال غيره: إنما يستحقُّ الكلامُ اسمَ البَلاغَة إذا سابَقَ لَفظُه مَعنَاه، ومعنَاه لَفظَهُ، ولم يَكُنْ لفظُهُ إلى سَمْعِكَ أسبقَ من معناه إلى قَلبِكَ.

فصل: وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ «الإِعْرَاضَ» المذكور في هذه الآية مَنْسُوخٌ بآية السَّيف.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ قال الزجَّاجُ: «من» دخلت للتَّوكيد. والمعنى:

= **﴿ويصدون عنك صدوداً﴾**. أي يعرضون عنك إعراضاً كالمستكبرين عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين **﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾** وهؤلاء بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾** الآية.

وَمَا أَرسَلنا رسولاً إلا لِيُطاعَ. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى: الأمر، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه الإذنُ نَفسُهُ، قاله مُجاهدٌ. وقال الزجّاجُ: المعنى: إلا لِيُطَاع بأنَّ الله أَذِنَ له في ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ يرجع إلى المُتَحَاكِمين اللذَيْن سَبَقَ ذِكرُهما. قال ابن عباسٍ: ظلموا أنفُسَهم بسَخَطِهم قضاءَ الرَّسول: ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ من صَنِيعِهِم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٠٩] أحدهما: أنها نزلت في خُصومةٍ كانت بين الزُّبَيرِ وبين رجلٍ من الأنصار في شِراجِ الحَرَّة[١]، فقال النبيُّ ﷺ للزُّبَيرِ: «اِسْقِ ثمَّ أَرسِلْ إلى جارِكَ» فغضبَ الأنصاريُّ، قال: يا رسولَ الله، أَنْ كان ابنُ عَمَّتِكَ! فَتلوَّن وجهُ رسولِ الله ﷺ، ثم قال للزُّبَير: «اِسْقِ يا زُبَيْر ثُمَّ اِحْبِسِ الماءَ حتَّى يَبْلُغَ الجَدْرَ» قال الزُّبَيْرُ: فوَاللهِ ما أَحْسِبُ هذه الآية نزلت إلا في ذلك. أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ. **والثاني**: أنها نزلت في المُنافق، واليَهوديِّ اللذَيْنِ تَحاكَمَا إلى كَعْبِ بن الأَشْرَفِ، وقد سبقت قِصَّتُهُما، قاله مُجاهدٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يُحَكِّمُوكَ، وقيل: «لا» رَدٌّ لِزَعْمِهِم أنهم مؤمنون، والمعنى: فلاَ، أي: لَيْسَ الأَمْرُ كما يَزعُمون أنهم آمنوا، وهم يُخَالِفُون حُكْمَكَ. ثم اِستأنَفَ، فقال: وَرَبِّك لا يُؤمنون حتى يُحَكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم، أي: فيما اختَلَفُوا فيه. وفي «الحَرَج» قولان: **أحدهما**: أنه الشَّكُّ، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: الضِّيْقُ، قاله أبو عُبيدةَ، والزجّاجُ. وفي قوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ قولان: **أحدهما**: يُسَلِّمُوا لِمَا أَمَرْتَهُم به، فلا يُعَارِضُونَكَ، هذا قول ابن عباسٍ، والزجّاجِ، والجُمهور. **والثاني**: يُسَلِّمُوا ما تَنَازَعُوا فيه لِحُكْمِكَ، قاله المَاوَرديُّ[٣].

---

[٣٠٩] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٠٨ عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن عروة بن الزبير عن الزبير.
وأخرجه البخاري ٢٣٥٩ و ٢٣٦١ و ٢٣٦٢ و ٤٥٨٥ ومسلم ٢٣٥٧ وأبو داود ٣٦٣٧ والترمذي ١٣٦٣ والنسائي ٨/ ٢٤٥ وابن ماجه ١٥ و ٢٤٨٠ وأحمد ٤/ ٤ ـ ٥ و ١٦٥ وابن حبان ٢٤ وابن الجارود ١٠٢١ والطبري ٩٩١٧ و ٩٩١٨ والبيهقي ٦/ ١٥٣ و ١٥٤ و ١٠/ ١٠٦ من طرق عن الزهري به.

---

(١) في «اللسان» الشراج: بكسر الشين جمع شَرْج، والشرج: مسيل الماء من الحرّة إلى السهل، والحرّة: موضع معروف في المدينة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنما أحرقت بالنار كما في «معجم البلدان» ٢/ ٢٤٤.

(٢) تقدم عند الآية ٦٠ برقم ٣٠٥.

(٣) يقسم الله عز وجل بذاته جلّ وعلا بأن الذي يتحاكم إلى غير رسول الله ﷺ. أي إلى غير الكتاب والسنة، بأنه ليس بمؤمن ولا يصح إيمانه، وأنه مردود عليه. وهذا ينطبق على أولئك الذين اختاروا القوانين الوضعية على القوانين الشرعية. فليحذر هؤلاء أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم. وهذا في الدنيا. وأما في الآخرة، فإنهم إن ماتوا على ذلك، حشروا مع الكفرة، بل ربما كانوا أسفل منهم. فإن الله يقول: **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** وقال تعالى: **﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾**.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾

[٣١٠] سبب نزولها: أنَّ رجلاً من اليهود قال: واللهِ لقد كَتَبَ اللهُ علينا أَنِ اُقْتُلوا أنفسَكم، فَقَتَلْنَاها. فقال ثابتُ بن قَيسِ بن الشَّمَّاسِ: واللهِ لو كَتَبَ اللهُ علينا ذلك لَفَعلْنَا، فنزلت هذه الآية. هذا قول السُّدِّيّ.

قال الزجَّاجُ: «لو» يَمْتَنِعُ به الشَّيء لامتِناع غَيْرِهِ، تقول: لو جاءني زيدٌ لَجِئْتُه. والمعنى: أنَّ مجيئَكَ امتنعَ لامتِناع مَجيئه، و ﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: فَرَضْنَا. والمعنى: لو أنَّا فَرَضنا على المؤمنين بك أن اُقْتُلوا أنفسَكم. قرأ أبو عمرو: ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، بكسر النون، «أَوُ اخْرُجُوا» بضمِّ الواو. وقرأ ابن عامرٍ، وابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، والكِسَائيُّ: «أَنُ اقتلوا» «أَوُ اخرجوا» بضم النون والواو. وقرأ عَاصمٌ، وحَمزةُ بكسرهما. والمعنى: لو فَرَضْنَا عليهم كما فَرَضْنَا على قوم موسى، لم يفعله ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ هذه قراءة الجُمهور. وقرأ ابن عَامرٍ: «إلا قليلاً» بالنَّصب. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ يعني: المنافقين الذين يَزْعُمون أنهم آمنوا، وهم يَتَحاكَمُون إلى الطَّاغُوت، ويَصُدُّون عنك ﴿فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: ما يُذَكَّرون به من طاعة الله، والوقوف مع أَمْرِه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وأَثْبتُ لأمورهم. وقال السُّدِّيُّ: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي: تصديقاً.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٣١١] **أحدها**: أن ثَوبَانَ مَولى رسول الله ﷺ كان شديدَ المحبَّة للنبيِّ ﷺ، فرآه رسولُ الله يوماً

---

[٣١٠] أخرجه الطبري ٩٩٢٥ وابن أبي حاتم كما في ابن كثير ١/ ٥٣٤ عن السدي مرسلاً، فهو ضعيف.

[٣١١] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٤ م عن الكلبي بدون إسناد، والكلبي متروك متهم، لكن ورد بنحو هذا السياق من حديث عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إليّ من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية **﴿ومن يطع الله والرسول...﴾** الآية. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٤٨٠ و «الصغير» ٥٢ والضياء المقدسي في «صفة الجنة» كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٣٥. وقال ابن كثير: قال الحافظ الضياء المقدسي: لا أرى بإسناده بأساً ووافقه ابن كثير.

ـ وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٧: رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة اهـ.

ـ وفي الباب أيضاً من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢٥٥٩ وفي إسناده عطاء بن السائب، وقد اختلط كذا قال الهيثمي. لكن يصلح شاهداً لما قبله. وفي الباب أحاديث أخرى، انظر «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٤ فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم، راجع «أحكام القرآن» ٥١٨ بتخريجنا.

فعَرفَ الحُزن في وجهه، فقال: يا ثَوبَانُ ما غَيَّرَ وَجْهَكَ؟ قال: ما بِيَ من وَجع غيرَ أنّي إذا لم أرَكَ اشتقتُ إليكَ، فأَذْكُرَ الآخرةَ، فأَخَافُ أنْ لا أراكَ هناكَ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحِ عن ابن عباسٍ.

[٣١٢] والثاني: أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ قالوا له: ما ينبغي أن نُفَارقكَ في الدُّنيا، فإنَّكَ إذا فَارَقْتَنا رُفِعتَ فَوقَنا، فنزلت هذه الآية. هذا قولُ مَسْرُوقٍ.

[٣١٣] والثالث: أنَّ رجلاً من الأنصار جاء إلى النبيِّ ﷺ وهو مَحزُونٌ، فقال: ما لِيَ أراكَ مَحْزُوناً؟ فقال: يا رسولَ الله غداً تُرفَعُ مع الأنبياء، فلا نَصِلُ إليكَ. فنزلت هذه الآية. هذا قول سعيدِ بن جُبيرِ.

قال ابن عباسٍ: ومن يُطع اللهَ في الفَرائض، والرَّسولَ في السُّنَن. قال ابن قُتيبة: والصِّدِّيق: الكثير الصِّدق، كما يقال: فِسِّيق، وسِكِّير، وشِرِّيب، وخِمِّير، وسِكِّيت، وفِجِّير، وعِشِّيق، وضِلِّيل، وظِلِّيم: إذا كَثُرَ منه ذلك. ولا يُقال ذلك لِمَنْ فَعلَ الشيء مرَّةً، أو مرتين حتى يَكْثُرَ منه ذلك، أو يكون عادةً. فأما الشهداء، فجمع شَهيدٍ وهو القَتيلُ في سبيل الله. وفي تسميته بالشَّهيد خمسة أقوالٍ: **أحدها**: لأنَّ الله تعالى وملائكته شَهِدُوا له بالجنَّة، قاله ثَعلَبٌ. **والثاني**: لأنَّ ملائكة الرَّحمة تَشهدُه. **والثالث**: لِسُقوطه بالأرض، والأَرْضُ: هي الشَّاهِدة، ذكر القولين ابنُ فارسِ اللغَويُّ. **والرابع**: لِقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي. **والخامس**: لأنه يَشْهَدُ ما أعدَّ اللهُ له من الكَرامة بالقَتْل، قاله شَيخُنا عليُّ بن عُبيدِ الله.

فأما الصَّالحون، فهو اسمٌ لكلِّ مَنْ صَلُحَتْ سَريرتُه وعَلانيتُه. والجمهور على أن النَّبيينَ، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، والصَّالحين عامٌّ في جميع مَنْ هذه صِفَتُهُ. وقال عِكرمةُ: المُراد بالنَّبيينَ هاهنا مُحمَّدٌ، والصِّديقين أبو بَكرٍ، وبالشُّهداء عُمرُ وعُثمانُ وعَليٌّ، وبالصَّالحين سائرُ الصَّحابة.

قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ قال الزجَّاجُ: «رَفيقاً» منصوبٌ على التَّمييز، وهو ينوب عن رُفَقاء، قال الشاعر:

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظَامُها فَبِيضٌ وأمَّا جِلدُهَا فَصَلِيبُ[١]

وقال آخر:

في حَلْقِكُم عَظْمٌ وَقَدْ شُجِينَا[٢]

يريد: في حُلوقِكم عِظَامٌ. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ﴾ الذي أعطي المذكورين ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بالمَقاصد والنِّيات.

---

[٣١٢] مرسل. أخرجه الطبري ٩٩٣٠ والواحدي ٣٣٥ عن مسروق مرسلاً، وكرره ٩٩٣١ من مرسل قتادة و ٩٩٣٢ من مرسل السدي، فهذه المراسيل تتقوى بمجموعها، وانظر ما قبله. و «تفسير القرطبي» ٢٣١٠.

[٣١٣] مرسل. أخرجه الطبري ٩٩٢٩ عن سعيد بن جبير مرسلاً، وهو شاهد قوي لما تقدم.

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة «الكتاب» ١/ ١٠٧ وقد تقدم.

(٢) هو عجز بيت للمسيب بن زيد مناة الغنوي وصدره: لا تنكر القتل وقد سُبينا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (٧١)﴾

قوله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اِحذَروا عدُوَّكم. **والثاني**: خُذُوا سِلاَحَكم.

قوله تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ قال ابن قُتيبةَ: أي: جماعاتٍ، وَاحِدتُها: ثُبَة، يريد جماعةً بعد جماعةٍ. وقال الزجَّاجُ: «الثُّباتُ»: الجماعات المُتفرِّقة. قال زُهيرٌ:

وقَـدْ أغـدُوا عـلـى ثُـبَـةٍ كِـرام نَـشَـاوَى وَاجِـدِيـن لِـمَـا نَـشَـاءُ

قال ابن عباسٍ: فانفِروا ثُباتٍ، أي: عُصباً، سَرَايا مُتفرِّقين، أو انِفروا جميعاً، يعني كُلَّكم.

فصل: وقد نقل عن ابن عباسٍ أنَّ هذه الآية وقوله ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٢)] منسوخاتٌ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾[(٣)] قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: والأَمْرُ في ذلك بحَسبِ ما يراه الإمامُ، وليسَ في هذا من المَنسُوخ شيءٌ.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

[٣١٤] **أحدهما**: أنها في المنافقين، كعبدِ الله بن أُبيٍّ، وأصحابه كانوا يَتثَاقَلُون عن الجهاد، فإن لَقِيَتْ السَّرِيَّة نكبةً، قال مَنْ أَبطَأَ منهم: لقد أنعَمَ اللَّهُ عليَّ، وإن لَقُوا غنيمةً، قال: يا ليتني كنتُ مَعهُمْ. هذا قول ابن عباسٍ، وابن جُريجٍ.

والثاني: أنها نزلت في المسلمين الذين قَلَّت عُلومُهم بأحكام الدِّين، فَتَثَبَّطُوا لِقِلَّة العِلم، لا لِضَعفِ الدِّين، ذكرهُ المَاورديُّ وغيرُه. فعلى الأَوَّل تكون إضافتهم إلى المؤمنين بقوله «منكم» لِمَوضع نُطقهم بالإسلام، وجَرَيان أحكامه عليهم، وعلى الثاني تكون الإضافة حقيقةً.

قال ابن جَرير: اللام في ﴿لَمَن﴾ لام تأكيد. قال الزجَّاجُ: واللام في ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لامُ القَسَم، كقولك: إنَّ منكم لَمَنْ أحلفُ بالله لَيُبطِّئنَّ، يقال: «أبطأَ الرَّجلُ» و «بَطُؤ» فمعنى «أبطأ»: تأخَّر، ومعنى «بَطُؤ»: ثَقُلَ. وقرأ أبو جَعفَر: «لَيُبَطِّئن» بتخفيف الهمزة. وفي معنى «لَيُبَطِّئَنَّ» قولان: **أحدهما**: لَيُبَطِّئَنَّ هو نَفْسُه، وهو قول ابن عباس. **والثاني**: لَيُبَطِّئَنَّ غَيْرَهُ، قاله ابن جُريجٍ. قال ابن عباسٍ: و «المُصِيبَة»: النَّكبَة. و «الفَضلُ مِنَ الله»: الفَتحُ والغَنِيمَة.

قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وحَفصٌ، والمُفَضَّل، عن عَاصمٍ:

---

[٣١٤] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٩٤٣ عن ابن جريج، وهذا معضل.
ـ وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٢/١٨٣ عن مقاتل بن حيان، وهذا معضل أيضاً.
ـ وعزاه المصنف لابن عباس، والظاهر أنه من رواية الكلبي، وهو متروك عن أبي صالح عن ابن عباس.

---

(١) سورة التوبة: ٤١. (٢) سورة التوبة: ٣٩. (٣) سورة التوبة: ١٢٢.

(كَأَن لَم تَكُن) بالتاء، لأن الفاعل المُسْنَد إليه مؤنَّثٌ في اللفظ، وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكر، عن عَاصم: يَكُنْ بالياء، لأن التّأنيثَ ليس بحقيقي. قال الزجّاجُ: يجوز أن يكون المعنى: لَيَقُولَنَّ يا لَيْتَني كنتُ مَعهم، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بينكم وبينه مَوَدَّةٌ، أي: كأنَّه لم يُعَاقِدْكُم على أن يُجاهدَ معكم، ويجوز أن يكون هذا الكلام مُعْتَرضاً به، فيكون المعنى: وَلَئِنْ أصابَكُم فضلٌ من الله لَيَقُولَنَّ يا لَيْتَني كنتَ معهم فإنْ أَصَابَتْكُم مصيبةٌ، قال: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عليَّ، كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بينكم وبينَهُ مَوَدَّةٌ. فيكون معنى «المَوَدَّة» أي: كأنَّه لم يُعَاقِدْكُم على الإيمان.

﴿۞ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ يشرون ها هنا: بمعنى يَبْتَغُون في قول الجماعة. وأنشدوا:

وشَرَيْتُ... بُرداً لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُردٍ كُنْتُ هَامَه[1]

و «بُرد» غُلامٌ له بَاعَهُ.

ومعنى الآية: لِيَكُن قتال المقاتلِينَ على وجه الإخلاص وطَلَب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ خرجَ مخرجَ الغَالِب، وقد يُثَاب مَنْ لم يَغلِب ولَم يُقتَل.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ قال الفَرَّاءُ: تقديره: وفي المُسْتَضْعَفين. وكذلك رُوي عن ابن عباسٍ. وقال الزجّاجُ: المُستضعَفُون في موضع خَفضٍ، والمعنى في سبيل الله، وسبيل المُستضعَفِين، أي: ما لكم لا تَسْعون في خَلاصِ هؤلاءِ؟ قال ابن عباسٍ: وهُمْ ناسٌ مسلمون كانوا بمكَّةَ لا يستطيعون أن يخرجوا. و «القرية»: مَكَّةُ في قول الجماعة. قال الفَرَّاءُ: وإنما خَفضَ ﴿ٱلظَّالِمِ﴾ لأنه نَعْتٌ للأهل، فلمَّا عادَ الأهلُ على القرية كان فِعْلُ ما أُضيف إليها بمنزلة فِعْلِهَا، تقول: مررتُ بالرَّجُل الواسعةِ دَارُهُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ قال أبو سُليمانَ: سألوا اللهَ وليّاً من عنده يَلِي إخراجَهم منها، ونَصيراً يَمْنَعُهم من المشركين. قال ابن عباس:

[٣١٥] فلما فتحَ رسولُ الله مكّةَ، جعل الله عزَّ وجلَّ النبيَّ عليه السلام وَلِيَّهم، واستعملَ عليهم

---

[٣١٥] سيأتي تخريجه إن شاء الله.

---

(١) البيت لابن مفرغ، شاعر إسلامي، وهو من حمير «الخزانة»: ٢/ ٢١٤. وفي «اللسان»: الهامة: فإن العرب كانت تقول إن عظام الموتى، وقيل أرواحهم تصير هامةً فتطير، وقيل كانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت الصدى فنهاهم الإسلام عنه، ويقال أصبح فلان هامة إذا مات.

رسولُ الله ﷺ عتّابَ بن أُسَيْدٍ، فكان نَصيراً لهم، يُنصِفُ الضعيفَ من القوي.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الطَّاغوت ها هنا في معنى جماعةٍ، كقوله ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ معناه: ولحم الخنازير. قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني: مَكْرُهُ وَصَنِيعُهُ ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ حيث خَذَلَ أصحابَه يومَ بَدرٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

[٣١٦] **أحدهما**: أنها نزلت في نَفَرٍ من المهاجرين، كانوا يُحِبُّون أن يُؤذَن لهم في قتال المشركين وهم بمكّةَ قبل أن يُفرَضَ القتال، فنُهوا عن ذلك، فلما أُذِنَ لهم فيه، كَرِهَهُ بعضُهُم. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباسٍ، وهو قول قَتادَة، والسُّدِّيّ، ومُقاتِلٍ.

والثاني: أنها نزلت وَاصِفَةً أحوالَ قوم كانوا في الزمان المُتَقَدِّم، فحُذِّرت هذه الأمّة من مثلِ حالهم، روى هذا المعنى عَطِيَّةُ، عن ابن عباسٍ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: كأنه يُومِئ إلى قصة الذين قالوا: اِبْعَثْ لنا مَلِكاً. وقال مُجاهدٌ: هيَ في اليهود.

فأما كفُّ اليَدِ، فالمُراد به: الامتِنَاع عن القتال، ذلك كان بمكّةَ. و «كُتب» بمعنى: فُرِض، وذلك بالمَدينة، هذا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ في هذا الفريق ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المُنافقون. **والثاني**: أنهم كانوا مؤمنين، فلما فُرِض القتال، نافقوا جُبْناً وخَوفاً. **والثالث**: أنهم مؤمنون غير أنَّ طَبَائِعَهم غَلَبَتْهم، فَنَفَرت نفوسُهم عن القتال.

قوله: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ في المراد بالناس قولان: **أحدهما**: كُفَّارُ مكَّةَ. **والثاني**: جميع الكفّار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ قيل: إن «أو» بمعنى الواو، و «كَتَبْتَ» بمعنى: فَرَضْتَ. و «لولا» بمعنى «هلاّ»، قال الفراء: إذا لم تر بعدها اسماً فهي استفهام بمعنى هلاّ، وإذا رأيتَ بعدها اسماً مرفوعاً، فهي

---

[٣١٦] خبر منكر. وورد بذكر ابن عوف وجماعة، لم يسم غير ابن عوف برواية عكرمة عن ابن عباس أخرجه النسائي ٦/٣ وفي «التفسير» ١٣٢ والحاكم ٢/٦٦ و٣٠٧ والبيهقي ٩/١١ والواحدي ٣٣٩ ورجاله ثقات وصححه الحاكم على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، مع أن في إسناده حسين بن واقد وهو من رجال مسلم فقط، فهو على شرط مسلم، ومع ذلك حسين بن واقد فيه ضعف، وقد استنكر الإمام أحمد بعض ما ينفرد به، وهذا الخبر غريب، فإن ظاهر القرآن يدل على أن المخاطب بذلك فئة من المنافقين كابن سلول وأمثاله، ولا يصح هذا السياق في أحد من المهاجرين السابقين والله أعلم.

التي جوابُها اللام، تقول: لَولا عبدُ الله لَضَربْتُكَ. وقال ابن قُتيبةَ: إذا رأيتَها بغير جوابٍ، فهي بمعنى «هلاّ»، تقول: لَولا فَعلتَ كذا، ومثلها «لومَا»، فإذا رأيتَ لـ «لولا» جَواباً، فليست بمعنى «هلاّ»، إنما هي التي تكون لأمرٍ يقعُ بوقوعِ غيره، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]. قلتُ: فأما «لولا» التي لها جوابٌ فكثيرةٌ في الكلام، وأنشدوا في ذلك:

لَولا الحَياءُ وأنَّ رَأسِي قَدْ عَثَا ... فيهِ المَشِيبُ لزُرتُ أُمَّ القَاسِمِ[2]

وأمّا التي بمعنى «هلاّ» فأنشدوا منها:

تَعُدُّون عقْرَ النِّيبِ أفضَلَ مجدِكُمْ ... بني ضَوْطَرىٰ لولا الكَميَّ المُقَنَّعا[3]

أراد: فهلاّ تعدون الكَمِيَّ، والكَمِيُّ: الدَّاخِلُ في السِّلاح.

وفي الأجل القَريب قولان: **أحدهما**: أنه المَوت، فكأنهم قالوا: هَلاَّ تركتنا نموت موتاً، وعَافَيْتَنا من القَتْلِ، هذا قول السُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنه إمْهَالُ زمانٍ، فكأنهم قالوا: هَلاَّ أَخَّرْتَ فَرضَ الجهاد عنَّا قليلاً حتى نَكثُر ونقْوَى، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ في آخرين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ أي: مُدَّة الحياة فيها قليلةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وابن عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: ولا يُظلمون بالياء. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ: بالتاء، وقد سبق ذكر المَتَاع والفَتِيْل.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾. سبب نزولها أن المنافقين قالوا في حَقِّ شُهداء أُحُدٍ: لو كانوا عندَنا ما مَاتُوا، وما قُتلوا، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس[4]، ومُقاتلٍ. والبُرُوجُ: الحُصُون، قاله ابن عباسٍ وابن قُتيبةَ. وفي «المُشَيَّدة» خمسة أقوالٍ[5]: **أحدها**: أنَّها الحَصِينَة، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: المُطَوَّلَة، قاله أبو مَالكٍ، ومُقاتلٌ، وابن قُتيبةَ. **والثالث**: المُجَصَّصَةُ، قاله

---

(١) سورة الصافات: ١٤٣ـ ١٤٤.

(٢) البيت لعدي بن الرقاع وفي «اللسان» عثا فيه المشيب: أفسده أشد الإفساد.

(٣) البيت لجرير بن عطية كما في «الخزانة» ١/ ٤٦١ وقوله: عقر النبيب، عقر الناقة المسنّة: ضرب قوائمها فقطعها. وفي حديث ابن عباس: «لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فإني لا آمن أن يكون مما أهل به لغير الله». هو عقرهم الإبل كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء، فيعقر هذا إبلاً ويعقر هذا إبلاً حتى يعجز أحدهما الآخر. وقوله: «بني ضوطرى» يعني: يا بني الحمقى، ويقال للقوم إذا كانوا لا يغنون غناء: بنو ضوطرى. والكمي: الشجاع الذي لا يرهب، والمقنع: على رأسه البيضة والمغفر.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٠ برواية أبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح وعنه الكلبي؛ رويا تفسيراً مصنوعاً عن ابن عباس. فالإسناد ساقط، وإن كان ظاهر الآية يدل على أن المراد بذلك المنافقون.

(٥) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٢٧١: واختلف العلماء وأهل التأويل في المراد بهذه البروج، فقال الأكثر وهو الأصح: إنه أراد البروج في الحصون التي في الأرض المبنية، لأنها غاية البشر في التحصّن والمنعة، فمثّل الله لهم بها.

هِلاَلُ بن خَبَّاب، واليَزيديُّ. **والرابع**: أنها المَبْنيَّة بالشَّيدِ، وهو الجِصّ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. **والخامس**: أنها بُروجٌ في السَّماء، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ، والثَّوريُّ. وقال السُّدِّيُّ: هي قصورٌ بِيْضٌ في السَّماء مَبْنيَّةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ اختلفوا فيهم على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المنافقون واليهود، قاله ابن عباس. **والثاني**: المُنافقون، قاله الحَسنُ. **والثالث**: اليهودُ، قاله ابن السَّري. وفي الحَسنةِ والسَّيئةِ قولان: **أحدهما**: أنَّ الحسنةَ: الخِصْبُ، والمَطَر. والسَّيئة: الجَدْبُ، والغَلاءُ، رواه أبو صالح، عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أن الحَسنةَ: الفَتحُ والغَنيمَة، والسَّيئة: الهَزيمةُ والجِراحُ، ونحو ذلك، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ قولان: **أحدهما**: بِشُؤمِكَ، قال ابن عباسٍ. **والثاني**: بِسُوءِ تَدبيرِكَ، قاله ابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ: الحَسنةُ والسَّيئةُ، أما الحَسنةُ، فأنْعَمَ بها عليكَ، وأمّا السَّيئةُ، فابْتَلاكَ بها. قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ وَقَفَ أبو عمروٍ، والكِسائيُّ على الألف من «فما» في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ و ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ﴾ و ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾ و ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والباقون وَقَفُوا على اللام. فأمّا «الحَديث»، فقيل: هو القُرآن، فكأنه قال: لا يَفقهُون القرآن، فيُؤمنون به، ويعلمون أن الكُلَّ من عند الله.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ في المُخاطب بهذا الكلام ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه عامٌّ، فتقديره: ما أصابَكَ أيُّها الإنسان، قاله قَتادةُ.

والثاني: أنه خطابٌ للنبيِّ ﷺ، والمُراد به غيره، ذكره المَاورديُّ. وقال ابن الأنْباريِّ: ما أصابكَ اللَّهُ من حَسنةٍ، وما أصابكَ اللَّهُ به من سَيِّئةٍ، فالفِعلان يَرْجِعَان إلى الله عزَّ وجلَّ.

وفي «الحَسنة» و «السَّيئة» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن الحَسنة: ما فُتِحَ عليه يومَ بَدْرٍ، والسَّيئة: ما أصابه يومَ أُحُدٍ، رواه ابن أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباس. **والثاني**: الحَسنةُ: الطَّاعة، والسَّيِّئَةُ: المَعصية، قاله أبو العَالِيَة. **والثالث**: الحَسنةُ: النِّعمَةُ، والسَّيئَةُ: البَلِيَّة، قاله ابن قُتيبة، وعن أبي العَالِيَة نحوه، وهو أصحُّ، لأنَّ الآية عامَّةٌ. وروى كرداب، عن يَعقوبَ: «ما أَصابَكَ من حسنة فَمَنُ اللهِ» بتشديد النون ورفعها ونصب الميم وخفض اسم الله، «وما أصابك من سيئةٍ فَمَنْ نَفْسُكَ» بنصب الميم ورفع السين. وقرأ ابن عباسٍ: «وما أَصابكَ من سيئةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وأنا كَتَبْتُها عليك». وقرأ ابن مسعودٍ: «وأنا عَدَدْتُها عليكَ». قولهُ تعالى: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: فَبِذَنْبِكَ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، والجَماعةُ، وذكر فيه ابن الأَنْبَاريِّ وجهاً آخر، فقال: المعنى: أَفَمِنْ نَفْسِكَ، فأُضمِرت ألِفُ الاستفهام كما أُضمِرت في قوله ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ أي: أَوَ تلكَ نِعمةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ قال الزجّاج: ذِكْرُ الرسول مؤكِّدٌ لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾، والباء في «بالله» مؤكِّدةٌ. والمعنى: وكفى بالله شهيداً. و «شهيداً»: منصوبٌ على التَّمييز، لأنكَ إذا قلتَ: كَفَى بالله، ولم تُبيِّن في أيِّ شيءِ الكِفايَةُ كنت مُبهِماً. وفي المراد بشهادة الله ها هنا ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: شَهيداً لكَ بأنَّك رَسولُه، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: على مَقَالَتِهم، قاله ابن السَّائِبِ. **والثالث**: لكَ بالبَلاغ، وعليهم بالتَّكذيب والنِّفاق، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

فإن قيل: كيف عَابَ اللَّهُ هؤلاءِ حين قالوا: إن الحَسنةَ مِنْ عند الله، والسَّيئةَ مِنْ عند النبيِّ عليه السلام، وَرَدَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ثم عَادَ فقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ فهَلْ قال القومُ إلا هكذا؟ فَعَنْهُ جوابان:

أحدهما: أنهم أضافوا السَّيئة إلى النبيِّ ﷺ تشاؤماً به، فَرَدَّ عليهم، فقال: كلٌّ بتقديرِ الله. ثم قال: ما أصابكَ من حَسنةٍ، فمِنَ الله، أي: مِنْ فَضْلِه، وما أصابكَ من سيئةٍ، فَبِذَنْبِكَ، وإن كان الكُلُّ من الله تقديراً. **والثاني**: أن جماعةً من أرباب المَعاني قالوا: في الكلام مَحذوفٌ مُقَدَّرٌ، تقديره: فما لهؤلاءِ القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابكَ من حسنةٍ فمِنَ الله، وما أصابكَ من سيئةٍ فمن نفسكَ. فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدَّر في القرآن كَثيرٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[1] أي: يقولان: ربَّنا. ومِثْلُه ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾[2] أي: فَحلَق، فَفِدْيةٌ. ومثله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾[3] أي: فيُقال لهم. ومثله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[4] أي: يقولون سَلامٌ. ومثله ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾[5] أراد: لَكانَ هذا القرآن. ومثله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6] أراد: لَعذَّبكم. ومثله ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: يقولون. وقال النَّمِرُ بنُ تَولَب:

فـإنَّ الـمَـنـيَّـة مَـنْ يَـخْـشَـهـا … فَـسَـوْفَ تُـصَـادِفُـهُ أيـنَـمَـا

أراد: أينما ذَهَب. وقال غيره:

فَـأُقْـسِـمُ لَـو شَـيءٌ أَتَـانَـا رَسُـولُـه … سِواكَ ولكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفعَا[7]

أراد: لَرَدَدْناهُ.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ سبب نزولها:

[٣١٧] أن النبيَّ ﷺ قال: «من أَطاعَني، فقد أَطاعَ اللَّهَ، ومن أَحبَّني، فقد أحبَّ الله» فقال المُنافقون: لقد قَاربَ هذا الرجل الشِّرك، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ.

---

[٣١٧] لا أصل له بهذا اللفظ، عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالوضع. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٣٩: لم أجده. وبعض الحديث المرفوع صحيح، ورد في خبر مسند عن النبي ﷺ «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني. وإنما الإمام جُنَّةٌ يُقَاتَل من ورائه، ويتقى به. فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه». =

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧. (٢) سورة البقرة: ١٩٦. (٣) سورة آل عمران: ١٠٦.
(٤) سورة الرعد: ٢٣ ـ ٢٤. (٥) سورة الرعد: ٣٤. (٦) سورة النور: ٢٠.
(٧) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ٢٤٢.

ومعنى الكلام: مَنْ قَبِلَ ما أتى به الرسولُ، فإنما قَبِلَ: ما أَمَرَ اللَّهُ به، ومَنْ تَوَلَّى، أي: أَعْرَضَ عن طَاعته. وفي «الحَفِيظ» قولان: **أحدهما**: أنه الرَّقيبُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: المُحَاسِبُ، قاله السُّدِّيُّ، وابن قُتيبَة.

فصل: قال المفسِّرون: وهذا كان قبلَ الأَمْرِ بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السَّيف.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾.

[٣١٨] نزلت في المنافقين، كانوا يُؤمنون عندَ رسول الله ﷺ لِيأْمَنُوا، فإذا خرجوا، خَالَفُوا، هذا قول ابن عباسٍ. قال الفَرَّاءُ: والرَّفع في «طاعةٌ» على معنى: أَمْرُكَ طاعةٌ.

قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وحَمزةُ: بَيَّتْ، بسكون «التاء» وإدغامها في «الطاء»، ونصَبَ الباقون «التاء»، قال أبو عَليٍّ: التاء والطاء والدال من حَيزٍ واحدٍ، فحَسُنَ الإدغام، ومَن بَيَّنَ، فلانفِصَال الحَرْفين، واختلاف المَخْرَجين. قال ابن قُتيبةَ: والمعنى (فإذا برزوا من عندك) أي خرجوا، (بيَّت طائفة منهم غير الذي تقول)، أي][1] قالوا، وقدَّروا ليلاً غيرَ ما أَعْطَوكَ نهاراً. قال الشاعر:

أَتَـونِـي فـلَـمْ أَرْضَ مـا بـيَّـتُـوا وكَـانُـوا أَتَـوْنِـي بـشَـيءٍ نُـكُـرْ[2]

والعرب تقول: هذا أمرٌ قد قُدِّر بلَيلٍ، [وفرغ منه بليل، ومنه قول الحارث بن حِلِزة:

أجـمـعـوا أمـرهـم عـشـاء فـلـمـا أصـبـحـوا أصبـحـت لـهـم ضـوضـاء][3]

وقال بعضهم: بيَّت، بمعنى: بدَّل، وأنشد:

وبـيَّـتَ قَـولِـيَ عِـنـدَ الـمَـلِـيـكِ قَـاتَـلَـكَ الـلَّـهُ عَـبْـداً كَـفُـورا[4]

وفي قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ قولان: **أحدهما**: غَيرَ الذي تقول الطَّائفة عندكَ، وهو قول ابن عباسٍ، وابن قُتيبةَ. **والثاني**: غَيرَ الذي تقول أنتَ يا محمَّدُ، وهو قول قَتادةَ، والسُّدِّيِّ.

= وهذا صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٥٧ و٧١٣٧ ومسلم ١٨٣٥ والنسائي ٧/ ١٥٤ وابن ماجه ٣ وابن حبان ٣٥٥٦ وعبدالرزاق ٢٠٦٧٩ وأحمد ٢/ ٣٤٢ و٤١٦ من حديث أبي هريرة، وليس فيه سبب نزول ولا قول المنافقين وقال الحافظ في «الفتح» ٢٩٥٧: قوله: «من أطاعني فقد أطاع الله»: هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله).

[٣١٨] ضعيف. أخرجه الطبري ٩٩٩١ عن العوفي عن ابن عباس وإسناده واهٍ لأجل عطية بن سعد العوفي.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من «غريب القرآن»: ١٣١.

(٢) البيتِ لعبيدة بن همام كما في «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٠ والبيت الذي بعده يتممه:

لأُنْـكِـحَ أَيِّـمَـهُـم مُـنْـذِراً وهـل يـنـكـح الـعـبـد حرٌّ لِـحُـر؟!

وفي «اللسان»: النُّكر: الأمر المنكر الذي تنكره.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من غريب القرآن.

(٤) البيت للأسود بن عامر بن جوين الطائي كما في «تفسير القرطبي» ٥/ ٢٧٦ وفيه عبدالملك.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: يَكْتُبُه في الأعمال التي تُثْبِتُها الملائكة، قاله مُقاتلٌ في آخرين. **والثاني**: يُنزلُهُ إليكَ في كتابه. **والثالث**: يَحْفَظُه عليهم لِيُجَازَوا به، ذَكَر القولين الزجَّاجُ. قال ابن عباسٍ: فأعْرِضْ عنهم: فلا تُعاقبهم، وَثِقْ بالله عز وجل، وكفى بالله ثِقَةً لكَ. قال: ثم نُسخ هذا الإعراضُ، وأُمِرَ بقتالهم.

فإن قيل: ما الحكمة في أنه إبتدأ بِذِكرِهم جملةً، ثم قال: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ﴾، والكلُّ منافقون؟ فالجواب من وَجهين، ذكرهما أهل التفسير: **أحدهما**: أنه أخْبَر عمَّن سَهرَ لَيْلَهُ، ودَبَّر أَمرَهُ منهم دون غيره منهم. **والثاني**: أنه ذَكَر مَنْ عَلِمَ أنه يبقى على نِفَاقِه دون من علم أنَّه يَرْجِع.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ قال الزجَّاجُ: «التدبُّر»: النَّظَر في عاقبة الشَّيء. و «الدَّبْر» النَّحل، سُمِّي دَبْراً، لأنه يُعْقِبُ ما يُنتَفَعُ به، و «الدَّبر»: المالُ الكثير، سُمي دَبْراً لِكَثْرَتِه، لأنَّه يبقى للأعقاب، والأدْبار. وقال ابن عباسٍ: أفلا يتدبَّرون القرآن، فيتفكَّرون فيه، فَيرونَ تصديقَ بعضهِ لبعضٍ، وأنَّ أحداً من الخَلائق لا يَقْدِرُ عليه. قال ابن قُتيبةَ: والقرآن من قولك: ما قَرَأَتِ النَّاقة سلى[(١)] قط، أي: ما ضمَّت في رَحِمِها وَلَداً، وأنشدَ أبو عُبيدةَ:

هِـجَـانُ الـلَّـونِ لَـمْ تَـقْـرأْ جَـنِـيْـنـا[(٢)]

وإنما سُمِّي قُرآناً، لأنه جَمَعَ السُّور، وضَمَّها.

قوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه التَّناقُض، قاله ابن عباسٍ، وابن زيدٍ، والجمهور. **والثاني**: الكَذِبُ، قاله مُقاتلٌ، والزجَّاجُ. **والثالث**: أنه اختلافُ تفاوتٍ من جهةِ بَليْغٍ مِنَ الكلام، ومَرْذُولٌ، إذ لا بُدَّ للكلام إذا طَالَ مِنْ مَرْذُولٍ، وليس في القُرآن إلا بَلِيْغٌ، ذكره المَاورديُّ في جماعةٍ.

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣١٩] **أحدهما**: أن النبيَّ ﷺ لما اعتزل نساءَه، دخل عُمرُ المسجدَ، فسمع النَّاسَ يقولون: طَلَّقَ

---

[٣١٩] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧٩ عن ابن عباس عن عمر في أثناء خبر مطول، وكرره لكن دون ذكر الآية.
ـ وسيأتي باستيفاء في سورة الأحزاب.

---

(١) في «اللسان» السلى: لفافة الولد من الدواب والإبل.

(٢) هو عجز بيت لعمرو بن كلثوم كما في اللسان: (قرأ)، وصدره: ذراعي عيطل أدماء بكر.
والعيطل: الناقة الطويلة العنق، في حسن منظر وسمن. الأدماء: البيضاء مع سواد المقلتين. وهجان اللون: بيضاء كريمة.

رسولُ الله ﷺ نساءه، فدخل على النبيِّ عليه السلام فسأله: أَطلَّقتَ نساءَك؟ قال: «لا». فخرج فنادى: ألا إنَّ رسولَ الله لم يُطلِّق نساءَه. فنزلت هذه الآية. فكان هو الذي استَنْبَطَ الأمرَ. انفرد بإخراجه مُسلمٌ، من حديث ابن عباسٍ، عن عُمَر.

[٣٢٠] والثاني: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا بعثَ سَريَّةً من السَّرَايَا فَغَلَبْت أو غُلِبَت، تحدَّثوا بذلك، وأَفْشَوْه، ولم يصبروا حتى يكون النبيُّ هو المُتَحدِّث به. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ.

وفي المُشَار إليهم بهذه الآية قولان: **أحدهما**: أنهم المنافقون. قاله ابن عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أهل النِّفاق، وضَعَفَةُ المسلمين، ذكره الزجَّاجُ. وفي المراد بالأَمْنِ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: فوزُ السَّرِيَّة بالظَّفَر والغَنيمة، وهو قول الأكثرين. **والثاني**: أنه الخَبَرُ يأتي إلى النبيِّ ﷺ أنه ظاهرٌ على قومٍ، فَيَأمَنُ منهم، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: أنه ما يَعزِمُ عليه رسولُ الله ﷺ من المُوادَعة والأَمَان لقومٍ، ذكره المَاورديُّ. **والرابع**: أنه الأَمْنُ يأتي من المَأمَن وهو المَدينة، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ مُخرِّجاً من حديث عُمرَ. وفي ﴿ٱلْخَوْفِ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّكبة التي تُصيب السَّرِيَّة، ذكره جماعةٌ من المُفسِّرين. **والثاني**: أنه الخَبَرُ يأتي أنَّ قوماً يجمعون للنبيِّ ﷺ، فَيَخَافُ منهم، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: ما يَعزِمُ عليه النبيُّ من الحرب والقتال، ذكره المَاورديُّ.

قوله تعالى: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ قال ابن قُتيبة: أَشَاعوه. وقال ابن جَرير: والهاء عائدةٌ على الأَمْر. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ يعني: الأمرَ ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ حتى يكون هو المُخبِر به ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ وفيهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم مثل أبي بَكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانَ، وعَليٍّ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم أبو بَكرٍ، وعُمرُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: العلماء، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، وابن جُريجٍ. **والرابع**: أمراء السَّرَايَا، قاله ابن زيدٍ، ومُقاتلٌ. وفي ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم الذين يَتَتَبَّعُونه من المُذِيْعين له، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أنَّهم أولو الأَمْرِ، قاله ابن زَيدٍ. و«الاستنباط» في اللغة: الاستِخْرَاج. قال الزجَّاجُ: أصله من النَّبط، وهو الماء الذي يخرج من البِئر أول ما تُحفَر، يُقال من ذلك: قد أَنْبَطَ فلانٌ في غَضْرَاء، أي: استَنْبَطَ الماءَ من طِينٍ حُرٍّ. والنَّبَطُ: سُمُّوا نَبطاً، لاستِنْبَاطِهم ما يخرج من الأرض.

قال ابن جَريرٍ: ومعنى الآية: وإذا جاءهم خبرٌ عن سَرِيَّةٍ للمسلمين بخيرٍ أو بِشَرٍ أَفْشَوهُ، ولو سكتوا حتى يكون الرسول وَذَوُو الأمر يَتَولَّون الخبرَ عن ذلك، فيُصَحِّحُوه إن كان صحيحاً، أو يُبطلوه إن كان باطلاً، لَعَلِمَ حقيقةَ ذلك مَنْ يَبحثُ عنه مِنْ أُولي الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. في المُراد بالفَضل أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه رسولُ الله. **والثاني**: الإِسلام. **والثالث**: القرآن. **والرابع**: أولو الأَمْرِ. وفي الرَّحمة أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الوَحيُ. **والثاني**: اللُّطفُ. **والثالث**: النِّعمةُ. **والرابع**: التَّوفيقُ.

---

[٣٢٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

قوله تعالى: ﴿لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في معنى هذا الاستثناء ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه راجعٌ إلى الإذاعة، فتقديره: أذاعوا به إلا قليلاً. وهذا قول ابن عباسٍ وابن زيدٍ، واختاره الفَرَّاء وابن جَرير. **والثاني**: أنه راجعٌ إلى المُسْتَنْبِطِين، فتقديره: لَعَلمه الذين يَسْتَنْبِطُونَه منهم إلا قليلاً، وهذا قول الحَسنِ وقَتادة، واختاره ابن قُتيبةَ. فعلى هذين القولين في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ. **والثالث**: أنه راجعٌ إلى اتِّباع الشَّيطان، فتقديره: لاتَّبعتُم الشيطانَ إلا قليلاً منكم، وهذا قول الضَّحَّاكِ، واختاره الزجَّاجُ. وقال بعض العلماء: المعنى: لولا فضلُ الله بإرسال النبيِّ إليكم، لَضَلَلْتُم إلا قليلاً منكم كانوا يَستدرِكُون بعقولهم معرفةَ الله، ويعرفون ضلالَ مَن يَعبُدُ غيرَه، كقِسِّ بن سَاعِدَة.

﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ سبب نزولها:

[٣٢١] أن النبيَّ ﷺ لما نَدبَ النَّاس لِمَوعدِ أبي سُفيانَ ببَدرِ الصُّغرى بعد أُحُدٍ، كَرِهَ بعضهم ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ.

وفي «فاء» ﴿فَقَٰتِلْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه جوابُ قوله ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾. **والثاني**: أنها متَّصلةٌ بقوله ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ذكرهما ابن السَّريّ. والمُرادُ بسبيل الله: الجهاد.

قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: إلا المُجاهدة بِنَفْسِك. و «حَرِّض»: بمعنى حَضِّض. قال الزجَّاجُ: ومعنى ﴿عَسَى﴾ في اللغة: معنى الطَّمع والإشفَاق. والإطمَاع من الله واجبٌ. و «البأس»: الشِّدَّة. وقال ابن عباسٍ: والله أشدُّ عذاباً. قال قَتادةُ: و «التَّنكيل»: العُقوبة.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾، في المراد بالشَّفاعة أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها شفاعة الإنسان للإنسان، لِيَجْتَلِبَ له نفعاً، أو يُخلِّصه من بَلاءٍ، وهذا قول الحسَنِ ومُجاهدٍ وقَتادةَ، وابن زيدٍ. **والثاني**: أنها الإصلاح بين اثنين، قاله ابن السَّائِب. **والثالث**: أنه الدُّعاء للمؤمنين والمؤمنات، ذكره المَاوَرديُّ. **والرابع**: أن المعنى: مَن يَصِرْ شَفْعاً لِوتر أصحابك يا مُحَمَّدُ، فيَشْفعهم في جهاد عَدُوِّهم وقتالهم في سبيل الله، قاله ابن جَريرٍ وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

وفي الشَّفاعة السَّيئة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها السَّعيُ بالنَّميمة، قاله ابن السَّائِبِ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها الدُّعاء على المؤمنين والمؤمنات، وكانت اليهود تفعله، ذكره المَاوَرديُّ. **والثالث**: أن المعنىٰ: من يشفع وِتْرَ أهل الكفر، فيقاتل المؤمنين؛ قاله ابن جرير وأبو سليمان الدمشقي.

---

[٣٢١] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهو من رواية الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

قال الزجّاجُ: و «الكِفل» في اللغة: النَّصيب، وأُخذ من قولهم: اكتَفَلتَ البعيرَ: إذا أَدَرتَ على سَنَامه، أو على مَوضعٍ من ظَهْره كِسَاءً، وركبتَ عليه. وإنما قيل له: كِفْل، لأنه لم يَستَعمِلِ الظَّهر كُلَّه، وإنما استعمل نصيباً منه.

وفي المُقِيت» سبعة أقوال: أحدها: أنه المُقْتَدِرُ، قال أُحَيْحَةُ بن الجلاَّح:

وذي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفس عنهُ وكنتُ على مَسَاءَتِهِ مُقِيتَا[1]

وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباسٍ، وابن جَريرٍ، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدٍ، وابن قُتيبةَ، والخَطَّابيُّ. والثاني: أنه الحَفِيظُ، رواه ابن أبي طَلْحَة، عن ابن عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والزجَّاجُ. وقال: هو بالحَفِيظِ أَشْبَهُ، لأنه مُشتَقٌ من القُوتِ، يقال: قُتُّ الرجل أَقُوتُه قَوْتاً: إذا حفظتَ عليه نفسَهُ بما يَقُوته. والقُوتُ: اسمُ الشيء الذي يَحفَظُ نَفْسَهُ، ولا فضل فيه على قدر الحفظ، فمعنى المُقِيْت: الحَافِظُ الذي يُعطي الشيءَ على قَدْرِ الحاجة مِنَ الحِفْظِ. قال الشاعر:

أَلِيَ الفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إذا حُو سِبْتُ إنّي على الحِسَاب مُقِيتُ

والثالث: أنه الشَّهيدُ، رواه ابن أبي نَجيح، عن مُجاهدٍ، واختاره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. والرابع: أنه الحَسِيبُ، رواه خَصيف عن مُجاهدٍ. والخامس: الرَّقِيبُ، رواه أبو شَيْبَة عن عَطاءٍ. والسادس: الدَّائِمُ، رواه ابن جُريج عن عبد الله بن كَثيرٍ. والسابع: أنه معطي القُوتِ، قاله مُقاتلُ بن سُليمانَ. وقال الخَطَّابيُّ: المُقِيْتُ يكون بمعنى مُعطي القُوت، قال الفرَّاءُ: يُقال: قَاتَهُ وأَقَاتَهُ.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ في التَّحيَّة قولان: أحدهما: أنها السَّلام، قاله ابن عباسٍ والجمهور. والثاني: الدُّعاء، ذكره ابن جَريرٍ والمَاورديُّ. فأما «أحسن منها» فهو الزِّيادة عليها، ورَدُّها: قولُ مِثلها. قال الحَسَنُ: إذا قال أخوك المُسلمُ: السَّلامُ عليكم، فَرُدَّ السلامَ، وزِدْ: ورَحمةُ الله. أو رُدَّ ما قال ولا تَزِدْ. وقال الضَّحَّاكُ: إذا قال: السَّلامُ عليكَ، قلتَ: وعليكُمُ السلامُ ورحمةُ الله، وإذا قال: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله، قلتَ: وعليكُمُ السلامُ ورحمة الله وبركاتُه، وهذا منتهى السَّلام. وقال قَتادةُ: بأحسنَ منها للمسلم، أو رُدُّوها على أهل الكتاب[2].

---

(١) في «اللسان» الضغن: الحقد والعداوة.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٢٨٣: واختلف العلماء في معنى الآية وتأويلها، فروى ابن وهب عن مالك أن هذه الآية بتشميت العاطس والردّ على المُشَمِّت. وهذا ضعيف. والرد على المشمِّت فمما يدخل بالقياس في معنى رد التحية وهذا هو منحى مالك إن صح ذلك عنه. وقال أصحاب أبي حنيفة: التحية هنا الهدية، لقوله تعالى: ﴿أو ردّوها﴾ والصحيح أن التحية ههنا السلام وعلى هذا جماعة المفسرين. وأجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنّة مرغب فيها، وردُّه فريضة لقوله تعالى: ﴿فحيوا بأحسن منها أو ردّوها﴾. واختلفوا إذا ردّ واحد من جماعة هل يجزئ أو لا. فمذهب الشافعي ومالك إلى الإجزاء. واحتجوا بما رواه داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يجزئ من الجماعة إذا مَرُّوا أن يسلّم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم» قال أبو عمر: حديث حسن لا معارض له. وقد ضعفه بعضهم وجعلوه حديثاً منكراً. واحتجوا أيضاً بقوله عليه السلام: «يسلّم القليل على الكثير». وروى مالك عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ =

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال مُقاتلٌ: نزلت في الذين شَكُّوا في البَعْثِ. قال الزجَّاجُ: واللام في «لَيجمعنكم» لامُ القَسَم، كقولك: واللهِ لَيَجْمعنّكم، قال: وجائِزٌ أن تكون سُمِّيت القيامة، لِقيَام الناس من قُبورهم، وجائِزٌ أن تكون، لِقيامِهم للحساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ إنما وصف نفسه بهذا، لأنَّ جميع الخَلْقِ يجوز عليهم الكَذِبُ، ويستحيلُ في حَقِّه.

﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾

= قال: «يسلّم الراكب على الماشي وإذا سلّم واحد من القوم أجزأ عنهم». قلت: هكذا تأول علماؤنا هذا الحديث وجعلوه حجة في جواز رد الواحد، وفيه قلق. وقوله تعالى: ﴿**فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ رد الأحسن أن يزيد فيقول: عليك السلام ورحمة الله، لمن قال: سلام عليك. فإن قال: سلام عليك ورحمة الله زدت في ردك: وبركاته. وهذا هو النهاية فلا مزيد. فإن انتهى بالسلام غايته، زدت في ردك الواو في أول كلامك فقلت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وينبغي أن يكون السلام. وروى الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: إذا سلّمت على الواحد فقل: السلام عليكم، فإن معه الملائكة، وكذلك الجواب يكون بلفظ الجمع. والاختيار في التسليم والأدب فيه تقديم اسم الله تعالى على اسم المخلوق قال تعالى: ﴿**سلام على آل ياسين**﴾. فإن ردّ فقدم اسم المُسَلم عليه لم يأت محرّماً ولا مكروهاً. ومن السنة تسليم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد، والقليل على الكثير. هكذا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة. قال قال رسول الله ﷺ: «ويسلّم الصغير على الكبير». وأما تسليم الكبير على الصغير قال أكثر العلماء: التسليم عليهم أفضل من تركه، وفيه تدريب للصغير وحضٌّ على تعليم السُّنن ورياضةٌ لهم على آداب الشريعة فيه، وقد جاء في الصحيحين عن سيار قال: كنت أمشي مع ثابت فمرّ بصبيان فسلم عليهم، وذكر أنه كان يمشي مع أنس فمرّ بصبيان فسلّم عليهم، وحدّث أنه كان يمشي مع رسول الله ﷺ فمرّ بصبيان فسلّم عليهم. وأما التسليم على النساء فجائز إلا على الشابات منهن خوف الفتنة من مكالمتهن بنزعة شيطان أو خائنة عين. وأما المتجالات ـ المتجالة الهرمة المسنة ـ والعُجْز فحسن للأمن فيما ذكرناه وإليه ذهب مالك وطائفة من العلماء. ومنعه الكوفيون إذا لم يكن منهن ذوات محرم وقالوا: لما سقط عن النساء الأذان والإقامة والجهر بالقراءة في الصلاة سقط عنهن ردّ السّلام فلم يسلّم عليهن. والصحيح الأول لما خرجه البخاري عن سهل بن سعد قال: كنا نفرح بيوم الجمعة. قلت ولم؟ قال: كانت لنا عجوز ترسل إلى بضاعة ـ قال ابن مَسْلَمة: نخل بالمدينة ـ فتأخذ من أصول السّلق فتطرحه في القدر وتكركر حباتٍ من شعير، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا فنسلّم عليها فتقدمه إلينا فنفرح من أجله، ولا كنا نقيل ولا نتغذى إلا بعد الجمعة. تكركر أي تطحن. ولا تكفي الإشارة بالإصبع والكف عند الشافعي، وعندنا تكفي إذا كان على بُعد وأما الكافر فحكم الردّ عليه أن يقال له: وعليكم. وقال عطاء: الآية في المؤمنين خاصة، ومن سلّم من غيرهم قيل له: عليك، كما جاء في الحديث في صحيح مسلم: «عليك» بغير واو وهي الرواية الواضحة، ورواية حذف الواو أحسن معنى وإثباتها أصح روايةً وأشهر، وعليها من العلماء أكثر. ولا يُسلّم على المصلي فإن سُلِّم عليه فهو بالخيار، إن شاء رد بالإشارة بإصبعه وإن شاء أمسك حتى يفرغ من الصلاة ثم يردّ. ولا ينبغي أن يُسَلِّم على من يقضي حاجته فإن فعل لم يلزمه أن يرد عليه.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوالٍ(١):

[٣٢٢] أحدها: أنَّ قوماً أسلَمُوا، فأصابهم وَبَاءٌ بالمدينة وحِمَاهَا، فخرجوا فاستقبلهم نَفَرٌ من المسلمين، فقالوا: مَا لَكُم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وَبَاءٌ بالمدينة، واجتَوَيْنَاهَا(٢)، فقالوا: أما لكم في رسول الله أُسوةٌ؟ فقال بعضهم: نَافَقُوا، وقال بعضهم: لم يُنَافقوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن عن أبيه.

[٣٢٣] والثاني: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا خرج إلى أُحُدٍ، رَجَعَ ناسٌ مِمَّن خرج معه، فَافتَرَق فيهم أصحابُ رسول الله، فَفِرْقَةٌ تقول: نَقتلُهم، وفِرْقَةٌ تقول: لا نَقتلُهُم، فنزلت هذه الآية، هذا في «الصَّحيحين» من قول زيدِ بن ثابتٍ.

[٣٢٤] والثالث: أنَّ قوماً كانوا بمكَّةَ تكلَّموا بالإِسلام وكانوا يُعاونون المشركين، فخرجوا من مكَّةَ لِحاجةٍ لهم، فقال قومٌ من المسلمين: اخرجُوا إليهم فَاقْتُلوهُم فإنهم يُظَاهِرُون عدوَّكم. وقال قومٌ: كيفَ نقتلهم وقد تكلَّموا بِمِثْلِ ما تكلَّمنا به؟ فنزلت هذه الآية، رواه عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ.

[٣٢٥] والرابع: أنَّ قوماً قَدِمُوا المدينةَ، فأظهروا الإِسلام، ثم رجعوا إلى مكَّةَ، فأظهروا الشِّرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحَسنِ، ومُجاهدٍ.

[٣٢٦] والخامس: أن قوماً أَعلَنُوا الإِيمان بمكَّةَ وامتَنَعُوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية، وهذا قول الضَّحَّاكِ.

---

[٣٢٢] ضعيف. أخرجه أحمد ١/ ١٩٢ والواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٢ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه بنحوه، وإسناده منقطع، أبو سلمة لم يسمع من أبيه شيئاً. وله علة ثانية ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن. وورد بنحوه عن السدي مرسلاً أخرجه الطبري ١٠٠٦٤، وهو ضعيف. والصواب في ذلك ما رواه الشيخان، وهو الآتي.

[٣٢٣] صحيح. أخرجه البخاري ١٨٨٤ و ٤٠٥٠ و ٤٥٨٩ ومسلم ١٣٨٤ و ٢٧٧٦ والترمذي ٣٠٢٨ والنسائي في «التفسير» ١٣٣ وأحمد ٥/ ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨ والطبري ١٠٠٥٥ والواحدي ٣٤١ عن زيد بن ثابت.

[٣٢٤] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٠٦٠ عن عطية، عن ابن عباس، وإسناده واهٍ لأجل عطية العوفي.

[٣٢٥] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٠٥٨ عن مجاهد مرسلاً، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٢ م عن مجاهد بدون إسناد، وهو ضعيف لكونه مرسلاً، والصحيح ما رواه الشيخان.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٩٠ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[٣٢٦] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٠٦٣ عن الضحاك، مرسلاً.

---

(١) قال أبو جعفر رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٩٦: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة. وفي قول الله تعالى ذكره: ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا﴾ أوضح دليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة. لأن الهجرة كانت على عهد رسول الله ﷺ إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر، فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيماً فلم يكن عليه فرض هجرة.

(٢) في «اللسان» اجْتَوَيَت البلد: أي استوخموها. ولم توافقهم وكرهوها لسقمٍ أصابهم قالوا: وهو مشتق من الجوى، وهو داء في الجوف.

[٣٢٧] **والسادس**: أن قوماً من المنافقين أرادوا الخروج من المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنه قد أصَابتنا أوجاعٌ في المدينة، فلعلّنا نخرج فنَتَمَاثَلُ، فإنَّا كنّا أصحابَ باديةٍ، فانطلَقُوا، واختلف فيهم أصحابُ رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول السُّدّيّ.

[٣٢٨] **والسابع**: أنها نزلت في شأن ابن أُبيٍّ حين تكلّم في عائشةَ بما تكلّم، وهذا قول ابن زيدٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ خطابٌ للمؤمنين. والمعنى: أيُّ شيءٍ لكم في الاختلاف في أمْرِهم؟ و «الفئة»: الفِرقَةُ. وفي معنى «أَرْكَسَهُم» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: رَدَّهم، رواه عَطاءٌ، عن ابن عباسٍ. قال ابن قُتيبةَ: رَكَسْتُ الشيء، وأَرْكَسْتُهُ: لُغتان، أي: نَكَسَهُم وردَّهُم في كُفرهم، وهذا قول الفَرَّاءِ، والزجَّاجِ. **والثاني**: أوْقعَهُم، رواه ابن أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباس. **والثالث**: أَهْلَكَهُم، قاله قتادةُ. **والرابع**: أضَلَّهم، قاله السُّدِّيُّ.

فأما الذي كَسَبوا، فهو كُفرهم، وارْتِدَادُهم. قال أبو سُليمانَ. إنما قال: أَتُريدون أن تَهدوا مَن أَضَلَّ اللّهُ، لأن قوماً من المؤمنين قالوا: إخواننا، وتكلّموا بِكَلِمتنا.

قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلى الحُجَّة، قاله الزجَّاجُ. **والثاني**: إلى الهُدى، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ أخبرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ المؤمنين بما في ضَمائِر تلك الطّائِفة، لِئَلاً يُحسنوا الظنَّ بهم، ولا يُجادلوا عنهم، وليَعتقِدُوا عَداوتَهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا تُوالُوهم فإنهم أعداءٌ لكم ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ أي: يَرجِعوا إلى النبيِّ ﷺ. قال ابن عباسٍ: فإن تَولَّوا عن الهجرة والتَّوحيد، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أي: ائْسِرُوهُم، واقتُلوهُم حيث وجَدْتُموهم في الحِلِّ والحَرَمِ.

فصل: قال القاضي أبو يَعلَى: كانت الهجرةُ فَرضاً إلى أن فُتحت مكّةُ[1]. وقال الحَسَنُ: فَرضُ

---

[٣٢٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٠٦٤ عن السدي مرسلاً.
[٣٢٨] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٠٠٦٥ عن ابن زيد مرسلاً، وابن زيد متروك، ليس بشيء.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ١٤٩ ـ ١٥٢: الهجرة: هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام. قال الله تعالى: **﴿إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾** الآيات. ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا بريء من مسلم بين مشركين، لا تراءا ناراهما». وحكم الهجرة باق، لا ينقطع إلى يوم القيامة. في قول عامة أهل العلم. وقال قوم: قد انقطعت الهجرة، لأن النبي ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح» وروي أن صفوان بن أمية لما أسلم، قيل له: لا دين لمن لم يهاجر. فقال له النبي ﷺ: «ما جاء بك أبا وهب؟» قال: قيل: إنه لا دين لمن لم يهاجر. قال «ارجع أبا وهب إلى أباطح مكة، أقِرُّوا على مساكنكم، قد انقطعت الهجرة ولكن جهادٌ ونية». =

الهجرة باقٍ، واعلم أن الناس في الهجرة على ثلاثة أضرُبٍ: **أحدها**: مَنْ تجبُ عليه، وهو الذي لا يَقْدِر على إظهار الإسلام في دَارِ الحَرب، خوفاً على نفسه، وهو قادرٌ على الهجرة، فتَجِبُ عليه لقوله ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[1]. **والثاني**: مَنْ لا تَجِبُ عليه بل تُستحب له، وهو مَنْ كان قادراً على إظهار دِينه في دار الحَرْب. **والثالث**: من لا تُستحب له وهو الضَّعيف الذي لا يَقْدِر على إظهار دِينه، ولا على الحركة كالشَّيخ الفَاني، والزَّمِن، فلم تُسْتحب له لِلُحوقِ المَشَقَّة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هذا الاستثناء راجعٌ إلى القتل، لا إلى المُوَالاة وفي «يَصِلُون» قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى يتَّصِلُون ويلجؤون.

[٣٢٩] قال ابن عباس: كان هِلالُ بن عُوَيمِرِ الأَسْلَمِيّ وَادَعَ رسولَ الله ﷺ على أن لا يُعينَهُ ولا يُعين عليه. فكان من وَصَلَ إلى هِلالٍ مِنْ قومه وغيرهم، فَلَهُم من الجِوَار مِثلُ ما لِهِلالٍ.

والثاني: أنه بمعنى يَنْتَسِبُون، قاله ابنُ قُتيبة، وأنشد.

إذا اتَّـصلَـتْ قـالَـتْ أبكـرَ بَـنَ وَائـلِ ۞ وبَـكـرٌ سَـبَتْـهَـا والأُنُـوفُ رَوَاغِـمُ

يريد: إذا انْتَسَبَتْ، قالت: أَبَكْراً، أي: يا آلَ بَكرٍ.

وفي القوم المذكورين أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم بَنُو بَكْرِ بن زَيدِ مَنَاة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم هِلالُ بنُ عُوَيمِرِ الأَسْلَميّ، وسُرَاقَةُ بن مَالكٍ، وخُزَيْمَةُ بن عَامرِ بن عبدِ مَنَافٍ، قاله عِكرمةُ. **والثالث**: أنهم بَنُو مُدْلِج، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: خُزَاعَةُ وبَنُو مُدْلِج، قاله مُقاتلٌ. قال ابن عباسٍ: «والمِيثاق»: العهد.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن معناه: أو يَصِلُون إلى قوم جَاؤوكم، قاله الزجّاجُ في جماعةٍ. **والثاني**: أنه يعود إلى المَطْلُوبين للقَتْل. فتقديره: أو رجعوا فَدَخَلُوا فيكم، وهو بمعنى قول السُّدِّيّ. قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن فيه إضْمَارُ «قد». **والثاني**: أنه خبرٌ بعد خبر، فقوله ﴿جَاءُوكُمْ﴾: خَبرٌ قَدْ تَمَّ، وحَصِرت: خبرٌ مُستأنفٌ، حكاهما

---

[٣٢٩] عزاه السيوطي في «أسباب النزول» ٣٢٨ لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

= روى ذلك كله سعيد. ولنا، ما روى معاوية، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها». رواه أبو داود. وأما الأحاديث الأُوَل، فأراد بها، لا هجرة بعد الفتح من بلد قد فُتح. وقوله لصفوان: «إن الهجرة قد انقطعت». يعني من مكة، لأن الهجرة الخروج من بلد الكفار، فإذا فُتح لم يبق بلداً لكفار، فلا تبقى منه هجرة. وإذا ثبت هذا فالناس في الهجرة على ثلاثة أضرب ـ وذكر الأوجه الثلاثة ـ

(١) سورة النساء: ٩٧.

الزجَّاجُ. وقرأ الحسَنُ ويَعقوبُ والمُفَضَّلُ، عن عَاصم: «حَصِرَةً صدورُهم» على الحَال. و «حَصِرَت»: ضَاقَتْ، ومعنى الكلام: ضَاقَتْ صُدورُهم عن قتالكُم للعَهْد الذي بينَكم وبينَهم، أو يُقاتلوا قومَهم، يعني قُريشاً. قال مُجاهدٌ: هِلاَلُ بنُ عُوَيمرٍ هو الذي حَصِر صَدرُه أن يُقاتلَكم، أو يُقاتلَ قَومَه. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجَّاجُ: أخبر أنه إنما كَفَّهم بالرعب الذي قَذَفَ في قُلوبهم. وفي ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الإسلام، قاله الحَسنُ. **والثاني**: الصُّلْحُ، قاله الرَّبيعُ، ومُقاتلٌ.

فصل: قال جماعةٌ من المُفسِّرين: مُعاهدةُ المشركين ومُوَادَعتُهم المذكورة في هذه الآية مَنْسُوخَةٌ بآية السَّيف. قال القاضي أبو يَعلَى: لمَّا أعزَّ الله الإِسلام أُمِرُوا أن لا يَقْبَلوا من مُشركي العرب إلاَّ الإِسلامَ أو السَّيفَ(١).

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوالٍ:

[٣٣٠] **أحدها**: أنَّها نزلَت في أَسَدٍ وغَطَفَانَ، كانوا قد تكلَّموا بالإِسلام لِيَأْمَنوا المؤمنين بِكَلِمَتِهم، ويَأْمَنوا قومَهم بكُفرِهم، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ.

والثاني: أنَّها نزَلت في بَني عَبْدِ الدَّارِ، رواه الضَّحَّاكُ، عن ابن عباسٍ.

[٣٣١] **والثالث**: أنها نزلت في قومٍ أرادوا أَخْذَ الأَمَان من النبيِّ ﷺ، وقالوا: لا نُقاتلك ولا نُقاتل قومَنا، قاله قَتادةُ.

[٣٣٢] **والرابع**: أنَّها نَزلت في نُعَيْمِ بن مَسْعُودٍ الأَشْجَعِيِّ، كان يَأْمَنُ في المسلمين والمشركين،

---

[٣٣٠] ضعيف جداً، فهو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك متهم، وأبو صالح روى عن ابن عباس مناكير.

[٣٣١] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٠٨٧ عن قتادة مرسلاً.
وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٤٣ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

[٣٣٢] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٠٨٨ عن السدي مرسلاً.
وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٤٣ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

---

(١) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٠٨: ولا تقبل الجزية إلا من يهودي أو نصراني، أو مجوسي، إذا كانوا مقيمين على ما عوهدوا عليه. لأن الله تعالى أمر بقتالهم لهم حتى يعطوا الجزية، أي يلتزموا أداءها، فما لم يوجد ذلك، يبقوا على إباحة دمائهم وأموالهم، ومن سواهم، فالإسلام أو القتل. هذا ظاهر مذهب أحمد. وروى عنه الحسن بن ثواب، أنها تقبل من جميع الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب. لتغلظ كفرهم من وجهين؛ دينهم وكونهم من رهط النبي ﷺ. وقال أبو حنيفة: تقبل من جميع الكفار إلا العرب لأنهم رهط النبي ﷺ، فلا يُقرّون على غير دينه. وقال الشافعي: لا تقبل إلا من أهل الكتاب والمجوس، وعن مالك: تقبل من جميعهم إلا مشركي قريش، لأنهم ارتدّوا.

فَيَنْقُل الحديثَ بين النبيِّ عليه السَّلام وبينَهم، ثم أَسْلَمَ نُعَيم، هذا قول السُّدِّيّ.

ومعنى الآية: سَتَجِدون قوماً يُظهرون المُوافقةَ لَكُم ولقومهم، لِيأْمَنُوا الفريقين، كلما دُعوا إلى الشِّرك، عَادُوا فيه، فإنْ لم يَعْتزِلُوكُم في القتال، ويُلقوا إليكم الصُّلْحَ، وَيكُفوا أيديَهم عن قِتالكم، فَخُذوهم، أي: ائْسِرُوهُم، واقتُلُوهُم حيث أَدْرَكتُمُوهم، وأُولَائِكم جعلنا لكم عليهم حُجَّةً بيِّنةً في قَتْلِهِم.

فصل: قال أهل التفسير: والكَفُّ عن هؤلاءِ المذكورين في هذه الآية مَنْسُوخٌ بآية السَّيف.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٣٣] **أحدهما:** أنَّ عَيَّاش بن أبي رَبِيعَةَ أَسلَمَ بمكَّة قبل هجرة رسول الله ﷺ، ثمَّ خافَ أن يُظهر إسلامَه لقومه، فخرج إلى المدينة فقالت أُمُّه لابنَيْها أبي جَهلٍ، والحَارثِ ابنَيْ هِشَام، وهُما أخواه لأُمِّه: واللّهِ لا يُظِلُّني سَقْفٌ، ولا أَذوقُ طعاماً ولا شَراباً حتى تأتِيَاني به. فَخَرجَا في طَلَبِه، ومعهما الحَارثُ بن زَيدٍ، حتى أَتَوا عَيَّاشاً وهو مُتحصِّنٌ في أُطُم(١)، فقالوا له: انزل فإنَّ أُمَّك لم يُؤوِهَا سَقْفٌ، ولم تَذُق طعاماً، ولا شراباً، ولكَ علينا أن لا نَحُول بَينكَ وبين دِينكَ، فَنَزَلَ، فأوثَقوه، وجَلَدَه كلُّ واحدٍ منهم مائة جَلدة، فقدِموا به على أُمِّه، فقالت: والله لا أُحلّكَ من وَثاقِكَ حتى تَكفُرَ، فطُرِحَ مُوثقاً في الشمس حتى أعطاهم ما أرادوا، فقال له الحَارثُ بن زيدٍ: يا عيَّاشُ لَئِنْ كان ما كنتَ عليه هُدًى لقد تَرَكْتَهُ، وإن كان ضَلالاً لقد رَكِبْتَه فغضب، وقال: واللّهِ لا أَلقاكَ خَالياً إلا قَتلْتُكَ، ثم أُفلِتَ عَيَّاشُ بعد ذلك؛ وهاجر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم أسلم الحَارثُ بعدَه وهاجرَ، ولم يَعْلَمْ عَيَّاشُ، فَلَقِيَهُ يوماً فقتَلهُ، فقيل له: إنه قد أَسلَمَ، فجاء إلى النبيِّ ﷺ فأخبره بما كان، وقال: لم أَشْعُر بإسلامه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ. وهو قول سعيد بن جُبيرٍ، والسُّدِّيّ، والجُمهور.

[٣٣٤] **والثاني:** أنَّ أبا الدَّرداءِ قتل رجلاً قال لا إله إلا الله في بعض السَّرايَا، ثم أتى النبيَّ ﷺ،

---

[٣٣٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بإثر ٣٤٣ عن الكلبي بدون إسناد، وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً، وورد بمعناه، أخرجه الطبري ١٠٠٩٨ عن السدي مرسلاً و ١٠٠٩٧ عن عكرمة مرسلاً و ١٠٠٩٥ و ١٠٠٩٦ عن مجاهد مرسلاً. وورد مختصراً عند الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٣ والبيهقي ٨/ ٧٢ عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، وهذا مرسل، ولعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم.

[٣٣٤] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٠٠٩٩ عن ابن زيد وهو معضل ومع ذلك عبد الرحمن بن زيد ضعيف الحديث ليس بشيء إن وصل الحديث فكيف إذا أرسله؟! وقد صح ذلك في أسامة بن زيد. انظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٤٧ بتخريجنا.

---

(١) الأطم: الحصن، كما في الصحاح.

فذكرَ له ما صنع، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيدٍ.

قال الزجَّاجُ: معنى الآية: وما كان لِمؤمنٍ أن يَقتُلَ مؤمناً البَتَّة. والاستثناء ليس من الأوَّل، وإنما المعنى: إلا أن يُخطِئ المؤمنُ. روى أبو عُبيدةَ، عن يُونُسَ: أنه سأل رُؤْبَةَ عن هذه الآية، فقال: ليس له أن يقتله عَمْداً ولا خَطَأً[1]، ولكنَّه أقام «إلا» مقامَ «الواو» قال الشاعر:

وكُـــلُّ أخٍ مُـــفَـــارِقُـــهُ أَخُـــوهُ   لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ إلاَّ الـفَـرقَـدَانِ[2]

أرَادَ: وَالفَرْقَدَانِ. وقال بعضُ أهل المعاني: تقديرُ الآية: لكن قد يقتله خطأً، وليس ذلك فيما جعل الله له، لأن الخطأ لا تصح فيه الإباحَة، ولا النَّهي. وقيل: إنما وقع الاستثناء على ما تَضمَّنته الآية من استحقاق الإثم، وإيجاب القَتْل.

قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: عِتْقُ الرَّقبة واجبٌ على القَاتِلِ في ماله، واختلفوا في عِتْقِ الغُلام الذي لا يصح منه فِعلُ الصَّلاة والصِّيام، فرُوي عن أحمدَ جوازُه، وكذلك روى ابنُ أبي طَلْحَةَ، عن ابن عباسٍ، وهذا قول عَطاءٍ، ومُجاهدٍ. ورُوي عن أحمدَ: لا يُجزئ إلا من صَام وصَلَّى، وهو قول ابن عباسٍ في روايةٍ، والحَسنِ، والشَّعبيِّ، وإبراهيمَ، وقَتادَة. قوله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ قال القاضي أبو يَعلَى: ليس في هذه الآية بيان من تلزمه هذه الدِّيَة، واتَّفق الفقهاء على أنها عَاقِلَةُ القَاتِلِ، تَحمِلُها عنه على طريق المُواسَاة، وتُلزم العَاقِلَةُ في ثلاث سنين، كلَّ سنةٍ ثُلثُها، والعَاقِلَةُ: العَصَباتُ من ذَوي الأنساب. ولا يَلزَمُ الجَانِي منها شيءٌ. وقال أبو حَنيفَة: هو كواحدٍ من العَاقِلَة[3]. وللنَّفس ستة أبدالٍ: من الذَّهب أَلفُ دينارٍ، ومن الوَرِق اثنا عشرَ أَلفَ دِرهم، ومن الإبلِ مائةٌ، ومن البَقَرة مائتا بقرةٍ، ومن الغَنَم أَلفَا شاةٍ، وفي الحُلَلِ روايتان عن أحمدَ. إحداهما: أنها أَصلٌ، فتكون مائتا حُلَّةٍ. فهذه دِيَةُ الذَّكَر الحُرِّ المُسلم، وَدِيَةُ الحُرَّة المُسلمة على النِّصف من ذلك[4]. قوله

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٠٦: والصواب في ذلك أن يقال: إن الله عرَّف عباده بهذه الآية على من قتل مؤمناً خطأً من كفارة ودية. وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقتيله، وفي أبي الدرداء وصاحبه. وأي ذلك كان، فالذي عَنَى الله تعالى بالآية: تعريف عباده ما ذكرناه، وقد عرف من عقل عنه من عباده تنزيله، وغير ضائرهم جهلهم بما نزلت فيه.

(٢) البيت لعمرو بن معديكرب كما في «الكامل» ٣/ ١٢٤٠، وفي «اللسان» الفَرْقَدَان: نجمان في السماء لا يغربان، ولكنهما يطوفان بالجدي.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في المغني ١٢/ ٢١: ولا نعلم بين أهل العلم خلافاً في أن دية الخطأ على العاقلة. قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم وقد ثبتت الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة. وفي «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فرفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، قال ابن إسحاق: وبعث علياً، فودى قتلاهم، وما أتلف من أموالهم حتى ميلغة الكلب. وهذا يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

(٤) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٦ـ ١٢: أجمع أهل العلم على أن الإبل أصل في الدية، وأن دية الحر المسلم مائة من الإبل. وهنا إحدى الروايتين عن أحمد، رحمه الله. وقال القاضي: لا يختلف المذهب أن أصول الدية الإبل، والذهب، والوَرِق، والبقر، والغنم، فهذه خمسة لا يختلف المذهب فيها. =

تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ قال سعيدُ بن جُبير: إلا أن يتصدَّق أولياءُ المَقتُول بالدِّية على القاتل.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: وإن كان المَقتُول خطأً من قوم كُفَّار، ففيه تحريرُ رقبةٍ مِنْ غير دِيَةٍ، لأنَّ أهلَ ميراثه كُفَّارٌ. **والثاني**: وإن كان مُقيماً بين قومه، فقَتَلَهُ منْ لا يَعلَمُ بإيمانه، فعليه تحرير رقبةٍ ولا دِيَةَ، لأنه ضيَّع نفسه بإقامته مع الكُفَّار، والقولان مَرويَّان عن ابن عباسٍ، وبالأول قال النَّخعيُّ، وبالثاني سعيدُ بن جُبيرٍ. وعلى الأول تكون «مِن» للتبعيض، وعلى الثاني تكون بمعنى في.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الرجل من أهل الذِّمَّة يُقتل خطأً، فيجب على قاتله الدِّيَةُ، والكفَّارةُ، هذا قول ابن عباسٍ، والشَّعبيِّ، وقَتادَة، والزُّهريِّ. ولأبي حَنيفة، والشَّافعيِّ، ولأَصحابِنا تفصيلٌ في مقدار ما يجب من الدِّيةِ[1]. **والثاني**: أنه المؤمن يُقتل، وقَومُه مشركون، ولهم عَقدٌ، فَدِيَتُهُ لقومه، وميرَاثُهُ للمسلمين، هذا قول النُّخعيِّ.

قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ اختلفوا هل هذا الصِّيام بَدَلٌ من الرَّقبة وحدَها إذا عَدِمها، أو بدلٌ من الرَّقبة والدِّيَة؟ فقال الجمهور: عن الرَّقبة وحدَها، وقال مَسرُوقٌ، ومُجاهدٌ، وابن سِيرينَ: عنهما. واتَّفق العلماء على أنه إذا تَخلَّل صومُ الشهرين إفطارٌ لغير عُذرٍ، فعليه الابتداءُ، فأمَّا إذا تخلَّلها المرضُ، أو الحَيْضُ، فعندنا لا يَنقَطعُ التَّتابُعُ. وبه قال مَالكٌ. وقال أبو حَنيفةَ: المرضُ يقطعُ! والحَيْضُ لا يقطعُ، وفَرَّق بينهما بأنه يُمكن في العَادة صومُ شهرين بِلا مَرَضٍ، ولا يُمكن ذلك في الحَيْضِ، وعندنا أنها مَعذورةٌ في المَوضِعين[2].

= ولنا، قول النبي ﷺ: «ألا إن في قتيل عمد الخطأ، قتيل السوط والعصا، مائة من الإبل» ولأن النبي ﷺ فرّق بين دية العمد والخطأ فغلّظ بعضها، وخفف بعضها، ولا يتحقق هذا في غير الإبل، ولأنه بدل مُتْلَفٍ حقاً لآدمي، فكان متعيناً، كعوض الأموال. فإن قلنا: هي خمسة أصول، فإن قدرها من الذهب ألف مثقال، ومن الورق اثنا عشر ألف درهم، ومن البقر والحُلَل مائتان، ومن الشاة ألفان، ولم يختلف القائلون بهذه الأصول في قدرها من الذهب، ولا من سائرها، إلا الورق. فإن الثوري وأبا حنيفة وصاحبيه قالوا: قدرها عشرة آلاف من الورق. وعلى هذا، أي شيء أحضره من عليه الدية من القاتل أو العاقلة من هذه الأصول، لزم الولي أخذه، ولم يكن له المطالبة بغيره، لأنها أصول في قضاء الواجب، يجزئ واحدٌ منها.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٥١ـ ٥٤: ودية الحر الكتابي نصف دية الحر المسلم، ونساؤهم، على النصف من دياتهم. هذا ظاهر المذهب، وهو مذهب عمر بن عبد العزيز ومالك. وعن أحمد، أنها ثلث دية المسلم. إلا أنه رجع عنها، فإن صالحاً روى عنه أنه قال: كنت أقول: إن دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، وأنا اليوم أذهب إلى نصف دية المسلم، وهذا صريحٌ في الرجوع عنه.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١١/ ٨٨ـ ٩٠: فإن أفطر فيهما من عذر بنى، وإن أفطر من غير عذر ابتدأ. أجمع أهل العلم على وجوب التتابع في الصيام في الكفّارة، وأجمعوا على أن من صام بعض الشهر، ثم قطعه لغير عذر، وأفطر، أن عليه استئناف الشهرين، وإنما كان ذلك لورود لفظ الكتاب والسنة به، ومعنى التتابع الموالاة بين صيام أيامها، فلا يفطر فيهما. ولم يفتقر التتابع إلى نية كالمتابعة بين الركعات، وأجمع أهل العلم على أن الصائمة متتابعاً، إذا حاضت قبل إتمامه، تقضي إذا طهرت، وتبني، وذلك لأن الحيض لا يمكن التحرز منه في الشهرين إلا بتأخيره إلى الإياس، وفيه تغرير بالصوم، والنفاس كالحيض، في أنه لا يقطع التتابع، في أحد الوجهين، لأنه بمنزلته في أحكامه، ولأن الفطر لا يحصل فيهما بفعلهما، والوجه الثاني: أن =

قوله تعالى: ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزجّاج: معناه: فَعَلَ اللَّهُ ذلك توبةً منه. قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ عليماً بما يُصلح خَلْقَه من التَّكليف ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يقضي بينهم، ويُدَبِّره في أمورهم.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾.

[٣٣٥] سبب نزولها: أنَّ مَقِيس بن صُبَابة وجد أخاه هِشَامَ بن صُبَابة قتيلاً في بني النَّجّار، وكان مُسلماً، فأتى رسولَ الله ﷺ فذكَر ذلك له، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ رسولاً من بني فِهْر، فقال له: إيْتِ بَنِي النَّجّار، فأَقْرِئهُم مني السَّلام، وقُل لهم: إنَّ رسول الله يَأمرُكم إن عَلِمْتُم قاتلَ هِشَام، فادفعُوه إلى مَقِيس، وإنْ لم تعلموا له قَاتِلاً، فادفَعُوا إليه دِيتَهُ، فأبلَغَهُم الفِهْرِيُّ ذلكَ، فقالوا: واللَّهِ ما نعلمُ له قاتلاً، ولكنَّا نُعطي دِيتَهُ، فأعطَوه مائةً من الإبِلِ، ثم انصرفا رَاجِعَيْن إلى المدينة، فأتى الشَّيطانُ مَقِيسَ بنَ صُبَابة، فقال: تَقْبَلُ دِيَةَ أخيكَ، فيكونَ عليكَ سُبَّةً ما بقيتَ. أقتُل الذي معكَ مكانَ أخيكَ، وأَفْضِل بالدِّيَة، فرمى الفِهْرِيَّ بصخرةٍ، فَشَدَخَ رَأسَهُ، ثم ركِبَ بَعيراً منها، وسَاقَ بَقِيَّتَها راجعاً إلى مكَّةَ، وهو يقول:

قتلتُ به فِهْراً وحمّلتُ عقلهُ ... سُراةَ بني النَّجّار أربابَ فَارِعِ
وأدركتُ ثأري واضطجعتُ مُوسَّداً ... وكنتُ إلى الأصنامِ أوّلَ راجعِ(١)

فنزلت هذه الآية، ثم أهدَرَ النبيُّ ﷺ دَمَهُ يوم الفَتحِ، فَقُتِل، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ قولان: **أحدهما**: مُتَعَمِّداً لأجل أنه مؤمنٌ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثاني**: مُتَعَمِّداً لِقَتْله، ذكرهُ بعض المفسرين. وفي قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها جَزاؤه قَطْعاً. **والثاني**: أنّها جَزاؤه إنْ جَازاهُ. واختلف العلماء هل للمؤمن إذا قَتَلَ مؤمناً مُتَعَمِّداً تَوبةٌ أَمْ لا؟ فذهب الأكثرون إلى أنَّ له توبة، وذهب ابن عباسٍ إلى أنه لا توبةَ له.

فصل: اختلف العلماء في هذه الآية هل هي مُحْكَمَةٌ أم مَنْسُوخَةٌ؟ فقال قومٌ: هي مُحْكَمَةٌ،

---

[٣٣٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٤ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بدون إسناد. وهذا إسناد ساقط مع كونه معلقاً، الكلبي متروك متهم. وأخرجه الطبري ١٠٩١ مختصراً عن عكرمة مرسلاً.

= النفاس يقطع التتابع، لأنه فطر أمكن التحرز منه، لا يتكرر كل عام، ولا يصح قياسه على الحيض، لأنه أندر منه، ويمكن التحرز عنه. وإن أفطر لمرض مخوّف، لم ينقطع التتابع أيضاً. وبه قال مالك، والشافعي في القديم وقال في الجديد: ينقطع التتابع، لأنه أفطر اختياراً، فانقطع التتابع. وإن أفطر في أثناء الشهرين لغير عذر، أو قطع التتابع بصوم نذر، أو قضاء، أو تطوّع لزمه استئناف الشهرين، لأنه أخلّ بالتتابع المشترط، ويقع صومه عمّا نواه.

(١) في «اللسان» العقل في كلام العرب: الدية. سراة: اسم للجمع، والسّري: الرفيع في كلام العرب من سرا: السّرو: المروءة والشرف. الفارع: يقال فلان فارع: مرتفع طويل.

واحتَجُوا بأنَّها خَبَرٌ، والأخبارُ لا تحتمل النَّسْخَ، ثم افترَق هؤلاءِ فِرقَتين، إحداهُما قالت: هي على ظاهرها، وقاتلُ المؤمن مُخَلَّدٌ في النار، والفِرقَة الثانية قالت: هي عَامَّةٌ قد دخلها التَّخْصِيْصُ بدليل أنه لو قَتلَهُ كافرٌ، ثم أسلمَ الكَافرُ، إنهَدَرت عنه العُقوبة في الدُّنيا والآخرة، فإذا ثَبَتَ كَونُها من العَامِّ المُخَصَّص، فأيُّ دليلٍ صَلُحَ للتَّخصيص وجَبَ العملُ به. ومن أسباب التَّخصيص أن يكون قَتلَهُ مُستَحِلاً، فيَستحقّ الخُلودَ لاستِحْلالِه. وقال قومٌ: هي مَخصُوصَةٌ في حقِّ مَنْ لَمْ يَتُبْ، واستدلُّوا بقوله تعالى في «الفُرقان»: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]. وقال آخرون: هي مَنْسُوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2].

---

(١) سورة الفرقان: ٧٠.

(٢) سورة النساء: ٤٨. قال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» ١/٥٧٦: وقد اختلف العلماء هل لقاتل العمد من توبة أم لا توبة له؟ فروى البخاري عن سعيد بن جبير قال: اختلف فيه علماء أهل الكوفة، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء، وقد روى النسائي نحو هذا وروى النسائي عن زيد بن ثابت نحوه، وممن ذهب: إلى أنه لا توبة له من السلف أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وأبو سلمة، وعبيد بن عمير، والحسن، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم عنهم. وذهب الجمهور: إلى أن التوبة منه مقبولة، واستدلوا بمثل قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ وقوله: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ وقوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قالوا أيضاً: والجمع ممكن بين آية النساء هذه وآية الفرقان، فيكون معناهما: جزاؤه جهنم إلا من تاب، لا سيما وقد اتحد السبب ـ وهو القتل ـ والموجب، وهو التوعد بالعقاب. واستدلوا أيضاً: بالحديث المذكور في الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنه ﷺ قال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق، ثم قال: فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، وبحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه وغيره: في الذي قتل مئة نفس، وذهب جماعة منهم أبو حنيفة وأصحابه والشافعي: إلى أن القاتل عمداً دخل تحت المشيئة تاب أو لم يتب. والحق: أن باب التوبة لم يغلق دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك وهو أعظم الذنوب وأشدها تمحوه التوبة إلى الله، ويقبل من صاحبه الخروج منه، والدخول في باب التوبة، فكيف ما دونه من المعاصي التي من جملتها القتل عمداً؟ لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً، أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمكناً من تسليمها أو بعضها، وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد، من دون اعتراف، ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين، هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٥٥٠: وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة، ولكن لا بد من ردّها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه، والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة، ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم. واختلف الأئمة هل تجب عليه كفارة عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام على قولين فالشافعي وأصحابه وطائفة من العلماء يقولون: نعم يجب عليه لأنه إذا وجبت عليه الكفارة في الخطأ فلأن تجب عليه =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[٣٣٦] **أحدها**: أن النبيَّ ﷺ بعثَ سَرِيَّةً فيها المِقْدَادُ بن الأَسْوَد، فلمَّا أَتوا القومَ، وجدوهم قد تفرَّقوا، وبقي رجلٌ له مالٌ كثيرٌ لم يَبْرَحْ، فقال: أشهدُ أَنْ لا إله إلا الله، فَأَهوى إليه المِقْدَادُ بن الأَسْوَد فقتله. فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟! لأذكرنَّ ذلك للنبي. فلما قَدِمُوا على النبيِّ ﷺ قالوا له: يا رسولَ الله إنَّ رجلاً شهدَ أَنْ لا إله إلا الله، فَقَتَلَهُ المِقْدَادُ، فقال: ادْعوا ليَ المِقْدَادَ، فقال: يا مِقْدَادُ أَقتلتَ رجلاً قال: لا إله إلا الله، فكيف لك بـ «لا إله إلا الله غداً»! فنزلت هذه الآية. فقال رسول الله ﷺ للمقداد: كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته؟ وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل. رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ.

[٣٣٧] **والثاني**: أنَّ رجلاً من بَنِي سُلَيْم مرَّ على نَفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غَنَمٌ، فسَلَّمَ عليهم، فقالوا: ما سَلَّمَ عليكم إلا لِيَتَعَوَّذَ منا، فعَمَدُوا إليه فقتلوه وأخذوا غَنَمَهُ، فأَتَوا بها رسولَ الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. رواه عِكرمةُ، عن ابن عباسٍ.

[٣٣٨] **والثالث**: أنَّ قوماً من أهل مكَّةَ سمعوا بِسَرِيَّةٍ لرسول الله ﷺ أنها تُرِيدُهم فهربوا، وأقام

---

[٣٣٦] حسن، أخرجه البزار ٢٢٠٢ والطبراني في «الكبير» ١٢٣٧٩ وإسناده حسن. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٨: رواه البزار، وإسناده جيد. ويمكن الجمع بين هذا وما بعده بتعدد الحادثة، والله أعلم.

[٣٣٧] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٠٣٠ وأحمد ١/ ٢٢٩ و ٢٧٢ و ٣٢٤ والطبري ١٠٢٢٢ والطبراني ١١٧٣١ والحاكم ٢/ ٢٣٥ والبيهقي ٩/ ١١٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٦ من طرق عن عكرمة به. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حديث حسن اهـ. وأخرجه البخاري ٤٥٩١ ومسلم ٣٠٢٥ وأبو داود ٣٩٧٤، والطبري ١٠٢١٩ و ١٠٢٢٠ و ١٠٢٢١ والواحدي ٣٤٥ والبيهقي ٩/ ١١٥ من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس بنحوه.

[٣٣٨] ضعيف جداً بهذا اللفظ، قال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٥٢: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس اهـ. والكلبي متهم بالكذب، وخصوصاً في روايته عن أبي صالح. وأخرجه الطبري ١٠٢٢٦ من رواية أسباط عن السدي مرسلاً وليس فيه استغفار النبي ﷺ لأسامة، وقوله: «أعتق رقبة».

ـ وأصل الخبر في الصحيحين البخاري ٤٢٦٩ ومسلم ٩٦ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبّحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكفَّ الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قَتَلْتُه، فلما قدِمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته =

= في العمد أولى وأصحاب الإمام أحمد وآخرون: قتل العمد أعظم من أن يكفر فلا كفارة فيه وكذا اليمين الغموس. وقد احتج من ذهب إلى وجوب الكفارة في قتل العمد بما رواه الإمام أحمد حيث قال: عن واثلة بن الأسقع قال: أتى النبي ﷺ نفر من بني سليم فقالوا إن صاحباً لنا قد أوجب قال: «فليعتق رقبة يفدي الله بكل عضو منها عضواً من النار». والله أعلم.

رجلٌ منهم كان قد أسْلَمُ، يُقال له: مِرْدَاس، وكان على السَّريَّة رجلٌ، يُقال له: غَالِبُ بنُ فَضَالَةَ، فلما رأى مِرْدَاسُ الخيلَ، كَبَّرَ، ونَزل إليهم، فسلَّمَ عليهم، فقتله أُسامةُ بن زَيدٍ، واستَاقَ غَنَمَهُ، ورَجعوا إلى النبيِّ ﷺ فأخبروه، فوَجَدَ رسولُ الله ﷺ من ذلك وَجْداً شديداً، وأُنزلت هذه الآية. رواه أبو صالحِ عن ابن عباسٍ. وقال السُّدِّيُّ: كان أُسامَةُ أميرَ السَّريَّة.

[٣٣٩] والرابع: أن رسول الله بعث أبا حَدْرَد الأسْلَميّ، وأبا قَتادة، ومحلَّم بن جَثَّامة في سَريَّةٍ إلى إضم[١]، فلَقُوا عامرَ بن الأضبط الأشْجعِيّ، فحيَّاهم بتحيَّة الإسلام، فحمل عليه محلِّم بن جَثَّامة، فَقَتلَه، وسَلَبَه بعيراً وسِقَاءً. فلما قدموا على النبيِّ ﷺ، أخبروه، فقال: أَقَتلْتَهُ بعدما قال آمنتُ؟! ونزلت هذه الآية. رواه ابن أبي حَدْرَد، عن أبيه.

فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: سِرتُم وغَزوتُم. وقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ، وعَاصمٌ، وابن عَامرٍ: ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾ بالنون من التَّبيين للأمر قبل الإقدام عليه. وقرأ حَمزةُ والكِسَائيُ وخَلفٌ «فتثبَّتوا» بالثاء من الثَّبات وتَرْكِ الاستِعْجَال، وكذلك قرؤوا في «الحجرات».

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ، وأبو بَكرٍ، وحَفصٌ، عن عَاصم، والكِسَائيّ: «السَّلام» بالألف مع فتح السين. قال الزجَّاجُ: يجوز أن يكون بمعنى التسليم، ويجوزَ أن يكون بمعنى الاستِسْلاَم. وقرأ نَافعٌ. وابن عَامرٍ، وحَمزةُ، وخَلَفٌ، وجبلةُ عن المُفضَّل عن عَاصم: «السَّلَم» بفتح السين واللام من غير ألف وهو من الاستسلام. وقرأ أبان بن يزيد عن عاصم بكَسر السين وإسكان اللام من غير أَلِفٍ. و «السّلم»: الصُّلح. وقرأ الجمهور: لست مؤمناً، بكسر الميم، وقرأ عَليٌّ، وابن عباسٍ، وعِكرمةُ، وأبو العَالِيَة، ويَحيَى بن يَعْمُر وأبو جَعفَر: بفتح الميم من الأمان.

قوله تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ و «عَرَضُها»: ما فيها من مالٍ، قلَّ أو كَثُرَ. قال المفسرون: والمُراد به: ما غَنِمُوه من الرجل الذي قتلوه.

قوله تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ثوابُ الجنة، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أنها أبواب الرِّزق في الدنيا، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنَّ معناه: كذلك كنتم تَأْمَنُون من قومكم المؤمنين بهذه الكلمة، فلا تُخِيفُوا مَنْ قَالَها، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**:

= بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قُلتُ: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» فهذا الذي صح في ذلك، فعليك به، والله الموفق.

[٣٣٩] حسن، أخرجه أحمد ٦/١١ والطبري ٥/١٤٠ والبيهقي في «الدلائل» ٤/٣٠٥ والواحدي ٣٤٩ من حديث أبي حدرد عن أبيه، وإسناده حسن. وانظر «تفسير الشوكاني» ٦٩٢ بتخريجنا.

---

(١) إضم: ماء بين مكة واليمامة عند السمينة، وقيل: واد بجبال تهامة. وقال ابن السكيت: إضم وادٍ يشق الحجاز حتى يفرع في البحر ـ انظر معجم البلدان ١/ ٢١٥.

كذلك كُنتم تُخفُون إيمانكم بمكَّةَ كما كان هذا يُخفي إيمانَه، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: كذلك كُنتم مِنْ قبلُ مشركين، قاله مَسروقٌ وقَتادةُ وابن زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ في الذي مَنَّ به أربعة أقوالٍ: **أحدها**: الهجرة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: إعلانُ الإيمان، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثالث**: الإسلام، قاله قَتادةُ، ومَسْروقٌ. **والرابع**: التَّوبة على الذي قَتَلَ ذلك الرجلَ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تأكيدٌ للأول.

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: نزلت هذه الآية من أجل قومٍ كانوا إذا حَضَرت غَزاةٌ يستأذنون في القُعود.

[٣٤٠] وقال زيدُ بن ثابتٍ: إني لَقاعدٌ إلى جَنْبِ رسول الله ﷺ، إذ غَشِيتهُ السَّكِينةُ، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: «اكتب» (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون. . .) الآية، فقامَ ابن أمِّ مَكتُوم، فقال: يا رسولَ الله، فكيف بمن لا يستطيعُ الجهادَ؟ فَواللهِ ما قضى كلامَه حتى غَشِيَتْ رسولَ ٱللهِ السَّكِينةُ، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: اقرأ، فقرأتُ (لا يَستوي القاعدون من المؤمنين والمُجاهِدُون)، فقال النبيُّ ﷺ: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ فألْحَقْتُها.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ﴾ يعني عن الجهاد، والمعنى: أنَّ المجاهدين أفضلُ. قال ابن عباسٍ: وأُريد بهذا الجهاد غزوةُ بَدْرٍ. وقال مُقاتلٌ: غَزاةُ تَبُوك.

قوله تعالى: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عَمرو، وحَمزةُ: «غيرُ» برفع الرَّاء، وقرأ نافعٌ، وابن عَامرٍ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ، والمُفضَّلُ: بنصبها. قال أبو عَليٍّ: مَنْ رفع الراء، جعل «غير» صفة للقاعدين، ومَنْ نصبها، جعلها استثناء من القاعدين[1]. وفي «الضَّرر» قولان:

---

[٣٤٠] صحيح. أخرجه البخاري ٢٨٣٢ و ٤٥٩٢ والترمذي ٣٠٣٣ والنسائي ٦/ ٩ و ١٠ وأحمد ٥/ ١٨٤ وابن حبان ٤٧١٣ والطبري ١٠٢٤٤ وابن الجارود ١٠٣٤ والطبراني ٤٨١٤ و ٤٨١٥ و ٤٨٩٩ وأبو نعيم في «الدلائل» ١٧٥ كلهم عن سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره. . .

ـ وورد بنحوه من حديث الفلتان بن عاصم أخرجه ابن حبان ٤٧١٢ والطبراني ١٨/ ٨٥٦ والبزار ٢٢٠٣ وأبو يعلى ١٥٨٣. وقال الهيثمي في «المجمع» ٩٤٤٤: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

ويشهد له أيضاً حديث البراء بن عازب أخرجه البخاري ٤٥٩٣ و ٤٥٩٤ ومسلم ١٨٩٨ والترمذي ١٦٧٠ والنسائي ٦/ ١٠ والطبري ١٠٢٣٨ ـ ١٠٢٤٢ والبيهقي ٩/ ٢٣. وحديث زيد بن أرقم أخرجه الطبري ١٠٢٤٣ والطبراني ٥٠٥٣ وفي الباب أحاديث، فهو حديث مشهور.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٦ ـ ١٠: والجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به قوم سقط عن =

أحدهما: أنه العَجزُ بالزَّمانَة والمَرَضُ، ونحوهما. قال ابن عباسٍ: هم قومٌ كانت تَحبِسُهم عن الغَزاة أمراضٌ وأوجاعٌ. وقال ابن جُبير، وابن قُتيبة: هم أولو الزَّمانَةِ. وقال الزجَّاجُ: الضَّرر: أن يكون ضَريْراً أو أعمى أو زَمِناً. **والثاني**: أنه العُذرُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ في هؤلاءِ القاعدين قولان: **أحدهما**: أنهم القاعدون بالضَّرَر، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: القاعدون من غير ضَرَرٍ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قال ابن جَرير: والدَّرجة: الفضيلةُ. فأما الحُسنى فهي الجنة في قول الجماعة. قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ قال ابن عباسٍ: القاعدون ها هنا: غير أُولي الضَّرَر، وقال سعيدُ بن جُبيرٍ: هم الذين لا عُذرَ لهم.

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ قال الزجَّاجُ: دَرجاتٍ، في موضع نصب بَدَلاً من قوله تعالى: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وهو مُفسِّرٌ للأَجْر. وفي المراد بالدَّرجات قولان[1]: **أحدهما**: أنها دَرجاتُ الجنة، قال ابن مُحَيْرِيز: الدَّرجَاتُ: سبعونَ درجةً ما بين كلِّ دَرجتين حُضْرُ الفَرَس الجَوادِ المُضمَّرِ[2] سبعينَ سنةً، وإلى نحوه ذهب مُقاتلٌ. **والثاني**: أن معنى الدَّرجَات: الفَضَائل، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. قال قَتادةُ: كان

= الباقين، في قول عامة أهل العلم. وحكي عن سعيد بن المسيب، أنه من فروض الأعيان، لقول الله تعالى: **﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾** التوبة: ٤١- ثم قال: **﴿إلا تنفروا يعذّبكم عذاباً أليماً﴾**. وروى أبو هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من مات ولم يغز، ولم يحدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق». رواه أبو داود. ولنا، قول الله تعالى: **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. . .﴾** الآية. وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم، وقال الله تعالى: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقةٍ طائفة ليتفقهوا﴾**، ولأن رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا، ويقيم هو وسائر أصحابه. وأما الآية التي احتجوا بها، فقد قال ابن عباس: نسخها قوله تعالى: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾** رواه الأثرم وأبو داود. ويحتمل أنه أراد حين استنفرهم النبي ﷺ إلى غزوة تبوك، وكانت إجابتهم إلى ذلك واجبة عليهم، ولذلك هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وأصحابه الذين خلّفوا حتى تاب الله عليهم بعد ذلك، وكذلك يجب على من استنفره الإمام؛ لقول النبي ﷺ: «إذا استنفرتم فانفروا» متفق عليه. ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يَكفُون في قتالهم، إما أن يكونوا جنداً لهم دواوين من أجل ذلك، أو يكونوا قد أعدّوا أنفسهم له تبرعاً بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم، ويكون في الثغور من يدفع العدو عنها، ويبعث في كل سنة جيش يُغِيرُونَ على العدو في بلادهم.

(١) قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٣٢٧: قوله تعالى: **﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾** وقد قال بعد هذا: **﴿درجاتٍ منه ومغفرة ورحمة﴾** فقال قوم: التفضيل بالدرجة ثم بالدرجات مُبالغة وبيان وتأكيد. وقيل: إن معنى درجة علوّ، أي أعلى ذكرهم ورفعهم بالثناء والمدح والتقريظ. وقيل: فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر بدرجة واحدة، وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير عذر درجات.

(٢) في «اللسان» الحُضْرُ: ارتفاع الفرس في عدوه. وضمّرت الخيل: علفتها القوت بعد السمن. وتضمير الفرس أيضاً أن تعلفه حتى يسمن ثم تردّه إلى القوت، وذلك في أربعين يوماً. وهذه المدة تسمى المضمار.

يُقال: الإسلام درجةٌ، والهجرة في الإسلام درجةٌ، والجهاد في الهجرة درجةٌ، والقَتْلُ في الجهاد درجةٌ. وقال ابن زيدٍ: الدَّرجات: هي السَّبع التي ذكرها الله تعالى في بَراءة حين قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ . . .﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ . . .﴾[(١)]. فإن قيل: ما الحِكْمَةُ في أنَّ الله تعالى ذَكَرَ في أول الكلام درجةً، وفي آخره دَرَجاتٍ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أن الدَّرجة الأولى تفضيلُ المجاهدين على القاعدين من أُولي الضَّرَرِ منزلةً، والدَّرَجات: تفضيلُ المجاهدين على القاعدين من غير أُولي الضَّرَرِ منازلَ كثيرةً، وهذا معنى قول ابن عباسٍ. **والثاني**: أن الدَّرجة الأولى دَرجةُ المَدْح والتَّعظيم، والدَّرجاتُ: منازلُ الجنة، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٣٤١] **أحدها**: أن أُناساً كانوا بمَكَّةَ قد أقَرُّوا بالإسلام، فلمَّا خرج النبيُّ ﷺ إلى بَدْرٍ لم تَدَعْ قُريشٌ أحداً إلا أخرجوه معهم، فقُتل أولئك الذين أقَرُّوا بالإسلام، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عِكرمةُ عن ابن عباس.

[٣٤٢] وقال قَتادةُ: نزلت في أُناسٍ تكلَّموا بالإسلام، فخرجوا مع أبي جَهْلٍ، فقُتلوا يومَ بَدْرٍ، واعتذروا بغير عُذرٍ، فأبى الله أن يَقْبَل منهم.

[٣٤٣] **والثاني**: أن قوماً نافقوا يومَ بَدْرٍ، وارتَابُوا، وقالوا: غَرَّ هؤلاءِ دِينُهم وأقاموا مع المشركين حتى قُتلوا، فنزلت فيهم هذه الآية. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[٣٤٤] **والثالث**: أنها نزلت في قوم تَخلَّفوا عن النبيِّ ﷺ، ولم يخرجوا معه، فمَنْ مات منهم قبل أن يَلْحَقَ بالنبيِّ، ضَرَبت المَلائكةُ وَجهَه وَدُبُرَهُ، رواه العَوفِيُّ عن ابن عباسٍ.

وفي «التَّوفِّي» قولان: **أحدهما**: أنه قَبْضُ الأرواح بالموت، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: الحَشْرُ إلى النار، قاله الحَسنُ. قال مُقاتلٌ: والمراد بالملائكة مَلَكُ المَوت وحدَهُ. وقال في موضعٍ

---

[٣٤١] صحيح. أخرجه الطبري ١٠٢٦٥ من طريق عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس بأتم منه. وورد من وجه آخر عن أبي الأسود عن عكرمة عن ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يُضرَب فيقتل فأنزل الله **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾** الآية. لفظ البخاري. أخرجه البخاري ٤٥٩٦ والنسائي في «الكبرى» ١١١٩ والطبري ١٠٢٦٦ و ١٠٢٦٧ والواحدي ٣٥٦ وانظر تفسير القرطبي بتخريجنا.

[٣٤٢] مرسل. أخرجه الطبري ١٠٢٧٢ عن قتادة مرسلاً، وهو شاهد لما قبله.

[٣٤٣] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس.

[٣٤٤] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٢٦٨ برواية العوفي عن ابن عباس، والعوفي وهو محمد بن سعد واهٍ، والصواب ما تقدم عن ابن عباس برواية البخاري.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٠ ـ ١٢١.

آخر: مَلَكُ الموت وأعْوانُه، وهم ستةٌ، ثلاثةٌ يَلُونَ أرواحَ المؤمنين، وثلاثةٌ يَلُونَ أرواحَ الكفَّار. قال الزجَّاجُ: «ظالمي أنفسهم» نَصبٌ على الحال، والمعنى: تتوفَّاهم في حالِ ظُلمهم أنفُسَهُم، والأصل. ظالمين، لأن النون حُذفت استِخْفافاً. فأمَّا ظلمهم لأنفسهم، فيحتمل على ما ذُكر في قصتهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَرْكُ الهجرة. **والثاني**: رُجوعهم إلى الكُفر. **والثالث**: الشَّكُّ بعد اليقين. **والرابع**: إعانةُ المشركين.

قوله تعالى: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ قال الزجَّاجُ: هو سؤال تَوبيخ، والمعنى: كُنتم في المشركين أو في المسلمين. قوله تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال مُقاتلٌ: كنا مَقهورين في أرض مَكَّةَ، لا نستطيع أن نذكر الإيمان، قالت الملائكةُ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ يعني المَدينةَ ﴿فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ يعني: إليها. وقولُ الملائكة لهم يَدُلُّ على أنهم كانوا يستطيعون الهجرةَ.

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾.

[٣٤٥] سبب نزولها: أنَّ المسلمين قالوا في حقِّ المُستَضْعَفِين من المسلمين بمكَّةَ: هؤلاءِ بمنزلة الذين قُتلوا بِبَدْرٍ، فنزلت هذه الآية. قاله مُجاهدٌ.

قال الزجَّاجُ: «المستضعفين» نُصب على الاستثناء من قوله تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾. قال أبو سُليمانَ: «المستضعفون»: ذَوو الأَسنان، والنِّساء، والصِّبيان.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يَقْدِرون على حِيلَةٍ في الخروج من مكَّةَ، ولا على نَفقَةٍ، ولا قُوَّةٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم لا يعرفون الطريقَ إلى المدينة، قاله ابن عباسٍ، وعِكرمةُ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: أنهم لا يعرفون طريقاً يتوجَّهون إليه، فإن خرجوا هَلَكُوا، قاله ابن زيدٍ. وفي ﴿عَسَى﴾ قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى الإيجابِ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: أنها بمعنى التَّرجِّي، فالمعنى: أنهم يَرْجُون العَفْوَ، قاله الزجَّاج.

﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ قال سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ: مُتَزَحْزَحاً عمَّا يَكْرَه. وقال ابن قُتيبة: المُراغَم والمُهاجِرِ: واحدٌ، يقال: رَاغَمْتُ وهَاجَرتُ، وأصله: أن الرجل كان إذا أَسلَمَ، خرج عن قومه، مُراغِماً، أي: مُغاضِباً لهم، ومُهاجراً، أي: مُقاطِعاً من الهِجْرَان، فقيل للمذهب: مُراغَم، وللمصير إلى النبيِّ عليه السلام هِجْرَة، لأنها كانت بهجرة الرجل قومَهُ.

وفي السَّعة قولان: **أحدهما**: أنها السَّعة في الرِّزق، قاله ابن عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: التَّمكُّن

---

[٣٤٥] مرسل. أخرجه الطبري ١٠٢٨١ عن مجاهد مرسلاً، وهو يتأيد بما تقدم عن ابن عباس.

من إظهار الدِّين، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ اتّفقوا على أنه نزلَ في رجلٍ خرج مُهاجراً، فمات في الطريق، واختلفوا فيه على ستة أقوالٍ:

[٣٤٦] **أحدها**: أنه ضَمْرَةُ بن العِيص، وكان ضَريراً مُوسِراً، فقال: اِحْمِلُوني فحُمل، وهو مريضٌ، فمات عند التَّنْعِيم، فنزل فيه هذا الكلام، رواه سعيدُ بن جُبير.

[٣٤٧] **والثاني**: أنه العيص بن ضَمْرَةَ بن زِنْبَاع الخُزَاعِيّ، أَمَرَ أهله أن يحملوه على سريره، فلمّا بلغ التَّنْعِيمَ، ماتَ، فنزلت فيه هذه الآية، رواه أبو بِشْرٍ عن سعيدِ بن جُبيرٍ.

[٣٤٨] **والثالث**: أنه ابن ضَمْرَةَ الجُنْدَعيّ، مَرِضَ فقال لِبَنِيهِ: أخرجوني من مكّةَ، فقد قتلني غَمُّها، فقالوا: أين؟ فأومأ بيده نحو المدينة، يريد الهجرةَ، فخرجوا به، فمات في الطريق، فنَزل فيه هذا، ذكره ابن إسحاقَ. وقال مُقاتلٌ: هو جُندُبُ بن ضَمْرَةَ.

[٣٤٩] **والرابع**: أن اسمهُ سبرة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ قال لأهله وهو مريضٌ: اِحمِلُوني، فإني مُوسِرٌ، وليَ من المال ما يُبلغني إلى المدينة، فلما جاوزَ الحَرمَ، مات فنزل فيه هذا، قاله قَتادةُ.

[٣٥٠] **والخامس**: أنه رجلٌ من بني كِنانَةَ هاجر فمات في الطريق، فَسَخِرَ منه قومُه، فقالوا: لا هوَ بلغَ ما يريد، ولا أقام في أهله حتى يُدفن، فنزل فيه هذا، قاله ابن زَيدٍ.

[٣٥١] **والسادس**: أنه خَالدُ بن حِزَامٍ أخو حَكِيم بنِ حِزامٍ، خرج مُهاجراً، فمات في الطريق، ذكره الزُّبيرُ بن بَكّار. وقوله تعالى: ﴿وَقَعَ﴾ معناه وَجَبَ.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

---

[٣٤٦] مرسل. أخرجه الطبري ١٠٢٨٧ عن سعيد بن جبير، مرسلاً.

[٣٤٧] هو مرسل كسابقه.

[٣٤٨] علقه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٥٧ عن ابن عباس من رواية عطاء. وورد مختصراً من حديث ابن عباس، أخرجه أبو يعلى ٢٦٧٩ والطبراني في «الكبير» ١١٧٠٩ وفي إسناده عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي، وأشعث بن سوّار وكلاهما ضعيف. وانظر «الإصابة في تمييز الصحابة» ١/ ٢٥١.

[٣٤٩] مرسل. أخرجه الطبري ١٠٢٩١ عن قتادة مرسلاً دون ذكر اسم الصحابي وإنما ذَكَرَ رجلاً من المسلمين.

- الخلاصة: هذه الروايات تتأيد بمجموعها، والاضطراب فقط في تعيين الرجل وأما أصل الخبر فصحيح.

[٣٥٠] ضعيف. أخرجه الطبري عن ابن زيد، وهذا معضل.

[٣٥١] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٥٦ من حديث الزبير بن العوام، وله قصة.

- وقال الحافظ ابن كثير: وهذا الأثر غريب جداً، فإن القصّة مكية، ونزول هذه الآية مدني.

- قلت: فيه عبدالرحمن بن عبدالملك، وهو لين الحديث، وفيه المنذر بن عبدالله الحزامي، وهو مجهول.

[٣٥٢] روى مُجاهدٌ عن أبي عَيَّاشٍ الزَّرقيِّ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ بعُسْفانَ(١)، وعلى المشركين خَالدُ بن الوَليدِ، قال: فَصَلَّينا الظُّهر، فقال المشركون: لقد أَصَبْنَا غِرَّةً، لو كُنَّا حَمَلْنَا عليهم وهم في الصَّلاة، فنزلت آية القَصْرِ فيما بين الظُّهر والعصر.

والضَّربُ في الأرض: السَّفر، والجُنَاح: الإثم، والقَصْرُ: النَّقْصُ، والفِتْنَةُ: القتل.

وفي القَصْرِ قولان: **أحدهما**: أنه القَصْرُ من عدد الركعات. **والثاني**: أنه القَصْرُ من حُدودها. وظاهر الآية يَدُلُّ على أن القَصْرَ لا يجوز إلا عند الخَوف، وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية على غالب أَسْفَار رسول الله ﷺ، وأكثرها لم يَخْلُ عن خوف العدوِّ. وقيل: إن قوله: ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كلامٌ تامٌ. وقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ كلامٌ مبتدأ، ومعناه: وإنْ خِفْتُم.

واختلف العلماء هل صلاةُ المُسافر رَكعتين مقصورةٌ أَمْ لا؟ فقال قومٌ: ليست مقصورةً، وإنما فَرْضُ المسافر ذلك، وهو قول ابن عُمرَ، وجَابرِ بن عبدالله، وسعيدِ بن جُبيرٍ، والسُّدِّيِّ، وأبي حَنيفةَ، فعلى هذا القول قَصْرُ الصلاة أن تكون ركعةً، ولا يجوز ذلك إلا بوجود السَّفر والخَوف، لأن عند هؤلاءِ أن الرَّكعتين في السفر إذا لم يكن فيه خَوفٌ تمامٌ غير قَصْرٍ.

[٣٥٣] واحتَجُّوا بما روى ابن عباسٍ أن النبيَّ ﷺ صلَّى بذِي قَرَد(٢)، فَصَفَّ الناس خلفَه صَفَّين، صَفًّا خَلْفَهُ، وصَفًّا مُوازي العدوّ، فصلَّى بالذين خَلفَه ركعةً، ثم انصرف هؤلاءِ، إلى مكانِ هؤلاءِ، وجاء أولئك فصَلَّى بهم رَكعةً، ولم يَقْضُوا.

[٣٥٤] وعن ابن عباسٍ أنه قال: فَرَضَ اللهُ الصَّلاةَ على لسان نَبِيِّكم في الحَضَر أربعاً، وفي السَّفر ركعتين، وفي الخوف ركعةً.

والثاني: أنها مَقصُورةٌ، وليست بأصلٍ، وهو قول مُجاهدٍ وطاوس، وأَحمدَ، والشَّافعيِّ.

[٣٥٥] قال يَعلَى بن أُمَيَّةَ: قلتُ لعُمَرَ بن الخَطَّاب: عَجِبْتُ من قَصْرِ الناس اليومَ، وقد أَمِنُوا وإنما

---

[٣٥٢] جيد. أخرجه أبو داود ١٢٣٦ والنسائي ٣/ ١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ وابن أبي شيبة ٢/ ٤٦٥ والطيالسي ١٣٤٧ وأحمد ٤/ ٥٩ و٦٠ والدارقطني ٢/ ٥٩ و٦٠ وابن حبان ٢٨٧٥ و٢٨٧٦ والطبري ١٠٣٨٣ والحاكم ١/ ٣٣٧ - ٣٣٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٣٥٩ والبيهقي ٣/ ٢٥٤ - ٢٥٥ والبغوي في «شرح السنة» ١٠٩١ من طرق عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش مطولاً. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وقال الدارقطني: صحيح. وكذا قال البيهقي، وجوده الحافظ في الإصابة ٤/ ١٤٣.

[٣٥٣] صحيح. أخرجه النسائي ٣/ ١٦٩ وأحمد ١/ ٢٣٢ والحاكم ١/ ٣٣٥ وابن حبان ٢٨٧١ والطبري ١٠٣٣٩ و١٠٣٤٠ والطحاوي ١/ ٣٠٩ والبيهقي ٣/ ٢٦٢. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي! وإنما هو على شرط مسلم فقط، لأن أبا بكر بن أبي الجهم لم يخرج له البخاري.

[٣٥٤] صحيح. أخرجه مسلم ٦٨٧ وأبو داود ١٢٤٧ والنسائي ٣/ ١٦٨ - ١٦٩ وابن ماجه ١٠٦٨ وابن خزيمة ٩٤٣ وأبو يعلى ٢٣٤٦ وأحمد ١/ ٢٣٧ و٢٥٤ من حديث ابن عباس.

[٣٥٥] صحيح. أخرجه مسلم ٦٨٦ وأبو داود ١١٩٩ و١٢٠٠ والترمذي ٣٠٣٤ وابن ماجه ٩٤٥ وأحمد ١/ ٢٥ و٣٦ =

---

(١) عُسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة. انظر «معجم البلدان» ٤/ ١٢٢.

(٢) ذو قرد: ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. انظر «معجم البلدان» ٤/ ٣٢١.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ فقال عُمرُ: عجبتُ مما عَجِبْتَ منه، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: صدقةٌ تَصدَّقَ اللهُ بها عليكُم. فاقبَلُوا صَدَقَتَهُ.

فصل: وإنما يجوز للمسافر القَصْرُ إذا كان سَفَرُه مُباحاً، وبهذا قال مَالكٌ، والشَّافعيُّ، وقال أبو حَنيفةَ: يجوز له القَصْرُ في سَفَرِ المعصية. فأمَّا مُدَّةُ الإقامة التي إذا نَوَاهَا أَتَمَّ الصَّلاة، وإن نَوَى أقلَّ منها، قَصَرَ، فقال أصحابُنا: إقامةُ اثنين وعشرين صَلاةً، وقال أبو حَنيفةَ: خمسةَ عشرَ يوماً. وقال مالكٌ، والشَّافعيُّ: أربعة أيام[1].

= والدارمي ١/ ٣٥٤ والطحاوي ١/ ٤١٥ والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص ١١٦ وابن خزيمة ٩٤٥ وابن حبان ٢٧٣٩ و٢٧٤٠ و٢٧٤١ والطبري ١٠٣١٥ و١٠٣١٦ و١٠٣١٧ والطحاوي في «المعاني» ١/ ٤١٥ والبيهقي ٣/ ١٣٤ و١٤٠ و١٤١ من طرق عن يعلى بن أمية.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٣/ ١٠٤: وأجمع أهل العلم على أن من سافر سفراً تقصر في مثله الصلاة في حج، أو عمرة، أو جهادٍ، أن له أن يقصر الرباعية فيصليها ركعتين. قال الأثرم: قيل لأبي عبدالله: في كم تُقصر الصلاة؟ قال: في أربعة برد قيل له: مسيرة يوم تام؟ قال: لا، أربعة برد، ستة عشر فرسخاً، ومسيرة يومين. فمذهب أبي عبدالله أن القصر لا يجوز في أقل من ستة عشر فرسخاً. وقد قدّره ابن عباس، فقال: من عسفان إلى مكة، ومن الطائف إلى مكة، ومن جدة إلى مكة. فعلى هذا تكون مسافة القصر يومين قاصدين. وهذا قول ابن عباس، وابن عمر، وإليه ذهب مالك، والليث، والشافعي. ورُوي عن ابن عمر أنه كان يقصر إلى مسيرة عشرة فراسخ وروي نحو ذلك عن ابن عباس، فإنه يقصر في اليوم ولا يقصر فيما دونه. ويروى عن ابن مسعود، أنه يقصر في مسيرة ثلاثة أيام وبه قال أبو حنيفة. لقول النبي ﷺ«يمسح المسافر في ثلاثة أيام ولياليهن». وهذا يقتضي أن كل مسافر له ذلك، ولأن الثلاثة متفق عليها وليس في أقل من ذلك توقيف ولا اتفاق. وقال الأوزاعي: كان أنس يقصر فيما بينه وبين خمسة فراسخ. ورُوي عن علي، أنه خرج من قصره بالكوفة حتى أتى النخيلة، فصلى بها الظهر والعصر ركعتين، ثم رجع من يومه، فقال: أردت أن أعلمكم سنتكم. وعن جبير بن نفير عن شرحبيل بن السمط. قال رأيت عمر بن الخطاب يصلي بالحُليفة ركعتين وقال: إنما فعلت كما رأيت النبي ﷺ يفعل. رواه مسلم. واحتج أصحابنا بقول ابن عباس وابن عمر، قال ابن عباس: يا أهل مكة، لا تقصروا في أدنى من أربعة بردٍ من عسفان إلى مكة. وقال الخطابي: وهو أصح الروايتين عن ابن عمر. ولم يجز فيما دونها، لأنه لم يثبت دليل يوجب القصر فيه. وإذا كان في سفينة في البحر، فهو كالبر، إن كانت مسافة سفره تَبْلُغ مسافة القصر، أبيح له، وإلا فلا، سواء قطعها في زمن طويل أو قصير، اعتباراً بالمسافة. وإن شك هل السفر مبيح للقصر أو لا؟ لم يبح له، لأن الأصل وجوب الإتمام، فلا يزول بالشك. وليس لمن نوى السفر القصر حتى يخرج من بيوت قريته، ولنا قول الله تعالى: **﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا في الصلاة﴾** ولا يكون ضارباً في الأرض حتى يخرج. وروي عن النبي ﷺ أنه كان يبتدئ القصر إذا خرج من المدينة. وإن الرخص المختصة بالسفر، من القصر، والجمع، والفِطْر، والمسح ثلاثاً، والصلاة على الراحلة تطوعاً، يباح في السفر الواجب ـ حج أو جهاد والمندوب والمباح كالتجارة. وبه قال الأوزاعي، والشافعي، وإسحاق وأهل المدينة وعن ابن مسعود: لا يقصر إلا في حج أو جهاد، لأن الواجب لا يترك إلا لواجب. ولا تباح هذه الرّخص في سفر المعصية كالإباق، وقطع الطَرِيق، والتجارة في الخمر والمحرمات. نصّ عليه أحمد. وهذا قول الشافعي وقال أبو حنيفة: له ذلك، لأنه مسافر، فأبيح له التّرخص كالمطيع. ولنا، قول الله تعالى **﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾**. وفي سفر التنزه والتفرُّج روايتان: إحداهما تبيح الرخص. وهذا ظاهر كلام الخرقي، لأنه سفر مباح، والثانية: لا يترخص فيه. قال أحمد: إذا خرج الرجل إلى بعض البلدان تنزهاً وتلذذاً، وليس في طلب حديث ولا حج ولا =

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ سبب نزولها:

[٣٥٦] أنّ المشركين لمَّا رَأوا النبيَّ ﷺ، وأصحابَهُ قد صَلُّوا الظُّهرَ، نَدِمُوا إذْ لم يكبُّوا عليهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: دَعُوهم فإنَّ لهم صلاةً هي أحبُّ إليهم من آبائِهم وأبنائِهم، يَعْنُونَ العَصْرَ، فإذا قاموا فَشُدُّوا عليهم، فلمَّا قاموا إلى صلاة العَصْرِ، نزل جِبريلُ بهذه الآية. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ خِطابٌ للنبيِّ عليه السلام، ولا يدلُّ على أن الحُكْمَ مقصورٌ عليه، فهول كقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾[1] وقال أبو يُوسُفَ: لا تجوز صلاةُ الخَوف بعد النبيِّ ﷺ، والهاء والميم مِن «فيهم» تعودُ على الضَّارِبين في الأرض[2].

---

[٣٥٦] ذكره البغوي برواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا الإسناد مع كونه معلقاً، الكلبي متروك متهم، وأبو صالح ليس بثقة عن ابن عباس، وانظر الحديث المتقدم برقم ٣٥٢.

= عمرة ولا تجارة فإنه لا يقصر الصلاة والأول أولى. والمشهور عن أحمد، أن المسافر إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء أتم. وروي عنه أنه توقف، وقال: أنا أحب العافية في هذه المسألة. وممن روي عنهم الإتمام في السفر: عثمان، وابن مسعود، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الشافعي والمشهور عن مالك. وقال حمّاد: ليس له الإتمام في السفر وهو قول الثوري، وأبو حنيفة ورُوي عن ابن عباس أنه قال: من صلى في السفر أربعاً فهو كمن صلى في الحضر ركعتين ولنا، قول الله تعالى: **﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾** وهذا يدل على أن القصر رخصة مخيّر بين فعله وتركه، كسائر الرّخص وقال يعلى بن أمية: قلت لعمر بن الخطاب: **﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم. .﴾** الآية، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ، فقال: «صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته» رواه مسلم. وهذا يدل على أنها رخصة وليست بعزيمة، وأنها مقصورة.

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٣/ ٢٩٦: صلاة الخوف ثابتةٌ بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقول الله تعالى: **﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾** الآية وأما السنة فثبت أن النبي ﷺ كان يصلي صلاة الخوف، وجمهور العلماء متفقون على أن حكمها باقٍ بعد النبي ﷺ. وقال أبو يوسف: إنما كانت تختص بالنبي ﷺ، لقوله تعالى: **﴿وإذا كنت فيهم﴾**. وليس بصحيح، فإن ما ثبت في حق النبي ﷺ ثبت في حقنا، ما لم يقم دليل على اختصاصه به، فإن الله تعالى أمر باتباعه بقوله: **﴿فاتبعوه﴾**. وسئل عن القبلة للصائم، فأجاب: «بأنني أفعل ذلك» فقال السائل: لست مثلنا، فغضب وقال: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله تعالى، وأعلمكم بما أتقي». وكان أصحاب النبي ﷺ يحتجُون بأفعال رسول الله ﷺ، ويرونها معارضة لقوله وناسخة له، ولو لم =

قوله تعالى: ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ أي: ابتدأتها، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ أي: لِتَقِفْ، ومِثْلُهُ ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾[(١)]. ﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الباقون، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم المُصلُّون معه، ذكره ابن جريرٍ، قال: وهذا السِّلاح كالسَّيف، يتقلَّده الإنسانُ، والخِنْجَر يَشُدُّه إلى ذِراعه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ يعني المُصلِّين معه ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾ في المُشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الطَّائفة التي لم تُصلِّ، أُمِرَتْ أن تَحرُسَ الطائفةَ المُصلِّيَةَ، وهذا معنى قول ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم المُصلُّون معه، أُمِرُوا إذا سجدوا أن ينصرفوا إلى الحَرَسِ.

واختلف العلماء كيف ينصرفون بعد السُّجود، فقال قومٌ: إذا أتَمُّوا مع الإمام ركعةً أتَمُّوا لأنفسهم ركعةً، ثم سَلَّمُوا وانصرفوا، وقد تَمَّتْ صلاتُهم، وقال آخرون: ينصرفون عن رَكعةٍ، واختلف هؤلاء، فقال بَعضُهم: إذا صَلُّوا مع الإمام ركعةً وسَلَّموا، فهي تُجْزِئُهُم. وقال آخرون منهم أبو حَنيفةَ: بل ينصرفون عن تلك الرَّكعة إلى الحَرَسِ وهم على صَلاتِهم، فيكونوا في وجه العدو مكانَ الطَّائفة التي لم تُصلِّ، وتأتي تلك الطَّائفةُ. واختلفوا في الطَّائفة الأخرى، فقال قومٌ: إذا صَلَّى بهم الإمامُ أطالَ التشهد حتى يَقضُوا الركعةَ الفائِتةَ، ثم يُسَلِّمُ بهم، وقال آخرون: بل يُسَلِّمُ هو عند فَرَاغِهِ من الصَّلاة بهم، فإذا سَلَّمَ قَضَوا ما فَاتَهُم. وقال آخرون: بلى يُصلِّي بالطَّائفة الثانية ركعةً ويُسَلِّم هو، ولا تُسَلِّمُ هي، بل تَرجِع إلى وجه العدو، ثم تَجِيءُ الأولى، فتقضي ما بقِيَ من صَلاتِها وتُسَلِّم، وتمضي وتَجِيءُ الأُخرى، فتُتِمُّ صَلاتَها، وهذا مذهبُ أبي حَنيفةَ[(٢)].

= يكن فعله حجة لغيره لم يكن معارضاً لقوله. وأيضاً فإن الصحابة أجمعوا على صلاة الخوف. فأما تخصيص النبي ﷺ بالخطاب، فلا يوجب تخصيصه بالحكم، لما ذكرناه. ولأن الصحابة، رضي الله عنهم، أنكروا على مانعي الزكاة قولهم: إن الله تعالى خصّ نبيه بأخذ الزكاة، بقوله ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ فإن قيل: فالنبي ﷺ أخّر الصلاة يوم الخندق، ولم يصل. قلنا: هذا كان قبل نزول صلاة الخوف، وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من أمر رسول الله ﷺ ويكون ناسخاً لما قبله، ثم إن هذا الاعتراض باطل في نفسه، إذ لا خلاف في أن النبي ﷺ كان له أن يصلي صلاة الخوف، وقد أمره الله تعالى بذلك في كتابه. ويحتمل أن النبي ﷺ أخّر الصلاة نسياناً وروي أن عمر قال ما صليت العصر. فقال النبي ﷺ «والله ما صليتُها» ولم يكن ثَمّ قتال يمنعه من الصلاة.

(١) البقرة: ٢٠.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٣/ ٢٩٨ ـ ٣١٣: وصلاة الخوف إذا كان بإزاء العدو وهو في سفر، صلى بطائفة ركعة، وأتمت لأنفسها أخرى بالحمد لله وسورة، ثم ذهبت تحرس، وجاءت الطائفة الأخرى التي بإزاء العدو، فصلت معه ركعة وأتمت لأنفسها أخرى بالحمدلله وسورة، ويطيل التشهد حتى يتموا التشهد، ويسلم بهم. وجملة ذلك أن الخوف لا يؤثر في عدد الركعات في حق الإمام والمأموم جميعاً، فإذا كان سفر يبيح القصر، صلى بهم ركعتين، بكل طائفة ركعة وتتم لأنفسها أخرى على الصفة المذكورة. وإن صلى بهم كمذهب أبي حنيفة جاز، نصّ عليه أحمد. ولكن يكون تاركاً للأولى والأحسن. ولا تجب التسوية بين الطائفتين، لأنه لم يرد بذلك نص ولا قياس. ويجب أن تكون الطائفة التي بإزاء العدو ممن تحصل الثقة بكفايتها وحراستها، ومتى خشي اختلال حالهم واحتيج إلى معونتهم بالطائفة الأخرى. فللإمام أن يَنْهَدَ إليهم بمن معه، ويبنوا على ما مضى من صلاتهم. وإن خاف وهو مقيم، صلى بكل طائفة ركعتين وأتمت الطائفة الأولى بالحمد لله في كل ركعة، والطائفة الأخرى تتم بالحمد لله وسورة. واختلفت الرواية فيما يقضيه المسبوق، فروي أنه أول صلاته، وما يدركه مع الإمام آخرها وهذا ظاهر المذهب ورُوي عن أحمد أن ما =

قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين صَلُّوا أوّلاً. وقال الزجّاجُ: يجوز أن يُريد به الذين وُجاهَ العدوّ، لأن المُصَلّي غير مُقاتِلٍ، ويجوز أن يكون الجماعة أمروا بحَمْل السِّلاح، لأنه أرْهَبُ للعدوّ، وأحرَى أن لا يُقدموا عليهم. و «الجُناح» الإثم، وهو من: جَنَحْتُ: إذا عَدَلْتُ عن المكان، وأخذتُ جَانباً عن القَصْدِ. فالمعنى: أنكم إذا وضعتم أسلحتكم، لم تَعْدِلُوا عن الحقّ.

قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ قال ابن عباس: رَخَّص لهم في وَضْعِ الأسْلِحة لِثِقَلِهَا على المريض وفي المَطَرِ، وقال: وُخُذوا حِذْرَكُم كي لا يَتَغَفَّلُوكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ يعني صلاةَ الخَوفِ، و﴿قَضَيْتُمُ﴾ بمعنى: فرغْتم.

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذِّكر قولان: **أحدهما**: أنه الذِّكر لله في غَيرِ الصَّلاة، وهذا قول ابن عباسٍ، والجمهور قالوا: وهو التَّسبيح، والتَّكبير، والدُّعاء، والشُّكْرُ. **والثاني**: أنَّه الصلاة، فيكون المعنى: فَصَلُّوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فَقُعُوداً، فإن لم تستطيعوا فَعَلَى جُنوبِكُم، هذا قول ابن مسعودٍ. وفي المُراد بالطُّمأنينة قولان: **أحدهما**: أنه الرجوع إلى الوطن عن السَّفر، وهو قول الحسَنِ، ومُجاهِدٍ وقَتادةَ. **والثاني**: أنه الأمْنُ بعد الخوف، وهو قول السُّدِّيّ، والزجّاجُ، وأبي سُليمانَ الدِّمشقيّ. وفي إقامة الصَّلاة قولان: **أحدهما**: إتْمَامها، قاله مُجاهدٌ وقَتادةُ والزجّاجُ وابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنه إقامة ركوعها وسُجودها، وما يَجبُ فيها مما قد يُتْرَكُ في حالة الخوف، هذا قول السُّدِّيّ.

= يقضيه آخر صلاته. ويستحب أن يحمل السلاح في صلاة الخوف. ويجوز أن يصلي صلاة الخوف على كل صفة صلاها رسول الله ﷺ. قال أحمد: كل حديث يُروى في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز. وقال: ستة أوجه أو سبعة يُروى فيها، كلها جائز. وقال الأثرم: قلت لأبي عبدالله: تقول بالأحاديث كلها كل حديث في موضعه، أو تختار واحداً منها، قال: أنا أقول من ذهب إليها كلها فحسن، وأما حديث سهل فأنا أختاره. والحديث الذي اختاره الإمام أحمد رواه. ولفظه أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه في الخوف، فصفهم خلفه صفين، فصلى بالذين يلونه ركعة ثم قام فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفهم ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة، ثم سلم. ومتى صلى بهم صلاة الخوف من غير خوف، فصلاته وصلاتهم فاسدة. وإذا كان الخوف شديداً وهم في حال المسايفة، صلوا رجالاً وركباناً، إلى القبلة وإلى غيرها، يومئون إيماءً، يبتدئون تكبيرة الإحرام إلى القبلة إن قدروا، أو إلى غيرها. إن لم يمكنهم، يومئون بالركوع والسجود على قدر الطاقة، ويجعلون السجود أخفض من الركوع، ولا يؤخرون الصلاة عن وقتها. وهذا قول أكثر أهل العلم. وقال أبو حنيفة: لا يصلي مع المسايفة، ولا مع المشي، لأن النبي ﷺ لم يصلِّ يوم الخندق ـ قد ورد الرد على هذا القول قبل قليل: انظر التعليق السابق ـ وأخر صلاته. وقال الشافعي: يصلي، ولكن إن تابع الطعن، أو الضرب، أو فعل ما يطول، بطلت صلاته. ولنا قول الله تعالى: **﴿وإن خفتم فرجالاً أو ركباناً﴾**، ولأن النبي ﷺ صلى بأصحابه من غير شدة خوف، فأمرهم بالمشي إلى وجاه العدو، ثم يعودون لقضاء ما بقي من صلاتهم، فمع الخوف الشديد أولى. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: فَرْضاً. وفي «المَوقُوت» قولان:

أحدهما: أنه بمعنى المَفرُوض، قاله ابن عباسٍ. ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه المُوَقَّتُ في أوقاتٍ معلومةٍ، وهو قول ابن مسعودٍ، وقَتادةَ، وزَيدِ بن أَسْلَمَ، وابن قتيبة.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ﴾ قال أهل التفسير:

[٣٥٧] سبب نزولها: أنَّ النبيَّ عليه السلام أَمَرَ أصحابَه لمَّا انصرفوا من أُحُدٍ أن يسيروا في أَثَرِ أبي سُفيانَ وأصحابه، فشكَوا ما بِهِم من الجِرَاحَات، فنزلت هذه الآية.

قال الزجَّاجُ: ومعنى «تَهِنُوا»: تَضعُفُوا، يُقال: وَهَنَ يَهِنُ: إذا ضَعُفَ، وكلُّ ضَعْفٍ فهو وَهْنٌ. وابتَغَى القَوم: طَلَبَهُم بالحَرب. و«القوم» هاهنا: الكُفَّار ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ أي: تُوجَعون، فإنهم يَجِدُون من الوَجَع بما يَنالُهم من الجِراح والتَّعَبِ، كما تجدون، وأنتم مع ذلك تَرْجُون ما لا يرجون. وفي هذا الرَّجاء قولان: **أحدهما**: أنه الأمل، قاله مُقاتلٌ. قال الزجَّاجُ: وهو إجماعُ أهل اللغة المَوثُوق بعِلْمِهِم. **والثاني**: أنه الخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. قال الفَرَّاءُ: ولم نَجِد الخوف بمعنى الرَّجاء إلا ومعه جُحْدٌ، فإذا كان كذلك كان الخَوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(١) وقوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾(٢) قال الشاعر:

لاَ تَـرتَـجِـي حِـيـنَ تُـلاقِـي الـذَّائِـدَا ... أَسَـبْـعَـةً لاقَـتْ مـعـاً أَمْ وَاحِـدَا(٣)

وقال الهُذَليُّ:

إِذَا لَسَعَتْـه الـنَّـحـلُ لَـمْ يَـرْجُ لَـسْـعَـهـا ... وخـالَـفـهـا فـي بـيـت نـوبٍ عـوامـلِ(٤)

ولا يجوز رَجَوتُكَ وأنت تريد خِفْتُكَ، ولا خِفْتُكَ وأنت تريد رَجَوتُكَ. قال الزجَّاجُ: وإنما اشتمل الرَّجاء على معنى الخوف، لأنه أملٌ قد يُخافُ أن لا يَتِمَّ، فعلى القول الأول يكون المعنى: ترجون

---

[٣٥٧] ذكره البغوي في تفسيره ١/ ٤٧٦ بدون إسناد. وأخرجه الطبري ١٠٤١٢ عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما كان قتال أحد، وأصاب المسلمين ما أصاب، صعد النبي ﷺ الجبل، فجاء أبو سفيان فقال: «يا محمد، ألا تخرج؟ ألا تخرج؟ الحرب سجال، يوم لنا ويوم لكم». فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أجيبوه». فقالوا: لا سواء، لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فقال أبو سفيان: «أعل هبل» فقال رسول الله ﷺ: «قولوا له: الله أعلى وأجل» فقال أبو سفيان: «موعدنا وموعدكم بدر الصغرى» ونام المسلمون وبهم الكلوم. وقال عكرمة وفيها نزلت الآية (آل عمران: ١٤٠) وهذه الآية ﴿**إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون**﴾ ولم يذكر الطبري أن رسول الله ﷺ بعث طائفة في آثارهم وأنهم شكوا ألم الجراحات.

---

(١) سورة نوح: ١٣. (٢) سورة الجاثية: ١٤.

(٣) البيت في «اللسان» دون نسبة لقائل، والذائد، من ذاد الإبل: إذا طردها وساقها ودفعها.

(٤) في «اللسان»: النوب: جمع نائب: وهو صفة للنحل ترعى ثم تنوب إلى بيتها لتصنع عسلها، تجيء وتذهب، والعوامل: التي تعمل العسل.

النَّصر وإِظهارَ دينكم والجنَّة. وعلى الثاني: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٣٥٨] **أحدها**: أن طُعمَةَ بن أُبَيْرِق سَرقَ دِرْعَاً لقَتَادَةَ بن النُّعمان، وكان الدِّرع في جرابٍ فيه دَقيقٌ، فجعل الدقيق يَنْتَشِرُ من خَرقٍ في الجراب، حتى انتهى إلى الدَّار، ثم خَبَّأَها عند رجلٍ من اليهود، فالتُمِسَت الدِّرعُ عند طُعمَةَ، فلم تُوجد عنده، وحَلَفَ: ما لي بها عِلْمٌ، فقال أصحابُها: بلى والله، لقد دخل علينا فأخذَها، وطلبنا أَثَرهُ حتى دَخلَ دَارَهُ، فرأينا أثرَ الدَّقيق، فلمَّا حَلَفَ تَرَكُوه، واتَّبعوا أَثَر الدَّقيق حتى اِنتهَوا إلى منزلي اليهوديِّ فأخذوه، فقال: دَفَعها إليَّ طُعمَةُ، فقال قومُ طُعمَةَ: اِنطَلِقُوا إلى رسول الله ﷺ، وليُجادِل عن صاحبنا فإنه بَريءٌ، فأَتوه فكَلَّمُوه في ذلك، فَهَمَّ أن يفعلَ، وأن يُعاقبَ اليهوديَّ، فنزلت هذه الآيات كلها. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[٣٥٩] **والثاني**: أنَّ رجلاً من اليهود، اِستَودَعَ طُعمَةَ بن أُبَيْرِق دِرْعَاً، فَخَانَها، فلما خاف اطِّلاعَهُم عليها، أَلقَاهَا في دار أبي مُلَيْلٍ الأَنصاريّ، فجادل قومُ طُعمَةَ عنه، وأَتَوا إلى النبيِّ ﷺ، فسألوه أن يُبَرِّئَهُ، ويُكذِّب اليهوديَّ، فنزلت الآيات. هذا قول السُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ.

[٣٦٠] **والثالث**: أن مَشْرَبَةَ[١] رِفَاعَةَ بن زيدٍ نُقِبَتْ، وأُخذ طعامُه وسلاحُه، فاتُّهم به بَنُو أُبَيْرِق، وكانوا ثلاثةً: بَشير، ومُبَشِّر، وبِشر، فذهب قَتَادَةُ بن النُّعمَان إلى النبيِّ عليه السلام فقال: يا رسولَ الله إِنَّ أهل بيتٍ منَّا فيهم جَفَاءٌ[٢] نَقَبُوا مَشْرَبة لعمي رِفاعَةَ بن زيدٍ، وأخذوا سلاحه، وطعامَه، فقال: أَنْظر في ذلك، فذهب قومٌ من قوم بني أُبَيرِق إلى النبيِّ ﷺ، فقالوا: إِنَّ قَتادَة بن النُّعمَان، وعمَّه عَمَدُوا إِلى

---

[٣٥٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٦١ بدون إسناد، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٦١: ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباسٍ. وانظر «أسباب النزول» ٣٧٣ و٣٧٤ للسيوطي. وأخرجه الطبري ١٠٤١٧ من رواية سعيد عن قتادة مرسلاً مع اختلاف يسير. ويشهد لهذا الخبر الحديث الآتي برقم ٣٦٠.

[٣٥٩] مرسل. أخرجه الطبري ١٠٤٢٠ عن السدي مرسلاً، ويشهد لأصله ما بعده.

[٣٦٠] حسن. أخرجه الترمذي ٣٠٣٦ والحاكم ٤/ ٣٨٥ والطبري ١٠٤١٦ من حديث قتادة بن النعمان، وفيه ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وورد مختصراً عن قتادة مرسلاً أخرجه الطبري ١٠٤١٧، وورد موصولاً عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٠٤١٨ وفيه عطية العوفي، واهٍ. وكرره ١٠٤١٩ عن ابن زيد، وهو عبدالرحمن، مرسلاً و١٠٤٢٠ عن السدي مرسلاً و١٠٤٢١ عن عكرمة مرسلاً و١٠٤٢٢ عن الضحاك مرسلاً. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، فالحديث حسن في أقل تقدير، والله أعلم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٧٠٧ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان» المَشْرَبة والمَشْرُبَة، بالفتح والضم: الغرفة؛ والمشارب: العلاليُّ. وفي الحديث: أن النبي ﷺ كان في مَشْرَبةٍ له أي كان في غرفةٍ.

(٢) في «اللسان»: الجفاء يكون في الخِلقة والخُلُق، يقال: رجل جافي الخِلْقة إذا كان كزّاً غليظ العشرة والخُرْقِ في المعاملة والتحامل عند الغضب والسورة على الجليس.

أهل بيتٍ مِنّا يَرمُونَهُم بالسَّرقة وهم أهل بيتِ إسلامٍ وصَلاحٍ، فقال النبيُّ لقَتَادَة: رَمَيْتَهُم بالسَّرقة على غير بَيِّنَةٍ! فنزلت هذه الآيات. قاله قَتادةُ بن النُّعمان.

والكتاب: القرآن. والحَقُّ: الحُكْمُ بالعدل. ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي لِتَقْضِيَ بينهم. وفي قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ قولان[١]: **أحدهما**: أنه الذي عَلَّمه، والذي عَلَّمَهُ أن لا يقبل دَعوى أحدٍ على أحدٍ إلا ببرهانٍ. **والثاني**: أنه ما يؤدِّي إليه اجتهادُه، ذكره المَاورديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ قال الزجّاجُ: لا تكن مُخاصِماً، ولا دَافِعاً عن خائنٍ. واختلفوا هل خَاصَم عنه أمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه قامَ خطيباً فَعَذَرَهُ. رواه العَوفيُّ عن ابن عباس[٢]. **والثاني**: أنه هَمَّ بذلك، ولم يَفعَلْهُ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، وقَتادةُ[٣].

قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الآية تدلُّ على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يُخاصم عن غيره في إثبات حقٍ أو نَفْيِهِ، وهو غيرُ عَالِمٍ بحقيقة أمره، لأن الله تعالى عَاتَبَ نَبِيَّهُ على مثل ذلك.

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ في الذي أُمِرَ بالاستغفار منه قولان[٤]:

أحدهما: أنه القيامُ بِعُذْرِ. **والثاني**: أنه العَزْمُ على ذلك.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٦٣: وقوله ﴿**لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت في الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال «ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو مما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها». وروى الإمام أحمد عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بينة فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة» فبكى الرجلان وقال كل منهما حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذهبا فاقتسما. ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما، ثم ليحلل كل منكما صاحبه».

(٢) واهٍ. أخرجه الطبري ١٠٤١٨ عن ابن عباس من رواية عطية العوفي، واهٍ.

(٣) هذا ضعيف بل منكر، والصواب ما تقدم من وجوه، وأن السرقة وقعت.

(٤) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٣٥٩: ذهب الطبري إلى أن المعنى. استغفر الله من ذنبك في خصامك للخائنين، فأمره بالاستغفار لما همّ بالدفع عنهم وقطع يد اليهودي. وهذا مذهب من جوّز الصغائر على الأنبياء. صلوات الله عليهم وسلامه. قال ابن عطية: وهذا ليس بذنب؛ لأن النبي ﷺ إنما دافع على الظاهر وهو يعتقد براءتهم. والمعنى: استغفر الله للمذنبين من أمتك والمتخاصمين بالباطل، ومحلك من الناس أن تسمع من المُتَداعيين وتقضي بنحو ما تسمع، وتستغفر للمذنب. وقيل: هو أمر بالاستغفار على طريق التسبيح، كالرجل يقول: أستغفر الله على وجه التسبيح من غير أن يقصد توبة من ذنب. وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد بنو أُبيرق.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: يُخوِّنون أنفسهم، فيَجعَلُونَها خائنةً بارتكاب الخِيانة. قال عِكرِمَةُ: والمُراد بهم: طُعْمَةُ بن أُبَيْرِق، وقومُه الذين جادَلوا عنه.

[٣٦١] وفي حديث العَوفيِّ عن ابن عباسٍ قال: انطلق نَفَرٌ من عشيرةِ طُعمَةَ ليلاً إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنَّ صاحبنا بَريءٌ.

و«الاستخفاء»: الاستِتَارُ، والمعنى: يَستَتِرُون من النَّاس لِئَلاَّ يطَّلعوا على خيانتهم وكَذِبهم، ولا يَستَتِرُون من الله، وهو معهم بالعلْم. وكل ما فُكِّر فيه، أو خِيضَ فيه بلَيْلٍ، فقد بُيِّتَ. وجمهور العلماء على أن المُشارَ إليه بالاستخفاء والتَّبييت، قوم طُعمَةَ. والذي بَيَّتُوا: احتيالُهم في براءة صاحبهم بالكذب. وقال الزجَّاجُ: هو السَّارق نفسه، والذي بَيَّتَ أنه قال: أَرْمِي اليهوديَّ بأنَّه سَارقُ الدِّرْعِ، وأَحْلِفُ أني لم أَسْرِقْها، فتُقبَلُ يميني، ولا تُقبَلُ يمينُ اليهوديِّ.

﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ قال الزجَّاجُ: «ها» للتنبيه، وأُعيدت في أوَّله. والمعنى: ها أنتم الذين جادلتم. و«المجادلة، والجِدَال»: شِدَّةُ المُخاصَمة، و«الجَدل»: شدة الفَتْلِ. والكلام يعود إلى من احتجَّ عن السَّارق. فأما قوله: «عنهم» فإنه عائدٌ إلى السَّارق. و«عليهم» بمعنى «لهم». والوَكِيْلُ: القائم بأمرِ مَنْ وَكَّلَهُ. فكأنه قال: مَن الذي يَتَوَكَّلُ لهم منكم في خُصومة رَبِّهم؟!

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ اختلفوا في نزولها على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت خِطَاباً للسَّارق، وعَرْضاً للتَّوبة عليه. رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال ابن زيدٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها للذين جادلوا عنه مِنْ قومه، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه عنى بها كلَّ مُسيءٍ ومُذنبٍ. ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وإطلاقُها لا يمنعُ أن تكون نزلت على سَببٍ. وفي هذا السُّوء ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه السَّرقة. **والثاني**: الشِّرك. **والثالث**: أنه كلُّ ما يأثَمُ به. وفي هذا الظُّلم قولان: **أحدهما**: أنه رَمْيُ البَريءِ بالتُّهمَة. **والثاني**: ما دُونَ الشِّرك.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أي: ومن يَعمَلْ ذَنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يقول: إنَّما يعود

---

[٣٦١] هو بعض المتقدم.

وَبَالَهُ عليه. قاله مُقاتلٌ. وهذه في طُعمَةَ أيضاً.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ جمهور العلماء على أنها نزلت مُتَعلِّقَةً بقصَّة طُعمَةَ بن أُبَيرِق.

[٣٦٢] وقد روى الضَّحاكُ عن ابن عباسٍ أنها نزلت في عبدِالله بن أبي بن سَلُولٍ إذ رَمَى عائشة عليها السلام بالإفكِ.

وفي قوله تعالى: ﴿خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ أربعة أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ «الخَطيئة» يمينُ السَّارق الكَاذبة، و«الإثم»: سَرِقَتُهُ الدِّرْع، ورَمْيُهُ اليَهوديّ، قاله ابن السَّائِب. **والثاني**: أن «الخَطيئة» ما يتعلَّقُ به من الذَّنبِ، و«الإثم»: قَذْفُهُ البَريء، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: أن «الخطيئة» قد تقع عن عَمْدٍ، وقد تقع عن خَطَأٍ، و«الإثم»: يختصُّ العَمْدَ. قاله ابن جَريرٍ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وذكر الزجَّاجُ أنَّ الخطيئةَ نحو قَتْل الخطأ الذي يَرتفعُ فيه الإثم. **والرابع**: أنه لمَّا سمَّى الله عزَّ وجلَّ بعضَ المعاصي خطيئةً، وبعضَها إثماً، أَعْلَمَ أن من كَسَبَ ما يقع عليه أحد هذين الاسمَين، ثم قَذَفَ به بريئاً، فقد احتَمَلَ بُهتَاناً، ذكره الزجَّاج أيضاً.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ أي: يَقْذِفُ بما جَناهُ بريئاً منه.

فإن قيل: الخَطيئةُ والإثمُ اثنان، فكيف قال: به، فعَنْهُ أربعة أجوبةٍ: **أحدها**: أنه أراد: ثم يَرْم بهما، فاكتفى بإعادة الذِّكْرِ على الإثم من إعادته على الخَطيئةِ، كقوله تعالى: ﴿ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[٢] فخصَّ التِّجارة، والمعنى للتِّجارة واللَّهو. **والثاني**: أنَّ الهاء تعودُ على الكَسْبِ، فلمَّا دَلَّ بـ «يَكْسِب» على الكَسْبِ، كَنَّى عنه. **والثالث**: أن الهاء راجعة على معنى الخطيئة والإثم، كأنه قال: وَمن يكسب ذنباً، ثم يرم به. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. **والرابع**: أنَّ الهاء تعودُ على الإِثم خاصَّةً، قاله ابن جَريرٍ الطَّبريُّ.

وفي المُراد بالبريء الذي قَذَفَهُ هذا السَّارقُ قولان: **أحدهما**: أنه كان يهوديّاً، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمةُ، وابنُ سِيْرِيْنَ وقَتادةُ وابنُ زَيدٍ، وسمَّاه عِكرمةُ، وقَتادةُ: زيدُ بن السمين[٣]. **والثاني**: أنه كان مُسلماً، رُوي عن ابن عباسٍ، وقَتادةَ بن النُّعمان، والسُّدِّيِّ، ومُقاتلٍ، واختلفوا في ذلك المسلم، فقال

---

[٣٦٢] منكر جداً، ذكره المصنف عن الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك. والصواب ما ذهب إليه الجمهور.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٥٦٦: الآية، يعني كما اتهم بنو أبيرق بصنيعهم القبيح ذلك الرجل وقد كان بريئاً وهم الظلمة الخونة كما أطلع الله على ذلك رسوله ﷺ، ثم هذا التقريع والتوبيخ عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف بصفتهم فارتكب مثل خطيئتهم فعليه مثل عقوبتهم.

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) في المطبوع: «السُّمَير» والتصويب من الطبري ١٠٤٢١ وابن كثير ١/٥٦٦.

الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ: هو عائشةُ لمَّا قَذَفَها ابنُ أُبَيّ، وقال قَتادةُ بنُ النُّعْمَان: هو لَبِيْدُ بن سَهْلٍ، وقال السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ: هو أبو مُلَيْلٍ الأنصاريُّ.

فأمَّا البُهْتَان: فهو الكذب الذي يُحيِّر من عِظَمِه، يُقال: بَهَتَ الرَّجُل: إذا تَحيَّر. قال ابن السَّائِبِ: فقد احتمل بُهتاناً بِرَمْيِهِ البَرِيء، وإثماً مُبيناً بيمينه الكاذبة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها متعلِّقةٌ بقصَّةِ طُعمَة وقومِه، حيث لبَّسُوا على النبيِّ ﷺ أمرَ صاحبهم، هذا قول ابن عباسٍ من طريق ابنِ السَّائِب[(١)].

[٣٦٣] **والثاني**: أنَّ وَفْدَ ثَقِيْفٍ قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فقالوا: جئناكَ نُبَايِعُكَ على أن لا نُحشَرَ ولا نُعشَرَ، وعلى أن تُمتِّعنا بالعزَّى سنةً، فلم يُجِبْهُم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ في رواية الضَّحَّاكُ.

وفي المراد بِفَضْل الله ورحمتِه قولان: **أحدهما**: النُّبوَّة والعِصْمَةُ. **والثاني**: الإِسلامُ والقرآنُ، رُويا عن ابن عباسٍ. قال مُقاتلٌ: لولا فَضْلُ الله عليكَ حيثُ بيَّن لك أمرَ طُعمَةَ وحوَّلَكَ بالقرآن عن تصديق الخائِنِ؛ لَهَمَّت طَائفةٌ منهم أن يُضِلُّوك. قال الفَرَّاءُ: والمعنى لقد هَمَّتْ. فإنْ قيلَ: كيف قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ﴾ وقد هَمَّتْ بإضلالِه؟ فالجواب: أنه لولا فضلُ الله، لَظَهرَ تأثير ما هَمُّوا به. فأمَّا الطَّائفة، فعلى رواية ابن السَّائِبِ عن ابن عباسٍ: قومُ طُعمَةَ، وعلى رواية الضَّحَّاك: وَفْدُ ثَقِيفٍ.

وفي الإِضلال قولان[(٢)]: **أحدهما**: التَّخطِئة في الحُكْمِ. **والثاني**: الاستِزْلالُ عن الحقِّ. قال

---

[٣٦٣] لا أصل له. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك، وقد رويا عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً، وانظر المقدمة.
ـ وخبر وفد ثقيف ورد بسياق آخر مطول، وليس فيه نزول الآية. انظر «طبقات» ابن سعد ١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

---

(١) هذا واهٍ، ابن السائب هو الكلبي كذبه غير واحد.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧: عن قتادة بن النعمان وذكر قصة بني أبيرق فأنزل الله **﴿لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء﴾** يعني أسيد بن عروة وأصحابه، يعني بذلك لما أثنوا على بني أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان في كونه اتهمهم وهم صلحاء برآء ولم يكن الأمر كما أنهوه إلى رسول الله ﷺ، لهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسول الله ﷺ ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال، وعصمته له، وما أنزل عليه من الكتاب، وهو القرآن، والحكمة وهي السنة **﴿علمك ما لم تكن تعلم﴾** أي قبل نزول ذلك عليك كقوله **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب﴾** إلى آخر السورة. وقال تعالى: **﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك﴾** ولهذا قال **﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾**.

الزجَّاجُ: وما يَضِلُّون إلا أَنْفُسَهم، لأنهم يعملون عملَ الضَّالِّين، فيرجع الضَّلال إليهم.

فأما «الكتابُ»، فهو القرآن. وفي «الحِكمة» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: القَضاء بالوَحي، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الحَلالُ والحَرامُ، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: بيانُ ما في الكتاب، وإلهامُ الصَّواب، وإلقاءُ صِحَّة الجواب في الرَّوعِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشَّرعُ، قاله ابن عباسٍ ومُقاتلٌ. **والثاني**: أخبار الأوَّلين والآخِرين، قاله أبو سُليمانَ. **والثالث**: الكتابُ والحِكمَةُ، ذكره الماورديُّ. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه المِنَّة بالإيمان. **والثاني**: المِنَّة بالنُّبوَّة، هذان عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه عامٌّ في جميع الفضْل الذي خَصَّه الله به، قاله أبو سُليمانَ.

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ قال ابن عباسٍ: هُم قومُ طُعمَةَ، وقال مُقاتلٌ: وكُلُّهم يهودٌ تَنَاجَوا في أمر طُعمَةَ، وقال مُجاهدٌ: هو عامٌّ في نَجْوَى جميع الناس. قال الزجَّاجُ: ومعنى النَّجْوَى: ما تنفردُ به الجماعةُ أو الاثنان، سِرّاً كانَ أو ظاهراً. ومعنى «نَجوتُ الشيءَ» في اللغة. خَلَّصته وأَلقَيْتُه، يقال: نَجوتُ الجِلْدَ: إذا أَلْقَيْتَهُ عن البَعير وغيرِه. قال الشاعر:

فقلتُ أَنجُوَا عنها نَجا الجِلْدِ إنَّهُ سيُرضِيكُما منها سَنَامٌ وغارِبُه[1]

وقد نَجوت فُلاناً: إذا استنْكَهْتُه، قال الشاعر:

نَجوتُ مُجالِداً فوجَدْتُ منهُ كَريحِ الكَلْبِ ماتَ قَديمَ عَهْدِ[2]

وأصلهُ كُلُّه من النَّجْوَة، وهو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصفُ سَيْلاً:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ والمُسْتكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ[3]

والمُراد بنَجْواهُم: ما يُدبِّرونه بينهم من الكلام.

فأمَّا قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فيجوز أن يكون بمعنى: إلا في نَجْوَى مَنْ أَمَرَ بصَدَقةٍ، ويجوز أن يكون استثناءً ليس من الأوَّل، فيكون بمعنى: لكن مَنْ أَمَر بِصَدَقةٍ، ففي نَجْواهم خيرٌ. وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فالمعنى: حَثَّ عليها. وأما المعروف، ففيه قولان:

أحدهما: أنه الفَرضُ، رُوي عن ابن عباسٍ، ومُقاتلٍ. **والثاني**: أنه عَامٌّ في جميع أفعال البرِّ، وهو

---

(١) البيت لأبي الغمر الكلابي كما في «الخزانة» ٢/ ٢٢٧ ونُسب أيضاً إلى عبد الرحمن بن ثابت وقال ابن السيرافي في «إصلاح المنطق» ٩٤: يريد قشّر عنها لحمها وشحمها، كما يقشر الجلد فإنها سمينة. وغاربها: ما بين السنام والعنق.

(٢) البيت في «الحيوان» للحكم بن عبدل الأسدي.

(٣) البيت لأوس بن حجر في «ديوانه» ١٦. وهو في «اللسان» لعبيد بن الأبرص وفي «ديوانه» ٥٣، والعقوة: الساحة وما حول الدار والمحلة، والقرواح: البارز الذي ليس يستره من السماء شيء. وقيل: الناقة الطويلة. وكذلك النخلة الطويلة يقال لها: قرواح.

اختيار القاضي أبي يعلى، وأبي سُليمانَ الدِّمشقيّ.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٦٤] **أحدهما**: أنه لمَّا نزل القرآن بتكذيب طُعمَةَ، وبيان ظُلمه، وخافَ على نفسه من القَطْعِ والفَضيحة، هَربَ إلى مكَّةَ، فلَحِقَ بأهل الشِّرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ، وقَتادةَ، وابن زَيدٍ، والسُّدِّيّ.

[٣٦٥] وقال مُقاتلٌ: لمَّا قَدِمَ مكَّةَ نزلَ على الحَجَّاج بن عِلاَط السُّلَميّ فأحسنَ نُزُلَه، فبَلَغه أنَّ في بيته ذهباً، فخرج في الليل فنَقَبَ حائطَ البيت، فعَلِمُوا به فأحَاطُوا بالبيت، فلما رَأوه، أرادوا أن يَرْجُمُوه، فاستَحْيَا الحَجَّاجُ، لأنه ضَيفُهُ، فتَركُوه، فخرج، فلَحِقَ بحَرَّة بني سُلَيْم يعبُدُ صنمَهم حتى مات على الشِّرك، فنزل فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾. وقال غيره: بل خرجَ مع تُجَّارٍ فَسرقَ منهم شيئاً، فَرَمَوه بالحجارة حتى قتلوه، وقيل: رَكِبَ سفينةً، فَسرقَ فيها مالاً، فعُلِمَ به، فأُلقِيَ في البحر.

والقول الثاني: أنَّ قوماً قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فأَسلَمُوا، ثم ارتَدُّوا، فنزلت فيهم هذه الآية، رُوي عن ابن عباسٍ.

ومعنى الآية: ومَن يُخالفِ الرسولَ في التَّوحيد، والحُدود، مِنْ بعدِ ما تَبيَّن له التَّوحيدُ والحُكْمُ، ويَتَّبعْ غيرَ دِين المسلمين، نُوَلِّه ما تولَّى، أي: نَكِلْهُ إلى ما اختارَ لنفسه، ونُصْلِهِ جهنَّم: نُدْخِلْهُ إيَّاها. قال ابن فارسٍ: تقول صَلَيتُ اللحمَ أَصْلِيهِ: إذا شَوَيْتَهُ، فإن أردتَ أنكَ أَحرَقْتَهُ، قلت: أَصْلَيْتُهُ. وساءَتْ مَصيراً، أي: مَرْجِعاً يُصَارُ إليه[١].

---

[٣٦٤] انظر الأحاديث المتقدمة (عند الآية ١٠٥).

[٣٦٥] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان، وقد كذبه غير واحد، فخبره لا شيء. وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٤٨٠ بدون إسناد، ومن غير عزو لأحد.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٦٨: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾ أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له وقوله: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك، وقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً في كتاب «أحاديث الأصول» ومن العلماء من ادّعى تواتر معناها، والذي عوّل عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله: ﴿نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجاً له كما قال تعالى: ﴿فذرني ومن =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أنها نزلت في حَقِّ طُعمَةَ بن أُبَيْرِق لمَّا هرب من مكَّةَ، ومات على الشِّرك، وهذا قول الجمهور، منهم سعيدُ بن جُبيرٍ.

[٣٦٦] والثاني: أن شيخاً من الأعراب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مُنهَمِكٌ في الذُّنوب، إلا أنّي لم أُشرِك بالله منذ عَرَفتُهُ، وإني لَنَادِمٌ مُستَغفِرٌ، فمَا حَالِي؟ فنزلت هذه الآية، رُوي عن ابن عباسٍ. فأمَّا تفسيرها، فقد تقدَّمَ.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، «إنْ» بمعنى: «ما» و ﴿يَدْعُونَ﴾ بمعنى: يَعْبُدُون. والهاء في ﴿دُونِهِۦٓ﴾ ترجع إلى الله عزَّ وجلَّ. والقراءة المشهورةُ ﴿إِنَٰثًا﴾. وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وعبد الله بن عُمَرَ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوْزَاء: «إلا وَثَناً»، بفتح الواو، والثاء من غير ألفٍ. وقرأ ابن عباسٍ، وأبو رَزِينٍ: «أُنُثاً»، برفع الهمزة والنون من غير ألفٍ. وقرأ أبو العَالِيَة، ومعاذٌ القارئ، وأبو نُهَيْك: (أُناثاً)، برفع الهمزة وبألفٍ بعد الثاء. وقرأ أبو هُريرةَ، والحسَنُ، والجُونيُّ: «إلا أُنثى»، على وزن «فُعْلَى». وقرأ أيوب السَّختيَانِي: «إلا وُثُنا»، برفع الواو والثاء من غير ألفٍ. وقرأ مُوَرِّقٌ العِجليّ: (أُثُناً)، برفع الهمزة والثاء من غير ألفٍ. قال الزجَّاجُ: فمَنْ قال: إناثاً، فهو جمع أُنثى وإِناث، ومَن قال: أُنُثاً، فهو جمع إِناثٍ، ومَنْ قال: أُثُنا، فهو جمع وَثَنٍ، والأصل: وُثُنٌ، إلا أن الواو إذا انضمَّت جازَ إبدالُها همزةً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ (١) الأصل: وُقِّتَتْ. وجائزٌ أن يكون أُثُن أصلها: أُثْن، فأُتبعت الضَّمَّةُ الضَّمَّةَ، وجائزٌ أن يكون أُثْن، مثل أَسَد وأُسْد.

---

[٣٦٦] واهٍ بمرة. عزاه الشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٥٩٥ للثعلبي عن الضحاك عن ابن عباس، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٦٦: هو منقطع اهـ.

قلت: والثعلبي يروي الموضوعات. والضحاك لم يلق ابن عباس، وعامة روايات الضحاك إنما هي من طريق جويبر بن سعيد ذاك المتروك، ويجتنب أهل التفسير ذكره بسبب وضوح حاله، فالخبر واهٍ بمرة.

يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [القلم: ٤٤] وقال تعالى: **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾** [الصف: ٥] وجعل النار مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾** [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣] وقال تعالى: **﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾** [الكهف: ٥٣].

(١) سورة المرسلات: ١١.

فأما المُفَسِّرون، فَلَهُم في معنى الإناث أربعة أقوالٍ[١]: **أحدها**: أن الإناث بمعنى الأموات، قاله ابن عباسٍ: والحسنُ في روايةٍ، وقَتادةُ. وقال الحسنُ: كلُّ شيءٍ لا رُوحَ فيه، كالحجر، والخَشَبة، فهو إناثٌ. قال الزجَّاجُ: والمَوَات كلُّها يُخبَرُ عنها، كما يُخبر عن المؤنَّث، تقول من ذلك: الأحجار تُعجبني، والدَّراهم تنفعني. **والثاني**: أن الإناثَ. الأوثان، وهو قول عَائشةَ، ومُجاهدٍ. **والثالث**: أن الإناث اللاّت والعُزَّى ومَنَاة، كلُّهن مؤنَّث، وهذا قول أبي مَالكٍ، وابن زيدٍ والسُّدِّيِّ. وروى أبو رَجَاء عن الحسَنِ قال: لم يَكُن حَيٌّ من أحياء العرب إلاَّ ولهم صَنَمٌ يسمُّونه: أُنثى بني فُلانٍ، فنزلت هذه الآية. قال الزجَّاجُ: والمعنى: ما يَدْعُون إلا ما يُسمُّونه باسم الإناث. **والرابع**: أنها الملائكة كانوا يزعمون أنها بَنَاتُ الله، قاله الضَّحَّاكُ.

وفي المُراد بالشَّيطان ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: شيطانٌ يكون في الصَّنَم. قال ابن عباسٍ: في كل صَنَم شيطانٌ يَتراءَى للسَّدَنة فيُكَلِّمُهُم. وقال أُبيُّ بن كَعْبٍ: مع كل صَنَم جِنِّيَّةٌ. **والثاني**: أنه إبليسُ، وعِبادتُه: طاعتُه فيما سَوَّل لهم، هذا قول مُقاتلٍ، والزجَّاجِ. **والثالث**: أنه أَصنامُهُم التي عَبَدوا، ذكره المَاورديُّ. فأما «المَرِيْد» فقال الزجَّاجُ: «المَرِيد»: المَارِدُ، وهو الخارج عن الطَّاعة، ومعناه: أنه قد مَرَدَ في الشَّر، يقال: مَرَدَ الرجلُ يَمْرُدُ مُرُوداً: إذا عَتَا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المُرُود: أن يبلغَ الغايةَ التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصِّنْف، وأصله في اللغة: اِمْلِسَاسُ الشيء، ومنه قيل للإنسان: أَمْرَد: إذا لم يكن في وجهه شَعْرٌ، وكذلك يُقال: شجرةٌ مَرْدَاء: إذا تناثر وَرَقُها، وصخرةٌ مَرْدَاء: إذا كانت مَلْسَاءَ.

وفي قوله تعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه ابتداء دعاءٍ عليه باللعن، وهو قول مَنْ قال: هو الأَوثَان. **والثاني**: أنه إخبارٌ عن لعنٍ مُتقدِّمٍ، وهو قول مَنْ قال: هو إبليسُ.

قال ابن جَريرٍ: المعنى: قد لعنَهُ اللهُ. قال ابن عباسٍ: معنى الكلام: دَحَرَهُ الله، وأخرجَهُ من الجنة. ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبليس: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾. قال ابن قُتيبةَ: أي حَظًّا اِفترَضتُه لِنَفسي منهم، فأُضلُّهم. وقال مُقاتلٌ: النَّصيب المَفروض في اللغة: القَطْعُ أنَّ مِنْ كل أَلفٍ إنسانٌ واحدٌ في الجنة، وسائِرهم في النار. قال الزَّجاجُ: «الفَرْضُ» في اللغة: القَطْعُ، و «الفُرضَة»: الثُّلْمَةُ تكون في النهر. و «الفَرضُ» في القَوس: الحزُّ الذي يُشَدُّ فيه الوَتَرُ، والفَرضُ فيما أَلزمه اللهُ العبادَ: جعله حتماً عليهم قَاطِعاً.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٧٩: وأولى التأويلات من قال: عنى بذلك الآلهة التي كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله ويسمونها الإناث من الأسماء، كاللات والعُزّى ونائلة ومناة. وإنما قلنا ذلك بتأويل الآية، لأن الأظهر من معاني الإناث في كلام العرب ما عُرِّف بالتأنيث دون غيره. يقول جل ثناؤه: حسب هؤلاء الذين أشركوا بالله وعبدوا ما عبدوا من دونه من الأوثان والأنداد، حجة عليهم في ضلالتهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل، أنهم يعبدون إناثاً ويدعونها آلهة أرباباً. والإناث من كل شيء أخسُّهُ، فهم يقرّون للخسيس من الأشياء بالعبودية على علم منهم بخساسته، ويمتنعون من إخلاص العبودية للذي له ملك كل شيء وبيده الخلق والأمر.

قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: عن سبيل الهدى، وقال غيره: ليس له من الضلال سوى الدُّعاء إليه. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكذب الذي يُخبرهم به، قال ابن عباسٍ: يقول لهم: لا جنَّةَ، ولا نارَ، ولا بَعْثَ. **والثاني**: أنه التَّسويفُ بالتَّوبة، رُوي عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه إيهامُهُم أنهم سَيَنالُون من الآخرة حَظّاً، قاله الزجّاجُ. **والرابع**: أنه تَزيينُ الأماني لهُم، قاله أبو سُليمانَ.

قوله تعالى: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ قال قَتادةُ، وعِكرمةُ، والسُّدِّيُّ: هو شَقُّ أُذن البَحِيْرَة، قال الزجَّاجُ: ومعنى «يُبَتِّكُنَّ» يُشقِّقْنَ، يُقال: بَتَكْتُ الشيءَ أَبْتُكُهُ بَتْكاً: إذا قَطَعْتَهُ، وبَتَكَهُ وبَتَّكَ، مثل قَطَعَه وقَطَّع. وهذا في البَحِيْرَة كانت الجاهلية إذا وَلَدت الناقةُ خمسةَ أَبْطُنٍ، وكان الخامس ذَكَراً، شَقُّوا أُذُنَ النَّاقة، وامتنعوا من الانتفاع بها، ولم تُطْرَدْ عن ماءٍ، ولا مَرعًى، وإذا لَقِيَها المُعْيِي، لم يركبها. سَوَّل لهُمْ إبليسُ أنَّ هذا قُرْبةٌ إلى الله تعالى.

وفي المُراد بتغيير خَلْقِ الله خمسة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه تغيير دِينِ الله، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحسَنُ في روايةٍ، وسعيدُ بن المُسَيَّبِ وابنُ جُبيرٍ والنَّخعيُّ والضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ وابن زَيْدٍ ومُقاتلٌ. وقيل: معنى تغيير الدِّين: تحليلُ الحَرام وتحريمُ الحَلال. **والثاني**: أنه تغيير الخَلْقِ بالخِصاءِ، رواه عِكرمَةُ عن ابن عباسٍ، وهو مَرويٌّ عن أنسِ بن مالكٍ، وعن مُجاهدٍ وقَتادةَ وعِكرمةَ، كالقولين. **والثالث**: أنه التغيير بالوَشْمِ، وهو قول ابن مسعودٍ، والحسَنِ في روايةٍ. **والرابع**: أنه تغيير أَمْرِ الله، رواه أبو شَيْبَةَ عن عَطاءٍ. **والخامس**: أنه عبادةُ الشَّمس والقمر والحِجارة، وتحريمُ ما حرَّموا من الأنعام، وإنما خُلِقَ ذلك للانتفاع به، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في المُراد بالوَلِيّ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الرَّبِّ، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: من المُوالاَة، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

فإن قال قائلٌ: من أين لإبليس العِلْمُ بالعَواقِب حتى قال: ولأُضِلَّنَّهُم. وقال في سورة الأعراف ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2]. وقال في سورة بني إسرائيل ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]، فعنه ثلاثة أجوبةٍ. **أحدها**: أنه ظَنَّ ذلك، فتحقَّق ظَنُّهُ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾[4] قاله الحسَنُ، وابن زيدٍ. وفي سبب ذلك الظَّنِّ قولان: أحدهما: أنه لمَّا قال الله تعالى له: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٨٥: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معناه ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال: دين الله، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه، وهي قوله: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾.
وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ١/ ٥٦٩: على قول من جعل ذلك أمراً أي لا تبدلوا فطرة الله ودعوا الناس على فطرتهم. كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تجدون بها من جدعاء». وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم».

(٢) سورة الأعراف: ١٧. (٣) سورة الإسراء: ٦٢.

(٤) سورة سبأ: ٢٠.

﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١) علم أنه يَنالُ ما يُريد. والثاني: أنه لما استَزَلَّ آدمَ، قال: ذُرِّيَّةُ هذا أضعفُ منه. **والثاني**: أن المعنى: لأُحَرِّضَنّ ولأجتهدَنّ في ذلك، لا أنه كان يعلمُ الغيبَ، قاله ابن الأنباريّ. **والثالث**: أن من الجَائِز أن يكون عَلِمَ من جهة الملائكة بِخَبرِ من الله تعالى أن أكثر الخَلْقِ لا يشكرون، ذكره المَاورديُّ.

فإن قيل: فلِمَ اقتصر على بعضهم؟ فقال: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(٢) وقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ وقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فعنه ثلاثة أجوبة. **أحدها**: أنه يجوز أن يكون عَلِمَ مآلَ الخَلْقِ من جهة الملائكة، كما بَيَّنَّا. **والثاني**: أنه لما لم يَنَلْ مِنْ آدم كلَّ ما يُريد، طمع في بعض أولاده، وأيِسَ من بعضٍ. **والثالث**: أنه لما عَايَنَ الجنّة والنار، عَلِمَ أنهما خُلقتا لمن يسكنهما، فأشار بالنَّصيب المَفروض إلى سَاكِنِي النار.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ﴾ يعني: الشيطان يَعِدُ أولياءَه. وفيما يَعِدُهُم به قولان: **أحدهما**: أنه لا بَعْثَ لهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: النُّصْرَة لهم، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وفيما يُمنِّيهم قولان: **أحدهما**: الغُرور والأَمَاني، مثل أن يقول: سَيطُول عُمُركَ، وتَنالُ من الدنيا مُرادَكَ: **والثاني**: الظَّفَرُ بأولياء الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: باطلاً يُغرُّهم به. فأما المَحِيصُ، فقال الزجّاجُ: هو المَعْدِل والملجأ، يقال: حِصْتُ عن الرجل أَحِيصُ، وروَوا: جِضْتُ أَجِيضُ بالجيم والضاد، بمعنى: حِصْتُ، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً، لأن القراءة سُنَّةٌ، والذي في القرآن أفصحُ مما يجوز، ويقال: حُصْتُ أَحُوصُ حَوْصاً وحِيَاصَة: إذا خِطْتَ، قال الأَصْمَعيُّ: يقال: حصَّ عينَ صَقرِكَ، أي: خِطْ عَيْنَهُ، والحَوصُ في العَيْن: ضِيْقُ مُؤخَّرِهَا، ويُقال: وقع في حَيْصَ بَيْصَ، وحَاصَ بَاصَ: إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٣٦٧] أحدها: أنَّ أهل الأديان إختَصَموا، فقال أهل التَّوراة: كتابُنا خيرُ الكُتُب، ونَبِيُّنا خيرُ

---

[٣٦٧] أخرجه الطبري ١٠٥٠١ عن ابن عباس برواية العوفي، وهو واهٍ. وورد مرسلاً، أخرجه الطبري ١٠٤٩٥ و ١٠٤٩٦ عن مسروق و ١٠٤٩٩ عن السدي، و ١٠٥٠٠ عن الضحاك، و ١٠٥٠٢ عن أبي صالح.

---

(١) سورة ص: ٨٥. (٢) سورة النساء: ١١٨.

الأنبياء، وقال أهلُ الإنجيلِ مثلَ ذلك، وقال المسلمون: كتابُنا نَسَخَ كلَّ كتابٍ، ونَبِيُّنا خَاتمُ الأنبياء، فنزلت هذه الآية، ثم خَيَّر بين الأديان بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾. رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وإلى هذا المعنى ذهب مَسْروقٌ وأبو صالحٍ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ.

[٣٦٨] **والثاني**: أن العرب قالت: لا نُبعَثُ، ولا نُعذَّبُ، ولا نُحَاسَبُ، فنزلت هذه الآية، هذا قول مُجاهدٍ.

[٣٦٩] **والثالث**: أن اليهود والنَّصارى قالوا: لا يدخل الجنَّةَ غيرُنا، وقالت قُريشٌ: لا نُبعَثُ، فنزلت هذه الآية، هذا قول عِكرمةَ.

قال الزجَّاجُ: اسم «ليس» مُضمَرٌ، والمعنى: ليس ثواب الله عز وجل بأمانِيِّكم، وقد جرى ما يدلُّ على الثَّواب، وهو قوله تعالى: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

وفي المُشَار إليهم بقوله «أمانِيِّكُم» قولان[1]: **أحدهما**: أنهم المسلمون على قول الأكثرين. **والثاني**: المشركون على قول مُجاهدٍ. فأمَّا أَمَانِيّ المسلمين، فما نُقل من قولهم: كِتابُنا نَاسِخٌ للكُتُب، ونَبِيُّنا خَاتمُ الأنبياء، وأَمَانيّ المشركين قولهم: لا نُبعَثُ، وأَمَانيّ أهل الكتاب قولهم: نحن أبناءُ الله وأحبَّاؤه، وأن النار لا تمسُّنا إلا أياماً معدودةً، وأنَّ كتابَنا خيرُ الكُتُب، ونَبِيَّنَا خيرُ الأنبياء، فأخبر الله عزَّ وجلَّ أن دخول الجنة والجزاء، بالأعمال لا بالأَمَانيّ.

وفي المُراد «بالسُّوء» قولان[2]: **أحدهما**: أنه المعاصي.

---

[٣٦٨] ضعيف، أخرجه الطبري ١٠٥٠٧ عن مجاهد مرسلاً.
[٣٦٩] هو مرسل، فهو واهٍ، والمتن غريب.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٩٠: وأولى التأولين بالصواب ما قاله مجاهد: من أنه عنى بقوله: ﴿**ليس بأمانيكم**﴾ مشركي قريش. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآي قبل قوله: ﴿**ليس بأمانيكم**﴾ وإنما جرى ذكر أماني الشيطان المفروض، وذلك في قوله ﴿**ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام**﴾ وقوله: ﴿**يعدهم ويمنيهم**﴾، فإلحاق معنى قوله جل ثناؤه: ﴿**ليس بأمانيكم**﴾ بما قد جرى ذكره قبل، أحقُّ وأولى من ادعاء تأويلٍ فيه، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا أثر عن الرسول الله ﷺ ولا إجماع أهل التأويل. فتأويل الآية إذاً: ليس الأمر بأمانيكم، يا معشر أولياء الشيطان وحزبه، التي يمنيكموها وليّكم عدو الله، ولا أماني أهل الكتاب الذين قالوا اغترارا بالله وبحلمه عنهم: ﴿**لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة**﴾ [سورة البقرة: ٨٠]. فإن الله مجازٍ كل عامل منكم جزاء عمله، من يعمل منكم سوءاً، ومن غيركم، يجزَ به، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة. ولم يرجح ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٧٠ بين هذه الأقوال وإنما قال بعد ذكر الأقوال: والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه، ولا كل من قال إنه على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان، والعبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على ألسنة الرسل الكرام، ولهذا قال بعده: ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٩٢: وأولى التأويلات هو أن كل من عمل سوءاً صغيراً أو كبيراً من مؤمن أو كافر، جوزي به، وذلك لعموم الآية كل عامل سوء، من غير أن يخصَّ أو يستثنى منهم أحد فهي على عمومها. وبنحو ما قلنا تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ.

[٣٧٠] ومنه حديث أبي بَكرٍ الصِّدِّيق أنه قال: يا رسولَ الله كيف الصَّلاحُ بعد هذه الآية: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ فإذا عملنا سوءاً جُزينا به، فقال: غَفَرَ اللهُ لك يا أبا بَكْرٍ، ألستَ تمرضُ؟ ألستَ تَحزنُ؟ ألستَ تُصيبُكَ اللأْوَاءُ[1]؟ فذلك ما تُجزَون به.

والثاني: أنه الشِّرك، قاله ابن عباسٍ، ويَحيَى بن أبي كَثيرٍ.

وفي هذا الجَزاء قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في كلِّ مَنْ عمل سوءاً فإنه يُجازى به، وهو معنى قول أُبيِّ بن كَعبٍ، وعائشةَ، واختاره ابن جَريرٍ، واستدلَّ عليه بحديث أبي بكرٍ الذي قدمناه. **والثاني**: أنه خَاصٌّ في الكُفَّار يُجازَوْن بكل ما فعلوا، فأما المؤمن فلا يُجازى بكلِّ ما جَنَى، قاله الحَسَنُ البَصريُّ. وقال ابن زيدٍ: وعدَ اللهُ المؤمنين أن يُكَفِّر عنهم سيئاتهم، ولم يَعِدِ المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ قال أبو سُليمانَ: لا يجد مَن أراد اللهَ أن يَجزِيه بشيءٍ من عمله وَلِيّاً، وهو القريب، ولا ناصراً يمنَعُه من عذاب الله وجَزائِه.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾﴾

---

[٣٧٠] حسن. أخرجه أحمد ١/ ١١، والطبري ١٠٥٢٨ و ١٠٥٢٩ و ١٠٥٣١ و ١٠٥٣٢ و ١٠٥٣٣ والمروزي في «مسند أبي بكر» ١١١ و ١١٢، وأبو يعلى ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ وابن حبان ٢٩١٠ والحاكم ٣/ ٧٤ ـ ٧٥ والبيهقي ٣/ ٣٧٣ من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي عن أبي بكر الصديق. وإسناده ضعيف لانقطاعه: أبو بكر بن زهير لم يدرك الصديق. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
ـ وأخرجه أبو يعلى ٩٩ من طريق وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر الصديق. وأخرجه الطبري ١٠٥٢٦ عن عائشة عن أبي بكر بنحوه. وأخرجه الطبري ١٠٥٣٤ عن مسلم بن صبيح قال: قال أبو بكر. وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٥٧٢ عن مسلم بن صبيح، عن مسروق قال: قال أبو بكر. وأخرجه المروزي ٢٢ وأبو يعلى ١٨ والطبري ١٠٥٢٧ والحاكم ٣/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣ من طريق عبد الوهاب بن عطاء، عن زياد الجصاص، عن علي بن زيد، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن أبي بكر. وزياد وعلي بن زيد ضعيفان. وأخرجه الترمذي ٣٠٣٩ وأبو يعلى ٢١ عن روح بن عبادة، عن موسى بن عبيدة، عن مولى ابن سبّاع، عن ابن عمر يحدث عن أبي بكر. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال. وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد، وأحمد بن حنبل ومولى ابن سبّاع مجهول. ويشهد له حديث عائشة أخرجه الترمذي ٢٩٩١ وأحمد ٦/ ٢١٨ والطبري ١٠٥٣٦ كلهم من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أمية ابنة عبد الله أنها سألت عائشة عن قول الله تعالى: **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾** وعن قوله: **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال: «هذه معاتبة الله العبد فيما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في كم قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى إن العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٠٨ من طريق آخر موقوفاً عليها. وصححه ووافقه الذهبي وانظر ما أخرجه ابن حبان ٢٩٢٣. ويشهد له أيضاً حديث أبي هريرة أخرجه مسلم ٢٥٧٤ والترمذي ٣٠٣٨ وأحمد ٢/ ٢٤٩، والطبري ١٠٥٢٥، وابن حبان ٢٩٢٦ والبيهقي ٣/ ٣٧٣. وانظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٧١ و «تفسير القرطبي» ٢٤٧٣ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: اللأي المشقة والجهد، واللأواء: الشدة وضيق العيش.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

[٣٧١] قال مَسْرُوقٌ: لما نزلت ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال أهلُ الكتاب: نحن وأنتم سواءٌ، فنزلت ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهذه تدل على إرتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يُقبل أحدُهما إلاّ بوجود الآخر، وقد سبق ذكر «النَّقير».

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ: خَيَّرَ اللهُ بين الأديان بهذه الآية. و ﴿أَسْلَمَ﴾ بمعنى: أخلصَ. وفي «الوَجه» قولان: **أحدهما**: أنه الدِّين. **والثاني**: العَمَلُ. وفي الإحسان قولان: **أحدهما**: أنه التَّوحيد، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: القِيَامُ لله بما فَرَضَ اللهُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وفي اتِّباع مِلَّةِ إبراهيمَ قولان: **أحدهما**: اِتِّباعه على التَّوحيد والطَّاعة. **والثاني**: اِتِّباع شَرِيعته، اختاره القاضي أبو يَعلَى.

فأمَّا الخَلِيْلُ، فقال ابن عباسٍ: الخَلِيْلُ الصَّفِيُّ، وقال غيره: المُصَافِي، وقال الزجَّاجُ: هو المُحِبُّ الذي ليس في محبَّته خَلَلٌ. قال: وقيل: الخَلِيلُ: الفَقِير، فجائزٌ أن يكون إبراهيمُ سُمِّي خَلِيْلَ الله بأنه أحبَّه محبَّةً كاملةً، وجائزٌ أن يكون لأنه لم يجعلْ فقرَه وفَاقَتَه إلاَّ إليه، و «الخُلَّة»: الصَّداقة، لأن كلَّ واحدٍ يسدُّ خَلَلَ صاحبه، و «الخَلَّة» بفتح الخاء: الحَاجَة: سُمِّيت خَلَّةً للاِختِلال الذي يلحقُ الإنسان فيما يحتاج إليه، وسمِّي الخَلّ الذي يؤكل خَلاًّ، لأنه إختَلَّ منه طعم الحَلاوة. وقال ابن الأنباريِّ: الخَلِيْلُ: فَعيل من الخُلَّة، والخُلَّة: المَودَّة. وقال بعض أهل اللغة: الخَلِيْلُ، المُحِبُ، والمُحِبُّ الذي ليس في محبَّته نقصٌ ولا خَلَلٌ، والمعنى: أنه كان يُحبُّ اللهَ، ويُحبُّه اللهُ محبَّةً لا نَقْصَ فيها، ولا خَلَل، ويقال: الخَلِيْلُ: الفقير، فالمعنى: اِتَّخذه فقيراً يُنزل فقرَه وفَاقَتَهُ به، لا بغيره. وفي سبب اتِّخاذِ الله له خَلِيْلاً ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه اتخذه خَليلاً لإطعامه الطعام.

[٣٧٢] روى عبد الله بن عَمروٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يا جِبريلُ، لِمَ اتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خَلِيْلاً؟ قال: لإِطْعَامِهِ الطَّعام».

[٣٧٣] **والثاني**: أن الناس أَصَابَتْهم سَنَةٌ فأقبلوا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعامَ، وكانت له مِيرَةٌ من صديقٍ له بمصرَ في كل سَنَةٍ، فَبَعثَ غِلْمَانَه بالإبل إلى صديقه، فلم يُعْطِهِم شيئاً، فقالوا: لو احتملنا

---

[٣٧١] أخرجه الطبري ١٠٤٩٥ عن مسروق.

[٣٧٢] ضعيف. أخرجه البيهقي ٩٦١٦ من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه ابن لهيعة والراوي عنه ليس من العبادلة، فالحديث ضعيف؛ والمتن منكر، فإن الأمر أعم من ذلك. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٤٧٨.

[٣٧٣] لا أصل له في المرفوع. عزاه المصنف لرواية أبي صالح عن ابن عباس وهو في «تفسير البغوي» برواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط، الكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، والكلبي وأبو صالح أقرّا أنهما كانا يكذبان على ابن عباس. راجع ترجمتهما في «الميزان».

وذكر هذا الخبر الطبري بدون إسناد في «تفسيره» ٤/ ٢٩٧، ونقله عنه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٥٧٣، وقال: وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبراً إسرائيلياً لا يصدق ولا يكذب.

من هذه البَطْحَاء ليرى الناس أنا قد جِئْنَا بمِيرَةٍ، فملَؤوا الغرائِرَ[١] رَمْلاً، ثم أَتَوا إبراهيمَ عليه السَّلام، فأَعلَمُوه، فاهتمَّ إبراهيمُ لأجل الخَلْقِ. فَنَامَ وجاءت سَارَةُ وهي لا تعلمُ ما كان، ففتحت الغَرائِرَ، فإذا دَقيقٌ حُوارِيٌّ، فأمرت الخَبَّازين فخبَزُوا، وأطعموا الناسَ، فاستيقظ إبراهيمُ، فقال: من أين هذا الطعام؟ فقالت: من عند خَلِيْلِكَ المِصريِّ، فقال: بل من عند خَلِيْلِي الله عزَّ وجلَّ، فيومئذٍ اتَّخذه الله خَلِيْلاً، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

والثالث: أنه اتَّخذه خَلِيْلاً لِكَسْرِه الأصنام، وجِدَالِه قومه، قاله مُقاتلٌ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي: أَحاطَ عِلْمُهُ بكل شيءٍ.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوالٍ:

[٣٧٤] أحدها: أنهم كانوا في الجاهلية لا يُوَرِّثون النساءَ والأطفالَ، فلما فَرضَ الله المَواريثَ في هذه السُّورة، شَقَّ ذلك عليهم، فسألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٍ، وقَتادةَ، وابن زيدٍ.

[٣٧٥] والثاني: أن وَليَّ اليتيمة كان يتزوَّجها إذا كانت جميلةً وَهَوِيَها، فيأكل مالَهَا، وإن كانت دَمِيمَةً مَنَعَها الرجالَ حتى تموت، فإذا ماتت وَرِثَها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ.

[٣٧٦] والثالث: أنهم كانوا لا يُؤتون النساءَ صَدُقَاتِهِنَّ، وَيَتَمَلَّك ذلك أولياؤُهنَّ، فلما نزل قوله

---

[٣٧٤] حسن صحيح، أخرجه الطبري ١٠٥٤٤ و ١٠٥٤٦ عن ابن عباس، وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق لكنه اختلط. وورد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ١٠٥٥٢ و ١٠٥٥٣ ومن مرسل سعيد بن جبير، أخرجه برقم ١٠٥٥٨ ومن مرسل ابن زيد، برقم ١٠٥٦٢. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

[٣٧٥] أخرجه الطبري ١٠٥٧٦ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به. وأخرجه الطبري ١٠٥٥٤ عن عطية العوفي عن ابن عباس قال: كانت اليتيمة تكون في حجر الرجل فيرغب أن ينكحها أو يجامعها، ولا يعطيها مالها، رجاء أن تموت فيرثها. وأخرجه الطبري ١٠٥٤٩ و ١٠٥٥٠ عن إبراهيم النَّخعي مرسلاً. وأخرجه برقم ١٠٥٥١ عن أبي مالك مرسلاً. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

[٣٧٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٠٠ ومسلم ٣٠١٨ وأبو داود ٢٠٦٨ والنسائي في «التفسير» ١٤٤ والواحدي ٣٦٨ في «أسباب النزول» والبيهقي ٧/١٤١ ـ ١٤٢ والطبري ١٠٥٥٩ كلهم عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: **﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن﴾** إلى قوله: **﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾** قالت عائشة: هو =

---

(١) في «اللسان»: الغرائر: جمع غِرارة: وهي الجوالق التي يوضع فيها التبن والقمح وغيرهما.

تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول عَائشة عليها السلام.

[٣٧٧] **والرابع**: أن رجلاً كانت له امرأةٌ كبيرةٌ، وله منها أولادٌ، فأرادَ طَلاَقها، فقالت: لا تَفعلْ، واقْسِم لي في كل شهرٍ إنْ شئتَ أو أكثر فقال: لَئِنْ كان هذا يَصلُحُ، فهو أحبُّ إليَّ، فأتى رسولَ الله ﷺ، فذكَرَ له ذلك، فقال: «قد سمعَ اللهُ ما تقول، فإنْ شاءَ أجَابكَ»، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، رواه سالمٌ الأَفْطَسُ عن سعيدِ بن جُبيرٍ.

والخامس: أنَّ وَلِيَّ اليتيمة كان إذا رَغِبَ في مالها وجمالها لم يَبْسُط لها في صَدَاقِها، فنزلت هذه الآية، ونُهوا أن يَنْكِحوهنَّ، أو يبلغوا بهنَّ سنتهنَّ من الصَّداق، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ أي: يطلبون منك الفَتْوَى، وهي تبيين المُشْكِل من الأحكام. وقيل: الاستِفْتَاءُ: الاستِخْبَارُ. قال المفسِّرون: والذي اسْتَفْتَوه فيه، مِيراثُ النِّساء، وذلك أنهم قالوا: كيف تَرِثُ المرأةُ والصَّبيُّ الصَّغيرُ؟

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ قال الزجَّاج: موضع «ما» رفعٌ، المعنى: الله يُفتيكم فيهنَّ، وما يُتلى عليكم في الكتاب أيضاً يُفتيكم فيهنَّ. وهو قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ الآية. والذي تُلي عليهم في التَّزويج قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[1]. وفي يَتَامى النِّساء قولان: **أحدهما**: أنهنَّ النِّساء اليتامى، فأُضيفت الصِّفة إلى الاسم، كما تقول: يومُ الجُمعة. **والثاني**: أنهن أُمَّهاتُ اليتامى، فأُضيف إليهنَّ أولادهنَّ اليتامى.

وفي الذي كُتِبَ لهنَّ قولان: **أحدهما**: أنه المِيرَاثُ، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ في آخرين. **والثاني**: أنه الصَّدَاقُ. ثم في المُخاطَب بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم أولياءُ المرأة كانوا يَحُوزُون صَدَاقَها دُونَها. **والثاني**: وَلِيُّ اليَتيمَة، كان إذا تزوَّجها لم يَعْدِلْ في صَدَاقِها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ قولان: **أحدهما**: وترغبون في نِكَاحِهنَّ رغبةً في جمالهنَّ، وأموالهنَّ، هذا قول عَائشةَ، وعبيدةَ. **والثاني**: وترغبون عن نِكَاحِهنَّ لِقُبحهنَّ، فَتُمسكوهنَّ رغبةً في أموالهنَّ، وهذا قول الحَسنِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ قال الزجَّاج: موضع «المستضعفين» خفضٌ على قوله تعالى: ﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ المعنى: وفي الوِلْدَان. قال ابن عباسٍ: يريد أنهم لم يكونوا يُورِّثُون صغيراً من الغِلمَان والجَوَارِي، فَنهاهُمُ اللهُ عن ذلك، وبَيَّن لكلِّ ذي سَهْمٍ

= الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى العِذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوّجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته، فيعضلها فنزلت هذه الآية.

وقوله «فيعضلها»: أي لم يعاملها معاملة الأزواج لنسائهم، ولم يتركها تتصرف في نفسها، فكأنه قد منعها.

[٣٧٧] لم أر من أسنده عن سعيد، وهو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف، وتقدم روايات كثيرة، ليس فيها ما هو مرفوع لفظي، والله أعلم.

---

(١) سورة النساء: ٣.

سَهمَهُ. قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ قال الزجّاج: موضع «أن» خفضٌ، فالمعنى: في يَتامى النّساء، وفي أنْ تقوموا لليَتامى بالقِسْطِ. قال ابن عباسٍ: يريد العَدْلَ في مُهورهنَّ ومَوارِيثِهنَّ.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٣٧٨] **أحدها**: أن سَوْدَة خشيت أن يُطلِّقها رسولُ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله لا تُطلِّقني، وأمْسِكْني، واجعل يومي لعَائشَة، ففعلَ، فنزلت هذه الآية، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ.

[٣٧٩] **والثاني**: أن بنتَ محمَّدَ بن مَسْلَمَةَ كانت تحتَ رَافع بن خُدَيجٍ، فكَرِهَ منها أمراً، إما كِبَراً، وإمَّا غيره، فأراد طَلاقَها، فقالت: لا تُطلِّقني، واقسِمْ لي ما شئتَ، فنزلتْ هذه الآية، رواه الزُّهريُّ عن سعيدِ بن المُسَيِّبِ، وقال مُقاتلٌ: واسمُها خُوَيْلَة(١).

والثالث: قد ذكرناه عن سَالمِ الأفْطَس عن سعيدِ بن جُبيرٍ في نزول الآية التي قبلها.

[٣٨٠] وقالت عائشة: نزلتْ في المرأة تكون عند الرجل، فلا يَسْتكْثِرُ منها، ويريد فِرَاقَها، ولعلها تكون له مُحبَّةً أو يكون لها ولدٌ فتكره فِرَاقَهُ، فتقول له: لا تُطلِّقني وأَمْسِكْني، وأنتَ في حِلٍّ من شأني. رواه البُخاريُّ، ومُسلمٌ.

وفي خوف النُّشوزِ قولان: **أحدهما**: أنه العِلْمُ به عند ظُهوره. **والثاني**: الحَذَرُ من وُجودِهِ لأَمَاراتِه. قال الزجَّاجُ: والنُّشوز من بَعْلِ المرأة: أن يُسِيءَ عِشْرَتَها، وأن يمنعَها نفسَه ونَفَقَتَهُ. وقال أبو

---

[٣٧٨] أخرجه الترمذي ٣٠٤٠ والطبري ١٠٦١٣ من حديث ابن عباس بهذا اللفظ، وقال الترمذي: حسن غريب.
ـ قلت: إسناده غير قوي لأنه من رواية سماك عن عكرمة، وهي مضطربة، ولكن ورد من وجه آخر بنحوه. أخرجه أبو داود ٢١٣٥ والحاكم ٢/ ١٨٦ من حديث عائشة وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناده حسن لأجل عبد الرحمن بن أبي الزناد. وخبر سودة دون ذكر نزول الآية، أخرجه مسلم ١٤٦٣ وابن حبان ٤٢١١ من حديث عائشة قالت: ما رأيت امرأة أحب إليّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة، من امرأة فيها حدة. قالت: فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة. قالت: يا رسول الله: قد جعلت يومي منك لعائشة، فكان رسول الله ﷺ لعائشة يومين، يومها ويوم سودة. أخرجه البخاري ٥٢١٢ ومسلم ١٤٦٣ والنسائي في «الكبرى» ٧٩٣٤ وابن ماجه ١٩٧٢ مختصراً والبيهقي ٧/ ٧٤ ـ ٧٥ من حديث عائشة مطولاً وليس فيه سبب نزول الآية. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٤٨١ بتخريجنا.

[٣٧٩] مرسل. أخرجه الشافعي ١/ ٢٥٠ والواحدي ٣٧٠ والبيهقي ٧/ ٢٩٦ عن ابن المسيب مرسلاً.
ـ وورد من حديث رافع بن خديج. أخرجه مالك ٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩، والحاكم ٢/ ٣٠٨، ولكن ليس فيه نزول الآية. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[٣٨٠] صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٥٠ و ٢٦٩٤ و ٤٦٠١ ومسلم ٣٠٢١ والبيهقي ٧/ ٢٩٦ والواحدي ٣٦٩ والطبري ١٠٥٨٩ و ١٠٥٩٠ و ١٠٥٩١ عن عائشة به. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٤٨٣.

---

(١) ورد اسمها في «تفسير القرطبي» ٥/ ٣٨٤ و «تفسير البغوي» ١/ ٤٨٦ خولة بنت محمد بن مسلمة، وفي بقية كتب التفاسير ابنة محمد بن مسلمة، ولم تسمّ.

سُليمانَ: نُشوزاً، أي: نُبوّاً عنها إلى غيرها، أو إعراضاً عنها، واشتغالاً بغيرها. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابن عامرٍ: «يصّالحا» بفتح الياء والتشديد. والأصل: «يتصالحا»، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «يُصلحا» بضم الياء والتخفيف. قال المُفسّرون: والمعنى: أن يُوقعا بينهما أمراً يَرضَيان به، وتَدُوم بينهما الصُّحبة، مثل أنْ تصبر على تَفضِيله. ورُوي عن عليٍّ، وابن عباسٍ: أنهما أجَازَا لهما أن يَصْطَلِحا على تَرْكِ بعض مَهرِها، أو بعض أيامها، بأن يجعَلَهُ لغيرها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ قولان[1]: **أحدهما**: خيرٌ من الفُرقة، قاله مُقاتلٌ، والزجّاجُ. **والثاني**: خيرٌ من النُّشوز والإعراض، ذكره المَاورديُّ. قال قَتادةُ: متى ما رَضِيَتْ بدون ما كان لها، واصطلَحا عليه، جَازَ، فإن أبَتْ لم يَصْلُحْ أن يَحْبِسَها على الخَسْف.

قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ «أحضرت» بمعنى: أُلزِمت. و «الشُّح»: الإفرَاطُ في الحِرص على الشَّيء. وقال ابن فارسٍ: «الشُّح»: البُخل مع الحِرص، وتَشَاحَّ الرجلان على الأمرِ: لا يُريدان أن يَفُوتَهُما، وفيمن يعود إليه هذا الشُّح من الزوجين قولان: **أحدهما**: المَرأَةُ، فتقديره: وأُحضرت نَفْسُ المرأة الشُّح بِحَقِّها مِنْ زوجها، هذا قول ابن عباسٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ. **والثاني**: الزَّوجان جميعاً، فالمرأة تَشُحُّ على مكانها من زوجها، والرجل يَشُحُّ عليها بنفسه إذا كان غيرُها أحبَّ إليه، هذا قول الزجّاج. وقال ابن زيدٍ: لا تَطيبُ نفسه أن يُعطِيَها شيئاً فتُحَلِّلُهُ، ولا تطيبُ نفسُها أن تعطِيَهُ شيئاً من مالها، فتُعَطِّفه عليها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بالصَّبر على التي يكرها. **والثاني**: بالإحسان إليها في عِشْرَتِها. قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يعني الجَوْرَ عليها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيُجَازيكم عليه.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال أهل التفسير: لن تُطيقوا أن تُسووا بينهنَّ في المحبة التي هي مَيْلُ الطِّباع، لأن ذلك ليس من كَسْبِكم ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟﴾ إلى التي تُحبّون في النَّفقة والقَسْم. وقال مُجاهدٌ: لا تَتعمَّدوا الإساءَة فتَذَرُوا الأخرى كالمُعَلَّقة قال ابن عباسٍ: المُعَلَّقَةُ: التي لا هي أَيِّمٌ، ولا ذاتُ بَعْلٍ. وقال قَتادةُ: المُعلَّقة: المَسْجُونَة. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟﴾ أي: بالعَدلِ في القِسْمَة ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الجَوْرَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لِمَيْلِ القلوب.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٠/ ٢٦٢ـ ٢٦٣: وإذا خافت المرأة نشوز زوجها وإعراضه عنها، لرغبته عنها، إما لمرض بها أو كبرٍ أو دمامةٍ، فلابأس أن تضع عنه بعض حقوقها تسترضيه بذلك، لقول الله تعالى: ﴿**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً....**﴾ الآية. ومتى صالحته على ترك شيء من قسمها أو نفقتها أو على ذلك كله، جاز، فإن رجعت، فلها ذلك. قال أحمد، في الرجل يغيب عن امرأته، فيقول لها: إن رضيت على هذا وإلا فأنت أعلم. فتقول: قد رضيت. فهو جائز، فإن شاءت رجعت.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ يقول: وإن أَبَت المرأةُ أن تسمحَ لزوجها بإيثار التي يَمِيْلُ إليها، واختارت الفُرقَة، فإنَّ الله يُغْني كلَّ واحدٍ من سَعَتِه. قال ابن السَّائِب: يُغني المرأة برجلٍ، والرجلَ بامرأة. ثم ذكر ما يُوجبُ الرَّغبةَ إليه في طَلَب الخير، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهلَ التَّوراة، والإنجيلِ، وسائرَ الكُتُب ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهلَ القُرآن ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ﴾ قيل: وَحِّدُوه ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ بما أوصاكم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ فلا يَضُرُّه خِلافُكم. وقيل: له ما في السموات، وما في الأرض من الملائكة، فهم أطوع له منكم. وقد ذكرنا في سورة البقرة معنى «الغَنِيّ الحميد»[1]، وفي آل عمران معنى «الوَكِيل»[2].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابن عباسٍ: يُريد المشركين والمنافقين ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ أَطْوَعَ له منكم. وقال أبو سُليمانَ: هذا تَهَدُّدٌ للكفَّار، يقول: إن يَشأ يُهلِكْكُم كما أَهلكَ مَن قبلكم إذ كَفَرُوا به، وكَذَّبوا رُسُلَهُ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ قيل: إنَّ هذه الآية نزلت مِنْ أَجْلِ المنافقين كانوا لا يُصدِّقون بالقيامة، وإنما يطلبون عَاجِلَ الدنيا، ذكره أبو سُليمانَ. وقال الزجَّاجُ: كان مُشرِكُو العرب يَتقرَّبون إلى الله ليُعطِيهم مِنْ خَيرِ الدنيا، ويَصْرِفَ عنهم شَرَّها، ولا يُؤمنون بالبَعثِ، فأَعْلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن خَيْرَ الدنيا والآخرة عنده. وذكر المَاورديُّ أن المُراد بثواب الدنيا: الغَنِيمَة في الجهاد، وثواب الآخرة: الجَنَّة. قال: والمُراد بالآية: حَثُّ المُجاهِد على قَصْدِ ثواب الله.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ في سبب نزولها قولان:

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

[٣٨١] **أحدهما**: أن فقيراً وغَنيّاً اِختَصَما إلى النبيِّ ﷺ، فكان صَغْوُه[١] مع الفقير يرى أنَّ الفقيرَ لا يَظْلِمُ الغنيَّ، فنزلت هذه الآية، هذا قول السُّدِّيِّ. **والثاني**: أنها مُتَعَلِّقَةٌ بقصَّة ابن أُبَيْرِق، فهي خِطابٌ للذين جَادلوا عنه، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ[٢].

و «القَوَّام»: مبالغةٌ من قَائِم. و «القِسْطُ»: العَدْلُ. قال ابن عباسٍ: كونوا قَوَّالينَ بالعَدْل في الشهادة على مَنْ كانت، ولَو على أنفسكم. وقال الزجَّاجُ: معنى الكلام: قُوموا بالعَدْل، واشهدوا لله بالحقِّ، وإنْ كان الحقُّ على الشَّاهد، أو على وَالِدِيه، أو قَرِيْبِهِ[٣]، ﴿إِن يَكُنْ﴾ المَشْهُود لهُ ﴿غَنِيًّا﴾ فالله أَوْلَى به، وإن يَكُنْ فقيراً فالله أَوْلَى به. فأما الشهادة على النفس، فهي إقرار الإنسان بما عليه مِنْ حقٍّ. وقد أَمرت الآية بأن لا يُنْظَرَ إلى فقر المَشْهُود عليه، ولا إلى غِنَاهُ، فإنَّ الله تعالى أَوْلَى بالنَّظر إليهما. قال عَطاءٌ: لا تَحِيْفُوا على الفقير، ولا تُعَظِّموا الغنيَّ، فتُمسكوا عن القول فيه. وممَّن قال: إن الآية نزلت في الشَّهادات، ابن عباسٍ، والحسنُ، ومُجاهدٌ، وعِكرمةُ، والزُّهريُّ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أن معناه: فلا تَتَّبعوا الهَوى، واتَّقوا الله أن تَعْدِلُوا عن الحقِّ، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: ولا تَتَّبعوا الهَوى لِتَعْدِلُوا، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: فلا تَتَّبعوا الهَوى كَراهيةَ أنْ تَعْدِلوا عن الحقِّ. **والرابع**: فلا تَتَّبعوا الهَوى فَتَعدِلُوا، ذكرهما المَاورديُّ. قوله

---

[٣٨١] ضعيف، أخرجه الطبري ١٠٦٨٣ عن السدي مرسلاً. وذكره الواحدي بدون إسناد في «أسباب النزول» ٣٧١، وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدي كما في «أسباب النزول» للسيوطي.
ـ وفي الطبري والواحدي وكان ـ ضلعه ـ بدلاً من وكان ـ صغوه ـ.

---

(١) في «اللسان»: صغا: مال ويقال صَغْوه معك: أي ميله معك.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٢٠: وهذه الآية عندي تأديب من الله جل ثناؤه عباده المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عَذروا بني أبيرق في سرقتهم ما سرقوا، وخيانتهم ما خانوا ممن ذكر قبل، عند رسول الله ﷺ وشهادتهم لهم عنده بالصلاح.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٤/ ١٣٧: من لزمته الشهادة، فعليه أن يقوم بها على القريب والبعيد، لا يسعه التخلف عن إقامتها وهو قادر على ذلك. وجملته أن أداء الشهادة من فروض الكفايات، فإن تعينت عليه، بأن لا يتحملها من يكفي فيها سواه، لزمه القيام بها. وإن قام بها اثنان غيره، سقط عنه أداؤها إذا قبل الحاكم. فإن كان تحمّلها جماعة، فأداؤها واجب على الكل، إذا امتنعوا أثموا كلهم، كسائر فروض الكفاية. ولا تجوز شهادة الوالدين وإن عَلَوَا، للولد وإن سفل، ولا شهادة الولد وإن سفل لهما وإن عَلَوَا، وبه قال شريح، والحسن، ومالك والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي.
وروي عن أحمد رواية ثانية، تقبل شهادة الابن لأبيه، ولا تقبل شهادة الأب له، لأن مال الابن في حكم مال الأب، له أن يتملكه إذا شاء لقوله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك». وأما شهادة أحدهما على صاحبه، فتقبل. نصّ عليه أحمد. وهذا قول عامة أهل العلم، ولم أجد في «الجامع» فيه خلافاً، وذلك لقوله تعالى: ﴿**كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**﴾. فأمر بالشهادة عليهم، ولو لم تقبل لما أمر بها، ولأنها ردّت للتهمة في إيصال النفع، ولا تهمة في شهادته عليه، فوجب أن تقبل، كشهادة الأجنبي، بل أولى.
وقال بعض الشافعية: لا تقبل شهادة الابن على أبيه في قصاص، ولا حدّ قذف، لأنه لا يقتل بقتله، ولا يحدّ بقذفه، فلا يلزمه ذلك. والمذهب الأوّل، لأنه يتهم له ولا يتهم عليه، فشهادته عليه أبلغ في الصّدق، كإقراره على نفسه.

تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصمٌ، والكِسَائيُّ، تلْوُوا، بوَاوَين، الأولى مضمُومةٌ، واللام ساكنةٌ. وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن يَلْوِيَ الشاهدُ لسانَهُ بالشهادة إلى غير الحقِّ. قال ابن عباسٍ: يَلْوِي لِسَانَهُ بغير الحقِّ، ولا يُقيم الشهادة على وَجْهِهَا، أو يعرضُ عنها ويَتْرُكُها. وهذا قول مُجاهدٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، والضَّحَّاكِ، وقَتادةَ، والسُّدِّيِّ، وابن زيدٍ. **والثاني**: أن يَلْوِيَ الحاكمُ وَجهَهُ إلى بعضِ الخُصوم، أو يُعرِضَ عن بعضهم، رُوِي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أن يَلويَ الإنسانُ عُنُقَهُ إعراضاً عن أمر الله لِكِبْره وعُتُوِّه. ويكون: «أو تعرضوا» بمعنى: وتُعرضوا، ذكره المَاورديُّ. وقرأ الأَعمَشُ، وحَمزةُ، وابن عامرٍ: «تَلُوا» بواوٍ واحدةٍ، واللاَّم مضمومةٌ. والمعنى: أن تَلُوا أمورَ الناس، أو تَترُكوا، فيكون الخِطَاب للحُكَّام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ **في سبب نزولها قولان**:

[٣٨٢] **أحدهما**: أن عبدَ الله بن سَلاَّم، وأسَدَاً، وأُسَيْداً ابنَي كَعْبٍ، وثَعْلَبَةَ بن قَيْسٍ، وسَلاَّماً، وَسَلَمَة، ويَامِينَ. وهؤلاءِ مُؤمِنُو أهل الكتاب أَتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله نؤمنُ بكَ، وبكتابكَ، وبموسى، والتَّوراة، وعُزَيرٍ، ونَكْفُرُ بما سوى ذلك من الكُتُب والرُّسُل، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنَّ مُؤمِني أهل الكتاب كان بينهم وبين اليهود كلامٌ لَمَّا أَسْلَمُوا، فنزلت هذه الآية، هذا قول مُقاتلٍ[١].

وفي المُشَار إليهم بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ثلاثة أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنهم المسلمون، قاله الحَسَنُ، فيكون المعنى: يا أَيُّها الذين آمنوا بمحمَّدٍ والقرآن اثْبُتُوا على إيمانِكم. **والثاني**: اليهود والنَّصارى، قاله الضَّحَّاكُ، فيكون المعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بمُوسى، والتَّوراة، وبعيسى، والإِنجيلِ: آمِنُوا بمحمَّدٍ والقرآن. **والثالث**: المنافقون، قاله مُجاهدٌ، فيكون المعنى: يا أيُّها الذين آمنوا في الظَّاهر بألسنتهم، آمنوا بِقُلوبكم.

---

[٣٨٢] باطل. ذكره البغوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط: الكلبي متروك كذاب، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. وانظر ترجمتهما في «الميزان». وذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٧٢ عن الكلبي بدون إسناد، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ١/ ٥٧٦: ذكره الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان عند الإطلاق، وهو متهم بالوضع، فخبره لا شيء.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٢٤: يعني الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بمن قبل محمد من الأنبياء والرسل، وصدَّقوا بما جاؤوهم به من عند الله، يعني بما هم مؤمنون من الكتب والرسل، ﴿**آمنوا بالله ورسوله**﴾ محمد ﷺ ﴿**والكتاب الذي نزل على رسوله**﴾ فإنكم قد علمتم أن محمداً رسول الله، تجدون صفته في كتبكم، ذلك بأنهم كانوا صنفين: أهل التوراة مصدقين بها وبمن جاء بها، وهم مكذبون بالإنجيل وعيسى ومحمد صلوات الله عليهما، وصنف أهل الإنجيل، وهم مصدقون به وبالتوراة وسائر الكتب، مكذبون بمحمد ﷺ والفرقان.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ قرأ ابن كَثِيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابن عَامرٍ: «نُزِّل على رسوله، والكتاب الذي أُنزل من قبلُ» مَضمُومَتَيْن. وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: نَزَّلَ على رسوله، والكتاب الذي أَنْزَلَ مفتوحتين. والمُراد بالكتاب: الذي نَزَّل على رسوله القرآن، والكتاب الذي أُنزل من قبل: كلُّ كتابٍ أُنزل قبلَ القرآن، فيكون «الكتاب» ها هنا اسمُ جنسٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها في اليهود آمَنُوا بموسى، ثم كَفروا بعد موسى، ثم آمنوا بِعُزَيرٍ، ثم كَفَرُوا بعدَه بعيسى، ثم اِزدَادُوا كُفراً بمحمَّدٍ عليه السلام، هذا قول ابن عباسٍ. ورُوِي عن قَتادةَ قال: آمَنُوا بموسى، ثم كَفَرُوا بعبادة العِجْلِ، ثم آمنوا به بعد عَوْدِهِ، ثم كفروا بعدَه بعيسى، ثم ازدَادُوا كُفراً بمحمَّدٍ. **والثاني**: أنها في اليهود والنَّصارى، آمَنَ اليهودُ بالتَّوراة، وكَفَرُوا بالإنجيل، وآمَنَ النَّصارى بالإنجيلِ. ثم تركوه فكَفَروا به، ثم اِزدَادُوا كُفراً بالقرآن وبمحمَّدٍ، روَاه شَيْبَانُ عن قَتَادَة. ورُوي عن الحسَنِ قال: هم قومٌ من أهل الكتاب، قصدوا تَشْكِيكَ المؤمنين، فكانوا يُظهرون الإيمانَ ثم الكُفرَ، ثم ازدَادُوا كُفراً بِثُبوتِهم على دِينهم. وقال مُقاتلٌ: آمَنُوا بالتَّوراة وموسى، ثم كَفَروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى والإنجيل، ثم كَفَرُوا من بعده، ثم ازدَادُوا كُفراً بمحمَّدٍ والقرآن. **والثالث**: أنها في المنافقين آمنوا، ثم ارتَدُّوا، ثم ماتوا على كُفرهم، قاله مُجاهدٌ. وروى ابن جُريجٍ عن مُجاهدٍ ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ قال: ثَبَتُوا عليه حتى ماتوا. قال ابن عباسٍ: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ مَا أَقَامُوا على ذلك ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ أي: لا يجعلهم بكُفرهم مُهتدين. قال: وإنما عَلَّقَ امتناعَ المغفرة بكُفرٍ بعد كُفرٍ، لأنَّ المؤمن بعد الكُفر يَغفرُ له كُفرَه، فإذا ارتدَّ طُولِبَ بالكُفر الأوَّل[2].

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٢٦: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: عنى بذلك أهل الكتاب الذين أقروا بحكم التوراة، ثم كذبوا بخلافهم إياه، ثم أقرّ من أقرّ منهم بعيسى والإنجيل، ثم كذّب به بخلافه إياه، ثم كذّب بمحمد ﷺ والفرقان، فازداد بتكذيبه كفراً على كفره.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٢٦٤: ومن ارتد عن الإسلام من الرّجال والنساء، وكان بالغاً عاقلاً، دعي إليه ثلاثة أيام، وضيّق عليه، فإن رجع، وإلا قتل. فإنه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثاً. هذا قول أكثر أهل العلم. ورُوي عن أحمد، رواية أخرى، أنه لا تجب استتابته، ولكن تستحب. وهذا القول الثاني للشافعي، لقول النبي ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه» ولم يذكر استتابته. وإن مفهوم كلام الخرقي، أنه إذا تاب قبلت توبته، ولم يقتل أي كفر كان، وهذا مذهب الشافعي. وهو إحدى الروايتين عن أحمد واختيار أبي بكر الخلال، وقال إنه أولى على مذهب أبي عبد الله. والرواية الأخرى لا تقبل توبة الزنديق، ومن تكررت ردته. وهو قول مالك، والليث وإسحاق، وعن أبي حنيفة روايتان كهاتين. فأما من تكررت ردّته فقد قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً﴾. وقد روي عن ظبيان بن عمارة، أن رجلاً من بني سعد مرّ على مسجد بني حنيفة، فإذا هم يقرؤون برجز مسيلمة، فرجع إلى ابن مسعود، فذكر له ذلك، فبعث إليهم، فأتي بهم فاستتابهم فتابوا، فخلّى سبيلهم، إلا رجلاً منهم يقال له ابن النّوّاحة. قال: قد أُتيتُ بك مرةً فزعمت أنك قد تبت، وأراك عُدْتَ. فقتله.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ زعَم مُقاتلٌ أنه لما نزلت المَغفرةُ في سورة الفتح للنبيِّ والمؤمنين قال عبدُ الله بن أبيٍّ ونفرٌ معه: فمَا لَنا؟ فنزلت هذه الآية[1]. وقال غيره: كان المنافقون يتولَّون اليهودَ، فألحِقُوا بهم في التَّبشير بالعذاب. وقال الزجَّاج: معنى الآية: اِجْعَلْ موضعَ بِشارَتِهم العذاب. والعربُ تقول: تَحِيَّتُكَ الضَّربُ، أي: هذا بدلٌ لك من التَّحيَّة. قال الشاعر:

وخَيلٍ قد دلَفتُ لها بخَيلٍ ... تحيَّةُ بينِهم ضَرْبٌ وَجِيعُ[2]

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ قال ابن عباس: يتَّخذون اليهودَ أولياءَ في العَوْنِ والنُّصرَة. قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أي: القُوَّةَ بالظُّهور على محمَّدٍ وأصحابه، والمعنى: أَيتَّقُونَ بهم؟ قال مُقاتلٌ: وذلك أن اليهودَ أعانُوا مُشركي العرب على قتال رسولِ اللَّه ﷺ. وقال الزجَّاجُ: أيَبْتَغِي المنافقون عند الكافرين العِزَّةَ. و «العزَّة»: المَنَعَةُ، وشدَّة الغَلَبة، وهو مأخوذٌ من قولهم: أرضٌ عَزازٌ. قال الأصمعيُّ: العَزاز: الأرض التي لا تُنبت. فتأويل العِزَّة: الغَلَبة والشِّدة التي لا يَتعلَّق بها إذلالٌ. قالت الخنساء:

كأنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقى ... إذِ النَّاسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزّا

أي: مَنْ قَوِيَ وغلَبَ سَلَبَ. ويقال: قد استُعِزَّ على المَريض، أي: اِشتَدَّ وَجَعُهُ. وكذلك قول الناس: يَعِزُّ عليَّ أن يفعلَ، أي: يَشْتَدُّ، وقولهم: قد عَزَّ الشيءُ: إذا لم يُوجد، معناه: صَعُبَ أن يُوجد، والباب واحدٌ.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ وقرأ عاصمٌ، ويَعقوبُ: «نَزَل» بفتح النون والزَّاي. قال المُفسِّرون: الذي نزِّل عليهم في النَّهي عن مُجالستهم، قوله في الأنعام ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[3] وكان المنافقون يجلسون إلى أحبارِ اليهود، فيسخرون من القرآن ويُكذِّبون به، فنَهى اللَّهُ المسلمين عن مُجالستهم. وآياتُ اللَّه: هي القرآن. والمعنى: إذا سَمِعْتُم الكُفرَ بآيات الله، والاستِهزاءَ بها، فلا تَقْعُدُوا معهم حتى يأخذوا في حديثِ غير الكُفر، والاستِهزاءِ. ﴿إِنَّكُمْ﴾ إن جالَسْتُموهم على ما هُمْ عليه من ذلك، فأنتم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾، وفي ماذا تقعُ المُماثَلةُ فيه، قولان: أحدهما:

---

(١) باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالوضع، كما تقدم، وخبره لا شيء، ليس له أصل.

(٢) في «الخزانة» ٤/ ٥٣ قال البغدادي: وهذا البيت نسبه شراح أبيات «الكتاب» وغيرهم إلى عمرو بن معديكرب الصحابي ولم أره في شعره. وفي «اللسان»: دلف: الدَّليفُ: المشي الرّويد. ودلفت الكتيبة إلى الكتيبة في الحرب تقدمت. وجيع أي موجع.

(٣) سورة الأنعام: ٦٨.

في العِصيان. **والثاني**: في الرِّضى بحالِهم، لأنَّ مُجالِسَ الكافر غيرُ كافر. وقد نبَّهت الآيةُ على التَّحذير من مُجالسة العُصاة. قال إبراهيمُ النَّخعيُّ: إنَّ الرجل لَيَجْلِسُ فيتكلَّمُ بالكلمة، فيُرضي اللَّهَ بها، فتُصيبُه الرَّحمةُ فتعمُّ مَنْ حَولِه، وإنَّ الرجل لَيَجْلِسُ في المَجلس، فيتكلَّمُ بالكلمة، فيُسخط اللَّهَ بها، فيُصيبُه السَّخَطُ، فيَعمُّ مَنْ حَولَهُ.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ قال أبو سُليمانَ: هذه الآية نزلت في المنافقين خاصَّةً. قال مُقاتلٌ: كان المنافقون يَتَربَّصُون بالمؤمنين الدَّوائِرَ، فإن كان الفتحُ، ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؟ فأَعطُونا من الغنيمَة. ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾، أي دَولةٌ على المؤمنين، قالوا للكُفَّار: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾؟ قال المُبَرِّدُ: ومعنى: ألم نَسْتَحْوِذْ عليكم: ألم نَغلِبْكم على رأيكم. وقال الزجَّاجُ: ألم نَغلِبْ عليكم بالمُوالاَة لكُم. و «نَستَحوِذ» في اللغة، بمعنى: نَستَولِي، يُقال: حُذْتُ الإبلَ، وحُزتُها: إذا استَولَيْت عليها وجَمَعْتها. وقال غيره: ألم نَستَولِ عليكم بالمَعُونَةِ والنُّصرة؟ وقال ابن جُريج: ألم نُبيِّن لكم أنَّا على دِينكم؟ وفي قوله تعالى: ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: نَمنَعُكم منهم بتَخْذِيلِهم عنكم. **والثاني**: بما نُعلمكم من أخبارهم. **والثالث**: بِصَرفِنا إيَّاكم عن الدخول عن الإيمان. ومُراد الكلام: إظهارُ المِنَّة من المنافقين على الكُفَّار، أي: فاعرِفوا لنا هذا الحقَّ عليكم.

قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني المؤمنين والمنافقين. قال ابن عباسٍ: يريدُ أنه أَخَّر عقابَ المنافقين. قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه لا سبيلَ لهم عليهم يومَ القيامة، روى يُسَيْع الحَضْرَميُّ عن عليِّ بن أبي طالبٍ أن رجلاً جاءَه، فقال: أرأيتَ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يُقاتلوننا فيظهرون ويقتلون، فقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ يومَ القيامة ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾. هذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، وقَتادةَ. **والثاني**: أن المُراد بالسبيل: الظُّهور عليهم، يعني: أن المؤمنين هم الظَّاهِرون، والعاقبةُ لهم، وهذا المعنى في روايةِ عِكرمةَ، عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أن السَّبيل: الحُجَّةُ. قال السُّدِّيُّ: لم يجعل الله عليهم حُجَّةً، يَعني فيما فعلوا بهم من القَتْل والإخراج من الدِّيار. قال ابن جَرير: لمَّا وَعَدَ اللَّهُ المؤمنين أنه لا يُدخل المنافقين مُدخَلَهم من الجنَّة، ولا المؤمنين مُدخلَ المنافقين، لم يَكُنْ للكافرين على المؤمنين حُجَّةٌ بأن يقولوا لهم: أنتم كُنتم أعداءَنا، وكان المنافقون أولياءَنا، وقد اجتمعتم في النار.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يعملون عَمَلَ المُخادِع. وقيل: يُخادعون نبيَّه،

وهو خادِعُهم، أي: مُجازيهم على خِداعِهم. وقال الزجَّاج: لمَّا أمرَ بقبول ما أظهروا، كان خادعاً لهم بذلك. وقيل: خِداعُهُ إياهم يكون في القيامة بإطفاء نُورهم، وقد شرحنا طَرَفاً من هذا في (البقرة). قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ أي: مُتثاقِلينَ. و ﴿كُسَالَىٰ﴾: جمعُ كَسْلانَ، و «الكَسَلُ»: التَّثاقُلُ عن الأمر. وقرأ أبو عِمْرانَ الجُونيُّ: «كَسالى» بفتح الكاف، وقرأ ابن السَّمَيْقَع: «كَسلى»، بفتح الكاف من غير ألفٍ. وإنما كانوا هكذا، لأنهم يُصَلُّون حَذَراً على دِمائهم، لا يَرجُون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتَرْكِها عِقاباً. قوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: يُصَلُّون لِيَرَاهُم النَّاس. قال قَتادةُ: والله لولا الناس ما صَلَّى المُنافقُ. وفي تسمية ذِكْرِهم بالقليل ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه سُمِّي قليلاً، لأنه غيرُ مَقبولٍ، قاله عليٌّ رضي الله عنه، وقَتادةُ. **والثاني**: لأنه رِياءٌ، ولو كان لله لَكَان كثيراً، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ. **والثالث**: أنه قليلٌ في نَفْسِه، لأنهم يَقتَصِرُون على ما يَظْهَرُ، دونَ ما يَخفَى من القراءة والتَّسبيح، ذكره المَاورديُّ.

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ المُذَبْذَبُ: المُتَرَدِّد بينَ أمرين، وأصل التَّذَبْذُب: التَّحرُّك، والاضطراب، وهذه صِفةُ المنافق، لأنه مُحَيَّرٌ في دِينه لا يرجع إلى اعتقادٍ صحيحٍ. قال قَتادةُ: ليسوا بالمشركين المُصَرِّحين بالشِّرك، ولا بالمؤمنين المُخلصين. قال ابن زيدٍ: ومعنى ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الإسلام والكُفر، لم يُظهروا الكفرَ فيكونوا إلى الكُفَّار، ولم يُصدقوا الإيمانَ، فيكونوا إلى المؤمنين. قال ابن عباسٍ: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ إلى الهدى.

[٣٨٣] وقد روى ابنُ عُمَر عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَثَلُ المنافق: مَثَلُ الشَّاة العَائِرة[1] بين الغَنَمَيْن تعِيرُ إلى هذه مرةً، وإلى هذه مرةً، ولا تَدري أيَّها تَتبع».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ في المُراد بالكافرين قولان:

أحدهما: اليهود، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: المنافقون، قال الزجَّاج: ومعنى الآية: لا تجعلوهم بِطانَتكم وخَاصَّتكُم. والسُّلطان: الحُجَّة الظَّاهرة، وإنما قيل للأمير: سُلطان، لأنه حُجَّةُ الله في أرضه، واشتقاق السُّلطان: من السَّلِيْط. والسَّليط: ما يُستضاءُ به، ومن هذا قيل للزَّيت: السَّلِيط. والعَربُ تُؤنِّث السُّلطان وتُذَكِّره، تقول: قَضَتْ عليك السُّلطانُ، وأَمَرَتْكَ السُّلطان، والتَّذكير أكثرُ، وبه جاء القرآن، فمن أنَّث، ذهب إلى معنى الحُجَّة، ومن ذكَّر، أراد صاحبَ السُّلطان. قال ابن الأنباريّ: تقدير

---

[٣٨٣] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٨٤ والنسائي ٨/ ١٢٤ وأحمد ٢/ ١٠٢ و ١٤٣ والرامهرمزي في «الأمثال» ص ٨٦ من طرق عن عبد الله بن عمر.

---

(١) العائرة: المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع.

الآية: أتريدون أَنْ تجعلوا لله عليكم بِمُوالاة الكافرين حُجَّةً بَيِّنَةً تُلزمكم عذابَه، وتُكسِبُكُم غَضَبَه؟

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابن عَامرٍ: بفتح الراء، وقرأ عَاصمٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: بتسكين الراء. قال الفَرَّاءُ: وهي لُغتان. قال أبو عُبيدةَ: جهنَّم أَدْرَاكٌ، أي: مَنَازِلُ، وأَطْبَاقٌ. فكلُّ مَنْزِلٍ منها: دَرْكٌ. وحكى ابن الأنبَاريِّ عن بعض العلماء أنه قال: الدَّرَكَاتُ: مَرَاقٍ، بعضُها تحتَ بعضٍ. وقال الضَّحَّاكُ: الدُّرَجُ: إذا كان بعضُها فوق بعضِها، والدُّرَكُ: إذا كان بعضها أسفلَ مِنْ بعضٍ. وقال ابن فارسٍ: الجنة دَرجاتٌ، والنار دَرَكَاتٌ. وقال ابن مسعودٍ في هذه الآيةِ: هُمْ في تَوابِيتَ من حديدٍ مُبْهَمَةٍ عليهم. قال ابن الأنباريِّ: المُبْهَمَةُ: التي لا أَقْفَالَ عليها، يُقال: أمرٌ مُبْهَمٌ: إذا كان مُلْتَبِساً ولا يُعرف مَعناهُ، ولا بَابُه.

قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قال ابن عباسٍ: مَانِعاً من عذاب الله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ قال مُقاتلٌ: سبب نزولها: أنَّ قوماً قالوا عند ذِكر مُستقر المنافقين: فقد كان فلانٌ وفلانٌ منافقين، فَتَابوا، فكيف يُفْعَل بهم؟ فنزلت هذه الآية[1]. ومعنى الآية: إلاّ الذين تابوا من النِّفاق ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ أعمالَهم بعد التَّوبة ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: استمسكوا بدِينهِ. ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه الإِسلام، وإِخلاصُه: رَفْعُ الشِّرك عنه، قاله مُقاتلٌ.

والثاني: أنه العمل، وإِخلاصُه: رَفْعُ شَوَائِبِ النِّفاق والرِّياء منه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في «مع» قولان:

أحدهما: أنها على أصلها، وهو الاقتِرَان. وفي ماذا اقْتَرَنُوا بالمؤمنين؟ فيه قولان:

أحدهما: في الوِلايَة، قاله مُقاتلٌ. والثاني: في الدِّين والثَّواب. قاله أبو سُليمانَ.

والثاني: أنها بمعنى «مِن» فتقديره: فأولئك من المؤمنين، قاله الفَرَّاءُ.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ «ما» حرف استفهام، ومعناه: التَّقرير، أي: إنَّ الله لا يُعذِّب الشاكر المؤمن، ومعني الآية: ما يَصْنَعَ الله بعذابكم إنْ شَكَرتُم نِعمَهُ، وآمنتم به وبرَسُوله. والإِيمان مُقدَّمٌ في المعنى وإن أُخِّرَ في اللفظ. ورُوي عن ابن عباسٍ أنَّ المُراد بالشُّكر: التَّوحيد. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي: للقليل مِنْ أعمالكم، عَلِيماً بِنيَّاتِكم، وقيل: شاكراً، أي: قَابلاً.

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط، وتقدم.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٨٤] أحدهما: أنَّ ضيفاً تضيَّف قوماً فأساؤوا قِراهُ فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رُخصةً في أن يَشْكُوا، قاله مُجاهدٌ.

[٣٨٥] والثاني: أنَّ رجلاً نَالَ من أبي بَكرٍ الصِّدِّيق والنبيُّ ﷺ حاضرٌ، فَسكتَ عنه أبو بكرٍ مِراراً، ثم رَدَّ عليه، فقام النبيُّ ﷺ، فقالَ أبو بَكرٍ: يا رسولَ الله شَتَمَني فَلَمْ تَقُلْ له شيئاً، حتى إذا رَدَدْتُ عليه قُمتَ؟! فقال: «إنَّ مَلَكاً كان يُجيب عنكَ، فلمَّا رَدَدْتَ عليه، ذَهَبَ المَلَكُ، وجاء الشَّيطانُ» فنزلت هذه الآية، هذا قول مُقاتلٍ.

واختلف القُرَّاء في قراءة ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فقرأ الجمهور بضم الظاء، وكسر اللام. وقرأ عبدُ الله بن عَمرٍو، والحَسنُ، وابن المُسَيِّبِ، وأبو رَجَاء، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وزيدُ بن أَسْلَمَ، بفتحهما. فعلى قراءة الجمهور، في معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ: أحدها: إلا أَنْ يَدْعُوَ المَظلومُ على مَنْ ظَلَمَه، فإنَّ الله قد أَرْخَصَ له، قاله ابن عَبَّاسٍ. والثاني: إلا أَنْ يَنْتَصِر المَظلومُ مِنْ ظَالِمِه، قاله الحَسنُ، والسُّدِّي. والثالث: إلا أَنْ يُخْبِرَ المَظلومُ بِظُلم مَنْ ظَلَمَهُ، رواه ابن أبي نَجيح عن مُجاهدٍ. وروى ابن جُريج عنه قال: إلا أَنْ يَجْهَرَ الضَّيفُ بِذَمِّ مَنْ لم يُضَيِّفه. فأمَّا قراءة مَنْ فتح الظاء، فقال ثَعْلَبٌ: هي مردودةٌ على قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ. وذكر الزجَّاجُ فيها قولين: أحدهما: أَنَّ المعنى: إلاَّ أَنَّ الظَّالمَ يَجْهَر بالسُّوء ظُلماً. والثاني: إلاَّ أَنْ تَجْهَرُوا بالسُّوء للظَّالِم. فعلى هذا تكون «إلاَّ» في هذا المكان استثناءً مُنقطعاً، ومعناها: لكن المَظلُوم يجوز له أن يجهرَ لِظَالِمه بالسوء. ولكنَّ الظَّالم قد يَجهر بالسوء. واجهَرُوا له بالسوء. وقال ابن زيدٍ: إلاَّ من ظَلَم، أي: أقام على النِّفاق، فيُجهر له بالسوء حتى يَنْزِعَ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ أي: لِمَا تَجهَرون به من سوءِ القول ﴿عَلِيمًا﴾ بما تُخفون. وقيل: سميعاً لِقول المظلوم، عليماً بما في قَلبِه، فليَتَّقِ الله، ولا يَقُل إلاَّ الحقَّ. وقال الحَسَنُ: مَنْ ظُلِمَ، فقد رَخَّص له أن يَدْعُوَ على ظالمه من غير أنْ يعتديَ، مثل أن يقول: اللهمَّ أَعِنِّي عليه، اللهمَّ استخرج لي حَقِّي، اللهمَّ حُلْ بينه وبين ما يُريد.

---

[٣٨٤] ضعيف، أخرجه عبد الرزاق ٦٥٤ والطبري ١٠٧٥٨ عن مجاهد مرسلاً، فهو ضعيف.
وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٧٣ بدون إسناد والبغوي في «التفسير» ١/ ٤٩٤ عن مجاهد.

[٣٨٥] عزاه المصنف لمقاتل، وهو واهٍ. وورد دون ذكر الآية ونزولها. أخرجه أبو داود ٤٨٩٦ عن سعيد بن المسيب مرسلاً. وأخرجه برقم ٤٨٩٧ من طريق ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة بنحوه متصلاً، وإسناده حسن لأجل محمد بن عجلان. وقال المنذري في «الترغيب» ٤٠٥١ رواه أبو داود هكذا مرسلاً ومتصلاً من طريق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة بنحوه، وذكر البخاري في تاريخه أن المرسل أصح. ولفظ مرسل سعيد بن المسيب: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ «نزل ملك من السماء يكذِّبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان».

﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾ قال ابن عباسٍ: يُريد من أعمال البرّ كالصِّيام والصَّدقة. وقال بعضهم: إن تُبدوا خيراً بدلاً من السوء. وأكثرُهم على أن «الهاء» في ﴿تُخْفُوهُ﴾ تعود إلى الخير. وقال بعضهم: تعود إلى السوء. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ قال أبو سُليمانَ: أي: لَمْ يَزَلْ ذَا عفوٍ مع قُدرته، فاعفُوا أنتم مع القُدرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود، كانوا يُؤمنون بموسى، وعُزَيْر، والتَّوراة، ويكفُرون بعيسى، والإنجيل، ومحمَّدٍ، والقرآن، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم اليهود والنَّصارى، آمَنَ اليهودُ بالتَّوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمن النَّصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بمحمَّدٍ والقرآن، قاله قتادةُ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: يُريدون أن يُفرِّقوا بين الإيمان بالله، والإيمان برُسُلِهِ، ولا يَصحُّ الإيمان به والتكذيب برسُله أو ببعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين إيمانهم ببعض الرُّسُلِ، وتكذيبهم ببعض ﴿سَبِيلًا﴾ أي: مذهباً يذهبون إليه، وقال ابن جُريجٍ: دِيناً يَدِينُون به.

﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ ذَكَرَ «الحقَّ» ها هنا توكياً لِكُفرهم إزالةً لتوهُّمِ مَنْ يتوهَّم أنَّ إيمانهم ببعضِ الرُّسُلِ يُزيلُ عنهم اسمَ الكُفر.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ[1]:

أحدها: أنهم سَألوه أن يُنَزِّل كتاباً عليهم خاصَّةً، هذا قول الحسَنِ، وقَتادة.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/٣٤٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن أهل التوراة سألوا رسول الله ﷺ أن يسأل ربه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، آية معجزة جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها، شاهدةً لرسول الله ﷺ بالصدق، آمرة لهم باتباعه.

[٣٨٦] والثاني: أن اليهود والنَّصارى أَتَوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نُبايعُكَ حتى تأتينا بكتابٍ مِنْ عند الله إلى فُلانٍ أنَّك رسول الله، وإلى فُلانٍ بكتاب أنَّك رسولُ الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جُريجٍ.

[٣٨٧] والثالث: أن اليهود سألوا النبيَّ عليه السلام أن يُنزِّل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً كما نزلت التَّوراة على موسى، هذا قول القُرَظِيّ، والسُّدِّي.

وفي المُراد بأهل الكتاب قولان: **أحدهما**: اليهود والنَّصارى. **والثاني**: اليهود. وفي المراد بالكتاب المُنزَّل من السماء قولان: **أحدهما**: كتابٌ مكتوبٌ غير القرآن. **والثاني**: كتابٌ بِتَصْدِيقه في رِسالَتِهِ. وقد بيَّنا في البقرة معنى سُؤالهم رؤيةَ الله جَهرَةً، واتِّخاذهم العِجْلَ. و ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الآياتُ التي جاء بها موسى. فإن قيل: كيف قال: ثم اتَّخذوا العِجلَ، و «ثم» تقتضي التَّراخي، والتَّأخُر، أَفَكانَ اتِّخاذُ العِجْل بعد قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؟ فعنه أربعة أجوبةٍ: ذكرهنَّ ابنُ الأنباريّ. **أحدهن**: أن تكون «ثم» مَردُودةً على فِعلهم القديم، والمعنى: وإذْ وَعَدْنا موسى أربعين فَخالَفُوا أيضاً، ثم اتَّخذوا العِجلَ. **والثاني**: أن تكون مقدَّمةً في المعنى، مُؤخَّرةً في اللفظ، والتقدير: فقد اتَّخذوا العِجلَ، ثم سألوا موسى أكبرَ من ذلك، ومِثْلُهُ ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (١) المعنى: فَأَلْقِهِ إليهم، ثم انظر ماذا يرجعون، ثم تَوَلَّ عنهم. **والثالث**: أن المعنى، ثم كانوا اتَّخذوا العِجلَ، فأضمَرَ الكَونَ. **والرابع**: أن ثم معناها التَّأخير في الإخبار، والتَّقديم في الفعل، كما يقول القائِل: شَرِبتُ الماءَ، ثم أكلتُ الخُبزَ، يريد: شربتُ الماءَ، ثم أُخبِرُكم أني أكلتُ الخُبزَ بعد إخباري بِشُرب الماءِ.

قوله تعالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ أي: لم نَسْتَأصِل عَبَدَةَ العِجلِ. و «السُّلطان المُبين»: الحُجَّة البَيِّنَة. قال ابن عباسٍ: اليَدُ والعَصَا. وقال غيره: الآيات التِّسع.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾أي: بما أَعطَوا الله مِنَ العَهْدِ والمِيثاق: ليَعْمَلُنَّ بما في التَّوراة. قوله تعالى: ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ قرأ نافعٌ: «لا تعْدُّوا» بِتَسكين العين وتشديد الدَّال، وروى عنه ورش «تعَدُّوا» بفتح العين وتشديد الدال، وقرأ الباقون «تَعْدوا» خفيفةً، وقد ذكرنا هذا وغيرَهُ في البقرة. و «المِيثاق الغَليظ»: العَهْدُ المُؤكَّد.

---

[٣٨٦] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٠٧٧٦ عن ابن جريج، وهذا معضل، وما يرسله ابن جريج واه، ليس بشيء.
قال الذهبي في «الميزان» ٢/ ٦٥٩: قال الإمام أحمد: بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة.

[٣٨٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٧٧٣ عن السدي مرسلاً. وبرقم ١٠٧٧٤ عن كعب القرظي.

---

(١) سورة النمل: ٢٨.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» صلةٌ مؤكِّدة. قال الزجَّاجُ: والمعنى: فَبِنَقْضِهِم مِيثَاقَهُم، وهو أنَّ الله أَخذَ عليهم المِيثاقَ أن يُبيِّنوا ما أَنزلَ عليهم من ذِكرِ النبيِّ ﷺ وغيرِه. والجَالِبُ للباء العَامِلُ فيها، وقوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾[١] أي: بِنَقْضِهِم مِيثَاقَهم، والأشياءَ التي ذُكرت بعده حرَّمنا عليهم. وقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾[٢] بدلٌ من قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾. وجعلَ اللَّهُ جَزاءَهم على كُفرهم أَنْ طَبَعَ على قلوبهم. وقال ابن فارسٍ: الطَّبْعُ: الخَتْمُ ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور فلم يوفق لخير، والطابع: الخاتم يختم به. قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فلا يُؤمن منهم إلاَّ القليلُ، وهُم عبدُ الله بن سَلاَّمٍ، وأصحابُه، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: المعنى: إيمانُهم قليلٌ، وهو قولهم: رَبُّنا الله، قاله مُجاهدٌ.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ في إعادة ذِكر الكُفر فائِدةٌ وفيها قولان: **أحدهما**: أنه أَرادَ: وبِكُفرِهم بمحمَّدٍ والقرآن، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: وبِكُفرِهم بالمَسِيحِ، وقد بُشِّرُوا به، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. فأما «البُهتان» فهو في قول الجماعة: قَذْفُهم مريمَ بالزِّنَى.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ قال الزجَّاجُ: أي بِاعتِرَافِهم بِقَتلِهم إيَّاهُ، وما قَتَلُوه، يُعَذَّبُون عذابَ مَنْ قَتَلَ، لأنَّهم قَتَلُوا الذي قَتَلُوا على أنَّه نبي.

وفي قوله تعالى: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قولِ اليهود، فيكون المعنى: أنه رسولُ الله على زَعْمِهِ. **والثاني**: أنه مِنْ قولِ الله، لا على وَجْهِ الحِكَايَةِ عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: أُلقِيَ شَبَهُهُ على غيره. وفيمن أُلقِيَ عليه شَبَهُهُ قولان: **أحدهما**: أنه بعضُ مَنْ أراد قَتْلَهُ مِنَ اليهود. روى أبو صالح عن ابن عباسٍ: أنَّ اليهودَ لمَّا اجتمعت على قَتْلِ عيسى، أَدْخَلَهُ جِبريلُ خَوْخة لها رَوْزنة[٣]، ودخل وراءَهُ رجلٌ منهم، فألْقى اللَّهُ عليه شَبَهَ عيسى، فلمَّا خَرجَ على أصحابه، قَتَلُوهُ يَظنُّونه عيسى، ثم صَلَبُوه، وبهذا قال مُقاتلٌ وأبو سُليمانَ. **والثاني**: أنه رَجُلٌ من أصحاب عيسى، روى سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ: أنَّ عيسى خرجَ على أصحابه لمَّا أراد اللَّهُ رَفْعَهُ، فقال: أَيُّكم يُلْقَى عليه شَبَهِي، فَيُقتلَ مكاني، ويكون معي في دَرَجَتِي؟ فقام شابٌّ، فقال:

---

(١) سورة النساء: ١٦٠. (٢) سورة النساء: ١٦٠.
(٣) الروزنة: الكُوَّة، وقيل: الخرق في أعلى السقف، ويقال للكوّة النافذة: الرَّوْزَن.

أنا، فقال: اِجْلِس، ثم أعادَ القولَ، فقام الشابُّ، فقال عيسى: اِجْلِس، ثم أعادَ، فقال الشابُّ: أنا، فقال: نَعَمْ أنتَ ذاكَ، فأُلْقِيَ عليه شَبَهُ عيسى، ورُفِع عيسى، وجاء اليهودُ، فأخذوا الرجلَ، فَقَتَلُوه، ثم صَلَبُوه[١]. وبهذا القول قال وَهْبُ بن مُنبهٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ في المُختلفين قولان:

أحدهما: أنهم اليهودُ، فَعَلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها كِنايةٌ عن قَتْلِه، فاختلفوا هل قتلوه أَمْ لا؟ وفي سبب اختلافهم في ذلك قولان: أحدهما: أنهم لمَّا قَتَلُوا الشخصَ المُشَبَّه كان الشَّبَهُ قد أُلْقِيَ على وجهه دون جسده، فقالوا: الوَجْهُ وَجْهُ عيسى، والجَسَدُ جَسَدُ غيره، ذكره ابن السَّائِب. والثاني: أنهم قالوا: إنْ كانَ هذا عيسى، فأَيْنَ صاحِبُنا؟ وإنْ كان هذا صَاحِبَنا، فأينَ عيسى يَعْنُونَ الذي دخلَ في طَلَبِهِ، هذا قول السُّدِّي. والثاني: أنَّ «الهاء» كنايةٌ عن عيسى، واختلافُهم فيه قولُ بعضهم: هو وَلَدُ زنًى، وقول بعضهم، هو سَاحِرٌ.

والثاني: أنَّ المُختَلِفين النَّصارى، فعَلَى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قَتْلِهِ، هل قُتِلَ أَمْ لا؟ والثاني: أنها ترجع إليه، هل هُو إلهٌ أَمْ لا؟

وفي هاء «منه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى قَتْلِهِ. **والثاني**: إلى نَفْسِهِ، هل هو إلهٌ، أم لِغَيْرِ رِشْدَة[٢]، أم هو سَاحِرٌ؟

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ قال الزجَّاجُ: «اتِّباع» منصوبٌ بالاستثناء، وهو استثناءٌ ليس من الأوَّل. والمعنى: ما لَهُمْ به من عِلْم إلاَّ أنَّهم يَتَّبِعون الظَّنَّ، وإن رُفع جازَ على أن يُجعل عِلْمُهم اِتِّباعُ الظَّنِّ، كما تقول العرب: تَحيَّتُكَ الضَّرْبُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ في «الهاء» ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنها ترجع إلى الظَّنِّ فيكون المعنى: وما قَتَلُوا ظَنَّهم يَقيناً، هذا قول ابن عباسٍ.

والثاني: أنها ترجع إلى العِلْم، أي: ما قَتَلُوا العِلْمَ به يقيناً، تقول: قَتَلْتُهُ يقيناً، وقَتَلْتُه عِلْماً للرأي والحديث. هذا قول الفرَّاءِ، وابنَ قُتيبةَ. قال ابنُ قُتيبةَ: وأَصلُ هذا: أَنَّ القتل للشَّيء يكون عن قَهرٍ واستِعْلاءٍ وغَلَبَةٍ، يقول: فلم يَكُن عِلْمُهُمْ بِقَتْلِ المَسيح عِلْماً أُحِيطَ به، إنَّما كان ظَنّاً.

والثالث: أنها ترجع إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قَتَلُوا عيسى حَقّاً، هذا قول الحَسَنِ، وقال ابنُ الأنباريِّ: اليقينُ مُؤخَّرٌ في المعنى، فالتَّقدير: وما قَتَلُوه، بل رَفَعَهُ اللهُ إليه يقيناً.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ قال الزجَّاجُ: المعنى: وما منهم أَحَدٌ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٥٨٧ وقال: وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وغضبه وسخطه وعقابه أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم... وذكر القصة. وأخرجه الطبري ١٠٧٨٤ و ١٠٧٨٥ عن وهب بن المنبه. وبرقم ١٠٧٨٦ و ١٠٧٨٧ عن قتادة. وبرقم ١٠٧٨٨ عن السدي، وليس فيهم رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. فهذه روايات عن أهل الكتاب يستأنس بها، ولا يحتجُّ، فالله أعلم.

(٢) في «اللسان»: وهو لِرِشْدَة، وهو نقيض زنية. هذا ولد رِشْدة: إذا كان لنكاح صحيح.

به، ومِثْلُه ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[(١)]. وفي أهل الكتاب قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: اليهود والنَّصارى، قاله الحسَنُ، وعِكرمةُ. وفي هاء «به» قولان: **أحدهما**: أنها رَاجِعة إلى عيسى، قاله ابن عباسٍ: والجُمهور. **والثاني**: أنها رَاجِعةٌ إلى محمَّدٍ ﷺ، قاله عِكرمةُ. وفي هاء «موته» قولان[(٢)]:

أحدهما: أنها ترجع إلى المؤمِن. رَوى سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ قال: ليس يهوديٌّ يموتُ أبداً حتى يُؤمِنَ بعيسى، فقيل لابن عباسٍ: إن خَرَّ مِنْ فوق بَيْتٍ؟ قال: يتكلَّم به في الهُوِيِّ[(٣)]. قال: وهي في قراءة أُبَيّ: «قبل موتهم»، وهذا قول مُجاهِدٍ، وسعيدِ بن جُبيرٍ. ورَوى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ قال: يُؤمن اليهوديُّ قبل أن يموتَ، ولا تخرج رُوحُ النَّصرانيّ حتى يشهدَ أنَّ عيسى عَبْدٌ. وقال عِكرمةُ: لا تخرج رُوحُ اليهوديِّ والنَّصرانيّ حتى يؤمن بمحمَّدٍ ﷺ.

والثاني: أنها تعود إلى عيسى، روى عَطاءٌ عن ابن عباسٍ قال: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهوديٌّ ولا نَصرانيٌّ، ولا أحَدٌ يعبدُ غيرَ الله إلا اتَّبَعَهُ، وصَدَّقَهُ، وشَهِدَ أنه رُوحُ الله، وكَلِمَتُهُ، وعَبْدُهُ

---

(١) سورة مريم: ٧١.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٦٠: وأولى الأقوال بالصواب والصحة، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٥٩٠: لا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبرَ الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: **﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾** أي موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب **﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾** أي بأعمالهم التي شاهدها قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام، فهذا هو الواقع، وذلك أن كل واحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به ولكن لا يكون ذلك إيماناً نافعاً له إذا كان قد شاهد الملك كما قال الله تعالى في أول هذه السورة: **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾** الآية وقال تعالى: **﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾** الآيتين، وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في ردّ هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما حينئذٍ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته، فهذا ليس بجيد إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردّى من شاهق أو ضرب سيف أو افترسه سبع فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه والله أعلم. ومن تأمل هذا جيداً وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذّب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق.

(٣) في «اللسان»: هوى، يهوي هُوِيّاً: إذا سقط من فوق إلى أسفل.

ونَبيُّهُ. وهذا قول قتادةَ، وابن زيدٍ، وابن قُتيبةَ، واختارَهُ ابن جَريرٍ، وعن الحسَنِ كالقولين وقال الزجاج: هذا بعيد، لعموم قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والذين يبقون حينئذ شرذمة منهم، إلاَّ أنْ يكون المعنى: أنهم كلُّهم يقولون: إنَّ عيسى الذي يَنْزِلُ لِقَتْلِ الدَّجَّالِ نؤمن به.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادةُ: يكون عليهم شهيداً أنه قد بَلَّغَ رِسالاتِ رَبِّه، وأقرَّ بالعُبوديَّة على نَفْسِهِ.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قال مُقاتلٌ: حَرَّم الله على أهل التَّوراة الرِّبا، وأن يأكلوا أموالَ الناس ظُلماً، ففعلوا، وصَدُّوا عن دِيْن الله، وعن الإيمان بمحمَّدٍ عليه السلام، فحَرَّم الله عليهم ما ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[1] عقوبةً لهم. قال أبو سُليمانَ: وظُلْمُهُم: نَقْضُهم مِيثاقهم، وكُفْرُهم بآيات الله، وما ذُكر في الآيات قَبْلَها. وقال مُجاهدٌ: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: صَدُّهم أنفسَهُم وغيرهم عن الحقِّ. قال ابن عباسٍ: صَدُّهم عن سبيل الله، يعني الإسلام، وأكْلُهم أموالَ الناس بالباطل، أي: بالكَذِبِ على دِيْن الله، وأَخْذِ الرُّشَى على حُكْمِ الله، وتبديلِ الكُتُبِ التي أنزلها الله لِيَسْتَدِيْمُوا المَأْكَلَ.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: أَعْدَدنا للكافرين، يعني اليهود، وقيل: إنَّما قال «منهم»، لأنه عَلِمَ أنَّ قوماً منهم يؤمنون، فَيَأْمَنُون العذابَ.

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال ابن عباسٍ: هذا استثناءٌ لِمُؤمني أهل الكِتاب، فأمَّا الرَّاسِخُون. فهم الثَّابتون في العِلْم. قال أبو سُليمانَ: وهم عبدُالله بن سَلاَّمٍ، ومَنْ آمنَ معه، والذين آمَنوا مِنْ أهل الإنجيل ممَّن قَدِمَ مع جَعفرَ من الحَبشة، والمؤمنون، يعني أصحابَ رسول الله. فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فهم القائمونَ بأدائِها كما أُمِروا.

وفي نَصبِ «المقيمين» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه خَطأٌ مِنَ الكَاتبِ، وهذا قول عَائشةَ[2]، ورُوي عن عُثمانَ بن عَفَّانَ أنه قال: إنَّ في المُصحف لَحناً سَتُقيمُه العربُ بألسِنَتِها[3]. وقد قرأ ابنُ مسعودٍ،

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٦.

(٢) خبر عائشة، أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١٦٠ ـ ١٦١ والطبري ١٠٨٤٣ من طريق أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عنها، وهذا إسناد رجاله ثقات، لكن في رواية أبي معاوية عن هشام اضطراب إلى عائشة، أبو معاوية هو محمد بن حازم، ويحمل هذا على اجتهاد من عائشة رضي الله عنها، والجمهور على خلافه، وهذا إن ثبت عنها ذلك.

(٣) لا يصح مثل هذا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه. أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١٥٩ ـ ١٦٠ =

وأُبيٌّ، وسعيدُ بن جُبير، وعِكرمَةُ، والجَحْدَرِيُّ: «والمُقيمون الصَّلاة» بالواو. وقال الزجَّاجُ: قولُ مَنْ قال إنه خطأٌ، بعيدٌ جداً، لأن الذين جَمَعُوا القرآن هُمْ أهلُ اللغة، والقُدوة، فكيف يَتركُون في كتاب الله شيئاً يُصْلِحُهُ غيرُهم؟! فلا ينبغي أن يُنْسَبَ هذا إليهم. وقال الأنباريّ: حديثُ عُثمانَ لا يَصِحُّ، لأنه غيرُ مُتَّصِلٍ، ومُحالٌ أن يُؤَخِّر عُثْمَانُ شيئاً فاسداً، ليُصلِحَهُ مَنْ بَعْدَهُ. **والثاني**: أنه نَسَقٌ على «ما» والمعنى؛ يُؤمنون بما أُنزل إليك، وبالمُقيمين الصَّلاةَ، فقيل: همُ المَلائكةُ، وقيل: الأنبياءُ. **والثالث**: أنه نَسَقٌ على الهاء والميم من قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ فالمعنى: لكن الرَّاسِخُون في العلم منهم، ومِنَ المُقيمينَ الصَّلاةَ يُؤمنون بما أُنزل إليكَ. قال الزجَّاجُ: وهذا رَديءٌ عند النَّحويين، لا يُنسق بالظَّاهر المجرور على المُضْمَر المَجرور إلاَّ في الشِّعْرِ. **والرابع**: أنه منصوبٌ على المَدْحِ، فالمعنى: أذكُر المُقيمِينَ الصَّلاةَ، وهم المُؤتونَ الزَّكاة. وأنشدوا:

لا يَبْعَدَنْ قَومي الذِينَ هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزْرِ
النَّازِلِينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبُون مَعَاقِدَ الأُزْرِ(١)

وهذا على معنى: أذكُر النَّازلين، وهم الطَّيِّبون، ومِنْ هذا قولك: مَرَرْتُ بزيدٍ الكريم، إن أردتَ أن تُخلِصَه مِنْ غيره. فالخَفْضُ هو الكلام، وإن أردتَ المَدْحَ والثَّناء، فإن شِئتَ نَصَبْتَ، فَقلت: بزيد الكريمَ، كأنك قلت: اذكر الكريم، وإن شئت رفعت على معنى: هو الكريمُ. وتقول: جاءَني قَومُكَ المُطْعِمِينَ في المَحْلِ، والمُغيثون في الشَّدائدِ على معنى: أذكُرُ المُطْعمين، وهُم المُغيثُون، وهذا القول اختيار الخَليْلِ، وسِيبَوَيه. فهذه الأقوال حَكَاها الزجَّاجُ، واختار هذا القولَ.

﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ قال ابن عباسٍ: قال عَدِيُّ بن زَيدٍ، وسُكَيْنٌ: يا محمَّدُ ما نَعْلَمُ الله أَنزلَ على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ بعد موسى، فنزلت هذه الآية. وقد ذكرنا في «آل عمران» معنى الوَحي، وذكرنا نُوحاً هنالكَ. وإِسحاقُ: أعجميٌّ، وإِنْ وَافَقَ لفظَ العربي، يُقال: أَسْحَقَهُ اللهُ يُسْحِقُهُ إِسْحَاقاً، ويَعقُوبُ: أَعجميٌّ. فأما اليَعْقُوبُ، وهو ذَكَرُ الحَجَل وهي القَبْجُ(٢) فَعَربيٌّ، كذلك قرأتُه على شيخنا أبي

= ح ٢٠/ ٤٩ وابن أبي داود في «المصاحف» ص ٤٢ كلاهما عن الزبير بن خرّيت عن عكرمة، وهذا مرسل، فهو ضعيف. وأخرجه ابن أبي داود ص ٤١ عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي، وهذا معضل مع جهالة القرشي هذا، وكرره من وجه آخر عن قتادة، وهو مرسل ومع إرساله فيه من لم يسمّ، وكرره ص ٤١-٤٢ من وجه آخر عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي عن عبد الله بن خطيم عن يحيى بن يعمر عن عثمان به، وهذا إسناد ضعيف لجهالة ابن خُطيم هذا، وهذه الروايات جميعاً واهية لا تقوم بها حجة.

(١) البيتان للخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي وابنها علقمة، وأخويها حسان وشرحبيل، ومن قتل معه من قومه. كما في «الخزانة» ٢/ ٣٠١. والآفة: العلّة. والجزر: جمع جزُور، وهي الناقة التي تنحر. والطيبون معاقد الأزر: من عادة العرب إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج.

(٢) في «اللسان»: القبج: الكروان، معرّب، وهو بالفارسية كَبْج، والقاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب.

مَنصُورِ اللغَويّ، وأيُّوبُ: أعجميٌّ، ويُونُسُ: اسمٌ أعجميٌّ. قال أبو عُبيدَة، يقال: يُونُس ويُونِس بضم النون وكسرها، وحكى أبو زيدٍ الأنْصاريّ عن العرب همزه مع الكسرة والضمّة والفتحة. وقال الفَرّاءُ: يُونُس بضم النون من غير همزٍ لغةُ أهل الحجاز، وبعض بني أسَدٍ يقول: يُؤنس بالهمز، وبعضُ بني عُقَيْلٍ يقول: يُونَس بفتح النون من غير هَمزٍ. والمشهور في القراءة يُونُس برفع النون من غير همزٍ. وقد قرأ ابن مَسعودٍ، وقَتادةُ، ويَحيى بن يَعْمَرَ، وطَلْحةُ: يُؤنِس بكسر النون مهموزاً. وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران والجحدري: يونَس بفتح النون من غير همز. وقرأ أبو المتوكل: يؤنَس بفتح النون مهموزاً. وقرأ أبو السمّاك العدوي: يونِس بكسر النون من غير همز. وقرأ عمرو بنُ دِينَارٍ برفع النون مهموزاً. وهَارُونُ: اسمٌ أعجميٌّ، وباقي الأنبياء قد تَقدَّم ذِكْرُهم. فأما الزَّبُورُ، فأكثر القُرّاء على فتح الزاي، وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو رَجاء، والأعْمَشُ، وحَمزةُ بضمّ الزاي. قال الزجّاجُ: فمَنْ فَتَحَ الزاي، أرادَ: كتاباً، ومن ضَمَّ، أراد: كُتُباً. ومعنى ذِكر «داود» أي: لا تُنكروا تفضيلَ محمَّدٍ بالقرآن، فقد أعطى اللهُ داودَ الزَّبُورَ. وقال أبو عَليّ: كأنَّ حَمزةَ جعلَ كتابَ دَاودَ أنْحاءً، وجعلَ كُلَّ نَحو زبْراً، ثم جَمَعَ، فقال: زُبُوراً. وقال ابنُ قُتيبةَ: الزَّبُور فَعُول بمعنى مَفعُول، كما تقول: حَلُوبٌ ورَكُوبٌ بمعنى: مَحْلُوب ومَرْكُوب، وهو مِنْ قولك: زَبَرْتُ الكتابَ أزْبُره زَبْراً: إذا كَتَبْتَهُ، قال: وفيه لُغَةٌ أخرى: الزُّبور بضمِّ الزاي، كأنّه جَمْعٌ.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ تأكيدُ كَلَّم بالمَصدر يدلُّ على أنه سَمِعَ كلامَ اللهِ حقيقةً. رَوى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، قال: سمعتُ إسمَاعيلَ بن محمَّدٍ الصَّفّار يقول: سمعتُ ثَعْلَباً يقول: لولا أنَّ الله تعالى أكّد الفعلَ بالمَصدرِ، لَجازَ أن يكونَ كما يقول أحدُنا للآخر: قد كَلَّمتُ لكَ فُلاناً، بمعنى: كَتَبْتُ إليه رُقْعَةً، أو بَعَثْتُ إليه رَسُولاً، فلمَّا قال: تَكْلِيماً، لَمْ يَكُنْ إلا كَلَاماً مَسْمُوعاً مِنَ اللهِ.

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾ أي: لِئلاً يَحتجُّوا في تَرْكِ التَّوحيد والطَّاعة بِعَدَم الرُّسُل، لأنَّ هذه الأشياءَ إنّما تَجبُ بالرُّسُلِ.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٨٨] **أحدهما**: أنَّ النبيَّ عليه السلام دخلَ على جماعةٍ من اليهود، فقال: «إنِّي واللهِ أعْلَمُ أنَّكم لَتَعْلَمُون أنّي رسولُ الله»، فقالوا: ما نَعْلَمُ ذلكَ. فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ.

[٣٨٩] **والثاني**: أنَّ رُؤساءَ أهل مَكَّةَ أتَوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: سَألنا عنكَ اليهودُ، فزَعمُوا أنّهم

---

[٣٨٨] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٨٥٤ عن ابن عباس به بسند ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق.

[٣٨٩] باطل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٧٥ عن الكلبي بدون إسناد، والكلبي متهم بالوضع، فخبره لا شيء، بل هو باطل، فإن سورة النساء مدنية؛ وسؤالات أهل مكة ومجادلاتهم مكية.

لا يَعرِفُونك، فَائتِنَا بِمَنْ يَشهَدُ لكَ أنَّ الله بَعَثَكَ، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن السَّائِبِ.

قال الزجّاجُ: الشَّاهِدُ: المبَيِّنُ لِمَا يَشهَدُ به، فالله عزَّ وجلَّ بَيَّنَ ذلكَ، ويَعلمُ مع إبانَتِهِ أنه حقٌّ. وفي معنى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أَنزَلَهُ وفيه عِلْمُهُ، قاله الزجّاجُ. **والثاني**: أَنزَلَهُ مِنْ عِلْمِهِ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. **والثالث**: أَنزَلَهُ إليكَ بِعِلْمٍ منه أنكَ خِيَرَتُهُ من خَلْقِهِ، قاله ابنُ جَرير. قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: يشهدون أنَّ الله أَنزَلَهُ. **والثاني**: يشهدون بِصِدْقِكَ. قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ قال الزجّاجُ: «الباء» دخلت مُؤَكِّدَةً. والمعنى: اِكْتَفُوا بالله في شَهادَتِه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال مُقاتلٌ وغيرُهُ: هُمُ اليهودُ كَفَرُوا بمحمَّدٍ، وصَدُّوا الناسَ عن الإسلام. قال أبو سُليمانَ: وكان صَدُّهُم عن الإسلام قَوْلُهم للمشركين ولأَتْبَاعِهِم: ما نَجِدُ صِفَةَ محمَّدٍ في كتابنا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ قال مُقاتلٌ وغيره: هُمُ اليهودُ أيضاً كَفَرُوا بمحمَّدٍ والقرآنِ. وفي الظُّلم المذكورِ هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه الشِّركُ، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أنه جَحْدُهُم صِفَةَ محمَّدٍ النبيِّ ﷺ في كِتابهم. قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ يُريد مَنْ مات منهم على الكُفْرِ. وقال أبو سُليمانَ: لم يَكُن الله لِيَسْتُرَ عليهم قَبيحَ فِعَالِهِم، بل يَفْضَحُهُم في الدنيا، ويُعَاقِبُهم بالقَتْلِ والجَلاءِ والسَّبْيِ، وفي الآخرة بالنار ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ يَنْجُون فيه. وقال مُقاتلٌ: طريقاً إلى الهُدى ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ يعني كان عذابهم على الله هَيِّناً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الكلامُ عَامٌّ، ورُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: أرادَ المشركين. ﴿قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالهُدى، والصِّدق. قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ قال الزجّاجُ عن الخليلِ وجميعُ البَصْريين: إنَّه مَنصوبٌ بالحَمْلِ على معناه، لأنَّك إذا قلتَ: اِنْتَهِ خيراً لك، وأنتَ تَدْفَعُهُ عن أمرٍ فَتُدْخِلُهُ في غيره، كان المعنى: اِنْتَهِ وَأْتِ خيراً لكَ، وادخُل في مَا هو خَيرٌ لكَ. وأنشدَ الخليلُ وسِيبَوَيه قولَ عُمرَ بن أبي رَبِيْعَةَ:

فَـوَاعِـدِيْـهِ سَـرْحَـتَـيْ مَـالِـكٍ ... أَوِ الـرُّبَـا بَـيْـنَـهُـمَـا أَسْـهَـلا[1]

---

(١) في «اللسان»: السّرح: شجر كبار عظام طوال، لا يرعى وإنما يستظل فيه وهو كل شجر لا شوك فيه. وقال أبو حنيفة: السرحة: دوحة محلال واسعة يحل تحتها الناس في الصيف ويبتنون تحتها البيوت.

كأنّه قال: إِيْتِي مَكَاناً أَسْهَلَ

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو غَنِيٌّ عنكم. وعن إيمانكم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يكون مِنْ إيمانٍ أو كُفرٍ ﴿حَكِيمًا﴾ في تكليفِكم مع عِلمِهِ بما يكون مِنكُم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ﴾ قال مُقاتلٌ: نزلت في نَصارى نَجْرَانَ: السَّيِّد والعَاقِبِ ومَنْ معهما[1]. والجُمهور على أنَّ المُراد بهذه الآية: النَّصارى. وقال الحسَنُ: نزلت في اليَهود والنَّصارى. والغُلو: الإفرَاطُ ومُجاوزَةُ الحَدِّ، ومنه غَلاَ السِّعْرُ. وقال الزجَّاجُ: الغُلو: مُجاوزَةُ القَدْرِ في الظُّلم. وغُلوّ النَّصارى في عيسى: قولُ بعضهم: هُو اللهُ، وقولُ بعضهم: هو ابنُ الله، وقول بعضهم: هو ثَالِثُ ثلاثةٍ. وعلى قول الحسَنِ غُلوّ اليهودِ فيه قولهم: إنه لغير رِشْدَة[2]. وقال بعضُ العلماء: لا تَغْلُوا في دِينِكُم بالزِّيادة في التَّشدُّد فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا تقولوا: إنَّ الله له شَريكٌ أو ابنٌ أو زَوجةٌ. وقد ذَكرْنَا معنى «المَسِيح» والكلمة في (آل عِمرانَ). وفي معنى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه رُوحٌ من أرْوَاح الأبْدَان. قال أُبَيُّ بن كَعبٍ: لمَّا أخَذَ اللهُ المِيثاقَ على بَنِي آدمَ كان عيسى رُوحاً مِنْ تلك الأرواح، فأرْسَلَهُ إلى مَرْيَم، فَحمَلَتْ به. **والثاني**: أنَّ الرُوحَ النَّفْخُ، فسُمِّي رُوحاً، لأنَّه حَدَثَ عن نَفْخَةِ جبريلَ في دِرْع[3] مَرْيَم. ومنه قول ذِي الرُّمَّةِ:

وَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْهَا إليكَ وأَحْيِهَا ... بِرُوحِكَ واقْتَتْه لهَا قِيتَةً قَدْرَا[4]

---

(١) ذكره الواحدي بدون سند ولا عزو لأحد في «أسباب النزول» ٣٧٦ ولم يذكر فيه أسماء، وعزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ١/٦٠٣: ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياه فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ وروى أحمد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله» وقال الحافظ ابن حجر: وقوله: «لا تطروني»، والإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلاناً، مدحته فأفرطت في مدحه، وقوله: «كما أطرت النصارى ابن مريم» أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

(٣) في «اللسان» دِرْع المرأة: قميصها.

(٤) يأمره بالرفق والنفخ القليل شيئاً فشيئاً، كأنه جعل النفخ قوتاً لهذه النار، يقدر لها تقديراً شيئاً بعد شيء حتى تكتمل. وقالوا: «أحيها بروحك» أي أحيها بنفخك.

هذا قول أبي رَوْقٍ. **والثالث**: أن معنى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ إنسانٌ حَيٌّ بإحياء الله له. **والرابع**: أن الرُّوح: الرَّحمة، فمعناه: ورَحمةٌ منه، ومثلُه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[١]. **والخامس**: أن الرُّوح ها هنا جبريلُ. فالمعنى ألقَاهَا اللهُ إلى مَريمَ، والذي ألقاها رُوحٌ منه، ذكر هذه الأقوالَ الثلاثة أبو سُليمان الدِّمشقيُّ. **والسادس**: أنه سمّاه رُوحاً، لأنه يَحْيَا به الناس كما يَحْيَون بالأرواح، ولهذا المعنى سُمِّي القرآنُ رُوحاً، ذَكرَهُ القاضي أبو يَعلَى. **والسابع**: أن الرُّوحَ: الوَحي أوحَى إلى مَريَم يُبشِّرُها به، وأوحى إلى جبريلَ بالنَّفخ في دِرعها، وأوْحَى إلى ذَاتِ عيسى أنْ: كُنْ فكَانَ. ومِثْلُهُ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾[٢] أي. بالوَحي، ذَكرَهُ الثَّعلبيُّ.

فأمَّا قوله «منه» فإنه إضافةُ تَشْريفٍ، كما تقول: بيتُ الله، والمعنى مِنْ أَمْرِه، ومما يُقاربها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ قال الزجَّاجُ: رَفعهُ بإضمارٍ: لا تقولوا آلِهتُنا ثلاثةٌ ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: ما هُو إلاَّ إلهٌ واحدٌ ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ ومعنى «سُبحانه»: تَبرِئته مِنْ أنْ يكون له وَلَدٌ. قاله أبو سُليمانَ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: قَيِّماً على خَلْقِه، مُدبِّراً لهم.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾.

[٣٩٠] سبب نزولها: أنَّ وَفْدَ نَجْران وَفَدُوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمَّدُ لَمْ تَذكر صَاحِبَنا؟ قال: ومَنْ صَاحِبُكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأيّ شيءٍ أقول له؟ هو عبدُالله، قالوا: بَلْ هو الله، فقال: إنه ليسَ بِعَارٍ عليه أن يكون عبداً لله، قالوا: بَلَى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

قال الزجَّاجُ: معنى يَسْتَنْكِف: يَأْنف، وأصله في اللغة من نَكَفْت الدَّمع: إذا نَحَّيْتَه بأصبعِكَ من خَدِّكَ. قال الشاعر:

فَبَانُوا فلَولا ما تَذَكَّرُ منهُم ... مِنَ الحِلْفِ لم يُنكَفْ لِعَيْنَيْكَ مَدمعُ[٤]

قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال ابن عباسٍ: هم حَمَلَةُ العَرش.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: ثوابَ أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ مُضاعفة الحَسَناتِ.

---

[٣٩٠] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٧٧ عن الكلبي بلا سند، والكلبي متهم.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢. (٢) سورة النحل: ٢. (٣) سورة الجاثية: ١٣.
(٤) لم ينسب إلى قائل كما في «اللسان» مادة ـ نكف ـ.

[٣٩١] وروى ابن مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ قال: يدخلون الجنة ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ الشفاعة لِمَنْ وَجبَتْ له النارُ مِمَّن صنَعَ إليهم المعروفَ في الدُّنيا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في البُرهان ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحُجَّةُ، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّي. **والثاني**: القرآن، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه النبيُّ محمَّدٌ عليه السلام، قاله سُفيانُ الثَّوريّ. فأمَّا النُّور المُبين، فهو القُرآن، قاله قَتادةُ، وإنَّما سمَّاه نُوراً، لأنَّ الأحكَامَ تبينُ به بَيانَ الأشياءِ بالنُّور.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ أي: اِستَمْسَكُوا. وفي «هاء» به قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى النُّور وهو القرآن، قاله ابن جُريج. **والثاني**: تعود إلى الله تعالى، قاله مُقاتلٌ. وفي «الرَّحمة» قولان: **أحدهما**: أنها الجنة، قاله ابن عبَّاسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: أنها نفْسُ الرَّحمة، والمعنى: سَيَرْحَمُهُم، قاله أبو سُليمانَ. وفي «الفَضْلِ» قولان: **أحدهما**: أنه الرِّزق في الجنة، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أنه الإحسان، قاله أبو سُليمانَ.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: يُوفِّقهم لإصابة الطَّريق المُستقيم. وقال ابن الحَنَفِيَّة: الصِّراط المُستقيم: دِينُ الله.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٩٢] أحدهما: **أنها نزلت في جَابر بن عبدالله**. رَوى أبو الزُّبَيْرِ عن جَابرٍ قال: مَرضتُ فأتاني رسولُ الله ﷺ يَعودُني هو وأبو بَكرٍ وهما ماشيان فَوجدني قد أُغمِيَ عَليَّ، فتوضَّأ رسول الله ﷺ، ثم صَبَّ عَليَّ من وَضُوئِهِ، فأفقتُ، وقلتُ: يا رسولَ الله كيف أصنعُ في مالي وكان لي تسعُ أخَواتٍ، ولم

---

[٣٩١] ضعيف. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٨٤٦ والطبراني ١٠٤٦٢ من حديث ابن مسعود، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي، وهو ضعيف وقال الذهبي في «الميزان» أتى بخبر منكر. وقال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٦٠٥: لا يثبت. وصوب الوقف فيه. والمرفوع ضعفه أيضاً السيوطي في «الدر» ٢/ ٤٤٠ ووافقه الشوكاني وهو كما قالوا. وانظر «تفسير الشوكاني» ٧٣٥ بتخريجنا.

[٣٩٢] صحيح. أخرجه البخاري ١٩٤ ومسلم ١٦١٦ وأبو داود ٢٨٨٦ والترمذي ٢٠٩٨ والبيهقي ٦/ ٢٣١ وأحمد ٣/ ٢٩٨ وأبو يعلى ٢٠١٨ والطيالسي ١٩٤٥ والطبري ١٠٨٧٣ والواحدي ٣٧٨ من حديث جابر.

يَكُن لي وَلَدٌ؟ فلَمْ يُجبني بشيءٍ، ثمَّ خرج وتركَني، ثم رَجَع إليَّ وقال: يا جابرُ لا أرَاكَ مَيتاً من وَجَعِك هذا، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنزلَ في أخواتِك، وجعلَ لهُنَّ الثُّلُثين، فقرأ عليَّ هذه الآية: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ فكان جابر يقول: أُنزلت هذه الآيةُ فِيَّ. **والثاني**: أن الصحابة أَهَمَّهُم بيانُ شأن الكلالَة فسألوا عنها نبيَّ الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول قَتادَة[١].

[٣٩٣] وقال سعيدُ بن المُسَيِّبِ: سأل عُمرُ بن الخَطَّاب رسولَ الله ﷺ كيف نُوَرِّث الكَلالَة؟ فقال: «أوليس قد بين الله ذلك، ثم قرأ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾ أي: ماتَ ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ يريد: ولا وَالِدٌ: فاكتفى بِذِكر أحدهما، ويدلُّ على المَحذوف أنَّ الفُتيا في الكَلالَة، وهي مَنْ ليس له وَلَدٌ ولا وَالِدٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ يريد من أبيه وأُمِّه ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ عند انفِرادِها ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ أي: يَستَغرِقُ مِيراثَ الأُخت إذا لم يَكُنْ لها وَلَدٌ ولا وَالِدٌ، وهذا هو الأَخُ مِنَ الأب والأُمّ، أو من الأب ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ يعني: أختين. وسُئِل الأَخفَشُ ما فائدةُ قوله «اثنتين» و﴿كَانَتَا﴾ لا يُفسَّر إلا باثنتين؟ فقال: أفادت العددَ العَارِي عن الصِّفة، لأنه يجوز في ﴿كَانَتَا﴾ صَغيرتين، أو حُرَّتَين، أو صَالِحتين، أو طَالِحتَين، فلمَّا قال: ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ فإذا إطلاقُ العَدَدِ على أيِّ وصَفٍ كَانَتا عليه. ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ﴾ مِنْ تركَة أخيهما الميت ﴿وَإِن كَانُوا﴾ يعني المُخلَّفين.

قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ قال ابن قُتيبةَ: لِئلاَّ تَضِلُّوا. وقال الزجَّاجُ: فيه قولان: **أحدهما**: أنْ لا تَضِلُّوا، فأُضمِرَت لا. **والثاني**: كَراهيةَ أنْ تَضِلُّوا، وهو قول البَصْرِيين. قال ابنُ جُرَيجٍ: أنْ تَضِلُّوا في شأن المَوارِيث.

---

[٣٩٣] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٨٧٠ عن ابن المسيب مرسلاً، ولا يصح كونها نزلت بسبب سؤال عمر، فقد أخرج مسلم ١٦١٧ ما يعارضه.

---

(١) مرسل. أخرجه الطبري ١٠٨٦٩ عن قتادة مرسلاً.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٩/٦: أجمع أهل العلم أنه لا يرث أخ، ولا أخت لأب وأم أو لأب، مع ابن، ولا مع ابن ابن وإن سفل ولا مع أب. والأصل في هذا قوله تعالى: **﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة...﴾**. وانظر «المغني» ٩/ ٩- ٦٣ لمزيد من البحث في مسائل الفرائض.

سورة المائدة

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

قال ابن عباس، والضَّحَّاكُ: هي مَدَنيَّةٌ. وقال مُقاتلٌ: نزلت نَهاراً وكُلُّها مَدَنيَّةٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: فيها من المكِّيّ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ قال: وقيل: فيها مِنَ المكِّيّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ والصَّحيح أنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت بعَرَفَة يومَ عَرفَة، فلِهذا نُسِبت إلى مكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ اختلفوا في المُخاطَبين بهذا على قولين: **أحدهما**: أنهم المؤمنون من أُمَّتِنا، وهذا قول الجمهور. **والثاني**: أنهم أهلُ الكتاب، قاله ابن جُريج.

و ﴿بِٱلْعُقُودِ﴾: العُهُود، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ وابنُ جُبيرٍ وقَتادةُ والضَّحَّاكُ والسُّدِّي والجماعة. وقال الزجَّاجُ: «العقود»: أوْكَدُ العُهُود. واختلفوا في المُراد بالعُهُود ها هنا على خمسة أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها عُهُود الله التي أخذها على عباده فيما أَحَلَّ وحَرَّم، وهذا قول ابن عباسٍ ومُجاهدٍ. **والثاني**: أنها عُهُود الدِّين كُلِّها، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أنها عُهُود الجاهليَّة، وهي الحِلْفُ الذي كان بينهم، قاله قَتادةُ. **والرابع**: أنها العهود التي أخذها اللَّهُ على أهل الكتاب من الإِيمان بالنبيِّ محمَّدٍ ﷺ، قاله ابن جُريج، وقد ذكرنا عنه أن الخِطاب للكِتابِيين. **والخامس**: أنها عُقُود الناس بينهم من بَيْعٍ ونِكَاحٍ، أو عَقْدِ الإِنسان على نفسه مِنْ نَذْرٍ أو يمينٍ، وهذا قول ابن زيدٍ[٢].

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨٨: وأولى الأقوال عندنا بالصواب، ما قاله ابن عباس، وأن معناه: أوفوا، يا أيها الذين آمنوا، بعقود الله التي أوجبها عليكم، وعقدها فيما أحلّ لكم وحرّم عليكم، وألزمكم فرضه وبين لكم حدوده.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٤٤٤ـ ٤٤٥: ومتى كانت اليمين على فعل واجب أو ترك محرّم، كان حلّها محرّماً؛ لأن حلها بفعل المحرّم، وهو محرّم وإن كانت على فعل مندوب، أو ترك مكروه. وإن كانت على فعل مباح، فحلّها مباح. فإن قيل: فكيف يكون حلّها مباحاً وقد قال الله تعالى: **﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾**؟ قلنا: هذا في الأيمان في العهود والمواثيق، بدليل قوله تعالى: **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾**، والعهد يجب الوفاء به بغير يمين، فمع اليمين أولى، فإن الله تعالى =

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في بَهِيمَة الأنعام ثلاثة أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها أجنَّة الأنعام التي تُوجد ميتةً في بُطون أُمّهاتِها إذا ذُبحت الأُمّهاتُ، قاله ابن عُمَر، وابن عباسٍ. **والثاني**: أنها الإِبلُ، والبقرُ، والغَنَمُ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ، والسُّدِّي. وقال الرَّبيعُ: هي الأَنْعَام كلُّها. وقال ابن قُتيبةَ: هي الإِبلُ، والبقرُ، والغَنَمُ، والوحوش كلُّها. **والثالث**: أنها وَحْشُ الأنعام كالظِّبَاء، وبَقرِ الوَحش، رُوي عن ابن عباسٍ، وأبي صالح. وقال الفَرَّاءُ: بَهيمةُ الأنعام: بَقَرُ الوَحشِ، والظِّبَاء، والحُمر الوَحشيَّة. قال الزجَّاجُ: وإنَّما قيل لَها بَهِيمَة، لأنها أُبهِمَتْ عن أن تُمَيِّزَ، وكلُّ حَيٍّ لا يُمَيِّز فهو بَهيمةٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، رُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: هي الميتة وسائِرُ ما في القرآن تَحريمُه. وقال ابن الأَنباريِّ: المَتلُو علينا مِنَ المَحظُور الآيةُ التي بَعدَها، وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾. قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ قال أبو الحَسنِ الأَخفَش: أَوفوا بالعُقُود غير مُحِلِّي الصَّيدِ، فانتصبَ على الحال. وقال غيرُه: المعنى: أُحِلَّتْ لكم بَهيمةُ الأنعام غير مُستَحِلِّي اصطيادها، وأنتم حُرُمٌ، قال الزجَّاجُ: الحُرُم: المُحرِمُون، وواحد الحُرُم: حَرَامٌ، يقال: رجلٌ حَرَامٌ، وقومٌ حُرُمٌ. قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا فَيْئِي إِلَيكِ فإنَّني ... حَرامٌ وإنِّي بَعدَ ذَاكَ لَبِيبُ[٢]

أي: مُلَبٍّ. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخَلْقُ له يُحِلُّ ما يشاء لِمَنْ يشاء، ويُحَرِّمُ ما يُريد على مَنْ يُريد.

= قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾.

وإن كانت على فعل مكروه، أو ترك مندوب، فحلّها مندوب إليه، فإن النبي ﷺ قال: «إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فأت الذي هو خير، وكفّر عن يمينك» وإن كانت اليمين على فعل محرّم، أو ترك واجب فحلّها واجب، لأن حلّها بفعل الواجب، وفعل الواجب واجب.

(١) فائدة: قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٣٠٨ـ ٣١٠: ما ملخصه: إذا خرج الجنين ميتاً من بطن أمه بعد ذبحها، أو وجد ميتاً في بطنها، أو كانت حركته بعد خروجه كحركة المذبوح، فهو حلال روي هذا عن ابن عمر وعلي وبه قال ابن المسيب والنخعي والشافعي وإسحاق وابن المنذر. وقال ابن عمر: ذكاته ذكاة أمه إذا أشعر وروي ذلك عن عطاء وطاوس ومجاهد والزهري والحسن وقتادة ومالك والليث، لأن عبد الله بن كعب بن مالك قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إذا أشعر الجنين فذكاته ذكاة أمه. وهذا إشارة إلى جميعهم. فكان إجماعاً. وقال أبو حنيفة: لا يحل إلا أن يخرج حياً فيذكى. قال ابن المنذر: لا نعلم أحداً منهم خالف ما قالوا إلى أن جاء النعمان، فقال: لا يحل لأن ذكاة نفس لا تكون ذكاة نفسين، ولنا «ذكاة الجنين ذكاة أمه» ولأن هذا إجماع من الصحابة فمن بعدهم، فلا يعول على ما خالفه، ولأن الجنين متصل بها اتصال خلقه، يتغذى بغذائها، فتكون ذكاته ذكاتها، كأعضائها، ولأن الزكاة في الحيوان تختلف على حسب الإمكان فيه والقدرة، بدليل الصيد الممتنع والمقدور عليه والمتردية، والجنين لا يُتوصل إلى ذبحه بأكثر من ذبح أمه، فيكون ذكاة له. فصل: واستحب أبو عبد الله ـ الإمام أحمد بن حنبل ـ أن يذبحه وإن خرج ميتاً ليخرج الدم الذي في جوفه. فصل: فإن خرج حياً حياة مستقرة، يمكن أن يذكى، فلم يذكه حتى مات فليس بذكي. قال أحمد: إن خرج حياً فلا بد من ذكاته لأنه نفس أخرى. قلت: وقال أبو يوسف ومحمد بقول الجمهور، راجع «الهداية» ٩/ ٥٠٨ بتخريجي.

(٢) البيت للمضرب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى كما في «مجاز القرآن» ١/ ١٤٥ و «شرح أدب الكاتب» للجواليقي ٤١١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان.

[٣٩٤] **أحدهما**: أن شُرَيْحَ بنَ ضُبيعة أتى المدينةَ، فدخل على النبيِّ ﷺ، فقال: إلامَ تَدْعُو؟ فقال: «إلى شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأنّي رسولُ الله»، فقال: إنَّ لي أُمراءَ خَلْفِي أرجعُ إليهم أشاوِرُهم، ثم خرجَ، فقال النبيُّ ﷺ: «لَقدْ دَخلَ بوَجْه كَافرٍ وخرجَ بِعَقِبَي غَادرٍ، وما الرَّجلُ بِمُسْلِم»، فمرَّ شُرَيحٌ بِسَرْحٍ لأهل المدينة، فاستاقَهُ، فلمَّا كان عامُ الحُديبية، خرج شُرَيحٌ إلى مكَّةَ مُعتمراً، ومعَه تجارةٌ، فأراد أهلُ السَّرْح أن يُغيروا عليه كما أَغارَ عليهم، فاستأذَنُوا رسولَ الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وقال السُّدِّي: اسمه الحُطَمُ بن هِنْدٍ البَكريّ. قال: ولمَّا ساقَ السَّرحَ جعل يَرْتَجِزُ:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ ... لَيْسَ بِرَاعِي إبِلٍ ولاَ غَنَمْ
ولا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ ... بَاتُوا نِيَامَاً وابنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلامٌ كَالزَّلَمْ ... خَدلَّجُ السَّاقَيْنِ مَمْسُوحُ القَدَمْ(١)

[٣٩٥] **والثاني**: أنَّ ناساً من المشركين جاؤوا يَؤُمُّون البيتَ يومَ الفتح مُهِلِّينَ بِعُمرةٍ، فقال المسلمون: لا نَدَعُ هؤلاءِ بل نُغيرُ عليهم، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾.

قال ابن قُتيبةَ: وشعائِر الله: ما جعله اللَّهُ عَلَماً لطاعته. وفي المُراد بها هنا سبعة أقوالٍ(٢):

أحدها: أنها مناسك الحَجِّ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. وقال الفَرَّاءُ: كان عامَّةُ العرب لا يَرون الصَّفَا

---

[٣٩٤] أخرجه الطبري ١٠٩٦١ عن السدي، وهذا مرسل، وكرره ١٠٩٦٢ عن عكرمة وعن ابن جريج ونسبه الواحدي ٣٧٩ لابن عباس بدون سند، فلعل هذه المراسيل المتقدمة تتأيد بمجموعها، والله أعلم. انظر «أحكام القرآن» ٦١٠ بتخريجنا.

[٣٩٥] ضعيف. أخرجه الطبري ١٠٩٦٣ عن عبد الرحمن بن زيد مرسلاً.

---

(١) الرجز في «الأغاني» ١٤/ ٤٤ و «حماسة أبي تمام» ١/ ٣٥٤ وقد اختلفوا في نسبة هذا الشعر اختلافاً كثيراً، ونسبه في: «الحماسة» لرشيد بن رميض العنزي، ونسب أيضاً للأغلب العجلي، وللأخنس بن شهاب، ولجابر بن حُني التغلبي ولعل الحطم أنشده مدحاً لنفسه فيما فعل وقبل هذا الرجز:

هذا أوان الشدُّ فاشتدي زيم

والسَّرح: المال السائم. وفي «اللسان»: الوَضَم: كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض. وقد ذكره في «اللسان» ونسبه إلى رشيد بن رميض العنزي. وقيل أبو زغبة الخزرجي. والزُلَم: القِدح كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. وخَدَلَّج الساقين: عظيمهما.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٩٣: وأولى التأويلات بقوله: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾، قول عطاء: من توجيهه معنى ذلك إلى: لا تحلوا حرمات الله ولا تضيعوا فرائضه.

والمَرْوَة من الشَّعائر، ولا يَطُوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تَسْتَحِلُّوا تَرْكَ ذلك. **والثاني**: أنها ما حرَّم اللَّهُ تعالى في حال الإحرام، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: دِيْنُ الله كُلُّه، قاله الحَسنُ. **والرابع**: حدود الله، قاله عِكرمةُ وعَطاءٌ. **والخامس**: حَرَمُ الله، قاله السُّدِّي. **والسادس**: الهدَايَا المُشْعرَةُ لبيت الله الحَرام، قاله أبو عُبيدةَ والزجَّاجُ. **والسابع**: أنها أَعْلاَمُ الحَرَم، نَهَاهُم أن يتجاوزوها غيرَ مُحرمين إذا أرادوا دخول مكَّةَ، ذكره المَاورديُّ، والقاضي أبو يَعلى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ قال ابن عباسٍ: لا تُحِلُّوا القتالَ فيه. وفي المُراد بالشَّهر الحَرام ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ذُو القِعدَة، قاله عِكرمةُ، وقَتادةُ. **والثاني**: أن المُراد به الأَشْهُرُ الحُرُم. قال مُقاتلٌ: كان جنادة بن عَوفٍ يقوم في سُوق عُكَاظٍ كلَّ سنةٍ فيقول: ألا إني قد أَحْلَلْتُ كذا، وحرَّمتُ كذا. **والثالث**: أنه رَجَبُ، ذكرَهُ ابن جَريرٍ الطَّبَريّ. والهَدْيُ: كلُّ ما أُهدِيَ إلى بيت الله تعالى من شيءٍ. وفي ﴿ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها المُقلَّدات مِن الهَدْي، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها ما كان المشركون يُقلِّدون به إبِلَهُم وأَنفُسَهُم في الجاهليَّة، لِيَأمَنُوا به عَدُوَّهم، لأن الحَرب كانت قائمةً بين العرب إلاَّ في الأَشْهُر الحُرُم، فمَنْ لَقوهُ مقلَّداً نَفْسَه، أو بَعِيْرَهُ، أو مُشْعِراً بُدْنَهُ أو سَائِقاً هَدْياً لم يُتَعَرَّض له. قال ابن عباسٍ: كانَ من أراد أن يُسافر في غير الأَشْهُر الحُرُم، قَلَّدَ بَعِيْرَهُ من الشَّعر والوَبَرِ، فَيَأمَن حيثُ ذَهَب.

[٣٩٦] ورَوى مالكُ بنُ مِغوَلٍ عن عَطاءٍ قال: كانوا يتقلَّدون من لِحَاءِ شَجَرِ الحَرَمِ، فيأمنون به إذا خرجوا من الحَرَم، فنزلت هذه الآية.

وقال قَتادةُ: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحَجَّ تَقَلَّد من السَّمُرِ، فلَمْ يَعْرِضْ له أَحَدٌ، وإذا رجع تقلَّد قِلاَدَةَ شَعْرٍ، فلم يَعْرِض له أَحَدٌ. وقال الفَرَّاءُ: كان أهل مكَّةَ يُقلِّدون بلِحَاءِ الشَّجر، وسائرُ العرب يُقلِّدون بالوَبَر والشَّعْرِ. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوالٍ[1]: **أحدها**: لا تَستَحِلُّوا المُقلَّدات من الهَدْي. **والثاني**: لا تَستَحِلُّوا أصحابَ القَلائِدِ. **والثالث**: أن هذا نَهْيٌ للمؤمنين أن يَنْزِعوا شيئاً من شَجَرِ الحَرَم، فيتقلَّدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبدُ المَلِكِ عن عَطاءٍ، وبه قال مُطَرِّفٌ، والرَّبيعُ بن أَنسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ «الآمُّ»: القَاصِدُ، و «البيت الحرام»: الكَعبةُ، والفَضْلُ: الرِّبح في التِّجارة، والرِّضوان من الله يَطلُبونه في حَجِّهم على زَعْمِهم. ومِثْلُهُ قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي﴾[2]، وقيل: ابتغاءُ الفَضلِ عَامٌّ، وابتغاءُ الرِّضوان للمؤمنين خَاصَّةً.

---

[٣٩٦] أخرجه الطبري ١٠٩٥٤ عن عطاء مرسلاً، وكرره ١٠٩٥٣ من مرسل قتادة.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/٣٩٦: والذي هو أولى بتأويل قوله: ﴿ولا القلائد﴾ إذ كانت معطوفة على أول الكلام ولم يكن في الكلام ما يدل على انقطاعها عن أوله، ولا أنه عنى بها النهي عن التقليد أو اتخاذ القلائد من شيء، أن يكون معناه: ولا تحلّو القلائد. ونهيٌ من الله عز وجل عن استحلال حرمة المقلّد، هدياً كان ذلك أو إنساناً، دون حرمة القلادة. وإن الله عز ذكره، إنما دلّ بتحريمه حرمة القلادة على ما ذكرنا من حرمة المقلّد.

(٢) سورة طه: ٩٧.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ لفظُه لفظُ الأمر، ومعناه الإِبَاحَةُ، نَظِيرُه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾(١) وهو يَدُلُّ على إِحرَام مُتقَدِّم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وروى الوَلِيدُ عن يَعقوبَ «يجرمنكم» بسكون النون، وتخفيفها. قال ابن عباسٍ: لا يَحْمِلَنَّكم، قال غيره: لا يُدخِلَنَّكم في الجُرْم، كما تقول: آثمتُهُ؛ أي: أَدْخَلْتُهُ في الإِثم، وقال ابن قُتيبةَ: لا يُكسِبَنَّكُم يقال: فُلانٌ جَارمُ أهله، أي: كَاسِبُهُم، وكذلك جَرِيمتهُم. وقال الهُذَلِيُّ: ووصف عُقَاباً:

جَـرِيـمَـةَ نَـاهِـضٍ فـي رَأسِ نِـيْـقٍ تَـرَى لِـعِـظَـامِ مـا جَـمَـعَـتْ صَـلِـيْـبَـا(٢)

والنَّاهِضُ: فَرْخُهَا، يقول: هي تَكْسِبُ له، وتأتيه بِقُوتِهِ. و «الشَّنَآن» البُغض، يقال: شَنِئْتُهُ أَشْنَؤهُ: إذا أَبْغَضْتُهُ. وقال ابنُ الأنبَاريّ: «الشَّنَآن»: البُغض، و «الشَّنْآن» بتسكين النون: البَغِيْضُ. واختلف القُرَّاءُ في نون الشَّنَآن، فقرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: بتحريكها، وأَسكَنَها ابنُ عَامرٍ، ورَوى حَفصٌ عن عَاصم تحريكَها، وأبو بَكرٍ عنه تسكينها، وكذلك اختُلف عن نَافع. قال أبو عليٍّ: «الشَّنَآن»، قد جاء وصفاً، وقد جاء اسماً، فمن حَرَّكَ، فلأنَّه مصدرٌ، والمصدر يَكثُر على فَعَلان، نحو النَّزَوَان، ومَنْ سكَّن. قال: هو مصدرٌ، وقد جاء المصدر على فَعْلان، تقول: لَوَيْتُه دينَه لَيَّاناً، فالمعنى في القِراءتين واحدٌ، وإن اختلف اللفظان.

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ فقرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح، فمَنْ فتح جعل الصَّدَّ ماضياً، فيكون المعنى من أجل أن صَدُّوكُم، ومَنْ كسرها، جعلها للشَّرط، فيكون الصَّدُّ مُترقَّباً. قال أبو الحَسنِ الأَخْفَش: وقد يكون الفعل ماضياً مع الكسر، كقوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾(٣) وقد كانت السَّرقة عندهم قد وَقَعتْ، وأنشد أبو عَليٍّ الفَارِسيّ:

إذا مَا انْـتَـسَـبْـنَـا لَـمْ تَـلِـدْنـي لـئـيْـمَـةٌ وَلَـمْ تَـجِـدِي مِـنْ أن تُـقِـرِّي بِـهَـا بُـدًّا

فانتفاء الولادة أمر ماض وقد جعله جزاء، والجزاء إنما يكون بالمستقبل فيكون المعنى إن ننتسب لا تجدني مولود لئيمة.

قال ابن جَريرٍ: وقراءة من فتح الألفَ أَبيَن، لأنَّ هذه السُّورةَ نزلت بعد الحُدَيبية، وقد كان الصَّدُّ تقدَّم. فَعَلَى هذا في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ولا يَحمِلَنَّكُم بُغض أهل مكَّة أنْ صَدُّوكُم عن المسجد الحَرَام أنْ تَعْتَدُوا فيه، فَتُقَاتلوهم، وتَأخذوا أموالَهم إذا دَخَلْتُمُوه، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: لا يَحمِلَنَّكم بُغض أهل مكَّةَ، وصَدُّهم إيَّاكم أنْ تَعْتَدُوا بإتيَان مَا لا يَحِلُّ لكم من الغَارة على المُعتَمرين من المشركين، على ما سبقَ في نزول الآية.

قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: لِيُعِنْ بعضُكم بعضاً. قال ابن عباسٍ: البِرُّ ما

---

(١) سورة الجمعة: ١٠.

(٢) الصليب: الوَدَك. وقد تقدم وقال ابن فارس: يقال جَرَمَ وأجرَم ولا جرم بمنزلة قولك لا بد ولا محالة وأصلها من جَرَم أي اكتسب. انظر «تفسير القرطبي» ٦/ ٤٤.

(٣) سورة يوسف: ٧٧.

أُمِرْتَ به، و «التَّقوى»: تَرْكُ ما نُهيتَ عنه. فأمَّا «الإِثْمُ» فالمَعاصي. والعُدْوَان: التَّعدِّي في حُدود الله، قاله عَطاءٌ.

فصل: اختلف علماء النَّاسخ والمَنْسُوخِ في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنها مُحْكَمَةٌ، رُوي عن الحسَنِ أنه قال: ما نُسِخَ من المَائدة شيءٌ، وكذلك قال أبو مَيْسَرَةَ في آخرين قالوا: ولا يَجُوز استِحْلالُ الشَّعائِر، ولا الهَدْي قبل أَوانِ ذَبْحِهِ، واختلفوا في «القَلائِد» فقال قومٌ: يَحْرُم رَفْعُ القِلادَة عن الهَدْي حتى يُنْحَر، وقال آخرون: كانت الجاهلية تُقَلِّد مِنْ شجر الحَرَم، فقيل لهم: لا تَسْتَحِلُّوا أخذَ القَلائِد من الحَرَم، ولا تَصُدُّوا القاصِدِين إلى البيت.

والثاني: أنها مَنْسُوخَةٌ، وفي المَنْسُوخ منها أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ جميعَها مَنْسُوخٌ، وهو قول الشَّعبيِّ. **والثاني**: أنها ورَدتْ في حقِّ المشركين كانوا يُقَلِّدون هَدَايَاهُم، ويُظهرون شَعَائِر الحَجِّ من الإِحرَام والتَّلبية، فنُهِيَ المسلمون بهذه الآية عن التَّعرُّض لهم، ثم نُسِخَ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[(١)] وهذا قول الأكثرين. **والثالث**: أن الذي نُسِخَ قولُه تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ نَسَخَهُ قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[(٢)] رُوي عن ابن عباسٍ، وقَتادةَ. **والرابع**: أن المَنْسُوخَ منها: تَحريمُ الشَّهر الحَرَام، وآمُّون البيتَ الحَرَام: إذا كانوا مُشركِين، وهدْيُ المشركين. إذا لم يَكُنْ لهم من المسلمين أَمَانٌ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ مُفسَّرٌ في «البقرة»، فأمَّا ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ فقال ابن عباسٍ: هي التي تَخْتَنِقُ فتموت، وقال الحسَنُ، وقَتادةُ: هي التي تَخْتَنِقُ بحَبْل الصَّائِد وغيره. قلت: والمُنخَنِقَة حرامٌ كيف وقعَ ذلك، قال ابن قُتيبةَ: ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: التي تُضْرَبُ حتى تُوقَذ، أي: تُشرِف على الموت، ثم تُترك حتى تموت، وتُؤكل بغير ذَكَاةٍ، ومنه يُقال: فلانٌ وَقِيذٌ، وقد وَقَذَتْهُ العبادة. و «المُتَرَدِّيَةُ»: الوَاقعة من جبلٍ أو حائطٍ، أو في بئرٍ، يُقال: تَرَدَّى: إذا سَقَطَ. ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: التي تَنْطَحُهَا شَاةٌ أخرى أو بَقرةٌ، «فَعِيلَة» في معنى «مَفْعُولَة» ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ وقرأ ابن عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وابن أبي لَيْلَى: السَّبْع: بسكون الباء. والمُراد: ما افترَسَهُ فأكلَ بعضه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما لَحِقْتُم مِنْ هذا كُلِّه وبه حَياةٌ، فذَبَحْتُمُوه[(٣)]. فأمَّا الاستثناء، ففيه قولان: **أحدهما**: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله تعالى:

---

(١) سورة التوبة: ٥. (٢) سورة التوبة: ٣٨.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٢٩١: «مسألة: وإذا نَدَّ بعيره فلم يقدر عليه فرماه بسهم أو نحوه مما يسيل به دمه فقتله أكل». قال: وكذلك إذا تردى في بئر فلم يقدر على تذكيته، فجرحه في أي موضع قدر عليه، فقتله أُكل، إلا أن تكون رأسه في الماء فلا يؤكل، لأن الماء يعين على قتله، هذا قول أكثر الفقهاء، =

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾. **والثاني**: أنه يرجع إلى ما أَكَلَ السَّبُعُ خاصةً، والعلماءُ على الأَوَّل.

فصلٌ في الذَّكَاة: قال الزجَّاجُ: أصل الذَّكَاة في اللغة: تَمَامُ الشَّيء، فمنه الذَّكَاءُ في السِّن، وهو تمام السِّن. قال الخَليلُ: الذَّكَاء: أن تأتي على قُرُوحِه سنةٌ، وذلك تمامُ استكمال القُوَّة، ومنه الذَّكَاء في الفَهْم، وهو أن يكون فَهْمَاً تامَّاً، سريعَ القَبُول. وَذَكَّيْتُ النارَ، أي: أَتممتُ إِشْعَالَها. وقد رُوي عن عليٍّ، وابن عباسٍ، والحسَنِ، وقَتادَة أنهم قالوا: ما أُدرِكتْ ذَكَاتُهُ بأن تُوجد له عينٌ تَطْرِفُ؛ أو ذَنَبٌ يتحرَّك، فأَكْلُهُ حلالٌ. قال القاضي أبو يَعلَى: ومذهب أصحابنا أنه إنْ كان يعيش مع ما به، حَلَّ بالذَّبح، فإنْ كان لا يعيش مع ما به، نظرتَ، فإنْ لم تكن حياتُه مستقرَّة، وإنما حَرَكَتُه حركةُ المذبُوح، مثل أن شُقَّ جَوفُه، وأُبينَتْ حَشْوَتُه، فانفصَلتْ عنه، لم يَحلَّ أَكْلُه، وإن كانت حياته مُستَقِرَّةً يعيش اليومَ واليومين، مثل أن يُشَقَّ جوفُه، ولم تُقطع الأمعاءُ، حلَّ أَكْلُهُ. ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياةٌ في الجُملة أُبيح بالذَّكَاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياةٌ مستقرَّةٌ، فهو في حُكْم الميت. ألا ترى أنَّ رجلاً لو قَطَعَ حُشْوَة آدميٍّ، ثم ضرب عُنُقَه آخرُ، فالأَوَّل هو القاتل، لأن الحياةَ لاَ تبقى مع الفعل الأول.

وفي ما يجب قَطْعُهُ في الذَّكَاة روايتان[1]: **إحداهما**: أنه الحُلْقُوم والمَرِيءُ والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نَقَصَ من ذلك شيئاً لم يُؤكل، هذا ظاهرُ كلام أَحمدَ في رواية عبد الله. **والثانية**: يُجزئ قَطْعُ الحُلْقُوم والمَرِيءِ، وهو ظاهرِ كلامه في رواية حَنْبَلٍ، وبه قال الشَّافعيُّ، وقال أبو حَنيفَة: يُجزئ قَطْعُ الحُلْقُوم والمَرِيءِ وأَحَدِ الوِدْجَيْن. وقال مالكٌ: يُجزئ قطع الأَوْدَاج، وإنْ لم يقْطَع الحُلْقُومَ. وقال الزجَّاجُ: الحُلْقُومُ بعد الفَم، وهو موضع النَّفَس، وفيه شُعَبٌ تَتَشَعَّب منه في الرِّئة.

= روي ذلك عن علي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وعائشة، وبه قال مسروق والأسود والحسن وعطاء وطاوس وإسحاق والشعبي والحكم وحماد والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور. وقال مالك: لا يجوز أكله إلا أن يذكّى. وهو قول ربيعة والليث. قال أحمد: لعل مالكاً لم يسمع حديث رافع بن خديج اهـ باختصار.

(١) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٣٠٣ـ ٣٠٨: يعتبر قطع الحلقوم والمريء وبهذا قال الشافعي، وعن أحمد رواية أخرى أنه يعتبر مع هذا قطع الودجين وبه قال مالك وأبو يوسف. وقال أبو حنيفة: يعتبر قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين ولا خلاف أن الأكمل قطع الأربعة: الحلقوم والمريء والودجين اهـ ملخصاً. ويسنّ الذبح بسكين حادٍّ، ويكره أن يسنّ السكين والحيوان يبصره ويكره أن يذبح شاة وأخرى تنظر إليه، ويستحب أن يستقبل القبلة. وإذا ذبح فأتى على المقاتل، فلم تخرج الروح حتى وقعت في الماء، أو وطئ عليها شيء لم تؤكل. يعني وطئ عليها شيء يقتلها مثله غالباً. وقال أصحابنا المتأخرين: لا يحرم بذلك وهو قول أكثر الفقهاء، لأنها إذا ذبحت فقد صارت في حكم الميت، وكذلك لو أبين رأسها بعد الذّبح، لم تحرم. وإذا ذبحها من قفاها، وهو مخطئ، فأتت السكين على موضع ذبحها، وهي في الحياة أكلت. قال القاضي: معنى الخطأ أن تلتوي الذبيحة عليه، فتأتي السكين على القفا، لأنها مع التوائها معجوز عن ذبحها في محل ذبحها، فسقط اعتبار المحل. وقد روي أن الفضل بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عن من ذبح في القفا؟ قال: عامداً أو غير عامد؟ قلت: عامداً. قال: لا تؤكل، فإذا كان غير عامدٍ، كأنه التوى عليه، فلا بأس. ومن ذبحها من قفاها اختياراً. لا تؤكل. وقال القاضي: إن بقيت فيها حياة مستقرة قبل قطع الحلقوم والمريء، حلّت وإلا فلا. وهذا مذهب الشافعي. وهذا أصح. لأن الذبح إذا أتى على ما فيه حياة مستقرة أحلّه. ولو ضرب عنقها بالسيف فأطار رأسها حلّت بذلك.

والمَرِيءُ: مَجرى الطَّعام، والوِدْجَان: عِرْقَان يَقطَعُهما الذَّابح. فأما الآلة التي تجوز بها الذَّكَاةُ، فهي كل ما أنْهَرَ الدَّمَ، وفَرَى الأَوداجَ سوى السِّنِّ والظُّفر، سواءٌ كانا مَنْزوعَين أو غير مَنْزوعَين. وأجاز أبو حَنيفَة الذَّكَاةَ بالمَنْزُوعَين. فأما البعيرُ إذا تَوَحَّش أو تَرَدَّى في بئرٍ، فهو بمنزلة الصَّيد ذَكَاتُه عَقْرُهُ. وقال مالكٌ: ذَكَاتُه ذَكَاةُ المَقدُور عليه. فإن رَمَى صَيداً فأَبَان بعضَه وفيه حياةٌ مستَقِرَّةٌ فَذَكَاهُ، أو تَرَكَه حتى مات جاز أَكْلُهُ، وفي أكل ما بَانَ منه رِوَايتان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ في النُّصب قولان: **أحدهما**: أنها أصنامٌ تُنْصَبُ، فتُعبدُ من دون الله، قاله ابن عباسٍ، والفَرَّاءُ، والزجَّاجُ، فَعَلَى هذا القول يكون المعنى، وما ذُبح على اسم النُّصب، وقيل لأَجلِها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾[1] أي: عليكَ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾[2]. **والثاني**: أنها حجارةٌ كانوا يَذبَحون عليها، ويُشَرِّحون اللحمَ عليها ويُعَظِّمُونها، وهو قول ابن جُريجٍ.

وقرأ الحسَنُ، وخَارِجَةُ عن أبي عمرٍو: على النَّصْب، بفتح النون، وسكون الصاد، قال ابن قُتيبةَ، يقال: نُصُبٌ ونُصْب ونَصْبٌ، وجمعه أَنْصَابٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ﴾ قال ابنُ جَريرٍ: أي: وأَنْ تطلبوا عِلْمَ ما قُسِمَ لكم، أو لم يُقْسَم بالأَزْلَام، واستَفْعلتُ من القَسْم، قسم الرزق والحاجات. قال ابن قُتيبةَ: الأَزْلَامُ: القِدَاحُ، واحدها: زَلَم وزُلَم. والاستِقْسَامُ بها: أَن يُضرب بها فيُعمل بما يَخرج فيها مِنْ أمرٍ أو نَهيٍ، فكانوا إذا أرادوا أن يَقتَسِموا شيئاً بينهم، فأحبُّوا أن يعرفوا قِسْمَ كلِّ امرئٍ تعرفوا ذلك منها، فأُخِذ الاستِقْسَامُ من القِسْم وهو النَّصيبُ. قال سعيدُ بن جُبيرٍ: الأَزْلَامُ: حصىً بِيضٌ، كانوا إذا أرادوا غُدُوّاً، أو رَوَاحاً، كَتَبُوا في قَدَحِين، في أحدهما: أَمرني رَبِّي، وفي الآخر: نَهَاني رَبِّي، ثم يضربون بهما، فأيُّهما خرجَ، عَمِلوا به. وقال مُجاهدٌ: الأَزْلَامُ: سِهَامُ العرب، وكِعَابُ[3] فارسَ التي يَتَقَامَرُون بها. وقال السُّدِّي: كانت الأَزْلَامُ تكون عند الكَهَنَةِ. وقال مُقاتلٌ: في بيتِ الأَصنام. وقال قومٌ: كانت عند سَدَنَة الكَعْبَة. قال الزجَّاجُ: ولا فَرقَ بين ذلك وبين قول المُنَجِّمين: لا تَخْرُج من أجل نَجْمِ كذا، أو أَخْرُج من أجل نَجْمِ كذا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ﴾ في المُشَار إليه بذلكم قولان: **أحدهما**: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه عليُّ بن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني**: أنه الاستِقْسَامُ بالأَزْلَامِ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. والفِسْقُ: الخُروج عن طاعة الله إلى معصيته.

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ في هذا «اليوم» ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه اليوم الذي دخلَ فيه رسولُ الله مكَّةَ في حجَّةِ الوَدَاع، قاله أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ[4]. وقال ابن السَّائبِ: نَزَلَتْ ذلكَ اليوم. **والثاني**: أنه يومُ عَرَفَة، قاله مُجاهدٌ، وابن زيدٍ.

---

(١) سورة الواقعة: ٩١. (٢) سورة الإسراء: ٧.

(٣) في اللسان الكِعاب: فصوص النرد. واللعب بها حرام.

(٤) لا يصح عن ابن عباس، فهو من رواية أبي صالح، وهو غير ثقة في ابن عباس، وراوية أبي صالح هو محمد بن السائب الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

والثالث: أنه لم يُرِد يوماً بِعَيْنِهِ، وإنما المعنى: الآن يَئِسُوا، كما تقول: أنا اليومَ قد كَبُرتُ، قاله الزجّاج. قال ابن الأنباريّ: العربُ تُوقع اليومَ على الزّمان الذي يشتمل على السّاعات والليالي، فيقولون: قد كنتُ في غَفلةٍ، فاليومَ استيقظتُ، يُريدون: فالآن، ويقولون: كان فُلانٌ يزورنا، وهو اليومَ يَجفُونَا، ولا يقصدون باليوم قَصْدَ يوم واحدٍ. قال الشاعر:

فَـيَـومٌ عَـلَـيـنَـا ويَـومٌ لَـنَـا ويَـومٌ نُـسَـاءُ ويَـومٌ نُـسَـرّ[1]

أراد: فَزمانٌ لنا، وزَمانٌ علينا، ولم يَقْصِد ليومٍ واحدٍ لا يَنْضَمُّ إليه غيرُه.

وفي معنى يَأْسِهِم قولان: **أحدهما:** أنهم يَئِسُوا أنْ يرجعَ المؤمنون إلى دِين المشركين، قاله ابن عباسٍ والسُّدّي. **والثاني:** يَئِسُوا من بُطلان الإسلام، قاله الزجّاجُ. قال ابن الأنباريّ: وإنّما يَئِسُوا من إبطَالِ دِينهم لمَّا نَقَلَ اللّهُ خوفَ المسلمين إليهم. وأَمَّنَهُم إلى المسلمين، فعَلِمُوا أنهم لا يَقْدِرُون على إبطَال دِينهم، ولا على إستِئصَالِهم، وإنّما قاتلوهم بعدَ ذلك ظَناً منهم أن كُفرهم يبقى. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ قال ابن جُريج: لا تَخشوهم أن يَظْهَروا عليكم، وقال ابن السَّائبِ: لا تَخشَوهم أن يَظْهَروا على دِيْنِكم، واخشَوني في مُخالفة أَمْري.

قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

[٣٩٧] روى البُخَاريُّ، ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» من حديث طَارقِ بن شِهَابٍ قال: جاء رجلٌ من اليهود إلى عُمرَ فقال: يا أميرَ المؤمنين إنّكم تقرؤون آيةً مِنْ كِتابكم لَوْ عَلَيْنا مَعْشَرَ اليَهود نَزَلَت، لاتَّخذْنا ذلك اليوم عِيْداً، قال: وأيُّ آيةٍ هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ فقال عُمرُ: إني لأَعْلَمُ اليومَ الذي نزلت فيه على رسولِ الله، والساعةَ التي نَزلت فيها، والمَكانَ الذي نزلت فيه على رسولِ الله وهو قَائمٌ بعَرَفَة في يوم جُمعةٍ. وفي لفظ «نَزلت عَشِيَّةَ عَرَفَة» قال سعيدُ بن جُبيرٍ: عَاشَ رسولُ الله ﷺ بعد ذلكَ أَحَداً وثمانين يوماً[2].

فأمّا قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ ففيه قولان: **أحدهما:** أنه يومُ عَرَفَة، وهو قول الجمهور. **والثاني:** أنه ليس بيوم مُعيَّن، رواه عَطِيَّةُ عن ابن عباسٍ، وقد ذَكَرنَا هذا آنفاً.

وفي معنى إكمَال الدِّين خمسة أقوالٍ[3]: **أحدها:** أنه إكمالُ فرائضه وحُدوده، ولم ينزل بعد هذه

---

[٣٩٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥ و ٤٤٠٧ و ٤٦٠٦ و ٧٢٦٨ ومسلم ٣٠١٧ والترمذي ٣٠٤٣ والنسائي ٨/ ١١٤ وأحمد ١/ ٢٨ والطبري ١١٠٩٨ و ١١٠٩٩ عن طارق بن شهاب عن عمر به.

---

(١) البيت للنمر بن تولب كما في «الشواهد الكبرى» للعيني ١/ ٥٦٥.

(٢) هو مرسل، وتقدم في أواخر سورة البقرة.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤١٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين به، أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينهم بإفرادهم البلد الحرام وإجلائه عنه المشركين، حتى حجه المسلمون دونهم لا يخالطونهم المشركون. فأما الفرائض والأحكام، فإنه قد اختلف فيها: هل كانت أكملت ذلك اليوم، أم لا؟ ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول الله ﷺ إلى أن قبض بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً. فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله: **﴿ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾** النساء: ١٧٦ آخرها نزولاً، وكان ذلك من الأحكام والفرائض.

الآية تحليلٌ ولا تحريمٌ، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّي، فعَلَى هذا يكون المعنى: اليومَ أكملتُ لكم شَرائعَ دِينكم. **والثاني**: أنه بِنَفيِ المُشركين عن البيت، فلم يَحُجَّ معهم مشركٌ عَامَئِذٍ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، وقَتادةُ. وقال الشَّعبيُّ: كَمَالُ الدِّين ها هنا: عِزُّه وظُهوره، وذلُّ الشِّرك ودُرُوسُه، لا تكاملَ الفَرائِض والسُّنَن، لأنَّها لم تَزَلْ تنزل إلى أن قُبض رسولُ الله ﷺ، فَعَلى هذا يكون المعنى: اليومَ أكملتُ لكم نَصرَ دِينكُم. **والثالث**: أنه رَفعُ النَّسخ عنه. وأما الفَرائِض فلم تَزَلْ تنزل عليه حتى قُبض، رُوي عن ابن جُبيرٍ أيضاً. **والرابع**: أنه زَوالُ الخَوف من العدوِّ، والظُّهور عليهم، قاله الزجَّاجُ. **والخامس**: أنه أَمْنُ هذه الشَّريعة مِنْ أن تُنسَخ بأُخرى بعدها، كما نُسِخَ بها ما تَقَدَّمَها. وفي إتمام النِّعمة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: مَنعُ المشركين من الحَجِّ معهم، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: الهِداية إلى الإيمان، قاله ابن زَيدٍ. **والثالث**: الإظهَار على العدو، قاله السُّدِّي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ أي: دَعَتْهُ الضرورةُ إلى أكل ما حُرِّم عليه. ﴿فِي مَخۡمَصَةٍ﴾ أي: مَجاعَةٍ، والخَمْصُ: الجُوع. قال الشاعر يَذُمُّ رجلاً:

يَرَى الخَمْصَ تَعذيباً وإِن يَلْقَ شَبْعَةً ... يَبِتْ قَلْبُهُ من قِلَّة الهَمِّ مُبْهَمَا[1]

وهذا الكلامُ يرجع إلى المُحرَّمات المتقدِّمة من المَيتة والدَّم، وما ذُكر معهما.

قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ﴾ قال ابن قُتيبةَ: غير مَائِلٍ إلى ذلك، و «الجَنَفُ»: المَيْلُ. وقال ابن عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهدٌ: غيرَ مُتعَمِّدٍ لإثمٍ. وفي معنى «تَجانُف الإثم» قولان:

أحدهما: أن يتناولَ منه بعد زَوالِ الضَّرورة، رُوي عن ابن عباسٍ في آخرين.

والثاني: أن يتعرَّض لمعصيةٍ في مَقْصِده، قاله قَتادةُ. وقال مُجاهدٌ: مَن بَغى وخرج في معصيةٍ، حُرِّم عليه أكْلُهُ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا أصحُّ من القول الأول، لأن الآية تقتضي اجتماعَ تَجانُف الإثم مع الاضطِرار، وذلك إنما يصحُّ في سَفرِ العَاصِي، ولا يصحُّ حَملُه على تناول الزِّيادة على سَدِّ الرَّمَقِ، لأنَّ الاضطرار قد زَالَ. قال أبو سُليمانَ: ومعنى الآية: فمن اضطُرَّ فأكَلَهُ غير مُتَجَانِفٍ لإثمٍ، فإن الله غفورٌ، أي: مُتجاوزٌ عنه، رحيمٌ إذْ أَحَلَّ ذلك للمُضطَرِّ.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٣٩٨] **أحدهما**: أن النبيَّ ﷺ لمَّا أَمَرَ بِقَتْلِ الكلاب، قال الناس: يا رسولَ الله ماذا أُحلَّ لنا من

---

[٣٩٨] ضعيف، أخرجه الحاكم ٢/ ٣١١ والطبري ١١١٣٧ والطبراني ٩٧١ و ٩٧٢ والواحدي في «الأسباب» ٣٨٣ من حديث أبي رافع وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٦٠٩٦ والوهن في هذا الحديث ذكر جبريل عليه السلام، أما الأمر بقتل الكلاب ونزول الآية، فقد ورد من وجه آخر عن ابن إسحاق عن أبان بن صالح عن القعقاع بن حكيم عن سلمى أم رافع عن أبي رافع، ورجاله ثقات لكن =

---

(١) البيت لحاتم الطائي كما في «الأغاني» ١٦/ ١٢٢.

هذه الأُمَّةِ التي أمَرْتَ بِقَتْلِهَا؟ فنزلت هذه الآية، أخرجهُ أبو عَبدِ الله الحَاكِم في صحيحه من حديث أبي رَافِعٍ عن النبيِّ ﷺ.

[٣٩٩] وكان السبب في أمْرِ النبيِّ ﷺ بِقَتْلِها أنَّ جبريلَ عليه السلام اِستَأْذَنَ على رسول الله ﷺ فأذِنَ له، فلَمْ يَدْخلْ وقال: «إنَّا لا نَدْخُلُ بيتاً فيه كَلْبٌ ولا صُورَةٌ»، فَنَظَروا فإذا في بعض بُيوتهم جَرْوٌ.

[٤٠٠] والثاني: أنَّ عَدِيَّ بن حَاتِم، وزيدَ الخَيْلِ الذي سمَّاه رسولُ الله: زَيْدَ الخَيْرِ، قالا: يا رسولَ الله إنا قَوْمٌ نصيدُ بالكِلاب والبُزاة[١]، فمِنْهُ ما نُدرك ذَكَاتَهُ، ومنه ما لا نُدرك ذَكَاتَهُ، وقد حرَّم الله المَيْتَةَ، فماذا يَحِلُّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

قال الزجَّاجُ: ومعنى الكلام: يسألونكَ أيَّ شيءٍ أُحِلَّ لهم؟ قُلْ: أُحِلَّ لكُمُ الطَّيبات، وأُحِلَّ لكم صَيْدُ ما عَلَّمتم من الجَوَارِح، والتَّأويل أنهم سألوا عنه ولكن حَذَفَ ذِكرَ صيدِ ما عَلَّمْتُم، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. وفي الطَّيبات قولان: أحدهما: أنها المُبَاح من الذَّبائح. والثاني: أنها ما استَطابَتْهُ العربُ مما لم يُحَرَّم. فأمَّا ﴿ٱلْجَوَارِحِ﴾ فهي ما صِيْدَ به من سِبَاع البَهائِم والطَّير، كالكلب، والفَهْدِ، والصَّقْر والبَازِي، ونحو ذلك مما يَقْبَلُ التَّعليم[٢]. قال ابن عباسٍ: كلُّ شيءٍ صَادَ فهو جَارِحٌ. وفي تسميتها بالجَوَارِح قولان: أحدهما: لِكَسْبِ أهلها بها. قال ابن قُتيبةَ: أصلُ الاجتِرَاحِ: الاكتِسَاب، يُقال: امرأةٌ لا جَارِحَ لها، أي: لا كَاسِبَ. والثاني: لأنها تَجْرَحُ ما تَصيدُ في الغَالب، ذكره المَاورديُّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: وعَلامةُ التَّعليم أنكَ إذا دَعوتَهُ أجابَ، وإذا أَسَدْتَهُ على الصيد استَأْسَدَ، ومضى في طَلَبِهِ، وإذا أَمسَكَ أمْسَكَ عليكَ لا على نَفْسِه. وعلامةُ إمسَاكِهِ عليكَ: أن لا يأكُلَ منه شيئاً، هذا في السِّباع والكِلاب[٣]، فأمَّا تعليمُ جَوارحُ الطَّير فَبِخَلاف السِّباع، لأنَّ الطائر إنما يُعَلَّم الصيدَ بالأَكْلِ،

= فيه عنعنة ابن إسحاق، وله شاهد من مرسل عكرمة أخرجه الطبري ١١١٣٨ ومن مرسل محمد بن كعب برقم ١١١٣٩، وقد صح لفظ «لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة» فهذا أخرجه مسلم ٢١٠٥، وليس فيه ذكر الآية والأمر بقتل الكلاب، وانظر «تفسير الشوكاني» ٧٦٩ و «أحكام القرآن» ٦٢١ بتخريجي.

[٣٩٩] هو بعض المتقدم، وقوله «إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة» دون باقي الخبر، متفق عليه، وسيأتي.

[٤٠٠] أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير كما في ابن كثير ٢/ ٢٢، وهو مرسل، ومع إرساله، فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وعطاء بن دينار روايته عن سعيد بن جبير صحيفة. وذكره الواحدي في أسبابه ٣٨٤ بدون إسناد عن سعيد بن جبير. وله شاهد مرسل، أخرجه الطبري ٤٢٢٧ من حديث جابر وإسناده ضعيف. فيه أشعث بن سوّار، ضعيف والحسن لم يسمع من جابر. وقد أخرجه عبد الرزاق ٢٦٥٦ بإسناد على شرط مسلم عن جابر موقوفاً وهو الصواب وورد عن جماعة من الصحابة. والإجماع منعقد على ذلك. وانظر «تفسير الشوكاني» ٧٧٠ و ٧٧١ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: الباز: لغة في البازي، وجمع البازي بُزاة.

(٢) وقال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٢٦٥-٢٦٦: فصل: وكل ما يقبل التعليم ويمكن الاصطياد به من سباع البهائم: كالفهد أو جوارح الطير فحكمه حكم الكلب في إباحة صيده، وبمعنى هذا قال ابن عباس وطاوس ويحيى بن أبي كثير والحسن ومالك والثوري وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن والشافعي وأبو ثور. وحُكِيَ عن ابن عمر ومجاهد أنه لا يجوز الصيد إلا بالكلب اهـ باختصار.

(٣) قال الإمام البغوي في «تفسيره» عقب الحديث ٧٥٣: واختلفوا فيما أخذت الصيد وأكلت منه شيئاً، فذهب =

والفَهْدُ، والكَلبُ، وما أَشْبَهَهما يُعلَّمون بتَرْك الأكل، فهذا فَرْقُ ما بينهما.

وفي قوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أصحاب الكِلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وهو قول ابن عُمرَ، وسعيدِ بن جُبيرٍ، وعَطاءٍ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّي، والفرَّاءِ، والزجَّاجِ، وابن قُتيبةَ. قال الزجَّاجُ: يُقال: رجلٌ مُكَلِّبٌ وكلاَّبي، أي: صاحبُ صيدٍ بالكِلاب. **والثاني**: أنَّ معنى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: مُضرِّين على الصَّيد، وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، والحسَنِ، ومُجاهدٍ. **والثالث**: أن ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بمعنى: مُعلِّمين. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: وإنَّما قيل لهم: مُكلِّبين، لأنَّ الغالب من صَيدهم إنَّما يكون بالكِلاب. قال ثَعلَبٌ: وقرأ الحسَنُ، وأبو رَزينٍ: مُكْلِبين، بسكون الكاف، يُقال: أَكْلَبَ الرجلُ: إذا كثُرت كِلابُه، وأَمْشَى: إذا كَثُرت ماشِيَتُه، والعربُ تدعو الصَّائد مُكَلِّباً.

قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال سعيدُ بن جُبيرٍ: تُؤدِّبونهنَّ لطلب الصَّيد. وقال الفرَّاءُ: تُؤدِّبونهنَّ أنْ لا يَأكُلنَ صيدَهُنَّ. واختلفوا هل إمساكُ الصَّائِد عن الأكل شَرطٌ في صحة التَّعليم أمْ لا؟ على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه شَرطٌ في كلِّ الجَوارِح، فإن أكلَتْ، لم يُؤكَل، رُوي عن ابن عباسٍ، وعَطاءٍ. **والثاني**: أنه ليس بشرطٍ في الكُلِّ، ويُؤكَل وإنْ أكلَتْ، رُوي عن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ، وابن عُمرَ، وأبي هُريرةَ، وسَلمانَ الفارسيِّ. **والثالث**: أنه شَرطٌ في جَوارِحِ البَهائِم، وليس بشرطٍ في جَوارحِ الطَّير، وبه قال الشَّعبيُّ، والنُّخعيُّ، والسُّدِّيُّ، وهو أصحُّ لِمَا بيَّنَّا أنَّ جارحَ الطَّير يُعَلَّم على الأكل، فأُبيحَ ما أكَلَ منه، وسِباعُ البهائم تُعلَّمُ على تَرْكِ الأكل، فأُبيحَ ما أكلَتْ منه. فعَلَى هذا إذا أكل الكَلبُ والفَهْدُ من الصَّيد، لم يُبَحْ أكْلُهُ. فأمَّا ما أكل منه الصَّقرُ والبَازي، فَمُبَاحٌ، وبه قال أبو حَنيفةَ، وأصحابُه، وقال مَالكٌ: يُباح أكلُ ما أكل منه الكلبُ، والفَهْدُ، والصَّقْرُ، فإن قَتَل الكلبُ، ولم يَأكُل، أُبيحَ. وقال أبو حَنيفةَ: لا يُباح، فإن أدركَ الصَّيدَ، وفيه حياةٌ، فماتَ قبل أن يُذَكِّيَهُ، فإن كان ذلك قبلَ القُدرة على ذَكَاتِهِ أُبيحَ، وإن أمكَنَهُ فلَمْ يُذكِّه، لَمْ يُبَحْ، وبه قال مالكٌ، والشَّافعيُّ. وقال أبو حَنيفَةَ: لا يُباحُ في المَوضعين. فأما الصَّيد بكلب المَجُوسيِّ، فَرُوي عن أحمدَ أنه لا يُكره، وهو قول الأكثرين، ورُوي عنه الكراهة، وهو قول الثَّوريِّ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ وهذا خطابٌ للمؤمنين[1]. قال القاضي أبو يَعلَى: ومنع أصحابُنا الصَّيد بالكلب الأَسوَد، وإن كان مُعلَّماً، لأنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ بقَتْلِه،

= أكثر أهل العلم إلى تحريمه روي ذلك عن ابن عباس، وهو قول عطاء وطاوس والشعبي، وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي، وهو أصح قولي الشافعي، ورخص بعضهم في أكله روي ذلك عن ابن عمر وسلمان وسعد بن أبي وقاص، وبه قال مالك.

وانظر «المغني» ١٣/ ٢٦٢ـ ٢٦٣. و «الأحكام للجصاص» ٣/ ٣١٢ـ ٣١٣.

(١) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٢٧٢: وإن صاد المسلم، بكلب مجوسيٍّ فقتل، حلّ صيده. وبهذا قال سعيد بن المسيّب، والحكم، ومالك والشافعي، وأبو ثور وأصحاب الرأي. وعن أحمد: لا يباح. وكرهه جابر والحسن، ومجاهد، والنخعي، والثوري لقوله تعالى: **﴿وما علمتم من الجوارح مكلّبين﴾**. وهذا لم يعلّمه. ولنا، أنه آلة صاد بها المسلم، فحلّ صيده، كالقوس والسهم. قال ابن المسيّب: هو بمنزلة شفرته. والآية دلّت على إباحة الصيد بما علمناه وما علمه غيرنا، فهو في معناه، فيثبت الحكم بالقياس الذي ذكرناه، يحققه أن التعليم إنما أثّر في جعله آلة، ولا تشترط الأهلية في ذلك كعمل القوس والسهم. وإنما يشترط إرسال الآية من الكلب والسهم، وقد وجد ههنا.

والأمر بالقَتْل: يمنعُ ثبوتَ اليَدِ، ويُبطل حكمَ الفعل، فيَصير وجودُه كالعَدَم، فلا يُباح صَيدُه[١].

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الأخفش: «من» زائدةٌ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ في هاء الكِناية قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس، والسُّدِّيُّ، وعندنا أن التَّسمية شرطٌ في إباحة الصَّيد[٣]. **والثاني**: ترجع إلى الأكل فتكون التَّسمية مُستحَبَّة.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال سعيدُ بن جُبير: لا تَستَحِلُّوا ما لم يُذكر اسمُ الله عليه.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ قال القاضي أبو يَعلَى: يجوز أن يريد باليوم اليومَ الذي أُنزلت فيه الآية، ويجوز أن يُريد اليومَ الذي تَقدَّم ذِكرُه في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وقيل: ليس بيوم مُعَيَّنٍ، وقد سبق الكلام في «الطَّيِّبات» وإنما كَرَّر إحلالَها تأكيداً. فأمَّا أهلُ الكتاب، فهم اليهود والنَّصارى. وطعامُهم: ذَبائحُهم،

---

(١) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٢٦٧: ولا يؤكل ما صيد بالكلب الأسود، إذا كان بهيماً لأنه شيطان. قال أحمد: الذي ليس فيه بياض وممن كره صيده الحسن، والنخعي، وقتادة، وإسحاق. قال أحمد: ما أعرف أحداً يرخّص فيه. يعني من السلف. وأباح صيده أبو حنيفة ومالك والشافعي، لعموم الآية والخبر، والقياس على غيره من الكلاب. ولنا، أنه كلب يحرم اقتناؤه، ويجب قتله، فلم يبح صيده كغير المعلّم، ودليل تحريم اقتنائه ما روى مسلم في «صحيحه» بإسناده عن عبد الله بن المغفّل، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، ثم نهى عن قتلها، فقال: «عليكم بالأسود البهيم، ذي النكتتين، فإنه شيطان». فالنبي سماه شيطاناً، ولا يجوز اقتناء الشيطان. وإباحة الصيد المقتول رخصة، فلا تستباح بمحرّم كسائر الرّخص.

(٢) سورة النور: ٤٣.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٢٥٧ـ ٢٦٥: مسألة، قال أبو القاسم، رحمه الله «وإذا سمّى وأرسل كلبه أو فهده المعلّم، واصطاد، وقتل، ولم يأكل منه، جاز أكله فاشترط في إباحة ما قتله الجارح شروط منها. أن يسمّي عند إرسال الجارح، فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً لم يبح هذا تحقيق المذهب وهو قول الشعبي وأبي ثور، وعن أحمد أن التسمية تشترط في إرسال الكلب في العمد والنسيان، ولا يلزم ذلك في إرسال السهم. وممن أباح متروك التسمية في النسيان دون العمد أبو حنيفة ومالك، لقول النبي ﷺ: «عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان». وقال الشافعي: يباح متروك التسمية عمداً أو سهواً لأن البراء روى، أن النبي ﷺ قال: «المسلم يذبح على اسم الله، سمّى أو لم يسمّ». وعن أحمد رواية أخرى مثل هذا. ولنا قوله تعالى: **﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾** وقال النبي ﷺ: «إذا أرسلت كلبك، وسمّيت، فكل»، قلت أرسل كلبي فأجد معه كلباً آخر؟ قال: «لا تأكل، فإنك إنما سمّيت على كلبك ولم تسمّ على الآخر» متفق عليه. وحديث أبي ثعلبة، فهذه نصوص صحيحة لا يُعرَّج على ما خالفها. وأما أحاديث الشافعي، وإن صحت فهي في الذبيحة، ولا يصح قياس الصيد عليها، والتسمية المعتبرة «بسم الله» وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا ذبح قال: «بسم الله والله أكبر». وجاء في تفسير قوله تعالى: **﴿ورفعنا لك ذكرك﴾** لا أُذكَر إلا ذُكِرتَ معي. ولنا، قوله ﷺ: «موطنان لا أذكر فيهما، عند الذبيحة، والعطاس» رواه أبو محمد الخلّال بإسناده.

هذا قول ابن عباسٍ، والجماعة. وإنما أُريد بها الذَّبائح خاصَّةً، لأنَّ سائر طعامهم لا يختلف بمن تَوَّلاهُ من مَجُوسيّ وكِتَابيّ، وإنما الذَّكاةُ تختلف، فلما خَصَّ أهلَ الكتاب بذلك، دَلَّ على أن المُراد الذَّبائح، فأمَّا ذبائح المَجُوس، فأَجْمَعُوا على تَحريمِها. واختلفوا في ذَبائح مَنْ دَانَ باليهوديَّة والنَّصرانيَّة من عَبَدَةِ الأوثان[١]، فَرُوي عن ابن عباس أنه سُئِلَ عن ذَبائح نَصارى العرب، فقال: لابأسَ بها، وتَلاَ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وهذا قول الحَسنِ، وعَطاءِ بن أبي رَباح، والشَّعبيّ، وعِكرمةَ، وقَتادةَ، والزُّهريّ، والحَكَم، وحَمَّادٍ. وقد رُوي عن عليّ، وابن مسعودٍ في آخرين أن ذَبائحَهُم لا تَحِلُّ. ونقل الخِرَقي عن أحمدَ في نصارى بني تَغْلِب روايتين. **إحداهما**: تُباح ذبائحُهم، وهو قول أبي حَنيفَة، ومَالِكٍ. **والثانية**: لا تُباح. وقال الشَّافعيُّ: مَنْ دخل في دِين أهل الكتاب بعد نُزول القرآن، لم يُبَحْ أكلُ ذَبيحتِه.

قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أي: وذبائِحُكُم لهم حَلالٌ، فإذا اشتَرَوا منَّا شيئاً كان الثَّمن لنا حَلالاً، واللحمُ لهم حَلالاً. قال الزجَّاجُ. والمعنى: أُحِلَّ لكم أنْ تُطعِمُوهُم.

فصل: وقد زَعم قومٌ أن هذه الآية اِقتَضَت إباحةَ ذبائح أهل الكتاب مُطلقاً وإن ذَكَروا غيرَ اسم الله عليها، فكان هذا نَاسِخاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٢] والصَّحيح أنها أَطْلَقَتْ إباحةَ ذبائِحِهم، لأنَّ الأصل أنهم يَذكُرون الله فيحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنا أنهم ذكروا غيره فلا نأكل ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قُلْتُهُ ذهب عليٌّ، وابنُ عُمرَ، وعُبَادةُ، وأبو الدَّرْدَاءِ، والحسَنُ في جماعةٍ.

---

(١) فائدة: قال الإمام الخرقي في «المختصر»؛ مسألة: وذبيحة من أطاق الذبح من المسلمين وأهل الكتاب حلال إذا سموا، أو نسوا التسمية» قال الإمام الموفق في «شرحه»: وجملة ذلك أن كل من أمكنه الذبح من المسلمين وأهل الكتاب إذا ذبح حل أكل ذبيحته رجلاً كان أو امرأة، بالغاً أو صبياً، حراً أو عبداً، لا نعلم في هذا خلافاً. قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على إباحة ذبيحة المرأة والصبي. ويشترط أن يكون عاقلاً، فإن كان طفلاً أو مجنوناً أو سكران لا يعقل، لم يصح منه الذبح، وبهذا قال مالك، وقال الشافعي: لا يعتبر القول. ولنا أن الذكاة يعتبر لها القصد، فيعتبر لها العقل كالعبادة. فإن من لا عقل له، لا يصح منه القصد، فيصير ذبحه كما لو وقعت الحديدة بنفسها على حلق شاة فذبحتها. قال: والتسمية مشترطة في كل ذابح مع العمد سواء كان مسلماً أو كتابياً، فإن ترك الكتابي التسمية عن عمد، أو ذكر اسم غير الله، لم تحل ذبيحته، روي ذلك عن علي، وبه قال النخعي والشافعي وحماد وإسحاق وأصحاب الرأي. وقال عطاء ومجاهد ومكحول: إذا ذبح النصراني باسم المسيح حلَّ، فإن الله تعالى أحل لنا ذبيحته، وقد علم أنه سيقول ذلك. اهـ ملخصاً ١٣، ٣١١ـ ٣١٢.

وقال الإمام المرغيناني الحنفي في «الهداية»: وذبيحة المسلم والكتابي حلال. ويحل إذا كان يعقل التسمية والذبيحة ويضبط، وإن كان صبياً أو مجنوناً أو امرأة، أما إذا كان لا يضبط ولا يعقل التسمية والذبيحة لا تحل، لأن التسمية على الذبيحة شرط بالنص وذلك بالقصد، والأقلف والمختون سواء، وإطلاق اسم الكتابي ينتظم: الكتابي والذمي والحربي والعربي والتغلبي. ولا تؤكل ذبيحة المجوسي والمرتد والوثني والمحرم، وكذا لا يؤكل ما ذبح من الصيد في الحرم، وإن ترك التسمية عمداً فالذبيحة ميتة لا تؤكل، وإن تركها ناسياً أكل وقال الشافعي: أكل في الوجهين. وقال مالك: لا يؤكل في الوجهين والمسلم والكتابي في ترك التسمية سواء اهـ ملخصاً «فتح القدير شرح الهداية» ٩/ ٤٩٧ـ ٤٩٩ بتخريجي.

(٢) سورة الأنعام: ١٢١.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فيهنَّ قولان: **أحدهما**: العَفَائِفُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الحَرَائِرُ، قاله مُجاهدٌ. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قولان: **أحدهما**: الحَرَائِرُ أيضاً، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: العَفَائِفُ، قاله الحسَنُ، والشَّعبيُّ، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ، فعَلَى هذا القول يجوز تزويجُ الحُرَّة منهنَّ والأَمَةِ.

فصل: وهذه الآية أَبَاحَتْ نِكَاحَ الكِتَابيَّة. وقد رُوي عن عُثمانَ أنه تزوَّجَ نَائِلَةَ بنتَ الفَرَافِصَة على نِسَائِهِ وهي نصرانيَّةٌ. وعن طَلْحَةَ بن عُبيدِ الله: أنَّه تزوَّجَ يهوديَّةً. وقد رُوي عن عُمرَ، وابن عُمرَ كراهةُ ذلك. واختلفوا في نِكَاح الكتابيَّة الحَرْبِيَّة، فقال ابن عباسٍ: لا تَحِلُّ، والجمهور على خِلافه، وإنما كَرِهوا ذلك، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1]، والنِّكاح يُوجِبُ الودَّ. واختلفوا في نِكَاح نساء تَغْلِب، فرُوي عن عليّ رضي الله عنه الحَظْرُ، وبه قال جابرُ بن زيدٍ، والنَّخعيُّ، ورُوي عن ابن عباسٍ الإباحَةُ. وعن أَحمدَ روايتان. واختلفوا في إِمَاءِ أهل الكتاب، فرُوي عن ابن عباسٍ، والحسَنِ، ومُجاهدٍ: أنه لا يجوز نِكاحُهُنَّ، وبه قال الأوزَاعيُّ، ومَالكٌ، والليثُ بن سَعدٍ، والشَّافعيُّ، وأصحابُنا، ورُوي عن الشَّعبيِّ، وأبي مَيْسَرةَ جوازُ ذلك، وبه قال أبو حَنيفةَ. فأمَّا المَجُوسُ، فالجمهور على أنهم ليسوا بأهل كتابٍ، وقد شذَّ مَنْ قال: إنهم أهلُ كتابٍ.

[٤٠١] ويُبْطِلُ قولَهم قولُه عليه السلام: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتاب».

فأمَّا «الأُجور»، و «الإِحصَانُ»، و «السِّفَاح»، و «الأَخْدَانُ» فقد سبق في سورة النِّساء.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

[٤٠٢] سبب نزول هذا الكلام: أنَّ الله تعالى لمَّا رخَّص في نِكَاح الكِتَابيَّات قُلْنَ بينهنَّ: لولا أنَّ الله تعالى قد رَضِيَ علينا، لم يُبِحْ للمؤمنينَ تزويجَنا، وقال المسلمون: كيف يتزوَّج الرجلُ منَّا الكتابيَّةَ، ولَيْسَتْ على دِيننا، فنزلت: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وقال مُقاتلُ بن حَيَّانَ: نزلت فيما أَحْصَنَ المسلمون من نساءِ أهل الكتاب، يقول: ليس إحصَانُ المسلمين إيَّاهُنَّ بالذي يُخرجهنَّ من الكُفر. وروى ليثٌ عن مُجاهدٍ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ قال: الإيمان بالله تعالى، وقال الزجَّاجُ: معنى الآية: مَنْ أَحَلَّ ما حَرَّم اللهُ، أو حَرَّم ما أَحَلَّهُ اللهُ فهو كَافِرٌ. وقال أبو سُليمانَ: مَنْ جَحَدَ ما أنزلَهُ اللهُ من شرائع الإيمان، وعَرَّفَهُ من الحَلال والحَرام، فقد حَبِطَ

---

[٤٠١] صحيح. أخرجه مالك في «الموطأ» عن محمد الباقر وهو مرسل لأنه لم يدرك عمر ولا عبد الرحمن بن عوف. ورواه ابن سعد وفيه شيخه الواقدي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص والواقدي ضعيف.
لكن أخرجه البخاري ٣١٥٧ وأبو داود ٣٠٤٣ والترمذي ١٥٨٧ والدارمي ٢٤٠٦ وابن الجارود ١١٠٥ والبيهقي ٩/ ١٨٩ وأحمد ١/ ١٩٠، ٩٤ كلهم عن بجالة بن عبدة قال: «لم يكن عمر يأخذ الجزية من المجوس حتى حدثه ابن عوف أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر» فهذا إسناد صحيح متصل.

[٤٠٢] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس، ولم يسمع منه كما قال ابن حبان، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

عَمَلَه المُتقدِّم. وسمعتُ الحسنَ بنَ أبي بكرِ النَّيسَابوريّ الفَقِيهُ يقول: إنَّما أباحَ اللهُ عزَّ وجلَّ الكِتابيَّات، لأنَّ بعض المسلمين قد يُعجِبُهُ حُسْنُهنَّ، فَحذَّرَ نَاكِحَهُنَّ من المَيْلِ إلى دِينِهنَّ بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الزجَّاجُ: المعنى: إذا أَرَدْتُم القيامَ إلى الصَّلاة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[(١)] قال ابن الأنباريّ: وهذا كما تقول: إذا آخَيْتَ فآخِ أهلَ الحَسَبِ، وإذا اتَّجَرتَ فاتَّجِرْ في البزِّ[(٢)]. قال: ويجوز أن يكون الكلام مُقدَّماً ومُؤَخَّراً، تقديره: إذا غَسَلْتُم وجوهَكُم، واستَوفَيْتُم الطُّهور، فَقُوموا إلى الصَّلاة. وللعُلماء في المُراد بالآية قولان[(٣)].

أحدهما: إذا قُمتم إلى الصَّلاة مُحْدِثِين، فاغسِلوا، فصَار الحَدَثُ مُضمَراً في وجوب الوضوء، وهذا قول سَعدِ بن أبي وَقَّاصٍ، وأبي مُوسى الأَشعَرِيّ، وابن عباسٍ، والفقهاء. **والثاني**: أن الكلام على إطلاقه من غير إِضمَارٍ، فيجب الوضوء على كلِّ مَنْ يريد الصلاة، مُحْدِثاً كان، أو غير مُحْدِثٍ، وهذا مَرويٌّ عن عليّ رضي الله عنه وعِكرمةَ، وابن سِيْرِينَ. ونُقِل عنهم أن هذا الحُكْمَ غير مَنْسُوخٍ، ونُقل عن جماعةٍ من العلماء أنَّ ذلك كان واجباً، ثم نُسِخَ بالسُّنَّة.

[٤٠٣] وهو ما روى بُرَيْدَةُ أن النبيَّ ﷺ صلَّى يومَ الفتح خمسَ صلواتٍ بوضوءٍ واحد، فقال له عُمرُ: لقد صنعتَ شيئاً لم تَكُنْ تَصْنَعُهُ؟ فقال: «عَمْداً فَعَلْتُهُ يا عُمَرُ».

---

[٤٠٣] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٧ وأبو داود ١٧٢ والترمذي ٦١ والنسائي ١/ ١٦ والدارمي ١/ ١٦٩ وأحمد ٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥١ ـ ٣٥٨ وأبو عوانة ١/ ٢٣٧ والطحاوي في «المعاني» ١/ ٤١ وابن حبان ١٧٠٦ و ١٧٠٧ و ١٧٠٨ والبيهقي ١/ ١٦٢ من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه.

---

(١) سورة النحل: ٩٨.

(٢) في «اللسان»: البَزُّ: الثياب، وقيل البَزُّ من الثياب أمتعة البزاز والبزاز بائع البَزِّ وحرفته البزازة.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٥٤: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: إن الله عني بقوله: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾، جميع أحوال قيام القائم إلى الصلاة، غير أنه أمرُ فرض بغسل ما أمر الله بغسله القائمَ إلى صلاته، بعد حدث كان منه ناقضٍ طهارته، وقبل إحداث الوضوء منه، وأَمر ندب لمن كان على طهر قد تقدم منه، ولم يكن منه بعده حدث ينقض طهارته لذلك كان عليه السلام يتوضأ لكل صلاة قبل فتح مكة ثم صلى يومئذٍ الصلوات كلها بوضوء واحد، ليعلّم أمته أن ما كان يفعله عليه السلام من تجديد الطهر لكل صلاة، إنما كان منه أخذاً بالفضل، وإيثاراً منه لأحب الأمرين إلى الله، ومسارعةً منه إلى ما ندبه إليه ربّه، لا على أن ذلك كان عليه فرضاً واجباً.

وقال قومٌ: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، ومعناها: إذا قُمتم إلَى الصَّلاة من النَّوم أو جاء أحدٌ منكم من الغَائِط أو لامَسْتُمُ النِّساءَ، فَاغسِلُوا وجوهَكُم[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ «إلى» حَرْفٌ موضوعٌ للغَاية، وقد تَدخُل الغَاية فيها تارةً، وقد لا تَدخُل، فلما كان الحديثُ يقيناً، لم يرتفع إلا بيقينٍ مِثْلِهِ، وهو غسلُ المِرْفَقين. فأما الرأس فنُقل عن أحمدَ وجوبُ مَسْح جَمِيْعِه[(٢)]، وهو قول مَالكٍ، ورُوي عنه: يجبُ مسحُ أكثره، ورُوي عن أبي حنيفةَ روايتان: **إحداهما**: أنه يتقدَّر بِرُبع الرأس. **والثانية**: بمقدار ثَلاثِ أصابع.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ، وحَمزةُ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: بكسر اللام عطفاً على مَسْح الرَّأس، وقرأ نَافعٌ، وابن عَامرٍ، والكِسَائِيُّ، وحَفصٌ عن عَاصم، ويَعقوبُ: بفتح اللام عطفاً على الغَسْلِ، فيكون من المُقدَّم والمؤخَّر. قال الزجَّاجُ: الرِّجْل من أصلِ الفَخِذِ إلى القَدَم، فلما حَدَّ الكَعبين، عُلِمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدلُّ على وجوب الغَسْل التَّحديد بالكَعبين، كما جاء في تحديد اليَدِ «إِلى المَرَافِقِ» ولم يَجِيء في شيءٍ من المسح تَحديدٌ. ويجوز أن يُراد الغَسل على قراءة الخَفْضِ، لأن التَّحديدَ بالكَعبين يَدُلُّ على الغَسل، فيُنْسَقُ بالغَسل على المَسح. قال الشاعر:

---

(١) قال الإمام ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٤٨: قال زيد بن أسلم: معناه ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ من النوم، وبين هذا أن النوم حَدَث، وبه قال جملةُ الأمة.
وقال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ٢٣٥ـ ٢٣٧ ما ملخصه. فصل: والنوم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: نوم المضطجع، فينقض الوضوء يسيره وكثيره في قول كل من يقول بنقضه بالنوم. الثاني: نوم القاعد، إن كان كثيراً نقض، رواية واحدة، وإن كان يسيراً لم ينقض، وهذا قول حماد والحكم ومالك والثوري وأصحاب الرأي، وقال الشافعي: لا ينقض وإن كثر، إذا كان القاعد متمكناً مفضياً بمحل الحدث إلى الأرض. الثالث: نوم القائم والراكع والساجد، فروي عن أحمد في جميع ذلك روايتان: إحداهما: ينقض، وهو قول الشافعي، والثانية: لا ينقض إلا إذا كثر. وذهب أبو حنيفة إلى أن النوم في حال من أحوال الصلاة لا ينقض وإن كثر. لأنه حال من أحوال الصلاة، فأشبهت حال الجلوس. والظاهر عن أحمد التسوية بين القيام والجلوس. واختلفت الرواية عن أحمد في القاعد المستند والمحتبي. فعنه: لا ينقض يسيره. قال أبو داود: سمعت أحمد قيل له: الوضوء من النوم؟ قال: إذا طال. قيل: فالمحتبي؟ قال: يتوضأ. قيل: فالمتكئ؟ قال: الاتكاء شديد، والمتساند كأنه أشد من الاحتباء، ورأى منها كلها الوضوء، إلا أن يغفو قليلاً، وعنه: ينقض بكل حال لأنه معتمد على شيء، فهو كالمضطجع، والأولى أنه متى كان معتمداً بمحل الحدث على الأرض أن لا ينقض منه إلا الكثير ا هـ باختصار. وانظر «المدونة» ١/ ٩ـ ١٠ و «تفسير القرطبي» ٥/ ٢٢٢.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ١٧٥ـ ١٧٦: لا خلاف في وجوب مسح الرأس. واختلف في قدر الواجب، فروي عن أحمد وجوب مسح جميعه في حق كل أحد، وهو مذهب مالك. وعن أحمد: يجزئ مسح بعضه، وبه قال الحسن والثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي، إلا أن الظاهر عن أحمد في حق الرجل وجوب الاستيعاب، وأن المرأة يجزئها مسح مقدم رأسها اهـ ملخصاً.
وقال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١/ ١٨٣ـ ١٨٤ ما ملخصه: فصل: والأذنان من الرأس، فقياس المذهب وجوب مسحهما مع مسحه. وقال الخلال: كلهم حكوا عن أبي عبد الله فيمن ترك مسحهما عامداً أو ناسياً أنه يجزئه، وذلك لأنهما تبع للرأس، والأولى مسحهما معه، لأن النبي ﷺ مسحهما مع رأسه.
ـ وقال الإمام المرغيناني الحنفي في «الهداية»: ومسح الأذنين، وهو سنة بماء الرأس عندنا خلافاً للشافعي لقوله عليه الصلاة والسلام «الأذنان من الرأس» والمراد بيان الحكم دون الخلقة.

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمحَا[١]

والمعنى: وحَامِلاً رُمحاً. وقال الآخر.

عَلَفْتُهَا تِبْناً ومَاءً بَارِدا[٢]

والمعنى: وسَقَيْتُها ماءً بارداً. وقال أبو الحسَنِ الأَخْفَش: يجوز الجَرُّ على الإِتْبَاع، والمعنى: الغَسل، نحوَ قولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. وقال ابن الأنباريّ: لما تأخرت الأَرْجُلُ بعد الرُّؤوس، نُسِقَت عليها للقُرب والجِوار، وهي في المعنى نَسَقٌ على الوُجُوه كقولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، ويجوز أن تكون مَنْسُوقَةً عليها، لأنَّ العربَ تُسَمِّي الغَسْلَ مَسْحاً، لأن الغَسل لا يكون إلا بِمَسْح. وقال أبو عليّ: مَن جَرَّ فحُجَّتُه أنه وجد في الكلام عَامِلَيْن: أحدهما: الغَسْلُ، والآخر: الباء الجَارَّة، ووَجْهُ العَامِلَين إذا اجتَمَعَا: أن يُحمل الكلامُ على الأقربِ منهما دونَ الأبْعَدِ، وهو «الباء» هاهنا، وقد قامت الدّلالة على أنَّ المُراد بالمَسْح: الغَسْلُ من وَجْهَين[٣]:

---

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن»: ١٦٥ و «الكامل» ١/ ٢٨٩ و «اللسان» مادة: قلد. ونسبه في حواشي ابن القوطية على «الكامل» ١٨٩ لعبد الله بن الزبعرى. ويروى الشطر الأول منه «ورأيت زوجك في الوغى» وفي «اللسان»: تقلّد الأمر: احتمله.

(٢) هو صدر بيت وعجزه: حتى شتت همَّالة عيناها. وهو في «الخزانة» ١/ ٤٩٩ وشرح «شواهد المغني» ٣١٤. قال العيني: ٤/ ١٨١ أنشده الأصمعي وغيره، ولم أر أحداً عزاه إلى قائله.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٣٥: ومن أحسن ما يستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ١/ ٧٥ عن النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتي بكوز من ماء فأخذ منه حفنة واحدة فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضلته، وهو قائم، ثم قال: إن أناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث». والأحاديث التي جاءت بالغسل كثيرة. ففي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار». وروى مسلم عن عمر بن الخطاب «أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدم، فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح. وقال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني»: وغسل الرجلين واجب في قول أكثر أهل العلم، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ على غسل القدمين. وروي عن علي أنه مسح على نعليه وقدميه، وحكي عن ابن عباس أنه قال: ما أجد في كتاب الله إلا غسلتين ومسحتين. وحُكِيَ عن الشعبي أنه قال: الوضوء مغسولان وممسوحان، فالممسوحان يسقطان في التيمم. ولم نعلم من فقهاء المسلمين من يقول بالمسح على الرجلين غير ما ذكرنا إلا ما حكي عن ابن جرير أنه قال: هو مخيّر بين المسح والغسل، واحتج بظاهر الآية. وما رُوي عن ابن عباس. ولنا أن عبد الله بن زيد، وعثمان، حكيا وضوء رسول الله ﷺ قالا: فَغَسل قدميه. وفي حديث عثمان: ثم غسل كلتا رجليه ثلاثاً، متفق عليهما. وعن علي أنه حكى وضوء رسول الله ﷺ فقال: ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثاً ثلاثاً. فإن قيل: فعطفه على الرأس دليل على أنه أراد حقيقة المسح. قلنا: قد افترقا من وجوه: أحدها: أن الممسوح في الرأس شعر يشق غسله، والرجلين أشبه بالمغسولات. والثاني: أنهما محدودان بحد ينتهي إليه، فأشبها اليدين. والثالث: أنهما معرضتان للخبث لكونهما يوطأ بهما على الأرض بخلاف الرأس. وأما حديث أوس في أن النبي ﷺ: فإنما أراد الغسل الخفيف وكذلك ابن عباس، ولذلك قال: أخذ ملء كفّه من ماء فرشّ على قدميه، والمسح يكون بالبلل لا برش الماء.

أحدهما: أنَّ أبا زَيدٍ قال: المَسْحُ خَفيفُ الغَسل، قالوا: تَمَسَّحتُ للصَّلاة، وقال أبو عُبَيْدَة: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ﴾[1]، أي ضَرباً، فكأن المَسحَ في الآية غَسْلٌ خَفيفٌ. فإن قيل: فالمُستَحَبُّ التَّكرار ثلاثاً؟ قيل: إنما جاءت الآيةُ بالمَفروض دون المَسْنُونِ.

والوجه الثاني: أن التَّحديد والتَّوقيت إنَّما جاء في المَغْسُول دون المَمْسُوح، فلما وقعَ التَّحديد مع المَسح، عُلِمَ أنه في حُكم الغَسل لموافقته الغَسلَ في التَّحديد، وحُجَّةُ مَنْ نَصَبَ أنه حَمَل ذلك على الغَسل لاجتِمَاع فُقهاء الأَمْصار على الغَسل.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ «إلى» بمعنى «مع»، والكَعْبَان: العَظْمَان النَّاتِئَان من جانِبَي القَدَم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: فَتَطَهَّروا، فأُدغمت التاءُ في الطاء، لأنهما من مكانٍ واحدٍ، وقد بَيَّنَ اللهُ عزَّ وجلَّ طهارةَ الجُنُب في سورة النِّساء بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾[2] وقد ذكرنا هناك الكلامَ في تَمَام الآية إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ و «الحَرَجُ»: الضِّيقُ، فجعلَ اللهُ الدِّين وَاسِعاً حين رَخَّص في التَّيمُّم.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يريد أنْ يُطَهِّركم. قال مُقاتلٌ: مِنَ الأَحْدَاثِ والجَنَابَة، وقال غيره: من الذُّنوب والخَطَايا، لأنَّ الوضوء يُكَفِّر الذُّنوب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ في الذي يُتِمُّ به النِّعمةَ أربعة أقوالٍ:

أحدها: بغُفران الذنوب.

[٤٠٤] قال محمَّدُ بن كَعبٍ القُرَظيُّ: حدَّثني عبدُ الله بن دَارَةَ، عن حُمران قال: مررتُ على عثمانَ بفَخَّارةٍ من ماءٍ، فدَعَا بها فتوضَّأ، فأحسنَ الوضوء ثم قال: لَوْ لَمْ أَسمَعْهُ من رسول الله ﷺ غيرَ مَرَّةٍ أو مرَّتين أو ثلاثاً ما حَدَّثْتُكم، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما توضَّأ عبدٌ فأحسنَ الوضوءَ، ثمَّ قامَ إلى الصَّلاة، إلاَّ غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وبين الصَّلاة الأُخرى» قال محمَّدُ بن كَعبٍ: وكنتُ إذا سمعتُ الحديثَ التَمَستُهُ في القرآن. فَالتَمَستُ هذا فوَجَدْتُه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾[3] فعَلِمْتُ أنَّ الله لم يُتِمَّ النِّعمةَ عليه حتى غَفَرَ له ذُنوبَه، ثم قرأتُ الآيَةَ التي في المائدة: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ فعَلِمْتُ أنه لم يُتِمَّ النعمةَ عليهم حتى غَفَرَ لهم.

---

[٤٠٤] ضعيف بهذا اللفظ والإسناد. أخرجه البيهقي في «الشعب» ٢٧٢٨ من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب به، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، واسمه عيسىٰ بن أبي عيسىٰ.

ـ والذي صح عن عثمان ما أخرجه البخاري ١٥٩ و ١٩٣٤ و ٦٤٣٣ ومسلم ٢٢٦ وغيرهما عن حمران مولىٰ عثمان أن عثمان بن عفان دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجلٍ ثلاثاً، ثم قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا وقال: «من توضأ نحو وضوئي هذا وصلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

---

(١) سورة ص: ٣٣. (٢) سورة النساء: ٤٣. (٣) سورة الفتح: ١ ـ ٢.

والثاني: بالهِدَاية إلى الإيمان، وإكمال الدِّين، وهذا قول ابن زيدٍ. **والثالث**: بالرُّخصَة في التَّيمُّم، قاله مُقاتلٌ، وأبو سُليمانَ. **والرابع**: ببيان الشَّرائع، ذَكَرَهُ بعضُ المُفسِّرين.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النِّعَمَ كُلَّها. وفي هذا حَثٌّ على الشُّكْر.

وفي المِيثاق أربعةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنه إقرارُ كلِّ مؤمنٍ بما آمنَ به. قال ابن عباسٍ: لمَّا أنزل اللهُ الكتاب، وبعثَ الرسولَ، فقالوا: آمنَّا، ذَكَّرَهُم ميثاقَهُ الذي أَقَرُّوا به على أنفسهم، وأَمَرَهُم بالوَفَاء. **والثاني**: أنه المِيثاقُ الذي أَخَذَهُ مِنْ بَني آدم حين أَخرَجَهم من ظَهْرِه، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وابن زيدٍ. **والثالث**: أنه ما وَثَّقَ على المؤمنين على لِسَانِ نَبيِّه عليه السَّلام من الأَمْرِ بالوفاء بما أَقَرُّوا به من الإيمان. رَوى هذا المعنى عليُّ بن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنه المِيثاقُ الذي أخذ من الصَّحابة على السَّمْع والطَّاعة في بَيْعَةِ العَقَبَةِ، وبيعة الرِّضوان، ذَكرهُ بعض المُفسِّرين. قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قال مُقاتلٌ: اتَّقُوه في نَقْضِ المِيثَاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من إيمانٍ وشَكٍّ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنها نزلت من أجل كُفَّار قُريشٍ أيضاً، وقد تقدَّم ذِكْرُهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ رَوى نحوَ هذا أبو صالحٍ، عن ابن عباسٍ، وبه قال مُقاتلٌ.

[٤٠٥] **والثاني**: أنَّ قُريشاً بَعثَتْ رجلاً لِيَقْتُلَ رسوَل الله ﷺ، فأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ على ذلك، ونَزلَتْ هذه الآيةُ، والتي بَعْدَهَا، هذا قول الحسَنِ.

[٤٠٦] **والثالث**: أنَّ النبيَّ ﷺ ذهب إلى يهودِ بني النَّضِير يَسْتَعِينُهُم في دِيَةٍ، فَهَمُّوا بقَتْلِهِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهدٌ، وقَتادةُ.

ومعنى الآية: كُونوا قَوَّامين لله بالحقِّ، ولا يَحْمِلَنَّكُم بُغْضُ قومٍ على تَرْكِ العَدْلِ ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ في

---

[٤٠٥] هو الآتي بعد حديث.

[٤٠٦] هو الآتي بعد حديث جابر.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٨١: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول ابن عباس، وهو أن معناه: ﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾ يعني وعهده الذي عاهدكم به حين بايعتم رسوله محمداً ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر.

الوَلِيّ والعَدُوّ ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: إلى التَّقوى. والمعنى: أقربُ إلى أنْ تكونوا مُتَّقِين، وقيل: هو أقربُ إلى اتِّقاء النَّار.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ في معناها قولان:

أحدهما: أن المعنى: وَعَدَهُم اللهُ أنْ يغفر لهم ويأجُرَهُم فاكتفى بما ذَكَر عن هذا المعنى.

والثاني: أن المعنى: وَعَدَهُم فقال: لهم مَغفِرةٌ. وقد بَيَّنّا في البقرة معنى «الجَحِيم»[(١)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾

في سبب نزولها أربعة أقوال[(٢)]:

[٤٠٧] **أحدها**: أن رجلاً مِنْ مُحارِبٍ قال لقومه: ألا أقْتُلُ لكُم مُحَمَّداً، فقالوا: وكيفَ تقتلهُ؟ فقال: أَفْتِكُ به، فأقْبَلَ إلى رسولِ الله ﷺ وسَيْفُهُ في حِجْرِه، فأَخَذَهُ، وجعل يَهُزُّهُ، ويَهُمُّ به، فيَكبِته اللهُ، ثم قال: يا محمَّدُ ما تَخافُنِي؟ قال: لا، قال: لا تَخافُني وفي يَدِي السَّيفُ؟! قال: يَمنَعُني اللهُ منكَ، فأَغْمَدَ السَّيفَ، فنزلت هذه الآية، رواه الحَسنُ البَصريُّ عن جابرِ بن عبد الله. وفي بعض الألفاظ: فَسَقَطَ السَّيفُ من يَدِهِ. وفي لفظٍ آخرَ: فما قالَ له النبيُّ ﷺ شيئاً ولا عاقَبَهُ. واسمُ هذا الرجل: غَوْرَث بن الحَارِثِ مِنْ مُحارب خصفة.

---

[٤٠٧] ذكر نزول الآية ضعيف. أخرجه الواحدي ٣٨٥ من طريق ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر به، وإسناده ضعيف، فيه عنعنة ابن إسحاق والحسن وكلاهما مدلس، وفيه عمرو بن عبيد، وهو ضعيف، والوهن في هذا الخبر بذكر نزول الآية، وأما أصل الحديث فصحيح. أخرجهُ البخاري ٤١٣٥ و ٤١٣٦ ومسلم ٨٤٣ والواحدي ٣٨٦ والبيهقي ٦/ ٣١٩ والطبري ١١٥٦٩ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ، قِبَل نجدٍ فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرّق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلّق بها سيفه، قال جابر، فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت له: الله، فها هوذا جالس» ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. وليس فيه سبب نزول الآية.
والقائلة: شدة الحر. والعضاه: شجر له شوك. واختراط السيف: سله. صلتاً: مجرداً من غمده.

---

(١) سورة البقرة: ١١٩.
(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/ ٤٨٧: وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ذلك: عنى الله بالنعمة التي ذكر في هذه الآية، نعمته على المؤمنين به وبرسوله، في استنقاذه نبيهم محمداً ﷺ مما كانت اليهود همت به في قتله ومن معه، يوم سار إليهم نبي الله ﷺ في الدية التي كان تحمّلها عن قتيلي عمرو بن أمية.

[٤٠٨] **والثاني**: أن اليهود عَزَموا على الفَتْكِ برسول الله ﷺ، فكَفاهُ الله شرَّهم، قال ابن عباسٍ: صَنَعُوا له طَعاماً، فأُوحِيَ إليه بِشأنِهم، فلَمْ يَأْتِ.

[٤٠٩] وقال مُجاهدٌ، وعِكرمةُ: خرج إليهم يَستعِينُهُم في دِيَةٍ، فقالوا: اِجْلِسْ حتى نُعْطِيَكَ، فجَلَسَ هو وأصحابُه، فخَلا بعضُهم ببعضٍ، وقالوا: لن تَجِدُوا محمَّداً أقربَ منه الآن، فمَنْ يَظْهَر على هذا البيت، فَيَطْرَح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحاش: أنا، فجاء إلى رَحَىً عَظيمةٍ لِيَطْرَحَهَا عليه، فأمسكَ اللهُ يَدَهُ، وجاء جِبريلُ، فأخبرَهُ، وخرجَ، ونزلت هذه الآية.

[٤١٠] **والثالث**: أن بَنِي ثَعْلَبَةَ، وبني مُحارِبٍ أرادوا أنْ يَفْتِكُوا بالنبيِّ ﷺ وبأصحابِه، وهُمْ ببطنِ نَخْلَة في غَزاةِ رسول الله ﷺ السَّابعة، فقالوا: إنَّ لهم صلاةً هي أَحَبُّ إليهم مِنْ آبائِهم وأُمَّهاتِهم، فإذا سجدوا وَقَعْنَا بهم، فأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ على ذلك، وأنزل صلاةَ الخَوفِ، ونزلت هذه الآية، هذا قول قَتادَة.

والرابع: أنها نزلت في حقِّ اليهود حين ظَاهَروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابنِ زيدٍ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال أبو العَالِيَة: أَخذَ اللَّهُ ميثاقَهم أن يُخلصوا له العبادة، ولا يعبُدوا غيره. وقال مُقاتلٌ: أن يعملوا بما في التَّوراة.

وفي معنى النَّقِيْبِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الضَّمِيْنُ، قاله الحَسنُ، ومعناه: أنه ضَمِيْنٌ لِيَعْرفَ أحوالَ مَنْ تحتَ يَدِهِ، ولا يجوز أن يكون ضَمِيْناً عنهم بالوَفاء، لأنَّ ذلك لا يَصِحُّ ضمانه. وقال ابن قُتيبةَ: هو الكَفِيْلُ على القوم. والنِّقابَةُ شبيهةٌ بالعَرافَة. **والثاني**: أنه الشَّاهِدُ، قاله قَتادةُ. وقال ابن فَارِسٍ: النَّقِيْبُ: شاهدُ القوم، وضَمِيْنُهم. **والثالث**: الأَمِينُ، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ، واليَزِيديُّ، وهذه الأقوال تَتقاربُ. قال الزجّاجُ: النَّقِيبُ في اللغة، كالأمين والكَفِيْل، يُقال: نُقِّبَ الرجلُ على القوم يُنَقِّبُ: إذا صار نَقِيباً عليهم، وصِناعته النِّقابَة، وكذلك عُرِّف عليهم: إذا صار عَرِيْفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجَرَبِ: النُّقْبَة، ويُجمع النُّقب والنُّقْب. وقال الشاعر:

---

[٤٠٨] أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ٢/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠ من طريق عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس مطوّلاً، ومقاتل متهم، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه الطبري ١١٥٦٧ بسند فيه مجاهيل. وانظر ما بعده،

[٤٠٩] أخرجه الطبري برقم ١١٥٦١ و ١١٥٦٢ عن مجاهد، وبرقم ١١٥٦٥ عن عكرمة، وكلاهما مرسل.

[٤١٠] مرسل. أخرجه الطبري ١١٥٦٨ عن قتادة مرسلاً. فهذه المراسيل تتأيد بمجموعها، وإن اختلفت ألفاظها، والله أعلم، فإن المعنى متحد، وهو محاولة الكفرة قتل النبي ﷺ.

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ[1]

ويقال: في فُلانٍ مَنَاقِبُ جميلةٌ، وكل الباب معناه: التَّأثير الذي له عُمقٌ ودُخُولٌ، ومن ذلك نَقَبْتُ الحَائِطَ، أي: بَلغتُ في النَّقْبِ آخِرَهُ، والنُّقْبَةُ من الجَرَبِ: داءٌ شديدُ الدُّخول. وإنما قيل: نَقِيب، لأنه يَعْلَمُ دَخِيْلَةَ أمر القوم، ويعرف مَنَاقِبَهم، وهو الطريق إلى معرفة أُمورِهم. ونُقل أنَّ الله تعالى أَمَرَ موسى وقومَه بالسَّير إلى الأرض المُقَدَّسة، وكان يسكنُها الجَبَّارون، فقال تعالى: يا موسى أخرج إليها وجَاهِد مَنْ فيها من العدو، وخُذْ مِنْ قومِك اثني عَشَرَ نَقِيباً، مِنْ كُلِّ سِبْطٍ نَقِيباً يكون كَفِيْلاً على قومه بالوفاء بما أُمِروا به، فاختاروا النُّقَبَاءَ. وفيما بُعِثُوا له قولان:

أحدهما: أن موسى بَعَثَهُم إلى بيت المَقْدِس، لِيَأْتُوه بِخَبَرِ الجَبَّارين، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، والسُّديُّ. **والثاني**: أنهم بُعِثُوا ضُمَنَاءَ على قَومِهِم بالوفاء بِمِيثَاقِهِم، قاله الحَسَنُ، وابن إِسحاقَ. وفي نُبوَّتِهم قولان: أصحُّهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ في الكلام مَحذوفٌ. تقديره: وقال اللَّهُ لهم. وفي المَقُول لهم قولان: **أحدهما**: أنهم بَنُو إسرائيلَ، قاله الجمهور. **والثاني**: أنهم النُّقَبَاءُ، قاله الرَّبيعُ، ومُقاتلٌ. ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾؛ أي: بالعَونِ والنُّصْرَة، وفي معنى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الإِعَانَةُ والنَّصْرُ، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهدٌ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه التَّعظيم والتَّوقير، قاله عَطاءٌ واليَزيديُّ، وأبو عُبيدةَ، وابنُ قُتيبَة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ في هذا الإِقْرَاضِ قولان: **أحدهما**: أنه الزَّكاة الوَاجبة. **والثاني**: صَدَقَةُ التَّطوّع. وقد شرحنا في البقرة معنى القَرْضِ الحَسَن.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ يُشيرُ إلى المِيثَاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أَخطأَ قَصْدَ الطريق.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ في الكلام محذوفٌ، تقديره: فَنَقَضُوا، فَبِنَقْضِهِم لَعَنَّاهم. وفي المُراد بهذه اللعْنَة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها التَّعذيبُ بالجِزْيَة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: التَّعذيبُ بالمَسْخ، قاله الحَسنُ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: الإِبعَادُ من الرَّحمة، قاله عَطاءٌ، والزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وعَاصمٌ، وأبو عَمروٍ، وابن عَامرٍ: ﴿قَٰسِيَةً﴾ بالألف، يقال: قَسَتْ، فهي قَاسِيَةٌ، وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، والمُفَضَّلُ، عن عَاصم: «قَسِيَّة» بغير ألفٍ مع تشديد الياء، لأنه قد يَجيء فَاعِل وفَعِيل، مثل شَاهِد وشَهِيْد، وعَالِم وعَلِيْم. و «القَسْوَةُ»: خلاف اللِيْنُ والرِّقَّةُ. وقد ذكرنا هذا في (البقرة).

(١) البيت لدريد بن الصمّة كما في «اللسان» مادة ـ نقب.

وفي تَحْرِيفِهِم الكَلِمَ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تَغيِيرُ حُدودِ التَّوراة، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: تَغيِيرُ صِفَةِ محمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: تَفْسِيرُهُ على غيرِ ما أُنزل، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ مُبَيَّنٌ في (سورة النِّساء).

قوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ النِّسيان ها هنا: التَّرْكُ عن عَمْدٍ. والحَظُّ: النَّصِيبُ. قال مُجاهدٌ: نَسُوا كتابَ الله الذي أُنزل عليهم، وقال غيرُه: تَرَكُوا نَصيبَهُم من الميثاق المَأخوذِ عليهم. وفي معنى ﴿ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: أُمِرُوا. **والثاني**: أُوصُوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ وقرأ الأَعْمَشُ «على خيانةٍ منهم» قال ابن قُتيبة: الخَائِنَة: الخِيَانَة. ويجوز أن تكون صفةً للخائِنِ، كما يُقال: رجلٌ طَاغِيَةٌ، وَراوِيَةٌ للحَديث. قال ابن عباسٍ: وذلك مِثلَ نَقْضِ قُرَيْظَةَ عهدَ رسولِ الله ﷺ، وخُروج كَعبِ بن الأَشْرَف إلى أهل مكَّةَ للتَّحريض على رسول الله ﷺ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ لم يَنْقُضُوا العَهْدَ، وهم عبدُ الله بن سَلاَّمٍ وأصحابُه. وقيل: بل القليل ممَّن لم يُؤمن.

قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ واختلفوا في نَسْخِهَا على قولين:

أحدهما: أنها مَنسُوخَةٌ، قاله الجمهور. واختلفوا في نَاسِخها على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها آية السَّيف. **والثاني**: قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ...﴾[1]. **والثالث**: قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً...﴾[2].

[٤١١] **والثاني**: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبينَ النبيِّ ﷺ عَهْدٌ، فغَدَرُوا، وأرادوا قتلَ النبيِّ ﷺ فأظهره الله عليهم، ثم أنزل اللَّهُ هذه الآيةَ، ولم تُنسَخ.

قال ابن جَرِيرٍ: يجوز أن يُعفى عنهم في غَدْرَةٍ فَعَلُوها، ما لم يَنْصِبُوا حَرْباً، ولم يمتنعوا من أَداءِ الجِزْيَة والإقرار بالصَّغَار، فلا يَتَوجَّه النَّسْخُ.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ قال الحَسنُ: إنما قال: قالوا: إنَّا نَصارى، ولم يقُل: مِنَ النَّصارى، لِيَدُلَّ على أنهم ليسوا على مِنهاج النَّصارى حقيقة، هُمُ الذين اتَّبعوا المَسِيحَ. وقال قَتادةُ: كانوا بقَرْيَةٍ، يُقال لها: نَاصِرَة، فَسُمُّوا بهذا الاسم، قال مُقاتلٌ: أُخِذَ عليهم الميثاقُ، كما أُخذ على أهلِ التَّوراة أن يؤمنوا بمحمَّدٍ، فتَرَكُوا ما أُمِرُوا به.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ قال النَّضرُ: هَيَّجْنا، وقال المُؤرِّجُ: حَرَّشْنا بعضَهم على بعض وقال الزجَّاجُ: أَلصَقْنَا بهم ذلك، يُقال: غَرِيتُ بالرَّجل غِرًى مَقصُوراً: إذا لَصِقْتُ به، هذا قول الأَصْمَعِيِّ.

---

[٤١١] تقدم آنفاً، وقد ساقه المصنف بمعناه. وانظر كلام الطبري في «تفسيره» ٤/٤٩٨ ـ ٤٩٩.

---

(١) سورة التوبة: ٢٩. (٢) سورة الأنفال: ٥٨.

وقال غيرُ الأصمعيّ: غَرِيْتُ به غِراءً ممدودٌ، وهذا الغِراءُ الذي يُغرى به إنَّما يُلْصَقُ به الأشياء، ومعنى أغْرَيْنَا بينهم العداوةَ والبَغضاءَ: أنهم صَارُوا فِرَقاً يُكفِّر بعضُهم بعضاً. وفي الهاء والميم من قوله ﴿بَيْنَهُمُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد وقتادة والسدي. **الثاني**: أنها ترجع إلى النَّصارى خاصَّةً، قاله الرَّبيعُ. وقال الزجّاجُ: هم النَّصارى، منهم النّسطُوريَّةُ واليَعقُوبيَّةُ والملكيَّةُ، وكلُ فِرْقةٍ منهم تُعادي الأخرى. وفي تمام الآية وَعيدٌ شديدٌ لهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود. **والثاني**: اليهود والنَّصارى. و «الرّسول»: محمدٌ ﷺ. قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال ابن عباس: أخفوا آية الرَّجْم[1]، وأمْرَ محمَّدٍ عليه السلام وصفتَهُ ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ يتجاوزُ، فلا يُخبرهم بكِتْمَانه. فإن قيل: كيف كان له أن يُمسك عن حقّ كَتَمُوه فلا يُبينُه؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه كان مُتَلَقِّياً ما يُؤمر به، فإذا أُمر بإظهار شيء من أمْرِهم، أظهره، وأخَذَهُم به، وإلاَّ سَكَتَ. **والثاني**: أن عَقْدَ الذِّمَّة إنما كان على أن يُقَرُّوا على دِينهم، فلما كَتَمُوا كثيراً مما أُمِروا به، واتَّخذوا غيرَه دِيناً، أظهر عليهم ما كَتَمُوه مِن صِفَتِهِ وعَلامةِ نُبوَّته، لتتحقَّقَ معجزتُه عندهم، واحتكَمُوا إليه في الرَّجْم، فأظهر ما كَتَمُوا مما يُوافق شريعَتَه، وسكَتَ عن أشياءَ ليتحقَّق إقرارَهم على دينهم. قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ قال قَتادةُ: يعني بالنُّور: النبيَّ محمَّداً ﷺ. وقالَ غيره: هو الإسلام، فأما الكتاب المُبين، فهو القرآن.

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعني: بالكتاب. ورِضْوانه: ما رَضِيَهُ اللهُ تعالى. و «السُّبل»، جمعُ سَبيلٍ، قال ابن عباسٍ: سُبُل السَّلام: دِين الإسلام. وقال السُّدِّيُّ: «السلام»: هو الله، و «سبله»: دِينه الذي شَرَعَهُ. قال الزجّاجُ: وجائزٌ أن يكون «سُبُل السَّلام» طريق السَّلامة التي مَنْ سَلَكَها سَلِمَ في دِينه، وجائزٌ أن يكون «السَّلام» اسمُ الله عزَّ وجلّ، فيكون المعنى: طُرُق الله عزَّ وجلَّ. قوله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال ابن عباسٍ: يعني الكُفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني: الإيمان ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: بأمْرِهِ ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ وهو الإسلام. وقال الحَسن: طريقُ الحقّ.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾

---

(١) أخرجه الطبري ١١٦١٢ بسند حسن عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ قال ابن عباس: هؤلاءِ نَصارى أهل نَجْران، وذلك أنهم اتَّخذُوه إلَهاً ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: فَمَنْ يَقْدِرُ أن يدفع مِنْ عذابه شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: فَلو كان إلهاً كما تزعمون لقَدَر أن يَرُدَّ أمرَ الله إذا جَاءَهُ بإهلاكِهِ أو إهلاكِ أُمِّه، ولما نَزَل أَمْرُ الله بأمِّه، لم يَقْدِرْ أن يدفعَ عنها. وفي قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ردٌّ عليهم حيث قالوا للنبيِّ: فهاتِ مِثْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَب[1]. فإن قيلَ: فلِمَ قال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ولم يَقُلْ: وما بَيْنَهُنَّ؟ فالجواب أن المعنى: وما بَين هَذَيْنِ النَّوعينِ مِنَ الأشياء، قاله ابن جَرير.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ قال مُقاتلٌ: هُمْ يهودُ المَدينة، ونَصارى نَجْران. وقال السُّدِّيّ: قالوا: إنَّ اللّه تعالى أوحَى إلى إسرائيلَ: إنَّ وَلَدَكَ بِكْرِي مِنَ الوَلَدِ. فأُدْخِلهُمُ النَّارَ فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تُطَهِّرَهُم، وتأْكلَ خطاياهُم، ثم يُنادي مُنادٍ: أخرجوا كلَّ مَخْتُونٍ من بني إسرائيلَ. وقيل: إنهم لما قالوا: المَسِيْحُ ابنُ الله، كان معنى قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنَّا ابنُ الله. وفي قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إبطالٌ لِدَعْوَاهم، لأنَّ الأبَ لا يُعذِّب وَلَدَهُ، والحَبيبُ لا يُعذِّبُ حَبيبَهُ وهم يقولون: إنَّ الله يُعَذِّبنا أربعين يوماً بالنار. وقيل: معنى الكلام: فلِمَ عَذَّبَ منكم مَنْ مَسَخَهُ قِردةً وخَنازيرَ؟ وهم أصحابُ السَّبْتِ والمَائِدَة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: أنتم كَسَائِرِ بَني آدمَ تُجازَوْن بالإحسان والإسَاءَة. قال عَطاءٌ: يغفر لِمَنْ يشاء، وهُمُ المُوَحِّدون، ويُعَذِّب مَنْ يشاء، وهمُ المشركون.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾.

[٤١٢] سبب نزولها: أن مُعَاذَ بن جَبَلٍ، وسعدَ بن عُبَادَةَ، وعُقْبَةَ بن وَهْبٍ، قالوا: يا معشرَ اليهود اتَّقُوا اللّهَ، واللّهِ إنَّكم لَتَعْلَمُون أنه رسولُ الله، كنتم تَذْكُرونَهُ لنا قبل مَبْعثِهِ، وتَصِفُونَهُ بِصِفَتِهِ. فقال وَهْبُ بن يَهُوذَا، ورَافِعٌ: ما قُلنا هذا لكم، وما أَنْزَلَ اللّهُ بعد موسى مِنْ كتابٍ، ولا أَرْسَلَ رسولاً بشيراً ولا نذيراً بعده، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ.

فأما «الفَتْرَةُ» فأصلها السُّكون، يُقال: فَتَرَ الشيءُ يَفْتُرُ فُتُوراً: إذا سَكَنَتْ حِدَّتُهُ، وانقطعَ عمَّا كان

---

[٤١٢] ضعيف. أخرجه الطبري ١١٦١٩ من طريق محمد بن إسحاق به. وشيخه محمد بن أبي محمد مجهول كما في التقريب، وقال الذهبي في «الميزان» لا يعرف.

---

(١) تقدم في آل عمران.

عليه، والطَّرْفُ الفَاتِر: الذي ليس بحَدِيْدٍ. والفُتُورُ: الضَّعفُ. وفي مُدَّة الفترة بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلام أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلامُ ستمائة سنةً، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال سَلْمَانُ الفَارِسيُّ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: خمسمائة سنة وستون سنةً، قاله قَتَادةُ. **والثالث**: أربع مائةٍ وبضعٌ وثلاثون سنةً، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: خمسمائة سنة وأربعون سنةً، قاله ابن السَّائِبِ. وقال أبو صالح عن ابن عباسٍ ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: انقطاعٍ منهم، قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمَّدٍ عليهما السَّلام خمسمائة سنة وتسعةٌ وتسعون سنةً، وهي فَتْرَةٌ. وكان بعد عيسى أربعةٌ من الرُّسل، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[1]. قال: والرَّابع لا أدري مَنْ هُوَ. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربعٌ وثلاثون نُبوَّةً وسَائِرُها فَتْرَةٌ. قال أبو سُليمان الدِّمشقي: والرابع، والله أعلم: خَالدُ بن سِنَان الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

[٤١٣] «نبيٌ ضيَّعه قومُه».

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ قال الفَرَّاءُ: كي لا تقولوا: مِثْلُ قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[2]. وقال غيره: لِئَلاَّ تقولوا، وقيل: كَرَاهَة أنْ تقولوا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم السَّبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجَبَل، جعلهم الله أنبياء بعد مُوسى وهَارُونَ، وهذا قول ابن السَّائِبِ ومُقاتِلٍ. **والثاني**: أنهم الأنبياء الذين أُرسِلوا من بني إسرَائيلَ بعد مُوسى، ذكره المَاورديُّ.

وبماذا جَعَلَهُم مُلوكاً؟ فيه ثمانية أقوالٍ: **أحدها**: بالمَنِّ والسَّلوَى والحَجَر. **والثاني**: بأن جعل للرجل منهم زوجةً وخادماً. **والثالث**: بالزَّوجة والخَادم والبيت، رُويت هذه الثلاثة عن ابن عباسٍ، وهذا الثالث اختيار الحَسَنِ، ومُجاهِدٍ. **والرابع**: بالخادم والبيت، قال عِكرِمَةُ. **والخامس**: بتَمليْكِهِم الخَدَم. وكانوا أوَّلَ مَنْ مَلَكَ الخَدَمَ، ومن اتَّخذَ خادماً فهو مَلِكٌ، قاله قَتادةُ. **والسادس**: بِكَونِهم أحراراً يَمْلِكُ الإنسانُ منهم نَفْسَهُ وأهلَهُ ومالَهُ، قاله السُّدِّيُّ. **والسابع**: بالمنازل الواسعة، فيها المِيَاهُ الجَارِيَةُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثامن**: بأن جعل لهم المُلْكَ والسُّلطَانَ، ذكره المَاورديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ اختلفوا فيمن خُوطِبَ بهذا على قولين: **أحدهما**: أنهم قومُ موسى، وهذا مذهب ابن عباسٍ، ومُجاهِدٍ. قال ابن عباسٍ: ويعني بالعَالَمِين: الذين

---

[٤١٣] ضعيف منكر. أخرجه البزار ٢٣٦١ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف قيس بن الربيع.
وهو معارض بحديث «أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أبناء عَلاّت، وليس بيني وبين عيسى نبي».
ـ أخرجه البخاري ٣٤٤٣ ومسلم ٢٣٦٥ وأحمد ٢/ ٣١٩ وغيرهم من حديث أبي هريرة.
ـ فهذا يرد الحديث المتقدم، بل ولا يصح ثبوت نبوة رجل بخبر ضعيف.

---

(١) سورة يس: ١٤. (٢) سورة النساء: ١٧٦.

هُمْ بين ظَهرانيهم. وفي الذي آتاهم ثلاثة أقوالٍ: أحدها: المَنُّ والسَّلوَى والحَجَرُ والغَمَامُ، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ وقال به. والثاني: أنه الدَّارُ والخَادِمِ والزَّوجة، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ. قال ابن جَرِيرٍ: ما أُوتِيَ أحدٌ من النِّعم في زمانِ قوم موسى ما أُوتوا. والثالث: كثرةُ الأنبياء فيهم، ذكره المَاوَرديُّ.
والثاني: أن الخِطَابَ لأمَّة محمَّدٍ ﷺ، وهذا مذهبُ سعيدِ بن جُبيرٍ وأبي مَالكٍ.

﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ﴾ وقرأ ابن مُحَيصنٍ: «يا قومُ ادخلوا» بضمِّ الميم، وكذلك «يا قومُ اذكروا» و «يا قومُ اعبدوا»[١]. وفي معنى ﴿ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ قولان:

أحدهما: المُطَهَّرَة، قاله ابن عباسٍ، والزجَّاجُ. قال: وقيل للسَّطْل: القَدَس، لأنه يُتَطَهَّر منه، وسُمِّي بيتَ المَقْدس، لأنه يُتَطَهَّر فيه من الذنوب. وقيل: سمَّاها مقدَّسةً، لأنها طُهِّرَتْ من الشِّرك، وجُعلت مَسْكَناً للأنبياء والمؤمنين. **والثاني**: أن المُقَدَّسة: المُبَارَكة، قاله مُجاهدٌ.

وفي المُراد بتلك الأرض أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها أَرِيحا: رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد. قال السدي: أريحا هي أرض بيت المَقْدِس. ورُوي عن الضَّحَّاك أنه قال: المُراد بهذه الأرض إِيْليَاء وبيتُ المَقْدِس. قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسىٰ أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء ومن إيلياء بيت المقدس، فهذا يدلُّ على أن إِيْليَاءَ الأرضُ التي فيها بيتُ المَقْدِس، وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللّغويِّ أن إِيْليَاءَ بيتُ المَقْدِسِ، وهو معرَّبٌ. قال الفَرَزْدَقُ:

وبَـيْـتَـانِ بَـيْـتُ الله نَـحْـنُ وُلاتُـهُ وبَـيْـتٌ بـأَعْـلَـى إِيـلِـيَـاءَ مُـشَـرَّفُ

والثاني: أنها الطُّور وما حَولَهُ، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ وقال به. **والثالث**: أنها دِمَشْقُ وفِلسطِينُ وبعضُ الأُردُنِ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها الشَّامُ كُلُّها، قاله قَتَادةُ.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى أَمرَكُم وفرضَ عليكم دُخولَها، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه بمعنى: وَهَبَها اللَّهُ لكم، قاله محمَّدُ بن إسحَاقَ. وقال ابن قُتيبةَ: جعلها لكم. **والثالث**: كتبَ في اللوح المَحفُوظ أنها مَسَاكِنُكم.

فإن قيلَ: كيف قال: فإنَّها مُحَرَّمةٌ عليهم، وقد كَتَبها لهم؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه إنَّما جَعَلَها لهم بشَرْطِ الطَّاعة، فلما عَصَوْا حرَّمَها عليهم.

والثاني: أنه كتبها لِبَنِيْ إسرائيلَ، وإليهم صَارَتْ، ولم يَعْنِ موسى أن الله كَتَبَهَا للذين أُمِروا بدُخولها بأَعيَانِهم. قال ابن جَرِيرٍ: ويجوز أن يكون الكلامُ خرجَ مخرج العُموم، وأُرِيدَ به الخُصوص فتكون مكتوبةً لبعضهم، وقد دَخَلها يُوشَعُ، وكَالَب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا تَرجِعوا عن أَمرِ الله إلى معصيته. **والثاني**: لا تَرْجِعوا إلى الشِّرك به.

---

(١) سورة الأعراف: ٥٩.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال الزجّاج: الجَبّارُ مِنَ الآدَمِيين: الذي يُجبِرُ الناسَ على ما يُريد، يُقال: جَبَّار: بَيِّنُ الجَبرِيَّة، والجِبرِيَّة بكسر الجيم والباء، والجَبرُوَّةُ والجُبُورة والتَّجبَار والجَبَرُوتِ. وفي معنى وَصْفِهِ هؤلاءِ بالجَبَّارين ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا ذَوي قوَّةٍ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم كانوا عِظَام الخَلق والأجسام، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنهم كانوا قَتالين، قاله مُقاتلٌ.

الإشارة إلى القصة

قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومُه بمدينة الجَبّارين، بعثَ اثني عشرَ رجلاً، لِيأتُوه بخَبَرِهم، فَلَقِيَهم رجلٌ من الجَبَّارين، فجعلهم في كِسائه، فأتَى بهم المدينةَ، ونادى في قومه، فاجتمعوا، فقالوا لهم: مِنْ أين أنتم؟ فقالوا: نحنُ قومُ موسى بَعَثَنا لِنَأتيَه بخَبرِكم، فأعطوهُم حبَّةً من عنبٍ توقِر[١] الرجل، وقالوا لهم، قولوا لموسى وقومِه: اقدُروا قَدْرَ فاكهِهم، فلمَّا رَجَعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبَّارين. وقال السُّدِّيُّ: كان الذي لَقِيَهُم، يقال له: عَاج، يعني: عَوج بن عَناق، فأخذ الاثني عشرَ، فجَعَلَهُم في حُجزَتِه وعلى رأسه حُزمَةُ حَطَبٍ، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: أنظري إلى هؤلاءِ الذين يزعمون أنهم يُريدون قِتَالَنَا، فطَرَحَهُم بين يدَيْهَا، قال: ألا أَطْحَنُهم برِجْلِي؟ فقالت امرأته: لا، بل خَلِّ عنهم حتى يُخبِروا قومَهم بما رَأَوا. فلمَّا خرجوا قالوا: يا قومُ إن أخبرتم بَني إسرائيلَ بخَبَرِ القوم، ارتَدُّوا عن نبيِّ الله، فأخذوا المِيثَاقَ بينهم على كِتمان ذلك، فَنَكَثَ عشرةٌ، وكَتَمَ رَجُلان، وقال مُجاهدٌ: لمَّا رأى النُّقَباءُ الجَبَّارين، وجدوهم يدخل في كُمِّ أَحَدِهم اثنان منهم، ولا يَحْمِلُ عُنقودَ عِنَبِهم إلا خمسةٌ أو أربعةٌ، ويدخل في شَطْرِ الرُّمَّانَة إذ نُزِعَ حَبُّهَا خمسةٌ أو أربعةٌ، فرجع النُّقَباء كلُّهم ينهَى سِبْطَهُ عن قتالهم إلا يُوشَع، وابن يُوقَنَّا[٢].

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ في الرَّجلين ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهما يُوشَعُ بن نُون، وكَالَب بن يُوقنَّة، قاله ابن عباسٍ. وقال مُجاهدٌ: ابن يُوقَنَّا، وهما من النُّقَباءِ. **والثاني**: أنهما كَانَا من الجَبَّارين فأسلَمَا، رُوي عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهما كَانَا في مدينة الجَبَّارين، وهما على دِين مُوسى، قاله الضَّحَّاكُ. وقرأ ابن عباسٍ، ومُجاهدُ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وأبو رَجَاء، وأيُّوبُ: «يُخافون» بضم الياء، على معنى أنهما كَانَا من العدوِّ، فخَرجَا مؤمِنين. وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم خافوا اللهَ وَحدَهُ. **والثاني**: خافوا الجَبَّارين، ولم يمنعهم خوفُهم قولَ الحقِّ. **والثالث**: يُخاف منهم، على قراءة ابن جُبيرٍ. وفيما أنْعَمَ به عليهما أربعة أقوالٍ: **أحدها**: الإسلام، قاله ابن عباسٍ.

---

(١) في «اللسان»: الوِقر: الحمل الثقيل.
(٢) هذه الأخبار من مجازفات الإسرائيليين وترّهاتهم، وفيها من المبالغة ما لا يخفى.

والثاني: الصَّلاح والفَضْلُ واليقينُ، قاله عَطَاءٌ. **والثالث**: الهُدَى، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: الخوف، ذكره ابن جَريرٍ عن بعض السَّلف. قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ قال ابن عباس: قال الرَّجلان: ادخلوا عليهم بابَ القَرية فإنهم قد مُلِئوا منَّا رُعباً وفَرَقاً.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ قال ابنُ زيدٍ: قالوا له: أَنْظُر كما صنعَ ربُّك بفرعونَ وقومِه، فَلْيَصْنَع بهؤلاءِ. وقال مُقاتلٌ: فَاذهَبْ أنتَ وسَلْ ربَّكَ النَّصرَ. وقال غيرهما: اذهبْ أنتَ وليُعِنكَ ربُّكَ.

[٤١٤] قال ابن مسعودٍ: لقد شهدتُ من المِقْدَادِ مَشْهَداً لأَنْ أكون صاحبَهُ أحبُّ إليَّ مِمَّا عُدِلَ به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يَدعُو على المشركين، فقال: لا نقولُ لكَ كَمَا قالَ قومُ موسى لِمُوسى: اذهبْ أنتَ وربُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هاهُنَا قاعدون، ولكنَّا نُقاتلُ عن يمينكَ وعن شِمالكَ، ومِنْ بينِ يديكَ ومن خَلْفِكَ. فرأيتُ رسولَ الله ﷺ أشْرَقَ لذلك وَجْهُهُ وسُرَّ به.

[٤١٥] وقال أنسٌ: استشَارَ رسولُ الله ﷺ الناسَ يوم خرج إلى بَدْرٍ، فأشَارَ عليه أبو بَكرٍ، ثم استَشَارَهُم، فأشارَ عليه عُمَرُ فَسَكَتَ، فقال رجلٌ من الأنصار: إنما يُريدُكُم، فقالوا: يا رسولَ الله! لا نقولُ لكَ كما قالت بَنُو إسرائيلَ لموسى: اذهبْ وأنتَ وربُّكَ فَقاتِلا إنَّا هَا هُنَا قَاعدون، ولكنْ واللهِ لو ضَرَبْتَ أكبَادَهَا حتى تَبْلُغَ بَرْكَ الغِماد لَكُنَّا معكَ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا أملكُ إلا نَفْسِي، وأخي لا يَمْلِكُ إلا نَفْسَهُ. **والثاني**: لا أملكُ إلا نَفْسِي وإلاَّ أخي، أي: وأَمْلِكُ طاعةَ أخي، لأنَّ أخاه إذا أطَاعه فهو كالمِلْكِ له، وهذا على وَجهِ المَجَاز، كما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال:

[٤١٦] «ما نَفعَنِي مالٌ قط ما نَفَعَنِي مالُ أبي بَكْرٍ» فبكَى أبو بَكرٍ، وقال: هَلْ أَنَا ومَالِي إلا لكَ يا رسولَ الله، يعني: أنِّي مُتَصرِّفٌ حيث صَرَّفتني، وأَمْرُكَ جائزٌ في مَالِي.

قوله تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباسٍ: اِقْضِ بيننَا وبينَهم. وقال أبو عُبيدةَ: بَاعِدْ، وافْصِلْ، وَمَيِّزْ. وفي المُراد بالفاسقين ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: العَاصُون، قاله ابن عباسٍ.

---

[٤١٤] صحيح. أخرجه البخاري ٣٩٥٢ و ٤٦٠٩ والنسائي في «التفسير» ١٦٠ من حديث ابن مسعود.

[٤١٥] صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ١٦١ وأحمد ٣/ ١٠٥ و ١٨٨ وأبو يعلى ٣٧٦٦ و ٣٨٠٣ وابن حبان ٤٧٢١ من حديث حميد الطويل عن أنس، وإسناده على شرط الشيخين. وأخرجه مسلم ١٧٧٩ وأبو داود ٢٦٨١ وأحمد ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ وابن حبان ٤٧٢٢ من طريق حماد عن ثابت عن أنس نحوه.

[٤١٦] صحيح. أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» ٩ وابن ماجة ٩٤ وابن أبي شيبة ١٢/ ٦ ـ ٧ وأحمد ٢/ ٢٥٣ ـ ٣٦٦. وابن حبان ٦٨٥٨، وهو حديث صحيح، رووه من حديث أبي هريرة. وأخرجه بأطول مما هنا الترمذي ٣٦٦١ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وأصله متفق عليه.

والثاني: الكاذبون، قاله ابن زَيدٍ. **والثالث**: الكافرون، قاله أبو عُبيدة، قال السُّدِّيُّ: غَضِبَ موسى حينَ قالوا له: اذهبْ أنتَ وربُّكَ، فدَعَا عليهم، وكانت عَجَلَةً مِنْ موسى عَجِلَهَا.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ الإشارة إلى الأرض المُقدَّسة. ومعنى تَحْريمِها عليهم: مَنْعُهم منها. فأمّا نَصبُ «الأربعين»، فقال الفَرَّاءُ: هو منصوبٌ بالتَّحريم، وجائزٌ أن يكون منصوباً بـ «يتيهون». وقال الزجَّاجُ: لا يجوز أن يَنْتَصِب بالتَّحريم، لأن التفسير جاء أنها مُحَرَّمةٌ عليهم أبداً، قلتُ: وقد اختلف المُفسِّرون في ذلك، فذهب الأكثرون، منهم عِكرمَةُ، وقَتادةُ، إلى ما قال الزجَّاجُ، وأنها حُرِّمت عليهم أبداً، قال عِكرمَةُ: فإنها محرَّمةٌ عليهم أبداً يَتِيهُون في الأرض أربعين سنةً، وذهب قومٌ، منهم الرَّبيعُ بن أنسٍ، إلى أنها حُرِّمت عليهم أربعينَ سنةً، ثم أُمِروا بالسَّيْرِ إليها، وهذا اختيار ابن جَريرٍ. قال: إنما نُصبتْ بالتَّحريم، والتَّحريم كان عامّاً في حقِّ الكُلِّ، ولم يدخلها في هذه المُدَّة منهم أَحَدٌ، فلمَّا انقضت، أُذِنَ لمن بقي منهم بالدُّخول مع ذَرَارِيهم. قال أبو عُبيدةَ: ومعنى: يَتِيهُون: يَحُورُونَ ويَضِلُّون.

الإشارة إلى قصّتهم

قال ابن عباس: حرَّم الله على الذين عَصَوْا دُخُولَ بيت المَقْدِس، فلَبِثُوا في تِيْهِهِم أربعين سنةً، وماتوا في التِّيْهِ، ومات موسى وهارونُ، ولم يدخل بيتَ المَقْدِسِ إلا يُوشَعُ وكَالَب بأبناءِ القوم، وناهَضَ يُوشَعُ بِمَنْ بقي معه مدينةَ الجَبَّارين فَافتَتَحها. وقال مُجاهدٌ: تَاهُوا أربعين سنةً يُصبحون حيث أَمْسَوا، ويُمسُون حيث أَصْبَحوا. وقال السُّدِّيُّ: لمَّا ضربَ الله عليهم التِّيْهَ، نَدِمَ موسى على دُعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعتَ بِنَا، أينَ الطَّعام؟ فأنزل الله المَنَّ. قالوا: فأين الشَّرابُ؟ فأَمر موسى أنْ يضربَ بِعصاه الحَجَرَ. قالوا: فأينَ الظِّلُّ؟ فَظَلَّلَ عليهم الغَمَامَ. قالوا: فأين اللباسُ؟ وكانت ثيابهم تَطُولُ معهم كما تَطُول الصِّبيان، ولا يتخرَّقُ لهم ثوبٌ، وقُبِضَ موسى ولم يَبْقَ أَحَدٌ ممَّن أَبَى دخولَ قرية الجَبَّارين إلاَّ مات، ولم يَشْهَدِ الفَتْحَ. وفيه قولٌ آخر أنَّه لما مَضَتْ الأربعون خرج موسى بِبَني إسرائيلَ من التِّيْهِ، وقال لهم: ادخلوا هذه القريةَ، فَكُلُوا منها حيثُ شِئْتُم رَغَداً، وادخُلوا الباب سُجَّداً، وقولوا حِطَّةٌ... إلى آخر القصَّة. وهذا قول الرَّبيع بن أَنَسٍ، وعبدِ الرَّحمن بن زيدٍ. قال ابن جَريرٍ الطَّبريّ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: وهذا الصَّحيحُ، وأَنَّ موسى هو الذي فَتَحَ مدينةَ الجَبَّارين مع الصَّالحين من بَني إسرائيلَ، لأن أهل السِّيرة أجمعوا على أنَّ موسى هو قَاتِلُ عَوج، وكان عَوجُ مَلِكَهُم، وكان بَلْعَمُ بن بَاعُورَاءَ فيمن سَبَاهُ مُوسى وقَتَلَهُ، ولم يدخل مع موسى مِنْ قُدَمَائِهم غيرُ يُوشَعَ وكالب، وإنما حُرِّمت على الذين لم يُطيعوا. وفي مسافة أرض التِّيهِ قولان: **أحدهما**: تسعةُ فَرَاسِخَ، قَاله ابن عباسٍ. قال مُقاتلٌ: هذا عَرْضُها، وطُولها ثلاثون فَرْسَخاً. **والثاني**: ستةُ فَرَاسِخَ في طُول اثني عَشَرَ فَرْسَخاً، حكاهُ مُقاتلٌ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال الزجَّاجُ: لا تحزن على قومٍ شَأْنُهم المعاصي، ومُخالفةُ الرُّسُل. وقال ابنُ قُتيبةَ: يُقال أَسِيتُ على كذا، أي: حَزِنْتُ، فأنا آسَى أَسَىً.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ النَّبأ: الخَبَرُ. وفي ابنَيْ آدمَ قولان:

أحدهما: أَنَّهُما ابْنَاهُ لِصُلْبِه، وهما قَابِيْلُ وهَابِيْلُ، قاله ابن عُمرَ، وابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ.

والثاني: أنهما أخوانِ مِنْ بَنِي إسرائيلَ، ولم يَكُونا ابنَيْ آدمَ لِصُلْبِهِ، وهذا قول الحَسَنِ، والعلماءُ على الأَوَّلِ، وهو أَصَحُّ لقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[1] ولو كان مِنْ بَنِي إسرائيلَ، لَكَانَ قد عَرَفَ الدَّفْنَ.

[٤١٧] ولأنَّ النبيَّ ﷺ قال عنه: «إنه أَوَّل مَنْ سَنَّ القَتْلَ».

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: كَمَا كَانَ. والقُرْبَانُ: فُعْلاَنُ من القُرْبِ، وقد ذكرناه في آلِ عِمْرَان. وفي السَّببِ الذي قَرَّبا لأَجْلِه قولان: **أحدهما**: أنَّ آدمَ عليه السلام كان قد نُهِيَ أن يُنْكِحَ المرأة أَخَاهَا الذي هو تَوأَمُها، وأُجيزَ له أن يُنكِحَهَا غيرَهُ من إخوتها، وكان يُولد لهُ في كلِّ بطنٍ ذكرٌ وأنثى، فوُلِدَت له ابنةٌ وَسِيمَةٌ، وأخرى دَمِيمَةٌ، فقال أخو الدَّمِيمَة لأخي الوَسِيْمَة: أَنكِحْنِي أُختَكَ، وأُنكِحُكَ أُختي، فقال أخو الوَسِيْمَة: أنا أحقُّ بأُختي، وكان أخو الوَسِيمة صاحبَ حَرْثٍ، وأخو الدَّميمةِ صاحبَ غَنَم، فقال: هَلُمَّ فلنُقرِّب قُرْبَاناً، فأيُّنا تُقُبِّل قُربانُه فهو أحقُّ بها، فجاء صاحبُ الغَنَم بكَبْشٍ أبيضَ أَعْيَنَ أَقْرَنَ، وجاء صاحبُ الحَرْثِ بِصُبْرَةٍ[2] من طعام، فتُقُبِّل الكَبْشُ، فخزنه الله في الجنَّة أربعين خريفاً، فهو الذي ذَبَحَهُ إبراهيمُ، فقَتَلَهُ صاحبُ الحَرْثِ، فوَلَدُ آدم كُلُّهم من ذلك الكَافِرِ، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهما قَرَّبَاهُ من غير سببٍ. رَوى العوفيُّ عن ابن عباس أن ابنَيْ آدَمَ كانا قَاعِدَين يوماً، فَقَالاَ: لو قَرَّبنا قُرباناً، فجاء صاحبُ الغَنم بخَير غَنَمِهِ وأَسْمَنِها، وجاء الآخر ببعض زَرْعِهِ، فنزلت النَّارُ، فأكَلت الشَّاةَ، وتركَتْ الزَّرْعَ، فقال لأخيه: أَتَمْشِي في الناس وقَدْ عَلِمُوا أنَّ قُربانَك تُقُبِّل، وأنكَ خَيرٌ مِنِّي لأَقْتُلَنَّكَ.

واختلفوا هل قَابِيْلُ وأُختُه وُلِدَا قبلَ هَابِيْلَ وأُختِه، أم بَعْدَهُما؟ على قولين، وهل كان قَابِيْلُ كافراً أو فَاسِقاً غيرَ كَافرٍ؟ فيه قولان: وفي سبب قَبُولِ قُربَان هَابِيْلَ قولان: **أحدهما**: أنه كان أَتْقَى لله من قَابِيْلَ. **والثاني**: أنه تقرَّبَ بخِيَارِ مَالِه، وتقرَّبَ قابيلُ بشرِّ مالِه. وهل كان قُربانُهما بأَمْرِ آدمَ، أَمْ مِنْ قِبَلِ أنفسهما؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه كان وآدمُ قد ذهبَ إلى زيارة البيت. **والثاني**: أن آدمَ أَمَرَهُما بذلك.

---

[٤١٧] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٣٥ و ٦٨٦٧ و ٧٣٢١ ومسلم ١٦٧٧ والترمذي ٢٦٧٣ والنسائي ٧/ ٨١ ـ ٨٢ في «التفسير» ١٦٢ وعبد الرزاق ١٩٧١٨ وابن ماجة ٢٦١٦ وأحمد ١/ ٣٨٣ وابن أبي شيبة ٩/ ٣٦٤ وابن حبان ٥٩٨٣ والطحاوي في «المشكل» ١/ ٤٨٣ من حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوّل كفل من دمها، لأنه أول من سنّ القتل؟». وانظر «تفسير الشوكاني» ٧٩٤ و «أحكام القرآن» ٦٩٠ بتخريجنا.

---

(١) سورة المائدة: ٣١.

(٢) في «اللسان»: الصُّبْرة: ما جُمع من الطعام بلا كيل ولا وزن. كالكومة.

وهل قُتِلَ هَابيلُ بعد تزويج أُخت قَابِيْلَ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قَتَلَهُ قبل ذلك لِئَلاً يصلَ إِليها. **والثاني**: أنه قَتَلَهُ بعد نِكَاحِها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وروى زيدٌ عن يَعقوبَ: «لأقتلنك» بسكون النون وتخفيفها. والقائل: هو الذي لم يُتقبَّل منه. قال الفَرَّاءُ: إنما حذفَ ذِكْرَه، لأنَّ المعنى يَدُلُّ عليه، ومِثْلَ ذلك في الكلام أَنْ تقول: إِذَا رأيتَ الظَّالمَ والمَظْلُوم أَعِنْتَ، وإذا اجتمَعَ السَّفِيْهُ والحَلِيْمُ حُمِدَ، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يُشْكِل، فلو قلتَ: مرَّ بي رجلٌ وامرأةٌ، فأعنتُ، وأنت تريد أحدَهُما، لم يَجُزْ، لأنه ليس هناك علامةٌ تدلُّ على مُرادِكَ. وفي المُراد بالمُتَّقين قولان: **أحدهما**: أنهم الذين يتَّقون المعاصي، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنهم الذين يتَّقُون الشِّرك، قاله الضَّحَّاكُ.

﴿لَبِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أما أنا بِمُنْتَصِر لِنَفْسي، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: ما كنتُ لأَبْتَدِئَكَ، قاله عِكرِمَةُ. وفي سبب امتناعه مِنْ دَفْعِهِ عنهُ قولان: **أحدهما**: أنه مَنَعَهُ التَّحرُّجُ مع قُدرته على الدَّفع وجَوازه له، قاله ابنُ عُمرَ وابن عباسٍ. **والثاني**: أنَّ دَفْعَ الإِنسانِ عن نَفْسِه لم يَكُن في ذلك الوقت جَائزاً، قاله الحسَنُ ومُجاهدٌ.

وقال ابن جَرير: ليسَ في الآية دليلٌ على أنَّ المَقْتُولَ عَلِمَ عَزْمَ القَاتِلِ على قَتْلِهِ، ثمَّ تركَ الدَّفعَ عن نَفْسِه، وقد ذُكِر أنه قَتَلَهُ غِيْلَةً، فلا يُدَّعى ما ليس في الآية إلا بدليلٍ.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إني أُريدُ أن ترجع بإثم قَتْلِي وإثمِكَ الذي في عُنُقِكَ، هذا قول ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ. ومُجاهدٍ، وقَتادة، والضَّحَّاكِ. **والثاني**: أَنْ تَبوءَ بإثمي في خَطَايايَ، وإثمِكَ في قَتْلِكَ لِي، وهو مَرويٌّ عن مُجاهدٍ أيضاً. قال ابن جَريرٍ: والصَّحيح عن مُجاهدٍ القولُ الأولُ.

[٤١٨] وقد رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تُقْتَلُ نَفسٌ ظُلْماً إلاَّ كان على ابن آدمَ الأَوَّلِ كِفلٌ مِنْ دَمِهَا، لأنه كانَ أَول مَنْ سَنَّ القَتْلَ».

فإن قيل: كيف أراد هَابِيْلُ وهو مِنَ المؤمنين أن يَبُوءَ قَابِيْلُ بالإِثم وهو معصيةٌ، والمؤمنُ يُحبُّ لأخيه ما يُحبُّ لِنَفْسِهِ؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ[1]: **أحدها**: أنه ما أراد لأخيه الخَطيئةَ، وإنما أرادَ: إنْ قَتَلْتَني أردتُ أن تَبُوءَ بالإِثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجَّاجُ. **والثاني**: أن في الكلام محذوفاً، وتقديره: إني

---

[٤١٨] هو الحديث المتقدم.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/ ٥٣٤: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله: ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي﴾ وأما معنى: ﴿وإثمك﴾ فهو إثمه بغير قتله وذلك معصيته لله جل ثناؤه في أعمال سواه، وأجمع أهل التأويل عليه.

أُريد أَنْ لا تَبُوءَ بإثمي وإثمِكَ، فحذف «لا» كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: أَنْ لاَ تَمِيْدَ بكم، ومنه قول امرئ القَيْسِ:

فَـقـلـتُ يـمـيـنُ اللهِ أَبْـرَح قَـاعِـدَاً ... ولَـو قَـطَّـعُـوا رَأسِـي لَـدَيْـكِ وأَوصَـالِـي[١]

أرادَ: لا أَبْرَحُ. وهذا مذهبُ ثَعْلَب. **والثالث**: أن المعنى: أُريد زَوالَ أَنْ تبوءَ بإثمي وإثمِكَ، وبُطلان أنْ تبوءَ بإثمي وإثمِكَ. فحذَف ذلكَ، وقامتْ «أن» مَقامَهُ، كقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾[٢] أي: حُبَّ العِجْلِ، ذَكرَهُ والذي قَبْلَهُ ابنُ الأنباريِّ.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الإشارة إلى مُصاحبة النَّار.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: تابعته على قَتْلِ أخيه، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: شَجَّعتهُ، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: زَيَّنَتْ لهُ، قاله قَتادةُ. **والرابع**: رَخَّصَتْ لهُ، قاله أبو الحَسَنِ الأَخْفَش. **والخامس**: أنَّ «طوّعتْ» فعَّلت من «الطَّوع» والعرب تقول: طَاعَ لهذه الظَّبْيَة أُصول هذا الشَّجر، وطَاعَ لَهُ كذا، أي: أَتَاهُ طَوْعاً، حكاه الزجَّاجُ عن المُبَرِّدِ. وقال ابنُ قُتيبة: شَايَعَتْهُ وانقادَتْ له، يُقال: لِساني لا يَطُوع بكذا، أي: لا يَنْقادُ، وهذه المعاني تَتَقارَبُ.

وفي كيفية قَتْلِه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه رَمَاهُ بالحِجَارة حتى قَتَلَهُ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: ضربَ رأسَهُ بصخرةٍ وهو نائمٌ، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ عن أشْياخه. **والثالث**: رَضَخَ رأسه بين حَجَرَين، قال ابن جُريج: لم يَدْرِ كيف يقتله، فتمثَّلَ له إبليسُ، وأخذ طَائِراً فوضَعَ رأسه على حَجَرٍ، ثم شَدَخَهُ بحجرٍ آخرَ، ففعلَ به هكذا، وكان لـ «هَابِيْلَ» يومئذٍ عِشرونَ سنةٍ. وفي موضع مَصْرَعِهِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: على جَبَل ثَورٍ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: بالبَصْرَة، قاله جعفَرُ الصَّادِقُ. **والثالث**: عند عَقَبَة حِراء، حكاه ابنُ جَرير الطَّبريُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: من الخَاسِرين الدُّنيا والآخرة، فخُسرانه الدُّنيا: أنه أَسْخَطَ وَالِدَيه، وبقي بِلاَ أَخٍ، وخُسرانُه الآخرة: أنه أسخَطَ رَبَّه، وصارَ إلى النار، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**؛ أنه أصبح من الخَاسِرين الحَسَناتِ، قاله الزجَّاجُ. **والثالث**: من الخَاسِرين أَنْفُسَهُم بإهلاكِهِم إيّاها، قاله القاضي أبو يَعْلَى.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ قال ابن عباسٍ: حَمَلَهُ على عَاتِقِهِ، فكان إذا مَشَى تَخُطُّ يَدَاهُ ورِجلاَهُ في الأرض، وإذا قَعَدَ وضَعَهُ إلى جَنْبِه حتى رأى غُرابَيْن اقتتَلا، فقتَل أحدُهما الآخرَ، ثم بَحَثَ

---

(١) في «اللسان»: الوِصل: كل عظم على حِدة لا يكسر، ولا يخلط بغيره، ولا يوصل به غيره والجمع أوصال والأوصال: مجتمع العظام.

(٢) سورة البقرة: ٩٣.

له الأرضَ حتى وَارَاهُ بعدَ أَنْ حَمَلَهُ سِنينَ. وقال مُجاهدٌ: حَمَلَهُ على عَاتِقِهِ مائة سنةٍ. وقال عَطِيَّةُ: حَمَلَهُ حتى أَرْوَحَ[١]. وقال مُقاتلٌ: حَمَلَهُ ثلاثةَ أيام.

وفي المُراد بسَوأةِ أخيهِ قولان: **أحدهما**: عَوْرَةُ أخيه. **والثاني**: جِيفَةُ أخيه.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾، فإن قيل: أليسَ النَّدم توبةً، فَلِمَ لم يُقبلْ منه؟ فعنه أربعة أجوبةٍ: **أحدها**: أنه يجوزُ أن لا يكون النَّدمُ توبةً لِمَن تقدَّمَنا، ويكون توبةً لهذه الأمَّة، لأنها خُصَّت بخصائِصَ لم تُشَارَكْ فيها، قاله الحسنُ بن الفَضْلِ. **والثاني**: أنه نَدِمَ على حَمْلِهِ لا على قَتْلِهِ. **والثالث**: أنه نَدِمَ إذْ لم يُوَارِهِ حين قَتَلَهُ. **والرابع**: أنه نَدِمَ على فَوَاتِ أخيه، لا على رُكوب الذَّنْبِ. وفي هذه القصَّة تَحذيرٌ من الحَسَدِ، لأنه الذي أَهْلَكَ قَابِيلَ.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ قال الضَّحَّاكُ: من أجل ابنِ آدمَ الذي قتلَ أخَاهُ ظُلماً، وقال أبو عُبيدةَ: من جِنايَة ذلك، ومِنْ جَرْي ذلك. قال الشاعر:

وأَهْـلِ خِبَـاءٍ صَالِـحٍ ذاتُ بَيْـنِـهِـم ... قَـدِ احـتَـرَبُـوا فـي عَـاجِـلٍ أنـا آجِـلُـه[٢]

أي: جَانِيه وجارُّ ذلك عليهم. وقال قومٌ: الكلام متعلِّقٌ بما قبله، والمعنى: فأصبح من النَّادمين مِنْ أجلِ ذلك. فعلى هذا يَحسُنُ الوَقْفُ هاهنا، وعلى الأوَّل لا يَحسُنُ الوَقْفُ. والأوَّل أصحُّ. و﴿كَتَبْنَا﴾ بمعنى: فَرَضْنا. ومعنى ﴿قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: قتلها ظُلماً ولـم تقتل نَفْساً. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «فساد» مَنْسُوقٌ على ﴿نَفْسٍ﴾، المعنى: أو بغير فَسادٍ تَستَحِقُّ به القَتْلَ. وقيل: أراد بالفساد هاهنا: الشِّرك.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ عليه إثم مَنْ قَتَلَ الناس جميعاً، قاله الحسَنُ، والزجَّاجُ. **والثاني**: أنه يَصْلَى النارَ بقتل المُسلم، كما لو قَتَلَ النَّاس جميعاً، قاله مُجاهدٌ، وعَطاءٌ. وقال ابنُ قُتيبةَ: يُعذَّبُ كما يعذب قاتِلُ النَّاسِ جميعاً. **والثالث**: أنه يجب عليه من القِصَاصِ مثل ما لو قَتَلَ الناسَ جميعاً، قاله ابن زَيدٍ. **والرابع**: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعِينُوا وَليَّ المَقتول حتى يُقِيدُوهُ منه، كما لو قَتَلَ أولياءَهُم جميعاً، ذكره القاضي أبو يَعلَى. **والخامس**: أن المعنى: مَنْ قتلَ نَبيّاً أو إماماً عَادِلاً، فكأنما قتلَ الناس جميعاً، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ. والقولُ بالعموم أصحُّ.

فإن قيل: إذا كان إثمُ قاتلِ الواحدِ كإثمِ مَنْ قتلَ الناس جميعاً، دلَّ هذا على أنه لا إثمَ عليه في

---

(١) في «اللسان» أروح اللحم: تغيّرت رائحته.

(٢) نسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» إلى الخفوت وهو توبة بن مضرس. ونسبه التبريزي في شرح «إصلاح المنطق» إلى خوات بن جبير وأُلحق بشعر زهير بن أبي سلمى في ديوانه بشرح الشنتمري.

قَتْلِ مَنْ يقتله بعد قَتْلِ الوَاحِد إلى أن يَفْنَى الناس؟ فالجواب: أن المِقدار الذي يستحقُّه قاتلُ الناس جميعاً معلومٌ عند الله محدودٌ، فالذي يقتلُ الواحد يلزمُه ذلك الإثمُ المعلومُ، والذي يقتلُ الاثنين يلزمُه مِثْلاهُ، وكلَّما زادَ قَتْلاً زادَهُ الله إثماً، ومثلُ هذا قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] فالحَسَنةُ معلومٌ عند الله مِقدارُ ثَوابِها، فعَامِلُها يُعطى بمثلِ ذلك عشر مراتٍ. وهذا الجواب عن سؤال سائلٍ إنْ قال: إذا كان مَنْ أحيا نَفْساً فله ثوابُ مَنْ أحيا النَاسَ، فما ثوابُ من أحيا النَاسَ كلَّهم؟ هذا كلُّه منقولٌ عن المُفَسِّرين. والذي أراه أن التَّشبيه بالشَّيء تقريبٌ منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثمُ قاتلِ شخصين كإثم قاتلِ شخصٍ، وإنما وقع التَّشبيه بـ «كأنما»، لأنَّ جميعَ الخلائِق من شخصٍ واحدٍ، فالمقتول يَتصَوَّر منه نَشْرُ عدد الخَلْقِ كلِّهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: استَنْقَذها من هَلَكَةٍ، رُوي عن ابن مسعودٍ، ومُجاهدٍ. قال الحَسَنُ. مَنْ أحياهَا مِنْ غرقٍ أو حَرقٍ أو هَلاكٍ. وفي رواية عِكرمةَ عن ابن عباسٍ: مَنْ شَدَّ عَضُدَ نبيٍّ أو إمام عادلٍ، فكأنَّمَا أحيا الناسَ جميعاً. **والثاني**: تركُ قَتْلِ النَّفْسِ المُحَرَّمة، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ في روايةٍ. **والثالث**: أن يَعْفُوَ أولياءُ المَقتول عن القِصَاص، قاله الحسَنُ وابن زيدٍ وابن قُتيبةَ. **والرابع**: أن يَزْجُرَ عن قَتْلِها ويَنْهَى. **والخامس**: أن يُعينَ الوَليَّ على استِيْفَاءِ القِصَاص لأنَّ في القِصَاص حَيَاةً، ذكرهما القاضي أبو يَعْلَى. وفي قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قولان: **أحدهما**: فلهُ أَجْرُ مَنْ أحيَا الناسَ جميعاً، قاله الحسَنُ وابن قُتيبةَ. **والثاني**: فعلى جميع الناس شُكْرُهُ كما لو أحياهُم، ذكره المَاورديُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: بني إسرائيلَ الذين جَرَى ذِكْرُهُم.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[٤١٩] **أحدها**: أنها نزلت في نَاسٍ من عُرَيْنَة قَدِمُوا المدينةَ، فَاجتَوَوهَا، فبَعَثَهُم رسولُ الله ﷺ في

---

[٤١٩] حديث صحيح دون ذكر نزول الآية. أخرجه البخاري ٤١٩٣ ومسلم ١٦٧١ وأبو داود ٤٣٦٦ والترمذي ٧٢ و ١٨٤٥ و ٢٠٤٢ والنسائي ٧/ ٩٧ و ١٦٠ وابن أبي شيبة ٧/ ٧٥ وأحمد ٣/ ١٨٦ ـ ١٩٨ وابن حبان ١٣٧٦ والبغوي في «التفسير» ٧٨٢ من طرق كلهم من حديث أنس، رووه بألفاظ متقاربة والمعنى متحد، وليس في شيء من طرقه ذكر نزول الآية، وإنما ورد من طريق قتادة وحده، وليس في الصحيح.

وورد نزول الآية من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ١١٨١٢، وورد من مرسل سعيد بن جبير، أخرجه الطبري ١١٨١٤، وورد موصولاً من حديث جرير البَجَلي، أخرجه الطبري ١١٨١٥ لكن فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو متروك. وورد عن قتادة عن أنس، أخرجه الطبري ١١٨١٩ ولعل الصواب كونه من مرسل قتادة كما تقدم آنفاً، فوصله أحد الرواة وهماً. وورد من وجه آخر عن أنس أخرجه الطبري ١١٨٢٠ وفيه ابن لهيعة، وهو =

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠.

إبلِ الصَّدَقَةَ، وأَمَرَهُم أن يَشْرَبُوا من أَلبَانِها وأَبْوالِها فَفعَلُوا، فَصَحُّوا، وارتَدُّوا عن الإسلام، وقَتَلوا الرَّاعيَ، واستَاقُوا الإبلَ. فأرسل رسولُ الله في آثارِهم، فَجِيءَ بهم، فقَطَّعَ أيديَهُم وأرجُلَهُم مِنْ خِلافٍ، وسَمَّر أعيُنَهُم، وأَلْقَاهُم بالحَرَّةِ حتى مَاتُوا، ونزلت هذه الآية، رواه قَتادةُ عن أنسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ، والسُّديُّ.

[٤٢٠] **والثاني**: أن قوماً مِنْ أهلِ الكتاب كان بينهم وبينَ النبيِّ ﷺ عَهدٌ ومِيثاقٌ، فنَقَضُوا العهدَ، وأفسدوا في الأرض، فخَيَّرَ الله رسولَهُ بهذه الآية: إن شاءَ أنْ يَقتلَهُم، وإِنْ شاءَ أنْ يُقَطِّعَ أَيدَيَهُم وأَرْجُلَهُم من خِلاَفٍ. رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ.

[٤٢١] **والثالث**: أنَّ أصحاب أبي بُردَةَ الأَسْلَمِيِّ قَطَعُوا الطريقَ على قومٍ جاؤوا يُريدون الإسلامَ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[٤٢٢] وقال ابن السَّائِبِ: كان أبو بُردَةَ، واسمه هِلالُ بن عُوَيْمِر، وَادَعَ النبيَّ ﷺ على أن لا يُعِينَهُ ولا يُعِينَ عليه، ومَنْ أتاهُ من المسلمين لم يُهَجْ، ومَنْ مَرَّ بِهِلالٍ إلى رسول الله ﷺ لم يُهَجْ، فَمَرَّ قومٌ من بَني كِنَانَةَ يُريدون الإسلامَ بناسٍ مِنْ قوم هِلاَلٍ، فَنَهَدُوا إليهم، فَقَتَلُوهم وأخذوا أموالَهم، ولم يَكُنْ هِلالٌ حَاضِراً، فنزلت هذه الآية.

والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عِكرمةُ عن ابن عباس وبه قال الحَسَن[1].

واِعْلَمْ أنَّ ذِكْرَ «المُحَارَبَة» لله عزَّ وجلَّ في الآية مَجَازٌ. وفي معناها للعلماءِ قولان: **أحدهما**: أنه سَمَّاهُم مُحاربين له تشبيهاً بالمُحَاربين حقيقةً، لأن المُخَالِفَ مُحَاربٌ، وإن لم يُحارِبْ. فيكون المعنى:

= ضعيف، وورد من مرسل السدي، أخرجه الطبري ١١٨٢١. فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، إلا أن روايات الصحيح خالية من ذكر نزول الآية، فالله أعلم.

[٤٢٠] ضعيف. أخرجه الطبري ١١٨٠٧ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به، وفيه إرسال، علي لم يسمع من ابن عباس. وورد عن الضحاك مرسلاً، أخرجه الطبري ١١٨٠٨ وفيه جويبر بن سعيد وهو متروك.

[٤٢١] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو متهم بالوضع، فحديثه لا شيء.

[٤٢٢] عزاه المصنف لابن السائب وهو الكلبي، واسمه محمد، وهو ساقط متهم، فخبره باطل.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/٥٤٩: وأولى الأقوال في ذلك عندي أن يقال: أنزل الله هذه الآية على نبيه معرِّفة حكمه على من حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً، بعد الذي كان من فعل رسول الله ﷺ بالعرنيين ما فعل.
وقال الإمام ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٢/٩٣: من قال: إنها نزلت في المشركين أقرب إلى الصواب لأن عكلاً وعرينة ارتدّوا وقتلوا وأفسدوا، ولكن يبعد، لأن الكفار لا يختلف حكمهم في زوال العقوبة عنهم بالتوبة بعد القدرة. وقد قيل للكفار ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾. وقد قال في المحاربين: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ وكذلك المرتد. يقتل بالردة دون المحاربة، فثبت أنها لا يُراد بها المشركون ولا المرتدون فلو ثبت أن هذه الآية نزلت في شأن عكل أو عرينة لكان غرضاً ثابتاً، ونصاً صريحاً. وإنما ترك النبي ﷺ استتابة العرنيين لما أحدثوا من القتل والمثلة والحرب، وإنما يستتاب المرتد الذي يرتاب فيستريب به ويرشد ويبيّن له المشكل.

يُخالفون الله ورسولَهُ بالمَعَاصِي. **والثاني**: أنَّ المُراد: يُحاربون أولياءَ الله، وأولياءَ رسولِهِ. وقال سعيدُ بن جُبير: أراد بالمُحَاربة لله ورسولِهِ، الكُفرَ بعد الإسلام. وقال مُقاتلٌ: أرادَ بها الشِّركَ[١]. فأمَّا «الفَسَادُ» فهو القَتْلُ والجِرَاحُ وأَخْذُ الأموال، وإِخَافَةُ السَّبيل.

قوله تعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ اختلف العلماء هل هذه العُقوبة على التَّرتيب، أَمْ على التَّخْيير؟ فمذهبُ أَحمدَ رضي الله عنه أنها على التَّرتيب[٢]، وأنهم إذا قَتَلُوا، وأَخذوا المالَ، أو قَتَلُوا ولم يأخذوا، قُتِلوا وصُلِّبوا، وإن أَخَذُوا المالَ، ولم يَقْتُلوا، قُطِعَتْ أَيدِيْهم وأَرْجُلهم مِنْ خِلافٍ، وإِنْ لم يأخذوا المالَ، نُفُوا. قال ابن الأنباريّ: فَعَلَى هذا تكون «أو» مُبَعِّضةً، فالمعنى: بعضُهم يُفعل به كذا، وبعضُهم كذا، ومِثْلُهُ قوله تعالى: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾[٣] المعنى: قال بعضُهم هذا، وقال بعضُهم هذا. وهذا القول اختِيارُ أكثر اللغويين. وقال الشَّافعيُّ: إذا قَتَلوا وأَخَذُوا المالَ، قُتِلوا وصُلِّبوا، وإِذا قَتَلوا ولم يَأْخُذوا المالَ، قُتِلوا ولم يُصَلَّبُوا، وإِذا أَخَذوا المالَ ولم يَقتلوا، قُطِعَتْ أَيدِيْهم وأَرْجُلُهم مِنْ خِلَافٍ. وقال مَالكٌ: الإمامُ مُخَيَّرٌ في إقامة أيِّ الحُدود شاءَ، سواءٌ قَتَلُوا أو لَمْ يَقْتُلوا، أَخَذُوا المالَ أو لَمْ يَأْخُذُوا، والصَّلْبُ بعدَ القَتْل. وقال أبو حَنيفةَ، ومالكٌ: يُصْلَبُ ويُبْعَجُ بِرُمح حتى يموتَ. واختلفوا في مِقْدار زَمانِ الصَّلْبِ. فعندنا أنه يُصْلَبُ بمقدار ما يَشْتَهِرُ صَلْبُهُ. واختلف أصحابُ الشَّافعيِّ، فقال بعضُهم: ثلاثةَ أيامٍ، وهو مذهبُ أبي حَنيفةَ، وقال بعضُهم: يُتْرَكُ حتى يَسِيْلَ صَدِيْدُهُ.

قال أبو عُبيدةُ: معنى «مِنْ خِلافٍ» أن تُقطع يَدُهُ اليُمنى ورِجْلُهُ اليُسرى، يُخالَفُ بين قَطْعِهِمَا. فأمَّا «النفي» فأَصْلُهُ الطَّرْدُ والإِبْعاد. وفي صِفَة نَفْيِهِم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: إبعادُهم من بلاد الإسلام إلى دَارِ الحَرْبِ، قاله أنسُ بن مالكٍ، والحَسَنُ، وقَتَادةُ، وهذا إنما يكون في حقِّ المُحَارِب المُشرك، فأما المُسلم فلا ينبغي أن يُضطَرَّ إلى ذلك. **والثاني**: أن يُطلَبوا لِتُقامَ عليهم الحُدود، فيُبْعَدوا، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ. **والثالث**: إِخرَاجُهم من مَدِينتهم إلى مدينةٍ أُخرى، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. وقال مالكٌ: يُنْفَى إلى بلدٍ غير بلدهِ، فيُحْبَسُ هناك. **والرابع**: أنه الحَبْسُ، قاله أبو حَنيفةَ وأصحابُه. وقال أصحابُنا: صِفَةُ النَّفي: أن يُشَرَّدَ ولا يُترك يَأْوِي في بلدٍ، فكلَّما حَصَل في بلدٍ نُفِيَ إلى بلدٍ غيرِهِ. وفي «الخِزْي»

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/ ٥٥٢: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: «المحارب لله ورسوله» من حارب في سابلة المسلمين وذمتهم، والمغير عليهم في أمصارهم وقراهم حرابة.

(٢) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٢/ ٤٧٥: مسألة: «فمن قتل منهم وأخذ المال، قُتل وإن عفا صاحبُ المال، وصُلب حتى يُشتهر، ودفع إلى أهله، ومن قتل منهم ولم يأخذ المال قُتل ولم يصلب، وإن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى، في مقام واحد، ثم حُسِمتا وخُلي» قال الإمام الموفق في شرحه: روينا نحو هذا عن ابن عباس، وبه قال قتادة وأبو مجلز وحماد والليث والشافعي وإسحاق: وعن أحمد: أنه إذا قتل وأخذ المال قتل وقطع، كما لو زنى وسرق، وذهبت طائفة إلى أن الإمام مخيّر فيهم بين القتل والصلب، والقطع والنفي لأن «أو» تقتضي التخيير، وهذا قول ابن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن والضحاك والنخعي وأبي الزناد وأبي ثور وداود، وقال أصحاب الرأي: إن قتل قُتل، وإن أخذ المال قُطع، وإن قتل وأخذ المال فالإمام مخيّر بين قتله وصلبه، وبين قتله وقطعه، وبين أن يجمع له ذلك كله. لأنه وجد منه ما يوجب القتل والقطع اهـ ملخصاً. وانظر «تفسير القرطبي» ٦/ ١٥٠.

(٣) سورة البقرة: ١٣٥.

قولان: **أحدهما**: أنه العِقَابُ. **والثاني**: الفَضِيحَةُ.

وهل يثبُتُ لهم حُكمُ المُحَارِبين في المِصْرِ، أَمْ لا؟ ظاهِرُ كلامِ أصحابِنا أنه لا يَثْبُتُ لهم ذلك في المِصْرِ وهو قول أبي حَنيفة. وقال الشَّافعيُّ، وأبو يُوسُفَ: المِصْرُ والصَّحَارى سواءٌ[1]، ويُعتبر في المال المَأْخُوذ قَدْرَ نِصَابٍ، كما يُعتبر في حَقِّ السَّارِقِ، خِلافاً لِمَالِكٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ قال أكثرُ المُفسِّرين: هذا الاستثناء في المُحَارِبين المُشركين إذا تابوا من شِركهم وحَرْبِهم وفَسَادِهم، وآمنوا قبلَ القُدرة عليهم، فلا سبيلَ عليهم فيمَا أَصَابوا من مالٍ أو دَم، وهذا لا خلافَ فيه. فأما المُحَارِبُون المسلمون، فاختلفوا فيهم، ومذهبُ أصحابنا: أن حدودَ الله تَسْقُطُ عنهم من انْحِتَام القَتْل والصَّلْب والقَطْع والنَّفْي. فأمَّا حقوقَ الآدميين من الجِرَاحِ والأموال، فلا تُسقطها التوبةُ، وهذا قول الشَّافعيِّ[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ في «الوسيلة» قولان:

أحدهما: أنها القُرْبَةُ، قاله ابن عباسٍ، وعَطاءٌ، ومُجاهدٌ، والفَرَّاءُ. وقال قَتادةُ: تَقَرَّبوا إليه بما يُرضيه. قال أبو عُبيدةَ: يُقال: تَوَسَّلتُ إليه، أي: تَقَرَّبتُ إليه. وأنشدَ:

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٤٧٤: والمحاربون الذين يعرضون للقوم بالسلاح في الصحراء، فيغصبونهم المال مجاهرة. وجملته أن المحاربين الذين تثبت لهم أحكام المحاربة، تعتبر لهم شروط ثلاث: أحدها: أن يكون ذلك في الصحراء، فإن كان منهم في القرى والأمصار، فقد توقف أحمد رحمه الله فيهم، وظاهر كلام الخرقي أنهم غير مُحاربين وبه قال أبو حنيفة والثوري وإسحاق وقال كثير من أصحابنا هو قاطع حيث كان. وبه قال الأوزاعي، والليث والشافعي وأبو يوسف وأبو ثور لتناول الآية بعمومها كل محارب، ولأن ذلك إذا وجد في مصر كان أعظم خوفاً، وأكثر ضرراً، فكان بذلك أولى.

(٢) جاء في «المغني» ١٢/ ٤٨٣: مسألة «فإن تابوا من قبل أن يُقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى وأُخذوا بحقوق الآدميين، من الأنفس والجراح والأموال، إلا أن يعفى لهم عنها» قال الإمام الموفق: لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وأصحاب الرأي وأبو ثور، والأصل فيه قوله تعالى: **﴿إلا الذين تابوا...﴾** فعلى هذا يسقط عنهم تحتّم القتل والصلب والقطع والنفي، ويبقى عليهم القصاص في النفس والجراح، وغرامة المال والديّة لما لا قصاص فيه، فأما إن تاب بعد القدرة عليه لا يسقط عنه شيء من حدود الله تعالى. وإن فعل المحارب ما يوجب حداً لا يختص المحاربة: كالزنى، والقذف، وشرب الخمر، والسرقة، فذكر القاضي أنها تسقط بالتوبة، لأنها حدود لله تعالى، إلا حد القذف، لأنه حق آدمي، ويحتمل أن لا تسقط اهـ ملخصاً.

إذا غَفَلَ الواشُونَ عُدْنا لِوَصْلِنا وَعَادَ التَّصافِي بَيْنَنا والوَسَائِلُ[(١)]

والثاني: المَحَبَّةُ، يقول: تَحَبَّبُوا إلى الله، هذا قول ابن زيدٍ.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ قال ابن السَّائِبِ: نَزَلَتْ في طُعْمَةَ بن أُبَيْرق[(٢)]، وقد مَضَتْ قِصَّتُهُ في سورة النِّساء. و﴿وَٱلسَّارِقُ﴾: إنما سُمِّي سَارقاً، لأنه يأخذ الشَّيءَ في خفَاءٍ، واستَرَق السَّمْعَ: إذا تَسَمَّع مُستَخفِياً. قال المُبَرِّدُ: والسَّارِقُ هاهنا مرفوعٌ بالابتداء، لأنه ليس القَصْدُ منه واحداً بعَيْنِهِ، وإنَّما هو، كقولك: مَنْ سَرَقَ فاقْطَعْ يَدَهُ. وقال ابن الأنبَاريِّ: وإنّما دخلت الفاءُ، لأنَّ في الكلام معنى الشَّرط، تقديره: مَنْ سرقَ فاقطعوا يَدَهُ، قال الفَرَّاءُ: وإنَّما قال: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ لأنَّ كلَّ شيءٍ مُوَحَّدٍ من خَلْقِ الإنسان إذا ذُكِرَ مُضافا إلى اثنين فَصَاعِداً، جُمِعَ، تقول: قد هَشَمْتُ رُؤوسَهما وَملأتُ ظُهورَهُما وبُطونَهُما ضرباً، ومثِله ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[(٣)] وإنَّما اخْتِيْر الجَمعُ على التَّثنية، لأنَّ أكثَر ما تكون عليه الجَوارِحُ اثنينِ اثنين في الإنسان: اليَدَين، والرِّجْلَين، والعَينين، فلمَّا جَرَى أكثرُه على هذا، ذُهِبَ بالواحد منه إذا أُضيف إلى اثنين مَذهب التَّثنية، وقد يجوز تَثنيتُهما. قال أبو ذُؤَيْبٍ.

فَتَخَالَسَا نَفْسَيهِمَا بِنَوافِذٍ كَنَوافِذِ العُبُطِ التي لا تُرْقَعُ[(٤)]

فصل: وهذه الآيةُ اقتَضَتْ وجوبَ القَطْع على كلِّ سَارِقٍ[(٥)]، وبَيَّنَتْ السُّنَّةُ أنَّ المُراد به السَّارِقُ لِنِصابٍ من حِرْزٍ مثله، كما قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٦)].

[٤٢٣] ونَهى النبيُّ ﷺ عن قَتْلِ النِّساء، والصِّبيان، وأهل الصَّوامِع. واختُلِفَ في مِقدار النِّصاب، فمَذْهَبُ أصحابنا: أنَّ للسَّرقة نِصَابَيْن: أحدُهما: من الذَّهب رُبع دِينارٍ، ومن الوَرِقِ ثلاثةُ دَراهِم، أو

---

[٤٢٣] متفق عليه، وتقدم.

---

(١) في «تفسير القرطبي» ٦/ ١٥١ وفي «مجاز القرآن» ١/ ١٦٤ لم يعرف قائله.
(٢) ابن السائب هو الكلبي، وهو متهم بالوضع، فخبره باطل، لا أصل له.
(٣) سورة التحريم: ٤.
(٤) تخالسا: جعل كل واحد منهما يختلس نفس صاحبه بالطعن. النوافذ: جمع نافذة وهي الطعن تنفذ حتى يكون لها رأسان. عُبُط: جمع عبيط، وأصل العبط: شق الجلد الصحيح.
(٥) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٤٥٩ في شرح المسألة ١٥٨٩: وجملته أن الوالد لا يقطع بالسرقة من مال ولده، وإن سفل وسواء في ذلك الأب والأم، والابن والبنت، والجد والجدة، من قبل الأب والأم وهذا قول عامة أهل العلم منهم: مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي، وقال أبو ثور وابن المنذر: القطع على كل سارق بظاهر الكتاب.
قال الإمام الموفق: والعبد إذا سرق من مال سيده فلا قطع عليه في قولهم جميعاً، ووافقهم أبو ثور، وحكي عن داود أنه يقطع لعموم الآية اهـ ملخصاً، وانظر «أحكام الجصاص» ٤/ ٨٠ـ ٨١ و «تفسير القرطبي».
(٦) سورة التوبة: ٥.

قيمة ثلاثة دَرَاهِم مِن العُرُوض وهو قول مَالِكٍ. وقال أبو حَنيفةَ: لا يُقطع حتى تَبْلُغَ السَّرقةُ عشرةَ دَرَاهِم. وقال الشَّافعيُّ: الاعتبارُ في ذلك برُبع دينارٍ، وغَيرُه مقوَّمٌ به، فلو سَرَقَ دِرْهَمين قيمَتُهما رُبع دينارٍ، قُطِع، فإن سَرَقَ نِصَاباً من التِّبْر، فعليه القَطْعُ. وقال أبو حَنيفةَ: لا يُقطع حتى يبلغَ ذلك نِصَاباً مَضْروباً. فإن سَرَقَ مِنديلاً لا يُساوي نِصَاباً، في طَرَفِه دينارٌ، وهو لا يَعْلَمُ، لا يُقطع. وقال الشَّافعيُّ: يُقطع. فإن سَرقَ سِتَارةَ الكَعبة، قُطع، خِلافاً لأبي حَنيفةَ. فإن سَرقَ صبياً صغيراً حُرّاً، لم يُقطع، وإن كان على الصَّغير حُلِيٌّ. وقال مَالِكٌ: يُقطع بكلِّ حالٍ. وإذا اشترك جماعةٌ في سَرِقة نِصَابٍ، قُطعوا[1]، وبه قال مَالِكٌ، إلا أنه اشتَرَطَ أن يكون المَسْرُوق ثَقِيلاً يحتاج إلى مُعاوَنَة بعضِهم لبعضٍ في إخرَاجِه. وقال أبو حَنيفةَ، والشَّافعيُّ: لا قَطْعَ عليه بحالٍ ويَجبُ القَطْعُ على جَاحِدِ العَارِيَّة عِندَنَا، وبه قال سعيدُ بن المُسَيِّبِ، والليثُ بن سَعدٍ، خلافاً لأكثر الفُقهاء.

فصل: فأمَّا الحِرزُ، فهو ما جُعل للسُّكْنَى، وحِفظِ الأموال، كالدُّور والمَضَارِبِ والخِيَم التي يَسكُنها الناسُ، ويَحفَظُون أمتِعَتَهُم بها، فكلُّ ذلك حِرْزٌ، وإنْ لم يكن فيه حَافظٌ ولا عِنْدَهُ، وسواءٌ سُرق من ذلك وهو مفتوحُ الباب، أو لا بابَ له إلا أنه مُحَجَّرٌ بالبناء. فأمَّا ما كان في غير بناءٍ ولا خَيْمَةٍ، فإنه ليسَ في حِرْزٍ إلاَّ أن يكون عنده مَنْ يَحفَظُهُ. ونَقَلَ المَيْمُونيّ عن أحمدَ: إذا كان المكان مُشتَرَكاً في الدُّخول إليه، كالحَمَّام والخَيْمَة لم يُقطع السَّارقُ منه، ولم يُعتبَر الحَافِظُ. ونَقَلَ عنه ابنُ مَنْصورٍ: لا يُقطع سارقُ الحَمَّام إلا أن يكون على المَتَاع أَجِيرٌ حَافِظٌ. فأمَّا النَّبَّاشُ، فقال أحمدُ في رواية أبي طَالبٍ: يُقطع، وبه قال مَالِكٌ، والشَّافعيُّ، وابنُ أبي لَيْلَى. وقال الثَّوريُّ، والأوْزاعيُّ، وأبو حَنيفةَ: لا يُقطع.

فصل: فأمَّا مَوضِع قَطْعِ السَّارِق[2]، فَمِنْ مَفْصِل الكَفِّ، ومن مَفْصِلِ الرِّجْلِ. فأمَّا اليَدُ اليُسرى

---

(١) جاء في «المغني» ١٢/ ٤٦٨: «وإذا اشترك الجماعة في سرقة قيمتها ثلاثة دراهم قطعوا» قال الإمام الموفق: وبهذا قال مالك وأبو ثور. وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وإسحاق: لا قطع عليهم إلا أن تبلغ حصة كل واحد منهم نصاباً، كما لو انفرد كل واحد بدون النصاب اهـ ملخصاً. وانظر «تفسير القرطبي» ٦/ ١٦٤. وجاء في «المغني» ١٣/ ١٧٢ـ ١٧٣: «ولا يقام الحد على المسلم في أرض العدو» وجملته أن من أتىٰ حداً من الغزاة، أو ما يوجب قصاصاً في أرض الحرب، لم يقم عليه حتى يقفُل، فيقام عليه حده، وبهذا قال الأوزاعي وإسحاق: وقال مالك والشافعي وأبو ثور وابن المنذر: يقام الحد في كل موضع، لأن الله تعالى أمر بإقامته في كل مكان وزمان، إلا أن الشافعي قال: إذا لم يكن أمير الجيش الإمامَ، أو أميرَ إقليم، فليس له إقامة الحد، ويؤخر حتىٰ يأتي الإمامُ. لأن إقامة الحدود إليه، وكذلك إن كان بالمسلمين حاجة إلى المحدود، أو قوة به، أو شُغلٌ عنه أخّر. وقال أبو حنيفة: لا حد ولا قصاص في دار الحرب ولا إذا رجع. اهـ ملخصاً. وانظر «تفسير القرطبي» ٦/ ١٧١ بتخريجي.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٤٤٠: لا خلاف بين أهل العلم في أن السارق أول ما يقطع منه يده اليمنىٰ من مَفصِل الكف، وهو الكوع، لأنها آلة السرقة، فناسب عقوبته بإعدام آلتها، وإذا سرق ثانياً قطعت رجله اليسرىٰ، وبذلك قال جماعة إلا عطاء حكي عنه أنه تقطع يده اليسرىٰ، وروي عن داود وربيعة، وهذا شذوذ يخالف قول جماعة فقهاء الأمصار من أهل الفقه والأثر، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وقول أبي بكر وعمر. وأما الآية فالمراد بها قطع يد كل واحد منهما. وفي قراءة ابن مسعود «فاقطعوا أيمانهما» إذا ثبت هذا، فإنه تقطع رجله اليسرىٰ لقوله تعالى: ﴿أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ وتقطع الرجل من مَفصِل الكعب في قول أكثر أهل العلم، وفعل ذلك عمر وكان علي يقطع من نصف القدم، من معقد الشراك، =

والرِّجْل اليُمنى، فروي عن أحمدَ: لا تُقطع، وهو قول أبي بكرٍ، وعُمرَ، وعَليٍّ، وأبي حَنيفَة، ورُوي عنه: أنها تُقطع، وبه قال مالكٌ، والشَّافعيُّ. ولا يَثْبُت القَطْعُ إلاّ بإقْرارِه مرتين، وبه قال ابن أبي لَيْلَى، وابنُ شبْرمَة، وأبو يُوسفُ. وقال أبو حَنيفةَ، ومالكٌ، والشَّافعيُّ: يَثْبُت بمرَّةٍ. ويجتمع القَطْعُ والغُرْم مُوسِراً كان أو مُعسِراً. وقال أبو حَنيفَة: لا يجتمعان، فإن كانت العَيْنُ باقيةً أَخَذها رَبُّها، وإن كانت مُسْتَهْلَكَةً، فلا ضمانَ. وقال مَالكٌ: يَضْمَنُها إن كان مُوسِراً، ولا شيء عليه إن كان مُعسِراً[(١)].

قوله تعالى: ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قد ذكرنا «النَّكَال» في البقرة. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال سعيدُ بن جُبيرٍ: شديدٌ في انتقامِه، حكيمٌ إذ حَكَمَ بالقَطْع. قال الأَصْمَعيُّ: قرأتُ هذه الآية، وإلى جَنْبي أعرابيٌّ، فقلتُ: واللهُ غفورٌ رَحيمٌ، سَهْواً، فقال الأعرابيُّ: كلامُ مَن هذا؟ قلتُ: كلامُ الله. قال: أَعِدْ فأَعَدْتُ: واللهُ غفورٌ رحيمٌ، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبَّهتُ، فقلتُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال: أَصَبْتَ، هذا كلامُ الله. فقلتُ له: أتَقرأُ القرآنَ؟ قال: لا. قلتُ: فَمِنْ أينَ عَلِمْتَ أني أخطأتُ؟ فقال: يا هذا عَزّ فحَكَمَ فَقَطَعَ، ولو غَفرَ ورَحِمَ لَمَا قَطَعَ.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾. سبب نزولها:

= ويدع له عقباً يمشي عليها، وهو قول أبي ثور.
ـ قال: وإذا قُطع حُسم، وهو أن يغلىٰ الزيت فيغمس عضوه فيه، لتنسد أفواه العروق اهـ ملخصاً. وانظر «أحكام الجصاص» ٤/ ٦٩ـ ٧٤، و «تفسير القرطبي» ٦/ ١٧١ـ ١٧٢.
وجاء في «المغني» ١٢/ ٤٤٦ـ ٤٤٧ ما ملخصه: مسألة: «فإن عاد حُبس، ولا يُقطع غير يد ورجل» يعني إذا عاد فسرق بعد قطع يده ورجله، لم يُقطع منه شيء آخر وحبس، وبهذا قال علي والحسن والشعبي والنخعي والزهري وحماد والثوري وأصحاب الرأي، وعن أحمد أنه تقطع في الثالثة يده اليسرىٰ، وفي الرابعة رجله اليمنىٰ، وفي الخامسة يعزر ويحبس، وروي عن أبي بكر وعمر أنهما قطعا يد أقطع اليد والرجل، وهذا قول قتادة ومالك والشافعي وأبي ثور وابن المنذر، وروي عن عثمان وعمرو بن العاص وعمر بن عبد العزيز، أنه تقطع يده اليسرى في الثالثة، والرجل اليمنىٰ في الرابعة، ويقتل في الخامسة لحديث جابر: «جيء إلى النبي ﷺ بسارق فقال: اقتلوه.....» ولنا ما روى سعيد عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبيه قال: حضرت عليَّ بن أبي طالب، أُتي برجل مقطوع اليد والرجل قد سرق، فقال لأصحابه: ما ترون في هذا؟ قالوا: اقطعه يا أمير المؤمنين. قال: قتلته إذاً، وما عليه القتل، بأي شيء يأكل الطعام، بأي شيء يتوضأ بأي شيء يغتسل، بأي شيء يقوم على حاجته، فرده إلى السجن، ثم جلده جلداً شديداً ثم أرسله اهـ ملخصاً. وانظر «تفسير القرطبي» ٦/ ١٧٢ و «أحكام الجصاص» ٤/ ٧٢ـ ٧٣.

(١) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٢/ ٤٥٤ ما ملخصه: لا يختلف أهل العلم في وجوب رد العين المسروقة إذا كانت باقية، فأما إن كانت تالفة، فعلىٰ السارق رد قيمتها، أو مثلها إن كانت مثلية، قُطع أو لم يقطع، موسراً كان أو معسراً، وهذا قول الحسن والنخعي وحماد والبَتّي والليث والشافعي وإسحاق وأبي ثور، وقال الثوري وأبو حنيفة: لا يجتمع الغرم والقطع، إن غرمها قبل القطع سقط القطع، وإن قُطع قبل الغرم سقط الغُرم، وقال عطاء وابن سيرين والشعبي ومكحول: لا غرم على السارق إذا قُطع، ووافقهم مالك في المعسر، ووافَقَنا في الموسر. وانظر «أحكام الجصاص» ٤/ ٨٣ـ ٨٤.

[٤٢٤] أن امرأةً كانت قد سَرَقَتْ، فقالت: يا رسولَ الله هل لي من توبةٍ؟ فنزلت هذه الآية. قاله عبدُ الله بن عمرو. وقال سعيدُ بن جُبير: فمَنْ تاب مِنْ بعد ظُلمه، أي: سَرِقَتِه، وأصلح العملَ، فإنَّ الله يتجاوز عنه، إنَّ الله غفورٌ لِمَا كان منه قبل التَّوبة، رحيمٌ لِمَنْ تاب.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوالٍ(١):

[٤٢٥] أحدها: أن النبيَّ ﷺ مَرَّ بيهوديّ وقد حَمَّموه(٢) وجَلَدُوه، فقال: أهكذا تجدون حدَّ الزَّاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدَعَا رجلاً من عُلمائهم، فقال: أَنْشُدُكَ اللهَ الذي أنزلَ التَّوراة على موسى، هكذا تجدون حدَّ الزَّاني في كتابكم؟ قال: لا، ولكنَّه كَثُرَ في أشرافِنا، فكُنَّا نترك الشَّريف، ونُقيمه على الوَضِيع، فقلنا: تعالوا نُجمِعْ على شيءٍ نُقيمه على الشَّريف والوَضِيع، فاجتمعنا على التَّحْمِيم والجَلْدِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «اللهمَّ إنِّي أوَّلُ مَنْ أَحيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوه» فأمَرَ به فرُجِمَ، ونزلت هذه الآية، رواه البَرَاءُ بن عَازِبٍ.

---

[٤٢٤] أخرجه أحمد ٢/ ١٧٧ والطبري ١١٩٢٢ من حديث عبد الله بن عمرو قال: «إن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فجاء الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله إن هذه المرأة سرقتنا، قال قومها: فنحن نفديها فقال رسول الله ﷺ: اقطعوا يدها، فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال نعم. أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك. فأنزل الله عز وجل: ﴿**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح**﴾ إلى آخر الآية.
وفيه عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف الحديث، وهذا الحديث يعرف بحديث المخزومية، وأصله في الصحيحين دون ذكر نزول الآية، وبسياق آخر. وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٠٣ بتخريجنا.

[٤٢٥] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٠٠ وأبو داود ٤٤٤٧ و ٤٤٤٨ وأحمد ٤/ ٢٨٦ وابن ماجه ٢٥٥٨ والبيهقي ٨/ ٢٤٦ والطبري ١٢٠٣٩ من حديث البراء بن عازب.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: عُني بقوله: ﴿**لا يحزنك الذين يسارعون...**﴾ الآية، قوم من المنافقين. وجائز أن يكون ممن دخل هذه الآية ابنُ صوريا، وجائز أن يكون أبو لبابة، وجائز أن يكون غيرهما، غير أن أثبت شيء روي في ذلك ما روي عن البراء بن عازب وأبي هريرة لأن ذلك عن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك، كان الصحيح من القول فيه أن **يقال**: عُني به عبد الله بن صوريا.

(٢) في «اللسان»: حُمّم الرجل: سُخّم وجهه بالحمم، وهو الفحم. وفي الحديث أنه أمر بيهودي مُحَمّم مجلود أي مسود الوجه.

[٤٢٦] **والثاني**: أنها نزلت في ابنِ صُوريا آمَنَ ثم كَفَرَ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن أبي هُريرةَ.

[٤٢٧] **والثالث**: أنها نزلت في يهوديٍّ قتلَ يهوديّاً، ثم قال: سَلُوا محمَّداً فإن كان بُعِثَ بالدِّيَةِ، اختصمنا إليه، وإنْ كان بُعث بالقَتْل، لم نَأْتِهِ، قاله الشَّعبيُّ.

والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ[1].

[٤٢٨] **والخامس**: أن رجلاً من الأنصار أشارت إليه قُرَيْظَةُ يومَ حِصَارِهم: على ماذا نَنْزِل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبح، قاله السُّديُّ.

[٤٢٩] قال مُقاتلٌ: هو أبو لُبَابَةَ بن عبد المُنْذِرِ، قالت له قُرَيْظَةُ: أَنَنْزِلُ على حُكْم سَعْدٍ؟ فأشار بيده: أنه الذَّبحُ، وكان حَلِيفاً لهم. قال أبو لُبَابَةَ: فعلمتُ أني قد خُنْتُ الله ورَسولَهُ، فنزلتَ هذه الآية.

ومعنى الكلام: لا يَحزُنْكَ مُسارعةُ الذي يُسارِعُون في الكُفر مِنَ الذين قالوا آمنَّا بأفوَاهِهم وهمُ المنافقون، ومن الذين هَادُوا وهمُ اليهود. ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قال سِيْبَوَيْه: هو مرفوعٌ بالابتداء. قال أبو الحسَنِ الأَخْفَش: ويجوز أن يكون رَفعُه على معنى: ومِنَ الذين هادوا سَمَّاعُون للكذب. وفي معناه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: سَمَّاعون منكَ لِيَكْذِبوا عليكَ. **والثاني**: سَمَّاعون للكذب، أي: قَائِلون له. **والثالث**: سَمَّاعون للكذب الذي بَدَّلُوه في تَوراتِهم. **والرابع**: سَمَّاعون للكذب، أي قَابلُون له، ومنه: «سَمِع الله لِمَنْ حَمِدَه» أي: قَبِلَ.

وفي قوله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ قولان: **أحدهما**: يسمعون لأولئك، فهم عُيُونٌ لهم. **والثاني**: سمَّاعون من قوم آخرين، وهم رُؤساؤهم المُبَدّلون التَّوراة. وفي السَّمَّاعين للكذب، وللقوم الآخرين قولان: **أحدهما**: أن «السَّمَّاعين للكذب» يهودُ المدينة، والقوم الآخرون الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ يهودُ فَدَكَ. **والثاني**: بالعكس من هذا.

وفي تحريفهم الكَلِمَ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه تغييرُ حدود الله في التَّوراة، وذلك أنهم غَيَّروا الرَّجمَ، قاله ابن عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: تغييرُ ما يسمعونه من النبيِّ ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: إخفَاءُ صِفَةِ النبيِّ ﷺ. **والرابع**: إسقاطُ القَوَدِ بعد استِحْقَاقِه. **والخامس**: سوءُ التَّأويل. وقال ابن جَريرٍ: المعنى يُحرِّفون حُكْمَ الكَلِمِ، فحَذَفَ ذِكْرَ الحُكْمِ لِمَعْرِفَة السَّامعين بذلك.

---

[٤٢٦] أخرجه الطبري ١١٩٢٦ و ١١٩٢٨ و ١١٩٢٩ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمّ، وهو عجز حديث مطول. وأخرجه أبو داود ٤٤٥٠ و ٤٤٥١ والطبري ١٢٠١٣ والواحدي ٣٩٢ من حديث أبي هريرة، ولم يذكر فيه أنه ابن صوريا.

[٤٢٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١١٩٢٤ و ١١٩٢٥ عن الشعبي مرسلاً، وهو معارض بحديث البراء، وذاك أصح.

[٤٢٨] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١١٩٢٣ عن السدي مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، والمتن منكر، معارض بما تقدم عن البراء، ومراسيل السدي مناكير. وانظر «أحكام القرآن» ٧١٧ بتخريجنا.

[٤٢٩] مقاتل متروك، وكذبه غير واحد، فخبره لا شيء، والصواب ما رواه البراء.

---

(١) أخرجه الطبري ١١٩٣٠ عن عبد الله بن كثير مرسلاً. وكرره ١١٩٣١ عن مجاهد مرسلاً أيضاً، ولم أره عن ابن عباس، والخبر ضعيف بكل حال.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ قال الزجَّاجُ: أي مِنْ بعدِ أن وَضَعَهُ اللهُ مَوَاضِعَه، فأَحَلَّ حَلالَهُ وحَرَّم حَرَامَهُ. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ في القائلين لهذا قولان:

[٤٣٠] **أحدهما**: أنهم اليهود، وذلك أنَّ رجلاً وامرأةً من أشْرَافِهم زَنَيَا، فكان حَدُّهما الرَّجم، فكرهت اليهودُ رَجْمَهُما، فبَعَثُوا إلى النبيِّ ﷺ يسألونَهُ عن قضائه في الزَّانِيَين إذا أُحصِنَا، وقالوا: إنْ أَفْتاكُم بالجَلْدِ فَخُذوه، وإنْ أفتاكم بالرَّجْم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور.

[٤٣١] **والثاني**: أنهم المنافقون. قال قَتادةُ: وذلك أن بَنِي النَّضِير كانوا لا يُعطون قُرَيْظَةَ القَوَدَ إذا قتلوا منهم، وإنما يُعطونهم الدِّيَةَ، فإذا قَتَلتْ قُرَيْظَةُ من النَّضِير لم يَرْضَوا إلا بالقَوَدِ تَعزُّزاً عليهم، فقتل بنو النَّضِير رجلاً من قُرَيظة عمداً، فأرادوا رفعَ ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فقال رجلٌ من المنافقين: إنَّ قَتيلَكم قتيلُ عَمْدٍ، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمَّدٍ خَشيتُ عليكم القَوَد، فإن قُبِلَتْ منكم الدِّيَةُ فأعطُوا، وإلا فكونوا منه على حَذَرٍ.

وفي معنى ﴿فَٱحۡذَرُواْ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: فاحذَرُوا أن تعملوا بقوله الشَّديد. **والثاني**: فاحذَرُوا أن تُطْلِعُوه على ما في التَّوراة فيأْخُذَكم بالعمل به. **والثالث**: فاحذَرُوا أن تسألوه بَعدَهَا.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ في «الفِتْنَة» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى الضَّلالة، قاله ابن عباسٍ ومُجاهدٌ. **والثاني**: العذاب، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: الفَضِيحَةُ، ذكره الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي: لا تُغني عنه، ولا تَقْدِر على استِنْقَاذِه. وفي هذا تَسْلية للنبيِّ ﷺ من حُزنه على مُسارعتهم في الكُفر.

قوله تعالى: ﴿لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ قال السُّدِّيُّ: يعني المنافقين واليهودَ، لم يُرِدْ أن يُطَهِّرَ قلوبَهم من دَنَسِ الكُفر، ووَسَخ الشِّرك بطهارة الإِيمان والإِسلام.

قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ أما خِزيُ المنافقين، فبِهَتْكِ سترِهِ وإِطلاعِ النبيِّ على كُفرهم، وخِزيُ اليهود بفَضِيحتهم في إِظهار كَذِبهم إذ كَتَمُوا الرَّجمَ، وبأخذ الجِزيَةِ منهم. قال مُقاتلٌ: وخِزيُ قُرَيْظَةَ بقَتْلِهم وسَبْيِهم، وخِزيُ النَّضِيرِ بإِجلائِهم.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـًٔاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ قال الحسنُ: يعني حُكَّامَ اليهود يسمعون الكذبَ مِمَّن يكذبُ عندهم في دَعْوَاه، ويأتيهم برِشوةٍ فيأخذونها. وقال أبو سُليمانَ: هُمُ اليهود يسمعون الكذبَ، وهو قول بعضهم لبعضٍ: محمَّدٌ كاذبٌ، وليس بِنَبيٍّ، وليس في التَّوراة رَجمٌ، وهم يعلمون كَذِبَهُم. قوله تعالى:

---

[٤٣٠] أخرجه الطبري ١١٩٤١ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورجاله ثقات لكنه منقطع بينهما، ومع ذلك هو يتأيد بحديث البراء.

[٤٣١] ضعيف. أخرجه الطبري ١١٩٤٤ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف.

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكِسائيُّ، وأبو جعفرَ «السُّحُتِ» مضمومةَ الحاء مثقَّلةً. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعَاصمٌ، وحَمزةُ «السُّحْت» ساكنةَ الحاء خفيفةً. وروى خَارِجَةُ بن مُصْعَبٍ عن نافعٍ «أكَّالون للسَّحْت» بفتح السين وجزم الحاء. قال أبو عليّ: السُّحْت والسُّحُتُ لُغتَان، وهما اسمان للشيء المَسْحُوت، ولَيْسَا بالمصدر، فأمَّا مَنْ فتح السين، فهو مصدر سُحْتٍ، فأوقع اسم المصدر على المَسْحُوت، كما أوقع الضَّرب على المَضْرُوب في قولهم: هذا الدِّرْهَمُ ضَرْبُ الأمير. وفي المُراد بالسُّحتِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الرِّشوَةُ في الحُكْم. **والثاني**: الرِّشوَةُ في الدِّين، والقولان عن ابن مسعودٍ. **والثالث**: أنه كلُّ كَسْبٍ لا يَحِلُّ، قاله الأخْفَشُ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ فيمن أُريد بهذا الكلام قولان:

أحدهما: اليَهوديَّان اللذان زَنَيَا، قاله الحسَنُ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: رَجُلان من قُرَيْظَةَ والنَّضِير قتلَ أحدُهما الآخرَ، قاله قَتادةُ. وقال ابن زيدٍ: كان حُيَيُّ بن أَخْطَبَ قد جعل للنَّضِيريِّ دِيَتَيْن، والقُرَظيِّ دِيَةً، لأنه كان من النَّضِيْر، فقالت قُرَيْظَةُ: لا نرضى بحُكمِ حُيَيّ، ونتَحاكَمُ إلى محمَّدٍ، فقال الله تعالى لِنَبيِّهِ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ الآية.

فصل: اختلف علماء التفسير في هذه الآية على قولين: **أحدهما**: أنها منسوخةٌ، وذلك أنَّ أهل الكتاب كانوا إذا تَرَافعُوا إلى النبيِّ ﷺ كان مُخيَّراً، إن شاء حكَمَ بينهم، وإن شاء أعرضَ عنهم، ثم نُسِخَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فلَزِمَهُ الحُكْمُ، وزالَ التَّخْيير، وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ، وعَطاءٍ، ومُجاهدٍ، وعِكرمَةَ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: أنها مُحكَمَةٌ، وأن الإمام ونُوَّابَه في الحُكم مُخيَّرون إذا تَرَافعُوا إليهم، إنْ شاؤوا حَكَمُوا بينهم، وإنْ شاؤوا أَعرَضُوا عنهم، وهذا مَرويٌّ عن الحسَنِ، والشَّعبيِّ، والنَّخعيّ، والزُّهريّ، وبه قال أحمدُ بن حَنبَلٍ، وهو الصَّحيح، لأنه لا تنافيَ بين الآيتين، لأنَّ إحداهما: خيَّرت بين الحُكمِ وتَرْكِهِ. والثانية: بَيَّنَتْ كيفية الحُكم إذا كان.

﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ قال المُفسِّرون: هذا تَعجيبٌ من الله عزَّ وجلَّ لِنبيِّه من تَحكيم اليهود إياهُ بعد عِلمهم بما في التَّوراة من حُكْم ما تَحاكَمُوا إليه فيه، وتَقْريعٌ لليهود إذ يتحاكمون إلى مَنْ يجحدون نُبوَّتَهُ، ويَترُكون حُكمَ التَّوراة التي يعتقدون صِحَّتَها.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: حُكْمُ الله بالرَّجْم، وفيه تَحاكَمُوا، قاله الحسَنُ. **والثاني**: حُكْمُهُ بالقَوَد، وفيه تَحاكَمُوا، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مِنْ بعد حُكم الله في التَّوراة. **والثاني**: مِنْ بعد تَحْكيمِكَ. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: لَيسُوا بمؤمنين لِتَحْريفِهِم التَّوراة. **والثاني**: لَيسُوا بمؤمنين أنَّ حُكمكَ مِنْ عند الله لِجَحْدِهم نُبوّتَكَ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ (٤٤)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ قال المُفسِّرون: سبب نزول هذه الآية: استِفْتاءُ اليهود رسولَ الله ﷺ في أمر الزّانِيَين، وقد سبق[1]. و «الهُدى»: البَيانُ. فالتَّوراة مُبَيِّنَةٌ صحةَ نُبوَّة محمَّدٍ ﷺ، ومُبَيِّنَةٌ ما تحاكموا فيه إليه. و «النُّور»: الضِّياء الكاشِفُ للشُّبهات، والمُوضح للمُشكلات.

وفي «النَّبيين الذين أسلموا» ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنهم الأنبياء مِنْ لَدُنْ موسى إلى عيسى، قاله الأكثرون. فعلى هذا القول في معنى «أسلموا» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: سَلَّمُوا لِحُكم الله، ورَضُوا بقضائه. **والثاني**: إنْقادُوا لِحُكم الله، فلم يَكْتُمُوه كما كَتَمَ هؤلاءِ. **والثالث**: أَسْلَمُوا أنفسَهم إلى الله عزَّ وجلَّ. **والرابع**: أَسْلَمُوا لِمَا في التَّوراة ودَانُوا بها، لأنه قد كان فيهم مَنْ لم يعمل بكلِّ ما فيها كعيسى عليه السلام. قال ابنُ الأنباريِّ: وفي «المُسْلِم» قولان: **أحدهما**: أنه سُمِّيَ بذلك لاستِسلامِهِ وانقيادِهِ لرَبِّه. **والثاني**: لإخلاصه لرَبِّه، من قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[2] أي: خَالِصاً له.

والثاني: أنَّ المُراد بالنَّبيين نَبِيُّنَا محمَّدٍ ﷺ، قاله الحسَنُ، والسُّدِّيُّ. وذلك حين حَكَمَ على اليهود بالرَّجْم، وذَكَرَهُ بلفظ الجَمْع كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3]. وفي الذي حَكَمَ به منها قولان: **أحدهما**: الرَّجْمُ والقَوَد. **والثاني**: الحُكم بسائِرها ما لَمْ يَرِدْ في شَرعِه ما يُخالف.

والثالث: النبيُّ محمَّدٌ ﷺ، ومَنْ قَبْلَهُ من الأنبياء صلوات الله عليهم، قاله عِكرمَةُ.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قال ابن عباسٍ: تابوا من الكُفر. قال الحسَنُ: هم اليهود. قال الزجَّاجُ: ويجوز أن يكون في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ. على معنى: إنَّا أنزلنا التَّوراةَ فيها هُدًى ونورٌ للذين هَادُوا، يَحكُمُ بها النَّبيُّون الذين أَسْلَمُوا. فأمَّا «الرَّبَّانِيُّون» فقد سبقَ ذِكرُهم في (آلِ عِمْرَان). وأما «الأَحْبَارُ» فهم العُلماءُ وَاحِدُهم حَبْر وحِبْر، والجمع أَحْبَار وحُبور. وقال الفَرَّاءُ: أكثرُ ما سمعتُ العربَ تقول في واحد الأَحْبَار: حِبْر بكسر الحاء. وفي اشتقاق هذا الاسم ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه من الحبار وهو الأَثَرُ الحسَنُ، قاله الخَلِيلُ. **والثاني**: أنه من الحِبْر الذي يُكتب به، قاله الكِسَائيُّ. **والثالث**: أنه من الحِبْر الذي هو الجَمالُ والبَهاءُ.

[٤٣٢] وفي الحديث «يخرجُ رجلٌ مِنَ النَّار قد ذهَبَ حِبْرُه وسِبْرُه» أي: جَمالُه وبَهاؤه. فالعَالِمُ

---

[٤٣٢] لم أره مسنداً، وإنما أورده الزمخشري في «الفائق» ١/ ٨٥ وابن الجوزي في «غريب الحديث» ١/ ١٨٦ بدون إسناد، ومن غير عزو، فهذا مما لا أصل له. أي لا إسناد له.

---

(١) انظر الأحاديث المتقدمة عند الآية: ٤١.
(٢) سورة الزمر: ٢٩.
(٣) سورة النساء: ٥٤.

بَهِيٌّ بجمال العِلم، وهذا قول قُطْرُب.

وهل بين الرَّبَّانيين والأَحْبَار فَرْقٌ أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: لا فرق، والكلُّ العلماء، هذا قول الأكثرين، منهم ابن قُتيبةَ، والزجَّاج. وقد رُوي عن مُجاهدٍ أنه قال: الرَّبَّانيون: الفُقهاء العُلماءُ، وهم فوق الأَحْبَار. وقال السُّدِّيُّ: الرَّبَّانيون العلماء، والأَحْبَارُ القُرَّاء. وقال ابن زَيدٍ: الرَّبَّانيون: الوُلاَةُ، والأَحْبَار: العُلماء، وقيل: الرَّبَّانيون: عُلماء النَّصارى، والأَحْبَارُ: عُلماء اليهود.

قوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ: بما استُودِعوا من كتاب الله وهو التَّوراة. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: يحكمون بحُكْم ما استُحفِظُوا. **والثاني**: العلماءُ بما استُحْفِظُوا. قال ابن جَريرٍ: «الباء» في قوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ من صِلَةِ الأَحْبَار.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ قولان:

أحدهما: وكانوا على ما في التَّوراة من الرَّجْمِ شُهداء، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

والثاني: وكانوا شُهداء لمحمَّدٍ عليه السلام بما قال أنه حقٌّ. رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وعَاصمٌ، وحَمزةُ، وابن عَامرٍ، والكِسَائيُّ «واخشونِ» بغير ياءٍ في الوَصْل والوَقْف. وقرأ أبو عَمروٍ بياءٍ في الوَصْلِ، وبغير ياءٍ في الوَقْفِ، وكلاهُما حَسَنٌ. وقد أشرنا إلى هذا في سورة آل عمران[1]. ثم في المخاطبين بهذا قولان. **أحدهما**: أنهم رُؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تَخشَوا الناسَ في إظهار صِفَة محمَّدٍ، والعمل بالرَّجْم، واخشَوني في كِتْمَان ذلك، رَوى هذا المعنى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. قال مُقاتلٌ: الخِطَابُ لِيَهود المَدينة، قيل لهم: لا تَخشَوا يهودَ خَيْبَرَ أن تُخبروهم بالرَّجم، ونَعتِ محمَّدٍ، واخشَوني في كِتمَانِه. **والثاني**: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تَخشَوا الناسَ، كما خَشِيَتْ اليهودُ الناسَ، فلم يقولوا الحقَّ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في المراد بالآيات قولان: **أحدهما**: أنها صِفَةُ محمَّدٍ ﷺ والقرآن. **والثاني**: الأَحكامُ والفَرائِضُ. والثَّمَنُ القليل مذكورٌ في البقرة.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. وقوله تعالى بعدَهَا: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنها نزلت في اليهود خَاصَّةً، رواه عُبيدُ بن عبد الله عن ابن عباسٍ، وبه قال قَتادةُ. **والثاني**: أنها نزلت في المسلمين، رَوى سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ نحوَ هذا المَعنى. **والثالث**: أنها عامَّةٌ في

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/٥٩٧: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيون بها. وهذه الآيات سياق الخبر عنهم، فكونها خبراً عنهم أولى قلت: ومع ذلك العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمن فعل من هذه الأمة مثل أفعال اليهود ألحق بهم، وتوجه الخطاب له، ومن فعل أفعال المشركين ألحق بهم، وتوجه الخطاب له، ومن فعل أفعال النصارى ألحق بهم، وتوجه الخطاب له، فإن هذا القرآن ما نزل لمجرد التلاوة والتبرك به، بل ليهتدىٰ به، وليعتبر به. والله ولي التوفيق.

اليهود، وفي هذه الأمَّة، قاله ابن مَسعودٍ، والحسَنُ، والنَّخعيُّ، والسُّدِّيُّ. **والرابع**: أنها نزلت في اليهود والنَّصارى، قاله أبو مِجلَزٍ. **والخامس**: أنَّ الأُولى في المسلمين، والثانية في اليَهود، والثالثة في النَّصارى، قاله الشَّعبيُّ.

وفي المُراد بالكُفر المذكور في الآية الأولى قولان: **أحدهما**: أنه الكُفر بالله تعالى. **والثاني**: أنه الكُفر بذلك الحُكم، وليس بكُفرٍ يَنقُلُ عن المِلَّة.

وفصل الخطاب: أنَّ مَنْ لم يَحكُم بما أنزل اللهُ جَاحِداً له، وهو يعلم أنَّ الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كَافرٌ، ومن لم يَحكُم به مَيْلاً إلى الهَوَى من غير جُحودٍ، فهو ظالمٌ وفاسِقٌ. وقد روى عليُّ بن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ أنه قال: مَنْ جَحَدَ ما أنزل اللهُ فقد كَفَرَ، ومَنْ أقرَّ به ولم يَحْكُمْ به فهو فَاسقٌ وظَالِمٌ.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ أي: فَرَضْنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيهَآ﴾ أي: في التَّوراة. قال ابن عباسٍ: وكَتَبْنا عليهم فيها أنَّ النَّفْسَ بالنفسِ، فَمَا بَالُهُم يُخالفون، فيقتلون النَّفْسَين بالنَّفس، ويَفقَؤُون العَيْنَينِ بالعَيْن؟ وكان على بني إسرائيلَ القِصَاصُ أو العَفو، وليس بينهم دِيَةٌ في نَفْسٍ ولا جُرحٍ، فخَفَّفَ الله عن أُمَّةِ محمَّدٍ بالدِّيَةِ. قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابن عَامِرٍ: النَّفْسَ بالنَّفْسِ، والعينَ بالعينِ، والأنفَ بالأنفِ، والأُذنَ بالأُذنِ، والسِّنَّ بالسِّنِّ، ينصبون ذلك كلَّه، ويَرفَعُون «والجُروحُ». وكان نَافعٌ، وعَاصمٌ، وحمزةُ ينصبون ذلك كلَّه، وكان الكِسَائيُّ يقرأ: «أن النَّفسَ بالنَّفْسِ» نصباً، ويرفع ما بعد ذلك. قال أبو عَليٍّ: وحُجَّته أن الواو لِعطف الجُمَل، لا للاشتراك في العَامِل، ويجوز أن يكون حَمَلَ الكلامَ على المعنى، لأن معنى: وكَتَبْنا عليهم: قُلْنا لَهم: النَّفْسَ بالنَّفْس، فحَمَلَ العَيْنَ على هذا، وهذه حُجَّة مَنْ رَفَع الجُروحَ. ويجوز أن يكون مُستَأنَفاً، لا أنه ممّا كُتب على القوم، وإنما هو ابتداءُ إيجابٍ. قال القاضي أبو يَعْلى: وقوله تعالى: العَيْنَ بالعَيْنِ، ليس المراد قَلْعُ العَيْنِ بالعَيْنِ، لتعذُّر استيفاءِ المُماثلة، لأنَّا لا نقفُ على الحَدِ الذي يجب قَلْعُهُ، وإنما يجب فيما ذهب ضَوؤُها وهي قائمةٌ، وصِفَةُ ذلك أن تُشدَّ عينَ القَالِع، وتُحمَى مِرْآةٌ، فتُقدَّم من العَيْن التي فيها القِصَاصُ حتى يذهبَ ضَوؤُها. وأما الأنْفَ فإذا قُطع المَارِنُ، وهو ما لانَ منه، وتُركت قَصَبَتُهُ، ففيه القِصاصُ، وأما إذا قُطع من أصله، فلا قِصاصَ فيه، لأنه لا يُمكن استيفاءُ القِصاصِ، كما لو قَطَع يَدَهُ من نِصفِ السَّاعِد. وقال أبو يُوسُفَ، ومحمَّدٌ: فيه القِصَاصُ إذا استوعَبَ. وأما الأُذن، فيجب القِصاص إذا استُوعِبَت، وعُرِف المِقْدَارُ. وليس في عَظْم قِصاص إلا في السِّنِّ، فإن قُلِعَتْ قُلِعَ مثلها، وإن كُسِرَ بعضُها، بُرِدَ بمقدار ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ يقتضي إيجابَ القِصَاص في سائِرِ الجِرَاحَات التي يُمكن استيفاءُ المِثْل فيها.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يشير إلى القِصَاصِ. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ في هاء «له» قولان:

أحدهما: أنها إشارةٌ إلى المَجْرُوح، فإذا تَصدَّق بالقِصَاص كَفَّر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعودٍ، وعبدِالله بن عمروِ بن العَاصِ، والحَسَنِ، والشَّعبيِّ. **والثاني**: إشارةٌ إلى الجَارِح إذا عفَا عنه المَجْرُوح، كَفَّر عنه ما جَنَى، وهذا قول ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، ومُقاتلٍ، وهو مَحمُولٌ على أن الجَانِي تابَ من جِنَايَتِهِ، لأنه إذا كان مُصِرّاً فعقوبة الإِصرَار باقيةٌ.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ أي: وأَتْبَعْنا على آثار النَّبيِّين الذين أَسْلَمُوا ﴿بِعِيسَى﴾ فجعلناه يَقْفُو آثارَهم ﴿مُصَدِّقًا﴾ أي: بعَثْناه مُصدِّقاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تَكْراراً للأوَّل، لأنَّ الأوَّل لِعيسى، والثاني للإنجيل، لأنَّ عيسى كان يَدْعُو إلى التَّصديقِ بالتَّوراة، والإنجيلُ أُنزلَ وفيه ذِكْرُ التَّصديق بالتَّوراة.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ قرأ الأكثرون بجَزم اللام على معنى الأَمْرِ، تقديره: وأَمَرْنا أَهْلَهُ أن يَحْكُمُوا بما أنزل الله فيه. وقرأ الأَعْمَشُ، وحمزةُ بكسر اللام، وفتحِ الميم على معنى «كي»، فكأنه قال: وآتَيْنَاهُ الإنجيلَ لكي يَحْكُمَ أهلُ الإنجيلِ بما أنزل الله فيه.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال ابن عباسٍ: يُريد كلَّ كتابٍ أَنْزَلَه الله تعالى.

وفي «المُهيمن» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه المُؤيْمِن، رواه التَّمِيميُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ. وعِكرمةُ، وعَطاءٌ، والضَّحَّاكُ. وقال المُبَرِّدُ: «مُهَيْمِن» في معنى: «مُؤَيْمِن» إلا أنَّ الهاء بدلٌ من الهمزة، كما قالوا: أَرَقْتُ الماءَ، وَهَرَقْتُ، وإِيَّاكَ وهِيَّاكَ. وأربابُ هذا القول يقولون: المعنى: أنَّ القرآن مُؤتَمَنٌ على ما قَبْلَهُ من الكُتب. إلا أنَّ ابنَ أبي نَجِيحٍ رَوى عن مُجاهدٍ: ومُهَيْمَناً عليه. قال: محمَّدٌ مُؤتَمَنٌ على القُرآن. فعلى قوله، في الكلام مَحذوفٌ، كأنَّه قال: وجَعلناكَ يا محمَّدُ مُهَيْمَناً عليه، فتكون هاء «عليه» راجعةً إلى القرآن. وعلى غير قول مُجاهدٍ تَرجع إلى الكُتُب المُتقدِّمة. **والثاني**: أنه الشَّاهد، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ. **والثالث**: أنه المُصدِق على ما أُخبِرَ عن الكُتُبِ، وهذا قول ابن زيدٍ، وهو قريبٌ من القول الأوَّل. **والرابع**: أنه الرَّقِيبُ الحَافِظُ، قاله الخَلِيلُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ يُشير إلى اليهود ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. قاله أبو سُليمان: المعنى: فترجعَ عما جاءَك. قال ابن عباسٍ: لا تأخذ بأهوائِهم في جَلْدِ المُحْصَنِ.

قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قال مُجاهدٌ: الشِّرْعَةُ: السُّنَّةُ، والمِنْهَاجُ: الطَّريقُ. وقال ابن قُتيبة: الشِّرْعَةُ والشَّريعة واحدٌ، والمِنْهَاجُ: الطَّريق الوَاضِح. فإن قيل: كيف نَسَقَ «المِنْهَاجَ» على «الشِّرْعَة» وكلاهما بمعنًى واحد؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن بينهما فَرْقاً من وجهين: أحدهما: أن «الشِّرعَة» ابتداءُ الطَّريق، والمِنْهَاجُ: الطَّريق المُستمر، قاله المُبَرِّدُ. والثاني: أن «الشِّرعَة» الطَّريق الذي رُبَّما كان واضحاً، ورُبَّما كان غيرَ واضحٍ، والمِنْهَاجُ: الطَّريق الذي لا يكون إلا واضحاً، ذكره ابنُ الأَنباريّ. فلمَّا وقعَ الاختلافُ بين الشِّرعَة والمِنْهَاج، حَسُنَ نَسْقُ أحدِهما على الآخر. والثاني: أنَّ الشِّرْعَةَ والمِنْهَاجَ بمعنىً واحدٍ، وإنما نُسِّقَ أحدُهما على الآخر لاختلافِ اللفظين. قال الحُطَيْئَةُ:

أَلاَ حَبَّذا هِنْدٌ وأَرْضٌ بِهَا هِنْدُ ... وهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِها النَّأْيُ والبُعْدُ

فنسَقَ البُعْدَ على النَّأي لمَّا خَالفَهُ في اللفظ، وإنْ كان مُوافقاً له في المعنى، ذكره ابن الأَنباريّ. وأجابَ عنه أربابُ القول الأوَّل، فقالوا: «النَّأي» كلُّ ما قَلَّ بُعده أو كَثُر كأنَّه المُفارقَة، والبُعد إنما يُستعمل فيما كَثُرت مسافةُ مُفارقتِهِ.

وللمُفسِّرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لكلِّ مِلَّةٍ جعلنا شِرْعَةً ومِنْهَاجاً، فَلأَهل التَّوراة شَريعةٌ، ولأَهل الإنجيل شَريعةٌ، ولأَهل القرآن شَريعةٌ، هذا قول الأكثرين. قال قَتادةُ: الخِطَابُ للأُمم الثَّلاث: أُمَّة موسى، وعيسى، وأُمَّة محمَّدٍ، فَلِلتَّوراة شَريعةٌ، وللإنجيلِ شَريعةٌ، وللفرقان شريعةٌ، يُحِلُّ الله فيها ما يشاءُ، ويُحَرِّم ما يشاءُ بَلاءً، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطيعه ممَّن يَعصيه، ولكن الدِّين الواحد الذي لا يُقْبَل غَيْرُه، التَّوحيدُ والإخلاصُ لله الذي جاءت به الرُّسُل. والثاني: أنَّ المعنى: لكلِّ مَنْ دخل في دِين محمَّدٍ جعلنا القرآن شِرْعةً ومِنْهَاجاً، هذا قول مُجاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لَجَمَعَكُم على الحقِّ. والثاني: لَجَعلَكُم على مِلَّةٍ واحدةٍ ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: لِيَختبرَكم ﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الكُتُب، وبَيَّنَ لكم من المِلَلِ. فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾: نبيَّنا محمَّداً مع سَائِر الأنبياء قَبْلَهُ، فمَن المُخاطَبُ بقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾؟ فالجواب: أنه خِطابٌ لِنبيِّنا، والمُراد به سائِر الأنبياء والأُمَم. قال ابن جَرير: والعربُ مِنْ شأنها إذا خاطَبَتْ غائباً، فأرادَتْ الخَبَرَ عنه أن تُغلِّب المُخَاطَب، فتُخرج الخَبَرَ عنهما على وَجْهِ الخِطَابِ.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال ابن عباسٍ، والضَّحَّاكُ: هو خِطابٌ لأُمَّة مُحمَّدٍ عليه السَّلام. قال مُقاتلٌ: و«الخيرات»: الأعمال الصَّالحة: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن الدِّين. قال ابن جريرٍ: قد بَيَّنَ ذلك في الدنيا بالأدلَّة والحُجَجِ، وغَداً يُبَيِّنُهُ بالمُجَازاة.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها:

[٤٣٣] أنَّ جماعةً من اليهود منهم كَعْبُ بن أَسَد[1]، وعبدُالله بنُ صُوريا، وشَأْسُ بن قَيْس، قال بعضُهم لبعض: اذهبوا بنَا إلى محمَّدٍ، لَعَلَّنا نَفْتِنُهُ عن دِينه، فأتَوه، فقالوا: يا محمَّدُ، قد عرفتَ أنَّا أَحْبَارُ اليهود وأَشْرَافُهم، وأنَّا إن تَبِعْنَاكَ، اتَّبَعَك اليهود، وإنَّ بينَنا وبينَ قوم خُصُومةً، فنُحَاكِمُهم إليكَ، فتَقْضِي لَنَا عليهم، ونحن نُؤمِنُ بكَ، فأَبَى ذلك رسولُ الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. وذكر مُقاتلٌ: أنَّ جماعةً من بَني النَّضِير قالوا له: هل لكَ أن تَحكُمَ لنا على أصحابنا أهلِ قُرَيْظَةَ في أَمْرِ الدِّماء، كما كُنَّا عليه من قبلُ، ونُبَايِعكَ؟ فنزلت هذه الآية.

قال القاضي أبو يَعلَى: وليس هذه الآية تكراراً لِمَا تَقَدَّم، وإنما نَزَلَتا في شيئين مختلفين: **أحدهما**: في شَأْنِ الرَّجْم. **والآخر**: في التَّسوية في الدِّيَات حتى تَحاكَمُوا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ أي: يَصْرِفُوكَ ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه الرَّجْمُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: شَأن القِصَاص والدِّمَاء، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عن حُكمِكَ. **والثاني**: عن الإيمان، فَاعْلَمْ أنَّ إعرَاضَهُم من أجل أنَّ الله يريد أن يُعذِّبَهم ببعض ذُنوبهم. وفي ذِكر البعض قولان: **أحدهما**: أنه على حقيقته، وإنما يُصيبهم ببعض ما يَسْتَحِقُّونَه. **والثاني**: أنَّ المراد به الكُلّ، كما يُذكر لفظُ الواحد ويُراد به الجماعة، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[2] والمُراد: جميع المسلمين. وقال الحَسَنُ: أرادَ ما عَجَّلَهُ من إجْلاءِ بَني النَّضِيرِ وقَتْلِ بَني قُرَيْظَة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ قال المُفسِّرون: أرادَ اليهودَ. وفي المُراد بالفِسْقِ هاهنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الكُفرُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الكَذِبُ، قاله ابن زيدٍ. **والثالث**: المَعَاصِي، قاله مُقاتلٌ.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ قرأ الجُمهور «يبغون» بالياء، لأن قَبْلَهُ غَيْبَةً، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾. وقرأ ابن عامرٍ «تبغون» بالتاء، على معنى: قُلْ لهم.

[٤٣٤] وسبب نزولها: أن النبيَّ ﷺ لمَّا حكَمَ بالرَّجْم على اليهوديَّيْن تعلَّق بنو قُرَيْظَةَ بِبَني النَّضِير،

---

[٤٣٣] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢١٥٦ من حديث ابن عباس بسند ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.

[٤٣٤] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس.

---

(١) وقع في الأصل «أسيد»، والتصويب من كتب التفسير، والحديث.

(٢) سورة الطلاق: ١.

وقالوا: يا محمَّدُ هؤلاءِ إخوانُنا، أبونا واحدٌ، ودينُنا واحدٌ، إذا قَتَلُوا منا قتيلاً أعطَونا سبعين وِسْقاً مِن تَمرٍ، وإنْ قَتَلْنا منهم واحداً أخَذُوا منّا أربعينَ ومائة وِسْقٍ، وإن قَتَلْنا منهم رجلاً قَتَلُوا به رَجُلين، وإنْ قَتَلْنا امرأةً قَتَلُوا بها رجلاً، فاقْضِ بيننا بالعَدْل، فقال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ لِبَني النَّضِيرِ على بَني قُرَيْظَةَ فَضْلٌ في عَقْلٍ ولا دَمٍ» فقال بَنُو النَّضِيرِ: واللهِ لا نَرضَى بقضائِكَ، ولا نُطيع أمْرَكَ، ولَنَأْخُذَنَّ بأَمْرِنا الأوَّلِ، فنزلتْ هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

قال الزجَّاجُ: ومعنى الآية: أتَطْلُبُ اليهودُ حُكْماً لَمْ يَأمُر اللهُ به، وهُم أهلُ كتابِ الله، كما تَفعَلُ الجاهليَّةُ؟!

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ قال ابن عباسٍ: ومَنْ أعْدَلُ؟!

وفي قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يُوقنون بالقرآن، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: يُوقنون بالله، قاله مُقاتلٌ. وقال الزجَّاجُ: مَنْ أيْقنَ تبَيَّنَ عَدْلَ الله في حُكْمِهِ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٤٣٥] **أحدها**: أنها نزلت في أبي لُبابَةَ حين قال لِبَنِي قُرَيْظَةَ إذْ رَضُوا بحُكْمِ سَعْدٍ: إنه الذَّبْحُ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وهو قول عِكرمةَ.

[٤٣٦] **والثاني**: أن عُبادَةَ بنَ الصَّامِتِ قال: يا رسولَ الله إنَّ لي مَوالِيَ مِنَ اليهود، وإني أبْرَأُ إلى الله مِن ولايَةِ يهودٍ، فقال عبدُالله بن أُبَيّ: إنّي رجلٌ أخافُ الدَّوائرَ، ولا أبرَأُ إلى الله مِن وِلايَةِ يهودٍ، فنزلت هذه الآية، قاله عَطِيَّةُ العَوفيُّ.

= ـ وورد من وجه آخر بنحوه. أخرجه النسائي ٨/١٨ ـ ١٩ والدارقطني عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدّى مائة وسق من تمر، فلما بعث ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأتوه فنزلت **﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾** والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت **﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾**. وهو حديث حسن. رجاله ثقات، لكن رواية سماك عن عكرمة مضطربة وليس فيه اللفظ المرفوع.

وكرره النسائي ومن وجه آخر عن داود بن حصين، عن عكرمة عن ابن عباس، وداودُ ضعِّف في روايته عن عكرمة، وورد من وجه آخر، أخرجه أحمد ٢٢١٢ والطبراني ١٠٧٣٢ وإسناده لين لأجل عبد الرحمن بن أبي الزناد، لكن هذه الروايات تتأيد بمجموعها والله أعلم.

[٤٣٥] أخرجه الطبري ١٢١٦٦ عن عكرمة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

ـ وعزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة كما تقدّم مراراً.

[٤٣٦] أخرجه الطبري ١٢١٦٢ عن عطية العوفي مرسلاً، ومع إرساله، عطية واهٍ. وورد من مرسل الزهري، أخرجه الطبري ١٢١٦٣، ومراسيل الزهري واهية. وله شاهد موصول، أخرجه الطبري ١٢١٦٤ عن عبادة بن الوليد، وهذا مرسل حسن، فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ٧٢٩ بتخريجنا.

[٤٣٧] **والثالث**: أنه لمَّا كانت وَقْعَةُ أُحُدٍ خافت طَائفةٌ مِنَ الناسِ أَنْ يُدالَ عليهم الكُفَّارُ، فقال رجلٌ لصاحبه: أمَّا أنا فألحَقُ بفُلانٍ اليَهوديّ، فآخذ منه أَمَاناً، أو أَتهوَّدُ معه، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتلٌ.

قال الزجَّاجُ: لا تَتولُوهم في الدِّين. وقال غَيْرُه: لا تَسْتَنْصِرُوا بهم، ولا تَسْتَعِينُوا، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ في العَون والنُّصرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَنْ يَتولَّهُم في الدِّين، فإنه منهم في الكُفرِ. **والثاني**: مَنْ يَتولَّهُم في العَهْدِ فإنه منهم في مُخالفة الأَمْرِ.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت في المنافقين، ثمَّ لهم في ذلك قولان:

[٤٣٨] **أحدهما**: أنَّ اليهود والنَّصارى كانوا يَمِيرُونَ[١] المنافقين ويقرضونهم فيُوَادُّونهم، فلمَّا نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ قال المنافقون: كيف نَقطعُ مودّة قوم إنْ أَصَابَتْنَا سنةٌ وسَّعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وممَّن قال: نزلت في المنافقين، ولم يُعَيِّنْ: مُجاهدٌ، وقَتادةُ.

والثاني: أنها نزلت في عبدالله بن أُبيّ، قاله عَطِيَّةُ العَوفيّ[٢].

وفي المراد بالمَرَض قولان: **أحدهما**: أنه الشَّكُّ، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: النِّفاق، قاله الزجَّاجُ. وفي قوله تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: يُسارعون في مُوَالاتِهم ومُنَاصحتهم، قاله مُجاهدٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: في رِضَاهم، قاله ابنُ قُتيبة. **والثالث**: في مُعاونَتِهم على المسلمين، قاله الزجَّاجُ. وفي المُراد «بالدَّائِرة» قولان: **أحدهما**: الجَدْبُ والمَجَاعَةُ، قاله ابن عباسٍ. قال ابنُ قُتيبة: نخشى أن يَدُورَ علينا الدَّهرُ بِمَكْرُوهٍ، يعنون الجَدْبَ، فلا يُبَايِعُونَنَا، ونمتار فيهم فلا يَمِيرُونَنَا. **والثاني**: انقِلابُ الدَّولَة لليهود على المُسلمين، قاله مُقاتلٌ. وفي المُراد بالفَتْحِ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: فَتحُ مكَّةَ، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: فتحُ قُرى اليهود، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: نَصْرُ النبيِّ ﷺ على مَنْ خَالَفَهُ، قاله قَتادةُ، والزجَّاجُ. **والرابع**: الفَرَجُ، قاله ابنُ قُتيبة. وفي الأَمْرِ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: إجلاءُ

---

[٤٣٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢١٦٥ عن السدي، مرسلاً، فهو ضعيف.
[٤٣٨] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة كما تقدم مراراً.

---

(١) في «اللسان»: الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، وفي التهذيب: جلب الطعام للبيع وهم يمتارون لأنفسهم ويميرون غيرهم ميراً.

(٢) عطية هو ابن سعد العوفي، وهو ضعيف، لا يحتج به، إلا أن ابن أُبي هو المراد في أكثر الآيات التي تذكر المنافقين، فإنه رأس النفاق.

بني النَّضِير وأَخذُ أموالهم، وقتْلُ قُرَيْظَةَ، وسَبْيُ ذَرارِيهم، قاله ابنُ السَّائِب، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الجِزْيَةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: الخِصْبُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والرابع**: أن يُؤمَرَ النبيُّ ﷺ بإظهار أَمْرِ المنافقين وقتْلِهم، قاله الزجَّاجُ. وفيما أَسَرُّوا قولان: **أحدهما**: مُوَالاتُهم. **والثاني**: قولهم: لَعَلَّ محمَّداً لا يُنْصَر.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۝٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ أبو عَمرٍو، بنصب اللام على معنى: وعَسَى أَنْ يقولَ. ورَفَعَهُ الباقون، فجعلوا الكلام مُسْتَأنَفاً. وقرأ ابن كَثيرٍ، ونافع، وابن عَامرٍ: «يقولُ»، بغير واوٍ، مع رفع اللام، وكذلك في مَصَاحِف أهل مكَّة والمَدينة.

قال المُفسِّرون: لمَّا أَجْلَى رسولُ الله ﷺ بَني النَّضِير، اشتدَّ ذلك على المنافقين، وجَعَلُوا يَتَأَسَّفون على فِرَاقِهم، وجعل المُنافق يقولُ لِقَرِيْبِهِ المؤمن إذا رَآهُ جَادّاً في مُعاداة اليهود: أَهَذَا جَزَاؤُهم منكَ، طَالَ واللهِ مَا أَشْبَعُوا بَطْنَكَ؟ فلمَّا قُتِلَتْ قُرَيْظَةُ، لم يُطِقْ أَحدٌ من المنافقين سَتْرَ ما في نَفْسِه، فجعلوا يقولون: أربعمائة حُصِدُوا في ليلةٍ، فلمَّا رأى المؤمنون ما قَدْ ظَهَرَ من المنافقين، قالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعْنُون المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ قال ابن عباسٍ: أَغْلَظُوا في الأَيْمَانِ. وقال مُقاتلٌ: ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ القَسَمُ بالله. وقال الزجَّاجُ: اجتهدوا في المُبالغة في اليَمِيْن ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ على عدُوِّكم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بنِفَاقِهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: يرتدَّ، بإدغام الدَّال الأُولى في الأُخرى، وقرأ نَافعٌ، وابن عَامرٍ: يَرْتَدِد، بِدَالَيْن. قال الزجَّاجُ: «يرتدد» هو الأصل، لأنَّ الثاني إذا سُكِّن مِن المُضَاعَف، ظَهَرَ التَّضعيف. فأما «يَرْتَدَّ» فأُدغمت الدال الأولى في الثانية، وحُرّكت الثانية بالفتح، لالتقاء السَّاكِنَيْن. قال الحَسَنُ: عَلِمَ اللهُ أنَّ قوماً يرجعون عن الإِسلام بعد موتِ نَبيِّهم عليه السَّلام، فأَخبَرَهم أنه سيأتي ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وفي المُراد بهؤلاءِ القوم ستة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أبو بَكرٍ الصِّدِّيق وأصحابُه الذين قَاتَلُوا أهلَ الرِّدَّة، قاله عَليُّ بن أبي طَالِبٍ، والحَسَنُ عليهما السلام، وقَتَادةُ، والضَّحَّاكُ، وابن جُريجٍ. قال أنسُ بن مالكٍ: كَرِهت الصحابةُ قتالَ مَانِعي الزَّكاة، وقالوا: أهلُ القِبْلَة، فتقلَّدَ أبو بكرٍ سَيْفَهُ، وخرجَ وحدَهُ، فلم يجدوا بُدّاً مِنَ الخروج على أَثَرِه. **والثاني**: أبو بَكرٍ، وعُمَر، روي عن الحَسنِ، أيضاً. **والثالث**: أنهم قومُ أبي مُوسى الأَشْعَرِيّ.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٤/٦٢٦: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، ما روي به الخبر عن رسول الله ﷺ: أنهم أهل اليمن، قوم أبي موسى الأشعري.

[٤٣٩] روى عِياضُ الأَشْعَرِيّ أنه لمَّا نزلت هذه الآية قال رسولُ الله ﷺ: «هُمْ قومُ هذا» يعني: أَبا مُوسى.

والرابع: أنهم أهلُ اليَمَنِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ وبه قال مُجاهدٌ. **والخامس**: أنهم الأَنْصَارُ، قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: المُهَاجِرون والأَنْصَارُ، ذَكَرَهُ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قال ابن جَريرٍ: وقد أَنْجَزَ الله ما وَعَد فأتى بقومٍ في زَمَنِ عُمَرَ كانوا أحسنَ مَوقِعاً في الإسلام ممَّن ارتَدَّ.

قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال عليُّ بن أبي طَالبٍ عليه السَّلام: أَهْلُ رِقَّةٍ على أَهْلِ دِينهم، أَهلُ غِلْظَةٍ على مَنْ خَالفهُم في دِينهم. وقال الزجَّاجُ: معنى «أَذِلَّة»: جَانِبُهم لَيِّنٌ على المؤمنين، لا أَنَّهم أَذِلاَّءُ. ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ لأنَّ المنافقين يُراقبون الكفَّارَ، ويُظَاهِرونهم، ويخافون لَوْمَهُم، فأعلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ الصَّحيحَ الإيمانِ لا يخافُ في الله لَوْمَةَ لائِم، ثم أَعْلَمَكَ أنَّ ذلك لا يكون إلا بتوفيقه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: مَحَبَّتَهُم لله، وَلِينَ جَانِبِهم للمسلمين، وشِدَّتَهُم على الكافرين.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوالٍ:

[٤٤٠] **أحدها**: أنَّ عبدَالله بن سَلام وأصحابَه جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إنَّ قوماً قد أظهروا لنا العَدَاوَة، ولا نستطيع أَنْ نُجالسَ أصحابَكَ لِبُعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقالوا: رَضِيْنا

---

[٤٣٩] حسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٣١٣ والطبري ١٢١٩٣ والطبراني ١٧/ ٣٧١ وابن سعد ٤/ ٨٠ من حديث عياض الأشعري، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٩٧٦: رجال الطبراني رجال الصحيح. ويشهد له ما أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٣٥٢ من حديث أبي موسى، وما أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٤١٤ من حديث جابر وقال الهيثمي ١٩٧٧: إسناده حسن اهـ.

[٤٤٠] إسناده ضعيف جداً. بل موضوع. أخرجه الواحدي ٣٩٧ بهذا اللفظ، وأتم، عن محمد بن مروان عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس وهذا إسناد ساقط ليس بشيء. محمد بن مروان هو السدي الصغير متروك متهم بالكذب، وابن السائب هو الكلبي أقر على نفسه بالكذب، راجع الميزان، وأبو صالح اسمه باذام غير ثقة في ابن عباس، والمتن باطل. وهذه السلسلة تعرف عند علماء الحديث بسلسلة الكذب.
وأخرجه عبد الرزاق كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٩٢ ـ ٩٣ عن ابن عباس بنحوه. باطل، قال ابن كثير: فيه عبد الوهاب بن مجاهد، لا يحتج به اهـ. وقال الذهبي في «الميزان» ٢/ ٦٨٢: قال يحيى: ليس يكتب حديثه وقال أحمد: ليس بشيء. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال البخاري: يقولون: لم يسمع من أبيه اهـ. والظاهر أن هذا المتن سرقه من الكلبي فركبه على هذا الإسناد. وأخرجه الطبري ١٢٢١٩ عن مجاهد مرسلاً، وفيه غالب بن عبيد الله متروك. وكرره ١٢٢١٦ عن أبي جعفر بلاغاً، ومع ذلك هو معضل. وورد من حديث علي أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٩٣ وورد من حديث عمار بن ياسر أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٠٩٧٨. وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم اهـ. وزاد ابن كثير نسبته لابن مردويه عن أبي رافع وقال ابن كثير: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها وانظر «تفسير الشوكاني» ٨١٥ و ٨١٦ بتخريجنا.

بالله وبِرَسُوله وبالمؤمنين، وأذَّن بِلالٌ بالصَّلاة، فخرج رسولُ الله ﷺ فإذا مِسكِيْنٌ يسأل النَّاسَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «هل أعطاك أحدٌ شيئاً»؟ قال: نعم. قال: «ماذا»؟ قال: خَاتَم فِضَّةٍ. قال: «مَنْ أَعْطَاكَهُ»؟ قال: ذاكَ القَائِمُ، فإذا هو عَليُّ بن أبي طَالبٍ، أَعْطَانِيْهُ وهو راكِعٌ، فقرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُقاتلٌ. وقال مُجاهدٌ: نزلت في عليٍّ بن أبي طَالبٍ، تصدَّقَ وهو رَاكِعٌ[1].

والثاني: أنَّ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ لمَّا تبرأ مِنْ حُلَفَائِهِ اليهود نزلت هذه الآية في حَقِّهِ[2]، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنها نزلت في أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنها نزلت فيمن مَضَى مِنَ المسلمين ومَنْ بقي منهم، قاله الحَسَنُ.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم فعلوا ذلك في رُكوعِهِم، وهو تَصَدُّقُ عَليّ عليه السلام بخاتَمِه في رُكوعه. **والثاني**: أن مِنْ شَأْنِهِم إيتاءُ الزَّكاة وفعلُ الرُّكوع. وفي المراد بالرُّكوع ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه نَفْسُ الرُّكوع على ما رَوى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وقيل: إنَّ الآية نزلت وهُم في الرُّكوع. **والثاني**: أنه صلاةُ التَّطوُّع بالليل والنَّهار، وإنما أُفرد الرُّكوع بالذِّكر تشريفاً له، وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنه الخُضوع والخُشوع، وأنشدوا[3]:

لا تُـذِلَّ الـفَـقِـيـرَ عَـلَّـكَ أنْ تَـرْ   كَـعَ يَـوْمـاً والـدَّهْـرُ قَـدْ رَفَـعَـهْ

ذَكَرَهُ المَاوَرديُّ. فأمَّا ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ فقال الحَسَنُ: هم جُنْدُ الله. وقال أبو عُبيدةَ: أَنصارُ الله. ثم فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المُهاجرون والأَنصارُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الأَنْصارُ، ذكره أبو سُليمانَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ سبب نزولها:

[٤٤١] أنَّ رِفَاعَةَ بن زيدِ بن التَّابوت، وسُويدَ بن الحَارث كانَا قد أَظْهَرا الإِسلامَ، ثم نَافَقا، وكان رجالٌ من المسلمين يُوادُّونَهما، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابن عباسٍ.

---

[٤٤١] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٢٢١ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد.

---

(١) انظر الحديث المتقدم. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٧٣ـ ٧٤ ما ملخصه: وأما قوله تعالى **﴿وهم راكعون﴾** فقد توهم بعض الناس أن الجملة في موضع حال من قوله **﴿ويؤتون الزكاة﴾** أي في حال ركوعهم، ولو كان كذلك لكان دفع الزكاة حال الركوع أفضل من غيره، ولم يقل به أحد من أئمة الفتوى اهـ. وذكره ابن تيمية رحمه الله في «المقدمة في أصول التفسير»، وقال: إنه من وضع الرافضة اهـ والظاهر أنه من وضع الكلبي، وسرقه منه بعض الضعفاء.

(٢) تقدم.

(٣) الشاعر هو: الأضبط بن قُريع. وقوله لا تُذِلّ الفقير: لا تعادي ولا تهين.

فأمَّا اتِّخاذُهم الدِّين هُزُواً ولَعِباً، فَهُو إظهارُهم الإسلام وإخفاؤهم الكُفْر وتلاعُبُهم بالدِّين. والذين أُوتوا الكتابَ: اليهودُ والنَّصارى، والكُفَّار: عَبَدةُ الأوثان. قرأ ابن كَثيرٍ ونَافعٌ وابن عَامرٍ وحَمزةُ: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ بالنَّصب على معنى: لا تَتَّخِذُوا الكُفَّارَ أولياءَ. وقرأ أبو عَمرٍو والكِسَائيُّ: «والكفارِ» خَفْضاً، لِقُرب الكلام من العَامِلِ الجَارّ، وأَمَالَ أبو عَمرٍو الألفَ. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أَنْ تُوَلُّوهم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٤٤٢] **أحدهما**: أنَّ مُناديَ رسول الله ﷺ كان إذا نَادَى إلى الصَّلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليَهودُ: قَامُوا لا قَامُوا، صَلُّوا لا صَلُّوا، على سبيل الاستِهْزَاء والضَّحِك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السَّائِب.

[٤٤٣] **والثاني**: أنَّ الكفَّار لمَّا سمعوا الأذَانَ حَسَدُوا رسولَ الله ﷺ والمسلمين على ذلك، وقالوا: يا محمَّدُ لقد أَبْدَعْتَ شيئاً لم نسمعْ به فيما مضى من الأُمَم الخَالِيَة، فإن كنت تَدَّعي النُّبوَّةَ، فقد خَالفتَ في هذا الأذان الأنبياءَ قَبْلَكَ، فما أقبحَ هذا الصَّوت، وأَسْمَجَ هذا الأَمْر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المُفَسِّرين.

[٤٤٤] وقال السُّدِّيُّ: كان رجلٌ من النَّصارى بالمدينة إذا سمع المُنادي يُنادي: أشهدُ أن محمَّداً رسولُ الله، قال: حُرِق الكاذب، فدَخَلتْ خَادِمُه ذاتَ ليلةٍ بنارٍ وهو نائمٌ، وأهلُهُ نيامٌ، فسَقَطتْ شرارةٌ فأَحْرَقَت البيتَ، فاحترقَ هو وأَهْلُهُ.

والمُنَادَاةُ: هي الأَذَانُ، واتِّخاذُهم إيَّاها هُزُواً: تضاحكهم وتَغَامُزُهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما لَهُم في إِجَابةِ الصَّلاة، وما عليهم في اِسْتِهْزَائِهم بها.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾.

[٤٤٥] سبب نزولها: أنَّ نَفراً من اليهود أتوا رسولَ الله ﷺ، فسألوه عمَّن يُؤمن به من الرُّسُل، فذَكَر جميعَ الأنبياء، فلمَّا ذكَرَ عيسى، جَحَدُوا نُبوَّتَهُ، وقالوا: واللهِ ما نعلمُ دِيناً شَرّاً من دِينكم، فنزلت هذه الآية والتي بَعدَها، قاله ابن عباسٍ.

وقرأ الحسَنُ، والأَعْمَشُ: «تَنْقَمون» بفتح القاف. قال الزجَّاجُ: يُقال: نَقَمْتُ على الرجل أَنْقِمُ،

---

[٤٤٢] عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وتقدم مراراً أنه يضع الحديث.

[٤٤٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٠٠ م، بدون إسناد، ومن غير عزو لقائل، فهو لا شيء.

[٤٤٤] ضعيف أخرجه الطبري ١٢٢٢٣ عن السدي مرسلاً، فهو ضعيف.

[٤٤٥] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٢٢٤ عن ابن عباس من طريق ابن إسحاق به، ومداره على محمد بن أبي محمد، وهو مجهول كما في «التقريب»، و «الميزان». وانظر «تفسير الشوكاني» ٨١٨ بتخريجنا.

ونَقِمْتُ عليه أَنْقَمُ، والأوّل أَجْوَدُ. ومعنى «نَقَمْتُ»: بَالَغتُ في كَراهَةِ الشَّيء، والمعنى: هل تكرهُون منّا إلا إيماننا، وفِسْقكم، لأنّكم عَلِمْتُم أنّنا على حَقّ، وأنكم فَسَقْتُم.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ قال المُفسِّرون: سبب نزولها قولُ اليهود للمؤمنين: واللهِ ما عَلِمْنَا أهلَ دِينٍ أَقَلَّ حظّاً منكم في الدُّنيا والآخرة، ولا ديناً شرّاً مِنْ دِينكُم. وفي قوله تعالى: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ قولان: **أحدهما**: بِشَرّ مِنَ المؤمنين، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: بِشَرّ ممّا نَقَمْتُم مِن إيمانِنا، قاله الزجَّاجُ. فأما «المَثُوبَة» فهي الثَّواب.

قال الزجّاجُ: ومَوضع «مَنْ» في قوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ إنْ شئتَ كان رَفْعاً، وإنْ شئتَ كان خَفضاً، فمَنْ خَفضَ جعله بَدَلاً مِن «شرّ» فيكون المعنى: أُنبّئُكم بمَنْ لَعَنَهُ اللهُ؟ ومَنْ رَفَعَ فَبإضْمَار «هو» كأنَّ قائلاً قال: مَنْ ذلك؟ فقيلَ: هُوَ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ. قال أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ: مَنْ لعنَهُ اللهُ بالجِزْيَة، وغضبَ عليه بعبادة العِجْل، فَهُم شرٌّ مَثُوبةً عندَ الله.

ورُوي عن ابن عباسٍ أنَّ المَسْخين مِنْ أصحاب السَّبْتِ: مَسْخُ شبابهم قِردةً، ومشايخهم خَنازيرَ. وقال غيرُه: القِرَدَةُ: أصحابُ السَّبْتِ، والخَنازيرُ: كُفّارُ مَائدةِ عيسى. وكان ابنُ قُتيبة يقول: أنا أظنُّ أنَّ هذه القِرَدَةَ والخَنازيرَ هي المُسُوخُ بأَعْيانِهَا تَوالَدتْ. قال: واستَدْلَلْتُ بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ فدُخول الألف واللام يدلُّ على المَعرفَة، وعلى أنّها القردة التي تُعايَنُ، ولو كان أرادَ شيئاً انْقَرَضَ ومَضى، لَقَالَ: وجعلَ منهم قِردةً وخَنازيرَ، إلا أنْ يَصِحَّ حديثُ أُمّ حَبِيْبَةَ في «المُسُوخ» فيكون كما قال عليه السَّلام. قلتُ أنا:

[٤٤٦] وحديثُ أُمّ حَبِيْبَةَ في «الصَّحيح» انفردَ بإخراجه مُسلمٌ، وهو أنَّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، القِرَدَةُ والخَنازيرُ هي مِمّا مُسِخَ؟ فقال النبيُّ عليه السلام: «إن الله لم يَمْسَخْ قوماً أو يُهلِكْ قوماً، فَيَجعل لَهُم نَسْلاً ولا عَاقِبةً، وإنَّ القِرَدَة والخَنازيرَ قد كانت قبلَ ذلك» وقد ذكرنا في سورة البقرة عن ابن عباسٍ زيادة بيانِ ذلك، فلا يُلتَفَتُ إلى ظَنّ ابن قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فيها عشرون قراءة. قرأ ابن كَثيرٍ، وعَاصمٌ، وأبو عَمروٍ، وابن عَامرٍ، ونَافعٌ، والكِسَائيُّ: «وعَبَدَ» بفتح العين والباء والدال، ونَصْبِ تاء «الطَّاغُوت». وفيها وَجْهَان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: وجعلَ منهم القِردةَ والخَنازيرَ ومَنْ عَبَدَ الطَّاغوتَ. **والثاني**: أنَّ المعنى: مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وعَبَدَ الطَّاغوتَ. وقرأ حَمزةُ: «وعَبُدَ الطاغوتِ» بفتح العين والدال، وضم الباء، وخفض تاء الطاغوت. قال ثَعْلَبٌ: ليس لها وَجهٌ إلاَّ أن يُجمع فَعْل على فَعُل. وقال الزجَّاجُ: وَجْهُها أنَّ الاسمَ بُني على «فَعُل» كما تقول: عَلُم زيدٌ، ورَجُل حَذُر، أي: مُبالِغٌ في الحَذَر. فالمعنى: جَعلَ منهم خَدَمَة

---

[٤٤٦] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٦٣ والحميدي ١٢٥ وأحمد ١/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ ـ ٤٢٢ وأبو يعلى ٥٣١٣ من حديث ابن مسعود عن أم حبيبة.

الطَّاغوتِ ومَنْ بلغَ في طاعة الطَّاغوتِ الغايةَ. وقرأ ابن مَسعودٍ، وأُبيُّ بن كَعْبٍ، «وعَبَدُوا»، بفتح العين والباء ورَفعِ الدال على الجَمْعِ «الطاغوتَ» بالنَّصب. وقرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «وعَبَدَ» بفتح العين والباءِ والدال، إلا أنهما كَسَرا تاء «الطَّاغوتِ». قال الفَرَّاءُ: أرادا «عَبَدَة» فحذفا الهاء. وقرأ أنسُ بن مالكٍ: «وعَبيدَ» بفتح العين والدال وبياءٍ بعد الباء وخَفْضِ تاء «الطَّاغوت». وقرأ أيوبُ، والأعمَشُ: «وعُبَّدَ»، برفع العين ونصب الباء والدال مع تشديد الباء، وكَسْرِ تاء «الطَّاغوت». وقرأ أبو هُريرةَ، وأبو رَجَاء، وابن السَّميفع، «وعابِدَ» بألف، مكسورة الباء مفتوحة الدال، مع كسر تاء الطَّاغوتِ. وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثَّاب: «وعُبُدَ» برفع العين والباء وفتح الدال، مع كسر تاء الطَّاغوتِ. قال الزجَّاجُ: هو جَمْعُ عَبِيْد، وعُبُد مثل رَغِيْف، ورُغُف، وسَرِيْر، وسُرُر، والمعنى: وجعلَ منهم عَبِيْدَ الطَّاغوتِ. وقرأ أبو عِمْرَانَ الجُونيّ، ومُوَرِّقٌ العِجْليّ، والنَّخعيُّ: «وعُبِدَ» برفع العين وكسر الباء مخففةً، وفتح الدال مع ضمِّ تاء «الطَّاغوتُ». وقرأ أبو المُتَوَكِّل، وأبو الجَوزَاءِ، وعِكرمةُ: «وعَبَّدَ» بفتح العين والدال وتشديد الباء، مع نصب تاء الطَّاغوت. وقرأ الحسَنُ، وأبو مِجْلَزٍ، وأبو نُهيكٍ: «وعَبْدَ» بفتح العين والدال، وسكون الباء خفيفةً مع كسر تاء الطَّاغوتِ. وقرأ قَتادةُ، وهُذيلُ بن شَرْحَبِيْل: «وعَبَدة» بفتح العين والباء والدال وتاءٍ في اللفظ منصوبةً بعد الدال «الطَّواغيت» بألفٍ وواوٍ وياءٍ بعد الغين على الجمع. وقرأ الضَّحَّاكُ، وعَمرُو بن دِينَارٍ: «وعُبَدَ» برفع العين وفتح الباء والدال مع تخفيف الباء، وكسر تاء «الطَّاغوتِ». وقرأ سعيدُ بن جُبيرٍ، والشَّعبيُّ: «وعَبْدَة» مثلَ حَمزةَ، إلا أنهما رَفَعا تاء «الطَّاغوتُ». وقرأ يَحيَى بنُ يَعْمُرَ، والجَحدَريُّ: «وعَبُدَ» بفتح العين ورفع الباء مع كسر تاء «الطَّاغوتِ». وقرأ أبو الأَشْهَبِ العطَارِدِيّ: «وعُبْدَ» برفع العين وتسكين الباء، ونصب الدال، مع كسر تاء «الطَّاغوتِ». وقرأ أبو السَّمَّال: «وعَبَدَةٌ» بفتح العين والباء والدال وتاءٍ في اللفظ بعد الدال مرفوعةٍ مع كسر تاء «الطَّاغوتِ». وقرأ مُعاذُ القارئ: «وعَابِدُ» مثل قراءة أبي هُريرةَ إلا أنه ضم الدال. وقرأ أبو حَيْوَةَ: «وعُبَّادَ» بتشديد الباء وبألفٍ بعدها مع رفع العين، وفتح الدال. وقرأ ابن حَذْلَم، وعمرُو بن فائد: «وعَبَّادُ» مثلَ أبي حَيْوَةَ إلا أنَّ العين مفتوحةٌ والدال مضمومةٌ. وقد سبق ذِكْرُ «الطَّاغوتِ» في سورة البقرة. وفي المُراد به هاهنا قولان: **أحدهما**: الأَصنامُ. **والثاني**: الشَّيطَانُ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: هؤلاءِ الذين وَصَفْنَاهُم شَرٌّ مكاناً من المؤمنين، ولا شَرَّ في مكان المؤمنين، ولكنَّ الكلام مبنيٌّ على كلام الخَصْمِ، حينَ قالوا للمؤمنين: لا نَعْرِفُ شرّاً منكم، فقيلَ: مَنْ كان بهذه الصِّفَة، فهو شَرٌّ منهم.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾.

[٤٤٧] قال قَتادةُ: هؤلاءِ ناسٌ مِنَ اليهود كانوا يَدْخُلون على رَسولِ الله ﷺ، فيُخبرونه أنهم مؤمنون بما جاءَ به، وهُم مُتمسِّكون بضَلالَتِهم.

---

[٤٤٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٢٣٤ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف.

قوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾ أي: دَخلوا كافرين، وخَرَجُوا كافرين، فالكُفر معهم في حالَتَيهم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكُفر والنِّفاق.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿يُسَارِعُونَ﴾، أي: يُبادِرُون ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المعاصي، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: الكُفر، قاله السُّدِّيُّ.

فأمَّا العُدوان فهو الظُّلم. وفي «السُّحْت» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الرِّشوَةُ في الحُكمِ. **والثاني**: الرِّشوَةُ في الدِّين. **والثالث**: الرِّبا.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ «لولا» بمعنى: «هلاّ»، و «الربّانيون» مَذكُورون في آلِ عِمران، و ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ قد تَقدَّم ذِكْرُهم في هذه السُّورة. وهذه الآية مِنْ أَشَدِّ الآيات على تارِكي الأَمْرِ بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، لأنَّ الله تعالى جَمَعَ بين فَاعِل المُنكر وتَارِكِ الإنْكار في الذَّمِّ. قال ابن عباسٍ: ما في القرآن آيةٌ أشدُّ توبيخاً مِنْ هذه الآية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في فِنْحَاص اليهوديّ وأصحابِه، قالوا: يَدُ الله مَغْلُولَةٌ. وقال مُقاتل: فِنحَاصُ وابنُ صلوبا[1]، وعَازَرُ بن أبي عَازَرَ. وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الله تعالى كان قد بَسَطَ لهم الرِّزقَ، فلمَّا عَصوا اللهَ تعالى في أَمْرِ محمَّدٍ ﷺ وكفروا به كَفَّ عنهم بعضَ ما كان بَسَطَ لهم، فقالوا: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال عِكرمةُ. **والثاني**: أن الله تعالى اِسْتَقْرَضَ منهم كما اِسْتَقْرَضَ مِنْ هذه الأُمَّةِ، فقالوا: إنَّ الله بَخِيلٌ، ويَدُهُ مَغْلُولَةٌ فهو يَسْتَقْرِضُنَا، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أن النَّصارى لمَّا أَعانوا بُخْتُنَصَّرَ المَجُوسِيَّ على تَخريب بيتِ المَقْدِس، قالت اليهود: لو كان اللهُ صَحِيحاً لَمَنَعَنا منه، فَيَدُهُ مَغْلُولَةٌ، ذكره قَتادةُ أيضاً.

والمَغْلُولَةُ: المُمْسَكَةُ المُنْقَبِضَةُ. وعَنْ ماذا عَنوا أنها مُمْسَكَةٌ، فيه قولان:

أحدهما: عن العَطَاءِ، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، والفَرَّاء، وابنُ قُتيبةَ، والزجَّاجُ.

والثاني: مُمْسَكَةٌ مِنْ عَذَابِنا، فلا يُعذِّبنا إلا تَحِلَّةَ القَسَم بقَدْرِ عِبادَتِنَا العِجل، قاله الحَسَنُ.

وفي قوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: غُلَّتْ في جهنَّمَ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: أُمسِكَتْ عن الخَير، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: جُعِلوا بخلاءَ، فَهُمْ أَبْخَلُ قومٍ، قاله الزجَّاجُ. قال ابن

---

(١) كذا في الأصل، وفي بعض كتب التفسير «صوريا».

الأنباريّ: وهذا خَبَرٌ أخْبَرَ اللهُ تعالى به الخَلْقَ أنَّ هذا قد نَزَلَ بهم، وموضعه نصبٌ على معنى الحَال. تقديره: قالت اليهودُ هذا في حَالِ حُكْمِ اللهِ بِغَلِّ أيديهم، ولَعْنَتِهِ إيَّاهم، ويجوز أنْ يكون المعنى: فَغُلَّتْ أيديهم، ويجوز أن يكون دُعاءً، معناه: تَعليمُ الله لَنَا كيفَ نَدْعُو عليهم، كقوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أبعِدُوا مِنْ رَحمةِ الله. **والثاني**: عُذِّبُوا قِردةً بالجِزْيَةِ، وفي الآخرة بالنّار. **الثالث**: مُسِخُوا قِردةً وخَنَازيرَ.

[٤٤٨] ورَوى ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ لَعَنَ شيئاً لَمْ يَكُنْ لِلعْنِهِ أهْلاً رَجعتْ اللعنةُ على اليهودِ بِلَعْنَةِ اللهِ إيَّاهُمْ».

قال الزجّاجُ: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى «يد الله»: نِعْمَتُه، وهذا خطأٌ يَنقضُهُ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فيكون المعنى على قولهم: نِعْمَتَاهُ، ونِعَمُ الله أكثرُ مِنْ أنْ تُحصى. والمراد بقوله: بل ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: أنه جَوَادٌ يُنفق كيف يشاء، وإلى نحو هذا ذهب ابنُ الأنباريّ. قال ابن عباسٍ: إنْ شاءَ وسَّع في الرِّزق، وإنْ شاءَ قتَّر.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ قال الزجّاجُ: كُلّما أُنزل عليك شيءٌ كَفَروا به، فيَزيد كُفرهم. و «الطُّغْيَان» هاهنا: الغُلُوّ في الكُفْر. وقال مُقاتلٌ: ولَيَزِيْدَنَّ بني النَّضِيْر ما أُنزل إليكَ من ربِّكَ من أمْرِ الرَّجْم والدِّماء طُغياناً وكُفراً.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ فيمن عُنِيَ بهذا قولان: **أحدهما**: اليهودُ والنَّصارى، قاله ابن عباسٍ: ومُجاهدٌ، ومُقاتلٌ. فإن قيل: فأينَ ذِكْرُ النَّصارى؟ فالجواب: أنه قد تَقدَّم في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾. **والثاني**: أنهم اليهود، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ ذِكْر إيقادِ النَّارِ مَثَلٌ ضُرِبَ لاجتِهادِهم في المُحاربَة، وقيل: إنَّ الأصلَ في اِسْتِعَارَة اسم النَّار للحَرب أنَّ القبيلةَ مِنَ العرب كانت إذا أرادَتْ حربَ أُخرى أوقَدت النَّارَ على رُؤوس الجبال، والمَوَاضع المُرتفعةِ، لِيُعْلَمَ اِستعدَادُهم للحرب، فَيَتَأَهَّبَ مَنْ يُريد إعانَتَهُم. وقيل: كانوا إذا تَحالَفُوا على الجِدِّ في حَرْبِهِم، أوقَدُوا نَاراً، وتَحالَفُوا. وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: كُلّما جَمَعوا لِحَربِ النبيِّ ﷺ فَرَّقَهم اللهُ. **والثاني**: كُلّما مَكَرُوا مَكْراً رَدَّهُ اللهُ. قوله

---

[٤٤٨] لا أصل له في المرفوع، وقد صح ما يعارضه، وهو ما أخرجه أبو داود ٤٩٠٨ والترمذي ١٩٧٨ وابن حبان ٥٧٤٥ والطبراني ١٢٧٥٧ عن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ، فقال ﷺ: «لا تلعن الريح، فإنها مأمورة، وليس أحد يلعن شيئاً ليس له بأهل إلا رجعت عليه اللعنة». رجاله ثقات رجال الشيخين، لكن فيه عنعنة قتادة. وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه أحمد ١/ ٤٠٨ وجوده المنذري في «الترغيب» ٤١٠٨. وله شاهد من حديث أبي الدرداء، أخرجه أبو داود ٤٩٠٥ بإسناد ضعيف لكن يصلح شاهداً لما قبله. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، فهو خبر صحيح. وهو يعارض حديث المصنف، لأن في هذه الأحاديث عود اللعنة على صاحبها إن لم يكن الآخر أهلاً لها، في حين سياق المصنف ابن الجوزي فيه عودها على اليهود في جميع الأحوال.

---

(١) سورة المسد: ١. (٢) سورة الفتح: ٢٧.

تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: بالمعاصي، قاله ابن عباسٍ، ومُقاتلٌ. **والثاني**: بِمَحوِ ذِكرِ النبيِّ ﷺ مِنْ كُتُبِهِم، ودَفْعِ الإسلام، قاله الزجّاجُ. **والثالث**: بالكُفر. **والرابع**: بالظُّلم، ذكرهما الماورديُّ.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود والنَّصارى ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله وبرُسُلِه ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الشركَ ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ التي سَلَفَتْ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ قال ابن عباسٍ: عَمِلُوا بِمَا فيها. وفيما أُنزل إليهم من ربِّهم قولان: **أحدهما**: كُتُب أنبياء بَني إسرائيلَ. **والثاني**: القرآن، لأنهم لما خُوطِبُوا به، كان نَازِلاً إليهم. قوله تعالى: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ فيه قولان:

أحدهما: لأكَلُوا بقَطْرِ السَّماء، ونباتِ الأرض، وهذا قول ابن عباسٍ، ومُجاهِدٍ، وقَتادةَ.

والثاني: أن المعنى: لوُسِّعَ عليهم، كما يُقال: فُلانٌ في خيرٍ من قَرْنِهِ إلى قَدَمِهِ، ذَكَرَهُ الفَرَّاءُ، والزجّاجُ. وقد أَعْلَمَ اللهُ تعالى بهذا أنَّ التَّقوى سببٌ في تَوسِعة الرِّزق كما قال: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) وقال: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ يعني: مِنْ أهلِ الكتاب، وهُم الذين أَسْلَمُوا منهم، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ. وقال القُرَظيُّ: هُم الذين قالوا: المَسِيْحُ عبدُ الله ورَسُولُه. و«الاقتصاد» الاعتدالُ في القولِ والعمل مِنْ غير غُلوّ ولا تقصِيرٍ.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ذكر المُفسِّرون أنَّ هذه الآية نزلت على أسبابٍ: روى الحسَنُ أن النبيَّ ﷺ قال:

[٤٤٩] «لمَّا بعثني اللهُ برسَالَتِه، ضُقْتُ بها ذَرْعاً، وعَرفتُ أنَّ مِنَ النَّاس مَنْ يُكَذِّبُني»، وكان رسولُ الله ﷺ، يَهابُ قُريشاً واليهودَ والنَّصارى، فأنزل اللهُ هذه الآيَةَ.

---

[٤٤٩] ضعيف. أخرجه أبو الشيخ كما في «أسباب النزول» للسيوطي ٤٣٨. وهو مرسل. ومراسيل الحسن واهية كما هو مقرر في كتب المصطلح. وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٢٥ بتخريجنا.

---

(١) سورة الأعراف: ٩٦. (٢) سورة الطلاق: ٣.

[٤٥٠] وقال مُجاهدٌ: لمَّا نَزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: «يا ربِّ كيف أَصْنَعُ؟ إنَّما أنا وَحْدِي يَجتمعُ عَليَّ النَّاسُ»، فأنزل الله ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

[٤٥١] وقال مُقاتلٌ: لمَّا دَعَا اليهودَ، وأَكْثَرَ عليهم، جَعَلوا يَستَهْزِئون به، فسَكَتَ عنهم، فحُرِّضَ بهذه الآية.

[٤٥٢] وقال ابن عباسٍ: كان رسولُ الله ﷺ يُحرَسُ فيُرسل معه أبو طَالبٍ كلَّ يوم رجالاً مِنْ بَني هَاشِم يَحْرُسُونَه حتى نزلت عليه هذه الآية، فقال: «يا عَمَّاه إنَّ الله قَدْ عَصَمَنِي مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ».

[٤٥٣] وقال أبو هُريرةَ: نَزَلَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم تحتَ شجرةٍ وعَلَّقَ سَيْفَهُ فيها، فجاء رجلٌ فأَخَذَهُ، فقال: يا محمَّدُ مَنْ يَمْنَعُني منكَ؟ فقال: «اللَّهُ»، فنَزلَ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

[٤٥٤] وقالت عَائشةُ: سَهِرَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فقلتُ: ما شَأْنُكَ؟ قال: أَلاَ رَجُلٌ صَالحٌ يَحْرُسُنِي الليلةَ، فبينما نحنُ في ذلكَ إذْ سَمِعْتُ صوتَ السِّلاح، فقال: «مَنْ هذا»؟ فقال: سَعْدٌ وحُذَيْفَةُ جِئْنَا نَحْرُسُكَ، فنَامَ رسولُ الله ﷺ حتى سمعتُ غَطِيْطَه[1]، فنزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فأخرج رسولُ الله ﷺ رَأْسَهُ مِنْ قُبَّةِ أدم[2] وقال «اِنصرِفُوا أيُّها النَّاس، فقد عَصَمَنِي اللهُ تعالى».

---

[٤٥٠] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٢٧٥ عن مجاهد مرسلاً، فهو ضعيف.

[٤٥١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان إذا أطلق، وخبره معضل، وهو متروك متهم إذا وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟!

[٤٥٢] باطل. أخرجه الطبراني ١١٦٦٣ وابن عدي ٧/ ٢٢/ ١٩٦٠ من حديث ابن عباس، وأعلّه ابن عدي بالنضر بن عبد الرحمن الخزّاز ونقل عن البخاري قوله: منكر الحديث. وقال النسائي متروك. وكذا ضعفه الهيثمي به في «المجمع» ١٠٩٨١ وله علة ثانية عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمّاني وثقه ابن معين وفي رواية: ضعفه. وكذا ضعفه أحمد وابن سعد وقال النسائي: ليس بالقوي. والآية مدنية كما ذكر المصنف فالمتن منكر جداً، بل هو باطل. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٧٥١ و «ابن كثير» ٢/ ١٠٢ بتخريجنا.

[٤٥٣] أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٠٣ من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وإسناده حسن، رجاله ثقات سوى محمد بن عمرو، وهو حسن الحديث.

[٤٥٤] أخرجه الترمذي ٣٠٤٦ والحاكم ٢/ ٣١٣ والطبري ١٢٢٧٩ والواحدي ٤٠٤ من حديث عائشة. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حديث غريب ورواه بعضهم مرسلاً بدون ذكر عائشة اهـ. والمرسل أخرجه الطبري ١٢٢٧٧، وإسناده أصح من الموصول. وورد بمعناه من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الطبراني في «الصغير» ٤١٨ والأوسط كما في «المجمع» ١٠٩٨٠ وأعله الهيثمي بعطية العوفي، وقال ضعيف. وأصله عند البخاري ٢٨٨٥ ومسلم ٢٤١٠ دون ذكر الآية وسبب النزول فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ سهر، فلما قدم المدينة قال: «ليت رجلاً من أصحابي صالحاً يحرسني الليلة» إذ سمعنا صوت السلاح، فقال «من هذا؟» فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك. «فنام النبي ﷺ» لفظ البخاري. وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٢٩ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: الغطيط: هو صوت النائم المرتفع.

(٢) الأدَم: الأديم: الجلد ما كان، وقيل: الأحمر وقيل: هو المدبوغ ـ والجمع الأدَمُ.

قال الزجّاج: قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بَلِّغْ جميعَ ما أنزل إليكَ، ولا تُرَاقِبَنَّ أحداً، ولا تَتْرُكَنَّ شيئاً منه مَخافةَ أنْ يَنالَكَ مَكروهٌ، فإنْ تركتَ منه شيئاً، فمَا بلَّغتَ. قال ابن قُتيبةَ: يدلُّ على هذا المَحذوفِ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾. وقال ابن عباسٍ: إنْ كَتَمْتَ آيةً فَمَا بلّغتَ رِسالَتي. وقال غيرُه: المعنى: بَلِّغ جميعَ ما أُنزل إليكَ جهْراً، فإنْ أخفَيتَ شيئاً منه لِخوفِ أذىً يَلْحقُكَ، فكأنَّكَ ما بلَّغتَ شيئاً. وقرأ أبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «رِسالَته» على التَّوحيد. وقرأ نافعٌ «رِسالاتِه» على الجَمعِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي يَمنَعُكَ منهم. وعِصْمَةُ الله: مَنْعُهُ للعبدِ من المعاصي، ويُقال: طعامٌ لا يَعْصِم، أي: لا يَمْنَعُ مِنَ الجُوعِ. فإن قيل: فأين ضَمانُ العِصْمَة وقد شُجَّ جَبِينُهُ، وكُسِرتْ رَباعِيَتُه، وبُولِغَ في أذاهُ؟ فعَنْهُ جوابان: **أحدهما**: أنه عِصْمَةٌ من القَتْلِ والأَسْرِ وتَلَفِ الجُمْلَةِ، فأمَّا عَوارِضُ الأذى، فلا تَمْنَعُ عِصمةَ الجُمْلَة. **والثاني**: أن هذه الآيةَ نَزلتْ بَعْدَمَا جَرى عليه ذلك، لأنَّ «المَائِدَة» مِنْ أواخر ما نَزل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَهْدِيهِم إلى الجنَّة. **والثاني**: لا يُعِينُهم على بُلوغِ غَرَضِهِم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ سبب نزولها:

[٤٥٥] أنَّ اليهود قالوا للنبيِّ ﷺ: ألستَ تُؤمن بما عِندَنا مِنَ التَّوراة، وتَشْهَدُ أنها حقٌّ؟ قال: بَلَى، ولكنَّكم أَحْدَثْتُم وجَحَدْتُم مَا فيها، فأنا بَريءٌ مِنْ إحداثِكم. فقالوا: نحنُ على الهُدى، ونأخُذُ بما في أيدِينا، ولا نُؤمن بكَ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباسٍ.

فأمَّا أهلُ الكتاب، فالمُراد بهم اليهود والنَّصارى. وقوله تعالى: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: لَسْتُم على شيءٍ من الدِّين الحقِّ حتى تُقيموا التَّوراة والإنجيلَ، وإقامَتُهُما: العملُ بما فيهما، ومِنْ ذلك الإيمانُ بمحمَّدٍ ﷺ. وفي الذي أُنزل إليهم مِنْ ربِّهم قولان قد سَبَقَا، وكذلك باقي الآية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في البقرة. وكذلك اختلفوا في إحكَامِها ونَسْخِها كما بيَّنَّا هناك. فأمَّا رَفعُ «الصَّابئين» فذكر الزجَّاجُ عن البَصريين، منهم الخَليلُ، وسِيبَويه أنَّ قوله: «والصابئون» مَحمولٌ على التَّأخير، ومرفوعٌ بالابتداء. والمعنى: إنَّ الذين آمنوا والذين هَادُوا مَنْ آمَن بالله واليوم الآخِر وعَمِلَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزَنون.

---

[٤٥٥] إسناده ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٢٨٧ من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد به، ومحمد هذا مجهول كما تقدم مراراً. وانظر «تفسير الشوكاني» بتخريجنا.

والصَّابِئون والنَّصارى كذلك أيضاً، وأنشدوا:

وإلاَّ فَـاعـلَـمُـوا أَنَّـا وأَنْـتُـم بُـغَـاةٌ مَـا بَـقِـيْـنَـا فِـي شِـقَـاقِ[١]

المعنى: فاعلموا أنَّا بُغاةٌ ما بقينا في شِقَاقٍ، وأَنتُم أيضاً كذلك.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال مُقاتلٌ: أُخِذَ مِيثاقُهم في التَّوراة بأَنْ يَعْمَلُوا بما فيها. قال ابن عباسٍ: كان فيمن كُذِّبُوا. محمَّدٌ وعيسى، وفيمن قُتِلوا: زَكَرِيَّا ويَحْيَى. قال الزجَّاجُ: فأمَّا التَّكذيبُ، فاليهود والنَّصارى يشتركون فيه. وأمَّا القَتْلُ فَيَختصُّ اليهودَ.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وَنافعٌ، وعَاصمٌ، وابن عَامرٍ: ﴿تَكُونَ﴾ بالنَّصب، وقرأ أبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «تكونُ» بالرَّفع، ولم يختلفوا في رفع «فتنة». قال مَكِّيُّ بن أبي طَالبٍ: مَنْ رَفَعَ جَعَلَ «أن» مخفَّفةً مِنَ الثَّقيلة، وأَضْمَرَ معها «الهاء»، وجعل «حَسِبُوا» بمعنى: أَيقَنُوا، لأَنَّ «أن» للتأكيد، والتَّأكيد لا يجوز إلاَّ مع اليقين. والتَّقدير: أنه لا تكون فِتْنَةٌ. ومَنْ نَصَبَ جعل «أن» هي النَّاصبة للفِعْلِ، وجَعَلَ «حَسِبُوا» بمعنى: ظَنُّوا. ولو كان قَبْلَ «أن» فعلٌ لا يَصْلُح للشَّكِّ، لم يَجُزْ أن تكون إلا مُخَفَّفةً من الثَّقيلة، ولم يَجُزْ نصبُ الفعل بها، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾[٢] و﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾[٣]. وقال أبو عَليّ: الأفعال ثلاثةٌ: فعلٌ يدلُّ على ثَبَات الشَّيء واستقِرارِه، نحو العِلْم والتَّيقُّن، وفعلٌ يدلُّ على خِلاف الثَّبات والاستقرار، وفعلٌ يَجذِب إلى هذا مرَّةً، وإلى هذا أُخرى، فما كان معناه العِلْم، وقعت بعدَه «أَنَّ» الثَّقيلة، لأن معناها ثبوتُ الشَّيء واستقرارُه، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[٥]، وما كان على غير وَجْهِ الثَّبات والاستقرار نحو: أطمعُ وأَخافُ وأَرجو، وقعت بعده «أَنْ» الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[٦] ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ﴾[٧] ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾[٨] ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾[٩]، وما كان مُتَرَدِّداً بين الحالَين مثل حَسِبْتُ وظَنَنْتُ، فإنه يُجعلُ تارةً بمنزلة العِلم، وتارة بمنزلة أَرْجُو وأَطْمَعُ، وكِلْتَا القراءتين في ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قد جاء بها التَّنزيل. فمَثَلُ مذهب مَنْ نَصَبَ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾[١٠] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾[١١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم كما في «شواهد المعيني» ٢/ ٢٧١.

(٢) سورة طه: ٨٩.
(٣) سورة المزمل: ٢٠.
(٤) سورة النور: ٢٥.
(٥) سورة العلق: ١٤.
(٦) سورة البقرة: ٢٢٩.
(٧) سورة الأنفال: ٢٦.
(٨) سورة الكهف: ٨٠.
(٩) سورة الشعراء: ٨٢.
(١٠) سورة الجاثية: ٢١.
(١١) سورة العنكبوت: ٤.

﴿يُتْرَكُوٓا۟﴾[١]، ومَثَلُ مذهب مَنْ رَفَع: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم﴾[٢] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾[٣]. قال ابن عباسٍ: ظَنُّوا أَنَّ الله لا يُعَذِّبهم، ولا يَبْتَلِيهم بقَتْلِهم الأنبياء، وتكذيبهم الرُّسُل.

قوله تعالى: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ قال الزجَّاجُ: هذا مثل تأويله: أنهم لم يَعْمَلُوا بما سَمِعُوا ورَأَوا من الآيات، فَصَارُوا كالعُمي الصُّمّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: رَفَعَ عنهم البَلاءَ، قاله مُقاتلٌ. وقال غَيرُه: هو ظَفَرُهم بالأعداء، وذلك مَذكورٌ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾. **والثاني**: أَنَّ معنى «تاب عليهم»: أَرْسَلَ إليهم محمَّداً يُعلمُهم أنَّ الله قد تابَ عليهم إنْ آمنوا وصَدَّقوا، قاله الزجَّاجُ. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ قولان: **أحدهما**: لم يَتوبوا بعد رفعِ البَلاءِ، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: لم يُؤمنوا بعد بِعْثَةِ محمَّدٍ ﷺ، قاله الزجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: عَمِيَ وصَمَّ كثيرٌ منهم، كما تقول: جاءني قَومُك أكثرُهم. قال ابنُ الأنباريّ: هذه الآية نزلت في قوم كانوا على الكُفر قبل أن يُبعَثَ رسولُ الله ﷺ، فلما بُعث كَذَّبُوه بَغْياً وَحَسَداً، وقَدَّروا أنَّ هذا الفعل لا يكون مُوبِقاً لهم، وجَانِياً عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: ظَنُّوا ألاَّ تقعَ بهم فتنةٌ في الإصرار على الكُفر، فعَمُوا وصَمُّوا بمُجَانَبَةِ الحقِّ. ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عَرَّضَهُم للتوبة بأن أَرْسَلَ محمَّداً ﷺ وإنْ لم يَتوبوا، ثم عَمُوا وصَمُّوا بعد بيان الحقِّ بمحمَّدٍ، كثيرٌ منهم، فَخَصَّ بعضَهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلُّهُم على خِلاف رسولِ الله ﷺ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ قال مُقاتلٌ: نزلت في نَصارى نَجْرَان، قالوا ذلك. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المَسِيْحُ قال لهم وهو بين أَظْهُرِهِمْ: إنه مَنْ يُشرك بالله فقد حَرَّم الله عليه الجنَّةَ.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ قال مُجاهدٌ: هُمُ النَّصارى. قال وَهْبُ بن مُنبهٍ: لمَّا وُلِد عيسى لم يَبْقَ صَنَمٌ إلاّ خَرَّ لِوَجْهِهِ، فاجتمعت الشَّياطينُ إلى إبليسَ، فأخبروه، فذهب فطَافَ أَقْطَارَ الأرض، ثمَّ رَجَع، فقال: هذا المَولُود الذي وُلد مِنْ غير ذَكَرٍ، أردتُ أن أنظرَ إليه، فَوَجَدْتُ الملائكةَ قد حفَّت بأمِّه، فَلْيَتَخَلَّفْ عندي اثنان مِنْ مَرَدَتِكم، فلمَّا أصبحَ. خرَجَ بهما في

---

(١) سورة العنكبوت: ٢. (٢) سورة المؤمنون: ٩٥. (٣) سورة الزخرف: ٨٠.

صُورة الرِّجال، فأَتَوا مسجدَ بني إِسرائيلَ وهُمْ يتحدَّثون بأمر عيسى، ويقولون: مَولُودٌ مِنْ غير أَب. فقال إِبليسُ: ما هذا بِبَشَرٍ، ولكنَّ الله أحبَّ أن يَتمثَّلَ في امرأةٍ لِيَخْتَبِرَ العِبَادَ، فقال أحدُ صَاحِبَيْهِ: ما أَعظَمَ ما قُلتَ، ولكنَّ الله أحَبَّ أن يَتَّخِذَ وَلَداً. وقال الثالث: ما أَعْظَمَ مَا قُلتَ، ولكنَّ الله أرادَ أن يجعلَ إلهاً في الأرض، فألْقَوا هذا الكلامَ على ألسنة الناس، ثم تفرَّقوا، فتَكَلَّم به الناسُ. وقال محمَّدُ بن كَعْبٍ: لمَّا رُفِع عيسى اجتمع مئةٌ من علماء بني إسرائيلَ، وانتَخَبُوا منهم أربعة، فقال أحدُهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما بَدَا له، ثمَّ صَعِدَ إلى السماء، لأنه لا يُحْيِي الموتى ولا يُبرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ إلا الله. وقال الثاني: ليس كذلك، لأَنَّا قد عَرَفنا عيسى، وعَرَفنا أُمَّهُ، ولكنَّه ابنُ الله. وقال الثالث: لا أقولُ كما قُلْتُمَا، ولكن جاءت به أمُّه مِنْ عمل غير صَالحٍ. فقال الرابع: لقد قُلتُم قبيحاً، ولكنَّه عبدُالله ورسوله، وكَلِمَتُه، فخرجوا، فاتَّبَعَ كلَّ رجلٍ منهم عُنُقٌ[1] من الناس. قال المُفَسِّرون: ومعنى الآية: أنَّ النَّصارى قالت: الإلهية مُشتركةٌ بين الله وعيسى ومريمَ، وكلُّ واحدٍ منهم إلهٌ. وفي الآية إضمارٌ، فالمعنى: ثالثُ ثلاثةِ آلهة، فحذف ذِكْرَ الآلِهَة، لأنَّ المعنى مفهومٌ، لأنه لا يَكْفُر مَنْ قال: هو ثالثُ ثلاثةٍ، ولَمْ يُرد الآلِهَة، لأنه ما مِنْ اثنين إلاَّ وهو ثالثهما، وقد دَلَّ على المَحذُوف قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾. قال الزجَّاجُ: ومعنى ثالثُ ثلاثةٍ: أنه أَحَدُ ثلاثةٍ. ودخلت «من» في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ للتُّوكيد. والذين كَفَرُوا منهم، هم المُقيمون على هذا القول. وقال ابن جَرير: المعنى: لَيَمَسَّنَّ الذين يقولون: المَسِيْحُ هو الله، والذين يقولون: إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ، وكلَّ كافرٍ يَسلكُ سَبيلَهم، عذابٌ أليمٌ.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأَمْرُ، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فيه رَدٌّ على اليهود في تكذيبهم رِسالتهُ، وعلى النَّصارى في ادِّعَائِهم إلهِيَّتَهُ. والمعنى: أنه ليسَ بإلهٍ، وإنَّما حُكْمهُ حُكْمَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُل. وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ رَدٌّ على مَنْ نَسَبها مِنَ اليهود إلى الفَاحشة. قال الزجَّاجُ: والصِّدِّيقة: المُبالغةُ في الصِّدق، وصِدِّيقٌ «فِعّيل» من أبنية المُبالغة، كما تقول: فُلانٌ سِكِّيت، أي: مُبالغٌ في السُّكوت. وفي قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بَيَّنَ أنَّهما يعيشان بالغِذاء، ومَنْ لا يُقيمه إلاَّ أكلُ الطعام فليس بإلهٍ، قاله الزجَّاجُ. **والثاني**: أنه نَبَّهِ بأكلِ الطعام على عَاقِبَتِه، وهو الحَدَثُ، إذ لا بُدَّ لآكل الطعام من الحَدَثِ، قاله ابن قُتيبةَ. قال: وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ مِنْ أَلْطَف ما يكون من الكِنَاية. و«يؤفكون»: يُصْرَفُون عن الحق ويُعدَلُون، يقال: أُفِكَ الرجلُ عن كذا:

---

(١) في «اللسان» العُنق: الجماعة الكثيرة من الناس.

إذا عَدَل عنه، وأَرضٌ مَأفُوكَةٌ: مَحْرومَةُ المطر والنَّبات، كأنَّ ذلك صُرِف عنها وعُدِلَ.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال مُقاتلٌ: قُلْ لِنَصارى نَجْران: أَتعبُدون مِن دُون الله، يعني عيسى ما لا يَملِكُ لَكُم ضَرّاً في الدنيا، ولا نَفعًا في الآخرة. والله هو السَّميعُ لقولهم: المَسِيح ابنُ الله، وثالثُ ثلاثةٍ، العَليمُ بمَقالَتِهِم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال مُقاتلٌ: هم نَصارى نَجْران. والمعنى: لا تَغلُوا في دِينكم، فَتقُولوا غيرَ الحقِّ في عيسى. وقدَ بَيَّنَّا معنى «الغُلُو» في آخر سورة (النِّساء). قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ قال أبو سُليمانَ: مِنْ قبل أنْ تَضِلُّوا. وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم رُؤساء الضَّلالَةِ مِنَ اليهود. **والثاني**: رُؤساء اليهود والنَّصارى، والآيةُ خِطابٌ للذين كانوا في عَصْرِ نبيِّنا ﷺ نُهوا أنْ يَتَّبِعُوا أسلافَهُم فيما ابتَدَعُوه بأهوائهم.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في لَعْنِهم قولان:

أحدهما: أنه نَفْسُ اللعْنِ، ومعناه المُباعدة من الرَّحمة. قال ابن عباس: لُعِنُوا على لسان دَاودَ، فصَاروا قِردةً، ولُعِنوا على لسان عيسى في الإنجيل. قال الزجَّاجُ: وجائزٌ أنْ يكون دَاودُ وعيسى أَعْلَمَا أنَّ محمَّداً نبيٌّ، ولَعَنَا مَنْ كَفَرَ به. **والثاني**: أنه المَسْخُ، قاله مُجاهدٌ، لُعِنوا على لسان دَاودَ فصَاروا قِردةً، وعلى لسان عيسى، فصَاروا خَنازيرَ. وقال الحسَنُ، وقَتادةُ: لُعِنَ أصحابُ السَّبتِ على لسان دَاودَ، فإنهم لمَّا اعتَدوا، قال دَاودُ: اللهُمَّ الْعَنْهُم، واجْعلْهُم آيةً، فمُسِخُوا قِردةً. ولُعِنَ أصحابُ المَائِدة على لسان عيسى، فإنَّهم لمَّا أَكلوا منها ولم يُؤمِنوا؛ قال عيسى: اللهُمَّ الْعَنْهُم كما لَعَنْتَ أصحابَ السَّبتِ، فَجُعِلوا خَنازيرَ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ أي: ذلك اللَعنُ بمعصيتهم للهِ تعالى في مُخالفتهم أَمْره ونَهْيِهِ، وَباعتِدائهم في مُجاوزة ما حَدَّه لَهُم.

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ التَّناهِي: تَفاعُلٌ من النَّهي، أي: كانوا لا يَنْهَى بعضُهم بعضاً عن المُنكر. وذكر المُفسِّرون في هذا المُنكر ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: صَيدُ السَّمك يومَ السَّبت. **والثاني**: أَخذُ الرِّشوة في الحُكْم. **والثالث**: أَكْلُ الرِّبا، وأَثْمان الشُّحوم. وذِكْرُ المُنكر مُنكَراً يدلُّ على الإطْلاق، ويمنع هذا الحَصْرَ، ويَدلُّ على ما قُلنا:

[٤٥٦] ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الرجلَ مِنْ بَني إسرائيلَ كانَ إذا رأى أخاهُ على الذَّنب نَهاهُ عنهُ تَعْذِيرًا، فإذا كانَ الغَدُ لم يَمْنَعْهُ ما رأى منهُ أنْ يكونَ أَكِيلَهُ وخَلِيطَهُ وشَرِيبَهُ، فلمَّا رأى الله تعالى ذلكَ منهم ضَرَبَ بقلوبِ بعضِهم على بعضٍ ولَعَنَهُم على لسانِ دَاودَ وعيسى ابنِ مَرْيَمَ».

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال الزجَّاجُ: اللامُ دخلت لِلقَسَم والتَّوكيد، والمعنى: لَبِئْسَ شيئاً فِعْلُهُم.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ﴾ في المُشار إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم المُنافِقون، رُوي عن ابن عباسٍ، والحسَنِ، ومُجاهدٍ. **والثاني**: أنهم اليهود، قالهُ مُقاتلٌ في آخرين، فعَلَى هذا القول انتظامُ الآياتِ ظَاهرٌ، وعلى الأوَّل يرجع الكلامُ إلى قوله تعالى ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾. وفي الذين كفروا قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود، قاله أربابُ القول الأوَّل. **والثاني**: أنهم مُشركو العرب، قاله أربابُ هذا القول الثاني.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: بِئْسَمَا قَدَّموا لِمَعَادِهم ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجَّاجُ: يجوز أن تكون «أنْ» في موضع رفعٍ على إضمار هُو، كأنه قيل: هُوَ أَنْ سَخِطَ الله عليهم.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت هذه الآيةُ وما بعدَها ممَّا يتعلَّقُ بها في النَّجاشيِّ وأصحابه. قال سعيدُ بن جُبيرٍ: بَعَثَ النَّجاشيُّ قوماً إلى رسول الله ﷺ، فأَسْلَمُوا، فنزلت فيهم هذه الآيةُ والتي بعدَها، وسنذكر قِصَّتهم فيما بعد. قال الزجَّاجُ: واللام في «لَتَجِدَنَّ» لامُ القَسَم، والنُّون دخلت تَفْصِلُ بين الحَال والاستِقْبَال، و«عداوة» منصوبٌ على التَّمييز، واليهود ظَاهَرُوا المشركين على المؤمنين حَسَداً للنبيِّ عليه السَّلام.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عَبَدَةَ الأَوْثَان. فأمَّا الذين قالوا إنَّا نَصارى، فهل هذا عَامٌّ

---

[٤٥٦] أخرجه أبو داود ٤٣٣٦ و ٤٣٣٧ والترمذي ٣٠٥٠ وابن ماجه ٤٠٠٦ وأحمد ١/ ٣٩١ من حديث أبي عبيدة عن أبيه عن ابن مسعود، وفيه إرسال بينهما. وله شاهد من حديث أبي موسى، أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١٢١٥٣ وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح اهـ. وفي الباب أحاديث يحسن بها، وقد وهم من حكم بضعفه.

في كلِّ النَّصارى أَمْ خاصٌّ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه خاص، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أَرادَ النَّجاشِيَّ وأصحابَه لمَّا أَسْلَمُوا، قاله ابن عباسٍ وابن جُبيرٍ. والثاني: أنهم قومٌ من النَّصارى كانوا مُتَمَسِّكين بشَريعة عيسى، فلمَّا جاء محمَّدٌ عليه السلام أَسْلَمُوا، قاله قَتادةُ. **والقول الثاني**: أنه عامٌّ. قال الزجَّاجُ: يجوز أن يُراد به النَّصارى لأنهم كانوا أقلَّ مُظاهرةً للمشركين من اليهود.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ قال الزجاج: «القس» و«القسيس» من رؤساء النصارىٰ. وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم، فأما الرهبان: فهم العبَّاد أرباب الصوامع. قال ابن فارس: الترهب: التعبد، فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين ورهباناً وليس ذلك من أمرِ شَريعتِنا؟ فالجَواب: أنه مَدَحَهُم بالتَّمسُّك بدِين عيسى حين استعملوا في أَمْرِ محمَّدٍ ما أُخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرَّهبانيَّةُ مُستحسَنةً في دينهم. والمعنى: بأنَّ فيهم عُلماء بما أوصى به عيسى مِنْ أَمْرِ محمَّدٍ ﷺ. قال القاضي أبو يَعلَي: وربَّما ظَنَّ جاهلٌ أنَّ في هذه الآية مَدْحَ النَّصارى، وليس كذلك، لأنه إنَّما مَدَحَ مَنْ آمنَ منهم، ويدلُّ عليه ما بعدَ ذلك، ولا شَكَّ أنَّ مقالَةَ النَّصارى أقْبَحُ مِنْ مَقَالَةِ اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، أي: لا يتكبَّرون عن اتِّباع الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

[٤٥٧] قال ابن عباسٍ: لمَّا حضرَ أصحابُ النبيِّ ﷺ بين يَدَي النَّجاشِيِّ، وقَرَؤوا القُرآن، سمعَ ذلك القِسِّيسُون والرُّهبَان، فانحدَرَتْ دموعُهم ممَّا عرفوا من الحقِّ، فقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾.

[٤٥٨] وقال سعيدُ بن جُبير: بعثَ النَّجَاشِيُّ مِنْ خِيَار أصحابه ثلاثين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فَبَكُوا ورَقُّوا، وقالوا: نعرفُ واللهِ، وأَسْلَمُوا، وذَهَبُوا إلى النَّجَاشِيِّ فأخبروه فأَسْلَمَ، فأنزل الله فيهم ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ...﴾ الآية.

[٤٥٩] وقال السُّدِّيُّ: كانوا اثني عشرَ رجلاً؛ سبعةٌ من القِسِّيسِينَ، وخمسةٌ من الرُّهْبَانِ، فلمَّا قرأ عليهم رسولُ الله ﷺ القرآن، بَكُوا وآمنوا، فنزلت هذه الآيةُ فيهم(١).

---

[٤٥٧] حسن. أخرجه الطبري ١٢٣٢٠ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بأتم منه، ورجاله ثقات، لكن فيه إرسال بين علي وابن عباس. وله شاهد عن عبد الله بن الزبير، أخرجه النسائي في «التفسير» ١٦٨ والطبري ١٢٣٣٠، وله شاهد من مرسل عطاء، أخرجه الطبري ١٢٣٢٢.

[٤٥٨] مرسل. أخرجه الطبري ١٢٣١٨ عن خصيف الجزري عن سعيد بن جبير مرسلاً.

ـ وكرره برقم ١٢٣٢٨ عن سالم الأفطس عن سعيد به.

[٤٥٩] مرسل. أخرجه الطبري ١٢٣٢١ بأتم منه عن السدي مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وله شاهد عن أبي صالح، أخرجه الطبري ١٢٣٢٦ وهو مرسل، وفيه راوٍ لم يسمّ. الخلاصة: هذه الروايات جميعاً تتأيد بمجموعها، فيكون النجاشي وأصحابه الذين آمنوا بالنبي ﷺ من هؤلاء، ويدخل في ذلك كل من اتصف بذلك من أهل الكتاب، وأصح ما في الباب حديث ابن الزبير وابن عباس. وانظر التعليق الآتي.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «جامع البيان» ٥/ ٥: والصواب في ذلك من القول عندي: أن الله تعالى وصفَ صفة =

قوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، أي: مع مَنْ يَشهَدُ بالحقّ. وللمُفسِّرين في المُراد بالشَّاهدين هاهنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: محمَّدٌ وأُمَّتُه، رواه عليُّ بن أبي طَلْحَة، وعِكرمةُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثالث**: الذينَ يشهدون بالإيمان، قاله الحَسنُ. **والرابع**: الأنبياءُ والمُؤمنون، قاله الزجّاج.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ قال ابن عباسٍ: لامَهُم قومُهم على الإيمان، فقالوا هذا، وفي القوم الصَّالحين ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أصحابُ رسول الله ﷺ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: رسولُ الله ﷺ وأَصحابُه، قاله ابن زيدٍ. **والثالث**: المُهاجرون الأوَّلون، قاله مُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ قال ابن عباسٍ: ثوابُ المؤمنين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٤٦٠] **أحدها**: أنَّ رجالاً من أصحاب النبيِّ ﷺ، منهم عُثمانُ بن مَظْعُونٍ، حَرَّموا اللحمَ والنِّساءَ على أنفسهم، وأَرادُوا جَبَّ أنفسِهم لِيتفرَّغوا للعبادة، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَمْ أُومَر بذلكَ»، ونزلت هذه الآية، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ.

---

[٤٦٠] حسن. أخرجه الطبري ١٢٣٥٠ وفيه إرسال بين علي بن أبي طلحة وابن عباس وكرره ١٢٣٥١ من وجه آخر عنه، وفيه عطية العوفي واهٍ، وورد مرسلاً عن عكرمة أخرجه الطبري وهذا ضعيف لإرساله ومن مرسل قتادة أخرجه الطبري ١٢٣٤٨ مطولاً، ومن مرسل السدي أخرجه ١٢٣٤٩ وكرره ١٢٣٤٠ من مرسل أبي مالك و ١٢٣٤٥ من مرسل أبي قلابة. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٤١١ بقوله: قال المفسرون ا هـ. رووه بألفاظ متقاربة، والمعنى متحد، وهذه الروايات المرسلة والموصولة تتأيد بمجموعها، فالحديث حسن.
ـ وفي الصحيح أن عثمان بن مظعون نهاه رسول الله ﷺ عن التبتل دون ذكر الآية وهو عند البخاري ٥٠٧٣ و ٥٠٧٤، ومسلم ١٤٠٢ والترمذي ١٠٨٣ والنسائي ٦/ ٥٨ وابن ماجه ١٨٤٨ وأحمد ١/ ١٧٥ ـ ١٨٣ والدارمي ٢/ ١٣٣ وابن حبان ٤٠٢٧ والبغوي ٢٢٣٧ والبيهقي ٧/ ٩٧ من حديث سعد بن أبي وقاص قال: ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا. وانظر «أحكام القرآن» ٧٣٧.

= قوم قالوا: ﴿إنا نصارى﴾، أن نبي الله ﷺ يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمّ لنا أسماءهم، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي، ويجوز أن يكونوا قوماً كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه.

[٤٦١] وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: كانوا عشرةً: أبو بكرٍ، وعُمرُ، وعَليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعُثمانُ بنُ مَظْعُونٍ، والمِقْدَادُ بن الأسْوَد، وسَالمُ مَولى أبي حُذَيْفَة، وسَلمَانُ الفارِسيُّ، وأبو ذَرٍّ، وعَمَّارُ بن يَاسِرٍ، اجتمعوا في دار عُثمانَ بن مَظْعُونٍ، فَتَواثَقُوا على ذلك، فبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «مَنْ رَغبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي» ونزلت هذه الآيَة.

[٤٦٢] قال السُّدِّيُّ: كان سببُ عَزْمهم على ذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ جلسَ يوماً، فلَمْ يَزِدْهُم على التَّخويف، فَرَقَّ الناسُ، وبَكَوْا، فَعَزَم هؤلاءِ على ذلك، وَحَلَفُوا على ما عَزَمُوا عليه.

[٤٦٣] وقال عِكرمةُ: إنَّ عليَّ بن أبي طَالبٍ، وابنَ مَسعودٍ، وعُثمانَ بن مَظْعُونٍ، والمِقْدَادَ، وسَالماً مَولَى أبي حُذيفَة في أصحابِه، تَبَتَّلُوا، فجَلَسُوا في البيوت، واعتَزَلُوا النساءَ، ولَبِسُوا المُسُوحَ[1]، وحَرَّموا طيِّباتِ الطعام واللِّبَاس، إلاّ ما يأكلُ ويلبسُ أهلُ السِّيَاحةِ مِنْ بني إسرَائيلَ، وهَمُّوا بالاختِصَاءِ، وأجمَعُوا لِقيامِ الليلِ وصيامِ النَّهار، فنزلت هذه الآيةُ.

[٤٦٤] **والثاني**: أنَّ رَجُلاً أَتَى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلتُ مِنْ هذا اللحمِ، أَقْبَلَتْ على النِّساءِ، وإنِّي حرَّمتُهُ عليَّ، فنزلت هذه الآية، رواه عِكرمةُ عن ابن عباسٍ.

[٤٦٥] **والثالث**: أنَّ ضَيفاً نزلَ بعبدِالله بن رَوَاحَة، ولم يَكُنْ حَاضِراً، فلمَّا جاء، قال لزوجته: هل أَكَلَ الضَّيفُ؟ فقالت: إنْتَظَرْتُكَ. فقال: حَبَسْتِ ضَيْفِي مِنْ أجلي؟! طعامُكِ عليَّ حَرَامٌ. فقالت: وهو عليَّ حَرامٌ إنْ لم تَأْكُلْهُ، فقال الضَّيفُ: وهو عليَّ حَرامٌ إنْ لم تَأْكُلوهُ، فلمَّا رأى ذلك ابنُ رَوَاحَة قال: قَرِّبي طعَامَكِ، كُلُوا بسم اللهِ، ثمَّ غدا إلى النبيِّ ﷺ، فأخبَرَهُ بذلك فقال: أَحسنْتَ، ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، رواه عبدُ الرحمن بن زيدٍ عن أبيه.

فأمَّا «الطَّيِّبات» فهي اللذِيذَات التي تَشْتَهيها النُّفُوسُ ممَّا أُبِيحَ، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: لا تَجُبُّوا أنفُسَكم، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادةُ، وإبراهيمُ. **والثاني**: لا

---

[٤٦١] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس، وراويتُهُ هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، وذكر أبي بكر وعمر في هذا الحديث غريب جداً.

[٤٦٢] أخرجه الطبري ١٢٣٤٩ عن السدي مرسلاً مطولاً، وهذا المتن أصله محفوظ بشواهده المرسلة والموصولة.

[٤٦٣] هو مرسل، وانظر ما تقدم.

[٤٦٤] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٠٥٤ والطبري ٢٣٥٤ وابن عدي ٥/ ١٠٧٠ والواحدي ٤١٠ من حديث ابن عباس. وإسناده ضعيف لضعف عثمان بن سعد الكاتب، وبه أعله ابن عدي. وأما الترمذي فقال: حسن غريب، ورواه بعضهم عن عثمان بن سعد مرسلاً، ليس فيه عن ابن عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً اهـ. قلت: هو خبر ضعيف، والصواب ما ذكره أئمة التفسير ومنهم ابن عباس، انظر الحديث المتقدم. انظر «أحكام القرآن» ٧٤٠ بتخريجنا.

[٤٦٥] ضعيف جداً، أخرجه الطبري ١٢٣٥٣ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مرسلاً، ومع إرساله عبد الرحمن متروك الحديث. والصحيح في سبب النزول ما قبله. وحديث ابن رواحة في الصحيح، وليس فيه ذكر نزول الآية راجع البخاري ٣٥٨١ وصحيح مسلم ٢٠٥٧. وانظر «أحكام القرآن» ٧٣٨ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: المسوح: جمع مِسْح: وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان.

تأتوا ما نَهى الله عنه، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: لا تَسِيْرُوا بغيرِ سِيرةِ المسلمين مِنْ تَرْكِ النساء، وإدَامَة الصِّيام، والقِيَام، قاله عِكْرِمَةُ. **والرابع**: لا تُحرِّموا الحَلالَ، قاله مُقاتلٌ. **والخامس**: لا تَغْصِبُوا الأموالَ المُحَرَّمَةَ، ذكره المَاوَرديُّ.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ سبب نزولها:

[٤٦٦] أنه لمَّا نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القومُ الذين كانوا حَرَّموا النساء واللحمَ: يا رسولَ الله كيفَ نصنعُ بأيْمانِنا التي حَلَفْنَا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. وقد سبقَ ذكر «اللَّغْو» في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: «عقَّدتم» بغير ألفٍ، مشددة القاف. قال أبو عَمرٍو: معناها: وَكَّدْتُم، وقرأ أبو بَكْرٍ، والمُفَضَّلُ عن عَاصمٍ: «عَقَدْتُم» خفيفةً بغير ألفٍ، واختارها أبو عُبيدٍ. قال ابن جَرِيرٍ: معناها: أَوجَبْتُمُوهَا على أَنْفسِكُم[1]. وقرأ ابن عَامرٍ: «عَاقَدْتُم» بألفٍ، مثل «عَاهَدْتُم». قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه القراءة المُشَدَّدة لا تحتملُ إلا عَقْدَ قولٍ. فأمَّا المُخَفَّفة، فتحتمِلُ عَقْدَ القلب، وعَقْدَ القول. وذكر المُفَسِّرون في

---

[٤٦٦] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٣٦٠ عن عطية بن سعد العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف عطية.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/٤٦٩ ـ ٤٧١ ما ملخصه: فصل: فإن قال: أقسمت، أو آليت، أو حلفت، أو شهدت لأفعلنّ، ولم يذكر بالله. فعن أحمد روايتان، إحداهما: أنها يمين، سواء نوى اليمين أو أطلق، وروي نحو ذلك عن عمر وابن عباس والنخعي والثوري وأبي حنيفة وأصحابه. وعن أحمد: إن نوىٰ اليمين بالله كان يميناً، وإلا فلا، وهو قول مالك وإسحاق وابن المنذر، لأنه يحتمل القسم بالله تعالىٰ وبغيره، فلم تكن يميناً حتىٰ يصرفه بنيته إلى ما تجب به الكفارة، وقال الشافعي: ليس بيمين وإن نوىٰ، وروي نحو ذلك عن عطاء والحسن والزهري وقتادة وأبي عبيد لأنها عريت عن اسم الله تعالى وصفته فلم تكن يميناً. ولنا أنه ثبت لها عرف الشرع والاستعمال فإن أبا بكر قال: أقسمت عليك يا رسول الله، لتخبرني بما أصبت مما أخطأت، فقال: النبيﷺ «لا تقسم يا أبا بكر» رواه أبو داود. وقال العباس للنبيﷺ، أقسمت عليك يا رسول الله لتبايعنه، فبايعه النبيﷺ، وقال: «أبررت قسم عمي، ولا هجرة». وفي كتاب الله ﴿**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد ـ إلى ـ اتخذوا أيمانهم جنة**﴾ فسماها يميناً.

ـ فصل: وإن قال: أعزم، أو عزمت لم يكن قسماً، نوى به القسم أو لم ينو، لأنه لم يثبت لهذا اللفظ عرف في شرع ولا استعمال، ولا هو موضوع للقسم، ولا فيه دلالة عليه.

ـ مسألة: ﴿**أو بأمانة الله**﴾ قال القاضي: لا يختلف المذهب في أن الحلف بأمانة الله يمين مكفرة، وبهذا قال أبو حنيفة. وقال الشافعي: لا تنعقد اليمين بها إلا أن ينوي الحلف بصفة الله تعالى.

ـ فصل: فإن قال: والأمانة لا فعلت. ونوى الحلف بأمانة الله فهي يمين مكفَّرة. وإن أطلق فعلىٰ روايتين: إحداهما: يكون يميناً، والثانية: لا يكون يميناً، لأنه لم يضفها إلى الله تعالى.

معنى الكلام قولين: **أحدهما**: ولَكنْ يُؤاخِذُكُم بما عَقَّدتُم عليه قُلوبَكم في التَّعَمُدِ لليَمين، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: بِمَا عَقَّدتُم عليه قُلوبَكم أنه كَذِبٌ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

قوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾[١] قال ابن جَريرٍ: الهاء عائدةٌ على «ما» في قوله: «بما عَقَّدْتُم».

فصل: فأمّا إطعام المساكين[٢]، فرُوي عن ابن عُمرَ، وزَيدِ بن ثابتٍ، وابن عباسٍ، والحَسنِ في آخرين: أنَّ لكلِّ مسكينٍ مُدَّ برّ، وبه قال مَالكٌ، والشّافعيُّ. ورُوي عن عُمرَ، وعَليٍّ، وعَائشةَ في آخرين: لكلِّ مِسكينٍ نِصفُ صَاع من بُرّ، قال عُمرُ، وعَائشةُ: أو صَاعاً مِنْ تَمرٍ، وبه قال أبو حَنيفةَ. ومذهب أصحابنا في جميع الكَفّارات التي فيها إطعامٌ، مثل كَفّارَة اليَمِين، والظِّهَار، وفِدْيَة الأذى، والمُفرِّطَة في قضاء رمضانَ، مُدُّ بُرّ، أو نِصفَ صَاع تَمْرٍ أو شَعيرٍ. ومِنْ شَرط صِحَّة الكَفّارة، تَمْلِيْكُ الطَّعام للفُقراء، فإنْ غَدَّاهم وعَشّاهم، لَمْ يُجزِئهُ، وبه قال سَعيدُ بن جُبيرٍ، والحَكَمُ، والشَّافعيُّ. وقال الثَّوريُّ، والأَوزاعيُّ: يُجْزِئُهُ، وبه قال أبو حَنيفةَ، ومَالكٌ[٣]. ولا يجوز صَرْفُ مُدَّيْنِ إلى مِسكينٍ واحدٍ[٤]، ولا إخراجُ القيمة في الكَفّارة، وبه قال الشّافعيُّ. وقال أبو حَنيفةَ: يجوزُ. قال الزجَّاجُ: وإنما وقع لفظ التَّذكير في المساكين، ولو كانوا إناثاً لأجزأ، لأنَّ المُغلَّب في كلام العرب التَّذكيرُ. وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: مِنْ أَوْسَطِهِ في القَدْرِ، قاله عُمَرُ، وعَليٌّ، وابن عباسٍ، ومُجاهدٌ.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢: كفارة سائر الأيمان تجوز قبل الحنث وبعده، صوماً كانت أو غيره، في قول أكثر أهل العلم، وبه قال مالك، وممن روي عنه جواز تقديم التكفير عمر وابنه وابن عباس وسلمان الفارسي ومسلمة بن مخلد، وبه قال الحسن وابن سيرين وربيعةُ والأوزاعي والثوري وابن المبارك وإسحاق وأبو عبيد وأبو خيثمة وسليمان بن داود، وقال أصحاب الرأي: لا تجزئ الكفارة قبل الحنث، لأنه تكفير قبل وجود سببه، وقال الشافعي كقولنا، في الإعتاق والإطعام والكِسوة. وكقولهم في الصيام من أجل أنه عبادة بدنية.

قلت: ويخطئ أكثر العامة حيث يظنون أن المتعين هو صيام ثلاثة أيام. ولا يعرفون غير ذلك؟!!

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٥١١: لا يجزئ في الكفارة إخراج قيمة الطعام، ولا الكِسوة، في قول إمامنا ومالك والشافعي وابن المنذر، وهو الظاهر من قول عمر وابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي. وأجازه الأوزاعي وأصحاب الرأي اهـ ملخصاً. وانظر القرطبي ٦/ ٢٨٠.

(٣) قال الإمام القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢٧٧: قال مالك: إن غَدّى عشرة مساكين وعشاهم أجزأه. وقال الشافعي: لا يجوز أن يطعمهم جملة واحدة، لأنهم يختلفون في الأكل، ولكن يعطي كل مسكين مداً. وروي عن علي: لا يجزئ إطعام العشرة وجبة واحدة. يعني غداء دون عشاء، أو عشاء دون غداء حتى يغدّيهم ويعشيهم. قال أبو عمر: وهو قول أئمة أهل الفتوى بالأمصار. وانظر ما ذكره ٦/ ٢٧٦.

(٤) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٥١٣: المكفّر لا يخلو من أن يجد المساكين بكمال عددهم، أو لا يجدهم، فإن وجدهم لم يجزئه إطعام أقل من عشرة في كفارة اليمين، ولا أقل من ستين في كفارة الظهار، وكفارة الجماع في رمضان وبهذا قال الشافعي وأبو ثور. وأجاز الأوزاعي دفعها إلى واحد. وقال أبو عبيد: إن خص بها أهل بيت شديدي الحاجة جاز. وقال أصحاب الرأي: يجوز أن يرددها على مسكين واحد في عشرة أيام إن كانت كفارة يمين، أو في ستين إن كان الواجب إطعام ستين مسكيناً. ولا يجوز دفعها إليه في يوم واحد. وحكاه أبو الخطاب عن أحمد اهـ ملخصاً. وانظر القرطبي ٦/ ٢٧٨.

والثاني: مِنْ أَوْسَطِ أجناس الطَّعام، قاله ابن عُمَرَ، والأَسْوَد، وعُبيدةُ، والحَسَنُ، وابن سِيْرِيْنَ. ورُوي عن ابن عباسٍ قال: كان أهلُ المدينة يُقْرُونَ للحُرِّ مِن القُوت أكثرَ ما للمَمْلُوك، وللكبير أكثرَ ما للصَّغير، فنزلت ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ليسَ بأفضَلِه ولا بأخسِّه.

وفي كِسْوَتِهِم خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عباسٍ، ومُجاهدٌ، وطَاوسٌ، وعَطاءٌ، والشَّافعيُّ. **والثاني**: ثَوْبَانِ، قاله أبو مُوسى الأَشْعَريُّ، وابنُ المُسَيّب، والحَسَنُ، وابن سِيْرِيْنَ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: إزارٌ ورِداءٌ وقَميصٌ، قاله ابن عُمَرَ. **والرابع**: ثوبٌ جامعٌ كالمِلْحَفَة، قاله إبراهيمُ النَّخعيُّ. **والخامس**: كِسْوةٌ تُجزئ فيها الصَّلاة، قاله مَالكٌ. ومَذْهَبُ أصحابنا: أنه إن كَسَا الرجلَ، كَسَاهُ ثوباً، والمَرأة ثَوبَيْنِ، دِرْعاً وخِمَاراً، وهو أَدْنَى ما تُجزِئ فيه الصَّلاة.

وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميّ وأبو الجَوزَاءِ ويَحْيَى بن يَعْمَرَ: «أو كُسوتهم» بضمِّ الكاف. وقد قرأ سعيدُ بن جُبيرٍ وأبو العَالِيَة وأبو نُهَيك ومعاذُ القارئ: «أو كإسوتهم» بهمزةٍ مكسورةٍ مفتوحة الكاف مكسورة التاء والهاء. وقرأ ابن السَّمَيْفَع وأبو عِمْرَان الجوني مِثْلَهُ، إلا أنهما فتحا الهمزة. قال المُصَنِّفُ: ولا أرى هذه القراءةَ جائزةً لأنها تُسقط أصلاً من أُصول الكَفَّارَة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ تَحْرِيْرُها: عَتْقُهَا، والمُراد بالرَّقبة: جُملة الشَّخصِ. واتَّفقوا على اشتراطِ إيمانِ الرَّقبة في كَفَّارة القَتْل لِمَوضع النَّص. واختلفوا في إيمان الرَّقَبة المذكورة في هذه الكَفَّارة على قولين: **أحدهما**: أنه شَرطٌ، وبه قال الشَّافعيُّ، لأنَّ الله تعالى قَيَّدَ بِذِكْر الإيمان في كَفَّارة القَتْلِ، فوجَبَ حملُ المُطلَقِ على المُقيَّد. **والثاني**: ليسَ بِشَرطٍ، وبه قال أبو حنيفَة، وعن أحمدَ رضي الله عنه في إيمان الرَّقبة المُعْتَقَة في كفَّارة اليَمين، وكَفَّارة الظِّهار، وكَفَّارة الجِمَاع، والمَنْذُورَة، رِوايتان. قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ اختلفوا فيما إذا لم يجده، صَامَ، على خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إذا لم يَجِدْ دِرهَمين صامَ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: ثلاثة دَرَاهِم، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثالث**: إذا لم يَجِدْ إلاَّ قَدْرَ ما يُكَفِّر به، صَامَ، قاله قَتادةُ. **والرابع**: مِئتي دِرْهَم، قاله أبو حَنيفةَ. **والخامس**: إذا لم يَكُنْ له إلاَّ قَدْرُ قُوته وَقُوتِ عَائِلَتِهِ يومَه وليلَتَهُ[1]، قاله أحمدُ، والشَّافعيُّ. وفي تَتَابُع الثَّلاثة أيامٍ[2]، قولان: **أحدهما**: أنه

---

(١) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٥٣٣: ويكفِّر بالصوم من لم يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته، مقدار ما يكفر به وجملة ذلك أن كفارة اليمين تجمع تخييراً وترتيباً، فيتخير بين الخصال الثلاث، ويعتبر أن لا يجد فاضلاً عن قوته وقوت عياله يومه وليلته قدراً يكفِّر به، وهذا قول إسحق، وأبو عبيد وقال الشافعي من جاز له الأخذ من الزكاة لحاجته وفقره، أجزأه الصيام، لأنه فقير. وقال سعيد بن جبير، إذا لم يملك إلا ثلاثة دراهم، كفّر بها. وقال الحسن: درهمين. وهذان القولان نحو قولنا، ووجه ذلك أن الله اشترط للصيام، أن لا يجد. فاعتبر فيه الفاضل عن قوته وقوت عياله، يومه وليلته، كصدقة الفطر.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٥٢٨: ظاهر المذهب اشتراط التتابع في الصوم كذلك قال النخعي، والثوري، وإسحاق، وأبو عبيد، وأبو ثور، وأصحاب الرأي. وروي ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال عطاء ومجاهد، وعكرمة.

وعن أحمد رواية أخرى، أنه يجوز تفريقها. وبه قال مالك والشافعي في أحد قوليه لأن الأمر بالصوم مطلقٌ، فلا يجوز تقييده إلا بدليل. وفي قراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» كذلك ذكره أحمد: إن كان قرآناً فهو حجة، وإن لم يكن قرآناً، فهو رواية عن النبي ﷺ وأيضاً هو حجة فوجب التتابع.

شَرطٌ، وكان أُبيٌّ، وابن مسعودٍ يَقرآن: «فصيامُ ثلاثةِ أيام مُتَتابعاتٍ» وبه قال ابن عباس، ومُجاهدٌ، وطَاوسٌ، وعَطاءٌ، وقَتادةُ، وأبو حَنيفةَ، وهو قولُ أصحابنا. **والثاني**: ليسَ بِشَرطٍ، ويجوزُ التَّفريقُ، وبه قال الحسَنُ، ومَالكٌ. وللشَّافعيِّ فيه قولان.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ﴾ فيه إضمارٌ تقديره: إذا حلَفتُم وحَنِثْتُم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحَدُها**: أَقِلُّوا منها، ويشهدُ له قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، وأنشدوا:

قَليلُ الألايا حافِظٌ لِيَمينِهِ[1]

والثاني: اِحفظُوا أَنفُسَكم من الحِنثِ فيها. **والثالث**: رَاعُوها لكي تُؤَدُّوا الكفَّارةَ عند الحِنثِ فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[٤٦٧] أحدها: أن سَعْدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ أتى نَفَراً من المهاجرين والأنصار، فأكَلَ عِندَهم، وشَرِبَ الخَمْرَ قبل أنْ تُحرَّم، فقال: المهاجرون خَيْرٌ مِنَ الأنصار، فأخذ رَجُلٌ لَحْيَ جَمَلٍ فضَرَبهُ، فجدَعَ أَنْفَهُ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأخبَرَهُ، فنزلت هذه الآية، رواه مُصعَبُ بن سَعْدٍ عن أبيه.

[٤٦٨] وقال سعيدُ بن جُبير: صنع رجلٌ من الأنصار صَنِيعاً، فدَعَا سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ، فلمَّا أَخذتْ فيهم الخَمْرةُ اِفتخَرُوا واستَبُّوا، فقامَ الأنصاريُّ إلى لَحْي بعَيرٍ، فضربَ به رأسَ سَعْدٍ، فإذا الدَّمُ على وَجْهِهِ، فذهبَ سَعْدٌ يَشكُو إلى النبيِّ ﷺ، فنزلَ تحريمُ الخَمْرِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تُفۡلِحُونَ﴾.

[٤٦٩] والثاني: أنَّ عُمرَ بن الخَطَّابِ قال: اللهُمَّ بَيِّن لنا في الخَمْرِ بَياناً شَافِياً فنزلت التي في «البقرة» فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت التي في النساء ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ فقال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو مَيْسَرَةَ عن عُمرَ.

[٤٧٠] والثالث: أنَّ أُناساً مِنَ المسلمين شَرِبُوهَا، فقاتَلَ بعضُهم بعضاً، وتكلَّمُوا بما لا يَرْضَاهُ اللهُ مِنَ القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ.

---

[٤٦٧] صحيح. أخرجه مسلم ٤/ ١٨٧٧ ح ١٧٤٨ والواحدي ٤١٢ وأحمد ١/ ١٨١ ـ ١٨٥ والبيهقي ٨/ ٢٨٥ والطبري ١٢٥٢٢ و ١٢٥٢٣ من حديث سعد. وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٥١ بتخريجنا.

[٤٦٨] هو مرسل، لكن يشهد له ما قبله.

[٤٦٩] مضى في سورة البقرة، وهو حديث حسن.

[٤٧٠] فيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، لكن يشهد له ما تقدم.

---

(١) هو صدر بيت لكثير عزة وتمامه: وإن سبقت منه الألية بَرَّتِ.

[٤٧١] **والرابع**: أنَّ قَبِيلَتين مِنَ الأنصار شَرِبُوا، فلمَّا ثَمِلُوا عَبِثَ بعضهم ببعضٍ، فلمَّا صَحَوْا جعلَ الرجلُ يرى الأثَرَ بوجهه وبِرَأسِه وبِلِحْيَتِهِ، فيقول: صنعَ بي هذا أخي فُلانٌ!! واللهِ لو كانَ بي رَؤوفاً ما صنعَ بي هذا، حتى وَقَعتْ في قلوبهم الضَّغَائِنُ، وكانوا إخوةً ليس في قُلوبهم ضَغَائِنُ، فنزلت هذه الآية، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباس.

وقد ذكرنا الخَمرَ والمَيْسِرَ في البقرة[١] وذكرنا في «النُّصُبِ» في أوَّل هذه السُّورة[٢] قولين، وهُمَا اللذان ذكرهما المُفسِّرون في الأَنْصَابِ. وذكرنا هناك «الأزْلامَ». فأمَّا الرِّجْسُ، فقال الزجَّاجُ: هو اسمٌ لكلِّ ما استُقْذِرَ من عَمَلٍ، يقال: رَجُسَ الرَّجلُ يَرْجُسُ، ورَجِسَ يَرْجَسُ: إذا عَمِلَ عَمَلاً قبيحاً، والرَّجْسُ بفتح الرَّاء: شدَّةُ الصَّوت، فكأنَّ الرِّجسَ، العملُ الذي يَقْبُحُ ذِكْرُهُ، ويَرتفع في القُبْحِ، ويقال: رَعدٌ رجَّاسٌ: إذا كان شديدَ الصَّوت.

قوله تعالى: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال ابن عباسٍ: مِنْ تزيين الشَّيطان. فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه، وليس مِنْ فِعْلِهِ؟ فالجواب: أنَّ نِسْبَتَهُ إليه مَجازٌ، وإنما نُسِبَ إليه، لأنه هو الدَّاعي إليه، المُزَيِّنُ له، ألاَ تَرى أنَّ رجلاً لو أغْرَى رَجُلاً بِضَرْبِ رجلٍ، لَجَازَ أنْ يُقال له: هذا مِنْ عَمَلِكَ.

قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ قال الزجَّاجُ: أتْرُكُوه. واشتقَاقُه في اللغة: كُونُوا جَانِباً منه. فإنْ قيل: كيف ذَكَر في هذه الآية أشياءَ، ثمَّ قال: فَاجْتَنِبُوه؟ فالجواب: أنَّ الهاء عائدةٌ على الرِّجْسِ، والرِّجْسُ واقعٌ على الخَمْرِ، والمَيْسِرِ، والأنْصَابِ، والأزْلامِ، ورُجوع الهاء عليه بمَنزلَةِ رُجوعها على الجَمْعِ الذي هو وَاقعٌ عليه، ومُنْبِئٌ عنه، ذَكَرَهُ ابنُ الأنْبَارِيِّ.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أمَّا «الخَمْرُ» فوقُوعُ العَداوة والبَغضَاءِ فيها على نحو ما ذَكَرْنَا في سبب نزول الآية مِنَ القِتَالِ والمُمَارَاةِ. وأمَّا المَيْسِرُ، فقال قَتَادةُ: كان الرجلُ يُقَامِرُ على أهلِه ومَالِه، فيُقمَرُ ويبقى حَزيناً سَلِيباً، فينظرُ إلى مَالِهِ في يَدِ غيره، فَيَكْسِبُه ذلك العَدَاوةَ والبَغْضَاءَ.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه لَفْظُ استِفْهَام، ومعناه الأَمْرُ. تقديره: إنْتَهُوا. قال الفَرَّاءُ: رَدَّدَ عَلَيَّ أعْرَابِيٌّ: هَلْ أنتَ سَاكِتٌ، هَلْ أَنْتَ سَاكِتٌ؟ وهو يُريد: اُسْكُتْ، اُسْكُتْ. **والثاني**: أنه استفهامٌ، لا بمعنى الأمْرِ. ذكر شيخُنا عليُّ بن عُبيدِ اللهِ أنَّ جماعةً كانوا يشربون الخَمْرَ بعد

---

[٤٧١] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ١٧١ والطبري ١٢٥٢٦ والحاكم ٤/ ١٤١ والبيهقي ٨/ ٢٨٥ والطبراني ١٢٤٥٩، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وسكت عنه الحاكم، وصححه الذهبي على شرط مسلم، وهو كما قال، ويشهد له ما قبله، بل ربما تعددت الأسباب فنزلت الآيات في جميع ذلك.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٩. (٢) سورة المائدة: ٣.

هذه الآية، ويقولون: لم يُحرِّمها، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ، فقال بعضنا: اِنْتَهَيْنا، وقال بعضنا: لَمْ نَنْتَهِ، فلمَّا نزلت ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ حُرِّمت، لأنَّ «الإثم» اسمٌ للخمرِ. وهذا القول ليس بشيءٍ، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أَمَرَاكُم، واحذَرُوا خِلافَهُما ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أَعْرَضتُم، فاعلَمُوا أنما على رسولنا محمد البلاغ المبين؛ وهذا وعيد لهم، كأنه قال فاعلموا أنَّكم قد اِستَحققتُم العِقابَ لِتَوَلِّيكم.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ سبب نزولها:

[٤٧٢] أنَّ ناساً مِنْ أصحاب النبيِّ ﷺ ماتوا وهُمْ يشربون الخَمْرَ، إذ كانت مُباحَةً، فلمَّا حُرِّمَت قال ناسٌ: كيف بأصحابنا وقد مَاتُوا وهُمْ يَشربُونَها؟! فنزلت هذه الآية، قاله البَراءُ بن عَازِبٍ.

و «الجُنَاحُ»: الإِثْمُ. وفيما طَعِمُوا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: ما شَرِبُوا مِنَ الخَمْرِ قبل تَحْرِيمِهَا، قاله ابنُ عباسٍ، قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال: لَمْ أَطْعَمْ خُبْزاً وأُدْماً ولا مَاءً ولا نَوماً. قال الشاعر:

فإنْ شِئْتِ حرَّمتُ النساءَ سِوَاكُمُ ... وإنْ شِئْتِ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً ولا بَرْدَا[1]

النُّقَاخُ: الماءُ الباردُ الذي يَنْقَخُ الفؤادَ بِبَرْدِهِ، والبَرْدُ: النَّوم.

والثاني: ما شَرِبُوا من الخَمْرِ وأكلوا من المَيْسِرِ. **والثالث**: ما طَعِمُوا من المُبَاحَات.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: اتَّقَوا بعدَ التَّحريم، قاله ابن عباس. **والثاني**: اتَّقَوا المعاصيَ والشِّركَ. **والثالث**: اتَّقَوا مُخالفَةَ اللهِ في أَمْرِهِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ قولان: **أحدهما**: آمَنُوا باللهِ ورسُولِهِ. **والثاني**: آمَنُوا بتَحْرِيمِهَا.

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال مُقاتلٌ: أَقَامُوا على الفَرائِضِ.

---

[٤٧٢] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٠٥٠ و ٣٠٥١ والطيالسي ٧١٥ وأبو يعلى ١٧١٩ و ١٧٢٠ وابن حبان ٥٣٥٠ والطبري ١٢٥٣٣ من حديث البراء، وإسناده صحيح على شرطهما، لكن فيه عنعنة أبي إسحاق، وهو مدلس، وجاء في رواية أبي يعلى: قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: أسمعته من البراء، قال: لا اهـ.
ومع ذلك يعتضد بحديث أنس: قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة فنزل تحريم الخمر فأمر منادياً فنادى فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت قال: فخرجت، قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذٍ الفضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم قال: فأنزل الله: **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾**. أخرجه البخاري ٤٦٢٠ ومسلم ١٩٨٠ والحميدي ١٢١٠ وأحمد ٣/ ١٨٣ والنسائي ٨/ ٢٨٧ وابن حبان ٥٣٥٢ و ٥٣٦٣ و ٥٣٦٤ والبيهقي ٨/ ٢٨٦ والبغوي ٢٠٤٣ من طرق عن أنس، رووه بألفاظ متقاربة، واللفظ للبخاري.

---

(١) البيت للعرجي وهو في ديوانه: ١٠٩ و «اللسان» مادة: نقخ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا﴾ في هذه التَّقوى المُعَادَة أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المُراد خَوفُ الله عزَّ وجلَّ. **والثاني**: أنها تَقْوَى الخَمْرِ والمَيْسِر بعد التَّحريم. **والثالث**: أنها الدَّوامُ على التَّقوى. **والرابع**: أنَّ التَّقوى الأُولى مُخاطبةٌ لِمَنْ شَرِبَها قبل التَّحريم، والثَّانية لِمَنْ شَرِبَها بعدَ التَّحريم.

قوله تعالى: ﴿وَءَامَنُوا﴾ في هذا الإيمان المُعَاد قولان: **أحدهما**: صَدَّقوا بجميع ما جاء به محمَّدٌ ﷺ. **والثاني**: آمنوا بما يَجيءُ من النَّاسِخ والمَنْسُوخ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ في هذه التَّقوى الثَّالثةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: اِجْتَنِبُوا العَوْدَ إلى الخَمْر بعدَ تَحريمِهَا، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: اِتَّقُوا ظُلمَ العِبَادِ. **والثالث**: تَوَقُّوا الشُّبُهَاتِ. **والرابع**: اِتَّقُوا جميعَ المُحَرَّماتِ. وفي الإحسَانِ قولان: **أحدهما**: أَحْسِنُوا العملَ بِتَركِ شُربها بعدَ التَّحريم، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أَحْسِنُوا العملَ بعدَ تَحريمِهَا، قاله مُقاتلٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾.

[٤٧٣] قال المُفسِّرون: لمَّا كان عامُ الحُدَيْبِيَةِ، وأقام النبيُّ ﷺ بالتَّنعِيم، كانت الوحُوشُ والطَّيرُ تَغْشَاهم في رِحَالِهِم، وهم مُحرِمُون، فنزلت هذه الآية، ونُهوا عنها ابتلاءً.

قال الزجَّاجُ: اللام في «لَيَبْلُوَنَّكم» لام القَسَم، ومعناه: لَنَخْتَبِرَنَّ طَاعتَكم مِنْ مَعصِيَتِكم. وفي «مِن» قولان: **أحدهما**: أنها للتَّبعِيض، ثمَّ فيه قولان: أحدهما: أنه عَنَى صيدَ البرِّ دونَ صيدِ البَحرِ. والثاني: أنه عَنَى الصيدَ ما دَامُوا في الإحرَام كأنَّ ذلك بعضُ الصَّيدِ. **والثاني**: أنها لِبَيَان الجِنْسِ، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مُجاهدٌ: الذي تَنَالُهُ اليَدُ: الفِرَاخُ والبَيْضُ، وصِغَارُ الصَّيدِ، والذي تَنَالُهُ الرِّماحُ: كِبَارُ الصَّيدِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ قال مُقاتلٌ: لِيَرَى اللهُ مَنْ يَخافُه بالغَيب ولم يَرَهُ، فلا يتناول الصيدَ وهو مُحرِمٌ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فأخذ الصَّيدَ عَمْداً بعد النَّهي للمُحرِمِ عن قَتْلِ الصَّيدِ ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباسٍ: يُوسَعُ بَطْنُهُ وظَهْرُهُ جِلْداً، وتُسْلَبُ ثِيَابُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

---

[٤٧٣] ورد ذلك عن مقاتل بن حيان، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٢/ ٥٧٦، وهذا معضل، ومقاتل له مناكير كثيرة، وتفرده بهذا يدل على وهنه بل وبطلانه أيضاً، حيث لم أجده عن غيره، والله أعلم.
وانظر «أحكام القرآن» ٢/ ١٧٠ بتخريجنا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ بيّن اللهُ عزّ وجلّ بهذه الآية مِنْ أيّ وَجهٍ تقعُ البَلْوَى، وفي أيّ زمانٍ، وما على مَنْ قَتَلَهُ بعد النَّهي؟. وفي قوله: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: وأنتم مُحرِمُون بحَجّ أو عُمرَةٍ، قالهُ الأكثرون. **والثاني**: وأنتم في الحَرَمِ، يقال: أَحْرَمَ: إذا دخل في الحَرَمِ، وأَنْجَدَ: إذا أَتَى نَجْداً. **والثالث**: الجمعُ بين القولين.

قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أن يتعمَّدَ قَتْلَهُ ذاكِراً لإحرامِهِ، قاله ابن عباسٍ، وعَطاءٌ. **والثاني**: أن يتعمَّدَ قَتْلَهُ ناسياً لإحرامِهِ، قاله مُجاهدٌ. فأمّا قَتْلُهُ خَطأً، ففيه قولان: **أحدهما**: أنه كالعَمْدِ، قاله عُمَرُ، وعُثمانُ، والجمهور. قال الزُهريُّ: نزلَ القرآنُ بالعَمْدِ، وجَرَت السُّنَّةُ في الخطأ، يعني: أَلْحَقَتْ المُخطِئَ بالمُتعمِّدِ في وجُوبِ الجَزاء.

[٤٧٤] ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الضَّبعُ صيدٌ وفيه كَبْشٌ إذا قَتَلَهُ المُحرِمُ».

وهذا عامٌّ في العَامِدِ والمُخطِئ. قال القاضي أبو يَعلَى: أَفادَ تَخْصِيصُ العَمْدِ بالذِّكْرِ ما ذُكِرَ في أثناء الآية من الوَعيدِ، وإنّما يختصُّ ذلك بالعَامِدِ. **والثاني**: أنه لا شيءَ فيه، قاله ابن عباسٍ وابنُ جُبيرٍ وطَاوسٌ وعَطاءٌ وسَالمٌ والقَاسمُ وداودُ. وعن أحمدَ رِوَايتان، أَصحُّهما الوُجُوبُ.

قوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابن عَامرٍ: «فجزاء مثلِ» مضافةً وبخفضِ «مثلِ». وقرأ عاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «فجزاءٌ» مُنوَّنٌ «مثلُ» مرفوعٌ. قال أبو عَليّ: مَنْ أضافَ، فقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ يكون صفةً للجَزاء، وإنّما قال: مثل ما قَتَلَ، وإنّما عليه جزاءُ المَقْتُولِ لا جَزاءُ مِثْلِهِ، لأنّهم يقولون: أنا أُكرِمُ مِثْلَكَ، يُريدون: أنا أُكرِمُكَ، فالمعنى: جَزاءَ ما قَتَلَ. ومَن رَفعَ «المِثْل»، فالمعنى: فعَلَيْهِ جزاءٌ مِنَ النَّعَم مُماثلٌ للمَقتُولِ، والتقدير: فعليه جَزاءٌ. قال ابنُ قُتيبة: النَّعَمُ: الإبِلُ، وقد يكون البَقَر والغَنَم، والأغلبُ عليها الإبِلِ. وقال الزجّاجُ: النَّعَمُ في اللغة: الإبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ، فإن انفردَت الإبلُ، قيل لها: نَعَمٌ، وإن انفَرَدت البَقَرُ والغَنَمُ، لم تُسَمَّ نَعماً.

فصل: قال القاضي أبو يَعلَى: والصَّيدُ الذي يَجبُ الجزاءُ بِقَتْلِهِ: ما كانَ مأكولَ اللحم، كالغَزالِ، وحِمار الوَحشِ، والنَّعامةِ، ونحوِ ذلك، أو كانَ مُتَولِّداً مِن حيوانٍ يُؤكَلُ لَحْمُهُ، كالسِّمع، فإنه متولِّدٌ مِنَ الضَّبعِ، والذِّئبِ، وما عَدَا ذلك من السِّباع كُلِّها، فلا جزاءَ على قَاتِلها؛ سواء ابتَدَأَ قَتْلَهَا، أو عَدَتْ عليهِ فَقَتَلَهَا دَفعاً عن نَفْسِه، لأنَّ السَّبُعَ لا مِثْلَ له صورةً ولا قِيمَةً، فلم يَدْخلْ تحتَ الآية.

[٤٧٥] ولأنّ النبيَّ ﷺ أجازَ للمُحرِمِ قَتْلَ الحَيَّةِ، والعَقْرَبِ، والفُوَيسِقَة، والغُرَابِ، والحَدَأَةِ، والكَلْبِ العَقُورِ، والسَّبُعِ العَادِي. قال: والوَاجِبُ بقَتْلِ الصَّيدِ فيما لهُ مِثْلٌ مِنَ الأَنْعَامِ مِثْلُهُ، وفيما لا مِثْلَ

---

[٤٧٤] صحيح. أخرجه أبو داود ٣٨٠١ وابن ماجة ٣٠٨٥ والدارمي ٢/ ٧٤ والحاكم ١/ ٤٥٢، والدارقطني ٢/ ٢٤٦ وابن حبان ٣٩٦٤ من حديث جابر، وصححه الحاكم على شرطهما وجاء في «تلخيص الحبير» ٢/ ٢٧٨. قال الترمذي: سألت عنه البخاري فصححه، وكذا صححه عبد الحق، وجوّده البيهقي، وأعلّه بعضهم بالوقف. وانظر «تفسير القرطبي» ٢٨٠٩ بتخريجنا.

[٤٧٥] يشير المصنف للحديث الصحيح الوارد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور». أخرجه البخاري ١٨٢٩ ومسلم ١١٩٨ وأحمد ٦/ ٢٥٩ وابن حبان ٥٦٣٢ وأبو يعلى ٤٥٠٣ والطحاوي ٢/ ١٦٦. والدارقطني ٢/ ٢٣١ =

له قِيمَتُهُ، وهو قول مَالِكٍ، والشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفةَ: الواجبُ فيه القِيمَةُ، وحُمِلَ المِثْلُ على القِيمَةِ، وظاهرُ الآيَةِ يَرُدُّ ما قالَ، ولأنَّ الصحَابة حَمَلُوا الآيَةَ على المِثْلِ مِنْ طريق الصُّورة، فقال ابن عباسٍ: المِثْلُ: النَّظِيرُ، ففي الظَّبية شَاةٌ، وفي النَّعَامَةِ بَعِيرٌ.

قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني بالجَزاء، وإنَّما ذَكَر اثنين، لأنَّ الصَّيدَ يَخْتَلِفُ في نَفْسِه، فَافْتَقَرَ الحُكْمُ بالمِثْلِ إلى عَدْلَيْن. وقوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ يعني: مِنْ أهل مِلَّتِكُم.

قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ قال الزجّاجُ: هو منصوبٌ على الحَال، والمعنى: يَحكُمان به مقدَّراً أنْ يُهدى[1]. ولفظ قوله «بالغ الكَعبةِ» لفظُ مَعْرِفةٍ، ومعناه: النَّكِرة. والمعنى: بالغاً الكعبةَ، إلاَّ أنَّ التنوين حُذِفَ استِخفَافاً. قال ابن عباسٍ: إذا أتى مكَّةَ ذَبَحهُ، وتَصدَّق به.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ﴾ مُنَوَّناً ﴿طَعَامُ﴾ رَفْعاً. وقرأ نافعٌ، وابن عَامرٍ: «أو كفَّارةُ» رفعاً غير مُنوَّنٍ «طعام مساكين» على الإضَافةِ. قال أبو عَليِّ: مَنْ رفع ولم يُضف، جعلهُ عطفاً على الكَفَّارة عطفَ بَيَانٍ، لأنَّ الطعام هو الكَفَّارة، ولم يُضف الكَفَّارةَ إلى الطعام، لأن الكفَّارة لِقَتْلِ الصَّيد، لا للطعام، ومَنْ أضاف الكفَّارة إلى الطعام، فَلأنَّه لمَّا خَيَّر المُكَفِّر بين الهَدْي، والطَّعَام، والصِّيام، جازت الإِضافةُ لذلك، فكأنَّه قال: كَفَّارةُ طعامٍ، لا كَفَّارة هَدْيٍ، ولا صيام. والمعنى: أو عليه بَدَلُ الجزاء والكَفَّارة، وهي طعامُ مساكين[2]. وهل يُعتبَر في إخراج الطَّعام قيمةُ النَّظير، أو قيمة الصَّيد؟ فيه قولان: **أحدهما**: قيمة النَّظِير، وبه قال عَطاءٌ، والشَّافعيُّ، وأحمدُ. **والثاني**: قيمة الصَّيد، وبه قال قَتادةُ، وأبو حَنيفةَ، ومَالكٌ. وفي قَدْر الإِطعام لكلِّ

= من طرق عن عائشة، رووه بألفاظ متقاربة. وفي رواية مسلم برقم ١١٩٨ ح ٦٨. «الحية والكلب العقور». وفيه «السبع العادي». أخرجه أبو داود ١٨٤٨ والترمذي ٨٣٨ وابن ماجة ٣٠٨٩ والطحاوي ١/ ٣٨٥ وأحمد ٣/ ٣ ـ ٣٢ ـ ٧٩ والبيهقي ٥/ ٢١٠ من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي نعم عن أبي سعيد في أثناء حديث، وإسناده غير قوي لأجل يزيد بن أبي زياد، فقد ضعفه غير واحد. والألفاظ الواردة في الصحيحين ليس فيها ذكر «السبع العادي». والفويسقة: هي الفأرة.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ما ملخصه: أما فدية الأذى، فتجوز في الموضع الذي حلق فيه، نص عليه أحمد، وقال الشافعي: لا تجوز إلا في الحرم لقوله تعالى **﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾**. ولنا أن النبي ﷺ أمر كعب بن عجرة بالفدية بالحديبية، ولم يأمر ببعثه إلى الحرم.
ـ وأما جزاء الصيد، فهو لمساكين الحرم لقوله تعالى: **﴿هدياً بالغ الكعبة﴾**.
فصل: وما وجب نحره بالحرم، وجب تفرقة لحمه به، وبهذا قال الشافعي. وقال مالك وأبو حنيفة: إذا ذبحها في الحرم، جاز تفرقة لحمها في الحل. وانظر «تفسير القرطبي» ٦/ ٤١٣.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله ٥/ ٤٥١: فصل: والطعام كالهدي، يختص بمساكين الحرم فيما يختص الهدي به، وقال عطاء والنخعي: ما كان من هدي فبمكة، وما كان من طعام وصيام. فحيث شاء، وهذا يقتضيه مذهب مالك وأبي حنيفة، ولنا قول ابن عباس: الهدي والطعام بمكة، والصوم حيث شاء.
ـ فصل: ومساكين الحرم من كان فيه من أهل، أو واردٍ إليه من الحاجّ وغيرهم الذين يجوز دفع الزكاة إليهم، ولو دفع إلى من ظاهره الفقر فبان غنياً خُرِّج فيه وجهان كالزكاة، وللشافعي فيه قولان، وما جاز تفريقه بغير الحرم لم يجز دفعه إلى فقراء أهل الذمة، وبهذا قال الشافعي وأبو ثور، وجوزه أصحاب الرأي، ولنا أنه كافر، فلم يجز الدفع إليه، كالحربي.

مسكينٍ **قولان**: **أحدهما**: مُدَّان من بُرّ، وبه قال ابن عباسٍ، وأبو حَنيفةَ. **والثاني**: مُدُّ بُرٍّ، وبه قال الشَّافعيُّ، وعن أَحمدَ رِوايتان، كالقولين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ قرأ أبو رَزينٍ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، والجَحْدَريُّ، وطَلْحَةُ: «أو عِدلُ ذلك»، بكسر العين. وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة. قال أصحابنا: يصوم عن كلِّ مُدِّ بُرٍّ، أو نصفِ صَاعِ تَمْرٍ، أو شَعيرٍ يوماً. وقال أبو حَنيفةَ: يصوم يوماً عن نصفِ صَاعٍ في الجميع. وقال مالكٌ، والشَّافعيُّ: يصوم يوماً عن كلِّ مُدّ من الجميع.

فصل: وهل هذا الجَزاءُ على التَّرتيب، أَمْ على التَّخيير؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه على التَّخيير بين إخراج النَّظير، وبين الصِّيام، وبين الإِطعام.

والثاني: أنه على التَّرتيب، إنْ لم يجد الهَدْيَ، اشترى طعاماً، فإن كان مُعْسِراً صامَ، قاله ابنُ سِيْرِيْنَ. والقولان مَرْويَّان عن ابن عباسٍ، وبالأوَّل قال جمهور الفقهاء.

قوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ أي: جزاءَ ذَنْبه. قال الزجَّاجُ: «الوَبال»: ثِقَلُ الشيء في المَكْرُوه، ومنه قولهم: طعامٌ وَبِيْلٌ، وماءٌ وَبِيْلٌ: إذا كانَا ثَقيلين. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: ثقيلاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما سلفَ في الجاهليَّة، مِنْ قتلهم الصَّيد، وهم مُحرمون، قاله عَطاءٌ. **والثاني**: ما سلفَ مِنْ قَتْل الصَّيد في أوَّل مرَّةٍ، حكاه ابن جَريرٍ، والأوَّل أَصحُّ. فعلى القول الأوَّل يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإِسلام، وعلى الثاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانيةً بعد أُولى. قال أبو عُبيدةَ: «عاد» في مَوضعِ يَعُود، وأنشد:

إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً وإن ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُم أَذِنُوا[1]

قوله تعالى: ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ «الانتقام»: المُبالغةُ في العُقوبة، وهذا الوَعيد بالانتقام لا يمنع إيجَابَ جزاءٍ ثانٍ إذا عادَ، وهذا قول الجمهور، وبه قال مَالكٌ والشَّافعيُّ، وأحمدُ. وقد رُوي عن ابن عباسٍ، والنَّخعيِّ، وداودَ: أنه لا جزاءَ عليه في الثاني، إنَّما وعد بالانتقام.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ قال أَحمدُ: يؤكل كلُّ ما في البحر إلا الضِّفْدِع والتِّمساح، لأن التِّمساحَ يأكل النَّاسَ يعني: أنه يَفْرِس. وقال أبو حَنيفةَ، والثَّوريُّ: لا يُباح منه إلا السَّمك. وقال ابنُ أبي لَيْلَى، ومالكٌ: يُباح كلُّ ما فيه من ضِفْدِعٍ وغيره.

---

(١) البيت لقعنب ابن أم صاحب، وهو في «اللسان» مادة ـ أذن ـ ملفق من بيتين هما:

إن يسمعوا رِيبةً طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صمّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوّهم لبئست الخلتان الجهل والجبن

فأمّا طعامه، ففيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: ما نَبَذَهُ البحرُ ميتاً، قاله أبو بَكرٍ، وعُمرُ، وابنُ عُمرَ، وأبو أَيُّوبَ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنه مَلِيْحه، قاله سعيدُ بن المُسَيّبِ، وسعيدُ بن جُبيرٍ والسُّدِّيُّ، وعن ابن عباسٍ، ومُجاهدٍ، وعِكرمةَ كالقولين. واختلفت الرِّواية عن النَّخعيّ. فرُوي عنه كالقولين، ورُوي عنه أنه جَمَعَ بينهما، فقال: طعامُهُ المَلِيْح[١]، وما لَفَظَهُ. **والثالث**: أنه ما نَبَتَ بمَائِهِ مِنْ زُرُوعِ البَرِّ، وإنَّما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه يَنْبُتُ بمَائِهِ، حكاه الزجَّاجُ.

وفي المَتَاعِ قولان: **أحدهما**: أنه المَنْفَعة، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ وقَتادةُ. **والثاني**: أنه الحِلُّ قاله النَّخعيُّ. قالَ مُقاتلٌ: مَتَاعاً لكم يعني المقيمين، وللسيارة، يعني المسافرين.

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أما الاصطِيَاد فمُحَرَّم على المُحْرِم[٢]، فإنْ صِيْدَ لأجله، حَرُم عليه أَكْلُه خلافاً لأبي حَنيفةَ، فإن أكلَ فعليه الضَّمَانَ خِلافاً لأحد قَولَي الشَّافعيّ. فإن ذَبَحَ المُحرم صيداً، فهو مَيْتَةٌ، خلافاً لأحد قولي الشَّافعيّ أيضاً. فإن ذَبَحَ الحَلالُ صَيْداً في الحَرَمِ، فهو ميتة أيضاً، خلافاً لأكثر الحَنَفِيَّة.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾ جعل بمعنى: صَيَّر. وفي تسمية الكَعْبَة كَعْبَةً قولان:

أحدهما: لأنها مُرَبَّعةٌ، قاله عِكرمةُ، ومُجاهدٌ.

والثاني: لِعُلُوِّهَا ونُتُوئِهَا، يُقال: كَعبَتِ المرأة كَعابةً، وهي كَاعِبٌ، إذا نَتَأَ ثَدْيُهَا.

ومعنى تسمية البيت بأنه حَرَامٌ: أنه حَرُم أن يُصَاد عنده، وأن يُختلَى ما عنده من الخَلا، وأن يُعضَدَ شجرُه، وعُظِّمت حُرمته. والمراد بتحريم البيت سائِر الحَرَم، كما قال: ﴿هَدْيَۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[٣] وأراد: الحَرَمَ. والقِيَام: بمعنى القَوَام. وقرأ ابن عَامرٍ: قِيَمًا بغير ألِفٍ. قال أبو عليّ: وجهه على أحدِ أمرين، إمَّا أن يكون جَعلَهُ مصدراً، كالشِّبع. أو حذفَ الألفَ وهو يُريدها، كما يُقصَرُ المَمدودُ. وفي معنى الكلام ستة أقوالٍ: **أحدها**: قِيَاماً للدِّين، ومَعَالَمَ للحجِّ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: قياماً لأمرِ مَنْ توجَّه إليها، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. قال قَتادةُ: كان الرجل لو جَرَّ كلَّ

---

(١) في «اللسان» المِلْح والمَليح: خلاف العذب من الماء.

(٢) قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٦/ ٣٢١ـ ٣٢٢: اختلف العلماء فيما يأكله المحرم من الصيد، فقال مالك والشافعي وأصحابهما وأحمد وروي عن إسحاق، وهو الصحيح عن عثمان: إنه لابأس بأكل المحرم الصيد إذا لم يُصد له ولا من أجله لحديث جابر. وقال أبو حنيفة وأصحابه أكل الصيد للمحرم جائز على كل حال إذا اصطاده الحلال، سواء صيد من أجله أم لا. واحتجوا بحديث أبي قتادة، وهو قول عمر وعثمان في رواية. وروي عن علي وابن عباس وابن عمر أنه لا يجوز للمحرم أكل صيد على حال من الأحوال سواء صيد من أجله أو لم يصد، وبه قال إسحاق، وروي عن الثوري، واحتجوا بحديث الصعب بن جثّامة اهـ ملخصاً، وانظر «المغني» ٥/ ١٣٥ـ ١٣٦.

(٣) سورة المائدة: ٩٥.

جَزِيرَةٍ، ثم لجأ إليها، لم يُتَنَاوَلْ. **والثالث**: قِيَاماً لِبقاء الدِّين، فلا يزال في الأرض دينٌ ما حُجَّت واستُقْبِلت، قاله الحسَنُ. **والرابع**: قَوامُ دُنيا وقَوامُ دِينٍ، قاله أبو عُبيدَة. **والخامس**: قِياماً للناس، أي: ممَّا أُمِروا أَنْ يقوموا بالفَرْضِ فيه، ذكره الزجَّاجُ. **والسادس**: قِياماً لِمَعَايشهم ومَكَاسِبهم بما يحصل لهم من التِّجارة عندَها، ذكره بعض المُفسِّرين.

فأما الشَّهر الحَرَام، فالمُراد به الأَشْهر الحُرُمُ، كانوا يأْمَنُ بعضُهم بعضاً فيها، فكان ذلك قِوَاماً لهم، وكذلك إذا أَهْدَى الرجل هَدْياً أو قَلَّد بَعِيْرَهُ أَمِنَ كيف تَصرَّف، فجعل الله تعالى هذه الأشياءَ عِصْمَةً للناس بما جعل في صُدورهم مِنْ تعظيمها.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ ذكر ابنُ الأنباريّ في المُشار إليه بذلك أربعة أقوالٍ:

أحدها: أن الله تعالى أَخْبَر في هذه السورة بغُيُوبٍ كثيرةٍ من أخبارِ الأنبيار وغيرهم، وأَطْلَعَ على أشياءَ مِنْ أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لِتَعْلَمُوا، أي: ذلك الغَيْب الذي أَنْبَأْتُكم به عن الله يَدُلُّكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا تخفى عليه خَافِيَةٌ.

والثاني: أنَّ العرب كانت تَسْفِكُ الدِّماء بغير حِلِّها، وتأخذُ الأموالَ بغير حَقِّها، ويقتل أحدُهم غيرَ القَاتِلِ، فإذا دخلوا البلدَ الحَرَامَ، أو دخَل الشَّهرُ الحرَامُ، كَفُّوا عن القَتْلِ. والمعنى: جعل الله الكعبَة أَمْنَاً، والشهر الحَرامَ أَمْنَاً، إذ لو لم يجعل للجاهليَّة وقتاً يَزُول فيه الخوفُ لَهَلَكُوا، فذلك يدلُّ على أنه يَعْلَمُ ما في السَّموات وما في الأرض.

والثالث: أنَّ الله تعالى صَرَفَ قُلوبَ الخَلْقِ إلى مكَّة في الشُّهور المَعْلُومة، فإذا وصلوا إليها عاشَ أهلُها معهم، ولولا ذلك مَاتُوا جُوعاً، لِعِلْمِه بما في ذلك مِنْ صَلاَحِهِم، ولِيَسْتَدِلُّوا بذلك على أنه يعلم ما في السَّموات وما في الأرض.

والرابع: أنَّ الله تعالى جعل مَكَّةَ أَمْنَاً، وكذلك الشَّهر الحَرَام، فإذا دخل الظَّبيُّ الوَحشيُّ الحَرَم، أَنِسَ بالناس، ولم يَنْفِر مِن الكلب، ولم يَطْلُبُهُ الكلبُ، فإذا خَرَجَا عن حُدود الحَرَم، طَلَبَهُ الكلبُ، وذُعِر هو منه، والطَّائر يأنَسُ بالناس في الحَرَم، ولا يزالُ يطيرُ حتى يَقْرُبَ من البيتَ، فإذا قَرُبَ منه عَدَلَ عنه، ولَمْ يَطِرْ فوقَه إجلالاً له، فإذا لَحِقَهُ وَجَعٌ طرحَ نفسه على سقفِ البيت استِشْفَاءً به، فهذه الأَعَاجيبُ في ذلك المكان، وفي ذلك الشَّهر قد دَلَلْنَ على أنَّ الله تعالى يعلمُ ما في السَّموات وما في الأرض.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ في هذه الآية تهديدٌ شديدٌ. وزَعَمَ مُقاتلٌ أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شُرَيْح بن ضُبيعَة وأصحابه، وهم حُجَّاجُ اليَمَامَة حين هَمَّ المسلمون بالغَارَة عليهم، وقد سبق ذِكْرُ ذلك في أوَّل السورة. وهل هذه الآية مُحْكَمَةٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها مُحْكَمَةٌ، وأنها تدلُّ على أنَّ الواجبَ على الرَّسول التَّبليغُ، وليس عليه الهُدَى.
والثاني: أنها كانت قبلَ الأَمْرِ بالقتال، ثم نُسِخَتْ بآية السَّيفِ.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾.

[٤٧٦] روى جابرُ بن عبدالله أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله إنَّ الخَمْرَ كانت تِجارَتي، فهل يَنْفَعني ذلك المالُ إن عَمِلتُ فيه بطاعة الله؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله لا يَقْبَلُ إلاَّ الطَّيِّبَ» فنزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسولِ الله ﷺ.

وفي الخَبِيثِ والطَّيب أربعة أقوالٍ: **أحدها**: الحَلالُ والحَرامُ، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: المؤمِنُ والكافرُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: المُطيعُ والعَاصي. **والرابع**: الرَّديءُ والجَيِدُ، ذكرهما المَاورديُّ. ومعنى الإعجاب هاهنا: السُّرور بما يُتَعَجَّب منه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ في سبب نزولها ستة أقوالٍ:

[٤٧٧] **أحدها**: أن الناس سألوا النبيَّ ﷺ حتى أحفوهُ بالمَسألة، فقامَ مُغْضَباً خَطِيْباً، فقال: «سَلوني فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ ما دمتُ في مَقامِي هذا إلا بَيَّنْتُهُ لكُم»، فقام رجلٌ من قُريشٍ، يُقال له: عبدُالله بن حُذَافَة كان إذا لاحَى[1] يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبيَّ اللهِ مَنْ أبي؟ قال: أبوكَ حُذَافَةُ، فقامَ آخرُ، فقال: أينَ أبي؟ قال: في النَّار، فقام عُمَرُ فقال: رَضِينَا بالله رَبّاً، وبالإسلام دِيناً، وبمحمَّدٍ نبيّاً، وبالقرآنِ إمَاماً، إنّا حَدِيثُو عهدٍ بجاهليَّةٍ، واللهُ أعلمُ مَنْ آباؤنا، فَسكَنَ غَضَبُهُ، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن أبي هُريرةَ، وقتَادةُ عن أنسٍ.

[٤٧٨] **والثاني**: أن رسولَ الله ﷺ خَطبَ الناسَ، فقال: «إنَّ الله كتبَ عليكُمُ الحجَّ، فقام عُكَاشَةُ

---

[٤٧٦] باطل. أخرجه الواحدي ٤١٧ والأصبهاني في «الترغيب» ١٢٣٥ عن جابر بن عبد الله، وإسناده ساقط. فيه محمد بن يوسف بن يعقوب الرازي وضّاع، انظر ضعفاء ابن الجوزي ٣٢٥٤ و «الميزان» ٤/ ٧٢.

[٤٧٧] حديث صحيح. أما حديث أبي هريرة، فأخرجه الطبري ١٢٨٠٦، وفيه قيس بن الربيع، وهو غير قوي، لكن للحديث شواهد كثيرة منها الآتي. وأما حديث أنس. فأخرجه البخاري ٤٦٢١ و ٤٣٦٢ و ٧٢٩٥ ومسلم ٢٣٥٩ والنسائي في «التفسير» ١٧٤ والترمذي ٣٠٥٦ وابن حبان ٦٤٢٩ والبغوي في «التفسير» ٨٣٩ من طرق عن أنس، رووه بألفاظ متقاربة، وطوله بعضهم. انظر «أحكام القرآن» ٨٠١ بتخريجنا.

[٤٧٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٣٣٧ والنسائي ٥/ ١١٠ ـ ١١١ وأحمد ٢/ ٥٠٨ وابن حبان ٣٧٠٤ و ٣٧٠٥ والبيهقي ٤/ ٣٢٦ والدارقطني ٢/ ٢٨١ والطبري ١٢٨٠٩. وأخرجه الطبري ١٢٨٠٨ من طريق عبد الرحيم بن سليمان والدارقطني ٢/ ٢٨٢ عن محمد بن فضيل، كلاهما عن إبراهيم بن مسلم الهجري ـ وهو ضعيف ـ عن أبي عياض عن أبي هريرة.

---

(١) لاحى: أي خاصم.

ابن مُحصن، فقال: أَفِي كُلِّ عام يا رسولَ الله؟ فقال: أَمَا إنِّي لو قلتُ نعم لَوَجَبَتْ، ولَوْ وَجَبَتْ ثم تَركتُم لَضَلَلْتُم، أسكُتُوا عني ما سَكَتُّ عنكُم، فإنما هَلَكَ مَنْ هَلَكَ ممَّن كان قَبْلَكُم بكَثرة سُؤالِهم، واختلافِهم على أَنبيائِهم» فنزلت هذه الآية، رواه محمَّدُ بن زِيَادٍ عن أبي هُريرةَ. وقيل: إنَّ السَّائِلَ عن ذلك الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ.

[٤٧٩] **والثالث**: أن قوماً كانوا يسألون رسولَ الله ﷺ إستِهزاءً، فيقول الرجلُ: مَن أبي؟ ويقولُ الرجل تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أينَ نَاقَتِي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجُوَيْرِيَة[١] عن ابن عباسٍ.

[٤٨٠] **والرابع**: أن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن البَحيْرَة، والسَّائِبَة، والوَصِيْلَة، والحَامِ، فنزلت هذه الآية، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ، وبه قال ابن جُبيرٍ.

والخامس: أن قوماً كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنىٰ عن عكرمة.

والسادس: أنها نزلت في تَمَنِّيهم الفَرَائِض، وقولهم: وَدِدْنَا أنَّ الله تعالى أَذِنَ لنا في قتال المشركين، وسُؤالِهم عن أحبِّ الأعمال إلى الله، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قال الزجَّاجُ: ﴿أَشْيَآءَ﴾ في موضع خفضٍ إلا أنها فُتحت، لأنها لا تَنْصَرِف. و ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾: تَظهَرُ لكم. فأَعْلَمَ الله تعالى أنَّ السؤالَ عن مِثْلِ هذا الجِنْسِ لا ينبغي أن يَقَعَ، لأنه يَسُوءُ الجوابُ عنه. وقال ابن عباسٍ: إن تُبْدَ لكم، أي: إنْ نَزَلَ القرآنُ فيها بتَغْلِيظٍ سَاءَكُم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: حين ينزل القرآن فيها بفَرْضٍ أو إيجَابٍ، أو نَهيٍ أو حُكْمٍ، وليس في ظاهر ما نزل دليلٌ على شَرحِ ما بكم إليه حَاجةٌ، فإذا سَأَلتُم حينئذٍ عنها تُبْدَ لكُم. وفي قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنها إشارةٌ إلى الأشياء. **والثاني**: إلى المَسْأَلَةِ. فعَلَى القول الأوَّل في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ. والمعنى: لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تَسُؤكُم، عَفَا الله عنها. ويكون معنى: عَفَا الله عنها: أَمْسَكَ عن ذِكرها، فلم يُوجب فيها حُكْماً. وعلى القول الثاني، الآية على نَظْمِها، ومعنى: عَفَا الله عنها: لم يُؤَاخِذ بها.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ في هؤلاء القوم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين سألوا عيسى نزولَ المَائدة، قاله ابن عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: أنهم قوم صَالحٍ حين سألوا النَّاقَةَ، هذا

---

[٤٧٩] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٢٢ والطبري ١٢٧٩٨ والطبراني ١٢٦٩٥ والواحدي ٤١٨ والبغوي ٨٤٢ كلهم عن ابن عباس به. وانظر «أحكام القرآن» ٨٠٢ بتخريجنا.

[٤٨٠] ضعيف. أخرجه الطبري ١٢٨١٥ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه خُصيف الجزري، وهو صدوق لكنه سيء الحفظ كثير الخطأ، وكرره الطبري ١٢٨١٦ عن عكرمة مرسلاً، وهو أصح، والمتقدم عن ابن عباس أصح، وكذا المتقدم عن أنس وأبي هريرة، والظاهر أن رسول الله ﷺ قد سئل مسائل كثيرة، فنزلت هذه الآية في ذلك جميعاً، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ٨٠٤ بتخريجنا.

---

(١) وقع في الأصل «الجورية» والمثبت عن كتب الحديث.

على قول السُّدِّيِّ. وهذان القولان يُخرجان على أنهما سألوا الآياتِ. **والثالث**: أن القومَ هم الذين سَألُوا في شأن البَقَرة وذَبْحِها، فلو ذَبَحُوا بقرةً لأَجزأَتْ، ولكنهم شَدَّدوا فَشدَّد الله عليهم، قاله ابن زيدٍ. وهذا يُخرج على سؤال من سأل عن الحجِّ، إذْ لَوْ أرادَ الله أن يُشدِّد عليهم بالزِّيادة في الفَرْضِ لَشَدَّد. **والرابع**: أنهم الذين قالوا لِنَبي لهم: اِبْعَثْ لنَا مَلِكاً نُقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيدٍ أيضاً، وهو يُخرج على مَنْ قال: إنما سألوا عن الجهاد والفَرائِض تَمَنِّياً لذلك. قال مُقاتلٌ: كان بَنُو إِسرَائيلَ يسألون أنبياءَهم عن أشياءَ، فإذا أَخبَرُوهم بها تَرَكُوا قولَهم ولم يُصَدِّقُوهم، فأصبَحُوا بتلك الأشياء كافرين.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أَوْجَبَ ذلك، ولا أَمَرَ به. وفي «البَحِيْرَة» أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها النَّاقَةُ إذا نُتِجَتْ خمسةَ أَبطُنٍ نَظَرُوا إلى الخَامس، فإن كان ذَكَراً نَحرُوه، فأَكَلَهُ الرجالُ والنساءُ، وإن كان أُنثى شَقُّوا أُذُنَها، وكانت حَرَاماً على النِّساء لا يَنْتَفِعْنَ بها، ولا يَذُقْنَ من لَبَنِهَا، ومَنَافِعُها للرِّجالَ خاصَّةً، فإذا ماتت، اشترك فيها الرِّجال والنِّساء، قاله ابن عباسٍ، واختاره ابن قُتيبةَ. **والثاني**: أنها النَّاقة تَلِدُ خمسَ إناثٍ ليس فيهنَّ ذَكَرٌ، فيَعْمِدون إلى الخامسة، فيَبْتِكُونَ أُذنَها، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنها ابْنَةُ السَّائِبَة، قاله ابن إسحاقَ، والفَرَّاءُ. قال ابنُ إِسحَاقَ: كانت النَّاقةُ إذا تَابَعَتْ بين عشرِ إناثٍ، ليس فيهنَّ ذَكَرٌ، سُيِّبَتْ، فإذا نُتِجَتْ بعد ذلك أُنثى، شُقَّت أُذُنُها، وسُمِّيت بَحِيْرَة، وخُلِّيَتْ مع أُمِّها. **والرابع** أنها النَّاقةُ كانت إذا نُتِجَتْ خمسةَ أَبطُنٍ، وكان آخرُها ذَكَراً بَحَرُوا أُذُنَها، أي: شَقُّوها، وامتَنَعُوا مِنْ رُكُوبها وذَبْحِها، ولا تُطرَدُ عن مَاءٍ، ولا تُمنع عن مَرْعًى، وإذا لَقِيَها لم يَرْكَبْهَا، قاله الزجَّاجُ.

فأمَّا «السَّائِبَةُ»، فهي فَاعِلَة بمعنى: مَفْعُولَة، وهي المُسَيَّبَةُ، كقوله تعالى: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي مَرْضِيَّةٍ. وفي السَّائِبَة خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها التي تُسَيَّبُ مِنَ الأنْعَام للآلِهَة، لا يَركبون لها ظَهْراً، ولا يَحْلِبُون لها لَبَناً، ولا يَجزُّون منها وَبَراً، ولا يَحمِلون عليها شيئاً، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أن الرجل كان يُسَيِّبُ مِنْ مَالِه ما شاءَ، فيأتي به خَزَنَة الآلِهة، فيُطعمونَ ابنَ السبيل من أَلْبَانِه ولُحومه إلاَّ النِّساء، فلا يُطعمونهنَّ شيئاً منه إلا أن يموت، فَيَشترك فيه الرجالُ والنساءُ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وقال الشَّعبيُّ: كانوا يُهْدُون آلِهتَهم الإبلَ والغنَمَ، ويَتركونَها عند الآلِهَة، فلا يَشْرَبُ منها إلاّ رجلٌ، فإن مات منها شيءٌ أكَلَهُ الرجالُ والنساءُ. **والثالث**: أنها النَّاقة إذا وَلَدَتْ عشرَةَ أَبْطُنٍ، كُلُّهنَّ إناثٌ، سُيِّبَتْ، فلم تُركب، ولم يُجزَّ لها وَبَرٌ، ولم يُشرب لَبَنُهَا إلا ضَيْفٌ أو وَلَدُها حتى تموتَ، فإذا ماتت أكلَها الرجالُ والنساءُ، ذَكَرَهُ الفَرَّاءِ. **والرابع**: أنها البَعيرُ يُسَيَّبُ بِنَذْرٍ يكون على الرجل إن سَلَّمَهُ الله تعالى من مَرَضٍ أو بَلَّغَهُ منزلَه أنْ يفعلَ ذلك، قاله ابنُ قُتيبةَ. قال الزجَّاجُ: كان الرجل إذا نَذَرَ لشيءٍ مِنْ هذا، قال: نَاقَتِي سَائِبَةٌ، فكانت كالبَحِيْرَة في أَنْ لا يُنتفع بها ولا تُمنع من ماءٍ ومَرْعَىً. **والخامس**: أنه البَعِيْرُ يُحجُّ عليه الحِجَّةَ، فيُسَيَّب، ولا يُستعمل شُكْراً لِنُجْحِهَا، حكاه المَاورديُّ عن الشَّافعيِّ.

وفي «الوَصِيلَةِ» خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الشّاةُ إذا نُتِجَتْ سبعةَ أَبْطُنٍ، نَظَرُوا إلى السَّابع، فإن كان أُنثى، لم يَنْتَفِعْ النساء منها بشيءٍ إلاَّ أن تموت، فيأكلها الرجالُ والنساءُ، وإن كان ذَكَراً، ذَبحوهُ، فأَكَلُوه جميعاً، وإن كان ذَكَراً وأُنثى، قالوا: وَصَلَتْ أخَاهَا، فتُترك مع أخيها فلا تُذبح، ومَنَافِعُها للرجال دون النساء، فإذا مَاتَتْ، اِشترَكَ فيها الرجالُ والنساءُ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. وذهب إلى نحوه ابنُ قُتيبةَ، فقال: إنْ كان السابعُ ذَكَراً، ذُبح فأكل منه الرجالُ والنساءُ، وإن كان أُنثى، تُركت في النَّعم، وإن كان ذكراً وأُنثى، قالوا: وَصَلَتْ أخَاهَا، فلم تُذبح، لِمَكَانِها، وكانت لُحومُها حَرَاماً على النساء، ولَبَنُ الأُنثى حَرَاماً على النساء إلا أن يموت منها شيءٌ فيأكله الرِّجَالُ والنِّساءُ. **والثاني**: أنها النَّاقةُ البِكْرُ تَبْتَكِرُ في أول نِتَاجِ الإبل بالأُنثى، ثم تُثَنِّي بالأُنثى، فكانوا يستبقونَهَا لِطَواغِيتِهِم، ويَدْعونَها الوَصِيلَة، أي: وُصِلَتْ إحداهُما بالأُخرى، ليس بينهما ذَكَرٌ، رواه الزُّهري عن ابن المُسَيّبِ. **والثالث**: أنها الشاة تُنْتِج عشر إناثٍ مُتتابعَاتٍ في خمسةِ أَبْطُنٍ، فَيَدْعُونها الوَصِيلَة، وما وَلَدَت بعد ذلك فللذُّكور دون الإناث، قاله ابن إسحاقَ. **والرابع**: أنها الشَّاةُ تُنْتِج سبعةَ أَبْطُنٍ، عَنَاقين عَنَاقين[1]، فإذا وَلَدَت في سَابِعها عَنَاقاً وجَدْيَاً، قيل: وَصَلَتْ أخاها، فَجَرَتْ مَجْرى السَّائِبَة، قاله الفَرَّاءُ. **والخامس**: أنَّ الشاةَ كانت إذا وَلَدَتْ أُنثى، فهيَ لَهُمْ، وإذا وَلَدَتْ ذَكَراً جعلوه لآلهتهم فإن وَلَدَتْ ذَكَراً وأُنثى، قالوا: وَصَلَتْ أخاها، فلَمْ يذبَحُوا الذَّكر لآلِهَتِهِم، قاله الزجّاجُ.

وفي «الحَام» ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفَحْلُ، يُنتج من صُلْبِهِ عشرَةَ أَبْطُنٍ، فيقولون: قد حَمَى ظَهْرَهُ، فيُسَيِّبُونَه لأَصنَامِهم، ولا يُحملُ عليه، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، واختاره أبو عُبيدةَ، والزجّاجُ. **والثاني**: أنه الفَحْلُ يُولَدُ لِوَلَدِه، فيقولون: قد حَمَى هذا ظَهْرَهُ، فلا يَحملون عليه، ولا يَجزُّون وَبَرَهُ، ولا يَمنعونَهُ ماءً، ولا مَرْعَىً، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنه الفَحْلُ يظهر من أولادِه عشرُ إناثٍ من بَنَاتِهِ، وبناتِ بَنَاتِهِ، قاله عَطَاءٌ. **والرابع**: أنه الذي يُنتج له سبعُ إناثٍ مُتَوالِيَاتٍ، قاله ابن زيدٍ. **والخامس**: أنه الذي لِصُلْبِهِ عشرةٌ كلها تَضْرِب في الإبِلِ، قاله أبو رَوْقٍ. **والسادس**: أنه الفَحْلُ يَضْرِب في إبِل الرجل عشَر سنين، فيُخَلَّى ويُقال: قد حَمَى ظَهْرَهُ، ذكره المَاورديُّ عن الشَّافعيِّ.

قال الزجّاجُ: والذي ذكرناه في البَحِيْرَة، والسَّائِبَة، والوَصِيلَةِ، والحَام أثبتُ ما رَوينا عن أهل اللغة. وقد أعلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآية أنه لم يُحَرِّم من هذه الأشياء شيئاً، وإنَّ الذين كفروا اِفتَروا على الله عزَّ وجلَّ. قال مُقاتلٌ: وافتِرَاؤهم: قولهم: إنَّ الله حَرَّمَهُ، وأمرَنَا به.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: وأكثرهم، يعني: الأَتْبَاعَ لا يَعْقِلُون أنَّ ذلك كَذِبٌ على الله من الرُؤساء الذين حَرَّمُوا، قاله الشَّعبيُّ. **والثاني**: لا يعقلون أنَّ هذا التَّحريمَ من الشَّيطان، قاله قَتَادةُ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

---

(١) في «اللسان»: العَناق: الأنثى من ولد المعز.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قيل لهؤلاءِ المُشركين الذين حَرَّموا على أنْفُسِهم هذه الأنْعام: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ في القرآن مِنْ تَحْلِيل ما حَرَّمتُم على أنْفُسِكُم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا﴾ أي: يَكْفِينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ مِنَ الدِّين والمِنْهَاج ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الدِّين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ له، أيَتَّبِعُونَهُم في خَطَئِهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٤٨١] **أحدهما**: أن النبيَّ ﷺ كَتَبَ إلى هَجَر، وعليهم المُنْذِرُ بن سَاوَىَ يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبَوا فَليؤدُّوا الجِزْيَةَ، فلمَّا أتاهُ الكتاب، عَرَضَهُ على مَنْ عِندَهُ من العرب واليهود والنَّصارى والمَجُوس، فأقرُّوا بالجِزْيَة، وكَرِهوا الإسلامَ، فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ: «أمَّا العربُ فلا تَقْبَلْ منهم إلاَّ الإسلامَ أو السَّيفَ، وأمَّا أهلُ الكتاب والمَجُوس، فاقْبَلْ منهم الجِزْيَةَ» فلمَّا قرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ أسلمت العربُ، وأعطى أهلُ الكتاب والمَجُوسُ الجِزْيَةَ، فقال مُنافقو مكَّةَ: عَجَباً لمحمَّدٍ يزعم أنَّ الله بَعَثَهُ لِيُقَاتِلَ الناسَ كَافَّةً حتى يُسلموا، وقد قَبِلَ من مَجُوسِ هَجَر، وأهل الكتاب الجِزْيَةَ، فَهلاَّ أكرَهَهُم على الإسلام، وقد رَدَّها على إخواننا مِنَ العرب، فَشَقَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ.

[٤٨٢] وقال مُقاتلٌ: كان رسولُ الله ﷺ لا يَقْبَلُ الجِزْيَةَ إلاَّ مِنْ أهل الكتاب فلمَّا أسلَمت العربُ طَوعاً وكَرْهاً، قبلَهَا من مَجُوسِ هَجَر، فطَعَنَ المُنافقون في ذلك، فنزلت هذا الآية.

والثاني: أنَّ الرجلَ كان إذا أسْلَمَ، قالوا له: سَفَّهْتَ آباءَكَ وضَلَّلْتَهم، وكان ينبغي لكَ أن تَنْصُرَهُم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد(١).

قال الزجّاجُ: ومعنى الآية: إنَّما أَلْزَمَكُم اللهُ أَمْرَ أَنفُسِكم، ولا يُؤاخِذُكُم بذنوب غيرِكُم، وهذه الآية لا تُوجب تَرْكَ الأَمْرِ بالمعروف، لأنَّ المؤمنَ إذا تَرَكَهُ وهو مُستَطِيعٌ له، فهو ضَالٌّ، وليسَ بِمُهْتَدٍ. وقال عُثمَانُ بن عَفَّانَ: لَم يَأتِ تأويلُها بَعْدُ. وقال ابن مسعودٍ: تأويلُها في آخر الزَّمان: قولوا ما قُبِلَ مِنْكم، فإذا غُلِبْتُم، فَعَلَيْكم أَنْفُسَكُم. وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قولان:

---

[٤٨١] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس. وكذا عزاه الواحدي في «أسباب النزول» ٤٢٠ للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط، الكلبي يضع الحديث، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس، وقد رويا تفسيراً مصنوعاً ونسباه لابن عباس، راجع ترجمتهما في «الميزان» وهذا المتن أمارة الوضع لائحة عليه.

[٤٨٢] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيث أطلق، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) عزاه المصنف لابن زيد، واسمه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو واهٍ إذا وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟! فهذا خبر لا شيء.

أحدهما: لا يَضُرُّكم مَنْ ضَلَّ بِتَرْكِ الأمرِ بالمعروف إذا اهتَدَيْتُم أنتم للأَمْرِ بالمعروف، والنَّهي عن المُنكَر، قاله حُذَيْفَةُ بن اليَمَانِ، وابنُ المُسَيِّب. **والثاني**: لا يَضُرُّكم مَنْ ضَلَّ مِنْ أهل الكتاب إذا أَدَّوا الجزيَةَ، قاله مُجاهدٌ. وفي قوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيهٌ على الجَزاءِ.

فصل: فعلى ما ذكرنا عن الزجّاج في معنى الآية، هي مُحْكَمَةٌ، وقد ذهب قومٌ من المُفَسِّرين إلى أنها مَنْسُوخَةٌ، ولهم في نَاسِخِها قولان: **أحدهما**: أنه آيةُ السَّيفِ. **والثاني**: أنَّ آخرَهَا نَسَخَ أَوَّلَهَا. رُوي عن أبي عُبيدٍ أنه قال: ليسَ في القُرآن آيةٌ جمَعَت النَّاسخَ والمَنسُوخَ غيرَ هذهِ، وموضعُ المَنسُوخ منها إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ والنَّاسِخُ: قوله: إذا اهْتَدَيْتُم. والهُدَى هاهنا: الأمرُ بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ (١٠٦)﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾.

[٤٨٣] روى سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ قال: كان تَمِيمٌ الدَّاريّ، وعَدِيّ بن بَدّاء يَخْتَلِفَانِ إلى مَكَّةَ، فصَحِبَهُمَا رجلٌ من قُريشٍ من بَني سَهْم، فمات بأرضٍ ليس فيها أحَدٌ من المسلمين، فأوصى إليهما بِتَركَتِهِ، فلمّا قدِمَا، دَفَعَاهَا إلى أهله، وكَتَمَا جاماً كان معه من فِضَّةٍ، وكان مُخَوَّصاً بالذهب، فقالا: لم نَرَهُ، فأُتي بهما إلى النبيِّ ﷺ فاستَحْلَفَهُما باللهِ: مَا كَتَمَا، وخَلَّى سَبِيلَهُمَا، ثمّ إن الجَامَ وُجِدَ عند قوم من أهل مَكّة، فقالوا: اِبْتَعْنَاهُ من تَمِيم الدَّارِيّ، وعَدِيّ بن بَدّاء، فقامَ أولياءُ السَّهمِيّ، فأخذوا الجَامَ، وحَلَفَ رجلان منهم باللهِ: إنَّ هذا الجَامَ جَامُ صاحبنا، وشَهادَتُنا أحقُّ مِن شهادتِهما، وما اعتَدَيْنَا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدَها.

قال مُقاتلٌ: واسمُ المَيِّت: بُزيلُ بن أبي مَارِيَةَ مولى العَاصِ بن وَائلٍ السَّهْمِيّ، وكان تَمِيمٌ، وعَدِيٌّ نَصْرانيين، فأَسْلَمَ تَمِيمٌ، ومات عَدِيٌّ نَصْرانياً.

فأمّا التَّفسيرُ: فقال الفَرَّاءُ: معنى الآية: لِيَشْهَدَكُم اثنان إذا حَضَرَ أحدَكُم الموتُ. قال الزجَّاجُ: المعنى: شهادةُ هذه الحَال شهادةُ اثنين، فحَذَفَ «شهادة» ويقومُ «اثنان» مَقَامَهُمَا. وقال ابن الأنباريِّ: معنى الآية: لِيَشْهَدَكُم في سَفَرِكُم إذا حَضَرَكُم الموتُ، وأَرَدتُم الوصيَّةَ اثنان. وفي هذه الشَّهادة ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الشهادة على الوَصِيَّة التي تَثبُتُ عند الحُكّام، وهو قول ابنِ مسعودٍ، وأبي مُوسى، وشُرَيحٍ، وابنِ أبي لَيْلَى، والأَوزاعيّ، والثَّوريّ، والجمهور. **والثاني**: أنها أَيْمَانُ الوَصِيّ بالله تعالى إذا

---

[٤٨٣] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٨٠ وأبو داود ٣٦٠٦ والترمذي ٣٠٦٠ والدارقطني ٤/ ١٦٦ والطبري ١٢٦٧٠ والجصاص في «الأحكام» ٤/ ١٦٠ والطبراني ١٢/ ٧١ والواحدي ٤٢١ والبيهقي ١٠/ ١٦٥ كلهم من حديث ابن عباس به، فهو من مسند ابن عباس، وهو مختصر كما ترى، وانظر «أحكام ابن العربي» ٨٢٦ و «تفسير الشوكاني» ٨٧٢ بتخريجي ولله الحمد والمنة.

اِرتَابَ الوَرَثَةُ بهما، وهو قول مُجاهدٍ. **والثالث**: أنها شهادة الوَصِيَّة، أي: حُضُورُهَا، كقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾[١]، جعل الله الوَصِيَّ هاهنا اثنين تأكيداً، واستدلَّ أربابُ هذا القول بقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ قالوا: والشَّاهِدُ لا يَلْزَمُه يمينٌ. فأمَّا «حُضور المَوت» فهو حُضُورُ أَسبَابِهِ ومُقَدِّمَاتِهِ. وقوله تعالى: ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾، أي: وقتَ الوَصِيَّةِ. وفي قوله: «منكم» قولان: **أحدهما**: مِنْ أهل دِينِكم ومِلَّتِكم، قاله ابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وسعيدُ بن المُسَيِّبِ، وسعيدُ بن جُبيرٍ وشُرَيحٌ، وابنُ سِيْرِينَ، والشَّعبيُّ، وهو قول أصحابنا. **والثاني**: مِنْ عَشِيرَتِكم وقبيلَتِكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله الحسَنُ وعِكرمَةُ، والزُّهريُّ، والسُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ تقديره: أو شهادة آخرَيْنِ مِنْ غَيْرِكُم. وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: مِنْ غيرِ مِلَّتِكم ودِينِكم، قاله أربابُ القول الأوَّل. **والثاني**: مِنْ غيرِ عَشِيرَتِكم وقَبِيلَتِكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله أربابُ القول الثَّاني. وفي «أوْ» قولان: **أحدهما**: أنها ليست للتَّخْيِيرِ، وإنما المعنى: أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكم إنْ لم تَجِدُوا منكم، وبه قال ابن عباسٍ، وابن جُبيرٍ. **والثاني**: أنها للتَّخيِيرِ، ذكره المَاورديُّ.

فصل: والقائلُ بأنَّ المُراد بالآية شَهادةُ مُسلِمَيْن من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يَشُكُّ في إحْكَامِ هذه الآية. فأمّا القائلُ بأنَّ المُراد بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهلُ الكتاب إذا شَهِدُوا على الوَصِيَّة في السَّفَرِ، فلهم فيها قولان: **أحدهما**: أنها مُحْكَمَةٌ، والعملُ على هذا بَاقٍ، وهو قول ابن عباسٍ. وابن المُسَيِّبِ، وابن جُبيرٍ، وابن سِيرِيْنَ، وقَتادَة، والشَّعبيُّ، والثَّوريُّ، وأحمدَ في آخرين. **والثاني**: أنها مَنْسُوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٢] وهو قول زَيْدِ بن أَسْلَمَ، وإليه يميلُ أبو حَنيفةَ، ومَالكٌ، والشَّافعيُّ، قالوا: وأهلُ الكُفر ليسوا بعُدولٍ. والأوَّل أصحُ، لأنَّ هذا مَوضعُ ضرورةٍ كما يجوزُ في بعض الأماكن شَهادةُ نساءٍ لا رجلَ معهنَّ بالحَيْضِ والنِّفَاسِ والاستِهْلاَلِ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا الشَّرطُ متعلِّقٌ بالشهادة، والمعنى: لِيَشهَدَكُم اثنان إنْ أنتم ضَرَبْتُم في الأرض، أي: سَافَرتُمْ. ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فيه محذوفٌ، تقديره: وقد أَسْنَدْتُم الوصيَّةَ إليهما، ودَفَعْتُم إليهما مَالَكُم ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ خِطابٌ للوَرثة إذا اِرتَابُوا. وقال ابن عباسٍ: هذا من صِلَةِ قوله: «أو آخران من غيركم» أي: من الكُفَّار، فأمَّا إذا كانا مُسْلِمَيْن، فلا يَمينَ عليهما. وفي هذه الصَّلاة قولان[٣]: **أحدهما**: صَلاَةُ العَصْرِ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال شُرَيحٌ، وابن جُبيرٍ، وإبراهيمُ، وقَتادةُ، والشَّعبيُّ. **والثاني**: من بعد صَلاتِهِما في دِيْنِهِمَا، حكاه السُّدِّيُّ عن ابن عباسٍ[٤]. وقال به. وقال الزجَّاجُ: كان الناس بالحجاز يَحْلِفُون بعد صلاة العَصْرِ، لأنه وقت اِجْتِمَاعِ الناس. وقال ابن قُتيبة: لأنه وقتٌ يُعَظِّمُهُ أهلُ الأدْيَانِ.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: فَيَحْلِفَانِ ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أي: شَكَكْتُم يا أولياءَ المَيِّت. ومعنى

---

(١) سورة البقرة: ١٣٣. (٢) سورة الطلاق: ٦٥.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٥/ ١١١: وأولى القولين بالصواب عندنا، قول من قال: «تحبسونهما من بعد صلاة العصر». وهي الصلاة التي كان رسول الله ﷺ يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه. هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت، لقربه من غروب الشمس.

(٤) السدي لم يسمع من ابن عباس، وهذا قول منكر، ليس بشيء.

الآية: إذا قَدِمَ المُوصَى إليهما بتركةِ المُتوفَّى، فاتَّهمَهما الوارثُ، إسْتُحْلِفَا بعدَ صلاة العَصْرِ: أنهما لَمْ يَسْرِقا، ولم يَخُونَا. فالشَّرطُ في قوله: «إن ارتبتم» متعلِّقٌ بتَحْبِسُونَهُمَا، كأنه قال: إن ارْتَبْتُم حَبَسْتُمُوهُمَا فاستَحْلَفتُمُوهُمَا، فيَحْلِفَان باللهِ: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ﴾ أي: بأَيْمَانِنَا، وقيل: بتَحْرِيفِ شَهَادَتِنَا، فالهاء عائدةٌ على المعنى. ﴿ثَمَنًا﴾ أي: عَرَضاً مِنَ الدُّنيا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولَو كان المَشْهُودُ لهُ ذا قَرَابةٍ منَّا، وخَصَّ ذا القَرَابَة، لِمَيْلِ القريبِ إلى قَرِيبِهِ. والمعنى: لا نُحَابِي في شَهَادَتِنَا أحداً، ولا نَميلُ مع ذِي القُربى في قول الزُّور ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ إنما أضيفت إليه، لأَمْرِه بإقامَتِها، ونَهْيِهِ عن كِتْمَانِها، وقرأ سعيدُ بن جُبير: «ولا نكتم شهادةً» بالتنوين «اللهِ» بقطع الهمزة وقَصْرِها، وكسرِ الهاء، ساكنة النون في الوَصْلِ. وقرأ سعيدُ بن المُسَيّبِ، وعِكْرِمَةُ «شهادة» بالتنوين والوَصْل منصوبةَ الهاء. وقرأ أبو عِمْرَان الجُونيّ «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوَصْلِ «الله» بقطع الهمزة وقَصْرِها مفتوحةَ الهاء، وقرأ الشَّعبيُّ وابن السَّميفع «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوَصْلِ «اللهِ» بقطع الهمزة، ومَدِّها، وكسر الهاء. وقرأ أبو العَالِيَة، وعَمْرُو بن دِينَارٍ مِثْلَهُ، إلاّ أنهما نَصَبَا الهاء.

واختلف العلماء لأي معنًى وَجَبَت اليمينُ على هذين الشَّاهِدَين، على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لِكَونِهما مِنْ غيرِ أهل الإسلام، رُوي هذا المعنى عن أبي مُوسى الأَشْعَرِيِّ. **والثاني**: لِوَصِيّةٍ وقعت بخَطِّ المَيّت وفَقَدَ ورثَتُهُ بعضَ ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثالث**: لأنَّ الوَرَثَة كانوا يقولون: كانَ مالُ مَيِّتِنا أكثرَ، فاستَخَانُوا الشَّاهِدَين، قاله الحَسَنُ، ومُجاهدٌ.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾. قال المُفسِّرون:

[٤٨٤] لمَّا نزلت الآية الأولى، دَعَا رسول الله ﷺ عَدِيّاً وَتَمِيماً، فاستَحْلَفَهُما عند المِنْبَرِ: أنهما لم يَخُونَا شيئاً ممَّا دفعَ إليهما فحَلَفَا، وخَلَّى سَبيلَهُما، ثم ظَهَرَ الإناءُ الذي كَتَمَاهُ، فَرَفَعَهُما أولياءُ الميِّت إلى رسولِ الله ﷺ فنزلت ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾.

ومعنى «عُثِرَ»: اطُّلِعَ أي: إن عَثَرَ أهلُ المَيِّت، أو مَنْ يَلِي أَمْرَهُ، على أنَّ الشَاهِدَين اللذين هما آخَرَان مِنْ غيرنا ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ لِمَيْلِهِمَا عن الاستقامة في شَهادَتِهما ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مَقامَ هذَين الخائِنَيْن ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ ونَافعٌ وأبو عَمرٍو وابن عَامرٍ والكِسَائيُّ: «استُحِق» بضم التاء، ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ على التَّثنية. وفي قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهما الذِّمِّيان. **والثاني**: الوَلِيَّان.

فعَلَى الأوّل في معنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: استَحَقَّ عليهم الإيصَاءُ، قال ابن الأنْبَاريّ: المعنى: مِنَ القوم الذين استَحَقَّ فيهم الإيصَاءُ، استَحَقَّهُ الأولَيَان بالمَيِّت، وكذلك قال

---

[٤٨٤] عزاه المصنف للمفسرين، وأصله محفوظ بما تقدم سوى لفظ «عند المنبر» فهذا لم يرد في شيء من الروايات الصحيحة الموصولة بل ولا المرسلة، فهو واهٍ.

الزجّاجُ: المعنى: مِنَ الذين استَحَقَّت الوَصِيَّةُ أو الإِيْصَاءَ عليهم. **والثاني**: أنه الظُّلم، والمعنى: مِنَ الذين استَحَقَّ عليهم ظُلْمُ الأَوْلَيان فحذفَ الظُّلْمَ، وأقام الأَوليين مَقامَهُ، ذكره ابنُ القَاسِمِ أيضاً. **والثالث**: أنه الخروج ممَّا قَامَا به من الشَّهادة، لِظُهور خيانَتِهما. **والرابع**: أنه الإِثمُ، والمعنى: استَحَقَّ منهم الإثم، ونابت «على» عن «مِن» كقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[١] أي: منهم. وقال الفَرَّاءُ: «على» بمعنى «في» كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[٢] أي: في مُلكه، ذَكَر القولين أبو عَليّ الفَارِسيّ. وعلى هذه الأقوال مَفعولُ «استُحق» محذوفٌ مُقدَّرٌ.

وعلى القول الثاني في معنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان: **أحدهما**: استَحقَّ منهم الأَولَيان، وهو اختيارُ ابن قُتيبةَ. **والثاني**: جنىٰ عليهم الإثمُ، ذكره الزجّاجُ.

فأمّا «الأَولَيان» فقال الأَخْفَشُ: الأَولَيَان: اثنان، وَاحدُهما: الأَوْلَى، والجمع: الأَولُون: ثم للمُفسِّرين فيهما قولان: **أحدهما**: أنهما أَولياءُ المَيِّت، قاله الجمهور، قال الزجّاجُ: «الأَولَيَان» في قول أكثر البَصريين يَرْتَفِعَان على البَدَلِ ممَّا في «يقومان» والمعنى: فَلْيَقُم الأَولَيَان بالميت مَقامَ هذين الخَائِنَيْن. وقال أبو عَليّ: لا يَخْلُو الأَولَيَان أَنْ يكون اِرتِفَاعُهُما على الابتدَاءِ، أو يكون خَبرَ مبتدإٍ مَحذوفٍ، كأنه قال: فآخَرَان يَقومَان مَقامَهُما هما الأَولَيَان، أو يكون بَدَلاً من الضَّمير الذي في «يقومان» والتقدير: فيقومُ الأَولَيَان. **والقول الثاني**: أَنَّ الأَولَيَان: هُمَا الذِّمِّيَّان، والمعنى: أَنَّهما الأَولَيَان بالخِيَانَة، ذَكَرهُما ابن الأَنبَاريّ، فعلى هذا يكون المعنى: يقومان، إلا من الذين استحق عليهم. قال الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردةً باتت على طهيان[٣]

أي بدلاً من ماء زمزم.

ورَوى قُرَّةُ عن ابن كَثيرٍ، وحَفصٍ عن[٤] عَاصم: «استَحَق» بفتح التاء والحاء «الأوليان» على التثنية، والمعنى: استَحَقَّ عليهم الأَولَيَانُ بالمَيِّت وَصِيَّتَهُ التي أَوصَى بها، فحَذفَ المَفْعُولَ. وقرأ حمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «استُحِق» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأولِينَ» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع، والتقدير: من الأَوَّلِينَ الذين استحقَّ فيهم الإِثمُ، أي: جُني عليهم، لأَنَّهم كانوا أَوَّلِينَ في الذِّكر، ألاَ تَرَى أنه قد تَقَدَّم ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾. وروى الحَلَبيُّ عن عبدِ الوَارِث «الأَوَّلَيْنِ» بفتح الواو وتشديدها، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهو تثنيةُ: أَوَّل. وقرأ الحسنُ البَصرِيُّ: «استَحَقَ» بفتح التاء والحاء، «الأَوَّلاَن» تثنية «أَوَّل» على البَدَل مِنْ قوله: «فآخران».

وقال ابنُ قُتيبةَ: أَشبَهُ الأقوال بالآية أَنَّ الله تعالى أرادَ أَنْ يُعرِّفنا كيف يَشْهَدُ بالوَصِيَّة عند حُضورِ المَوتِ فقال: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: عَدْلاَن من المسلمين، وعَلِمَ أَنَّ مِنَ الناس مَنْ يُسافر فيَصحَبُه في سفره أهلُ الكتاب دونَ المسلمين، ويَنزل القريةَ التي لا يَسْكُنُها غَيرُهم، ويَحضُرُه الموتُ، فلا يَجِدُ مَنْ يَشْهَدُه مِنَ المسلمين، فقال: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: مِنْ غيرِ أهل دِينكم، فالذِّمِّيَّان في السَّفر

---

(١) سورة المطففين: ٢. (٢) سورة البقرة: ١٠٢.
(٣) في «اللسان» الطهيان: كأنه اسم قلّة جبل، والطهيان: خشبة يبرد عليها الماء. ونسب البيت للأحول الكندي.
(٤) وقع في الأصل «و» بدل «عن» والمثبت هو الصواب.

خاصَّةً إذا لم يُوجد غيرُهما، ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أراد: تَحْبِسُونَهما مِن بعد صَلاة العَصرِ إن ارتَبْتُم في شَهادَتِهما، وخَشِيْتُم أن يكونا قد خَانَا، أو بَدَّلا فإذا حَلَفَا، مَضَتْ شَهادَتُهما، فإِن عُثِرَ أي: ظَهَرَ على أنَّهما استَحَقَّا إثماً، أي: حِنْثاً في اليمين بكذبٍ أو خيانةٍ، فآخَرَان، أي: قامَ في اليمين مَقامَهما رَجُلان من قَرابَةِ المَيِّت الذين استَحَقَّ منهم الأَوليَان، وهما الوَلِيَّان يقال: هذا الأَوْلَى بفُلانٍ، ثم يحذف من الكلام «بفلان» فيُقال: هذا الأَوْلَى، وهذان الأَوْلَيَان، و «عليهم» بمعنى: «منهم» فيَحْلِفَان بالله: لقد ظَهَرْنَا على خِيانةِ الذِّمِّيين، وكَذِبِهما، وما اعتَدَيْنَا عليهما، ولَشَهادَتُنَا أصحُّ، لِكُفرِهِمَا وإيمانِنا، فيَرجعُ على الذِّمِّيين بما اختَانَا، ويَنقض ما مضى من الحُكم بشَهادَتِهِمَا تلك. وقال غيره: لَشَهادَتُنَا، أي: لَيَمِيْنُنَا أَحَقُّ، وسمِّيت اليمينُ شهادةً، لأنها كالشَّهادة على ما يُحْلَفُ عليه أنه كذلك. قال المُفسِّرون: فلمَّا نزلت هذه الآية قام عَمرو بنُ العَاصِ، والمُطَّلِبُ بن أبي وَداعة السَّهمِيَّان، فحَلَفَا باللهِ، ودُفِعَ الإناءُ إليهمَا وإلى أولِيَاء المَيِّتِ.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أي: ذلك الذي حَكَمْنَا به من رَدِّ اليمين، أَقربُ إلى إتيَانِ أهل الذِّمَّة بالشَّهادة على وَجْهِهَا، أي: على ما كانت، وأَقربُ أن يَخافُوا أن تُرَدَّ أيمانُ أَولِيَاءِ المَيِّت بعد أَيمَانِهم، فيَحلفُون على خِيانَتِهم، فيُفتَضَحُوا، ويُغرَّمُوا، فلا يَحْلِفون كَاذِبين إذا خَافُوا ذلك. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أن تَحْلِفُوا كَاذِبين، أو تَخُونوا أمانةً، واسمَعُوا الموعظةَ.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ قال الزجَّاجُ: نصبُ «يوم» مَحمُولٌ على قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: واتَّقوا يومَ جَمْعِهِ للرُّسُلِ. ومعنى مَسألَتِهِ للرُّسُل تَوبِيخُ الذين أُرسِلُوا إليهم. فأمَّا قولُ الرُّسُل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ففيه ستة أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنهم طَاشَتْ عُقولُهم حين زَفرتْ جهنَّمُ، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ثم تُرَدُّ إليهم عُقولُهم، فيَنطَلِقون بحُجَّتِهم، رواه أبو الضُّحَى عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، ومُجاهدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أن المعنى ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إلاَّ عِلْمٌ أنتَ أَعْلَمُ به منَّا، رواه ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنَّ المُراد بقوله تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عَمِلُوا بعدَكُم، وأَحْدَثُوا، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾، قاله ابنُ جُريجٍ، وفيه بُعْدٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ مع عِلْمِكَ، لأنك تَعْلَمُ الغَيبَ، ذكره الزجَّاجُ. **والخامس**: أنَّ المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ كَعِلْمِكَ، إِذْ كنتَ تعلَمُ ما أَظهَرَ القومُ وما أَضمَرُوا، ونحن نعلمُ ما أَظهَرُوا، ولا نعلَمُ ما أَضمَرُوا، فَعِلْمُكَ فيهم أَنْفَذُ من عِلمِنَا، هذا اختيارُ ابن الأنباريِّ. **والسادس**: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بجميع أفعَالِهم إِذْ كُنَّا نعلمُ بعضَها وقتَ حَياتِنَا، ولا نعلمُ ما كانَ بعدَ وفَاتِنَا، وإنَّما يُستَحَقُّ الجزاءُ بما تَقَعُ به الخَاتِمةُ، حكَاهُ ابن الأنباريِّ. قال المُفسِّرون: إذا رَدَّ الأنبياءُ

---

(١) صوب الإمام الطبري رحمه الله ٥/١٢٦، القول الثاني.

العلمَ إلى اللهِ أُبلِسَتِ الأُمَمُ، وعَلِمَتْ أنَّ ما أَتَتْهُ في الدنيا غيرُ غَائبٍ عنه، وأنَّ الكُلَّ لا يَخرجُونَ عن قَبْضَتِهِ.

قوله تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ قال الخَطَّابيُّ: العَلاَّم: بمنزلة العَلِيْم، وبِنَاءُ «فَعَّال» بناءُ التَّكثير، فأمَّا «الغُيوب» فجَمع غَيْبٍ، وهو ما غَابَ عنكَ.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ قال ابن عباسٍ: معناه: وإذْ يقولُ.

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ في تَذْكِيْرِه النِّعَم فائدتان: **إحداهما**: إسمَاعُ الأُمَم ما خَصَّهُ به من الكَرَامَةِ. **والثانية**: تَوكيدُ حُجَّته على جَاحِدِه. ومِنْ نَعَمِه على مَرْيَمَ أنه اصطَفَاهَا وطَهَّرَهَا، وأتَاهَا برزقِها من غير سبب. وقال الحسَنُ: المراد بِذِكْرِ النِّعْمَة: الشُّكر. فأمَّا النِّعمةُ، فلفظها لفظُ الوَاحِدِ، ومعناها الجَمْعُ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال هاهنا: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ وفي آلِ عِمْرَان (فيه)[1]؟ فالجواب: أنه جائزٌ أن يكون ذِكْرُ الطَّير على معنى الجميع، وأنَّث على معنى الجماعة، وجازَ أنْ يكونَ «فيه» للطَّيْرِ، «وفيها» للهَيْئَة ذَكَرَهُ أبو عَليّ الفَارِسيّ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ أبنُ كَثيرٍ، وعَاصمٌ هَاهُنا، وفي «هود» و «الصَّف»: ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وقرأ في «يونس»: ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ بألفٍ. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عَامرٍ، الأربعة «سحرٌ مُبينٌ» بغير ألف، فمن قرأ «سحر» أشار إلى ما جاءَ به، ومَنْ قرأ «ساحر»، أشارَ إلى الشَّخص.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾

وفي الوَحي إلى الحَوارِيينَ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الإلهَام، قاله الفرَّاءُ. وقال السُّدِّيُّ: قَذَفَ في قُلوبهم. **والثاني**: أنه بمعنى الأمْرِ، فتَقْدِيرُه: أَمَرْتُ الحَوَارِيينَ، و «إلى» صِلَةٌ، قاله أبو عُبيدةَ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱشْهَدْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم يَعْنُون اللهَ تعالى. **والثاني**: عيسى عليه السَّلام. وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مُخْلِصُون للعبادة والتَّوحيد. وقد سبقَ شرحُ ما أُهمِلَ هاهنا فيما تَقَدَّم.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

---

(١) سورة آل عمران: ٤٩.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال الزجّاجُ: أي: هل يَقْدِرُ. وقرأ الكِسَائيُّ: «هل تستطيع» بالتاء، ونصب الرَّبِّ. قال الفَرّاءُ: معناه: هل تَقْدِرُ أنْ تسألَ رَبَّكَ. قال ابنُ الأنباريّ: ولا يجوزُ لأحَدٍ أنْ يَتوهَّم أنَّ الحَوَاريينَ شَكُّوا في قُدرة الله، وإنَّما هذا كَمَا يقولُ الإنسانُ لصاحبه: هل تستطيعُ أنْ تقومَ مَعِي، وهو يَعلمُ أنه مُستَطِيعٌ، ولكنَّه يُريد: هل يَسْهُلُ عليكَ. وقال أبو عَليّ: المعنى: هل يفعلُ ذلك بِمَسْأَلَتِكَ إيَّاهُ. وزعَمَ بعضُهم أنَّهم قالوا ذلك قبل استِحْكَامِ إيمانِهِم ومَعرِفَتِهم، فَرَدَّ عليهم عيسى بقوله: اتَّقوا اللهَ، أن تَنسِبُوه إلى عَجزٍ، والأوَّل أصحُّ.

فأمَّا «المَائِدة» فقال اللغويُّون: المَائِدَةُ: كلُّ ما كانَ عليه من الأَخونة[1] طعامٌ، فإذا لم يكن عليه طعامٌ فليسَ بمَائِدَةٍ، والكَأسُ: كلُّ إناءٍ فيه شَرابٌ فإذا لم يَكُنْ فيه شَرابٌ، فليس بكَأسٍ، ذكره الزجّاجُ. قال الفَرّاءُ: وسمعتُ بعضَ العرب يقول للطَبَقِ الذي تُهدى عليه الهَدِيَّةُ: هُوَ المُهْدَى، مَقْصورٌ، ما دامت عليه الهَدِيَّة، فإذا كان فَارِغاً رَجع إلى اسمِهِ إن كان طَبَقاً أو خِوَاناً أو غير ذلك. وذَكرَ الزجَّاجُ عن أبي عُبيدَة أنَّ لفظَها فَاعِلَة، وهي في المعنى مَفعُولَة، مثل ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾. قال أبو عُبيدَةَ: وهي من العَطَاءِ، والمُمْتَادُ: المفتعل المَطْلُوب منه العَطَاء، قال الشاعر:

إلـى أَمـيـرِ الـمُـؤمـنـيـن الـمُـمْـتَـادِ[2]

وَمَادَ زَيدٌ عَمراً: إذا أَعطاهُ. قال الزجّاجُ: والأصل عِندي في «مَائِدَة» أنها فَاعِلَةٌ مِنْ: مَادَ يَمِيْدُ: إذا تَحرَّكَ، فكأنَّها تَمِيْدُ بما عليها. وقال ابن قُتيبة: المَائِدَةُ: الطَّعامُ، مِنْ: مَادَنِي يَمِيْدُنِي، كأنَّها تَمِيْدُ الآكِلِينَ، أي: تُعطِيْهم، أو تكون فَاعِلَةً بمعنى: مَفعُولٍ بها، أي: مِيْدَ بِهَا الآكِلُون.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: اِتَّقُوه أَنْ تَسألُوه البَلاء، لأنها إن نَزلَتْ وكَذَّبتُم، عُذِّبْتُم، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: أَنْ تَسألُوه ما لَمْ تَسأَله الأُمَمُ قَبلَكُم، ذَكرهُ أبو عُبيدٍ. **والثالث**: أَن تَشكُّوا في قُدرَتِهِ.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ هذا اعتذارٌ منهم بَيَّنُوا به سببَ سُؤالِهم حين نهوا عنه. وفي إرادَتِهِم للأكل منها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أرادُوا ذلك للحَاجةِ، وشِدَّةِ الجُوعِ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: لِيَزدادُوا إيماناً، ذَكرهُ ابنُ الأنباريّ. **والثالث**: للتَبَرُّكِ بها، ذَكَرَهُ المَاورديُّ. وفي قوله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تَطمَئِنُّ إلى أنَّ الله تعالى قد بَعَثَكَ إلينا نَبياً. **والثاني**: إلى أنَّ الله تعالى قد اِختَارَنَا أَعوَاناً لكَ. **والثالث**: إلى أنَّ الله تعالى قد أجابَكَ. وقال ابن عباسٍ: قال لَهُم عيسى: هَلْ لكم أنْ تَصُوموا لله ثلاثينَ يوماً، ثُمَّ لا تَسأَلُونَه شيئاً إلا أَعطَاكُم؟ فَصَامُوا، ثم سَأَلُوا المَائِدَةَ. فمعنى: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أَنَّا إذا صُمْنَا ثلاثينَ يوماً لم نَسألِ اللهَ شيئاً إلا أَعطَانَا. وفي هذا العِلْم قولان: **أحدهما**: أنَّه عِلْمٌ يَحْدُثُ لهم لَمْ يَكُن، وهو قولُ مَنْ قال: كانَ سُؤالُهم قبلَ اِستِحْكَامِ مَعْرِفَتِهِم. **والثاني**: أنه زيادةُ عِلمٍ إلى عِلمٍ، ويَقينٍ إلى يَقينٍ، وهو قولُ مَنْ قال: كان سُؤالُهم بعد

---

(١) في «اللسان» أخاوين جمع خوان: وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل.
(٢) هذا الرجز لرؤبة كما في اللسان (ميد). والممتاد: المطلوب منه العطاء.

مَعْرِفَتِهم. وقرأ الأعْمَشُ: «وتعلم» بالتاء، والمعنى: وتَعْلَمَ القلوبُ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا. وفي قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الشَّاهدين لله بالقُدرة، ولكَ بالنُّبوَّة. **والثاني**: عند بَني إسرائيلَ إذا رَجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البَرِّيَّة عند هذا السُّؤال. **والثالث**: مِنَ الشَّاهدين عند مَنْ يأتي مِنْ قومنا بمَا شاهَدْنا مِنَ الآيات الدَّالةِ على أنَّك نبيٌّ. **والرابع**: مِنَ الشَّاهدين لكَ عندَ الله بأداءِ ما بُعِثْتَ به.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ وقرأ ابنُ مُحَيْصِنٍ، وابنُ السَّميفع، والجَحْدَريُّ: «لأولانا وأخرانا» برفع الهمزة، وتخفيفِ الواو، والمعنى: يكونُ اليوم الذي نَزَلت فيه عِيداً لنا، نُعَظِّمُه نحن ومَنْ بَعدَنا، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. وقال كَعْبٌ: أُنزلت عليهم يومَ الأَحَدِ، فاتَّخَذُوه عِيداً. وقال ابنُ قُتيبة: عِيداً، أي: مَجْمَعاً. قال الخَليلُ بن أَحْمَدَ: العِيْدُ: كلُّ يومٍ يَجْمَعُ، كأنَّهم عادُوا إليه. وقال ابنُ الأنباريّ: سُمِّيَ عِيداً للعَودِ مِنَ التَّرَحِ إلى الفَرَحِ.

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي عَلامةً منك تَدُلُّ على تَوحيدِك، وصِحَّةِ نُبوَّة نَبيِّك. وقرأ ابن السَّميفع، وابن مُحَيْصِنٍ، والضَّحَّاكُ «وأنه منك» بفتح الهمزة، وبنونٍ مُشَدَّدةٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ قولان: **أحدهما**: أُرزُقْنَا ذلكَ مِنْ عِندِك. **والثاني**: أُرزُقْنا الشُّكْرَ على ما أَنْعَمت به مِنْ إجابَتِكَ لَنا.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قرأ نافعٌ وعَاصِمٌ وابن عَامرٍ «منزّلها» بالتَّشديد، وقرأ البَاقُون خفيفةً. وهذا وَعْدٌ بإجابة سُؤال عيسى. واختلفَ العلماءُ: هل نَزَلت أَمْ لا؟ على قولين[1]:

أحدهما: أنها نَزَلَتْ، قاله الجمهور، فروى وَهبُ بن مُنَبِّهٍ عن أَبي عُثْمانَ النَّهدِيّ، عن سَلْمَانَ الفَارسيّ قال: لمَّا رأى عيسى أنهم قد جَدُّوا في طَلَبِها لَبِسَ جُبَّةً من شَعْرٍ، ثم توضَّأ، واغتَسَل، وَصَفَّ قَدَمَيْه في مِحْرَابه حتى استَوَيا، وأَلْصَقَ الكَعْبَ بالكَعْبِ، وحَاذَى الأصابع بالأصابع، وَوَضع يدَهُ اليُمنى على اليُسرى فوق صَدْرِهِ، وطَأْطَأَ رَأْسَهُ خُضوعاً، ثم أرسلَ عينيه بالبُكاء، فما زالت تَسيلُ دُموعُه على خَدِّه، وتَقْطِرُ مِنْ أطرافِ لِحْيَتِهِ حتى ابتلَّت الأرضُ من دُموعه حِيَالَ وَجْهِهِ، ثمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّماء، فقال: اللهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ علينا مَائِدةً من السَّماء، فبينما عيسى كذلك، هَبَطَتْ عليهم مَائِدةٌ مِنَ السماء، سُفْرَةٌ حَمْرَاءُ بين غَمَامَتَيْن، غَمَامَةٌ مِنْ تحتها، وغَمَامَةٌ مِنْ فوقها، وعيسى يبكي ويتضرَّعُ، ويقول: إلهي اجْعَلْهَا سَلامَةً، لا تَجْعَلْهَا عذاباً، حتى استَقَرَّت بين يَدَيهِ، والحَوَارِيُّون من حَولِهِ، فأَقْبَلَ هو وأصحابُه حتى قَعَدُوا حَولَهَا، وإذا عليها مِنْدِيلٌ مُغَطًّى، فقال عيسى: أيُّكم أَوْثَقُ بنفسه وأقلُّ بلاءً عند رَبِّه فلْيَأْخُذ

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٥/ ١٣٥: والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى ذلك.

هذا المِنديلَ، وَلِيَكْشِف لنا عن هذه الآية. قالوا: يا رُوحَ الله أنتَ أَوْلاَنا بذلك، فَاكشِفْ عنها، فاستَأنَفَ وُضُوءاً جَديداً، وصَلَّى رَكعتين، وسأل رَبَّه أَنْ يأذَنَ له بالكَشْف عنها، ثم قَعَدَ إليها، وتناولَ المِنديلَ، فإذا عليها سَمَكَةٌ مَشويَّةٌ، ليسَ فيها شَوكٌ، وحَولَهَا مِنْ كل البَقْلِ ما خَلاَ الكرَّاث، وعند رَأسِها الخَلُّ، وعند ذَنَبِها المِلْحُ، وحَولَها خمسةُ أرغِفَةٍ، على رَغيفٍ تَمرٌ، وعلى رَغيفٍ زيتونٌ، وعلى رَغيفٍ خمسُ رُمَّاناتٍ. فقال شَمعون رأسُ الحَوَاريين: يا رُوحَ الله أَمِن طعام الدُّنيا هذا، أَمْن طعامِ الجَنَّة؟ فقال عيسى: سُبْحَانَ اللهِ أَمَا تَنْتَهُون! ما أَخْوَفَني عليكم. قال شمعون: لا وإلهِ بَني إسرائيلَ ما أردتُ بهذا سُوءاً. قال عيسى: ليسَ ما تَرَونَ عليها من طعامِ الدنيا، ولا مِنْ طعام الجنة، إنما هو شيءٌ اِبتَدَعَهُ الله، فقال له: «كن» فكان أسرعَ من طَرْفَة عينٍ. فقالَ الحَوَاريُّون: يا رُوحَ الله إنما نُريد أن تُرِيَنَا في هذه الآية آيةً، فقال: سُبحانَ اللهِ! ما اكتَفَيْتُم بهذه الآية؟! ثمَّ أَقْبَلَ على السَّمكة فقال: عُودي بإذنِ الله حَيَّة طَرِيَّةً، فعَادَتْ تَضْطَرِبُ على المَائِدة، ثم قال: عُودِي كما كُنتِ، فعَادتْ مَشوِيَّةً، فقال: يا رُوحَ الله كُنْ أنتَ أَوَّلَ مَنْ يأكل منها، فقال: مُعاذَ اللهِ بل يأكلُ منها مَنْ سَأَلَها، فلمَّا رَأَوا اِمتناعَهُ، خَافُوا أن يكون نزولها عقوبةً، فلمَّا رأى عيسى ذلك دَعَا لها الفُقراء والزَّمْنَى واليَتَامى، فقال: كُلوا مِنْ رزق رَبِّكم، ودَعوةِ نَبِيِّكم، ليكون مَهْنَؤهَا لكم، وعُقوبَتُها على غَيْرِكُم، فأكلَ منها ألفٌ وسبعمائة إنسانٍ، يَصْدُرون عنها شِبَاعاً وهي كَهَيْئَتِها حين نزلت، فَصَحَّ كلُّ مريضٍ، واستغنى كلُّ فقيرٍ أكلَ منها، ثمَّ نزلت بعد ذلك عليهم، فَازدَحَمُوا عليها، فجعلها عيسى نُوَباً بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعينَ يوماً، تنزل يوماً وتَغِبُّ[1] يوماً، وكانت تنزل عند اِرتفاع الضُّحَى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا، اِرتَفَعَتْ إلى السماء وهُم ينظرون إلى ظِلِّها في الأرض[2]. وقال قَتادةُ: كانت تنزل عليهم بُكرةً وعَشِيَّةً، حيث كانوا. وقال غَيرُه: نزلت يومَ الأَحَدِ مَرَّتين. وقيل: نَزَلَتْ غُدْوَةً وعشيَّةً يومَ الأحدِ، فلذلك جعلوه عِيْداً. وفي الذي كان على المَائِدَة ثمانية أقوالٍ: **أحدها**: أنه خُبزٌ ولَحمٌ، رُوي عن عمَّارِ بن يَاسرٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٤٨٥] «نزلت المَائدةُ مِنَ السَّماء خُبزاً ولَحماً».

---

[٤٨٥] ضعيف جداً، شبه موضوع، والصواب وقفه. أخرجه الترمذي ٣٠٦١ والطبري ١٣٠١٦ من حديث عمار مرفوعاً، وقال الترمذي: رواه غير واحد عن سعيد به موقوفاً، وهو أصح من المرفوع، ولا نعلم للمرفوع أصلاً ا هـ. قلت: إسناده واهٍ، وله علل ثلاث: الأولى: رواه غير واحد موقوفاً. الثانية: قتادة مدلس، وقد عنعن. الثالثة: خِلاس كثير الإرسال والرواية عمن لم يلقه. وقد أخرجه الطبري ١٣٠١٨ عن قتادة عن خلاس عن عمار به موقوفاً، ورجاله رجال الشيخين سوى خلاس روى له البخاري متابعة. وأخرجه الطبري ١٣٠١٥ من وجه آخر عن عمار، وفيه راوٍ لم يسم. وأخرجه الطبري ١٣٠١٩ عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال ذُكر لنا. . . فذكره. وإسناده صحيح إلى قتادة، فلو كان هذا الحديث مرفوعاً عند قتادة لما رواه بصيغة التمريض، ومن غير عزو لأحد. فالأشبه في هذا كونه موقوفاً، والموقوف ضعيف جداً، شبه موضوع.

---

(١) في «اللسان»: النُّوب: جمع نوبة: وهي الفرصة والدُّولة. والغبُّ: ورد يوم، وظمأ آخر.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ١٥٤: هذا أثر غريب جداً، قطّعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا له ليكون سياقه أتم وأكمل، والله سبحانه وتعالى ـ أعلم.
وكل هذه الآثار تدل على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل، أيام عيسى ابن مريم، إجابة من الله لدعوته، وكما دل على ذلك ظاهر السياق في القرآن العظيم.

والثاني: أنها سمكةٌ مشويَّةٌ، وخمسُ أرغفَةٍ، وتَمرٌ، وزيتونٌ، ورُمَّانٌ. وقد ذكرناه عن سَلْمَانَ.
والثالث: ثَمرٌ من ثِمار الجنَّة، قاله عَمَّارُ بن يَاسرٍ، وقال قَتادةُ: ثَمرٌ مِنْ ثِمار الجنة، وطعامٌ من طعامها.
والرابع: خُبزٌ، وسَمَكٌ، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُلَميّ.
والخامس: قِطعةٌ من ثَريدٍ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والسادس**: أنه أنزل عليها كل شيءٍ إلا اللحم، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والسابع**: سَمكةٌ فيها طعمُ كلِّ شيءٍ مِنَ الطعام، قاله عَطِيَّةُ العَوفيُّ.
والثامن: خُبزُ أَرزٍ وبَقلٍ، قاله ابن السَّائِبِ.

والقول الثاني: أنها لم تنزل، رَوى قَتادةُ عن الحَسنِ أنَّ المائدة لَمْ تنزل، لأنَّه لمَّا قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قالوا: لا حَاجةَ لنا فيها. ورَوى ابن أبي نَجيحٍ عن مُجاهدٍ، قال: أُنزلت مائدةٌ عليها ألوانٌ مِنَ الطعام، فعَرَضَها عليهم، وأخبرَهم أنه العذابُ إنْ كفروا، فأبَوهَا فلم تنْزل. ورَوى ليثٌ عن مُجاهدٍ قال: هذا مَثَلٌ ضَربَهُ الله تعالى لِخَلْقِهِ، لِيَنْهَاهُم عن مسألة الآيات لأنبيائه، ولم ينزل عليهم شيءٌ، والأوَّل أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي: بعدَ إنزالِ المَائِدَة. وفي العذاب المَذكُور قولان:
أحدهما: أنه المَسْخُ. **والثاني**: جنسٌ مِنَ العذاب لم يُعذَّب به أحدٌ سِوَاهُم. قال الزجَّاجُ: ويجوز أن يُعَجَّل لهم في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة.

وفي «العَالَمِين» قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ. **والثاني**: عَالَمُو زمانِهم.

وقد ذكر المُفسِّرون أنَّ جماعةً من أصحاب المَائِدة مُسِخُوا. وفي سَببِ مَسْخِهم ثلاثة أقوالٍ:

[٤٨٦] **أحدها**: أنهم أُمِرُوا أنْ لا يَخُونوا، ولا يَدَّخِروا، فَخانوا وادَّخَرُوا، فمُسِخُوا قِردةً وخَنَازيرَ، رواه عمَّارُ بن يَاسرٍ عن النبيِّ ﷺ.

والثاني: أنَّ عيسى خَصَّ بالمَائِدة الفقراءَ، فتكلَّمَ الأغنياءُ بالقَبيحِ من القول، وشَكَّكوا الناسَ فيها، وارتَابُوا، فلمَّا أمسى المُرْتَابُون بها، وأَخَذُوا مضَاجعَهُم، مَسَخَهُم اللهُ خَنازيرَ، قاله سَلمانُ الفَارسيُّ.
والثالث: أن الذين شَاهَدوا المَائِدَةَ، ورَجَعُوا إلى قومهم، فَأَخبَرُوهم، فَضَحِكَ بهم مَنْ لَمْ يَشْهَدْ، وقالوا: إنما سَحَرَ أعيُنَكُم، وأخذ بقلوبكم، فمن أرادَ اللهُ به خيراً، ثَبَتَ على بصيرته، ومَنْ أرادَ به فِتنةً، رَجع إلى كُفره. فلعَنَهُم عيسى، فأصبَحوا خنازيرَ، فمَكَثُوا ثلاثةَ أيامٍ، ثمَّ هَلَكُوا، قاله ابن عباسٍ.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ في زَمَانِ هذا القول قولان:
أحدهما: أنه يَقُوله لَهُ يومَ القيامة، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ، وابن جُريجٍ.

---

[٤٨٦] هو الحديث المتقدم، المرفوع ضعيف جداً.

والثاني: أنه قالَهُ لَهُ حينَ رَفَعَهُ إليه، قاله السُّدِّيُّ، والأوَّل أصحُّ.

وفي «إذْ» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها زائِدةٌ، والمعنى: وقالَ اللهُ، قاله أبو عُبيدةَ. **والثاني**: أنها على أصلها، والمعنى: وإذْ يقولُ اللهُ له، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنها بمعنى: «إذا»، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾[1] والمعنى: إذا. قال أبو النجم:

ثُمَّ جَزَاكَ اللهُ عَنِّي إذْ جَزَى ... جنَّاتِ عَدْنٍ في السَّمواتِ العُلا

ولفظُ الآية لفظُ الاستفهام، ومعناها التَّوبيخ لِمَن ادَّعى ذلك على عيسى.

قال أبو عُبيدةَ: وإنَّما قال: «إلهين»، لأنهم إذْ أشرَكُوا فِعْلَ ذَكَرٍ مع فِعْلِ أُنثى ذكَّرُوهما. فإنْ قيل: فالنَّصارى لم يتَّخذوا مَرْيَم إلهاً، فكيفَ قال اللهُ تعالى ذلكَ فيهم؟ فالجواب: أنهم لمَّا قالوا: لَمْ تَلِدْ بشراً، وإنَّما وَلَدَتْ إلهاً، لَزِمَهُم أنْ يقولوا: إنَّها مِنْ حيثُ البَعْضِيَّة بِمَثَابَة مَنْ وَلَدَتْهُ، فصَارُوا بمثَابَة مَنْ قَالَهُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي: بَراءةٌ لكَ من السُّوء ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ أي: لستُ أستَحِقُّ العبادةَ فأدْعُوَ الناسَ إليها. ورَوى عَطاءُ بن السَّائِبِ عن مَيْسَرَةَ قال: لمَّا قال اللهُ تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ رُعِدَ كلُّ مَفْصِلٍ منه حتى وَقَعَ مخافَةَ أن يكون قَد قَالَهُ، وما قال: إنِّي لَمْ أَقُلْ، ولكنه قال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾. فإن قيل: ما الحكمةُ في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلمُ أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبيت للحُجَّة على قومه، وإكْذابٌ لهم في اِدِّعَائِهِم عليه أنه أمَرَهُم بذلك، ولأنَّه إقرارٌ من عيسى بالعَجْزِ في قوله: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ وبالعُبوديَّة في قوله: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ قال الزجَّاجُ: تَعلَمُ ما أُضمِرُه، ولا أعلَمُ ما عندكَ عِلْمُه، والتَّأويلُ: تعلَمُ ما أعلَمُ وأنا لا أعلَمُ ما تعلَم.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قال مُقاتلٌ: وَحِّدُوه.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: على ما يَفعلونَ ما كنتُ مُقيماً فيهم، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بالرَّفْعِ إلى السَّماء. **والثاني**: بالمَوتِ عند انتهاءِ الأجَلِ. و «الرَّقيب» مَشْرُوحٌ في سورة (النِّساء)، و «الشَّهيد» في (آلِ عِمران).

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ قال الحسَنُ، وأبو العَالِيَة: إنْ تُعذِّبْهم، فَبإقامَتِهم على كُفرهم، وإنْ تَغْفِرْ لهم، فَبِتَوبَةٍ كانت منهم. وقال الزجَّاج: عَلِمَ عيسى أنَّ منهم مَنْ آمَنَ، ومنهم مَنْ أقَامَ

---

(١) سورة سبأ: ٥١.

على الكُفر، فقال في جُمْلَتِهِم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: إنْ تُعذِّبْ مَنْ كَفَرَ منهم فإنهم عِبادُكَ، وأنتَ العادِلُ فيهم، لأنك قد أوضَحْتَ لهم الحقَّ، فكفَرُوا، وإنْ تَغفِرْ لهم، أي: وإنْ تَغفِرْ لِمَنْ أقْلَعَ منهم، وآمَنَ، فذلك تَفَضُّلٌ منك، لأنه قَدْ كانَ لكَ أنْ لا تَغفِرَ لهم بعد عَظيمِ فِرْيَتِهِمْ، وأنتَ في مَغفِرَتكَ لهم عَزيزٌ، لا يمتنعُ عليكَ ما تُريد، حَكِيمٌ في ذلك. وقال ابن الأنباريّ: معنى الكلام: لا ينبغي لأَحَدٍ أن يَعْتَرِضَ عليكَ، فإن عَذَّبتَهُم، فلا اعتِرَاضَ عليك، وإنْ غَفَرْتَ لهم ـ ولستَ فاعِلاً إذا ماتوا على الكُفر ـ فلا اعتِرَاضَ عليكَ. وقال غيره: العَفو لا يُنْقِصُ عِزَّكَ، ولا يَخرج عن حُكْمِكَ.

[٤٨٧] وقد رَوى أبو ذَرٍّ قال: قامَ رسولُ الله ﷺ قيامَ ليلة بآيةٍ يُرَدِّدُها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قرأ الجمهور برفع «اليوم»، وقرأ نافعٌ بِنَصْبِه على الظَّرف. قال الزجّاج: المعنى: قالَ اللهُ هذا لِعيسى في يوم ينفَعُ الصَّادقين صِدْقُهم، ويجوز أن يكون على معنى: قال اللهُ هذا الذي ذَكَرْناهُ يقعُ في يوم يَنْفَعُ الصَّادقين صِدْقُهم. والمُراد باليوم: يومُ القيامة. وإنما خَصَّ نَفْعَ الصِّدق به لأنَّه يومُ الجَزاء. وفي هذا الصِّدْقِ قولان: **أحدهما**: أنه صِدْقُهم في الدنيا يَنفَعُهم في الآخرة. **والثاني**: صِدْقُهم في الآخرة يَنفَعُهم هنالك. وفي هذه الآية تَصْدِيقٌ لعيسى فيمَا قال.

قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: بطاعتهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه. وفي قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تنبيهٌ على عُبُوديَّة عيسى، وتَحْريضٌ على تَعْلِيقِ الآمَالِ بالله وَحْدَهُ.

---

[٤٨٧] ضعيف. أخرجه النسائي في «الكبرى» ١١١٦١ وأحمد ٥/١٤٩ من حديث أبي ذر، وفي إسناده جسرة بنت دجاجة، وثقها ابن حبان والعجلي، وهما ممن يوثق المجاهيل، في حين قال البخاري وهو إمام هذا الفن: عند جسرة عجائب، راجع «تهذيب التهذيب» ١٢/ ٤٣٥.

زاد المسير

في علم التفسير

للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق
عبد الرزاق المهدي

المجلد الثاني

(سورة الأنعام - سورة النحل)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

ISBN: 9953-27-016-3

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

ISBN 9953-27-016-3

9 789953 270166

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون : 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب.: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb

زاد المسير

في علم التفسير

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
٦ ـ تفسير سورة الأنعام	٧
٧ ـ تفسير سورة الأعراف	١٠٠
٨ ـ تفسير سورة الأنفال	١٨٦
٩ ـ تفسير سورة التوبة	٢٣٠
١٠ ـ تفسير سورة يونس	٣١٤
١١ ـ تفسير سورة هود	٣٥٥
١٢ ـ تفسير سورة يوسف	٤١١
١٣ ـ تفسير سورة الرعد	٤٧٩
١٤ ـ تفسير سورة إبراهيم	٥٠٣
١٥ ـ تفسير سورة الحجر	٥٢٢
١٦ ـ تفسير سورة النحل	٥٤٨

سُورَةُ الأَنْعَامِ

ترتيبها ٦ — آياتها ١٦٥

فصل في نزولها: روى مجاهدٌ عنِ ابنِ عباسٍ: أَنَّ سورة الأَنْعَام مِمَا نَزَل بِمَكَّةَ. وَهذا قَوْلُ الحَسَنِ، وَقَتادَةَ، وَجابرِ بنِ زَيْدٍ.

[٤٨٨] وَرَوىٰ يوسفُ بنُ مِهْرانَ عَنِ ابنِ عَبّاسٍ، قَالَ: نَزَلَتْ سورةُ الأَنْعامِ جُمْلَةً ليلاً بِمَكَّةَ. وَحَوْلَها سَبْعون أَلْفَ مَلَكٍ.

[٤٨٩] وَرَوَىٰ أَبو صالحٍ عَنِ ابنِ عبّاسٍ قال: هِيَ مَكيّةٌ، نَزَلَتْ جُمْلَةً واحِدَةً، وَنَزَلَتْ لَيْلاً؛ وَكَتبوها مِنْ لَيْلَتِهِمْ، غيرِ سِتِّ آياتٍ مِنْها مَدَنيَّاتٍ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخِرِ الثَّلاثِ آياتٍ(١)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(٢) الآية. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾(٣) إلى آخِرِ الآيَتَيْنِ. وَذَكَرَ مقاتل نَحْوَ هٰذا. وَزَادَ آيَتَيْنِ: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾(٥).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبّاس، وَقَتادَةَ قالا: هِيَ مَكّيّةٌ، إلاَّ آيَتَيْنِ نَزَلَتا بالْمَدِينَةِ؛ قَوْلُه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. وقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾(٦). وَذَكَرَ أَبو الْفَتْحِ بْنِ شَيْطَاءَ: أَنَّها

---

[٤٨٨] روي موقوفاً ومرفوعاً، والمرفوع لا يصح، والصحيح موقوف.

- أما الموقوف، فأخرجه الطبراني ١٢/ ١٢٩٣٠ من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس موقوفاً، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وورد من وجوه أخر موقوفاً، وهو الراجح.
- وورد مرفوعاً بنحوه عن جماعة من الصحابة فقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٤٤٣ وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٥٩ من حديث أنس. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٩٩٢: رواه الطبراني عن شيخه عمر بن عبد الله بن عرس عن أحمد بن محمد السالمي ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات ا. هـ.

قلت: ابن عرس توبع عند ابن مردويه، فانحصر الإسناد في أحمد السالمي، وقد تفرد به.

- وفي الباب من حديث ابن عمر عند الطبراني في «الصغير» ٢٢٠ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٩٩١: وفيه يوسف بن عطية الصفّار، وهو ضعيف اهـ. بل متروك. ومن حديث جابر عند الحاكم ٢/ ٣١٥، وصححه، ورده الذهبي بقوله: لا والله لم يدرك جعفر السدي، وأظن هذا موضوعاً اهـ.

[٤٨٩] موقوف، صدره له شواهد منها ما تقدم، وعجزه واهٍ بمرة. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس، وراويته الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، ولفظ «غير ست آيات. . .» واهٍ ليس بشيء.

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٣.
(٢) سورة الأنعام: ٩١.
(٣) سورة الأنعام: ٩٢.
(٤) سورة الأنعام: ١١٤.
(٥) سورة الأنعام: ٢١.
(٦) سورة الأنعام: ١٤١.

مَكيةٌ، غَيرَ آيَتَيْنِ نَزَلَتا بالْمَدينةِ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، والتي بَعْدَها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾

فَأمّا التَّفْسيرُ، فَقالَ كَعْبٌ: فاتِحَةُ التوراة فاتِحَةُ الأنْعام، وَخاتِمَتُها خاتِمَةُ هُودٍ؛ وَإنّما ذَكَرَ السَّمواتِ وَالأرْضَ، لأنَّهما مِنْ أعْظَمِ الْمَخلوقاتِ. وَالْمُرادُ «بالجَعْلِ»: الخَلْق. وَقيلَ: إنَّ «جَعَلَ» هٰهُنا: صِلَةٌ؛ وَالْمعنىٰ: وَالظُّلماتِ. وَفي المُرادِ بالظُّلُماتِ وَالنُّورِ ثَلاثَةُ أقوالٍ: **أَحدُها**: الْكُفْرُ والإيمانُ، قالَهُ الْحَسَنُ. **والثاني**: الليلُ والنَّهارُ، قالَهُ السُّدِّيّ. **والثالِثُ**: جَميعُ الظُّلُماتِ وَالأنْوارِ. قَالَ قَتادةُ: خَلَقَ السَّمواتِ قَبْلَ الأرْضِ، والظُّلُماتِ قَبْلَ النُّورِ، والْجَنَّةَ قَبْلَ النَّارِ.

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يَعْني: الْمُشْرِكينَ بَعْدَ هٰذا الْبَيانِ ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، أيْ: يَجْعَلُونَ لَهُ عَدِيلاً، فَيَعْبُدونَ الحِجارَةَ الْمواتَ، مَعَ إقْرارِهِمْ بِأنَّهُ الخالِقُ لِما وُصِفَ. يُقالُ: عَدَلْتُ هٰذا بِهذا: إذا ساوَيْتُهُ بِهِ. قالَ أَبو عُبَيْدَةَ: هُوَ مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ، تَقْديرُهُ: يَعْدِلونَ بِرَبِّهِمْ. وَقالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: الباءُ: بِمَعْنىٰ «عَنْ».

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ يَعْني: آدمَ، وَذلكَ أنَّهُ لَمّا شَكَّ الْمُشْرِكونَ في البَعْثِ، وَقالوا: مَنْ يُحْيي هَذِهِ العِظامَ؟ أعْلَمَهُمْ أنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ طينٍ، فَهُوَ قادِرٌ عَلى إعادَةِ خَلْقِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ فيهِ سِتَّةُ أقْوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ الأجَلَ الأوَّلَ: أجَلُ الحياةِ إلى الموتِ والأجَلَ الثّاني: أجَلُ الْمَوْتِ إلى البعثِ، رُوِيَ عَنِ ابنِ عبّاسٍ، وَالحَسَنِ، وابنِ الْمُسَيِّبِ، وَقَتادَةَ، وَالضَّحّاكِ، وَمُقاتِلٍ. **والثاني**: أنَّ الأجَلَ الأوَّلَ: النَّوْمُ الذي تُقْبَضُ فيهِ الرّوحُ، ثُمَّ تَرْجِعُ في حالِ الْيَقَظَةِ؛ والأجَلَ الْمُسَمّىٰ عِنْدَهُ: أجَلُ مَوْتِ الإنْسانِ. رَواهُ العَوفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ. **والثالث**: أنَّ الأجَلَ الأوَّلَ: أجَلُ الآخِرَةِ مَتى يَأتِي، والأجَلُ الثّاني: أجَلُ الدُّنْيا، قالَهُ مُجاهِدٌ في رِوايَةٍ. **وَالرابعُ**: أنَّ الأوَّلَ: خَلَقَ الأشْياءَ في سِتَّةِ أيّامٍ، والثانِي: ما كانَ بَعْدَ ذٰلِكَ إلى يَوْمِ القيامَةِ، قالَهُ عَطاءٌ الخُراسانِيُّ. **والخامس**: أنَّ الأوَّلَ: قَضاهُ حينَ أخَذَ الميثاقَ على خَلْقِهِ، والثّاني: الحياةُ في الدنْيا، قالَهُ

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٤٨/٥: وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معناه: ثم قضىٰ أجل الحياة الدنيا **﴿وأجل مسمى عنده﴾** وهو أجل البعث عنده. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب. لأنه تعالىٰ ذكره نبّه خلقه على موضع حُجته عليهم من أنفسهم فقال لهم: أيها الناس إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياء بعد إذ كنتم طيناً جماداً، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم، وأجل مسمى عنده لإعادتكم أحياءً وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم. وذلك نظير قوله: **﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾** [البقرة: ٢٨].

ابنُ زَيْدٍ، كَأَنَّهُ يُشيرُ إلى أَجَلِ الذُّرِّية حينَ أَحْيَاهُم وَخَاطَبَهُمْ. **والسادس**: أَنَّ الأَوَّلَ: أَجَلُ مَنْ قَدْ ماتَ مِنْ قَبْلُ، والثاني: أَجَلُ مَنْ يَموتُ مِنْ بَعْدُ، ذَكَرهُ الماوَرديُّ.

قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيْ بَعْدَ هَذا البَيانِ ﴿تَمْتَرُونَ﴾ وفيه قَوْلان: **أحدهما**: تَشُكّون، قالَهُ قَتادة، والسُّدِّيُّ. وَفيما شَكّوا فيهِ قَوْلانِ: أَحَدُهُما: الوَحْدانِيَّة. والثاني: البَعْث. **والثاني**: يَخْتَلِفونَ: مَأخوذٌ مِنَ المِراءِ، ذَكَرهُ الماوَرْدِيُّ.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيه أَرْبَعَةُ أَقْوالٍ[١]: **أَحدُها**: هُوَ المَعْبودُ في السّمواتِ وفي الأرْضِ، قاله ابنُ الأنْباري. **والثاني**: وَهوَ المُنْفَرِدُ بالتَدْبيرِ في السّمواتِ وفي الأَرْضِ، قَالَهُ الزَّجّاجُ. **والثالث**: وَهُوَ اللَّهُ في السّمواتِ، وَيَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ في الأَرْضِ، قَالَهُ ابنُ جَريرٍ. **والرابع**: أَنَّهُ مُقدَّمٌ ومُؤَخَّرٌ. والمَعنى: وَهُوَ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ في السّمواتِ والأَرْضِ، ذَكَرَهُ بَعْضُ المُفَسِّرين.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ نَزَلَتْ في كُفّارِ قُرَيْشٍ. وَفي «الآيةِ» قولانِ: **أحدهما**: أنّها الآيةُ مِنَ القُرآنِ. **والثاني**: المُعجزَةُ، مِثْلَ انْشِقاقِ القَمَرِ.

والمُرادُ بالحَقِّ: القرآنُ. والأنْباءُ: الأَخْبارُ. والمَعنى: سَيَعْلَمونَ عاقِبةَ اسْتِهْزائِهِم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ القَرْنُ: اسْمُ أَهْلِ كُلِّ عَصْرٍ. وَسُمّوا بِذلِكَ، لاقْتِرانِهِمْ في الوجودِ. وَلِلْمُفَسِّرينَ في المُرادِ بالقَرْنِ سَبْعَةُ أقوالٍ[٢]:

[٤٩٠] **أحدها**: أَنَّهُ أربعونَ سَنةً، ذَكَرَهُ ابنُ سِيرينَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ.

والثاني: ثمانونَ سَنَةً، رَواهُ أبو صالحٍ عَنِ ابنِ عبّاسٍ.

---

[٤٩٠] عزاه المصنف لابن سيرين عن النبي ﷺ وهذا مرسل فهو واهٍ، ولم أقف على إسناده، وهو منكر، والمحفوظ ما بعده.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٦٠: أصح الأقوال أنه: المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقرُّ له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله، ويدعونه رغباً ورهباً، إلا من كفر من الجن والإنس. وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالىٰ: **﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾** أي: هو إله من في السماء وإله من في الأرض وعلى هذا فيكون قوله **﴿يعلم سركم وجهركم﴾** خبراً أو حالاً.

(٢) الراجح من هذه الأقوال هو القول الثالث: حيث ورد مرفوعاً وهو حديث قوي.

[٤٩١] **والثالث**: مائةُ سَنَةٍ، قَالهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ بُسْر[1] المازِنيّ وَأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمٰنِ.

والرابع: مائةٌ وعُشرونَ سَنَةً، قَالَهُ زُرارةُ بنُ أوْفَى، وإياسُ بنُ مُعاويَةَ. **والخامس**: عُشرونَ سَنَةً، حَكَاهُ الحَسَنُ البَصْرِيّ. **والسادس**: سَبعونَ سَنَةً، ذَكَرَهُ الفَرَّاءُ. **والسابع**: أَنَّ القَرْنَ: أَهْلُ كلِّ مُدَّةٍ كانَ فيها نَبيٌّ، أَوْ طَبَقَةٌ مِنَ العُلماءِ، قلَّتِ السِّنونُ، أو كَثُرَتْ؛ بِدليلِ قَوْله ﷺ:

[٤٩٢] «خَيْرُكُم قَرْنِي» يَعْني: أَصْحابي «ثُمَّ الذين يَلُونَهُم» يعني: التّابعينَ «ثُمَّ الذين يَلُونَهُم» يعني: الذينَ أَخَذوا عن التّابعينَ. فالقَرْنُ: مِقدارُ التوسُّطِ في أَعْمارِ أَهْلِ الزّمانِ؛ فَهُوَ في كلِّ قَوْمٍ على مِقدارِ أعْمالِهِم.

واشْتِقاقُ القَرْنِ: مِنَ الاقْتِرانِ. وفي معنى ذلك الاقْتِران قَوْلان: **أحدهما**: أَنَّهُ سُمّي قَرْناً، لأنّه المِقْدارُ الذي هُوَ أَكْثَرُ ما يَقْتَرِنُ فيه أَهْلُ ذلك الزّمانِ في بَقائِهِم. هٰذا اختيارُ الزَّجّاجِ. **والثاني**: أنه سُمّي قَرْناً، لأنه يَقْرِنُ زَماناً بزمانٍ، وأُمَّةً بأمَّةٍ، قاله ابنُ الأنْبارِيّ. وحَكَىٰ ابنُ قُتَيْبَةَ عَنْ أبي عُبَيْدَةَ قال: يَرَوْنَ أنّ أَقَلَّ ما بَيْنَ القَرْنَيْنِ: ثلاثون سَنَةً.

قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عبّاسٍ: أَعْطَيْناهم مَا لَم نُعْطِكُمْ. يقال: مكَّنته ومكَّنتُ له: إذا أَقْدَرْتُهُ على الشَّيءِ بإعْطاءِ ما يَصِحُّ به الفِعْلُ مِنَ العِدَةِ. وفي هذه الآية رُجوعٌ مِنَ الخَبَرِ إلى الخِطابِ. فأمّا السّماءُ: فالمُرادُ بِها المَطَرُ. وَمَعْنى «أرسلنا»: أَنْزَلْنا. و «المِدْرار»: مِفْعالٌ، مِن دَرَّ يَدِرُّ؛ والمعنى: نُرْسِلُهَا كَثيرةَ الدَّرِّ. ومِفعالٌ: مِن أَسْماءِ المُبالَغَةِ، كَقَوْلِهِم: امْرَأَةٌ مِذْكارٌ: إذا كانت كثيرةَ الوِلادةِ لِلذُّكورِ، وكَذلِكَ مِئناث. فإنْ قِيل: السَّماءُ مُؤنَّثَةٌ، فَلِمَ ذَكَّرَ مِدراراً؟! فالجوابُ: أَنَّ حُكْمَ ما انْعَدَلَ مِنَ النعوتِ عَن مِنهاجِ الفِعْلِ وَبنائِهِ، أَنْ يَلْزَمَ التَّذْكيرُ في كُلِّ حالٍ، سَواءٌ كانَ وَصْفاً لِمُذَكَّرٍ أَوْ مُؤنَّثٍ؛ كَقَوْلِهِم: امرأةٌ مِذْكارٌ، ومِعطارٌ؛ وامرأةٌ مُذَكَّرٌ، ومُؤنَّثٌ: وهِيَ كَفُورٌ، وَشَكورٌ. وَلو

---

[٤٩١] ورد ذلك مرفوعاً وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٣٢٣ و «الصغير» ١/ ٢١٦ قال: قال داود بن رشيد حدثنا أبو حيوة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي ﷺ قال: «يعيش هذا الغلام قرناً»، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بأتم منه وقال رواه الطبراني والبزار باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليدركن قرناً» ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.

وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت أصبعي عليها فقال: وضع رسول الله ﷺ إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرناً» أخرجه أحمد ٤/ ١٨٩ والطبراني كما في «المجمع» ١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر «الإصابة» ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ (٤٥٦٥).

الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

[٤٩٢] حديث صحيح. لكن لفظ «يعني...» ليس من الحديث. أخرجه البخاري ٢٦٥١ و ٣٦٥٠ و ٦٤٢٨ و ٦٦٩٥ ومسلم ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٣٥ وأبو داود ٤٦٥٧، والترمذي ٢٢٢٢ والنسائي ٧/ ١٧ و ١٨، والطيالسي ٨٥٢ وأحمد ٤/ ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٤٠ وابن حبان ٦٧٢٩. والبيهقي ١٠/ ١٢٣ و ١٦٠ وفي «الدلائل» ٦/ ٥٥٢. من حديث عمران بن حصين. وله شواهد.

---

(١) وقع في المطبوع «بشر» والمثبت عن كتب الحديث والتراجم.

بُنيتْ هذه الأوصافُ على الفِعْلِ، لقيلَ: كافِرَةٌ، وشاكِرَةٌ، ومُذْكِرَة؛ فلمّا عَدَلَ عَن بناءِ الفِعْلِ، جَرَى مَجْرى ما يَسْتَغْني بقِيامِ مَعْنى التأنيثِ فِيهِ عَنِ العلامةِ؛ كَقَوْلِهم: النّعلَ لَبستُها، والفأسَ كَسرتُها، وكأنَّ إيثارَهُم التَّذكيرَ لِلفَرْقِ بَيْنَ المَبْنيّ على الفِعْلِ، والمَعْدولِ عَنْ مِثْلِ الأفاعيلِ. والمُرادُ بالمِدرار: المبالَغَةُ في اتّصالِ المَطَرِ وَدَوامِهِ؛ يَعْني: أنّها تَدِرُّ وَقْتَ الحاجَةِ إِلَيْها؛ لا أنّها تَدوم لَيلاً ونَهاراً، فَتُفسِدَ، ذَكَرَهُ ابنُ الأنْبارِيّ.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾.

[٤٩٣] سَبَبُ نُزولِها: أنَّ مُشْرِكيّ مَكّةَ قالوا: يا محمَّدُ، واللّهِ لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حتى تَأْتِيَنا بكِتابٍ مِن عِنْدِ اللّهِ، وَمَعَهُ أرْبَعَةٌ مِنَ الملائكةِ، يَشْهدونَ أنّه مِن عِندِ اللّهِ، وأنّكَ رَسولُهُ، فَنَزَلَتْ هذه الآيَة، قالَهُ ابنُ السّائِبِ.

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: وَالقِرْطاسُ: الصَّحيفَةُ، يُقالُ للرّامي إذا أصابَ الصَّحيفةَ: قَرْطَسَ. قَالَ شَيْخُنا أبو مَنصورٍ اللُّغَويّ: القِرْطاسُ قَدْ تَكلَّموا به قَديماً. وَيُقالُ: إنَّ أَصلَه غَيْر عَرَبيٍّ. والجُمْهورُ على كَسْرِ قَافِهِ، وَضَمَّها أبو رَزينٍ، وعِكْرِمَةُ، وَطَلْحَةُ، وَيَحْيى بنُ يَعْمَرَ.

فأما قوله تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فَهُوَ تَوكيدٌ لِنُزولِهِ، وقيلَ: إنّما عَلَّقَهُ باللَّمْسِ باليَد إبعاداً لَهُ عَنِ السِّحْرِ، لأنَّ السِّحْرَ يُتَخَيَّلُ في المَرْئياتِ دونَ المَلْموساتِ. وَمَعْنى الآيَة: إنَّهُمْ يَدْفَعونَ الصَّحيحَ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قال مُقاتِلٌ:

[٤٩٤] نَزَلَتْ في النَّضرِ بْنِ الحارِثِ، وَعَبْدِ الله بنِ أبي أُمَيَّةَ، وَنَوْفَلِ بْنِ خُوَيلدٍ.

و «لولا» بِمَعْنى «هلاّ» ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ نُصَدِّقُهُ: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ فَعَايَنوهُ وَلَمْ يُؤمِنوا، ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ وفيه ثَلاثَةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَنَّ المَعْنى: لَماتُوا، وَلَمْ يُؤَخَّروا طَرْفَةَ عَيْنٍ لِتَوْبَةٍ، قَالَهُ ابنُ عَبّاسٍ. **والثاني**: لقامَتِ السّاعَةُ، قاله عِكْرِمَةُ، ومُجاهِدٌ. **والثالث**: لَعَجِّلَ لَهُمُ العَذابَ، قَالَهُ قَتادَةُ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾

---

[٤٩٣] لا أصل له. عزاه المصنف لابن السائب، وهو محمد بن السائب الكلبي، وهو ساقط الرواية، ممن يضع الحديث. وعزاه البغوي ٢/ ١١٠ للكلبي ومقاتل، ومقاتل أيضاً يضع الحديث. وانظر «أسباب النزول» ٤٢٢ للواحدي.

[٤٩٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيث أطلق وهو كذاب؛ وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٣/ ٨ عن محمد بن إسحق قال: دعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام وكلمهم فأبلغ إليهم، فيما بلغني، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث بن كلدة وعبدة بن عبد يغوث، وأبي بن خلف بن وهب والعاص بن وائل بن هشام: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فأنزل الله في ذلك من قولهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أيْ: وَلَوْ جَعَلْنا الرَّسولَ إليهم مَلَكاً، لَجعَلْناهُ في صُورَةِ رَجُلٍ، لأنَّهُمْ لا يَسْتطيعونَ رُؤْيَةَ المَلَكِ على صُورَتِهِ، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ أيْ: لَشَبَّهْنا عَلَيْهِم. يُقالُ: أَلْبَسْتُ الأمرَ على القَومِ، أُلْبِسُهُ؛ أيْ: شَبَّهْتُهُ عَلَيْهِم، وأشْكَلْتُهُ. والمَعنى: لَخلَطْنا عَلَيهِم ما يَخْلِطونَ على أنْفُسِهِم حتّى يَشُكّوا، فلا يَدْرونَ أَمَلَكٌ هو أم آدميٌّ؟ فَأَضْلَلْناهُمْ بما بِهِ ضَلّوا قَبْلَ أنْ يُبْعَثَ المَلَكُ. وقالَ الزَّجّاجُ: كانوا يُلبسون على ضَعفَتِهِم في أَمْرِ النَّبي ﷺ، فيقولون: إنّما هَذا بَشَرٌ مِثْلُكم؛ فقال تعالى: لَوْ رَأوا المَلَكَ رَجُلاً، لَكانَ يَلْحَقُهُم فِيهِ مِنَ اللَّبْسِ مِثْلُ ما لَحِقَ ضَعَفَتَهُم مِنْهُ. وَقَرَأَ الزُّهْرِيّ، ومُعاذٌ القارئ، وأبو رَجاء: «وللبّسنا»، بالتّشديدِ، «عليهم ما يلبّسون»، مُشَدّدةً أيضاً.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟﴾ أيْ: أَحاطَ. قالَ الزَّجاج: الحَيْقُ في اللغة: ما اشتَمَلَ على الإنسان من مَكروهٍ فِعْلُهُ، ومنه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[1]؛ أيْ: لا تَرْجِعُ عاقِبَةُ مَكْروهِهِ إلاّ عَلَيْهم. قال السُّدّيّ: وَقَعَ بِهِمُ العذابُ الّذي اسْتَهْزؤوا بِهِ.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلاّ فـ ﴿قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال ابنُ عبّاس: قَضى لِنَفْسِهِ أنّه أرْحَمُ الراحمينَ. قال الزَّجّاج: ومعنى كَتَبَ: أَوْجَبَ ذلكَ إيجاباً مُؤَكّداً، وجائزٌ أنْ يكونَ كَتَبَ في اللّوحِ المَحْفوظِ؛ وإنّما خُوطِبَ الخَلْقُ بما يَعْقِلونَ، فَهُم يَعْقلونَ أنّ تَوْكيدَ الشّيءِ المؤخّرِ أنْ يُحْفَظَ بالكِتابِ. وقالَ غَيْرُهُ: رَحْمَتُهُ عامّةٌ؛ فَمِنها تَأْخيرُ العَذابِ عَنْ مُسْتَحِقِه، وقبولِ تَوْبَةِ العاصي.

قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ اللّام: لامُ القَسَم. كأنّه قال: وَاللهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى اليوم الذي أَنْكَرْتُموهُ. وذَهَبَ قَوْمٌ إلى أنّ «إلى» بمعنى: «في» ثم اخْتَلفوا، فقال قومٌ: في يومِ القيامةِ. وقالَ آخرونَ: في قُبورِكُم إلى يَوم القيامَةِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أيْ: بالشِّرْكِ، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، لِما سَبَقَ فيهم مِنَ القَضاءِ. وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ مَرْدودٌ إلى قولِه: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذينَ خَسِروا.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

(١) سورة فاطر: ٤٣.

[٤٩٥] سَبَبُ نُزولِها أَنَّ كُفارَ مَكَّةَ قالوا للنبي ﷺ: قَدْ عَلِمنا أنه إنَّما يَحْمِلُكَ على ما تَدعونا إِليهِ الحاجَةُ؛ فَنَحْنُ نَجْعَلُ لَكَ نَصيباً في أَموالِنا حتّى تَكونَ مِنْ أَغنانا رَجلاً، وتَرْجِعَ عمّا أَنتَ عَليه، فنزلت هذه الآيَة، قالَهُ ابنُ عبّاسٍ.

وفي معنى «سَكَنَ» قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ السُّكْنى. قال ابنُ الأَعْرابي: «سَكَنَ» بمعنى حَلَّ. **والثاني**: أنه مِنَ السّكونِ الّذي يُضادّ الحَرَكَة. قال مُقاتِلٌ: مِن المَخْلوقاتِ ما يَسْتَقِرُّ بالنّهارِ، وَيَنْتَشِرُ بالليل؛ ومِنْها ما يَسْتَقِرُّ باللّيلِ، وَيَنْتَشِرُ بالنّهار. فإنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ السّكونَ بالذِّكْرِ دونَ الحَرَكَةِ؟ فعنْهُ ثلاثة أَجْوِبَةٍ: **أحدها**: أنّ السكونَ أَعَمُّ وُجوداً مِنَ الحَرَكَةِ. **والثاني**: أنّ كُلَّ مُتَحرِّكٍ قَدْ يَسْكُن، وَليس كُلُّ ساكِنٍ يَتَحرَّك. **والثالث**: أنّ في الآيَةِ إِضماراً؛ والمعنى: وَلَهُ ما سَكَنَ وَتَحرّك؛ كقوله تعالى ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[1] أراد: والبرد؛ فاخْتَصَرَ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾.

[٤٩٦] ذكر مُقاتلٌ أن سبب نزولها، أنَّ كفّار قريش قالوا: يا محمدُ، ألا ترجع إلى دِين آبائك؟ فنزلت هذه الآيةُ. وهذا الاستفهامُ معناه الإنكار؛ أي: لا أَتّخذ وَليّاً غير الله أَتولاّه، وأعبده، وأستعينه.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الجُمْهورُ على كسر رَاءِ «فاطر». وقَرَأَ ابنُ أبي عَبْلَة برفعها. قال أَبو عُبَيْدَةَ: الفاطرُ، مَعناهُ: الخالِقُ. وقالَ ابنُ قُتَيبَةَ: المُبْتَدِئ.

[٤٩٧] ومنهُ «كل مولود يولد على الفطرة» أي: على ابتِداءِ الخِلقةِ، وهو الإِقْرارُ بالله حِينَ أَخَذ العَهدَ عَليهِمْ فيْ أَصلابِ آبائِهِمْ. وقال ابنُ عَباسٍ: كنتُ لا أدرِيْ ما فَاطِرُ السَّمواتِ والأرضِ، حتى أَتاني أعرابيانِ يختصمانِ في بئرٍ؛ فقالَ أَحدهما: أنا فَطرتُها، أيْ: أنا ابتدأتُها. قال الزَّجاجُ: إِنْ قيلَ: كيفَ يكونُ الفطرُ بمعنى الخلْقِ؛ والانفطارُ الانشقاقُ فيْ قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾[2] فالجوابُ: إِنَما يرجعانِ إِلى شَيءٍ واحِدٍ، لأنَّ معنىٰ «فَطَرَهُمَا»: خَلقهما خَلقاً قَاطعاً. والانْفطارُ، والفُطورُ: تقطُّعٌ وتشقُّقٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ قرأ الجُمْهورُ بضمّ الياءِ مِنَ الثّانيْ؛ ومعناهُ: وهو يَرزُقُ ولا

---

[٤٩٥] باطل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٢٣ من رواية الكلبي عن ابن عباس. وهذه رواية ساقطة، الكلبي متروك كذاب. وقد روى عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً.

[٤٩٦] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره لا شيء.

[٤٩٧] حديث صحيح. أخرجه البخاري ١٣٥٨ و ١٣٨٥ و ١٣٥٩. ومسلم ٢٦٥٨ ٢٣٨٠، وأبو داود ٤٧٠٥ و ٤٧٠٦ والترمذي ٣١٥٠، والطيالسي ٢٤٣٣ وأحمد ٢/٢٥٣ و ٢٨٢ و ٣٤٦ و ٤٨١. وابن حبان ١٢٨ و ١٢٩ من حديث أبي هريرة، وله شواهد.

---

(١) سورة النحل: ٨١. (٢) سورة الانفطار: ١.

يُرْزَقُ، لأنَ بعضَ العَبيدِ يَرزقُ مولاهُ. وقرأ عِكْرمَةُ والأعْمَشُ «ولا يَطعم» بفتحِ الياءِ. قالَ الزَّجاجُ: وهذا الاختيارُ عندَ البُصراءِ بالعربيةِ، ومعناه: وهو يَرزق ويُطْعِمُ ولا يأكُلُ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ﴾ أي: أولُ مُسْلم مِن هذهِ الأمَّةِ؛ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ قالَ الأخْفَشُ: معناهُ: وقيلَ لِي: لا تَكونَن، فصارتْ: أُمِرْتُ، بدلاً مِنْ ذلكَ؛ لأنهُ حينَ قالَ: أمِرتُ، قَدْ أَخْبَرَ أنَهُ قِيلَ لَهُ.

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ زَعَمَ بعضُ المُفسِّرينَ أنَّهُ كانَ يَجبُ عليهِ أنْ يَخافَ عاقبةَ الذُّنُوبِ، ثُمَّ نَسخَ ذَلكَ بِقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١)، والصَّحِيحُ أنَّ الآيتينِ خبرٌ، والخبرُ لا يَدْخلُهُ النسْخُ، وإنَّما هوَ مُعلَّقٌ بِشَرطٍ، ومِثْلُهُ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾(٢).

﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ﴾ قَرأ ابنُ كَثِيرٍ ونَافِعٍ وأَبُو عَمْرٍو وابنُ عامرٍ وحَفصٌ عن عَاصِمٍ ﴿مَّن يُصۡرَفۡ﴾ بضَمِّ الياءِ وفتحِ الرَّاءِ، يَعنونَ: العَذابَ. وقرأَ حَمْزَةُ والكِسائيّ وأبو بَكْرٍ عنْ عَاصِمٍ «يَصْرِفْ» بفتحِ الياءِ وكسرِ الرَّاءِ؛ الضَّميرُ قَولُهُ: ﴿إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾؛ ومِمَّا يحسِّنُ هذه القِراءَةَ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥ﴾، فقدِ اتَّفقَ إسنادُ الضَّميرَينِ إلى اسمِ اللَّهِ عزَّ وجلّ، ويَعني بقولِه: يصرف العَذابَ ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾، يعنيْ: يومَ القيامةِ، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يَعني: صرفَ العذابِ.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾

قولهُ تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ الضرُ: اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يتضرَّرُ بهِ الإنسانُ، من فقرٍ ومرضٍ وغيرِ ذلكَ؛ والخيرُ: اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يَنتفعُ بهِ الإنسانُ. وللمُفسرينَ فيَ الضَّرِ والخيرِ قولان: **أحدهما**: أنَّ الضَّر السُّقمُ؛ والخير: العَافيةُ. **والثاني**: أنَّ الضَّرَّ: الفقرُ، والخَيرَ: الغِنَى.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾

قولهُ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ القَاهِرُ: الغَالبُ، والقَهرُ: الغَلبَةُ. والمَعنى: أنَّهُ قَهرَ الخلقَ فَصرفهم على ما أرادَ طَوعاً وكَرهاً؛ فهوَ المُستعليَ عليهِمْ، وهُمْ تَحتَ التَّسخيرِ والتَذليلِ.

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩﴾

قولهُ تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾.

---

(١) سورة الفتح: ٣. (٢) سورة الزمر: ٦٦.

[٤٩٨] سَبَبُ نزولِها: أنَّ رُؤساءَ مكَّةَ أتَوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فقالُوا: يا مُحمدُ، ما نَرى أحداً يُصدِّقُك بما تَقولُ، ولقَدْ سألنا عنكَ اليهودَ والنصارَى، فَزعموا أنَّهُ لَيس لَكَ عِندَهُم ذِكرٌ ولا صِفَةٌ، فأرِنا مَنْ يَشهَدُ أنَّكَ رَسولُ اللَّهِ؛ فنزلَتْ هذه الآيةُ؛ رَواه أبو صالِحٍ عَنِ ابنِ عبّاسٍ.

ومَعنى الآيةِ: قُل لِقُرَيْش: أيّ شَيءٍ أعظَمُ شَهادةً؟ فإنْ أجابوك، وإلاّ فَقُلْ: اللَّهُ، وَهُوَ شَهيدٌ بيني وَبيْنكُم عَلى ما أقولُ. وَقالَ الزَّجاجُ: أمْرَهُ اللَّهُ تعالى أنْ يَحتجَّ عَلَيْهِمْ بِأنَّ شَهادةَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في نُبُوّته أكْبَرُ شَهادةً، وأنَّ القُرآنَ الذي أتى بِهِ، يَشْهَدُ لَهُ أنّه رَسولُ اللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ ففي الإنْذارِ به دَليلٌ على نُبوّتِهِ، لأنه لَمْ يأتِ أحَدٌ بِمثْلِهِ، ولا يأتي؛ وفيه خَبَرُ ما كانَ وما يكونُ؛ وَوَعَدَ فيهِ بأشياءَ، فَكانَتْ كَما قالَ. وَقرأَ عِكْرِمَةُ، وابنُ السَّمَيْفَعِ، والجَحْدريّ «وأوحى إليَّ» بِفَتْحِ الهَمْزَةِ والحَاءِ «القرآن» بالنَّصْبِ؛ فأمّا «الإنذار»، فمعناهُ: التَّخْويفُ، ومَعنى ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ أيّ: مَنْ بَلَغَ إليهِ هذا القرآنُ، فإني نَذيرٌ لَه. قال القُرَظِيّ: مَنْ بَلَغَهُ القرآنُ فكأنّما رَأى النبي ﷺ، وكَلَّمه.

[٤٩٩] وقال أنَسُ بنُ مالِكٍ: لمّا نَزَلَتْ هَذِه الآية، كَتَبَ رسولُ الله ﷺ إلى كِسْرى وَقَيْصَرَ وَكُلِّ جَبّارٍ يَدْعوهُمْ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ﴾ هذا اسْتفهامٌ مَعناهُ الإنْكارُ عَليهم. قالَ الفَرّاءُ: وإنّما قالَ: «أُخرى» وَلَمْ يَقُلْ: «آخر» لأنَّ الآلِهَةَ جَمْعٌ؛ والجَمْعُ يقعُ عليه التأنيثُ، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]. وقال: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾[2].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، في الكتابِ قولان: **أحدهما**: أنَّهُ التَّوراةُ والإنْجيل؛ وهذا قولُ الجُمهور. **والثاني**: أنه القرآنُ.

وفي هاءِ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنّها تَرْجِعُ إلى النَّبيّ ﷺ، قَاله السُّدّيّ.

[٥٠٠] وَرُويَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّهُ قالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَم: إن اللَّه قَدْ أنْزَلَ على نَبيّهِ بِمَكّةَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾، فَكَيْفَ هٰذه المَعْرفةُ؟ فقالَ: لَقد عَرَفْتُه حينَ رَأيْتُهُ كما أعْرِفُ ابْني، ولأنَا أشَدُّ مَعْرِفَةً بِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنّي بابْني. فَقَالَ عُمَرُ: وَكَيْفَ ذاكَ؟ فَقالَ: إنّي أشْهَدُ أنه رَسولُ اللَّهِ حقاً، وَلا أدْري ما يَصْنَعُ النساءُ[3].

---

[٤٩٨] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس وراويته هو الكلبي وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٢٤ عن الكلبي والكلبي ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

[٤٩٩] باطل، عزاه السيوطي في «الدر» ٣/ ١٢ ـ ١٣ لأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس، ولم أقف على إسناده وهو باطل لتفردهما به، ولأن السورة مكية وقد كتب النبي ﷺ إلى الملوك في العهد المدني وليس في مكة.

[٥٠٠] عزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٢٧١ للثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس وهي رواية ساقطة. السدي هذا متروك متهم، والكلبي يضع الحديث. وورد من وجوه أخر واهية، لا تقوم بها حجة.

---

(١) سورة الأعراف: ١٨١. (٢) سورة طه: ٥٢.

(٣) أي ما أحدث النساء، فلعل الولد ليس من زوج المرأة.

والثاني: أنها تَرجعُ إلى الدّينِ والنّبي. فالمَعْنى: يَعرفونَ الإسْلامَ أنه دِينُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأنَّ محمداً رسولُ اللّهِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنها تَرْجِعُ إلى القرآنِ. فَالمعنى: يَعْرِفونَ الكِتابَ الدالَ على صِدْقِهِ؛ ذَكَرَهُ الماوَرْدِيّ.

وفي ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم مُشْركو مَكّة. **والثاني**: كُفّارُ أَهْلِ الكِتابَيْنِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أيْ: اخْتلَقَ على اللّهِ الكَذِبَ في ادّعاءِ شريكٍ مَعَهُ. وفي «آياته» قولان: **أحدهما**: أنّها مُحَمّدٌ والقرآنَ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثاني**: القرآنُ، قاله مُقاتِلٌ. والمُرادُ بالظُّلْمِ المَذْكورِ في هٰذِه الآيةِ: الشِّرْك.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ انْتصَبَ «اليوم» بِمَحْذوفٍ تَقْديرهُ: وَاذْكُرْ يَوْمَ نَحْشُرُهم. قالَ ابنُ جَريرٍ: والمعْنى: لا يُفْلِحونَ اليَوْمَ، ولا يَوْمَ نَحْشُرُهُم. وقَرأَ يَعْقوبُ: «يحشرهم» «ثم يقول» بالياءِ فيهما. وفي الذينَ عَنى قولان: **أحدهما**: المُسلمونَ والمُشْركونَ. **والثاني**: العابِدونَ والمَعْبودونَ. وقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ سُؤالُ تَوْبيخ. والمُرادُ بِشُركائِهِم: الأَوْثانُ؛ وإنّما أَضافَها إليهم لأَنَّهُمْ زعَموا أنّها شُرَكاءُ لله. وفي معنى ﴿تَزْعُمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يَزعمُونَ أَنَّهُمْ شُركاءُ مَعَ اللّهِ. **والثاني**: يَزْعُمونَ أنها تَشْفَعُ لَهُمْ.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامِرٍ، وَحفْصٍ عَنْ عاصم: «ثم لم تكن» بالتّاء، «فتنتُهم» بالرَّفْعِ. وقَرأَ نافِعٌ، وَأبو عَمْرو، وأبو بَكْرٍ عَنْ عاصم: «تكن» بالتّاء أيضاً، «فتنتَهم» بالنّصبِ؛ وقَدْ رُويَتْ عَنِ ابنِ كَثيرٍ أيضاً. وقرأَ حَمْزَةُ، والكِسائِيّ: «يكنْ» بالياء، «فتنتَهم» بالنّصب. وفي «الفتنة» أربعة أقوال[1]: **أحدها**: أنّها بِمَعنى الكلام والقَوْلِ. قالَ ابنُ عبّاسٍ، والضَّحّاكُ: لَمْ يَكُنْ كَلامُهُم. **والثاني**: أنّها المَعْذِرَةُ. قالَ قَتادةُ، وابنُ زَيْدٍ: لَمْ تَكُنْ مَعْذِرَتُهُمْ. قالَ ابنُ الأَنْبارِيّ: فالمَعْنى: اعْتَذَروا بما هُوَ مُهْلِكٌ لَهم، وَسَببٌ لِفَضيحَتِهِم. **والثالث**: أنّها بِمعْنى البليّة. قالَ عَطاءُ الخُراسانِيّ: لَمْ تَكُنْ بَليَّتَهُمْ. وقالَ أبو عُبَيْد: لَمْ تَكُنْ بَليَّتَهُمُ الّتي أَلْزَمَتْهُم الحُجّة، وَزادَتْهم لائِمَة. **والرابع**: أنها بِمعنى الافتِتان. والمعنى: لمْ تكن عاقبة فتنتهم.

قَالَ الزَّجّاجُ: لَمْ يَكُنْ افْتِتانهُمْ بِشِرْكِهِمْ، وإِقامَتِهِمْ عَلَيهِ، إلا أنْ تبرؤوا مِنْهُ. وَمَثلُ ذٰلك في اللغةِ

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/١٦٦ والصواب من القول في ذلك أن يقال: معناه: ثم لم يكن قبلهم عند فتنتنا إياهم اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله، ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين﴾ فوصفت «الفتنة» موضع «القول» لمعرفة السامعين معنى الكلام. وإنما الفتنة التي هي الاختبار والابتلاء ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار، وضعت «الفتنة» التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم ا.هـ.

أنْ تَرى إنساناً يُحبُّ غاوياً، فإذا وَقَعَ في هَلَكَةٍ تَبرّأ منه؛ فيقولُ: ما كانتْ مَحبّتُكَ لِفُلانٍ إلاّ أن انْتَفَيْتَ مِنه. قالَ: وهذا تأويلٌ لطيفٌ، لا يَعرِفُهُ إلاّ مَنْ عَرَفَ مَعانِيَ الكَلام، وتصرُّفَ العربِ في ذلك. وقالَ ابنُ الأنباري: المعنى: أنّهم افْتَتَنوا بِقولِهم هذا، إذْ كَذَبوا فيه، ونفَوا عَنْ أنْفُسِهِم ما كانوا معروفين بهِ في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قَرَأَ ابنُ كثيرٍ، وَنافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: «واللهِ ربنا» بكسر الباء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: بِنَصْبِ الباءِ. وفي هؤلاء القومِ الذين هذا وَصْفُهُمْ قَوْلان[1]: **أحدهما**: أَنَّهُمُ المُشرِكونَ. **والثاني**: المُنافِقونَ.

ومَتى يَحْلِفونَ؟ فيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: إذا رَأوا أنّه لا يَدْخُلِ الجنّةَ إلاّ مَنْ كانَ مُسلِماً، قالوا: تعالَوا نُكابِر عَنْ شِرْكِنا، فَحَلَفوا، قالَهُ ابنُ عبّاسٍ. **والثاني**: أنَّهُمْ إذا دَخَلُوا النّارَ، ورَأَوْا أهْلَ التَّوْحِيدِ يَخْرُجونَ، فَحَلَفوا واعتذروا، قَالَهُ سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجاهِدٌ. **والثالث**: أَنَّهُمْ إذا سُئِلوا: أينَ شُرَكاؤُكُمْ؟ تَبَرّؤوا، وحَلَفوا: ما كُنا مُشْرِكينَ، قالَهُ مُقاتِلٌ.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ﴾ أيْ: باعْتِذارِهِمْ بالْباطِلِ. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أيْ: ذَهَبَ ما كانوا يدّعُونَ وَيَخْتَلِقونَ مِنْ أَنَّ الأصنامَ شُرَكاءُ لله، وشُفَعاؤهم في الآخرة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ﴾.

[٥٠١] سَبَبُ نُزولِها: أنّ نَفَراً مِنَ الْمُشركينَ، مِنهُمْ عُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، والنَّضرُ بْنُ الحارث، وأُميّةُ وأُبيٌّ ابنا خَلَفٍ، جَلَسُوا إلى رسولِ الله ﷺ، واسْتَمَعوا إليه، ثُمَّ قالوا للنَّضرِ بنِ الحارثِ: ما يَقولُ مُحَمَّدٌ؟ فقالَ: والّذي جَعَلَها بَنِيَّةً، ما أدري ما يقولُ؟ إلاّ أنّي أرَى تَحرُّكَ شَفَتيه، وما يقولُ إلاّ أساطيرَ الأوّلينَ، مِثْلَما كُنْتُ أُحدِّثُكم عَنِ القُرونِ الماضيةِ؛ وكانَ النَّضرُ كَثيرَ الحَديثِ عَنِ القرونِ الأولى، فنزلت هذه الآيَة، رواه أبو صالحٍ عَنِ ابنِ عبّاسٍ.

فأمّا «الأكنّة»، فقالَ الزّجّاج: هِي جَمْعُ كِنانٍ، وهُوَ الغِطاءُ؛ مِثْلُ عِنانٍ وأعِنَّة.

---

[٥٠١] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٢٥. تعليقاً بقوله: قال ابن عباس في رواية أبي صالح... فذكره فهذه علة وثَمَّ علة ثانية: أبو صالح، اسمه باذام ضعفه غير واحد، ولم يلق ابن عباس وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦١ بقوله: نزلت. من غير عزو لقائل.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير، ٢/ ١٦٤: وقال الضحاك عن ابن عباس: هذه في المنافقين، وفي هذا نظر فإن هذه الآية مكية والمنافقون إنما كانوا بالمدينة والتي نزلت في المنافقين آية المجادلة **﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾**..

وأمّا: «أن يفقهوه»، فَمَنصوبٌ على أنَّهُ مفعول لَهُ. المعنى: وَجَعَلْنا على قُلوبهم أَكِنَّة لِكراهةِ أنْ يَفْقهوهُ، فَلَمّا حُذِفَتِ اللّامُ، نُصِبَتِ الكراهَةُ؛ وَلَمّا حُذِفَتِ الكَرَاهَةُ، انْتَقَلَ نَصْبُها إلى «أنْ».

«الوقر»: ثِقَلُ السَّمْعِ، يُقالُ: في أُذُنِهِ وقْرٌ، وقَد وقُرتِ الأذن، تُوْقَر. قال الشاعر:

وكَــلامٌ سَــيِّــئٌ قَــد وُقِــرَتْ أُذُنـي عَـنـه ومـا بـي مـن صَـمَـمْ[1]

والوِقْرُ، بكسر الواو؛ أن يُحَمَّل البَعيرُ وَغَيرُه مِقْدارَ ما يُطيقُ، يقالُ: عليه وِقْر، ويقال: نَخْلة موقِر، وموقِرة، وإنّما فُعِلَ ذٰلك بِهِمْ مُجازاةً لَهُمْ بإقامَتِهِم على كُفرِهم، وَلَيْسَ المعنى أَنَّهُم لَمْ يَفْهَموه، ولَمْ يَسْمَعوهُ؛ ولكنَّهُم لَمّا عَدَلوا عَنْهُ، وَصَرفوا فِكرَهُمْ عَمّا عَلَيْهِم في سُوءِ العاقِبَةِ، كانوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ ولَمْ يَسْمَعْ. ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ﴾ أي: كُلَّ عَلامَةٍ تَدلُّ على رِسالَتِكَ، ﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾. ثُمَّ أَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِقْدارَ احْتِجاجِهِمْ وَجَدَلِهِمْ، وأَنَّهُمْ إنّما يَسْتَعْمِلونَ في الاحْتِجاجِ أنْ يقولوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾، أيْ: ما هذا ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وفيها قولان:

أحدهما: أَنها ما سُطِّرَ مِنْ أَخْبارِهِمْ وأَحاديثِهِمْ. رَوى أبو صالح عن ابنِ عَبّاسٍ قال: أساطيرُ الأَوَّلين: كِذْبهُم، وأحاديثهم في دَهْرِهِم. وقالَ أبو الحَسَنِ الأَخْفَشُ: يَزْعُمُ بَعْضُهُم أنَّ واحدَةَ الأساطيرِ: أُسْطورةٌ. وقالَ بَعْضُهُمْ: أَسْطارَة؛ ولا أَراهُ إلاّ مِن الجَمْعِ الّذي لَيْسَ لَهُ واحِدٌ، نَحْوَ عَباديدَ ومَذاكيرُ، وأَبابيلُ. وقالَ ابنُ قُتَيبَةَ: أساطيرُ الأَوَّلينَ: أَخْبارُهُمْ وَمَا سُطِرَ مِنها، أَيْ: ما كُتِبَ، ومِنْهُ قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[2] أيْ: يَكْتُبون، واحدها سَطْر، ثم أَسْطار، ثم أساطير جَمْعُ الجمعِ، مِثْلُ قَوْل، وأقوال، وأقاويل.

والقول الثاني: أنّ معنى أَساطيرُ الأوّلين: التُّرَّهات. قال أبو عُبَيْدَة: وَاحِدُ الأساطير: أُسْطورة، وإسْطارَة، ومَجازُها مَجازُ التُّرَّهاتِ. قالَ ابنُ الأنباريّ: التُّرَّهاتُ عِنْدَ العَرب: طُرُقٌ غامِضَةٌ، وَمسالِكُ مُشْكِلَةٌ، يقولُ قائِلُهُم: قَدْ أَخَذْنا في تُرَّهاتِ البَسابِسِ، يَعني: قَدْ عَدَلْنا عَنِ الطّريق الواضِح إلى المُشْكِلِ؛ وعَمّا يُعْرَفُ إلى ما لا يُعْرَفُ. و «البَسابِس»: الصّحاري الواسِعَة، والتُّرَّهات: طُرُقٌ تَتَشَعَّبُ مِن الطريقِ الأعظَم، فَتَكثُرُ وتُشكِلُ، فجُعِلتْ مثلاً لِما لا يَصِحّ وَيَنْكَشِفُ.

فإنْ قيلَ: لِمَ عابوا القُرآنَ بأنَّه أساطيرُ الأَوّلين، وقَدْ سَطَرَ الأَوَّلُون ما فيهِ عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ، وما لا عَيْبَ على قائِلِهِ؟ فَعَنْه جَوابانِ: **أحدهما**: أَنَّهُمْ نَسَبوهُ إلى أنّه لَيْسَ بوَحْيٍ مِنَ الله. **والثاني**: أَنَّهم عَابوهُ بِالإِشْكالِ والغُموضِ، اسْتراحةً مِنهم إلى البُهْتِ والباطِلِ. فعلى الجوابِ الأوّلِ تكونُ «أساطير» مِنَ التَّسْطيرِ، وعلى الثّاني تكونُ بِمَعنى التُرهاتِ، وقد شَرحنا معنى التُّرَّهات.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ في سبب نُزولها قَولان:

[٥٠٢] أحدهما: أنّ أبا طالِبٍ كانَ يَنْهى المُشركينَ أنْ يُؤذوا رسولَ اللّهِ ﷺ، ويَتباعدُ عمّا جاءَ

---

[٥٠٢] أخرجه الحاكم ٢/ ٣١٥ والواحدي ٤٢٦ كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن سعد بن جبير عن ابن عباس به، وحبيب مدلس وقد عنعن ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٧٨٥ والطبري ١٣١٧٣ و ١٣١٧٤ و ١٣١٧٥ من =

---

(١) البيت: للمثقب العبدي في قصيدة حكمية جيدة أثبتها صاحب «المفضليات» ٢٩٣.

(٢) سورة القلم: ١.

به، فَنَزَلَتْ فيه هذه الآيةُ، رَواه سَعيدُ بنُ جُبَيْرٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ، وَهوَ قَوْلُ عَمْرو بن دينارٍ، وَعَطاءِ بنِ دِينارٍ، والقاسِمِ بن مُخَيْمَرَة.

[٥٠٣] وقال مُقاتِلٌ: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عِندَ أبي طالبٍ يَدْعوهُ إلى الإسلام، فاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ إلى أَبي طالبٍ يُريدونَ بالنبيِّ ﷺ سوءاً، فَسأَلوا أَبا طالبٍ أنْ يَدْفَعَهُ إلَيْهم، فَيقْتلوه، فَقال: ما لِيَ عَنه صَبْرٌ؛ فقالوا: نَدْفَعُ إلَيْكَ مِنْ شَبابِنا مَنْ شِئْتَ مَكانَ ابنَ أَخيكَ، فقالَ أبو طالبٍ: حِينَ تَروحُ الإبِلُ، فإنْ حَنَّتْ ناقةٌ إلى غَيْرِ فَصيلِها دَفعتُه إليكم، وقالَ:

والله لَـنْ يَـصِـلُـوا إلَـيْـكَ بِـجَـمْـعِـهِـم حَـتَّـى أُوَسَّـدَ فـي الـتُّـرَابِ دَفِـيـنَـا
فَـاصْـدَعْ بـأمـركِ مـا عَـلَـيْـكَ غَـضَـاضَـةٌ وابْـشِـرْ وقَـرَّ بِـذاكَ مِـنْـكَ عُـيُـونـا
وَعَـرَضْـتَ دِيـنـاً لاَ مَـحَـالَـةَ أنَّـه مِـنْ خَـيْـرِ أدْيـانِ الـبـرِيَّـةِ دِيـنـا
لَـولا الـمَـلاَمَـةُ أو حَـذَاري سُـبَّـةً لَـوَجَـدْتَـنـي سَـمْـحَـاً بِـذاكَ مُـبِـيْـنَـاً[١]

فنزلت فيه هذه الآية

[٥٠٤] **والثاني**: أنّ كُفّارَ مَكّة كانوا يَنْهَوْنَ النّاسَ عنِ اتباع النّبيّ ﷺ، وَيَتباعَدونَ بِأَنْفُسِهم عَنْهُ، رَواه الوالِبيُّ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وبِهِ قالَ ابنُ الحَنَفيةِ، والضَّحَّاكُ، والسُّدّى. فعلى القولِ الأولِ، يكونُ قوله تعالى: «وهم» كنايةً عن واحدٍ؛ وعلى الثاني: عن جماعةٍ. وفي هاء «عنه» قولان:

أحدهما: أنّها تَرْجِعُ إلى النّبي ﷺ. ثم فيه قولان[٢]. أحدهما: يَنْهَونَ عن أذاهُ؛ والثاني: عن اتِّباعِهِ. **والقول الثاني**: أَنّها تَرْجِعُ إلى القرآنِ، قالَهُ مُجاهِدٌ، وقَتَادَةُ، وابنُ زيدٍ. ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ بمعنى

= طريق الثوري عن حبيب عمن سمع ابن عباس عن ابن عباس، وهذا أصح فالإسناد فيه راو مجهول ومع ذلك صححه الحاكم! وسكت عنه الذهبي!. ولا يصح وما يأتي عن ابن عباس أرجح، وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٩٠ بتخريجنا.

[٥٠٣] عزاه المصنف لمقاتل، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٢٦ عن مقاتل بدون إسناد ومع ذلك فهو معضل، ومقاتل هو ابن سليمان متهم بالكذب والخبر لم يصح بكل حال وهو واهٍ بمرة.

[٥٠٤] أخرجه الطبري ١٣١٦٣ والبيهقي ٢/ ٣٤١ من طريق علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس، وفيه إرسال بينهما. وله شواهد عند الطبري عن ابن الحنفية ١٣١٦٢ وعن السدي ١٣١٦٤. وفي الباب روايات.

---

(١) نسب المصنف هذه الأبيات لأبي طالب ولم يصح ذلك من جهة الإسناد كما تقدم.
قوله «غضاضة»: الغض من الشيء التنقص «والتوسد» كناية عن الموت.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٥/ ١٧٣: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: تأويله ﴿وهم ينهون عنه﴾ عن اتباع محمد ﷺ من سواهم من الناس وينأون عن اتباعه. وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادين به. والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: ﴿وهم ينهون عنه﴾ خبراً عنهم، إذا لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها، يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ، دون أن يكون خبراً عن خاص منهم. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: وإن يرَ هؤلاء المشركون يا محمد، كل آية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقولون: «إن هذا الذي جئتنا به إلا أحاديث الأولين وأخبارهم». وهم ينهون من استماع التنزيل. وينأون عنك فيبعدون منك ومن أتباعك ا هـ.

يَبْعُدون. وفي هاء «عنه» قولان: **أحدهما**: أنها راجعةٌ إلى النبيّ ﷺ. **والثاني**: إلى القرآنِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ أيْ: وما يُهْلِكون ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتباعُدِ عَنه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنّهم يُهْلِكونها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ في معنى «وُقِفوا» سِتَّةُ أقوالٍ. **أحدها**: حُبِسُوا عليها، قالَهُ ابنُ السّائِبِ. **والثاني**: عُرِضوا عليها، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: عَايَنوها. **والرابع**: وُقِفوا عَلَيْها وَهيَ تَحْتَهُم. **والخامس**: دَخَلُوا إلَيْها فعَرَفوا مِقْدارَ عَذابِها، تَقولُ: وَقَفْتُ على ما عِنْدَ فُلانٍ، أيْ فَهِمْتُهُ وتبيَّنْتُه، ذَكَرَ هٰذه الأقوالَ الثّلاثَةَ الزّجّاجُ، واخْتارَ الأخيرَ. وقالَ ابنُ جَريرٍ: ﴿عَلَى﴾ ها هنا بِمعنى «في». **السادس**: جَعَلوا عَلَيْها وَقْفاً، كالوُقوفِ المُؤبَّدة على سُبُلِها، ذكَرهُ الماوَرْديّ. والخِطابُ بِهذِهِ الآيةِ للنّبي ﷺ، والوَعيدُ لِلكُفّارِ، وَجوابُ «لو» مَحْذوفٌ، وَمَعْناهُ: لَوْ رَأَيْتَهُمْ في تِلْكِ الحالِ، لَرَأَيْتَ عَجَباً.

قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، والكِسَائِيُّ، وأبو بَكْرٍ عَنْ عَاصمٍ بِرَفْعِ الباءِ مِنْ «نكذب»؛ وَالنّونِ مِن «نكونُ».

قال الزّجّاجُ: والمَعْنى أنّهُمْ تَمنّوا الرّدَّ، وَضَمِنوا أنّهُم لا يكذّبون. والمعنى: يا لَيتنا نُرَدُّ، ونَحن لا نُكَذِّبُ بآياتِ ربنا، رُدِدْنا أو لم نُرَدَّ، ونكونَ مِن المُؤْمنينَ، لأنّا قَدْ عايَنّا مالا نُكَذِّب معه أبداً. قال: وَيجوز الرَّفْعُ على وَجْهٍ آخَرَ، على مَعنى «يا ليتنا نرد»، يا لَيْتنا لا نُكَذِّبُ، كأنّهم تَمنّوا الرّدّ والتوفيقَ للتصديقِ. وقالَ الأخفَشُ: إذا رَفَعْتَ جَعَلْتَهُ على مِثْلِ اليَمينِ، كأنّهم قالوا: ولا نُكَذِّبُ ـ والله ـ بآياتِ ربِّنا، ونكونُ ـ والله ـ مِنَ المُؤْمنين. وقرأ حَمْزَةُ إلا العِجْليَّ[1]، وحَفْصٌ عن عَاصم، ويَعْقوبُ: بِنَصبِ الباءِ من «نكذب»، والنونِ من «نكون». قال مَكّيُّ بن أبي طالِبٍ: وَهذا النَّصْبُ عَلى جَوابِ التّمني، وذلك بإضمارِ «أنْ»، حملاً على مَصْدرِ «نرد»، فأضْمِرَتْ «أن» لِتكونَ مَعَ الفِعْلِ مَصْدراً، فَعَطَفَ بالواوِ مَصْدَراً على مصدر. وَتَقْديرهُ: يا لَيْتَ لنا رَدّاً، وانْتِفاءً من التَّكْذيبِ، وَكَوناً مِنَ المُؤْمِنين. وقرأ ابنُ عامرٍ برَفْعِ الباءِ من «نُكذب»، ونَصْبِ النون من «نكون»؛ بالرّفع قد بيّنّا عِلّته، والنصْبِ على جوابِ التّمني.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ «بل»: ها هُنا ردٌّ لِكَلامِهم، أيْ: لَيْسَ الأمْرُ على ما قالوا مِنْ أنّهُمْ لو رُدُّوا لآمَنوا. وقال الزّجّاج: «بل» استدراكٌ وإيجابٌ بعد نفيٍ؛ تقول: ما جاء زيدٌ بل عمرٌو.

وفي معنى الآية أربعة أقوالٍ: **أحدها**: بَدَا ما كان يُخفيه بعضُهم عن بعضٍ، قاله الحَسَن. **والثاني**: بَدَا بِنُطْقِ الجَوارح ما كانوا يُخفون مِنْ قبلُ بألسنتهم، قاله مُقَاتلٌ. **والثالث**: بَدَا لهم جزاءُ ما كانوا

---

(١) العجلي: هو أبو أحمد عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح العجلي الكوفي نزيل بغداد مقرىء مشهور ثقة. أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيات وعن سليم عن حمزة أيضاً، مات في حدود العشرين ومائتين.

يُخفونه، قاله المُبَرِّد. **والرابع**: بَدَا للأتْبَاع ما كان يُخفيه الرُّؤساء، قاله الزَّجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لَعَادوا إلى ما نُهوا عنه من الشِّرك، وإنَّهم لَكَاذبون في قولهم: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال ابنُ الأنْبارِيِّ: كذَّبهم الله في إخبارهم عن أنْفسهم أنهم إنْ رُدُّوا آمنوا ولم يُكذِّبوا، ولم يكذِّبْهم في التَّمني.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا إخبارٌ عن مُنْكِري البَعْث.

[٥٠٥] قال مُقَاتِلٌ: لَما أَخْبَرَ النبيُّ ﷺ كفارَ مكةَ بالبعث، قالوا هذا. وكان عبد الرحمن بن زَيْدِ بن أَسْلَمَ يقول: هذا حكايةُ قولهم، لو رُدُّوا لَقَالُوا(١).

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ قال مُقَاتِلٌ: عُرِضُوا على رَبِّهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِالْحَقِّ﴾. وقال غيره: أليس هذا البَعْثُ حَقّاً؟ فعلى قول مُقَاتِلٍ: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبَعْثِ.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ إنما وُصِفُوا بالخُسْران، لأنهم بَاعُوا الإيمانَ بالكفر، فعظُمَ خُسْرانُهم. والمراد بلقاء الله: البَعْثُ والجَزاء؛ والسَّاعة: القيامةُ؛ والبَغْتَةُ: الفَجْأَةُ. قال الزَّجَّاج: كلُّ ما أتى فجأةً فقد بَغَتَ؛ يقال: قد بَغَتَهُ الأمرُ يَبْغَتُه بَغْتاً وبَغْتَةً: إذا أتاه فجأةً. قال الشاعر:

وَلَـكِـنَّـهُـم بَـانُـوا وَلَـمْ أَخْـشَ بَـغْـتَـةً ... وَأَفْـظَـعُ شَـيءٍ حِـيـنَ يَـفْـجَـؤُكَ الـبَـغْـتُ(٢)

قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ الحَسْرة: التَّلهُّف على الشيءِ الفَائِت، وأهل التفسير يقولون: يا نَدامَتَنَا. فإن قيل: ما معنى دعاء الحَسْرة، وهي لا تعقِلُ؟ فالجواب: أنَّ العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تَقَعُ فيه، جعلته نداءً، فَتُدْخِلُ عليه «يا» للتنبيه، والمراد تنبيه النَّاس، لا تنبيه المُنَادَى. ومثله قولهم: لا أرينَّكَ ها هنا. لفظه لفظ النَّاهي لنفسه، والمعنى للمَنْهِيِّ؛ ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ اللّهِ ازكَبِي، يراد: يا فُرسانَ خَيْلِ الله. وقال سِيْبَويه: إذا قلتَ: يا عَجَبَاهُ، فكأنك قلتَ: أحضُر وتَعَالَ يا عَجَبُ، فهذا زمانُكَ. فأما التَّفريط فهو: التَّضييع. وقال الزَّجَّاج: التَّفريط في اللغة: تَقْدِمَةُ العَجْزِ. وفي المُكنَّى عنه بقوله: «فيها» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الدُّنيا، فالمعنى: على ما ضَيَّعنا في الدُّنيا مِنْ عمل الآخرة، قاله مُقَاتِلٌ. **والثاني**: أنها الصَّفْقَةُ، لأن الخسْران لا يكون إلاَّ في صَفْقَةٍ، وترْكَ

---

[٥٠٥] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الحديث.

---

(١) انظر «تفسير البغوي» ٢/ ٩٢ والقرطبي ٦/ ٣٧٧.
(٢) البيت ليزيد بن ضبة، وضبة أمه، واسم أبيه مقسم، «مجاز القرآن» ١/ ١٩٣ و«اللسان» بغت.

ذكرها اكتفاءً بذكر الخُسران؛ قاله ابن جَرير. **والثالث**: أنها الطّاعة؛ ذكره بعضُ المُفسِّرين.

فأما الأَوزارُ، فقال ابن قُتَيْبَةَ: هي الآثام، وأصل الوِزْرِ: الحَمْلُ على الظَّهر. وقال ابنُ فارسٍ: الوِزْرُ: الثِّقَلُ. وهل هذا الحَمْلُ حقيقةٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على حقيقته. قال عُمَيْرُ بن هانِئ: يُحشر مع كل كافرٍ عَمَلُه في صورة رجلٍ قبيحٍ، كلما كان هَوْلٌ عَظَّمَهُ عليه، وزادَهُ خوفاً، فيقول: بِئْسَ الجليسُ أنتَ، ما لي ولكَ؟ فيقول: أنا عملكَ، طالما رَكِبْتَني في الدُّنيا، فلأَرْكَبَنَّكَ اليوم حتى أُخزيَكَ على رؤوس الناس، فيركَبُه ويَتخطّى به الناسَ حتى يقف بين يدي ربِّه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السُّدِّيّ، وعمرو بن قَيْسٍ المُلائي، ومُقاتِلٍ. **والثاني**: أنه مَثَلٌ، والمعنى: يحملون ثِقَلَ ذنوبهم، قاله الزَّجّاج. قال. فجعل ما يَنالُهم من العذاب بمنزلة أَثْقَلِ ما يُتَحمَّل. ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس الشيءُ شيئاً يَزِرُونَهُ، أي يحملونه.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: وما الحياة الدُّنيا في سُرعة انقطاعها، وقِصَر عُمرها؛ إلاَّ كالشيء يُلعب به. **والثاني**: وما أَمرُ الدُّنيا والعمل لها إلا لَعِبٌ ولَهوٌ، فأما فِعْلُ الخير، فهو من عمل الآخرة، لا مِنَ الدُّنيا. **والثالث**: وما أَهْلُ الحياة الدُّنيا إلا أَهْلَ لَعِبٍ ولَهْوٍ، لاشتغالهم عَمَّا أُمِرُوا به. واللعب: ما لا يُجدِي نفعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ اللام: لامُ القَسَم، والدَّار الآخرة: الجَنَّة «أفلا يعقلون» فيعملون لها. قرأ ابن كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ؛ وحَمزَةُ، والكِسائيُّ، «يعقلون» بالياء، في الأنعام والأعراف ويوسف ويس، وقرؤوا في القَصَص بالتاء. وقرأ نافعٌ كل ذلك بالياء، وروى حَفْصٌ، عن عاصم كلَّ ذلك بالتاء، إلاَّ في يس ﴿فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، بالياء وقرأ ابن عامرٍ الذي في يس بالياء، والباقي بالتاء.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوالٍ:

[٥٠٦] **أحدها**: أنَّ رجلاً من قُريشَ يقال له: الحَارِثُ بن عَامرٍ، قال: والله يا محمَّدُ ما كَذَبْتَنا قطُّ فنتَّهمَكَ اليومَ، ولكنَّا إن نتَّبعْكَ نُتَخطَّفْ مِنْ أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

وقال مُقاتِلٌ: كان الحَارثُ بن عَامرٍ يُكذِّب النبيَّ في العَلانية، فإذا خَلاَ مع أهل بيته، قال: ما محمَّدٌ مِنْ أهل الكَذِب، فنزلت فيه هذه الآية[2].

---

[٥٠٦] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً.

---

(١) سورة يس: ٦٧.

(٢) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، وذكره الواحدي ٤٣٠.

والثاني: أنَّ المشركين كانوا إذا رَأَوا النبيَّ ﷺ قالوا فيما بينهم: إنه لَنَبيٌّ، فنزلت هذه الآية؛ قاله أبو صالح[١].

[٥٠٧] **والثالث**: أنَّ أبا جَهْلٍ قال للنبيِّ ﷺ: إنَّا لا نُكَذِّبكَ، ولكن نُكَذِّبُ الذي جئتَ به، فنزلت هذه الآية، قاله نَاجِيَةُ بن كَعْبٍ.

[٥٠٨] وقال أبو يَزيدَ المَدَنيّ: لَقِيَ رسولُ الله ﷺ أبا جَهلٍ، فصافحه أبو جَهلٍ؛ فقيل له: أتُصافح هذا الصَّابئ؟ فقال: واللَّهِ إني لأَعْلَمُ أنه نبيٌّ، ولكن متى كُنَّا تَبَعاً لِبني عبدِ مُنَافٍ؟ فأنزل الله هذه الآية.

[٥٠٩] **والرابع**: أن الأَخْنَسَ بن شَريق لَقِيَ أبا جَهلٍ فقال الأَخْنَسُ: يا أبا الحَكَم، أخبرني عن محمدٍ، أَصَادقٌ هو، أَمْ كاذِبٌ؟ فليس ها هنا مَنْ يسمع كلاَمَكَ غيري. فقال أبو جَهلٍ: واللَّهِ إنَّ محمداً لَصَادقٌ، وما كَذَبَ قَطُّ، ولكن إذا ذهب بَنُو قُصَيّ باللِّوَاءِ، والسِّقَايَةِ، والحِجَابَةِ، والنُّبوة، فماذا يكون لسائِرِ قُرَيش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّيّ، ذكره الطَّبَريُّ مُطَوَّلاً.

فأما الذي يقولون، فهو التَّكذيبُ للنبيِّ ﷺ، والكُفرُ بالله. وفي الآية تَسلِيَةٌ للنبيِّ ﷺ وتَعزِيَةٌ عما يُواجهونه به.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرأ نَافعٌ، والكِسَائيُّ: «يُكْذِبُونَك» بالتخفيف وتسكين الكاف. وفي معناها قولان: **أحدهما**: لا يُلْفُونَكَ كاذباً؛ قاله ابن قُتَيْبَةَ. **والثاني**: لا يكذِّبون الشيءَ الذي جئتَ به، إنما يجحدون آياتِ الله، ويَتَعَرَّضون لِعُقوباته. قال ابنُ الأنباريّ: وكان الكِسَائيُّ يَحْتَجُّ لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبْتُ الرجلَ: إذا نَسَبْتَهُ إلى الكذب وصَنْعَة الأباطيل مِنَ القول؛ وأَكْذَبْتُه: إذا أخبرتَ أنَّ الذي يُحدِّث به كذبٌ، ليس هو الصَّانعُ له. قال: وقال غيرُ الكِسَائيِّ: يُقال: أكذبتُ الرجلَ: إذا أدخلتَه في جملة الكَذَّابين، ونَسَبْتَه إلى صِفَتِهم، كما يُقال: أَبخَلْتُ الرجل: إذا نَسَبْتَه إلى البُخل، وأَجْبَنْتَهُ: إذا وجدته جَبَاناً. قال الشاعر:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ ... وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ[٢]

---

[٥٠٧] ورد موصولاً ومرسلاً. أخرجه الترمذي ٣٠٦٤ والحاكم ٢/ ٣١٥ ح ٣٢٣٠ كلاهما عن ناجية بن كعب عن علي به، صححه الحاكم على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: لم يخرجا لناجية شيئاً ا.هـ، وكرره الترمذي عن ناجية مرسلاً، وكذا الطبري ١٣١٩٧ و ١٣١٩٨ وصوب الترمذي المرسل. والله أعلم. انظر والقرطبي ٢١٩٥ بتخريجنا.

[٥٠٨] أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير «ابن كثير» ٢/ ١٦٧ عن أبي يزيد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وأخرجه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ١٨ عن أبي يزيد مرسلاً نحوه.

[٥٠٩] أخرجه الطبري ١٣١٩٦ عن السدي مرسلاً. وذكره الواحدي بقوله السدي. فذكره. وهذا ضعيف فالسدي فيه ضعف إن وصل الحديث فكيف إذا أرسله.

ـ الخلاصة: أكثر الأقوال أنها نزلت في شأن أبي جهل، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

---

(١) عزاه المصنف لأبي صالح، وليس بشيء.

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي من قصيدته الرائعة في مدح آل البيت.

وقرأ ابن كَثير، وأبو عَمرو، وعَاصمٌ، وحَمزةُ وابن عَامرٍ: «يُكذِّبونك» بالتشديد وفتح الكاف؛ وفي معناها خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يكذِّبونك بحُجَّةٍ، وإنما هو تكذيبُ عنادٍ وبَهتٍ، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: لا يقولون لكَ: إنك كاذبٌ، لِعِلمِهم بصِدْقك، ولكن يُكذِّبون ما جئتَ به، قاله نَاجِيَةُ ابن كَعْبٍ. **والثالث**: لا يُكذِّبونك في السِّرِّ، ولكن يُكذِّبونك في العَلاَنية، عَداوةً لكَ، قاله ابنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: لا يَقْدِرُون أنْ يقولوا لكَ فيما أنبأتَ به مما في كُتُبهم: كذبتَ. **والخامس**: لا يُكذِّبونكَ بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادقٌ، ذكر القولين الزَّجَّاجُ. وقال أبو عليٍّ: يجوز أن يكون معنى القِراءتَين واحداً وإن اختلفت اللفظتان، إلاَّ أنَّ «فعَّلتُ»: إذا أرادوا أن يَنسِبُوه إلى أمرٍ أكثر من «فعلتُ». ويؤكِّد أنَّ القِراءتين بمعنى، ما حكاه سِيبَويه أنهم قالوا: قَلَّلتُ، وأَقْلَلْتُ، وكثَّرتُ، وأكْثَرْتُ بمعنىً. قال أبو عليٍّ: ومعنى «لا يُكذِّبونك»: لا يَقْدِرون أن يَنسِبُوك إلى الكذب فيما أخبرتَ به مما جاء في كُتُبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يُصادِفُونَكَ كاذباً، كما تقول: أحمدتُ فلاناً: إذا أصبتَه مَحْمُوداً، لأنهم يعرفونك بالصِّدق والأمانة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بألسنتهم ما يعلمونه يقيناً، لِعِنادِهم. وفي «آيات الله» ها هنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها محمدٌ ﷺ، قاله السُّدِّيّ. **والثاني**: محمدٌ والقرآن، قاله ابن السَّائِب. **والثالث**: القرآن، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه تعزيةٌ له على ما يَلْقى منهم. قال ابن عباس: ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ رَجاءَ ثَوابي، ﴿وَأُوذُوا۟﴾ حتى نُشِرُوا بالمَناشِير، وحُرقوا بالنار ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ بتعذيب مَنْ كذَّبَهُم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوالٍ: **أحدها**: لا خُلْفَ لِمَواعيده، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: لا مُبَدِّل لما أَخْبَر به وما أَمَرَ به، قاله الزَّجَّاج. **والثالث**: لا مُبَدِّل لِحُكُوماتِه وأَقْضِيَته النَّافِذَةِ في عباده، فَعَبَّرت الكلماتُ عن هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: وَجَبَ ما قُضِيَ عليهم. فعلى هذا القول، والذي قبله، يكون المعنى: لا مُبَدِّلَ لِحُكم كلمات الله، ولا نَاقِضَ لِمَا حَكَمَ به، وقد حَكَمَ بنصر أنبيائه بقول: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[1]. **والرابع**: أنَّ معنى الكلام معنى النَّهي، وإنْ كان ظاهره الإخبار؛ فالمعنى: لا يُبدِّلَن أحدٌ كلماتِ الله، فهو كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. **والخامس**: أنَّ المعنى: لا يقدر أحدٌ على تبديل كلام الله، وإنْ زَخْرَفَ واجتهد، لأنَّ الله تعالى صَانَهُ بِرَصِين اللفظ، وقَوِيم الحُكْمِ، أنْ يختلطَ بألفاظ أهل الزَّيْغ، ذكر هذه الألفاظ الثلاثة ابنُ الأنْبارِيّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: فيما صَبَروا عليه مِنَ الأذى فنُصِرُوا. وقيل: إنَّ «مِن» صِلَةٌ.

---

(١) سورة المجادلة: ٢١.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

[٥١٠] سبب نزولها: أنَّ الحارثَ بن عامرٍ أتى رسولَ الله ﷺ في نفرٍ مِنْ قُريش فقال: يا محمَّدُ، ائتِنا بآيةٍ كما كانت الأنبياءُ تأتي قومَها بالآيات، فإن فعلتَ آمنّا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

و «كَبُرَ»: بمعنى «عَظُمَ». وفي إعراضِهم قولان: **أحدهما**: عن استماع القرآن. **والثاني**: عن اتِّباع النبيِّ ﷺ. فأما «النَّفَقُ»، فقال ابنُ قُتَيْبَةَ: النَّفَقُ في الأرض: المَدْخَل، وهو السَّرَب. والسُّلَّم في السماء: المِصْعَدُ. وقال الزَّجاج: النَّفَقُ: الطريقُ النَّافِذُ في الأرض. والنَّافِقَاءُ، ممدود: أحد جِحرة اليَرْبُوع يَخرِقُه مِنْ باطن الأرض إلى جِلْدَة الأرض، فإذا بلغ الجِلْدَةَ أَرَقَّها، حتى إنْ رَابَهُ رَيْبٌ، دفع برأسه ذلك المكانَ وخرج، ومنه سُمِّي المُنَافِقُ، لأنه أبطن غيرَ ما أظهر، كالنَّافِقَاءِ الذي ظاهره غير بَيِّنٍ، وباطنه حُفِرَ في الأرض. و «السُّلَّم» مشتقٌ مِنَ السَّلامة، وهو الشيء الذي يُسَلِّمكَ إلى مِصْعَدِكَ. والمعنى: فإن استطعتَ هذا فافعل، وحذف «فافعل»، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. وقال أبو عُبيدَةَ: السُّلَّم: السَّبَب والمِرْقَاةُ، تقول: اتَّخذتني سُلَّماً لحاجتكَ، أي: سَبَباً. وفي قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ﴾ قولان: **أحدهما**: بآيةٍ قد سَألوكَ إيَّاها، وذلك أنهم سألوا نزولَ مَلَكِ الموت، ومثل آيات الأنبياء، كعَصَا موسى، وناقة صَالحٍ. **والثاني**: بآيةٍ هي أفضلُ مِنْ آيتِكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لو شاء أن يَطْبَعَهم على الهُدى لَطَبَعهُم. **والثاني**: لو شاء لأنزل ملائكةً تَضطرُهم إلى الإيمان. ذكرهما الزَّجَّاج. **والثالث**: لو شاء لآمَنوا كُلُّهم، فأخبر أنما تركوا الإيمانَ بمشيئته، ونَافِذِ قَضَائِه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لا تجهل أنه لو شاء لَجَمَعَهُم على الهُدى. **والثاني**: لا تجهل أنه يُؤمن بكَ بَعضُهم، ويَكفُر بعضُهم. **والثالث**: لا تكونَنَّ ممن لا صبرَ له، لأنَّ قِلَّةَ الصَّبر مِنْ أخلاق الجَاهلين.

﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَۘ﴾ أي: إنما يُجيبكَ مَنْ يسمع، والمراد به سماع قَبُولٍ. وفي المراد بالموتى قولان: **أحدهما**: أنهم الكفار، قاله الحسَنُ، ومُجَاهدٌ وقَتَادَةُ، فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون؛ فأما الكفار، فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله تعالى: ثم يَحْشُرهم كفَّاراً، فيُجيبون اضطراراً. **والثاني**: أنهم الموتى حقيقةً، ضربهم اللَّهُ تعالى مَثَلاً؛ والمعنى: أنَّ الموتى لا يستجيبون حتى يَبْعَثَهم اللَّهُ، فكذلك الذين لا يَسمعون.

---

[٥١٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس، وراويته هو الكلبي، وقد كذبه غير واحد، فالخبر لا شيء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيُجازي الكُلَّ.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال ابن عباسٍ: نزلت في رؤساء قُريش. و «لولا»: بمعنى «هلاّ»؛ وقد شرحناها في سورة النِّساء.

وقال مُقاتلٌ: أرادوا بالآية مِثْلَ آيات الأنبياء. وقال غيره: أرادوا نُزول مَلَكٍ يشهد له بالنُّبوَّة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لا يعلمون بأنَّ الله سبحانه وتعالى قادرٌ على إنزال الآية. **والثاني**: لا يعلمون ما عليهم مِنَ البَلاَء في إنزالها، لأنهم إنْ لم يُؤمنوا بها، زادَ عَذابُهم. **والثالث**: لا يعلمون المَصْلَحَة في نزول الآية.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يُريد كلَّ ما دَبَّ على الأرض. قال الزَّجَّاجُ: وذِكر الجَناحَيْن توكيدٌ، وجميع ما خُلِقَ لا يَخلُو إما أن يَدُبَّ، وإمَّا أنْ يطير.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ قال مُجاهِدٌ: أصنافٌ مُصنَّفَةٌ. وقال أبو عُبيدةَ: أجناسٌ يَعرفون اللّه ويَعبدونَهُ. وفي معنى «أمثالكم» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمثالكم في كَوْنِ بعضها يَفْقَهُ عن بعضٍ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: في مَعرفة الله، قاله عَطَاءٌ. **والثالث**: أمثالكم في الخَلْقِ والموت والبَعْثِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أمثالكم في كونها تَطْلُبُ الغِذَاءَ، وتبتغي الرِّزقَ، وتَتَوقَّى المَهَالِكَ، قاله ابن قُتَيْبَةَ. قال ابن الأنباريِّ: وموضع الاحتجاج مِنْ هذه الآية أنَّ الله تعالى رَكَّب في المشركين عُقولاً، وجعل لهم أفهاماً ألزمَهُم بها أن يتدبَّروا أمرَ النبيِّ ﷺ وَيَتَمَسَّكوا بطاعته، كما جعل للطَّير أفهاماً يعرف بها بعضُها إشارةَ بعضٍ، وهَدَى الذَّكَرَ منها لإتيَان الأُنثى، وفي كل ذلك دليلٌ على نَفاذِ قُدرة المُرَكِّب ذلكَ فيها.

قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ في الكِتَاب قولان: **أحدهما**: أنه اللَّوحُ المَحْفُوظ. روى ابن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ: ما تَرَكنَا شيئاً إلاَّ وقد كتبناه في أُمِّ الكِتَاب، وإلى هذا المعنى ذهب قَتَادةُ، وابنُ زَيدٍ. **والثاني**: أنه القرآن. روى عَطَاءٌ عن ابن عباسٍ: ما تَرَكْنَا مِنْ شيءٍ إلاَّ وقد بَيَّنَّاهُ لكم. فعلى هذا يكون مِنَ العَامِّ الذي أُريد به الخَاصّ، فيكون المعنى: ما فَرَّطنَا في شيءٍ بكم إليه حاجةٌ إلا وَبيَّنَاهُ في الكتاب، إمَّا نَصَّاً، وإما مُجملاً، وإمَّا دلالةً، كقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1] أي: لكلِّ شيءٍ يُحتاج إليه في أمر الدِّين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيه قولان[2]: **أحدهما**: أنه الجَمْعُ يومَ القيامة.

---

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٥/١٨٨: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه، وجائز أن يكون معنياً بذلك حشر القيامة، وجائز أن يكون معنياً به حشر الموت، =

[٥١١] روى أبو ذرٍّ قال: «اِنْتَطَحَتْ شَاتَانِ عندَ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا أبا ذرٍّ، أَتَدْرِي فيما اِنْتَطَحَتَا؟ قلتُ: لا. قال: لكنَّ الله يدري، وسَيَقْضِي بينهما».

[٥١٢] وقال أبو هُريرَةَ: يحشر اللَّهُ الخَلْقَ يومَ القيامة، البهائمَ والدَّوابَ والطَّيرَ وكلَّ شيءٍ، فيبلغ مِنْ عَدْلِهِ أَنْ يأخذَ للجَمَّاء مِنَ القَرْنَاءِ، ثم يقول: كُوني تُراباً، فيقول الكافرُ: يا ليتني كُنْتُ تُراباً.

والثاني: أن معنى حَشْرِها: موتها، قاله ابن عباسٍ، والضَّحَّاكُ.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمدٌ ﷺ ﴿صُمٌّ﴾ عن القرآن لا يَسمعونه، ﴿وَبُكْمٌ﴾ عنه لا يَنطِقون به ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشِّرْك والضَّلالة. ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ فيموت على الكُفر ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابن عَامرٍ، وحَمزَةُ: «أرأيْتُم»

---

[٥١١] حسن. أخرجه أحمد ٥/ ١٧٣ والبزار ٣٥٠ و ٣٤٥١ «كشف» من حديث أبي ذر وفي إسناده ليث بن أبي سليم غير قوي، وبقية رجاله ثقات وقد توبع فقد أخرجه أحمد ٥/ ١٦٢ والطبري ١٣٢٢٦ وفيه راوٍ لم يسم وأخرجه الطبري ١٣٢٢٧ عن منذر الثوري عن أبي ذر. وهذا منقطع بين أبي ذر ومنذر الثوري.
والصواب الرواية المتقدمة حيث رواه منذر عن أشياخ له عن أبي ذر. وبكل حال الحديث حسن بطرقه وفي الباب أحاديث تعضده وانظر ما بعده، وانظر «الشوكاني» ٨٩٤ بتخريجنا.

[٥١٢] موقوف صحيح أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٧٨٦ ومن طريقه الطبري ١٣٢٢٥ عن أبي هريرة موقوفاً، وإسناده صحيح. وورد بعضه مرفوعاً. أخرجه مسلم ٢٥٨٢ والترمذي ٢٤٢٠ وعبد الرزاق ٣٤٧٦٥ وأحمد ٢/ ٣٢٣ وابن حبان ٨٣٦٣ عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) وله شواهد. انظر «تفسير الشوكاني» ٨٩٥ و «تفسير القرطبي ٢٨٩٦ بتخريجنا.

= وجائز أن يكون معنياً به الحشرات جميعاً، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر الرسول ﷺ أي ذلك المراد بقوله **﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾** إذ كان (الحشر) في كلام العرب الجمع، من ذلك قول الله تعالى ذكره جامعاً خلقه إليه يوم القيامة، وجامعهم بالموت، كان أصوب القول في ذلك أن يُعم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها. وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة، إذ كان الله تعالى ذكره قد عم بقوله: «ثم إلى ربهم يحشرون» ولم يخصص به حشر دون حشر. فإن قال قائل: فما وجه قوله **﴿ولا طائر يطير﴾** بجناحيه وهل يطير الطائر إلا بجناحيه فما في الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة؟ قيل: قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم، وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم. فإذا كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: (كلمت فلاناً بفمي)، و (مشيت إليه برجلي) و (ضربته بيدي) خاطبهم الله تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم، ويستعملونه في خطابهم، ومن ذلك قوله تعالى ذكره: **﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾** [ص: ٢٣].

و «أَرَأَيْتَكُم» و «أَرَأَيْتَ» بالألف في كلِّ القرآن مَهْمُوزاً؛ ولَيِّن الهمزةَ نافعٌ في الكُلِّ. وقرأ الكِسَائيُّ بغير همزٍ ولا ألفٍ. قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: أرَأيتَكَ، وهم يُريدون: أخبِرني.

فأمَّا عذابُ الله، ففي المراد به ها هنا قولان: **أحدهما**: أنه الموتُ، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: العذابُ الذي كان يأتي الأممَ الخاليَة، قاله مُقاتِلٌ. فأمّا السَّاعةُ، فهي القيامة. قال الزَّجَّاجُ: وهو اسمٌ للوقت الذي يُصعق فيه العِبادُ، وللوقت الذي يُبعثون فيه.

قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أتَدْعُونَ صَنَماً أو حَجَراً لِكَشْفِ ما بكم؟! فاحتجَّ عليهم بما لا يَدْفَعُونه، لأنهم كانوا إذا مَسَّهم الضُرُّ دَعَوا الله.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ جوابٌ لقوله تعالى: «أرأيتكم»، لأنه بمعنى أَخْبِرُوا، كأنه قيل لهم: إنْ كنتم صادقين، فأَخْبِرُوا مَنْ تَدْعُون عند نزول البَلاءِ بكم؟

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أَعْلَمَهُم أنهم لا يَدْعُون في الشَّدائد إلاَّ إيَّاهُ؛ وفي ذلك أعظَمُ الحُجَج عليهم، لأنهم عَبَدُوا الأصنامَ. ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ﴾ المعنى: فيكشف الضُّرَّ الذي مِنْ أجلِه دَعوتُم، وهذا على اتِّساع الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[1]، أي: أهل القرية. ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تَتْرُكُونَ»؛ ويجوز أن يكون المعنى: إنَّكم في تَرْكِكُم دُعَاءَهُم بمنزلة مَنْ قد نَسِيَهُم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في الآية محذوفٌ، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أُمَمٍ من قَبْلكَ رُسُلاً فخالفوهم، فأخذناهم بالبَأْسَاءِ؛ وفيها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الزَّمَانَةُ والخَوفُ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها البُؤس، وهو الفقر، قاله ابن قُتَيْبَة. **والثالث**: أنها الجُوع، ذكره الزَّجَّاجُ. وفي الضَّرَّاء ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: البَلاءُ، والجُوع، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: النَّقْصُ في الأموال والأنْفُس، ذكره الزَّجَّاجُ. **والثالث**: الأَسْقَامُ والأمراض، قاله أبو سُليمانَ.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: لِكَي يَتَضَرَّعُوا. والتَّضَرُّع: التَّذلل والاسِتِكَانَة. وفي الكلام محذوفٌ تقديره: فلَمْ يَتَضَرَّعُوا.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه: «فَهلاَّ». والبَأسُ: العذاب. ومقصود الآية: أنَّ الله تعالى أعلَمَ نبيَّهُ ﷺ أنه قد أرسلَ إلى قوم قبله بلغوا مِنَ القَسوة أنهم أُخِذوا بالشَّدائد، فلم يَخْضَعوا، وأقاموا على كُفرهم، وزَيَّنَ لهم الشيطانُ ضَلالتهم فأَصَرُّوا عليها.

---

(١) سورة يوسف: ٨٢.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: تَرَكُوا ما وُعِظُوا به. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يُريد رَخاءَ الدُّنيا وسُرورها. وقرأ أبو جَعْفَرَ، وابنُ عامرٍ: «فتَّحنا» بالتَّشديد هنا وفي الأعْرَاف، وفي الأنبياء: «فُتِّحت»، وفي القَمَر: «فتّحنا»، والجمهور على تخفيفهن. قال الزَّجَّاجُ: أبوابَ كل شيءٍ كان مُغلقاً عنهم مِنَ الخَيْرِ، حتى إذا ظَنُّوا أنَّ ما كان نَزَلَ بهم، لم يَكُنِ انتقاماً، وما فُتح عليهم، باستحقاقهم، أخذناهم بَغْتَةً، أي: فَاجَأَهُم عَذابُنا.

وقال ابنُ الأنباريِّ: إنما أراد بقوله تعالى: «كُلِّ شَيءٍ»: التَّأكيدَ، كقول القَائِلِ: أَكَلنا عندَ فلانٍ كلَّ شيءٍ، وكُنَّا عنده في كلِّ سُرورٍ، يريد بهذا العُموم تكثيرَ ما يَصِفُه والإطْنَابَ فيه، كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[1]. وقال الحَسنُ: مَنْ وُسِّع عليه فلم يَرَ أنه لم يُمْكَرْ به، فلا رأيَ له؛ ومَنْ قُتِّرَ عليه فلم يَرَ أنه يُنْظَرُ له، فلا رأيَ له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مُكِرَ بالقوم وَرَبِّ الكَعبةِ، أُعطُوا حَاجَاتِهم ثُمَّ أُخِذُوا.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ في المُبْلِس خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الآيِسُ مِنْ رحمة الله عزَّ وجلَّ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ؛ وقال في روايةٍ أخرى: الآيِسُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ. وقال الفَرَّاء: المُبْلِسُ: اليَائِسُ المُنْقَطِعُ رَجَاؤه، ولذلك قيل للذي يَسْكُتُ عند انقطاع حُجَّتِهِ، فلا يكون عنده جوابٌ: قد أَبْلَسَ. قال العَجَّاجُ:

يا صاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا قَالَ نَعَمْ! أعْرِفُهُ! وأَبْلَسَا[2]

أي: لم يَحِرْ جواباً. وقيل: المُكْرَسُ: الذي قد بَعَرَت فيه الإبلُ، وبوَّلتْ، فيركب بعضه بعضاً. **والثاني**: أنه المُفْتَضَح. قال مُجاهدٌ: الإبْلاسُ: الفَضيحة. **والثالث**: أنه المُهْلَك، قاله السُّدِّيّ. **والرابع**: أنه المَجْهود المَكْرُوب الذي قد نزل به مِنَ الشَّر ما لا يَستطيعه، قاله ابنُ زَيدٍ. **والخامس**: أنه الحَزين النادم، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد لِرُؤْبَةَ:

وحَضَرتْ يومَ الخَمِيسِ الأخْمَاسْ وفي الوجُوهِ صُفْرةٌ وإبْلاسْ

أي: اِكتِئَابٌ، وكُسُوفٌ، وحُزنٌ. وقال الزَّجَّاج: هو الشَّديد الحَسْرَةِ، الحَزينُ، اليَائِسُ. وقال في موضعٍ آخر: المُبْلِسُ: السَّاكتُ المُتَحَيِّر.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قال ابنُ السَّائِب: دَابِرُهم: الذي يَتَخَلَّفُ في آخِرِهم. والمعنى: أنهم اِستُؤصِلُوا. وقال أبو عُبيدَة: دَابِرُهم: آخرُهم الذي يَدْبُرهم: قال ابنُ قُتَيبَةَ: هو كما

---

(١) سورة النمل: ٢٣.
(٢) في «اللسان» كرس، تكرس الشيء تكارس أي تراكم وتلازب. وأبلس: سكت غماً.

يقال: اجتثَّ أَصْلهم. قال المُفسِّرون: وإنما حمد نَفسَهُ على قَطْعِ دَابِرِهِم، لأنَّ ذلك إنعامٌ على رُسُلهم الذين كَذَّبوهم، وعَلَّمَ الحَمْدَ على كِفَايته شَرّ الظَّالمين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾ أي: أذهبها؛ ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ حتى لا تَعْرِفون شيئاً ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾؟ في هاء «به» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تعود على الفِعْلِ، والمعنى: يأتيكم بما أخَذَ اللَّهُ منكم، قاله الزَّجَّاج. وقال الفَرَّاءُ: إذا كَنَّيْتَ عن الأفَاعِيل، وإن كثُرتْ، وَحَّدتَ الكِنَايَة، كقولكَ للرجل: إقبالُكَ وإدبارُكَ يُؤذيني. **والثاني**: أنها تعود إلى الهُدى، ذكره الفَرَّاءُ. فعلى هذا تكون الكِنايةُ عن غير مَذكُورٍ، ولكنَّ المعنى يشتمل عليه، لأنَّ مَنْ أُخذ سَمعُه وبَصرُه وخُتِم على قلبه لم يَهْتَدِ. **والثالث**: أنها تعود على السَّمْعِ، ويكون ما عُطِفَ عليه دَاخِلاً معه في القِصَّة، لأنه معطوفٌ عليه، ذَكرَهُ الزَّجَّاج. والجمهور يقرؤون: ﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ﴾ بكسر هاء «به». وروى المُسَيَّبي عن نَافع: «بهُ انظر»: بالضَّمِّ. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسَرَ، حذفَ الياء التي تلحق الهاءَ في نحو: بِهِي عَيْبٌ، ومَنْ ضَمَّ، فعلى قول مَنْ قال: فخسفنا بهو بِدَارِهو الأرضَ، فحذفَ الواو.

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني تكون العَلامَات في أُمورٍ شَتَّى، فيُخوفهم بأَخْذِ الأَسمَاع والأبصار والقلوب، وبما صُنِعَ بالأُمم الخَالِية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾، أي: يُعرِضُون فلا يَعْتَبِرُون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: البَغْتَةُ: المُفاجَأةُ؛ والجَهْرَةُ: أن يأتيهم وهم يرونَهُ. ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: هل يُهلَكُ إلاَّ أنتم ومَنْ أشبهَكم، لأنكم كَفرتُم مُعاندين، فقد عَلِمْتُم أنكم ظالمون.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ أي: بالثَّواب؛ ومُنذرين بالعِقَاب، وليس إرسَالُهم لِيأْتوا بما يَقترِحُونَهُ مِنَ الآيات. ثم ذَكَرَ ثوابَ مَنْ صَدَّقَ، وعِقابَ مَنْ كَذَّبَ في تمام الآية والتي بعدها. وقال ابن عباسٍ: يَفْسُقون: بمعنى يَكفُرون.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾.

[٥١٣] سببُ نزولها: أنَّ أهل مَكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، لو أنزل اللَّهُ عليكَ كنزاً فتستَغْنِي به، فإنَّك فقيرٌ مُحتاجٌ؛ أو تكون لكَ جَنَّةٌ تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

قال الزَّجَّاجُ: وهذه الآية متَّصلةٌ بقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، فأعلَمَهُم أنه لا يَمْلِكُ خَزائنَ الله التي منها يَرزق ويُعطي، ولا يعلم الغيبَ فيُخبرهم به إلاَّ بِوَحي، ولا يقول: إنه مَلَكٌ، لأنَّ المَلَكَ يُشاهد مِنْ أمور الله تعالى ما لا يُشاهده البشرُ. وقرأ ابن مَسعودٍ، وابن جُبَيْرٍ، وعِكرمَةُ، والجَحْدريُّ: «إنِّي مَلِك» بكسر اللام. وفي الأعمى والبَصير قولان:

أحدهما: أنَّ الأعمى: الكافر، والبَصير: المُؤمن، قاله ابن عباسٍ، وقَتادةُ.

والثاني: الأعمى: الضَّالُّ، والبَصيرُ: المُهتَدِي، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ، ومُجَاهدٌ.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: فيما بُيِّن لَكُم مِنَ الآيات الدَّالَّة على وَحدانيَّته وصِدْقِ رسوله. **والثاني**: فيما ضُرِبَ لكم مِنْ مَثَلِ الأعمى والبَصير وأنهما لا يَسْتَويان.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يعني بالقرآن، وإنما ذَكَرَ الذين يخافون الحَشْرَ دون غيرهم، وإنْ كان مُنذِراً لجميع الخَلْقِ، لأن الحُجَّةَ على الخائفين الحَشر أَظْهَرُ، لاعترافهم بالمَعَاد، فهم أحدُ رَجُلين: إما مُسلِمٌ، فيُنذَر ليؤدِّي حقَّ الله عليه في إسلامه، وإما كِتَابيٌّ، فأَهْلُ الكتاب مُجمعون على البَعْثِ. وذكر الوَلِيّ والشَّفيع، لأنَّ اليهودَ والنَّصارى ذكرت أنها أبناءُ الله وأَحِبَّاؤه، فأعلم عزَّ وجلَّ أنَّ أهلَ الكُفر ليس لهم مِنْ دونه وَلِيٌّ ولا شفيعٌ. وقال غيره: ليس لهم مِنْ دُونه وَلِيٌّ، أي: ليس لهم غيرُ الله وَلِيٌّ ولا شفيعٌ، لأن شفاعةَ الشَّافِعين بأَمْرِه.

وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقِيّ: هذه الآية مُتَعَلِّقَةٌ بقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾(١). روى سعدُ بن أبي وَقَّاصٍ قال:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، روى سعد بن أبي وقَّاص قال:

[٥١٤] نزلت هذه الآية في سِتَّةٍ: فيَّ، وفي ابن مسعودٍ، وصُهَيبٍ، وعَمَّارٍ، والمِقْدَادِ، وبِلالٍ. قالت قُريشٌ لرسول الله ﷺ: إنَّا لا نرضى أنْ نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطْرُدْهُم عنكَ. فدخل على رسول الله ﷺ مِنْ ذلك ما شاء الله أنْ يدخل، فنزلت هذه الآيَة.

---

[٥١٣] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة واهية، وتقدم الكلام على ذلك مراراً.

[٥١٤] حسن. أخرجه الطبري ١٣٢٦٦ عن سعد وإسناده حسن وانظر ما بعده.

---

(١) سورة الأنعام: ١٩.

[٥١٥] وقال خَبَّابُ بنُ الأرَتِّ: نزلت فينا، كُنَّا ضُعفاءَ عند النبيِّ ﷺ؛ يُعلِّمنا بالغَدَاة والعَشِيِّ ما ينفعنا، فجاء الأقْرَعُ بن حَابِسٍ، وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ، فقالا: إنَّا مِنْ أشراف قومنا، وإنَّا نَكْرَهُ أن يَرَونا معهم، فاطْرُدْهُم إذا جالسنَاكَ. قال: «نعم». فقالوا: لا نرضى حتى تكتبَ بيننا كتاباً، فأُتي بأَدِيم ودَوَاةٍ، ودعا عَليّاً لِيَكْتُبَ، فلما أراد ذلك، ونحن قُعُودٌ في ناحيةٍ، إذ نزل جِبْريلُ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، فرَمَى بالصَّحيفة ودَعَانا، فأتيناه وهو يقول: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ». فَدَنَوْنا منه يَومئذٍ حتى وضعنا رُكَبَنا على رُكْبَته.

[٥١٦] وقال ابن مسعودٍ: مَرَّ المَلأُ مِنْ قُريش على رسول الله ﷺ وعنده خَبَّابٌ، وصُهَيبٌ، وبِلالٌ، وعمَّارٌ، فقالوا: يا محمَّدُ، رَضِيتَ بهؤلاءِ، أَتُرِيدُ أَنْ نكون تَبَعاً لهم؟! فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾.

[٥١٧] وقال عِكرِمَةُ: جاء عُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابنا رَبيعَةَ، ومُطْعِمُ بن عَدِيٍّ والحَارِثُ بن نَوْفَلٍ، في أشراف بَني عبد مَنَافٍ، إلى أبي طالبٍ فقالوا: لو أنَّ ابن أخيكَ يَطْرُد عنه مَوَالينا وَعبيدَنا كان أعظَم في صدورنا، وأدنى لاتِّبَاعِنَا إيَّاه، فأتاه أبو طَالبٍ فحدَّثه بذلك، فقال عُمَرُ بن الخَطَّابِ: لو فعلتَ ذلك حتى نَنْظُرَ ما الذي يُريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عُمَرُ يعتذر مِنْ مَقَالته.

[٥١٨] وروى أبو صالح عن ابن عباسٍ: أنَّ هذه الآيات نزلت في المَوَالي، منهم بلالٌ، وصُهَيبٌ، وخَبَّابٌ، وعمَّارٌ، ومِهْجَعٌ، وسَلمَانُ، وعَامِرُ بن فُهَيْرَة، وسَالمُ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ؛ وأنَّ قوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ نزلت فيهم أيضاً.

[٥١٩] وقد روى العَوفيُّ عن ابن عباسٍ: أنَّ أُناساً مِنَ الأشراف قالوا للنبيِّ ﷺ: نُؤمن لَك، وإذا صَلَّينا فَأَخِّر هؤلاءِ الذين معك، فَلْيُصَلوا خَلْفَنا. فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرَهم عن الصَّفِّ، وعلى

---

[٥١٥] ضعيف. أخرجه ابن ماجة ٤١٢٧ والطبري ١٣٢٦١، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٧ وفي «أسباب النزول» ٤٣٢ من حديث خباب بن الأرتّ وإسناده ضعيف أبو سعد قارئ الأزد وعبد الله بن عامر أبو الكنود كلاهما مجهول. وللمتن علة أخرى: وهي كون الخبر مدني والسورة مكية، ولذا استغربه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٧٣ وقال: فالآية مكية، والخبر مدني اهـ قلت: قدوم الأقرع وعيينة كان في المدينة.
ـ وأصلح من ذلك كله ما أخرجه: مسلم ٢٤١٣ والنسائي في «التفسير» ١٨٣ وابن ماجة ٤١٢٨ وأبو يعلى ٨٢٦ والطبري ١٣٢٦٦ والواحدي ٤٣١ والحاكم ٣/ ٣١٩ عن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل، ورجلان لست أسميهما. فقال المشركون للنبي ﷺ اطردهم لا يجترئون علينا فنزلت»اهـ. وانظر «تفسير الشوكاني» ٨٩٧ و ٧٩٨ بتخريجنا.

[٥١٦] حديث حسن. أخرجه أحمد ٣٩٧٥ والبزار ٢٢٠٩ والطبراني ١٠٥٢٠ والواحدي ٤٣٣ من حديث ابن مسعود، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠٩٩٧: رجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس، وهو ثقة. اهـ. ويشهد له ما تقدم عن سعد من حديث ابن مسعود. انظر «تفسير الشوكاني» ٨٩٧ وابن كثير ٢/ ١٧٢ و ١٧٣. بتخريجنا.

[٥١٧] أخرجه الطبري ١٣٢٦٧ عن عكرمة مرسلاً والمرسل من قسم الضعيف، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٧٣.

[٥١٨] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس، وراويته الكلبي يضع الحديث، والمتن منكر جداً بذكر سلمان فإن إسلامه كان في المدينة، والسورة مكية.

[٥١٩] أخرجه الطبري ١٣٣٨٦ عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف جداً، فيه عطية العوفي ضعيف، وعنه مجاهيل.

الأقوال التي قبله، سألوه طَرْدَهُم عن مجلسه.

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ في هذا الدُّعاء خمسة أقوال[١]: **أحدها**: أنه الصلاة المَكْتُوبة، قاله ابن عُمرَ، وابن عباسٍ. وقال مُجاهدٌ: هي الصَّلوات الخَمْسُ؛ وفي روايةٍ عن مُجاهدٍ، وقَتَادةَ قالا: يعني صلاةَ الصُّبح والعصر. وزعم مُقَاتلٌ أن الصلاة يومئذٍ كانت رَكعتين بالغَدَاة، ورَكعتين بالعَشِيّ؛ ثم فُرضت الصلواتُ الخَمْسُ بعد ذلك. **والثاني**: أنه ذِكْرُ الله تعالى، قاله إبراهيمُ النَّخَعيُّ، وعنه كالقول الأول. **والثالث**: أنه عِبادَةُ الله، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه تَعَلُّم القرآن غُدْوَةً وعَشِيَّةً، قاله أبو جَعفَرَ. **والخامس**: أنه دُعاء الله بالتوحيد، والإخلاصُ له، وعِبادتُه، قاله الزَّجَّاج.

وقرأ الجمهور: «بالغَدَاةِ»؛ وقرأ ابنُ عَامرٍ ها هنا وفي سورة الكهف أيضاً: «بالغُدْوَة» بضم الغين وإسكان الدال وبعدها واو. قال الفَرَّاءُ: والعربُ لا تُدخل الألفَ واللام على «الغُدْوَةِ» لأنها مُعَرَّفةٌ بغير ألفٍ ولام، ولا تُضيفها العربُ؛ يقولون: أتيتك غَدَاةَ الخميس، ولا يقولون: غُدْوَةَ الخميس، فهذا دليلٌ على أنها مَعْرِفةٌ. وقال أبو عليٍّ: الوَجْهُ: الغَدَاةُ، لأنها تُستعمل نكرة، وَتَتَعرَّف باللام؛ وأما غُدْوَة، فمَعرفةٌ. وقال الخَليلُ: يجوز أن تقول: أتيتكَ اليومَ غُدْوَةً وبُكْرَةً، فجعلها بمنزلة ضَحْوَة، فهذا وجه قراءة ابن عَامرٍ.

فإن قيل: دُعاء القوم كان مُتَّصلاً بالليل والنهار، فلماذا خَصَّ الغَدَاةَ والعَشِيَّ؟

فالجواب: أنه نَبَّهَ بالغَدَاة على جميع النهار، وبالعَشِيِّ على الليل، لأنه إِذا كان عملُ النهار خالصاً له، كان عملُ الليل أَصْفَى.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي يُريدون الله، فشهد اللَّهُ لهم بصحَّة النِّيات، وأنهم مُخلصون في ذلك. وأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه حسابُ الأعمال،

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمداً ﷺ أن يطرد قوماً كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي «والدعاء لله» يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وكلاماً، وقد يكون بالعمل له بالجوارح، الأعمال التي كان عليهم فرضها، وغيرها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابده بما هو عامل له، وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي، لأن الله قد سمى «العبادة» «دعاء» فقال تعالىٰ ذكره ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر: ٦] وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء. ولا قول أولىٰ بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به: من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي فيعمون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ولا يخصون منها بشيء من دون شيء. فتأويل الكلام إذاً: يا محمد أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير في العمل له دائبون إذا أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك استكباراً على الله ولا تطردهم ولا تقصهم، فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه، فأقصىٰ وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه، وقرب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدنائه فإن الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألون عفوه ومغفرته بصالح أعمالهم، وأداء ما ألزمهم من فرائضه، ونوافل تطوعهم، وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة والعشي يلتمسون بذلك القربة إلى الله، والدنو من رضاه ا.هـ.

قاله الحَسَنُ. **والثاني**: حسابُ الأرزاق. **والثالث**: أنه بمعنى الكِفَايَة. والمعنى: ما عليكَ مِنْ كِفَايَتِهِم، ولا عليهم كِفَايَتُكَ.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابنُ الأنباريِّ: عَظُمَ هذا الأمرُ على النبيِّ ﷺ، وخُوِّف بالدُّخول في جُملة الظالمين، لأنه كان قد هَمَّ بتقديم الرُّؤساء على الضُّعفاء.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ المعنى: وكما اِبتَلَينا قَبْلَكَ الغنيَّ بالفقير، اِبتَلَينا أيضاً بعضَهم ببعض. و «فَتَنَّا» بمعنى: اِبْتَلَينا واختَبَرنا؛ ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾، يعني الكُبَراء: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعْنُون الفقراءَ والضُّعفاءَ ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾بالهُدى؟ وهذا استفهامٌ معناه الإنكارُ، كأنهم أنكروا أن يكونوا سَبَقُوهم بفَضِيلَةٍ. قال ابنُ السَّائِب: اِبتَلى اللّهُ الرُّؤساءَ بالمَوَالي؛ فإذا نظر الشريفُ إلى الوَضيع قد آمَنَ قبله، أَنِفَ أَنْ يُسْلِم، ويقول: سَبَقني هذا!

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: بالذين يَشْكُرون نِعمته إذا مَنَّ عليهم بالهداية. والمعنى: إنما يَهدي اللّهُ مَنْ يعلمُ أنه يَشْكُر. والاستفهام في «أليس»، معناه التَّقرير، أي: إنه كذلك.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسةِ أقوالٍ:

[٥٢٠] **أحدها**: أنها نزلت في رِجالٍ أَتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إِنَّا أَصَبْنَا ذُنوباً عظيمةً، فسكتَ عنهم رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله أنسُ بن مالكٍ.

[٥٢١] **والثاني**: أنها نزلت في الذين نُهِيَ عن طَرْدِهم، فكان النبيُّ ﷺ إذا رَآهم بَدَأَهُم بالسَّلام، وقال: «الحمدُ الله الذي جعلَ في أُمَّتي مَنْ أَمَرَني أَنْ أَبْدَأَهم بالسَّلام»، قاله الحَسَنُ وعِكرِمَةُ.

[٥٢٢] **والثالث**: أنها نزلت في أبي بَكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانَ، وَعليٍّ، وحَمزةَ، وجَعفَرَ، وعُثمانَ بن مَظْعُونٍ، وأبي عُبيدَةَ، ومُصْعَب بن عُمَيرٍ، وسَالمٍ، وأبي سَلَمَةَ، والأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم، وعَمَّارٍ، وبلالٍ، قاله عَطَاءٌ.

[٥٢٣] **والرابع**: أنَّ عُمَرَ بن الخَطَّاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، اِستمالَةً

---

[٥٢٠] ليس له أصل عن أنس، وإنما ورد عن ماهان وهو أبو صالح الحنفي الكوفي أخرجه الطبري ١٣٢٩٤ و ١٣٢٩٥ عن ماهان مرسلاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٣٦ بدون إسناد عن ماهان. وعزاه في «الدر» ٣/ ٢٦ للفريابي وعبد بن حميد ومسدد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ماهان، وتفرد المصنف بنسبته لأنس.

[٥٢١] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٣٥ بدون سند عن عكرمة مرسلاً وسيأتي في سورة الكهف.

(٥٢٢) عزاه المصنف لعطاء، فهو مرسل، ولم أقف على إسناده، ولا يصح.

[٥٢٣] عزاه المصنف للكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

للرؤساء إلى الإسلام، فلما نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، جاء عمرُ بن الخَطَّابِ يعتذر مِنْ مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابنُ السَّائِب.

[٥٢٤] **والخامس**: أنها نزلت مُبَشِّرةً بإسلام عُمرَ بن الخَطَّاب؛ فلما جاء وأَسْلَمَ؛ تَلاَها عليه رسولُ الله ﷺ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ فمعناه: يُصَدِّقون بحُجَجِنا وبَرَاهِيننا.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه أُمِرَ بالسَّلام عليهم تَشْرِيفاً لهم؛ وقد ذَكرناه عن الحَسَنِ، وعِكرِمَةَ. **والثاني**: أنه أُمِرَ بإبلاغ السَّلام إليهم عَنِ الله تعالى، قاله ابن زَيدٍ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى السَّلام: دُعاءٌ للإنسان بأنْ يَسْلَمَ مِنَ الآفات. وفي السُّوء قولان: **أحدهما**: أنه الشِّرك. **والثاني**: المعاصي.

وقد ذكرنا في سورة النساء معنى الجَهَالَة.

قرأ ابنُ كَثير، وأبو عَمرو، وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: «إنَّه مَنْ عمل منكم سوءاً» «فإنَّه غفورٌ» بكسر الألف فيهما. وقرأ عَاصمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتح الألف فيهما. وقرأ نَافعٌ. بنصب ألف «أنَّه» وكسر ألف «فإنَّه غفورٌ». قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسَرَ ألف «إنَّه» جعله تفسيراً للرَّحمة؛ ومَنْ كَسَرَ ألفَ «فإنَّهُ غفورٌ» فلأنَّ ما بعد الفاء حُكْمُهُ الابتداء، ومَنْ فتَحَ ألف «أنَّه مَنْ عمل» جعل «أنَّ» بَدَلاً مِنَ الرَّحمة، والمعنى: كتب ربُّكم «أنَّه مَنْ عمل»، ومَنْ فتَحَهَا بعد الفاء أضمر خَبَراً تقديره: فله «أنَّهُ غفور رحيم» والمعنى: فَلَهُ غُفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[1] معناه: فَلَهُ أَنَّ له نار جهنَّم، وأما قراءة نَافِعٍ، فإنه أَبْدَلَ من الرَّحمة: واستأنف ما بعد الفاء.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما فَصَّلنا لك في هذه السورة دَلاَئِلَنا وأَعْلاَمنا على المشركين، كذلك نُبَيِّن لكَ حُجَّتَنا في كلِّ حقٍّ يُنكره أهلُ الباطل. قال ابن قُتَيْبَةَ: ومعنى تَفْصِيلها: إتْيَانها مُتَفرِّقَةً شيئاً بعد شيءٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ وقرأ ابن كَثير، وأبو عَمرو، وابنُ عَامرٍ: «وَلِتَسْتَبِيْنَ» بالتاء، «سبيلُ» بالرفع. وقرأ نَافعٌ، وزيدٌ عن يَعقُوبَ: بالتاء أيضاً، إلاَّ أنهما نَصَبَا السبيلَ. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «وَلِيَسْتَبِيْنَ» بالياء، «سبيلُ» بالرفع. فمَنْ قرأ ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالياء أو التاء، فلأنَّ السبيلَ تُذكر وتُؤنث عَلى ما بَيَّنَّا في آلِ عِمران، ومَنْ نصب اللام، فالمعنى: ولِتَسْتَبِيْنَ أنتَ يا محمَّدُ سبيلَ المجرمين. وفي سبيلهم التي بُيِّنت له، قولان: **أحدهما**: أنها طريقهم في الشِّرك، ومصيرهم إلى الخِزي، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: أنها مَقصُودهم في طَرِدِ الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحَسَدُ، لا إيْثار مُجالسته واتِّباعه، قاله أبو سُليمانَ.

---

[٥٢٤] لم أقف عليه، وأمارة الوضع لائحة عليه، فالمتن منكر، وليس له أصل.

---

(١) سورة التوبة: ٦٣.

فإنْ قيل: كيف انفردت لامُ «كي» في قوله: «ولِتَسْتَبِينَ» وسَبيلُها أَنْ تكون شَرْطاً لفعلٍ يَتقدَّمُها أو يأتي بعدَها؟ فقد أجاب عنه ابنُ الأنباريّ بجَوابين: **أحدهما**: أنها شَرْطٌ لفعلٍ مُضمَرٍ، يُرادُ به: ونفعلُ ذلك لِكَي تَسْتَبِينَ. **والثاني**: أنها معطوفةٌ على لامٍ مُضمَرةٍ، تأويله: نُفصِّلُ الآياتِ لِينكَشِفَ أَمْرُهم، ولِتَسْتَبِينَ سَبيلُهم.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام. وفي معنى ﴿تَدْعُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: تَدْعُونهم آلهةً. **والثاني**: تعبدون؛ قاله ابن عباسٍ. وأهواؤهم: دِينُهم. قال الزَّجّاجُ: أراد إنما عَبَدْتُمُوهَا على طريق الهوى، لا على طريق البيِّنة والبُرهان. ومعنى «إذاً» معنى الشَّرط؛ والمعنى: قد ضَلَلْتَ إنْ عَبدْتَها. وقرأ طَلْحَةُ، وابن أبي ليلَى: «قَدْ ضَلِلتُ» بكسر اللام.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾.

[٥٢٥] سبب نزولها أَنَّ النَّضرَ بن الحَارثِ وسائرَ قُريش قالوا للنبيِّ ﷺ: يا محمَّدُ اِئتِنا بالعذاب الذي تَعِدُنا به، اِستِهزاءً؛ وقام النَّضرُ عند الكَعْبَة وقال: اللهُمَّ إنْ كان ما يقولُ حَقّاً، فائتِنا بالعذاب؛ فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

فأمَّا البَيِّنةُ، فهي الدِّلالة التي تَفْصِلُ بين الحقِّ والباطل. قال الزَّجّاجُ: أنا على أَمرٍ بَيِّنٍ، لا مُتَّبِعٌ لِهَوَى. قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ في هاء الكِنَاية، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجع إلى الرَّبِّ. **والثاني**: ترجع إلى البَيَان. **والثالث**: ترجع إلى العذاب الذي طَلَبوه اِستِهزاءً.

قوله تعالى: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي: ما بِيَدِي. وفي الذي استعجلُوا به قولان: **أحدهما**: أنه العذابُ؛ قاله ابن عباسٍ، والحَسَنُ. **والثاني**: أنه الآياتُ التي كانوا يَقْتَرِحُونها؛ ذكره الزَّجّاجُ. قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الحُكْمُ الذي يَفْصِلُ به بين المُختَلِفين بإيجاب الثواب والعقاب. **والثاني**: أنه القَضَاءُ بإنزال العذاب على المُخَالِف.

قوله تعالى: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، وعَاصِمٌ، ونَافعٌ «يَقُصُّ الحقَّ» بالصَّاد المُشدَّدة، مِنَ القَصَص؛ والمعنى: أنَّ كلَّ ما أخبر به فهو حقٌّ. وقرأ أبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يقضي الحقَّ» مِنَ القضاء؛ والمعنى: يقضي القضاءَ الحَقَّ.

---

[٥٢٥] باطل. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهو من رواية الكلبي، وهذا إسناد موضوع. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٣٧ بدون سند عن الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي: مِنَ العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يقول: لَمْ أُمهِلْكُم ساعةً، ولأَهْلَكْتُكم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: إنْ شاء عَاجَلَهُم، وإنْ شاء أَخَّر عُقوبتهم. **والثاني**: أعْلَم بما يؤُول إليهم أَمْرُهم، وأنه قد يَهتدي منهم قومٌ، ولا يهتدي آخرون؛ فلذلك يُؤَخِّرهم.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ قال ابنُ جَريرٍ: المَفَاتِحُ: جمع مِفْتَح؛ يقال: مفتح ومِفْتَاح، فمَنْ قال: مِفْتَح، جمعه: مَفَاتِح. ومَنْ قال: مِفْتَاح، جمعه: مَفَاتِيح. وفي «مَفَاتِح الغَيْب» سبعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها خَمسٌ لا يعلمها إلاَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

[٥٢٦] روى البُخاريُّ في أَفْراده مِنْ حديث ابن عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمسٌ لا يَعْلَمُهنَّ إلاَّ اللَّهُ، لا يعلمُ متى تَقومُ السَّاعةُ إلاَّ اللَّهُ، ولا يعلَمُ ما تَغِيْضُ الأَرحَامُ إلاَّ اللَّهُ، ولا يعلَمُ ما في غَدٍ إلاَّ اللَّهُ، ولا تعلَمُ نَفْسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إلاَّ اللَّهُ، ولا يعلَمُ متى يَنْزِلُ الغَيْثَ إلاَّ اللَّهُ».

[٥٢٧] قال ابن مسعودٍ: أُوتيَ نبيُّكم عِلْمَ كلِّ شيءٍ إلاَّ مَفَاتيحَ الغيب.

والثاني: أنها خزائنُ غَيْبِ السموات مِنَ الأقدار والأرزاق، قاله ابن عباسٍ. **والثالث**: ما غَابَ عن الخَلْقِ مِنَ الثواب والعقاب، وما تَصير إليه الأمورُ، قاله عَطَاءٌ. **والرابع**: خَزَائنُ غَيبِ العذاب، متى يَنزل، قاله مُقاتلٌ. **والخامس**: الوُصْلَةُ إلى عِلْم الغيب إذا اسْتُعْلِمَ، قاله الزَّجَّاج. **والسادس**: عَوَاقِب الأَعْمار وخواتيم الأعمال. **والسابع**: ما لَم يَكُنْ، هل يكون، أَمْ لا يكون؟ وما يَكون كيفَ يكون، وما لا يكون إنْ كانَ، كيف يَكُون؟ فأمَّا البَرُّ، فهو القَفْرُ.

وفي البحر قولان: **أحدهما**: أنه الماء، قاله الجمهور. **والثاني**: أنه القُرَى، قاله مُجاهدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال الزجَّاجُ: المعنى: أنه يعلمها سَاقِطَةً وثَابِتَةً، كما تقول: ما يَجيئُكَ أحدٌ إلاَّ وأنا أعرِفُه، ليس تأويله: أعرفه في حَالِ مَجيئه فقط. فأما ظُلُمَاتُ الأرض، فالمُراد بها بَطْنُ الأرض.

وفي الرَّطْبِ واليَابِس، خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الرَّطْبَ: الماء، واليَابِس: البَادِية. **والثاني**: الرَّطْبُ. ما يُنبتُ، واليَابِس: ما لا يُنبِتُ. **والثالث**: الرَّطْبُ: الحَيُّ، واليَابِس: المَيت. **والرابع**: الرَّطْبُ: لِسان المؤمن يَذْكُر الله، واليَابِس: لِسانُ الكافر لا يَتَحرَّكُ بِذِكْر الله. **والخامس**: أنهما الشيءُ

---

[٥٢٦] حديث صحيح. أخرجه البخاري ١٠٣٩ و ٤٣٧٩ و ٤٦٢٧ و ٤٦٩٧ و ٤٧٧٨، وأحمد ٢/ ٢٤ و ٥٢ و ٥٨ و ٨٥ و ٨٦، وابن حبان ٧٠ و ٧١ والطبراني ١٣٢٤٦. من حديث ابن عمر.

[٥٢٧] جيد. أخرجه الطبري ١٣٣٠٩ك عن ابن مسعود، وإسناده قوي.

ينتقل مِنْ إحدى الحَالَتين إلى الأُخرى، فهو يعلمه رَطْباً، ويعلمه يَابِساً.

وفي الكتاب المُبين قولان: **أحدهما**: أنه اللَوح المَحفوظُ؛ قالهُ مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه عِلْمُ الله المُتْقَنُ؛ ذكره الزَّجّاج.

فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ، ذكرهنّ ابنُ الأنبَاريِّ: **أحدها**: أنه أحصَاهَا في كتابٍ، لِتقِفَ الملائكةُ على نَفَاذِ عِلْمِهِ. **والثاني**: أنه نَبَّهَ بذلك عِبَاده على تعظيم الحساب، وأَعْلَمَهُم أنه لا يَفُوته ما يصنعون، لأنَّ مَنْ يُثبت ما لا ثوابَ فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثوابٌ وعقابٌ أسرعُ. **والثالث**: أنَّ المُراد بالكتاب: العِلْم؛ فالمعنى: أنها مُثْبَتَةٌ في عِلْمِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ يريد به النَّوم، لأنه يقبض الأرواحَ عن التَّصرُّف، كما يَقبض بالموت. وقال ابن عباس: يَقْبض أرْوَاحكُم في مَنَامِكُم. وجَرَحْتُم: بمعنى كَسَبْتُم. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ أي: يُوقِظُكم فيه، أي: في النهار. ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لِتَبْلُغوا الأجلَ المُسمَّى لانقطاع حَيَاتِكم، فدَلَّ باليَقَظة بعدَ النوم على البَعْثِ بعد المَوت.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ الحَفَظَةُ: الملائكة، وَاحِدُهم: حَافِظ، والجمع: حَفَظَة، مثل كَاتِب وكَتَبَة، وفَاعِل وَفَعَلَة. وفيما يَحْفَظُونه قولان: **أحدهما**: أعمال بَنِي آدمَ؛ قاله ابن عباس. **والثاني**: أعمالهم وأجسادهم، قاله السُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقرأ حَمْزَةُ: «تَوفَّاهُ رُسلنا» وحُجَّتُه أنه فعلٌ مُسنَدٌ إلى مؤنثٍ غير حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾[(١)]. وفي المراد بالرُّسُل ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أَعْوَانُ مَلَك الموت، قاله ابن عباسٍ. وقال النَخعيُّ: أَعْوَانُه يَتَوَفَّون النُّفُوسَ، وهو يأخذها منهم. **والثاني**: أنَّ المُراد بالرُّسُل: مَلَك الموت وَحدَهُ، قاله مُقَاتلٌ. **والثالث**: أنهم الحَفَظَةُ، قاله الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ قال ابن عباسٍ: لا يُضَيِّعون.

فإنْ قيل: كيف الجَمْعُ بين قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[(٢)]؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه يجوز أَنْ يُريد بالرُّسل مَلَكَ كالموت وَحدَهُ، وقد يقع الجمع على الواحد. **والثاني**: أَنَّ أَعْوَانَ مَلَكِ الموت يفعلون بأَمْره، فأُضيف الكُلُّ إلى فِعْلِه. وقيل: توفِّي أَعْوَانِ مَلَكِ الموت بالنَّزْع، وَتوفِّي مَلَكِ الموت بأَنْ يأْمُرَ الأرواحَ فَتُجيب، ويَدْعُوها فَتخرُج، وتَوفِّي الله تعالى بأَنْ يَخْلُقَ الموتَ في المَيِّت.

---

(١) سورة يوسف: ٣٠.   (٢) سورة السجدة: ١١.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني العِباد. وفي مُتَوَلِّي الرَّدِّ قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة، رَدَّتهم بالموت إلى الله تعالى. **والثاني**: أنه الله عزَّ وجلَّ، رَدَّهُم بالبَعث في الآخرة. وفي معنى رَدِّهم إلى الله تعالى، قولان: **أحدهما**: أنهم رُدُّوا إلى المكان الذي لا يَمْلِكُ الحُكْمَ فيه إلاَّ اللَّهُ وَحدَهُ. **والثاني**: أنهم رُدُّوا إلى تَدبيره وَحدَهُ؛ لأنه لما أنْشَأَهُم كان مُنفرداً بتدبيرهم، فلما مَكَّنهم من التَّصرُّف صاروا في تدبير أنفسهم، ثُمَّ كَفَّهُم عنه بالموت فصاروا مَرْدُودين إلى تَدبيره.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعني القَضاء. وبيانُ سُرعة الحِسَاب، في سورة البقرة.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ قرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائِيُّ، وأبو جَعفَرَ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾، مشدَّدين. وقرأ يَعقُوبُ، والقَزَّازُ عن عبد الوَارِثِ: بسكون النون وتخفيف الجيم. قال الزَّجَّاجُ: والمشدَّدة أجودُ للكَثرة. وظُلمات البَرّ والبحر: شَدَائِدُها؛ والعرب تقول لليوم الذي تَلْقَى فيه شِدَّةً: يومٌ مُظلمٌ، حتى إنهم يقولون: يومٌ ذُو كَوَاكِب، أي: قد اشتدَّت ظُلمته حتى صار كالليل. قال الشاعر:

فِدَىً لِبَنِي ذُهْلِ بنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي ... إذا كَانَ يَوْماً ذا كَوَاكِب أَشْنَعَا[1]

قوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾ أي: مُظْهِرين الضَّرَاعَة، وهي شِدَّةُ الفقر إلى الشَّيء، والحَاجَة. قوله تعالى: ﴿وَخُفْيَةً﴾ قرأ عَاصمٌ إلاَّ حَفصاً: «وخِفية» بكسر الخاء؛ وكذلك في سورة الأَعْرَاف. وقرأ الباقون بضمِّ الخاء، وهُما لُغتان. قال الفَرَّاءُ: وفيها لغةٌ أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة: خِفْوَة، وخُفْوَة. ومعنى الكلام، أنكم تَدعُونه في أَنفُسكم، كما تَدْعُونه ظاهراً: «لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا»، كذلك قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وابنُ عَامرٍ، وأبو عَمرٍو: «لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا»، وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لَئِنْ أَنْجَانَا» بألفٍ، لمكان الغَيْبَة في قوله: «تَدْعُونه». وكان حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، يُميلون الجيم. قوله تعالى: ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: في أيِّ شدةٍ وَقَعتُم، قُلتم: «لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ». قال ابن عباسٍ: و «الشَّاكرون» ها هنا: المُؤمنون. وكانت قُرَيشُ تسافر في البَرِّ والبحر، فإذا ضَلُّوا الطريقَ وخافوا الهَلاكَ، دَعَوا الله مُخلصين، فَأَنجَاهُم. فأما «الكَرْبُ» فهو الغَمُّ الذي يأخذ بالنَّفْس، ومنه اشتُقَّت الكُرْبَةُ.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

---

(١) البيت أنشده سيبويه في «الكتاب» ١/ ٢١ ونسبه لمقاس العائذي. وأراد باليوم يوماً من أيام الحرب، وصفه بالشدة فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب، إما لكثرة السلاح الصقيل فيه، وإما لما ذكره من النجوم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الذي فوقهم: العذابُ النَّازل مِنَ السماء، كما حُصِب قومُ لُوطٍ، وأصحاب الفيل. والذي مِنْ تحت أَرْجُلهم: كما خُسِفَ بقارُونَ، قاله ابن عباسٍ، والسُّدِّيّ، ومُقَاتلٌ. وقال غيرهم: ومنه الطُّوفان، والرِّيح، والصَّيْحَة، والرَّجْفَة. **والقول الثاني**: أَنَّ الذي مِنْ فَوقِهم: مِنْ قِبَل أُمَرَائِهم. والذي مِنْ تحتهم مِنْ سَفَلتِهم، رواه عليُّ بن أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. وقال في روايةٍ أخرى: الذي مِنْ فَوقِهم: أئمة السُّوء؛ والذي مِنْ تحت أَرْجُلهم: عبيدُ السُّوء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قال ابن عباسٍ: يَبُثُّ فيكم الأهواءَ المختلفة، فتَصيرون فِرَقاً. قال ابن قُتَيْبَةَ: يَلْبِسَكُم: مِنَ الالتِبَاس عليهم. والمعنى: حتى تكونوا شِيَعاً، أي: فِرَقاً مُختلفين. ثم يُذيق بعضَكم بأسَ بعضٍ بالقتال والحرب. وقال الزَّجَّاج: يَلْبِسَكُم، أي: يَخْلِط أمرَكُم خَلْطَ اضطرابٍ، لا خَلْطَ اتِفاقٍ. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأَمْرَ، أَلْبِسُهُ: إذا لم أُبَيِّنه. ومعنى شِيَعاً: أي يجعلكم فِرَقاً، فإذا كنتم مختلفين، قَاتَل بعضُكم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: يقتل بعضكم بيَدِ بعضٍ.

وفيمن عُنِيَ بهذه الآية، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها في المسلمين أَهْلِ الصَّلاة، هذا مذهب ابن عباسٍ، وأبي العَالية، وقَتَادَة.

[٥٢٨] وقال أُبَيُّ بن كَعبٍ في هذه الآية: هن أربع خِلالٍ، وكلُّهُنَّ عذابٌ، وكلُّهن واقعٌ قبلَ يوم القيامة، فمضت اثنتان بعدَ وفاة رسول الله ﷺ بخمسٍ وعشرين سنةً، أُلبِسُوا شِيَعاً، وأُذِيْقَ بعضُهم بأسَ بعضٍ. وثنتان واقعتان لا محالَة: الخَسْفُ، والرَّجْمُ.

والثاني: أنَّ العذاب للمشركين، وباقي الآية للمسلمين، قاله الحَسنُ.

[٥٢٩] وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «سَأَلتُ رَبِّي ثلاثاً، فَأَعطَانِي اِثنتين، وَمَنَعَنِي واحدةً، سَأَلتُهُ أَنْ لا يُصيبَكُم بعذابٍ أَصابَهُ مَن كان قَبْلَكُم، فأعطانِيهَا، وسَأَلْتُهُ أن لا يُسَلِّط عليكم عَدُوّاً يَستبِيحُ بَيْضَتَكُم، فأعطَانِيهَا، وسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَلْبِسَكُم شِيَعاً ويُذيقَ بعضَكُم بأسَ بعضٍ، فَمَنَعْنِيهَا».

والثالث: أنها تهدُّدٌ للمشركين، قاله ابن جَريرٍ الطَّبَريّ، وأبو سُليمان الدِّمشقي.

---

[٥٢٨] موقوف. أخرجه أحمد ٥/ ١٣٥ عن أبي بن كعب موقوفاً، وإسناده غير قوي، فيه أبو جعفر الرازي، وهو صدوق، لكنه سيء الحفظ. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٢١ وقال رواه أحمد ورجاله ثقات.

[٥٢٩] صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٩٠ وابن أبي شيبة ١٠/ ٣٢٠ وأحمد ١/ ١٧٥ و ١٨١ و ١٨٢، وأبو يعلىٰ ٧٣٤ وابن حبان ٧٢٣٧ من حديث سعد، وبعضهم اختصره. وأخرجه الطبري ٣٣٧٠ رواية نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي. . وفي الباب أحاديث منها: حديث ثوبان عند مسلم ٢٨٨٩ وأبو داود ٤٢٥٢ والترمذي ٢١٧٦ وابن ماجة ٣٩٥٢ وأحمد ٥/ ٢٧٨ و ٢٨٤ وابن حبان ٧٢٣٨ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧ والبغوي ٣٩١٠. وحديث خباب بن الأرت عند الترمذي ٢١٧٥ والنسائي ٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧ وأحمد ٥/ ١٠٨ و ١٠٩ وابن حبان ٧٢٣٦ والمزي في تهذيب «الكمال» ١٤/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ والطبراني ٣٦٢١ و ٣٦٢٢ و ٣٦٢٤ و ٣٦٢٦. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح اهـ.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها كنايةٌ عن القرآن. **والثاني**: عن تَصريف الآيات. **والثالث**: عن العذاب.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لستُ حفيظاً على أعمالِكم لأُجازيكم بها، إنما أنا مُنذرٌ، قاله الحَسنُ.

والثاني: لستُ حفيظاً عليكم، أخذكم بالإيمان، إنما أَدعُوكم إلى الله تعالى، قاله الزَّجّاج.

فصل: وفي هذا القَدْرِ مِنَ الآية قولان: **أحدهما**: أنه اقتضى الاقتصارَ في حَقِّهم على الإنذار مِنْ غير زيادةٍ، ثم نُسِخَ ذلك بآية السيف. **والثاني**: أن معناه: لستُ حفيظاً عليكم، إنما أُطالبُكم بالظواهر مِنَ الإقرار والعمل، لا بالإِسْرَار؛ فعلى هذا هو مُحكَمٌ.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: لكلِّ خبرٍ يُخبر الله به وقتٌ يقع فيه مِنْ غير خُلْفٍ ولا تأخيرٍ. قال السُّدِّيّ: فاستقرَّ نبأُ القرآن بما كان يَعِدُهم مِنَ العذاب يومَ بدرٍ. وقال مُقاتِلٌ: منه في الدنيا يومَ بدرٍ، وفي الآخرة جهَنَّم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ فيمن أُريد بهذه الآية ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: المُشركون. **والثاني**: اليَهود. **والثالث**: أصحابُ الأَهْوَاء. والآياتُ: القرآن. وخَوضُ المشركين فيه: تكذيبُهم به واستهزاؤُهم، ويُقاربه خَوضُ اليَهود، وخَوضُ أهل الأَهْوَاء، والمِراء، والخُصُومات.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فاتْرُك مُجالستهم، حتى يكون خَوضُهم في غير القرآن. ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾ وقرأ ابن عَامرٍ: «يُنَسِّيَنَّكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثانية. ومثل هذا: غَرَّمْتُهُ وأَغرمتُهُ. وفي التنزيل: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾(١) والمعنى: إذا أَنساكَ الشيطانُ، فقعدتَ معهم ناسياً نَهْيَنَا لكَ، فلا تقعد بعد الذِّكرى. والذِّكر والذِّكرى: واحدٌ. قال ابن عباسٍ: قُمْ إذا ذكرتَ؛ والظَّالمون: المشركون.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوالٍ:

[٥٣٠] **أحدها**: أنَّ المسلمين قالوا: لَئِنْ كُنَّا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخَاضُوا فيه

---

[٥٣٠] عزاه المصنف لابن عباس ولم أقف عليه وهو لا شيء لخلوه عن الإسناد.

---

(١) سورة الأعراف: ٥٥.

فمَنَعْنَاهُم، لم نستطع أَنْ نجلسَ في المسجد الحَرَام ولا أن نَطُوفَ بالبيت، فنزلت هذه الآية.

[٥٣١] **والثاني**: أنَّ المسلمين قالوا: إِنَّا نخاف الإِثمَ إن لم نَنْهَهُم عن الخَوْضِ، فنزلت هذه الآية.

[٥٣٢] **والثالث**: أنَّ المسلمين قالوا: لو قُمْنَا عنهم إذا خَاضُوا، فإِنَّا نخشى الإِثمَ في مُجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مُقَاتِلٍ، والأَوَّلان عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يَتَّقون الشِّركَ. **والثاني**: يَتَّقون الخَوْضَ. قوله تعالى: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ يعني: حساب الخَائِضين. وفي «حِسَابهم» قولان: **أحدهما**: أنه كُفرهم وآثامُهم. **والثاني**: عُقوبةُ خَوضِهِم.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: ولكن عليكم أَنْ تُذَكِّرُوهم، وفيما تُذَكِّرُونَهم به، قولان: **أحدهما**: المَوَاعِظ. **والثاني**: قِيامُكم عنهم. قال مُقَاتِلٌ: إذا قُمتُم عنهم، مَنَعَهُم مِنَ الخُوضِ الحَيَاءُ منكم، والرَّغبةُ في مُجالستكم. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يتَّقون الاستِهزَاءَ. **والثاني**: يتَّقون الوَعِيدَ.

فصل: وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ هذه الآية مَنسُوخةٌ، لأنَّها اقتضت جوازَ مُجالسةِ الخَائضين والاقتصارَ على تَذْكِيرهم، ثم نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾[(١)]. والصحيح أنها مُحكَمَةٌ، لأنها خَبَرٌ، وإنما دلَّت على أنَّ كُلَّ عبدٍ يَختَصُّ بحساب نفسه، ولا يَلْزَمه حسابُ غيره.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الكُفَّار. **والثاني**: اليهود والنَّصارى. وفي اتِّخاذهم دِينهم لَعِباً ولَهْواً، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إِستِهزَاؤُهم بآياتِ الله إذا سَمِعُوها. **والثاني**: أنهم دَانُوا بما اِشتهوا، كما يَلْهُوْن بما يَشْتَهون. **والثالث**: أنهم يُحافظون على دِينهم إذا اِشتَهوا، كما يَلْهُون إذا اِشتَهوا. قال الفَرَّاءُ: ويقال: إنه ليس مِنْ قوم إلا ولهم عِيْدٌ، فهم يَلْهُون في أعيادهم، إلاَّ أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، فإنَّ أعيادَهم صلاةٌ وتكبيرٌ وبِرٌّ وخيرٌ.

فصل: ولعلماء النَّاسِخِ والمَنسُوخِ في هذا القَدْرِ مِنَ الآية، قولان: **أحدهما**: أنه خَرَجَ مخرج

---

[٥٣١] ذكره البغوي في «تفسيره» ٢/ ١٣٣ عن ابن عباس بدون إسناد ولم أقف على إسناده والظاهر أنه من رواية الكلبي أو الضحاك وكلاهما يروي عن ابن عباس تفسيراً واهياً.

[٥٣٢] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) سورة النساء: ١٤٠.

التَّهديد، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[1]. فعلى هذا هو مُحْكَم، وإلى هذا المعنى ذهب مُجاهدٌ. **والثاني**: أنه اقتضى المُسَامَحَةَ لهم والإعراضَ عنهم، ثم نُسِخَ بآية السيف؛ وإلى هذا ذهب قَتَادَةُ، والسُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦ﴾ أي: عِظْ بالقرآن. وفي قوله: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ قولان: **أحدهما**: لِئَلاً تُبْسَلَ نَفْسٌ، كقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلُّوا﴾[2]. **والثاني**: ذَكِّرهم إبْسَالَ المُبْسِلِيْنَ بجنَايَاتِهم لعلَّهم يخافون. وفي معنى «تُبْسَلَ» سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: تُسْلَم، رواه عِكرِمَةُ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، ومُجَاهدٌ، والسُّدِّيّ. وقال ابنُ قُتيبةَ: تُسلَمَ إلى الهَلَكة. قال الشاعر:

وإبْسَالِي بَنِيّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ ولا بِدَمٍ مُرَاقِ[3]

أي: بغير جُرم أجْرَمْنَاهُ؛ والبَعْوُ: الجِنَايَةُ. وقال الزَّجَّاجُ: تُسْلَمُ بعملها غير قادرةٍ على التَّخلُّص. والمُسْتَبْسِلُ: المُسْتَسْلِمُ الذي لا يعلم أنه يَقدِرُ على التَّخلص. **والثاني**: تُفْضَح، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: تُدْفَع، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: تُهْلَك، رُوي عن ابن عباس أيضاً. **والخامس**: تُحْبَس وتُؤخَذ، قاله قَتَادةُ، وابنُ زيدٍ. **والسادس**: تُجْزَى، قاله ابنُ السَّائِب، والكِسَائيُّ. **والسابع**: تُرْتَهَن، قاله الفَرَّاءُ. وقال أبو عُبيدَةَ: تُرْتَهَن وتُسْلَم؛ وأنشد:

هُنَالِكَ لا أرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَمِيْرَ اللَّيالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[4]

سَمِيْرَ الليالي: أَبَدَ الليالي. فأمَّا الوَلِيُّ: فهو النَّاصر الذي يمنعها مِنْ عذاب الله. والعَدْلُ: الفِدَاءُ. قال ابن زَيدٍ: وإن تَفْتَدِ كلَّ فِدَاءٍ لا يُقبل منها. فأمَّا الحَمِيْمُ، فهو الماءُ الحَارُّ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: ومنه سُمِّي الحَمَّام.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَـٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي؛ أَنَعْبُدُ ما لا يَضُرُّنا إنْ لم نَعْبُدْهُ، ولا ينفعنا إنْ عَبَدْنَاه، وهي الأصنامُ. ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي: نَرجِع إلى الكُفْر ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام، فنَكُونَ ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَـٰطِينُ﴾. وقرأ حَمزَةُ: «اِسْتَهْوَاهُ الشَّياطِينُ»، على قياس قراءته: «توفَّاه رسلنا». وفي معنى «اِستِهوَائِها» قولان: **أحدهما**: أنها هَوَت به وذهبت، قاله ابنُ قُتَيبَةَ. وقال أبو عُبيدَةَ: تُشبِّه له الشَّياطينُ، فَيتْبَعها حتى تَهوي به في الأرض، فتُضِلَّه. **والثاني**: زيَّنت له هَوَاه، قاله الزَّجَّاج. قال: و «حَيْرَانَ» منصوبٌ على الحال، أي: اِسْتَهْوَتْهُ في حال حَيْرَته. قال السُّدِّيّ: قال المشركون للمسلمين:

---

(١) سورة المدثر: ١١. (٢) سورة النساء: ١٧٦.

(٣) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي «مجاز القرآن» ١/ ١٩٤ و «اللسان» بسل.

(٤) البيت للشنفرى وهو شاعر جاهلي من صعاليك العرب وفتاكهم «مجاز القرآن» ١/ ١٩٥، «اللسان» بسل. قوله: سمير الليالي ويروى «سجيس الليالي». وهما بمعنىً: ومعنى «مبسلاً بالجرائر»: أنه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم.

اتَّبِعُوا سبيلَنا، واتركوا دِينَ محمَّدٍ، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ فنكون كرَجُلٍ كان مع قوم على طريقٍ، فَضَلَّ، فَحَيَّرَتْهُ الشَّياطينُ، وأصحابُه على الطريق يَدْعونه: يا فلانُ هَلُمَّ إلينا، فإنَّا على الطَّريق، فيأبى.

[٥٣٣] وقال ابنُ عباسٍ: نزلت هذه الآية في عبدِ الرَّحمن بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، دَعَاه أَبُوه وأُمُّه إلى الإِسلام فأبى. قال مُقَاتِلٌ: والمراد بأصحابه: أَبَواه[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ هذا رَدٌّ على مَنْ دَعا إلى عبادة الأصنام، وزَجْرٌ عن إجابته، كأنَّه قيل له: لا تفعل ذلك، لأنَّ هُدَى الله هو الهُدَى، لا هُدَى غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ قال الزَّجَّاج: العرب تقول: أَمَرْتُكَ أَنْ تفعلَ، وأَمرتُكَ لِتَفْعَلَ، وأَمرتُكَ بأَنْ تفعلَ. فمَنْ قال: «بأن» فالباء للإلصَاق. والمعنى: وَقَعَ الأمرُ بهذا الفعل، ومَنْ قال: «أَنْ تَفعَلَ» فعلى حذف الباء؛ ومَنْ قال: «لِتَفعَلَ» فقد أخبر بالعِلَّة التي لها وَقَعَ الأمرُ. قال: وفي قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وجهان: **أحدهما**: أُمِرنا لأَنْ نُسْلِمَ، ولأَنْ نُقيم الصَّلاةَ. **والثاني**: أَنْ يكون محمولاً على المعنى، لأنَّ المعنى: أُمِرْنا بالإِسلام، وبإقامة الصَّلاة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه أربعة أقوال: **أحدها**: خَلَقَهُما للحقِّ. **والثاني**: خَلَقَهُما حَقّاً. **والثالث**: خَلَقَهُما بكلامه وهو الحقُّ. **والرابع**: خَلَقَهُما بالحِكمة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ قال الزَّجَّاج: الأجودُ أَنْ يكون منصوباً على معنى: واذكُر يومَ يقول كُنْ فيكون، لأنَّ بَعدَهُ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ فالمعنى: واذكُرْ هذا وهذا. وفي الذي يقول له كُنْ فيكون، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه يومُ القيامة، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ما يكون في القيامة. **والثالث**: أنه الصُّوَرُ، وما ذُكِر مِنْ أمرِ الصُّوَرِ يدلُّ عليه، قالهما الزَّجَّاجُ. قال: وخُصَّ ذلك اليوم بسُرعةِ إيجادِ الشيء، لِيدُلَّ على سرعة أَمْرِ البَعْثِ.

قوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الصِّدْقُ الكائنُ لا محَالةَ ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾. وروى إسحَاقُ بن يُوسفَ الأزرقُ عن أبي عمرو؛ «ننفخ» بنونين. ومعنى الكلام: أن المُلوكَ يومئذٍ لا مُلْكَ لهم، فهو المُنفرد بالمُلْكِ وَحدَهُ، كما قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[2]. وفي «الصُّوْرِ» قولان: **أحدهما**: أنه قَرْنٌ يُنفَخُ فيه.

---

[٥٣٣] باطل. عزاه المصنف لابن عباس، وهو من رواية أبي صالح كما في «تفسير القرطبي» ٧/ ٢٠ وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس وراويته الكلبي يضع الحديث، والمتن باطل.

---

(١) قول مقاتل هذا باطل وهو من بدع التأويل.
(٢) سورة الانفطار: ١٩.

[٥٣٤] روى عبدُ الله بن عَمرو بن العَاصِ أنه سأل رسولَ الله ﷺ عن الصُّوْر، فقال: «هُوَ قَرْنٌ يُنفخ فيه. وقال مُجاهدٌ: الصُّورُ كَهَيْئَةِ البُوقِ. وحكى ابنُ قُتيبة: أنَّ الصُّوْرَ: القَرْنُ، في لُغة قومٍ من أهل اليَمَن، وأنشد:

نَحْنُ نَطَحْنَا غَدَاةَ الجَمْعَيْن بالضَّابِحَاتِ في غُبارِ النَّقْعَيْن
نَطْحاً شَدِيداً لا كَنَطحِ الصُّورَيْن[١]

وأنشد الفَرَّاءُ:

لَوْلاَ ابنُ جَعْدَةَ لَم يُفتَحْ قُهُنْدُزُكُم وَلاَ خُرَاسَانُ حتَّى يُنفَخَ الصُّوْرُ[٢]

وهذا اختيارُ الجمهور.

والثاني: أنَّ الصُّوَرَ جمع صُورَة؛ يقال: صُوْرَة وصُوْر، بمنزلة سُورَة وسُوْر، كسُوْرَة البناء؛ والمراد نفخُ الأرواح في صُوَرِ الناس، قاله قَتادةُ، وأبو عُبيدَةَ. وكذلك قرأ الحسَنُ، ومُعاذٌ القارئ، وأبو مِجْلَزٍ، وأبو المُتوكِّل «في الصُّوَر» بفتح الواو. قال ثَعلبٌ: الأجودُ أنْ يكون الصُّوْرُ: القَرْن، لأنه قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ ثمَّ قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾؛ ولو كان الصُّوَر، كان: ثم نُفِخَ فيها، أو فِيْهِنَّ؛ وهذا يدلُّ على أنه واحدٌ؛ وظاهر القرآن يشهد أنه يُنفخ في الصُّوْرِ مرَّتين.

[٥٣٥] وقد رَوى أهلُ التَّفسير عن أبي هُريرَة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصُّوْرُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه

---

[٥٣٤] حسن صحيح. أخرجه أبو داود ٤٧٤٢ والترمذي ٢٤٣٠ و ٣٢٤٤ والنسائي في «الكبرى» ١١٣١٢ و ١١٣٨١ و ١١٤٥٦ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ١٩٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ وابن حبان ٧٣١٢ والحاكم ٢/ ٤٣٦ و ٥٠٦ و ٤/ ٥٦٠ وأبو نعيم في «الحلية» ٧/ ٢٤٣ والمزي في «تهذيب الكمال» ٤/ ١٣٠ وابن المبارك في «الزهد» ١٥٩٩. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

[٥٣٥] هو بعض حديث الصور المطول. أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ و ٣١ و ٣٢ وإسحق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واهٍ، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن يزيد ابن أبي زيادة عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واهٍ. جاء في الميزان ٨٧٢: ضعفة أحمد ويحيىٰ وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر اهـ. باختصار. وقد اضطرب فيه كما سبق. وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف ا.هـ. وقال البوصيري، في ١/ ٢١: تابعيه مجهول. وجاء في الفتح =

---

(١) الرجز في «غريب القرآن»: ٢٦ بدون نسبة، والأول والثالث في «اللسان» صور. والضابحات: الخيل.

(٢) البيت: بدون نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٠ واللسان: صور. وابن جعدة هو عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي. والقهندز: بضم القاف والهاء وسكون النون وضم الدال من لغة خراسان، يعنون بها الحصن أو القلعة. وقد استشهد الفراء وابن جرير على أن العرب تقول: نفخ في الصور، ونفخ الصور.

ثلاثَ نَفخَاتٍ: **الأولى**: نَفخة الفزَع. **والثانية**: نَفخة الصَّعْقِ. **والثالثة**: نَفْخَة القِيَام لِربِّ العَالَمين». قال ابنُ عباسٍ: وهذه النَّفخةُ المذكورةُ في هذه الآية هي الأُولَى، يعني: نَفخَةَ الصَّعْقِ.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ وهو ما غابَ عن العِبَادِ مما لم يُعاينُوه، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو ما شَاهدوه ورَأَوه. وقال الحَسَنُ: يعني بذلك السِّرَّ والعَلانِيَة.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ في «آزَرَ» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه اسمُ أبيه، رُوي عن ابن عباسٍ، والحَسنِ، والسُّدِّيّ، وابن إسحَاقَ. **والثاني**: أنَّه اسمُ صَنَم، فأما اسمُ أبي إبراهيمَ، فتارح، قاله مُجَاهِدٌ. فيكون المعنى: أَتَتَّخِذُ آزَرَ أصناماً؟ فكأنه جعل أصناماً بَدَلاً مِنْ آزَرَ، والاستفهام معناه الإنكار. **والثالث**: أنَّه ليس باسم، إنما هو سَبٌّ بِعَيْبٍ، وفي معناه قولان: أحدهما: أنَّه المُعوَجُّ، كأنه عَابَهُ بزَيْغِهِ وتَعويجِه عن الحقِّ، ذكره الفَرَّاءِ. والثاني: أنَّه المُخْطِيءُ، فكأنَّه قال: يا مُخطِيءُ أَتَتَّخذ أصناماً؟ ذكره الزَّجَّاج. **والرابع**: أنَّه لَقَبٌ لأبيه، وليس باسمِه، قاله مُقاتلُ بن حَيَّانَ. قال ابنُ الأنَباريّ: قد يغلب على اسم الرجل لَقبه، حتى يكون به أشهرَ منه باسمِه. والجمهور على قراءة «آزَرَ» بالنَّصب. وقرأ الحسَنُ، ويَعقُوبُ بالرفع. قال الزَّجَّاج: مَنْ نَصَبَ، فمَوضِع «آزَرَ» خَفْضٌ بَدَلاً من أبيه؛ ومَنْ رَفَعَ فعلى النداء.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: وكما أَرَيْنَاهُ البَصِيرَةَ في دِينه، والحقَّ في خِلاف قومه، نُريهُ ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وقيل: «نُري» بمعنى أَرَيْنَا. قال الزَّجَّاجُ: والمَلَكوتُ بمنزلة المُلْكِ، إلاَّ أنَّ المَلَكُوت أبلغُ في اللغة، لأنَّ الواو والتاء يُزادان للمُبالغة؛ ومثل المَلَكُوت: الرَّغَبُوت والرَّهَبُوت. قال مُجاهِدٌ: مَلَكُوتُ السموات والأرض: آياتُها؛ تَفرَّجَتْ له السمواتُ السَّبعُ، حتى العَرْشُ، فنظر فيهنَّ، وتَفرَّجَتْ له الأرَضُونَ السَّبعُ، فنظر فيهنَّ. وقال قَتَادةُ: مَلَكُوتُ السَّموات: الشَّمسُ والقَمرُ والنُّجومُ، ومَلَكُوتُ الأرض: الجِبَالُ والشَّجرُ والبِحارُ. وقال السُّدِّيّ: أُقِيمَ على صخرةٍ، وفُتحت له السمواتُ والأرضُ، فنَظَرَ إلى مُلْكِ الله عزَّ وجلَّ، حتى نظر إلى العَرْشِ، وإلى منزله مِنَ الجنَّة، وفُتِحَتْ

= ١١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبي يعلىٰ في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث باسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من اسماعيل فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقد قال الحافظ ابن كثير: جمعه اسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقاً واحداً ا.هـ. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولىٰ، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ، وتكلم عليه أيضاً ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٣ و ٢٢٤. وخلاصة القول: أنه حديث ضعيف بهذا التمام، وبعض ألفاظه في الصحيحين وغيرهما وبعضه في الكتب المعتبرة وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه انظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٠.

له الأرَضون السَّبعُ، حتى نظر إلى الصَّخرة التي عَلَيْها الأرَضون.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ هذا عطفٌ على المعنى، لأن معنى الآية: نُريهُ مَلَكُوتَ السَّمواتِ والأرضِ لِيَسْتَدِلَّ به، ولِيَكونَ مِنَ المُوقنِين. وفي ما يُوقن به ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: وَحدانيَّةُ الله وقُدرته. **والثاني**: نُبوّته ورِسَالتُه. **والثالث**: ليكون مُوقِناً بعِلْم كلِّ شيءٍ حِسّاً، لا خَبَراً.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ قال الزَّجّاجُ: يقال: جَنَّ عليه الليلُ، وأَجَنَّهُ الليلُ: إذا أظلمَ، حتى يُستَرَ بظُلمته؛ ويقال لكل ما سَتَرَ: جنَّ، وأجنَّ، والاختيارُ أنْ يُقال: جَنَّ عليه الليلُ، وأَجَنَّه الليلُ.

الإشارة إلى بَدْءِ قصة إبراهيمَ عليه السَّلام: روى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ قال: وُلِدَ إبراهيمُ في زمن نُمْروذ، وكان لِنُمْرُوذ كُهّانٌ، فقالوا له: يُولَدُ في هذه السَّنة مَولودٌ يُفسد آلهةَ أهل الأرض، ويَدْعُوهم إلى غير دِينهم، ويكون هلاكُ أهلِ بيتك على يَدَيْهِ، فَعَزَلَ النِّساءَ عن الرجال، ودخل آزَرُ إلى بيته، فوَقَعَ على زوجته، فحَمَلَتْ، فقال الكُهّانُ لِنُمْرُوذ: إنَّ الغلامَ قد حُمِلَ به الليلَة. فقال: كُلُّ مَنْ وَلَدَت غلاماً فاقتلوه. فلمّا أَخَذَ أُمَّ إبراهيمَ المَخَاضُ، خرجت هَارِبةً، فوضعته في نَهْرٍ يابسٍ، ولفَّتهُ في خِرقَةٍ، ثم وَضَعته في حَلْفَاء، وأخبرتْ به أَبَاهُ، فأتاهُ، فحفَرَ له سَرَباً، وسَدَّ عليه بصَخرةٍ، وكانت أُمُّه تَخْتَلِفُ إليه فَتُرضعه، حتى شَبَّ وتكلَّم، فقال لأُمِّه: مَنْ رَبِّي؟ فقالت: أنا. قال: فَمَنْ رَبُّكِ؟ قالت: أبوك. قال: فمَنْ رَبُّ أبي؟ قالت: أسكُتْ. فسَكَتَ، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إنَّ الغلام الذي كُنّا نتحدث أنه يُغيِّر دِينَ أهل الأرض، ابنُكَ. فأتَاهُ، فقال له مِثْلَ ذلك. فلما جَنَّ عليه الليلُ، دَنَا مِنْ باب السَّرَبِ، فنظر فرأى كوكباً. قرأ ابن كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ «رأى»، بفتح الراء والهمزة؛ وقرأ أبو عَمروٍ: «رَإِى»؛ بفتح الراء وكسر الهمزة، وقرأ ابنُ عَامِرٍ، وَحَمْزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصم. «رِإِى»، بكسر الراء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لَقِيَهَا ساكنٌ، وهو آتٍ في ستة مواضع: ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾ وفي النَّحل ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[1] وفي الكَهف: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾[2]، وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3]. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصم، وحمزةُ إلاّ العَبْسِيَّ، وخَلَفٌ في اختيارِه: بكسرِ الراء وفَتحِ الهمزة في الكُلِّ، وروى العَبْسِيُّ كَسْرَةَ الهمزة أيضاً، وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو: وابنُ عَامرٍ، والكِسَائيُّ: بفتح الراء والهمزة. فإن اتَّصل ذلك بمَكْنِيٍّ، نحو: رَآكَ، ورَآه، ورَآها؛ فإنَّ حَمزَةَ، والكِسَائيَّ، وخَلَفَ، والوليدَ عن ابنِ عامرٍ، والمُفضَّلَ، وأَبَانَ، والقَزَّازَ عن عبدِ الوَارث، والكِسَائيَّ عن أبي بكرٍ: يَكسِرون الراءَ، ويُميلون الهمزةَ.

وفي الكوكب الذي رَآه قولان: **أحدهما**: أنه الزُّهَرَةُ، قاله ابن عباسٍ، وقَتَادةُ. **والثاني**: المُشتَرِي، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه على ظَاهِره. روى عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ: قال هذا ربي، فعبدَهُ حتى

---

(١) سورة النحل: ٨٥ و ٨٦. (٢) سورة الكهف: ٥٣. (٣) سورة الأحزاب: ٢٢.

غَابَ، وعَبَدَ القمَر حتى غَابَ، وعَبَدَ الشَّمسَ حتى غَابَتْ؛ واحتجَّ أربابُ هذا القول بقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدلُّ على نوع تَحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سَبَقَ إلى وَهْمِهِ، قبل أنْ يَثبُتَ عنده دليلٌ. وهذا القول لا يُرتضى، والمتأهِّلون للنُّبوة مَحْفُوظون مِنْ مثل هذا على كلِّ حالٍ. فأمَّا قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهُدى، ويَتَضرَّعُون في دَفْع الضَّلال عنهم، كقولهم: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[1]، ولأنه قد آتاه رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ، وأراه مَلَكُوتَ السَّمواتِ والأرضِ ليكونَ مُوقِناً، فكيف لا يَعْصِمُه عن مثل هذا التَّحيير؟! **والثاني**: أنه قال ذلك اِستدرَاجاً للحُجَّة، لِيَعيبَ آلهتَهم ويُريهم بُغضها عند أُفولِهَا، ولا بدَّ أن يُضمر في نَفْسِه: إمَّا على زَعْمِكُم، أو فيما تَظنُّون، فيكون كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾[2]، وإمَّا أنْ يُضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾[3]، أي: يقولان ذلكَ، ذكر نحوَ هذا أبو بَكرِ بن الأنبَاري، ويكون مُراده اِستدرَاج الحُجَّة عليهم، كما نُقل عن بعض الحُكَماء أنه نَزَلَ بقوم يعبدون صَنَماً، فأظهرَ تَعْظيمه، فأكْرَمُوه، وصَدَرُوا عن رأيه، فدَهَمَهُمْ عَدُوٌّ، فشَاوَرَهم مَلِكُهم، فقال: ندعو إلهنا لِيكشِفَ ما بنا، فاجتمعوا يَدْعُونه، فلم يَنْفَع، فقال: ها هُنا إلهٌ نَدْعُوه، فيَستجِيْبُ، فَدعَوُا الله، فصرفَ عنهم ما يحذرون، وأَسْلَمُوا. **والثالث**: أنه قال مُستفهماً، تقديره: أَهذا رَبِّي؟ فأُضمِرَت ألفُ الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[4]؟ أي: أفهُمُ الخالدون؟ قال الشاعر:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلام مِنَ الرَّبَابِ خَيَالا[5]

أراد: أكَذَبتكَ؟ قال ابنُ الأنبَاري: وهذا القول شَاذٌّ، لأنَّ حرف الاستفهام لا يُضمر إذ كان فَارقاً بين الإخبار والاستِخْبَار؛ وظاهر قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أنه إشارةٌ إلى الصَّانع. وقال الزَّجاج: كانوا أصحابَ نُجوم، فقال: هذا رَبِّي، أي هذا الذي يُدبِّرني، فاحتجّ عليهم أنَّ هذا الذي تَزْعُمون أنه مُدبِّرٌ، لا نرى فيه إلاَّ مُدَبَّرٍ. و «أَفَلَ» بمعنى: غَابَ؛ يقال: أَفَلَ النَّجم يأفُلُ ويأْفِلُ أُفولاً.

قوله تعالى: ﴿لَآ أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: حُبَّ رَبٍّ مَعبودٍ، لأنَّ ما ظهر وأَفَلَ كان حادثاً مُدَبَّراً.

﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ﴾ قال ابن قُتيبة: سُمِّي القمرُ قَمراً لِبَيَاضِه؛ والأَقْمَرُ: الأبيض؛ وليلةٌ قَمْراء، أي: مُضيئَةٌ. فأما البَازِغُ، فهو الطَّالِع. ومعنى ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي﴾: لَئِنْ لم يُثَبِّتني على الهُدى. فإنْ قيل: لِمَ قال في الشَّمس: هذا، ولم يَقُلْ: هذه؟ فعنه أربعة أجوبةٍ: **أحدها**: أنه رأى ضوءَ الشَّمس، لا عَيْنَهَا، قاله محمَّدُ بن مُقَاتِلٍ. **والثاني**: أنه أراد: هذا الطَّالِعُ رَبِّي، قاله الأخفَشُ. **والثالث**: أنَّ الشَّمس بمعنى الضِّياء والنُّور، فحُمِل الكلام على المعنى. **والرابع**: أنَّ الشَّمس ليس في لفظها علامةٌ مِنْ علامات التَّأنيث، وإنما يُشبه لَفظُها لفظَ المُذَكَّر، فجَازَ تَذكيرُها. ذكره والذي قبله ابنُ الأَنْبَارِي.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٥.
(٢) سورة النحل: ٢٧.
(٣) سورة البقرة، ١٢٧.
(٤) سورة الأنبياء: ٣٤.
(٥) البيت للأخطل من قصيدة يهجو بها جريراً، ديوانه ٤١ و «اللسان» كذب.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قال الزَّجَّاج: جعلتُ قَصْدِي بعبادتي وتَوحيدِي للَّهِ رَبِّ العَالَمين عزَّ وجلَّ. وباقي الآية قد تقدَّم.

وقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ قال ابن عباسٍ: جَادَلُوه في آلهتهم، وخَوَّفوه بها، فقال مُنكراً عليهم: ﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾. قرأ ابنُ كَثير، وأبو عمروٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: ﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾ و ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ بتشديد النون. وقرأ نافعٌ، وابنُ عَامرٍ بتخفيفها، فحَذَفَا النونَ الثانية لالتقاء النُّونين. ومعنى ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾ أي: في تَوْحِيْدِه. ﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾، أي: بَيَّن لي ما به اهتَديتُ. وقرأ الكِسَائيُّ: «هَدَانِي»، بإمالةِ الدَّال. والإِمَالةُ حسنةٌ فيما كان أصله الياءُ، وهذا مِنْ هَدَى يَهْدِي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: لا أَرْهَبُ آلهتَكُم، وذلك أنهم قالوا: نَخافُ أَنْ تَمَسَّكَ آلهتُنا بِسُوءٍ، فقال: لا أَخافُها لأنها لا تَضُرُّ ولا تنفع ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فلَهُ أَخاف ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: عَلِمَهُ عِلْماً تاماً.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: مِنْ هذه الأصنام التي لا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، ولا تخافون أَنتُم أنكم أَشْرَكتُم بالله الذي خَلَقَكُم وَرَزَقَكُم، وهو قادرٌ على ضَرِّكُم ونَفْعِكُم ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أي: بأَنْ يَأْمَنَ العذابَ، المُوحِّدُ الذي يَعْبُدُ مَنْ بيده الضَّرُّ والنَّفْعُ؟ أَم المُشْرِكُ الذي يعبد ما لا يَضُرُّ ولا ينفع؟ ثم بَيَّنَ الأحقَّ مَنْ هو بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يَخْلِطُوه بشِرْكٍ.

[٥٣٦] روى البُخَارِيُّ، ومسلمٌ في «صحيحيهما» مِنْ حديث ابن مسعودٍ قال: لمَّا نزلت هذه الآية، شَقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسولَ الله، وأَيُّنا ذلك؟ فقال: إنَّما هو الشِّرْكُ، أَلَمْ تسمعوا ما قاله لُقْمانُ لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١)؟

---

[٥٣٦] حديث صحيح. أخرجه البخاري ٣٢ و ٣٤٢٨ و ٣٤٢٩ و ٤٧٧٦ و ٦٩١٨ و ٦٩٣٧ ومسلم ١٢٤، والترمذي ٣٠٦٧ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٩٠ والطيالسي ٢٧٠ وأحمد ١/ ٣٨٧ و ٤٢٤ و ٤٤٤، والطبري ١٣٤٨٣ و ١٣٤٨٤ و ١٣٤٨٧. وابن حبان ٢٥٣ وابن منده في «الإيمان» ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ والبيهقي ١٠/ ١٨٥ من حديث ابن مسعود.

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

وفيمن عنى بهذه الآية، ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إبرَاهيمُ وأصحابُهُ، وليست في هذه الأمَّة، قاله عليُّ بن أبي طَالبٍ. وقال في روايةٍ أخرى: هذه الآية لإبراهيمَ خاصَّةً، ليس لهذه الأمَّة منها شيءٌ. **والثاني**: أنه مَنْ هاجر إلى المدينة، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: أنها عامَّةٌ، ذكره بعض المُفسِّرين. وهل هي مِنْ قول إبراهيمَ لقومه، أَمْ جوابٌ مِنَ الله تعالى؟ فيه قولان.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ يعني ما جرى بينه وبين قومه مِنَ الاستدِلاَل على حُدوث الكَوكبِ والقمرِ والشَّمسِ، وعَيْبِهم، إذ سَوَوا بين الصغير والكبير، وعَبَدُوا مَنْ لا يَنْطِقُ، وإلزَامِه إيَّاهُم الحُجَّة. ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أرشدناه إليها بالإلهَام. وقال مُجَاهِدٌ: الحُجَّةُ قولُ إبراهيمَ: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾؟

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونَافعٌ، وابنُ عَمروٍ وابنُ عَامرٍ: «درجاتِ مَنْ نشاء»، مُضَافاً. وقرأ عَاصمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾، مُنَوَّناً، وكذلك قرؤوا في (يوسف). ثم في المعنى قولان: **أحدهما**: أنَّ الرفعَ بالعِلْم والفَهْم والمَعْرفة. **والثاني**: بالاصطِفَاءِ للرِّسَالة. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ قال ابنُ جَريرٍ: حَكيمٌ في سياسة خَلْقِهِ، وتَلْقِيْنِهِ أنبياءه الحَجَّ على أُمَمِهم المُكَذِّبة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يؤول إليه أمرُ الكُلِّ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ وَلَداً لصُلبه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ وَلَداً لإسحَاقَ ﴿كُلًّا﴾ مِنْ هؤلاء المَذكُورين ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرْشَدْنَا.

قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ في «هاء الكِنَايَة»، قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى نُوحٍ؛ رواه أبو صَالحٍ عن ابن عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ، ومُقَاتلٌ، وابن جَريرٍ الطَّبَري. **والثاني**: إلى إبراهيمَ، قاله عَطَاءٌ. وقالَ الزَّجَّاج: كِلا القولين جَائزٌ، لأنَّ ذكرهما جميعاً قد جرى، واحتجَّ ابنُ جَريرٍ للقول الأول بأنَّ الله تعالى، ذكر في سياق الآيات لوطاً، وليس مِنْ ذُرِّيَّة إبراهيمَ، وأجاب عنه أبو سُليمانَ الدِّمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد: ووهبنا له لُوطاً في المُعَاضَدة والنُّصرة، ثم قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مِنْ أَبْيَنِ دليلٍ على أنه إبراهيمُ، لأنَّ افتتاحَ الكلام إنَّما هو بذكر ما أثابَ به إبراهيمَ. فأمَّا «يُوسُف» فهو اسمٌ أعجميٌّ. قال الفَرَّاءُ: «يُوسُف». بضم السين من غير هَمزٍ، لغةُ أهل الحجاز، وبعضُ بَني أَسَدٍ يقول: «يُؤسُف»، بالهمز، وبعضُ العرب يقول: «يُوسِف» بكسر السين، وبعضُ بَني عَقِيل يقول: «يُوسَف» بفتح السين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كما جَزَينا إبراهيمَ على توحيده وثَبَاته على دِينه، بأن

رَفَعنا دَرَجَتَهُ، ووَهَبْنَا له أولاداً أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المُحسنين. فأمَّا عيسى، وإلياسَ، واليَسَعَ، ولُوطاً، فأسماءٌ أعجمية، وجمهور القُرَّاء يقرأون «اليَسَع» بلام واحدةٍ مُخففةٍ، منهم ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وعَاصمٌ، وأبو عَمرو وابنُ عَامرٍ. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ هَا هنا وفي (ص)؛ «اللَّيْسعَ» بلامَين مع التشديد. قال الفَرَّاءُ: وهي أشبهُ بالصواب، وبأسماء الأنبياء من بَني إسرائيلَ، ولأنَّ العرب لا تدخل على «يَفعَل»، إذا كان في معنى فُلانٍ، ألفاً ولاماً، يقولون: هذا يَسَعُ قد جاء، وهذا يَعْمُرُ، وهذا يَزِيدُ، فهكذا الفصيح مِنَ الكلام. وأنشدني بعضهم.

وَجَدْنا الوَلِيدَ بنَ اليَزِيدِ مُباركاً　　شَدِيداً بأَحْناءِ الخِلافَةِ كَاهِلُه[1]

فلما ذكر الوَليد بالألف واللام، أتبعه يَزيدَ بالألف واللام، وكلٌّ صوابٌ. وقال مَكِّيُّ: مَنْ قرأه بلام واحدةٍ، فالأصل عنده: يَسَع، ومَنْ قرأه بلامين، فالأصل عنده: لَيْسَعُ، فأدخلوا عليه حرف التعرِيف. وباقي أسماء الأنبياء قد تقدَّم بيانُها، والمراد بالعالَمين: عَالَمو زَمَانِهِم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ «مِنْ» ها هنا للتَّبعيض. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: هدينا هؤلاءِ، وهدينا بعض آبائهم وذُرِّيَاتهم. ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ مثل اِختَرْنَاهم واصطَفَيناهُم، وهو مأخوذٌ من جَبَيْتُ الشيءَ: إذا أَخْلَصْتَهُ لِنَفسِكَ. وجَبَيْتُ الماءَ في الحَوضِ: إذا جمعته فيه. فأمَّا الصِّراطُ المستقيمُ، فهو التَّوحيدُ.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ذلك دِين الله الذي هُمْ عليه ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَحَبِطَ﴾ أي: لَبطلَ وزَالَ عَملُهم، لأنه لا يَقبلُ عملَ مُشركٍ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني الكُتُب التي أنزلها عليهم. والحُكْمُ: الفِقه والعلم ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ يعني بآياتنا. وفيمن أشير إليه بـ «هؤلاء» ثلاثة أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم أهلُ مَكَّة، قاله ابن عباسٍ، وسعيدُ بن المُسَيَّب، وقَتَادةُ. **والثاني**: أنهم قُريش، قاله السُّدِّيّ. **والثالث**: أُمَّةُ النبيِّ ﷺ، قاله الحَسَنُ.

---

(١) البيت منسوب لابن ميادة الرماح بن أبرد، معاني القرآن ١/ ٣٤٢. وأحناء: جمع الحنو هو الجهة والجانب. الكاهل اسم لما بين الكتفين ويعبر بشدة الكاهل عن القوة.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٥/ ٢٦١: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عني بقوله **﴿فإن يكفر بها هؤلاء﴾**، كفار قريش **﴿فقد وكلنا بها قوماً ليسو بها بكافرين﴾** يعني به الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية. وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضىٰ، وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبراً عنهم أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم. فتأويل الكلام إذا كان ذلك كذلك، فإن كفر قومك من قريش، يا محمد بآياتنا، وكذبوا وجحدوا حقيقتها فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك الذين لا يجحدون حقيقتها ولا يكذبون بها ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها. ا. هـ.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ قال أبو عُبيدَة: فقد رزقناها قوماً. وقال الزَّجَّاج: وكَّلنا بالإيمان بها قوماً. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أهلُ المَدينة مِنَ الأنصار، قاله ابن عباسٍ، وابنُ المُسَيِّبِ، وقَتادةُ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: الأنبياءُ والصَّالحون، قاله الحَسَنُ. وقال قَتادةُ: همُ النبيُّونَ الثَّمانية عشر، المذكورون في هذا المكان، وهذا اختيار الزَّجّاجِ، وابنِ جَريرٍ. **والثالث**: أنهم الملائكةُ، قاله أبو رَجَاء. **والرابع**: أنهم المُهاجِرون والأنصار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ يعني النَّبيين المذكورين. وفي قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ قولان: **أحدهما**: بشرائعهم وبسُنَنِهم فاعملْ، قاله ابنُ السَّائِب. **والثاني**: اِقْتَد بهم في صَبرهم، قاله الزَّجّاج. وكان ابنُ كَثير، ونَافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصمٌ، يُثبتون الهاءَ مِنْ قوله: «اِقْتَدِه» في الوَصل ساكنةً. وكان حَمزَةُ، والكِسائيُ وخَلفٌ، ويَعقوبُ، والكِسائيُ عن أبي بكرٍ، واليَزيديُّ في اختياره، يحذفون الهاء في الوَصل. ولا خلاف في إثباتها في الوَقف، وإسكانها فيه. قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يعني على القرآن. والذِّكرى: العِظَة. والعَالَمُون ها هنا: الجنُّ والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوالٍ(١):

---

(١) قال الطبري في تفسيره ٥/ ٢٦٤: وأولىٰ هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال، عني بقوله **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** مشركو قريش، وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلاً مع ماضي الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود: الإقرار بصحف إبراهيم وموسىٰ، وزبور داود وإذا لم يأت بما روىٰ من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود، خبر صحيح متصل السند، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** موصولاً بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل. ولكني أظن أن الذين تأولوا ذلك خبراً عن اليهود، وجدوا قوله **﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نوراً وهدىً للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** فوجهوا تأويل ذلك إلى أن لأهل التوراة فقرأوه على وجه الخطاب لهم **﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾** فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم إذا كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم. والأصوب من القراءة، في قوله: **﴿يجعلونه قراطيس يبدونها** =

[٥٣٧] **أحدها**: أنَّ مالكَ بنَ الصَّيْف رأسَ اليهود، أتى رسولَ الله ﷺ ذاتَ يوم، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أَنْشُدكَ بالذي أنزل التَّوراةَ على موسى، أَتجدُ فيها أنَّ الله يبغض الحَبْرَ السَّمين»؟ قال: نعم. قال: «فأنتَ الحَبْرُ السَّمِين». فغضب، ثم قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ؛ وكذلك قال سعيدُ بن جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ: نزلت في مالكِ بن الصَّيْف.

[٥٣٨] **والثاني**: أنَّ اليهود قالوا: يا محمَّدُ، أنزل الله عليكَ كتاباً؟ قال: «نَعَمْ». قالوا: واللَّهِ ما أنزل الله مِنَ السَّماءِ كتاباً، فنزلت هذه الآية، رواه الوَالبِي عن ابن عباسٍ.

[٥٣٩] **والثالث**: أنَّ اليهود قالوا: يا محمَّدُ، إنَّ موسى جاء بألواحٍ يَحمِلُها مِنْ عند الله، فائتِنا بآيةٍ كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾[1]. فلمَّا حَدَّثهم بأعمالهم الخَبيثة، قالوا: واللَّهِ ما أنزلَ اللَّهُ عليكَ ولا على موسى وعيسى، ولا على بَشَرٍ، مِنْ شيءٍ، فنزلت هذه الآية، قاله محمدُ بن كَعْبٍ.

والرابع: أنها نزلت في اليهود والنَّصارى، آتاهُمُ الله عِلْماً، فلم ينتفعوا به، قاله قَتَادةُ.

[٥٤٠] **والخامس**: أنها نزلت في فِنْحَاصَ اليهوديِّ، وهو الذي قال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾؛ قاله السُّدِّيّ.

[٥٤١] **والسادس**: أنها نزلت في مُشركي قُريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بَشَرٍ مِنْ شيءٍ، رواه ابن أبي نَجيح عن مُجاهدٍ.

والسابع: أنَّ أوَّلَها، إلى قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ في مُشركي قُريش. وقولُه تعالى: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ في اليهود، رواه ابنُ كَثيرٍ عن مُجاهدٍ.

وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: ما عظَّموا الله حقَّ عظَمته، قاله ابن

---

[٥٣٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٣٥٣٩ من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير مرسلاً، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٤٠ عن سعيد بن جبير بدون إسناد.

[٥٣٨] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس وهي رواية واهية فيه انقطاع بين علي الوالبي وابن عباس.
ـ أخرجه الطبري ١٣٥٤٤ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٣٨ من رواية الوالبي عن ابن عباس.

[٥٣٩] مرسل. أخرجه الطبري ١٣٥٤٢ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً والمرسل من قسم الضعيف.

[٥٤٠] مرسل. أخرجه الطبري ١٣٥٤١ عن السدي مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.
الخلاصة هذه الروايات وإن كانت ضعيفة أو مرسلة لكنها تتأكد بمجموعها ومع ذلك اختار ابن جرير القول الآتي، انظر التعليق على ذلك.

[٥٤١] مرسل أخرجه الطبري ١٣٥٤٧ عن مجاهد مرسلاً والمرسل من قسم الضعيف.

= **ويخفون كثيراً﴾**. أن يكون بالياء لا بالتاء، على معنى: أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً، ويكون الخطاب بقوله: **﴿قل من أنزل الكتاب﴾** لمشركي قريش، وهذا هو المعنى الذي قصده كمجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك، وكذلك كان يقرأ. اهـ.

(١) سورة النساء: ١٥٣ ـ ١٥٦.

عباسٍ، والحَسنُ، والفَرَّاءُ، وثَعلَبُ، والزَّجَّاج. **والثاني**: ما وَصفُوه حَقَّ صِفته، قاله أبو العَالِية، واختاره الخَليلُ. **والثالث**: ما عَرفوه حقَّ معرفته، قاله أبو عُبيدَة.

قوله تعالى: «يجعلونه قَراطِيس» معناه: يَكتُبونه في قَراطِيسَ. وقيل: إنَّما قال: قَرَاطِيْس، لأنهم كانوا يَكتُبونه في قَراطِيسَ مُقطَّعةٍ، حتى لا تكون مَجْمُوعةً، لِيُخفوا منها ما شاؤوا.

قوله تعالى: «يُبدونها» قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو: «يَجعلونَهُ قَرَاطِيسَ يُبدونها» و «يُخفون» بالياء فيهن. وقرأ نَافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسائيّ: بالتاء فيهنّ. فمَنْ قرأ بالياء، فلأنَّ القومَ غُيَّبٌ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾. ومَنْ قرأ بالتاء، فعلى الخِطَاب؛ والمعنى: تُبدون منها ما تُحبُّون، وتُخفون كثيراً، مثلَ صِفةِ محمَّدٍ ﷺ، وآيةِ الرَّجْم، ونحوِ ذلك مما كَتَمُوه.

قوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ في المُخَاطَب بهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهود، قاله الجمهور. **والثاني**: أنه خِطَابٌ للمسلمين، قاله مُجاهِدٌ. فعلى الأول: عُلِّموا ما في التَّوراة؛ وعلى الثاني: عُلِّموا على لسان محمَّدٍ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ هذا جوابٌ لقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وتقديره: فإنْ أجابُوكَ، وإلاَّ فَقُل: اللَّهُ أنزله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ تهديدٌ. وخَوضُهم: بَاطِلُهم. وقيل: إنَّ هذا أمرٌ بالإعراض عنهم، ثم نُسِخَ بآيَة السيف.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني القرآن. قال الزَّجَّاجُ: والمُبارَك: الذي يأتي مِنْ قِبَلِه الخيرُ الكثير. والمعنى: أنزلناه للبَرَكة والإنذار.

قوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مِنَ الكُتُب.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ قرأ عَاصِمٌ إلا حَفصاً: «ولينذر» بالياء؛ فيكون الكتاب هو المُنْذِرُ. وقرأ الباقون: بالتاء، على الخِطَاب للنبيِّ ﷺ. فأمَّا أُمّ القُرَى، فهي مَكَّة. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لِتُنذِرَ أهلَ أُمِّ القُرَى. وفي تسميتها بأُمِّ القُرَى أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها سُمِّيت بذلك، لأنَّ الأرض دُحِيَتْ مِنْ تَحتِها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لأنها أَقْدَمُها، قاله ابن قُتيبَة. **والثالث**: لأنها قِبْلَةُ جميع الناس، يَؤُمُّونَها. **والرابع**: لأنها كانت أعظمَ القُرى شأناً، ذكرهما الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال ابن عباسٍ: يريد الأرضَ كُلَّها.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في هاء الكِنَاية قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القرآن. **والثاني**: إلى النبيِّ محمَّدٍ ﷺ. والمعنى: مَنْ آمَنَ بالآخرة آمَنَ به؛ ومَنْ لم يُؤمن به، فليس إيمانه بالآخرة حقيقةً، ولا يُعتدُّ به، ألاَ ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فدلَّ على أنه أراد المؤمنين الذين يُحافظون على الصَّلوات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ أوّلها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ نزل في مُسيلمةَ الكذّاب. وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾؛

[٥٤٢] نزل في عبد الله بن سَعدِ بن أبي سَرْح، كان قد تكلّم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحايين؛ فإذا أُملِيَ عليه: «عزيز حكيم» كَتَبَ: «غفور رحيم» فيقول رسولُ الله ﷺ: هذا وذاكَ سواءٌ. فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ عَجِبَ عبدُ الله بن سعدٍ، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «كذا أُنزلت عليَّ، فاكتُبْهَا» فشكَّ حينئذٍ، وقال: لَئِنْ كان محمدٌ صادقاً، لقد أُوحي إليَّ كما أُوحي إليه، ولَئِنْ كان كاذباً، لقد قلتُ كما قال، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. قال عِكرِمَةُ: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مَكّة.

والقول الثاني: أنَّ جميعَ الآية في عبدِ الله بن سَعْدٍ، قاله السُّدّي.

---

[٥٤٢] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٤٢ عن ابن عباس من رواية الكلبي معلقاً والكلبي متروك متهم. وأخرجه الطبري ١٣٥٥٩ من مرسل عكرمة. وكرره ١٣٥٦٠ من مرسل السدي، وأخرجه الحاكم ٣/ ٤٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٤٤٢ من مرسل شرحبيل بن سعد. فالحديث بهذه الطرق مع اختلاف مخارجها. والله أعلم ـ ربما يتقوى ولكن لا تبلغ درجة ما يحتج به. انظر «تفسير الشوكاني» ٩١٢، و «تفسير القرطبي» ٢٩٢٩ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره»: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى قال: **﴿ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾** ولا تمانع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: «إني قد قلت مثل ما قال محمد». وأنه ارتد عن إسلامه والتحق بالمشركين. فكان لا شك بذلك من قيله مفترياً كذباً وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما إن الله أوحىٰ إليه. وهو كاذب في قيله. فإن كان ذلك كذلك، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً. وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره: «أوحى الله إلي». وهو في قيله كاذب، لم يوح الله إليه شيئاً. فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم. وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب. إذ كان قائلو ذلك منهم، فلم يغيروه. فعيَّرهم الله بذلك. وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك، ومع تركهم نكيره هم بنبيه محمد ﷺ كاذبون، ولنبوته جاحدون، ولآيات الله وتنزيله دامغون، فقال لهم جل ثناؤه: «ومن أظلم ممن ادعى على النبوة كاذباً» وقال: أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، ومع ذلك يقول **﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾** فينقض قوله بقوله، ويكذب بالذي تحققه وينفي ما يثبته، وذلك إذا تدبره العاقل الأريب علم أن فاعله من عقله عديم ا.هـ.

[٥٤٣] **والثالث**: أنها نزلت في مُسيلمَةَ، والأسْوَد العَنسِيّ، قاله قَتَادةُ.

فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ مِنْ قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ﴾ وذاك مُفترٍ أيضاً؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الوَصفين لرجلٍ واحدٍ، وُصِفَ بأمر بعد أمر ليدلَّ على جُرْأته. **والثاني**: أنه خصَّ بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ بعد أنْ عمَّ بقوله: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه ليس كلُّ مفترٍ على الله يَدَّعي أنه أُوحي إليه، ذكرهما ابنُ الأنْبَارِي.

قوله تعالى: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول. قال ابن عباسٍ: يَعنون الشِّعرَ، وهم المُستهزئون. وقيل: هو قولُ عبد الله بن سَعْدِ بن أبي سَرْحٍ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقوالٍ:

[٥٤٤] **أحدها**: أنهم قومٌ كانوا مسلمين بمكّةَ، فأَخرجهم الكفَّارُ معهم إلى قتال بَدْرٍ، فلما أبصروا قِلَّة أصحاب رسول الله ﷺ رَجَعوا عن الإيمان، فنزل فيهم هذا، قاله أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

والثاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قاله أبو سُليمانَ. **والثالث**: المَوْصُوفون في هذه الآية، وهم المُفتَرُون والمُدَّعون الوَحي إليهم، ومُمَاثلة كلام الله. قال الزَّجَّاجُ: وجواب «لو» محذوفٌ، والمعنى: لو تَرَاهم في غَمَرَات الموت لرأيتَ عذاباً عظيماً. ويُقال لكلِّ مَنْ كان في شيءٍ كبيرٍ: قد غَمَرَ فلاناً ذلك. قال ابنُ عباسٍ: غَمَراتُ الموت: سَكَرَاتُه. قال ابنُ الأنْبَارِي: قال اللُّغويون: سُمِّيت غَمَرَاتٍ لأنَّ أهوالَها يَغمُرن مَنْ يَقَعْنَ به.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: بالضَّرب، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: بالعذاب، قاله الحَسنُ، والضَّحَّاك. **والثالث**: بَاسِطوها لِقَبْضِ الأرواح مِنَ الأجساد، قاله الفَرَّاءُ. وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عندَ المَوت. قال ابنُ عباسٍ: هذا عند الموت، الملائكة يَضرِبون وُجُوهَهم وأدْبارَهم، ومَلَكُ الموت يَتوفَّاهُم. **والثاني**: يوم القيامَة، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: في النَّار، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ فيه إِضمَارُ «يقولون» وفي معناه قولان:

أحدهما: اِستَسْلِموا لإخرَاج أَنفُسِكم. **والثاني**: أَخرِجوا أَنفُسَكم مِنَ العذاب إِنْ قَدرتُم.

قوله تعالى: ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الهُون: مَضمومٌ، وهو الهَوَانُ؛ وإذا فَتَحُوا أوَّلَه، فهو الرِّفق والدِّعة. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: تُجزَون العذابَ الذي يقع به الهَوَان الشَّديد.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

---

[٥٤٣] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٣٥٦١ عن قتادة مرسلاً فهو ضعيف والمتن منكر، فالسورة مكية، وخبر مسيلمة مدني.

[٥٤٤] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة لأن مدارها على الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾.

[٥٤٥] سببُ نُزولها: أنَّ النَّضرَ بن الحارث قال: سوف تَشفع لي اللاَّتُ والعُزَّى، فنزلت هذه الآية، قاله عِكرِمَةُ.

ومعنى فُرَادى: وُحْدَاناً. وهذا إخبارٌ مِنَ الله تعالى بما يُوبِّخ به المشركين يومَ القيامة. قال أبو عُبيدَةَ: فُرَادى، أي: فَرْدٌ فَرْدٌ. وقال ابنُ قُتيبَةَ: فُرَادَى: جمع فَرْدٍ. وللمُفسِّرين في معنى «فُرَادَى» خمسةُ أقوالٍ مُتقَاربةِ المعنى: **أحدها**: فُرَادَى مِنَ الأهل والمال والوَلَد، قاله ابن عباسٍ. **والثاني**: كلُّ واحدٍ على حِدَة، قاله الحَسنُ. **والثالث**: ليس معكم مِنَ الدُّنيا شيءٌ، قاله مُقَاتلٌ. **والرابع**: كلُّ واحدٍ منفردٌ عن شريكه في الغيّ، وشَقيقِهِ، قاله الزَّجَّاج. **والخامس**: فُرَادَى مِنَ المَعْبُودين، قاله ابنُ كَيْسَان.

قوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لا مالَ ولا أهلَ ولا وَلَدَ. **والثاني**: حُفاةً عُراةً غُرْلاً. والغُرْلُ: القُلْفُ. **والثالث**: أحياءً. وخَوَّلنَاكُم: بمعنى مَلَّكْنَاكُم. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: في الدنيا. والمعنى أنَّ ما دَأَبْتُم في تَحصيله في الدنيا فَنِيَ، وبَقِيَ النَّدَمُ على سوءِ الاختيارِ. وفي شُفعائِهم، قولان: **أحدهما**: أنَّها الأصنام. قال ابنُ عباسٍ: شُفعاؤكم، أي: آلهتكم الذين زَعَمْتُم أنهم يَشفعُون لَكُم. و ﴿زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: عندكم شُرَكَاء. وقال ابنُ قُتيبَةَ: زعمتم أنهم لي في خَلْقِكُم شُرَكاء. **والثاني**: أنَّها الملائكة؛ كانوا يعتقدون شَفَاعَتَها، قاله مُقَاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: بالرَّفع. وقرأ نَافعٌ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصم: بنصب النون على الظَّرف. قال الزَّجَّاج: الرَّفعُ أجودُ، ومعناه: لقد تقطَّع وَصْلُكم، والنَّصب جائزٌ؛ ومعناه: لقد تَقَطَّع ما كنتم فيه من الشَّرِكَة بينكم. وقال ابنُ الأنبَاري: التقدير: لقد تَقطَّع ما بينكم، فحذفَ «ما» لِوضُوح معناها. قال أبو عَليٍّ: الذين رَفعُوه، جعلوه اسماً، فأسندوا الفعلَ الذي هو «تقطَّع» إليه؛ والمعنى: لقد تَقطَّع وَصْلُكُمْ. والذين نَصَبوا، أَضمَروا اسمَ الفاعل في الفِعل، والمُضمَرُ هو الوَصْلُ؛ فالتقدير: لقد تَقَطَّع وَصْلُكم بينكم.

وفي الذي كانوا يزعمون قولان: **أحدهما**: شَفَاعةُ آلِهتِهم. **والثاني**: عدمُ البَعْث والجزاء.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ في معنى الفَلْقِ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الخَلْقِ، فالمعنى: خالقُ الحَبِّ والنَّوى، رواه العَوفِيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، ومُقَاتِل. **والثاني**: أنَّ الفَلْقَ بمعنى الشَّقِّ. ثمَّ في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنه فَلَقَ الحَبَّةَ عن السُّنْبُلة، والنَّوَاةَ عن النَّخْلَة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، والسُّدِّيُّ، وابن زَيدٍ. **والثاني**: أنه الشَّقَّان اللَّذان في الحَبِّ والنَّوى، قاله مُجاهدٌ، وأبو مالكٍ. قال ابنُ السَّائِب: الحَبُّ: ما لم يكن له نَوًى، كالبُرِّ

---

[٥٤٥] ضعيف أخرجه الطبري ١٣٥٧٧ عن عكرمة مرسلاً فهو ضعيف. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٤٧٨ عن عكرمة مرسلاً.

والشَّعير؛ والنَّوى: مثل نَوَى التَّمر.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ قد سبَق تفسيره في (آل عِمران).

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف تُصْرَفون عن الحقّ بعد هذا البَيان.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ في معنى الفَلْق قولان قد سبَقا. فأما الإصباحُ، فقال الأخفشُ: هو مصدرٌ مِن أَصْبَحَ. وقال الزَّجّاج: الإصباحُ والصُّبْحُ واحدٌ. وللمُفسِّرين في الإصباح، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ضَوءُ الشَّمس بالنَّهار، وضوءُ القمرِ بالليلِ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه إضاءَةُ الفجر، قاله مُجاهدٌ. وقال ابن زَيدٍ: فلَقَ الإصباحَ مِنَ الليل. **والثالث**: أنه نَوَّر النَّهارَ، قاله الضَّحّاكُ. وقرأ أنسُ بن مالكٍ، والحَسَنُ، وأبو مِجْلَزٍ، وأيُوبُ، والْجَحْدريُّ: «فَالِقُ الأصبَاح» بفتح الهمزة. قال أبو عُبيدَةَ: ومعناه جَمْعُ صُبْحٍ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ قرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عَامرٍ: «جاعل» بألفٍ، وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «وجَعَلَ» بغير ألفٍ. «الليلَ» نصباً. قال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ: «وجاعل» فلأجْلِ «فالق» وهم يُراعُون المُشَاكَلَةَ. ومَنْ قرأ: «جعل» فلأنَّ «فاعلاً» ها هنا. بمعنى: «فَعَلَ» بدليل قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾. فأما السَّكَنُ، فهو ما سَكَنْتَ إليه. والمعنى: أن الناسَ يَسْكُنون فيه سُكُونَ راحةٍ. وفي الحُسْبَان قولان:

أحدهما: أنه الحِسَابُ، قاله الجمهور. قال ابنُ قُتَيبَةَ: يقال: خُذ مِنْ كلِّ شيءٍ بحُسْبَانِه، أي: بحِسَابِه. وفي المراد بهذا الحِسَاب، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهما يَجريان إلى أجَلٍ جُعِلَ لهما، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: يَجريان في منازلهما بحِسابٍ، ويَرجعان إلى زيادةٍ ونُقصانٍ، قاله السُّدّيّ. **والثالث**: أنَّ جَرَيَانَهما سببٌ لمعرفة حساب الشُّهور، والأَعوَام، قاله مُقَاتِل.

والقول الثاني: أنَّ معنى الحُسْبَان: الضِّياء، قاله قَتَادةُ. قال المَاوَرْدِيُّ: كأنه أَخذَهُ مِنْ قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[1] أي: ناراً. قال ابنُ جَرِيرٍ: وليس هذا مِنْ ذاكَ في شيءٍ.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ جعل، بمعنى خَلَقَ. وإنما اِمْتَنَّ عليهم بالنُّجوم، لأنَّ سَالِكي القِفار ورَاكِبي البحار، إنما يَهتدون في الليل لِمَقَاصِدِهم بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدمَ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، ويَعقوبُ، إلاّ رُوَيساً: بكسر القاف. وقرأ نَافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: بفَتحها. قال الزَّجّاجُ: مَنْ كَسَرَ، فالمعنى: «فمنكم مُسْتَقِر» ومَنْ نَصَبَ، فالمعنى: «فلكم مُسْتَقَرّ». فأمّا مُستودَع،

---

(١) سورة الكهف: ٤٠.

فبالفتح، لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مُستودَعٌ» وعلى كَسرها «ومنكم مُستودِع». وللمفسِّرين في معنى المُستَقرِّ والمُستودَع تسعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: فمُستقرٌ في الأرحام، ومُستودَعٌ في الأَصلاَب، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهدٌ، وعَطاءٌ، والضَّحَّاكُ، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ، والسُّدِّيّ، وابنُ زَيدٍ. **والثاني**: المُستقرُّ في الأرحام، والمُستودَعُ في القبر، قاله ابن مسعودٍ. **والثالث**: المُستقرُ في الأرض، والمُستودَعُ في الأصلاَب، رواه ابن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: المُستقرُ والمُستودَعُ في الرَّحِم، رواه قابُوسُ عن أبيه عن ابن عباسٍ. **والخامس**: المُستقرُّ حيثُ يَأوِي، والمُستودَعُ حيثُ يَموت، رواه مِقْسَمٌ عن ابن عباسٍ. **والسادس**: المستقر في الدنيا؛ والمستودع في القبر. **والسابع**: المُستقرُ في القبر، والمُستودَع في الدُّنيا، وهو عكسُ الذي قَبْلَه، رُويا عن الحَسَنِ. **والثامن**: المُستقرُ في الدُّنيا، والمُستودَع عندَ الله تعالى، قاله مُجاهِدٌ. **والتاسع**: المُستقرُّ في الأَصلاَب، والمُستودَع في الأَرحام، قاله ابنُ بَحرٍ، وهو عكسُ الأول.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المَطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالمَطرِ. وفي قوله تعالى: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قولان: **أحدهما**: نَباتُ كلِّ شيءٍ مِنَ الثِّمار، لأنَّ كل ما يَنْبت، فَنَباتُه بالمَاء. **والثاني**: رِزقُ كلِّ شيءٍ وغِذَاؤه. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قولان: **أحدهما**: مِنَ المَاء، أي: بهِ. **والثاني**: مِنَ النَّبات. قال الزَّجَّاجُ: الخَضِر بمعنى الأَخْضَر؛ يقال: اِخضَرَّ، فهو أَخْضَر، وخَضِر، مثل اِعْوَرَّ، فهو أَعْوَر، وعَوِر.

قوله تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: مِنَ الخَضِر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ كالسُّنبُل والشَّعير. والمُتَراكِب: الذي بَعضُه فوق بعضٍ. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ وروى الخَفَّافُ عن أبي عمروٍ: «قُنوان» بضمِّ القاف؛ وروى هَارونُ عنه بفتحها. قال الفَرَّاءُ: معناه: ومِنَ النَّخل ما قِنوانُه دَانِيةٌ؛ وأهل الحجاز يقولون: «قِنوان» بكسر القاف؛ وقَيْسٌ يَضمُّونها؛ وضَبَّةُ، وتَمِيمُ يقولون: «قِنيان» أنشدني المُفَضَّلُ عنهم:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٠٢: «فمستقر» أي في الأرحام و «مستودع» أي في الأصلاب؛ وهذا القول هو الأظهر والله أعلم ا.هـ. وقال الطبري في «تفسيره» ٥/ ٢٨٦: وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه عمَّ بقوله: ﴿فمستقر ومستودع﴾ كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة، فمستقراً ومستودعاً ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى. ولا شك أن في بني آدام مستقراً في الرحم، ومستودعاً في الصلب، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر، مستودع على ظهر الأرض. فكلٌ «مستقر» أو «مستودع». بمعنىً من هذه المعاني، فداخل في عموم قوله ﴿فمستقر ومستودع﴾ ومراد به، إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معنىً به معنىً دون معنىً، وخاص دون عام. ا.هـ.

فأَثَّتْ أعالِيهِ وآدَتْ أصُولُه وَمَالَ بِقِنْيانٍ من البُسْرِ أحْمَرا[١]

ويجتمعون جميعاً، فيقولون: «قِنو» و«قُنو» ولا يقولون: «قِني» ولا «قُني» وكَلْبٌ تقول: «ومال بِقنيان». قلتُ: هذا البيت لامرئ القَيْسِ؛ رواه أبو سعيدٍ السُّكَّري: «ومالَ بِقِنوان» مكسورة القاف مع الواو، ففيه أربعُ لُغَاتٍ: قِنوان، وقُنوان، وقِنْيَان، وقُنْيَان؛ و«أَثَّتْ»: كَثُرت؛ ومنه: شَعْرٌ أَثِيثٌ. و«آدَتْ»: اشتَدَّت. وقال ابنُ قُتيبَةَ: القِنوَانُ: عُذُوقُ النَّخْلِ، واحدُها: قِنو، جمعٌ على لفظ تثنيةٍ؛ ومثله: صِنو وصِنْوَان في التثنية، وصِنْوَان في الجميع. وقال الزَّجَّاجُ: قِنوان: جمع قِنْو، وإذا ثنيته فهما قِنوان، بكسر النون. ودَانِيَة، أي: قَريبةُ المُتَنَاوَل، ولم يَقُل: «ومنها قِنوَانٌ بعيدةٌ» لأنَّ في الكلام دليلاً أنَّ البعيدة السَّحِيقَة؛ قد كانت غيرَ سَحِيقَة، فاجتُزِئ بذكر القريبة عن ذِكْرِ البعيدة؛ كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[٢]. وقال ابنُ عباسٍ: القُنوانُ الدَّانِيَة: قِصَارُ النَّخلِ اللاصقة عُذُوقُها بالأرض.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ قال الزَّجَّاج: هو نَسَقٌ على قوله: «خَضِرَاً» ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجرَ الزيتون والرمان؛ وقد رَوى أبو زيدٍ عن المُفَضَّلِ: «وجناتٌ» بالرَّفع.

قوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: مُشتَبِهاً في المَنْظَر وغيرَ مُتَشَابِهٍ في الطَّعم، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: مُشتَبِهاً وَرَقُه، مختلفاً ثَمَرُهُ، قاله قَتَادَةُ، وهو في معنى الأول. **والثالث**: منه ما يُشبه بعضُه بعضاً، ومنه ما يُخالف. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قَرَنَ الزيتونَ بالرُّمان، لأنهما شَجَرتان تعرف العربُ أنَّ ورقهما يشتمل على الغُصن مِنْ أوَّله إلى آخره. قال الشاعر.

بُورِكَ المَيِّتُ الغَرِيبُ كما بُو رِكَ نَضْحُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ[٣]

ومعناه: أنَّ البَرَكَة في وَرَقِهِ اشتِمَالُه على عُودِهِ كُلِّه.

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾، و﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾، و﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾: بالفتح في ذلك. وقرأ حَمزَةُ. والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: بالضَّمِّ فيهنّ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ثَمَرَةٌ، ثَمَر، وثِمَارٌ، وثُمُر؛ فمَنْ قرأ: «إلى ثُمُره» بالضَّمِّ أراد جمعَ الجمع. وقال أبو عليٍّ: يَحتمل وَجْهَين: **أحدهما**: هذا، وهو أَنْ يكون الثُّمُر جمع ثِمَار، **والثاني**: أَنْ تكون الثُّمرُ جمعَ ثَمَرةٍ، وكذلك: أَكَمَة، وأُكُم، وخَشَبَة وخُشُب. قال الفَرَّاءُ: يقول: أنظروا إليه أوَّل ما يَعْقِد، وانظروا إلى يَنْعِهِ، وهو نُضْجُه وبُلُوغُه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْعَ، بفتح الياء، وبعض أهل نَجْدٍ يُضمُّونها. قال ابنُ قُتيبَة: يقال: يَنعت الثَّمرُ، وأَيْنَعَتْ: إذا أَدْرَكَتْ، وهو اليَنْع واليُنْع. وقرأ الحَسَنُ، ومُجَاهِدٌ، وقَتَادَةُ، والأَعْمَشُ، وابنُ مِحْصنٍ: «ويُنعِه» بضم الياء. قال الزَّجَّاجُ: اليُنْع: النُّضجُ. قال الشاعر:

---

(١) البيت لامرئ القيس. ديوانه ٦٧. «اللسان» قنا. وقوله: أثت أعاليه: عظمت والتفت من ثقل حملها. وقوله: آدت أي تثنت ومالت.

(٢) سورة النحل: ٨١.

(٣) البيت منسوب إلى أبي طالب بن عبد المطلب «اللسان» نضح.

فـــي قِـــبَـــابٍ حَـــوْلَ دَسْـــكَـــرَةٍ حَـــوْلَـــهَـــا الـــزَّيْـــتُـــونُ قَـــدْ يَـــنَـــعَـــا[١]

وبيَّن الله تعالى لهم بتصريف ما خَلَقَ، ونَقْلِهِ مِنْ حالٍ إلى حالٍ لا يَقْدِر عليه الخَلْقُ، أنه كذلك يَبْعَثُهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُصَدِّقون أَنَّ الذي أخرج هذا النبات قادرٌ على أن يُحيي المَوتى. وقال مُقَاتلٌ: يُصَدِّقون بالتَّوحيد.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ جعَلُوا، بمعنى وَصَفُوا. قال الزَّجَّاج: نصبُ «الجِنّ» مِنْ وجهين: **أحدهما**: أنْ يكون مفعولاً، فيكون المعنى: وجَعَلوا لله الجِنَّ شُرَكَاءَ؛ ويكون الجِنُّ مفعولاً ثانياً، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾[٢]. **والثاني**: أن يكون الجِنُّ بَدَلاً مِنْ شُرَكَاء، ومُفَسِّراً للشُّركاء. وقرأ أبو المُتَوَكِّل، وأبو عِمْرَان، وأبو حَيْوَة، والجَحْدَرِيُّ: «شركاء الجِنُّ» برفع النون؛ وقرأ ابنُ عَبْلَة، ومُعاذ القارئ: «الجِنِّ» بخفض النون. وفي معنى جَعْلِهِم الجِنّ شُرَكَاء ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أطاعوا الشَّياطين في عبادةِ الأوثانِ، فجعلوهم شُرَكَاءَ لله، قاله الحَسنُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: قالوا: إنَّ الملائكة بَنَاتُ الله فهم شُرَكَاؤه، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ فسمَّى الملائكة جِنّاً لاجتِنَانِهم، قاله قَتَادةُ والسُّدِّيّ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ الزَّنَادِقَةَ قالوا: الله خالقُ النُّور والماء والدَّواب والأنعام، وإبليسُ خالقُ الظُّلمة والسِّباع والحيَّات والعقارب، وفيهم نزلت هذه الآية. قاله ابنُ السَّائِب[٣].

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ في الكِنَاية قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون. **والثاني**: أنها ترجع إلى الجِنِّ، فيكون المعنى: والله خلق الجِنَّ، فكيف يكون الشَّريك لله مُحْدَثاً؟ ذكرهما الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ وقرأ نَافعٌ: «وخَرَّقوا» بالتشديد، للمبالغة والتَّكثير، لأن المشركين ادَّعوا الملائكة بَنَاتِ الله، والنَّصارى المسيحَ. واليَهودُ عُزَيْراً. وقرأ ابن عباسٍ، وأبو رَجَاء، وأبو الجَوزَاءِ: «وحرّفوا» بحاءٍ غير مُعجمةٍ وبتشديد الراء وبالفاء. وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، والجَحْدرِيُّ: «وخَارقوا» بألفٍ وخاءٍ مُعجمةٍ قال السُّدِّيّ: أما «البَنون»، فقولُ اليهود، عُزَيْرُ ابنُ الله، وقولُ النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله، وأما «البَنَاتُ» فقول مُشركي العرب: الملائكةُ بناتُ الله. قال الفَرَّاءُ: خَرَقوا، واختَرَقُوا، وخَلَقُوا، واختَلَقُوا، بمعنى اِفْتَروا. وقال أبو عُبيدَةَ: خَرَقُوا: جَعَلُوا. قال الزَّجَّاج: ومعنى:

---

(١) البيت منسوب إما للأحوص أو إلى يزيد بن معاوية. وهو في «اللسان» دسكر و «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٢.
الدسكرة: بناء كالقصر. كانت الأعاجم تتخذه للشرب والملاهي.

(٢) سورة الصافات: ١٥٨.

(٣) عزاه المصنف للكلبي، وهو ساقط العدالة، يضع الحديث، فخبره لا شيء.
ـ وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٤٣ عن الكلبي بدون إسناد.

«بغير علم» أنهم لم يذكروه مِنْ عِلم، إنما ذكروه تكذُّباً.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: مِنْ أين يكون له وَلَد، والوَلَدُ لا يكون إلا مِنْ صاحبةٍ؟! واحتجَّ عليهم في نَفي الوَلَد بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الوَلَدُ لِمَنْ لا مثلَ له؟! فإذا نُسب إليه الوَلَدُ، فقد جُعل له مِثْلٌ.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الإِدْراك قولان(١): **أحدهما**: أنه بمعنى الإِحَاطَة. **والثاني**: بمعنى الرُّؤية. وفي «الأبصَار» قولان: **أحدهما**: أنها العُيون، قاله الجمهور. **والثاني**: أنها العُقُول، رواه عبد الرَّحمن بن مَهدِي عن أبي حُصَينٍ القارئ. ففي معنى الآية ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: لا تُحيط به الأبصارُ، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن المُسَيِّب، وعَطَاءٌ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: الإِحَاطَةُ بحَقيقته، وليس فيها دَفْعٌ للرُّؤية، لما صحَّ عن رسول الله ﷺ مِنَ الرُّؤية، وهذا مذهب أهل السُّنَّة والعلم والحديث. **والثاني**: لا تُدركه الأَبصَار إذا تَجلّى بنُوره الذي هو نُوره، رواه عِكرِمَةُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: لا تُدركه الأَبصَار في الدنيا، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦. الآية **﴿لا تدركه الأبصار﴾**. فيه أقوال للأئمة من السلف أحدها: لا تدركه في الدنيا، وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ ـ من غير ما طريق ثابت في الصحاح والمسانيد كما قال مسروق، عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمداً أبصر ربه فقد كذب. فإن الله يقول: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**. وقد خالفهما ابن عباس فعنه إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين. وقال آخرون: **﴿لا تدركه الأبصار﴾**: أي جميعها، وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة. وقال آخرون من المعتزلة بمقتضىٰ ما فهموه من هذه الآية: أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله، أما الكتاب فقوله تعالىٰ: **﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلىٰ ربها ناظرة﴾** وقال تعالىٰ عن الكافرين **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾**. قال الإمام الشافعي: فدلَّ هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى وأما السنة فقد تواترت الأخبار أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنان. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين. وقيل: المراد بقوله **﴿لا تدركه الأبصار﴾** أي العقول وهذا غريب جداً. وخلاف ظاهر الآية، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنىٰ الرؤية والله أعلم. وقال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك، فإن الإدراك أحصن من الرؤية، ولا يلزم نفي الأحصن انتفاء الأعم. ثم اختلف هؤلاء في الإدراك المنفي، ما هو؟ فقيل: معرفة الحقيقة فإن هذا لا يعلمه إلا هو وإن رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فإنه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته. فالعظيم أولىٰ بذلك وله المثل الأعلىٰ. وقال آخرون: المراد بالإدراك الإحاطة، قالوا: ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم. قال الله تعالى: **﴿ولا يحيطون به علماً﴾**. ونفي هذا الإدراك الخاص، لا ينفي الرؤية يوم القيامة، يتجلىٰ لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه ـ تعالىٰ وتقدس وتنزه ـ فلا تدركه الأبصار ا.هـ.

الحسَنُ، ومُقاتلٌ، ويدلُّ على أنَّ الآيةَ مخصوصةٌ بالدنيا، قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] فقيَّد النَّظر إليه بالقيامة، وأَطلق في هذه الآية، والمُطْلَقُ يُحمل على المُقَيَّد. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فيه القولان: قال الزَّجَّاج: وفي هذا الإعلام دليلٌ على أنَّ خَلْقَه لا يُدركون الأبصارَ، أي: لا يعرفون حقيقةَ البَصَر، وما الشيء الذي صار به الإنسانُ يُبصر من عينيه، دون أن يُبصر مِنْ غيرهما مِنْ أعضائه؛ فأعلَمَ اللَّهُ أنَّ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ لا يُدرك المخلوقون كُنْهَهُ، ولا يحيطون بعِلْمه؛ فكيف به عزَّ وجلَّ؟! فأمَّا «اللطيف»، فقال أبو سُليمانَ الخَطَّابي: هو البَرُّ بعباده، الذي يَلطفُ لهم من حيث لا يعلمون، ويُسبِّب لهم مصالحهم مِنْ حيث لا يحتسبون. قال ابنُ الأَعْرَابي: اللطيف: الذي يوصل إليكَ أَرَبَكَ في رِفْقٍ؛ ومنه قولهم: لَطَفَ اللَّه بكَ؛ ويقال: هو الذي لطفَ عن أن يُدرَك بالكَيفيَّة. وقد يكون اللُّطف بمعنى الدِّقة والغُموض، ويكون بمعنى الصِّغر في نُعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات البَاري سبحانه. وقال الأزهَريُّ: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرَّفيق بعباده؛ والخَبير: العَالِمُ بكُنْهِ الشيء، المُطَّلعُ على حقيقته.

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ البَصائِرُ: جمع بَصيرةٍ، وهي الدِّلالة التي تُوجب البَصَرَ بالشيء والعِلْمَ به. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: قد جاءكم القرآنُ الذي فيه البَيانُ والبَصائرُ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ نَفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ فعلى نفسه ضَرَرُ ذلك، لأن الله عزَّ وجلَّ غنيٌّ عن خَلْقه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: لستُ آخذكم بالإيمان أَخذَ الحَفيظ والوَكيل، وهذا قبلَ الأمرِ بالقتال.

فصل: وذكر المُفسِّرون أن هذه الآية نُسخت بآية السيف. وقال بعضهم: معناها: لستُ رَقيباً عليكم، أُحصي أعمالَكم؛ فعلى هذا لا وَجْهَ للنَّسخ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ قال الأَخْفَشُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ معناها: وهكذا. وقال الزَّجَّاج: المعنى: وَمِثْلُ ما بيَّنَّا فيما تُلِيَ عليكَ، نُبيِّنُ الآيات، قال ابن عباسٍ: نُصَرِّف الآيات، أي نُبيِّنها في كل وَجْهٍ، ندعوهم بها مرَّةً، ونُخوِّفهم بها أُخرى. ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ يعني أهلَ مكَّة حين تَقرأ عليهم القرآن «دَارَسْتَ». قال ابنُ الأنباري: معنى الآية: وكذلك نُصرِّف الآيات، لِنُلزِمَهم الحُجَّة، وليقولوا: دارست؛ وإنما صَرَّف الآيات ليَسْعَدَ قومٌ بفهمها والعمل بها، ويَشْقَى آخرون بالإعراض عنها؛ فمَنْ عمل بها سُعِدَ، ومَنْ قال: دارست، شَقِي. قال الزَّجَّاجُ: وهذه اللام في «لِيَقُولوا» يُسميها أهلُ اللغة لامَ الصَّيرُورَة. والمعنى: أنَّ السَّبب الذي أدَّاهم إلى أن يقولوا: دارست!، هو تلاوةُ الآيات، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٢] وهم لم يطلبوا بأَخْذِه أَنْ يُعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أَنْ صَارَ لهم عدوّاً وحَزَناً. ومثله أنْ تقول: كتبَ فُلانٌ الكتاب لِحَتْفِهِ، فهو لم يقصد أن يُهلِكَ نَفْسَهُ بالكتاب. ولكنَّ العاقبة كانت الهَلاك. فأما «دَارَسْتَ» فقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «دَارَسْتَ»

---

(١) سورة القيامة: ٢٢ ـ ٢٣. (٢) سورة القصص: ٨.

بالألف وسكون السين وفتح التاء؛ ومعناها: ذَاكَرْتَ أهلَ الكتاب. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائِيُ: «دَرَسْتَ» بسكون السين وفتح التاء، مِنْ غير ألفٍ، على معنى: قَرَأْتَ كُتُبَ أهل الكتاب. قال المُفسِّرون: معناها: تَعلَّمتَ مِنْ جبر، ويسار. وسَنُبيِّن هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[1] إنْ شاء الله. وقرأ ابنُ عَامرٍ، ويَعقوبُ: «دَرَسَتْ» بفتح الراء والسين وسكون التاء من غير ألفٍ. والمعنى: هذه الأخبار التي تَتْلُوها علينا قديمةٌ قد دَرَسَتْ. أي: قد مَضَتْ وامَّحَتْ. وجميع مَنْ ذكرنا فَتَحَ الدال في قراءته. وقد رُوي عن نَافع أنه قال: «دُرِسَت» برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابنِ يَعْمُرَ؛ ومعناها؛ قُرِئت. وقرأ أُبيّ بن كَعبٍ: «دَرُسَتْ» بفتح الدال والسين وضم الراء وتسكين التاء. قال الزَّجّاجُ: وهي بمعنى: «دَرَسَتْ» أي: امَّحَتْ؛ إلاَّ أنَّ المضمومةَ الراءِ أشدُّ مُبالغةً. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وأبو العَالِيَة، ومُوَرِّقٌ: «دُرِّسْتَ» برفع الدال، وكسر الراء وتشديدها ساكنة السين. وقرأ ابنُ مسعودٍ وطَلْحَةُ بن مُصرِّفٍ: «دَرَسَ» بفتح الراء والسين بلا ألفٍ ولا تاءٍ. وروى عِصْمَةُ عن الأَعمَشِ: «دارس» بألف.

قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ يعني: التَّصريف ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما تُبيِّن لهم مِنَ الحق فيقْبَلُوه.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قال المفسِّرون: نُسِخ بآية السَّيف.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ حكاها الزَّجّاج: **أحدها**: لو شاء لَجعلَهم مؤمنين. **والثاني**: لو شاء لأنْزلَ آيةً تَضطَرُّهم إلى الإيمان. **والثالث**: لو شاء لاَستأصلَهم، فقطَعَ سببَ شِركهم. قال ابن عباسٍ: وباقي الآية نُسِخَ بآية السيف.

﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٥٤٦] **أحدهما**: أنه لمَّا قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[2] قالوا: لَتنتهِينَّ يا محمَّدُ عن سَبِّ آلهتنا وَعَيْبِها، أو لَنَهْجُوَنَّ إِلهَكَ الذي تعبده، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

---

[٥٤٦] ضعيف. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس. وأخرجه الطبري ١٣٧٤٢ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفيه إرسال بينهما وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٤٤ من رواية الوالبي عن ابن عباس.

---

(١) سورة النحل: ١٠٣.
(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.

[٥٤٧] **والثاني**: أنَّ المسلمين كانوا يَسُبُّون أوثان الكفَّار، فيَرُدُّون ذلك عليهم، فنَهاهُم اللَّهُ تعالى أنْ يَستَسِبُوا لِرَبِّهم قوماً جَهلَة لا عِلْمَ لهم بالله، قاله قَتَادَةُ.

ومعنى «يَدْعون»: يعبدون، وهي الأصنام. ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ أي: فَيَسُبُّوا مَنْ أَمَرَكُم بِعَيْبِها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يُصرِّحون بسَبِّ الله تعالى، لأنهم كانوا يُقِرُّون أنه خَالِقُهم، وإنْ أشركوا به. وقوله تعالى: ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي: ظُلماً بالجَهْل. وقرأ يَعقوبُ: «عُدُوّاً»، بضم العين والدال وتشديد الواو. والعرب تقول في الظُّلم: عَدَا فلانٌ عَدْواً وعُدُوّاً وعُدْوَاناً. وعَدَا، أي: ظَلَمَ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: كما زَيَّنَّا لهؤلاء المشركين عبادةَ الأصنام، وطاعةَ الشَّيطان، كذلك زَيَّنَّا لكل جماعةٍ اجتمعت على حقٍّ أو باطلٍ عَمَلَهُم مِنْ خيرٍ أو شرٍّ. قال المُفسِّرون: وهذه الآية نُسِخَتْ بتنبيه الخِطَاب في آية السيف.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٥٤٨] **أحدهما**: أنه لمَّا نَزَل في (الشُّعراء): ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾[1] قال المشركون: أَنْزِلْها علينا حتَّى واللَّهِ نُؤمنَ بها؛ فقال المسلمون: يا رسولَ الله، أَنْزِلْها عليهم لِكَي يُؤمنوا؛ فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

[٥٤٩] **والثاني**: أن قُريشاً قالوا: يا محمَّدُ، تُخبرنا أنَّ موسى كان معه عَصَا يضرب بها الحَجَر، فينفجر منها اثنتا عشرة عَيْناً، وأنَّ عيسى كان يُحيي الموتى، وأنَّ ثَمُود كانت لهم نَاقَةٌ، فائتِنا بمِثْلِ هذه الآيات حتى نُصدِّقك: فقال: «أيَّ شيءٍ تُحبون؟» قالوا: أنْ تجعلَ لنا الصَّفَا ذَهباً. قال: «فإن فعلتُ تُصدِّقوني؟» فقالوا: نعم، والله لَئِنْ فعلتَ لَنَتَّبِعنَّك أجمعين. فقامَ رسولُ الله ﷺ يَدْعُو، فجاءه جِبريلُ فقال: إنْ شئتَ أصبحَ الصَّفا ذَهَباً، ولكني لم أُرسِل آيةً فلم يُصدَّق بها، إلاَّ أنزلتُ العذابَ، وإنْ شئتَ تَرَكْتُهم حتى يتوبَ تَائِبُهم. فقال رسولُ الله ﷺ «اتركهُم حتى يَتُوبَ تَائِبُهم»، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾، هذا قول محمَّدِ بن كَعْبٍ القُرَظِيِّ.

وقد ذكرنا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ في (المَائدة)؛ وإنما حَلَفُوا على ما اقترحوا مِنَ الآيات،

---

[٥٤٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٣٧٤٣ عن قتادة مرسلاً فهو ضعيف، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٤٥ عن قتادة مرسلاً.

[٥٤٨] موضوع. عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وراوية أبي صالح هو الكلبي وكلاهما روى عن ابن عباس تفسير موضوعاً.

[٥٤٩] ضعيف. أخرجه الطبري ١٣٧٥٠ والواحدي ٤٤٧ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً ومع إرساله في إسناده أبو معشر نجيح السندي، وهو ضعيف فالخبر واهٍ. وورد عن الكلبي، وهو لا شيء لأنه متروك متهم.

---

(١) سورة الشعراء: ٤.

كقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[١].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو القادر على الإتيان بها دُوني ودونَ أحدٍ من خَلْقه ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ﴾ أي: يُدرِيكم أنها. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، وخَلَفٌ في اختياره: بكسر الألف، فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله «يُشعركم» للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ويكون المعنى: وما يُدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إِنَّها» مكسورةً على الاستِئناف والإخبار عن حَالِهم. وقال أبو عليٍّ: التقدير: وما يُشعِرُكم إيمانَهم؟ فحُذِفَ المفعولُ. والمعنى: لو جاءت الآية التي اِقترَحُوها، لم يُؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين. قال سِيبَويه: سألتُ الخَليلَ عن قوله: «وما يُشعركم إنَّها»؛ فقلت: ما مَنَعها أَنْ تكون كقولكَ: ما يُدريكَ أنه لا يفعل؟ فقال: لا يَحْسُن ذلك في هذا المَوضع؛ إنما قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم ابتدأ فأوجَبَ، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ كان ذلك عُذْراً لهم. وقرأ نَافعٌ، وحَفصٌ عن عَاصِم، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «أنها» بفتح الألف؛ فعَلَى هذا، المُخَاطب بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه؛ ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: وما يُدريكم لعلها إذا جاءت لا يُؤمنون. وفي قراءة أُبَيٍّ: «لعلها إذا جاءت لا يُؤمنون». والعرب تجعل «أَنْ» بمعنى «لعل». يقولون: اِئتِ السُّوقَ أَنَّكَ تشتري لنا شيئاً، أي: لَعَلَّكَ. قال عَدِيُّ بن زيدٍ:

أَعَاذِلُ ما يُدْرِيكِ أنَّ مَنِيَّتي ... إلى سَاعَةٍ في اليَوْمِ أو في ضُحَى غَدِ

أي: لَعَلَّ مَنِيَّتي. وإلى هذا المعنى ذهب الخَليلُ، والفَرَّاءُ في تَوجيه هذه القراءة.

والثاني: أنَّ المعنى: وما يُدريكُم أنها إذا جاءت يُؤمنون، وتكون «لا» صِلَةً؛ كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٢] وقولِهِ تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٣]، ذكره الفَرَّاءَ ورَدَّهُ الزَّجَّاج واختار الأولَ. والأكثرون على قراءة: «يؤمنون» بالياء؛ منهم ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ؛ وقرأ ابنُ عَامِرٍ، وحَمزَةُ: بالتاء، على الخطاب للمشركين. قال أبو عَليٍّ: مَنْ قرأ بالياء، فَلأنَّ الذينَ أَقْسَموا غُيَّبٌ، ومَنْ قرأ بالتاء، فهو انصِرَافٌ مِنَ الغَيبَةِ إلى الخِطابِ.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ التَّقْليب: تَحويلُ الشيء عن وَجْهِه. وفي معنى الكلام، أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لو أَتَيْنَاهُم بآيةٍ كما سألوا، لَقَلَّبنا أفئِدَتَهم وأبصارَهم عن الإيمان بها، وحُلْنا بينهم وبين الهُدى، فلم يُؤمنوا كما لم يُؤمنوا بما رَأَوا قَبْلَها، عقوبةً لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ عباس، ومُجَاهدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه جوابٌ لِسُؤالهم في الآخرة الرُّجوعَ إلى الدُّنيا؛ فالمعنى: لو رُدُّوا لَحُلْنَا بينهم وبين الهُدى كما حُلْنَا بينهم وبينه أولَ مرَّةٍ وهم في الدنيا، رَوى هذا المعنى ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: ونُقَلِّب أفئدة هؤلاء وأبصارَهم عن الإيمان بالآيات كما لم يُؤمن أوائِلُهم

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠. (٢) سورة الأعراف: ١٢. (٣) سورة الأنبياء: ٩٥.

مِنَ الأُمَمِ الخَالِيَة بما رَأَوا مِنَ الآيات، قاله مُقَاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ ذلك التَّقْلِيبَ في النَّار، عقوبةً لهم، ذكره المَاوَرْدِي.

وفي هاء «به» أربعة أقوالٍ. **أحدها**: أنها كِنَايةٌ عن القرآن. **والثاني**: عن النبيِّ ﷺ. **والثالث**: عَمَّا ظَهَرَ مِنَ الآيات. **والرابع**: عن التَّقْلِيب.

وفي المُراد بـ «أولَ مرَّةٍ» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المَرَّةَ الأُولى: دارُ الدُّنيا. **والثاني**: أنها مُعجزات الأنبياء قبلَ محمَّدٍ عليه السلام. **والثالث**: أنها صَرْفُ قُلوبِهم عن الإِيمان قبلَ نزول الآيات أَنْ لو نَزَلت؛ والطُّغْيَان والعَمَهُ مذكوران في (البقرة).

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

[٥٥٠] سببُ نزولها: أنَّ المُستهزئين أَتوا رسولَ الله ﷺ في رَهْطٍ من أهل مَكَّةَ، فقالوا له: إبعَثْ لنا بعضَ مَوتَانا حتى نسألهم: أحقٌّ ما تقول، أَمْ باطلٌ؟ أو أَرِنَا الملائكةَ يشهدون لكَ أنكَ رسولُ الله، أو إِئتِنَا بالله والملائكة قَبِيْلاً، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

ومعنى الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما سألوا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فشهدوا لكَ بالنُّبوة ﴿وَحَشَرْنَا﴾ أي: جَمَعْنا: ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدُّنيا ﴿قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، فأخبر أَنَّ وقوعَ الإِيمان بمشيئته، لا كَمَا ظَنُّوا أنهم متى شَاؤوا آمَنُوا، ومتى شَاؤوا لم يُؤمنوا. فأمَّا قوله تعالى: «قبلاً»، فقرأ ابن عَامرٍ، ونَافعٌ: بكسر القاف وفتح الباء. قال ابنُ قُتَيبةَ: معناها: مُعَايَنَةً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ، وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: «قُبُلاً» بضمِّ القاف والباء. وفي معناها، ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه جَمْعُ قَبِيلٍ، وهو الصِّنْف؛ فالمعنى: وحَشَرْنَا عليهم كلَّ شيءٍ قَبِيلاً قَبِيلاً، قاله مُجَاهدٌ، واختاره أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبَة. **والثاني**: أنه جَمْعُ قَبِيْلٍ أيضاً، إلا أنه: الكَفِيْلُ؛ فالمعنى: وحَشَرنا عليهم كلَّ شيءٍ، فكفَلَ بصحة ما تقول، اختاره الفَرَّاءُ، وعليه اعتراضٌ، وهو أَنْ يُقال: إذا لم يُؤمنوا بإنزال الملائكة، وتَكْلِيم المَوتَى، فَلأَنْ لا يؤمنوا بالكَفَالَة التي هي قولٌ، أَوْلَى. فالجواب: أنه لو كَفَلَت الأشياءُ المَحْشُورة، فنطَقَ ما لم يَنْطِق، كان ذلك آيةً بيِّنَةً. **والثالث**: أنه بمعنى المُقَابِل، فيكون المعنى: وحَشَرنَا عليهم كلَّ شيءٍ، فقابَلَهُم، قاله ابنُ زيدٍ. قال أبو زَيدٍ: يقال: لَقِيتُ فلاناً قِبَلاً وَقَبَلاً وقُبُلاً وقَبِيْلاً وقَبَلِيّاً ومُقَابَلَةً، وكله واحدٌ، وهو المُوَاجهة. قال أبو عليٍّ: فالمعنى في القرآن ـ على ما قاله أبو زَيدٍ ـ واحدٌ، وإنِ اختلفت الألفاظُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يَجهلون أنَّ الأشياء لا تكون إلاَّ بمشيئة الله تعالى. **والثاني**: أنهم يَجهلون أنَّهم لو أُوتُوا بكلِّ آيةٍ ما آمَنوا.

---

[٥٥٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي وقد رويا عن **ابن عباس تفسيراً** موضوعاً، راجع ترجمتهما في «الميزان».

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: وكما جعلنا لكَ ولأُمَّتِكَ شياطين الإِنس والجِنِّ أعداءً، كذلك جعلنا لِمَنْ تَقَدَّمكَ مِنَ الأنبياء وأُمَمِهِم؛ والمعنى: كما ابتَلَيْنَاكَ بالأعداء، ابتَلَيْنَا مَنْ قَبْلَكَ، لِيَعْظُم الثواب عند الصَّبر على الأذى. قال الزَّجَّاجُ: «عَدُوّ»: في معنى أعداء، و «شياطين الإِنس والجنّ»: منصوبٌ على البَدَل مِنْ «عَدُوّ»، ومفسِّرٌ له؛ ويجوز أن يكون: «عدواً» منصوب على أنه مفعولٌ ثانٍ، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإِنسِ والجنِّ أعداءً لأُمَمِهِم[1]. وفي شياطين الإِنسِ والجنِّ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم مَرَدَةُ الإِنس والجنِّ، قاله الحسَنُ، وقَتَادةُ. **والثاني**: أنَّ شياطين الإِنس: الذين مع الإِنس، وشياطين الجنِّ: الذين مع الجِنِّ، قاله عِكرِمَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنَّ شياطين الإِنس والجنِّ: كُفَّارُهم، قاله مُجاهدٌ.

قوله تعالى: ﴿يُوحِى﴾ أصل الوَحي: الإِعلام والدَّلالَةُ بِسَترٍ وإِخفاءٍ. وفي المراد به ها هنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: يَأمُر. **والثاني**: يُوَسْوِسُ. **والثالث**: يُشير.

وأما ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾، فهو ما زُيِّن منه، وحُسِّن، ومُوِّه، وأصل الزُّخْرُف: الذَّهَب. قال أبو عُبيدَةَ: كلُّ شيءٍ حسَّنتَهُ وزيَّنتَهُ وهو باطلٌ، فهو زُخْرُفٌ. وقال الزَّجَّاج: «الزُّخْرُف» في اللغة: الزِّينَةُ؛ فالمعنى: أنَّ بعضهم يُزيِّن لبعضٍ الأعمال القبيحة؛ و «غُروراً» منصوبٌ على المصدر؛ وهذا المصدر مَحمولٌ على المعنى، لأنَّ معنى إِيحاء الزُّخْرُف مِنَ القول: معنى الغُرور، فكأنه قال: يَغرُّون غُروراً. وقال ابنُ عباسٍ: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾: الأمانيُّ بالباطل. قال مُقَاتلٌ: وكَّل إِبليسُ بالإِنس شياطين يُضِلُّونَهم، فإِذا التقى شيطانُ الإِنس بشيطان الجنِّ؛ قال أحدهما لصاحبه: إِني أضللتُ صاحبي بكذا وكذا، فأَضلِل أنتَ صاحبكَ بكذا وكذا، فذلك وَحيُ بعضهم إِلى بعضٍ. وقال غيره: إِنَّ المؤمن إِذا أَعيا شيطانَه، ذهب إِلى مُتَمَرِّدٍ من الإِنس، وهو شيطان الإِنس، فأغراه بالمؤمن لِيَفْتِنَه. وقال قَتَادةُ: إِنَّ مِنَ الجنِّ شياطين، وإِنَّ مِنَ الإِنس شياطين. وقال مالكُ بن دِينَارٍ: إِنَّ شيطان الإِنس أشدُّ عليَّ مِنْ شيطان الجنِّ، لأني كإِذا تعوَّذتُ مِنْ ذاكَ ذهب عني، وهذا يَجرُّني إِلى المعاصي عِيَاناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ في هاء الكِنَاية ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجع إِلى الوَسوَسة. **والثاني**: ترجع إِلى الكُفر. **والثالث**: إِلى الغرور، وأذى النَّبِيِّين.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ قال مُقَاتلٌ: يريد كُفَّار مكَّة وما يَفترون مِنَ الكذب. وقال غيره: فَذَرِ المشركين وما يُخاصمونكَ به مما يُوحي إِليهم أولياؤهم، وما يَختَلِقون مِنْ كذبٍ، وهذا القَدْرُ مِنْ هذه الآية مَنْسُوخٌ بآية السيف.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

---

(١) قال الحافظ ابن كثير «تفسيره» ٢/ ٢١١ الآية ﴿شياطين الإنس والجن﴾: الشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ أي: ولِتَميلَ؛ والهاء: كِناية عن الزُخرُف والغُرور. والأفئدة: جمعُ فُؤادٍ، مثل غُراب وأغرِبَة. قال ابنُ الأنباري: فَعَلْنَا بهم ذلك لكي تَصغَى إلى الباطل أفئدةُ الذين لا يُؤمنون بالآخرة، «وليرضَوْا» الباطل، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ أي: لِيَكْتَسِبوا، ولِيَعْملوا ما هم عامِلون.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾.

[٥٥١] سبب نزولها: أنَّ مُشركي قُريش قالوا للنبيِّ ﷺ: اِجعل بيننا وبينكَ حَكَماً؛ إنْ شئتَ مِنْ أحبار اليهود، وإنْ شئتَ مِنْ أحبار النَّصارى، لِيُخبرنا عنكَ بما في كِتابِهم مِنْ أمْرِكَ، فنزلت هذه الآية، ذكره المَاوَرْدِي.

فأمّا الحَكَمُ، فهو بمعنى الحَاكِم؛ والمعنى: أفغيرَ الله أطلبُ قاضياً بيني وبينكم؟! و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، و «المُفَصَّل»: المُبين الذي بَانَ فيه الحقُّ مِنَ الباطل، والأمرُ مِنَ النَّهي، والحلالُ مِنَ الحرام. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: علماء أهل الكِتابَين، قاله الجمهور. **والثاني**: رؤساء أصحاب النبيِّ محمَّدٍ ﷺ، كأبي بكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانَ، وعَليٍّ، وأشبَاهِهم، قاله عَطاءٌ. قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ﴾ قرأ ابنُ عَامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: «منزّل» بالتشديد؛ وخَفَّفها الباقون.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عَامرٍ، ونَافعٌ: «كلمات» على الجمع؛ وقرأ عَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، ويَعقوبُ، «كلمة» على التَّوحيد؛ وقد ذكرت العرب الكلمةَ، وأرادت الكثرة؛ يقولون: قال قُسٌّ في كلمته، أي: في خُطبته، وزُهيرٌ في كلمته، أي: في قصيدته. وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها القرآن، قاله قَتَادَة. **والثاني**: أَقْضِيَتُه وعِدَاتُه. **والثالث**: وَعْدُه ووَعيده وثَوابُه وعِقَابُه. وفي قوله تعالى: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قولان: **أحدهما**: صدقاً فيما أَخْبَرَ، وعَدْلاً فيما قَضَى وقَدَّر. **والثاني**: صِدقاً فيما وَعَدَ وأَوْعَدَ، وعَدْلاً فيما أَمَرَ ونَهَى. وفي قوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يَقْدِرُ المُفتَرُون على الزِّيادة فيها والنُّقصان منها. **والثاني**: لا خُلْفَ لمَواعيده، ولا مُغيِّر لحُكمِهِ.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

[٥٥١] لم أقف عليه، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد. وذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٠ بدون سند ولا عزو لقائل.

[٥٥٢] سبب نزولها: أنَّ الكفار قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قَتَلْتُم، ولا تأكلون ما قَتَلَ ربُّكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفَرَّاء.

والمراد بـ ﴿أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾: الكُفَّار، وفي ماذا يُطيعُهم فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: في أَكْل المَيْتَة. **والثاني**: في أكْل ما ذَبَحوا للأصنام. **والثالث**: في عِبادة الأوثَان. **والرابع**: في اتِّباع مِلَلِ الآباء. و ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينه. قال ابنُ قُتَيبَة: ومعنى ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يحْدُسُونَ ويُوقعُون؛ ومنه قيل للحَازِر: خَارِص. فإن قيل: كيف يجوز تعذيبُ مَنْ هو على ظَنٍّ مِنْ شِرْكِهِ، وليس على يقينٍ مِنْ كُفْرِهِ! فالجواب: أنهم لمَّا تركوا اِلتِمَاسَ الحُجَّة، واتَّبعوا أهواءَهم، واقتصروا على الظَّنِّ والجهل، عُذِّبوا، ذكره الزَّجَّاجُ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاجُ: موضع «مَنْ» رفعٌ بالابتداء، ولفظُها لفظُ الاستفهام؛ والمعنى: إنَّ ربَّكَ هو أعلمُ أيُّ الناس يَضِلُّ عن سبيله. وقرأ الحسَنُ: «من يُضِل» بضمِّ الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابنُ أبي شُرَيح. قال أبو سُليمانَ: ومقصود الآية: لا تَلْتَفِت إلى قَسَم مَنْ أَقسَمَ أنه يُؤمن عند مجيء الآيات، فلَنْ يُؤمنَ إلاَّ مَنْ سبق له القَدَر بالإِيمان.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

---

[٥٥٢] حديث قوي. ورد من وجوه متعددة بألفاظ متقاربة. فقد أخرجه أبو داود ١٨١٨ وابن ماجة ٣١٧٣ والحاكم ٤/ ١١٣ و ٢٣١ والطبري ١٣٨١٣ و ١٣٨٢٦ والبيهقي ٩/ ٢٤١ من طرق عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس: إن المشركين قالوا للمسلمين... الحديث. وهذا إسناد، رجاله ثقات، لكن رواية سماك عن عكرمة مضطربة، وقد صحح الحافظ ابن كثير هذا الإسناد، وكذا صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وورد من وجه آخر نحوه، أخرجه النسائي في «التفسير» ١٩١ والطبري ١٣٨١٥ عن هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس، وإسناده غير قوي لأجل هارون بن عنترة.

وله شاهد من مرسل الحضرمي، أخرجه الطبري ١٣٨١٨ ومن مرسل الضحاك ١٣٨٢٠ لكن في الطريق جويبر بن سعيد، وهو متروك ولكن توبع جويبر برقم ١٣٨٢٨. وله شاهد من مرسل مجاهد ١٣٨٢١ و ١٣٨٢٢ ومن مرسل قتادة ١٣٨٢٣ و ١٣٨٢٥ من مرسل السدي. وله شاهد من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ١٣٨١٧ لكن فيه ذكر النبي ﷺ، ولا يصح من هذا الوجه.

وورد بذكر اليهود بدل المشركين، أخرجه الترمذي ٣٠٦٩ من طريق زياد بن عبد الله البكائي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف لضعف عطاء بن السائب، فإنه اختلط، وزياد لين الحديث وقد اضطرب عطاء فيه فقد أخرجه أبو داود ٢٨١٩ والطبراني ١٣٨٢٩ والطبري ١٢٢٩٥، والبيهقي ٩/ ٢٤٠ كلهم عن عمران بن عيينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «جاءت اليهود... وذكر اليهود فيه نظر من وجوه ثلاثة. أحدها: أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا. الثاني: أن الآية مكية. الثالث: اضطراب الروايات عن ابن السائب. الخلاصة: ذكر النبي ﷺ في الخبر ضعيف، وكون الذين جادلوا هم اليهود، ضعيف منكر والله أعلم. انظر «أحكام القرآن» ٨٦١ و «فتح القدير» ٩٣٢ بتخريجنا.

[٥٥٣] سبب نزولها: أنَّ الله تعالى لمَّا حَرَّم المَيْتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قَتَلَ اللَّهُ لكم أحقُّ أَنْ تأكلوه ممَّا قتلتُم أنتم، يُريدون المَيْتَة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالحِ عن ابنِ عباسٍ.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وأيُّ شيءٍ يقع لكُم في أَنْ لا تأكلوا؟ وموضع «أن» نَصبٌ، لأنَّ «في» سقطت، فوَصَلَ المعنى إلى «أن» فَنَصَبها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ: «فُصِّل لكم ما حُرِّم عليكم» مرفوعتان؛ وقرأ نَافعٌ، وحَفصٌ عن عَاصم، وَيعقوبُ، والقَزَّازُ عن عبد الوارث: «فَصَّل» بفتح الفاء، «ما حَرَّم» بفتح الحاء، وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «فَصَّل» بفتح الفاء، «ما حُرِّم» بضم الحاء. قال الزَّجَّاجُ: أي: فُصِّل لكم الحَلالُ مِنَ الحَرام، وأُحِلَّ لكم في الاضطرار ما حُرِّم. وقال سعيدُ بن جُبَيرٍ: فُصِّل لكم ما حُرِّم عليكم، يعني: ما بُيِّن في (المائدة) مِنَ المَيْتة، والدَّم، إلى آخر الآية. «وإنَّ كثيراً لَيَضِلُّونَ بأهوائِهِمْ» يعني: مُشركي العرب يَضِلُّون في أمرِ الذَّبائح وغيره، قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «لَيَضلون»، وفي (يُونس): «رَبَّنا لِيَضِلُّوا» وفي (إبراهيم): «أنداداً لِيَضِلُّوا» وفي (الحج): «ثانيَ عِطْفِهِ لِيَضِلَّ» وفي (لقمان): «لِيَضِلَّ عن سبيلِ الله بغيرِ علم» وفي (الزُّمر): «أنداداً لِيَضِلَّ»، بفتح الياء في هذه المَواضع السِّتة؛ وضمَّهُنَّ عَاصمٌ وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ. وقرأ نَافعٌ، وابنُ عَامرٍ: «لَيَضلون بأهوائهم». وفي (يُونس) «لِيَضِلُّوا» بالفتح؛ وضمَّا الأربعةَ الباقية. فمَنْ فَتَحَ، أراد: أنهم هُمُ الذين ضَلُّوا؛ ومَنْ ضَمَّ، أراد: أنهم أَضلّوا غيرَهم، وذلك أبلغُ في الضلال، لأنَّ كلَّ مُضِلٍّ ضَالٌّ؟ وليس كلُّ ضَالٍّ مُضِلاً.

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾، في الإثم ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه الزِّنا، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ؛ فعَلَى هذا، في ظاهره وباطِنه قولان: **أحدهما**: أنَّ ظاهرَه: الإعلانُ به، وباطِنَهُ: الاِسْتِسْرَارُ به، قاله الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. قال الضَّحَّاكُ: وكانوا يرون الاِستِسرَار بالزِّنا حلالاً. **والثاني**: أَنَّ ظاهره نِكَاحُ المُحَرَّمات، كالأُمَّهات، والبَنات، وما نَكَحَ الآباءُ. وباطِنَهُ: الزِّنا، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

والثاني: أنه عامٌّ في كلِّ إثم. والمعنى: ذَرُوا المعاصي، سِرَّها وعَلانيتَها؛ وهذا مذهبُ أبي العَالية، ومُجاهدٍ، وقَتَادَةَ، والزَّجَّاجَ. وقال ابنُ الأَنبَارِي: المعنى: ذَرُوا الإِثمَ مِنْ جميع جهاته.

والثالث: أَنَّ الإِثمَ: المعصية، إلاَّ أَنَّ المراد به ها هنا أمرٌ خاصٌّ. قال ابنُ زَيدٍ: ظاهرُه ها هنا: نَزْعُ أثوابهم، إذ كانوا يَطوفون بالبيت عُرَاةً، وباطِنُه: الزِّنا.

---

[٥٥٣] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهذه الرواية واهية، لكن المتن محفوظ، انظر ما قبله.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ سبب نزولها مُجادَلةُ المشركين للمؤمنين في قولهم: أتأكلونَ مِمَّا قَتَلْتُم، ولا تأكلون ما قَتَلَ اللّه! على ما ذكرنا في سبب قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ هذا قولُ ابن عباسٍ.

[٥٥٤] وقال عِكرِمَةُ: كَتَبَتْ فارسُ إلى قُريش: إن محمَّداً وأصحابَه لا يأكلون ما ذَبحه اللّهُ، ويأكلون ما ذَبَحوا لأنفسهم؛ فكتبَ المشركون إلى أصحاب النبيِّ ﷺ بذلك، فَوَقَعَ في أَنْفُس ناسٍ مِنَ المسلمين مِنْ ذلك شيءٌ، فنزلت هذه الآية.

وفي المراد بما لم يُذْكَرِ اسمُ الله عليه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه المَيْتَةُ، رواه ابن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه المَيْتَةُ والمُنْخَنِقَةُ، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها ذَبَائِحُ كانت العربُ تذبحها لأوثانِها، قاله عطاءٌ. **والرابع**: أنه عَامٌّ فيما لَمْ يُسَمَّ اللّهُ عند ذبحه؛ وإلى هذا المعنى ذهب عبدُ اللهِ بنُ يَزيدَ الخَطْمِيُّ، ومحمَّدُ بن سِيْرِين.

فصل: فإن تعمَّد تَرْكَ التَّسمية، فهل يُباح؟ فيه عن أحمدَ رِوَايتان[1]. وإنْ تَركَها ناسياً أُبيحت. وقال الشَّافعيُّ: لا يَحْرَم في الحالَين جميعاً. وقال شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله: فإذا قلنا: إنَّ تَرْكَ التَّسمية عَمْداً يمنع الإباحَةَ، فقد نُسِخَ مِنْ هذه الآية ذبائحُ أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[2]. وعلى قول الشَّافعيِّ: الآيةُ مُحكَمَةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإنَّ أكْلَ ما لم يُذْكَرْ عليه اسمُ الله لَفِسْقٌ، أي: خروجٌ عن الحقِّ والدِّين. وفي المراد بالشياطين ها هنا قولان: **أحدهما**: أنهم شياطين الجن، روي عن ابن عباس **الثاني**: قومٌ مِنْ أهل فَارِس، وقد ذكرناه عن عِكرِمَةَ. فعلى الأولى: وَحْيُهم الوَسوَسَة، وعلى الثاني: وَحْيُهم الرِّسالة. والمراد بـ «أوليائهم» الكفَّار الذين جَادَلوا رسولَ الله ﷺ في تَرْكِ أَكْلِ المَيْتَة[3]. ثم

---

[٥٥٤] ضعيف منكر. أخرجه الطبري ١٣٨٠٩ عن عكرمة مرسلاً فهو ضعيف، وكرره ١٣٨١٠ عن عكرمة بنحوه مرسلاً أيضاً، وذكره «فارس» منكر، وتقدم الراجح.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١: التسمية على الذبيحة، المشهور من مذهب أحمد أنها شرط مع الذكر، وتسقط بالسهو، وروي ذلك عن ابن عباس، وبه قال مالك والثوري وأبو حنيفة وإسحق، وممن أباح ما نُسيت التسمية عليه: عطاء وطاوس وابن المسيب والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وجعفر بن محمد وربيعة الرأي. وعن أحمد أنها مستحبة غير واجبة في عمد ولا سهو، وبه قال الشافعي. ولنا قول ابن عباس: من نسي التسمية فلا بأس، وروىٰ سعيد بن منصور بإسناده عن راشد بن سعد قال رسول الله ﷺ: «ذبيحة المسلم، حلال، وإن لم يسم إذا لم يتعمد». قال: ويفارق الصيد، لأن ذبحه في غير محل فاعتبرت التسمية تقوية له.

(٢) سورة المائدة: ٥.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٥/٣٢٨ الآية ﴿وإن الشياطين ليوحون﴾: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: =

فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم مُشركو قُريش. **والثاني**: اليهود؛ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في إستِحْلالِ المَيْتَة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ اختلفوا فيمن نَزَلَت على خمسة أقوالٍ:

[٥٥٥] **أحدها**: أنها نَزَلَت في حَمْزَةَ بن عبد المُطَّلبِ، وأبي جَهْلٍ، وذلك أَنَّ أبا جَهْلٍ رَمَى رسولَ الله ﷺ بِفَرْثٍ، وحَمزَةُ لم يُؤمن بَعْدُ، فأُخبِرَ حَمزةُ بما فعل أبو جَهْلٍ، فأقبل حتى عَلاَ أبا جَهْلٍ بالقَوس، فقال له: أَمَا ترى ما جاء به؟ سَفَّه عقولنا، وسَبَّ آلهتنا، فقال حَمزَةُ: ومَنْ أَسْفَهُ منكم؟ تعبدون الحجارةَ مِنْ دون الله؟! أشهدُ أَنْ لا إله إلا اللَّه، وأَنَّ محمَّداً عبده ورسولُه، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباسٍ.

[٥٥٦] **والثاني**: أنها نزلت في عَمارِ بن يَاسرٍ، وأبي جَهْلٍ، رواه أبو صَالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ.

[٥٥٧] **والثالث**: في عُمَر بن الخَطَّاب، وأبي جَهْلٍ، قاله زَيدُ بن أَسلَمَ، والضَّحَّاكُ.

والرابع: في النبيِّ ﷺ، وأبي جَهْلٍ، قاله مُقاتلٌ.

والخامس: أنها عامَّةٌ في كلِّ مؤمنٍ وكافرٍ، قاله الحسَنُ في آخرين.

وفي قوله تعالى: ﴿كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ قولان: **أحدهما**: كان ضَالاً فَهَدَيْنَاه، قاله مُجَاهِد. **والثاني**: كان جَاهِلاً، فَعَلَّمناهُ، قاله المَاوَردي. وقرأ نافعٌ: «ميّتاً» بالتشديد قال أبو عُبيدَةَ: المَيْتَة،

---

[٥٥٥] لم أره مسنداً. وذكره الواحدي في أسباب النزول ٤٥٠ بدون إسناد عن ابن عباس فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، والصحيح عموم الآية.

[٥٥٦] واهٍ. عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة. وأخرجه الطبري ١٣٨٤٢ عن عكرمة مرسلاً، فهو ضعيف وفيه انقطاع وكرره ١٣٨٤١ عن عكرمة بنحوه مرسلاً وفيه راوٍ لم يسم.
والصحيح عموم الآية، ولا يصح تخصيصها بروايات واهية.

[٥٥٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٣٨٤٠ عن الضحاك مرسلاً، فهو ضعيف. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٤٥١ عن زيد بن أسلم مرسلاً، ومع إرساله فيه مبشر بن عبيد وهو ممن يضع الحديث.

= إن الله أخبر أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة، بما ذكرنا من جدالهم إياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أولياء منهم. وجائز الجنسان أن يكون شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس، وجائز أن يكون كلاهما تعاونا على ذلك، كما أخبر الله عنهما في الآية الأخرى التي يقول فيها: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً**﴾ [الأنعام: ١١٢]. بل ذلك الأغلب من تأويله عندي، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس كما جعل لأنبيائه من قبله، يوحي بعضهم إلى بعض المزيَّنَ من الأقوال الباطلة ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم ا.هـ.

مُخففةً: مِنْ مَيْتة، والمعنى واحدٌ. وفي «النُور» ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الهُدى، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: القرآن، قاله الحسَنُ. **والثالث**: العِلْم. وفي قوله تعالى: ﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: يهتدي به في الناس، قاله مُقاتِل. **والثاني**: يمشي به بين الناس إلى الجنَّة. **والثالث**: يَنْشُر به دِيْنَهُ في الناس، فيَصيرَ كالمَاشِي! ذكرهما المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ المَثَلُ: صِلَةٌ؛ والمعنى: كَمَنْ هو في الظُّلمات. وقيل: المعنى: كَمَنْ لو شُبِّه بشيءٍ كان شَبيهُه مَنْ في الظلمات. وقيل: المراد بالظُّلمات ها هنا: الكُفر.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ أي: كما بقي هذا في ظُلماته لا يَتخلَّص منها، كذلك زُيِّن ﴿لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الشِّرْك والمعاصي.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكما زيَّنا للكافرين عملَهم، فكذلك جعلنا في كلِّ قريةٍ أكابرَ مُجرميها، وقيل معناه: وكما جعلنا فُسَّاقَ مكَّةَ أكابرَها، فكذلك جعلنا فُسَّاقَ كلِّ قريةٍ أكابرَها. وإنما جَعلَ الأكابرَ فُسَّاقَ كلِّ قريةٍ، لأنهم أقربُ إلى الكُفرِ بما أُعطُوا مِنَ الرِّياسة والسَّعَة. وقال ابنُ قُتَيبَة: تقدير الآية: وكذلكَ جعلنا في كلِّ قريةٍ مُجرميها أكابرَ؛ و «أكابر» لا يَنْصَرِفُ، وهم العُظَمَاءُ.

قوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: المَكْرُ: الخَديعةُ، والحِيْلَةُ، والفُجور، والغَدْرُ، والخِلاف. قال ابنُ عباسٍ: ليقولوا فيها الكَذِب. قال مُجاهدٌ: أَجْلَسُوا على كلِّ طريقٍ مِنْ طُرُقِ مكَّةَ أربعة، لِيَصْرِفُوا الناسَ عن الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، يقولون للناس: هذا شَاعِرٌ، وكَاهِنٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ذلك المَكْرُ بهم يَحِيْق.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾.

[٥٥٨] سببُ نزولها: أنَّ أبا جَهْلٍ قال: زَاحمَتْنا بَنُو عبد مَنَافٍ في الشَّرَف، حتى إذا صِرْنَا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قالوا: منَّا نبيٌّ يُوحى إليه. واللهِ لا نُؤمن به ولا نتَّبِعُه أو أن يأتينا وَحيٌ كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتلٌ.

قال الزَّجَّاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جَرَى ذِكْرُهم. وقال أبو سُليمانَ: تعود على المُجادِلين في تحريم المَيْتَة، قال مُقاتلٌ: والآية: انشقاق القَمرِ، والدُّخان، قال ابن عباسٍ في قوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ قال: حتى يُوحى إلينا، ويأتينا جِبْريلُ، فيخبرنا أنَّ محمَّداً صادقٌ. قال

---

[٥٥٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الحديث، كذبه غير واحد. وأصل الحديث له شواهد واهية، دون ذكر نزول الآية.

الضَّحَّاك: سأل كلُّ واحدٍ منهم أنْ يختصَّ بالرِّسالة والوَحي.

قوله تعالى: «الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالاتِهِ» وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «رسالتَه» بنصب التاء على التوحيد؛ والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهلٍ، وذلك أنَّ الوَليدَ بن المُغِيْرَة قال: واللَّهِ لو كانت النُّبوةُ حقاً لَكُنْتُ أَوْلَى بها منكَ، لأنِّي أكبرُ منكَ سِنّاً، وأكثرُ منكَ مالاً، فنزل قوله تعالى: «الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالاتِهِ». وقال أهلُ المعاني: الأبلغُ في تصديق الرُّسل أنْ لا يكونوا قبل مَبْعَثِهِم مُطَاعِيْنَ في قومهم، لأنَّ الطَّعْنَ كان يَتَوجَّه عليهم، فيقال: إنَّما كانوا رُؤساءَ فاتُّبِعُوا، فكان الله أعلم حيثُ جعل الرِّسالة لِيَتِيْمِ أبي طَالبٍ، دونَ أبي جَهْلٍ والوَليدِ، وأكابرِ مكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الصَّغار: أشدُّ الذُّلِّ. وقال الزَّجَّاج: المعنى: هم، وإنْ كانوا أكابرَ في الدُّنيا، فَسَيُصِيبُهُمْ صَغَارٌ عند الله، أي: صَغَارٌ ثابتٌ لهم عند الله. وجائزٌ أن يكون المعنى: سَيُصِيبهم عند الله صَغَارٌ، وقال الفَرَّاءُ: معناه: صَغَارٌ مِنْ عند الله، فحُذفت «مِنْ». وقال أبو رَوْقٍ: صَغَارٌ في الدنيا، وعذابٌ شديدٌ في الآخرة.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾ قال مُقاتِلٌ: نَزَلَتْ في رسول الله ﷺ؛ وأبي جَهْلٍ.

قوله تعالى: ﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ﴾ قال ابنُ الأعرابيِّ: الشَّرحُ: الفَتحُ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: ومنه يقال: شَرَحْتُ لكَ الأمرَ، وشَرَحتُ اللَّحمَ: إذا فَتَحْتَهُ. وقال: ابنُ عباسٍ: «يشرح صدره» أي: يُوَسِّع قَلْبَهُ للتَّوحيد والإيمان.

[٥٥٩] وقد رَوى ابنُ مَسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾، فقيل له: يا رسولَ الله، وما هذا الشَّرحُ؟ قال: «نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ في القَلْبِ، فَيَنْفَتِحِ القَلْبُ». قالوا: فَهَلْ لذلك مِنْ أَمَارةٍ؟ قال: «نعم». قيل: وما هيَ؟ قال: «الإِنَابَةُ إِلى دَارِ الخُلود، والتَّجَافِي عن دَارِ الغُرور، والاستعدَادُ للموتِ قبلَ نُزُولِه».

قوله تعالى: ﴿ضَيِّقًا﴾ قرأ الأكثرون بالتَّشديد. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ضَيْقاً»، وفي (الفُرقان):

---

[٥٥٩] متن باطل بأسانيد واهية. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٨٥٢ والطبري ١٣٨٥٦ و ١٣٨٥٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ٢٥٧ عن أبي جعفر المدائني مرسلاً. ومع إرساله أبي جعفر المدائني ذكره الذهبي في «الميزان» ٤٦٠٨ وقال: قال أحمد وغيره: أحاديثه موضوعة. وورد من حديث ابن مسعود عند الحاكم ٤/ ٣١١ والبيهقي في الشعب ١٠٥٥٢ وإسناده ضعيف لضعف عدي بن الفضل، وقد سكت عليه الحاكم، وقال الذهبي: ابن الفضل ساقط اهـ. وفيه المسعودي اختلط بأخرة. وأخرجه الطبري ١٣٨٥٩ عن أبي عبيدة عن ابن مسعود، وإسناده منقطع، وفيه سعيد بن عبد الملك الحراني، وهو متروك روى أحاديث كذب. وكرره الطبري ١٣٨٦١ عن عبد الرحمن ـ هو المسعودي ـ عن ابن مسعود، وهذا معضل بينهما. فهذه روايات واهية ليست بشيء، والأشبه كونه من كلام أبي جعفر المدائني، حيث رواه الطبري عنه من طرق. انظر «تفسير الشوكاني» ٩٤٠ بتخريجنا.

«ضَيقاً»[1] بتسكين الياء خفيفة. قال أبو عَليّ: الضَّيِّق، والضَّيْق: مثل الميِّت، والمَيْت.

قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء. وقرأ نَافعٌ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: بكسر الراء، قال الفَرَّاءُ: وهُما لُغتان. وكذلك قال يُونسُ بن حَبيبٍ النَّحويُّ: هُمَا لُغتان، إلاَّ أنَّ الفَتح أكثرُ على ألسنة العرب مِنَ الكسر، ومَجْرَاهما مَجرى الدَّنَفِ والدَّنِفِ. وقال الزَّجَّاجُ: الحَرَجُ في اللغة: أَضْيَقُ الضِّيق.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ قرأ نَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يصَّعد» بتشديد الصَّاد والعين وفتح الصَّاد مِنْ غير ألفٍ. وقرأ أبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «يصَّاعد» بتشديد الصَّاد وبعدها ألفٌ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «يَصْعَد» بتخفيف الصَّاد والعين مِنْ غير ألفٍ والصاد ساكنةٌ، وقرأ ابنُ مَسعودٍ، وطَلْحَةُ: «تصْعَدُ» بتاءٍ من غير ألفٍ. وقرأ أُبيُّ بن كَعبٍ: «يَتَصَاعد» بألف وتاءٍ. قال الزَّجَّاج: قوله تعالى: «كأنما يصَّاعد في السماء» و «يصَّعَّد»، أصلُه: «يَتَصَاعد»، و «يَتَصَعَّد»، إلاَّ أنَّ التاء تُدغم في الصاد لِقُربها منها، والمعنى كأنه قد كُلِّف أَنْ يَصْعَدَ إلى السماء إذا دُعي إلى الإسلام مِنْ ضِيْقِ صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأنَّ قلبه يصعد في السماء نُبُوّاً عن الإسلام والحِكمة. وقال الفَرَّاءُ: ضاق عليه المَذْهَب، فلم يجد إلاَّ أَنْ يصعدَ في السماء، وليس يَقدِرُ على ذلك. وقال أبو عَليّ: «يصَّعَّد» و «يَصَّاعَد»: مِنَ المَشقَّة، وصُعوبة الشيء، ومنه قولُ عُمَرَ: ما تَصَعَّدني شيءٌ كما تَصَعَّدتني خُطْبَةُ النِّكاح، أي: ما شَقَّ عليَّ شيءٌ مَشقَّتَها.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ ما قَصصنا عليكَ. ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشَّيطان، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ. يعني: أنَّ الله يُسلِّطه عليهم. **والثاني**: أنه المَأْثَم، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه مالاَ خيرَ فيه، قاله مُجَاهِدٌ. **والرابع**: العذاب، قاله عَطَاءٌ، وابنُ زَيدٍ، وأبو عُبيدَةَ. **والخامس**: أنه اللعنةُ في الدُّنيا والعذابُ في الآخرة، قاله الزَّجَّاجُ. وهذه الآية تقطع كلامَ القَدَريَّة، إذ قد صَرَّحَتْ بأنَّ الهداية والإضلالَ مُتعلِّقةٌ بإرادة الله تعالى.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه القرآن، قاله ابنُ مَسعودٍ. **والثاني**: التَّوحيد، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: ما هو عليه مِنَ الدِّين، قاله عَطَاءٌ.

ومعنى اِستِقَامَتِه: أنه يُؤدِّي بسَالِكِه إلى الفوز، قال مَكِّيُّ بن أبي طالبٍ: و «مستقيماً»: نُصب على الحَال مِنْ «صراط»، وهذه الحَالُ يُقال لها: الحَالُ المؤكِّدة، لأنَّ صراطَ الله، لا يكون إلاَّ مستقيماً، ولم يُؤتَ بها لِتَفرق بين حَالَتين، إذ لا يتغير صراطُ الله عن الاستقامة أبداً، وليست هذه الحَالُ كالحَالِ مِنْ قولكَ: «هذا زيد راكباً»، لأنَّ زيداً قد يَخلو مِنَ الرُّكوب.

﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني الجنَّة. وفي تسميتها بذلك أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ السَّلام،

---

(١) سورة الفرقان: ١٣.

هو الله، وهي دَارُه، قاله ابنُ عباس، والحسَنُ، وقَتادةُ والسُّدِّيُ. **والثاني**: أنها دَارُ السَّلامة التي لا تنقطِع، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ تَحيَّة أهلها فيها السَّلام، ذكره أبو سُليمان الدِّمشقيّ. **والرابع**: أنَّ جميعَ حالاتها مَقرونةٌ بالسَّلام، ففي ابتداء دُخولهم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾(١)، وبعد استِقرارهم: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾(٣) وعند لقاءِ الله ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ﴾(٥). ومعنى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: مَضْمُونةٌ لهم عنده، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ أي: مُتولِّي إيصال المنافع إليهم، ودفع المَضارّ عنهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مِنَ الطَّاعات.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝١٢٨﴾

قوله تعالى: «ويومَ نحشُرهم جميعاً» يعني الجنَّ والإنسَ. وقرأ حَفْصٌ عن عَاصِم: «يَحْشُرهم» بالياء. قال أبو سُليمانَ: يعني: المُشركين وشياطينهم الذين كانوا يُوحُون إليهم بالمُجَادلة لكُم فيما حَرَّمه الله مِنَ المَيْتَة. قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾ فيه إضمارٌ، فيقال لهم: يا معشرَ؛ والمَعْشَرُ: الجماعة أَمْرُهم واحدٌ، والجمع: المَعاشِر. وقوله: ﴿قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أي: مِنْ إغوائِهم وإضلالِهم. ﴿وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ يعني الذين أَضلَّهم الجنُّ: ﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

[٥٦٠] **أحدها**: أنَّ استِمتَاع الإنس بالجِنِّ: أنهم كانوا إذا سَافروا، فَنَزلُوا وادياً، وأرادوا مَبيتاً، قال أحدُهم: أعوذُ بعظيم هذا الوادي مِنْ شرِّ أهله؛ واستِمتَاعُ الجِنِّ بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قَومِهم، ويقولون: قد سُدْنَا الإنسَ حتى صاروا يَعُوذون بِنَا، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُقاتلٌ، والفراءُ.

والثاني: أنَّ استِمتَاعَ الجِنِّ بالإنس: طَاعتُهم لهم فيما يُغرُونهم به مِنَ الضَّلالة والكفر والمعاصي. واستِمتَاع الإنس بالجِنِّ: أنَّ الجِنَّ زَيَّنَتْ لهم الأمورَ التي يهوونها، وشَهَّوْها إليهم حتى سَهُلَ عليهم فِعلُها، روى هذا المعنى عَطَاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال محمَّدُ بن كَعبٍ، والزَّجَّاجُ.

والثالث: أنَّ استِمتَاعَ الجِنِّ بالإنس: إغوَاؤُهم إيَّاهُم. واستِمتَاعَ الإنس بالجِنِّ: ما يَتلقَّون منهم مِنَ السِّحر والكِهَانَة ونحوِ ذلك. والمراد بالجِنِّ في هذه الآية: الشَّياطين.

قوله تعالى: ﴿وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: المَوت، قاله الحَسنُ، والسُّدِّيُّ.

---

[٥٦٠] عزاه المصنف لابن عباس من رواية الكلبي، وهي رواية ساقطة. وكذا عزاه لمقاتل، وهو متهم. وأخرجه الطبري ١٣٨٩٣ عن ابن جريج قوله. ويأتي شيء من هذا في سورة الجن.

---

(١) سورة الحجر: ٤٦. (٢) سورة الرعد، ٢٣ ـ ٢٤. (٣) سورة الواقعة: ٢٦.
(٤) سورة يس: ٥٨. (٥) سورة الأحزاب: ٤٤.

والثاني: الحَشْرُ، ذكره المَاوَردي. قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ قال الزَّجَّاج: المَثْوَى: المُقَامُ؛ و «خالدين» منصوبٌ على الحَال. المعنى: النار مُقامُكم في حَالِ خُلودٍ دائم ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هو استثناءٌ مِنْ يوم القِيامة، والمعنى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ مُذ يُبعثون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مِنْ مقدار حَشْرِهم مِنْ قُبورهم، ومُدَّتِهم في مُحَاسَبتهم. ويجوز أنْ تكون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أنْ يزيدَهم مِنَ العذاب. وقال بعضهم: إلاَّ ما شاء الله مِنْ كَوْنِهم في الدنيا بغير عذابٍ؛ وقيل في هذا غيرُ قولٍ، ستجدُها مشروحةً في (هود) إنْ شاء الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ في معناه أربعة أقوالٍ[١]: **أحدها**: نجعل بعضَهم أولياءَ بعضٍ، رواه سعيدٌ عن قَتَادةَ. **والثاني**: نُتْبِع بعضَهم بعضاً في النار بأعمَالِهم مِنَ المُوالاَة، وهي المُتابَعة، رواه مَعْمَرُ عن قَتَادةَ. **والثالث**: نُسَلِّط بعضَهم على بعضٍ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: نَكِلُ بعضَهم إلى بعضٍ ولا نُعينُهم، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: مِنَ المَعَاصِي.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ۝١٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ قرأ الحسَنُ، وقَتَادةُ: «تأتكم» بالتاء، ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾. واختلفوا في الرِّسَالة إلى الجِنِّ على أربعة أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنَّ الرُّسل كانت تُبعث إلى الإِنس خاصَّةً، وأنَّ الله تعالى بعثَ محمَّداً ﷺ إلى الإِنس والجِنِّ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنَّ رُسُلَ الجِنِّ، هُم الذين سمعوا القرآن، فوَلَّوا إلى قومهم مُنذِرين، رُوِيَ عن ابن عباسٍ أيضاً. وقال مُجَاهدٌ: الرُّسُل مِنَ الإِنس، والنُّذُر مِنَ الجِنِّ، وهم قومٌ يسمعون كلامَ الرُّسل، فَيُبلِّغون الجِنَّ ما

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/ ٣٤٤: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين، فقال جل ثناؤه: **﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾** وأخبر جل ثناؤه: أن بعضهم أولياء بعض، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور **﴿بما كانوا يكسبون﴾** من معاصي الله ويعملونه. ا.هـ.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٢٥ الآية **﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾**: هذا استفهام تقرير (يا معشر الجن والإنس، ألم يأتكم رسل منكم﴾، أي من جملتكم والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما نص على ذلك مجاهد وابن جريج وغير واحد من الأئمة، من السلف والخلف، وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم ومن الجن نذر. وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة وفي الاستدلال بها على ذلك نظر، لأنها محتملة وليس بصريحة. وهي ـ والله أعلم ـ كقوله تعالى: **﴿مرج البحرين يلتقيان﴾** أي المالح والحلو **﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾** إلى أن قال **﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾** ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من الملح لا من الحلو، وهذا واضح ولله الحمد. ا.هـ.

سمعوا. **والثالث**: أنَّ الله تعالى بَعثَ إليهم رُسُلاً منهم، كما بَعثَ إلى الإنس رُسُلاً منهم، قاله الضَّحَّاكُ ومُقاتلٌ وأبو سُليمانَ، وهو ظاهرُ الكلام. **والرابع**: أنَّ الله تعالى لم يَبعث إليهم رُسُلاً منهم وإنما جاءتهم رُسُلُ الإنس، قاله ابنُ جُريج والفرَّاءُ والزَّجَّاجُ. قالوا: ولا يكون الجَمْعُ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ مانعاً أن تكون الرُّسلُ مِنْ أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، وإنما هو خارجٌ مِنَ المَلِح وحدَهُ. وفي دُخول الجنِّ الجَنَّةَ إذا آمنوا قولان: **أحدهما**: يَدخلونَها، ويأكلون ويَشربون، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: ثوابُهم أنْ يُجاروا مِنَ النار ويَصيروا تُراباً، رواه سُفيانُ عن لَيْثٍ.

قوله تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: يقرؤون عليكم كُتُبي، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾ أي: يُخوِّفونكم بيوم القيامة.

وفي قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ قولان: **أحدهما**: أقررنا على أنفُسنا بإنذارِ الرُسُل لنا. **والثاني**: شَهِدَ بعضُنا على بعض بإنذارِ الرُّسل إياهم. ثم أخبرنا الله تعالى بحَالِهم، فقال: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بزينَتِها وإمهالِهم فيها ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أقَرُّوا أنهم كانوا في الدنيا كافرين. وقال مُقاتلٌ: ذلك حين شَهِدَتْ عليهم جَوارِحُهم بالشِّرك والكفر.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ قال الزَّجَّاج: ذلك الذي قَصصْنا عليكَ مِنْ أمرِ الرُّسل، وأمرِ عذاب مَنْ كَذَّب، لأنه لم يَكُنْ ربُّكَ مُهلِكَ القُرى بظُلم، أي: لا يُهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً. قال ابنُ عباسٍ: «بظلم» أي: بِشِركٍ ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يأتِهم رسولٌ.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: لكلِّ عاملٍ بطاعة الله أو بمعصيته درَجاتٌ، أي: منازلُ يَبلُغها بعمله، إنْ كان خيراً فخيراً، وإن كان شرَّاً فشرَّاً. وإنما سُمِّيت دَرَجاتٍ لِتَفاضُلِها في الارتفاع والانحِطاط، كَتفاضُل الدَّرَجِ.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ الجمهور بالياء؛ وقرأ ابنُ عامرٍ بالتاء على الخِطَاب.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ يريد: الغنيُ عن خَلْقه ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بأوليائه وأهل طاعته. وقال غيره: بالكُلِّ. ومِنْ رَحمته تأخيرُ الانتقام مِنَ المُخالِفين. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك؛ وقيل: هذا الوعيد لأهل مَكَّة؛ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ يعني: آباءَهم المَاضِين. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ به مِنْ مَجيءِ السَّعة والحَشْرِ ﴿لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بِفَائِتين. قال أبو عُبيدَةَ: يُقال: أعجزَني كذا، أي: فَاتَني وسَبَقَني.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِم: «مَكاناتكم» على الجمع. قال ابنُ قُتيبة: أي: على مَوضِعكم، يقال: مكانٌ ومَكانَةٌ، ومَنزِلٌ ومَنْزِلةٌ. وقال الزَّجَّاجُ: إعمَلُوا على تَمكُّنِكُم. قال: ويجوز أنْ يكون المعنى: إعمَلُوا على ما أنتم عليه. تقول للرجل إذا أمَرْتَهُ أنْ يَثْبُتَ على حالٍ: كُنْ على مَكانَتِكَ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ أي: عاملٌ ما أمَرني به ربِّي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾. قرأ ابنُ كَثير، ونافعٌ، وأبو عَمرو. وابنُ عامر، وعَاصمٌ: «تكون» بالتاء. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: بالياء. وكذلك خلافهم في (القَصَص)، ووَجْهُ التأنيث، اللفظُ، ووَجْهُ التَّذكير، أنه ليس بتأنيثٍ حقيقي. وعاقبةُ الدَّار: الجنَّة. والظالمون ها هنا: المُشركون. فإنْ قيل: ظاهرُ هذه الآية أمْرُهم بالإقامة على ما هُم عليه، وذلك لا يجوز. فالجواب: أنَّ معنى هذا الأمر المُبالَغة في الوعيد؛ فكأنه قال: أَقِيمُوا على ما أنتم عليه، إنْ رَضِيتُم بالعذاب، قاله الزَّجَّاجُ.

فصل: وفي هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنَّ المُراد بها التَّهديد؛ فعَلى هذا هي مُحكَمَةٌ. **والثاني**: أنَّ المُراد بها تَرْكُ القتال، فعَلى هذا هي مَنسُوخةٌ بآية السيف.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: ذرَأ، بمعنى خلَق. ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ وهو الزَّرعُ. (والأنعام): الإبلُ والبقرُ والغنمُ، وكانوا إذا زرَعُوا، خَطُّوا خَطًّا، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حَصَدُوا ما جعلوه لله، فوقَعَ منه شيءٌ فيما جعلوه لآلهتهم، تَرَكُوه وقالوا: هي إليه مُحتَاجَةٌ؛ وإذا حَصَدُوا ما جعلوه لآلهتهم، فَوَقَعَ منه شيءٌ في مال الله، أَعَادُوه إلى مَوْضِعه. وكانوا يجعلون مِنَ الأنعام شيئاً لله؛ فإذا وَلَدَتْ إناثُها ميْتاً أكَلُوه، وإذا وَلَدَتْ أنعامُ آلهتهم مَيْتاً عَظَّمُوه فلم يأكلوه. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: وجعلوا لله ممَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنعَام نَصِيباً، وجعلوا لشُركائهم نَصِيباً، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾، فدَلَّ بالإشارة إلى النَّصِيبين على نَصيب الشُّرَكاء؛ وكانوا إذا زَكَا مَا للَّهِ، ولم يَزْكُ ما لِشُرَكائِهم، رَدُّوا الزَّاكِي على أصنامهم، وقالوا: هذه أَحوَجُ، واللَّهُ غَنِيٌّ؛ وإذا زَكَا مَا للأصنام، ولم يَزْكُ مَا لِلَّه، أَقَرُّوه على ما به. قال المُفَسِّرون: وكانوا يَصْرِفون ما جعلوا لله إلى الضِّيفَان والمساكين. فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى هؤلاءِ. ويَصْرِفُون نَصيبَ آلهتهم في الزَّرع إلى النَّفَقة على خُدَّامِها. فأمَّا نَصيبُها في الأنعام، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان للنَّفَقة عليها أيضاً. **والثاني**: أنَّهم كانوا يَتقرَّبون به، فيَذبَحُونه لها. **والثالث**: أنه البَحِيرَةُ، والسَّائِبَةُ، والوَصِيلَةُ، والحَامُ. وقال الحسَنُ: كان إذا هَلَكَ مَا لأوثَانِهم غَرِمُوه، وإذا هَلَكَ ما لِلَّه لم يَغرَمُوه. وقال

ابنُ زَيدٍ: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يَذْكُروا عليه اسمَ أوثانهم، ولا يَذكُرون الله على ما جعلوه للأوثان. فأمّا قوله: «بِزَعمِهم» فقرأ الجمهور: بفتح الزَّاي؛ وقرأ الكِسَائيُّ، والأعمَش: بضمّها. وفي الزَّعْم ثلاثُ لُغاتٍ: ضمُّ الزَّاي، وفتْحُها، وكَسْرُها ومثله: السُّقْط، والسَّقْط؛ والسِّقط والفَتْك؛ والفُتْك، والفِتْك؛ والزَّعْم، والزُّعْم، والزِّعْم، قال الفرَّاءُ: فَتْحُ الزاي في الزَّعم، لأهلِ الحجاز؛ وضمُّها لأَسَد؛ وكَسْرُها لبعض قَيْس فيما يَحكي الكِسَائيُّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ﴾ أي: ومِثْلَ ذلك الفعل القبيح فيما قَسَمُوا بالجَهل زَيَّن. قال ابنُ الأنْبَارِي: ويجوز أَنْ يكون «وكذلك» مُستأنَفاً، غيرَ مُشَارٍ به إلى ما قَبْلَهُ؛ فيكون المعنى: وهكذا زَيَّن. وقرأ الجمهور: «زَيَّن» بفتح الزَّاي والياء، ونَصْبِ اللام مِنْ «قَتْلَ»، وكَسْرِ الدَّال مِنْ «أولادِهم»، ورَفْع «الشُّرَكَاء»؛ ووَجْهُ هذه القراءة ظاهرٌ. وقرأ ابنُ عامرٍ: بضمّ زاي «زُيِّن»، ورَفْع اللام، ونَصْبِ الدَّال من «أَولادهم»، وخَفْضِ «الشُّرَكَاءِ». قال أبو عَليٍّ: ومعناها: قتلُ شُركائِهم أولادَهُم؛ فَفَصَلَ بين المُضاف والمُضاف إليه بالمَفعول به، وهذا قبيحٌ، قليلٌ في الاستعمال. وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلَمِيّ، والحسَنُ: «زُيِّن» بالرفع، «قتلُ» بالرَّفع أيضاً، «أولادِهم» بالجَرِّ، «شركاؤهم» رَفعاً. قال الفَرَّاءُ: رَفَعَ القتلَ إذا لم يُسَمَّ فَاعلُه، ورَفَعَ الشُّركَاء بفعلٍ نَوَاهُ، كأنه قال: زَيَّنه لهم شُركاؤُهم. وكذلك قال سِيْبَويه في هذه القراءة؛ كأنه قيل: مَنْ زيَّنه؟ فقال: شُرَكَاؤُهم. قال مَكِّيُ بن أبي طَالِبٍ: وقد رُوي عن ابنِ عَامرٍ أيضاً أنه قرأ بضمِّ الزَّاي، ورَفْعِ اللام، وخَفْضِ الأولاد والشُّرَكَاء؛ فيَصير الشُّرَكَاءُ اسماً للأولاد، لِمُشَارَكَتِهم للآباء في النَّسَبِ والمِيرَاثِ والدِّين.

وللمفسرين في المُراد بشُرَكائِهم أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الشَّياطين، قاله الحسَنُ، ومُجَاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: شُرَكاؤهم في الشِّرك، قاله قَتَادَةُ. **والثالث**: قومٌ كانوا يَخْدِمون الأوثان، قاله الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنهم الغُوَاة مِنَ الناس، ذكره المَاوَرِدي. وإنما أُضيف الشُّرَكَاءُ إليهم، لأَنَّهم هُم الذين اختَلَقُوا ذلك وزَعَمُوه.

وفي الذي زَيَّنُوه لهم مِنْ قَتْلِ أولادِهم قولان: **أحدهما**: أنه وَأْدُ البَنَات أحياءً خِيْفَةَ الفقر، قاله مُجاهدٌ. **والثاني**: أنه كان يَحْلِفُ أَحَدُهم أنه إنْ وُلِدَ له كذا وكذا غُلاماً أَنْ يَنْحَرَ أَحَدَهم، كما حَلَفَ عبد المُطَّلب في نَحْرِ عبد الله، قاله ابنُ السَّائِب، ومُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: لِيُهلِكُوهم. وفي هذه اللام قولان: **أحدهما**: أَنَّها لامُ «كي». **والثاني**: أَنَّها لامُ العَاقِبَة، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾[1] أي: آلَ أَمْرُهم إلى الرَّدَى، لا أنهم قَصَدُوا ذلك. قوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: لِيَخْلِطُوا. قال ابنُ عباسٍ: لِيُدخِلُوا عليهم الشَّكَّ في دِينهم؛ وكانوا على دِين إسماعيلَ، فَرَجعوا عنه بِتَزْيين الشَّياطين.

---

(١) سورة القصص: ٨.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان أهلُ الجاهليَّة إذا دَفَنُوا بناتِهم قالوا: إنَّ الله أَمَرنا بذلك؛ فقال: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يكذبون؛ وهذا تهديدٌ ووعيدٌ، فهو مُحكَمٌ، وقال قومٌ: مَقصُوده تَرْكُ قتالهم، فهو مَنسُوخٌ بآية السيف.

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ الحَرْثُ: الزَّرع، والحِجْرُ: الحَرَامُ؛ والمعنى: أنهم حَرَّموا أنعَاماً وحَرْثاً جعلوه لأصنامِهم. قال ابنُ قُتَيبَة: وإنما قيل للحَرَام: حِجْر، لأنه حُجِرَ على الناس أنْ يُصيبوه. وقرأ الحسَنُ، وقتادَةُ: «حُجْر» بضمِّ الحاء. قال الفَرَّاءُ: يقال: حِجْر، وحُجْر، بكسر الحاء وضمِّها؛ وهي في قراءة ابنِ مَسعودٍ: «حرج»، مثل: «جذب» و «جبذ». وفي هذه الأَنعَام التي جعلوها للأَصنام قولان: **أحدهما**: أنَّها البَحِيْرَةُ، والسَّائِبَةُ، والوَصِيْلَةُ، والحَامُ. **والثاني**: أنَّها الذَّبائح للأوثان، وقد سَبَقَ ذِكرهما.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ هو كقولك: لا يَذُوقُها إلاَّ مَنْ نُريد. وفيمَنْ أَطلَقُوا له تَناوُلَها قولان: **أحدهما**: أنهم مَنَعوا منها النِّساءَ، وجعلوها للرِّجال، قاله ابنُ السَّائِب. **والثاني**: عَكْسُه، قاله ابنُ زَيدٍ. قال الزَّجَّاجُ: أَعلَمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أَنَّ هذا التحريمَ زَعْمٌ منهم، لا حُجَّةَ فيه ولا بُرهانَ. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحَامُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: البَحِيْرَةُ، كانوا لا يَحُجُّون عليها، قاله أبو وَائِلٍ. **والثالث**: البَحِيْرَةُ، والسَّائِبَةُ، والحَامُ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ هي قُرْبَانُ آلهتهم، يَذكرون عليها اسمَ الأوثان خاصَّةً. وقال أبو وَائِلٍ. هي التي كانوا لا يَحُجُّون عليها؛ وقد ذكرنا هذا عنه في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾، فعلى قولِه، الصِّفَتَان لموصوفٍ واحدٍ. وقال مُجاهدٌ: كان مِنْ إبلهم طائفةٌ لا يذكرون اسمَ الله عليها في شيءٍ؛ لا إنْ ركبوا ولا إنْ حَمَلوا ولا إنْ حَلَبوا، ولا إنْ نُتِجُوا. وفي قوله تعالى: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أَنَّ ذِكرَ أسماء أوثانهم وتَرْكَ ذِكرِ الله! هو الافتِرَاءُ. **والثاني**: أَنَّ إِضافَتَهُم ذلك إلى الله تعالى، هو الافتِرَاءُ؛ لأنَّهم كانوا يقولون: هو حَرَّمَ ذلك.

﴿وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يعني بالأنعَام: المُحَرَّمات عِندَهم، مِنَ البَحِيرَةِ، والسَّائِبَةِ، والوَصِيْلَةِ. وللمُفسِّرين في المراد بما في بُطونها ثلاثة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه اللبَنُ،

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/٣٥٨ ـ ٣٥٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما في بطون هذه الأنعام ـ يعني أنعامهم ـ: «هذا محرم على أزواجنا» و «الأزواج» إنما هي نساؤهم في كلامهم، وهن لا شك بنات من هن أولاده، وحلائل من هن أزواجه. وفي قوله الله عز وجل: ﴿**ومحرم على أزواجنا**﴾ الدليل الواضح على أن تأنيث «الخالصة» كان لما وصفت من =

قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: الأَجِنَّة، قاله مُجاهدٌ. **والثالث**: الوَلَدُ واللَّبَنُ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقَاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ قرأ الجمهور: «خالصة» على لفظ التأنيث. وفيها أربعة أوجه. **أحدها**: أنه إنَّما أُنِّثَت، لأنَّ الأنعام مؤنثةٌ، وما في بُطونها مِثْلَها، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ معنى «ما» التَّأنيث، لأنها في معنى الجماعة؛ فكأنه قال: جماعةُ ما في بُطونِ هذه الأنعام خَالِصَةٌ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ الهاء دخلت للمُبالغة في الوَصف، كما قالوا: «عَلاَّمة» و «نَسَّابة». **والرابع**: أنه أُجرِيَ مَجرى المصادر التي تكون بلفظ التأنيث عن الأسماء المُذَكَّرة، كقولك: عَطَاؤكَ عافيةٌ، والرُّخصُ نِعمَةٌ، ذكرهما ابنُ الأنباري. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِيَة، والضَّحَّاكُ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «خالصٌ» بالرفع، مِنْ غير هاءٍ. قال الفَرَّاءُ: وإنما ذكر لتذكير «ما». وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرِمَةُ، وابنُ يَعْمَرَ: «خالصُهُ» برفع الصاد والهاء على ضميرٍ مذكَّرٍ، قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: ما خَلَصَ حيّاً. وقرأ قَتادةُ: «خالصةً» بالنَّصب. فأمَّا الذُّكور، فَهُم الرجال، والأزواجُ: النساء.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ قرأ الأكثرون: «يكن» بالياء، «مَيتةً» بالنَّصب؛ وذلك مَردودٌ على لفظ «ما». والمعنى وإنْ يكُن ما في بُطون هذه الأنعام مَيتةً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «يكن» بالياء، «مَيتةٌ» بالرَّفع. وافقه ابنُ عَامرٍ في رفع المَيتة؛ غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإنْ تَحدُث وتَقع، فجعل «كان»: تامَّةً لا تحتاج إلى خَبَرٍ. وقرأ أبو بَكرٍ عن عَاصمٍ: «تكن» بالتاء، «مَيتةً» بالنَّصب. والمعنى: وإنْ تكن الأنعامُ التي في البُطون مَيْتةً.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ يعني الرِّجال والنِّساء. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أرادَ جزاءَ وَصْفِهم الذي هو كَذِبٌ.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عَامرٍ: «قتَّلوا» بالتَّشديد. قال ابنُ عباسٍ: نزلت في رَبِيْعَةَ، ومُضَر، والذين كانوا يَدفنون بَنَاتِهم أحياءً في الجاهلية مِنَ العرب. وقال قَتَادةُ: كَان أهلُ الجاهلية يقتل أَحدُهم بِنْتَه مخافةَ السَّبْي والفَاقة، ويَغذُو كَلبَهُ. قال الزَّجَّاجُ: وقوله: «سَفَهاً» منصوبٌ على معنى اللام. تقديره: للسَّفَهِ؛ تقول: فعلتُ ذلك حَذَرَ الشَّرِّ. وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، والجَحدَرِيُّ، ومعاذٌ القارئ: «سُفَهَاءَ» برفع السين وفتح الفاء والهمزة بالمَدِّ وبالنَّصب والهَمز.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: كانوا يفعلون ذلك للسَّفه مِنْ غير أن أَتاهُم عِلْمٌ في ذلك؛ وحَرَّموا ما رزقهم اللّهُ مِنَ الأنعام والحَرْث، وزَعَموا أنَّ الله أَمَرَهُم بذلك.

= المبالغة في وصف ما في بطون الأنعام بالخلوصة للذكور، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل: «ومحرمة على أزواجنا» ولكن لما كان التأنيث في «الخالصة» لما ذكرت، ثم لم يقصد في «المحرم» ما قصد في «الخالصة» من المبالغة، رجع فيها إلى تذكير «ما» واستعمال ما هو أولى به من صفته ا.هـ.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ﴾ فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المَعْرُوشَات ما انبَسط على وَجه الأرض، فانتَشر مما يُعرَّش، كالكَرْم، والقَرْع، والبِطِّيخ؛ وغير مَعْرُوشَاتٍ: ما قام على سَاقٍ، كالنَّخْل، والزَّرع، وسائِرِ الأشجار. **والثاني**: أنَّ المَعْرُوشَات: ما أَنْبَتَهُ الناس؛ وغير مَعْرُوشَاتٍ: ما خرج في البراري والجبال مِنَ الثِّمار، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ المَعْرُوشَات، وغير المَعْرُوشَاتِ: الكَرْمُ، منه ما عَرَّشَ، ومنه ما لم يُعَرَّش، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنَّ المَعْرُوشَات: الكُروم التي قد عُرِّش عِنَبُها، وغير المَعْرُوشَاتِ: سائِرُ الشَّجر الذي لا يُعرَّش، قاله أبو عُبيدَةَ.

والأُكُل: الثَّمرُ. ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ قد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ هذا أَمْرُ إِباحةٍ؛ وقيل: إنَّما قدَّم الأَكْلَ لِيَنْهَى عن فعل الجاهليَّة في زُروعهم مِنْ تحريم بعضها.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ قرأ ابنُ عَامرٍ، وعَاصِمٌ وأبو عَمرٍو: بفتح الحاء، وهي لُغةُ أهل نَجْدٍ، وتَمِيم. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: بكسرها، وهي لُغةُ أهل الحِجاز، ذَكره الفَرَّاءُ. وفي المُراد بهذا الحقِّ قولان[1]: **أحدهما**: أنه الزَّكاة، رُوي عن أنسِ بن مالكٍ، وابنِ عباسٍ، وسعيدِ بن المُسَيِّب، والحَسنِ، وطَاوسٍ، وجابرِ بن زَيدٍ، وابنِ الحَنَفيَّة، وقَتَادَةَ في آخرين؛ فَعلى هذا، الآيَةُ مُحكَمَةٌ. **والثاني**: أنه حقٌّ غيرُ الزَّكاة فُرِض يومَ الحَصَاد، وهو إِطعامُ مَنْ حَضَر، وتَرْكُ ما سَقَطَ مِنَ الزَّرع والثَّمر، قاله عَطَاءٌ ومُجاهدٌ.

وهل نُسِخَ ذلك، أَمْ لا؟ إنْ قلنا: إنه أَمْرُ وجوبٍ، فهو مَنْسُوخٌ بالزَّكاة؛ وإنْ قلنا: إنه أَمرُ استحبابٍ، فهو باقي الحُكْمِ. فإنْ قيل: هل يجب إيتاءُ الحقِّ يومَ الحصاد؟ فالجواب: إنْ قلنا: إنه

---

(١) قال الإمام ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٢٨٢. الآية ﴿وآتوا حقه﴾: اختلف في تفسير هذا الحق على ثلاثة أقوال: **الأول**: أنه الصدقة المفروضة، قاله سعيد بن المسيب وغيره، ورواه ابن وهب وابن القاسم عن مالك في تفسير الآية. **الثاني**: أنها الصدقة في المفروضة تكون يوم الحصاد وعند الصرام وهي إطعام من حضر والإيتاء لمن غبر قاله مجاهد. **الثالث**: أن هذا منسوخ بالزكاة قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقد زعم قوم أن هذا اللفظ مجمل ولم يحصلوا القول فيه، وحقيقة الكلام عليه: أن قوله ﴿آتوا﴾ مفسر، وقوله ﴿حقه﴾ مفسر في المؤتىٰ، مجمل في المقدار. وإنما يقع النظر في رفع الإشكال الذي أنشأه احتمال هذه الأقوال. وقد بينا فيما سبق وجه أنه ليس في الماء حق سوىٰ الزكاة، وتحقيقه في القسم الثاني من علوم القرآن، وفي سورة البقرة من هذا التأليف، وثبت أن المراد بذلك ها هنا الصدقة المفروضة. وقد أفادت هذه الآية وجوب الزكاة فيما سمىٰ الله سبحانه، وأفادت بيان ما يجب فيه من مخرجات الأرض التي أجملها الله في قوله ﴿**ومما أخرجنا لكم من الأرض**﴾ [البقرة: ٢٦٧] وفسرها ها هنا، فكانت آية البقرة عامة في المخرج كله مجملة في القدر، فبينه رسول الله ﷺ الذي أمر بأن يبين للناس ما نزل إليهم.

إطعامُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الفقراء، فذلك يكون يومَ الحصاد؛ وإنْ قلنا: إنه الزَّكاة، فقد ذُكِرَت عنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أَنَّ الأمْرَ بالإيتاء مَحمولٌ على النَّخيلِ، لأنَّ صَدَقَتها تَجِبُ يومَ الحصاد. فأمَّا الزُّروع، فالأمْرُ بالإيتاء منها مَحمولٌ على وُجوبِ الإخراج؛ إلاَّ أنه لا يُمكن ذلك عند الحَصاد؛ فيُؤخَّر إلى زمان التَّنْقِيَة، ذَكَرَهُ بعضُ السَّلف. **والثاني**: أنَّ اليوم ظَرْفٌ للحقِّ، لا للإيتاء؛ فكأنَّه قال: وآتوا حَقَّه الذي وَجَبَ يومَ حصاده بعد التَّنْقِيَة. **والثالث**: أنَّ فائدة ذِكْرِ الحَصاد أنَّ الحقَّ لا يَجِبُ فيهِ بِنَفْسِ خُروجه وبُلوغه، إنَّما يَجب يومَ حُصوله في يَدِ صاحبه. وقد كان يجوز أنْ يُتَوَهَّم أنَّ الحقَّ يلزم بِنَفْس نَباتِه قبل قَطْعِه، فأفادت الآيةُ أنَّ الوُجُوبَ فيما يحصل في اليَدِ، دون ما يُتْلَف، ذَكَرَ الجَوابين القاضي أبو يَعلى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ ستة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّه تَجاوزُ المَفروض في الزَّكاة إلى حَدٍّ يُجْحِفُ به، قاله أبو العَالِية، وابنُ جُرَيج. وروى أبو صالح عن ابن عباسٍ: أنَّ ثابتَ بن قَيْسِ بن شَمَّاس صَرَمَ خمسمائة نَخْلَة، ثم قَسمَها في يومٍ واحدٍ، فأمسى ولَم يَتْرُكْ لأهله شيئاً، فكَرِهَ اللَّهُ تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. **والثاني**: أنَّ الإسرَاف: يَمنع الصَّدقَةَ الواجبة! قاله سعيدُ بنَ المُسَيِّبِ. **والثالث**: أنه الإنفاقُ في المَعصية، قاله مُجاهدٌ، والزُّهريُّ. **والرابع**: أنه إشراكُ الآلهة في الحَرْثِ والأنعَام، قاله عَطِيَّةُ، وابنُ السائِبِ. **والخامس**: أنه خِطابٌ للسلطان لِئَلاَّ يأخذ فوقَ الواجب مِنَ الصَّدقة، قاله ابنُ زَيدٍ. **والسادس**: أنه الإسرَافُ في الأكْلِ قبل أداءِ الزَّكاة، قاله ابنُ بَحْرٍ.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ هذا نَسَقٌ على ما قَبْلَه؛ والمعنى: أنشأ جَنَّاتٍ وأنشأ حَمُولَةً وَفَرْشاً. وفي ذلك خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحَمُولَةَ: ما حَمَلَ مِنَ الإبلِ، والفَرْشَ: صِغَارُها، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، ومُجاهدٌ، وابنُ قُتَيبة. **والثاني**: أنَّ الحَمُولَةَ: ما انتَفَعتَ بظُهورها، والفَرْشَ: الرَّاعِيَة، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنَّ الحَمُولَةَ: الإبلُ: والخَيل، والبِغَال، والحَمِير، وكلُّ شيءٍ يُحمَلُ عليه. والفَرْشَ: الغَنَم: رواه ابنُ أبي طَلْحةَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**:

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/ ٣٧١: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ عن جميع معاني «الإسراف» ولم يخصص منها معنى دون معنىً وإذ كان ذلك كذلك، وكان «الإسراف» في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحق في العطية، إما بتجاوز حده في الزيادة، وإما بتقصير عن حده الواجب، كان معلوماً أن المفرق ماله مباراة، والباذل له للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوزه حد الله إلى ما ليس له. وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه. وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله وألزمه منها، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه. كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: ﴿ولا تسرفوا﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذا كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده. فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله ﷺ بسبب خاص من الأمور والحكم بها على العام، بل عامة آي القرآن كذلك، فكذلك قوله ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ ا. هـ.

الحَمُولَة: مِنَ الإبل، والفَرْشُ: مِنَ الغنم، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: الحَمُولَةُ: الإبل والبقر. والفَرْشُ: الغنم، وما لا يُحمل عليه مِنَ الإبل، قاله قَتَادَةُ. وقرأ عِكرِمَةُ، وأبو المُتوكِّل؛ وأبو الجَوزاء: «حُمولة» بضم الحاء.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لا تُحرِّموا ما حَرَّمتم مما جرى ذِكْرُه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طُرُقَه. قال: وقوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدلٌ مِنْ قوله تعالى: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾. والزَّوجُ، في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخرُ. قلتُ: وهذا كلامٌ يفتقر إلى تَمامٍ، وهو أن يُقال: الزَّوج: ما كان معه آخرُ مِنْ جنسه، فحِينَئذٍ يُقال لكلِّ واحدٍ منهما: زوج.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ الضَّأْن: ذَواتُ الصُّوف مِنَ الغنم، والمَعْز: ذواتُ الشَّعْرِ منها. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ: من «المعَز» بفتح العين. وقرأ نَافعٌ، وحَمزَةُ، وعَاصمٌ، والكِسَائيُّ: بتسكين العين. والمراد بالأنثيين: الذكر والأنثى. ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ﴾ مِنَ الضَّأْنِ والمَعْزِ حَرَّم اللَّهُ عليكم ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ منها؟ المعنى: فإنْ كان ما حَرَّمَ اللَّهُ عليكم الذَّكَرين. فكلُّ الذُّكور حَرامٌ، وإنْ كان حَرَّمَ الأُنْثَيين، فكلُّ الإناث حرامٌ، وإنْ كان حَرَّمَ ما اشتَمَلَتْ عليه أرحامُ الأُنْثَيين، فهي تشتمل على الذُّكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذُّكور والإناث، فيكون كلُّ جَنينٍ حَراماً. وقال ابنُ الأَنْبَارِي: معنى الآية: أَلَحِقكم التَّحريمُ مِنْ جهة الذَّكرين، أَمْ مِنْ جهة الأُنْثَيين؟ فإنْ قالوا: مِنْ جهة الذَّكرين حَرُم عليهم كلُّ ذَكَرٍ، وإنْ قالوا: مِنْ جهة الأُنْثَيين، حَرُمَتْ عليهم كلُّ أُنثى، وإنْ قالوا: مِنْ جهة الرَّحِم، حَرُمَ عليهم الذَّكَرُ والأنثى. وقال ابنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ: إنْ قالوا: حَرَّم الذَّكَرين، أوجَبُوا تحريمَ كلِّ ذَكَرٍ مِنَ الضَّأْن والمَعْزِ، وهم يَستَمتِعون بلُحوم بعض الذُّكْرَان منها وظُهورِه، وفي ذلك فسادُ دَعْوَاهُم. وإنْ قالوا: حَرَّم الأُنْثَيين أوجبوا تحريمَ لُحوم كلِّ أُنثى مِنْ وَلَدَ الضَّأْنِ والمَعْزِ، وهم يَستَمتِعون بلُحوم بعض ذلك وظُهورِه. وإنْ قالوا: ما اشتملت عليه أرحامُ الأُنْثَيين، فقد كانوا يَستَمتِعون ببعض ذُكُورها وإناثِها. قال المُفسِّرون: فاحتَجَّ اللَّهُ تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدَها، لأنهم كانوا يُحَرِّمون أجناساً مِنَ النَّعَم، بعضها على الرِّجال والنِّساء، وبعضها على النِّساء دونَ الرِّجال.

وفي قوله تعالى: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إبْطَالٌ لِمَا حَرَّموه مِنَ البَحِيْرَةِ، والسَّائِبَة، والوَصِيلَة والحَام. وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾، إبطالُ قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فَسِّروا ما حَرَّمْتُم بعِلْمٍ، أي: أنتم لا عِلْمَ

لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتابٍ. ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: هل شَاهَدْتُم الله قَدْ حَرَّم هذا، إذا كنتم لا تُؤمنون برسولٍ؟

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد عَمرَو بن لَحْيٍ، ومَنْ جاءَ بعدَه. والظَّالمون ها هنا: المُشركون.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ نَبَّهَهُمْ بهذا على أنَّ التَّحريمَ والتَّحليلَ، إنما يثبت بالوَحي، وقال طَاوسٌ، ومُجَاهدٌ: معنى الآية: لا أَجِدُ مُحَرَّماً مما كنتم تَسْتَحِلُّون في الجاهلية إلاَّ هذا. والمُراد بالطَّاعِم: الآكِل. ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلاَّ أَنْ يكون المَأكُول مَيْتَةً. قرأ ابنُ كَثِيرٍ، وحَمزَةُ: «إلا أن يكون» بالياء، «مَيْتَةٌ» نصباً! وقرأ ابنُ عَامِرٍ: «إلا أن تكون» بالتاء، «مَيْتَةٌ» بالرفع؛ على معنى: إلاَّ أَنْ تقع مَيْتَةٌ، أو تَحدُثَ مَيْتَةٌ. ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ قال قَتَادَةُ: إنما حُرِّم المَسْفُوحُ. فأما اللحم إذا خَالَطَه دَمٌ، فلا بأسَ به. وقال الزَّجَّاجُ: المَسْفُوحُ: المَصْبُوبُ. وكانوا إذا ذَكَّوا يأكلون الدَّمَ كما يأكلون اللحمَ. والرِّجْسُ: اسمٌ لما يُستَقْذَر، وللعذاب. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المَأكُول فِسْقاً. ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: رُفِعَ الصوتُ على ذَبْحِهِ باسم غير الله، فَسُمِّيَ ما ذُكِر عليه غير اسم الله فِسْقاً؛ والفِسْقُ: الخروجُ مِنَ الدِّين.

فصل: اختلف علماءُ النَّاسِخِ والمَنْسُوخ في هذه الآية على قولين[١]:

---

(١) قال الإمام الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد» ١/ ١٣٩ ما ملخصه، بعد أن أسند حديث أبي هريرة «أكل كل ذي ناب من السباع حرام»: وهذا حديث ثابت مجتمع على صحته، وفيه من الفقه أن النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع نهي تحريم، لا نهي أدب وإرشاد، وكل خبر جاء عن النبي ﷺ فيه نهي، فالواجب استعماله على التحريم إلا أن يأتي معه أو في غيره دليل يبين أن المراد أنه ندب وأدب. وقد زعم بعض أصحابنا أنه نهي تنزه وتقذر، فإن أراد به نهي أدب فهذا ما لا يوافق عليه، وإن أراد أن كل ذي ناب من السباع يجب التنزه عنه كما يتنزه عن النجاسة فهذا غاية في التحريم. ولم يُرِدْهُ القائلون من أصحابنا. لأنهم استدلوا بظاهر هذه الآية ﴿**قل لا أجد**. . .﴾ وذكر أن من الصحابة من استعمل هذه الآية، ولم يحرم ما عداها، ويلزمه على أصله هذا أن يحل لحم الحمر الأهلية، وهو لا يقول هذا في لحم الحمر الأهلية. لأنه لا تعمل الزكاة عنده في لحومها ولا في جلودها، ولو لم يكن محرماً إلا ما في هذه الآية لكانت الحمر الأهلية حلالاً. وهو لا يقول به، ولا أحد من أصحابه، وهذه مناقضة، وكذلك يلزمه أن لا يحرم ما لم يذكر اسم الله عليه عمداً، ويستحل الخمر المحرمة عند جماعة المسلمين. وأظن قائل هذا القول من أصحابنا في أكل كل ذي ناب. راعى اختلاف العلماء، ولا يجوز مراعاة الاختلاف عند طلب الحجة. لأن الاختلاف ليس منه شيء لازم دون دليل، وإنما الحجة اللازمة الإجماع لأن الإجماع يجب الانقياد إليه. فأما قوله تعالى ﴿**قل لا أجد فيما أوحي**. . .﴾ فقال قوم من فقهاء العراقيين، ممن يجيز نسخ القرآن بالسنة: إن هذه الآية منسوخة بالسنة. وقال آخرون: معنى الآية، أي لا أجد قد أوحي إلي في هذا الحال أي وقت نزول الآية. وقالت فرقة: الآية محكمة، ولا يحرم إلا ما فيها، وهو قول ابن عباس، وقد روي عنه خلافه في أشياء حرمها، يطول ذكرها، =

أحدهما: أنها مُحكَمَةٌ. ولأرباب هذا القول في سبب إحكَامِها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها خَبَرٌ، والخَبَرُ لا يدخله النَّسْخ. **والثاني**: أنها جاءت جَواباً عن سؤالٍ سَألُوه؛ فكان الجواب بقدرِ السُّؤال، ثم حُرِّم بعد ذلك ما حُرِّم. **والثالث**: أنه ليس في الحيوان مُحَرَّمٌ إلاَّ ما ذُكِرَ فيها.

والقول الثاني: أنها مَنْسُوخَةٌ بما ذُكر في (المائدة) مِنَ المُنْخَنِقَةِ والمَوقُوذَةِ، وفي السُّنَّةِ من تحريم الحُمُر الأهليَّة، وكلِّ ذي نَابٍ مِنَ السِّبَاع، ومِخْلَبٍ مِنَ الطَّير. وقيل: إنَّ آية (المائدة) داخلةٌ في هذه الآية، لأنَّ تلك الأشياء كلَّها مَيْتَةٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وقرأ الحَسَنُ، والأعمَشُ: «ظُفْرٍ» بسكون الفاء؛ وهذا التَّحريم تحريم بَلْوى وعُقوبةٍ. وفي ذِيْ الظُّفُر ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه ما ليس بمُنْفَرِجِ الأصابع، كالإبل، والنَّعام، والإِوَزِّ، والبَطِّ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ، ومُجَاهِدٌ، وقَتَادَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنَّه الإبلُ فقط، قاله ابنُ زَيدٍ. **والثالث**: كلُّ ذِي حَافِرٍ مِنَ الدَّواب، ومِخْلَبٍ من الطَّير، قاله ابنُ قُتَيبةَ. قال: وسُمِّي الحَافِرُ ظُفْراً على الاستعارة؛ والعرب تجعل الحَافِرَ والأَظْلافَ موضعَ القَدَم، استعَارةً؛ وأنشدوا:

سَأَمْنَعُها أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَها إلى مَلِكٍ أَظْلافُهُ لَمْ تُشَقَّقِ[1]

أراد قَدَمَيْه؛ وإنَّما الأَظْلافُ للشَّاءِ والبَقر. قال ابنُ الأنبَارِي: الظُّفُر ها هنا، يجري مَجْرَى الظُّفر للإنسان. وفيه ثلاثُ لغاتٍ أعلاهنَّ: ظُفُر؛ ويقال: ظُفْر، وأُظْفُور. وقال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَوتَ أدرَكَ مَنْ مَضَى فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُ ذا جَناحٍ وذَا ظُفُرِ

وقال الآخر:

لَقَدْ كُنْتُ ذا نَابٍ وظُفْرٍ على العِدَى فأَصبَحتُ ما يَخْشَوْنَ نَابي ولا ظُفْرِي

وقال الآخر:

مَا بينَ لُقمَتِهِ الأُولى إذَا انحَدَرَتْ وبَينَ أُخرَى تَلِيهَا قِيْدُ أُظْفُورِ[2]

وفي شُحُوم البقر والغَنم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إنما حُرِّمَ مِنْ ذلك شُحومُ الثُّرُوب خاصَّةً، قاله قَتَادَةُ. **والثاني**: شُحُومُ الثُّرُوب والكُلَى، قاله السّدِّيُّ، وابنُ زَيدٍ. **والثالث**: كلُّ شَحمٍ لم يكن مُختلطاً

= وكذلك اختلف فكيه عن عائشة، وروي عن ابن عمر من وجه ضعيف، وهو قول الشعبي وسعيد بن جبير. وأما سائر فقهاء المسلمين في جميع الأمصار فمخالفون لهذا القول متبعون للسنة في ذلك. وقال أكثر أهل العلم، والنظر من أهل الأثر: إن الآية محكمة غير منسوخة، وكل ما حرمه النبي ﷺ مضموم إليها، ولا فرق بين ما حرم الله عز وجل في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ اهـ.

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١١٦ وفي السمط ٧٤٦ منسوب لعقفان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعي. وقوله: أظلافه لم تشقق: أي أنه منتعل مترفه، فلم تشقق قدماه.

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان» ظفر «أساس البلاغة».

بعَظْم، ولا على عَظْم، قاله ابنُ جُرَيج. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما عَلِقَ بالظَّهر مِنَ الشُّحوم، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: الألْيَةُ، قاله أبو صَالح، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: ما عَلِقَ بالظَّهر والجَنْبِ مِنْ داخل بُطُونهما، قاله قَتادَةُ. فأمَّا الحَوَايَا، فللمُفسِّرين فيها أقوالٌ تتقارب معانيها. قال ابنُ عباس، والحَسنُ، وابنُ جُبَيرٍ، ومُجَاهدٌ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ، وابنُ قُتَبَة: هي المَباعِرُ. وقال ابنُ زَيدٍ: هي بَنَاتُ اللبَن، وهي المَرَابِضُ التي تكون فيها الأَمعاءُ. وقال الفَرَّاءُ: الحَوَايَا: هي المَباعِرُ، وبَنَاتُ اللَبن، وقال الأَصمَعيُّ: هي بَنَاتُ اللبَن، واحدها: حَاوِيَاء، وحَاوِيَة، وحَوِيَّة. قال الشاعر:

أَقْـتُـلُـهـم ولا أرى مُـعَـاوِيَـة ... الـجاحِظَ الـعَيْنِ الـعَظيمَ الـحَاوِيَهْ[1]

وقال الآخر:

كـأنَّ نَـقِـيْـق الـحَـبِّ فـي حَـاوِيَـائِـهِ ... فَحِيْحُ الأفَاعِي أو نَقِيْقُ العَقَارِب[2]

وقال أبو عُبيدَةَ: الحَوَايَا اسمٌ لجميع ما تَحوَّى مِنَ البَطْنِ، أي: ما استدارَ منها. وقال الزَّجَّاجُ: الحَوَايَا: اسمٌ لجميع ما تَحَوَّى مِنَ الأمعاء، أي: استَدَار. وقال ابنُ جريرِ الطَّبَريّ: الحَوَايَا: ما تَحَوَّى مِنَ البطن. فاجتمع واستَدَار، وهي بَنَاتُ اللبَن، وهي المَبَاعِرُ، وتسمى: المَرَابِض، وفيها الأمعاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه شَحمُ البطن والأَلْيَة، لأنهما على عَظْم، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: كلُّ شَحم في القَوائِم، والجَنْبِ، والرَّأس. والعَينين، والأُذنين، فهو مما اختلَط بعَظْم، قاله ابنُ جُرَيج. واتفقوا على أنَّ ما حملت ظُهُورُهما حَلالٌ، بالاستثناء مِنَ التَّحريم. فأمَّا ما حَمَلَتِ الحَوَايَا، أو ما اختَلَطَ بعَظْم، ففيه قولان: **أحدهما**: أنه داخلٌ في الاستثناء، فهو مُبَاحٌ؛ والمعنى: وأُبيحَ لهم ما حَمَلَتِ الحَوَايَا مِنَ الشَّحم وما اختلط بعَظْم، وهذا قول الأكثرين. **والثاني**: أنه نَسَقٌ على ما حُرِّم، لا على الاستثناء؛ فالمعنى: حَرَّمنا عليهم شُحومَهُما، أو الحَوَايَا، أو ما اختَلَطَ بعَظْم، إلاَّ ما حملت الظُّهُور، فإنه غيرُ مُحَرَّم، قاله الزَّجَّاجُ. فأمَّا «أو» المذكورة ها هنا، فهي بمعنى الواوِ، كقوله تعالى ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: ذلك التَّحريم عقوبةٌ لهم على بَغْيِهم. وفي بَغْيِهم قولان: **أحدهما**: أنه قَتْلُهم الأنبياء، وأَكْلُهم الرِّبا. **والثاني**: أنه تحريمُ ما أُحِلَّ لهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾.

[٥٦١] قال ابنُ عباس: لمَّا قال رسولُ الله ﷺ للمشركين: «هذا ما أُوحي إِليَّ أنَّه محرَّمٌ على المسلمين وعلى اليهود»، قالوا: فإنَّكَ لم تُصِبْ، فنزلت هذه الآية.

---

[٥٦١] لم أقف على إسناده، وتفرد المصنف بذكره دليل وهنه.

---

(١) البيت منسوب لعلي رضي الله عنه «اللسان» حوي.

(٢) البيت منسوب إلى جرير وهو في ديوانه: ٨٣ «واللسان» حوى.

وفي المُكَذِّبين قولان: **أحدهما**: المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: اليهودُ، قاله مُجَاهِدٌ.

والمُراد بذِكْرِ الرَّحمة الوَاسِعة، أنه لا يُعَجِّل بالعقوبة. والبَأسُ: العذابُ. وفي المُراد بالمُجرمين قولان: **أحدهما**: المُشركون. **والثاني**: المُكَذِّبون.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: إذا لَزِمَتْهم الحُجَّة، وَتَيَقَّنوا باطلَ ما هُمْ عليه مِنَ الشِّرك وتحريم ما لم يُحَرِّمه الله ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، فجعلوا هذا حُجَّة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكأنَّهم قالوا: لو لَمْ يَرْضَ ما نحنُ عليه، لَحَالَ بيننا وبينه، وإنَّما قالوا ذلك مُستهزئين، ودافعين للاحتِجَاج عليهم، فيُقال لهم: لِمَ تقولون عن مُخَالِفيكُم: إنهم ضَالُّون، وإنَّما هُمْ على المَشيئة أيضاً؟ فلا حُجَّة لهم، لأنَّهم تَعلَّقوا بالمَشيئة، وتَرَكُوا الأمرَ، ومشيئةُ الله تَعُمُّ جميعَ الكائنات، وأمرُهُ لا يَعُمُّ مُراداته، فعلى العبد اتِّباعُ الأمْرِ، وليس له أنْ يتعلَّل بالمَشيئة بعدَ وُرودِ الأمْرِ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أي: قالوا لِرُسُلهم مثلما قال هؤلاءِ لكَ، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ أي: عَذَابَنا. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: كتاب نُزِّل مِنْ عند الله في تَحريم ما حَرَّمتُم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ لا اليقين؛ و «إن» بمعنى «ما». و «تَخْرُصُون»: تكذبون.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ قال الزَّجَّاج: حُجَّتُه البَالِغة: تَبْيِينُهُ أنَّه الواحد، وإرسَاله الأنبياء بالحُجَجِ المُعجِزَة. قال السُّدِّيُّ: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يومَ أَخْذَ المِيثَاق.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ قال الزَّجَّاج: زَعَمَ سِيبويه أنَّ ﴿هَلُمَّ﴾ هاءٌ ضُمَّتْ إليها «لُمَّ»، وجُعلتا كالكلمة الواحدة؛ فأكثرُ اللغات أنْ يُقال: «هلم»: للواحد والاثنين والجماعة؛ بذلك جاء القرآن. ومِنَ العرب مَنْ يُثنِّي ويَجمع ويُؤنِّث، فيقول للذَّكر: «هَلُمَّ» وللمرأة: «هَلُمِّي»، وللاثنين «هَلُمَّا»، وللثِنْتَين: «هَلُمَّا»، وللجماعة: «هَلُمُّوا»، وللنِّسوة: «هَلمُمْن». وقال ابنُ قُتيبة: ﴿هَلُمَّ﴾، بمعنى: «تَعَالَ». وأهلُ الحجاز لا يُثَنُّونها ولا يَجْمَعونها، وأهلُ نَجْدٍ يَجعلونها مِنْ «هَلْمَمْتُ» فيُثَنُّون ويَجمعون ويُؤنِّثون، وتُوصل باللام، فيقال: «هَلُمَّ لكَ»، «وهَلُمَّ لكما». قال: وقال الخَلِيْلُ: أصلُها «لُمَّ»، وزِيدَتْ الهاءُ في أوَّلها. وخالفه الفَرَّاءُ فقال: أصلُها «هل» ضُمَّ إليها «أُمَّ»، والرَّفْعَةُ التي في اللام مِنْ همزة «أُمَّ» لَمَّا تُركت انتقلت إلى ما قَبْلَها؛ وكذلك «اللهُمَّ» يرى أصلها: «يا الله أُمَّنا بخيرٍ» فكَثُرت في الكلام، فاختَلَطت، وتُركت الهمزة. وقال ابنُ الأنبَارِي: معنى «هَلُمَّ»: أَقْبِلْ؛ وأصلُه: «أُمَّ يا رَجُل»، أي: «اقصد»، فضَمُّوا «هل» إلى «أُمَّ» وجعلوهما حرفاً واحداً، وأزالوا «أم» عن التَّصرُّف،

وحوَّلوا ضمَّةَ همزةِ «أُمَّ» إلى اللام، وأسقطُوا الهمزةَ، فاتَّصلت الميمُ باللام. وإذا قال الرجلُ للرجل: «هَلُمَّ»، فأراد أنْ يقول: لا أفعل، قال: «لا أهَلُمُّ» ولا أُهَلِمُّ». قال مُجاهِدٌ: هذه الآية جوابُ قولهم: إنَّ الله حَرَّم البَحِيرَةَ، والسَّائِبَة. قال مُقَاتلٌ: الذين يشهدون أنَّ الله حَرَّم هذا الحَرْثَ والأنعَامَ، ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ أنَّ الله حرَّمه ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: لا تُصدِّقْ قولَهم.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ «ما» بمعنى «الذي». وفي «لا» قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ كقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾. **والثاني**: أنها ليست زائدةً، وإنَّما هي باقيةٌ؛ فعلى هذا القول، في تقدير الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يكون قولُه: «أن لا تشركوا»، مَحمُولاً على المعنى؛ فتقديره: أَتْلُ عليكم أنْ لا تُشركوا، أي أَتْلُ تحريمَ الشِّرك. **والثاني**: أنْ يكون المعنى: أُوصِيكم أنْ لا تُشركوا، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ مَحمُولٌ على معنى: أوصِيكم بالوالدين إحساناً، ذكرهما الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ الكلام تَمَّ عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾. ثُمَّ في قوله: «عليكم» قولان: **أحدهما**: أنها إغراءٌ، كقوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، فالتقدير: عليكم أنْ لا تُشركوا، ذكره ابنُ الأنبَارِي. **والثاني**: أنْ يكون بمعنى: فُرِضَ عليكم، ووَجَبَ عليكم أنْ لا تُشركوا. وفي هذا الشِّرك قولان: **أحدهما**: أنه ادِّعاءُ شَرِيكٍ مع الله عزَّ وجلَّ. **والثاني**: أنه طاعةُ غيره في معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم﴾ يُريد دَفْنَ البَنَاتِ أحياءً، ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ أي: مِنْ خوف فَقرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الفَواحِش: الزِّنا، وما ظَهَرَ منه: الإعلانُ به، وما بَطَن: الاسْتِسرَارُ به، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: أنَّ ما ظَهرَ: الخمرُ، ونِكاحُ المُحَرَّمات. وما بَطَنَ: الزِّنا، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجَاهدٌ. **والثالث**: أنَّ ما ظَهَرَ: الخمرُ، وما بَطَنَ: الزِّنا، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه عامٌّ في الفَوَاحِش. وظَاهِرُها: عَلانِيَتُها، وبَاطِنُها: سِرُّها، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنَّ ما ظَهَرَ: أفعالُ الجَوارِح، وما بَطَنَ: اعتقَادُ القلوب، ذكره المَاوَرديُّ في تفسير هذا المَوضِع، وفي تفسير قوله: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[2].

والنَّفسُ التي حَرَّم الله: نَفسُ مُسْلمٍ أو مُعاهَدٍ. والمراد بالحقِّ: إذنُ الشَّرع.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥. (٢) سورة الأنعام: ١٢٠.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إنما خصَّ مالَ اليتيم، لأنَّ الطمعَ فيه، لِقِلَّة مُراعِيه وضَعْفِ مَالِكِهِ؛ أقوى. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه أكلُ الوَصِيِّ المُصْلِح للمال بالمعروف وقتَ حاجته، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: التِّجارة فيه، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ، ومُجَاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: أنه حِفظُه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السَّائِب. **والرابع**: أنه حِفظُه عليه، وتَثْمِيرُه له، قاله الزَّجَّاجُ. قال: و «حتى» مَحمُولةٌ على المعنى؛ فالمعنى: اِحفظُوه عليه حتى يَبْلُغَ أَشُدَّه، فإذا بلغَ أَشُدَّه، فادفعوه إليه.

فأمَّا الأشُدُّ، فهو استِحكَامُ قوة الشباب والسِّنِّ. قال ابنُ قُتَيبَة: ومعنى الآية: حتى يَتَنَاهَى في النَّبَات إلى حَدِّ الرِّجال. يقال: بَلَغَ أَشُدَّه: إذا انتهى مُنتهَاه قبلَ أَنْ يأخذ في النُّقصان. وقال أبو عُبيدَةَ: الأَشُدُّ لا واحدَ له منه؛ فإن أُكرِهوا على ذلك، قالوا: شَدٌّ، بمنزلة: ضَبٌّ؛ والجمع: أَضُبٌّ. قاله ابنُ الأنبَارِي: وقال جماعةٌ مِنَ البَصْرِيين: واحدُ الأَشُدِّ: شُدٌّ، بضمِّ الشين. وقال بعضُ البَصْرِيين: واحدُ الأَشُدِّ: شِدَّةٌ، كقولهم: نِعْمَة، وأَنْعُم. وقال بعضُ أهل اللغة: الأَشُدُّ: اسمٌ لا واحدَ له. وللمُفَسِّرين في الأَشُدِّ ثمانية أقوالٍ: **أحدها**: أنه ثلاثٌ وثلاثون سنةً، رواه ابنُ جُبيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: ما بين ثَماني عشرة إلى ثلاثين سنةً، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أربعون سنةً، رُوي عن عَائشةَ عليها السلام. **والرابع**: ثماني عشرةَ سنةً، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: خمسٌ وعشرون سنةً، قاله عِكرِمَةُ. **والسادس**: أربعةٌ وثلاثون سنةً، قاله سُفيَانُ الثَّوري. **والسابع**: ثلاثون سنةً، قاله السُّدِّيّ. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾[1] فكأنه يُشير إلى النَّسْخ. **والثامن**: بُلُوغ الحُلُم، قاله زَيدُ بن أَسْلَمَ، والشَّعبيُّ، ويَحيَى بن يَعْمَرَ، ورَبيعَةُ، ومالكُ بن أنسٍ، وهو الصحيح. ولا أظنُّ بالذين حكينا عنهم الأقوالَ التي قبله فسَّروا هذه الآية بما ذُكر عنهم، وإنما أظن أنَّ الذين جمعوا التفاسير، نقلوا هذه الأقوالَ مِنْ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ إلى هذا المكان، وذلك نهاية الأَشُدِّ، وهذا ابتداءُ تمَامِه؛ وليس هذا مثلَ ذاك. قال ابنُ جَريرٍ: وفي الكلام محذوفٌ، تُرِك ذِكرُه اكتفاءً بدلالة ما ظهر عمَّا حُذِف، لأنَّ المعنى: حتى يبلغ أَشُدَّه؛ فإذا بلغَ أَشُدَّه، وآنَسْتُم منه رُشداً، فادفعوا إليه ماله. وهذا الذي ذكره ابنُ جَريرٍ ليس بصحيحٍ، لأنَّ إِينَاسَ الرُّشد استُفيد مِنْ سورة (النساء) وكذلك أولياء اليتامى، فحُمِل المُطْلَقُ على المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: أَتِمُّوه ولا تُنقِصوا منه. ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: وَزْنَ الميزان. والقِسْط: العَدْل. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما يَسَعُها. ولا تَضيق عنه. قال القاضي أبو يَعلَى: لمَّا كان الكَيْلُ والوَزن يتعذَّر فيهما التَّحديدُ بأقلّ القليل، كُلِّفنا الاجتهاد في التَّحرِّي، دون تحقيق الكَيْل والوَزْن. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ أي: إذا تَكلَّمتم أو شهدتم، فقولوا الحقَّ، ولو كان المَشْهُود له أو عليه ذا قَرَابَةٍ. وعَهْدُ الله يشتمل على ما عهده إلى الخَلْقِ وأوصَاهُم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتذَّكَّروه وتأخذوا به. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «تَذَّكَّرون» و «يَذَّكَّرون» و «يَذَّكَّر الإنسان» و «أن يذَّكَّر»، و «ليذَّكَّروا» مُشدَّداً ذلك

---

(١) سورة النساء: ٦.

كلُّه. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصم، وابنُ عامرٍ كلَّ ذلك بالتَّشديد، إلاّ قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فإنَّهم خفَّفوه. روى أبانُ، وحفصٌ عن عاصم: «يذكرون» خفيفةَ الذال في جميع القرآن. قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «يذكَّرون» مُشدَّداً إذا كان بالياء، ومُخفَّفاً إذا كان بالتاء.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ قرأ ابنُ كَثير، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عَمرو: «وأنَّ» بفتح الألف مع تشديد النون. قال الفرّاءُ: إنْ شئتَ جعلتَ «أن» مفتوحةً بوقوع «أَتْلُ» عليها؛ وإنْ شئتَ جعلتَها خَفضاً، على معنى: ذلكم وصّاكُم به، وبأنّ هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابنُ عامرٍ بفتح الألف أيضاً، إلا أنه خَفَّف النُّونَ، فجعلها مُخفَّفةً مِنَ الثقيلة؛ وحُكم إعرابها حُكم تلك. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: بتشديد النون مع كسر الألف. قال الفرّاءُ: وكَسْرُ الألفِ على الاستئناف. وفي الصِّراط قولان: **أحدهما**: أنه القرآن. **والثاني**: الإسلام. وقد بيَّنّا إعرابَ قوله: «مستقيماً». فأما «السُّبُل»، فقال ابنُ عباسٍ: هي الضَّلالات. وقال مُجاهدٌ: البِدَعُ والشُّبُهات. وقال مُقاتلٌ: أراد ما حرَّموا على أنفسهم مِن الأنعام والحَرْث. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: فتُضِلَّكم عن دينه.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال الزَّجّاجُ: «ثُمَّ» ها هنا للعَطف على معنى التِّلاوة؛ فالمعنى: أَتلُ ما حَرَّم ربُّكم، ثُمَّ أَتلُ عليكم ما آتاهُ الله موسى. وقال ابنُ الأنبارِي: الذي بعدَ «ثُمَّ» مُقدَّمٌ على الذي قَبلَها في النِّيَّة؛ والتقدير: ثُمَّ كُنّا قد آتينا موسى الكتابَ قبلَ إنزالنا القرآن على محمَّدٍ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَمَامًا﴾ قولان:

أحدهما: أنها كلمةٌ متَّصلةٌ بما بعدها؛ تقول: أعطيتكَ كذا تماماً على كذا، وتماماً لكذا، وهذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنَّ قوله: ﴿تَمَامًا﴾ كلمةٌ قائمةٌ بنفسها، غيرُ متَّصلةٍ بما بعدها؛ والتَّقدير: آتينا موسى الكتابَ تماماً، أي: في دُفعةٍ واحدةٍ، لم نُفرِّق إنزالَه كما فُرِّق إنزالُ القرآن، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقِي. وفي المُشارِ إليه بقوله: ﴿أَحْسَنَ﴾ أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الله عزَّ وجلَّ: ثمَّ في معنى الكلام قولان: أحدهما: تماماً على إحسانِ الله إلى أنبيائه، قاله ابنُ زيدٍ. والثاني: تماماً على إحسانِ الله تعالى إلى موسى؛ وعلى هَذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما». **والقول الثاني**: أنه إبراهيمُ الخَليل عليه السلام؛ فالمعنى: تماماً للنِّعمة على إبراهيمَ الذي أحسنَ في طاعة الله، وكانت نُبُوَّة موسى نِعمةً على إبراهيمَ، لأنه مِنْ وَلَدِه، ذكره المَاوَرْدِي. **والقول الثالث**: أنه كلُّ مُحسنٍ مِنَ الأنبياء، وغيرِهم. وقال مُجاهدٌ: تماماً على المُحسنين، أي: تماماً لكلِّ مُحسنٍ. وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «مَن»، و «على» بمعنى لام الجَرِّ؛ ومِنْ هذا قولُ العرب: أَتِمَّ عليه، وأَتِمَّ له. قال الرَّاعي:

رَعَتْهُ أَشْهُراً وخَلاَ عليها[1]

أي: لها. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومثل هذا أَنْ تقول: أُوصي بمالي للذي غَزَا وحجَّ؛ تريد: للغازِين والحَاجِّين. **والقول الرابع**: أنه موسى. ثُمَّ في معنى: «أحسن» قولان: **أحدهما**: أَحْسَنَ في الدُّنيا بطاعة الله عزَّ وجلَّ. قال الحَسَنُ، وقَتادةُ: تماماً لِكَرَامتِه في الجنَّة إلى إحسَانه في الدنيا. وقال الرَّبيعُ: هو إحسَان موسى بطاعته. وقال ابنُ جَرير: تماماً لِنِعَمِنا عنده على إحسَانه في قِيامه بأَمْرنا ونَهينا. **والثاني**: أَحْسَنَ في العِلْم وكُتُبِ اللهِ القديمةِ؛ وكأنه زِيْدَ على ما أَحسَنه مِنَ التَّوراة؛ ويكون «التَّمام» بمعنى الزِّيادة، ذكره ابنُ الأَنْبارِي. فعلى هَذَيْن القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما».

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلَمِي، وأبو رَزِين، والحَسَنُ، وابنُ يَعْمُر: «على الذي أَحسَنُ»، بالرفع. قال الزَّجَّاج: معناه: على الذي هو أَحسَنُ الأشياء. وقرأ عبدُ الله بن عَمرِو، وأبو المُتوكِّل، وأبو العَالِية: «على الذي أُحْسِنَ» برفع الهمزة وكسر السين وفتح النون؛ وهي تَحتَمِل الإحسانَ، وتحتمل العِلْمَ.

قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تِبْيَاناً لكلِّ شيءٍ مِنْ أمر شَريعَتِهم ممَّا يحتاجون إلى عِلْمِهِ، لكي يُؤمنوا بالبَعث والجَزاء.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ يعني القرآن، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟﴾ أَنْ تُخالِفوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قال الزَّجَّاج: لِتَكُونوا رَاجِيْنَ للرَّحمة.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾. سبب نزولها:

[٥٦٢] أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: قَاتَلَ الله اليهودَ والنَّصارى، كيف كذَّبوا أنبياءَهم؛ فَوَاللهِ لو جاءنا نذيرٌ وكتابٌ، لَكُنا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله مُقَاتلٌ.

قال الفَرَّاءُ: «أن» في موضع نصب في مَكانَين: **أحدهما**: أنزلناه لِئَلاَّ تقولوا. **والآخر**: مِنْ قوله: واتَّقوا أَنْ تقولوا. وذكر الزَّجَّاجُ عن البَصْرِيين، أَنَّ معناه: أنزلناه، كراهةَ أَنْ تقولوا؛ ولا يُجيزون إضمارَ «لا». فأمَّا الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكَّةَ؛ والمراد إثبات الحُجَّة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا يومَ القيامة: إنَّ التَّوراة والإنجيلَ أُنزلا على اليهود والنَّصارى، وكُنَّا غافلين عمَّا فيهما. و «دِرَاستهم»: قِرَاءتهم الكُتُب. قال الكِسَائيُّ. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعلمُ ما هيَ، لأنَّ كُتُبهم لم تَكُنْ بِلُغَتِنا، فأنزل الله كتاباً بِلُغَتِهم لِتَنقطِعَ حُجَّتُهم.

---

[٥٦٢] باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث فالخبر لا شيء والمتن باطل.

---

(١) البيت منسوب للراعي النميري وهو عبيد بن حصين وتمامه: فطار النيُّ فيها واستنارا. «أدب الكاتب» لابن قتيبة ٣٣٦. ورعته رعت هذه الناقة هذا النبات أشهراً وتخلت به لم يرعه غيرها.

﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إِنَّما كانوا يقولون هذا، لأَنَّهم مُدِلُّون بالأذهان والأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارَهُم وأخبارَهُم، وهم أُمِّيُّون لا يكتبون. ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البَيانُ وقَطْعُ الشُّبهات. قال ابنُ عباسٍ: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي: حُجَّةٌ، وهو النبيُّ، والقرآن، والهُدى، والبَيانُ، والرَّحمة، والنِّعمة. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفَرُ ﴿مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني محمَّداً والقرآن. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أَعْرَضَ فلم يُؤمن بها. وسُوءُ العذاب: قَبيحُه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظِرون ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عَامرٍ: «تأتيهم» بالتاء. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «يأتيهم» بالياء. وهذا الإتيانُ لِقبضِ أرواحهم. وقال مُقاتِلٌ: المراد بالملائكة: مَلَكُ المَوت وَحدَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ قال الحسَنُ: أو يأتيَ أَمْرُ ربِّكَ. وقال الزَّجَّاجُ: أو يأتيَ إهلاكُه وانتقامُه، إمَّا بعذابٍ عاجلٍ، أو بالقيامة. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وروى عبدُ الوارث إلاَّ القَزَّاز: بتسكين ياء «أو يأتي»، وفتحَها الباقون. وفي هذه الآية أربعة أقوالٍ:

[٥٦٣] **أحدها**: أنه طُلوع الشَّمس مِنْ مَغربها، رواه أبو سعيدٍ الخُدْريُّ عن النبيِّ ﷺ، وبه قال ابنُ مسعودٍ في رواية زُرارَة بن أَوْفَى عنه، وعبد الله بن عَمرٍو، ومُجاهد وقَتادَة، والسُّدِّيّ.

[٥٦٤] وقد روى البُخاريُّ، ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي هُريرَة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى تَطلعَ الشَّمسُ مِنْ مَغربِها، فإذا طَلعتْ ورآها الناسُ، آمَنَ مَنْ عليها، فذلكَ حين لا يَنفعُ نَفْساً إيمانُها لم تَكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبل أو كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً».

[٥٦٥] ورَوى عبدُ الله بن عَمرِو بن العَاص عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تزالُ التَّوبةُ مَقبولةً حتى

---

[٥٦٣] أخرجه الترمذي ٣٠٧١ وأحمد ٣/ ٣١ وأبو يعلى ١٣٥٣ وإسناده ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وعطية العوفي ضعيف وحسنه الترمذي، وذكر أن بعضهم رواه موقوفاً ا. هـ. من حديث أبي سعيد الخدري ومع ذلك فمثله لا يقال بالرأي.

[٥٦٤] حديث صحيح أخرجه البخاري ٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ و ٦٥٠٦ و ٧١٢١، ومسلم ١٥٧ وأبو داود ٤٣١٢ والنسائي في «الكبرى» ١١١٧٧ وابن ماجة ٤٠٦٨ وأحمد ٢/ ٢٣١ و ٣١٣ و ٣٥٠ و ٣٩٨ و ٥٣٠ وأبو يعلى ٦٠٨٥ وابن حبان ٦٨٣٨ والطبري ١٤٢٠٨ و ١٤٢١٤ و ١٤٢١٥ من حديث أبي هريرة.

[٥٦٥] حسن. أخرجه أحمد ١/ ١٩٢ والطبراني ١٩/ ٣٨١ وفي «مسند «الشاميين» ١٦٧٤ والطبري ١٤٢١٧ و ١٤٢١٨ من حديث معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص وإسناده حسن، رجاله =

تَطلعَ الشَّمسُ مِنْ مَغرِبها، فإذا طَلعتْ، طُبِعَ على كلِّ قلبٍ بما فيه، و كُفِيَ النَّاسُ العملَ».

والثاني: أنه طُلوعُ الشَّمس والقمر مِنْ مَغْرِبهما، رواه مَسرُوقٌ عن ابن مسعودٍ. **والثالث**: أنه إحدى الآيات الثلاث، طُلوع الشَّمس مِنْ مَغربها، والدَّابَّة، وفَتْحُ يَأجُوجَ ومَأجُوج، روى هذا المعنى القَاسِمُ عن ابن مسعودٍ. **والرابع**: أنه طُلوعُ الشَّمس مِنْ مَغْرِبها، والدَّجال، ودَابَّةُ الأرض، قاله أبو هُريرَةَ؛ والأوَّلُ أصحُّ.

والمراد بالخير ها هنا: العملُ الصالحِ؛ وإنما لم ينفع الإيمانُ والعملُ الصالح حينئذٍ، لِظُهور الآية التي تَضطَرُهم إلى الإيمان. وقال الضَّحَّاكُ: مَنْ أدركه بعضُ الآيات وهو على عملٍ صالحٍ مع إيمانه، قُبِلَ منه، كما يُقبل منه قبل الآية. وقيل: إنَّ الحِكْمَةَ في طُلوع الشمس مِنْ مَغْرِبها، أنَّ المُلْحِدَة والمُنَجِّمين، زعموا أنَّ ذلك لا يكون، فيُريهم الله تعالى قُدرَتَهُ، ويُطلعها مِنَ المَغرب كما أطلَعها مِنَ المَشرق، ولِتَحقُّق عجز نُمرُود حين قال له إبراهيمُ: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾[1].

فصل: وفي قوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ المراد به التَّهديد، فهو مُحكَمٌ. **والثاني**: أنه أمْرٌ بالكَفِّ عن القتال، فهو مَنْسُوخٌ بآية السيف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «فرّقوا» مشدَّدةً. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ: «فارقوا» بألفٍ. وكذلك قرؤوا في (الرُّوم)؛ فمَنْ قرأ: «فرّقوا»، أراد: آمنوا ببعضٍ، وكفروا ببعضٍ. ومَنْ قرأ: «فارقوا»، أراد: بَايَنُوا. وفي المُشَار إليهم أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنهم أهلُ الضَّلالة مِنْ هذه الأُمَّة، قاله أبو هُريرة. **والثاني**: أنهم اليهودُ والنَّصارى، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وقَتَادةُ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: اليهودُ، قاله مُجَاهدٌ. **والرابع**: جميع المشركين، قاله الحَسنُ. فعلى هذا القول، دِينُهم: الكُفر الذي يعتقدونه دِيناً، وعلى ما قَبْلَهُ، دِينهم: الذي أمرَهُم الله به. والشِيَع: الفِرَقُ والأحزاب. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى «شَيَّعتُ» في اللغة: اتَّبَعْتُ. والعرب تقول: شَاعَكُم السَّلام، وأشَاعَكُم، أي: تَبِعَكُم. قال الشاعر:

أَلاَ يـا نَـخْـلَـةً مِـنْ ذَاتِ عِـرْقٍ ... بَـرُوْدِ الـظِّـلِّ شَـاعَـكُـم الـسَّـلاَمُ[2]

وتقول: أتيتكَ غداً، أو شِيَعة، أي: أو اليومَ الذي يَتْبَعُه. فمعنى الشِّيْعَة: الذين يَتْبَعُ بعضُهم بعضاً، وليس كُلُّهم مُتَّفقين.

= ثقات. وأخرجه أحمد ٤/ ٩٩ من حديث معاوية، وإسناده حسن. وقال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٢٥١: رجال أحمد ثقات.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) البيت غير منسوب في «أساس البلاغة» «واللسان» شيع.

وفي قوله تعالى: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قولان: **أحدهما**: لستَ مِنْ قتالهم في شيءٍ؛ ثم نُسِخَ بآية السيف، وهذا مذهبُ السُّدِّيّ. **والثاني**: لستَ منهم، أي: أنتَ بريءٌ منهم، وهُمْ منكَ بُرآء، إنما أمْرُهم إلى الله في جَزائِهم، فتكون الآية مُحكَمَةً.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وقرأ يَعقوبُ، والقَزّاز عن عبد الوارث: «عَشْرٌ» بالتنوين، «أمثالُها» بالرفع. قال ابنُ عباسٍ: يريد مَنْ عَمِلَها، كُتبت له عشرُ حسناتٍ. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مِثْلَهَا﴾. وفي الحسنة والسيئة ها هنا قولان:

أحدهما: أنَّ الحَسَنة: قولُ لا إله إلاّ الله. والسَّيئة: الشِّرْكُ، قاله ابنُ مسعودٍ، ومُجاهدٌ، والنَّخعيّ. **والثاني**: أنه عامٌّ في كلِّ حسنةٍ وسيئةٍ.

[٥٦٦] روى مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديث أبي ذَرٍّ عن النبيِّ ﷺ قال: «يقولُ الله عزَّ وجلَّ: مَنْ جاء بالحَسَنة فلهُ عَشْرُ أَمثالِها أو أَزيد، ومَنْ جاء بالسَّيِّئة فَجزاءُ سَيِّئةٍ مِثْلها أو أَغْفِر».

فإنْ قيل: إذا كانت الحسنةُ كلمةُ التَّوحيد، فأيُّ مِثْلٍ لها حتى يُجعل جزاءُ قائلها عشر أمثالها؟ **فالجواب**: أنَّ جزاءَ الحسَنةِ معلومُ القَدْرِ عند الله، فهو يُجازي فاعِلَها بعشر أَمثالِه، وكذلك السَّيئةَ. وقد أشرنا إلى هذا في (المائدة) عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]. فإنْ قيل: المَثَلُ مَذكَّرٌ، فلِمَ قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المُؤنَّث؟ فالجواب: أنَّ الأمثال خلقت حسَناتٍ مؤنَّثة؛ وتلخيصُ المعنى: فله عَشْرُ حسناتٍ أمثالها، فَسقطَت الهاءُ مِنْ عشر، لأنها عددٌ مؤنَّثٌ، كما تسقط عند قولك: عَشْرُ نِعَالٍ، وعَشْرُ جِبابٍ.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: دَلَّني على الدِّين الذي هو دِينُ الحقّ. ثم فَسَّر ذلك بقوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾؛ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ: «قَيِّماً» مفتوحةَ القاف،

---

[٥٦٦] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٨٧. وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٥٩ وابن المبارك في «الزهد» ١٠٣٥ ولصدره شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري ٧٥٠١ ومسلم ١٢٨ وأحمد ٢/ ٢٤٢ وابن حبان ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، وابن منده في «الإيمان» ٣٧٥. ولعجزه «ومن تقرب مني. . .» شاهد من حديث أنس عند البخاري ٧٥٣٦ وعبد الرزاق ٣٠٥٧٥ والطيالسي ٢٠١٢ وأحمد ٣/ ١٢٢ و ١٢٧ و ٢٧٢، ٢٨٣ وأبو يعلى ٣١٨٠. ويشهد لعجزه أيضاً حديث أبي هريرة عند البخاري ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥ وابن حبان ٣٧٦ وأحمد ٢/ ٤٣٥ و ٥٠٩. ولفظ الحديث: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة بمثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة».

---

(١) سورة المائدة: ٣٢.

مُشَدَّدة الياء. والقَيِّمُ: المُستقيم. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عَامِرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائِيُّ: «قِيَماً» بكسر القاف وتخفيف الياء. قال الزَّجَّاجُ: وهو مصدرٌ، كالصِّغَر والكِبر. وقال مَكِّيُّ: مِنْ خَفَّفَهُ بَنَاهُ على «فِعَل» وكان أصله أنْ يأتيَ بالواو، فيقول: «قِوَماً» كما قالوا: عِوَض، وحِوَل، ولكنه شَذَّ عن القياس. قال الزَّجَّاجُ: ونصبُ قوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مَحمولٌ على المعنى، لأنَّه لمَّا قال: «هداني» دل على عرَّفني ديناً؛ ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فالمعنى: هَدَاني صراطاً مستقيماً دِيناً قِيَماً. و «حَنيفاً» منصوبٌ على الحَال مِنْ إبراهيمَ، والمعنى: هَدَاني مِلَّة إبراهيمَ في حَالِ حَنِيفيَّته.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يريد: الصَّلاة المَشْرُوعة. والنُّسُكُ: جمع نَسِيكَة. وفي النُّسُك ها هنا أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الذَّبائح؛ قاله ابنُ عباس، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجَاهِدٌ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: الدِّين، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: العِبَادة. قال الزَّجَّاجُ: النُّسُكُ كلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله عزَّ وجلَّ، إلاَّ أنَّ الغالب عليه أَمْرُ الذَّبح. **والرابع**: أنه الدِّين، والحج، والذَّبائح، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ الجمهور على تَحريك ياء «مَحْيَايَ»، وتسكين ياء «مَمَاتِيْ». وقرأ نَافعٌ: بتسكين ياء «مَحْيَايْ»، ونصبِ ياء «مَمَاتِيَ»، ثمَّ للمُفسِّرين في معناه قولان:

أحدهما: أنَّ معناه: لا يَملِكُ حياتي ومماتي إلاَّ الله.

والثاني: حياتي لله في طاعته، ومَمَاتي لله في رُجوعي إلى جَزَائِه. ومقصودُ الآية أنه أخبرهُم أنَّ أفعالي وأحوالي لله وَحدَهُ، لا لغيره كما تُشركون أنتُم به.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال الحسَنُ، وقَتادَةُ: أَوَّلُ المسلمين مِنْ هذه الأُمَّة.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾.

[٥٦٧] سببُ نزولها أنَّ كفار قُريش قالوا للنبيِّ ﷺ: اِرجع عن هذا الأمر، ونحنُ لك الكُفَلاءُ بما أصابَكَ مِنْ تبعَةٍ، فنزلت هذه الآية، قاله مُقَاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا يُؤخذُ سِوَاها بعَمَلِها. وقيل: المعنى: إلاَّ عليها عقابُ معصيتها، ولها ثَوابُ طاعتها. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لا تُؤخذ نَفْسٌ آثِمَةٌ بإثْم أُخرى. والمعنى: لا يُؤخذ أحدٌ بذَنْبِ غيره. قال أبو سُليمانَ: ولما اِدَّعَتْ كلُّ فِرقَةٍ مِنَ اليهود والنَّصارى والمشركين أنهم أَوْلَى بالله مِنْ غيرهم. عَرَّفهم أنه الحَاكِم بينهم بقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

---

[٥٦٧] باطل، عزاه المصنف لمقاتل وهو من يضع الحديث وقد وضع مقاتل وهو ابن سليمان وكذا الكلبي لكل آية سبباً لنزولها، وليس هذا بشيء.

كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾، وَنَظِيرُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو عُبيدَة: الخَلائِفُ: جمع خَلِيفَةٍ. قال الشَّمَّاخ:

تُصِيبُهُمُ وتُخْطِئُني المَنَايَا ... وأَخْلُفُ في رُبُوعٍ عَنْ رُبوعِ[٢]

وللمُفسِّرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم خَلَفُوا الجِنَّ الذين كانوا سُكَّان الأرض؛ قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ بعضَهم يَخْلُف بعضاً؛ قاله ابنُ قتَيبةَ. **والثالث**: أنَّ أُمَّةَ محمَّدٍ خَلَفَتْ سائرَ الأُمَمِ، ذكره الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾ أي: في الرِّزق، والعِلْم، والشَّرَف، والقُوَّة، وغيرِ ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: لِيَخْتَبِرَكُم، فَيَظْهَرَ منكم ما يكون عليه الثَّوابُ والعِقَابُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه سَمَّاهُ سَرِيعاً، لأنَّه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ. **والثاني**: أنه إذا شاء العُقوبةَ، أَسْرَعَ عِقَابَهُ.

---

(١) سورة الحج: ١٧.

(٢) البيت للشماخ ديوانه: ٥٨ «واللسان» ربع. الربوع: جمع ربع وهو جماعة الناس الذين ينزلون **ربعاً يسكنونه**، يقول: أبقىٰ في قوم بعد قوم.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

فصل في نزولها: رَوى العَوفيُّ، وابنُ أبي طَلْحَةَ، وأبو صالح عن ابن عباس، أن سُورة (الأعْرَاف) مِنَ المَكِّيِّ، وهذا قولُ الحسَنِ، ومُجاهدٍ، وعِكرِمَةَ، وعَطَاءٍ، وجَابرِ بن زَيدٍ، وقَتادَةَ. ورُوي عن ابن عباسٍ، وقَتَادَة أنها مَكِّيَّةٌ، إلاَّ خمسَ آياتٍ؛ أوَّلها قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾[1]. وقال مُقَاتلٌ: كلُّها مَكِّيَّةٌ، إلاَّ قولَه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2] فإنهنَّ مَدنيَّاتٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ①﴾

فأمَّا التفسير، فقوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قد ذكرنا في أوَّل سورة البقرة كلاماً مُجملاً في الحروف المُقطَّعة أوائلَ السُّور، فهو يَعُمّ هذه أيضاً.

فأما ما يختَصُّ بهذه الآية ففيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَنَّ معناه: أنا الله أَعْلَمُ وأَفْضَلُ، رواه أبو الضُّحى عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ به، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنها اسمٌ مِنْ أسماء الله تعالى، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنَّ الألف مِفتاحُ اسمِه «الله»، واللام مفتاحُ اسمِه «لطيف»، والميم مِفتاحُ اسمه «مَجيد»، قاله أبو العَالِيَة[3]. **والخامس**: أنَّ ﴿الٓمٓصٓ﴾ اسمٌ للسُّورة، قاله الحَسنُ. **والسادس**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ. **والسابع**: أنها بعضُ كَلمَةٍ. ثمَّ في تلك الكَلِمَة قولان: **أحدهما**: المُصَوِّر، قاله السُّدِّيّ. **والثاني**: المَصِيرُ إلى كتابٍ أُنزل إليكَ، ذكره المَاوَرْدي.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قال الأخفَشُ: رفع الكتاب بالابتداء. ومذهب الفَرَّاءِ أنَّ الله تعالى اكتفى في مُفتَتَح السُّور ببعض حروف المُعجم عن جميعها، كما يقول القائل: «ا ب ت ث»

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٣. (٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٣) هذه الأقوال الأربعة واهية لا برهان عليها، وهي بعيدة جداً، وكذا ما بعدها، والصواب في ذلك أن يقال: الله أعلم بمراده.

ثمانيةٌ وعشرون حرفاً؛ فالمعنى: حروف المُعجم: كتابٌ أنزلناه إليك. قال ابنُ الأنباري: ويجوز أنْ يرتفع الكتاب باضمَارِ: هذا الكتابُ. وفي الحَرَج قولان: **أحدهما**: أنه الشَّكُّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيّ، وابنُ قُتَيبة. **والثاني**: أنه الضِّيق، قاله الحسَنُ، والزَّجَّاجُ. وفي هاء «منه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الكتاب؛ فعلى هذا، في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يَضِيْقَنَّ صَدرُكَ بالإبلاغ، ولا تَخافنَّ، قاله الزَّجّاجُ. والثاني: لا تَشُكَنَّ أنه مِنْ عند الله. **والقول الثاني**: أنها ترجع إلى مُضمَرٍ، وقد دلَّ عليه الإنذار، وهو التَّكذيب، ذكره ابن الأنبَاري. قال الفَرَّاءُ: فمعنى الآية: لا يَضِيقَنَّ صَدرُكَ أَنْ كَذَّبوك. قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ مُقَدَّمٌ؛ والمعنى: أُنزل إليك لِتُنذرَ به وذِكرى للمؤمنين، فلا يَكُنْ في صدرِكَ حَرَجٌ منه. ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ يصلح أَنْ يكون في موضع رفع ونصب وخَفض؛ فأمَّا النَّصب، فعلى قوله: أُنزل إليك لِتُنذرَ به، وذِكرى للمؤمنين أي ولِتُذكِّرَ به ذِكرى، لأنَّ في الإنذار معنى التَّذكير. ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذِكرى، كقولك: وهو ذِكرى للمؤمنين. فأمَّا الخَفض، فعَلَى معنى: لِتُنذِرَ، لأنَّ معنى «لِتُنذِر»: لأنَّ تُنذِر؛ المعنى للإنذار والذِّكرى، وهو في موضع خَفضٍ.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ إنْ قيل: كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأُولى، ثم جَمَعَ بقوله: «اتَّبعوا»؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أنه لمَّا عَلِمَ أنَّ الخطاب له ولأُمَّتِه، حَسُنَ الجمع لذلك المعنى. **والثاني**: أنَّ الخطاب الأوَّل خاصٌّ له؛ والثاني مَحمولٌ على الإنذار، والإنذارُ في طريق القَول، فكأنه قال: لِتَقُول لهم مُنذراً: ﴿ٱتَّبِعُواْ...﴾، ذكرهما ابنُ الأنبَاري. **والثالث**: أنَّ الخِطَاب الثاني للمشركين، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين؛ قالوا: والذي أُنزل إليهم القرآن. وقال الزَّجَّاجُ: الذي أُنزل: القرآن وما أتَى عن النبيِّ ﷺ، لأنه ممَّا أُنزل عليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ (١). ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ أي: لا تَتَولَّوا مَنْ عَدَلَ عن دِين الحقِّ، وكلُّ مَنِ ارتضى مذهباً فهو وَليُّ أهل المَذهب. وقوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ما: زائدةٌ مؤكِّدةٌ؛ والمعنى: قليلاً تَتَذَكَّرون. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: «تذَّكَّرون» مشددةَ الذال والكاف. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «تذكَّرون» خفيفةَ الذَّال مشددةَ الكاف. قال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ «تذكرون» بالتَّشديد، أراد «تتذكرون» فأدْغَمَ التَّاء في الذال، وإدغامها فيها حَسَنٌ، لأنَّ التاء مَهْمُوسَةٌ، والذال مَجْهُورةٌ؛ والمَجْهُور أزيَدُ صوتاً مِنَ المَهْمُوس وأقوى؛ فإدغَامُ الأنْقَص في الأزْيَدِ حَسَنٌ. فأما حَمزَةُ ومَنْ وافَقَهُ، فإنهم حَذَفوا التاءَ التي أدغمها هؤلاءِ، وذلك حَسَنٌ لاجتِماع ثلاثة أحرفٍ مُتقاربةٍ. وقرأ ابنُ عَامرٍ: «يتذكرون» بياءٍ وتاءٍ، على الخِطَاب للنبيِّ ﷺ؛ والمعنى: قليلاً ما يتذكَّر هؤلاءِ الذين ذُكروا بهذا الخِطَاب.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾، و «كم» تدلُّ على الكَثرَة، و «رُبَّ»: مَوضُوعةٌ للقِلَّة. قال

---

(١) سورة الحشر: ٧.

الزَّجَّاج: المعنى: وكَمْ مِنْ أهل قريةٍ، فحذفَ الأهل، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. وقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ مَحمُولٌ على لفظ القرية؛ والمعنى: فجاءَهُم بأسُنا غَفْلَةً وهم غيرُ مُتوقِّعين له؛ إمَّا ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قَائِلُون. قال ابنُ قُتَيبة: بأسُنا: عَذَابُنا، وبَيَاتاً: ليلاً. وقَائِلُون: مِنَ القَائِلَة نِصْفَ النهار. فإنْ قيل: إنما أتاها البَأسُ قبل الإهلاك، فكيف يُقَدَّم الهلاكُ؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أَنَّ الهلاكَ والبَأسَ يَقعَانِ معاً، كما تقول: أعطَيْتني فَأَحْسَنْتَ؛ وليس الإحسانُ بعدَ الإعطاء ولا قَبْلَهُ، وإنما وَقَعَا معاً، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أَنَّ الكَوْنَ مُضمَرٌ في الآية، تقديره: أهلكناها، وكان بَأْسُنا قد جاءَها، فأُضمِرَ الكَونُ، كما أُضمر في قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾[1]، أي: ما كانت الشَّياطين تَتْلُوه، وقولِهِ تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾[2]، أي: إنْ يَكُنْ سَرَقَ. **والثالث**: أَنَّ في الآية تقديماً وتأخيراً، تقديره: وكَمْ مِنْ قريةٍ جاءها بَأْسُنا بَيَاتاً، أو هم قَائِلُون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[3] أي: رَافِعُكَ ومُتَوَفِّيكَ، ذكرهما ابنُ الأنبَارِي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ قال الفَرَّاءُ: فيه واوٌ مُضمَرةٌ؛ والمعنى: فجاءها بَأْسُنا بَيَاتاً، أو وهم قَائِلُون، فاستثقلوا نَسَقاً على نَسقٍ.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قال اللُّغَوِيُّون: الدَّعْوَى ها هنا بمعنى الدُّعاء والقَول. والمعنى: ما كان قَولُهم وتَدَاعِيهم إذ جاءَهُم العذابُ إلاَّ الاعتِراف بالظُّلم. قال ابنُ الأنبَارِي: وللدَّعوَى في الكلام موضعان: **أحدهما**: الادِّعاء. **والثاني**: القَولُ والدُّعاء. قال الشاعر:

إذا مَذِلَتْ رِجْلِي دعوتُكِ أشْتَفِي ... بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بها فَيَهُونُ[4]

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: الأُمَمُ يُسأَلون: هل بَلَّغَكُم الرُّسُلُ؛ وماذا أَجبْتُم؟ ويسأل الرُّسُل: هل بَلَّغتم، وماذا أُجِبْتُم؟. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي: فلنُخبِرَنَّهم بما عَمِلوا بِعِلْمٍ مِنَّا ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن الرُّسُلِ والأُمَمِ. وقال ابنُ عباسٍ: يُوضع الكتابُ، فَيَتَكَلَّم بما كانوا يعملون.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أي: العَدْلُ. وإنما قال: «مَوازِينه» لأنَّ «من» في معنى جميع، يدلُّ عليه قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾. وفي معنى ﴿يَظْلِمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يَجْحَدُون. **والثاني**: يَكفُرون. قال الفَرَّاءُ: والمراد بمَوَازِينه: وَزْنُه. والعرب تقول: هل لكَ في دِرهم بميزانِ دِرْهَمكَ، ووَزْنِ دِرْهَمكَ، ويقولون: دَارِي بِميزانِ دَارِكَ، وَوَزْنِ دَارِكَ؛ ويريدون: حِذَاءَ دَارِكَ. قال الشاعر:

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢ (٢) سورة يوسف: ٧٧. (٣) سورة آل عمران: ٥٥.

(٤) البيت لكثير عزة، ديوانه ٢/ ٢٤٥. «اللسان»: مذل. ومذلت رجله مذلاً بفتح وسكون ومذت: خدرت.

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذا مِرّةٍ عِنْدي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزانُه(١)

يعني: مثل كلامه ولَفظِه.

فصل: والقول بالمِيزَان مشهورٌ في الحديث، وظاهرُ القرآن يَنْطِقُ به. وأنكرت المُعتزِلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعرَاضٌ، فكيف تُوزَن؟ فالجواب: أنَّ الوزن يرجع إلى الصَّحَائِف، بدليل حديث عبد الله بن عَمرِو بن العَاصِ عن النبيّ ﷺ أنه قال:

[٥٦٨] «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَستَخْلِصُ رجلاً مِنْ أُمَّتي على رؤوس الناس يومَ القيامة، فيَنْشر عليه تسعةً وتسعين سِجلاً، كُلُّ سِجلٍّ مَدُّ البَصَر، ثم يقول له: أتُنكر مِنْ هذا شيئاً؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبتي الحَافظون؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقول: أَلَكَ عُذرٌ أو حَسنةٌ؟ فَيُبهَتُ الرجل، فيقول: لا يا ربِّ؛ فيقول: بَلَى، إنَّ لكَ عندنا حسنةً واحدةً، لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فيُخرج له بطاقةً فيها: أشهدُ أَنْ لا إله إلاَّ اللّهُ وأَنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، فتُوضَع السِّجِلاَّت في كِفَّةٍ، والبِطَاقةُ في كِفَّةٍ؛ قال: فطَاشَت السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتْ البِطَاقةُ» أخرجه أحمدُ في «مُسنَدِه»، والتِّرمذيُّ.

[٥٦٩] وروى أبو هُريرَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُؤتَى بالرَّجُل الطويل الأَكُولِ الشَّرُوب، فلا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، فعَلَى هذا يُوزن الإِنسانُ.

قال ابنُ عباسٍ: تُوزن الحسنَاتُ والسَّيئاتُ في مِيزانٍ، له لِسَانٌ وكِفَّتان. فأمَّا المؤمن، فيُؤتى بعَمَلِه في أحسن صُورةٍ، فيُوضع في كِفَّة الميزان، فيَخِفُّ وَزنُه. وقال الحسَنُ: للميزان لسانٌ وكِفَّتَان. وجاء في الحديث:

[٥٧٠] أَنَّ دَاودَ عليه السلام سأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُريه الميزانَ، فأراه إيَّاهُ؛ فقال: يا إلهي، مَنْ يقدر أَنْ يملأَ كِفَّتَيْهِ حسناتٍ؟ فقال: يا دَاودُ، إنِّي إذا رَضِيتُ عن عبدي، مَلأْتُها بتَمْرَةٍ.

وقال حُذَيفَةُ: جِبْريلُ صاحبُ الميزان يومَ القيامة يقولُ له رَبُّه: زِنْ بينهم، ورُدَّ مِنْ بعضهم على بعضٍ؛ فيَرُدُّ على المظلوم مِنَ الظالم ما وجد له مِنْ حَسنةٍ. فإنْ لم تكن له حسنَةٌ، أخذَ مِنْ سيئات المظْلوم، فرَدَّ على سيئات الظالم، فيرجع وعليه مِثْلُ الجَبَل.

فإنْ قيل: أليس الله عزَّ وجلَّ يعلم مَقاديرَ الأعمال، فما الحِكمَةُ في وزنها؟

فالجواب أَنَّ فيه خمسة حِكَم: **إحداها**: امتحانُ الخَلْق بالإِيمان بذلك في الدنيا. **والثانية**: إظهارُ علامة السَّعادة والشَّقاوة في الأُخرَى. **والثالثة**: تعريفُ العِبَاد ما لَهُم مِنْ خيرٍ وشرٍّ. **والرابعة**: إقامةُ

---

[٥٦٨] حديث حسن صحيح. أخرجه الترمذي ٢٦٣٩ وابن ماجة ٤٣٠٠ وأحمد ٢/ ٢١٣ وابن حبان ٢٢٥ والحاكم ١/ ٥٢٩. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو حسن لأجل عامر بن يحيى، وبقية رجاله رجال مسلم. وورد من طريق ابن لهيعة أخرجه أحمد ٢/ ٢٢٢ وابن لهيعة حسن الحديث في الشواهد والمتابعات. وانظر «تفسير الشوكاني» ٩٦٧ بتخريجنا.

[٥٦٩] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢٩ ومسلم ٢٧٨٥ من حديث أبي هريرة.

[٥٧٠] لم أقف عليه، ولعل مصدره كتب الأقدمين، والله أعلم.

---

(١) البيت منسوب إلى ثعلب في «اللسان». والميزان: المقدار.

الحُجَّة عليهم. **والخامسة**: الإعلامُ بأنَّ الله عادلٌ لا يَظْلِم. ونظيرُ هذا أنه أثبتَ الأعمال في كتابٍ، واستَنْسَخها مِنْ غير جواز النِّسيان عليه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مكَّناكم إيَّاها. **والثاني**: سَهَّلنا عليكم التَّصرُّفَ فيها. وفي المَعَايِش قولان: **أحدهما**: ما تعيشون به مِنَ المَطَاعِم والمَشَارِب. **والثاني**: ما تَتَوصَّلون به إلى المَعَايش، مِنْ زراعةٍ، وعملٍ، وكسبٍ. وأكثرُ القُرَّاء على تَرْكِ الهمز في «معايشٍ» وقد رواها خَارِجةُ عن نَافع مهموزةً. قال الزَّجَّاجُ: وجميعُ النَّحويين البَصْريين يزعمون أنَّ همزها خطأٌ، لأنَّ الهمزَ إنما يكون في الياء الزَّائدة، نحو صَحِيفَة وصَحَائِف؛ فصَحِيفَة من الصُّحُفِ؛ والياء زائدةٌ، فأما مَعَايش، فمِنَ العَيْشِ؛ فالياء أصليةٌ.

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شُكركم قليلٌ. وقال ابنُ عباسٍ: يريد أنكم غيرُ شاكرين.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوالٍ[1]: **أحدها**: ولقد خلقناكم في ظَهْرِ

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/٤٣٧ ـ ٤٣٨: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله **﴿ولقد خلقناكم﴾** ولقد خلقنا آدم **﴿ثم صورناكم﴾** بتصويرنا آدم. كما قد بينا فيما مضىٰ من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه. والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله ﷺ **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة﴾** [البقرة: ٦٣] وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه إلى الحي الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: **﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾**. معناه ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه. وإنما قلنا هذا القول أولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله **﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾**، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصور ذريته في بطون أمهاتهم بل قبل أن يخلق أمهاتهم. و «ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل: «قمت ثم قعدت» لا يكون «القعود» إذا عطف به بـ «ثم» على قوله «قمت» إلا بعد القيام. وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها وذلك كقول القائل: «قمت وقعدت»، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل «القيام» لأن «الواو» تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً التوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين. أو إن كانا في وقتين، أيهما المتقدم وأيهما المتأخر. فلما وصفنا قلنا إن قوله: **﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾** لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا.

وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب كذلك إلى أنه من المؤخر الذي معناه التقديم، وزعم أن معنىٰ ذلك: ولقد خلقناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم صورناكم، وذلك غير جائز في كلام العرب، لأنها لا تدخل «ثم» في الكلام وهي مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر، وإن كانوا قد يقدمونها في الكلام، إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير وذلك كقولهم: «قام عبد الله ثم عمرو». فأما إذا قيل: «قام عبد الله ثم قعد عمرو» فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله إذا كان الخبر صادقاً، فقوله تبارك =

آدمَ، ثم صَوَّرنَاكم في الأرحام، رواه عبدُ الله بن الحَارِثِ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: ولقد خَلَقنَاكُم في أَصْلاب الرِّجال، وصَوَّرنَاكُم في أَرْحَام النِّساء، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والثالث**: «ولقد خلقناكم»، يعني آدَمَ، «ثم صَوَّرناكم»، يعني ذُرِّيَتَهُ مِنْ بعده؛ رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: «ولقد خلقناكم»،:يعني آدَمَ، «ثم صَوَّرناكم» في ظَهْرِه، قاله مُجَاهِدٌ. **والخامس**: «خلقناكم» نُطَفَاً في أصلاَب الرِّجال، وتَرَائِبِ النِّساء، «ثم صَوَّرناكم» عند اجتماع النُّطَفِ في الأرحام، قاله ابنُ السَّائِب. **والسادس**: «خلقناكم» في بُطُون أُمَّهاتِكم، «ثم صَوَّرناكم» فيما بعد الخَلْقِ بشَقِّ السَّمع والبَصر، قاله مَعْمَرُ. **والسابع**: «خلقناكم»، يعني آدمَ خَلقنَاهُ مِنْ تُرابٍ، «ثم صَوَّرناكم»، أي: صَوَّرناه، قاله الزَّجَّاجُ، وابنُ قُتَيبةَ. قال ابنُ قُتَيبة: فجعل الخَلْقَ لهم إذ كانوا منه؛ فمَنْ قال: عَنَى بقوله: «خلقناكم» آدَمَ، فمعناه: خَلَقْنَا أَصْلَكُم؛ ومَنْ قال: صَوَّرنا ذُرِّيَتَهُ في ظَهْرِه، أراد إخراجَهُم يومَ المِيثَاق كَهيئة الذَّرِّ. **والثامن**: «ولقد خلقناكم» يعني الأرواح، «ثم صَوَّرناكم» يعني الأجسَاد، حكاه القاضي أبو يَعلَى في «المُعتمد». وفي «ثُمَّ» المذكورة مرَّتين قولان: **أحدهما**: أنَّها بمعنى الواو، قاله الأَخفَشُ. **والثاني**: أنَّها للتَّرتيب، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ «ما» استفهامٌ، ومعناها الإنكار. قال الكِسَائيُّ: «لا» ها هنا زائدةٌ. والمعنى: ما مَنَعَكَ أَنْ تسجدَ؟. وقال الزَّجَّاجُ: موضع «ما» رفعٌ. والمعنى أيُّ شيءٍ مَنَعَكَ مِنَ السجود؟ و «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ؛ ومِثْلُه: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾(1) قال ابنُ قُتَيبة: وقد تُزاد «لا» في الكلام. والمعنى: طَرْحُها لإِباءٍ في الكلام، أو جَحدٍ، كهذه الآية. وإنَّما زادَ «لا» لأنَّه لم يَسْجُدْ. ومِثْلُه: ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(2) على قراءة مَنْ فتح «أنَّها»، فزَادَ «لا» لأنَّهم لَمْ يُؤمنوا؛ ومِثْلُه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾(3). وقال الفرَّاءُ: «لا» ها هنا جَحدٌ مَحْضٌ، وليست بزائدةٍ، والمَنْعُ راجعٌ إلى تأويل القول، والتأويل: مَنْ قال لكَ: لا تَسْجُدْ؟، فأَحَلَّ المَنْعَ محلَّ القول، ودخلت بعده «أن» لِيَدُلَّ على تأويلِ القول الذي لَمْ يَتَصَرَّح لَفظُه. وقال ابنُ جَرير: في الكلام محذوفٌ، تقديره: ما مَنَعَكَ مِنَ السُّجود، فأَحوَجَكَ أَنْ لا تَسْجُدَ؟. قال الزَّجَّاجُ: وسؤالُ الله تعالى لإِبليس «ما مَنَعَكَ» تَوبيخٌ له، وليُظهِر أنه مُعانِدٌ، ولذلك لم يَتُبْ، وأتى بشيءٍ في معنى الجَواب، ولفظُه غيرُ جوابٍ، لأنَّ قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ إنما هو جواب، أيكما خير؟ ولكن المعنى: منعني من السجود فضلي عليه. ومثله قولكَ للرَّجل: كيفَ كنتَ؟ فيقول: أنا صالحٌ؛ وإنَّما الجواب: كنتُ صالحاً، فيُجيب بما يُحتاج إليه وزيادة. قال العلماء: وَقَعَ الخطأُ مِنْ إبليسَ حين قَاسَ مع وجود النَّصِّ، وخَفِيَ عليه فَضلُ الطِّين على النَّار؛ وفَضلُه مِنْ وُجوهٍ: **أحدها**: أنَّ مِنْ طَبْعِ النار الطَّيْشُ والالتِهَابُ والعَجَلَة، ومِنْ طَبْعِ الطِّين الهدوءُ والرَّزانَةُ. **والثاني**: أنَّ الطِّينَ سببُ الإِنبَاتِ والإِيجَاد، والنَّارَ سببُ الإِعدام

= وتعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا﴾ نظير قول القائل: «قام عبد الله ثم قعد عمرو». في أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان إلا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل. ا.هـ.

(1) سورة الحديد: ٢٩. (2) سورة الأنعام: ١٠٩. (3) سورة الأنبياء: ٩٥.

والإهلاك. **والثالث**: أنَّ الطِّين سببُ جَمْعِ الأشياء، والنَّار سببُ تَفْريقها.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ في هاء الكِناية قولان: **أحدهما**: أنَّها ترجع إلى السَّماء، لأنَّه كان فيها، قاله الحَسنُ. **والثاني**: إلى الجنَّة، قاله السُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، إنْ قيل: فهل لأحدٍ أنْ يتكبَّر في غيرها؟ فالجواب: أنَّ المعنى: ما للمُتكبِّر أنْ يكون فيها، وإنَّما المُتكبِّر في غيرها. وأما الصَّاغِرُ، فهو الذَّليل. والصَّغار: الذُّلُّ. قال الزَّجَّاجُ: اِستكبَرَ إبليسُ بإبائه السُّجود، فأعلَمَهُ الله أنه صَاغِرٌ بذلك.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ أي أمْهِلْني وأخِّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فأراد أنْ يَعْبُرَ قَنْطَرةَ الموت؛ وسأل الخُلودَ، فلم يُجبه إلى ذلك، وأنْظَرَه إلى النَّفْخَة الأُولى حين يموت الخَلْقَ كلُّهم. وقد بَيَّنَ مُدَّةَ إمهَالِه في «الحجر» بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[1]. وفي ما سأل الإمهَالَ له قولان: **أحدهما**: الموت. **والثاني**: العقوبة. فإنْ قيل: كيف قيل له: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وليس أحدٌ أُنظِرَ سِواه؟ فالجواب: أنَّ الذين تقوم عليهم الساعةُ مُنْظَرُون إلى ذلك الوقت بآجَالِهم، فهو منهم.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ في معنى هذا الإغْواء قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الإضْلال، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه بمعنى الإهْلاك، ومنه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2] أي: هَلاكاً، ذكره ابن الأنباري. وفي معنى «فبما» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى القَسَم، أي: فَبِإغوَائِكَ لِي. **والثاني**: أنها بمعنى الجَزاء، أي: فَبِأنَّكَ أغويْتَني، ولأجْلِ أنَّكَ أغويْتَني ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ﴾. قال الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ: أي على صِراطِك. ومِثْلُه قولهم: ضُرب زيدٌ الظَّهر والبطن. وفي المراد بالصِّراط ها هنا ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه طريق مَكَّةَ، قاله ابنُ مَسعودٍ، والحَسَنُ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ؛ كأنَّ المراد صَدُّهم عن الحَجِّ. **والثاني**: أنه الإسلام، قاله جابرُ بنُ عبد الله، وابنُ الحَنفيَّة، ومُقَاتلٌ. **والثالث**: أنه الحقُّ، قاله مُجاهدٌ.

﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: «مِنْ بين أيديهم» أُشكِّكُهم في آخِرَتهم، «ومِنْ خَلفِهم» أُرغِّبُهم في دُنياهم، «وعن أيْمانهم» أي: مِنْ قِبَلِ

(١) سورة الحجر: ٣٨. (٢) سورة مريم: ٥٩.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٥/٤٤٧: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معناه ثم لأتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق، وأحسِّن لهم الباطل. وذلك أن ذلك عقيب قوله ﴿**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾ فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله أن يسلكوه، وهو ما وصفنا من دين الحق، فيأتيهم في ذلك من كلا الوجوه الذي أمرهم به، فيصدهم عنه وذلك (من بين أيديهم وعن أيمانهم) ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزينه لهم ويدعوهم إليه وذلك (من خلفهم وعن شمائلهم).

حَسَنَاتِهم، «وعن شَمَائِلِهم» مِنْ قِبَلِ سَيِّئاتهم، قاله ابنُ عباسٍ وقَتَادَةُ. **والثاني**: مِثْلُه، إلاَّ أنهم جعلوا «مِنْ بين أيديهم» الدُّنيا، «ومِنْ خَلفِهم» الآخِرة، قاله النَّخعيّ، والحَكَمُ بن عُتَيْبَةَ. **والثالث**: مِثْلُ الثاني، إلاَّ أنهم جعلوا «وعن أيمَانِهم» مِنْ قِبَلِ الحقّ أَصُدُّهم عنه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ﴾ مِنْ قِبَلِ الباطل أرُدُّهم إليه، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّي. **والرابع**: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مِنْ سبيل الحق، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ مِنْ سبيل الباطل، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ مِنْ قِبَلِ آخِرَتِهم، «وعن شَمَائِلِهم» مِنْ أمر الدنيا، قاله أبو صالح. **والخامس**: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ «وعن أَيْمَانِهم» مِنْ حيثُ يُبْصِرون، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ «وعن شَمَائِلِهم» مِنْ حيث لا يُبْصِرون، نُقل عن مُجاهدٍ أيضاً. **والسادس**: أن المعنى: لأَتَصرَّفَنَّ لهم في الإضلال مِنْ جميع جِهَاتهم، قاله الزَّجَّاجُ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقي. فعلى هذا، يكون ذِكْرُ هذه الجهات، للمُبالغة في التأكيد. **والسابع**: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فيما بَقِيَ مِنْ أعمَارِهم، فلا يُقدمون فيه على طاعةٍ، «ومن خَلْفِهم» فيما مَضَى مِنْ أعمَارِهم، فلا يَتُوبون فيه من معصيةٍ، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ مِنْ قِبَلِ الغِنَى، فلا يُنفقونه في مَشْكُورٍ، «وعن شَمَائِلِهم» مِنْ قِبَلِ الفقر، فلا يَمتنِعُون فيه من مَحْظُورٍ، قاله المَاوَرديّ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مُوَحِّدين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: شاكرين لِنعمَتِك، قاله مُقَاتلٌ. فإنْ قيل: مِنْ أين عَلِمَ إبليسُ ذلك؟ فقد أَسْلَفْنَا الجواب عن هذا في سورة (النساء).

﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا﴾ وقرأ الأعمَشُ: «مذُوماً» بضمّ الذال مِنْ غير همزٍ. قال الفَرَّاءُ: الذَّأم: الذَّمُّ؛ يُقال: ذأَمْتُ الرجلَ، أذأَمُه ذأْماً؛ وذَمَمْتُه، أذُمُّه ذَمّاً؛ وذِمْتُه، أَذِيمُه ذَيْماً؛ ويُقال: رجلٌ مَذْؤُومٌ، ومَذْمُومٌ، ومَذِيمٌ، بمعنى. قال حسَّانُ بن ثَابتٍ:

وأَقَامُوا حتَّى أُبِيرُوا جميعاً ... في مَقَامٍ وكُلُّهُم مَذْؤُومُ(١)

قال ابنُ قُتَيبةَ: المَذْؤُومُ: المَذمُومُ بأبلغ الذَّمّ. والمَدْحُور: المُقْصَى المُبْعَدُ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى المَذْؤُوم كمعنى المَذْمُوم، والمَدْحُور: المُبْعَدُ مِنْ رَحمة الله. واللام مِنْ «لأَمْلأَنَّ»: لامُ القَسَم؛ والكلام بمعنى الشَّرط والجَزَاء، كأنَّه قيل له: مَنْ تَبِعَك، أُعَذِّبُه، فَدَخَلَتْ اللامُ للمُبالغة والتَّوكيد. فلامُ «لأَمْلأَنَّ» هي لامُ القَسَم، ولامُ «لَمن تَبِعَك» تَوطِئَةٌ لها. فأمَّا قوله: «منهم» فقال ابنُ الأنبَارِي: الهاء والميم عائدتان على وَلَدِ آدمَ لأنه حين قال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾(٢) كان مُخاطباً لوَلَدِ آدمَ، فَرجَع إليهم، فقال: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ فجعلهم غائبين، لأنَّ مُخاطبتهم في ذا المَوضِع تُوقِع لَبْساً؛ والعرب تَرْجِع مِنَ الخطاب إلى الغَيْبَة، ومِنَ الغَيْبَة إلى الخِطاب. ومَنْ قال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ خطابٌ لآدم، قال: أعاد الهاء والميم على وَلَدِه، لأنَّ ذِكره يكفي مِنْ ذِكْرِهم؛ والعرب تكتفي بذِكْرِ الوَالِدِ مِنْ ذِكْرِ الأولاد إذا انكَشَف المعنى وزَالَ اللَّبْسُ. قال الشاعر:

أرى الخَطَفى بَذَّ الفَرَزْدقَ شِعْرُهُ ... ولكِنَّ خَيْراً مِنْ كُلَيْبٍ مُجَاشِعُ

---

(١) البيت منسوب إلى حسان بن ثابت «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ١١.

أراد: أرى ابنَ الخطفى، فاكتفى بالخَطَفى من ابنه.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ يعني أولادَ آدمَ المُخالِفين وقُرَناءهم مِنَ الشّياطين.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قيل: إنَّ الوَسْوَسَة: إخفاءُ الصَّوت. قال ابنُ فارس: الوَسْوَاسُ: صَوتُ الحُليّ، ومنه وَسْوَاسُ الشّيطان. و «لَهُما» بمعنى «إلَيْهِما»، ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾ أي: لِيُظهر لهما ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ أي: سُتِرَ. وقيل: إنَّ لامَ «لِيُبدي» لامُ العَاقِبَة؛ وذلك أنَّ عاقبة الوَسْوَسَة أدَّتْ إلى ظهور عَورَتِهما، ولم تكن الوسوسةُ لِظُهورِها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ قال الأخفَشُ، والزَّجّاجُ: معناه: ما نَهاكُما إلاّ كَراهة أَنْ تَكونا مَلَكَيْن. وقال ابنُ الأنَبارِي: المعنى: إلاَّ أَنْ لا تكُونا، فاكتفى بـ «أن» مِنْ «لا» فأسقطَها.

فإنْ قيل: كيف اِنْقادَ آدمُ لإبليس، مُسْتَشْرِفاً إلى أنْ يكون مَلَكاً، وقد شاهد الملائكةَ ساجدةً له؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه عرف قُربَهُم مِنَ الله، واجتماعَ أكثَرِهم حول عَرْشِه، فاستَشْرَف لذلك، قاله ابنُ الأنَبارِي. **والثاني**: أنَّ المعنى: إلاّ أنْ تكونا طَويلَي العُمر مع الملائكة ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ لا تَموتان أبداً، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. وقد رَوى يَعلَى بن حَكِيم عن ابن كَثيرٍ: «أَنْ تكونا مَلِكَين» بكسر اللام، وهي قراءة الزُّهريّ.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ قال الزَّجّاجُ: حلَفَ لهما، فَدَلاّهما في المعصية بأَنْ غرَّهُما. قال ابنُ عباسٍ: غرَّهُما باليَمين، وكان آدمُ لا يَظُنُّ أَنَّ أحداً يَحلِف بالله كاذباً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: فلمَّا ذَاقَا ثمرَ الشَّجرة. قال الزَّجّاج: وهذا يدلُّ على أنهما إنَّما ذاقَاهَا ذَوَاقاً، ولم يُبالِغا في الأكْلِ. والسَّوأَةُ كنايةٌ عن الفَرْجِ، لا أصلَ له في تَسميته. ومعنى ﴿وَطَفِقَا﴾ أَخَذا في الفِعْلِ؛ والأكثرُ: طفِقَ يَطفَقُ؛ وقد رُويت: طَفَقَ يَطْفِقُ، بكسر الفاء، ومعنى ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يجعلان ورقةً على ورقةٍ، ومنه قيل للذي يَرْقَعُ النَّعل: خَصَّاف. وفي الآية دليلٌ على أنَّ إظهار السَّوأة قبيحٌ مِنْ لَدُنْ آدمَ؛ ألاَ ترى إلى قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ فإنَّهما بَادَرا يَسْتَتِران لِقُبح التَّكَشُّف. وقيل: إنما سُمِّيت السَّوأةُ سَوْأَةً، لأنَّ كَشْفَها يَسُوء صاحبَها. قال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ: كان لِبَاسُهما نُوراً على فُرُوجِهما، لا يرى أحدُهما عورةَ الآخر؛ فلمَّا أصابَا الخَطيئَةَ، بَدَتْ لهما سَوءَاتُهما. وقرأ الحَسنُ: «سَوأتُهما» على التَّوحيد؛ وكذلك قرأ «يِخِصِّفان» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد. وقرأ الزُّهريُّ: بضمِّ الياء وفتح الخاء مع تشديد الصَّاد. وفي الوَرَقِ قولان: **أحدهما**: وَرَقُ

التِّين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: وَرَقُ المَوز، ذكره المُفَسِّرون. وما بعدَ هذا قد سَبَقَ تفسيرُه إلى قوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ يعني الأرض.

واختلف العلماء في تاء «تُخرَجُون»؛ فقرأ ابنُ كَثير، ونَافعٌ، وعَاصمٌ، وأبو عَمرو: بضمِّ التاء وفتح الراء، ها هنا؛ وفي (الرُّوم): ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[١]. وفي (الزُّخرُف): ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٢] وفي (الجاثِية): ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾[٣]. وقرأهنَّ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: بفتح التاء وضم الراء. وفَتَحَ ابنُ عامر التاءَ في (الأعرَاف) فقط. فأمَّا التي في (الرُّوم) ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[٤]، وفي (سأَلَ سَائِلٌ) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾[٥] فمَفْتُوحَتَان مِن غير خلافٍ.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾.

[٥٧١] سبب نزولها: أنَّ ناساً مِنَ العرب كانوا يَطُوفون بالبيت عُرَاةً، فنزلت هذه الآية، قاله مُجَاهدٌ. وقيل: إنَّه لما ذَكَرَ عُرْيَ آدمَ، مَنَّ علينا باللباس.

وفي معنى ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: خَلَقْنَا لكُم. **والثاني**: ألهَمْنَاكُم كيفيةَ صُنعه. **والثالث**: أنزلنا المطر الذي هو سببُ نَبَات ما يُتَّخذ لِباسَاً. وأكثر القُرَّاء قرؤوا: «وريشَاً». وقرأ ابنُ عباسٍ والحسَنُ وزرُّ بن حُبَيْشٍ وقَتادةُ والمُفَضَّلُ، وأبَانُ عن عَاصم: «ورِيَاشاً» بألفٍ. قال الفَرَّاءُ: يجوز أن تكُون الرِّيَاش جمعَ الرِّيش، ويجوز أَنْ تكون بمعنى الرِّيشَ كما قالوا: لِبْس، ولِبَاس.

فلمَّا كَشَفْنَ اللِّبْسَ عنهُ مَسَحْنَهُ ... بأطرافِ طَفْلٍ زَانَ غَيْلاً مُوَشَّمَا[٦]

قال ابنُ عباسٍ، ومُجَاهدٌ: «الرِّيَاش»: المال؛ وقال عَطاءٌ: المال والنَّعيم. وقال ابنُ زيدٍ: الرِّيش: الجَمَال؛ وقال مَعْبَدُ الجُهَنِيّ: الرِّيش: الرِّزق؛ وقال ابنُ قُتَيبة: الرِّيش والرِّيَاش: ما ظَهرَ مِنَ اللِّباس. وقال الزَّجَّاجُ: الرِّيش: اللِّباس وكلُّ ما سَتَرَ الإنسانَ في جسمه ومَعيشَتِه. يُقال: تَرَيَّش فلانٌ، أي: صار له ما يعيش به. أنشد سِيبَويه:

رِيَاشِي مِنْكُم وهَوَايَ مَعْكُم ... وإنْ كَانَتْ زِيَارتُكم لِمَامَا[٧]

---

[٥٧١] ضعيف. أخرجه الطبري ١٤٤٢٣ عن مجاهد مرسلاً، فهو ضعيف. وكرره ١٤٤٢٧ عن مجاهد مرسلاً بنحوه.

---

(١) سورة الروم: ١٩. (٢) سورة الزخرف: ١١. (٣) سورة الجاثية: ٣٥.
(٤) سورة الروم: ٢٥. (٥) سورة المعارج: ٤٣.
(٦) البيت منسوب إلى حميد بن ثور الهلالي ديوانه ١٤ «اللسان» لبس، طفل. الطفل: البنان الناعم. أراد مسحنه بأطراف بنان طفل. الغيل: الساعد الريان الممتلئ. الموشم: عليه الوشم. والوشم زينة الجاهلية وقد أبطلها الإسلام.
(٧) البيت منسوب إلى جرير، ديوانه ٥٠٦. اللمام: الشيء اليسير. وهو أيضاً الزيادة في النوم وأصله من ألم بالمنزل: إذا نزل به ثم رحل.

وعلى قول الأكثرين: الرِّيش والرِّياش بمعنى. قال قُطْرُبُ: الرِّيش والرِّياش واحدٌ. وقال سُفيَانُ الثَّوري: الرِّيش: المالُ، والرِّياش: الثِّياب.

قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ: «ولباسُ التقوى» بالرَّفع. وقرأ ابنُ عَامرٍ، ونَافعٌ، والكِسَائيُّ: بنصب اللِّباس. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصَبَ اللباسَ، عَطَفَ به على الرِّيش؛ ومَنْ رَفعَهُ، فيجوز أن يكون مُبتدأ، ويجوز أنْ يكون مرفوعاً بإضمارٍ: هو؛ المعنى: وهو لباسُ التَّقوى، أي: وسَتْرُ العَورة لباسُ المُتَّقين. وللمفسِّرين في لباسَ التَّقوى عشرةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه السَّمْتُ الحسَنُ، قاله عُثمَانُ بن عَفَّانَ؛ ورواه الذَّيَّالُ بن عَمرٍو عن ابن عباسٍ. **والثاني**: العملُ الصَّالحُ، رواه العَوفيُّ عن ابن عباس. **والثالث**: الإيمانُ، قاله قَتَادَةُ، وابنُ جُريجٍ، والسُّدِّيّ؛ فعلى هذا، سُمِّي لباسَ التَّقوى، لأنه يَقِي العذابَ. **والرابع**: خَشيةُ الله تعالى، قالَه عُروَةُ بن الزُّبير. **والخامس**: الحَياءُ، قاله مَعْبَدُ الجُهَنيّ، وابن الأنبَارِي. **والسادس**: سَتْرُ العَورة للصَّلاة، قاله ابنُ زيدٍ. **والسابع**: أنه الدِّرْعُ، وسائرُ آلات الحَرب، قاله زيدُ بن عَليّ. **والثامن**: العَفَافُ، قاله ابنُ السَّائِب. **والتاسع**: أنه ما يُتَّقى به الحَرُّ والبَردُ، قاله ابنُ بَحرٍ. **والعاشر**: أنَّ المعنى: ما يَلْبَسُه المُتَّقون في الآخرة، خيرٌ مما يَلْبَسه أهلُ الدنيا، رواه عُثمَانُ بن عَطَاءٍ عن أبيه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: المعنى: ولباسُ التَّقوى خيرٌ مِنَ الثياب، لأن الفَاجرَ، وإنْ كان حسنَ الثوب، فهو بَادِي العَورة؛ و «ذلك» زائدةٌ. قال الشاعر في هذا المعنى:

إنِّـي كَـأنِّـي أرَى مَـنْ لاَ حَـيَـاءَ لَـهُ ... وَلاَ أمَـانَـةَ وَسْـطَ الـقَـوْمِ عُـرْيَـانَـا[٢]

قال ابنُ الأنبَارِي: ويقال: لباسُ التَّقوى، هو اللباسُ الأوَّل، وإنَّما أعادَه لمَّا أخبَرَ عنه بأنه خيرٌ مِنَ التَّعَرِّي، إذ كانوا يتعبَّدون في الجاهلية بالتَّعرِّي في الطَّواف.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني: الثِّيابُ والمالُ مِنْ آيات الله وصُنعه، لكي يَذَّكَّروا، فيَعتبروا في صُنعه.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال المُفسِّرون: هذا الخِطاب للذين كانوا يَطُوفُون

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٤٦٠: وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ﴿لباس التقوىٰ﴾ استشعار النفوس تقوىٰ الله في الانتهاء عما نهىٰ الله عنه من معاصيه، والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح، والحياء، وخشية الله، والسمت الحسن. لأن من اتقىٰ الله كان به مؤمناً، وبما أمره به عاملاً، وفيه خائفاً، وله مراقباً، ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحيياً. من كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سمته وهديه، ورئيت عليه بهجة الإيمان ونوره. وإنما قلنا عني بـ (لباس التقوى) استشعار النفس والقلب ذلك لأن «اللباس» إنما هو ادراع ما يلبس، واجتباب ما يكتسي، أو تغطية بدنه أو بعضه به، فكل من ادرع شيئاً واجتابه حتى يُرى عينه أو أثره عليه، فهو له «لابس» ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباساً، وهن لهن لباساً، وجعل الليل لعباده لباساً. ا. هـ.

(٢) البيت منسوب إلى سَوَّار بن المضرب «اللسان» وسط.

عُرَاةً؛ والمعنى: لا يَخْدَعنَّكم ولا يُضِلنَّكم بغُروره، فيُزيِّن لكم كَشْفَ عَورَاتِكم، كما أَخرَج أَبَوَيْكُم مِنَ الجنَّة بِغُروره. وأُضيف الإِخراجُ ونَزْعُ اللبَاس إليه، لأنه السَّبَبُ.

وفي «لِبَاسِهِما» أربعة أقوال: **أحدها**: أنه النُّورُ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ؛ وقد ذكرناه عن ابن مُنَبِّهٍ. **والثاني**: أنه كان كالظُفرِ؛ فلمَّا أَكَلا، لم يَبْقَ عليهما منه إلاَّ الظُفر، رواه سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وابنُ زَيدٍ. **والثالث**: أنه التَّقوى، قاله مُجَاهدٌ. **والرابع**: أنه كان مِنْ ثياب الجَنَّة، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآۚ﴾ أي: لِيُريَ كلَّ واحدٍ منهما سَوْأَة صاحبه. ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ قال مُجَاهدٌ: قَبِيْلُه: الجنُّ والشَّياطين. قال ابنُ عباسٍ: جعلهم اللَّهُ تعالى يَجْرُون مِنْ بَني آدمَ مَجْرَى الدَّم، وصُدُورُ بَني آدمَ مَسَاكنُ لهم، فهم يَرَونَ بَني آدَمَ، وبَنُو آدمَ لا يَرونَهُم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: سلَّطناهم عليهم، يَزيدون في غيِّهم. وقال أبو سُليمانَ: جعلناهم مُوالينَ لهم.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ فيمن عَنَى بهذه الآية ثلاثة أقوالٍ:

[٥٧٢] **أحدها**: أنهم الذين كانوا يَطُوفون بالبيت عُراةً. والفَاحِشة: كَشْفُ العَوْرَة، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجَاهدٌ، وزَيْدُ بنُ أَسْلَمَ، والسُّدِّيّ.

[٥٧٣] **والثاني**: أنهم الذين جعلوا السَّائِبَةَ والوَصِيْلَةَ والحَامَ، وتلك الفَاحِشة، رَوى هذا المعنى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

والثالث: أنهم المشركون؛ والفَاحِشَةُ: الشِّركُ، قاله الحَسنُ، وعَطَاءٌ.

قال الزَّجَّاجُ: فأعلمهم عزَّ وجلَّ أنه لا يأمر بالفحشاء، لأنَّ حِكمتَهُ تدلُّ على أنه لا يفعلُ إلاَّ المُسْتَحْسَن. والقِسْطُ: العدل. والعَدْلُ: ما استقرّ في النُّفوس أنه مستقيمٌ لا يُنكره مُميِّزٌ، فكيف يأمر بالفَحشاء، وهي ما عَظُمَ قُبحه؟!

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)﴾

---

[٥٧٢] روي من وجوه لا تصح والصحيح في هذه الآية العموم في كل فاحشة. أخرجه الطبري ١٤٤٧٢ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط. وكرره ١١٤٦٨ و ١١٤٦٩ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وكرره ١٤٤٧ عن سعيد بن جبير والشعبي، وفيه عطاء بن السائب غير قوي، وعنه عمران بن عيينة لين الحديث.

[٥٧٣] عزاه المصنف لابن عباس من طريق أبي صالح، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهذه رواية واهية ليست بشيء.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: إذا حَضرتِ الصَّلاةُ وأنتم عند مَسجدٍ، فَصَلُّوا فيه، ولا يَقُولنَّ أحدُكم: أُصَلِّي في مَسجِدِي، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، واختاره ابنُ قتيبةَ. **والثاني**: تَوجَّهوا حيثُ كنتم في الصَّلاة إلى الكَعبة، قاله مُجاهدٌ، والسُّدِّيّ، وابنُ زَيدٍ. **الثالث**: اِجعَلُوا سُجودَكم خالصاً لله تعالى دونَ غيره، قاله الرَّبيعُ بن أَنسٍ. **والرابع**: اِقصِدُوا المسجدَ في وقت كلِّ صلاةٍ، أَمْراً بالجماعة لها، ذكره المَاوَردِي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه العبادة. **والثاني**: الدُّعاء. وفي قوله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قولان: **أحدهما**: مُفْرِدِينَ له العبادة. **والثاني**: مُوَحِّدين غيرَ مُشركين. وفي قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: كما بَدَأَكُم سُعداءَ وأشقياءَ، كذلك تُبعثون، روى هذا المعنى عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، والقُرَظِيّ، والسُّدِّيّ، ومُقَاتلٌ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: كما خُلِقتم بقُدرته كذلك يُعيدُكم، روى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحَسنُ وابنُ زَيدٍ والزَّجَّاجُ، وقال: هذا الكلام مُتَّصلٌ بقوله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾(١). **والثالث**: كما بَدَأَكُم لا تملكون شيئاً، كذلك تَعُودون، ذكره المَاوَردِي.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: نُصِبَ الفَريقُ بـ «تعودون». وقال ابنُ الأنباري: نصب «فريقاً» «وفريقاً» على الحَال مِنَ الضَّمير الذي في «تعودون»، يُريد: تَعُودون كما اِبْتَدَأَ خَلْقَكُم مُختلفين، بعضُكم سُعَداء، وبعضُكم أشقِياء.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادةِ السَّابقة.

﴿۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾.

[٥٧٤] سبب نزولها: أنَّ ناساً مِنَ الأعراب كانوا يَطُوفُون بالبيت عُرَاةً، الرِّجالُ بالنَّهار، والنِّساء بالليل، وكانت المرأةُ تُعلِّق على فَرْجِها سُيُوراً، وتقول:

---

[٥٧٤] موقوف. أخرجه مسلم ٣٠٢٨ والنسائي في «التفسير» ٢٠٢ و «المجتبىٰ» ٢٩٥٦ والطبري ١٤٥٠٩ و ١٤٥١٠ و ١٤٥١٢ من طرق عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم بن عمران عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.
قلت: ولهذا الخبر ثلاث علل: الأولى: الإرسال، فقد أخرجه الطبري ١٤٥٢٧ من طريق سويد وأبي أسامة عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير مرسلاً، ليس فيه ذكر ابن عباس، وهذا الإسناد أصح، أيوب هو السختياني أثبت وأحفظ من مسلم البطين، ثم ذكر المرأة لا يصح لأنه يعم كل امرأة تطوف عريانة، وتقول هذا الشعر، وهذا باطل، هناك من النساء من يأبىٰ ذلك، وهناك نساء أخر، لا يعرفن هذا الشعر، فهذه علة ثانية. والصواب ما في مرسل سعيد بن جبير كانوا يطوفون بالبيت عراة فطافت امرأة بالبيت وهي عريانة =

---

(١) سورة الأعراف: ٢٥.

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية قاله ابنُ عباسٍ.

[٥٧٥] وقال أبو سَلَمَةَ بْنُ عبد الرَّحمن: كانوا إذا حَجُّوا، فأَفَاضُوا مِنْ مِنىً، لا يَصْلُح لأحدٍ منهم في دِينه الذي اشترَعُوا أَنْ يَطُوف في ثَوبَيه، فيُلقيهما حتى يقضي طَوَافَه، فنزلت هذه الآية.

[٥٧٦] وقال الزُّهريُّ: كانت العرب تَطُوف بالبيت عُرَاةً، إلاَّ الحمسَ[١] قريشٌ وأَحلافُها، فمن جاء مِنْ غيرهم، وضع ثيابه وَطَافَ في ثَوبَي أحمس، فإنْ لم يَجِدْ مَنْ يُعيره من الحمس، ألقى ثيابه وطافَ عُرياناً، فإن طَافَ في ثياب نَفْسِه، جعلها حَرَاماً عليه إذا قضى الطَّواف، فلذلك جاءت هذه الآية.

وفي هذه الزِّينة قولان: **أحدهما**: الثيابُ. ثمَّ فيه ثلاثة أقوالٍ[٢]: أحدها: أنه وَرَدَ في سَتْرِ العَورة في الطَّواف، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ في جماعةٍ. والثاني: أنه وَرَدَ في سَتْرِ العَورة في الصَّلاة، قاله

= فقالت..» فهذا هو الصواب، أن امرأة واحدة هي التي قالت هذا الشعر. العلة الثالثة: قوله «فتقول من يعيرني تطوافاً، تجعله على فرجها» وهذا غريب، وباقي الروايات عن ابن عباس وعطاء وإبراهيم وغيرهم لا تذكر ذلك، وإنما فيها: وكانوا يطوفون بالبيت عراة، فنهوا عن ذلك، ولا يعني من لفظ «عراة» أنها ليس على فرجها شيء. ويؤيد ذلك ما في الطبري ١٤٥١٢ عن وهب بن جرير حيث قال في روايته «كانت المرأة تطوف بالبيت، وقد أخرجت صدرها وما هنالك، وإن ثبت أنهن عراة ليس عليهن شيء فهو محمول على إحدى روايات الطبري، وهي برقم ١٤٥١٠ عن ابن عباس: كانوا يطوفون عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، فتنبه، والله أعلم. انظر «أحكام القرآن» ٨٩١ بتخريجنا.

[٥٧٥] مرسل. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٤٥٣ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً.

[٥٧٦] مرسل، أخرجه الطبري ١٤٥٣٠ عن الزهري مرسلاً. وأخرجه البخاري ١٦٦٥ ومسلم ١٢١٩/١٥٢ من حديث عروة. ولفظه عند البخاري: كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس والحمس قريش وما ولدت وكان الحمس يحتسبون على الناس، يعطي الرجلُ الرجلَ الثياب يطوف فيها وتعطي المرأة المرأة الثياب تطوف فيها فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عرياناً. وكان يفيض جماعة الناس من عرفات وتفيض الحمس من جمع.

---

(١) الحمس: قريش، لأنهم كانوا يتشددون في دينهم. وقيل: قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس وهم فهمٌ وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن صعصعة. وكانت الحمس سكان الحرم وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات وإنما يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم. وصارت بنو عامر من الحمس وليسوا من ساكني الحرم لأن أمهم قرشية «اللسان» حمس.

(٢) قال الإمام القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ١٩٠: دلت الآية على وجوب ستر العورة، وذهب جمهور أهل العلم إلى أنها فرض من فروض الصلاة، وعلى الإنسان أن يسترها عن أعين الناس في الصلاة وغيرها، وهو الصحيح لقول النبي ﷺ للمسور بن مخرمة: «ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة» أخرجه مسلم. وذهب إسماعيل القاضي إلى أن سترها في الصلاة سنة واحتج بأنه لو كان فرضاً في الصلاة لكان العُريان لا يجوز له أن يصلي. وليس كذلك. قال ابن العربي: وإذا قلنا إن ستر العورة فرض في الصلاة فسقط ثوب إمام فانكشف دبره، وهو راكع، فرفع رأسه فغطاه أجزأه، قاله ابن القاسم. وقال سُحنون: وكل من نظر إليه من المأمومين أعاد. وروي عن سحنون: أنه يعيد ويعيدون، لأن ستر العورة شرط من شروط الصلاة، فإذا ظهرت بطلت الصلاة اهـ ملخصاً. وانظر «المدونة» ١/ ٩٤ ـ ٩٥ و «مقدمات ابن رشد» ١/ ١١٠.

مُجاهدٌ، والزَّجَّاج. والثالث: أنه وَرَدَ في التَّزَيُّن بأجمل الثِّياب في الجُمَع والأعياد، ذكره المَاوَرِدِي. **والثاني**: أنَّ المُراد بالزِّينة: المُشْط، قاله أبو رَزِين.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ قال ابنُ السَّائِب: كان أهلُ الجاهلية لا يأكلون في أيام حَجِّهم دَسَماً، ولا يَنالُون مِنَ الطعام إلاَّ قُوتاً، تعظيماً لحَجَّتِهم، فنزل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾. وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾ أربعة أقوالٍ[1]: **أحدها**: لا تُسرفوا بتحريم ما أُحِلَّ لكم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تأكلوا حَراماً، فذلك الإِسرَاف، قاله ابنُ زَيدٍ. **والثالث**: لا تُشركوا، فمعنى الإِسرَاف ها هنا: الإِشرَاكُ، قاله مُقاتلٌ. **والرابع**: لا تأكلوا مِنَ الحَلال فوقَ الحاجَة، قاله الزَّجَّاجُ.

[٥٧٧] ونُقِلَ أنَّ الرَّشِيد كان له طبيبٌ نَصرانيٌّ حَاذِقٌ، فقال لعليِّ بن الحُسينِ بن وَاقِدٍ: ليس في كِتَابكم مِنْ علم الطِّب شيءٌ، فقال عليٌّ: قد جمعَ اللَّهُ تعالى الطِّبَّ في نِصف آيةٍ مِنْ كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا﴾. قال النَّصرانيُّ: ولا يُؤثَرُ عن نَبيِّكم شيءٌ مِنَ الطِّب، فقال: قد جمعَ رَسُولنا علمَ الطب في ألفاظٍ يسيرة. قال: وما هيَ؟ قال: «المَعِدَةُ بيتُ الدَّاء، والحِمْيَةُ رأسُ الدَّواءِ، وعوِّدُوا كلَّ بُدَنٍ ما اعتَاد». فقال النَّصرانيُّ: ما تركَ كِتَابُكم ولا نَبيُّكم لجَالِينُوسَ طِبّاً.

قال المُصَنِّفُ: هكذا نقلتُ هذه الحكايةَ، إلاَّ أنَّ هذا الحديثَ المذكور فيها عن النبيِّ ﷺ لا يَثْبُت. وقد جاءت عنه في الطِّبِّ أحاديثُ قد ذكرتُها في كتاب: «لقطُ المنافع في الطِّب».

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ في سبب نُزولها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أن المشركين عَيَّروا المسلمين، إذ لَبِسُوا الثِّيابَ في الطَّواف، وأكلُوا الطَّيبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عباس[2]. **والثاني**: أنهم كانوا يُحرِّمون أشياءَ أحلَّها الله مِنَ الزُّروع وغيرِها، فنزلت هذهِ الآيةُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ

---

[٥٧٧] لا أصل له. قال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ١٠٠: لم أجد لها ـ أي حكاية الرشيد ـ إسناداً والمرفوع منه، قال عنه الحافظ ٢/ ١٠٠ لم أجده. قلت: أخرجه أبو محمد الخلال كما في «الدر» ٣/ ١٥٠ عن عائشة: أن النبي ﷺ دخل عليها وهي تشتكي فقال لها: الأزم دواء والمعدة بيت الأدواء وعودوا بدناً ما اعتاده». ولا يصح إسناده فقد نقل السخاوي في «المقاصد» ١٠٣٥ عن الدارقطني قوله: رواه أبو قرة الرهاوي عن الزهري عن عائشة، ولا يصح، ولا يعرف هذا من كلام النبي ﷺ، إنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن أنجر. وقال العراقي في «تخريج الإحياء» ٣/ ٨٧: لم أجد له أصلاً. وقال السخاوي ١٠٣٥: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو غيره.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٤٧٢ الآية ﴿لا تسرفوا﴾. وقوله ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ يقول: إن الله لا يحب المتعدي حده في حلال أو حرام: الغالين فيما أحل الله أو حرم، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله. وذلك العدل الذي أمر به. ا. هـ.

(٢) عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس وهي رواية ساقطة.

عن ابن عباس(١). **والثالث**: نزلت في طَوَافِهِم بالبيت عُرَاةً، قاله طَاوسُ وعَطَاءُ.

وفي زِينَةِ اللَّهِ قولان: **أحدهما**: أنها سَتْرُ العَورة؛ فالمعنى: مَنْ حَرَّمَ أنْ تلبسوا في طَوَافِكم ما يَستُرُكم؟ **والثاني**: أنها زِينَةُ اللِّباس. وفي الطَّيِّبات قولان: **أحدهما**: أنها الحَلال. **والثاني**: المُستَلَذُّ. ثمّ في ما عُني بها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها البَحَائِرُ، والسَّوائِبُ، والوَصَائِلُ، والحَوَامِي التي حَرَّموها، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنها السَّمْن، والألْبَان، واللَّحم، وكانوا حَرَّموه في الإِحرَام، قاله ابنُ زَيدٍ. **والثالث**: الحَرْثُ، والأنعامُ، والألبَانُ، قاله مُقَاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ قال ابنُ الأنبَارِي: «خالصةً» نَصبٌ على الحال مِنْ لام مُضمَرةٍ، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدُّنيا مُشتركةً، وهي لهم في الآخرة خَالصةً، فحُذِفَت اللامُ لوضوح معناها، كما تَحذف العرب أشياءَ لا يُلبِس سُقوطُها. قال الشاعر:

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأتْنِي شَاحِباً ... كَأنَّكَ يَحْمِيكَ الطَّعَامَ طَبِيبُ

تَتَابُعُ أحداثٍ تَخَرَّمْنَ إخوَتي ... فشَيَّبنَ رَأسِي، والخُطُوبُ تُشَيِّبُ

أراد: فقلتُ لها: الذي أكسَبَني ما تَرَيْنَ، تَتَابُع أحداث، فحُذِفَ لانكِشاف المعنى: قال المُفسِّرون: إنَّ المُشركين شَارَكوا المؤمنين في الطَّيبات، فأكلوا ولَبِسُوا ونَكَحُوا، ثم يُخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين منها شيء. وقيل: خالصة لهم من ضررٍ أو إثم. وقرأ نافعٌ: «خالصةٌ» بالرَّفع. قال الزَّجَّاجُ: ورفعُها على أنه خبرٌ بعدَ خبرٍ، كما تقول: زيدٌ عاقلٌ لَبيبٌ؛ والمعنى: قُلْ هي ثابتةٌ للذين آمنوا في الدنيا، خَالصةٌ يومَ القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: هكذا نُبيِّنها.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ قرأ حَمزَةُ: «ربي» بإسكان الياء. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه ستة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المراد بها الزِّنا، ما ظَهَرَ منه: عَلانيتُه، وما بَطَنَ: سِرُّه، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثاني**: أنَّ ما ظَهَرَ: نِكاحُ الأُمَّهات، وما بَطَن: الزِّنا، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عليُّ بن الحُسَين. **والثالث**: أنَّ ما ظَهَرَ: نِكاحُ الأبناء نساء الآباء، والجمعُ بين الأُختين، وأنْ تُنكحَ المرأةُ على عمَّتها أو خالتها، وما بَطَنَ: الزِّنا، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والرابع**: أنَّ ما ظَهَرَ: الزِّنا، وما بَطَنَ: العَزْلُ، قاله شُرَيحٌ. **والخامس**: أنَّ ما ظَهَرَ: طَوَافُ الجاهلية عُرَاةً، وما بَطَنَ: الزِّنا، قاله مُجَاهِدٌ. **والسادس**: أنه عَامٌّ في جميع المعاصي. ثمّ في «ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ» قولان: **أحدهما**: أنَّ الظَّاهر: العَلانِية، والبَاطِن: السِّرُّ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثاني**: أنَّ ما ظَهَر: أفعالُ الجَوارح، والبَاطِنُ: اعتقادُ القلوب، قاله المَاوَرِدي. وفي الإِثم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذَّنْبُ الذي لا يُوجب الحَدَّ، قاله ابنُ عباسٍ والضَّحَّاك، والفَرَّاءُ. **والثاني**: المعاصي

---

(١) أخرجه الطبري ١٤٥٤٥ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه إرسال بينهما.

كلُها، قاله مُجَاهِدٌ. **والثالث**: أنه الخَمر، قاله الحسَنُ وعَطَاءٌ. قال ابنُ الأنبَارِي: أنشدَنَا رجلٌ في مجلس ثَعْلَبٍ بحضرته، وزعَم أنَّ أبا عُبيدَة أنشده:

نَشْرَبُ الإثْمَ بالصُّواعِ جِهَاراً ... وَنَرى المُتْكَ بينَنا مُسْتَعَارا[1]

فقال أبو العبَّاس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثمَ: الخَمْرَ، في كلام العرب. وأنشدنا رجلٌ آخرُ:

شَرِبْتُ الإثْمَ حتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذَاكَ الإثْمُ تَذْهَبُ بالعُقُولِ[2]

قال أبو بَكرٍ: وما هذا البيتُ معروفاً أيضاً في شعر مَنْ يُحتَجُّ بِشِعره، وما رأيتُ أحداً مِنْ أصحاب الغريب أدخلَ الإثمَ في أسماء الخَمر، ولا سمَّتها العرب بذلك في جاهليةٍ وإِسلامٍ.

فإنْ قيل: إنَّ الخَمر تدخل تحتَ الإثم، فصَوابٌ، لا لأنَّه اسمٌ لها.

فإن قيل: كيف فَصَلَ الإثمَ عن الفَوَاحش، وفي كلِّ الفَوَاحِش إثمٌ؟

فالجواب: أنَّ كُلَّ فاحشةٍ إثمٌ، وليس كلُّ إثم فاحشةً، فكان الإثمُ كلَّ فعلٍ مَذْمُومٍ؛ والفَاحشَةُ: العظيمَةُ فأمَّا البَغْيُ، فقال الفَرَّاءُ: هو الاستِطَالَةُ على الناس.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «أن» نَصبٌ؛ فالمعنى: حرَّم الفَوَاحشَ، وحرَّم الشِّركَ. والسُّلطانُ: الحُجَّةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عامٌّ في تَحريم القول في الدِّين مِنْ غير يَقينٍ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

[٥٧٨] سببُ نزولها: أنهم سألوا النبيَّ ﷺ العذابَ، فأُنزلت، قاله مُقَاتلٌ.

وفي الأَجَلِ قولان: **أحدهما**: أنه أَجَلُ العذاب. **والثاني**: أَجَلُ الحياة. قال الزَّجَّاجُ: الأَجَلُ: الوقتُ المُؤقَّتُ. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ المعنى: ولا أقل مِنْ ساعةٍ. وإنما ذَكر السَّاعة، لأنها أقلُّ أسماءِ الأوقات.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

---

[٥٧٨] لا أصل له، عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، ومقاتل هذا يجعل لكل آية سبباً للنزول، وليس كذلك.

---

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» أثم. والمتك: الأترج.

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: أثم.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ قال الزجاج: أُضمِرَ: «فأطيعوهم». وقد سبقَ معنى «إما» في سورة (البقرة)؛ والباقي ظاهرٌ إلى قوله: ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ ففي معناه سبعةُ أقوالٍ[1].

أحدها: ما قُدِّر لهم مِنْ خيرٍ وشَرٍّ، رواه مُجاهدٌ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: نَصيبُهم مِنَ الأعمال، فيُجزَون عليها، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ. **والثالث**: ما كُتِبَ عليهم مِنَ الضَّلالة والهُدى، قاله الحَسنُ. وقال مُجاهدٌ، وابنُ جُبَير: مِنَ السَّعادة والشَّقاوة. **والرابع**: ما كُتِب لهم مِنَ الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الرَّبيعُ، والقُرَظِي، وابنُ زَيدٍ. **والخامس**: ما كُتب لهم مِنَ العذاب، قاله عِكرِمَةُ، وأبو صالحٍ، والسُّدِّيّ. **والسادس**: ما أخبرَ اللّهُ تعالى في الكُتُب كلِّها: أنه مَنِ افترى على الله كَذِباً، اِسوَدَّ وَجهُهُ، قاله مُقَاتلٌ. **والسابع**: ما أخبرَ في الكتاب مِنْ جَزائِهم، نحو قوله: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾[2]، قاله الزَّجَّاجُ.

فإذَنْ في الكتاب خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللوحُ المَحفُوظ. **والثاني**: كُتُبُ الله كلُّها. **والثالث**: القرآن. **والرابع**: كتابُ أعمالِهم. **والخامس**: القَضاء.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أعوَانُ مَلَكِ الموت، قاله النَّخعيّ. **والثاني**: مَلَكُ المَوت وَحدَهُ، قاله مُقَاتلٌ. **والثالث**: ملائكةُ العذاب يومَ القيامة.

وفي قوله: ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَتوفَّونَهم بالموت، قاله الأكثرون. **والثاني**: يَتوفَّونهم بالحَشْر إلى النار يومَ القيامة، قاله الحَسنُ. **والثالث**: يَتوفَّونهم عذاباً، كما تقول: قتلتُ فُلاناً بالعذاب، وإنْ لَمْ يَمُت، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ أي: تَعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾، وهذا سؤالُ تَبْكيتٍ وتَقْريع. قال مُقَاتلٌ: المعنى: فَليَمْنَعُوكم مِنَ النار. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: بَطَلُوا وذهبوا، فيَعترفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيرُه: ذلك الاعتِرَافُ يكون يومَ القيامة.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾ إنَّ الله تعالى يقول لهم ذلك بوَاسِطة الملائكة، لأنَّ الله تعالى لا يُكلِّم

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٤٨١: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنىٰ ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق، وعمل وأجل، وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿**حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله**﴾. فأبان باتباعه ذلك قوله ﴿**أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**﴾ أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضياً عليهم نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعد لهم في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة، فإن الله قد قضىٰ عليهم بالخلود فيه، فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه. ا.هـ.

(٢) سورة الليل: ١٤.

الكفارَ يومَ القيامة. قال ابنُ قُتيبة: و «في» بمعنى «مع». وفي قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ قولان: **أحدهما**: مَضَتْ إلى العذاب. **والثاني**: مَضَتْ في الزَّمان، يعني كفَّار الأُمَم الماضية.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ وهذه أُخُوَّةُ الدِّين والمِلَّة، لا أُخُوَّةُ النَّسَب. قال ابنُ عباسٍ: يلعنون مَنْ كان قَبْلَهم. قال مُقَاتِلٌ: كلَّما دخل أهلُ مِلَّةٍ، لَعَنُوا أهلَ مِلَّتِهم، فَيلعَنُ اليهودُ اليهودَ، والنَّصارى النَّصارى، والمُشركون المُشركين، والأَتْبَاعُ القَادَةَ، ويقولون: أنتم أَلْقَيْتُمُونَا هذا المَلْقَى حين أَطعنَاكُم. وقال الزَّجَّاجُ: إنَّما تلاعَنُوا، لأنَّ بعضهم ضَلَّ باتِّباع بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: أي: تَدَارَكوا، فأُدغمت التاءُ في الدال، وأُدخلت الألفُ ليَسْلَمَ السكون لِمَا بعدها، يريد تَتَابَعُوا فيها واجتمعوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: آخرُ أُمَّةٍ لأوَّل أُمَّةٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: آخرُ أهل الزَّمان لأوَّليهم الذين شَرَعوا له ذلك الدِّين، قاله السُّدِّيّ. **والثالث**: آخرُهم دُخولاً إلى النار، وهم الأتباعُ، لأوَّلهم دُخولاً، وهُمُ القَادَةُ، قاله مُقَاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: شَرَعوا لنا أَنْ نَتَّخذَ مِنْ دُونكَ إلهاً.

قوله تعالى: ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: عذاباً مُضاعفاً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: عذابٌ مُضاعفٌ ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾. قرأ أبو بَكرٍ، والمُفَضَّلُ عن عَاصِمٍ: «يعلمون»، بالياء، قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لا يعلم كلُّ فريقٍ مقدارَ عذاب الفَريق الآخر. وقرأ الباقون: «تعلمون» بالتاء، وفيها وَجْهَان ذكرهما الزَّجَّاجُ: **أحدهما**: لا تعلمون أيُّها المُخاطَبون ما لكلِّ فريقٍ مِنَ العذاب. **والثاني**: لا تعلمون يا أهلَ الدُّنيا مقدارَ ذلك. وقيل: إنَّما طَلَبَ الأتباعُ مُضاعفةَ عذاب القَادةِ، ليكونَ أحدُ العَذابَين على الكُفر، والثاني على إغرائِهم به، فأُجيبُوا ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: كما كان للقَادةِ ذلك، فلَكُم عذابٌ بالكُفر، وعذابٌ بالاتِّباع.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: في الكُفر، نحنُ وأنتم فيه سواءٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: في تَخفيف العذاب، قاله مُجَاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال مُقَاتِلٌ: مِنَ الشِّرك والتَّكذيب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بحُجَجِنا وأعلامِنا التي تدلُّ على توحيد الله ونُبوَّة الأنبياء، وتَكبَّروا عن الإيمان بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وعَاصِمٌ: وابنُ عَامرٍ: «تُفتَّح»؛ بالتاء، وشَدَّدوا التاء الثانية. وقرأ أبو عَمرٍو: «لا تُفْتَح» بالتاء خَفيفةً، ساكنةَ الفاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لا يُفْتَح» بالياء مَضمومةً خفيفةً. وقرأ اليَزيديُّ عن اختياره: «لا تَفتح» بتاءٍ مفتوحةٍ «أبوابَ السماءِ» بنَصْبِ الباء، فكأنَّه أشار إلى أفعالهم. وقرأ الحَسَنُ: بياءٍ مفتوحةٍ، مع نَصْبِ الأبواب، كأنه

يُشير إلى الله عزَّ وجلّ. وفي معنى الكلام أربعة أقوالٍ: **أحدها**: لا تُفتح لأرْواحهم أبوابُ السماء، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وهو قولُ أبي موسى الأشعَريّ، والسُّدِّيّ في آخرين، والأحاديثُ تَشهَدُ به. **والثاني**: لا تُفتح لأعمَّالِهم، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: لا تُفتح لأعمالهم ولا لِدُعائِهم، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: لا تُفتح لأرواحِهم ولا لأعمالِهم، قاله ابنُ جُريج، ومُقاتلٌ.

وفي السَّماء قولان: **أحدهما**: أنها السَّماءُ المعروفة، وهو المَشهُور. **والثاني**: أنَّ المعنى: لا تُفتح لهم أبوابُ الجَنَّة ولا يَدخُلونها، لأنَّ الجنَّة في السماء، ذكره الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الجَمَلُ: هو الحيوان المعروف. فإنْ قال قائلٌ: كيف خَصَّ الجَمَلَ مِنْ دون سائر الدَّواب، وفيها ما هو أعظمُ منه؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ ضَربَ المَثَلِ بالجَمَلِ يُحَصِّل المقصودَ؛ والمقصود أنهم لا يدخلون الجَنَّة، كما لا يدخل الجَمَلُ في ثَقْب الإبرة، ولو ذكر أكبرَ منه أو أصغرَ منه، جازَ، والناسُ يقولون: فُلانٌ لا يُساوي دِرْهَماً، وهذا لا يُغني عنكَ فَتِيْلاً، وإنْ كُنَّا نجد أقلَّ مِنَ الدِّرْهَم والفَتِيْل. **والثاني**: أنَّ الجَمَلَ أكبرُ شأناً عند العرب مِنْ سائر الدَّواب، فإنهم يُقدِّمونه في القوَّة على غيره، لأنه يُوقَرُ بحِمْلِه فَيَنْهَض به دون غيره مِنَ الدَّواب، ولهذا عَجَّبهم مِنْ خَلْق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1]، فآثَرَ الله تعالى ذِكْرَهُ على غيره لهذا المعنى. ذكر الجَوابين ابنُ الأنبَاري.

قال: وقد رَوى شَهْرُ بن حَوْشَب عن ابن عباسٍ أنه قرأ: «حتى يَلِجَ الجُمَّلُ» بضمِّ الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْسُ الغَليظ. قلتُ: وهي قراءة أبي رَزين، ومُجَاهِدٍ، وابن مُحَيْصنٍ، وأبي مِجْلَزٍ، وابن يَعْمُر، وأَبَانَ عن عَاصم. قال: وروى مُجَاهدٌ عن ابن عباسٍ: «حتى يَلِجَ الجُمَلُ» بضمِّ الجيم وفتح الميم وتخفيفها. قلتُ: وهي قراءة قَتَادَةَ، وقد رُويت عن سَعيدِ بن جُبَيرٍ، وأنه قرأ: «حتى يَلِجَ الجُمْل» بضمِّ الجيم وتسكين الميم. قلتُ: وهي قراءةُ عِكرِمَةَ. قال ابنُ الأنبَارِي: فالجُمَل يَحتمل أمرين: يجوز أنْ يكون بمعنى الجُمَّلُ، ويجوز أَنْ يكون بمعنى جُملةٍ مِنَ الجِمَال، قيل في جمعها: جُمَلٌ، كما يقال: حُجْرَة، وحُجَر، وظُلْمَة، وظُلَم. وكذلك مَنْ قرأ: «الجُمْل» يَسُوغ له أَنْ يقول: الجُمْلُ، بمعنى الجُمَّل، وأنْ يقول: الجُمْل، جمع جُمْلَة، مثل بُسْرَة، وبُسْر. وأصحابُ هذه القراءات يقولون: الحَبْلُ والحِبالُ، أشبه بالإبرة والخُيوط مِنَ الجِمَال. وروى عَطَاءُ بن يَسَارٍ عن ابن عباسٍ أنه قرأ: «الجُمُل» بضمِّ الجيم والميم، وبالتَّخفيف، وهي قراءةُ الضَّحَّاكِ، والجَحْدريّ. وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزَاء: «الجَمْل» بفتح الجيم، وبسكون الميم خَفيفَةً.

قوله تعالى: ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ السَّمُّ في اللغة: الثَّقبُ. وفيها ثلاث لغات: فتحُ السِّين، وبها قرأ الأكثرون، وضَمُّها، وبه قرأ ابنُ مَسعودٍ، وأبو رَزين، وقَتَادةُ، وابنُ مُحَيْصنٍ، وطَلحَةُ بن مُصَرِّفٍ، وكَسْرُها، وبه قرأ أبو عِمْرانَ الجونيّ، وأبو نَهيكٍ، والأصمعيُّ عن نَافع. قال ابنُ القَاسم: والخِيَاط: المِخْيَط، بمنزلة اللِّحَاف والمِلْحَف، والقِرَام والمِقْرَم. وقد قرأ ابنُ مَسعودٍ، وأبو رَزينٍ، وأبو مِجْلَزٍ: «في سَمِّ المِخْيَطِ». قال الزَّجَّاجُ: الخِيَاط: الإبرَة، وسَمُّها: ثَقْبُها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنَّة

---

(١) سورة الغاشية: ١٧.

أبداً. قال ابنُ قُتيبةَ: هذا كما يُقال: لا يكون ذلك حتى يَشيب الغُرابُ، ويَبْيَضَّ القَارُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مِثْلَ ذلك نجزي الكافرين أنَّهم لا يدخلون الجنَّةَ.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ المِهادُ: الفِرَاشُ. وفي المراد بالغَواشِي ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اللُّحفُ، قاله ابنُ عباسٍ، والقُرَظِي، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: ما يَغشَاهُم مِنْ فوقهم مِنَ الدُّخَان، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: غَاشِيَةٌ فوقَ غَاشِيَةٍ مِنَ النار، قاله الزَّجَّاجُ. قال ابنُ عباسٍ: والظَّالمون ها هنا: الكافرون.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ فيمَن عُنيَ بهذه الآية أربعة أقوالٍ:

أحدها: أهلُ بَدرٍ. روى الحسَنُ عن عليٍّ عليه السلام أنه قال:

[٥٧٩] فِينَا واللَّهِ أهلَ بَدْرٍ نَزَلَتْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

وروى عَمرُو بن الشَّرِيْدِ عن عليٍّ أنه قال: إنِّي لأرجو أنْ أكونَ أنا، وعُثمَانُ، وطَلحَةُ، والزُّبيرُ، مِنَ الذين قال اللَّهُ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

والثاني: أنهم أهلُ الأحقَاد مِنْ أهل الجاهلية حين أَسلَمُوا.

[٥٨٠] روى كَثيرٌ النَّوَّاء عن أبي جَعفَرَ قال: نزلت هذه الآية في عَليٍّ، وأبي بَكرٍ، وعُمرَ، قلتُ لأبي جَعفَرَ: فأيُّ غِلٍّ هو؟ قال: غِلُّ الجاهلية، كان بينَ بَني هاشم وبني تَيم وبني عَدِيٍّ في الجاهلية شيءٌ، فلمَّا أَسلَم هؤلاءِ، تَحابُّوا، فأخذتْ أبا بكرٍ الخاصِرَةُ، فجعلَ عليٌّ يُسخِّن يدَهُ ويُكمِّد بها خاصِرَةَ أبي بكرٍ، فنزلت هذه الآية.

والثالث: عشرةٌ مِنَ الصحابة: أبو بكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانُ، وعَليٌّ، وطَلحَةُ، والزُّبيرُ، وعبدُ الرحمن بن عَوفٍ، وسعدُ بن أبي وَقَّاصٍ، وسعيدُ بن زَيدٍ، وعبدُ الله بن مَسعودٍ، قاله أبو صَالحٍ[1]. **والرابع**: أنَّها في صِفَةِ أهل الجنَّة إذا دخلوها.

---

[٥٧٩] أخرجه الطبري ١٤٦٦٦ عن الحسن عن علي، وهو منقطع بينهما. وورد من وجوه أخر، ويأتي في سورة الحج: ٤٧.

[٥٨٠] واهٍ بمرة. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «أسباب النزول» للسيوطي ٦٥٤ عن علي بن الحسين، وهذا مرسل وفيه كثير النواء، وهو ضعيف.

---

(١) عزاه المصنف لأبي صالح، وهو غير ثقة في التفسير، والصحيح عموم الآية.

[٥٨١] روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يَخلُصُ المؤمنون مِنَ النار، فيُحبَسُون على قَنطَرةٍ بين الجنَّة والنار، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا، أُذِنَ لهم في دُخول الجنَّة. فَوالَّذي نَفسِي بيده، لأَحَدُهم أَهْدَى بِمَنزِلِه في الجنَّة منهُ بِمَنزِلِهِ كان في الدُّنيا».

وقال ابنُ عباسٍ: أَوَّلُ ما يَدخلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، تُعرض لهم عَيْنَانِ، فيشربون مِنْ إحدى العَيْنَين، فيُذهِبُ اللَّهُ ما في قُلوبهم مِنْ غِلٍّ وغيره ممَّا كان في الدُّنيا، ثمَّ يدخلون إلى العَيْنِ الأخرى، فيَغتَسِلون منها، فتُشرق ألوانُهم، وتَصْفُو وجوهُهم، وتَجري عليهم نَضرَةُ النَّعيم.

فأمَّا النَّزْعُ، فهو قَلْعُ الشيءِ مِنْ مكانه. والغِلُّ: الحِقدُ الكَامِنُ في الصَّدر. وقال ابنُ قُتيبةَ: الغِلُّ: الحَسَدُ والعَداوة.

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: هَدانا لِمَا صَيَّرنا إلى هذا. قال ابنُ عباسٍ: يَعنُون ما وَصَلوا إليه مِنْ رضوان الله وكَرَامَتِه. ورَوى عَاصِمُ بن ضَمْرَةَ عن عليٍّ عليه السلام قال: تستقبِلُهم الوِلْدَانُ كأنهم لُؤلؤٌ مَنثُورٌ، فيَطُوفون بهم كإطَافَتِهم بالحَمِيم جاء مِنَ الغَيْبَة، ويُبَشِّرونهم بما أَعَدَّ اللَّهُ لهم، ويذهبون إلى أزواجِهم فيُبَشِّرونهنَّ، فيَستَخِفهنَّ الفرحُ، فيُقِمْنَ على أُسْكُفَّةِ الباب، فيَقلْنَ: أنتَ رأيتَهُ، أنتَ رأيتَهُ؟ قال: فيجيءُ إلى منزله فينظر في أَسَاسِه، فإذا صَخرٌ مِنْ لُؤلؤٍ، ثم يرفع بَصَرَهُ، فلولا أنَّ الله ذلَّله لَذَهَبَ بَصرُهُ، ثم ينظر أسفلَ مِنْ ذلك، فإذا هو بالسُّرُر المَوضُونة، والفُرُش المَرفُوعة، والزَّرابيِّ المَبثُوثة، فعند ذلك قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾. كُلُّهم قرأ «وما كنَّا» بإثبات الواو، غيرَ ابن عَامرٍ، فإنه قرأ «ما كنا لِنَهتَدِيَ» بغير واوٍ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشَّام. قال أبو عليٍّ: وَجْهُ الاستغناء عن الواو أنَّ القصة مُلْتَبِسَةٌ بما قبلها فأغنى التِباسُها به عن حرف العطف، ومِثْلُهُ ﴿رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ هذا قولُ أهل الجنَّة حين رَأَوا ما وَعدهُم الرُّسل عِياناً. ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنَّما قال «تلكم» لأنهم وُعِدُوا بها في الدُّنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تِلْكُم التي وُعِدْتم بها. وجائزٌ أنْ يكون هذا قيل لهم حينَ عَايَنُوها قبل دُخولهم إليها. وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ «أورثتُموها» غيرَ مُدغمةٍ. وقرأ أبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ «أورثتموها» مُدغمةً، وكذلك قَرؤوا في (الزُّخرُف) قال أبو عليٍّ: مَنْ تَرَكَ الإدغَامَ، فلِتَبَايُن مخرَج الحَرفَين، ومَنْ أدغَمَ، فلأنَّ التاء والثاء مَهمُوسَتان مُتقاربتان. وفي معنى «أُورثتُموها» أربعة أقوالٍ:

[٥٨٢] أحدها: ما روى أبو هُريرَةَ عن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ أَحدٍ إلاَّ وله مَنزلٌ في الجنَّة

---

[٥٨١] صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٤٠ و ٦٥٣٥ وأحمد ٣/ ١٣ و ٦٣ و ٧٤ وابن أبي عاصم في «السنة» ٨٥٨ وابن منده ٨٣٧ و ٨٣٨، ٨٣٩ وأبي يعلى ١١٨٦، وابن حبان ٧٤٣٤ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٢٨٨٨.

[٥٨٢] أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ١٥٩ (الزخرف: ٧٢) عن الفضل ابن شاذان المقرئ حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده حسن، رجاله ثقات أبو بكر بن عياش فيه كلام لا يضر. وورد عن أبي بكر بن عياش بهذا الإسناد بلفظ «كل =

---

(١) سورة الكهف: ٢٢.

ومنزلٌ في النَّار، فأمَّا الكافرُ فإنَّهُ يَرِثُ المؤمنَ منزلَه مِنَ النَّار، والمؤمنُ يَرِثُ الكافرَ منزلَه مِنَ الجنَّة» فذلك قوله: ﴿أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. وقال بعضهم: لمَّا سمَّى الكفارَ أمواتاً بقوله: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾[1]. وسمَّى المؤمنين أحياءً بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾[2] أورثَ الأحياءَ المَوتَى.

والثاني: أنَّهم أُورثُوها عن الأعمال، لأنَّها جُعِلَتْ جزاءً لأعمالِهم، وثواباً عليها، إذ هي عَواقِبُها، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ. **والثالث**: أنَّ دخول الجنَّة برَحمة الله، واقتِسَامَ الدَّرجاتِ بالأعمال. فلمَّا كان يُفسَّر نَيْلُها لا عن عِوَضٍ، سُمِّيت مِيراثاً. والمِيْرَاثُ: ما أَخَذْتَهُ عن غير عِوَضٍ. **والرابع**: أنَّ معنى المِيْرَاثِ ها هنا: أنَّ أَمْرَهُم يَؤُول إليها كما يَؤُول الميراثُ إلى الوارِث.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ أي: مِنَ العذاب؟ وهذا سؤالُ تقريرٍ وتَعْيِير. ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾. قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن، وكان الكِسَائيُّ يَكْسِرُها. قال الأَخْفَشُ: هما لُغتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: نَادى مُنَادٍ. ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ في رواية قنبل، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ: «أنْ لعنةُ الله» خفيفةَ النُون ساكنةٍ. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «أنّ» بالتَّشديد، «لعنةَ الله» بالنَّصب. قال الأَخْفَشُ: و «أنْ» في قوله: ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾[3] وقوله: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[4]، و ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾، هي «أنّ» الثَّقيلة خُفِّفَتْ. قال الشاعر:

في فِتْيَةٍ كَسُيوفِ الهِنْدِ قَد عَلِمُوا ... أنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى ويَنْتَعِلُ[5]

وأنشد أيضاً:

أُكَاشِرُهُ وأَعْلَمُ أنْ كِلانَا ... عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَه حَرِيصُ[6]

ومعناه: أنَّه كِلانَا؛ وتكون «أنْ قد وجدنا» في معنى: أي: قال ابنُ عباسٍ: والظَّالمون ها هنا: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أَذَّنَ المُؤذِّن أنْ لَعنةُ الله على الذين كفروا وصَدُّوا عن

= أهل النار يرى مقعده في الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليهم حسرة، قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده في النار فيقول: لولا أن الله هداني قال: فيكون له شكراً» لفظ أحمد وغيره. أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» ١٤٥٤ وأحمد ٢/ ٥١٢ والحاكم ٢/ ٤٣٥ و ٤٣٦، والبيهقي في «البعث والنشور» ٢٦٩. وإسناده حسن.

---

(١) سورة النحل: ٢١.
(٢) سورة يس: ٧٠.
(٣) سورة الأعراف: ٤٣.
(٤) سورة يونس: ١٠.
(٥) البيت منسوب إلى الأعشى في ديوانه ٥٩. وسيبويه ١/ ٨٢.
(٦) البيت غير منسوب في سيبويه ١/ ٤٤٠. وقوله أكاشره: أضاحكه.

سبيل الله، وهو الإسلام. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مُفسَّرٌ في سورة آلِ عِمران[١]. ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾ أي: وهُمْ بكون الآخرة كافرون.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الجنَّة والنار حَاجزٌ، وهو السُّور الذي ذَكَرَهُ الله تعالى في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ﴾[٢]، فسُمِّي هذا السور بالأعرَافِ لارتِفَاعه. قال ابنُ عباسٍ: الأعرَافُ: هو السُّور الذي بينَ الجَنَّة والنَّار، له عُرْفٌ كعُرْفِ الدِّيْك. وقال أبو هُريرَةَ: الأعرَافُ: جبالٌ بينَ الجنَّة والنَّار، فهُمْ على أعْرَافِها، يعني: على ذُرَاهَا، خِلْقَتُها كَخِلْقَة عُرْفِ الدِّيك. قال اللغويون: الأعْرَافُ عند العرب: كلُّ ما ارتفع مِنَ الأرض وعلاَ؛ يُقال لكلِّ عَالٍ: عُرْف، وجمعه: أَعْرَاف. قال الشاعر:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ كَالعَلَمِ المُوفِي على الأعْرَافِ[٣]

وقال الآخرُ:

وَرِثْتُ بِنَاءَ آبَاءٍ كِرَامٍ عَلَوْا بالمَجْدِ أَعْرَافَ البِنَاءِ

وفي «أصحاب الأعْرَاف» قولان: **أحدهما**: أنَّهم مِنْ بَني آدَمَ، قاله الجمهور. وزَعَمَ مُقَاتلٌ أنهم مِنْ أُمَّة محمَّدٍ ﷺ خاصَّةً. وفي أعمَالِهم تسعةُ أقوالٍ[٤]:

[٥٨٣] أحدها: أنَّهم قومٌ قُتِلُوا في سبيل الله بمعصية آبائِهم، فمَنَعَهُم مِنْ دخول الجنَّة مَعصيةُ آبائهم، ومَنَعَهُم مِنْ دخول النار قَتْلُهم في سبيل الله، وهذا مَرويٌّ عن النبيِّ ﷺ. **والثاني**: أنهم قومٌ تَسَاوَتْ حَسَناتُهم وسَيِّئاتُهم، فلم تَبْلُغْ بهم حَسَناتُهم دخولَ الجنَّة، ولا سَيِّئاتُهم دخولَ النَّارِ، قاله ابنُ

---

[٥٨٣] حديث ضعيف، عزاه المصنف لمقاتل، ولم ينسبه، فإن كان ابن سليمان، فهو متروك كذاب، وإن كان ابن حيان، فإن عنده مناكير. وأخرجه الطبري ١٤٧١٣ والبيهقي في «البعث» ١١٢ و ١١٣ والطبراني كما في «المجمع» ١١٠١٤ من حديث عبد الرحمن المزني وعند بعضهم «المدني» وأعله البيهقي بأبي معشر نجيح السندي وأنه ضعيف، وكذا ضعفه الهيثمي في «المجمع» به، وفيه يحيىٰ بن شبل، وهو مجهول. وأخرجه الطبري ١٤٧١٢ عن يحيى بن شبل: أن رجلاً من بني النضير أخبره، عن رجل من بني هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف... فذكره بسياق المصنف وإسناده ضعيف فيه من لم يسم. وورد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الطبراني في «الصغير» ٦٦٦ وأعله الهيثمي في «المجمع» ١١٠١٣ بمحمد بن مخلد الرعيني، وأنه ضعيف. وورد من حديث أبي هريرة عند البيهقي ١١٥ وفيه أبو معشر، وهو ضعيف، ومدار عامة هذه الطرق عليه، وورد مرفوعاً عن حذيفة وغيره، وهو الراجح، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران: ٩٩. (٢) سورة الحديد: ١٣.

(٣) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٥ «واللسان»: نوف.
الكناز: المجتمع اللحم القويه، النياف: الطويل. العلم: الجبل.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٧٤: واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنىً واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس، وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله. اهـ.

مَسعودٍ، وحُذَيفَةُ، وابنُ عباسٍ، وأبو هُريرَةَ، والشَّعبيُّ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أَنَّهم أولادُ الزِّنا، رواه صالحُ مَوْلَى التَّوْأَمة عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أَنَّهم قومٌ صالحون فُقهاء علماء، قاله الحسَنُ، ومُجَاهِدٌ؛ فعلى هذا يكون لُبْثُهم على الأَعْرَافِ على سبيل النُّزهَة. **والخامس**: أَنَّهم قومٌ رَضِيَ عنهم آباؤهم دونَ أُمَّهَاتِهم، أو أُمَّهَاتُهم دونَ آبائِهم، رواه عبدُ الوَهَّاب بن مُجَاهِدٍ عن إبرَاهِيمَ. **والسادس**: أَنَّهم الذين ماتوا في الفَتْرَة ولم يُبَدِّلوا دِينَهم، قاله عبدُ العزيز بن يَحيىَ. **والسابع**: أَنَّهم أنبياءُ، حكاه ابنُ الأنبَارِي. **والثامن**: أنهم أولادُ المشركين، ذكره المَنْجُوفي في تفسيره. **والتاسع**: أَنَّهم قومٌ عَمِلُوا لله تعالى، لكنهم رَاءَوا في عملهم، ذكره بعضُ العلماء.

والقول الثاني: أَنَّهم ملائكةٌ، قاله أبو مِجلَزٍ، واعتُرِضَ عليه، فقيل: إِنَّهم رجالٌ، فكيف تقول: ملائكةٌ؟ فقال: إِنهم ذكورٌ ولَيسُوا بإناثٍ.

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على معرفة أهل الجنَّة مِنْ أهل النَّار، ذَكَرهُ الزَّجَّاجُ، وابنُ الأنبَارِي. وفيه بُعدٌ وخِلافٌ للمُفَسِّرين.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يَعرفُ أصحابُ الأعرافِ أهلَ الجنَّة وأهلَ النَّار. وسِيمَا أهل الجنَّة: بَيَاضُ الوجوه، وسِيمَا أهل النَّار: سَوَادُ الوُجوه، وزُرْقَةُ العُيون. والسِّيمَا: العَلامَةُ. وإنما عَرَفُوا النَّاسَ، لأنهم على مكانٍ عَالٍ يُشرفون فيه على أهل الجنَّة والنَّار. ﴿وَنَادَوْا۟﴾ يعني: أصحاب الأَعْراف ﴿أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾. وفي قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّه إخبارٌ مِنَ الله تعالى لنا أَنَّ أصحاب الأعرافِ لم يدخلوا الجنَّةَ وهم يَطمَعُون في دُخولها، قاله الجمهور. **والثاني**: أنَّه إِخبارٌ مِنَ الله تعالى لأَهلِ الأَعْراف إِذا رَأَوا زُمْرَةً يُذهَب بها إِلى الجنَّة أَنَّ هؤلاءِ لم يدخلوها وهم يَطْمَعُون في دُخولها، هذا قول السُّدِّيّ.

﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ يعني أصحاب الأَعرافِ. والتِّلقَاءُ: جِهَةُ اللِقَاء، وهي جِهَةُ المُقابَلَة. وقال أبو عُبيدَةَ: تِلْقَاءَ أصحاب النَّار، أي: حِيَالَهم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ روى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ قال: يُنادون: يا وليدَ بن المُغِيْرَة، يا أبا جَهْلِ بن هِشَام، يا عَاصَ بن وَائلٍ، يا أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ، يا أُبَيَّ بن خَلَفٍ، يا سائرَ رُؤساء الكفاء، ما أغنَى عنكم جَمْعُكُم في الدنيا المالُ والوَلَدُ. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: تتعظَّمون عن الإيمان.

﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنَّ أهلَ النار أَقسَمُوا أَنَّ أهلَ الأعرافِ دَاخِلون النارَ مَعَنا، وأَنَّ الله لن يُدخِلَهم الجنَّةَ، فيقول الله تعالى لأهلِ النار: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أهل الأعرافِ ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ رواه وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ عن ابن عباسٍ.

[٥٨٤] قال حُذَيْفَةُ: بَيْنَا أصحابُ الأَعْرَافِ هنالكَ، اطَّلَعَ عليهم رَبُّهم فقال لهم: ادخُلوا الجنَّةَ فَإِنّي قد غفرْتُ لَكُم.

والثاني: أنَّ أهلَ الأَعْرَافِ يَرَونَ في الجنَّة الفقراءَ والمَساكين الذين كان الكفَّار يَستهزئون بهم، كسَلمَانَ، وصُهَيبٍ، وخَبَّاب، فيُنادُون الكفار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ وأَنتم في الدُّنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾. قاله ابنُ السَّائب[1]. فعَلَى هذا ينقطعُ كلامُ أهل الأعراف عندَ قوله: ﴿بِرَحۡمَةٍۚ﴾؛ ويكون الباقي مِنْ خطاب الله لأَهل الجنَّة.

وقد ذَكَرَ المُفسِّرون في قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ثلاثةَ أَوجُهٍ: **أحدها**: أَنْ يكون خِطاباً مِنَ الله لأَهلِ الأَعرَافِ، وقد ذكرناه. **والثاني**: أَنْ يكون خِطاباً مِنَ الله لأَهلِ الجنَّة. **والثالث**: أَنْ يكون خِطَاباً مِنْ أهل الأَعرَافِ لأَهلِ الجنَّة، ذكرهما الزَّجَّاجُ. فعَلَى هذا الوَجْهِ الأَخير، يكون معنى قَولِ أهلِ الأَعرَافِ لأَهْلِ الجنَّة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾: اعلُوا إلى القُصور المُشرِفَة، وارتَفِعوا إلى المنازل المُنِيفَة، لأَنَّهم قد رَأَوهم في الجنَّة: ورَوى مُجاهِدٌ عن عبدِ الله بن الحَارث قال: يُؤتى بأَصحاب الأَعرافِ إلى نَهرٍ يُقال له: الحَياة، عليه قُضْبانَ الذَّهب مُكَلَّلَة باللؤلؤ، فيُغمَسُون فيه، فَيُخرجون، فتَبدو في نُحورِهم شَامَةٌ بيضاءُ يُعرفون بها، ويُقال لهم: تَمَنَّوا ما شِئْتُم، ولَكُم سبعون ضِعفاً، فَهُمْ مساكينُ أهل الجَنَّة.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لمَّا صار أصحابُ الأَعراف إلى الجنَّة، وطَمِعَ أهلُ النار في الفَرَج بعد اليأس، فقالوا: يا رَبُّ، إنَّ لنا قَراباتٍ مِنْ أهل الجنَّة، فَائذَن لنا حتَّى نَراهُم ونُكلِّمَهم، فنظروا إليهم وإلى ما هُمْ فيه مِنَ النَّعيم فعَرَفُوهم. ونظرَ أهلُ الجنَّة إلى قَراباتِهم مِنْ أهل جهنَّم فلَمْ يَعرِفُوهم، قد اسودَّت وجُوهُهم وصاروا خَلْقاً آخرَ، فنادَى أصحابُ النار أصحابَ الجنَّة بأسمائِهم، وأَخبَروهم بقَرَاباتِهم، فيُنادي الرجلُ أخاه: يا أخي قد احترَقْتُ فَأَغِثْنِي؛ فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. قال السُّدِّيُّ: عَنَى بقوله: ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ الطعام. قال الزَّجَّاجُ: أعلمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنَّ ابنَ آدمَ غيرُ مُستَغنٍ عن الطعام والشراب، وإنْ كان مُعذَّباً.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هم المُستهزئون. والمعنى: أنهم تلاعبوا بدِينِهم الذي شُرِعَ لهم. وقال أبو رَوْقٍ: دِينُهم: عِيدُهم. وقال قَتادَةُ: ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ أي: أَكْلاً وشُرباً. وقال غيرُه: هو ما زَيَّنه الشيطانُ لهم مِنْ تحريم البَحِيرَةِ، والسَّائبَةِ، والوَصِيلَةِ، والحَام،

---

[٥٨٤] موقوف. أخرجه الطبري ١٤٦٩٣ من طريق الشعبي عن حذيفة، وهو منقطع فالإسناد ضعيف.

---

(١) عزاه المصنف للكلبي وهو محمد بن السائب، وقد كذبه غير واحد.

والمُكَاءِ، والتَّصْدِيَة، ونحو ذلك مِنْ خِصَالِ الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: نَتْرُكُهم في العذاب كما تَركوا العملَ لِلقاءِ يَومِهم هذا. و «ما» نَسقٌ على «كما» في موضع جَرّ. والمعنى: وكَجُحْدِهِم. قال ابنُ الأنباري: ويجوز أَنْ يكون المعنى: فاليومَ نَتْرُكُهم في النار على عِلْمٍ منا تَرْكَ ناسٍ غَافِلٍ كما استعملوا في الإعراضِ عن آياتنا وهُمْ ذاكِرُون ما يستعمله مَنْ نَسِيَ وغَفَلَ.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ﴾ يعني القرآن. ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾ أي: بَيَّنَّاهُ بإيضاحِ الحقِّ مِنَ الباطل. وقيل: فَصَّلناه فُصولاً مرَّةً بتعريف الحَلال، ومرَّةً بتعريف الحَرام، ومرَّةً بالوَعد، ومرَّة بالوَعيد، ومرَّة بحديث الأُمَم. وفي قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ قولان: **أحدهما**: على عِلْم منَّا بما فَصَّلناه. **والثاني**: على عِلْم منَّا بما يُصلحكم ممَّا أنزلنَاهُ فيه. وقرأ ابن السَّمَيْفَع، وابن مُحَيْصِنٍ، وعَاصِمٌ، والجَحْدَرِيُّ، ومُعاذٌ القارِيء: «فضَّلناه» بضادٍ مُعجَمةٍ.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تصديقَ ما وُعِدُوا في القرآن. ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ وهو يومُ القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي: تَركُوه ﴿مِن قَبۡلُ﴾ في الدنيا ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بالبَعثِ بعد المَوت. قوله تعالى: ﴿أَوۡ نُرَدُّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أو هَلْ نُردُّ. وقوله. ﴿فَنَعۡمَلَ﴾ منصوبٌ على جَوابِ الفاء للاستفهام.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ اختلفوا أيَّ يوم بدأ بالخَلْق على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنّه يومُ السَّبت.

[٥٨٥] روى مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديث أبي هُريرَةَ قال: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بيدي، فقال:

---

[٥٨٥] الصحيح موقوف. أخرجه مسلم ٢٧٨٩ وأحمد والنسائي في «الكبرى» ١١٠١٠ وابن حبان ٦١٦١ والطبري في «التاريخ» ١/ ٢٣ و ٢٥ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٨٣٨٣ وعلقه الإمام البخاري في «تاريخه» ١/ ٤١٣ ـ ٤١٤ من طريق أيوب وقال: وقال بعضهم عن أبي هريرة، عن كعب، وهو أصح.
وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٩٩: هذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم» وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري. وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعله مرفوعاً، وذكره أيضاً في «تفسيره» ٣/ ٤٢٢، وقال: وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالىٰ قد قال ﴿في ستة أيام﴾ ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا =

«خَلَقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ التُّرْبَةَ يومَ السَّبت، وخَلَقَ الجبالَ فيها يومَ الأَحَدِ، وخَلَقَ الشَّجر يومَ الاثنين، وخَلَقَ المَكْرُوهَ يومَ الثُّلاثاء، وخَلَقَ النُّور يوم الأربعاء، وبَثَّ فيها الدَّوابَّ يومَ الخميس، وخَلَقَ آدَم بعدَ العَصرِ يومَ الجُمُعَةِ آخرَ الخَلْقِ، في آخِرِ سَاعةٍ مِنْ ساعاتِ الجُمُعَة فيما بينَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ»، وهذا اختيارُ محمَّدِ بن إسحَاقَ. وقال ابنُ الأنبارِي: وهذا إجماعُ أهل العلم.

والثاني: يوم الأَحَدِ، قاله عبدُ الله بن سَلاَمٍ، وكَعْبٌ، والضَّحَّاكُ، ومُجاهدٌ، واختاره ابنُ جَريرٍ الطَّبَرِيّ، وبه يقول أهلُ التَّوراة.

والثالث: يوم الاثنين، قالَهُ ابنُ إسحَاقَ، وبهذا يقول أهلُ الإنْجِيل.

ومعنى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مِقْدَارِ ذلك، لأنَّ اليومَ يُعرف بطُلوع الشَّمس وغُروبِها، ولم تَكُنِ الشمسُ حِينَئِذٍ. قال ابنُ عباسٍ: مِقْدَارُ كلِّ يوم مِنْ تلك الأيام ألفُ سنةٍ، وبه قال كَعبٌ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاكُ، ولا نعلمُ خِلافاً في ذلك. ولو قالَ قائلٌ: إنها كأيام الدُّنيا، كان قولُه بعيداً مِنْ وَجْهَين: **أحدهما**: خِلافُ الآثار. **والثاني**: أنَّ الذي يَتَوَهَّمه المُتَوَهِّم مِنَ الإبطَاء في ستة آلاف سنةٍ، يَتَوهَّمه في ستة أيام عند تَصفُّح قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]. فإنْ قيل: فَهلاَّ خَلَقَهَا في لحظَةٍ، فإنه قادرٌ؟ فعنه خمسةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه أراد أَنْ يُوقع في كلِّ يوم أمراً تَستَعْظِمه الملائكةُ ومَنْ يُشاهده، ذكره ابنُ الأنبارِي. **والثاني**: أنَّ التَّثبُّتَ في تَمهِيدِ ما خُلِقَ لآدَمَ وذُرِّيَّته قبلَ

= الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ليس مرفوعاً.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» ١٧/٢٣٦: وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: «خلق الله التربة يوم السبت» فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، وقال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الأحبار، وقد ذكر تعليله البيهقي أيضاً وبينوا أنه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وهو مما أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه وقال أيضاً فيما نقله عنه القاسمي في «الفضل المبين» ص ٤٣٢ - ٤٣٤: هذا الحديث طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما وذكر البخاري أن هذا من كلام كعب الأحبار وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر بن الأنباري، وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما، والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه، وهذا هو الصواب، لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد وهكذا عند أهل الكتاب، وعلى ذلك تدل أسماء الأيام وهذا المنقول الثابت في أحاديث وآثار أخر، ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة، لكان قد خلق في الأيام السبعة، وهي خلاف ما أخبر به القرآن، مع أن حُذَّاق علم الحديث يثبتون علة هذا الحديث في غير هذه الجهة، وأن راويه فلان غلط فيه لأمور يذكرونها، وهذا الذي يسمى معرفة علل الحديث، يكون الحديث إسناده في الظاهر جيداً، ولكن عرف من طريق آخر أن راويه غلط فرفعه وهو موقوف، أو أسنده وهو مرسل، أو دخل عليه الحديث في حديث، وهذا فن شريف وكان يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم صاحبه علي ابن المديني، ثم البخاري أعلم الناس به، وكذلك الإمام أحمد، وأبو حاتم، وكذلك النسائي والدارقطني وغيرهم، وفيه مصنفات معروفة. وقال المناوي في «فيض القدير» ٣/٤٤٨: قال بعضهم: هذا الحديث في متنه غرابة شديدة فمن ذلك: أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام وهذا خلاف القرآن، لأن الأرض خلقت في أربعة أيام، ثم خلقت السماوات في يومين. اهـ.

(١) سورة يس: ٨٢.

وجُودِه، أَبْلَغُ في تَعظيمِه عند الملائكة. **والثالث**: أنَّ التَّعجيل أَبْلَغُ في القُدرة، والتَّثْبيتَ أَبْلَغُ في الحِكْمَة، فأراد إظهارَ حِكْمَتِهِ في ذلك، كما يُظهر قُدْرَتَهُ في قول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. **والرابع**: أنه عَلَّم عِبادَه التَّثبُّت، فإذا تثبَّت مَنْ لا يزِلُّ، كان ذُو الزَّلَلِ أَوْلَى بالتَّثبُّت. **والخامس**: أنَّ ذلك الإمهَالَ في خَلْقِ شيءٍ بعد شيءٍ، أبعدُ مِنْ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ذلك وَقَعَ بالطَّبع أو بالاتِّفاق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال الخليلُ بن أحمد: العَرْشُ: السَّرير؛ وكلُّ سَريرٍ لِمَلِكِ يُسمى عَرْشاً؛ وقلَّما يُجمع العرشُ إلاَّ في اضطرارٍ؛ واعلَمْ أنَّ ذِكْرَ العَرْشِ مشهورٌ عند العرب في الجاهلية والإسلام. قال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ:

مَـجِّـدوا الله فَـهْـوَ لِـلْـمَـجْـدِ أَهْـلُ ... رَبُّـنَـا فـي الـسَّـمَـاءِ أَمْـسَـى كَـبِـيـرا
بـالـبِـنَـاءِ الأَعـلَـى الـذي سَـبَـقَ الـنَّـا ... سَ وسـوَّى فـوقَ الـسَّـمـاءِ سَـرِيـرَا
شَـرْجَـعَـاً لاَ يَـنَـالُـهُ نَـاظِـرُ الـعَـيْـ ... ـنِ تَـرَى دُونَـه الـمَـلائِـكَ صُـورَا

وقال كَعبٌ: إنَّ السمواتِ في العَرش كالقِنْدِيْلِ مُعَلَّقٌ بين السَّماء والأرض. وروى إسمَاعيلُ بن أبي خَالِدٍ عن سَعدِ الطَّائيّ قال: العَرشُ يَاقُوتَةٌ حَمرَاءُ. وإجماعُ السَّلَفِ مُنعَقِدٌ على أَنْ لا يزيدوا على قراءة الآية. وَقَدْ شَذَّ قومٌ فقالوا: العَرْشُ بمعنى المُلْكِ. وهذا عُدُولٌ عن الحقيقة إلى التَّجوُّز، مع مُخالفة الأثَرِ؛ أَلَمْ يسمعوا قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أَتَرَاهُ كان المُلْكُ على المَاء؟ وكيف يكون المُلْكُ يَاقُوتَةَ حَمْرَاءَ؟ وبعضُهم يقول: استَوَى بمعنى إستَولَى[1]، ويَحتجُّ بقول الشاعر:

حـتَّـى اسْـتَـوى بِـشْـرٌ عَـلـى الـعِـرَاقِ ... مِـنْ غَـيْـرِ سَـيْـفٍ وَدَمٍ مُـهْـرَاق

وبقول الشاعر أيضاً:

هُـمَـا اسْـتَـوَيَـا بِـفَـضْـلِـهِـمَـا جَـمِـيـعَـاً ... عَـلَـى عَـرْشِ الـمُـلُـوكِ بِـغَـيْـرِ زُورِ

وهذا مُنكرٌ عند اللغويين. قال ابنُ الأَعرَابي: العربُ لا تعرف استَوَى بمعنى إستَولَى، ومَنْ قال ذلك فقد أَعْظَمَ. قالوا: وإنَّما يُقال: إستَولَى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غيرَ مُتَمَكِّنٍ منه، ثمَّ

---

(١) قال الإمام القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٢١٩ بعد أن ذكر مذهب المتكلمين: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، لا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة، بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه، وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخصَّ العرش بذلك لأنه أعظم المخلوقات، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم ـ أي في اللغة ـ والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها اهـ.
وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٨٠ عند هذه الآية: للناس في هذا المقام مقالات كثيرة، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد وإسحق وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهي إمرارها كما جاءت، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه **﴿ليس كمثله شيء﴾** بل الأمر كما قال الأئمة منهم نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالىٰ، ونفى عن الله تعالىٰ النقائص فقد سلك سبيل الهدى اهـ.

تَمَكَّنَ منه؛ واللَّهُ عزَّ وجلَّ لم يَزَلْ مُسْتَوِلِياً على الأشياء؛ والبَيْتَان لا يُعرف قائلهما، كذا قال ابنُ فَارِسٍ اللُّغويّ. ولو صَحَّا، فلا حُجَّةَ فيهما لِمَا بيَّنَّا مِن اِستِيلاءِ مَنْ لم يَكُنْ مُستولِياً. نَعوذُ بالله مِنْ تَعطيلِ المُلْحِدة وتَشْبِيه المُجَسِّمَة.

قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامِرٍ: «يُغْشي» ساكنة الغين خفيفةً. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بَكرٍ عن عَاصِمٍ: «يُغَشِّي» مفتوحةَ الغين مُشَدَّدةً، وكذلك قرأوا في سورة الرَّعد[1]. قال الزَّجَاجُ: المعنى: أنَّ الليلَ يأتي على النَّهار فيُغَطِّيه؛ وإنَّما لم يَقُلْ: ويُغشي النَّهارُ الليلَ، لأنَّ في الكلام دَليلاً عليه؛ وقد قال في موضع آخر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[2]. وقال أبو عليٍّ: إنما لم يَقُلْ: يُغشِي النَّهارَ الليلَ، لأنه معلومٌ مِنْ فَحْوَى الكلام، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[3]، وانتصبَ الليلُ والنهارُ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما مفعولٌ به. فأمَّا الحَثِيثُ، فهو السَّريع.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ قرأ الأكثرون: بالنَّصب فيهنَّ، وهو على معنى: خَلَقَ السموات والشمسَ. وقرأ ابنُ عَامرٍ: «والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ» بالرَّفع فيهنَّ ها هنا وفي (النَّحل)[4]، تَابَعَهُ حَفصٌ في قوله تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ في (النَّحل) فحَسْب. والرَّفعُ على الاستئناف. والمُسَخَّرَاتُ: المُذَلَّلاتُ لِمَا يُراد منهنَّ مِنْ طُلوعٍ وأُفُولٍ وسَيْرٍ على حَسبِ إرادة المُدَبِّر لهنَّ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فَلَهُ أَنْ يَأْمُرَ بما يشاء. وقيل: الأَمْرُ: القَضَاءُ. قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَفَاعَلَ مِنَ البَرَكَةِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ؛ وكذلك قال القُتيبيُّ، والزَّجَاجُ. وقال أبو مالكٍ: اِفتَعَلَ مِنَ البَرَكَة. وقال الحَسنُ: تَجيءُ البَرَكَةُ مِنْ قِبَلِه. وقال الفَرَّاءُ: تَبَارَكَ: مِنَ البَرَكَة؛ وهو في العربية كقولك: تَقَدَّسَ رَبُّنَا. **والثاني**: أَنَّ تبارك بمعنى تَعالَى، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. وكذلك قال أبو العَبَّاسِ: تباركَ: اِرتفعَ؛ والمُتَبَارِكُ: المُرتَفِع. **والثالث**: أنَّ المعنى: باسمِه يُتَبَرَّكُ في كلِّ شيءٍ، قاله ابنُ الأَنبَارِي. **والرابع**: أَنَّ معنى «تباركَ» تَقَدَّسَ، أي: تَطَهَّر، ذكره ابنُ الأنبَارِي أيضاً.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ التَّضرُّع: التَّذلُّل والخُضوع. والخُفْيَةُ: خِلافُ العَلانِيَة. قال الحَسَنُ: كانوا يجتهدون في الدُّعاء، ولا تَسمَعُ إلاَّ هَمْساً. ومِنْ هذا حديثُ أبي موسى:

[٥٨٦] «أَرْبِعُوا على أَنْفُسِكُم، إِنَّكم لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِباً».

---

[٥٨٦] حديث صحيح. أخرجه البخاري ٢٩٩٢ و ٦٦١٠ ومسلم ٢٧٠٤ وعبد الرزاق ٩٢٤٤ وأحمد ٤/ ٤٠٢ و ٤١٨ وابن أبي شيبة ٦/ ٢٩٦٥٦، والبيهقي في «السنن» ١٨٤ والطبري ١٤٧٨٦. والبغوي في «شرح السنة» ١٢٧٦ من حديث أبي موسىٰ.

---

(١) سورة الرعد: ٣.
(٢) سورة الزمر: ٥.
(٣) سورة النحل: ٨١.
(٤) سورة النحل: ١٢.

وفي الاعتداء المذكور ها هنا قولان: **أحدهما**: أنّه الاعتداءُ في الدُّعاء. ثمَّ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنْ يَدْعُوَ على المؤمنين بالشَّرِّ، كالخِزي واللعنة، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ، ومُقَاتلٌ. والثاني: أنْ يسألَ ما لا يَستَحِقُّه مِنْ منازل الأنبياء، قاله أبو مِجْلَزٍ. والثالث: أنه الجَهْرُ في الدُّعاء، قاله ابنُ السَّائِب. **والثاني**: أنه مُجاوزة المَأمُور به، قاله الزَّجَّاج.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تُفسِدوها بالكُفر بعدَ إصلاَحِها بالإيمان. **والثاني**: لا تُفسِدوها بالظُّلم بعدَ إصلاحِها بالعَدْل. **والثالث**: لا تُفسِدوها بالمَعصية بعدَ إصلاحِها بالطَّاعة. **والرابع**: لا تَعصُوا، فيُمسِكُ الله المَطَرَ، ويُهلكُ الحَرْثَ بمَعاصيكُم بعدَ أنْ أصلَحَها بالمَطَرِ والخِصْبِ. **والخامس**: لا تُفسِدوها بقَتْل المؤمن بعد إصلاَحِها بِبَقائِه. **والسادس**: لا تُفسِدوها بِتكذِيبِ الرُّسُل بعدَ إصلاَحِها بالوَحي.

وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قولان: **أحدهما**: خَوْفاً مِنْ عقابه، وطَمَعاً في ثَوابه. **والثاني**: خَوْفاً مِنَ الرَّدِّ وطَمَعاً في الإجَابة. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال الفَرَّاءُ: رأيتُ العربَ تُؤنِّث القَريبَة في النَّسَب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دَارُكَ مِنَّا قريبٌ، أو فُلانةٌ منّا قَريبٌ، ومِنَ القُرب والبُعد، ذَكَّروا وأَنَّثوا، وذلك أنهم جعلوا القريبَ خَلَفاً مِنَ المكان، كقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٢]، ولو أُنِّثَ ذلكَ لكانَ صَواباً. قال عُرْوَةُ:

عَشِيَّةَ لا عَفراءُ مِنكَ قَريبَةٌ فَتَدْنُو ولاَ عَفْرَاء مِنْكَ بِعِيدُ

وقال الزَّجَّاجُ: إنَّما قيل: «قريب» لأنَّ الرَّحمةَ والغُفرانَ والعَفْوَ بمعنىً واحدٍ، وكذلك كلُّ تأنيثٍ ليس بحقيقيٍّ. وقال الأخفشُ: جائزٌ أنْ تكون الرَّحمَةُ ها هنا في معنى المَطَرِ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ قرأ أبو عَمرٍو ونَافعٌ وابنُ عامرٍ وعَاصِمٌ: «الرِّياح» على الجَمع. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: «الرِّيح» على التَّوحيد. وقد يأتي لفظُ التَّوحيد ويُراد به الكَثْرَة كقولهم: كَثُرَ الدِّرهَمُ في أيدي الناس، ومِثْلُه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٣].

قوله تعالى: «نشراً» قرأ أبو عَمرٍو، وابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ: «نُشراً» بضمِّ النون والشين؛ أرادوا جَمْعَ نَشُورٍ، وهي الرِّيحُ الطَّيِّبةُ الهُبوب، تَهِبُّ مِنْ كلِّ ناحيةٍ وجانبٍ. قال أبو عُبيدَةَ: النشر: المُتَفَرِّقَةُ مِنْ كلِّ جانبٍ. قال أبو عَليٍّ: يحتمل أن تكون النُّشور بمعنى المُنْشِر، وبمعنى المُنْتَشِر، وبمعنى النَّاشِر؛ يقال:

---

(١) سورة هود: ٨٣. (٢) سورة الأحزاب: ٦٣. (٣) سورة العصر: ٢.

أَنْشَرَ اللَّهُ الرِّيحَ، مثل أَحيَاهَا، فَنَشَرَتْ، أي: حَيِيَتْ. والدليل على أَنَّ إِنْشَارَ الرِّيح إحيَاؤُها قولُ الفقعسي:

وهبَّتْ لَهُ رِيحُ الجَنُوبِ وأُحْيِيَتْ لَهُ رَيْدَةٌ يُحْيِي المِيَاهَ نَسِيمُهَا[1]

ويدلُّ على ذلك أنَّ الرِّيح قد وُصِفَت بالموت. قال الشاعر:

إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَمُوتَ الرِّيْحُ وأَقْعُدَ اليَوْمَ وَأَسْتَرِيْحُ

والرَّيْدَة والرَّيدَانَةُ: الرِّيحُ. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وعبدُ الوَارث، والحسَنُ البَصْرِيُّ: «نُشْراً» بالنون مضمومةً وسكونِ الشين، وهي في معنى «نُشُراً». يُقال: كُتُب وكُتْب، ورُسُل ورُسْل. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائِيُّ، وخَلَفٌ، والمُفَضَّلُ عن عَاصِم: «نَشراً» بفتح النون وسكونِ الشين. قال الفَرَّاءُ: النَّشْرُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ اللَّينةُ التي تُنشِئُ السَّحابَ. وقال ابنُ الأنبَارِي: النَّشْرُ: المُنْتَشِرَة الواسعةُ الهُبُوب. وقال أبو عليٍّ: يحتمل النَّشر أن يكون خِلاَف الطَّيِّ، كأنَّها كانت بانقطَاعِها كالمَطْوِيَّة. ويحتمل أَنْ يكون معناها ما قاله أبو عُبيدَةَ في النُّشُرِ: أنها المُتَفَرِّقَةُ في الوُجُوه؛ ويحتمل أَنْ يكون مِنَ النَّشْرِ الذي هو الحَيَاةُ، كقول الشاعر:

يَا عَجَباً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ[2]

قال: وهذا هو الوَجْهُ. وقرأ أبو رَجَاء العُطَارِدي، وإبراهيمُ النَّخعيّ، ومَسْرُوقٌ، ومُوَرِّقٌ العِجْلِي: «نَشَراً» بفتح النون والشين. قال ابنُ القَاسم: وفي النَّشَر وَجْهان: **أحدهما**: أَنْ يكون جمعاً للنُّشُور، كما قالوا: عَمُود وعَمَد، وإِهَاب وأَهَب. **والثاني**: أَنْ يكون جمعاً، وَاحدُهُ نَاشِر، يجري مجْرَى قوله: غَائِبٌ وغَيَبٌ، وَحَافِدٌ وحَفَدٌ؛ وكلُّ هؤلاءِ القُرَّاء نَوَّن الكلمةَ. وكذلك اختلافُهم في (سورة الفُرقان)[3] و (سورة النَّمل)[4]. هذه قراءاتُ مَنْ قَرَأَ بالنُّون. وقد قَرَأَ آخرون بالباء؛ فقرأ عَاصِمٌ إلاَّ المُفَضَّل: «بُشْرى» بالباء المَضمُومة وسُكُونِ الشين مثل فُعْلى. قال ابنُ الأنبَارِي: وهي جَمْعُ بَشِيْرَةٍ، وهي التي تُبَشِّر بالمَطَرِ. والأصلُ ضَمُّ الشِّين، إلاَّ أَنَّهم استَثْقَلُوا الضَّمَّتين. وقرأ ابنُ خُثَيم، وابن حَذْلَم مثلَهُ، إلاَّ أَنَّهما نَونا الراءَ. وقرأ أبو الجَوزَاء، وأبو عِمْرَانَ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: بضمِّ الباء والشِّين، وهذا على أنها جمعُ بَشِيْرَةٍ. والرَّحْمَةُ ها هنا: المَطرُ؛ سَمَّاهُ رَحمةً لأنه كان بالرَّحمة. و «أَقلَّت» بمعنى حَمَلَتْ. قال الزَّجَّاجُ: السَّحابُ: جمع سَحَابَةٍ. قال ابنُ فَارِسٍ: سُمِّي السَّحَابَ لانسِحَابِهِ في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثِقَالًا﴾ أي: بالمَاءِ. وقولُه تعالى: ﴿سُقۡنَٰهُ﴾ رَدَّ الكِنَايَة إلى لفظِ السَّحاب، ولَفْظه لَفظُ واحدٍ. وفي قوله: ﴿لِبَلَدٖ﴾ قولان: **أحدهما**: إلى بَلَدٍ. **والثاني**: لإِحيَاءِ بَلَدٍ. والمَيْتُ: الذي لا يُنْبِتُ فيه، فهو مُحتَاجٌ إلى المطر. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أَنَّ الكنايَة ترجعُ إلى السَّحاب. **والثاني**: إلى المطر، ذكرهما الزَّجَّاجُ. **والثالث**: إلى البَلَدِ، ذكره ابنُ الأنبَارِي. فأمَّا هاءُ ﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِ﴾ فتَحتَمِلُ الأقوالَ الثلاثةَ.

---

(١) **البيت غير منسوب في «اللسان» ريد، الريدة: الريح اللينة.**
(٢) **البيت منسوب لأعشى قيس، ديوانه ١٨.**
(٣) سورة الفرقان: الآية ٤٨: قوله تعالى: ﴿**بشراً بين يدي رحمته**﴾.
(٤) سورة النمل: الآية ٦٣: قوله تعالى: ﴿**بشراً بين يدي رحمته**﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: كَما أحيينَا هذا البَلَدَ. وقال مُجَاهِدٌ: نُحيي المَوتى بالمَطَرِ كما أَحْيَيْنَا البَلَد المَيْتَ به. قال ابنُ عباسٍ: يُرسل اللَّهُ تعالى بين النَّفْختين مطراً كَمَنِيِّ الرِّجال، فَيُنْبِتُ الناسَ به في قُبورهم كما نَبَتُوا في بُطون أُمَّهاتِهم.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لَعلَّ: تَرَجٍّ. وإِنَّما خُوطِب العبادُ على ما يَرْجُوه بعضُهم مِنْ بعضٍ؛ والمعنى: لَعَلَّكُم بما بَيَّنَاهُ لكم تَستَدِلُّون على توحيد الله وأنه يَبْعَثُ المَوتى.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني الأرض الطَّيِّبة التُّرْبَة، ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «يُخرِج» بضمِّ الياء وكَسْرِ الراء، «نباتَه» بنَصْبِ التاء، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ﴾ كذلك أيضاً. ورَوى أبانُ عن عَاصِمٍ: «لا يُخرِج» بضمِّ الياء وكَسْرِ الراء. والمُراد بالذي خَبُثَ: الأرضُ السَّبْخَة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ قرأ الجمهور: بفتح النُّون وكَسْرِ الكاف، وقرأ أبو جعفَرَ: «نَكَداً» بفتح الكاف. وقرأ مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيْصِنٍ: «نَكْداً» بإسكَان الكاف. قال أبو عُبيدَةَ: قليلاً عَسِيْراً في شِدَّةٍ، وأنشد:

لا تُـنْـجِـزُ الـوَعْـدَ إنْ وَعَـدْتَ وإنْ أَعْـطَـيْـتَ أعـطـيـتَ تَـافِـهـاً نَـكِـدَا[1]

قال المُفَسِّرون: هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تعالى للمؤمن والكافر؛ فالمؤمن إذا سمعَ القرآنَ وعَقَلَهُ اِنتفَعَ به وبَانَ أَثَرُهُ عليه، فشُبِّه بالبلد الطَّيِّب الذي يُمْرِعُ ويُخْصِب ويَحْسُن أثَرُ المطر عليه؛ وعَكْسُهُ الكافر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قال مُقاتلٌ: وَحِّدُوه؛ وكذلك في سائر القَصَصِ بعدَها.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قرأ الكِسَائيُّ: «غيرِه» بالخَفْضِ. قال أبو عَليٍّ: جَعَلَ غَيْراً صفةً لـ «إله» على اللفظ.

قولُه تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرأ أبو عمروٍ: «أُبْلِغكم» ساكنةَ الباء خفيفةَ اللام. وقرأ الباقون: «أُبَلِّغكم» مفتوحةَ الباء مُشَدَّدة اللام.

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يُقال: نَصَحْتُه ونَصَحْتُ له، وشَكَرْتُه وشَكَرْتُ له.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: مِنْ مَغفرَتِه لِمَنْ تَابَ عليه وعُقوبَتِه لِمَنْ أَصَرَّ. وقال مُقَاتلٌ: أعلمُ مِنْ نُزول العذاب ما لا تَعلَمُونه؛ وذلك أنَّ قومَ نُوحٍ لم يَسْمَعُوا بقومٍ عُذِّبوا قَبْلَهم.

---

(١) البيت منسوب إلى أبي عبيدة «اللسان» تفه.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذه وَاوُ العَطْفِ، دخلت عليها ألفُ الاستفهام، فبَقِيَت مفتوحةً. وفي الذِّكرِ قولان: **أحدهما**: المَوعِظَةُ. **والثاني**: البَيَانُ. وفي قوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ «على» بمعنى: «مع»، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: على لِسَان رَجُلٍ منكم، قاله ابنُ قُتَيبَة.

قوله تعالى: ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَمِيَتْ قُلوبُهم عن مَعرفةِ الله وقُدْرَتِه وشِدَّةِ بَطْشِه.

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عَادٍ ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بَشَرٌ مِثلُهم مِنْ وَلَدِ أبيهم آدَمَ. ويجوز أنْ يكون أخاهم لأنه مِنْ قومهم. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: وعادٌ قبيلةٌ مِنْ وَلَدِ سَام بن نُوحٍ؛ وإنما سمّاهُ أخاهم لأنه كان نَسِيْبَاً لهم، وهو وهم من وَلَدِ عَادِ بن عوص بن إرَمَ بن سَام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: السَّفَاهَة: الجَهل. وقال الزَّجَّاجُ: السَّفَاهة: خِفَّة الحِلْم والرأي؛ يقال: ثَوبٌ سَفِيهٌ، إذا كان خَفِيفاً. ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فكفروا به، ظَانِّين، لا مُستيقنين. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ هذا موضعُ أدبٍ للخَلْقِ في حُسن المخاطبة، فإنه دَفَع ما سَبُّوه به من السَّفَاهة بنفيه فقط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ قال الضَّحَّاكُ: أَمِينٌ على الرِّسالة. وقال ابنُ السَّائِب: كنتُ فيكم أَمِيْناً قبلَ اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ ذَكَّرَهم النِّعمة حيثُ أَهْلَكَ مَنْ كان قبلَهم، وأَسكَنَهم مَساكِنَهم. ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أي: طُولاً وقُوَّة. وقال ابنُ عباسٍ: كان أطولُهم مائةَ ذِراعٍ، وأقصرُهم ستينَ ذِراعاً. قال الزَّجَّاجُ: وآلاءُ الله: نِعَمُه؛ واحدها: إِلى. قال الشاعر:

أَبْيَضُ لا يَرْهَبُ الهُزَالَ وَلاَ يَقْطَعُ رِحْماً وَلاَ يَخُونُ إِلَى (1)

ويجوز أنْ يكون وَاحِدُها «إِلْيَاً»، «وأَلْيَ».

---

(1) البيت منسوب لأعشى قيس، ديوانه: ٢٣٥ «اللسان» ألا.

قوله تعالى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: مِنْ نزول العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أنَّ العذاب نازلٌ بنا. وقال عَطاءٌ: في نُبُوَّتك وإرسالِكَ إلينا.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي وَجَبَ عليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ قال ابنُ عباس: عذابٌ وسُخطٌ. وقال أبو عَمرو بن العَلاء: الرِّجْزُ والرِّجْسُ بمعنىً واحدٍ، قُلبت السينُ زاياً. قولُه تعالى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ يعني: الأصنام. وفي تسميتهم لها قولان: **أحدهما**: أنَّهم سمَّوها آلهةً. **والثاني**: أنَّهم سمَّوها بأسماء مُختلفةٍ. والسُّلْطان: الحُجَّة: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نُزول العذاب ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ الذي يأتيكم مِنَ العذاب في تكذيبكم إيَّاي.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ قال أبو عَمرو بن العَلاء: سُمِّيت ثَمودَ لِقلَّةِ مائِها. قال ابنُ فارسٍ: الثَّمْدُ: الماء القليل الذي لا مادَّةَ له.

قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ في إضافَتِها إليه قولان: **أحدهما**: أنَّ ذلك للتَّخصيص والتَّفضِيل، كما يُقال: بيتُ الله. **والثاني**: لأنَّها كانت بتكوينِه مِنْ غير سَبَبٍ.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: عَلامَة تدلُّ على قُدرة الله؛ وإنَّما قال: «لكم» لأنَّهم هُم الذين اِقترَحُوها، وإنْ كانت آيةً لهم ولِغيْرِهم. وفي وَجهِ كَوْنِها آيةً قولان: **أحدهما**: أنَّها خرجت مِنْ صخرةٍ مَلْساءَ، فتَمَخَّضت بها تمخُّضَ الحَامِلِ، ثمَّ اِنفلَقت عنها على الصِّفَة التي طلبوها. **والثاني**: أنَّها كانت تشرب ماءَ الوادي كُلَّه في يوم، وتَسقِيهم اللبنَ مكانَهُ.

قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ الأنباري: ليس عليكم مؤنَتُها وعلَفُها. و «تأكل» مجزومٌ على جواب الشَّرط المُقدَّر، أي: إنْ تَذَرُوها تأكُلْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾، أي: لا تُصيبوها بعقرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أَنْزَلَكُم؛ يقال: تَبوَّأ فلانٌ منزلاً: إذا نَزَلَهُ. وبوَّأتُهُ: أَنْزَلْتُه. قال الشاعر:

وبُـوِّئَـتْ فـي صَـمـيـمِ مَـعْـشَـرِهَـا ... فَـتَـمَّ فـي قَـوْمِـهـا مُـبَـوَّؤُهَـا[1]

---

(١) البيت منسوب لإبراهيم بن هرمة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٨ و «اللسان» بوأ.

أي أنزلت من الكريم في صميم النسب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ السَّهْلُ: ضدُّ الحَزَن. والقَصْرُ: ما شُيِّد وعَلاَ مِنَ المنازل. قال ابنُ عباسٍ: اتَّخذُوا القصورَ في سهول الأرض للصَّيف، ونَقَبُوا في الجبال للشِّتاء. قال وَهْبُ بنُ مَنَبِّهٍ: كان الرجل منهم يبني البُنيَان، فيمرّ عليه مائةُ سنةٍ، فيَخْرَب، ثم يُجَدِّده، فيمرّ عليه مائة سنةٍ، فيَخْرَب ثم يُجَدِّده، فيمرّ عليه مائةُ سنةٍ، فيَخْرَب؛ فأَضْجَرَهُم ذلك، فاتَّخذوا مِنَ الجبال بُيوتاً.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وقرأ ابنُ عَامرٍ «وقال الملأُ» بزيادة واوٍ؛ وكذلك هي في مَصاحِفهم. ومعنى الآية: تكبَّروا عن عِبادة الله. ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ يُريد: المَساكين. ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنْ قوله «للذين استضعفوا» لأنَّهم المؤمنون ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ أي: قتلوها. قال ابنُ قُتَيبة: والعَقْرُ يكون بمعنى: القَتْلِ.

[٥٨٧] ومنه قولهُ عليه السلام عند ذكر الشُّهداء: «مَنْ عُقِرَ جَوادُه».

وقال ابنُ إسحاقَ: كَمَن لها قَاتِلُها في أصل شجرةٍ فرَمَاهَا بسَهْم، فانتظَمَ به عَضَلة سَاقِها، ثم شَدَّ عليها بالسَّيف فكَسَرَ عُرقُوبَها، ثم نَحَرَها. قال الأزهريُّ: العَقْرُ عندَ العرب: قَطْعُ عُرقُوب البَعير، ثمَّ جُعِلَ العَقْرُ نَحراً، لأنَّ نَاحِرَ البعير يَعْقِرُه ثم يَنْحَرُه. قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا۟﴾ قال الزَّجَّاجُ: جَازُوا المِقدَارَ في الكُفر. قال أبو سُليمانَ: عَتَوا عن اتِّباع أَمْرِ رَبِّهم.

قوله تعالى: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: مِنَ العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الرَّجْفَةُ: الزَّلْزَلَةُ الشديدة.

---

[٥٨٧] حديث صحيح. أخرجه أبو داود ١٤٤٩ والنسائي ٥/ ٥٨ والدارمي ١/ ٣٣١ من حديث عبد الله بن حُبشي الخثعمي، وهو حديث صحيح. وأخرجه ابن ماجة ٢٧٩٤ من حديث عمرو بن عبسة ١٢٧٦ وأخرجه الطيالسي «منحة المعبود» ١/ ٢٤ رقم ٢٩ وعبد الرزاق في «مصنفه» ٨٤٤ والحميدي ١٢٧٦ وأحمد ٣/ ٣٠٢ و ٣٤٦ والدارمي ٢/ ٢٠٠. وأبو يعلىٰ ٢٠٨١ من حديث جابر، وهو حديث صحيح.
وذكره الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٢٩١ وقال: «رواه أبو يعلىٰ والطبراني في الأوسط ورجال أبي يعلىٰ، والصغير رجال الصحيح. واللفظ عند أبي داود: عن عبد الله بن حبشي الخثعمي، أن النبي ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل قال «طول القيام» قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال «جهد المقل» قيل فأي الهجرة أفضل؟ قال «من هجر ما حرم الله عليه» قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من جاهد المشركين بماله ونفسه» قيل: فأي القتل أشرف؟ قال «من أهريق دمه وعقر جواده».

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في مَدِينَتِهم. فإنْ قيل: كيف وَحَّدَ الدَّارَ ها هُنا، وجمعها في موضعٍ آخر، فقال: ﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾[1]؟ فعنه جوابان، ذكرهما ابنُ الأنبارِي:

أحدهما: أنه أراد بالدَّار: المُعَسْكَر، أي: فأصبحوا في مُعَسْكَرِهم. وأراد بقوله: في دِيَارِهم: المنازل التي يَنفرد كلُّ واحدٍ منها بمَنزل.

والثاني: أنه أراد بالدار: الدِّيَار، فاكتفى بالوَاحد مِنَ الجميع، كقول الشاعر:

كُـلُـوا فـي نِـصْـفِ بِـطْـنِـكُـم تَـعِـيـشُـوا

وشَواهد هذا كثيرةٌ في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿جَٰثِمِينَ﴾ قال الفَرَّاءُ: أصبَحُوا رَمَاداً جاثِماً. وقال أبو عُبَيْدَة: أي: بعضُهم على بعضٍ جُثُومٌ. والجُثُوم للناس والطَّير بمنزلة البُرُوكِ للإِبل. وقال ابنُ قُتَيبَة: الجُثُومُ: البُرُوك على الرُّكَب. وقال غيرُه: كأنهم أصبَحوا موتى على هذه الحَال. وقال الزَّجَّاجُ: أصبحوا أجساماً مُلْقَاةً في الأرض كالرَّماد الجَاثِم. قال المُفسِّرون: معنى «جاثمين»: بعضُهم على بعضٍ، أي: إنهم سَقَطَ بعضُهم على بعضٍ عند نزول العذاب.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ يقول: اِنْصرَفَ صالحٌ عنهم بعد عَقْرِ النَّاقة، لأنَّ الله تعالى أوحى إليه أن اخرُجْ مِنْ بين أَظْهُرِهم، فإني مُهلِكُهم. وقال قَتادَةُ: ذكر لنا أنَّ صَالِحاً أسمعَ قومَه كما أسمع نبيُّكم قومَه، يعني: بعدَ موتهم.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يعني إتيَانَ الرِّجال. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ قال عَمرُو ابن دِينَار: ما نَزَا ذَكَرٌ على ذَكَرٍ في الدينا حتى كان قومُ لُوطٍ. وقال بعضُ اللغويين: لُوطٌ: مشتقٌّ مِنْ لطْتُ الحَوضَ: إذا مَلَّستَهُ بالطِّين. قال الزَّجَّاجُ وهذا غلطٌ، لأنه اسمٌ أعجميٌّ كإسحاقَ، ولا يُقال: إنه مُشتَقٌّ مِنَ السُّحقِ وهو البُعد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ هذا استفهامُ إنكَارٍ. والمُسْرِف: المُجَاوِز ما أُمِرَ به. وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾ يعني: لُوطاً وأتباعَه المؤمنين ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يتنزَّهون عن أَدْبَار الرجالِ وأدبارِ النِّساء.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

---

(١) سورة هود: ٦٧.

قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ في أَهْلِهِ قولان: **أحدهما**: إبنتاهُ. **والثاني**: المؤمنون به. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في عذاب الله تعالى: قال أبو عُبيدَة: وإنَّما قال: «مِنَ الغابرين» لأنَّ صِفَةَ النِّساء مع صِفَة الرِّجال تُذكَّر إذا أُشرِكَ بينهما.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ قال ابنُ عباس: يعني: الحِجَارة. قال مُجاهدٌ: نزل جِبْريلُ فأدخلَ جَنَاحَهُ تحتَ مَدائِن قوم لُوطٍ ورَفَعَها ثم قَلَبَها فجعلَ أعلاَها أَسْفَلَها ثم أُتبِعوا بالحِجارة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ قال قَتادَةُ: مَدْيَنُ: ماءٌ كان عليه قومُ شُعَيب، وكذلك قال الزَّجَّاجُ، وقال: لا يَنصَرِف، لأنه اسمُ البُقعَةِ. وقال مُقاتِلٌ: مَدْيَنُ: هو ابنُ إبراهيمَ الخَليل لِصُلْبِه. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: مَدْيَنُ: هو ابنُ مديان بن إبراهيمَ، والمعنى: أرسلنا إلى وَلَدِ مَدْيَنَ، فعَلَى هذا: هو اسمُ قَبيلةٍ. وقال بعضُهم: هو اسمٌ للمدينة. فالمعنى: وإلى أهلِ مَدْيَن. قال شيخنا أبو مَنصور اللُّغَويُّ: مَدْيَنُ اسمٌ أعجميٌّ. فإن كان عربياً، فالياء زائدةٌ، مِنْ قولهم: مَدَنَ بالمكان: إذا أَقامَ به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: البَخْس: النَّقْصُ والقِلَّة؛ يُقال: بَخَسْتُ أَبْخَسُ؛ بالسين، وبَخَصْتُ عَيْنَهُ، بالصاد لا غير. ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أنْ أصلَحَها الله بالأَمْرِ بالعدل، وإرسَالِ الرُّسل.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مُصَدِّقين بما أخبرتُكم عن الله.

﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ أي: بكلِّ طريقٍ ﴿تُوعِدُونَ﴾ مَن آمن بشعيبٍ بالشرِّ، وتُخوِّفونهم بالعذاب والقَتْل. فإنْ قيل: كيف أفردَ الفعلَ، وأَخْلاَهُ مِنَ المفعول؛ فهلاً قال: تُوعِدون بكذا؟ فالجواب: أَنَّ العرب إذا أَخْلَتْ هذا الفعلَ مِنَ المفعول، لم يَدُلَّ إلاَّ على شرٍّ؛ يقولون: أَوْعَدتُ فلاناً. وكذلك إذا أَفردُوا: وَعَدْتُ مِنْ مفعولٍ، لم يدلَّ إلاَّ على الخير. قال الفَرَّاءُ: يقولون: وَعدته خيراً، ووَعدتُه شرَّاً؛ فإذا أسقطوا الخيرَ والشرَّ، قالوا: وَعدتُه: في الخير، وأَوعدتُه: في الشرِّ؛ فإذا جاؤوا بالباء، قالوا: وَعدتُه بالشرِّ، وقال الراجزُ:

أَوْعَـدَنـي بِـالـسِّـجْـنِ والأداهِـمِ[1]

قال المُصنِّف: وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللُّغويّ، قال: إذا أرادوا أَنْ يَذْكُروا ما تهدَّدوا به مع أَوعدتُ، جاؤوا بالباء، فقالوا: أَوعَدتُه بالضَّرب، ولا يقولون: أوعدتُه الضَّربَ. قال السُّدِّيّ: كانوا

---

(١) البيت في «اللسان» غير منسوب: وعد. وعجزه [رجلي، ورجلي شثنة المناسم].

عشّارين. وقال ابن زَيدٍ: كانوا يقطعون الطَّريقَ.

قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: تَصرِفون عن دِين الله مَنْ آمَنَ به. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مُفسَّرٌ في (آل عِمران)[1].

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: جائزٌ أنْ يكون المعنى: جَعلَكُم أغنياء بعد أنْ كنتم فقراءَ؛ وجائزٌ أنْ يكون: كَثَّرَ عَددَكم بعد أن كنتم قليلاً، وجائزٌ أنْ يكونوا غير ذَوي مَقدرةٍ وأقدارٍ، فكثَّرهم.

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: إنِ اختلفتم في رِسَالتي، فصِرتُم فريقَين، مُصدِّقين ومُكذِّبين ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المُكذِّبين، وإنجاء المُصدِّقين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه العَدْلُ الذي لا يَجوز.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ يَعنون دِيننا، وهو الشِّرك. قال الفَرَّاءُ: جعلَ في قوله: «لتعودن» لاماً كجواب اليَمين، وهو في معنى شَرطٍ؛ ومِثلُه في الكلام: والله لأَضربنَّك أو تُقِرَّ لي، فيكون معناه معنى: «إلاَّ»، أو معنى: «حتى». ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أي: أوَ تُجبروننا على مِلَّتِكم إنْ كَرِهناها؟! والألف للاستفهام. فإنْ قيل: كيف قالوا: «لَتَعُودنَّ»، وشُعيبٌ لم يكن في كُفرٍ قطُّ، فيعود إليه؟ ففيه جوابان: **أحدهما**: أنَّهم لمَّا جَمَعوا في الخِطاب معه مَنْ كان كافراً، ثم آمَنَ، خاطبوا شُعَيباً بخطاب أتباعه، وغَلَّبوا لَفظَهم على لَفظِه، لِكَثرتِهم، وانفرادِه. **والثاني**: أنَّ المعنى: لَتَصيرُنَّ إلى مِلَّتنا؛ فوقع العَود على معنى الابتداء، كما يُقال: قد عاد عليَّ مِنْ فُلانٍ مَكروهٌ، أي: قد لَحِقَني منه ذلك؛ وإنْ لم يَكُن سبق منه مَكروهٌ. قال الشاعر:

فإنْ تَكُنِ الأيّامُ أحْسَنَّ مَرَّةً إليَّ فَقَدْ عادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ[2]

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في (سورة البقرة)[3]. وقد ذكر معنى الجوابين الزَّجَّاجُ، وابنُ الأنْبَاريِ.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا

---

(١) سورة آل عمران: ٩٩.

(٢) البيت تقدم في سورة البقرة.

(٣) سورة البقرة: ٢١٠. قوله تعالى: **﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾**.

فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ وذلك أنَّ القومَ كانوا يَدَّعون أَنَّ الله أَمَرَهُم بما هُم عليه، فلذلك سَمَّوه مِلَّةً. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي: في المِلَّة، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلاَّ أنْ يكون قد سَبَق في عِلم الله وَمشيئَتِه أَنْ نعودَ فيها، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَعلمُ ما يكون قبلَ أنْ يكون.

قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أي: فيما تَوعَّدتُمونا به، وفي حِرَاسَتنا عن الضَّلال. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ قال أبو عُبيدَة: أحكُمْ بينَنا، وأنشد

ألاَ أَبْـلِـغْ بَـنِـي عُـصْـمٍ رَسُـولاً ... بـأنِّـي عَـنْ فُـتَـاحَـتِـكُـمْ غَـنِـيُّ[1]

قال الفَرَّاءُ: وأهلُ عُمَان يسمُّون القاضي: الفَاتِح والفَتَاح. قال الزَّجَّاجُ: وجائزٌ أنْ يكون المعنى: أَظْهِرْ أَمرَنا حتى يَنْفتِحَ ما بيننا ويَنكَشِفَ؛ فجائزٌ أنْ يكونوا سألوا بهذا نزولَ العذاب بقومهم لِيَظْهَرَ أنَّ الحقَ معهم.

قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: كأنْ لم يَعيشُوا في دَارِهم، قاله ابنُ عباسٍ، والأَخفَشُ. قال حَاتِمُ طَيْءٍ:

غَـنِـيْـنَـا زَمَـانـاً بـالـتَّـصَـعْـلُـكِ وَالـغِـنَـى ... فَـكُـلاً سَـقَـانَـاه بـكـأسَـيْـهِـمَـا الـدَّهْـرُ[2]

فَـمَـا زَادَنَـا بَـغْـيـاً عَـلَـى ذِي قَـرَابَـةٍ ... غِـنَـانَـا، ولا أَزْرَى بـأحْـسَـابِـنَـا الـفَـقْـرُ[3]

قال الزَّجَّاجُ: معنى غَنِيْنَا: عِشنَا. والتَّصَعلُكُ: الفقر، والعربُ تقول للفقير: الصُّعلُوك.

والثاني: كأنْ لم يَتنعَّموا فيها، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: كأنْ لم يكونوا فيها، قاله ابنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ.

والرابع: كأنْ لم يَنزِلوا فيها، قاله الزَّجَّاجُ. قال الأَصمعيُّ: المَغَانِي: المَنازِل، يُقال: غَنِيْنَا بمكانِ كذا، أي: نَزَلْنَا به. وقال ابنُ قُتَيبَة: كأنْ لم يُقيموا فيها، ومعنى: غَنِيْنَا بمكانِ كذا: أَقَمْنا. قال ابنُ الأَنبَارِي: وإنما كرَّر قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ للمُبالغة في ذَمِّهم؛ كما تقول: أخوكَ الذي أَخَذَ أموالَنا، أخوكَ الذي شَتَم أعرَاضَنا.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أَعرَضَ. **والثاني**: انصَرفَ. ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ قال قَتادَةُ: أَسمَعَ شعيبٌ قومَه، وأَسمَعَ صالحٌ قومَه؛ كما أَسمَعَ نَبيُّكم قومَه يومَ بدرٍ، يعني: أنه خاطبهم بعدَ الهلاك. ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أي: أَحزَنُ. وقال أبو إسحَاقَ: أصاب شُعيباً على قومه حُزنٌ شديدٌ، ثم عاتَبَ نَفْسَهُ، فقال: كيفَ آسَى على قومٍ كافرين.

---

(١) البيت منسوب إلى أبي عبيدة في «اللسان» فتح.

(٢) البيتان منسوبان إلى حاتم طيء في «ديوان حاتم». ١١٩.

(٣) في «الديوان» و «الخزانة»: «فما زادونا بأواً». والبأو: الكبر والفخر.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ قال الزَّجَّاج: يُقال لكل مَدينةٍ: قرية، لاجتماع الناس فيها. وقال غيره: في الآيةِ اختِصارٌ، تقديره: فكَذَّبوه. ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ وقد سبَقَ تفسيرُ البَأْساءِ والضَّرَّاءِ في سُورة الأنعام، وتفسيرُ التَّضرُّعِ في هذه السورة. ومقصودُ الآية: إعلامُ النبيِّ ﷺ بسُنَّةِ الله في المُكذِّبين، وتَهديدُ قُريشَ.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ فيه قولان: **أحدها**: أنَّ السَّيئةَ: الشِّدةُ؛ والحَسنةُ: الرَّخاءُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: السَّيئةُ: الشَّرُّ؛ والحسَنةُ: الخيرُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ قال ابنُ عباسٍ: كَثُروا، وكَثُرتْ أموالُهم. ﴿وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ فنحنُ مِثلُهم يُصيبنا ما أصابَهم، يعني: أنَّهم أرادوا أنَّ هذا دأبُ الدَّهرِ وليس بعُقوبةٍ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأةً بنُزول العذاب ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنُزولِه حتى أهلكَهُم. قوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أتاهم الغيثُ مِنَ السماء، والنَّباتُ مِنَ الأرض، وجعلَ ذلك زاكِياً كثيراً.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ونافعٌ: «أَوْ أَمِنَ أهلُ» بإسكان الواو. وقرأ عَاصمٌ، وأبو عَمرو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بتحريك الواو. وروى وَرْشٌ عن نافع: «أو امِنَ» يُدغِمُ الهمزةَ، ويُلْقِي حَرَكتَها على السَّاكِنِ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ وقرأ يَعقوبُ: «نَهْدِ» بالنون، وكذلك في (طه)[1]، و(السجدة)[2]. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالياء، فالمعنى: أَوَ لَم يُبيِّن اللَّهُ لهم. ومَنْ قرأ بالنون، فالمعنى: أَوَ لَمْ نُبيِّن. وقوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ليس بمَحمولٍ على «أصبناهم»، لأنَّه لو حُمِلَ على «أصبناهم» لَكانَ: ولَطَبَعنا. وإنَّما المعنى: ونحنُ نَطبَعُ على قلوبهم. ويجوز أنْ يكون مَحمُولاً على الماضي،

---

(١) سورة طه: ١٢٨. (٢) سورة السجدة: ٢٦.

ولفظُه لفظُ المُستقبل، كما قال: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾، والمعنى: لو شِئنا. وقال ابنُ الأَنْبارِي: يجوز أَنْ يكون معطوفاً على: أَصَبْنَا، إذ كان يمعنى نُصِيبُ؛ فوضعَ الماضي في مَوضع المُستقبل عند وضُوحِ معنى الاستقبالِ، كما قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾[١] أي: إنْ يَشَأ، يدلُّ عليه قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾، قال الشاعر:

إنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طارُوا بِهَا فَرَحاً ... مِنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا[٢]

أي: يَدْفِنوا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يَقْبَلون، ومنه: «سمع الله لمن حمده»، قال الشاعر:

دَعَوْتُ الله حَتَّى خِفْتُ أَنْ لاَ ... يَكُوْنَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ[٣]

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[٤]: **أحدها**: فما كانوا لِيُؤمنوا عند مَجِيءِ الرُّسل بما سَبَقَ في عِلم الله أنهم يُكذِّبون به يومَ أَقَرُّوا له بالمِيثاقِ حين أَخْرَجَهم مِنْ صُلبِ آدمَ، هذا قول أُبَيّ بن كَعبٍ. **والثاني**: فما كانوا لِيُؤمنوا عند إرسَال الرُّسل بما كَذَّبوا به يومَ أَخْذَ مِيثَاقَهُم حين أَخرَجَهُم مِنْ صُلبِ آدمَ، فآمنوا كَرْهاً حيث أَقَرُّوا بالأَلسُن، وأَضمَرُوا التَّكذيبَ، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: فما كانوا لو رَدَدْنَاهُم إلى الدنيا بعد موتهم لِيُؤمنوا بما كَذَّبوا به مِنْ قبلِ هَلاكِهم، هذا قولُ مُجاهِدٍ. **والرابع**: فما كانوا لِيُؤمنوا بما كَذَّب به أَوائلُهم مِنَ الأُمَمِ الخَالِيةِ، بل شَارَكُوهم في التَّكذيب، قاله يَمَانُ بنَ رَبابَ. **والخامس**: فما كانوا لِيُؤمنوا بعد رُؤيَةِ المُعجزَاتِ والعَجائبِ بما كَذَّبوا قبلَ رُؤيتِهَا.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ قال مُجاهدٌ: يعني: القُرونَ الماضية. ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: وَفاءٍ. قال ابنُ عباسٍ: يريد الوَفاءَ بالعَهْدِ الذي عَاهدَهم حين أَخرَجَهم مِنْ صُلب آدمَ. وقال الحسنُ: العهدُ ها هنا: ما عَهِدَه إليهم مع الأنبياء أنْ لا يُشركوا به شيئاً.

---

(١) سورة الفرقان: ١٠.

(٢) البيت منسوب لقعنب بن أم صاحب وهو في «الحماسة» ٤/ ١٢.

(٣) البيت غير منسوب في «اللسان»: سمع.

(٤) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٣: وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب، القول الذي ذُكر عن أبي ابن كعب والربيع وذلك أن من سبق علم الله تبارك وتعالىٰ أنه لا يؤمن به، فلن يؤمن أبداً وقد كان سبق في علم الله تبارك وتعالى لمن هلك من الأمم التي قص نبأهم في هذه السورة، أنه لا يؤمن أبداً، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه. قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم. ولو قيل: تأويله: فما كان هؤلاء الذين ورثوا الأرض، يا محمد، من مشركي قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوا عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده، كان وجهاً ومذهباً غير أني لا أعلم قائلاً قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن. وأما الذي قاله مجاهد من أن معناه: لو ردوا ما كانوا ليؤمنوا، فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا من خبر عن الرسول صحيح، وإذا كان ذلك كذلك فأولى منه بالصواب ما كان عليه التنزيل دليل. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾ قال أبو عُبيدَة: وما وجدنا أكثرَهم إلاَّ الفاسقين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ
﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ
قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يعني: الأنبياء المذكورين.

قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: فكذَّبوا بها. وقال غيرُه: فجحدُوا بها.

قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ «على» بمعنى الباء. قال الفرَّاءُ: العربُ تجعل الباءَ في موضع «على»؛ تقول: رميتُ بالقَوسِ، وعلى القَوسِ، وجئتُ بحالٍ حسنةٍ، وعلى حالٍ حسنةٍ. وقال أبو عُبيدَة: «حَقِيقٌ» بمعنى: حَرِيصٌ. وقرأ نافعٌ، وأبَانٌ عن عاصم: «حقيقٌ عليَّ» بتشديدِ الياء وفَتحِها، على الإضافة. والمعنى: وَاجِبٌ عليَّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: العَصَا. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أَطْلِقْ عنهم؛ وكان قد استخدَمَهم في الأعمال الشَّاقَّة. ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ قال أبو عُبيدَة: أي: حَيَّةٌ ظاهرةٌ. قال الفرَّاءُ: الثُّعبان: أعظمُ الحَيَّات، وهو الذَّكَرُ. وكذلك روى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ: الثُّعبانُ: الحَيَّةُ الذَّكَرُ.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ
أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟
صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أَدْخَلَ يدَهُ في جَيْبِه، ثم أَخرَجَها، فإذا هي تَبْرُقُ مثلَ البَرْقِ، لها شُعاعٌ غَلَبَ نُورَ الشَّمس، فَخرُّوا على وجُوهِهم؛ ثم أَدْخَلَها جَيبَهُ فصارت كما كانت. قال مُجاهِدٌ: بيضاءُ مِنْ غير بَرَصٍ.

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ما الذي تُشيرونَ به عليَّ؟ وهذا يدلُّ على أنه مِنْ قول فِرعَونَ، وأنَّ كلامَ المَلأ انقطَعَ عند قوله: ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. قال الزَّجَّاجُ: يجوز أن يكون مِنْ قولِ المَلأ، كأنَّهم خَاطَبوا فِرعَونَ ومَنْ يَخُصُّه، أو خاطَبوه وَحدَهُ؛ لأنه قد يُقال للرَّئيس المُطاع: ماذا تَرَونَ؟

قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ «أرجئهو» مهموز بواوٍ بعد الهاء في اللفظ. وقرأ ابنُ عَمرو مِثلَهُ، غير أنه يَضُمُّ الهاءَ ضمَّةً، مِنْ غير أنْ يَبلُغَ بها الواو؛ وكانا يَهْمِزان: «مُرجؤن» و «ترجئ» وقرأ قَالُونُ والمُسَيَّبي عن نَافع «أرجهِ» بكسر الهاء، ولا يَبْلُغُ بها الياءَ، ولا يَهمِزُ. ورَوى عنه وَرْشٌ: «أرجهي» يَصِلُها بياءٍ، ولا يَهمِزُ بين الجيم والهاء. وكذلك قال إِسمَاعيلُ بن جعفر عن نَافعٍ، وهي قراءةُ الكِسَائيِّ. وقرأ حَمزَةُ: «أرجهْ» ساكنةَ الهاء غير مهموزٍ، وكذلك قرأ عَاصِمٌ في غير رواية المُفضَّل، وقد رَوى عنه المُفضَّلُ كَسْرَ الهاء مِنْ غير إشباع ولا هَمْزٍ، وهي قراءةُ أبي جعفرَ، وكذلك اختلافُهم في سورة (الشُّعراء)(١). قال ابنُ قُتيبةَ: أرْجِهْ: أَخِّرْهُ؛ وقد يُهمَزُ، يقال: أَرجَأْتُ الشيءَ، وأَرْجَيتُه. ومنه قوله: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾(٢). قال الفرَّاءُ: بَنُو أَسَدٍ تقول: أَرْجَيتُ الأمرَ، بغير هَمزٍ، وكذلك عامَّةُ قَيسٍ؛ وبعضُ بني تَمِيم يقولون: أرجَأْتُ الأمرَ، بالهَمزِ، والقُرَّاءُ مُولَعُون بهمزِها، وَتَرْكُ الهمزِ أجودُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ﴾ يعني مَدائِنَ مِصر، ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي: مَنْ يَحشُرُ السَّحرَةَ إليك ويَجمَعُهم. وقال ابنُ عباسٍ: هُمُ الشُّرَطُ. قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ: «ساحِر»؛ وفي (يُونس): ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾(٣)؛ وقرأ حَمزَةُ؛ والكِسَائيُّ: «سَحَّارٍ» في المَوضِعَين؛ ولا خِلافَ في (الشُّعراء) أنَّها: ﴿سَحَّارٍ﴾(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وحَفصٌ عن عَاصم ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مكسورةَ الألف على الخَبرِ، وفي (الشُّعراء): «آينَّ» مَمدُودةً مفتوحةَ الألف، غير أنَّ حَفصاً روى عن عَاصم في (الشُّعراء): «أإن»(٥) بهَمْزَتَين. وقرأ أبو عَمرٍو: «آين لنا» ممدودةً في السُّورتين. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: بهَمزَتَين في المَوضِعين. قال أبو عليٍّ: الاستفهامُ أشبَهُ بهذا المَوضع، لأنَّهم لم يَقطَعُوا على أنَّ لهم الأَجرَ، وإنّما استَفْهَمُوا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: ولَكُم مع الأَجرِ المنزلةُ الرَّفيعةُ عندي.

قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: عَشَّوْا أعيُنَ الناس وأَخذُوها. ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خَوَّفوهم. وقال الزَّجَّاجُ: استدعَوا رَهبَتَهم حتى رَهِبَهُمُ الناسُ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ وقرأ كعَاصِمٌ: ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنةَ اللام، خفيفةَ القافِ ها هنا وفي (طه)، و (الشُّعراء). وروى البزِّيُّ. وابنُ فُلَيحٍ عن ابن كَثيرٍ: «تَلَقَّفُ» بتشديد التاء. قال الفَرَّاءُ: يقال: لَقِفْتُ الشيءَ، فأنا أَلْقَفُه لَقْفاً ولَقَفاناً؛ والمعنى: تَبْتَلِع.

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: يَكذِبُون، لأنَّهم زَعموا أنَّها حيَّاتٌ.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: اِستَبَانَ. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ مِنَ السِّحرِ.

الإشارة إلى قِصَّتهم

اختلفوا في عَدَدِ السَّحَرَةِ على ثلاثة عشرَ قولاً. **أحدها**: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: اثنان وسبعون ألفاً، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً، وبه قال مُقَاتِلٌ. **والثالث**: سبعون،

(١) سورة الشعراء: ٣٦. (٢) سورة الأحزاب: ٥١. (٣) سورة يونس: ٧٩.
(٤) سورة الشعراء: ٣٧. (٥) سورة الشعراء: ٤١.

رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والرابع**: اثنا عشر ألفاً، قاله كَعبٌ. **والخامس**: سبعون ألفاً، قاله عَطاءٌ، وكذلك قال وَهْبٌ في روايةٍ، إلاّ أنه قال: فاختارَ منهم سبعةَ آلافٍ. **والسادس**: سبعمائةٍ. وروى عبد المُنعم بن إدريسَ عن أبيه عن وَهْبٍ أنه قال: كان عددُ السَّحرَةِ الذين عَارَضوا موسى سبعينَ ألفاً مُتخيَّرين مِنْ سبعمائة ألفٍ، ثم إنَّ فِرعَونَ اختارَ مِنَ السَّبعينَ الألفَ سبعَمائةٍ. **والسابع**: خمسةٌ وعشرون ألفاً، قاله الحَسنُ. **والثامن**: تسعمائةٍ، قاله عِكرمَةُ. **والتاسع**: ثمانونَ ألفاً، قاله محمَّدُ بن المُنكَدِر. **والعاشر**: بِضعةٌ وثلاثون ألفاً، قاله السُّدِّيّ. **والحادي عشر**: خمسة عشرَ ألفاً، قاله ابنُ إسحاقَ. **والثاني عشر**: تسعة عشرَ ألفاً، رواه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثالث عشر**: أربعُ مائةٍ، حكاه الثَّعلَبيُّ. فأمّا أسماءُ رُؤسائِهم، فقال ابنُ إسحَاقَ: رؤوس السَّحرَة سَاتور، وعَاذُور، وحُطحُط، ومُصَفًّى، وهمُ الذين آمَنُوا، كذا حكاه ابن مَاكُولا. ورأيتُ عن غير ابن إسحَاقَ: سَابوراً، وعَازُوراً. وقال مُقاتِلٌ: اسمُ أكبرِهم. شمعون. قال ابنُ عباسٍ: أَلْقوا حِبالاً غِلاظاً، وخُشُباً طِوالاً، فكانت مِيْلاً في مِيْلٍ، فألقى موسى عَصَاهُ، فإذا هي أعظمُ مِنْ حِبالِهم وعِصِيِّهم، قد سَدَّتِ الأُفُقَ، ثم فتحت فَاهَا ثمانينَ ذِرَاعاً، فابتلَعتْ ما أَلْقوا مِنْ حِبالهم وعِصيِّهم، وجعلت تأكلُ جميعَ ما قَدِرتْ عليه مِنْ صخرةٍ أو شجرةٍ، والناسُ ينظرون، وفِرعَونُ يضحك تَجلُّداً، فأقبلت الحيَّة نحوَ فِرعَونَ، فصَاحَ: يا موسى، يا موسى؛ فأَخذَهَا موسى، وعَرفت السَّحَرَةُ أنَّ هذا مِنَ السماء، وليس هذا بسحرٍ، فَخَرُّوا سُجَّداً، وقالوا آمَنَّا بربِّ العَالَمين، فقال فِرعَونُ: إيَّايَ تعنُون؟ فقالوا: رَبِّ موسى وهارونَ، فأصبحوا سَحَرَةً، وأَمْسَوا شُهداءَ. وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ. لمَّا صارت ثُعباناً حَمَلتْ على الناس فانهزَمُوا منها، فقتلَ بعضُهم بعضاً، فماتَ منهم خمسةٌ وعشرون ألفاً. وقال السُّدِّيُّ: لَقِيَ موسى أميرَ السَّحَرَة، فقال: أرأيتَ إنْ غلبتُكَ غداً، أتُؤمن بي؟ فقال السَّاحرُ: لآتينَّ غداً بسِحرٍ لا يغلبه السِّحرُ، فوالله لَئِنْ غلبتني لأُومِنَّن بك.

فإنْ قيل: كيف جازَ أنْ يأمُرَهم موسى بالإلقاء، وفِعْلُ السِّحرِ كفرٌ؟ فعنه ثلاثة أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ مضمونَ أَمْرِهِ: إنْ كنتم مُحِقِّين فَأَلْقُوا. **والثاني**: أَلْقُوا على ما يَصِحُّ، لا على ما يَفسدُ ويَستحيلُ، ذكرهما المَاوَردي. **والثالث**: إنَّما أمَرَهم بالإلقاءِ لِتكونَ مُعجزتُه أظهرَ، لأنَّهم إذا أَلقوا، أَلْقَى عَصَاهُ فابتلعت ذلك، ذكره الوَاحِديُّ.

فإنْ قيل: كيف قال: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾، وإنَّما سَجدُوا باختيارِهم؟ فالجوابُ: أنه لمَّا زالت كلُّ شُبهةٍ بما أظهرَ اللَّهُ تعالى مِنْ أَمْرِهِ، اضطَرَّهم عظيمُ ما عَاينُوا إلى مُبادَرةِ السُّجود، فصاروا مَفعُولين في الإلقاءِ تَصحيحاً وتعظيماً لشأن ما رَأوا مِنَ الآيات، ذكره ابنُ الأنبَاري. قال ابنُ عباسٍ: لمَا آمَنتِ السَّحَرَةُ، اتَّبع موسى ستُمائة ألفٍ من بَني إسرائيل.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ قرأ نَافعٌ، وابنُ عَامرٍ، وأبو عَمرٍو: «ءآمنتم به» بهمزةٍ ومَدَّةٍ على الاستفهام. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: «أآمنتم به»فاستَفْهَمُوا بهمزتَين، الثانية ممدودةٌ. وقرأ حَفصٌ عن عَاصمٍ: «آمنتم به» على الخَبرِ. وروى ابنُ الإخرِيط عن ابن كَثيرٍ: «قال

فرعون وامنتم به» فقلبَ همزةَ الاستفهام وَاواً، وجعلَ الثانيةَ مُلَيَّنة بينَ بَيْن. وروى قنبلُ عن القَوَّاسِ مثلَ رواية ابن الإخريط، غير أنَّه كان يَهمزُ بعدَ الواو. وقال أبو عليٍّ: هَمْزٌ بعدِ الواو، لأنَّ هذه الواو مُنقلبةٌ عن همزة الاستفهام، وبعدَ همزة الاستفهام همزةُ «أفعَلْتُم» فحقَّقَها ولم يُخفِّفها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ قال ابنُ السَّائِب: لَصَنِيعٌ صَنَعتُمُوه فيما بينكم وبينَ موسى في مِصر قبل خُروجِكم إلى هذا المَوضع لِتَسْتَولُوا على مِصر فَتُخرِجوا منها أهلَها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ ما صَنعتُم، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ وهو قَطْعُ اليَدِ اليُمنى، والرِّجل اليُسرى. قال ابنُ عباسٍ: أوَّلُ مَنْ فعلَ ذلك، وأوَّلُ مَنْ صَلَبَ، فِرعونُ.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ أي: وما تَكرَهُ مِنَّا شيئاً، ولا تطعنُ علينا إلاَّ لأنَّا آمنَّا. ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ قال مُجاهِدٌ: على القَطعِ والصَّلْبِ حتى لا نَرجِعَ كُفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: مُخلِصين على دِين موسى.

قوله تعالى: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ هذا إغراءٌ مِنَ المَلإِ لِفرعَونَ. وفيما أرادوا بالفَساد في الأرضِ قولان: **أحدهما**: قَتْلُ أبناء القِبْطِ، واستِحياءُ نسائِهم، كما فعلوا ببَني إسرائيلَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: دُعاؤهم الناسَ إلى مُخالَفةِ فِرعَونَ وتَرْكِ عِبادته. قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ جمهور القُرَّاء على نَصبِ الراء؛ وقرأ الحسَنُ برَفعها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصبَ «ويذرك» نَصبَهُ على جواب الاستفهام بالواو؛ والمعنى: أيكونُ منكَ أنْ تَذَرَ موسى وأنْ يَذَرَكَ؟ ومَنْ رفعَهُ جعَلَهُ مُستأنفاً، فيكون المعنى: أتَذرُ موسى وقومَهُ، وهو يَذَرُكَ وآلِهَتَكَ، والأجودُ أنْ يكون معطوفاً على «أتذر» فيكون المعنى: أتَذرُ موسى، وأيَذَرُكَ موسى؟ أي: أتُطْلِقُ له هذا؟ قوله تعالى: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان فِرعَونُ قد صنع لِقومِهِ أصناماً صِغاراً، وأمَرَهم بعبادتها، وقال أنا ربُّكم وربُّ هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. وقال غيره: كان قومُه يتعبَّدون تلك الأصنام تَقرُّباً إليه. وقال الحسَنُ: كان يَعبدُ تَيساً في السِّرِّ. وقيل: كان يَعبدُ البقرَ سِرّاً. وقيل: كان يجعل في عُنقه شيئاً يَعبُده. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بن جُبَير، ومُجاهدٌ، وأبو العَالِية، وابنُ مُحَيصن: «وإلاهتك» بكسر الهمزة وقَصْرِها وفَتْح اللام وبألِفٍ بعدها. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ويَذَرَك ورُبوبيَّتَكَ وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الإِلاَهَةُ: العِبادةُ؛ فالمعنى: ويَذَرَكَ وعبادةَ الناس إيَّاكَ. قال ابنُ قُتيبة: مَنْ قرأ: «وإلاهَتَكَ» أراد: ويَذَرَكَ والشمسَ التي تَعبُد، وقد كان في العربِ قومٌ يعبدون الشمسَ ويُسمُّونها إلهةَ. قال الأعشى:

فَمَا أَذْكُرُ الرَّهْبَ حَتَّى انْقَلَبْتُ ... قُبَيْلَ الإِلَهَةِ مِنْهَا قَرِيبَا

يعني الشمس، والرَّهْبُ: نَاقتُه. يقول: اشتغلتُ بهذه المرأةِ عن نَاقتي إلى هذا الوَقتِ.

قوله تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ قرأ أبو عَمرو، وعَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «سَنُقَتِّل»

و «يقتّلون أبناءكم» بالتشديد، وخفّفهُما نافعٌ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «سنَقْتُلُ» خفيفةً، و «يقتّلون» مُشددةً، وإنّما عَدَلَ عن قَتْلِ موسى إلى قَتْلِ الأبناء لِعِلْمِهِ أنه لا يَقْدِرُ عليه. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ أي: عالُون بالمُلك والسُّلطان. فشَكا بنو إسرائيلَ إعادةَ القَتْلِ على أبنائهم، فقال موسى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على ما يُفعَلُ بكم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾. وقرأ الحسَنُ، وهُبيرةُ عن حَفصٍ عن عَاصم: «يورِّثُها» بالتَّشديد. فأطمَعَهُم موسى أنْ يُعطيَهم اللّهُ أرضَ فِرعَونَ وقومِهُ بعدَ إهلاكِهم.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: الجنَّة. **والثاني**: النَّصرُ والظَّفرُ.

﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ في هذا الأذى ستةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الأذى الأوّلَ والثاني أخذُ الجِزيةِ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ الأوَّلَ ذَبحُ الأبناء، والثاني إدراكُ فِرعَونَ يومَ طَلَبهم، قاله السُّدّيّ. **والثالث**: أنَّ الأوّلَ أنهم كانوا يُسخَّرون في الأعمال إلى نصف النَّهار، ويُرسلون في بقيَّته يكتسبون. والثاني تَسخِيرُهم جميع النهار بلا طعام ولا شرابٍ، قاله جُويبرٌ. **والرابع**: أنَّ الأول تَسخِيرَهم في ضَرْب اللَّبِنِ، وكانوا يُعطونهم التِّبنَ الذي يُخلط به الطِّينُ؛ والثاني أنهم كُلِّفوا ضربَ اللَّبن وجُعِلَ التِّبنُ عليهم، قاله ابنُ السَّائِب. **والخامس**: أنَّ الأوَّل قَتْلُ الأبناء، واستحياءُ البَناتِ، والثاني تكليفُ فِرعَونَ إيّاهُم ما لا يُطيقون، قاله مُقاتِلٌ. **والسادس**: أنَّ الأول استخدامُهم وقَتْلُ أبنائِهم واستحياءُ نسائِهم، والثاني إعادةُ ذلك العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ قولان: **أحدهما**: تأتينا بالرِّسالة ومِنْ بعدُ جِئتَنا بها قاله ابن عباس. **والثاني**: تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا ومن بعد ما جئتنا به، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ قال الزَّجّاج: عسى: طَمَعٌ وإشفاقٌ، إلاّ أنَّ ما يُطمِع اللّهُ فيه فهو واجبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ في هذا الاستِخْلافِ قولان: **أحدهما**: أنه استِخلافٌ مِنْ فِرعَونَ وقومِه. **والثاني**: استِخلافٌ عن الله تعالى، لأنَّ المؤمنين خُلفاءُ الله في أرضه، وفي الأرض قولان: **أحدهما**: أرضُ مِصر، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أرضُ الشَّام، ذكره المَاوَرِدي.

قوله تعالى: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: يَراهُ بوقوعه منكم، لأنه إنّما يُجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما عَلِمَ أنه سيقعُ منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: ابتَلَيناهم بالجُدوبِ. وآلُ فِرعَونَ: أهلُ دِينه وقومه. وقال مُقاتِلٌ: هم أهلُ مِصر. قال الفَرّاءُ: «بالسنين» أي: بالقَحْطِ والجُدوب عاماً بعد عام. وقال الزَّجّاجُ: السُّنون في كلام العرب: الجُدوب، يقال: مَسَّتْهُم السَّنةُ، ومعناه: جَدْبُ السَّنة، وشِدَّةُ السَّنة. وإنما أَخَذَهُم بالضَّرّاءِ، لأنَّ أحوال الشِّدة تُرِقُّ القلوبَ، وتُرَغِّب فيما عند الله وفي الرُّجوع إليه. قال قَتادةُ: أما السُّنون، فكانت في بَوادِيهم ومَواشِيهم، وأما نَقصُ الثَّمراتِ، فكان في

أَمصَارِهم وقُراهم. وروى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ قال: يَبَّسَ لهم كلَّ شيءٍ، وذهبت مَواشِيهم، حتى يَبِسَ نيلُ مِصر، فاجتمعوا إلى فِرعَونَ فقالوا له: إنْ كنتَ رَبَّاً كما تزعم، فاملأْ لنا نِيلَ مِصر، فقال غُدْوَةً يُصَبِّحكم الماءُ، فلما خرجوا مِنْ عنده، قال: أيَّ شيءٍ صنعتُ؟ أنا أقدر أنْ أجِيءَ بالماء في نِيلِ مِصر؟ غُدْوَةً أصبح، فَيُكذِّبوني. فلما كان جوفُ الليل، اغتسلَ، ثم لَبِسَ مِدرَعَةً مِنْ صُوفٍ، ثم خرج حافياً حتى أتى بَطْنَ نِيلِ مِصر فقامَ في بطنه، فقال: اللهُمَّ إنَّكَ تعلمُ أني أعْلَمُ أنَّكَ تَقدرُ أنْ تملأَ نِيلَ مِصر ماءً، فاملأه، فما عَلِمَ إلاَّ بخريرِ الماءِ لِمَا أراد اللَّهُ به مِنَ الهَلَكَةِ. قلتُ: وهذا الحديثُ بعيدُ الصِّحة؛ لأنَّ الرجلَ كان دَهرِيَّاً لا يُثبت إلهاً. ولو صحَّ، كان إقرارُه بذلك كإقرارِ إبليسَ، وتبقى مُخالفته عِناداً.

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ وهي الغيثُ والخِصبُ وسَعةُ الرِّزقِ والسَّلامةُ ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: نحن مُستَحقُّوها على ما جرى لنا مِنَ العادة في سَعةِ الرِّزق، ولم يعلموا أنَّه مِنَ الله فَيشكُرُوا عليه. ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ وهي القَحطُ والجَدْبُ والبَلاءُ ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ أي: يَتَشاءَموا بهم. وكانت العربُ تَزجرُ الطَّيرَ، فَتتشاءَمَ بالبَارحِ، وهو الذي يأتي مِنْ جهة الشِّمَالِ، وتَتبَرَّكُ بالسَّانِح، وهو الذي يأتي مِنْ جهة اليَمين. قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال أبو عُبيدة: «ألا» تنبيهٌ وتوكيدٌ ومَجازٌ. «طَائِرُهم» حَظُّهم ونَصيبُهم، وقال ابنُ عباسٍ «ألا إنَّما طَائِرُهم عند الله» أي: إنَّ الذي أصابَهم مِنَ الله. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: ألا إنَّ الشُّؤمَ الذي يَلحَقُهم هو الذي وُعِدُوا به في الآخرة، لا ما يَنَالُهم في الدُّنيا.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: زَعَمَ النَّحويون أنَّ أصلَ «مهما» مَامَا، ولكن أُبدلَ مِنَ الألف الأولى الهاء ليَختلفَ اللفظُ؛ فـ«ما» الأولى هي «ما» الجَزاء، و«ما» الثانية هي التي تُزادُ تأكيداً للجَزاء، ودليلُ النَّحويين على ذلك أنه ليس شيءٌ مِنْ حروف الجَزاء إلاَّ و«ما» تُزاد فيه، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾[1] كقولك: إنْ تَثقفنَّهم، وقال: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾[2]، وتكون «ما» الثانية للشَّرطِ والجَزاءِ، والتفسيرُ الأول هو الكلامُ، وعليه استعمالُ الناسِ. قال ابنُ الأنبَارِي: فَعَلَى قولِ مَنْ قال: إنَّ معنى «مه» الكَفُّ، يحسُنُ الوَقْفُ على «مه»، والاختيارُ عندي أنْ لا يُوقف على «مه» دونَ «ما» لأنَّهما في المصحف حرفٌ واحدٌ. وفي الطُّوفان ثلاثةُ أقوالٍ[3]:

---

(١) سورة الأنفال: ٥٧. (٢) سورة الإسراء: ٢٨.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٦/٣٣: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظبيان. أنه أمر من الله طاف بهم، وأنه مصدر من قول القائل: «طاف بهم أمر الله يطوف طوفاناً». كما يقال: «نقص هذا الشيء ينقص نقصاناً». وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد، وجاز أن يكون الموت الذريع.

أحدها: أنَّه الماءُ. قال ابنُ عباسٍ: أُرسِلَ عليهم مطرٌ دائمٌ الليلَ والنهارَ ثمانيةَ أيامٍ، وإلى هذا المعنى ذهب سعيدُ بن جُبَيرٍ وقَتادةُ والضَّحاكُ وأبو مالكٍ ومُقاتِلٌ واختاره الفَرَّاءُ وابنُ قُتَيبةَ.

[٥٨٨] **والثاني**: أنه الموت، رَوَتْهُ عَائشةُ عن النبيِّ ﷺ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، ووَهْبُ بن مُنَبِّهٍ، وابنُ كَثيرٍ.

والثالث: أنه الطَّاعونُ، نُقل عن مُجاهِدٍ، ووَهْبٍ؛ أيضاً.

وفي القُمَّلِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه السُّوسُ الذي يقع في الحِنطةَ، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ، وقال به. **والثاني**: أنه الدَّبَى، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجَاهدٌ، وعَطاءٌ. وقال قَتادَةُ: القُمَّلُ: أولادُ الجَرادِ. وقال ابنُ فَارسٍ: الدَّبَى: الجَرادُ إذا تحرَّكَ قبلَ أنْ تَنبُتَ أجنحتُه. **والثالث**: أنه دَوَابُّ سُودٌ صِغارٌ، قاله الحَسَنُ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ. وقيل: هذه الدَّوابُ هي السُّوسُ. **والرابع**: أنه الجُعْلانُ، قاله حَبيبُ بن ثَابتٍ. **والخامس**: أنه القَمْلُ، ذكره عطَاءٌ الخُرَاسَانيّ، وزَيدُ بن أسلَمَ. **والسادس**: أنه البَراغِيثُ، حكاه ابنُ زَيدٍ. **والسابع**: أنه الحَمنانُ، واحدتُها: حَمنانَةٌ، وهي ضَربٌ من القِرْدَانِ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقرأ الحَسَنُ، وعِكرِمَةُ، وابنُ يَعمُر: «القَمْل» برفع القاف وسُكون الميم. وفي الدَّمِ قولان: **أحدهما**: أنَّ ماءَهُم صارَ دَماً، قاله الجمهور. **والثاني**: أنه رُعافٌ أصابَهم، قاله زَيدُ بن أَسلَمَ.

الإشارة إلى شرح القصة

قال ابنُ عباسٍ: جاءهم الطُّوفان، فكان الرجلُ لا يَقدرُ أنْ يخرجَ إلى ضَيعَتِه، حتى خَافوا الغَرقَ، فقالوا: يا موسى ادْعُ لنا ربك يَكْشِفْهُ عنَّا، ونُؤمنُ بكَ، ونُرسلُ معكَ بني إسرَائيلَ؛ فدعَا لهم، فكشَفَهُ اللَّهُ عنهم، وأَنبَتَ لهم شيئاً لم يُنبتهُ قبلَ ذلك، فقالوا: هذا ما كُنَّا نتمنَّى، فأرسلَ الله عليهم الجَرادَ فأكلَ ما أنبتت الأرضُ، فقالوا: ادعُ لنا ربَّكَ، فدَعَا، فكَشَفَ الله عنهم، فأَحرَزُوا زُروعَهم في البيوت، فأرسلَ اللَّهُ عليهم القُمَّل، فكان الرجلُ يخرج بطَحِين عشرة أَجْرِبَةٍ إلى الرَّحى، فلا يرى منها ثلاثةَ أَقْفِزَةٍ، فسألوه، فدَعَا لهم، فلم يُؤمنوا، فأرسلَ اللَّهُ عليهم الضَّفادِعَ، ولم يكُن شيءٌ أشدَّ منها، كانت تجيءُ إلى القُدورِ وهي تغلي وتَفُور، فتُلقي أنفُسَها فيها، فتُفسد طعامَهم وتُطفئ نِيرانَهُم، وكانت الضَّفادعُ برِّيةً، فأورثها اللَّهُ عزَّ وجلَّ بَرْدَ الماء والثَّرى إلى يوم القيامة، فسَألوه، فَدَعَا لهم، فلم يُؤمنوا، فأرسلَ الله عليهم الدَّمَ، فجَرَتْ أنهارُهم وقُلبُهُم دَماً، فلم يَقدروا على الماءِ العَذْبِ، وبَنو إسرائيلَ في الماء العَذبِ، فإذا دخلَ الرَّجلُ منهم يَستقي مِنْ أنهارِ بَني إسرائيلَ صارَ ما دخلَ فيه دماً، والماءُ مِنْ بين يديه ومِنْ خلفه صَافٍ عَذبٌ لا يَقدرُ عليه، فقال فِرعَونُ: أُقسِمُ بإلهي يا موسى لَئِن كَشفتَ عنا الرِّجزَ

---

[٥٨٨] ضعيف جداً، أخرجه الطبري ١٥٠٠٥، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير». ٢/٣٠٣ من طريق يحيى بن يمان عن منهال بن خليفة عن حجاج بن أرطأة عن الحكم بن ميناء عن عائشة مرفوعاً به. وإسناده ضعيف جداً، فهو مسلسل بالضعفاء، يحيىٰ، ومنهال، وحجاج ثلاثتهم ضعفاء. أخرجه الطبري ١٥٠٠٩ من طريق ابن يمان عن المنهال عن حجاج عن رجل عن عائشة وهو كسابقه بل فيه أيضاً راوٍ لم يُسمّ.
والصحيح كونه من قول مجاهد، وكذا أخرجه الطبري عنه من طرق ١٥٠٠٧ و ١٥٠٠٨ واستغربه ابن كثير ٢/ ٣٠٣ وهو شبه موضوع.

لَنُؤمنَّن بكَ، ولَنُرسلَنَّ معكَ بني إسرائيلَ، فدعا موسى، فذهبَ الدَّمُ وَعَذُبَ ماؤهم، فقالوا: والله لا نُؤمن بكَ ولا نُرسل معكَ بني إسرائيلَ.

قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ قال ابنُ قُتيبة: بينَ الآية والآية فَصْلٌ. قال المُفسِّرون: كانت الآيةُ تَمكُثُ من السَّبت إلى السَّبت، ثم يبقون عُقَيب رَفْعِها شهراً في عافيةٍ، ثمَّ تأتي الآيةُ الأخرى. وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ: بين كلِّ آيتين أربعون يوماً. وروى عِكرمَةُ عن ابن عباسٍ قال: مكثَ موسى في آل فِرعونَ بعدما غلبَ السَّحرةَ عشرين سنةً يُريهم الآيات، الجَرادَ والقُمَّلَ والضَّفادعَ والدَّمَ.

وفي قوله تعالى: «فاستكبروا» قولان: **أحدهما**: عن الإيمان. **والثاني**: عن الانزِجارِ.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ أي: نزلَ بهم العذابُ. وفي هذا العذاب قولان[1]:

أحدهما: أنه طَاعونٌ أَهلَكَ منهم سبعينَ ألفاً، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ.

والثاني: أنه العذاب الذي سَلَّطَه اللَّهُ عليهم مِنَ الجَرادِ والقُمَّلِ وغير ذلك، قاله ابنُ زيدٍ.

قال الزَّجَّاجُ: «الرِّجزُ»: العذابُ، أو العمل الذي يُؤدِّي إلى العذاب. ومعنى الرِّجزِ في العذاب: أنه المُقلْقِلُ لشدَّتِه قلقلَةً شديدةً مُتتابعةً. وأصلُ الرِّجز في اللغة: تَتابُع الحرَكات، فمِنْ ذلك قولهم: ناقةٌ رَجْزاءُ، إذا كانت تَرتَعدُ قَوائِمُها عند قيامها. ومنه رَجَزُ الشِّعر، لأنه أقصرُ أبيات الشعر، والانتقالُ من بيتٍ إلى بيتٍ، سَريعٌ، نحو قوله:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ ... أَخُبُّ فِيهَا وأَضَعْ

وزعمَ الخليلُ أنَّ الرَّجز ليس بشعرٍ، وإنَّما هو أنصافُ أبياتٍ وأثلاثٌ.

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ فيه أربعة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: بما أوصَاكَ أَنْ تَدْعُوَهُ به. **والثاني**: بما تقدَّم به إليكَ أَنْ تَدعُوَه فيُجيبكَ. **والثالث**: بما عَهِدَ عندك في كشف العذاب عمَّن آمَنَ. **والرابع**: أنَّ ذلك منهم على معنى القَسَم، كأنهم أقسمُوا عليه بما عَهِدَ عنده أنْ يَدعوَ لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ أي: إلى وقتِ غرقِهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: ينقُضون العهدَ. قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: انتصَرنَا منهم بإحلالِ نِقمَتِنا بهم، وتلك

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٢: وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز، وهو العذاب والسخط من الله عليهم، فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك ﴿الرجز﴾ كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، لأن كل ذلك كان عذاباً عليهم وجائز أن يكون ذلك ﴿الرجز﴾ كان طاعوناً، ولم يخبرنا الله أي ذلك كان، ولا صح عن رسول الله ﷺ بأي ذلك كان خبرٌ، فنسلم له. فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه **﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾**، ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل، وهو: لما حل بهم عذاب الله وسخطه.

النِّقمةُ تغريقُنا إيَّاهم في اليَمِّ. قال ابنُ قُتيبة: اليَمُّ: البحرُ بالسّريانيَّة. قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عن الآيات، وغفلتُهم: تركُهم الاعتبارَ بها. **والثاني**: عن النِّقمة.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ يعني بَني إسرائيلَ. ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي: يُستذلُّون بذَبْحِ الأبناء، واستخدام النساء، وتَسخيرِ الرجال. ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مشارقُ الشَّام ومَغارِبُها، قاله الحَسنُ. **والثاني**: مشارقُ أرض الشَّام ومِصر. **والثالث**: أنه على إطلاقٍ في شرقِ الأرض وغَربِها.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: بالماءِ والشَّجَرِ.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي وَعدُ الله لِبَني إسرائيلَ بإهلاك عَدوِّهم، واستُخلافِهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1]، وقد بيَّنا عِلَّةَ تسمية ذلك كُلِّه في (آل عِمران). وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ فيه قولان: **أحدهما**: على طاعةِ الله تعالى. **والثاني**: على أذى فِرعَونَ.

قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي: أهلَكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ مِنَ العمَاراتِ والمَزارِع، والدَّمَارُ: الهَلاكُ. ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يَبنُون. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: «يعرِشون» بكسر الراء ها هنا وفي (النَّحل). وقرأ ابنُ عَامرٍ، وأبو بَكرٍ عن عَاصمٍ: بضَمِّ الراء فيهما. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «يُعرِّشون» بالتشديد، قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَرَشَ يَعرِشُ ويَعْرُشُ: إذا بَنى.

قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ: «يَعْكُفُون» بضمِّ الكاف. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، والمُفَضَّلُ: بكسر الكاف. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: بضمِّ الياء وتشديد الكاف. قال الزَّجّاجُ: ومعنى ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يُواظِبون عليها ويُلازِمُونها، يقال لكلِّ مَنْ لَزِمَ شيئاً وواظَبَ عليه: عَكَفَ يَعْكِفُ ويَعْكُفُ. قال قَتادَةُ: كان أولئك القومُ نُزُولاً بالرَّقَّةِ، وكانوا مِنْ لَخْمٍ. وقال غيرُه: كانت أصنامُهم تماثيلَ البَقرِ. وهذا إخبارٌ عن عظيمِ جَهْلِهم حيثُ تَوهموا جوازَ عبادة غَيرِ الله بعدَما رَأوا الآياتِ.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: مُهلَكٌ. والتَّبَارُ: الهلاكُ.

---

(١) سورة القصص: ٥.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ أي: أطلبُ لكم، وهذا استفهامُ إنكارٍ. قال المُفسِّرون، منهم ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ: والعالَمُون ها هنا: عَالَمُو زمانِهِم.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: «وإذ أنجاكم» على لفظِ الغائبِ المُفرَدِ.

﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ المعنى: وَعدناهُ انقضاءَ ثلاثين ليلةً. قال ابنُ عباسٍ: قال موسى لِقومِه: إنَّ ربِّي وَعَدَني ثلاثينَ ليلةً، فلما فَصَلَ إلى ربِّه زادَهُ عَشراً، فكانت فِتنتُهم في ذلك العَشْرِ. فإنْ قيل: لِمَ زِيْدَ هذا العَشْرَ؟ فالجواب: أنَّ ابنَ عباسٍ قال: صامَ تلكَ الثلاثين لَيْلَهُنَّ ونَهارَهُنَّ، فلما انسلَخَ الشهرُ، كَرِهَ أنْ يُكلِّم ربَّهُ وريحُ فَمِهِ ريحُ فَمِ الصَّائم، فتناول شيئاً مِنْ نباتِ الأرض فمَضَغَهُ، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه: لا كَلَّمتُكَ حتى يعودَ فُوكَ على ما كان عليه، أَمَا علمتَ أنَّ رائحةَ فَمِ الصَّائم أحبُّ إليَّ مِنْ ريحِ المِسْكِ؟ وأَمَرهُ بصيامِ عشرةِ أيامٍ. وقال أبو العَالِيَة: مَكثَ موسى على الطُّور أربعينَ ليلةً، فَبلغنا أنه لم يُحدِثْ حتى هبطَ منه.

فإنْ قيل: ما معنى ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقد عُلِمَ ذلك عند انضمام العَشرِ إلى الثلاثين. فالجواب مِنْ وُجوهٍ: **أحدها**: أنه للتَّأكيد. **والثاني**: لِيَدُلَّ أَنَّ العَشْرَ، ليالٍ لا ساعاتٍ. **والثالث**: لِيَنفيَ تمامَ الثلاثين بالعَشرِ أنْ تكون مِنْ جُملة الثلاثين، لأنَّه يجوز أنْ يسبقَ إلى الوَهْمِ أنها كانت عشرينَ ليلةً فأُتِمَّت بعَشرٍ. وقد بَيَّنَّا في سورة (البقرة) لماذا كان هذا الوعدُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مُرْهُم بالإصلاح. وقال مُقاتِلٌ: اِرْفِقْ.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ قال الزَّجَّاجُ، أي: للوقت الذي وَقَّتْنا له. ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أسمَعَهُ كلامَه، ولم يَكُنْ بينه وبينَ الله عزَّ وجلَّ فيما سَمِعَ أحدٌ. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي: أَرِني نَفْسَكَ. قوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ تعلَّقَ بهذا نُفاةُ الرُّؤية وقالوا: «لن» لِنَفي الأبدِ[1]، وذلك غَلطٌ،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/٣٠٨: وقد أشكل حرف «لن» ها هنا على كثير من العلماء لأنها =

لأنها قد وَرَدَتْ وليس المرادُ بها الأبدُ في قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[١] ثم أَخبَرَ عنهم بتمنيه في النار بقوله تعالى: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[٢]، ولأنَّ ابنَ عباسٍ قال في تفسيرها: لن تَراني في الدنيا. وقال غيرُه: هذا جوابٌ لقول موسى: «أرِني»، ولم يُرِدْ: أرِني في الآخرة، وإنَّما أرادَ في الدنيا، فأُجيبَ عمَّا سأل. وقال بعضهم: لن تَرَاني بسُؤالِكَ. وفي هذه الآية دلالةٌ على جواز الرُّؤية، لأنَّ موسى مع عِلْمِه بالله تعالى، سَأَلها، ولو كانت مما يَستحيلُ لَمَا جاز لموسى أَنْ يَسأَلَهَا، ولا يجوز أَنْ يجهلَ موسى مثلَ ذلك، لأنَّ معرفةَ الأنبياء لله ليس فيها نَقْصٌ، ولأنَّ الله تعالى لم يُنكر عليه المسألَة وإنما مَنَعَهُ مِنَ الرُّؤية، ولو استحالَتْ عليه لَقالَ: «لا أُرَى»؛ أَلاَ ترى أنَّ نُوحاً لمَّا قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أنكرَ عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[٣]، وممَّا يدلُّ على جواز الرُّؤية أنه عَلَّقها باستقرار الجَبلِ، وذلك جائزٌ غيرُ مُستَحيلٍ، فدلَّ على أنها جائزةٌ، ألا ترى أنَّ دخولَ الكفارِ الجنَّة لمَّا استحالَ عَلَّقَه بمُستحيلٍ فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: ثَبَتَ ولم يَتَضَعضَع.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ظهرَ، وبَانَ. ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ: «دكًّا» منَّونَةً مقصورةً ها هنا وفي (الكهف). وقرأ عَاصمٌ: «دكًّا» ها هنا منوَّنةً مقصورةً، وفي (الكهف): «دكاء» ممدودةً غير مُنَوَّنةٍ. وقرأ حمزَةُ؛ والكِسَائيُّ: «دكاء» ممدودةً غير مُنوَّنةٍ في المَوضعين. قال أبو عُبيدَةَ: «جعله دكًّا» أي: مُندَكًّا والمُندَكُّ: المُستوي؛ والمعنى: مُستَوياً مع وَجه الأرض، يُقال: ناقةٌ دَكاءُ، أي: ذاهبةُ السَّنام مُستَوٍ ظهرُها. قال ابنُ قُتيبةَ: كأنَّ سَنامَها دُكَّ، أي: التَصقَ، قال: ويقال: إنَّ أصلَ دَكَكْتُ: دَقَقْتُ، فأُبدلت القافُ كافاً لِتقارُبِ المَخرجين. وقال أنسُ بن مالكٍ في قوله: «جعله دكاً»: سَاخَ الجبلُ. قال ابنُ عباسٍ: واسمُ الجبلِ: زُبير، وهو أعظمُ جبلٍ بمَدْيَنَ، وإنَّ الجبال تطاولت ليتَجلَّى لها، وتواضعَ زُبير فتجلى له. قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَغشيّاً عليه، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: مَيتاً، قاله قَتادَةُ ومُقاتِلٌ. والأولُ أصح، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ وذلك لا يُقال للمَيِّت. وقيل: بقيَ في غشيته يوماً وليلةً.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ فيما تاب منهُ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سؤالُ الرُّؤية، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ. **والثاني**: الإقدامُ على المَسألةِ قبل الإذْنِ فيها. **والثالث**: اعتقادُ جواز رُؤيتِه في الدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان[٥]: **أحدهما**: أنَّك لن تُرى في الدنيا، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أَوَّلُ المؤمنين مِنْ بني إسرَائيلَ، رواه عِكرمَةُ عن ابن عباسٍ.

= موضوعة لنفي التأبيد، فاستدل المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة. ا.هـ.

(١) سورة البقرة: ٩٥.
(٢) سورة الزخرف: ٧٧.
(٣) سورة هود: ٤٥ و ٤٦.
(٤) سورة الأعراف: ٤٠.
(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣١٠: قال ابن عباس ومجاهد: من بني إسرائيل، واختاره ابن جرير. وفي رواية أخرى عن ابن عباس ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أنه لا يراك أحد. وكذا قال أبو العالية: قد كان قبله، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة وهذا قول حسن له اتجاه.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ فتَحَ ياءَ «إني» ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو. وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ «برسالتي» قال الزَّجَّاجُ: المعنى: اتَّخذْتُكَ صفوةً على الناس بِرسَالاتي وبِكَلامِي، ولو كان إِنَّما سمعَ كلامَ غيرِ الله لَمَّا قال: «برسالاتي وبكلامي» لأنَّ الملائكةَ تنزلُ إلى الأنبياءِ بكلامِ الله.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ في مَاهِيَّة الألواحِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها زَبَرْجَدُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَاقُوتٌ، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ. **والثالث**: زُمُرُّدٌ أخضرُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: بَرَدٌ، قاله أبو العَالِية. **والخامس**: خشبٌ، قاله الحَسَنُ. **والسادس**: صَخرٌ، قاله وَهبُ بن مُنَبِّهٍ. **والسابع**: زُمُرُّدٌ ويَاقوتٌ، قاله مُقاتِلٌ. وفي عَددِها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: سبعةٌ، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: لَوحَانِ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ. قال: وإنَّما سَمَاها الله تعالى أَلوَاحَاً، على مذهب العرب في إيقاعِ الجَمْعِ على التَّثْنية، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾[1] يُريد دَواد، وسُليمانَ، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[2]. **والثالث**: عشرةٌ، قاله وَهبٌ. **والرابع**: تسعةٌ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان: **أحدهما**: مِنْ كلِّ شيءٍ يُحتاج إليه في دِينه مِنَ الحلال والحرام والوَاجبِ وغيره. **والثاني**: مِنَ الحِكَم والعِبَر.

قوله تعالى: ﴿مَّوْعِظَةً﴾ أي: نَهياً عن الجهلِ. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ أي: تَبييناً لكلِّ شيءٍ مِنَ الأمرِ والنَّهي والحُدود والأحكام. قوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بجِدٍّ وحَزمٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بطاعةٍ، قاله أبو العَالية. **والثالث**: بشُكرٍ، قاله جُوَيبرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ إنْ قيل: كأنَّ فيها ما ليس بحسَنٍ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: يأخذوا بحَسَنِها، وكلُّها حَسَنٌ، قاله قُطْرُبُ، وقال ابنُ الأَنبَارِي: نابَ «أَحسَنُ» عن «حَسَن» كما قال الفَرزدَقُ:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنى لَنا ... بَيْتاً دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[3]

أي: عزيزةٌ طويلةٌ. وقال غيره: «الأحسن» ها هنا صِلةٌ، والمعنى أَنْ يأخُذوا بها.

والثاني: أنَّ بعض ما فيها أحسنُ مِنْ بعضٍ. ثم في ذلك خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أُمِروا فيها بالخير ونُهُوا عن الشرِّ، فَفِعْلُ الخيرِ هو الأحسنُ. **والثاني**: أنها اشتملَتْ على أشياءَ حسنةٍ بعضُها أحسنُ مِنْ بعضٍ، كالقِصَاصِ والعَفوِ والانتِصارِ والصَّبرِ، فأُمِروا أنْ يأخذوا بالأحسَنِ، ذكرَ القولَين الزَّجَّاجُ. فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنَّهم يَتَّبعون العَزائِمَ والفضائلَ، وعلى الذي قَبلَهُ، يكون المعنى: أنَّهم يتَّبعون المَوصوفَ بالحُسنِ وهو الطَّاعةُ، ويَجتنبونَ المَوصوفَ بالقُبح وهو المَعصيةُ. **والثالث**: أَحسَنُها:

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٨. (٢) سورة التحريم: ٤.
(٣) البيت منسوب إلى الفرزدق، ديوانه ٢/ ١٥٥.

الفرائضُ والنَّوافلُ، وأَدْوَنُها في الحُسن: المُباحُ. **والرابع**: أنْ يكون للكلمة معنيان أو ثلاثةٌ، فتُصرفُ إلى الأشبهِ بالحقِّ. **والخامس**: أنَّ أحسنَها: الجمعُ بين الفَرائضِ والنَّوافِل.

قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ فيها أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها جهَنَّمُ، قاله الحَسنُ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها دار فِرعَونَ وقومه، وهي مِصرَ، قاله عَطيَّةُ العَوفيّ. **والثالث**: أنها منازلُ مَنْ هَلَكَ مِنَ الجَبابِرة والعَمالِقة، يُريهم إيَّاها عند دُخولهم الشَّام، قاله قتادَةُ. **والرابع**: أنها مَصارعُ الفاسقين، قاله السُّدِّيّ. ومعنى الكلام: سأُرِيكُم عاقبةَ مَنْ خالفَ أمري، وهذا تهديدٌ للمُخالِف، وتَحذيرٌ للمُوافِق.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها خاصَّةٌ لأهلِ مِصر فيما رَأوا مِنَ الآيات. **والثاني**: أنها عامَّةٌ، وهو أصحُّ. وفي الآيات قولان: **أحدهما**: أنها آياتُ الكُتب المَتْلُوَّة. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ[2]: أحدها: أمنعُهم فَهْمَها. والثاني: أمنعُهم مِنَ الإيمان بها. والثالث: أَصْرِفُهم عن الاعتراضِ عليها بالإبطال. **والثاني**: أنها آياتُ المَخلُوقاتِ كالسماءِ والأرض والشَّمس والقمر وغَيرِها، فيكون المعنى: أصرِفُهم عن التَّفكُّرِ والاعتبارِ بما خَلقتُ. وفي معنى يَتكبَّرون قولان: **أحدهما**: يَتكبَّرون عن الإيمانِ واتِّباعِ الرَّسول. **والثاني**: يُحقِّرون الناسَ ويَرون لهم الفَضلَ عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ قرأ ابنُ كَثير، ونَافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عَامرٍ، وعَاصمٌ: «سبيل الرُّشد» بضمِّ الراء خفيفةً. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «سبيل الرَّشَد» بفتح الراء والشين مُثقلةً.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: فعلَ الله بهم ذلك بأنَّهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/٣١١: قوله **﴿سأريكم دار الفاسقين﴾** أي سترون عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي، كيف يصير إلى الهلاك والدمار والشتات. قال ابن جرير: وإنما قال **﴿سأريكم دار الفاسقين﴾** كما يقول القائل لمن يخاطبه. سأريك غداً إلام، يصير إليه حال من خالف أمري؟ على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد، والحسن البصري. وقيل **﴿سأريكم دار الفاسقين﴾** أي من أهل الشام وأعطيكم إياها، وقيل منازل قوم «فرعون» والأول أولى، لأن هذا كان بعد انفصال موسىٰ وقومه عن بلاد مصر. وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/٣١٢ قوله تعالى: **﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون﴾** وقال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، وقال آخر: من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً. وقال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي. قال ابن جرير وهذا يدل على أن هذا خطاب لهذه الأمة. قلت: ليس هذا بلازم؛ لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة، ولا فرق بين أحد وأحد في هذا والله أعلم. ا.هـ.

أي: كانوا في تركِهم الإيمانَ بها والتَّدبُّر لها بمَنزلةِ الغافلين. ويجوزُ أنْ يكون المعنى: وكانوا عن جَزائِها غافلين.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِۦ﴾ أي: مِنْ بعد انطلاقِهِ إلى الجبل للميقاتِ. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ: «من حُليّهم» بضمِّ الحاء. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «حِليِّهم» بكسر الحاء. وقرأ يَعقوبُ: بفَتْحِها وسكونِ اللام وتخفيفِ الياء. والحُليّ: جمعُ حَلْي، مثل ثَدْيٍ وثُدِيٍّ، وهو اسمٌ لِما يُتَحسَّن به من الذَّهب والفِضَّة. قال الزَّجَّاجُ: ومَنْ كَسَرَ الحاءَ مِنْ «حِليِّهم» أتبعَ الحاءَ كَسْرَ اللام. والجَسَدُ: هو الذي لا يَعقِلُ ولا يُميِّز، إنَّما هو بمعنى الجُثَّة فقط. قال ابنُ الأنباري: ذِكرُ الجَسدِ دلالةٌ على عدم الرُّوح منه، وأنَّ شخصَهُ شَخصُ مثالٍ وصورةٍ، غيرُ مُنْضمٍّ إليهما رُوحٌ ولا نَفسٌ. فأمَّا الخُوارُ، فهو صوتُ البقرة، يُقال: خَارَت البقرةُ تَخورُ، وجَأَرَتْ تَجْأَرُ؛ وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوتِ الإنسان مِنَ البهائم: رَغَا البعيرُ، وجَرْجَرَ وَهَدَرَ وَقَبْقَبَ، وصَهَلَ الفرسُ وحَمْحَمَ، وشَهَقَ الحمارُ ونَهَقَ، وشَحَجَ البغلُ، وثَغَت الشَّاةُ ويَعَرَتْ، وثَأَجت النَّعْجَةُ، وبغَمَ الظَّبيُ ونَزَبَ، وزَأَرَ الأسدُ ونَأَتَ، وَوعْوعَ الذئبُ، ونَهَم الفيلُ، وزَقَحَ القِردُ، وضَبَحَ الثَّعْلَبُ، وعَوَى الكَلْبُ ونَبَحَ، ومَاءَت السِّنَّورُ، وصَأَت الفأرةُ، ونَغَقَ الغرابُ معجمةَ الغين، وزَقَأَ الدِّيكُ وسَقَعَ، وصَفَرَ النسْرُ، وهَدَرَ الحمَامُ وهَدَلَ، ونَقَضَتِ الضَّفادِعُ ونقَّت، وعَزَفَتِ الجِنُّ. قال ابنُ عباسٍ؛ كان العِجلُ إذا خَارَ سجدوا وإذا سكتَ رَفَعُوا رُؤوسَهم. وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خَارَ خَورَةً واحدةً ولم يُتبِعها مِثلَها، وبهذا قال وَهْبٌ، ومُقاتِلٌ. وكان مُجَاهِدٌ يقول: خُوارُه حَفيفُ الرِّيح فيه؛ وهذا يدلُّ على أنَّه لم يكن فيه رُوحٌ. وقرأ أبو رَزينٍ العُقَيلي، وأبو مِجْلَزٍ: «له جُوار» بجيم مرفوعةٍ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: لا يستطيعُ كَلامَهُم. ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يُبيِّن لهم طريقاً إلى حُجَّةٍ. ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ يعني اتَّخذوه إلهاً. ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مشركين.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: نَدِموا. قال الزَّجَّاجُ: يُقال للرجل النادم على ما فَعَلَ، المُتحسِّر على ما فَرَّط: قد سُقِطَ في يَدِهِ وأُسقِطَ في يَدِهِ. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، وأبو عِمرانَ الجُونيّ:

«سَقَطَ» بفتح السين. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: ولما سَقَطَ النَّدمُ في أيديهم، يُشبِّه ما في القلب وفي النَّفسِ بما يُرى بالعَين. قال المفسِّرون: هذا النَّدمُ منهم إنَّما كان بعد رُجوع موسى.

قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: «يَرْحَمْنا ربُّنا» «ويغفِرْ لنا» بالياء والرَّفع. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «ترحمنا» «وتغفر لنا» بالتاء، «رَبَّنا» بالنَّصب.

قوله تعالى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ في الأسِفِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحَزينُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: الجَزِعُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه الشَّديدُ الغَضبُ، قاله ابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. وقال أبو الدَّرداء: الأَسِفُ: مَنزلةٌ وراءَ الغَضبِ أشدُّ منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: لِقومِه ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ فتَح ياءَ «بعدي» أهلُ الحِجازِ، وأبو عَمرو؛ والمعنى: بِئْسَ ما عملتم بعد فِراقِي مِنْ عبادة العِجلِ. ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ قال الفراءُ: يُقال: عَجِلْتُ الأمرَ والشيءَ: سَبقتُه، ومنه هذه الآية. وأعجَلْتُه: استَحْثَثْتُه. قال ابنُ عباسٍ: أَعَجِلْتُم ميعادَ ربِّكم فلم تَصبِروا له؟! قال الحسَنُ: يعني وَعْدَ الأربعينَ ليلةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التَّوراةُ. وفي سبب إلقائِه إيَّاها قولان:

أحدهما: أنه الغَضبُ حين رآهم قد عَبَدُوا العِجلَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٥٨٩] والثاني: أنه لمَّا رأى فَضائِلَ غيرِ أُمَّتِه مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ اشتَدَّ عليه، فألقَاها، قاله قَتادةُ[(١)]، وفيه بُعدٌ.

قال ابنُ عباسٍ: لمَّا رَمَى بالألواح فتَحطَّمَتْ، رُفِع منها ستةُ أسباعٍ، وبقي سُبْعٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ في ما أَخَذَ به مِنْ رأسه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لِحيتُه وذُؤابتُه. **والثاني**: شَعرُ رأسِه. **والثالث**: أُذُنُه. وقيل: إنَّما فعلَ به ذلك، لأنه توهَّم أنه عصى الله بمُقامِه بينهم وتَرْكِ اللُّحوقِ به، وتَعريفِه ما أَحدَثُوا بعدَهُ ليرجعَ إليهم فيتَلافاهُم ويَرُدَّهم إلى الحقِّ، وذلك قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وحَفصٌ عن عَاصم: «قال ابن أُمَّ» نصباً. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصمٍ: بكسر الميم، وكذلك في (طه)[(٣)] قال

---

[٥٨٩] باطل لا أصل له. أخرجه الطبري ١٥١٤٢ و ١٥١٤٣ عن قتادة قوله: وهذا رأي لقتادة. وهو ليس بشيء، بل هو من بدع التأويل، ورده ابن كثير وغيره كما في الهامش.

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٣١٣ الآية ﴿وألقى الألواح﴾: ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وروىٰ ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة ا. هـ.

(٢) سورة طه: ٩٢ ـ ٩٣.

(٣) سورة طه: ٩٤.

الزَّجَّاجُ: مَنْ فَتَحَ الميمَ فلِكَثْرة استعمالِ هذا الاسم، ومَنْ كَسَرَ أضافَهُ إلى نَفْسِه بعد أَنْ جَعلَهُ اسماً واحداً، ومِنَ العرب مَنْ يقول: «يا ابنَ أُمّي» بإثبات الياء. قال الشاعر:

يَـا ابْـنَ أُمِّـي وَيَـا شُـقَـيِّـقَ نَـفْـسِـي أَنْـتَ خَـلَّـفْـتَـنِـي لِـدَهْـرٍ شَـدِيـدِ[١]

وقال أبو علي: يحتمل أَنْ يُريد مَنْ فَتَحَ: «يا ابن أُمَّ» أُمَّا، ويَحذفُ الألفَ، ومَنْ كَسَرَ: «ابن أمي» فيَحذف الياءَ. فإنْ قيل: لِمَ قال: «يا ابنَ أُمَّ» ولم يَقُل: «يا ابن أب»؟ فالجواب أَنَّ ابنَ عباسٍ قال: كان أخاه لأبيه وأُمِّه، وإنَّما قال له ذلك لِيُرقِّقه عليه. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: والإنسانُ عند ذِكر الوالدة أرقُّ منه عند ذِكر الوَالِد. وقيل: كان لأُمِّه دونَ أبيه، حكاه الثَّعلبيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ يعني عَبَدَةَ العِجلِ. ﴿ٱسْتَضْعَفُونِي﴾ أي: استذَلُّوني ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ قرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ مُحَيصنٍ وحُميدٌ: «فلا تَشْمَتْ» بتاءٍ مفتوحةٍ مع فتح الميم، «الأعداءُ» بالرفع، وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو العَالِية، والضَّحَّاكُ، وأبو رَجَاء: «فلا تَشْمِتْ» بفتح التاء وكَسرِ الميم، «الأعداءَ» بالنَّصب. وقرأ أبو الجَوزَاء، وابنُ أبي عَبلَةَ مثلَ ذلك، إلاَّ أنهما رَفَعا «الأعداءُ». ويعني بالأعداء: عَبَدَةَ العِجلِ. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ في مَوجِدَتك وعُقوبتكَ لي ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وهم عَبدةُ العِجلِ. فلمَّا تبيَّن لهُ عُذرُ أخيه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الجزيَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ما أُمِروا به مِنْ قَتْلِ أنْفُسِهم، قاله الزَّجَّاجُ. فعلى الأول يكون ما أُضيفَ إليهم مِنَ الجزية في حقِّ أولادِهم، لأنَّ أولئك قُتِلوا ولم يُؤدُّوا جزيَةً. قال عَطيَّةُ: وهذه الآية فيما أصابَ بني قُرَيظةَ والنَّضيرِ مِنَ القَتْلِ والجَلاءِ لتولِّيهم مُتَّخذي العِجلِ ورِضاهم به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كذلك أُعاقبُ مَنِ اتَّخذَ إلهاً دُوني، وقال مالكُ بن أنسٍ: ما مِنْ مُبتَدعٍ إلاَّ وهو يَجدُ فوقَ رأسه ذُلَّةً، وقرأ هذه الآية. وقال سُفيانُ بن عُيينَةَ: ليس في الأرض صاحبُ بِدعةٍ إلاَّ وهو يجدُ ذِلَّةً تغشاهُ، قال: وهي في كتاب الله تعالى: قالوا: وأينَ هي؟ قال: أَوَ ما سَمعتُم قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قالوا: يا أبا محمَّدٍ، هذه لأصحاب العِجلِ خاصَّةً، قال: كلا، أتلُو ما بعدها. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ فهي لكلِّ مُفترٍ ومُبتدعٍ إلى يوم القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الشِّرك. **والثاني**: الشِّرك وغيرُه مِنَ الذُّنوب. ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ يعني السيئات. وفي قوله تعالى: ﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾ قولان: **أحدهما**: آمنوا بالله؛ وهو يُخرَّجُ على قول مَنْ قال: هي الشِّركُ. **والثاني**: آمنوا بأنَّ الله تعالى يَقبلُ التَّوبة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ يعني السَّيئات.

---

(١) البيت منسوب إلى أبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي «اللسان» شقق.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمرانَ «سكَّت» بفتح السين وتشديدِ الكاف وبتاءٍ بعدها، «الغضب» بالنَّصب. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وابنُ يَعمُر، والجُحدُريُّ «سُكِّت» بضمِّ السين وتشديدِ الكاف مع كَسْرِها. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرمَةُ، وطَلحَةُ «سَكَنَ» بنونٍ. قال الزَّجاجُ «سَكَتَ» بمعنى سَكَنَ، يقال: سَكَتَ يَسكُتُ سَكْتاً: إذا سَكَنَ، وسكتَ يَسكتُ سُكْتاً وسُكوتاً: إذا قطعَ الكلام. قال: وقال بعضهم: المعنى: ولمَّا سكَت موسى عن الغضب، على القَلْب، كما قالوا: أدخلتُ القَلَنسُوَةَ في رأسي. والمعنى: أدخلتُ رأسي في القَلَنسُوَة، والأولُ هو قولُ أهل العربية.

قوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ يعني التي كان ألْقاها. وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ قولان: **أحدهما**: وفيما بقيَ منها؛ قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: وفيما نُسِخَ فيها؛ قاله ابنُ قُتيبَةَ.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في الذين يخافون الله، وهو معنى قول قَتادَةَ. **والثاني**: أنَّهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ خاصَّةً، وهو معنى قول قَتادة.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ المعنى: اختارَ مِنْ قومه، فحُذِفَ «من»، تقول العرب: اخترتُكَ القومَ، أي: اخترتُكَ مِنَ القوم، وأنشدوا:

مِنَّا الذي اختِيرَ الرِّجالَ سَماحةً ... وجُوداً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَّعازِعُ[1]

هذا قول ابنِ قُتيبة، والفرَّاء، والزَّجَّاج.

وفي هذا المِيقَات أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المِيقَاتُ الذي وَقَّتَهُ اللَّهُ لموسى ليأخذَ التَّوراةَ، أُمِرَ أن يأتي معه بسبعينَ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال نَوفُ البِكَاليُّ. **والثاني**: أنه ميقاتٌ وَقَّتَهُ الله تعالى لموسى، وأَمَرَه أنْ يختارَ مِنْ قومه سبعين رجلاً لِيَدْعُوا ربَّهم، فدَعوا فقالوا: اللهُمَّ أَعطِنا ما لم تُعطِ أحداً قَبلَنا، ولا تُعطيه أحداً بعدَنا، فكَرِهَ اللَّهُ ذلك، وأخذَتهمُ الرَّجفةُ، رواه عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه مِيقاتٌ وَقَّتَهُ اللَّهُ لموسى، لأنَّ بني إسرائيلَ قالوا له: إنَّ طائفةً تَزعمُ أنَّ الله لا يُكلِّمكَ، فَخُذْ معك طائفة منَّا لِيسمَعوا كلامَه فيُؤمنوا فتذهبَ التُّهمَةُ، فأوحى الله إليه أنِ اختَرْ مِنْ خِيارِهم سبعينَ، ثم ارتَقِ بهم على الجَبلِ أنتَ وهَارونُ، واستَخلِفْ يُوشَعَ بن نُونٍ، ففعل ذلك؛ قاله وَهبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والرابع**: أنه مِيقاتٌ وَقَّتَهُ اللَّهُ لموسى لِيلقَاهُ في ناسٍ مِنْ بني إسرائيلَ، فيعتذر إليه مِنْ فِعْلِ عَبَدَةِ العِجلِ، قاله السُّدِّيُّ. وقال ابنُ السَّائِب: كان موسى لا يأتي رَبَّه إلاَّ بإذنٍ منه.

فأمَّا الرَّجفةُ فهي الحَركةُ الشَّديدةُ. وفي سبب أَخذِهَا إيَّاهُم أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنه ادَّعاؤهُم على موسى قَتْلَ هَارونَ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ. والثاني: اعتِدَاؤهُم في الدُّعاءِ، وقد ذكرناه في رواية ابنِ

(١) البيت منسوب إلى الفرزدق: ديوانه: ٥١٦ «اللسان» خير.

أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنهم لم يَنهَوْا عَبَدَة العِجلِ ولم يَرْضَوْا؛ نُقِلَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وقال قَتادَةُ، وابنُ جُرَيج: لم يأمروهُم بالمعروفِ، ولم يَنْهَوْهم عن المُنكرِ، ولم يُزايلُوهم. **والرابع**: أنَّهم طَلَبوا سماعَ الكلامِ مِنَ الله تعالى، فلمَّا سَمِعُوه قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[1]؛ قاله السُّدِّيُّ وابنُ إسحاقَ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ قال السُّدِّيُّ: قامَ موسى يبكي ويقول: رَبِّ ماذا أقولُ لِبَني إسرائيلَ إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خِيارَهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾. وقال الزَّجّاج: لو شئتَ أمَتَّهم قبلَ أنْ تبتَلِيَهم بما أوجَب عليهم الرَّجفَةَ. وقيل: لو شِئتَ أهلكتَهم مِنْ قبل خُروجنا وإيَّاي، فكان بَنو إسرائيلَ يُعاينُون ذلك ولا يَتَّهمونَني.

قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ قال المُبَرِّدُ: هذا استفهامُ استعطافٍ، أي: لا تُهلِكْنا. وقال ابنُ الأنبارِي: هذا استفهامٌ على تأويلِ الجَحدِ، إذ أرادَ لستَ تفعلُ ذلكَ. و«السُّفهاء» ها هنا: عَبدَةُ العِجلِ. وقال الفَرّاءُ: ظنَّ موسى أنهم أُهلِكوا باتِّخاذ أصحابهم العِجلَ. وإنما أُهلِكوا بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنَّها الابتلاءُ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبَيرٍ، وأبو العَالِية. **والثاني**: العذابُ، رواه ابنُ أبي طَلحَة عن ابنِ عبّاسٍ، وبه قال قَتادَةُ. قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصِرُنا وحافِظُنا.

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾ أي: حقِّقْ لنا وأوجِبْ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمالُ الصَّالحة ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ المَغفرةُ والجنَّة ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تُبْنا، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو العَالِية، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّي. وقال ابنُ قُتَيبةَ: ومنه ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾[2] كأنَّهم رَجعوا مِنْ شيءٍ إلى شيءٍ. وقرأ أبو وَجزَةَ السَّعدِي: «إنا هِدنا» بكسر الهاء. قال ابنُ الأنبارِي: المعنى: لا نَتغَيَّر؛ يقال: هَادَ يَهُودُ ويَهِيدُ.

---

(١) سورة البقرة: ٥٥.
(٢) سورة البقرة: ٦٢.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾. وقرأ الحَسَنُ البَصريّ، والأعمَشُ، وأبو العَالية: «من أساء» بسِينٍ غير مُعجَمةٍ مع النَّصب.

قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ في هذا الكلام أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ مخرجَهُ عامٌ ومعناه خَاصٌّ، وتأويله: ورَحمتي وَسِعت المؤمنين مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ هذه الرَّحمَة على العُموم في الدنيا، والخُصوصِ في الآخرة؛ وتأويلُها: ورَحمتي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ في الدنيا، البَرَّ والفَاجِرَ، وفي الآخرة هي للمُتَّقين خاصَّةً، قاله الحَسَنُ، وقَتادَةُ. فعلى هذا، معنى الرَّحمةِ في الدنيا للكافر أنه يُرزَقُ ويُدفَعُ عنه، كقوله في حقِّ قَارُونَ: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[1]. **والثالث**: أنَّ الرَّحمَة: التَّوبةُ، فهي على العُمومِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنَّ الرَّحمَة تَسَعُ كلَّ الخَلْقِ إلاَّ أنَّ أهلَ الكُفر خارجون منها، فلو قُدِّر دخولُهم فيها لَوَسِعَتْهُم، قاله ابنُ الأنبَاري. قال الزَّجَّاجُ: وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ في الدنيا. ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الآخِرة. قال المُفسِّرون: معنى «فسأكتبها»: فسأُوجِبُها. وفي الذين يتَّقون قولان: **أحدهما**: أنهم المتَّقون للشِّرك، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: للمعاصي، قاله قَتادَةُ. وفي قوله تعالى. ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها زَكاةُ الأموال، قاله الجمهور. **والثاني**: أنَّ المُرادَ بها طاعةُ اللَّهِ ورَسُولِه، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ، ذهبا إلى أنها العملُ بما يُزَكِّي النَّفسَ ويُطَهِّرَها.

وقال ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ: لمَّا نزلت ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ قال إبليسُ: أنا مِنْ ذلك الشَّيءِ، فنزَعَها الله مِنْ إبليسَ، فقال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾، فقالت اليهودُ والنَّصارى: نحن نتَّقي، ونُؤتي الزَّكاة، ونُؤمنُ بآياتِ رَبِّنا، فنَزَعها اللَّهُ منهم، وجَعلَها لهذه الأمَّةِ، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾. وقال نوفٌ: قال اللَّهُ تعالى لموسى: أَجعلُ لكمُ الأرضَ طَهُوراً ومَسجِداً، وأجعلُ السَّكينَةَ معكم في بُيوتِكم، وأجعلُكم تقرؤونَ التَّوراةَ عن ظُهورِ قُلوبِكم، يَقرؤها الرَّجلُ منكم والمَرأةُ والحُرُّ والعَبدُ والصغيرُ والكبيرُ. فأخبرَ موسى قومَهُ بذلك، فقالوا: لا نُريدُ أن نُصلِّي إلاَّ في الكنائِسِ ولا أَنْ تكونَ السَّكِينةُ إلاَّ في التَّابُوت، ولا أَنْ نقرأ التَّوراةَ إلاَّ نَظَراً، فقال اللَّهُ تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾. وفي هؤلاءِ المذكورين في قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم كلُّ مَنْ آمَن بمحمَّدٍ ﷺ، وتَبِعَهُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه محمَّدٌ ﷺ، قاله السُّدِّيُّ، وقَتادَةُ. وفي تسميته بالأُمِّيِّ قولان: **أحدهما**: لأنه لا يَكتُبُ. **والثاني**: لأنه مِنْ أُمِّ القُرى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ أي: يجدون نَعتَهُ ونُبوَّتَهُ.

قوله تعالى: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يجوز أنْ يكون مُستأنفاً، ويجوز أنْ يكون «يجدونه مكتوباً عندهم» أنه يأمرهم بالمعروفِ. قال ابنُ عباسٍ: المعروف: مَكارمُ الأخلاق، وصِلَةُ الأرحَام. والمُنكرُ: عبادةُ الأوثان، وقَطْعُ الأرحَام. وقال مُقاتِلٌ: المَعروفُ: الإيمانُ، والمُنكرُ: الشِّركُ. وقال غيره: المعروفُ: الحقُّ، لأنَّ العقولَ تَعرف صِحَّتَهُ، والمُنكرُ: الباطلُ، لأنَّ العقولَ تُنكر صِحَّتَهُ. وفي الطَّيباتِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحلالُ، والمعنى: يُحِلُّ لهم الحلالَ. **والثاني**: أنها ما

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

كانت العرب تَستَطِيبُه. **والثالث**: أنها الشُّحوم المُحرَّمة على بَني إسرائيلَ. **والرابع**: ما كانت العربُ تُحرِّمه مِنَ البَحيرَةِ، والسَّائِبَةِ، والوَصيلَةِ، والحَام. وفي الخَبائثِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحَرامُ، فالمعنى: ويُحَرِّمُ عليهم الحَرامَ. **والثاني**: أنهاَ ما كانت العربُ تَستَخبِثُه ولا تأكلُه، كالحَيَّاتِ، والحَشَراتِ. **والثالث**: ما كانوا يَستَحِلُّونه مِنَ المَيْتَةِ، والدَّمِ، ولحم الخِنزيرِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ «إِصرَهُم». وقرأ ابنُ عَامرٍ «آصارَهُم» ممدودةَ الألف على الجَمع. وفي هذا الإِصْرِ قولان[١]:

أحدهما: أنه العَهدُ الذي أخذَ اللَّهُ على بني إسرائيلَ أنْ يعملوا بما في التَّوراةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: التَّشديدُ الذي كان عليهم مِنْ تحريم السَّبتِ، والشُّحوم والعُرُوقِ، وغير ذلك من الأمور الشَّاقةِ، قاله قَتادَةُ. وقال مَسْرُوقٌ: لقد كان الرجلُ مِنْ بني إسرائيلَ يُذنبُ الذَّنبَ، فيُصبحُ وقد كُتِبَ على باب بَيتِهِ: إنَّ كفارتَهُ أَنْ تنزِعَ عَينيك، فينزِعُهما.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ذِكرُ الأغلالِ تَمثيلٌ، أَلا ترى أنكَ تقولُ: جعلتُ هذا طَوقاً في عُنقكَ، وليس هناك طَوقٌ، إنَّما جعلتَ لُزومه كالطَّوق. والأغلالُ: أنه كانَ عليهم أنْ لا يقبَل منهم في القَتْلِ دِيَةٌ، وأنْ لا يعملوا في السَّبتِ، وأنْ يَقرِضُوا ما أصابَ جُلودَهم مِنَ البَولِ.

قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ يعني بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وروى أَبانُ «وعَزَروه» بتخفيفِ الزَّاي. وفي المعنى قولان: **أحدهما**: نَصرُوه وأَعانُوه، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: عَظَّمُوه، قاله ابنُ قُتيبةَ. والنُّورُ الذي أُنزلَ معه: القرآنُ، سمَّاهُ نُوراً، لأنَّ بيانَهُ في القلوب كَبَيانِ النُّور في العُيون. وفي قوله «معه» قولان: **أحدهما**: أنَّها بمعنى «عليه». **والثاني**: بمعنى أُنزِلَ في زَمانِه. قال قَتادَةُ: أمَّا نَصْرُهُ، فقد سُبقتُم إليه، ولكنَّ خَيْرَكُم مَنْ آمَنَ به واتَّبعَ النُّورَ الذي أُنزلَ معه.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ في الكلماتِ قولان[٢]:

أحدهما: أنها القرآن، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قَتادَةُ: كَلِمَاتُه: آياتُه.

والثاني: أنها عيسى ابنُ مَريمَ، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيّ.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يَدعُون إلى الحقِّ. **والثاني**: يعملونَ به.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن «الإصر» هو العهد ـ وقد بينا ذلك بشواهده في موضع غير هذا بما فيه الكفاية ـ وأن معنى الكلام: ويضع النبي الأمي العهد الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل، من إقامة التوراة والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم. ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة فنسخها حكم القرآن. اهـ.

(٢) وقال الطبري في تفسيره ٦/ ٨٨: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ولم يخصص الخبر جل ثناؤه عن إيمانه من «كلمات الله» ببعض، بل أخبرهم عن جميع الكلمات فالحق في ذلك أن يعم القول فإن رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلها. على ما جاء به ظاهر كتاب الله اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ قال الزَّجّاجُ: وبالحقِّ يحكمُونَ. وفي المُشارِ إليهم بهذا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّهم قومٌ وراءَ الصِّين لم تَبلُغهم دعوةُ الإسلام، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: أنَّهم مَنْ آمَنَ بالنبيِّ ﷺ مثلَ ابنِ سَلامٍ وأصحابه، قاله ابنُ السَّائِب. **والثالث**: أنهم الذين تَمسَّكوا بالحقِّ في زمنِ أنبيائِهم، ذكره المَاوَرْدِي.

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ﴾ يعني قومَ موسى، يقول: فرَّقناهم ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا﴾ يعني أولادَ يعقوبَ، وكانوا اثني عشرَ ولداً، فولَدَ كلُّ واحدٍ منهم سِبْطاً. قال الفرَّاءُ: وإنَّما قال «اثنَتي عَشرةَ» والسِّبطُ ذكرٌ، لأنَّ بعده «أُمَماً» فذهب بالتَّأنيث إلى الأُمَم، ولو كان «اثني عَشر» لِتذكيرِ السِّبطِ، كان جائزاً. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقطَّعناهمُ اثنتَي عَشْرَةَ فِرقَةَ، «أَسباطاً» نَعتُ «فِرقة» كأنَّه يقول: جعلناهم أسباطاً، وفرَّقناهم أسباطاً، فيكون «أسباطاً» بَدَلاً مِنْ «اثنتَي عَشْرَة» و «أُمماً» مِنْ نعتِ أسباطٍ. والأسباطُ في وَلَدِ إسحاقَ بمنزلة القَبائِل ليُفصَلَ بين وَلَدِ إسماعيلَ وبينَ وَلَدِ إسحاقَ. وقال أبو عُبيدَة: الأسباطُ: قبائلُ بني إسرائيلَ، احدُهم: سِبْطٌ. ويقال: مِنْ أيِّ سِبطٍ أنتَ؟ أي: مِنْ أيِّ قبيلةٍ وجِنسٍ؟

قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: اِنفجرت؛ يقال: تَبجَّسَ الماءُ، كما يُقال: تفجَّرَ؛ والقصة مذكورةٌ في سورة (البقرة).

قوله تعالى: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «نغفر لكم خطيئاتكم» بالتاء مهموزةً على الجمع. وقرأ أبو عَمرٍو «نغفر لكم خطاياكم» مثل: قَضَايَاكم، ولا تاءَ فيها. وقرأ نافعٌ «تُغفَر» بالتاء مضمومةً «خطيئاتُكم» بالهمزِ وضمِّ التاء، على الجمعِ، وافقهُ ابنُ عامرٍ في «تُغفَر» بالتاء المَضمومةِ، لكنه قرأ «خطيئتُكم» على التَّوحيدِ.

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ﴾ يعني أَسْباطَ اليهود، وهذا سؤالُ تقريرٍ وتَوبيخٍ يُقرِّرهم على قديمِ كُفرِهم، ومُخالفةِ أسلافِهم الأنبياءَ، ويُخبرهم بما لا يُعلَمُ إلاَّ بوَحيٍ. وفي القَريةِ خمسةُ أقوالٍ[1]:

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٢: والصواب من القول في ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر، وجائز أن تكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا. لأن كل ذلك حاضرة البحر. ولا خبر عن رسول =

أحدها: أنها أيلة[١]، رواه مُرَّةُ عن ابنِ مسعودٍ، وأبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ، وقَتادةُ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: أنها مَدْيَنُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها ساحلُ مَدْيَنَ، رُوي عن قَتادَةَ. **والرابع**: أنها طَبَرِيَّةُ، قاله الزُّهريّ. **والخامس**: أنها قريةٌ يُقال لها: مقنا[٢]، بين مَدْيَن وعينونا، قاله ابنُ زيدٍ. ومعنى ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مُجاورةَ البحر وبقُربه وعلى شاطئِه. ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي يَظلمون، يُقال: عَدَا فلانٌ يَعدُو عُدْواناً وعَداءً وعَدْواً وعُدُوّاً: إذا ظَلَمَ، ومَوضعُ «إذ» نصبٌ؛ والمعنى: سَلْهُمْ عن وقتِ عَدْوِهم في السَّبت. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ في مَوضعِ نَصبٍ أيضاً بـ «يَعْدُونَ» والمعنى: سَلْهُم إذ عَدَوْا في وقتِ الإتيانِ. ﴿شُرَّعًا﴾ أي: ظاهرةً. ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ أي: مثلَ هذا الاختبارِ الشديدِ نَختبِرُهُم بفسقِهم. ويحتمل على بُعْدٍ أنْ يكون المعنى ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ كذلك، أي: لا تأتِيهم شُرَّعاً؛ ويكون ﴿نَبْلُوهُم﴾ مُستأنَفاً. وقرأ الأعمَشُ، وأبانُ، والمُفضَّلُ عن عاصمٍ: «يُسبِتون» بضمِّ الياء.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: افترقَ أهلُ القرية ثلاثَ فِرَقٍ؛ فِرقَةٌ صادَتْ وأكَلَتْ، وفِرقَةٌ نَهَتْ وزَجرتْ، وفِرقَةٌ أمسكَتْ عن الصَّيدِ، وقالت لِلفرقَةِ النَّاهيةِ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ لامُوهُم على مَوعظةِ قَومٍ يعلمون أنَّهم غيرُ مُقلِعينَ، فقالت الفِرقَةُ النَّاهيةُ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ؛ ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «معذرةٌ» رَفعاً، أي: مَوعِظَتُنا إيَّاهم مَعذِرةٌ، والمعنى أنَّ الأمرَ بالمعروف واجبٌ علينا، فعَلينا موعظةُ هؤلاءِ عُذراً إلى الله. وقرأ حَفصٌ عن عَاصمٍ: «معذرةً» نَصباً، وذلك على معنى نَعتَذِرُ معذِرةً. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: وجائزٌ أنْ ينتفعوا بالمَوعِظةِ فيَترُكوا المعصية.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ يعني: تَركوا ما وُعِظوا به ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهم النَّاهُونَ عن المُنكرِ. والذين ظلموا هُمُ المُعتدون في السَّبت.

قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «بَئِيس» على وزن فَعيلٍ، فالهمزةُ بين الباء والياء. وقرأ نَافعٌ: «بِيسٍ» بكسر الباء مِنْ غيرِ همزٍ. وقرأ ابنُ عَامرٍ كذلك، إلا

= الله ﷺ يقطع العذر بأي ذلك من أي، والاختلاف فيه على ما وصفت. ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه، إلا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك. اهـ.

(١) أيلة: مدينة على ساحل القلزم مما يلي الشام، وقيل في آخر الحجاز وأول الشام «معجم البلدان» ١/ ٢٩٢.

(٢) مقنا قرب أيلة «معجم البلدان» ٥/ ١٧٨.

أنَّه هَمزَ. وروى خَارِجَةُ عن نَافع: «بَيْسٍ» بفتح الباء مِنْ غير هَمزٍ، على وزن «فَعْلٍ». وروى أبو بَكرٍ عن عَاصم: «بَيْأسٍ» على وزن «فَيْعَلٍ». وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِين، وأيُّوبُ: «بَيْآسٍ» على وزن «فَيْعالٍ». وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، ومعاذٌ القارئ: «بَئِسٍ» بفتح الباء وكسرِ الهمزة مِنْ غير ياءٍ على وزن «تَعِسٍ». وقرأ الضَّحَّاكُ، وعِكرمَةُ: «بَيِّسٍ» بتشديد الياء مثل «قَيِّم». وقرأ أبو العَالِية، وأبو مِجْلَزٍ: «بَئِسَ» بفتح الباءِ والسين وبهمزةٍ مكسورةٍ مِنْ غير ياءٍ ولا ألفٍ على وزن «فَعِل». وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو رِجَاء: «بائسٍ» بألفٍ ومَدَّةٍ بعد الباء وبهمزةٍ مكسورةٍ بوزن «فاعِلٍ». قال أبو عُبيدَةَ: البَئِيسُ: الشَّديدُ، وأنشد:

حَيفاً عَلَيَّ وما تَرَى لِيْ فِيهِمُ أَثَراً بَئِيسَا[١]

وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: بَئِسَ يَبأسُ بَأساً، والعَاتِي: الشَّديدُ الدُّخولِ في الفَسادِ، المُتَمَرِّدُ الذي لا يَقبلُ مَوعظَةً. وقال ابنُ جَرير: «فلمَّا عَتَوا» أي: تَمَرَّدُوا فيما نُهوا عنه؛ وقد ذكرنا في سورة (البقرة): قصَّةَ مَسخِهم. وكان الحسَنُ البَصري يقول: واللَّهِ ما لحومُ هذه الحِيتَانِ بأعظمَ عندَ اللَّهِ مِنْ دماءِ قومٍ مُسلمينَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَعْلَمَ، قاله الحسَنُ، وابنُ قُتَيبة، وقال: هو مِنْ آذَنْتُكَ بالأمرِ. وقال ابنُ الأنبَاري: «تَأَذَّنَ» بمعنى آذَنَ؛ كما يُقال: تعلَّمْ أَنَّ فُلاناً قائمٌ، أي: اِعْلَمْ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: أي: أَعْلَمَ أنبياءَ بَني إسرائيلَ. **والثاني**: حَتَمَ، قاله عَطَاءٌ. **والثالث**: وَعَدَ، قاله قُطْرُبُ. **والرابع**: تَأَلَّى، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليَهودِ. وقال مُجاهِدٌ: على اليهودِ والنَّصارى بمعاصِيهم. ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾ أي: يُولِّيهم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾. وفي المَبعُوثِ عليهم قولان: **أحدهما**: أنه محمَّدٌ ﷺ، وأُمَّتُهُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: العرب، كانوا يَجْبُونَهم الخَراجَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، قال: ولم يَجْبِ الخَراجَ نبيٌّ قطُّ إلاَّ موسى، جَباهُ ثلاثَ عشرةَ سنةً، ثم أَمسكَ إلى النبيِّ ﷺ. وقال السُّدِّيُّ بعثَ اللَّهُ عليهم العربَ يأخذون منهم الجِزيَةَ ويقتلونَهم. وفي سوءِ العذاب أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الجِزيَةُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: المَسْكَنةُ والجِزيَةُ، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: الخَراجُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنه القِتالُ حتى يُسْلِموا، أو يُعطُوا الجِزيَةَ.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: فَرَّقناهم فِرَقاً. قال ابنُ عباسٍ: همُ اليهودُ، ليس مِنْ بلدٍ إلاَّ وفيه منهم طَائفةٌ. وقال مُقاتِلٌ: هم بَنُو إسرائيلَ. وقيل: معناه: شَتَاتُ أمرِهم وافتِرَاقُ كَلِمَتِهِم. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهمُ المؤمنون بعيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلام. ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وهم الكفَّارُ. وقال ابنُ جَريرٍ: إنما كانوا على هذه الصِّفةِ قبل أنْ يُبعثَ عيسى، وقبل ارتِدَادِهم.

---

(١) البيت منسوب إلى ذي الإصبع العدواني «الأغاني» ٣/ ١٠٢. وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٣١.

قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ وهي الخير، والخِصبُ، والعافيةُ، ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي الجَدْبُ، والشرُ، والشَّدائدُ؛ فالحسناتُ والسَّيئاتُ تحثُّ على الطَّاعة، أمَّا النِّعَمُ فَلِطَلَبِ الازدياد منها، وخَوفِ زوالِها، والنِّقَمُ فَلِكَشفِها، والسَّلامَةِ منها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يَتُوبُوا.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مِنْ بَعدِ الذين وَصَفناهم. ﴿خَلْفٌ﴾ وقرأ الجُونيُّ، والجحدريُّ: «خَلَفٌ» بفتح اللام. قال أبو عُبيدَةَ: الخَلْفُ والخَلَفُ واحدٌ؛ وقومٌ يجعلون المُحرَّكَ اللامِ، للصَّالح، والمُسَكَّنَ، لغيرِ الصَّالح. وقال ابنُ قُتيبةَ: الخَلْفُ: الرَّديءُ مِنَ الناس ومِنَ الكلام، يُقالَ: هذا خَلْفٌ مِنَ القولِ. وقال ابنُ الأنبارِي: أكثرُ ما تَستعملُ العربُ الخَلْفَ، بإسكانِ اللامِ، في الرَّديءِ المَذمُوم، وتَفتحُ اللامَ في الفَاضِلِ المَمدُوحِ. وقد يُوقَعُ الخَلَفُ على المَمدُوحِ، والخَلْفُ على المَذمُومِ؛ غير أنَّ المُختارَ ما ذكرناه.

وفي المراد بهذا الخَلْفِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم اليهودُ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: النَّصارى. **والثالث**: أنَّ الخَلْفَ مِنْ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، والقولان عن مُجاهِدٍ.

فإنْ قيل: الخَلْفُ واحدٌ، فكيف قال: ﴿يَأْخُذُونَ﴾ وكذلكَ قال في (مريم) ﴿أَضَاعُوا۟﴾[2]؟ فقد ذكر ابنُ الأنبارِي عنه جوابين: **أحدهما**: أنَّ الخَلْفَ جمعُ خَالِفٍ، كما أنَّ الرَّكْبَ جمعُ رَاكِبٍ، والشَّرْبَ جمعُ شَارِبٍ. **والثاني**: أي الخَلْفُ مصدرٌ يكون للاثنين والجميع، والمُذكرِ والمُؤنَّثِ.

قوله تعالى: ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: انتقلَ إليهم انتقالَ المِيراثِ مِنْ سَلَفٍ إلى خَلَفٍ، فيخرج في الكتاب ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه التَّوراة. **والثاني**: الإنجيل. **والثالث**: القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: هذه الدُّنيا، وهو ما يَعرِضُ لهم منها. وقيل: سمَّاهُ عَرَضاً، لِقلَّةِ بقائِه. قال ابنُ عباسٍ: يأخذون ما أَحَبُّوا مِنْ حلالٍ أو حرام. وقيل: هو الرِّشوة في الحُكم. وفي وَصفِهِ بالأدنى قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ الدُّنُوِّ. **والثاني**: أنه مِنَ الدَّناءَةِ.

قوله تعالى: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: إنَّا لا نُؤاخَذُ، تمنِّياً على الله الباطلَ. **والثاني**: أنه ذنبٌ يَغفِرُهُ اللَّهُ لنا، تأميلاً لرَحمَةِ اللَّهِ تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٥: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره إنما وصف أنه خلف القوم الذين قص قصصهم في الآيات التي مضت، خلف سوء رديء ولم يذكر لنا أنهم نصارىٰ في كتابه، وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارىٰ. وبعد فإن ما قبل ذلك خبر عن بني إسرائيل وما بعده كذلك، فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه. إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به. اهـ.

(٢) سورة مريم: ٥٩.

قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: لا يُشبِعُهم شيءٌ، فَهُمْ يأخذونَ لغيرِ حَاجةٍ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: أنَّهم أهلُ إصرَارٍ على الذنوب، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: وَكَّدَ اللَّهُ عليهم في التَّوراة أنْ لا يقولوا على الله إلاَّ الحقَّ، فقالوا الباطلَ، وهو ما أَوجَبُوا على الله مِنْ مَغفرةِ ذُنوبِهم التي لا يَتُوبونَ منها، وليس في التَّوراة مِيعَادُ المَغفرةِ مع الإصرَارِ.

قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ معطوفٌ على «ورثوا». ومعنى «درسوا ما فيه»: قَرَؤوه، فكأنهُ قال: خالَفوا على عِلمٍ. ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي: ما فيها مِنَ الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الباقي خيرٌ مِنَ الفَانِي. قرأ ابنُ عَامرٍ ونَافعٌ وحَفصٌ عن عَاصمٍ بالتاء، والباقون بالياء.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ «يُمَسِّكون» مُشدَّدةً، وقرَؤوا ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾(١) مُخففةً، وقرأَهُما أبو عَمرٍو بالتَّشديد. وَروى أبو بكرٍ عن عَاصمٍ أنه خَفَّفهما. ويقال: مسَّكتُ بالشيءِ، وتمسَّكتُ به، واستَمسَكتُ به، وامتَسَكتُ به. وهذه الآيةُ نزلت في مُؤمِني أهلِ الكتاب الذين حَفِظُوا حُدودَهُ ولم يُحَرِّفوه، منهم عبدالله بنُ سَلاَّمٍ وأصحابُه. قال ابنُ الأنبَارِي: وخبرُ «الذين»: «إنا» وما بعدَهُ، وله ضَميرٌ مُقدَّرٌ بعدَ «المصلحين» تأويلُه: والذين يُمَسِّكون بالكتاب إنَّا لا نُضيعُ أَجرَ المُصلِحِينَ مِنهُم، ولهذه العِلَّةِ وَعَدَهُم حِفظَ الأجرِ بشرطٍ، إذ كان منهم مَنْ لم يَصْلُحْ. قال: وقال بعضُ النَّحويين: المُصلِحون يَرجِعُونَ على الذين، وتلخيصُ المعنى عنده: والذين يُمَسِّكون بالكتابِ وأقاموا الصَّلاة إنَّا لا نُضِيعُ أجرَهم، فأظهَرت كِنايتَهم بالمُصلِحينَ، كما يُقال: عَليٌّ لَقِيتُ الكِسَائيَّ، وأبو سعيدٍ رَويتُ عن الخُدريِّ، يراد: لَقيتُهُ ورَويتُ عنه. قال الشاعر:

فَيَا رَبَّ لَيلى أنتَ في كُلِّ مَوطِنٍ ... وَأَنْتَ الذي في رَحْمةِ اللَّهِ أَطْمَعُ(٢)

أراد في رَحمَتِه، فأظهرَ ضميرَ الهاء.

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: واذكُرْ لهم إذْ نَتَقْنَا الجبلَ، أي: رَفعنَاهُ. قال مُجاهِدٌ: أُخرجَ الجبلُ مِنَ الأرض، ورُفعَ فوقَهم كالظُّلَّةِ، فقيلَ لهم: لتَؤمِنُنَّ أو لَيقَعنَّ عليكم. قال قَتادَةُ: نزلُوا في أصلِ جَبلٍ، فرُفعَ فوقَهم، فقال: لتأخُذُنَّ أمري، أو لأرْمِيَنَّكم به.

قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الظَّنُّ المعروفُ. **والثاني**: أنه بمعنى اليَقين. وباقي الآية مُفسَّرٌ في (البقرة).

---

(١) سورة الممتحنة: ١٠.

(٢) البيت غير منسوب في «مغني اللبيب» ٢١٠.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾. روى ابنُ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٥٩٠] «أَخَذَ اللَّهُ المِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بنَعْمانَ» ـ ونعمان قريب من عرفة، ذكره ابن قتيبة ـ «فأَخرجَ مِنْ صُلبِه كلَّ ذُرِّيةٍ ذَرأَها، فَنَثرَهُم بين يديه كَالذَّرِّ، ثم كلَّمَهُم قِبَلاً، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾».

ومعنى الآية: وإذْ أَخذَ ربُّكم مِنْ ظُهورِ بَني آدَمَ. فقوله تعالى: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بَدلٌ مِنْ ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾. وقيل: إنَّما قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يَقُل: مِنْ ظَهرِ آدمَ، لأنه أخرجَ بعضَهُم مِنْ ظُهورِ بعضٍ، فاستغنى عن ذِكرِ ظَهْرِ آدمَ لأنه قد عُلِمَ أنهم بَنُوه، وقد أُخرِجُوا مِنْ ظَهرِهِ. وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعَاصمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيّ «ذُرِّيَّتَهُم» على التَّوحيد. وقرأ نَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ «ذُرِّيَّاتِهم» على الجَمع. قال أبو عليٍّ: الذُّرِّيةُ تكون جمعاً، وتكون واحداً. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أشهدَهُم على أنفسهم بإقرارِهم، قاله مُقاتلٌ. **والثاني**: دَلَّهُم بخَلْقِه على توحيدِه، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه أَشْهَدَ بعضَهم على بعضٍ بإقرارِهم بذلكَ، قاله ابنُ جَريرٍ.

قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ والمعنى: وقالَ لهُم: ألستُ بربِّكم؟ وهذا سؤالُ تَقريرٍ. قالوا: بَلَى شَهِدنا أنَّكَ رَبُّنا. قال السُّدِّيّ: قوله «شَهِدنا» خبرٌ مِنَ الله تعالى عن نَفْسِه وملائكتِه أنَّهم شَهِدُوا على إقرارِ بَني آدَمَ. ويَحسُنُ الوَقفُ على قوله «بلى» لأنَّ كلامَ الذُّرِّيةِ قد انقطَعَ. وزعمَ الكَلبيُّ أنَّ الذُّرِّيةَ لمَّا قالت: «بلى»، قال الله تعالى للملائكة: «اشهدوا» فقالوا: «شَهِدْنَا». وروى أبو العَاليَة عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ قال: جَمَعَهُم جميعاً، فجعلَهُم أزواجاً، ثم صَوَّرهم، ثم استَنطَقَهم، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ أنك إلهُنا. قال: فإنِّي أُشهِدُ عليكم السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ، وأُشهِدُ عليكم أباكُم آدمَ ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ لم نَعلَمْ بهذا. وقال السُّدِّيّ: أَجابَتْهُ طائفةٌ طائعين، وطائفةٌ كارِهينَ تَقِيَّةً.

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ قرأ أبو عَمرٍو «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياءِ فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. قال أبو عليٍّ: حُجَّةُ أبي عَمرٍو قولُه: «وإذ أخذ ربك» وقوله تعالى: «قالوا بلى»، وحجَّةُ مَنْ قرأ بالتاء، أنه قد جَرَى في الكلام خِطَابُ: «ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا». ومعنى قوله: «تقولوا»: لِئَلاَّ

---

[٥٩٠] الصحيح موقوف. أخرجه النسائي في «الكبرى» ١١١٩١ وأحمد ١/ ٢٧٢ ح ٢٤٥١. والطبري ١٥٣٤٩ والحاكم ١/ ٢٧ و ٢/ ٥٤٤ من حديث كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً. صححه الحاكم، وقال: احتج مسلم بكلثوم بن جبر، ووافقه الذهبي، وأما النسائي فقال: كلثوم هذا غير قوي، وحديثه غير محفوظ ا.هـ. والظاهر أن الوهم في رفعه إنما هو من جهة جرير بن حازم، فإنه ثقة لكن له أوهام إذا حدث من حفظه. أو الوهم ممن دونه فقد أخرجه الطبري ١٥٣٥٠ عن عبد الوارث عن كلثوم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. وتابعه ابن علية برقم ١٥٣٥١ عن كلثوم به موقوفاً، و ١٥٣٥٢، وبرقم ١٥٣٥٣ و ١٥٣٥٤، تابعه عطاء بن السائب فرواه عن سعيد عن ابن عباس موقوفاً، فالصواب في هذا الحديث الوقف كما رواه غير واحد، والله أعلم انظر «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية بتخريجنا.

تقولوا، ومِثْلُه: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[1]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّه إشارةٌ إلى المِيثَاقِ والإقرَارِ. **والثاني**: أنَّه إشارةٌ إلى مَعرفةِ أنه الخَالقُ. قال المُفسِّرون: وهذه الآيةُ تذكيرٌ مِنَ اللَّهِ تعالى بما أَخَذَ على جميع المُكلَّفين مِنَ المِيثَاقِ، واحتجاجٌ عليهم لِئَلاَّ يقول الكفَّارُ: إنَّا كُنَّا عن هذا المِيثَاقِ غافلين لم نَذْكُرْه، ونسيانُهم لا يُسقِطُ الاحتِجَاجَ بعد أنْ أخبرَ اللَّهُ تعالى بذلك على لسانِ النبيِّ ﷺ الصَّادقِ. وإذا ثبتَ هذا بقول الصَّادقِ، قامَ في النُّفوس مقامَ الذِّكرِ، فالاحتجَاجُ به قائمٌ.

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاتَّبعنا مِنهاجَهُم على جهلٍ منَّا بآلهيتك ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ في دَعوَاهُم أنَّ معكَ إلهاً، فقطعَ اللَّهُ احتجَاجَهُم بمثلِ هذا، إذْ أذكَرَهُم أَخْذَ الميثاقِ على كلِّ واحدٍ منهم. وجماعة أهل العلم على ما شَرحنَا مِنْ أنه استَنْطَقَ الذَّرَّ، وركَّب فيهم عقولاً وأفهَاماً عرفوا بها ما عُرِضَ عليهم. وقد ذكر بعضُهم أنَّ معنى أَخْذِ الذُّرِّيةِ: إخرَاجُهم إلى الدنيا بعد كَونِهم نُطَفاً، ومعنى إشهَادِهم على أنفسهم: اضطِرَارُهم إلى العِلم بأنه خَالِقُهم بما أظهرَ لهم مِنَ الآيات والبَراهين. ولمَّا عَرفوا ذلك ودَعاهُم كلُّ ما يرونَ ويُشاهدون إلى التَّصديق، كانوا بمنزلة الشَّاهِدين والمُشهِدين على أنفسهم بصحَّتِه، كما قال: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾[2] يُريدهم بمنزلة الشَّاهِدين، وإنْ لم يقولوا: نحنُ كَفرةٌ، كما يقول الرجلُ: قد شَهِدتْ جَوارحي بِصدقِكَ، أي: قد عَرفتُهُ. ومِنْ هذا الباب قولُه تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾[3] أي: بَيَّنَ وأعلَمَ وقد حكى نحوَ هذا القولِ ابنُ الأنبَارِي، والأول أصحُّ، لِمُوافقةِ الآثارِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: وكما بيَّنا في أَخْذِ المِيثاقِ الآيات، لِيَتَدبَّرها العبادُ فيعملوا بمُوجِبها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولكي يَرجِعوا عمَّا هُم عليه مِنَ الكُفرِ إلى التَّوحيد.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا نَسقٌ على ما قبلَهُ، والمعنى: أتلُ عليهم إذ أَخَذَ ربُّكَ، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ وفيه ستةُ أقوالٍ[4]:

[٥٩١] **أحدها**: أنه رجلٌ مِنْ بني إسرائيلَ يُقال له: بَلْعَم بن أَبَر، قاله ابنُ مسعودٍ. وقال ابن

---

[٥٩١] ورد عن جماعة من الصحابة والتابعين. فقد أخرجه الطبري ١٥٣٩٢ ـ ١٥٣٩٦ و ١٥٣٩٩ من طرق عن ابن مسعود وأخرجه برقم ١٥٣٩٨ و ١٥٤٠١ عن ابن عباس. وأخرجه برقم ١٥٤٠٣ و ١٥٤٠٤ عن مجاهد. وأخرجه ١٥٤٠٨ عن عكرمة، وله شواهد. وهذا القول هو أرجح الأقوال.

---

(١) سورة لقمان: ١٠. (٢) سورة التوبة: ١٧. (٣) سورة آل عمران: ١٩.

(٤) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٢٢: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته، وهي «الآيات»، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم» وجائز أن يكون «أمية» اهـ.

عباس: بَلْعَم بن بَاعُوراءَ. ورُوي عنه: أنه بَلعَام بن بَاعُور، وبه قال مُجاهدٌ، وعِكرمَةُ، والسُّدِّيّ. وروى العَوفيُّ عن ابن عباسٍ أن بَلعَماً مِن أهل اليمن. وروى عنه ابنُ أبي طَلحَةَ أنه من مَدينةِ الجَبَّارين.

[٥٩٢] والثاني: أنه أُميَّةُ بن أبي الصَّلتِ، قاله عبدُ الله بن عمرو بن العَاصِ، وسعيدُ بنُ المُسيِّبِ، وأبو رَوقٍ، وزيدُ بن أسلَمَ، وكان أميَّةُ قد قرأ الكُتبَ، وعلمَ أنَّ الله مرسِلٌ رسولاً، ورجا أنْ يكون هو، فلما بُعثَ النبيُّ ﷺ، حَسَدَهُ وكَفَر.

والثالث: أنه أبو عامرِ الرَّاهِبِ، روى الشَّعبيُّ عن ابن عباسٍ قال: الأنصارُ تقول: هو الرَّاهبُ الذي بُني له مسجدُ الشِّقَاقِ، ورُوي عن ابنِ المُسيِّبِ نحوُه. **والرابع**: أنه رجلٌ كان في بني إسرائيلَ، أُعطي ثلاثَ دَعواتٍ يُستجابُ له فيهنّ، وكانت له امرأةٌ له منها وَلَدٌ، وكانت سَمِجَةً دَميمَةً، فقالت أدع اللَّهَ أن يجعلني أجملَ امرأةٍ في بني إسرائيلَ، فدَعا اللَّهَ لها، فلما علمت أنْ ليس في بني إسرائيلَ مِثلَها، رَغِبتْ عن زوجها وأرادت غيرَهُ، فلمَّا رَغِبتْ عنه، دَعا اللَّهَ أن يجعلَها كلبةً نبَّاحةً، فذهبت منه فيها دَعوتَان، فجاء بَنُوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبرٌ أنْ صارت أُمُّنا كلبةً نباحة يُعَيِّرنا الناسُ بها، فادعُ اللَّهَ أنْ يَرُدَّها إلى الحالِ التي كانت عليها أوّلاً، فدعا اللَّهَ، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدَّعواتُ الثلاثُ، رواه عِكرمَةُ عن ابن عباسٍ، والذي رُوي لنا في هذا الحديث «وكانت سَمِجةً» بكسر الميم، وقد روى سِيبَويه عن العرب أنَّهم يقولون: رجلٌ سَمْجٌ: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمِج؛ بكسرِها. **والخامس**: أنه المنافقُ، قاله الحسَنُ. **والسادس**: أنه كلُّ مَنِ انسَلَخَ مِنَ الحق بعد أنْ أُعطيَهُ مِنَ اليهود والنَّصارى والحُنفَاءِ، قاله عِكرمَةُ.

وفي الآيات خمسةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه اسمُ الله الأعظَمُ، رواه عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ، وبه قال ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنَّها كتابٌ مِنْ كُتب الله عزَّ وجلَّ. روى عِكرمَةُ عن ابن عباسٍ قال: هو بَلعَامُ، أُوتيَ كتاباً فانسَلخَ منه. **والثالث**: أنه أُوتيَ نُبوَّةً، فَرَشَاهُ قومُه على أنْ يسكتَ، ففعلَ، وتَركَهُم على ما هُم عليه، قاله مُجاهِدٌ، وفيه بُعدٌ، لأنَّ الله تعالى لا يَصطفي لِرسالَتِه إلاَّ معصُوماً عن مثلِ هذه الحَال. **والرابع**: أنَّها حُججُ التَّوحيد، وفَهمُ أدِلَّته. **والخامس**: أنَّها العلمُ بكُتبِ الله عزَّ وجلَّ. والمشهورُ في التفسير أنه بَلعَامُ وكان مِنْ أمره على ما ذكره المُفسِّرون أنَّ موسى عليه السلام غزا البلدَ الذي هو فيه، وكانوا كُفَّاراً، وكان هو مُجابَ الدَّعوة، فقال مَلِكُهم: ادعُ على موسى، فقال: إنه مِنْ أهل ديني،

---

[٥٩٢] موقوف. أخرجه الطبري ١٥٤١٣ و ١٥٤١٤ و ١٥٤١٥ و ١٥٤١٧ عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/١٢٢: وكذلك «الآيات» إن كانت بمعنىٰ الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية. وعناه بها. فجائز أن يكون الذي كان «بلعم» وجائز أن يكون «أمية»، لأن «أمية» كان فيما يقال: قد قرأ من كتب أهل الكتاب. وإن كانت بمعنىٰ كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه السلام أن يتلو على قومه نبأه، أو بمعنىٰ اسم الله الأعظم، أو بمعنىٰ النبوة فغير جائز أن يكون معنياً به «أمية» لأن «أمية» لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك، ولا خبر بأي ذلك المراد، وأي الرجلين المعني، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أي ذلك المعني به من أي. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله. ونقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله. ا.هـ.

ولا ينبغي لي أنْ أدعوَ عليه، فأمرَ المَلِكُ أن تُنحت خشبةٌ لصَلْبِهِ، فلمَّا رأى ذلك، خرجَ على أتَانٍ ليدعوَ على موسى، فلما عَاينَ عَسْكَرهم، وقفت الأتَانُ فضَربَها، فقالت: لِمَ تضربني، وهذه نارٌ تتوقَّد قد منعتني أن أمشي؟ فارجِع، فرَجعَ إلى المَلِكِ فأخبره، فقال: إمَّا أنْ تدعوَ عليهم، وإمَّا أن أَصلبَكَ، فدَعا على موسى باسم الله الأعظم أنْ لا يدخلَ المدينةَ، فاستجاب اللّهُ له، فوقَع موسى وقومُه في التِّيهِ بدُعائه، فقال موسى: يا ربِّ، بأيِّ ذَنبٍ وقعنا في التِّيهِ؟ فقال: بدُعاء بَلعَم. فقال: يا ربِّ، فكما سمعتَ دُعاءَهُ عليَّ، فاسمَعْ دُعائي عليه، فدَعا الله أنْ يَنزِعَ منه الاسمَ الأعظمَ، فنُزِع منه. وقيل: إنه أمرَ قومَهُ أنْ يُزيِّنوا النساءَ ويُرسلوهنَّ في العَسكرِ ليَفشُوَ الزِّنا فيهم، فيُنصَروا عليهم. وقيل: إنَّ موسى قَتلَهُ بعد ذلك. وروى السُّدِّيُّ عن أشياخه أنَّ بَلعَمَ أتى إلى قومه مُتبرِّعاً، فقال: لا تَرهبوا بني إسرائيلَ، فإنَّكم إذا خَرجتُم لقتالِهم، دَعوتُ عليهم فهَلَكُوا، فكان فيما شاء عندهم مِنَ الدنيا، وذلك بعد مَضيِّ الأربعين سنةً التي تاهُوا فيها، وكان نَبيُّهم يُوشَعُ، لا موسى.

قوله تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ أي: خرج مِنَ العِلم بها.

قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أدرَكَهُ. يقال: اتَّبعتُ القومَ: إذا لَحِقتَهُم، وتَبعتُهم: سِرتُ في أثرِهم. وقرأ طَلحةُ بن مُصَرِّفٍ: «فاتَّبعه» بالتَّشديد. وقال اليَزيديّ: أتبعه واتَّبعه: لُغتان. وكأنَّ «أتبعه» خفيفةً بمعنى: قَفَاهُ، و «اتَّبعه» مشدَّدةً: حَذَا حَذْوَه. ولا يجوز أنْ تقولَ: أتْبَعناكَ، وأنتَ تريدُ: اتَّبَعناك، لأنَّ معناها: اقتدَينا بكَ. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: تَبعَ الرجلُ الشيءَ واتَّبعه بمعنىً واحدٍ. قال اللّهُ تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾[1] وقال: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: من الضالين، قاله مقاتل. **والثاني**: من الهالكين الفاسدين، قاله الزجاج.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ في هاء الكِناية في «رفعناه» قولان[3]: **أحدهما**: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قولُ الجمهور؛ فيكون المعنى: ولو شِئنا لرَفعنَا منزلةَ هذا الإنسان بما علَّمنا. **والثاني**: أنها تعود إلى الكُفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شِئنا لَرفعنَا عنه الكُفرَ بآياتِنا، وهذا المعنى مرويٌّ عن مُجاهِدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لو شِئنا لَحُلْنا بينه وبينَ المَعصيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: رَكَنَ إلى الدنيا وسَكَنَ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: أخلَدَ

---

(١) سورة البقرة: ٣٨. (٢) سورة يونس: ٩٠.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٦/١٢٦: وأولى الأقوال في التأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عم الخبر بقوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾. أنه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها و «الرفع» يعم معاني كثيرة: منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها، ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع. وجائز أن يكون الله عَنىٰ كل ذلك: أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه. وإذ كان ذلك الخبر جائزاً فالصواب من القول فيه أن لا يخص منه شيء. إذ لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل. اهـ.

وخَلَدَ، والأول أكثرُ في اللغة. والأرضُ ها هنا عبارةٌ عن الدنيا، لأنَّ الدنيا هي الأرضُ بما عليها. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنه رَكَنَ إلى أهل الدنيا، ويقال: إنَّه أَرضَى امرَأتَهُ بذلك لأنَّها حَمَلَتْه عليه. وقيل: أرضى بَني عمِّه وقومَه. **والثاني**: أنه رَكَنَ إلى شَهواتِ الدنيا؛ وقد بيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ والمعنى أنه انقادَ لِمَا دَعاهُ إليه الهَوى. قال ابنُ زيدٍ: كان هَواهُ مع قومِه. وهذه الآيةُ مِنْ أشدِّ الآيات على أهل العِلم إذا مَالُوا عن العِلم إلى الهَوى. قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ﴾ معناه: أنَّ هذا الكافرَ، إنْ زَجرتَه لم يَنزجِرْ، وإنْ تركتَه لم يَهتَدِ، فالحالتان عنده سواءٌ كحالَتي الكلب، فإنَّه إنْ طُرِدَ وحُملَ عليه بالطَّرد كان لاهِثاً، وإنْ تُرِكَ ورَبضَ كان أيضاً لاهِثاً، والتَّشبيه بالكلب اللاهث خاصَّةً؛ فالمعنى: فمَثَلُهُ كمَثَلِ الكلبِ لاهِثاً؛ وإنما شَبَّهه بالكلب اللاهِث، لأنه أخسُّ الأمثال على أخسِّ الحالات وأبشَعِها. وقال ابنُ قُتيبةَ: كلُّ لاهِثٍ إنما يَلهَثُ مِنْ إعياءٍ أو عَطشٍ، إلاَّ الكلبَ، فإنه يَلهَثُ في حالِ راحتِه وحالِ كَلالِه، فضرَبهُ اللَّهُ مَثَلاً لمن كذَّبَ بآياته، فقال: إنْ وَعظتَهُ فهو ضالٌّ، وإنْ لم تَعظْهُ فهو ضالٌّ، كالكلب إنْ طردتَهُ وزَجرتَهُ فَسعى لَهَثَ، أو تركتَهُ على حاله رَابِضاً لَهَثَ. قال المُفسِّرون: زُجِرَ في منامه عن الدُّعاء على بني إسرائيلَ فلم يَنزجِر، وخاطبته أَتانُهُ فلم يَنتَهِ، فضُرِبَ له هذا المَثَلُ ولسائر الكفَّارِ؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾ لأنَّ الكافر إنْ وعظتَهُ فهو ضالٌّ، وإنْ تركتَهُ فهو ضالٌّ؛ وهو مع إرسال الرُّسل إليه كمَنْ لم يأتِهِ رسولٌ ولا بينة.

قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ قال عَطاءٌ: قَصصَ الذين كفروا وكذَّبوا أنبياءَهم.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾ يقال: ساءَ الشيءُ يَسُوءُ: إذا قَبُحَ، والمعنى: سَاءَ مَثَلاً مَثَلُ القومِ، فحُذِفَ المضافُ، فنُصبَ «مثلاً» على التَّمييز.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ أي: يَضُرُّون بالمعصية.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خَلقنا. قال ابنُ قُتيبةَ: ومنه ذُرِّيةُ الرَّجل، إنما هي الخَلْقُ منه، ولكنَّ همزَها يترُكه أكثرُ العرب. قوله تعالى: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ هذه اللام يُسمِّيها بعضُ أهل المعاني لامَ العاقِبة، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾، ومِثلُه قول الشاعر:

أَمْوالُنا لِذَوِي المِيراثِ نَجْمَعُها ... وَدُورُنا لِخَرابِ الدَّهْرِ نَبْنِيها

ودخل رجلٌ على عمرَ بن عبد العزيز يعزِّيه بموت ابنه، فقال:

تَعزَّ أَمِيرَ المؤمنينَ فإنَّه ... لِما قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ ويُولَدُ

وقد أخبرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآية بنَفاذِ عِلمه فيهم أنهم يَصيرون إليها بسبب كُفرهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لمَّا أعرضَ القومُ عن الحق والتَّفكُّر فيه، كانوا بمنزلةِ مَنْ لم يَفْقَه ولم يُبصِر ولم يَسمعْ. وقال محمَّدُ بن القَاسِم النَّحوي: أراد بهذا كلِّه أمرَ الآخرة، فإنهم يعقلون أمرَ الدنيا. قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ شبَّههم بالأنعام لأنَّها تسمعُ وتُبصر ولا تَعتَبِرُ، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأنَّ الأنعام تُبصر منافعَها ومَضارَّها فتَلزَمُ بعضَ ما تُبصره، وهؤلاءِ يعلمُ أكثرُهم أنه مُعانِدٌ فيُقدِم على النار، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن أمرِ الآخرة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾. سببُ نزولها:

[٥٩٣] أنَّ رجلاً دعا اللَّهَ في صَلاتِه، ودَعا الرَّحمن، فقال أبو جَهلٍ: أليس يَزعُم محمَّدٌ وأصحابه أنهم يعبدون رَبّاً واحداً، فما بالُ هذا يدعُو اثنين؟ فأنزلَ اللَّهُ هذه الآية، قالَه مُقاتِلٌ.

فأما الحُسنَى، فهي تأنيثُ الأحسَن. ومعنى الآية أنَّ أسماءَ الله حُسنَى، وليس المراد أنَّ فيها ما ليس بحَسَنٍ. وذكر المَاوَردِي أنَّ المراد بذلك ما مَالَتْ إليه النُّفوسُ مِنْ ذكره بالعَفو والرَّحمة دونَ السَّخطِ والنِّقمة. وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: نَادُوه بها، كقوله: يا اللَّهُ، يا رحمنُ.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ: «يُلحِدُون» بضمِّ الياء، وكذلك في سورة (النَّحل) و (السَّجدة)(١). وقرأ حَمزَةُ: «يَلحَدون» بفتح الحاء والياء فيهنّ، ووافقَهُ الكِسائيُّ، وخَلفٌ في سورة (النَّحل)(٢). قال الأَخفَشُ: ألْحَدَ ولَحدَ: لُغتان؛ فمَنْ قرأ بهما أرادَ الأخْذَ باللغتين، فكأنَّ الإلحَادَ: العُدولُ عن الاستِقَامةِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: يَجُورون عن الحق ويَعدِلُون؛ ومنه لَحْدُ القَبر، لأنه في جانبٍ. قال الزَّجَّاجُ: ولا ينبغي لأحدٍ أنْ يدعُوَه بما لم يُسَمِّ به نفسَه، فيقول: يا جَوادُ، ولا يقول: يا سَخيُّ؛ ويقول: يا قويُّ، ولا يقول: يا جَلْدُ، ويقول: يا رَحيمُ، ولا يقول: يا رَفيقُ، لأنه لم يَصِفْ نفسَهُ بذلك. قال أبو سُليمانَ الخَطَّابي: ودليلُ هذه الآية أنَّ الغلطَ في أسمائه والزَّيغَ عنها إلحادٌ، ومما يُسمع على ألسنة العامَّةِ قولهم: يا سُبحَانُ، يا بُرهانُ، وهذا مهجورٌ مُستهجَنٌ لا قُدوةَ فيه، وربَّما قال بعضهم: يا ربَّ طه ويس. وقد أنكر ابنُ عباسٍ على رجلٍ قال: يا ربَّ القرآن. وروي عن ابن عباسٍ أنَّ إلحَادَهُم في أسمائِه أنهم سَمَّوا بها أوثانَهم، وزادوا فيها ونَقصوا منها، فاشتقوا اللاتَ مِنَ الله، والعُزَّى مِنَ العَزيز، ومَنَاة مِنَ المَنَّان.

فصل: والجمهور على أنَّ هذه الآيةَ مُحكَمةٌ، لأنها خَارجَةٌ مخرج التَّهديد، كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾(٣)، وقد ذهبَ بعضُهم إلى أنَّها مَنسُوخةٌ بآية القِتَال، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يقتضي الإعراضَ عن الكُفَّار، وهذا قولُ ابن زيدٍ.

---

[٥٩٣] باطل، عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، وليس له أصل بذكر سبب نزول الآية، وورد شيء من هذا في آخر سورة الإسراء، وسيأتي.

---

(١) سورة فصلت: ٤٠. (٢) سورة النحل: ١٠٣.
(٣) سورة المدثر: ١١.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يَعملُون بهِ، ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ أي: وبالعملِ به يَعدِلُون. وفيمن أُريدَ بهذه الآية أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المُهَاجِرون والأنصارُ والتَّابعون بإحسانٍ مِنْ هذه الأُمَّةِ، قاله ابنُ عباسٍ. وكان ابنُ جُرَيج يقول:

[٥٩٤] ذُكر لنا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «هذه أُمَّتي، بالحقِّ يأخُذون ويعطون ويَقضون».

[٥٩٥] وقال قَتادةُ: بلغنا أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا تَلاَ هذه الآيةَ قال: «هذه لَكُم وقد أُعطِيَ القومُ مِثلَهَا» ثم يقرأ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾(١).

والثاني: أنهم مِنْ جميع الخَلْقِ، قاله ابنُ السَّائِب. **والثالث**: أنهم الأنبياءُ. **والرابع**: أنهم العلماءُ، ذكرَ القولين المَاوَرْدِي.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قال أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ: هم أهلُ مكَّةَ. وقال مُقاتِلٌ: نزلت في المُستهزئين مِنْ قُريشٍ.

قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ قال الخَليلُ بن أحمدَ: سَنَطوِي أعمارَهُم في اغترارٍ منهم. وقال أبو عُبيدَةَ: الاستِدرَاجُ: أن يُتَدرَّجَ إلى الشيءِ في خُفيَةٍ قليلاً قليلاً ولا يُهجَم عليه، وأصلُه مِنَ الدَّرجة، وذلك أنَّ الرَّاقي والنازلَ يرقَى وينزلُ مَرْقَاةً مَرْقاةً؛ ومنه: دَرَجَ الكتابَ: إذا طَواهُ شيئاً بعدَ شيءٍ؛ ودَرجَ القومُ: إذا ماتوا بعضُهم في إثْرِ بعضٍ. وقال اليَزيدِيّ: الاستِدراجُ: أنْ يأتيه مِنْ حيث لا يَعلَمُ. وقال ابنُ قُتيبَة: هو أنْ يُذيقَهُم مِنْ بأسِهِ قليلاً قليلاً مِنْ حيث لا يَعلَمُون، ولا يُباغتَهم به ولا يُجاهِرُهم. وقال الأزهَريُّ: سنأخذهم قليلاً قليلاً مِنْ حيث لا يَحتَسِبون؛ وذلك أنَّ الله تعالى يفتحُ عليهم مِنَ النَّعيم ما يَغتَبِطُون به ويَرْكَنُون إليه، ثم يأخذهم على غِرَّتِهم أغفلَ ما يكونون. قال الضَّحَّاكُ: كلَّما جَدَّدوا لنا معصيةً جدَّدنا لهم نِعمةً. وفي قوله تعالى: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: مِنْ حيثُ لا يعلمون بالاستِدرَاجِ. **والثاني**: بالهَلَكَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ الإملاءُ: الإمهالُ والتَّأخيرُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنَّ مَكري شديدٌ. وقال ابنُ فَارسٍ: الكَيدُ: المَكرُ؛ فكلُّ شيءٍ عالجتَهُ فأنتَ تَكيدُه. قال المُفسِّرون: مَكْرُ الله وكَيْدُهُ: مُجازَاةُ أهلِ المَكرِ والكَيدِ على نحو ما بيَّنا في (البقرة)(٢) و (آل عمران)(٣) مِنْ ذِكر الاستِهزَاءِ والخِدَاعِ والمَكرِ.

---

[٥٩٤] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٥٤٦٩ عن ابن جريج مرسلاً، ومع إرساله، مراسيل ابن جُريج واهية، شبه موضوعة كما قال الإمام أحمد، راجع «الميزان». وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/٣٣٨.

[٥٩٥] ضعيف. أخرجه الطبري ١٥٤٧١ عن قتادة مرسلاً. والمرسل من قسم الضعيف.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٩. (٢) سورة البقرة: ١٥. (٣) سورة آل عمران: ٥٤.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ سببُ نزولها:

[٥٩٦] أنَّ رسولَ الله ﷺ، علاَ على الصَّفَا ليلةً، ودَعا قُريشاً فَخِذاً فَخِذاً: يا بَنِي فُلانٍ، يا بَني فُلانٍ، يا بَني فُلانٍ، فحَذرهم بأسَ الله وعِقَابَهُ، فقال قائلُهم: إنَّ صاحبَكُم هذا لَمجنونٌ، باتَ يُصَوِّت حتى الصَّباحِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الحَسنُ، وقَتادَةُ.

ومعنى الآية: أَوَ لَمْ يتفكَّروا فيعلَمُوا ما بصَاحِبِهم مِنْ جِنَّةٍ، أي: جُنونٍ، فحَثَّهم على التَّفكرِ في أَمرِه ليعلَمُوا أنه بريءٌ مِنَ الجُنون، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: مُخَوِّفٌ ﴿مُّبِينٌ﴾ يُبينُ طريقَ الهُدى. ثم حَثَّهم على النَّظرِ المُؤدِّي إلى العِلم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لِيستدِلُّوا على أنَّ لها صَانعاً مُدبِّراً؛ وقد سبقَ بيانُ المَلَكُوتِ في (الأنعام)[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ قرأ ابنُ مسعود، وأُبيٌّ، والجُحدريُّ: «آجالهم». ومعنى الآية: أَوَ لَمْ ينظروا في المَلَكُوتِ وفيما خلقَ اللَّهُ مِنَ الأشياء كُلِّها، وفي أنْ عسى أنْ تكون آجالُهم قد قَرُبت فيَهلِكوا على الكُفرِ، ويَصيروا إلى النار، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني القرآن وما فيه مِنَ البَيانِ. ثم ذكر سببَ إعراضِهم عن الإيمان، فقال: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونَافعٌ وابنُ عامرٍ: «ونذرهم» بالنون والرَّفع. وقرأ أبو عَمرو بالياء وبالرَّفع. وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ: «ويذرْهُم» بالياء مع الجَزم خفيفةً، فمَنْ قرأ بالرَّفع استأنَفَ، ومَنْ جزمَ «ويذرْهم» عطفَ على موضع الفاء. قال سِيبَويه: وموضعُها جزمٌ؛ فالمعنى: مَنْ يُضلِلِ اللَّهُ يَذَرْه؛ وقد سبقَ في سورة (البقرة)[2] معنى الطُّغيان والعَمَهِ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٥٩٧] **أحدهما**: أنَّ قوماً مِنَ اليهود قالوا: يا محمَّدُ، أخبِرنا متى السَّاعةُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

---

[٥٩٦] ضعيف جداً بهذا اللفظ. أخرجه الطبري ١٥٤٧٢ عن قتادة مرسلاً، ومع إرساله ذكره قتادة بصيغة التمريض، وحديث وقوفه ﷺ على الصفا في الصحيح، والوهن في هذا الخبر ذكر نزول الآية، وأنكر من ذلك قوله «حتى الصباح» فهذا باطل لأنه ﷺ إنما نادى الناس صباحاً، فاجتمعوا فلما سمعوا ما يدعوهم إليه قال أبو لهب ما قال، فتفرق الناس.

[٥٩٧] باطل. أخرجه الطبري ١٥٤٧٤ عن ابن عباس وفي إسناده محمد بن أبي محمد وهو مجهول، والمتن باطل لأن السورة مكية، وسآلات يهود مدنية. وذكره الواحدي في أسباب «النزول» ٤٥٨ من حديث ابن عباس.

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥. (٢) سورة البقرة: ١٥.

[٥٩٨] **والثاني**: أنَّ قريشاً قالت: يا محمَّدُ، بيننا وبينَكَ قَرابةٌ، فبيِّنْ لنا متى السَّاعةُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتَادةُ. وقال عُروَةُ: الذي سأله عن السَّاعةِ عُتبَةُ بن رَبيعةَ. والمُراد بالسَّاعةِ ها هنا التي يموت فيها الخَلْقُ.

قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: متى مُرسَاهَا؟ أي: مُنتَهاهَا. ومَرْسَى السَّفينةِ: حيثُ تنتهي. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «أيَّان» بمعنى: متى؛ و «متى» بمعنى: أي حينٍ، ونرى أنَّ أصلها: أيّ أوَانٍ؛ فحُذفت الهمزةُ والواو، وجُعِلَ الحرفان واحداً، ومعنى الآية: متى ثُبوتُها؟ يقال: رَسَا في الأرض، أي: ثَبَتَ، ومنه قيل للجبال: رَواسِي. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الكلام: متى وقوعُها؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: قد استأثَرَ بعِلمِها ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ أي: لا يُظهرها في وَقتِها ﴿إِلَّا هُوَ﴾. قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: ثِقَلُ وقوعِها على أهل السمواتِ والأرضِ، قاله ابنُ عباسٍ، ووَجهُه أنَّ الكلَّ يخافونَها، مُحسِنُهم ومُسِيئُهم. **والثاني**: عَظُمَ شأنُها في السموات والأرض، قاله عِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ جُرَيجٍ. **والثالث**: خَفِيَ أمرُها، فلم يُعلَم متى كَونُها، قاله السُّدِّيّ. **والرابع**: أنَّ «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثَقُلَتْ على السموات والأرض، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: فجأةً.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مِنَ المُقدَّم والمُؤخَّرِ، فتقديره: يسألونَكَ عنها كأنَّكَ حَفِيٌّ، أي: بَرٌّ بِهِم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾. قال العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وأسْبَاطُ عن السُّدِّيّ: كأنَّكَ صَديقٌ لهم. **والثاني**: كأنَّكَ حَفِيٌّ بسؤالِهم، مُجيبٌ لهم. قال ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ: كأنَّكَ يعجبكَ سُؤالُهم. وقال خُصَيفٌ عن مُجاهِدٍ: كأنَّكَ تُحبُّ أنْ يسألُوكَ عنها. وقال الزَّجَّاجُ: كأنَّكَ فَرِحٌ بسؤالِهم. **والثالث**: كأنَّكَ عَالِمٌ بها، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وهو قول ابن زيدٍ، والفَرَّاءِ. **والرابع**: كأنَّكَ استَحفَيتَ السؤالَ عنها حتى عَلِمتَها، قاله ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. وقال عِكرِمَةُ: كأنَّكَ مسؤولٌ عنها. وقال ابنُ قُتَيبةَ: كأنَّك معنِي بطَلَبِ عِلمِها. وقال ابنُ الأنبَاري: فيه تَقديمٌ وتَأخيرٌ، تقديرُه: يسألونَكَ عنها كأنَّكَ حَفِيٌّ بها، والحَفِيُّ في كلام العرب: المَعْنِيُّ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يعلَمُها إلاَّ هو ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ في آخَرين: المُراد بالنَّاس ها هنا أهلُ مكَّةَ.

---

[٥٩٨] ضعيف. أخرجه الطبري ١٥٤٧٣ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٥٩ عن قتادة مرسلاً.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٣٨/٦: وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها، لأن الله تعالى ذكره أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحد، وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله **﴿قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾**، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يعلمون أنها كائنةٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: لا يعلمون أنَّ هذا ممَّا استأثَرَ اللَّهُ بعِلمِه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ سببُ نزولها.

[٥٩٩] أنَّ أهلَ مكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، ألا يُخبركَ ربُّكَ بالسِّعر الرَّخيص قبل أنْ يَغلُوَ، فتشتري فتربَحَ، وبالأرضِ التي تُريد أن تُجدِبَ، فترتَحِل عنها إلى ما قد أخصَبَ؟ فنزلت هذه الآية، رُوي عن ابن عباسٍ.

وفي المُراد بالنَّفع والضَّرِّ قولان: **أحدهما**: أنه عَامٌّ في جميع ما ينفعُ ويَضرُّ، قاله الجمهور. **والثاني**: أنَّ النَّفعَ: الهُدى، والضَّر: الضَّلالَةُ، قاله ابنُ جُريج. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلاَّ ما أراد أنْ أملكَهُ بتمليكِه إيَّايَ؛ ومَنْ هو على هذه الصِّفةِ فكيفَ يعلمُ عِلمَ السَّاعةِ؟

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لو كنتُ أعلمُ بجَدبِ الأرض وقَحْطِ المطرِ قبل كَونِ ذلك لَهَيَّأتُ لِسنَةِ الجَدبِ ما يَكفِيها، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ. **والثاني**: لو كنتُ أعلمُ ما أربحُ فيه إذا اشتريتُه لاستكثرتُ مِنَ الخيرِ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لو كنتُ أعلمُ متى أموتُ لاستَكثرتُ مِنَ العمل الصالح، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: لو كنتُ أعلمُ ما أُسألُ عنه مِنَ الغَيبِ لأجبتُ عنه. ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: لم يَلحقني تكذيبٌ، قاله الزَّجَّاجُ. فأمَّا الغيبُ، فهو كلُّ ما غابَ عنكَ. ويُخرَّج في المُراد بالخيرِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العملُ الصالح. **والثاني**: المالُ. **والثالث**: الرِّزقُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفقرُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه كلُّ ما يَسوءُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: الجُنونُ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: التَّكذيبُ، قاله الزَّجَّاجُ. فعلى قولِ الحسَنِ، يكون هذا الكلام مُبتدأً، والمعنى: وما بيَ مِنْ جُنونٍ إنما أنا نذيرٌ، وعلى باقي الأقوال يكون متعلِّقاً بما قبله.

﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني بالنَّفسِ: آدَم، وبزَوجِها: حَوَّاءَ. ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنَس بها ويأتيَ إليها. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: جَامَعَها. قال الزَّجَّاجُ: وهذا أحسنُ

---

[٥٩٩] لا أصل له، عزاه المصنف لابن عباس، وهو من رواية الكلبي عن أبي صالح، وهي رواية ساقطة كما تقدم مراراً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٦١ عن الكلبي مرسلاً.

كِنايةٍ عن الجِمَاع. والحَمْلُ، بفتح الحاء: ما كان في بَطنٍ، أو أخرَجَتْهُ شجرةٌ. والحِمْلُ، بكسر الحاء: ما يُحمَلُ. والمراد بالحَمْلِ الخفيف: المَاء.

قوله تعالى: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أي: استمرَّت به، قَعدَت وقامَت ولم يُثقِلها. وقرأ سعدُ بن أبي وقَّاصٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ: «فاستمرَّت به» وقرأ أُبَيُّ بن كَعبٍ، والجُونيُّ: «فاستمارَّت به» بزيادة ألفٍ. وقرأ عبدُ الله بن عَمرو، والجُحدُريُّ: «فمارَّت به» بألفٍ وتشديدِ الراء. وقرأ أبو العَالِية، وأيُّوبُ، ويَحيى بن يَعمُر: «فَمَرَتْ به» خفيفةَ الراء، أي: شكَّت وتَمارَت أَحَمَلَتْ، أمْ لا؟ ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾، أي: صارَ حَملُها ثقيلاً. وقال الأخفشُ: صارَتْ ذا ثِقلٍ. يقال: أَثمرنا، أي: صِرنا ذَوي ثَمرٍ.

قوله تعالى: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ يعني آدم وحَوَّاء ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ وفي المُراد بالصَّالح قولان: **أحدهما**: أنه الإنسانُ المُشَابِهُ لهُما، وخافا أن يكونَ بهيمةَ، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه الغُلامُ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ.

شرح السبب في دعائهما

[٦٠٠] ذكرَ أهلُ التَّفسير أنَّ إبليسَ جاء حَوَّاءَ، فقال: ما يُدريكِ ما في بَطنِك، لعلَّه كلبٌ أو خِنزيرٌ أو حِمارٌ؛ وما يُدريكِ مِنْ أين يخرجُ، أَيَشُقُّ بطنَكِ، أَمْ يخرجُ مِنْ فِيكِ، أو مِنْ مِنخَرَيْكِ؟ فأحزنَها ذلك، فَدَعَوَا اللَّهَ حينئذٍ، فجاءَ إبليسُ فقال: كيف تَجِدينَكِ؟ قالت: ما أستطيعُ القيامَ إذا قَعدتُ، قال: أفرأيتِ إنْ دَعوتُ اللَّه، فجعلَهُ إنساناً مثلَكِ ومثلَ آدمَ، أَتُسمِّينه باسمي؟ قالت: نعم. فلمَّا وَلَدَتهُ سَوِيّاً، جاءها إبليسُ فقال: لم لا تسمينه بي كما وعدتني، فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحَارثُ، فَسَمَّتْهُ: عبد الحَارثِ، وقيل: عبد شَمْسٍ برِضَى آدم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ

---

[٦٠٠] ورد هذا السياق مرفوعاً، وهو منكر جداً، بل هو باطل. أخرجه الترمذي ٣٠٧٧ والحاكم ٢/ ٥٤٥ والطبري ١٥٥٢٤ من حديث سمرة، وإسناده ضعيف، الحسن سمع من سمرة فقط حديث العقيقة، وباقي أحاديثه عنه أخذها عن بعض من سمع سمرة، وفيه عمر بن إبراهيم العبدي وهو منكر الحديث وبخاصة في روايته عن قتادة. وقد خالفه غير واحد فرواه الطبري ١٥٥٢٥ و ١٥٥٢٦ موقوفاً، وهو الصحيح. وقال الترمذي عقب الحديث: حسن غريب ورواه بعضهم فلم يرفعه، وصححه الحاكم! وسكت الذهبي! مع أنه عاد فذكره في «الميزان» ٦٠٤٢ في ترجمة عمر العبدي، وقال: صححه الحاكم وهو منكر كما ترى اهـ.
وورد موقوفاً على ابن عباس أخرجه الطبري ١٥٥٢٧ و ١٥٥٢٨ وموقوفاً على قتادة ١٥٥٣١ و ١٥٥٣٢، وموقوفاً على عكرمة ١٥٥٣٠ وعلى مجاهد ١٥٥٣٣ وعلى سعيد بن جبير ١٥٥٣٤ و ١٥٥٣٥، وموقوفاً على السدي ١٥٥٣٦ وهذا هو الصواب. وهو متلقى عن أهل الكتاب، ولا يصح مرفوعاً البتة، والمتن في غاية النكارة، لا يصح نسبة الشرك إلى نبي الله آدم عليه السلام أبداً.
ومما يدل على بطلانه هو أن الحسن ـ وهو أحد رواته ـ فسر هذه الآية بخلاف هذا الحديث؛ فقد أخرج الطبري ١٥٥٣٧ عن الحسن قال: كان ذلك في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. و ١٥٥٣٨ عن معمر عن الحسن قال: عني بذلك ذرية آدم. و ١٥٥٣٩ عن قتادة عن الحسن قال: هم اليهود والنصارى اهـ.
وهذه روايات صحيحة عن ثلاثة أثبات رووها عن الحسن فيدل هذا على أن الحديث المرفوع من أوهام عمر العبدي ومنكراته والراجح أن هذا الخبر من الإسرائيليات. وانظر «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية بتخريجي.

ءَاتَنهُمَا صَلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عَمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: «شركاء» بضمِّ الشين والمَدِّ، جمع شَريكٍ. وقرأ نافعٌ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: «شِرْكاً» مكسورةَ الشينَ على المَصدَرِ، لا على الجَمعِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ «شِرْكاً» حذفَ المضافَ، كأنه أراد: جَعَلا له ذَا شِركٍ، وذَوي شَريكٍ؛ فيكونَ المعنى: جَعَلا لغيره شِرْكاً، لأنه إذا كان التقدير: جعلا له ذَوي شِرْكٍ، فالمعنى: جَعَلا لغيره شِرْكاً؛ وهذه القِراءةُ في المعنى كقِراءةِ مَنْ قرأ «شُركاء». وقال غيره: معنى «شُركاء»: شَرِيكاً، فأوقعَ الجمعَ موقعَ الواحِدِ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾[(١)]. والمراد بالشَّريكِ: إبليسُ، لأنَّهما أطاعَاهُ في الاسم، فكانَ الشِّركُ في الطَّاعة، لا في العِبَادةِ؛ ولم يَقْصِدَا أنَّ الحَارثَ ربُّهما، لكِنْ قَصَدَا أنه سببُ نجَاةِ ولدِهِمَا؛ وقد يُطلَقُ العبد على مَنْ ليس بمملُوكٍ. قال الشاعر:

وإنِّي لَعبدُ الضَّيفِ ما دامَ ثَاوِياً ... وما فيَّ إلاَّ تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ[(٢)]

وقال مُجاهِدٌ: كان لا يعيشُ لآدَمَ وَلدٌ، فقال الشيطانُ: إذا وُلِدَ لكما وَلدٌ فسَمِّياه عبدَ الحَارثِ، فأطاعَاهُ في الاسم، فذلكَ قولُه تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَنهُمَآ﴾، هذا قول الجمهور، وفيه قولٌ ثانٍ، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: ما أشرَكَ آدمُ، إنَّ أوَّلَ الآيةِ لَشُكرٌ، وآخرَها مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِمَنْ يَعبدُهُ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَنهُمَآ﴾. وروى قَتادةُ عن الحَسنِ، قال: هُمُ اليهودُ والنَّصارى، رَزقَهُم الله أولاداً فهَوَّدوهم ونَصَّروهم. ورُوي عن الحسَنِ، وقتادَةَ قالا: الضَّميرُ في قوله: «جعلا له شركاء» عائدٌ إلى النَّفْسِ وزوجِه مِنْ وَلَدِ آدمَ، لا إلى آدمَ وحَوَّاءَ. وقيل: الضميرُ راجعٌ إلى الوَلَدِ الصَّالح، وهو السَّليمُ الخَلْقِ، فالمعنى: جعلَ له ذلك الوَلَدُ شُركَاءَ. وإنَّما قال: «جعلا» لأنَّ حواءَ كانت تَلِدُ في كلِّ بطنٍ ذكراً وأُنثى. قال ابنُ الأنبَارِي: الذين جَعلوا له شُركاءَ اليهودُ والنَّصارى وغيرُهم مِنَ الكفَّار الذين هُم أولادُ آدمَ وحَوَّاءَ. فتأويلُ الآيةِ: فلمَّا آتاهُمَا صالحاً، جَعلَ أولادُهما له شُركَاءَ، فحَذفَ الأولادَ وأقامَهُما مقامَهُم كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[(٣)]. وذهب السُّدِّيُّ إلى أنَّ قوله: ﴿فَتَعَلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في مُشركي العرب خاصَّةً، وأنها مَفصُولةٌ عن قصة آدم وحَوَّاءُ.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ قال ابنُ زيدٍ: هذه لآدمَ وحوَّاءَ حيثُ سَمَّيا ولدَهما عبدَ شَمْسٍ، والشَّمسُ لا تَخلُقُ شيئاً. وقال غيرُه: هذا راجعٌ إلى الكفار حيث أشرَكُوا بالله الأصنامَ، وهي لا تَخلُقُ شيئاً. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مَخلُوقةٌ. قال ابنُ الأنبَارِي: وإنَّما قال: «ما» ثم قال: «وهم يُخلَقون» لأنَّ «ما» تقعُ على الواحد والاثنين والجميع؛ وإنَّما قال: «وهم» وهو يعني الأصنامَ، لأنَّ عَابِدِيها ادَّعَوا أنها تَعقلُ وتُميِّز، فأُجريَت مَجرى النَّاسِ، فهو كقوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.
(٢) البيت منسوب إلى المقنع الكندي في «الحماسة» ٣/ ١١٨٠.
(٣) سورة يوسف: ٨٢.

سَاجِدِينَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٣]، قال الشاعر:

تَمزَّزْتُها والدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ ... إِذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا[٤]

وأنشد ثعلب لعبدَة بن الطَّبيب:

إِذْ أَشْرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ ... لَدَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَازِيلُ[٥]

لمّا جعله يَدْعُو، جعلَ الدِّيكة قوماً، وجعلَهم مَعَازِيلَ، وهُم الذين لا سِلاحَ معهم، وجعلَهم أُسرةً؛ وأُسرةُ الرجل: رَهطُهُ وقومُه.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ يقول: إنّ الأصنامَ لا تستطيعُ نَصرَ مَنْ عبدَها، ولا تمنعُ مِنْ نَفْسِها.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنّها ترجعُ إلى الأصنام، فالمعنى: وإنْ دَعوتُم أيُّها المشركون أصنامَكم إلى سبيلِ رَشادٍ لا يتَّبعُوكُم، لأنهم لا يَعقِلون. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الكفّارِ، فالمعنى: وإنْ تَدعُ يا محمَّدُ هؤلاءِ المشركين إلى الهُدى، لا يتَّبعوكم، فدُعاؤكم إيَّاهم وصَمْتُكم عنهم سواءٌ، لأنهم لا ينقادُون إلى الحقّ. وقرأ نافعٌ «لا يَتْبعوكم» بسكونِ التاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ في أنّهم مُسَخَّرون مُذَلَّلون لأمرِ الله. وإنّما قال «عِباد» وقال: ﴿فَادْعُوهُمْ﴾، وإن كانت الأصنامُ جَماداً، لِمَا بَيَّنا عندَ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: فَلْيُجيبُوكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ لكُم عندهم نفعاً وثواباً. ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ في المَصالِح ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ في دَفْعِ ما يُؤذي. وقرأ أبو

---

(١) سورة يوسف: ٤.

(٢) سورة النمل: ١٨.

(٣) سورة يس: ٤.

(٤) البيت منسوب إلى النابغة الجعدي في «اللسان» نعش. تمززتها: شربتها قليلاً قليلاً.

(٥) البيت في «المفضليات»: ١٤٣. والمعازيل: العزل في السلاح.

جعفر «يبطُشون» بضمِّ الطَّاء ها هنا وفي (القَصَص)[١] و (الدُّخان)[٢]. ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ المَنافعَ مِنَ المَضارِّ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ تضرُّعَكمْ ودُعاءَكُم؟ وفي هذا تنبيهٌ على تفضيلِ العابدين على المعبُودين، وتَوبيخٌ لهم حيث عَبدوا مَنْ هم أفضلُ منه. ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ قال الحَسَنُ: كانوا يُخوِّفونه بآلهتِهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تُؤخِّروا ذلك. وكان ابنُ كَثيرٍ، وعَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ يقرؤون «ثم كيدون» بغيرِ ياءٍ في الوَصلِ والوَقفِ. وقرأ أبو عَمروٍ، ونَافعٌ في روايةِ ابنِ حمادٍ بالياء في الوَصلِ. وروى وَرْشٌ، وقَالُون، والمسيَّبي بغير ياءٍ في الوَصلِ، ولا وَقفَ. فأمّا «تنظرون» فأثبتَ فيها الياءَ يَعقوبُ في الوَصلِ والوَقفِ. ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: نَاصِري ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن، أي: كما أيَّدني بإنزالِ الكتاب يَنصُرني.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا يَقدِرون على مَنْعِكُم ممَّن أرادكُم بسُوءٍ، ولا يَمنعون أنفسَهم مِنْ سوءٍ أُريد بهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ﴾ في المُراد بهؤلاءِ قولان: **أحدهما**: أنهم الأصنامُ. ثم في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: يُواجِهُونَكَ، تقول العربُ: دَارِي تنظر إلى دَارِكَ، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواحٌ. والثاني: وتَراهُم كأنهم ينظرونَ إليكَ، لأنَّ لهم أعيُناً مصنُوعةً، فأسقطَ كافَ التَّشبيه، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾[٣] أي: كأنَّهم سُكَارى، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ في الحقيقةِ. وإنما أخبرَ عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هَيئةِ بَني آدمَ. **والقول الثاني**: أنهم المُشركون، فالمعنى: وتَراهُم ينظرون إليكَ بأعيُنِهم ولا يُبصرون بقُلوبِهم.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ العَفْوُ: المَيْسُورُ، وقد سبقَ شرحُه في سورة البقرة[٤]. وفي الذي أُمِرَ بأخذِ العَفوِ منه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أخلاقُ الناس، قاله ابنُ الزُّبير، والحَسَنُ، ومُجاهِدٌ فيكون المعنى: اِقبَلِ المَيسُورَ مِنْ أخلاقِ الناس، ولا تَستَقْصِ عليهم فتَظهرَ منهم البغضَاءُ. **والثاني**: أنه المالُ، وفيه قولان: أحدهما: أنَّ المُراد بعَفوِ المال: الزَّكاة، قاله مُجاهِدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ. والثاني: أنها صدقةٌ كانت تُؤخذ قبل فَرضِ الزَّكاة، ثم نُسِخت بالزَّكاة، رُوي عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنَّ المراد به: مُساهَلةُ المشركين والعَفوُ عنهم، ثم نُسِخَ بآية السيفِ، قاله ابنُ زيدٍ.

---

(١) سورة القصص: ١٩ قوله تعالى: **﴿فلما أراد أن يبطش﴾**.
(٢) سورة الدخان: ١٦ قوله تعالى: **﴿يوم نبطش﴾**.
(٣) سورة الحج: ٢.
(٤) سورة البقرة: ٢١٩.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم المُشركون، أُمِرَ بالإعراضِ عنهم، ثم نُسِخَ ذلك بآيةِ السيفِ. **والثاني**: أنه عامٌّ فيمَن جَهِلَ، أُمِرَ بصيانَةِ النَّفسِ عن مُقابلَتِهم على سَفَهِهِم، وإنْ وجبَ عليه الإنكارُ عليهم. وهذه الآيةُ عند الأكثرين كلُّها مُحكَمَةٌ، وعند بعضِهم أنَّ وسَطَها مُحكَمٌ وطَرَفَيْهَا مَنسوخَان على ما بيَّنّا.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾. قال ابنُ زيدٍ:

[٦٠١] لمّا نزلت «خُذِ العَفوَ» قال النبيُّ ﷺ: «يا ربِّ كيف بالغَضبِ»؟ فنزلت هذه الآيةُ.

فأمّا قوله تعالى ﴿وَإِمَّآ﴾ فقد سبقَ بيانُه في (البقرة) في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾(١)، وقال أبو عُبيدَةَ: ومجازُ الكلام: وإمّا تستخِفَّنَّكَ منه خِفَّةٌ وغَضبٌ وعَجَلَةٌ. وقال السُّدِّيّ: النَّزغُ: الوَسوسَةُ وحديثُ النَّفسِ. قال الزَّجّاجُ: النَّزغُ: أدنى حركةٍ تكون، تقول: قد نَزَغتُهُ: إذا حَرَّكتَهُ. وقد سبق معنى الاستِعاذَة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو والكِسَائيُّ: «طيف» بغير ألفٍ. وقرأ نافعٌ وعَاصِمٌ وابنُ عَامرٍ وحَمزةُ: «طائف» بألفٍ ممدوداً مهمُوزاً. وقرأ ابنُ عباسٍ وابنُ جُبَيرٍ والجُحدُريُّ والضَّحَّاكُ: «طَيِّفٌ» بتشديد الياء مِنْ غير ألفٍ. وهل الطَّائفُ والطَّيف بمعنىً واحدٍ، أَمْ يختلفان؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما بمعنىً واحدٍ، وهما ما كان كالخَيال والشيءِ يُلِمُّ بكَ، حُكي عن الفَرَّاءِ. وقال الأخفَش: الطَّيفُ أكثرُ في كلام العرب مِنَ الطَّائف، قال الشاعر:

ألا يا لَقَومٍ لِطَيْفِ الخيالِ أرَّقَ مِنْ نَازحٍ ذي دَلَالِ(٢)

والثاني: أنَّ الطَّائفَ: ما يَطُوفُ حولَ الشيءِ، والطَّيفُ: اللَّمَّةُ والوَسوسَةُ والخَطْرةُ، حُكي عن أبي عَمرٍو، ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: الطَّائفُ: اللَّمَّة مِنَ الشَّيطان، والطَّيفُ: الغَضبُ. وقال ابنُ الأنبَاري: الطَّائفُ: الفاعلُ مِنَ الطَّيفِ؛ والطَّيفُ عند أهل اللغة: اللَّممُ مِنَ الشيطان؛ وزعم مُجاهِدٌ أنه الغَضبُ.

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدهما**: تذكَّروا الله إذا هَمُّوا بالمعاصي فتركُوها، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: تفكَّروا فيما أوضحَ اللّهُ لهم من الحُجَّةِ، قاله الزَّجّاجُ. **والثالث**: تذكَّروا غضبَ اللّهِ؛

---

[٦٠١] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٥٥٦٤ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا معضل، ومع ذلك ابن زيد ضعيف ليس بشيء، إن وصل الحديث فكيف إذا أرسله؟!

---

(١) سورة البقرة: ٣٨.
(٢) البيت لأمية بن عائذ في شرح «أشعار الهذليين» ٢/ ٤٩٤. الطيف: ما جاء في المنام. الدلال: الشكل والهيئة الحسنة. النازح: البعيد. الأرق: أن يغمض عينه مرة ويفتحها أخرى.

والمعنى: إذا جرَّأهم الشيطانُ على ما لا يُحِلّ، تذكَّروا غضبَ الله، فأمسَكُوا، فإذا هُم مُبصِرون لِمَواضع الخَطأ بالتَّفكُّر.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ في هذه الهاء والميم قولان:

أحدهما: أنها عائدةٌ على المشركين؛ فتكون هذه الآيةُ مُقَدَّمَةً على التي قبلَها، والتَّقدير: وأعرِضْ عن الجَاهلين، وإخوانِ الجَاهلين، وهُمُ الشياطينُ ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ قرأ نافعٌ: «يُمِدونهم» بضمِّ الياء وكسرِ الميم. والباقون: بفَتح الياء وضمِّ المِيم. قال أبو عليٍّ: عامَّةُ ما جاء في التَّنزيل فيما يُحمَدُ ويُستَحبُ: أمدَدتُ، على أفعَلتُ، كقوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾[1] ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ﴾[2] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾[3]، وما كان على خِلافه يجيءُ على: مَدَدتُ؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾[4]؛ فهذا يدلُّ على أنَّ الوجهَ فَتحُ الياء، إلاَّ أنَّ وَجهَ قراءة نَافع بمنزلةِ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5]. قال المُفسِّرون: «يمدونهم في الغي» أي: يُزَيِّنونهُ لهم، ويُريدونَ منهم لُزومَهُ؛ فيكون معنى الكلام: إنَّ الذين اتَّقَوا إذا جَرَّهمُ الشيطانُ إلى خَطيئةٍ، تَابُوا منها، وإخوانُ الجَاهلين، وهمُ الشياطينُ، يَمُدُّونهم في الغَيِّ، هذا قولُ الأكثرين مِنَ العلماء. وقال بعضُهم: الهاء والميم ترجع إلى الشياطين، وقد جرَى ذِكرُهم لقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ فالمعنى: وإخوانُ الشياطين يَمُدُّونهم.

والثاني: أنَّ الهاءَ والميمَ ترجعُ إلى المُتَّقين؛ فالمعنى: وإخوانُ المُتَّقين مِنَ المشركين، وقيل: مِنَ الشياطين يَمُدُّونهم في الغَيُّ، أي: يريدون مِنَ المسلمين أنْ يدخلوا معهم في الكُفرِ، ذكرَ هذا القولَ جماعةٌ منهم ابنُ الأنبَاري. فإنْ قيل: كيفَ قال: «وإخوانهم» وليسوا على دِينهم؟ فالجوابُ: إنَّا إنْ قلنا: إنَّهم المشركون، فجائزٌ أنْ يكونوا إخوانَهم في النَّسَبِ، أو في كَونهم مِنْ بَني آدمَ، أو لِكَونهم يُظهرون النُّصحَ كالإخوان؛ فإنْ قلنا: إنهم الشياطينُ، فجائزٌ أنْ يكونوا لِكَونهم مُصَاحِبين لهم، والقولُ الأوَّلُ أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ وقرأ الزُّهريُّ وابن أبي عبلة: «لا يقصِّرون» بالتشديد. قال الزَّجَّاجُ: يقال: أَقصَرَ يُقصِرُ، وَقصَّر يُقَصِّرُ. قال ابنُ عباسٍ: لا الإنسُ يُقَصِّرون عمَّا يعملون مِنَ السَّيئات ولا الشياطينُ تُقصِر عنهم؛ فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿يُقْصِرُونَ﴾ مِنْ فِعلِ الفَريقين، وهذا على القول المشهور؛ ويُخرَّج على القول الثاني أنْ يكون هذا وَصفاً للإخوانِ فقط.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ يعني به المشركين. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: إذا لم تأتِهم

---

(١) سورة النمل: ٣٦. (٢) سورة المؤمنون: ٥٥. (٣) سورة الطور: ٢٢.
(٤) سورة البقرة: ١٥. (٥) سورة التوبة: ٣٤.

بآيةٍ، سألُوها تعنُّتاً، قاله ابنُ السَّائِب. **والثاني**: إذا لم تَأتِهم بآيةٍ لإبطاءِ الوَحي، قاله مُقاتِلٌ: وفي قوله: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان: **أحدهما**: هَلاَّ افتعلتَها مِنْ تلقاءِ نَفسكَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ، والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ، وابنُ قُتيبةَ في آخرين، وحُكيَ عن الفَرَّاءِ أنه قال: العربُ تقول: اجتَبَيْتُ الكلامَ، واختَلَقْتُه، وارتَجلْتُهُ: إذا افتَعلتَهُ مِنْ قِبَلِ نَفسكَ. **والثاني**: هلاَّ طَلبتَهَا لنا قبلَ مسألتِكَ؟ ذكره المَاوَرديِ؛ والأَوَّلُ أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ أي: ليس الأمرُ لي.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. قال أبو عُبيدَة: البصَائرُ بمعنى الحُجَجِ والبُرهانِ والبَيانِ، واحدتها: بَصِيرَةٌ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى البَصائِر: ظهورُ الشيءِ وبيَانُه.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ اختلفوا في نُزولها على خمسةِ أقوالٍ.

[٦٠٢] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ في الصَّلاةِ المَكتوبَةِ، فقرأ أصحابُه وراءَه رَافِعينَ أصواتَهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٦٠٣] **والثاني**: أنَّ المشركين كانوا يَأتُونَ رسولَ الله إذا صلَّى، فيقول بعضُهم لبعضٍ: لا تَسمَعُوا لهذا القرآن والْغَوْا فيهِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بن المُسَيِّب.

[٦٠٤] **والثالث**: أنَّ فتىً مِنَ الأنصار كان كُلَّما قرأ النبيُّ ﷺ شيئاً، قرأَ هو، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الزُّهريُّ.

[٦٠٥] **والرابع**: أنهم كانوا يتكلَّمون في صلاتِهم أولَ ما فُرِضتْ، فيجئُ الرجلُ فيقول لصاحبه: كم صَلَّيتُم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

[٦٠٦] **والخامس**: أنها نزلت تأمُرُ بالإنصاتِ للإمام في الخُطبةِ يومَ الجُمعةِ، روي عن عَائشةَ، وسعيدِ بن جُبَيرٍ، وعَطاءٍ، ومُجاهِدٍ، وعمرِو بن دِينَارٍ في آخرين.

---

[٦٠٢] لم أره مسنداً، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد.

[٦٠٣] باطل. عزاه المصنف لابن المسيب، ولم أقف عليه، وهو باطل لا يصح عنه، فإن الخطاب في الآية للمؤمنين، وسياق الخبر يدل على أن الخطاب للمشركين!!!

[٦٠٤] ضعيف. أخرجه الطبري ١٥٥٩٤ عن الزهري مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٦٥ عن الزهري مرسلاً.

[٦٠٥] ضعيف. أخرجه الطبري ١٥٦١٠ عن قتادة به، وهذا مرسل، فهو ضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٦٤ عن قتادة.

[٦٠٦] لم أره عن عائشة، وورد عن بعض التابعين، ولا يصح شيء من ذلك أخرجه الطبري ١٥٦٢٠ و ١٥٦٢١ عن مجاهد قوله. و ١٥٦٢٢ عن منصور قال: سمعت إبراهيم بن أبي حمزة يحدث أنه سمع مجاهداً. وأخرجه الطبري ١٥٦٢٣ عن عطاء قال: وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي، وعند الإمام وهو يخطب. وكرره ١٥٦٢٤ و ١٥٦٢٦ عن مجاهد نحوه. وكرره ١٥٦٢٧ عن بقية بن الوليد قال سمعت ثابت بن عجلان يقول: سمعت سعيد بن جبير يقول. . . وكرره ١٥٦٢٩ عن عطاء نحوه.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ في هذا الذِّكر أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه القراءةُ في الصَّلاة، قاله ابنُ عباسٍ؛ فعلى هذا، أُمِرَ أن يقرأ في نَفْسِه في صلاةِ الإسرار. **والثاني**: أنه القراءةُ خلفَ الإمام سِرّاً في نَفْسِه، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه ذِكْرُ اللّهِ باللسَانِ. **والرابع**: أنه ذِكرُ الله باستِدامَةِ الفِكرِ، لا يغفلُ عَنِ الله تعالى، ذكرَ القولين الماوَرديِ.

وفي المُخاطبِ بهذا الذِّكرِ قولان: **أحدهما**: أنه المُستَمعُ للقرآن، إمَّا في الصَّلاةِ، وإمَّا مِنَ الخَطيب، قاله ابنُ زَيدٍ. **والثاني**: أنه خِطابُ النبيِّ ﷺ، ومعناهُ عامٌّ في جميع المُكلَّفين.

قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ التَّضرُّعُ: الخُشوعُ في تَواضُعٍ؛ والخِيفَةُ: الحَذرُ مِنْ عِقابهِ.

قوله تعالى: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ الجَهرُ: الإعلانُ بالشيء؛ ورَجلٌ جَهيرُ الصَّوتِ: إذا كان صوتُه عالياً. وفي هذا نصٌّ على أنه الذِّكرُ باللسَان؛ ويَحتملُ وَجهَين: **أحدهما**: قراءة القرآن. **والثاني**: الدُّعاء، وكِلاهُما مندوبٌ إلى إخفائِه، إلاّ أنَّ صلاةَ الجَهرِ قد بُيِّنَ أَدَبُها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[2]. فأمَّا الغُدوُّ: فهو جَمعُ غُدْوَةٍ؛ والآصَالُ: جمعُ أُصُلٍ، والأُصُلُ جمع أَصِيلٍ؛ فالآصَالُ جمعُ الجَمعِ، والآصَالُ: العَشِيَّاتُ. وقال أبو عُبيدَة: هي ما بين العصرِ إلى المَغربِ؛ وأنشد:

لَعَمْري لأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أهلَه ... وأَقْعُدُ في أَفْيائِهِ بالأَصائِلِ[3]

ورُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: يعني بالغُدوِّ: صلاةَ الفَجرِ؛ وبالآصَالِ: صلاةَ العَصرِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني المَلائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يَتكبَّرون ويتعظَّمون

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٤. الآية ﴿**واذكر ربك في نفسك**...﴾: أي اذكر ربك في نفسك رهبة ورغبة وبالقول لا جهراً ولهذا قال ﴿**ودون الجهر من القول**﴾ وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداء وجهراً بليغاً. ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، فأنزل الله ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾. **وكذا قال في هذه الآية الكريمة** ﴿**ودون الجهر من القول بالغدو والآصال. ولا تكن من الغافلين**﴾. وقد زعم ابن جرير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قبله: أن المراد بهذه الآية السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة. وهذا بعيد مناف للإنصات المأمور به. ثم المراد بذلك في الصلاة، كما تقدم، أو الصلاة والخطبة. ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان، سواء كان سراً أو جهراً فهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه. بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال، لئلا يكون من الغافلين وبهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون فقال ﴿**إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته**﴾ الآية. وإنما ذكرهم بهذا التشبيه بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، ولهذا شرع لنا السجود ها هنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل. وهذه أول سجدة في القرآن مما يشرع لتاليها ومستمعها السجود بالإجماع.

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في «ديوانه» ١/١٤١.

﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾، وفي هذه العِبادَةِ قولان: **أحدهما**: الطَّاعة. **الثاني**: الصَّلاةُ والخُضوعُ فيها. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ قولان: **أحدهما**: يُنَزِّهُونَه عن السُّوءِ. **والثاني**: يقولون: سُبحانَ اللَّهِ. قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يُصَلُّون. وقيل: سببُ نزول هذه الآيةِ أنَّ كُفَّارَ مكَّةَ قالوا: أَنَسجُدُ لِمَا تأمُرُنا؟ فنزلت هذه الآيةُ تُخبِرُ أنَّ الملائكة وهُمْ أكبرُ شأناً، لا يَتكبَّرون عن عِبادةِ اللَّهِ. وقد رَوى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٦٠٧] «إذا قَرأَ ابنُ آدمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اِعتَزَلَ الشَّيطانُ يَبكي ويقولُ: يا وَيْلَه، أُمِرَ هذا بالسُّجودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجنَّةُ، وأُمِرتُ بالسُّجودِ فعَصيتُ فَلِيَ النَّارُ».

---

[٦٠٧] حديث صحيح. أخرجه مسلم ٨١ وابن ماجة ١٠٥٢ وأحمد ٢/ ٤٤٣ وابن خزيمة ٥٤٩ وابن حبان ٢٧٥٩ والبغوي في «شرح السنة» ٦٥٤ من حديث أبي هريرة.

سُورَةُ الأَنفَال — ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥

وهي مَدنيَّةٌ بإجماعِهم. وحكى المَاورديُّ عن ابن عباسٍ أنَّ فيها سبعَ آياتٍ مَكيَّاتٍ، أوَّلها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ①﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ في سبب نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٦٠٨] **أحدها**: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال يومَ بدرٍ: «مَنْ قتلَ قتيلاً فَلَهُ كذا وكذا، ومَنْ أَسرَ أَسِيراً فلهُ كذا وكذا»، فأمَّا المَشيَخةُ، فَثَبَتُوا تحتَ الرَّاياتِ، وأما الشُّبَّانُ، فسارَعُوا إلى القَتلِ والغَنائِم، فقال المَشيَخةُ للشُّبانِ: أَشرِكُونا معكُم، فإنَّا كنَّا لكم رِدءاً؛ فأبَوا، فاختَصَمُوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت سورةُ (الأنفال)، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٠٩] **والثاني**: أنَّ سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ أصابَ سَيفاً يومَ بدرٍ، فقال: يا رسولَ الله، هَبْهُ لي، فنزلت هذه الآيةُ، رَواه مُصعبُ بن سَعدٍ عن أبيه. وفي روايةٍ أخرى عن سَعدٍ قال: قتلتُ سعيدَ بن العَاصِ، وأخذتُ سيفَهُ فأتيتُ به رسولَ الله، فقال: «اذهَبْ فَاطرَحْهُ في القَبضِ» فرَجعتُ، وبي ما لا

---

[٦٠٨] حسن. ورد عن ابن عباس أخرجه أبو داود ٢٧٣٧ و ٢٧٣٨ و ٢٧٣٩ والنسائي في «التفسير» ٢١٧ وابن أبي شيبة ١٤/ ٣٥٦ والحاكم ٢/ ١٣١ و ١٣٢ و ٣٢٦ و ٣٢٧، وابن حبان ٥٠٩٣ والطبري ١٥٦٦٢ و ١٥٦٦٣ و ١٥٦٦٤، والبيهقي ٦/ ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣١٥ و ٣١٦، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٩٤٨٣ من وجه آخر عن ابن عباس بنحوه لكن إسناده ساقط فيه محمد بن السائب الكلبي متروك متهم. انظر «تفسير القرطبي» ٣١٨١ بتخريجنا.

[٦٠٩] صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٧٠ وسعيد بن منصور ٢٦٨٩ وأحمد ١/ ١٨٠ والطبري ١٥٦٧١ والواحدي ٤٦٨. وورد من وجه آخر أخرجه مسلم ١٧٤٨ مختصراً ومطولاً وأبو داود ٢٧٤٠ والترمذي ٣٠٧٩ و ٣١٨٩ والنسائي في «التفسير» ٢١٦ والبخاري في الأدب المفرد ٢٤. وأبو يعلى ٧٣٥ و ٧٨٢ واستدركه الحاكم ٢/ ١٣٢ والبيهقي ٦/ ٢٩١ والواحدي ص ١٧٣ من حديث سعد بن أبي وقاص، بألفاظ متقاربة.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

يَعلمُه إلاّ الله؛ فما جاوزتُ إلاّ قريباً حتّى نزلت سورةُ (الأنفَال)، فقال: «اذهَبْ فخُذْ سيفَكَ».

[٦١٠] وقال السُّدِّيُّ: اختَصَمَ سعدٌ وناسٌ آخرون في ذلك السَّيفِ، فسَألُوا النبيَّ ﷺ، فأَخَذَهُ النبيُّ ﷺ منهم، فنزلت هذه الآيةُ.

[٦١١] **والثالث**: أنَّ الأنفالَ كانت خَالِصَةً لرسول اللَّهِ ﷺ، ليس لأحدٍ منها شيءٌ، فسألُوه أنْ يُعطيَهم منها شيئاً، فنزلت هذه الآيةُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

وفي المُراد بالأنفَالِ ستةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنَّها الغنائِمُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وأبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ، وابنُ قُتيبَة في آخرين.
وواحدُ الأنفَالِ: نَفَلٌ، قال لَبِيدُ:

إنَّ تَـقْـوَىٰ رَبِّـنَـا خَـيـرُ نَـفَـلْ وبِـإذنِ الـلَّـهِ رَيْـثِـي وعَـجَـلْ

والثاني: أنها ما نفَّله رسول الله ﷺ القاتل من سَلَبِ قتيله. **والثالث**: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عَبْد أو دابة بغير قتال، قاله عطاء. وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس أيضاً.

[٦١٢] **والرابع**: أنه الخُمسُ الذي أَخذهُ رسولُ الله ﷺ مِنَ الغَنائِم، قاله مُجاهِدٌ.

والخامس: أنه أنفَالُ السَّرايا، قاله عليُّ بن صالحِ بن حيٍّ. وحُكي عن الحسَنِ قال: هي السَّرايا التي تَتقدَّم أمامَ الجُيوش. **والسادس**: أنَّها زيَاداتٌ يُؤثِرُ بها الإمامُ بعضَ الجيش لِمَا يَراهُ مِنَ المَصلحَةِ، ذكره المَاوَردِي.

وفي «عن» قولان: **أحدهما**: أنَّها زائدةٌ، والمعنى: يسألونَكَ الأنفَالَ؛ وكذلك قرأَ سعدُ بن أبي وَقَّاصٍ وابنُ مسعودٍ وأُبيُّ بن كَعبٍ وأبو العَالية: «يسألونكَ الأنفالَ» بحذفِ «عن». **والثاني**: أنَّها أصلٌ، والمعنى: يَسألونَكَ عن الأنفَالِ لِمَنْ هي؟ أو عن حُكم الأنفَالِ؛ وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلَّقُ بالقولين. وذُكِرَ أنهم إنَّما سَألُوا عن حُكمها لأنَّها كانت حَراماً على الأُمَمِ قَبلَهُم.

فصل: واختلف علماءُ النَّاسخ والمَنسُوخ في هذه الآية، فقال بعضُهم: إنَّها نَاسِخَةٌ مِنْ وَجهٍ، مَنسُوخَةٌ مِنْ وَجهٍ، وذلك أنَّ الغَنائمَ كانت حراماً في شرائع الأنبياءِ المُتقدِّمين، فنَسخَ اللَّهُ ذلك بهذه الآية، وجعلَ الأمرَ في الغنائم إلى ما يراهُ الرَّسولُ ﷺ، ثم نَسخَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[1]. وقال آخرون: المُراد بالأنفَالِ شيئان: **أحدهما**: ما يَجعلُه الرَّسولُ ﷺ لِطَائفة مِنْ شُجعان العَسْكَرِ ومُتقدِّميه، يَستخرجُ به نُصحَهُم، ويُحرِّضهم على القتال. **والثاني**: ما يَفضُلُ

---

[٦١٠] ضعيف. أخرجه الطبري ١٥٦٨٥ عن السدي مرسلاً. وورد من مرسل سعيد بن جبير. أخرجه أبو جعفر بن النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص ١٤٤ عن سعيد بن جبير مرسلاً فهو ضعيف، وعلته الإرسال، لكن يشهد لما قبله.

[٦١١] ضعيف. أخرجه البيهقي ٦/ ٢٩٣ والطبري ١٥٦٧٩ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

[٦١٢] مرسل أخرجه الطبري ١٥٦٦٠ و ١٥٦٦١ عن مجاهد.

---

(١) سورة الأنفال: ٤١.

مِنَ الغَنائِم بعد قِسمَتِها كما رُوي عن ابن عُمَر قال:

[٦١٣] بعثَنا رسولُ الله ﷺ في سَرِيَّةٍ، فغَنِمنا إبلاً، فأصابَ كلَّ واحدٍ منَّا عشرَ بعيراً، ونَفَّلَنا بَعيراً بَعيراً. فعلى هذا هي مُحكَمةٌ، لأنَّ هذا الحُكمَ باقٍ إلى وَقتِنا هذا.

فصل: ويجوزُ النَّفَلُ قبلَ إحرازِ الغَنيمَةِ، وهو أنْ يقول الإمامُ: مَنْ أصابَ شيئاً فهوَ له، وبه قال الجمهورُ. فأمَّا بعدَ إحرَازِها، ففيه عن أحمد روايتان. وهل يستحقُّ القَاتلُ سَلَبَ المَقتولِ إذا لم يَشْرُطْهُ له الإمامُ، فيه قولان: **أحدهما**: يَستحقُّه، وبه قال الأوزاعيُ والليثُ والشَّافعيُّ. **والثاني**: لا يَستحقُّه ويكون غَنيمةً للجيشِ، وبه قال أبو حَنيفَةَ ومَالكٌ؛ وعن أحمدَ روايتان كالقولين.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ أي: يَحكُمان فيها ما أرادَا، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بتَرْكِ مُخالفَته ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معنى «ذات بينكم» حقيقةَ وَصْلِكُم. والبَيْنُ: الوَصلُ؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾(١). ثم في المُراد بالكلام قولان: **أحدهما**: أنْ يَرُدَّ القويُّ على الضَّعيفِ، قاله عَطاءٌ. **والثاني**: تَرْكُ المُنازعَةِ تسليماً للَّهِ ورسولِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: اقبَلُوا ما أُمِرتُم به في الغَنائِم وغيرِها.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إذا ذُكِرتْ عَظَمَتُه وقُدرَتُه وما خَوَّفَ به مَنْ عصاهُ، فزعتْ قلُوبُهم، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما أدري وإنِّي لأَوجَلُ … على أيِّنا تَغدُوا المَنيَّةُ أوَّلُ(٢)

يُقال: وَجِلَ يَوْجَلُ ويَاجَلُ ويَيْجَلُ وييجَلُ، هذه أربعُ لُغاتٍ حكاها سِيبَويه. وأجودُها: يَوْجَلُ. وقال السُّدِّيُّ: هو الرجل يَهُمُّ بالمعصيةِ، فيذكرُ الله فيَنزِع عنها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: آيات القرآن. وفي قوله: ﴿زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: تَصدِيقاً، قاله ابنُ عباسٍ. والمعنى: أنهم كُلَّما جاءَهُم شيءٌ عن اللَّهِ آمنوا به، فيزدَادُوا إيماناً بزيادة الآياتِ. **والثاني**: يَقيناً، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: خَشيةُ الله، قاله الرَّبيعُ بن أنسٍ. وقد ذكرنا معنى التَّوكُّلِ في سورة آل عِمران(٣).

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

---

[٦١٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٣٣٨ ومسلم ١٧٤٩ وأحمد ٢/ ١٠ وأبو داود ١٧٤٤ وابن حبان ٤٨٣٢ من حديث عمر. انظر القرطبي ٣١٨٠ بتخريجنا.

---

(١) سورة الأنعام: ٩٤.

(٢) البيت لمعن بن أوس في «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٢.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الصَّلوات الخَمس. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يعني الزَّكاة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، قال الزَّجّاجُ: «حقاً» منصوبٌ بمعنىً دلَّتْ عليه الجُملةُ، والجُملةُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فالمعنى: أَحَقَّ ذلك حقّاً. وقال مُقاتِلٌ: المعنى: أولئك همُ المؤمنون لا شكَّ في إيمانِهم كَشَكِّ المنافقين.

قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال عَطاءٌ: الجنَّة يَرتَقُونها بأعمالهم، والرِّزقُ الكريمُ: ما أُعِدَّ لهم فيها.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في مُتعلقِ هذه الكَافِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مُتعلِّقةٌ بالأنفالِ. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ تأويلَه: امضِ لأَمرِ الله في الغنائِم وإنْ كرِهوا، كما مَضيتَ في خُروجكَ مِنْ بيتكَ وهُم كَارِهون، قاله الفَرَّاءُ. والثاني: أنَّ الأنفالَ للَّهِ والرسولِ ﷺ بالحقِّ الوَاجبِ، كما أخرجكَ ربُّكَ بالحقِّ، وإنْ كَرِهوا ذلك، قاله الزَّجَّاج. والثالث: أنَّ المعنى: يَسألونَكَ عن الأنفَالِ مُجادلَةً، كما جَادَلُوكَ في خُروجكَ، حكاهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. **والثاني**: أنها مُتعلِّقةٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ﴾، والمعنى: إنَّ التَّقوى والإصلاحَ خيرٌ لكم، كما كان إخراجُ الله نبيَّهُ محمَّداً خيراً لكم وإنْ كَرِهَهُ بعضُكم، هذا قولُ عِكرمَةَ. **والثالث**: أنها مُتعلِّقةٌ بقوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾، فالمعنى: مُجادلتُهم إيَّاك في الغَنائِم كإخراجِ الله إيَّاكَ إلى بَدرٍ وهم كَارِهُون، قاله الكِسَائيُّ. **والرابع**: أنها مُتعلِّقةٌ بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: وهمُ المؤمنون حقّاً كما أخرجَكَ ربُّك مِنْ بيتكَ بالحقِّ، ذكره بعضُ نَاقلي التَّفسير. **والخامس**: أنَّ «كما» في مَوضعِ قَسَم، معناها: والذي أخرجَكَ مِنْ بيتِكَ، قاله أبو عُبيدَةَ، واحتجَّ بأنَّ «ما» في مَوضعِ «الذي» ومنه قولَه: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾[1]، قاله ابنُ الأنبارِي. وفي هذا القولِ بُعْدٌ، لأنَّ الكافَ ليستَ مِنْ حروفِ الأقسَامِ.

وفي هذا الخُروجِ قولان: **أحدهما**: أنه خُروجُه إلى بَدرٍ، وكَرِهَ ذلك طائفةٌ مِنْ أصحابه، لأنهم عَلِموا أنهم لا يَظفَرُونَ بالغَنيمَة إلاَّ بالقتالِ. **والثاني**: أنه خُروجُه مِنْ مكَّة إلى المَدينةِ للهجرَةِ. وفي معنى قوله: «بالحق» قولان: **أحدهما**: أنكَ خرجتَ ومعكَ الحقُّ. **والثاني**: أنكَ خرجتَ بالحقِّ الذي وَجَبَ عليكَ. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: كَارِهونَ خُروجَكَ. **والثاني**: كَارِهونَ صَرْفَ الغَنيمَةِ عنهم، وهذه كَراهةُ الطَّبعِ لِمشقَّةِ السَّفرِ والقتالِ، وليست كَراهةً لأمرِ اللَّهِ تعالى.

قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ يعني في القتال يومَ بَدرٍ، لأنَّهم خَرجُوا بغيرِ عُدَّةٍ، فقالوا: هلاَّ

---

(١) سورة الليل: ٣.

أخبرتَنا بالقتال لِنأخُذَ العُدَّةَ، فجادلُوه طَلَباً للرُّخصةِ في تَرْكِ القتال. وفي قوله تعالى: ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ثلاثة أقوالٍ: **أحدهما**: تَبين لهم فَرْضُهُ. **والثاني**: تَبَيَّن لهم صَوابُهُ. **والثالث**: تبيَّن لهم أنكَ لا تفعلُ إلاَّ ما أُمِرتَ به. وفي «المُجَادِلين» قولان: **أحدهما**: أنهم طائفةٌ مِنَ المسلمين، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهورُ. **والثاني**: أنهم المشركون، قاله ابنُ زيدٍ، فعلى هذا، يكون جِدالُهم في الحقِّ الذي هو التَّوحيدُ، لا في القتال. فعلى الأوّلِ، يكون معنى قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ أي: في لقاءِ العدوِّ ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، لأنَّ أشدَّ حالِ مَنْ يُساقُ إلى الموت أنْ يكون نَاظِراً إليه، وعَالِماً به. وعلى قول ابن زيدٍ: كأنما يُساقون إلى الموت حينَ يُدعَوْنَ إلى الإسلام لِكَراهتِهم إيَّاهُ.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾.

[٦١٤] قال أهلُ التَّفسير: أَقبلَ أبو سُفيانَ مِنَ الشام في عِيْرٍ لقريشٍ، حتى إذا دَنا مِنْ بَدرٍ، نزل جِبريلُ فأخبرَ النبيَّ ﷺ بذلك، فخرجَ في جماعةٍ مِنْ أصحابه يريدُهم، فبَلَغَهُم ذلك فبعثوا عمرَو بن ضَمْضَم الغفاريّ إلى مكّةَ مُستغيثاً، فخرجَت قُريشُ للمَنعِ عنها، ولَحِقَ أبو سُفيانَ بساحلِ البحرِ، ففَاتَ رسولَ ٱللّهِ، ونزلَ جِبريلُ بهذه الآية: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

والمعنى: اذكروا إذ يَعدكُم اللّهُ إحدى الطَّائفتين. والطَّائفتان: أبو سُفيانَ وما معه مِنَ المال، وأبو جَهلٍ ومَنْ معه مِنْ قُريشٍ؛ فلما سبقَ أبو سُفيانَ بما معه كتبَ إلى قُريشٍ: إنْ كُنتم خرجتم لِتُحرزوا رَكائِبَكم فقد أحرَزتُها لكم. فقال أبو جَهلٍ: واللّهِ لا نرجع. وسارَ رسولُ الله ﷺ يريد القومَ. فكَرِهَ أصحابُه ذلك ووَدُّوا أن لو نَالوا الطَّائفةَ التي فيها الغَنيمةُ دونَ القتال؛ فذلك قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي: ذاتِ السِّلاح. يُقال: فُلانٌ شَاكِي السِّلاح؛ بالتَّخفيف، وشَاكٌ في السِّلاح؛ بالتَّشديد، وشَائِكٌ. قال أبو عُبيدَةَ: ومجازُ الشَّوكَةِ الحَدّ؛ يُقال: ما أَشدَّ شَوكةَ بَني فُلانٍ، أي: حَدَّهم. وقال الأخفَشُ: إنما أنَّثَ «ذات الشَّوكة» لأنه يعني الطَّائفة.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ في المراد بالحق قولان[1]: **أحدهما**: أنه الإِسلامُ، قاله

---

[٦١٤] أخرجه الطبري ١٥٧٣٢ من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني ببعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا: لما سمع... فذكره بنحوه وأتم. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٦٠ بتخريجنا.

---

(١) **قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٦١ قوله تعالى: ﴿يريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾ أي: هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم، ويظهر دينه، ويرفع كلمة الإسلام، ويجعله غالباً على الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور. وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك. فيما يظهر لهم، كما قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾** [البقرة: ٢١٦].

ابنُ عباسٍ في آخرين. **والثاني**: أنه القرآن، والمعنى: يُحِقُّ ما أُنزلَ إليكَ مِنَ القرآن.

قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: بعدَاتِه التي سَبقت مِنْ إعزازِ الدِّين، كقوله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: يَجتثَّ أصلَهم؛ وقد بيّنّا ذلك في (الأنعام)[2].

قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ المعنى: ويُريد أنْ يقطعَ دابرَ الكافرين كَيْمَا يُحقَّ الحقَّ. وفي هذا الحقِّ القولان المُتقدِّمان. فأما الباطلُ، فهو الشِّركُ؛ والمجرمون ها هنا: المشركون.

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾.

[٦١٥] سببُ نزولها ما رَوى عمرُ بن الخَطّابِ رضي الله عنه قال: لمَّا كان يومُ بَدرٍ، نظرَ النبيُّ ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائةٍ وَنيِّفٍ، ونظرَ إلى المشركين وهم ألفٌ وزيادةٌ، فاستقبلَ القِبلَةَ، ثم مَدَّ يدَيه وعليه رِدَاؤه وإزارُه، ثم قال: «اللهُمَّ أَنجز ما وعَدتَني، اللهم أنجز ما وعدتني، اللهُمَّ إنَّكَ إنْ تُهلِكْ هذه العصَابةَ لا تُعبَدْ في الأرض أبداً» فما زال يستغيث ربَّهُ ويدعُوه، حتى سقطَ رِدَاؤهُ، فأتاه أبو بكرٍ الصِّدِّيق فأخذ رِداءَهُ فَرَدَاهُ به، ثم التَزَمه مِنْ ورَائِه، وقال: يا نبيَّ الله كفاكَ مُناشَدتُكَ ربَّكَ، فإنه سَيُنجزُ لكَ ما وَعدَكَ؛ فأنزلَ اللَّهُ تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِذۡ﴾ قال ابنُ جَريرٍ: هي مِنْ صِلَةِ «يبطل». وفي قوله تعالى: ﴿تَسۡتَغِيثُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: تَستنصِرونَ. **والثاني**: تَستَجِيرونَ. والفَرقُ بينهما أنَّ المُستنصِرَ يطلبُ الظَّفَر، والمُستَجيرَ يطلبُ الخَلاصَ. وفي المُستَغيثين قولان: **أحدهما**: أنه رسولُ الله ﷺ والمؤمنون، قاله الزُّهري. **والثاني**: أنه رسولُ الله ﷺ، قاله السُّدِّي. فأمّا الإمدادُ فقد سبقَ في (آل عمران)[3].

وقوله تعالى: ﴿بِأَلۡفٖ﴾ قرأ الضَّحَّاكُ، وأبو رَجَاءٍ: «بآلاف» بهمزةٍ ممدودةٍ وبألفٍ على الجَمع. وقرأ أبو العَالِيَة، وأبو المُتوكِّل: «بألوف» برَفعِ الهمزةِ واللام وبواوٍ بعدها على الجَمع. وقرأ ابنُ حَذْلَم، والجحدَريُّ: «بأُلُفٍ» بضمِّ الألف واللام مِنْ غير واوٍ ولا ألفٍ، وقرأ أبو الجَوزَاءِ، وأبو عِمرَانَ: «بِيَلْفٍ» بياءٍ مفتوحةٍ وسكون اللام مِنْ غير واوٍ ولا ألفٍ. فأمّا قوله: ﴿مُرۡدِفِينَ﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، وعَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «مردِفين» بكسرِ الدال. قال ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ، والفَرَّاءُ: هم المُتَتابِعُون. وقال أبو عَليٍّ: يحتمل وَجهَين: **أحدهما**: أن يكونوا مُردِفين مِثلَهم، تقول: أَردَفتُ زيداً دَابَّتي؛ فيكون المَفعولُ الثاني محذوفاً في الآية. **والثاني**: أن يكونوا جاؤوا

---

[٦١٥] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٦٣ والترمذي ٣٠٨١، وابن حبان ٤٧٩٣ والبيهقي ٦/ ٣٢١، وفي «الدلائل» ٣/ ٥١ ـ ٥٢، والطبري ١٥٧٤٧ من حديث عمر.

---

(١) سورة التوبة: ٣٣. (٢) سورة الأنعام: ٤٥. (٣) سورة آل عمران: ١٢٤.

بعدَهُم؛ تقول العربُ: بَنو فُلانٍ مَردُوفُونا، أي: هم يَجيئون بعدَنا. قال أبو عُبيدَةَ: مُردفِينَ: جاؤوا بَعدُ. وقرأ نَافعٌ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم: «مردَفين» بفتح الدال. قال الفَرّاءُ: أراد: فُعِلَ ذلك بهم، أي: إنّ الله أردَفَ المسلمين بهم. وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو المُتوكّل النّاجي، وأبو مِجْلَزٍ: «مُرَدَّفين» بفتح الراء والدال مع التشديد. وقرأ أبو الجَوزَاءِ، وأبو عِمرَان: «مُرُدِّفِين» برفع الراء وكسر الدال. وقال الزَّجّاجُ: يقال: رَدِفتُ الرجلَ: إذا ركبتُ خَلفَهُ، وأردفتُه: إذا أركبتُه خَلفِي. ويُقال: هذه دابَّةٌ لا تُرادِف، ولا يُقال: لا تُردِف. ويقال: أردَفتُ الرجلَ: إذا جئتَ بعدَهُ. فمعنى «مُردفين» يأتونَ فِرقةً بعد فِرقةٍ. ويجوز في اللغة: مُرِدِّفين ومُرُدِّفين ومُرَدِّفين، فالدال مكسورةٌ مشدَّدةٌ على كلِّ حالٍ، والراء يجوز فيها الفتحُ والضَّمُّ والكسرُ. قال سِيبَويه: الأصل مُرتَدِفين، فأُدغِمت التاءُ في الدال فصارت مُرَدِّفين لأنكَ طرحتَ حركةَ التاء على الراء؛ وإنْ شئتَ لم تَطرحْ حركةَ التاء، وكَسرتَ الراء لالتقاءِ السَّاكِنين. والذين ضَمُّوا الراء، جعلوها تابعةً لضمَّة الميم. وقد سبقَ في (آل عِمران)[1] تفسيرُ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، وكان مُجاهِدٌ يقول: ما أمدَّ اللّهُ النبيَّ ﷺ بأكثر مِنْ هذه الألفِ التي ذُكِرت في سورة (الأنفال)[2] وما ذَكرَ الثلاثةَ والخمسةَ إلاّ بُشرى، ولم يُمَدُّوا بها؛ والجمهور على خِلافه، وقد ذكرنا اختلافَهم في عدد المَلائكةِ في سورة (آل عِمران)[3].

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: «إذْ يَغشاكُمُ النُعاسُ أمَنَةً مِنْهُ» قال الزَّجّاجُ: «إذ» مَوضِعُها نَصبٌ على معنى: وما جَعلَهُ اللّهُ إلاّ بُشرى، في ذلك الوقت، ويجوز أنْ يكون المعنى: أذكروا إذْ يغَشَاكُمُ النُّعاسُ. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «إذ يَغْشَاكم» بفتح الياء وجزم الغينِ وفتح الشينِ وألفٍ، «النُعاسُ» بالرَّفع. وقرأ عَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «يُغَشِّيكم» بضمِّ الياء وفتحِ الغين مشدَّدة الشين مكسورةً، «النعاسَ» بالنَّصب. وقرأ نَافعٌ: «يُغْشيكم» بضمِّ الياء وجزم الغين وكسرِ الشين «النعاس» بالنَّصب. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: الكلامُ راجعٌ على قوله تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ إذ يغشاكم النُّعاسُ. قال الزَّجّاجُ: و «أمنة» منصوبٌ: مفعولٌ له، كقولكَ: فعلتُ ذلك حذرَ الشرِّ. يُقال: أمنتُ آمَنُ أمْناً وأَمَاناً وأمَنَةً. وقرأ أبو عبد الرّحمن السُّلَمي، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو العَالِية، وابنُ يَعمُر، وابنُ مُحيصِنٍ: «أمْنَةً منه» بسكونِ الميم.

قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

[٦١٦] قال ابنُ عباسٍ: نزلَ النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ، وبينه وبين الماءِ رملَةٌ، وغَلَبَهُم المشركون على

---

[٦١٦] ورد من وجوه تتأيد بمجموعها. أخرجه الطبري ١٥٧٨٣ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف. فيه علي بن أبي طلحة لم يسمع ابن عباس. وأخرجه أيضاً ١٥٧٨٢ عن قتادة مرسلاً بنحوه. وكرره ١٥٧٨٥ عن السدي مرسلاً بنحوه. وكرره ١٥٧٩٢ عن الضحاك مرسلاً بنحوه. وفي رواية الطبري وردت كلمة رملة (دعصة) والدعص: قطعة من الرمل مستديرة، أو الكثيب منه. والدعصاء: الأرض السهلة تحمىٰ عليها الشمس.

---

(١) سورة آل عمران ١٢٦. (٢) سورة الأنفال: ١٠. (٣) سورة آل عمران: ١٢٦.

الماءِ، فأصابَ المسلمينَ الظَّمأُ، وجعلوا يُصلُّون مُحدِثين، وألقى الشيطانُ في قلوبهم الوَسوسةَ، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رَسُولُه، وقد غَلَبَكُم المشركون على الماءِ، وأنتم تُصلُّون مُحدِثين، فأنزل اللَّهُ عليهم مطراً، فشَربوا وتطهروا، واشتدَّ الرَّملُ حين أصابه المطرُ، وأزالَ اللَّهُ رِجزَ الشيطان، وهو وسواسُه، حيث قال: قد غَلَبَكُم المشركون على الماءِ.

وقال ابنُ زيدٍ: رِجزُ الشَّيطان: كَيدُه، حيث أوقعَ في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طَاقةٌ. وقال ابنُ الأنباري: سَاءَهُم عدمُ الماء عند فَقرِهم إليه، فأرسلَ اللَّهُ السماء، فزالت وَسوسةُ الشيطَان التي تُكسِبُ عذابَ الله وغَضبَهُ، إذ الرِّجزُ: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ﴾ الرَّبطُ: الشَّدُّ. و «على» في قول بعضِهم صِلَةٌ، فالمعنى: ولِيَربط قلوبَكم. وفي الذي رَبَطَ به قلوبَهم وقوَّاها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الصَّبرُ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: أنه الإيمانُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه المطرُ الذي أَرسَلهُ يُثبِّتُ به قلوبَهم بعد اضطرَابِها بالوَسوسَةِ التي تقدَّمَ ذِكرُها.

قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ في هاء «به» قولان: **أحدهما**: أنها تَرجعُ إلى الماء؛ فإنَّ الأرضَ كانت رَمِلةً، فاشتدَّتْ بالمطرِ، وثَبتت عليها الأقدامُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثاني**: أنها تَرجعُ إلى الرَّبطِ، فالمعنى: ويُثبِّت بالرَّبطِ الأقدَامَ، ذكره الزَّجَّاجُ.

﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «إذ» في مَوضعِ نصبٍ، والمعنى: ولِيَربط إذ يُوحي. ويجوز أن يكون المعنى: واذكُروا إذ يُوحي. قال ابنُ عباسٍ: وهذا الوَحيُ إلهامٌ. قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وهم الذين أَمَدَّ بهم المسلمين. ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالعَونِ والنُّصرَة. ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: قَاتِلُوا معهم، قاله الحسَنُ. **والثاني**: بَشِّروهُم بالنَّصرِ؛ فكان المَلَكُ يسيرُ أمامَ الصَّفِّ في صورة الرَّجلِ، ويقول: أبشِروا فإنَّ الله نَاصِرُكم، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: ثَبِّتوهُم بأشياء تُلْقُونها في قُلوبهم تَقوَى بها، ذكره الزَّجَّاجُ. **والرابع**: صَحِّحوا عزائِمَهم ونيَّاتِهم على الجهاد، ذكره الثَّعلبيُّ. فأمَّا الرُّعب، فهو الخوفُ. قال السَّائبُ بن يَسارٍ: كنا إذا سألنا يَزيدَ بن عَامرٍ السُّوائيَّ عن الرُّعب الذي أَلقَاهُ اللَّهُ في قلوبِ المشركين كيفَ؟ كان يأخذُ الحَصى فيَرمي به الطَّستَ فيَطِنُّ، فيقول: كنا نَجِدُ في أجوَافِنا مثلَ هذا.

قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ في المُخاطب بهذا قولان[(١)]: **أحدهما**: أنهم الملائكةُ. قال

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/١٩٧: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين، فعلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف: أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل وقوله ﴿فوق الأعناق﴾ محتمل أن يكون مراداً به الرؤوس، ومحتمل أن يكون مراداً له: من فوق جلدة الأعناق: فيكون معناه: على =

ابنُ الأنباري: لم تعلم الملائكةُ أينَ تَقصِدُ بالضَّربِ مِنَ الناس، فعَلَّمهم اللَّهُ تعالى ذلك. **والثاني**: أنهم المؤمنون، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: فاضربوا الأعناقَ، و «فوق» صِلَةٌ، وهذا قول عَطيَّةَ، والضَّحَّاكِ، والأخفشِ، وابنِ قُتَيبَة. وقال أبو عُبيدَةَ: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضَربتُه فوق الرأسِ، وضربتُه على الرأسِ. **والثاني**: اضربُوا الرؤوسَ لأنها فوقَ الأعنَاقِ، وبه قال عِكرمَةُ. وفي المُراد بالبَنَانِ ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأطرَافُ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. وقال الفَرَّاءُ: علَمَهم مواضع الضَّربَ، فقال: اضربُوا الرؤوسَ والأيدي والأرجُلَ. وقال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبَةَ: البَنَانُ: أطرافُ الأصَابع. قال ابنُ الأنبَارِي: واكتَفى بهذا مِنْ جُملة اليَدِ والرِّجلِ. **والثاني**: أنه كلُّ مَفْصِلٍ، قاله عَطيَّةُ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: أنه الأصَابعُ وغيرُها مِنْ جميعِ الأعضَاءِ، والمعنى: أنه أبَاحَهُم قَتْلَهُم بكلِّ نوعٍ، هذا قولُ الزَّجاجُ. قال: واشتقاقُ البَنانِ مِنْ قولهم: أبَنَّ بالمَكانِ: إذا أقامَ به؛ فالبَنَانُ به يُعتَمل كلُّ ما يَكون للإقامةِ والحياةِ. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ «ذلك» إشارةٌ إلى الضَّرب، و «شاقوا» بمعنى: جَانَبُوا، فصاروا في شِقٍّ غيرِ شِقِّ المؤمنين. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ خطابٌ للمشركين؛ والمعنى: ذُوقوا هذا في عَاجلِ الدنيا. وفي فَتْحِ «أنَّ» قولان: **أحدهما**: بإضمَارِ فعلٍ، تقديره: ذَلِكُم فَذُوقوهُ واعلَمُوا أنَّ للكافرين. **والثاني**: أنْ يكونَ المعنى: ذلك بأنَّ للكافرين عذابَ النارِ. فإذا ألقيتَ الباءَ، نَصبتَ. وإن شِئتَ، جعلتَ «أن» في مَوضعِ رفعٍ؛ يريد: ذَلكُم فَذُوقُوه، وذَلكُم أنَّ للكافرين عذابَ النَّارِ، هذا معنى قولِ الفَرَّاءِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾، الزَّحفُ: جماعةٌ يزحَفُون إلى عَدوِّهم؛ قاله اللَّيثُ. والتَّزاحُفُ: التَّداني والتَّقارُبُ، قال الأعشى:

لِـمَـنِ الـظَّـعَـائِـنُ سَـيْـرُهُـنَّ تَـزَحُّـفُ[1]

قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الكلام: إذا وَاقَفْتُموهم للقتال فلا تُدبِروا ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ﴾ يومَ حَربِهم ﴿دُبُرَهُۥٓ﴾ إلاَّ أنْ يَتحرَّفَ ليُقاتلَ، أو يتَحيَّزَ إلى فِئةٍ؛ فـ «مُتحرِّفاً» و «متحيِّزاً» منصوبان على الحَالِ. ويجوز أن يكون نَصبُهما على الاستثناءِ؛ فيكون المعنى: إلاَّ رَجُلاً مُتحرِّفاً أو مُتحيزاً. وأصل مُتَحَيِّزٍ: مُتَحَيْوِز؛ فأدغمت الياءُ في الواو.

قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: مَرجِعُه إليها؛ ولا يدلُّ ذلك على التَّخليدِ.

= الأعناق. وإذا احتمل ذلك صح قول من قال: معناه: الأعناق. وإذا كان الأمر محتملاً ما ذكرنا في التأويل، لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض، إلا بحجة يجب التسليم لها. ولا حجة تدل على خصوصه، فالواجب أن يقال: إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم، أصحاب نبيه ﷺ الذين شهدوا معه بدراً اهـ.

(١) البيت منسوب إلى الأعشى.

فصل: اختلف العلماءُ في حُكم هذه الآيةِ، فقال قومٌ: هذه خاصَّةٌ في أهل بَدرٍ، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ، وأبي سعيدٍ الخُدريّ، والحسَنِ، وابنِ جُبَيرٍ، وقَتادةَ، والضَّحَّاكِ. وقال آخرون: هي على عُمومِها في كلِّ مُنهَزِمٍ؛ وهذا مَرويٌّ عن ابن عباسٍ أيضاً. وقال آخرون هي على عُمومها، غير أنها نُسِختْ بقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1] فليس للمسلمين أن يَفِرُّوا مِن مِثلَيهم، وبه قال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ. وروى أبو طالبٍ عن أحمدَ أنه سُئل عن الفِرارِ من الزَّحفِ، فقال: لا يَفِرُّ رجلٌ مِن رَجُلين؛ فإنْ كانوا ثلاثةً، فلا بأسَ. وقد نُقِلَ نحو هذا عن ابنِ عباسٍ، وقال محمَّدُ بن الحسَنِ: إذا بلغ الجيشُ اثني عشرَ ألفاً، فليس لهم أنْ يَفِرُّوا مِنْ عدوِّهم، وإنْ كثُر عَدَدُهم. ونقل نحو هذا عن مالكٍ. ووَجهُهُ ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٦١٧] «ما هُزِمَ قومٌ إذا بَلَغُوا اثني عشرَ ألفاً مِنْ قِلَّةٍ إذا صَبَروا وصَدَقوا».

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وأهلُ الكوفة إلاّ عَاصِماً «ولكِنِ اللَّهُ قَتلَهم» «ولكِنِ اللَّهُ رَمَى» بتخفيف النون ورَفع اسم الله فيهما. وسببُ نزول هذا الكلام أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ لمّا رَجعوا عن بَدرٍ جعلوا يقولون: قَتَلْنا وقَتَلْنا، هذا معنى قول مُجاهِدٍ. فأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ففي سببِ نزوله ثلاثةُ أقوالٍ:

[٦١٨] **أحدها**: «أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ: نَاوِلني كَفّاً مِنْ حَصباء، فَناوَلَه، فرَمَى به في وجُوه القوم، فما بقيَ منهم أحدٌ إلاّ وَقَعت في عَينِه حَصاةٌ». وقيل: أخَذَ قبضَةً مِنْ تُرابٍ، فرَمَى بها، وقال: «شاهَتِ الوجُوهُ»؛ فما بَقيَ مُشركٌ إلا شُغِلَ بعينِهِ يُعالجُ الترابَ الذي فيها، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ وذلك يومَ بَدرٍ؛ هذا قولُ الأكثرين. وقال ابنُ الأنبَاري: وتأويلُ شَاهَتْ: قَبُحَتْ؛ يقال: شَاهَ وَجهُهُ يَشُوه شَوهاً وشُوهَةً، ويقال: رجلٌ أشْوَهُ، وامرأةٌ شَوهَاءُ: إذا كانا قَبيحَين.

[٦١٩] **والثاني**: أنَّ أُبيَّ بن خَلَفٍ أقبلَ يومَ أُحُدٍ إلى النبيِّ ﷺ يُريده، فاعترضَ له رجالٌ مِنَ

---

[٦١٧] حسن، أخرجه أبو داود ٢٦١١. والترمذي ١٥٥٥ وعبد الرزاق ٩٦٩٩ وأحمد ١/ ٢٩٩ والدارمي ٢/ ٢١٥ وأبو يعلى ٢٧١٤ وابن خزيمة ٢٥٣٨، وابن حبان ٤٧١٧ والحاكم ١/ ٤٤٣ و ٢/ ١٠١ وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه لخلاف بين الناقلين فيه عن الزهري، ووافقه الذهبي في «مختصره» وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» ١/ ٢٣٨. و ١/ ٣٣٩. والبيهقي ٩/ ١٥٦.

[٦١٨] ورد من وجوه متعددة تتأيد بمجموعها. أخرجه الطبري ١٥٨٣٦ عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي مرسلاً. وكرره ١٥٨٣٧ عن قتادة. وكرره ١٥٨٣٨ عن السدي. وكرره ١٥٨٣٩ عن ابن زيد. وكرره ١٥٨٤٠ عن ابن عباس. وكرره ١٥٨٤١ عن ابن إسحاق.

[٦١٩] عزاه المصنف لابن المسيب عن أبيه فهو موصول. وعزاه «ابن العربي» لابن المسيب ٩٩٨، وكذا ابن كثير ٢/ ٣٧٠ والسيوطي في «الدر» ٣/ ٣١٧. وهو في «المستدرك» ٢/ ٣٢٧ و ٣٢٨ و «أسباب النزول» ٤٧١ عن =

---

(١) سورة الأنفال: ٦٦.

المؤمنين، فأمرَهُم رسولُ الله ﷺ، فخلّوا سبيلَهُ، وطَعنَهُ النبيُّ ﷺ بحربَتِه، فسقطَ أُبيٌّ عن فَرسِه، ولم يخرج مِنْ طَعنَتِهِ دمٌ، فأتاه أصحابُه وهو يَخُورُ خُوَارَ الثَّور، فقالوا: إنَّما هو خدشٌ، فقال: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لو كان الذي بي بأهلِ الحجاز لمَاتُوا أجمَعون، فماتَ قبل أن يَقْدَم مكَّةَ؛ فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ عن أبيه.

[٦٢٠] **والثالث**: أنَّ رسولَ الله ﷺ رَمَى يومَ خَيْبَرٍ بسَهم، فأقبل السَّهمُ يَهوي حتى قَتلَ ابنَ أبي الحُقيقِ وهو على فِراشِه، فنزلت هذه الآيةُ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي في آخَرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه قَتَلَهُم بالملائكة الذين أرسَلَهُم. **والثاني**: أنه أضافَ القَتْلَ إليه لأنَّه تَولّى نَصْرَهُم. **والثالث**: لأنه سَاقَهُم إلى المؤمنين، وأمكَنَهُم منهم. **والرابع**: لأنه ألقَى الرُّعبَ في قلوبهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: وما ظَفِرتَ أنتَ ولا أَصبتَ، ولكنَّ الله أظفَرَكَ وأيَّدكَ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: وما بَلغَ رَميُكَ كَفّاً مِنْ تُرابٍ أو حَصىً أَنْ تملأَ عُيونَ ذلك الجيشِ الكثيرِ، إنَّمَا اللَّهُ تَولّى ذلك؛ قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: وما رَميتَ قلوبَهم بالرُّعبِ إذ رَميتَ وجُوهَهم بالتُّراب؛ ذكره ابنُ الأنبَارِي.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: لِيُنعمَ عليهم نِعمةً عظيمةً بالنَّصرِ والأَجرِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِدُعائِهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّاتِهم. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَوضِعُه رفعٌ؛

= موسى بن عقبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه. وعلى هذا هو موصول، وإسناده صحيح على شرط البخاري، وصححه الحاكم على شرطهما! ووافقه الذهبي! ولعل ذكر «أبيه» وهم من بعض النساخ لأنه قول مرجوح. وقد أخرجه الطبري ١٥٨٤٢ عن الزهري وقد صوب الإمام ابن العربي كون ذلك في غزوة بدر. وكذا قال الحافظ ابن كثير ٢/ ٣٧٠: وهذا القول عن هذين الإمامين غريب جداً ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها، ونقله الشوكاني عنه في «فتح القدير» ٢/ ٣٣٩ ووافقه.

[٦٢٠] لم أقف عليه. وعزاه ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٣٧٠ لعبد الرحمن بن جبير بن نفير، وقال: وهذا غريب، لأن سياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفىٰ على أهل العلم اهـ.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» الآية ﴿ولكن الله قتلهم﴾ ٦/ ٢٠٢: يقول الله تعالىٰ ذكره للمؤمنين به وبرسوله، فمن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش: فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون، أنتم. ولكن الله قتلهم.
وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين إذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم، وعن أمره كان قتال المؤمنين إياهم. ففي ذلك أول الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنع به وصلوا إليها. وكذلك قوله لنبيه عليه السلام: ﴿وما رميت إذا رميت ولكن الله رمي﴾ فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي. إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله. فيقال للمنكرين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رمي نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه بعد وصفه نبيه له، وإضافته إليه، وذلك فعل واحد، كان من الله تسبيبه وتسديده ومن رسول الله ﷺ القذف والإرسال فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتساب بالقوىٰ؟ فلن يقولوا في أحدهما قولاً إلا ألزموا في الآخر مثله. ا. هـ.

والمعنى: الأمرُ ذَلِكُم. وقال غيره: «ذلكم» إشارةٌ إلى القَتْل والرَّمي والبَلاءِ الحَسنِ. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: واعلَمُوا أنَّ الله. والذي ذكرناه في فَتْح «أنَّ» في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ هو مذكورٌ في فَتْح «أن» هذه. قوله تعالى: ﴿مُوهِنُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو «مُوَهِّنٌ» بفتح الواو وتشديدِ الهاء مُنوَّنةً «كَيدَ» بالنَّصب. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصم «موهنٌ» ساكنةَ الواو «كيدَ» بالنَّصب. وروى حَفصٌ عن عَاصمٍ «موهنُ كيدِ» مضافٌ. والمُوهِنُ: المُضْعِفُ، والكَيدُ: المَكرُ.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾، في سبب نُزولها خمسةُ أقوالٍ:

[٦٢١] **أحدها**: أنَّ أصحابَ رسول الله ﷺ استَنصَروا اللّه وسَألُوه الفتحَ، فنزلت هذه الآيةُ؛ وهذا المعنى مرويٌّ عن أُبيِّ بن كَعبٍ، وعَطاءِ الخُراسَاني.

[٦٢٢] **والثاني**: أنَّ أبا جَهلٍ قال: اللهُمَّ أيُّنا كان أحبَّ إليكَ وأرضى عندكَ فانصُرهُ اليومَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٢٣] **والثالث**: أنَّ المشركين أخذوا بأستَارِ الكَعبة قبل خُروجهم إلى بَدرٍ، وقالوا اللهُمَّ انصُرْ أعلى الجُندَين وأكرم القَبيلَتين؛ فنزلت هذه الآيةُ؛ قاله السُّدِّي.

[٦٢٤] **والرابع**: أنَّ المشركين قالوا: اللهُمَّ إنَّا لا نعرفُ ما جاء به محمَّدٌ، فَافتَحْ بيننا وبينَهُ بالحقِّ؛ فنزلت هذه الآية، قاله عِكرمَةُ.

والخامس: أنهم قالوا بمكَّةَ: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١)، فعُذِّبوا يومَ بَدرٍ، قاله ابنُ زيدٍ.

فخرجَ مِنْ هذه الأقوال أنَّ في المُخاطَبين بقوله تعالى: «إن تستفتحوا» قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون. **والثاني**: المشركون؛ وهو الأشهرُ.

---

[٦٢١] لم أره مسنداً عنهما. وأثر أُبي ذكره البغوي ٢/ ٢٨٠ بدون إسناد.

[٦٢٢] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة. وورد من مرسل الزهري أخرجه الطبري ١٥٧٥٠ و ١٥٨٥١. وورد عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، أخرجه الطبري ١٥٨٥٢ و ١٥٨٥٩ و ١٥٨٦٠. وورد عن يزيد بن رومان، أخرجه الطبري ١٥٨٦٢. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

[٦٢٣] ضعيف بهذا اللفظ. أخرجه الطبري ١٥٨٥٤ عن السدي مرسلاً قال كان المشركون...... وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٧٥ مرسلاً وعزاه إلى السدي والكلبي. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٧١.

[٦٢٤] هو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٧٦ عن عكرمة مرسلاً.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.

وفي الاستِفتَاح قولان: **أحدهما**: أنه الاستِنصَارُ؛ قاله ابنُ عباسٍ، والزَّجَّاجُ في آخرين. فإنْ قلنا: إنَّهم المسلمون، كان المعنى: إنْ تستَنصِروا فقد جاءَكُم النَّصرُ بالملائكة؛ وإنْ قلنا: همُ المشركون؛ احتمل وَجْهَين. أحدهما: إنْ تستَنْصِروا فقد جاءَ النَّصرُ عليكُم. والثاني: إنْ تستَنصِروا لأحبِّ الفَرِيقين إلى اللهِ، فقد جاءَكُم النَّصرُ لأحبِّ الفَرِيقين.

والثاني: أن الاستِفتَاحَ: طلبُ الحُكم، والمعنى: إنْ تسألُوا الحُكمَ بينكم وبينَ المسلمين، فقد جاءَكُم الحُكمُ؛ وإلى هذا المعنى ذهب عِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتَادَةُ.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فهو خطابٌ للمشركين على قول الجماعة. وفي معناه قولان: **أحدهما**: إنْ تَنْتَهوا عن قتال محمَّدٍ ﷺ، والكُفرِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إنْ تَنْتَهوا عن استِفتَاحِكُم فهو خيرٌ لكم لأنَّه كان عليهم لا لَهُم، ذكره المَاوَرديّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ قولان:

أحدهما: وإنْ تَعُودوا إلى القتالِ، نَعُدْ إلى هزيمَتِكم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: وإنْ تَعُودوا إلى الاستِفتَاح، نَعُدْ إلى الفَتحِ لمحمَّدٍ ﷺ، قاله السُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: جماعَتُكم وإنْ كَثُرت، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعَونِ والنَّصرِ. وقرأ ابنُ كَثِيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحَمزةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «وإن الله» بكسرِ الألفِ. وقرأ نَافعٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصم: «وأن» بفتح الألف. فمَنْ قرأ بكسرِ «أن» استأنفَ. قال الفَرَّاءُ: وهو أحبُّ إليَّ مِنْ فَتحِها. ومَنْ فَتحَهَا، أراد: ولأنَّ الله مع المؤمنين.

قوله: تعالى ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا تَولُّوا عن رسولِ اللهِ ﷺ. **والثاني**: لا تَولُّوا عن أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما نزلَ مِنَ القرآن، رُوي القولان عن ابنِ عباسٍ.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها نزلت في بَني عبد الدَّار بن قُصَيٍّ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: في اليهود، قُريظَةَ والنَّضير. رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: في المنَافقين، قاله ابنُ إسحَاقَ، والوَاقِديُّ، ومُقاتِلٌ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنهم قالوا: سَمِعنَا، ولم يتفكَّرُوا فيما سَمِعوا، فكانوا كمَنْ لم يَسمَعْ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنهم قالوا: سَمِعنَا سماعَ مَنْ يَقبَلُ، وليسُوا كذلك، حُكي عن مُقَاتِلٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على قولين[2]:

---

(١) قال الطبري في تفسيره ٦/٢٠٩: وللذي قال ابن إسحاق وجه، ولكن قوله **﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ في سياق قصص المشركين**، ويتلوه الخبر عنهم بذمهم. وهو قوله **﴿إن شر الدواب...﴾** فلأن يكون ما بينهما خبراً عنهم أولى من أن يكون خبراً عن غيرهم اهـ.

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٢/ ٣٧٣: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا، لأن كلا ...

أحدهما: أنها نزلت في بَني عبدِ الدَّارِ بن قُصَيٍّ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: في المنافقين، قاله ابنُ إسحاقَ، والوَاقِديُّ. والدَّوابُّ: اسمُ كلِّ حيوانٍ يَدِبُّ؛ وقد بيَّنا في سورةِ (البقرة)[1] معنى الصُّمِّ والبُكمِ، ولِمَ سَماهُم بذلك.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ولو عَلِمَ فيهم صِدْقاً وإسلاماً. **والثاني**: لو عَلِمَ فيهم خيراً في سَابقِ القَضاءِ. **والثالث**: لو عَلِمَ أنَّهم يَصْلُحون. **والرابع**: لو عَلِمَ أنَّهم يَصْغَوْنَ. وفي قوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لأَسمَعَهُم جوابَ كلِّ ما يسألُون عنه، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: لَرزَقَهُم الفَهْمَ، قاله أبو سليمان الدمشقي. **والثالث**: لأَسمَعهُم كلامَ المَوتى يَشهدون بنبوتِكَ، حكاه المَاوَردِي. وفي قوله تعالى: ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: مُكذِّبون، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: وهم مُعرِضُون عَمَّا أسمَعَهُم لِمُعانَدتِهم، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟﴾ أي: أَجيبوا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ يعني الرَّسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وفيه ستةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنَّ الذي يُحييكُم: كلُّ ما يَدعُو الرَّسولُ إليه، وهو معنى قول أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٢٥] وفي أَفْرادِ البُخاريِّ مِنْ حديث أبي سعيدِ بن المُعَلَّى قال: كنتُ أصلِّي في المسجدِ فَدَعاني

---

[٦٢٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٤٧٤ و ٤٦٤٧ و ٤٧٠٣ و ٥٠٠٦، وأبو داود ١٤٥٨ والنسائي ٢/ ١٣٩، وابن ماجة ٣٧٨٥، والطيالسي ١٢٦٦. وأحمد ٣/ ٤٥٠ و ٤/ ٢١١. وابن حبان ٧٧٧، والطبراني ٢٢/ ٣٠٣، والبيهقي ٢/ ٣٦٨. كلهم من حديث أبي سعيد بن المعلى.

= منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح، ثم أخبر تعالى بأنهم لا فهم لهم صحيح، ولا قصد لهم صحيح لمن فرض أن لهم فهماً فقال ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ أي لأفهمهم...

(١) سورة البقرة: ١٨.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١١ في الآية: ولو علم الله في هؤلاء القائلين خيراً لأسمعهم واعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل وحججه منه ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم، وأنهم من كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون، ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا، لتولوا عن الله وعن رسوله، وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على صحته مواعظ الله وعبره وحججه، ومعاندون للحق بعد العلم به. ا.هـ.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: استجيبوا لله وللرسول بالطاعة، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق وذلك أن ذلك إذا كان معناه، كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد، والإجابة إذا دعاهم إلى حكم القرآن وهي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب أما في الدنيا، فبقاء الذكر الجميل، وذلك له فيه حياة، وأما في الآخرة، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها. وأما قول من قال: معناه: الإسلام فقول لا معنى له. لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فلا وجه لأن يقال للمؤمن: استجب لله وللرسول إذا دعا إلى الإسلام والإيمان.

رسولُ الله ﷺ، فَلَمْ أُجبْهُ، ثم أتيتُهُ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنّي كنتُ أصلّي، فقال: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: استَجِيبُوا للَّهِ وللرَّسول إذا دَعاكُم لِمَا يُحييكُم؟» قلتُ: بلى، ولا أعودُ إنْ شاءَ اللَّهُ.

والثاني: أنه الحقُّ، رواه شِبلٌ عن ابنِ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنه الإيمانُ، رواه وَرْقَاءُ عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، وبه قال السُّدّيُّ. **والرابع**: أنه اتِّباعُ القرآن، قاله قَتادَةُ، وابنُ زَيدٍ. **والخامس**: أنه الجِهادُ، قاله ابنُ إسحاقَ. وقال ابنُ قُتيبَةَ: هو الجهادُ الذي يُحيي دِينَهم ويُعليهم. **والسادس**: أنه إحياءُ أمورِهم، قاله الفَرَّاءُ. فيُخرَّج في إحيَائِهم خمسة أقوالٍ: **أحدها**: أنه إصلاحُ أمورِهم في الدُّنيا والآخرةِ. **والثاني**: بَقاء الذِّكرُ الجَميلُ لهم في الدُّنيا، وحياةُ الأَبَدِ في الآخرةِ. **والثالث**: أنه دوامُ نَعيمِهم في الآخرةِ. **والرابع**: أنه كَونُهم مؤمنينَ، لأنَّ الكافرَ كالميِّتِ. **والخامس**: أنه يُحييهم بعد مَوتِهم، وهو على قولِ مَنْ قال: هو الجهادُ، لأنَّ الشهداءَ أحياءٌ، ولأنَّ الجهادَ يُعِزُّهم بعد ذُلِّهم، فكأنَّهم صَاروا به أحياءً.

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ وفيه عشرةُ أقوالٍ[1]:

أحدها: يَحُولُ بين المؤمنِ وبينَ الكُفرِ، وبين الكَافرِ وبين الإيمان، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبَيرٍ. **والثاني**: يَحُولُ بين المؤمنِ وبين مَعصيتِه، وبين الكافرِ وبين طَاعتِه، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ والفَرَّاءُ. **والثالث**: يَحُولُ بين المَرءِ وقلبِهِ حتى لا يَترُكَهُ يَعقِل، قاله مُجاهِدٌ. قال ابنُ الأنبَارِي: المعنى يَحُولُ بين المرءِ وعَقلِه، فبَادِروا الأعمالَ، فإنَّكُم لا تأمَنُونَ زوالَ العُقول، فتَحصلونَ على ما قدَّمتُم. **والرابع**: أنَّ المعنى: هو قريبٌ مِنَ المرءِ، لا يَخفى عليه شيءٌ مِنْ سرِّه، كقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2]، وهذا معنى قولِ قَتادَةَ. **والخامس**: يَحُولُ بين المرءِ وقَلبِه، فلا يستطيعُ إيماناً ولا كُفراً إلاّ بإذنه، قاله السُّدِّيّ. **والسادس**: يَحُولُ بين المرءِ وبين هَواهُ، ذكره ابنُ قُتَيبةَ. **والسابع**: يَحُولُ بين المرءِ وبين ما يتمنَّى بقلبه مِنْ طُولِ العُمرِ والنَّصرِ وغيره. **والثامن**: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فبادروا الأعمال قبل وقوعه. **والتاسع**: يَحُولُ بين المرءِ وقلبِهِ بعِلْمِهِ، فلا يُضمِرُ العبدُ شيئاً في نَفْسِه إلاّ واللَّهُ عَالِمٌ به، لا يقدرُ على تَغييبِهِ عنه. **والعاشر**: يَحُولُ بين ما يُوقِعُه في قلبِهِ مِنْ خوفٍ أو أَمنٍ، فيَأمَنُ بعد خَوفِه، ويَخافُ بعد أَمْنِه، ذَكَر معنى هذه الأقوال ابنُ الأنبَارِي.

وحكى الزَّجَّاجُ أنهم لمَّا فكَّروا في كثرةِ عَدوِّهم وقِلَّةِ عددِهم، فدخلَ الخوفُ قلوبَهم، أعلَمَهُم اللَّهُ تعالى أنه يَحُولُ بين المرءِ وقلبه بأنْ يُبدِلَهُ بالخوفِ الأمنَ، ويُبدِلَ عدوَّهُ بالقوَّةِ الضَّعفَ، وقد أعلَمَتْ

---

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٥: وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم. وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته، وذلك أن الحول «بين الشيء والشيء» إنما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبه إداركه سبيل. . . غير أنه ينبغي أن يقال: إن الله عم بقوله **﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾** عن أنه يحول بين العبد وقلبه، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئاً دون شيء، والكلام محتمل كل هذه المعاني، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له ا. هـ.

(٢) سورة ق: ١٦.

هذه الآيةُ أنَّ اللَّه تعالى هو المُقلِّب للقُلوبِ، المُتَصَرِّفُ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ أي: للجَزاءِ على أعمالِكم.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[٦٢٦] **أحدها**: أنها نزلت في أصحابِ النبيِّ ﷺ خاصَّةً، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ.

[٦٢٧] وقال الزُّبيرُ بنُ العَوَّامِ: لقد قرأناها زماناً، وما نُرى أنَّا مِن أهلِها، فإذا نحنُ المَعْنِيُّون بها.

[٦٢٨] **والثاني**: أنَّها نزلت في رَجُلين مِنْ قريش، قاله أبو صَالحٍ عن ابن عباسٍ، ولم يُسمِّهما.

[٦٢٩] **والثالث**: أنَّها عامَّةٌ. قال ابن أبي طلحة عن ابنِ عباسٍ: في هذه الآية، أَمَرَ اللَّهُ المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المُنكرَ بين أَظْهُرِهم، فيَعُمَّهُم اللَّهُ بالعذاب. وقال مُجاهِدٌ: هذه الآيةُ لكم أيضاً.

[٦٣٠] **والرابع**: أنها نزلت في عَليٍّ، وعَمَّارٍ، وطَلحَةَ، والزُّبيرِ، قاله الحَسَنُ. وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أهل بَدرٍ خاصَّةً، فأصابتهم يومَ الجَمَلِ.

وفي الفِتنةِ ها هنا سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: القتال. **والثاني**: الضَّلالة. **والثالث**: السُّكوتُ عن إنكارِ المُنكَرِ. **والرابع**: الاختِبَارُ. **والخامس**: الفِتنةُ بالأموالِ والأولاد. **والسادس**: البَلاءُ. **والسابع**: ظهورُ البِدَعِ.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ فقال الفَرَّاءُ: أَمَرَهُم، ثم نَهَاهُم، وفيه طَرَفٌ مِنَ الجَزاءِ، وإنْ كان نَهياً، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ﴾(1) أَمَرَهُم، ثم نَهَاهُم؛ وفيه تأويلُ الجَزاءِ. وقال الأخفَشُ: «لا تصيبن» ليس بجوابٍ، وإنما هو نَهيٌ بعد نَهيٍ؛ ولو كان جواباً ما دخلت النُّونُ. وذكر ابنُ الأنبَارِي فيها قولين:

أحدهما: أنَّ الكلامَ تأويلُه تأويلُ الخبرِ، إذ كان المعنى: إنْ لا يتَّقوها، تُصِبِ الذين ظَلَمُوا، أي: لا تقعُ بالظَّالمين دونَ غيرِهم، لكنَّها تقعُ بالصَّالحين والطَّالحين؛ فلمَّا ظهرَ الفِعلُ ظهورَ النَّهي، والنَّهيُ رَاجعٌ إلى معنى الأمرِ، إذ القائلُ يقول: لا تَقُمْ، يريد: دَعِ القيامَ، ووقعَ مع هذا جواباً للأمرِ، أو كالجوابِ له، فأُكِّد له شبه النَّهي، فدَخلَتِ النونُ المعروفُ دخولُها في النَّهي وما يُضارِعُه. **والثاني**: أنَّها

---

[٦٢٦] لم أره عن ابن عباس. وأخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٣/ ٣٢١ عن الضحاك قوله.

[٦٢٧] أخرجه الطبري ١٥٩١٨ عن قتادة عن الزبير، وهذا منقطع. وأخرجه ١٥٩١٩ عن الحسن عن الزبير، وهو منقطع أيضاً. وأخرجه ١٥٩٢٠ عن ابن صهبان عن الزبير. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، والله أعلم.

[٦٢٨] عزاه المصنف لابن عباس من طريق أبي صالح، وهي رواية ساقطة.

[٦٢٩] عزاه المصنف لابن عباس من طريق أبي صالح، وهي رواية ساقطة كما مر سابقاً.

[٦٣٠] مرسل. أخرجه الطبري ١٥٩١٧ عن الحسن مرسلاً، وهو شاهد لما تقدم قبل حديث.

---

(١) النمل: ١٨.

نهيٌ مَحضٌ، معناه: لا يَقصِدنَّ الظَّالمون هذه الفِتنة، فَيهلِكُوا؛ فدَخَلَتِ النونُ لتوكيدِ الاستقبَالِ، كقوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾

وللمُفسِّرين في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: لا تُصيبَنَّ الفِتنةُ الذين ظلموا. **والثاني**: لا يُصيبَنَّ عقابُ الفِتنَةِ. فإنْ قيلَ: فما ذَنبُ مَنْ لم يَظلِمْ؟ فالجواب: أنه بمُوافَقتِه للأشرارِ، أو بسُكُوتِه عن الإنكار، أو بتَرْكِه للفِرَارِ، استحقَّ العقوبَةَ. وقد قرأ عليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بن كَعبٍ «لَتصيبنَّ الذين ظلموا» بغير ألفٍ.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في المهاجرين خاصَّة، كانت عِدَّتُهم قليلةً، وهم مَقهُورون في أرضِ مكَّةَ، يخافون أنْ يَستَلِبَهُم المشركون. وفي المراد بالناس ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدهما**: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس. **والثاني**: فارسُ والرُّومُ، قاله وَهْبُ بنَ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنهم المشركون الذين حَضَروا بَدراً، والمسلمون قليلون يومئذٍ، قاله قَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فآوَاكُم إلى المدينةِ بالهِجرةِ، قاله ابنُ عباسٍ، والأكثرون. **والثاني**: جعلَ لكمُ مأوًى تسكُنونَ فيه آمنين، ذكره المَاورديِ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: قَوَّاكُم بالملائكة يومَ بدرٍ، قاله الجمهور. **والثاني**: عَضَدَكُم بنَصرِهِ في بَدرٍ وغيرها، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

وفي قوله تعالى ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّها الغَنائمُ التي أَحلَّها لهم، قاله السُّدِّيّ. **والثاني**: أنها الخَيراتُ التي مَكَّنَهُم منها، ذكره المَاورديِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على أربعةِ أقوالٍ[٢]:

[٦٣١] **أحدها**: أنها نزلت في أبي لُبابَةَ بن عبد المُنذرِ؛ وذاكَ أنَّ النبيَّ ﷺ، لما حاصرَ قُريظَةَ سألوه أنْ يُصالحَهم على ما صالح عليه بني النَّضيرِ، على أنْ يَسيروا إلى أرضِ الشَّامِ، فأبَى أنْ يُعطيَهم

---

[٦٣١] أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٣/ ٣٢٣ عن الكلبي، والكلبي ممن يضع الحديث، فخبره لا شيء.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٩: وأولى القولين ذلك عندي بالصواب قول من قال: «عني بذلك مشركو قريش» لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم. لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم. وأشدهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم، وقلة عدد المسلمين. اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٧٦: والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جمهور من العلماء، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار واللازمة والمتعدية ا. هـ.

ذلك إلاّ أنْ ينزلوا على حُكم سَعد بن مُعاذٍ، فأبَوا، وقالوا: أرسِلْ إلينا أبا لُبابة، وكان مُناصحاً لهم، لأنَّ ولدَه وأهلَه كانوا عندهم، فبعثَهُ إليهم، فقالوا: ما ترى، أَنَنزلُ على حُكم سَعدِ بن مُعاذٍ؟ فأشار أبو لُبابة بيده إلى حَلْقِهِ: إنه الذَّبحُ فلا تفعلوا، فأطَاعوه، فكانت تلكَ خيَانته؛ قال أبو لُبابةَ: فما زالتْ قَدَمايَ حتى عرفتُ أنّي قد خُنتُ اللَّه ورسولَهُ، ونزلت هذه الآية، هذا قولُ ابن عباسٍ، والأكثرين.

[٦٣٢] ورُوي أنَّ أبا لُبابةَ ربطَ نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سَاريةٍ من سَواري المسجدِ، وقال: واللَّهِ لا أذوقُ طعاماً ولا شراباً حتى أموتَ أو يتوبَ اللَّهُ عليَّ، فمكثَ سبعة أيام كذلك، ثم تابَ اللَّهُ عليه، فقال: واللَّهِ لا أحُلُّ نفسي حتى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو الذي يَحُلُّني، فجاءَ فَحلَّه بيدِه، فقال أبو لُبابةَ: إنَّ مِنْ تمامِ تَوبتي أنْ أهجُرَ دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذَّنبَ، وأنْ أنخَلِعَ مِنْ مالي، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجزئكَ الثُّلثُ».

[٦٣٣] **والثاني**: أنَّ جِبريلَ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: إنَّ أبا سُفيانَ في مكانِ كذا وكذا، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «اخرُجوا إليهِ واكتُموا»، فكتبَ إليه رجلٌ مِنَ المنافقين: إنَّ محمداً يُريدكم، فخُذوا حِذرَكُم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله.

والثالث: أنها نزلت في قَتْلِ عُثمانَ بن عفَّان، قاله المُغيرَةُ بن شُعبَة(١).

[٦٣٤] **والرابع**: أنَّ قوماً كانوا يسمعون الحديثَ مِنْ رسولِ الله ﷺ، فيُفشُونَهُ حتى يبلغَ المشركين، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيّ.

وفي خِيانةِ الله قولان: **أحدهما**: تَرْكُ فرائِضه. **والثاني**: معصيةُ رسولِه. وفي خِيانةِ الرَّسولِ قولان: **أحدهما**: مُخالفتُه في السِّرِّ بعد طاعتِه في الظَّاهر. **والثاني**: تركُ سُنَّتِه. وفي المُراد بالأَمانَاتِ ثلاثةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنها الفَرائضُ، قاله ابنُ عباسٍ. وفي خِيانَتِها قولان. أحدُهما: تَنقِيصُها. والثاني: تَرْكُها. **والثاني**: أنها الدِّين، قاله ابنُ زيدٍ؛ فيكون المعنى: لا تُظهِروا الإِيمانَ وتُبطِنوا الكُفرَ. **والثالث**: أنها عامَّةٌ في خيانةِ كلِّ مُؤتَمنٍ، ويُؤكِّده نزولُها في ما جرى لأبي لُبابة.

---

[٦٣٢] أخرجه الطبري ١٥٩٣٧ عن الزهري مرسلاً، فهو ضعيف. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٧٦.
[٦٣٣] باطل. أخرجه الطبري ١٥٩٣٦ من حديث جابر بن عبد الله. وإسناده ضعيف فيه محمد المحرم مجهول. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٥٢٢ وقال: غريب جداً في سنده وسياقه. قلت: المتن باطل، فالآية الكريمة تخاطب المؤمنين لا المنافقين، وإخبار جبريل أيضاً لا يصح. والصحيح عموم الآية، وكذا اختاره الطبري وابن كثير وغيرهما.
[٦٣٤] مرسل. أخرجه الطبري ١٥٩٤١ عن السدي مرسلاً.

---

(١) أخرجه الطبري ١٥٩٣٩ وفيه يونس بن الحارث ضعيف. وعده الذهبي في «الميزان» ٩٩٠٢ من مناكيره.
(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٢ الآية ﴿**وتخونوا أماناتكم**﴾: فتأويل الكلام إذاً: يا أيها الذين آمنوا، لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما (وتخونوا أماناتكم) وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمها لكم ﴿**وأنتم تعلمون**﴾، أنها لازمة عليكم واجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم ا.هـ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذا خِطابٌ لأبي لُبابةَ، لأنه كانت له أموالٌ وأولادٌ عند بَني قُريظَةَ. فأما الفِتنةُ، فالمراد بها: الابتِلاءُ والامتِحانُ الذي يُظهِرُ ما في النَّفسِ مِن اتِّباع الهَوى أو تَجنُّبِه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ خيرٌ مِنَ الأموال والأولاد. قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: بتَرْكِ معصيته، واجتنابِ الخيانةِ للّهِ ورسولِه.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنه المَخرَجُ، رواه ابنُ أبي طَلْحة عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وابنُ قُتيبةَ، والمعنى: يجعلْ لكم مَخرَجاً في الدِّين من الضَّلالِ. **والثاني**: أنه النَّجاةُ، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: أنه النَّصرُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وبه قال الفَرَّاءُ. **والرابع**: أنه هُدىً في قلوبهم يُفرِّقون به بين الحقِّ والباطلِ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ إسحاقَ.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هذه الآية مُتعلِّقةٌ بقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾[(٢)]؛ فالمعنى: أُذكرِ المؤمنين ما مَنَّ اللّهُ به عليهم، واذكر إذْ يَمكرُ بكَ الذين كفروا.

الإشارة إلى كيفية مَكرِهم

[٦٣٥] قال أهلُ التَّفسير: لمَّا بُويعَ رسولُ الله ﷺ ليلةَ العَقَبةِ، وأَمرَ أصحابَه أنْ يلحقُوا بالمَدينة، أشفقَتْ قُريشُ أنْ يعلُوَ أمرُه، وقالوا: واللّهِ لَكأنَّكم به قد كَرَّ عليكم بالرِّجال، فاجتمعَ جماعةٌ مِنْ أشرافِهم ليدخلوا دارَ النَّدوة فيتَشاوَروا في أمرِهِ، فاعترضَهُم إبليسُ في صورة شيخٍ كبيرٍ، فقالوا: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا شيخٌ مِنْ أهل نَجدٍ، سمعتُ ما اجتمعتُم له، فأردتُ أنْ أَحضُرَكُم، ولَن تَعدَمُوا مِنْ رأيي نُصحَاً، فقالوا: أدخُلْ، فدَخلَ معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرَّجلِ، فقال بعضهم: إحبِسُوه في

---

[٦٣٥] أخرجه الطبري ١٥٩٧٩ دون عجزه عن ابن عباس بسند ضعيف لانقطاعه بين ابن إسحاق وعبد الله بن أبي نجيح، وعجزه أخرجه الطبري ١٥٩٨٢ وإسناده ضعيف، وورد هذا الخبر من مرسل السدي أخرجه الطبري ١٥٩٨٣، ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر منكر. وانظر «السيرة» لابن هشام ٢/ ٩٥ و ٩٦ و «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٧ و «دلائل النبوة» ٢/ ٤٦٦، ٤٧٠ للبيهقي.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٣٧٧: **﴿فرقاناً﴾** أي فصلاً بين الحق والباطل. وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم وقد يستلزم ذلك كله، فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وُفّق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة.

(٢) سورة الأعراف: ٨٦.

وَثَاقٍ، وتربَّصوا به رَيبَ المَنُونِ. فقال إبليسُ: ما هذا برأيٍ، يُوشكُ أنْ يَثِبَ أصحابُه فيأخذوه مِنْ أيديكم. فقال قائلٌ: أَخرجُوه مِنْ بين أَظْهُرِكُم. فقال: ما هذا برأيٍ، يُوشكُ أنْ يجمعَ عليكم ثم يَسِيرَ إليكم. فقال أبو جَهلٍ: نأخذُ مِنْ كلِّ قبيلةٍ غُلاماً، ثم نُعطي كلَّ غلامٍ سيفاً فيضربُوه به ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فَيُفرَّق دمُه في القبائل، فلا أظنُّ هذا الحيَّ مِنْ قريشٍ يَقوى على حَربِ قُريشٍ كلِّها، فَيَقبلُونَ العقلَ ونستريحُ. فقال إبليسُ: هذا واللهِ الرَّأيُ. فتفرَّقوا عن ذلك. وأتى جِبريلُ رسولَ الله ﷺ فأَمَرَهُ أنْ لا يَبيتَ في مَضجعِهِ، وأخبره بمَكرِ القومِ، فلم يَبِتْ في مَضجعِه تلك الليلةَ، وأمرَ علياً فباتَ في مكانِه، وباتَ المشركون يَحرُسُونه، فلمَّا أصبحَ رسولُ الله ﷺ، أَذِنَ له اللَّهُ في الخروجِ إلى المَدِينةِ، وجاءَ المشركون لمَا أصبَحُوا، فَرَأَوا علياً، فقالوا: أين صاحبُكَ؟ قال: لا أدري، فاقتَصُّوا أثرَهُ حتى بَلَغُوا الجبلَ، فمَرُّوا بالغَارِ، فرأوا نَسْجَ العنكبوتِ، فقالوا: لو دَخَلَهُ لم يكن عليه نَسْجُ العنكبوتِ.

فأما قولُه تعالى: ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ فقال ابنُ قُتَيبَةَ: معنا: لِيَحبِسُوكَ. يُقال: فُلانٌ مُثْبَتٌ وَجَعاً: إذا لم يَقدِرْ على الحَركةِ. وللمُفَسِّرين فيه قولان: **أحدهما**: لِيُثبتوكَ في الوَثاقِ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ في آخرين. **والثاني**: لِيُثبتوكَ في الحَبْسِ، قاله عَطاءٌ والسُّدِّيّ في آخَرين. وكان القومُ أرادوا أنْ يَحبِسُوه في بيتٍ ويسدوا عليه بابَهُ ويُلقُوا إليه الطعامَ والشرابَ، وقد سبق بيانُ المَكر في (آل عمران)[1].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾.

[٦٣٦] ذكر أهلُ التفسير أنَّ هذه الآية نزلت في النَّضْرِ بن الحَارثِ بن عَلَقَمَة بن كِلدَة، وأنه لمَّا سمعَ رسولَ الله ﷺ يذكر قَصَصَ القرونِ الماضيةِ، قال: لو شئتُ لَقُلتُ مثلَ هذا.

وفي قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعۡنَا﴾ قولان: **أحدهما**: قد سَمِعنَا منكَ ولا نُطيعكَ. **والثاني**: قد سَمِعنَا قبلَ هذا مِثلَهُ، وكان النَّضْرُ يختلفُ إلى فَارسَ تاجراً فيسمع العُبَّادَ يقرؤون الإنجيلَ. وقد بَيَّنَ التحدّي كَذِبَ مَنْ قال ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾. وقد سبقَ معنى الأسَاطِير في (الأنعام)[2].

﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[٦٣٧] **أحدها**: أنها نزلت في النَّضرِ أيضاً، رواه جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبَيرٍ،

---

[٦٣٦] ورد من وجوه متعددة. أخرجه الطبري ١٥٩٩١ عن ابن جريج مرسلاً بنحوه. وكرره ١٥٩٩٢ عن السدي مرسلاً بنحوه. وله شواهد مرسلة.

[٦٣٧] أخرجه الطبري ١٥٩٩٨ عن مجاهد. وأخرجه برقم ١٥٩٩٩ عن عطاء. وأخرجه برقم ١٦٠٠٠ عن السدي.

---

(١) سورة آل عمران: ٥٤. (٢) سورة الأنعام: ٥٦.

ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، والسُّدِّيّ.

[٦٣٨] **والثاني**: أنها نزلت في أبي جَهلٍ، فهو القائلُ لهذا؛ قاله أنسُ بن مالكٍ، وهو مُخرَّجٌ في «الصحيحين».

والثالث: أنَّها نزلت في قُريش، قالوا هذا ثم نَدِموا فقالوا: غُفرانَكَ اللهمَّ، فأنزلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ رواه أبو مَعشَرٍ عن يَزيدَ بن رُومَان، ومحمدِ بن قَيسٍ.

وفي المُشارِ إليه بقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن. **والثاني**: كل ما يقولُه رسولُ الله ﷺ مِنَ الأمرِ بالتَّوحيد وغيرِه. **والثالث**: أنه إكرامُ محمدٍ ﷺ بالنُّبوةِ من بين قُريش.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ في المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أهل مكَّة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: وما كان اللَّهُ لِيُعَذّبهم وأنتَ مُقيمٌ بين أظهُرِهم. قال ابنُ عباسٍ: لم تُعذَّب قريةٌ حتى يخرجَ نبيُّها والمؤمنون معه. والثاني: وما كان اللَّهُ لِيُعذِّبهم وأنتَ حيٌّ؛ قاله أبو سُليمانَ. **والثاني**: أنَّ المُشارَ إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان اللَّهُ لِيُعذِّبَ المؤمنين بضَربٍ مِنَ العذاب الذي أَهلَكَ به مَنْ قبلَهُم وأنتَ حيٌّ؛ ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

فصل: قال الحَسنُ، وعِكرمَةُ: هذه الآيةُ مَنسُوخةٌ بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، وفيه بُعدٌ، لأنَّ النَّسخَ لا يدخلُ على الأخبار.

[٦٣٩] وقال ابنُ أَبزَى: كان النبيُّ ﷺ بمكَّةَ، فأنزل اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ فخرَجَ إلى المَدينةِ، فأنزلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وكان أولئك البَقيَّةُ مِنَ المسلمين بمكَّةَ يستغفرون! فلمَّا خَرجُوا أنزلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾. وجميعُ أقوال المُفَسِّرين تدلُّ على أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، كلامٌ مبتدأٌ مِنْ إخبارِ الله عزَّ وجلَّ. وقد رُوي عن محمَّدِ بن إسحاقَ أنَّه قال: هذه الآيةُ مِنْ قولِ المشركين، قالوا: والله إنَّ الله لا يُعذِّبنا ونحن نستغفرُ، فَردَّ اللَّهُ تعالى عليهم ذلكَ بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وفي معنى هذا الكلامِ خمسةُ أقوالٍ(١):

---

[٦٣٨] صحيح أخرجه البخاري ٤٦٤٩ ومسلم ٢٧٩٦ والواحدي ٤٧٩ والبغوي ٩٩٧ كلهم من حديث أنس.

[٦٣٩] ضعيف. أخرجه الطبري ١٦٠٠٤ مرسلاً عن ابن أبزى وهذا مرسل، فهو ضعيف، والمتن غريب.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٦/٢٣٦: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب، قول من قال: تأويله: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ يا محمد، وبين أظهرهم تقيم، حتىٰ أخرجك من بين أظهرهم، لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها، (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) من ذنوبهم وكفرهم، لكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: «ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ» يراد بذلك لا أحسن إليك، إذا أسأت إلي، ولو أسأت إلي لم أحسن إليك ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلي. وكذلك ذلك ثم قيل (ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) بمعنىٰ وما شأنهم، وما يمنعهم =

أحدها: وما كان اللّهُ مُعذِّب المشركين، وفيهم مَنْ قد سَبَقَ له أنْ يُؤمنَ؛ رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباس، واختاره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: وما كان اللّهُ مُعذِّبَهم وهم يستغفرون اللّه، فإنهم كانوا يُلَبُّون ويقولون: غُفرانكَ؛ وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وفيه ضَعفٌ، لأنَّ استغفارَ المُشركِ لا أثرَ له في القَبُولِ. **والثالث**: وما كان اللّهُ مُعذِّبَهم، يعني المشركين، وهم ـ يعني المؤمنين الذين بينَهُم ـ يستغفرون؛ رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الضَّحَّاكُ، وابنُ مالكٍ. قال ابنُ الأنباري: وُصِفوا بِصفةِ بعضِهم، لأنَّ المؤمنين بينَ أَظْهُرِهم، فأوقعَ العمومَ على الخُصوصِ، كما يُقال: قَتَلَ أهلُ المسجد رجلاً، وأخذَ أهلُ البَصرَةِ فُلاناً، ولعلَّهُ لم يفعل ذلك إلاَّ رجلٌ واحدٌ. **والرابع**: وما كان الله مُعذِّبَهم وفي أصْلابِهم مَنْ يستغفرُ الله، قاله مُجاهِدٌ. قال ابنُ الأنبَارِي: فيكون معنى تَعذِيبِهم: إهلاَكَهُم؛ فالمعنى: وما كانَ اللّهُ مُهلِكَهم، وقد سبقَ في عِلمِهِ أنَّه يكون لهم أولادٌ يؤمنون به ويَستغفِرُونَه؛ فوَصفَهُم بصفةِ ذَرَارِيهِم، وغُلِّبوا عليهم كما غُلِّب بعضُهم على كلِّهم في الجواب الذي قبلَهُ. **والخامس**: أنَّ المعنى لو استغفَرُوا لَمَا عَذَّبهمُ اللّهُ، ولكنهم لم يستغفروا فاستَحَقُّوا العذابَ؛ وهذا كما تقول العرب: ما كنتُ لأهينَكَ وأنتَ تُكرمُني؛ يريدون: ما كنتُ لأُهينكَ لو أكرَمْتَنِي، فأمَّا إذ لستَ تُكرِمُني، فإنكَ مُستحقٌّ لإهانَتِي، وإلى هذا القول ذهب قَتادَةُ والسُّدِّيّ. قال ابنُ الأنبَارِي: وهو اختيارُ اللغويين. وذكر المُفسِّرون في معنى هذا الاستغفارِ ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الاستغفَارُ المعروفُ؛ وقد ذكرناه عن ابنِ عباس. **والثاني**: أنه بمعنى الصَّلاةِ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، ومنصورٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: إنه بمعنى الإسلام، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ، وبه قال عِكرمَةُ.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ هذه الآيةُ أجازت تَعذيبَهُم، والأُولى نَفَتْ ذلك. وهل المُراد بهذا: العذابُ الأوَّلُ، أم لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه هو الأوَّلُ، إلاَّ أنَّ الأوَّلَ امتنعَ بشيئين: أحدهما: كَونُ النبيِّ ﷺ فيهم. والثاني: كَونُ المؤمنينَ المُستغفِرينَ بينَهُم؛ فلمَّا وقعَ التَّمييزُ بالهجرةِ، وقعَ العذابُ بالباقين يومَ بَدرٍ، وقيل: بل وقعَ بفتحِ مكَّةَ. **والثاني**: أنهما مُختلفان، وفي ذلك قولان:

= أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام!. وإنما قلنا: «هذا القول أولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب» لأن القوم ـ أعني «مشركي مكة» ـ كانوا استعجلوا العذاب، فقالوا: اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق، فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم). فقال الله لنبيه «ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم، وهم يصدون عن المسجد الحرام؟ فأعلمه جل ثناؤه أن الذي استعجلوا من العذاب حائق بهم ونازل، وأعلمهم حال نزوله بهم، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم، ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر. الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا وكذلك لا وجه لقول من وجَّه قوله: **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** إلى أنه عُني به المؤمنين، وهو في سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم، ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضَّى وعلى ذلك كني به عنهم وأن لا خلاف في تأويله من أجله موجود اهـ.

أحدهما: أنَّ العذابَ الثاني قَتْلُ بعضِهم يومَ بدرٍ، والأولُ استِئصالُ الكُلِّ، فلم يَقَعِ الأوَّلُ لِما قد عُلِمَ مِن إيمان بعضِهم، وإسلام بعضِ ذَرارِيهم، ووقعَ الثاني. والثاني: أنَّ العذابَ الأوَّلَ عذابُ الدنيا. والثاني: عذابُ الآخِرة، قاله ابنُ عباسٍ، فيكون المعنى: وما كان اللَّهُ مُعَذِّب المشركين لاستِغفَارِهم في الدنيا، وما لهُم ألاّ يُعذِّبَهم اللَّهُ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى وهم يَصُدُّون ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أولياءَه. وفي هاء الكِناية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها تَرجعُ إلى «المسجد الحرام»، وهو قولُ الجمهور. قال الحَسنُ: إنَّ المشركين قالوا: نحن أولياءُ المسجدِ الحَرامِ، فَردَّ اللَّهُ عليهم بهذا. **والثاني**: أنَّها تعودُ إلى الله عزَّ وجلَّ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ أي: ما أولياؤه ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ للشِّركِ والمعاصي، ولكنَّ أكثرَ أهل مكَّة لا يعلمون مَنِ الأَوْلى ببيتِ الله.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾.

[٦٤٠] سببُ نزولها أنهم كانوا يَطُوفونَ بالبيت ويُصَفِّقون ويَصْفِرُون ويضَعُون خُدُودَهُم بالأرض، فنزلت هذه الآيةُ؛ قاله ابنُ عمرَ.

فأما المُكَاءُ، ففيه قولان: **أحدهما**: أنه الصَّفِيرُ، قاله ابنُ عمرَ وابنُ عباسٍ وابنُ جُبَيرٍ وقَتادةُ وأبو عُبيدَةَ والزَّجَّاجُ وابنُ قُتَيبةَ. قال ابنُ فَارسٍ: يُقال: مَكا الطَّائرُ يمكو مُكَاءً: إذا صَفَرَ، ويُقال: مَكِيَتْ يدهُ تمكى مَكىً، مقصورٌ، أي: غَلُظت وخَشُنت، ويقال: تَمكَّى: إذا توضَّأ. وأنشدوا:

كَالمُتَمَكِّي بِدَمِ القَتِيلِ(1)

وسُئل أبو سَلَمَة بن عبد الرَّحمن عن المُكَاءِ، فجمعَ كَفَّيهِ، وجعلَ يَصْفِر فيهما. **والثاني**: أنه إدخالُ أصابعهم في أفواهِهم يَخْلِطُون به وبالتَّصْدِيَةِ على محمَّدٍ ﷺ صَلاتَه، قاله مُجاهِدٌ. قال ابنُ الأنبَارِي: أهلُ اللغة يُنكرون أنْ يكون المُكَاءُ إدخالَ الأصابع في الأفْواه، وقالوا: لا يكونُ إلاَّ الصَّفِير. وفي التَّصدِيةِ قولان: **أحدهما**: أنَّها التَّصفيقُ، قاله ابنُ عمرَ، وابنُ عباسٍ، والحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والجمهور. قال ابنُ قُتَيبَة: يقال صَدَّى: إذا صَفَّقَ بيديه. قال الراجزُ:

ضَنَّتْ بِخَدٍّ وجَلَتْ عَنْ خَدِّ ... وأنا مِنْ غَزْوِ الهَوى أُصَدِّي(2)

الغَزْو: العَجَبُ، يقال: لا غَزْوَ مِنْ كذا، أي: لا عَجَبَ. **والثاني**: أنَّ التَّصدِيَةَ: صَدُّهُم الناس عن البيتِ الحرامِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَير: وقال ابنُ زيدٍ: وهو صَدُّهم عن سبيل الله ودِينه.

---

[٦٤٠] أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٠ من طريق عطية العوفي عن ابن عمر، وعطية ضعيف، لكن للخبر شواهد.

---

(١) البيت منسوب إلى عنترة الطائي وصدر البيت [إنك والجور على سبيل] اللسان: مطا.
(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ١٧٩.

[٦٤١] وزعَمَ مُقاتِلٌ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا صلَّى في المسجد الحرام، قام رجلان مِنَ المشركين مِنْ بَني عبدِ الدَّار عن يَمينِه فَيَصفِرَانِ، ورجلان عن يَسارِه فيُصفِّقانِ، فتَختَلِطُ على النبيِّ ﷺ صلاتُه وقراءتُه، فَقَتلَهُم اللّهُ ببدرٍ، فذلك قولهُ تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بتوحيدِ الله.

فإنْ قيل: كيف سمَّى المُكَاءَ والتَّصديَةَ صلاةً؟ فعنه جوابان ذكرَهُما ابنُ الأنباري:

أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكانَ الصَّلاةِ، ومشهورٌ في كلام العرب أنْ يقولَ الرجلُ: زُرتُ عبدَ الله، فجعلَ جَفَائِي صِلَتِي، أي: أقامَ الجَفَاءَ مقامَ الصِّلَةِ، قال الشاعر:

قُلْتُ أطعِمْنِي عَمِيمُ تَمْراً ... فَكَانَ تَمْرِي كَهْرَةً وَزَبْرَا

أي: أقامَ الصِّياحَ عليَّ مقامَ التَّمر. **والثاني**: أنَّ مَنْ كان المُكَاءُ والتَّصدِيةُ صلاتَهُ فلا صلاةَ له، كما تقول العرب: ما لِفُلانٍ عيبٌ إلا السَّخاءُ، يريدون: مَنِ السَّخاءُ عَيبُه فلا عيبَ لهُ، قال الشاعر:

فتىً كَمُلَتْ خيراتُهُ غيرَ أنَّه ... جَوادٌ فلا يُبقي مِنَ المَالِ بَاقِيَا[١]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ[٢]:

[٦٤٢] **أحدها**: أنها نزلت في المُطعِمين ببَدرٍ، وكانوا اثنَي عشرَ رجلاً يُطعِمُون الناسَ الطعامَ، كلُّ رجلٍ يُطعِمُ يوماً، وهم: عُتبَةُ وَشيبَةُ، ومُنبهُ ونُبَيهُ ابنا الحَجَّاج، وأبو البَخْتَرِي، والنَّضْرُ بنُ الحَارِثِ، وأبو جَهلٍ؛ وأخوه الحَارِثُ، وحَكيمُ بن حِزامٍ وأُبَيُّ بنُ خَلفٍ، وزَمْعَةُ بن الأَسْوِدِ، والحَارثُ بن عَامرِ بن نَوْفَلٍ، هذا قولُ أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٤٣] **والثاني**: أنَّها نزلت في أبي سُفيانَ بن حَرْبٍ، استأجَرَ يومَ أُحدٍ ألفَين مِنَ الأَحابيش لقتالِ رسولِ الله ﷺ سِوَى منِ استَجَاشَ مِنَ العرب، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

---

[٦٤١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

[٦٤٢] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد كذبه غير واحد.
وذكره الواحدي في أسباب النزول ٤٨١، عن مقاتل والكلبي، وكلاهما يضع الحديث.

[٦٤٣] ورد من وجوه متعددة مرسلة. أخرجه الطبري ١٦٠٧٠ عن سعيد بن جبير مرسلاً. وكرره ١٦٠٧١ عن ابن أبزىٰ مرسلاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٢ عن سعيد بن جبير وابن أبزىٰ مرسلاً..

---

(١) البيت منسوب للنابغة الجعدي: ديوانه ١٧٣. «الحماسة» ٢/ ٩٦٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٦/ ٢٤٣: والصواب من القول في ذلك عندي، هو أن يقال: إن الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش، أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لم يخبرنا بأي أولئك عنىٰ غير أنه عم بالخبر (الذين كفروا). وجائز أن يكون عنىٰ المنفقين أموالهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد، وجائز أن يكون عنىٰ المنفقين منهم يوم بدر، وجائز أن يكون عنىٰ الفريقين، وإذا كان ذلك كذلك. فالصواب في ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش.

[٦٤٤] وقال مُجاهِدٌ: نزلت في نَفقةِ أبي سُفيانَ على الكفَّارِ يومَ أُحُدٍ.

[٦٤٥] **والثالث**: أنها نزلت في أهلِ بدرٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. فأمَّا سبيلُ الله، فهو دِينُ الله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي تكون عاقبةُ نَفقتِهم نَدامةً لأنهم لم يَظفَروا.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «ليميز» خفيفةً. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ «ليميّز» بالتَّشديد وهما لُغتان: مِزْتُه وميَّزتُه. وفي لام «ليميز» قولان: **أحدهما**: أنَّها مُتعلِّقةٌ بقوله تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾، قاله ابنُ الأنبارِي. **والثاني**: أنَّها مُتعلِّقةٌ بقوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾، قاله ابنُ جريرٍ الطَّبري.

وفي معنى الآية ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لِيُميِّزَ أهلَ السَّعادة مِنْ أهلِ الشَّقاءِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ: يَميزُ المؤمنَ مِنَ الكافر. **والثاني**: لِيُميِّزَ العملَ الطَّيِّبَ مِنَ العمل الخَبيثِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لِيُميِّزَ الإنفاقَ الطَّيِّبَ في سبيلِه، مِنَ الإنفاقِ الخَبيثِ في سبيلِ الشيطانِ، قاله ابنُ زيدٍ، والزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يجمعُ بعضَهُ فوقَ بعضٍ، وهو قوله تعالى: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾. قال الزَّجَّاجُ: الرَّكْمُ: أن يُجعَلَ بعضُ الشيءِ على بعضٍ، يقال: رَكَمْتُ الشيءَ أَرْكُمه رَكْماً؛ والرُّكَامُ: الاسمُ؛ فمَنْ قال: المُراد بالخَبيثِ: الكفَّار، فإنهم في النَّار بعضُهم على بعضٍ؛ ومَنْ قال: أموالهم، فلَهُ في ذلك قولان: **أحدهما**: أنها أُلقِيتْ في النارِ ليُعَذَّب بها أربابُها، كما قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾. **والثاني**: أنهم لمَّا عظَّموها في الدنيا، أَرَاهُم هَوَانَها بإلقائِها في النار كما تُلقَى الشمسُ والقمرُ في النار، ليَرى مَنْ عَبَدَهُما ذُلَّهما.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ نزلت في أبي سُفيانَ وأصحابه، قاله أبو صَالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: إنْ ينتهوا عن المُحاربة يغفر لهم ما قد سلف مِن حربهم، فلا يؤاخذون به، وإن يعودوا إلى المُحاربة، فقد مَضَتْ سُنَّةُ الأوَّلين في نَصرِ اللَّهِ أولياءَه، وقيل: في قتلِ مَنْ قُتِل يومَ بدرٍ وأُسِر. **والثاني**: إنْ يَنتَهوا عن الكفر يُغْفَرْ لهم ما قد سَلَفَ مِنَ الإثم؛ وإنْ يعودوا إليه، فقد مَضتْ سُنَّةُ الأوَّلين مِنَ الأُمَم السَّالِفة حين أُخِذوا بالعذاب المُستَأْصِلِ. قال يَحيى بن مُعاذٍ في هذه الآية: إنَّ توحيداً لم يَعجزْ عن هَدمِ ما قبله مِنْ كُفرٍ، لا يَعجزُ عن هدمِ ما بعدَهُ مِن ذَنْبٍ.

---

[٦٤٤] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٠٧٥ و ١٦٠٧٦ عن مجاهد مرسلاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٢ ـ ٤٨٣ بنحوه.

[٦٤٥] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٠٨٠ عن الضحاك مرسلاً.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شِركٌ. وقال الزَّجَّاج: حتى لا يُفتَنَ الناس فتنةَ كُفرٍ؛ ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ أي: عن الكُفرِ والقِتالِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وقرأ يَعقوبُ إلاَّ رَوْحاً «بما تعملون» بالتاء.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرَضوا عن الإيمان وعَادُوا إلى القتالِ ﴿فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي وَلِيُّكُم وناصِرُكُم. قال ابنُ قُتَيبةَ: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ أي نِعْمَ الوَليُّ ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: النَّاصِر، مثل قَديرٍ وقَادِرٍ، وسَمِيعٍ وسَامِعٍ.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ اختلفوا، هل الغَنيمةُ والفَيءُ بمعنىً واحدٍ، أَمْ يختلفان؟ على قولين: **أحدهما**: أنَّهما يختلفان، ثمَّ في ذلك قولان: أحدهما: أنَّ الغَنيمَةَ: ما ظُهِرَ عليه مِنْ أموالِ المشركين، والفَيءُ: ما ظُهِرَ عليه مِنَ الأَرضِين، قاله عَطاءُ بن السَّائِب. والثاني: أنَّ الغَنيمَةَ: ما أُخذَ عَنْوَةً، والفَيءَ: ما أُخِذَ عن صُلْحٍ، قاله سُفيانُ الثَّوريّ. وقيل: بَلِ الفَيءُ: ما لم يُوجَفْ عليه بِخَيلٍ ولا رِكَابٍ، كالعشُورِ والجِزيَةِ، وأموالِ المُهادَنَةِ والصُّلح، وما هَرَبوا عنه. **والثاني**: أنَّهما واحدٌ، وهما كُلُّ ما نِيْلَ مِنَ المشركين، ذكره المَاوَرْدِي: وقال الزَّجَّاجُ: الأموالُ ثلاثةُ أصنافٍ؛ فما صارَ إلى المسلمين مِنَ المشركين في حالِ الحَربِ، فقد سمَّاهُ الله تعالى: أنفالاً وغَنائِمَ؛ وما صارَ مِنَ المشركين مِنْ خَراجٍ أو جِزْيَةٍ ممَّا لم يُؤخذ في الحَربِ، فقد سمَّاهُ: فَيْئاً، وما خرجَ مِنْ أموالِ المسلمين، كالزَّكَاةِ، والنَّذْرِ، والقُرَبِ، سمَّاهُ: صَدَقةً. وأمَّا قوله تعالى: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فالمُراد به: كلُّ ما وَقعَ عليه اسمُ شيءٍ. قال مُجاهِدٌ: المَخِيطُ مِنَ الشَّيءِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ وروى عبدُ الوارث: «خُمْسَهُ» بسكونِ الميم. وفي المراد بالكلام قولان: **أحدهما**: أنَّ نصيبَ الله مُستَحَقٌّ يُصرَفُ إلى بيته.

[٦٤٦] قال أبو العَالِية: كان يُجاءُ بالغَنِيمَةِ فيقسِمَها رسولُ الله ﷺ على خَمْسةِ أَسهُمٍ، فيَقسِمُ أربعةَ

---

[٦٤٦] ضعيف جداً بذكر الكعبة. أخرجه الطبري ١٦١١٧ من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وهذا مرسل فهذه علة، وأبو جعفر الرازي ضعفه غير واحد، وقد روى مناكير كثيرة. وتفرد بذكر الكعبة. ولم يتابع عليه، ولأصل الحديث شواهد، والمنكر فيه ذكر الكعبة، فتنبه، والله أعلم.

بين الناس ثم يجعلُ مِنَ السَّهمِ الخامسِ للكَعبةِ؛ وهذا مما انفردَ به أبو العَالِية فيما يُقال.

والثاني: أنَّ ذِكرَ الله ها هنا لأحدِ وَجهَين: **أحدهما**: لأنَّه المُتَحَكِّمُ فيه، والمَالكُ له، والمعنى: فأنَّ للرَّسول خُمسَهُ ولِذِي القُربَى؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. **والثاني**: أنْ يكون المعنى: إنَّ الخُمسَ مَصْرُوفٌ في وُجوهِ القُرَبِ إلى اللَّهِ تعالى، وهذا قولُ الجمهور. فعَلَى هذا تكون الواو زائدةً، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾، المعنى: نادَيناهُ؛ ومِثلُه كثيرٌ.

فصل: أجمعَ العلماءُ على أنَّ أربعةَ أخمَاسِ الغَنيمَةِ لأهلِ الحَربِ خاصَّةً؛ فأمَّا الخُمسُ الخَامسُ، فكيفَ يُقسَمُ؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُقسَمُ منه للَّهِ وللرَّسولِ ولِمَنْ ذُكِرَ في الآيَة. وقد ذكرنا أنَّ هذا ممَّا انفرَدَ به أبو العَالِية، وهو يقتضي أنْ يُقسَمَ على ستةِ أَسهُم. **والثاني**: أنه مقسومٌ على خمسةِ أَسهُم: سَهْمٌ للرَّسولِ، وسَهْمٌ لِذَوي القُربى، وسَهْمٌ لليتامى وسَهْمٌ للمساكين، وسَهْمٌ لأبناءِ السَّبيلِ، علىٰ ظاهِرِ الآية، وبه قال الجمهور. **والثالث**: أنه يُقسَمُ على أربعةِ أَسهُمٍ. فسَهْمُ الله عزَّ وجلَّ وسَهْمُ رَسُولِه عائدٌ على ذَوِي القُربى.

[٦٤٧] لأنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَكُن يَأخذُ منه شيئاً، وهذا المعنى رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

فصل: فأمَّا سَهْمُ الرسول ﷺ، فإنه كان يصنعُ فيه ما بيَّنَّا. وهل سَقَطَ بمَوتِه، أم لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: لم يَسقُطْ بمَوتِه، وبه قال أحمدُ والشَّافعيُّ في آخَرين. وفيما يُصنَع به قولان: أحدهما: أنه للخَليفةِ بعدَهُ، قاله قَتادَةُ. والثاني: أنه يُصْرَفُ في المَصالح، وبه قال أحمدُ والشَّافعيُّ. **والثاني**: أنه يَسقطُ بمَوتِه كما يَسقط الصَّفِيُّ، فيَرجع إلى جُملة الغَنيمةِ، وبه قال أبو حَنيفَةَ. وأما ذَوو القُربى، ففيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم جميعُ قُريشٍ. قال ابنُ عباسٍ: كنَّا نقول: نحنُ هُم؛ فأَبَى علينا قَومُنا، وقالوا: قُريشُ كلُّها ذَوو قُربى. **والثاني**: بَنُو هاشمٍ وبَنو المُطَّلبِ، وبه قال أحمدُ والشَّافعيُّ. **والثالث**: أنَّهم بَنو هاشمٍ فقط، قاله أبو حَنيفَةَ. وبماذا يَستحقُّون؟ فيه قولان: **أحدهما**: بالقَرابةِ وإنْ كانوا أغنياءَ، وبه قال أحمدُ والشَّافعيُّ. **والثاني**: بالفَقرِ لا بالاسم، وبه قال أبو حَنيفة. وقد سبقَ في البقرة[1] معنى اليتامى والمساكين وابنِ السَّبيلِ. وينبغي أن تُعتبَر في اليتيم أربعةُ أوصافٍ: موتُ الأبِ وإنْ كانت الأمُّ باقيةً. والصغَرُ. لقوله عليه السلام:

[٦٤٨] «لا يُتْمَ بعد حُلم»، والإسلامُ لأنه مالٌ للمسلمين. والحَاجَةُ لأنه مُعَدٌّ للمصالح.

---

[٦٤٧] ضعيف. أخرجه الطبري ١٦١١٨ من حديث ابن عباس قال: كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس، فأربعة منها لمن قاتل عليها، وخمس واحد يقسم على أربعة: فربع لله والرسول ولذي القربىٰ يعني قرابة النبي ﷺ مما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي ﷺ ولم يأخذ النبي ﷺ من الخمس شيئاً. والربع الثاني لليتامىٰ والربع الثالث للمساكين، والربع الرابع لابن السبيل. وفيه علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

[٦٤٨] حسن بشواهده. أخرجه أبو داود ٢٨٧٣ والطيالسي ١٧٦٧ والطحاوي في المشكل ١/ ٢٨٠ والبيهقي ٧/ ٣٢٠ والخطيب ٥/ ٢٩٩ من ثلاثة طرق عن علي مرفوعاً وفي هذه الوجوه مقال، لكن أخرجه الطبراني في الصغير =

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ هو يومُ بَدرٍ، فُرِقَ فيه بينَ الحقِّ والباطلِ بنَصرِ المؤمنين. والذي أُنزلَ عليه يَومئذٍ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ نزلت حين اختلفوا فيها. فالمعنى: إنْ كُنتم آمنتُم بذلك، فاصدُروا عن أمرِ الرَّسول في هذا أيضاً.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «بالعِدوة» و «العِدوة» العين فيهما مكسورةً. وقرأ نَافعٌ، وعَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: بضمِّ العين فيهما. قال الأخفشُ: لم يُسمع مِنَ العرب إلاَّ الكسرُ. وقال ثَعلَبُ: بَلِ الضمُّ أكثرُ اللغتين. قال ابنُ السِّكِّيت: عُدوة الوادي وعِدوَته: جانبُه؛ والجمعُ: عُدًى وعِدًى. والدُّنيا: تأنيثُ الأدْنَى؛ وضدُّها: القُصْوَى؛ وهي تأنيثُ الأقصَى؛ وما كان مِنَ النُّعوت على «فُعلى» من ذَواتِ الواو، فإنَّ العرب تُحوِّلُه إلى الياء، نحو: الدُّنيا، من: دَنوتُ؛ والعُليَا، من: عَلوتُ؛ لأنهم يستثقِلُون الواوَ مع ضمِّ الأوَّل، وليس في هذا اختلافٌ، إلاَّ أنَّ أهل الحجاز قالوا: القُصوَى، فأظهَرُوا الواوَ، وهو نادرٌ؛ وغيرُهم يقول: القُصيَا. قال المُفسِّرون: إذ أنتم بشَفيرِ الوادي الأدْنَى مِنَ المَدينةِ، وعَدُوُّكم بشَفِيرِه الأقصَى إلى مكَّةَ، وكان الجمعَانِ قد نَزَلا واديَ بدرٍ على هذه الصِّفة، والرَّكبُ: أبو سُفيانَ وأصحابُه. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصبَ «أسفلَ» أرادَ: والرَّكبُ مكاناً أسفلَ منكم، ويجوز الرَّفعُ على معنى: والرَّكبُ أشدُّ تَسفُّلاً منكم. قال قَتادةُ كان المسلمون أعلَى الوادي، والمشركون أسفَلَه.

وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ﴾ قولان: **أحدهما**: لو تَواعَدتُم، ثم بَلَغكم كَثرتُهم، لَتأخَّرتُم عن المِيعادِ، قاله ابنُ إسحَاقَ. **والثاني**: لو تَواعَدتُم على الاجتِمَاع في المكان الذي اجتَمعتُم فيه مِنْ عُدوَتي وادي بَدرٍ لاختَلَفتُم في المِيعَادِ، قاله أبو سُليمانَ. وقال المَاوَردِي: كانت تقعُ الزِّيادة والنُّقصان، أو التَّقدُّمُ والتَّأخُّرُ مِنْ غير قصدٍ لذلك. قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهو إعزازُ الإسلام وإذلالُ الشِّركِ.

قوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾. وروى خَلفٌ عن يَحيى: «ليُهلَك» بضمِّ الياء وفتحِ اللام. قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ قرأ أبو عُمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «من حيَّ» بياءٍ واحدةٍ مشدَّدةٍ، وهذه روايةُ حَفصٍ عن عَاصم، وقُنبل عن ابنِ كَثيرٍ. وروى شِبْلٌ عن ابنِ كَثيرٍ، وأبو بَكرٍ عن عَاصمٍ: «حيي» بياءَين الأُولى مكسورةٌ، والثانيةُ مفتوحةٌ، وهي قراءةُ نافعٍ. فمَنْ قرأ

= من طريق آخر بأتم منه، قال الهيثمي في المجمع ٤/ ٣٣٤: ورجاله ثقات. وورد من حديث جابر عند عبد الرزاق ١٣٨٩٩ وإسناده ضعيف لضعف حرام بن عثمان، لكنه شاهد لما قبله. وله شاهد آخر من حديث أنس أخرجه البزار ١٣٠٢ و ١٣٧٦ وفيه يحيىٰ بن يزيد بن عبد الملك النوفلي، وهو ضعيف جداً قاله الهيثمي في المجمع ٤/ ٢٢٦. وأخرجه الطبراني في الكبير ٣٥٠٢ من حديث حنظلة، ورجاله ثقات كما في المجمع ٢٢٦٧٤.

بياءَين، بيَّن ولم يُدغِم. ومَنْ أدغَمَ ياءَ «حَيي» فَلاجتِمَاع حَرْفَين مِنْ جنسٍ واحدٍ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ليُقتَلَ مَنْ قُتل من المشركين عن حُجَّةٍ، ويبقى مَنْ بقي منهم عن حُجَّةٍ. **والثاني**: لِيَكفُرَ مَنْ كفرَ بعد حُجَّةٍ، ويُؤمِنَ مَنْ آمَنَ عن حُجَّةٍ.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ فيه قولان:

[٦٤٩] **أحدهما**: أنَّ نبيَّ الله ﷺ رأى عسكرَ المشركين في المَنام قبلَ لقَائِهم في قِلَّةٍ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال مُجاهِدٌ: لمَّا أخبرَ أصحابَه بأنه رآهم في المنام قليلاً، كان ذلك تَثبيتاً لهم. قال أبو سُليمانَ الدِّمَشقي: والكلامُ مُتعلِّقٌ بما قبله، فالمعنى: وإِنَّ الله لسميعٌ لِمَا يقوله أصحابُكَ، عَليمٌ بما يُضمِرونَهُ، إِذ حدثَتهم بما رأيتَ في منامِكَ.

والثاني: إذ يُريكَهُمُ اللّهُ بعينِكَ التي تنامُ بها، قاله الحَسَنُ[1]. قال الزَّجَّاجُ: وكثيرٌ مِنَ النَّحويين يذهبون إلى هذا المَذهبِ. ومعناه عندهم: إذ يُريكَهُمُ اللّهُ في موضع منامِكَ، أي: بعَينِكَ؛ ثمَّ حذفَ المَوضعَ، وأقامَ المَنامَ مقامَهُ.

قوله تعالى: ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: لَجَبُنتُم وتأخَّرتُم عن حَربِهم. وقال مُجاهِدٌ: لَفَشِلَ أصحابُكَ، ولَرَأَوا ذلك في وَجهكَ. قوله تعالى: ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لاختَلَفتُم في حَربِهم، فكان ذلك مِنْ دَواعِي هَزيمتِكُم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ مِنَ المُخالَفةِ والفَشَلِ.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ قال مُقاتِلٌ: صَدَقَ اللّهُ رُؤيا رسولِه التي أخبرَ بها المؤمنين عن قِلَّةِ عَدوِّهم قبل لقَائِهم، بأنْ قلَّلهم وقتَ اللقاءِ في أعيُنِهم. وقال ابنُ مسعودٍ: لقد قَلُّوا في أعيُننا، حتى قُلتُ لرَجُلٍ إلى جانبي: أتَراهُم سبعين؟ قال: أَراهُم مائةً؛ حتى أخذنَا رجلاً منهم، فسَألناهُ، فقال: كُنَّا ألفاً. قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: استَقَلَّ المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترَأ بعضُهم على بعضٍ. فإنْ قيل: ما فائدةُ تكريرِ الرُّؤية ها هنا. وقد ذُكِرَتْ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الأولى كانت في المنام، والثانيةَ في اليَقظَةِ. **والثاني**: أنَّ الأولى للنبيِّ ﷺ خاصَّةً، والثانيةَ له ولأصحَابِه. فإنْ قيل: تكثيرُ المؤمنين في أعيُنِ الكافرين

---

[٦٤٩] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس وهي رواية واهية كما تقدم مراراً.
ـ وأخرجه الطبري ١٦١٦٥ عن مجاهد بنحوه.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٩٣: عن الحسن في قوله: **﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً﴾** قال: بعينيك؛ وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام ها هنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه.

أَوْلَى، لِمَكَانِ إعزازِهم. فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنّهم لو كُثِّروا في أعيُنِهم، لم يَقدُموا عليهم، فلم يَكُنْ قِتالٌ، والقتالُ سببُ النّصرِ، فقلَّلهم لذلك. **والثاني**: أنه قلَّلهم لِئَلاَّ يتأهَّب المشركون كلَّ التَّأَهُّبِ؛ فإذا تحقَّقَ القِتالُ، وجدَهم المسلمون غيرَ مُستعدِّينَ، فظَفِرُوا بهم. **والثالث**: أنه قلَّلهم لِيَحمِلَ الأعداء عليهم في كَثْرتِهم، فيَغلِبَهُم المسلمون، فيكونَ ذلك آيةً للمشركين ومُنَبِّهاً على نُصرَةِ الحقِّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ الفِئةُ: الجماعةُ. ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الدُّعاءُ والنَّصرُ. **والثاني**: ذِكْرُ الله على الإطلاقِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ قد سبقَ ذِكرُ التّنازُعِ والفَشلِ آنفاً.

قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وروى أَبانٌ: «ويذهبْ» بالياءِ والجزمِ. وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: تذهب شدَّتُكم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال السُّدِّيُّ: حِدَّتُكم وجِدُّكم. وقال الزَّجّاجُ: صَولَتُكم وقُوتُكم. **والثاني**: يذهب نَصرُكم، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. **والثالث**: تتقطَّع دَولَتُكم، قاله أبو عُبيدَةَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: هبَّت له ريحُ النَّصرِ: إذا كانت له الدَّولةُ. ويقال: له الرِّيحُ اليومَ: أي الدَّولةُ. **والرابع**: أنَّها ريحٌ حقيقةٌ، ولم يَكُنْ نصرٌ قطُّ إلاَّ بريحٍ يبعثُها اللَّهُ فتضرب وجُوهَ العَدوِّ؛ ومنه قولُه عليه السلام:

[٦٥٠] «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ»؛ وهذا قولُ ابنِ زيدٍ، ومُقَاتِلٍ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا﴾.

[٦٥١] قال المُفسِّرون: هُم أبو جَهلٍ ومَنْ خرج معه مِنْ مكَّةَ، خرجوا لِيَدفَعُوا عن عِيرِهم التي كانت مع أبي سُفيانَ، ومعهم القِيانُ والمَعازِفُ، وهم يشربون الخُمورَ. فلمَّا رأى أبو سُفيانَ أنه قد أحرزَ ما معه، كتبَ إليهم: إنِّي قد أحرزتُ أموالَكُم فارجِعوا. فقال أبو جَهلٍ: واللَّهِ لا نفعلُ حتى نَرِدَ بَدْراً فنُقيمَ ثلاثاً، وَنَنحَرَ الجُزرَ، ونُطعمَ الطعامَ، ونَسقي الخمورَ، وتسمعَ بنا العربُ، فلا يزالون يَهابُونَا.

---

[٦٥٠] صحيح. أخرجه البخاري ١٠٣٥ و ٣٢٠٥ و ٣٣٤٣ و ٤١٠٥ ومسلم ٩٠٠ والطيالسي ٢٦٤١ وأحمد ١/ ٣٢٤ و ٣٤١ و ٣٥٥ و ٢٢٨ وابن حبان ٤٢١ والبيهقي ٣/ ٣٦٤ والبغوي ١١٤٤ من طرق عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٤٣٣ و ٤٣٤ ومسلم ٩٠٠ وأحمد ١/ ٢٢٣ و ٣٧٣ وأبو يعلى ٢٥٦٣ و ٢٦٨٠ والبيهقي ٣/ ٣٦٤ والقضاعي ٥٧٢ من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

[٦٥١] صحيح. أخرجه الطبري ١٦١٩٤ عن قتادة مرسلاً بنحوه. وأخرجه أيضاً الطبري ١٦١٨٧ عن ابن عباس دون ذكر الآية واللفظ المرفوع، وورد عن عروة أخرجه الطبري ١٦١٨٦. وورد بنحوه عن ابن إسحاق أخرجه الطبري ١٦١٨٨.

فسَارُوا إلى بَدرٍ، فكانت الوَقعةُ؛ فَسُقوا كؤوسَ المَنايا مكانَ الخَمرِ، وناحَتْ عليهم النَّوائحُ مكانَ القِيَانِ. فأما البَطَرُ فهو الطُّغيان في النِّعَم، وَترك شُكرِها. والرِّياءُ: العملُ مِنْ أجلِ رؤيةِ الناس. وسَبيلُ اللَّهِ ها هنا: دِينُه.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

[٦٥٢] قال عُروةُ بن الزُّبير: لما أجمعَتْ قُرَيشُ المَسيرَ إلى بَدرٍ، ذكروا ما بينَهُم وبينَ كِنانَةَ مِنَ الحرب، فَتَبَدَّى لهم إبليسُ في صُورة سُرَاقةَ بن مالكٍ المُدْلجيّ، وكان مِنْ أشرافِ بَني كِنانَةَ، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ أنْ تأتيَكم كِنانَةُ بشيءٍ تكرَهُونه، فخرجوا سِرَاعاً. وفي المُراد بأعمالِهم ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: شِركُهم. **والثاني**: مَسيرُهم إلى بَدرٍ. **والثالث**: قِتالُهم لرَسولِ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ أي: صَارتا بحيثُ رَأَت إحداهُما الأُخرَى. وفي المراد بالفِئتين قولان: **أحدهما**: فِئَةُ المسلمين، وفِئَةُ المشركين، وهو قولُ الجمهور. **والثاني**: فِئَةُ المسلمين، وفِئَةُ الملائكةِ، ذكره المَاوردِي. قوله تعالى: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: رجَعَ مِنْ حيثُ جاء. وقال ابنُ قُتَيبَة: رجعَ القَهقَرى. قال ابنُ السَّائِب: كان إبليسُ في صَفِّ المشركين على صُورة سُراقَة، آخِذاً بيدِ الحَارثِ بنِ هِشَام؛ فرأى الملائكةَ فَنَكصَ على عَقِبيه، فقال له الحَارثُ: أفِرَاراً مِنْ غير قتالٍ؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، فلمَّا هُزِمَ المشركون، قالوا: هَزَمَ الناسَ سراقَةُ، فبلَغَهُ ذلك، فقال: واللَّهِ ما شَعرتُ بمَسيرِكُم حتى بَلغتني هَزيمَتُكم. قال قَتادَةُ: صدقَ عَدُوُّ اللَّهِ في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، ذُكِرَ لنا أنه رأى جِبريلَ ومعه الملائكةُ، فعلِمَ أنه لا يدَ له بالملائكة، وكَذَبَ عدوُّ اللَّهِ في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، واللَّهِ ما به مَخافَةُ اللَّهِ، ولكنْ عَلِمَ أنه لا قُوَّةَ له بهم. وقال عَطاءٌ: معناه: إنِّي أخافُ اللَّه أنْ يُهلِكَني. وقال ابنُ الأنبَاري: لمَّا رأى نزولَ الملائكةِ، خافَ أنْ تكون القيامةُ فيكون انتهاء إنظاره فيقعَ به العذابُ. ومعنى «نَكَصَ» رجعَ هَارباً بخِزيٍ وذُلٍّ. واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ هل هو ابتداءُ كلامٍ أو تمامُ الحكاية عن إبليس، على قولين.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هم قومٌ مِنْ أهلِ المَدينةِ مِنَ الأوسِ

---

[٦٥٢] ورد من وجوه ضعيفه، لا تقوم بها حجة. أخرجه الطبري ١٦٢٠٠ عن عروة بن الزبير مرسلاً. وأخرجه الطبري ١٦١٩٨ عن ابن عباس، وفيه إرسال بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وانظر تفسير «ابن كثير» ٢/ ٣٩٧. وانظر ما يأتي.

والخَزرَج. فأمَّا الذين في قلوبهم مَرضٌ، ففيهم ثلاثةُ أقوالٍ:

[٦٥٣] **أحدها**: أنَّهم قومٌ كانوا قد تَكلَّموا بالإسلام بمكَّةَ فأخرجَهُم المشركون معهم يومَ بَدرٍ كُرْهاً؛ فلمَّا رَأوا قِلَّةَ المسلمين وكَثرةَ المُشركين إرتَابُوا ونَافقُوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ﴾، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وإليه ذهبَ الشَّعبيُّ في آخرين. وعَدَّهُم مُقَاتلٌ فقال: كانوا سبعةً: قَيسُ بن الوَليدِ بن المُغيرَةِ وأبو قَيسِ بن الفَاكِهِ بن المُغيرَةِ والحَارثُ بن زَمْعَةَ وعليُّ بنُ أُميَّةَ بن خَلَفٍ والعَاصُ بن مُنبهِ بن الحَجّاجِ والوَليدُ بن الوَليدِ بن المُغيرَةِ والوَليدُ بن عُتبَةَ بن رَبيعَةَ.

والثاني: أنهم المشركون، لمَّا رَأوا قِلَّةَ المسلمين، قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ﴾، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ. **والثالث**: أنهم قومٌ مُرتَابُون، لم يُظهِروا عداوَةَ النبيِّ ﷺ، ذكره المَاوَردِي. والمَرَضُ ها هنا: الشَّكُّ، والإشارةُ بقوله تعالى: «هؤلاء» إلى المسلمين؛ وإنَّما قالوا هذا، لأنَّهم رَأوا قِلَّةَ المسلمين، فلم يَشُكُّوا في أنَّ قريشاً تغلِبُهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ الجمهورُ «يتوفَّى» بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ «تَتوفَّى» بتاءَين. قال المُفسِّرون: نزلت في الرَّهطِ الذين قالوا: «غرَّ هؤلاء دِينُهم». وفي المراد بالملائكة ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَلَكُ الموتِ وحدَهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ملائكةُ العذابِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثالث**: الملائكةُ الذين قَاتَلُوا يومَ بدرٍ، ذكره المَاوَردِي. وفي قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَضربون وجُوهَهم ببَدرٍ لمَّا قَاتلُوا، وأدبارَهم لمَّا انهزَمُوا. **والثاني**: أنَّهم جَاؤُوهم مِنْ بين أيديهم ومِنْ خَلْفِهم، فالذين أمامَهُم ضَربُوا وجُوهَهُم، والذين وراءَهُم ضَربُوا أدبارَهُم. **والثالث**: يَضرِبون وجوهَهُم يومَ القيامة إذ لَقوهُم، وأدبارَهُم إذا سَاقُوهُم إلى النار. **والرابع**: أنهم يَضربون وجوهَهُم وأدبارَهُم عند الموتِ بِسِيَاطٍ مِنْ نارٍ. وهل المراد نَفْسُ الوجُوهِ والأدبارِ، أم المُرادُ ما أقبلَ مِنْ أبدَانِهم وأدبرَ؟ فيه قولان.

وفي قوله تعالى ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه في الدنيا؛ وفيه إضمَارُ «يقولون»، فالمعنى: يَضربون ويقولُون، كقوله تعالى. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾(١) أي: ويقولان. قال النَّابغةُ:

كـأنَّـكَ مِـن جِـمَـالِ بَـنـي أقـيـشٍ ... يُـقَـعْـقَـعُ خَـلْـفَ رِجْـلَـيْـهِ بِـشَـنِّ(٢)

---

[٦٥٣] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية واهية. وأخرجه الطبري ١٦٢٠٨ و ١٦٢٠٩ عن عامر مرسلاً بنحوه. وكرره ١٦٢١٠ عن مجاهد مرسلاً بنحوه. وكرره ١٦٢١١ عن الحسن مرسلاً بنحوه. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/٣٩٧.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

(٢) البيت منسوب للنابغة «اللسان» و «التاج» قعقع. وقعقع الشيء: صوت. ويقولون فلان يقعقع له بالشنان وهو مثل يضرب لمن يروعه ما لا حقيقة له. بنو أقيش: فخذ من أشجع الشن: الجلد البالي.

والمعنى: كأنَّك جَمَلٌ مِنْ جِمَالِ بني أُقيشٍ، هذا قولُ الفرَّاءِ وأبي عُبيدَةَ.

والثاني: أنَّ الضَّربَ لهم في الدنيا، فإذا وَرَدُوا يومَ القيامة إلى النَّارِ، قال خَزَنَتُها: ذُوقوا عذابَ الحَريقِ، هذا قولُ مُقاتِلٍ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بما كَسبتُم مِنْ قَبائِحِ أعمالِكم. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لا يَظلمُ عبادَهُ بعقُوبَتِهم على الكُفرِ، وإنْ كان كُفرهُم بقضَائِه، لأنَّه مالِكٌ، فله التَّصرُّفُ في مُلكِهِ كما شاءَ فيستَحيلُ نِسبَةُ الظُّلم إليه.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كعادَتِهم: والمعنى: كَذَّب هؤلاءِ كما كَذَّب أولئِك، فنزَلَ بهم العذابُ كما نزلَ بأولئكَ. قال ابنُ عباسٍ: أيقَنَ آلُ فِرعونَ أنَّ موسى نبيُّ الله وكذَّبوه، فكذلك هؤلاءِ في حقِّ محمدٍ ﷺ.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: ذلك الأخْذُ والعقابُ بأنَّ الله ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟﴾ بالكُفرانِ وترْكِ الشُّكرِ. قال مُقاتِلٌ: والمراد بالقوم ها هنا أهلُ مكَّةَ، أطعَمَهُمْ من جوعٍ وآمنَهُمْ من خوفٍ ثمَّ بعث فيهمْ محمداً ﷺ، فلم يعرفوا المُنعِمَ عليهم، فغيَّر اللَّهُ ما بهم. وقال السُّدِّيّ: كَذَّبوا بمحمدٍ فنَقَلَهُ اللَّهُ إلى الأنصارِ. قال أبو سُليمانَ الخَطَّابي: والقويُّ يكون بمعنى القادر، فمن قَوِيَ على شيءٍ فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التَّامُّ القُوَّةِ الذي لا يستولي عليه العَجزُ في حالٍ، والمخلوقُ وإن وُصِف بالقُوَّةِ فقوَّتُه متناهيةٌ وعن بعضِ الأمور قاصِرةٌ.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: كَذَّب أهلُ مكَّةَ بمحمدٍ والقرآن، كما كَذَّب آلُ فِرعونَ بموسى والتَّوراة، وكذَّب مَنْ قَبلهُم بأنبيائِهم. قال مَكِّيُّ بن أبي طالِبٍ: الكاف من «كَدَأْبِ» في موضعِ نصبٍ، نعتٌ لمحذوفٍ تقديرُه: غيَّرنا بهم لمَّا غيَّروا تغييراً مثلَ عادتنا في آلِ فرعونَ، ومثلها الآيةُ الأولى، إلاَّ أنَّ الأولى للعادةِ في العذابِ؛ تقديره: فَعَلنا بهم ذلك فِعلاً مثلَ عادتنا في آلِ فرعونَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ يعني الأُمم المتقدِّمةِ، بعضهم بالرَّجفةِ، وبعضهم بالرِّيحِ، فكذلك أهلكنا كفَّارَ مكَّةَ ببدرٍ. وقال بعضهم: يعني بقوله: «فأهلكناهم» الذين أُهلِكوا ببدرٍ.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: نزلت في بني قُريظةَ من اليهودِ، منهم كَعبُ بنُ الأشرَفِ وأصحابُه.

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ في «مِنْ» أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها صِلَةٌ؛ والمعنى: الذين عاهَدْتَهم. **والثاني**: أنَّها للتَّبعيضِ، فالمعنى: إنَّ شرَّ الدَّواب الكفَّارُ. وشرُّهم الذين عاهدتَ ونَقَضُوا. **والثالث**: أنَّها بمعنى «مع»؛ والمعنى: عاهدتَ معهُم. **والرابع**: أنَّها دَخلَتْ، لأنَّ العَهدَ أُخِذَ منهم. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ أي: كُلَّما عاهَدتَهم نَقَضُوا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يتَّقون نَقْضَ العَهْدِ. **والثاني**: لا يتَّقون اللَّهِ في نَقْضِ العَهدِ. قال المُفسِّرون:

[٦٥٤] كان رسولُ الله ﷺ قد عاهدَ يهودَ قُريظَة أنْ لا يُحاربُوه ولا يُعاوِنوا عليه، فنَقضُوا العهدَ وأعانُوا عليه مُشركي مكَّة بالسِّلاح، ثم قالوا: نَسِينا وأخطَأنَا؛ ثمَّ عَاهدُوه الثانيةَ، فنَقضُوا ومَالَؤُوا الكفَّارَ يومَ الخَندقِ، وكتبَ كَعبُ بن الأشرَفِ إلى مكَّةَ يُوافِقُهم على مُخالفةِ رسولِ الله ﷺ.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُه: فإنْ تَثْقَفنَّهم. فعلى قوله، تكون «ما» زائدةً. وقد سبقَ بيانُ «فإما» في (البقرة)[1]. قال ابنُ قُتيبةَ: فمعنى «تَثْقَفنَّهم» تَظفر بهم. ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعَلْ بهم فِعلاً مِنَ العُقوبةِ والتَّنكيلِ يَتفرَّقُ به مَنْ وراءَهُم مِنْ أعدائِكَ. قال: ويقال: شَرِّد بهِم، أي: سَمِّع بهم، بلُغَةِ قُريشٍ. قال الشاعر:

أُطَـوِّف فـي الأبَـاطِـحِ كُـلَّ يـومٍ مَـخَـافَـةَ أنْ يُـشـرِّدَ بـي حَـكِـيـمُ[2]

وقال ابنُ عباسٍ: نَكِّلْ بهِم تنكِيلاً يُشرِّدُ غيرَهم مِنْ ناقِضي العَهدِ، لعلَّهم يَذكُرون النَّكالَ فلا يَنقُضونَ العَهدَ.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ قال المُفسِّرون: الخوفُ ها هنا بمعنى العِلم، والمعنى: إنْ علمتَ مِنْ قومٍ قد عاهَدتَهم خيانةً، وهي نَقضُ عَهدٍ. وقال مُجاهِدٌ: نزلتْ في بَني قُريظَةَ.

---

[٦٥٤] لم أره بهذا اللفظ. وأخرجه الطبري ١٦٢٢٥ عن مجاهد مرسلاً بنحوه.

---

(١) سورة البقرة: ٣٨.
(٢) البيت غير منسوب في «اللسان» شرد. وحكيم رجل من بني سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

وفي قوله تعالى: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ﴾ أربعة أقوال[١]: **أحدها**: فألقِ إليهم نقضَكَ العهدَ لتكونَ وإيَّاهُم في العلم بالنَّقضِ سواءً، وهذا قولُ الأكثرين، واختاره الفرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ، وأبو عُبيدَةَ. **والثاني**: فانبِذْ إليهم جَهراً غيرَ سِرٍّ، ذكره الفرَّاءُ أيضاً في آخرين. **والثالث**: فَانبِذْ إليهم على مَهلٍ، قاله الوَليدُ بن مُسلِمٍ. **والرابع**: فانبِذْ إليهم على عدلٍ مِنْ غيرِ حَيْفٍ، وأنشدوا:

فـاضْـرِبْ وُجُـوهَ الـغُـدُرِ الأعـدَاءِ حـتَّـى يُـجـيـبُـوكَ إِلـى الـسَّـواءِ[٢]

ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ، وأبو بَكرٍ عن عَاصم «ولا تحسبن» بالتاءِ وكسرِ السين؛ إلاَّ أنَّ عَاصِماً فَتَحَ السينَ. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، وحَفصٌ عن عَاصم: بالياء وفَتْحِ السينِ. وفي الكافرين ها هنا قولان: **أحدهما**: جميعُ الكفَّارِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّهم الذين اِنهَزَموا يومَ بدرٍ، ذكره محمَّدُ بن القَاسمِ النَّحوي وغيره. و «سبَقوا» بمعنى فَاتُوا. قال ابنُ الأنبَارِي: وذلك أنهم أشفقُوا مِنْ هَلَكَةٍ تنزلُ بهم في بعضِ الأوقاتِ؛ فلمَّا سَلِمُوا منها، قيل: لا تَحسَبنَّ أنهم فَاتُونا بسَلامَتِهم الآنَ، فإنَّهم لا يُعجِزُونا، أي: لا يَفوتُونا فِيما يستقبلون مِنَ الأوقاتِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ قرأ الجمهورُ: بكسرِ الألفِ. وقرأ ابنُ عَامرٍ: بفَتحِهَا؛ وعلى قراءته اعتِرَاضٌ. لقائلٍ أنْ يقولَ: إذا كان قد قرأ «يحسبن» بالياء، وقرأ «أنهم» بالفَتحِ، فقد أَقَرَّهُم على أنهم لا يُعجِزون؛ ومتى عَلِموا أنهم لا يُعجِزُون، لم يُلامُوا. فقد أجابَ عنه ابنُ الأنبَارِي فقال: المعنى: «لا يحسبن الذين كفروا سبقوا» لا يَحسِبُنَّ أنهم يُعجِزون؛ و «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ. وقال أبو عليٍّ: المعنى: لا يحسَبنَّ الذين كفروا أنفسَهم سَبقُوا وآباءَهم سَبقُوا، لأنَّهم لا يَفُوتُون، فهم يُجزَون على كُفرِهم.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾

---

(١) قال الطبري في «تفسير» ٦/ ٢٧٢: فإن قال قائل: وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة و «الخوف» ظنٌّ لا يقين؟ قيل: إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبت، وإنما معناه: إذا ظهرت أمارُ الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك، فألق إليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب. وذلك الذي كان من بني قريظة إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك، موجباً لرسول الله ﷺ خوف الغدر به وبأصحابه منهم، فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله ﷺ وأصحابه من قريظة منها، فحقٌّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء. ويؤذنهم بالحرب.

(٢) البيت غير منسوب في «الطبري» ٦/ ٢٧٢. والغدر، جمع غدور. وهو القادر المستمريء للغدر.

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ في المُراد بالقوة أربعةُ أقوالٍ[١]:

[٦٥٥] **أحدها**: أنها الرَّميُ، رواه عُقبَةُ بن عامرٍ عن رسولِ الله ﷺ.

وقال الحَكَمُ بن أَبَانَ: هي النَّبْلُ. **والثاني**: ذُكورُ الخَيلِ، قاله عِكرمَةُ. **والثالث**: السِّلاحُ، قاله السُّدِّيّ، وابنُ قُتَيبَةَ. **والرابع**: أنه كلُّ ما يُتقوَّى به على حَربِ العدوِّ مِنْ آلةِ الجهادِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ يعني رَبطَهَا واقتناءَها للغزو؛ وهو عامٌّ في الذُّكورِ والإناثِ في قول الجمهور. وكان عِكرمَةُ يقول: المُراد بقوله تعالى: «ومن رباط الخيل» إناثُها.

قوله تعالى: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ﴾ روى رُوَيسُ، وعبدُ الوارثِ «تُرَهِّبُون» بفتح الرَّاء وتشديدِ الهاء، أي: تُخيفُون وتُرعِبون به عدوَّ اللَّهِ وعدوَّكم، وهم مُشركو مكَّةَ وكفَّارُ العربِ.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾ أي: مِنْ دون كفَّارِ العرب. واختلفوا فيهم على خمسةِ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنهم الجِنُّ. رُوي عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[٦٥٦] «هُمُ الجِنُّ، فإنَّ الشيطانَ لا يُخَبِّلُ أحداً في دَارِه فَرسٌ عَتيقٌ».

---

[٦٥٥] صحيح. أخرجه مسلم ١٩١٧. والترمذي ٣٠٨٣ والدارمي ٢/ ٢٠٤ والحاكم ٢/ ٣٢٨. والطبري ١٦٢٤١ و ١٦٢٤٢ و ١٦٢٤٣ و ١٦٢٤٤. كلهم من حديث عقبة بن عامر.

[٦٥٦] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني ١٧/ ١٨٩ وابن عدي في الكامل ٣/ ٣٦٠ كلاهما عن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه مرفوعاً بلفظ «هم الجن»، ولن يختل الشيطان إنساناً في داره فرس عتيق». وإسناده ضعيف جداً، لأجل سعيد بن سنان، وبه أعله ابن عدي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٢/ ٢٧ ح ١١٠٣٠: رواه الطبراني، وفيه مجاهيل اهـ. وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٠١: حديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه. اهـ.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٦: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل، ولا وجه أن يقال: عني بـ ﴿القوة﴾ معنى دون معنىً من معاني ﴿القوة﴾ وقد عمَّ الله الأمر بها. فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله «ألا إن القوة الرمي» قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس من الخبر ما يدل على أن مراده بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر «ألا إن القوة الرمي» ولم يقل «دون» غيرها. ومن ﴿القوة﴾ أيضاً السيف والرمح والحربة. وكل ما كان معونة على قتال المشركين. كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم. هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٧: فإن قول من قال: عني به الجن، أقرب وأشبه بالصواب، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم. ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم، لعلمهم بأنهم مشركون، وأنهم لهم حرب. ولا معنى لأن يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ ولكن معنى ذلك إن شاء الله ترهبون بارتباطكم. أيها المؤمنون، الخيل عدو الله وأعداءكم من بني آدم والذين قد علمتم عداوتهم لكم، لكفرهم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم، والله يعلمهم دونكم، لأن بني آدم لا يرونهم. وقيل إن صهيل الخيل يرهب الجن، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس.

والثاني: أنهم بَنو قُريظَة، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أهلُ فَارس، قاله السُّدِّيّ. **والرابع**: المنافقون، قاله ابنُ زَيدٍ. **والخامس**: اليهودُ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عَاصم «للسِّلم» بكسر السين. قال الزَّجَّاجُ: السَّلْمُ: الصُّلحُ والمُسالَمَةُ. يُقال: سَلْم وسِلْم وسَلَم في معنىً واحدٍ، أي: إنْ مَالُوا إلى الصُّلح فَمِلْ إليه. قال الفرَّاءُ: إنْ شئتَ جعلتَ «لها» كِناية عن السَّلْم لأنها تُؤنَّث، وإنْ شئتَ جعلتَها للفَعْلَةِ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فإنْ قيل: لِمَ قال «لها» ولَمْ يَقُلْ: «إليها»؟ فالجواب: أنَّ «اللام» و «إلى» تَنوبُ كلُّ واحدةٍ منهما عن الأخرى. وفيمَن أُريدَ بهذه الآية قولان: **أحدهما**: المشركون، وأنَّها نُسِخَتْ بآية السيفِ[2]. **والثاني**: أهلُ الكِتاب. فإنْ قيل: إنَّها نزلت في تَركِ حَرْبِهم إذا بَذَلُوا الجِزيَةَ وقاموا بشَرطِ الذِّمَّةِ، فهي مُحكَمَةٌ. وإن قيل: نزلت في مُوادَعَتِهم على غيرِ جِزيَةٍ، توجَّه النَّسخُ لها بآية الجِزيَةِ.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني يَهودُ قُريظَةَ ﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصُّلح لِتَكُفَّ عنهم، حتى إذا جاء مُشركو العرب، أعَانُوهم عليك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ﴾. قال الزَّجَّاجُ: فإنَّ الذي يتولَّى كِفايَتَكَ اللَّهُ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾ أي: قَوَّاكَ. وقال مُقاتِلٌ: قَوَّاكَ بنَصرِه وبالمؤمنين مِنَ الأنصار يومَ بدرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ يعني الأوسَ والخَزرَجَ، وهمُ الأنصارُ، كانت بينهم عَداوةٌ في الجاهلية، فألفَ اللَّهُ بينهم بالإسلام. وهذا مِنْ أعجبِ الآيات، لأنَّهم كانوا ذَوي أنفَةٍ شديدةٍ؛ فلَو أنَّ رجلاً لَطَمَ رجلاً، لَقَاتلتْ عنه قَبيلتُه حتى تُدركَ ثأرَهُ، فآلَ بهم الإسلامُ إلى أنْ يقتُلَ الرجلُ ابنَهُ وأباهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: حَسبُكَ اللَّهُ، وحَسبُ مَن اتَّبعَكَ، هذا قولُ أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ، والأكثرون. **والثاني**: حَسبُكَ اللَّهُ ومُتَّبِعُوكَ، قاله مُجاهِدٌ. وعن الشَّعبيِّ كالقَولَين. وأجازَ الفَرَّاءُ والزَّجَّاجُ الوَجهَين.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٣.

(٢) **وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٤١: وقد اختلف في هذه الآية، هل هي منسوخة أم لا. فقال قتادة وعكرمة نسخها ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾** [التوبة: ٥]. و **﴿اقتلوا المشركين كافة﴾** [التوبة: ٣٦]، وقالا: نسخت براءة كل موادعة، حتى يقولوا لا إله إلا الله. وقال ابن عباس: الناسخ لها **﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم﴾** [محمد: ٣٥]. وقيل ليست بمنسوخة، بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية.

[٦٥٧] وروى سعيدُ بن جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: أسلَمَ مع رسولِ الله ﷺ تسعةٌ وثلاثون، ثم أسلَمَ عمرُ فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهذا لا يُحفظ، والسُّورة مَدَنيَّةٌ بإجماعٍ، والقولُ الأولُ أصحُّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: تأويلُه: حُثَّهم. وتأويل التَّحريضِ في اللُّغة: أنْ يَحُثَّ الإنسانُ على الشيء حَثًّا يعلمُ معه أنه حَارِضٌ إنْ تَخلَّفَ عنه. والحَارِضُ: الذي قَدْ قَارَبَ الهَلاكَ. قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ لفظُ هذا الكلام لفظُ الخَبرِ، ومعناه الأمرُ، والمراد: يُقاتلوا مائتَين، وكان هذا فَرْضاً في أوَّل الأمرِ، ثم نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ ففُرِضَ على الرجل أنْ يَثْبُتَ لِرَجُلين، فإنْ زَادُوا جازَ له الفِرارُ. قال مُجاهِدٌ: وهذا التَّشديد كان في يوم بَدرٍ. واتَّفق القُرَّاءُ على قوله ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ﴾ فقرؤوا «يكن» بالياء واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وابنُ عَامرٍ: بالتاء فيهما. وقرأهما عَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: بالياء. وقرأ أبو عَمرٍو «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فإن تكن منكم مائة صابرة» بالتاء. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ أنَّثَ، فللفظ المائة؛ ومَنْ ذَكَّرَ، فَلأنَّ المائةَ وقَعتْ على عَددٍ مُذكَّرٍ. وقال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ بالياء، فلأنَّه أُريد منه المُذكَّر، بدليل قوله تعالى: «يغلبوا»، وكذلك المائة الصَّابرةُ هم رِجالٌ، فَقرؤوها بالياء، لِمَوضع التَّذكير. فأما أبو عَمرٍو، فإنه لمَّا رأى صِفَةَ المائة مُؤنَّثة بقوله تعالى: «صابرة» أَنَّثَ الفعلَ، ولمَّا رأى «يغلبوا» مُذكَّراً، ذَكَّر. ومعنى الكلام: إنْ يَكُن منكم عشرون صابرون يَثْبُتون عند اللقاءِ، يَغْلِبوا مائتين، لأنَّ المؤمنين يحتَسِبُون أفعالَهُم، وأهلَ الشِّرك يُقاتلون على غير احتسابٍ ولا طلبِ ثوابٍ، فإذا صَدَقهم المؤمنون القتالَ لم يَثْبُتوا؛ وذلك معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ﴾ وروى المُفَضَّلُ «وعُلم» بضمِّ العين «أن فيكم ضُعفاً» وقرأ ابنُ كَثيرٍ ونَافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عَامرٍ والكِسَائيُّ بضمِّ الضاد. وقرأ عَاصمٌ، وحَمزةُ: بفتح الضاد. وكذلك خِلافُهم في (الرُّوم)(١). قال الفَرَّاءُ: الضمُّ لغةُ قُريشٍ، والفتح لُغةُ تَميمٍ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى في القراءتين واحدٌ،

---

[٦٥٧] باطل لا أصل له. أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢٤٧٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٤. وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي، وهو كذاب. وكذا قال الهيثمي في «المجمع» ١١٠٣٢ ثم إن السورة مدنية والخبر مكي؟!! وذكره ابن كثير ٢/٤٠٣ وقال: وفي هذا نظر لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة والله أعلم ا.هـ.

---

(١) سورة الروم: ٥٥.

يُقال: هو الضَّعفُ والضُّعفُ، والمَكْثُ والمُكْثُ، والفَقْرُ والفُقْرُ، وفي اللغة كثيرٌ مِنْ باب فَعْل وفُعْل، والمعنى واحدٌ. وقرأ أبو جَعفرَ «وعلم أن فيكم ضُعَفَاءَ» على فُعَلاءَ. فأمّا قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فهو إعلامٌ بأنّ الغلَبَة لا تقعُ إلاّ بإرادته.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

[٦٥٨] روى مُسلمٌ في أفرَادِه مِنْ حديث عمرَ بن الخَطّابِ قال: لمّا هزمَ اللّهُ المشركين يومَ بَدرٍ، وقُتِلَ منهم سبعونَ وأُسِرَ سبعون، استشَارَ النبيُّ ﷺ أبا بكرٍ وعمرَ وعليّاً، فقال أبو بكرٍ: يا نبيَّ اللّهِ هؤلاءِ بَنُو العمِّ والعشيرة والإخوان، وإنّي أرى أنْ تأخذَ منهم الفِدْيَة، فيكون ما أَخذنَا منهم قُوَّةً لنا على الكُفّارِ، وعسى أنْ يَهدِيَهُم الله فيكونوا لنا عَضُداً. فقال رسولُ الله: «ما ترى يا ابنَ الخَطّابِ»؟ قلتُ: واللّهِ ما أرى ما رأى أبو بكرٍ، ولكنْ أرى أنْ تُمكِّنَني مِنْ فُلانٍ، قَريبٌ لعمرَ، فأضربَ عُنقَهُ، وتُمكِّنَ عليّاً مِنْ عَقيلٍ فيضربَ عُنقَهُ، وتُمكِّنَ حمزةَ مِنْ أخيه فُلانٍ فَيضربَ عُنُقَه، حتى يعلمَ اللّهُ عزَّ وجلَّ أنه ليس في قلوبنا هَوادةٌ للمشركين، هؤلاءِ صَنادِيدُهم وأئِمَّتُهم وقادَتُهم. فَهوِيَ رسولُ الله ما قال أبو بكرٍ، ولم يَهْوَ ما قلتُ، فأخذَ منهم الفِدَاءَ. فلمّا كان مِنَ الغَدِ، غدوتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فإذا هو قاعدٌ وأبو بكرِ الصِّديقُ وهُمَا يَبكِيَان. فقلتُ: يا رسولَ الله، أخبِرني ماذا يُبكيكَ أنتَ وصاحِبُكَ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكَيتُ، وإنْ لم أجِدْ بُكاءً تباكَيتُ. فقال النبيُّ ﷺ: «أبكي للذي عَرضَ عَليَّ أصحابُكَ مِنَ الفِداءِ. لقد عُرِضَ عليَّ عذابُكُم أدنى مِنْ هذه الشَّجرةِ» لشجرةٍ قريبةٍ، فأنزلَ اللّهُ «ما كان لنبي أن يكون له أسرى» إلى قوله «عظيم».

---

[٦٥٨] غريب. أخرجه مسلم ١٧٦٣ وأبو داود ٢٦٩٠ والترمذي ٣٠٨١ وأحمد ١/ ٣٠ وابن أبي شيبة ١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨ وابن حبان ٤٧٩٣ والطبري ١٦٣٠٨ والبيهقي في «السنن» ٦/ ٣٢١ و «الدلائل» ٣/ ٥١ وأبو نعيم في «الدلائل» ٤٥٠ من طرق عن عكرمة عن عمار عن سماك بن الوليد الحنفي عن ابن عباس عن عمر به وإسناده لا بأس به. عكرمة بن عمار قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق يغلط. وقال في سماك بن الوليد: ليس به بأس. وقال الذهبي رحمه الله في «الميزان» ٣/ ٩٠ ـ ٩٣ ما ملخصه: روى أبو حاتم عن ابن معين في عكرمة بن عمار: كان أميا حافظاً. وقال أبو حاتم: صدوق، ربما يهم. وقال ابن معين: ثقة ثبت. وقال يحيى القطان: أحاديثه عن يحيى بن أبي كثير ضعيفه، وقال أحمد بن حنبل: ضعيف. وقال الحاكم: أكثر مسلم الاستشهاد به، وقال البخاري: لم يكن له كتاب فاضطرب حديثه عن يحيى، وقال أحمد: أحاديثه عن يحيى ضعاف، ووثقه علي المديني. وختم الذهبي كلامه بقوله: وفي صحيح مسلم قد ساق له أصلاً منكراً عن سماك الحنفي عن ابن عباس في الثلاثة التي طلبها أبو سفيان، وثلاثة أحاديث أخر بالإسناد اهـ. قلت: وهذا رواه عن سماك بن الوليد عن ابن عباس، وقد تفرد بذكر بكاء النبي ﷺ وأبي بكر، ودنو العذاب بسبب أخذ الفداء، وهذا غريب، ولم يتابع عليه، وهو وإن وثقه الأكثر، لكن روى مناكير، ولا يبعد أن يكون عجز هذا الحديث منها، والله تعالى أعلم.

ـ الخلاصة: هو حديث لا يمكن الحكم بوهنه، وليس هو من درجة الصحيح. وهو أحد الأحاديث التي رواها مسلم، وليست في غاية الصحة. وللحديث شواهد دون عجزه، وهو ذكر البكاء... فهو غريب. إذ لم يتصرف الصحابة من تلقاء أنفسهم، وإنما فعلوا ذلك بأمر رسول الله ﷺ. فتنبه والله الموفق.

[٦٥٩] ورُوي عن ابنِ عمرَ قال: لمَّا أشار عمرُ بقتلِهم وفاداهُم رسولُ الله أنزلَ اللَّهُ تعالى «ما كان لنبي» إلى قوله «حلالاً طيباً»، فلَقِيَ النبيُّ ﷺ عمرَ فقال «كادَ يُصيبُنا في خِلافِكَ بَلاءٌ».

فأمَّا الأسْرَى، فهو جمعُ أَسيرٍ، وقد ذكرناه في سورة البقرة[1]. والجمهور قرَؤوا «أن يكون له» بالياء، لأنَّ الأَسْرَى مُذكَّرٌ. وقرأ أبو عَمرٍو «أن تكون»، قال أبو عليٍّ: أَنَّثَ على لفظِ الأَسْرَى، لأنَّ الأَسْرَى وإنْ كان المُراد به التَّذكير والرِّجال فهو مُؤنَّثُ اللفظِ. والأكثرون قرؤوا «أسرى» وكذلكَ «لمن في أيديكم من الأسرى». وقرأ أبو جَعفَر، والمُفضَّلُ «أسارى» في المَوضِعين، ووافقَهما أبو عَمرٍو، وأَبَانُ في الثاني. قال الزَّجَّاجُ: والإِثْخَانُ في كلِّ شيءٍ: قُوَّةُ الشيءِ وشِدَّته. يُقال: قد أَثْخَنَهُ المَرضُ: إذا اشتدَّتْ قُوَّتُه عليه. والمعنى: حتى يُبالغَ في قَتْلِ أعدائِه. ويجوز أنْ يكون المعنى: حتى يتمكَّن في الأرض. قال المُفسِّرون: معنى الآية: ما كان لنبيٍّ أنْ يَحبِسَ كافراً قَدَرَ عليه للفِداءِ أو المَنِّ قبل الإثخَانِ في الأرض. وكانت غَزَاةُ بدرٍ أولَ قتالٍ قاتَلَهُ رسولُ الله، ولم يَكُن قد أثخَنَ في الأرض بَعدُ. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو المَالُ. وكان أصحابُ رسولِ الله قد فَادَوا يَومئذٍ بأربعةِ آلافٍ أربعةَ آلافٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ قولان: **أحدهما**: يُريد لكم الجنَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُريد العملَ بما يُوجب ثوابَ الآخرة، ذكره المَاورِدي.

فصل: وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ في آخرين: أنَّ هذه الآية مَنْسُوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[2]، وليس للنَّسخ وَجهٌ، لأنَّ غَزاةَ بدرٍ كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ؛ فلمَّا كَثُروا واشتَدَّ سُلطانُهم، نزلت الآيةُ الأُخرى، ويُبيِّن هذا قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ في معناه خمسةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: لولا أنَّ اللَّهَ كتبَ في أُمِّ

---

[٦٥٩] حسن. أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: صحيح على شرط مسلم، وهو كما قال: لكن إبراهيم بن مهاجر أحد رجال الإسناد، وإن روى له مسلم، فقد لينه غير واحد بسبب سوء حفظه. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٦ عن ابن عمر: إستشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك خل سبيلهم. واستشار عمر فقال: اقتلهم: ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله **﴿ما كان. . . .﴾** إلى قوله تعالى **﴿فكلوا. . .﴾** قال فلقي النبي ﷺ عمر فقال «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء». وله شاهد من حديث ابن مسعود. أخرجه أحمد ١/ ٣٨٣ والحاكم ٣/ ٢١ وأبو يعلىٰ ٥١٨٨. والواحدي ٤٨٧، ورجاله ثقات لكن فيه إرسال بين أبي عبيدة وأبيه ابن مسعود. وانظر «تفسير القرطبي» ٣٢٧١ بتخريجنا.

---

(١) سورة البقرة: ٨٥. (٢) سورة محمد: ٤.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٩١. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما قد بيناه قبل وذلك أن قوله: **﴿لولا كتاب من الله سبق﴾** خبر عام غير محصور على معنىً دون معنىً، وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت، مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الآية وذلك. ما عملوا من عمل بجهالة، أو إحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنىً دون معنىً وقد عم الله الخبر بطل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه.

الكتاب أنه سيُحِلُّ لكم الغَنائمَ لَمَسَّكُم فيما تَعَجَّلتُم من المَغانِمِ والفِدَاءِ يومَ بدرٍ قبلَ أنْ تُؤمَروا بذلك عذابٌ عظيمٌ، روَى هذا المعنى عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ. وقال أبو هُريرةَ: تعجَّل ناسٌ مِنَ المسلمين فأصابوا الغَنائِمَ، فنزلت الآيةَ. **والثاني**: لولا كتابٌ مِنَ الله سَبَقَ أنَّه لا يُعَذِّبُ مَنْ أتى ذَنباً على جَهالَةٍ لَعُوقِبتُم، روى هذا المعنى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ جُرَيجٍ عن مُجاهِدٍ. وقال ابنُ إسحَاقَ: سبقَ أنْ لا أُعَذِّب إلاَّ بعدَ النَّهي، ولم يكن نَهاهُم. **والثالث**: لولا ما سَبقَ لأهلِ بدرٍ أنَّ الله لا يُعَذِّبهم، لعُذِّبتُم، قاله الحَسنُ، وابنُ جُبَيرٍ، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: لولا كتابٌ مِنَ الله سبقَ مِنْ أنَّه يَغفِرُ لِمَنْ عملَ الخطايا ثمَّ عَلِمَ ما عليه فتابَ، ذكَره الزَّجَّاجُ. **والخامس**: لولا القرآنُ الذي اقتَضَى غُفرانَ الصَّغائِرِ، لعُذِّبتُم، ذكره المَاوَردِي. فيخرج في الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه كتابٌ مَكتوبٌ حقيقةً. ثمَّ فيه قولان: أحدهما: أنه ما كَتَبَهُ اللَّهُ في اللوحِ المَحفُوظِ. والثاني: أنه القرآن. **والثاني**: أنه بمعنى القَضَاءِ.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الفاء للجَزاءِ. والمعنى: قد أحلَلْتُ لكم الفِداءَ فكُلُوا. والحلالُ منصوبٌ على الحَالِ.

[٦٦٠] قال مُقاتِلٌ: إنَّ الله غفورٌ لِمَا أخذتُم مِنَ الغَنيمَةِ قبل حِلِّها، رَحيمٌ بكم إذْ أحَلَّها لكُم، فجعلَ رسولُ الله ﷺ عمرَ بنَ الخَطَّابِ، وخبَّابَ بنَ الأرَتِّ يومَ بدرٍ على القَبَضِ، وقَسَمَها النبيُّ ﷺ بالمَدينةِ، وانطلقَ بالأسَارى، فيهم العبَّاسُ، وعَقِيلٌ، ونوفَلُ بنُ الحَارثِ بن عبد المُطَّلبِ. وكان مع العبَّاسِ يومئذٍ عشرون أوقيَّةً مِنْ ذَهبٍ، فلم تُحسَبْ له مِنْ فِدائِه، وكُلِّف أن يَفدي ابني أخيه، فأدَّى عنهُما ثمانين أوقيَّةً مِنْ ذَهبٍ. وقال النبيُّ ﷺ: «أَضعِفُوا على العبَّاسِ الفَدَاءَ» فأخذوا منه ثمانينَ أوقيَّةً، وكان فِداءُ كلِّ أسيرٍ أربعينَ أوقيَّةً. فقال العبَّاسُ لرسولِ الله: لقد تَركْتَنِي ما حَيِيتُ أسألُ قُريشاً بكَفِّيَ. فقالَ له: «أينَ الذَّهبُ الذي تَركتَهُ عند أمِّ الفَضلِ»؟ فقال: أي الذَّهبِ؟ فقال: «إنَّك قلتَ لها: إنِّي لا أدري ما يُصيبُنِي في وَجهِي هذا، فإنْ حَدَثَ بي حَدَثٌ، فهو لكِ ولِوَلَدِكِ» فقال: ابنَ أخي، مَنْ أخبرَكَ؟ فقال: «اللَّهُ أخبرَنِي»، فقال العباسُ: أشهدُ أنَّكَ صادقٌ، وما علمتُ أنَّكَ رسول الله قبلَ اليوم؛ وأَمَرَ ابنَي أخيهِ فأسلَمَا. وفيهم نزلت: ﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الآية. وروَى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنها نزلت في جميع مَنْ أُسِرَ يومَ بدرٍ.

[٦٦١] وقال ابنُ زيدٍ: لما بُعِثَ رسولُ الله أتاه رجالٌ، فقالوا: لولا أنَّا نخاف هؤلاءِ القومَ

---

[٦٦٠] عزاه المصنف لمقاتل وهو ساقط ليس بشيء. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٩ عن الكلبي تعليقاً والكلبي متروك متهم، وأكثر هذا المتن أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٣/ ١٤٢ عن ابن اسحاق عن يزيد بن رومان والزهري وعروة، وهذه مراسيل وبعضه أخرجه ٣/ ١٤٣ عن ابن عباس بسند فيه إرسال وله شواهد. الخلاصة: عامة هذا الخبر له شواهد. انظر الطبري ١٦٣٣٥ ـ ١٦٣٤١.

[٦٦١] عزاه المصنف لابن زيد، واسمه عبد الرحمن، وهذا مرسل، وابن زيد ضعيف، فالخبر واهٍ.

لأسلَمنا، ولكنَّا نشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّكَ رسولُ الله. فلمَّا كان يومُ بدرٍ، قال المشركون: لا يَتخلَّفُ عنا أحدٌ إلا هَدمنا دارَهُ واستَحللْنا مالَهُ، فخَرجَ أولئكَ القومُ، فقُتِلَتْ طائفةٌ منهم وأُسِرَتْ طائفةٌ. فأمَّا الذين قُتِلوا، فهُم الذين قالَ اللَّهُ فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[1]. وأمَّا الذين أُسِرُوا فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ أنتَ تعلمُ أنَّا كنَّا نشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وأنكَ رسولُ الله، وإنَّما خرجنا مع هؤلاءِ خَوفاً منهم. فذلكَ قولُه تعالى: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ فمعناه إسلاماً وصِدْقاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ مِنَ الفِداءِ. وفيه قولان: **أحدهما**: أكثرَ ممَّا أُخِذَ منكم. **والثاني**: أَحلُّ وأطيَبُ. وقرأ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «مما أَخَذَ منكم» بفتح الخاءِ؛ يُشيرون إلى اللَّهِ تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: يَغفِرْ لكُم كُفرَكُم وقتالَكُم رسولَ الله، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: يَغفِرْ لكُم خُروجَكُم معَ المشركين، قاله ابنُ زيدٍ في تَمامِ كلامِه الأوَّلِ.

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ﴾ يعني: إنْ أرادَ الأُسَراءُ خيانَتَكَ بالكُفرِ بعدَ الإسلامِ ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ إذ كَفَرُوا به قبلَ أَسرِهم. وقال ابنُ زيدٍ: فقد خَانُوا بخُروجِهم مع المشركينَ؛ وقد ذكرنا عنه أنَّها نزلت في قوم تكلَّموا بالإسلام. وقال مُقاتِلٌ: المعنى: إنْ خَانُوكَ أَمكنَتْكَ منهم فقتلتَهُم وأَسَرتَهُم كما أَمكنَتْكَ ببدرٍ. قال الزَّجَّاجُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخيانةٍ إنْ خَانُوها، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تَدبيرِهِ عليهم ومُجازاتِهِ إيَّاهُم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المُهاجرين الذين هَجَرُوا ديارَهُم وأموالَهُم وقومَهُم في نُصرةِ الدِّينِ. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ يعني: الأنصار، آوَوْا رسولَ الله، وأسكَنُوا المهاجرين دِيارَهُم، ونَصَرُوهم على أعدائِهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: في النُّصرةِ. **والثاني**: في المِيراثِ.

قال المُفسِّرون: كانوا يَتوارَثُون بالهِجرةِ، وكان المؤمنُ الذي لم يُهاجِرْ لا يَرِثُ قريبَهُ المُهَاجِرَ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، ونَافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعَاصمٌ، والكِسَائيُّ: «وَلايتهم» بفتحِ الواو. وقرأ حَمزةُ: بكسرِ الواو. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ليس بينكم وبينهم مِيراثٌ حتى يُهاجروا. ومَنْ كَسَرَ وَاوَ الوِلاية، فهي بمنزلةِ الإِمَارةِ؛ وإذا فُتحت، فهي مِنَ النُّصرَةِ. وقال يُونسُ النَّحوي: الوَلاَية، بالفَتح، لِلَّهِ عزَّ وجلَّ، والوِلاَية، بالكسر، مِنْ وُلِّيت الأمرَ. وقال أبو عُبيدَةَ: الوَلاية، بالفتحِ، للخَالِقِ؛ والوِلاَيةُ، للمَخلُوق. قال ابنُ الأنباري: **الوَلاية، بالفتحِ،**

---

(١) سورة النحل: ٢٨.

مصدرُ الوَلِيِّ، والوِلايةُ: مصدرُ الوَالي، يُقال: وَلِيّ بَيّنُ الوَلايَةِ، ووَالٍ بَيِّنُ الوِلاَية، فهذا هو الاختيارُ؛ ثم يَصلُح في ذا ما يَصلُح في ذا. وقال ابنُ فارسٍ: الوَلايةُ، بالفتحِ: النُّصرةُ، وقد تُكسرُ. والوِلايةُ، بالكسرِ: السُّلطانُ.

فصل: وذهب قومٌ إلى أنَّ المراد بهذه الوَلاَية مُوالاةُ النَّصرِ والمَوَدَّة. قالوا: ونُسِخ هذا الحكمُ بقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[1]؛ فأمَّا القائلون بأنَّها ولاَيةُ المِيراثِ، فقالوا: نُسِختْ بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: إنَّ استنصَرَكُم المؤمنون الذين لم يُهاجروا فَانصُرُوهم، إلاَّ أنْ يَستنصِرُوكُم على قوم بينكم وبينَهم عَهدٌ، فلا تَغدُروا بأربابِ العَهدِ. وقال بعضُهم: لم يَكُنْ على المُهاجِرِ أنْ يَنصُرَ مَنْ يُهاجِرْ إلاَّ أنْ يَستَنْصِرَه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان[3]: **أحدهما**: في المِيرَاثِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: في النُّصرَةِ، قاله قَتادَةُ. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه يَرجِعُ إلى المِيرَاثِ، فالمعنى: ألاَّ تأخذُوا في المِيرَاثِ بِمَا أَمرتُكم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه يَرجِعُ إلى التَّناصُرِ. فالمعنى: إلاَّ تتعَاونُوا وتَتنَاصَرُوا في الدِّين، قاله ابنُ جُرَيج. وبيانُه: أنه إذا لم يَتَوَلَّ المؤمنُ المؤمنَ تَوليّاً حقّاً، ويَتبرَّأ مِنَ الكافر جدّاً، أدَّى ذلك إلى الضَّلالِ والفَسادِ في الدِّين. فإذا هَجَرَ المسلمُ أقارِبَهُ الكفَّارَ، ونَصَرَ المسلمين، كان ذلك أدْعَى لأقارِبِه الكفَّارِ إلى الإسلام وتَرْكِ الشِّركِ.

قوله تعالى: ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ أبو هُريرَةَ، وابنُ سِيرِينَ، وابنُ السَّمَيْفَع: «كثير» بالثاء.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: هم الذين حَقَّقوا إيمانَهم بما يقتَضِيهِ مِنَ الهجرةِ والنُّصرَة، بخلاف مَنْ أقامَ بدارِ الشِّرْكِ. والرِّزقُ الكريمُ: هو الحَسَنُ، وذلك في الجنَّةِ.

---

(١) سورة التوبة: ٧١.

(٢) سورة الأنفال: ٧٥.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٦/٢٩٨: وأولىٰ التأويلين قول من قال: معناه: أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام في دار الحرب وترك الهجرة، لأن المعروف في كلام العرب من معنىٰ «الولي» أنه النصير والمعين، أو: ابن العم والنسيب فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه إلا بمعنىٰ أنه يليه في القيام بإرثه من بعده وذلك معنىٰ بعيد، وإن كان قد يحتمله الكلام. وتوجيه معنىٰ كلام الله إلى الأظهر الأشهر أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ أن أولىٰ التأويلين بقوله: **﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾** تأويل من قال: إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين، تكن فتنة في الأرض، إذ كان مبتدأ الآية من قوله **﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾** بالحث على الموالاة على الدين والتناحر جاء، فكذلك الواجب أن تكون خاتمتها به. ا.هـ.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: مِنْ بعد المُهاجرين الأوَّلين. قال ابنُ عباسٍ: هُمُ الذين هاجَروا بعد الحُدَيبيَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في المَوَارِيثِ بِالهِجرة. قال ابنُ عباسٍ: آخَى النبيُّ ﷺ بينَ أصحابِه، وكانوا يَتَوارَثُونَ بذلك الإِخَاءِ حتى نزلت هذه الآيَةُ، فَتوارَثُوا بالنَّسَبِ.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللوحُ المَحفُوظُ. **والثاني**: أنه القرآنُ ـ وقد بَيَّن لهُم قِسمَةَ المِيرَاثِ في سُورة (النِّساء)[1]. **والثالث**: أنه حُكْمُ اللَّهِ، ذكره الزَّجَّاجُ.

---

(١) سورة النساء: ١١ ـ ١٢.

سُورَةُ التَّوبَة

ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١﴾

فصل في نزولها: هي مَدنِيَّةٌ بإجمَاعِهم، سِوى الآيتين اللتَين في آخِرها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[1] فإنها نزلت بمكَّةَ.

[٦٦٢] روى البُخَاريُّ في «صحيحه» مِنْ حديث البَرَاءِ قال: آخرُ سُورةٍ نزلت بَرَاءَةُ. وقد نُقِلَ عن بعض العرب أنه سمعَ قارئاً يقرأُ هذه السُّورة، فقال الأعرَابيُّ: إنّي لأَحسَبُ هذه مِنْ آخِر ما نَزلَ مِنَ القرآنِ. قيل له: ومِنْ أينَ عَلِمتَ؟ فقال: إنِّي لأَسمَعُ عُهوداً تُنبَذُ، ووَصَايا تُنَفَّذ.

فصل: واختلفوا في أوَّلِ ما نزلَ مِنْ (براءة) على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ أولَ ما نزلَ منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[2]، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[3]، قاله أبو الضُّحى وأبو مالكٍ. **والثالث**: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾[4]، قاله مُقاتِلٌ. وهذا الخلافُ إنما هو في أوَّلِ ما نزلَ منها بالمَدينةِ، فإنَّهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخِرها بمكَّةَ.

فصل: ولها تسعةُ أسماء: **أحدها**: سُورة التَّوبة. **والثاني**: بَراءَةُ؛ وهذان مشهوران بينَ الناس. **والثالث**: سُورة العَذابِ، قاله حُذيفَةُ. **والرابع**: المُقَشْقِشَةُ، قاله ابنُ عمرَ. **والخامس**: سُورة البحوثِ، لأنها بَحثَتْ عن سَرائر المُنافقين، قاله المِقدَادُ بن الأسْود. **والسادس**: الفَاضِحَةُ، لأنها فَضحتِ المنافقين، قاله ابنُ عباسٍ. **والسابع**: المُبَعثِرَةُ، لأنها بَعثَرتْ أخبارَ الناس وكَشَفتْ عن سَرائِرهم، قاله الحَارثُ بن يَزيدَ وابنُ إسحَاقَ. **والثامن**: المُثيرَةُ، لأنها أثارَتْ مَخَازيَ المنافقين ومَثالِبَهُم، قاله قَتادَةُ. **والتاسع**: الحَافِرةُ، لأنها حَفَرتْ عن قُلوب المنافقين، قاله الزَّجَّاجُ.

---

[٦٦٢] صحيح. أخرجه البخاري ٤٣٦٤ و ٤٦٠٥ و ٤٦٥٤ و ٦٧٤٤ ومسلم ١٦١٨ ح ١١ و ١٦١٨ ح ١٣. وأبو داود ٢٨٨٨ والترمذي ٣٠٤٤ و ٣٠٤٥ من حديث البراء.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.
(٢) سورة التوبة: ٢٥.
(٣) سورة التوبة: ٤١.
(٤) سورة التوبة: ٤٠.

فصل: وفي سببِ امتناعِهم من كِتابة التَّسميةِ في أوَّلها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٦٦٣] أحدها: رواه ابنُ عباسٍ، قال: قلتُ لعثمَانَ بن عفَّان: ما حَمَلكُم على أنْ عَمَدتُم إلى (الأنفال) وهي مِنَ المَثَاني، وإلى (بَرَاءَة) وهي مِنَ المِئين، فَقَرنتُم بينَهما ولم تَكتُبوا بينهما «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»؟ فقال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أُنزلَ عليه الشيءُ يدعو بعض مَنْ يكتبُ، فيقول: «ضَعوا هذا في السُّورة التي يُذكر فيها كذا وكذا»، وكانت (الأنفال) مِنْ أوائل ما نَزلَ بالمَدينة، و (بَرَاءَة) مِنْ آخر القرآن، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصَّتِها؛ وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منها، فظَنَنَّا أنَّها منها؛ فمِنْ ثَمَّ قَرنتُ بينهما ولم أَكتُب بينهما: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم». وذُكِر نحوُ هذا المعنى عن أُبيِّ بن كَعبٍ. قال الزَّجَّاجُ: والشَّبَهُ الذي بينهما، أنَّ في (الأَنفَال) ذِكرُ العُهودِ، وفي (بَرَاءَة) نَقضُها. وكان قَتادَةُ يقول: هما سُورةٌ واحدةٌ.

والثاني: رواه محمَّدُ ابن الحَنفيَّة، قال: قلتُ لأَبي: لِمَ لَمْ تَكتبُوا في (براءة) بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم»؟ فقال: يا بُنيَّ، إنَّ (بَرَاءَة) نزلت بالسَّيفِ، وإنَّ «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم» أَمَانٌ. وسُئلَ سُفيَانُ بن عُيَينَة عن هذا، فقال: لأنَّ التَّسميةَ رحمةٌ، والرَّحمةُ أَمَانٌ، وهذه السُّورة نزلت في المنافقين.

والثالث: أنَّ رسولَ الله ﷺ، لمَّا كتبَ في صُلح الحُديبية «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»، لم يَقبلُوهَا ورَدُّوها، فَما رَدَّها اللَّهُ عليهم(١)، قاله عبدُ العزيز بن يَحيى المَكيّ.

فصل: فأمَّا سببُ نزولها.

[٦٦٤] فقال المُفسِّرون: أخذت العربُ تَنقُضُ عُهوداً بَنَتْهَا مع رسولِ الله ﷺ فأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بإلقَاءِ عُهودِهم إليهم، فأنزلَ براءة في سنةِ تسعٍ، فبعثَ رسولُ الله أبا بكرٍ أميراً على المَوسِمِ لِيُقِيمَ للناسِ

---

[٦٦٣] ضعيف، أخرجه أبو داود ٧٨٦ و ٧٨٧ والترمذي ٣٠٨٦ والنسائي في «الكبرى» ٨٠٠٧ وابن حبان ٤٣ والحاكم ٢/ ٢٢١ وابن أبي داود في «المصاحف» ص ٣٩ والبغوي ١٠٢٨ ـ بترقيمي ـ والبيهقي في «السنن» ٢/ ٤٢ و «الدلائل» ٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣ من طرق عن عوف بن أبي جميلة عن يزيد الفارسي عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف. مداره على يزيد الفارسي. قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. أي حيث يتابع، ولم يتابع على هذا الحديث. وقال العلامة أحمد شاكر في «تخريج المسند» ٣٩٩ ما ملخصه: إنه لا أصل له لأمور: أولها جهالة يزيد الفارسي حيث تفرد به. ثانيها: فيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي. ثالثها: فيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان ـ كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك. فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له. ونقل كلامه الشيخ شعيب في «الإحسان» ١/ ٢٣٢ ووافقه. وذكره الألباني في «ضعيف أبي داود» ٧٨٦ و ٧٨٧. وأما الحاكم فقال: صحيح على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حديث حسن وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١٠٧٥ ١٠٢٨. و «تفسير الشوكاني» ١٠٧٥ بتخريجنا.

[٦٦٤] ذكره ابن هشام في «السيرة» ٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦ بأتم منه عن ابن إسحق وهذا معضل. وورد من مرسل السدي، أخرجه الطبري ١٦٣٩٢. وورد من مرسل أبي جعفر محمد بن علي ين الحسين، أخرجه الطبري ١٦٣٩١ بنحوه. فهذه الروايات مرسلة لا تقوم بها حجة، فإن الصحيح أن أبا بكر أتبع بعلي من دون أن يرجع أبو بكر. وانظر «أحكام القرآن» ١٠٨٤ بتخريجنا.

---

(١) لا يصح هذا السبب: وهو رأي لعبد العزيز، وليس بشيء وحديث صلح الحديبية متفق عليه. وتقدم.

الحجَّ في تلك السَّنةِ، وبعثَ معه صَدْراً مِنْ (براءة) ليقرأَهَا على أهلِ المَوسم، فلمَّا سارَ دَعَا رسولُ الله ﷺ عليًا، فقال: «أخرُجْ بهذه القِصَّة مِنْ صَدرِ براءة وأذِّن في النَّاس بذلكَ»، فخرجَ عليٌّ على ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ العَضْبَاءَ حتى أدركَ أبا بكرٍ، فرجعَ أبو بكرٍ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، أَنَزَل في شأني شيءٌ؟ قال: «لا، ولكنْ لا يُبَلِّغُ عنِّي إلاَّ رجلٌ منِّي، أَمَا تَرضَى أَنَكَ كُنتَ صَاحِبي في الغَارِ، وأنكَ صاحبي على الحَوضِ»؟ قال: بلَى يا رسولَ الله. فَسَار أبو بكرٍ أميراً على الحَجِّ، وسارَ عليٌّ لِيُؤذِّنَ بـ «براءة».

فصل: وفي عددِ الآياتِ التي بعثَها رسولُ الله ﷺ مِنْ أولِ براءة خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أربعون آيةً، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: ثلاثون آيةً، قاله أبو هُريرَةَ. **والثالث**: عشرُ آياتٍ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: سبعُ آياتٍ، رواه ابنُ جُرَيجٍ عن عَطاءٍ. **والخامس**: تسعُ آياتٍ، قاله مُقاتِلٌ.

فصل: فإنْ توهَّم مُتوهِّمٌ أنَّ في أَخْذِ (براءة) من أبي بكرٍ، وتسليمِهَا إلى عليٍّ، تفضيلاً لعليٍّ على أبي بكرٍ، فقد جَهِلَ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ أجرى العربَ في ذلك على عادتِهم. قال الزَّجَّاجُ: وقد جرت عادةُ العرب في عَقْدِ عَهدِها ونَقضِها، أنْ يتولَّى ذلك على القبيلةِ رجلٌ منها فكان. وجائزٌ أنْ تقول العربَ إذا تَلاَ عليها نقضَ العهدَ مَنْ ليس مِنْ رَهطِ النبيِّ ﷺ: هذا خلافُ ما نعرف فينَا في نَقضِ العهود، فأزاحَ النبيُّ ﷺ العِلَّة بما فعلَ. وقال عَمرُو بنُ بحر: ليس هذا بتفضيلٍ لعليٍّ على أبي بكرٍ، وإنما عامَلَهُم بعادَتِهم المُتعارَفةِ في حَلِّ العَقدِ، وكان لا يتولَّى ذلك إلاَّ السَّيِّدُ منهم، أو رجلٌ مِنْ رَهطِهِ دنْيَاً، كأخٍ، أو عمٍّ؛ وقد كان أبو بكرٍ في تلك الحَجَّةِ الإمامَ، وعليٌّ يأتمُّ به، وأبو بكرٍ الخطيبُ، وعليٌّ يستمعُ.

[٦٦٥] وقال أبو هُريرَةَ: بعثني أبو بكرٍ في تلك الحَجَّةِ مع المُؤذِّنين الذين بعَثَهَم يُؤذِّنون بمِنىً: أن لا يَحُجَّ بعد العام مُشركٌ، ولا يطوفَ بالبيت عُريَانٌ؛ فأذَّن معنا عليٌّ بـ (براءة) وبذلك الكلام.

[٦٦٦] وقال الشَّعبيُّ: بعثَ رسولُ الله ﷺ علياً يُؤذِّن بأربع كلماتٍ: «ألا لا يَحُجَّ بعد العام مُشركٌ، ألا ولا يَطوف بالبيتِ عُريَانٌ، ألاَ ولا يَدخُلُ الجنَّةَ إلاَّ مُسلمٌ، ألاَ ومَنْ كانت بَينَهُ وبينَ محمَّدٍ

---

[٦٦٥] صحيح. أخرجه البخاري ٣١٧٧ و ٤٦٥٥ و ٤٦٥٦ ومسلم ١٣٤٧ وأبو داود ١٩٤٦ والنسائي ٧٦ والبيهقي ٥/ ٨٧ والبغوي في «التفسير» ١٠٣١ ـ بترقيمي ـ من طرق عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة به، واللفظ للبخاري في روايته: الثانية والثالثة.

[٦٦٦] جيد. أخرجه الطبري ١٦٣٩، وفي الباب روايات. وللحديث شواهد: أخرجه الترمذي ٣٠٩٢ والحاكم ٣/ ٥٢ والطبري ١٦٣٨٧ و ١٦٣٩٣ من طرق عن أبي إسحق عن زيد بن يثيع عن علي به، وإسناده حسن، زيد بن يثيع، قال عنه الحافظ في «التقريب»: ثقة. وأما الذهبي فقال في «الميزان» ٣٠٣٢: ما روى عنه سوى أبي إسحق. وهذا منه إشارة إلى جهالته. قلت: ذكره الحافظ في «تهذيب التهذيب ٣/ ١٣٦٩، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: تابعي ثقة. وقال ابن سعد: كان قليل الحديث اهـ ملخصاً. فينبغي أن يكون حسن الحديث، لاسيما، وقد توبع على هذا المتن، فقد ورد من طريق الحارث الأعور عن علي. أخرجه الطبري ١٦٣٨٥، وإسناده ضعيف لضعف الحارث، وكرره ١٦٣٨٨ من هذا الوجه. وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩ والحاكم ٢/ ٣٣١ وإسناده لا بأس به، وصححه الحاكم والذهبي. الخلاصة: هو حديث حسن أو صحيح بمجموع طرقه وشواهده، والله أعلم. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٠٨١ بتخريجي، وصححه الحاكم على شرطهما! ووافقه الذهبي!. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وانظر أحكام القرآن ١٠٨٣ بتخريجنا.

مُدَّةٌ فأجَلُهُ إلى مُدَّتِه، واللَّهُ بريءٌ مِنَ المشركين ورسولُه».

فصل: فأمّا التَّفسير، فقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ قال الفَرَّاءُ: هي مَرفوعةٌ بإضمارِ «هذه»، ومثلُهُ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾[(١)]. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: بَرِئْتُ مِنَ الرَّجلِ والدَّيْنِ براءةً، وبَرِئتُ مِنَ المَرضِ؛ وبَرَأْتُ أيضاً أبْرَأُ بُرءاً، وقد رَوَوا: برأتُ أبرُؤ بُروءاً. ولم نَجِدْ في ما لامُهُ همزةٌ: فَعَلْتُ أفعل، إلاَّ هذا الحرفَ. ويقال: بَرَيتُ القلمَ، وكلُّ شيءٍ نحتَّه: أَبريه بَرْياً، غير مهموزٍ. وقرأ أبو رَجاءٍ، ومُوَرِّقٌ، وابنُ يَعمُر: «براءةً» بالنَّصب. قال المُفسِّرون: والبَراءَةُ ها هنا: قَطْعُ المُوالاةِ، وارتفاعُ العِصمَةِ، وزَوالُ الأمان. والخطابُ في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمُرادُ رسولُ الله ﷺ، لأنه هو الذي يتولَّى المُعاهَدَةَ، وأصحابُه رَاضُون؛ فكأنهم بالرِّضا عَاهَدُوا أيضاً؛ وهذا عامٌّ في كلِّ مَنْ عاهدَ رسولَ اللَّهِ ﷺ. وقال مُقاتِلٌ: هم ثلاثةُ أحياءٍ مِنَ العرب: خُزاعَةُ، وبَنُو مُدْلِجٍ، وبَنو جَذيمَةَ.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: انطَلِقُوا فيها آمِنينَ لا يقعُ بكم مِنَّا مَكروهٌ.

إنْ قال قائلٌ: هذه مُخاطبةُ شَاهِدٍ، والآيةُ الأولى إخبارٌ عن غائبٍ، فعنه جوابان:

أحدهما: أنه جائزٌ عند العرب الرجوعُ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخطابِ. قال عَنترةُ:

شَطَّتْ مَزارُ العَاشِقِينَ فأصبَحتْ   عَسِراً عَليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخرَمِ[(٢)]

هذا قولُ أبي عُبيدَةَ. **والثاني:** أنَّ في الكلام إضمَاراً، تقديره: فقُلْ لهم: سِيحُوا في الأرض، أي: اذهَبُوا فيها، وأقبِلُوا، وأدبِرُوا، وهذا قولُ الزَّجَّاج.

واختلفوا فيمَن جُعِلَتْ له هذه الأربعةُ الأشهُرِ على أربعة أقوالٍ[(٣)]: **أحدها:** أنَّها أمَانٌ لأصحاب

---

(١) سورة النور: ٢.

(٢) البيت منسوب إلى عنترة، في شرح القصائد السبع الطوال ٢٩٩ وقوله: شطت: أي بعدت.

(٣) قال الطبري رحمه الله في تفسيره ٦/ ٣٠٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله **﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾** إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله ﷺ ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته، فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه ﷺ بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله **﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً...﴾** [التوبة: ٤]. فإن ظن ظان أن قول الله تعالى ذكره **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾**. [التوبة: ٥]. يدل على خلاف ما قلنا في ذلك إذ كان ذلك ينبئ على أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم، قتل كل مشرك فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تبين عن صحة ما قلنا، وفساد ما ظنه من ظن أن انسلاخ الأشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله ﷺ أو لم يكن كان له منه عهد وذلك قوله **﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾** [التوبة: ٧]. فهؤلاء مشركون، وقد أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم، ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم، وترك مظاهرة عدوهم عليهم. وبعد نفي الأخبار المتظاهرة، عن رسول الله ﷺ: أنه حين بعث علياً رحمة الله عليه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم، أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم =

العَهدِ، فمُنْ كان عَهدُهُ أكثرَ منها، حُطَّ إليها، ومَنْ كان عَهدُه أقلَّ منها، رُفِعَ إليها، ومَنْ لم يَكُن له عَهْدٌ، فأجَلُهُ انسلاخُ المُحَرَّم خمسونَ ليلةً، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها للمشركين كافَّةً، مَنْ له عَهدٌ، ومَنْ ليس له عَهدٌ، قاله مُجاهِدٌ، والزُّهريُّ، والقُرَظِي. **والثالث**: أنها أَجَلٌ لِمَن كان رسولُ الله ﷺ قد آمَنَهُ أقلَّ مِنْ أربعة أشهرٍ، أو كان أَمَانُه غيرَ محدودٍ؛ فأما مَن لا أمانَ له، فهو حَربٌ، قاله ابنُ إسحَاقَ. **والرابع**: أنها أمَانٌ لِمَنْ لم يكن له أمَانٌ ولا عَهدٌ؛ فأما أربابُ العُهودِ، فَهُمْ على عُهودِهم إلى حين انقِضَاء مُدَدِهم، قاله ابنُ السَّائِب. ويؤكِّده ما رُوي أنّ عليّاً نادى يومئِذٍ؛ ومَنْ كان بينه وبين رسولِ الله عَهدٌ، فعَهدُهُ إلى مُدَّتِه. وفي بعض الألفاظ: فأَجَلُهُ أربعةُ أشهرٍ.

واختلفوا في مُدَّةِ هذه الأربعةِ الأشهرِ على أربعةِ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنها الأشهُرُ الحُرمُ: رَجبٌ، وذو القِعدَةِ، وذو الحِجَّة، والمُحرَّمُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ أوَّلَها يومُ الحَجِّ الأكبر، وهو يومُ النَّحرِ، وآخرَها العاشرُ مِنْ ربيعِ الآخرِ، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدّيّ، والقُرَظِي. **والثالث**: أنها شَوَّالٌ، وذو القِعدَة، وذو الحِجَّة، والمُحَرَّمُ، لأنَّ هذه الآية نزلت في شَوَّال، قاله الزُّهريُّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهذا أضعفُ الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يَجُزْ تأخيرُ إعلامِهم به إلى ذي الحِجَّة، إذ كان لا يَلزمُهم الأمرُ إلاَّ بعدَ الإعلام. **والرابع**: أنَّ أوَّلَها العاشرُ مِنْ ذي القِعدَةِ، وآخرَها العاشرُ مِنْ ربيعِ الأوَّل، لأنَّ الحجَّ في تلك السَّنةِ كان في ذلك اليوم، ثم صارَ في السَّنةِ الثانية في العَشر مِنْ ذي الحِجَّة.

[٦٦٧] وفيها حجَّ رسولُ الله ﷺ وقال: «إنَّ الزمانَ قَدِ استَدَارَ»، ذكره المَاوَرْدِي.

قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: وإن أُجلتُم هذه الأربعةَ الأشهر فلن تَفُوتُوا الله.
قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الأجودُ فتحُ «أن» على معنى: اعلموا أنَّ، ويجوز كَسرُها على الاستئنافِ. وهذا ضَمانٌ مِنَ الله نُصرةَ المؤمنين على الكافرين.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾

---

[٦٦٧] حديث صحيح. أخرجه البخاري ٣١٩٧ و ٤٦٦٢ و ٥٥٥٠. ومسلم ١٦٧٩ ٢٩. وأبو داود ١٩٤٧. وأحمد ٥/ ٣٧ والبيهقي ٥/١٦٦ من حديث أبي بكرة. وتقدم مطولاً.

= «ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهده إلى مدته». أوضح دليل على صحة ما قلنا. وذلك أن الله لم يأمر نبيه ﷺ بنقض عهد قوم كان عهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه. وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود. فأما من كان أجل عهده محدوداً، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً فإن رسول الله ﷺ كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأموراً. وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب. ا. هـ.

(١) قال الطبري رحمه الله في تفسيره ٦/٣٠٨: وأما الأشهر الأربعة، فإنها كانت أجل وكان ابتداؤها يوم الحج الأكبر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة، جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الأرض ينجون حيث شاؤوا، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب ا. هـ.

قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أي: إعلامٌ؛ ومنه أَذانُ الصَّلاةِ. وقرأ الضَّحَّاكُ، وأبو المُتوكِّل، وعِكرِمَةَ، والجحدريُّ، وابن يَعمُر: «وَإِذْنٌ» بكسرِ الهمزة وقَصْرِها ساكنةَ الذالِ مِنْ غير ألفٍ. قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: للناس. يُقال: هذا إِعلامٌ لكَ، وإِليكَ. والناس ها هنا عامٌّ في المؤمنين والمشركين. وفي يوم الحَجِّ الأكبرِ ثلاثةُ أقوال[1]: **أحدها**: أنه يومُ عَرَفَة، قاله عمرُ بن الخَطَّابِ، وابنُ الزُّبير، وأبو جحيفة، وطَاوسٌ، وعطاءٌ. **والثاني**: يومُ النَّحرِ، قاله أبو موسى الأشعرِي، والمُغيرَةُ بن شُعبَةَ، وعبدُ الله بن أبي أَوْفى، وابنُ المُسَيِّبِ، وابن جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ، والشَّعبيُّ، والنَّخعيُّ، والزُّهريُّ، وابنُ زيدٍ، والسُّدِّيُّ في آخَرِين. وعن عليٍّ، وابنِ عباسٍ، كالقولَين. **والثالث**: أنه أيامُ الحجِّ كلُّها، فعبَّر عن الأيام باليوم، قاله سُفيانُ الثَّوري. قال سُفيانُ. كما يُقال: يومُ بُعَاثٍ، ويوم الجَمَلِ، ويوم صفِّين يُراد به: أيام ذلكَ، لأنَّ كلَّ حربٍ من هذه الحروب دامت أياماً. وعن مُجاهِدٍ، كالأقوال الثلاثة. وفي تسميته بيوم الحجِّ الأكبرِ ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه سمَّاه بذلك لأنه اتَّفقَ في سنةٍ حَجَّ فيها المسلمون والمشركون، ووافَقَ ذلك عيدَ اليهودِ والنَّصارى، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ الحجَّ الأكبرَ: هو الحَجُّ، والأصغرَ: هو العُمرةُ، قاله عَطاءٌ، والشَّعبيُّ. **والثالث**: أنَّ الحجَّ الأكبرَ: القِرانُ، والأصغرَ: الإِفرَادُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ﴾ وقرأ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ يَعمُر: «إن الله» بكسرِ الهمزة. ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: مِنْ عَهدِ المشركين، فحَذفَ المُضافَ. ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ رفعٌ على الابتداءِ، وخبرُهُ مُضمرٌ على معنى: ورسولُه أيضاً بريءٌ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو رَجَاءٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ يَعمُر، وزيدٌ عن يَعقوبَ: «ورسولَه» بالنَّصبِ. ثم رجعَ إلى خطابِ المشركين بقوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: رَجعتُم عن الشِّرك، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإِيمان.

---

(١) قال الطبري رحمه الله تعالى في «تفسره» ٦/٣١٦: وأولىٰ الأقوال في ذلك عندنا بالصحة قول من قال: «يوم الحج الأكبر، يوم النحر» تظاهرت الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ أن علياً نادى بما أرسله به رسول الله ﷺ من الرسالة إلى المشركين، وتلا عليهم (براءة) يوم النحر، هذا، مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم النحر: أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم الحج الأكبر. وبعد فإن «اليوم» إنما يضاف إلى المعنى بالذي يكون فيه، كقول الناس «يوم عرفة» وذلك يوم وقوف الناس بعرفة، «يوم الأضحى» وذلك يوم يضحون فيه، و «يوم الفطر» وذلك يوم يفطرون فيه. وكذلك «يوم الحج» يوم يحجون فيه، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر، لأن في ليلة نهار يوم النحر، الوقوف بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر، وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج. فأما يوم عرفة، فإنه وإن كان فيه الوقوف بعرفة، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر، والحج كله يوم النحر. وأما ما قال مجاهد: من أن «يوم الحج» إنما هو أيامه كلها، فإن ذلك وإن كان جائزاً في كلام العرب، فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه، بل الأغلب على معنىٰ «اليوم» عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه.

(٢) وقال الطبري رحمه الله تعالى في «تفسيره» ٦/٣١٨: وأولىٰ هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال «الحج الأكبر» «الحج» لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها، فقيل له: «الأكبر» لذلك، وأما «الأصغر» فالعمرة لأن عملها أقل من عمل الحج، فلذلك قيل لها «الأصغر» لنقصان عملها من عمله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: فلمَّا قرأ عليٌّ (براءة)، قالت بَنو ضَمْرَةَ: ونحنُ مثلهم أيضاً؟ قال: لا، لأنَّ الله تعالى قد استثنَاكم؛ ثم قرأ هذه الآيةَ. وقال مُجاهِدٌ: هُم قومٌ كان بينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عَهدٌ ومُدَّةٌ، فأُمِرَ أن يفِيَ لهم. قال الزَّجَّاجُ: معنى الكلام: وقعت البراءةُ مِنَ المُعاهَدِين النَّاقِضين للعُهودِ، إلاَّ الذين عاهَدتم ثم لم يَنقُصُوكم، فليسوا داخلينَ في البَراءةِ ما لم يَنقُضوا العَهدَ. قال القاضي أبو يَعلَى: وفَصْلُ الخطاب في هذا الباب: أنه قد كان بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ جميعِ المشركين عَهدٌ عامٌّ، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت، ولا يُخاف أحدٌ في الشهر الحرام، فجعلَ اللهُ عَهدَهُم أربعةَ أشهرٍ؛ وكان بينَهُ وبينَ أقوامٍ منهم عهودٌ إلى آجالٍ مسمَّاةٍ، فأُمِرَ بالوفاء لهم وإتمامِ مُدَّتِهم إذا لم يُخشَ غدرُهم.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها رَجَبُ، وذُو القِعدَةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحرَّمُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنها الأربعةُ الأشهر التي جُعِلت لهم فيها السِّياحةُ، قاله الحَسنُ في آخَرين، فعلى هذا، سُمِّيت حُرُماً لأنَّ دماء المشركين حُرِّمت فيها.

قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: مَن لم يَكن له عَهدٌ ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ قال ابنُ عباس: في الحِلِّ والأشهرِ الحُرم. قوله تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي: اِئسِرُوهم؛ والأَخِيذُ: الأَسِيرُ. ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ أي: احبِسُوهم؛ والحَصْرُ: الحَبسُ. قال ابنُ عباسٍ: إن تحصَّنوا فاحصُروهم. قوله تعالى: ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ قال الأخفَشُ: أي: على كل مَرصَدٍ؛ فألقى «على» وأعملَ الفعلَ، قال الشاعر:

نُغـالـي الـلـحـمَ لـلأضـيـافِ نـيـئاً ... ونُـرخِـصُـه إذ نَـضِـجَ الـقُـدُور[1]

المعنى: نُغَالي باللَّحم، فحذفَ الباءَ كما حذفَ «على». وقال الزَّجَّاجُ: «كل مرصد» ظرفٌ، كقولك: ذهبتُ مذهباً، فلستَ تحتاج أنْ تقولَ في هذه إلاَّ ما تقوله في الظُّروف، مثل: خلفَ، وقُدَّامَ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ أي: مِنْ شِرْكِهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قولان: **أحدهما**: اعترَفُوا بذلك. **والثاني**: فَعلُوه.

فصل: واختلف علماءُ النَّاسِخ والمَنسُوخ في هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ حُكم الأَسَارَى كان وجوبَ قَتلِهم، ثم نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[2]، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ في آخرين. **والثاني**: بالعكس، وأنه كان الحُكمُ في الأَسَارَى: أنه لا يجوز قَتلُهم صَبراً، وإنما يجوز المَنُّ

---

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» غلى. نغالي للحم: نشتريه غالياً ثم نبذله ونطعمه إذا نضج في قدورنا.
(٢) سورة محمد: ٤.

أو الفِداءُ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ ثم نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ الآيتين مُحكَمتان، والأسيرُ إذا حصلَ في يدِ الإمام، فهو مُخيَّر، إنْ شاءَ مَنَّ عليه، وإنْ شاء فاداهُ، وإنْ شاء قَتَلَهُ صَبْراً، أيَّ ذلك رأى فيه المصلحةَ للمسلمين فعلَ، هذا قول جابرِ بن زيدٍ، وعليه عامَّةُ الفقهاء، وهو قولُ الإمام أحمدَ.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ قال المُفسِّرون: وإنْ أحدٌ مِنَ المشركين الذين أَمَرْتُكَ بقتلهم استأمَنَكَ يبتغي أنْ يسمعَ القرآن ويَنظُرَ فيما أُمِرَ به ونُهِيَ عنه، فأَجِرْهُ، ثم أبلِغْهُ الموضعَ الذي يأمَنُ فيهِ. وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: ذلك الذي أَمَرناكَ به مِنْ أنْ يُعرَّفوا ويُجَاروا لِجهلِهم بالعِلم. **والثاني**: ذلك الذي أمرناكَ به مِنْ رَدِّه إلى مَأمَنِهِ إذا امتنعَ مِنَ الإيمان، لأنهم قومٌ جَهلَةٌ بخطابِ الله.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ أي: لا يكون لهم ذلكَ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم بَنو ضَمْرةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم قُريشُ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً. وقال قَتادةُ: هم مُشركو قريشٍ الذين عَاهَدَهُم نبيُّ الله ﷺ زمَن الحُديبيَةِ، فَنَكَثوا وظاهَرُوا المشركين. **والثالث**: أنهم خُزاعَة، قاله مُجاهِدٌ.

[٦٦٨] وذكر أهلُ العلم بالسِّيَرِ أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا صالحَ سهيلَ بنَ عَمرٍو في غزوة الحُديبيَةِ، كتبَ بينَهُ وبينَه: «هذا ما اصطلَح عليه محمَّدُ بنُ عبدِ الله وسُهيلُ بن عَمرٍو، اصطلَحا على وَضعِ الحربِ عشرَ سنينَ يأمَنَ فيها الناسُ، ويَكفُّ بعضُهم عن بعضٍ، على أنه لا إسْلاَلَ ولا إغلالَ، وأنَّ بيننا عَيبَةً مكفُوفَةً، وأنَّه مَنْ أحبَّ أنْ يدخلَ في عهدِ محمَّدٍ وعَقدِهِ فعلَ، ومَنْ أحبَّ أنْ يدخلَ في عهدِ قُريش

---

[٦٦٨] انظر السيرة النبوية ٤/ ٢٦ ـ ٣١.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٦/ ٣٢٤: وأولى الأقوال عندي، قول من قال: هم بعض بني بكر من كنانة، ممن كان أقام على عهده، ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش، حين نقضوه بمعونتهم حلفاء من بني الدُّئِل، على حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة. وإنما قلت: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم، وقد بينا أن هذه الآيات إنما نادىٰ بها علي في سنة تسع من الهجرة، وذلك بعد فتح مكة بسنة، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده، لأن من كان منهم من ساكني مكة، كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول الآيات.

وعَقْدِها فعلَ، وأنَّه مَنْ أتى محمَّداً منهم بغير إذن وَليِّه ردَّه إليه، وأنه مَنْ أتى قُريشاً مِنْ أصحاب محمَّدٍ لم يَرُدُّوه، وأنَّ محمَّداً يرجعُ عنَّا عامَهُ هذا بأصحابِه، ويدخلُ علينا في قَابِلٍ في أصحابِه، فيُقيم بها ثلاثاً لا يدخلُ علينا بسلاحٍ، إلاَّ سلاحَ المُسافر، السُّيوفَ في القُرَبِ»، فوثبتْ خُزاعَةُ فقالوا: نحن ندخلُ في عَهدِ محمَّدٍ وعَقدِهِ، ووثبت بنو بكرٍ فقالوا: نحن ندخلُ في عهدِ قُريشٍ وعَقدِها. ثم إنَّ قريشاً أعانَتْ بَني بكرٍ على خُزاعَةَ بالرجال والسلاحِ فبيَّتوا خُزاعَةَ ليلاً، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم إنَّ قريشاً نَدِمَتْ على ما صَنَعَتْ، وعَلِمُوا أنَّ هذا نقضٌ للعَهدِ والمُدَّةِ التي بينهم وبينَ رسولِ الله ﷺ، وخرَجَ قومٌ مِنْ خُزاعَةَ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبروه بما أصابَهُم، فخرجَ إليهم وكانت غَزاةُ الفَتح. قال أبو عُبيدَةَ: الإِسْلالُ: السَّرقةُ، والإغلالُ: الخيانة. قال ابنُ الأعرَابي: وقوله: «وأنَّ بينَنَا عَيْبَةً مكفُوفَةً» مَثَلٌ، أراد: إنَّ صُلْحَنا مُحْكَمٌ مُسْتَوْثَقٌ منه، كأنه عَيبةٌ مُشرجَةٌ. وزعم بعضُ المُفسِّرين أنَّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ نُسِخَ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: كيف يكون لهم عَهْدٌ وإِنْ يظهَروا عليكم، فحذَفَ ذلك، لأنه قد سبَق، قال الشاعر:

وخَبَّرتُمَاني أنَّما الموتُ بالقُرَى … فكيفَ وهذي هضبةٌ وقليبُ[1]

أي فكيف ماتَ وليس بقريةٍ؟ ومثلُهُ قول الحُطيئَة:

فكيفَ ولم أعْلَمهُمُ خَذَلُوكُمُ … على مُعظَمٍ ولا أديمَكُمُ قَدُّوا[2]

أي: فكيف تَلُومونَني على مَدْحِ قومٍ؟ واستغنى عن ذِكرِ ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدلُّ على ما أُضمِرَ. وقوله تعالى: ﴿يَظْهَرُوا۟﴾ يعني: يقدروا ويَظْفَروا.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يحفظوا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا يخافوا، قاله السُّدِّيّ. **والثالث**: لا يُراعُوا، قاله قُطْرُبُ.

وفي الإِلِّ خمسةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنه القَرابَةُ، رواه جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، والسُّدِّيّ، ومُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ، وأنشدوا:

إنَّ الوُشَاةَ كثيرٌ إنْ أطعتهمُ … لا يَرقُبونَ بِنَا إلاًّ ولا ذِمَمَا

وقال الآخر:

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته الشهيرة في «الأصمعيات» ٩٩.

(٢) البيت للحطيئة، ديوانه: ١٤٠ وقوله خذلوكم على معظم أي: لم يخذلوكم في أمر حدث، وقوله: ولا أديمكم قدوا، أي: لم يقعوا في حبكم.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٢٠: الصواب قول من قال إلاًّ: الله عز وجل. هذا القول هو الأشهر والأظهر وعليه الأكثر اهـ.

لَعَمْرُكَ إنَّ إلَّكَ مِنْ قُرَيْش كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَام(١)

والثاني: أنه الجِوَارُ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، رواه ابنُ أبي نَجيج عن مُجاهِدِ، وبه قال عِكرمَةُ. **والرابع**: أنه العَهدُ، رواه خُصَيفٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ، وأبو عُبيدَةَ. **والخامس**: أنه الحِلْفُ، قاله قَتادَةُ. وقرأ عبدُ الله بن عَمرٍو وعِكرمَةُ وأبو رَجاء وطَلحَةُ بن مُصَرِّفٍ: «إيلاً» بياءٍ بعد الهمزة. وقرأ ابنُ السَّميْفع والجحدُريُّ: «ألاً» بفتح الهمزة وتشديد اللام.

وفي المراد بالذِّمَّةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها العَهدُ، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بن جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ في آخرين. **والثاني**: التَّذَمُّمُ ممَّن لا عَهْدَ له، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد:

لا يَرْقُبُونَ بِنَا إلاً ولاَ ذِمَمَا

والثالث: الأمانُ، قاله اليَزيدِيُّ، واستَشهَدَ بقوله ﷺ:

[٦٦٩] «ويَسعى بذِمَّتِهم أدناهُم».

قوله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُرضونَكُم بأفواهِهم في الوَفاءِ، وتأبى قلوبُهم إلاَّ الغدرَ. **والثاني**: يُرضونَكُم بأفواهِهم في العِدَةِ بالإيمان، وتأبى قلوبُهم إلاَّ الشِّركَ. **والثالث**: يُرضونَكُم بأفواهِهم في الطَّاعةِ، وتأبى قلوبُهم إلاَّ المَعصيةَ، ذكرَهُنَّ الماوَرديِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِقُونَ﴾ قال ابنُ عباس: خَارِجون عن الصِّدْق، ناكِثُون للعَهدِ.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الأعرابُ الذين جمَعَهُم أبو سُفيانَ على طعامِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهم قومٌ مِنَ اليهود، قاله أبو صالح. فعلى الأوَّل، آياتُ الله: حُجَجُهُ. وعلى الثاني: هي آياتُ التَّوراة. والثَّمنُ القليلُ: ما حصَّلوه بَدَلاً مِنَ الآياتِ. وفي وَصْفِهِ بالقليلِ وَجْهَان: **أحدهما**: لأنه حَرامٌ، والحَرامُ قليلٌ. **والثاني**: لأنه مِنْ عَرَضِ الدنيا الذي بَقاؤه قليلٌ. وفي قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عن بَيتِه، وذلك حينَ مَنَعُوا النبيَّ ﷺ بالحُديبيَةِ دخولَ مكَّةَ. **والثاني**: عن دِينه بمَنْعِ الناسِ منه. **والثالث**: عن طاعته في الوَفاءِ بالعَهدِ.

---

[٦٦٩] صحيح. أخرجه أبو داود ٤٥٣٠ والنسائي ٨/ ٢٣ وأحمد ١/ ١١٩ و ١٢٢ وأبو يعلى ٣٣٨ من حديث علي وهو حديث صحيح، وتقدم.

---

(١) البيت منسوب إلى حسان بن ثابت، ديوانه ٤٠٧، و «اللسان». ألل.
السقب: ولد الناقة ساعة يولد. الرأل: ولد النعام.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[٦٧٠] نزلت في أبي سُفيانَ بن حَربٍ، والحارثِ بن هشام، وسُهيلِ بن عَمرو، وعِكرمَةَ بن أبي جَهلٍ، وسائرِ رؤساء قُريشٍ الذين نَقَضُوا العهدَ حين أعَانُوا بني بكْرٍ على خُزاعَةَ حلفاءِ رسولِ الله ﷺ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ أنْ يَسيرَ إليهم فينصرَ خُزاعةَ، وهم الذين هَمُّوا بإخراج الرَّسولِ ﷺ. فأما النَّكْثُ، فمعناه: النَّقضُ. والأيمَانُ ها هنا: العُهودُ. والطَّعنُ في الدِّين: أنْ يُعَابَ، وهذا يُوجبُ قَتْلَ الذِّمّيِّ إذا طَعنَ في الإسلام، لأنَّ المأخُوذَ عليه أنْ لا يطعَنَ فيه(١).

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ قرأ عَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ «أئمة» بتحقيق الهمزتين. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو: بتحقيق الأولَى وتليينِ الثانيةِ. والمُراد بأئمةِ الكُفرِ: رؤوسُ المشركين وقادَتُهم. ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا عُهودَ لهم صَادقةً؛ هذا على قراءة مَنْ فَتَحَ الألفَ، وهم الأكثرون. وقرأ ابنُ عَامرٍ «لا إِيمان لهم» بالكسر؛ وفيها وَجْهَان ذكرهما الزَّجَّاجُ: **أحدهما**: أنه وَصْفٌ لهم بالكُفر ونَفي الإِيمان. **والثاني**: لا أمانَ لهم، تقول: آمَنتُهُ إِيمَاناً، والمعنى: فقد بَطَلَ أمانُكم لهم بنقضِهم.

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: عن الشِّركِ. **والثاني**: عن نَقْضِ العُهودِ.

---

[٦٧٠] عزاه المصنف لابن عباس، ولم أقف على إسناده وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٩٠ بدون إسناد عن ابن عباس. وأخرجه الطبري ١٦٥٤٠ من حديث قتادة مرسلاً بنحوه. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٢٠: والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم والله أعلم اهـ.

---

(١) قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٧٧ ـ ٧٩: استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين، إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يتعرض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه. فذهب مالك والشافعي وابن المنذر إلى قتل من سب النبي ﷺ. وحُكي عن النعمان أنه قال: لا يُقتل من سب النبي ﷺ. وأما الذمي إذا طعن في الدين انتقض عهده في المشهور من مذهب مالك لقوله تعالى: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ الآية فأمر بقتلهم وقتالهم، وهو مذهب الشافعي. وقال أبو حنيفة: إنه يستتاب، وإن مجرد الطعن لا ينقض به العهد إلا مع وجود النكث، لأن الله عز وجل إنما أمر بقتلهم بشرطين أحدهما نقضهم العهد. والثاني طعنهم في الدين. وأكثر العلماء على أن من سب النبي ﷺ من أهل الذمة، أو عَرَّض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فإنه يقتل. فإنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا. إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم. ولكن يؤدب ويعزر والحجة عليه قوله تعالى: ﴿وإن نكثوا﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾. المراد صناديد قريش ـ في قول بعض العلماء ـ كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، وهذا بعيد، فإن الآية في سورة (براءة) وحين نزلت وقرئت على الناس كان قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم. فيحتمل أن يكون المراد ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أي من أقدم على نكث العهد والطعن في الدين يكون أصلاً ورأساً في الكفر فهو من أئمة الكفر على هذا. ويحتمل أن يعني به المتقدمون والرؤساء منهم، وأن قتالهم قتال لأتباعهم وأنهم لا حُرمة لهم. ا.هـ.

وفي «لعل» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى التَّرجِّي، المعنى: لِيُرجَى منهم الانتهاءُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنّها بمعنى: «كي»، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا على وَجه التَّوبيخ، ومعناه الحَضُّ على قِتالِهم. قال المُفسِّرون: وهذا نزلَ في نَقْضِ قُريشٍ عهد رسولِ الله ﷺ الذي عَاهَدَهم بالحُديبيةِ حيث أعانوا على خُزاعة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم أبو سُفيانَ في جماعةٍ من قُريشٍ، كانوا فيمن هَمَّ بإخراج الرَّسولِ ﷺ من مَكَّةَ. **والثاني**: أنهم قومٌ مِنَ اليهود، غَدَرُوا برسول الله ﷺ، ونَقَضُوا عَهدَهُ وهَمُّوا بمُعاونة المنافقين على إخراجِه مِنَ المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بَدَؤُوكُم بإعانَتِهم على حُلفائِكُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أتخشونَ أنْ يَنالَكُم مِنْ قتالِهم مكروهٌ؟! فمَكروهُ عذابِ الله أحقُّ أنْ يُخشَى إنْ كنتم مُصدِّقين بعذابه وثوابه.

قوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ: يعني خُزاعَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كَربها ووَجْدَها بمَعُونةِ قُريشٍ بني بكرٍ عليها.

قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو مُستأنفٌ وليس بجواب «قاتِلوهم». وفيمَن عُنِي به قولان: **أحدهما**: بنو خُزاعَةَ، والمعنى: ويتوبُ الله على مَنْ يشاء مِنْ بني خُزاعَةَ، قاله عِكرِمَةُ. **والثاني**: أنه عامٌّ في المشركين كما تابَ على أبي سُفيانَ، وعِكرِمَةَ، وسُهيلٍ. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتِ المؤمنين، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضى.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾ في المُخاطبِ بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون، خُوطِبُوا بهذا حين شقَّ على بعضِهم القتالُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنهم قومٌ مِنَ المنافقين كانوا يسألون رسولَ الله ﷺ الخُروجَ معه إلى الجهاد تَعذيراً، قاله ابنُ عباسٍ. وإنما دخلت الميمُ في الاستفهام، لأنه استفهامٌ مُعترضٌ في وسطِ الكلام، فدخلت لتُفرِّقَ بينه وبين الاستفهام المُبتدأ. قال الفَرَّاءُ: ولو أُريدَ به الابتداءُ، لكَانَ إمَّا بالألف، أو بـ «هل»، ومعنى الكلام: أنْ يُترَكُوا بغير امتحانٍ يَبينُ به الصادقُ مِنَ

الكاذب. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: ولمَّا تُجاهدوا فيَعلَم الله وجُودَ ذلك منكم؛ وقد كان يعلمُ ذلك غَيْباً، فأراد إظهارَ ما عَلِمَ لِيُجازي على العمل. فأمَّا الوَليجةُ، فقال ابنُ قُتيبة: هي البِطَانَةُ مِنْ غير المسلمين، وهو أنْ يَتَّخِذَ الرجلُ من المسلمين دَخِيلاً مِنَ المشركين وخَليطاً ووَادّاً؛ وأصلُه مَنَ الوُلُوج. قال أبو عُبيدَةَ: وكلُّ شيءٍ أدخَلْتَهُ في شيءٍ ليس منه فهو وَليجَةٌ، والرجل يكونُ في القوم وليسَ منهم فهو وَليجَةٌ فيهم.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «مسجد الله» على التَّوحيدِ، «إنما يعمر مساجدَ الله» على الجمع. وقرأ عَاصمٌ، ونَافعٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ على الجمع فيهما.

[٦٧١] وسببُ نزولها أنَّ جماعةً مِنْ رؤساء قُريشٍ أُسِرُوا يومَ بدرٍ فيهم العبَّاسُ بنُ عبد المُطَّلِب، فأقبلَ عليهم نَفَرٌ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ فعَيَّرُوهم بالشِّرك، وجعلَ عليُّ بن أبي طالبٍ يُوبِّخُ العبَّاسَ بقِتَالِ رسولِ الله ﷺ وقَطيعَةِ الرَّحِم، فقال العبَّاسُ: ما لَكُم تَذكُرون مَساوئَنا وتكتُمون مَحاسِنَنا؟ فقالوا: وهل لكُم مِنْ مَحاسِنَ؟ قالوا: نعم، لنَحنُ أفضلُ منكم أجْراً؛ إنَّا لَنَعْمُرُ المسجدَ الحرامَ، ونَحْجِبُ الكعبةَ، ونَسقي الحَجيجَ، ونفُكُّ العَاني، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ في جماعةٍ.

وفي المُراد بالعِمَارة قولان: **أحدهما**: دُخوله والجُلوسُ فيه. **والثاني** البناءُ له وإصلاحُه؛ فكلاهما مَحظورٌ على الكافر. والمُراد مِنْ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: يجبُ على المسلمين مَنْعُهم مِنْ ذلك. قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ﴾ حالٌ. المعنى: ما كانت لهم عِمَارتُه في حالِ إقرارِهم بالكُفرِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لأنَّ كُفرهم أذهبَ ثوابَها.

فإنْ قيل: كيف يشهدون على أنفسِهم بالكُفرِ، وهم يعتقدونَ أنَّهم على الصَّواب؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه قولُ اليهوديّ: أنا يهوديٌّ، وقولُ النَّصراني: أنا نصرَانيٌّ، قاله السُّدِّيّ. **والثاني**: أنهم ثبَّتوا على أنفسِهم الكُفر بعُدُولِهم عن أمْرِ النبيِّ ﷺ، وهو حقٌّ لا يخفى على مُمَيِّزٍ، فكانوا بمنزلة مَنْ شهدَ على نفسه. **والثالث**: أنهم آمنوا بأنبياء شَهِدُوا لمحمَّدٍ ﷺ بالتَّصديق، وحَرَّضوا على اتِّباعه، فلمَّا آمنوا بهم وكذَّبوه، دَلُّوا على كُفرهم، وجَرى ذلك مَجْرَى الشهادة على أنفسهم بالكُفرِ، لأنَّ الشهادَة هي تَبْيينٌ وإظهارٌ، ذكرهما ابنُ الأنْبَاري.

فإنْ قِيل: ما وَجْهُ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ولم يذكر الرَّسولَ، والإيمانُ لا يَتِمُّ إلاَّ به؟ فالجواب: أنَّ فيه دليلاً على الرَّسول، لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾

---

[٦٧١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٩١ من غير عزو لأحد. وانظر ما يأتي.

أي: الصَّلاةَ التي جاء بها الرَّسولُ، قاله الزَّجَّاجُ. فإنْ قيل: ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ ترجٍّ، وفاعلُ هذه الخِصَالِ مُهتدٍ بلا شكٍ. فالجواب؛ أنَّ «عسى» مِنَ الله واجبةٌ، قاله ابنُ عباسٍ. فإن قيل: قد يَعْمُرُ مساجدَ الله مَنْ ليس فيه هذه الصِّفات. فالجواب: أنَّ المراد أنه مَنْ كان على هذه الصِّفاتِ المذكورةِ، كان مِنْ أهل عِمَارَتِها؛ وليس المراد أنَّ مَنْ عَمَرهَا كان بهذه الصِّفة.

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ في سبب نُزولها ستةُ أقوالٍ:

[٦٧٢] **أحدها**: رواه مُسلمٌ في «صحيحه» من حديث النُّعمانِ بن بَشيرٍ قال: كنتُ عند مِنبَرِ رسولِ الله ﷺ، فقال رجلٌ: ما أبالي أنْ لا أعملَ عَمَلاً بعدَ الإسلام إلا أن أسقيَ الحَاجَّ، وقال الآخر: ما أبالي أنْ لا أعملَ عَمَلاً بعد الإسلام إلا أنْ أَعْمُرَ المسجدَ الحرامَ، وقال آخر: الجهادُ في سبيل الله أفضلُ ممَّا قُلتُم، فزَجَرهُم عمرُ، وقال: لا ترفعوا أصواتَكُم عندَ مِنبَرِ رسولِ الله ﷺ وهو يومُ الجُمعةِ، ولكنِّي إذا صلَّيتُ الجُمعةَ دخلتُ فاستَفتَيتُ رسولَ الله ﷺ فيما اختلفتُم فيه، فنزلت هذه الآيةُ

[٦٧٣] **والثاني**: أنَّ العباسَ بنَ عبد المُطَّلبِ قال يومَ بدرٍ: لَئِنْ كنتم سَبقتُمونا بالإسلام والهِجرةِ والجهادِ، لقد كنَّا نَعمُرُ المسجدَ الحرامَ ونسقي الحَاجَّ ونَفُكُّ العَاني[1]، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابن عباسٍ.

[٦٧٤] **والثالث**: أنَّ المشركين قالوا: عِمَارةُ البيت الحَرام، والقيامُ على السِّقَايةِ، خَيرٌ ممَّن آمَنَ وجَاهدَ، وكانوا يفتخرون بالحَرَمِ مِنْ أجلِ أنهم أهلُه، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عَطيَّةُ العَوفيّ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٧٥] **والرابع**: أنَّ عليّاً والعباسَ وطَلحَةَ ـ يعني سَادِنَ الكَعبَة ـ افتَخروا، فقال طَلحَةُ: أنا صاحبُ

---

[٦٧٢] صحيح أخرجه مسلم ١٨٧٩ وابن حبان ٤٥٩١ والطبري ١٦٥٥٧ عن النعمان بن بشير به.
[٦٧٣] ضعيف. أخرجه الطبري ١٦٥٧٢ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وفيه إرسال بينهما.
وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٩٣ من رواية الوالبي عن ابن عباس.
[٦٧٤] ضعيف جداً، لكن يشهد لأصله، ما بعده. أخرجه الطبري ١٦٥٧٣ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي ـ وهو ضعيف ـ عن ابن عباس.
[٦٧٥] ورد من وجوه مرسلة متعددة. أخرجه الطبري ١٦٥٧٧ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً. وأخرجه ١٦٥٧٨ عن الحسن. وبرقم ١٦٥٧٦ عن الشعبي، وبرقم ١٦٥٧٩ عن السدي. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» =

---

(١) العاني: الأسير.

البيت، بيدي مِفتاحُه، ولو أشاء بِتُّ فيه. وقال العباسُ: أنا صاحبُ السِّقايةِ، والقائمُ عليها، ولو أشاءُ بِتُّ في المسجدِ. وقال عليٌّ: ما أدري ما تقولون، لقد صَلَّيتُ ستةَ أشهُرٍ قبلَ الناس، وأنا صاحبُ الجهاد، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الحَسنُ، والشَّعبيُّ، والقُرَظي.

[٦٧٦] **والخامس**: أنهم لما أُمِروا بالهجرة قال العباسُ: أنا أسقي الحَاجَّ، وقال طَلْحةُ: أنا صاحبُ الكَعبةِ فلا نُهاجر، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، قاله مُجاهِدٌ.

[٦٧٧] **والسادس**: أنَّ علياً قال للعباسِ: ألا تلحقُ بالنبيِّ ﷺ؟ فقال: ألستُ في أفضلَ مِنَ الهجرة، ألستُ أسقي حاجَّ بيتِ الله وأعمُرُ المسجدَ الحرامَ؟ فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، قاله مُرَّةُ الهَمْداني، وابنُ سِيرينَ.

قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الآية: أَجعلتُم أهلَ سِقايةِ الحَاجِّ وأهلَ عِمَارةِ المسجدِ الحرام كَمَنْ آمَنَ بالله؟ فحذفَ المُضافَ، وأقامَ المضافَ إليه مَقامَهُ. قال الحَسَنُ: كان يُنْبَذُ زَبيبٌ، فيسقُون الحَاجَّ في المَوسم. وقال ابنُ عباسٍ: عِمَارةُ المسجد: تَجمِيرُه، وتَخليقُه، فأخبرَ اللَّهُ أنَّ أفعالهم تلك لا تَنفعُهم مع الشِّرك، وسمَّاهُم ظالمين لشِرْكِهم.

قوله تعالى: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على التَّمييز. والمعنى: أعظَمُ مِنْ غيرهم درجةً. والفَائزُ: الذي يَظفَرُ بأُمنيَتِهِ مِنَ الخير. فأمَّا النَّعيمُ، فهو لِيْنُ العيش. والمُقيم: الدَّائمُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ في سبب نزولها خمسةُ أقوالٍ:

[٦٧٨] **أحدها**: أنه لمَّا أُمِرَ المسلمون بالهجرة، جَعلَ الرجلُ يقول لأهله: إنَّا قد أُمِرنا بالهجرة، فمنهم مَنْ يُسرعُ إلى ذلك، ومنهم مَنْ يَتعلَّقُ به عِيالُه وزَوجتُه فيقولون: نَنشُدكَ الله أنْ تَدَعَنا إلى غير شيءٍ، فَيرِقُّ قلبُه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٧٩] **والثاني**: أنه لمَّا أَمَرَ اللَّهُ المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نَبيَّ الله، إنْ نحنُ اعتزَلْنا مَنْ خَالَفَنا في الدِّين، قَطَعنَا آباءَنا وعَشَائِرَنا، وذهبت تِجارَتُنا، وخَربتْ دِيارُنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

= ٤٩٤ عن الحسن والشعبي والقرظي، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها وانظر ما يأتي. وانظر تفسير «ابن كثير» ٢/ ٤٢٤.

[٦٧٦] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٥٨٢ عن مجاهد فهو ضعيف ويشهد لأصله ما قبله.

[٦٧٧] أخرجه الفريابي كما في «الدر» ٣/ ٣٩٥ عن ابن سيرين. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٩٥ عن ابن سيرين ومُرَّة بدون إسناد وانظر ما قبله.

[٦٧٨] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة لأن راويه عن أبي صالح هو الكلبي، وقد كذبه غير واحد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٩٦ عن الكلبي مرسلاً بدون إسناد.

[٦٧٩] عزاه المصنف لابن عباس من رواية الضحاك، وهو لم يسمع من ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فالخبر لا شيء.

[٦٨٠] **والثالث**: أنه لمَّا قال العباسُ: أنا أسقي الحَاجَّ، وقال طَلحَةُ: أنا أحجُبُ الكَعبة فلا نُهاجرُ، نزلت هذه الآيةُ والتي قَبلَها، هذا قولُ قَتادَةَ، وقد ذكرناه عن مُجاهِدٍ.

[٦٨١] **والرابع**: أنَّ نَفراً ارتدُّوا عن الإِسلام ولَحِقُوا بمكَّةَ، فنهى اللَّهُ عن وِلاَيَتهِم، وأنزل هذه الآيَةَ، قاله مُقاتِلٌ.

[٦٨٢] **والخامس**: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا أمرَ الناسَ بالجِهَاز لِنُصرةِ خُزاعَةَ على قُريشٍ، قال أبو بكرٍ الصِّدّيق: يا رسولَ اللَّهِ، نُعاونُهم على قومنا؟ فنزلت هذه الآيةُ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الآية، في سبب نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٦٨٣] **أحدها**: أنها نزلت في الذين تَخلَّفوا مع عِيَالِهم بمكَّةَ ولم يُهاجروا، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٦٨٤] **والثاني**: أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ قَدِمَ مكَّةَ، فقال لقومٍ: ألاَ تُهاجرون؟ فقالوا: نُقيم مع إِخوَانِنا وعَشائِرنا ومَسَاكِنِنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ سِيرينَ.

[٦٨٥] **والثالث**: أنه لمَّا نزلت الآيةُ التي قبلَها، قالوا: يا رسولَ الله، إِنْ نحن اعتزَلنا مَنْ خَالَفَنا في الدِّين، قَطعنَا آباءَنا وعَشيرَتَنا، وذهبت تِجارَتُنا، وخَرِبَتْ دِيَارُنا، فنزلت هذه الآيةُ، ذكره بعضُ المُفسِّرين في هذه الآية، وذكره بعضُهم في الآية الأُولى كما حكيناهُ عن ابنِ عباسٍ.

فأمَّا العَشيرَةُ، فَهُم الأقاربُ الأدْنُون. وروى أبو بكرٍ عن عَاصم «وعشيراتُكم» على الجَمعِ. قال أبو عليٍّ: وجهه أنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ المُخَاطَبين له عَشيرةٌ، فإذا جَمعتَ قلتَ: عشيراتكم؛ وحُجَّة مَنْ أفرَدَ: أنَّ العشيرة واقعةٌ على الجَمعِ، فاستغنى بذلك عن جَمعِها. وقال الأَخفَشُ: لا تكاد العربُ تجمعُ عشيرة: عَشيرات، إِنما يَجمَعُونها على عَشَائِر. والاقترَافُ بمعنى الاكتِسَابِ. والتَّربُّص: الانتِظَار.

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه فَتحُ مكَّةَ، قاله مُجاهِدٌ والأكثرون، ومعنى الآية: إِنْ كان المُقامُ في أهالِيكُم، وكانت الأموالُ التي اكتسبتُمُوها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ لِفراقِكُم بلدِكُم ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ مِنَ الهجرة، فأقيموا غيرَ مُثابينَ، حتى

---

[٦٨٠] أثر قتادة لم أره، وأثر مجاهد أخرجه الطبري ١٦٥٨٢.

[٦٨١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب.

[٦٨٢] لم أقف عليه.

[٦٨٣] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٩٦ عن الكلبي بدون إسناد. وهو يضع الحديث.

[٦٨٤] مرسل تقدم قبل أحاديث.

[٦٨٥] عزاه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٢٥٧ للثعلبي عن مقاتل، وهذا معضل، ومقاتل متهم بالكذب.

تُفتحَ مكّةُ، فيسقطَ فَرْضُ الهجرة. **والثاني**: أنه العقابُ، قاله الحَسنُ.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي: في أماكِنَ. قال الفرّاءُ: وكلُّ جمع كانت فيه ألفٌ قبلَها حرفان وبعدَها حرفان لم يُجْرَ، مثل، صَوامع، ومَساجِد: وجُرِيَ «حُنين» لأنه اسمٌ لمُذكَّرٍ، وهو وادٍ بين مكّة والطَّائفِ، وإذا سَمَّيتَ ماءً أو وادياً أو جبلاً باسم مُذكَّرٍ لا عِلَّةَ فيه، أجرَيْتَهُ، مِنْ ذلك: حُنين، وبَدر، وحِرَاء، وثَبير، ودَابِق. ومعنى الآية: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أعلَمَهُم أنهم إنما يغلبون بنَصرِ الله لا بكَثرتِهم. وفي عَدَدِهم يومَ حُنينٍ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا ستّةَ عشرَ ألفاً، رواه عَطَاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: عشرة آلافٍ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: كانوا اثني عشرَ ألفاً، قاله قَتادَةُ، وابنُ زيدٍ، وابنُ إسحَاقَ، والوَاقِدي. **والرابع**: أحدَ عشرَ ألفاً وخمسمائةٍ، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ عباسٍ:

[٦٨٦] فقال ذلك اليوم سَلَمةُ بن سلامة بن وقش، وقد عَجِبَ لكَثرةِ الناس: لن نُغلَبَ اليومَ مِنْ قِلّةٍ، فساءَ رسولَ الله ﷺ كلامُه، ووُكِلوا إلى كلمة الرَّجل، فذلك قولُه تعالى ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّب: القائلُ لذلك أبو بكرٍ الصِّديق. وحكى ابنُ جَريرٍ أنَّ القائل لذلك رسولُ الله ﷺ[1]. وقيل: بل العباسُ. وقيل: رجلٌ مِنْ بني بكرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: بِرَحْبِها. قال الفَرّاءُ: والباء ها هنا بمنزلة «في» كما تقول: ضَاقَت عليكُم الأرضُ في رَحْبِها وبِرَحْبِها.

الإشارة إلى القصّة

قال أهلُ العلم بالسِّيرة: لمَّا فَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكّةَ، تآمَرَ عليه أشرَافُ هوازنَ وثَقيفٍ، فجاؤوا حتى نَزَلُوا أوطَاسَ[2]، وأجمَعُوا المَسيرَ إليه، فخرج إليهم رسولُ الله ﷺ، فلمَّا التقَوا أعجَبَتْهُم كَثرَتُهم فهُزِمُوا.

[٦٨٧] وقال البَراءُ بن عَازبٍ: لمَّا حَمَلنا عليهم انكشَفُوا، فأكبَبْنا على الغَنائِم، فأقبَلُوا بالسِّهامِ، فانكشَفَ المسلمون عن رسولِ الله ﷺ.

---

[٦٨٦] عزاه البغوي في «التفسير» ٢/ ٣٢٨ للكلبي، وهو متهم بالكذب. وورد من مرسل قتادة دون ذكر القائل، أخرجه الطبري ١٦٥٨٨. وورد من مرسل السدي ١٦٥٩٠ وفيهما «أن رجلاً....».

[٦٨٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٤٢ ومسلم ١٧٧٦ والترمذي ١٦٨٨ والطيالسي ٢/ ١٠٨ وأحمد ٤/ ٢٨١ وأبي يعلى ١٧٢٧ والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٥٥ والطبري ١٦٥٩٤ من حديث البراء.

---

(١) كذا ذكره المصنف رحمه الله، ومثله الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٥٩. فقال الحافظ في تخريجه: لم أجده بهذا السياق ولم أجده من كلام أبي بكر.

(٢) أوطاس: واد في هوازن كانت وقعة حنين للنبي ﷺ.

وبعضُهم يقول: ثَبَتَ مع النبيِّ ﷺ يومئذٍ جماعةٌ مِنْ أصحابه منهم أبو بكرٍ، وعُمَرُ، وعَليٌّ، والعباسُ، وأبو سُفيانَ بن الحَارثِ. وبعضهم يقول: لم يبقَ معه سِوى العباسِ وأبي سُفيانَ.

[٦٨٨] فجعلَ النبيُّ يقول للعباس: «نادِ: يا مَعشَر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سُورة البَقرة» فنادى، وكان صَيِّتاً، فأقبَلُوا كأنَّهم الإبلُ إذا حَنَّتْ إلى أولادِها، يقولون: يا لَبَّيكَ، فنظرَ النبيُّ ﷺ إلى قتالهم، فقال: «الآن حَمِيَ الوَطيسُ، أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ» ثم قال للعباسِ: «نَاوِلني حَصَياتٍ» فناوَلَهُ، فقال: «شَاهَتِ الوجُوهُ» ورَمى بها، وقال: «انهَزِمُوا ورَبِّ الكَعبةِ»، فقذفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ فانهَزَمُوا.

[٦٨٩] وقيل: أخذَ رسولُ الله ﷺ كَفاً مِن تُرابٍ، فرَمَاهُم به فانهَزَمُوا. وكانوا يقولون: ما بقيَ منَّا أحدٌ إلاَّ امتلأت عيناه بالتُّراب.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أي: بعد الهَزيمةِ. قال أبو عُبيدَةَ: هي فَعِيلةٌ مِنَ السُّكون، وأنشد:

لِلَّـهِ قَـبْـرٌ غَـالَـهَـا مـاذا يُـجِـنُّ ... لَـقَـدْ أَجَـنَّ سَـكِـيـنَـةً وَوَقَـارَا[1]

وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الملائكة. وفي عَدَدِهم يومئذٍ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ستة عشرَ ألفاً، قاله الحَسنُ. **والثاني**: خَمسةُ آلافٍ، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ. **والثالث**: ثمانيةٌ، قاله مُجاهِدٌ، يعني: ثمانيةَ آلافٍ. وهل قَاتلَتْ الملائكةُ يَومئذٍ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: بالقَتْل، قاله ابنُ عباسٍ والسُّدِّيّ. **والثاني**: بالقَتْلِ والهَزيمةِ، قاله ابن أبزى ومُقاتِلٌ. **والثالث**: بالخَوفِ والحَذَرِ، ذكره المَاوَردِي. **والرابع**: بالقَتْل والأَسْرِ وسَبْيِ الأولادِ وأخذِ الأموال، ذكره بعضُ نَاقلي التَّفسير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُوفِّقه للتَّوبة مِنَ الشِّركِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

---

[٦٨٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٧٥ والنسائي في «الكبرى» ٨٦٥٣ وعبد الرزاق في «المصنف» ٩٧٤١ وأحمد ١/ ٢٠٧ وابن حبان ٧٠٤٩ والطبري ١٦٥٩١ وابن سعد في الطبقات ٤/ ١٨ و ١٩ والبغوي في «شرح السنة» ٣٧١٠ من حديث العباس

[٦٨٩] صحيح. أخرجه الطبري ١٦٥٩٣ عن أبي عبد الرحمن الفهري به وأتم.. وأخرجه مسلم ١٧٧٧ وابن حبان ٦٥٢٠ من حديث سلمة بن الأكوع. وله شواهد.

---

(١) البيت لأبي عريف الكلبي «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٥ و «اللسان» سكن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قال أبو عُبيدَة: معناه: قَذرٌ. قال الزَّجَّاج: يُقال لكلِّ شيءٍ مُستقذَرٍ: نَجَسٌ. وقال الفَرَّاءُ: لا تكاد العربُ تقول: نَجسٌ، إلاَّ وقبلَها رِجْسٌ، فإذا أفردُوها قالوا: نَجَس. وفي المراد بكونهم نَجَساً ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم أنجاسُ الأبدانِ، كالكَلْبِ والخِنزيرِ، حكاه المَاوَرْدِي عن الحَسن، وعمرُ بن عبد العزيز. وروى ابنُ جَريرٍ عن الحسَنِ قال: مَنْ صافَحَهُم فليَتوضَّأ. **والثاني**: أنَّهم كالأنجاسِ لِتَرْكِهم ما يَجبُ عليهم مِنْ غُسلِ الجَنابَةِ، وإن لم تكن أبدانُهم أنجاساً، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنه لمَّا كان علينا اجتِنابُهم كما تُجتَنبُ الأنجَاسُ، صاروا بحُكمِ الاجتِنابِ كالأنجاسِ، وهذا قولُ الأكثرين، وهو الصَّحيح.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ قال أهلُ التَّفسير: يُريد جميعَ الحَرَم. ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ وهو سنةُ تسعٍ من الهجرة، وهي السَّنةُ التي حَجَّ فيها أبو بكرٍ الصِّديق وقُرِئَت (براءة). وقد أخَذَ أحمدُ رضي الله عنه بظاهر الآية، وأنه يَحرُم عليهم دخولُ الحَرَم، وهو قولُ مالكٍ، والشافعيِّ. واختلفت الرواية عنه في دُخولِهم غير المسجدِ الحَرام مِنَ المساجد، فَرُوي عنه المَنْعُ أيضاً إلاَّ لِحَاجةٍ، كالحَرَم، وهو قولُ مالكٍ. ورُوي عنه جوازُ ذلك، وهو قول الشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفة: يجوز لهم دخولُ المسجدِ الحَرَام، وسائرِ المَساجدِ[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وقرأ سَعدُ بن أبي وَقَّاصٍ، وابنُ مسعودٍ، والشَّعبيُّ، وابنُ السَّميفع: «عايلة».

[٦٩٠] قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: لمّا نزلت ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

---

[٦٩٠] أخرجه الطبري ١٦٦١٥ عن سعيد بن جبير مرسلاً. وأخرجه من مرسل عكرمة، برقم ١٦٦١٣ و ١٦٦١٤. =

---

(١) قال الإمام المرغيناني الحنفي في «الهداية» ١/ ٢١٠: النجاسة ضربان: مرئية، وغير مرئية. فما كان منها مرئياً فطهارته زوال عينها لأن النجاسة حلت المحل باعتبار العين فتزول بزوالها، إلا أن يبقى من أثرها ما تشق إزالته لأن الحرج مدفوع. وما ليس بمرئي: فطهارته أن يغسل حتى يغلب على ظن الغاسل أنه قد طهر اهـ. وانظر «مراقي الفلاح» ١/ ١٩١ ـ ١٩٦ للعلامة الشرنبلالي الحنفي.
ـ قلت: والحنفية: يقولون بأن الكافر نجس حكماً لا حقيقة.

(٢) قال الإمام القرطبي رحمه الله في «التفسير» ٨/ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ عند الحديث ٣٣٢٢ بترقيمي ما ملخصه: اختلف العلماء في دخول الكفار المساجد والمسجد الحرام على خمسة أقوال: فقال أهل المدينة: الآية عامة في سائر المشركين، وسائر المساجد، وبذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله ونزع بهذه الآية. وفي صحيح مسلم وغيره «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول والقذر» والكافر لا يخلو عن ذلك وقال ﷺ: «لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب» والكافر جنب. وقوله تعالى **﴿إنما المشركون نجس﴾** فسماه الله تعالى نجساً، فلا يخلو أن يكون نجس العين أو مبعداً من طريق الحكم. وأي ذلك كان فمنعه من المسجد واجب، لأن العلة وهي النجاسة موجودة فيهم، والحرمة موجودة في المسجد. وقال الشافعي رحمه الله: الآية عامة في سائر المشركين، خاصة في المسجد الحرام، ولا يمنعون من دخول غيره. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يمنع اليهود والنصارى من دخول المسجد الحرام ولا غيره. وهذا قول يرده ما ذكرنا من الآية وغيره. وقال الكيا الطبري: ويجوز للذمي دخول سائر المساجد عند أبي حنيفة من غير حاجة. وقال الشافعي تعتبر الحاجة، ومع الحاجة لا يجوز دخول المسجد الحرام. وقال عطاء: الحرم كله قبلة ومسجد، فينبغي أن يمنعوا الحرم. وقال قتادة: لا يقرب المسجد الحرام مشرك، إلا أن يكون صاحب جزية أو عبداً كافراً لمسلم. وبهذا قال جابر.

هَـٰذَا﴾ شَقَّ على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطَعامِنا؟ وكانوا يَقْدَمُون عليهم بالتِّجارة، فنزلت ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ قال الأخفش: العَيْلَةُ: الفقرُ. يقال: عَالَ يَعِيل عَيْلَةً: إذا افتقر. وأعَالَ إعَالَةً فهو يُعِيلُ: إذا صارَ صاحبَ عِيَالٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: العَيْلَةُ ها هنا مصدرُ عَالَ فُلانٌ: إذا افتقر، وأنشد:

وما يَدْري الفَقيرُ متى غِنَاهُ ... وما يَدري الغَنِيُّ متى يَعِيلُ[(١)]

وللمُفسِّرين في قوله: «وإنْ» قولان: **أحدهما**: أنها للشرط، وهو الأظهرُ. **والثاني**: أنها بمعنى «وإذْ»، قاله عَمرُو بن فَايدٍ. قالوا: وإنّما خافَ المسلمون الفقرَ، لأنَّ المشركين كانوا يَحمِلُون التِّجاراتِ إليهم، ويَجيئون بالطَّعام وغيره. وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أنزلَ عليهم المَطَر عند انقطاع المشركين عنهم، فكَثُرَ خيرُهم، قاله عِكرِمَةُ. **والثاني**: أنه أغناهُم بالجِزيَةِ المَأْخُوذة مِنْ أهلِ الكتاب، قاله قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنَّ أهلَ نَجدٍ، وجُرَشَ، وأهلَ صَنعَاءَ أسلَمُوا، فحَمَلُوا الطعامَ إلى مكَّةَ على الظَّهرِ، فأغنَاهم اللَّهُ به، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عليمٌ بما يُصلِحُكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حَكَمَ في المشركين.

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت في اليهودِ والنَّصارى. قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: لا يُؤمنون بالله إيمانَ المُوحِّدين، لأنَّهم أقَرُّوا بأنَّه خَالِقُهم وأنَّه له وَلَدٌ، وكذلك إيمانُهم بالبَعثِ لأنَّهم لا يُقرُّون بأنَّ أهلَ الجنَّة يأكلون ويَشربون. وقال المَاوردِي: إقرارهم باليوم الآخِرِ يُوجب الإقرارَ بحقُوقِه، وهُمْ لا يُقرُّون بها، فكَانوا كمَنْ لا يُقِرُّ به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: يعني الخمرَ والخنزيرَ. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ في الحقّ قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ الله، فالمعنى: دِينُ الله، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه صِفةٌ للدِّين، والمعنى: ولا يَدِينُون الدِّينَ الحقَّ؛ فأضافَ الاسمَ إلى الصِّفَةِ. وفي معنى «يَدِينُون» قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى الطَّاعة، والمعنى: لا يُطيعون اللَّه طاعةَ حقٍّ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: أنه مِنْ: دَانَ الرجلُ يَدِينُ كذا: إذا التَزَمَهُ. ثم في جُملة الكلام قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: لا يَدخُلونَ في دِينِ محمَّدٍ ﷺ، لأنه نَاسِخٌ لِمَا قَبلَه. **والثاني**: لا يعملون بما في التَّوراة مِن اتِّباعِ محمَّدٍ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ قال ابنُ الأنباري: الجزيَةُ: الخَرَاجُ المجعُولُ عليهم؛ سُمِّيت جِزيَةً، لأنها قَضَاءٌ لِمَا عليهم؛ أُخِذَ مِنْ قولهم: جَزَى يَجْزي: إذا قَضَى؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[(٢)].

= وأخرجه برقم ١٦٦٢ و ١٦٦٢١ عن الضحاك. أخرجه ١٦٦٢٢ عن مجاهد. وأخرجه ١٦٦١٧ عن عطية العوفي. والخلاصة: هذه الروايات وإن كانت مراسيل فإنها تتأيد بمجموعها، والله أعلم.

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح. «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٥، «اللسان» عيل.
(٢) سورة البقرة: ٤٨.

[٦٩١] وقوله ﷺ: «ولا تَجزي عن أَحَدٍ بعدَكَ».

وفي قوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ﴾ ستة أقوالٍ: **أحدها**: عن قَهرٍ، قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيّ. وقال الزَّجَّاجُ: عن قَهرٍ وذُلّ. **والثاني**: أنه النَّقدُ العَاجِلُ، قاله شَريكُ، وعُثمَانُ بن مِقْسَم. **والثالث**: أنه إعطاءُ المُبتَدِئ بالعَطَاءِ، لا إعطَاء المُكَافِيء، قاله ابنُ قُتَيبَةَ. **والرابع**: أنَّ المعنى: عن اعترافٍ للمسلمين بأنَّ أيديَهُم فوقَ أيديهِم. **والخامس**: عن إنعام عليهم بذلك لأنَّ قبولَ الجِزيَةِ منهم إنعَامٌ عليهم، حكاهما الزَّجَّاجُ. **والسادس**: يُؤَدُّونَها بأيديهِم، ولا يُنفذونَها مع رُسُلِهِم، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ الصَّاغِرُ: الذَّليلُ الحَقيرُ. وفي ما يُكَلِّفُونَهُ مِنَ الفعل الذي يُوجب صَغَارَهُم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يَمشُوا بها مُلَبَّبِينَ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنْ لا يُحمَدُوا على إعطَائِهم، قاله سَلمَانُ الفارسِيّ. **والثالث**: أنْ يكونوا قِيَاماً والآخِذُ جَالِساً، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنَّ دَفْعَ الجِزيَةِ هو الصَّغَارُ. **والخامس**: أنَّ إجراءَ أحكامِ الإسلام عليهم هو الصَّغَارُ.

فصل: واختُلِفَ في الذين تُؤخذُ منهم الجِزيَةُ مِنَ الكفَّار، فالمشهور عن أحمدَ: أنها لا تُقبلُ إلاَّ مِنَ اليهود والنَّصارى والمَجُوسِ، وبه قال الشَّافعيُّ. ونقلَ الحسَنُ بن ثوابٍ عن أحمدَ: أنه مَنْ سُبِيَ مِنْ أهلِ الأديَانِ مِنَ العرب والعَجَم، فالعَربُ إنْ أسلموا، وإلاَّ السيفُ، وأولئكَ إنْ أسلَمُوا، وإلاَّ الجِزيَةُ؛ فظاهرُ هذا أنَّ الجِزيَةَ تُؤخذُ مِنَ الكُلِّ، إلاَّ مِنْ عابدي الأوثان مِنَ العرب فقط، وهو قولُ أبي حَنيفَةَ، ومَالكٍ[1].

فصل: فأمَّا صِفَةُ الذين تُؤخذُ منهم الجِزيَةُ، فهم أهلُ القتال. فأمَّا الزَّمِنُ، والأَعمَى، والمَفلُوجُ، والشيخُ الفَاني، والنساءُ، والصِّبيانُ، والرَّاهبُ الذي لا يُخالِطُ النَاسَ، فلا تُؤخذُ منهم.

فصل: فأمَّا مِقدارُها، فقال أصحابنا: على المُوسِرِ: ثمانيةٌ وأربعون درهماً، وعلى المتَوَسِّط: أربعةٌ وعشرون، وعلى الفقير المُعتَمِل: اثنا عشر، وهو قولُ أبي حنيفة. وقال مالكٌ: على أهلِ الذَّهبِ أربعةُ دنانيرَ، وعلى أهلِ الوَرِق أربعون درهماً، وسواءٌ في ذلك الغنيُّ والفقيرُ. وقال الشَّافعيُّ: على الغنيِّ والفقير دينارٌ. وهل تجوز الزيادةُ والنُّقصانُ ممَّا يُؤخذ منهم؟ نقل الأَثْرَمُ عن أحمدَ: أنها تُزاد وتُنقَص على قَدْرِ طاقَتِهم، فظاهرُ هذا: أنها على اجتهادِ الإمام ورَأيِهِ. ونقلَ يَعقوبُ بن بختان: أنه

---

[٦٩١] صحيح. أخرجه البخاري ٩٧٦ ومسلم ١٩٦١ والطبراني في «الأوسط» ٣٠٣٦. كلهم من حديث البراء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء». فقام أبو بردة بن نيار وقد ذبح فقال: إن عندي جذعة فقال: «اذبحها ولن تجزي عن أحد بعدك». لفظ البخاري.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٤٣٠: استدل بهذه الآية الكريمة من يرى أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، أو من أشبههم كالمجوس، لما صح فيهم الحديث أن رسول الله ﷺ، أخذها من مجوس هجر، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد ـ في المشهور عنه ـ. وقال أبو حنيفة رحمه الله: بل يؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين، ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب وقال الإمام مالك: بل يجوز أن تضرب الجزية على جميع الكفار من كتابي، ومجوسي ووثني وغير ذلك.

لا يجوز للإمام أن يُنقِصَ مِنْ ذلك، وله أنْ يزيدَ.

فصل: ووَقتُ وُجوب الجزيَةِ: آخرُ الحَولِ، وبه قال الشَّافعيُّ. وقال أبو حَنيفَةَ: تجبُ في أول الحَولِ. فأما إذا دخلت سَنَةٌ في سنةٍ، فهل تسقطُ جِزيَةُ السَّنةِ الماضية؟ عندنا لا تَسقُطُ، وقال أبو حَنيفة: تسقطُ. فأما إذا أسلَمَ، فإنها تسقطُ بالإسلام. فأمَّا إنْ ماتَ؛ فكان ابنُ حامدٍ يقول: لا تسقطُ. وقال القاضي أبو يَعلَى: يحتمل أنْ تَسقطَ.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ: «عُزيرُ ابن الله» بغير تنوينٍ. وقرأ عَاصمٌ، والكِسَائيُّ، ويَعقوبُ، وعبدُ الوارِث عن أبي عَمرٍو: مُنَوَّناً. قال مَكّيُ بن أبي طَالبٍ: مَنْ نَوَّن عُزيراً رَفعهُ على الابتداء، و «ابن» خَبَرُه. ولا يَحسُنُ حذفُ التَّنوين على هذا مِنْ «عزير» لالتقاءِ السَّاكنين. ولا تُحذف ألفُ «ابن» مِنَ الخَطِّ، ويُكسر التنوين لالتقاءِ السَّاكنين. ومَنْ لم يُنَوِّن «عزيراً» جعله أيضاً مُبتدأً، و «ابن» صفةٌ له؛ فيُحذف التَّنوينُ على هذا استِخفَافاً لالتقاءِ السَّاكنين، ولأنَّ الصِّفة مع المَوصوف الشيءِ الواحِد، وتُحذفُ ألفُ «ابن» مِنَ الخَطِّ، والخَبرُ مُضمَرٌ تقديره: عُزيرُ بنُ الله نبيُّنا وصاحبُنا.

[٦٩٢] وسببُ نزولها أن سلاّم بن مِشْكَم، ونُعمَانَ بن أَوفَى، وشَاسَ بن قَيسٍ، ومالكَ بن الصَّيفِ، أَتَوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا: كيف نتَّبعُكَ وقد تركتَ قِبلَتَنا، وأنتَ لا تزعَم أنَّ عُزيرَ ابن الله؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال ابنُ عمرَ، وابنُ جُريجٍ: إنَّ القائل لذلك فِنْحَاصُ.

فأما عُزيرٌ، فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسمٌ أعجميٌّ مُعربٌ، وإنْ وافَق لفظَ العربية، فهو عِبرانيٌّ؛ كذا قرأتُه عليه. وقال مكّيُ بنُ أبي طالبٍ: العُزيرُ عند كلِّ النَّحويين: عربيٌّ مُشتقٌ من قوله: يُعَزِّروه. وقال ابنُ عباسٍ: إنَّما قالوا ذلك، لأنهم لمَّا عَمِلوا بغير الحقِّ، أنساهُم اللّهُ التَّوراةَ، ونَسَخَها مِنْ صُدورِهم، فدَعَا عُزيرٌ الله تعالى؛ فعَادَ إليه الذي نُسِخَ مِنْ صُدورهم، ونزل نورٌ مِنَ السماء فدخلَ جَوفَهُ، فأَذَّن في قومه فقال: قد آتاني اللّهُ التَّوراةَ؛ فقالوا: ما أُوتيها إلاّ لأنه ابنُ اللّهِ. وفي روايةٍ أخرى عن ابن عباسٍ: أنَّ بُختنَصَّر لمَّا ظهرَ على بني إسرائيلَ، وهَدَمَ بيتَ المقدسِ، وقتلَ مَنْ قرأ التَّوراةَ، كان عُزيرٌ غُلاماً، فتَرَكَهُ. فلما تُوفِّي عُزيرٌ ببابلَ، ومَكَثَ مائةَ عامٍ، ثم بَعَثَهُ اللّهُ تعالى إلى بَني إسرائيلَ، فقال: أنا عُزيرٌ؛ فكذَّبوه وقالوا: قد حدَّثنا آباؤنا أنَّ عُزيراً مَاتَ ببابلَ، فإنْ كنتَ عُزيراً فأَمْلِلْ علينا التَّوراةَ؛ فكتَبَهَا لهم؛ فقالوا: هذا ابنُ الله. وفي الذين قالوا هذا عن عُزيرٍ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم

---

[٦٩٢] ضعيف. أخرجه الطبري ١٦٦٣٥ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف فيه محمد بن أبي محمد، وهو مجهول. وانظر «تفسير البغوي» ١٠٥٧ بتخريجنا.

جميعُ بَني إسرائيلَ، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: طائفةٌ مِنْ سَلَفِهم، قاله المَاوَرْدِي. **والثالث**: جماعةٌ كانوا على عَهْدِ رسولِ الله ﷺ، وفيهم قولان: **أحدهما**: فِنْحَاصُ وحدَهُ، وقد ذكرناه عن ابنِ عمرَ، وابنِ جُرَيجٍ. **والثاني**: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابنِ عباسٍ.

فإنْ قيل: إنْ كان قولَ بعضِهم، فلِمَ أُضيفَ إلى جميعِهم؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ إيقاعَ اسم الجماعةِ على الواحدِ معروفٌ في اللغة، تقول العربُ: جئتُ مِنَ البَصرةِ على البِغَالِ، وإنْ كان لم يركبْ إلاَّ بغلاً واحداً. **والثاني**: أنَّ مَنْ لم يَقُلْهُ، لم يُنكِره.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان:

أحدهما: لِكَونِه وُلِدَ مِنْ غير ذكَرٍ.

والثاني: لأنه أَحيَى الموتى، وأبرأ الكُمْهَ والبُرصَ؛ وقد شرحنا هذا المعنى في (المائدة).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ إنْ قال قائلٌ: هذا معلومٌ، فمَا فائدتُه؟ فالجوابُ: أنَّ معنى إنه قولٌ بالفَمِ، لا بيانَ فيه ولا بُرهانَ ولا تَحتَهُ معنىً صحيحٌ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾ قرأ الجمهور: مِنْ غير همزٍ. وقرأ عَاصِمٌ: «يضاهئون». قال ثَعلبُ: لم يُتابع عاصِمَاً أحدٌ على الهَمزِ. قال الفَرَّاءُ: وهي لغةٌ. قال الزَّجَّاجُ: يضاهون: يشابهون قولَ مَنْ تقدَّمَهم مِنْ كَفرتِهم، فإنَّما قالوه اتِّباعاً لمُتقدِّميهم. وأصلُ المُضَاهَاةِ في اللغة: المُشَابهَةُ؛ والأكثرُ تَرْكُ الهمزِ؛ واشتقاقُه مِنْ قولهم: امرأةٌ ضَهْيَاءُ، وهي التي لا يَنبتُ لها ثَديٌ. وقيل: هي التي لا تَحيضُ، والمعنى: أنها قد أشبَهَتِ الرِّجالَ. قال ابنُ الأنبارِي: يقال: ضَاهَيتُ، وضَاهأتُ: إذا شَبَّهتَ. وفي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم عبَدَةُ الأوثان، والمعنى: أنَّ أولئكَ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم اليهودُ، فالمعنى: أنَّ النَّصارى في قولهم: المسيحُ ابنُ الله، شَابَهُوا اليهودَ في قَولِهم: عُزَيرٌ ابنُ الله، قاله قَتَادَةُ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: أنهم أَسلافُهم، تَابَعُوهم في أقوالِهم تقليداً، قاله الزَّجَّاجُ، وابنُ قُتَيبةَ. وفي قوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: لَعَنَهُم اللَّهُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: قَتَلَهُم اللَّهُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: عَادَاهُم اللَّهُ، ذكره ابنُ الأنبَارِي.

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مِنْ أينَ يُصرَفُون عن الحقّ.

قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ قد سبقَ في (المائدة) معنى الأَحبَارِ والرُّهبَانِ.

[٦٩٣] وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه سُئِلَ عن هذه الآية، فقال: «أمَا إنَّهم لم يَكُونوا يَعبُدُونَهم،

---

[٦٩٣] يشبه الحسن، أخرجه الترمذي ٣٠٩٥ والطبري ١٦٦٤٦ و ١٦٦٤٧ و ١٦٦٤٨ والطبراني ١٧/٩٢/٢١٨ والبيهقي ١٠/١١٦ والسهمي في «تاريخ جرجان» ١١٦٢ من طرق متعددة عن عبد السلام بن حرب عن غطيف بن أعين الجزري عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم به، وإسناده ضعيف، مداره على غطيف بن أعين الجزري، وهو ضعيف كما في «التقريب». وقال الذهبي في «الميزان»: ضعفه الدارقطني.

ـ وضعفه الترمذي بقوله: غريب، وغطيف ليس بمعروف في الحديث. وذكر الحافظ في «التهذيب» ٢٢٥١٨ كلام الترمذي، وقال: ذكره ابن حبان في الثقات. وقال الدارقطني: ضعيف.

ـ قلت: حسنه الألباني في «صحيح الترمذي» ٢٤٧١، ولم يعز الكلام عليه إلى موضع آخر، ولم يذكر مستنده =

ولكنَّهم كانُوا إذا أَحلُوا لهُم شيئاً استَحلُّوهُ، وإذا حَرَّمُوا عليهم شيئاً حَرَّمُوه»[١]. فَعَلى هذا المعنى: إنَّهم جَعَلُوهم كالأربَابِ وإنْ لم يقولوا: إنَّهم أربَابٌ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: اتخذُوه رَبّاً.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُخمِدُوا دِينَ الله بتَكذِيبِهم، يعني: أنَّهم يُكذِّبون به ويُعرِضُون عنه يُريدون إبطَالَهُ بذلك. وقال الحسَنُ وقَتادَةُ: نُورُ الله: القرآن والإسلام. فأمَّا تخصيصُ ذلك بالأفواهِ، فلِمَا ذكرنا في الآية قَبْلَها. وقيل: إنَّ الله تعالى لم يَذْكُرْ قولاً مقروناً بالأفواهِ والألسُنِ إلاَّ وهو زُورٌ. قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ قال الفَرَّاءُ: إنَّما دخلت «إلا» ها هنا، لأنَّ في الإِبَاءِ طَرَفاً مِنَ الجَحدِ، ألاَ ترى أنَّ «أَبَيْتَ» كقولكَ: «لم أفعل»، فكأنه بمَنزِلَةِ قولِكَ: ما ذهب إلاَّ زيدٌ، قال الشاعر:

فَهَلْ لِيَ أُمٌّ غيرُها إنْ تَركتُها ... أَبَى اللَّهُ إلاَّ أنْ أكُونَ لها ابنَما[٢]

وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: ويَأبَى اللَّهُ كلَّ شيءٍ إلاَّ إتمام نُورِهِ. قال مُقاتِلٌ: «يُتم نُورَه» أي: يُظهر دِينَهُ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يعني محمَّداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**:

= في تحسينه إياه! إلا أن يكون أخذ بقول ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٣٦٢ وفي نسخة ٢/ ٤٣٢ حيث قال: روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم. فذكر ابن كثير حديثاً طويلاً، وذكر فيه لفظ المصنف. وبحثت في مسند أحمد ومعجم الطبراني حديثاً حديثاً، فلم أجد في خبر إسلام عدي المطول، ما رواه غطيف هذا. فالصواب أن هذا اللفظ لم يرد من طرق، وليس له إلا هذا الطريق. والذي ورد من طرق إنما هو قصة إسلامه بغير هذا اللفظ. فهذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف. والله أعلم.

ـ وورد تفسير الآية الكريمة بمثل الحديث المرفوع عن حذيفة بن اليمان من قوله. أخرجه الطبري ١٦٦٤٩ و ١٦٦٥٠ و ١٦٦٥١ و ١٦٦٥٣ من طرق عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة، وإسناده ضعيف، حبيب كثير الإرسال والتدليس، ولم يصرح في هذه الروايات بالتحديث. ومن هذا الوجه أخرجه البيهقي ١٠/ ١١٦. لكن تابعه عطاء بن السائب برقم ١٦٦٥٨ وهو ضعيف لكن يصلح للاعتبار بحديثه.

وله شاهد عن ابن عباس قوله، أخرجه الطبري ١٦٦٥٦ وهو منقطع، السدي لم يلق ابن عباس. فلعل من حسنه لأجل هذه الروايات الموقوفة. والله أعلم، والأشبه أنه بين الضعيف والحسن، والله أعلم.

---

(١) بهذه الآية الكريمة، وبهذا الحديث، وبما ورد عن أئمة التفسير، استدل العلامة الآلوسي رحمه الله وغيره من الأئمة: بأن الشرك بالله يتحقق بمجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده، ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته. واستدلوا بأن العبادة هي الاتباع في الشرايع، سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة، ثم إن الإسلام لا يقوم إلا باتباع الله وحده في الشريعة بعد الاعتقاد بألوهيته وحده، فإذا اتبع الناس شريعة غير شريعة الله صح فيهم ما صح في اليهود والنصارى، نسأل الله تعالى أن يرحمنا ويهدينا إلى سواء الصراط.

(٢) البيت منسوب إلى المتلمس «معاني القرآن» ١/ ٤٣٣ وقوله ابنما، أراد ابنا، فزاد ميماً.

أنه التَّوحيد. **والثاني**: القرآن. **والثالث**: تِبيانُ الفَرائض. فأمَّا دِينُ الحقِّ، فهو الإِسلامُ. وفي قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ الهاءَ عائدةٌ على رسولِ الله ﷺ، فالمعنى: ليُعَلِّمَه شرائعَ الدِّين كلَّها، فلا يَخفى عليه منها شيءٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها راجعةٌ إلى الدِّين. ثمَّ في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: لِيُظهِرَ هذا الدِّين على سَائِرِ المِلَلِ. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزولِ عيسى عليه السلام، فإنَّه يَتبعُهُ أهلُ كلِّ دِينٍ، وتصيرُ المِلَلُ واحدةً، فلا يبقى أهلُ دِينٍ إلاَّ دخلوا في الإِسلام أو أدَّوا الجِزيَةَ، قاله أبو هُريرَةَ، والضَّحَّاكُ. والثاني: أنه عند خُروجِ المَهديِّ. قاله السُّدِّيّ. **والقول الثاني**: أنَّ إظهارَ الدِّين إنَّما هو بالحُجَجِ الواضحةِ، وإنْ لم يدخل الناسُ فيه.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ الأحبَارُ مِنَ اليهود، والرُّهبانُ مِنَ النَّصارى. وفي الباطل أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الظُّلمُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الرِّشَا في الحُكم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: الكذبُ، قاله أبو سُليمانَ. **والرابع**: أَخْذُهُ مِنَ الجهة المَحظُورَةِ، قاله القَاضي أبو يَعلَى: والمراد: أَخْذُ الأموال، وإنما ذَكَرَ الأكلَ لأنه معظَمُ المقصودِ مِنَ المال. وفي المُراد بسَبيلِ الله ها هنا قولان: **أحدهما**: الإِيمان برسول الله ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيّ. **والثاني**: أنه الحقُّ في الحُكم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها نزلت عامَّةً في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذَرٍّ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها خاصَّةٌ في أهلِ الكتاب، قاله مُعاويةُ بن أبي سُفيانَ. **والثالث**: أنها في المسلمين، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيّ. وفي الكَنْزِ المُستَحَقِّ عليه هذا الوَعيدُ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ما لم تُؤدَّ زَكاتُهُ.

[٦٩٤] قال ابنُ عمرَ: كلُّ مالٍ أُدِّيتْ زكاتُه وإنْ كان تحتَ سبعِ أَرَضين فليس بكَنْزٍ، وكلُّ مالٍ لا

---

[٦٩٤] موقوف صحيح. وورد مرفوعاً وهو ضعيف جداً. أخرجه البيهقي ٤/ ٨٢ بإسناد صحيح عن ابن عمر موقوفاً، وقال هذا هو الصحيح موقوف، وقد روىٰ سويد بن عبد العزيز وليس بالقوي مرفوعاً، ثم ساق إسناده اهـ. وسويد هذا ضعيف متروك الحديث. وتوبع فقد أخرجه البيهقي ٤/ ٨٣ من وجه آخر عن ابن عمر مرفوعاً وقال: ليس هذا بمحفوظ، والمشهور عن ابن عمر موقوفاً. اهـ. وفي إسناده محمد بن كثير المصيصي الثقفي وهو ضعيف، فالراجح الوقف عليه، كما قال البيهقي رحمه الله. وأخرجه الطبري ١٦٦٦٨ عن ابن عمر وكرره ١٦٦٦٦ بنحوه. انظر «تفسير ابن كثير» بتخريجنا عند هذه الآية.

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١١٣: اختلفت الصحابة في المراد بهذه الآية، فذهب معاوية إلى أن المراد بها أهل الكتاب، وإليه ذهب الأصم، لأن قوله ﴿**والذين يكنزون**﴾ مذكور بعد قوله ﴿**إن كثيراً من الأحبار والرهبان**. . .﴾. وقال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين وهو الصحيح، لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: ويكنزون، بغير «والذين» فلما قال «والذين» فقد استأنف معنىً آخر يبين أنه عطف جملة على جملة، فالذين يكنزون كلام مستأنف وهو رفع على الابتداء.

تؤدَّى زكاتُه فهو كَنْزٌ وإنْ كان ظاهراً على وَجْهِ الأرض، وإلى هذا المعنى ذهبَ الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفَاقِ: إخراجُ الزَّكاة. **والثاني**: أنه ما زادَ على أربعةِ آلافٍ، رُوي عن عليّ بن أبي طَالبٍ أنه قال: أربعةُ آلافٍ نَفَقةٌ، وما فوقَها كَنْزٌ. **والثالث**: ما فَضَلَ عن الحَاجةِ، وكان يَجبُ عليهم إخراجُ ذلك في أول الإِسلام ثم نُسِخَ بالزَّكاة.

فإنْ قيل: كيف قال: «ينفقونها» وقد ذكر شيئين؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ المعنى: يرجع إلى الكُنوزِ والأموال.

والثاني: أنه يَرجعُ إلى الفِضَّةِ، وحُذفَ الذَّهبُ، لأنه داخلٌ في الفِضَّة، قال الشاعر:

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما ... عِندَكَ راضٍ والرَّأيُ مُختلِفُ[1]

يريد: نحن بما عندنا رَاضُون، وأنت بما عندكَ رَاضٍ، ذَكَرَ القولين الزَّجَّاجُ. وقال الفرَّاءُ: إن شئتَ اكتفيتَ بأحدِ المَذكُورَين، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[3]، وأنشد:

إنِّي ضَمِنتُ لِمَنْ أتانِي ما جَنَى ... وأَبَى وكانَ وكُنْتُ غيرَ غَدُورِ[4]

ولم يقل: غَدُورَيْنِ، وإنما اكتفى بالواحد لاتِّفاق المعنى. قال أبو عُبيدَةَ: والعربُ إذا أشرَكُوا بين اثنين قَصَرُوا، فخبَّروا عن أحدِهما استغناءً بذلك، وتحقيقاً؛ لمعرفةِ السَّامعِ بأنَّ الآخرَ قد شَارَكَهُ، ودخلَ معه في ذلك الخَبرِ، وأنشد:

فمَنْ يَكُ أمسَى بالمَدينَةِ رحْلُهُ ... فإنِّي وقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ[5]

والنَّصبُ في «قَيَّار» أجودُ، وقد يكون الرَّفع. وقال حسَّانُ بن ثابتٍ:

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْـ ... ـوَدَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنُونا[6]

ولم يقل: يُعاصَيا.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأموال.

[٦٩٥] قال ابنُ مسعودٍ: واللَّهِ ما مِنْ رجلٍ يُكوَى بكَنزٍ، فيُوضعُ دينارٌ على دينارٍ ولا دِرهمٌ على

---

[٦٩٥] موقوف صحيح. أخرجه الطبري ١٦٦٩٧ و ١٦٦٩٨ والطبراني ٨٧٥٤ عن ابن مسعود موقوفاً وهو صحيح.

---

(١) البيت قائله عمرو بن امرئ القيس «معاني القرآن» ١/ ٤٣٤.
(٢) سورة النساء: ١١٢. (٣) سورة الجمعة: ١١.
(٤) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ١/ ٤٣٤.
(٥) البيت منسوب إلى ضابئ بن الحارث البرجمي وهو في «الأصمعيات» ١٦. «اللسان» قير.
(٦) البيت منسوب إلى حسان بن ثابت ديوان ٣١٢ «اللسان» شرخ.
الشرح: الحد. أي غاية ارتفاعه، يعني بذلك أقصى قوته ونضارته وعنفوان.

دِرهمٍ، ولكن يُوسَّع جلدُه، فيُوضعُ كلُّ دينارٍ. ودِرهم على حِدَتِه. وقال ابنُ عباسٍ: هي حَيَّةٌ تنطوي على جنبيه وجَبهَتِه، فتقول: أنا مَالك الذي بَخلتَ به[1].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ فيه محذوفٌ تقديره: ويُقال لهم هذا ما كَنزتُم لأنفسِكم ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: عذاب ذلك. فإنْ قيل: لِمَ خَصَّ الجِبَاهَ والجُنُوبَ والظُّهورَ مِنْ بقيَّةِ البَدَنِ؟ فالجواب: أنَّ هذه المَواضِع مُجَوَّفَةٌ، فيَصلُ الحَرُّ إلى أجوافِها، بخلاف اليَدِ والرِّجلِ.

[٦٩٦] وكان أبو ذَرٍّ يقول: بشِّرِ الكَنَّازِينَ بكَيٍّ في الجِبَاهِ وكَيٍّ في الجُنُوبِ وكَيٍّ في الظُّهورِ، حتى يَلتَقيَ الحرُّ في أجوافِهِم. وجوابٌ آخرُ: وهو أنَّ الغَنيَّ إذا رأى الفقيرَ، انقبضَ؛ وإذا ضَمَّهُ وإيَّاهُ مَجلسٌ، اِزوَرَّ عنه ووَلَّاهُ ظَهرَهُ، قاله أبو بَكرٍ الوَرَّاقُ.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت هذه الآيةُ مِنْ أجل النَّسِيءِ الذي كانت العرب تَفعَلُه، فرُبَّما وقعَ حَجُّهم في رمضانَ، وربَّما وقع في شوَّالَ، إلى غير ذلك؛ وكانوا يَستَحِلُّون المُحَرَّم عاماً، ويُحَرِّمون مكانه صَفَرَ، وتارةً يُحَرِّمون المُحَرَّم ويَستحِلُّون صَفَرَ. قال الزَّجَّاجُ: أعلَمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنَّ عددَ شهور المسلمين التي تُعُبِّدوا بأنْ يجعلوه لِسَنَتِهم: اثنا عشرَ شهراً على منازل القَمرِ؛ فجعلَ حَجَّهُم وأعيادَهم على هذا العَدَدِ، فتارةً يكون الحَجُّ والصَّومُ في الشتاءِ، وتارةً في الصَّيفِ، بخلاف ما يعتمدهُ أهلُ الكتاب، فإنَّهم يعملون على أنَّ السَّنة ثلاثمائة يوم وخمسةٌ وستون يوماً وبعضُ يوم. وجمهورُ القُرَّاء على فَتْحِ عينِ «اثنا عشر». وقرأ أبو جَعفَر: اثنا عشرْ، وأحدَ عشرَ، وتسعةَ عشر، بسكون العين فيهنّ.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المَحفوظِ. قال ابنُ عباسٍ: في الإمام الذي عندَ الله، كَتَبَهُ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها رَجَبُ، وذُو القِعدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، والمُحرَّمُ، قاله الأكثرون. وقال القَاضي أبو يَعلَى: إنما سمَّاها حُرُماً لمَعنَيين. أحدهما: تحريمُ القتال فيها، وقد كان أهلُ الجاهليَّة يعتقدون ذلك أيضاً. والثاني: لِتَعظيم انتهاكِ المَحَارمِ فيها أشدَّ مِنْ تَعظيمِه في غيرها، وكذلك تَعظيمُ الطَّاعات فيها. **والثاني**: أنها الأَشهُرُ التي أُجِّل المشركون فيها للسِّياحة، ذكره ابنُ قُتَيبَةَ.

---

[٦٩٦] هو بعض حديث أخرجه البخاري ١٤٠٧ ومسلم ٩٩٢ وأحمد ٥/ ١٦٠ وابن حبان ٣٢٦٠ من حديث أبي ذر وسياقه الوقف لكن أشار أبو ذر عقبة لرفعه، والله أعلم.

---

(١) **أثر ابن عباس لا يصح في تفسير هذه الآية، وإنما ينبغي ذكره في سورة آل عمران عند قوله ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾.**

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ذلك القضاءُ المُستقيمُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ذلك الحِسابُ الصحيحُ والعددُ المُستوي، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ اختلفوا في كِناية «فيهنَّ» على قولين: **أحدهما**: أنَّها تعود على الاثني عشرَ شهراً، قاله ابنُ عباسٍ. فعلى هذا يكون المعنى: لا تَجعلُوا حَرامَها حَلالاً، ولا حَلالَها حَراماً، كفعلِ أهلِ النَّسيءِ. **والثاني**: أنها ترجع إلى الأربعة الحُرُم، وهو قولُ قَتادَةَ، والفَرَّاءِ؛ واحتجَّ بأنَّ العرب تقول لِمَا بين الثلاثةِ إلى العشرة: لثلاثِ ليالٍ خَلَوْنَ، وأيام خَلَوْنَ؛ فإذا جُزتَ العشَرَة قالوا: خَلَتْ ومَضَتْ؛ ويقولون لِمَا بين الثَّلاثة إلى العَشَرَةِ: هُنَّ، وهؤلاءِ؛ فإذا جُزْتَ العشرةَ، قالوا: هي، وهذه: إرادةَ أن تُعرَفَ سِمَةُ القليل مِنَ الكثير. وقال ابنُ الأنباري: العربُ تُعيد الهاءَ والنُّونَ على القليل مِنَ العددِ، والهاءَ والألفَ على الكثيرِ منه؛ والقِلَّةُ: ما بين الثلاثة إلى العَشرةِ، والكَثرَةُ: ما جاوزَ العشرةَ. يقولون: وجَّهتُ إليكَ أكبشاً فاذبَحهُنَّ، وكِباشاً فاذبَحْهَا؛ فلهذا قال: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾؛ وقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ لأنه يعني بقوله تعالى: «فيهن» الأربعة. ومَنْ قال مِنَ المُفسِّرين: إنه يعني بقوله تعالى «فيهن» الاثني عشرَ، فإنه ممكنٌ؛ لأنَّ العرب ربَّما جعلت علامةَ القليلِ للكثير، وعلامةَ الكثيرِ للقليل. وعلى قولِ مَنْ قال: تَرْجِعُ «فيهن» إلى الأربعة؛ يُخرَّجُ في معنى الظُّلم فيهنَّ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المعاصي؛ فتكون فائدةُ تَخصيصِ النَّهي عنه بهذه الأشهُرِ، أنَّ شأن المعاصي يَعظُم فيها أشدَّ مِنْ تَعظيمِه في غيرها، وذلك لِفَضلِها على ما سِواها، كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[1] وإنْ كانا قد دَخَلاَ في جُملة الملائكة، وقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[2] وإنْ كانا قد دَخَلا في جُملة الفاكِهة، وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[3] وإنْ كان مَنهيّاً عنه في غيرِ الحَجِّ، وكما أُمِرَ بالمُحافظة على الصَّلاة الوُسطَى وإنْ كان مأموراً بالمُحافظةِ على غيرها، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ المراد بالظُّلم فيهنَّ فِعلُ النَّسيءِ، وهو تحليلُ شَهْرٍ مُحرَّم، وتَحريمُ شَهرٍ حلالٍ، قاله ابنُ إسحَاقَ. **والثالث**: أنه البدايةُ بالقتال فيهنَ؛ فيكون المعنى: فلا تَظْلِمُوا أنفسَكُم بالقتال فيهنّ إلاّ أنْ تُبدَؤوا بالقتالِ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنه تَرْكُ القتال فيهنّ؛ فيكون المعنى: فلا تَظْلِمُوا فيهنَّ أنفسَكُم بتَرْكِ المُحاربةِ لِعَدُوِّكم، قاله ابنُ بَحْرٍ، وهو عكسُ قول مُقاتِلٍ. والسِّرُّ في أنَّ الله تعالى عَظَّم بعضَ الشُّهورِ على بعضٍ، لِيَكونَ الكَفُّ عن الهَوى فيها ذَريعةً إلى استِدامَةِ الكفِّ في غيرها تَدريجاً للنَّفسِ إلى فِراقِ مَألُوفِها المَكروهِ شَرْعاً.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الجمهور على هَمزِ النَّسيءِ ومَدِّه وكسرِ سِينِهِ. وروى شِبْلٌ عن ابن كَثير: «النَّسْء» على وزن النِسْع. وفي روايةٍ أخرى عن شِبلٍ: «النَّسِيُّ» مشدَّدة الياء من غير هَمزٍ، وهي قراءةُ أبي جعفَر؛ والمراد بالكلمة التَّأخيرُ. قال اللغويون: النَّسِيءُ: تأخيرُ الشَّيء.

---

(١) سورة البقرة: ٩٨. (٢) سورة الرحمن: ٦٨. (٣) سورة البقرة: ١٩٧.

وكانت العربُ تُحَرِّم الأشهر الأربعة، وكان هذا ممَّا تمسَّكت به من مِلَّةِ إبراهيمَ؛ فرُبَّما احتاجوا إلى تحليلِ المُحَرَّم للحربِ تكون بينهم، فيُؤخِّرون تحريمَ المُحرَّم إلى صَفَر، ثم يحتاجون إلى تأخير صَفَر أيضاً إلى الشهر الذي بَعدَهُ؛ ثم تتدافعُ الشُّهور شهراً بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنَّة كلِّها، فكأنهم يستنسئون الشهر الحرام ويَستَقرِضُونَهُ، فأعلَمَ اللَّهُ تعالى أنَّ ذلك زيادةٌ في كُفرِهم لأنَّهم أَحَلُّوا الحَرامَ وحرَّموا الحَلالَ ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ أي لِيُوافِقُوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فلا يَخرجُون مِنْ تحريم أربعةٍ، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعةِ الحُرم، ولا يُبالُونَ بتحليل الحَرام وتحريم الحَلالِ. وكان القومُ لا يفعلون ذلك إلاَّ في ذِي الحِجَّة إذا اجتمعتَ العربُ للمَوسِم، قال الفَرَّاء: كانَت العربُ في الجاهلية إذا أرادوا الصَّدَرَ عن مِنًى قامَ رجلٌ مِنْ بني كِنَانَة يُقال له: نُعيمُ بن ثَعلَبَةَ، وكان رئيسَ المَوسم، فيقول: أنا الذي لا أُعابُ ولا أُجابُ ولا يُرَدُّ لي قَضاءٌ؛ فيقولون: أَنسِئْنَا شهراً؛ يُريدون: أَخِّر عَنَّا حُرمَةَ المُحَرَّم، واجعَلْها في صَفَر، فيفعل ذلك. وإنما دَعاهُم إلى ذلك تَوالي ثلاثة أشهُرٍ حُرُم لا يُغِيرُون فيها، وإنَّما كان مَعَاشُهم مِنَ الإغارَة، فتَستَديرُ الشُّهور كَمَا بيَّنَّا. وقيل: إنَّما كانوا يستَحِلُّونَ المُحَرَّم عَاماً، فإذا كان مِنْ قَابلٍ ردُّوه إلى تَحريمه. قال أبو عُبيدٍ: والتَّفسيرُ الأول أحبُّ إليَّ، لأنَّ هذا القولَ ليس فيه استِدَارَةٌ.

[٦٩٧] وقال مُجاهِدٌ: كان أولَ مَنْ أظهرَ النَّسيءَ جُنادَةُ بن عَوفٍ الكِنَاني، فوافقَتْ حَجَّةُ أبي بكرٍ ذا القِعدَة. ثم حَجَّ النبيُّ ﷺ في العام المقابل في ذي الحِجَّة، فذلكَ حين قال: «أَلاَ إنَّ الزَّمَانَ قَدِ استَدَارَ كَهيئَتِهِ يومَ خَلَقَ اللَّهُ السمواتِ والأرضَ». وقال الكَلبيُّ: أَوَّلُ مَنْ فعلَ ذلك نُعَيمُ بن ثَعلَبَةَ.

قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ ونَافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عَامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «يَضِل» بفتح الياء وكسرِ الضاد، والمعنى: أنهم يَكتَسِبُون الضَّلالَ به. وقرأ حَمزةُ والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصمٍ: «يُضَلُّ» بضمِّ الياء وفتح الضاد على ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُه. وقرأ الحَسنُ البَصريّ، ويَعقوبُ إلاَّ الوليدَ: «يُضِل» بضمِّ الياء وكسرِ الضاد؛ وفيه ثلاثةُ أوجُهٍ: **أحدها**: يُضِلُّ اللَّهُ به. **والثاني**: يُضِلُّ الشيطانُ به، ذكرهما ابنُ القَاسِم. **والثالث**: يُضِلُّ به الذين كفروا الناسَ، لأنهم الذين سَنُّوه لَهُم. قال أبو عليٍّ: التقدير: يُضِلُّ به الذين كفروا تابعيهِم. وقال ابنُ القَاسم: الهاءُ في «به» راجعةٌ إلى النَّسيءِ، وأصلُ النَّسيءِ: المَنسُوءُ، أي: المُؤَخَّرُ، فَيَنصَرِفُ عن «مفعول» إلى «فعيل» كما قيل: مَطبُوخٌ وطَبِيخٌ، ومَقدُورٌ وقَديرٌ، قال: وقيل: الهاءُ راجعةٌ إلى الظُّلمِ، لأنَّ النَّسيءَ كَشفَ تأويل الظُّلمِ، فجرى مَجرى المظهَر؛ والأَوَّلُ اختِيَارُنا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟﴾.

---

[٦٩٧] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٧٢٨ عن مجاهد مرسلاً. والمرفوع منه أخرجه البخاري ٦٧ و ١٠٥ و ١٧٤١ و ٣١٩٧ و ٤٤٠٦ و ٤٦٦٢ و ٥٥٥٠ و ٧٤٤٧ ومسلم ١٦٧٩ وأبو داود ١٩٤٨ وابن ماجة ٢٣٣ وابن حبان ٤٨٤٨ وأحمد ٥/ ٣٩ من حديث أبي بكرة، وله شواهد كثيرة.

[٦٩٨] قال المُفسِّرون: لمَّا أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بغزوةِ تَبوكٍ، وكان في زَمَنِ عُسْرَةٍ وجَدْبٍ وحَرٍّ شديدٍ، وقد طابت الثِّمارُ، عَظُمَ ذلك على الناس وأحَبُّوا المُقامَ، فنزلت هذه الآيةُ.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهامٌ معناه التَّوبيخُ. وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ معناه: اخرُجوا، وأصلُ النَّفر: مُفارقةُ مكانٍ إلى مكانٍ آخر لأمرٍ هاجَ إلى ذلك. وقوله تعالى: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أراد: تَثاقَلْتُم، فأدغمَ التاءَ في الثاءِ، وأحدِثَتِ الألفُ ليسكَّن ما بعدها، وأراد: قَعَدْتُم. وفي قراءة ابن مسعودٍ، والأعمَشِ: «تثاقلتم». وفي معنى ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تثاقلتُم إلى شَهواتِ الدنيا حين أخرجتِ الأرضُ ثَمَرَها، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: اطمَأننتُم إلى الدنيا، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: تَثاقَلتُم إلى الإقامة بأرضِكُم، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بنعيمِها مِنْ نعيمِ الآخرة، فمَا يُتَمَتَّعُ به في الدنيا قليلٌ بالإضافة إلى ما يتَمتَّعُ به الأولياءُ في الجنَّة.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾.

[٦٩٩] سببُ نزولها أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا حثَّهم على غزو الرُّوم تَثاقَلُوا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قومٌ: هذه خاصَّةٌ فيمن استَنفَرَهُ رسولُ الله ﷺ فلم يَنْفِرْ.

[٧٠٠] قال ابنُ عباسٍ: استَنْفر رسولُ الله ﷺ حيّاً مِنْ أحياء العرب فتَثاقَلُوا عنه، فأُمسِكَ عنهم المطرُ فكان عذابَهُم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وعيدٌ شديدٌ في التَّخلُّف عن الجهاد، وإعلامٌ بأنه يستبدلُ لِنَصْرِ نبيِّه قوماً غير مُتثاقِلين. ثم أعلَمَهُم أنهم إنْ تركوا نَصْرَهُ لم يَضُرُّوه، كما لم يَضْرُرْه ذلك إذ كان بمكَّةَ. وفي هاء «تضرُّوه» قولان:

أحدهما: أنها ترجعُ إلى اللَّهِ، والمعنى: لا تَضُرُّوا الله بتَرْكِ النَّفير، قاله الحَسَنُ.

والثاني: أنها ترجعُ إلى رسولِ الله. فالمعنى: لا تَضُرُّوه بتَرْكِ نَصْرِه، قاله الزَّجَّاجُ.

فصل: وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ، والحَسنِ، وعِكرِمَةَ، قالوا: نُسِخَ قولُه تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ

---

[٦٩٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٠٢ بدون إسناد.
وأخرجه الطبري ١٦٧٣٤ و ١٦٧٣٥ عن مجاهد مرسلاً بنحوه.

[٦٩٩] **هو معنى المتقدم، لأن غزوة تبوك كان المراد بها الروم.**

[٧٠٠] **باطل. أخرجه أبو داود ٢٥٠٦ والحاكم ٢/ ١١٨ والطبري ١٦٧٣٦ والبيهقي ٩/ ٤٨** من **رواية عبد المؤمن عن نجدة بن نفيع عن ابن عباس، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! ومداره على نجدة، وهو مجهول، والمتن** باطل، إذ لم يحصل ذلك، ثم إن العذاب الأليم ليس بحبس المطر، لأنهم يمكنهم الانتقال **إلى موضع آخر**، والمراد عذاب مهلك، أو عذاب النار.

يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾[(١)]. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: ليس هذا مِنَ المَنسُوخ، إذ لا تَنَافيَ بين الآيتين، وإنَّما حُكمُ كلِّ آيةٍ قائمٌ في مَوضِعها. وذكر القاضي أبو يَعلَى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس ها هنا نَسْخٌ، ومتى لم يُقاوم أهلُ الثُّغورِ العدوَّ، فَفَرْضٌ على الناس النَّفيرُ إليهم، ومتى استَغْنَوا عن إعانةِ مَنْ وَراءَهُم، عُذِرَ القاعِدونَ عنهم. وقال قومٌ: هذا في غزوةِ تَبُوكٍ، ففُرِضَ على الناس النَّفيرُ مع رسولِ الله ﷺ.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: بالنَّفير معه ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانة على أعدائه، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قَصَدوا إهلاكَهُ على ما شرحنا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[(٢)]؛ فأعلَمَهُم أنَّ نَصرهُ ليس بهم.

قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ العرب تقولُ: هو ثاني اثنين، أي: أحدُ الاثنين، وثالثُ ثلاثةٍ، أي: أحدُ الثلاثة، قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ منصوبٌ على الحال؛ المعنى: فقد نَصرَهُ اللَّهُ أحدَ اثنين، أي: نَصرَهُ منفرداً إلاَّ مِن أبي بكرٍ، وهذا معنى قول الشَّعبيِّ: عاتبَ اللَّهُ أهلَ الأرض جميعاً في هذه الآية غيرَ أبي بكرٍ. وقال ابنُ جَريرٍ: المعنى: أخرَجُوه وهو أحدُ الاثنين، وهُمَا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ. فأمَّا الغَارُ، فهو ثَقْبٌ في الجبلِ، وقال ابنُ فارسٍ: الغَارُ: الكَهفُ، والغَارُ: نَبتٌ طيِّبُ الرِّيحِ، والغَارُ: الجماعةُ مِنَ الناس، والغَارَان: البَطنُ والفَرجُ، وهما الأجوَفان، يُقال: إنما هو عبدُ غارَيْهِ قال الشاعر:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـدَّهـرَ يَـومٌ وَلَـيـلَـةٌ وأَنَّ الـفَـتـى يَـسْـعَـى لِـغَـارَيْـهِ دَائِـبَـا[(٣)]

قال قَتادةُ: وهذا الغَارُ في جَبَلٍ بمكَّةَ يُقال له: ثَورٌ. قال مُجاهِدٌ: مَكثا فيه ثلاثاً. وقد ذكرتُ حديثَ الهجرة في كتاب «الحدائق».

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/٣٧٤: ولا خبر بالذي قاله عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكرا، يجب التسليم له. ولا حجة نافٍ لصحة ذلك. وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد، وجائز أن يكون قوله: **﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾**. الخاص من الناس، ويكون المراد به من استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر، على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس. وإذ كان ذلك كذلك، كان قوله: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾** [التوبة: ١٢٢] نهياً من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمن مقيم فيها. وإعلاماً من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض، وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن في إحدى الآيتين نسخ للأخرى، وكان حكم كل واحدة منهما ماضياً فيما عُنيت به ا.هـ.

(٢) سورة الأنفال: ٣.

(٣) البيت في «اللسان» غور، غير منسوب.

[٧٠١] قال أنسُ بن مالكٍ: أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ شجرةً فنبَتَتْ في وَجهِ رسولِ الله ﷺ فسترتْهُ، وأَمَرَ العنكبوتَ فنَسَجتْ في وَجهِهِ، وأَمَرَ حَمامَتين وَحشيَّتين فوَقَعتا في فَمِ الغَارِ، فلمَّا دَنُوا مِنَ الغَارِ، عَجِلَ بعضُهم ليَنظُرَ، فرأى حَمامَتين، فرجعَ فقال: رأيتُ حَمامتين على فَمِ الغَارِ، فعلمتُ أنه ليسَ فيه أحدٌ.

[٧٠٢] وقال مُقاتِلٌ: جاء القَائِفُ فنظرَ إلى الأقدام فقال: هذه قَدَمُ ابنِ أبي قُحافَة، والأُخرى لا أعرِفُها، إلا أنَّها تُشبه القَدَمَ التي في المَقَامِ. وصاحبُه في هذه الآية أبو بكرٍ.

[٧٠٣] وكان أبو بكرٍ قد بكى لمَّا مرَّ المشركون على باب الغَار، فقال له النبيُّ ﷺ: «ما ظَنُّكَ باثنين اللّهُ ثَالِثُهما»؟

وفي السَّكِينة ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الرَّحمةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الوَقَارُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: السُّكونُ والطُّمأنينة، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وهو أصحُّ. **وفي هاءِ «عليه» ثلاثةُ أقوالٍ**: **أحدها**: أنها ترجع إلى أبي بكرٍ، وهو قولُ عليِّ بن أبي طالبٍ، وابن عباسٍ، وحَبيبِ بن أبي ثابتٍ. واحتجَّ مَنْ نَصَرَ هذا القولَ بأنَّ النبيَّ ﷺ كان مُطمَئناً. **والثاني**: أنها تَرجعُ إلى النبيِّ ﷺ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّ الهاء ها هنا في معنى تَثنيَةٍ، والتقدير: فأنزلَ اللّهُ سَكينَتَهُ عليهما، فاكتفى بإعادَةِ الذِّكرِ على أحدِهما مِنْ إعادَتِه عليهما، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾(١)، ذكره ابنُ الأنبَارِي.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: قَوَّاه، يعني النبيَّ ﷺ بلا خِلافٍ. ﴿بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ وهم الملائكة. ومتى كان ذلك؟ فيه قولان: **أحدهما**: يومَ بدرٍ، ويومَ الأحزابِ، ويومَ حُنَينٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لمَّا كان في الغَارِ، صَرَفَتِ الملائكةُ وجُوهَ الكفارِ وأبصارَهم عن رُؤيتِه، قاله الزَّجَّاجُ. فإنْ قيل: إذا وقعَ الاتِّفاقُ أنَّ هاء الكِناية في «أيده» ترجعُ إلى النبيِّ ﷺ، فكيفَ تُفارقُها هاءُ «عليه» وهما متفقان في نَظْمِ الكلام؟

فالجواب: أنَّ كلَّ حرفٍ يُردُّ إلى الأليَقِ به، والسَّكينةُ إنَّما يَحتاج إليها المُنزَعِجُ، ولم يكن النبيُّ ﷺ مُنزعجاً. فأمَّا التَّأييدُ بالملائكة، فلم يَكُن إلاّ للنبيِّ ﷺ ونظيرُ هذا قولُه تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(٢) يعني النبيَّ ﷺ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعني الله عزَّ وجلَّ.

---

[٧٠١] أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ٢٢٩ عن أبي مصعب المكي عن أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة. وفي سنده ضعيف ومجهول. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٦/ ٥٢ ـ ٥٣ وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم.

[٧٠٢] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والخبر باطل.

[٧٠٣] كون أبي بكر بكىٰ في الغار لم أقف عليه، والذي في «الصحيحين» أن أبا بكر بكىٰ لما تبعهما سراقة.

والمرفوع من هذا الحديث صحيح، أخرجه البخاري ٣٦٥٣ و ٣٩٢٢ ومسلم ٢٣٨١ وابن أبي شيبة ١٢/ ٧ وأحمد ١/ ٤ وابن سعد ٣/ ١٧٣ و ١٧٤ والترمذي ٣٠٩٦ وأبو يعلى ٦٧ وابن حبان ٦٢٧٨ عن أنس: أن أبا بكر حدثهم قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

---

(١) سورة التوبة: ٦٢.   (٢) سورة الفتح: ٨.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ كلمةَ الكافرين الشِّرك، جعلها الله السُّفلَى لأنَّها مَقهورةٌ، وكلمةَ الله وهي التَّوحيدُ، هي العُليا، لأنها ظَهرتْ، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ كلمة الكافرين ما قَدَّروا بينهم في الكَيْدِ به لِيقتُلوه، وكلمةَ الله أنه نَاصِرُه، رواه عَطَاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وقرأ ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، ويَعقوبُ: «وكلمةَ الله» بالنَّصب.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامِه مِنَ الكافرين ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه.

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

[٧٠٤] سبب نزولها أنَّ المِقدادَ جاءَ إلى رسولِ الله ﷺ، وكان عظيماً سَميناً، فَشَكا إليه وسَأَلَهُ أنْ يأذنَ له، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيّ.

وفي معنى «خفافاً وثقالاً» أحدَ عشرَ قولاً: **أحدها**: شيوخاً وشباباً، رواه أنسٌ عن أبي طَلحَة، وبه قال الحَسَنُ، والشَّعبيُّ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو صالح، وشَمْرُ بن عَطيَّةَ، وابنُ زيدٍ في آخرين. **والثاني**: رَجَّالةً ورُكباناً، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الأوزاعيُّ. **والثالث**: نِشَاطاً وغير نِشاطٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أغنياء وفقراء، رُوي عن ابنِ عباسٍ. ثم في معنى هذا الوَجهِ قولان: أحدهما: أنَّ الخِفافَ: ذَوو العُسْرَة وقِلَّة العِيَال، والثِّقالَ: ذَوو العِيال والمَيْسرةِ، قاله الفَرَّاء. والثاني: أنَّ الخِفافَ: أهلُ المَيسَرَةِ، والثِّقالَ: أهلُ العُسرَةِ، حُكي عن الزَّجّاج. **والخامس**: ذَوي عِيَالٍ، وغيرَ ذوي عِيَالٍ. قاله زَيدُ بن أسلَمَ. **والسادس**: ذَوي ضِيَاعٍ، وغيرَ ذَوي ضِيَاعٍ، قاله ابنُ زيدٍ. **والسابع**: ذَوي أشغَالٍ، وغيرَ ذَوي أشغَالٍ، قاله الحَكمُ. **والثامن**: أصِحَّاءُ، ومَرضَى، قاله مُرَّةُ الهَمْداني، وجُويبرُ. **والتاسع**: عُزَّاباً ومُتأَهِّلين، قاله يَمَانُ بنُ رياب. **والعاشر**: خِفَافاً إلى الطَّاعة، وثِقَالاً عن المُخالفةِ، ذكره المَاوَرْدِي. **والحادي عشر**: خِفافاً مِنَ السلاح، وثِقَالاً بالاستِكثَارِ منه، ذكره الثَّعلبيُّ.

فصل: رَوى عَطاءٌ الخُرَاسَانيّ عن ابنِ عباسٍ أن هذه الآيَةَ منسُوخَةٌ بقوله[1] تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

---

[٧٠٤] باطل. عزاه المصنف للسدي، وهو ذو مناكير، وخبره معضل، والمتن باطل، فإن المقداد بن الأسود أحد الشجعان الأبطال لم يتخلف عن غزوة دعي إليها. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٠٤ عن السدي. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤٤٠ وعزاه لأبي الشيخ وابن أبي حاتم عن السدي.

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١٣٨ الآية ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾: اختلف في هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بقوله تعالى ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ [التوبة: ٩١]. وقيل الناسخ لها قوله ﴿فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ [التوبة: ٢٢]. والصحيح أنها ليست بمنسوخة اهـ.

﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾[١]. وقال السُّدّيّ: نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ قال القاضي أبو يَعلى: أوجبَ الجهادَ بالمال والنَّفس جميعاً، فمَنْ كان له مالٌ وهو مريضٌ أو مُقعَدٌ أو ضَعيفٌ لا يَصلُحُ للقتال، فعليه الجهادُ بمالِه، بأنْ يُعطيَهُ غيرَه فيَغزوَ به، كما يَلزمُه الجهادُ بنَفْسِه إذا كان قويًّا. وإنْ كان له مالٌ وقوَّةٌ، فعليه الجهاد بالنَّفس والمالِ. ومَنْ كان مُعدِماً عاجزاً، فعليه الجهادُ بالنُّصح للّهِ ورسولِه، لِقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٣].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ذلكم الجهادُ خيرٌ لكم مِنْ تَرْكِه والتَّثاقُلِ عنه. **والثاني**: ذلكم الجهادُ خيرٌ حاصلٌ لكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما لَكُمْ مِنَ الثَّوابِ.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال المُفسِّرون: نزلت في المُنافقين الذين تَخلَّفوا عن غزوةِ تَبوكٍ. ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عَرَضاً قريباً. والعَرَضُ: كلُّ ما عَرَضَ لك مِنْ منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمةً قريبةً، أو كان سفراً قاصِداً، أي: سَهْلاً قريباً، لاتَّبعوكَ طَمَعاً في المالِ ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الشُّقَّةُ: السَّفرُ؛ وقال الزَّجّاجُ: الشُّقَّةُ: الغايةُ التي تُقصَدُ؛ وقال ابنُ فارسٍ: الشُّقَّةُ: مَصيرٌ إلى أرضٍ بعيدةٍ، تقول: شُقَّةٌ شاقَّةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يعني المنافقين إذا رَجعتُم إليهم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ وقرأ زائدةُ عن الأعمَش، والأصمَعيُّ عن نافعٍ: «لوُ استطعنا» بضمِّ الواو، وكذا أينَ وقَعَ، مثلَ: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، كأنه لمّا احتيجَ إلى حركةِ الواو، حُرِّكت بالضمِّ لأنها أختُ الواو، والمعنى: لو قَدَرْنا وكان لنا سَعةٌ في المالِ. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكَذبِ والنِّفاقِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنَّهم كانوا أغنياء ولم يَخرُجوا.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ كان عليه السَّلامُ قد أَذِنَ لقومٍ مِنَ المنافقين في التَّخلُّف لمّا خرَج إلى تَبوكٍ، قال ابنُ عباسٍ: ولم يكن يَومئذٍ يَعرفُ المنافقين.

[٧٠٥] قال عَمرو بن مَيْمونٍ: اثنتان فَعَلَهُما رسولُ الله ﷺ ولم يُؤمَرْ بهما: إذْنُهُ للمُنافقين، وأَخْذُهُ

---

[٧٠٥] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٧٨٠ عن عمرو بن ميمون الأودي.. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٥٧٣ عن عمرو. انظر «تفسير القرطبي» ٨/١٣٩ و «تفسير الشوكاني» ٢/٤١٩.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.
(٢) سورة التوبة: ٩١.
(٣) سورة التوبة: ٩١.
(٤) سورة الكهف: ١٨.

الفِدَاء مِنَ الأَسَارَى؛ فعَاتَبهُ اللَّهُ كما تسمعون. قال مُوَرِّقٌ: عاتَبهُ ربُّه بهذا. وقال سُفيَانُ بن عُيَينَة: انظر إلى هذا اللُّطفِ، بدأه بالعَفوِ قبل أنْ يُعيرَهُ بالذَّنب. وقال ابنُ الأنبارِي: لم يُخَاطَب بهذا لِجُرم أجرَمَهُ، لكنَّ الله وقَّره ورَفعَ مِنْ شأنِه حين افتتحَ الكلامَ بقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كما يقولُ الرجلُ لمُخاطبه إذا كان كريماً عليه: عَفَا اللَّهُ عنكَ، ما صنعتَ في حاجَتِي؟ ورَضيَ اللَّهُ عنكَ، هلاَّ زُرتَنِي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: حتى تَعرفَ ذَوي العُذرِ في التَّخلُّفِ ممَّنْ لا عُذرَ له. **والثاني**: لو لم تَأذَنْ لهم لَقعَدُوا وبَانَ لكَ كَذِبُهم في اعتِذارِهم. قال قَتادَةُ: ثم إنَّ الله تعالى نَسَخَ هذه الآيَة بقوله تعالى: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[1].

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباس: هذا تَعييرٌ للمنافقين حين استَأذَنُوا في القُعودِ. قال الزَّجَّاجُ: أعلَمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه ﷺ أنَّ علامةَ النِّفاقِ في ذلك الوقتِ الاستِئذَانُ.

فصل: ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: نُسِخَتْ هذه الآيةُ بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾[2] إلى آخرِ الآية. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وليس للنَّسخِ ها هنا مدخلٌ، لإمكانِ العملِ بالآيتين، وذلك أنه إنَّما عَابَ على المُنافقين أنْ يَستأذِنُوه في القُعودِ عن الجهاد مِنْ غير عُذرٍ، وأجازَ للمؤمنين الاستِئذَانَ لِمَا يَعرِضُ لهم من حَاجةٍ، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعَرضَتْ لهم حَاجةٌ، ذهبوا مِن غير استِئذَانِهِ.

﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ يعني المُستأذِنين له في القُعودِ. وفي المُراد بالعُدَّة قولان: **أحدهما**: النِّية، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس. **والثاني**: السِّلاح والمَركوب وما يَصلُح للخُروج، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. والانبِعَاثُ: الانطِلاَقُ. والتَّثبُّطُ: رَدُّكَ الإنسان عن الشيء يَفعَلُه. قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟﴾ في القائل لهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أُلهِمُوا ذلك خِذلاناً لهم. قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنَّ النبيَّ ﷺ قاله غَضباً عليهم. **والثالث**: أنه قولُ بعضِهم لبعضٍ، ذكرهما المَاوَردِي[3]. وفي المُراد بالقَاعِدين قولان: **أحدهما**: أنهم القَاعِدون بغيرِ عُذرٍ، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: أنهم القَاعِدون بعُذرٍ، كالنِّساء والصِّبيان، ذكره عليّ بن عيسى. قال الزَّجَّاجُ: ثم أَعلَمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لِمَ كَرِهَ خُروجَهُم،

---

(١) سورة النور: ٦٢. (٢) سورة النور: ٦٢.
(٣) انظر «تفسير القرطبي» ٨/ ١٤٢. «وتفسير الشوكاني» ٢/ ٤١٨.

فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ والخَبَالُ: الفَسادُ وذَهابُ الشيءِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الخَبالُ: الشَّرُّ.

فإنْ قيل: كأنَّ الصحابة كان فيهم خَبالٌ حتى قيلَ: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؟ فالجوابُ: أنه مِنَ الاستِثناءِ المُنقَطِعِ، والمعنى: ما زادُوكُم قوَّةً، لكن أوقعُوا بينَكُم خَبالاً.

[٧٠٦] وقيل: سببُ نزول هذه الآية أنَّ النبيَّ ﷺ لما خرجَ، ضربَ عَسْكَرَهُ على ثَنِيَّةِ الوداعِ، وخرجَ عبدُ اللَّهِ بن أُبيٍّ، فضربَ عَسْكَرَهُ على أسفلَ مِنْ ذلك؛ فلمَّا سارَ رسولُ الله ﷺ، تَخلَّفَ ابنُ أُبيٍّ فيمَن تخلَّفَ مِنَ المنافقين، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: الإيضاعُ: السَّيرُ بينَ القَومِ. وقال أبو عُبيدَةَ: لأَسرَعُوا بينَكُم، وأصلُهُ مِنَ التَّخلُّلِ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: أوضَعْتُ في السَّيرِ: أسرَعتُ.

قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ قال الفَرَّاءُ: يَبغُونها لَكُم. وفي الفِتنةِ قولان: **أحدهما**: الكُفرُ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: تفريقُ الجَماعة، وشَتَاتُ الكلمةِ. قال الحَسَنُ: لأَوضَعُوا خِلالَكُم بالنَّميمَةِ لإفسَادِ ذاتِ بَينِكُم.

قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عُيونٌ ينقلُون إليهم أخبارَكُم، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: مَنْ يسمعُ كلامَهم ويُطيعُهم، قاله قَتادَةُ، وابنُ إسحَاقَ.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ في الفِتنَةِ قولان: **أحدهما**: الشَّرُّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الشِّركُ، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ غزوةِ تَبُوكٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ خمسة أقوالٍ: **أحدها**: بَغَوْا لكَ الغَوائِلَ، قاله ابنُ عباسٍ. وقيل: إنَّ اثني عشرَ رجلاً مِنَ المنافقين وَقَفُوا على طريقه ليلاً لِيَفتِكُوا به، فسَلَّمَهُ اللَّهُ منهم. **والثاني**: إحتَالُوا في تَشَتُّت أمرِكَ وإبطالِ دِينكَ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قال ابنُ جَريرٍ: وذلك كانصِرافِ ابنِ أُبيٍّ يومَ أُحدٍ بأصحابه. **والثالث**: أنه قولُهم ما ليس في قُلوبهم. **والرابع**: أنه مَيْلُهم إليكَ في الظَّاهر، ومُمَالأةُ المشركين في البَاطِن. **والخامس**: أنه حَلفُهم بالله ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، ذكرَ هذه الأقوالَ الثلاثةَ المَاوردِي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني النَّصر ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾.

---

[٧٠٦] هو بعض حديث، أخرجه الطبري ١٦٧٩٩ من طريق ابن إسحق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر.

[٧٠٧] سببُ نزولها أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للجَدِّ بن قَيسٍ: «يا جَدُّ، هل لكَ في جِلادِ بَني الأَصفرِ، لعلكَ أنْ تغنمَ بعضَ بَناتِ الأَصفرِ»، فقال: يا رسولَ الله، ائْذَنْ لي فأُقيم، ولا تَفتِنِّي ببَناتِ الأَصفرِ. فأَعرضَ عنه، وقال: «قد أَذِنتُ لكَ»، ونزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وهذه الآية وما بعدها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ في المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ أي: في القُعودِ عن الجهاد، وهو الجَدُّ بن قَيسٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَفتِنِّي بالنساءِ، قاله ابنُ عباس، ومُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: لا تُكسِبني الإِثمَ بأَمرِكَ إيَّايَ بالخُروجِ وهو غيرُ مُتيسِّرٍ لي، فآثَمُ بالمُخالَفةِ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ، والزَّجّاجُ. **والثالث**: لا تُكفِّرني بإلزامكَ إيَّايَ الخُروجَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: لا تَصرِفني عن شُغلي، قاله ابن بَحرٍ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ في هذه الفِتنة أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الكُفرُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الحَرَجُ، قاله عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الإِثمُ، قله قَتادةُ، والزَّجّاجُ. **والرابع**: العذابُ في جهنَّمَ، ذكره الماوَردِي.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ أي: نَصرٌ وغَنيمةٌ. والمُصيبَةُ: القَتلُ والهَزيمةُ. ﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ أي: عَمِلنا بالحَزمِ فلم نَخرُجْ. ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بمُصابكَ وسَلامَتِهم. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما قَضى علينا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ما بَيَّن لنا في كتابه مِنْ أنَّا نَظفَرُ فيكون ذلك حُسنَى لنا، أو نُقتل فتكونَ الشهادةُ حُسنَى لنا أيضاً، قاله الزَّجّاجُ. **والثالث**: لن يُصيبَنا في عاقبة أمرنا إلاَّ ما كتبَ اللَّهُ لنا مِنَ النَّصر الذي وُعِدْنَا، ذكره المَاوَرِدي. قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي: ناصِرُنا.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ أي: تَنتظِرون. والحُسْنَيَان: النَّصرُ والشَّهادة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ في هذا العذابِ قولان: **أحدهما**: الصَّواعقُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: المَوتُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. قوله تعالى: ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني: القَتلَ.

---

[٧٠٧] أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢١٥٤ و ١٢٦٥٤ من حديث ابن عباس، وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٠: وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف اهـ. قلت: وبشر بن عمارة ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وللحديث شواهد. انظر «الدر المنثور» ٣/ ٤٩ و «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٢١٣ و ٢١٤.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾.

[٧٠٨] سببُ نزولها أنَّ الجدَّ بن قَيسٍ قال للنبيِّ ﷺ لمَّا عَرضَ عليه غزوَ الرُّومِ: إذا رأيتُ النساءَ افتَتنتُ؛ ولكنْ هذا مَالِي أُعينُكَ به، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لفظُ أمرٍ، ومعناه معنى الشَّرطِ والجَزاءِ، المعنى: إنْ أنفقتُم طَائِعين أو مُكرَهين لن يُتقبَّلَ منكم. ومثلُه في الشعر قولُ كُثيِّرٍ:

أَسِيئِي بِنَا أو أَحسِنِي لا مَلُومَةٌ   لَدَينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[١]

لم يأمُرها بالإِسَاءَة، ولكنْ أعلَمَها أنَّها إنْ أساءَتْ أو أحسَنَتْ فهو على عَهدِهَا. قال الفَرَّاءُ. ومِثْلُه ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٢].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وعَاصمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ: «تقبل» بالتاء: وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ: «يقبل» بالياء. وقال أبو عليٍّ: مَنْ أنَّثَ، فَلأنَّ الفعلَ مُسندٌ إلى مُؤنَّثٍ في اللفظ؛ ومَنْ قرأ بالياء، فَلأنَه ليس بتأنيثٍ حقيقيٍ، فَجَازَ تَذكيرُه؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٣]. وقرأ الجُحدُريُّ: «أن يَقبل» بياءٍ مفتوحةٍ، «نفقاتِهم» بكسرِ التاء. وقرأ الأعمَشُ: «نفقتهم» بغير ألفٍ، مرفوعةَ التاء. وقرأ أبو مِجلزٍ، وأبو رَجَاءٍ: «أن يَقبل» بالياء «نفقتهم» بنصب التاء على التَّوحيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ قال ابنُ الأنبَاري: «أن» هاهُنا مفتوحةٌ، لأنَّها بتأويلِ المصدرِ مرتفعةٌ بـ «منعهم»، والتقديرُ: وما مَنعَهُم قَبولَ النَّفقةِ منهم إلا كُفرُهم بالله.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ قد شَرحنَاهُ في سورة (النساء)[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنَّهم يَعُدُّون الإنفاقَ مَغرَماً.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أي: لا تَستَحسِنْ ما أنعَمْنا به عليهم مِنَ الأموالِ والأولادِ.

---

[٧٠٨] ضعيف. أخرجه الطبري ١٦٨١٨ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، ابن جريج لم يسمع ابن عباس.

---

(١) البيت منسوب إلى كثير عزة، ديوانه: ١/٥٣. يقال قلاه: قلاه يقليه قلىً كرهه وأبغضه، تقلىٰ تبغض.
(٢) سورة التوبة: ٨٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٧٥.
(٤) سورة النساء: ١٤٢.

وفي معنى الآية أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: فلا تُعجبكَ أحوالُهم ولا أولادُهم في الحياة الدنيا، إنَّما يُريد اللّهُ لِيُعذِّبَهم بها في الآخرة، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ والسُّدِّيّ وابنُ قُتَيبة. فعلى هذا في الآيةِ تَقديمٌ وتأخيرٌ، ويكون تَعذِيبُهم في الآخرةِ بما صَنَعُوا في كَسْبِ الأموالِ وإنفاقِها. **والثاني**: أنَّها على نَظْمِهَا، والمعنى: لِيُعذِّبَهُم بها في الدنيا بالمَصائبِ في الأموالِ والأولادِ، فهي لهم عذابٌ، وللمؤمنين أجْرٌ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ المعنى: لِيُعذِّبَهم بأخْذِ الزَّكاةِ مِنْ أموالِهم والنَّفَقةِ في سبيلِ الله، قاله الحسَنُ. فعلى هذا تَرجعُ الكِنايةُ إلى الأموالِ وَحْدَهَا. **والرابع**: لِيُعَذِّبَهم بسَبْيِ أولادِهم وغَنيمَةِ أموالِهم، ذكره المَاوَرْدِي. فعلى هذا تكونُ في المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تَخْرُجَ، يقال: زَهَقَ السَّهمُ: إذا جَاوزَ الهَدفَ.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مؤمنون، و ﴿يَفْرَقُونَ﴾ بمعنى يَخافُون. فأمَّا المَلجَأُ، فقال الزَّجَّاجُ: المَلجأُ واللَّجأُ مقصورٌ مهموزٌ، وهو المكانُ الذي يُتَحصَّنُ فيه. والمَغَارَاتُ: جمعُ مَغَارَةٍ، وهو المَوضع الذي يَغُور فيه الإنسانُ، أي: يَسْتَتِرُ فيه. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «أو مُغارات» بضمِّ الميم؛ لأنه يُقال: أَغَرْتُ وغُرْتُ: إذا دخلتُ الغورَ. وأصلُ مدَّخَلٍ: مُدْتَخَل، ولكنَّ التاء تُبدلُ بعدَ الدالِ دالاً، لأنَّ التاء مَهمُوسةٌ، والدَّالُ مَجْهُورةٌ، والتاءُ والدالُ مِنْ مكانٍ واحدٍ، فكان الكلامُ مِنْ وَجهٍ واحدٍ أخفَّ. وقرأ أُبيٌّ، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاء: «أو مُتَدَخَّلاً» برفع الميم، وبتاءٍ ودالٍ مفتوحتين، مُشدَّدة الخاءِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ: «مُندخَلاً» بنونٍ بعد الميم المضمُومةِ. وقرأ الحسَنُ، وابن يَعْمُر، ويَعقُوبُ: «مدخلاً» بفتح الميم وتخفيفِ الدالِ وسُكونِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قال: «مَدْخلاً» فهو مِنْ دَخَلَ يَدْخُلُ مَدْخَلاً؛ ومَنْ قَالَ: «مُدْخلاً» فهو مِنْ أَدْخَلْتُه مُدخَلاً، قال الشاعر:

الحمدُ للَّهِ مُمْسَانَا ومُصْبَحَنَا … بالخَيرِ صبَّحنَا ربِّي ومسَّانَا[٢]

ومعنى مُدَّخَلٍ: أنهم لو وَجَدُوا قوماً يَدخُلون في جُملَتِهم ﴿لَّوَلَّوْا﴾ إليه، أي: إلى أحدِ هذه الأشياء ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يُسرعون إسرَاعاً لا يَرُدُّ فيه وُجوهَهم شيءٌ. يقال: جَمَحَ وطَمَحَ: إذا أسرَعَ ولم يَرُدَّ وجهَهُ شيءٌ؛ ومنه قيل: فَرَسٌ جَمُوحٌ للذي إذا حَمَلَ لم يَرُدَّهُ اللجَامُ.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/٣٩١: وأولى التأويلين. في ذلك عندنا. التأويل الذي ذكرنا عن الحسن، لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل، فصرف تأويله إلى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته. وإنما وجّه من وجّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا، وجهاً يوجهه إليه، وقال: كيف يعذبهم بذلك في الدنيا وهي لهم فيها سرور؟ ذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه، إلزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس، ولا راجٍ من الله جزاء، ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً. على ضجر منه وكره. ا. هـ.

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في «اللسان» ما.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فيمَن نزلت فيه قولان:

[٧٠٩] **أحدهما**: أنه ذُو الخُوَيصِرَة التَّمِيمي، قال للنبيِّ ﷺ يوماً: إعدِلْ يا رسولَ الله، فنزلت هذه الآيةُ. ويُقال: أبو الخَوَاصِر. ويقال: ابنُ ذِي الخُوَيصِرَة.

[٧١٠] **والثاني**: أنه ثَعلَبَةُ بن حَاطِبٍ كان يقول: إنَّما يُعطي محمَّدٌ مَنْ يشاء، فنزلت هذه الآيةُ.

قال ابنُ قُتَيبةَ: «يَلمِزُكَ» يَعيبُكَ ويَطْعَنُ عليكَ. يقال: هَمَزتُ فُلاناً ولَمَزْتُه: إذا اغتَبْتَهُ وعِبْتَهُ، والأكثرون على كَسرِ ميم «يَلمِزُكَ». وقرأ يَعقوبُ، ونظيف عن قنبل، وأَبَانُ عن عَاصم، والقَزَّازُ عن عبدِ الوارثِ: «يلمُزون» و «يلمُزك» و «لا تلمُزوا» بضمِّ الميم فيهنَّ. وقرأ ابنُ السَّمَيفعِ: «يُلامِزُكَ» مثل: يُفاعِل. وقد رواها حمَّادُ بن سَلَمة عن ابنِ كَثيرٍ. قال أبو عليٍّ الفَارسيّ: وينبغي أنْ تكون فاعَلتُ في هذا مِنْ واحدٍ، نحو: طَارَقتُ النَّعلَ، وعَافاهُ اللَّهُ، لأنَّ هذا لا يكون مِنَ النبيِّ ﷺ. وقرأ الأعمَشُ: «يلمِّزك» بتشديد الميم مِنْ غير ألفٍ، مثل: يفعِّلك. قال الزَّجَّاجُ: يقال: لَمَزتُ الرَّجلَ ألمِزه وأَلْمُزه، بكسر الميم وضمِّها: إذا عِبْتَهُ، وكذلك: هَمَزْتُه أهمِزُهُ، قال الشاعر:

إذا لقيتُكَ تُبْدِي لي مُكَاشَرَةً ... وإن تَغَيَّبْتُ كنتَ الهَامِزَ اللُّمَزَهْ[1]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: قَنعوا بما أُعطوا. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في الزِّيادة، أي: لَكَانَ خيراً لهم. وهذا جوابُ «لو»، وهو مَحذوفٌ في اللفظ.

ثم بَيَّن المُستحِقَّ للصَّدقات بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ اختلفوا في صِفَةِ الفقير والمسكين على ستةِ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ الفقيرَ: المُتعفِّفُ عن السُّؤالِ، والمِسكينُ: الذي يسألُ

---

[٧٠٩] صحيح. أخرجه البخاري ٣٦١٠ و ٥٠٥٨ و ٦١٦٣ و ٦٩٣١ ومسلم ١٠٦٤ والنسائي في «التفسير» ٢٤٠ وابن ماجة ١٦٩ والطبري ١٦٨٣٢ والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٥٠٥ كلهم من حديث أبي سعيد بأتم منه.

[٧١٠] باطل لا أصل له، لم أقف له على إسناد والآية في المنافقين، وثعلبة بدري، وسيأتي حديثه مطولاً.

---

(١) البيت لزياد الأعجم: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٣ و «اللسان»: همز.

(٢) قال الطبري في تفسيره ٦٥/ ٣٩٦: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: «الفقير» هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع، «والمسكين» هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسألة لإجماع الجميع من أهل العلم أن «المسكين» إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر. وأن معنى «المسكنة» عند العرب الذلة، كما قال الله عز وجل ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ [البقرة: ٦١]. يعني بذلك الهون والذلة، لا الفقر. فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنف منهم غير الآخر، وإذا كان ذلك كذلك كان لا شك أن =

وبه رمق، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ ومُجاهِدٌ وجابرُ بن زيدٍ والزُهريُّ والحَكَمُ وابنُ زيدٍ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنَّ الفقيرَ: المُحتاجُ الذي به زَمَانَةٌ، والمِسكينُ: المُحتَاجُ الذي لا زَمانَةَ به، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: الفقيرُ: المُهاجِرُ، والمِسكينُ: الذي لم يُهاجِرْ، قاله الضَّحَّاكُ بن مُزَاحِم والنَّخَعيُّ. **والرابع**: الفقيرُ: فقيرُ المسلمين، والمِسكينُ: مِنْ أهلِ الكتاب، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: أنَّ الفقيرَ: مَنْ له البُلْغَةُ مِنَ الشيء، والمِسكينُ: الذي ليس له شيءٌ، قاله أبو حَنيفَةَ ويُونُسُ بن حَبيبٍ ويَعقوبُ بن السِّكِّيتِ وابنُ قُتَيبة. واحتَجُّوا بقول الرَّاعي:

أمَّا الفقيرُ الذي كانتْ حَلُوبَتُه ... وفْقَ العِيَالِ فلم يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ[(١)]

فسَمَّاه فقيراً، وله حَلوبَةٌ تكفيه وعِيَالَهُ. وقال يُونسُ: قلتُ لأعرابيٍّ: أفقيرٌ أنتَ؟ قال: لا واللَّهِ، بل مِسكينٌ؛ يُريد: أنا أسوأُ حالاً مِنَ الفقير. **والسادس**: أنَّ الفقيرَ أَمَسُّ حاجةً مِنَ المِسكين، وهذا مذهبُ أحمدَ، لأنَّ الفقيرَ مأخوذٌ مِنِ انكسَارِ الفَقَارِ، والمَسكَنَةُ مأخوذةٌ مِنَ السُّكونِ والخُشوعِ، وذلك أَبلَغُ. قال ابنُ الأنباري: ويُروى عن الأصمعيِّ أنه قال: المِسكينُ أحسنُ حالاً مِنَ الفقير. وقال أحمدُ بنَ عُبيدٍ: المِسكينُ أحسنُ حالاً مِنَ الفقيرِ، لأنَّ الفقيرَ أصلُهُ في اللغة: المَفقُور الذي نُزِعَتْ فِقْرَةٌ مِنْ فِقَرِ ظَهرِه، فكأنَّه انقطعَ ظَهرُهُ مِنْ شدَّة الفقر، فصُرِفَ عن مَفقُورٍ إلى فَقيرٍ، كما قيل: مَجرُوحٌ وجَريحٌ، ومَطبُوخٌ وطَبيخٌ، قال الشاعر:

لَمَّا رَأى لُبَدَ النُّسُورِ تَطَايَرَتْ ... رَفَعَ القَوادِمَ كالفَقيرِ الأعْزَلِ[(٢)]

قال: ومِنَ الحُجَّة لهذا القول قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾[(٣)] فوَصفَ بالمَسكَنَةِ مَنْ له سفينةٌ تُساوي مالاً؛ قال: وهو الصَّحيحُ عندنا.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ وهُمُ السُّعاةُ لِجبايةِ الصَّدقةِ، يُعْطَوْنَ منها بقَدْرِ أُجور أمثالِهم، وليس ما يأخذُونه بزَكاةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهُمْ قومٌ كان رسولُ الله ﷺ يَتَألَّفُهم على الإسلام بما يُعطيهم، وكانوا ذَوي شَرَفٍ، وهُمْ صِنفَان: مسلمون، وكافرون. فأمَّا المسلمون، فصِنفَان؛ صِنفٌ كانت نِيَّاتُهم في الإسلام ضَعيفةً، فتألَّفَهُم تقويةً لِنيَّاتِهم، كعُيَيْنَة بن حِصنٍ، والأقْرَعِ؛ وصِنفٌ كانت نِياتُهم حَسَنَةً، فأُعطُوا تألُّفاً لعَشائِرهم مِنَ المشركين، مثلَ عَدِيِّ بن حَاتِمٍ. وأمَّا المشركون، فصِنفَان، صِنفٌ يَقصِدُون المسلمين بالأذى، فتألَّفَهُم دَفْعاً لأذَاهُم، مثلَ عَامِرِ بن الطُّفَيلِ؛ وصِنفٌ كان لهم مَيْلٌ إلى الإسلام،

= المقسوم له باسم «الفقير» غير المقسوم له باسم المسكنة والفقر هو الجامع إلى فقره المسكنة، وهي الذل بالطلب والمسألة فتأويل الكلام. إذا كان ذلك معناه: إنما الصدقات للفقراء: المتعفف منهم الذي لا يسأل والمتذلل منهم الذي يسأل. اهـ.

(١) البيت منسوب إلى الراعي ديوان: ٥٥. الحلوبة: الناقة التي تحلب. وفق العيال: لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم. السبد: الشعر. وقيل الوبر.

(٢) البيت منسوب إلى لبيد، ديوانه ٢٧٤ و «اللسان». فقر. الأعزل: المائل الذنب توصف به الخيل. القوادم: أربع ريشات في مقدم الجناح. الفقير: المكسور الفقار وهي ما انتصف من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

(٣) سورة الكهف: ٧٩.

تألَّفهم بالعَطِيَّة لِيُؤمنوا، كصفوانَ بن أُمَيَّةَ. وقد ذكرتُ عددَ المُؤلَّفةِ في كتاب «التلقيح». وحُكمُهم باقٍ عند أحمدَ في روايةٍ، وقال أبو حَنيفةَ، والشَّافعيُّ: حُكمُهم مَنسُوخٌ. قال الزُّهريُّ: لا أعلمُ شيئاً نَسَخَ حُكمَ المُؤلَّفة قلوبُهم.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ قد ذكرناه في سورة (البقرة)[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ وهم الذين لَزِمَهم الدَّينُ ولا يَجِدُون القضاءَ. قال قَتادَةُ: هُمْ ناسٌ عليهم دَيْنٌ مِنْ غير فسادٍ ولا إسرافٍ ولا تبذيرٍ، وإنَّما قال هذا، لأنَّه لا يُؤمَن في حقِّ المُفسِدِ إذا قُضِيَ دَيْنُه أنْ يعودَ إلى الاستدانَةِ لذلك؛ ولا خِلافَ في جَوازِ قَضاءِ دَيْنِهِ ودَفعِ الزَّكاةِ إليه، ولكنَّ قَتادَةَ قاله على وَجْهِ الكَراهيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الغُزاةَ والمُرابِطين. ويجوز عندنا أنْ يُعطَى الأغنياءُ منهم والفُقراءُ، وهو قولُ الشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفَةَ: لا يُعطى إلاَّ الفقير منهم. وهل يجوزُ أنْ يُصرَفَ مِنَ الزَّكاةِ إلى الحَجِّ، أمْ لا؟ فيه عن أحمدَ رِوايتان.

قوله تعالى: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المُسافرُ المُنقَطِعُ به، وإنْ كان له مالٌ في بَلدِه؛ قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وأبو حَنيفَةَ، وأحمدُ. فأمَّا إذا أراد أنْ يُنشئَ سَفَراً، فهل يجوز أنْ يُعطَى؟ قال الشَّافعيُّ: يجوز، وعن أحمدَ نحوه؛ وقد ذكرنا في سورة (البقرة) فيه أقوالاً عن المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني أنَّ الله افترضَ هذا.

فصل: وحَدُّ الغِنى الذي يمنعُ أَخذَ الزَّكاة عند أصحابنا بأَحَدِ شيئين: أنْ يكون مَالِكاً لخمسين درهماً، أو عِدلِها مِنَ الذَّهب، سواءٌ كان ذلك يقوم بكِفَايَتِه أو لا يقوم، والثاني: أنْ يكون له كِفَايَةٌ، إمَّا بصَنعَةٍ، أو أُجرَةِ عقارٍ، أو عُروضٍ للتِّجارة يقوم رِبحُها بكِفايَتِه. وقال أبو حَنيفَةَ: الاعتبارُ في ذلك أنْ يكون مالكاً لِنصَابٍ تَجِبُ عليه فيه الزَّكاة. فأمَّا ذوو القُربى الذين تَحرُمُ عليهم الصَّدقةُ، فهُم بَنُو هَاشم، وبَنو المُطَّلِب. وقال أبو حَنيفَةَ: تَحرُمُ على وَلَدِ هاشم، ولا تَحرُم على وَلَدِ المُطَّلِب. ويجوز أنْ يَعمَل على الصَّدَقة مِنْ بَني هَاشم وبَني المُطَّلبِ ويأخذ عمَالَتَهُ منها، خلافاً لأبي حَنيفَة. فأمَّا مَوالي بَني هَاشم وبَني المُطَّلب، فتَحرُم عليهم الصَّدقةُ، خِلافاً لمالكٍ. ولا يجوز أنْ يُعطي صَدَقتَهُ مَنْ تلزَمُه نَفقتُه؛ وبه قال مالكٌ، والثَّوريُّ. وقال أبو حَنيفَةَ والشَّافعيُّ: لا يُعطي وَالداً وإنْ عَلاَ، ولا وَلَداً وإن سَفُلَ، ولا زوجَةً، ويُعطي مَنْ عَداهم. فأمَّا الذِّمِّيُّ؛ فالأكثرون على أنه لا يجوزُ إعطاؤه. وقال عُبيدُ الله بن الحَسنِ: إذا لم يَجِدْ مُسلماً، أعطى الذِّمِّيَّ. ولا يجبُ استيعَابُ الأصنافِ ولا اعتبارُ عَدَدٍ مِنْ كلِّ صِنفٍ؛ وهو قولُ أبي حَنيفَةَ، ومالكٍ؛ وقال الشَّافعيُّ: يجب الاستيعَابُ مِنْ كلِّ صِنفٍ ثلاثةٌ.

فأمَّا إذا أراد نَقْلَ الصَّدقةِ مِنْ بلدِ المال إلى مَوضعٍ تُقصَرُ فيه الصلاة، فلا يجوز له ذلك، فإنْ نَقَلَهَا لم يُجزئه؛ وهو قولُ مالكٍ، والشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفَة: يُكره نَقلُها، وتُجزئه. قال أحمدُ: ولا يُعطى الفقيرُ أكثرَ مِنْ خمسين دِرهماً. وقال أبو حَنيفَةَ: أكرَهُ أن يُعطي رجلٌ واحدٌ مِنَ الزَّكاة مائتي دِرهم، وإنْ أعطيتَهُ أجزَأكَ. فأمَّا الشَّافعيُّ، فاعتبر ما يَدفَعُ الحاجةَ مِنْ غير حدٍّ. فإنْ أعطى مَنْ يَظُنُّه فقيراً، فَبَانَ أنه

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧ قوله تعالى: **﴿ليس البر . . . والسائلين وفي الرقاب﴾**.

غنيٌّ، فهل يُجزئ، فيه عن أحمدَ روايتان.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ في سبب نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٧١١] **أحدها**: أن خِذَامَ بن خَالدٍ، والجُلاَسَ بن سُوَيدٍ، وعُبيدَ بن هِلالٍ في آخرين، كانوا يُؤذون رسولَ الله ﷺ، فقال بعضُهم لبعضٍ: لا تفعلوا، فإنَّا نخافُ أنْ يَبْلُغَهُ فيقَع بنا، فقال الجُلاَسُ: بل نقولُ ما شِئنا، فإنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ سامعةٌ، ثم نأتيه فيُصدِّقنا؛ فنزلت هذه الآيةُ؛ قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٧١٢] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنَ المنافقين يُقال له: نَبْتَل بن الحَارث، كان يَنِمُّ حديثَ رسولِ الله ﷺ إلى المنافقين، فقيلَ له: لاَ تَفعلْ؛ فقال: إنَّما محمَّدٌ أُذُنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ شيئاً صَدَّقَهُ؛ نقولُ ما شِئنَا، ثم نأتيَهُ فنَحلِفُ له فيُصَدِّقُنا، فنزلت هذه الآيةُ؛ قاله محمَّدُ بن إسحَاقَ.

[٧١٣] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنَ المنافقين منهم جُلاَسُ بن سُوَيدٍ، ووَديعَةُ بن ثَابتٍ، اجتَمَعوا، فأرَادُوا أنْ يَقَعُوا في النبيِّ ﷺ، وعندهم غُلامٌ مِنَ الأنصار يُدعى عامرَ بن قَيسٍ، فحَقَّرُوه، فتكَلَّمُوا وقالوا: لَئِنْ كان ما يقولُه محمَّدٌ حقّاً، لَنَحنُ شَرٌّ مِنَ الحَمِير، فغضبَ الغُلامُ، وقال: واللهِ إنَّ ما يقوله محمَّدٌ حقٌّ، وإنَّكم لَشَرٌّ مِنَ الحَمِير؛ ثم أتى النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ، فدَعَاهُم فسَألَهُم، فحَلَفُوا أنَّ عامراً كَاذبٌ، وحَلَفَ عامرٌ أنهم كَذَبُوا، وقال: اللهُمَّ لا تُفرِّق بيننَا حتى تبيِّنَ صِدْقَ الصَّادقِ، وكَذِبَ الكَاذِبِ؛ فنزلت هذه الآيةُ، ونزل قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾، قاله السُّدِّيّ.

فأمَّا الأذى فهو عيبه ونقل حديثه. ومعنى ﴿أُذُنٌ﴾ يقبل كل ما قيل له، قال ابن قتيبة: الأصل في هذا أن الأُذُنَ هي السَّامِعَةُ، فقيلَ لكلِّ مَنْ صَدَّقَ بكلِّ خَبَرٍ يسمعه: أُذُن. وجمهور القُرَّاءِ يقرؤون: ﴿هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ﴾ بالتَّثقيل. وقرأ نَافعٌ: «هو أُذْنٌ قل أُذْنُ خير» بإسكان الذال فيهما. ومعنى ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: أُذُنُ خيرٍ، لا أُذُنُ شَرٍّ؛ يَسمعُ الخَيرَ فيعمل به، ولا يَعملُ بالشَّرِّ إذا سَمِعَهُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ يَعْمُر، وابنُ أبي عَبْلَةَ «أُذُنٌ» بالتنوين، «خيرٌ» بالرَّفع. والمعنى: إنْ كان كما قُلتم، يسمع منكم ويُصدِّقكم، خيرٌ لكم مِنْ أنْ يُكذِّبكم. قال أبو عليٍّ: يجوز أنْ تُطلق الأُذُنُ على الجُملة؛ كما قال الخَليلُ: إنما سُمِّيت النَّابُ مِنَ الإبِل لمكان النَّاب البَازِل، فسُمِّيت الجُملةُ كلُّها به، فأجْرَوا على الجُملةِ اسمَ الجَارِحَة لإرادَتِهم كثرة استعماله لها في الإصغَاء بها. ثم بَيَّن

---

[٧١١] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٢٥٤ فقال: نزلت في جماعة من المنافقين.

[٧١٢] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٩١٥ عن ابن إسحاق مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٠٨ بدون إسناد. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢/ ٤٣٠.

[٧١٣] أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٣/ ٢٥٣ عن السدي مرسلاً. وأخرجه الطبري ١٦٩٢٢ عن قتادة مرسلاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٠ عن السدي بدون إسناد. وانظر «تفسير القرطبي» ٨/ ١٧٨.

ممَّن يقبلُ، فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن قُتيبةَ: الباء واللام زائدتان؛ والمعنى: يُصَدِّق الله ويُصدِّق المؤمنين. وقال الزَّجَّاجُ: يسمع ما يُنزِّله اللَّهُ عليه، فيُصدِّقُ به، ويُصدِّقُ المؤمنين فيما يُخبرُونه به. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: وهو رَحمةٌ، لأنَّه كان سببَ إيمان المؤمنين. وقرأ حَمزةُ «ورحمةٍ» بالخَفضِ. قال أبو عليٍّ: المعنى: أُذُنُ خَيرٍ ورَحمةٍ. والمعنى: مُستَمِعُ خيرٍ ورَحمةٍ.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

[٧١٤] قال ابنُ السَّائِب: نزلت في جماعةٍ مِنَ المنافقين تَخلَّفوا عن غَزوة تَبُوكٍ، فلمَّا رجعَ النبيُّ ﷺ، أتوا المؤمنين يَعتَذِرون إليهم، ويَحلِفُون ويَعْتَلُّون. وقال مُقاتِلٌ: منهم عبدُ الله بن أُبَيٍّ، حَلفَ لا يتخلَّف عن رسولِ الله ﷺ ولَيكونَنَّ معه على عَدُوِّه.

وقد ذكرنا في الآية التي قبلَها أنَّهم حَلفُوا أنهم ما نطقُوا بالعَيبِ. وحكى الزَّجَّاجُ عن بعض النَّحويين أنه قال: اللامُ في: «لِيُرضُوكم» بمعنى القَسَم، والمعنى: يَحلِفون بالله لَكُم لَتُرضيَنَّكم. قال: وهذا خَطأٌ، لأنَّهم حَلفُوا أنهم ما قالوا ما حُكيَ عنهم لِيُرضُوا باليَمين، ولم يَحلِفُوا أنَّهم يُرضُون في المُستقبل. قلتُ: وقولُ مُقاتِلٍ يُؤكِّد ما أنكرَهُ الزَّجَّاجُ، وقد مَالَ إليه الأخفَشُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بالتَّوبة والإنابَةِ. **والثاني**: بتَرْكِ الطَّعن والعَيبِ. فإنْ قيل: لِمَ قال: «يرضُوه» ولم يَقُلْ: يرضُوهما؟ فقد شَرحنا هذا عندَ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ روى أبو زَيدٍ عن المُفضَّلِ «ألم تعلموا» بالتاء. ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَنْ يُخالِفِ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ يُعادِ الله، كقولكَ: مَنْ يُجانِبِ الله ورَسُولَه، أي: يكون في حَدٍّ، والله ورسولُه في حَدٍّ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ قرأ الجمهور: «فأن» بفتح الهمزة، وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو عِمرَان، وابنُ أبي عَبْلَةَ: بكَسرِها، فمَنْ كَسَرَ، فعلى الاستئنافِ بعد الفاءِ، كما تقول: فلَهُ نارُ جهنَّم. ودَخلت «إنَّ» مؤكِّدةً. ومَنْ قال: «فأنَّ له» فإنَّما أعادَ «أنَّ» الأولى توكيداً؛ لأنه لمَّا طالَ الكلامُ، كان إعادَتُها أوكَدَ.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

---

[٧١٤] عزاه المصنف للكلبي، وهو ممن يضع الحديث فالخبر لا شيء.

---

(١) سورة التوبة: ٣٤.

قوله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ في سبب نزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٧١٥] **أحدها**: أنَّ المنافقين كانوا يَعيبُون رسولَ الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسَى اللَّهُ أنْ لا يُفشِيَ سِرَّنا؛ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

[٧١٦] **والثاني**: أنَّ بعضَ المنافقين قال: لَوَدِدْتُ أنّي جُلِدتُ مائةَ جَلْدة، ولا ينزل فينَا شيءٌ يَفضَحُنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيّ.

[٧١٧] **والثالث**: أنَّ جماعةً مِنَ المنافقين وقَفوا للنبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظلمةٍ عند مَرْجعِه مِنْ تَبُوك لِيَفْتِكُوا به، فأخبره جبريلُ عليه السلام، ونزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ كَيْسَانَ.

وفي قوله: تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه إخبَارٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ عن حَالِهم، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ واختاره ابنُ القَاسِم. **والثاني**: أنه أمْرٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ لهم بالحَذَرِ، فتقديره: لِيَحْذَرِ المُنافقون، قاله الزَّجَّاجُ. قال ابنُ الأنبَارِي: والعربُ ربَّما أخرَجت الأمرَ على لَفظ الخَبَرِ، فيقولون: يَرْحَمُ اللَّهُ المؤمنَ، ويُعذِّبُ الكافرَ؛ يريدون: لِيَرْحَم ولِيُعَذِّبَ، فيُسقطون اللامَ ويُجْرُونه مَجرَى الخَبرِ في الرَّفع، وهُم لا يَنْوُونَ إلاَّ الدُّعاءَ؛ والدُّعاء مُضارِعٌ للأَمرِ.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ﴾ هذا وَعيدٌ خَرَجَ مَخرجَ الأمرِ تهديداً. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ وَجهان: **أحدهما**: مُظهِرُ ما تُسِرُّون. **والثاني**: نَاصِرُ مَنْ تَخذُلُون، ذكرهما المَاوَرْدِي.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ﴾ في سبب نزولها ستةُ أقوالٍ:

[٧١٨] **أحدها**: أن جَدَّ بنَ قَيس، ووَديعَةَ بن خِذَامَ، والجُهَير بن حُمَير، كانوا يَسيرون بين يَدَي رسولِ الله ﷺ مرجعَهُ مِنْ تَبُوك، فجعلَ رَجُلان منهم يَستَهزِئان برسولِ اللَّهِ ﷺ. والثالثُ يَضحكُ ممَّا يقولان ولا يَتكلَّمُ بشيءٍ، فنزلَ جِبريلُ فأخبرَهُ بما يَستهزئون به ويَضحَكُون؛ فقال لعَمَّار بن ياسر: «اذهبْ فَسَلْهُمْ عمَّا كانوا يَضحكُون منه، وقُلْ لهم: أحرَقَكُم اللَّهُ»، فلمَّا سألَهم، وقال: أحرَقَكُم اللَّهُ؛

---

[٧١٥] أخرجه الطبري ١٦٩٢٣ عن مجاهد مرسلاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٠ م عن مجاهد مرسلاً.

[٧١٦] عزاه المصنف للسدي، وهذا معضل، والمتن غريب، فهو واهٍ. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٠ عن السدي مرسلاً.

[٧١٧] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٦ عن الضحاك. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٦٠ و ٢٦١ من حديث حذيفة بنحوه وأتم. وأخرجه أيضاً البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ عن عروة مرسلاً بأتم منه. وأخرجه أحمد ٥/ ٤٥٣ و ٤٥٤ من حديث أبي الطفيل مع اختلاف فيه. الخلاصة هو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده.

[٧١٨] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح، وهي رواية ساقطة لأنها من طريق الكلبي.

عَلِمُوا أنه قد نَزَلَ فيهم قرآنٌ، فأقبلُوا يَعتَذِرون إلى رسولِ الله ﷺ، وقال الجُهَيرُ: واللّهِ ما تكلّمتُ بشيءٍ، وإنما ضَحِكتُ تعجُّباً مِنْ قولِهم؛ فنزلَ قولُه تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ يعني جَدَّ بن قَيسٍ، ووَدِيعَة ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ يعني الجُهَيرَ ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ يعني الجَدَّ ووَدِيعَة، وهذا قولُ أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٧١٩] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنَ المنافقين قال: ما رأيتُ مثلَ قُرّائِنا هؤلاءِ، ولا أرغبَ بُطُوناً، ولا أكذبَ، ولا أَجْبَنَ عند اللقاء؛ يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابَه؛ فقال له عَوفُ بن مالكٍ. كذبتَ، لكنَّكَ منافقٌ، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ؛ فذهب لِيُخبِرَه، فوجدَ القرآن قد سَبَقَهُ؛ فجاء ذلك الرجلُ فقال: يا رسولَ الله، إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونلعبُ، هذا قولُ ابنِ عمرَ وزيدِ بن أَسلَمَ والقُرَظِي.

[٧٢٠] **والثالث**: أنَّ قوماً مِنَ المنافقين كانوا يَسيرون مع رسولِ الله ﷺ، فقالوا: إنْ كان ما يقولُ هذا حَقّاً، لَنَحنُ شَرٌّ مِنَ الحَميرِ؛ فأَعلَمَ الله نبيَّهُ ما قالوا، ونزلت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ.

[٧٢١] **والرابع**: أنَّ رجلاً مِنَ المنافقين قال: يُحدِّثنا محمَّدٌ أنَّ ناقة فُلانٍ بوادي كذا وكذا، وما يُدريه ما الغَيبُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

[٧٢٢] **والخامس**: أنَّ ناساً مِنَ المنافقين قالوا: يَرجُو هذا الرجلُ أنْ يَفتحَ قصورَ الشَّام وحُصونَها، هَيهاتَ؛ فأطلَعَ الله نبيَّهُ على ذلك، فقال نبيُّ الله ﷺ: «احبِسُوا عَليَّ الرَّكبَ»، فأتاهم، فقال: «قُلتُم كذا وكذا»، فقالوا: إنَّما كنَّا نخوضُ ونلعبُ؛ فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

[٧٢٣] **والسادس**: أنَّ عبدَ الله بن أُبيٍّ، ورَهطاً معه، كانوا يقولون في رسولِ الله ﷺ وأصحابِه ما لا ينبغي، فإذا بلغَ رسولَ الله ﷺ قالوا: إنَّما كنَّا نَخوضُ ونَلعبُ، فقال اللّهُ تعالى: ﴿قُلْ﴾ لَهم ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾؟ قاله الضَّحَّاكُ.

فقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: عمَّا كانوا فيه مِنَ الاستِهزاءِ ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نَلْهُو بالحَديثِ. وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ أي: قد ظَهر كُفرُكُم بعد إظهارِكُم الإِيمان؛ وهذا يدلُّ على أنَّ الجِدَّ واللعبَ في إظهارِ كلمةِ الكُفرِ سواءٌ.

قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ قرأ الأكثرون «إن يُعفَ» بالياء، «تُعذَّبْ» بالتاء. وقرأ

---

[٧١٩] أخرجه الطبري ١٦٩٢٨ من حديث عبد الله بن عمر، وفيه هشام بن سعد ضعفه غير واحد. وأخرجه برقم ١٦٩٢٧ عن زيد بن أسلم مرسلاً، وهو أصح. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٢ عن زيد بن أسلم ومحمد بن كعب.

[٧٢٠] ضعيف. أخرجه الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٦ عن سعيد بن جبير مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

[٧٢١] أخرجه الطبري ١٦٩٣٣ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.
ـ وأخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٦ عن مجاهد مرسلاً.

[٧٢٢] أخرجه الطبري ١٦٩٣٠ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.
ـ وذكره الواحدي في أسباب النزول ٥١١ عن قتادة بدون ذكر السند مرسلاً.

[٧٢٣] عزاه المصنف للضحاك، وهذا مرسل فهو واهٍ.

عَاصمٌ غيرَ أبَانَ «إن نَعْفُ»، «نُعذِّبْ»، بالنون فيهما ونَصبِ «طائفةً»، والمعنى: إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ منكم بالتَّوفيقِ للتَّوبةِ، نُعذِّب طائفةً بتَرْكِ التَّوبةِ. وقيل: الطَّائفتان ها هنا ثلاثةٌ، فاستَهزأ اثنان وضَحِكَ واحدٌ. ثم أنكرَ عليهم بعضَ ما سَمِعَ. وقد ذكرنا عن ابنِ عباسٍ أسماءَ الثلاثة، وأنَّ الضَّاحكَ اسمُه الجُهَيْرُ، وقال غيره: هو مَخْشِيُّ بن حُمَيْرٍ. وقال ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ: الطَّائفةُ الواحد فما فوقَه. وقال الزَّجَّاجُ: أصلُ الطَّائفة في اللغة الجماعةُ؛ ويجوز أنْ يُقال للواحد طَائفةٌ، يُراد به نَفْسُ طَائفةٍ. وقال ابنُ الأنبارِي: إذا أُريد بالطَّائفة الواحدُ كان أصلها طَائِفاً، على مثال: قَائِم وقَاعِد، فتدخل الهاءُ للمُبالغة في الوَصفِ، كما يُقال: رَاوِيَة، عَلاَّمَة، نَسَّابَة. قال عمرُ بن الخَطَّابِ: ما فُرِغَ مِنْ تنزيل براءة حتى ظَنَنَّا أنْ لن يبقى منَّا أحدٌ إلاَّ سينزلُ فيه شيءٌ.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بعضُهم على دِينِ بعضٍ وقال مُقاتِلٌ: بعضُهم أولياءُ بعضٍ ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الكُفرُ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمانُ. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَقْبِضُونها عن الإنفاقِ في سبيل الله، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ ومُجاهِدٌ. **والثاني**: عن كلِّ خيرٍ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: عن الجهادِ في سبيل الله. **والرابع**: عن رَفعِها في الدُّعاء إلى اللَّهِ، ذكرهما المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ﴾ قال الزَّجَّاجُ: تَركُوا أمرَهُ، فتَركَهُم مِنْ رَحمَتِهِ وتَوفيقِه. قال: وقوله تعالى: ﴿هِىَ حَسْبُهُمْۚ﴾ أي: هي كِفايَةُ ذُنوبِهم، كما تقول: عذَّبْتُكَ حسبَ فِعلكَ، وحسبُ فُلانٍ ما نَزَل به، أي: ذلك على قَدْرِ فِعلِهِ. وموضعُ الكاف في قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ نصبٌ، أي: وَعدَكُم اللَّهُ على الكُفرِ به كما وعدَ الذين مِنْ قَبلِكم. وقال غيره: رَجعَ عن الخَبرِ عنهم إلى مُخاطبَتِهم، وشَبَّهَهم في العُدولِ عن أمرِهِ بمَنْ كان قبلَهم مِنَ الأُمَمِ الماضية.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: استَمْتَعُوا بنَصيبِهم مِنَ الآخرة في الدنيا. وقال الزَّجَّاجُ: بحَظِّهِم مِنَ الدنيا. قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: في الطَّعنِ على الدِّين وتكذيبِ نبيِّكم كما خاضُوا. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لأنَّها لم تُقبَلْ منهم، وفي الآخرة، لأنَّهم لا يُثابون عليها، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ بفَوتِ الثوابِ وحُصولِ العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُريدُ نَمرُودَ بن كَنعَان ﴿وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ يعني قومَ شُعيبٍ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ قُرى لُوطٍ. قال الزَّجَّاجُ: وهم جمع مُؤتَفِكَة، اِئتَفَكَتْ بهم الأرض، أي: انقلَبَتْ. قال: ويُقال إنَّهم جميعُ مَنْ أهلِكَ، كما يُقال للهَالِكِ: انقلَبَتْ عليه الدنيا. قوله تعالى: ﴿أَتَتْهُمْ﴾ يعني هذه الأُمَمُ ﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فكذَّبوا بها ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ليُهلكهم حتى يبعث فيهم نبياً يُنذرهم، والمعنى أنهم أُهلِكُوا باستِحقَاقِهم.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أي: بعضُهم يُوالي بعضاً، فهُمْ يَدٌ واحدةٌ، يأمُرون بالإيمان، وينهَونَ عن الكُفرِ.

قوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: في جنَّات خُلْدٍ، يقال: عَدَن فُلانٌ بأرضِ كذا، أي: أقامَ؛ ومنه: المَعْدِنُ، وهو في مَعْدِنِ صِدْقٍ، أي: في أصلٍ ثابت. قال الأعشَى:

وإنْ تَستَضِيفُوا إلى حِلْمِه ... تُضَافُوا إلى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ[1]

أي: رَزِينٌ لا يُستَخَفّ. قال ابنُ عباسٍ: جنَّاتُ عدنٍ، هي بُطنَانُ الجنَّة، وبُطنَانُها: وَسَطُها، وهي أعلى درجةٍ في الجنَّة، وهي دارُ الرَّحمن عزَّ وجلَّ، وسَقفُها عَرشُه، خَلَقَهَا بيده، وفيها عينُ التَّسنِيمِ، والجِنَانُ حَولَها مُحدِقَةٌ بها.

قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أكبرُ ممَّا يُوصف. وقال الزَّجَّاجُ: أكبرُ ممَّا هُمْ فيه مِنَ النَّعيم. فإنْ قيلَ: لِمَ كان الرِّضوان أكبرَ مِنَ النَّعيم؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ سرورَ القلب برِضَى الرَّبِّ نعيمٌ يَختصُّ بالقلب، وذاك أكبرُ مِنْ نعيمِ الأكلِ والشُّربِ.

[٧٢٤] وفي حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن النبيِّ ﷺ قال: «يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لأهل الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، هل رَضِيتُم؟ فيقولون: رَبَّنا وما لَنا لا نَرْضَى، وقد أعطَيْتَنا ما لَمْ تُعطِ أحداً مِنْ خَلْقِكَ! فيقول: أفَلا أُعطِيكُم أفضلَ مِنْ ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ مِنْ ذلكَ؟ قال: أُحِلُّ عليكم رِضوَاني، فلا أسخطُ عليكم أبداً».

---

[٧٢٤] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥١٨ ومسلم ٢٨٢٩ وابن حبان ٧٤٤٠ وابن منده ٨٢٠ وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ٣٤٢ وفي «صفة الجنة» ٢٨٢ والبيهقي في «البعث» ٤٤٥ من طرق عن ابن وهب عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري به.

ـ وأخرجه البخاري ٦٥٤٩ ومسلم ٢٨٢٩ والترمذي ٢٥٥٥ وأحمد ٣/ ٨٨ وابن منده ٨٢٠ والبيهقي في «البعث» ٤٤٥ من طريق ابن المبارك عن مالك من حديث أبي سعيد الخدري.

---

(١) البيت منسوب إلى الأعشى في ديوانه: ١٧ و«اللسان»: وزن. استضاف إليه: لجأ إليه عند الحاجة.

والثاني: أنَّ المُوجِبَ للنَّعيم الرِّضوان، والمُوجَبُ ثمرةُ المُوجِبِ، فهو الأصل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ أما جهادُ الكفَّارِ فبالسَّيفِ. وفي جهاد المنافقين قولان[١]: **أحدهما**: أنه باللسَانِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، والضَّحَّاكُ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثاني**: جهادُهم بإقامَةِ الحُدودِ عليهم، رُوِي عن الحسَنِ وقتادَةَ. فإنْ قيل: إذا كان رسولُ الله ﷺ قد أمِرَ بجهادِهم وهو يعلمُ أعيانَهم، فكيف تَرَكَهُم بينَ أظْهُرِ أصحابه فلَمْ يَقتُلْهم[٢]؟. فالجواب: أنه إنَّما أُمِرَ بقتالِ مَنْ أظْهَرَ كلمةَ الكُفرِ وأقامَ عليها، فأمَّا مَنْ إذا أُطلِعَ على كُفره، أنكَرَ وحَلَفَ وقال: إنّي مُسلمٌ، فإنَّه أُمِرَ أنْ يأخُذَ بظاهِرِ أمرِهِ، ولا يَبْحثَ عن سِرِّه.

قوله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُريد شِدَّةَ الانتِهارِ لهُم، والنَّظَرَ بالبُغضَةِ والمَقْتِ. وفي الهاءِ والميم من «عليهم» قولان: **أحدهما**: أنه يَرجِعُ إلى الفَريقين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: إلى المنافقين، قاله مُقاتِلٌ.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ في سبب نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ[٣]:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٤٥٩: إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم.

(٢) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٢/ ٥٤٤: قال علماء الإسلام ما تقدم، فأشكل ذلك واستبهم ولا أدري صحة هذه الأقوال في السند. أما المعنى فإن من المعلوم في الشريعة أن النبي ﷺ كان يجاهد الكفار بالسيف على اختلاف أنواعهم، حسب ما تقدم بيانه. وأما المنافقون فكان مع علمه بهم يعرض عنهم ويكتفي بظاهر إسلامهم ويسمع أخبارهم فيلغيها بالبقاء عليهم، وانتظار الفيئة إلى الحق بهم، وإبقاء على قومهم، لئلا تثور نفوسهم عند قتلهم، وحذراً من سوء الشنعة في أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فكان لمجموع هذه الأمور يقبل ظاهر إيمانهم، وبادي صلاتهم، وغزوهم، ويَكلُ سرائرهم إلى ربهم، وتارة كان يبسط لهم وجهه الكريم، وأخرىٰ كان يظهر التغير عليهم. وأما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة، وأما قول من قال: إن جهاد المنافقين بإقامة الحدود فيهم لأن أكثر إصابة الحدود كانت عندهم فإنه دعوىٰ لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق، إنما المنافق بما يكون في قلبه النفاق كامناً، لا بما تتلبس به الجوارح ظاهراً، وأخبار المحدودين يشهد مساقها أنهم لم يكونوا منافقين.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٢٢: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالىٰ أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كفر تكلموا بها، أنهم لم يقولوها. وجائز أن يكون ذلك القول أن الجلاس قاله، وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي بن سلول، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بأي ذلك من أي إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة، ويتوصل به إلى يقين العلم به، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه: «يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم». ا هـ.

[٧٢٥] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ المنافقين فعَابَهم؛ فقال الجُلاَسُ بن سُوَيدٍ: إنْ كان ما يقول على إخواننا حقًّا لَنَحنُ شرٌ مِنَ الحَمير. فقال عَامرُ بن قَيسٍ: واللَّهِ إنه لصَادقٌ ولأَنْتُم شَرٌّ مِنَ الحَميرِ؛ وأخبرَ رسولَ الله ﷺ بذلك، فأتى الجُلاَسُ فقال: ما قلتُ شيئاً، فحَلفَا عندَ المِنبرِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وذهب إلى نحوه الحسَنُ ومُجاهِدٌ وابنُ سِيرِيْنَ.

[٧٢٦] **والثاني**: أنَّ عبدَ الله بن أُبيٍّ قال: واللَّهِ لَئِنْ رَجَعنا إلى المَدينةِ، ليُخرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأذَلَّ، فسَمِعهُ رجلٌ مِنَ المسلمين، فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فأرسلَ إليه، فجَعَلَ يَحْلِفُ باللَّهِ ما قال، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

[٧٢٧] **والثالث**: أنَّ المنافقين كانوا إذا خَلَوْا، سَبُّوا رسولَ الله وأصحابَهُ، وطَعَنُوا في الدِّين؛ فنقلَ حُذيفَةُ إلى رسولِ الله ﷺ بعضَ ذلك، فحَلَفُوا ما قالوا شيئاً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ.

فأمَّا كلمةُ الكُفرِ، فهي سَبُّهم الرَّسول ﷺ وطَعْنُهم في الدِّين. وفي سببِ قوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

[٧٢٨] **أحدها**: أنَّها نزلت في ابنِ أُبيٍّ حين قال: لَئِنْ رَجَعنَا إلى المدينةِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ.

[٧٢٩] **والثاني**: أنَّها نزلت فيهم حينَ هَمُّوا بقَتْلِ رسولِ الله ﷺ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: والذي هَمَّ رجلٌ يُقال له: الأَسْوَدُ. وقال مُقاتِلٌ: هم خمسةَ عشرَ رجلاً، هَمُّوا بقَتْلِه ليلةَ العَقَبةِ.

[٧٣٠] **والثالث**: أنه لمَّا قال بعضُ المنافقين: إنْ كان ما يقولُ محمَّدٌ حقًّا، فنحنُ شَرٌّ مِنَ الحَميرِ؛ وقال له رجلٌ مِنَ المؤمنين: لأَنتُم شَرٌّ مِنَ الحَميرِ، هَمَّ المُنافقُ بقَتْلِه؛ فذلكَ قوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾، هذا قول مُجاهِدٍ.

[٧٣١] **والرابع**: أنهم قالوا في غَزوَةِ تَبُوكٍ: إذا قَدِمْنَا المدينةَ، عَقَدْنَا على رأسِ عبدِ الله بن أُبيٍّ تاجاً نُباهي به رسولَ الله ﷺ؛ فلم يَنالُوا ما هَمُّوا به.

---

[٧٢٥] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة، مصدرها الكلبي وهو متهم. وأخرجه الطبري ٢٦٩٨٢ و ١٦٩٨٣ من طريقين عن هشام بن عروة عن أبيه، ومراسيل عروة جياد، والإسناد إليه صحيح، فهو مرسل جيد. وكرره الطبري ١٦٩٨٤ عن ابن إسحاق مختصراً، وهو معضل وله شواهد أخرى مرسلة.

[٧٢٦] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٩٨٩ عن قتادة مرسلاً، ولأصله شواهد.
ـ وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٥ عن قتادة مرسلاً.

[٨٢٧] عزاه المصنف للضحاك، وهو مرسل، والمرسل من قسم الضعيف. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٤ عن الضحاك مرسلاً. وانظر «الدر» ٣/ ٤٦٤ و ٤٦٥.

[٧٢٨] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهو من طريق الكلبي. وأخرجه الطبري ١٦٩٨٩ عن قتادة مرسلاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٥ عن قتادة مرسلاً.

[٧٢٩] لم أره عن ابن عباس. وأخرجه الطبري ١٦٩٩٣ عن مجاهد مرسلاً بنحوه. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥١٦ عن الضحاك مرسلاً. وأخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٦٤ عن الضحاك مرسلاً.

[٧٣٠] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٩٨٥ عن مجاهد مرسلاً. وكرره ٦٩٨٦ و ١٦٩٨٧ عن مجاهد بنحوه.

[٧٣١] عزاه البغوي ٢/ ٣٧٠ و ٣٧١ للسدي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: ليس يَنقِمُون شيئاً، ولا يَتعرَّفُون مِنَ الله إلاَّ الصُّنعَ، ومِثلُه قولُ الشاعر:

مَـا نَـقَـمَ الـنَّـاسُ مِـنْ أُمَـيَّـةَ إلاَّ أَنَّـهُـمْ يَـحْـلُـمُـونَ إنْ غَـضِـبُـوا[1]

وأنَّـهُـم سَـادَةُ الـمُـلُـوكِ وَلاَ تَـصْـلُـحُ إلاَّ عَـلَـيْـهِـمُ الـعَـرَبُ

وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً، وكقول النابغة:

ولا عَـيْـبَ فِـيْـهِـم غَـيْـرَ أنَّ سُـيـوفَـهـم بِـهِـنَّ فُـلُـولٌ مِـنْ قِـرَاعِ الـكَـتَـائِـبِ[2]

أي: ليس فيهم عَيبٌ. قال ابنُ عباس: كانوا قبل قُدوم النبيِّ ﷺ المدينة في ضَنْكٍ مِنْ مَعَاشِهم، فلمَّا قَدِمَ عليهم، غَنِمُوا، وصارت لهُم الأموالُ. فعَلَى هذا، يكون الكلامُ عامّاً. وقال قَتادةُ: هذا في عبدِ الله بن أُبيٍّ.

[٧٣٢] وقال عُروَةُ: هو الجُلاسُ بن سُوَيدٍ، قُتِلَ له مَولًى، فأمرَ له رسولُ الله ﷺ بدِيَتِهِ، فاستغْنَى؛ فلمَّا نزلت ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ قال الجُلاسُ: أنا أتوبُ إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ﴾ أي: يُعرِضُوا عن الإيمان. قال ابنُ عباسٍ: كَمَا تولَّى عبدُ الله بن أُبيٍّ، ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بالقَتْلِ، وفي الآخرة بالنَّارِ.

﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ في سبب نُزولها أربعةُ أقوالٍ:

[٧٣٣] **أحدها**: أنَّ ثَعلبَةَ بن حَاطِبٍ الأنصاري، أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ادْعُ اللَّهَ

---

[٧٣٢] مرسل. أخرجه الطبري ١٦٩٩٤ عن عروة مرسلاً، وتقدم. انظر «تفسير القرطبي» ٨/ ١٩٠.

[٧٣٣] باطل. أخرجه الطبري ١٧٠٠٢ والطبراني ٧٨٧٣ وفي «الطوال» ٢٠ والواحدي في «الأسباب» ٥١٧ و «الوسيط» ٢/ ٥١٣ والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢ والحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وابن منده والباوردي وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» وابن عساكر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٦٧ من طرق عن معان بن رفاعة عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة به مطولاً، وهذا إسناد ساقط، وهو مصنوع. وللإسناد علل، وللمتن علل كثيرة. أما علل الإسناد فهي:

١ ـ معان بن رفاعة ضعفه الجوزجاني، ولينه يحيى، ووثقه المديني.

٢ ـ علي بن يزيد. قال عنه البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال الدارقطني: متروك. «الميزان» ٣/ ١٦١.

ـ ومعلوم أن البخاري رحمه الله قال: كل من قلت عنه منكر الحديث، فلا يحل الرواية عنه.

٣ ـ القاسم بن عبد الرحمن، أبو عبد الرحمن. قال عنه الإمام أحمد: روى عنه علي بن يزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم. وقال ابن حبان: كان يزعم أنه لقي أربعين بدرياً!!، كان ممن يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات، ويأتي عن الثقات بالمقلوبات، حتى يسبقك إلى القلب أنه المتعمد لها، ووثقه ابن معين. وقال يعقوب ابن شيبة: منهم من يضعفه، راجع «الميزان» ٣/ ٣٧٣.

---

(١) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، ديوانه ٤ «مجاز القرآن» ١/ ١٧٠.

(٢) البيت للنابغة في «ديوانه» «مختار الشعر الجاهلي» ١٦١.

أنْ يَرزُقني مالاً، فقال: «وَيحَكَ يا ثَعلَبَةُ، قليلٌ تُؤدّي شُكرَهُ، خيرٌ مِنْ كثيرٍ لا تُطيقُه»، قال: ثم قال مرَّةً أخرى، فقال: «أمَا تَرضَى أنْ تكونَ مِثلَ نبيِّ اللَّهِ؟ فوَالَّذي نَفسِي بيَدِهِ، لو شِئتُ أنْ تَسيرَ معي الجبالُ ذهباً وفِضَّةً، لَسارَتْ» فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ، لَئِنْ دَعوتَ اللَّه أنْ يَرزُقني مالاً، لأُوتينَّ كلَّ ذي حقٍّ

= قلت: عند القاسم أحاديث لا بأس بها غير منكرة. خرج بعضها أصحاب السنن، وعنده أحاديث مناكير وأحاديث موضوعة، ومنها هذا الحديث، وكأنه أخذها عن مجاهيل، والذي نوزع به في هذا الحديث قول الإمام أحمد: روى عن علي بن يزيد أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم. وإليك كلام العلماء في هذا الحديث: قال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/٢٩٢: إسناد ضعيف جداً. وقال الهيثمي رحمه الله في «المجمع» ٧/ ٣١ ـ ٣٢: فيه علي بن يزيد، وهو متروك. وقال ابن حزم رحمه الله في «جوامع السيرة» ص ٩٨: هذا باطل. هذا بالنسبة للإسناد. وأما المتن فهو معلول من وجوه أيضاً منها.

١ ـ سباق الآيات وسياقها، يدل على أن المراد بالآية المنافقون، لأن الآيات المتقدمة جميعاً تدل على أن الخطاب للمنافقين أصلاً، وهذا الحديث فيه أن ثعلبة كان مؤمناً ثم نافق بل ارتد.

٢ ـ الآية الآتية فيها ﴿**الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات...**﴾ فكيف يلمز ثعلبة المطّوعين ويهزأ بهم مع أنه منقطع وحيداً في أعالي الجبال وبطون الوديان؟!!

٣ ـ هذه الآية تذكر ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه**﴾ والحديث يذكر أنه تاب وآمن وأناب، لكن لم يقبل منه.

٤ ـ الحديث يذكر عدم قبول صدقات المنافقين. وهذا كان أوّلاً، يدل عليه قوله تعالى ﴿**وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله**﴾ [التوبة: ٥٤]، لكن هذا نسخ في حق من تاب منهم بقوله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**﴾ [التوبة: ١٠٣]. فهذه الآية، تأمر النبي ﷺ بأن يقبل الصدقات ممن تاب من المنافقين. ومعلوم أن الآية لا تُخصص في حق رجل أو أكثر إلا بخبر مشهور أو صحيح يرويه الشيخان أو أحدهما بإسناد كالشمس: فأين هذا الحديث من ذلك.

٥ ـ التوبة لا تحجب عن أحد سوى إبليس ـ والأحاديث في ذلك كثيرة «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» وتقدم تخريجه. وهو حديث قوي. وحديث «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» وهذا متفق عليه، وفي الباب أحاديث تبلغ حد التواتر. والآيات متظاهرة على قبول توبة التائب، فهل لهذا الخبر الواهي من مقام ههنا.

٦ ـ قد تواتر محاربة أبي بكر لمانعي الزكاة، وقال «لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة» فكيف بمن جاء يؤدي الزكاة تائباً من ذنبه، ومن تلقاء نفسه، فهل يُرد!!، مع أخذهم الزكاة من غيره بالقوة.

٧ ـ لو كان وقع مثل هذا الخبر، لجاء متواتراً لغرابته، ولما فيه من ترهيب، ولكونه بقي في الجبال والوديان وحيداً منبوذاً في عهود متطاولة، فلكان ذلك على ألسنة الصحابة والتابعين تحذيراً لمن يفعل فعله، وكل ذلك لم يكن.

٨ ـ هو مردود بآيات كثيرة تقبل التوبة ومن ذلك قوله تعالى ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ و ﴿**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾.

الخلاصة: هو حديث باطل لا أصل له. فالإسناد ساقط كما تقدم، والمتن منكر عجيب، وهو مردود بآيات كثيرة من القرآن الكريم، وبأحاديث كثيرة، سواء بقبول التوبة، أو بوجوب أخذ الزكاة، ونحو ذلك والله تعالى أعلم، فلا يفرح بروايات كهذه إلا إثنان، إما رجل لا يبالي برواية الحديث الموضوع وقد تواتر «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وإما جاهل لا يعرف من هذا الدين إلا اسمه، ولا من العلم إلا رسمه. وانظر «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، و «تفسير القرطبي» ٣٤٣٢ و «تفسير الشوكاني» ١٦٢٤ «وأحكام القرآن» ١١٦٩ وهي جميعاً بتخريجي ولله الحمد والمنة.

حقهُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «اللّهم ارزقْ ثَعْلبَة مالاً»، فاتَّخذ غَنَماً، فَنَمتْ، فضاقتْ عليه المدينةُ، فتنحَّى عنها، ونزلَ وَادِياً مِنْ أودِيَتِها، حتى جعلَ يُصلّي الظُهرَ والعَصر في جماعةٍ، ويَتركُ ما سِواهما. ثم نَمتْ، حتى تَركَ الصَّلواتِ إلاّ الجُمعةَ، ثم نَمتْ، فتركَ الجُمعةَ. فسألَ عنه رسولَ الله ﷺ، فأُخبرَ خَبرَهُ، فقال: «يا وَيحَ ثَعلبَةَ، يا وَيحَ ثَعلبَةَ، يا وَيحَ ثَعلبَةَ»، وأنزلَ اللّهُ تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾(1) وأنزلَ فرائضَ الصَّدقةِ؛ فبعثَ رسولُ الله رَجُلين على الصَّدقةِ، وكتبَ لهُما كتاباً يأخُذان الصَّدقة، وقال: «مُرّا بثَعلبَةَ، وبفُلانٍ» رجلٌ مِنْ بني سُلَيم، فخرجَا حتى أتيَا ثَعلبَةَ، فسألاهُ الصَّدقة، وأقْرَآه كتابَ رسولِ الله ﷺ؛ فقال: ما هذا إلاَّ جِزيَةٌ، ما هذهِ إلا أُختُ الجِزيَةِ، ما أدري ما هذا، اِنطَلِقَا حتى تَفرُغَا ثم تَعُودا إليَّ. فانطَلَقَا؛ فأخبرَ السُّلميُّ، فاستَقبَلَهُما بخيارِ مالِه، فقالا: لا يَجبُ هذا عليكَ؛ فقال: خُذَاهُ، فإنَّ نَفسِي بذلكَ طيِّبةٌ؛ فأخَذَا منه. فلمّا فرغَا مِنْ صَدقَتِهما، مَرّا بثَعلبَة، فقال: أَرُوني كِتابَكُما، فقال: ما هذهِ إلاّ أختُ الجِزيَةِ، اِنطَلِقَا حتى أرى رَأْيي، فانْطَلَقا، فأخبَرَا رسولَ الله ﷺ بِمَا كانَ، فنزلت هذه الآيَةُ إلى قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾، وكان عندَ رسولِ الله ﷺ رجلٌ مِنْ أقاربِ ثَعلبَةَ، فخرجَ إلى ثَعلبَةَ، فأخبَرَهُ؛ فأتى رسول الله ﷺ، وسألهُ أن يقبلَ منه صَدقَتَهُ، فقال: «إنَّ اللّهَ قد مَنَعَنِي أنْ أقبلَ صَدقَتَكَ»؛ فجعلَ يَحثُو الترابَ على رأسِه. فقال: «هذا عَمَلُكَ، قد أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطعنِي». فرَجَعَ إلى منزلِهِ، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ، ولم يَقبَلْ منه شيئاً، فلمّا وَلِيَ أبو بكرٍ، سأله أنْ يَقبلَ منه، فأبَى، فلمّا وَلِيَ عمرُ، سأله أنْ يَقبلَ منه، فأبَى، فلمّا وَلِيَ عُثمانُ، سأله أنْ يقبلَهَا؛ فقال: لم يَقبَلْهَا رسولُ الله ﷺ ولا أبو بكرٍ ولا عمرُ، فلم يَقبلْهَا؛ وهَلَكَ ثَعلبَةُ في خلافةِ عُثمانَ رضي الله عنه. روى هذا الحديث القَاسِمُ عن أبي أُمَامَةَ البَاهِليّ.

[٧٣٤] وقال ابنُ عباسٍ: مَرَّ ثعلبَةُ على مجلسٍ، فأَشهَدَهُم على نَفْسِه: لَئِنْ آتانيَ اللّهُ مِنْ فَضْلِه، آتيتُ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ، وفعلْتُ كذا وكذا. فآتاهُ اللّهُ مِنْ فَضْلِه، فأخلَفَ ما وَعَدَ؛ فقصَّ اللّهُ علينا شأنَهُ.

[٧٣٥] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنْ بَني عَمرِو بن عَوفٍ، كان له مالٌ بالشّام، فأَبطَأَ عنه، فجُهِدَ له جُهداً شديداً، فحَلفَ باللّهِ لئن آتانا مِنْ فضلهِ، أي: مِنْ ذلكَ المال، لأَصَّدَّقَنَّ منه، ولأَصِلَنَّ، فأتَاهُ ذلك المالُ، فلم يفعلْ، فنزلت هذه الآيَةُ، قاله ابنُ السَّائِبِ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: قال ابنُ السَّائِب: والرَّجلُ حَاطِبُ بن أبي بَلْتَعَة.

[٧٣٦] **والثالث**: أنَّ ثَعلبَةَ ومُعتِّبَ بن قُشَيرٍ، خَرجَا على مَلإٍ، فقالا: والله لَئِنْ رَزَقَنا اللّهُ لَنَصَّدَّقَن. فلمّا رَزَقَهُما، بَخِلا به، فنزلت هذه الآيَةُ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ.

---

[٧٣٤] باطل. أخرجه الطبري ١٧٠٠١ بسند فيه مجاهيل عن عطية بن سعد العوفي وهو واهٍ ـ عن ابن عباس، فهذا الإسناد ساقط، والمتن باطل، ثعلبة صحابي بدري.

[٧٣٥] عزاه المصنف لابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح، وهي رواية ساقطة، فالخبر لا شيء.

[٧٣٦] أخرجه الطبري ٧٠٠٥ عن الحسن مرسلاً. وكرره ١٧٠٠٦ و ١٧٠٠٧ عن مجاهد لكن ليس فيه ذكر القائل وهو أصح.

---

(١) سورة التوبة: ٩.

[٧٣٧] **والرابع**: أنَّ نبتل بن الحارثِ، وجدَّ بنَ قيس، وثعلبةَ بن حاطِبٍ، ومُعتِّب بن قُشيرٍ، قالوا: لَئِنْ آتانا اللَّهُ مِنْ فضله لَنَصَّدَّقن. فلمَّا آتاهُم مِنْ فضله بَخِلوا به، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ.

فأمَّا التَّفسير، فقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين ﴿مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ أي: قال: عليَّ عَهْدُ الله ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ الأصل: لَنتصدَّقن، فأُدغمت التاءُ في الصاد لِقُربها منها. ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: لَنَعمَلنَّ ما يعمل أهلُ الصَّلاح في أموالهم مِنْ صِلَة الرَّحم والإنفاق في الخير. وقد رَوى كَهْمَسُ عن مَعْبدِ بن ثابتٍ أنه قال: إنما هو شيءٌ نَوَوْه في أنفسِهم، ولم يتكلَّموا به؛ ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: ما طلبوا مِنَ المال ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ ولم يَفُوا بما عاهدوا ﴿وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن عهدهم.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝٧٧ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: صَيَّر عاقبةَ أمرِهم النِّفاق. وفي الضمير في «أعقبهم» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جَازاهم الله بالنِّفاقِ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ.

والثاني: أنها ترجع إلى البُخلِ، فالمعنى: أعقبَهُم بُخلُهم بما نَذَروا نفاقاً، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ وهو ما في نُفوسهم ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ حَديثُهم بينهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ في سبب نزولها قولان:

[٧٣٨] **أحدهما**: أنه لمَّا نزلت آيةُ الصَّدَقةِ، جاء رجلٌ فتصدَّقَ بصَاعٍ، فقالوا: إنَّ الله لَغَنِيٌّ عن صاعِ هذا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو مسعود.

[٧٣٩] **والثاني**: أنَّ عبد الرحمن بن عَوفٍ جاء بأربعين أُوقيَّةً مِنْ ذَهبٍ، وجاء رجلٌ مِنَ الأنصار

---

[٧٣٧] عزاه المصنف للضحاك، وهذا مرسل، فهو واهٍ، وذكر ثعلبه في هذا الحديث لا يصح، وأما الباقون فقد اشتهر نفاقهم.

[٧٣٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٦٨ ومسلم ١٠١٨ والنسائي في «الكبرى» ١١٢٢٣ وفي «تفسيره» ٢٤٣ وابن ماجة ٤١٥٥ والواحدي في «الأسباب» ٥١٨ كلهم عن أبي مسعود الأنصاري قال: **لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون. إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت ﴿الذين يلمزون. . . . . .﴾**. لفظ البخاري.

[٧٣٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول ٥١٩ بقوله قال قتادة وغيره. . . فذكره وقد أخرجه الطبري ٧٠٢٤ عن قتادة =

بصاعٍ من طعام؛ فقال بعضُ المنافقين: واللّهِ ما جاء عبدُ الرحمن بما جاء به إلاَّ رِياءً، وإنْ كان اللّهُ ورسولُه لَغَنِيَّين عن هذا الصَّاع، قاله ابنَ عباسٍ.

وفي هذا الأنصاري قولان: **أحدهما**: أنه أبو خَيْثَمَةَ، قاله كَعبُ بن مالكٍ. **والثاني**: أنه أبو عَقِيلٍ. وفي اسم أبي عَقِيلٍ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عبدُ الرحمن بن بِيْحَان، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، ويقال: ابن بِيْحَان؛ ويقال: سِيْحَان. وقال مُقاتِلٌ: هو أبو عَقِيل بنُ قَيسٍ. **والثاني**: أنَّ اسمَهُ الحَبْحَابُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: الحُبابُ. قال قَتادَةُ: جاء عبدُ الرحمن بأربعة آلافٍ، وجاء عَاصِمُ بن عَدِيّ بن العَجْلانِ بمائة وَسقٍ مِنْ تَمرٍ. و ﴿يَلْمِزُونَ﴾ بمعنى يَعِيبُون. و ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي: المُتَطَوِّعين، قال الفَرَّاءُ: أُدغمت التاءُ في الطاء، فصارت طاءً مُشدَّدةً. والجُهدُ لغةُ أهل الحِجازِ، ولغةُ غيرهم الجَهدُ. قال أبو عُبيدَةَ: الجهدُ، بالفتح والضمّ سواءٌ، ومَجَازُه: طَاقَتُهم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الجُهدُ: الطَّاقةُ؛ والجَهدُ: المَشقَّةُ. قال المُفسِّرون: عُنِيَ بالمُطوِّعين عبدُ الرَّحمن، وعَاصِمٌ، وبالذين لا يَجدُون إلاَّ جُهدَهُم: أبو عَقِيلٍ. وقوله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: جَازاهُم على فِعلِهِم، وقد سبق هذا المعنى.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

[٧٤٠] سبب نزولها: أنه لمَّا نزلَ وَعِيدُ اللامِزين قالوا: يا رسولَ الله استَغْفِر لنا، فنزلت هذه الآيةُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «سوفَ أستغفرُ لهم أكثرَ مِنْ سبعينَ، لعلَّ اللّهَ يَغفِرُ لهم» فنزلَ قولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1]، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

وظاهرُ قوله: «استغفر لهم» الأمرُ، وليس كذلك؛ إنَّما المعنى: إنِ استَغفرتَ، وإنْ لم تستغفِر، لا يُغفرُ لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[2]، وقد سبقَ شرحُ هذا المعنى هناك، هذا قولُ المُحقِّقين. وذهب قومٌ إلى أنَّ ظاهر اللفظ يُعطي أنه إن زادَ على السَّبعين، رُجي لهم الغُفرانُ. ثم نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

= نحوه مختصراً. وورد هذا الخبر بألفاظ مختلفة من وجوه متعددة فقد جاء عن ابن عباس مختصراً، أخرجه الطبري ١٧٠١٨ وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وكرره ١٧٠١٩ مطولاً عن عطية العوفي عن ابن عباس وعطية ضعيف، ومن دونه مجاهيل، وورد عن مجاهد مرسلاً برقم ١٧٠٢٠ وكرره ١٧٠٢١ و ١٧٠٢٢ وورد عن عمر بن أبي سلمة ١٧٠٢٥ مرسلاً وورد عن الربيع بن أنس مرسلاً عند الطبري أيضاً برقم ١٧٠٢٦ وأخرجه أيضاً ١٢٠٢٧ عن ابن إسحاق، وهذا معضل وأخرجه ١٧٠٣٢ عن يحيى بن كثير اليمامي مرسلاً ورد عن أبي سلمة عن أبي هريرة عند البزار ٢٢١٦ كشف الأستار، ورجاله ثقات، لكن رواه مرسلاً أيضاً بدون ذكر أبي هريرة فهذه روايات كثيرة مختلفة الألفاظ والمعنىٰ واحد. وهو التصدق من قبل ابن عوف وغيره، واللمز من قبل المنافقين.

[٧٤٠] عزاه المصنف لابن عباس من رواية أبي صالح وهو من رواية الكلبي، فالخبر واهٍ بمرة.

---

(١) سورة المنافقون: ٦. (٢) سورة التوبة: ٥٣.

فإن قيل: كيف جاز أنْ يستغفرَ لهم، وقد أُخبِرَ بأنهم كَفَرُوا؟ فالجواب: أنه إنما استغفرَ لقومٍ منهم على ظاهر إسلامِهم مِنْ غير أن يَتحقَّقَ خُروجَهُم عن الإسلام، ولا يجوز أنْ يُقال: عَلِمَ كُفرَهُم ثم استغفرَ. فإن قيل: ما معنى حَصْرِ العددِ بسبعين؟ فالجواب: أنَّ العرب تَستكثِرُ في الآحادِ مِنْ سَبعةٍ، وفي العَشَراتِ مِنْ سبعين.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المنافقين الذين تخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تَبوكٍ. والمُخلَّف: المَترُوكُ خَلْفَ مَنْ مضى. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقُعُودِهم. وفي قوله تعالى: ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: بعدَ رسولِ الله ﷺ، قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: أنَّ معناه: مُخالَفَةُ رسولِ الله ﷺ، وهو منصوبٌ، لأنه مفعولٌ له، فالمعنى: بأنْ قَعَدُوا لمُخالفةِ رسولِ الله ﷺ، قاله الزَّجَّاجُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعْمَرَ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «خَلْفَ رسول الله»، ومعناها: أنهم تأخَّروا عن الجهاد. وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه قولُ بعضهم لبعضٍ، قاله ابنُ إسحاقَ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره المَاوَرْدِي. وإنَّما قالوا هذا، لأنَّ الزمانَ كان حِينئذٍ شديدَ الحرِّ. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ لِمَنْ خالفَ أمرَ اللَّهِ. وقوله تعالى: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ معناه: يعلمون. قال ابنُ فارسٍ: **الفِقهُ**: العِلمُ بالشيءِ. تقول: فَقِهْتُ الحديثَ أَفْقَهُهُ؛ وكلُّ عِلمٍ بشيءٍ: فِقْهٌ. ثم اختصَّ به عِلمُ الشَّريعة، فقيل لكلِّ عالم بها: فَقِيه. قال المُصَنِّفُ: وقال شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله: الفِقهُ في إطلاقِ اللغة: الفَهمُ، وفي عُرفِ الشَّريعةِ: عبارةٌ عن مَعرفَةِ الأحكام الشَّرعيةِ المُتعلِّقةِ بأفعال المُكلَّفين، بنَحوِ التَّحليلِ، والتَّحريم، والإيجاب، والإجزاءِ، والصِّحةِ، والفَسادِ، والغُرْم، والضَّمانِ، وغيرِ ذلك. وبعضُهم يختار أنْ يُقال: الفِقهُ: فَهْمُ الشيء، وبعضهم يختار أنْ يُقال: عِلْمُ الشيءِ.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ لَفظُه لَفظُ الأمرِ ومعناه التَّهديد. وفي قِلَّة ضَحِكِهِم وَجْهان: **أحدهما**: أنَّ الضَّحكَ في الدنيا، لِكثرةِ حُزنِها وهُمومِها، قليلٌ، وضَحِكُهم فيها أقلُّ، لِمَا يَتوجَّهُ إليهم مِنَ الوَعِيد. **والثاني**: أنهم إنَّما يضحَكُون في الدنيا، وبَقاؤُها قليلٌ. ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ في الآخرة. قال أبو موسى الأشعَرِيُّ: إنَّ أهلَ النار لَيَبْكُونَ الدُّموعَ في النارِ، حتى لو أُجرِيت السُّفنُ في دُموعِهم لَجرتْ، ثم إنهم لَيَبْكُونَ الدَّمَ بعدَ الدُّموع، فلِمثلِ ما هُم فيه فَلْيُبكى.

قوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: مِنَ النِّفاق والمعاصي.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: رَدَّكَ مِنْ غزوة تَبوكٍ إلى المدينة ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ﴾ مِنَ المنافقين الذين تَخلَّفوا بغير عُذرٍ. وإنَّما قال: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ﴾ لأنه ليس كلُّ مَنْ تَخلَّفَ عن تَبوكٍ كان منافقاً.

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معكَ إلى الغزو، ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا﴾ إلى غزاةٍ، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ﴾ عنِّي ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين لم تَخرُجوا إلى تبوكٍ. وذكر المَاوَردي في قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قولين: **أحدهما**: أولَ مرَّةٍ دُعِيتُم. **والثاني**: قبل استِئذانِكُم.

وأمَّا الخَالِفُون، فقال أبو عُبيدَةَ: الخَالِفُ: الذي خَلَفَ بعدَ شَاخِصٍ، فقَعدَ في رَحْلِهِ، وهو الذي يتخلَّفُ عن القوم. وفي المُراد بالخَالِفِين قولان: **أحدهما**: أنهم الرِّجالُ الذين تخلَّفوا لأعذارٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم النِّساءُ قاله الحسَنُ، وقَتادةُ.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾.

[٧٤١] سبب نزولها: أنه لمَّا تُوفي عبدُ الله بن أُبيٍّ، جاء ابنُهُ إلى رسول الله ﷺ، فقال: أَعطِني قميصَكَ حتى أُكفِّنَهُ فيه، وصَلِّ عليه، واستَغفِرْ له. فأعطَاهُ قَميصَهُ؛ فقال: آذنِّي أُصلِّي عليه، فآذَنَهُ، فلمَّا أرادَ أنْ يُصَلِّي عليه، جَذَبَهُ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وقال: أليس قد نَهاكَ اللَّهُ أنْ تُصَلِّي على المنافقين؟ فقال: «أنا بينَ خِيَرتَيْنِ»: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1] فصلَّى عليه، فنزلت هذه الآيةُ، رواه نَافعٌ عن ابنِ عُمرَ.

[٧٤٢] قال قَتادَةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقول: «ما يُغْني عنه قَمِيصِي مِنْ عذابِ الله تعالى، واللَّهِ إنِّي لأَرجو أن يُسْلِمَ بهِ ألفٌ مِنْ قومِهِ». قال الزجَّاجُ: فيُروى أنه أسلَمَ ألفٌ مِنَ الخَزرَجِ لمَّا رَأَوْهُ يطلبُ الاستِشفَاءَ بثوبِ رسولِ الله ﷺ، وأرادَ الصلاةَ عليه.

فأمَّا قولُه تعالى: «منهم» فإنه يعني المنافقين. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

[٧٤٣] قال المُفسِّرون: كانَ رسولُ الله ﷺ، إذا دُفِنَ المَيِّتُ، وقفَ على قبره ودَعَا لهُ؛ فنُهِيَ عن ذلك في حقِّ المنافقين. وقال ابنُ جَريرٍ: معناه: لا تَتَولَّ دَفْنَهُ؛ وهو مِنْ قولِكَ: قامَ فُلانٌ بأمرِ فُلانٍ. وقد تقدم تفسيره.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ

---

[٧٤١] صحيح. أخرجه البخاري ١٢٦٩ ومسلم ٢٧٧٤ ص ١٨٦٥ والترمذي ٣٠٩٨ والنسائي ٤/ ٣٧ وفي «التفسير» ٢٤٤ وابن ماجة ١٥٢٣ والواحدي ٥٢٠ والبيهقي ٣/ ٤٠٢ وفي «الدلائل» ٥/ ٢٨٧ من حديث ابن عمر.

[٧٤٢] غريب هكذا. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٢٩٩: لم أره هكذا وأصله أخرجه الطبري. . . . اهـ.

قلت: هو عند الطبري ١٧٠٧٣ عن قتادة في أثناء حديث وفيه: «وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كلّم في ذلك فقال: وما يغني عنه قميصي من الله ـ أو من ربي ـ وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه» وهذا مرسل ورواه بصيغة التمريض فهو ضعيف.

[٧٤٣] عزاه المصنف للمفسرين، ولم أقف عليه. وانظر تفسير «القرطبي» ٨/ ٢٠٤.

---

(١) سورة التوبة: ٨١.

ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾. سبق تفسيره. قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ هذا عامٌ في كلِّ سُورةٍ. وقال مُقاتِلٌ: المراد بها سورةُ (براءة). قوله تعالى: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ أي: بأن آمنُوا. وفيه ثلاثةُ أوجُهٍ: **أحدها**: استدِيمُوا الإيمانَ. **والثاني**: افعَلُوا فِعلَ مَنْ آمَنَ. **والثالث**: آمِنوا بقلوبِكُم كَمَا آمَنتُم بألسِنَتِكُم، فعلى هذا يكون الخِطابُ للمنافقين.

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ أي: في التَّخلُّفِ. ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ يعني الغِنَى، وهم الذين لا عُذرَ لهم في التَّخلُّفِ. وفي «الخَوالِف» قولان: **أحدهما**: أنهم النِّساءُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وشِمْرُ بن عَطِيَّةَ، وابنُ زيدٍ، والفَرَّاءُ. وقال أبو عُبيدَةَ: يجوز أنْ تكون الخَوالِفُ ها هنا النساء، ولا يكادون يَجمَعُون الرِّجالَ على تقدير فَواعِل، غير أنهم قد قالوا: فَارِس، والجميع: فَوارِس، وهَالِك هَوالِك. قال ابنُ الأنبارِي: الخَوالِفُ لا يقعُ إلاَّ على النساء، إذ العربُ تجمع فَاعِلَة: فَواعِل؛ فيقولون: ضَارِبَة، وضَوارِب، وشَاتِمَة، وشَواتِم؛ ولا يَجمَعون فاعلاً: فَواعِل، إلاَّ في حرفين: فَوارِس، وهَوالِك؛ فيجوز أنْ يكون مع الخَوالِف: المُتخلِّفات في المَنازِل. ويجوز أنْ يكون: مع المُخالِفَاتِ العَاصِياتِ. ويجوز أنْ يكون: مع النساءِ العَجزةِ اللاتي لا مُدافعَة عندهنَّ. **والقول الثاني**: أنَّ الخَوالِفَ: خِسَاسُ الناس وأدنِيَاؤهم؛ يقال: فُلانٌ خَالِفَةُ أهلِه: إذا كان دُونَهم، ذكره ابنُ قُتيبَة. فأمَّا «طَبَعَ»، فقال أبو عُبيدَة: معناه: خَتَمَ. و «الخَيرات» جمعُ خَيْرَةٍ. وللمفسِّرين في المراد بالخَيْرات ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الفَاضِلاتُ مِنْ كلِّ شيءٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: الجَوارِي الفَاضِلاتُ، قاله المُبَرِّدُ. **والثالث**: غَنائِمُ الدنيا ومَنافِعُ الجهاد، ذكره المَاوَردِي.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ: «المعتذرون». وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ يعمُرَ، ويَعقوبُ «المُعْذِرون» بسكونِ العين وتخفيف الذال. وقرأ ابنُ السَّمَيفَع «المعاذرون» بألفٍ. قال أبو عُبيدَةَ: المُعذِّرون مَنْ يُعذِّر وليس بجادٍّ وإنما يُعرِّض بما لا يفعله؛ أو يُظهِرُ غيرَ ما في نَفْسِه. وقال ابنُ قُتيبة: يقال: عَذَّرتُ في الأمرِ: إذا قَصَّرتُ، وأعذرتُ: جَدَدْتُ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «المعذِّرون» بتشديد الذال، فتأويلُه: المُعتذِرون الذين يَعتذِرون، كان لهم عُذرٌ، أو لم يكُنْ، وهو ها هنا أشبَهُ بأنْ يكون لهم عُذرٌ، وأنشدوا:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[1]

أي: فقد جاء بعُذرٍ، ويجوز أنْ يكون «المعذِّرون» الذين يُعذِّرون، يُوهِمُون أنَّ لهم عُذراً، ولا

(١) البيت للبيد، ديوانه ٢١٤. وقوله اعتذر هنا، بمعنى: أعذر أي: بلغ أقصى الغاية في العذر.

عُذرَ لهم، ويجوز في النَّحوِ: المِعِذِّرون؛ بكسر العين، والمُعُذرون؛ بضمِّ العين، غيرَ أنه لم يُقرأ بهما، لأنَّ اللفظ بهما يَثقلُ. ومَنْ قرأ «المُعْذرون» بتسكين العين، فتأويلُه: الذين أُعذِرُوا وجاؤوا بعُذرٍ. وقال ابنُ الأنباري: المُعذِّرون ها هنا: المُعتَذِرون بالعُذرِ الصَّحيحِ. وأصلُ الكلمة عند أهل النَّحو: المُعتَذِرون، فحُوِّلت فتحةُ التاء إلى العين، وأُبدِلَتِ الذال مِنَ التاء وأُدغمت في الذال التي بعدَها فصارَتا ذالاً مشدَّدةً، ويُقال في كلام العرب: اعتَذَرَ، إذا جاء بعُذرٍ صحيحٍ، وإذا لم يأتِ بعُذرٍ. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُوا۟﴾ فدل على فسادِ العُذرِ، وقال لَبِيدٌ:

وَمَـنْ يَـبْـكِ حَـوْلاً كَـامـلاً فَـقَـد اعْـتَـذَر

أي: فقد جاء بعُذرٍ صحيحٍ. وكان ابنُ عباسٍ يقرأ «المعذِّرون» ويقول: لَعنَ اللَّهُ المُعَذِّرين. يريد: لَعَنَ اللَّهُ المُقصِّرين مِنَ المنافقين وغيرِهم. والمُعْذرون: الذين يأتُونَ بالعُذرِ الصَّحيحِ؛ فبانَ مِن هذا الكلام أنَّ لهم عُذراً على قراءة مَنْ خَفَّفَ. وهل يَثبُتُ لهم عُذرٌ على قراءة مَنْ شَدَّدَ؟ فيه قولان. قال المُفسِّرون: جاء هؤلاء لِيؤذَنَ لهم في التَّخلُّفِ عن تَبوكٍ، فأذِنَ لهم رسولُ الله ﷺ، وقَعَدَ آخرون مِنَ المنافقين بغيرِ عُذرٍ وإظهارِ عِلَّةٍ، جُرأةً على الله تعالى.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على قولين: **أحدهما**: أنها نزلت في عَائِذِ بن عَمرٍو وغيرِه مِنْ أهل العُذرِ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: في ابنِ مكتُوم، قاله الضَّحَّاكُ. وفي المُراد بالضُّعفاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الزَّمنَى والمَشايخُ الكِبارُ، قاله ابنُ عبَّاسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم الصِّغارُ. **والثالث**: المَجانينُ؛ سُمُّوا ضِعافاً لِضَعفِ عقولِهم، ذكر القولين المَاورِدي. والصَّحيحُ أنَّهم الذين يَضعُفُون لزَمَانَةٍ، أو عَمىً، أو سِنٍّ أو ضَعفٍ في الجسم. والمَرضَى: الذين بهم أعلالٌ مانِعَةٌ مِنَ الخُروج للقتالِ، و ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ هم المُقِلُّون، والحَرَجُ: الضِّيقُ في القُعُودِ عن الغزوِ بشَرطِ النُّصحِ للَّهِ ولرسولِه ﷺ، وفيه وَجْهان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: إذا بَرِئُوا مِنَ النِّفاقِ. **والثاني**: إذا قاموا بحِفظِ الذَّرارِي والمَنازِل. فإنْ قيلَ بالوَجهِ الأولِ، فهو يَعُمُّ جميعَ المذكُورين. وإنْ قيلَ بالثاني. فهو يَخصُّ المُقِلِّين. وإنما شُرِطَ النُّصحُ، لأنَّ مَنْ تَخلَّفَ بقصد السَّعي بالفَسادِ، فهو مَذمُومٌ؛ ومِنَ النُّصح لِلَّهِ: حَثُّ المسلمين على الجهاد، والسَّعيُ في إصلاحِ ذاتِ بَيْنِهم، وسائرُ ما يعودُ باستِقَامةِ الدِّين.

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي؛ مِنْ طريقٍ بالعُقوبةِ، لأنَّ المُحسنَ قد سَدَّ بإحسانِه بابَ العقابِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ نزلت في البَكَّائين، واختُلِفَ في عَدَدِهم وأسمائِهم.

[٧٤٤] فروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: هُم ستةٌ: عبدُ الله بن مُغَفَّلٍ، وصَخرُ بن سَلمَانَ، وعبدُ الله بن كَعبِ الأنصاريُّ، وعُلَيَّةُ بن زيدِ الأنصاري، وسالمُ بن عُمَيرٍ، وثَعلَبَةُ بن عَنَمَة، أتوا رسولَ الله ﷺ لِيَحمِلَهُم، فقال: «لا أجدُ ما أحمِلُكُم عليه» فانصرَفُوا باكِينَ. وقد ذكرَ محمَّدُ بنُ سَعدٍ كاتبُ الوَاقِدي مكانَ صَخرِ بن سَلمَانَ: سَلَمَةَ بن صَخرٍ، ومكان ثَعلَبَةَ بن عنمة: عَمرَو بنَ عنمة. قال: وقيل: منهم مَعْقِلُ بن يَسارٍ.

[٧٤٥] ورَوى ابن إسحَاقَ عن أشياخٍ له أنَّ البَكَّائين سبعةٌ مِنَ الأنصارِ: سَالمُ بن عُمَيرٍ، وعُلَيَّةُ بن زَيدٍ، وأبو لَيلَى عبدُ الرَّحمن بن كَعبٍ، وعَمرُو بنُ الحُمَام بنِ الجَمُوحِ، وعبدُ الله بنُ مُغَفَّلٍ. وبعضُ الناس يقول: بل عبدُ الله بنُ عَمرِو المُزَنيُّ، وعِرْبَاضُ بنُ سَارِيَةَ، وهَرَميُّ بنُ عبدِ الله أخو بَني وَاقِفٍ.

[٧٤٦] وقال مُجاهِدٌ: نزلت في بَني مُقَرِّنٍ، وهم سبعةٌ؛ وقد ذكرهم محمَّدُ بن سَعدٍ، فقال: النُّعمانُ بنُ عَمرِو بن مُقَرِّنٍ. وقال أبو خَيثَمَةَ: هو النُّعمانُ بنُ مَقَرِّنٍ، وسُويَدُ بنُ مَقَرِّنٍ، ومَعقِلُ بنُ مُقَرِّنٍ، وسِنَانُ بنُ مُقَرِّنٍ، وعَقِيلُ بنُ مُقَرِّنٍ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ مُقَرِّنٍ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ عَقيلِ بنِ مُقَرِّنٍ. وقال الحَسنُ البَصرِيُّ: نزلَتْ في أبي موسى وأصحابِه.

وفي الذي طَلَبوا مِنْ رسولِ الله ﷺ أنْ يحمِلَهُم عليه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الدَّوابُّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الزَّادُ، قاله أنسُ بن مالكٍ. **والثالث**: النِّعالُ، قاله الحسَنُ.

﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ﴾.

[٧٤٧] قال ابنُ عباسٍ: نزلت في المنافقين، يَعتَذِرون إليكُم إذا رَجعتُم مِنْ غَزوة تَبُوكٍ، فلا تَعذِرُوهم فليس لهُم عُذرٌ. فلمَا رجعَ رسولُ الله ﷺ أتوهُ يَعتذِرون، فقالُ اللَّهُ تعالى: ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ لن نُصدِّقَكُم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عُذرٌ ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ إنْ عمِلتُم خيراً وتُبتُم مِنْ تَخلُّفِكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعدَ الموتِ ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فيُخبركُم بما كنتم تعملون في السِّرِّ والعَلانِيَةِ.

﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾

---

[٧٤٤] مرسل. أخرجه الطبري ١٧١٠٣ عن محمد بن كعب مرسلاً، وله شواهد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٢٢ بدون إسناد.

[٧٤٥] أخرجه الطبري ١٧١٠٤ عن ابن إسحاق مختصراً. وعزاه في «الدر» ٣/ ٤٨٠ لابن إسحاق وابن المنذر وأبي الشيخ عن الزهري ويزيد بن رومان وغيرهما.

[٧٤٦] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ عن مجاهد مرسلاً. وأخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٣/ ٤٨٠ عن مجاهد مرسلاً.

[٧٤٧] عزاه المصنف لابن عباس، ولم أقف عليه.

قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ قال مُقاتِلٌ: حَلَفَ منهم بِضعةٌ وثمانون رجلاً، منهم جَدُّ بنُ قَيسٍ، ومُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ. قوله تعالى: ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لِتَصفَحُوا عن ذَنْبِهم. **والثاني**: لأَجلِ إِعراضِكُم. وقد شرحنا في (المائدة) معنى الرِّجْسِ.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾

[٧٤٨] قال مُقاتِلٌ: حَلَفَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ للنبيِّ ﷺ لا أتخلَّف عنكَ، ولأَكُونَنَّ معكَ على عَدُوِّكَ؛ وطلبَ منه أنْ يرضى عنه، وحَلَفَ عبدُ الله بنُ سَعدِ بنِ أبي سَرْحٍ لعمرَ بنِ الخَطَّابِ، وجعلوا يَترضَّون النبيَّ ﷺ وأصحابَهُ، وكان رسولُ الله ﷺ قال لمَّا قَدِمَ المدينةَ: لا تُجالِسُوهُم ولا تُكلِّمُوهم».

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في أعاريب أَسَدٍ وغَطَفَانَ وأعرابِ مِنْ حَولِ المدينةِ، أخبرَ اللَّهُ أنَّ كُفرَهُم ونِفاقَهُم أشدُّ مِنْ كُفرِ أهلِ المدينةِ، لأنَّهم أقسَى وأجفَى مِنْ أهلِ الحَضَرِ. قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟﴾ قال الزَّجَّاجُ: «أن» في موضع نصبٍ، لأنَّ الباءَ محذوفةٌ مِنْ «أن»، المعنى: أجدَرُ بتَرْكِ العِلم. تقول: جديرٌ أنْ تفعلَ، وجديرٌ بأنْ تفعلَ، كما تقول: أنتَ خَليقٌ بأنْ تفعلَ، أي: هذا الفعلُ مُيَسَّرٌ فيكَ؛ فإذا حذفتَ الباء لم يَصْلُحْ إلاَّ بـ «أن»، وإنْ أتيتَ بالباء، صَلَحَ بـ «أن» وغيرِها، فتقول: أنتَ جديرٌ بأنْ تقومَ وجَديرٌ بالقيامِ. فإذا قلتَ: أنتَ جديرٌ القيامَ، كان خطأً، وإنما صَلَحَ مع «أن» لأنَّ «أن» تدلُّ على الاستقبالِ، فكأنَّها عِوَضٌ مِنَ المَحذوفِ. فأمَّا قوله تعالى: ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيعني به الحَلالَ والحَرامَ والفرائِضَ. وقيل: المُراد بالآية أنَّ الأعمَّ في العربِ هذا.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ إذا خَرجَ في الغَزوِ، وقيل: ما يَدفَعُه مِنَ الصَّدقةِ ﴿مَغْرَمًا﴾ لأنه لا يرجُو له ثواباً. قال ابنُ قُتيبةَ: المَغرَمُ: هو الغُرْمُ والخُسْرُ. وقال ابنُ فَارسٍ: الغُرْمُ: ما يَلزمُ أداؤهُ، والغَرامُ: اللازِمُ، وسُمِّيَ الغَريمَ لإلحاحِهِ. وقال غيرُه: وفي الالتِزام ما لا يَلزَمُ. قوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ أي: ويَنتظرُ ﴿بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: دَوائِرَ الزَّمانِ بالمَكرُوهِ، بالموتِ، أو القَتْلِ، أو الهَزيمَةِ. وقيل: ينتظرُ موتَ الرَّسولِ ﷺ وظهورَ المشركين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو بضمِّ السين. وقرأ نَافعٌ، وعَاصمٌ وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «السَّوء» بفتح السين؛ وكذلك قرؤوا في سُورة (الفتح)[١]، والمعنى:

---

[٧٤٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، فالخبر لا شيء.

---

(١) سورة الفتح: ٦.

عليهم يَعودُ ما يَنتظِرُونه لكَ مِنَ البَلاءِ. قال الفَرّاءُ: وفَتْحُ السين مِنَ السَّوءِ هو وَجهُ الكلام. فمَنْ فتحَ أراد المصدرَ مِنْ: سُؤْتُهُ سَوْءاً ومَسَاءَةً، ومَنْ رفعَ السين، جَعلَهُ اسماً، كقولك: عليهم دائِرةُ البَلاءِ والعذابِ. لا يَجوزُ ضمُّ السِّين في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾[١] ولا في قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[٢] لأنه ضِدٌّ لِقولكَ: رجُلُ صِدْقٍ. وليس للسَّوءِ ها هنا معنىً في عذابٍ ولا بَلاءٍ، فيُضَم.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: وهم مَنْ أسلَمَ مِنَ الأعرابِ، مثل جُهَينَةَ، وأسلَمُ، وغِفارَ. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ قولان: **أحدهما**: في الجهاد. **والثاني**: في الصَّدقةِ. فأمّا القُرُبَاتُ، فجَمعُ قُرْبَةٍ، وهي: ما يُقرِّب العبدَ مِنْ رِضى الله ومَحبَّتِه. قال الزَّجّاجُ: وفي القُرُبَاتِ ثلاثةُ أوجهٍ: ضمُّ الراءِ، وفَتْحُها، وإسكانُها. وفي المراد بصَلَواتِ الرَّسولِ قولان: **أحدهما**: استِغفَارُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: دُعاؤه، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبة، والزَّجّاجُ، وأنشد الزَّجّاجُ:

عَليكِ مثلُ الذي صَلَّيتِ فاغْتَمِضِي ... نَوماً، فإنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضطَجَعا[٣]

قال: إنْ شئتَ قلت: مثلَ الذي، ومثلُ الذي؛ فالأولُ أمْرٌ لها بالدُّعاء، كأنه قال: اِدْعي لي مثلَ الذي دَعوتِ. والثاني بمعنى: عَليكِ مثلُ هذا الدُّعاءِ.

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «قربةٌ لهم» خفيفةً. وروى وَرْشٌ، وإسماعيلُ بنُ جعفرَ عن نَافعٍ، وأَبانُ، والمُفضَّلُ عن عَاصم: «قُرُبةٌ لهم» بضمِّ الراءِ. وفي المُشارِ إليها وَجهَان: **أحدهما**: أنَّ الهاءَ ترجِعُ إلى نَفَقتِهم وإيمانِهم. **والثاني**: إلى صَلَواتِ الرَّسول.

قوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: في جَنَّتِه.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فيهم ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين صَلّوا إلى القِبلَتَين مع رسولِ الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعَريّ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ سِيرِينَ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنهم الذين بَايَعُوا رسولَ الله ﷺ بيعَةَ الرِّضوَانِ، وهي الحُدَيبِيَةُ، قاله الشَّعبيُّ. **والثالث**: أنهم أهلُ بَدرٍ، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباح. **والرابع**: أنهم جميعُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، حَصلَ لهم السَّبْقُ بصحبته. قال مُحمَّدُ بن كَعبِ القُرَظيُّ: إنَّ الله قد غَفرَ لجميعِ أصحابِ النبيِّ ﷺ وأوجَبَ لهم الجنَّةَ مُحسِنهم ومُسِيئِهم

---

(١) سورة مريم: ٢٨. (٢) سورة الفتح: ١٢.
(٣) البيت منسوب للأعشى، ديوانه: ١٠١، و «اللسان» صلى.

في قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾. **والخامس**: أنهم السَّابقونَ بالموتِ والشَّهادةِ، سَبَقُوا إلى ثوابِ الله تعالى. ذكره المَاوَردي. **والسادس**: أنهم الذين أَسلَمُوا قبلَ الهجرة، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ قرأ يَعقوبُ: «والأنصارُ» برفعِ الراءِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ مَنْ قال: إنَّ السَّابقين جميعُ الصَّحابةِ، جعلَ هؤلاءِ تابعي الصَّحابةِ، وهُمْ الذين لم يَصْحَبُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ. وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ إلى أنْ تقومَ الساعةُ. ومَنْ قال: هُم المُتقدِّمُون مِنَ الصَّحابةِ، قال: هؤلاءِ تَبِعُوهُم في طريقِهم، واقتَدَوْا بهم في أفعَالِهم، فَفُضِّلَ أولئكَ بالسَّبقِ، وإنْ كانت الصُّحبَةُ حاصلةً للكُلِّ. وقال عَطَاءٌ: اتِّباعُهم إيَّاهُم بإحسانٍ: أنهم يَذكرون محاسِنَهُم ويَترحَّمُون عليهم.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «من تحتها» فزاد «من» وكسرَ التاءَ الثانيةَ. وقوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يَعُمُّ الكُلَّ، قال الزَّجَّاجُ: رضيَ الله أفعَالَهُم، ورَضُوا ما جَازَاهُم به.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مُزَينَةُ، وجُهَينَةُ، وأَسلَمُ، وغِفَارُ، وأَشجَعُ، كان فيهم بعد إِسلامهم منافقون. قال مُقاتِلٌ: وكانت منازِلُهم حولَ المَدينةِ. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مَرَنُوا عليه وثَبَتُوا، منهم عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ، وجَدُّ بنُ قَيسٍ، والجُلاسُ، ومُعَتِّبٌ، ووَحْوَحُ، وأبو عَامرٍ الرَّاهِبُ. وقال أبو عُبيدَةَ: عَتَوْا ومَرَنُوا عليه، وهو مِنْ قولِهم: تَمَرَّدَ فُلانٌ، ومنه: شيطانٌ مَريدٌ.

فإنْ قيل: كيفَ قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟﴾، وليس يجوزُ في الكلام: مِنَ القوم قَعَدُوا؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنْ تكون «من» الثانية مَردُودةً على الأولى؛ والتقديرُ: ومِمَّنْ حولَكُم مِنَ الأعراب ومِنْ أهلِ المدينةِ منافقون، ثم استأنَفَ «مردوا». **والثاني**: أنْ يكون في الكلام «مَنْ» مُضمَرٌ، تقديرُه: ومِنْ أهلِ المدينةِ مَنْ مَرَدُوا؛ فأُضمِرَتْ «مَنْ» لدلالةِ «مِنْ» عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1] يُريد: إلاَّ مَنْ له مقامٌ معلومٌ؛ وعلى هذا يَنقطعُ الكلامُ عند قوله تعالى: «منافقون». **والثالث**: أنَّ «مَرَدُوا» مُتعلِّقٌ بمنافقين، تَقديرُه: ومِنْ أهلِ المدينةِ منافقون مَرَدُوا، ذَكَر هذه الأجوبة ابنُ الأنبارِي.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيه وجهان: **أحدهما**: لا تَعلَمُهم أنتَ حتى نُعْلِمَكَ بهم. **والثاني**: لا تَعلَمُ عَواقِبَهُم.

قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه عشرةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ العذابَ الأولَ في الدنيا، وهو فَضِيحَتُهم بالنِّفاقِ. والعذابَ الثاني: عذابُ القبرِ، قاله ابنُ عباسٍ.

---

(١) سورة الصافات: ١٦٤.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ٦/٤٥٨ و ٤٥٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلاً يوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين، وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبتنا عنهم، وليس عندنا علم بأي ذلك من أي، غير أن في قوله جل =

[٧٤٩] قال: وقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ جُمُعةٍ خطيباً، فقال: «يا فُلانُ اخرُجْ فإنكَ مُنافقٌ، ويا فُلانُ اخرُجْ» ففَضَحَهُم.

والثاني: أنَّ العذابَ الأوَّلَ: إقامةُ الحُدودِ عليهم، والثاني: عذابُ القبرِ؛ وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنَّ أحَدَ العَذابَين: الزَّكاةُ التي تُؤخَذُ منهم، والآخرُ: الجهادُ الذي يُؤمَرُون به، قاله الحَسنُ. **والرابع**: الجُوعُ، وعذابُ القبرِ، رواه شِبْلٌ عن ابن أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ، وبه قال أبو مالكٍ. **والخامس**: الجُوعُ والقَتلُ، رواه سُفيانُ عن ابن أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والسادس**: القَتْلُ والسَّبيُ، رواه مَعْمَرٌ عن ابنِ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. وقال ابنُ قُتيبةَ: القَتْلُ والأَسْرُ. **والسابع**: أنهم عُذِّبوا بالجُوعِ مرَّتين، رَواه خُصَيْفٌ عنْ مُجاهِدٍ. **والثامن**: أنَّ عذابَهُم في الدنيا بالمَصائبِ في الأموالِ والأولادِ، وفي الآخرةِ بالنارِ، قاله ابنُ زَيدٍ. **والتاسع**: أنَّ الأولَ: عندَ الموتِ، تَضرِبُ الملائكةُ وجُوهَهُم وأدبارَهُم، والثاني: في القبرِ بمُنكَرٍ ونَكيرٍ، قاله مُقاتِلُ بن سُليمانَ. **والعاشر**: أنَّ الأولَ بالسَّيف، والثاني عند المَوتِ؛ قاله مُقاتِلُ بن حَيَّانَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاب جهَنَم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين:

[٧٥٠] **أحدهما**: أنهم عَشرةُ رَهطٍ تَخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غَزوةِ تَبُوكٍ، فلمَّا دنا رُجوعُ النبيِّ ﷺ، أوثَقَ سَبعةٌ منهم أنفُسَهم بسَوَاري المسجدِ. فلمَّا رآهم رسولُ الله ﷺ، قال: «مَن هؤلاءِ»؟ قالوا: هذا أبو لُبابَةَ وأصحابٌ له تَخلَّفوا عنكَ، فأقسَمُوا باللَّهِ لا يُطلِقون أنفسَهم حتى تُطلقَهُم أنتَ وتَعذُرَهُم، فقال: «وأنا أُقسِمُ باللَّهِ لا أُطلِقُهم ولا أعذُرُهُم حتى يكونَ اللَّهُ تعالى هوَ الذي يُطلِقُهُم، رَغِبُوا عنِّي وتَخلَّفوا عن الغَزوِ مع المسلمين»، فنزلت هذه الآيةُ، فأرسلَ إليهم فأطلَقَهُم وعَذَرَهُم، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

[٧٥١] ورَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنَّ الذين تَخلَّفوا كانوا ستةً، فأَوثَقَ أبو لُبَابَةَ نَفسَهُ ورَجُلان

---

[٧٤٩] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧١٣٧ والطبراني في «الأوسط» ٧٩٦ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف حسين بن عمرو العنقزي، وقد ضعفه الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٤ به، وفيه السدي فيه ضعف.

[٧٥٠] أخرجه الطبري ١٧١٥١ والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٧١ و ٢٧٢ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفيه إرسال بينهما. وكرره الطبري ١٧١٥٢ عن عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية هو ابن سعد. ضعيف الحديث، وعنه مجاهيل. وورد من مرسل الضحاك. أخرجه الطبري ١٧١٥٨ ومن مرسل سعيد بن أبي عروبة برقم ١٧١٥٤ لكن باختصار فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها والله أعلم.

[٧٥١] أخرجه الطبري ١٧١٥٢ بسند فيه مجاهيل عن ابن عباس، وانظر ما تقدم.

= ثناؤه **﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾**. دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار. والأغلب في إحدى المرتين أنها في القبر. اهـ.

معه، وبقي ثلاثةٌ لم يُوثِقُوا أنفسَهم، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ، أَطلَقَهُم رسولُ الله ﷺ وعَذَرَهم. وروى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ أنهم كانوا ثلاثةً: أبو لُبابَةَ بنُ عبد المُنذِرِ، وأوسُ بن ثعلَبَة، وودِيعَةُ بن خِذام الأنصَاري. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وزَيدُ بن أَسلَمَ: كانوا ثمانيةً. وقال قَتادَةُ: ذُكِرَ لنا أنهم كانوا سبعةً[١].

والثاني: أنها نزلت في أبي لُبابَةَ وحدَهُ. واختلفوا في ذَنْبِهِ على قولين: **أحدهما**: أنه خَانَ اللَّه ورسولَهُ بإشارَتِه إلى بَني قُريظَةَ حين شَاوَرُوه في النُّزول على حُكم سعدٍ أنه الذَّبحُ، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقد شرحناهُ في سورة الأنفالِ[٢]. **والثاني**: أنه تَخلُّفُه عن تَبوكَ. قاله الزُّهريُّ. فأمَّا الاعتِرافُ، فهو الإقرارُ بالشيء عن مَعرفةٍ. والاعترافُ بالذَّنبِ أَدعَى إلى صِدْقِ التَّوبةِ والقَبولِ.

قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ قال ابنُ جَريرٍ: وُضِعَ الواوُ مكانَ الباء، والمعنى: بآخرَ سيءٍ، كما يُقال: خلطتُ الماءَ واللبنَ. وفي ذلك العملِ قولان: **أحدهما**: أنَّ العملَ الصَّالِحَ: ما سبق مِنْ جهادِهِم، والسَّيءَ: التَّأخرُ عن الجهاد، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنَّ العملَ الصالحَ: تَوبَتُهم، والسَّيءَ: تَخلُّفُهم، ذكرهُ الفَرَّاءُ.

وفي قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه واجبٌ مِنَ الله تعالى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه تَردِيدٌ لهم بين الطَّمعِ والإشفَاقِ، وذلك يَصُدُّ عن اللهوِ والإهمَالِ.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾.

[٧٥٢] قال المُفسِّرون: لمَّا تابَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ على أبي لُبابَةَ وأصحابِه، قالوا: يا رسولَ الله، هذه أموالُنا فتصَدَّقْ بها عنَّا، فقال «ما أُمِرتُ أنْ آخُذَ مِنْ أموالِكُم شيئاً» فنزلت هذه الآيةُ.

---

[٧٥٢] أخرجه الطبري ١٧١٦٧ عن ابن عباس، وفيه إرسال بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وأخرجه برقم ١٧١٦٨ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو ضعيف عن ابن عباس. وأخرجه ١٧١٧٢ عن الضحاك مرسلاً.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٦٢ و ٤٦٣: وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم، حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل فيهم جماعة. أحدهم أبو لبابة. إنما قلنا: ذلك أولى بالصواب في ذلك لأن الله جل ثناؤه قال: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾** فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم، ولم يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية في حصار قريظة غير أبي لبابة وحده، فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تبارك وتعالى قد وصف في قوله **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾** بالاعتراف بذنوبهم جماعة. علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد. فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذا لم تكن إلا لجماعة، وكان لا جماعة فعلت ذلك، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك، صح ما قلنا في ذلك وقلنا: كان منهم أبو لبابة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

(٢) سورة الأنفال: ٢٧.

وفي هذه الصَّدقةِ قولان[١]: **أحدهما**: أنها الصَّدقةُ التي بَذَلُوها تَطَوُّعاً، قاله ابنُ زيدٍ، والجمهور. **والثاني**: الزَّكاةُ، قاله عِكرمَةُ.

قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ وقرأ الحسَنُ «تطهرْهم بها» بجزم الراء. قال الزَّجّاجُ: يَصلُح أنْ يكون قولُه: «تطهرهم» نعتاً للصَّدقةِ كأنَّه قال: خُذْ مِنْ أموالِهم صَدَقةً مُطَهِّرةً. والأجودُ أنْ يكون للنبيِّ ﷺ، المعنى: فإنكَ تُطَهِّرُهُم بها فـ«تطهرْهم» بالجزم، على جوابِ الأمرِ، المعنى: إنْ تأخذْ مِنْ أموالِهم، تُطَهِّرْهُم. ولا يجوز في: «تُزكِّيهم» إلاّ إثباتُ الياءِ. اتِّباعاً للمُصحفِ. قال ابنُ عباسٍ: «تُطهرهم» مِنَ الذُّنوبِ، «وتُزكيهم»: تُصلِحُهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: **أحدهما**: اِستَغفِرْ لهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ادْعُ لهُم، قاله السُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو ونَافعٌ وابنُ عَامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصمٍ «إن صلواتك» على الجمعِ. وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصم «إن صلاتك» على التَّوحيد. وفي قوله تعالى: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: طُمأنينةٌ لهم أنَّ اللهَ قد قبِلَ منهم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وقال أبو عُبيدَةَ: تَثبيتٌ وسُكونٌ. **والثاني**: رَحمةٌ لهم، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: قُربَةٌ لهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: وَقارٌ لهم، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: تَزكِيةٌ لهم، حكاه الثَّعلَبيُّ. قال الحَسنُ وقَتادةُ: وهؤلاءِ سِوى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ قرأ الجمهورُ «يعلموا» بالياء. ورَوى عبدُ الوارثِ «تعلموا» بالتاء. وقوله تعالى: ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: مِنْ عَبيدِه، تقول: أَخذتُه منكَ، وأَخذتُه عنكَ. وقوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يَقبَلُها. ومِثلُه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[٢] أي: اِقبَلْهُ.

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤: اختلف في هذه الصدقة المأمور بها فقيل: هي صدقة الفرض، قاله جُويبر عن ابن عباس وهو قول عكرمة فيما ذكر القشيري. وقيل هو مخصوص بمن نزلت فيه، فإن النبي ﷺ أخذ منهم ثلث أموالهم وليس هذا من الزكاة المفروضة في شيء. ولهذا قال مالك: إذا تصدق الرجل بجميع ماله أجزأه إخراج الثلث متمسكاً بحديث أبي لبابة.
وعلى القول الأول فهو خطاب للنبي ﷺ يقتضي بظاهره اقتصاره عليه فلا يأخذ الصدقة سواه، ويلزم على هذا سقوطها بسقوطه وزوالها بموته. وبهذا تعلق مانعو الزكاة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقالوا: إنه كان يعطينا عوضاً منها التطهير والتزكية والصلاة علينا وقد عدمناها من غيره. وأما قولهم إن هذا خطاب للنبي ﷺ فلا يلتحق به غيره فهو كلام جاهل بالقرآن غافل عن مأخذ الشريعة متلاعب بالدين، فإن الخطاب من القرآن لم يرد باباً واحداً ولكن اختلفت موارده على وجوه. وقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ مطلق غير مقيد بشرط في المأخوذ والمأخوذ منه ولا تبيين مقدار المأخوذ ولا المأخوذ منه، وإنما بيان ذلك في السنة والإجماع حسب ما تذكره فتؤخذ الزكاة من جميع الأموال ا. هـ.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ قال ابنُ زيدٍ: هذا خطابٌ للذين تابُوا.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾

قوله تعالى: «وآخَرُونَ مُرْجَؤُونَ» وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾ بغير همزٍ.

[٧٥٣] والآيةُ نزلت في كَعبِ بن مالكٍ، ومُرارةَ بن الرَّبيع، وهِلالِ بن أميَّةَ، وكانوا فيمن تَخلَّفَ عن تَبوكٍ مِنْ غير عُذرٍ، ثم لم يُبالغوا في الاعتِذارِ كما فعل أبو لُبابَةَ وأصحابه، ولم يُوثِقوا أنفسَهم بالسَّوارِي؛ فوقَف رسولُ الله ﷺ أمْرَهم، ونَهى الناسَ عن كَلامِهم ومُخالَطتِهم حتى نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾(١).

قال الزَّجَّاجُ: «وآخرون» عطفٌ على قولِه: «ومن أهل المدينة»، فالمعنى: منهم منافقون، ومنهم «آخرون مُرجَوْن» أي: مُؤَخَّرون؛ و «إما» لِوقوعِ أحدِ الشَّيئين، واللّهُ تعالى عالمٌ بما يَصيرُ إليه أمْرُهُم، لكنه خَاطَبَ العِبَادَ بما يعلمون، فالمعنى: لِيَكُن أمْرُهُم عندَكُم على الخوفِ والرَّجاءِ. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ أي: عليمٌ بما يؤُول إليه حَالُهم، حكيمٌ بما يَفعلُه بهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «والذين» بواوٍ، وكذلكَ هي في مَصاحِفهم. وقرأ نافعٌ، وابنُ عَامرٍ: «الذين» بغير واوٍ، وكذلك هي في مَصاحفِ أهلِ المدينة والشَّام. قال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ بالواو، فهو معطوفٌ على ما قبلَهُ، نحوَ قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾(٢)، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ﴾(٣) ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾(٤)، والمعنى: ومنهم الذين اتَّخذُوا مسجداً. ومَنْ حذفَ الواو، فعَلَى وَجْهَين: **أحدهما**: أنْ يُضمَرَ ـ ومنهم الذين اتَّخذوا ـ كقوله تعالى ﴿أَكَفَرۡتُم﴾، المعنى: فيُقال لهم: أكَفرتُم. **والثاني**: أنْ يُضمَرَ الخبرُ بعدُ، كما أضمِرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾(٥) المعنى: يُنتَقم منهم ويُعَذَّبون.

[٧٥٤] قال أهلُ التَّفسير: لمَّا اتَّخذ بَنو عمرو بنِ عَوفٍ مسجدَ قُباءٍ، وبَعثُوا إلى رسولِ الله ﷺ،

---

[٧٥٣] أخرجه الطبري ١٧١٨٩ عن ابن عباس بسند فيه مجاهيل. ورد من وجه آخر بنحوه. أخرجه الطبري ١٧١٨٨. وفيه إرسال بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٢٦ بدون ذكر السند.

[٧٥٤] عزاه الحافظ في «تخريجه» ٢/ ٣٠٩ للثعلبي فقال: لم أجده بهذا السياق إنما في الثعلبي بلا إسناد. وليس صدره بصحيح، فإن مسجد قباء كان قد أسس والنبي ﷺ بقباء أول ما هاجر، وبُني مسجد الضرار وكان في غزوة تبوك وبينهما تسع سنين ا. هـ وذكره البغوي في «تفسيره» ٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥ مطولاً بدون إسناد ولم يذكر صدره، وبنحوه ورد صدره عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٧٢٠٢ وفيه عطيه العوفي واهٍ، وعنه مجاهيل =

---

(١) سورة التوبة: ١١٨. (٢) سورة التوبة: ٧٥. (٣) سورة التوبة: ٥٨.
(٤) سورة التوبة: ٦١. (٥) سورة الحج: ٢٥.

فأتَاهُم، فصَلَّى فيه؛ حَسَدَهُم إخوتُهم بَنُو غَنْم بن عَوفٍ، وكانوا مِنْ مُنافقي الأنصَارِ، فقالوا: نَبني مَسجِداً، ونُرسلُ إلى رسولِ الله فيُصَلِّي فيه، ويُصَلِّي فيه أبو عَامرٍ الرَّاهبُ إذا قَدِمَ مِنَ الشَّام؛ وكان أبو عَامرٍ قد ترهَّب في الجاهِليَّة وتَنَصَّر، فلمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينَةَ، عَادَاهُ، فخرجَ إلى الشَّام، وأرسلَ إلى المنافقين أنْ أَعِدُّوا ما استَطَعْتُم مِنْ قوةٍ وسلاحٍ، وابنُوا لي مَسجِداً، فإنِّي ذاهبٌ إلى قَيصَرَ فآتي بجُندِ الرُّوم فأُخرج محمَّداً وأصحابَهُ، فبنُوا هذا المسجِدَ إلى جَنْبِ مسجدِ قُبَاءٍ؛ وكان الذين بَنَوهُ اثني عشرَ رجلاً: خِذَامُ بنُ خَالدَ ومِن داره أُخرِجَ المسجد، ونَبْتَلُ بن الحَارثِ، وبِجادُ بن عُثمانَ، وثَعلَبةُ بن حَاطِبٍ، ومُعتِّبُ بن قُشَيرٍ، وعَبَّادُ بن حُنَيفٍ، ووَدِيعَةُ بن ثَابتٍ، وأبو حَبِيبَةَ بن الأَزعَرِ، وجَارِيةُ بن عَامرٍ، وابناه يَزيدُ ومُجَمِّعُ؛ وكان مُجَمِّعُ إمامَهُم فيه، ثم صَلُحت حالُه، وبحزج جَدُّ عبد الله بن حُنَيفٍ، وهو الذي قال له رسولُ الله ﷺ: «ما أردتَ بمَا أرَى»؟ فقال: واللَّهِ ما أردتُ إلاَّ الحُسنَى، وهو كاذبٌ. وقال مُقاتِلٌ: الذي حَلَفَ مُجَمِّعُ.

[٧٥٥] وقيل: كانوا سبعةَ عشر؛ فلمَّا فَرَغُوا منه، أَتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنما قد ابتَنَيْنَا مَسجِداً لِذِي العِلَّةِ والحَاجَةِ والليلةِ المَطِيرَةِ، وإنَّا نحبُّ أنْ تَأتِيَنَا فتُصلِّي فيه؛ فدَعَا بقَمِيصِهِ لِيَلبَسَهُ، فنزلَ عليه القرآنُ وأخبرَهُ اللَّهُ خَبَرَهُم، فدَعَا مَعْنَ بن عَدِيٍّ، ومالكَ بنَ الدُّخشُم في آخرين، وقال: «انطَلِقُوا إلى هذا المَسجِدِ الظَّالم أَهلُهُ، فَاهدِمُوه وأَحرِقُوه»، وأمرَ به رسولُ الله ﷺ أنْ يُتَّخذ كُناسةً تُلقى فيها الجِيفُ. ومات أبو عَامرٍ بالشَامِ وَحيداً غَريباً.

فأمَّا التَّفسيرُ، فقال الزَّجَّاجُ: «الذين» في مَوضع رفع، المعنى: ومنهم الذين اتَّخذوا مسجداً ضِرَاراً. و «ضراراً» انتصبَ مفعولاً له، المعنى: اتَّخذوه لِلضِّرَارِ والكُفرِ والتَّفريقِ والإرصَادِ. فلمَّا حُذفت اللام، أفضى الفعل فنصبَ. قال المُفسِّرون: والضِّرارُ بمعنى المُضارَّةِ لمسجدِ قُبَاءٍ، ﴿وَكُفۡرٗا﴾ باللَّهِ ورسولهِ ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لأنهم كانوا يُصَلُّون في مسجدِ قُبَاءٍ جميعاً، فأرادوا تفريقَ جَمَاعَتِهم، والإرصَادُ: الانتِظَارُ، فانتظروا به مَجِيءَ أبي عَامرٍ، وهو الذي حَاربَ اللَّه ورسولَهُ مِنْ قِبَلِ بناءِ مَسجدِ الضِّرَارِ. ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾ أي: ما أردنا ﴿إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أي: ما أردنا بابتِنَائِه إلاَّ الحُسنى؛ وفيها ثلاثةُ أوجهٍ: **أحدها**: طاعة الله. **والثاني**: الجنَّة. **والثالث**: فِعْلَ التي هي أحسَنُ مِنْ إقامة الدِّين والاجتِمَاعِ للصَّلاةِ. وقد ذكرنا اسمَ الحَالِفِ.

= فالإسناد واهٍ بمرة، ليس بشيء، وبنحو سياق المصنف أخرجه الطبري ١٧٢٠٠ من طريق ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة. وأخرج الطبري ١٧٢٠١ والبيهقي في الدلائل ٥/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بعضه وهو منقطع بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة.

[٧٥٥] أخرجه الطبري ١٧٢٠٠ من طريق ابن إسحق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم **قالوا**. . . فذكره، بأتم منه. وهذا ضعيف، مداره على ابن إسحق، وهو مدلس لكن أصل الحديث محفوظ فقد ورد من وجوه متعددة فمن ذلك: حديث ابن عباس، أخرجه الطبري ١٧٢٠١ وفيه إرسال بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وورد عن عطية العوفي عن ابن عباس، أخرجه برقم ١٨٢٠٢ وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي. وورد من مرسل قتادة أخرجه برقم ١٧٢١١. وورد من مرسل ابن زيد، أخرجه برقم ١٧٢١٣. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها. انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١٢١٢ بتخريجنا.

﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ﴾ أي: لا تُصَلِّ فيه أبداً. ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي: بُنِيَ على الطاعة، وبَناهُ المُتَّقون ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ أي: منذُ أولِ يوم. قال الزَّجَّاجُ: «مِنْ» في الزَّمانِ، والأصلُ: مُنذُ ومُذْ، وهو الأكثرُ في الاستعمالِ. وجائزٌ دخولُ «من» لأنَّها الأصلُ في ابتداءِ الغايَةِ والتَّبعيضِ، ومِثلُه قولُ زُهيرٍ:

لِمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجْرِ ... أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ شَهْرِ (١)

وقيل معناه: من مَرِّ حِجَجٍ ومن مر شهر. وفي هذا المسجد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مسجدُ رسولِ الله ﷺ بالمَدينةِ الذي فيه مِنبَرُهُ وقَبرُهُ.

[٧٥٦] روَى سَهلُ بن سَعدٍ أنَّ رَجُلين اختلفا في عَهدِ رسولِ الله في المسجد الذي أُسِّسَ على التَّقوى، فقال أحدُهما: هو مسجدُ الرَّسولِ، وقال الآخر: هو مسجدُ قُباءٍ، فذُكِر ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال «هو مَسجِدِي هذا»؛ وبه قال ابنُ عمرَ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو سعيدٍ الخُدريّ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّب.

[٧٥٧] **والثاني**: أنه مَسجدُ قُباءٍ، رواه عليُّ بن أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ،

---

[٧٥٦] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٠٩٩ والنسائي ٢/ ٣٦ وفي «التفسير» ٢٤٨ وأحمد ٣/ ٨ وابن حبان ١٦٠٦ من طرق عن الليث بن سعد عن عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد الخدري عن أبيه به. وأخرجه مسلم ١٣٩٨ وابن أبي شيبة ٢/ ٣٧٢ والحاكم ٢/ ٣٣٤ من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه. وكرره مسلم ١٣٩٨ وابن أبي شيبة ٢/ ٣٧٢ عن أبي سلمة عن أبي سعيد بدون واسطة. وأبو سلمة سمع من أبي سعيد. وأخرجه الترمذي ٣٢٣ وابن أبي شيبة ٢/ ٣٧٢ وأحمد ٣/ ٢٣ ـ ٩١ والطبري ١٧٢٣٦ و ١٧٢٣٧ و ١٧٢٣٨ وابن حبان ١٦٢٦ من طرق عن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال سمعت أبا سعيد. . . فذكره وآخره «هو مسجدي هذا، وفي كل خير». فهذه الطرق متعاضدة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أن المراد بذلك مسجده. وله شاهد من حديث سهل بن سعد، أخرجه أحمد ٥/ ٣٣١ وابن حبان ١٦٠٤ و ١٦٠٥ والطبري ١٧٢٣٢ و ١٧٢٣٣ والحاكم ٢/ ٣٣٤ والطبراني ٦٠٢٥، ورجاله ثقات. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وله شاهد من حديث زيد بن ثابت، أخرجه الطبراني ٤٨٥٤ وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عامر، والصحيح موقوف. والموقوف أخرجه الطبراني ٤٨٢٨ و ٤٨٥٣ وإسناده الأول على شرط الصحيح كما قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٤. قال الطبري رحمه الله بإثر الحديث ١٧٢٣١: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد النبي ﷺ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ. انظر «تفسير أحكام القرآن» ١٢١٣ بتخريجنا.

[٧٥٧] ورد عن ابن عباس، أخرجه الطبري ١٧٢٢٦ وفيه إرسال بين علي بن أبي طلحة وابن عباس. وأخرجه من وجه آخر ١٧٢٢٧ بسند فيه مجاهيل. وورد عن عطية العوفي أخرجه برقم ١٧٢٢٨. وورد عن ابن بريدة، أخرجه برقم ١٧٢٢٩. وورد من مرسل عروة، أخرجه برقم ١٧٢٣١. الخلاصة: هذه الروايات وإن تعددت، لا تقوىٰ على معارضة الصحيح المتقدم. على أن للمتقدم شواهد، والله أعلم.

---

(١) البيت منسوب لزهير في ديوانه ٨٦. قوله من شهر: أراد به من شهور وأقوين: خلون. والقنة: أعلىٰ الجبل، أو هي الجبل الذي ليس بمنتشر.

وقَتادَةُ، وعُروَةُ، وأبو سَلمَةَ بنُ عبد الرَّحمنِ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ.

والثالث: أنه كلُّ مسجدٍ بُنِيَ في المدينةِ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾. سببُ نزولِها:

[٧٥٨] أنَّ رجالاً مِنْ أهل قُبَاءِ كانوا يستَنجُون بالماء، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الشَّعبيُّ.

---

[٧٥٨] أخرجه الطبري ١٧٢٤٧ عن الشعبي مرسلاً. وورد بلفظ مرفوع، وليس بشيء. أخرجه أبو داود ٤٤ والترمذي ٣١٠٠ وابن ماجة ٣٥٧ والبغوي في «التفسير» ١١١٩ وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٧ من طرق عن معاوية بن هشام عن يونس بن الحارث عن إبراهيم بن أبي ميمونة عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء **﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾** قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية فيهم». خرجه هؤلاء الأئمة بهذا اللفظ! ولا أصل له بهذا اللفظ عن النبي ﷺ، لأنه لم يرد حديث واحد عنه ﷺ أنه قال «نزلت هذه الآية في فلان... أو في كذا... أو نحو ذلك، وإنما الذي يقول نزلت الآية في كذا وكذا إنما هو الصحابي أو التابعي. ومع ذلك إسناده ساقط.
ـ وقد رأيت العجب في هذا الخبر. حيث سكت عليه أبو داود! مع أنه معلوم أنه ما سكت عليه، فهو صالح لديه. وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وضعفه النووي في «المجموع» ٢/ ٩٩ وكذا الحافظ في «التلخيص» ١/ ١١٢. وقال الحافظ في «فتح الباري» ٧/ ٢٤٥/ ٢٩٠٨: وعند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: نزلت..» وهذا من العجب، وجل الله ربنا إذ يقول **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**. وقال الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٨٠: يونس بن الحارث ضعيف.
ـ قلت: إسناده ضعيف جداً، وله علل ثلاث:
ـ الأولى: معاوية بن هشام القصار، فهو وإن روى له مسلم، ووثقه أبو داود وابن حبان، وقال أبو حاتم: صدوق. فقد قال ابن معين: صالح، وليس بذاك. وقال عثمان بن أبي شيبة: رجل صدوق، وليس بحجة. وقال أحمد بن حنبل: هو كثير الخطأ. وقال ابن الجوزي في الضعفاء: روى ما ليس من سماعه، فتركوه، واعترضه الذهبي بأنه ما تركه أحد. ثم ذكر الذهبي كلام ابن معين المتقدم، وذكر له حديثاً عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث إليهما شعيب. فقال الذهبي: هذا خطأ، صوابه ما رواه عمرو بن الحارث عن سعيد عن قتادة: الأيكة: الشجر الملتف. انظر «الميزان» ٤/ ١٣٨ و «التهذيب» ١٠/ ١٩٦ ـ ١٩٧. **قلت:** وقول الذهبي: ما تركه أحد. فيه نظر. إذ تركه البخاري وغير واحد من الأئمة الثقات. والذي لم يتركه أحد كمالك والثوري وشعبة وأضرابهم، رضي الله عنهم. هذا شيء. والشيء الثاني: قد أقر الذهبي بأن هشاماً هذا وهم في أثر قتادة حيث جعله مرفوعاً وبلفظ آخر. وهذا يوافق ما قاله الإمام أحمد: هو كثير الخطأ. فيكون هذا الحديث مما أخطأ فيه فرفعه، وإنما هو من كلام أبي هريرة لا يتعداه البتة. ولم يتنبه الألباني لهذه العلة في «الإرواء» ١/ ٨٥ حيث ذكر العلة الثانية والثالثة اللّتين سأذكرهما، والله الموفق.
ـ العلة الثانية: يونس بن الحارث، جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه ولم يتابع على هذا اللفظ، وتقدم أن الحافظ صححه في «الفتح». بل ذكر الذهبي في «الميزان» ٤/ ٤٧٦ حديثاً آخر غير هذا، وقال: ومن مناكيره. ثم نقل عن ابن المديني وقد سئل عن يونس هذا ـ قوله: كنا نضعف ذاك ضعفاً شديداً.
ـ وهذا الذي يليق به في هذا الخبر. والله أعلم.
ـ العلة الثالثة: جهالة إبراهيم بن أبي ميمونة. جزم بذلك الحافظ في «التقريب».
ـ فهده علل ثلاث تقدح في هذا الحديث، وإذا انضم إلى ذلك نكارة المتن، وذلك بجعل «نزلت هذه الآية...» من كلام النبي ﷺ كما جاء في جميع كتب التخريج المتقدمة، عُلم أنه لا أصل له في المرفوع، وإنما هو موقوف فحسب لا يتعداه، والله أعلم.
ـ تنبيه: وقد وهم الألباني في هذا الحديث، حيث ذكره في «صحيح أبي داود» ٣٤ وقال: صحيح. وكذا =

[٧٥٩] قال ابنُ عباسٍ: لمَّا نزلت هذه الآيةُ، أتاهُم رسولُ الله فقال: «ما الذي أَثْنَى الله به عَلَيْكُم»

= صححه في «الإرواء» ١/ ٨٥ برقم ٤٥، وقد حكم بضعف إسناده، وأعله بضعف يونس وجهالة إبراهيم ـ وتقدم أن هناك علة أخرى ـ ثم نقل عن النووي وابن حجر قولهما: إسناده ضعيف. ثم قال: ومن ذلك تعلم أن قول الحافظ في «الفتح» ٧/ ١٩٢ بعد أن عزاه لأبي داود: «إسناده صحيح» غير صحيح. ولو قال: حديث صحيح. كما صدرنا نحن تخريج الحديث لأصاب، لأنه وإن كان ضعيفاً بهذا السند، فهو صحيح باعتبار شواهده. ثم ذكر حديث عويم بن ساعدة، وعده شاهداً له، وليس كما قال. فحديث عويم وغيره كما سيأتي، ليس فيه أن لفظ «نزلت...» أصلاً. وانظر ذلك مفصلاً في الآتي، والله تعالى أعلم.

[٧٥٩] صحيح بشواهده. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ١١٣١ والطبري ١٤٢٤٠ و ١٤٢٤١ عن قتادة مرسلاً. وأخرجه الطبري ١٧٢٣٩ عن قتادة عن شهر بن حوشب به، وهو مرسل أيضاً وله شواهد موصولة وهي:

١ ـ حديث عويم بن ساعدة: أخرجه ابن خزيمة ٨٣ والحاكم ١/ ١٥٥ وأحمد ٣/ ٤٢٢ والطبري ١٧٢٤٥ والطبراني في «الصغير» ٢/ ٢٣ من طرق عن أبي أويس عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة، أن رسول الله ﷺ قال لأهل قباء، إني أسمع الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما هذا الطهور؟ قالوا: يا رسول الله، ما نعلم شيئاً، إلا أن جيراناً لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا» رووه بألفاظ متقاربة، إسناده ضعيف، أبو أويس هو عبد الله بن عبد الله ضعفه الجمهور، وشيخه شرحبيل ضعيف أيضاً. ومع ذلك صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! ولعل ذلك بسبب شواهده.

٢ ـ وورد عن عروة مرسلاً، أخرجه الطبري ١٧٢٥٢ وفيه ذكر عويم، لكنه مختصر. وفيه ذكر الآية.

٣ ـ وورد من مرسل إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري، أخرجه الطبري ١٧٢٥١ بنحو اللفظ الذي ذكرته آنفاً.

٤ ـ وله شاهد من حديث ابن عباس، وفيه ذكر عويم، أخرجه الحاكم ١/ ١٨٧ والطبراني ١١٠٦٥ وإسناده ضعيف، فيه عنعنة ابن إسحق، وهو مدلس، وصححه الحاكم على شرط مسلم! ووافقه الذهبي! ولم يرو مسلم لابن إسحق في الأصول، إنما روى له متابعة.

٥ ـ وله شاهد من حديث عبد الله بن سلام، أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١/ ٢١٢. وفيه سلام الطويل، قال الهيثمي: أجمعوا على تركه.

٦ ـ وورد عن محمد بن عبد الله بن سلام، أخرجه أحمد ٦/ ٦ والطبري ١٤٢٤٢ و ١٤٢٤٣ وفيه شهر بن حوشب، مدلس وفيه ضعف. وقد اضطرب فيه فقد كرره الطبري ١٤٢٤٤ عنه عن محمد بن عبد الله بن سلام ـ قال يحيى أحد الرواة ـ لا أعلمه إلا عن أبيه ـ فهذا اضطراب، لكن يصلح شاهداً.

٧ ـ وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه الطبراني ٧٥٥٥، وفيه شهر بن حوشب أيضاً، وفيه ليث بن أبي سُليم ضعفه غير واحد.

٨ ـ وله شاهد من حديث أبي أيوب وجابر وأنس، أخرجه ابن ماجة ٣٥٥ وابن الجارود ٤٠ والدارقطني ١/ ٦٢ والحاكم ١/ ١٥٥ والبيهقي ١/ ١٠٥ ومداره على عتبة بن أبي حكيم، ضعفه ابن معين والنسائي. وقال أبو حاتم: صالح. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. ذكر ذلك الزيلعي رحمه في «نصب الراية» ١/ ٢١٩ وقال: سنده حسن. ولعله حسنه لشواهده. وقال الدارقطني: عتبة غير قوي. وأما الحاكم فقال: حديث كبير صحيح في الطهارة! ووافقه الذهبي! ولعله وافقه بسبب شواهده.

٩ ـ وورد من حديث أبي أيوب من وجه آخر، أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١/ ٢١٣ وقال الهيثمي: فيه واصل بن عطاء، وهو ضعيف.

١٠ ـ وله شاهد عن خزيمة بن ثابت، وليس فيه اللفظ المرفوع، أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١/ ٢١٣ وقال الهيثمي: فيه أبو بكر بن أبي سبرة متروك. فهذا شاهد لا يفرح به.

١١ ـ وصح عن خزيمة من وجه آخر أخرجه الطبري ١٧٢٤٦ قال: نزلت هذه الآية ﴿**فيه رجال...**﴾ قال: كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط. لم يذكر أهل قباء. =

فقالوا: إنَّا نستنجي بالماءِ. فعلَى هذا، المُرادُ به الطَّهارةُ بالماءِ. وقال أبو العالية: أنْ يَتطَهَّروا مِنَ الذُّنوبِ.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو وعَاصمٌ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ «أسس» بفتح الألفِ في الحرفين جميعاً وفتح النُّونِ فيهما. وقرأ نافعٌ وابنُ عَامرٍ «أُسس» بضمِّ الألف «بنيانُه» برفع النونِ. والبُنيَانُ مَصدرٌ يُراد به المَبنيُّ. والتَّأسيسُ: إحكَامُ أسِّ البِناءِ، وهو أصله، والمعنى: المُؤَسِّسُ بُنيَانَهُ مُتَّقِياً يخافُ اللهَ ويَرجُو رِضوَانَهُ خيرٌ، أَمِ المُؤَسِّسُ بُنيَانَهُ غيرَ مُتَّقٍ؟ قال الزَّجَّاجُ: وشَفَا الشيءِ: حَرْفُهُ وَحدُّهُ. والشفا مقصور، يكتب بالألف ويثنى شفوان. قوله تعالى: ﴿جُرُفٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ «جُرُف» مُثقَّلاً. وقرأ ابنُ عَامرٍ، وحَمزةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «جُرْف» ساكنة الراءِ. قال أبو عليٍّ: فالضمُّ الأَصلُ، والإِسكانُ تخفيفٌ، ومِثلُه: الشُّغُل والشُّغْل. قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: على حَرفِ جُرُفٍ هَائِرٍ. والجُرُفُ: ما يَتجَرَّفُ بالسُّيولِ مِنَ الأودِيَةِ. والهَائِرُ: السَّاقِطُ. ومنه: تَهَوَّرَ البناءُ وانهَارَ: إذا سَقَط. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: وحَمزةُ «هَار» بفتح الهاء. وأَمَالَ الهاءَ نافعٌ وأبو عَمرٍو. وعن عَاصم كالقِراءتين. قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي: بالبَانِي ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾. قال الزَّجَّاجُ: وهذا مَثَلٌ، والمعنى: أنَّ بناءَ هذا المَسجدِ كبِناءٍ على جُرفِ جهنَّمَ يَتهوَّر بأهلِه فيها. وقال قَتادَةُ: ذُكر لنا أنَّهم حَفَرُوا فِيه حُفرَةً فرُؤِي فيها الدُّخَانُ. قال جابرٌ: رأيتُ المسجدَ الذي بُني ضِراراً يَخرجُ منه الدُّخَانُ.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ﴾ يعني: مسجد الضِّرارِ ﴿ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: شَكّاً ونِفاقاً، لأنهم كانوا يَحسَبُون أنهم مُحسِنون في بِنائِه، قالَهُ ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: حَسْرةً ونَدَامَةً، لأنهم نَدِمُوا على بِنائِه، قاله ابنُ السَّائِبِ ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أن المعنى: لا يزال هَدْمُ بُنيانِهم حَزَازَةً وغَيْظاً في قلوبهم، قاله السُّدِّيّ، والمُبَرِّدُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «إلا» وهو حرفُ استثناءٍ. وقرأ يَعقوبُ «إلى أن» فجعله حرفَ جرٍّ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «تُقطَّع» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «تَقَطَّع» بفتح التاء. ثم في المعنى قولان:

= ـ وللحديث شواهد مراسيل تقدم بعضها، ومنها: مرسل الشعبي، أخرجه الطبري ١٧٢٤٧ و ١٧٢٤٩ من طريقين أحدهما قوي. مرسل موسى بن أبي كثير، أخرجه الطبري ١٧٢٥١. مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ١٧٢٥٦. مرسل الحسن، أخرجه البلاذري في «فتوح البلدان» ١ ـ ٢ ـ ٣ والإسناد إلى الحسن حسن. وفي الباب روايات موصولة ومرسلة، ذكرها في «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٧ ـ ٤٩٩.
الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده الموصولة والمرسلة وقد صححه الحاكم والذهبي، وحسن الزيلعي إحدى رواياته وتقدم بما فيه كفاية، والله أعلم.

أحدهما: إلاَّ أنْ يَموتوا، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ في آخرين. **والثاني**: إلاَّ أنْ يَتوبوا توبةً تتقطَّعُ بها قلوبُهم نَدماً وأَسَفاً على تَفريطِهم، ذكره الزَّجَّاجُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾.

[٧٦٠] سبب نزولها أنَّ الأنصار لمَّا بايعت رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبةِ وكانوا سبعين رجلاً، قال عبدُ الله بن رَواحَةَ: يا رسولَ الله اشتَرِطْ لربِّكَ ولنَفسِكَ ما شئتَ، فقال «أشتَرِطُ لربِّي أنْ تعبدُوهُ ولا تُشركوا به شيئاً، وأشتَرِطُ لنَفسِي أنْ تَمنَعُوني مما تَمنَعُونَ منه أنفُسَكُم»، قالوا: فإذا فعلنَا ذلك، فمَا لَنا؟ قال: «الجَنَّةُ» قالوا: رَبِحَ البَيعُ، لا نُقيلُ ولا نَستَقيلُ، فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، قاله محمَّدُ بن كَعبٍ القُرَظِيّ.

فأما اشتِرَاء النَّفسِ فبالجهاد. وفي اشتِرَاءِ الأموالِ وَجهَان: **أحدهما**: بالإنفَاقِ في الجهاد. **والثاني**: بالصَّدَقَاتِ. وذِكْرُ الشِّرَاءِ ها هنا مَجازٌ لأنَّ المُشتري حقيقةً هو الذي لا يَملِكُ المُشتَرَى، فهو كقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾(١) والمُراد مِنَ الكلام أنَّ الله أَمَرَهُم بالجهاد بأنفُسِهم وأموالِهِم ليُجازِيَهُم عن ذلك بالجنَّةِ فعبَّر عنه بالشِّراء لِمَا تَضمَّنَ مِن عِوَضٍ ومُعوَّضٍ. وكان الحسَنُ يقول: لا واللَّهِ، إنْ في الدنيا مؤمنٌ إلاَّ وقد أُخِذَتْ بَيْعَتُهُ. وقال قَتادةُ: ثَامَنَهم واللَّهِ فَأَغلَى لهُم. قوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرو، وابنُ عَامرٍ، وعَاصمٌ «فيَقتُلون ويُقتَلون» فاعلٌ ومفعولٌ. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ «فيُقتلون ويَقتُلون» مفعولٌ وفاعلٌ. قال أبو عليٍّ: القراءةُ الأُولَى بمعنى أنهم يَقتُلون أَوَّلاً ويُقتَلُون، والأُخرى يجوز أنْ تكون في المعنى كالأولَى، لأنَّ المعطوفَ بالواو يجوز أنْ يُراد به التَّقديمُ؛ فإنْ لم يُقدَّر فيه التَّقديمُ، فالمعنى: يقتُلُ مَنْ بقيَ منهم بعدَ قَتْلِ مَنْ قُتِلَ، كما أنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾(٢) ما وَهَنَ مَنْ بَقِيَ بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ. ومعنى الكلام: إنَّ الجنَّةَ عِوَضٌ عن جهادِهم، قَتَلوا أو قُتِلُوا. ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: نُصِبَ «وعداً» بالمعنى، لأنَّ معنى قوله: ﴿بِأَنَّ

---

[٧٦٠] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٢٨٤ عن محمد بن كعب وغيره مرسلاً ومع إرساله فإن في إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر واهٍ وهو مرسل، والوهن في نزول الآية، لأن البيعة كانت في أول الإسلام.
وفي الباب من حديث عبادة بن الصامت «أن النبي ﷺ اشترط في بيعة العقبة على من بايعه من الأنصار: «أن يشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة والسمع والطاعة، ولا ينازعوا في الأمر أهله ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، قالوا: نعم: قال قائل من الأنصار: نعم، هذا لك يا رسول! فما لنا؟ قال: الجنة». أخرجه ابن سعد في «الطبقات ٣/ ٤٥٧، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف الحديث. وليس فيه ذكر نزول الآية.

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٥. (٢) سورة آل عمران: ١٤٦.

لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾، قال: وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ يدلُّ على أنَّ أهلَ كلِّ مِلَّةٍ أُمِرُوا بالقتال ووُعِدُوا عليه الجنَّة. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ﴾ أي: لا أحدَ أوْفَى بما وَعَدَ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾. ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ أي: فافرَحُوا بهذا البَيعِ.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾.

[٧٦١] سببُ نزولها: أنه لمَّا نزلت التي قَبْلَها، قال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ سَرَقَ وإنْ زَنَى وإنْ شَرِبَ الخَمْرَ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

قال الزَّجَّاجُ: يَصلُح الرفعُ ها هنا على وُجوهٍ أحدُها: المَدْحُ، كأنه قال: هؤلاءِ التَّائِبونَ، أو هُمُ التَّائِبونَ. ويجوز أنْ يكونَ على البَدَلِ، والمعنى: يُقَاتِلُ التَّائِبونَ؛ فهذا مذهبُ أهلِ اللغة، والذي عندي أنه رفعٌ بالابتداءِ، وخَبَرُهُ مُضمَرٌ، المعنى: التَّائِبونَ ومَنْ ذُكِرَ معهم لهُمُ الجنَّةُ أيضاً وإنْ لم يُجاهِدوا إذا لم يَقْصِدوا تَرْكَ الجهادِ ولا العِنَادَ، لأنَّ بعضَ المسلمين يُجزئ عن بعضٍ في الجهاد. وللمُفسرين في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: الرَّاجعون عن الشِّركِ والنِّفاقِ والمعاصي. **والثاني**: الرَّاجعون إلى اللّهِ في فِعْلِ ما أَمَرَ واجتنَابِ ما حَظَّرَ. وفي قوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المُطِيعُون لله بالعبادة، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: المُقيمُونَ الصَّلاَة، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: المُوَحِّدون، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ قال قَتادَةُ: يَحمدُونَ اللّه تعالى على كلِّ حالٍ. وفي السَّائِحِين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصَّائِمون، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ في آخرين. قال الفَرَّاءُ: ويرى أهلُ النَّظر أنَّ الصائمَ إنما سُمِّيَ سائِحاً تشبيهاً بالسَّائِح، لأنَّ السَّائِحَ لا زَادَ معه؛ والعربُ تقول للفرَسِ إذا كان قائِماً لا عَلَفَ بين يَدَيهِ: صَائمٌ، وذلك أنَّ لهُ قُوتَيْنِ، غُدوةً وعَشِيَّةً، فشُبِّهَ به صِيامُ الآدميّ لِتَسحُّرِه وإفطَارِه. **والثاني**: أنهم الغُزاةُ، قاله عَطَاءٌ. **والثالث**: طُلاَّبُ العِلمِ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: المُهاجرون، قاله ابنُ زَيدٍ.

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ يعني في الصلاة ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو طاعةُ الله ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو معصيةُ الله. فإنْ قيل: ما وَجْهُ دخولِ الواوِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الواوَ إنما دَخَلتْ ها هنا لأنها الصِّفَةُ الثَّامِنةُ، والعربُ تعطِفُ بالواوِ على السَّبعةِ، كقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(١) وقولِه في صِفَةِ الجنَّة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾(٢)، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. **والثاني**: أنَّ الواو إنما دَخَلتْ على النَّاهِين لأنَّ الآمر بالمعروفِ نَاهٍ عن

---

[٧٦١] لم أقف عليه، وأمارة الوضع لائحة عليه، حيث لا ذكر له في كتب الحديث والأثر بهذا اللفظ والسياق.

---

(١) سورة الكهف: ٢٢. (٢) سورة الزمر: ٧٣.

المُنكرِ في حالِ أَمْرِهِ، فكان دُخولُ الواو دلالةً على أنَّ الأمرَ بالمعروف لا ينفردُ دونَ النَّهي عن المُنكرِ كما يَنفرِدُ الحَامِدُونَ بالحَمدِ دونَ السَّائحين، والسَّائِحُونَ بالسِّياحَةِ دون الحَامِدِينَ في بعضِ الأحوالِ والأوقاتِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ قال الحسَنُ: القَائِمُونَ بأمرِ الله.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ في سبب نزولها أربعةُ أقوالٍ:

[٧٦٢] **أحدها**: أنَّ أبا طالبٍ لمَّا حَضرتَهُ الوَفاةُ، دخلَ عليه رسولُ الله ﷺ، وعندَه أبو جَهلٍ، وعبدُ الله بنُ أبي أُمَيَّةَ، فقال: «أي عَمِّ، قُلْ معي: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، أُحاجُّ لكَ بها عندَ اللَّهِ»، فقال أبو جَهلٍ وابنُ أبي أُمَيَّةَ: يا أبا طَالبٍ، أترغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلبِ؟! فلَمْ يَزالا يُكلِّمانِه، حتى قال آخرَ شيءٍ كَلَّمَهُم به: أنا على مِلَّةِ عبدِ المُطَّلبِ. فقال النبيُّ ﷺ: «لأَستَغْفِرَنَّ لكَ ما لَمْ أُنْهَ عنكَ»، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[(١)]؛ أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ عن أبيه.

[٧٦٣] وقيل: إنه لمَّا ماتَ أبو طَالبٍ، جعلَ النَّبيُّ ﷺ يستغفرُ له، فقال المسلمون: ما يَمْنَعُنا أنْ نَستغفِرَ لآبائنا ولِذَوي قَرَابَاتِنا، وقد استَغفَر إبراهيمُ لأبيه، وهذا محمَّدٌ يستغفرُ لعَمِّهِ؟ فاستَغفِرُوا للمشركين، فنزلت هذه الآيةُ. قال أبو الحُسينِ بن المُنَادي: هذا لا يَصِحُّ، إنما قال النبيُّ ﷺ لعمِّه «لأَستغفِرَنَّ لكَ ما لَمْ أُنْهَ عنكَ» قبل أنْ يموتَ، وهو في السِّياقِ، فأمَّا أنْ يكون استَغفَرَ له بعدَ الموتِ، فلا، فانقلَبَ ذلك على الرُّواةِ، وبقِيَ على انقِلابِه.

[٧٦٤] **والثاني**: أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بقبرِ أُمِّهِ آمِنَةَ، فتوضَّأ وصلَّى رَكعَتين، ثمَّ بكَى فبَكَى النَّاسُ

---

[٧٦٢] صحيح. أخرجه البخاري ١٣٦٠ و ٤٧٧٢ و ٤٧٧٦ و ٣٨٨٤ و ٦٦٨١ ومسلم ٢٤ والنسائي ٤/ ٦٠ وفي «التفسير» ٢٥٠ وأحمد ٥/ ٤٣٣ وعبد الرزاق في «التفسير» ١١٣٢ وابن حبان ٩٨٢ والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧ و «الأسباب» ٥٣٠ والبيهقي في «الصفات ١٧١ و ١٩٥ و «الدلائل» ٢/ ٣٤٢ و ٣٤٣، والبغوي في «التفسير» ١١٢٣ بترقيمي. من طرق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه به.

[٧٦٣] أخرجه الطبري ١٧٣٤١ عن عمرو بن دينار مرسلاً. وله شاهد من مرسل محمد بن كعب، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٥. فهذان مرسلان لا تقوم بهما حجة. انظر «أحكام القرآن» ١٢٢٢ بتخريجنا.

[٧٦٤] عزاه السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٠٧ لابن مردويه عن بريدة به. ولم أقف على إسناده. وورد بنحوه أخرجه الطبري ١٧٣٤٤ من حديث بريدة ورجاله ثقات. وورد من وجه آخر أخرجه الحاكم ١/ ٣٧٦ وصححه على =

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

لبُكائِه، ثم انصرفَ إليهم، فقالوا: ما الذي أبكَاكَ؟ فقال: «مَررتُ بقبرِ أمّي فصلّيتُ ركعتين، ثم استأذنتُ رَبّي أنْ أستغفِرَ لها، فنُهيتُ، فبكَيتُ، ثم عُدتُ فصلّيتُ ركعتين، واستأذنتُ ربّي أنْ أستغفِرَ لها، فزُجِرتُ زَجراً، فأبكَاني»، ثمّ دَعَا براحِلَتِه فركِبَها؛ فمَا سارَ هُنيَّة، حتى قامَتِ النّاقةُ لِثِقلِ الوَحيِ؛ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ والآيةُ التي بعدَها، رواه بُرَيْدَةُ عن رسولِ الله ﷺ.

[٧٦٥] **والثالث**: أنَّ رجلاً استغفَرَ لأبَوَيهِ، وكَانَا مُشركَيْن، فقال له عليُّ بنُ أبي طَالِبٍ: أتَستَغفِرُ لهُما وهُما مُشركَان؟ فقال: أوَ لَمْ يَستغفِرْ إبراهيمُ لأبيه؟ فذكَرَ ذلكَ عليٌّ لرسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، رواه أبو الخَليلِ عن عليٍّ عليه السَّلامُ.

[٧٦٦] **والرابع**: أنَّ رجالاً مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ قالوا: يا نَبيَّ الله؛ إنَّ مِنْ آبائنا مَنْ كان يُحسن الجِوارَ، ويَصِلُ الرَّحِمَ، ويَفُكُّ العَانِي، ويُوفي بالذِّمَم، أفلا نستغفرُ لهم؟ فقال: «بلى، واللّهِ لأَستغفِرَنَّ لأبِي كمَا استغفَرَ إبراهيمُ لأبِيهِ»، فنزلت هذه الآية، وَبيَّن عُذرَ إبراهيمَ، قاله قَتادَةُ.

ومعنى قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: مِنْ بعدِ ما بَانَ أنهم ماتُوا كُفّاراً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ إبراهيم وَعَدَ أباهُ الاستِغفَارَ، وذلكَ قولهُ تعالى: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾[1]، وما كان يعلمُ أنَّ الاستغفارَ للمشركين مَحظُورٌ حتى أخبَرَهُ اللّهُ تعالى بذلك. **والثاني**: أنَّ أباهُ وَعَدَهُ أنه إنْ استغفَر له آمَنَ؛ فلمَّا تَبيَّن لإبراهيمَ عَداوةُ أبيه للّهِ تعالى بمَوتِه على الكُفرِ، تَرَكَ الدُّعاءَ له. فعَلَى الأولِ، تكون هاءُ الكِنايةِ في «إيّاه» عائدَةً على آزَرَ، وعلى الثاني، تعودُ على إبراهيمَ. وقرأ ابنُ السَّميفَع، ومُعاذُ القارِئُ، وأبو نَهِيكٍ: «وعدها أباه» بالباء.

= شرطهما! ووافقه الذهبي! وهو كما قال. وله شاهد صحيح من حديث أبي هريرة، أخرجه الترمذي ٩٧٦ وأبو داود ٣٢٣٤ والنسائي ٤/ ٩٠ وابن ماجة ١٥٧٢ وابن أبي شيبة ٣/ ٣٤٣ وأحمد ٢/ ٤٤١ وابن حبان ٣١٦٩ واستدركه الحاكم ١/ ٣٧٥ والبيهقي ٤/ ٧٦ والبغوي ١٥٥٤ من طرق عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة، قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، «فإنها تذكر الموت». قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٧/ ٤٥: فيه جواز زيارة المشركين في الحياة وقبورهم بعد الوفاة، لأنه إذا جازت زيارتهم بعد، ففي الحياة أولى، وقد قال الله تعالى ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ وفيه النهي عن الاستغفار للكفار. ففي هذا الحديث وحديث بريدة المتقدم وكلام النووي هذا دليل على رد قول بعض المتأخرين ومنهم السيوطي بأن الله عز وجل قد أحيا أبوي النبي ﷺ. فآمنا به. وليس على ما ذكر هؤلاء دليل سوى أحاديث موضوعة، وأقوال واهية، وقصص عجيبة. نسأل الله السلامة.

[٧٦٥] أخرجه الترمذي ٣١٠١ والنسائي ٤/ ٩١ وأحمد ١/ ٩٩ و ١٣٠ و ١٣١ وأبو يعلى ٣٣٥ و ٦١٩ والطبري ١٧٣٤٨ و ١٧٣٤٩ من طرق عن سفيان عن أبي إسحق عن أبي الخليل عبد الله بن الخليل عن علي به، وإسناده لين أبو الخليل، مقبول، وقد توبع على معنىٰ هذا الحديث كما تقدم دون لفظه. والله أعلم.

[٧٦٦] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٣٤٧ عن قتادة مرسلاً بأتم منه، وهذا ضعيف لإرساله.

---

(١) سورة مريم: ٤٧.

وفي الأَوَّاهِ ثمانيةُ أقوالٍ[(١)]:

[٧٦٧] **أحدها**: أنه الخَاشِعُ الدَّعَّاءُ المُتَضَرِّعُ، رواه عبدُ الله بنُ شَدَّادِ بنِ الْهَادِ عن النبيِّ ﷺ.

والثاني: أنه الدَّعَّاءُ، رواه زِرٌّ عن عبدِ الله، وبه قال عُبيدُ بن عُمَيرٍ. **والثالث**: الرَّحيمُ، رواه أبو العُبيد بنُ العَامِري عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال الحَسنُ، وقَتادَةُ، وأبو مَيْسَرَةَ. **والرابع**: أنه المُوقِنُ، رواه أبو ظَبيان عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: أنه المُؤمنُ، رواه العَوفيُّ، ومُجاهِدٌ، وابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والسادس**: أنه المُسَبِّحُ، رواه أبو إسحَاقَ عن أبي مَيْسَرَةَ، وبه قال سعيدُ بن المُسَيِّبِ، وابنُ جُبَيرٍ. **والسابع**: أنه المُتَأَوِّهُ لذكرِ عذاب الله، قاله الشَّعبيُّ. قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُ أَوّاهِ مَجازُ فَعَّالٍ مِنَ التَّأَوُّهِ، ومعناه: مُتَضَرِّعٌ شَفَقاً وفَرَقاً ولُزوماً لطاعةِ رَبِّهِ، قال المُثقِّب:

إذا مـا قُـمـتُ أَرْحَـلُـهـا بـلَـيـلٍ   تَـأَوَّهُ آهَـةَ الـرَّجُـلِ الـحَـزِيـنِ[(٢)]

والثامن: أنه الفَقيهُ، رواه ابنُ جُرَيجٍ عن مُجاهِدٍ. فأما الحَليمُ، فهو الصَّفُوحُ عن الذُّنوب.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية.

[٧٦٨] سبب نزولها: أنه لمَّا نزلت آيةُ الفرائِض، وجاء النَّسخُ، وقد غابَ قومٌ وهم يعلمون بالأمرِ الأوَّلِ مثل أَمْرِ القِبْلَةِ والخَمْرِ، وماتَ أقوامٌ على ذلك، سَأَلُوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

وقال قومٌ: المعنى: أنه بَيَّن أنه لم يَكُن لِيَأْخُذَهُم بالاستِغفَارِ للمُشركين قبل تَحريمِهِ، فإذا حَرَّمه ولم يَمْتَنِعوا عنه، فقد ضَلُّوا. وقال ابنُ الأنبارِي: في الآيةِ حَذْفٌ واختِصَارٌ، والتَّأويلُ: حتى يَتَبَيَّنَ لهم ما يَتَّقُون، فلا يَتَّقُونَهُ، فعندَ ذلك يَستحِقُّون الضَّلالَ؛ فحَذَفَ ما حَذفَ لبيانِ معناه، كما تقول العربُ: أمرتُكَ بالتِّجارة فكَسِبتَ الأموالَ؛ يريدون: فَتَجرتَ فكَسِبتَ.

---

[٧٦٧] أخرجه الطبري ١٧٤٣٠ و ١٧٤٣١ عن عبد الله بن شداد، وفيه شهر بن حوشب فيه كلام، وهو مدلس، وقد عنعنه. وإسناده ضعيف.

[٧٦٨] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٤٨٨: وأولى الأقوال قول من قال: إنه الدعاء وهو المناسب للسياق، وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم عليه السلام إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه، وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليماً عمن ظلمه وأناله مكروهاً ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه في قوله: ﴿**أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا**﴾. فحلم عنه مع أذاه له، ودعا له واستغفر، ولهذا قال تعالى: ﴿**إن إبراهيم لأواه حليم**﴾ اهـ.

(٢) البيت منسوب إلى المثقب: مجاز القرآن ١/ ٢٧٠ «اللسان» أوه.

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال المُفسِّرون: تابَ عليه مِنْ إذنِه للمنافقين في التَّخلُّفِ. وقال أهلُ المعاني: هو مِفتاحُ كلامٍ، وذلك أنه لمَّا كان سببَ توبةِ التَّائبين، ذُكِرَ معهم، كقولِهِ تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾(١). قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ قال الزَّجَّاج: هُمُ الذين اتَّبعُوه في غزوةِ تبُوكٍ، والمُراد بسَاعةِ العُسْرَةِ: وَقْتَ العُسْرَةِ، لأنَّ السَّاعة تقع على كلِّ الزَّمانِ، وكان في ذلك الوقتِ حرٌّ شديدٌ، والقومُ في ضِيقَةٍ شديدةٍ، كان الجَمَلُ بينَ جماعةٍ يَعتَقِبُون عليه، وكانوا في فقرٍ، فربَّما اقتسَمَ التَّمرَة اثنان، وربَّما مَصَّ التَّمرةَ الجماعةُ لِيشرَبُوا عليها الماءَ، وربَّما نَحرُوا الإبلَ فشَرِبُوا مِنْ ماءِ كُرُوشِها مِنَ الحَرِّ.

[٧٦٩] وقيل لعمرَ بن الخَطَّابِ: حَدِّثْنَا عن ساعةِ العُسرَةِ؛ فقال: خرجنا إلى تَبُوكٍ في قَيْظٍ شديدٍ، فنزلنا مَنزِلاً أصابنا فيه عطشٌ حتى ظَنَنَّا أنَّ رِقابَنا سَتَتقَطَّعُ، حتى إنَّ الرجل ليذهبُ يلتمسُ الماءَ، فلا يرجعُ حتى يظنَّ أنَّ رقبتَهُ ستنقطِعُ، وحتى إنَّ الرجلَ لَيَنحَرُ بَعِيرَهُ فيعصر فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ، ويجعل ما بقيَ على كَبِدِهِ. فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، إنَّ الله تعالى قد عَوَّدَكَ في الدُّعاءِ خيراً، فادعُ لنا. قال: «تُحِبُّ ذلكَ»؟ قال: نعم. فرَفَعَ يديه، فلَم يُرجِعْهُما حتى قالَتِ السَّماءُ، فملَؤوا ما مَعَهُم، ثم ذَهَبْنا نَنْظُرُ، فَلَمْ نَجِدْهَا جاوَزَتِ العَسْكَرَ.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ قرأ حَمزةُ، وحَفصٌ عن عَاصم: «كاد يزيغ» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَمِيلُ إلى التَّخلُّفِ عنه، وهم ناسٌ مِنَ المسلمين هَمُّوا بذلك، ثم لَحِقُوه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ القلوبَ مَالَتْ إلى الرُّجوعِ للشِدَّةِ التي لَقوهَا، ولم تزِغْ عن الإيمانِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ القلوبَ كادت تَزِيغُ تَلَفاً بالجَهدِ والشِّدَّةِ، ذكره المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كرَّرَ ذِكرَ التَّوبةِ، لأنَّهُ ليس في ابتداءِ الآيَةِ ذِكْرُ ذَنْبِهِم، فقَدَّمَ ذِكرَ التَّوبةِ فَضلاً منه، ثم ذَكَرَ ذَنبَهُم، ثم أعادَ ذِكْرَ التَّوبةِ.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو مِجلَزٍ، والشَّعبيُّ، وابنُ يَعْمَرَ:

---

[٧٦٩] أخرجه ابن خزيمة ١/ ٥٢ والحاكم ١/ ٥٩ وابن حبان ١٣٨٣ والبزار ١٨٤١ «كشف» من حديث ابن عمر، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، والصواب أنه على شرط مسلم وحده، حرملة بن يحيى تفرد عنه مسلم.

---

(١) سورة الأنفال: ٤١.

«خالفوا» بألفٍ. وقرأ مُعاذٌ القارئ، وعِكرمَةُ، وحُمَيدٌ: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام المُخفَّفَةِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو العَالِيَة: «خَلَّفوا» بفتح الخاء واللام مع تشديدها. وهؤلاءِ هم المُرادُون بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ وقد تقدَّمت أسماؤُهم. وفي معنى «خُلِّفوا» قولان: **أحدهما**: خُلِّفوا عن التَّوبةِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. فيكون المعنى: خُلِّفُوا عن تَوبةِ الله على أبي لُبابَةَ وأصحابِه إذ لم يَخضَعُوا كما خَضَعَ أولئك. **والثاني**: خُلِّفوا عن غَزوةِ تَبوكٍ، قاله قَتادَةُ. وحَدِيثُهم مُندَرِجٌ في تَوبةِ كَعبِ بن مالكٍ[1]، وقد رويتُها في كتابِ «الحدائق».

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضَاقَتْ مع سَعَتِها.

[٧٧٠] وذلك أنَّ المسلمين مُنِعُوا مِنْ مُعامَلَتِهم وكَلامِهم، وأُمِرُوا باعتزَال أزوَاجِهم، وكان النبيُّ ﷺ مُعرِضاً عنهم. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بالهَمِّ والغَمِّ. ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي: أيقَنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ أي: لا مُعتصم مِنَ اللهِ ومِنْ عذابه إلاَّ هو. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أعاد التَّوبةَ تأكيداً، ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لِيَستَقِيمُوا. وقال غيرُه: وفَّقَهُم للتوبَةِ لِيَدُومُوا عليها ولا يَرْجِعوا إلى ما يُبْطِلُها. وسُئِلَ بعضُهم عن التَّوبَةِ النَّصُوحِ، فقال: أنْ تَضِيقَ على التَّائِبِ الأرضُ، وتَضِيقَ عليه نَفْسُه، كتَوبَةِ كعبٍ وصَاحِبَيهِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في سبب نُزولِها قولان: **أحدهما**: أنها نزلت في قصَّةِ الثلاثةِ المُتخَلِّفينَ. **والثاني**: أنها في أهلِ الكتاب. والمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتَّقوا الله في إيمَانِكم بمُحمَّدٍ ﷺ وكُونوا مع الصَّادِقين.

وفي المُراد بالصَّادِقين خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النبيُّ ﷺ وأصحابُه، قاله ابنُ عمرَ. **والثاني**: أبو بكرٍ وعمرُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ. وقد قرأ ابنُ السَّمَيْفع، وأبو المُتوكِّلِ، ومُعاذٌ القارئ: «مع الصَّادِقَيْنِ» بفتحِ القافِ وكسرِ النونِ على التَّثنيةِ. **والثالث**: أنهم الثلاثةُ الذين خُلِّفوا، صَدَقُوا النبيَّ ﷺ عن تأخُّرِهم، قاله السُّدِّيّ. **والرابع**: أنهم المُهاجرون، لأنهم لم يَتَخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ في الجهاد، قاله ابنُ جُرَيج. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقيل: إنَّ أبا بكرٍ الصِّديقَ احتجَّ بهذه الآيةِ يومَ السَّقيفَةِ، فقال: يا معشَرَ الأنصارِ، إنَّ الله يقولُ في كتابه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوٓاْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ مَنْ هُمْ؟ قالتِ الأنصارُ: أنتُمْ هُمْ. قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فأمَرَكُمْ أنْ تكونوا مَعَنا، ولم يَأمُرْنا أنْ نكونَ معكُم، فنحن الأمراءُ وأنتُمْ الوزَرَاءُ. **والخامس**: أنه عامٌّ، قاله قَتادَةُ. و «مع» بمعنى: «مِنْ»، وكذلك هي في قراءةِ ابنِ مسعودٍ: «وكونوا من الصادقين».

---

[٧٧٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٤١٨ ومسلم ٢٧٦٩ والترمذي ٣١٠٢ والنسائي في «التفسير» ٢٥٢ وعبد الرزاق ٩٧٤٤ وأحمد ٥/ ٣٨٧ وابن أبي شيبة ١٤/ ٥٤٠ وابن حبان ٣٣٧٠ والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٥٣٠ و ٥٣٢ و ١١ والطبري ١٧٤٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٧٣ والبغوي ١١٣٤ من حديث كعب بن مالك.

---

(١) هو الآتي.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابنُ عباس: يعني: مُزَينَةَ، وجُهَينَةَ، وأشْجَعَ، وأَسلَمَ، وغِفَارَ، ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ في غزوةٍ غزاها، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ لا يَرْضَوا لأنفسِهم بالخَفْضِ والدَّعَةِ ورسولُ الله ﷺ في الحَرِّ والمَشَقَّةِ. يُقال: رغبتُ بنفسي عن الشيءِ: إذا تَرَفَّعتَ عنه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك النَّهيُ عن التَّخلُّفِ ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو العَطَشُ، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو التَّعبُ، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ وهي المَجاعةُ، ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أسْراً أو قَتْلاً أو هزيمةً، فأعلَمَهُم اللّهُ أنه يُجازِيهم على جميعِ ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قال ابنُ عباس: تَمْرَةً فما فوقَها، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ مُقْبِلِينَ أو مُدْبِرِينَ ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ أي: أُثبِتَ لهم أجرُ ذلك، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فصل: قال شيخنا عليُّ بن عُبيدِ الله: اختلفَ المُفسِّرون في هذه الآيةِ، فقالت طائفةٌ: كان في أوَّلِ الأمرِ لا يجوزُ التَّخلُّفُ عن رسولِ الله ﷺ حيثُ كان الجهاد يَلزَمُ الكلَّ؛ ثم نُسِخَ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾؛ وقالت طائفةٌ: فَرَضَ اللّهُ تعالى على جميع المؤمنين في زمانِ النبيِّ ﷺ ممَّن لا عُذرَ له الخُروجَ معهُ لشيئين: **أحدهما**: أنه مِنَ الواجبِ عليهم أنْ يَقُوه بأنفسِهم. **والثاني**: أنه إذا خرجَ الرَّسولُ فقد خرجَ الدِّينُ كُلُّه، فأُمِرُوا بالتَّظاهرِ لِئلاَّ يَقِلَّ العددُ، وهذا الحُكمُ باقٍ إلى وَقتِنا؛ فلو خَرجَ أميرُ المؤمنين إلى الجهادِ، وَجَبَ على عامَّةِ المسلمين مُتابَعتُه لِمَا ذَكَرْنا. فعلى هذا، الآيةُ مُحكَمَةٌ. قال أبو سُليمانَ: لكلِّ آيةٍ وَجهُها، وليس للنَّسخِ على إحدَى الآيتين طريقٌ.

﴿۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ في سبب نزولها أربعةُ أقوالٍ[1]:

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/٥١٦: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويله: وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله وحده، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين أن يخرجوا في غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم، ويدعوا رسول الله ﷺ وحيداً. ولكن عليهم إذا سرى رسول الله ﷺ، أن ينفر معه من كل قبيلة من قبائل العرب ﴿طائفة﴾ وهي الفرقة ـ وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد، كما قال الله جل =

[٧٧١] **أحدها**: أنه لمَّا أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عُيوبَ المنافقين في غَزوةِ تَبُوكٍ، قال المؤمنون: واللَّهِ لا نَتَخَلَّفُ عن غَزوةٍ يَغزُوها رسولُ الله ﷺ ولا سَرِيَّةٍ أبداً. فلما أرسلَ السَّرَايَا بعد تَبُوكٍ، نَفَرَ المسلمون جميعاً، وتَرَكُوا رسولَ الله ﷺ وَحدَهُ، فنزلت هذه الآيَةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٧٧٢] **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا دَعَا على مُضَرَ، أَجْدَبَتْ بلادُهم؛ فكانت القَبيلةُ منهم تُقبِلُ

---

[٧٧١] باطل لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٣٣ من رواية الكلبي عن ابن عباس، والكلبي ممن يضع الحديث، والمتن باطل، فإن المسلمين كانوا ينفرون بأمر رسول الله ﷺ.

[٧٧٢] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٤٨٨ عن ابن عباس، ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة، والآية تخاطب المؤمنين لا الكافرين كما هو سياق الحديث.

= ثناؤه: ﴿فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ يقول: فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا إلى ها هنا. على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس وهو قول قتادة والضحاك وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب. لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله ﷺ على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول ﷺ ومن الأعراب، لغير عذر يعذرون به، إذا خرج رسول الله ﷺ لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ [التوبة: ١٢٠]. ثم عقب ذلك جل ثناؤه ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ فكان معلوماً بذلك إذ كان قد عرفهم في الآية التي قبلها اللازم لهم من فرض النفر، والمباح لهم من تركه حال غزو رسول الله ﷺ وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم. أن يكون عقيب تعريفهم ذلك، تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله ﷺ بمدينته، وإشخاص غيره عنها، كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

وأما قوله: ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ فإن أولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذر قومهم فيحذرهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم. ﴿لعلهم﴾ يحذرون يقول: لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذاراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب، وهو قول الحسن البصري لأن «النفر» قد بينا فيما مضىٰ، أنه إذا كان مطلقاً بغير صلة بشيء، أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو، فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعاني فيه، وكان جل ثناؤه قال: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾. علم أن قوله ﴿ليتفقهوا﴾ إنما هو شرط للنفر لا لغيره. إذ كان يليه دون غيره من الكلام. فإن قال قائل وما تنكر أن يكون معناه: ليتفقه المتخلفون في الدنيا. قيل: ننكر ذلك لاستحالته. وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سبباً لتفقه المتخلفة، وجب أن يكون مقامهم معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه، وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سبباً لمنعهم من التفقه.

وبعد، فإنه قال جل ثناؤه: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ عطفاً به على قوله: ﴿ليتفقهوا في الدين﴾، ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلا والإنذار قد تقدم من الله إليها، وللإنذار وخوف الوعيد نفرت، فما وجه إنذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة، وقد تساوتا في المعرفة بإنذار الله إياهما؟ ولو كانت إحداهما جائز أن توصف بإنذار الأخرى، لكان أحقهما بأن يوصف به، الطائفة النافرة، لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به. ما لم تعاين المقيمة. ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا. في أنها تنذر من حيِّها وقبيلتها من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه: أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نُظرائه من أهل الشرك. اهـ.

بأسْرِها إلى المَدينةِ مِنَ الجُهدِ ويظهرون الإسلامَ وهُم كاذبون؛ فضيَّقوا على أصحاب رسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عباسٍ.

[٧٧٣] **والثالث**: أنَّ ناساً أسلَمُوا، وخَرجوا إلى البوادي يُعَلمون قومهم، فنزلت: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾[1]، فقال ناسٌ مِنَ المنافقين: هَلَكَ مَنْ لم يَنْفِرْ مِنْ أهل البوادي، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عِكرمَةُ.

[٧٧٤] **والرابع**: أنَّ ناساً خرجوا إلى البوادي يعلمون الناسَ ويهدونهم، ويصيبون من الحطب ما ينتفعون به؛ فقال لهم الناسُ: ما نَراكُم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا؛ فأقبلوا من البادية كلهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

قال الزَّجَّاجُ: ولفظُ الآيةِ لفظُ الخبرِ، ومعناها الأَمرُ، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[2]، والمعنى: ينبغي أنْ يَنْفِرَ بعضُهم، ويبقى البعضُ. قال الفَرَّاءُ: يَنْفِرُ ويَنْفُرُ، بكَسرِ الفاءِ وضَمِّها، لُغتان. واختلفَ المُفسِّرون في المراد بهذا النَّفيرِ على قولين: **أحدهما**: أنه النَّفيرُ إلى العدو، فالمعنى: ما كان لهم أنْ يَنْفِروا بأجمَعِهم، بل تَنْفِرُ طائفةٌ، وتبقى مع النبيِّ ﷺ طائفةٌ. ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يعني الفِرقَةَ القَاعِدِين. فإذا رَجعتِ السَّرَايَا، وقد نزلَ بعدَهُم قرآنٌ أو تَجدَّدَ أمرٌ، أعلَمُوهم به وأنذَرُوهم به إذا رَجعُوا إليهم، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه النَّفيرُ إلى رسولِ الله ﷺ، بل تَنْفِرُ منهم طائفةٌ ليتفقَّهَ هؤلاءِ الذين يَنْفِرُون، وليُنذِروا قومَهُم المُتخلِّفين، هذا قولُ الحسَنِ، وهو أشبهُ بظاهرِ الآية. فعلَى القولِ الأول، يكون نَفيرُ هذه الطَّائفة مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إنْ خرجَ إلى غَزاةٍ أو مع سَراياهُ. وعلى القولِ الثاني، يكون نَفيرُ الطَّائفةِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لاقتِباسِ العِلْم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ قد أُمِرَ بقتال الكفَّارِ على العُمومِ، وإنَّما يُبتدَأ بالأقرَبِ فالأقرَب. وفي المُراد بمَنْ يَليهِم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الرُّومُ، قاله ابنُ عمرَ. **والثاني**: قُرَيظَةُ والنَّضِيرُ وخَيبَرُ وفَدَكُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: الدَّيْلَمُ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: العَربُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنه عامٌ في قتال الأقربِ فالأقربِ، قاله قَتادةُ. وقال الزَّجَّاجُ: وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أنه ينبغي أنْ يُقاتِلَ أهلُ كلِّ ثَغرِ الذين يَلُونَهُم. قال: وقيل: كان النبيُّ ﷺ ربَّما تَخطَّى في حَربِهِ الذين

---

[٧٧٣] مرسل. أخرجه الطبري ١٧٤٩١ عن عكرمة مرسلاً.

[٧٧٤] مرسل. أخرجه الطبري ١٧٤٨٠ عن مجاهد مرسلاً.

---

(١) سورة التوبة: ٣٩. (٢) سورة التوبة: ١١٣.

يَلُونَهُ مِنَ الأعداء ليكونَ ذلك أَهْيَبَ له، فأُمِرَ بقتالِ مَنْ يَلِيهِ ليُستَنَّ بذلك. وفي الغِلْظَةِ ثلاثُ لُغاتٍ: غِلظَة، بكسر الغين؛ وبها قرَأَ الأكثرون. وغَلظَة، بفتح الغين، رواها جبَلَةُ عن عاصم، وغُلظَة، بضمّ الغين، رواها المُفضَّلُ عن عاصم، ومثلها: جِذوَة وجَذوَة وجُذوة، ووِجنَة ووَجنَة ووُجنَة، ورِغوَة ورَغوَة ورُغوة، ورِبوَة ورَبوَة ورُبوَة، وقِسوَة وقَسوَة وقُسوَة، وإِلوَة وأَلوَة وأُلوة، في اليَمين. وشاةٌ لِجْبَة ولَجْبَة ولُجْبَة: قد ولَّى لبَنُها. قال ابنُ عباسٍ في قوله «غلظة»: شَجاعةً. وقال مُجاهِدٌ: شِدَّةً.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ هذا قولُ المنافقين بعضِهم لبعضٍ استهزاءً بقول الله تعالى. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لأنهم إذا صدَّقوا بها وعمِلوا بما فيها، زادَتْهم إيماناً ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بنزولها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شَكٌّ ونِفاقٌ. وفي المُراد بالرِّجس ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشَّكُّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الإثمُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الكُفرُ، لأنهم كلَّما كَفَروا بسُورةٍ زادَ كُفرُهم، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين. وقرأ حَمزةُ: «أولا ترون» بالتاء على الخِطابِ للمؤمنين. وفي معنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ ثمانيةُ أقوالٍ[1].

أحدها: يَكذِبون كِذبةً أو كِذبتين يُضِلُّون بها، قاله حُذيفَةُ بن اليَمانِ. **والثاني**: يُنافقون ثم يُؤمنون ثم يُنافقون، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: يُبتَلَوْنَ بالغَزوِ في سبيلِ الله، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. **والرابع**: يُفتَنون بالسَّنَةِ والجُوعِ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: بالأوجَاعِ والأمرَاضِ، قاله عَطِيَّةُ. **والسادس**: يَنقُضُون عَهدَهُم مَرَّة أو مَرَّتينِ، قاله يَمانٌ. **والسابع**: يَكفُرونَ، وذلك أنهم كانوا إذا أخبَرَهُم النبيُّ ﷺ بما تكلَّموا به إذ خلَوْا، عَلِموا أنَّه نبيٌّ، ثم يَأتِيهم الشَّيطانُ فيقولُ: إنَّما بَلَغَهُ هذا عنكُم، فيُشرِكون، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والثامن**: يُفضَحُون بإظهَارِ نِفاقِهم، قاله مُقاتلُ بن حَيَّانَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ أي مِنْ نِفاقِهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي يَعتَبِرُون ويتَّعِظُون.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾.

[٧٧٥] قال ابنُ عباسٍ: كانت إذا أُنزِلَتْ سورةٌ فيها عَيْبُ المنافقين، وخَطَبَهُم رسولُ الله ﷺ وعَرَّضَ بهم في خُطبَتِه، شَقَّ ذلكَ عليهم ونظرَ بعضُهم إلى بعضٍ يُريدون الهَرَب يقولون: ﴿هَلْ

---

[٧٧٥] عزاه المصنف لابن عباس، ولم أقف عليه.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٢٠ ـ ٥٢١: وأولى الأقوال في كذلك بالصحة أن يقال: إن الله عجب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلة تذكرهم. وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها، وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التي ينزلها بهم من الجوع والقحط، وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم، وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله ﷺ وأصحابه، ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذي يجب التسليم له، ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو: أو لا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين، بما يكون زاجراً لهم، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون؟

﴿يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ مِنَ المؤمنين إنْ قُمتم؟ فإن لم يَرَهُم أحَدٌ خرجوا مِنَ المسجدِ.

قال الزَّجَّاجُ: كأنَّهم يقولون ذلك إيماءً لِئَلاً يعلَمَ بهم أحَدٌ، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ عن المكانِ، وجائزٌ عن العملِ بما يَسمَعونَ. وقال الحَسنُ: ثم انصَرَفُوا على عَزْمِ التَّكذيبِ بمحمَّدٍ ﷺ وبما جاءَ به. قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: عن الإيمانِ. وقال الزَّجَّاجُ: أَضلَّهُم مُجازاةً على فِعْلِهِم.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضمِّ الفاءِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو العَالِيةِ، والضَّحَّاكُ، وابنُ مُحَيصِنٍ. ومَحبُوبٌ عن أبي عَمرٍو: بفَتْحِها. وفي المَضمُومةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ جميعِ العربِ، قاله ابنُ عباسٍ؛ وقال: ليس في العرب قبيلةٌ إلاَّ وقد وَلَدتْ رسولَ الله ﷺ. **والثاني**: ممَّن تَعرِفُون، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: مِنْ نِكاحٍ لم يُصِبْهُ شيءٌ مِنْ ولادَةِ الجاهليَّةِ، قاله جَعفَرُ الصَّادِقُ. **والرابع**: بَشرٌ مِثلُكم، فهو آكَدُ للحُجَّةِ، لأنَّكُم تَفقَهُون عمَّن هو مِثلُكم، قاله الزَّجَّاجُ. وفي المَفتُوحَةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أفضَلِكُم خُلُقاً. **والثاني**: أَشرَفِكُم نَسَباً. **والثالث**: أكثَرِكُم طاعةً للّه عزَّ وجلَّ. قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: شديدٌ عليه ما شَقَّ عليكُم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. قال الزَّجَّاجُ: شديدٌ عليه عَنَتُكُم. والعَنَتُ: لِقاءُ الشِّدَّةِ. **والثاني**: شَديدٌ عليه ما آثمكُم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. قوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: سَمَّاهُ باسمَين مِنْ أسمائِه. وقال أبو عُبيَدة: «رؤوف» فَعُولٌ، مِنَ الرَّأفَةِ، وهي أَرَقُّ مِنَ الرَّحمَةِ؛ ويُقال: «رؤف»، وأنشد:

تَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيكَ حَقّاً ... كَفِعْلِ الوَالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحِيمِ (١)

وقيلَ: رؤوفٌ بالمُطِيعينَ، رَحيمٌ بالمُذنِبينَ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: أَعرَضوا عن الإيمانِ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي: يَكفِيني ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ: «العظيمُ» برَفعِ الميمِ. وإنَّما خصَّ العَرْشَ بالذِّكرِ، لأنَّه الأعظَمُ، فَيدخلُ فيه الأصغَرُ.

[٧٧٦] قال أُبَيُّ بن كَعبٍ: آخرُ آيةٍ أُنزِلَتْ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السُّورة.

---

[٧٧٦] أخرجه أحمد ٥/ ١١٧ والطبري ١٧٥٢٩ و ١٧٥٣٠ ورواه الطبراني في الكبير ٥٣٣ عن أبي بن كعب، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٦. وقال: رواه عبد الله بن أحمد والطبراني، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات.

---

(١) البيت منسوب لجرير: ديوانه: ٥٠٨، و «اللسان» رأف.

سُورَةُ يُونُسَ

ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

فصلٌ في نزولها: رَوى عطيَّةُ، وابنُ أبي طَلحةَ عن ابن عباسٍ أنها مكيَّةٌ، وبه قال الحسَنُ، وعِكرمَةُ. ورَوى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ أنَّ فيها مِن المَدَني قولُه: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾[1] الآية. وفي روايةٍ عن ابن عباسٍ: فيها ثلاثُ آياتٍ مِنَ المَدَنيِّ، أوَّلُها قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ﴾[2] إلى رأسِ ثلاث آياتٍ، وبه قال قَتادَةُ. وقال مُقاتِلٌ: هي مكيَّةٌ، غير آيتين، قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ﴾ والتي تَلِيها. وقال بعضُهم: هي مكيَّةٌ إلا آيتين، وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾[3] والتي تَلِيها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾

فأمَّا قوله تعالى: ﴿الٓرۚ﴾: قرأ ابنُ كَثيرٍ: «الر» بفتح الرَّاءِ، وقرأ أبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «الر» على الهِجاء مكسورةً. وقد ذكرنا في أوَّل سورة «البقرة» ما يشتمل على بيانِ هذا الجِنس. وقد خُصَّتْ هذه الكلمةُ بستةِ أقوالٍ[4]: **أحدها**: أنَّ معناها: أنا اللهُ أَرَى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ[5]. **والثاني**: أنا اللهُ الرَّحمنُ، رواه عَطاءٌ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: أنه بعضُ اسم مِنْ أسماء اللهِ. روى عِكرمَةُ عن ابن عباسٍ قال: «الر» و «حم» و «نون» حروف الرَّحمن. **والرابع**: أنهُ قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، رواه ابنُ أبي طلحَةَ عن ابن عباسٍ. **والخامس**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والسادس**: أنه اسمٌ للسُّورة، قاله ابنُ زيدٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى «هذه»، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ، واختاره أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: أنه على أصْله. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الإشارةَ إلَى الكُتب المُتقدِّمة مِنَ التَّوراةِ والإنجيلِ. قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ؛ فيكون المعنى: هذه الأقاصِيصُ التي تسمَعُونَها، تلك

---

(١) سورة يونس: ٤٠. (٢) سورة يونس: ٩٤. (٣) سورة يونس: ٥٨.
(٤) تقدم الكلام على الأحرف المقطعة في سورة البقرة، والصحيح في ذلك أن يقال: الله أعلم بمراده.
(٥) أخرجه الطبري ١٧٥٣٣ عن الضحاك، وأخرجه ١٧٥٣٤ عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس. وعطاء اختلط، فالخبر واه عن ابن عباس، وحسبه أن يكون عن الضحاك.

الآياتُ التي وُصِفَتْ في التَّوراةِ والإنجيلِ. **والثاني**: أنَّ الإشارةَ إلى الآياتِ التي جرى ذكرُها، مِنَ القرآن، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ «تلك» إشارةٌ إلى «الر» وأخواتِها مِنْ حروف المُعجم، أي: تلك الحروفُ المُفتتَحة بها السُّوَرُ هي ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنَّ الكتابَ بها يُتلى، وألفاظُه إليها تَرجِعُ، ذكره ابنُ الأنبارِي. قال أبو عُبيدَةَ: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ بمعنى المُحكَم المُبيِّنِ المُوَضِّحِ. والعربُ قد تضع فَعِيلاً في معنى مُفعَلٍ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾(١) أي: مُعَدٌّ.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾: سببُ نزولها: أنَّ اللهَ تعالى لمَّا بعث محمَّداً ﷺ أنكرت الكفارُ ذلك، وقالوا: اللهُ أعظَمُ مِنْ أنْ يكون رسولُه بَشَراً مثلَ محمَّدٍ. فنزلت هذه الآيةُ(٢). والمُراد بالناس هاهنا: أهلُ مكَّةَ، والمراد بالرَّجُلِ: محمَّدٌ ﷺ. ومعنى (منهم): يَعرفون نَسَبَهُ، قاله ابنُ عباسٍ. فأما الألِف فهي للتَّوبيخ والإنكارِ. قال ابنُ الأنبارِي: والاحتجاجُ عليهم في كَونِهم عَجِبُوا مِنْ إرسالِ محمَّدٍ، محذوفٌ هاهنا، وهو مُبيَّنٌ في قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾(٣) أي: فكَمَا وَضَحَ لكم هذا التَّفاضلُ بالمُشاهدةِ فلا تُنكروا تفضيلَ اللهِ مَنْ شاءَ بالنُّبوة. وإنما حَذفَهُ هاهنا اعتماداً على ما بَيَّنَهُ في موضعٍ آخَرَ. قال: وقيلَ: إنما عَجِبُوا مِنْ ذِكرِ البَعثِ والنُّشورِ لأنَّ الإنذارَ والتبشيرَ يتَّصلان بهما، فكان جوابُهم في مواضعَ كثيرةٍ يدل على كَونِ ذلك مثل قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(٤)، وقوله: ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٥).

وفي المُراد بقوله: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ سبعةُ أقوالٍ: **أحدُها**: أنه الثَّوابُ الحسَنُ بما قَدَّموا مِنْ أعمالِهم. رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، ورَوى عنه أبو صالح قال: عملٌ صالحٌ يُقدِمُون عليه. **والثاني**: أنه ما سبقَ لهم مِنَ السَّعادةِ في الذِّكرِ الأوَّلِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. قال أبو عُبيدَةَ: سَابقة صِدْقٍ. **والثالث**: شَفيعُ صِدْقٍ، وهو محمَّدٌ ﷺ يَشفعُ لهم يومَ القيامة. قاله الحَسنُ. **والرابع**: سَلَفُ صِدْقٍ تقدَّمُوهم بالإيمان، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والخامس**: مَقامُ صِدْقٍ لا زوالَ عنه، قاله عَطاءٌ. **والسادس**: أنَّ قَدَمَ الصِّدق: المنزلةُ الرَّفيعةُ. قاله الزَّجاجُ. **والسابع**: أنَّ القَدَمَ هاهنا: مُصيبةُ المسلمين بنبيِّهم ﷺ وما يَلحقُهم مِنْ ثوابِ الله عندَ أَسَفِهم على فَقْدِه ومَحبَّتِهم لمُشاهدَتِه(٦)، ذكره ابنُ الأنباري.

---

(١) سورة ق: ٢٣.

(٢) ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٧٥٤٢ عن طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس.
وإسناده ضعيف جداً، بشر ضعيف، والضحاك لم يلقَ ابن عباس.
وذكره الواحدي في «أسباب النزول» رقم ٥٣٤ عن ابن عباس بدون إسناد.

(٣) سورة الزخرف: ٣٢. (٤) سورة الروم: ٢٧. (٥) سورة يس: ٧٩.

(٦) قال الطبري رحمه الله ٦/٥٢٩، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معناه أن لهم أعمالاً صالحة عند الله يستوجبون بها منة الثواب.

فإنْ قيل: لِمَ آثَرَ القَدَمَ هاهنا على اليَدِ، والعرب تستعمل اليدَ في مَوضِع الإحسانِ؟

فالجواب: أنّ القَدَمَ ذُكِرَتْ هاهنا للتَّقدُّم، لأن العادةَ جَارِيَةٌ بتَقدُّم السَّاعي على قَدَميه، والعربُ تجعلها كنايةً عن العمل الذي يُتقدَّمُ فيه ولا يقعُ فيه تأخُّرٌ، قال ذو الرُّمَّةِ:

لَكُم قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أنَّها ... مع الحَسَبِ العَادِيّ طَمَّتْ على البَحرِ[١]

فإنْ قيل: ما وَجْهُ إضافة القَدمِ إلى الصِّدقِ؟

فالجواب: أنَّ ذلك مدحٌ للقَدَم، وكلُّ شيءٍ أضفتَهُ إلى الصِّدقِ، فقد مدحتَهُ؛ ومثله: ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[٢] وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[٣].

وفي الكلام محذوفٌ تقديره: أَنْ أوحينَا إلى رجلٍ منهم، فلمَّا أتاهُم الوَحيُ ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «لَساحر» بألفٍ. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ: «لَسِحْر» بغير ألفٍ[٤]. قال أبو عليٍّ: قد تقدَّم قولُه تعالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ فمَنْ قال: «ساحر»، أراد الرَّجلَ، ومَنْ قال: «سِحْر» أراد الذي أُوحِيَ سِحرٌ، أي: الذين تقولون أنتُم فيه: إنه وحيٌ: سِحْرٌ. قال الزَّجَّاجُ: لمَّا أنذرَهُم بالبَعثِ والنُّشورِ، فقالوا: هذا سِحرٌ، أخبرَهُم أنَّ الذي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ قادرٌ على بَعثِهِم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ وقد سبقَ تفسيرُه في سورة الأعرَافِ[٥].

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ قال مُجاهِدٌ: يقضيه. وقال غيرُه: يَأمُرُ به ويُمْضِيه.

قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يشفع أحدٌ إلاّ أنْ يأذَنَ له، قاله ابنُ عباسٍ. قال الزَّجَّاجُ: لم يَجْرِ للشَّفيع ذِكْرٌ قبلَ هذا، ولكنَّ الذين خُوطِبوا كانوا يقولون: الأصنامُ شُفعَاؤنا. **والثاني**: أنَّ المعنى: لا ثانيَ معه، مَأخوذٌ مِنَ الشَّفع[٦]، لأنه لم يَكُنْ معه أحدٌ، ثم خلقَ الأشياءَ. فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أَيْ: مِنْ بَعْدِ أَمْرِه أنْ يكون الخَلْقُ فكانَ. ذكرَهُ المَاوَرديّ.

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: قال مُقاتِلٌ: وَحّدُوه. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: فاعبُدُوه وَحدَهُ.

وقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ معناه: تتّعِظُون.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)﴾

---

(١) في «القاموس» طمّ الماء طمّاً وطموماً: غمر الإناء وملأه، والشيء كثر حتى علا وغلب.

(٢) سورة الإسراء: ٨٠. (٣) سورة القمر: ٥٥.

(٤) قال الطبري رحمه الله ٦/٥٢٩: اختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة **﴿إن هذا لسحر مبين﴾** بمعنى: إن هذا الذي جئتنا به ـ يعنون القرآن ـ لسحر مبين، وقرأ مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قرأة الكوفيين **﴿إن هذا لساحر مبين﴾**.

(٥) الآية: ٥٤.

(٦) في «القاموس» الشفع: خلاف الوتر، وهو الزوج، وقد شفعه كمنعه.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: مَصيرُكم يومَ القيامة. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ قال الزَّجَّاج: «وَعْدَ الله» منصوبٌ على معنى: وَعدَكم اللهُ وَعْداً، لأنَّ قولَه: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه: الوَعدُ بالرُّجوعِ، و «حقاً» منصوبٌ على: أحَقَّ ذلك حَقاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ قرأه الأكثرون بكسرِ الألف. وقرأت عَائشةُ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرمَةُ، وأبو العَالِية، والأعمَشُ «أنه» بفَتحِها. قال الزَّجَّاج: مَنْ كَسرَ، فعلى الاستِئنافِ، ومَنْ فَتَحَ، فالمعنى: إليه مَرْجِعُكم، لأنه يَبدأُ الخَلْقَ. قال مُقاتِلٌ: يبدأ الخَلْقَ ولم يَكُنْ شيئاً، ثم يُعيده بعدَ الموت. فأمَّا «القِسط» فهو العَدْلُ.

فإنْ قيل: كيفَ خَصَّ جَزاءَ المؤمنين بالعَدْلِ، وهو في جزاءِ الكافرين عَادِلٌ أيضاً؟

فالجواب: أنه لو جُمِعَ الفَريقين في القِسْطِ، لم يَتبيَّن في حالِ اجتِمَاعِهِمَا ما يقعُ بالكافرين مِنَ العذاب الأليم والشُّرْبِ مِنَ الحَميمِ، ففَصَلَهُم مِنَ المؤمنين ليُبيِّن ما يَجزيهم به ممَّا هو عَدْلٌ أيضاً. ذكره ابنُ الأنباري.

فأمَّا الحميم: فهو المَاءُ الحَارُّ، وقال أبو عُبيدَةَ: كلُّ حارٍّ فهو حَميمٌ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ قرأ الأكثرون: «ضياءً» بهمزةٍ واحدةٍ، وقرأ ابنُ كثيرٍ: «ضِئاءً» بهمزتَين في كلِّ القرآن، أي: ذاتَ ضِياءٍ. ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ أي: ذا نُورٍ. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ أي: قَدَّر لهُ، فحذفَ الجَارَّ، والمعنى: هيَّأ ويسَّرَ له منازلَ. قال الزَّجَّاج: الهاء تَرجعُ إلى «القمر»: لأنه المُقدَّرُ لِعلْم السِّنينِ والحِسَابِ. وقد يَجوز أنْ يعودَ إلى الشَّمس والقمرِ، فحُذفَ أحدُهما اختصاراً. وقال الفَرَّاءُ: إنْ شئتَ جعلتَ تقديرَ المَنازل للقمرِ خاصةً، لأنَّ به تُعلَم الشُّهورُ، وإنْ شئتَ جعلتَ التَّقدير لَهُما، فاكتُفِي بذِكْرِ أحدِهما مِنْ صَاحِبه، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [1]. قال ابنُ قُتَيبَة: منازلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرون مَنْزِلاً مِنْ أوَّل الشَّهرِ إلى ثماني وعشرين ليلةً، ثم يَسْتَسِرُّ. وهذه المَنازِلُ، هي النُّجومُ التي كانت العربُ تَنسبُ إليها الأنْواءَ، وأسماؤها عندهم: الشَّرطَان، والبُطَيْن، والثُّرَيَّا، والدَّبرَان، والهَقْعَة، والهَنْعَة، والذِّراع، والنَّثْرَة، والطَّرْف، والجَبهة، والزُّبْرة، والصَّرْفة، والعَوَّاء، والسِّماك، والغَفر، والزُّبَانَى، والإكلِيل، والقَلْب، والشَّوْلَة، والنَّعائِم، والبَلْدَة، وسَعدُ الذَّابح، وسَعدُ بَلْع، وسَعدُ السُّعود، وسَعدُ الأَخبِية، وفَرْغ الدَّلو المُقدَّم، وفَرْغُ الدَّلو المُؤخَّر، والرِّشاء وهو الحُوتُ.

(١) سورة التوبة: ٦٢.

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: للحق، مِنْ إظهار صُنعِهِ وقُدرَتِه والدَّليلِ على وَحدانِيَّته. ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، وحَفصٌ عن عَاصم: «يُفَصِّل» بالياء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عَامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عَاصمٍ: «نُفَصِّل الآيات» بالنون، والمعنىٰ: نُبيِّنُها. ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: يستَدلُّون بالأَمَارَاتِ على قُدرتهِ.

قوله تعالى: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يتَّقون الشِّرْكَ. **والثاني**: عُقوبةَ اللهِ تعالى. فيكون المعنى: إنَّ الآياتِ لِمَنْ لم يَحمِلْهُ هَوَاهُ على خِلافِ ما وضَحَ له مِنَ الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا يخافون البَعثَ. ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: اختاروا ما فيها على الآخرة ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾: آثَرُوها. وقال غيرُه: رَكَنُوا إليها، لأنهم لا يُؤمنون بالآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها آياتُ القرآن ومحمَّدٌ ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ما ذَكَرهُ في أوَّلِ السُّورة مِنْ صُنعِهِ، قاله مُقاتِلٌ. فأمَّا قوله تعالى: ﴿غَٰفِلُونَ﴾ فقال ابنُ عباسٍ: مُكَذِّبون. وقال غيرُه: مُعْرِضون. قال ابنُ زيدٍ: وهؤلاءِ هُمُ الكفَّار.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ: مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ.

قوله تعالى: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَهْدِيهِم إلى الجنَّةِ ثواباً بإيمانِهم. **والثاني**: يَجعلُ لهم نُوراً يمشُونَ به بإيمَانِهم. **والثالث**: يَزيدُهُم هُدًى بإيمَانِهم. **والرابع**: يُثبِّتُهُم بإيمَانِهم، فأمَّا الهدايةُ فقد سَبقَتْ لهم.

قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: تجري بين أيديهم وهم يَرونَها من عُلوٍ.

قوله تعالى: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا﴾ أي: دُعاؤهُم. وقد شرحنا ذلك في أوَّل الأعرافِ[١]. وفي المُراد بهذا الدُّعاءِ قولان: **أحدهما**: أنه استدْعَاؤهم ما يَشتَهُون. قال ابنُ عباسٍ: كلَّما اشتهى أهلُ الجنَّة شيئاً، قالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم ما يشتهُون، فإذا طَعِمُوا، قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فذلك آخِرُ دَعْوَاهُم. وقال ابنُ جُريجٍ: إذا مَرَّ بهم الطَّيرُ يَشتَهُونه قالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيأتيهم المَلَكُ بما اشتَهَوْا، فيُسلِّم عليهم فيَرُدُّون عليه: فذلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾. فإذا أَكَلوا حَمِدوا ربَّهم فذلكَ قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. **والثاني**: أنهم إذا أرادوا الرَّغبَةَ إلى اللهِ تعالى في دُعاءٍ يَدْعُونَهُ به قالوا: (سبحانكَ اللهمَّ)، قاله قَتَادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تحيَّةُ بعضِهم لبعضٍ وتحيَّةُ الملائكةِ لهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ اللهَ تعالى يُحَيِّيهم بالسَّلامِ. **والثالث**: أنَّ التَّحيةَ: المُلْكُ، فالمعنى: مُلْكُهم فيها سَالِمٌ، ذكرهما المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ أي: دُعَاؤهُم. وقولهم: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قرأ أبو مِجلَزٍ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ يَعْمُرَ، وقَتادَةُ، ويَعقوبُ: «أنَّ الحمدَ لله» بتشديد النون ونصبِ الدَّالِ. **قال الزَّجَّاجُ: أعلَمَ اللهُ أنهم يَبتدِئُون بتعظيم الله وتَنزيهِهِ، ويَختِمونَ بشُكره والثناءِ عليه. وقال ابنُ كَيسَانَ: يفتَتِحُون كلامَهم بالتَّوحيدِ، ويَختِمُونَهُ بالتَّوحيدِ**[٢].

---

(١) في الأعراف: ٥.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٢٨٥: يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال =

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾: ذَكَرَ بعضُهم أنَّها نزلت في النَّضْرِ بن الحَارِث حيثُ قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾[١] والتَّعجيلُ: تقديمُ الشيءِ قبل وَقتِه. وفي المُراد بالآية قولان: **أحدهما**: ولو يُعجّلُ اللهُ للنّاس الشَّرَّ إذا دَعَوْا على أنْفسِهم عند الغضب وعلى أهلِيْهم، واستعجَلُوا به، كما يُعجّل لهم الخيرَ، لَهَلَكوا. هذا قولُ ابن عباسٍ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ. **والثاني**: ولو يُعجِّلُ اللهُ للكافرين العذابَ على كُفرِهم كما عَجَّل لهم خيرَ الدنيا مِنَ المالِ والوَلَدِ، لعُجّلَ لهم قضاءُ آجَالِهم لِيَتعَجَّلوا عذابَ الآخرة. حكاه المَاوَرديِ. ويُقوّي هذا تمامُ الآية وسببُ نزولها. وقد قرأ الجمهورُ: «لَقُضيَ إليهم» بضمِّ القاف «أجلُهم» بضمِّ اللام. وقرأ ابنُ عامرٍ: «لَقَضَى» بفتح القاف «أَجَلَهم» بنصبِ اللام. وقد ذكرنا في أوّلِ سُورةِ البقرة[٢] معنى الطُّغيان والعَمَهِ.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾: اختلفوا فيمَن نزلت على قولين: **أحدُهما**: أنَّها نزلت في أبي حُذيفَةَ، واسمُه هَاشِمُ بنُ المُغيرَةِ بنِ عبد الله المَخزُومي. قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنَّها نزلت في عُتبَةَ بن رَبيعَةَ، والوَليدِ بن المُغيرَةِ. قاله عطاءٌ.

و ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الجهدُ والشدَّةُ. واللام في قوله: ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ بمعنى «على».

وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: إذا مَسَّهُ الضُر دعَا على جَنْبِه، أو دَعَا قاعداً، أو دَعَا قائماً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: إذا مَسَّهُ الضُرُّ في هذه الأحوال، دَعَا، ذكره المَاوَرديِ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعرضَ عن الدُّعاءِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: مَرَّ في العافية على ما كان عليه قبلَ أنْ يُبتَلَى، ولم يتَّعِظْ بما يَنالُه، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: مَرَّ طاغياً على تَرْكِ الشُكرِ. قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كأَنْ» هذه مُخفَّفةٌ مِنَ الثقيلة، المعنى: كأنه لم يَدْعُنا، قالت الخَنساءُ:

كَـأَنْ لَـمْ يَـكُـونـوا حِـمَـىً يُـتَّـقَـى ... إذِ الـنَّـاسُ إذْ ذَاكَ مَـنْ عَـزَّ بَـزَّا[٤]

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المعنى: كما زُيّنَ لهذا الكافرِ الدُّعاءُ عند البلاءِ والإِعراضُ عند الرَّخاءِ، كذلك زُيِّنَ للمُسرفين، وهم المُجاوِزُون الحَدَّ في الكُفرِ والمعصية، عَمَلُهم.

= أهل الجنة: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. وحَسُنَ أن يقرأ آخر «الصافات» فإنها جمعت تنزيه الباري تعالى عما نسب إليه والتسليم على المرسلين، والختم بالحمدلله رب العالمين.

(١) سورة الأنفال: ٣٢. (٢) سورة البقرة: ١٥.

(٣) انظر «تفسير الماوردي» ٢/ ٤٢٦.

(٤) في «اللسان» البز: السلب، ومنه قولهم في المثل: من عزَّ بَزَّ، معناه: من غلب سلب.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: قال مُقاتِلٌ: هذا تخويفٌ لكفّارِ مكّةَ. والظُّلمُ هاهنا بمعنى الشِّركِ. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾: قولان: **أحدهما**: أنه عائدٌ على أهل مكّةَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: على القُرون المُتقدِّمةِ، قاله أبو سُليمانَ. قال ابنُ الأنباري: أَلزَمَهُم اللهُ تَرْكَ الإيمان لمُعاندَتِهم الحقَّ وإيثارِهم الباطلَ. وقال الزَّجّاجُ: جائزٌ أنْ يكون جعلَ جَزاءَهُم الطَّبعَ على قُلوبِهم، وجائزٌ أنْ يكون أعلَمَ ما قد عَلِمَ منهم. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي: نُعاقبُ ونُهلكُ، ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: يعني المشركين مِنْ قومكَ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ﴾: قال ابنُ عباسٍ: جعلناكم يا أُمّةَ محمّدٍ خَلائِفَ، أي: استخلَفناكُم في الأرض. وقال قَتادةُ: ما جَعَلَنا اللهُ خَلائِفَ إلاّ لِيَنظُرَ إلى أعمالِنا، فأَرُوا اللهَ مِنْ أعمالِكُم خيراً بالليلِ والنَّهارِ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في المُستَهزئين بالقرآن مِنْ أهل مكّةَ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ.

والثاني: أنها نزلت في مُشركي مكّةَ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ.

والمراد «بالآيات»: القرآن. و «يرجون» بمعنى: يَخافُون. وفي عِلّة طَلَبِهم سِوى هذا القرآن أو تبديلِه قولان: **أحدهما**: أنّهم أرادُوا تَغييرَ آيةِ العذاب بالرَّحمةِ، وآيةِ الرَّحمةِ بالعذابِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم كَرِهُوا منه ذِكْرَ البَعثِ والنُّشورِ، لأنهم لا يُؤمنون به، وكَرِهُوا عَيْبَ آلِهَتِهم، فطلبوا ما يَخلُو مِنْ ذلك، قاله الزَّجّاجُ. والفرقُ بين تَبديلِهِ والإتيانِ بغيرِه، أنَّ تَبديلَهُ لا يجوز أنْ يكون معهُ، والإتيانُ بغيرِه قد يجوزُ أنْ يكونَ معه.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾ حَرَّكَ هذه الياءَ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو، وأسكَنَها الباقون. ﴿مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ حرّكها نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وأسكَنَها الباقون. والمعنى: مِنْ عند نَفْسِي، فالمعنى: أنَّ الذي أتيتُ به مِنْ عندِ الله لا مِنْ عندي فأُبدِّلَهُ. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾ فتَحَ هذه الياءَ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو. ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ أي: في تَبديلِهِ أو تغييرِه، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني في القيامة.

فصل: وقد تكلَّمَ علماءُ النّاسِخِ والمَنسُوخِ في هذه الآيةِ على ما بَيَّنّا في نَظِيرَتِها في الأنعام[1]،

---

(١) سورة الأنعام: ١٥.

ومقصودُ الآيتين تَهديدُ المُخالِفين، وأُضيفَ ذلك إلى الرَّسولِ ليَصعُبَ الأمرُ فيه.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني القرآن. وذلك أنَّه كان لا يُنزلُه عليَّ فيأمُرني بتِلاوتِه عليكُم ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: ولا أَعلَمَكُم اللَّهُ به. قرأ ابنُ كَثيرٍ: «ولأدْرَاكم» بلام التَّوكيد مِنْ غيرِ ألفٍ بعدَها، يجعلها لاماً دخلت على «أدراكم». وقرأ أبو عَمرٍو، وحَمزةُ والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «أدريكم» بالإمالةِ. وقرأ الحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وشَيْبَةُ بن نِصاح: «ولا أدرأتُكم» بتاءٍ بين الألفِ والكاف[(١)]. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: وقرأ الحسَنُ، والأعمَشُ: «عُمْراً» بسكون الميم. قال أبو عُبيدَةَ: وفي «العمر» ثلاثُ لُغاتٍ: عُمْر، وعُمُر، وعَمْر. قال ابنُ عباس: أقمتُ فيكم أربعينَ سنَةً لا أُحدِّثُكم بشيءٍ مِنَ القرآن. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس مِنْ قِبَلِي. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يريد: إنِّي لَمْ أفترِ على اللهِ ولم أكْذِبْ عليه، وأنتم فَعَلْتُم ذلك حيثُ زَعَمْتُمْ أنَّ معه شريكاً. والمُجرمون ها هنا: المُشركون.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ أي: لا يَضُرُّهم إنْ لم يَعبُدُوه، ولا يَنفَعُهم إنْ عَبدُوه. قاله مُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ـ يعني المشركين ـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يَعنُون: الأصنام. قال أبو عُبيدَةَ: خَرجتْ كِنايَتُها على لفظِ كِنايَةِ الآدَميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في سُورة الأعرافِ عند قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[(٢)]. وفي قوله: ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قولان:

---

(١) قال أبو جعفر رحمه الله: ٦/ ٥٤١. وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن، عند أهل العربية غلط وكان الفراء يقول في ذلك: قد ذكر عن الحسن أنه قال: «ولا أدرأتكم به». قال: فإن يكن فيها لغة سوى «دريت» و«أدريت»، فلعل الحسن ذهب إليها، وأما أن تصلح من «دربت» أو «أدريت» فلا، لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا، صحتا ولم تنقلبا إلى ألف، مثل «قضيت ودعوت». ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها، لأنها تضارع: «درأت الحد»، وشبهه. وربما غلطت العرب في الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز، فيهمزون غير المهموز. وسمعت امرأة من طي تقول: «رثأت زوجي بأبيات». ويقولون: «لبأت بالحج» و «حلأت السويق»، فيغلطون، لأن «حلأت»، قد يقال في دفع العطاش من الإبل، و«لبأت» ذهب به إلى «اللبأ» لِبأ الشاء، و«رثأت زوجي»، ذهبت به إلى «رثأت اللبن»، إذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك «الرثيئة». وكان بعض البصريين يقول: لا وجه لقراءة الحسن هذه، لأنها من «أدريت» مثل «أعطيت»، إلا أن لغة لبني عقيل: «أعطات» يريدون أعطيت.

(٢) سورة الأعراف: ١٩١.

أحدهما: شُفعاؤنا في الآخِرة، قاله أبو صَالحٍ عن ابن عباسٍ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: شُفعاؤنا في إصلاحِ مَعايشِنا في الدنيا، لأنهم لا يُقِرُّون بالبَعثِ، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾ قال الضَّحَّاكُ: أتُخبِرُونَ اللَّهَ أنَّ له شَريكاً، ولا يَعْلَمُ اللَّهُ لِنَفْسِه شَريكاً في السَّمواتِ ولا في الأرضِ.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ قد شرحنا هذا في سُورة البقرة، وأحسَنُ الأقوالِ أنَّهم كانوا على دِينٍ واحدٍ مُوحِّدين، فاختَلَفُوا وعَبدُوا الأصنامَ، فكان أوَّلُ مَنْ بُعِثَ إليهم نوحٌ عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ولولا كَلِمةٌ سَبقَتْ بتأخيرِ هذه الأمَّةِ أنه لا يُهلِكُهم بالعذاب كما أَهلَكَ الذين مِنْ قَبلِهم لَقُضِيَ بينهم بنُزولِ العذاب، فكان ذلك فَصْلاً بينهم فيما فيه يَختَلِفون مِنَ الدِّين.

والثاني: أنَّ الكلمة: أنَّ لكلِّ أُمَّةٍ أَجلاً، وللدنيا مُدَّةٌ لا يتقدَّمُ ذلك على وَقتِهِ.

والثالث: أنَّ الكلمَةَ: أنه لا يأخذُ أحداً إلاَّ بعد إقامَةِ الحُجَّةِ عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ قولان: **أحدهما**: لَقُضِيَ بينهم بإقامَةِ السَّاعةِ. **والثاني**: بنُزولِ العذابِ على المُكذِّبين.

﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ـ يعني المشركين ـ ﴿لَوۡلَآ﴾ ـ أي: هَلاَّ ـ ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مثل العَصَا واليَدِ وآياتِ الأنبياء. ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ سُؤالَكُم: «لِمَ لَمْ تُنزل الآية» غَيبٌ، ولا يَعلَمُ عِلَّةَ امتِناعِها إلاَّ اللَّهُ. **والثاني**: أنَّ «نُزولَ الآية متى يكون؟» غَيبٌ، ولا يَعلَمُهُ إلاَّ اللَّهُ. قوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: انتَظِرُوا نزولَ الآيةِ. **والثاني**: قَضاءَ الله بينَنا بإظهارِ المُحقِّ على المُبطِلِ.

﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً﴾. سببُ نُزولها:

[٧٧٧] أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا دَعا على أهلِ مكَّةَ بالجَدْبِ فَقُحِطُوا سبعَ سنينَ أتاهُ أبو سُفيانَ فقال: «ادْعُ

---

[٧٧٧] ذكره المصنف تبعاً للماوردي حيث أورده في «تفسيره» ٢/ ٤٣٠ بقوله: وقيل. ولم ينسبه لقائل، وهو باطل لا أصل له كونه سبب نزول هذه الآية، فإن السورة مكية، والخبر الذي ساقه هو في الصحيح لكن كان ذلك في =

لنا بالخِصْبِ، فإن أخصَبْنا صَدَّقناكَ». فدَعَا لهم، فسُقُوا ولم يُؤمِنوا، ذكره المَاوَردِي.

قال المُفسِّرون: المُراد بالناس ها هنا: الكُفَّار. وفي المُراد بالرَّحمةِ والضَّرَّاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الرَّحمةَ: العَافيةُ والسُّرورُ، والضَّرَّاءَ: الفقرُ والبَلاءُ، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: الرَّحمةُ: الإسلامُ، والضَّرَّاءُ: الكُفرُ، وهذا في حقِّ المنافقين، قاله الحَسن. **والثالث**: أنَّ الرَّحمةَ: الخِصْبُ، والضَّرَّاءَ: الجَدْبُ، قاله الضَّحَّاكُ. وفي المُراد بالمَكرِ ها هنا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الاستِهْزاءُ والتَّكذيبُ، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه الجُحُودُ والرَّدُّ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: أنه إضافةُ النِّعَمِ إلى غيرِ اللَّهِ، فيقولون: سُقِينَا بنَوْءِ كذا، قاله مُقاتِلُ بن حَيَّانَ. **والرابع**: أنَّ المَكرَ: النِّفاقُ، لأنه إظهَارُ الإيمان وإبطَانُ الكُفرِ، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ أي: جَزاءً على المَكرِ ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعني الحَفَظَةَ ﴿يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾ أي: يَحفَظُونَ ذلك لمُجازَاتِكُم عليه[1]. وقرأ يَعقوبُ إلاَّ رُويساً وأبا حَاتِمٍ، وأبَانُ عن عَاصِمٍ: «يمكرون» بالياء.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ﴾ أي: اللَّهُ هو أسرَعُ مَكراً، هو الذي يُسَيِّرُكُم ﴿فِي ٱلۡبَرِّ﴾ على الدَّوابِّ، وفي البَحرِ على السُّفنِ، فلو شاءَ انتقَمَ منكُم في البَرِّ أو في البَحرِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو جَعفرٍ: «ينشركم» بالنون والشين مِنَ النَّشْرِ، وهو في المعنى مثل قوله: ﴿وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا﴾. والفُلْكُ: السُّفنُ. قال الفَرَّاءُ: الفُلْكُ تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ، وتكون واحدةً وتكون جمعاً، قال تعالى ها هنا: ﴿جَآءَتۡهَا﴾ فأنَّث، وقال في يس: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾[2] فذكَّر.

قوله تعالى: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾: عاد بعدَ المُخاطَبَةِ لهُم إلى الإخبارِ عنهم. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ مَنْ أقام الغائبَ مقامَ مَنْ يُخاطِبه جازَ أنْ يَردَّه إلى الغائبِ، قال الشاعر:

= المدينة. وقد تفرد الماوردي والمصنف بذكره عند هذه الآية دون سائر أهل التفسير والأثر. وسيأتي ما في الصحيح في آخر سورة الشعراء إن شاء الله تعالى.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٥٠٨ ـ ٥٠٩: وقوله ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي: أشد استدراجاً وإمهالاً، حتى يظن الظانُّ من المجرمين أنه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقير والجليل والنقير والقطمير.

(٢) سورة يس: ٤١.

شَطَّتْ مَزارُ العَاشِقِينَ فَأَصبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَخْرَمِ[١]

قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: ليِّنة: ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ لِلِينِهَا. ﴿جَآءَتْهَا﴾ يعني الفُلْكَ. قال الفرَّاءُ: وإنْ شئتَ جعلتَها للرِّيحِ، كأنكَ قلتَ: جاءت الريحَ الطَّيبة ريحٌ عاصِفٌ، والعربُ تقول: عَاصِفٌ وعَاصِفَةٌ، وقد عَصَفَتِ الرِّيحُ وأعصَفَتْ، والألفُ لغةٌ لبني أَسَدٍ. قال ابنُ عباسٍ: الرِّيحُ العَاصِفُ: الشَّديدةُ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَصَفَتِ الرِّيحُ، فهي عَاصِفٌ وعَاصِفَةٌ، وأَعصَفَتْ، فهي مُعْصِفٌ ومُعصِفَةٌ. ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: مِنْ كلِّ أمكنةِ المَوجِ.

قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى اليَقينِ. **والثاني**: أنه التَّوهُّم.

وفي قوله تعالى: ﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ قولان: **أحدهما**: دَنوا مِنَ الهَلَكَةِ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وأصلُ هذا أنَّ العَدوَّ إذا أحاطَ ببلَدٍ، فقد دَنَا أهلُهُ مِنَ الهَلَكَةِ. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال لكلِّ مَنْ وَقَعَ في بَلاءٍ: قد أُحِيطَ بفُلانٍ، أي: أحاطَ به البَلاءُ. **والثاني**: أحاطَتْ بهم الملائكةُ، ذكره الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دونَ أوثانِهم. قال ابنُ عباسٍ: تَرَكُوا الشِّركَ، وأَخلَصُوا للهِ الرُّبوبيَّةَ، وقالوا: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الرِّيحِ العَاصِفِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: المُوحِّدين.

قوله تعالى: ﴿يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ البَغيُ: التَّرامِي في الفَسادِ. قال الأصمعِيُّ: يُقال: بَغَى الجُرحُ: إذا تَرامَى إلى فَسادٍ. قال ابنُ عباس: يَبْغُونَ في الأرضِ بالدُّعاءِ إلى عبادةِ غيرِ اللَّهِ والعملِ بالمَعاصِي والفَسادِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ. ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ أي: جِنايةُ مَظالِمِكم بينَكم على أنفسِكم. وقال الزَّجَّاجُ: عَمَلُكم بالظُّلم عليكم يَرجِعُ.

قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ قرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمِي، والحسَنُ، وحَفْصٌ، وأَبَانُ عن عَاصِمٍ: «متاعَ الحياة الدنيا» بنصب المَتَاعِ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رَفَعَ المَتاعَ، فالمعنى أنَّ ما تَنالُونَهُ بهذا البَغيِ إنمَّا تَنتفعون به في الدنيا، ومَنْ نَصبَ المَتاعَ، فعلى المَصدَرِ. فالمعنى: تُمتَّعون متاعَ الحياةِ الدنيا. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، واليَزيديُّ في اختيارِه، وهَارُونُ العَتَكِي عن عَاصِمٍ: «متاعِ الحياة الدنيا»، بكَسرِ العينِ. قال ابنُ عباسٍ: ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: مَنْفَعةٌ في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا مَثَلٌ ضَربَهُ اللَّهُ للدنيا الفَانِيةِ، فشَبَّهها بمَطَرٍ نزلَ مِنَ السماءِ ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني التفَّ النباتُ بالمطرِ وكَثُرَ. ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ مِنَ الحُبوبِ وغيرِها، ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ مِنَ المَرْعَى. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ قال ابنُ قُتيبة: زِينَتَهَا بالنَّباتِ. وأصلُ الزُّخرُف: الذَّهبُ، ثم يُقال للنَّقشِ والنَّورِ والزَّهرِ وكلِّ شيءٍ زُيِّنَ: زُخرُفٌ. وقال

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «شطط» ونسبه لعنترة.
وشطَّت من الشطط وهو مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء.

الزَّجَّاجُ: الزُّخرفُ: كَمَالُ حُسنِ الشَّيءِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ قرأه الجمهورُ «وازَّيَّنت» بالتَّشديد. وقرأ سعدُ بن أبي وَقَّاص، وأبو عبدِ الرَّحمن، والحسَنُ، وابنُ يَعْمَرَ: بفتحِ الهمزة وقَطْعِها ساكنةَ الزاي، على وَزْنِ: وأَفْعَلَتْ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «وازَّيَّنَتْ» بالتشديد، فالمعنى: وتَزَيَّنَتْ، فأُدغِمت التاءُ في الزَّاي، وسُكِّنت الزايُ فاجتُلِبَتْ لها ألفُ الوَصْلِ؛ ومَنْ قرأ «وأَزْيَنَتْ» بالتَّخفيف على أَفْعَلَتْ، فالمعنى: جاءت بالزِّينَةِ. وقرأ أُبَيٌّ، وابنُ مسعودٍ: «وتزيَّنَتْ»(١).

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أي: أيقَنَ أهلُ الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ أي: على ما أنبتَتْهُ، فأخبرَ عن الأرضِ، والمراد النَّباتُ، لأنَّ المعنى مفهومٌ. ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ أي: قَضاؤنا بإهلاكِها ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا﴾ أي: مَحصُوداً لا شيءَ فيها. والحَصِيدُ: المَقطوعُ المُستأصَلُ. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لم تُعمَرْ. والمَغَانِي: المَنازِلُ التي يَعْمُرُها الناسُ بالنُّزولِ فيها. يُقال: غَنِينَا بالمَكانِ: إذا نَزَلُوا به. وقرأ الحَسنُ: «كأَنْ لم يَغْنَ» بالياء، يعني الحَصِيدَ.

قال بعضُ المُفسِّرين: تأويلُ الآية: أنَّ الحياة في الدنيا سببٌ لاجتماع المالِ وما يَرُوقُ مِنْ زَهرَةِ الدُّنيا ويُعجِبُ، حتى إذا استتَمَّ ذلك عند صاحبه، وظَنَّ أنه مُمَتَّعٌ بذلك، سُلِبَ عنه بمَوتِه، أو بحادثةٍ تُهلِكُهُ، كما أنَّ الماءَ سببٌ لالتِفافِ النَّباتِ وكَثْرتِهِ، فإذا تَزَيَّنَتْ به الأرضُ، وظَنَّ الناسُ أنهم مُستَمتِعُونَ بذلك، أهلَكَهُ اللّهُ، فعَادَ ما كان فيها كأنْ لم يَكُنْ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ﴾: يعني الجنَّةَ. وقد ذَكَرنَا معنى تَسمِيَتِها بذلك عندَ قوله: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٢). واعلَمْ أنَّ اللّهَ عَمَّ بالدَّعوة، وخَصَّ بالهِدايَةِ مَنْ شاءَ، لأنَّ الحُكمَ له في خَلْقِهِ. وفي المُراد بالصِّراط المُستقيم أربعةُ أقوالٍ:

[٧٧٨] **أحدها**: كتابُ الله، رَواه عليٌّ عن النبيِّ ﷺ.

[٧٧٩] **والثاني**: الإسلامُ، رَواه النَّوَّاسُ بن سَمعَان عن النبيِّ ﷺ.

---

[٧٧٨] تقدم تخريجه في سورة الفاتحة باستيفاء، وهو خبر ضعيف.

[٧٧٩] صحيح. هو بعض حديث أخرجه الترمذي ٢٨٥٩ والنسائي في «الكبرى» ١١٢٣٣ وأحمد ٤/ ١٨٣ والطحاوي في «المشكل» ٢١٤٣ من طرق عن بقية بن الوليد عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان مرفوعاً، وإسناده قوي رجاله رجال الصحيح سوى بقية، روى له مسلم متابعة، وهو ثقة لكنه مدلس لكن صرح بالتحديث عند أحمد، وقد توبع. فأخرجه الطحاوي ٢١٤١ و٢١٤٢ والآجري في «الشريعة» ١٢ ـ بترقيمي ـ وأحمد ٤/ ١٨٢ من وجه آخر عن جبير بن نفير عن النواس به، وإسناده صحيح. وقال الحافظ ابن كثير ١/ ٤٣: إسناده حسن صحيح. ولفظ الحديث عند الترمذي والنسائي: «إن الله ضرب =

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٦/ ٥٤٨، والصواب من القراءة في ذلك ﴿وازَّيَّنَتْ﴾ لإجماع الحجة من القرأة عليها.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٧.

والثالث: الحقُّ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

والرابع: المُخرِجُ مِنَ الضَّلالاتِ والشُّبَهِ، قاله أبو العَالِيَةِ.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: قال ابنُ عباسٍ: قالوا: لا إله إلاَّ اللَّهُ. قال ابنُ الأنباري: الحُسنَىٰ: كلمةٌ مُستَغنى عن وَصفِها ونَعتِها، لأنَّ العربَ تُوقِعُها على الخَلَّةِ المَحبوبَةِ المَرغُوبِ فيها المَفرُوحِ بها، فكان الذي تَعلَمُه العربُ مِنْ أمرِهَا يُغني عن نَعتِها، فكذلك المَزيدُ عليها مَحمُولٌ على معناها ومُتعَرَّفٌ مِنْ جِهَتِهَا، يدلُّ على هذا قولُ امرئِ القَيسِ:

فلمَّا تَنَازَعنا الحَديثَ وأَسمَحَتْ ... هَصَرْتُ بغُصنٍ ذِي شَماريخَ مَيَّالِ
فَصِرنَا إلى الحُسنَى وَرَقَّ كَلامُنَا ... ورُضتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أيَّ إذلالِ

أي: إلى الأَمرِ المَحبُوبِ. وهَصَرْتُ بمعنى: مَدَدْتُ. والغُصنُ كِنايةٌ عن المَرأةِ. والباء مؤكِّدةٌ للكلام كما تقول العربُ: ألقِ بيده إلى الهَلاك، يُريدون: أَلقَى يَدَهُ. والشَّمَارِيخُ[1]: كِنايةٌ عن الذَّوَائِبِ. ورُضتُ معناه: أذْلَلْتُ. ومِنْ أجلِ هذا قال: أيَّ إذلالِ، ولم يَقُلْ: أيَّ رِيَاضَةٍ.

وللمُفسِّرين في المراد بالحُسنَى خمسةُ أقوالٍ:

[٧٨٠] **أحدها**: أنها الجنَّةُ، رُوي عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أنها الوَاحِدَةُ مِنَ الحَسنَاتَ بوَاحِدَةٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: النُّصرَةُ، قاله عبدُ الرَّحمنِ بنُ سَابِطٍ. **والرابع**: الجَزاءُ في الآخرة، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: الأُمْنِيَّةُ، ذكرَهُ ابنُ الأنبَارِي.

وفي الزِّيادَةِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّها النَّظَرُ إلى الله عزَّ وجلَّ.

[٧٨١] روى مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديث صُهَيبٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الزِّيادَةُ: النَّظَرُ إلى

= مثلاً صراطاً مستقيماً، على كنفي الصراط داران لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو فوقه، والله يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يُكشَفَ الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه». وله شاهد من مرسل أبي قلابة: أخرجه الطبري ١٧٦٢١، فهو شاهد لما قبله.

[٧٨٠] الراجح وقفه، أخرجه الطبري ١٧٦٣٣، من حديث أبي موسى عن رسول الله ﷺ.
ولفظ الحديث بتمامه: «إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن»، وإسناده ضعيف جداً، فيه أبان بن أبي عياش، وهو متروك. وله شاهد من حديث أبي بن كعب، أخرجه الطبري ١٧٦٤٨، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسم. وله شاهد من حديث أنس، أخرجه الدارقطني في «الرؤية» ٦٧ وفيه نوح بن أبي مريم، وهو متهم بالوضع. فهذا شاهد لا يفرح به.
ـ والحديث الأول ضعيف جداً، وأما الثاني فضعيف فحسب، وقد روى الطبري هذا الخبر موقوفاً ومقطوعاً، وهو الراجح فالمرفوع ضعيف، والصحيح وقفه على الصحابة والتابعين، والله تعالى أعلم.

[٧٨١] أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي ٣١٠٥ والنسائي في «التفسير» (٢٥٤) وابن ماجه(١٨٧) وأحمد ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣ ـ ٦/ ١٥، ١٦ وابن خزيمة في «التوحيد» ١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٦، وعبدالله بن أحمد في «السنة» ١/ ٢٤٣، =

---

(١) في «القاموس» الشِّمراخ: بالكسر، العثكال عليه بُسْرٌ أو عنب.

وَجهِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ». وبهذا القولِ قالَ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وأبو موسى الأشعَري، وحُذيفةُ، وابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي ليلَى، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنَّ الزِّيادَة: غُرفَةٌ مِنْ لُؤلُؤةٍ واحدةٌ لها أربعةُ أبوابٍ، رواه الحَكَمُ عن عليٍّ، ولا يَصِحُّ.

والثالث: أنَّ الزِّيادَة: مُضاعفَةُ الحَسنَةِ إلى عَشْرِ أمثالِها، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ. **والرابع**: أنَّ الزِّيادة: مَغفِرَةٌ ورِضوانٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنَّ الزِّيادَةَ: أنَّ ما أعطَاهُم في الدنيا لا يُحاسِبُهم به في القيامة، قاله ابنُ زيدٍ. **والسادس**: أنَّ الزِّيادَة: ما يَشتَهُونَهُ، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ أي: لا يَغشَى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ وقرأ الحسَنُ، وقَتادةُ، والأَعمَشُ: «قتْر» بإسكان التاء، وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه السَّوَادُ. قال ابنُ عباسٍ: سَوادُ الوجُوهِ مِنَ الكآبةِ. وقال الزَّجَّاجُ: القَتَرُ: الغَبَرَةُ التي معها سَوَادٌ. **والثاني**: أنه دُخَانُ جهنَّمَ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: الخِزيُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الغُبَارُ، قاله أبو عُبيدَةَ.

وفي الذِّلَّةِ قولان: **أحدهما**: الكآبَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الهَوَانُ، قاله أبو سُليمانَ.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَمِلُوا الشِّركَ. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾: في الآية مَحذُوفٌ، وفي تقديره قولان: **أحدهما**: أنَّ فيها إضمَارُ «لهم»، المعنى: لَهُمْ جَزاءُ سَيئَةٍ بمِثلِها، وأنشد ثعلَبٌ:

فإنْ سَألَ الوَاشونَ عَنه فَقُلْ لَهُمْ ... وَذَاكَ عَطاءٌ لِلْوُشَاةِ جَزِيلُ
مُلِمٌّ بِلَيلَى لَمَّةً ثُمَّ إنَّهُ ... لَهَاجِرُ لَيلَى بَعْدَهَا فَمُطِيلُ

أراد: هو مُلِمٌّ، وهذا قولُ الفَرّاءِ. **والثاني**: أنَّ فيها إضمَارُ «منهم»، المعنى: جزاءُ سَيئَةٍ منهم بمِثلِها، تقول العربُ: رأيتُ القومَ صائمٌ وقائمٌ، أي: منهم صائمٌ وقائمٌ، أنشد الفَرَّاءُ:

حتَّى إذَا مَا أَضاءَ الصُّبحُ في غَلَسٍ ... وَغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودُ

أي: منه مَلْوِيٌّ، وهذا قولُ ابنِ الأنباري. وقال بعضُهم: الباءُ زائدةٌ ها هنا.

و «من» في قوله تعالى: ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ صِلَةٌ، والعَاصِمُ: المَانِعُ ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أي:

= وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٠٥ وأبو عوانة في صحيحه ١/ ١٥٦ والطيالسي في مسنده رقم (١٣١٥) والآجري في الشريعة ٦١٥ والدارمي في الرد على الجهمية (١٧٥) وابن منده في الرد على الجهمية رقم (٨٣) وهناد بن السري في «الزهد» ١٧١ والطبراني في «الكبير» ٨/ ٤٦، ٤٧، واللالكائي في شرح السنة ٧٧٨ - ٨٣٣ وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٥٥ والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٦٥) من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ولفظ مسلم «إذا أدخل أهل الجنةِ الجنةَ، قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل وزاد في رواية ثانية «ثم تلا هذه الآية **﴿للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة﴾**».

أُلبِسَتْ ﴿قِطَعًا﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ: «قِطَعاً» مفتوحةَ الطاء، وهي جَمْعُ قِطعَةٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، والكِسائيُّ، ويَعقوبُ: «قِطْعاً» بتسكين الطاءِ. قال ابنُ قُتيبةَ: وهو اسمُ ما قُطِعَ. قال ابنُ جَريرٍ: وإنَّما قال: «مُظلماً» ولم يَقُلْ: «مُظلمة» لأنَّ المعنى: قِطعاً مِنَ الليلِ المُظْلِمِ، ثم حُذفت الألفُ واللامُ مِنَ «المظلم»، فلمَّا صارَ نَكِرَةً، وهو مِنْ نَعْتِ الليلِ، نُصِبَ على القَطْعِ؛ وقومٌ يُسمُّون ما كان كذلك: حالاً، وقومٌ: قِطَعاً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: قال ابنُ عباسٍ: يُجمَع الكفَّارُ وآلِهتُهم، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾: أي: آلهتكم. قال الزَّجَّاجُ: «مَكانَكُم» منصوبٌ على الأمرِ، كأنَّهم قِيلَ لهُم: انتَظِروا مكانَكُم حتى نَفصِلَ بينَكُم، والعربُ تتوعَّدُ فتقول: مَكانَكَ، أي: انتَظِرْ مكانَكَ، فهي كلمةٌ جَرَتْ على الوَعيدِ.

قوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «فزايلنا» بألفٍ، قال ابنُ عباسٍ: فَرَّقنا بينهم وبينَ آلهتِهِم. وقال ابنُ قُتيبةَ: هو مِنْ زَالَ يَزُولُ وأَزَلْتُهُ. وقال ابنُ جَريرٍ: إنَّما قال: «فزيَّلنا» ولم يَقُلْ: «فزلنا» لإرادةِ تكريرِ الفعلِ وتكثيرِه.

فإنْ قيلَ: كيفَ تقعُ الفُرقَةُ بينهم وهم معهم في النَّارِ، لقولِه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾؟[1]. فالجواب: أنَّ الفرقَةَ وَقَعتْ بتبرِّي كلِّ معبودٍ ممَّنْ عبدَهُ، وهو قوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: آلِهتُهم، يُنطِقُ اللّهُ الأوثانَ، فتقول: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا نَعلمُ بعبادَتِكُم لَنا، لأنه ما كانَ فينا روحٌ، فيقول العَابِدُون: بلى قد عَبدناكم! فتقولُ الآلِهَةُ: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ لا نَعلَمُ بها. قال الزَّجَّاجُ: ﴿إِن كُنَّا﴾ معناه: ما كُنَّا إلاَّ غافلين.

فإنْ قيلَ: ما وَجهُ دُخولِ الباءِ في قوله: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾؟ فعَنهُ جوابان:

أحدهما: أنها دَخلَتْ للمُبالغَةِ في المَدْحِ كما قالوا: أَظْرِفْ بعبدِ اللّهِ، وأنبِلْ بعبدِ الرَّحمن، وناهِيكَ بأخِينا، وحَسْبُكَ بصَديقِنا، هذا قولُ الفَرَّاءِ وأصحابه. **والثاني**: أنها دَخلَتْ توكيداً للكلام، إذْ سُقُوطُها مُمكِنٌ، كما يُقال: خُذْ بالخِطَامِ، وخُذِ الخِطامَ، قاله ابنُ الأنبارِي.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «تبلو» بالباء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وزيدٌ عن يَعقوبَ: «تتلو» بالتاء. قال الزَّجَّاجُ: «هنالك» ظَرفٌ. والمعنى: في ذلكَ الوقتِ تَبلُو، وهو منصوبٌ بتَبلُو، إلاَّ أنه غيرُ مُتمكِّنٍ، واللامُ زائدةٌ، والأصلُ: هناكَ، وكُسِرت اللامُ لِسُكونها وسُكونِ الألفِ، والكافُ للمُخاطَبةِ. و «تبلو» تَختَبِرُ، أي:

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٨.

تَعلَمُ. ومَنْ قرأ: «تتلو» بتاءين، فقد فَسَّرهَا الأخفشُ وغيرُه: تَتْلُو مِنَ التِّلاوَةِ، أي: تَقرأ. وفَسّروه أيضاً: تَتْبَعُ كلُّ نَفْسٍ ما أَسلَفَتْ. ومِثْلُهُ قولُ الشاعر(١):

قَدْ جَعَلَتْ دَلْوِيَ تَسْتَتْلِينِي

أي: تَستَتبِعُني، أي: مِنْ ثِقْلِها تَستَدْعِي اتِّباعِي إيَّاهَا.

قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓا۟﴾ أي في الآخرة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ الذي يَملكُ أمرَهم حقاً لا مَن جَعَلوا معهُ مِنَ الشُّركاءِ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي زَالَ وبَطَلَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِنَ الآلِهَةِ.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المَطَرَ، ومِنَ الأرض النَّباتَ، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ أي خَلْقَ السَّمعِ والأبصارِ. وقد سبقَ معنى إخراجِ الحَيِّ مِنَ المَيِّتِ، والمَيِّتِ مِنَ الحَيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أَمْرَ الدُّنيا والآخِرة ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ لأنهم خُوطِبُوا بما لا يَقْدِرُ عليه إلاَّ اللَّهُ، فكان في ذلك دليلُ توحيدِهِ.

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أفَلا تتّعظُون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تَتَّقُون الشِّركَ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ قال الخَطَّابيُّ: الحقُّ هو المُتَحقِّقُ وُجودُه، وكلُّ شيءٍ صَحَّ وجودُهُ وكَونُهُ، فهو حقٌّ. وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كيفَ تَصرِفُون عُقولَكُم إلى عبادةِ مَنْ لا يرزقُ ولا يُحيي ولا يُميت؟

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «كلمةُ ربِّك»، وفي آخرِ السُّورة كذلك. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ الحَرفين «كلماتُ» على الجَمْع. قال الزَّجَّاجُ: الكافُ في مَوضِع نَصبٍ، أي: مِثْلَ أفعَالِهم جازَاهُم ربُّكَ، والمعنى: حَقَّ عليهم أنهم لا يُؤمنون. وقوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدلٌ مِنْ: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾. وجائزٌ أنْ تكون الكلمةُ حَقَّتْ عليهم لأنهم لا يُؤمنون، وتكون الكلمةُ ما وُعِدُوا به مِنَ العِقَابِ.

وذكر ابنُ الأنباري في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قولين: **أحدهما**: أنَّها إشارةٌ إلى مَصدرِ «تُصرفون»، والمعنى:

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» وهو من الرجز مادة «تلا»، ولم يعزه لأحد.

مِثلَ ذلكَ الصَّرْفِ حَقَّتْ كلمةُ ربِّكَ. **والثاني**: أنه بمعنى هكذا. وفي معنى «حقَّت» قولان: **أحدهما**: وَجبَتْ. **والثاني**: سَبقَتْ. وفي كَلِمته قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى وَعْدِه. **والثاني**: بمعنى قَضائِهِ. ومَنْ قرأ «كلماتُ» جَعلَ كلَّ واحدةٍ مِنَ الكَلِمِ التي تُوعِّدوا بها كلمةً. وقد شَرحنا معنى الكَلمَةِ في «الأعراف»[1].

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ أي: إلى الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ووَرْشٌ عن نافعٍ: «يَهَدِّي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدَّال. قال الزَّجَّاجُ: الأصلُ يَهْتَدِي، فأُدغِمَت التاءُ في الدال، فطُرحت فتحتُها على الهاء. وقرأ نافعٌ إلاَّ وَرْشاً، وأبو عَمرٍو: «يَهْدِّي» بفتح الياء وإسكانِ الهاء وتشديدِ الدال، غيرَ أنَّ أبا عَمرٍو كان يُشِمُّ الهاءَ شيئاً مِنَ الفتحِ. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ: «يَهْدي» بفتح الياء وسكونِ الهاء وتخفيفِ الدال. قال أبو عليٍّ: والمعنى: لا يَهدي غيرَه إلاَّ أن يُهدَى هوَ، ولو هُدِيَ الصُّمُّ لم يَهْتَدِ، ولكنْ لمَّا جعَلُوه كَمْن يَعقِلُ، أُجرِيَتْ مَجراهُ. ورَوى يَحيى بنُ آدَمَ عن أبي بَكرٍ عن عَاصم: «يِهِدِّي» بكَسرِ الياء والهاء وتشديدِ الدال، وكذلك رَوى أبانُ وجَبَلَةُ عن المُفضَّلِ وعبد الوَارثِ، قال الزَّجَّاجُ: أَتبَعُوا الكسرةَ الكسرةَ، وهي رَديئةٌ لِثقَلِ الكسرةِ في الياء. ورَوى حَفصٌ عن عَاصم، والكِسَائيُّ عن أبي بكرٍ عنه: «يَهِدِّي» بفتحِ الياء وكسرِ الهاء وتشديدِ الدال، قال الزَّجَّاجُ: وهذه في الجَودةِ كالمفتوحةِ الهاء، إلاَّ أنَّ الهاءَ كُسِرَتْ لالتقاءِ السَّاكِنَين. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «يهتدي» بزيادةِ تاءٍ. والمراد بقوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ الصُّمُّ ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾. وظاهرُ الكلام يدلُّ على أنَّ الأصنام إنْ هُدِيَتْ اهتَدَتْ، وليست كذلك، لأنها حِجارةٌ لا تهتَدي، إلاَّ أنهم لمَّا اتَّخذُوها آلهةً، عُبِّرَ عنها كما يُعبَّر عمَّن يَعقِلُ، ووُصِفَتْ صِفَةَ مَنْ يَعْقِلُ وإنْ لم تكن في الحقيقة كذلك؛ ولهذا المعنى قال في صِفَتِها: ﴿أَمَّن﴾ لأنهم جعَلُوها كمَنْ يَعقِلُ. ولمَّا أعطاهَا حقَّها في أصل وَضعِهَا، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾[2]. وقال الفَرَّاءُ: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾ أي: أتعبُدُونَ ما لا يَقْدِرُ أنْ يَنتقِلَ مِنْ مكانه إلاَّ أنْ يُحَوَّلَ؟ وقد صَرفَ بعضُهم الكلامَ إلى الرُّؤساء والمُضِلِّين، والأوَّلُ أصحُّ. قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو كلامٌ تامٌّ، كأنه قيلَ لهم: أيُّ شيءٍ لكم في عبادةِ الأوثانِ؟ ثم قيلَ لهم: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: على أيِّ حالٍ تَحكُمُونَ؟ وقال ابنُ عباسٍ: كيف تَقضُون لأنفسِكُم؟ وقال مُقاتِلٌ: كيف تَقضُونَ بالجَوْرِ؟

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: كُلُّهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما يَستَيقِنُون أنها آلِهَةٌ، بل يَظُنُّونَ شيئاً فيتَّبِعُونَه. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: ليس هو كاليَقينِ، ولا يقومُ مقامَ الحقِّ، وقال مُقاتِلٌ: ظَنُّهم بأنها آلهةٌ لا يدفعُ عنهم مِنَ العذاب شيئاً، وقال غيرُه: ظَنُّهم أنها تَشفَعُ لهم لا يُغنِي عنهم.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٧. (٢) سورة مريم: ٤٢.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاج: هذا جوابُ قولِهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾[1] وجوابُ قولِهم: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾[2]. قال الفرَّاءُ: ومعنى الآية: ما ينبغي لِمثْلِ هذا القرآن أنْ يُفترى مِنْ دونِ الله، فجاءتْ «أن» على معنى يَنبَغِي. وقال ابنُ الأنباري: يجوزُ أنْ تكون «أن» مع «يفترى» مصدراً، وتقديرُه: وما كان هذا القرآنُ افتِراءً. ويجوز أنْ تكون «كان» تامَّةً، فيكون المعنى: ما نزلَ هذا القرآنُ، وما ظَهرَ هذا القرآنُ لأنْ يُفترى، وبأنْ يُفترى، فتُنصَبُ «أن» بفَقْدِ الخَافضِ في قول الفرَّاءِ، وتُخفَضُ بإضمَارِ الخَافضِ في قول الكِسائيِّ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: معنى ﴿أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي: يُضافُ إلى غيرِ الله، أو يُختَلَقُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تصديقُ الكُتبِ المُتقَدِّمةِ، قاله ابنُ عباسٍ. فعَلَى هذا، إنَّما قال: ﴿ٱلَّذِى﴾ لأنه يُريد الوَحيَ. **والثاني**: ما بينَ يَديهِ مِنَ البَعثِ والنُّشورِ، ذكره الزَّجَّاجُ. **والثالث**: تَصديقُ النَّبيِّ ﷺ الذي بين يَدَي القرآن، لأنهم شَاهَدُوا النبيَّ ﷺ وعرفوه قبل سَماعِهم القرآن، ذكره ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: وبيانُ الكتابِ الذي كَتبَهُ اللَّهُ على أُمَّةِ محمَّدٍ والفَرائضِ التي فَرضَهَا عليهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ في «أَمْ» قولان. **أحدهما**: أنها بمعنى الواو، قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: بمعنى بَلْ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فَأتوا بسُورةٍ مثلِ سُورةٍ منه، فذَكرَ المِثلَ لأنه إنَّما التَمسَ شبهَ الجِنسِ، ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ممَّنْ هو في التَّكذيبِ مِثلُكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنه اختلَقَهُ.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: بما لم يُحيطوا بعِلْمِ ما فيه مِنْ ذِكْرِ الجنَّة والنَّار والبَعثِ والجَزاءِ.

والثاني: بما لم يُحيطوا بعِلْمِ التَّكذيبِ به، لأنَّهم شَاكُّونَ فيه.

وفي قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ قولان: **أحدهما**: تَصديقُ ما وُعِدُوا به مِنَ الوَعيدِ. والتَّأويلُ: ما يَؤُولُ إليه الأمرُ. **والثاني**: ولم يَكُنْ معهم عِلْمُ تأويله، قاله الزَّجَّاجُ.

قيلَ لسُفيانَ بن عُيينَةَ: يقول النَّاسُ: كلُّ إنسانٍ عَدوُّ ما جَهِلَ، فقال: هذا في كتابِ الله. قيلَ له: أين؟ فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾. وقيلَ للحُسين بن الفَضلِ: هل تجدُ في القرآن: مَنْ جَهِلَ شيئاً عَادَاهُ؟ فقال: نعم، في مَوضِعين. قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة يونس: ١٥. (٢) سورة يونس: ٣٨.
(٣) سوف الأحقاف: ١١.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليَهودُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: قُريشٌ، قاله مُقاتِلُ بن سُليمانَ. وفي هاء «به» قولان: **أحدهما**: أنها تَرجعُ إلى محمَّدٍ ﷺ ودِينِه، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إلى القُرآن، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

وهذه الآيةُ تَضمَّنتِ الإخبارَ عمَّا سبقَ في عِلْمِ الله، فالمعنى: ومنهم مَنْ سَيُؤمنُ به. وقال الزَّجّاجُ: منهم مَنْ يعلمُ أنه حَقٌّ فيُصدِّقُ به ويُعانِدُ فيُظهِرُ الكُفرَ. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أي: يَشُكُّ ولا يُصَدِّقُ.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قال عطاءٌ: يُريد المُكذِّبين، وهذا تَهديدٌ لهم.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ الآية. قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: نَسخَتْهَا آيةُ السيف؛ وليس هذا بصحيحٍ، لأنه لا تَنافيَ بينَ الآيتين.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: في يَهودِ المدينةِ، كانوا يَأتُون رسولَ اللهِ ﷺ ويستمِعونَ القرآنَ فيُعجَبُون ويَشتَهُونَهُ ويَغلِبُ عليهم الشَّقاءُ، فنزلت هذه الآيةُ[١]. **والثاني**: أنها نزلت في المُستهزِئين، كانوا يَستمِعون إلى النبيِّ ﷺ للاستِهزَاءِ والتَّكذيبِ، فلَمْ ينتَفِعُوا، فنزلت فيهم هذه الآية[٢]، والقولان مَرْوِيّان عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها نزلت في مُشركي قُريشٍ[٣]، قاله مُقاتِلٌ.

قال الزَّجّاجُ: ظَاهِرُهم ظَاهِرُ مَنْ يَستمِعُ، وهُمْ لشِدَّة عَداوَتِهم بمَنْزِلة الصُّمِّ. ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ولو كانوا مع ذلك جُهّالاً. وقال ابنُ عباسٍ: يريد أنهم شَرٌّ مِنَ الصُّمِّ، لأنَّ الصُّمَّ لهم عقولٌ وقلوبٌ، وهؤلاءِ قد أَصَمَّ اللَّهُ قلوبَهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ؛ يريد: مُتعجِّبينَ منكَ. ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ يريد أنَّ اللَّهَ أَعمَى قلوبَهم فلا يُبصرون. وقال الزَّجّاجُ: ومنهم مَنْ يُقبِلُ عليكَ بالنَّظَرِ، وهو مِنْ بُغْضِه لكَ وكَراهَتِه لِمَا يرى مِنْ آياتِكَ كالأعمَى. وقال ابنُ جَريرٍ: ومنهم مَنْ يَستَمِعُ قولَكَ وينظر إلى

---

(١) عزاه المصنف لابن عباس، ولم أره مسنداً عنه، والظاهر أنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، وهي رواية ساقطة، وتقدم بيان ذلك مراراً.

(٢) لم أقف عليه كسابقه.

(٣) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، ومع ذلك ظاهر الآيات يدل على أن المراد بذلك كفار قريش، لأن السورة مكية، والله أعلم.

حُجَجِكَ على نُبُوَّتك، ولكنَّ اللَّهَ قد سَلَبَهُ التَّوفيقَ. وقال مُقاتِلٌ: ﴿وَلَوْ﴾ في الآيتين بمعنى «إذا».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ لمَّا ذَكرَ الذين سَبقَ القَضاءُ عليهم بالشَّقاوةِ، أخبرَ أنَّ تقديرَ ذلك عليهم ليس بظُلم، لأنه يَتصرَّفُ في مُلكِهِ كيف شاء، وهُم إذا كَسبُوا المَعاصي فقد ظَلمُوا أنفُسَهم، لأنَّ الفعلَ مَنسوبٌ إليهم، وإنْ كان بقضاءِ اللَّهِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «ولكنِ الناسُ» بتخفيفِ النون وكَسْرِها، ورَفْعِ الاسم بعدَها.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ وقرأ حَفصٌ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: هُمُ المُشركون. قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كأنْ لم يلبَثُوا في قُبورهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: في الدنيا، قاله مُقاتِلٌ. قال الضَّحَّاكُ: قَصُرَ عندهم مِقدارُ الوقت الذي بينَ مَوتِهم وبعثِهم، فصارَ كالسَّاعةِ مِنَ النهار، لِهَوْلِ ما استقْبَلُوا مِنَ القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إذا بُعِثُوا مِنَ القبور تَعارَفُوا، ثم تَنقَطِعُ المَعرفةُ. قال الزَّجّاج: وفي مَعرفَةِ بعضِهم بعضاً، وعِلْم بعضِهم بإضلالِ بعض، التَّوبيخُ لهم، وإثباتُ الحُجَّةِ عليهم. وقيل: إذا تَعارَفُوا وبَّخَ بعضُهم بعضاً، فيقول هذا لِهذا: أنتَ أضلَلْتَني، وكَسَّبْتَني دُخولَ النارِ. قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ هو مِنْ قولِ الله عزَّ وجلَّ، لا مِنْ قولِهم: والمعنى خَسِرُوا ثوابَ الجنَّةِ إذْ كذَّبوا بالبَعثِ ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ مِنَ الضَّلالةِ.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: كانت وَقعةُ بَدرٍ ممَّا أراهُ اللَّهُ في حياته مِنْ عذابِهم. ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أنْ نُريَكَ ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعدَ الموتِ، والمعنى: إنْ لم نَنتَقِمْ منهم عَاجِلاً، انتقَمْنا آجِلاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ. قال الفَرَّاءُ: «ثم» ها هنا عَطفٌ، ولو قيلَ: معناها: هناكَ اللَّهُ شَهيدٌ، كان جائزاً. وقال غيرُه: «ثم» ها هنا بمعنى الواوِ. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «ثَمَّ الله شهيد» بفتحِ الثاءِ، يُرادُ به: هنالكَ اللَّهُ شَهيدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم﴾، فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: إذا جاء في الدنيا بعدَ الإذْنِ له في دُعائِهم، قُضِيَ بينهم بتَعجيلِ الانتِقام منهم، قاله الحَسنُ. وقال غيرُه: إذا جاءَهُم في الدنيا، حُكِمَ عليهم عند اتِّباعه وخِلافِه بالطَّاعةِ والمَعصيةِ.

والثاني: إذا جاء يومُ القيامةِ، قاله مُجاهِدٌ. وقال غيرُه: إذا جاء شَاهِداً عليهم.

والثالث: إذا جاء في القيامةِ وقد كَذَّبوه في الدنيا، قاله ابنُ السَّائِب.

قوله تعالى: ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بينَ الأُمَّةِ، فأُثِيبَ المُحسِنُ وعُوقِبَ المُسِيءُ. **والثاني**: بينهم وبينَ نَبِيِّهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، في القائلين هذا قولان:

أحدهما: الأُمَمُ المُتقدِّمةُ، أَخبَرَ عنهم باستِعجَالِ العذابِ لأنبيائِهم، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: أنهم المُشركون الذين أَنذَرَهم نَبِيُّنا ﷺ، قاله أبو سُليمانَ.

وفي المُراد بالوَعدِ قولان: **أحدهما**: العذابُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: قيامُ السَّاعةِ. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنتَ وأتباعُك.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ الآية، قد ذَكرتُ تفسيرَها في آيتين مِنَ «الأعرافِ»[1].

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: البَيَاتُ: كلُّ ما كان بِلَيلٍ. وقوله: ﴿مَّاذَا﴾ في مَوضعِ رَفعٍ مِنْ جِهَتَين: **إحداهما**: أنْ يكونَ «ذا» بمعنى الذي، المعنى: ما الذي يَستَعجِلُ منه المُجرِمون؟ ويجوز أنْ يكونَ «ماذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: أيَّ شيءٍ يَستعجِلُ منه المُجرِمون؟ والهاء في «منه» تعودُ على العذابِ. وجائزٌ أنْ تعودَ على ذِكْرِ اللهِ تعالى، فيكون المعنى: أي شيءٍ يَستَعجِلُ المُجرِمون مِنَ اللهِ تعالى؟ وعَوْدُها على العذابِ أجوَدُ، لقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾. وذَكَرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ المُرادَ بالمُجرِمينَ: المُشركون، وكانوا يقولون: نُكَذِّبُ بالعذابِ ونَستَعجِلُهُ، ثم إذا وَقعَ العذابُ آمنَّا به؛ فقال اللهُ تعالى مُوَبِّخاً لهم: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي: هُنالكَ تُؤمنون فلا يُقبَلُ منكم الإيمانُ، ويُقالُ لكم: الآنَ تُؤمِنون، فأضمَرَ: تُؤمنونَ به مع ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ مُستهزئينَ، وهو قولُه: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: كَفرُوا، عند نُزولِ العَذابِ ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾، لأنه إذا نَزلَ بهم العذابُ، أَفضُوا منه إلى عَذابِ الآخرةِ الدَّائم.

﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ أي: ويَستخبِرونَكَ ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ يعنُون البَعثَ والعَذابَ. ﴿قُلْ إِى﴾

---

(١) سورة الأعراف: ٣٤ و ١٨٨.

المعنى: نَعَمْ ﴿وَرَبِّيٓ﴾، وفَتَحَ هذه الياءَ نافعٌ، وأبو عمروٍ. وإنَّما أقسَمَ مع إخبارِه تأكيداً. وقال ابنُ قُتَيبة: «إي» بمعنى «بل» ولا تأتي إلاَّ قبلَ اليَمينِ صِلةً لها.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بِسَابِقِينَ. وقال الزَّجّاجُ: لَستُم ممَّنْ يُعجزُ أنْ يُجازَى على كُفرِهِ.

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٥٤ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٥٥ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أشرَكَتْ. ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ عند نُزولِ العذابِ. ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ يعني: الرُّؤَساء أخفَوهَا مِنَ الأتباع. ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ أي: بينَ الفريقَينِ. وقال آخَرُون منهم أبو عُبيدَةَ والمُفَضَّلُ: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ بمعنى أظهَرُوها. لأنه ليس بيَوم تَصَنُّعٍ ولا تَصَبُّرٍ، والإِسرَارُ مِنَ الأضدادِ؛ يقال: أسرَرتُ الشيءَ، بمعنى: أخفَيتُهُ. وأسرَرْتُهُ: أظهَرتُه، قال الفرزدَقُ:

ولـمَّـا رَأى الـحَـجَّـاجَ جَـرَّدَ سـيـفَـهُ ... أَسَـرَّ الـحـروريُّ الـذي كـانَ أَضـمَـرَا

يعني: أظهَرَ. فعلى هذا القول: أظهَرُوا النَّدامةَ عند إحراقِ النَّارِ لهم، لأنَّ النارَ ألْهَتْهُم عن التَّصَنُّعِ والكِتمانِ. وعلى الأوَّلِ: كَتَمُوها قبلَ إحراقِ النارِ إيَّاهُم.

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ما وَعدَ أولِيَاءَهُ مِنَ الثَّوابِ، وأعداءَهُ مِنَ العِقابِ. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعني المُشركينَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني قُرَيشاً. ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ يعني القُرآنَ. ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: دَواءٌ لِداءِ الجَهلِ. ﴿وَهُدٗى﴾ أي: بَيانٌ مِنَ الضَّلالةِ.

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ فَضلَ اللهِ: الإسلامُ، ورَحمَتَهُ: القرآنُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ؛ وهِلالُ بنُ يَسافٍ. ورُوِي عن الحَسنِ، ومُجاهِدٍ في بعضِ الرِّوايةِ عنهما، وهو اختيارُ ابنِ قُتَيبة. **والثاني**: أنَّ فَضلَ اللهِ: القُرآنُ،

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٦/٥٦٨: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بك وبما أنزل إليك من ربك ﴿**بفضل الله**﴾ أيها الناس، الذي تفضل به عليكم وهو الإسلام فبينه لكم ودعاكم إليه ﴿**وبرحمته**﴾ التي رحمكم بها فأنزلها إليكم فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه وبصَّركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن ﴿**فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾ يقول: فإن الإسلام الذي دعاكم إليه والقرآن الذي أنزل عليهم خيرٌ مما يجمعون من حُطام الدنيا وأموالها وكنوزها.

ورَحمَتَهُ: أنْ جَعلَهُم مِنْ أهلِ القُرآنِ، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو سَعيدٍ الخُدريُّ، والحسَنُ في روايةٍ. **والثالث**: أنَّ فَضلَ اللهِ: العِلْمُ، ورَحمتَهُ: محمَّدٌ ﷺ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنَّ فَضلَ اللهِ: الإسلامُ، ورَحمتَهُ: تَزيينُهُ في القلوبِ، قاله ابنُ عمرَ. **والخامس**: أنَّ فَضلَ اللهِ: القُرآنُ، ورَحمتَهُ: الإسلامُ، قاله الضَّحَّاكُ، وزيدُ بنُ أسلَمَ، وابنُهُ، ومُقاتِلٌ. **والسادس**: أنَّ فَضلَ اللهِ ورَحمتَهُ: القُرآنُ، رَواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ، واختاره الزَّجَّاجُ. **والسابع**: أنَّ فَضلَ اللهِ: القُرآنُ، ورَحمتَهُ: السُّنَّةُ، قاله خَالدُ بنُ مَعْدانَ. **والثامن**: فَضلُ اللهِ: التَّوفيقُ، ورَحمتُهُ: العِصمَةُ، قاله ابنُ عُيينَةَ.

قوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ، وقَتادَةُ، وأبو العَالِيةِ، ورُوَيسٌ عن يَعقوبَ: «فلتفرحوا» بالتاء. وقرأ الحَسنُ ومُعاذٌ القارئُ وأبو المُتوكِّلِ مثلَ ذلك، إلاَّ أنهم كَسرُوا اللامَ. وقرأ ابنُ مَسعودٍ وأبو عِمرَانَ: «فبذلك فافرحوا». قال ابنُ عباسٍ: بذلكَ الفَضلِ والرَّحمةِ. ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ أي ممَّا يجمعُ الكفَّارُ مِنَ الأموالِ. وقرأ أبو جَعفرَ وابنُ عامرٍ ورُوَيسٌ: «تجمعون» بالتاء. وحَكَى ابنُ الأنباري أنَّ الباءَ في قوله: ﴿بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ خبرٌ لاسمٍ مُضمَرٍ، تأويلُهُ: هذا الشِّفاءُ وهذه المَوعظَةُ بفَضلِ الله وبرَحمَتِهِ، فبذلكَ التَّطوُّلِ مِنَ اللهِ فَليَفرَحُوا.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ۝٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ قال المُفسِّرون: هذا خطابٌ لكفَّارِ قُريشٍ، كانوا يُحَرِّمونَ ما شَاؤوا، ويُحِلُّونَ ما شَاؤوا. و ﴿أَنزَلَ﴾ بمعنى خَلَقَ. وقد شَرحنا بعضَ مَذاهِبهم فيما كانوا يفعلون مِنَ البحِيرَةِ والسَّائبَةِ وغيرِ ذلك في سُورة المَائدة وسُورة الأنعام[1]. قوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ﴾ أي: في هذا التَّحليلِ والتَّحريم.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ۝٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في الكلام مَحذوفٌ، تقديره: ما ظَنُّهم أنَّ اللهَ فَاعِلٌ بهم يومَ القيامةِ بكَذِبِهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حينَ لم يُعَجِّلْ عليهم بالعُقوبَةِ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ تأخير العَذابِ عنهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ﴾ أي: في عَمَلٍ مِنَ الأعمالِ، وجَمعُهُ: شُؤونٌ. ﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ﴾

(١) سورة المائدة: ١٠٣. وسورة الأنعام: ١٣٩.

في هاء الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنَّها تعودُ إلى الشَّأنِ. قال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: أي وقتَ تكونُ في شأنٍ مِن عبادةِ الله، وما تَلوتَ مِنَ الشَّأنِ مِن قُرآنٍ. **والثاني**: أنها تعودُ إلى اللهِ تعالى، فالمعنى: وما تَلوتَ مِنَ اللهِ، أي: مِنْ نَازِلٍ منه مِنْ قُرآنٍ، ذكره جَمَاعةٌ مِنَ العلماءِ. والخِطابُ للنبيِّ ﷺ، وأُمَّتُهُ داخِلُونَ فيه، بدليلِ قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ قال ابنُ الأنباري: جَمَعَ في هذا، لِيدُلَّ على أنَّهم داخِلُونَ في الفِعلَينِ الأوَّلَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاءُ عَائِدةٌ على العَمَلِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: تُفيضُونَ بمعنى تَأخذونَ فيه. وقال الزَّجَّاجُ: تَنتَشِرونَ فيه، يُقال: أَفَاضَ القَومُ في الحَديثِ: إذا انتَشَرُوا فيه وخَاضُوا. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ معناه: وما يَبْعُدُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: ما يَبْعُدُ ولا يَغيبُ. وقرأ الكِسائيُّ «يعزب» بكسرِ الزَّاي هاهُنا وفي (سبأ). وقد بيَّنَّا «مِثقال ذَرَّة» في سُورة النساء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرأ الجمهورُ بفتح الراء فيهما. وقرأ حَمزةُ، وخَلَفٌ، ويَعقوبُ، برفع الراء فيهما. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالفَتحِ، فالمعنى: وما يَعْزُبُ عن رَبِّكَ مِنْ مِثقَالِ ذَرَّةٍ، ولا مِثْقَالَ أصغرَ مِنْ ذلك ولا أكبرَ، والموضع موضع خَفض، إلا أنه فُتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع، فالمعنى: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر. ويجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو اللوحُ المَحفُوظ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾. رَوى ابنُ عباسٍ أنَّ رجلاً قال:

[٧٨٢] يا رسولَ اللهِ، مَنْ أولياءُ اللهِ؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ».

[٧٨٣] ورَوى عمرُ بنُ الخَطَّابِ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لأُناساً ما هُم بأنبياء

---

[٧٨٢] الراجح وقفه. أخرجه ابن المبارك ٢١٨، والطبراني ١٢٣٢٥، والبزار كما في «المجمع» ١٦٧٧٩ عن ابن عباس مرفوعاً، ومداره على جعفر بن أبي المغيرة، وهو غير قوي وبخاصة في روايته عن سعيد بن جبير. وقد خالفه غيره فرواه مرسلاً. أخرجه ابن المبارك ٢١٧، والطبري ١٧٧٢٦. وورد عن ابن عباس موقوفاً، وهو أصح وأشبه من المرفوع. والله أعلم. وله شاهد أخرجه أحمد ٤/ ٢٢٧ من حديث عبدالرحمن بن غنم، وقال الهيثمي ١٣١٣٩ «مجمع» فيه شهر بن حوشب، وبقية رجاله رجال الصحيح. أي شهر بن حوشب ضعفه غير واحد. ثم إن عبدالرحمن بن غنم مختلف في صحبته. فالحديث غير قوي، والراجح وقفه. ولفظ الحديث: «خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وشرار عباده المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة، الباغون البرآء العنت».

[٧٨٣] صحيح. أخرجه أبو داود ٣٥٢٧، والطبري في «التفسير» ١٧٧٢٩ وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٥ من طريق أبي زرعة بن عمر بن جرير عن عمر بن الخطاب وإسناده منقطع. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أبو يعلى ٦١١٠ وابن حبان ٥٧٣. وإسناده صحيح. وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ١٧٠، ١٧١ وصححه ووافقه الذهبي. وشاهد آخر عن أبي مالك الأشعري أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٣ وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٧٦ وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه، ورجاله وثقوا.

ولا شُهَدَاء، يَغْبِطُهُم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القِيامَةِ لِمَكَانِهِم مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ» قالوا: يا رسولَ اللهِ. مَنْ هُمْ، وما أعمَالُهُم لَعَلَّنا نُحبُهم؟ قال: «هُمْ قَومٌ تَحَابُوا بِرُوحِ اللهِ على غَيرِ أرحَام بينَهُم ولا أموالٍ يَتَعَاطَونَهَا، فَوَاللهِ إنَّ وجُوهَهُم لَنُورٌ، وإنَّهم لَعَلَى مَنَابرَ مِنْ نُورٍ، ولا يَخَافُونَ إذا خَافَ النَّاسُ ولا يَحزَنُونَ إذا حَزِنَ النَّاسُ، ثمَّ قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٧٨٤] أحدها: أنَّها الرُّؤيا الصَّالحةُ يَراها الرَّجلُ الصَّالحُ، أو تُرَى لهُ، رواه عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وأبو الدَّرداءِ، وجَابرُ بن عبد الله، وأبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ.

---

[٧٨٤] حديث حسن غريب، ورد عن عبادة وأبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهم.

ـ حديث عبادة بن الصامت: أخرجه الترمذي ٢٢٧٥ وابن ماجه ٣٨٩٨ وأحمد ٥/ ٣١٥ والطبري ١٧٧٣٣ و١٧٧٣٤ و١٧٧٣٥ و١٧٧٤٦ و١٧٧٥٥ والحاكم ٢/ ٣٤٠ والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٥٥٣ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عبادة، ورجاله ثقات رجال البخاري ومسلم، إن كان أبو سلمة سمعه من عبادة، والظاهر أنه لم يسمعه، فإن يحيى بن أبي كثير يدلس ويرسل، فقد أخرجه الطبري ١٧٧٣٦ من وجه آخر عن أبي سلمة قال: نبئت أن عبادة. . . فذكره. ومع ذلك صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وحسنه الترمذي! مع أن في روايته قول أبي سلمة «نبئت» أي لم يسمعه من عبادة. وورد من وجه آخر أخرجه الطبري ١٧٧٤٠ و ١٧٧٧١ عن حميد بن عبدالله المدني عن عبادة به، وإسناده ضعيف لجهالة حميد هذا. ووثقه ابن حبان وحده على قاعدته في توثيق المجاهيل.

ـ حديث أبي الدرداء: أخرجه الترمذي ٢٢٧٣ والطبري ١٧٧٣٧ و١٧٧٣٨ و١٧٧٣٩ و١٧٧٤٩ و١٧٧٥٢ والبيهقي في «الشعب» ٤٧٥٣ من طرق: عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء. «وإسناده ضعيف» فيه راوٍ لم يسم. وحسنه الترمذي، ولعله حسنه لطرقه وشواهده. وأخرجه الطبري ١٧٧٣٢ و١٧٧٤٨ من وجه آخر عن أبي صالح عن رجل عن أبي الدرداء به مختصراً. وكرره الطبري ١٧٧٥٠ عن أبي صالح عن أبي الدرداء، دون ذكر الرجل وهو منقطع. وكرره ١٧٧٥١ عن عطاء عن أبي الدرداء، دون ذكر الرجل أيضاً. وهو منقطع. وكرره ١٧٧٥٣ عن عمر بن دينار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء وهذا ضعيف لجهالة المصري هذا.

ـ حديث أبي هريرة: أخرجه الطبري ١٧٧٤١ و١٧٧٤٣، ورجاله ثقات، لكن كرره الطبري ١٧٧٤٢ عن أبي هريرة قوله.

ـ وله شاهد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: أخرجه أحمد ٢/ ٢١٩. والطبري ١٧٧٤٤ و١٧٧٦٩. والبيهقي ٤٧٥٧ وإسناده ضعيف، لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثم. وله شاهد، أخرجه الطبري ١٧٧٥٧. من طريق نافع بن جبير عن رجل من أصحاب النبي ﷺ به، وجهالة الصحابي لا تضر، لكن فيه عنعنة ابن جريج، وهو مدلس.

الخلاصة: هو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده ولم أقل إنه صحيح؛ بسبب غرابة المتن، إذ البشرى في الآية تدل على أنها أعم من الرؤيا الصالحة. بل الصواب أن الرؤيا هي من البشرى. أي بعض البشرى.

ـ وقد ذكر الألباني هذا الحديث في «الصحيحة» ١٧٨٦ ولم يستوف الكلام عليه كعادته، بل اختصره ووقع له شيء، وهو أنه عزاه للطبري ١١/ ٩٥ من طريق عاصم بن بهدلة عن أبي صالح قال: سمعت أبا الدرداء. . . فذكره. وقال الألباني عقبه: وهذا إسناد حسن.

ـ قلت: وليس كما قال! والصواب أن أبا صالح لم يسمعه من أبي الدرداء والوهم في لفظ «سمعت» إما من عاصم، فإنه صدوق لكنه يخطئ أو ممن دونه. فقد كرره الطبري من عدة طرق عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر. وتقدم ذكر هذه الروايات. حتى عطاء لم يسمعه من أبي الدرداء. بدليل ذكر =

والثاني: أنها بِشارةُ المَلائكةِ لهم عندَ الموتِ، قاله الضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، والزُّهريُّ.

والثالث: أنها ما بَشَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ به في كتابه مِنْ جَنَّتِهِ وثَوابِه، كقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[(١)]، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾[(٢)]، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾[(٣)]، وهذا قولُ الحسَنِ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ، واستَدَلاَّ بقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾. قال ابنُ عباسٍ: لا خُلْفَ لمَواعِيدِهِ، وذلك أنَّ مَواعِيدَهُ بكَلِماتِه، فإذا لم تُبَدَّل الكلماتُ، لم تُبَدَّل المَواعِيدُ.

فأمَّا بُشرَاهُم في الآخِرَةِ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٧٨٥] أحدها: أنها الجنَّةُ، رَواه أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ، واختاره ابنُ قُتَيبةَ.

والثاني: أنه عندَ خُروجِ الرُّوحِ تُبَشَّر برِضوَانِ اللهِ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثالث: أنها عندَ الخُروجِ مِنْ قُبورِهم، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تَكْذِيبُهُم. وقال غيرُهُ: تَظاهُرهُم عليك بالعَداوةِ وإنكارِهِم وأذاهُم. وتَمَّ الكلامُ هاهُنا. ثم ابتدَأَ فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي: الغَلَبةُ له، فهو ناصِرُكَ وناصِرُ دِينِكَ، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولِهم: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإضمَارِهِم، فيُجازيهم على ذلك.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿أَلَآ﴾ افتِتاحُ كلامٍ وتَنبيهٌ، أي: فالذي هُمْ له، يَفعَلُ فيهم وبِهم ما يَشاءُ. قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي: ما يَتَّبِعونَ شُركاءَ على الحَقيقةِ، لأنَّهم يَعُدُّونَها شُركاءَ للهِ شُفَعاءَ لهُم، وليست على ما يَظُنُّونَ. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في ذلكَ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَكذِبُونَ. وقال ابنُ قُتَيبة: يَحْدِسُونَ ويَحْزِرُونَ.

= الرجل المصري ثم ذكر حديث أبي هريرة، وعزاه للطبري وجوده ونسبه لمسلم أيضاً! والصواب أن مسلماً ما رواه بمثل حديث أبي الدرداء. وإنما أخرجه ٢٢٦٣ من حديث أبي هريرة بلفظ «إذا اقترب الزمان، لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المؤمن جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة، والرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين». فهذا لفظ مسلم، ليس فيه ذكر الآية، ولا استغراق الرؤيا الصالحة لجنس البشرى كما في الأحاديث المتقدمة، فتنبه، والله الموفق. فالحديث غريب من جهة المتن، حسن من جهة الإسناد باعتبار طرقه وشواهده، والله أعلم بالصواب، وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١٢٤٥ بتخريجنا.

[٧٨٥] أخرجه الطبري ١٧٧٤٣ وفي إسناده عمار بن محمد، وهو لين الحديث، وانظر ما قبله.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥. (٢) سورة فصلت: ٣٠. (٣) سورة التوبة: ٢١.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ المعنى: إنَّ ربَّكُم الذي يجبُ أنْ تعتقِدُوا رُبُوبيَّتَهُ، هو الذي جعلَ لكمُ الليلَ لِتسكُنُوا فيه، فيزُولَ تعبُ النَّهارِ وكَلالُهُ بالسُّكونِ في الليلِ، وجعلَ النَّهارَ مُبصِراً، أي: مُضِيئاً تُبصِرونَ فيه. وإنما أضافَ الإبصارَ إليه، لأنه قد فَهِمَ السَّامِعُ المَقصُودَ، إذِ النَّهارُ لا يُبصِرُ، وإنَّما هو ظَرفٌ يَفعَلُ فيه غيرُه، كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[1]، إنَّما هي مَرْضِيَّةٌ، وهذا كما يُقال: ليلٌ نائمٌ، قال جَرِيرٌ:

لقد لُمْتِنَا يا أُمَّ غَيلانَ في السُّرَى ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائِمِ[2]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ اعتبارٍ، فيَعلَمُونَ أنه لا يَقْدِرُ على ذلك إلاَّ الإلهُ القادِرُ.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني أهلَ مكَّةَ، جَعَلُوا الملائكةَ بناتِ اللهِ. قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهٌ له عمَّا قالوا. ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن الزَّوجةِ والوَلَدِ. ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾ أي: ما عِندَكُمْ ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: حُجَّة بما تقُولونَ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يبقَونَ في الدُّنيا. **والثاني**: لا يُسعَدُونَ في العَاقِبة. **والثالث**: لا يَفُوزُونَ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا وَقْفُ التَّمَامِ، وقوله: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ مرفوعٌ على معنى: ذلك مَتاعٌ في الدُّنيا.

﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ فيه دليلٌ على نُبوَّتِه، حيثُ أخبرَ عن قَصَصِ الأنبياءِ ولم يَكُنْ يَقرأُ الكُتُبَ، وتَحْرِيضٌ على الصَّبرِ، ومَوعِظَةٌ لِقومِهِ بذِكْرِ قوم نُوحٍ وما حَلَّ بهم مِنَ العُقوبَةِ بالتَّكذيبِ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ أي: عَظُمَ وشَقَّ ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ أي: طُولُ مُكْثِي. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، وأبو الجَوزاءِ «مُقامي» برفع الميم. ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ وَعْظِي. ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نُصرَتي ودفع شَرِّكم عنِّي. ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ قرأ الجمهورُ: «فأجمعوا» بالهَمزِ وكَسرِ الميم، مِنْ «أَجْمَعْتُ». وروى الأصمَعيُّ عن نَافعٍ: «فاجْمَعُوا» بفتح الميم، مِن «جَمَعْتُ». ومعنى «أَجمِعُوا أمرَكُم»: أَحْكِمُوا

(١) سورة الحاقة: ٢١.

(٢) في «اللسان»: السُّرى: السير ليلاً. والمطيُّ: جمع مطيّة، وهي الناقة التي يركب مطاها. أي ظهرها.

أمرَكم واعزِمُوا عليه. قال المُؤرّجُ: «أجمعتُ الأمرَ» أفصحُ مِنْ «أجمعتُ عليهِ»، وأنشد[1]:

يا ليتَ شِعْرِي والمُنَى لا تنفعُ ... هلْ أغدُونْ يوماً وأمْرِي مُجْمَعُ

فأمَّا رِوايةُ الأصمعيِّ، فقال أبو عليٍّ: يجوز أنْ يكونَ معناهَا: اجْمَعُوا ذَوي الأمرِ مِنكُم، أي: رؤَساءَكم. ويجوز أنْ يكون جَعْلُ الأمرِ ما كانوا يَجْمَعُونَهُ مِنْ كَيدِهِم الذي يَكِيدُونَهُ، فيكون كقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾[2]. قوله تعالى: ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ وابنُ قُتيبة: المعنى: وادْعُوا شُرَكَاءَكُم. وقال الزَّجّاجُ: الواو ها هنا بمعنى «مع»، فالمعنى: مع شُرَكَائِكُم. تقول: لو تُرِكتِ النَّاقةُ وفَصِيلَهَا لَرَضَعَها، أي: مع فَصِيلِهَا. وقرأ يَعقوبُ «وشُرَكاؤُكُم» بالرَّفعِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَكُنْ أمرُكُم مَكتُوماً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: غَمّاً عليكُم، كما تقول: كَرْبٌ وكُرْبَةٌ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وذكر الزَّجَّاجُ القَولَين. وفي قوله: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ قولان: **أحدهما**: ثمَّ أقضُوا إليَّ ما في أنفسِكُم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: افعَلُوا ما تُريدونَ، قاله الزَّجَّاجُ، وابنُ قُتَيبةَ. وقال ابنُ الأنبَاري: معناه: أُقضُوا إليَّ بمَكْرُوهِكُم وما تُوعدُونَنِي بِهِ، كما تقولُ العربُ: قد قَضَى فُلانٌ، يُريدونَ: ماتَ ومَضَى.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتُم عن الإيمانِ. ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: لَمْ يَكُنْ دُعَائي إيَّاكُم طَمعاً في أموالِكُم. وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ حرَّكَ هذه الياءَ ابنُ عامرٍ، وأبو عمروٍ، ونافعٌ، وحَفصٌ عن عاصمٍ، وأسكنَها الباقون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ أي: جعلنا الذين نَجَوْا مع نُوحٍ خَلَفاً مِمَّنْ هَلَكَ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤)﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ أي: مِنْ بَعدِ نُوحٍ ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: إبراهيمَ وهُوداً وصَالِحاً ولُوطاً وشُعَيباً. ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بَانَ لهمُ أنَّهم رُسلُ اللهِ. ﴿فَمَا كَانُوا﴾ أي: أولئكَ الأقوامُ ﴿لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا﴾ يعني الذينَ قَبْلَهُم. والمُرادُ: أنَّ المُتأخِّرينَ مَضَوْا على سَنَنِ المُتقدِّمينَ في التَّكذيبِ. وقال مُقاتِلٌ: فما كانوا لِيُؤمِنوا بما كَذَّبوا بهِ مِنَ العَذابِ مِنْ قَبلِ نُزولِهِ. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ أي: كما طَبعنَا على قُلوبِ أولئكَ، ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ يعني المُتجَاوِزينَ ما أُمِرُوا بهِ.

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» ولم ينسبه لقائل، ولعله للمؤرج نفسه، حيث قال المصنف: وأنشد المؤرج.

(٢) سورة طه: ٦٤.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ يعني الرُّسُلَ الذين أُرسِلُوا بعدَ نُوحٍ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو مَا جاءَ به موسى مِنَ الآياتِ.

قوله تعالى: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أتقولُونَ للحقِّ لمَّا جاءَكُم هذا اللفظَ، وهو قولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. ثم قرَّرَهم فقال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟. قال ابنُ الأنباري: إنَّما أدخلُوا الألفَ على جِهَةِ تَفْظِيعِ الأمرِ، كما يقولُ الرَّجلُ إذا نَظَرَ إلى الكُسوةِ الفَاخِرَةِ: أَكُسوةٌ هذه؟ يريدُ بالاستِفهَامِ تَعظِيمَهَا، وتأتي الرَّجلَ جائزةٌ، فيقول: أَحَقٌّ ما أرى؟ مُعَظِّماً لِمَا وَرَدَ عليه. وقال غيرُه: تقديرُ الكلامِ: أتقُولُونَ للحقِّ لمَّا جاءَكُم: هو سِحْرٌ؟ أَسِحْرٌ هذا؟ فحُذِفَ السِّحْرُ الأوَّلُ اكتفاءً بدَلالةِ الكلامِ عليه، كقولِهِ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾[1] المعنى: بعثنَاهم لِيَسُوؤوا وجوهَكم.

قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: لِتَصرِفَنَا. يُقال: لَفَتُّ فُلاناً عن كَذا: إذا صَرَفْتَهُ. ومنه الالْتِفاتُ، وهو الانصِرَافُ عمَّا كنتَ مُقبلاً عليهِ. قوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وروى أَبانُ، وزيدٌ عن يَعقوبَ: «ويكون لكما» بالياء. وفي المُراد بالكِبريَاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المُلْكُ والشَّرفُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الطَّاعةُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: العُلُوُّ، قاله ابنُ زيدٍ. قال ابنُ عباسٍ: والأرضُ هاهنا: أرضُ مِصْرَ.

قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ قرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «بكلِّ سحَّار» بتشديدِ الحاء وتأخيرِ الألفِ. وقوله تعالى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ قرأ الأكثرون «السحرُ» بغيرِ مَدٍّ، على لَفظِ الخَبرِ، والمعنى: الذي جِئتُم به مِنَ الحِبالِ والعِصيِّ، هو السِّحرُ، وهذا رَدٌّ لِقَولِهِم للحقِّ: هذا سِحْرٌ، فتقديرُه: الذي جِئتُم به السِّحرُ، فدخلت الألفُ واللامُ، لأنَّ النَّكِرةَ إذا عَادتْ، عَادتْ مَعرِفةً، كما تقول: رأيتُ رَجُلاً، فقالَ لِيَ الرَّجلُ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو عَمرٍو، وأبو جَعفرَ، وأَبَانُ عن عَاصم، وأبو حَاتم عن يَعقوبَ: «آلسحر» بمَدِّ الألفِ، استِفهاماً. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: أيّ شيءٍ جِئتُم به؟ أَسِحْرٌ هو؟ على جِهةِ التَّوبيخِ لهُم. وقال ابنُ الأنباري: هذا الاستِفهَامُ معناه التَّعظِيمُ للسِّحرِ، لا على سبيلِ الاستِفهَام عن الشَّيءِ الذي يُجْهَلُ، وذلك مِثل قولِ الإنسانِ في الخطأ الذي يَستَعظِمهُ مِنْ إنسانٍ: أَخَطأٌ هذا؟ هو عَظِيمُ الشَّأنِ في الخَطأ. والعربُ تستَفهِمُ عمَّا هو مَعلومٌ عندها، قال امرُؤُ القَيسِ:

---

(١) سورة الإسراء: ٧.

أَغَــرَّكِ مِــنِّـي أنَّ حُـبَّـكِ قَـاتِـلـي ... وأنَّـك مَـهْـمَـا تَـأمُرِي الـقَـلْـبَ يَـفْـعَـلِ

وقال قَيْسُ بنُ ذَرِيح:

أَرَاجِـعَـةٌ يـا لُـبْـنَ أيـامُـنَـا الأُلَـى ... بِـذِي الـطَّـلْـحِ أمْ لا مَـا لَـهُـنَّ رُجُـوعُ[1]

فاستفهمَ وهو يَعلَمُ أنهنَّ لا يَرجِعنَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي: يُهلِكُه، ويُظهِرُ فضيحتَكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لا يَجعَلُ عملَهُم نافعاً لهُم. ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يُظهِرُهُ ويُمكِّنُه، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بما سَبَقَ مِنْ وَعْدِه بذلك.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾ في المُرادِ بالذُّرِّيَةِ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ المُرادَ بالذُّرِّيَّةِ: القَليلُ. قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم أولادُ الذين أُرسِلَ إليهم موسى ماتَ آباؤهُم لِطُولِ الزَّمَانِ، وآمنوا هُمْ، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ زيدٍ: هم الذين نَشَؤُوا مع موسى حينَ كَفَّ فِرعَونُ عن ذَبْحِ

---

(١) في «اللسان»: طَلَحٌ: اسم موضع. وفي «القاموس»: الطَّلح: شجرٌ عظام.

(٢) قال الطبري ٦/ ٥٩١: وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية قول مجاهد... لأنه لم يجرِ في هذه الآية ذكر لغير موسى فلأن تكون «الهاء» في قوله: «من قومه» من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر.
ـ وقال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٢٧: وفي هذا نظر لأنه أراد بالذرية: الأحداث والشباب، وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام واستبشروا به وقد كانوا يعرفون نعته وصفته، والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه، ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر، فلم يُجدِ عنه شيئاً ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى، وقالوا: أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، قال: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون» وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد: إلا ذرية من قوم موسى، وهم بنو إسرائيل؟.

الغِلْمَانِ. قال ابنُ الأنبَاري: وإنَّما قيلَ لهؤلاءِ: «ذُرِّيَّة» لأنَّهم أولادُ الذين بُعِثَ إليهم موسى، وإنْ كانوا بالغِينَ. **والثالث**: أنَّهم قومٌ، أُمَّهَاتِهم مِنْ بَني إسرَائيلَ، وآباؤهُم مِنَ القِبْطِ، قاله مُقاتِلٌ، واختاره الفَرَّاءُ. قال: وإنَّما سُمُّوا[١] ذُرِّيَّةً كما قِيلَ لأولادِ فَارِسٍ: الأبنَاء، لأنَّ أُمَّهَاتِهم مِنْ غيرِ جنسِ آبائِهم. وفي هاءِ «قومه» قولان: **أحدهما**: أنَّها تعودُ إلى موسى، رَواهُ ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إلى فِرعَونَ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ[٢]. فعَلَى القولِ الأوَّلِ يكون قولُه: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ أي: ومَلأ فِرْعَونَ. قال الفَرَّاءُ: إنَّما قال: «ومَلَئِهم» بالجمعِ، وفِرعَوْن واحدٌ، لأنَّ المَلِكَ إذا ذُكِرَ ذهبَ الوَهمُ إليه وإلى مَنْ مَعَهُ، تقول: قَدِمَ الخَليفَةُ فكَثُرَ الناسُ، تريد: بِمَنْ معهُ. وقد يجوز أنْ يُريدَ بفِرعَونَ: آلَ فِرعَونَ، كقولِه: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٣]. وعلى القولِ الثاني: يَرجِعُ ذِكرُ المَلأ إلى الذُّرِّيَّةِ. قال ابنُ جَريرٍ: وهذا أصحُّ، لأنه كان في الذُّرِّيةِ مَنْ أبوه قِبْطِيٌّ وأُمُّهُ إسرَائيلِيَّةٌ، فهو مع فِرعَونَ على موسى.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعني فِرعَونَ، ولم يَقُلْ: يَفْتِنُوهم، لأنَّ قَومَهُ كانوا على مَنْ كان عليه. وفي هذه الفِتنَةِ قولان: **أحدهما**: أنَّها القَتْلُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: التَّعذيبُ، قاله ابنُ جَريرٍ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مُتطَاوِلٌ في أرضِ مِصرَ ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ حين كان عبداً فادَّعَى الرُّبوبيَّةَ.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ لمَّا شَكَا بنُو إسرَائيلَ إلى موسى ما يُهَدِّدُهم به فِرعَونُ مِنْ ذَبحِ أولادِهم، واستِحيَاءِ نسائِهم، قال لَهُمْ هذا.

وفي قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تُهلِكنَا بعذابٍ على أيدي قومِ فِرعَونَ، ولا بِعَذابٍ مِنْ قِبَلِكَ، فيقول قومُ فِرعَونَ: لو كانوا على حقّ ما عُذِّبُوا ولاَ سُلِّطْنَا عليهم. **والثاني**: لا تُسَلِّطْهُم علينا فيَفتِنُونَا، والقولان مَرْوِيَّانِ عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: لا تُسَلِّطهُم علينا فيَفتَتِنُونَ بنا، لِظَنِّهم أنَّهم على حقّ، قاله أبو الضُّحَى، وأبو مِجْلَزٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا أُرسِلَ موسى، أَمَرَ فِرعَونُ بمسَاجِدِ بَني إسرَائيلَ فخُرِّبتْ كلُّها، ومُنِعُوا مِنَ الصَّلاةِ، وكانوا لا يُصَلُّون إلاَّ في الكَنَائِسِ؛ فأُمِروا أنْ يَتَّخِذُوا مَسَاجِدَ في بُيوتِهم ويُصَلُّون فيها خَوفاً مِنْ فِرعَونَ. و «تبوَّآ» معناه: اتَّخِذَا، وقد شرحناه في سُورة

(١) قال الطبري رحمه الله ٦/ ٥٩٣: وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل: «فما آمن لموسى إلا ذريةٌ من قومه» لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمهاتهم من بني إسرائيل، وآباؤهم من القبط، فقيل لهم «الذرية» من أجل ذلك، كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم «أبناء». والمعروف من معنى (الذرية) في كلام العرب، أنها أعقاب من نسبت إليه من قبل الرجال والنساء، كما قال تعالى **﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾** (الإسراء: ٣) وكما قال تعالى **﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف﴾** ثم قال بعد **﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس﴾** الأنعام ٨٤، ٨٥ فجعل من كان قبل الرجال والنساء من ذرية إبراهيم.

(٢) والذي ذهب إليه الطبري رحمه الله ٦/ ٥٩٢: هو أنه في قوله **﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾** الدليل الواضح على أن «الهاء» في «قومه» من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون، لكان الكلام **﴿على خوف منه﴾** ولم يكن **﴿على خوف من فرعون﴾**.

(٣) سورة يوسف ٨٢.

الأعرَافِ[١]. وفي المُراد بمِصْرَ قولان: **أحدهما**: أنه البَلَدُ المَعروفُ بمِصْرَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه الإسكَنْدَريَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. وفي البُيوتِ قولان: **أحدهما**: أنها المَسَاجِدُ، قاله الضَّحَّاكُ، **والثاني**: القُصُورُ، قاله مُجاهِدٌ.

وفي قوله: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: اِجعَلُوها مسَاجِدَ، رواه مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال النَّخعيُّ، وابنُ زيدٍ. وقد ذكرنا أنَّ فِرعَونَ أَمَرَ بهَدْمِ مسَاجِدهِم، فَقِيلَ لهم: اِجعَلُوا بُيوتَكُم قِبْلَةً بدَلاً مِنَ المَساجِد. **والثاني**: اِجعَلُوها قِبَلَ القِبْلَةِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وروى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، قال: قِبَلَ مكَّةَ. وقال مُجاهِدٌ: أُمِرُوا أنْ يَجعَلُوها مُستقبِلَةَ الكَعبَةِ، وبه قال مُقاتِلٌ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ. **والثالث**: اِجعَلُوها يُقابِلُ بعضُها بعضاً، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والرابع**: واجعَلُوا بُيوتَكُم التي بالشَّامِ قِبْلَةً لكُم في الصَّلاةِ، فهي قِبْلَةُ اليَهودِ إلى اليومِ، قاله ابنُ بحر.

فإنْ قيلَ: البُيوتُ جَمْعٌ، فكيفَ قال: «قِبْلَةً» على التَّوحيدِ؟ فقد أجابَ عنه ابنُ الأنباري، فقال: مَنْ قال: المُرادُ بالقِبْلَةِ الكَعبَةُ، قال: وُحِّدَتْ القِبْلَةُ لِتَوحيدِ الكَعْبَةِ. قال: ويجوز أنْ يكون أرادَ: اِجعَلُوا بُيوتَكُم قِبَلاً، فاكتَفَى بالوَاحِدِ مِنَ الجَميعِ، كما قال العَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إنَّا أَخُوكُم فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ[٣]

يُريد: إنَّا إخوَتُكُم. ويجوز أنْ يكونَ وَحَّدَ «قبلة» لأنه أجرَاهَا مَجْرَى المَصدَرِ، فيكون المعنى: واجعَلُوا بيوتَكُم إقبَالاً على اللهِ، وقَصْداً لِمَا كُنتُم تَستعمِلُونَهُ في المَساجِد. ويجوز أنْ يكونَ وَحَّدَهَا، والمعنى: واجعَلُوا بيُوتَكُم شيئاً قِبْلَةً، ومكاناً قِبْلَةً، ومَحَلَّةً قِبْلَةً.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أَتِمُّوا الصَّلاةَ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أنتَ يا محمَّدُ. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: بشِّرهُم بالنَّصرِ في الدنيا، وبالجنَّةِ في الآخرةِ.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان لَهُم مِن لَدُنْ فُسْطَاطِ مِصرَ إلى أرضِ الحَبشَةِ جبالٌ فيها معادِنُ ذَهَبٌ وفِضَّةٌ وزَبَرْجَدٌ ويَاقوتٌ.

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ وفي لام «لِيُضِلُّوا» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها لامُ «كي» والمعنى: آتَيْتَهُم ذلكَ كي يُضِلُّوا، وهذا قولُ الفَرَّاءِ. **والثاني**: أنها لامُ العَاقبَةِ، والمعنى: إنَّكَ آتَيْتَهُم ذلك فأصَارَهُم إلى الضَّلالِ، ومثله قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي: آلَ أمْرُهُم إلى أنْ صَارَ لهُم عَدُواً، لا أنَّهُم قَصَدُوا ذلكَ، وهذا كما تقولُ للذي كَسَبَ مالاً فَأَدَّاهُ إلى الهَلاكِ: إنَّما كَسَبَ فُلانٌ

---

(١) سورة الأعراف: ٧٤.

(٢) قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٢/٣٤٦: تبوأ المكان: اتخذه مباءة، كقولك، توطنه إذا اتخذه وطناً. والمعنى: اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه. **﴿واجعلوا بيوتكم﴾** تلك **﴿قِبْلَةً﴾** أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة، وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة، لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة.

(٣) في «اللسان»: الإحن: الحقد في الصدر.

لِحَتْفِهِ، وهو لم يَكْسَبِ المَالَ طَلَباً للحتْفِ، وأنشدوا:

وللمَنَايَا تُرَبِّي كُلُّ مُرْضِعَةٍ ولِلخَرَابِ يُجِدُّ النَّاسُ عِمْرَانَا[1]

وقال آخر:

ولِلمَوتِ تَغْذُو الوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرَابِ الدُّورِ تُبنَى المَسَاكِنُ[2]

وقال آخر:

فَإِنْ يَكُنِ المَوتُ أفنَاهُم فَلِلْمَوتِ مَا تَلِدُ الوَالِدَه

أراد: عاقبةُ الأمرِ ومَصيرُهُ إلى ذلك، هذا قولُ الزَّجّاج. **والثالث**: أنَّها لامُ الدُّعاءِ، والمعنى: رَبَّنَا ابتَلِهِم بالضَّلالِ عن سَبيلِكَ، ذكره ابنُ الأنبارِي. **والرابع**: أنَّها لامُ أَجلٍ، فالمعنى: آتَيْتَهُم لأَجْلِ ضَلالتهم عُقوبةً منكَ لهم، ومِثْلُهُ قولُه: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾[3] أي: لأَجلِ إعراضِكُم، حكاه بعضُ المُفسِّرين. وقرأ أهلُ الكُوفَةِ إلاَّ المُفَضَّلَ، وزَيدٌ، وأبو حَاتِمٍ عن يَعقوبَ: «لِيُضِلُّوا» بضمِّ الياءِ، أي: لِيُضِلُّوا غيرَهُم.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ﴾ رَوى الحَلَبيُّ عن عبدِ الوَارِثِ: «اطمُس» بضمِّ الميم، ﴿عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنها جُعِلَتْ حِجارةً، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وأبو صالحٍ، والفَرَّاءُ. وقال القُرَظيُّ: جُعِلَ سُكَّرُهم حِجارةً. وقال ابنُ زيدٍ: صارَ ذَهَبُهُم ودَرَاهِمُهُم وَعَدَسُهُم وَكلُّ شيءٍ لهم حِجارةً. وقال مُجاهِدٌ: مَسَخَ اللهُ النَّخلَ والثِّمارَ والأَطعِمةَ حِجارةً، فكانت إحدى الآياتِ التِّسع. وقال الزَّجَّاجُ: تَطْمِيسُ الشيءِ: إذهَابُه عن صُورَتِهِ والانتِفَاعِ به على الحَالِ الأُولَى التي كان عليها. **والثاني**: أنَّها هَلكتْ، فالمعنى: أَهْلِكْ أموالَهُم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ، ومنه يُقال: طُمِستْ عَينُهُ، أي: ذَهَبَتْ، وطُمِسَ الطَّريقُ: إذا عَفَا ودَرَسَ. وفي قولِه: ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: اِطْبَعْ عليها، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أَهْلِكْهُم كُفَّاراً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أَشْدُد عليها بالضَّلالَةِ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ معناه: قَسِّ قُلوبَهُم، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه دُعاءٌ عليهم أيضاً، كأنَّهُ قال: اللهُمَّ فلا يُؤْمِنُوا، قاله الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ. وقال ابنُ الأنبارِي: معناه: فلا آمَنُوا، قال الأعشَى:

فَلا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ولا تَلْقَنِي إلاَّ وأَنفُكَ رَاغِمُ[4]

معناه: لا انبسطَ، ولا لَقِيتَنِي. **والثاني**: أنه عَطفٌ على قولِه: ﴿لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾، فالمعنى: أَنَّكَ آتَيْتَهُم لِيَضِلُّوا فلا يُؤمِنوا، حكاهُ الزَّجَّاجُ عن المُبرِّدِ.

---

(١) البيت من البسيط لم أهتدِ لقائله.

(٢) في «اللسان»: سخالها: السخل هو المولود المحبب إلى أبويه وهو في الأصل ولد الغنم.

(٣) سورة التوبة: ٩٥.

(٤) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «زَوَيَ»، وزوى ما بين عينيه فانزوى: جمعه فاجتمع وقبضه.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الغَرَقُ، وكان موسى يَدْعُو، وهارونُ يُؤَمِّنُ، فقال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ وكان بين الدُّعاءِ والإجابةِ أربعون سنةً.

فإن قيل: كيف قال: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾ وهُما دَعوَتانِ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّ الدَّعوةَ تقعُ على دَعوَتَيْنِ وعلى دَعَواتٍ وكلامٍ يَطُولُ كما بيَّنَّا في سُورةِ الأعرافِ[١] أنَّ الكلِمةَ تقعُ على كَلِماتٍ، قال الشاعر[٢]:

وكَـــانَ دَعَـــا دَعْـــوَةً قَـــومَـــهُ هَـــلُـــمَّ إلـــى أَمْـــرِكُـــم قَـــدْ صُـــرِم

فأوقَعَ «دعوة» على ألفاظٍ بيَّنَها آخِرَ بَيْتِهِ. **والثاني**: أنْ يكونَ المعنى: قد أُجِيبَتْ دَعواتُكما، فاكتفى بالواحدِ مِنْ ذِكرِ الجميعِ، ذَكَرَ الجَوابين ابنُ الأنبارِي. وقد رَوى حمَّادُ بنُ سَلَمةَ عن عَاصِمٍ أنه قرأ: «دَعَواتُكما» بالألفِ وفَتْحِ العينِ. **والثالث**: أنَّ موسى هو الذي دَعَا، فالدَّعوةُ لهُ، غيرَ أنَّهُ لمَّا أمَّن هَارونُ، أُشْرِكَ بينهما في الدَّعوَةِ، لأنَّ التَّأمِينَ على الدَّعوَةِ منهما.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَاستَقِيما على الرِّسالةِ وما أَمَرْتُكما به، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فاستَقِيما على دُعاءِ فِرعَونَ وقومِه إلى طاعةِ اللهِ، قاله ابنُ جرير. **والثالث**: فَاستَقِيما في دُعائِكما على فِرعَونَ وقَومِه. **والرابع**: فَاستَقِيما على دِينِي، ذكرَهُما أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ قرأ الأكثرون بتَشديدِ تاءِ «تتَّبعانّ». وقرأ ابنُ عامرٍ بتَخفيفِها مع الاتِّفاقِ على تشديدِ نُونِ «تتَّبعانّ» إلاَّ أنَّ في بعضِ الرِّواياتِ عن ابنِ عامرٍ تخفيف. قال الزَّجَّاجُ: مَوضِعُ «تتبعان» جَزْمٌ، إلاَّ أنَّ النونَ الشديدةَ دَخلَتْ للنَّهي مُؤكِّدَةً، وكُسِرتْ لِسُكونِها ولسكونِ النون التي قَبْلَها، واختِيرَ لها الكَسرُ لأنَّها بعدَ الألفِ، فشُبِّهتْ بنونِ الاثنَيْنِ. قال أبو عليٍّ: ومَنْ خَفَضَ النُّونَ أمكَنَ أنْ يكونَ خَفَّفَ النُّونَ الثَّقِيلَةَ، فإنْ شئتَ كان على لفظِ الخَبرِ، والمعنى الأَمْرُ، كقولِه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾[٣] و ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ﴾[٤] أي: لا ينبغي ذلكَ، وإنْ شئتَ جَعلتَهُ حالاً مِنْ قوله: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ تَقديرُهُ: استَقِيمَا غيرَ متَّبِعَيْن. وفي المُرادِ بسَبيلِ الذين لا يَعلَمُونَ قولان: **أحدهما**: أنهم فِرعَونُ وقومُه، قاله أبو صالحِ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الذين يستعجلون القضاءَ قبل مجيئِهِ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

فإنْ قيلَ: كيف جازَ أنْ يدعُوَ موسى على قومِه؟

فالجواب: أنَّ بعضَهم يقولُ: كان ذلك بوَحيٍ، وهو قولٌ صحيحٌ، لأنه لا يُظَنُّ بنبيّ أنْ يُقدِمَ على مِثلِ ذلك إلاَّ عن إذنٍ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، لأنَّ دُعاءَهُ سَببٌ للانتِقام.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أَتْبعَهُم وتَبِعَهُم سَواءٌ. وقال ابنُ قُتيبة: أتبعهم لَحِقَهُم. ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ أي: ظُلماً. وقرأ الحسَنُ «فاتَّبعهم» بالتشديد، وكذلك شدَّدوا «وعُدُوّاً» مع ضمِّ العين. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ «أنه» بفتحِ الألف، والمعنى: آمَنْتُ بأنه، فلمَّا حُذِفَ حرفُ الجَرِّ، وُصِلَ الفعلُ

---

(١) الآية ١٥٨.
(٢) البيت للأعشى كما في ديوانه/ ٤٣. وفي «اللسان» صُرِمَ: من الصريمة وهي العزيمة على الشيء وقطع الأمر.
(٣) سورة البقرة: ٢٢٨. (٤) سورة البقرة: ٢٣٣.

إلى «أنَّ» فنصبَ. وقرأ حَمزَةُ والكِسَائيُّ «إنه» بكسرِ الألف، فحَمَلُوهُ على القولِ المُضمَرِ، كأنَّه قال: آمَنتُ، فقلتُ: إنَّهُ. قال ابنُ عباسٍ: لم يَقبَلِ اللهُ إيمَانَهُ عندَ رُؤيةِ العذابِ. قال ابنُ الأنبَاري: جَنَحَ فِرعَونُ إلى التَّوبة حين أُغلِقَ بابُها لحضورِ الموتِ ومُعاينةِ الملائكة، فقيلَ له: (آلآن) أي: آلآنَ تَتُوبُ وقد أضعْتَ التَّوبةَ في وقتها، وكنتَ مِنَ المُفسدين بالدُّعاء إلى عبادةِ غير الله تعالى؟ والمخَاطِبُ له بهذا كان جِبريلُ عليه السلامُ.

[٧٨٦] وجاء في الحديث «أنَّ جِبريلَ جعلَ يَدُسُّ الطينَ في فَم فِرعَونَ خشيةَ أنْ يُغفرَ له».

قال الضَّحَّاكُ بنُ قَيسٍ: أذكُروا اللهَ في الرَّخاءِ يَذكُرْكم في الشِّدَّةِ، إنَّ يُونسَ عليه السلامُ كان عبداً صالحاً، وكان يَذكُرُ اللهَ، فلمَّا وقعَ في بطنِ الحُوتِ سأل اللهَ، فقالَ اللهُ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] وإنَّ فِرعَونَ كان عبداً طاغياً ناسياً لِذكرِ اللهِ تعالى، فلمَّا أدركَهُ الغَرقُ قال: آمَنتُ، فقال اللهُ: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ وقرأ يَعقوبُ «نُنجيك» مُخفَّفةً. قال اللغويون، منهم يُونسُ وأبو عُبيدَةَ: نُلقيكَ على نَجوَةٍ مِنَ الأرضِ، أي: ارتفاع، لِيصيرَ عَلَماً أنه قد غَرِقَ. وقرأ ابنُ السَّمَيفع «نُنحّيك» بحاءٍ. وفي سبب إخراجِهِ مِنَ البحرِ بعد غرقِهِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ موسى وأصحابَهُ لمَّا خرجوا، قال مَنْ بقيَ مِنَ المَدائنِ مِنْ قوم فِرعَونَ: ما غَرِقَ فِرعَونُ، ولكنَّه هو وأصحابُه يتصيَّدونَ في جَزائِرِ البحر، فأوحىٰ الله إلى البحر أنِ الْفِظ فِرعَونَ عُرياناً، فكانت نَجاةَ عِبرةٍ، وأوحى اللهُ تعالى إلى البحر: أنِ الْفِظْ ما فيكَ، فلَفظَهُم البحرُ بالسَّاحلِ، ولم يكن يَلفظُ غريقاً، إلى يوم القيامةِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: أنَّ أصحابَ موسى قالوا: إنَّا نخافُ أن يكون فِرعَونُ ما غَرِقَ، ولا نؤمنُ بهلاكِهِ، فَدعا موسى ربَّهُ، فأخرَجَهُ حتى أيقنوا بهَلاكِهِ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وإلى نحوِهِ ذهبَ قَيسُ بن عُبَادٍ، وعبدُ الله بن شَدَّادٍ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. وقال السُّدِّيُّ: لمَّا قال بَنو إسرائيلَ: لم يَغرَقْ فِرعَونُ،

---

[٧٨٦] حديث قوي من جهة الإسناد بطرقه وشواهده، لكن في المتن غرابة، وقد ورد موقوفاً، ولعله أشبه. والله أعلم. أخرجه الترمذي ٣١٠٨، والنسائي في «التفسير» ٢٥٨، وأحمد ١/ ٢٤٠ و٣٤٠، والطيالسي ٢٦١٨ والطبري ١٧٨٥٨ و١٧٨٦٢، والحاكم ١/ ٥٧ و٢/ ٣٤٠ و٤/ ٢٤٩، وابن حبان ٦٢١٥ من طريق شعبة عن عطاء بن السائب، وعن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، صححه الحاكم وقال: على شرطهما إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس. ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٣٦٨. وأطال الكلام في هذا الشأن ورد فيه على الزمخشري حيث استنكر الحديث ووهنه. وورد من وجه آخر أخرجه الترمذي ٣١٠٧، وأحمد ١/ ٢٤٥ ـ ٣٠٩ والطبراني ١٢٩٣٢ والطبري ١٧٨٧٥، والطيالسي ٢٦٩٣ ومداره على علي بن زيد وهو ضعيف. وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه الطبري ١٧٨٧٤ وابن عدي ٢/ ٧٨٨، وفيه كثير بن زاذان، وهو مجهول. وورد من وجه آخر أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١١٠٧٠ وفيه قيس بن الربيع قال الهيثمي: وثقه شعبة والثوري وضعفه جماعة.

---

(١) سورة الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤.

دَعَا موسى، فخرجَ فِرعَونُ في ستمائةِ ألفٍ وعشرينَ ألفاً عليهم الحَديدُ[١]، فأخذَتْهُ بَنو إسرائيلَ يُمَثِّلون به. وذكر غيرُه أنه إنَّما أُخرِجَ مِنَ البحرِ وحدَهُ دونَ أصحابِه. وقال ابنُ جُرَيج: كذَّب بعضُ بَني إسرائيلَ بِغَرقِه، فرَمى به البحرُ على ساحل البحرِ حتى رآه بَنو إسرائيلَ قُصَيِّراً أحمرَ كأنه ثورٌ. وقال أبو سُليمانَ: عرفه بنو إسرائيلَ بدِرْعٍ كان له مِنْ لؤلؤٍ لم يكن لأحدٍ مثلها. فأمَّا وجهُهُ فقد غيَّره سُخْطُ اللهِ تعالى.

والثالث: أنه كان يدَّعي أنه ربٌّ، وكان يَعبُدُه قومٌ، فبيَّن اللهُ تعالى أمرَهُ، فأغرَقَهُ وأصحابَهُ، ثم أخرَجهُ مِنْ بَينِهِم، قاله الزَّجَّاجُ.

وفي قوله تعالى: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: بجَسدِكَ مِنْ غير رُوحٍ، قاله مُجاهِدٌ. وذِكرُ البَدنِ دليلٌ على عدم الرُّوحِ. **والثاني**: بدِرعِكَ، قاله أبو صَخرٍ. وقد ذكرنا أنه كانت له دِرعٌ مِنْ لؤلؤٍ، وقيل: مِنْ ذَهبٍ، فعُرِف بدِرعِه. **والثالث**: نُلقيكَ عُرياناً، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: نُنَجّيكَ وحدَكَ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وفي قوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لتكونَ لِمَنْ بعدكَ في النَّكالِ آيةً لِئَلاّ يقولوا مثلَ مِقالَتِكَ، فإنَّكَ لو كنتَ إلهاً ما غَرِقتَ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال أبو عُبيدَةَ: ﴿خَلْفَكَ﴾ بمعنى بَعدَكَ، والآيةُ: العَلامَةُ. **والثاني**: لِتكونَ لبَني إسرائيلَ آيةً، قاله السُّدِّيّ. **والثالث**: لِمَنْ تَخلَّفَ مِنْ قومِه، لأنهم أنكَرُوا غَرقَهُ على ما ذكرنا في أوَّلِ الآيةِ، فخرجَ في معنى الآية قولان: **أحدهما**: عِبرةٌ للناس. **والثاني**: عَلامَةٌ تدلُّ على غرقِهِ. وقال الزَّجَّاجُ: الآيةُ أنه كان يَدَّعي أنه ربٌّ، فبَانَ أمرُهُ، وأُخرجَ مِنْ بين أصحابه لمَّا غرِقُوا. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَعِ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ «لمن خلقك» بالقاف.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أنزلناهم مَنزِلَ صِدقٍ، أي مَنزِلاً كريماً. وفي المُراد ببَني إسرائيلَ قولان. **أحدهما**: أصحابُ موسى. **والثاني**: قريظة والنضير. وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال: **أحدها**: أنه الأُردُنُ، وفِلسطِينُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الشَّام، وبيتُ المَقدِس، قاله الضَّحَّاكُ وقَتادَةُ. **والثالث**: مِصرُ، رُوي عن الضَّحَّاكِ أيضاً. **والرابع**: بيتُ المَقدِسِ، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: ما بينَ المَدينةِ والشَّام مِنْ أرض يَثْرِب، ذكره عليُّ بن أحمدَ النَّيسابوري. والمُراد بالطَّيباتِ: ما أُحِلَّ لهم مِنَ الخيراتِ الطَّيبةِ. ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعني بَني إسرائيلَ. قال ابنُ عباسٍ: ما اختلفوا في محمَّدٍ، لم يَزالُوا به مُصدِّقين، ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يعني: القرآن، ورُوي عنه: حتى جاءَهُم العِلمُ، يعني محمَّداً. فعلى هذا يكون العِلمُ ها هنا: عبارةٌ عن المَعلُومِ. وبيانُ هذا أنه لمَّا

(١) فيه مبالغة من حيث عدد جيش فرعون، والظاهر أنه من مجازفات الإسرائيليين.

جاءهم، اختلفوا في تَصدِيقهِ، وكَفَرَ به أكثرُهم بَغْياً وحَسداً بعد أنْ كانوا مُجتَمِعينَ على تصديقه قبلَ ظُهورِهِ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ في تأويلِ هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الخِطابَ للنبيِّ ﷺ والمُرادُ غيرُه مِنَ الشَّاكِّين، بدليل قوله في آخِرِ السُّورةِ: ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾[1]، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[2] ثم قال تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3] ولم يَقُلْ: بما تعملُ، وهذا قولُ الأكثرين.

والثاني: أن الخِطابَ للنبيِّ ﷺ، وهو المُرادُ به. ثم في المعنى قولان: **أحدهما**: أنه خُوطِبَ بذلك وإنْ لم يَكُنْ في شَكٍّ، لأنه مِنَ المُستفيضِ في لُغةِ العربِ أنْ يقولَ الرجلُ لوَلَدِهِ: إنْ كنتَ ابني فَبِرَّني، ولِعَبدِهِ: إنْ كنتَ عَبْدِي فأَطِعْني، وهذا اختيارُ الفرَّاءِ.

[٧٨٧] وقال ابنُ عباسٍ: لم يَكُنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ في شَكٍّ، ولا سأَلَ. **والثاني**: أنْ تكون «إن» بمعنى «ما» فالمعنى: ما كنتَ في شكٍّ ﴿فَسْـَٔلِ﴾، المعنى: لسنا نريدُ أنْ نأمُرَكَ أنْ تسأَلَ لأنكَ شاكٌّ، ولكن لِتَزدادَ بَصِيرةً، ذكره الزَّجَّاجُ.

والثالث: أنَّ الخِطابَ للشَّاكِّينَ، فالمعنى: إنْ كنتَ أيُّها الإنسانُ في شَكٍّ ممَّا أُنزِلَ إليكَ على لسانِ محمَّدٍ، فَسَلْ، رُوي عن ابنِ قُتَيبةَ.

وفي الذي أُنزِلَ إليه قولان: **أحدهما**: أنه أُنزِلَ إليه أنه رسولُ الله. **والثاني**: أنه مَكتُوبٌ عندهم في التَّوراةِ والإنجيلِ.

قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ وهم اليَهودُ والنَّصارى. وفي الذين أُمِرَ بسُؤالِهم منهُم قولان: **أحدهما**: مَنْ آمَنَ منهم، كعبدِ الله بنِ سَلَام، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ في آخرين. **والثاني**: أهلُ الصِّدقِ منهم، قاله الضَّحَّاكُ، وهو يَرجِعُ إلى الأوَّلِ، لأنه لا يَصْدُقُ إلاَّ مَنْ آمَنَ.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ هذا كلامٌ مُستأنفٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ﴾ أي: وَجبتْ ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: قولُه. وبمَاذا حَقَّتْ الكلمةُ عليهم؟ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: باللعنة. **والثاني**: بنزول العذاب. **والثالث**: بالسُّخطِ. **والرابع**: بالنِّقمَةِ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، قال الأخفشُ: إنما أنَّثَ فِعلَ «كل» لأنه أضافَهُ إلى «آية» وهي مُؤنَّثةٌ.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

---

[٧٨٧] أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في «المختارة» كما في «الدر» ٣/ ٥٧١. عن ابن عباس به، ولم أقف على إسناده لكن الظاهر أنه لا بأس به حيث اختاره الضياء، وقد ورد مرفوعاً صريحاً.

وأخرجه عبدالرزاق في «تفسيره» ١١٧٣، والطبري ١٧٩٠٧ و١٧٩٠٨ عن قتادة بلاغاً وهو ضعيف لإرساله، ومراسيل قتادة واهية، والصواب أنه من كلام قتادة كما في الرواية الأولى، ولا يصح رفعه. والله أعلم.

---

(١) سورة يونس: ١٠٥. (٢) سورة الأحزاب: ٢. (٣) سورة الأحزاب: ٣.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ أي: أهلُ قريةٍ. وفي «لولا» قولان:

أحدهما: أنه بمعنى لم تكُنْ قريةٌ آمنَتْ ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ أي قُبِلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قتادةُ: لم يَكُنْ هذا لأُمَّةٍ آمَنَتْ عند نُزولِ العذابِ إلاَّ لِقومِ يُونس.

والثاني: أنَّها بمعنى: فهَلاَّ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: فهَلاَّ كانت قَريةٌ آمَنَتْ في وقتِ نفعُها إيمانُها، إلاَّ قومَ يُونسَ؟ و ﴿إِلَّا﴾ ها هنا استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّلِ، كأنه قال: لَكِنْ قومُ يُونسَ. قال الفَرَّاءُ: نُصِبَ القومُ على الانقطَاعِ ممَّا قَبْلَهُ، ألاَ ترى أنَّ «ما» بعدَ «إلاَّ» في الجَحْدِ يتبع ما قَبْلَهَا؟ تقول: ما قامَ أحدٌ إلاَّ أخوكَ، فإذا قلتَ: ما فيها أحدٌ إلاَّ كلباً أو حماراً، نَصَبتَ، لانقطَاعِهم من الجِنسِ، كذلكَ كان قومُ يُونسَ مُنقَطِعين مِنْ غيرهم مِنْ أُمَمِ الأنبياء، ولو كان الاستثناءُ وقعَ على طائفةٍ منهم لَكَانَ رَفْعاً. وذكر ابنُ الأنبَاري في قوله: «إلا» قولين آخرين. **أحدهما**: أنها بمعنى الواو، والمعنى: وقومُ يُونسَ لمَّا آمنوا فَعَلْنا بهم كذا وكذا، وهذا مَرويٌّ عن أبي عُبيدَةَ، والفَرَّاءُ يُنكِرُهُ. **والثاني**: أنَّ الاستثناءَ مِنَ الآيةِ التي قبلَ هذه، تقديره: حتى يَرَوا العذابَ الأليمَ إلاَّ قومَ يُونسَ، فالاستثناءُ على هذا مُتَّصلٌ غيرُ مُنقطعٍ.

قوله تعالى: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: صرفنا عنهم ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ أي: عذاب الهوان والذل ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حين آجالهم[١].

الإشارةُ إلى شَرحِ قصَّتِهم

ذكرَ أهلُ العِلم بالسِّيَرِ والتَّفسيرِ أنَّ قومَ يُونسَ كانوا بـ «نِينَوى» مِنْ أرض المَوصِل، فأرسلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يُونسَ يَدْعُوهُم إلى اللَّهِ ويأمُرهُم بتَرْكِ الأصنام، فأبَوا، فأخبَرَهُم أنَّ العذابَ مُصَبِّحُهم بعد ثلاثٍ، فلمَّا تغشَّاهُم العذابُ، قال ابنُ عباسٍ، وأنسٌ: لَم يَبْقَ بين العذابِ وبينهم إلاَّ قَدْرُ ثُلُثَي مِيلٍ، وقال مُقاتِلٌ: قَدْرُ مِيلٍ، وقال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: وَجَدوا حَرَّ العذابِ على أكتَافِهم، وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: غَشِيَهُمُ العذابُ كما يَغشَى الثَّوبُ القبرَ، وقال بعضُهم: غَامَتِ السماءُ غَيْماً أسودَ يُظهِرُ دُخاناً شديداً، فغَشِيَ مدينَتَهُم، واسوَدَّت سُطوحُهم، فلمَّا أيقَنُوا بالهَلاكِ لَبِسُوا المُسُوحَ[٢]، وحَثَوْا على رُؤوسِهِم الرَّمَادَ، وَفرَّقُوا بين كلِّ والدةٍ وولَدِها مِنَ الناس والأنعَام، وعَجُّوا إلى اللَّهِ تعالى بالتَّوبةِ الصَّادقةِ، وقالوا: آمَنَّا بما جاء به يُونسُ، فاستجابَ اللَّهُ منهم. قالَ ابنُ مسعودٍ: بلغَ مِنْ تَوبَتِهم أنْ تَرادُّوا المَظالمَ بينهم، حتى إنْ كان الرجلُ لَيأتي إلى الحَجَرِ قد وضعَ عليه أساسَ بُنيانِه فيَقتَلِعُهُ، فيَرُدُّهُ، وقال أبو الجَلْدِ: لمَّا غَشِيَهُم العذابُ، مَشَوا إلى شيخٍ مِنْ بقيَّةِ علمائهم، فقالوا: ما تَرى؟ قال: قولوا: يا حيُّ حينَ لا حيَّ، يا حيُّ مُحيي المَوتَى، يا حيُّ لاَ إلهَ إلاَّ أنتَ، فقالوها، فكُشِفَ العذابُ عنهم. قال

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٥٣٣: واختلف المفسرون: هل كُشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي؟ أو إنما كُشف عنهم في الدنيا فقط؟ على قولين، أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٤٢: قيل: إلى أجلهم؛ قاله السُّدي وقيل: إلى أن يصيروا إلى الجنة أو إلى النار، قاله ابن عباس.

(٢) المسوح: الثياب الخشنة، وفي «اللسان» المَسِيح: المنديل الأخشن.

مُقاتِلٌ: عَجُّوا إلى الله أربعينَ ليلةً، فكُشِفَ العذابُ عنهم. وكانت التَّوبةُ عليهم في يوم عَاشُوراءَ يوم الجُمعةِ. قال: وكان يُونسُ قد خرجَ مِنْ بين أَظْهُرِهِم، فقيلَ له: ارجعْ إليهم، فقال: كيفَ أَرْجِعُ إليهم فيَجِدُوني كاذباً؟ وكانَ مَنْ يكذبُ بينهم ولا بَيِّنَةَ له يُقتَلُ، فانصرفَ مُغاضِباً، فالتَقمَهُ الحوتُ. وقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: أوحى اللَّهُ إلى نَبيٍّ مِنْ أنبياء بَني إسرائيلَ يقال له شَعيَا، فقيلَ له: ائْتِ فلاناً المَلِكَ، فقُلْ له يَبْعَثْ إلى بني إسرائيلَ نبيًّا قويًّا أميناً، وكان في مَملَكَتِه خمسةٌ مِنَ الأنبياء، فقال المَلِكُ لِيُونُسَ: اِذهَبْ إليهم، فقال: اِبعَثْ غيري، فعَزَم عليه أنْ يذهبَ، فأتَى بحرَ الرُّوم، فرَكِبَ سفينةً، فالتقمه الحوتُ، فلمَّا خرجَ مِنْ بَطنِها أُمِرَ أنْ ينطَلِقَ إلى قومِه فانطلق نذيراً لهم، فأَبَوْا عليه، فوَعدَهُم بالعذاب، وخرجَ، فلمَّا تابُوا رُفِعَ عنهم. والقولُ الأوَّلُ أثبتُ عند العلماء، وأنه إنما اِلْتَقَمَهُ الحوتُ بعدَ إنذاره لهم وتَوبَتِهم. وسيأتي شَرحُ قِصَّتِه في اِلْتِقامِ الحوتِ إيَّاهُ في مكانه إنْ شاء اللَّهُ تعالى.

فإنْ قِيلَ: كيف كُشِفَ العذابُ عن قوم يُونسَ بعد إتيَانِه إليهم، ولم يُكشَفْ عن فِرعَونَ حين آمَنَ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ ذلك كان خاصًّا لهم كما ذكرنا في أوَّل الآيةِ. **والثاني**: أنَّ فِرعَونَ باشرَهُ العذابُ، وهؤلاءِ دَنَا منهم ولم يُباشِرْهُم، فكانوا كالمَريضِ يخافُ الموتَ ويَرجو العافيةَ، فأمَّا الذي يُعايِنُ، فلا توبةَ له، ذكره الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ اللَّهَ تعالى عَلِمَ منهم صِدْقَ النِّياتِ، بخِلافِ مَنْ تقدَّمَهُم مِنَ الهَالِكين، ذكره ابنُ الأنباري.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ حريصاً على إيمانِ جميع الناسِ، فأخبرَهُ اللَّهُ تعالى أنه لا يُؤمِنُ إلاَّ مَنْ سَبقتْ له السَّعادةُ. قال الأَخفَشُ: جاء بقوله: «جميعاً» مع «كل» تأكيداً كقوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ قال المُفسِّرون، منهم مُقاتِلٌ: هذا مَنْسُوخٌ بآيةِ السَّيفِ. والصحيحُ أنه ليس ها هنا نَسْخٌ، لأنَّ الإكرَاهَ على الإيمان لا يَصِحُّ، لأنه عَمَلُ القلبِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: بقضاءِ الله وقَدرِهِ. **والثاني**: بأمرِ اللَّهِ؟ رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بمَشيئةِ الله، قاله عَطاءٌ **والرابع**: إلاَّ أنْ يأذنَ اللَّهُ في ذلك، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: بعِلْمِ اللَّهِ. **والسادس**: بتَوفيقِ اللَّهِ، ذكرهما الزَّجَّاجُ، وابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: ويجعلُ اللَّهُ الرِّجسَ. وروى أبو بكرٍ عن عَاصِم «ونجعل الرجس» بالنون. وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه السُّخطُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الإثْمُ والعُدوان، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه ما لا خيرَ فيه، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: العذابُ، قاله الحَسنُ، وأبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ. **والخامس**: العذابُ والغَضب، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يَعقِلونَ عن اللَّهِ أَمْرَهُ ونَهيَهُ. وقيل: لا يَعقِلونَ حُجَجَهُ ودَلائِلَ توحيدِهِ.

---

(١) سورة النحل: ٥١.

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال المُفسِّرون: قُلْ للمشركين الذين يَسألونكَ الآياتِ على تَوحيدِ الله: أنظُروا بالتَّفكُّرِ والاعتبارِ ماذا في السَّمواتِ والأرضِ مِنَ الآياتِ والعِبَرِ التي تدلُّ على وَحدانيَّتِهِ ونَفاذِ قُدرتِهِ كالشَّمس، والقَمرِ، والنُّجوم، والجبالِ، والشَّجرِ، وكلُّ هذا يقتضي خالِقاً مُدبِّراً. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في عِلْمِ اللهِ.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني كفَّارَ قُريشٍ. ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال ابنُ الأنبارِي: أي: مثلَ وَقائعِ الله بمَنْ سَلَفَ قبلَهُم، والعربُ تُكني بالأيام عن الشُّرورِ والحُروبِ، وقد تَقصِدُ بها أيامَ السُّرور والأفراحِ إذا قامَ دليلٌ بذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لِنُزولِ العذابِ بكم. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِنَ العذابِ إذا نَزلَ، فلَمْ يَهلَكْ قومٌ قطُّ إلاَّ نَجا نَبيُّهم والذين آمَنُوا معه. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقرأ يَعقوبُ، وحَفصٌ، والكِسائيُّ في قِراءَتِه ورِوايتِه عن أبي بكرٍ: «نُنجِ المؤمنين» بالتَّخفيفِ. ثم في هذا الإنجاءِ قولان:

أحدهما: نُنجيهم مِنَ العذاب إذا نَزلَ بالمُكذِّبينَ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

والثاني: نُنجيهم في الآخرة مِنَ النارِ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦)﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني أهلَ مكَّةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ الإسلام ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهي الأصنامُ ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي﴾ يَقْدِرُ أنْ يُميتَكُم. وقال ابنُ جَريرٍ: معنى الآية: لا يَنبغي لَكم أنْ تَشكُّوا في دِيني، لأني أعبدُ اللَّهَ الذي يُميتُ ويَنفعُ ويَضرُّ، ولا تُستنكرُ عبادةُ مَنْ يفعلُ هذا، وإنَّما يَنبغي لَكُم أنْ تَشكُّوا وتُنكِرُوا ما أنتم عليه مِنْ عبادة الأصنام التي لا تَضرُّ ولا تَنفعُ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال: ﴿الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ ولَمْ يَقُلْ: «الذي خلقكم»؟ فالجواب: أنَّ هذا يتضمَّنُ تَهديدَهُم، لأنَّ ميعادَ عذابِهم الوَفاةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ المعنى: وأُمِرتَ أنْ أَقِمْ وَجهكَ، وفيه قولان:

أحدهما: أَخلِصْ عَملَكَ. **والثاني**: استقِمْ بإقبالِكَ على ما أُمِرتَ به بوَجْهِكَ.

وفي المُرادِ بالحَنيفِ ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنه المُتَّبعُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: المُخلِصُ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: المُستقيمُ، قاله القُرَظِيُّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إنْ دَعوتَهُ ﴿وَلَا

﴿يَضُرُّكَ﴾ إنْ تركتَ عِبادتَهُ. و «الظَّالمُ» الذي يَضَعُ الشيءَ في غيرِ مَوضِعِهِ.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي: بشدَّةٍ وبَلاءٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ لذلكَ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ دونَ ما يَعبُدهُ المشركون مِنَ الأصنام. وإنْ يُصِبْكَ بخيرٍ، أي: برَخاءٍ ونعمةٍ وعَافيةٍ، فلا يَقدِرُ أحدٌ أنْ يمنَعكَ إيَّاهُ. ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بكلِّ واحدٍ مِنَ الضُّرِّ والخيرِ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن. **والثاني**: محمَّدٌ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: فإنما يكون وَبَالُ ضَلالِه على نَفْسِه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: في مَنْعِكُم مِن اِعتقادِ الباطلِ، والمعنى: لستُ بحفيظٍ عليكُم مِنَ الهَلاكِ كما يَحفَظُ الوَكيلُ المَتاعَ مِنَ الهَلاكِ. قال ابنُ عباسٍ: وهذه مَنسُوخَةٌ بآيةِ القتالِ، والتي بعدَها أيضاً، وهي قوله: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ لأنَّ اللَّهَ تعالى حَكَمَ بقَتْلِ المشركين، والجزيةِ على أهل الكتابِ، والصَّحيحُ: أنه ليس ها هنا نَسْخٌ. أمَّا الآيةُ الأولى، فقد ذكرنا الكلامَ عليها في نَظيرَتِها في «الأنعام»[1] وأمَّا الثانية، فقد ذكرنا نَظيرَتَها في سُورة «البقرة» قوله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[2].

(١) سورة الأنعام: ١٠٧. (٢) سورة البقرة: ١٠٩.

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

فصلٌ في نُزولِها: رَوى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكّيةٌ كلُّها، وبه قال الحسَنُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وجابرُ بن زيدٍ، وقَتادَةُ. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هي مكّيةٌ، إلاَّ آيةً، وهي قولُه تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ (١)، وعن قَتادَةَ نحوه. وقال مُقاتِلٌ: هي مكّيةٌ كلُّها، إلاَّ قولَه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ (٢) وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ (٣) وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ (٤). ورَوى أبو بكرٍ الصِّديقُ رضي اللَّهُ عنه قال:

[٧٨٨] قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، عَجِلَ إليكَ الشَّيبُ، قال: «شَيَّبَتني هُودُ وأَخَواتُها: الحَاقَّةُ، والوَاقِعةُ، وعَمَّ يتَساءَلُونَ، وهل أتاكَ حديثُ الغَاشِيَةِ».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

فأمّا ﴿الٓرۚ﴾ فقد ذَكرْنا تفسيرَها في سُورة يُونسَ.

---

[٧٨٨] صحيح، أخرجه الترمذي ٣٢٩٧، والحاكم ٢/ ٣٤٤ ـ ٤٧٦، والبزار في «البحر الزخار» ١/ ١٧٠ من حديث ابن عباس عن أبي بكر به وإسناده صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا صححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١١٣. وهو كما قالوا. وأخرجه أبو يعلى ١٠٧ عن عكرمة عن أبي بكر وهذا منقطع لكن الحجة بما قبله. وله شاهد من حديث أنس: أخرجه البزار ٩٢ «البحر الزخار» ولفظه «قلت: يا رسول الله عجل إليك الشيب، قال: شيبتني هود وأخواتها، والواقعة، والحاقة، وعم يتساءلون، وهل أتاك حديث الغاشية». وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري قال: «قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! أسرع إليك الشيب، قال: شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت» أخرجه البيهقي في «الدلائل» ١/ ٣٥٨ وفيه عطية العوفي واهٍ. وله شاهد من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها: الواقعة والحاقة، وإذا الشمس كورت». أخرجه الطبراني ٥٨٠٤، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٠٧٥: فيه سعيد بن سلام العطار، كذاب. وله شاهد من حديث أبي جحيفة قال: قالوا: يا رسول الله قد شبت، قال: «شيبتني هود وأخواتها». أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٤١، وأبو يعلى ٨٨٠، والبغوي ٤٠٧١. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٢٢٠ و١٢٣٠ بتخريجنا.

---

(١) سورة هود: ١١٤.
(٢) سورة هود: ١٢.
(٣) سورة هود: ١٧.
(٤) سورة هود: ١١٤.

قال الفرَّاءُ: و ﴿كِتَٰبٌ﴾ مرفوعٌ بالهِجَاءِ الذي قَبلَهُ، كأنَّكَ قلتَ: حروفُ الهجاءِ هذا القرآنُ، وإنْ شِئتَ رَفعتَهُ بإضمَارٍ: هذا كتاب، والكتابُ: القُرآنُ. وفي قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أُحكِمَتْ فلم تُنسَخْ بكتابٍ كما نُسِخَتِ الكُتبُ والشَّرائعُ، قاله ابنُ عباسٍ، واختاره ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أُحكِمَتْ بالأمرِ والنَّهي، قاله الحسَنُ، وأبو العَاليةِ. **والثالث**: أُحكِمَتْ عن الباطِلِ، أي: مُنِعَتْ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أُحكِمَتْ بمعنى جُمِعَتْ، قاله ابنُ زيدٍ. فإن قيلَ: كيف عَمَّ الآياتِ ها هنا بالإحكَامِ، وخَصَّ بعضَها في قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾[(١)]؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ الإحكَامَ الذي عمَّ به ها هنا، غيرُ الذي خَصَّ به هناكَ. وفي معنى الإحكَام العامِّ خَمسةُ أقوالٍ، قد أسلَفنا منها أربعةً في قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾. **والخامس**: أنه إعجَازُ النَّظْمِ والبَلاغة وتَضمِينُ الحِكَمِ المُعجِزَةِ. ومعنى الإحكَامِ الخَاصِّ: زَوالُ اللَّبسِ، واستِوَاءُ السَّامِعين في معرِفةِ معنى الآيةِ.

والجواب الثاني: أنَّ الإحكَامَ في المَوضعين بمعنًى واحِدٍ. والمُراد بقوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أُحكِمَ بعضُها بالبَيانِ الواضحِ ومَنْعِ الالتِبَاسِ، فأوقعَ العمومُ على معنى الخُصوصِ، كما تقول العربُ: قد أكلتُ طعامَ زيدٍ، يَعنُون: بعضَ طعامِه، ويقولون: قُتِلنَا وربِّ الكعبةِ، يَعنُون: قُتِلَ بعضُنا، ذكرَ ذلك ابنُ الأنباري.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: فُصِّلَتْ بالحَلالِ والحَرام، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فُصِّلَتْ بالثوابِ والعقابِ، رواه جِسْر بنُ فَرْقَدٍ[(٢)] عن الحسَنِ. **والثالث**: فُصِّلَتْ بالوَعدِ والوَعيدِ، رواه أبو بكرٍ الهُذَليُّ عن الحسَنِ أيضاً. **والرابع**: فُصِّلَتْ بمعنى فُسِّرَت، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أُنزِلَتْ شيئاً بعد شيءٍ، ولم تَنزِلْ جُملَةً، ذكره ابنُ قُتيبةَ. **والسادس**: فُصِّلَتْ بجميعِ ما يُحتاجُ إليه مِنَ الدّلالَةِ على التَّوحيدِ، وتَثبيتِ نُبوَّةِ الأنبياء، وإقامةِ الشَّرائعِ، قاله الزَّجّاجُ. قوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ أي: مِنْ عِندِهِ.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ﴾ قال الفرَّاءُ. المعنى: فُصِّلَتْ آياتُه بأَنْ لا تَعبُدوا إلاَّ اللَّهَ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟﴾. «وأن» في مَوضِعِ النَّصبِ بإلقائِكَ الخَافضِ.

وقال الزَّجّاجُ: المعنى: آمُركُم أنْ لا تَعبُدوا إلٰهاً غيرَهُ، وأنِ استَغفِروا.

قال مُقاتِلٌ: والمُراد بهذه العبادة: التَّوحيدُ، والخِطابُ لكفَّارِ مكَّةَ.

---

(١) سورة آل عمران: ٨.

(٢) هو أبو جعفر جسر بن فرقد البصري، قال البخاري: ليس بذلك عندهم، وقال ابن معين: ليس بشيء. انظر «الميزان» ١/ ٣٩٨.

قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الاستغفارَ والتَّوبة هاهُنا مِنَ الشِّركِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إستغفِرُوهُ مِنَ الذُّنوبِ السَّالِفةِ، ثمَّ تُوبُوا إليه مِنَ المُستأْنَفةِ متى وَقعَتْ. وذُكِرَ عن الفَرَّاءِ أنه قال: «ثم» ها هنا بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ قال ابنُ عباس: يَتفضَّلُ عليكُم بالرِّزقِ والسَّعةِ. وقال ابنُ قُتيبة: يُعمِّرْكُمْ. وأصلُ الإمتاعِ: الإطالَةُ، يُقال: أمتعَ اللَّهُ بكَ، ومَتَّع اللَّهُ بكَ، إمتاعاً ومَتاعاً، والشيءُ الطَّويلُ: مَاتِعٌ، يُقال: جَبَلٌ مَاتِعٌ، وقد مَتعَ النهارُ: إذا تَطاوَلَ.

وفي المُراد بالأجَلِ المُسمَّى قولان: **أحدهما**: أنه الموتُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه يومُ القيامة، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان:

أحدهما: أنها تَرجعُ إلى اللَّهِ تعالى. ثم في معنى الكلامِ قولان: **أحدهما**: ويُؤتِ كلَّ ذِي فَضْلٍ مِنْ حَسَنةٍ وخَيرٍ فَضْلَهُ، وهو الجنَّةُ. **والثاني**: يُؤتيه فَضْلَهُ مِنَ الهِدَايةِ إلى العملِ الصَّالحِ.

والثاني: أنها تَرجعُ إلى العبيد، فيكون المعنى: ويُؤتِ كلَّ مَنْ زادَ في إحسانه وطاعاتِه ثوابَ ذلك الفَضلِ الذي زَادَهُ، فيُفضِّلَهُ في الدنيا بالمَنزلةِ الرَّفيعةِ، وفي الآخرة بالثَّوابِ الجَزيلِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: تُعرِضُوا عمَّا أُمِرتُم به. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ: «وإن تُوَلُّوا» بضمِّ التاء. ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ فيه إضمارُ «فقُلْ». واليومُ الكَبيرُ: يومُ القيامةِ.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، في سببِ نُزولها خمسةُ أقوالٍ:

[٧٨٩] **أحدها**: أنها نزلت في الأخنَسِ بنِ شَرِيقٍ، وكان يُجالسُ رسولَ الله ﷺ ويَحلِفُ إنَّهُ لَيُحبُّهُ، ويُضمِرُ خِلافَ ما يُظهرُ له، فنزلت فيه هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٧٩٠] **والثاني**: أنها نزلت في ناسٍ كانوا يَستحيُونَ أن يُفضُوا إلى السَّماءِ في الخَلاءِ ومُجامَعةِ النساءِ، فنزلت فيهم هذه الآيةُ، رواه محمدُ بنُ عَبَّادٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٧٩١] **والثالث**: أنها نزلت في بعضِ المنافقين، كان إذا مَرَّ برَسولِ اللَّهِ ﷺ، ثَنَى صَدْرَهُ وظَهْرَهُ وطَأطَأَ رأسَهُ وغَطَّى وَجهَهُ لِئَلاَّ يَراهُ رسولُ الله ﷺ. قاله عبدُ الله بنُ شَدَّادٍ.

---

[٧٨٩] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في ابن عباس وراويته الكلبي، وهو ممن يضع الحديث. ذكره البغوي في «تفسيره» ٢/٣٧٣، عن ابن عباس بدون إسناد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٣٧ بدون إسناد.

[٧٩٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٨١ والطبري ١٧٩٦٥ من حديث محمد بن عباد عن ابن عباس.

[٧٩١] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٩٥٢ و١٧٩٥٣ و١٧٩٥٤ عن عبدالله بن شداد بن الهاد به ورجاله ثقات إلا أنه مرسل ابن شداد تابعي والخبر واهٍ.

[٧٩٢] **والرابع**: أنَّ طائفةً مِنَ المشركين قالوا: إذا أغلَقْنا أبوابَنا وأرخَيْنا سُتُورَنا واستَغْشَينا ثيابَنا وثَنَينا صُدورَنا على عَداوةِ محمَّدٍ ﷺ، كيفَ يَعلَمُ بنا؟ فأخبرَ الله عمَّا كَتَموا، ذكره الزَّجَّاجُ.

[٧٩٣] **والخامس**: أنها نزلت في قومٍ كانوا لِشدَّةِ عَداوَتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ إذا سَمِعُوا منه القرآنَ حَنَوا صُدورَهُم، ونَكَسُوا رُؤوسَهُم، وتَغَشَّوا ثيابَهُم لِيَبعُدَ عنهم صوتُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ ولا يَدخُلَ أسماعَهُم شيءٌ مِنَ القرآنِ، ذكره ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يقال: ثَنَيتُ الشيءَ: إذا عَطَفتَهُ وطَويتَهُ. وفي معنى الكلام خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَكتِمُونَ ما فيها مِنَ العَداوَةِ لمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَثْنُونَ صُدورَهُم على الكُفرِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: يَحنُونَها لِئَلاَّ يَسمَعُوا كتابَ اللَّهِ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: يَثْنُونَها إذا نَاجَى بعضُهم بعضاً في أمرِ رسولِ الله ﷺ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: يَثْنُونَها حياءً مِنَ اللَّهِ تعالى، وهو يُخرَّج على ما حَكَينا عن ابنِ عباسٍ.

قال ابنُ الأنباري: وكان ابنُ عباسٍ يَقرَؤُها «ألاَ إنَّهم تَثْنَونِي صُدورُهُم» وفسَّرها أنَّ ناساً كانوا يَستَحيُونَ أنْ يُفضُوا إلى السماءِ في الخَلاءِ ومُجامعةِ النساء. فتَثْنَونِي: تَفعَوْعِلُ، وهو فِعْلٌ للصُّدورِ، معناه: المُبالَغَةُ في تَثَنِّي الصُّدورِ، كما تقولُ العربُ: احْلَوْلَى الشيءُ، يَحْلَوْلي: إذا بَالَغُوا في وَصفِه بالحَلاوةِ، قال عَنترةُ:

ألاَ قَاتَلَ اللَّهُ الطُّلُولَ البَوَالِيَا ... وقَاتَلَ ذِكْرَاكَ السِّنِينَ الخَوَالِيَا[1]

وقَوْلَكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لا تَنَالُهُ ... إذا ما هُوَ احْلَوْلَى ألاَ لَيْتَ ذَا لِيَا

فعَلَى هذا القولِ، هو في حقِّ المؤمنين، وعلى بقيَّةِ الأقوالِ، هو في حقِّ المنافقين. وقد خُرِّجَ مِنْ هذه الأقوالِ في معنى ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه حقيقةٌ في الصُّدورِ. **والثاني**: أنه كِتمَانُ ما فيها.

قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ﴾ في هاء ﴿مِنْهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها تَرجِعُ إلى اللَّهِ تعالى. **والثاني**: إلى رسولِه ﷺ. قوله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: العربُ تُدخِلُ «ألا» توكيداً وإيجاباً وتَنبيهاً. قال ابنُ قُتَيبةَ: «يستغشون ثيابهم»: أي: يَتَغَشَّونَها ويَستَتِرُون بها. قال قَتادَةُ: أخفَى ما يكونُ ابنُ آدمَ، إذا حَنَى ظَهرَهُ، واستَغشَى ثِيابَهُ، وأضمَرَ هَمَّه في نَفْسِه. قال ابنُ الأنباري: أعلمَ اللَّهُ أنه يَعلَمُ سَرائِرَهُم كما يَعلَمُ مُظهَراتِهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ قد شَرحنَاهُ في سُورة آلِ عِمران[2].

---

[٧٩٢] لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولعل ابن الأنباري استنبطه من الآية، ولم يروه عن أحد. والله أعلم.
[٧٩٣] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧٩٦٢ و١٧٩٦٣ عن قتادة مرسلاً، مع اختلاف يسير فيه وهو ضعيف لإرساله.

---

(١) في «القاموس» الطلول: الشاخص من آثار الدار، وشخص كل شيء.
(٢) سورة آل عمران: ١١٩.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو عُبيدَة: «مِنْ» مِنْ حروف الزَّوائدِ، والمعنى: وما دابَّةٌ، والدَّابَّةُ: اسمٌ لكلِّ حيوانٍ يَدِبُّ. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ قال العلماءُ: فَضْلاً منه لا وُجوباً عليه. و «على» ها هنا بمعنى «مِنْ». وقد ذكرنا المُستقرَّ والمُستودَعَ في سُورةِ الأنعام[1]. قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ﴾ أي: ذلكَ عندَ اللهِ في اللوحِ المَحفُوظِ، هذا قولُ المُفسِّرين. وقالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: ذلك ثابتٌ في عِلْمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَرْشُهُ: سَرِيرُهُ، وكان الماءُ إذْ كانَ العَرشُ عليه على الرِّيحِ. قال قَتادَةُ: ذلك قبلَ أنْ يَخلِقَ السَّمواتِ والأرضَ.

قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي: لِيَختَبِرَكُم الاختبارَ الذي يُجازي عليه، فيُثيب المُعتَبِرَ بما يرى مِنْ آياتِ السَّمواتِ والأرضِ. ويُعاقِبُ أهلَ العِنادِ.

قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

[٧٩٤] **أحدها**: «أيُّكم أحسنُ عَقلاً، وأورَعُ عن مَحارمِ الله عزَّ وجلَّ، وأسرَعُ في طاعة الله» رواه ابنُ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: أيُّكم أعمَلُ بطاعةِ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: أيُّكم أتَمُّ عقلاً، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أيُّكم أزهَدُ في الدنيا، قاله الحسَنُ وسُفيانُ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: السِّحرُ باطلٌ عندَهُم، فكأنَّهم قالوا: إنْ هذا إلاَّ باطلٌ بَيِّنٌ، فأعلَمَهُم اللهُ تعالى أنَّ القُدرةَ على خَلْقِ السَّمواتِ والأرضِ تدلُّ على بَعْثِ المَوتى.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ قال المُفسِّرون: هؤلاءِ كفَّارُ مكَّةَ، والمُراد بالأُمَّةِ المَعدُودةِ: الأَجَلُ المَعلُومُ، والمعنى: إلى مَجيءِ أُمَّةٍ وانقِرَاضِ أُخرى قبلَها. ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓۗ﴾ وإنَّما قالوا ذلك تكذيباً واستِهزاءً. قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ وقال: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾. وقال بعضُهم: لا يُصرَفُ عنهم العذابُ إذا أتاهُم. وقال آخرون: إذا أَخذَتْهم سيوفُ رسولِ اللهِ ﷺ لم تُغمَدْ

---

[٧٩٤] باطل. أخرجه الطبري ١٨٠٠٣ من حديث ابن عمر، ومداره على داود بن المجبر، وهو متهم بوضع كتاب «فضل العقل»، راجع ترجمته في «الميزان». وهذا الحديث ذكر فيه العقل كما ترى.

(١) سورة الأنعام: ٦٧.

عنهم حتى يُبَادَ أهلُ الكُفرِ وتَعْلُوَ كلمةُ الإخلاصِ. قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ قال أبو عُبيدَة: نَزلَ بهم وأصابَهُم. وفي قوله: ﴿مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الرَّسول ﷺ والكتابُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، فيكون المعنى: حَاقَ بهم جَزاءُ استِهزائِهم. **والثاني**: أنه العذابُ، كانوا يَستَهزئون بقولهم: ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾، وهذا قولُ مُقاتِلٍ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنها نزلت في الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ. قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: في عبدِ الله بنِ أبي أُميَّةَ المَخزُومِي، ذكره الوَاحِدِي

والثالث: أنَّ الإنسانَ ها هنا اسمُ جنسٍ، والمعنى: ولَئِنْ أَذقنَا الناسَ، قاله الزَّجَّاجُ. والمُرادُ بالرَّحمةِ: النِّعمةُ، مِنَ العَافِيةِ، والمَالِ، والوَلَدِ. واليَؤوسُ: القَنُوطُ، قال أبو عُبيدَةَ: هو فَعُولٌ مِنْ يَئِسْتُ. قال مُقاتِلٌ: إنه لَيَؤوسٌ عند الشدةِ مِنَ الخيرِ، كَفُورٌ للَّهِ في نِعَمِه في الرَّخاءِ.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: صحةً وسَعةً في الرِّزقِ ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ بعد مَرَضٍ وفَقرٍ. ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ يريد الضُّرَّ والفَقرَ. ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ أي: بَطِرٌ. ﴿فَخُورٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُفاخِرُ أوليائي بمَا أوسَعتُ عليه.

فإنْ قيلَ: ما وَجهُ عَيبِ الإنسانِ في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾، وما وَجهُ ذَمِّهِ على الفَرحِ، وقد وَصَفَ اللَّهُ الشهداءَ فقال تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾؟ فقد أجابَ عنه ابنُ الأنباري، فقال: إنَّما عَابَهُ بقوله: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ لأنه لم يعترِفْ بنِعمَةِ اللَّهِ ولم يَحْمَدْهُ على ما صُرِفَ عنه. وإنَّما ذَمَّهُ بهذا الفَرحِ لأنه يَرجِعُ إلى معنى المَرَحِ والتَّكبُّرِ عن طاعةِ اللَّهِ، قال الشاعر:

ولا يُنْسِيْنِي الحَدَثَانُ عِرْضِي ولا أُلقِي مِنَ الفَرَحِ الإزَارَا[1]

يعني مِنَ المَرَحِ. وَفَرَحُ الشُّهداء فَرَحٌ لا كِبْرَ فيه ولا خُيَلاَءَ، بل هو مَقرُونٌ بالشُّكرِ فهو مُستَحسَنٌ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا الاستِثناءُ مِنَ الإنسانِ، لأنَّه في معنى الناسِ، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[2]. وقال الزَّجَّاج: هذا استِثناءٌ ليس مِنَ الأَوَّلِ، والمعنى: لَكِنِ الذين صَبَرُوا. قال ابنُ عباسٍ: الوَصفُ الأَوَّلُ للكَافِرِ، والذين صَبَرُوا أصحابُ محمَّدٍ عليه السلامُ.

---

(١) البيت لابن أحمر. وفي «اللسان» حَدَثَان الدهر وحوادثه: نُوَبُه وما يحدث منه.
(٢) سورة العصر: ٢ ـ ٣.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾. سببُ نُزولها

[٧٩٥] أنَّ كفَّارَ قُريشٍ قالوا للنبيِّ ﷺ: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ﴾[١] فهَمَّ النبيُّ ﷺ أنْ لا يُسمِعَهُم عَيبَ آلهتِهم رجاءَ أنْ يتَّبعُوهُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي معنى الآيةِ قولان: **أحدهما**: فلَعلَّكَ تارِكٌ تبليغَ بعضِ ما يُوحى إليكَ مِنْ أَمرِ الآلِهَةِ، وضَائِقٌ بما كُلِّفته مِنْ ذلكَ صَدرُكَ، خشيةَ أنْ يقولوا. لَولاَ أُنزِلَ عليه كَنْزٌ. **والثاني**: فلَعلّكَ لِعَظيم ما يَرِدُ على قلبكَ مِنْ تَخليطِهم تَتوهَّمُ أنهم يُزيلُونكَ عن بعضِ ما أنتَ عليه مِنْ أمرِ ربِّكَ. فأمَّا الضَّائِقُ، فهو بمعنى الضَّيِّقِ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى ﴿أَن يَقُولُواْ﴾: كراهيَةَ أنْ يقولوا. وإنَّما عليكَ أنْ تُنذِرَهُم بما يُوحى إليكَ، وليس عليكَ أنْ تأتيَهُم باقتِرَاحِهم مِنَ الآياتِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الحَافظُ. **والثاني**: الشَّهيدُ، وقد ذكرناه في سُورةِ آلِ عِمران[٢].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ «أم» بمعنى «بل»، و «افتراهُ» أَتى به مِنْ قِبَلِ نَفْسِه. ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ﴾ أنتم في مُعارَضَتي ﴿بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في البَلاغةِ ﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ بزعمِكُم ودَعواكُم ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المُعَاونَةِ على المُعارَضَةِ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في قولِكُم: «افتَراهُ». ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ أي يُجيبُوكُم إلى المُعارَضةِ فقد قَامَتِ الحُجَّةُ عليهم لكُم. فإنْ قيل: كيف وَحَّدَ القولَ في قوله: «قُلْ فأتُوا» ثم جَمَعَ في قوله: «فإنْ لم يَستَجيبوا لكُم»؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الخِطابَ للنبيِّ ﷺ وحدَهُ في المَوضِعينِ، فيكون الخِطابُ لهُ بقولهِ «لكُم» تعظيماً، لأنَّ خِطابَ الواحدِ بلفظِ الجَميعِ تعظيمٌ، هذا قولُ المُفسِّرين. **والثاني**: أنه وَحَّدَ في الأول لخِطَابِ النبيِّ ﷺ. وجَمعَ في الثاني لمُخاطبةِ النبيِّ ﷺ وأصحابه، قاله ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنزلَهُ وهو عَالِمٌ بإنزالِه، وعَالِمٌ بأنه حقٌّ مِنْ عندِه.

والثاني: أَنزَلَهُ بما أَخبَرَ فيه مِنَ الغَيبِ، ودَلَّ على ما سيكون وما سَلَفَ، ذكرهما الزَّجَّاجُ.

---

[٧٩٥] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان إذا أطلق، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) سورة يونس: ١٥. (٢) عند الآية: ١٧٣.

قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلَموا ذلكَ. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ. وفيمَن خُوطِبَ به قولان: **أحدهما**: أهلُ مكَّةَ، ومعنى إسلامِهم: إخلاصُهم للهِ العبادةَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم أصحابُ رسولِ الله ﷺ قاله مُجاهِدٌ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنها عامَّةٌ في جميعِ الخَلْقِ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنها في أهلِ القِبْلَةِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها في اليَهودِ والنَّصارى، قاله أنسٌ. **والرابع**: أنها في أهلِ الرِّياءِ، قاله مُجاهِدٌ. وروى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ: مَنْ كان يُريدُ عاجلَ الدنيا ولا يُؤمِنُ بالبَعثِ والجَزاءِ. وقال غيرُه: إنما هي في الكافرِ، لأنَّ المؤمنَ يريدُ الدنيا والآخرةَ.

قوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أجورَ أعمالِهم ﴿فِيهَا﴾. قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: أُعطوا ثوابَ ما عَمِلوا مِنْ خيرٍ في الدنيا. وقال مُجاهِدٌ: مَنْ عَمِلَ عملاً مِنْ صِلَةٍ، أو صَدقَةٍ، لا يُريدُ به وَجهَ اللهِ، أعطَاهُ اللهُ ثوابَ ذلك في الدنيا، ويَدْرَأُ به عنه في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: أي في الدُّنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ أي لا يُنقَصُون مِنْ أعمالِهم في الدنيا شيئاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ عَمِلُوا لغيرِ اللهِ ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ﴾ أي ما عَمِلُوا في الدنيا مِنْ حَسنَةٍ ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ﴾ لغيرِ اللهِ سُبحانَهُ ﴿يَعْمَلُونَ﴾.

فصل: وذكرَ قومٌ مِنَ المُفسِّرين، منهم مُقاتِلٌ، أنَّ هذه الآيةَ اقتضَتْ أنَّ مَنْ أرادَ الدنيا بعَملِهِ، أُعطيَ فيها ثوابَ عَملِهِ مِنَ الرِّزقِ والخيرِ، ثم نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[1]، وهذا لا يصحُّ، لأنه لا يُوَفِّي إلاَّ لِمَنْ يُريد.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ في المُراد أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الدِّينُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها رسولُ اللهِ ﷺ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: القرآنُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: البيانُ، قاله مُقاتِلٌ. وفي المُشارِ إليه بـ «مَنْ» قولان: **أحدهما**: أنه رسولُ اللهِ ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ والجمهورُ. **والثاني**: أنهم المسلمون، وهو يُخرَّجُ على قولِ الضَّحَّاكِ. وفي قوله تعالى:

---

(١) سورة الإسراء: ١٨.

﴿وَيَتْلُوهُ﴾ قولان: **أحدهما**: يَتْبَعُهُ. **والثاني**: يَقرؤُه. وفي هاءِ «يتلوه» قولان: **أحدهما**: أنها تَرجِعُ إلى النبيِّ ﷺ. **والثاني**: إلى القرآنِ، وقد سبقَ ذِكرُهُ في قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾(١). وفي المُراد بالشَّاهِدِ ثمانيةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنه جِبريلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وإبراهيمُ في آخَرين. **والثاني**: أنه لِسانُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذي كان يَتْلُو القرآنَ، قاله عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ في آخَرين. **والثالث**: أنه عليُّ بنُ أبي طَالبٍ. و «يَتْلوه» بمعنى يَتْبَعُهُ، رواه جماعةٌ عن عليِّ بنِ أبي طَالبٍ(٣)، وبه قال محمَّدُ بن عليٍّ، وزيدُ بن عليٍّ. **والرابع**: أنه رسولُ الله ﷺ هو شَاهِدٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ. قاله الحُسينُ بن عليٍّ عليه السَّلامُ. **والخامس**: أنه مَلَكٌ يحفظُهُ ويُسدِّده، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: أنه الإنجيلُ يَتْلُو القرآنَ بالتَّصديقِ، وإنْ كان قد أُنزِلَ قبلَهُ، لأنَّ النبيَّ ﷺ بَشَّرت به التَّوراةُ، قاله الفَرَّاءُ. **والسابع**: أنه القرآنُ ونَظْمُهُ وإعجَازُهُ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضْلِ. **والثامن**: أنه صورةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ووَجْهُهُ ومَخايِلُهُ، لأنَّ كلَّ عاقلٍ نَظَرَ إليه عَلِمَ أنه رسولُ اللَّهِ ﷺ. وفي هاءِ «منه» ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنها تَرجِعُ إلى اللَّهِ تعالى. **والثاني**: إلى النبيِّ ﷺ. **والثالث**: إلى البَيِّنَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ في هذه الهاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تَرجِعُ إلى النبيِّ ﷺ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: إلى القُرآنِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: إلى الإنجيل، أي: ومِنْ قَبلِ الإنجيلِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يَتْبعُ محمَّداً بالتَّصديقِ له، ذكره ابنُ الأنبَارِي. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وكان مِنْ قبلِ هذا كتابُ موسى دَليلاً على أمرِ النبيِّ ﷺ، فيكون «كتاب موسى» عَطْفاً على قولِه تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: ويَتْلُوهُ كتابُ موسى عليه السَّلامُ، لأنَّ موسى وعيسى عليهما السَّلامُ بَشَّرَا بالنبيِّ ﷺ في التَّوراةِ والإنجِيل. ونُصبَ «إماماً» على الحالِ.

فإنْ قيل: كيف تَتْلُوهُ التَّوراةُ، وهي قَبْلَهُ؟ قيل: لمَّا بَشَّرتْ به، كانت كأنَّها تَالِيةٌ له، لأنَّها تَبِعَتْهُ بالتَّصديقِ له. وقال ابنُ الأنبَاري: «كتاب موسى» مفعولٌ في المعنى، لأنَّ جِبريلَ تَلاهُ على موسى عليه السَّلامُ، فارتَفعَ الكتابُ، وهو مَفعولٌ بمُضمَرٍ بعدَهُ، تأويلُهُ: ومِنْ قَبْلِه كتابُ موسى كذاكَ، أي: تَلاهُ جِبريلُ أيضاً، كما تقولُ العربُ: أكرمتُ أخاكَ وأبوكَ، فيَرفَعُونَ الأبَ، وهو مُكْرَمٌ على الاستِئنَافِ،

---

(١) سورة هود: ١٣.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: ٢/٥٤٢ وقوله: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾، أي وجاءه شاهدٌ من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، وأبو العالية والضحاك وإبراهيم النخعي، والسدي، وغير واحد في قوله تعالى: ﴿ويتلوه شاهد منه﴾: إنه جبريل عليه السلام. وعن علي، والحسن، وقتادة: وهو محمد ﷺ ـ وكلاهما قريب في المعنى، لأن كلاً من جبريل ومحمد صلوات الله عليهما بلغ رسالة الله تعالى، فجبريل إلى محمدٍ، ومحمدٌ إلى الأمة. وقيل: هو علي وهو ضعيف لا يثبت له قائل. والأول والثاني هو الحق، وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة بما يشهد للشريعة من حيث الجملة، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها ولهذا قال تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وهو القرآن، بلغه جبريل إلى النبي ﷺ وبلغه النبي محمد إلى أمته.

(٣) باطل، لا يصح تخصيص علي بذلك من بين الصحابة، وهو من بدع التأويل وكونه ورد عن علي، فقد أخرجه الطبري ١٨٠٦٢، وفيه جابر بن يزيد الجعفي، وهو متهم بالكذب، كذبه أبو حنيفة وغيره.

بمعنى: وأبوكَ مُكْرَمٌ أيضاً. قال: وذهبَ قومٌ إلى أنَّ كتابَ موسى فَاعِلٌ، لأنه تَلاَ محمَّداً بالتَّصديقِ كما تَلاهُ الإنجيلُ.

فصل: فتلخيصُ الآيةِ: أفَمَنْ كان على بَيِّنَةٍ مِنْ ربِّهِ كمَنْ لم يَكُنْ؟ قال الزَّجّاجُ: تَرَكَ المُضادَّ له، لأنَّ في ما بعدَهُ دليلاً عليه، وهو قولُه: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾[١]. وقال ابنُ قُتَيبةَ: لمَّا ذكرَ قبلَ هذهِ الآيةِ قوماً رَكَنُوا إلى الدنيا، جاءَ بهذهِ الآيةِ، وتقديرُ الكلام: أفمَنْ كانت هذه حَالُه كمَنْ يُريدُ الدنيا؟ فاكتفَى مِنَ الجَوابِ بما تقدَّمَ، إذ كان فيه دَليلٌ عليه. وقال ابنُ الأنباري: إنَّما حُذِفَ لانكِشافِ المعنى، والمَحذوفُ المُقدَّرُ كثيرٌ في القرآنِ والشِّعرِ، قال الشاعر:

فأُقْسِمُ لَوْ شيءٌ أتانا رَسُولُهُ سِواكِ، ولَكِن لم نَجِدْ لكِ مَدْفعا[٢]

فإنْ قلنا: إنَّ المرادَ بمَنْ كان على بَيِّنَةٍ مِنْ ربِّهِ، رسولُ اللهِ ﷺ، فمعنى الآيةِ: ويَتَّبِعُ هذا النبيَّ شاهدٌ، وهو جِبريلُ عليه السَّلامُ «منه» أي: مِنَ اللهِ. وقيل: «شَاهِد» هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السَّلام[٣]، «منه» أي: مِنَ النبيِّ ﷺ. وقيلَ: «يتلوه» يعني القُرآن، يتلُوهُ جِبريلُ، وهو شَاهِدٌ لمحمَّدٍ ﷺ أنَّ الذي يَتْلُوهُ جاء مِنْ عندِ اللهِ تعالى. وقيلَ: ويَتْلُو رسولُ اللهِ ﷺ القرآنَ وهو شَاهِدٌ مِنَ اللهِ تعالى. وقيلَ: ويَتْلُو لسانُ رسولِ اللهِ ﷺ القرآنَ، فلِسَانُه شَاهدٌ منه. وقيلَ: ويَتَّبِعُ محمَّداً شاهدٌ له بالتَّصديقِ، وهو الإنجيلُ مِنَ اللهِ تعالى. وقيلَ: وَيتَّبِعُ هذا النبيَّ شاهدٌ مِنْ نَفْسِه، وهو سَمْتُه وهَدْيُهُ الدَّالُّ على صِدْقِه. وإنْ قلنا: إنَّ المرادَ بمَنْ كان على بَيِّنَةٍ مِنْ ربِّهِ المسلمون، فالمَعنى: أنَّهم يَتَّبِعُونَ رسولَ اللهِ ﷺ وهو البَيِّنةُ، ويَتَّبِعُ هذا النبيَّ شَاهِدٌ له بصِدْقِه.

قوله تعالى: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ إنَّما سَمَّاهُ إماماً، لأنَّه كان يُهتَدَى به، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: وذا رَحمَة، وأراد بذلك التَّوراةَ، لأنها كانت إماماً وسَبباً لِرَحمةِ مَنْ آمَنَ بها.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إشَارةٌ إلى أصحابِ موسى. **والثاني**: إلى أصحابِ محمَّدٍ ﷺ. **والثالث**: إلى أهلِ الحقِّ مِنْ أُمَّةِ موسى وعيسى ومحمَّدٍ.

وفي هاء «به» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تَرجِعُ إلى التَّوراةِ. **والثاني**: إلى القرآن. **والثالث**: إلى محمَّدٍ ﷺ. وفي المُراد بالأحزابِ هاهنا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: جميعُ المِلَلِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: اليَهودُ والنَّصارى، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: قريش، قاله السدي. **والرابع**: بَنُو أُميَّةَ، وبَنُو المُغيرَةِ بنِ عبد الله المَخزُومي، وآلُ طَلْحَةَ بنِ عبدِ العُزَّى، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ أي: إليها مَصيرُهُ، قال حسَّانُ بن ثَابتٍ:

أَوْرَدْتُمُوها حِياضَ[٤] المَوْتِ ضَاحِيَةً فالنَّارُ مَوْعِدُها والمَوْتُ لاقِيها

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ قرأ الحسَنُ، وقَتادَةُ «مُرية» بضمِّ الميم أينَ وَقَعَ. وفي المُكنَّى

(١) سورة هود: ٢٤.
(٢) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه: ٢٤٢.
(٣) تقدم أنه باطل، وأنه من بدع التأويل.
(٤) في «القاموس» حياض: جمع حوض: من حاضت المرأة، أو من حاضَ الماءَ: جَمَعَه، وحوضاً اتخذه.

عنه قولان: **أحدهما**: أنه الإخبارُ بمَصيرِ الكافرِ به، فالمعنى: فلا تَكُ في شَكٍّ أنَّ موعدَ المُكذِّبِ به النارُ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه القرآنُ، فالمعنى: فلا تَكُ في شَكٍّ مِنْ أنَّ القرآنَ مِنَ اللهِ تعالى، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ عباسٍ: والمراد بالناسِ هاهنا: أهلُ مكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ذَكَرَ عَرْضَهُم توكيداً لحَالِهم في الانتِقامِ منهم، وإنْ كان غيرُهم يُعرَضُ أيضاً. فأمَّا «الأشهادُ» ففيهم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الرُّسلُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الملائكةُ، قاله مُجاهِدٌ وقَتادةُ. **والثالث**: الخَلائِقُ، رُوي عن قَتادَةَ أيضاً. وقال مُقاتِلٌ: «الأشهادُ» الناسُ، كما يُقال: على رُؤوسِ الأشهادِ، أي على رُؤوسِ الناسِ. **والرابع**: المَلائكةُ والنَّبيُّونَ وأُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ يَشهَدُون على الناسِ، والجَوارحُ تَشهَدُ على ابنِ آدمَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: الأنبياءُ والمؤمنون، قاله الزَّجَّاجُ. قال ابنُ الأنباري: وفائدةُ إخبارِ الأشهادِ بما يَعلمُهُ اللهُ تعظيمٌ بالأمرِ المَشهُودِ عليه ودَفعُ المُجاحَدةِ فيه.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قد تقدَّم تفسيرُها في سُورة الأعرافِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ذُكِرَتْ «هم» ثانيةً على جِهَةِ التَّوكيدِ لشأنِهم في الكُفرِ.

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لم يُعجِزُوني أنْ آمُرَ الأرضَ فتُخسَفَ بهم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: لا وَليَّ لهم ممَّنْ يَعبدُونَ يَمنَعُهم منِّي. وقال ابنُ الأنباري: لمَّا كانت عادةُ العربِ جاريةً بقولِهم: لا وَزَرَ لكَ منِّي ولا نَفَقَ، يعنون بالوَزَرِ: الجَبلَ، والنَّفَقِ: السَّربَ، وكلاهُما يلجأُ إليه الخائفُ، أعلَمَ اللهُ تعالى أنَّ هؤلاءِ الكافرين لا يَسبقُونَهُ هَرَباً، ولا يَجِدُون ما يَحجُزُ بينهم وبينَ عَذابِه مِنْ جميعِ ما يَستُرُ مِنَ الأرضِ ويُلجَأُ إليه. قال: وقوله: ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ يقتضي مَحذُوفاً، تَلخيصُهُ: منْ أولياءَ يَمنَعونَهُم مِنْ عذابِ اللهِ، فحُذِفَ هذا لِشُهرَتِه. قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ يعني الرُّؤساءَ الصَّادِّينَ عن سبيلِ اللهِ، وذلك لإضلالِهم أتباعَهم واقتداءِ غيرِهم بهم. وقال الزَّجَّاجُ: ﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في دارِ الدُّنيا، ولا لهم وَليٌّ يمنَعُ مِن انتِقامِ اللهِ، ثم استأنَفَ: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ لِعظَمِ كُفرِهم بنَبيِّهِ وبالبَعثِ والنُّشورِ.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ فيمَن عُنِيَ بهذا قولان.

أحدهما: أنهم الكُفَّارُ. ثم في معناه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم لم يقدروا على استِمَاعِ الخيرِ،

---

(١) في الآية: ٤٥.

وإبصَارِ الحقِّ، وفِعلِ الطَّاعةِ، لأنَّ اللهَ تعالى حَالَ بينهم وبينَ ذلك، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ، ومُقاتِلٍ. **والثاني**: أنَّ المعنى: يُضاعَفُ لهم العذابُ بما كانوا يستطيعون السَّمعَ ولا يَسمَعُونَه، وبما كانوا يُبصرونَ حُجَجَ اللهِ ولا يَعتبِرونَ بها، فحَذفَ الباءَ، كما تقولُ العربُ: لأجزينَّك ما عَمِلتَ، وبما عَمِلتَ، ذكره الفَرَّاءُ، وأنشدَ ابنُ الأنباري في الاحتِجَاجِ له:

نُغَالي اللحمَ للأضيَافِ نَيئاً ... ونَبذُلُه إذا نَضِجَ القُدورُ[1]

أراد: نُغَالي باللحم. **والثالث**: أنهم مِنْ شدة كُفرِهم وعَداوَتِهم للنبيِّ ﷺ ما كانوا يستطيعون السَّمعَ لِيَفْهَمُوا ما يقولُ، قاله الزَّجَّاجُ.

والقول الثاني: أنهم الأصنامُ، فالمعنى ما كان للآلهةِ سَمْعٌ ولا بَصرٌ، فلم تَستَطِع لذلك السَّمعَ، ولم تَكُنْ تُبصِرُ. فعَلَى هذا، يَرجِعُ قولُه: «ما كانوا» إلى أوليَائِهم، وهي الأصنامُ، وهذا المعنى مَنقُولٌ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُريد: حقّاً إنَّهم الأخسَرُون. وقال الفَرَّاءُ: ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمَةٌ كانت في الأصلِ بمنزلة لا بُدَّ ولا مَحالَةَ، فجَرَتْ على ذلك، وكَثُرَ استعمَالُهم إيَّاهَا حتى صَارتْ بمنزلةِ «حقاً»، ألا ترى أنَّ العربَ تقول: لا جَرَمَ لآتينَّك، لا جَرَم لقد أحسَنْتَ، وأصلُهَا مِن جَرَمتُ، أي: كَسَبتُ الذَّنبَ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى ﴿لَا جَرَمَ﴾: «لا» نفيٌ لِمَا ظَنُّوا أنه يَنفعُهم، كأنَّ المعنى: لا يَنفعُهم ذلك جَرَمَ أنهم في الآخرةِ همُ الأخسَرُون، أي كَسبَ لهُم ذلك الفِعلُ الخُسرَانَ. وذكر ابنُ الأنباري أنَّ «لا» رد على أهلِ الكُفرِ فيما قَدَّرُوه مِن اِندِفَاعِ الشَّرِّ عنهم في الآخرَةِ، والمعنى: لا يَندفِعُ عنهم عذابي، ولا يَجِدُون وَلِيّاً يَصرِفُ عنهم نِقمَتِي، ثم ابتدَأ مُستأنِفاً «جَرَم»، قال: وفيها قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى: كَسَبَ كُفرهُم وما قدَّروا مِنَ البَاطلِ وُقُوعَ العذابِ بهم. فـ ﴿جَرَمَ﴾ فعلٌ ماضٍ، معناه: كَسَبَ، وفاعلُه مُضمَرٌ فيه مِنْ ذِكرِ الكُفرِ وتقريرِ البَاطل. **والثاني**: أنَّ معنى جَرَمَ: أحقَّ وصحَّحَ، وهو فعلٌ ماضٍ، وفاعلُه مُضمَرٌ فيه، والمعنى: أحقَّ كُفرُهم وقوعَ العذابِ والخُسرَانِ بهم، قال الشاعر:

ولَقَدْ طَعَنْتَ أبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزارةَ بَعدَهَا أَن يَغضَبُوا[2]

أراد: حَقَّتِ الطَّعنَةُ فَزارَةَ بالغَضَبِ. ومِنَ العرب مَنْ يُغيِّرُ لفظَ «جَرَمَ» مع «لا» خاصَّةً، فيقول بعضُهم: «لا جُرْم»، ويقول آخرون: «لا جَرَ» بإسقاطِ الميم، ويُقال: «لاذَا جَرَمَ» و «لاذا جَرَ» بغيرِ ميمٍ، و «لا إنْ ذَا جَرَمَ» و «لا عَنْ ذَا جَرَمَ»، ومعنى اللغات كلِّهَا: حَقاً.

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «غلا» ولم ينسبه لأحد.
ونغالي: من الغلاء، وهو نقيض الرخص، وغالى بالشيء: اشتراه بثمن غالٍ.

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «جرم» ونسبه لأبي أسماء بن الضريبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خافُوا ربَّهم، رواه ابنُ أبي طَلحَة عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنابُوا إلى ربِّهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ثابُوا إلى ربِّهم، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: اطمأنُّوا، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أَخلَصُوا، قاله مُقاتِلٌ. **والسادس**: تَخشَّعوا لربِّهم، قاله الفَرَّاءُ. **والسابع**: تَواضَعوا لربِّهم، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

فإنْ قيلَ: لِمَ أُوثِرَتْ «إلى» على اللامِ في قوله: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، والعادَةُ جارِيةٌ بأنْ يُقال: أخبَتُوا لِربِّهم؟ فالجوابُ: أنَّ المعنى: وَجَّهوا خوفَهُم وخُشوعَهُم وإخلاصَهُم إلى ربِّهم، واطمَأنُّوا إلى ربِّهم. قال الفَرَّاءُ: وربَّما جَعلتِ العَربُ «إلى» في مَوضعِ اللامِ، كقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[٢]. وقد يَجوزُ في العَربية: فُلانٌ يُخبِتُ إلى اللهِ، يريدُ: يَفعَلُ ذلك مُوَجِّهَهُ إلى اللهِ. قال بعضُ المُفسِّرين: هذه الآيةُ نازلةٌ في أصحاب محمَّدٍ ﷺ، وما قَبلَها نازلٌ في المشركين. ثم ضَربَ للفريقين مَثلاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ قال مُجاهِدٌ: الفَريقَانِ: المُؤمنُ والكَافرُ. فأمَّا الأعمى والأَصَمُّ فهو الكَافرُ، وأما البَصيرُ والسَّميعُ فهو المُؤمنُ. قال قَتادَةُ: الكافرُ عَمِي عن الحقِّ وصَمَّ عنهُ، والمؤمنُ أبصرَ الحقَّ وسمعَهُ ثم انتفَعَ به. وقال أبو عُبيدَةَ: في الكلام ضَميرٌ، تقديرُه: مَثَلُ الفَريقَين كمَثَلِ الأعمَى. وقال الزَّجَّاج: مَثَلُ الفريقَين المُسلِمَيْن كالبَصيرِ والسَّميع، ومَثَلُ فَريقِ الكَافِرين كالأعمَى والأَصَمِّ، لأنهم في عَداوتِهم وتَركِهم للفَهْمِ بمنزلة مَنْ لا يَسمعُ ولا يُبصِرُ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: هل يَستويان في المُشابهةِ؟

والمعنى: كما لا يَستوِيَانِ عندَكُم، كذلك لا يَستوي المؤمنُ والكافرُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ وقال أبو عُبيدَةَ: «هل» هاهنا بمعنى الإيجابِ. لا بمعنى الاستِفهام، والمعنى: لا يَستَويانِ. قال الفَرَّاءُ: وإنما لم يَقُلْ: «يستوون» لأنَّ الأعمى والأصمَّ مِنْ صفةٍ واحدٍ، والسَّميعُ والبصيرُ مِنْ صفةٍ واحدٍ، كقولِ القَائلِ: مَررتُ بالعاقِلِ واللبيبِ، وهو يعني واحداً قال الشاعر:

وما أدْري إذا يَمَّمْتُ أرضاً ... أريدُ الخيرَ أيُّهما يَلِيني[٣]

فقال: أيُّهما. وإنَّما ذكرَ الخيرَ وحدَهُ، لأنَّ المعنى يُعرَفُ، إذ المُبتَغي للخيرِ مُتَّقٍ للشَّرِّ. وقال ابنُ الأنبَاري: الأعمى والأصمُّ صِفتَان لكافرٍ، والسَّميعُ والبَصيرُ صفتان لمؤمنٍ، فرُدَّ الفعلُ إلى المَوصُوفين بالأوصافِ الأربعةِ، كما تقول: العاقلُ والعَالمُ، والظَّالمُ والجاهلُ، حَضَرا مَجْلسي، فتُثْنِي الخبرَ بعد ذِكرِكَ أربعةً، لأنَّ المَوصوفَ بالعلم هو المَوصوفُ بالعَقلِ، وكذلك المَنعوتُ بالجَهلِ هو المَنعوتُ بالظُّلم، فلمَّا كان المَنعُوتَانِ اثنين، رَجعَ الخبرُ إليهما، ولَم يُلتفَتْ إلى تفريقِ الأوصافِ، ألاَ ترى أنه يَسُوغُ أنْ تقولَ: الأديبُ واللبيبُ والكَريمُ والجَميلُ قَصَدني، فتُوَحِّدُ الفعلَ بعد أوصافٍ لِعلَّةِ أنَّ المَوصوفَ بهنَّ واحدٌ، ولا يمتنعُ عَطفُ النُّعوتِ على النُّعوتِ بحروف العطفِ، والمَوصوفُ واحدٌ، فقد قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ ثم قال: ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فلم يَقتَضِ دخولُ الواو وقوعَ خِلافٍ بين الآمِرين والنَّاهين، وقد قيلَ: الآمِرُ بالمعروفِ نَاهٍ عن المُنكَرِ في حالِ أَمْرِهِ، وكان

---

(١) سورة الزلزال: ٥. (٢) سورة الأعراف: ٤٣.

(٣) تقدم في سورة البقرة عند الآية: ١٨٠.

دخولُ الواو دلالةً على الآمرِ بالمَعروفِ، لأنَّ الأمرَ بالمَعروفِ لا ينفردُ دونَ النَّهيِ عن المُنكرِ، كما ينفردُ الحَامِدونَ بالحَمدِ دونَ السَّائحينَ، والسَّائِحونَ بالسِّيَاحةِ دونَ الحَامِدينَ، ويدلُّ أيضاً على أنَّ العرَب تَنسقُ النَّعتَ على النَّعتِ والمَنعوتُ واحدٌ، كقولِ الشاعر يُخاطِبُ سعيدَ بن عَمرِو بنِ عُثمانَ بن عَفَّان:

يَـظُـنُّ سـعـيـدٌ وابـنُ عَـمـرٍو بـأنَّـنـي إذا سَـامَـنِـي ذُلاً أكُـونُ بـِـهِ أرْضَـى

فنسقَ ابنَ عمرٍو على سعيدٍ، وهو سَعيدٌ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ «أني» بفتحِ الألفِ، والتقديرُ: أرسلناهُ بأنّي، وكأنَّ الوَجهَ بأنه لهم نَذيرٌ، ولكنه على الرُّجوع من الإخبارِ عن الغائبِ إلى خِطابِ نُوحٍ لقومِهِ. وقرأ نَافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ «إني» بكسرِ الألفِ، فحَملُوه على القول المُضمَرِ، والتقديرُ: فقال لهم: إنّي لكم نَذيرٌ.

قوله تعالى: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أي: إنساناً مِثْلَنا، لا فَضْلَ لكَ علينا. فأمَّا الأراذلُ، فقال ابنُ عباسٍ: هُمُ السَّفلَةُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: هُمْ جَمْعُ «أرْذَل»، يُقال: رجلٌ رَذْلٌ، وقد رَذُلَ رَذَالةً ورُذُولةً. ومعنى: الأرَاذِلِ: الشِّرَارُ.

قوله تعالى: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ قرأ الأكثرون «بادِيَ» بغيرِ هَمزٍ. وقرأ أبو عَمرٍو بالهَمزِ بعد الدَّالِ. وكلُّهم هَمَزَ «الرأي» غيرَ أبي عَمرٍو. وللعلماءِ في معنى «بادي» إذا لم يُهمَزْ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المعنى: ما نرى أتباعَكَ إلاَّ سَفلَتَنا وأرذالَنا في بَادِي الرَّأي لكُلِّ ناظرٍ، يَعنُونَ أنَّ ما وَصفنَاهُم به مِنَ النَّقصِ لا يخفى على أحدٍ فيُخالِفَنا، هذا مذهبُ مُقاتِلٍ في آخرين.

والثاني: أنَّ المعنى أنَّ هؤلاءِ القَومِ اتَّبعُوكَ في ظاهِرِ ما يُرى منهم، وطَوِيَّتُهم على خِلافِكَ.

والثالث: أنَّ المعنى: اتَّبعوكَ في ظاهرِ رأيهم، ولم يَتدبَّروا ما قُلتَ، ولو رَجعُوا إلى التَّفكُّرِ لم يَتَّبعوكَ، ذَكرَ هذين القولين الزَّجَّاجُ. قال ابنُ الأنباري: وهذه الثلاثةُ الأقوال على قراءةِ مَنْ لم يَهمِزْ، لأنه مَنْ بَدَا، يبدو: إذا ظَهَرَ. فأمَّا مَنْ هَمزَ «بادئ» فمعناه: ابتداءَ الرَّأي، أي: اتَّبعُوكَ أولَ ما ابتَدَؤوا يَنظُرونَ، ولو فكَّروا لم يَعدِلُوا عن مُوافقَتِنا في تكذيبِكَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ فَضلٍ في الخَلْقِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: في المُلْكِ والمالِ ونحوِ ذلك، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: ما فُضّلتُم باتّباعِكم نُوحاً، ومُخالَفَتِكُم لنا بفَضيلَةٍ نَتَّبِعُكُم طَلَباً لها، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نتيقنكم، قاله الكلبي. **والثاني**: نحسبكم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي: على يقينٍ وبَصيرةٍ. قال ابنُ الأنباري: وقوله: «إن كنت» شرطٌ لا يُوجِبُ شَكّاً يَلحقُه، لكنَّ الشَّكَّ يلحقُ المُخاطَبين مِنْ أهلِ الزَّيغِ، فتقديرُه: إنْ كنتُ على بَيِّنَةٍ مِن ربِّي عندكُم. ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها النُّبوَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الهِدايَةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «فعَمِيَتْ» بتخفيفِ الميم وفَتْحِ العينِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: عَمِيتُم عنها، يقال: عَمِيَ عليَّ هذا الأمرُ: إذا لم أفهَمْهُ، وعَمِيتُ عنه بمعنًى. قال الفَرَّاءُ: وهذا ممَّا حوَّلَتِ العربُ الفعلَ إليه، وهو في الأصلِ لغيرِه، كقولهم: دَخلَ الخَاتمُ في يَدي، والخُفُّ في رِجْلِي، وإنما الإِصبعُ تدخلُ في الخَاتمِ، والرِّجلُ في الخُفِّ، واستَجازُوا ذلك إذ كان المعنى معروفاً. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفص عن عَاصِم: «فعُمِّيَتْ» بضمِّ العين وتشديدِ الميم. قال ابنُ الأنباري: ومعنى ذلك: فعمَّاها اللهُ عليكم إذ كُنتم مِمَّنْ حُكِمَ عليه بالشَّقاءِ. وكذلك قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والأعمَشُ: «فعمَّاها عليكم». وفي المُشَارِ إليها قولان: **أحدهما**: البيِّنةُ. **والثاني**: الرَّحمةُ.

قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنُلزِمُكم قَبولَها؟ وهذا استفهامٌ معناه الإِنكَارُ، يقول: لا نَقدِرُ أنْ نُلزِمَكُم مِنْ ذاتِ أنفُسِنا. قال قَتادَةُ: واللهِ لو استَطاعَ نبيُّ اللهِ ﷺ لألزَمَها قومَهُ، ولكن لم يَملِكْ ذلك[1]. وقيلَ: كان مُرادُ نُوحٍ عليه السَّلامُ رَدَّ قولِهُم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ فَبيَّنَ فضلَهُ وفضلَ مَنْ آمَنَ به بأنه على بَيِّنةٍ مِنْ ربِّه، وقد آتاهُ رَحمةً مِنْ عندِهِ، وسُلِبَ المُكذِّبون ذلك. قوله تعالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على نُصحِي ودُعائي إيَّاكم ﴿مَالًا﴾ فتَتَّهِمُوني. وقال ابنُ الأنباري: لمَّا كانت الرَّحمةُ بمعنى الهُدَى والإِيمانِ، جَازَ تَذكيرُها. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ قال ابنُ جُرَيج: سَألُوه طَرْدَهُم أنفَةً منهم، فقال: لا يَجوزُ لي طَردُهُم، إذْ كانوا يَلقَونَ اللهَ فيَجزيَهُم بإيمانِهم، ويأخُذ لهُم مِمَّنْ ظَلمَهُم وصَغَّرَ شُؤونَهُم. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: تَجهَلُونَ أنَّ هذا الأمرَ مِنَ اللهِ تعالى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تَجهَلُونَ لأمرِكُم إيَّايَ بطَردِ المؤمنين، قاله أبو سُليمانَ.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٨١٢١، عن قتادة قوله.

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ أي: مَنْ يَمنَعُني مِنْ عذاب الله إنْ طَرَدْتُهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ الأنباري: أراد بالخزائِن: عِلْمَ الغيبِ المَطويَّ عن الخَلْقِ، لأنهم قالوا له: إنَّما اتَّبعكَ هؤلاءِ في الظَّاهرِ وليسوا معكَ، فقال لهم: ليس عندي خَزائِنُ غُيوبِ اللهِ فأعلَمَ ما تنطوي عليه الضَّمائِرُ. وإنما قيلَ للغُيوبِ: خَزائِنَ، لِغُموضِها عن الناس واستِتارِها عنهم. قال سُفيانُ بن عُيينَةَ: إنما آياتُ القرآن خَزائِنُ، فإذا دخلتَ خِزانَةً فاجتَهِدْ أنْ لا تَخرُجَ منها حتى تَعرِفَ ما فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ قيل: إنَّما قالَ لهم هذا، لأنَّ أرضَهُم أجدَبَتْ، فسألوه: متى يَجيءُ المَطرُ؟ وقيل: بل سَألُوهُ: متى يَجيءُ العذابُ؟ فقال: ولا أعلَمُ الغيبَ. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ جوابٌ لقولِهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾[(1)]. ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تَحتَقِرُ وتَستَصغِرُ المؤمنين. قال الزَّجَّاجُ: «تَزْدَري» تَستَقِلُّ وتَستَخِسُّ، يقال: زَرَيتُ على الرَّجل: إذا عِبْتُ عليه وخَسَسْتُ فِعلَهُ، وأزرَيتُ به: إذا قَصَّرت به. وأصلُ تَزْدَري: تَزْتَري، إلاَّ أنَّ هذه التاء تُبدَلُ بعد الزَّاي دالاً، لأنَّ التاءَ مِنْ حروف الهَمْسِ، وحروفُ الهَمسِ خَفيَّةٌ، فالتاءُ بعد الزَّاي تُخفَى، فأُبدِلَتْ منها الدالُ لِجَهْرِهَا.

قوله تعالى: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: إيمَاناً. ومعنى الكلام: ليس لي أنْ أطَّلِعَ على ما في نُفوسِهم فأقطَعَ عليهم بشيءٍ، وليس لاحتِقارِكُم إيَّاهم يَبطُلُ أجرُهُم. ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ قلتُ هذا الذي تقدَّمَ ذِكرُهُ، وقيل: إنْ طَرَدْتُهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الجِدالُ: هو المُبالغَةُ في الخُصومَةِ والمُناظَرَةِ، وهو مأخوذٌ مِنَ الجَدْلِ، وهو شِدَّةُ الفَتْلِ، ويقال للصَّقرِ: أجْدَلُ، لأنه مِنْ أشدِّ الطَّيرِ. ويُقرأ «فأكثرت جَدْلَنا». وقوله تعالى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَعنُون العذابَ. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أنه يأتينا.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ أي: أنصَحُكم. وفي هذه الآية شرطَانِ: فجوابُ **الأول**: النُّصحُ، وجوابُ **الثاني**: النَّفعُ. قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُضِلَّكم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُهلِكَكُم، حكاه ابنُ الأنباري. وقال: هو قولٌ مَرغُوبٌ عنه. **والثالث**: يُضِلَّكم ويُهلِكَكُم، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ أي: هو أَولَى بكُم، يتَصرَّفُ في مُلكِهِ كما يَشاءُ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعدَ الموتِ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أيَقولونَ: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾؟ قال ابنُ قُتيبةَ: الافتِراءُ: الاختِلاقُ. ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ أي: جُرْمُ ذلك الاختِلاقِ إنْ كنتُ فَعلتُ. ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في التَّكذيبِ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «فعليَّ أجرامي» بفتحِ الهمزة.

---

(١) سورة هود: ٢٧.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا أُوحِيَ إليه هذا، استجازَ الدُّعاءَ عليهم، فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[١]. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ قال ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ: لا تحزَنْ. وقال الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ: لا تَسْتَكِنْ ولا تحزَنْ. قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: فلا تَحزَنْ إذا نَزلَ بهم الغرقُ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ أي: واعمَلِ السَّفينةَ. وفي قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بمَرْأىً منَّا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بحِفْظِنا، قاله الرَّبيعُ. **والثالث**: بعِلْمِنا، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ الأنباري: إنَّما جَمَعَ على مذهبِ العربِ في إيقَاعِها الجَمْعَ على الواحِدِ، تقول: خرجنا إلى البَصْرَةِ في السُّفنِ، وإنما جَمَعَ، لأنَّ مِنْ عادةِ المَلِكِ أنْ يقولَ: أَمَرْنَا ونَهَيْنَا. وفي قوله: ﴿وَوَحْيِنَا﴾ قولان: **أحدهما**: وأمرنا لك أن تصنعها. **والثاني**: وبتعليمنا إياك كيف تصنعها. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا تسألني الصفح عنهم. **والثاني**: لا تخاطبني في إمهالهم. وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه.

الإشارةُ إلى كَيفيَّةِ عملِ السَّفينةِ

رَوى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ قال: كان نُوحٌ يُضرَبُ ثم يُلَفُّ في لِبْدٍ فيُلقى في بَيتِهِ، يُرَوْنَ أنه قد ماتَ، ثم يخرجُ فيَدعُوهم. حتى إذا يَئِسَ مِنْ إيمانِ قومه، جاءَهُ رجلٌ ومعه ابنُه وهو يَتوكَّأُ على عَصاً، فقال: يا بُنيَّ، انظُرْ هذا الشيخَ لا يَغُرُّركَ، قال: يا أبتِ أَمْكِنِّي مِنَ العَصَا، فأخذَها فضَربَهُ ضربةً شَجَّهُ مُوضِحَةً، وسالَتِ الدِّماءُ على وَجهِهِ، فقال: ربِّ قد تَرى ما يَفعلُ بي عِبادُكَ، فإنْ يَكُنْ لكَ فيهم حاجَةٌ فاهْدِهِم، وإلاَّ فَصبِّرني إلى أنْ تَحكُمَ، فأوحى اللَّهُ إليهِ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾، قال: يا ربِّ، وما الفُلْكُ؟ قال: بَيْتٌ مِنْ خشبٍ يجري على وَجْهِ الماءِ أُنَجّي فيه أهلَ طاعتي، وأُغرِقُ أهلَ معصيَتِي، قال: يا ربِّ، وأينَ المَاءُ؟ قال: إنِّي على ما أشاءُ قديرٌ، قال: يا ربِّ، وأينَ الخشبُ؟ قال: اغرِسِ الشَّجر، فغَرسَ السَّاجَ عشرينَ سنةً، وكَفَّ عن دُعائِهم، وكَفُّوا عنه، إلاَّ أنهم يَستهزِئونَ به، فلمَّا أدركَ الشَّجر، أَمرَهُ ربُّه، فقَطعَهُ وجَفَّفَه ولَفَّقَه، فقال: يا ربِّ، كيفَ أَتَّخِذُ هذا البيتَ؟ قال: اجعَلْهُ على ثلاثِ صُوَرٍ، رأسُهُ كرَأسِ الطَّاووسِ، وجُؤجُؤهُ كجُؤجُؤِ الطَّائِرِ، وَذَنَبُهُ كَذَنَبِ الدِّيكِ، واجعَلْها مُطبقَةً، وبعثَ اللَّهُ إليه جبريلَ يُعَلِّمهُ، وأوحى اللَّهُ إليه أنْ عَجِّلْ عَمَلَ السَّفينةِ فقد اشتدَّ غضبي على مَنْ عصاني، فاستأجر نَجَّارِينَ يعملون معه، وسَامُ، وحَامُ، ويافِثُ، معه يَنحِتُونَ السَّفينةَ، فجَعلَ طُولَها ستمائة ذراعٍ، وعَرضَها ثلاثمائةٍ وثلاثين ذراعاً، وعُلوهَا ثلاثاً

(١) سورة نوح: ٢٦.

وثلاثينَ، وفجّر اللّهُ له عينَ القَارِ تغلي غلياناً حتى طَلاَهَا. وعن ابن عباسٍ قال: جَعلَ لها ثلاثةَ بُطونٍ، فحملَ في البَطْنِ الأولِ الوحوشَ والسِّباعَ والهَوامَ، وفي الأوسَطِ الدَّوابَّ والأنعامَ، ورَكِبَ هو ومَنْ معه البَطْنَ الأعلى. ورُوي عن الحَسنِ أنه قال: كانت سفينةُ نُوح طولُها ألفُ ذِراعٍ، ومائتا ذراعٍ، وعَرضُهَا ستمائة ذراعٍ. وقال قَتادةُ: كانت فيما ذُكِرَ لنا طُولُها ثلاثمائة ذراعٍ، وعَرضُها خمسمائة ذراعٍ، وطولُها في السماء ثلاثُون ذراعاً. وقال ابنُ جُريج: كان طولُها ثلاثمائة ذراعٍ، وعَرضُها خمسين ومائةَ ذراعٍ، وطُولُها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكان في أعلاها الطَّيرُ، وفي وسَطِهَا الناسُ، وفي أسفَلِهَا السِّباعُ. وزَعمَ مُقاتِلٌ أنه عَمِلَ السفينةَ في أربعمائةِ سنةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم رَأَوه يبني السَّفينةَ وما رَأَوا سفينةً قطُّ، فكانوا يَسْخَرُونَ ويقولون: صِرْتَ بعدَ النبوَّةِ نجّاراً؟ وهذا قولُ ابنِ إسحَاق. **والثاني**: أنهم قالوا له: ما تَصنعُ؟ فقال: أَبْنِي بيتاً يمشي على الماءِ، فسَخِرُوا مِنْ قولِه، وهذا قولُ مُقاتِلٍ. وفي قوله: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: إنْ تَسخَرُوا مِنْ قولنا فإنَّا نَسخَرُ مِنْ غَفْلَتِكم. **والثاني**: إنْ تَسخَرُوا مِنْ فعلِنَا عند بناءِ السَّفينةِ، فإنَّا نَسخَرُ منكم عندَ الغَرَقِ، ذكره المُفسِّرون. **والثالث**: إنْ تَسخَرُوا منَّا في الدنيا، فإنَّا نَسخرُ منكم في الآخرة، قاله ابنُ جَريرٍ. **والرابع**: إنْ تَستَجهِلُونا، فإنَّا نَستَجهِلُكم، قاله الزَّجّاجُ. **والخامس**: إنْ تَسخَرُوا منَّا، فإنَّا نَستنصرُ اللّهَ عليكم، فسمَّى هذا سُخريةً، لِيتَّفقَ اللفظان كما بَيَّنّا في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[1]، هذا قولُ ابنِ الأنباري. قال ابنُ عباسٍ: لم يَكُنْ في الأرض قبلَ الطُّوفانِ نَهرٌ ولا بَحرٌ، فلذلكَ سَخِرُوا منه، وإنَّما مياهُ البحار بقيَّةُ الطُّوفانِ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وَعيدٌ، ومعناه: فسوفَ تعلمون مَنْ هو أحقُّ بالسُّخريَةِ، ومَنْ هو أَحْمَدُ عاقِبةً. وقوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يُذِلُّهُ، وهو الغرقُ. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: ويَجِبُ عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: جاء أَمرُنا بعَذابِهم وإهلاكِهم. **والثاني**: جاء عَذابُنا وهو المَاءُ، ابتدأ بجَنباتِ الأرض فدَارَ حولَها كالإكليلِ، وجعلَ المطرُ ينزل مِنَ السماء كأفواهِ القُرَبِ، فجَعلَتِ الوحوشُ يَطلُبنَ وسَطَ الأرضِ هَرَباً مِنَ الماء حتى اجتَمَعنَ عند السَّفينةِ، فحِينَئذٍ حَمَلَ فيها مِنْ كلِّ زَوجَين اثنينِ.

قوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ الفورُ: الغَليانُ؛ والفَوَّارةُ: ما يَفُورُ مِنَ القِدْرِ، قاله ابنُ فَارسٍ.

قال المُصنِّفُ: وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغويّ عن ابنِ دُرَيدٍ قال: التَّنُّورُ: اسمٌ فارسيٌّ

---

(١) سورة البقرة: ١٥.

مُعرَّبٌ لا تعرف له العربُ اسماً غيرَ هذا، فلذلك جاء في التّنزيلِ، لأنهم خُوطِبُوا بما عرفوا. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: التَّنُورُ، بكلِّ لسانٍ عربيٍّ وعَجمِيٍّ.

وفي المُراد بهذا التَّنُورِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمٌ لوَجهِ الأرضِ، رواه عِكرمَةُ عن عليٍّ عليه السَّلاَم. ورَوى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس: التَّنُورُ: وَجْهُ الأرضِ، قال: قيلَ له: إذا رأيتَ الماءَ قد عَلا وَجْهَ الأرضِ، فَارْكَبْ أنتَ وأصحَابُكَ، وهذا قولُ عِكرمَةَ، والزُّهريّ. **والثاني**: أنه تَنويرُ الصُّبحِ، رَواه أبو جُحَيفَةَ عن عليٍّ رضي اللّهُ عنه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: التَّنويرُ عندَ الصَّلاةِ. **والثالث**: أنه طلوعُ الفجرِ، رُوي عن عليٍّ أيضاً، قال: «وفَارَ التَّنُورُ»: طَلعَ الفَجرُ. **والرابع**: أنه طُلوعُ الشَّمسِ، وهو مَنقُولٌ عن عليٍّ أيضاً. **والخامس**: أنه تَنُورُ أهلِه، رَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: إذا رأيتَ تَنُورَ أهلِكَ يخرجُ منه الماءُ، فإنه هَلاكُ قَومِكَ. ورَوى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: أنه تَنُورُ آدمَ عليه السَّلامُ، وَهبَهُ اللّهُ لِنُوحٍ، وقيل له: إذا فَارَ الماءُ منه، فَاحمِلْ ما أُمِرتَ به. وقالَ الحسَنُ: كان تَنُوراً مِنْ حِجارَةٍ، وهذا قَولُ مُجاهِدٍ، والفَرَّاءِ، ومُقاتِلٍ. **والسادس**: أنه أعلَى الأرضِ وأشرَفُها[1]. قال ابنُ الأنبَاري: شُبِّهت أعَالي الأرضِ وأماكنُها المرتفعةُ لِعُلُوِّها، بالتَّنانيرِ.

واختلفوا في المكان الذي فَار منه التَّنُورُ على ثلاثة أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه فَار مِنْ مسجد الكُوفَةِ، رواه حَبَّةُ العُرَني عن عليٍّ عليه السَّلامُ. وقال زِرُّ بنُ حُبَيشٍ: فار التَّنُورُ مِنْ زاوية مسجدِ الكُوفةِ اليُمنى. وقال مُجاهِدٌ: نَبَعَ الماءُ مِنَ التَّنورِ، فعَلِمَتْ به امرأتُه فأخبَرَتْهُ، وكان ذلك بناحيةِ الكُوفةِ. وكان الشَّعبيُّ يَحلِفُ باللّهِ ما كان التَّنُورُ إلاّ بناحيةِ الكُوفَةِ. **والثاني**: أنه فَار بالهِندِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه كان في أقصى دَارِ نُوحٍ، وكانت بالشَّامِ في مكانٍ يُقال له: عَيْنُ وَرْدَة، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ أي: في السَّفينةِ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾. ورَوى حَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «من كُلٍّ» بالتنوين. قال أبو عليٍّ: والمعنى: مِنْ كلِّ شيءٍ، ومِنْ كلِّ زوجٍ زوجَين، فحذف المضافَ. وانتصابُ «اثنين» على أنهما صِفَةٌ لِزوجَين، وقد علم أنَّ الزَّوجين اثنان، ولكنه توكيدٌ. قال مُجاهِدٌ: مِنْ كُلِّ صِنفٍ، ذكراً وأنثى. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الزَّوجُ يكون واحداً، ويكون اثنين، وهو ها هنا واحدٌ، ومعنى الآيَة: احمِلْ مِنْ كلِّ ذكرٍ وأنثى اثنين. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: احمِلْ زَوجَين اثنين مِنْ كلِّ شيءٍ، والزَّوجُ في كلام العرب يجوز أنْ يكون معه واحدٌ، والاثنان يُقال لهما: زَوجَان، يُقالُ: عندي زوجان مِنَ الطَّيرِ، إنما يريد ذكراً وأنثى فقط، وقال ابنُ الأنبَاري: إنَّما قال «اثنين» فثنَّى الزَّوجَ، لأنه قصدَ قَصْدَ الذَّكر والأنثى مِنَ الحيوان، وتقديرُه: مِنْ كلِّ ذكرٍ وأنثى. قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمِلْ أهلَكَ. قال المُفسِّرون: أراد بأهلِهِ: عِيالَهُ ووَلَدَهُ. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: سبقَ عليه القولُ مِنَ الله بالإهلاَكِ. قال الضَّحَّاكُ: وهُم امرأتُهُ وابنُه كَنْعَانُ.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٤٠ ـ ٤١: وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله ﴿التنور﴾ قول من قال: هو التنور الذي يخبز فيه. لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب، الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم الحجة على شيء منه بخلاف ذلك، فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنى ما خاطبهم به.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٥٤٨: وهذه أقوال غريبة. قلت: ليس لها مستند، فهي لا شيء.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ معناه: واحمِلْ مَنْ آمَنَ. ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾؛ وفي عَددِهم ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا ثمانين رجلاً معهم أَهْلُوهم، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ نُوحاً حمل معه ثمانين إنساناً، وبَنِيه الثلاثة، وثَلاثَ نِسوَةٍ لبَنِيه، وامرأةَ نُوحٍ. رواه يوسفُ بن مَهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: كانوا ثمانين إنساناً، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُقاتِلٌ كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأةً. **والرابع**: كانوا أربعين، ذكره ابنُ جُرَيجٍ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: كانوا ثلاثين رجلاً، رواه أبو نَهِيكٍ عن ابنِ عباسٍ. **والسادس**: كانوا ثمانيةً، قال الحَكَمُ بن عُتَيبة: كان نُوحٌ وثلاثةُ بَنِيه وأربعُ كَنَائنِه. قال قَتادةُ: ذُكِرَ لنا أنه لم يَنجُ في السَّفينة إلاَّ نوحٌ وامرأتُه[١] وثلاثةُ بَنِيْنَ له، ونِسَاؤهم، فجمَاعَتُهم ثمانيةٌ، وهذا قول القُرَظيّ، وابنِ جُرَيجٍ. **والسابع**: كانوا سبعةً، نُوحٌ، وثلاثُ كَنَائِنَ له وثلاثةُ بَنِينَ، قاله الأعمَشُ. **والثامن**: كانوا عشرةً سوى نسائِهم، قاله ابنُ إسحَاقَ. ورُوِي عنه أنه قال: الذين نَجَوْا مع نُوحٍ بَنُوه الثلاثةُ، ونساؤهم ثلاثٌ، وستةٌ ممَّن آمَنَ به.

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نُوحاً للذين أُمِرَ بحَمْلِهم ﴿ٱرْكَبُواْ﴾ السَّفينةَ. قال ابنُ عباسٍ: رَكبوا فيها لعشرٍ مَضَينَ مِنْ رَجبٍ، وخرجوا منها يومَ عاشُوراء. وقال ابنُ جُرَيجٍ: دُفِعت مِنْ عينِ وردة يومَ الجُمعةِ لعشرٍ مَضَين مِنْ رَجبٍ، فأَتَتْ موضعَ البيت فطَافتْ به أسبوعاً، وكان البيتُ قد رُفِعَ في ذلك الوقت، ورَسَتْ بباقِرْدَى[٢] على الجُودِي يومَ عَاشُوراءَ. قال ابنُ عباسٍ: قَرِضَ الفأرُ حِبالَ السفينة، فشَكَا نُوحٌ ذلك، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه، فمَسَحَ ذَنَبَ الأسدِ، فخرجَ سِنَّوْرَانِ، وكان في السَّفينة عَذِرةٌ، فشَكَا ذلك إلى ربِّه، فأوحى اللَّهُ تعالى إليه، فمسَحَ ذَنَبَ الفيل، فخرجَ خِنزِيرَان فأَكَلا ذلك[٣]. قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «مُجراها» بضمِّ الميم. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «مَجراها» بفتح الميم، وكسرِ الراء. وكلُّهم قرؤوا بضمِّ الميم مِنْ «مُرساها»، إلا أنَّ ابنَ كَثيرٍ، وأبا عَمرٍو، وابنَ عامرٍ، وحَفصاً عن عَاصِمٍ، كانوا يفتَحُون السِّينَ. ونافعٌ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، كانا يقرآنها بين الكسر والتفخيم. وكان حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، يُميلونَها. وليس في هؤلاء أحدٌ جعلها نَعْتاً لله، وإنما جعلَ الوَصفَين نعتاً لله تعالى، الحسَنُ، وقَتادَةُ، وحُمَيدٌ الأعرَجُ، وإسماعيلُ بن مُجَالِدٍ عن عَاصِمٍ، فقرؤوا «مُجرِيها ومُرسِيها» بضمِّ الميم، وبياءَين صحيحتَين، مثلَ مُبدِيها ومُنشِيها. وقرأ ابنُ مسعُودٍ: «مَجراها» بفتح

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٤٩: وهذا فيه نظر، بل الظاهر أنها هلكت لأنها كانت على دين قومها، فأصابها ما أصابهم، كما أصاب امرأة لوطٍ ما أصاب قومها، والله أعلم.

(٢) ضبطه ياقوت بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة بالقرب من جبل الجودي.

(٣) ذكره ابن كثير ٢/ ٥٤٨، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال: أثر غريب.
ـ قلت: أخرجه الطبري ١٨١٥٥ من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، وإسناده واهٍ، علي ضعيف، روىٰ مناكير كثيرة، وكرره الطبري ١٨١٥٤ عن علي بن زيد عن يوسف به ليس فيه ذكر ابن عباس، وهو الصواب، وهو من الإسرائيليات المنكرة بلا ريب، بل هو من ترهاتهم وأساطيرهم، ولو لم يذكر المفسرون مثل هذا لكان أولىٰ، والله أعلم.

الميم، وإمالَةِ الراء بعدها ألفٌ، «ومُرساها» برفع الميم، وإمالَةِ السين بعدها ألفٌ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «مَجراها» بفتحِ الميم والراء، وبألفٍ بعدها، ومُرسَاها، برفعِ الميم وفتحِ السين، وبألفٍ بعدَها. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعْمُرَ: «مَجراها ومَرساها» بفتح الميم فيهما جميعاً، وفتحِ الراء والسين، وبألفٍ بعدهما. وقرأ يَحيى بن وَثَّابٍ بفتح المِيمَين، إلاَّ أنه أمَالَ الراءَ والسينَ فيهما. وقرأ أبو عِمرَان الجُوني، وابنُ جُبَيرٍ، برفعِ الميمِ فيهما، وفتحِ الراء والسين، وبألفٍ بعدهما جميعاً. فمَنْ قرأ بضمِّ المِيمَين، جعله مِنْ أَجْرَى وأَرْسَى. ومَنْ فتحهما، جعله مصدراً مِنْ جَرَى الشيءُ يجري مَجْرَى، ورَسَى يَرْسِي مَرْسَى. قال الزَّجَّاجُ: قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أي: باللّهِ، والمعنى: أنه أمرَهُم أن يُسمُّوا في وقت جَريها ووقتِ استقرَارِها. ومَنْ قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجرَاؤها، وبالله إرسَاؤها. ومَنْ فتحَهُما، فالمعنى: باللّهِ يكون جَرْيُها، وباللّهِ يقعُ إرسَاؤها، أي: إقرَارُها. وسمعتُ شيخَنا أبا منصورٍ اللغوي يقول: مَنْ ضمَّ الميمَ في «مُجراها» أرادَ: أجرَاهَا الله مُجرًى، ومَنْ فتحَهَا، أراد: جَرَتْ مَجرًى. وقال الضَّحَّاكُ: كان إذا أراد أنْ تجري، قال: بسمِ الله، فَجَرَتْ. وإذا أراد أن تَرْسِي، قال: بسمِ اللّهِ، فَرَسَتْ.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ شبَّهه بالجبال في عِظَمه وارتفاعِه، ويُقال: إنَّ الماء ارتفعَ على أطول جبلٍ في الأرض أربعين ذِراعاً، ويُروى خمسَ عشرةَ ذراعاً. وذكر بعضُ المُفسِّرين أنه ارتفع نحوَ السماء سبعين فَرْسَخاً من الأرض. قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ لا يختلفون أنه كان كافراً. وفي اسمِهِ قولان[1]: **أحدهما**: كَنْعَانُ، وهو قولُ الأكثَرين. **والثاني**: اسمُه يَامُ، قاله أبو صالحِ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عُبيدُ بن عُمَيرٍ، وابنُ إسحَاقَ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ المَعزِلُ: المكانُ المُنقَطِعُ. ومعنى العَزْلِ: التَّنحِيةُ.

وفي معنى الكلام وَجْهان ذكرهما الزجاج:

أحدهما: في مَعْزِلٍ من السَّفينة. **والثاني**: في مَعزِلٍ من دِينِ أبيه.

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ «يا بُني اركب» مضافةً، بكسرِ الياء. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ «يا بنيَ» مفتوحةَ الياء ها هنا، وباقي القرآن مكسورةً. وروى حَفصٌ عنه بالفتح في كلِّ القرآن «يا بنيَّ» إذا كان واحداً. قال النَّحويون: الأصلُ في «بُنيّ» ثلاثُ ياءاتٍ، ياءُ التصغير، وياءٌ بعدها هي لامُ الفعل، وياءٌ بعدَ لام الفعل هي ياءُ الإضافةِ. فمَنْ قرأ «يا بُني» أراد: يا بُنيي، فحذفَ ياءَ الإضافة، وتَركَ الكسرةَ تدلُّ عليهَا، كما

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: ٧/ ٥٥٠ هذا هو الابن الرابع واسمه يام، وكان كافراً.
ـ قلت: مستند تسميته أخبار الأقدمين، وهي غير حجة، وإنما يستأنس بها فقط.

يُقال: يا غلامُ أَقْبِلْ. ومَنْ فَتحَ الياء، أبدلَ مِنْ كسرة لام الفعل فتحةً، استِثْقالاً لاجتماع الياءاتِ مع الكسرةِ، فانقلَبت ياءُ الإضافة ألفاً، ثم حُذفت الألفُ كما تُحذفُ الياءُ، فبَقِيت الفتحةُ على حالِها. وقيل: إنَّ المعنى: يا بُنيَّ آمِنْ واركَبْ معنا.

قوله تعالى: ﴿سَـَٔاوِىٓ﴾ أي: سأَصِيرُ وأرجعُ ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى﴾ أي: يمنعني ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ أي: مِنْ تَغريقِ الماء. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا مانعَ اليوم مِنْ أمرِ الله، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا معصومَ، ومثله: ماءٌ دَافِقٌ، أي: مَدفُوقٌ، وسِرٌّ كاتِمٌ، وليلٌ نائِمٌ، قاله ابنُ قُتيبةَ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّلِ، والمعنى: لكن مَنْ رَحِمَ الله فإنه مَعصُومٌ. قال مُقاتِلٌ: إلاَّ مَنْ رَحِمَ فركبَ السَّفينةَ.

قوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ في المُكنَّى عنهما قولان: **أحدهما**: أنهما ابنُ نُوحٍ والجبلُ الذي زعم أنه يَعصِمُه، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: نُوحٌ وابنه، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ وقفَ قومٌ على ظاهرِ الآيةِ، وقالوا: إنما ابتلعَتْ ما نَبعَ منها، ولم تَبتَلِعْ ماءَ السماءِ، فصارَ ذلك بحاراً وأنهاراً، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. وذهب آخرون إلى أنَّ المراد: ابلَعِي ماءَكِ الذي عليكِ، وهو ما نَبعَ مِنَ الأرض ونزلَ مِنَ السماء، وذلك بعدَ أنْ غَرِقَ ما على وَجْهِ الأرض. قوله تعالى: ﴿وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أي: أمْسِكي عن إنزالِ الماء. قال ابنُ الأنباري: لمَّا تقدَّمَ ذِكرُ الماء، عُلِمَ أنَّ المعنى: أقلِعِي عن إنزالِ الماءِ. قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: نَقصَ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: غاضَ الماءُ يَغِيضُ: إذا غَابَ في الأرض. ويجوز إشمَامُ الضمِّ في الغين.

قوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: غَرِقَ مَنْ غَرِقَ، ونجا مَنْ نجا. وقال مُجاهِدٌ: «قُضي الأمر»: هلاكُ قوم نُوحٍ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «وقُضي الأمر» أي: فُرِغَ منه. قال ابنُ الأنباري: والمعنى: أُحكِمتْ هَلكَةُ قومِ نُوحٍ، فلمَّا دلَّت القصةُ على ما يُبيِّن هَلكتَهم، أغنى عن نعتِ الأمرِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ يعني السَّفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ وهو اسمُ جَبلٍ. وقرأ الأعمَشُ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «على الجُودِيْ» بسكون الياء. قال ابنُ الأنباري: وتشديدُ الياء في «الجوديّ» لأنها ياء النِّسبَةِ، فهي كالياء في عَلَويّ، وهاشِميّ. وقد خَفَّفها بعضُ القُرَّاء. ومِنَ العرب مَنْ يُخفِّف ياءَ النِّسبَةِ، فيُسكنها في الرَّفع، والخَفضِ، ويفتحها في النَّصب، فيقول: قام زيدٌ العُلويْ، ورأيتُ زيداً العُلويَّ. قال ابنُ عباسٍ: دارت السفينةُ بالبيت أربعينَ يوماً، ثم وَجَّهها اللَّهُ إلى الجُوديّ فاستقرَّتْ عليه. واختلفوا أين هذا

الجبلُ على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بالمَوصِلِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: بالجزيرةِ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. وقال مُقاتِلٌ: هو بالجَزيرة قريبٌ مِنَ المَوصِلِ. **والثالث**: أنه بناحيةِ آمِد، قاله الزَّجَّاجُ.

وفي عِلَّةِ استِوائِها عليه قولان: **أحدهما**: أنه لم يَغْرَق، لأنَّ الجبال تَشامخت يومئذٍ وتطاولَتْ، وتواضعَ هو فلم يَغرَق، فأرسَتْ عليه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه لمَّا قلَّ الماءُ أرسَتْ عليه، فكان استِواؤها عليه دلالةً على قِلَّةِ الماء.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بُعداً مِنْ رحمةِ الله للقومِ الكافرين. فإنْ قيلَ: ما ذَنْبُ مَنْ أُغرِقَ مِنَ البهائم والأطفال؟

فالجواب: أنَّ آجالَهُم حَضرت، فأُمِيتوا بالغرقِ، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ جُريجٍ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ إنما قال نُوحٌ هذا، لأنَّ اللَّهَ تعالى وَعدَهُ نجاةَ أهلِه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أعدَلُ العَادِلينَ. وقال ابنُ زيدٍ: فأنتَ أحكَمُ الحَاكِمينَ بالحقِّ. واختلفوا في هذا الذي سأَلَ فيه نُوحٌ على قولين:

أحدهما: أنه ابنُ نُوح لِصُلبِهِ، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والجمهور. **والثاني**: أنه وُلِدَ على فِراشهِ لغيرِ رِشدَةٍ ولم يكن ابنَهُ[١].

رَوى ابنُ الأنبَاري بإسنَادِه عن الحسَنِ أنه قال: لم يَكُنِ ابنهُ، إنَّ امرأتَهُ فَجَرتْ. وعن الشَّعبيِّ قال: لم يكن ابنَهُ، إنَّ امرأَتَهُ خَانَتْهُ، وعن مُجاهِدٍ نحو ذلك. وقال ابنُ جُرَيجٍ: ناداه نُوحٌ وهو يحسبُ أنه ابنُهُ، وكان وُلِدَ على فِراشِه. فعلى القولِ الأَوَّلِ، يكون في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قولان: **أحدهما**: ليس مِنْ أهل دِينِكَ. **والثاني**: ليس مِنْ أهلِكَ الذين وَعدتُكَ نجاتَهم. قال ابنُ عباسٍ: ما بغَتِ امرأةُ نبيٍّ قطُّ، وإنَّما المعنى: ليس مِنْ أهلِكَ الذين وَعدتُكَ نجاتَهم. وعلى القول الآخر: الكلامُ على ظَاهرِه، والأوَّلُ أصحُّ، لِمُوافقتِهِ ظاهرَ القرآن، ولاجتِمَاعِ الأكثرين عليه، وهو أَوْلَى مِنْ رَمْي زَوجَةِ نبيٍّ بفاحشَةٍ[٢].

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٥٥٢: وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زِنْية، ويُحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته. عن مجاهد، والحسن، وعبيد بن عمر، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج. واحتج بعضهم بقوله: ﴿إنه عمل غير صالح﴾، بقوله: ﴿فخانتاهما﴾ فممن قاله الحسن البصري، احتج بهاتين الآيتين. وبعضهم يقول: كان ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً، لكونه كان ربيباً عنده والله أعلم. وقال ابن عباس، وغير واحد من السلف: ما زنت امرأة نبي قط قال: وقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾، أي الذين وعدتك نجاتهم. وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإنه الله سبحانه أغيرُ من أن يُمكن امرأة نبي من الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي ﷺ وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٥٢: وأولى القولين بالصواب، قول من قال تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفاً، وبي كافراً وكان ابنه، لأن الله تعالى قد أخبر نبيه محمداً ﷺ أنه ابنه فقال: ﴿ونادى نوح ابنه﴾، وليس في قوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ دلالة على أنه ليس بابنه =

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونَافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ: «إنه عملٌ» رَفعٌ مُنونٌ «غيرُ صالح» برفع الراءِ، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه يَرجعُ إلى السؤالِ فيه، فالمعنى: سُؤالكَ إيَّايَ فيه عَملٌ غيرُ صالحٍ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، وهذا ظاهرٌ، لأنه قد تقدَّمَ السؤالُ فيه في قوله عزَّ وجلَّ: «ربِّ إنَّ ابني مِنْ أهلي»، فرَجعتِ الكِنايةُ إليه. **والثاني**: أنه يَرجعُ إلى المَسؤولِ فيه. وفي هذا المعنى قولان: **أحدهما**: أنه لِغَير رِشدَةٍ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: إنه ذو عَملٍ غيرِ صالحٍ، قاله الزَّجَّاجُ.

قال ابنُ الأنباري: مَنْ قال: هو لغير رِشدَةٍ، قال: المعنى: إنَّ أصلَ ابنكَ الذي تظنُّ أنه ابنُكَ عملٌ غيرُ صالحٍ. ومَنْ قال: إنه ذو عَملٍ غيرِ صالحٍ، قال: حذفَ المضافَ، وأقام العملَ مقامَهُ، كما تقول العربُ: عَبدُ الله إقبالٌ وإدبارٌ، أي: صاحبُ إقبالٍ وإدبارٍ. وقرأ الكِسائيُّ: «عَمِلَ» بكسرِ الميم وفتحِ اللام «غيرَ صالح» بفتح الراء، يُشير إلى أنه مُشرِكٌ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «فلا تسألنَّ» بفتحِ اللامِ، وتشديدِ النونِ، غير أنَّ نافعاً، وابنَ عامرٍ، كَسرا النونَ، وفتَحها ابنُ كَثيرٍ، وحذفوا الياءَ في الوَصلِ والوَقْفِ. وقرأ عاصمٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ، بسكونِ اللام وتخفيفِ النون، غيرَ أنَّ أبا عَمرٍو، وأبا جعفرَ، أثبتَا الياءَ في الوَصْلِ، وحذفَاهَا في الوَقْفِ، ووقفَ عليها يَعقوبُ بالياء، والباقون يحذِفُونَها في الحالَين. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسرَ النون، فقد عَدَّى السؤالَ إلى مفعولَين، أحدُهما: اسمُ المُتكلِّم، والآخرُ: الاسمُ المَوصولُ، وحُذفت النونُ المتَّصلةُ بياء المتكلِّم لاجتماع النُّونَاتِ. وأما إثباتُ الياءِ في الوَصْلِ فهو الأَصْلُ، وحَذْفُها أَخفُّ، والكسرةُ تدلُّ عليها، وتُعلِمُ أنَّ المفعولَ مُرادٌ في المعنى.

ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه نِسبَتُه إليه، وليس منه. **والثاني**: في إدخالِه إيَّاهُ في جُملةِ أهلِه الذين وَعدَهُ نجَاتَهُم. **والثالث**: سؤالُه في إنجاءِ كافرٍ مِنَ العذابِ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ تكون مِنَ الجَاهلينَ في سؤالِكَ مَنْ ليس مِنْ حِزبكَ. **والثاني**: مِنَ الجَاهلينَ بوَعدِي، لأنِّي وعدتُ بإنجَاءِ المؤمنين. **والثالث**: مِنَ الجَاهلينَ بنَسَبِكَ، لأنه ليس مِنْ أهلِكَ.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: مِنَ السَّفينةِ إلى الأرض ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي: بسَلامةٍ. قوله تعالى: ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ قال المُفسِّرون: البرَكَاتُ عليه أنه صَارَ أباً للبَشرِ جميعاً، لأنَّ جميعَ الخَلْقِ مِنْ نَسْلِه ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد مِنْ وَلَدِكَ. قال ابنُ الأنباري: المعنى مِنْ ذَرارِي مَنْ معكَ، والمراد المؤمنون مِن ذُرِّيتهِ. ثم ذَكرَ الكفَّارَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُمَمٌ﴾ أي مِنَ الذُّرِّيةِ أيضاً، والمعنى: وفيمَن نَصِفُ لكَ أُمَمٌ وفيمَن نقصُّ عليكَ أَمْرَهُ أُمَمٌ ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أي في

= إذ كان قوله: ﴿ليس من أهلك﴾ محتملاً من المعنى ما ذكرنا، ومحتملاً: «إنه ليس من أهل دينك»، ثم يحذف «الدين» فيقال: ﴿إنه ليس من أهلك﴾، كما قيل: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ ـ يوسف: ٨٢ ـ

الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. قال محمَّدُ بنُ كَعبِ القُرَظِيّ: لم يَبْقَ مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ في أصلابِ الرجالِ وأرحَام النساءِ يومئذٍ إلى أنْ تقومَ السَّاعةُ إلاَّ وقد دخلَ في ذلك السَّلامِ والبَرَكَاتِ، ولم يَبْقَ كافرٌ إلاَّ دخلَ في ذلك المَتاعِ والعذابِ.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ في المُشارِ إليه بـ «تلك» قولان: **أحدهما**: قصَّةُ نوحٍ. **والثاني**: آياتُ القرآن، والمعنى: تلك مِنْ أخبار ما غابَ عنكَ وعن قومكَ.

فإنْ قيلَ: كيف قال هاهنا: «تلك»، وفي مكانٍ آخرَ «ذلك»؟

فقد أجابَ عنه ابنُ الأنباري، فقال: «تلك» إشارةٌ إلى آياتِ القرآن، و «ذلك» إشارةٌ إلى الخَبرِ والحَديثِ، وكلاهما مَعروفٌ في اللغة الفَصيحةِ، يقول الرجلُ: قد قَدِمَ فلانٌ، فيقول سَامعُ قوله: قد فَرِحتُ به، وقد سُرِرتُ بها، فإذا ذَكَّر، عنَى القُدومَ، وإذا أنَّث، ذهب إلى القَدْمَةِ.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ يعني القرآن. ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صَبرَ نوحٌ على أذى قومِه ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ أي آخرَ الأمرِ بالظَّفرِ والتَّمكينِ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي لكَ ولِقومكَ كما كان لمُؤمني قومِ نُوحٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: ما أنتم إلاَّ في إشراكِكُم مع اللهِ الأوثان. وما بعدَ هذا قد سَبقَ تفسيرُه[١] إلى قوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ وهذا أيضاً قد سبقَ تفسيرُه في سورةِ الأنعام[٢]. والسببُ في قولِه لهم ذلك، أنَّ اللهَ حَبَسَ المطرَ عنهم ثلاثَ سنينَ وأعقَمَ أرحامَ نسائِهم، فوَعدَهُم إحياءَ بلادِهم وبَسْطَ الرِّزقِ لهم إنْ آمَنُوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَلَدُ ووَلَدُ الوَلَدِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَزِدْكُم شدَّةً إلى شِدَّتِكم، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: خِصباً إلى خِصْبِكُم، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: لا تُعرِضُوا عن التَّوحيدِ مُشركينَ.

قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بحُجَّةٍ واضحةٍ. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ يعنُونَ الأصنامَ ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بقولِكَ، و «الباء» و «عن» يَتعاقَبَانِ.

---

(١) سورة يونس: ٧٢.
(٢) عند الآية: ٦١.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ﴾ أي: ما نقول في سببِ مُخالفتِكَ إيَّانا إلاَّ أنَّ بعضَ آلهتِنَا أصابَكَ بِجُنونٍ لِسَبِّكَ إيَّاها، فالذي تُظهِرُ مِنْ عَيبِهَا لِمَا لَحِقَ عَقلَكَ مِنَ التَّغيير. قال ابنُ قُتَيبَةَ: يُقال: عَرَانِي كذا، واعتَرَانِي: إذا أَلَمَّ بي. ومنه قيلَ لِمَنْ أتاكَ يطلبُ نائِلَكَ: عَارٍ، ومنه قولُ النَّابغَةِ:

أَتَيـتُـكَ عَـارِيـاً خَـلَـقـاً ثِـيَـابِـي   عَـلـى خَـوْفٍ تُـظَـنُّ بِـيَ الـظُّـنُـونُ[1]

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إلى آخرِ الآيةِ. حَرَّكَ ياءَ «إنيَ» نافعٌ. ومعنى الآية: إنْ كنتم تقولون: إنَّ الآلهَةَ عاقَبَتْنِي لِطَعنِي عليها، فإنِّي على يقينٍ مِنْ عَيبِها والبَراءةِ منها، وها أنا ذا أزيدُ في الطَّعنِ عليها، ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ أي: احتالُوا أنتم وأوثانُكم في ضُرِّي، ثم لا تُمهِلُون. قال الزَّجَّاجُ: وهذا مِنْ أعظمِ آياتِ الرُّسلِ، أنْ يكون الرَّسولُ وحدَهُ وأُمَّتُه مُتَعاونَةٌ عليه، فيقول لهم: كِيدُوني، فلا يستطيعُ أحدٌ منهم ضُرَّهُ، وكذلك قال نُوحٌ لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[2]. وقال محمَّدٌ ﷺ: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: المعنى: أنَّها في قَبضتِه ومِلكِهِ وسُلطَانِه. فإنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ النَّاصِيةَ؟ فالجواب: أنَّ النَّاصِيَةَ هي شَعْرُ مُقدَّمِ الرَّأسِ، فإذا أخذتَ بها مِنْ شخصٍ فقد مَلَكْتَ سائرَ بَدنِه، وذَلَّ لك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: على الحقِّ. وقال غيرُه: في الكلام إضمَارٌ، تقديرُه: إنَّ رَبِّي يدلُّ على صِراطٍ مُستقيم.

فإن قيلَ ما وَجهُ المُناسبةِ بينَ قوله: ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ وبينَ كَونِه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟ فعنه جوابان[4]: **أحدهما**: أنه لمَّا أخبرَ أنه آخِذٌ بنَواصِي الخَلْقِ، كان معناه: أنَّهم لا يَخرُجونَ عن قَبْضَتِه، فأخبرَ أنه على طريقٍ لا يَعدِلُ عنه هَارِبٌ، ولا يَخفَى عليه مُستَتِرٌ. **والثاني**: أنَّ المعنى: أنه وإنْ كان قادراً عليهم، فهو لا يَظلِمُهم، ولا يُريد إلاَّ العَدلَ، ذكرهما ابنُ الأنبَارِي.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾

---

(١) في «اللسان»: وثوب خَلَقٌ: بالٍ.

(٢) سورة يونس: ٧١.   (٣) سورة المرسلات: ٣٩.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٥٤: وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة، الله وحده لا شريك له الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه فعلٌ ماضٍ، معناه: فإنْ أعرَضوا: فعلَى هذا، في الآيةِ إضمارٌ، تلخيصُهُ: فإنْ أعرَضوا فقُلْ لهم: قد أبْلَغتُكم، هذا مذهبُ مُقاتِلٍ في آخرين. **والثاني**: أنه خِطَابٌ للحَاضِرِينَ، وتقديرُه: فإنْ تَتولَّوا، فاستَثْقلُوا الجمعَ بين تاءَين مُتحركَتَيْنِ، فاقتُصِرَ على إحداهُما، وأُسقطت الأخرى، كما قال النَّابغَةُ:

الـمَـرءُ يَـهْـوى أنْ يَـعْـيـ ـشَ وطُـولُ عَـيْـشٍ قَـد يَـضُـرُّهْ
تَـفْـنَـى بَـشَـاشَـتُـهُ ويَـبْـ ـقَـى بَـعْـد حُـلْـوِ الـعَـيْـشِ مُـرُّهْ
وتَـصَـرَّفُ الأيَّـامُ حـتَّـ ـى مـا يَـرَى شَـيـئـاً يَـسُـرُّهْ

أراد: وتَتَصرَّفُ الأيامُ، فأسقطَ إحدَى التَّاءَين، ذكره ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيه وعيدٌ لهم بالهلاكِ. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: حَفيظٌ على أعمالِ العبادِ حتى يُجَازيَهم بها. **والثاني**: أنَّ «على» بمعنى اللامِ، فالمعنى: لكلِّ شيءٍ حَافظٌ، فهو يَحفظُني مِنْ أنْ تَنالُوني بسوءٍ.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: جاء عذابُنا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: جاء أمرُنا بهلاكِهم. قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نجَّيناهم مِنَ العذابِ بنِعمَتِنا. **والثاني**: نجَّيناهم بأنْ هديناهم إلى الإيمان، وعَصَمناهم مِنَ الكُفرِ، رُوي القولان عن ابنِ عباسٍ. قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي: شَديدٌ، وهو ما استحقَّهُ قومُ هُودٍ مِنْ عذابِ الدنيا والآخرة.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ يعني القَبيلةَ ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾. لقائلٍ أنْ يقول: إنَّما أُرسِلَ إليهم هُودٌ وحدَهُ، فكيف ذُكِرَ بلفظِ الجمعِ؟

فالجواب مِنْ ثلاثة أوجهٍ: **أحدها**: أنه قَدْ يُذكَرُ لفظُ الجمعِ ويُراد به الوَاحدُ، كقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ والمُراد به النبيُّ ﷺ وحدَهُ. **والثاني**: أنَّ مَنْ كذَّب رسولاً واحداً فقد كذَّبَ الكُلَّ. **والثالث**: أنَّ كلَّ مرَّةٍ يُنذِرهُم فيها هي رِسالةٌ مُجدَّدةٌ وهو بها رسولٌ.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: واتَّبع الأتباعُ أمرَ الرُّؤساءِ. والجَبَّارُ: الذي طَالَ وفاتَ اليَدَ.

وللعلماءِ في الجَبَّارِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي يَقتُلُ على الغَضبِ ويُعاقِبُ على الغَضبِ، قاله الكَلبيُّ. **والثاني**: أنه الذي يُجبِرُ الناسَ على ما يُريد، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه المُسلَّطُ. **والرابع**: أنه العظيمُ في نَفسِه، المُتكبِّرُ على العِبادِ، ذكرهما ابنُ الأنباري. والذي ذكرنَاهُ يجمعُ هذه الأقوالَ، وقد زِدْنَا هذا شَرحاً في (المَائدة). وأمَّا العَنيدُ: فهو الذي لا يَقبلُ الحقَّ. قال ابنُ قُتيبةَ: العَنُودُ، والعَنِيدُ، والعَانِدُ: المُعارِضُ لكَ بالخِلافِ عليكَ.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ

ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي: أُلحِقوا لعنةً تنصرفُ معهم. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: وفي يوم القيامةِ لُعِنوا أيضاً ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ أي بِربِّهم، فحذفَ الباءَ، وأنشدوا[1]:

أَمَرتُكَ الخيرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ

قال الزَّجّاجُ: قوله: «ألا» ابتداءٌ وتَنبيهٌ، و «بُعداً» منصوبٌ على معنى: أبعدَهُم اللهُ فبَعُدوا بُعداً، والمعنى: أبعدَهُم مِنْ رَحمَتِه.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: خلقَكُم مِنْ آدمَ، وآدمُ خُلِقَ مِنَ الأرضِ. **والثاني**: أنشأكُم في الأرضِ.

وفي قوله: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعمَرَكُم فيها، أي: جعلَكُم ساكِنيها مُدَّةَ أعمارِكُم، ومنه العُمْرَى، وهذا قولُ مُجاهِدٍ. **والثاني**: أطالَ أعمارَكُم، وكانت أعمارُهُم مِنْ ألف سنةٍ إلى ثلاثمائةٍ، قاله الضَّحّاكُ. **والثالث**: جَعلَكُم عُمّارَها، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم كانوا يَرجُونَهُ للمَملَكَةِ بعد مَلِكِهِم، لأنه كان ذا حَسَبٍ وثَروةٍ، قاله كَعبٌ. **والثاني**: أنه كان يُبغِضُ أصنامَهُم ويَعدِلُ عن دِينِهِم، وكانوا يَرجُونَ رُجوعَهُ إلى دِينِهِم، فلمّا أظهرَ إنذارَهُم، انقطعَ رَجاؤُهُم منه، وإلى نحوِ هذا ذهب مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنهم كانوا يَرْجُونَ خَيرَهُ، فلمّا أنذرَهُم، زعموا أنَّ رجاءَهُم لِخيرِه قد انقطَعَ، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ﴾ إنْ قال قائلٌ: لِمَ قالَ هاهُنا: «وإنَّنا» وقالَ في «إبراهيم»: «وإنَّا»؟ فالجوابُ: أنهما لُغتانِ مِنْ لُغاتِ قُريشٍ السَّبعِ التي نزلَ القرآنُ عليها. قال الفَرّاءُ: مَنْ قال: «إنَّنا» أخرجَ

---

(١) هذا صدر بيت لعمرو بن معديكرب الزبيدي، كما في الكتاب: ١/١٧، وعجزه:
فقد تركتك ذا مالٍ وذا نَشَبِ
وفي «اللسان» نَشَب: من النشب وهو المال الأصيل من الناطق والصامت، والنَّشَبُ: المال والعقار.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٥٥: أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت.

الحرفَ على أصلِه، لأنَّ كنايةَ المُتكلِّمين «نا» فاجتمعت ثلاث نُونَاتٍ، نُونَا «إن» والنونُ المَضمُومةُ إلى الألفِ؛ ومَنْ قال: «إنا» استثقَلَ الجمعَ بين ثلاثِ نُوناتٍ، فأسقطَ الثالثةَ، وأبقى الأُولَتين؛ وكذلك يُقال: إنَّ وإنّني، ولعلّي ولعلّني، وليْتي وليْتني، قال اللهُ تعالى في اللغة العُليَا: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾[(١)]، وقال الشاعر في اللغة الأخرى:

أرِيـنـي جَـواداً مـاتَ هَـزْلاً لَـعَـلَّـنـي ... أَرَى مـا تَـرَيْـنَ أو بَـخِـيـلاً مُـخَـلَّـداً[(٢)]

وقال الله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾[(٣)]، وقال الشاعر:

كَـمُـنـيَـةِ جَـابـرٍ إذ قـالَ لَـيْـتِـي ... أُصـادِقُـه وأُتـلِـفُ بـعـضَ مَـالِـي[(٤)]

فأمّا المُريبُ، فهو المُوقِعُ للرِّيبَةِ والتُّهمةِ. والرَّحمةُ يُراد بها هاهنا: النُّبوَّة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٍ﴾ التَّخسِيرُ: النُّقصَانُ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: فمَا تزيدونني غيرَ بَصَارَةٍ في خسَارَتِكم، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الفَرَّاءُ: المعنى: فما تَزِيدُونَنِي غيرَ تَخسِيرٍ لكُم، أي: كلّما اعتَذَرتُم عندي بعُذرٍ فهو يَزيدُكم تَخسِيراً. وقال ابنُ الأعرابي: غيرَ تَخسِيرٍ لكُم، لا لِي. وقال بعضُهم: المعنى: فمَا تَزِيدُونني بما قُلتُم إلاّ نِسبَتي لكُم إلى الخَسارَةِ. **والقول الثاني**: فمَا تَزِيدُونني غيرَ الخُسرَانِ إنْ رَجعتُ إلى دِينِكم، وهذا معنى قول مُقاتِلٍ. فإنْ قيل: فظاهرُ هذا أنه كان خَاسِراً، فزادُوه خَسَاراً، فقد أسلَفْنا الجوابَ في قوله: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا﴾[(٥)].

قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ قد شَرحنَاهَا في سُورة الأعرَافِ[(٦)].

قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ﴾ أي: استَمتِعُوا بحيَاتِكم، وعَبَّر عن الحياة بالتَّمتُّعِ، لأنَّ الحَيَّ يكون مُتمتّعاً بالحَواسّ.

قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا عُقِرتِ النَّاقةُ صَعِدَ فَصِيلُها إلى الجبلِ، ورَغَا ثلاثَ مرَّاتٍ، فقال صالحٌ: لكلِّ رَغوةٍ أجلُ يوم، ألاَ إنَّ اليومَ الأول تُصبحُ وجُوهُكم مُصْفَرَّةً، واليومَ الثاني مُحْمَرَّةً، واليومَ الثالثَ مُسْوَدَّةً؛ فلمَّا أصبَحُوا في اليوم الأول، إذا وجُوهُهم مُصفَرَّةٌ، فصَاحُوا وضَجُّوا، وبَكَوْا، وعَرَفوا أنَّه العذابُ، فلمَّا أصبَحوا في اليوم الثَاني، إذا وجُوهُهم مُحمَرَّةٌ، فضَجُّوا، وبَكوا، فلمّا أصبَحوا في اليوم الثالث، إذا وجُوهُهم مُسوَدَّةٌ كأنما طُلِيتْ بالقَارِ، فصَاحوا جميعاً: ألاَ قد حَضَرَكُم العذابُ؛ فتَكَفَّنوا وألْقَوا أنفُسَهم بالأرضِ، لا يَدرُون مِنْ أين يأتيهم العذابُ، فلمَّا أصبَحوا في اليوم الرَّابع، أَتَتْهُم صَيحةٌ مِنَ السماء فيها صَوت كلّ صاعقةٍ، فتَقطَّعت قُلوبُهُم في صُدورِهم. وقال مُقاتِلٌ: حفروا لأنفُسِهم قبوراً، فلمَّا ارتفعت الشمسُ مِنَ اليوم الرابع ولم يَأْتِهم العذابُ ظَنُّوا أنَّ اللهَ قد رَحِمَهُم فخرجوا مِنْ قبورهم يَدعُو بعضُهم بعضاً، إذ نزلَ جِبريلُ فقامَ فوقَ المَدينةِ فَسَدَّ ضوءَ الشمس فلمّا عايَنُوه

---

(١) غافر: ٣٦.

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «أنن»، وقال: هو لِحُطَائط بن يعفر، ويقال: هو لدريد وقال الجوهري: أنشد أبو زيد لحاتم قال: وهو الصحيح، قال: وقد وجدته في شعر مَعْن بن أوس المزني.

(٣) سورة النساء: ٧٣.

(٤) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ليت» ونسبه لزيد الخَيْل.

(٥) سورة التوبة: ٤٧. (٦) عند الآية: ٧٣.

دخلوا قُبورَهم فصاحَ بهم صيحةً: مُوتوا عليكُم لعنةُ اللهِ، فخرجت أرواحُهم وتزلزلَتْ بيوتُهم فوقعت على قُبورِهم.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ﴾ أي: العذاب ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: غير كَذِبٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عَامرٍ «يومِئِذٍ» بكسرِ الميم. وقرأ الكِسَائيُّ بفَتْحِها مع الإِضافة. قال مَكِّيٌّ: مَنْ كسرَ الميمَ، أعربَ وخَفضَ، لإِضافة الخِزي إلى اليوم، ولم يَبْنِهِ؛ ومَنْ فتحَ، بَنَى اليومَ على الفتح، لإِضافته إلى غيرِ مُتمكِّنٍ، وهو «إذ». وقرأ ابنُ مسعودٍ «ومن خزيٍ» بالتنوين، «يومئذ» بفتح الميم. قال ابنُ الأنباري: هذه الواو في قوله «ومن خزي» معطوفةٌ على محذوفٍ، تقديره: نجَّيناهُم مِنَ العذاب ومِنْ خِزيِ يَومئِذٍ. قال: ويجوز أنْ تكون دخلت لفعلٍ مُضمَرٍ، تأويلُه: نجَّينا صالحاً والذين آمنوا معه برَحمةٍ منَّا، ونجَّيناهُم مِنْ خِزيِ يَومئِذٍ. قال: وإنَّما قال: «وأخذَ» لأنَّ الصَّيحة محمُولةٌ على الصِّياحِ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ اختلفوا في صَرْفِ «ثمود» وتَرْكِ إجرائِه في خمسةِ مَواضِعَ: في (هُود:) ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾، وفي (الفُرقان) ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾[١]، وفي (العَنكَبُوت) ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾[٢]، وفي (النَّجم) ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١﴾[٣]. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمروٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ بالتنوين في أربعةِ مواضعَ منها، وتركوا ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ فلم يَصرِفُوه. وقرأ حَمزَةُ بتَرْكِ صَرفِ هذه الخمسةِ الأحرفِ، وصَرَفهنَّ الكِسَائيُّ. واختُلفَ عن عَاصِمٍ، فروَى حُسينُ الجُعْفيُّ عن أبي بكر عنه أنه أجرى الأربعةَ الأحرف مثل أبي عمرو؛ وروى يحيى بن آدم أنه أجرى ثلاثةً، في (هُود) ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ﴾، وفي (الفُرقان) و (العَنكَبُوت). وروى حَفصٌ عنه أنه لم يُجْرِ شيئاً منها مثلَ حَمزَةَ.

واعلم أنَّ ثموداً يُراد به القبيلةُ تارةً ويُراد به الحيُّ تارةً. فإذا أُريدَ به القبيلة لم يُصرَفْ، وإذا أُريدَ به الحيُّ صُرِفَ. وما أخللنا به فقد سبقَ تفسيرُه إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾. والرُّسلُ هاهنا: المَلائكةُ. وفي عَدَدِهم ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا ثلاثةً، جِبريلُ، ومِيكَائِيلُ، وإِسرَافِيلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال مُقاتِلٌ: جبريلُ، ومِيكَائِيلُ، ومَلَكُ الموتِ. **والثاني**: أنهم كانوا اثني عشرَ، رُوِي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: ثمانيةٌ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والرابع**: تسعةٌ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: أحدَ عشرَ، قاله السُّدِّيّ. **والسادس**: أربعة، حكاه الماوردي. وفي هذه البُشرَى أربعةُ أقوالٍ[٤]: **أحدها**: أنها البُشرَى بالوَلَدِ، قاله الحسَنُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: بهَلاكِ قوم لُوطٍ، قاله

---

(١) سورة الفرقان: ٣٨. (٢) سورة العنكبوت: ٣٨. (٣) سورة النجم: ٥١.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٥٧: البشرى أي بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل، فإنه يعقوب ولد إسحق كما قال في آية البقرة: **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾**.

ومن هاهنا استدل من استدل بهذه الآية على أن الذبيح إنما هو إسماعيل وأنه يمتنع أن يكون هو إسحق لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خلف فيه فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا، والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل. وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه.

قَتَادَةُ. **والثالث**: بنُبوّته، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: بأنَّ محمَّداً ﷺ يخرجُ مِنْ صُلبِه، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ قال ابنُ الأنباري: انتصَبَ بالقولِ، لأنه حرفُ مَقُولٍ، والسلامُ الثاني مرفوعٌ بإضمَارِ «عليكم». وقال الفرَّاءُ: فيه وَجْهَان:

أحدهما: أنه أَضمَرَ «عليكم» كما قال الشاعر:

فَقُلْنَا السَّلامَ فَاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا ... فَمَا كَانَ إلاَّ وَمْؤُهَا بِالْحَوَاجِبِ(١)

والعربُ تقول: الْتَقَينا فقُلنا: سلامٌ سلامٌ.

والثاني: أنَّ القومَ سَلَّمُوا، فقال حينَ أنكَرهُم هو: سلامٌ، فمَنْ أنتم؟ لإِنكَارِه إيَّاهُم. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «قال سِلْم»، وهو بمعنى: سَلامٌ، كما قالوا: حِلٌّ وحلالٌ، وحِرمٌ وحَرامٌ؛ فعلى هذا، يكون معنى «سِلم»: سلام عليكم. قال أبو علي: فيكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلف اللفظان(٢). وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «سِلْم» فالمعنى: أمْرُنا سِلْمٌ، أي: لابأسَ علينا.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ أي: ما أقام حتى جاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ، لأنه ظَنَّهم أضيَافاً، وكانت الملائكة قد جاءته في صُورةِ الغِلمَانِ الوِضَاءِ.

وفي الحَنيذِ ستةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنه النَّضِيجُ، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه الذي يَقْطُرُ ماؤه وَدَسمُه وقد شُوِيَ، قاله شِمْرُ بنُ عَطيَّةَ. **والثالث**: أنه ما حَفرتَ الأرض ثم غَمَمْتَهُ، وهو مِنْ فعل أهلِ البادية معروفٌ، وأصله مَحنُوذٌ، فقيل: حَنيذٌ، كما قيل: طَبِيخٌ للمَطبُوخ، وقَتِيلٌ للمَقتُولِ. هذا قولُ الفرَّاءِ. **والرابع**: أنه المَشوِيُّ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والخامس**: المَشويُّ بالحِجارة المُحَمَّاةِ، قاله مُقاتِلٌ وابنُ قُتيبةَ. **والسادس**: السَّمِيطُ، ذكره الزَّجَّاجُ وقال: يُقال إنَّه المَشويُّ فقط، ويُقال المَشويُّ الذي يَقْطِرُ، ويُقال المَشويُّ بالحجارةِ.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يعني العِجْلَ ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكَرهُم. قال أبو عُبيدَةَ: نَكِرَهُم وأنكَرَهُم واستَنْكَرَهُم، سَواءٌ، قال الأَعشَى:

وأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا

قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أَضمَرَ في نفسه خوفاً. قال الفرَّاءُ: وكانت سُنَّةً في زَمانِهم إذا وردَ عليهم القومُ فأتوهُم بالطَّعام فلم يَمَسُّوهُ، ظنُّوا أنهم عَدُوٌّ أو لُصُوصٌ، فهنالكَ أَوجَسَ في

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ومأ» ونسبه للقنانيِّ. وعنده «فقلت» بدل «فقلنا».

(٢) كذلك قال الطبري رحمه الله ٧/ ٦٨: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، لأن «السلم» قد يكون بمعنى «السلام»، «والسلام» بمعنى «السلم» لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السلم دون الأعداء.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٦٩، بعد أن ذكر الأقوال: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعاني بعضها من بعض. اهـ.

نفسه خِيْفَةً، فَرأوا ذلك في وَجهه، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أُرسِلنا بالعذاب إليهم. قال ابنُ الأنباري: وإنما أضمِرَ ذلك هاهنا، لقيام الدليل عليه بذِكرِ الله تعالى له في سُورةٍ أخرى.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ واسمُها سَارَةُ. واختلفوا أينَ كانت قائمةً على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: وراءَ السّترِ تسمعُ كلامَهم، قاله وَهْبٌ. **والثاني**: كانت قائمة تخدِمُهم، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيّ. **والثالث**: كانت قائمة تُصَلِّي، قاله محمَّدُ بنُ إسحَاقَ.

وفي قوله: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ الضَّحِكَ ها هنا بمعنى التَّعجبِ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ معنى «ضَحِكَتْ» حَاضَتْ، قاله مجاهد وعكرمة. قال ابن قتيبة: وهذا من قولهم: ضحكت الأرنب: إذا حاضت فعلىٰ هذا: يكون حيضها حينئذ تأكيداً للبشارة بالولد. لأن من لا تحيض لا تحمل. وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى (ضحكت) حاضت. قال ابنُ الأنباري: أنكرَ الفرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وأبو عُبَيدٍ، أنْ يكون «ضحكت» بمعنى حَاضَتْ وعَرَّفَهُ غيرُهم. قال الشاعر:

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلّ[2]

قال بعض أهل اللغة: معناه: تَحِيْضُ[3].

والثالث: أنه الضَّحِكُ المَعروفُ، وهو قولُ الأكثرين.

وفي سبب ضَحِكها ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ضَحِكَتْ مِنْ شدة خوفِ إبراهيمَ مِنْ أضيَافِه، وقالت: مِنْ ماذا يخافُ إبراهيمُ، وإنَّما هُمْ ثلاثةٌ، وهو في أهلِه وغِلمَانِه؟! رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها ضَحِكَتْ مِنْ بِشَارَةِ الملائكة لإبراهيمَ بالوَلَدِ، وهذا مرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، ووَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ؛ فعلى هذا، إنما ضَحِكَتْ سروراً بالبِشَارَةِ، ويكون في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، المعنى: وامرأتُه قائمةٌ فبَشَّرناهَا فضَحِكَتْ، وهو اختيارُ ابنِ قُتَيبةَ. **والثالث**: ضَحِكَتْ مِنْ غَفلةِ قوم لُوطٍ وقُربِ العذاب منهم، قاله قَتَادَةُ. **والرابع**: ضَحِكَتْ مِنْ إمسَاكِ الأضيافِ عن الأكْلِ، وقالت: عَجَباً لأضيَافِنا، نَخدِمُهم بأنفسِنا، وهم لا يأكلون طعامنا! قاله السُّدِّيّ. **والخامس**: ضَحِكَتْ سروراً

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٧٢ وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى قوله ﴿فضحكت﴾، فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: ﴿لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ فإذا كان ذلك كذلك، وكان لاوجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: ﴿لا تخف﴾، وكان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ضحك»، ونسبه إلى ـ تأبط شراً ـ.

(٣) وقال ابن منظور في «اللسان» مادة «ضحك»: كان ابن دريد يرد هذا ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض؟، وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، وهذا سهو منه فجعل كَشْرَها ضحكاً.

بالأمنِ، لأنها خافت كخَوفِ إبراهيمَ، قاله الفَرَّاءُ. **والسادس**: أنها كانت قالت لإبراهيمَ: أضمُمْ إليكَ ابنَ أخيكَ لُوطاً، فإنه سينزلُ العذابُ بقومه، فلمَّا جاءت الملائكةُ بعذابِهم، ضَحِكَتْ سُروراً بمَوافقتِها للصَّوابِ، ذكره ابنُ الأنباري.

قال المُفسِّرون: قال جِبريلُ لسارَةَ: أَبْشِري أيَّتُها الضَّاحكةُ بوَلَدٍ اسمُه إسحَاقَ، ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، فبَشَّروها أنها تَلِدُ إسحَاقَ، وأنها تعيش إلى أنْ ترى وَلَدَ الوَلَدِ. وفي معنى الوَرَاءِ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى «بَعدَ»، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، واختاره مُقاتِلٌ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنَّ الوَراءَ: وَلَدُ الوَلَدِ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الشَّعبيُّ، واختاره أبو عُبيدَةَ. فإنْ قيلَ: كيف يكون يَعقوبُ وراء إسحَاقَ وهو وَلَدُهُ لِصُلبِه، وإنَّما الوَراءُ: وَلَدُ الوَلَدِ؟ فقد أجابَ عنه ابنُ الأنباري، فقال: المعنى: ومِنْ وراء المَنْسُوبِ إلى إسحَاقَ يَعقوبُ، لأنه قد كان الوراءُ لإبراهيمَ مِنْ جهةِ إسحَاقَ، فلو قال: ومِنَ الوَراءِ يَعقوبُ، لم يُعلَم أَهذا الوَراءُ مَنسُوبٌ إلى إسحَاقَ، أَمْ إلى إسماعيلَ؟ فأُضيفَ إلى إسحَاقَ لينكَشِفَ المعنى ويَزُولَ اللبْسُ. قال: ويجوز أن يُنسَبَ وَلَدُ إبراهيمَ مِنْ غير إسحاقَ إلى سَارَةَ على جهةِ المَجازِ، فكان تأويلُ الآية: مِنَ الوَراءِ المَنسُوبِ إلى سَارَةَ، وإلى إبراهيمَ مِنْ جهة إسحَاقَ، يَعقوبُ. ومَنْ حَملَ الوراءَ على «بَعدَ» لَزِمَ ظاهرَ العربية.

واختلفَ القُرَّاءُ في «يعقوب»، فقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «يعقوبُ» بالرَّفع. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنَّصب.

قال الزَّجَّاجُ: وفي رَفع «يعقوب» وجهان: **أحدهما**: على الابتداء المُؤخَّرِ، معناه التَّقديمُ؛ والمعنى: ويَعقوبُ يَحْدُثُ لها مِنْ وراءِ إسحَاقَ. **والثاني**: وثَبتَ لها مِنْ وراءِ إسحَاقَ يَعقوبُ.

ومَنْ نَصبَهُ. حَملَهُ على المعنى، والمعنى: وَهَبْنا لها إسحَاقَ، ووَهَبْنَا لها يَعقوبَ.

قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ هذه الكلمةُ تُقال عند الإيذانِ بوُرُودِ الأمرِ العظيم. ولم تُرِد بها الدُّعاءَ على نَفْسِها، وإنما هي كلمةٌ تَخِفُّ على ألسنةِ النِّساء عند الأمرِ العَجيبِ. وقولها: ﴿ءَأَلِدُ﴾ استفهامٌ تعجُّبٍ. قال الزَّجَّاجُ: و﴿شَيْخًا﴾ منصوبٌ على الحالِ. قال ابنُ الأنبَاري: إنما أشارَتْ بقولها هذا لِتُنبِّهَ على شَيخُوخِيَّته. واختلفوا في سِنِّ إبراهيمَ وسَارَةَ يومئذٍ على أربعةِ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه كان إبراهيمُ ابنَ تسعٍ وتسعين سنةً، وسَارَةُ بنتُ ثمانٍ وتسعينَ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه كان إبراهيمُ ابنَ مائةِ سنةٍ، وسَارَةُ بنت تسعٍ وتسعينَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: كان إبراهيمُ ابنَ تسعينَ، وسَارَةُ مِثلَهُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: كان إبراهيمُ ابنَ مائةٍ وعشرينَ سنةً، وسَارَةُ بنتَ تسعينَ، قاله عُبَيدُ بن عُمَيرٍ، وابنُ إسحَاقَ.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ قضائِه وقُدرَتِه، وهو إيجادُ وَلَدٍ من بين كَبيرَين. قال السُّدِّيّ: قالت سَارَةُ لجِبريلَ: ما آيَةُ ذلك؟ فأخذَ بيده عُوداً يابساً فَلَواهُ بين أصابعه فاهتزَّ أخضرَ،

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٧٤: وقيل إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم **ابن مئة سنة.**

فقالت: هو إذنٌ للّهِ ذَبيحٌ. قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ فيه وَجهان: **أحدهما**: أنه مِنْ دُعاءِ الملائكة لهُم. **والثاني**: أنه إخبارٌ عن ثُبوتِ ذلك لهُم. ومِنْ تلك البَرَكاتِ وُجودُ أكثرِ الأنبياء والأَسْباطِ مِنْ إبرهيمَ وسَارَةَ. والحَميدُ بمعنى المَحمُودِ. فأمَّا المَجِيدُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: المَجِيدُ. بمعنى المَاجِدِ، وهو الشَّريفُ. وقال أبو سُليمانَ الخَطَّابي: هو الوَاسِعُ الكَرَم. وأصلُ المَجْدِ في كلامِهم: السَّعَةُ، يُقال: رجلٌ مَاجِدٌ: إذا كان سَخِيًّا واسعَ العَطاءِ. وفي بعضِ الأمثال: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واستمجَدَ المَرْخُ والعَفارُ[١]، أي: استكثَرا منها.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ يعني الفَزَعُ الذي أصابَهُ حينَ امتنَعُوا مِنَ الأَكْلِ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ فيه إضمَارُ أَخَذَ وأقبَلَ يُجادِلُنا، والمُراد: يُجادِلُ رُسُلَنا.

قال المُفسِّرون: لمَّا قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قال: أَتُهلِكون قريةً فيها مائةُ مؤمنٍ؟ قالوا: لا. قال: أَتُهلِكون قريةً فيها خمسونَ مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا؛ فما زالَ يُنقِصُ حتى قال: فواحدٌ؟ قالوا: لا. فقال حِينئذٍ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾، هذا قولُ ابنِ إسحاقَ. وقال غيره: قيلَ له: إنْ كان فيهم خمسةٌ لم نُعذِّبهم، فما كان فيهم سِوى لُوطٍ وابنتَيه. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: قال لهم: أَتُهلِكون قريةً فيها أربعةَ عشرَ مؤمناً؟ قالوا: لا؛ وكان إبراهيمُ يَعُدُّهُم أربعةَ عشرَ مع امرأةِ لُوطٍ، فسكتَ واطمأنَّتْ نَفْسُه؛ وإنما كانوا ثلاثةَ عشرَ فأُهلِكوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾ قد فَسَّرناهُ في (براءة)[٢]. فعندَ ذلك قالت الرُّسلُ لإبراهيمَ: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ يعنون الجِدالَ. ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعَذابِهم. وقيل: قد جاء عذابُ ربِّكَ، فليس بِمَرْدُودٍ، لأنَّ الله تعالى قد قَضَى به.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ قال المُفسِّرون: خرجت الملائكةُ مِن عند إبراهيمَ نحو قريةِ

---

(١) في «اللسان» مادة «عفر» المرخ والعفار: هما شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر ويسوّى من أغصانهما الزناد فيقتدح بها، وذكر المثل وقال: استمجَدَ: استكثر.

(٢) في الآية: ١١٤.

لُوطٍ، فأتَوْهَا عِشاءً. وقال السُّدّيّ عن أشياخه: أتَوْهَا نصفَ النَّهارِ، فلمَّا بَلَغُوا نهرَ سدوم لَقوا بنتَ لُوطٍ تستقي الماءَ لأهلِها، فقالوا لها: يا جَارِيَةُ، هل مِنْ مَنزلٍ؟ قالت: نعم، مكانَكُم لا تدخلوا حتى آتيَكُم، فَرَقاً عليهم مِنْ قَومِها؛ فأتَتْ أباها، فقالت: يا أبَتَاهُ، أدْرِكْ فِتياناً على باب المَدينةِ ما رأيتُ وجوهَ قومٍ هي أحسنُ منهم، لا يأخذُهم قومُكَ فيَفضَحُوهم؛ وقد كان قومُه نَهَوْهُ أنْ يُضَيِّفَ رجلاً؛ فجاء بهم، ولم يَعلَمْ بهم أحدٌ إلاَّ أهلُ بيتِ لُوطٍ؛ فخرجت امرأتُه فأخبرَتْ قومَها، فجَاؤوا يُهْرَعُون إليه.

قوله تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سَاءَ ظَنُّه بقومه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: سَاءَهُ مَجيءُ الرُّسل، لأنه لم يَعرفهُم، وأشفَقَ عليهم مِنْ قومه، قاله ابنُ جَريرٍ. قال الزَّجَّاجُ: وأصلُ «سِيءَ بهم» سُوِئَ بهم، مِنَ السُّوء، إلاَّ أنَّ الواو أُسكِنَتْ ونُقِلَتْ كَسْرَتُها إلى السِّين.

قوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ قال ابنُ عباسٍ: ضَاقَ ذَرْعاً بأضيَافِه. قال الفَرَّاءُ: الأصل فيه: وضَاقَ ذَرْعُهُ بهم، فنُقِلَ الفعلُ عن الذَّرْعِ إلى ضميرِ لُوطٍ، ونُصب الذَّرْعُ بتَحَوُّلِ الفعلِ عنه، كما قال: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[1] ومعناه: اشتعَلَ شيبُ الرَّأسِ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ضَاقَ فلانٌ بأمْره ذَرْعاً: إذا لم يَجِدْ مِنَ المَكرُوهِ في ذلك الأمرِ مَخْلَصاً. وذكر ابنُ الأنباري فيه ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: وَقعَ به مَكروهٌ عظيمٌ لا يصلُ إلى دَفْعِه عن نَفْسِه؛ فالذَّرْعُ كنايةٌ عن هذا المعنى. **والثاني**: أنَّ معناه: ضَاقَ صَبْرُهُ وعَظُمَ المَكرُوهُ عليه؛ وأصلُه مِنْ: ذَرَعَ فُلاناً القَيءُ: إذا غَلَبَهُ وسَبقَهُ. **والثالث**: أنَّ المعنى: ضَاقَ بهم وُسْعُه، فنَابَ الذَّرْعُ والذِّرَاعُ عن الوُسْعِ، لأنَّ الذِّراعَ مِنَ اليدِ، والعربُ تقول: ليس هذا في يَدِي، يَعنُون: ليس هذا في وُسْعِي؛ ويدلُّ على صحة هذا أنهم يجعلون الذِّرَاعَ في مَوضعِ الذَّرْعِ، فيقولون: ضِقْتُ بهذا الأمرِ ذِرَاعاً، قال الشاعر:

إلَـيْـكَ إلَـيْـكَ ضَـاقَ بِـهِـم ذِرَاعَـا

فأما العَصِيبُ، فقال أبو عُبيدَةَ: العَصِيبُ: الشديدُ الذي يَعصِبُ الناسَ بالشَّرِّ، وأنشد:

يَـوْمٌ عَـصِـيـبٌ يَـعْـصِـبُ الأبْـطَـالا ... عَـصْـبَ الـقَـوِيِّ الـسَّـلَـمَ الـطِّـوَالا

وقال أبو عُبَيدٍ: يقال: يومٌ عَصِيبٌ ويوم عصبصب: إذا كان شديداً.

قوله تعالى: ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ: «يُهرَعُون» يُسرِعون. وقال الفَرَّاءُ، والكِسَائيُّ: لا يكون الإهرَاعُ إلاَّ إسراعاً مع رِعدَةٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: الإهرَاعُ شبيهُ بالرِّعْدَةِ، يقال: أُهرِعَ الرجل: إذا أسرَعَ، على لفظ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، كما يقال: أُرعِدَ. قال ابنُ الأنبَاري: الإهرَاعُ فِعلٌ واقعٌ بالقوم وهو لَهُم في المعنى، كما قالتِ العربُ: قد أُولِعَ الرجلُ بالأمرِ، فجعلوه مفعولاً، وهو صاحبُ الفعل، ومِثلُهُ: أُرْعِدَ زيدٌ، وسُهِيَ عمرٌو مِنَ السَّهْوِ، كلُّ واحدٍ مِنْ هذه الأفَاعِيلِ خرجَ الاسمُ معه مُقَدَّراً تقديرَ المفعولِ، وهو صاحبُ الفعل لا يُعرَفُ له فاعلٌ غَيرُه. قال: وقال بعضُ النَّحويين: لا يجوزُ للفعل أنْ يُجعَلَ فاعلُه مفعولاً، وهذه الأفعالُ المذكورةُ فَاعِلُوها مَحذُوفون، وتأويلُ «أولع زيد»: أَولَعَهُ طَبْعُه وجِبِلَّتُه، و «أُرعد الرجل»: أرْعَدَهُ غَضَبُه، و «سُهِيَ عمرٌو» جعلَهُ سَاهياً مالُه أو جهلُه، و «أُهرِعَ» معناه: أهْرَعَهُ خَوفُه ورُعبُه؛ فلهذه العِلَّةِ خُرِّجَ هؤلاءِ الأسماءُ مَخْرَجَ المفعولِ به. قال: وقال بعضُ

---

(١) سورة مريم: ٤.

اللغويين: لا يكون الإهراعُ إلاَّ إسراعَ المَذْعُورِ الخائفِ؛ لا يُقال لكلِّ مُسرع: مُهْرِعٌ حتى يَنضَمَّ إلى إسرَاعِه جَزَعٌ وذُعرٌ. قال المُفسِّرون: سببُ إهرَاعِهم، أنَّ امرأة لُوطٍ أخبرتْهم بالأضيَافِ.

﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أي: ومِنْ قبل مَجيئِهم إلى لُوطٍ ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يعني فِعلَهُم المُنكرَ. وفي قوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ قولان:

أحدهما: أنهنَّ بناتُه لِصُلبه، قاله ابنُ عباسٍ. فإنْ قيلَ: كيف جمعَ، وإنَّما كُنَّ اثنتين؟

فالجواب: أنه قد يَقعُ الجَمعُ على اثنين، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.

والثاني: أنه عَنَى نساءَ أُمَّتِه، لأنَّ كلَّ نبيٍّ أبو أُمَّتِه، والمعنى: أنه عَرضَ عليهم التَّزويجَ، أو أَمَرَهم أنْ يكتفُوا بنِسَائِهم، وهذا مذهبُ مُجاهِدٍ، وسعيدِ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةَ، وابنِ جُرَيجٍ.

فإن قيل: كيف عَرَضَ تزويجَ المؤمنات على الكافرين؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شَريعتِه، وكان جائزاً في صَدْرِ الإسلام حتى نُسِخَ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنه عَرَضَ ذلك عليهم بشَرْطِ إسلامِهم، قاله الزَّجَّاجُ، ويُؤكِّده أنَّ عَرْضَهُنَّ عليهم مَوقُوفٌ على عَقْدِ النِّكاح، فجازَ أنْ يقفَ على شَرْطٍ آخرَ.

قوله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال مُقاتِلٌ: هنَّ أَحلُّ مِنْ إتيَانِ الرِّجالِ.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اتَّقوا عُقوبتَه. **والثاني**: اتَّقوا مَعصيتَه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ حرَّكَ ياءَ «ضيفي» أبو عَمرٍو، ونافعٌ. وفي معنى هذا الخِزي ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفَضِيحةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الاستِحيَاءُ، والمعنى: لا تفعلوا بأضيَافِي فِعْلاً يَلزَمُني الاستِحيَاءُ منه، لأنَّ المُضِيفَ يَلزمُه الاستِحيَاءُ مِنْ كلِّ فعلٍ يَصِلُ إلى ضَيْفِه. والعرب تقول: قد خَزِيَ الرَّجلُ يَخْزَى خِزايَةً: إذا استَحيَا، قال الشاعر:

مِنَ البِيْضِ لاَ تَخْزَى إذا الرِّيحُ أَلْصقَتْ ... بِها مِرْطَها أَوْ زَايَلَ الحَلْيُ جِيْدَها[١]

والثالث: أنه بمعنى الهَلاكِ، لأنَّ المَعَرَّةَ التي تقع بالمُضِيفِ في هذه الحالِ تُلزمُه هَلَكَةً، ذكرهما ابنُ الأنبَاري. قال ابنُ قُتَيبةَ: والضَّيفُ ها هنا: بمعنى الأَضيَافِ، والوَاحدُ يَدلُّ على الجميع، كما تقول: هؤلاءِ رَسُولي ووَكِيلي.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ في المُراد بالرَّشِيدِ قولان: **أحدهما**: المؤمن.

والثاني: الآمِرُ بالمَعروفِ والنَّاهي عن المُنكَرِ، رُويا عن ابنِ عباسٍ.

قال ابنِ الأنبَاري: يجوز أنْ يكون الرَّشيدُ بمعنى المُرشِدِ، فيكون المعنى: أليس منكم مُرشِدٌ يَعِظُكم ويُعرِّفكم قبيحَ ما تأتونَ؟ فيكون الرَّشيدُ مِنْ صِفَةِ الفاعلِ، كالعَليم، والشَّهيد. ويجوز أنْ يكون الرَّشيدُ بمعنى المُرْشَدِ، فيكون المعنى: أليس منكم رجلٌ قد أَسعَدَهُ اللَّهُ بما مَنَحَهُ مِنَ الرَّشَادِ يَصْرِفُكم عن إتيانِ هذه المَعَرَّةِ؟ فيجري رَشِيدٌ مَجرَى مفعولٍ، كالكتابِ الحَكِيم بمعنى المُحْكَم.

قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما لنا فيهنَّ حَاجَةٌ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لَسْنَ لنا بأزواجٍ فنستَحِقَّهنَّ، قاله ابنُ إسحَاقَ، وابنُ قُتَيبةَ.

---

(١) في «اللسان» المِرط: كساء: من خز أو صوف أو كتان، وقيل هو الثوب الأخضر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ قال عَطاءٌ: وإنَّك لَتعلَمُ أنَّا نريد الرجالَ، لا النساءَ.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ أي: جَماعةٌ أَقوَى بهم عليكم. وقيل: أرادَ بالقُوَّةِ البَطْشَ. ﴿أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أَنضمُّ إلى عَشيرةٍ وشِيعَةٍ تمنَعُني. وجوابُ «لو» محذوفٌ على تقدير: لَحُلْتُ بينكم وبينَ المَعصِيةِ. قال أبو عُبيدَةَ: قوله تعالى: «آوي» مِنْ قولهم: أَوَيتُ إليكَ، فأَنَا آوِي أُويًا، والمعنى: صِرتُ إليكَ وانضمَمْتُ. ومجازُ الرُّكنِ ها هنا: العَشِيرةُ العزيزةُ الكثيرةُ المَنِيعةُ، وأنشد[(١)]:

يَـــأوِي إلـــى رُكْـــنٍ مِـــنَ الأرْكَـــانِ فـــي عَـــدَدٍ طَـــيْـــسٍ ومَـــجـــدٍ بَـــانِـــي

والطَّيْسُ: الكثير، يُقال: أتانا لَبَنٌ طَيْسٌ، وشَرابٌ طَيْسٌ، أي: كثيرٌ.

واختلفوا أي وقتٍ قال هذا لُوطٌ؛ فرُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنَّ لُوطاً كان قد أغلقَ بابَهُ والملائكةُ معه في الدارِ، وهو يُناظِرهم ويُناشِدُهم وراءَ الباب، وهم يُعالِجُون الباب ويَرومُون تَسوُّر الجدارِ؛ فلمَّا رَأَتِ الملائكةُ ما يَلقى مِنَ الكَربِ، قالوا: يا لُوطُ إنَّا رُسُلُ رَبِّكَ، فافتحِ البابَ وَدَعْنا وإِيَّاهم؛ ففتَحَ البابَ، فدَخَلُوا، واستَأذَنَ جِبريلُ رَبَّهُ في عُقوبَتِهم، فأَذِنَ له، فضَربَ بجَناحِهِ وجُوهَهُم فأَعمَاهُم، فانصرفوا يقولون: النَّجاءَ النَّجاءَ، فإنَّ في بيت لُوطٍ أَسْحَرُ قوم في الأرض؛ وجعلوا يقولون: يا لُوطُ، كما أنتَ حتى تُصبحَ، يُوعدُونه؛ فقال لهم لُوطٌ: متى مَوعِدُ هَلاكِهم؟ قالوا: الصُّبحُ، قال: لو أَهلَكتُموهُم الآنَ، فقالوا: أليس الصُّبْحُ بقريبٍ؟ وقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: إنَّهم لمَّا تَواعَدُوه، قال في نَفْسِه: ينطلق هؤلاءِ القَومُ غداً مِنْ عندي، وأبقى مع هؤلاءِ فيُهلِكُوني، فقال: لو أنَّ لي بكُم قوَّةً.

قلت: وإنما يَتوَجَّهُ هذا إذا قلنا: إنه كان قبلَ عِلمِه أنهم ملائكةٌ. وقال قومٌ: إنه إنَّما قال هذا لمَّا كَسَرُوا بابَهُ وهَجَمُوا عليه. وقال آخرون: لمَّا نَهاهُم عن أضيافِه فأبَوْا قال هذا. وفي الجُملَةِ، ما أراد بالرُّكنِ نَصْرَ الله وعَونَهُ، لأنه لم يَخْلُ مِنْ ذلك، وإنما ذهبَ إلى العَشيرَةِ والأُسرَةِ.

[٧٩٦] ورَوى أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «رَحِمَ اللَّهُ لُوطاً، لقد كان يَأوِي إلى رُكْنٍ شديدٍ، وما بَعثَ اللَّهُ نبيًا بعدَهُ إلاَّ في ثَروَةٍ مِنْ قَومِه».

قوله تعالى: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ قال مُقاتِلٌ: فيه إضمَارٌ، تقديره: لن يَصِلُوا إليكَ بسُوءٍ، وذلك أنهم قالوا لِلُوطٍ: إنَّا نرى معكَ رجالاً سَحَرُوا أبصارَنا، فستَعلَمُ غداً ما تَلْقى أنتَ وأهلُكَ؛ فقال له جِبريلُ: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ قرأ عَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ «فأسر»

---

[٧٩٦] صدره صحيح وعجزه حسن، أخرجه الترمذي ٣١١٦، وأحمد ٢/ ٣٣٢، والطبري ١٨٤١١، ١٨٤١٢ و١٨٤١٣ و١٨٤١٦ وابن حبان ٦٢٠٧ من طريق محمد بن عمرو. عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.
وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو، فإنه صدوق، حسن الحديث.
وأخرجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً دون عجزه «وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه» البخاري ٣٣٧٢ و٤٥٣٧، ومسلم ١٥١ و٢٣٨ والترمذي ٣١١٦ وابن ماجة ٤٠٢٦ والطبري ١٨٤١٤ و١٨٤١٥ و١٨٤١٧، والبغوي في «شرح السنة» ٦٣، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ٣٢٦.

---

(١) ذكره الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٨٧، ولم ينسبه لقائل.

بإثباتِ الهَمْزِ في اللفظ مِنْ أسرَيْتُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ «فاسر بأهلك» بغيرِ هَمزٍ مِنْ سَرَيتُ، وهما لُغتان. قال الزَّجَّاجُ: يقال: سَرَيتُ، وأسرَيتُ: إذا سِرْتُ ليلاً، قال الشاعر:

سَرَيت بهم حتَّى تَكِلَّ مَطيُّهم ... وحتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بأرسَانِ[1]

وقال النَّابغةُ:

أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزَاءِ سَارِيَةٌ[2] ... تُزجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ البَرَدِ

وقد رَوَوهُ: سَرَتْ. فأمَّا أهلُهُ، فقال مُقاتِلٌ: هم امرأتُه وابنَتَاهُ، واسمُ ابنتَيهِ: رُيْثا وزُعرثا. وقال السُّدِّيّ: اسمُ الكُبرى: رَيَّة، واسمُ الصُّغرى: عَروبَة، والمُراد بأهلِه: ابنَتَاهُ. فأمَّا القِطْعُ، فهو بمعنى القِطْعَةِ؛ يُقال: مضى قِطْعٌ مِنَ الليلِ، أي: قِطعَةٌ. قال ابنُ عباسٍ: يريد به: آخرَ الليل. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «بقطع» أي: ببقيَّةٍ تبقى مِنْ آخِره. وقال ابنُ الأنبارِي: ذِكرُ القِطْعِ بمعنى القِطْعَةِ مختصٌّ بالليل، ولا يُقال: عندي قِطعٌ مِنَ الثَّوبِ، بمعنى: عندي قِطعَةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى: لا يتخلَّف منكم أحدٌ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، **والثاني**: أنه الالتِفَاتُ المَعروفُ، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرأ نَافعٌ وعَاصِمٌ وابنُ عامرٍ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ بنصب التاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرو، وابنُ جمّازٍ عن أبي جَعفَرَ برفع التاء. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالنَّصبِ فالمعنى: فأَسْرِ بأَهْلِكَ إلاَّ امرأَتَكَ. ومَنْ قرأ بالرَّفع حَمَلَهُ على: «ولا يلتفتْ منكم أحد إلا امرأتك». وإنما أُمِرُوا بتَرْكِ الالتِفاتِ لِئَلاَّ يَرَوْا عظيمَ ما ينزلُ بهم مِنَ العذاب. قال ابنُ الأنبَاري: وعلى قراءةِ الرَّفعِ يكون الاستِثنَاءُ مُنقطِعاً، معناه: لَكِنِ امرأتُكَ فإنها تَلتفِتُ فيُصيبُها ما أَصابَهُم؛ فإذا كان استثناءً منقطِعاً كان التفاتُها معصيةً لِربِّها، لأنه نَدَبَ إلى تَرْكِ الالتِفَاتِ. قال قَتادَةُ: ذُكِرَ لنا أنها كانت مع لُوطٍ حين خرج مِنَ القريةِ، فلمَّا سمعت هَدَّةَ العذاب التفتَتْ فقالت: وَاقومَاهُ، فأصابَها حَجَرٌ فأهلَكَها، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾ للعذابِ ﴿ٱلصُّبْحُۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ قال المُفسِّرونَ: قالت الملائكةُ: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ فقال: أريدُ أعجَلَ مِنْ ذلك، فقالوا له: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمرُ اللّهِ الملائكةَ بعذَابِهم. **والثاني**: أنَّ الأمرَ بمعنى العذابِ. **والثالث**: أنه بمعنى القَضاءِ بعذَابِهم.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الكِنايةُ تعود إلى المُؤتَفِكَاتِ، وهي قُرى قومِ لُوطٍ، وقد

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «مطا» ونسبه لامرئ القيس ١٥/ ٢٨٤.
والمطية: الناقة التي يركب مطاها، والمطيّة: البعير يمتطى ظهره، وجمعُه: مطايا.

(٢) في اللسان السارية: السحابة التي تسري ليلاً، وجمعها: السواري.

ذكرناها في سُورة بَرَاءَة[١]، ونحن نُشير إلى قصة هَلاكِهم ها هنا.

قال ابنُ عباسٍ: أمرَ جِبريلُ لُوطاً بالخروجِ، وقال: أُخرُجْ وأَخرِجْ غَنمَكَ وبَقَرَكَ، فقال: كيفَ لي بذلكَ وقد أُغلِقَتْ أبوابُ المدينةِ؟ فبسطَ جَناحَهُ، فحَملَهُ وبِنْتَيهِ وما لَهُم مِنْ شيءٍ، فأخرَجَهُم مِنَ المَدينةِ، وسألَ جِبريلُ ربَّه، فقال: يا ربِّ وَلِّني هلاكَ هؤلاءِ القومِ، فأوحى اللّهُ إليه أنْ تَوَلَّ هَلاكَهُم؛ فلمَّا أنْ بَدَا الصُّبحُ، غَدَا عليهم جبريلُ فاحتَملَها على جَناحِه، ثم صَعِدَ بها حتى خَرجَ الطَّيرُ في الهواءِ لا يدري أينَ يذهبُ، ثم كَفَأَها عليهم، وسَمِعوا وَجْبَةً[٢] شديدة، فالتفتَتْ امرأةُ لُوطٍ، فرمَاها جِبريلُ بحَجَرٍ فقتلَها، ثم صَعِدَ حتى أشرَفَ على الأرضِ، فجعلَ يَتَّبِعُ مُسافِرَهم وَرُعَاتهم ومَنْ تحوَّل عن القَريةِ، فرَمَاهُم بالحِجارةِ حتى قَتلَهُم. وقال السُّدِّيّ: اقتلعَ جِبريلُ الأرضَ مِنْ سبعِ أَرَضِينَ، فاحتَملَها حتى بَلَغَ بها إلى أهلِ السماءِ الدُّنيا، حتى سمعَ أهلَ السماء نُبَاحَ كِلابِهم، ثم قَلَبَهَا. وقال غيره: كانت خَمْسَ قُرَى، أعظَمُها سَدُومُ، وكان القومُ أربعةَ آلافِ ألفٍ. وقيل: كان في كلِّ قريةٍ مائةُ ألفِ مُقاتِلٍ، فلمَّا رَفعَها إلى السماء، لم يَنْكَسِرْ لهم إناءٌ ولم يَسْقُطْ حتى قَلَبَها عليهم. وقيل: نَجَتْ مِنَ الخَمْسِ واحدةٌ لم تكن تعملُ مِثلَ عَمَلِهم. وانفردَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، فقال: إنَّ جِبريلَ ومِيكائيلَ تَوَلَّيا قَلْبَها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها تَرجِعُ إلى القُرى. **والثاني**: إلى الأُمَّةِ. وفي السِّجِّيلِ سبعةُ أقوالٍ[٣]:

أحدها: أنها بالفَارسيَّةِ سَنْك وكِلْ، السَّنكُ: الحَجَرُ، والكِلُّ: الطِّينُ، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وعِكرمَةَ، وسَعيدِ بنِ جُبَيرٍ. وقال مُجاهِدٌ: أَوَّلُها حَجرٌ، وآخِرُها طِينٌ. وقال الضَّحَّاكُ: يعني الآجُرَّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: مَنْ ذهب إلى هذا القولِ، اعتَبَرَهُ بقوله: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ يعني الآجُرَّ. وحكى الفَرَّاءُ أنه طِينٌ قد طُبِخَ حتى صارَ بمنزلة الرَّحَاءِ[٤]. **والثاني**: أنه بَحرٌ مُعلَّقٌ في الهواء بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحِجارَةُ، قاله عِكرمَةُ. **والثالث**: أنَّ السِّجِّيلَ: اسمُ السماءِ الدنيا، فالمعنى: حِجَارةٌ مِنَ السَّماء الدنيا، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه الشديد مِنَ الحجارةِ الصُّلبِ، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد لابنِ مُقبلٍ:

ضَرْباً تَواصَتْ به الأبطَالُ سِجِّينا[٥]

وَرَدَّ هذا القولَ ابنُ قُتيبةَ، فقال: هذا بالنون، وذاكَ باللام، وإنما هو في هذا البيت فَعِيلٌ مِنْ سَجَنْتُ، أي: حَبَستُ، كأنَّه يُثبِتُ صاحبَه. **والخامس**: أنَّ قوله: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ كقولكَ: مِنْ سجِلٍّ، أي: مما كُتِبَ لهم أنْ يُعذَّبوا به، وهذا اختيارُ الزَّجّاج. **والسادس**: أنه مِنْ أَسجَلْتُه، أي: أَرسَلْتُه، فكأنها مُرسَلَةٌ عليهم. **والسابع**: أنه مِنْ أَسجَلْتُ: إذا أعطَيتَ، حَكَى القولين الزَّجَّاجُ.

---

(١) الآية: ٧٠.

(٢) في «اللسان» الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهدَّة.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٣: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: **﴿لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين﴾** سورة الذاريات: ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) وقع في نسخة: «الأرحاء»، وفي «اللسان» الرحاء من الرحا: الحجارة والصخرة العظيمة.

(٥) هو عجز بيت، وصدره في «اللسان» مادة «سجن»: ورَجْلَةٍ يضربون البَيْضَ عن عُرُضٍ.

وفي قوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَتبَعُ بعضُه بعضاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه مَصفُوفٌ، قاله عِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: نُضِّدَ بعضُه على بعضٍ، لأنه طِينٌ جُمِعَ فجُعل حجارةً، قاله الرَّبيعُ بنُ أَنسٍ[١].

قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي مُعلَّمةً، أُخِذَ مِنَ السُّومَةِ، وهي العَلامَةُ. وفي عَلامَتِها ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: بياضٌ في حُمرَةٍ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ.

والثاني: أنها كانت مَختُومةً، فالحَجرُ أبيضُ وفيه نقطَةٌ سوداءُ، أو أَسوَدُ وفيه نقطةٌ بيضاءُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها المُخطَّطَةُ بالسَّوادِ والحُمرَةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: عليها نَضحٌ مِنْ حُمرَةٍ فيها خُطوطٌ حُمرٌ على هيئة الجزعِ، قاله عِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والخامس**: أنها كانت مُعلَّمَةً بعلامةٍ يُعرف بها أنها ليست مِنْ حجارةِ الدنيا، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والسادس**: أنه كان على كلِّ حجرٍ منها اسمُ صاحبه، قاله الرَّبيعُ. وحُكي عن بعضِ مَنْ رأى تلك الحِجارَة أنه قال: كانت مِثْلَ رأسِ الإبِلِ، ومثلَ مبارِكِ الإبِلِ، ومثل قَبْضَةِ الرَّجلِ.

وفي قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: جاءت مِنْ عند رَبِّكَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: عند ربِّكَ مُعدَّةً، قاله أبو بكرٍ الهُذَليُّ. **والثالث**: أنَّ المعنى: هذا التَّسويمُ لَزِمَ هذه الحجارةَ عند الله إيذاناً بنَفَاذِ قُدرَتِه وشدَّةِ عذابه، قاله ابنُ الأنبَاري. **والرابع**: أنَّ معنى قوله تعالى: «عند ربِّكَ»: في خَزَائِنه التي لا يُتصَرَّفُ في شيءٍ منها إلاَّ بإذنِه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ في المُراد بالظَّالمين هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المُرادَ بالظالمين هاهنا: كُفَّارُ قُريشٍ، خَوَّفهم اللهُ بها، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه عَامٌّ في كلِّ ظالم؛ قال قَتادَةُ: واللهِ ما أَجارَ اللهُ منها ظَالماً بعدَ قوم لُوطٍ، فاتَّقوا اللهَ وكُونوا منه على حَذَرٍ. **والثالث**: أنَّهم قومُ لُوطٍ، فالمعنى: وما هي مِنَ الظالمين، أيْ: مِنْ قوم لُوطٍ ببعيدٍ، والمعنى: لم تكن لِتُخطِئَهُم، قاله الفَرَّاءُ.

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ قد فسَّرناه في سورة الأعراف[٢]. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تُطَفِّفوا؛ وكانوا يُطفِّفون مع كُفرِهم. قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ فيه قولان:

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٣: والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس، وذلك أن قوله: ﴿منضود﴾ من نعت ﴿سجيل﴾، لا من نعت ﴿الحجارة﴾، وإنما أمطر القوم حجارة من طين صفة لذلك الطين أنه نُضِد بعضه إلى بعض، فصيّر حجارة، ولم يمطر الطين، فيكون موصوفاً بأنه تتابع على القوم بمجيئه. وأضاف الطبري: وإنما كان جائزاً أن يكون على ما تأوّله هذا المتأول، لو كان التنزيل بالنصب «منضودةً» فيكون من نعت «الحجارة» حينئذ.

(٢) الآية: ٨٥.

أحدهما: أنه رُخصُ الأسعارِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: سَعَةُ المالِ، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال قَتادةُ، وابنُ زيدٍ. وقال الفرَّاءُ: أموالُكم كثيرةٌ، وأسعارُكم رَخيصَةٌ، فأيُّ حاجةٍ بكم إلى سُوءِ الكَيلِ والوَزنِ[١]؟!

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه غَلاءُ السِّعرِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: القَحطُ والجَدْبُ والغَلاءُ. **والثاني**: العذابُ في الدنيا، وهو الذي أصابَهُم، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: عذابُ النار في الآخرة، ذكره الماوَردي[٢].

قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أي: أَتِمُّوا ذلك بالعَدلِ. والإيفاءُ: الإتمامُ. ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ بنقصِ المِكيالِ والميزانِ.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ
تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ
يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ
عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا
يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم
بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا
مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ
أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ
رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ
فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: ما أبقى اللهُ بكُم مِنَ الحَلالِ بعد

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله **﴿إني أراكم بخير﴾** يعني: بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ورخص السعر، ولا دلالة على أنه بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها.

(٢) في تفسيره: ٢/ ٤٩٥.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٩٨: يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿بقية الله خير لكم﴾** ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط، فأحله لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان. ثم ذكر سبب اختياره لهذا التأويل فقال في ٧/ ١٠٠: وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بخس الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ في الوفاء =

إيفاءِ الكيْلِ والوَزنِ، خيرٌ مِنَ البَخْسِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: رِزقُ الله خَيرٌ لكُم، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال سُفيانُ. **والثالث**: طاعةُ الله خيرٌ لكم، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: حَظُّكم مِنَ الله خيرٌ لكم، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: رَحمةُ الله خيرٌ لكم، قاله ابنُ زيدٍ. **والسادس**: وَصيَّةُ الله خيرٌ لكم، قاله الرَّبيعُ. **والسابع**: ثوابُ الله في الآخرة خيرٌ لكم، قاله مُقاتِلٌ. **والثامن**: مُراقبةُ الله خيرٌ لكم، ذكره الفَرَّاءُ. وقرأ الحَسنُ البَصريُّ: «تَقِيَّةُ الله خيرٌ لكم» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ شَرطَ الإيمانَ في كَونِه خيراً لهم، لأنهم إنْ كانوا مؤمنين بالله عزَّ وجلَّ، عرفوا صِحَّةَ ما يقول. وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما أُمِرْتُ بقتالكم وإكراهِكُم على الإيمان. **والثاني**: ما أمِرتُ بمُراقبَتِكم عند كَيْلِكم لِئَلاَّ تبخَسُوا. **والثالث**: ما أحفَظُكم مِنْ عذاب الله إنْ نالَكم.

قوله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ: «أصلاتك» على التَّوحيدِ. وفي المُراد بصَلَواتِه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: دِينُه، قاله عَطَاءٌ. **والثاني**: قِراءَتُه، قاله الأعمَشُ. **والثالث**: أنها الصَّلواتُ المعروفةُ. وكان شُعَيبٌ كثيرَ الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ قال الفَرَّاءُ: معنى الآية: أَصَلواتُكَ تأمُركَ أن نَترك ما يعبدُ آباؤنا، أو أَنْ نترُكَ أنْ نفعَلَ في أموالنا ما نَشاءُ؟

وفي معنى الكلام على قراءة مَنْ قرأ بالنون قولان: **أحدهما**: أنَّ فِعلَهُم في أموَالِهم هو البَخْسُ والتَّطفِيفُ، قاله ابنُ عباسٍ؛ فالمعنى: قد تَرَاضَينَا فيما بيننا بذلك.

والثاني: أنهم كانوا يَقطَعُونَ الدَّراهمَ والدَّنانيرَ، فنهاهُم عن ذلك، قاله ابنُ زيدٍ. وقال القُرَظيُّ: عُذِّبوا في قَطعِهم الدَّراهِم. قال ابنُ الأنبَاري: وقرأ الضَّحَّاكُ بنُ قَيسٍ الفِهْرِيّ: «ما تشاء» بالتاء، ونسَقَ «أن تفعل» على «أن تترك»، واستَغنَى عن الإضمَارِ. قال سُفيانُ الثَّوريُّ: في معنى هذه القراءة أنه أَمرَهُم بالزَّكاة فامتنعوا. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلمي، والضَّحَّاكُ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء» بالتاء فيهما[(١)]؛ ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءةِ الفِهْرِيّ.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم قالوه استِهزَاءً به، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والفَرَّاءُ.

والثاني: أنهم قالوا له: إنَّكَ لأَنتَ السَّفيهُ الجاهلُ، فكُنِيَ بهذا عن ذلك، ذكره الزَّجَّاجُ.

والثالث: أنهم سَبُّوه بأنه ليس بحَليم ولا رشيدٍ، فأثنى اللهُ عزَّ وجلَّ عليه فقال: بل إنكَ لأنتَ الحَليمُ الرَّشيدُ، لا كما قال لكَ الكافرونَ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي عن أبي الحَسَنِ المِصِّيصي.

= في الدنيا والآخرة أولى، مع أن قوله ﴿بقية﴾ إنما هي مصدر من قول القائل: «بقيت بقية من كذا»، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى: بقية الله التي أبقاها لكم، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم، خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس، ببخسكم إياها في الكيل والوزن. اهـ.

(١) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٠١: فمن قرأ ذلك كذلك، فلا مؤونة فيه، وكانت «أن» الثانية حينئذ معطوفة على «أن» الأولى.

والرابع: أنهم اعترَفوا له بالحِلْم والرُّشدِ حقيقةً، وقالوا: أنتَ حَليمٌ رَشيدٌ، فلِمَ تنهانَا أنْ نفعلَ في أموالنا ما نشاءُ؟ حكاه المَاوَردي، وذهَب إلى نحوه ابنُ كَيْسَانَ.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ قد تقدَّم تفسيرُه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحَلالُ؛ قال ابنُ عباسٍ: وكان شُعيبٌ كثيرَ المالِ. **والثاني**: النُّبوَّةُ. **والثالث**: العِلمُ والمَعرفةُ.

قال الزَّجَّاجُ: وجوابُ الشرط هاهنا مَتروكٌ، والمعنى: إنْ كنتُ على بَيِّنةٍ مِنْ ربِّي، أَتَّبعُ الضَّلالَ؟ فتركَ الجوابَ، لِعِلْمِ المُخاطَبين بالمعنى، وقد مَرَّ مِثلُ هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ قال قَتادةُ: لم أَكُنْ لأنْهاكُم عن أَمْرٍ ثم أرتكِبُه. وقال الزَّجَّاجُ: ما أَقصِدُ بخِلافِكُم القَصْدَ إلى ارتكَابِهِ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أُريدُ بما آمُركُم به إلاَّ إصلاحَ أُمورِكم بقَدْرِ طاقتي. وقَدْرُ طَاقتي: إبلاغُكم لا إجبارُكم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فَتَحَ تاءَ «توفيقي» أهلُ المدينةِ، وابنُ عامرٍ. ومعنى الكلام: ما إصَابَتِي الحقَ في مُحاولةِ صَلاحِكُم إلاَّ باللهِ، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فَوَّضتُ أَمرِي، وذلك أنهم تَواعَدُوه بقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: أَرْجِعُ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ حَرَّكَ هذه الياءَ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، ونَافعٌ. قال الزَّجَّاجُ: لا تُكسِبنَّكُم عَداوَتُكم إيَّايَ أنْ تُعذَّبوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم كانوا قريباً مِنْ مَسَاكِنِهم. **والثاني**: أنهم كانوا حَدِيثِي عَهدٍ بعذاب قوم لُوطٍ. قال الزَّجَّاجُ: كان إهلاكُ قوم لُوطٍ أقربَ الإهلاكَاتِ التي عرفوها. قال ابنُ الأنبَاري: إنَّما وَحَّدَ بعيداً، لأنه أزالَهُ عن صفةِ القَومِ، وجعله نعتاً مكانَ مَحذُوفٍ، تقديره: وما قومُ لُوطٍ منكم بمكانٍ بعيدٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ قد سبقَ معنى الرَّحيم. فأمَّا الوَدُود: فقال ابنُ الأنباري: معناه: المُحِبُّ لعبادِه، مِنْ قولهم: ودِدْتُ الرجلَ أَوَدُّه وُدّاً ووَدّاً، ويُقال: ودِدْتُ الرجلَ وِداداً ووَدادَةً ووِدادَةً. وقال الخَطَّابيُّ: هو اسمٌ مأخوذٌ مِنَ الوُدّ؛ وفيه وجهان:

أحدهما: أنْ يكون فَعُولاً في مَحَلِّ مفعولٍ، كما قيل: رَجلٌ هَيُوبٌ، بمعنى مَهيبٌ، وفَرسٌ رَكوبٌ، بمعنى مَركُوبٌ، فالله سبحانه مَودُودٌ في قلوبِ أوليائه لِمَا يتعرَّفونه مِنْ إحسَانِه إليهم.

والوَجْهُ الآخرُ: أنْ يكون بمعنى الوَادِّ، أي أنه يُودُّ عبادَه الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم بِتقبُّلِ أعمَالِهم؛ ويكون معناه: أنْ يُوَدِّدَهم إلى خَلْقِه، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾(١).

قوله تعالى: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: ما نَفقَهُ صحَّةَ كثيرٍ ممَّا تقول، لأنهم كانوا يَتديَّنون بغيرِه، ويجوز أنْ يكونوا لاستِثقَالِهم ذلك كأنَّهم لا يفقَهُونَهُ.

---

(١) سورة مريم: ٩٦.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ضَريراً؛ قال ابنُ عباسٍ وابنُ جُبَيرٍ وقتادةُ: كان أعمَى. قال الزَّجَّاجُ: ويُقال إنَّ حِمْيَر تُسمي المَكفُوفَ ضعيفاً. **والثاني**: ذليلاً، قاله الحسَنُ وأبو رَوْقٍ ومُقاتِلٌ. وزعمَ أبو رَوْقٍ أنَّ الله لم يبعث نبياً أعمَى ولا نبياً به زَمَانَة. **والثالث**: ضعيفَ البَصَر، قاله سُفيانُ. **والرابع**: عاجزاً عن التَّصرُّف في المَكَاسِب، ذكره ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لولا عشيرَتُكَ لَقَتلناكَ بالرَّجم، والرَّجمُ مِنْ سيِّءِ القَتَلاتِ، وكان رَهطُهُ مِنْ أهل مِلَّتِهم، فلذلك أظهروا المَيْلَ إليهم والإكرَامَ لهم. وذكر بعضُهم أنَّ الرَّجمَ هاهنا بمعنى الشَّتم والأذى. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بِكَريمٍ. **والثاني**: بِمُمتنعٍ أنْ نقتُلَكَ.

قوله تعالى: ﴿أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وأسكَنَ ياء «رهطي» أهلُ الكُوفَةِ، ويَعقوبُ، والمعنى: أَتُراعُونَ رَهْطِي فيَّ، ولا تُراعُونَ اللهَ فيَّ؟

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، قاله الجمهورُ. قال الفَرَّاءُ: المعنى: رَميتُم بأمرِ الله وراءَ ظُهورِكُم. قال الزَّجَّاجُ: والعرب تقول لكلِّ مَنْ لا يَعبأُ بأمرٍ: قد جَعلَ فلانٌ هذا الأمرَ بِظَهْرٍ، قال الشاعر[١]:

تَمِيمَ بنَ قَيسٍ لا تكُونَنَّ حَاجَتي   بِظَهْرٍ فلا يَعْيَا عَلَيَّ جَوابُها

والثاني: أنها كِنايةٌ عما جاء به شُعَيبٌ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عَالِمٌ بأعمَالِكم، فهو يُجازيكُم بها. وما بعدَ هذا قد سبَقَ تفسيرُه[٢] إلى قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. فإنْ قال قائلٌ: كيف قال هاهنا: «سوف» وفي أخرى: «فسوف»[٣]؟ فالجوابُ: أنَّ كِلاَ الأمرَين حَسَنٌ عند العرب، إنْ أدخلوا الفاءَ، دَلُّوا على اتِّصالِ ما بعدَ الكلام بما قَبْلَهُ، وإنْ أسقطُوها، بَنَوْا الكلامَ الأولَ على أنه قد تَمَّ، وما بعدَهُ مُستأنَفٌ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[٤] والمعنى: فقالوا: أَتَتَّخِذُنا، بالفاء، فحُذفت الفاءُ لتَمامِ ما قَبلَهَا. قال امرُؤُ القَيسِ:

فَقَالَتْ يَمِينَ اللهِ ما لَكَ حِيلَةٌ   وَمَا إنْ أرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ تَنْجَلي

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشي تَجُرُّ وَرَاءَنَا   عَلى إثْرِنَا أَذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[٥]

قال ابنُ الأنباري: أراد: فخَرجتُ، فأسقطَ الفاءَ لِتَمَام ما قَبلَهَا. ويُروى: فقُمتُ بها أمشي.

قوله تعالى: ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ارتَقِبُوا العذابَ، فإنِّي أرتَقبُ الثوابَ. قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾. قال المُفسِّرون: صاحَ بهم جِبريلُ فَمَاتُوا في أمكِنَتِهم. قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ: عُذِّب أهلُ مَدْيَنَ بثلاثةِ أصنافٍ مِنَ العذاب، أخذَتْهم رَجفَةٌ في دِيارِهم؛ حتى خافوا أنْ تَسقُطَ عليهم، فخَرجوا منها فأصابَهُم حَرٌّ شَديدٌ، فبعثَ اللهُ الظُّلَّةَ، فتنادَوا: هَلُمَّ إلى الظِّلِّ؛ فدخلوا جميعاً في الظُّلَّةِ، فَصِيحَ بهم صَيحَة واحدة فمَاتُوا كُلُّهم. قال ابنُ عباسٍ: لم تُعذَّب أُمَّتانِ

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ظهر» وعزاه إلى الفرزدق.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٥. (٣) سورة الأنعام: ١٣٥. (٤) سورة البقرة: ٦٧.

(٥) المرَحَّل: ضرب من برود اليمن، سمي مُرَحَّلاً لأن عليه تصاوير رَحل. ومِرطٌ مُرَحَّل: إذا وُخز فيه عَلَم.

قطُّ بعذابٍ واحدٍ، إلاّ قومُ شُعيبٍ وصالحٍ، فأما قومُ صالحٍ، فأخذَتْهم الصَّيحةُ مِن تحتِهم، وأمَّا قومُ شُعَيبٍ، فأخذَتْهم مِن فوقِهم، نشأت لهم سحابةٌ كهَيئةِ الظُّلّةِ فيها رِيحٌ بعدَ أن امتنعتِ الرِّيحُ عنهم، فأتَوْها يستظِلُّون تحتَها فأحرقَتْهم.

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ أي: كما هَلَكتْ ثمودُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: بَعِدَ يَبْعَدُ: إذا كان بُعْده هَلكَةً؛ وبَعُدَ يبعُدُ: إذا نأى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: بعَلاماتِنا التي تدلُّ على صحَّةِ نُبوَّتِه. ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حُجَّةٍ بَيِّنةٍ. قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ما أمرَهُم به مِن عبادته واتِّخاذِه إلهاً. ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: مُرشِدٍ إلى خيرٍ.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يُقال: قَدَمْتُ القومَ أقدُمُهم، قَدْماً وقُدوماً: إذا تَقدَّمتُهم؛ والمعنى: يَقدُمُهم إلى النَّارِ؛ ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أوردَهُم بمعنى أدخلَهُم. وقال قَتادةُ: يَمضي بين أيديهم حتَّى يَهجُمَ بهم على النار. وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ قال المُفسِّرون: الوِردُ: المَوضعُ الذي تردُه. وقال ابنُ الأنباري: الوِردُ: مصدرٌ معناه: الوُرُودُ، تجعلُه العربُ بمعنى المَوضِعِ المَورُودِ؛ فتلخيصُ الحَرفِ: وبِئْسَ المَدخَلُ المَدخُولُ النارُ.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. في هذه اللعنةِ قولان:

أحدهما: أنها في الدنيا الغَرقُ، وفي الآخرة عذابُ النارِ، هذا قول الكَلبيِّ، ومُقاتِلٍ.

والثاني: أنها اللعنةُ في الدنيا مِنَ المؤمنين، وفي الآخرة مِنَ الملائكة، ذكره المَاوَردِي(١).

قوله تعالى: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: الرِّفْدُ: العَطِيَّةُ؛ يقول: اللعنةُ بِئْسَ العَطِيَّةُ؛ يُقال: رفدتُه أرْفِدُهُ: إذا أعطيتَهُ وأعنتَهُ. والمرفُودُ: المُعطى.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ﴾ يعني ما تقدَّمَ مِنَ الخَبرِ عن القُرى المُهلكَةِ. ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: نُخبرُكَ به ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ قال قَتادَةُ: القائمُ: ما يُرى مكانُه، والحَصِيدُ: لا يُرى أثَرُه. وقال ابنُ قُتَيبة: القائمُ: الظَّاهِرُ العَينِ، والحَصِيدُ: الذي قد أُبِيدَ وحُصِدَ. وقال الزَّجَّاجُ: القائمُ: ما بَقِيتْ حِيطَانُه، والحَصِيدُ: الذي خُسِفَ به وما قد امَّحَى أثَرُهُ.

---

(١) في تفسيره: ٢/ ٥٠٢.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ أي: بالعذابِ والإهلاكِ. ﴿وَلَكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفرِ والمعاصي. ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ أي: فما نفعتْهُم ولا دفعتْ عنهم شيئاً ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالهلاكِ. ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه التَّخسيرُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، واختاره ابنُ قُتيبةَ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنه الشَّرُّ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: التَّدميرُ والإهلاكُ، قاله أبو عُبيدَةَ.

فإنْ قيلَ: الآلهة جَمادٌ، فكيفَ قال: «زادُوهُم»؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: وما زادَتهُم عبادَتُها. **والثاني**: أنها في القيامة تكون عَوناً عليهم فتزيدهم شرّاً.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ أي: وكما ذُكِرَ مِنْ إهلاك الأُمَم وأَخْذِهم بالعذاب أَخْذُ ربِّكَ. ﴿إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾ وَصَفَ القُرى بالظُّلمِ، والمُراد أهلُها. وقال ابنُ عباسٍ: الظُّلمُ هاهنا: بمعنى الكُفرِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يعني ما ذُكِرَ مِنْ عذاب الأُمَم وأَخْذِهم. والآيةُ: العِبرَةُ والعِظَةُ. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ لأنَّ الخلقَ يُحشرون فيه، ويَشهَدُه البَرُّ والفَاجِرُ، وأهلُ السَّماءِ والأرض.. ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ ورَوى زيدٌ عن يعقوبَ، وأبو زيدٍ عن المُفضَّلِ «وما يؤخره بالياء» والمعنى: وما نُؤَخِّرُ ذلكَ اليومَ إلاَّ لوقتٍ معلوم لا يعلمُه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو والكِسَائيُّ: «يوم يأتي» بياءٍ في الوَصْلِ وحَذفُوها في الوَقْفِ؛ غيرَ أنَّ ابنَ كَثيرٍ كان يقف بالياء ويَصِلُ بالياء. وقرأ عَاصِمٌ وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ بغير ياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. قال الزَّجّاجُ: الذي يختاره النَّحويون «يوم يأتي» بإثباتِ الياء، والذي في المُصحفِ وعليه أكثَرُ القِراءاتِ بكسرِ التاء، وهُذَيلٌ تستعمل حذفَ هذه الياءاتِ كثيراً. وقد حَكَى الخليلُ وسِيبَوَيه، أنَّ العرب تقول: لا أَدْرِ، فتَحذفُ الياءَ وتَجتَزئُ بالكسرة، ويزعمون أنَّ ذلك لِكثرَةِ الاستعمال. وقال الفَرَّاءُ: كلُّ ياءٍ ساكنةٍ وما قبلها مكسورٌ، أو واوٍ ساكنةٍ وما قبلها مَضمُومٌ، فإنَّ العرب

تحذفهما وتجتزئ بالكسرة مِنَ الياء وبالضَّمةِ مِنَ الواوِ، وأنشدني بعضُهم[١]:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا ... جُوداً وأُخْرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا

قال المُفسِّرون: وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يعني: يأتي ذلكَ اليومُ، لا تَكَلَّمُ نَفسٌ إلاَّ بإذْنِ الله، فكُلُّ الخَلائِقِ سَاكِتُونَ، إلاَّ مَن أَذِنَ اللهُ له في الكلام. وقيل: المُراد بهذا الكلام الشَّفاعةُ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: منهم مَنْ كُتِبت عليه الشَّقاوةُ، ومنهم مَنْ كُتِبت له السَّعادةُ.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الزَّفيرَ كزَفيرِ الحِمارِ في الصَّدرِ، وهو أولُ ما يَنهقُ، والشَّهيقُ كشَهيقِ الحِمارِ في الحَلْقِ، وهو آخرُ ما يَفرغُ مِنْ نَهيقِهِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ. وقال الزَّجَّاجُ: الزَّفِيرُ: شديدُ الأنِينِ وقَبيحُهُ، والشَّهيقُ: الأنِينُ الشَّديدُ المُرتفعُ جداً، وهما مِنْ أصواتِ المَكروبِينَ. وزَعمَ أهلُ اللغة مِنَ الكُوفيينَ والبَصريينَ أنَّ الزَّفيرَ بمنزلة ابتداءِ صوتِ الحِمارِ في النَّهيقِ، والشَّهيقَ بمنزلة آخرِ صَوتِه في النَّهيقِ.

والثاني: أنَّ الزَّفيرَ في الحَلْقِ، والشَّهيقَ في الصُّدورِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العَالِيَة، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ، وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ: الزَّفيرُ: الصوتُ الشَّديدُ، والشَّهيقُ: الصوتُ الضعيفُ. وقال ابنُ فَارِسٍ: الشَّهيقُ ضِدُّ الزَّفيرِ، لأنَّ الشَّهيقَ رَدُّ النَّفَسِ، والزَّفيرَ إخراجُ النَّفَسِ. وقال غيره: الزَّفيرُ: الشديدُ، مأخوذٌ مِنَ الزَّفْرِ، وهو الحَمْلُ على الظَّهرِ لشِدَّتِه؛ والشَّهيقُ: النَّفَسُ الطَّويلُ المُمتَدُّ، مأخوذٌ مِنْ قولهم: جَبَلٌ شَاهِقٌ، أي طويلٌ.

والثالث: أنَّ الزَّفيرَ زَفيرُ الحِمارِ، والشَّهيقَ شَهيقُ البِغالِ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ المعروف فيه قولان: **أحدهما**: أنها السَّمواتُ المَعروفةُ عندنا، والأرضُ المَعروفةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ، وابنُ الأنبَاري: للعربِ في معنى الأبَدِ ألفاظٌ؛ تقول: لا أفعَلُ ذلك ما اختلفَ الليلُ والنهارُ، وما دَامَتِ السَّمواتُ والأرضُ، وما اختلَفَتِ الجِرَّةُ والدِّرَّةُ، وما أطَّتِ الإبلُ[٢]، في أشباهٍ لهذا كثيرةٍ، ظناً منهم أنَّ هذه الأشياءَ لا تتغيرُ، فخَاطبَهُم اللهُ بما يستعملون في كلامهم. **والثاني**: أنَّها سَمواتُ الجنَّة والنارِ وأرْضُهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في الاستِثناءِ المذكورِ في حقِّ أهل النارِ سبعةُ أقوالٍ[٣]:

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «لَيَقَ» ولم ينسبه لأحد.

(٢) في «اللسان» الجِرَّة: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه. والدِّرَّة بالكسر: كثرة اللبن وسيلانه. وأطّت الإبل تئط أطيطاً: أنّت تعباً أو حنيناً.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١١٦: وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرناه عن قتادة والضحاك: «من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر، أنه يدخلهم النار خالدين فيها أبداً إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أن الله يدخل قوماً من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، =

أحدها: أنَّ الاستِثناءَ في حقِّ المُوَحِّدينَ الذين يُخرَجُونَ بالشَّفاعةِ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه استثناءٌ لا يَفعَلُه، تقول: واللهِ لأَضرِبَنَّكَ إلاَّ أنْ أرى غيرَ ذلك، وعَزيمَتُكَ على ضَرْبِه، ذكره الفَرَّاءُ، وهو معنى قولِ أبي صالح عن ابنِ عباسٍ: «إلاَّ ما شاء ربُّكَ» قال: فقد شاءَ أنْ يُخَلَّدوا فيها. قال الزَّجَّاجُ: وفائدةُ هذا، أنه لو شاءَ أنْ يَرحَمَهُم لَرَحِمَهُم، ولكنه أَعلَمَنا أنهم خالدون أبداً. **والثالث**: أنَّ المعنى: خَالِدينَ فيها أبداً، غيرَ أنَّ اللهَ تعالى يأمُرُ النارَ فتَأكُلُهم وتُفنِيهم، ثم يُجَدِّدُ خَلْقَهُم، فيرجعُ الاستِثناءُ إلى تلكَ الحَالِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والرابع**: أنَّ «إلاَّ» بمعنى «سِوى» تقول: لو كان معنَا رجلٌ إلاَّ زيدٌ، أي: سِوى زيدٍ؛ فالمعنى: خَالِدينَ فيها مِقدارَ دَوام السَّمواتِ والأرضِ سِوى ما شاء ربُّكَ مِنَ الخُلودِ والزِّيادةِ، وهذا اختيارُ الفَرَّاءِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومِثلُه في الكلام أنْ تقولَ: لأُسْكِنَنَّكَ في هذه الدَّارِ حَوْلاً إلاَّ ما شِئْتَ؛ تريدُ: سِوى ما شئتَ أنْ أزيدَكَ. **والخامس**: أنهم إذا حُشِرُوا وبُعِثُوا، فَهُمْ في شُرُوطِ القيامةِ؛ فالاستِثناءُ واقعٌ في الخُلودِ بمِقدارِ مَوقِفِهم في الحساب، فالمعنى: خَالِدينَ فيها ما دَامَتِ السَّمواتُ والأرضُ إلاَّ مقدارَ مَوقِفِهم للمُحاسبَةِ، ذكره الزَّجَّاجُ. وقال ابنُ كَيْسَانَ: الاستِثنَاءُ يعود إلى مُكثِهم في الدنيا والبَرْزَخِ والوقوفِ للحساب؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: فالمعنى: خَالِدينَ في النارِ وخَالِدينَ في الجنَّةِ دوام السَّماءِ والأرضِ إلاَّ ما شاء ربُّكَ مِنْ تَعْمِيرِهِم في الدنيا قبلَ ذلك، فكأنه جعلَ دوامَ السَّماءِ والأرضِ بمعنى الأَبَدِ على ما كانت العربُ تستعملُ، وإنْ كانتا قد تَتَغيَّران. واستَثنَى المَشيئَةَ مِنْ دَوامِهِمَا، لأنَّ أهلَ الجنة والنار قد كانوا في وَقتٍ مِنْ أوقاتِ دَوام السماءِ والأرضِ في الدنيا، لا في الجنةِ، ولا في النارِ. **والسادس**: أنَّ الاستِثناءَ وقعَ على أنَّ لهم فيها زَفيراً وشَهِيقاً، إلاَّ ما شاءَ ربُّكَ مِنْ أنواع العذاب التي لم تُذكَرْ؛ وكذلك لأهلِ الجنةِ نعيمٌ ممَّا ذُكِرَ، ولهم ممَّا لم يُذكَرْ ما شاءَ ربُّكَ، ذكره الزَّجَّاجُ أيضاً. **والسابع**: أنَّ «إلاَّ» بمعنى «كما»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1]، ذكره الثَّعلبيُّ.

فأمَّا الاستِثناءُ في حقِّ أهلِ الجنَّةِ، ففيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه استثناءٌ لا يَفعَلُه. **والثاني**: أنَّ «إلاَّ» بمعنى «سِوى». **والثالث**: أنه يرجعُ إلى وُقوفِهم للحِسابِ ولُبثِهم في القُبورِ. **والرابع**: أنه بمعنى: إلاَّ ما شاءَ أنْ يَزيدَهُم مِنَ النَّعيم الذي لم يُذكَرْ. **والخامس**: أنَّ «إلاَّ» بمعنى «كما» وهذه الأقوالُ قد سبقَ شَرحُها. **والسادس**: أنَّ الاستثناءَ يرجعُ إلى لُبثِ مَنْ لَبِثَ في النارِ مِنَ المُوَحِّدينَ، ثم أُدخِلَ الجنَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. قال ابنُ قُتَيبَة: فيكون الاستثناءُ مِنَ الخُلودِ مُكثُ أهلِ الذُّنوبِ مِنَ المسلمين في النَّارِ، فكأنَّه قال: إلاَّ ما شاء ربُّكَ مِنْ إخراجِ المُذنِبينَ إلى الجنَّةِ، وخَالِدينَ في الجنَّةِ إلاَّ ما شاء ربُّكَ مِنْ إدخالِ المُذنِبينَ النارَ مُدَّةً[2].

= فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا، وأنَّا إن جعلناه استثناء في ذلك، كنا قد دخلنا في قول من يقول: «لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن»، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. فإذا فسد هذان الوجهان، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث. وانظر و «تفسير الشوكاني» ٢/ ٥٩٨.

(١) سورة النساء: ٢٢.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١١٨: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القول الذي ذكرته عن الضحاك وهو: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، من قدر =

واختلف القُرَّاءُ في «سعِدوا» فقرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «سَعِدوا» بفتح السين. وقرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ وحَفصٌ عن عَاصِمٍ بضمِّها، وهما لُغتانِ.

قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ نُصبَ عَطاءً بما دلَّ عليه الكلام، كأنَّه قال: أعطاهُمُ النَّعيمَ عطاءً. والمَجْذُوذُ: المَقطُوعُ؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: جَذَذتُ، وجَدَدتُ، وجَذَفتُ، وجَدَفتُ: إذا قَطَعتَ.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ﴾ أي: فلا تَكُ يا محمَّدُ في شَكٍّ ﴿مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ المشركون مِنَ الأصنام، أنه باطلٌ وضَلالٌ، إنَّما يُقلِّدون آباءَهُم، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما قُدِّرَ لهم مِنْ خيرٍ وشرٍّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: نَصيبُهم مِنَ الرِّزقِ، قاله أبو العَالِية. **والثالث**: نَصيبُهم مِنَ العذابِ، قاله ابنُ زيدٍ. وقال بعضُهم: لا يُنقِصهم مِنْ عذاب آبائِهم.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني التَّوراة ﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾ فمِنْ مُصدِّقٍ به ومُكذِّبٍ كما فعلَ قومُكَ بالقرآن. قال المُفسِّرون: وهذه تعزيةٌ للنبيِّ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: إنِّي أخَّرتُ أُمَّتكَ إلى يوم القيامة، ولولا ذلك لَعجَّلتُ عقابَ مَنْ كَذَّبكَ. وقال ابنُ قُتيبةَ: لولا نَظِرَةٌ لهُم إلى يومِ الدِّينِ لَقُضِيَ بينهم في الدُّنيا. وقال ابنُ جَريرٍ: سَبقتْ مِنْ ربِّكَ أنه لا يُعجِّلُ على خَلْقِه بالعذاب، لَقُضِيَ بين المُصدِّقِ منهم والمُكذِّب بإهلاكِ المُكذِّبِ وإنجاءِ المُصدِّقِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ أي: مِنَ القرآن ﴿مُرِيبٖ﴾ أي: مُوقعٍ للرَّيْبِ.

﴿وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلّٗا﴾ يُشير إلى جميع مَنْ قَصَّ قِصَّتَهُ في هذه السُّورة. وقال مُقاتِلٌ: يعني به كفَّارَ هذه الأُمَّةِ. وقيل: المعنى: وإنَّ كُلاً لَخلْقٌ أو بَشرٌ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ﴾. قرأ أبو عَمرٍو، والكِسائيُّ «وإنَّ» مشدَّدةَ النون، «لما» خفيفةً. واللامُ في «لَمَّا» لامُ التَّوكيدِ، دخلت على «ما» وهي خَبرُ «إنّ». واللامُ في «لَيوفِّيَنهم» اللامُ التي يُتلَقَّى بها القَسَمُ، والتَّقديرُ: واللَّهِ لَيُوَفِّيَنَّهم، ودخلت «ما» للفَصْلِ بين اللامَيْنِ. قال

= مكثهم في النار، من لدن دخولها إلى أن دخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص، لأن الأشهر من كلام العرب في «إلا» توجيهها إلى معنى الاستثناء وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك، ولا دلالة في الكلام، أعني في قوله: ﴿**إلا ما شاء ربك**﴾ تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيوجه إليه.

مَكّيُّ بنُ أبي طالب: وقيلَ: إنَّ «ما» زائدةٌ، لكنْ دخلت لِتَفصِلَ بين اللامَيْنِ اللَّذَيْن يَتلقَّيانِ القَسَم وكِلاهُما مفتوحٌ، ففُصِلَ بـ «ما» بينهما. وقرأ ابنُ كثير «وإنْ» بالتَّخفيفِ، وكذلك «لما». قال سِيبَويه: حدَّثنا مَنْ نَثِقُ به أنه سَمِعَ مِنَ العرب مَنْ يقول: إنْ عَمْراً لَمُنطَلِقٌ، فيُخفِّفون «إنْ» ويُعمِلُونها، وأنشد:

وَوَجْهٍ حَسَنِ النَّحْرِ كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ

وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «وإن» خفيفةً، «لمّا» مشدَّدَةً، والمعنى: وما كُلاً إلاَّ؛ وهذا كما تقولُ: سألتُكَ لمَّا فعلتَ، وإلاَّ فعلتَ، ومِثلُه قوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[١] وقرأ حَمزةُ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «وإنّ» بالتَّشديد، «لمّا» بالتَّشديدِ أيضاً. قال أبو عليٍّ: هذه قراءةٌ مُشكِلَةٌ، لأنه كما لا يَحْسُنُ: إنَّ زيداً إلاَّ مُنطَلِقٌ، كذلك لا يَحسُنُ تثقيلُ «إنَّ» وتثقيلُ «لمّا». وحُكي عن الكِسائيّ أنه قال: لا أعرفُ وَجْهَ التَّثقيلِ في «لمّا»، ولم يُبعِد فيما قال. وقال مكّيُّ بنُ أبي طَالِب: الأصلُ فيها «لَمِن ما» ثم أُدغِمَتِ النونُ في الميم، فاجتمعت ثلاثُ ميماتٍ في اللفظِ، فحُذفت الميمُ المَكسورةُ؛ والتقديرُ: وإنَّ كُلاً لَمِن خَلْقٍ لَيُوفِّيَنَّهم. قال: وقيل: التقديرُ: «لَمَن ما» بفتح الميم في «مَن» فتكون «ما» زائدةً، وتُحذف إحدى المِيمَاتِ لِتكريرِ الميمِ في اللفظِ؛ والتقديرُ: لَخَلْقٌ لَيُوفِّيَنَّهم، ومعنى الكلام: لَيُوفِّيَنَّهم جزاءَ أعمالِهم[٢].

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ قال ابنُ عُيينَةَ: استَقِمْ على القرآن. وقال ابنُ قُتيبَةَ: امْضِ على ما أُمِرْتَ به. قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مَنْ تابَ معكَ مِنَ الشِّرك. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَطْغَوا في القرآن، فتُحِلُّوا وتُحَرِّموا ما لم آمُرْكُم به، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: لا تَعصُوا ربَّكُم ولا تُخالِفُوه، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: لا تَخلِطُوا التَّوحيدَ بشَكٍّ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ رَوى عبدُ الوَارِثِ عن أبي عَمرٍو: «تَركُنوا» بفتحِ التاء وضمِّ الكاف، وهي قراءةُ قَتادَةَ. ورَوى هَارون عن أبي عَمرٍو «تَركِنوا» بفتح التاء وكسرِ الكاف. ورَوى مَحبُوبُ عن أبي عَمرٍو: «تِركَنوا» بكسر التاء وفتح الكاف. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ «تُركَنوا» بضمِّ التاءِ وفتحِ الكافِ على ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ. وفي المراد بهذا الرُّكُونِ أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: لا تَميلوا إلى

---

(١) سورة الطارق: ٤.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٢٢ ـ ١٢٣: وأصح هذه القراءات مخرجاً على كلام العرب المستفيض فيهم قراءة من قرأ: ﴿وإنَّ﴾ بتشديد نونها، ﴿كُلاً لَمَا﴾ بتخفيف ـ ما ـ، ﴿ليوفينَّهم ربك﴾ بمعنى وإن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم في هذه السور، ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بالشديد من العقاب، فتكون «ما» بمعنى «من» واللام التي فيها جواباً لـ «إنّ» واللام في قوله: ﴿ليوفينّهم﴾ لام قسم.

(٣) اختار ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٦٨ القول الأول.

المشركين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تَرضوا أعمالَهم، قاله أبو العَالِية. **والثالث**: لا تَلحقُوا بالمشركين، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: لا تُداهِنوا الظَّلَمَةَ، قاله السُّدِّيّ، وابنُ زيدٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وَجْهانِ. **أحدهما**: فتُصيبَكُم النارُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: فيَتعدَّى إليكم ظُلمُهم كما تتعدَّى النارُ إلى إحراقِ ما جَاورَها، ذكره المَاوَرديّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي ليس لكُم أعوانٌ يمنَعُونكم مِنَ العذابِ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾.

[٧٩٧] أمَّا سببُ نزولِها، فروى عَلقَمَةُ والأسوَدُ عن ابنِ مسعودٍ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: إني أخذتُ امرأةً في البُستانِ فقبَّلتُها، وضَممتُها إليَّ، وباشَرتُها، وفَعلتُ بها كلَّ شيءٍ، غير أنِّي لم أُجَامِعْهَا؛ فسكتَ النبيُّ ﷺ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، فدَعَا الرَّجلَ فقرأَهَا عليه، فقال عمرُ: أهِيَ له خاصَّةً أَمْ للناس كافَّةً؟ قال: «لا، بل للناسِ كافَّةً».

[٧٩٨] وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ مسعودٍ: أنَّ رجلاً أصابَ مِن امرأةٍ قُبلَةً، فأتى رسولَ الله، فذكرَ ذلك لهُ، فنزلت هذه الآيةُ، فقال الرجلُ: أليَ هذه الآيةُ؟ فقال: «لِمَنْ عَمِلَ بها مِنْ أُمَّتي».

[٧٩٩] وقال مُعاذُ بنُ جَبَلٍ: كنتُ قاعِداً عند رسولِ الله ﷺ، فجاءَ رجلٌ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، ما تقولُ في رجلٍ أصابَ مِن امرأةٍ ما لا يَحِلُّ له، فلم يَدَعْ شيئاً يُصيبُهُ الرجلُ مِن امرأتِه إلاَّ أصابَهُ منها، غيرَ أنه لم يُجامِعْها؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «توضَّأ وُضُوءاً حَسَناً، ثم قُمْ فَصلِّ»، فأنزلَ اللَّهُ تعالى هذه الآيَةَ، فقال معاذٌ: أهيَ له خاصَّةً، أَمْ للمسلمين عامَّةً؟ فقال: «بل هي للمسلمين عامَّةً». واختلفوا في اسمِ هذا الرجلِ.

[٨٠٠] فقال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: هو عَمرُو بن غُزَيَّةَ الأنصَاري، وفيه نزلت هذه الآيةُ، كان

---

[٧٩٧] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٦٣ ـ ٤٢، وأبو داود ٤٤٦٨، والترمذي ٣١١٢، والطبري ١٨٦٦٨، والبيهقي في «السنن» ٨/ ٢٤١ من طريق علقمة والأسود عن ابن مسعود به.
ولفظه عند مسلم: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسَّها، فأنا هذا، فاقض فيَّ ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك. قال فلم يردَّ النبي ﷺ شيئاً. فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي عليه السلام رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: **﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إنّ الحسنات يذهبنَ السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾**، فقال رجل من القوم: يا نبي الله! هذا له خاصة؟ قال: «بل للناس كافة».

[٧٩٨] صحيح، أخرجه البخاري ٥٢٦ و ٤٦٨٧، ومسلم ٢٧٦٣ ـ ٤٠ ـ ٤١ والترمذي ٣١١٤، والنسائي في «الكبرى» ٦/٧٣٢٦، وابن ماجة ٤٢٥٤ ـ ١٣٩٨، وابن خزيمة ٣١٢، والطبري ١٨٦٧٦، والطبراني ١٠٥٦٠، والبيهقي في «السنن» ٨/ ٢٤١.

[٧٩٩] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١١٣ والطبري ١٨٦٩٥ من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع بين ابن أبي ليلى، ومعاذ بن جبل، لكن المتن محفوظ بشواهده وطرقه.

[٨٠٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس، ثم هو من رواية =

يَبيعُ التَّمر، فأَتَتْهُ امرأةٌ تبتَاعُ منه تمراً، فأعجبَتْهُ، فقال: إنَّ في البيت تمراً أجودُ مِنْ هذا، فانطَلِقي معي حتى أعطِيَكِ منه؛ فذكرَ نحوَ حديثِ معاذٍ.

وقال مُقاتِلٌ: هو أبو مقبل عامرُ بن قيسِ الأنصَاري. وذكر أحمدُ بنُ عليِّ بن ثابتٍ الخَطيبُ الحافظُ أنه أبو اليَسَرِ كَعبُ بنُ عَمرو الأنصَاري. وذُكِرَ في الذي قال للنبيِّ ﷺ، أَلَهُ خاصَّةً؟ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أبو اليَسَرِ صاحبُ القصَّةِ. **والثاني**: مُعاذُ بنُ جَبلٍ. **والثالث**: عمرُ بنُ الخَطَّابِ(١).

فأما التَّفسيرُ، فقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أَتِمَّ رُكوعَها وسُجودَها. فأمَّا طَرفَا النَّهارِ، ففي الطَّرفِ الأولِ قولان: **أحدهما**: أنه صلاةُ الفجرِ، قاله الجمهورُ. **والثاني**: أنه الظُّهرُ، حكاه ابنُ جَريرٍ. وفي الطَّرفِ الثاني ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه صلاةُ المَغربِ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: العَصرُ، قاله قَتادَةُ. وعن الحَسنِ كالقولَين. **والثالث**: الظُّهرُ، والعَصرُ، قاله مُجاهِدٌ، والقُرظيُّ. وعن الضَّحَّاكِ كالأقوالِ الثلاثةِ.

قوله تعالى: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ وقرأ أبو جَعفر، وشَيْبَةُ «وزُلُفاً» بضمِّ اللام. قال أبو عُبيدَةَ: الزُّلَفُ: السَّاعاتُ، واحِدُها: زُلْفَةٌ، أي: ساعةٌ ومَنْزِلَةٌ وقُرْبَةٌ، ومنه سُمِّيتِ المُزْدَلِفَةُ. قال العجَّاجُ:

نَـاجٍ طَـوَاهُ الأَيـنُ مـمَّـا أوجَـفَـا ... طَـيَّ الـلَّـيَـالـي زُلَـفـاً فَـزُلَـفَـا
سَـمَـاوَةَ الـهِـلاَلِ حَـتَّـى احْـقَـوْقَـفَـا(٢)

قال ابنُ قُتَيبَةَ: ومنه يُقال: أَزْلَفَني كذا عندكَ، أي: أَدْناني؛ والمَزَالِفُ: المَنازلُ والدَّرَجُ، وكذلك الزُّلَفُ. وفيها للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أنها صلاةُ العَتَمَةِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وعَوفٌ عن الحَسنِ، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ.

والثاني: أنها صلاةُ المَغربِ والعِشاءِ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، ورَواه يُونسُ عن الحَسنِ، ومَنصورٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ في المُراد بالحَسناتِ قولان: **أحدهما**: أنها الصَّلواتُ الخَمسُ، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ المُسَيِّبِ، ومَسرُوقٌ، ومُجاهِدٌ، والقُرظيُّ، والضَّحَّاكُ، والمُقَاتِلانِ: ابنُ سُليمانَ، وابنُ حَيَّانَ. **والثاني**: أنها سُبحانَ اللَّهِ، ولا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، واللَّهُ أكبرُ، رواه منصورٌ عن مُجاهِدٍ. والأول أصحُّ، لأنَّ الجمهورَ عليه. وفيه حديثٌ مُسنَدٌ عن رسولِ الله ﷺ:

= الكلبي عنه، كما في «فتح الباري» ٨/٣٥٦، وعزاه الحافظ لابن مردويه، والكلبي يضع الحديث وأصل الخبر محفوظ، لكن تفرّد بذكر الصحابي بأنه عمرو بن غزية، فهذا واهٍ.

وأخرجه الترمذي ٣١١٥ والطبري ١٨٦٩٧ و ١٨٦٩٨ والطبراني ٣٧١ من حديث أبي اليَسَر، وإسناده ضعيف لضعف قيس بن الربيع، وفي هذا الحديث هو أبو اليسر راوي الحديث. وانظر التعليق الآتي.

---

(١) انظر تعليق الحافظ في الفتح ٨/٣٥٦ ـ ٣٥٧ على هذه الأحاديث واسم الرجل، والقائل للنبي ﷺ: أله خاصة.

(٢) في «اللسان» احقوقف الهلال: اعوجَّ.

[٨٠١] رواه عُثمانُ بن عَفَّانَ عن رسولِ الله ﷺ أنه توضَّأَ، وقال: «مَنْ توضَّأَ وُضُوئي هذا، ثم صلَّى الظُّهرَ، غُفِرَ له ما كانَ بينَها وبينَ صلاةِ الصُّبحِ، ومَنْ صلَّى العَصْرَ، غُفِرَ له ما بينَها وبينَ صلاةِ الظُّهرِ، ومَنْ صلَّى المَغربَ، غُفِرَ له ما بينَها وبينَ صلاة العَصْرِ، ثمَّ صَلَّى العِشَاءَ، غُفِرَ له ما بينَها وبينَ صلاةِ المَغرِبِ، ثم لَعَلَّهُ أنْ يَبِيتَ ليلته يَتمرَّغُ، ثمَّ إنْ قامَ فتوضَّأَ وصَلَّى الصُّبحَ، غُفِرَ له ما بينه وبينَ صلاةِ العِشَاءِ، وهُنَّ الحَسنَاتُ يُذهِبْنَ السَّيِّئاتِ».

فأمَّا السَّيِّئاتُ المذكورةُ ها هنا، فقال المُفسِّرون: هي الصَّغائرُ مِنَ الذُّنوبِ.

[٨٠٢] وقد رَوى معاذُ بنُ جَبلٍ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أوصِني؛ قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيثُما كنتَ»، قال: قلتُ: زِدْنِي؛ قال: أَتْبِعِ السَّيِّئةَ الحَسنَةَ تَمْحُهَا»، قلتُ: زِدْنِي؛ قال: «خَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسنٍ».

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ في المُشَارِ إليه بـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه القرآن. **والثاني**: إقامُ الصَّلاةِ. **والثالث**: جميعُ ما تقدَّمَ مِنَ الوَصيَّةِ بالاستِقَامةِ، والنَّهي عن الطُّغيَانِ، وتَرْكِ المَيْلِ إلى الظَّالمين، والقيامُ بالصَّلاةِ.

وفي المُراد بالذِّكرى قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى التَّوبَةِ. **والثاني**: بمعنى العِظَةِ.

﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ فيما أُمِرَ بالصَّبرِ عليه قولان:

أحدهما: لِمَا يلقَاهُ مِنْ أذَى قَومِه. **والثاني**: الصَّلاةُ.

وفي المُرادِ بالمُحسِنينَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المُصلُّون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: المُخْلَصُونَ،

---

[٨٠١] ضعيف الإسناد والمتن: أخرجه أحمد ١/ ٧١ والطبري ١٨٦٧٥ و ١٨٦٧٦ و ١٨٦٧٧ من طريق زُهرة بن معبد عن الحارث مولى عثمان بن عفان عن عثمان به. وإسناده ضعيف لجهالة الحارث هذا، حيث لم يرو عنه سوى زهرة ولم يوثقه سوى ابن حبان وهو على قاعدته في توثيق المجاهيل. والهيثمي يعتمد توثيق ابن حبان فقال في «المجمع» ١/ ٢٩٧: رجاله رجال الصحيح سوى الحارث، وهو ثقة؟!

ـ قلت: والحديث في الصحيحين، ولفظه عند البخاري: عن حمران مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجلٍ ثلاثاً، ثم قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا وقال: «من توضأ نحو وضوئي هذا وصلى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه». وأخرجه البخاري ١٥٩ ومسلم ٢٢٦ وأحمد ١/ ٧١.

[٨٠٢] حسن. أخرجه الترمذي بإثر حديث ١٩٨٧ وأحمد ٥/ ٢٢٨ والطبراني ٢٠/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ وفي «الصغير» ٥٣٠ من طريق ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به. وإسناده ضعيف، رجاله ثقات، لكن فيه إرسال بين ميمون ومعاذ. وورد من حديث أبي ذر: أخرجه الترمذي ١٩٨٧ والدارمي ٢٧٩٤ وأحمد ٥/ ١٥٣ ـ ١٥٨ والحاكم ١/ ٥٤ والقضاعي ٦٥٢ من طريق ميمون عن أبي ذر به، وإسناده لابأس به، وهو حسن إن كان سمعه ميمون من أبي ذر، ففي سماعه من أبي ذر وأمثاله اختلاف. وصححه الحاكم على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي! مع أن البخاري ما روى لميمون، وقد روى له مسلم في «المقدمة». وقال الترمذي: حسن صحيح. وانظر «صحيح الجامع» ٩٧.

قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّهم المُحسِنونَ في أعمَالِهم، قاله أبو سُليمانَ.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ قال ابنُ عباسٍ، والفرَّاءُ: المعنى: فلَمْ يَكُنْ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: فهَلاَّ كان مِنَ القُرونِ مِنْ قَبْلِكم أُولو بَقِيَّةٍ. وروى ابنُ جَمَّازٍ عن أبي جعفرَ «أُولو بِقْيَةٍ» بكسرِ الباء وسكونِ القافِ وتخفيفِ الياءِ. وفي معنى «أُولو بقيَّةٍ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أُولو دِينٍ، قاله ابنُ عباسٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: قَومٌ لهم بَقِيَّةٌ، وفيهم بَقِيَّةٌ: إذا كانت بهم مُسْكَةٌ وفيهم خَيرٌ. **والثاني**: أُولو تَمييزٍ. **والثالث**: أُولو طَاعةٍ، ذكرهما الزَّجَّاجُ، وقال: إذا قلتَ: فُلانٌ فيه بَقِيَّةٌ، فمعناه: فيه فَضلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استِثناءٌ مُنقَطِعٌ، أي: لكنَّ قليلاً ممَّنْ أنجَيْنا منهم ممَّنَ نَهى عَنِ الفسادِ. قال مُقاتِلٌ: لم يَكُنْ مِنَ القُرونِ مَنْ ينهى عن المعاصي والشِّركِ إلاَّ قليلاً ممَّنْ أنجَيْنا مِنَ العذاب مع الرُّسُلِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ أي: اتَّبعوا مع ظُلمِهم ما أُترِفُوا فيه مع استِدامَةِ نَعيمِهم، فلم يَقْبَلُوا ما يُنقِصُ مِنْ تَرَفِهم. قال الفرَّاءُ: آثَرُوا اللَّذَّاتِ على أمرِ الآخرة. قال: ويُقال: اتَّبَعوا ذُنُوبَهُم السَّيِّئةَ إلى النارِ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بغَيرِ جُرمٍ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: بشِرْكٍ، ذكره ابنُ جَريرٍ، وأبو سُليمانَ. وفي قوله: ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَنتَصِفُ بعضُهم مِنْ بعضٍ، رواه قَيسُ بنُ أبي حَازِمٍ عن جَريرٍ. قال أبو جعفرَ الطَّبَريُّ: فيكون المعنى: لا يُهلِكُهم إذا تَناصَفُوا وإنْ كانوا مُشركين، وإنما يُهلِكُهم إذا تَظالَمُوا. **والثاني**: مُصلِحونَ لأعمالِهم، مُتمَسِّكونَ بالطَّاعةِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مؤمنون، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال ابنُ عباسٍ: لو شاء أنْ يَجعَلَهم كُلَّهم مسلمين لَفَعَلَ. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في المُشَارِ إليهم قولان[1]: **أحدهما**: أنهم أهلُ

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٣٩: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك «ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى إلا من رحم ربك، فآمن بالله وصدّق رسله فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله وما جاءهم من عند الله» وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿**وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنما هو عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار، ولو كان خبراً عن اختلافهم في الرزق، لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم.

الحقِّ وأهلُ الباطلِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ؛ فيكون المعنى: إنَّ هؤلاءِ يُخالِفُون هؤلاءِ. **والثاني**: أنهم أهلُ الأهواءِ لا يزالون مُختلِفين، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هم أهلُ الحقِّ. وقال الحسَنُ: أهلُ رَحمَةِ الله لا يَختلِفون. قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ في المُشَارِ إليه بذلك أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يَرجِعُ إلى ما هُمْ عليه. قال ابنُ عباسٍ: خَلَقَهُم فريقَينِ، فَريقاً يُرحَمُ فلا يَختلِفُ، وفريقاً لا يُرحَمُ يَختلِفُ. **والثاني**: أنه يَرجِعُ إلى الشَّقاءِ والسَّعادةِ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً، واختاره الزَّجَّاجُ، قال: لأنَّ اختلافَهُمْ مُؤدِّيهم إلى سعادةٍ وشَقَاوةٍ. قال ابنُ جَريرٍ: واللامُ في قوله: «ولذلك» بمعنى «على». **والثالث**: أنه يَرجِعُ إلى الاختِلافِ، رواه مُبَارَكٌ عن الحَسنِ. **والرابع**: أنه يَرجِعُ إلى الرَّحمةِ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ؛ فعَلَى هذا يكون المعنى: ولِرَحمَتِهِ خَلَقَ الذين لا يختلفون في دِينِهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: وَجَبَ قولُ ربِّكَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ مِن كُفَّارِ الجِنَّةِ، وكُفَّارِ الناسِ.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كُلاًّ» منصوبٌ بـ «نقصُّ»، المعنى: كُلَّ الذي تَحتَاجُ إليه مِنْ أنبَاءِ الرُّسلِ نقصُّ عليكَ. و «ما» منصوبةٌ بدلاً مِنْ كُلّ، المعنى: نقصُّ عليكَ ما نُثَبِّتُ به فؤادَكَ؛ ومعنى تَثبيتِ الفُؤادِ: تسكينُ القَلْبِ ها هنا، ليس للشَّكِّ، ولكن كُلَّما كان البُرهانُ والدَّلالةُ أكثرَ، كان القَلْبُ أثْبَتَ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ في المُشَارِ إليه بـ «هذه» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها السُّورةُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وأبو العَالِيةِ، ورواه شَيْبَانُ عن قَتادَةَ. **والثاني**: أنها الدُّنيا، فالمعنى: وجاءَكَ في هذه الدُّنيا، رواه سعيدٌ عن قَتادَةَ؛ وعن الحَسنِ كالقَولَينِ. **والثالث**: أنها الأقَاصِيصُ المَذكورةُ. **والرابع**: أنها هذه الآيةُ بعَينِها، ذكر القَولَينِ ابنُ الأنبَارِي[(٢)]. وفي المُرادِ بالحقِّ ها هنا ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنها البَيانُ. **والثاني**: صِدْقُ القَصَصِ والأنباءِ. **والثالث**: النُّبوَّةُ.

فإنْ قيلَ: أليس قد جاءَهُ الحقُّ في كلِّ القرآن، فلِمَ خَصَّ هذه السُّورةَ؟

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٤١: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: «وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم»، لأن الله جلّ ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق، ثم عقب ذلك بقوله: **﴿ولذلك خلقهم﴾**، فعمّ بقوله: **﴿ولذلك خلقهم﴾**، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٧٤: والصحيح في هذه السورة المشتملة على قصص الأنبياء وكيف نجاهم الله والمؤمنين بهم، وأهلَكَ الكافرين، جاءك فيها قصص حق، ونبأ صدق وموعظة يرتدع بها الكافرون، وذكرى يتوقّر بها المؤمنون. وقال الطبري رحمه الله ٧/ ١٤٤: وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: «وجاءك في هذه السورة الحق» لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله.

فالجوابُ: أنَّا إنْ قلنا: إنَّ الحقَّ النُّبوَّةُ، فالإشَارةُ بـ «هذه» إلى الدُّنيا، فيكون المعنى: وجاءَكَ في هذه الدنيا النُّبوَّةُ، فيرتفعُ الإشكَالُ. وإنْ قلنا: إنَّها السُّورةُ، فعنه أربعةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّ المُرادَ بالحقِّ البَيانُ، وهذه السُّورةُ جمعت مِنْ تَبيينِ إهلاكِ الأُمَمِ، وشَرْحِ مآلِهِم، ما لم يَجْمَعْ غيرُها، فبَانَ أَثَرُ التَّخصِيصِ، وهذا مذهبُ بعضِ المُفسِّرين. **والثاني**: أنَّ بعضَ الحقِّ أوكَدُ مِنْ بعضٍ في ظهوره عندنا وخَفَائِه علينا، ولهذا يقولُ النَاسُ: فُلانٌ في الحقِّ؛ إذا كان في المَوتِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ في باطلٍ، ولكنْ لِتعظِيم ما هو فيه، فكأنَّ الحقَّ المُبينَ في هذه السُّورةِ أَجْلَى مِنْ غيرِه، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ. **والثالث**: أنه خَصَّ هذه السُّورةَ بذلك لِبيَانِ فَضْلِها، وإنْ كان في غيرِها حقٌّ أيضاً، فهو كقولِه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[1]، وقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2]، وهذا مذهبُ ابنِ الأنبَارِي. **والرابع**: أنَّ المعنى: وجاءَكَ في هذه السُّورةِ الحقُّ مع ما جاءَكَ مِنْ سَائرِ السُّورِ، قاله ابنُ جَريرِ الطَّبَري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يَتَّعِظونَ إذا سَمِعُوا هذه السُّورةَ وما نَزلَ بالأُمَمِ فتَلِينُ قلُوبُهم.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تَهديدٌ ووَعيدٌ، والمعنى: اعمَلُوا ما أنتم عَامِلُونَ فستعلَمُونَ عاقبةَ أمرِكُم ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ما يَعِدُكم الشَّيطانُ ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يَعِدُنا رَبُّنا.

فصل: قال المُفسِّرون: وهذه الآيةُ اقتَضَتْ تَرْكَهُم على أعمَالِهم، والاقتِناعَ بإنذَارِهم، وهي مَنْسُوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ. واعلَمْ أنه إذا قُلنا: إنَّ المُرادَ بالآيةِ التَّهديدُ، لم يَتوجَّهْ نَسْخٌ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: عَلِمَ ما غابَ عن العبادِ فيهما. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ قرأ نافعٌ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ «يُرجع الأمر كله» بضمِّ الياء. وقرأ الباقون، وأبو بَكرٍ عن عَاصِم «يَرجع» بفتح الياء، والمعنى: إنَّ كلَّ الأمورِ تَرجِعُ إليه في المَعَادِ. ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ أي: وَحِّدْهُ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: ثِقْ به. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نَافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِم «تعملون» بالتاء. وقرأ الباقون بالياء. قال أبو عليّ: فمَنْ قرأ بالتاءِ، فالمعنى: قُلْ لهم: وما رَبُّكَ بغافِلٍ عمَّا تعملون. ومَنْ قرأ بالياءِ، فالخِطابُ للنبيِّ ﷺ ولجميعِ الخَلْقِ مُؤمِنِهم وكافِرِهم، فهو أَعَمُّ مِنَ التاء، وهذا وَعيدٌ، والمعنى: إنَّه يجزي المُحسِنَ بإحسَانِه، والمُسِيءَ بإسَاءَتِه. قال كَعْبٌ: خَاتِمَةُ التَّوراةِ خَاتِمَةُ «هُود».

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨. (٢) سورة البقرة: ٩٨.

سورة يوسف

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾

فَصلٌ في نُزولها: هي مكِّيَّةٌ بالإِجماعِ. وفي سببِ نزولها قولان:

[٨٠٣] **أمَّا القولُ الأولُ:** فرُوِي عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ قال: أُنزلَ القرآنُ على رسولِ الله ﷺ، فتلاهُ عليهم زَمَاناً، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، لو قَصصتَ علينا، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، فتلاهُ عليهم زَماناً، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، لو حدَّثتَنا، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[1] كلُّ ذلك يُؤمرونَ بالقرآن.

[٨٠٤] وقال عَونُ بنُ عبد الله: مَلَّ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ مَلَّةً، فقالوا: يا رسولَ اللهِ حَدِّثنا، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾، ثم إِنَّهم مَلُّوا مَلَّة أخرى، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، فوقَ الحديثِ، ودونَ القرآنِ، يَعنُونَ القَصصَ، فأنزلَ اللهُ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، فأراد الحديثَ، فدَلَّهم على أحسَنَ الحديثِ، وأرادُوا القَصصَ، فدَلَّهُم على أحسَنَ القَصصِ.

[٨٠٥] **والثاني:** رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ قال: سألَتِ اليهودُ النبيَّ ﷺ، فقالوا: حَدِّثنا عن

---

[٨٠٣] صحيح. أخرجه البزار ٣٢١٨ وأبو يعلى ٧٤٠ وابن حبان ٦٢٠٩ والحاكم ٢/ ٣٤٥ والطبري ١٨٧٨٩ والواحدي في «أسباب النزول» ٥٤٤ من طرق عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه به. وإسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وانظر ما بعده.

[٨٠٤] مرسل. أخرجه الطبري ١٨٧٨٨ عن عون بن عبد الله بن مسعود مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، لكن للحديث شاهد من حديث سعد، وهو المتقدم. وشاهد آخر من حديث ابن عباس: أخرجه الطبري ١٨٧٨٦ عن عمرو بن قيس المُلائي عن ابن عباس، وإسناده منقطع، عمرو لم يسمع من ابن عباس. وكرره الطبري ١٨٧٨٧ من مرسل عمرو بن قيس، وهو شاهد لما قبله، وإن كان ضعيفاً، والله أعلم.

[٨٠٥] **باطل لا أصل له. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً ليس له أصل، وهذا** =

---

(١) سورة الزمر: ٢٣.

أمرِ يَعقوبَ ووَلَدِهِ وشأنِ يُوسفَ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ وذلك أنَّ التَّوراةَ بالعِبرانيَّةِ، والإِنجيلَ بالسّريانيَّةِ، وأنتُم قومٌ عَربٌ، ولو أنزلتُه بغيرِ العربية ما فَهِمتُمُوهُ. وقد بيَّنَّا تفسيرَ أولِ هذه السورةِ في أولِ سُورةِ يُونسَ، إلاَّ أنه قد ذَكَرَ ابنُ الأنباري زيادةَ وَجْهٍ في هذه السُّورةِ، فقال: لمَّا لَحِقَ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ مَلَلٌ وسآمَةٌ، فقالوا له: حَدِّثنا بما يُزيلُ عنَّا هذا المَلَلَ، فقال: تلكَ الأَحاديثُ التي تُقدِّرونَ الانتِفاعَ بها وانصرافَ المَلَلِ، هي آياتُ الكتابِ المُبينِ.

وفي معنى «المُبِيْن» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: البَيِّن حلالُه وحرامُه، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: المُبَيِّنُ للحروفِ التي تَسقطُ عن ألسُنِ الأعاجم، رواه خَالدُ بن مَعْدَانَ عن مُعاذِ بنِ جبلٍ. **والثالث**: البَيِّنُ هُداهُ ورُشدُهُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: المُبَيِّنُ للحقِّ مِنَ الباطِلِ. **والخامس**: البَيِّنُ إعجازُه فلا يُعارَضُ، ذكرهما المَاوَردِي[١].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها تَرجعُ إلى الكتابِ، قاله الجمهورُ. **والثاني**: إلى خَبَرِ يُوسفَ، ذكره الزَّجّاجُ، وابنُ القَاسم.

قوله تعالى: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ قد ذكرنا معنى القرآن واشتِقاقَهُ في سُورةِ النساءِ[٢]. وقد اختلفَ الناسُ، هل في القرآن شيءٌ بغيرِ العربية، أمْ لا، فمذهبُ أصحابِنا أنه ليس فيه شيءٌ بغيرِ العربيةِ. وقال أبو عُبيدَةَ. مَنْ زَعمَ أنَّ في القرآن لِسَاناً سِوى العربيةِ فقد أعظَمَ على اللهِ القَولَ، واحتجَّ بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[٣]. ورُوي عن ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ أنَّ فيه مِنْ غيرِ لسانِ العربِ، مِثلَ: «سِجِّيل» و «المِشْكَاة» و «اليَمّ» و «الطُّور» و «أَبَارِيق» و «إِستَبْرَق» وغير ذلك. وقرأتُ على شيخنا أبي منصُورٍ اللغوي قال: قال أبو عُبَيدٍ: وهؤلاءِ أعلمُ مِنْ أبي عُبيدَةَ، ولكنهم ذهبوا إلى مذهبٍ، وذهبَ هو إلى غيره، وكِلاهُما مُصِيبٌ إنْ شاء اللهُ، وذلك أنَّ هذه الحروفَ بغير لسانِ العربِ في الأصلِ، فقال: أولئكَ على الأصلِ، ثم لَفظَتْ به العربُ بألسِنَتِها فعرَّبَتْهُ فصارَ عربياً بتَعرِيبِها إيَّاهُ، فهي عربيةٌ في هذه الحالةِ، أعجميَّةُ الأصلِ، فهذا القولُ يُصدِّقُ الفريقين جميعاً. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لكي تَفهَمُوا.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولها في أوَّلِ الكلام. وقد خُصَّت بسببٍ آخرَ[٤]: فرُوي عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال: اجتمع أصحابُ محمَّدٍ عليه السلام إلى سَلْمَانَ، فقالوا:

= الحديث منه، فإن السورة مكية بإجماع كما ذكر المصنف، وسؤالات اليهود إنما كانت في المدينة، فتنبّه، والله الموفق.

(١) انظر «تفسير الماوردي» ٣/ ٥. (٢) عند الآية: ٨٢. (٣) سورة الزخرف: ٣.

(٤) لا يصح ذلك، بل هو باطل، فإن السورة مكية كما تقدم بإجماع، وإسلام سلمان مدني.

حَدّثنا عن التَّوراةِ فإنَّها حَسَنٌ ما فيها، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ يعني: قَصص القرآن أحسنُ ممَّا في التَّوراةِ.

قال الزَّجَّاجُ: والمعنى نحنُ نُبَيِّنُ لكَ أحسنَ البيان، والقَاصُّ: الذي يأتي بالقِصَّةِ على حقيقتها قال: وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: بِوَحينا إليكَ هذا القرآن. قال العلماء: وإنَّما سمِّيت قِصَّةُ يُوسفَ أحسنَ القَصَصِ، لأنَّها جمعت ذِكْرَ الأنبياءِ، والصَّالحينَ، والمَلائكةِ، والشَّياطينَ، والأنعام، وسِيَرَ المُلوكِ، والمَماليكِ، والتُّجَّارِ، والعُلماءِ، والرِّجالِ، والنِّساءِ، وحِيَلَهُنَّ، وذِكْرَ التَّوحيدِ، والفِقْهِ، والسِّرِّ، وتَعبيرِ الرُّؤيَا، والسِّياسَةِ، والمُعاشَرةِ، وتَدبيرِ المَعاشِ، والصَّبرِ على الأذى، والحِلْمِ؛ والعِزِّ، والحُكمِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ العجائب.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ﴾ في «إن» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «قد». **والثاني**: بمعنى «ما». قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مِنْ قبلِ نُزولِ القرآن. ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن عِلْمِ خَبرِ يُوسفَ وما صنعَ به إخوتُه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ في «إذ» قولان: **أحدهما**: أنها صِلَةٌ للفعل المُتقدِّم، والمعنى: نحن نَقُصُّ عليكَ إذ قال يوسفُ. **والثاني**: أنها صِلَةٌ لفعلٍ مُضمَرٍ، تقديره: اُذكر إذْ قال يُوسَفُ، ذكرهما الزَّجَّاجُ، وابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ قرأ أبو جَعفَر، وابنُ عامرٍ بفتحِ التاء، ووَقَفَا بالهاءِ، وَوافقَهُما ابنُ كَثيرٍ في الوَقْفِ بالهاء، وقرأ الباقون بكسرِ التاء. فمَنْ فتحَ التاءَ، أرادَ: يا أَبَتا، فحذفَ الألفَ كما تُحذفُ اليَاء، فبقيت الفَتحة دالَّةً على الألِف، كما أنَّ الكسرةَ تبقى دالَّةً على الياء. ومَنْ وَقفَ على الهاءِ، فلأن تاءَ التَّأنيث تُبدلُ منها الهاءُ في الوَقفِ. وقرأ أبو جَعفرَ: «أحد عْشر»، و «تسعة عْشر»، بسكون العين فيهما. وفيما رآه يُوسفُ قولان: **أحدهما**: أنه رأى الشمسَ والقمرَ والكواكبَ، وهو قولُ الأكثرين. قال الفَرَّاءُ: وإنَّما قال: «رأيتهم» على جمعِ ما يَعقِلُ، لأنَّ السجودَ فِعلُ ما يُعقَلُ، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾(١). قال المُفسِّرون: كانت الكَواكبُ في التأويلِ إخوتَه، والشَّمسُ أمَّهُ، والقمرُ أباهُ، فلمَّا قَصَّها على يَعقوبَ أشفَقَ مِنْ حسدِ إخوَتهِ. وقال السُّدِّيّ: الشمسُ أبوه، والقَمرُ خَالتُه، لأنَّ أمَّهُ كانت قد مَاتَتْ. **والثاني**: أنه رأى أبَوَيهِ وإخوَتَهُ سَاجِدِينَ له، فكَنَّىٰ عن ذِكرهم، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ. فأمَّا تكرارُ قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ فقال الزَّجَّاجُ: إنما كَرَّرهُ لمَّا طالَ الكلام توكيداً. وفي سِنِّ يُوسفَ لمَّا رأى هذا المنامَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سبعُ سنين. **والثاني**: اثنتا عشرةَ سنةً. **والثالث**: سبعَ عشرةَ سنةٍ.

قال المُفسِّرون: عَلِمَ يَعقوبُ أنَّ إخوةَ يُوسفَ يعلمون تأويلَ رُؤياهُ، فقال: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ

---

(١) سورة النحل: ١٨.

إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، قال ابنُ قُتيبة: يحتالوا لكَ حِيلةً ويغتالُوكَ. وقال غيرُه: اللامُ صِلَةٌ، والمعنى: فيَكِيدُوكَ. والعدوُّ المُبِينُ: الظَّاهرُ العَداوَةِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ، وابنُ الأنباري: ومثلَ ما رأيتَ مِنَ الرِّفعةِ والحَالِ الجَليلَةِ، يَختارُكَ ربُّكَ ويَصطَفيكَ مِنْ بين إخوَتِكَ. وقد شَرحنَا في الأنعَام معنى الاجتِبَاءِ. وقال ابنُ عباسٍ: يَصطَفيكَ بالنُّبوَّةِ. قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَعبيرُ الرُّؤيَا، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ، وقتَادةُ، فعَلَى هذا سُمِّي تأويلاً لأنه بيَانُ ما يؤولُ أمرُ المَنام إليه. **والثاني**: أنه العِلْمُ والحِكمَةُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: تأويلُ أحاديثِ الأنبياءِ والأُمَمِ والكُتبِ، ذكره الزَّجَّاجُ. قال مُقاتِلٌ: و «من» هاهنا صِلَةٌ. قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بالنُّبوةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بإعلاءِ الكلمةِ. **والثالث**: بأنْ أحوجَ إخوَتَهُ إليه حتى أنعَمَ عليهم، ذكرهما المَاوَردِي[1]. وفي ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم وَلَدُهُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَعقوبُ وامرأَتُهُ وأولادُه الأحدَ عشرَ، أتمَّ عليهم نِعمَتَهُ بالسُّجودِ ليُوسفَ، قالَه مُقاتِلٌ. **والثالث**: أهلُه، قاله أبو عُبيدَةَ، واحتجَّ بأنكَ إذا صَغَّرتَ الآلَ، قلتَ: أُهَيلُ. قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ قال عِكرمَةُ: فنِعمَتُهُ على إبراهيمَ أنْ نَجَّاهُ مِنَ النارِ، ونعمَتُه على إسحَاقَ أنْ نجَّاهُ مِنَ الذَّبحِ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ أي: عَليمٌ حيثُ يضعُ النُّبوةَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِ خَلْقِه.

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي: في خبرِ يُوسفَ وقصَّةِ إخوتِه آياتٌ أي: عِبَرٌ لِمَنْ سألَ عنهم، فكلُّ حالٍ مِنْ أحوَالِه آيةٌ. وقرأ ابنُ كثيرٍ «آية»[2].

[٨٠٦] قال المُفسِّرون: وكان اليهودُ قد سألوا رسولَ الله ﷺ عن قصَّةِ يُوسفَ، فأخبرَهُم بها كما في التَّوراةِ، فعَجِبُوا مِنْ ذلك.

---

[٨٠٦] باطل لا أصل له. هو بعض حديث مطوّل، أخرجه البزار، ٢٢٢، والطبري ١٨٧٩٢، وابن حبان في «المجروحين» ١/ ٢٥٠، والعقيلي ١/ ٢٥٩/ ٣١٦، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٢٧٧ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٤٦ من حديث ابن جابر، ومداره على الحكم بن ظُهير، وهو متروك. وقال ابن حبان: لا أصل له من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، والحكم يروي الموضوعات ووافقه ابن الجوزي، وقال: واضعه يريد شين الإسلام بمثل هذا. اهـ. وضعفه ابن كثير ٢/ ٥٧٧. والصواب أنه باطل لا أصل له، وهو من الإسرائيليات.

---

(١) انظر «تفسير الماوردي» ٣/ ٨.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٥١: والذي هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك على الجماع لإجماع الحجة من القرأة عليه.

وفي وَجْهِ هذه الآياتِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: الدَّلالةُ على صِدْقِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ حينَ أخبرَ أخبارَ قوم لم يُشاهِدْهُم، ولا نظرَ في الكُتبِ. **والثاني**: ما أظهرَ اللهُ في قصَّةِ يُوسف مِنْ عواقبِ البَغي عليه. **والثالث**: صِدْقُ رُؤيَاهُ وصحَّةُ تأويلِهِ. **والرابع**: ضَبْطُ نَفْسِه وقَهْرُ شَهوَتِه حتى قامَ بحقِّ الأمانةِ. **والخامس**: حُدوثُ السُّرورِ بعد اليَأسِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ السَّائلينَ، ولِغيرِهم فيها آياتٌ أيضاً؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: للسَّائلينَ وغيرِهم، فاكتفى بذِكْرِ السَّائلينَ مِنْ غيرِهم، كما اكتفى بذِكْرِ الحَرِّ مِنَ البَرْدِ في قوله تعالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾. **والثاني**: أنه إذا كان للسَّائلينَ عن خَبرِ يُوسفَ آيَةٌ، كان لِغيرِهم آيَةٌ أيضاً؛ وإنَّما خَصَّ السَّائلينَ، لأنَّ سُؤَالَهم نَتَجَ الأعجُوبَةَ وكَشْفَ الخَبرَ.

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ يعني إخوةَ يُوسفَ. ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ يَعنُونَ بِنْ يَامِينَ. وإنما قيلَ له: ابنُ يَامِينَ، لأنَّ أُمَّهُ ماتت نُفَساءَ. ويَامِينُ بمعنى الوَجَعِ، وكان أخاه لأُمِّهِ وأبيه. والباقون إخوتُه لأبيه دونَ أُمِّهِ. فأمَّا العُصْبَةُ، فقال الزَّجَّاجُ: هي في اللغة الجَماعةُ الذين أَمْرُهُم واحدٌ يُتابِعُ بعضُهم بعضاً في الفِعلِ، ويَتَعَصَّبُ بعضُهم لبعضٍ. وللمُفسِّرين في العُصْبَةِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما كان أكثرَ مِنْ عشرةٍ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها ما بين العشرةِ إلى الأربعينَ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال قَتادَةُ. **والثالث**: أنها ستةٌ أو سبعةٌ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنها مِنْ عشرةٍ إلى خمسةَ عشرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: الجماعةُ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. **والسادس**: عشرةٌ، قاله مُقاتِلٌ. وقال الفرَّاءُ: العُصْبَةُ عشرةٌ فما زادَ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لَفِي خَطأٍ مِنْ رَأيِه، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: في شَقَاءٍ، قاله مُقاتِلٌ؛ والمُراد به عَناءُ الدنيا. **والثالث**: لَفِي ضَلالٍ عن طريقِ الصَّوابِ الذي يقتَضِي تَعديلَ المَحبَّةِ بينَنا، لأنَّ نفعَنا له أعَمُّ. قال الزَّجَّاجُ: ولو نَسَبوهُ إلى الضَّلالِ في الدِّين كانوا كُفَّاراً، إنَّما أرادُوا: إنه قَدَّمَ ابنَينِ صَغيرَينِ علينا في المحبَّةِ ونحن جماعةٌ نَفْعُنا أكثرُ.

﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ قال أبو عليّ: قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، والكِسَائيُّ: «مبينٌ اقتلوا» بضمِّ التنوين، لأنَّ تَحريكَهُ يلزمُ لالتِقاءِ السَّاكِنَين، فحَرَّكُوه بالضَّمِّ لِيُتبعوا الضمَّةَ الضمَّةَ، كما قالوا: «مدٌّ» «وظُلُمات». وقرأ أبو عمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، بكسرِ التنوين، فلم يُتبعوا الضمَّةَ كما قالوا: «مدِّ» «ظُلُمات». قال المُفسِّرون: وهذا قولُهم بينهم: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: نُصبَ «أرضاً» على إسقاط «في»، وإفضاءِ الفعل إليها؛ والمعنى: أو اطرَحُوهُ أرضاً يَبْعُدُ بها عن أبيه. وقال غيرُه: أرْضاً تأكُله فيها السِّباعُ. قوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي: يَفرَغْ لكم مِنَ الشُّغلِ بيوسفَ. ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: مِنْ بعدِ يُوسفَ. ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: صالحينَ بالتَّوبةِ مِنْ بعدِ قَتْلِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَصلُحْ حالُكُم عندَ أبيكم، قاله مُقاتِلٌ. وفي قصَّتهم نُكتةٌ عَجيبةٌ، وهو أنَّهم عَزَمُوا على التَّوبةِ قبلَ الذَّنبِ، وكذلك المؤمنُ لا ينسى التَّوبةَ وإنْ كان مُرتَكِباً للخَطايا.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يَهُوذَا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، والسُّدِّيّ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه شمعون، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: روبيل، قاله قَتادَةُ، وابنُ إسحاقَ.

فأمَّا غَيَابَةُ الجُبِّ، فقال أبو عُبيدَةَ: كلُّ شيءٍ غَيَّبَ عنكَ شيئاً فهو غَيَابةٌ. والجُبُّ: الرَّكيةُ التي لم تُطْوَ. وقال الزَّجَّاجُ: الغَيَابَةُ: كلُّ ما غابَ عنكَ، أو غَيَّبَ شيئاً عنكَ، قال المُنَخَّلُ:

فـإنْ أنـا يَـوْمـاً غـيـبَـتْـنـي غَـيَـابَـتِـي فَـسِـيـرُوا بِـسَـيْـرِي فـي الـعَـشِـيـرَةِ والأَهْـلِ

والجُبُّ: البِئرُ التي لم تُطْوَ؛ سُمِّيت جُبّاً مِنْ أجل أنَّها قُطِعَتْ قَطْعاً، ولم يَحدُث فيها غيرُ القَطْعِ مِنْ طَيٍّ وما أشبَهَهُ. وقال ابنُ عباسٍ: «في غَيَابَةِ الجُبِّ» أي: في ظُلُمَاتِه. وقال الحسَنُ: في قَعْرِهِ. وقرأ نافعٌ: «غيابات الجب» فجعلَ كلَّ جُزءٍ منه غَيَابَةً. وروى خَارِجَةُ عن نافعٍ: «غيَّابات» بتشديد الياء. وقرأ الحسَنُ، وقَتادَةُ، ومُجاهِدٌ: «غيبة الجبِّ» بغير ألفٍ مع إسكانِ الياء[1]. وأين كان هذا الجُبُّ، فيه قولان: **أحدهما**: بأرضِ الأُردُن، قاله وَهْبٌ. وقال مُقاتِلٌ: هو بأرض الأردنِ على ثلاثِ فَرَاسِخَ مِنْ مَنزِلِ يَعقوبَ. **والثاني**: ببيتِ المَقْدِسِ، قاله قَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يأخُذْهُ بعضُ مَنْ يَسِيرُ. ﴿إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ أي: إنْ أضمَرتُم له ما تُريدون. وأكثرُ القُرَّاءِ قرؤوا «يلتقطه» بالياء. وقرأ الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبْلَةَ بالتاء. قال الزَّجَّاجُ: وجميعُ النَّحويين يُجيزون ذلك، لأنَّ بعضَ السَّيارةِ سَيَّارةٌ، فكأنَّه قال: تَلتَقِطُهُ سَيَّارةُ بعضِ السَّيَّارةِ. وقال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ بالتاء، فقد أنَّثَ فعلَ بعضٍ، وبعضٌ مُذكَّرٌ، وإنَّما فعلَ ذلك حَمْلاً على المعنى، إذِ التَّأويلُ: تَلتقطهُ السَّيَّارةُ، قال الشاعر:

رَأَتْ مَـرَّ الـسِّـنِـيـنَ أَخَـذْنَ مِـنِّـي كـمـا أَخَـذَ الـسِّـرارُ مِـنَ الـهِـلَالِ[2]

أراد: رأتِ السِّنينَ، وقال الآخرُ:

طُولُ الـلـيَـالـي أسْـرَعَـتْ فـي نَـقْـضِـي طَـوَيْـنَ طُـولـي وَطَـوَيْـنَ عَـرْضِـي

أراد: الليالي أسرعتْ، وقال جَريرٌ:

لَـمَّـا أَتَـى خَـبَـرُ الـزُّبَـيْـرِ تَـوَاضَـعَـتْ سُـورُ الـمَـدِيـنَـةِ والـجِـبَـالُ الـخُـشَّـعُ

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/١٥٣: وقراءة ذلك بالتوحيد أحبُّ إليّ.
(٢) البيت لجرير كما في ديوانه ٤٢٦، و «مجاز القرآن» ١/٩٨.
وفي «اللسان» السرار: آخر الشهر ليلة يَستسر الهلال، واستسر القمر أي خفي ليلة السرار.

أراد: تواضَعتِ المدينةُ، وقال الآخرُ:

وتَـشْـرَقُ بـالْـقَـوْلِ الَّـذي قـد أذَعْـتَـهُ   كـمـا شَـرِقـتْ صَـدْرُ الـقَـنَـاةِ مِـنَ الـدَّمِ[١]

أراد: كما شَرِقَتِ القَناةُ.

قال المُفسِّرون: فلمَّا عزمَ القومُ على كَيْدِ يُوسفَ، قالوا لأبيه: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ قرأ الجماعةُ «تأمنا» بفتحِ الميم وإدغامِ النون الأُولى في الثانية والإِشارةِ إلى إعرابِ النون المُدغَمةِ بالضَّمِّ؛ قال مكِّيٌّ: لأنَّ الأصلَ «تأمننا» ثم أُدغِمت النونُ الأولى، وبقي الإِشمَامُ يدلُّ على ضمَّة النونُ الأولى. والإِشمَامُ: هو ضَمُّكَ شَفتَيكَ مِنْ غيرِ صوتٍ يُسمَعُ، فهو بعدَ الإِدغامِ وقبلَ فَتْحِه النون الثانية. وابنُ كَيْسَانَ يُسَمِّي الإِشمَامَ الإِشَارةَ، ويُسمِّي الرَّوْمَ إشمَاماً؛ والرَّوْمُ: صوتٌ ضعيفٌ يُسمَعُ خَفِيّاً. وقرأ أبو جَعفر «تأمنَّا» بفتح النون مِنْ غيرِ إشمَامٍ إلى إعرابِ المُدغَم. وقرأ الحسنُ «ما لك لا تأمُنَّا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمننا» بنونين على الأصل والمعنى: مَا لك لا تأمنا على يُوسفَ فتُرسِلهُ معنا، فإنه قد كَبُرَ ولا يعلمُ شيئاً مِنْ أمرِ المَعاشِ، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فيما أَشَرْنَا به عليكَ؛ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء. وقال مُقاتِلٌ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، وذلك أنَّهم قالوا له: أَرسِلْهُ معنا، فقال: إنِّي لَيَحْزُنُني أنْ تذهبوا به، فقالوا: ما لكَ لا تأمنَّا.

قوله تعالى: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمروٍ «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعينُ ساكنةٌ؛ وَافَقَهُم زيدٌ عن يَعقوبَ في «نرتع» فحَسْب. وفي معنى «نَرْتَع» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: نَلْهُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: نَسْعَ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: نأكلُ؛ يقال: رَتَعتِ الإِبلُ: إذا رَعَتْ، وأَرتَعْتُهَا: إذا تَركتَها تَرْعَى. قال الشاعر:

وَحَـبِـيـبٍ لِـي إذَا لاقَـيْـتُـهُ   وإذَا يَـخْـلُـو لَـهُ لَـحْـمِـي رَتَـعْ[٢]

أي أكلَهُ، هذا قولُ ابن الأنبَاري، وابنِ قُتيبةَ. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: «يرتعْ ويلعبْ» بالياء فيهما وجَزْم العينِ والباءِ، يَعنُونَ «يُوسفَ». وقرأ نَافعٌ: «نرتعِ» بكسرِ العين مِنْ «نَرتَع» مِنْ غير بُلوغ إلى الياء. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعناها: نَتَحارَسُ، ويَرعى بعضُنا بعضاً، أي: يَحفَظُ؛ ومنه يُقالُ: رَعاكَ اللهُ، أي: حَفِظكَ. ورُويتُ عن ابنِ كثيرٍ أيضاً «نَرْتَعِي» بإثباتِ ياءٍ بعد العين في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ أنسٌ، وأبو رَجَاء «نَرْتَعي» بإثباتِ ياءٍ بعد العين في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ أنسٌ، وأبو رَجَاء «نُرتِعْ» بنونٍ مرفوعةٍ وكسرِ التاء وسكونِ العين، و «نلعبْ» بالنون. قال أبو عُبيدَة: أي: نُرْتِعْ إبِلَنا[٣].

فأمَّا قوله تعالى: «ونلعبْ» فقال ابنُ عباسٍ: نَلْهُو.

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «شرق» ونسبه للأعشى. وشرق الشيء شرقاً فهو شَرِقٌ: اشتدت حمرته بدم أو بحسن لون أحمر.

(٢) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في «المفضليات» ١٩٠ ـ ٢٠٢، و «الشعر والشعراء» ٣٨٤.

(٣) **قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١٥٥: وأولى ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، وبجزم العين في «يرتع»، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك، كما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور. والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم.**

فإنْ قيلَ: كيف لم يُنكِرْ عليهم يَعقوبُ ذِكرَ اللعبِ؟

فالجَوابُ مِنْ وَجْهَين: **أحدهما**: أنهم لم يكونوا حِينَئذٍ أنبياءَ، قاله أبو عَمرِو بنُ العَلاءِ. **والثاني**: أنهم عَنَوْا مُباحَ اللعبِ، قاله المَاوَرديُّ[١].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي: يُحزِنُني ذَهابُكم به، لأنه يُفارِقُني فلا أراهُ. ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ: «الذئب» بالهَمزِ في الثلاثةِ المَواضع. وقرأ الكِسائيُّ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ بغيرِ هَمزٍ. قال أبو عليٍّ: «الذئب» مَهموزٌ في الأصلِ. يُقال: تَذاءَبَتِ الرِّيحُ: إذا جاءت مِنْ كُلِّ جِهَةٍ كما يأتي الذِّئبُ.

وفي علَّةِ تَخصِيصِ الذِّئبِ بالذِّكرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه رأى في منامِه أنَّ الذِّئبَ شدَّ على يُوسفَ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ أرضَهُم كانت كثيرةَ الذِّئابِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه خَافَهُم عليه فكَنَّى بذِكرِ الذِّئبِ، قاله المَاوَرديُّ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: غافلون في اللعب. **والثاني**: مُشتَغلونَ برَعيَّتِكُم. قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعةٌ نرى الذِّئبَ قد قَصدَهُ ولا نَرُدُّ عنه ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: عَاجِزونَ. قال ابنُ الأنبارِي: ومَنْ قرأ «عصبةً» بالنَّصبِ، فتقديرُه: ونحنُ نجتَمعُ عُصْبَةً.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ في الكلام اختِصارٌ وإضمَارٌ، تقديرُه: فأرسَلَهُ معهُم فلمَّا ذهبوا. ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ أي: عزَمُوا على أنْ يجعلوه في غَيابَةِ الجُبِّ.

الإشَارةُ إلى قصَّةِ ذَهابِهم به

قال المُفسِّرون[٣]: قالوا ليُوسفَ: أمَا تشتَاقُ أنْ تخرجَ معنا فتَلعبَ وتَتَصيَّدَ؟ قال: بلى، قالوا: فَسَلْ أباكَ أنْ يُرسلكَ معنا، قال: أفعَلُ، فدَخَلُوا بجماعَتِهم على يَعقوبَ، فقالوا: يا أبَانا إنَّ يُوسفَ قد أحبَّ أنْ يخرجَ معنا، فقال: ما تقولُ يا بُنيَّ؟ قال: نعم يا أبَتِ، قد أرى مِنْ إخوتي اللينَ واللُّطفَ، فأنَا أحبُّ أنْ تأذنَ لي، فأرسَلَهُ معهم، فلمَّا أصْحَرُوا، أظهَرُوا له ما في أَنْفُسِهم مِنَ العداوةِ، وأغلَظُوا له القولَ، وجعلَ يلجأُ إلى هذا، فيَضْربُه، وإلى هذا، فيُؤذيه، فلمَّا فَطِنَ لِمَا قد عَزَمُوا عليه، جعلَ يُنادي: يا أبَتاهُ، يا يَعقوبُ، لو رأيتَ يُوسفَ وما ينزلُ به مِنْ إخوَتِه لأَحْزَنَكَ ذلكَ وأبكاكَ، يا أبَتاهُ ما أسرَعَ ما نَسُوا عَهْدَكَ، وضيَّعوا وَصيَّتكَ؛ وجعلَ يبكي بكاءً شديداً. قال الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ: فأخذَه رُوبيل فجلد به الأرضَ، ثم جَثَمَ على صدرهِ وأرادَ قَتْلَهُ، فقال له يُوسفُ: مَهْلاً يا أخي لا تَقتُلني، قال: يا

---

(١) انظر «تفسير الماوردي»: ٣/ ١٣.

(٢) انظر «تفسير الماوردي» ٣/ ١٣.

(٣) هذه الآثار مصدرها كتب الأقدمين يستأنس بها من غير احتجاج، وفي بعضها غرابة.

ابنَ رَاحِيلَ صاحبَ الأحلام، قُلْ لِرُؤياكَ تُخلِّصكَ مِنْ أيدينا، ولَوَى عُنُقَهُ لِيَكسِرَها، فنادى يُوسُف: يا يَهُوذَا اتَّقِ اللَّهَ فِيَّ، وخَلِّ بيني وبينَ مَنْ يُريد قتلي، فأدركَتْهُ له رَحمَةٌ، فقال يَهُوذَا: يا إخوَتَاهُ، ألاَ أدُلُّكُم على أمرٍ هو خيرٌ لكم وأرفَقُ به؟ قالوا: وما ذاكَ؟ قال: تُلقُونَهُ في هذا الجُبِّ فيَلتقِطه بعض السَّيَّارةِ، قالوا: نَفعَلُ؛ فانطلقوا به إلى الجُبِّ، فخَلَعُوا قميصَهُ، فقال: يا إخْوَتَاهُ، لِمَ نَزَعتُم قَمِيصِي؟ رُدُّوهُ عليَّ أستُرُ به عَورَتي ويكون كَفَناً لِي في مماتي؛ فأخرجَ اللَّهُ له حَجَراً في البِئرِ مُرتفعاً مِنَ الماء، فاستقرَّت عليه قدماهُ.

وقال السُّدِّيُّ: جَعلُوا يُدَلُّونَهُ في البئرِ، فيتعلَّقُ بشَفيرِ البئر؛ فرَبَطُوا يديه ونَزعُوا قميصَهُ فقال: يا إخوتَاهُ، رُدُّوا عليَّ قميصي أتوارَى به، فقالوا: أُدْعُ الشمسَ والقمرَ والأحد عشر كوكباً، فدَلُّوهُ في البئرِ، حتى إذا بلغَ نِصفَها ألقَوهُ إرادة أنْ يموتَ، فكان في البئر ماءٌ فسَقطَ فيه، ثم أوى إلى صخرةٍ فيها فقامَ عليها؛ فلمَّا ألقَوهُ في الجُبِّ جعلَ يبكي، فنادَوهُ، فظَنَّ أنها رَحمَةٌ أدركَتْهُم فأجابَهُم، فأرادُوا أنْ يَرضَخُوهُ بصخرةٍ، فمَنعَهُم يَهُوذَا، وكان يَهُوذا يأتيه بالطَّعام. وقال كَعبٌ: جَمعُوا يدَيهِ إلى عُنُقِه ونَزَعُوا قميصَهُ، فبعثَ اللَّهُ إليه مَلَكاً، فحَلَّ عنه وأخرجَ له حَجراً مِنَ الماء، فقعَدَ عليه؛ وكان يَعقوبُ قد أَدرَجَ قميصَ إبراهيمَ الذي كَسَاهُ اللَّهُ إيَّاهُ يومَ أُلقِيَ في النار في قَصَبةٍ، وجعلها في عُنقِ يُوسفَ، فألبَسَهُ إيَّاهُ المَلَكُ حِينَئذٍ، وأضاءَ له الجُبَّ. وقال الحسَنُ: أُلقِيَ في الجُبِّ، فَعَذُبَ مَاؤُه، فكان يُغنِيه عن الطعام والشَّرابِ؛ ودَخلَ عليه جِبريلُ، فأَنِسَ به، فلمَّا أمسَى نهضَ جِبريلُ ليذهبَ، فقال له يُوسفُ: إنك إذا خرجتَ عني استَوحَشتُ، فقال: إذا رَهِبتَ شيئاً فقُلْ: يا صَرِيخَ المُستَصرِخِينَ، ويا غَوثَ المُستَغِيثِينَ، ويا مُفَرِّجَ كَرْبِ المَكرُوبِينَ، قد ترى مكاني وتَعلَمُ حَالِي ولا يَخفَى عليكَ شيءٌ مِنْ أمرِي. فلمَّا قالها حَفَّتْهُ الملائكةُ، فاستَأنسَ في الجُبِّ ومَكثَ فيه ثلاثةَ أيام، وكان إخوتُه يَرعَونَ حولَ الجُبِّ. وقال محمَّدُ بنُ مُسلم الطَّائِفيّ: لمَّا أُلقِيَ يوسفُ في الجُبِّ، قال: يا شَاهِداً غيرَ غائبٍ، ويا قريباً غيرَ بعيدٍ، ويا غالباً غير مَغلُوبٍ، اِجعَلْ لي فَرَجاً مما أنا فيه؛ قال: فمَا باتَ فيه. وفي مِقدَارِ سِنِّه حينَ أُلقِيَ في الجُبِّ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: اثنتا عشرةَ سنةً، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ستَّ سنينَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: سبعَ عشرةَ، قاله ابنُ السَّائبِ، ورُوي عن الحسَنِ أيضاً. **والرابع**: ثمانِ عشرةَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه إلهَامٌ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه وَحيٌ حقيقةً. قال المُفسِّرون: أُوحِيَ إليه لَتُخبِرنَّ إخوتَكَ بأمْرِهِم، أيْ: بمَا صَنَعُوا بكَ وأنتَ عَالٍ عليهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يشعرون أنكَ يُوسفُ وقت إخبَارِكَ لهم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثاني**: لا يشعرون بالوَحي، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. فعلى الأولِ يكون الكلام مِنْ صِلَةِ «لَتُنَبِّئَنَّهُم»؛ وعلى الثاني مِنْ صِلَةِ «وأوحينا إليه». قال حُمَيدٌ: قلتُ للحَسنِ: أيَحسُدُ المؤمنُ المؤمنَ؟ قال: لا أبَا لكَ، ما نسَّاكَ بَنِي يَعقوبَ؟

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ وقرأ أبو هُريرَة، والحسَنُ، وابنُ السَّمَيفَع، **والأعمَشُ**:

«عُشاءً» بضمِّ العين. قال المُفسِّرون: جاؤوا وقتَ العَتَمَةِ ليكونوا أجرأَ في الظُّلمَةِ على الاعتِذارِ بالكَذبِ، فلما سَمِعَ صوتَهُم فَزِعَ، وقال: ما لكُم يا بَنِيَّ، هل أصابكُم في غَنَمِكُم شيءٌ؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكُم؟ وأينَ يُوسفُ؟ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: نَنتَضِلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ قُتيبةَ، قال: والمعنى، يُسابِقُ بعضُنا بعضاً في الرَّمي. **والثاني**: نَشْتَدُّ، قاله السُّدِّيّ. **والثالث**: نَتصَيَّدُ، قاله مُقاتِلٌ. فيكون المعنى على الأول: نستَبِقُ في الرَّمي لِنَنظُرَ أيُّنا أسبقُ سَهماً؛ وعلى الثاني: نَستَبِقُ على الأقدَامِ؛ وعلى الثالث: للصَّيدِ.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ أي: ثيابنا. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ أي: بمُصَدِّقٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: وإنْ كُنَّا قد صَدَقْنَا، قاله ابنُ إسحَاقَ. **والثاني**: لو كُنَّا عندكَ مِنْ أهلِ الصِّدْقِ لاتَّهمتَنا في يُوسفَ لِمَحبَّتكَ إيَّاهُ، وظننتَ أنَّا قد كَذَبْناكَ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ قال اللغويون: معناه: بدَمٍ مَكذُوبٍ فيه، والعربُ تجعلُ المَصدرَ في كثيرٍ مِنَ الكلام مفعولاً، فيقولون للكَذِبِ مَكذُوبٌ، ولِلعَقلِ مَعقُولٌ، ولِلجَلْدِ مَجلُودٌ، قال الشاعر:

حتَّى إذا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ ... لَحماً ولاَ لِفُؤَادِهِ مَعْقُولا[١]

أراد: عَقلاً. وقال الآخرُ:

قَدْ والذي سَمَكَ السَّماءَ بِقُدْرَةٍ ... بُلِغَ العَزَاءُ وأُدْرِكَ المَجْلُودُ[٢]

يريد: أُدرِكَ الجَلْدُ. ويقولون: ليس لِفُلانٍ عَقْدُ رأيٍ، ولا مَعقُودُ رأيٍ، ويقولون: هذا ماءٌ سَكْبٌ، يريدون: مَسْكُوباً، وهذا شرابٌ صَبٌّ، يريدون: مَصبُوباً، وماءُ غَورٍ، يَعنُونَ: غائِراً، ورَجلٌ صَومٌ، يريدون: صَائِماً، وامرأةٌ نَوحٌ، يريدون: نائِحَةً؛ وهذا الكلام مجمُوعُ قولِ الفَرَّاءِ، والأَخفَشِ، والزَّجَّاجِ، وابنِ قُتيبةَ في آخَرين. قال ابنُ عباسٍ: أَخَذُوا جَدْياً فذَبحُوهُ، ثم غَمَسُوا قميصَ يُوسفَ في دَمِهِ، وأَتَوهُ به وليس فيه خَرْقٌ، فقال: كَذَبْتُم، لو كان أكلَهُ الذِّئبُ لَخرَّقَ القميصَ. وقال قَتَادَةُ: كان دَمَ ظَبيَةٍ. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «بدم كذباً» بالنَّصبِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، والحَسَنُ، وأبو العَاليَة: «بدم كدب» بالدالِ غيرَ مُعجَمةٍ، أي: بدم طَرِيٍّ.

قوله تعالى: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ أي: زَيَّنَتْ ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ غيرَ ما تَصِفُونَ ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ قال الخَليلُ: المعنى: فشَأنِي صَبْرٌ جميلٌ، والذي أعتَقِدُهُ صَبْرٌ جميلٌ. وقال الفَرَّاءُ: الصَّبرُ مرفوعٌ، لأنه عَزَّى نَفسَهُ وقال: ما هوَ إلاَّ الصَّبرُ، ولو أمرَهُم بالصَّبرِ، لَكَان نصباً. وقال قُطْرُبُ: المعنى: فصَبْري

---

(١) البيت للراعي النميري كما في «ديوانه» ١٣٧.

(٢) في «اللسان» سمك الشيء: رفعه فارتفع.

صَبْرٌ جَميلٌ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ، وأبو المُتَوكِّلِ: «فصبراً جميلاً» بالنَّصب. قال الزَّجَّاجُ: والصَّبرُ الجَميلُ لا جَزَعَ فيه، ولا شَكوَى إلى الناسِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: على ما تَصِفُونَ مِنَ الكَذبِ. **والثاني**: على احتِمَالِ ما تَصِفُونَ.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي: قَومٌ يَسِيرونَ ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ قال الأخفشُ: أنَّثَ السَّيَّارةَ وذكَّر الوَارِدَ، لأنَّ السَّيَّارةَ في المعنى للرِّجال. وقال الزَّجَّاجُ: الوَارِدُ: الذي يَرِدُ الماءَ ليَستَقِي للقوم. وفي اسم هذا الوَارِدِ قولان: **أحدهما**: مالكُ بنُ دُعْر بنِ يُؤَيبَ بنِ عيفا بن مَدْينَ بنِ إبراهيمَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مجلث بن رعويل، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أي: أَرسَلَها. قال الزَّجَّاجُ: يقال: أَدلَيتَ الدَّلوَ: إذا أرسَلتَها لِتَملأَها، ودَلَوتَها: إذا أخرَجتَها. ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ قرأه ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «يا بشرايَ» بفتح الياء وإثباتِ الألفِ. وروَى وَرْشٌ عن نافعٍ «بشرايْ» و «محيايْ» و «مَثْوَايْ» بسكون الياء. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ «يا بشرى» بألفٍ بغير ياءٍ. وعَاصِمٌ بفتح الراءِ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ يُمِيلانِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «يا بشرايَ» فهذا النِّداءُ تَنبِيهٌ للمُخاطَبِينَ، لأنَّ البُشرَى لا تُجِيبُ ولا تَعقِلُ؛ فالمعنى: أَبشِرُوا، ويا أيُّها البُشرَى هذا مِنْ أَوَانِكِ، وكذلك إذا قُلتَ: يا عَجَباهُ، فكأنَّكَ قلتَ: اِعجَبُوا، ويا أيُّها العَجَبُ هذا مِنْ حِينِكَ؛ وقد شرحنا هذا المعنى.

فأمَّا قراءةُ مَنْ قرأ «يا بشرى» فيجوزُ أنْ يكونَ المعنى: يا مَنْ حَضَر، هذه بُشرَى. ويجوز أنْ يكونَ المعنى: يا بُشرَى هذا أوانُكِ على ما سبقَ بيانُه مِنْ تَنبيهِ الحَاضِرينَ. وذكر السُّدِّيُّ أنه نَادَى بذاكَ أحدَهُم وكان اسمُه بُشرَى[١]. وقال ابنُ الأنبَارِي: يجوز فيه هذه الأقوالُ، ويجوز أنْ يكون اسمَ امرأةٍ. وقرأ أبو رَجَاء، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «يا بُشرَيَّ» بتشديدِ الياء وفَتْحِها مِنْ غيرِ ألفٍ[٢]. قال ابنُ عباسٍ: لمَّا أَدْلَى دَلْوَهُ؛ تعلَّقَ يوسفُ بالحَبلِ فنظر إليه فإذا بغُلام أحسن ما يكون مِنَ الغِلمَانِ، فقال لأصحابه: البُشرَى، فقالوا: ما وَراءَكَ؟ قال: هذا غُلامٌ في البئرِ، فأَقبَلُوا يسأَلُونَهُ الشِّركَةَ فيه، واستَخرجُوه مِنَ الجُبِّ، فقال بعضُهم لبعضٍ: أكتُمُوه عن أصحَابِكُم لِئَلاَّ يسأَلُوكُم الشِّركَةَ فيه، فإنْ قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استَبْضَعنَاهُ أهل الماءِ لِنَبيعَهُ لهُم بمِصرَ؛ فجاء إخوةُ يُوسفَ فطَلَبُوهُ فلم يَجدُوهُ في البِئرِ، فنَظَرُوا، فإذا هُم بالقوم ومعهُم

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٨٢: هذا القول من السدي غريب، لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس، والله أعلم.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١٦٥: وأعجب القراءة في ذلك إلي قراءة من قرأهُ بإرسال الياء وتسكينها، لأنه إن كان اسم رجل بعينه كان معروفاً فيهم، كما قال السدي، فتلك هي القراءة الصحيحة لا شك فيها، وإن كان من «التبشير» فإنه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك على ما بينت. وأما التشديد والإضافة في الياء فقراءة شاذة، لا أرى القراءة بها، وإن كانت لغة معروفة لإجماع الحجة من القرأة على خلافها.

يُوسفُ، فقالوا لهم: هذا غُلامٌ أَبَقَ منَّا، فقال مالكُ بنُ دُعْر: فأنا أشتَريه منكم، فبَاعُوه بعشرينَ دِرهماً وحُلَّةٍ ونَعلينِ، وأَسَرَّهُ مالكُ بنُ دُعْر مِنْ أصحابه، وقال: استَبْضَعنَاهُ أهلُ الماء لِنَبيعَهُ لهم بمِصرَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: «بضاعةً» منصوبٌ على الحالِ، كأنَّه قال: وأَسَرُّوهُ جَاعِلِيهِ بضَاعةً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أَسَرُّوا في أنفُسِهم أنه بِضَاعةٌ وتجارةٌ. وفي الفَاعِلينَ لذاكَ قولان: **أحدهما**: أنهم وَارِدُو الجُبِّ، أَسَرُّوا ابتِيَاعَهُ عن باقي أصحَابِهم، وتَواصَوا أنه بِضَاعةٌ استَبضَعَهُم إياهَا أهلُ المَاءِ؛ وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهم إخوَتُه، أَسَرُّوا أَمرَهُ وبَاعُوهُ، وقالوا: هو بِضَاعةٌ لنا، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً(١). قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ يَعُمُّ البَاعةَ والمُشتَرِينَ.

﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ﴾ هذا حرفٌ مِنْ حُروفِ الأَضدَادِ، تقول: شَرَيتُ الشيءَ؛ بمعنى بِعْتُهُ؛ وشَرَيتُهُ، بمعنى اشتَرَيْتُهُ. فإنْ كان بمعنى بَاعُوهُ، ففيهم قولان: **أحدهما**: أنهم إخوَتُه، وهو قولُ الأكثَرينَ. **والثاني**: أنهم السَّيَّارةُ، ولم يَبِعْهُ إخوتُهُ، قاله الحَسنُ، وقَتَادةُ. وإنْ كان بمعنى اشتَرُوهُ، فإنَّهمُ السَّيَّارةُ(٢). قوله تعالى: ﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحَرامُ، قاله ابنُ عباسٍ،

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١٦٧: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: «وأسرّ وارد القوم المدلي دلوه ومن معه من أصحابه، من رفقته السيارة، أمر يوسف أنهم اشتروه، خيفة منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء». وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبراً عنه، أشبه من أن يكون خبراً عمن هو بالخبر عنه غير متصل.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٨٢: والأول أقوى، لأن قوله: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة، لأن السيارة استبشروا به وأسرّوه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فترجّح من هذا أن الضمير في ﴿وشروه﴾ إنما هو لإخوته. وقال الطبري رحمه الله ٧/ ١٦٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: «وشرى إخوة يوسف يوسف بثمن بخس»، وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرّوا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم بادّعائهم أنه بضاعة. ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم، واسترخاصاً لثمنه الذي ابتاعوه به، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه: ﴿بثمن بخس﴾. ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين، لم يكن لقيلهم لرفاقهم: «هو بضاعة» معنى، ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين وجه، إلا أن يكونوا كانوا مغلوباً على عقولهم، لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير إكراه مكره له عليه، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول: «هو بضاعة لم أشتره» مع زهده فيه. بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنّينٌ لنفاستها عنده، ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح.

ـ قلت: كذا رجّح الطبري وابن كثير، في حين لم يرجح ابن العربي في «الأحكام» ٣/ ٤٢ ـ ٤٣ وكذا القرطبي ٩/ ١٣٢ ـ ١٣٣ أحد القولين، مع أن القرطبي ذكر أقوالاً أخر. والصواب والله أعلم خلاف ما ذهب إليه الطبري وابن كثير. أما الأثر الوارد عن ابن عباس، فإنه ساقط، أخرجه الطبري ١٨٩٠٨ بسند فيه ثلاثة مجاهيل. وأما سياق الآيات وسباقها، فإنه يدل على أن المراد بذلك بعض السيارة. فإن من وجده في البئر من السيارة أسرَّ ذلك ولم يخبر باقي القافلة، فلما قدم مصر باعه بثمن بخس بسبب فقره، وعدم معرفته بقيمة هذا الملتقط، أما إخوة يوسف فقد ألقوه في الجب، وانطلقوا، وهو الذي يدل عليه كلامهم حيث قال أحدهم، =

والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ في آخَرين. **والثاني**: أنه القَليلُ، قاله عِكرِمَةُ، والشَّعبيُّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: البَخْسُ: الخَسِيسُ الذي بُخِسَ به البائعُ. **والثالث**: النَّاقِصُ، وكانت الدَّراهم عشرينَ درهماً في العَددِ، وهي تَنْقُصُ عن عشرينَ في الميزانِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي[١].

قوله تعالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ قال الفَرَّاءُ: إنما قيلَ: «معدودة» ليُستدَلَّ بها على القِلَّةِ. وقال ابنُ قُتَيبَة: أي: يَسِيرةٍ، سَهُلَ عَددُها لِقلَّتِها، فلو كانت كثيرةً لَثَقُلَ عَدَدُها. وقال ابنُ عباسٍ: كانوا في ذلك الزَّمان لا يَزِنُون أقلَّ مِنْ أربعينَ دِرهماً، وقيل: إنما لم يَزِنُوها لِزُهدِهم فيه. وفي عدد تلكَ الدَّراهم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: عِشرونَ دِرهماً، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، وعِكرِمَةُ في روايةٍ، ونَوفُ الشَّامي، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، والشَّعبيُّ، وعَطِيَّةُ، والسُّدِّيّ، ومُقاتِلٌ في آخَرين. **والثاني**: عشرونَ درهماً وحُلَّةٌ، ونَعلانِ، رُوي عن ابن عباسٍ أيضاً. **والثالث**: اثنان وعشرون درهماً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والرابع**: أربعون درهماً، قاله عِكرَمةُ في روايةٍ، وابنُ إسحَاقَ. **والخامس**: ثلاثون درهماً، ونَعلانِ، وحُلَّةٌ[٢]، وكانوا قالوا له بالعِبرانيَّةِ: إمَّا أنْ تُقِرَّ لنا بالعُبوديةِ، وإمَّا أنْ نأخذَكَ منهم فنَقتُلَكَ، قال: بل أُقِرُّ لكم بالعُبوديةِ، ذكره إسحَاقُ بن بِشْرٍ عن بعضِ أشياخه. قال المُفسِّرون: اقتَسَمُوا ثمنَهُ، فاشترَوا به نِعالاً وخِفَافاً. وكان بعضُ الصالحين يقول: واللَّهِ ما يُوسفُ ـ وإنْ باعَهُ أعداؤه ـ بأعجبَ منكَ في بيعكَ نفسَكَ بشهوةٍ ساعةٍ مِنْ معَاصِيكَ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ الزُّهدُ: قِلَّةُ الرَّغبةِ في الشيء. وفي المُشَارِ إليهم قولان[٣]: **أحدهما**: أنهم إخوتُه، قال ابنُ عباسٍ؛ فعَلَى هذا، في هاءِ «فيه» قولان: أحدهما: أنها تَرجِعُ إلى يُوسفَ، لأنهم لم يعلموا مكانَهُ مِنَ الله تعالى، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ جُرَيجٍ. والثاني: أنها تَرجِعُ إلى الثَّمنِ. وفي عِلَّةِ زُهدِهم قولان: أحدهما: رَداءَتُه. والثاني: أنهم قَصَدُوا بُعدَ يُوسفَ، لا الثَّمنَ. **والثاني**: أنهم السَّيَّارَةُ الذين اشترَوه. وفي عِلَّة زُهدِهم ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم ارتَابُوا لِقلَّة ثَمنِه. والثاني: أنَّ إخوتَهُ وَصفُوه عندهم بالخِيانةِ والإبَاقِ. والثالث: لأنهم عَلِمُوا أنه حُرٌّ.

= وقد أخذوا برأيه ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة﴾ لم يقل نبيعه، فكان كما أراد هذا القائل. ثم هو كان قد ألقي في الجب، وقد تبرأ منه إخوته، فكيف يأخذون ثمناً عن تسليمه؟!

(١) وهو ما اختاره ابن كثير ٢/ ٥٨٢ فقال: وقيل: المراد بقوله: ﴿بخس﴾ الحرام، وقيل: الظلم. وهذا وإن كان كذلك لكن ليس هو المراد هنا، لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال، وعلى كل أحد، لأنه نبي ابن نبي ابن نبي، ابن خليل الرحمن فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، وإنما المراد هنا بالبخس: الناقص، أو الزيوف أو كلاهما، أي أنهم إخوته وقد باعوه، ومع هذا بأنقص الأثمان، ولهذا قال: ﴿دراهم معدودة﴾.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١٧١: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، لم يحدّ مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ولا وضع عليه دلالة في كتاب، ولا خبر من رسول الله ﷺ، . . . وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلّف علمه.

(٣) الضمير في «كانوا» يعود على الواردة الذين استخرجوه من البئر ثم باعوه بثمن بخس زهداً، فلا مكان لذكر الإخوة ههنا، والله أعلم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ قال وَهْب: لمَّا ذهبتْ به السَّيَّارَةُ إلى مِصرَ، وَقَفُوه في سُوقِها يَعرِضُونَهُ للبيع، فتزايَدَ الناسُ في ثَمنِه حتى بلغَ ثَمنُهُ وزنَهُ مِسكاً، ووزنَهُ وَرِقاً، ووزنَهُ حريراً، فاشتَرَاهُ بذلك الثَّمنِ رجلٌ يُقال له: قُطفير، وكان أمينَ فِرعَونَ وخَازِنَهُ، وكان مؤمناً. وقال ابنُ عباسٍ: إنَّما اشتَرَاهُ قُطفير مِنْ مالكِ بنِ دُعْر بعشرينَ ديناراً، وزوجَيْ نَعلٍ، وثوبَيْن أبيَضَينِ، فلمَّا رجعَ إلى منزله قال لامرأته: أكرِمي مَثْوَاهُ. وقال قومٌ: اسمُه أطفير. وفي اسمِ المرأةِ قولان: **أحدهما**: رَاعيل بنت رعاييل، قاله ابنُ إسحَاقَ. **والثاني**: أزليخا بنت تمليخا، قاله مُقاتلٌ.

قال ابنُ قُتَيبةَ: «أكرمي مثواه» يعني مَنْزِلهُ ومُقامَهُ عندكِ، مِنْ قولكَ: ثَوَيْتُ بالمكان: إذا أقَمتَ به. وقال الزَّجَّاجُ: أَحسِني إليه في طُولِ مُقامِه عندنا. قال ابنُ مسعودٍ: أَفْرَسُ الناسِ ثلاثةٌ: العَزيزُ حينَ تفرَّسَ في يُوسفَ، فقال لامرأتِهِ: «أكرمي مَثْواهُ عسى أنْ يَنفعَنا»، وابنةُ شُعَيبٍ حينَ قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾[١]، وأبو بكرٍ حينَ استخلَفَ عُمَر.

وفي قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ قولان: **أحدهما**: يكفينَا إذا بلغَ أمورَنا. **والثاني**: بالرِّبح في ثَمنِه. قوله تعالى: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: نَتبنَّاهُ. وقال غيرُه: لم يكن لَهُما وَلدٌ، وكان العزيزُ لا يأتي النساءَ. قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي: وكما أنجيناهُ مِنْ إخوتِه وأخرجناهُ مِن ظُلمةِ الجُبِّ، مَكَّنَّا له في الأرضِ، أي: مَلَّكناهُ في أرضِ مِصرَ فجعلناه على خزائنِها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ﴾ قال ابنُ الأنباري: إنَّما دخلتِ الواوُ في «ولنعلِّمه» لفعلٍ مُضمَرٍ هو المُجتلِبُ للام، والمعنى: مَكَّنَّا ليُوسفَ في الأرضِ، واختَصَصْناهُ بذلك لكي نُعلِّمَهُ مِنْ تأويلِ الأحاديث. وقد سبقَ تفسيرُ «تأويل الأحاديث». ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها تَرجعُ إلى الله تعالى، فالمعنى: أنه غالبٌ على ما أراد مِنْ قضَائِه، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها ترجع إلى يُوسفَ[٢]، فالمعنى: غالبٌ على أمرِ يُوسفَ حتى يُبلِّغه ما أرادَهُ له، وهذا معنى قولِ مُقاتِلٍ. وقال بعضُهم: واللَّهُ غالبٌ على أمرِهِ حيثُ أَمَرَ يعقوبُ يوسفَ أنْ لا يَقُصَّ رُؤياهُ على إخوته، فعَلِمُوا بها، ثم أراد يعقوبُ أنْ يلتَقِطَهُ بعضُ السَّيَّارَةِ فيندَرِسَ أمرُهُ، فعَلا أَمْرُهُ، ثم باعُوهُ ليكونَ مملوكاً، فغلَبَ أمْرُهُ حتى مَلَكَ، وأرادوا أنْ يُعطِّفُوا أبَاهم، فأبَاهُم، ثم أرادوا أنْ يَغُرّوا يعقوبَ بالبُكاءِ والدَّم الذي أَلْقَوْهُ على القميصِ، فلم يَخفَ عليه، ثم أرادوا أنْ يكونوا بعدَهُ قوماً صالحين، فنَسُوا ذَنْبَهُم إلى أَنْ أَقَرّوا به بعدَ سنين. فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾[٣]، ثم أرادوا أنْ يَمْحُوا محبَّته مِنْ قلبِ أبيه، فازدَادتْ، ثم أرادت أزلِيخا أنْ تُلقيَ عليه التُّهمةَ بقولها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾[٤]، فغلَبَ أمرُهُ، حتى شَهِدَ شاهدٌ مِنْ أهلِها، وأراد يُوسفُ أنْ

---

(١) سورة القصص: ٢٦.
(٢) وكذا قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٧٤: الهاء في قوله: ﴿على أمره﴾ عائدة على يوسف.
(٣) سورة يوسف: ٩٧. (٤) سورة يوسف: ٢٥.

يتخلَّصَ مِنَ السِّجنِ بذكرِ السَّاقي، فنسيَ السَّاقي حتى لَبِثَ في السجنِ بِضْعَ سنين.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ قد ذكرنا معنى الأَشُدِّ في سُورة الأنعَام[١]، واختلف العلماء في المراد به ها هنا على ثمانيةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ثلاثٌ وثلاثون سنةً، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: ثماني عشرةَ سنةً، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ. **والثالث**: أربعون سنةً، قاله الحسَنُ. **والرابع**: بُلوغُ الحُلم، قاله الشَّعبيُّ، وربيعَةُ، وزَيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه. **والخامس**: عشرون سنةً، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: أنه مِنْ نحو سبعَ عشرَةَ سنةً إلى نحوِ الأربعين، قاله الزَّجَّاجُ. **والسابع**: أنه بُلوغُ ثمانٍ وثلاثين سنةً، حكاه ابنُ قُتَيبةَ. **والثامن**: ثلاثون سنةً، ذكره بعضُ المُفسِّرين[٢].

قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفِقهُ والعَقلُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: النُّبوَّةُ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: أنه جُعلَ حكيماً، قاله الزَّجَّاجُ، قال: وليس كلُّ عالم حكيماً، إنما الحَكيمُ: العَالِمُ المُستعمِلُ عِلمَهُ، المُمتنِعُ به مِنِ استعمالِ ما يُجهَلُ فيه. **والرابع**: أنه الإِصَابةُ في القول: ذكره الثَّعلبيُّ. قال اللغويون: الحُكْمُ عند العرب ما يَصرِفُ عن الجَهلِ والخطأ، ويَمنَعُ منهما، ويَردُّ النَّفسَ عما يَشِينُها ويعود عليها بالضَّررِ، ومنه: حِكمَةُ الدَّابة. وأصل أحكَمتُ في اللغة: مَنعتُ، وسُمِّي الحَاكِمُ حَاكِماً، لأنه يَمنَعُ مِنَ الظُّلم والزَّيغِ.

وفي المُراد بالعلم ها هنا قولان: **أحدهما**: الفقهُ. **والثاني**: عِلمُ الرُّؤيا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: ومثل ما وَصفنا مِنْ تعليم يُوسَف وحِراسَتهِ، نُثيبُ مَنْ أحسنَ عَملَهُ، واجتنبَ المعاصي، فَنُنجِّيه مِنَ الهَلكَةِ، ونَستَنقِذُهُ مِنَ الضَّلالةِ ونجعله مِنْ أهلِ العلم والحِكمَةِ كما فعلنا بيُوسفَ.

وفي المُراد بالمُحسنينَ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصَّابرون على النَّوائبِ. **والثاني**: المُهتدُون، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: المؤمنون. قال محمَّدُ بنُ جريرٍ: هذا، وإنْ كان مُخرَّجُ ظَاهِرُه على كلِّ مُحسنٍ، فالمُراد به محمَّدٌ ﷺ، والمعنى: كما فعلتُ بيُوسفَ بعد ما لَقِيَ مِنَ البلاءِ فمَكَّنتُهُ في الأرضِ وآتيتُهُ العِلمَ، كذلكَ أفعلُ بكَ وأُنجِيكَ مِنْ مُشركي قومكَ[٣].

---

(١) في الآية: ١٥٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ١٧٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكماً وعلماً و «الأشد» هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول ﷺ، ولا في إجماع الأمة على أي ذلك كان، وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال عز وجل، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ٧/ ١٧٥.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: طَلَبتْ منه المُواقَعةَ، وقد سبقَ اسمُها. قال الزَّجّاجُ: المعنى: رَاوَدتُهُ عمَّا أرادَتْهُ مما يُريدُ النساءُ مِنَ الرجالِ ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «هَيْتُ لك» بفتح الهاء وتسكينِ الياء وضمِّ التاء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «هِيتَ لك» بكَسرِ الهاء وتسكينِ الياء وفتح التاء، وهي مَرويَّةٌ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه. وروى الحُلوَانيُّ عن هشام عن ابنِ عامرٍ مثلَهُ، إلاَّ أنه هَمَزهُ. قال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: هو خطأٌ. ورُوي عن ابنِ عامرٍ: «هِئْتُ لكَ» بكسرِ الهاء وهَمزِ الياء وضمِّ التاءِ، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي الدَّرداءِ، وقَتادَةَ. قال الزَّجَّاجُ: هو مِنَ الهَيْئَةِ، كأنها قالت: تَهَيَّأتُ لكَ. وعن ابنِ مُحَيْصِنٍ، وطَلحَةَ بنِ مُصَرِّفٍ مثلُ قراءةِ ابنِ عباسٍ؛ إلاَّ أنَّها بغيرِ هَمزٍ. وعن ابنِ مُحَيْصِن بفتحِ الهاءِ وكسرِ التاءِ، وهي قراءةُ أبي رَزِينٍ، وحُمَيدٍ. وعنِ الوَليدِ بنِ عُتْبَةَ بكسرِ الهاء والتاء مع الهَمزِ، وهي قراءةُ أبي العَاليةِ. وقرأ ابنُ خُثَيم مثلَهُ، إلاَّ أنه لم يَهمِزْ. وعن الوَليدِ بنِ مُسلم عن نافع بكسرِ الهاء وفتحِ التاء مع الهَمز. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيْفَعِ، وابنُ يَعمَرَ، والجَحدريُّ: «هُيِّئْتُ لَكَ» برفعِ الهاءِ والتاءِ وبياءٍ مُشدَّدةٍ مكسورةٍ بعدَها همزةٌ ساكنةٌ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ: «ها أنا لك». وقرأ الباقونَ بفتح الهاءِ والتاءِ بغيرِ هَمزٍ. قال الزَّجَّاجُ: وهو أجودُ اللغاتِ، وأكثرُها في كلام العرب، ومعناها: هَلُمَّ لكَ، أي: أَقْبِلْ على ما أَدْعوكَ إليهِ، وقال الشاعر:

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا ... أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا[1]

أي: فَأَقْبِلْ وتَعالَ. وقال ابن قتيبة: يقال: هيَّت فلان لفلان: إذا دعاه وصاح به قال الشاعر:

قد رابني أن الكريَّ أسكتا ... لو كان معنيًا بها لَهَيَّتَا[2]

أي: صار ذا سكوت. واختلف العلماء في قوله «هيت لك» بأي لغة هي، على أربعة أقوال:

أحدها: أنها عربية قاله مجاهد. وقال ابنُ الأنباري: وقد قيلَ: إنها مِنْ كلام قريشٍ، إلا أنها ممَّا دَرَسَ وقَلَّ في أفواههم آخِراً، فأتَى اللهُ به، لأنَّ أصلَهُ مِنْ كلامِهم، وهذه الكلمةُ لا مصدرَ لها، ولا تَصرُّفَ، ولا تَثنيةَ، ولا جَمعَ، ولا تأنيثَ، يُقال للاثنينِ: هَيْتَ لَكُما، وللجميع: هَيْتَ لَكُم، وللنِّسوة: هَيْتَ لَكُنَّ. **والثاني**: أنها بالسّريانيَّةِ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: بالحَورانيَّة، قاله عِكرمَةُ، والكِسَائيُّ. وقال الفَرَّاءُ: يُقال: إنها لغةٌ لأهلِ حَورانَ، سقطتْ إلى أهلِ مكَّةَ فتكلَّموا بها. **والرابع**: أنها بالقِبطيَّةِ، قاله السُّدِّيّ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو مصدرٌ، والمعنى: أعوذُ باللهِ أنْ أفعلَ هذا، يُقال: عُذْتُ عِياذاً ومُعاذاً ومَعاذَةً. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ أي: إنَّ العَزيزَ صاحِبي ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾، قال: ويجوز

---

(١) البيت لأبي عمرو بن العلاء في «مجاز القرآن» ١/ ٣٠٠، و «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٣ وذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «عَنَقَ»، ولم ينسبه لقائل.
وعُنُقٌ: العُنُق الجماعة الكثيرة، وجاء القوم عنقاً أي طوائف، أي إذا جاؤوا فرقاً، كل جماعة منهم عُنُق.

(٢) في «اللسان»: الكَرِيُّ: من الكراء وهو أجر المستأجر، والكَري: الذي يكريك دابته أو هو المكتري.

أنْ يكون «إنه ربي» يعني اللهَ عزَّ وجلَّ «أحسنَ مَثْوَايَ» أي: تَوَلَّاني في طُولِ مُقَامِي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: إنْ فعلتُ هذا فَخُنْتُهُ في أهلِه بعدَمَا أكرَمَني فأنَا ظَالمٌ. وقيل: الظَّالِمُون هاهنا: الزُّنَاةُ.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ الهَمُّ بالشيءِ في كلام العرب: حديثُ المَرءِ نَفْسَهُ بمُواقَعتِه ما لم يُواقِعْ. فأما هَمُّ أَزلِيْخا، فقال المُفسِّرون: دَعَتْهُ إلى نَفْسِها واستَلْقَتْ له. واختلفوا في هَمِّهِ بها على خمسةِ أقوالٍ[1]:

---

(١) وقال الإمام أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ما ملخصه: طوّل المفسرون في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق والذي أختاره: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول إن جواب لولا متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العامة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري وأبو العباس المبرد، بل نقول: إن جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول: جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت. فيقدرونه: إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل، وكذلك هنا التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجداً لهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان، فانتفى الهم، ولا التفات إلى قول الزجاج، ولو كان الكلام: ولهمّ بها، كان بعيداً، فكيف مع سقوط اللام، لأنه يوهم أن قوله: وهم بها هو جواب (لولا) ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب، وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب، فاللام ليست بلازمة، لجواز أن ما يأتي جواب (لولا) إذا كان بصيغة الماضي باللام، وبغير لام تقول: لولا زيد لأكرمتك، فمن ذهب إلى أن قوله (وهمّ بها) هو نفس الجواب لم يبعد، ولا التفات إلى قول ابن عطية: إن قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله (ولقد همت به) وإن جواب (لولا) في قوله (وهم بها)، وإن المعنى لولا أن رأى البرهان لهم بها. فلم يهم يوسف عليه السلام قال: وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف. أما قوله: يرده لسان العرب، فليس كما ذكر، وقد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العرب، قال تعالى: ﴿إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ ـ القصص: ١٠ ـ فقوله: ﴿إن كادت لتبدي به﴾ إما أن يتخرج على أنه الجواب على ما ذهب إليه ذلك القائل وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به، وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة، يناقض بعضها بعضاً. مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين، فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدروا جواب (لولا) محذوفاً، ولا يدل عليه دليل، لأنهم لم يقدروا: لهمّ بها، ولا يدل كلام العرب إلا على أن يكون المحذوف من معنى ما قبل الشرط، لأن ما قبل الشرط دليل عليه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه، وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين، ومن أراد أن يقف على ما نقل عن المفسرين في هذه الآية فليطالع ذلك في تفسير الزمخشري وابن عطية وغيرهما.

أحدها: أنه كان مِنْ جنس هَمِّهَا، ولولا أنَّ اللهَ تعالى عَصَمَهُ لَفَعَلَ، وإلى هذا المعنى ذهبَ الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ، وهو قولُ عامَّةِ المُفسِّرين المُتَقدِّمين، واختاره مِنَ المُتأخِّرين جماعةٌ منهم ابنُ جَريرٍ، وابنُ الأنبَاري. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: لا يجوز في اللغة: هَمَمتُ بفُلانٍ، وهَمَّ بي، وأنتَ تُريد اختلافَ الهَمَّينِ. واحتجَّ مَنْ نَصرَ هذا القولَ بأنه مذهبُ الأكثرين مِنَ السَّلفِ والعلماءِ الأكابر، ويدلُّ عليه ما سَنذكُره مِنْ أمرِ البُرهانِ الذي رَآهُ. قالوا: ورُجوعُه عمَّا هَمَّ به مِنْ ذلك خَوفاً مِنَ اللهِ تعالى يَمحُو عنه سيِّءَ الهَمّ، ويُوجِبُ له عُلُوَّ المَنازلِ.

[٨٠٧] ويدلُّ على هذا الحديثُ الصَّحيحُ عن رسولِ الله ﷺ: «أنَّ ثلاثةً خَرَجُوا فلَجَؤوا إلى غارٍ، فانطَبقَتْ عليهم صخرة، فقالوا: لِيذكُر كلُّ واحدٍ منكم أفضلَ عَمَلِهِ. فقال أحدُهُم: اللهُمَّ إنكَ تعلمُ أنه كانت لي بِنتُ عَمّ فرَاودتُها عن نَفْسِها فأبَتْ إلاّ بمائةِ دينار، فلمَّا أتيتُ بها وجَلستُ منها مَجْلِسَ الرَّجلِ مِنَ المرأةِ أُرعِدَتْ وقالت: إنَّ هذا لَعَملٌ ما عَمِلتُه قطُّ، فقُمتُ عنها وأعطَيتُها المائةَ الدِّينار، فإنْ كُنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ فافرِجْ عنا، فزال ثُلثُ الحَجَرِ». والحديثُ معروفٌ، وقد ذَكرتُهُ في «الحدائق»، فعَلَى هذا نقولُ: إنما هَمَّتْ، فترقَّتْ هِمَّتُها إلى العَزيمةِ، فصَارتْ مُصِرَّةً على الزِّنا. فأمَّا هو، فعَارضَهُ ما يُعارِضُ البَشرَ مِنْ خَطَراتِ القلبِ، وحديثِ النَّفسِ، مِنْ غير عَزْمٍ، فلم يُلزِمْهُ هذا الهَمُّ ذَنْباً، فإنَّ الرجلَ الصالحَ قد يَخطُرُ بقلبه وهو صائمٌ شُربُ الماءِ البارِدِ، فإذا لم يَشرَبْ لم يُؤاخَذْ بما هَجَسَ في نَفْسِه.

[٨٠٨] وقد قال عليه السلامُ: «عُفِي لأُمَّتي عمَّا حَدَّثَتْ به أَنْفُسَها ما لم تَتَكَلَّمْ أو تَعْمَلْ».

[٨٠٩] وقال عليه السَّلامُ: «هلكَ المُصِرُّونَ» وليس الإصرَارُ إلاّ عَزْمُ القلبِ، فقد فرَّقَ بين حديثِ النَّفسِ وعَزمِ القلبِ. وسُئِلَ سُفيانُ الثَّوريُّ: أَيُؤاخَذُ العبدُ بالهَمَّةِ؟ فقال: إذا كانت عَزْماً.

---

[٨٠٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٢١٥ و ٢٢٣٣ و ٣٤٦٥ و ٥٩٧٤، ومسلم ٢٧٤٣، والطبراني في «الدعاء» ١٩٩، وابن حبان ٨٩٧، والبغوي في «شرح السنة» ٣٤٢٠ من طريق نافع عن ابن عمر مرفوعاً بأتم منه.
- وأخرجه البخاري ٢٢٧٢ ومسلم ٢٧٤٣ وأحمد ٢/ ١١٦ من طريقين عن سالم، عن ابن عمر به.
- وله شواهد منها: حديث أبي هريرة: أخرجه البزار ١٨٦٩ وابن حبان ٩٧٢ وإسناده حسن. وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ١٤٢ و ١٤٣: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» بأسانيد ورجال البزار وأحد أسانيد الطبراني رجالهما رجال الصحيح. وحديث النعمان بن بشير: أخرجه أحمد ٢/ ١٤٢ والبزار ٣١٧٨ و ٣١٧٩ و ٣١٨٠. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٨/ ١٤٢ وقال: ورجال أحمد ثقات. وحديث أنس: أخرجه أحمد ٣/ ١٤٢ و ١٤٣ والبزار ١٨٦٨ والطبراني في «الدعاء» ٢٠٠. وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ١٤٠: رواه أحمد مرفوعاً، ورواه أبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح. فهذا حديث مشهور.

[٨٠٨] صحيح. أخرجه البخاري ٢٥٢٨ و ٥٢٦٩ و ٦٦٦٤ ومسلم ١٢٧ وأبو داود ٢٢٠٩ والترمذي ١١٨٣ والنسائي ٦/ ١٥٦ و ١٥٧ وابن ماجه ٢٠٤٤ والبيهقي ٧/ ٢٩٨ والطيالسي ٢٤٥٩ وابن حبان ٤٣٣٤ من طرق عن قتادة، عن زُرارة بن أوفى عن أبي هريرة به.

[٨٠٩] حسن. أخرجه أحمد ٢/ ١٦٥ ـ ٢١٩ والبيهقي في «الشعب» ٧٢٣٦ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في أثناء حديث، وإسناده حسن، وجوّده المنذري في «الترغيب» ٣٦٢٨. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ١٩٠ ـ ١٩١: رجال أحمد رجال الصحيح غير حبان بن زيد، ووثقه ابن حبان. قلت: وقال عنه الحافظ في «التقريب»: ثقة.

[٨١٠] ويُؤيدُهُ الحديثُ الصَّحيحُ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يقولُ اللهُ تعالى: إذا هَمَّ عبدي بسَيِّئةٍ ولم يعملْهَا لم أكتُبْهَا عليهِ، فإنْ عَمِلَها كتبتُهَا عليه سَيِّئةً». واحتجَّ القاضي أبو يَعلَى على أنَّ هَمَّتَهُ لم تكن مِنْ جهةِ العَزِيمةِ، وإنَّما كانت مِنْ جِهَةِ دَواعِي الشَّهوةِ بقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ وكلُّ ذلك إخبارٌ ببراءةِ ساحَتِه مِنَ العَزيمَةِ على المَعصيةِ، وعلى هذا تكون هَمَّتُهُ مُجرَّدَ خاطرٍ لم يخرج إلى العَزمِ.

فإنْ قيلَ: فقد سَوَّى القرآنُ بين الهَمَّتَينِ، فلِمَ فَرَّقْتُمْ؟

فالجواب: أنَّ الاستِواءَ وقعَ في بدايةِ الهَمَّةِ، ثم تَرَقَّتْ هَمَّتُها إلى العزيمةِ، بدليل مُراودَتِها واستِلقَائِها بينَ يديه، ولم تَتعدَّ هَمَّتُهُ مقامَها، بل نزلت عن رتبتها، وانحل معقودها. بدليل هَربِه منها، وقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ﴾. ولا يصح ما يُروى عن المُفسِّرين أنه حَلَّ السَّراويلَ وقعدَ منها مَقعَدَ الرَّجلِ، فإنه لو كانَ هذا، دلَّ على العَزمِ، والأنبياءُ مَعصومونَ مِنَ العَزمِ على الزِّنا.

والقول الثاني: أنها هَمَّتْ به أنْ يَفترِشَهَا، وهَمَّ بها، أي: تمنَّاها أنْ تكونَ له زَوجةً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

والقول الثالث: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ولقد هَمَّتْ به، ولولا أنْ رأى بُرهانَ ربِّه لَهَمَّ بها فلمَّا رأى البُرهانَ، لم يَقَعْ منه الهَمُّ، فقُدِّمَ جوابُ «لولا» عليها، كما يُقال: قد كُنتَ مِنَ الهالكينَ، لولا أنَّ فُلاناً خلَّصكَ لَكُنتَ مِنَ الهالكِينَ، ومنه قولُ الشاعر:

فَلاَ يَدْعُني قَومِي صَرِيحاً لِحُرَّةٍ   لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولاً وَتَسْلَم عَامِرُ

أراد: لَئِنْ كُنتُ مقتولاً وتَسْلَم عَامرُ، فلا يَدْعُني قومي، فقدَّمَ الجَوابَ. وإلى هذا القول ذهبَ قُطْرُبُ، وأنكره قومٌ، منهم ابنُ الأنباري، وقالوا: تقديمُ جوابِ «لولا» عليها شاذٌّ مُستَكرَهٌ، لا يوجدُ في فصيحِ كلام العرب، فأمَّا البيتُ المُستَشهَدُ به، فمِن اضطِرارِ الشُّعراء، لأنَّ الشاعرَ يَضيقُ الكلامُ به عند اهتِمَامِه بتصحيحِ أجزاءِ شِعرِه، فيضع الكلمةَ في غيرِ موضعها، ويُقدِم ما حُكمُهُ التَّأخير، ويُؤخِّرُ ما حُكمُهُ التَّقديمُ، ويَعدِلُ عن الاختيارِ إلى المُستقبَحِ للضَّرورةِ، قال الشاعر:

وَجَزَى رَبُّه عَنِّي عَدِيَّ بنَ حَاتِمٍ   بِتَرْكِي وَخِذْلاَنِي جَزَاءً مُوفَّرا

تقديرُه: جزَى عني عديَّ بنَ حَاتِمٍ ربُّه، فاضطرَّ إلى تقديم الرَّبِّ، وقال الآخر:

لَمَّا جَفَا إخوانُه مُصْعَباً   أدَّى بِذَاكَ البَيعِ صَاعاً بِصَاعْ

أراد: لمَّا جَفَا مُصعباً إخوانُهُ، وأنشدَ الفَرَّاءُ:

طَلَباً لِعُرْفِكَ يا ابْنَ يَحيى بَعْدَمَا   تَقَطَّعَتْ بِي دُونَكَ الأَسْبَابُ

فزاد تاءً على تاءِ «تقطَّعَتْ» لا أصلَ لها لِيَصلُحَ وزنُ شِعرِهِ، وأنشدَ ثَعلَبُ:

إنَّ شَكْلِي وإنَّ شَكْلَكِ شَتَّى   فَالْزَمِي الخَفْضَ وانعَمِي تَبيَضِّضِي

فزادَ ضاداً لا أصلَ لها لِتُكملَ أجزاءَ البيت، وقال الفرزدقُ:

---

[٨١٠] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥٠١ و ٦٤٩١، ومسلم ١٢٨، والترمذي ٣٠٧٣، وأحمد ٢/ ٢٤٢، وابن منده ٣٧٥، من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً.

هُـمَـا تَـفَـلا فـي فِـيَّ مِـنْ فَـمَـوَيْـهِـمَـا ... عَـلَـى الـنَّـابِـحِ الـعَـاوِي أَشَـدُّ لِـجَـامِـيَـا

فزادَ واواً بعد الميم لِيُصلحَ شِعرَهُ. ومثلُ هذه الأشياء لا يُحمَلُ عليها كتابُ الله النَّازلُ بالفَصاحةِ، لأنها مِنْ ضَرورَاتِ الشُّعراءِ.

والقول الرابع: أنه هَمَّ أن يَضرِبَها ويدفعَها عن نَفْسِه، فكان البُرهانُ الذي رآهُ مِنْ ربِّه أنَّ الله أوقعَ في نَفْسِه أنه إنْ ضَربَها كان ضَرْبُهُ إيَّاها حُجَّةً عليه، لأنَّها تقول: رَاوَدني فمَنَعتُهُ فَضَرَبَني، ذكره ابنُ الأنبَاري.

والقول الخامس: أنه هَمَّ بالفِرَارِ منها، حكاهُ الثَّعلبيُّ، وهو قولٌ مَرذُولٌ، أفَتَرَاهُ أرادَ الفِرَارَ منها، فلمَّا رأى البُرهانَ أقامَ عندَها؟! قال بعضُ العلماءِ: كان هَمُّ يُوسفَ خطيئةً مِنَ الصَّغائرِ الجَائزةِ على الأنبياءِ، وإنما ابتَلاهُم بذلكَ لِيَكُونوا على خَوفٍ منه، ولِيُعرِّفَهُم مَواقعَ نِعمَتِه في الصَّفْحِ عنهم، ولِيَجعَلَهُم أئمَّةً لأهل الذُّنوب في رَجاءِ الرَّحمةِ. قال الحَسَنُ: إنَّ اللهَ تعالى لم يَقْصُصْ عليكم ذُنوبَ الأنبياء تَعْييراً لهُم، ولكن لِئَلاَّ تَقنَطُوا مِنْ رَحمَتِهِ. يعني الحسَنُ أنَّ الحُجَّةَ للأنبياء أَلْزَمُ، فإذا قَبِلَ التَّوبةَ منهم، كان إلى قَبُولِها منكم أسرَعَ.

[٨١١] ورُوي عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «ما مِنْ أحدٍ يَلقَى اللهَ تعالى إلاَّ وقد هَمَّ بخَطيئةٍ أو عَمِلَها، إلاَّ يَحيَى بن زَكَريَا، فإنه لَمْ يَهُمَّ ولم يَعمَلْهَا».

قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جوابُ «لولا» محذوفٌ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لولا أنْ رأى بُرهانَ ربِّه لأَمضَى ما هَمَّ به. قال ابنُ الأنبَاري: لَزَنَى، فلمَّا رأى البُرهانَ كان سببَ انصرافِ الزِّنا عنه. وفي البُرهانِ ستةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه مُثِّلَ له يَعقوبُ. رَوى ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: نُودِيَ يا يُوسفُ، أتَزني فتكون مثلَ الطَّائرِ الذي نُتِفَ ريشُهُ فذهبَ يَطيرُ فلم يَستَطِعْ؟ فلمْ يُعطِ على النِّداءِ شيئاً، فنُودِيَ الثانيةَ، فلم يُعطِ على النِّداءِ شيئاً فتمَثَّلَ له يَعقوبُ فضَربَ صَدْرَهُ، فقامَ، فخَرجَتْ شَهوتُهُ مِنْ أنامِلِه. ورَوى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس قال: رأى صورةَ أبيه يَعقوبَ في وَسطِ البيت عَاضَّاً على أنَامِلِه، فأدبَرَ هارباً، وقال: وحَقِّكَ يا أبَتِ لا أعودُ أبداً. وقال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: رأى مِثالَ يَعقوبَ في الحائطِ عَاضَّاً

---

[٨١١] متن واهٍ بمرة، شبه موضوع، فيه زيادة تدل على بطلانه. أخرجه ابن المنذر كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٦٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله تعالى يقول: ﴿وسيداً وحصوراً﴾ قال: «وإنما ذكره مثل هدبة الثوب». وكذا ذكره الديلمي في «الفردوس» ٤٧٨٨ وفي الإسناد سويد بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور وهو الذي جاء بحديث «من عشق فعف...» وقال فيه ابن معين: لو كان لي فرس ورمح غزوت سويداً. وقال البخاري: منكر الحديث. وقد قال البخاري في تاريخه، كل من قلت عنه منكر الحديث فلا يحل الرواية عنه. اهـ راجع ترجمته في «الميزان». وله طريق أخرى عند الطبري ٦٩٧٦ وفيه ابن إسحاق مدلس وقد عنعن، والظاهر أنه سمعه من ضعيف فأسقطه، فقد كرره الطبري ٦٩٧٧ بإسناد صحيح عن ابن المسيب من قوله وهو أشبه وكرره ٦٩٧٩ بإسناد آخر عنه أيضاً، و ٦٩٧٨ عن ابن المسيب عن عبد الله بن عمرو موقوفاً وهو أشبه، فإن المتن منكر أن يكون من كلام النبي ﷺ، والراجح أنه متلقى عن أهل الكتاب هذا ما تميل إليه النفس والله أعلم. وقد رجح الوقف السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٩.

على شَفَتَيه. وقال الحَسنُ: مُثّلَ له جبريلُ في صورة يَعقوبَ في سَقفِ البيت عَاضّاً على إبهَامِه أو بعضِ أصَابعه. وإلى هذا المعنى ذهبَ مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَير، وعِكرمَةُ، وقتَادَةُ، وابنُ سِيرينَ، والضَّحَّاكُ في آخَرين. وقال عِكرمَةُ: كلُّ وَلَدِ يَعقوبَ، قد وُلِدَ له اثنا عشرَ وَلَداً، إلاَّ يوسفَ فإنَّه وُلِدَ له أحدَ عشرَ وَلَداً، فنُقِصَ بتلكَ الشَّهوةِ ولداً.

والثاني: أنه جِبريلُ عليه السَّلامُ. رَوى ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: مُثّلَ له يَعقوبُ فلم يَزدَجِر، فنُودي: أتَزني فتكونَ مثلَ الطَّائِرِ نُتِفَ ريشُهُ؟! فلم يَزدَجِرْ حتى رَكَضَهُ جِبريلُ في ظَهرِهِ، فوَثَبَ.

والثالث: أنها قامتْ إلى صَنَم في زاوية البيت فَستَرَتْهُ بثوبٍ، فقال لها يُوسفُ: أيَّ شيءٍ تصنعين؟ قالت: أستَحِي مِنْ إلَهي هذا أنْ يَرَاني على هذهِ السَّوأةِ، فقال: أتَستَحِينَ مِنْ صَنَم لا يَعقِلُ ولا يَسمعُ، ولا أَستَحِي مِنْ إلَهي القائم على كلِّ نَفسٍ بما كَسبَتْ؟ فهو البُرهانُ الذي رأى، قالَه عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وعليُّ بنُ الحُسَينِ، والضَّحَّاكُ.

والرابع: أنَّ اللهَ تعالى بعثَ إليه مَلَكاً، فكتبَ في وَجْهِ المرأةِ بالدَّم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(١)، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. ورُوي عن محمَّدِ بن كَعبِ القُرَظيّ: أنه رأى هذه الآيَةَ مكتُوبةً بين عينيها، وفي روايةٍ أخرى عنه، أنه رَآهَا مكتوبةً في الحائطِ. ورَوى مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ قال: بَدَتْ فيما بينَهُما كفٌّ ليس فيها عضُدٌ ولا مِعصَمٌ، وفيها مكتوبٌ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، فقامَ هارباً، وقامت، فلمَّا ذهب عنهما الرَّوعُ عادت وعادَ، فلمَّا قعدَ إذا بكَفٍّ قد بَدَتْ فيمَا بينَهُما فيها مكتوبٌ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢) الآيةُ، فقامَ هارباً، فلمَّا عادَ، قال اللهُ تعالى لجبرئيلَ: أدْرِكْ عَبْدِي قبلَ أنْ يُصيبَ الخَطيئةَ، فانحطَّ جِبريلُ عَاضّاً على كَفِّه أو أُصبعِه وهو يقول: يا يُوسفُ، أتعمَلُ عملَ السُّفهاءِ وأنتَ مكتوبٌ عندَ اللهِ في الأنبياء؟!. وقال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ: ظهرَتْ تلكَ الكفُّ وعليها مَكتوبٌ بالعِبرانيَّةِ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾(٣)، فانصرَفا، فلمَّا عَادَا رجعتْ وعليها مكتوبٌ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾(٤)، فلمَّا عَادَا عادَتْ وعليها مكتوبٌ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ الآية، فعَادَ، فعَادَتْ الرابعةَ وعليها مكتوبٌ ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فوَلَّى يُوسفُ هارباً(٥).

والخامس: أنه سَيِّدُهُ العزيزُ دَنا مِنَ الباب، رَواه ابنُ إسحَاقَ عن بعضِ أهلِ العلم. وقال ابنُ إسحَاقَ: يقال: إنَّ البرهانَ خيالُ سَيِّدِهِ، رآه عند البابِ فهربَ.

والسادس: أنَّ البُرهانَ أنه عَلِمَ ما أحلَّ اللهُ ممَّا حَرَّمَ اللهُ، فرأى تحريمَ الزِّنا، رُوي عن محمَّدِ بن كَعبٍ القُرَظِيّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: رأى حُجَّةَ الله عليه، وهي البُرهانُ، وهذا هو القول الصَّحيحُ، وما تقدَّمه فليسَ بشيءٍ، وإنَّما هي أحاديثُ مِنْ أعمال القُصَّاصِ، وقد أشرتُ إلى فَسادِها في كتاب «المغني في التفسير». وكيف يُظَنُّ بنبيّ لله كريم أنه يُخوَّف ويُرَعَّبُ ويُضطَرُّ إلى تَركِ هذه المعصيةِ وهو مُصِرٌّ؟! هذا غايةُ القُبحِ.

---

(١) سورة الإسراء: ٣٢.
(٢) سورة البقرة: ٢٨١.
(٣) سورة الرعد: ٣٣.
(٤) سورة الانفطار: ١٠ ـ ١١.
(٥) هذه الآثار جميعاً من الإسرائيليات، لا حجة في شيء منها، وتقدم ما فيه كفاية.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كذلك أريناهُ البُرهانَ ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ وهو خِيانةُ صاحبهِ ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ رُكوبَ الفاحشةِ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ بكسرِ اللامِ، والمعنى: إنه مِنْ عبادنا الذين أخلَصُوا دِينَهُم. وقرأ عاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ بفتح اللام، أرادوا: مِنَ الذين أخلَصَهُمُ اللهُ مِنَ الأسواءِ والفَواحشِ. وبعضُ المُفسِّرينَ يقول: السُّوءُ: الزِّنى، والفَحشاءُ: المَعاصي.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ يعني يُوسفَ والمرأةَ، تَبَادَرا إلى الباب يَجتَهِدُ كلُّ واحدٍ منهما أنْ يسبقَ صاحبَهُ، وأراد يُوسفُ أن يسبقَ لِيفتَحَ البابَ ويَخرُجَ، وأرادتْ هي إنْ سبقتْ إمساكَ البابِ لِئَلاَّ يخرجَ، فأدركَتْهُ فتعلَّقَتْ بقَميصِه مِنْ وَرائِه، فجَذَبَتْهُ إليها، فقَدَّتْ قميصَهُ مِنْ دُبُرٍ، أي: قَطَعتْهُ مِنْ خلفِهِ، لأنه كان هو الهَاربُ وهي الطَّالبةُ له. قال المُفسِّرونَ: قَطَعتْ قميصَهُ نِصفَينِ، فلمَّا خَرجَا، أَلفَيا سَيِّدَها، أي: صَادَفا زوجَها عندَ البابِ، فحضَرها في ذلك الوقتِ كَيْدٌ، فقالت سَابقةً بالقولِ مُبرئةً لنفسِها مِنَ الأمرِ ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: تُريد الزِّنى ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ أي: ما جَزاؤه إلاَّ السِّجْنُ ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني الضَّربَ بالسِّياطِ، فغضبَ يُوسفُ حِينئذٍ وقال: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ وقال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ: قال له العَزيزُ حِينئذٍ: أخُنتَني يا يوسفُ في أهلِي، وغَدرتَ بي، وغَرَرتَني بما كنتُ أرى مِنْ صَلاحِكَ! فقال حِينئذٍ: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾.

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ وذلك أنه لمَّا تعارَضَ قولاهُما، احتَاجَا إلى شَاهِدٍ يُعلَمُ به قولُ الصَّادِق. وفي ذلك الشَّاهِدِ ثلاثةُ[١] أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان صَبيّاً في المَهْدِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ[٢]، وشَهْرُ بن حَوْشَبَ عن أبي هُريرةَ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ، والضَّحَّاكُ، وهِلالُ بنُ يِسَافٍ

(١) الصواب من هذه الأقوال القول الثاني، وأنه ـ أي الشاهد ـ من خاصة الملك أو العزيز، والأشبه أن يكون مستشاراً له أو قاضياً، فإن ما قاله في شأن القميص يدل على فهم وخبرة.
ـ وأما مستند القول الأول عن ابن عباس فخبره واهٍ، لا تقوم به حجة.

(٢) أخرجه الطبري ١٩١٠٩ و ١٩١١٨ عن ابن عباس قوله، وإسناده ضعيف، فيه عطاء بن السائب، وقد اختلط. وكرره ١٩١٢٠ بإسناد ساقط، فيه عطية العوفي ضعيف، وعنه مجاهيل وأخرج خلافه برقم ١٩١٢١ عن ابن عباس قوله: كان ذا لحية. ورجاله رجال مسلم، لكن سماك بن حرب مضطرب الرواية في عكرمة.
ـ قلت: وورد أثر ابن عباس بمثل سياق المصنف مرفوعاً، أخرجه الحاكم ٢/ ٥٩٥ من طريق السري بن خزيمة عن مسلم بن إبراهيم عن جرير بن حازم عن ابن سيرين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون».
ـ صححه الحاكم على شرطهما! ووافقه الذهبي! وليس بشيء، والوهم فيه من السري بن خزيمة، أو من شيخ الحاكم، فقد أخرج البخاري ٣٤٣٦ ومسلم ٢٥٥٠ وأحمد ٢/ ٣٠٧ وغيرهما من طرق عن مسلم بن إبراهيم =

في آخَرين. **والثاني**: أنه كان مِنْ خاصَّةِ المَلِكِ. رواه ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: كان ابنَ عمٍّ لها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سَمِعنَا الاشتِدَادَ والجَلَبَةَ مِنْ وراءِ البَاب، فإنْ كان شَقُّ القميص مِنْ قُدَّامِه فأنتِ صادقةٌ وهو كاذبٌ، وإنْ كان مِنْ خلفهِ فهو صادقٌ وأنتِ كاذبةٌ، وقال بعضُهم: كان ابنَ خالةِ المرأةِ. **والثالث**: أنه شِقُّ القَميصِ، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ، وفيه ضَعفٌ، لقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾.

فإنْ قيلَ: كيف وَقعَتْ شهادةُ الشَّاهِد هاهنا مُعَلَّقةً بشَرطٍ، والشَّارِطُ غيرُ عَالِمٍ بما يَشْرُطهُ؟

فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنبَاري.

أحدهما: أنَّ الشَّاهد شَاهِدٌ بأمرٍ قد عَلِمَهُ، فكأنه سمعَ بعضَ كلام يُوسفَ وأزلِيْخا، فعَلِمَ، غير أنه أوقَعَ في شَهادَتِه شَرْطاً لِيَلزَم المُخاطَبين قَبُولُ شَهادَتِه مِنْ جهةِ العقل والتَّمييزِ، فكأنَّهُ قال: هو الصَّادقُ عندي، فإنْ تَدَبَّرتُم ما أشترِطُهُ لكُم، عَقَلتُم قولي، ومثل هذا قولُ الحُكماءِ: إنْ كانَ القَدَرَ حقّاً، فالحِرصُ باطلٌ، وإنْ كان الموتَ يقيناً، فالطُّمأنينَةُ إلى الدنيا حُمْقٌ.

والجواب الثاني: أنَّ الشَّاهدَ لم يَقطَعْ بالقول، ولم يَعلَمْ حقيقةَ ما جرى، وإنَّما قال ما قالَ على جِهةِ إظهارِ ما يَسنَحُ له مِنَ الرأي، فكأنَّ معنى قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾: أعلَمَ وبَيَّنَ. فقال: الذي عندي مِنَ الرَّأي أنْ نَقِيسَ القميصَ لِيُوقَفَ على الخَائِنِ. فهَذَانِ الجَوابان يدُلاَّن على أنَّ المتكلم رجل. فإن قلنا: إنه صبي في المهد، كان دخول الشرط مصحّحاً لبراءة يوسف، لأن كلامَ مثله أعجُوبةٌ ومعجزةٌ لا يبقى معها شكٌّ.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ﴾ في هذا الرَّائي والقائِل: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الزَّوجُ. **والثاني**: الشَّاهدُ.

وفي هاءِ الكِنايةِ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾[1] ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تَرجِعُ إلى تَمزيقِ القَميصِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إلى قولها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾، فالمعنى: قولُكِ هذا مِنْ كَيدِكُنَّ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: إلى السُّوءِ الذي دَعَتْهُ إليه، ذكره المَاوَرديِ.

قال ابنُ عباسٍ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ أي: عَملكُنَّ ﴿عَظِيمٌ﴾ تَخلِطنَ البَريءَ والسَّقِيمَ.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

= بهذا الإسناد «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة فذكر فيه عيسى بن مريم، وصاحب جريج، والطفل الرضيع وقصته مع الجبار والجارية» وسيأتي. فهذا هو الصحيح، وليس فيه ذكر ابن ماشطة فرعون ولا شاهد يوسف. ويلاحظ أن خبر الحاكم صدرهُ «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة. ثم ذكر أربعة؟!!. فهذا دليل على أنه حديث مقلوب، جُعل إسناده لمتن آخر، والله أعلم.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢/ ٥٨٦: ﴿**إنه من كيدكن**﴾ أي: إن هذا البهت واللطخ الذي لطختِ عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن.

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ المعنى: يا يُوسفُ أَعرِضْ. وفي القائِلِ له هذا قولان: **أحدهما**: أنه ابنُ عَمِّها وهو الشّاهدُ، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: أنه الزَّوجُ، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. قال ابنُ عباسٍ: أَعْرِضْ عن هذا الأَمرِ فلا تَذْكُرْهُ لأَحدٍ، واكتُمْهُ عليها. ورَوى الحلبيُّ عن عبدِ الوَارِثِ: «يوسف أعرَضَ عن هذا» بفتحِ الراءِ على الخَبرِ.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: استغفِي زَوجَكِ لِئَلاّ يُعاقِبَكِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تُوبي مِنْ ذَنْبِكِ فإنَّكِ قد أَثِمْتِ.

وفي القائِلِ لهذا قولان: **أحدهما**: ابنُ عمِّها. **والثاني**: الزَّوجُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يعني: مِنَ المُذْنِبين. قال المُفسِّرون: ثم شاعَ ذلك الحديثُ في مِصْرَ حتى تحدَّث بذلك النساءُ، وهو قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وفي عَددِهِنَّ قولان: **أحدهما**: أنهنَّ كُنَّ أربعاً: امرأةُ ساقي المَلِكِ، وامرأةُ صاحبِ دَوابِّه، وامرأةُ خَبَّازِه، وامرأةُ صاحبِ سِجنِهِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهنَّ خمسٌ: امرأةُ الخَبّازِ، وامرأةُ السّاقي، وامرأةُ السَّجّانِ، وامرأةُ صاحبِ الدَّواةِ، وامرأةُ الآذِنِ، قاله مُقاتِلٌ.

وأما العَزيزُ، فهو بلُغَتِهم المَلِكُ، والفتى بمعنى العَبدِ. قال الزَّجّاجُ: كانوا يسمُّون المملوكَ فتًى. وإنّما تكلَّم النِّسوةُ في حقِّها، طَعناً فيها، وتحقيقاً لبَراءةِ يُوسفَ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: بَلَغَ حبُّه شَغافَ قلبِها. وفي الشَّغافِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جِلدةٌ بين القلبِ والفُؤادِ، رواه عِكرِمةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه غِلافُ القلب، قاله أبو عُبيدَةَ. قال ابنُ قُتيبةَ: ولم يُرِدِ الغلافَ، إنما أراد القلبَ، يُقال: شَغَفتُ فُلاناً: إذا أصبتَ شَغافَهُ، كما يُقال: كَبدتُه: إذا أصبتَ كَبِدَهُ، وبَطَنْتُهُ: إذا أصبتَ بطنَهُ. **والثالث**: أنه حَبَّةُ القلبِ وسُويداؤه. **والرابع**: أنه داءٌ يكون في الجَوفِ في الشَّراسيفِ، وأنشدوا:

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ داخِلٌ دُخُولَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الأَصابِعُ[١]

ذكرَ القولين الزَّجّاجُ. وقال الأصمَعيُّ: الشَّغافُ عند العرب: داءٌ يكون تحتَ الشَّراسيفِ في الجانب الأيمنِ منَ البَطنِ، والشَّراسيفُ: مِقاطُّ رؤوسِ الأضلاعِ، واحدُها: شُرسُوفٌ. وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وعليُّ بنُ الحُسينِ، والحسَنُ البَصريُّ، ومُجاهِدٌ، وابنُ مُحيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «قد شعفها» بالعين، قال الفَرّاءُ: كأنه ذهب بها كلَّ مذهبٍ، والشَّعَف: رؤوس الجبالِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: عن طريق الرُّشدِ، لحُبِّها إيّاه. والمُبينُ: الظّاهرُ.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ يعني: امرأةَ العَزيزِ ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه قولهنَّ

---

(١) البيت للنابغة الذبياني انظر ديوانهُ ٧٩، وذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «شغف».

وعَيبُهنَّ لها، قاله ابنُ عباس، وقَتادَةُ، والسُّدّيّ، وابنُ قُتَيبة. قال الزَّجَّاج: وإنما سُمِّي هذا القولُ مَكراً، لأنها كانت أَطلَعَتْهُنَّ على أمرِها، واستكتَمَتْهُنَّ، فمَكَرنَ وأفشَينَ سِرَّهَا. **والثاني**: أنه مَكرٌ حقيقةً، وإنما قُلنَ ذلك مكراً بها لِتُريَهنَّ يُوسفَ، قاله ابنُ إسحَاقَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أفعلَتْ مِنَ العَتادِ، و كلُّ ما اتَّخذتَهُ عُدَّةً لشيءٍ فهو عَتادٌ، والعَتادُ: الشيء الثابتُ اللازم. فأمَّا المُتَّكأُ، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المَجلِسُ؛ فالمعنى: هَيَّأَتْ لهنَّ مجلساً، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس. **والثاني**: أنه الوَسَائِدُ اللائي يتَّكِئنَ عليها، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: المُتَّكأُ: ما يُتَّكأُ عليه لطعام أو شرابٍ أو حديثٍ. **والثالث**: أنه الطعام، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقتادةُ. قال ابنُ قُتَيبة: يُقال: اتَّكأنا عند فُلانٍ: إذا طَعِمْنَا، قال جَميلُ بنُ مَعمَر:

فَظَلِلْنَا في نَعْمَةٍ وَاتَّكأْنا ... وَشَرِبْنَا الحَلالَ مِنْ قُلَلِهْ[1]

والأصل في هذا أنَّ مَنْ دَعَوْتَه لِيطعمَ، أعددتَ له التُّكأَةَ للمقام والطّمأنينةِ، فسمِّي الطعام متكأً على الاستعارة. قال الأزهَريُّ: إنما قيلَ للطعام: مُتَّكأ، لأنَّ القوم إذا قعدوا على الطعام اتَّكؤوا، ونُهِيتْ هذه الأُمَّةُ عن ذلك. وقرأ مُجاهِدٌ «مُتْكاً» بإسكانِ التاء خفيفةً، وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه الأُترُجّ، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ ويَحيى بنُ يَعمَرَ في آخرين، ومنه قول الشاعر:

وتَرى المُتْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعارَا[2]

يريد: الأُترُجّ. **والثاني**: أنه الطعام أيضاً، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: كلُّ شيءٍ يُحَزُّ بالسَّكاكين، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه الزُّمَاوَرْدُ، رُوي عن الضَّحَّاكِ أيضاً.

وقد رُوي عن جماعةٍ أنهم فَسَّروا المُتَّكأ بما فَسَّروا به المُتْكَ، فرُوي عن ابنِ جُرَيج أنه قال: المُتَّكأُ: الأُتْرُجُّ، وكلُّ ما يُحَزُّ بالسَّكاكين. وعن الضَّحَّاكِ قال: المُتَّكأُ: كلُّ ما يُحَزُّ بالسَّكاكين. وفَرَّقَ آخرون بين القِراءتين، فقال مُجاهِدٌ: مَنْ قرأ «متَّكأً» بالتَّثقيل، فهو الطعامُ، ومَنْ قرأ بالتَّخفيف، فهو الأُتْرُجُّ. قال ابنُ قُتَيبةِ: مَنْ قرأ «مُتْكاً» فإنه يريد الأُتْرُجَّ، ويقال: الزُّمَاوَرْدُ. وأياً ما كان، فإني لا أحسبهُ سُمِّي مُتكاً إلاَّ بالقَطعِ، كأنه مأخوذٌ مِنَ البَتْكِ، فأُبدِلت الميمُ منه باءً، كما يقال: سَمَدَ رأسَهُ وسَبَدَهُ: إذا استأصَلَهُ، وشرٌ لازِمٌ، ولازِبٌ، والميم تُبدلُ مِنَ الباء كثيراً، لِقُربِ مخرجيهما.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ إنما فعلَتْ ذلك، لأنَّ الطعام الذي قَدَّمتْ لهنَّ يحتاج إلى السَّكاكين. وقيل: كان مَقصُودُها افتِضَاحهنَّ بتقطيع أيديهنَّ كما فَضَحنَها. قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: ناولت كلَّ واحدةٍ منهنَّ أُترُجَّةً وسِكِّيناً، وقالت لهُنَّ: لا تَقطَعنَ ولا تأكُلنَ حتى أُعلِمُكنَّ، ثم قالت ليُوسفَ: اخرُجْ عليهنَّ. قال الزَّجَّاجُ: إنْ شئتَ ضممتَ التاءَ مِنْ قوله: «وقالت»، وإنْ شئتَ كسرتَ، والكسرُ الأصلُ لسكونِ التاءِ والخاءِ، ومنْ ضَمَّ التاءَ، فَلِثِقَلِ الضمة بعدَ الكسرة. ولم يُمكِنْهُ أنْ لا يَخرجَ، لأنه بمنزلة العَبْدِ لها. وذكر بعضُ أهل العلم أنها إنما قالت: «اخرج» وأضمَرَتْ في نَفْسِها «عليهنّ»، فأخبرَ الحقُّ عمَّا في النَّفسِ كأنَّ اللسان قد نَطَقَ به، ومِثْلُه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً

---

(١) في «اللسان» مادة «قَلَلَ» القُلَّة: الحُبُّ العظيم، وقيل: الجرة العظيمة، وقيل: الجرة عامة وقيل: الكوز الصغير، والجمع قُلَل وقِلال، وقيل: هو إناء للعرب كالجرة الكبيرة.

(٢) هو عجز بيت وصدره: لنشرب الإِثمَ بالصُّواع جِهاراً. انظر «تفسير القرطبي» ٩/ ١٥٣.

﴿وَلَا شُكُورًا﴾[(١)] لم يقولوا ذلك، إنما أضمرُوهُ، ويدلُّ على صحةِ هذا أنها لو قالت له وهو شابٌ مُستحسَنٌ: أخرُجْ على نسوةٍ مِنْ طَبعِهِنَّ الفِتنَةُ، ما فعلَ.

وفي قوله تعالى: ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ قولان: **أحدهما**: أَعْظَمْنَهُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: حِضْن[(٢)]، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. ورَوى عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ عن أبيه قال: حِضْنَ مِنَ الفَرَح، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نَـأتـي الـنـسـاءَ لَـدى أطـهـارِهِـنَّ ولا   نـأتـي الـنـسـاءَ إذا أكـثـرنَ إكـبـاراً[(٣)]

وقد رَوى هذا المعنى ليثٌ عن مُجاهِدٍ، واختاره ابنُ الأنباري، ورَدَّه بعضُ اللغويين، فرُوي عن أبي عُبيدَةَ أنه قال: ليس في كلام العرب «أكبَرْنَ» بمعنى «حِضنَ»، ولكنْ عسى أنْ يَكُنَّ مِنْ شدَّةِ ما أعظَمْنَهُ حِضْنَ، وكذلك رُوي عن الزَّجّاج أنه أنكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَزَزْنَ أيديَهُنَّ، وكُنَّ يَحسبنَ أنهنَّ يُقَطِّعن طعاماً، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: قَطَّعنَ أيديَهُنَّ حتى ألقَيْنَها، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثالث**: كَلَمْنَ الأكُفَّ وأَبَنَّ الأناملَ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرٍو «حاشا» بألفٍ في الوَصْلِ في الموضعين، واتَّفقوا على حذف الألفِ في الوَقْفِ، وأبو عمرٍو جاء به على التَّمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمةُ تُستعمَلُ في موضعين. **أحدهما**: الاستثناء. **والثاني**: التَّبرئةُ مِنَ الشَّرِّ. والأصلُ «حاشا» وهي مُشتَّقةٌ مِن قولكَ: كُنتُ في حَشَا فُلانٍ، أي: في نَاحيَتِه. والحَشَا: النَّاحيةُ، وأنشدوا:

بأيِّ الـحَشَـا أمسَى الـخَلِـيطُ الـمُبـايِنُ[(٤)]

أي: بأي النَّواحي، والمعنى: صار يُوسُف في حَشَاً مِنْ أنْ يكون بشراً، لِفَرْطِ جماله. وقيل: صارَ في حَشاً ممَّا قَرفَتْهُ به امرأةُ العَزيزِ. وقال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ: «حاش لله» بمعنى: معاذَ اللَّهِ. قال الفَرَّاءُ: و «بشراً» منصوبٌ، لأنَّ الباء قد استُعملَتْ فيه، فلا يكاد أهلُ الحجاز ينطِقونَ إلاَّ بالباء، فلمَّا حذفوها أحبوا أنْ يكون لها أثرٌ فيما خرجت منه، فنَصبُوا على ذلك، وكذلك قوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾[(٥)]، وأمَّا أهلُ نَجْدٍ فيتكلَّمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطُوها، رَفعوا، وهو أقوى الوَجْهَين في العربية. قال الزَّجَّاجُ: قوله: الرَّفعُ أقوى الوَجْهَين، غَلطٌ، لأنَّ كتابَ الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرَّفع أحدٌ. وزعم الخَليلُ، وسِيبَويه، وجميعُ النحويين القدماء أنَّ «بشراً» منصوبٌ، لأنه خبرُ «ما» و «ما» بمنزلة «ليس». قلتُ: وقد قرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو نَهِيكٍ، وعِكرِمَةُ، ومُعاذُ القَارئ في آخَرين: «ما هذا

---

(١) سورة الإنسان: ٩.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله: ٧/ ٢٠٣: مرجحاً القول الأول: لا شك أن المحال أن يحضن من يوسف، ولكن الخبر، إن كان صحيحاً عن ابن عباس على ما روي فخليق أن يكون معناه في ذلك: أنهن حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك.
وافقه ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٨٧ بقوله: أكبرنه: أي أعظمن شأنه وأجللن قدره.

(٣) بيت مصنوع، وقائله مجهول، انظر تفسير الطبري والبحر المحيط.

(٤) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «حشا»، وعزاه إلى المعطّل الهذلي، وعنده ـ الحبيب ـ بدل ـ الخليط ـ.

(٥) سورة المجادلة: ٢.

بشرٌ» بالرفع. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجوزاءِ، وأبو السَّوَّارِ: «ما هذا بِشِرىً» بكسرِ الباءِ والشين مَقصُوراً مُنوَّناً. قال الفَرَّاءُ: أي: ما هذا بمُشترى. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «بشراء» بالمَدِّ والهَمزِ مخفوضاً مُنوَّناً.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ قرأ أُبَيٌّ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرمَةُ، وأبو حَيْوةَ، والجَحدريُّ: «ملِك» بكسر اللام.

قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا ذَهَلَتْ عقولُهنَّ فقطَّعن أيديَهُنَّ، قالت لهنَّ ذلك. فإن قيل: كيف أشارت إليه وهو حاضرٌ بقولها: «فذلكُنَّ»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنها أشارت بـ «ذلكنَّ» إلى يُوسفَ بعد انصرافه مِنَ المَجلسِ. **والثاني**: أنَّ في الكلام إضمارَ «هذا» تقديره: فهذا ذَلكُنَّ. ومعنى «لُمتُنَّني فيه» أي: في حُبِّه. ثم أَقرَّتْ عندهُنَّ، فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: امتنعَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: القِراءةُ الجيدةُ تخفيفُ «وليكوننْ» والوَقْفُ عليها بالألفِ، لأنَّ النونَ الخفيفةَ تُبدلَ منهما في الوَقْفِ الألفُ، تقول: اضرِباً زيداً، وإذا وقفتَ قلتَ: اضربا. وقد قُرئت «وليكوننَّ» بتشديد النون، وأكرهُها، لخلافِ المُصحفِ، لأنَّ الشديدةَ لا يُبدل منها شيءٌ. والصَّاغِرون: المُذَلُّون.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾ قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: لمَّا قالت: «فذلكُنَّ الذي لُمتُنَّني فيه» قُلنَ: لا لومَ عليكِ، قالت: فاطلُبنَ إلى يُوسفَ أنْ يُسعِفَني بحاجَتي، فقُلنَ: يا يُوسفُ افعَلْ، فقالت: لَئِنْ لم يَفعَلْ لأُخَلِّدَنَّهُ السِّجن، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ﴾. وقرأ يعقوبُ: «السَّجن» بفتح السين ها هنا فحَسْب. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ كسرَ سينَ «السجن» فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزولُ السِّجنِ أحبُّ إليَّ مِنْ ركوبِ المَعصيةِ، ومَنْ فتحَ، فعلَى المصدر، المعنى: أنْ أُسجَنَ أحبُّ إليَّ. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ﴾ أي: إلاَّ تعصِمْني ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أَمِلْ إليهنَّ. يقال: صَبا إلى اللهو يَصْبُو صَبْواً وصُبُوًّا وصَباءً: إذا مَالَ إليه. وقال ابنُ الأنباري: ومعنى هذا الكلام: اللهُمَّ اصرفْ عنِّي كَيدَهُنَّ، ولذلك قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾.

قال: فإنْ قيلَ: إنما كادَتْهُ امرأةُ العَزيزِ وحدَهَا، فكيف قال: «كيدهنَّ»؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّ العرب تُوقع الجمعَ على الواحدِ، فيقول قائلُهم: خرجتُ إلى البَصرةِ في السُّفنِ، وهو لم يخرج إلاَّ في سفينةٍ واحدةٍ. **والثاني**: أنَّ المُكنيَّ عنه امرأةُ العَزيزِ والنِّسوة اللاتي عَاضَدْنَها على أمرِهَا. **والثالث**: أنه عَنَى امرأةَ العَزيزِ وغيرَها مِنْ نساء العَالَمينَ اللاتي لهُنَّ مثلُ كَيدِها.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في المراد بالآيات ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها شَقُّ القميصِ، وقَضاءُ ابنِ عمِّهَا عليها، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: أنها قَدُّ القَميصِ، وشهادةُ الشَّاهِد، وقَطْعُ الأيدي، وإعظَامُ النساء إيَّاهُ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: جَمَالُه وعِفَّتُهُ، ذكره المَاوَرْدِي.

قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: فأشار النِّسوةُ عليها بسَجنِهِ رجاءَ أنْ يستهوينَهُ حين يَخْلُو لهنَّ في السِّجنِ، وقُلْنَ: متى سَجَنْتِيه قَطَعَ ذلك عنكِ قَالَةَ الناسِ التي قد شَاعَتْ، ورَأوا أنكِ تُبغضينَهُ، ويُذِلُّه السِّجنُ لكِ، فلمَّا انصرفنَ عادت إلى مُراودَتِه فلم يَزْدَدْ إلاَّ بُعداً عنها، فلمَّا يَئِستْ، قالت لسَيِّدِهَا: إنَّ هذا العبدَ قد فَضَحَنِي، وقد أبغَضتُ رُؤيتَهُ، فائذَنْ لي في سَجنِه، فأذِنَ لها، فسَجَنَتْهُ وأضرَّتْ به. وقال السُّدِّيُّ: قالت: إمَّا أنْ تأذَنَ لي فأخرُجَ وأعتذرَ بعُذري، وإمَّا أنْ تَحبِسَهُ كما حَبَستَنِي، فظهرَ للعَزيزِ وأصحابه مِنَ الرَّأي حَبْسُ يُوسفَ. قال الزَّجَّاجُ: كان العَزيزُ أمرَ بالإعراضِ فقط، ثمَّ تغيَّر رَأيُهُ عن ذلك. قال ابنُ الأنبَاري: وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: «ثمَّ بَدَا لهم» أي: ظَهَرَ لهم بالقولِ والرَّأي والفِكرِ سَجنُهُ.

والثاني: ثمَّ بَدَا لهم في يُوسفَ بَداءٌ، فقالوا: واللّهِ لَنَسجُننَّهُ، فاللامُ جوابُ يمينٍ مُضمَرةٍ.

فأمَّا «الحِيْنُ»، فهو يقع على قصير الزَّمانِ وطويلِه. وفي المُراد به ها هنا للمُفسِّرين خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: خمسُ سنين، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: سنةٌ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: سبعُ سنين، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: إلى انقطاعِ القَالَةِ، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: أنه زمانٌ غيرُ محدودٍ، ذكره المَاوَرْدِي، وهذا هو الصَّحيحُ، لأنهم لَم يَعزِمُوا على حَبْسِه مُدَّةً معلومةً، وإنما ذكر المُفسِّرون قدرَ ما لَبِثَ.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ قال الزَّجَّاجُ: فيه دليلٌ على أنه حُبِسَ، وإنْ لم يُذكَرْ ذلك. و «فتيان» جائزٌ أنْ يكونا حَدَثَيْنِ أو شيخين، لأنهم يُسمُّون المَملُوكَ فتًى. قال ابنُ الأنباري: إنّما قال: «فتيان» لأنهما كانا مَمْلُوكَيْنِ، والعربُ تُسمِّي المملوكَ فتًى، شاباً كان أو شيخاً. قال المُفسِّرون: عُمِّرَ مَلِكُ مِصرَ فمَلُّوه، فدَسُّوا إلى خَبَّازِه وصاحبِ شرابه أنْ يَسُمَّاهُ، فبلغه ذلك فحَبَسَهُما، فكان يُوسفُ قال لأهلِ السِّجنِ: إنِّي أُعبِّرُ الأحلامَ، فقال أحدُ الفَتيين: هَلُمَّ فلنُجَرِّبْ هذا العبدَ العِبرَانيّ. واختلفوا هل كانت رُؤياهُما صادقةً، أَمْ لا؟ على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنها كانت كَذِباً، وإنما سألاه تَجريباً، قاله ابنُ مسعودٍ، والسُّدِّيّ.

والثاني: أنها كانت صِدْقاً، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ إسحَاقَ.

والثالث: أنَّ الذي صُلِبَ منهما كان كاذباً، وكان الآخرُ صادقاً، قاله أبو مِجْلَزٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ يعني السَّاقي ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ أي: في النَّومِ ﴿أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ﴾ أي: عِنَباً. وفي تسمية العِنَبِ خمراً ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه سَمَّاهُ باسم ما يَؤُولُ إليه، لأنَّ المعنى لا يَلتبسُ، كما يُقال: فُلانٌ يَطبخُ الآجُرَّ ويعملُ الدِّبسَ، وإنما يَطبخُ اللِّبْنَ ويصنعُ التَّمرَ، وهذا قولُ أكثر المُفسِّرين. قال ابنُ الأنبَاري: وإنَّما كان

كذلك، لأنَّ العرب تُوقع بالفرعِ ما هو واقعٌ بالأصل كقولهم: فُلانٌ يطبُخ آجرًا.

والثاني: أنَّ الخمر في لُغة أهل عُمَانَ اسمٌ للعِنَبِ، قاله الضَّحَّاكُ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ القَاسمِ: وقد نطقَتْ قُريشٌ بهذه اللغة وعرفتها.

والثالث: أنَّ المعنى: أَعصِرُ عِنَبَ خمرٍ، وأصلَ خمرٍ، وسببَ خمرٍ، فحذفَ المُضاف، وخَلفَهُ المضافَ إليه، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1]. قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: رأى يُوسفُ ذاتَ يوم الخبَّازَ والسَّاقي مَهمُومَينِ، فقال: ما شأنُكما؟ قالا: رأينا رُؤيا، قال: قُصَّاها عليَّ، فقال السَّاقي: إني رأيتُ كأني دخلتُ كَرْماً فجَنيتُ ثلاثةَ عناقيدَ عِنَبٍ، فعَصرتَهُنَّ في الكأس، ثم أتيتُ به المَلِكَ فشَربَهُ، وقال الخَبَّازُ: رأيتُ أني خرجتُ مِنْ مطبخِ المَلِكِ أحملُ فوق رأسي ثلاث سِلالٍ مِنْ خُبزٍ، فوَقَعَ طيرٌ على أعلاهُنَّ فأكلَ منها، ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ أي: أَخبِرْنَا بتفسيره. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه كان يَعُودُ المرضى ويُداويهم ويُعزِّي الحَزينَ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: إنَّا نَراكَ مُحسناً إنْ أنبأتَنا بتأويله، قاله ابنُ إسحاقَ.

والثالث: إنَّا نَراكَ مِنَ العَالِمينَ قد أحسنتَ العِلْمَ، قاله الفَرَّاءُ. قال ابنُ الأنبارِي: فعلى هذا يكون مفعولُ الإحسان محذوفاً، كما حُذِفَ في قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[2] يعني العِنَبَ والسُّمسُمَ. وإنما علموا أنه عَالِمٌ، لِنَشْرِه العِلْمَ بينهم.

والرابع: إنَّا نَراكَ ممَّن يُحسن التَّأويلَ، ذكره الزَّجَّاجُ.

والخامس: إنَّا نَراكَ مُحسناً إلى نَفْسِكَ بِلُزومكَ طاعة الله، ذكره ابنُ الأنبارِي.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا يأتيكما طعامٌ تُرْزَقانِه في اليَقظَةِ إلاَّ أخبرتُكُما به قبلَ أنْ يصلَ إليكُما، لأنه كان يُخبِرُ بما غَابَ كعيسى عليه السَّلامُ، وهو قولُ الحَسنِ.

والثاني: لا يأتيكما طعامٌ تُرزقانِه في المَنام إلاَّ نَبَّأتُكما بتأويله قبلَ أنْ يأتيَكُما في اليَقظَةِ، هذا قولُ السُّدِّيّ. قال ابنُ عباسٍ: فقالا له: وكيف تعلمُ ذلك، ولستَ بساحرٍ، ولا عَرَّافٍ، ولا صاحبِ نُجومٍ؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾.

فإنْ قيلَ: هذا كُلُّه ليس بجوابِ سُؤالِهما، فأينَ جوابُ سُؤالِهما؟ فعنه أربعةُ أجوبةٍ:

---

(١) سورة يوسف: ٨٢. (٢) سورة يوسف: ٤٩.

أحدها: أنه لمَّا عَلِم أنَّ أحدَهما مقتولٌ، دَعاهُما إلى نَصيبِهما مِنَ الآخرة، قاله قَتادةُ.

والثاني: أنه عَدَلَ عن الجواب لِمَا فيه مِنَ المَكروهِ لأحدِهما، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

والثالث: أنه ابتدأ بدُعائِهما إلى الإيمان قبلَ جَوابِ السُّؤال، قاله الزَّجَّاجُ.

والرابع: أنه ظَنَّهما كاذِبَين في رُؤياهُما، فعَدَلَ عن جوابهما ليُعرِضَا عن مُطالبَتِه بالجَوابِ، فلمَّا أَلَحَّا أجابَهما، ذكره ابنُ الأنباري. فأمَّا المِلَّة فهي الدِّينُ. وتكريرُ قوله: «هم» للتَّوكيدِ.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ قال ابنُ عباس: يريد: أنَّ اللَّهَ عَصَمَنا مِنَ الشِّركِ ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: اتِّباعُنا الإيمانَ بتوفيقِ اللَّهِ. ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني المؤمنين بأنْ دَلَّهُم على دِينِه. وقال ابنُ عباس: «ذلك من فضلِ الله علينا» أنْ جعلنا أنبياءَ «وعلى الناس» أنْ بَعثَنا إليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ مِنْ أَهلِ مِصْرَ ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ اللَّهِ فيُوَحِّدونَهُ.

قوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ يعني: الأصنام مِنْ صغيرٍ وكبيرٍ ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أعظمُ صِفةً في المَدْحِ ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يعني أنه أحقُّ بالإلهيَّةِ مِنَ الأصنام؟ فأمَّا الواحدُ، فقال الخَطَّابيُّ: هو الفَرْدُ الذي لم يَزَلْ وَحدَهُ، وقيل: هو المُنقَطِعُ القَرينِ، المَعدومُ الشَّريكِ والنَّظيرِ، وليس كسائر الآحَادِ مِنَ الأجسام المُؤلَّفَةِ، فإنَّ كلَّ شيءٍ سِواه يُدعى واحداً مِنْ جهةٍ، غيرَ واحدٍ مِنْ جهاتٍ، والواحدُ لا يُثنَّى مِنْ لفظه، لا يُقال: واحِدَان. والقَهَّارُ: الذي قَهَرَ الجَبابرَةَ مِنْ عُتَاةِ خَلْقِه بالعقوبة، وقَهرَ الخَلْقَ كُلَّهم بالموت. وقال غيرُه: القَهَّارُ: الذي قَهرَ كلَّ شيءٍ فذَلَّلَهُ، فاستَسلَمَ وذلَّ له.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ إنما جمعَ في الخِطابِ لهُما، لأنه أراد جميعَ مَنْ شَارَكَهُما في شِركِهما. وقوله: «من دونه» أي: مِنْ دون اللَّهِ ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ يعني: الأربابَ والآلهةَ، ولا يَصحُّ معاني تلك الأسماءِ للأصنام، فكأنَّها أسماءٌ فارِغَةٌ، فكأنهم يعبدون الأسماءَ، لأنها لا تَصحُّ معانيها. ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: مِنْ حُجَّةٍ بعبادَتِها ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ما القضاءُ والأمرُ والنَّهيُ إلاَّ له. ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: المستقيم، يُشير إلى التَّوحيد. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه لا يجوز عبادةُ غيرِه. **والثاني**: لا يعلمون ما للمُطيعين مِنَ الثَّواب وللعَاصِينَ مِنَ العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ الرَّبُّ ها هنا: السَّيِّدُ. قال ابنُ السَّائب: لمَّا قصَّ السَّاقي رُؤياهُ على يُوسفَ، قال له: ما أحسَنَ ما رأيتَ! أما الأغصانُ الثلاثةُ، فثلاثةُ أيام، يَبعثُ إليكَ المَلِكُ عند انقضائِها، فيَردُكَ إلى عملكَ، فتعود كأحسَنَ ما كنتَ فيه، وقال للخبَّاز: بِئْسَ ما رأيتَ، السِّلالُ الثلاثُ، ثلاثةُ أيام، ثم يبعثُ إليكَ المَلِكُ عند انقضائهنَّ، فيَقتُلكَ ويَصلِبكَ ويأكلُ الطَّيرُ مِنْ رأسِكَ، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي: فُرِغَ منه، وسيقع بكما، صَدَقتُما أو كَذَبتُما.

فإنْ قيلَ: لِمَ حَتَّمَ على وقوع التَّأويل، وربَّما صَدقَ تأويلُ الرُّؤيا وكَذبَ؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه حَتَّمَ ذلك لِوحيٍ أتاهُ مِنَ الله، وسبيلُ المنام المَكذُوبِ فيه أنْ لا يقعَ تأويلُه، فلمَّا قال: «قُضي الأمر»، دلَّ على أنه وَحيٌ.

والثاني: أنه لم يُحتِّم، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾، قال أصحابُ هذا الجواب: معنى «قُضي الأمر»: قُطِعَ الجوابُ الذي التَمستُماهُ مِنْ جهتي، ولم يَعْنِ أنَّ الأمرَ واقعٌ بكما. وقال أصحابُ الجواب الأول: الظَّنُّ ها هنا بمعنى العِلْمِ.

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ يعني السَّاقي. وفي هذا الظَّنِّ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى العِلْمِ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: أنه الظَّنُّ الذي يُخالف اليَقينَ، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: عندَ صاحِبكَ، وهو المَلِكُ، وقُلْ له: إنَّ في السِّجنِ غلاماً حُبِسَ ظلماً. واسمُ المَلِكِ: الوَليدُ بنُ الرَّيَّانِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: فأنسى الشيطانُ السَّاقي ذِكْرَ يُوسفَ لربِّه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ إسحاقَ. **والثاني**: فأنسى الشيطانُ يُوسفَ ذِكْرَ ربِّه، وأمرَهُ بذِكْرِ المَلِكِ ابتغاءَ الفَرَجِ مِنْ عنده، قاله مُجاهِدٌ ومُقاتِلٌ والزَّجَّاجُ، وهذا نسيانُ عَمْدٍ، لا نسيانَ سَهوٍ، وعكسُه القولُ الذي قبله.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ أي: غيرَ ما كان قد لَبِثَ قبلَ ذلك، عقوبةً له على تَعلُّقِه بمَخلُوقٍ. وفي البِضعِ تسعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بين السَّبعِ والتِّسعِ.

[٨١٢] روى ابنُ عباسٍ أنَّ أبا بكرٍ لمَّا نَاحَبَ قُريشاً عند نزولِ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾، قال له رسولُ الله ﷺ: «ألاَ احتَطْتَ، فإنَّ البِضْعَ ما بين السَّبعِ إلى التِّسعِ».

والثاني: اثنتا عشرةَ سنةً، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: سبعُ سنينَ، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: أنه ما بين الخَمْسِ إلى السَّبعِ، قاله الحَسنُ. **والخامس**: أنه ما بين الأربعِ إلى التِّسعِ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: ما بين الثلاثِ إلى التسعِ، قاله الأصمَعيُّ، والزَّجَّاجُ. **والسابع**: أنَّ البِضْعَ يكون بين الثلاثِ والتسعِ والعَشرِ، قاله قَتادةُ. **والثامن**: أنه ما دونَ العَشرةِ، قاله الفَرَّاءُ، وقال الأخفَشُ: البِضْعُ: مِنْ واحدٍ إلى عَشرةٍ. **والتاسع**: أنه ما لم يبلغ العِقْدَ ولا نِصفَهُ، قاله أبو عُبيدَةَ. قال ابنُ قُتَيبة: يعني ما بين الواحدِ إلى الأربعةِ. وروى الأثرَمُ عن أبي عُبيدَةَ: البِضْعُ: ما بين ثلاثٍ وخمسٍ. وفي جُملةِ ما لَبِثَ في السِّجن ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اثنتا عشرةَ سنةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أربعَ عشرةَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: سبعُ سنين، قاله قَتادةُ. قال مالكُ بن دِينارٍ: لمَّا قال يُوسفُ للسَّاقي: «اذكرني عند ربك»، قيل

---

[٨١٢] يأتي في مطلع سورة الروم إن شاء الله تعالى.

له: يا يُوسفُ، أَتَّخذتَ مِنْ دوني وكيلاً؟ لأُطيلَنَّ حَبْسكَ، فبكى، وقال: يا ربِّ، أَنْسَى قلبي كَثْرةُ البَلْوَى، فقلتُ كلمةً، فويلٌ لإخوتي.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ يعني مَلِكَ مِصْرَ الأكبرَ ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ يعني في المَنام، ولم يَقُل: رأيتُ، وهذا جائزٌ في اللغة أنْ يقولَ القائلُ: أرى، بمعنى رأيتُ. قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: لمَّا انقضَتِ المُدَّةُ التي وَقَّتها اللهُ تعالى ليُوسفَ في حَبْسِه، دخلَ عليه جِبريلُ إلى السِّجنِ، فبشَّره بالخروجِ ومُلْكِ مِصْرَ ولقاءِ أبيه، فلما أمسى المَلِكُ مِنْ لَيْلَتِئِذٍ، رأى سبعَ بقراتٍ سِمانٍ خرجنَ مِنَ البحر، في آثارهنَّ سبعٌ عِجافٌ، فأقبلَتِ العِجافُ على السِّمانِ، فأخذنَ بأذنابِهنَّ فأكلنَهُنَّ إلى القَرنَيْنِ، ولم يَزِدْ في العِجافِ شيءٌ، ورأى سبعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ وقد أقبل عليهنَّ سَبْعٌ يابسَاتٌ فأكَلنَهنَّ حتى أتينَ عليهنَّ، ولم يَزدَدْ في اليابسَاتِ شيءٌ، فدَعَا أشرافَ قومِه فقَصَّها عليهم، فقالوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ﴾. قال الزَّجَّاجُ: والعِجَافُ: التي قد بلغت في الهُزالِ الغاية. والمَلأُ: الذين يُرجع إليهم في الأمور ويُقتدى برأيهم، واللام في قوله: ﴿لِلرُّءْيَا﴾ دخلت على المفعولِ للتَّبيين، المعنى: إنْ كنتم تعبُرونَ. ثم بَيَّن باللام فقال: «للرؤيا». ومعنى عَبَرتُ الرُّؤيا وعَبَّرتُها: أخبرتُ بآخرِ ما يؤولُ إليه أمرُهَا، واشتقاقُه مِنْ عِبْرِ النَّهر، وهو شاطئُ النَّهر، فتأويلُ عَبَرتُ النهر: بلغتُ إلى عِبْرِه، أي: إلى شطه، وهو آخرُ عَرضِه. وذكر ابنُ الأنباري في اللام قولين: **أحدهما**: أنها للتَّوكيد. **والثاني**: أنها أفادت معنى «إلى» والمعنى: إنْ كنتم تُوجِّهون العِبارةَ إلى الرُّؤيا.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: واحدها ضِغْثٌ، مكسورة، وهي ما لا تأويلَ له مِنَ الرُّؤيا تراه جَماعاتٌ، تُجمع مِنَ الرُّؤيا كما يُجمع الحَشِيشُ، فيقال: ضِغْثٌ، أي: مِلءُ كَفٍّ منه. وقال الكِسَائيُّ: الأضغَاثُ: الرُّؤيا المُختَلِطةُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «أضغاث أحلام» أي: أَخلاطٌ مثل أَضْغَاثِ النباتِ يجمعها الرجلُ، فيكون فيها ضُروبٌ مختلفةٌ. وقال الزَّجَّاجُ: الضِّغْثُ في اللغة: الحُزمَةُ والبَاقةُ مِنَ الشيء، كالبَقلِ وما أشبهه، فقالوا له: رُؤياك أخلاطُ أَضْغَاثٍ، أي: حِزَمُ أخلاطٍ، ليست برُؤيا بينة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أي: ليس للرؤيا المُختلطَةِ عندنا تأويلٌ. وقال غيره: وما نحن بتأويلِ الأحلامِ الذي هذا وصفُها بعَالِمينَ. والأحلامُ: جمعُ حُلْمٍ، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصحُّ ومما يَبطلُ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعني الذي تَخلَّص مِنَ القتل مِنَ الفتَيين، وهو السَّاقي، ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ أي: تذكَّر شأنَ يُوسفَ وما وصَّاه به. قال الزَّجَّاج: وأصلُ ادَّكَر: اذتكَرَ، ولكنَّ التاء أُبدلت منها الدالُ، وأُدغِمتِ الذالُ في الدالِ. وقرأ الحسَنُ: «واذَّكر» بالذال المُشدَّدة.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعدَ حِينٍ، وهو الزمَّانُ الذي لَبِثَهُ يوسفُ بعده في السجن، وقد سبق بيانه. وقرأ ابنُ عباسٍ، والحسَنُ «بعد أمَةٍ» أراد: بعد نِسيانٍ.

فإن قيل: هذا يدلُّ على أنَّ النَّاسي في قوله: «فأنساه الشيطان ذكر ربه» هو السَّاقي، ولا شَكَّ أنَّ مَنْ قال: إنَّ النَّاسي يوسفُ يقول: لم يَنْسَ السَّاقي. فالجواب: أنَّ مَنْ قال: إنَّ يُوسفَ نَسِيَ، يقول: معنى قوله: «وادَّكر» ذَكرَ، كما تقول العرب: احتَلَبَ بمعنى حَلَبَ، واغتَدَى بمعنى غَدَا، فلا يدلُّ إذاً على نسيانٍ سَبقَهُ. وقد روَى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنه قال: إنما لم يَذكُرِ السَّاقي خبرَ يُوسفَ للمَلِكِ حتى احتاجَ المَلِكُ إلى تأويل رُؤياه، خوفاً مِنْ أنْ يكونَ ذِكره ليُوسفَ سبباً لذِكْرِه الذَّنْبَ الذي مِنْ أجله حُبِسَ، ذكر هذا الجوابَ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: مِن جهة يُوسفَ ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ أثبتَ الياءَ فيها وفي ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾[1] ﴿أَن تُفَنِّدُونِ﴾[2] يَعقوبُ في الحالَين، فخاطبَ المَلِكَ وحدَهُ بخطاب الجميع، تعظيماً، وقيل: خاطبه وخاطبَ أتباعَهُ. وفي الكلام اختصارٌ، المعنى: فأرسلُوه فأتى يُوسفَ فقال: يا يُوسفُ يا أيُّها الصِّدِّيقُ. والصِّدِّيقُ: الكثيرُ الصِّدقِ، كما يقال: فِسِّيق، وسِكِّير، وقد سبقَ بيانُه.

قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني المَلِكِ وأصحابِه والعلماءِ الذين جَمعَهُم لتعبير رُؤياه. وفي قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يعلمون تأويلَ رُؤيا المَلِكِ. **والثاني**: يعلمون بمكانِكَ فيكون سببَ خلاصِكَ. وذكر ابنُ الأنباري في تكرير «لعلّ» قولين. **أحدهما**: أنَّ «لعل» الأولى متعلِّقةٌ بالإفتَاءِ، والثانية: مَبنيَّةٌ على الرُّجوع، وكلتاهُما بمعنى «كي». **والثاني**: أنَّ الأُولَى بمعنى «عسى»، والثانية بمعنى «كي» فأُعيدَتْ لاختلافِ المَعنيينِ، وهذا هو الجوابُ عن قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[3].

قال: المُفسِّرون: كان سيِّدُه العزيزُ قد مات، واشتغلتْ عنه امرأتُه. وقال بعضُهم: لم يَكُنِ العَزيزُ قد مات، فقال يُوسفُ للسَّاقي: قُلْ للمَلِكِ: هذه سَبْعُ سنين مُخصِباتٌ، ومِنْ بَعدِهنَّ سبعُ سنين شِدَادٌ، إلاَّ أنْ يُحتالَ لهُنَّ، فانطلق الرَّسُولُ إلى المَلِكِ فأخبرَه، فقال له المَلِكُ: ارجعْ إليه فقُلْ له: كيف يُصنَعُ؟ فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ «دأْباً» ساكنةَ الهمزة، إلاَّ أنَّ أبا عمرٍو كان إذا أدرَجَ القراءةَ لم يَهمِزْهَا. وروى حَفصٌ عن عاصِمٍ «دأَباً» بَفتح الهمزة. قال أبو عليّ: الأكثرُ في «دأب» الإسكانُ، ولعلَّ الفتحَ لُغَةٌ، ومعنى «دأباً» أي: زِراعةً مُتواليَةً على عَادتِكم، والمعنى: تزرعون دَائِبين. فنَابَ «دأب» عن «دَائِبينَ». وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: تَدْأَبُون دَأَباً، ودلَّ على تَدأَبُونَ «تزرعون» والدَّأْبُ: المُلازَمةُ للشيءِ والعَادةُ.

فإن قيل: كيف حكَمَ بعِلْمِ الغَيبِ، فقال: «تزرعون» ولم يَقُلْ: إنْ شاء اللهُ؟ فعنه أربعةُ أجوبةٍ:

---

(١) سورة يوسف: ٦٠. (٢) سورة يوسف: ٩٤. (٣) سورة يوسف: ٦٣.

أحدها: أنه كان بوحي مِنَ اللهِ عزّ وجل. **والثاني**: أنه بَنَى على عِلم ما عَلَّمهُ اللهُ مِنَ التّأويل الحقّ، فَلَمْ يَشكّ. **والثالث**: أنه أضمَرَ «إنْ شاء الله» كما أضمَرَ إخوتُه في قولِهم: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾[١]، فأضمَروا الاستثناءَ في نِيّاتِهم، لأنهم على غيرِ ثِقَةٍ ممّا وعدوا، ذكره ابنُ الأنباري. **والرابع**: أنه كالآمِر لهم، فكأنه قال: إزرَعُوا.

قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ فإنه أبقى له، وأبعدُ مِنَ الفسادِ. والشّدَادُ: المُجدِباتُ التي تشتدُّ على الناس. ﴿يَأْكُلْنَ﴾ أي: يُذهِبنَ ما قدّمتم لهنّ في السنين المُخصِبةِ، فوصفَ السِّنينَ بالأكلِ، وإنما يُؤكلُ فيها، كما يُقال: لَيْل نائمٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي: تُحرزُون وتَدّخِرون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ إنْ قيلَ: لِمَ أشارَ إلى السِّنين وهي مُؤنَّثةٌ بـ «ذلك»؟ فعنه جوابان؛ ذكرهما ابنُ القَاسم: **أحدهما**: أنّ السّبعَ مؤنّثةٌ، ولا علامةَ للتأنيثِ في لفظها، فأشبهت المُذكّرَ، كقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾[٢] فذكّرَ مُنفطِراً لمّا لم يكن في السماء عَلَمُ التأنيث، قال الشاعر:

فـلا مُـزنَـةٌ وَدَقَـتْ وَدْقَـهـا ... وَلاَ أَرضَ أَبْـقَـلَ إبْـقَـالَـهَـا[٣]

فذكّر «أبقل» لِمَا وَصفنا. **والثاني**: أنّ «ذلك» إشارةٌ إلى الجَدبِ، وهذا قولُ مُقاتِلٍ، والأول قولُ الكَلبيّ. قال قَتادةُ: زادَهُ الله عِلْمَ عام لم يسألُوهُ عنه.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ فيه قولان **أحدهما**: يُصيبهم الغيثُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُغاثون بالخِصبِ. ذكره المَاوَردي. قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عَامرٍ وعَاصِمٌ: «يعصرون» بالياء. وقرأ حَمزةُ والكِسَائيُ بالتاء، فوَجَّها الخِطابَ إلى المُستَفتِينَ. وفي قوله: «يعصرون» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَعصِرون العِنَبَ والزيتَ والثّمراتِ، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والجمهور. **والثاني**: «يعصرون» بمعنى يَحتَلِبونَ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. ورَوى ابنُ الأنباري عن أبيه عن أحمدَ بنِ عُبيدٍ قال: تفسيرُ «يعصرون» يَحتَلِبون الألبانَ لِسَعَةِ خيرِهم واتّساعِ خِصبِهِم، واحتجَّ بقول الشاعر:

فَمَا عِصْمَةُ الأعْرَابِ إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُم ... طَـعَـامٌ وَلاَ دَرٌّ مِـنَ الـمَـالِ يُـعْـصَـرُ

أي: يُحلَبُ. **والثالث**: يَنجُونَ، وهو مِنَ العَصَرِ، والعَصَرُ: النَّجاءُ، والعُصْرَةُ: المَنجاةُ. ويُقال: فُلانٌ في عُصْرَةٍ: إذا كان في حِصنٍ لا يُقدَر عليه، قال الشاعر:

صَادِيـاً يَـسْـتَـغِـيـثُ غَـيْـرَ مُـغَـاثٍ ... وَلَـقَـدْ كـانَ عُـصْـرَةَ الـمَـنْـجُـودِ[٤]

---

(١) سورة يوسف: ٦٥. (٢) سورة المزمل: ١٨.

(٣) البيت لعامر بن جوين الطائي، انظر «خزانة الأدب» ١/ ٢١. وذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «وَدَق». ووَدَقَ به أي: أنِسَ، والوَدْقُ: المطر كله شديده وهيّنه، وقد وَدَقَ: أي قَطَرَ.

(٤) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «عَصَر» ونسبه لأبي زبيد. والصدى: شدة العطش.

أي: غِياثاً للمغلوبِ المَقهورِ، وقال عَدِيٌّ:

لَوْ بِغَيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالغَصَّانِ بِالمَاءِ اعْتِصَارِي[1]

هذا قولُ أبي عُبيدَةَ. **والرابع**: يُصيبون ما يُحبُّونَ، رُوِي عن أبي عُبيدَةَ أيضاً أنه قال: المُعتَصِرُ: الذي يُصيبُ الشيءَ ويأخذه، ومنه هذه الآيةُ. ومنه قولُ ابنِ أحمرَ:

فإنَّما العَيْشُ بِرُبَّانِهِ وأَنْتَ مِنْ أفْنَانِهِ مُعْتَصِر

والخامس: يُعطون ويُفضِلون لِسَعَةِ عيشهم، رواه ابنُ الأنباري عن بعض أهل اللغة. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «يُعصَرون» بضمِّ الياء وفتح الصاد. وقال الزَّجَّاجُ: أراد: يُمطَرُون مِنْ قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[2].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا رجعَ السَّاقي إلى المَلِكِ وأخبره بتأويل رُؤياه، وقَع في نفسه صِحَّةُ ما قال، فقال: ائتوني بالذي عَبَّر رُؤيايَ، فجاءه الرسولُ، فقال: أَجِبِ المَلِكَ، فأبى أنْ يَخرُجَ حتى تَبِينَ براءتُه مما قُرِفَ به، فقال: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني المَلِكَ ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «النُّسوة» بضم النون، والمعنى: فاسألِ المَلِكَ أنْ يتعرَّفَ ما شأنُ تلك النسوة وحالُهنَّ ليعلمَ صحة بَراءَتي، وإنما أشفقَ أنْ يراهُ المَلِكُ بعينِ مَشكُوكٍ في أَمرِهِ أو مُتَّهم بفاحشةٍ، وأحبَّ أن يراه بعد استقرار بَراءَتِه عندَهُ. وظاهرُ قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ أنه يعني اللهَ عزَّ وجلّ، وحكى ابنُ جَريرٍ الطَّبري أنه أراد به سَيِّدَهُ العزيزَ، والمعنى: أنه يعلم بَراءَتي. وقد رُوي عن نبيِّنا ﷺ أنه استحسنَ حَزْمَ يُوسفَ وصَبْرَهُ عن التَّسرُّعِ إلى الخروج. فقال ﷺ:

[٨١٣] «إنَّ الكريمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يُوسفَ بنَ يَعقوبَ بنِ إسحَاقَ بنِ إبراهيمَ، لو لَبِثتُ في السجن ما لَبِثَ يُوسفُ، ثم جاءني الدَّاعي لأَجَبْتُ».

---

[٨١٣] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١١٦، والطحاوي في «المشكل» ٣٣٠، والطبري ١٩٤٠٤ من حديث أبي هريرة، وإسناده حسن لأجل محمد بن عمرو، وحسنه الترمذي. وورد من وجه آخر بنحوه. أخرجه البخاري ٣٣٧٢ ومسلم ١٥١ وابن ماجة ٤٠٢٦، وأحمد ٢/ ٣٢٦، وابن حبان ٦٢٠٨، والطحاوي في «المشكل» ٣٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه في البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق من إبراهيم إذ قال: **﴿ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾** ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

---

(١) البيت لعدي بن زيد انظر «مجاز القرآن» ١/ ٣١٤، و «الخزانة» ٣/ ٥٩٤، وذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «شرق». والشَّرَقُ: الشجا والغصة.

(٢) سورة النبأ: ١٤.

وفي ذِكْرِه للنسوة دون امرأةِ العزيزِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه خَلطَها بالنِّسوة، لِحُسنِ عِشرَةٍ فيه وأدبٍ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: لأنها زوجةُ مَلِكٍ، فَصانَها. **والثالث**: لأن النِّسوةَ شاهداتٌ عليها له. **والرابع**: لأنَّ في ذِكْرِه لها نوع تُهمَةٍ، ذكرَ الأقوالَ الثلاثةَ المَاوَرْدِي.

قال المُفسِّرون: فرجعَ الرسولُ إلى المَلِكِ برسالة يُوسفَ، فدعا المَلِكُ النِّسوةَ وفيهنَّ امرأةُ العَزيزِ، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أي: ما شَأنُكنَّ وقِصتُكنَّ ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾. فإنْ قيلَ: إنما رَاوَدَتْهُ واحدةٌ، فلِمَ جمعهُنَّ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه جمعَهنَّ في السؤال ليُعلمَ عَينُ المُراوِدَةِ. **والثاني**: أنَّ أزلِيخَا رَاودَتْهُ على نَفْسِه، ورَاودَهُ باقي النِّسوة على القَبولِ منها. **والثالث**: أنه جَمعُهنَّ في الخِطابِ، والمعنى لواحدةٍ منهنَّ، لأنه قد يُوقعُ على النَّوع وصف الجنس إذا أُمِنَ مِنَ اللبْسِ، يدلُّ عليه قولُ النبي ﷺ:

[٨١٤] «إنَّكنَّ أكثرُ أهلِ النَّارِ» فجمعهنَّ في الخِطابِ والمعنى لبَعضِهنَّ، ذكره ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: قرأ الحسَنُ «حاشْ» بتسكين الشين، ولا اختلافَ بين النَّحويين أنَّ الإسكانَ غيرُ جائزٍ، لأنَّ الجمعَ بين ساكنين لا يجوز، ولا هو مِنْ كلام العرب. فأعلمَ النِّسوةُ المَلِكَ براءةَ يُوسفَ مِنَ السُّوء، فقالت امرأةُ العَزيزِ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: برزَ وَتبيَّنَ، واشتقاقُه في اللغة مِنَ الحِصَّةِ، أي: بانَتْ حِصَّةُ الحقِّ وجِهَتُه مِنْ حِصَّةِ الباطل. وقال ابنُ القاسم: «حَصْحَصَ» بمعنى وَضحَ وانكشفَ، تقول العرب: حَصْحَصَ البَعيرُ في بُروكِه: إذا تمكّنَ، وأثَّر في الأرض، وفرَّقَ الحصى. وللمُفسِّرين في ابتداءِ أزلِيخَا بالإقرار قولان:

أحدهما: أنها لمَّا رأتِ النِّسوةَ قد بَرَّأنَه، قالت: لم يَبْقَ إلاَّ أنْ يُقبلنَ عليَّ بالتَّقريرِ، فأقرَّتْ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها أظهرتْ التَّوبةَ وحَقَّقتْ صِدقَ يُوسفَ، قاله المَاوَرْدِي.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال مُقاتِلٌ: «ذلك» بمعنى هذا. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: هذا وذلك يَصلُحانِ في هذا المَوضع وأشباهِه، لِقُربِ الخبرِ مِنْ أصحابِه، فصارَ كالمُشاهَدِ الذي يُشارُ إليه بهذا، ولمَّا كان مُتقضِّياً أمكنَ أنْ يُشارَ إليه بذلك، لأن المُتقضِّي كالغائب. واختلفوا في القائِلِ لهذا على ثلاثةِ أقوالٍ:

---

[٨١٤] صحيح. هذا جزء من حديث طويل، أخرجه البخاري ٣٠٤، ومسلم ٨٠ والبيهقي ٤/ ٢٣٥، وابن حبان ٥٧٤٤ والبغوي ١٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ولفظه في البخاري خرج رسول الله ﷺ في أضحى ـ أو فِطر ـ إلى المصلى، فمرَّ على النساء فقال: **«يا معشر النساء تصدَّقن، فإني أُريتكن أكثر أهل النار»، فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟، قال: «تكثِرنَ اللعن، وتَكْفُرْنَ العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبُ للبِّ الرجل الحازم من إحداكن»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تَصُم؟»** قلن: بلى. قال: «فذلك من نقصان دينها». وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه مسلم ٧٩.

أحدها: أنه يُوسفُ[١]، وهو مِنْ أغمَضِ ما يأتي مِنَ الكلام أنْ تحكي عن شخص شيئاً ثم تَصِلُه بالحكاية عن آخرَ، ونَظيرُ هذا قولُه: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ هذا قولُ الملأ ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[٢] قولُ فِرعونَ. ومثلُه: ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ هذا قولُ بِلقيسَ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٣] قولُ الله عزَّ وجلَّ. ومِثْلُه: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ هذا قولُ الكُفَّارِ، فقالت الملائكةُ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[٤] وإنما يجوز مِثْلُ هذا في الكلام، لظُهورِ الدّلالة على المعنى. واختلفوا، أينَ قال يُوسفُ هذا؟ على قولين:

أحدهما: أنه لمَّا رَجعَ السَّاقي إلى يُوسفَ فأخبره وهو في السِّجنِ بجواب امرأةِ العَزيزِ والنِّسوة للمَلِكِ، قال حِينَئذٍ: «ذلك ليعلمَ»، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ جُرَيجٍ.

والثاني: أنه قاله بعدَ حُضوره مجلسَ المَلِكِ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ أي: ذلك الذي فعلتُ مِنْ رَدّي رسولَ المَلِكِ، ليعلمَ.

واختلفوا في المُشَارِ إليه بقوله: «ليعلمَ» وقوله: «لم أخنه» على أربعةِ أقوالٍ:

أحدها: أنه العَزيزُ، والمعنى: ليعلمَ العزيزُ أني لم أَخُنْهُ في امرأتِه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: إذا غابَ عني، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والجمهورُ.

والثاني: أنَّ المُشَارَ إليه بقوله: «ليعلمَ» المَلِكُ، والمُشَارَ إليه بقوله: «لم أَخُنْهُ» العزيزُ، والمعنى: ليعلَمَ المَلِكُ أني لم أَخُنِ العزيزَ في أهله بالغَيبِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنَّ المُشَارَ إليه بالشَّيئين، المَلِكُ، فالمعنى: ليعلمَ المَلِكُ أني لم أَخُنْهُ، يعني المَلِكَ أيضاً، بالغَيبِ. وفي وَجْهِ خيانةِ المَلِكِ في ذلك قولان: **أحدهما**: لِكَونِ العزيزِ وزيرَهُ، فالمعنى: لم أخنْهُ في امرأةِ وَزيرِه، قاله ابنُ الأنباري. **والثاني**: لم أَخُنْهُ في بنتِ أُختِه، وكانت أَزلِيخا بنتَ أختِ المَلِكِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

والرابع: أنَّ المُشَارَ إليه بقوله: «ليعلمَ» اللهُ عزَّ وجلَّ، فالمعنى: ليعلمَ اللهُ أني لم أَخُنْهُ، رُوي عن مُجاهِدٍ، قال ابنُ الأنبَاري: نسبَ العلمَ إلى الله في الظاهرِ، وهو في المعنى للمَخْلُوقين، كقوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[٥].

فإن قيل: إنْ كان يوسفُ قال هذا في مجلس المَلِكِ، فكيف قال: «ليعلمَ» ولم يَقُلْ: لتعلمَ، وهو يُخاطبُه؟ فالجواب: أنّا إنْ قُلنا: إنه كان حاضراً عند المَلِكِ، فإنما آثرَ الخِطابَ بالياء تَوقيراً للمَلِكِ، كما يقول الرجلُ للوَزيرِ: إنْ رأى الوزيرُ أنْ يُوقِّع في قِصَّتي. وإنْ قُلنا: إنه كان غائباً، فلا وجهَ لدخول التاء، وكذلك إنْ قُلنا: إنه عَنَى العزيزَ، والعزيزُ غائبٌ عن مجلسِ المَلِكِ حِينَئذٍ.

والقول الثاني: أنه قولُ امرأةِ العَزيزِ، فعلى هذا يتَّصلُ بما قَبلَهُ، والمعنى: ليعلمَ يوسفُ أني لم

---

(١) هذا القول ورد عن جماعة من المفسرين، وهو غريب، وكأنهم تتابعوا على ذلك حيث أخذه بعضهم عن بعض، وليس بصواب وانظر ما يأتي.
(٢) سورة الأعراف: ١١٠.
(٣) سورة النمل: ٣٤.
(٤) سورة يس: ٥٢.
(٥) سورة محمد: ٣١.

أَخُنْهُ في غَيبَتِهِ الآنَ بالكَذِبِ عليه[١].

والثالث: أنه قولُ العَزيزِ، والمعنى: ليعلمَ يُوسفُ أني لم أخنه بالغَيبِ، فلم أُغفِلْ عن مُجازاتِه على أمانَتِه، حكى القولين المَاورِدِي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا يُصَوِّبُ عملَ الزُّناةِ، وقال غيرُه: لا يُرشِدُ مَنْ خانَ أمانَتَهُ ويفضَحُه في عاقبته.

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ﴾، في القائل لهذا ثلاثةُ أقوالٍ، وهي تقدَّمتْ في الآيةِ قبلَها.

فالذين قالوا: هو يُوسفُ، اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسةِ أقوالٍ: **أحدها:** أنه لمَّا قال: «ليعلم أني لم أخنهُ بالغيب» غمَزهُ جبريلُ عليه السَّلامُ، فقال: ولا حينَ هَمَمْتَ؟ فقال: «وما أُبَرِّئُ نَفْسِي» رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ[٢]، وبه قال الأكثرون. **والثاني:** أنَّ يُوسفَ لمَّا قال: «لم أخنه» ذكر أنه قد هَمَّ بها، فقال: «وما أُبَرِّئُ نَفْسِي»، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث:** أنه لمَّا قال ذلك،

---

(١) هذا القول هو الحق إن شاء الله تعالى، وسياق الكلام في الآيات وسياقها يدل على ذلك دلالة واضحة، فيوسف اكتفى بقوله لرسول الملك **﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهنّ إن ربي بكيدهن عليم﴾** قاله وهو في السجن، وانقطع كلامه، ثم كان من الملك أن جمع النسوة مع امرأة العزيز، وسألهن عن ذلك بقوله **﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب. . .﴾** فالكلام موصول. حوار يدور بين الملك والنسوة، وأما يوسف فهو في السجن، وقد اكتفى بأمره رسول الملك أن يستفسر الملك عن ذلك.

ـ وقال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٥٩٣ ما ملخصه: **﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾** تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي، ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة، **﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين * وما أبرئ نفسي﴾** تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته لأن النفس أمّارة بالسوء، **﴿إلا ما رحم ربي﴾** أي: إلا من عصمه الله تعالى، **﴿إن ربي غفور رحيم﴾** وهذا القول هو الأشهر والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام. وقد حكاه الماوردي في تفسيره. وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، وابن أبي هُذيل، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي والقول الأول أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف ـ عليه السلام ـ عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك.

(٢) **باطل مصنوع.** أخرجه الطبري ١٩٤٣٥ و ١٩٤٣٦ و ١٩٤٣٧ من طرق عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس، وسماك ضعيف في روايته عن عكرمة، وقد اختلط بأخرة، وهذا قول باطل، وإن ثبت عن ابن عباس، فإنما يكون تلقاه عن كتب الأقدمين.

خافَ أنْ يكون قد زَكَّى نَفْسَهُ، فقال: «وما أُبرِّئُ نَفْسِي»، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنه لمَّا قاله، قال له المَلَكُ الذي معه: اذكُرْ ما هَمَمْتَ به، فقال: «وما أُبَرِّئُ نَفْسِي»، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنه لمَّا قاله، قالت امرأةُ العَزيزِ: ولا يومَ حَلَلْتَ سَراويلَكَ؟ فقال: «وما أُبَرِّئُ نَفْسِي»، قاله السُّدِّيُّ[١].

والذين قالوا: هذا قولُ امرأةِ العَزيزِ، فالمعنى: وما أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ سوءِ الظَّنِّ بيُوسفَ، لأنه قد خَطرَ لي.

قوله تعالى: ﴿لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ قرأ ابنُ عَامرٍ، وأهلُ الكُوفَةِ، ويَعقوبُ إلاَّ رُويساً: «بالسوء إلا» بتحقيقِ الهَمزَتين. وقرأ أبو عَمرٍو، وابنُ شَنَبُوذَ عن قُنْبُل بتحقيقِ الثانيةِ وحذفِ الأولى. وروى نظيف عن قُنْبُل بتحقيق الأُولى وقلبِ الثانية ياءً. وقرأ أبو جَعفرَ، وورْشٌ، ورُوَيسٌ بتحقيق الأولى وتليين الثانيةِ بينَ بينَ، مثل: «السُّوء عِلاًّ». وروى ابنُ فُلَيْح بتحقيق الثانية وقَلْبِ الأولى واواً، وأدغمَها في الواو قَبْلَها، فتَصيرُ واواً مكسورةً مُشدَّدةً قبلَ همزةِ «إلا».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ قال ابنُ الأنبَاري: قال اللغويون: هذا استثناءٌ منقطعٌ، والمعنى: إلا أنَّ رحمةَ ربِّي عليها المُعتمَدُ. قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: المعنى: إلاَّ من عصم ربي وقيل «ما» بمعنىٰ «من». قال الماوري: ومن قال: هو مِنْ قولِ امرأةِ العزيزِ، فالمعنى: إلاَّ مَنْ رَحِمَ ربِّي في قَهْرِه لشَهوَتِه، أو في نَزْعِها عنه. ومَنْ قال: هو قولُ العَزيزِ، فالمعنى: إلاَّ مَنْ رَحِمَ ربِّي بأنْ يكفيَهُ سُوءَ الظَّنِّ، أو يُثَبِّتَهُ، فلا يَعجلَ. قال ابنُ الأنبَاري: والقولُ بأنَّ هذا قولُ يُوسفَ أصحُّ لوَجْهَين: **أحدهما**: لأنَّ العلماء عليه. **والثاني**: لأنَّ المرأةَ كانت عابدةَ وَثَنٍ، وما تضمَّنتهُ الآيةُ أَليَقُ أنْ يكون قولَ يُوسفَ مِنْ قولِ مَنْ لا يَعرِفُ اللهَ تعالى.

وقال المُفسِّرون: فلمَّا تبيَّنَ المَلِكُ عُذرَ يُوسفَ وعَلِمَ أمانتَهُ، قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أي: أجعَلهُ خالصاً لي، لا يَشرُكُني فيه أحدٌ.

فإنْ قيلَ: فقد رَويتُم في بعضِ ما مضى أنَّ يُوسفَ قال في مجلس المَلِكِ: «ذلك ليعلم أني لم أَخُنْهُ بالغيب»، فكيف قال المَلِكُ: «ائتوني به» وهو حاضرٌ عنده؟!

فالجواب: أنَّ أربابَ هذا القول يقولون: أَمَرَ المَلِكُ بإحضاره ليُقلِّدَهُ الأعمالَ في غير المجلس الذي استحضَرهُ فيه لتَعبيرِ الرُّؤيا. قال وَهْبٌ: لمَّا دخلَ يُوسفُ على المَلِكِ، وكان المَلِكُ يتكلَّم بسبعين لساناً، كان كُلَّما كَلَّمهُ بلسانٍ، أجابه يُوسفُ بذلك اللسان، فعَجِبَ المَلِكُ، وكان يُوسفُ يومَئذٍ ابنَ ثلاثين سنةً، فقال إني أحب أن أسمعَ رُؤيايَ منكَ شِفاهاً، فذكَرها له، قال: فما ترى أيها الصِّدّيقُ؟ قال: أرى أنْ تزرعَ زَرْعاً كثيراً في هذه السنين المُخصِبة، وتجمعَ الطعامَ، فيأتيكَ الناس فيمتَارُونَ، وتجمعَ عندكَ مِنَ الكُنوزِ ما لم يجتمع لأحدٍ، فقال المَلِكُ: ومَنْ لي بهذا؟ فقال يُوسفُ: «اجعلني على خزائن الأرض». قال ابنُ عباسٍ: ويريد بقوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: قد مكَّنتُكَ في مُلكي وائتمنتُكَ فيه. وقال مُقاتِلٌ: المَكِينُ: الوَجيهُ، والأمينُ: الحَافظُ.

---

(١) هذه الأقوال جميعاً باطلة لا تليق بنبي الله يوسف عليه السلام، كيف وقد أثنى عليه الله تبارك وتعالى حيث قال ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾؟

قوله تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: خَزائنِ أرضِكَ. وفي المراد بالخَزائنِ قولان: **أحدهما**: خَزائنُ الأموال، قاله الضَّحَّاكُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: خزائنُ الطعام فحَسْبُ، قاله ابنُ السَّائبِ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما سأَلَ ذلك لأنَّ الأنبياء بُعِثوا بالعَدلِ، فعلم أنه لا أحدَ أقومُ بذلك منه. وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَفيظٌ لِمَا ولِّيتني، عليمٌ بالمَجاعَةِ متى تكون، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: حَفيظٌ لمَا استودعتني، عَليمٌ بهذه السنين، قاله الحسَنُ. **والثالث**: حَفيظٌ للحِساب، عليمٌ بالألسنِ، قاله السُّدِّيُّ، وذلك أنَّ الناس كانوا يَرِدُون على المَلِكِ مِنْ كلِّ ناحيةٍ فيتكلَّمُونَ بلُغاتٍ مختلفةٍ.

واختلفوا، هل ولاَّهُ المَلِكُ يَومئذٍ، أمْ لا؟ على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه وَلاَّه بعدَ سنةٍ.

[٨١٥] روى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رَحِمَ اللهُ أخي يُوسفَ، لو لم يَقُلْ: اجعلني على خَزائنِ الأرضِ، لاَستَعمَلَهُ مِنْ ساعَتِه، ولكنه أَخَّرَ ذلك سنةً».

[٨١٦] وذكر مُقاتِلٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لو أنَّ يُوسفَ قال إني حَفيظٌ عَليمٌ إنْ شاءَ اللهُ، لَملكَ مِنْ وَقتِهِ».

قال مُجاهِدٌ: أسلَمَ المَلِكُ على يَدِ يُوسفَ. وقال أهلُ السِّيَرِ: أقامَ في بيت المَلِكِ سنةً، فلمَّا انصَرمَتْ دعاه المَلِكُ، فتوجَّه، ورَدَّاه بسَيفِهِ، وأمرَ له بسَريرٍ من ذهبٍ، وضربَ عليه كِلَّةً مِنْ إستَبْرَقٍ، فجلس على السَّرير كالقمر، ودَانَتْ له المُلوكُ، ولزمَ المَلِكُ بيتَهُ وفوَّضَ أمرَهُ إليه، وعَزلَ قُطَفيرَ عمَّا كان عليه، وجعل يُوسفَ مكانَهُ، ثم إنَّ قُطَفيرَ هَلكَ في تلك الليالي، فزوَّج المَلِكُ يوسفَ بامرأةِ قُطَفيرَ، فلمَّا دخل عليها، قال: أليس هذا خيراً مما تُريدين؟ فقالت: أيُّها الصِّدِّيقُ لا تَلُمنِي، فإني كنتُ امرأةً حسناءَ في مُلكٍ ودُنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساءَ، فغلَبَتْني نَفْسِي، فلمَّا بنى بها يُوسفُ وجدَهَا عَذرَاءَ، فولَدَتْ له ابنين، إفرَاييم، ومِيشَا، واستوثَقَ له مَلِكُ مِصرَ.

والقول الثاني: أنه مَلَّكه بعدَ سنةٍ ونصفٍ، حكاه مُقاتِلٌ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه سَلَّمَ إليه الأمرَ مِنْ وقتِهِ، قاله وَهْبٌ، وابنُ السَّائبِ.

فإنْ قيلَ: كيف قال يُوسفُ ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ولم يَقُلْ: إنْ شاء اللهُ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّ تركَ الاستثناءِ أوجَبُ عقوبةً بأنْ أُخِرَ تمليكُهُ، على ما ذكرنا عن النبيِّ ﷺ.

والثاني: أنه أضمرَ الاستثناءَ، كما أَضمَرُوه في قولهم: ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾.

والثالث: أنه أراد أنَّ حِفظي وعِلمي يزيدان على حِفظِ غيري وعِلمِه، فلم يَحتَجْ هذا إلى الاستثناءِ، لعَدمِ الشَّكِّ فيه، ذكرَ هذه الأقوالَ ابنُ الأنبَاري.

---

[٨١٥] باطل. ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٤٨٢ وقال ابن حجر في تخريجه: أخرجه الثعلبي من حديث ابن عباس وهو من رواية إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك، وهذا إسناد ساقط. قلت: إسحاق متروك متهم، ومثله جويبر بن سعيد، والضحاك لم يلقَ ابن عباس، والمتن منكر جداً فهو باطل. وانظر «تفسير القرطبي» ٣٦٨٣، بتخريجنا.

[٨١٦] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيثما أطلق، وهو ممن يضع الحديث ويكذب فهذا خبر باطل.

فإنْ قيلَ: كيف مَدحَ نفسَهُ بهذا القول، ومِنْ شأن الأنبياء والصالحين التَّواضعُ؟

فالجواب: أنه لمَّا خَلا مدحُه لنفسه مِنْ بغيٍ وتكبُّرٍ، وكان مُراده به الوصول إلى حقٍّ يُقيمه وعدلٍ يُحييه وجَورٍ يُبطله، كان ذلك جميلاً جائزاً.

[٨١٧] وقد قال نبيُّنا عليه السلام: «أنا أكرمُ وَلَدِ آدمَ على ربِّه».

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام: واللهِ ما مِنْ آيةٍ إلاَّ وأنا أعلمُ أبلَيْلٍ نزلت، أمْ بنهارٍ. وقال ابنُ مسعودٍ: لو أعلمُ أحداً أعلمَ بكتاب الله منّي تَبلُغه الإبلُ لأتَيْتُهُ. فهذه الأشياء، خرجت مخرجَ الشُّكرِ لله، وتعريفِ المُستَفيدِ ما عندَ المُفيدِ، ذكر هذا محمَّدُ بنُ القَاسم. قال القاضي أبو يَعلَى: في قصة يُوسفَ دلالةٌ على أنه يجوز للإنسان أنْ يصفَ نفسه بالفَضلِ عند مَنْ لا يعرفه، وأنه ليس مِنَ المَحظُورِ في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ في الكلام محذوفٌ، تقديره: اجعلني على خزائِن الأرض، قال: قد فَعلتُ، فحُذِفَ ذلك، لأنَّ قوله: «وكذلك مكَّنا ليوسفَ» يدلُّ عليه، والمعنى: ومثلُ ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في دَفْع المكروه عنه، وتخليصِه مِنَ السِّجن، وتقريبِه مِنْ قلبِ المَلِكِ، أقدَرْناهُ على ما يريد في أرضِ مِصْرَ ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ينزلُ حيثُ أرادَ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، والمُفضَّلُ: «حيث نشاء» بالنون.

قوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا﴾ أي: نختصُّ بنعمَتِنا مِنَ النُّبوَّة والنَّجاةِ ﴿مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يعني المؤمنين. يُقال: إنَّ يُوسفَ باعَ أهلَ مِصْرَ الطعامَ بأموالِهم وحُليِهم ومَواشِيهم وعَقارِهم وعَبيدِهم ثم بأولادِهم ثم برِقَابِهم، ثم قال للمَلِكِ: كيف ترى صُنع ربِّي؟ فقال المَلِكُ: إنما نحنُ لك تَبعٌ، قال: فإني أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكَ أني قد أعتقتُ أهلَ مِصْرَ ورَدَدْتُ عليهم أملاكَهُم. وكان يُوسفُ لا يَشبعُ في تلك الأيام، ويقول: إني أخافُ أنْ أنسى الجَائعَ.

﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ المعنى: ما نُعطي يُوسفَ في الآخرة، خيرٌ ممَّا أعطيناه في الدنيا، وكذلكَ غيرُه مِنَ المؤمنين ممَّن سلكَ طريقَهُ في الصَّبرِ.

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا فوَّض المَلِكُ إلى

---

[٨١٧] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٦١٠، والدارمي ١/٢٦ ـ ٢٧، والبغوي في «شرح السنة» ٣٥١٨ وفي تفسيره ١٣٢٤، من حديث أنس رضي الله عنه بأتم منه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قلت: إسناده ضعيف، مداره على ليث وهو ابن أبي سليم، ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أحمد: مضطرب الحديث. ثم هو مدلس، وقد عنعن، فالحديث بهذا اللفظ وبهذا الإسناد ضعيف، والذي صح في ذلك **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»** وهذا هو الصحيح، وسيأتي.

---

(١) سورة النجم: ٣٢.

يُوسفَ أمْرَ مِصْرَ، تلطَّفَ يُوسفُ للناسِ، ولم يَزَلْ يَدعُوهم إلى الإسلام، فآمَنُوا وأَحبُّوه، فلمَّا أصاب النَّاسَ القَحْطُ، نزلَ ذلك بأرضِ كَنعانَ، فأرسلَ يَعقوبُ ولدَهُ للمِيرَةِ، وذاعَ أمْرُ يوسفَ في الآفاقِ، وانتشرَ عَدْلُه ورحمتُه ورأفتُه، فقال يَعقوبُ: يا بَنيَّ، إنه قد بلغني أنَّ بِمِصْرَ مَلِكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأَقرِئوه منِّي السَّلامَ، وانتَسِبُوا له لَعلَّهُ يَعرِفُكُم، فانطلَقُوا فدخلوا عليه، فعَرفَهُم وأنكَرُوه، فقال: مِنْ أين أَقْبَلْتُم؟ قالوا: مِنْ أرضِ كَنعانَ، ولنا شيخٌ يُقالُ له: يَعقوبُ، وهو يُقرِئُكَ السلامَ، فبكى وعَصَر عينَيه وقال: لعلَّكم جَواسيسُ جِئتُم تنظرون عَورَةَ بلدي، فقالوا: لا واللهِ، ولكنَّا مِنْ كَنعانَ، أصابنا الجَهدُ، فأمَرَنا أبونا أنْ نأتيَكَ، فقد بَلَغَهُ عنكَ خيرٌ، قال: فكَمْ أنتم؟ قالوا: أحدَ عشرَ أخاً، وكنَّا اثني عشر فأكل أحدَنا الذئبُ، قال: فمَنْ يعلمُ صِدْقَكم؟ ائتُوني بأخِيكُم الذي مِنْ أبيكُم. وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا دخلوا عليه كلَّموه بالعِبرانيَّةِ، فأمرَ التَّرجَمانَ فكلَّمهم ليُشَبِّهَ عليهم، فقال للتَّرجَمانِ: قُلْ لهم: أنتم عُيونٌ، بعثَكُم مَلِكُكم لتنظروا إلى أهلِ مِصْرَ فتُخبِرونَهُ فيأتِيَنا بالجُنودِ، فقالوا: لا، ولكنَّا قومٌ لنا أبٌ شيخٌ كبيرٌ، وكنَّا اثني عشرَ، فهلكَ منَّا واحدٌ في الغَنمِ، وقد خَلَّفنا عند أبينا أخاً له مِنْ أُمِّه، فقال: إنْ كنتم صادقين، فخَلِّفوا عندي بعضَكُم رَهْناً، وائتوني بأخِيكُم، فحبسَ عندَهُ شمعون.

واختلفوا بماذا عَرفَهم يُوسفُ على قولين: **أحدهما**: أنه عَرفَهم برُؤيتِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه ما عَرفَهم حتى تعرَّفوا إليه، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ: لا يَعرفونه. وفي عِلَّةِ كَونِهم لم يعرفوه قولان: **أحدهما**: أنهم جاؤوه مُقدِّرين أنه مَلِكٌ كافرٌ، فلم يتأمَّلوا منه ما يزولُ به عنهم الشَّك. **والثاني**: أنهم عَايَنوا مِنْ زِيِّه وحِليَتِه ما كان سبباً لإنكارِهم. وقد روى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ أنه كان لابِساً ثيابَ حريرٍ، وفي عُنقه طَوقٌ مِنْ ذَهبٍ.

فإنْ قيلَ: كيف يخفى مَنْ قد أُعطيَ نصفَ الحُسنِ، وكيف يَشتَبِهُ بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقوه طفلاً ورَأَوه كبيراً، والأحوالُ تتغيَّر، وما توهَّموا أنه ينالُ هذه المرتبةَ.

وقال ابنُ قُتيبةَ: معنى كونه أُعطيَ نصفَ الحُسنِ، أنَّ اللهَ تعالى جعلَ للحُسنِ غايةً وحَدّاً، وجعله لمَنْ شاء مِنْ خَلْقِه، إمَّا للملائكة، أو للحُورِ، فجعلَ ليُوسفَ نِصفَ ذلك الحُسنِ، فكأنه كان حُسناً مُقارِباً لتلك الوجُوهِ الحَسنةِ، وليس كما يزعم الناسُ مِنْ أنه أُعطيَ هذا الحُسن، وأُعطيَ الناسُ كلُّهم نصفَ الحُسنِ.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ يقال: جَهَّزت القَوم تجهيزاً: إذا هَيَّأت لهم ما يُصلحهم، وجِهازُ البيت: مَتاعُه. قال المُفسِّرون: حَمَّلَ لكلِّ رجلٍ منهم بعيراً، وقال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ أي: أُتمه ولا أَبخَسُه، ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ يعني: المُضِيفين، وذلك أنه أحسنَ ضِيافتَهم. ثم أوعدَهُم على تَركِ الإتيانِ بأخيهم، فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه يعني به: فيما بعدُ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه مَنعَهُم الكَيْلَ في الحالِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: نَطلبُه منه، والمُراوَدَةُ: الاجتهاد في الطَّلبِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: وإنَّا لَجاؤوكَ به، وضَامِنُونَ لك المَجيءَ به، هذا مذهبُ الكَلبيِّ. **والثاني**: أنه توكيدٌ، قاله الزَّجّاجُ، فعلى هذا يكون الفعل الذي ضَمِنوه عائداً إلى المُراودة، فيَصِحُّ معنى التَّوكيدِ. **والثالث**: وإنَّا لَمُديمُون المُطالبةَ به لأَبِينا، ومُتابعونَ المَشُورةَ عليه بتَوجيهِهِ، وهذا غيرُ المُراوَدَةِ، ذكره ابنُ الأنباري.

فإن قيل: كيف جازَ ليُوسفَ أنْ يطلبَ أخاه، وهو يَعلَمُ ما في ذلك مِنْ إدخالِ الحُزنِ على أبيه؟ فعنه خمسةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه يجوز أنْ يكون ذلك بأمرٍ عن الله تعالى زيادةً لبَلاءِ يَعقوبَ ليَعظُمَ ثوابُه، وهذا الأظهرُ. **والثاني**: أنه طلَبَهُ لا ليحبِسَهُ، فلمَّا عرفه قال: لا أُفارِقُكَ يا يُوسفُ، قال: لا يُمكنني حَبْسُكَ إلاّ أن أنسبَكَ إلى أمرٍ فَظيعٍ، قال: افعَلْ ما بَدَا لكَ، قاله كَعْبٌ. **والثالث**: أنْ يكون قَصدَ تنبيهَ يَعقوبَ بذلكَ على حالِ يُوسفَ. **والرابع**: ليتضاعفَ سرورُ يَعقوبَ برُجوعِ وَلَدَيهِ. **والخامس**: ليُعجِّلَ سرورَ أخيه باجتِماعِه به قبلَ إخوَتِه. وكلُّ هذه الأجوبةِ مَدْخولةٌ، إلاّ الأولَ، فإنه الصَّحيحُ. ويدلُّ عليه ما رُوينا عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: لمَّا جمعَ اللهُ بين يُوسفَ ويَعقوبَ، قال له يَعقوبُ: بيني وبينَكَ هذه المسافةُ القريبةُ، ولم تكتُبْ إليَّ تُعَرِّفني؟! فقال: إنَّ جِبريلَ أَمرَني أنْ لا أُعرِّفَكَ، فقالَ له: سَلْ جبريلَ، فسأَلهُ، فقال: إنَّ اللهَ أمرَني بذلكَ، فقال: سَلْ ربَّكَ، فسأَلهُ، فقال: قُلْ ليَعقوبَ: خِفْتَ عليه الذِّئبَ، ولم تُؤمِنِّي؟

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «لفتيته». وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «لفتيانه». قال أبو عليٍّ: الفِتيَةُ جمعُ فتًى في العدد القليل، والفِتيانُ في الكثير. والمعنى: قال لغِلْمانِه: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ وهي التي اشترَوا بها الطعامَ ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، والرَّحْلُ: كلُّ شيءٍ يُعَدُّ للرَّحيلِ. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ أي: لِيَعرفوها ﴿إِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يرجعوا. وفي مَقصُوده بذلك خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تخوَّفَ أنْ لا يكون عند أبيه مِنَ الوَرِقِ ما يرجعون به مَرَّةً أخرى، فجعلَ دَرَاهِمَهم في رِحالِهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يَستَحِلُّوا إمسَاكَها حتى يَرُدُّوها، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه استَقبَحَ أخذَ الثمن مِنْ والده وإخوته مع حاجَتِهم إليه، فردَّه عليهم مِنْ حيثُ لا يعلمون سببَ رَدِّهِ تكرُّماً وتفضُّلاً، ذكره ابنُ جَريرٍ الطَّبري، وأبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والرابع**: ليعلَموا أنَّ طلبَهُ لعَوْدِهم لم يكن طمعاً في أموالهم، ذكره المَاوَرديِ. **والخامس**: أنه أرَاهُم كرمَهُ وبِرَّهُ ليكون أدْعَى إلى عَوْدِهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ قال المُفسرون: لمَّا عادوا إلى يَعقوبَ، قالوا: يا أبانا: قَدِمنا على خيرِ رَجُلٍ، أنزلَنا، وأكرمَنا كرامةً لو كان رجلاً مِنْ ولد يَعقوبَ ما أكرمَنا كرامَتَهُ.

وفي قوله تعالى: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ قولان قد تقدَّما في قوله: (فلا كيل لكم عندي). فإنْ قلنا: إنه لم يَكِلْ لهم، فلفظ «مُنع» بيِّنٌ. وإنْ قلنا: إنه خَوَّفَهم منعَ الكَيْلِ، ففي المعنى قولان:

أحدهما: حُكِمَ علينا بمَنْعِ الكَيْلِ بعد هذا الوقت، كما تقولُ للرجل: دخلتَ واللهِ النارَ بما فعلتَ. **والثاني**: أنَّ المعنى: يا أبانا يُمنَعُ منَّا الكَيْلُ إنْ لم تُرسلْهُ معنا، فنابَ «مُنِع» عن «يُمنع» كقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾[1] أي: يُخلده، وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾[2]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى﴾[3] أي: وإذْ يقولُ، ذكرهما ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وعَاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «نكتَل» بالنون. وقرأ حَمزةُ، والكِسائيُّ: «يكتَل» بالياء. والمعنى: إنْ أرسَلتَهُ معنا اكتَلْنا، وإلاَّ فقد مُنِعنا الكَيْلَ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي لا آمَنُكم عليه إلاَّ كأَمْني على يُوسفَ، يريد أنه لم يَنفعْهُ ذلك الأَمْنُ إذ خَانُوه. ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «حفظاً»، والمعنى: خيرٌ حِفظاً مِنْ حِفْظِكُم، وقرأ حَمزةُ والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «خير حافظاً» بألفٍ. قال أبو عليٍّ: ونصبُه على التَّمييز دونَ الحالِ.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ﴾ يعني أوعِيَةَ الطعام ﴿وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ﴾ التي حمَلُوها ثمناً للطعام ﴿رُدَّتْ﴾ قال الزَّجَّاج: الأصل «رُدِدَتْ»، فأُدغمت الدالُ الأولى في الثانية، وبقيت الراءُ مضمُومةً. ومَنْ قرأ بكسر الراء جعلَ كسرَتَها منقولةً مِنَ الدال، كما فُعل ذلك في: قِيلَ، وبِيعَ، ليدُلَّ على أنَّ أصلَ الدالِ الكسرُ.

قوله تعالى: ﴿مَا نَبْغِى﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: أنها استفهامٌ، المعنى: أيُّ شيءٍ نَبْغِي وقد رُدَّتْ بِضاعَتُنا إلينا؟ **والثاني**: أنها نافيةٌ، المعنى: ما نَبْغِي شيئاً، أي: لسنا نطلبُ منكَ دَراهِمَ نرجعُ بها

---

(١) سورة الهمزة: ٣. (٢) سورة الأعراف: ٥٠. (٣) سورة المائدة: ١١٦.

إليه، بل تكفينا هذه في الرُّجوع إليه، وأرادوا بذلك تَطييبَ قلبهِ ليَأذَنَ لهم بالعَودِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعمُرَ، والجَحدريُّ، وأبو حَيْوَة «ما تبغي» بالتاء، على الخطاب ليَعقوبَ.

قوله تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نَجلبُ لهم الطعامَ. قال ابنُ قُتيبة: يُقال: مَارَ أهلَهُ يَمِيرُهم مَيْراً، وهو مَائِرٌ لأهله: إذا حَملَ إليهم أقواتَهُم مِنْ غير بلده. قوله تعالى: ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نَحفظُ أخانا ابنَ يَامِينَ الذي تُرسله معنا، قاله الأكثرون. **والثاني**: ونَحفظُ أخانا شمعون الذي أخذه رَهينةً عنده، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. قوله تعالى: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: وِقْرَ بَعيرٍ، يَعنُونَ بذلك نَصيبَ أخيهم، لأنَّ يُوسفَ كان لا يُعطي الواحدَ أكثرَ مِنْ حِملِ بَعيرٍ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ذلك كَيلٌ سريعٌ، لا حَبْسَ فيه، يَعنُونَ: إذا جاء معنا، عَجَّلَ المَلِكُ لنا الكَيْلَ، قاله مقاتل. **والثاني**: ذلك كَيْلٌ سهلٌ على الذي نَمضي إليه، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: ذلك الذي جِئناكَ به كَيلٌ يسيرٌ لا يُقنعُنا، قاله المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: تُعطوني عهداً أَثِقُ به، والمعنى: حتى تَحلِفُوا لي بالله ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ أي: لتَرُدُّنَه إليَّ. قال ابنُ الأنباري: وهذه اللامُ جوابٌ لمُضمَرٍ، تلخيصُه: وتقولوا: واللهِ لَتَأتُنَّني به. قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنْ يَهْلِكَ جميعُكم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أن يُحال بينكم وبينه فلا تَقدِرون على الإتيانِ به، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ أي: أعطَوْهُ العَهْدَ، وفيه قولان: **أحدهما**: أنهم حلفوا له بحقِّ محمَّدٍ ﷺ ومَنزلَتِهِ من ربِّه، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم حلفوا باللهِ تعالى، قاله السُّدِّيّ. قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الشهيد. **والثاني**: كَفيلٌ بالوفاءِ، رُويا عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا تجهَّزوا للرَّحيلِ، قال لهم يَعقوبُ: «لا تدخلوا» يعني مِصْرَ «من باب واحد». وفي المُراد بهذا البابِ قولان: **أحدهما**: أنه أراد باباً مِنْ أبواب مِصْرَ، وكان لمِصْرَ أربعةُ أبوابٍ، قاله الجمهورُ. **والثاني**: أنه أراد الطرق لا الأبوابَ، قاله السُّدِّيّ، وروى نحوَهُ أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وفي ما أراد بذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه خاف عليهم العَيْنَ، وكانوا أُولي جمالٍ وقُوَّةٍ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ. **والثاني**: أنه خاف أنْ يُغتالُوا لِمَا ظهرَ لهم في أرضِ مِصرَ مِنَ التُّهمةِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنه أحبَّ أنْ يلقَوا يُوسفَ في خَلوَةٍ، قاله إبراهيمُ النَّخعيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: لن أدفعَ عنكم شيئاً قضاهُ اللهُ، فإنه إنْ شاء أهلَكَكُم مُتفرِّقين، ومِصداقُه في الآية التي بعدَها ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادتُه أنْ يكون دُخولُهم كذلك شَفقةً عليهم. قال الزَّجَّاجُ: «إلا حاجة» استثناءٌ ليس مِنَ الأول، والمعنى: لكنْ حاجةٌ في نَفْسِ يَعقوبَ قَضَاها. قال ابنُ عباسٍ: «قضاها» أي: أبدَاها وتكَلَّم بها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: إنه حافظٌ لِمَا علَّمناه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: وإنه لَذو عِلْمٍ أنَّ دخولَهُم مِنْ أبوابٍ مُتفرِّقَةٍ لا يُغني عنهم مِنَ الله شيئاً، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: وإنه لَعَاملٌ بما عُلِّمَ، قاله قَتادَةُ. وقال ابنُ الأنباري: سُمِّي العملُ

عِلماً، لأنَّ العِلمَ أولُ أسباب العملِ. **والرابع**: وإنه لَمُتيقِّن لِوَعدِنا، قاله الضَّحَّاك. **والخامس**: وإنه لحافظٌ لوَصِيَّتنا، قاله ابنُ السَّائب. **والسادس**: وإنه لَعالِمٌ بما علَّمناهُ أنه لا يُصيب بَنِيه إلاَّ ما قَضَاهُ اللهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والسابع**: وإنه لَذُو عِلْمٍ لتَعليمِنا إيَّاهُ، قاله الفرَّاءُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يعني إخوتَهُ ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ يعني بِنيامِينَ، وكان أخاه لأبيه وأُمِّهِ، قاله قَتادةُ، وضَمَّهُ إليه وأنزلَهُ معه. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: آويتُ فُلاناً إليَّ، بِمَدِّ الألف: إذا ضَمَمتَه إليكَ، وأويتَ إلى بَني فُلانٍ، بقَصرِ الألفِ: إذا لجأتَ إليهم. وفي قوله: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم لمَّا دخلوا عليه حَبَسَهُم بالباب، وأدخلَ أخاه، فقال له: ما اسمُكَ؟ فقال: بِنيَامِينُ، قال: فمَا اسمُ أمِّكَ؟ قال: رَاحِيلُ بنتُ لاوَى، فوَثَبَ إليه فاعتَنقَهُ، فقال: «إنِّي أنا أخوكَ»، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال ابنُ إسحَاقَ: أخبَرَهُ أنه يُوسفُ. **والثاني**: أنه لم يَعترفْ له بذلك، وإنما قال: أنا أخوكَ مكانَ أخيكَ الهَالكِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. وقيل: إنه أجلَسَهُم كلَّ اثنين على مائدةٍ، فبقي بِنيَامِينُ وحيداً يبكي، وقال: لو كان أخي حَيّاً لأجلَسَني معه، فضَمَّه يوسفُ إليه وقال: إنِّي أرى هذا وحيداً، فأجلَسَهُ معه على مائدتِه. فلما جاء الليلُ، نامَ كلُّ اثنين على منام، فبقي وحيداً، فقال يوسفُ: هذا ينامُ معي. فلمَّا خَلاَ به، قال: هل لكَ أخٌ مِنْ أُمِّكَ؟ قال: كان ليَ أخٌ مِنْ أمي فهلَكَ، فقال؛ أتُحبُّ أنْ أكونَ أخاكَ بدلَ أخيكَ الهَالكِ؟ فقال: أيُّها المَلِكُ، ومَنْ يَجِدُ أخاً مثلكَ؟ ولكن لم يَلِدكَ يعقوبُ ولا رَاحِيلُ، فبكى يوسفُ، وقام إليه فاعتَنقَهُ، وقال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسفُ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ قال قتادة: لا تأس ولا تحزن، وقال الزجاج: لا تحزن ولا تستكِن. قال ابن الأنباري: «تبتئس»: تَفتَعِلُ، مِنَ البُؤسِ، وهو الضُّرُ والشدَّةُ، أي: لا يَلحقنَّكَ بُؤسٌ بالذي فعلوا.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يُعيّرون يوسفَ وأخاه بعبادة جدِّهما أبي أُمِّهما للأصنامِ، فقال: لا تَبتَئِس بما كانوا يعملون مِنَ التَّعيير لنا، رَوى هذا المعنى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا تحزن بما سيعملون بعدَ هذا الوقت حينَ يُسَرّقونَكَ، فتكون «كانوا» بمعنى «يكونون» قال الشاعر:

فَأَدْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ ... لِمَنْ كَانَ بَعْدِي في القَصَائِدِ مَصْنَعَا

وقال آخر:

وَانْضَحْ جَوانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا ... فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَائِحِ

أراد: فقد كانَ، وهذا مذهبُ مُقاتِلٍ. **والثالث**: لا تحزَنْ بما عَمِلوا مِنْ حَسدِنَا، وحَرَصوا على صَرْفِ وَجْهِ أبينا عنَّا، وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ إسحَاقَ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ قال المُفسِّرون: أوْفَى لهم الكَيْلَ، وحمَّل بنيامين بعيراً باسمه كما حَمَّلَ لهم، وجعلَ السِّقايَةَ في رَحْلِ أخيه، وهي الصُّواعُ، فَهُما اسمان واقعان على شيءٍ واحدٍ، كالبُرِّ والحِنطَة، والمائدةِ والخُوانِ. وقال بعضُهم: الاسمُ الحقيقي: الصُّواعُ، والسِّقايةُ وَصفٌ، كما يقال: كُوزٌ، وإناءٌ، فالاسم الخَاصُّ: الكُوزُ. قال المُفسِّرون: جعلَ يُوسفُ ذلك الصَّاعَ مِكيالاً لِئلاً يُكَالَ بغيره. وقيل: كَالَ لإخوَتِه بذلك، إكرَاماً لهم. قالوا: ولمَّا ارتَحلَ إخوةُ يُوسفَ وأمعَنُوا، أرسلَ الطَّلبَ في أثَرِهم، فأُدرِكوا وحُبِسُوا، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أعلم معلم يقال: آذنته بالشيء فهو مؤذن به أي: أعلمته، وآذنت: أكثرت الإعلامَ بالشيءِ، يعني: أنه إعلامٌ بعد إعلام. ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ يريد: أهلَ العِيرِ، فأنَّثَ لأنه جعلها للعِيرِ. قال الفَرَّاءُ: لا يُقال: عِيرٌ، إلاَّ لأصحابِ الإبلِ. وقال أبو عُبيدَةَ: العِيرُ: الإبلُ المَرحُولَةُ المَركُوبة. وقال ابنُ قُتَيبةَ: العِيرُ: القوم على الإبلِ.

فإنْ قيلَ: كيف جازَ ليوسفَ أنْ يُسَرِّقَ مَنْ لم يَسرِقْ؟ فعنه أربعةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: إنكم لَسارقونَ يُوسفَ حين قَطعتُمُوه عن أبيه وطَرَحتُموهُ في الجُبِّ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ المُنادي نادى وهو لا يعلمُ أنَّ يُوسفَ أمرَ بوَضْعِ السِّقايةِ في رَحْلِ أخيه، فكان غيرَ كاذبٍ في قوله، قاله ابنُ جَريرٍ. **والثالث**: أنَّ المُنادي نادى بالتَّسريقِ لهم بغيرِ أمرِ يُوسفَ. **والرابع**: أنَّ المعنى: إنكم لَسارِقونَ فيما يظهرُ لِمَنْ لم يعلم حقيقةَ أخبارِكُم، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[1] أي: عندَ نَفْسِك، لا عندَنا. وقولِ النبيِّ ﷺ:

[٨١٨] «كَذَبَ إبراهيمُ ثلاثَ كِذباتٍ» أي: قال قولاً يُشبه الكَذِبَ، وليس به.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟﴾ يعني: إخوة يُوسفَ ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾ فيه قولان: **أحدهما**: على المُؤَذِّنِ وأصحابه. **والثاني**: أقبلَ المُنادي ومَنْ معه على إخوة يُوسفَ بالدَّعوى. ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ما الذي ضَلَّ عنكُم؟ ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾. قال الزَّجَّاجُ: الصُّواعُ هو الصَّاعُ بعَينِه، وهو يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ، وكذلك الصَّاعُ يُذكَّر ويُؤنَّث. وقد قُرِئ: «صياع» بياءٍ، وقُرِئ: «صَوْغ» بغينٍ معجمةٍ، وقرئ: «صَوع» بعينٍ غير معجمةٍ مع فتح الصاد، وضمِّها، وقرأ أبو هريرةَ: «صاع الملك» وكلُّ هذه لُغاتٌ ترجع إلى معنًى واحدٍ، إلاَّ أنَّ الصوغ، بالغينِ المعجمةِ، مصدرُ صُغتُ، وُصِفَ الإناءُ به، لأنه كان مَصُوغاً مِنْ ذهبٍ. واختلفوا في جنسه على خمسةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان قَدحاً مِنْ زَبرجَدٍ. **والثاني**: أنه كان مِنْ نُحاسٍ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه كان شربة مِنْ فضَّةٍ مُرصَّعة بالجَوهرِ، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: كان كأساً مِنْ ذهبٍ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: كان مِنْ مِسٍّ[2]، حكاه الزَّجَّاجُ. وفي صِفته قولان: **أحدهما**: أنه

---

[٨١٨] غريب بهذا اللفظ، وقد ورد بسياق آخر وهو صدر حديث، أخرجه البخاري ٢٦٣٥ و ٢٢١٧ والترمذي ٣١٦٦، وأحمد في «المسند» ٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤، والبيهقي ٧/ ٣٦٦، من حديث أبي هريرة. وأخرجه مسلم ٢٣٧١، والبيهقي ٧/ ٣٦٦ من حديث محمد بن سيرين به. وأخرجه أبو داود ٢٢١٢ من حديث هشام بن حسان به. ولفظه عند البخاري: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل: قوله ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾. . . الخ».

---

(١) سورة الدخان: ٤٩.

(٢) في «اللسان» المِسُّ: النحاس، قال ابن دريد: لا أدري أعربي هو أم لا.

كان مُستطيلاً يُشبه المَكُّوكَ. **والثاني**: أنه كان يشبه الطَّاسَ. قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾ يعني الصُّواعَ ﴿حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ مِنَ الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ أي: كَفيلٌ لِمَنْ ردَّهُ بالحِمْلِ، يقوله المُؤذِّنُ.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ قال الزَّجّاجُ: «تالله» بمعنى: واللّهِ، إلاَّ أنَّ التاء لا يُقسَمُ بها إلاَّ في اللهِ عزَّ وجلَّ. ولا يجوز: تالرَّحمنِ لأفعلَنَّ، ولا: تَرَبِّي لأفعلَنَّ. والتاءُ تُبدل مِنَ الواو، كما قالوا في وُراث: تُرَاث، وقالوا: يتَّزن، وأصله: يَوتَزِن، مِنَ الوَزنِ. قال ابنُ الأنباري: أُبدلت التاءُ مِنَ الواو، كما أُبدلت في التُّخَمَةِ والتُّراثِ والتُّجاهِ، وأصلُهنَّ مِنَ الوَخمَةِ والوِراثِ والوَجاهِ، لأنهنَّ مِنَ الوَخامَةِ والوِراثة والوَجهِ. ولا تقول العربُ: تالرَّحمنِ، كما قالوا: تالله، لأنَّ الاستعمالَ في الأقسَامِ كَثُرَ باللّهِ، ولم يكُن بالرَّحمنِ، فجَاءتِ التاءُ بدلاً مِنَ الواو في المَوضعِ الذي يَكثُر استعمالُه.

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾ يَعنُونَ يُوسفَ ﴿مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: لِنظلِمَ أحداً أو نَسرِقَ. فإنْ قيلَ: كيف حَلَفوا على عِلمِ قومٍ لا يعرفونهم؟ فالجواب مِنْ ثلاثة أوجُهٍ:

أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم رَدُّوا الدَّراهم ولم يَستَحِلُّوها، فالمعنى: لقد عَلِمتُم أنَّا رَدَدْنا عليكم دَراهِمَكُم وهي أكثرُ من ثمنِ الصَّاع، فكيف نَستَحِلُّ صاعَكُم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثاني**: لأنهم لمَّا دخلوا مِصْرَ كَعَمُوا[1] أفواهَ إبِلِهم وحَميرِهم حتى لا تتناولَ شيئاً، وكان غيرُهم لا يفعلُ ذلك، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ أهلَ مِصرَ كانوا قد عرفوهم أنهم لا يَظلِمونَ أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ المعنى: قال المُنادي وأصحابُه: فما جزاؤه. قال الأخفشُ: إنْ شئتَ رَدَدْتَ الكنايةَ إلى السَّارِقِ، وإنْ شئتَ رَدَدْتَها إلى السَّرِقِ. قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ أي: في قولِكم، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾. ﴿قَالُواْ﴾ يعني: إخوة يُوسفَ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: يُستعبَدُ بذلك. قال ابنُ عباسٍ: وهذه كانت سُنَّةَ آلِ يَعقوبَ.

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾ قال المُفسِّرون: انصرفَ بهم المُؤذِّنُ إلى يُوسفَ، وقال: لا بُدَّ مِنْ تَفتيشِ أمتِعَتِكُم، ﴿فَبَدَأَ﴾ يوسفُ ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لإزالَةِ التُّهمَةِ، فلما وَصلَ إلى وِعاءِ أخيه، قال: ما أظنُّ هذا أخَذَ شيئاً، فقالوا: واللّهِ لا نَبرَحُ حتى تنظُرَ في رَحلِه، فهو أطيبُ لِنفسِكَ. فلمَّا فتحوا مَتاعَهُ وجدوا الصَّاعَ، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾. وفي هاءِ الكِنايةِ ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنها ترجع إلى السَّرِقَةِ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: إلى السِّقايَةِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: إلى الصَّواعِ على لغة مَنْ

(١) كَعَمَ البعير يَكعَمُهُ كَعماً فهو مكعوم وكعيم: شدَّ فاه، وقيل: شدَّ فاه في هياجه لئلا يعض أو يأكل.

يُؤنِّبه، ذكره ابنُ الأنباري. قال المُفسِّرون: فأقبَلُوا على ابنِ يَامِينَ، وقالوا: أيَّ شيءٍ صنعتَ؟! فَضَحتَنا وأَزرَيتَ بأبيك الصِّدِّيقِ، فقال: وَضعَ هذا في رَحْلِي الذي وضعَ الدَّراهمَ في رِحالِكم، وقد كان يُوسفُ أخبرَ أخاه بما يريد أنْ يصنعَ به.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: كذلك صنعنا له، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: احتلْنَا له، والكَيْدُ: الحِيْلَةُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثالث**: أَردْنا ليُوسفَ، ذكره ابنُ القاسم. **والرابع**: دَبَّرنا له بأنْ ألهمنَاهُ ما فعلَ بأخيه ليتوصَّلَ إلى حَبْسِه. قال ابنُ الأنباري: لمَّا دَبَّرَ اللَّهُ ليُوسفَ ما دبَّر مِن ارتفاع المَنزلةِ وكمالِ النِّعمةِ على غيرِ ما ظَنَّ إخوتُه، شُبِّه بالكَيدِ مِنَ المَخْلُوقينَ، لأنهم يَستُرون ما يَكِيدُون به عمَّنْ يَكِيدُونَهُ.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ في المُراد بالدِّين ها هنا قولان:

أحدهما: أنه السُّلطان، فالمعنى: في سُلطان المَلِكِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: أنه القَضاءُ، فالمعنى: في قَضاءِ المَلِكِ، لأنَّ قضاءَ المَلِكِ أنَّ مَنْ سرقَ إنَّما يُضربُ ويُغرَّم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وبيانه أنه لو أجرَى أخاه على حُكمِ المَلِكِ ما أمكنَهُ حَبْسُه، لأنَّ حُكمَ المَلِكِ الغُرْمُ والضَّرْبُ فحَسبُ، فأجرَى اللَّهُ على ألسِنةِ إخوَتِهِ أنَّ جزاءَ السَّارقِ الاسترقاقُ، فكان ذلك ممَّا كادَ اللَّهُ ليُوسفَ لُطفاً حتى أظفرَهُ بمُراده بمَشيئةِ اللَّهِ، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وقيلَ: إلاَّ أنْ يشاءَ اللَّهُ إظهارَ عِلَّةٍ يستَحقُّ بها أخاهُ.

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ وقرأ يَعقوبُ «يرفع درجاتِ من يشاء» بالياء فيهما. وقرأ أهلُ الكُوفَةِ «درجاتٍ» بالتنوين، والمعنى: نرفعُ الدَّرجاتِ بصُنوفِ العطاءِ، وأنواعِ الكَرامَاتِ، وأبوابِ العُلوم، وقَهرِ الهوَى، والتَّوفيقِ للهُدى، كما رَفعنَا يُوسفَ. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوقَ كلِّ ذي عِلْم رفعَهُ الله بالعِلْم مَنْ هو أعلَمُ منه حتى ينتهيَ العِلْمُ إلى اللَّهِ تعالى، والكمالُ في العِلْم معدومٌ مِنْ غيره. وفي مقصودِ هذا الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: يُوسفُ أعلَمُ مِنْ إخوَته، وفَوقَهُ مَنْ هو أعلَمُ منه. **والثاني**: أنه نبَّهَ على تعظيم العِلْمِ، وبيَّن أنه أكثرُ مِنْ أن يُحاطَ به. **والثالث**: أنه تعليمٌ للعَالِمِ التَّواضع لئلاَّ يُعجَبَ.

﴿۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟﴾ يعني: إخوة يُوسفَ ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ يَعنُونَ ابنَ يَامِينَ ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يَعنُون يُوسفَ. قال المُفسِّرون: عُوقبَ يُوسفُ ثلاثَ مرَّاتٍ، قال للسَّاقي: «اذكرني عند ربِّكَ» فلَبِثَ في السِّجن بضعَ سنين، وقال للعَزيزِ: «ليعلَمَ أنِّي لم أَخُنْهُ بالغيب»، فقال له جِبريلُ: ولا حينَ هَمَمْتَ؟ فقال: «وما أُبرِّئُ نَفْسِي»، وقال لإخوَتِه: «إنَّكُم لَسارِقُونَ»، فقالوا: «إنْ يَسْرِقْ فقد سَرَقَ أَخٌ له مِنْ قبلُ». وفي ما عَنوا بهذه السَّرقةِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان يسرق الطعامَ مِنْ مائدةِ أبيه في سِنِيّ

المَجَاعةِ، فيُطعمه للمساكين، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه سَرقَ مِكحَلَةً لخالته، رواه أبو مالكٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه سَرقَ صَنَماً لجدِّه أبي أُمِّه، فكسرَهُ وألقاهُ في الطريق، فعَيَّره إخوتُه بذلك، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وقَتادةُ. **والرابع**: أنَّ عمَّةَ يوسفَ ـ وكانت أكبرَ ولدِ إسحَاقَ ـ كانت تَحضُنُ يوسفَ وتُحبُّه حبّاً شديداً، فلمَّا ترعرعَ، طلبه يعقوبُ، فقالت: ما أقدِرُ أنْ يغيبَ عني، فقال: واللّهِ ما أنا بتارِكِه، فعمَدَتْ إلى مِنطقةِ إسحَاقَ، فربطَتْهَا على يُوسفَ تحتَ ثيابه، ثم قالت: لقد فَقدتُ مِنطَقةَ إسحَاقَ، فانظروا مَنْ أخذَها، فوجدوها مع يُوسفَ، فأخبرَتْ يعقوبَ بذلك، وقالت: واللّهِ إنه لي أصنعُ فيه ما شئتُ، فقال: أنتِ وذاكِ، فما قَدِرَ عليه يعقوبُ حتى ماتت، فذاكَ الذي عَيَّرهُ به إخوتُه، رواه ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ. **والخامس**: أنه جاءه سائلٌ يوماً، فسَرقَ شيئاً، فأعطاه السَّائلَ، فعيَّروه بذلك. وفي ذلكَ الشيءِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنه كان بيضةً، قاله مُجاهِدٌ. والثاني: أنه شَاةٌ، قاله كَعبٌ. والثالث: دَجاجةٌ، قاله سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ. **والسادس**: أن بَني يعقوبَ كانوا على طعامٍ، فنظرَ يوسفُ إلى عَرْقٍ، فخبأَهُ، فعيَّروه بذلك، قاله عَطيَّةُ العَوفيُّ، وإدريسُ الأَوْدِيُّ. قال ابنُ الأنبَارِي: وليس في هذه الأفعالِ كلِّها ما يُوجب السَّرقةَ، لكنها تُشبه السَّرقةَ، فعيَّره إخوتُه بذلك عند الغضب. **والسابع**: أنهم كَذَبوا عليه فيما نَسبُوه إليه، قاله الحسَنُ. وقرأ أبو رَزينٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «فقد سُرِّق» بضمِّ السين وكسرِ الراءِ وتشدِيدِها.

قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ في هاءِ الكِنايةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الكلمة التي ذُكِرتْ بعد هذا، وهي قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، روى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الكلمة التي قالوها في حَقِّه، وهي قولُهم: «فقد سرق أخٌ له من قبل»، وهذا معنى قولِ أبي صالح عن ابنِ عباسٍ، فعلى هذا يكون المعنى: أسرَّ جوابَ الكلمة فلم يُجِبْهُم عليها. **والثالث**: أنها تَرجعُ إلى الحُجَّةِ، المعنى: فأَسَرَّ الاحتِجاجَ عليهم في ادِّعائِهم عليه السَّرقةَ، ذكره ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: شَرٌّ صَنِيعاً مِنْ يُوسفَ لِمَا قَدمتُم عليه مِنْ ظُلم أخيكُم وعُقوقِ أبيكم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: شَرٌّ منزلةً عند الله، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تقولون، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: بما تكذبون، قاله قَتادةُ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: واللّهُ أعلمُ أَسرقَ أخٌ له أَمْ لا.

وذكر بعضُ المُفسِّرين، أنه لما استخرَجَ الصُّواعَ مِنْ رَحْلِ أخيه، نَقَرَ الصُّواعَ، ثم أدناهُ مِنْ أُذنِه، فقال: إنَّ صُواعِي هذا يُخبرني أنكم كُنتم اثني عشرَ رجلاً، وأنكم انطلقتم بأخٍ لكم فَبِعتُمُوه، فقال ابنُ يَامِينَ: أيُها المَلِكُ، سَلْ صُواعَكَ عن أخي، أحيٌّ هو؟ فَنَقرَهُ، ثم قال: هو حَيٌّ، وسوف تراه، فقال: سَلْ صُواعَكَ، مَنْ جعله في رَحْلِي؟ فنَقرَهُ، وقال: إنَّ صُواعِي هذا غَضبانُ، وهو يقول: كيف تسألُني عن صاحبي وقد رأيتَ مع مَنْ كنتُ؟ فغضب رُوبيل، وكان بَنُو يَعقوبَ إذا غضبوا لم يُطاقُوا، فإذا مسَّ أحدُهُم الآخرَ ذهبَ غَضبُه، فقال: واللّهِ أيُها المَلِكُ لَتَترُكَنَّا، أو لأَصيحَنَّ صيحةً لا يبقى بِمِصْرَ امرأةٌ حاملٌ إلاَّ أَلْقَتْ ما في بطنها، فقال يوسفُ لابنه: قُمْ إلى جَنْبِ رُوبيل فَامسَسْهُ، ففعلَ الغُلامُ، فذهبَ غَضبُه، فقال رُوبيل: ما هذا؟! إنَّ في هذا البلدِ مِنْ ذُرِيَّةِ يَعقوبَ؟ قال يُوسفُ: ومَنْ يَعقوبُ؟ فقال: أيُها

المَلِكُ، لا تذكر يَعقوبَ، فإنه إسرائيلُ اللّهِ ابنِ ذبيح اللّهِ ابن خَليلِ اللّه. فلمَّا لم يجدوا إلى خَلاص أخيهم سبيلاً، سألوه أن يأخذَ منهم بديلاً به، فذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ أي: في سنِّه، وقيل: في قَدْرِه، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ أي: تَستَعبِدُه بَدَلاً عنه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فيما مضى. **والثاني**: إنْ فعلتَ. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قد سبقَ تفسيرُه، والمعنى: أعوذُ باللّهِ أنْ نأخذ بريئاً بسَقيم.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾ أي: يَئِسُوا. وفي هاءِ «منه» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى يُوسفَ، فالمعنى: يَئِسُوا مِنْ يُوسفَ أنْ يُخلِّي سبيلَ أخيهم. **والثاني**: إلى أخيهم، فالمعنى: يَئِسُوا مِنْ أخيهم. قوله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ أي: اعتزلُوا الناسَ ليس معهم غيرُهم، يَتناجَونَ ويَتناظَرونَ ويَتشَاوَرونَ، يُقال: قوم نَجِيٌّ، والجمع أَنْجِيَةٌ، قال الشاعر:

إنِّـي إذا مَـا الـقَـومُ كـانـوا أَنْـجِـيَـهْ وَاضْـطـربَـتْ أَعْـنَـاقُـهـم كـالأَرْشِـيَـهْ[1]

وإنَّما وحَّد «نَجيًّا» لأنه يَجري مَجرى المصدرِ الذي يكون للاثنين، والجَمعُ والمُؤنَّث بلفظٍ واحدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: انفردوا مُتَناجِينَ فيما يعملون في ذَهابِهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهُم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه كَبيرُهم في العَقلِ، ثم فيه قولان[2]: أحدهما: أنه يَهوذَا، ولم يكُن أكبرَهُم سِنًّا، وإنما كان أكبرَهُم سنًّا روبيل، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. والثاني: أنه شمعون، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه كَبيرُهم في السِّنِّ وهو رُوبيل، قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في حِفْظِ أخيكم وردِّه إليه ﴿وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ قال الفَرَّاءُ: «ما» في مَوضع رفع، كأنه قال: ومِنْ قبلِ هذا تفريطُكُم في يُوسفَ، وإنْ شئتَ جعلتَها نصباً، المعنى: أَلَمْ تعلموا هذا، وتعلموا مِنْ قبلُ تَفريطَكُم في يُوسفَ. وإنْ

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «نجا» وعزاه إلى سُحَيم بن وَثيل اليَربوعي. وأَرْشَت الشجرة إذا امتدت أغصانها، وقال الأصمعي: إذا امتدت أغصان الحنظل قيل قد أَرْشَتْ أي صارت كالأرشية وهي الحبال.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٢٧٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عني بقوله ﴿قال كبيرهم﴾ روبيل لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سناً، ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم: «فلان كبير القوم» مطلقاً بغير وصل إلا أحد معنيين: إما في الرياسة عليهم والسؤدد، وإما في السن. فأما في العقل، فإنهم إذا أرادوا ذلك وصلوه فقالوا: هو كبيرهم في العقل. وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشمعون ـ وإن كان من العقل والعلم بالمكان الذي جعله الله به ـ على إخوته رياسة وسؤدد. فإذا كان كذلك، فلم يبق إلا الوجه الآخر وهو الكبر في السن وروبيل كان أكبر القوم سناً.

شئتَ جعلتَ «ما» صِلةً، كأنه قال: ومِنْ قبلُ فرّطتُم في يُوسفَ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا أجودُ الوُجُوهِ، أنْ تكون «ما» لَغْواً. قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن أخرجَ مِنْ أرض مِصْرَ، يُقال: بَرِحَ الرجل بَراحاً: إذا تنحّى عن موضعه. ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: حتى يبعثَ إليَّ أنْ آتيَهُ ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أو يحكُمَ اللَّهُ لي، فيردَّ أخي عليَّ. **والثاني**: يحكُمَ اللَّهُ لي بالسَّيفِ، فأُحارِبَ مَنْ حبسَ أخي. **والثالث**: يقضي في أمْرِي شيئاً، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: أعدلُهم وأفضلُهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وابنُ أبي سُرَيج عن الكِسَائيِّ: «سُرِّقَ» بضمِّ السين وتشديدِ الراءِ وكسرِها. قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وما شَهِدْنَا عليه بالسَّرقة إلاّ بما عَلِمنَا، لأنَّا رأينا المَسرُوقَ في رَحْلِه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: وما شَهِدْنَا عند يُوسفَ بأنَّ السَّارقَ يُؤخذ بسَرقَتِه إلاّ بما عَلِمْنَا مِنْ دِينِكَ، قاله ابنُ زيدٍ. وفي قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الغيبَ هو الليلُ، والمعنى: لم نعلَمْ ما صنعَ بالليلِ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ التُّهمةَ وقعتْ به ليلاً. **والثاني**: ما كنَّا نعلمُ أنَّ ابنكَ يسرقُ، رواه ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، ومَكحُولٌ. قال ابنُ قُتَيبة: فالمعنى: لم نَعلَمِ الغيبَ حين أعطَيناكَ المَوثِقَ لَنأتينَّكَ به أنه يَسرِقُ فيُؤخذ. **والثالث**: لم نَستطِعْ أنْ نحفظَهُ فلا يَسرِق، رواه عبدُ الوهَّابِ عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: لم نَعلَمْ أنه سَرَقَ للمَلِكِ شيئاً، ولذلك حكمنا باسترِقَاقِ السَّارقِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنَّ المعنى: قد رأينا السَّرقةَ قد أُخِذَتْ مِنْ رَحْلِه، ولا عِلْمَ لنا بالغيبِ فلعلَّهم سَرَّقُوه، قاله ابنُ إسحاقَ. **والسادس**: ما كُنَّا لغَيبِ ابنِكَ حافظينَ، إنما نقدِرُ على حِفظِهِ في مَحضرِهِ، فإذا غابَ عنَّا، خَفِيتْ عنَّا أمورُه. **والسابع**: لو عَلِمنا مِنَ الغَيبِ أنَّ هذه البَليَّةَ تقع بابنِكَ ما سافرنا به، ذكرهما ابنُ الأنباري. **والثامن**: لم نَعلَمْ أنكَ تُصَابُ به كما أُصِبتَ بيُوسفَ، ولو عَلِمنَا لم نذهبْ به، قاله ابنُ كَيْسَانَ.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ المعنى: قولوا لأبيكم: سَلْ أهلَ القرية ﴿ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعنُون مِصْرَ ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ﴾ وأهلَ العِيرِ، وكان قد صَحِبَهُم قومٌ مِنَ الكنعَانِيينَ. قال ابنُ الأنباري: ويجوز أنْ يكون المعنى: وسَلِ القريةَ والعِيرَ فإنها تَعقِلُ عنك لأنَّكَ نبيٌّ والأنبياء قد تُخاطبهم الأحجارُ والبهائمُ، فعلى هذا تَسلَمُ الآيةُ مِنْ إضمارٍ.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ في الكلام اختِصارٌ، والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لهُم هذا، وقد شرحناه في أوّلِ السُّورة.

واختلفوا لأيِّ عِلَّةٍ قال لهم هذا القولَ، على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ظَنَّ أنَّ الذي تخلَّف منهم، إنما تَخلَّف حِيلَةً ومكراً ليُصدِّقَهُم، قاله وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ. **والثاني**: أنَّ المعنى: سَوَّلتْ لكم أنفُسُكم أنَّ

خُروجَكُم بأخيكم يَجلِبُ نفعاً، فَجرَّ ضَرراً، قاله ابنُ الأنباري. **والثالث**: سَوَّلَتْ لكم أنه سَرقَ، وما سَرقَ.

قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ يعني: يُوسفَ وابنَ يَامِينَ وأخاهما المُقيمَ بِمِصْرَ. وقال مُقاتِلٌ: أقام بمِصْرَ يَهُوذا وشمعون، فأراد بقوله: «أن يأتيني بهم» يعني: الأربعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ أي: بشدَّةِ حُزني، وقيل: بمَكانِهم، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيما حَكَمَ عَليّ.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ أي: أَعْرَضَ عن وَلَدِه أنْ يُطيلَ معهم الخَطْبَ، وانفردَ بحُزنِه، وهيَّجَ عليه ذِكرَ يُوسفَ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يا طُولَ حُزني على يُوسفَ. قال ابنُ قُتيبةَ: الأَسَفُ: أشدُّ الحَسرةِ. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: لقد أُعطيَتْ هذه الأُمَّةُ عندَ المُصيبةِ ما لم يُعطَ الأنبياءُ قبلَهُم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، ولو أُعطيَها الأنبياءُ لأُعطِيَها يَعقوبُ، إذْ يقول: «يا أسفى على يوسف». فإنْ قيلَ: هذا لفظُ الشَّكوى، فأينَ الصَّبرُ؟ فالجواب مِنْ وَجْهَينِ: **أحدهما**: أنه شكَا إلى اللَّهِ تعالى، لا مِنْهُ. **والثاني**: أنه أراد به الدُّعاءَ، فالمعنى: يا ربِّ ارْحَمْ أَسَفِي على يُوسفَ. وذكر ابنُ الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نِداءُ يَعقوبَ الأَسفَ في اللفظ من المَجازِ الذي يُعنىٰ به غير المُظهَرِ في اللفظ، وتلخيصُه: يا إلٰهي ارحَمْ أَسَفِي، أو أنتَ رَاءٍ أَسَفِي، وهذا أَسَفِي، فنادَى الأسفَ في اللفظ، والمُنادَى في المعنى سِواه، كما قال: «يا حسرتنا» والمعنى: يا هؤلاءِ تنبَّهُوا على حَسرَتِنا، قال: والحُزنُ ونُفورُ النَّفسِ مِنَ المَكرُوهِ والبَلاءِ لا عيبَ فيه ولا مَأثمَ إذا لم ينطق اللسانُ بكلام مؤثِّم ولم يَشْكُ إلاَّ إلى ربِّه، فلمَّا كان قوله: «يا أسفى» شَكْوى إلى ربِّه، كان غيرَ مَلُوم. وقد رُوي عنَ الحسَنِ أنَّ أخاه مات، فجَزِعَ الحسَنُ جَزَعاً شديداً، فعُوتِبَ في ذلك، فقال: ما وجدتُ اللَّهَ عَابَ على يَعقوبَ الحُزنَ حيثُ قال: «يا أسفى على يوسف». قوله تعالى: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ أي: انقلبت إلى حالِ البَياضِ. وهل ذهب بَصرُهُ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ذهبَ بَصرُهُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: ضَعُفَ بَصرُهُ لبياضٍ تغشَّاهُ مِنْ كثرَةِ البُكاءِ، ذكره المَاوَرِدي. وقال مُقاتِلٌ: لم يُبصِر بعينيه ستَّ سنين. قال ابنُ عباسٍ: وقوله: «مِنَ الحُزن» أي: مِنَ البكاءِ، يريد أنَّ عينيه ابيضَّتا لكَثْرَةِ بُكائه، فلما كان الحُزن سبباً للبكاءِ، سُمِّي البكاءُ حُزناً. وقال ثابتٌ البُنَانيُّ: دخلَ جِبريلُ على يُوسفَ، فقال: أيها المَلَكُ الكريمُ على ربِّه، هل لكَ عِلْمٌ بيعقوبَ؟ قال: نعم. قال: ما فَعلَ؟ قال: ابيضَّت عيناه، قال: ما بَلَغَ حُزنُه؟ قال: حُزنَ سبعين ثَكْلَى، قال: فهل له على ذلك مِنْ أجْرٍ؟ قال: أَجْرُ مائة شهيدٍ. وقال الحسَنُ البَصريُّ: ما فارق يَعقوبَ الحزنُ ثمانين سنةً، وما جفَّت عينُه، وما أحدٌ يومَئذٍ أكرمُ على الله منه حين ذهبَ بَصرُهُ. قوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ الكَظِيمُ بمعنى الكاظِم، وهو المُمْسِكُ على حُزنِه فلا يُظهِرُه، قاله ابنُ قُتيبةَ، وقد شرحنا هذا عندَ قوله: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُوا۟ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يۡـَٔسُوا۟ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: واللّهِ، وجوابُ هذا القَسَم «لا» المُضمَرةُ التي تأويلُها: تاللّهِ لا تفتأُ، فلمّا كان مَوضعُها معلوماً خُفِّف الكلامُ بسقوطها مِنْ ظاهره، كما تقول العربُ: واللّهِ أقصِدُكَ أبداً، يَعنُونَ: لا أقصِدُكَ، قال امرُؤُ القَيس:

فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

يريد: لا أبرَحُ، وقالت الخَنْساءُ:

فَأَقْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ أو اسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا

أرادت: لا آسَى، وقال الآخرُ:

لَمْ يَشْعُرِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الـ ـعُرْفِ وَلاَ الحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا
تَاللَّهِ أَنْسَى مُصِيبَتِي أَبَدَاً مَا أَسْمَعَتْنِي حَنِينَهَا الإِبِلُ

وقرأ أبو عِمرَانَ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وأبو حَيْوَةَ: «قالوا بالله» بالباء، وكذلكَ كلُّ قَسَم في القرآن.
وأمّا قوله: «تفتأ» فقال المُفسِّرون وأهلُ اللغة: معنى «تفتأ» تَزَالُ، فمعنى الكلام: لا تزالُ تَذْكُرُ يُوسفَ، وأنشد أبو عُبيدَةَ:

فَمَا فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وتَدَّعِي وَيَلْحَقُ مِنهَا لاَحِقٌ وتَقَطَّعُ(١)

وأنشد أبو القَاسِم:

فَمَا فَتِئَتْ مِنَّا رِعَالٌ كَأَنَّهَا رِعَالُ القَطَا حَتَّى احْتَوَيْنَ بَنِي صَخْرِ

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾. فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الدَّنِفُ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: أَحرَضَهُ الحُزنُ، أي: أَدنَفَهُ. قال أبو عُبيدَةَ: الحَرَضُ: الذي قد أذابَهُ الحُزنُ أو الحُبُّ، وهي في موضع مُحْرَضٍ. وأنشد:

إِنِّي امرؤٌ لَجَّ بي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي حَتَّى بَلِيتُ وحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ(٢)

أي: أَذابَنِي. وقال الزَّجَّاجُ: الحَرَضُ: الفاسِدُ في جسمِه، والمعنى: حتى تكونَ مُدنَفاً مريضاً. **والثاني**: أنه الذَّاهبُ العَقلِ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. وقال ابنُ إسحَاقَ: الفَاسِدُ العَقلِ. قال الزَّجَّاجُ: وقد يكون الحَرَضُ: الفاسدُ في أخلاقِه. **والثالث**: أنه الفَاسِدُ في جسمِه وعَقلِه، يُقال: رَجُلٌ حَارِضٌ وحَرَضٌ، فحَارِضٌ يُثنّى ويُجمع ويُؤنَّثُ، وحَرَضٌ لا يُجمع ولا يُثنّى، لأنه مصدرٌ، قاله الفَرَّاءُ.
والرابع: أنه الهَرِمُ، قاله الحَسنُ، وقَتَادَةُ، وابنُ زَيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ يَعنُون: المَوتى. فإنْ قيلَ: كيف حَلَفُوا على شيءٍ يجوز

---

(١) ذكره أبو حيان في تفسيره ٥/ ٣٢٤، وعزاه إلى أوس بن حجر.
(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «حَرَض»، ونسبه إلى عبد الله بن عمر بن عبد الله العرجيّ.

أنْ يتغيَّرَ؟ فالجواب: أنَّ في الكلام إضماراً، تقديره: إنَّ هذا في تقديرنا وظَنِّنا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: البَثُّ: أشدُّ الحُزنِ، سُمِّي بذلك، لأنَّ صاحبه لا يَصبِرُ عليه حتى يَبُثَّهُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ المعنى: إنِّي لا أشكو إليكم، وذلك لمَّا عنَّفوه بما تَقدَّم ذِكرُه.

[٨١٩] وروى الحاكمُ أبو عبد اللهِ في «صحيحه» مَنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «كان ليعقوبَ أخٌ مُؤاخٍ، فقال له ذاتَ يوم: يا يعقوبُ، ما الذي أذهبَ بَصرَكَ؟ وما الذي قَوَّسَ ظهرَكَ؟ قال: أمَّا الذي أذهبَ بَصرِي، فالبُكاءُ على يُوسفَ، وأمَّا الذي قَوَّسَ ظَهري، فالحُزنُ على بنيَامِينَ، فأتاه جِبريلُ، فقال: يا يَعقوبُ إنَّ اللهَ يُقرِئُكَ السَّلامَ ويقولُ لكَ: أمَا تَستَحِي أنْ تشكوَ إلى غيري؟ فقال: إنَّما أشكُو بَثِّي وحُزني إلى اللهِ، فقال جِبريلُ: اللهُ أَعلَمُ بما تَشكُو، ثم قال يَعقوبُ: أي ربِّ، أمَا ترحَمُ الشيخَ الكبيرَ؟ أذهبتَ بصري، وقوَّستَ ظَهْري، فارددْ عليَّ رَيحانِي أَشُمُّهُ شَمَّةً قبلَ الموت، ثم اصنَعْ بي يا ربِّ ما شِئتَ، فأتاه جِبريلُ، فقال: يا يَعقوبُ، إنَّ الله يقرأُ عليكَ السَّلامَ ويقول: أَبْشِرْ، فَوَعِزَّتي لو كَانَا مَيِّتينِ لَنَشرتُهما لكَ، اصنَعْ طعاماً للمساكينَ، فإنَّ أحبَّ عبادي إليَّ المساكينُ، وتدري لِمَ أذهبتُ بصرَكَ، وقوَّستُ ظَهْركَ، وصنعَ إخوةُ يوسفَ بيُوسفَ ما صَنعوا؟ لأنَّكم ذَبحتُم شاةً، فأتاكُم فُلانٌ المسكينُ وهو صائمٌ، فلم تُطعِمُوهُ منها. فكان يَعقوبُ، بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادىٰ: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائماً أمرَ مُنادياً فنادَى: مَنْ كان صائماً فليُفطِرْ مع يَعقوبَ. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: أوحى اللهُ تعالى إلى يَعقوبَ: أَتَدْري لِمَ عاقبتُكَ وحَبَستُ عنكَ يُوسفَ ثمانين سنةً؟ قال: لا، قال: لأنَّكَ شَويتَ عِناقاً وقتَّرتَ على جارك وأكلتَ ولم تُطعِمْهُ». وذكرَ بعضُهم أنَّ السببَ في ذلك أنَّ يعقوبَ ذبحَ عِجلَ بقرةٍ بين يَدَيها، وهي تَخُورُ، فلم يَرْحَمْهَا.

فإنْ قيلَ: كيف صبرَ يوسفُ عن أبيه بعد أنْ صارَ مَلِكاً؟ فقد ذَكرَ المُفسِّرونَ عنه ثلاثةَ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه يجوزُ أنْ يكونَ ذلك عن أمْرِ اللهِ تعالى، وهو الأظهَرُ. **والثاني**: لِئلاَّ يظُنَّ المَلِكُ بتعجِيلِ

---

[٨١٩] أخرجه الحاكم ٢/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٢/ ٦٠١ وإسناده ضعيف جداً. قال الحاكم: هكذا في سماعي بخط يد حفص بن عمر بن الزبير، وأظن الزبير وهماً من الراوي فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك، فإن كان كذلك فالحديث صحيح! وسكت الذهبي، في حين ذكر الذهبيّ في «الميزان» ١/ ٥٦٦ حفصاً هذا، وقال: ضعفه الأزدي. وذكر الحافظ في «اللسان» ٢/ ٣٢٩ كلام الذهبي، وزاد: وذكره ابن حبان في «ثقاته» وقال: حفص بن عمر بن أبي الزبير عن أنس، روى عنه يحيى بن عبد الملك. قلت: ابن حبان يوثق المجاهيل، وقد تفرد يحيى بن عبد الملك بالرواية عنه، فهو مجهول، ويدل على ذلك إبهامه في بعض الروايات كما سيأتي. وأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» ٨٥٧، من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية عن حفص بن عمر الأحمسي عن أبي الزبير عن أنس بن مالك. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٤٠: رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» عن شيخه: محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جداً. والحديث استغربه ابن كثير واستنكره، والأشبه أنه متلقى عن أهل الكتاب، ولا أصل له في المرفوع. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» ٤٦، من طريق يحيى بن عبد الملك، عن رجل، عن أنس ابن مالك. الخلاصة: هو حديث ضعيف جداً، شبه موضوع، والأشبه أنه من الإسرائيليات، ولا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.

استدعَائِه أهلَهُ، شدَّةَ فَاقَتِهم. **والثالث**: أنه أحبَّ بعد خُروجِه مِنَ السِّجنِ أن يُدرِّجَ نَفْسَهُ إلى كمالِ السُّرور. والصحيحُ أنَّ ذلك كانَ عن أمْرِ اللهِ تعالى، ليرفَعَ درجةَ يعقوبَ بالصَّبرِ على البَلاءِ. وكان يوسفُ يُلاقي مِنَ الحُزنِ لأجلِ حُزنِ أبيه عظيماً، ولا يَقدِرُ على دَفْعِ سببِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعلَمُ أنَّ رُؤيا يوسفَ صادقةٌ وأنَا سَنسجُدُ له، رواه العَوفِيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أعلَمُ مِنْ سلامةِ يوسفَ ما لا تعلمون. قال ابنُ السَّائبِ: وذلك أنَّ مَلَكَ المَوتِ أتاهُ، فقال له يَعقوبُ: هل قَبضتَ رُوح ابني يُوسفَ؟ قال: لا. **والثالث**: أعلَمُ مِنْ رحمةِ الله وقُدرتِهِ ما لا تعلمون، قاله عَطَاءٌ. **والرابع**: أنه لمَّا أخبره بَنُوه بسِيرَةِ العَزيزِ، طمعَ أنْ يكون هو يُوسفُ، قاله السُّدِّيُّ، قال: ولذلك قال لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟﴾. وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ: لمَّا قال له مَلَكُ الموت: ما قبضتُ رُوحَ يوسفَ، تباشَرَ عند ذلك، ثم أصبَح، فقال لِبَنِيهِ: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾. قال أبو عبيدة: «تَحسَّسُوا» أي: تَخبَّروا والتَمِسُوا في المَظَانِّ. فإنْ قيلَ: كيف قال: «مِنْ يُوسفَ» والغالبُ أنْ يُقالَ: تحسَّسْتُ عن كذا؟ فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنَّ المعنى: عن يُوسفَ، ولكن نَابَتْ عنها «من» كما تقول العربُ: حَدَّثني فُلانٌ مِنْ فُلانٍ، يَعنُون عنه. **والثاني**: أنَّ «مِن» أُوثِرَتْ للتَّبعيضِ، والمعنى: تَحسَّسُوا خَبَراً مِنْ أخبار يُوسفَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ رَحمةِ الله، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: مِنْ فَرَجِ الله، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: مِنْ تَوسِعَةِ الله، حكاه ابنُ القَاسِمِ. قال الأَصمَعيُّ: الرَّوحُ: الاستِرَاحَةُ مِنْ غَمِّ القلب. وقال أهلُ المعاني: لا تيأَسُوا مِنَ الرَّوحِ الذي يأتي به اللهُ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لأنَّ المؤمن يَرجُو اللهَ في الشدائد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ في الكلام محذوفٌ، تقديره: فخرجوا إلى مِصْرَ، فدخلوا على يُوسفَ، فـ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ وكان يُسمُّون مَلِكَهُم بذلك، ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ يعنون الفقرَ والحاجةَ[1] ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾. وفي مَاهِيةِ تلك البِضَاعَةِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها كانت دَرَاهِمَ،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ٩/ ٢١٤: في هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر أي الجوع، بل واجب عليه إذا ضاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قدحاً في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط، والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى.

رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباس. **والثاني**: أنها كانت متاعاً رَثّاً كالحَبلِ والغرارة، رواه ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباس. **والثالث**: كانت أَقِطاً[١]، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: كانت نِعالاً وأَدَماً، رواه جُوَيبرٌ عن الضَّحَّاكِ. **والخامس**: كانت سَويقَ المُقْل، رُوي عن الضَّحَّاكِ أيضاً. **والسادس**: حَبَّةُ الخضراء وصَنوبر، قاله أبو صالح. **والسابع**: كانت صُوفاً وشيئاً مِنْ سَمنٍ، قاله عبدُ الله بن الحَارثِ. وفي المُزجَاة خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها القليلة. روى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: دراهم غير طائلةٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وابنُ قُتَيبةَ. قال الزَّجَّاجُ: تأويله في اللغة أنَّ التَّزجِيَةَ: الشيءُ الذي يُدافَع به، يقال: فُلانٌ يُزجي العيش، أي: يَدفعُ بالقليل ويكتفي به، فالمعنى: جئنا ببضاعةٍ إنما نُدافع بها ونتقوَّتُ، وليست ممَّا يُتَّسعُ به، قال الشاعر:

الـوَاهِبُ الـمـائـةَ الـهِـجَـانَ وَعَـبْـدَهَـا عُـوذاً تُـزَجِّـي خَـلْـفَـهَـا أَطْـفَـالَـهَـا[٢]

أي: تَدفعُ أطفالَها. **والثاني**: أنها الرَّديئة، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. قال أبو عُبيدَةَ: إنما قيل للرَّديئة: مُزجَاةٌ، لأنها مَردُودةٌ مدفوعةٌ غير مقبولةٍ ممن ينفقها، قال: وهي مِنَ الإِزْجَاءِ، والإِزْجاءُ عند العرب: السَّوقُ والدَّفعُ، وأنشد:

لِـيَـبْـكِ عـلـى مِـلْـحَـانَ ضَـيـفٌ مُـدفَّـع وَأَرْمَـلَـةٌ تُـزجِـي مَـعَ الـلَّـيْـلِ أَرْمَـلا[٣]

أي: تَسُوقه. **والثالث**: الكَاسِدةُ، رواه الضَّحَّاكُ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: الرَّثَّة، وهي المَتاعُ الخَلَقُ، رواه ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: الناقصةُ، رواه أبو حَصينٍ عن عِكرِمَةَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ أي: أَتِمَّهُ لنا ولا تُنقصه لرَدَاءَةِ بضَاعَتِنا. قوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تصَدَّق علينا بما بينَ سِعرِ الجِيادِ والرديئةِ، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ. قال ابنُ الأنباري: كان الذي سألوه مِنَ المُسامحَة يُشبه التَّصدُّقَ، وليس به. **والثاني**: بِرَدِّ أخينا، قاله ابنُ جُرَيجٍ، قال: وذلك أنهم كانوا أنبياء، والصَّدَقَةُ لا تَحِلُّ للأنبياء. **والثالث**: وتَصدَّقْ علينا بالزِّيادة على حَقِّنا، قاله ابنُ عُيَينَةَ، وذهب إلى أنَّ الصَّدقةَ قد كانت تَحِلُّ للأنبياء قبل نبيِّنا ﷺ، حكاه عنه أبو سُليمان الدِّمشقي، وأبو الحَسنِ المَاوردِي، وأبو يَعلَى بنُ الفَرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي: بالثواب. قال الضَّحَّاكِ: لم يقولوا: إن الله يجزيك إنْ تصدَّقتَ علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمنٌ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ في سبب قوله لهم هذا، ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه أخرج إليهم نُسخةَ الكتاب الذي كتبوه على أنفسِهم ببيعه مِنْ مالكِ بنِ دُعْر، وفي آخرِ الكتاب: «وكتبَ يَهُوذَا» فلمَّا قرؤوا الكتابَ اعترفوا بصِحَّته وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسِنا عند بيع عبدٍ كان لنا، فقال يُوسفُ عند ذلك: إنكم تستحقُّون العقوبةَ، وأمرَ بهم ليُقتَلُوا، فقالوا: إن كنتَ فاعلاً، فاذهبْ بأمتِعتنا إلى يعقوبَ، ثم أقبل يَهُوذَا على بعضِ إخوَتِه، وقال: قد كان أبونا مُتَّصلَ الحُزنِ لِفَقْدِ واحدٍ مِنْ وَلدِهِ، فكيف به إذا أُخبِرَ بهُلكِنا أجمعين؟ فَرَقَّ يوسفُ عند ذلك وكشفَ لهم أمرَهُ، وقال لهم هذا القولَ، رواه أبو صالحِ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم لمَّا قالوا: (مسَّنا وأهلَنا الضرُّ) أدركَتْهُ

---

(١) في «القاموس»: الأَقِطُ: شيء يتخذ من المخيض الغنميّ، وأَقَطَ الطعام: عمله به.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ٢٩، وفي «القاموس» الهجائن: البيض الكرام.

(٣) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «رَمَلَ»، ونسبه إلى ابن بري. وامرأة أرملة ورجل أرمل: من لا زوج له.

الرَّحمةُ، فقال لهم هذا، قاله ابنُ إسحَاقَ. **والثالث**: أنَّ يعقوبَ كتب إليه كتاباً: إنْ رددتَ وَلَدِي، وإلاَّ دعوتُ عليكَ دعوةً تُدركُ السابعَ مِنْ وَلَدِكَ، فبكى، وقال لهُم هذا. وفي «هل» قولان: **أحدهما**: أنها استفهامٌ لتَعظيمِ القصَّة لا يُراد به نَفْسُ الاستفهَام. قال ابنُ الأنبَاري: والمعنى: ما أعظَمَ ما ارتَكبتُم، وما أسمجَ ما آثرتُم مِنْ قطيعة الرَّحِم وتضييع الحقِّ، وهذا مثل قول العربي: أتدري مَنْ عصيتَ؟ هل تعرف مَنْ عاديتَ؟ لا يريد بذلك الاستفهَامَ، ولكن يريد تفظيعَ الأمرِ، قال الشاعر:

أَتـرجُـو بَنُـو مروانَ سـمعي وطاعتي[١]

لم يُردِ الاستفهامَ، إنما أراد أنَّ هذا غيرُ مَرْجوّ عندهم. قال: ويجوز أنْ يكون المعنى: هل عَلمتم عُقبى ما فعلتُم بيوسفَ وأخيه مِنْ تسليم الله لهما مِنَ المَكرُوه؟ وهذه الآيةُ تصديقُ قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ﴾. **والثاني**: أنَّ «هل» بمعنى «قد»، ذكره بعضُ أهل التَّفسيرِ.

فإن قيل: فالذي فعلوا بيُوسفَ معلومٌ، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سَعَوا في حَبْسِه ولا أرادُوه؟ فالجواب مِنْ وجُوهٍ: **أحدها**: أنهم فرَّقوا بينه وبين يُوسفَ، فنَغَّصوا عيشَهُ بذلك. **والثاني**: أنهم آذَوْهُ بعد فَقْدِ يُوسفَ. **والثالث**: أنهم سَبُّوه لمَّا قُذِفَ بسَرقةِ الصَّاعِ.

وفي قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: إذ أنتم صبيان، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مُذنبونَ، قاله مُقاتلٌ. **والثالث**: جاهلون بعُقُوقِ الأب، وقَطْعِ الرَّحِمِ، وموافقةِ الهَوى. **والرابع**: جاهلون بما يؤول إليه أمرُ يُوسفَ، ذكرهما ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو جَعفرَ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «إنك» على الخبر، وقرأه آخرون بهمزتين مُحقَّقتين، وأدخلَ بعضُهم بينهما ألِفاً[٢].

واختلف المُفسِّرون، هل عرفوه، أم شَبَّهوه؟ على قولين: **أحدهما**: أنهم شَبَّهوه بيوسفَ، قاله ابنُ عباسٍ في روايةٍ. **والثاني**: أنهم عَرفُوه، قاله ابنُ إسحَاقَ. وفي سبب معرفتهم له ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَبسَّم، فشبَّهوا ثَنَاياهُ بثَنايا يُوسفَ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه كانت له علامةٌ كالشَّامَةِ في قَرْنِه، وكان ليعقوبَ مثلها، ولإسحَاقَ مثلها، ولسَارةَ، فلمَّا وضع التَّاجَ عن رأسه، عرفُوه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه كشفَ الحِجابَ، فعرفوه، قاله ابنُ إسحَاقَ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ قال ابنُ الأنبَاري: إنما أظهَر الاسمَ، ولم يَقُلْ: أنا هو، تعظيماً لما وقعَ به مِنْ ظُلم إخوته، فكأنه قال: أنا المظلوم المُستحَلُّ منه، المُرادُ قَتْلُهُ، فكفى ظهور الاسم مِنْ هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿وَهَٰذَآ أَخِى﴾ وهم يعرفونه، وإنما قصدَ: وهذا المظلومُ كظُلمي. قوله تعالى:

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه (وقومي تميم والفلاة ورائيا)، وسيأتي بتمامه ص ٥٠٧.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦٠٢: القراءة المشهورة هي الأولى، لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: إنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من سنتين وأكثر، وهم لا يعرفون، وهو مع هذا يعرفهم ويكتم نفسه، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام: **﴿أئنك لأنت يوسف﴾**.

وقال الطبري رحمه الله ٧/ ٢٩١: الصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأه بالاستفهام، لإجماع الحجة من القرأة عليه، فوافق بذلك ابن كثير.

﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بخير الدنيا والآخرة. **والثاني**: بالجَمْعِ بعد الفُرقَةِ. **والثالث**: بالسلامة ثم بالكرامة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ في رواية قُنبُل: «من يتقي ويصبر» بياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ، وقرأ الباقون بغير ياءٍ في الحَالَين. وفي معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنْ يتَّقِ الزِّنى ويَصْبِرْ على البلاء. **والثاني**: مَنْ يتَّقِ الزِّنى ويَصبِرْ على العُزوبَةِ. **والثالث**: مَنْ يتَّقِ اللهَ ويَصبِرْ على المصائب، رُويت هذه الأقوال عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: مَنْ يَتَّقِ معصيةَ اللهِ ويَصبِرِ على السجن، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرَ مَنْ كان هذا حالُه.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: اختاركَ وفضَّلكَ. وبماذا عَنَوا أنه فضَّله فيه؟ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: بالمُلْكِ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: بالصبر، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بالحِلْمِ والصَّفحِ عنا، ذكره أبو سليمانَ الدِّمشقي. **والرابع**: بالعلم والعقلِ والحُسنِ وسائر الفضائل التي أعطاه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِـِٔينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لَمُذنِبين آثِمينَ في أمرِكَ. قال ابنُ الأنباري: ولهذا اختِيرَ «خاطئين» على «مخطئين»، وإنْ كان «أخطأ» على ألسُنِ الناس أكثرُ مِنْ «خطئ يخطأ» لأنَّ معنى خَطِئ يَخطَأ، فهو خَاطِئٌ: آثِمٌ، ومعنى أخطَأ يُخطِئُ، فهو مُخطِئٌ: تركَ الصوابَ ولم يَأْثَمْ، قال الشاعر:

عِبَادُكَ يَخْطَأونَ وَأَنْتَ رَبٌّ … بِكَفَّيْكَ المَنَايَا والحُتُومُ[1]

أراد: يَأثَمون. قال: ويجوز أنْ يكون آثَرَ «خاطئين» على «مخطئين» لموافقة رؤوس الآياتِ، لأنَّ «خاطئين» أشبهُ بما قبلها. وذكر الفرَّاءُ في معنى «إن» قولين:

أحدهما: وقد كنَّا خَاطِئين. **والثاني**: وما كنَّا إلاَّ خَاطِئين.

قوله تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: لا أُعيِّركُم بعد اليوم بهذا أبداً. قال ابنُ الأنباري: إنما أشار إلى ذلك اليوم، لأنه أولُ أوقاتِ العَفْوِ، وسبيلُ العَافِي في مثله أن لا يراجعَ عقوبةً. وقال ثَعلَبُ: قد ثَرَّبَ فُلانٌ على فُلانٍ: إذا عدَّد عليه ذُنوبَهُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: لا تعييرَ عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتُم، وأصلُ التَّثريبِ: الإفسادُ، يقال: ثَرَّب علينا: إذا أفسد. وفي الحديث:

[٨٢٠] «إذا زَنَتْ أَمَةُ أحدِكم فليَجلِدْها الحَدَّ، ولا يُثَرِّبْ» أي: لا يُعيِّرها بالزِّنى. قال ابنُ عباسٍ:

---

[٨٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٢١٥٢ ـ ٢٢٣٤ ـ ٦٨٣٩، ومسلم ٣٠ ـ ٣١ ـ ١٧٠٣ وأبو داود ٤٤٧٠ و ٤٤٧١، من طريق سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظ الحديث بتمامه في البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا زنت الأمة فتبين زناها، فليجلدها ولا يثرّب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرّب، ثم إن زنت الثالثة، فليبعها ولو بحبل من شعر» وسيأتي ذكره في سورة النور.

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» وقال: الحَتْمُ: القضاء، وجمعه حُتُومٌ.

جعلهم في حِلّ، وسأل اللهَ المغفرةَ لهم.

وقال السُّدِّيُّ: لمَّا عرَّفهم نفسَهُ، سألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبتْ عيناه، فأعطاهم قَميصَهُ، وقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى﴾ وهذا القميصُ كان في قَصَبةٍ مِنْ فضَّةٍ مُعلَّقاً في عُنقِ يوسفَ لمَّا أُلقِيَ في الجُبِّ، وكان مِنَ الجنَّة، وقد سبق ذكره.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ قال أبو عُبيدَة: يعود مُبصِراً.

فإنْ قيلَ: مِنْ أين قطعَ على الغيبِ؟ فالجواب: أنَّ ذلك كان بالوَحيِ إليه، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الكَلبيُّ: كان أهلُه نحواً مِنْ سبعين إنساناً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ أي: خرجت مِنْ مِصْرَ متوجِّهةً إلى كَنعَانَ. وكان الذي حملَ القميصَ يَهُوذا. قال السُّدِّيُّ: قال يَهُوذا ليُوسفَ: أنا الذي حملتُ القميصَ إلى يعقوبَ بدم كَذِبٍ فأحزنتُهُ، وأنا الآن أحمِلُ قميصَكَ لأَسُرَّهُ، فحملَهُ، قال ابنُ عباسٍ: فخرجَ حافياً حاسِراً يعدو، ومعه سبعةُ أرغفةٍ لم يَستوفِ أكلَها. قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعني يعقوبَ لِمَنْ حضره مِنْ أهله وقرابَتِه ووَلَدِ وَلَدِهِ ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ومعنى أجد: أَشَمُّ، قال الشاعر:

وَلَيْسَ صَرِيْرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَه ... وَلَكِنَّهَا أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقَصَّفُ[1]
وَلَيْسَ فَتِيقُ المِسْكِ مَا تَجِدُونَه ... وَلَكِنَّه ذَاكَ الثَّنَاءُ المُخَلَّفُ

فإن قيلَ: كيف وجد يعقوبُ رِيحَهُ وهو بمِصْرَ، ولم يجد رِيحَهُ مِنَ الجُبِّ وبعدَ خروجه منه، والمسافةُ هناك أقربُ؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ اللهَ أخفى أمرَ يُوسفَ على يعقوبَ في بداية الأمر لتقعَ البَلِيَّةُ التي يتكاملُ بها الأَجرُ، وأوجدَهُ رِيحَهُ مِنَ المكان النَّازح عند تَقضِّي البلاءِ ومجيءِ الفَرَجِ.

والثاني: أنَّ هذا القميصَ كان في قَصَبةٍ مِنْ فضَّةٍ مُعلَّقاً في عُنُقِ يوسفَ على ما سبق بيانُه، فلمَّا نشرَهُ فاحَتْ رَوائحُ الجِنَانِ في الدنيا فاتصلت بيعقوبَ، فعلم أنَّ الرائحةَ مِنْ جهة ذلك القميصِ. قال مُجاهِدٌ: هبَّتْ ريحٌ فضربت القميصَ، ففاحَتْ روائحُ الجَنَّة في الدنيا واتصلتْ بيعقوبَ فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا مِنْ رِيْحِ الجنَّةِ إلا ما كان مِنْ ذلك القميصِ، فمِنْ ثم قال: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. وقيلَ: إنَّ ريحَ الصَّبا استأذنَتْ رَبَّها في أنْ تأتيَ يعقوبَ برِيْحِ يوسفَ قبل البشير فأَذِنَ لها، فلذلك يَستروِحُ كلُّ مَحزُونٍ إلى ريح الصَّبَا، ويجد المَكرُوبُون لَها رَوْحاً، وهي رِيحٌ لَيِّنَةٌ تأتي مِنْ ناحية المَشرقِ، قال أبو صَخْرٍ الهُذَليّ:

إذا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِيْجُنِي ... نَسِيْمُ الصَّبا مِنْ حَيْثُ يطَّلِعُ الفَجْرُ

قال ابنُ عباسٍ: وجدَ رِيحَ قميص يوسفَ مِنْ مسيرة ثمانِ ليالٍ ثمانين فَرْسَخاً.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: تُجَهِّلونِ، رواهُ ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ

---

(١) في «اللسان» الأصلاب: جمع صُلب وهو الظهر.

عباس، وبه قال مقاتل. **والثاني**: تسفهون، رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس، وبه قال عَطاءٌ، وقَتادَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ. وقال في روايةٍ أخرى: لولا أنْ تقولوا: ذهب عَقلُكَ. **والثالث**: تُكذِّبونِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: تُهرّمونِ، قاله الحَسنُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ. قال ابنُ فارسٍ: الفَنَدُ: إنكارُ العقلِ مِنْ هَرَمٍ. **والخامس**: تُعجّزونِ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وقال أبو عُبيدَةَ: تُسفِّهون وتُعجِّزون وتَلُومون، وأنشد:

يَـا صَـاحِـبَـيَّ دَعَـا لَـوْمِـي وَتَـفْـنِـيـدِي ... فَـلَـيْـسَ مَـا فَـاتَ مِـنْ أَمْـرٍ بِـمَـرْدُودِ[١]

قال ابنُ جَريرٍ: وأصلُ التَّفنِيدِ: الإفسادُ، وأقوالُ المُفسِّرين تتقاربُ معانيها[٢]، وسمعتُ الشيخَ أبا محمَّدِ بنَ الخَشَّابِ يقول: قوله: «لولا أن تفندون» فيه إضمارٌ تقديره: لأخبَرتُكم أنه حيٌّ.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بَنُو بَنِيهِ خاطبوه بهذا، وكذلك قال السُّدِّيُّ: هذا قولُ بَني بَنِيهِ، لأنَّ بَنِيه كانوا بمِصْرَ. وفي معنى هذا الضلال ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى الخطأ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه الجُنون، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: الشَّقاءُ والعَناءُ، قاله مُقاتِلٌ، يريد بذلك شقاءَ الدنيا.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يَهُوذا، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ، والسُّدِّيّ، والجمهور. **والثاني**: أنه شمعون، قاله الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: ما الفرقُ بين قوله هاهنا: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ﴾ وقال في موضعٍ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾[٣].

فالجواب: أنهما لُغتان لقُريشٍ خاطبهم اللهُ بهما جميعاً، فدخولُ «أن» لتوكيدِ مُضيِّ الفعل، وسُقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابنُ الأنباري[٤].

قوله تعالى: ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ يعني القميصَ ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ يعني يعقوبَ ﴿فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾، الارتِدادُ: رجوعُ الشيءِ إلى حالٍ قد كان عليها. قال ابنُ الأنباري: إنما قال: ارتَدَّ، ولم يَقُلْ: رُدَّ، لأنَّ هذا مِنَ الأفعال المَنسُوبةِ إلى المَفعُولِين، كقولهم: طَالَتِ النَّخلَةُ، واللهُ أطالها، وتحركت الشجرة، والله قد

---

(١) البيت لهانئ بن شكيم العدوي «مجاز القرآن» ١/ ٣١٨.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٢٩٧: أصل التفنيد، الإفساد. وإذ كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل والضعف، وفي الفعل: الكذب واللوم بالباطل. فالأقوال على اختلاف عباراتهم متقاربة المعاني، محتمل جميعها ظاهر التنزيل، إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معنيٌّ به بعض ذلك دون بعض.

(٣) سورة البقرة: ٨٩.

(٤) كذلك قال الطبري رحمه الله ٧/ ٢٩٩، وقال أيضاً: هذا في «لما» و «حتى» خاصة، كما قال جل ثناؤه، **﴿ولما أن جاءت رسلنا﴾** ـ العنكبوت: ٣٣ ـ.

حركها. قال الضَّحَّاكُ: رجع إليه بَصرهُ بعد العَمى، وقُوَّته بعد الضَّعفِ، وشَبابهُ بعدَ الهَرَم، وسُروره بعد الحُزنِ. ورَوى يَحيَى بنُ يَمانٍ عن سُفيانَ قال: لمَّا جاء البشيرُ يعقوبَ، قال: على أيِّ دِينٍ تركتَ يوسفَ؟ قال: على الإسلام، قال: الآنَ تَمَّتِ النِّعمةُ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أقوالٌ قد سبق ذِكرُها قبل هذا بقليلٍ. قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ سألوه أنْ يستغفرَ لهم ما أَتَوا، لأنه نبيٌّ مُجابُ الدَّعوةِ. ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ في سبب تأخيره لذلك ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه أخَّرَهُم لانتظارِ الوقت الذي هو مَظِنَّةُ الإجابة، ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[٨٢١] أحدها: أنه أخَّرَهُم إلى ليلة الجُمعةِ، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ. قال وَهْبٌ: كان يستغفرُ لهم كلَّ ليلةِ جُمعةٍ في نيِّفٍ وعشرين سنة[١]. والثاني: إلى وقت السَّحَرِ مِن ليلةِ الجُمعةِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. قال طَاوسٌ: فوَافقَ ذلك ليلةَ عَاشُوراءَ. والثالث: إلى وقت السَّحَرِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عمرَ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: إنما أراد الوقتَ الذي هو أَخْلَقُ لإجابة الدُّعاءِ، لا أنه ضَنَّ عليهم بالاستغفار، وهذا أشبهُ بأخلاقِ الأنبياء عليهم السَّلامُ.

والقول الثاني: أنه دَفعَهُم عن التَّعجيل بالوَعدِ. قال عَطاءُ الخُراسَانيّ: طلبُ الحَوائج إلى الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ، ألاَ ترى إلى قولِ يوسفَ: (لا تثريبَ عليكم اليوم) وإلى قول يعقوبَ: (سوف أستغفرُ لكم ربي).

والثالث: أنه أخَّرَهُم ليسألَ يوسفَ، فإنْ عَفَا عنهم، استغفرَ لهم، قاله الشَّعبيُّ.

ورُوي عن أنسِ بنِ مالكٍ أنهم قالوا: يا أبانا إنْ عَفَا اللهُ عنا، وإلاَّ فلا قُرَّةَ عينٍ لنا في الدنيا، فدَعا يعقوبُ وأمَّنَ يوسفُ، فلم يُجَبْ فيهم عشرينَ سنةً، ثم جاء جِبريلُ فقال: إنَّ الله قد أجابَ دعوتَكَ في وَلَدِكَ، وعَفَا عمَّا صنعوا به، واعتقدَ مَواثِيقَهُم مِنْ بَعْدُ على النُّبوَّة. قال المُفسِّرون: وكان يوسفُ قد بَعثَ مع البَشيرِ إلى يعقوبَ جَهَازاً ومائتي رَاحِلةٍ، وسأله أنْ يأتيه بأهلِه ووَلَدِه. فلما ارتَحلَ يعقوبُ ودَنَا

---

[٨٢١] ضعيف جداً، والأشبه أنه موضوع. أخرجه الطبري ١٩٨٨٠ و ١٩٨٨١ من طريقين عن سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال: حدثنا الوليد، قال: أخبرنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ، قد قال أخي يعقوب ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة». وهذا إسناد ضعيف جداً، وله علتان: الأولى: ضعف سليمان بن عبد الرحمن، فهو وإن وثقه بعضهم، وقال أبو حاتم الرازي: صدوق، فقد عقب ذلك أبو حاتم بقوله: إلا أنه من أروى الناس عن الضعفاء والمجهولين، وهو عندي في حدّ لو أن رجلاً وضع له حديثاً لم يفهم، وكان لا يميز. راجع «الميزان» ٢/ ٢١٢ ـ ٢١٤. العلة الثانية: عنعنة ابن جريج، وهو مدلس، وهو لم يسمع من عكرمة. قال الإمام أحمد: بعض هذه الأحاديث التي كان يرسلها ابنُ جريج أحاديث موضوعة، كان ابن جريج، لا يبالي من أين يأخذها. راجع «الميزان» ٢/ ٦٥٩. فالحديث ضعيف جداً، والأشبه أنه موضوع. وقال الحافظ ابن كثير ٢/ ٤٠٦: هذا حديث غريب، وفي رفعه نظر، والله أعلم.

---

(١) هذا قول بعيد، وهب هو ابن منبه، عامة ما يرويه عن كتب الإسرائيليات.

مِنْ مِصْرَ، استأذنَ يوسفُ المَلِكَ الذي فوقه في تَلَقِي يعقوبَ، فأذِنَ له، وأمرَ المَلأَ مِنْ أصحابه بالرُّكوب معه، فخرجَ في أربعةِ آلافٍ مِنَ الجُندِ، وخرجَ معهم أهلُ مِصْرَ. وقيل: إنَّ المَلِكَ خرج معهم أيضاً. فلما التقَى يعقوبُ ويُوسفُ، بكيَا جميعاً، فقال يوسفُ: يا أبتِ بكيتَ عليَّ حتى ذهبَ بصرُكَ، أَمَا علمتَ أنَّ القيامة تجمَعُني وإيَّاكَ؟ قال: أي بُنيّ، خشيتُ أنْ تُسلَبَ دِينَكَ فلا نجتمعُ. وقيل: إنَّ يعقوبَ ابتدَأَهُ بالسَّلام، فقال: السَّلامُ عليكَ يا مُذهِبَ الأحزانِ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يعني: يعقوبُ ووَلَدُه. وفي هذا الدُّخول قولان:

أحدهما: أنه دُخول أرضِ مِصْرَ، ثم قال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ﴾ يعني البلدَ.

والثاني: أنه دخول مِصْرَ، ثم قال لهم: «ادخلوا مصر» أي: استوطِنُوها.

وفي قوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ قولان: **أحدهما**: أبوه وخالتُه، لأنَّ أُمَّهُ كانت قد ماتت، قاله ابنُ عباسٍ والجمهور. **والثاني**: أبوه وأُمُّهُ، قاله الحسَنُ، وابنُ إسحاقَ.

وفي قوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، فالمعنى: سوفَ أستغفرُ لكم ربِّي إنْ شاءَ اللهُ، إنه هو الغفورُ الرَّحيمُ، هذا قولُ ابنِ جُرَيجٍ. **والثاني**: أنَّ الاستثناءَ يعود إلى الأَمْنِ. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه لم يَثِقْ بانصِرافِ الحَوادثِ عنهم. والثاني: أنَّ الناس كانوا فيما خَلاَ يَخافُونَ مُلوكَ مِصْرَ، فلا يدخلونَ إلاَّ بجِوارِهم. **والثالث**: أنه يعودُ إلى دُخولِ مِصْرَ، لأنه قال لهم هذا حينَ تلقَّاهم قبل دُخولِهم، على ما سبقَ بيانه. **والرابع**: أنَّ «إن» بمعنى: «إذ»: كقوله ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[٢]. قال ابنُ عباسٍ: دَخلُوا مِصْرَ يَومئذٍ وهم نيِّفٌ وسبعون بين ذكرٍ وأنثى. وقال ابنُ مسعودٍ: دَخلُوا وهم ثلاثةٌ وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم ستمائةِ ألفٍ وسبعونَ ألفاً[٣].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في «أبويه» قولان: قد تقدما في الآية التي قبلَها. والعَرْشُ هاهنا: سَريرُ المَمْلَكَةِ، أجلسَ أبويه عليه ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ﴾ يعني: أبويه وإخوتَه. وفي هاء «له» قولان:

---

(١) قال القرطبي رحمه الله ٩/ ٢٢٤: إنما قال: «إن شاء الله» تبركاً وجزماً «آمنين» من القحط أو من فرعون، وكانوا لا يدخلونها إلا بجوازه. وقال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٣٠٢: والصواب في ذلك عندنا ما قاله السدي، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم لأن ذلك في ظاهر التنزيل كذلك، فلا دلالة تدل على صحة ما قاله ابن جريج، ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجة واضحة.

(٢) سورة النور: ٣٣.

(٣) هذه أرقام مصدرها كتب الأقدمين، لا حجة في شيء من ذلك.

أحدهما: أنها ترجعُ إلى يُوسفَ، قاله الجمهور. قال أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: كان سُجودُهم كهَيئةِ الرُّكوعِ كما يفعلُ الأعاجِمُ. وقال الحسَنُ: أمرَهم اللهُ بالسجود لتأويلِ الرُّؤيا. قال ابنُ الأنباري: سَجدُوا له على جهة التَّحيَّةِ لا على معنى العبادة، وكان أهلُ ذلك الدَّهرِ يُحَيِّي بعضُهم بعضاً بالسجود والانحِناءِ، فحَظَرهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فروى أنسُ بنُ مالكٍ قال:

[٨٢٢] «قال رجلٌ: يا رسولَ الله! أَحدُنا يَلقَى صديقَهُ، أَينحَنِي لهُ؟ قال: لا».

والثاني: أنها ترجع إلى اللهِ، فالمعنى: وخَرُّوا للَّهِ سُجَّداً، رواه عَطاءٌ، والضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، فيكون المعنى: أنهم سَجدُوا شُكراً لله إذ جمعَ بينهم وبينَ يُوسفَ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾ أي: تصديقُ ما رأيتُ، وكان قد رَآهُم في المنامِ يَسجُدون له، فأراهُ اللَّهُ ذلك في اليَقظةِ. واختلفوا فيما بينَ رُؤياه وتأويلِها على سبعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أربعونَ سنةً، قاله سَلمانُ الفَارسيُّ وعبدُ الله بن شَدَّادِ بنِ الهَادِ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: اثنتان وعشرون سنةً، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ثمانون سنةً، قاله الحسَنُ والفُضيلُ بنُ عِياضٍ. **والرابع**: ستٌّ وثلاثون سنةً، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ وعِكرمَةُ والسُّدِّيُّ. **والخامس**: خمسٌ وثلاثون سنةً، قاله قَتادَةُ. **والسادس**: سبعونَ سنةً، قاله عبدُ الله بنُ شَوْذَب. **والسابع**: ثمانيَ عشرةَ سنةً، قاله ابنُ إسحَاقَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ أي: إليَّ. والبَدْوُ: البَسْطُ مِنَ الأرض. وقال ابنُ عباسٍ: البَدْوُ: البادية، وكانوا أهلَ عَمودٍ وماشيةٍ.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ أي: أفسَدَ بيننا. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: نَزَغَ بينهم يَنْزَغُ، أي: أفسدَ وهَيَّجَ، وبعضُهم يكسرِ زاي يَنْزِغ. ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي: عَالِمٌ بدقائقِ الأمور. وقد شرحنا معنى «اللطيف» في سُورةِ (الأنعام)(١).

فإنْ قيلَ: قد توالَتْ على يوسفَ نِعَمٌ جمَّةٌ، فمَا السِّرُّ في اقتِصارِه على ذِكْرِ السِّجنِ، وهَلاَّ ذَكر الجُبَّ، وهو أصعبُ؟ فالجواب مِنْ وجُوهٍ: **أحدها**: أنه تَركَ ذِكْرَ الجُبِّ تكرُّماً، لِئَلاَّ يُذكِّر إخوتَه صَنيعَهُم، وقد قال (لا تثريب عليكم اليوم). **والثاني**: أنه خَرجَ مِنْ الجُبِّ إلى الرِّقِّ، ومِنَ السِّجنِ إلى المُلكِ، فكانت هذه النِّعمةُ أوفَى. **والثالث**: أنَّ طولَ لُبثِه في السِّجن كان عقوبةً له، بخلاف الجُبِّ، فشَكرَ اللَّهَ على عَفوِه.

---

[٨٢٢] أخرجه الترمذي ٢٧٢٨، وابن ماجة ٣٧٠٢، وأبو يعلى ٤٢٨٩، والطحاوي في «المعاني» ١/ ٢٨١ والبيهقي في «السنن» ٧/ ١٠٠ من طريق حنظلة بن عبد الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم». وإسناده ضعيف لضعف حنظلة، قال الذهبي في «الميزان» ١/ ٦٢١: قال يحيى القطان: تركته عمداً، كان قد اختلط، وضعفه أحمد، وقال: منكر الحديث، يحدث بأعاجيب، وقال ابن معين: ليس بشيء. وضعف هذا الحديث البيهقي عقب روايته، وكذا ضعفه أحمد كما في «تخريج الإحياء» ٢/ ٢٠٤. وهو ضعيف بهذا اللفظ، وبهذا الإسناد، فقد وردت أحاديث مرفوعة وموقوفة في جواز المعانقة والالتزام. وأما سياق المصنف ابن الجوزي: فله طرق وشواهد تقويه.

---

(١) في سورة الأنعام: ١٠٣.

قال العلماءُ بالسِّيَرِ: أقام يَعقوبُ بعد قُدومِهِ مِصْرَ أربعاً وعشرينَ سنةً. وقال بعضُهم: سبعَ عشرةَ سنةً في أهنأ عيشٍ، فلمَّا حضرتْهُ الوفاةُ أوصى إلى يوسفَ أنْ يُحمَلَ إلى الشام حتى يَدفنَهُ عند أبيه إسحاقَ، ففعلَ به ذلك، وكان عُمرهُ مائةً وسبعاً وأربعينَ سنةً، ثم إنَّ يوسفَ تاقَ إلى الجنَّةِ، وعلم أنَّ الدنيا لا تدوم فتمنَّى الموتَ، قال ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ: ولم يَتمَنَّ الموتَ نبيٌّ قبلَهُ، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ يعني: مُلْكَ مِصْرَ ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ وقد سبق تفسيرُها، وفي «مِنْ» قولان: **أحدهما**: أنها صِلَةٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها للتَّبعيضِ، لأنه لم يُؤتَ كلَّ المُلْكِ، ولا كُلَّ تأويلِ الأحاديث.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قد شرحناه في (الأنعام)(١). ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ﴾ أي: الذي تَلِيْ أمري. ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: لا تَسلُبني الإسلامَ حتى تَتوفَّاني عليه. وكان ابنُ عَقيلٍ يقول: لم يتمنَّ يوسفُ المَوتَ، وإنما سأل أنْ يموتَ على صِفَةٍ، والمعنى: توفَّني إذا توفَّيْتَني مُسلِماً، وهذا الصحيح(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ والمعنى: أَلحِقْني بدَرَجاتِهم، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ الجنَّة، قاله عِكرمَةُ. **والثاني**: آباؤه إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ، قاله الضَّحَّاكُ، قالوا: فلمَّا احتُضِرَ يوسفُ، أوصى إلى يَهُوذا، ومات، فتشَاحَّ الناسُ في دفنه، كلٌّ يُحبُّ أن يُدفَنَ في مَحلَّته رجاءَ البَرَكةِ، فاجتمعوا على دفنه في النِّيل ليمرَّ الماءُ عليه ويصلَ إلى الجميع، فدفنوه في صندوقٍ مِنْ رُخام، فكان هنالك إلى أنْ حملَهُ موسى حين خرجَ مِنْ مِصرَ ودفنه بأرضِ كَنعَانَ. قال الحسَنُ: مات يوسفُ وهو ابنُ مائةٍ وعشرينَ سنةً. وذكر مُقاتِلٌ أنه مات بعدَ يعقوبَ بسنتين.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ذلك الذي قَصصْنا عليكَ مِنْ أمر يُوسفَ وإخوته مِنَ الأخبار التي كانت غائبةً عنكَ، فأنزلتُه عليكَ دليلاً على نُبوَّتكَ. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: عند إخوةِ يُوسفَ ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ أي: عَزَموا على إلقائِه في الجُبِّ ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسفَ. وفي هذا احتجاجٌ على صحَّةِ نبوَّة نبيِّنا عليه السَّلامُ، لأنه لم يُشاهدْ تلك القصَّةَ، ولا كان يقرأُ الكتابَ، وقد أخبرَ عنها بهذا الكلامِ المُعجِزِ، فدلَّ على أنه أُخبِرَ بوحي.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابنُ الأنباري: إنَّ قريشاً واليهودَ سألت رسولَ الله ﷺ عن قصَّةِ يُوسفَ وإخوتِه، فشَرحَها شَرْحاً شافياً، وهو يُؤمِّل أنْ يكون ذلك سبباً

---

(١) سورة الأنعام: ١٤.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/٦٠٦: وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام كما أن نوحاً أول من قال: ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾.

لإسلامِهم، فخالَفُوا ظَنَّهُ، فحَزِنَ رسولُ الله ﷺ، فعزَّاه اللَّهُ تعالى بهذه الآيةِ[١]. قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: وما أكثرُ الناس بمؤمنين ولو حَرصتَ على أنْ تَهديَهُم. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتِلاوتِه وهِدايَتِكَ إيَّاهم ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو إلاَّ تذكرةٌ لهم لِمَا فيه صلاحُهم ونَجاتُهم.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن﴾ أي: وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: علامةٍ ودَلالةٍ تَدلُّهم على توحيدِ الله، مِنْ أمرِ السَّمواتِ والأرضِ، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ أي: يَتجاوزُونَها غيرَ مُفكِّرينَ ولا مُعتبِرين.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المشركون، ثم في معناها المُتعلِّقِ بهم قولان: أحدهما: أنهم يؤمنون بأنَّ الله خَالِقُهم ورَازِقُهم وهُمْ يشركون به، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والشَّعبِيُّ، وقَتادَةُ. والثاني: أنها نزلت في تَلبيةِ مُشركي العرب، كانوا يقولون: لبَّيكَ اللهُمَّ لبَّيكَ، لبَّيك لا شريكَ لكَ، إلاَّ شريكاً هوَ لكَ، تَملكُهُ وما مَلَكْ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم النَّصارى، يُؤمنون بأنه خَالِقُهم ورَازِقُهم، ومع ذلك يُشركون به، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنهم المنافقون، يُؤمنون في الظاهر رِئاءَ للناس، وهم في البَاطنِ مشركون، قاله الحسَنُ.

فإنْ قيلَ: كيف وصفَ المُشركَ بالإيمان؟ فالجواب: أنه ليس المُراد به حقيقةُ الإيمانِ، وإنما المعنى: أنَّ أكثرَهُم، مع إظهارِهم الإيمانَ بألسِنَتِهم، مُشركون.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الغَاشِيَةُ: المُجلِّلةُ تغشاهُم. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: يأتيهم ما يَغمُرهُم مِنَ العذاب. والبَغْتَةُ: الفجأةُ مِنْ حيثُ لم تتوقَّعْ.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ المعنى: قُلْ يا محمَّدُ للمشركين: هذه الدَّعوةُ التي أدعو إليها، والطَّريقةُ التي أنا عليها، سبيلي، أي: سُنَّتي ومِنهاجي. والسبيلُ تُذكَّر وتُؤنَّث، وقد ذكرنا ذلك في (آلِ عِمران)[٢]. ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقينٍ. قال ابنُ الأنباري: وكلُّ مُسلم لا يخلو مِنَ الدُّعاء إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنه إذا تَلاَ القرآنَ، فقد دَعَا إلى اللهِ بما فيه. ويجوز أنْ يَتِمَّ الكَلامُ عند قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[٣].

---

(١) مساءلة اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام عن قصة يوسف هو خبر موضوع. انظر «تفسير الشوكاني» ٣/ ٥.

(٢) في آل عمران: ١٩٥.

(٣) قال الشوكاني ٣/ ٧١: وفي هذا دليل على أن كل متّبع لرسول الله ﷺ حقٌّ عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله، أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده. وكذلك قال ابن كثير ٢/ ٦١٠.

قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ المعنى: وقُلْ: سُبحانَ اللّهِ تنزيهاً له عمَّا أشركُوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا نزل مِنْ أجلِ قولهم: هلاّ بعثَ اللّهُ مَلَكاً، فالمعنى: كيف تعجَّبوا مِنْ إرسَالِنا إيَّاكَ، وسائرُ الرُّسل كانوا على مِثْلِ حالكَ «يُوحى إليهم»، وقرأ حَفصٌ عن عَاصِم: «نوحي» بالنون. والمراد بالقُرَى: المَدَائِنُ. وقال الحسَنُ: لم يَبعثِ اللّهُ نبيًّا مِنْ أهل البادية، ولا مِنَ الجِنّ، ولا مِنَ النّساءِ، قال قَتَادَةُ: لأنَّ أهلَ القُرى أعلمُ وأحلَمُ مِنْ أهلِ العَمُودِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى الْأَرْضِ﴾ يعني: المشركين المُنْكِرينَ نُبوّتكَ ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ إلى مَصَارِعِ الأُمَمِ المُكَذِّبة فيعتبروا بذلكَ. ﴿وَلَدَارُ الْأَخِرَةِ﴾ يعني: الجنَّة ﴿خَيْرٌ﴾ مِنَ الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا۟﴾ الشِّركَ. قالَ الفرَّاءُ: أُضِيفَتِ الدَّارُ إلى الآخرة، وهي الآخرة، لأنَّ العرب قد تُضيف الشيءَ إلى نفسه إذا اختلف لَفظُه، كقوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾(١) والحق: هو اليقين، وقولهم: أتيتك عام الأول، ويوم الخميس.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ أهلُ المَدينةِ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ، والمُفَضَّلُ، ويَعقوبُ: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، والمعنى: أفلا يَعقلونَ هذا فَيُؤمنوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ﴾ المعنى مُتعلِّقٌ بالآيةِ الأولى، فتقديره: وما أرسلنا مِنْ قبلكَ إلاّ رجالاً، فدَعَوا قومَهُم، فكذَّبُوهم، وصَبَروا وطَالَ دُعاؤهم وتَكذيبُ قومِهم حتى إذا استَيأسَ الرُّسُلُ، وفيه قولان: **أحدهما**: استَيأسُوا مِنْ تصديقِ قومِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مِنْ أن نُعذِّبَ قومَهم، قاله مُجاهِدٌ. ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «كُذِّبوا» مشدَّدةَ الذَّالِ مضمومةَ الكاف(٢)، والمعنى: وتيقَّنَ الرُّسلُ أَنَّ قومَهم قد كَذَّبوهم، فيكون الظَّنُّ ها هنا بمعنى اليَقينِ، هذا قولُ الحسَنِ، وعَطاءٍ، وقتَادَةَ. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «كُذِبوا» خفيفةً،

---

(١) سورة الواقعة: ٩٦.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣: وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرأة المدينة والبصرة والشام أعني بتشديد الذال من «كُذِّبوا» وضم كافها. وهذا التأويل الذي ذهب إليه الحسن وقتادة في ذلك، خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة، لأنه لم يوجه «الظن» في هذا الموضع منهم أحد إلى معنى العلم واليقين، مع أن «الظن» استعمله العرب في موضع العلم فيما أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة. وأما رواية مجاهد المخالفة بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال «كَذَبوا» فهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار على خلافها، وقال الحافظ ابن كثير ٢/ ٦١٣: قد أنكرت عائشة رضي الله عنها على من قرأ «كُذِبوا» بالتخفيف. وانتصر لها ابن جرير، ووجّه المشهور عن الجمهور، وزيّف القول الآخر بالكلية وردّه وأباه، ولم يقبله ولا ارتضاه والله أعلم.

والمعنى: ظَنَّ قومُهم أنَّ الرُسلَ قد كُذِبوا فيما وُعِدُوا به مِنَ النَّصرِ، لأنَّ الرُّسلَ لا يظنُّونَ ذلك. وقرأ أبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ: «كَذَبوا» بفتحِ الكاف والذَّالُ خفيفةٌ، والمعنى: ظَنَّ قومُهم أيضاً أنهم قد كَذَبوا، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ يعني: الرُّسُلَ ﴿فَنُجِّيَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «فننجي» بنونين[١]، الأولى مضمومةٌ والثانية ساكنةٌ والياء ساكنةٌ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ، جميعاً عن عَاصِمٍ، ويَعقوبُ: «فَنُجِّيَ» مشدَّدةَ الجيم مفتوحةَ الياء بنونٍ واحدةٍ، يعني: المؤمنين، نَجَوْا عند نُزولِ العذابِ.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر يوسفَ وإخوتِه. وروى عبدُ الوارثِ كسرَ القافِ، وهي قراءةُ قتادةَ، وأبي الجَوزَاءِ. ﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: عِظَةٌ ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: لِذَوي العُقولِ السَّليمة، وذلك مِنْ وَجْهَين: **أحدهما**: ما جرى ليوسفَ مِنْ إعزازه وتَمليكِه بعد استعبادِه، فإنَّ مَنْ فَعَلَ ذلك به قادرٌ على إعزازِ محمَّدٍ ﷺ وتَعليَةِ كلمَتِه. **والثاني**: أنَّ مَنْ تفكَّر، عَلِمَ أنَّ محمَّداً ﷺ مع كونه أُمِّياً، لم يَأْتِ بهذه القصةِ على مُوافقةِ ما في التَّوراة مِنْ قِبَلِ نفسه، فاستدلَّ بذلك على صحَّةِ نُبوَّتِه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ في المُشَارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه القرآنُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: ما تقدَّمَ مِنَ القَصَصِ، قاله ابنُ إسحاقَ. فعلى القولِ الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكنْ كان تصديقاً لِمَا بين يديه مِنَ الكُتبِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحتاج إليه مِنْ أمورِ الدِّينِ ﴿وَهُدًى﴾ بياناً ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يُصدِّقون بما جاء به محمَّدٌ ﷺ. وعلى القولِ الثاني: وتفصيلُ كلِّ شيءٍ مِنْ نَبأ يوسفَ وإخوَتِه.

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٣٢٤: والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ «ننجي» بنونين، لأن ذلك هو القراءة التي عليها القرأة في الأمصار، وما خالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه فمنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القرأة. وغير جائز خلاف ما كان مستفيضاً بالقراءة في قرأة الأمصار.

سُورَةُ الرَّعْدِ

ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

فصل في نزولها: اختلفوا في نزولها على قولين:

أحدهما: أنها مكِّيَّةٌ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَير، وعَطاءٌ، وقَتادَةُ. وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنها مكِّيَّةٌ، إلاَّ آيتين منها، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾[1] إلى آخرِ الآيةِ، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[2].

والثاني: أنها مَدنيَّةٌ، رواه عَطاءٌ الخُراسَانيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال جابرُ بنُ زَيدٍ. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنها مَدنيَّةٌ، إلاَّ آيتين نزلتا بمكَّةَ، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾[3] إلى آخرها. وقال بعضُهم: المَدنيُّ منها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓر﴾ قد ذَكرنا في سُورة (البقرة) جُملةً مِنَ الكلام في معاني هذه الحُروفِ. وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ في تفسير هذه الكلمةِ ثلاثةُ أقوالٍ[5]: **أحدها**: أنَّ معناها: أنا الله أَعلَمُ وأَرَى، رواه

---

(١) سورة الرعد: ٣١.
(٢) سورة الرعد: ٤٣.
(٣) سورة الرعد: ٣١.
(٤) سورة الرعد: ١٤.
(٥) قال الإمام الطبري ٧/٣٢٦: ما جاء في هذه السورة عن ابن عباس من نقل أبي الضحى مسلم بن صُبيح وسعيد بن جبير عنه، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها ومع زيادة الميم التي فيها على سائر السور ذوات «الر»، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها، مع نقصان ذلك منها عنها فعن ابن عباس: «المر»، قال: أنا الله أرى.
وعن مجاهد: «المر» فواتح يفتتح بها كلامه.
وقال ابن كثير ٢/ ٦١٤: إن كل سورة تُبتدأ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن، وتبيان أن نزوله من عند الله حق لا شك فيه ولا مرية ولا ريب، ولهذا قال: ﴿تلك آيات الكتاب﴾.
ـ قلت: الصواب في ذلك أن يقال في الكلام على هذه الأحرف في أوائل بعض السور: الله أعلم بمراده.

أبو الضُّحَى عنه. **والثاني**: أنا اللّهُ أرَى، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عنه. **والثالث**: أنا اللّهُ المَلِكُ الرَّحمنُ، رواه عَطاءٌ عنه. قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في «تلك» قولان، وفي «الكتاب» قولان قد تقدَّمتْ في أوَّلِ «يونس»[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: القرآن وغيرَهُ مِنَ الوَحي ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: أهلَ مكّةَ. قال الزَّجّاجُ: لمّا ذكرَ أنهم لا يُؤمنون، عرَّفَ الدَّليلَ الذي يُوجب التَّصديقَ بالخالق فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: العَمَدُ: متحرِّكُ الحُروفِ بالفتحة وبعضُهم يُحرِّكها بالضمة، لأنها جَمْعُ عَمُودٍ، وهو القياسُ، لأنَّ كلَّ كلمةٍ هجاؤها أربعة أحرفٍ الثالثُ منها ألِفٌ أو ياءٌ أو واوٌ، فجميعه مضمُومُ الحُروفِ، نحو رَسُول، والجمعُ: رُسُل، وحِمَار، والجمع: حُمُر، غير أنه قد جاءت أَسامي استَعمَلوا جميعَها بالحَركَةِ والفتحة، نحو عَمُودٍ، وأَدِيم، وإهَاب، قالوا: أَدَم، وأَهَب. ومعنى «عَمَدٍ»: سوَارٍ، ودَعَائِم، وما يَعْمِدُ البناءَ. وقرأ أبو حَيْوَةَ: «بغير عُمُد» بضمِّ العين والميم.

وفي قوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ هاءَ الكِنايةِ ترجعُ إلى السَّمواتِ، فالمعنى: تَرونَها بغير عَمَدٍ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، والجمهورُ. وقال ابنُ الأنباري: «ترونها» خبرٌ مُستأنفٌ، والمعنى: رَفعَ السَّمواتِ بلا دَعامَةٍ تُمسكُها، ثم قال: «ترونها» أي: ما تُشاهدون مِنْ هذا الأمرِ العظيم، يُغنيكُم عن إقامةِ الدَّلائلِ عليه. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى العَمَدِ، فالمعنى: إنها بعَمَدٍ لا تَرونَها، رواه عَطاءٌ والضَّحّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وقال: لها عَمَدٌ على قَافٍ، ولكنَّكم لا ترونَ العَمَدَ، وإلى هذا القول ذهب مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والأول أصحُّ[٢]. قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: ذَلَّلهما لِمَا يُراد منهما ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى وقتٍ مَعلوم، وهو فَناءُ الدنيا. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: يُصرِّفه بحِكمَتِه. ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: يُبيِّنُ الآياتِ التي تدلُّ أنَّه قادرٌ على البَعثِ لكي تُوقِنوا بذلك. وقرأ أبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ، والنَّخَعيُّ: «ندبِّر الأمر نفصِّل الآيات» بالنون فيهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧: ﴿تلك آيات الكتاب﴾: تلك التي قصصت عليك خبرها، آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك. وقيل: عني بذلك التوراة والإنجيل. وقال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦١٤: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي: هذه آيات الكتاب وهو القرآن، وقيل التوراة والإنجيل.. وفيه نظر، بل هو بعيد.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٣٢٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: **﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾** فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا جل ثناؤه، ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم بها بقول سواه. وقال الحافظ ابن كثير ٢/ ٦١٥: **ناقلاً قول إياس بن معاوية: السماء على الأرض مثل القبة، يعني بلا عمد وكذا روي عن قتادة، وهذا هو اللائق بالسياق، والظاهر من قوله تعالى: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾،** فعلى هذا يكون قوله **﴿ترونها﴾** تأكيداً لنفي ذلك، أي هي مرفوعة بغير عمد ترونها، وهذا هو الأكمل في القدرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بَسَطَها على الماءِ. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي جبالاً ثوابتَ، يُقال: رَسَا الشيءُ يرسُو رُسُوًّا، فهو راسٍ: إذا ثبتَ. ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: نوعين: والزَّوجُ: الواحدُ الذي له قرينٌ مِنَ جنسِه. قال المُفسِّرون: ويعني بالزَّوجين: الحُلوَ والحامضَ، والعَذْبَ والملحَ، والأبيضَ والأسودَ.

قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعرافِ[1].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الأرضُ السَّبِخَةُ، والأرضُ العَذبَةُ، تُنبتُ هذه، وهذه إلى جَنبِها لا تُنبتُ، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وأبي العَاليةِ، ومُجاهِدٍ، والضَّحّاكِ.

والثاني: أنها القُرى المُتجاوراتِ، قاله قَتادةُ، وابنُ قُتيبةَ، وهو يرجعُ إلى معنى الأوَّلِ[2].

قوله تعالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ رفعاً في الكُلِّ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «وزرعٍ ونخيلٍ صنوانٍ وغيرِ صنوانٍ» خفضاً في الكُلِّ. قال أبو عليٍّ: مَنْ رَفعَ، فالمعنى: وفي الأرضِ قِطَعٌ متجاوراتٌ وجنَّاتٌ، وفي الأرضِ زرعٌ، ومَنْ خَفَضَ حَملَهُ على الأعنابِ، فالمعنى: جنَّاتٌ مِنْ أعنابٍ، ومِنْ زرعٍ، ومِنْ نَخيلٍ[3].

قوله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ هذا مِنْ صِفَةِ النَّخيلِ. قال الزَّجّاجُ: الصِّنْوانُ: جمعُ صِنوٍ وصُنوٍ، ومعناه: أنْ يكونَ الأصلُ واحداً وفيه النَّخلتانِ والثَّلاثُ والأربعُ. وكذلك قال المُفسِّرون: الصِّنوانُ: النَّخلُ المجتَمِعُ وأصلهُ واحدٌ، وغير صِنوانٍ: المُتفرِّقُ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وابنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ: «صُنوان» بضم الصاد. قال الفَرَّاءُ: لغةُ أهل الحجاز «صِنوانٍ» بكسر الصاد، وتَميمُ وقَيسُ يضمُّون الصادَ.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، «تسقى» بالتاء، «ونُفضِّل»

---

(١) في سورة الأعراف: ٥٤.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٣٣١: في الأرض قطع منها متقاربات متدانيات، يقرب بعضها من بعض بالجوار وتختلف بالتفاضلِ مع تجاورها، فمنها قطعة سبخة لا تنبت شيئاً، في جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع.
وقال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦١٦: كذلك، أي: أراض يجاور بعضها بعضاً، مع أن هذه طيبة تنبت ما ينتفع به الناس، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئاً. وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض، فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء وهذه محجرة وهذه سهلة.

(٣) قال الإمام الطبري ٧/ ٣٣٣: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وقرأ بكل واحدة منهما قرأة مشهورون، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن «الزرع والنخيل» إذا كانا في البساتين فهما في الأرض، وإذا كانا في الأرض فالأرض التي هما فيها جنة فسواء وصفا بأنهما في بستان أو في أرض.

بالنون. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ «تُسقى» بالتاء أيضاً، لكنهما أَمَالاَ القافَ. وقرأ الحسَنُ «ويفضّل» بالياء. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ «يُسقى» بالياء، «ونفضّل» بالنون، وكلُّهم كَسرَ الضادَ. وروى الحَلبيُّ عن عبدِ الوارثِ ضمَّ الياء مِنْ «يُفضَّل» وفتحَ الضَّادِ، «بعضُها» برفع الضاد. وقال الفَرَّاءُ: مَنْ قرأ «تُسقى» بالتاء ذهب إلى تأنيثِ الزَّرع، والجَنَّاتِ، والنَّخيل[1]، ومَنْ كسر ذهب إلى النَّبتِ، وذلك كلُّه يُسقى بماءٍ واحدٍ، وأُكُلُه مختلفٌ حامِضٌ وحُلوٌ، ففي هذا آيةٌ. قال المُفسِّرون: الماءُ الواحدُ: ماءُ المطرِ، والأكُلُ: الثَّمرُ، بعضُه أكبرُ مِنْ بعضٍ، وبعضُه أفضلُ مِنْ بعضٍ، وبعضُه حامضٌ وبعضه حلوٌ، إلى غير ذلك، وفي هذا دليلٌ على بُطلانِ قول الطَّبائِعيين، لأنه لو كان حُدوثُ الثَّمرِ مِنْ طبع الأرضِ، والهواءِ، والماءِ، وَجَبَ أنْ يتَّفقَ ما يحدثُ لاتِّفاقِ ما أوجبَ الحُدوثَ، فلمَّا وقعَ الاختلافُ، دَلَّ على مُدبِّرٍ قادرٍ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنه لا تجوز العبادةُ إلاَّ لِمَنْ يقدرُ على هذا.

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ أي: مِنْ تكذيبِهم وعِبادتِهم ما لا ينفعُ ولا يَضُرُّ بعدما رَأَوا مِنْ تأثير قُدرة اللَّهِ عزَّ وجلَّ في خَلْقِ الأشياء، فإنكارُهم البَعثَ موضعُ عَجَبٍ. وقيل: المعنى: وإنْ تعجب بما وقفتَ عليه مِنَ القِطَعِ المُتجاورَاتِ وقُدرةِ ربِّكَ في ذلك، فعَجَبٌ جَحدُهُم البعثَ، لأنه قد بَانَ لهم مِنْ خلقِ السَّموات والأرضِ ما يدلُّ على أنَّ البَعثَ أسهلُ في القُدرةِ.

قوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، «آيذا كنا تراباً أينّا» جميعاً بالاستفهام، غيرَ أنَّ أبا عمرٍو يمدُّ الهمزةَ ثم يأتي بالياءِ ساكنةً، وابنُ كَثيرٍ يأتي بياءٍ ساكنةٍ بعد الهمزة مِنْ غير مَدٍّ. وقرأ نافعٌ «آيذا» مثلَ أبي عَمرٍو، واختُلف عنه في المَدِّ، وقرأ «إنا لفي خلق» مكسورةً على الخَبرِ. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ «أإذا كُنَّا» «أإنا» بهمزتين فيهما. وقرأ ابنُ عامرٍ «إذا كُنَّا تراباً» مكسورةَ الألِفِ مِنْ غير استفهامٍ، «آإنا» يَهمزُ ثم يَمُدُّ ثم يَهمِزُ على وزن: فاعِنَّا. ورُوي عن ابنِ عامرٍ أيضاً «أإذا» بهمزتين لا ألِفَ بينهما.

والأغلالُ جمعُ غُلّ، وفيها قولان: **أحدهما**: أنها أغلالُ يومِ القيامة، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنها الأعمالُ التي هي أغلالٌ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ

(١) قال الإمام الطبري ٧/ ٣٣٧: وأعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها، قراءة من قرأ بالتاء على أن معناه: تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد، لمجيء «تسقى» بعد ما قد جرى ذكرها، وهي جماع من غير بني آدم، وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى: يسقى ذلك بماء واحد. وفي قراءة «نفضل»: هما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الياء أعجبهما إليّ في القراءة، لأنه في سياق الكلام ابتداؤه: ﴿الله الذي رفع السموات﴾ فقراءته بالياء، إذ كان كذلك أولى.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنها نزلت في كفَّارِ مكَّةَ، سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يأتيَهم بالعذابِ، استهزاءً منهم بذلك، قاله ابنُ عباسٍ[١]. **والثاني**: في مشركي العرب، قاله قَتادةُ. **والثالث**: في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، قاله مقاتل.

وفي السيئة والحسنة قولان: **أحدهما**: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس ومقاتل. **والثاني**: بالشر قبل الخير، قاله قتادة.

فأما ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ فقرأ الجمهورُ بفتح الميم. وقرأ عُثمانُ، وأبو رَزِينٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ برفع الميم. ثم في معناها قولان: **أحدهما**: أنها العُقوبَاتُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: قد تقدَّم مِنَ العذاب ما هو مِثلُه وما فيه نَكَالٌ، لو أنهم اتَّعظُوا. وقال ابنُ الأنبَاري: المُثْلَةُ: العقوبة التي تُبقي في المُعاقَب شَيْئاً بتغييرِ بعضِ خَلْقِه، مِنْ قولِهم: مَثَّلَ فُلانٌ بفُلانٍ، إذا شانَ خَلْقَه بقَطْعِ أنفِهِ أو أُذُنِه، أو سَمْلِ عينَيهِ ونحوِ ذلك. **والثاني**: أنَّ المَثُلاتِ: الأمثالُ التي ضَرَبَها اللهُ تعالى لهم، قاله مُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لَذُو تجاوزٍ عن المشركين إذا آمنوا، وإنه لشديدُ العقاب للمُصرِّينَ على الشِّرك. وقال مُقاتِلٌ: لَذُو تجاوزٍ عن شِرْكِهم في تأخير العذاب، وإنه لَشديدُ العقاب إذا عَذَّبَ.

فصل: وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[٢]، والمُحقِّقون على أنها مُحكَمَةٌ.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ «لولا» بمعنى هلاً، والآيةُ التي طَلَبُوها، مثلُ عصا موسى ونَاقةِ صالح. ولم يَقنَعُوا بما رَأوا، فقال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي: مُخَوِّفٌ عذابَ الله، وليس لك مِنَ الآيَاتِ شيءٌ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنَّ المُرادَ بالهَادي: اللهُ عزَّ وجلَّ،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٢/٦١٧: كانوا يطلبون من الرسول أن يأتيهم بعذاب الله، وذلك من شدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم. وقال الإمام الطبري رحمه الله ٧/٣٤١ كذلك. وقال الشوكاني في «فتح القدير» ٣/٨١: وهذا الاستعجال من هؤلاء هو على طريقة الاستهزاء، كقولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/٢٢٨: وقد بينت معنى «الهداية»، وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم، فإذا كان كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله يهدي خلقه، ويتبع خلقه هداه، ويأتمون بأمره ونهيه. وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته، وجائز أن يكون إماماً من الأئمة يُؤتَمّ به، ويتبع منهاجه وطريقته أصحابه، وجائز أن يكون داعياً من الدعاة إلى خير أو شر، وإن كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمداً هو المنذر لمن أرسل إليه بالإنذار، وأن لكل قوم هادياً يهديهم فيتبعونه ويأتمون به.

رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، والنَّخعيُّ. فيكون المعنىٰ: إنما إليك الإنذار، والله الهادي. **والثاني**: أنَّ الهادي: الدَّاعِي، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ الهادي: النبيُّ ﷺ، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ، فالمعنى: ولكلِّ قوم نبيٌّ يُنذرهم. **والرابع**: أنَّ الهادي: رسولُ الله ﷺ أيضاً، قاله عِكرمَةُ، وأبو الضُّحى، والمعنى: أنتَ منذِرٌ، وأنتَ هادٍ. **والخامس**: أنَّ الهادي: العملُ، قاله أبو العَاليَة. **والسادس**: أنَّ الهادي: القَائدُ إلى الخير أو إلى الشرِّ، قاله أبو صالحٍ عن ابن عباس.

[٨٢٣] وقد رَوى المُفسِّرونَ مِنْ طُرقٍ ليس فيها ما يثبتُ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا نزلت هذه الآيةُ، وضع رسولُ الله ﷺ يدَهُ على صدرهِ، فقال: «أنا المُنذِرُ»، وأَومَأَ بيده إلى مِنكَبِ عليّ، فقال: «أنتَ الهادي يا عليُّ، بكَ يُهتدَى مِنْ بَعدِي». قال المُصنِّفُ: وهذا مِنْ مَوضُوعاتِ الرَّافِضةِ.

ثم إنَّ اللهَ تعالى أخبرهم عن قُدرته، رَدّاً على مُنكِري البَعثِ، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ أي: مِنْ عَلَقةٍ أو مُضغَةٍ، أو زائدٍ أو ناقصٍ، أو ذكرٍ أو أنثى، أو واحدٍ أو اثنين أو أكثرَ. ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ أي: ما تَنقصُ، ﴿وَمَا تَزۡدَادُۖ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: ما تَغِيضُ: بالوَضعِ لأقلَّ مِنْ تسعة أشهُرٍ، وما تَزدادُ: بالوَضعِ لأكثرَ مِنْ تسعةِ أشهرٍ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: وما تَغيضُ: بالسِّقْطِ الناقصِ، وما تَزدادُ: بالوَلَدِ التَّامِّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وعن الحَسنِ كالقولَين. **والثالث**: وما تَغيضُ: بإراقَةِ الدَّمِ في الحَمْلِ حتى يتضاءَلَ الوَلدُ، وما تَزدادُ: إذا أمسكَتِ الدَّمَ فيَعظُمَ الوَلدُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: «ما تَغيضُ الأرحامُ» مَنْ ولدَتْهُ مِنْ قبلُ، «وما تزداد» مَنْ تلِدُه مِنْ بَعد، رُوي عن قَتادَةَ، والسُّدِّيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ أي: بقَدرٍ. قال أبو عُبيدَةَ: هو مِفعَالٌ مِنَ القَدَرِ. قال ابنُ عباسٍ: عَلِمَ كُلَّ شيءٍ فقدَّرهُ تقديراً.

---

[٨٢٣] باطل لا أصل له، أخرجه الطبري ٢٠١٦١ من حديث ابن عباس، وفيه عطاء بن السائب صدوق اختلط بأخرة، وعنه معاذ بن مسلم ذكره الذهبي في «الميزان» وقال: مجهول، وله عن عطاء بن السائب خبر باطل. وعنه الحسن بن حسين الكوفي، قال ابن عدي: لا يشبه حديثه حديث الثقات. وقال ابن حبان: يأتي عن الثقات بالملزقات اهـ. وقد حكم ابن الجوزي بوضعه كما ترى. وقال ابن كثير: هذا الحديث فيه نكارة شديدة. انظر «تفسير ابن كثير» ٢/٦١٨. وورد من حديث علي، أخرجه عبد الله بن أحمد ١٠٤٤، والطبراني في «الأوسط» ١٣٨٣ و «الصغير» ٧٣٩ عن علي به. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٠٩٠: رجال المسند ثقات اهـ. وفيما قاله نظر، فإن في الإسناد المطلب بن زياد الثقفي، وهو وإن كان وثقه أحمد ويحيى وابن حبان، فقد قال أبو حاتم: يكتب حديثه، ولا يحتج به. وضعفه عيسى بن شاذان، وقال ابن سعد: كان ضعيفاً جداً. وشيخه السدي أيضاً ضعفه غير واحد. وورد عن علي موقوفاً أخرجه الحاكم ٣/١٢٩ وصححه. ورده الذهبي بقوله: بل كذب، قبح الله واضعه. اهـ. وهو كما قال الذهبي: موضوع، لا يصح بوجه من الوجوه. وهو من بدع التأويل، ولو صح مثل هذا لكان مقام عليّ أعلى من مقام رسول الله عليه الصلاة والسلام. وهذا لا يقوله مسلم، بل الصواب أن المنذر رسول الله ﷺ، وأن الله هو الهادي لمن أراد والله تعالى أعلم. انظر «تفسير الشوكاني» ١٢٨٦ ـ ١٢٨٧ بتخريجنا.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ قد شرحنا ذلك في (الأنعام)[1]. و ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ بمعنى: العَظيم. ومعناه: يعودُ إلى كِبَرِ قَدْرِه واستحقَاقِه صفاتِ العُلوّ، فهو أكبرُ مِنْ كلّ كبيرٍ، لأنَّ كلَّ كبيرٍ يَصغُرُ بالإضافة إلى عَظَمتِه. ويُقال: «الكبير» الذي كَبُر عن مُشابهةِ المَخلُوقين.

فأمّا ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ فقرأ ابنُ كثيرٍ «المُتعالي» بياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ، وكذلك رَوى عبدُ الوَارثِ عن أبي عمروٍ، وأثبتَها في الوقف دونَ الوَصْلِ ابنُ شَنَبُوذ عن قُنْبُل، والباقون بغير ياءٍ في الحَالَين. والمُتعالي هو المُتنزِّهُ عن صفاتِ المَخلُوقين، قال الخَطَّابيُّ: وقد يكون بمعنى العَالِي فوق خَلْقِه، ورُوي عن الحَسنِ أنه قال: المُتعَالي عمّا يقول المشركون.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ قال ابنُ الأنباري: نَابَ «سواءٌ» عن مُستَوٍ، والمعنى: مُستَوٍ منكم ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ أي أخفَاهُ وكتَمهُ ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ أعلَنَهُ وأَظهرَهُ، والمعنى: أنَّ السِّرَّ والجَهرَ سواءٌ عنده. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المُستَخفِي: هو المُستَتِرُ المُتَواري في ظُلمةِ الليلِ، والسَّارِبُ بالنَّهار: الظَّاهرُ المُتصرِّفُ في حَوائِجه. يُقال: سَرَبَتِ الإبلُ تَسْرِبُ: إذا مَضَتْ في الأرض ظاهرةً، وأنشدوا:

أرَى كُلَّ قَومٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِم ... وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَه فَهْوَ سَارِبُ

أي: ذاهبٌ. ومعنى الكلام: أنَّ الظاهرَ والخَفيَّ عنده سواءٌ، هذا قولُ الأكثرين. ورَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ: «ومَنْ هو مُستَخفٍ» قال: صاحبُ رِيبَةٍ بالليلِ، فإذا خرج بالنَّهارِ أرَى الناسَ أنه بَريءٌ مِنَ الإثمِ. **والثاني**: أنَّ المُستَخفِيَ بالليل: الظَّاهرُ، والسَّارِبَ بالنهارِ: المُستَتِرُ، يُقال: انسَرَبَ الوَحشُ: إذا دخلَ في كِنَاسِهِ، وهذا قولُ الأخفَش، وذكره قُطْرُبُ أيضاً واحتجَّ له ابنُ جَريرٍ بقولهم: خَفَيْتُ الشيءَ: إذا أظهرتَهُ، ومنه (أكادُ أَخفيها)[2] بفتحِ الألفِ، أي: أُظهِرُها، قال: وإنما قيل للمُتواري: سَارِبٌ، لأنه صارَ في السَّربِ مُستَخفِياً.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ في هاءِ «له» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، رواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إلى المَلِكِ مِنْ مُلوك الدنيا، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: إلى الإنسان، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: إلى الله تعالى، ذكره ابنُ جَريرٍ، وأبو سُليمانَ الدِّمشقي.

وفي المُعقِّبات قولان: **أحدهما**: أنها الملائكة، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والحَسَنُ، وقَتادةُ في آخرين. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: للإنسان ملائكةٌ يعتَقِبونَ، يأتي بعضُهم بِعَقبِ بعضٍ. وقال أكثرُ المفسِّرين: هم الحَفَظَة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريقٌ، خَلفَ بعدَهُ فريقٌ، ويجتمعون عند صلاة المَغربِ والفَجرِ. وقال قومٌ، منهم ابنُ زيدٍ: هذه الآيةُ خاصَّةٌ في

---

(١) عند الآية: ٦. (٢) سورة طه: ١٥.

رسولِ الله ﷺ، عَزمَ عامرُ بنُ الطُّفَيلِ وأربَدُ بنُ قَيسٍ على قتلِه، فمنَعهُ اللهُ منهما، وأنزلَ هذه الآيةَ[1].
والقول الثاني: أنَّ المُعقبات حُرَّاسُ المُلوكِ الذين يَتعاقَبُون الحَرَسَ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ وعِكرمَةَ. وقال الضَّحَّاكُ: هُم السَّلاطين المُشركون المُحترَسُون مِنَ الله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَحرِسُونه مِنْ أمرِ الله ولا يَقدِرونَ، هذا على قولِ مِنْ قال: هي في المشركين المُحتَرسينَ مِنْ أمرِ اللهِ. **والثاني**: أنَّ المعنى: حِفْظُهُم له مِنْ أمرِ الله، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ، فيكون تقديرُ الكلام: هذا الحِفظُ ممَّا أمرَهُم اللهُ به. **والثالث**: يَحفظُونهُ بأمرِ الله، قاله الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ. قال اللغويون: والباءُ تقوم مقامَ «مِنْ»، وحروفُ الصفات يقوم بعضُها مقامَ بعضٍ. **والرابع**: يَحفظُونهُ مِنَ الجِنِّ، قاله مُجاهِدٌ، والنَّخعيُّ. وقال كَعبٌ: لولا أنَّ الله تعالى وَكَّلَ بكم ملائكةً يَذُبُّون عنكم في مَطعَمِكُم ومَشرَبِكُم وعَوْرَاتِكم، إذَنْ لَتَخطَّفَتْكم الجِنُّ. وقال مُجاهِدٌ: ما مِنْ عَبْدٍ إلاَّ وَمَلَكٌ مُوكَّلٌ به يحفَظُه في نومِه ويقظتِه مِنَ الجِنِّ والإنسِ والهَوامِّ، فإذا أراده شيءٌ، قال: وراءَكَ وراءَكَ، إلاَّ شيءٌ قد قُضِيَ له أنْ يُصيبَهُ. وقال أبو مِجْلَز: جاء رجلٌ مِنْ مُراد إلى عليّ عليه السلام، فقال: احترِسْ، فإنَّ ناساً مِنْ مُراد يُريدون قَتْلَكَ، فقال: إنَّ معَ كلِّ رجلٍ مَلَكَين يحفظانِه ممَّا لم يُقدَّرْ، فإذا جاء القَدَرُ خَلَّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجلَ جُنَّةٌ حَصينَةٌ. **والخامس**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، والمعنى: له مُعقِّباتٌ مِنْ أمرِ الله يحفظُونَهُ، قاله أبو صالح، والفَرَّاءُ. **والسادس**: يحفظونه لأمرِ الله فيه حتى يُسْلِمُوه إلى ما قُدِّر له، ذكره أبو سُليمان الدِّمشقي، واستدلَّ بما روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: يحفظونه مِنْ أمرِ الله، حتى إذا جاء القَدَرُ خَلَّوا عنه. وقال عِكرمَةُ: يحفظونه لأمرِ اللهِ. **والسابع**: يحفظون عليه الحسَناتِ والسَّيئاتِ، قاله ابنُ جُريج. قال الأخفَشُ: وإنما أنَّث المُعقِّباتِ لكثرة ذلك منها، نحو النَّسَّابَة، والعَلاَّمَة ثم ذَكَّر في قوله: «يحفظونه» لأنَّ المعنى مُذَكَّرٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ أي: لا يَسلُبهُم نِعمَهُ ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فيعملوا بمعاصيه. قال مُقاتِلٌ: ويعني بذلك كفَّارَ مكَّةَ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه العذابُ. **والثاني**: البَلاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أي: لا يَرُدُّهُ شيءٌ ولا تنفعُه المُعقِّباتُ. ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ يعني: مِنْ دونِ اللهِ ﴿مِن وَالٍ﴾ أي: مِنْ وَليّ يدفعُ عنهم العذابَ والبَلاء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خوفاً للمُسافر وطَمعاً للمُقيم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال قَتادَةُ: فالمُسافر خاف أذاهُ ومَشقَّتَه والمُقيمُ يرجو منفعتَهُ. **والثاني**: خوفاً مِنَ الصَّواعقِ وطَمعاً في الغَيثِ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ. **والثالث**: خوفاً للبلَدِ الذي يخافُ ضَررَ المطر وطَمعاً لِمَنْ يرجو الانتفاع به، ذكره الزَّجَّاجُ. **والرابع**: خوفاً مِنَ العقاب وطَمعاً في الثَّواب، ذكره المَاوَردِي. وكان ابنُ الزُّبيرِ إذا سمع صوتَ الرَّعدِ يقول: إن هذا وعيدٌ شديدٌ لأهلِ الأرضِ.

---

(١) يأتي عند الآية (١٣).

قوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي: ويخلُقُ السَّحابَ الثِّقَالَ بالماءِ. قال الفَرَّاءُ: السَّحابُ، وإنْ كان لفظُه واحداً، فإنه جَمعٌ واحدتُه سحابةٌ، جُعِلَ نعتُه على الجمع، كما قال ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾(١) ولم يَقُلْ: أخضرَ، ولا حَسَنٍ.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ المَلَك الذي يَزجُر السَّحابَ، وصوتُه: تَسبيحُه، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه الصَّوتُ المَسموعُ. وإنما خُصَّ الرَّعدُ بالتَّسبيح، لأنه مِنْ أعظم الأصوات. قال ابنُ الأنباري: وإخبارُه عن الصَّوتِ بالتَّسبيح مَجازٌ، كما يقول القائلُ: قد غمَّني كلامُكَ. قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو الأظهَرُ. قال ابنُ عباسٍ: يخافونَ اللهَ، وليس كخوفِ ابنِ آدم، لا يَعرِفُ أحدُهم مَنْ على يمينِه ومَنْ على يسَارِه، ولا يَشغَلُه عن عبادةِ الله شيءٌ. **والثاني**: أنها ترجع إلى الرَّعدِ، ذكره المَاوَرديِ. قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾، اختلفوا فيمَن نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[٨٢٤] **أحدها**: أنها نَزلت في أربَدَ بنِ قَيسٍ، وعَامِرِ بنِ الطُّفَيلِ، أتيَا إلى رسولِ الله ﷺ يُريدان الفَتْكَ به، فقال: «اللهمَّ اكفِنيهِما بما شئتَ»، فأمَّا أربَدُ فأرسلَ اللهُ عليه صَاعقةً في يوم صَائفٍ صَاحٍ فأحرَقتهُ، وأما عَامر فأصابته غُدَّةٌ فهَلكَ، فأنزلَ الله تعالى هذه الآيةَ، هذا قولُ الأكثرِينَ، منهم ابنُ جُرَيجٍ، وأربَدُ هو أخو لَبيدِ بنِ رَبيعةَ لأمِّهِ.

[٨٢٥] **والثاني**: أنها نزلت في رجلٍ جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حَدِّثني يا محمَّدُ عن إلهكَ، أياقُوتٌ هو؟ أذهبٌ هو؟ فنزلت على السَّائِلِ صاعقةٌ فأحرَقَتْهُ، ونزلت هذه الآيةُ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام. قال مُجاهِدٌ: وكان يهودياً.

[٨٢٦] وقال أنسُ بنُ مالكٍ: بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى بعضِ فَراعِنةِ العرب يدعوه إلى الله تعالى،

---

[٨٢٤] أخرجه الطبراني ١٠٧٦٠، وفي «الطوال» ٣٧ من حديث ابن عباس. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٠٩١: في إسنادهما عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف. وذكره الواحدي في الأسباب ٥٤٧ بقوله: قال ابن عباس في رواية أبي صالح وهو واه، وابن جريج، وابن زيد، فساقه بلا سند. وأثر ابن جريج أسنده الطبري ٢٠٢٧٢ عنه وهو معضل.. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٢٤.

[٨٢٥] أخرجه الطبري ٢٠٢٦٩ من حديث علي، وإسناده واهٍ، فيه سيف ابن أخت سفيان الثوري، متروك الحديث. وله شاهد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢٠٢٦٧، ومع إرساله فيه ليث، وهو ضعيف. وانظر ما بعده.

[٨٢٦] جيد. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٣٠٤، والبزار ٢٢٢١، وأبو يعلى ٣٣٤١ و ٣٣٤٢ من رواية ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس مطوّلاً، ورجال البزار وأبي يعلى في الرواية الأولى ثقات. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٤٢: ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان، وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة، وهو ضعيف اهـ. وأخرجه أبو يعلى ٣٣٤٢ و ٣٤٦٨، والواحدي ٥٤٦، =

---

(١) سورة الرحمن: ٧٦.

فقال للرسولِ: وما اللهُ، أمِنْ ذَهَبٍ هو، أم مِنْ فِضَّةٍ، أم مِنْ نُحاسٍ؟ فرجعَ إلى النبيِّ ﷺ فأخبره، فقال: «ارجِعْ إليه فادْعُهُ»، فرجعَ، فأعادَ عليه الكلامَ، إلى أنْ رجعَ إليه ثالثةً، فبينما هما يَتراجَعانِ الكلامَ، إذْ بعثَ اللهُ سحابةً حِيَالَ رأسِه، فرَعَدَتْ ووقعت منها صاعقةٌ فذهبت بقِحْفِ رأسه، ونزلت هذه الآيةُ.

[٨٢٧] **والثالث**: أنها في رجلٍ أنكرَ القرآنَ وكذَّب رسولَ الله ﷺ، فأرسلَ اللهُ عليه صَاعقةً فأهلكَتْهُ ونزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يُكذِّبون بعَظَمَةِ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُخاصِمون في اللهِ، حيثُ قال قائِلُهم: أهو مِنْ ذَهَبٍ، أم مِنْ فضَّةٍ؟ على ما تقدم بيانُه. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: شديدُ الأَخذِ، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: شديدُ المَكْرِ، شديدُ العداوة، رواه الضَّحّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: شديدُ العقوبة، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وقال مُجاهِدٌ في روايةٍ عنه: شديدُ الانتِقامِ. وقال أبو عُبيدَةَ: شديدُ العقوبة والمَكْرِ والنَّكالِ، وأنشد للأَعشَى:

فَرْعُ نَبْعٍ يهتزُّ في غُصُنِ المجـ ـدِ، غزيرُ النَّدى، شديدُ المِحَالِ
إن يُعاقِبْ يكُنْ غَراماً وإنْ يُعْـ ـطِ جَزيلاً فإنَّهُ لا يُبالي

والرابع: شديدُ القوَّة، قاله مُجاهِدٌ. قال الزَّجّاجُ: يقال: مَاحَلْتُه مِحَالاً: إذا قَاوَيتَهُ حتى تبيَّن له أيُّكما الأشدُّ، والمَحْلُ في اللغة: الشِّدةُ. **والخامس**: شديدُ الحِقْدِ، قاله الحسَنُ البَصريُّ فيما سمعناه عنه مسنداً مِنْ طُرقٍ، وقد رواه عنه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين منهم ابنُ الأنباري، والنَّقَّاشُ، ولا يجوز هذا في صفاتِ الله عزَّ وجلَّ. قال النَّقَّاشُ: هذا قولٌ مُنكرٌ عند أهل الخبر والنَّظرِ في اللغة لا يجوز أنْ تكون هذه صفةً مِنْ صفات الله تعالى. والذي أختاره في هذا ما قاله عليٌّ عليه السلام: شَديدُ الأَخْذِ، يعني: أنه إذا أخذَ الكافرَ والظالمَ لم يُفلِتْهُ مِنْ عقوباتِه.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤)﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها كلمةُ التَّوحيد، وهي: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، قاله عليٌّ وابنُ عباسٍ والجمهورُ، فالمعنى له مِنْ خَلْقِه الدعوة الحقُّ، فأُضيفَتِ الدَّعوةُ إلى الحقِّ لاختلاف اللفظين. **والثاني**: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو الحقُّ، فمَنْ دعاهُ دعا الحقَّ، قاله الحسَنُ.

= والطبري ٢٠٢٧٠، والنسائي في «التفسير» ٢٧٩، والعقيلي في «الضعفاء» ٣/ ٢٣٢ من طريق علي بن أبي سارة مطوّلاً. وإسناده ضعيف، لضعف ابن أبي سارة. قال البخاري: في حديثه نظر. وقال أبو حاتم: شيخ ضعيف الحديث اهـ. انظر «الميزان» ٣/ ١٣٠، و «التهذيب» ٧/ ٣٢٤.

[٨٢٧] مرسل. أخرجه الطبري ٢٠٢٧١ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، لكن يشهد لما قبله، فأصل الخبر قوي بشواهده وطرقه، وإن اختلفت بعض ألفاظه. وأصح شيء في الباب حديث أنس. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٣٧٢٥ بتخريجنا، والله الموفق.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام آلهةً. قال أبو عُبيدَةَ: المعنى: والذين يدعون غيرَهُ مِنْ دُونِه. قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم﴾ أي: لا يُجيبُونَهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العطشانُ يمدُّ يدَهُ إلى البئر ليرتفعَ الماءُ إليه وما هو ببَالِغِه؛ قاله عليٌّ عليه السلام، وعَطاءٌ. **والثاني**: أنه الرجل العطشان قد وضع كفَّيه في الماء وهو لا يَرفعهما، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه العطشان يرى خيالَهُ في الماء من بعيد، فهو يريد أنْ يتناولَهُ فلا يَقدرُ عليه، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباس. **والرابع**: أنه الرجل يدعو الماءَ بلسانه ويُشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنه البَاسِطُ كفَّيه ليقبضَ على ماءٍ حتى يُؤَدِّيَه إلى فِيهِ، لا يَتِمُّ له ذلك، والعرب تقول: مَنْ طلبَ ما لا يجدُ فهو القَابِضُ على الماءِ، وأنشدوا:

وإنِّـي وإيَّـاكُـم وشَـوْقـاً إلـيـكُـمُ   كـقَـابِـضٍ مـاءٍ لـم تَـسِـقْـهُ أنـامِـلُـهْ[١]

أي: لم تَحمِلْهُ، والوَسْقُ: الحِمْلُ، وقال آخر:

فـأصـبَـحـتُ مـمَّـا كـانَ بـيـنـي وبَـيْـنَـهـا   مِـنَ الـوُدِّ مِـثْـلَ الـقَـابِـضِ الـمَـاءَ بـالـيَـدِ

هذا قولُ أبي عُبيدَةَ، وابنِ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وما دُعاءُ الكافرين رَبَّهم إلاّ في ضلالٍ، لأنَّ أصواتَهُم مَحجُوبةٌ عن اللهِ عزَّ وجلَّ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: وما عبادةُ الكافرين الأصنامَ إلاّ في خُسرانٍ وباطلٍ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: مِنَ الملائكة، ومَنْ في الأرضِ مِنَ المؤمنين ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ . وفي معنى سُجودِ السَّاجدين كَرهاً ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه سجودُ مَنْ دخل في الإسلام بالسَّيف، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه سُجود ظِلّ الكافر، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّ سجودَ الكارِه تذلُّله وانقيادُه لِمَا يُريده اللهُ عزَّ وجلَّ منه مِنْ عافيةٍ ومرضٍ وغِنًى وفَقرٍ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ أي: وتَسجدُ ظِلالُ السَّاجدين طَوعاً وكَرْهاً، وسُجودُها: تمايُلها مِنْ جانبٍ إلى جانبٍ، وانقيادُها للتَّسخيرِ بالطُّول والقِصَرِ. قال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الظِّلُّ ما كان بالغَدَواتِ قبل انبِسَاطِ الشمس، والفَيءُ ما كان بعدَ انصِرَافِ الشمس، وإنما سُمِّي فَيْئاً، لأنه فاءَ، أي: رجعَ إلى الحَالِ التي كان عليها قبلَ أنْ تنبَسِطَ الشمسُ، وما كان سِوى ذلك فهو ظِلٌّ، نحو ظِلِّ

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «وَسَقَ»، ونسبه إلى ضابئ بن الحرث البُرجمي.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٣٦٦: فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء، من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له، فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام، ومن في الأرض من المؤمنين به طوعاً، فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كرهاً حين يكرَهون على السجود.
وقال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦٢٥: يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين، وكرهاً من المشركين.

الإنسان، وظِلِّ الجدار، وظِلِّ الثوب، وظِلِّ الشجرة، قال حُمَيدُ بنُ ثَورٍ:

فلا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحى تَسْتَطِيعُهُ ولا الفَيءُ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذوقُ

وقال لَبِيدٌ:

بينما الظِّلُّ ظَلِيلٌ مُونِقٌ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهِ فاضْمَحَلّ

وقال آخر:

أَيا أَثَلاتِ القَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ حَنِينِي إلى أَظلالِكُنَّ طَويلُ(١)

وقيل: إنَّ الكافر يَسجدُ لغيرِ اللهِ، وظِلُّه يسجدُ للهِ. وقد شرحنا معنى الغُدُوِّ والآصَالِ في (الأعراف)(٢).

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إنما جاء السؤالُ والجوابُ مِنْ جهةٍ، لأنَّ المشركين لا يُنكرون أنَّ اللهَ خَالقُ كلِّ شيءٍ، فلمَّا لم يُنكروا، كان كأنَّهم أجابوا. ثم ألزَمَهُم الحُجة بقوله: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: الأصنام تَولَّيتُموهم فعَبدتُموهم وهم لا يَملِكونَ لأنفُسِهم نفعاً ولا ضراً، فكيف لغَيرِهم؟! ثم ضَربَ مَثَلاً للذي يَعبدُ الأصنامَ والذي يعبدُ اللهَ بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾. وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «تستوي» بالتاء. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «يستوي» بالياء. قال أبو عليٍّ: التَّأنيثُ حَسَنٌ، لأنه فعلُ مؤنثٍ، والتَّذكيرُ سائغٌ، لأنه تأنيثٌ غير حقيقيٍّ. ويعني بالظُّلمات والنُّور: الشركَ والإيمانَ. ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: أَجعلوا لله شُركاءَ خَلَقُوا كخَلْقِه، فتشابَهَ خَلْقُ اللهِ بخَلْقِ هؤلاءِ؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: ليس الأمرُ على هذا، بل إذا فكَّروا عَلِمُوا أنَّ الله هو المُنفردُ بالخَلْقِ، وغيرُه لا يَخْلُقُ شيئاً.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: قُلْ ذلك وبَيِّنْهُ بما أُخبرت به مِنَ الدَّلالةِ في هذه السُّورةِ مما يدلُّ على أنه خالقُ كلِّ شيءٍ، وقد ذكرنا في (يوسف)(٣) معنى الواحدِ القهَّار.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) البيت لمجنون ليلى من ديوانه: ٢٢١.

(٢) سورة الأعراف: ٧. (٣) سورة يوسف: ٣٩.

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ﴾ وهي جمعُ وَادٍ، وهو كلُّ مُنفرَج بين جبَلَين يجتمع إليه ماءُ المطر فيَسِيلُ ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمَبلَغ ما تحمِلُ، فإنْ صَغُرَ الوادي، قلَّ الماءُ، وإنْ هو اتَّسَعَ، كَثُر. وقرأ الحسَنُ، وابنُ جُبَير، وأبو العَالِيَة، وأيوبُ، وابنُ يَعمُرَ، وأبو حاتم عن يَعقوبَ: «بقَدْرِها» بإسكانِ الدالِ. وقوله تعالى: «فسالت أودية» توسُّعٌ في الكلام، والمعنى: سَالَتْ مياهُها، فحُذِف المضافُ، وكذلك قوله: «بقدَرِها» أي: بقَدْرِ مياهِها. ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ أي: عالياً فوق الماء، فهذا مَثَلٌ ضَربَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ. ثم ضربَ مَثَلاً آخرَ، فقال: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «توقِدون عليه» بالتاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ بالياء. قال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ بالتاءِ، فَلِما قَبلَهُ مِنَ الخطاب، وهو قوله: «أفاتَّخذتم»، ويجوز أنْ يكون خِطاباً عامّاً للكافَّةِ، ومَنْ قرأ بالياء فلأنَّ ذِكرَ الغَيبةِ قد تقدَّمَ في قوله: «أَمْ جعلوا لله شركاء».

ويعني بقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ﴾ ما يدخل إلى النار فيُذَابُ مِنَ الجَواهر ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ يعني: الذَّهبَ والفِضَّةَ ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ يعني: الحَديدَ والصُّفرَ والنُّحاسَ والرَّصاصَ تُتَّخذُ منه الأواني والأشياءُ التي يُنتفعُ بها، ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ أي: له زَبَدٌ إذا أُذيبَ مثل زَبَد السَّيل، فهذا مَثَلٌ آخرُ.

وفيما ضُرب له هذان المَثَلان ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهَ القرآن، شبَّه نُزوله مِنَ السماء بالماء، وشبَّه قلوب العِباد بالأودِيَةِ تحملُ منه على قَدْرِ اليقين والشَّكِّ، والعقلِ والجهلِ، فيَستكِنّ فيها، فيَنتفع المؤمنُ بما في قلبه كانتفَاع الأرضِ التي يَستقرُّ فيها المطرُ، ولا ينتفعُ الكافرُ بالقرآن لمَكانِ شَكِّه وكُفرِه، فيكون ما حصلَ عنده مِنَ القرآن كالزَّبَدِ وكخَبَثِ الحديد لا يُنتفعُ به. **والثاني**: أنه الحقُّ والباطلُ، فالحقُّ شُبّه بالماء الباقي الصَّافي، والبَاطلُ مشبَّهٌ بالزَّبَدِ الذَّاهِبِ، فهو وإنْ عَلاَ على الماء فإنه سَيُمحَق، كذلك الباطلُ، وإنْ ظهرَ على الحقِّ في بعض الأحْوالِ، فإنَّ الله سيُبطِلُه. **والثالث**: أنه مَثَلٌ ضَربَهُ اللهُ للمؤمن والكافرِ، فمَثَلُ المؤمن واعتقادِه وعَملِه كالماءِ المُنتفَع به، ومَثَلُ الكافرِ واعتقادِه وعَملِه كالزَّبَدِ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذُكِرَ هذا، يَضرِبُ اللهُ مَثَلَ الحقِّ والباطلِ. وقال أبو عُبيدَة: كذلكَ يُمَثِّل اللهُ الحقَّ ويُمثِّل الباطلَ.

فأمَّا الجُفَاءُ، فقال ابنُ قُتَيبة: هو ما رَمى به الوادي إلى جَنَباتِه، يقال: أجفَأَتِ القِدْرُ بزَبَدها: إذا أَلْقتهُ عنها. قال ابنُ فارسٍ: الجُفَاءُ: ما نفَاهُ السَّيلُ، ومنه اشتقاق الجَفَاءِ. وقال ابنُ الأنباري: «جُفاء» أي: بَالِياً مُتفرِّقاً. قال ابنُ عباسٍ: إذا مُسَّ الزَّبَدُ لم يكن شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِنَ الماء والجَواهرِ التي زالَ زَبَدُها ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فيُنتفعُ به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يبقى الحقُّ لأهله. قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٣٦٩: وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر، يقول تعالى ذكره: مثل الحق في ثباته، والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض **﴿فسالت أودية بقدرها﴾** يقول: فاحتملته الأودية بملئها **﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾** يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء زبداً عالياً فوق السيل، فهذا أحد مثلي الحق والباطل، فالحق هو الماء الباقي، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل.

﴿يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ يعني: الكُفَّارَ. قال أبو عُبيدَةَ: استجبتُ لكَ واستَجبتُكَ سواءٌ، وهو بمعنى: أَجبْتُ. وفي الحُسنَى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الجنَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أنها الحياة والرِّزقُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: كلُّ خيرٍ مِنَ الجنَّة فما دُونها، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿لَافْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ أي: لَجعلوهُ فِداءَ أنفُسِهم مِنَ العذاب، ولا يُقبلُ منهم.

وفي سُوءِ الحساب ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المُناقشةُ بالأعمال، رواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ. وقال النَّخعيُّ: هو أنْ يُحاسَب بذنبه كلِّه، فلا يُغفر له منه شيءٌ. **والثاني**: أنْ لا تُقبلَ منهم حسنةٌ، ولا يُتجاوزُ لهم عن سيِّئةٍ. **والثالث**: أنه التَّوبيخُ والتَّقريعُ عند الحساب.

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في حَمزَةَ، وأبي جَهْلٍ. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: إنما يتَّعظُ ذوو العُقولِ. والتَّذكُّرُ: الاتِّعاظُ.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ في هذا العَهْدِ قولان:

أحدهما: أنه ما عَاهدَهُم عليه حينَ استخرجَهُم مِنْ ظَهْرِ آدم.

والثاني: ما أمرَهُم به وفَرضَهُ عليهم. وفي الذي أمرَ اللهُ به، عزَّ وجلَّ، أنْ يُوصلَ، ثلاثةُ أقوالٍ قد نَسبنَاها إلى قائِلِها في أوَّلِ سُورةِ «البقرة»[1]، وقد ذكرنا سُوءَ الحسابِ آنفاً.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي: على ما أُمِرُوا به ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لرِضَاهُ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتمُّوها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ مِنَ الأموال في طاعة الله. قال ابنُ عباسٍ: يريد بالصَّلاةِ: الصَّلواتِ الخَمْسَ، وبالإنفاقِ: الزَّكاةَ.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ أي: يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾. وفي المُراد بهما خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَدفعونَ بالعمل الصالح الشرَّ مِنَ العَمَلِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَدفعونَ بالمَعروفِ المُنكَرَ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثالث**: بالعَفْوِ الظُّلمَ، قاله جُوَيْبِرٌ. **والرابع**: بالحِلْمِ السَّفَهَ، كأنهم إذا سُفِهَ عليهم حَلُمُوا، قاله ابنُ قُتَيبَةَ. **والخامس**: بالتَّوبة الذَّنْبَ، قاله ابنُ كَيْسَانَ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: عُقباهُمُ الجنَّةُ، أي: تَصيرُ الجنة آخرَ

---

(١) عند الآية: ٢٧.

أمرهم. قوله تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «صلُح» بضمّ اللام. ومعنى «صلح»: آمَنَ، وذلك أنَّ الله تعالى أَلْحَقَ بالمؤمن أهلَهُ المؤمنين إكراماً له، لِتقرَّ عينُه بهم. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بالتَّحيةِ مِنَ الله والتُّحفةِ والهدايا.

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ قال الزَّجَّاجُ: أضمرَ القولَ هاهنا، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السَّلام قولان: **أحدهما**: أنه التَّحيةُ المعروفة[1]، يدخل المَلَكُ فيُسلّم وينصرفُ. قال ابنُ الأنباري: وفي قَول المُسَلِّم: سلامٌ عليكم، قولان: أحدهما: أنَّ السلامَ: اللهُ عزَّ وجلَّ، والمعنى: اللهُ عليكم، أي: على حِفظِكُم. والثاني: أنَّ المعنى: السَّلامةُ عليكم، فالسَّلامُ جَمْعُ سَلامَةٍ. **والثاني**: أنَّ معناه: إنَّما سَلَّمكُم اللهُ تعالى مِنْ أهوالِ القيامة وشرّها بصَبْرِكم في الدنيا.

وفيما صَبَروا عليه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أَمْرُ اللهِ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني**: فُضُولُ الدنيا، قاله الحَسنُ. **والثالث**: الدِّينُ. **والرابع**: الفقر، رُويا عن أبي عِمرانَ الجَوْني. **والخامس**: أنه فَقْدُ المَحبوبِ، قاله ابنُ زيدٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ قد سبقَ تفسيرُهُ في سُورةِ (البقرة)[2]. وقال مُقاتِلٌ: نزلت في كفَّارِ أهلِ الكتاب. وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ أي: عليهم.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: يُوسّع على مَنْ يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُضيّقُ. ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد مُشركي مكَّةَ، فَرِحُوا بما نَالُوا مِنَ الدنيا فَطغَوْا وكذَّبوا الرُّسلَ. وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بالقِياسِ إليها ﴿إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ أي: كالشيء الذي يُتمتَّعُ به، ثم يَفْنَى.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ نزلت في مُشركي مكَّةَ حين طلبوا مِنْ رسول الله ﷺ مِثْلَ آياتِ الأنبياء[3]. ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يَردُّهُ عَنِ الهُدى كما رَدَّكُم بعدَما أنزلَ مِنَ الآياتِ وحَرَمَكُم الاستِدلالَ بها، ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: رَجعَ إلى الحقّ، وإنما يَرجِعُ إلى الحقّ مَنْ شاء اللهُ رُجوعَهُ، فكأنه قال: ويَهدي مَنْ يشاءُ.

---

(١) وهو ما اختاره الطبري رحمه الله ٧/ ٣٧٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٧.

(٣) لم أجد من ذكره سوى المصنف على أنه سبب نزول، وقد ذكره الطبري استنباطاً من الآية الكريمة، حيث تدل على ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذا بَدلٌ مِنْ قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يَهدِي الذين آمنوا، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ في هذا الذِّكر قولان: **أحدهما**: أنه القرآن. **والثاني**: ذِكْرُ الله على الإِطلاقِ. وفي معنى هذه الطُّمأنينةِ قولان: **أحدهما**: أنها الحُبُّ له والأُنسُ به. **والثاني**: السُّكونُ إليه مِنْ غير شَكٍّ، بخلافِ الذين إذا ذُكِرَ الله اشمأَزَّتْ قُلُوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «ألا» حرفُ تنبيهٍ وابتِدَاءٍ، والمعنى: تَطمَئِنُّ القلوبُ التي هي قلوبُ المؤمنين، لأنَّ الكافرَ غير مُطمَئِنِ القلبِ.

قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ شجرةٍ في الجنَّة.

[٨٢٨] روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ «عن رسول الله ﷺ أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، ما طُوبَى؟ قال: شجرةٌ في الجنَّةِ مَسيرةَ مائة سنةٍ، ثيابُ أهل الجنَّةِ تخرجُ مِنْ أكمَامِها».

وقال أبو هُريرَةَ: طُوبَى: شجرةٌ في الجنَّة، يقول اللهُ عزَّ وجلَّ لها: تَفتَّقي لعبدي عمَّا شاءَ، فتَتَفتَّقُ له عن الخَيلِ بسُروجِها ولُجُمِها، وعن الإِبلِ بأزمَّتِها، وعمَّا شاء مِنَ الكِسوَةِ. وقال شَهْرُ بن حَوْشَب: طوبى: شجرةٌ في الجنَّةِ، كلُّ شجرِ الجنَّة منها أغصانُها، مِنْ وراء سُورِ الجنَّة، وهذا مذهبُ عَطيَّةَ، وشِمْر بنِ عَطيَّةَ، ومُغِيثِ بن سُمَيّ، وأبي صالح. **والثاني**: أنه اسمُ الجنَّة بالحَبشيَّة، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. قال المُصنِّفُ: وقرأتُ علَى شيخنا أبي منصورٍ عن سعيدِ بنِ مَسْجوح قال: طُوبى: اسمُ الجنَّةِ بالهِنديَّةِ، وممن ذهب إلى أنه اسمُ الجنَّة عِكرِمَةُ، وعن مُجاهِدٍ كالقولَين.
والثالث: أنَّ معنى طُوبى لهم: فَرحٌ وقُرَّةُ عَينٍ لهم، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أن معناه: نعمى لهم، قاله عكرمة في رواية، وفي رواية أخرى عنه: نعم ما لهم. **والخامس**: غبطة لهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ. **والسادس**: أن معناه: خيرٌ لهم، قاله النَّخعيُّ في روايةٍ، وفي أخرى عنه قال: الخير والكَرامةُ اللَّذان أعطاهُم اللهُ، وروى مَعمَرُ عن قَتادَةَ قال: يقول الرجلُ للرجل: طُوبى لكَ، أي: أصبتَ خيراً، وهي كلمةٌ عربيةٌ. **والسابع**: حُسنَى لهم، رواه سعيدُ عن قَتادَةَ عن الحسَنِ. **والثامن**: أنَّ المعنى: العَيشُ الطَّيِّبُ لهم. و«طُوبى» عند النَّحويين: فُعْلَى مِنَ الطِّيبِ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وقال ابنُ الأنباري: تأويلُها: الحَالُ المُستَطابَةُ، والخَلَّةُ المُستلَذَّة، وأصلها: «طُيْبى» فصارت الياءُ واواً لسُكونِها وانضِمام ما قبلَها كما صارت في «مُوقن» والأصلُ فيه «مُيْقن» لأنه مأخوذٌ مِنَ اليقين، فغَلبت الضَّمةُ فيه الياءَ فجعلَتها واواً.

---

[٨٢٨] صدره حسن، وعجزه ضعيف، أخرجه أحمد ٣/ ٧١ وأبو يعلى ١٣٧٤ وابن حبان ٧٤١٣ والخطيب ٤/ ٩١ والطبري ٢٠٣٩٤. من طريق درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً. وهذا إسناد ضعيف، لضعف درّاج في روايته عن أبي الهيثم، ولصدره شواهد، والوهن فقط في عجزه «ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها». وله شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمي، أخرجه الطبري ٢٠٣٩٢ وابن حبان ٧٤١٤ وأحمد ٤/ ١٨٣ وإسناده ضعيف لجهالة عامر بن زيد، لكن يشهد لما قبله. وله شاهد من حديث قرة بن إياس، أخرجه الطبري ٢٠٣٩٣ وإسناده ضعيف لضعف فرات بن أبي الفرات. وله شواهد أخرى واهية.

قوله تعالى: ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ المَآبُ: المَرجِعُ والمُنقلَبُ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ أي: كما أرسلنا الأنبياءَ قبلك.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ في سبب نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٨٢٩] أحدها: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا قال لكفَّارِ قُريش: اسجُدوا للرَّحمن، قالوا: وما الرَّحمنُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، وقيلَ لهم: إنَّ الرحمنَ الذي أنكرتُم هو ربِّي، هذا قولُ الضَّحَّاكِ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٣٠] والثاني: أنهم لمَّا أرادوا كتابَ الصُّلح يومَ الحُدَيبيَةِ، كتبَ عليٌّ عليه السلامُ: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم، فقال سُهَيلُ بنُ عَمرٍو: ما نعرفُ الرَّحمَن إلاَّ مُسَيلمةَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ، وابنُ جُرَيج، ومُقاتِلٌ.

[٨٣١] والثالث: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يوماً في الحِجْرِ يدعو، وأبو جَهْلٍ يستمع إليه وهو يقول: يا رَحمنُ، فولَّى مُدْبِراً إلى المشركين فقال: إنَّ محمَّداً كان يَنهَانا عن عِبادةِ الآلِهَةِ وهو يَدْعُو إلهَين! فنزلت هذه الآيةُ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هو مصدرُ تُبتُ إليه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾.

[٨٣٢] سببُ نُزولها أنَّ مشركي قُريشٍ قالوا للنبيِّ ﷺ: لو وسَّعت لنا أودية مكَّةَ بالقرآن، وسيَّرت

---

[٨٢٩] لا أصل له، عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراويةُ الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، فقد روى عن الضحاك تفسيراً مصنوعاً عن ابن عباس.
ـ وذكره الواحدي في «الأسباب» ٥٤٩ وعزاه للضحاك عن ابن عباس.

[٨٣٠] لم أقف عليه مسنداً بهذا اللفظ، وهو باطل لا أصل له. وذكره الواحدي ٥٤٨ بقوله: قال المفسرون... فهذا بدون إسناد كما ترى، أي لا أصل له، والأشبه كونه كلام مقاتل، وهو ابن سليمان، وهو ممن يضع الحديث. وتفرّد بذكر نزول الآية مع لفظ «إلا مسيلمة». وأخرجه الطبري ٢٠٣٩٦ عن قتادة مرسلاً، دون ذكر نزول الآية، ودون استثناء مسيلمة. وكذا أخرجه ٢٠٣٩٧ عن ابن جريج عن مجاهد مرسلاً أيضاً هكذا. وأصل حديث الحديبية متفق عليه. دون ذكر نزول الآية واستثناء مسيلمة. وسيأتي في سورة الفتح.

[٨٣١] لم أقف عليه، وعزاه المصنف للمفسر النيسابوري، وهو يذكر ما لا أصل له. وقد ورد شيء من هذا في أواخر سورة الإسراء، وسيأتي.

[٨٣٢] حسن. أخرجه الطبري ٢٠٣٩٨ من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية العوفي روى مناكير كثيرة، وهو =

جبالها فاحترَثْنَاهَا، وأحييتَ مَنْ ماتَ منَّا، فنزلت هذه الآيةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٣٣] وقال الزُّبيرُ بنُ العَوَّام: قالت قُريشٌ لرسولِ الله ﷺ: ادعُ اللهَ أنْ يُسيِّر عنَّا هذه الجبالَ ويُفَجِّر لنا الأرضَ أنهاراً فنَزرعَ، أو يُحيي لنا موتَانا فنُكلِّمَهم، أو يُصيِّرَ هذه الصخرةَ ذهباً فتُغنِينا عن رحلةِ الشتاءِ والصيفِ فقد كان للأنبياء آياتٌ، فنزلت هذه الآيةُ، ونزل قولُه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾(١). ومعنى قوله: ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: شُقِّقتْ فجُعلَتْ أنهاراً، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: أُحيُوا حتى كُلِّموا.

واختلفوا في جواب «لو» على قولين: **أحدهما**: أنه محذوفٌ. وفي تقدير الكلام قولان: أحدهما: أنَّ تقديره: لَكَانَ هذا القرآنُ، ذكره الفرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. قال قَتادةُ: لو فُعِلَ هذا بقرآنٍ غيرِ قُرآنِكم لفُعلَ بقرآنِكم. والثاني: أنَّ تقديره: لو كان هذا كلُّه لَمَا آمَنُوا. ودليلُه قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾(٢)، قاله الزَّجاجُ. **والثاني**: أن جواب «لو» مقدَّم، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أنزلنا عليهم ما سألوا، ذكره الفراء أيضاً.

قوله تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: لو شاءَ أنْ يُؤمنوا لآمَنُوا، وإذا لم يَشأْ، لم يَنْفَعْ ما اقترَحُوا مِنَ الآيات. ثم أكَّدَ ذلك بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أفلَمْ يتبيَّنْ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، ورَوى عنه عِكرِمَةُ أنه كان يَقرؤها كذلكَ، ويقول: أظنُّ الكاتبَ كتبَها وهو ناعِسٌ، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ، وأبي مالكٍ، ومُقاتِلٍ.

والثاني: أفلَمْ يَعْلَمْ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. وقال ابنُ قُتيبةَ: ويُقال: هي لغة للنَّخَع «ييأس» بمعنى «يعلم»، قال الشاعر:

أقولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إذ يَأْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيْأَسُوا أنِّي ابنُ فارِسِ زَهْدَمِ(٣)

وإنما وقع اليأسُ في مكان العِلْمِ، لأنَّ في عِلمِكَ الشيءِ وتيقُّنكَ به يأسَكَ مِنْ غيره.

والثالث: أنَّ المعنى: قد يَئِسَ الذين آمنوا أنْ يَهدُوا واحداً، ولو شاء اللهُ لَهَدى الناسَ جميعاً، قاله أبو العَالِيَة. **والرابع**: أفلَمْ يَيْأسِ الذين آمنوا أنْ يؤمنَ هؤلاءِ المشركون، قاله الكِسَائيُّ. وقال

= ضعيف، وأخرجه الطبراني ١٢٦١٧ من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس، وقابوس ضعيف. وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٣٥ من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري. وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٢٠٤٠٣ و٢٠٤٠٤. وله شاهد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٢٠٤٠٥. وله شاهد من مرسل ابن زيد، أخرجه الطبري ٢٠٤٠٦. ويشهد له ما بعده، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها، فهو حسن إن شاء الله.

[٨٣٣] حسن. أخرجه أبو يعلى ٦٧٩، والواحدي في «أسباب النزول» ٥٥٠ من حديث الزبير. وإسناده ضعيف فيه عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء، وكلاهما ضعيف، لكن يشهد له ما قبله.

(١) سورة الإسراء: ٥٩. (٢) سورة الأنعام: ١١١.
(٣) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «يئس»، ونسبه إلى سُحَيم بن وثيل اليربوعي. وزهدم فرس سُحيم.

الزَّجَّاجُ: المعنى عندي: **أفلَمْ** يَيْأَسِ الذين آمنوا مِنْ إيمانِ هؤلاءِ الذين وَصفَهُمُ اللهُ بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لَهَدى الناسَ جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم جميعُ الكفَّارِ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثاني**: كفار مكَّةَ، قاله مُقاتِلٌ. فأمَّا القَارِعَةُ، فقال الزَّجَّاجُ: هي في اللغة: النَّازِلَةُ الشديدة تَنزِلُ بأمرٍ عظيم. وفي المُراد بها هاهنا قولان: **أحدهما**: أنها عذابٌ مِنَ السماء، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباس. **والثاني**: السَّرايا والطَّلائعُ التي كان يُنفِذُها رسولُ الله ﷺ، قاله عِكرمَةُ[1]. وفي قوله: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه رسولُ الله ﷺ، فالمعنى: أو تَحُلُّ أنتَ يا محمَّدُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنها القَارِعةُ، قاله الحسَنُ. وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ قولان: **أحدهما**: فتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: القيامةُ، قاله الحسَنُ.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ﴾ يعني: نَفْسَهُ عزَّ وجلَّ. ومعنى القيامِ هاهنا: التَّولّي لأمورِ خَلْقِه، والتَّدبيرُ لأرزاقِهم وآجالِهم، وإحصَاءُ أعمَالِهم للجزاءِ، والمعنى: أفَمَنْ هو مُجازي كلَّ نفسٍ بما كَسبَتْ، يُثيبُها إذا أحسَنتْ، ويأخذُها بما جَنتْ، كمَنْ ليس بهذه الصِّفة مِنَ الأصنام؟ قال الفَرَّاءُ: فتُركَ جوابُه، لأنَّ المعنى معلومٌ، وقد بَيَّنهُ بعدَ هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كأنه قيلَ: كَشُركائِهم. قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ﴾ أي: بما يستَحقُّونه مِنَ الصِّفات وإضافةِ الأفعال إليهم إنْ كانوا شُركاء لله كما يُسمَّى الله بالخَالقِ، والرَّازقِ، والمُحْيي، والمُميتِ، ولو سَمَّوهم بشيءٍ مِنْ هذا لَكَذَبُوا. قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا استفهامٌ مُنقطعٌ ممَّا قبلَهُ، والمعنى: فإنْ سَمَّوهم بصفاتِ الله، فقُلْ لهم: أتُنبئونَهُ، أي: أتُخبِرونَهُ بشَريكٍ له في الأرض وهو لا يعلمُ لِنَفْسِه شريكاً، ولو كان لَعَلِمَهُ؟

قوله تعالى: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمْ بظَنٍّ مِنَ القول، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: بباطلٍ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: بكلامٍ لا أصلَ له ولا حقيقةَ. قوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: زَيَّنَ لهم الشيطانُ الكُفرَ. قوله تعالى: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عامرٍ: «وصَدُّوا» بفتح الصَّادِ، ومِثلَهُ في (حم المؤمن). وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «وصُدُّوا» بالضمِّ فيهما. فمَنْ فتَحَ، أراد: صَدُّوا المسلمين، إمَّا عن الإيمان، أو عن البيت الحَرام. ومَنْ ضَمَّ، أراد: صَدَّهُمُ اللهُ عن سبيل الهُدى.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٧/ ٣٨٩: القارعة هي: ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنِّقَم، بالقتل أحياناً، وبالحروب أحياناً، والقحط أحياناً.

قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو القتلُ، والأسْرُ، والسُّقْمُ، فهو لهم في الدنيا عذابٌ، وللمؤمنين كفّارةٌ، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أي: أشدُّ ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: مانعٌ يَقِيهم عذابَهُ.

﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي: صِفَتُها أنَّ الأنهارَ تجري مِنْ تَحتِها، هذا قولُ الجمهور. وقال ثعلبٌ: خَبرُ المَثَلِ مُضمرٌ قبلَهُ، والمعنى: فيما نَصِفُ لكم مَثَلُ الجنَّةِ، وفيما نَقُصُّه عليكم خَبرُ الجنَّةِ ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ قال الحسَنُ: يريد أنَّ ثمارها لا تَنقطِعُ كثِمارِ الدنيا ﴿وَظِلُّهَا﴾ لأنه لا يَزولُ ولا تَنسَخُهُ الشَّمسُ.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ أي: عاقبةُ أمرِهم المَصيرُ إليها.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم مُسلِمو اليهودِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُقاتِلٌ: هم عبدُ الله بنُ سَلَامٍ وأصحابُه. **والثاني**: أنهم أصحابُ رسولِ الله ﷺ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: مُؤمِنو أهلِ الكِتابَين مِنَ اليَهودِ والنَّصارى، ذكره المَاوَرديُّ. والذي أُنزلَ إليه: القرآنُ، فَرِحَ به المسلمون وصَدَّقوه، وفَرِحَ به مُؤمِنُو أهلِ الكتاب، لأنه صَدَّقَ ما عندَهُم. وقيل: إنَّ عبدَ الله بنَ سَلَامٍ ومَنْ آمن معه مِنْ أهلِ الكتاب، سَاءَهُم قِلَّةُ ذِكْرِ الرَّحمنِ في القرآن مع كثرة ذِكرِه في التَّوراةِ، فلمَّا نزلَ ذِكرُهُ فَرِحوا، وكَفَر المشركون به، فنزلت هذه الآيَةُ.

فأمَّا الأحزابُ، فهمُ الكفّارُ الذين تَحزَّبوا على رسولِ الله ﷺ بالمُعاداةِ، وفيهم أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم اليَهودُ والنَّصارى، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنهم اليَهودُ والنَّصارى والمَجوسُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: بَنو أميَّةَ وبَنو المُغيرة وآلُ أبي طَلحَةَ بنِ عبدِ العُزَّى، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: كفَّارُ قُريشٍ، ذكره المَاوَرديُّ. وفي بعضِه الذي أنكَرُوه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ذِكْرُ الرَّحمنِ والبَعْثِ ومحمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم عَرفوا بِعثةَ الرَّسول في كُتبِهم وأنكَرُوا نُبوَّته. **والثالث**: أنهم عرفوا صِدقَهُ، وأنكروا تصديقَهُ، ذكرهما المَاوَرديُّ.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦٣٩: وقوله ﴿**ومن الأحزاب**﴾ أي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك. وقال مجاهد: ﴿**ومن الأحزاب**﴾ اليهود والنصارى من ينكر بعض ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهذا كما قال تعالى: ﴿**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إنَّ الله سريع الحساب**﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: وكما أنزلنا الكُتُبَ على الأنبياء بلُغَاتِهم، أنزلنا عليكَ القرآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد ما فيه مِنَ الفرائضِ. وقال أبو عُبيدَةَ: دِيناً عربيًّا.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فيه قولان: **أحدهما**: في صَلاتكَ إلى بيتِ المَقدِس ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أنَّ قِبْلَتكَ الكَعبةُ، قاله ابنُ السَّائِب. **والثاني**: في قَبُولِ ما دَعوكَ إليه مِنْ مِلَّة آبائِكَ، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ أي: ما لكَ مِنْ عذابِ الله مِنْ قريبٍ ينفعُكَ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يَقيكَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية.

[٨٣٤] سببُ نُزولها أنَّ اليهودَ عَيَّروا رسولَ الله ﷺ بكثرة التَّزويجِ، وقالوا: لو كان نبيًّا كما يَزعُم، شَغلَتْهُ النبوَّة عن تزويج النِّساءِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

ومعنى الآية: أنَّ الرُّسلَ قَبْلكَ كانوا بَشَراً لهم أزواجٌ، يعني النِّساءَ، وذُرِّيَّةً، يعني الأولادَ. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بأمْرِه، وهذا جوابٌ للذين اقترَحوا عليه الآياتِ.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لكلِّ أجلٍ مِنْ آجالِ الخَلْقِ كتابٌ عند الله، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنه مِنَ المُقدَّم والمُؤخَّرِ، والمعنى: لكُلِّ كتابٍ ينزلُ مِنَ السماء أجَلٌ، قاله الضَّحَّاكُ والفَرَّاءُ. **والثالث**: لكلِّ أجلٍ قدَّره اللَّهُ عزَّ وجلَّ ولكلِّ أمرٍ قَضاهُ كتابٌ أُثبِتَ فيه ولا تكون آيةٌ ولا غيرُها إلاَّ بأجَلٍ قد قضاهُ اللَّهُ في كتابٍ، هذا معنى قولِ ابنِ جَريرٍ.

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ: «ويثبت» ساكنةَ الثاءِ خفيفةَ الباءِ. وقرأ ابنُ عامرٍ: وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «ويثبِّت» مشددةَ الباءِ مفتوحةَ الثاءِ. قال أبو عليٍّ: المعنى: ويُثبِّتُه، فاستَغنى بتَعدِيَةِ الأولِ مِنَ الفعلين عن تَعدِيَةِ الثاني.

واختلفَ المُفسِّرون في المُراد بالذي يَمْحُو ويُثْبِتُ على ثمانيةِ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه عَامٌّ، في

---

[٨٣٤] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي وتقدم مراراً، أنهما رويا عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٥١ عن الكلبي.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٤٠٣: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره توعّد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة، وتهددهم بها، وقال لهم: **﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب﴾**، =

الرِّزقِ، والأَجَلِ، والسعادةِ. والشَّقاوةِ، وهذا مذهبُ عمرَ، وابنِ مسعودٍ، وأبي وَائلٍ، والضَّحَّاك، وابنِ جُرَيج. **والثاني**: أنه النَّاسِخُ والمَنْسُوخُ، فيَمحو المَنْسُوخَ، ويُثبِتُ النَّاسِخَ، روى هذا المعنى عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، والقُرَظيُّ، وابنُ زيدٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «يمحو الله ما يشاء» أي: يَنْسَخُ مِنَ القرآن ما يشاءُ «ويثبت» أي: يَدَعُهُ ثابتاً لا يَنْسَخُهُ، وهو المُحْكَمُ. **والثالث**: أنه يمحو ما يشاءُ، ويُثبِتُ، إلاَّ الشَّقاوةَ والسَّعادةَ، والحياةَ والموتَ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، ودليلُ هذا القولِ ما رَوى مسلمٌ في (صحيحه) مِنْ حديث حُذيفَةَ بنِ أَسِيدٍ قال:

[٨٣٥] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مَضَتْ على النُّطفَةِ خمسٌ وأربعون ليلةً، يقول المَلَكُ المُوكَّلُ: أذَكرٌ أَمْ أُنثى؟ فيَقضِي اللَّهُ عزَّ وجلَّ، ويكتب المَلَكُ، فيقول: أَشَقيٌّ، أَمْ سَعيدٌ؟ فيَقضي اللَّهُ، ويكتُبُ المَلَكُ، فيقول: عَمَلُهُ وأَجَلُهُ؟ فيَقضي اللَّهُ، ويكتُبُ المَلَكُ، ثم تُطْوَى الصَّحِيفةُ، فلا يُزادُ فيها ولا يُنقَصُ منها».

والرابع: يمحو ما يشاءُ ويُثبِتُ، إلاَّ الشقاوةَ والسعادةَ لا يُغيَّران، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: يمحو مَنْ جاء أَجَلُهُ، ويُثبِتُ مَنْ لم يَجِئ أَجَلُهُ، قاله الحَسَنُ. **والسادس**: يمحو مِنْ ذُنوبِ عباده ما يشاءُ فيَغفِرُها، ويُثبِتُ ما يشاءُ فلا يَغفِرُها، رُوي عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والسابع**: يمحو ما يشاءُ بالتَّوبةِ، ويُثبِتُ مكانَها حَسَناتٍ، قاله عِكرِمَةُ. **والثامن**: يمحو مِنْ دِيوانِ الحَفَظَةِ ما ليس فيه ثوابٌ ولا عِقابٌ، ويُثبِتُ ما فيه ثوابٌ وعِقابٌ، قاله الضَّحَّاكُ، وأبو صالحٍ. وقال ابنُ السَّائِبِ: القولُ كلُّه يُكتَبُ، حتى إذا كان في يومِ الخميسِ، طُرِحَ منه كلُّ شيءٍ ليس فيه ثوابٌ ولا عِقابٌ، مثلَ قولك: أكلتُ، شَرِبتُ، دَخلتُ، خَرَجتُ، ونحوِه، وهو صادقٌ، ويُثبِتُ ما فيه الثوابُ والعقابُ.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أصلُ الكتابِ. قال المُفسِّرون: وهو اللَّوحُ

---

[٨٣٥] صحيح. أخرجه مسلم في صحيحه ٢٦٤٥، والآجري في «الشريعة» ص ١٨٣ ـ ١٨٤، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» ١٠٤٧ من طريقين عن ابن جريج عن أبي الزبير به. وأخرجه الحميدي ٨٢٦، وأحمد ٤/٦ ـ ٧، والآجري ص ١٨٢ ـ ١٨٣، واللالكائي ١٠٤٥، ١٠٤٦، وابن أبي عاصم في «السنة» ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٠، والطبراني ٣٠٣٦ و ٣٠٤٣ و ٣٠٤٥ من طرق عن عامر بن واثلة به. واللفظ عند مسلم: عن عامر بن واثلة أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: الشقيُّ من شقيَ في بطن أمه، والسعيد من وُعِظَ بغيره. فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أَسِيد الغفاري، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً. فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء. ويكتب المَلَكُ. ثم يقول: يا رب! أجله. فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك. ثم يقول: يا رب! رزقه. فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده. فلا يزيد على ما أُمِرَ ولا ينقص».

= يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلاً مثبتاً في كتاب، هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

المَحفوظُ الذي أُثبِتَ فيه ما يكون ويَحدُثُ. وروى أبو الدَّرْدَاءِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[٨٣٦] «إنَّ الله تعالىٰ في ثلاثِ ساعاتٍ يَبْقَينَ مِنَ الليل يَنظرُ في الكتابِ الذي لا يَنظرُ فيه أحدٌ غَيرُهُ، فيَمحُو ما يشاءُ ويُثْبِتُ». وروى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: هُمَا كِتابان، كتابٌ سِوى أُمِّ الكتابِ يَمحُو منه ما يشاءُ ويُثْبِتُ، وعندَهُ أُمُّ الكتابِ لا يُغيَّرُ منه شيءٌ.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي: مِنَ العَذابِ وأنتَ حيٌّ ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ أنْ نُريَكَ ذلك، فليس عليكَ إلاَّ أن تُبلِّغَ، ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني الجَزاءَ. وروى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ أنَّ قولَه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ نُسِخَ بآية السَّيفِ وفَرْضِ الجهادِ، وبه قال قَتادَةُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[1]:

أحدها: أنه ما يَفتَحُ الله على نبيِّه مِنَ الأرضِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، والضَّحَّاكُ. قال مُقاتِلٌ: (أو لم يروا) يعني: كفَّارَ مكَّةَ (أنَّا نأتي الأرض) يعني: أرضَ مكَّةَ «ننقُصُها مِن أطرافها» يعني: ما حَولَهَا. **والثاني**: أنها القَريةُ تُخرَبُ حتىٰ تبقىٰ الأبياتُ في ناحِيَتِها، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والثالث**: أنه نَقصُ أهلها وبَرَكَتِها، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال الشَّعبيُّ: نَقصُ الأنفُسِ والثَّمراتِ. **والرابع**: أنه ذهابُ فُقهائِها وخِيارِ أهلِها، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه مَوتُ أهلِها، قاله مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لا يَتعقَّبُهُ أحدٌ بتَغييرٍ ولا نَقصٍ. وقد شرحنا معنى سُرعَةِ الحِسَابِ في سُورة (البقرة)[2].

---

[٨٣٦] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٠٥٠٢ و ٢٠٥٠٣ والبزار ٣٥١٦ «كشف»، وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٨، وابن الجوزي في «العلل» ٢١ من حديث أبي الدرداء. وقال ابن الجوزي: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد، ولم يتابعه عليه أحد اهـ. وقال في «المجمع» ١٨٧١٩: زيادة بن محمد، ضعيف.
ـ قلت: الصواب أنه ضعيف جداً، قال الذهبي في «الميزان» ٢/ ٩٨: قال البخاري والنسائي: منكر الحديث. ثم ذكر الذهبي هذا الحديث بأتم منه، وقال: فهذه ألفاظ منكرة، لم يأتِ بها غير زيادة.
وقاعدة البخاري: كل من قلت عنه منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٤٠٨: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم؟ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله: **﴿وإمّا نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك. . .﴾**، ثم وبّخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضُربائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: **﴿أو لا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾** بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٢.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفَّارَ الأُمَمِ الخاليةِ، مَكَروا بأنبيائهم يقصدون قَتْلَهم، كما مَكرتْ قُريشُ برسولِ اللّهِ ﷺ لِيقتُلُوهُ. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ يعني: أنَّ مَكْرَ الماكِرينَ مَخلوقٌ له، ولا يَضرُّ إلاَّ بإرادَتِه؛ وفي هذا تَسلِيةٌ لرسول الله ﷺ وتَسكِينٌ له. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِنْ خيرٍ وشرٍّ، ولا يقعُ ضَررٌ إلاَّ بإذنِهِ. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وسيعلم الكافر». قال ابنُ عباسٍ: يعني: أبا جَهْلٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الكافر ها هنا: اسمُ جنسٍ. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «الكفَّار» على الجَمْعِ.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي: لِمَنِ الجَنَّةُ آخرَ الأَمْرِ.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليَهودُ والنَّصارى. **والثاني**: كفَّارُ قُريشٍ. ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شَاهِداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بِما أظهرَ مِنَ الآياتِ، وأبانَ مِنَ الدَّلالاتِ على نُبوَّتي. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم علماءُ اليَهودِ والنَّصارى، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه عبدُ اللهِ بنُ سَلاَمٍ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنهم قومٌ مِنْ أهل الكتَاب كانوا يَشهَدون بالحقِّ، منهم عبدُ اللهِ بنُ سَلاَمٍ، وسَلمَانُ الفَارسيُّ، وتَمِيمٌ الدَّاريُّ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أنه جِبريلُ عليه السَّلامُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: أنه عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، قاله ابنُ الحَنفِيَّة. **والسادس**: أنه ابنُ يَامِينَ، قاله شِمْرٌ. **والسابع**: أنه اللّهُ عزَّ وجلَّ، رُوي عن الحَسنِ، ومُجاهِدٍ، واختاره الزَّجَّاجُ واحتجَّ له بقراءةِ مَنْ قرأَ: «ومِنْ عِندِه عُلِمَ الكتابُ» وهي قراءةُ ابن السَّمَيْفَع، وابنِ أبي عَبْلَةَ، ومُجاهِدٍ، وأبي حَيْوَة. وروايةُ ابنِ أبي سُرَيجٍ عن الكِسَائيِّ: «ومِنْ» بكسرِ الميم «عِندِه» بكسرِ الدَّالِ «عُلِمَ» بضمِّ العين وكسرِ اللامِ وفتحِ الميمِ «الكِتَابُ» بالرَّفعِ. وقرأ الحسَنُ «ومِنْ» بكسرِ الميم «عندِه» بكسرِ الدَّالِ «عِلْمُ» بكسرِ العينِ وضمِّ الميمِ «الكتابِ» مُضافٌ، كأنه قال: أُنزلَ مِنْ عِلْمِ اللّهِ عزَّ وجلَّ.

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٢/٦٤٣: والصحيح في هذا: أن ﴿ومن عنده﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة، من بشارات الأنبياء، كما قال تعالى: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾**، وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل: أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزَّلة.
وقال في أنها نزلت في عبد الله بن سلام: وهذا القول غريب، لأن هذه الآية مكية، وعبد الله بن سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله ﷺ المدينة، والأظهر في هذا ما قاله العوفي.

سورة ابراهيم

ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

وهي مكيَّةٌ مِنْ غير خلافٍ علمناه بينهم، إلاَّ ما رُوي عن ابنِ عباس، وقَتادَةَ أنهما قالا: سِوى آيتَين منها، وهما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ والتي بعدَها[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الر﴾ قد سبق بيانُه. وقوله: ﴿كِتَابٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: هذا كتابٌ، والكتابُ: القرآنُ. وفي المراد بالظُّلماتِ والنُّورِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الظُّلماتِ: الكُفرُ. والنُّور: الإيمانُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباس. **والثاني**: أنَّ الظُّلماتِ: الضَّلالةُ. والنُّور: الهُدى، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. **والثالث**: أنَّ الظُّلماتِ: الشَّكُّ. والنُّور: اليَقينُ، ذكره المَاوَردِي. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بأمر ربِّهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: بتوفيق ربِّهم، قاله أبو سُليمانَ. **والثالث**: أنه الإذْنُ نَفْسُه، فالمعنى: بما أَذِنَ لكَ مِنْ تعليمِهم، قاله الزَّجَّاجُ، قال: ثم بيَّنَ ما النُّورُ، فقال: ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ قال ابنُ الأنباري: وهذا مِثْلُ قولِ العرب: جلستُ إلى زيدٍ، إلى العاقِلِ الفَاضِلِ، وإنما تُعادُ «إلى» بمعنى التَّعظيم للأمرِ، قال الشاعر[2]:

إذَا خَـدِرَتْ رِجْـلـي تَـذَكَّـرْتُ مَـنْ لَـهَـا ... فَـنَـادَيْـتُ لُـبْـنَـى بـاسْـمِـهَـا وَدَعَـوْتُ
دَعَـوْتُ الَّـتِـي لَـو أَنَّ نَـفْـسِـي تُـطِـيـعُـنِـي ... لأَلْـقَـيْـتُـهـا مِـنْ حُـبِّـهـا وقَـضَـيْـتُ

فأعاد «دَعوتُ» لتفخيم الأمرِ.

قوله تعالى: ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرو، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «الحميدِ اللَّهِ» على البَدلِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأَبَانٌ، والمُفضَّلُ: «الحميدِ. اللَّهُ» رفعاً على الاستئنافِ، وقد سبقَ بيانُ ألفاظِ الآيةِ.

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) البيتان لقيس لبنى كما في ديوانه: ٦٩.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: يُؤثرونها ﴿عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يأخذون ما تعجَّل لهم منها تَهاوُناً بأمرِ الآخرة. قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعونَ الناسَ مِنَ الدُّخول في دِينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قد شَرحناه في (آلِ عِمران)[1]. قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ﴾ أي: في ذهابٍ عن الحقِّ ﴿بَعِيدٍ﴾ مِنَ الصَّوابِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي: بلُغَتِهم. قال ابنُ الأنباري: ومعنى اللغة عند العرب: الكلامُ المَنطُوقُ به، وهو مأخوذٌ مِنْ قولِهم: لَغَا الطائرُ يَلْغُو: إذا صَوَّتَ في الغَلَس. وقرأ أبو رَجاءٍ، وأبو المُتوكِّل، والجَحدريُّ: «إلاَّ بِلُسُنِ قومه» برفع اللام والسين مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرَانَ: «بِلِسْنِ قومه» بكسرِ اللام وسكونِ السينِ مِنْ غير ألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ أي: الذي أُرسِلَ به فيَفهمونَهُ عنه. وهذا نَزلَ، لأنَّ قُريشاً قالوا: ما بالُ الكُتب كلِّها أعجميَّةٌ، وهذا عربيٌّ!

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «أن» مُفسِّرٌ، والمعنى: قُلنا له: أَخْرِجْ قومَكَ، وقد سبق بيانُ الظُّلماتِ والنُّورِ. وفي قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ[2]:

[٨٣٧] **أحدها**: أنَّها نِعَمُ اللَّهِ، رواه أُبيُّ بنُ كَعبٍ عن النبيِّ ﷺ، وبه قال مُجاهِدٌ وقَتادةُ وابنُ قُتيبةَ.

---

[٨٣٧] أخرجه أحمد ٥/ ١٢٢ من طريق محمد بن أبان الجعفي عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب مرفوعاً، وكرره عبد الله بن أحمد من طريق الطيالسي عن الجعفي به موقوفاً. وأخرجه مسلم ٢٣٨٠ ح ٧١ من طريق آخر عن أبي إسحاق به مرفوعاً في أثناء خبر مطول، وفيه «وأيام الله نعماؤهُ وبلاؤه». وأخرجه النسائي في «التفسير» ٢٨٠ من طريق آخر عن أبي إسحاق به مرفوعاً، وليس فيه لفظ «بلاؤه». الخلاصة هذه الروايات تتأيد بمجموعها، وقد ورد موقوفاً عن جماعة من التابعين، فهو صحيح إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران: ٩٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦٤٥: **﴿وذكرهم بأيام الله﴾** أي بأياديه ونعمه عليهم في إخراجه إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه لهم البحر وتظليله إياهم بالغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى، إلى غير ذلك من النعم.

والثاني: أنها وقائعُ اللّهِ في الأُمَمِ قبلَهُم، قاله ابنُ زيدٍ وابنُ السَّائِبِ ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنها أيَّامُ نِعَمِ الله عليهم وأيَّامُ نِقَمِه ممَّن كَفَرَ مِن قوم نُوحٍ وعَادٍ وثَمودَ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني: التَّذكِير ﴿لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على طاعةِ الله وعن معصيَتِه ﴿شَكُورٍ﴾ لأنعُمِه. والصَّبَّارُ: الكثيرُ الصَّبرِ، والشَّكورُ: الكثيرُ الشُّكرِ، وإنما خصَّهُ بالآياتِ، لانتِفاعِه بها. وما بعدَ هذا مَشروحٌ في سورة البقرة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ مذكورٌ في (الأعراف)(١). وفي قوله ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لَئِنْ شكرتُم لأزيدنَّكم مِنْ طاعتي، قاله الحَسنُ. **والثاني**: لَئِنْ شكرتُم إنعامي لأزيدنَّكم مِنْ فضلي، قاله الرَّبيعُ. **والثالث**: لَئِنْ وَحَّدتُموني لأزيدنَّكم خيراً في الدنيا، قاله مُقاتِلٌ. وفي قوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه كُفرٌ بالتَّوحيدِ. **والثاني**: كُفرانُ النِّعَم. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: غنيٌّ عن خَلْقِه، محمودٌ في أفعالِه، لأنه إمَّا مُتفضِّلٌ بفعله، أو عادلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال ابنُ الأنباري: أي: لا يُحصي عددَهُم إلاَّ هو، على أنَّ الله تعالى أهلَكَ أُمَماً مِنَ العرب وغيرِها، فانقطعَتْ أخبارُهم، وعَفَتْ آثارُهم، فليس يعلَمُهم أحدٌ إلاَّ اللّهُ.

قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم عَضُّوا أصابعَهم غيظاً، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ زيدٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «في» ها هنا بمعنى: «إلى»، ومعنى الكلام: عَضُّوا عليها حَنَقاً وغيظاً، كما قال الشاعر(٢):

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٧.

(٢) هذا صدر بيت، لم أجد من نسبه لقائل، وهو في «تفسير القرطبي» ٩/٣٤٦:

تَرِدُّون في فيه غِشَّ الحسود ... حتى يعضَّ عليَّ الأكفا

يَـرُدُّونَ فـي فِـيْـهِ عَـشْـرَ الـحَـسُـودِ

يعني: أنهم يغيظون الحسُودَ حتى يَعَضَّ على أصابعه العَشْرِ، ونحوه قول الهُذَليّ:

قَـد افـنَـى أنـامِـلَـه أزمُـهُ فـأضْـحَـى يَـعَـضُّ عَـلَـيَّ الـوَظِـيـفـا[1]

يقول: قد أكلَ أصابعَهُ حتى أفناها بالعَضِّ، فأضحى يَعضُّ عليَّ وَظيفَ الذِّراع.

والثاني: أنهم كانوا إذا جاءهم الرَّسولُ فقال: إنّي رسولٌ، قالوا له: اسكُتْ، وأشاروا بأصابِعهم إلى أفواهِ أنفسِهم، رَدًّا عليه وتكذيباً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنهم لمَّا سمعوا كتابَ الله، عَجُوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواهِهم، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنهم وضعوا أيديَهُم على أفواهِ الرُّسُلِ. رَدًّا لقولهم، قاله الحسَنُ. **والخامس**: أنهم كذَّبوهم بأفواهِهم، ورَدُّوا عليهم قولَهم، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والسادس**: أنه مَثَلٌ، ومعناه: أنهم كَفُّوا عمَّا أُمروا بقَبوله مِنَ الحقِّ، ولم يُؤمنوا به. يُقال: رَدَّ فلانٌ يدَهُ إلى فَمِه، أي: أمسَكَ فلم يُجِبْ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والسابع**: رَدُّوا ما لَوْ قَبِلوه لَكانَ نِعَماً وأياديَ مِنَ الله، فتكون الأيدي بمعنى: الأيَادِي، و «في» بمعنى: الباء، والمعنى: رَدُّوا الأيَادِيَ بأفواهِهم، ذكره الفَرَّاءُ، وقال: قد وجدنا مِنَ العرب مَن يجعل «في» مَوضعَ الباءِ، فيقول: أدخلكَ اللَّهُ بالجنَّةِ، يريد: في الجنَّةِ، وأنشدني بعضُهم:

وأرغَـبُ فـيـهـا عـن لَـقِـيـطٍ ورَهـطِـهِ ولـكـنَّـنـي عـن سَـنْـبَـسٍ لَـسْـتُ أرْغَـبُ

فقال: أرغَبُ فيها، يعني: بِنْتاً له، يريد: أرغبُ بها، وسَنْبَسُ: قبيلةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أي: على زَعمِكُم أنكم أرسلتُم، لا أنهم أقَرُّوا بإرسَالِهم. وباقي الآية قد سبق[2] تفسيره. ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكࣱّ﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: لا شكَّ في الله، أي: في تَوحيدِه ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ بالرُّسُلِ والكُتُبِ ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «مِن» زائدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾، قال أبو ذُؤَيبٍ:

جَـزَيْـتُـكِ ضِـعْـفَ الـحُـبِّ لَـمَّـا شَـكَـوتِـهِ وما إنْ جَزاكِ الـضِّـعْـفَ مِنْ أحَدٍ قَـبْـلي

أي: أحَدٌ. وقوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلࣲ مُّسَمࣰّىۚ﴾ وهو الموت، والمعنى: لا يُعاجِلُكم بالعذاب. ﴿قَالُوٓاْ﴾ للرُّسلِ ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرࣱ مِّثۡلُنَا﴾ أي: ليس لكم علينا فَضلٌ، والسلطان: الحُجَّة. قالت الرُّسلُ: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرࣱ مِّثۡلُكُمۡ﴾ فاعترفوا لهم بذلك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يَعنُون: بالنبوَّة والرِّسالَةِ، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ليس ذلك مِن قِبَلِ أنفسِنا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بَيَّن لنا رُشدَنا. **والثاني**: عَرَّفنا طريقَ التَّوكُّلِ. وإنما نُصَّ هذا وأمثالُه على نبيِّنا ﷺ ليقتدِيَ بمَنْ قبلَهُ في الصَّبرِ وليعلَمَ ما جرَى لهم. قوله تعالى: ﴿لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين بالرُّسلِ. وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ أي: بعد هَلاكِهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإسكَانُ ﴿لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي﴾ قال ابنُ عباسٍ: خافَ مُقامَهُ بين يديَّ. قال الفَرَّاءُ: العرب قد

---

(١) في «القاموس» الأَزْمُ: القطع بالناب وبالسكين، وأزم: عض بالفم كله شديداً.

(٢) سورة هود: ٦٢.

تُضيف أفعالَها إلى أنفسِها، وإلى ما أُوقِعَتْ عليه، فتقول: قد نَدمتُ على ضربي إيَّاك، وندمتُ على ضَربك، فهذا مِنْ ذاكَ، ومِثْلُه ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾(١) أي: رِزقي إيَّاكُم. وقوله تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أثبتَ ياءَ «وعيدي» في الحالَين يعقوبُ، وتابعَهُ وَرْشٌ في الوَصْلِ.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ يعني: استنْصَروا. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وحُمَيدٌ، وابنُ مُحيصِنٍ: «واستفتِحوا» بكسر التاءِ على الأمرِ. وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الرُّسلُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنهم الكفَّارُ، واستِفتَاحُهم: سُؤالُهم العذاب، كقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾(٢) وقولهم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣)، هذا قولُ ابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ قال ابنُ السَّائبِ: خَسِرَ عند الدُّعاءِ، وقال مُقاتِلٌ: خَسِرَ عند نزول العذاب، وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: يَئِسَ مِنَ الإجابة. وقد شرحنا معنى الجَبَّار والعَنيدِ في سُورة (هود)(٤). قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى القُدَّام، قال ابنُ عباسٍ، يريد: أَمامَهُ جهنَّمُ. وقال أبو عُبيدَةَ: «من ورائه» أي: قُدَّامَهُ، يقال: الموتُ مِنْ ورائِكَ، وأنشد(٥):

أَتَرجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وَطَاعَتي		وَقَومي تَميمٌ وَالفَلاةُ وَرائِيا

والثاني: أنها بمعنى: «بَعْد»، قال ابنُ الأنباري: «من ورائه» أي: مِنْ بعد يأسِهِ، فدلَّ «خاب» على اليأسِ، فكَنَّى عنه، وحُمِلَتْ «وراء» على معنى: «بَعْد» كما قال النَّابِغةُ:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً		وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلمَرْءِ مَذْهَبُ

أراد: ليس بَعْدَ الله مذهبٌ. قال الزَّجَّاجُ: والوَراءُ يكون بمعنى الخَلْفِ والقُدَّامِ، لأنَّ ما بين يديكَ وما قُدَّامكَ إذا تَوارى عنكَ فقد صارَ وراءَكَ، قال الشاعر(٦):

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتي		لُزُومُ العَصَا تُحنَى عليها الأَصَابِعُ

قال: وليس الوَراءُ مِنَ الأضدادِ كما يقول بعضُ أهلِ اللغة. وسُئِلَ ثَعلَبُ: لِمَ قيل: الوَراءُ للأمام؟ فقال: الوَراءُ: اسمٌ لِمَا توارى عن عينكَ، سواءٌ أكان أمامَكَ أو خَلفَكَ. وقال الفَرَّاءُ: إنما يجوز هذا في المواقيت مِنَ الأيام والليالي والدَّهر، تقول: وراءَكَ بردٌ شديدٌ، وبين يديكَ بردٌ شديدٌ. ولا يجوز أنْ تقولَ للرجل وهو بين يديكَ: هو وراءَكَ، ولا للرجُلِ وراءَكَ: هو بين يديكَ.

قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ قال عِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، واللغويون: الصَّديدُ: القَيحُ والدَّمُ،

---

(١) سورة الواقعة: ٨٢.		(٢) سورة ص: ١٦.
(٣) سورة الأنفال: ٣٢.		(٤) سورة هود: ٥٩.
(٥) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «وَرَيَ»، ونسبه إلى سَوَّار بن المُضَرَّب.
(٦) ذكره ابن منظور في «اللسان»، مادة «وَرَيَ»، ونسبه إلى لبيد.

قاله قَتادَة، وهو ما يخرج مِنْ بين جِلدِ الكافر ولَحمِه. وقال القُرَظيُّ: هو غُسَالةُ أهلِ النار، وذلك ما يَسيلُ مِنْ فُرُوجِ الزُّناة. وقال ابنُ قُتَيبة: المعنى: يُسقَى الصَّديدَ مكانَ الماءِ، قال: ويجوز أنْ يكون على التشبيه، أي: ما يسقى ماءً كأنه صديد. قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ والتَّجَرُّع: تناولُ المَشروبِ جُرعةً جُرعَةً، لا في مرَّةٍ واحدةٍ، وذلك لشدة كراهتِه له، وإنما يُكرَهُ على شُربه. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ قال الزَّجَّاج: لا يَقدر على ابتلاعِه، تقول: سَاغَ لي الشيءُ، وأَسَغتُه.

[٨٣٨] وروى أبو أُمَامةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يُقرَّبُ إليه فيكرَهُه، فإذا أُدنِيَ منه شَوى وَجهَهُ ووقعت فَرْوَةُ رأسِه، فإذا شَرِبَهُ قَطَّع أمعَاءَهُ حتى يخرجَ مِنْ دُبُره».

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: هَمُّ الموت وكَرْبُه وأَلَمُهُ ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: مِنْ كلِّ شَعرةٍ في جسده، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وقال سُفيانُ الثَّوريُّ: مِنْ كلِّ عِرْقٍ. وقال ابنُ جُرَيج: تتعلق نفسُه عند حُنجرَتِه فلا تخرج مِنْ فِيْهِ فتموت ولا ترجعُ إلى مكانها فتجد راحةً.

والثاني: مِنْ كلِّ جهةٍ، مِنْ فَوقِه وتَحتِه وعن يمينِه وشمالِه وخَلفَهُ وقُدَّامهُ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً.

والثالث: أنها البَلايا التي تُصيب الكافرَ في النار سَمَّاها موتاً، قاله الأَخفَشُ. قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: موتاً تنقطعُ معه الحياةُ. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: مِنْ بعد هذا العذابِ. قال ابنُ السَّائبِ: مِنْ بعد الصَّديدِ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾. وقال إبراهيمُ التَّيميُّ: بعد الخلود في النار. والغَليظُ: الشَّديدُ.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: أضافَ المَثَلَ إليهم، وإنما المَثَلُ للأعمال، فالمعنى: مَثَلُ أعمالِ الذين كفروا. ومِثلُهُ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾(١) أي: ترى وجُوهَهُم. وجعل العُصُوفَ تابعاً لليوم في إعرابِهِ، وإنما العُصُوفُ للرِّيح، وذلك جائزٌ على جهتين:

---

[٨٣٨] حديث حسن، أو يقرب من الحسن بمجموع طرقه وشواهده، أخرجه الترمذي ٢٥٨٣ والنسائي في «التفسير» ٢٨٣، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣١٤، وأحمد ٥/ ٢٦٥ والحاكم ١/ ٣٥١، والطبري ٢٠٦٣٢، والبيهقي في «البعث» ٦٠٢، رووه من طرق عن ابن المبارك به، وصححه الحاكم على شرط مسلم! ووافقه الذهبي! وهو ضعيف لضعف ابن بسر. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وهكذا قال البخاري عن عبيد الله بن بُسْر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وله شاهد من حديث أبي سعيد، أخرجه أحمد ٣/ ٧٠، وابن حبان ٣٤٧٣، وإسناده ضعيف، لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثم. وله شاهد من حديث أبي هريرة، أخرجه البيهقي في «البعث ٥٧٩، وفيه دراج، لكن رواه عن غير أبي الهيثم، فالإسناد لابأس به. الخلاصة: هذا الحديث بشواهده يصير حسناً، أو قريباً من الحسن، والآية تشهد لبعضه، وهناك آيات تشهد لبعضه الآخر، والحديث في الترهيب، ومذهب ابن المبارك وأحمد وغيرهما التساهل في هذا الباب، والله أعلم.

---

(١) سورة الزمر: ٦٠.

إحداهما: أنَّ العُصُوفَ، وإنْ كان للريح، فإنَّ اليومَ يُوصف به، لأنَّ الريحَ فيه تكون، فجازَ أنْ تقول: يومٌ عَاصِفٌ، كما تقول: يومٌ بَاردٌ، ويومٌ حارٌ. **والوَجْهُ الآخر**: أنْ تريد: في يومٍ عاصفِ الرِّيحِ، فتحذِفَ الرِّيحَ، لأنها قد ذُكِرَتْ في أول الكلام؛ قال الشاعر:

وتَـضْـحَـكُ عِـرفـانَ الـدُّرُوعِ جُـلـودَنـا ... إذا كـانَ يَـوْمٌ مُـظْـلِـمُ الـشَّـمْـسِ كَـاسِـفُ

يريد: كَاسِفُ الشَّمسِ. ورُوي عن سِيبَويه أنه قال: في هذه الآية إضمَارٌ، والمعنى: ومِمَّا نقصُّ عليكَ مَثَلُ الذين كفروا، ثم ابتدأ فقال: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾. وقرأ النَّخَعيُّ، وابنُ يَعمَرَ، والجَحدريُّ: «في يوم عاصفٍ» بغير تنوينِ اليوم. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: أنَّ كلَّ ما يَتقرَّب به المشركون يَحْبَطُ ولا ينتفعون به، كالرَّماد الذي سَفَتْهُ الرِّيح فلا يُقدَر على شيءٍ منه، فهم لا يقدِرونَ ممَّا كسبوا في الدنيا على شيءٍ في الآخرة، أي: لا يَجِدونَ ثوابَهُ، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ مِنَ النَّجاةِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ معناه: أَلَمْ تُخْبَرْ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثاني**: أَلَمْ تَعلَمْ، قاله مُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال المُفسِّرون: أي: لم يَخلُقهُنَّ عَبَثاً، وإنما خلقَهُنَّ لأمرٍ عظيم. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: يُميتُكم يا معشرَ الكفَّار ويَخلُقْ قوماً غيرَكُم خيراً منكم وأطوعَ، وهذا خطابٌ لأهل مكَّة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: بمُمتنعٍ مُتعذِّرٍ.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لَفظُه لفظُ الماضي، ومعناهُ المُستقبلُ، والمعنى: خرجوا مِنْ قُبورِهِم يومَ البَعثِ، واجتمعَ التَّابعُ والمَتبوعُ، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ وهم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ وهم المَتْبُوعونَ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو جَمعُ تابعٍ، يقال: تَابعٌ وتَبَعٌ، مِثْل: غَائِب وغَيَب، والمعنى: تَبِعناكُم فيما دَعَوتُمونا إليه.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ أي: دَافعونَ عنَّا ﴿مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾. قال القَادةُ: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي: لو أرشَدَنا في الدنيا لأرشَدناكُم، يريدون: أنَّ الله أضلَّنا فدَعوناكُم إلى الضَّلالِ، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ قال ابنُ زيدٍ: إنَّ أهلَ النار قال بعضُهم لبعض: تعالَوْا نبكي ونَتضرَّع، فإنما أدركَ أهلُ الجنَّة الجنَّةَ ببُكائِهم وتَضرُّعِهم، فَبكَوْا وتَضرَّعوا، فلمَّا رَأَوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: تعالَوْا نَصْبِر، فإنما أدركَ أهلُ الجنَّة بالصَّبر، فصَبَروا صَبْراً لم يُرَ مثلُه قطُّ، فلم يَنفَعْهُم ذلك، فعندها قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾. وروى مالكُ بنُ أنسٍ عن زَيدِ بنِ أَسلَمَ قال: جَزِعُوا مائةَ سنةٍ، وصَبَروا مائةَ سنةٍ. وقال مُقاتِلٌ: جَزِعُوا خمسمائةَ عامٍ، وصَبَروا خمسمائةَ عامٍ. وقد

شرحنا معنى المَحِيصِ في سورة النِّساء[1].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣)﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ قال المُفسِّرون: يعني به إبليسَ، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فُرِغَ منه، فدخلَ أهلُ الجنَّة الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، فحينئذٍ يجتمعُ أهلُ النار باللَّوم على إبليسَ، فيقوم فيما بينهم خطيباً ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: وعَدَكُم كَوْنَ هذا اليوم فصدَقكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنه لا يكون ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ الوَعدَ ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أظهرتُ لكم حُجَّةً على ما ادَّعيتُ. وقال بعضُهم: ما كنتُ أملكُكم فأُكرهكم ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا مِنَ الاستثناءِ المُنقطع، والمعنى: لكن دعوتكم ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾ حيث أجبتُموني مِنْ غير بُرهانٍ، ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمُغِيثِكُم ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي: بمُغيثيَّ. قرأ حَمزةُ «بمُصرخيِّ» فحرَّكَ الياءَ إلى الكسر، وحرَّكها الباقون إلى الفتح. قال قُطْرُبُ: هي لغةٌ في بَني يَربوع؛ يعني: قراءةَ حَمزةَ. قال اللغويون: يقال: استصرَخني فُلانٌ فأصرختُه، أي: استغاثني فأغثتُه. ﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ اليومَ بإشراكِكم إيَّايَ في الدنيا مع اللَّهِ في الطاعة، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المُشركين. قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمرِ ربِّهم. وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ قد ذكرناه في سورة يُونس[2].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾، قال المفسرون: ألم تر بعين قلبك كيف ضرب الله مثلاً أي: بيَّن شَبهاً، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: طيِّبةِ الثَّمرةِ، فتركَ ذِكْرَ الثَّمرةِ اكتفاءً بدَلالةِ الكَلام عليه. وفي هذه الشَّجرةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها النَّخلَةُ.

[٨٣٩] وهو في (الصَّحيحين) مِنْ حديث ابنِ عمرَ عن النبيِّ ﷺ، وقد رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن

---

[٨٣٩] صحيح. أخرجه البخاري ٦١ ومسلم ٢٨١١، والترمذي ٢٨٦٧، وأحمد ٢/ ٦١ و ١٥٧ و ٢/ ٣١ و ٢/ ١٢ و ١١٥، والحميدي ٦٧٦، وابن منده في «الإيمان» ١٩٠، وابن حبان ٢٤٦ و ٢٤٣ و ٢٤٤. واللفظ عند البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم، حدّثوني ما هي؟» قال: فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة».

---

(١) سورة النساء: ١٢١. (٢) سورة يونس: ١٠.

ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ مسعودٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ في آخَرين.

والثاني: أنها شجرةٌ في الجنَّة، رواه أبو ظَبيانَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها المؤمن، وأصله الثَّابتُ أنه يعمل في الأرض ويبلغُ عملُهُ السماءَ. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ فالمؤمن يذكرُ اللَّهَ كلَّ ساعةٍ مِنَ النهار، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أعلاها عَالٍ ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: نحوَ السَّماءِ، وأُكُلها: ثَمَرُها.

وفي الحِيْنِ ها هنا ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه ثمانيةُ أشهرٍ، قاله عليٌّ عليه السَّلامُ. **والثاني**: ستةُ أشهرٍ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنه بُكرةٌ وعشيَّةٌ، رواه أبو ظَبيانَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه السَّنةُ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنه شَهرَانِ، قاله سعيدُ بنُ المُسيَّبِ. **والسادس**: أنه غُدوةٌ وعَشيَّةٌ وكلُّ ساعةٍ، قاله ابنُ جَريرٍ. فمَنْ قال: ثمانيةُ أشهرٍ، أشار إلى مُدَّةِ حَمْلِها باطناً وظاهراً، ومَنْ قال: ستةُ أشهرٍ، فهي مُدَّةُ حَمْلِها إلى حين صِرَامِها، ومَنْ قال: بُكرةٌ وعشيَّةٌ، أشار إلى الاجتِناءِ منها، ومَنْ قال: سنَةٌ، أشارَ إلى أنها لا تَحمِلُ في السَّنةِ إلاَّ مَرَّةً، ومَنْ قال: شَهرَان، فهو مُدَّةُ صَلاحِها. قال ابنُ المُسَيِّبِ: لا يكون في النَّخلَةِ أكُلُها إلاَّ شهرين. ومَنْ قال: كلُّ ساعةٍ، أشارَ إلى أنَّ ثمرتَها تُؤكَلُ دائماً. قال قَتادَةُ: تُؤكلُ ثمرتُها في الشتاء والصَّيفِ. وقال ابنُ جريرٍ: الطَّلْعُ في الشتاء مِنْ أُكُلِها، والبَلَحُ والبُسْرُ والرُّطَبُ والتَّمرُ في الصَّيفِ.

فأمَّا الحِكمَةُ في تمثيل الإيمان بالنَّخلَةِ، فمِنْ أوجُهٍ: **أحدها**: أنها شديدةُ الثُّبوت، فشَبَّه ثباتَ الإيمان في قَلْبِ المؤمن بثَبَاتِها. **والثاني**: أنها شديدةُ الارتفاع، فشُبِّه ارتفاعُ عملِ المؤمن بارتفاع فُروعِها. **والثالث**: أنَّ ثمرتَها تأتي في كلِّ حينٍ، فشُبِّه ما يكسبُ المؤمنُ مِنْ بَرَكَةِ الإيمان وثَوابِه في كلِّ وقتٍ بثمرَتِها المُجتَناةِ في كلِّ حينٍ على اختلاف صُنوفِها، فالمؤمنُ كلَّما قال: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، صَعِدَتْ إلى السماء، ثم جاءَهُ خيرُها ومنفعتُها. **والرابع**: أنها أشبهُ الشَّجرِ بالإنسان، فإنَّ كلَّ شجرةٍ يُقطع رأسُها تتشعَّبُ غصونُها مِنْ جوانبها، إلاَّ هي، إذا قُطِعَ رأسُها يَبِستْ، ولأنها لا تَحملُ حتى تُلَقَّحَ، ولأنها فَضْلَةُ تُربَةِ آدمَ عليه السلامُ فيما يُروى[2].

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٤٤٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالحين في ذلك الموضع غدوة وعشية كل ساعة، لأن الله تعالى ذكره، ضرب ما تؤتي هذه الشجرة كل حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامه مثلاً، ولا شك أن المؤمن يُرفع له إلى الله في كل يوم صالحٌ من العمل والقول لا في كل سنة أو في كل ستة أشهر أو في كل شهرين فإذا كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافاً للممَثَّل به في المعنى، وإذا كان ذلك كذلك كان بيناً صحة ما قلنا. فإن قال قائل: فأي نخلة تؤتي أكلها في كل وقت أكلاً صيفاً أو شتاء؟ قيل: أما في الشتاء فإن الطلع من أكلها، وأما في الصيف فالبلح والبُسْر والرّطب والتمر. وذلك كله من أكلها.

(٢) يشير المصنف لحديث علي رضي الله عنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة آدم، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الوُلَّدَ الرطب فإن لم يكن رطباً فتمراً». وهو ضعيف جداً. أخرجه أبو يعلى ٤٥٥، وابن حبان في =

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي الشِّركُ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**:

[٨٤٠] أنها الحَنظَلَةُ، رواه أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ، وبه قال أنسٌ، ومُجاهِدٌ[١].

والثاني: أنها الكافرُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وروى العَوفيُّ عنه أنه قال: الكافرُ لا يُقبلُ عَملُهُ، ولا يَصعَدُ إلى اللهِ تعالى، فليس له أصلٌ في الأرض ثابتٌ، ولا فَرعٌ في السماء. **والثالث**: أنها الكَشُوثَى[٢]، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه مَثَلٌ، وليست بشجرةٍ مَخلُوقةٍ، رواه أبو ظَبيانَ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنها الثُّومُ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿اجْتُثَّتْ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: استُؤصِلَتْ وقُطِعَتْ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى اجتُثَّ الشيءُ في اللغة: أُخِذَتْ جُثَّتُه بكمالها. وفي قوله تعالى: ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ قولان:

أحدهما: مالها مِنْ أصلٍ، لم تَضرِبْ في الأرض عِرقاً. **والثاني**: مالَهَا مِنْ ثَباتٍ.

ومعنى تشبيهِ الكافرِ بهذه الشجرة أنه لا يَصعَدُ للكافرِ عملٌ صالحٌ، ولا قولٌ طيِّبٌ، ولا لقولهِ أصلٌ ثابتٌ.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: يُثَبِّتُهم على الحقِّ بالقول الثَّابتِ، وهو شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ. قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الحياةَ الدنيا: زمانُ الحياة على وَجهِ الأرض، والآخِرةُ: زمانُ المُساءَلَةِ في القبرِ، وإلى هذا المعنى ذهبَ البَراءُ بنُ عَازِبٍ، وفيه أحاديثُ تَعضُدهُ. **والثاني**: أنَّ الحياةَ الدنيا: زَمنُ السؤالِ في القبرِ، والآخِرَةُ: السُّؤالُ في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهبَ طَاوسٌ، وقَتادةُ.

---

[٨٤٠] أخرجه الترمذي ٣١١٩ والنسائي في «الكبرى» ١١٢٦٢، و «التفسير» ٢٨٢، وأبو يعلى ٤١٦٥، والحاكم ٢/ ٣٥٢، والطبري ٢٠٦٦٩ و ٢٠٦٧٠ عن حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس مرفوعاً. وإسناده صحيح، حماد من رجال مسلم، وشيخه روى له الشيخان، لكن أعله الترمذي بالوقف حيث قال: وروى غير واحد مثل هذا موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد فلم يرفعوه. وأخرجه الطبري ٢٠٦٦٨ من طريق ابن علية و ٢٠٦٧٢ من طريق مهدي بن ميمون كلاهما عن شعيب به موقوفاً. انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١٣٠٨ بتخريجنا.

= «المجروحين» ٣/ ٤٤، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٨٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٦/ ١٢٣. وفي إسناده مسرور بن سعيد. قال ابن الجوزي: لا يصح، مسرور بن سعيد منكر الحديث.

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٤٤٥: وقد روي عن رسول الله ﷺ بتصحيح قول من قال: هي الحنظلة خبر، فإن صحّ فلا قول يجوز أن يقال غيره، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها.

(٢) في «القاموس» مادة «كشث»، الكَشُوثَى: نبت يتعلق بالأغصان، ولا عِرق له في الأرض.

قال المُفسِّرون: هذه الآيةُ وَردَتْ في فِتنَةِ القبر، وسؤالِ المَلَكين، وتَلقينِ اللّهِ تعالى للمؤمنين كلمةَ الحقِّ عندَ السؤالِ، وتَثبيتِهِ إيَّاهُم على الحقِّ[١]. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: المشركين، يُضِلُّهم عن هذه الكلمةِ، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مِنْ هِدايةِ المؤمنِ وإضلالِ الكافرِ.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ في المُشارِ إليهم سبعةُ أقوالٍ[٢]:

أحدها: أنهم الأفجرانِ مِنْ قُريشٍ: بَنو أميَّةَ، وبَنو المُغيرةِ، رُوي عن عمرَ بنِ الخطَّابِ، وعليِّ بنِ أبي طَالبٍ. **والثاني**: أنهم مُنافقو قُريشٍ، رواه أبو الطُّفَيلِ عن عليٍّ. **والثالث**: بَنو أُميَّةَ، وبَنو المُغيرةِ، ورؤساءُ أهلِ بَدرٍ الذين سَاقوا أهلَ بَدرٍ إلى بَدرٍ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أهلُ مكَّةَ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والخامس**: المشركون مِنْ أهلِ بَدرٍ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والسادس**: أنهم الذين قُتِلوا ببَدرٍ مِنْ كفَّارِ قُريشٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو مالكٍ. **والسابع**: أنها عامَّةٌ في جميعِ المشركين، قاله الحسَنُ.

قال المُفسِّرون: وتَبديلُهم نعمةَ اللّهِ كُفراً، أنَّ الله أنعَمَ عليهم برَسولِه، وأسكَنَهم حَرَمَهُ، فكفروا باللّهِ وبرَسولِه، ودَعَوا قومَهُم إلى الكُفرِ به، فذلكَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ أي: الهَلاكِ. ثم فَسَّرَ الدَّارَ بقوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ أي: يُقاسُونَ حَرَّها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي: بِئْسَ المَقرُّ هي.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قد بيَّنَّاه في سُورة البقرة[٣]، واللامُ في «ليَضِلُّوا» لامُ العَاقبةِ، وقد سبقَ شرحُها[٤]، ومَنْ قرأ «ليُضِلوا» بضمِّ الياء، أراد: لِيُضِلُّوا الناسَ عن دِينِ الله. قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ أي: في حياتكم الدنيا، وهذا وعيدٌ لهم. قال ابنُ عباسٍ: لو كان الكافر مريضاً لا ينامُ، جائعاً لا يأكلُ ولا يشربُ، لَكَانَ هذا نعيماً يتمتَّعُ به بالقياسِ إلى ما يَصيرُ إليه مِنَ العذاب، ولو كان المؤمنُ في أنعَمِ عَيشٍ لَكَانَ بُؤساً عندما يَصيرُ إليه مِنْ نعيم الآخرةِ.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٤٥١: والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وهو أن معناه ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ، ﴿وفي الآخرة﴾ بمثل الذي ثبّتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ.

(٢) انظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٦٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٢.

(٤) سورة يونس: ٨٨.

رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أسكَنَ ابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ ياءَ «عبادِيْ».

قوله تعالى: ﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: قُلْ لِعبادِي: أقيموا الصلاة وأنفِقُوا، يُقِيموا ويُنفِقوا، فحُذفَ الأمرانِ، وتُرِكَ الجوابانِ، قال الشاعر:

فَأَيُّ امْرِئٍ أَنْتَ أَيُّ امْرِئٍ ... إذا قِيلَ في الحَرْبِ مَنْ يُقْدِمُ

أراد: إذا قيلَ: مَنْ يُقدِمُ تُقدِمُ. ويجوز أنْ يكون المعنى: قُلْ لعبادي أقيموا الصلاة، وأنفقوا، فصُرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر. ويجوز أن يكون المعنى: قُلْ لهم لِيُقيمُوا الصلاةَ، ولِيُنفِقوا، فحذفَ لامَ الأمرِ، لدَلالةِ «قُلْ» عليها. قال ابنُ قُتَيبةَ: والخِلالُ مصدرُ خَالَلْتُ فُلاناً خِلالاً ومُخَالَّةً، والاسمُ الخُلَّةُ، وهي الصَّداقةُ.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ أي: ذلَّلها، تجري حيثُ تُريدون، وتَركبون فيها حيثُ تشاؤون. ﴿وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لِتنتفِعوا بهما وتَستضِيئوا بضَوئِهما ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ في إصلاحِ ما يُصلِحانِه مِنَ النَّبات وغيره، لا يفتران. ومعنى الدُّؤوبِ: مُرورُ الشيءِ في العمل على عادةٍ جَاريةٍ فيه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لِتَسكُنوا فيه، راحةً لأبدانِكم، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لِتنتَفعوا بمَعاشِكم، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: مِنْ كلِّ الذي سألتُموه، قاله الحسَنُ وعِكرمَةُ. **والثاني**: مِنْ كلِّ ما سألتُموه لو سألتُموه، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: وآتاكُم مِنْ كلِّ شيءٍ سألتُموه شيئاً، فأضمَرَ الشيءَ، كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾[1] أي، من كلِّ شيءٍ في زمانها شيئاً، قاله الأخفَشُ. **والرابع**: مِنْ كلِّ ما سألتُموه وما لم تسألُوه لأنَّكم لم تسألُوا شمساً ولا قمراً ولا كثيراً مِنَ النِّعَم التي ابتدأكُم بها، فاكتُفِيَ بالأول مِنَ الثاني، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[2]، قاله ابنُ الأنباري. **والخامس**: على قراءةِ ابنِ مسعودٍ، وأبي رزينٍ والحسَنِ وعِكرمَةَ وقَتادةَ وأبانَ عن عاصمٍ وأبي حَاتِمٍ عن يعقوبَ: «من كلٍ ما» بالتنوين مِنْ غير إضافةٍ، فالمعنى: آتاكُم مِنْ كُلٍّ ما لَمْ تسألُوهُ، قاله قَتادةُ والضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنعامَهُ ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تُطِيقُوا الإتيانَ على جميعها بالعَدِّ لِكَثرتِها. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ قاله ابنُ عباسٍ: يريد أبا جَهْلٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الإنسانُ اسمٌ للجنسِ يُقصَدُ به الكافرُ خاصَّةً. وقوله تعالى: ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ الظَّلُومُ هاهنا: الشَّاكِرُ غيرَ مَنْ أنعمَ عليه، والكَفَّارُ: الجَحُودُ لنِعَمِ اللهِ تعالى.

---

(١) سورة النمل: ٢٣. (٢) سورة النحل: ٨١.

قوله تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ قد سبقَ تفسيرُه في سُورةِ البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾ أي: جَنِّبني وإيَّاهم، والمعنى: ثَبِّتني على اجتِنابِ عبادَتِها. ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ يعني: الأصنامَ، وهي لا تُوصَفُ بالإضلالِ ولا بالفِعلِ، ولكنَّهم لمَّا ضَلُّوا بسببها، كانت كأنَّها أَضلَّتهم. ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ أي: على دِيني التَّوحيدِ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾ أي: فهو على مِلَّتي، ﴿وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ومَنْ عَصَاني ثُمَّ تابَ فإنكَ غفورٌ رحيمٌ، قاله السُّدِّيّ. **والثاني**: ومَنْ عَصَاني فيما دونَ الشِّركِ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والثالث**: ومَنْ عَصَاني فكفرَ فإنكَ غفورٌ رحيمٌ أنْ تتوبَ عليه فتهديَهُ إلى التَّوحيدِ، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. وقال ابنُ الأنباري: يحتمل أنْ يكون دَعَا بهذا قبلَ أنْ يُعلِمَهُ اللهُ تعالى أنه لا يَغفِرُ الشِّركَ كما استغفرَ لأبيه.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ في «مِنْ» قولان: **أحدهما**: أنها للتَّبعيضِ، قاله الأخفشُ، والفرَّاءُ. **والثاني**: أنها للتوكيد، والمعنى: أسكنتُ ذُرِّيَّتي، ذكره ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ يعني: مكَّةَ، ولم يَكُن فيها حَرْثٌ ولا ماءٌ. ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ إنما سُمِّي مُحرَّماً، لأنه يَحرُمُ استِحلالُ حُرمَاتِه والاستِخفافُ بحقِّه. فإنْ قيلَ: ما وَجهُ قوله: ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ ولم يكُن هناك بيتٌ حِينئذٍ، إنما بَناهُ إبراهيمُ بعد ذلك بمُدَّةٍ؟ فالجواب مِنْ ثلاثةِ وُجوهٍ: **أحدها**: أنَّ الله تعالى حَرَّم موضعَ البيت منذ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: عند بيتكَ الذي كان قبلَ أنْ يُرفَع أيامَ الطُّوفانِ. **والثالث**: عند بيتكَ الذي قد جرى في سابقِ عِلمِكَ أنه يُحدَثُ هاهنا، ذكرَهُما ابنُ جَريرٍ[٢].

وكان أبو سُليمانَ الدِّمشقي يقول: ظاهرُ الكلام يدلُّ على أنَّ هذا الدُّعاءَ إنما كان بعدَ أنْ بُنيَ البيتُ وصارت مكَّةُ بلداً. والمُفسِّرون على خلافِ ما قال. ورَوى ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ أنَّ إبراهيمَ خرج مِنَ الشَّامِ ومعه ابنُه إسماعيلُ وأمُّهُ هَاجرُ ومعه جِبريلُ حتى قَدِمَ مكَّةَ وبِها ناسٌ يُقال لهم: العَمَالِيقُ، خَارجاً مِنْ مكَّةَ، والبيتُ يومَئذٍ رَبْوَةٌ حمراءُ، فقال إبراهيمُ لجبريلَ: أَهَاهُنا أُمِرتُ أنْ أضعَهُما؟ قال: نعم؛ فأنزلَهُما في مكانٍ مِنَ الحِجْرِ، وأمرَ هَاجَر أنْ تتَّخِذَ فيه عَرِيشاً، ثم قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ الآية وفتحَ أهلُ الحِجازِ، وأبو عمروٍ ياءَ «إنيَ أسكنت».

قوله تعالى: ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في مُتعلَّقِ هذه اللام قولان: **أحدهما**: أنها تَتعلَّقُ بقوله تعالى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾، فالمعنى: جَنِّبْهم الأصنامَ لِيُقيموا الصَّلاةَ، هذا قولُ مُقاتِلٍ. **والثاني**: أنها تتعلَّقُ بقوله تعالى: ﴿أَسۡكَنتُ﴾، فالمعنى: أَسكَنتُهم عند بيتكَ لِيُقيموا الصلاةَ، لأنَّ البيتَ قِبلَةُ الصَّلواتِ، ذكره المَاوَردي. قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، فيه قولان: **أحدهما**: أنها القُلوبُ، قالهُ الأكثرون. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما عَبَّر عن القُلوب بالأفئدَةِ، لِقُربِ القلب مِنَ الفُؤادِ

---

(١) سورة البقرة: ١٢٦.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ٧/ ٤٦٥.

ومُجاوَرتِهِ، قال امرُؤُ القَيْسِ:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصابَ الفُؤادَ ... غَداةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ

وقال آخر:

كَأَنَّ فُؤادِي كُلَّما مَرَّ راكِبٌ ... جَناحُ غُرابٍ رامَ نَهْضاً إِلى وَكْرِ

وقال آخر:

وإنَّ فُؤاداً قادَنِي لِصَبابَةٍ ... إِلَيْكِ عَلى طُولِ الهَوَى لَصَبُورُ

يَعنُونَ بالفُؤادِ: القَلبَ. **والقولُ الثاني**: أنَّ المُرادَ بالأفئِدة الجَماعةُ مِنَ الناس. قاله الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تَحِنُّ إليهم. وقال قَتادَةُ: تَنزِعُ إليهم. وقال الفَرَّاءُ: تُريدُهم، كما تقولُ: رأيتُ فُلاناً يَهْوِي نحوكَ، أي: يُريدُكَ. وقرأ بعضُهم: «تهوَى إليهم» بمعنى: تَهْواهُم، كقوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[1]، أي: رَدِفَكُم. و «إلى» توكيدٌ للكلام. وقال ابنُ الأنباري: «تَهوي»: تَنحطُّ إليهم وتَنحدِرُ. وفي معنى هذا المَيْلِ قولان: **أحدهما**: أنه المَيْلُ إلى الحَجِّ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه حُبُّ سُكْنَى مكَّةَ، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. وروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: لو كان إبراهيمُ قال: فاجعَلْ أفئدةَ الناس تَهْوِي إليهم، لَحَجَّهُ اليَهودُ والنَّصارى، ولكنه قال: مِنَ النَّاسِ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾ قال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: ما نُخفِي مِنَ الوَجْدِ بمُفارَقةِ إسماعيلَ، وما نُعلِنُ مِنَ الحُبِّ له. قال المُفسِّرون: إنما قال هذا لمَّا نزلَ إسماعيلُ الحَرَمَ، وأراد فُراقَهُ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ أي: بعدَ الكِبَرِ ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: وُلِدَ له إسماعيلُ وهو ابنُ تسعٍ وتسعين، ووُلد له إسحاقُ وهو ابنُ مائةٍ واثنتي عشرة سنةً. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، وحَمزةُ، وهُبَيرةُ عن حَفصٍ عن عَاصِمٍ: «وتقبَّل دعائي» بياءٍ في الوصْلِ. وقال البَزِّي عن ابنِ كَثيرٍ: يصلُ ويقِفُ بياءٍ. وقال قُنْبُلٌ عن ابن كَثيرٍ: يُشِمُّ الياء في الوَصْلِ، ولا يُثبتها، ويَقِفُ عليها بالألفِ. الباقون «دعاءِ» بغير ياءٍ في الحالين. قال أبو عليٍّ: الوَقْفُ والوَصْلُ بياءٍ هو القياس، والإشمامُ جائزٌ، لدَلالة الكسرةِ على الياء.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قال ابنُ الأنباري: استغفرَ لأبويه وهما حيَّان، طمعاً في أن يُهْدَيا إلى الإسلام. وقيلَ: أراد بوالديه: آدمَ، وحوَّاءَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ، والنَّخعيُّ، والزُّهريُّ: «ولِوَلَديَّ» يعني: إسماعيلَ وإسحاقَ، يدلُّ عليه ذِكرُهما قبلَ ذلك. وقرأ مُجاهِدٌ: «ولوالِدِي» على

---

(١) سورة النمل: ٧٢.

التَّوحيد. وقرأ عَاصِمٌ الجحدريُّ: «ولِوُلْدي» بضمّ الواو. وقرأ يحيى بنُ يَعْمَرَ، والجَوني: «ولِوَلَدِي» بفتح الواو وكَسرِ الدال على التَّوحيد. ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي: يَظهر الجزاءُ على الأعمالِ. وقيل: معناه: يومَ يقوم النّاسُ للحساب. ، فاكتُفِيَ بِذِكْرِ الحساب مِنْ ذِكْرِ الناس إذ كان المعنى مفهوماً.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذا وَعيدٌ للظّالم، وتعزيةٌ للمظلوم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلمي، وأبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ: «نؤخرهم» بالنون، أي: يُؤخِّر جزاءَهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: تَشخَصُ أبصارُ الخَلائِقِ لظهور الأحوالِ فلا تَغتَمِضُ.

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أن الإهطَاعَ: النَّظرُ مِنْ غير أنْ يَطْرِفَ النّاظِرُ، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والضَّحّاكُ، وأبو الضُّحَى. **والثاني**: أنه الإسرَاعُ، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وأبو عُبيدَةَ. وقال ابنُ قُتَيبَة: يقال: أَهطَعَ البَعيرُ في سيره، واستَهْطَعَ: إذا أسرعَ. وفي ما أسرَعُوا إليه قولان: أحدهما: إلى الدَّاعي، قاله قَتادَةُ. والثاني: إلى النارِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنّ المُهْطِعَ: الذي لا يَرفعُ رأسَهُ، قاله ابنُ زيدٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قولان: **أحدهما**: رَافِعي رؤوسِهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وأبو عُبيدَةَ، وأنشد أبو عُبيدَةَ:

أَنْـغَـضَ نَـحْـوِي رَأْسَـهُ وأَقْـنَـعَـا ... كَـأَنَّـمـا أَبْـصَـرَ شَـيْـئـاً أَطْـمَـعَـا[1]

وقال ابنُ قُتَيبَةَ: المُقنِعُ رأسَهُ: الذي رفعه وأقبلَ بِطَرْفه على ما بينَ يديه. وقال الزَّجّاجُ: رَافِعي رُؤوسِهم، مُلتَصِقةً بأعناقِهم. و «مهطعين مقنعي رؤوسهم» نصبٌ على الحَالِ، المعنى: ليومٍ تَشخَصُ فيه أبصارُهم مُهطِعِينَ. **والثاني**: نَاكِسِي رُؤوسِهم، حكاه المَاوردِي عن المؤرّج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ﴾ أي: لا تَرجِعُ إليهم أبصارُهم مِنْ شِدَّةِ النَّظرِ، فهي شَاخِصةٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: أنَّ نَظَرَهُمْ إلى شيءٍ واحِدٍ، وقال الحسَنُ: وجُوهُ الناس يومَ القيامة إلى السماءِ، لا يَنظُرُ أحدٌ إلى أحدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ الأفئدَةُ: مَساكنُ القُلوبِ. وفي معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ القلوب خرجت مِنْ مواضِعها فصارت في الحَناجِرِ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وقال قَتادَةُ: خرجت مِنْ صُدورِهم فَنَشِبَت في حُلوقِهم، فأفئِدَتُهم هَواءٌ ليس فيها شيءٌ.

والثاني: وأَفئِدتُهم ليس فيها شيءٌ مِنَ الخَيرِ، فهي كالخَرِبَةِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: وأفئِدَتُهم مُنخَرِقةٌ لا تَعِي شيئاً، قاله مُرَّةُ بن شَرَاحِيلَ. وقال الزَّجّاجُ: مُتخَرِّقةٌ لا تَعِي

---

(١) في «القاموس» أَنغَضَ: حرَّكَ، والنَّغْضُ: من يحرك رأسه، ويرجف في مشيته.

شيئاً مِنَ الخوفِ. **والرابع**: وأفئدتُهم جُوفٌ لا عُقولَ لها، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد لحَسَّانَ:

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ

فعلَىٰ هذا يكون المعنىٰ: أنَّ قلوبهم خَلَتْ عن العقول لِمَا رَأَوا مِنَ الهولِ، والعربُ تُسمِّي كلَّ أجوفَ خَاوٍ هَواءً. قال ابنُ قُتَيبةَ: ويقال: أفئِدَتُهم مَنخُوبَةٌ مِنَ الخوفِ والجُبْنِ.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي: خَوِّفْهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني به يومَ القيامة؛ وإنما خَصَّهُ بذِكْرِ العذاب، وإنْ كان فيه ثوابٌ، لأنَّ الكلام خرجَ مخرجَ التَّهديدِ للعُصاةِ. قال ابنُ عباسٍ: يريد بالناس هاهنا: أهلَ مكَّةَ. قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركُوا ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: أَمْهِلْنَا مُدَّةً يسيرةً. وقال مُقاتِلٌ: سألوا الرُّجوعَ إلى الدنيا، لأنَّ الخروج مِنَ الدنيا قريبٌ. ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ يعني: التَّوحيدَ، فيُقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: حَلَفتُم في الدنيا أنَّكم لا تُبعَثُون ولا تنتقلون مِنَ الدنيا إلى الآخرة.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: نَزَلتُم في أماكِنِهم وقُراهُم، كالحِجْرِ ومَدْيَنَ، والقُرى التي عُذِّبَ أهلُها. ومعنى «ظلموا أنفسهم» ضَرُّوها بالكُفرِ والمعصية. ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو المُتوكِّل النَّاجي «وتُبُيِّن» بضمِّ التاء. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيف عذَّبناهم، يقول: فكان ينبغي لكم أنْ تنزَجِرُوا عن المُخالفَةِ اعتباراً بمَساكِنِهم بعدما عَلِمتُم فِعلَنَا بهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد الأمثَالَ التي في القرآن.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ في المُشارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه نُمرُودُ الذي حَاجَّ إبراهيمَ في ربِّه، قال: لا أنتهي حتى أنظرَ إلى السماء، فأمرَ بفَرخَي نَسْرٍ فرُبِّيا حتى سَمِنا واستعلَجا، ثم أَمرَ بتَابُوتٍ فَنُحِتَ، ثم جعل في وسطه خشبةً، وجعل على رأس الخَشَبةِ لحماً شديدَ الحُمرَةِ، ثم جَوَّعهما وربطَ أرجُلَهما بأوتَارٍ إلى قوائم التَّابوتِ. ودخل هو وصاحبٌ له في التَّابُوتِ وأغلقَ بابَهُ، ثم أرسلَهُما، فجَعلا يُريدان اللحمَ، فصَعِدا في السماءِ ما شاءَ اللهُ، ثم قال لصاحبه: افتحْ وانظرْ ماذا ترى؟ ففتحَ، فقال: أرى الأرضَ كأنَّها الدُّخَانُ، فقال له: أَغْلِقْ، ثم صَعِدَ ما شاءَ اللهُ، ثم قال: افتحْ فانظرْ، ففتحَ، فقال: ما أرى إلاَّ السماءَ، وما نَزدَادُ منها إلا بُعداً، قال: فَصَوِّبْ

خشبَتَكَ، فصَوِّبَها، فانقضَّتِ النُّسورُ تريدُ اللحمَ، فسَمعت الجبالُ هدَّتَها، فكادت تزولُ عن مَراتِبها[1].

هذا قولُ عليِّ بن أبي طَالبٍ عليه السلامُ. وفي روايةٍ عنه: كانت النُّسورُ أربعةً. وروى السُّدِّيُّ عن أشياخه: أنه ما زال يَصعدُ إِلى أنْ رأى الأرضَ يُحيط بها بَحرٌ، فكأنَّها فَلْكةٌ في ماءٍ، ثم صَعِدَ حتى وقعَ في ظُلمَةٍ، فلم يَرَ ما فوقه ولم يَرَ ما تحتَهُ، ففزِعَ، فصَوَّبَ اللحمَ، فانقضَّتِ النُّسورُ، فلمَّا نزل أخذَ في بناء الصَّرْحِ. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه بَنَى الصَّرْحَ، ثم صَعِدَ منه مع النُّسورِ، فلمَّا لم يَقدِرْ على السماء، اتَّخذه حِصْناً، فأتَى اللهُ بُنيانَهُ مِنَ القَواعِدِ. وقال عِكرِمَةُ: كان معه في التَّابُوتِ غلامٌ قد حمل القَوسَ والنُّشابَ، فرمى بسَهمٍ فعاد إِليه مُلطَّخاً بالدَّم، فقال: كُفيتَ إِلهَ السماءِ، وذلك مِنْ دَم سمكةٍ في بحرٍ مُعلَّقٍ في الهواءِ، فلمَّا هَالَهُ الارتفاعُ، قال لصاحبه: صَوِّبِ الخَشبةَ، فصَوَّبَها، فانحطَّتِ النُّسورُ، فظنَّتِ الجبالُ أنه أَمْرٌ نزلَ مِنَ السماء فزالَتْ عن مَواضِعها. وقال غيرُه: لمَّا رَأَتِ الجبالُ ذلك، ظنَّتْ أنه قيامُ السَّاعةِ، فكادَتْ تَزولُ، وإِلى هذا المعنى ذهب سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو مالكٍ.

والقول الثاني: أنه بَخت نَصَّر، وأنَّ هذه القصةَ له جَرَتْ، وأنَّ النسورَ لمَّا ارتفعت تطلبُ اللحمَ إِلى حيثُ شاءَ اللهُ، نُوديَ: يا أيُّها الطَّاغيةُ، أينَ تُريد؟ فَفَرِقَ، ثم سمعَ الصوتَ فوقه، فنزلَ، فلمَّا رأتِ الجبالُ ذلك، ظنَّتْ أنه قيامُ الساعة فكادت تَزولُ، وهذا قولُ مُجاهِدٍ.

والثالث: أنَّ المُشارَ إِليهم الأُمَمُ المُتقدِّمةُ. قال ابنُ عباسٍ: وعِكرِمَةُ: مَكْرُهم: شِركُهم.

والرابع: أنهم الذين مَكَرُوا برسولِ الله ﷺ حين هَمُّوا بقَتْلِه وإِخرَاجِه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مَحفوظٌ عنده حتى يُجازيَهُم به، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: وعند الله جزاءُ مَكْرِهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ﴾ وقرأ أبو بكرٍ، وعمرُ، وعليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ، وابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو العَالِية: «وإِن كاد مكرهم» بالدال، ﴿لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ وقرأ الأكثرون «لِتزولَ» بكسرِ اللام الأولى من «لتزول» وفتحِ الثانية. أراد: وما كان مَكرُهم لِتَزولَ منه الجبالُ، أي: هو أضعفُ وأوهَنُ، كذلك فسَّرها الحسَنُ البَصريُّ. وقرأ الكِسَائيُّ «لَتزولُ» بفتح اللام الأولى وضمِّ الثانية، أراد: قد كَادَتِ الجبالُ تَزولُ مِنْ مكرِهم، كذلك فسَّرَها ابنُ الأنباري. وفي المرادِ بالجبال قولان: **أحدهما**: أنها الجبالُ المعروفة، قاله الجمهور. **والثاني**: أنها ضُرِبتْ مَثَلاً لأمرِ النبيِّ ﷺ، وثُبوتُ دِينه كثُبوتِ الجبال الرَّاسِيَة، والمعنى: لو بَلَغَ كَيدُهم إِلى إِزالَةِ الجبال، لَمَا زالَ أمرُ الإِسلام، قاله الزَّجَّاجُ. قال أبو عليٍّ: ويدلُّ على صحَّةِ هذا قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ أي: فقد وَعدَكَ الظُّهورَ عليهم، قال ابنُ عباسٍ: يريد بوَعدِهِ: النَّصرَ والفَتْحَ وإِظهارَ الدِّين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ﴾ أي: مَنيعٌ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِنَ الكافرين، وهو أنْ يُجازيَهُم بالعقوبة على كُفرِهم.

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ وروى أَبانُ «يوم نُبدِّل» بالنونِ وكسرِ الدال «الأرضَ»

---

(١) لا يصح هذا وأمثاله عن علي، وإنما مصدر هذه الأخبار كتب الإسرائيليات، وظاهر الآيات يدل على أن المراد بذلك أعداء الرسل في كل قوم، والله أعلم.

بالنَّصب، «والسموات» بخفضِ التاءِ، ولا خلافَ في نَصبِ «غير». وفي معنى تبديل الأرضِ قولان: **أحدهما**: أنها تلك الأرضُ، وإنَّما يُزادُ فيها ويُنقَصُ منها، وتذهب آكامُها وجبالُها وأوديَتُها وشجرُها، وتُمدُّ مَدَّ الأَدِيم، روى هذا المعنى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٤١] وقد روى أبو هُريرة عن النبيِّ ﷺ ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال: «يَبسُطها ويمدُّها مَدَّ الأَدِيم».

والثاني: أنها تُبدَّل بغيرِها. ثم فيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها تُبدَّل بأرضٍ غيرِها بيضاءَ كالفضَّة لم يُعمل عليها خَطيئةٌ، رواه عمرُو بنُ مَيمونٍ عن ابنِ مسعودٍ، وعَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها تُبدَّل ناراً، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ. **والثالث**: أنها تُبدَّل بأرضٍ مِنْ فضَّةٍ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. **والرابع**: تُبدَّل بخُبزَةٍ بيضاءَ، فيأكل المؤمنُ مِنْ تحت قَدَميه، قاله أبو هُريرَةَ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والقُرَظيّ. وقال غيرُهم: يأكل منها أهلُ الإسلام حتى يُفرغَ مِنْ حسابِهم.

فأمَّا تبديلُ السَّموات، ففيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تُجعَلُ مِنْ ذهبٍ، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: أنها تصيرُ جِناناً، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ. **والثالث**: أنَّ تبديلَها: تكويرُ شَمْسِها وتَناثُرُ نجومِها، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: أنَّ تبديلَها: اختلافُ أحوالِها، فمَرَّةً كالمُهْلِ، ومَرَّةً تكون كالدِّهَانِ، قاله ابنُ الأنباري. **والخامس**: أنَّ تبديلَها أنْ تُطوى كَطَيِّ السِّجِلّ للكتابِ. **والسادس**: أنْ تَنشقَّ فلا تُظِلُّ، ذكرهما المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ أي: خرجوا مِنَ القُبور.

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ يقال: قَرنتُ الشيءَ إلى الشيءِ: إذا

---

[٨٤١] ضعيف. هو بعض حديث الصور، أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ٢٠٩٦٢ من طرق عن إسماعيل بن رافع تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأياً كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واهٍ. وانظر مزيد الكلام عليه في سورة الأنعام عند الآية: ٧٣.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٤٨٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: يوم تبدّل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها، كما قال جل ثناؤه. وجائز أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة، وجائز أن تكون ناراً وجائز أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصح إلا ما دل عليه ظاهر التنزيل.

وَصلتَهُ به. وفي معنى «مُقرَّنين» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يُقرَّنُون مع الشَّياطين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ أيديَهم وأرجُلَهم قُرنَتْ إلى رِقَابهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: يُقرَّن بعضُهم إلى بعضٍ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وفي الأصفَادِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأغلالُ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ، وابنُ الأنبَاري. **والثاني**: القُيودُ والأغلالُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: القُيودُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. فأمَّا السَّرَابيلُ، فقال أبو عُبيدَةَ: هي القُمُصُ، واحدُها سِرْبَالٌ. وقال الزَّجَّاجُ: السِّربَالُ: كلُّ ما لُبِسَ. وفي القَطِرَانِ ثلاثُ لُغاتٍ: فَتْحُ القافِ وكَسْرُ الطاءِ، وفَتْحُ القافِ مع تسكينِ الطاءِ، وكسرِ القافِ مع تسكينِ الطاءِ، وفي معناه قولان: **أحدهما**: أنه النُّحاسُ المُذَابُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه قَطِرَانُ الإبلِ، قاله الحسَنُ، وهو شيءٌ يَتحلَّبُ مِنْ شجرٍ تُهْنَأ به الإبلُ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما جُعِلَ لهم القَطِرَانُ، لأنه يُبالغ في اشتعالِ النار في الجُلودِ، ولو أراد اللهُ تعالى المُبالغةَ في إحرَاقِهم بغير ذلك لقَدرَ، ولكنه حذَّرهُم ما يعرفون حقيقتَهُ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو مِجلَز، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَاتِم عن يعقوبَ: «مِنْ قِطْرٍ» بكسرِ القافِ وسكونِ الطاءِ والتنوين «آنٍ» بقطعِ الهمزة وفَتْحِها ومَدِّها. والقِطْرُ: النُّحاس، وآن: قد انتهى حَرُّه. قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: أي تَعلُوها. واللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلِّقةٌ بقوله: ﴿وَبَرَزُوا۟﴾.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ في المُشَارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه القرآن. **والثاني**: الإنذَارُ. والبَلاغُ: الكِفايةُ. قال مُقاتِلٌ: والمراد بالناس: أهلُ مكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: أُنزِلَ لِيُنذَرُوا به، وليَعمَلُوا بما فيه مِنَ الحُجَجِ ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ أي: وليتَّعظَ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

سورة الحجر

ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

وهي مكيّةٌ كلُّها مِنْ غير خِلافٍ نعلَمُه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قد سبق بيانه. قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ القرآن: هو الكتابُ، جُمِعَ له بين الاسمَينِ. **والثاني**: أنَّ الكتاب: هو التَّوراةُ والإِنجيلُ، والقرآن: كتابُنا. وقد ذكرنا في أوَّلِ يوسفَ معنى المُبينِ.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ «رُبَّما» مشدَّدةً. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وعبدُ الوارث «رُبَما» بالتَّخفيف. قال الفرَّاءُ: أَسَدٌ وتَميمٌ يقولون: «رُبَّما» بالتشديد، وأهلُ الحِجازِ وكثيرٌ مِنْ قَيسٍ يقولون: «رُبَما» بالتخفيف. وتَيْمُ الرِّباب يقولون: «رَبَّما» بفتح الراء. وقيل: إنما قُرئت بالتَّخفيف، لِمَا فيها مِنَ التَّضعيفِ، والحروفُ المُضاعَفةُ قد تُحذَفُ، نحو «إنّ» و «لكنّ» فإنهم قد خفَّفوها. قال الزَّجّاجُ: يقولون: رُبَّ رجُلٍ جاءني، ورُبَ رجُلٍ جاءني، وأنشد:

أَزُهَيرُ إِنْ يَشِبِ القَذَالُ فإنَّني ... رُبَ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ[1]

هذا البيت لأبي كبير الهذلي، وفي ديوانه:

رب هيضل لجب لففت بهيضل

والهيضل: جمع هيضلة، وهي الجماعة يُغرى بهم، يقول لففتهم بأعدائهم في القتال.

و «رُبَّ» كلمةٌ مَوضُوعةٌ للتَّقليل، كما أنَّ «كم» للتَّكثير، وإنما زِيدَتْ «ما» مع «رُبَّ» لِيَلِيَها الفعلُ، تقول: رُبَّ رجلٍ جاءني، وربَّما جاءني زيدٌ. وقال الأخفَشُ: أُدخِلَ مع «رُبَّ» ما، ليُتكلَّمَ بالفعلِ بعدَها، وإنْ شئتَ جعلتَ «ما» بمنزلةِ «شيء»، فكأنَّكَ قُلتَ: رُبَّ شيءٍ، أي: رُبَّ وَدّ يَوَدُّه الذين كفروا. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: «ما» هاهنا بمعنى «حين»، فالمعنى: رُبَّ حين يَوَدُّون فيه. واختلفَ المُفسِّرون متى يقعُ هذا مِنَ الكفَّارِ، على قولين:

أحدهما: أنه في الآخِرةِ. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعةُ أقوالٍ:

---

(١) «ديوان الهذليين» ٢/ ٨٩. والقذال: جماع مؤخر الرأس، معقد العذار من الفرس خلف الناصية.

[٨٤٢] **أحدها**: «أنه إذا اجتمع أهلُ النار في النار ومعهم مَنْ شاء اللهُ مِنْ أهل القِبْلَة، قال الكفَّارُ للمسلمين: أَلَمْ تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فَمَا أَغْنَى عنكم إسلامُكم وقد صِرتُم مَعَنَا في النارِ؟ قالوا: كانت لنا ذنوبٌ فأُخِذْنا بها؛ فَسَمِعَ اللهُ ما قالوا، فأمرَ بمَنْ كان في النار مِنْ أهل القِبْلَةِ فأُخرِجُوا، فلمَّا رأى ذلك الكفارُ، قالوا: يا لَيتَنا كنَّا مُسلمين فنُخرَجَ كما أُخرِجُوا» رواه أبو موسى الأشعَريّ عن النبيّ ﷺ، وذهب إليه ابنُ عباسٍ في روايةٍ وأنسُ بنُ مالكٍ، ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وأبو العَالِيَة، وإبراهيمُ. **والثاني**: أنه ما يزال اللهُ يَرحمُ ويُشفع حتى يقول: مَنْ كان مِنَ المسلمين فلْيَدْخُل الجنَّةَ، فذلك حين يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ الكفار إذا عَايَنُوا القيامةَ، وَدُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنه كلَّما رأى أهلُ الكُفرِ حالاً مِنْ أحوال القيامة يُعذَّب فيها الكافرُ ويَسلَمُ مِنْ مكروهِها المؤمنُ، وَدُّوا ذلك، ذكره ابنُ الأنبَاري.

والقول الثاني: أنه في الدنيا، إذا عَايَنُوا وتَبيَّن لهم الضَّلالُ مِنَ الهُدى وعلموا مصيرَهُم، وَدُّوا ذلك، قاله الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: إذا قُلتُم: إنَّ «رُبَّ» للتَّقليل، وهذه الآيةُ خَارجَةٌ مخرجَ الوعيد، فإنَّما يُناسبُ الوعيدَ تكثيرُ ما يُتواعَدُ به؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ ذكرها ابنُ الأنبَاري: **أحدها**: أنَّ «ربما» تقعُ على التَّقليلِ والتَّكثيرِ، كما يقعُ النَّاهِلُ على العطشان والرَّيَّان، والجَوْنُ على الأسودِ والأبيضِ. **والثاني**: أنَّ أهوالَ القيامة وما يقعُ بهم مِنَ الأهوالِ تكثُر عليهم، فإذا عادت إليهم عُقولُهم، وَدُّوا ذلك. **والثالث**: أنَّ هذا الذي خُوِّفوا به، لو كان مما يُوَدُّ في حالٍ واحدةٍ مِنْ أحوال العذاب، أو كان الإنسانُ يخافُ النَّدمَ إذا حصل فيه ولا يتيقَّنُه، لَوجَبَ عليه اجتنابُه.

فإنْ قيلَ: كيف جاء بعد «ربما» مستقبَلٌ، وسبيلُها أنْ يأتي بعدَها الماضي، تقول: ربما لقيتُ عبد الله؟ فالجواب: أنَّ ما وَعَد اللهُ حَقٌّ، فمستقبَلُه بمنزلة الماضي، يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾(١) وقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾(٢) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾(٣)، على أنَّ الكِسَائيَّ

---

[٨٤٢] حسن. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٨٤٣ والطبراني كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٧٤ والحاكم ٢/ ٢٤٢ والبيهقي في «البعث والنشور» ٨٥ من طريق خالد بن نافع الأشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى مرفوعاً. وأخرجه الطبري ٢١٠٠٥ من طريق خالد بن نافع بالإسناد المذكور عن أبي موسى الأشعري قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة... فذكره ثم قال في عجزه: «ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين**...﴾». وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي؟ ومداره على خالد بن نافع قال الحافظ في «لسان الميزان»: ضعفه أبو زرعة والنسائي، وهو من أولاد أبي موسى وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه. وقال أبو داود: متروك. وهذا تجاوز في الحد فإن الرجل قد حدّث عنه أحمد بن حنبل ومسدد، فلا يستحق الترك اهـ. وله شاهد من حديث جابر: أخرجه النسائي في «التفسير» ٢٩١ والطبراني في «الأوسط» ٥١٤٢. وإسناده حسن فيه محمد بن عباد بن الزبرقان، وهو صدوق يهم كما في «التقريب». وله شاهد آخر من حديث أنس: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٨٤٤ وإسناده منقطع فيه أبو الخطاب حرب بن ميمون الراوي عن أنس لا يعرف له رواية عن أحد من الصحابة. الخلاصة: هو حديث حسن بطرقه وشواهده.

---

(١) سورة المائدة: ١١٦. (٢) سورة الأعراف: ٤٤. (٣) سورة سبأ: ٥١.

والفَرَّاءَ حَكَيا عن العرب أنهم يقولون: ربَّما يندمُ فُلانٌ، قال الشاعر:

رُبَّمَا تجزَعُ النُّفوسُ مِنَ الأمـ ـرِ له فرجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[1]

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ أي: دَعِ الكفارَ يأخذوا حُظوظَهم في الدنيا، ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ أي: ويشغَلُهم ما يأملُون في الدنيا عن أَخْذِ حظِّهم مِنَ الإيمان والطاعة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا وَرَدُوا القيامةَ وَبَالَ ما صنعوا، وهذا وعيدٌ وتهديدٌ، وهذه الآيةُ عند المُفسِّرين مَنسُوخةٌ بآيةِ السَّيفِ.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ أي: ما عذَّبنا مِنْ أهلِ قريةٍ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي أَجَلٌ موقَّتٌ لا يُتقدَّم ولا يُتأخَّر عنه. ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «من» صِلَةٌ، والمعنى: ما تتقدَّمُ وقتَها الذي قُدِّر لها بُلوغُه، ولا تستأخِرُ عنه. قال الفَرَّاءُ: إنما قال: «أجلها» لأنَّ الأُمَّة لفظُها مؤنَّثٌ، وإنما قال: «يستأخرون» إخرَاجاً له على معنى الرِّجال.

﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في عبد الله بنِ أبي أُميَّةَ والنَّضْرِ بن الحَارثِ ونوفَلِ بن خُويلدٍ والوليدِ بنِ المُغيرةِ. قال ابنُ عباسٍ: والذِّكرُ؛ القرآن. وإنما قالوا هذا استهزاءً، لو أيقنُوا أنه نُزِّل عليه الذِّكْرُ، ما قالوا ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. قال أبو عليّ الفَارسيّ: وجوابُ هذه الآيةِ في سُورةٍ أُخرى في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ قال الفَرَّاءُ: «لو ما» و «لولا» لُغتان معناهما: هلاً، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ: هما بمعنًى واحدٍ، وأنشد لابنِ مُقبلٍ:

لَوْ مَا الحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي

قال المُفسِّرون: إنما سألوا الملائكةَ ليَشهَدوا له بصِدْقِه، وأنَّ اللهَ أرسلَهُ، فأجابَهُم اللهُ تعالى بقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «ما تَنزَّلُ» بالتاء المفتوحةِ «الملائكةُ» بالرفع. ورَوى أبو بكرٍ عن عَاصِم «ما تُنزَّل» بضمِّ التاء على ما لم يُسَمَّ فاعلُه. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُ، وحَفصٌ عن عَاصِم، وخَلَفٌ «ما نُنَزِّل» بالنون والزاي مشددةً «الملائكةَ» نصباً. وفي المراد بالحق أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العذاب إنْ لم يُؤمنوا، قاله الحَسنُ. **والثاني**: الرِّسالةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: قبضُ الأرواح عند الموتِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: أنه القرآن، حكاه المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟﴾ يعني المشركين ﴿إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ أي عند نُزولِ الملائكة إذا نَزلت.

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت كما في «اللسان» مادة «فرج». والفرجة: الراحة من حزن أو مرض.

(٢) سورة القلم: ٢.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾، مِنْ عادة المُلوكِ إذا فعلوا شيئاً، قال أحدُهم: نحنُ فعلنا، يريد نَفْسَهُ وأتباعَهُ، ثم صارَ هذا عادةً للمَلِكِ في خطابه، وإنِ انفرَدَ بفعلِ الشيء، فخُوطِبت العربُ بما تعقلُ مِنْ كلامها. والذِّكْرُ: القرآن، في قول جميع المُفسِّرين. وفي هاء «له» قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الذِّكرِ، قاله الأكثرون. قال قَتادةُ: أنزلَهُ اللهُ ثم حَفِظَهُ، فلا يستطيع إبليسُ أنْ يزيدَ فيه باطلاً، ولا يُنقِصَ منه حقَّاً. **والثاني**: أنها ترجع إلى النبيِّ ﷺ، فالمعنى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ مِنَ الشَّياطين والأعداءِ، لقولهم: «إنك لمجنون»، هذا قولُ ابنِ السَّائبِ، ومُقاتِلٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: رُسُلاً، فحُذفَ المفعولُ، لدلالةِ الإرسالِ عليه. والشِّيَعُ: الفِرَقُ، وحُكي عن الفرَّاءِ أنه قال: الشِّيْعَةُ: الأُمَّةُ المُتابِعَةُ بعضها بعضاً فيما يجتمعون عليه مِنْ أمرٍ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هذا تَعزيةٌ للنبيِّ ﷺ، والمعنى: إنَّ كلَّ نبيٍّ قبلكَ كان مُبتلَى بقومِه كما ابتُليتَ.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ في المُشَارِ إليه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشِّركُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه الاستهزاءُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: التَّكذيبُ، قاله ابنُ جُريجٍ، والفرَّاءُ. ومعنى الآية: كما سَلَكْنَا الكُفرَ في قلوب شِيَعِ الأوَّلين، نُدخل في قلوبِ هؤلاءِ التَّكذيبَ فلاَ يُؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاءِ المشركين، فقال تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. وفي المُشَار إليه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرسول. **والثاني**: القرآن. **والثالث**: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَضَتْ سُنَّةُ الله في إهلاكِ المُكذِّبين. **والثاني**: مَضَتْ سُنَّتُهم بتكذيبِ الأنبياء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أي: يَصعدُون، يُقال: ظَلَّ يفعلُ كذا: إذا فعلَهُ بالنَّهار. وفي المُشارِ إليهم بهذا الصُّعودِ قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، فالمعنى: لو كُشِفَ عن أبصارِ هؤلاءِ فرَأوا باباً مفتوحاً في السماء والملائكةُ تَصعَدُ فيه، لَمَا آمنوا به. **والثاني**: أنهم المشركون، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، فيكون المعنى: لو وَصَّلناهم إلى صُعودِ السماء لم يَستَشعِروا إلاَّ الكُفرَ، لِعنادِهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ قرأ الأكثرون بتشديد الكاف. وقرأ ابنُ كثيرٍ، وعبدُ الوارثِ بتخفيفها. قال الفرَّاءُ: ومعنى القِراءتين مُتقارِبٌ، والمعنى: حُبِسَتْ، مِنْ قولهم: سَكِرَتِ الريحُ: إذا سَكَنَتْ ورَكَدتْ. وقال أبو عَمرِو بنُ العَلاءِ: معنى «سُكِرَتْ» بالتخفيف، مأخوذٌ مِنْ سُكْرِ الشراب، يعني: أنَّ الأبصار حَارَتْ، ووقع بها مِنْ فساد النَّظر مثلُ ما يقع بالرجل السَّكران مِنْ تغيُّرِ العقل. قال ابنُ الأنباري: إذا كان هذا معنى الوصف، فسُكِّرت، بالتشديد، يُراد به وقوعُ هذا الأمرِ مرَّةً بعد مرَّةٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: «سُكِّرت» بالتشديد، مِنَ السُّكور التي تمنعُ الماءَ الجِزْيَةَ، فكأنَّ هذه الأبصارَ مُنِعتْ مِنَ النَّظر كما يمنع السَّكرُ الماءَ مِنَ الجَرْي. وقال الزَّجَّاجُ: «سُكِّرت» بالتشديد، فسَّروها: أُغشِيَتْ، و «سُكِرَتْ» بالتخفيف: تحيَّرتْ وسكنَتْ عن أنْ تنظرَ، والعربُ تقول: سَكِرَتِ الريحُ تَسْكَرُ: إذا سَكنَتْ. وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ قال: أُخِذَ بأبصارنا وشُبِّه علينا، وإنما سُحِرْنا. وقال مُجاهِدٌ: «سُكِّرت» سُدَّت بالسِّحْرِ، فيتمَاثَلُ لأبصارنا غيرُ ما ترى.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ في البُرُوج ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بُروجُ الشمسِ والقمرِ، أي: مَنازِلُهما، قاله ابنُ عباسٍ، وأبو عُبيدَةَ في آخَرِين. قال ابنُ قُتيبةَ: وأسماؤُها: الحَمَلُ، والثَّورُ، والجَوْزاءُ، والسَّرَطانُ، والأَسَدُ، والسُّنبُلَةُ، والمِيزانُ، والعَقربُ، والقَوسُ، والجَدْيُ، والدَّلو، والحُوتُ. **والثاني**: أنها قُصورٌ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وقال عطيَّةُ: هي قُصورٌ في السماء فيها الحَرَسُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: أصل البُروج: الحُصون. **والثالث**: أنها الكَواكبُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. قال أبو صالحٍ: هي النُّجوم العِظَامُ. قال قَتادةُ: سُمِّيَتْ بُروجاً، لِظُهورها.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ أي: حسَّنَّاها بالكَواكبِ. وفي المُراد بالنَّاظرين قولان:

أحدهما: أنهم المُبصِرُون. **والثاني**: المُعتَبِرون.

قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: حَفِظناها أنْ يصلَ إليها شيطانٌ أو يعلمَ مِنْ أمرِهَا شيئاً إلاَّ استِرَاقاً، ثم يتبعه الشِّهابُ. والرَّجيم مشروحٌ في سُورةِ آلِ عِمرانَ(١). واختلف العلماء: هل كانت الشَّياطينُ تُرمَى بالنُّجوم قبلَ مَبْعَثِ نبيِّنا ﷺ، أمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنها لم تُرْمَ حتى بُعِثَ ﷺ، وهذا المعنى: مذكورٌ في رواية سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٤٣] وقد أخرج في «الصَّحيحين» مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: «انطلق

---

[٨٤٣] صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٣ و ٤٩٢١، ومسلم ٤٤٩، والترمذي ٣٣٢٠، وأحمد ١/ ٢٥٢ و ٢٧٠، وأبو يعلى ٢٣٦٩ من حديث ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا =

---

(١) عند الآية: ٣٦.

رسولُ الله ﷺ في طَائفةٍ مِنْ أصحابه عَامِدِينَ إلى سُوقِ عُكَاظٍ، وقد حِيْلَ بين الشَّياطين وبين خَبَرِ السَّماءِ، وأُرسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ». وظاهرُ هذا الحديث أنها لم تكن قَبْلَ ذلك. قال الزَّجَّاجُ: ويدل على أنها إنما كانت بعدَ مولدِ رسول الله ﷺ أنَّ شعراءَ العرب الذين يُمثِّلون بالبَرقِ والأشياء المُسرعةِ، لم يوجد في أشعارها ذِكْرُ الكواكبِ المُنقضَّة، فلما حدثت بعد مَولدِ نبيِّنا ﷺ، استعملت الشعراءُ ذِكرَها، فقال ذو الرُّمَّة:

كـأنَّـه كـوكـبٌ فـي إثْـرِ عِـفْـرِيَـةٍ مُسَوَّمٌ في سَوادِ الـلـيـلِ مُـنْـقَـضِـبُ[1]

والثاني: أنه قد كان ذلك قبلَ نبيِّنا ﷺ.

[٨٤٤] فروى مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديث عليِّ بنِ الحُسينِ عن ابنِ عباسٍ قال: بَيْنَا النبيُّ ﷺ جالسٌ في نَفَرٍ مِنْ أصحابه، إذ رُميَ بنَجم، فاستَنار، فقال: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية»؟ قالوا: كنَّا نقول: يموتُ عظيمٌ، أو يُولَدُ عظيمٌ، قال: «فإنَّها لا يُرمى بها لِمَوتِ أحدٍ ولا لحياتِه، ولكنْ ربُّنا إذا قضى أمراً، سبَّح حَملَةُ العَرْشِ، ثم سبَّحَ أهلُ السماء الذين يَلُونَهُم، حتى يبلغَ التَّسبيحُ أهلَ هذه السماءِ، ثم يَستخبرُ أهلُ كلِّ سماءٍ أهلَ سماءٍ، حتى ينتهيَ الخَبرُ إلى هذه السماءِ، وتَخطَفُ الجِنُّ ويُرمَون، فما جاؤوا به على وَجْهِه فهو حقٌّ، ولكنهم يَقرِفُون فيه ويَزيدُون». ورُوِي عن ابنِ عباسٍ أنَّ الشياطين كانت لا تُحجَبُ عن السَّمواتِ، فلمَّا وُلِدَ عيسى، مُنِعتْ مِنْ ثلاثِ سمواتٍ، فلمَّا وُلِدَ رسولُ الله ﷺ، مُنِعُوا مِنَ السَّمواتِ كلِّها. وقال الزُّهريُّ: قد كان يُرمى بالنُّجوم قبلَ مَبْعَثِ رسولِ الله، ولكنَّها غُلِّظَتْ حين بُعِثَ ﷺ، وهذا مذهبُ ابنِ قُتَيبةَ، قال: وعلى هذا وجدنا الشعرَ القديمَ، قال بِشْرُ بنُ أبي خازمٍ، وهو جاهليٌّ:

والـعَـيْـرُ يَـرْهَـقُـهـا الـغُـبَـارُ وجَـحْـشُـهـا يَـنْـقَـضُّ خلفَـهُـمـا انقضاضَ الـكَـوكَـبِ

وقال أوسُ بنُ حَجَرٍ، وهو جاهليٌّ:

فـانـقَـضَّ كـالـدُّرِّيء يـتـبَـعُـه نَـقْـعٌ يَـثُـورُ تَـخـالُـهُ طُـنُـبـا

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي: اختطفَ ما سَمِعهُ مِنْ كلام الملائكةِ. قال ابنُ فارس: استَرقَ السَّمعَ: إذا تسمَّعَ مُستخفياً. ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ أي: لَحِقهُ ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: كوكبٌ مُضيءٌ. وقيل: «مبين» بمعنى: ظاهرٍ يَراهُ أهلُ الأرض. وإنما يَستَرِقُ الشيطانُ ما يكون مِنْ أخبار الأرض، فأمَّا وَحيُ الله عزَّ وجلَّ، فقد صَانَهُ عنهم. واختلفوا، هل يَقتلُ الشِّهابُ، أمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه

= مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء قال: فانطلق الذين توجَّهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا تسمّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً. وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ **﴿قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن﴾** وإنما أوحي إليه قول الجن.

[٨٤٤] صحيح. أخرجه مسلم ٢٢٢٩ والترمذي ٣٢٢٤ وأحمد ١/٢١٨ والطحاوي في «المشكل» ٢٣٣٢ وابن حبان ٦١٢٩ والبيهقي ٨/١٣٨ من حديث ابن عباس.

---

(١) في «اللسان» مادة «عفر» لذي الرمة. ورجل عِفرٌ وعِفرية: خبيث منكر واهٍ.

يَحرقُ ويَخبِلُ ولا يَقتُلُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه يَقتُلُ، قاله الحسَنُ. فعلى هذا القولِ، هل يُقتَلُ الشيطانُ قبل أنْ يُخبِرَ بما سمع، فيه قولان: **أحدهما**: أنه يُقتَل قبلَ ذلك، فعلى هذا، لا تَصِلُ أخبارُ السماء إلى غيرِ الأنبياء. قال ابنُ عباسٍ: ولذلك انقطعَتِ الكهَانةُ. **والثاني**: أنه يُقتَلُ بعد إلقائِه ما سمعَ إلى غيره مِنَ الجنّ، ولذلك يَعودون إلى الاستِرَاقِ، ولو لم يَصِلْ لَقطَعُوا الاستِراقَ.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: بَسطناها على وَجْهِ الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبالُ الثَّوابتُ ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ في المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: أنها الأرضُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: الجبالُ، قاله الفرَّاءُ. وفي قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ قولان[1]:

أحدهما: أنَّ المَوزُونَ: المَعلومُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ. وقال مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ في آخَرين: المَوزُونُ: المَقدُورُ. فعلى هذا يكون المعنى: معلومُ القَدْرِ كأنه قد وُزِنَ، لأنَّ أهلَ الدنيا لمَّا كانوا يعلمون قَدْرَ الشيء بوَزنِه، أخبرَ اللهُ تعالى عن هذا أنه معلومُ القَدْرِ عنده بأنه مَوزُونٌ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنه جرى على وَزْنٍ مِنْ قَدَرِ الله تعالى، لا يُجاوز ما قدَّره اللهُ تعالى عليه، ولا يستطيع خَلْقٌ زيادةً فيه ولا نُقصاناً.

والثاني: أنه عنى به الشيءَ الذي يُوزن كالذَّهبِ، والفِضَّةِ، والرَّصاصِ، والحَديدِ، والكُحْلِ، ونحوِ ذلك، وهذا المعنى مَرويٌّ عن الحسَنِ، وعِكرمَةَ، وابنِ زيدٍ، وابنِ السَّائبِ، واختاره الفرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ في المُشَارِ إليها قولان:

أحدهما: أنها الأرضُ. **والثاني**: أنها الأشياءُ التي أُنبِتَتْ.

والمَعايشُ جمعُ مَعيشةٍ. والمعنى: جعلنا لكُم فيها أرزاقاً تعيشُونَ بها.

وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه الدَّوابُّ والأنعَامُ، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثاني**: الوحوشُ، رواه منصورٌ، عن مُجاهِدٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الوَحشُ، والطَّيرُ، والسِّباعُ، وأشباهُ ذلك ممَّا لا يرزقه ابنُ آدمَ. **والثالث**: العبيدُ والإماءُ، قاله الفرَّاءُ. **والرابع**: العبيدُ، والأنعامُ، والدَّوابُّ، قاله الزَّجَّاجُ. قال الفرَّاءُ: و «مَنْ» في موضع نصبٍ، فالمعنى: جعلنا لكُم فيها المَعايشَ، والعبيدَ، والإماءَ. ويُقال: إنها في موضع خفضٍ، فالمعنى: جعلنا لكُم فيها مَعايشَ ولِمَنْ لستُم له برازقين. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلنا لكُم الدَّوابَّ، والعَبيدَ، وكُفِيتُم مؤونَةَ أرزاقِها.

فإنْ قيلَ: كيف قُلتم: إنَّ «مَنْ» هاهنا للوحُوشِ والدَّوابِّ، وإنما تكون لِمَنْ يَعقِلُ؟

فالجواب: أنه لمَّا وُصِفَتْ الوحوشُ وغيرُها بالمَعاشِ الذي الغَالبُ عليه أنْ يُوصَفَ به الناسُ،

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٥٠٢: وأولى الأقوال عندنا بالصواب القول الأول لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٥٠٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأحسن أن يقال: عني بقوله **﴿ومن لستم له برازقين﴾** من العبيد والإماء والدواب والأنعام.

فيقال: للآدمي مَعاشٌ، ولا يُقالُ: للفرسِ مَعاشٌ، جرَتْ مَجْرى الناسِ، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[2]، وقال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3]، وإن قلنا: أُريدَ به العَبيدُ، والوحُوشُ، فإنه إذا اجتمع الناسُ وغيرُهم، غُلِّبَ الناسُ على غيرِهم، لفضيلةِ العقلِ والتَّمييزِ.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ أي: وما مِنْ شيءٍ ﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وهذا الكلامُ عامٌّ في كلِّ شيءٍ. وذهب قومٌ مِنَ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ به المطرُ خاصَّةً، فالمعنى عندهم: وما مِنْ شيءٍ مِنَ المَطرِ إلاَّ عندنا خَزائِنُه، أي: في حُكْمِنا وتدبيرِنا، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ كلَّ عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لا يَزيدُ ولا يَنقُصُ، فما مِنْ عامٍ أكثرُ مطراً مِنْ عامٍ، غيرَ أنَّ اللهَ تعالى يَصرِفُه إلى مَنْ يشاء، ويَمنَعُه مَنْ يشاء.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ وقرأ حمزةُ، وخَلَفٌ: «الريح». وكان أبو عُبيدَةَ يذهب إلى أنَّ «لواقح» بمعنى مَلاقِح، فسَقطتِ الميمُ منه، قال الشاعر:

لِيُبْكَ يَزيدُ بائسٌ لِضَراعةٍ وأشعثُ مِمَّنْ طوَّحتْهُ الطَّوائحُ[4]

أراد: المَطاوِحُ، فحذفَ الميمَ، فمعنى الآيةِ عنده: وأرسلنا الرِّياحَ مُلقِحَةً، فيكون هاهنا فاعلٌ بمعنى مُفعِلٍ، كما أتى فاعلُ بمعنى مَفعُولٍ، كقوله تعالى: ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ﴾[5] أي: مَدْفوقٌ، و ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[6] أي: مَرضيَّةٌ، وكقولهم: ليلٌ نائِمٌ، أي: مَنومٌ فيه، ويقولون: أبقَلَ النَّبتُ، فهو بَاقِلٌ، أي: مُبقِلٌ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: يريد أبو عُبيدَةَ أنها تُلْقِحُ الشَّجرَ، وتُلْقِحُ السَّحابَ كأنها تُنتِجُه. ولست أدري ما اضطَرَّهُ إلى هذا التَّفسيرِ بهذا الاستِكْراه وهو يجدُ العرب تسمِّي الرِّياحَ لوَاقِحَ، والرِّيحَ لاقِحاً، قال الطِّرِمَّاحُ، وذكَرَ بُرْداً مَدَّه على أصحابه في الشمس يَستظِلُّون به:

قَلِقٌ لأفنانِ الرِّيا ح لِلاقِحٍ منها وحَائِلْ[7]

فاللاقِحُ: الجَنوبُ، والحَائِلُ: الشَّمالُ، ويُسمُّون الشَّمالَ أيضاً: عَقِيماً، والعَقِيمُ: التي لا تَحمِلُ، كما سمَّوا الجَنوبَ لاقِحاً، قال كُثَيِّرُ:

ومرَّ بسَفْسافِ التُّراب عَقيمُها[8]

---

(١) سورة النمل: ١٨. (٢) سورة يوسف: ٤٠. (٣) سورة الأنبياء: ٣٣.

(٤) البيت لنهشل بن حري، انظر «كتاب سيبويه» ١/ ١٤٥، وفي «اللسان» مادة «طيح» وطوّحته الطوائح: قذفته القواذف، وطوّح الشيء: ضيعه، طاح طيحاً: تاه، وطيّح نفسه وطاح الشيء طيحاً: فَنِيَ وذهب، وأطاحه هو: أفناه. قال ابن جني: أول البيت مبني على اطّراح ذكر الفاعل، فإن آخره عووِدَ فيه الحديث على الفاعل لأن تقديره فيما بعد ليَبْكِه مختبط مما تطيح الطوائح، فدل قوله: ليُبْك على ما أراد من قوله ليبكِ.

(٥) سورة الطارق: ٦. (٦) سورة القارعة: ٧.

(٧) للبيت للطّرمّاح كما في «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٣٦.

(٨) في «اللسان» مادة «سفّ» ونسبه لكثيّر، وعنده: «هاج» بدل «مرّ». والسفساف: ما دقّ من التراب.

يعني: الشَّمالَ. وإنما جعلوا الرِّيحَ لاقِحاً، أي: حامِلاً، لأنها تحمِلُ السَّحابَ وتُقلِّبه وتُصرِّفه، ثم تُحِلُّه فينزل، فهي على هذا حَامِلٌ، ويدلُّ على هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا﴾[(١)] أي: حَملَتْ، قال ابنُ الأنبَاري: شبَّه ما تحمِلُه الرِّيحُ مِنَ الماء وغيرِه، بالوَلَدِ الذي تشتملُ عليه النَّاقةُ، وكذلك يقولون: حَربٌ لاقِحٌ، لِمَا تشتَملُ عليه مِنَ الشَّرِّ، فعلى قول أبي عُبيدَةَ، يكون معنى «لَوَاقِح»: أنها مُلْقِحَةٌ لغيرها، وعلى قولِ ابنِ قُتَيبَةَ: أنها لاقِحَةٌ نفسها، وأكثرُ الأحاديث تدلُّ على القول الأول[(٢)].

قال عبد الله بنُ مسعودٍ: يبعثُ اللهُ الرِّياحَ لِتَلْقِحَ السَّحابَ، فتَحمِلُ الماءَ، فتَمُجُّه في السَّحابِ ثم تَمريه[(٣)]، فيَدِرُّ كما تَدُرُّ اللَّقحَةُ[(٤)]. وقال الضَّحَّاكُ: يبعثُ اللهُ الرِّيَاح على السَّحابِ فتُلقِحُه فيَمتَلِئُ ماءً. قال النَّخعيُّ: تُلقِحُ السَّحابَ ولا تُلقِحُ الشَّجَر. وقال الحسَنُ في آخَرين: تُلقِحُ السَّحابَ والشَّجر، يعنُون أنها تُلقِحُ السَّحابَ حتى يُمطِرَ والشَّجرَ حتى يُثمِرَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني السَّحاب ﴿مَآءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ أي: جعلناه سُقْيا لَكُم. قال الفَرَّاءُ: العرب مُجتمعون على أَنْ يقولوا: سَقيتُ الرَّجلَ، فأنا أَسقِيْه: إذا سَقيتَهُ لِشفَتِه، فإذا أجرَوا للرَّجل نهراً قالوا: أَسقَيْتُه وسَقَيْتُه، وكذلك السُّقيَا مِنَ الغَيْثِ، قالوا فيها: سَقَيْتُ وأسقَيْتُ، وقال أبو عُبيدَةَ: كلُّ ما كان مِنَ السماء، ففيه لُغتان: أسقَاهُ اللهُ، وسقَاهُ اللهُ، قال لَبِيدُ:

سَقَى قَومي بَني مَجْدٍ وأَسْقَى ... نُمَيْراً والقَبَائِلَ مِنْ هِلَالِ

فجاءَ باللغتين. وتقول: سَقيتُ الرجلَ ماءً وشَراباً مِنْ لَبنٍ وغيرِه، وليس فيه إلاَّ لُغةٌ واحدةٌ بغيرِ أَلِفٍ، إذا كان في الشَّفَةِ، وإذا جعلتَ له شِرْباً، فهو: أَسقَيْتُه، وأسقَيتُ أرضَهُ، وإبلَهُ، ولا يكون غير هذا، وكذلك إذا استَسْقَيتَ له، كقولِ ذي الرُّمَّةِ:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ[(٥)] لِمَيَّةَ نَاقَتِي ... فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وأُخَاطِبُهْ

وأُسْقِيْه حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبِثُّهُ ... تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ ومَلَاعِبُهْ

فإذا وَهبتَ له إهاباً ليجعله سِقَاءً، فقد أسقَيْتَه إيَّاهُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ﴾ يعني: الماءَ المُنْزَلَ ﴿بِخَٰزِنِينَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: بحَافِظين، أي: ليست خزَائِنُه بأيديكُم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: بمَانِعينَ، قاله سُفيانُ الثَّوريُّ.

قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ يعني: أنه الباقي بعد فَنَاءِ الخَلْقِ.

---

(١) سورة الأعراف: ٥٧.

(٢) ورد في هذا الباب حديث مرفوع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الريح الجنوب من الجنة وهي الريح اللواقح، وهي التي ذكر الله تعالى في كتابه، وفيها منافع للناس». أخرجه الطبري ٢١١٠٩، وأبو الشيخ في «العظمة» ٨٠٥ وإسناده ضعيف جداً، فيه أبو المهزم، وهو متروك، وكذا عبيس بن ميمون. والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/٥٤٩ وضعفه.

(٣) في «القاموس»: مرى الناقة يمريها، مسح ضَرْعها، فأمْرَت هي: درَّ لبَنُها وهي: المُرية بالضم والكسر. ومَرَى الشيء: استخرجه كامتراه.

(٤) أخرجه الطبري ٢١٠٩٨ عن ابن مسعود موقوفاً عليه.

(٥) في «القاموس» الرسم: الأثر أو بقيته أو ما لا شخص له من الآثار.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ يُقال: استقدَمَ الرَّجلُ، بمعنى: تَقدَّمَ، واستأخَرَ، بمعنى: تأخَّرَ، وفي سبب نُزولها قولان:

[٨٤٥] **أحدهما:** أنَّ امرأةً حسناءَ كانت تُصلِّي خلفَ رسولِ الله ﷺ، فكان بعضُهم يستقدِمُ حتى

---

[٨٤٥] باطل. أخرجه الترمذي ٣١٢٢، والنسائي في «الكبرى» ١١٢٧٣، و «التفسير» ٢٩٣ وابن ماجة ١٠٤٦، والطيالسي ٢٧١٢، وأحمد ١/٣٠٥، وابن حبان ٤٠١، والحاكم ٢/ ٣٥٣ والطبراني ١٢/ ١٧١، والطبري ٢١١٣٦ و ٢١١٣٧، والبيهقي من طرق عن نوح بن قيس عن عمر بن مالك النكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به. قال الترمذي: روى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمر بن مالك النكري عن أبي الجوزاء نحوه، ولم يذكر فيه عن ابن عباس، وهو أشبه أن يكون أصح من حديث نوح. وقال الحاكم: صحيح. وقال عمرو بن علي ـ الفلاس ـ: لم يتكلم أحد في نوح بن قيس الطاحي بحجة. وقال الذهبي: هو صدوق خرّج له مسلم. وقال الشيخ أحمد شاكر في «تعليقه على المسند»: ٢/ ٢٧٨: إسناده صحيح. وجعله الألباني في «صحيح السنن» و «الصحيحة» ٢٤٧٢. وليس كما قالوا والصواب أنه غير صحيح، وهو معلول بالإرسال، وبأنه ورد عن ابن عباس خلافه.
ـ فقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١٤٤٥ والطبري ٢١١٣٥ عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء قال: المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة والمستأخرين. وجعفر بن سليمان من رجال مسلم. ونوح بن قيس، وإن روى له مسلم، ووثقه أحمد ويحيى، فقد ضعّفه يحيى في رواية. وقال النسائي: لابأس به، وقال الذهبي: بصري صالح الحال اهـ. فليس هو بالثبت. وقد خالفه غيره، فرواه من قول أبي الجوزاء، وبدون القصة. وقال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦٧٨ ـ ٦٧٩: غريب جداً، وفيه نكارة شديدة. ورواه عبد الرزاق عن أبي الجوزاء ليس فيه ذكر ابن عباس، وصوّب الترمذي الإرسال. فهذه علّة للحديث. وله علّة أخرى، وهي: أنه ورد عن ابن عباس «يعني بالمستقدمين من مات، وبالمستأخرين من هو حيّ ولم يمت». وهذا أخرجه الطبري ٢١١٢١ لكن فيه عطية العوفي، وهو ضعيف وكرره ٢١١١٨ عن قتادة عن ابن عباس، وهو منقطع، لكن يصلح للمتابعة. وورد مثله عن الشعبي وابن زيد وغيرهم. وورد عن مجاهد «المستقدمين» أي القرون الأُوَل، والمستأخرين: أمة محمد ﷺ اهـ. وهذا أخرجه عبد الرزاق ١٤٤٧ والطبري ٢١١٢٧ و ٢١١٢٨ و ٢١١٢٩ و ٢١١٣٠ وأسند عبد الرزاق ١٤٤٦ عن عكرمة: أن المراد بالمستقدمين ما خرج من الخلق، وبالمستأخرين ما بقي في الأصلاب لم يخرج بعد. ومجاهد وعكرمة من أجلّة أصحاب ابن عباس، ولم يذكرا أن المراد بذلك صفوف الصلاة، فلو صح هذا الحديث عند شيخهم ابن عباس لروياه عنه، ولَفسَّرا الآية الكريمة به. وقال الطبري رحمه الله بعد أن ذكر هذه الأقوال جميعاً: وأولى الأقوال عندي قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي، ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد لدلالة ما قبله من الكلام وهو قوله **﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾** وما بعده وهو قوله **﴿وإن ربك هو يحشرهم﴾**. ومما يدل على وهن الخبر ونكارته: وهو أنهم أجمعوا على أن السورة مكية، نقل الإجماع القرطبي، ووافقه الشوكاني وغيره. ثم إن الآية المتقدمة، والآية الآتية فيهما قرينة ترجيح أن المراد بالمستقدمين من مات، وبالمستأخرين من هو على قيد الحياة، ولم يولد بعد. وبهذا يتبين وهن الحديث ونكارته كما ذهب إليه الحافظ الناقد ابن كثير رحمه الله خلافاً لمن صححه اعتماداً منه على ظاهر إسناده من غير تأمل لما جاء في تفسير هذه الآية، وبأنها مكية لا مدنية والله الموفق. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٣٤١، وأحكام القرآن لابن العربي ١٣١٦، وهما بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

يكون في أوّل الصفِّ لِئَلاّ يراها، ويتأخَّرُ بعضُهم حتى يكونَ في آخِرِ صفٍّ، فإذا ركعَ نَظرَ مِنْ تحت إبطِهِ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٤٦] **والثاني**: أنَّ النبيَّ ﷺ حَرَّضَ على الصَّفِّ الأولِ، فازدَحموا عليه، وقال قومٌ بيوتُهم قاصِيةٌ عن المدينة: لَنبيعَنَّ دُورَنا، ولَنشترينَّ دُوراً قريبةً مِنَ المسجدِ حتى نُدرِكَ الصَّفَّ المُتقدِّمَ، فنزلت هذه الآيةُ؛ ومعناها: إنَّما تُجزَونَ على النِّياتِ، فاطمأنُّوا وسَكَنُوا، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

وللمُفسِّرين في معنى المُستقدِمينَ والمُستأخِرينَ ثمانيةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: التَّقدُّمُ في الصَّفِّ الأولِ، والتَّأخُّرُ عنه، وهذا على القولين المذكورين في سبب نُزولها، فعلى الأولِ: هو التَّقدُّم للتَّقوى، والتَّأخُّرُ للخِيانةِ بالنَّظرِ، وعلى الثاني: هو التَّقدُّم لطلبِ الفضيلةِ، والتَّأخُّرُ للعُذرِ. **والثاني**: أنَّ المُستقدِمينَ: مَنْ مات، والمُستأخِرينَ: مَنْ هو حيٌّ لم يَمُتْ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وخُصَيفٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال عَطاءٌ، والضَّحَّاكُ، والقُرَظيّ. **والثالث**: أنَّ المُستقدِمينَ: مَنْ خرجَ مِنَ الخَلق فكان. والمُستأخِرينَ: الذين في أصلابِ الرجال، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنَّ المُستقدِمينَ: مَنْ مضى مِنَ الأُمَمِ، والمُستأخِرينَ: أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والخامس**: أنَّ المُستقدِمينَ: المُتقدِّمون في الخير، والمُستأخِرينَ، المُثبِّطون عنه، قاله الحَسَنُ وقَتادَةُ. **والسادس**: أنَّ المُستقدِمينَ في صُفوفِ القتال، والمُستأخِرينَ عنها، قاله الضَّحَّاكُ. **والسابع**: أنَّ المُستقدِمينَ: مَنْ قُتِلَ في الجهاد، والمُستأخِرينَ: مَنْ لم يُقتَلْ، قاله القُرَظيّ. **والثامن**: أنَّ المُستقدِمينَ: أوَّلُ الخَلقِ، والمُستأخِرينَ: آخِرُ الخَلقِ، قاله الشَّعبيُّ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني آدمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الطِّينُ اليَابسُ الذي لم تُصِبْهُ نارٌ، فإذا نَقَرتَهُ صَلَّ، فسمعتَ له صَلْصَلةً، قاله ابنُ عباسٍ وقَتادَةُ وأبو عُبيدَةَ وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أنه الطِّينُ المُنتِنُ، قاله مُجاهِدٌ والكِسائيُّ وأبو عُبيدٍ. ويقال: صَلَّ اللَّحمُ: إذا تغيَّرتْ رائحتُه. **والثالث**: أنه طِينٌ خُلِطَ برملٍ، فصار له صوتٌ عند نَقرِه، قاله الفرَّاءُ.

فأمَّا الحَمَأُ، فقال أبو عُبيدَةَ: هو جمعُ حَمْأَة، وهو الطِّينُ المُتغيِّرُ. وقال ابنُ الأنباري: لا خلافَ أنَّ الحَمَأَ: الطِّينُ الأسودُ المُتغيِّرُ الرِّيحِ، وروى السُّدِّيُّ عن أشياخه قال: بُلَّ التُّرابُ حتى صارَ طيناً. ثم تُرِكَ حتى أنتَنَ وتغيَّرَ.

وفي المَسنُون أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المُنتِنُ أيضاً، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال

---

[٨٤٦] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وتقدم أنهما رويا عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٥٣ عن الربيع بن أنس بدون إسناد.

---

(١) رجّح الطبري رحمه الله القول الثاني كما في «تفسيره» ٧/ ٥١٠، وهو الصواب.

مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ في آخرين. قال ابنُ قُتَيبةَ: المَسْنونُ: المُتغيِّرُ الرَّائحةِ. **والثاني**: أنه الطِّينُ الرَّطبُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه المَصبُوبُ، قاله أبو عَمرو بنِ العَلاءِ، وأبو عُبيدٍ. **والرابع**: أنه المَحكُوكُ، ذكره ابنُ الأنباري، قال: فمَنْ قال: المَسنُونُ: المُنتِنُ، قال: هو مِنْ قولِهم: قد تسنَّى الشيءُ: إذا أنْتَنَ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[1]، وإنما قيلَ له: مَسنُونٌ لتَقادُمِ السِّنين عليه، ومَنْ قال: الطِّينُ الرَّطبُ، قال: سُمِّيَ مَسنُوناً، لأنه يسيلُ ويَنْبَسِطُ، فيكون كالماء المَسْنُونِ المَصبُوبِ. ومَنْ قال: المَصبُوبُ، احتجَّ بقول العرب: قد سَنَنْتَ عليَّ الماءَ: إذا صَبَبتَهُ. ويجوز أنْ يكونَ المَصبُوبُ على صورةٍ ومِثالٍ، مِنْ قوله: رأيتُ سُنَّةَ وَجْهِه، أي: صُورةَ وَجْهِه، قال الشاعر:

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ ... مَلْساءَ لَيْسَ بِها خَالٌ وَلاَ نَدَبُ[2]

ومَنْ قال: المَحكُوكُ، احتجَّ بقول العرب: سَنَنْتُ الحَجرَ على الحَجرِ: إذا حَكَكْتَهُ عليه. وسُمِّي المِسَنُّ مِسَنّاً، لأنَّ الحديدَ يُحَكُّ عليه. قال: وإنَّما كُرِّرتْ «مِنْ» لأنَّ الأُولى متعلِّقَةٌ بـ «خلقنا»، والثانية مُتعلِّقَةٌ بالصَّلْصَالِ، تقديره: ولقد خَلَقْنا الإنسانَ مِنَ الصَّلْصَالِ الذي هو مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مَسِيخُ الجِنِّ[3]، كما أنَّ القِردَةَ والخَنازِيرَ مَسِيخُ الإنسِ[4]، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه أبو الجِنِّ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وروى عنه الضَّحَّاكُ أنه قال: الجَانُّ أبو الجِنِّ، وليسوا بشياطين، والشَّياطينُ وَلَدُ إبليسَ[5] لا يموتون إلاَّ مع إبليسَ، والجِنُّ يموتون، ومنهم المؤمنُ ومنهم الكافرُ. **والثالث**: أنه إبليسُ، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

فإنْ قيلَ: أليسَ أبو الجِنِّ هو إبليسُ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه هو، فيكون هذا القولُ هو الذي قَبْلَهُ. **والثاني**: أنَّ الجَانَّ أبو الجِنِّ، وإبليسَ أبو الشَّياطين، فبينَهُما إذاً فَرْقٌ على ما ذكرنا عن ابنِ عباسٍ، قال العلماء: وإنَّما سُمِّيَ جَانّاً، لِتَواريهِ عن العُيونِ.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني: قبلَ خَلْقِ آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾، وقال ابنُ مسعودٍ: مِنْ نارِ الريحِ الحَارَّةِ، وهي جُزءٌ مِنْ سبعين جُزءاً مِنْ نار جهنَّمَ[6]. والسَّمُومُ في اللغة: الرِّيحُ الحَارَّةُ وفيها نارٌ، قال

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) البيت لذي الرمة كما في «ديوانه» ٨. وفي «القاموس» أقرفه الرجل وغيره: دنا من الهجنة، والقِرفة: الهجنة. ووجه مقرف: غير حسن. والخال: شامة في البدن.

(٣) هذا قول باطل، ليس بشيء. ويعارضه ما أخرجه مسلم ٢٩٩٦ وابن حبان ٦١٥٥ والبيهقي في «الصفات» ص ٣٨٥ وأحمد ٦/ ١٥٣ من حديث عائشة مرفوعاً «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم».

(٤) هذا قول باطل. يعارضه ما أخرجه مسلم ٢٦٦٣ من حديث ابن مسعود «إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك». وفي الباب أحاديث تشهد له.

(٥) الصواب أن الشياطين هم مردة الجن.

(٦) في الباب من حديث أبي هريرة: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وتسعين جزءاً كلهنّ مثل حرّها» أخرجه البخاري ٣٢٦٥ واللفظ له، ومسلم ٢٨٤٣، ومالك ٢/ ٩٩٤، والترمذي ٢٥٨٩، وأحمد ٢/ ٣١٣، وابن حبان ٧٤٦٢.

ابنُ السَّائبِ: وهي نارٌ لا دُخانَ لها.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أي: عَدَّلتُ صُورتَه، وأتمَمْتُ خِلقَتَهُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ هذه الرُّوحُ هي التي يَحيا بها الإنسانُ، ولا تُعلَم ماهيَّتُها، وإنما أضافَها إليه، تشريفاً لآدَم، وهذه إضافةُ مِلْكٍ. وإنما سُمِّيَ إجراءُ الرُّوحِ فيه نَفْخاً، لأنها جَرَتْ في بَدَنِه على مِثْلِ جَرْيِ الرِّيحِ فيه.

قوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ﴾ أَمْرٌ مِنَ الوقُوعِ. وقوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال فيه سِيْبَويه والخَليلُ: هو توكيدٌ بعدَ توكيدٍ. وقال المُبرِّدُ: «أجمعون» يدلُّ على اجتمَاعِهم في السُّجودِ، فالمعنى: سَجَدُوا كلُّهم في حالةٍ واحدةٍ. قال ابنُ الأنباري: وهذا، لأنَّ «كلاًّ» تدلُّ على اجتمَاعِ القومِ في الفعلِ، ولا تدلُّ على اجتمَاعِهم في الزَّمانِ. قال الزَّجَّاجُ: وقولُ سِيْبَويه أجودُ، لأنَّ «أجمعين» معرفةٌ، ولا تكون حالاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾ قال المُفسِّرون: معناه: يَلعَنُكَ أهلُ السماءِ والأرضِ إلى يوم الحسَابِ. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما قال: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ لأنه يومٌ له أوَّلٌ وليس له آخِرٌ، فجرَى مَجْرَى الأَبَدِ الذي لا يَفْنَى، والمعنى: عليكَ اللعنةُ أبداً.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ يعني: المَعلومَ بموت الخَلائقِ فيه، فأراد أنْ يُذيقَهُ أَلَمَ الموتِ قبلَ أنْ يُذيقَهُ العذابَ الدائمَ في جهنَّمَ.

قوله تعالى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مفعولُ التَّزيينِ محذوفٌ، والمعنى: لأُزيِّننَّ لهمُ الباطلَ حتى يقَعُوا فيه. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ أي: ولأُضِلَّنَّهُم. والمُخلَصُون: الذين أَخلَصُوا دينَهُم للهِ عن كلِّ شائبةٍ تُناقِضُ الإخلاصَ. وما أَخْلَلْنَا به مِنَ الكلمات هاهنا، فقد سبقَ تفسيرُها في سُورة الأعرافِ وغيرِها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاصَ، فالمعنى: إنَّ الإخلاصَ طريقٌ إليَّ مُستقيمٌ، و «عليَّ» بمعنى «إليَّ». **والثاني**: هذا طريقٌ عليَّ جَوازُه، لأنِّي بالمِرصَادِ، فأُجازيهم بأعمَالِهم، وهو خارجٌ مخرَجَ الوعيدِ، كما تقول للرجل تُخاصِمُه: طَريقُكَ عليَّ، فهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[1]. **والثالث**: هذا صِراطٌ عليَّ استِقامَتُه، أي: أنا ضَامِنٌ لاستِقامَتهِ بالبَيانِ والبُرهانِ.

وقرأ قَتادَةُ، ويعقوبُ: «هذا صراطٌ عَلِيٌّ» بكسرِ اللامِ ورَفْعِ الياءِ وتنوينِها، أي: رَفيعٌ.

---

(١) سورة الفجر: ١٤.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ فيهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المؤمنون. **والثاني**: المَعصُومُون، رُويا عن قَتادَةَ. **والثالث**: المُخلِصُون، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: المُطِيعُون، قاله ابنُ جَرير. فعَلَى هذه الأقوالِ، تكون الآيةُ مِنَ العامِّ الذي أُريدَ به الخَاصُّ، وفي المُراد بالسُّلطان قولان: **أحدهما**: أنه الحُجَّةُ، قاله ابنُ جَريرٍ، فيكون المعنى: ليس لكَ حُجَّةٌ في إغوائِهم. **والثاني**: أنه القَهرُ والغَلَبةُ؛ إنما له أنْ يَغُرَّ ويُزَيِّن، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وسُئِلَ سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ عن هذه الآيةِ، فقال: ليس لكَ عليهم سُلطانٌ أنْ تُلقِيَهم في ذَنْبٍ يَضِيقُ عَفْوِيَ عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: الذين اتَّبَعُوه.

قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ وهي دَرَكَاتُها بعضُها فوقَ بعضٍ، قال عليٌّ عليه السَّلامُ: أبوابُ جهنَّمَ ليست كأبوابِكُم هذه، ولكنها هكذا وهكذا وهكذا بعضُها فوقَ بعضٍ، ووَصفَ الرَّاوي عنه بيَدِهِ وفَتَحَ أصابِعَهُ. قال ابنُ جَريرٍ: لها سبعةُ أبوابٍ، أوَّلُها جهنَّمُ، ثم لَظَى، ثم الحُطَمَةُ، ثم السَّعِيرُ، ثم سَقَرُ، ثم الجَحِيمُ، ثم الهَاوِيَةُ. وقال الضَّحَّاكُ: هي سبعةُ أَدْرَاكٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، **فأعلاها** فيه أهلُ التَّوحيد يُعذَّبون على قَدْرِ ذُنوبِهم ثم يُخرجُون، **والثاني** فيه النَّصارَى، **والثالثُ** فيه اليهودُ، **والرابع** فيه الصَّابِئُون، **والخامسُ** فيه المَجُوسُ، **والسادسُ** فيه مُشرِكو العربِ، **والسابعُ** فيه المُنافقون. قال ابنُ الأنباري: لمَّا اتَّصلَ العذابُ بالبَابِ، وكان البابُ مِنْ سَببه، سُمِّيَ باسمِهِ للمُجاورَةِ، كتَسمِيَتِهم الحدث غائطاً.

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ أي مِنْ أتباعِ إبليسَ ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ والجُزْءُ بعضُ الشيء.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ قد شرحنا في سُورةِ (البقرة) معنى التَّقوى والجنَّاتِ. فأمَّا العُيونُ، فهي عُيونُ الماءِ، والخَمرُ، والسَّلسَبيلُ، والتَّسنِيمُ، وغيرُ ذلك ممَّا ذُكِرَ أنه مِن شَرابِ الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ المعنى: يُقال لهم: ادخُلوها بسَلامٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: بسَلامةٍ مِنَ النار. **والثاني**: بسَلامةٍ مِنْ كلِّ آفةٍ. **والثالث**: بتحيَّةٍ مِنَ الله تعالى.

وفي قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: آمِنينَ مِنْ عذاب الله. **والثاني**: مِنَ الخُروجِ. **والثالث**: مِنَ المَوتِ. **والرابع**: مِنَ الخَوفِ والمَرضِ.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ قد ذكرنا تفسيرَها في سُورة الأعرافِ[1]، فإنَّ المُفسِّرين ذَكروا ما هناك هاهُنا مِنْ تفسيرٍ وسَببِ نُزولٍ.

---

(١) عند الآية: ٤٣.

قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ منصوبٌ على الحَالِ، والمعنى: أنَّهم مُتَوادُّونَ.

فإنْ قيلَ: كيف نُصبَ «إخواناً» على الحَالِ، فأوجبَ ذلك أنَّ التَّآخي وقعَ مِنْ نَزْعِ الغِلِّ وقد كان التَّآخي بينهم في الدنيا؟ فقد أجابَ عنه ابنُ الأنبَاري، فقال: ما مَضى مِنَ التَّآخي قد كانَ تَشوبُهُ ضَغَائِن وشَحنَاء، وهذا التَّآخي بينهم المَوجودُ عند نَزْعِ الغِلِّ هو تآخي المُصافاةِ والإخلاصِ، ويجوز أنْ ينتصبَ على المَدْحِ، المعنى: أذكُر إخواناً. فأمَّا السُّرُرُ، فجمع سَرير، قال ابنُ عباسٍ: على سُرُرٍ مِنْ ذهب مكلَّلةٍ بالزَّبرَجدِ والدُّرِّ والياقُوت، السَّريرُ مثلُ ما بين عَدَنٍ إلى أيلة[1]، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضُهم قَفَا بعضٍ، حيثما الْتَفتَ رأى وجهاً يُحبُّه يُقابلُه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: لا يُصيبُهم في الجنَّة إعياءٌ وتَعبٌ.

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[٨٤٧] سببُ نُزولها ما رَوى ابنُ المُبارَكِ بإسنادٍ له عن رجلٍ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ قال: طَلعَ علينا رسولُ لله ﷺ مِنَ الباب الذي يَدخلُ منه بَنُو شَيْبَة، ونحنُ نضحكُ، فقال: «ألاَ أراكم تضحكُونَ؟» ثم أدْبرَ، حتى إذا كان عندَ الحِجْرِ، رجعَ إلينا القَهْقَرى، فقال: «إنِّي لمَّا خرجتُ، جاءَ جِبريلُ عليه السَّلامُ، فقال: يا محمَّدُ، يقولُ اللهُ تعالى: لِمَ تُقنِّط عِبادي؟ نَبِّئ عِبادي أنِّي أنا الغَفورُ الرَّحيم».

وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو بتحريكِ ياءِ «عِباديَ» وياءِ «أنيَ أنا»، وأسكنَها الباقون.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ قد شرحنا القصَّةَ في (هُود)[2] وبيَّنَّا هنالكَ معنى الضَّيْفِ والسببَ في خَوفِه منهم، وذكرنا معنى الوَجَلِ في (الأنفالِ)[3].

قوله تعالى: ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: إنه يبلغ ويعلم.

---

[٨٤٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٢١٢١٤ عن عطاء عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً، وفي إسناده مصعب بن ثابت ضعفه أحمد ويحيى، وكذا عاصم بن عبيد الله ضعفوه. وله شاهد من حديث عبد الله بن الزبير أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ١١١٠٧ وقال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف متروك. وفيه أيضاً مصعب بن ثابت، وهو ضعيف كما تقدم. وفي الباب من حديث عمر أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع» ١٠/ ١٨٥٧٣ مطوّلاً، وإسناده ضعيف، فيه سلام الطويل، وهو مجمع على ضعفه قاله الهيثمي. فالخبر ضعيف الإسناد، والمتن منكر بهذا اللفظ.

---

(١) أيلة: اسم مدينة على شاطئ البحر من بلاد الشام بين الفسطاط ومكة.
(٢) عند الآية: ٦٩.
(٣) عند الآية: ٧.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾
قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ
إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ أي: بالولَدِ ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: على حالةِ الكِبَرِ والهرم ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تُبشِّرونَ» بفتح النون. وقرأ نافعٌ بكسرِ النون، ووَافقَهُ ابنُ كَثيرٍ في كسرِها، لكنه شَدَّدَها. وهذا استفهامُ تعجُّبٍ، كأنه عَجِبَ مِنَ الوَلَدِ على كِبَرِه. ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بما قَضى اللّهُ أنه كائنٌ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ يعني: الآيسِينَ. ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ: «ومن يقنَط» بفتح النون في جميع القرآن. وقرأ أبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ: «يقنِط» بكسرِ النون. وكلُّهم قرؤوا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ بفتح النون، وروى خَارِجَةُ عن أبي عمرو «ومن يقنُط» بضمِّ النون. قال الزَّجَّاجُ: يقال: قَنِطَ يقنَطُ، وقَنَطَ يَقنِطُ، والقُنُوط بمعنى اليَأْسِ، ولم يكن إبراهيمُ قَانِطاً، ولكنه استبعَدَ وجودَ الوَلَدِ. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما أَمرُكم؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾ أي: بالعَذابِ. وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّلِ. فأمَّا آلُ لُوطٍ فهم أتباعُه المؤمنون. قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «لَمُنَجُّوهم» مشدَّدةَ الجيمِ. وقرأ حَمزَةُ والكِسَائيُّ «لَمُنْجُوهم» خفيفةً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ المعنى: إنَّا لَمُنجُّوهم إلاَّ امرأتَه ﴿قَدَّرْنَآ﴾ وروى أبو بكرٍ عن عاصم «قَدَرْنا» بالتَّخفيف، والمعنى واحدٌ، يُقال: قدَّرْتُ وقَدَرْتُ، والمعنى: قَضينا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ يعني: البَاقِينَ في العذابِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ يعني: لا أَعرِفُكم، ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يَعنُونَ: العذابَ، كانوا يَشكُّون في نُزولِه. ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالأمْرِ الذي لا شكَّ فيه مِنْ عذابِ قومِكَ. قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي: سِرْ خلفَهم ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي: حيثُ يأمرُكم جبريلُ، وفي المكانِ الذي أُمِرُوا بالمضيّ إليه قولان: **أحدهما**: أنه الشَّامُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: قريةٌ مِنْ قُرى لُوطٍ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أوحَينا إليه ذلك الأمرَ، أي: الأمرَ بهلاكِ قومِه. قال الزَّجَّاجُ: فَسَّرَ: ما الأمرُ بباقي الآيةِ، والمعنى: وقَضينا إليه أنَّ دابرَ هؤلاءِ مقطُوعٌ مُصبِحينَ. فأمَّا الدَّابِرُ، فقد سبقَ تفسيرُه، والمعنى: إنَّ آخرَ مَنْ يبقى منكم يَهلِكُ وقتَ الصُّبحِ.

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ وهي قريةُ لُوطٍ، واسمُها سَدُومُ[1]، ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ بأضيافِ لُوطٍ، طَمَعاً في رُكوبِ الفاحشةِ، فقال لهم لُوط: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ أي: بقَصْدِكُم إيَّاهُم بالسُّوء، يقال: فضَحَه يَفْضَحهُ: إذا أبَانَ مِنْ أمرِه ما يَلزَمُه به العَارُ. وقد أثبتَ يعقوبُ ياءَ «تفضحون»، وياءَ «تُخزون» في الوَصْلِ والوَقْفِ.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: عن ضِيافَةِ العَالَمِينَ.

قوله تعالى: ﴿بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ﴾ حَرَّكَ ياءَ «بناتيَ» نافعٌ، وأبو جعفر.

﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: وحياتِكَ يا محمَّدُ، رواه أبو الجَوزَاءِ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لَعَيْشُكَ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الأخفشُ، وهو يرجعُ إلى معنى الأول. **والثالث**: أنَّ معناه: وحقِّكَ على أُمَّتِكَ، تقول العربُ: لَعَمْرُ اللَّهِ لا أقومُ، يَعنُون: وحَقِّ اللَّهِ، ذكره ابنُ الأنباري، قال: وفي العَمْرِ ثلاثُ لُغاتٍ: عَمْرٌ وعُمْرٌ، وعُمُرٌ، وهو عند العرب: البقاءُ. وحكى الزَّجَّاجُ أنَّ الخَليلَ وسِيبَويه وجميعَ أهلِ اللغة قالوا: العَمْرُ والعُمْرُ في معنًى واحدٍ، فإذا استُعملَ في القَسَمِ، فُتِحَ لا غير، وإنَّما آثَرُوا الفتحَ في القَسَم، لأنَّ الفَتْحَ أخفُّ عليهم، وهم يُؤثِرونَ القَسَمَ بـ «لَعَمري» و «لعَمْركَ» فلمَّا كَثُرَ استعمالُهم إيَّاهُ، لَزِمُوا الأَخَفَّ عليهم، قال: وقال النَّحويون: ارتفعَ «لَعَمرُكَ» بالابتداءِ، والخبرُ محذوفٌ، والمعنى: لَعَمْركَ قَسَمِي، ولعَمْرُكَ ما أُقسِمُ به، وحُذف الخبرُ، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. المعنى: أُقسِمُ ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ وفي المُراد بهذه السَّكْرَةِ قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى الضَّلالةِ، قاله قَتَادةُ. **والثاني**: بمعنى الغَفْلَةِ، قاله الأعمَشُ، وقد شرحنا معنى العَمَهِ في سُورةِ البَقرةِ[2]. وفي المُشَارِ إليهم بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون. **والثاني**: قوم نبينا ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ يعني: صَيْحةَ العذاب، وهي صَيحَةُ جِبريلَ عليه السَّلامُ. ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يُقال: أَشْرَقنا، فنحنُ مُشرِقُون: إذا صَادَفُوا شُروقَ الشمس وهو طُلوعُها، كما يُقال: أصبَحْنا: إذا صَادَفُوا الصُّبحَ، يقال: شَرَقَتِ الشمسُ: إذا طَلَعَتْ، وأشرَقَتْ: إذا أضاءَتْ وصَفَتْ، هذا أكثرُ اللغة. وقد قِيلَ: شَرَقتْ وأشرَقَتْ في معنًى واحدٍ، إلاَّ أنَّ «مُشرقين» في معنى

(١) في «معجم البلدان» ٣/ ٢٠٠: «سدوم» هي «سرمين» بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم.
(٢) عند الآية: ١٥.

مُصَادِفِينَ لِطُلُوعِ الشَّمسِ. قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قد فَسَّرنا الآيَةَ في سُورةِ (هُود)(١)، وفي المُتوسِّمينَ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المُتفرِّسُون.

[٨٤٨] رَوى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن النبّي ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤمنِ فإنه ينظرُ بنُوْرِ اللَّهِ» ثُمَّ

---

[٨٤٨] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٢٧ والبخاري في «تاريخه» ٤/ ١/ ٣٥٤ والطبري ٢١٤٩ والعقيلي ٤/ ١٢٩ وأبو نعيم ١٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ والخطيب ٧/ ٢٤٢ والطبراني في «الأوسط» ٧٨٣٩ وابن الجوزي في «الموضوعات» ٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦ كلهم من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعاً، وإسناده واهٍ لأجل عطية، فقد ضعفوه، وهو مدلس، وقد عنعن. وضعف الترمذي إسناده بقوله غريب، وحكم ابن الجوزي بوضعه. وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه الطبري ٢١٢٥١ وأبو نعيم ٤/ ٩٤ وابن الجوزي ٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦ وإسناده ساقط، لأجل الفرات بن السائب، ضعفه الجمهور، وقال أبو حاتم: كان كذاباً، فلا يفرح بهذا الشاهد. وله شاهد ثان من حديث ثوبان، أخرجه ابن حبان في «المجروحين» ٣/ ٣٣، والطبري ٢١٢٥٥ وأبو الشيخ في «الأمثال» ١٢٨ وفيه سليمان بن سلمة الخبائري، ضعفه النسائي وغيره، وقال ابن الجنيد: كان يكذب، وفيه مؤمل بن سعيد متروك. وله شاهد ثالث من حديث أبي أمامة، أخرجه الخطيب ٥/ ٩٩ والطبراني ٧٤٩٧ وأبو نعيم ٦/ ١١٨ وابن الجوزي ٣/ ١٤٦ ـ ١٤٧ وأعله ابن الجوزي بعبد الله بن صالح، ونقل أحمد قوله ليس بشيء، وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات. وله شاهد رابع من حديث أبي هريرة، أخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» ١٢٦ وابن الجوزي ٣/ ١٤٧ وأعله بسليمان بن أرقم، وأنه متروك، واتهمه ابن حبان بالوضع. قال ابن الجوزي: قال الخطيب: فالمحفوظ ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس أنه قال: كان يقال: اتقوا فراسة المؤمن. ثم أسنده الخطيب عن عمرو بن قيس. ووافقه ابن الجوزي، وهو الراجح، والله تعالى أعلم. الخلاصة: هو حديث ضعيف، لا يرقى عن درجة الضعف بسبب شدة ضعف طرقه وشواهده.

ـ وورد بلفظ آخر عن أنس، أخرجه البزار ٣٦٣٢ والطبري ٢١٢٥٢ والطبراني في «الأوسط» ٢٩٥٦ والقضاعي ١٠٠٥ والواحدي في «الوسيط» ٢٩٥٦ من طرق عن سعيد بن محمد الجرمي ثنا عبد الواحد بن واصل، قال: ثنا أبو بشر المزلّق عن ثابت البُناني عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم». وإسناده غير قوي، وحسنه الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٦٨، وكذا حسنه السخاوي في «المقاصد الحسنة» ٢٣ وكذا الألباني في «الصحيحة» ١٦٩٣ ومما قاله: وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات غير أبي بشر واسمه بكر بن الحكم، وثقه أبو عبيدة الحداد وأبو سلمة التبوذكي وسعيد بن محمد الحربي ـ كذا وقع والصواب الجرمي ـ وابن حبان، ولم يضعفه أحد غير أن أبا زرعة قال: شيخ ليس بالقوي.

قلت: إسناده إلى الضعف أقرب. فليس في الإسناد علة واحدة. بل فيه أيضاً عبد الواحد بن واصل، فهو وإن وثقه غير واحد، فقد قال الإمام أحمد: لم يكن صاحب حفظ، كان كتابه صحيحاً اهـ. وما الذي يدرينا هل روى هذا الحديث من كتابه أو من حفظه؟ والذي يترجح عندي أنه رواه من حفظه، والدليل على ذلك هو أنه لم يرو في شيء من الكتب الستة والمسانيد المشهورة. ولقد ضعفه أحمد فيما نقله الأزدي عن عبد الله بن أحمد، وقال الأزدي: ما أقرب ما قال أحمد، لأن له أحاديث غير مرضية عن شعبة وغيره. راجع «التهذيب» ٦/ ٣٩٥. وقال الحافظ في ترجمة أبي بشر المزلّق: صدوق فيه لين. وقال الذهبي في «الميزان» ١/ ٣٤٤: صدوق، وقال أبو زرعة: ليس بالقوي. وقال التبوذكي: ثقة. قلت: روى خبراً منكر ـ قاله أبو حاتم ـ عن ثابت عن أنس فذكر هذا الحديث. واعترض الألباني على الذهبي بقوله: وقول الذهبي: روى خبراً منكراً. . . ثم ذكره. غير مقبول منه، إلا أن يعني أنه تفرد به. قلت: وهذا وهم من العلامة الألباني، فإن الذي حكم بنكارة هذا الحديث إنما هو أبو حاتم كما هو واضح في السياق الذي ذكرته. والذهبي وافقه فحسب. والذي أوزع به هو ما ذهب إليه أبو حاتم وكذا الذهبي من أنه خبر منكر. ولعل الراجح وقفه على أنس، وهو أقرب، والله تعالى أعلم.

---

(١) عند الآية: ٨٢.

قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: «المُتفرسين» وبهذا قال مُجاهِدٌ، وابنُ قُتيبة. قال ابنُ قُتَيبة: يُقال: توسَّمتُ في فُلانٍ الخيرَ، أي: تبيَّنتُه. وقال الزَّجَّاجُ: المُتوسِّمونَ، في اللغة: النُّظَّارُ المُتثبِّتُونَ في نَظَرِهم حتى يعرفوا حقيقةَ سِمَةِ الشيءِ، يُقال: تَوسَّمْتُ في فُلانٍ كذا، أي: عَرفْتُ وَسْمَ ذلك فيه. وقال غيرُهُ: المُتوسِّمُ: النَّاظِرُ في السِّمَةِ الدَّالَّةِ على الشيءِ.

والثاني: المُعتبِرُونَ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: النَّاظِرُونَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: المُتفكِّرُونَ، قاله ابنُ زيدٍ، والفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا﴾ يعني: قريةَ قوم لُوطٍ ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لَبطريقٍ واضحٍ، رواه نَهْشَلُ عن الضَّحَّاكِ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والزَّجَّاجُ. وقال ابنُ زيدٍ: لَبطَريقٍ مُبينٍ. **والثاني**: لَبِهلاكٍ. رواه أبو رَوْقٍ عن الضَّحَّاكِ عن ابنِ عباسٍ، والمعنى: إنها بحَالِ هَلاكِها لم تُعْمَرْ حتى الآن! فالاعتبارُ بها مُمكِنٌ، وهي على طريقِ قُريشٍ إذا سافروا إلى الشَّام.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معنى «إنْ» واللام: التوكيدُ، والأَيْكُ: الشَّجرُ المُلتفُّ، فالفَصْلُ بين واحدِه وجمعِه، الهاءُ. فالمعنى: أصحابُ الشَّجرةِ. قال المُفسِّرون: هم قومُ شُعَيبٍ، كان مَكانُهم ذا شَجَرٍ، فكذَّبوا شُعيباً فأُهلِكُوا بالحَرِّ كما بيَّنا في سُورة (هُود).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ في المُكنَّى عنهما قولان: **أحدهما**: أنهما الأَيكةُ ومدينةُ قوم لُوطٍ، قاله الأكثرون. **والثاني**: لُوطٌ وشُعَيبٌ، ذكره ابنُ الأنباري. وفي قوله: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قولانَ: **أحدهما**: لَبِطَريقٍ ظاهرٍ، قاله ابنُ عباسٍ، قال ابنُ قُتَيبة: وقيل للطَّريقِ: إمَامٌ، لأنَّ المسافرَ يَأْتَمُّ به حتى يَصيرَ إلى المَوضعِ الذي يُريدهُ. **والثاني**: لَفِي كتابٍ مُستَبِينٍ، قاله السُّدِّيُّ. قال ابنُ الأنباري: «وإنهما» يعني: لُوطاً وشُعيباً لَبِطَريقٍ مِنَ الحقِّ يُؤتَمُّ به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ يعني بهم ثَمُودَ. قال ابنُ عباسٍ: كانت مَنازِلُهم بالحِجْرِ بين المدينة والشَّام، وفي الحِجْرِ قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ الوادي الذي كانوا به، قاله قَتادَةُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: اسمُ مَدينَتِهم، قاله الزُّهريُّ، ومُقاتِلٌ.

قال المُفسِّرون: والمُراد بالمُرسَلين: صَالحٌ وحدَهُ، لأنه مَنْ كَذَّبَ نبيًّا فقد كذَّبَ الكُلَّ.

والمُرادُ بالآياتِ: النَّاقةُ، قال ابنُ عباسٍ: كان فيها آياتٌ: خُروجُها مِنَ الصَّخرةِ، ودُنُوُّ نِتَاجِها عند خُروجِها، وعِظَمُ خَلْقِها فلم تُشبهها ناقةٌ، وكثرةُ لَبنِها حتى كان يكفيهِم جميعاً، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لم يَتفكَّروا فيها ولم يَستَدِلُّوا بها.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ قد شَرحناهُ في (الأعرافِ)[1]. وفي قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: آمِنينَ أنْ تقعَ عليهم. **والثاني**: آمِنينَ مِنْ خَرابِها. **والثالث**: مِنْ عذابِ اللّهِ عزَّ وجلَّ. وفي قوله: ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: ما كانوا يعملون مِنْ نَحْتِ الجبالِ. **والثاني**: ما كانوا يَكسِبُونَ مِنَ الأموالِ والأنعَامِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للحقِّ ولإظهارِ الحقِّ، وهو ثوابُ المُصدِّقِ وعقابُ المُكذِّبِ. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي: وإنَّ القيامةَ لَتَأتي، فيُجازَى المُشركون بأعمالِهم، ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ عنهم، وهو الإعراضُ الخالي مِنْ جَزَعٍ وفُحْشٍ، قال المُفسِّرون: وهذا منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

فأما ﴿الْخَلَّاقُ﴾ فهو خالقُ كلِّ شيءٍ. و ﴿الْعَلِيمُ﴾ قد سبقَ شَرحُهُ في سُورة البقرة[2].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾. سببُ نزولها:

[٨٤٩] «أنَّ سبعَ قَوافلَ وَافَتْ مِنْ بُصرىٰ وأَذرِعَاتٍ[3] ليهودِ قُريظَةَ والنَّضيرِ في يوم واحدٍ، فيها أنواعٌ مِنَ البَزِّ والطِّيبِ والجَواهرِ، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموالُ لنا لَتَقوَّينا بها وأنفقناها في سبيلِ الله، فأنزلَ اللّهُ تعالى هذه الآيَةَ، وقال: أعطَيْتُكم سبعَ آياتٍ هي خيرٌ لكم مِنْ هذه السَّبْعِ القَوافِلِ»، ويدلُّ على صحَّةِ هذا قوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآية، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضلِ. وفي المُراد بالسَّبْعِ المَثاني أربعةُ أقوالٍ:

[٨٥٠] **أحدها**: أنها فاتحةُ الكتاب، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وعليُّ بنُ أبي طَالِبٍ، وابنُ مسعودٍ في روايةٍ، وابنُ عباسٍ في روايةِ الأكثَرِينَ عنه، وأبو هُريرَةَ، والحَسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ، وعَطاءٌ، وقَتادَةُ في آخرين. فعلى هذا، إنما سُمِّيت بالسَّبْعِ، لأنها سَبْعُ آياتٍ. وفي تسميتها بالمَثَاني سبعةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: لأنَّ اللّهَ تعالى استَثْنَاها لأُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ، فلم يُعطِها أُمَّةً قبلَهُم،

---

[٨٤٩] عزاه المصنف للحسين بن الفضل تبعاً للواحدي في «أسباب النزول» ٥٥٦، والحسين هذا لم أجد له ترجمة، فهو مجهول، وخبره معضل، وتفرده به دون سائر أهل الحديث والأثر دليل وهنه بل بطلانه، والخبر أمارة الوضع لائحة عليه.

[٨٥٠] هو أصح الأقوال حيث ورد مرفوعاً. أخرجه البخاري ٤٧٠٤ والترمذي ٣١٢٤ وأحمد ٢/٤٤٨ من حديث أبي هريرة. وورد من حديث أبي سعيد بن المعلى، أخرجه البخاري ٤٧٠٣ وغيره، وتقدم. وفي الباب أحاديث أخرجها الطبري ٢١٣٥٣ ـ ٢١٣٦١.

---

(١) عند الآية: ٧٤. (٢) عند الآية: ٢٩.

(٣) أذرعات: بلد في أطراف الشام يجاور البلقاء وعمان، كما في «معجم البلدان» لياقوت الحموي ١/ ١٣٠.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٥٣٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هنّ آيات أم الكتاب لصحة الخبر بذلك عن النبي ﷺ الذي حدثنيه يزيد بن مخلد بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القرآن السبع المثاني التي أعطيتها».

رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لأنها تُثنَّى في كلِّ رَكعةٍ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ الأنبَاري: والمعنى: آتيناكَ السَّبْعَ الآياتِ التي تُثنّى في كلِّ رَكعةٍ، وإنما دخلتْ «مِنْ» للتَّوكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾(١). وقال ابنُ قُتَيبةَ: سُمِّيَ «الحَمد» مَثانيَ، لأنها تُثنَّى في كلِّ صلاةٍ. **والثالث**: لأنها ما أُثنِيَ به على اللّهِ تعالى، لأنَّ فيها حَمْدَ الله وتَوحيدَهُ وذِكْرَ مملَكَتِه، ذكرهُ الزَّجَّاجُ. **والرابع**: لأنَّ فيها «الرَّحمن الرَّحيم» مَرَّتين، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي عن بعضِ اللغويين، وهذا على قولِ مَنْ يرى التَّسميةَ منها. **والخامس**: لأنها مَقسُومَةٌ بين الله تعالى وبين عَبْدِه.

[٨٥١] ويدلُّ عليه حديثُ أبي هُريرَةَ «قسمتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عَبْدِي».

والسادس: لأنها نزلت مَرَّتين، ذكره الحُسَينُ بنُ الفَضلِ. **والسابع**: لأنَّ كلماتِها مُثنَّاةٌ، مثل: الرَّحمنِ الرَّحيم، إيَّاكَ إيَّاكَ، الصِّراط صِراط، عليهم عليهم، غير غير(٢)، ذكره بعضُ المُفسِّرين. ومِنْ أعظَم فَضائِلها أنَّ الله تعالى جَعلَها في حَيِّزٍ، والقرآنَ كلَّه في حَيِّزٍ، وامتَنَّ عليه بها كما امتَنَّ عليه بالقرآنِ كلِّه.

والقول الثاني: أنها السَّبْعُ الطُّوَلُ، قاله ابنُ مسعودٍ في روايةٍ، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ. فالسَّبْعُ الطُّوَلُ هي: (البَقرة)، و (آل عِمرانَ)، و (النساء)، و (المَائِدة)، و (الأنعَام)، و (الأعرَاف)، وفي السَّابعة ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها (يُونس)، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: (بَراءَة)، قاله أبو مالكٍ. **والثالث**: (الأنفَال) و (براءَة) جميعاً، رواه سُفيانُ عن مسعر عن بعضِ أهل العِلْم. قال ابنُ قُتَيبةَ: وكانوا يَرَون (الأنفَال) و (بَراءَة) سورةً واحدةً، ولذلك لم يَفصِلُوا بينهما. قال شيخُنا أبو منصورٍ اللغويّ: هي الطُّوَلُ بضمِّ الطاء، ولا تَقُلْهَا بالكسرِ، فعَلَى هذا، في تسمِيَتِها بالمَثاني قولان: **أحدهما**: لأنَّ الحُدودَ والفَرائضَ والأمثالَ ثُنِّيت فيها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لأنها تُجاوزُ المائةَ الأولى إلى المائةِ الثانيةِ، ذكره المَاوَردِي.

والقول الثالث: أنَّ السَّبعَ المَثاني سبعُ مَعَانٍ أُنزِلَت في القرآن: أمرٌ؛ ونَهيٌ، وبِشَارةٌ، وإنذارٌ، وضَربُ الأمثَالِ وتَعدَادُ النِّعَم، وأخبارُ الأُمَمِ، قاله زِيادُ بن أبي مريمَ.

والقول الرابع: أنَّ المَثاني: القرآنُ كلُّه، قاله طَاوسٌ، والضَّحَّاكُ، وأبو مالكٍ، فعَلَى هذا، في تسمية القرآنِ بالمَثاني أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنَّ بعضَ الآياتِ يَتْلُو بعضاً، فتُثنَّى الآخرةُ على الأُولى، ولها مَقاطعُ تَفصِلُ الآيةَ بعدَ الآيةِ حتى تنقضيَ السُّورةُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: أنه سُمِّيَ بالمَثاني لِمَا يتردَّدُ فيه مِنَ الثَّناء على اللّهِ عزَّ وجلَّ. **والثالث**: لِمَا يتردَّدُ فيه مِنْ ذِكرِ الجنَّة، والنَّار، والثَّوابِ، والعقابِ. **والرابع**: لأنَّ الأقاصِيصَ، والأخبارَ، والمَواعظَ، والآدابَ، ثُنِّيتْ فيه، ذكرهنَّ ابنُ الأنبَاري. وقال ابنُ قُتَيبةَ: قد يكون المَثاني سُورُ القرآنِ كلِّه، قِصَارُها وطُوالُها، وإنما سُمِّي مَثانِيَ، لأنَّ الأنباءَ

---

[٨٥١] تقدم في سورة الفاتحة، رواه الشيخان.

---

(١) سورة محمد: ١٥.

(٢) كلمة «غير» هي غير مكررة في سورة الفاتحة، وإنما في العطف ما يدل عليها، فهي مقدرة لا ظاهرة أي: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين».

والقَصَصَ تُثَنَّى فيه، فعَلَى هذا القولِ، المُراد بالسَّبعِ: سبعةُ أسباعِ القرآن، ويكون في الكلام إضمارٌ، تقديره: وهي القرآنُ العظيمُ.

فأمّا قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ ففي «مِن» قولان: **أحدهما**: أنها للتَّبعيض، فيكون المعنى: آتيناكَ سَبعاً مِن جُملة الآياتِ التي يُثْنَى بها على اللّهِ تعالى، وآتيناكَ القُرآنَ. **والثاني**: أنها للصِّفة، فيكون السَّبعُ هي المَثاني، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ (١) لا أنَّ بعضَها رِجسٌ، ذَكرَ الوَجْهَين الزَّجّاجُ، وقد ذكرنا عن ابنِ الأنباري قريباً مِنْ هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ يعني: العظيمَ القَدْرِ، لأنه كلامُ الله تعالى، ووَحْيُه، وفي المُراد به هاهنا قولان: **أحدهما**: أنه جميعُ القرآن. قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحّاكُ. **والثاني**: أنه الفاتحةُ أيضاً، قاله أبو هُريرَةَ، وقد رَوينا فيه حديثاً في أوّلِ تفسيرِ (الفاتحة). قال ابنُ الأنباري: فعَلَى القولِ الأوّلِ، يكون قد نُسِقَ الكُلُّ على البعضِ، كما يقول العربيُّ: رأيتُ جدارَ الدّارِ والدّارَ، وإنما يَصلُح هذا، لأنَّ الزِّيادةَ التي في الثاني مِن كثرة العَددِ أشبهَ بها ما يُغايرُ الأوّلَ، فجوَّز ذلك عطفَه عليه. وعلى القولِ الثاني، نُسِقَ الشيءُ على نَفْسِه لمّا زِيدَ عليه معنى المَدْحِ والثَّناءِ، كما قالوا: رُوي ذلك عن عمرَ، وابنِ الخَطّابِ، يَعنُون بابنِ الخَطّابِ: الفاضلَ العالمَ الرَّفيعَ المَنزلَةِ، فلما دَخلَتْهُ زيادةٌ، أشبهَ ما يُغايرُ الأوّلَ؛ فعُطِفَ عليه.

ولمّا ذكرَ اللّهُ تعالى مِنّتَهُ عليه بالقرآن، نَهاهُ عن النَّظرِ إلى الدنيا ليَستغنيَ بما آتاهُ مِنَ القرآن عن الدنيا، فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أي: أصنافاً مِنَ اليهودِ والمُشركين، والمعنى: أنه نَهاهُ عن الرَّغبةِ في الدنيا، وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: لا تَحزَنْ عليهم إنْ لم يُؤمنوا. **والثاني**: لا تَحزَنْ بما أنعمتُ عليهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أَلِنْ جانبَكَ لهم، وخَفْضُ الجَناحِ، عِبارةٌ عن السُّكونِ وتَرْكِ التَّصعُّبِ والإباءِ، قال ابنُ عباسٍ: ارفقْ بهم ولا تَغلُظْ عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ حرَّكَ ياءَ «إنيَ» ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، ونافعٌ. وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ معناها مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ في هذه الكافِ قولان:

أحدهما: أنها مُتعلِّقةٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ ثُمَّ في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنَّ المعنى: ولقد آتيناكَ سَبْعاً مِنَ المَثاني، كما أنزلْنا الكُتبَ على المُقتسِمينَ، قاله مُقاتِلٌ. والثاني: أنَّ المعنى: ولقد شرَّفناكَ وكرَّمناكَ بالسَّبعِ المَثاني، كما شرَّفناكَ وأكرَمناكَ بالذي أنزلْناهُ على المُقتَسِمينَ مِنَ العذاب، والكافُ بمعنى «مِثلِ» و «ما» بمعنى «الذي» ذكره ابنُ الأنباري. **والثاني**: أنَّها

(١) سورة الحج: ٣٠.

مُتعلِّقةٌ بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾، والمعنى: إنّي أنا النَّذيرُ، أنذرتُكم مثلَ الذي أُنزِلَ على المُقتَسِمين مِنَ العذاب، وهذا معنى قولِ الفرَّاءِ. فخرجَ في معنى «أنزلنا» قولان: **أحدهما**: أنزلْنا الكُتبَ، على قولِ مُقاتِلٍ. **والثاني**: العذابَ، على قولِ الفرَّاءِ.

وفي «المُقتَسِمينَ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليَهودُ والنَّصارى، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ ومُجاهِدٌ. فعَلَى هذا في تسمِيَتِهم بالمُقتَسِمينَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم آمَنُوا ببعضِ القرآنِ وكَفَروا ببعضِه، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم اقتَسَمُوا القرآنَ، فقال بعضُهم: هذه السُّورةُ لي، وقال آخرُ: هذه السُّورةُ لي، استِهزاءً به، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: أنهم اقتَسَمُوا كُتُبَهُم فآمَنَ بعضُهم ببعضِها وكفرَ ببعضِها، وآمَنَ آخرون بما كَفرَ به غيرُهم، قاله مُجاهِدٌ.

والثاني: أنهم مُشركو قُريشٍ. قاله قَتادةُ، وابنُ السَّائبِ، فعَلَى هذا في تسميتهم بالمُقتَسِمينَ قولان: **أحدهما**: أنَّ أقوالَهم تقسَّمَتْ في القرآن، فقال بعضُهم: إنه سِحرٌ، وزعمَ بعضُهم أنه كِهانَةٌ، وزعمَ بعضُهم أنه أساطيرُ الأوَّلين، منهم الأسودُ بنُ عبدِ يَغوثَ، والوليدُ بنُ المُغيرَةِ، وعَديُّ بنُ قيسٍ السَّهمِيّ، والعَاصُ بنُ وائلٍ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنهم اقتَسَمُوا على عِقابِ مكَّةَ، قال ابنُ السَّائبِ: هم رَهطٌ مِنْ أهلِ مكَّةَ اقتَسَمُوا على عِقابِ مكَّةَ حين حَضرَ المَوسم، قال لهم الوليدُ بنُ المُغيرَةِ: انطَلِقُوا فتفرَّقوا على عِقابِ مكَّةَ حيثُ يَمرُّ بكم أهلُ المَوسم، فإذا سَألُوكُم عنه، يعني: رسولَ اللهِ ﷺ، فلْيَقُلْ بعضُكم: كَاهِنٌ، وبعضُكم: سَاحِرٌ، وبعضُكم: شَاعِرٌ، وبعضُكم: غَاوٍ، فإذا انتَهَوْا إليَّ صَدَّقتُكم، ومنهم حَنظَلَةُ بنُ أبي سُفيانَ، وعُتبَةُ وشَيْبَةُ ابنا رَبيعَةَ، والوليدُ بنُ المُغيرَةِ، وأبو جَهْلٍ، والعَاصُ بنُ هشَام، وأبو قَيْسِ بنُ الوليدِ، وقَيْسُ بنُ الفَاكِه، وزُهيرُ بنُ أبي أُميَّةَ، وهِلالُ بنُ عبد الأسودَ، والسَّائبُ بنُ صَيفِيّ، والنَّضرُ بنُ الحَارثِ، وأبو البَختري بنُ هشَامٍ، وزَمعَةُ بنُ الحَجَّاجِ، وأُميَّةُ بن خَلَفٍ، وأوسُ بنُ المُغيرَةِ.

والثالث: أنهم قومُ صالحٍ الذي تَقاسَمُوا بالله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ فكَفَاهُ اللهُ شَرَّهُم، قاله عبدُ الرَّحمنِ بنُ زيدٍ. فعَلَى هذا هو مِنَ القَسَمِ، لا مِنَ القِسمَةِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ في المُراد بالقرآنِ قولان: **أحدهما**: أنه كتابُنا، وهو الأظهَرُ، وعليه الجمهورُ. **والثاني**: أنَّ المُراد به: كُتُبُ المُتقدِّمينَ قَبْلَنا. وفي «عِضِين» قولان: **أحدهما**: أنه مأخوذٌ مِنَ الأعضاءِ. قال الكِسائيُّ، وأبو عُبيدَةَ: اقتَسَمُوا بالقرآن وجعلوه أعضاءً. ثم فيما فعَلُوا فيه قولان: أحدهما: أنهم عَضَّوهُ أعضاءً، فآمَنوا ببعضِه، وكفروا ببعضِه، والمُعضِيُّ: المُفرِّقُ، والتَّعضِيَةُ: تجزئةُ الذَّبيحةِ أعضاءً، قال عليٌّ عليه السَّلامُ: لا تَعضِيَةَ في مِيراثٍ، أراد: تَفريقَ ما يُوجبُ تفريقُه ضرراً على الوَرَثةِ كالسَّيفِ، ونحوِه. وقال رُؤبَةُ:

وليسَ دِيْنُ اللهِ بالمُعَضَّى[1]

وهذا المعنى في رواية سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أنهم عَضَّوْا القولَ فيه، أي: فَرَّقوا، فقالوا: شِعرٌ، وقالوا: سِحرٌ، وقالوا: كَهانَةٌ، وقالوا: أساطيرُ الأوَّلينَ، وهذا المعنى في رواية

---

(١) في «اللسان» مادة «عضا».

ابنِ جُرَيج عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه مأخوذٌ مِنَ العَضَهِ، والعَضَهُ، بلسان قُريشٍ: السِّحرُ، ويقولون للسَّاحِرَة: عاضِهَةٌ. وفي الحديث:

[٨٥٢] أنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ العَاضِهَةَ والمُستعضِهَةَ. فيكون المعنى: جَعلُوهُ سِحراً، وهذا المعنى في رواية عِكرمَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ، والفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا سؤالُ توبيخ، يُسألُون عمَّا عَمِلُوا في ما أُمِرُوا به مِنَ التَّوحيدِ والإيمان، فيُقالُ لهم: لِمَ عَصَيتُم وتَرَكْتُم الإيمانَ؟ فَتظهرُ فضيحَتُهم عند تَعذُّرِ الجواب. قال أبو العَالِيَة: يُسأَلُ العِبادُ كلُّهم يومَ القيامةِ عن خَلَّتَينِ: عمَّا كانوا يَعبدُون، وعمَّا أجابُوا المُرسَلينَ. فإنْ قيلَ: كيف الجَمْعُ بين هذه الآيةِ، وبينَ قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾[1]؟ فعنهُ جوابان: **أحدهما**: أنه لا يَسألُهم: هل عَمِلتُم كذا؟ لأنَّهُ أعلَمُ، وإنما يقول: لِمَ عَمِلتُم كذا؟ رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم يُسألُونَ في بعضِ مَواطِنِ القيامةِ، ولا يُسألُونَ في بعضِها، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَامْضِ لِمَا تُؤمَرُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أظهِرْ أمرَكَ، رواه لَيْثٌ عن مُجاهِدٍ، قال ابنُ قُتَيبةَ: «فاصدع بما تؤمر» أي: أظْهِرْ ذلكَ. وأصلُه: الفَرْقُ والفَتحُ، يريد: اِصدَعْ الباطلَ بحقِّكَ. وقال الزَّجَّاجُ: اِظْهَرْ بما تؤمَرُ بهِ، أُخِذَ ذلك مِنَ الصَّدِيعِ، وهو الصُّبحُ، قال الشاعر:

كأنَّ بياضَ غُرَّتِهِ صَدِيعُ[2]

وقال الفَرَّاءُ: إنما لم يَقُلْ: بما تُؤمَرُ به، لأنه أرادَ: فاصدَعْ بالأمرِ. وذكر ابنُ الأنبَاري أنَّ «به» مُضمَرةٌ، كما تقول: مَررتُ بالذي مَررتَ. **والثالث**: أنَّ المراد به: الجَهرُ بالقرآن في الصَّلاةِ، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. قال موسى بن عُبَيدَةَ:

[٨٥٣] ما زال رسولُ الله ﷺ مُستَخفِياً حتى نزلت هذه الآيةُ، فخرج هو وأصحابُه.

وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اُكفُفْ عن حَربِهم. **والثاني**: لا تُبَالِ بهم، ولا تلتَفِتْ إلى لومِهم على إظهَارِ أمرِكَ. **والثالث**: أَعرِضْ عن الاهتمامِ باستِهزَائِم. وأكثرُ المُفسِّرين على أنَّ هذا القَدْرَ مِنَ الآيةِ مَنسُوخٌ بآيَة السَّيفِ.

---

[٨٥٢] ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٣/ ٣٣٩ من حديث ابن عباس وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وكلاهما ضعيف. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٥٩٠: وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن عطاء اهـ. وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[٨٥٣] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢١٤١٣ عن موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة وإسناده ضعيف جداً، فهو مرسل، ومع إرساله موسى بن عبيدة ضعيف.

---

(١) سورة الرحمن: ٣٩.

(٢) في «اللسان» مادة «صدع» ونسبه لعمرو بن معديكرب، وصدره: ترى السِّرحان مفترشاً يديه

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ المعنى: فاصدَعْ بأمري كما كَفَيْتُكَ المُستهزئينَ، وهم قومٌ كانوا يستَهزئونَ به وبالقرآنِ، وفي عدَدِهم قولان:

أحدهما: أنهم كانوا خمسةً: الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، وأبو زَمعَةَ، والأَسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ، والعَاصُ بنُ وائلٍ، والحَارثُ بنُ قَيسٍ، قاله ابنُ عباسٍ، واسمُ أبي زَمعَةَ: الأسودُ بن المُطَّلِبِ. وكذلك ذكرهم سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، إلاَّ أنه قال مكانَ الحَارثِ بنِ قَيسٍ، الحَارثَ ابنَ غَيْطَلَة، قال الزُّهريُّ: غَيْطَلَة أُمُّهُ، وقَيْسٌ أبوه، فهو واحدٌ، وإنما ذَكرتُ ذلك، لِئَلاَّ يُظَنَّ أنه غيرُه، وقد ذكرتُ في كتاب «التَّلقيح»[1] مَنْ يُنْسَبُ إلى أُمِّه مِنَ الصحابة والتابعين ومَنْ بعدَهُم، وسَمَّيتُ آباءَهُم ليُعرَفوا إلى أيِّ الأَبوين نُسِبُوا. وفي روايةٍ عن ابنِ عباسٍ مكانَ الحَارثِ بنِ قَيْسٍ: عَدِيُّ بنُ قَيسٍ.

والثاني: أنهم كانوا سبعةً، قاله الشَّعبيُّ، وابنُ أبي بَزَّةَ، وعَدَّهُم ابنُ أبي بَزَّة، فقال: العَاصُ بنُ وائلٍ، والوليدُ بنُ المُغيرَةِ، والحَارثُ بنُ عَديٍّ، والأسوَدُ بنُ المُطَّلبِ، والأَسوَدُ بنُ عبدِ يَغُوثَ، وأَصرَمُ وبعكك ابنا عبدِ الحَارثِ بنِ السبَّاقِ. وكذلك عدَّهم مُقاتِلٌ، إلاَّ أنَّه قال مكانَ الحَارثِ بنِ عَدِيّ: الحَارثُ بنُ قَيسٍ السَّهمِيّ، وقال: أصرم وبعكك ابنا الحَجَّاجِ بنِ السبَّاقِ.

ذِكرُ ما أهلَكَهُم اللهُ به فكَفَى رسولَه ﷺ أَمرَهُم

[٨٥٤] قال المُفسِّرون: أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، والمُستَهزئونَ يَطوفُون بالبيتِ، فمَرَّ الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، فقال جِبريلُ: يا محمَّدُ، كيفَ تَجدُ هذا؟ فقال «بئسَ عبدُ اللهِ»، قال: قد كُفِيتَ، وأومأَ إلى ساقِ الوليدِ، فمَرَّ الوليدُ برجُلٍ يَرِيشُ[2] نَبلاً له، فتَعلَّقَتْ شَظِيَّةٌ مِنْ نَبلٍ بإزارِه، فمَنَعَهُ الكِبْرُ أن يُطَامِنَ[3] لِيَنزِعَها، وجَعلَتْ تضربُ ساقَهُ، فمَرِضَ وماتَ. وقيل: تَعلَّق سَهْمٌ بثَوبِه فأصابَ أَكحَلَهُ فقطعَهُ، فماتَ. ومَرَّ العَاصُ بنُ وائلٍ، فقال جِبريلُ: كيف تجدُ هذا يا محمَّدُ، فقال: «بئسَ عبدُ اللهِ» فأشارَ إلى أَخمَصِ

[٨٥٤] متن حسن بطرقه وشواهده من جهة الإسناد، لكن المتن غريب. أخرجه الطبري ٢١٤١٧ عن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير به مع اختلاف يسير وهذا مرسل. وكرره ٢١٤١٩ عن سعيد بن جبير مرسلاً، وكرره ٢١٤٣٠ من مرسل قتادة. وورد بنحوه عن قتادة ومقسم أخرجه الطبري ٢١٤٢٨. وورد بنحوه من حديث ابن عباس عند الطبراني في «الطِوال» ٣٣ وفي «الأوسط» ٤٩٨٣ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨ من طريقين عن جعفر بن إياس عن سعيد عن ابن عباس. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٤٦ ـ ٤٧ وقال: وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. قلت: توبع عند البيهقي. الخلاصة: هذه روايات عامتها مرسلة، والموصول لابأس به بطريقيه، فالحديث حسن من جهة الإسناد بطرقه وشواهده، لكن المتن فيه غرابة والله تعالى أعلم.

(١) وهو كتاب مطبوع متداول، واسمه «تلقيح فهوم أهل الأثر».
(٢) في «القاموس»: راش السهم يريشه: ألزق عليه الريش.
(٣) في «اللسان»: ويقال: طامَن ظهره: إذا حَنَى ظهره.

رِجْلِه، وقال: قد كُفيتَ، فدخلتْ شَوكَةٌ في أخمَصِهِ، فانتَفخَتْ رِجلُهُ وماتَ. ومَرَّ الأسودُ بنُ المُطَّلب، فقال: كيف تجدُ هذا؟ قال: «عبدُ سوءٍ» فأشارَ بيده إلى عَيْنَيهِ، فعَمِيَ وهَلكَ. وقيل: جعلَ ينطَحُ برأسِهِ الشجرَ ويضربُ وَجهَهُ بالشَّوكِ، فاستَغاثَ بغُلامه، فقال: لا أرى أحداً يصنعُ بكَ هذا غيرَ نَفْسِكَ، فمات وهو يقول: قتلني ربُّ محمَّدٍ. ومَرَّ الأسْوَدُ بنُ عبد يَغُوثَ، فقال جِبريلُ: كيف تجدُ هذا؟ فقال: «بِئسَ عبدُ اللهِ»، فقال: قد كُفيتَ، وأشارَ إلى بطنِهِ، فسَقَى بطنُه، فماتَ. وقيل: أصابَ عينَهُ شَوكٌ، فسَالَتْ حَدقَتَاهُ، وقيل: خَرجَ عن أهلِه فأصابَهُ السَّمُومُ، فاسودَّ حتى عاد حَبشيّاً، فلمَّا أتى أهلَهُ لم يعرفوه، فأغلَقُوا دُونَهُ الأبوابَ حتى ماتَ. ومَرَّ به الحَارثُ بنُ قَيسٍ، فقال: كيف تجدُ هذا؟ قال: «عبدَ سوءٍ» فأومأَ إلى رأسِه، وقال: قد كُفيتَ، فانتفخَ رأسُهُ فماتَ، وقيل: أصابَهُ العَطشُ، فلم يَزَلْ يشربُ الماءَ حتى انقدَّ بطنُه، وأمَّا أَصرَمُ وبعكك، فقال مُقاتِلٌ: أخذتْ أحدَهُما الدُّبَيْلَةُ[1] والآخرَ ذاتُ الجَنْبِ، فمَاتَا جميعاً. قال عِكرمَةُ: هَلكَ المُستَهزئون قبلَ بَدرٍ. وقال ابنُ السَّائبِ: أُهلِكُوا جميعاً في يومٍ وليلةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه التَّكذيبُ. **والثاني**: الاستِهزَاءُ. قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: قُلْ سُبحَانَ اللهِ وبحَمدِهِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: فَصَلِّ بأمرِ رَبِّكَ، قاله مُقاتِلٌ. وفي قوله: ﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: مِنَ المُصَلِّين. **والثاني**: مِنَ المُتَواضِعينَ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الموتُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهورُ. وسُمِّيَ يقيناً، لأنه مُوقَنٌ به. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآيةِ: اعبُدْ ربَّكَ أبداً، ولو قِيلَ: اعبُدْ ربَّكَ، بغيرِ توقيتٍ، لَجَازَ إذا عبدَ الإنسانُ مَرَّةً أنْ يكون مُطيعاً، فلمَّا قال: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أمرَ بالإقامة على العبادة ما دَامَ حَيّاً[2]. **والثاني**: أنه الحقُّ الذي لا رَيبَ فيه مِنْ نصرِكَ على أعدَائِكَ، حكاه المَاوَرِدي.

---

(١) في «القاموس»: الدبيلة: داء في الجوف.

(٢) استدل الباطنية القرامطة ومنهم الشاذلية اليشرطية بهذه الآية على سقوط التكليف عنهم، وفسروا اليقين هنا بالعلم والمعرفة، فقالوا: من حصلت له المعرفة بالله سقطت عنه التكاليف.
قال الحافظ ابن كثير في رده عليهم في «تفسيره» ٢/ ٦٩٢: ويستدل من هذه الآية الكريمة، وهي قوله: **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**، على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في صحيح البخاري، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم. وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبدَ وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت، كما قدمناه. ولله الحمد والمنة والحمد لله على الهداية، وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها.

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

فصل في نزولها: رَوى مُجاهِدٌ، وعَطِيَّةُ، وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ: أنها مَكِّيَّةٌ، وكذلك رُوِيَ عن الحسَنِ، وعِكرمَةَ، وعَطَاءٍ: أنها مكِّيَّةٌ كلُّها. وقال ابنُ عباسٍ في روايةٍ: إنه نزلَ منها بعدَ قَتْلِ حمزةَ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [1]. وقال في رواية: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [2]. وقال الشَّعبيُّ: كلُّها مكيَّةٌ إلاَّ قولَه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ . . . إلى آخرِ الآياتِ. وقال قَتادةُ: هي مكِّيةٌ إلاَّ خمسَ آياتٍ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ . . . الآيتين، ومن قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ . . . إلى آخرِها. وقال ابنُ السَّائبِ: هي مكيَّةٌ إلاَّ خمسَ آياتٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [3] الآية، وقولُه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ [4] الآية، وقولُه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرِها. وقال مُقاتِلٌ: مكيَّةٌ إلاَّ سبعَ آياتٍ، قولُه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ الآية، وقولُه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ [5] الآية، وقولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ الآية، وقولُه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ [6] الآية، وقولُه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرِها. قال جابرُ بنُ زيدٍ: أُنزِلَ مِنْ أول النَّحْلِ أربعون آيةً بمكَّةَ وبقيَّتُها بالمَدينةِ. وروى حمَّادٌ عن عليِّ بنِ زيدٍ قال: كان يُقال لسُورةِ النَّحْلِ: سُورةَ النِّعَمِ، يُريد لكَثْرَةِ تَعدادِ النِّعَمِ فيها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قرأ حمزةُ والكِسائيُّ بالإمالَةِ.

---

(١) سورة النحل: ١٢٦.
(٢) سورة النحل: ٩٥ ـ ٩٧.
(٣) سورة النحل: ٤١.
(٤) سورة النحل: ١١٠.
(٥) سورة النحل: ١٠٦.
(٦) سورة النحل: ١١٢.

[٨٥٥] سببُ نُزولها: أنه لمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾(١)، فقال الكفَّارُ بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا يزعمُ أنَّ القيامة قد اقترَبَتْ، فأمسِكُوا عن بعضِ ما كُنتم تعملون حتى نَنظُرَ، فلمَّا رَأوا أنَّه لا يَنزلُ شيءٌ؛ قالوا: ما نَرى شيئاً، فأنزلَ اللهُ تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾(٢) فأَشفَقُوا، وانتَظَرُوا قُربَ الساعةِ، فلمَّا امتدَّتِ الأيامُ قالوا: يا محمَّدُ ما نرى شيئاً ممَّا تُخوِّفنا به، فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، فوَثَبَ رسولُ الله ﷺ، ورَفَع الناسُ رُؤوسَهُم، فنزلَ: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ فاطمَأَنُّوا، قاله ابنُ عباسٍ.

وفي قوله: ﴿أَتَىٰٓ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَتى بمعنى: يأتي، كما يُقالُ: أتاكَ الخيرُ فأَبْشِرْ، أي: سيأتيكَ، قاله ابنُ قُتَيبة، وشاهِدهُ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾(٣)، ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾(٤) ونحوُ ذلكَ. **والثاني**: أتى بمعنى: قَرُبَ، قال الزَّجَّاجُ: أعلَمَ اللهُ تعالى أنَّ ذلك في قُربِه بمنزلةِ ما قَدْ أتى. **والثالث**: أنَّ «أتى» للماضي، والمعنى: أتى بعضُ عذابِ اللهِ، وهو: الجَدْبُ الذي نَزَل بهم، والجُوعُ. ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ فينزل بكم مُستَقبلاً كما نَزلَ ماضياً، قاله ابنُ الأنباري.

وفي المُرادِ بـ «أمر الله» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها السَّاعةُ، وقد يُخرَّجُ على قولِ ابنِ عباسٍ الذي قَدَّمناه، وبه قال ابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: خُروجُ رسولِ الله ﷺ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، يعني: أنَّ خُروجَهُ مِنْ أَمارَاتِ السَّاعةِ. وقال ابنُ الأنباري: أتى أمرُ اللهِ مِنْ أشراطِ السَّاعةِ، فلا تستعجِلُوا قيامَ السَّاعةِ. **والثالث**: أنه الأحكَامُ والفَرائضُ، قاله الضَّحَّاكُ(٥). **والرابع**: عذابُ اللهِ، ذكره ابنُ الأنباري. **والخامس**: وَعيدُ المُشركينَ، ذكره المَاوَرديِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ أي: لا تَطلُبوه قَبْلَ حِينِه، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ أي: تَنزيهٌ له وبَراءَةٌ مِنَ السُّوءِ عمَّا يُشركون به مِنَ الأصنام.

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو: «يُنزِلُ» بإسكَانِ النُّونِ وتخفيفِ الزاي. وقرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُ: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد، ورَوى الكِسَائيُّ عن أبي بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تُنزَّل» بالتاء مضمُومةً، وفَتحِ الزاي مُشدَّدةً. «الملائكةُ» رَفعٌ. قال ابنُ عباسٍ: يريد

---

[٨٥٥] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٥٧ عن ابن عباس بدون إسناد. والظاهر أنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهي رواية ساقطة. وأخرجه الطبري ٢١٤٤٨ عن ابن جريج مرسلاً بنحوه، ومراسيل ابن جريج واهية، فالخبر لا شيء، وهو شبه موضوع.

---

(١) سورة القمر: ١.
(٢) سورة الأنبياء: ١.
(٣) سورة الأعراف: ٤٤.
(٤) سورة المائدة: ١١٦.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٥٦٠: وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب في قوله **﴿أتى أمر الله﴾** أي فرائضه وحدوده وقد ردّه ابن جرير فقال: لا نعلم أحداً استعجل بالفرائض والشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه استبعاداً وتكذيباً.
ـ وقال الطبري رحمه الله ٧/ ٥٥٧: وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال: هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقب ذلك بقوله: **﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** فدل بذلك على تقريعه للمشركين، ووعيده لهم.

بالملائكة جِبريلَ عليه السلامُ وحدَهُ. وفي المُراد بالرُّوحِ ستةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: الوَحيُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه النُّبوَّةُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ المعنى: تَنزَّلُ المَلائكةُ بأمرِهِ، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. فعَلَى هذا يكون المعنى: أنَّ أمرَ اللهِ كُلَّهُ رُوحٌ. قال الزَّجَّاجُ: الرُّوحُ ما كان فيه مِنْ أمرِ الله حياةُ النُّفُوسِ بالإِرشَادِ. **والرابع**: أنه الرَّحمَةُ، قاله الحسَنُ، وقتادَةُ. **والخامس**: أنه أَرواحُ الخَلْقِ: لا ينزلُ مَلَكٌ إلاَّ ومعه رُوحٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: أنه القرآنُ، قاله ابنُ زيدٍ. فعَلَى هذا سمَّاهُ رُوحاً، لأنَّ الدِّينَ يَحيَا به، كما أنَّ الرُّوحَ تُحيي البَدَنَ.

وقال بعضُهم: الباءُ في قوله: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بمعنى: مع، فالتَّقديرُ: مع الرُّوحِ، ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: بأَمرِهِ، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعني: الأنبياءَ، ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: أَنذِرُوا أهلَ الكُفرِ والمعاصي ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ أي: مُرُوهُم بتَوحِيدِي، وقال غيرُه: أَنذِرُوا بأنه لا إلهَ إلاَّ أنا، أي: مُرُوهُم بالتَّوحيد مع تَخويفِهِم إنْ لم يُقِرُّوا.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ قال المُفسِّرونَ: أخذَ أُبيُّ بنُ خَلَفٍ عظماً رَمِيماً، فجعلَ يَفُتُّه ويقول: يا محمَّدُ كيف يَبعَثُ اللهُ هذا بَعدَما رُمَّ؟ فنزلَتْ فيه هذه الآيةُ. والخَصِيمُ: المُخَاصِمُ، والمُبِينُ: الظَّاهِرُ الخُصومَةِ. والمعنى: أنه مَخلُوقٌ مِنْ نُطفَةٍ، وهو مع ذلك يُخاصِمُ ويُنكِرُ البَعْثَ، أَفَلا يستدِلُّ بأَوَّلِهِ على آخرِه، وأنَّ مَنْ قَدَرَ على إيجادِهِ أَوَّلاً، يَقدِرُ على إعادَتِه ثانياً؟! وفيه تَنبِيهٌ على إنعَامِ الله عليه حين نَقَلَهُ مِنْ حال ضَعفِ النُّطفَةِ إلى القُوَّةِ التي أمكَنَهُ معها الخِصَامُ.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ﴾ الأنعامُ: الإبلُ، البَقرُ، والغَنمُ.

قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ما استُدفِئَ مِنْ أوبَارِها تُتَّخذُ ثياباً، وأَخبِيَةً، وغيرَ ذلك. رَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: يعني بالدِّفءِ: اللِّبَاسَ، وإلى هذا المعنى ذهب الأكثرون. **والثاني**: أنه نَسلُهَا. روى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ: ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾ قال: الدِّفءُ: نَسلُ كلِّ دَابَّةٍ، وذكر ابنُ السَّائِبِ قال: يُقال: الدِّفءُ أولادُها، ومَنْ لا يحملُ مِنَ الصِّغارِ، وحكى ابنُ فارسٍ اللغويُّ عن الأمويِّ، قال: الدِّفءُ عند العرب: نِتَاجُ الإبلِ وألبَانُها.

قوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ أي: سِوى الدِّفءِ مِنَ الجُلودِ، والألبَانِ، والنَّسْلِ، والرُّكوبِ، والعَمَلِ عليها، إلى غيرِ ذلك، ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ يعني: مِنْ لُحومِ الأنعامِ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٥٦١: يقول الله تعالى: ﴿**ينزل الملائكة بالروح**﴾ أي الوحي كقوله تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب...**﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: زِينَةٌ، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: حينَ تردُّونها إلى مَراحِها، وهو المكانُ الذي تأوي إليه، فترجِعُ عِظَامَ الضُّرُوعِ والأسنِمَةِ، فيُقال: هذا مالُ فُلانٍ، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُرسِلونَها بالغَدَاةِ إلى مَراعِيها. فإنْ قيلَ: لِمَ قدَّمَ الرَّواحَ وهو مُؤخَّرٌ؟ فالجواب: أنها في حالِ الرَّواحِ تكون أجمَلَ؛ لأنها قد رَعَتْ، وامتلأَتْ ضُرُوعُها، وامتدَّتْ أسنِمَتُها.

قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ الإشارةُ بهذا إلى ما يُطيقُ الحَمْلَ منها، والأثْقَالُ: جمعُ ثِقْلٍ، وهو مَتَاعُ المُسافِرِ. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في كلِّ بلَدٍ يقصِدُه المُسافرُ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ المُرادَ به: مكَّةُ، قاله عِكرمَةُ، والأول أصحُّ. والمعنى: أنها تَحمِلُكم إلى كلِّ بلَدٍ لو تكلَّفتم أنتم بُلوغَهُ لم تَبلُغوهُ إلاَّ بشِقِّ الأنْفُسِ.

وفي معنى «شِقِ الأنْفُسِ» قولان: **أحدهما**: أنه المَشَقَّةُ، قاله الأكثرون. قال ابنُ قُتَيبة: يقال: نحنُ بشِقٍّ مِنَ العَيشِ، أي: بجَهْدٍ.

[٨٥٦] وفي حديث أُمِّ زَرْعٍ: «وَجدَني في أهلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ».

والثاني: أنَّ الشِّقَّ: النِّصْفُ، فكانَ الجَهْدُ يُنقِصُ مِنْ قوة الرَّجلِ ونَفْسِه كأنه قد ذهبَ نِصْفُهُ، ذكره الفرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي حينَ مَنَّ عليكم بالنِّعَمِ التي فيها هذه المَرَافِقُ.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ﴾ أي: وخلَقَ الخيلَ ﴿وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وخَلقَهَا زِينَةً.

فصل: ويجوز أكلُ لحمِ الخَيلِ، وإنما لم يُذكَرْ في الآيةِ، لأنه ليس هو المَقصُودُ، وإنما مُعظَمُ المَقصُودِ بها الرُّكوبُ والزِّينةُ، وبهذا قال الشَّافعيُّ. وقال أبو حنيفَةَ ومالكٌ: لا تُؤكَلُ لُحومُ الخَيلِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذكرَ قومٌ مِنَ المُفسِّرين: أنَّ المرادَ به عجائبُ المَخلُوقاتِ في السَّمواتِ والأرضِ التي لم يُطَّلَعْ عليها، مثلَ ما يُروى: إنَّ للهِ مَلَكاً مِن صِفَتِه كذا، وتحتَ العَرشِ نَهرٌ مِنْ صِفَتِه كذا. وقال قومٌ: هو ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الجنَّةِ فيها ولأهلِ النَّارِ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: في النَّاسِ مَنْ كَرِهَ تفسيرَ هذا الحَرْفِ. وقال الشَّعبيُّ: هذا الحَرْفُ مِنْ أسرارِ القُرآنِ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ
وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

---

[٨٥٦] صحيح، هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري ٥١٨٩ ومسلم ٢٤٤٨، وأبو يعلى ٤٧٠١ والترمذي في «الشمائل» ٢٥١ وابن حبان ٧١٠٥ من حديث عائشة.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ القَصْدُ: استقامَةُ الطَّريقِ، يقال: طَريقٌ قَصْدٌ وقَاصِدٌ: إذا قَصَدَ بكَ ما تريدُ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وعلى اللَّهِ تَبيينُ الطَّريقِ المُستقيم، والدُّعاءُ إليه بالحُجَجِ والبُرهانِ. قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: السَّبيلُ لَفظُه لفظُ الواحِدِ، وهو في موضعِ الجَميعِ، فكأنَّهُ قال: ومِنَ السُّبُلِ سَبيلٌ جَائِرٌ. قال ابنُ الأنبَاري: لمَّا ذَكرَ السَّبيلَ، دلَّ على السُّبُلِ، فلذلك قال: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾، كما دَلَّ الحَدَثانِ على الحَوادِثِ في قولِ العبدي:

وَلاَ يَبْـقَـى عَـلَـى الـحَـدَثَـانِ حَـيٌّ فَـهَـلْ يَـبْـقَـى عَـلَـيْـهِـنَّ الـسَّـلامُ

أراد: فهَلْ يبقى على الحَوادِثِ، والسَّلامُ: الصُّخورُ، قال: ويجوزُ أنْ يكون إنما قال: (ومنها) لأنَّ السَّبيلَ تُؤنَّثُ وتُذَكَّرُ، فالمعنى: مِنَ السَّبيلِ جَائرٌ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: المعنى: ومِنَ الطُّرُقِ جَائرٌ لا يَهتَدونَ فيه، والجَائِرُ: العَادِلُ عن القَصْدِ، قال ابنُ عباسٍ: ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ الأهوَاءُ المُختلفَةُ. وقال ابنُ المُبَارَكِ: الأهوَاءُ والبِدَعُ.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعني: المطرَ ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ وهو ما تَشرَبُونَهُ، ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾ ذكر ابنُ الأنبَاري في معناهُ قولَين: **أحدهما**: ومنه سَقْيُ شَجرٍ، وشُرْبُ شَجرٍ، فخَلَفَ المُضافُ إليه المُضَافَ، كقوله: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾[1]. **والثاني**: أنَّ المعنى: ومِنْ جهةِ الماءِ شَجرٌ، ومِنْ سَقْيِهِ شَجرٌ، ومِنْ ناحِيَتِه شَجرٌ، فحُذِفَ الأولُ، وخَلَفَهُ الثاني، قال زُهيرٌ:

لِـمَـنِ الـدِّيَـارُ بِـقُـنَّـةِ الـحِـجْـرِ أَقْـوَيْـنَ مِـنْ حِـجَـجٍ وَمِـنْ شَـهْـرِ[2]

أي: مِنْ مَمَرِّ حِجَجٍ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: والمراد بهذه الشَّجرِ: المَرْعَى. وقال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما نبتَ على الأرض فهو شَجرٌ، قال الشاعر يصِفُ الخَيْلَ:

يَـعْـلِـفُـهَـا الـلَّـحْـمَ إذا عَـزَّ الـشَّـجَـرْ وَالـخَـيْـلُ فـي إطـعَـامِـهَـا الـلَّـحْـمَ ضَـرَرْ

يعني: أنهم يَسقُونَ الخَيلَ اللبنَ إذا أجدَبَتِ الأرضُ. و ﴿تُسِيمُونَ﴾ بمعنى: تَرعُونَ، يقال: سَامَتِ الإبلُ فهي سَائِمَةٌ: إذا رَعَتْ، وإنما أُخِذَ ذلك مِنَ السُّومَةِ، وهي: العَلامَةُ، وتأويلُها: أنها تُؤثِّرُ في الأرض برَعْيِهَا عَلامَاتٍ.

قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ﴾ وروى أبو بكرٍ عن عَاصِم: «ننبت» بالنون. قال ابنُ عباسٍ: يريد الحُبوبَ، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ قال الأخفشُ: المعنى: وجَعلَ النُّجومَ مُسخَّراتٍ، فجازَ إضمَارُ فعلٍ غيرِ الأوَّلِ، لأنَّ هذا المُضمَرَ في المعنى مِثْلُ المُظهَرِ، وقد تفعلُ العربُ أشدَّ مِنْ هذا، قال الرَّاجِزُ:

تَـسْـمَـعُ فـي أجـوَافِـهِـنَّ صَـرَدَا وفـي الـيَـدَيْـنِ جُـسْـأَةً وَبَـدَدَا[3]

المعنى: وترى في اليَدَينِ. والجُسْأَةُ: اليَبَسُ. والبَدَدُ: السَّعَةُ. وقال غيرُه: قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ حالٌ مؤكِّدةٌ، لأنَّ تسخيرَها قد عُرِفَ بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ﴾. وقرأ ابنُ عامرٍ: «والشمسُ

---

(١) سورة البقرة: ٩٣.

(٢) في «القاموس»: قِنة الحجر: موضع قرب حَومانَةِ الدَّرَّاج.

(٣) في «اللسان» الصَّرَدُ: البرد، وقيل: شِدَّته. والجُسْأة: من جسأ فهو جاسئ: صلب وخشن.

والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ»، رفعاً كُلَّهُ، وروى حَفصٌ عن عَاصِم: بالنَّصبِ؛ كالجمهورِ؛ إلاَّ قولَه تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾ فإنه رَفعَها.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ أي: وسَخَّرَ ما ذَرَأَ لكُم. وذَرَأَ بمعنى: خَلَقَ. و ﴿سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي: ذلَّلَهُ للركوبِ والغوصِ فيه ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السَّمكَ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني: الدُّرَّ، واللؤلؤَ، والمرجَانَ، وفي هذا دَلالةٌ على أنَّ حَالِفاً لو حَلَفَ: لا يَلبَسُ حُلِيًّا، فلبسَ لُؤلؤاً، أنه يَحنثُ، وقال أبو حَنيفةَ: لا يَحنثُ. قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾ يعني: السُّفنَ. وفي معنى ﴿مَوَاخِرَ﴾ قولان: **أحدهما**: جَوارِي، قاله ابنُ عباسٍ. قال اللغويون: يُقال: مَخرَتِ السَّفينةُ مَخراً: إذا شَقَّتِ الماءَ في جَريانِها. **والثاني**: المَواخِرُ، يعني: المَمْلُوءَةَ، قاله الحسَنُ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: بالرُّكوبِ فيه للتِّجارة ابتغاءَ الرِّبحِ مِنْ فَضلِ اللّهِ؟! **والثاني**: بما تَستَخرجونَ مِنْ حِليَتِه، وتَصيدُونَ مِنْ حِيتَانِه. قال ابنُ الأنبَاري: وفي دُخولِ الواوِ في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وَجهَانِ: **أحدهما**: أنها معطوفةٌ على لامِ محذوفةٍ تقديره: وترى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فيه لِتَنتَفعوا بذلك ولِتَبتَغوا. **والثاني**: أنها دخلت لفعلٍ مُضمَرٍ، تقديرهُ: وفَعَلَ ذلك لكي تَبتَغوا.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ أي: نَصَبَ فيها جبالاً ثوابتَ ﴿أَن تَمِيدَ﴾ أي: لِئَلاَّ تَميْدَ، وقال الزَّجَّاجُ: كراهةَ أنْ تَميدَ، يُقالُ: مَادَ الرجلُ يَميْدُ مَيْداً: إذا أُديرَ به، وقال ابنُ قُتيبةَ: المَيْدُ: الحَركةُ والمَيْلُ، يُقال: فُلانٌ يَميدُ في مشيته، أي: يتكفَّأ. قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وجعل فيها سُبُلاً، لأنَّ معنى «ألقى»: «جعل»، فأمَّا السُّبُلُ، فهي الطُّرقُ، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا إلى مَقاصِدِكُم. قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها مَعالِمُ الطُّرقِ بالنهار، وبالنَّجمِ هم يهتدون بالليل، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها النُّجومُ أيضاً، منها ما يكون

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٥٧٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم، فداخل في قوله ﴿وعلامات﴾ والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدى بهن إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل. غير أن الذي أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾، وإذ كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهاراً، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الجدي والفرقدان. لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم.

علامةً لا يُهتدَى به، ومنها ما يُهتدَى به، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والنَّخعيُّ. **والثالث**: الجبال، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. وفي المراد بالنَّجم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الثُّريَّا، والفَرقَدانِ، وبناتُ نَعْشٍ، والجَدْيُ، قاله السُّدِّيّ. **والثاني**: أنه الجَدي، والفرقدان، قاله ابن السائب. **والثالث**: أنه الجَدْيُ وحدَهُ، لأنه أثبتُ النُّجوم كلِّها في مَرْكَزِه، ذكره المَاوَرديّ. **والرابع**: أنه اسمُ جنسٍ، والمراد جميعُ النُّجوم، قاله الزَّجَّاجُ. وقرأ الحَسَنُ، والضَّحَّاكُ، وأبو المُتوكِّل، ويَحيَى بنُ وَثَّابٍ: «وبالنُّجْم» بضمِّ النون وإسكانِ الجيم، وقرأ الجَحدريُّ: «وبالنُّجُم» بضمِّ النون والجيم، وقرأ مُجاهِدٌ: «وبالنجوم» بواوٍ على الجمعِ. وفي المراد بهذا الاهتِداءِ قولان: **أحدهما**: الاهتِداءُ إلى القِبْلَةِ. **والثاني**: إلى الطريق في السَّفرِ.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ يعني: الأوثان، وإنما عَبَّر عنها بـ «مَن» لأنهم نَحَلُوها العقلَ والتَّمييزَ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يعني: المشركين، يقول: أفلا تتَّعِظونَ كما اتَّعظَ المؤمنون؟ قال الفَرَّاءُ: وإنما جازَ أنْ يقول: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾، لأنه ذُكِرَ مع الخالِق، كقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾[1]، والعرب تقول: اشتَبَهَ عليَّ الرَّاكِبُ وجَمَلُه، فما أدري مَن ذا مِن ذا، لأنهم لمَّا جمعوا بين الإنسانِ وغيرِه صَلحَتْ «من» فيهما جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ قد فسَّرناه في سُورة إبراهيمَ[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ أي: لِمَا كان منكم مِنْ تقصيرِكُم في شُكرِ نِعَمه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم إذ لم يقطعها عنكم بتَقصيرِكُم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾، روى عبدُ الوَارِثِ، إلاَّ القَزَّازَ «يسرون» و «يعلنون» بالياء.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: «وَالَّذينَ تدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ»، قرأ عَاصِمٌ: يَدْعُون، بالياء.

قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ﴾ يعني: الأصنامَ. قال الفَرَّاءُ: ومعنى الأمواتِ هاهنا: أنها لا رُوحَ فيها. قال الأخفَشُ: وقوله: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ﴾ توكيدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، «أيَّانَ» بمعنى: «متى». وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنها الأصنامُ، عبَّر عنها كما يُعبِّر عن الآدَمِيينَ. قال ابنُ عباسٍ: وذلك أنَّ الله تعالى يبعثُ الأصنامَ لها أرواحٌ ومعها شَياطِينُها، فيتبرَّؤون مِنْ عبادَتِهم، ثم يُؤمَرُ بالشياطين والذين كانوا يَعبدُونها إلى النار. **الثاني**: أنهم الكفَّارُ، لا يعلمون متى بَعْثُهم، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) سورة النور: ٤٥. (٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ قد ذكرناه في سورة (البقرة)[١].

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: بالبعثِ والجزاءِ ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي: جاحِدَةٌ لا تعرف التَّوحيدَ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: مُمتنِعونَ مِن قَبولِ الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد فسَّرناهُ في (هُود)[٢]. ومعنى الآية: أنَّه يُجازيهم بسِرِّهم وعَلنِهم، لأنه يعلَمُه. والمُستكبِرون: المُتكبِّرون عن التَّوحيد والإيمان. وقال مُقاتِلٌ: (ما يُسرون) حين بَعثُوا في كلِّ طريقٍ مَنْ يصِدُّ النَّاسَ عن رسول الله ﷺ، (وما يعلنون) حين أظهروا العَداوةَ لرسولِ اللَّهِ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ يعني: المُستكبرين ﴿مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمَّدٍ ﷺ؟ قال الزَّجَّاجُ: «ماذا» بمعنى «ما الذي». و ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ مرفوعةٌ على الجَوابِ، كأنهم قالوا: الذي أُنزِلَ: أساطيرُ الأوَّلين، أي: الذي تَذْكُرون أنتم أنه مُنزَّلٌ أساطيرُ الأوَّلين. وقد شرحنا معنى الأساطير في سُورة الأنعام[٣]. قال مُقاتِلٌ: الذين بَعثَهُم الوليدُ بنُ المُغيرةِ في طُرُقِ مكَّةَ يصدُّون النَّاسَ عن الإيمان، ويقول بعضُهم: إنَّ محمَّداً ساحِرٌ، ويقول بعضُهم: شاعِرٌ، وقد شرحنا هذا المعنى في الحِجْرِ: في ذِكْرِ المُقتَسِمين[٤].

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ هذه لامُ العَاقبة، وقد شرحنَاهَا في غيرِ موضعٍ، والأَوزارُ: الآثَامُ، وإنما قال: كاملةً، لأنه لم يُكَفَّرْ منها شيءٌ بما يُصِيبُهم مِنْ نَكْبَةٍ، أو بَليَّةٍ، كما يُكفَّرُ عن المؤمن، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: أنهم أضلُّوهم بغير دليلٍ، وإنما حَمَلوا مِنْ أوزارِ الأتباعِ، لأنهم كانوا رُؤساء يُقتدَى بهم في الضَّلالة، وقد ذكرَ ابنُ الأنباري في «مِنْ» وَجْهَين: **أحدهما**: أنها للتَّبعيضِ، فهم يَحمِلُون ما شرِكُوهُم فيه، فَأمَّا مَا رَكِبَهُ أولئك باختيارهم مِنْ غير تَزيينِ هؤلاءِ، فلا يَحمِلُونَهُ، فيصِحُّ معنى التَّبعيضِ. **والثاني**: أنَّ «مِنْ» مُؤكِّدة، والمعنى: وأوزارَ الذين يُضِلُّونَهُم. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ أي: بِئْسَ ما حملوا على ظُهُورِهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال المُفسِّرون: يعني به: النُّمرُودَ بنَ كَنعَانَ، وذلك أنه بنى صَرْحاً طويلاً، واختلفوا في طُولِه، فقال ابنُ عباسٍ: خمسة آلافِ ذراعٍ، وقال مُقاتِلٌ: كان طوله فَرْسَخَينِ، قالوا: ورَامَ أنْ يصعدَ إلى السماء ليُقاتِلَ أهلَها بزَعْمِه. ومعنى «المَكْر» ها هنا: التَّدبيرُ

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.
(٢) سورة هود: ٢٢.
(٣) سورة الأنعام: ٢٥.
(٤) سورة الحجر: ٩٠.

الفَاسِدُ. وفي الهاء والميم مِنْ «قبلهم» قولان: **أحدهما**: أنها للمُقتَسِمينَ على عقابِ مكّةَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: لكفّارِ مكّةَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي: مِنَ الأسَاسِ. قال المُفسِّرون: أرسلَ اللّهُ ريحاً فألقَتْ رأسَ الصَّرحِ في البحر، وخرَّ عليهمُ الباقي. قال السُّدّيُّ: لمَّا سقطَ الصَّرحُ، تَبَلْبَلَتْ ألسُنُ الناس مِنَ الفزَعِ، فتكلَّموا بثلاثةٍ وسبعينَ لساناً، فلذلك سُمِّيتْ «بَابِل»[1]، وإنما كان لسانُ الناس قبلَ ذلك بالسّريانيَّةِ، وهذا قولٌ مَردودٌ، لأنَّ التَّبَلْبُلَ يُوجبُ الاختِلاطَ والتَّكلُّم بشيءٍ غيرِ مُستقيم، فأمَّا أنْ يُوجبَ إحداثَ لُغةٍ مضبُوطةِ الحَوَاشِي، فباطلٌ، وإنما اللغاتُ تعليمٌ مِنَ الله تعالى. فإنْ قيلَ: إذا كان المَاكِرُ واحداً، فكيف قال: «الذين» ولم يَقُلْ: «الذي»؟، فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه كان الماكرُ مَلِكاً له أتباعٌ، فأُدخِلوا معه في الوَصفِ. **والثاني**: أنَّ العرب تُوقع الجمعَ على الواحدِ، فيقول قائلُهم: خَرجتُ إلى البَصرةِ على البِغالِ، وإنما خرجَ على بَغلٍ واحدٍ. **والثالث**: أنَّ «الذين» غيرُ مُوقَعٍ على واحدٍ مُعيَّنٍ، لكنه يُراد به: قد مَكرَ الجَبَّارون الذين مِنْ قَبْلِهم، فكان عاقبةُ مَكْرِهم رُجوعُ البَلاءِ عليهم، ذكر هذه الأجوبةَ ابنُ الأنبَاري. قال: وذَكَر بعضُ العلماء: أنه إنما قال: «من فوقهم»، لِيُنَبِّهَ على أنهم كانوا تَحتَهُ، إذ لو لم يَقُلْ ذلك، لاحتملَ أنهم لم يكونوا تَحتَهُ، لأنَّ العرب تقول: سقطَ علينا البيتُ، وخَرَّ علينا الحَانُوتُ، وتَدَاعَتْ علينا الدَّارُ، وليسوا تحتَ ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: مِنْ حيثُ ظَنُّوا أنهم آمنُون فيه. قال السُّدّيُّ: أُخِذُوا مِنْ مَأْمَنِهِم، وروى عطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ قال: خَرَّ عليهم عذابٌ مِنَ السماء، وعامَّةُ المُفسِّرينَ على ما حكيناه مِنْ أنه بُنيَانٌ سَقطَ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: هذا مَثَلٌ، والمعنى: أهلَكَهُم اللّهُ، كما هَلكَ مَنْ هُدِمَ مَسكَنُه مِنْ أسفلِه، فَخرَّ عليه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ أي: يُذِلُّهم بالعذاب. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، «شركائي الذين» بهمزةٍ وفتحِ الياء، وقال البزّيُّ عن ابنِ كَثيرٍ: «شركايَ» مثل: هُدَايَ، والمعنى: أين شُركَائيَ على زَعْمِكُم؟ هلاَّ دفعُوا عنكم!. ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي: تُخالِفُون المسلمين فتعبُدونَهُم وهم يَعبُدون اللّهَ، وقرأ نافعٌ: «تشاقُون» بكسر النون، أراد: تُشاقُّونني، فحذفَ النونَ الثانيةَ، وأبقى الكسرةَ تدلُّ عليها، والمعنى: كنتم تُنازِعُونَني فيهم، وتُخَالِفُونَ أمرِي لأجْلِهِم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الملائكةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحفظة من الملائكة، قاله مقاتل. **والثالث**: أنهم المؤمنون.

فأمَّا «الخِزْيُ» فقد شرحناه في مَواضعَ[2]، و «السُّوءُ» ها هنا: العذاب.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) في «اللسان» بابل: موضع بالعراق، وقيل: موضع ينسب إليه السحر والخمر.
(٢) انظر تفسير آل عمران: ١٩٢.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قال عِكرمَةُ: هؤلاءِ قومٌ كانوا بمكَّةَ أقرُّوا بالإسلام ولم يُهاجروا، فأخرجَهُم المشركون كرهاً إلى بدرٍ، فقُتِلَ بعضُهم، وقد شرحنا هذا في سُورةِ (النساء)[1]. قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: انقادُوا واستسلَمُوا، والسَّلَم: الاستِسلامُ. قال المُفسِّرون: وهذا عندَ الموت يَتبرَّؤون مِنَ الشِّرك، وهو قولُهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وهو الشِّركُ، فتردُّ عليهم الملائكةُ فتقول: «بلى». وقيلَ: هذا رَدُّ خَزَنَةِ جهنَّم عليهم ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الشِّركِ والتَّكذيبِ. ثم يُقال لهم: ادخُلوا أبوابَ جهنَّمَ، وقد سبقَ تفسيرُ ألفاظِ الآيةِ[2].

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

[٨٥٧] روى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ أنَّ مُشركي قُريشٍ بَعثُوا ستةَ عشرَ رجلاً إلى عِقابٍ[3] مكَّةَ أيامَ الحَجِّ على طريق الناس، ففرَّقوهم على كلِّ عَقَبَةٍ أربعةَ رجالٍ، ليَصُدُّوا الناسَ عن رسولِ الله ﷺ وقالوا لهم: مَنْ أتاكُم مِنَ الناس يَسألُكم عن محمَّدٍ فليَقُلْ بعضُكم شاعِرٌ، وبَعْضُكم كاهِنٌ، وبَعْضُكم مجنونٌ، وألاَّ ترَوْه ولا يراكُم خَيْرٌ لكُم، فإذا انتهوا إلينا صَدَّقناكُم، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فبعثَ إلى كلِّ أربعةٍ منهم أربعةً مِنَ المسلمين، فيهم عبدُ الله بنُ مسعودٍ، فأُمِرُوا أنْ يُكَذِّبوهم، فكان الناسُ إذا مَرُّوا على المشركين، فقالوا ما قالوا، رَدَّ عليهم المسلمون، وقالوا: كَذَبوا، بل يَدعُو إلى الحقِّ ويأمرُ بالمَعروفِ وينهى عن المُنكرِ ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخيرُ الذي يَدْعُو إليه؟ فيقولون: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾ أي: أنزلَ خيراً، ثم فَسَّرَ ذلك الخيرَ فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: لا إله إلاَّ اللَّهُ، وأحسَنُوا العملَ ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: كرامة مِنَ الله تعالى في الآخرة، وهي الجنة، وقيل: «للذين أحسَنُوا في هذه الدنيا حسنة» في الدنيا وهي ما رَزَقَهم مِنْ خيرها وطاعتِه فيها، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنَّةَ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنَ الدنيا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها الجنَّةُ، قاله الجمهورُ. قال ابنُ الأنباري: في الكلام مَحذوفٌ، تقديره: ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقين الآخِرةُ، غير أنه لمَّا ذُكِرَتْ أولاً، عُرِف

---

[٨٥٧] لا أصل له، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً، ليس له أصل، وتفردهما بهذا الخبر لا شيء، وهو مما لا أصل له.

---

(١) سورة النساء: ٩٧. (٢) انظر النساء: ٩٧، الحجر: ٤٤.
(٣) في «اللسان» العِقاب: جمع عقبة، والعَقَبَةُ: طريق في الجبل وعرٌ.

معناها آخراً، ويجوز أنْ يكون المعنى: ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقين جنَّاتُ عَدْنٍ. **والثاني**: أنها الدنيا. قال الحسَنُ: ولَنِعْمَ دارُ المُتَّقين الدنيا، لأنهم نَالُوا بالعمل فيها ثوابَ الآخرة.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ قد شرحناهُ في (براءة)[1].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقرأ حَمزةُ «يتوفاهم» بياءٍ مع الإمالةِ. وفي معنى ﴿طَيِّبِينَ﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مؤمنين. **والثاني**: طاهرينَ مِنَ الشِّرْكِ. **والثالث**: زاكيَةً أفعَالُهم وأقوالُهم. **والرابع**: طيِّبةٌ وَفاتُهم سَهْلٌ خُروجُ أرواحِهم. **والخامسة**: طيِّبةٌ أنفسُهم بالموتِ، ثِقَةً بالثواب. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني الملائكةَ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾، وفي أيِّ وقتٍ يكون هذا السلامُ؟ فيه قولان: **أحدهما**: عند الموت. قال البَراءُ بنُ عَازبٍ: يُسلِّم عليه مَلَكُ المَوتِ إذا دخلَ عليه. وقال القُرَظيُّ: ويقول له: اللَّهُ عزَّ وجلَّ يقرأُ عليكَ السَّلامَ، ويُبَشِّرهُ بالجنَّةِ. **والثاني**: عند دخولِ الجنَّةِ. قال مُقاتِلٌ: هذا قولُ خَزنةِ الجنَّةِ لهم في الآخرة. يقولون: سلامٌ عليكم.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ «يأتيهم» بالياء، وهذا تهديدٌ للمشركين، وقد شرحناه في سُورةِ البقرة[2]. وآخرِ سُورةِ الأنعام[3]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ قولان: **أحدهما**: أَمْرُ اللَّهِ فيهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: العذابُ في الدنيا، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يريد: كفَّارَ الأُمَمِ الماضية، كَذَّبوا كما كَذَّبَ هؤلاءِ. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالشِّرك ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ أي: جَزاؤُها، قال ابنُ عباسٍ: جزاءُ ما عَمِلُوا مِنَ الشِّركِ، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ قد بيَّناهُ في سُورة الأنعام[4]، والمعنى: أَحاطَ بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ مِنَ العذابِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾

---

(١) سورة التوبة: ٧٢.
(٢) سورة البقرة: ٢١٠.
(٣) عند الآية: ١٥٨.
(٤) عند الآية: ١٠.

يعني: الأصنامَ، أي: لو شاءَ ما أشرَكْنا ولا حَرَّمنا مِنْ دُونه مِنْ شيءٍ مِنَ البَحِيْرَةِ، والسَّائِبَةِ، والوَصِيلَةِ، والحَامِ، والحَرْثِ، وذلك أنه لمَّا نزَلَ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] قالوا هذا، على سبيلِ الاستهزَاءِ، لا على سبيلِ الاعتقادِ، وقيل: معنى كَلامِهم: لو لَمْ يَأمُرْنا بهذا ويُرِدْهُ منَّا، لَمْ نَأتِه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: مِنْ تكذيبِ الرُّسل وتحريم ما أحلَّ اللهُ، ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ يعني: ليس عليهم إلاَّ التَّبليغُ، فأمَّا الهِدَايةُ، فهي إلى اَللَّهِ تعالى، وبَيَّن ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ أي: كما بعثناكَ في هؤلاءِ ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وَحِّدُوه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وهو الشيطانُ ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: أرشَدَهُ ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: وَجَبَتْ في سَابِقِ عِلْمِ الله، فأعلَمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه إنَّما بَعثَ الرُّسلَ بالأمرِ بالعبادة، وهو مِنْ وراءِ الإضلَالِ والهِدَايةِ، ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مُعتَبِرينَ بآثارِ الأمَمِ المُكَذِّبة، ثم أكَّدَ أنَّ مَنْ حَقَّتْ عليه الضَّلالةُ لا يهتَدِي، فقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ أي: إنْ تَطلُبْ هُدَاهُم بجُهدِكَ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، «لا يُهدَى» برفع الياءِ وفتحِ الدال، والمعنى: مَنْ أَضَلَّهُ، فلا هاديَ له، وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يَهْدِي» بفتحِ الياء وكسرِ الدال، ولم يختلفوا في «يُضِل» أنها بضمِّ الياءِ وكسرِ الضاد، وهذه القراءة تحتمل معنيين، ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحداهما**: لا يَهدِي مَنْ طَبَعَهُ ضَالاً، وخَلَقَهُ شَقيًّا. **والثاني**: لا يَهدِي، أي: لا يَهتَدِي مَنْ أضَلَّهُ، أي: مَنْ أضَلَّهُ اللَّهُ لا يهتدي، فيكون معنى يَهْدِي: يَهتَدِي، تقول العربُ: قد هَدَى فلانٌ الطَّريقَ، يريدون: اهتَدَى.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾.

[٨٥٨] سببُ نُزولها أنَّ رجلاً مِنَ المسلمين كان له على رجلٍ مِنَ المشركين دَينٌ، فأتاه يتَقَاضَاهُ، فكان فيما تكلَّم به: والذي أَرجُوهُ بعد المَوتِ، فقال المُشرِكُ: وإنَّكَ لَتزعُمُ أنك تُبعَثُ بعدَ الموتِ؟! فأقسَمَ باللَّهِ ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾، فنزلَتْ هذه الآيةُ، قاله أبو العَالِية.

و ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ مفسَّرٌ في المَائدة[2]. وقوله: ﴿بَلَىٰ﴾ رَدٌّ عليهم، قال الفَرَّاءُ: والمعنى: ﴿بَلَىٰ﴾ لَيبعثَنَّهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يجوز أنْ يكونَ مُتعلِّقاً بالبعثِ، فيكون

---

[٨٥٨] ضعيف. أخرجه الطبري ٢١٥٨٧ عن أبي العالية مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الحديث.

---

(١) الدهر: ٣٠. (٢) عند الآية: ٥٣.

المعنى: بلى يَبعثُهم فيبينُ لهم، ويجوز أنْ يكون مُتعلِّقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ ليُبيِّن لهم. وللمُفسِّرين في قوله ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم جميعُ الناس، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنهم المشركون، يُبيِّنُ لهم بالبَعثِ ما خالَفُوا المؤمنين فيه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾ أي: فيما أقسَمُوا عليه مِنْ نَفْيِ البَعْثِ. ثم أخبرَ بقُدرتِه على البَعثِ بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ «فيكونُ» رفعاً، وكذلك في كلِّ القرآن. وقرأ ابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ «فيكون» نصباً. قال مكِّيُّ بنُ إبراهيمَ: مَنْ رفعَ، قَطَعَهُ عمَّا قبلَهُ، والمعنى: فهو يكونُ، ومَنَ نصبَ، عَطَفَهُ على «يقول»، وهذا مِثْلُ قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وقد فَسَّرناهُ في البقرة[1]. فإنْ قيلَ: كيف سُمِّيَ الشيءُ قبلَ وجُودِه شيئاً؟. فالجواب: أنَّ الشيءَ وقعَ على المَعلُومِ عندَ اللّهِ قبلَ الخَلْقِ، لأنه بمنزلة ما قد عُويِنَ وشُوهِدَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[٨٥٩] **أحدها**: أنها نزلت في ستةٍ مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، بلالٍ، وعمَّارٍ، وصُهَيبٍ، وخَبَّابِ بنِ الأرَتِّ، وعَايشٍ وجَبْرٍ مَولَيَان لقُريشٍ، أخذهم أهلُ مكَّةَ فجعلوا يُعذِّبُونهم، ليَرُدُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: أنها نزلت في أبي جَنْدَلِ بنِ سُهيلِ بنِ عَمرٍو، قاله داودُ بنُ أبي هِنْدٍ.

والثالث: أنهم جميعُ المُهاجرين مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، قاله قَتادةُ. ومعنى (هاجروا في الله)، أي: في طَلَبِ رضاه وثوابه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ بما نالَ المُشركون منهم، ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وفيها خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لَنُنزِلنَّهم المدينةَ، روى هذا المعنى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، والشَّعبيُّ، وقَتادةُ، فيكون المعنى: لَنُبوِّئنهم داراً حسَنةً وبلدةً حسَنةً. **والثاني**: لَنَرزُقنَّهم في الدنيا الرزقَ الحسَنَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: النَّصرُ على العَدوِّ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه ما بقي بعدَهُم مِنَ الثَّناء الحسَنِ، وصار لأولادِهم مِنَ الشَّرَفِ، ذكره المَاوَرديِ، وقد رُوِي معناه عن مُجاهِدٍ، فروى عنه ابنُ أبي نَجيحٍ أنه قال: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال: لسَانٌ صَادقٌ. **والخامس**: أنَّ المعنى: لَنُحسِنَنَّ إليهم في الدنيا، قال بعضُ أهلِ المعاني: فتكون على هذه الأقوال «لَنُبوِّئنهم»، على سبيل الاستعارةِ، إلاَّ على القولِ الأولِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: الجنَّة، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ. ونُقلَ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، أنه كان إذا أعطى الرجلَ مِنَ المُهاجرين عَطاءَهُ،

---

[٨٥٩] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وتقدم الكلام على هذه الرواية مراراً، فهو لا شيء.

---

(١) عند الآية: ١١٧.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/٥٨٦: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال؛ معنى **﴿لنبوئنهم﴾**: لنحلنهم ولنسكننهم، لأن التبوء في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به، ومنه قول الله تعالى: **﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مُبَوّأ صدقٍ﴾** ـ يونس: ٩٣ ـ.

قال: خُذْ باركَ اللَّهُ لكَ فيه، هذا ما وَعدَكَ اللَّهُ في الدنيا، وما ذَخرَ لكَ في الآخرة أفضلُ، ثم يَتلُو هذه الآيَةَ. ثم إنَّ اللَّهَ أثنى عليهم وَمَدَحَهُم بالصَّبرِ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي: على دِينهم، لم يَترُكوه لأذَى نالَهُم، وهم في ذلك وَاثِقُون بربِّهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾.

[٨٦٠] قال المُفسِّرون: لمَّا أنكرَ مُشركو قُريشٍ نُبوَّةَ محمَّدٍ ﷺ وقالوا: اللَّهُ أعظَمُ مِنْ أنْ يكونَ رَسولُه بَشراً، فهلَّا بعثَ إلينا مَلَكاً! فنزلت هذه الآيةُ.

والمعنى: أنَّ الرُّسلَ كانوا مِثلَكَ آدميِّين، إلاَّ أنهم يُوحَى إليهم. وقرأ حَفْصٌ عن عَاصِم: «نوحِي» بالنونِ وكسرِ الحاءِ. ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟﴾ يا مَعشرَ المشركين ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ وفيهم أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنهم أهلُ التَّوراةِ والإنجيلِ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أهلُ التَّوراةِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أهلُ القرآن، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: العلماءُ بأخبار مَنْ سَلَفَ، ذكره المَاوَرديِ. وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا تعلمون أنَّ اللَّهَ تعالى بعَثَ رسولاً مِنَ البَشرِ. **والثاني**: لا تعلمون أنَّ محمَّداً رسولُ الله. فعلى القولِ الأولِ، جائزٌ أنْ يسأَلَ مَنْ آمَنَ برسولِ الله ومَنْ كَفَرَ، لأنَّ أهلَ الكتاب والعِلْم بالسِّيَرِ مُتَّفقون على أنَّ الأنبياءَ كلَّهم مِنَ البَشرِ، وعلى الثاني إنَّما يسأل مَنْ آمَنَ مِنْ أهل الكتاب. وقد رُوِي عن مُجاهِدٍ ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ قال: عبدُ الله بنُ سَلامٍ، وعن قَتادَةَ، قال: سلمان الفَارسيّ.

قوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ في هذه «الباء» قولان: **أحدهما**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديرُه: وما أرسلنا مِنْ قبلكَ إلاَّ رِجالاً أرسلنَاهُم بالبَيِّناتِ. والزُّبُر: الكُتُبُ. وقد شَرحنا هذا في آلِ عِمرانَ[٢].

---

[٨٦٠] ضعيف جداً، ذكره الواحدي في «أسباب نزول القرآن» ٥٦٢ من دون عزوٍ لقائل، فهو لا أصل له من هذا الوجه. وأخرجه الطبري ٢١٦٠٢ من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط، بشر ضعيف، والضحاك لم يلق ابن عباس.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢/ ٧٠٥: روى مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر: أهل الكتاب، وقاله مجاهد والأعمش، وقول عبد الرحمن بن زيد الذكر: القرآن، واستشهد بقوله **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه، وكذا قول أبي جعفر الباقر: نحن أهل الذكر، ومراده: أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السابقة، وعلماء أهل بيت رسول الله ﷺ من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابني علي: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه، ونزل كل المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين.

(٢) عند الآية: ١٨٤.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ وهو القرآن بإجماع المُفسِّرين ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه مِنْ حلالٍ وحرامٍ، ووَعْدٍ ووَعيدٍ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال المُفسِّرون: أراد مُشركي مكَّةَ. ومَكْرُهم السَّيئاتِ: شِركُهُم وتكذِيبُهم، وسُمِّي ذلك مَكْراً، لأنَّ المَكرَ في اللغة: السَّعيُ بالفَسادِ، وهذا استفهامُ إنكارٍ، ومعناه: ينبغي أنْ لا يأمَنوا العُقوبةَ، وكانَ مُجاهِدٌ يقول: عَنَى بهذا الكلام نُمرُودَ بنَ كَنعَانَ. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: في أسفارِهم، رواه العَوفي عن ابنِ عباس، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: في مَنامِهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: في لَيلِهم ونَهارِهم، قاله الضَّحَّاكُ وابنُ جُريجٍ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنه جميعُ ما يتقلَّبون فيه، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: على تَنقُّصٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. قال ابنُ قُتيبة: التَّخوُّفُ: التَّنقُّصُ، ومثله التَّخوُّنُ. يقال: تَخوَّفته الدُّهورُ وتَخوَّنته: إذا نَقصتَهُ وأخذتَ مِنْ ماله وجِسْمِه. وقال الهَيثَمُ بنُ عَديٍّ: التَّخوُّف: التَّنقُّصُ، بلغة أَزْدِ شنُوءَةَ. ثم في هذا التَّنقُّصِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنه تَنَقُّصٌ مِنْ أعمَالِهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أَخْذُ واحدٍ بعدَ واحدٍ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. والثالث: تنقُّصُ أموالِهم وثِمارِهم حتى يُهلِكَهُم، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه التَّخوُّفُ نَفْسُه، ثم فيه قولان: أحدهما: يأخذُهم على خَوفٍ أنْ يعاقبَ أو يَتجاوزَ، قاله قَتادَةُ. والثاني: أنه يأخذُ قريةً لِتخافَ القريةُ الأخرى، قاله الضَّحَّاكُ. وقال الزَّجَّاجُ: يأخذُهم بعدَ أنْ يُخيفَهُم بأنْ يُهلِكَ قريةً فتخافُ التي تَلِيها، فعلى هذا خَوَّفَهُم قبلَ هَلاكِهم، فلم يَتُوبُوا، فاستَحَقُّوا العذابَ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إذْ لم يُعجِّلْ بالعقوبةِ، وأمهَلَ للتَّوبةِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ: «أو لم يروا» بالياء وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تروا» بالتاء، واختُلِفَ عن عَاصِم. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ أراد مِنْ شيءٍ له ظِلٌّ، مِنْ جبلٍ، أو شجرٍ، أو جسم قائم ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾ قرأ الجماعةُ بالياء، وقرأ أبو عَمرو، ويعقوبُ بالتاء ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ وهو جمعُ ظِلٍّ، وإنما جمعَ وهو مُضافٌ إلى واحدٍ، لأنه واحدٌ يُراد به الكَثرةُ، كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[1] قال ابنُ قُتَيبة: ومعنى يتفيَّأ ظِلالُه: يدور ويرجع مِنْ جانبٍ إلى جانبٍ، والفَيءُ: الرُّجوعُ، ومنه قيلَ للظِّلِّ بالعَشيِّ: فَيءٌ، لأنه فَاءَ عن المَغربِ إلى المَشرقِ، قال

(١) سورة الزخرف: ١٣.

المُفسّرون: إذا طلعتْ الشمسُ وأنتَ متوجِّهٌ إلى القِبْلَةِ، كان الظِّلُّ قُدّامكَ، فإذا ارتفعتْ كان عن يمينكَ، فإذا كان بعدَ ذلك كان خلفكَ، وإذا دَنَتْ للغُروب كان على يساركَ، وإنما وَحَّد اليمينَ، والمُراد به: الجمعُ، إيجازاً في اللفظ، كقوله تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾(١)، ودَلَّتْ «الشمائل» على أنَّ المُرادَ به الجميع، وقال الفَرَّاءُ: إنما وَحَّدَ اليمينَ، وجمع الشَّمائلَ، ولم يَقُلْ: الشِّمال، لأنَّ كلَّ ذلك جائزٌ في اللغة، وأنشد:

الـوَارِدُونَ وَتَـيْـم فـي ذَرَى سَـبَـأٍ ... قد عَضَّ أعناقَهُم جِلْدُ الجَوامِيسِ(٢)

ولم يقل: جُلود، ومثله:

كُلُوا في نِصْفِ بَطْنِكُم تَعِيشُوا ... فإنَّ زَمَانَكُم زَمَنٌ خَمِيصُ(٣)

وإنما جازَ التَّوحيدُ، لأنَّ أكثرَ الكلام يُواجَهُ به الواحدُ. وقال غيرُه: اليمينُ رَاجعةٌ إلى لفظِ ما؛ وهو واحدٌ، والشَّمائلُ راجعةٌ إلى المعنى.

قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: مُستَسْلِمَةً، مُنقَادَةً، وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ﴾(٤). وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: والكفار صَاغِرُونَ. **والثاني**: وهذه الأشياء دَاخِرَةٌ مجبُولَةٌ على الطاعة، قال الأخفَشُ: إنما ذكرَ مَن ليس مِنَ الإنسِ، لأنه لمَّا وَصفَهُم بالطاعة أشبَهُوا الإنسَ في الفعل.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية. السَّاجدُون على ضَرْبَين: **أحدهما**: مَن يَعقِلُ، فسُجودُهُ عبادةٌ. **والثاني**: مَن لا يَعقِلُ، فسُجودُهُ بيانُ أَثَرِ الصَّنعةِ فيه، والخُضوعُ الذي يدلُّ على أنه مَخلُوقٌ، هذا قولُ جماعةٍ مِنَ العلماء، واحتجُّوا في ذلك بقول الشاعر:

بِجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ ... تَرَى الأُكْمَ فيه سُجَّداً لِلْحَوافِرِ(٥)

قال ابنُ قُتَيبةَ: حَجَرَاتُهُ، أي: جَوانِبُه، يريد أنَّ حوافرَ الخَيْلِ قد قلعَتِ الأُكْمَ ووطِئَتْهَا حتى خَشعَتْ وانخفضَتْ. فأما الشمسُ والقمرُ والنُّجومُ، فألحقَهَا جماعةٌ بمَنْ يَعقِلُ، فقال أبو العَالِيَة: سُجودُها حقيقةٌ، ما منها غَارِبٌ إلاَّ خَرَّ ساجداً بين يَدَي الله عزَّ وجلَّ، ثم لا ينصرفُ حتى يُؤذَنَ له. ويشهدُ لقول أبي العَالِية حديثُ أبي ذَرٍّ قال:

[٨٦١] كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في المَسجدِ حين وَجَبتِ الشمسُ، فقال: «يا أبا ذَرٍّ! تدري أينَ

---

[٨٦١] صحيح. أخرجه البخاري ٣١٩٩ و ٤٨٠٢ و ٧٤٢٤، ومسلم ١٥٩، والترمذي ٢١٨٦ و ٣٢٢٧، والطيالسي ٦٤٠، وأحمد ٥/ ١٧٧، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣، والبغوي في «معالم التنزيل» ٤/ ١٢ ـ ١٣. من طرق عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر مرفوعاً، وسيأتي.

---

(١) سورة القمر: ٤٥.
(٢) البيت لجرير كما في «ديوانه» ٣٢٥.
(٣) في «اللسان» الخَمْصُ والخَمَصُ والمخمصة: الجوع.
(٤) سورة الرعد: ١٥.
(٥) البيت لزيد الخيل كما في «الكامل» ٥٥١. وفي «اللسان» البُلْقُ: بَلَقَ الدابة وهو سواد وبياض، والبَلَقُ: مصدر الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين.

ذهبَتِ الشَّمسُ» قلتُ: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «فإنها تذهبُ حتى تَسجُدَ بين يَدَي ربِّها عزَّ وجلَّ، فتَستأذِنُ في الرُّجوعِ، فيُؤذَنُ لها، فكأنَّها قد قيلَ لها: ارجعي مِنْ حيثُ جئتِ، فترجعُ إلى مَطلعِها فذلك مُستَقرُّها، ثم قرأ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[1]، أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ.

وأمّا النَّباتُ والشَّجرُ، فلا يَخلُو سُجودُه مِنْ أربعةِ أشياء. **أحدها**: أنْ يكون سُجوداً لا نعلَمُه وهذا إذا قُلنا: إنَّ الله يُودِعُه فَهْماً. **والثاني**: أنه تَفيُّؤ ظِلالِه. **والثالث**: بيانُ الصَّنعةِ فيه. **والرابع**: الانقيادُ لِمَا سُخِّرَ له.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إنما أخرجَ الملائكةَ مِنَ الدَّوابِّ لِخروجهم بالأجنِحَةِ عن صفةِ الدَّبيبِ.

وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه مِنْ صِفَةِ الملائكةِ خاصَّةً، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنه عامٌّ في جميع المَذكُورات، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

وفي قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ قولان، ذكرهُما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنه ثَناءٌ على اللَّهِ تعالى، وتَعظيمٌ لشأنِهِ، وتَلخيصُهُ: يخافون رَبَّهُم عالياً رَفيعاً عظيماً. **والثاني**: أنه حالٌ، وتلخيصُهُ: يخافون ربَّهُم مُعظِّمين له عالِمينَ بعظيمِ سُلطانِه.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾.

[٨٦٢] سببُ نُزولِها: أنَّ رجلاً مِنَ المسلمين دَعَا اللَّهَ في صلاتِه، ودَعَا الرَّحمنَ، فقال رجلٌ مِنَ المشركين: أليس يزعمُ محمَّدٌ وأصحابُه أنهم يَعبدونَ رَبًّا واحداً، فما بَالُ هذا يدعو رَبَّيْنِ اثنين؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قال الزَّجَّاجُ: ذِكرُ الاثنين توكيدٌ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ في المُراد بالدِّينِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الإخلاصُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: العبادةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وإقامةُ الحُدودِ، والفَرائضِ، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: الطَّاعةُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

وفي معنى «واصِباً» أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: دائماً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ وعِكرمَةُ ومُجاهِدٌ والضَّحَّاكُ وقَتادَةُ وابنُ زيدٍ والثَّوريُّ واللغويون. قال أبو الأسْوَدِ الدُّؤلي:

لا أبْـتَـغِـي الـحَـمْـدَ الـقَـلـيـلَ بَـقَـاؤهُ ... يـومـاً بِـذَمِّ الـدَّهْـرِ أجْـمَـعَ وَاصِـبَـا

---

[٨٦٢] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيث أطلق، وهو ممن يضع الحديث.
ـ وقد ورد نحو هذا في آخر سورة الإسراء، وسيأتي.

---

(١) سورة يس: ٣٨.

قال ابنُ قُتَيبة: معنى الكلام: أنه ليس مِنْ أحدٍ يُدَانُ له ويُطاعُ إلاَّ انقطعَ ذلك عنه بزوالٍ أو هَلَكةٍ، غيرَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّ الطاعة تدومُ له. **والثاني**: واجباً، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: خَالِصاً، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والرابع**: وله الدِّينُ مُوصِباً، أي: مُتْعِباً، لأنَّ الحقَّ ثَقيلٌ، وهو كما تقول العربُ: هَمٌّ نَاصِبٌ، أي: مُنْصِبٌ، قال النَّابغةُ:

كِـلِـيـنِـي لِـهَـمٍّ يـا أُمَـيْـمَـةُ نـاصِـبِ ... ولَـيْـلٍ أُقَـاسِـيْـه بَـطِـيءِ الـكَـواكِـبِ

ذكره ابنُ الأنباري. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكون المعنى: له الدِّينُ، والطَّاعة، رَضِيَ العبدُ بما يُؤمَر به وسَهُلَ عليه، أو لم يَسْهُلْ، فله الدِّينُ وإنْ كان فيه الوَصَبُ. والوَصَبُ: شِدَّةُ التَّعبِ.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ما حَلَّ بكم مِنْ نِعمَةٍ، مِنْ صحةٍ في جسم، أو سَعَةٍ في رزقٍ، أو مَتَاعٍ مِنْ مالٍ ووَلَدٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «فَمَنُّ الله» بتشديد النونَ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد الأسقامَ، والأمراضَ، والحَاجَةَ. قوله تعالى: ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «تجأرون»: ترفعُونَ أصواتَكم إليه بالاستِغاثَةِ، يقال: جَأَرَ يَجْأَرُ جُؤاراً، والأصواتُ مَبْنِيَّةٌ على «فُعَالٍ» و «فَعِيل»، فأمَّا «فُعَال» فنحو «الصُّراخ» و «الخُوَار»، وأمَّا «الفَعِيل» فنحو «العَوِيل» و «الزَّئير»، والفُعَال أكثرُ. قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أهلَ النِّفاقِ. قال ابنُ السَّائبِ: يعني الكفَّارَ. قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لِيَكْفُروا بأنَّا أنعَمْنا عليهم، فجعلُوا نِعَمَنا سبباً إلى الكُفرِ، وهو كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾[1]، ويجوز أنْ يكونَ «ليكفروا»، أي: لِيَجْحَدُوا نعمةَ اللَّهِ في ذلك. قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ تَهَدُّدٌ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمْرِكُم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: الأوثان. وفي الذين لا يعلمون قولان: **أحدهما**: أنهم الجَاعِلُونَ، وهم المشركون، والمعنى: لِمَا لا يعلمون لها ضرًّا ولا نَفْعاً؛ فمَفعولُ العِلْم محذوفٌ، وتقديره: ما قُلنا، هذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ. **والثاني**: أنها الأصنامُ التي لا تَعلَمُ شيئاً، وليس لها حِسٌّ ولا معرفةٌ، وإنما قال: يعلمون، لأنهم لمَّا نَحلُوها الفَهْمَ، أجرَاهَا مَجْرَى مَنْ يَعقِلُ على زَعمِهم، قاله جماعةٌ مِنْ أهلِ المعاني، قال المُفسِّرون: وهؤلاءِ مُشركو العرب جعلوا لأوثانِهم جُزءاً مِنْ أموالِهم، كالبَحيرةِ والسَّائِبَةِ وغير ذلك ممَّا شرحنَاهُ في الأنعام[2].

---

(١) سورة يونس: ٨٨. (٢) سورة الأنعام: ٣٩.

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ﴾ رَجعَ عن الإخبار عنهم إلى الخِطابِ لهم، وهذا سؤالُ تَوبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ قال المُفسِّرون: يعني: خُزاعةَ وكِنانةَ، زعموا أنَّ الملائكة بناتُ اللَّهِ ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تَنزَّهَ عمَّا زَعموا. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البَنينَ. قال أبو سُليمانَ: المعنى: ويَتمنَّون لأنفسِهم الذُّكورَ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ أي أُخبِرَ بأنه قد وُلِدَ له بِنتٌ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: مُتغيِّراً تَغيُّرَ مُغتمٍّ، يُقال لكلِّ مَنْ لَقِيَ مكروهاً: قد اسودَّ وَجهُه غمّاً وحَزناً. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: يَكظِمُ شِدَّةَ وَجْدِهِ، فلا يُظهِرُهُ، وقد شرحناه في سُورة يُوسفَ.

قوله تعالى: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ قال المُفسِّرون: وهذا صَنيعُ مُشركي العرب، كان أحدُهم إذا ضَربَ امرأتَهُ المَخاضُ، توارى إلى أنْ يعلَمَ ما يُولَدُ له، فإنْ كان ذكراً سُرَّ به، وإنْ كانت أُنثى، لم يَظْهَرْ أياماً يُدبِّر كيف يصنعُ في أمرِها، وهو قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ فالهاء ترجعُ إلى ما في قوله: ﴿مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، والهُونُ في كلام العرب: الهَوَانُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، والجَحدريُّ: «على هوان»، والدَّسُّ: إخفاءُ الشيءِ في الشيءِ، وكانوا يَدفِنُون البِنتَ وهي حيَّةٌ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ إذْ جَعلوا للَّهِ البَناتِ اللاتي مَحَلُّهُنَّ منهم هذا، ونَسَبُوه إلى الوَلَدِ، وجعلوا لأنفُسِهم البَنينَ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: صِفَةُ السَّوْءِ مِن احتياجِهم إلى الوَلَدِ، وكَراهَتِهم للإناثِ، خَوفَ الفقرِ والعَارِ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: الصِّفةُ العُليا مِنْ تنزُّهِهِ وبَراءَتِهِ عن الوَلَدِ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ أي: بشِرْكِهم ومَعاصِيهم، كلَّما وُجِدَ شيءٌ منهم أُوخِذُوا به ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ يعني: الأرض، وهذه كنايةٌ عن غير مَذكُورٍ، غير أنه مَفهومٌ، لأنَّ الدَّوابَّ إنما هي على الأرضِ. وفي قوله: ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عَنَى جميعَ ما يَدِبُّ على وَجْهِ الأرضِ، قاله ابنُ مسعودٍ. قال قَتادةُ: وقد فعلَ ذلك في زَمَنِ نُوحٍ عليه السَّلامُ، وقال السُّدِّيُّ: المعنى: لأقحطَ المطرَ فلم تَبْقَ دابَّةٌ إلاَّ هَلكَتْ، وإلى نحوه ذهب مُقاتِلٌ، **والثاني**: أنه أراد مِنَ الناس خاصَّةً، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والثالث**: مِنَ الإنسِ والجِنِّ، قاله ابنُ السَّائبِ، وهو اختيارُ الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو مُنتَهى آجالِهم، وباقي الآيةِ قد تقدَّم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ المعنى: ويَحكُمون له بما يكرَهُونه لأنفسِهم، وهو البَناتُ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ أي: تقولُ الكَذِبَ، وقرأ أبو العَالِيةِ، والنَّخعيُّ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «الكُذُب» بضمِّ الكافِ والذَّالِ. ثم فَسَّرَ ذلك الكذبَ بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّها البَنُون، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنَّها الجَزاءُ الحسَنُ مِنَ الله تعالى، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّها الجنَّةُ، وذلك أنه لمَّا وَعدَ اللهُ المؤمنين الجنَّةَ، قال المشركون: إنْ كان ما تَقولُونَهُ حقّاً، لَنَدْخُلَنَّها قبلَكم، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شَرحنَاهَا فيمَا مضى[1]. وقال الزَّجَّاجُ: «لا» رَدٌّ لقولِهم، والمعنى: ليس ذلك كما وَصَفُوا «جرم» أنَّ لهم النَّارَ، المعنى: جَرَمَ فِعلُهم، أي: كَسبَ فِعلُهم هذا ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ وفيه أربعةُ أَوجهٍ، قرأ الأكثرون: «مُفرَطون» بسكونِ الفاء وتخفيفِ الراءِ وفَتْحِهَا، وفي معناها قولان: **أحدهما**: مُتْرَكُونَ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الفَرَّاءُ: مَنسِيُّون في النارِ. **والثاني**: مُعجَّلُونَ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: مُعجَّلُونَ إلى النار. قال الزَّجَّاجُ: معنى «الفَرَط» في اللغة: المُتقدِّمُ، فمعنى «مُفرَطُون»: مُقدَّمون إلى النار، ومَنْ فسَّرَها «مُتركَون» فهو كذلك أيضاً، أي: قد جُعِلُوا مُقدَّمين إلى العذاب أبداً، مَتْرُوكِينَ فيه. وقرأ نافعٌ، ومَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو، وقُتَيبةُ عن الكِسَائيِّ «مُفْرِطون» بسكون الفاءِ وكسرِ الراءِ وتخفيفِها، قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: أنهم أَفْرَطُوا في معصيةِ الله. وقرأ أبو جعفرَ وابنُ أبي عَبلَةَ «مُفَرِّطون» بفتح الفاءِ وتشديدِ الراءِ وكَسرِها، قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: أنهم فَرَّطُوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة، وتَصديقُ هذه القراءةِ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[2]، وروى الوليدُ بنُ مُسلم عن ابنِ عامرٍ «مُفَرَّطُون» بفتحِ الفاءِ والراءِ وتشديدِها، قال الزَّجَّاجُ: وتفسيرُها كتفسيرِ القراءةِ الأُولى، فالمُفرَطُ والمُفَرَّط بمعنًى واحدٍ.

﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ قال المُفسِّرون: هذه تَعزيةٌ للنبيِّ ﷺ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الخبيثةَ حتى عَصَوا وكَذَّبوا، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يومُ القيامة، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ، كأنَّهما أرادَا: فهو وَلِيُّهم يومَ تكون لهم النارُ. **والثاني**: أنه الدنيا، فالمعنى: فهو مُوالِيهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ يعني: الكفَّارَ ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: ما خَالَفُوا فيه المؤمنين مِنَ التَّوحيدِ والبَعْثِ والجَزاءِ، فالمعنى: أنزلنَاهُ بَياناً لِمَا وقعَ فيه الاختلافُ.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطرَ ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: بعد يُبْسِها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يعتبرون.

---

(١) انظر ما تقدم عند سورة هود: ٢٢.
(٢) سورة الزمر: ٥٦.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم﴾ قرأ أبو عمرٍو، وابنُ كَثيرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «نُسقيكم» بضمِّ النون، ومثله في (المؤمنين)[١]. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «نَسقيكم» بفتح النونِ فيهما. وقرأ أبو جَعفَر: «تَسقِيكم» بتاءٍ مفتوحةٍ، وكذلك في (المؤمنين) وقد سبقَ بيانُ الأنعَام، وذكرنا معنى «العِبْرَة» في آلِ عِمرانَ[٢]، والفَرْقَ بين «سقى» و «أسقى» في (الحِجْرِ)[٣]. فأمَّا قوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ فقال الفَرَّاءُ: النَّعم والأنعَامُ شيءٌ واحدٌ، وهما جَمْعَانِ، فرجع التَّذكيرُ إلى معنى «النَّعم» إذ كان يُؤدِّي عن الأنعام، أنشدني بعضُهم.

وَطَـابَ أَلْـبَـانُ الـلِّـقَـاحِ وَبَـرَدْ[٤]

فرجع إلى اللَّبَنِ، لأنَّ اللبَنَ والألبَانَ في معنًى؛ قال: وقال الكِسَائيُّ: أراد: نُسقِيْكم ممَّا في بُطونِ ما ذكرنا، وهو صَوابٌ، أنشدني بعضُهم:

مِـثْـلَ الـفِـرَاخِ نُـتِـفَـتْ حَـوَاصِـلُـه[٥]

وقال المُبَرِّدُ: هذا فَاشٍ في القرآن، كقوله للشَّمس: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[٦] يعني: هذا الشيءُ الطَّالعُ؛ وكذلك: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾[٧] ولم يَقُلْ: «جاءت» لأنَّ المعنى: جاءَ الشيءُ الذي ذكرنا، وقال أبو عُبيدَةَ: الهاءُ في «بطونه» للبَعْضِ، والمعنى: نُسقِيْكم ممَّا في بُطونِ البَعضِ الذي له لَبَنٌ، لأنه ليس لكلِّ الأنعام لَبَنٌ، وقال ابنُ قُتَيبةَ: ذهب بقوله: «مما في بطونه» إلى النَّعم، والنَّعَمُ تُذكَّر وتُؤنَّث. والفَرْثُ: ما في الكَرِشِ، والمعنى: أنَّ اللَّبَنَ كان طعاماً، فخَلصَ مِنْ ذلك الطعام دَمٌ، وبقي فَرْثٌ في الكَرِشِ، وخَلصَ مِنْ ذلك الدَّم ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ أي: سَهْلاً في الشُّربِ لا يَشْجَى به شَارِبُه، ولا يَغَصُّ. وقال بعضُهم: سَائِغاً، أي: لا تَعافُه النَّفسُ وإنْ كان قد خرجَ مِنْ بين فَرْثٍ ودَمٍ، وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: إذا استقَرَّ العَلَفُ في الكَرِشِ طَحَنهُ فصارَ أسفَلُهُ فَرْثاً، وأعلاه دَماً، وأوسطُه لَبَناً، والكَبِدُ مُسَلَّطةٌ على هذه الأصنافِ الثلاثةِ، فيَجري الدَّمُ في العُرُوقِ، واللبَنُ في الضَّرْعِ، ويبقى الفَرْثُ في الكَرِشِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ تقديرُ الكلام: ولَكُم مِنْ ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ ما تَتَّخذون منه سَكَراً. والعربُ تُضمِرُ «ما» كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾[٨] أي: ما ثَمَّ. والكِنايةُ في «منه» عائدةٌ على «ما» المُضمَرةِ. وقال الأخفَشُ: إنما لم يَقُلْ: منهما، لأنه أضمَرَ الشيءَ، كأنه قال: ومنها شيءٌ تَتَّخذون منه سَكَراً. وفي المُراد بالسَّكَرِ ثلاثةُ أقوالٍ[٩]: **أحدها**: أنه الخَمرُ، قاله ابنُ مَسعودٍ، وابنُ عمرَ، والحسَنُ؛ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، وإبراهيمُ، وابنُ أبي ليلَى، والزَّجَّاجُ، وابنُ قُتَيبةَ. وروى

---

(١) سورة المؤمنون: ٢١. (٢) سورة آل عمران: ١٣. (٣) سورة الحجر: ٢٢.

(٤) ذكره في «اللسان» مادة «كَتَدَ»، ونسبه إلى ثعلب. وصدره: بالَ سهيلٌ في الفضيخ فَفَسَدْ.

(٥) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «نعم»، ولم ينسبه لقائل.

(٦) سورة الأنعام: ٧٨. (٧) سورة النمل: ٣٥ ـ ٣٦. (٨) سورة الإنسان: ٢٠.

(٩) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٦١١ ـ ٦١٢: السَّكَرُ هو كل ما كان حَلالاً شربه، كالنبيذ الحلال والخل والرطب، وهذا التأويل هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية، وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة: أحدها: ما أسكر من الشراب. والثاني: ما طُعِمَ من الطعام. والثالث: السُّكُونُ، والرابع: المصدر من قولهم: سكر فلان يسكر سُكْراً وسُكُراً وسَكَراً، فإذا كان ذلك كذلك، وكان ما يُسْكِر من الشراب حراماً بما قد =

عَمرُو بنُ سُفيانَ عن ابنِ عباسٍ قال: السَّكَرُ: ما حُرِّم مِنْ ثمرَتِها، وقال هؤلاء المُفسِّرون: وهذه الآيةُ نزلت إِذْ كانت الخَمرةُ مُباحةً، ثم نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[1]، وممَّن ذكرَ أنها مَنسُوخةٌ، سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، والنَّخعيُّ. **والثاني**: أنَّ السَّكَرَ: الخلُّ، بلُغة الحَبشَةِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: هو الخَلُّ، بلُغة اليَمَنِ. **والثالث**: أنَّ «السَّكَرَ» الطُّعمُ، يقال: هذا له سَكَرٌ، أي: طُعمٌ، وأنشدوا:

جَعَلْتَ عَيْبَ الأَكْرَمِينَ سَكَرا[2]

قاله أبو عُبيدَةَ. فعلَى هَذَين القولَين، الآيةُ مُحكَمَةٌ. فأمَّا الرِّزقُ الحسَنُ، فهو ما أُحِلَّ منهما، كالتَّمرِ، والعِنَبِ، والزَّبيبِ، والخَلِّ، ونحوِ ذلك.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ في هذا الوَحي قولان: **أحدهما**: أنه إلهامٌ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه أَمْرٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وروى ابنُ مُجاهِدٍ عن أبيه قال: أرسلَ إليها. والنَّحلُ: زَنابيرُ العَسلِ، واحدتُها نَحلَةٌ، و «يَعرِشون» يجعلونه عَريشاً، وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ «يَعْرُشُون» بضمِّ الراء، وهما لُغتان، يُقال: «يَعرِش» و «يَعرُش» مثل «يَعكِف» و «يَعكُف» ثم فيه قولان: **أحدهما**: ما يَعرِشُون مِنَ الكُروم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنها سُقوفُ البيوت، قاله الفَرَّاءُ، وقال ابنُ قُتَيبة: كلُّ شيءٍ عُرِشَ، مِنْ كَرْمٍ، أو نباتٍ، أو سَقفٍ، فهو عَرْشٌ، ومَعْرُوشٌ. وقيل: المُرادُ بـ «مما يعرشون»: مما يَبْنُونَ لهم مِنَ الأماكنِ التي تُلقِي فيها العسلَ، ولولا التَّسخيرُ، ما كانت تأوِي إليها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: مِنَ الثَّمراتِ، و «كلُّ» هاهنا ليست على العُمومِ، ومِثلُه قولُه: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3]. قال الزَّجَّاجُ: فهي تأكلُ الحَامِضَ، والمُرَّ، وما لا يُوصَف

= دللنا عليه في كتابنا «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام» وكان غير جائز لنا أن نقول: هو منسوخ، إذ كان المنسوخ هو ما نفى حكمه الناسخ وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السَّكَر الذي هو غير الخمر، وغير ما يسكر من الشراب، حرام، إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب، ومن نزل بلسانه القرآن هو كل ما طعم، ولم يكن مع ذلك، إذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ أو ورد بأنه منسوخ خبر من الرسول، ولا أجمعت عليه الأمة، فوجب القول بما قلنا من أن معنى السَّكَر في هذا الموضع: هو كل ما حل شربه مما يتخذ من ثمر النخل والكرم، وفسد أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب، وخرج أن يكون معناه السَّكْر نفسه، إذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ومن أن يكون بمعنى السكون.

(١) سورة المائدة: ٩٠.

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «سَكَرَ»، ولم ينسبه لقائل، وعنده «أعراض الكرام» بَدَل «عيب الأكرمين». أي جعلت ذمَّهم طعماً لك.

(٣) سورة الأحقاف: ٢٥.

طَعمُه، فيُحيلُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِنْ ذلك عسلاً.

قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ السُّبلُ: الطُّرقُ، وهي التي يُطلب فيها الرَّعيُ. و «الذلل» جمع ذَلول. وفي الموصوف بها قولان: **أحدهما**: أنها السُّبلُ، فالمعنى: اسْلُكِي السُّبلَ مُذَلَّلَةً لكِ، فلا يَتوعَّرُ عليها مكانٌ سَلكَتْهُ، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، واختيارُ الزَّجَّاج. **والثاني**: أنها النَّحْلُ، فالمعنى، إنكِ مُذَلَّلَةٌ بالتَّسخير لبَني آدَم، وهذا قولُ قَتادَةَ، واختيارُ ابنِ قُتَيبةَ. قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسلَ ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: منه أحمرُ، وأبيضُ، وأصفرُ. قال الزَّجَّاجُ: يخرج مِنْ بُطونِها، إلاَّ أنها تُلقيه مِنْ أفواهِها، وإنما قال: مِنْ بُطونها، لأنَّ استحالةَ الأطعمةِ لا تكون إلاَّ في البَطنِ، فيخرج كالرِّيقِ الدائمِ الذي يخرج مِنْ فَمِ ابنِ آدمَ.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ في هاءِ الكِنايةِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها ترجع إلى العَسلِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ مَسعودٍ، واختلفوا هل الشِّفاءُ الذي فيه يختَصُّ بمرضٍ دونَ غيرِه أمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه عامٌّ في كلِّ مَرضٍ. قال ابنُ مسعودٍ: العَسلُ شفاءٌ مِنْ كلِّ داءٍ. وقال قَتادَةُ: فيه شفاءٌ للناسِ مِنَ الأدْواءِ.

[٨٦٣] وقد روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ أخي استطلَقَ بطنُهُ، فقال: «اسْقِهِ عَسلاً» فسَقاهُ، ثم أتى فقال: قد سَقيتُهُ فلم يَزدْهُ إلاَّ استِطْلاقاً، قال: «اسْقِهِ عَسلاً»، فذكرَ الحديثَ... إلى أنْ قال: فَشُفِيَ، إمَّا في الثالثةِ، وإمَّا في الرابعةِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «صَدقَ اللهُ وكَذَبَ بطنُ أخيكَ» أخرجه البُخاريُّ، ومُسلمٌ.

ويعني بقوله: «صَدَقَ اللهُ»: هذه الآيةَ. **والثاني**: فيه شِفاءٌ للأوجاعِ التي شِفاؤها فيه، قاله السُّدِّيُّ. والصحيح أنَّ ذلك خُرِّجَ مُخرجَ الغالبِ. قال ابنُ الأنبَاري: الغالبُ على العسل أنه يعملُ في الأدْواءِ، ويدخل في الأدويةِ، فإذا لم يُوافِقْ آحادَ المرضى، فقد وَافقَ الأكثرين، وهذا كقولِ العرب: الماءُ حياةُ كلِّ شيءٍ، وقد نرى مَنْ يقتلُه الماءُ، وإنما الكلامُ على الأغلب.

والثاني: أنَّ الهاءَ ترجع إلى الاعتبارِ. والشِّفاءُ: بمعنى الهُدى، قاله الضَّحَّاكُ.

والثالث: أنَّها ترجع إلى القرآن، قاله مُجاهِدٌ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي: أوجدكُم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ عند انقضاءِ آجالِكُم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ وهو أردَؤه، وأدْوَنُه، وهي حالةُ الهَرم. وفي مِقدارِه مِنَ السِّنين ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: خمسٌ وسبعون سنةً، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: تسعونَ سنةً، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: ثمانونَ سنةً، قاله قُطْرُبُ.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال الفَرَّاءُ: لكي لا يَعقلَ مِنْ بعد عَقْلِهِ الأولِ شيئاً. وقال

---

[٨٦٣] صحيح. أخرجه البخاري ٥٧١٦ و ٥٦٨٤، ومسلم ٢٢١٧، والترمذي ٢٠٨٣ وأحمد ٣/ ١٩ و ٩٢، وأبو يعلى ١٢٦١، والبغوي في «شرح السنة» ٣١٢٥. من حديث أبي سعيد الخدري.

ابنُ قُتيبةَ: أي: حتى لا يعلمَ بعد عِلمِهِ بالأمور شيئاً، لشِدَّةِ هَرمِهِ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنَّ منكم مَنْ يَكْبُرُ حتى يذهبَ عَقلُه خَرَفاً، فيَصيرُ بعد أنْ كان عالِماً جاهلاً، لِيُرِيَكُم مِنْ قُدرَتِه، كما قَدِر على إماتَتِه وإحيائِه، أنه قادرٌ على نَقْلِه مِنَ العِلْمِ إلى الجَهلِ. وروى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلمُ لا يزدادُ في طُولِ العُمرِ والبقاءِ إلاَّ كرامةً عند اللهِ، وعقلاً، ومعرفةً. وقال عِكرمَةُ: مَنْ قرأ القرآنَ، لَمْ يُردَّ إلى أرذَلِ العُمرِ.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ يعني: فَضَّلَ السَّادةَ على المَماليكِ ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ يعني: السَّادةَ ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ فعبَّرَتْ «ما» عن «مَنْ» لأنَّه موضعُ إبهام، تقول: ما في الدَّارِ؟ فيقول المُخاطَبُ: رجلان أو ثلاثةٌ، ومعنى الآيةِ: أنَّ المَولى لا يَردُّ على ما مَلكَتْ يمينُه مِنْ مالِه حتى يكونَ المَولَى والمَمْلوكُ في المالِ سواءً، وهو مَثَلٌ ضَربَهُ الله تعالى للمشركين الذين جعلوا الأصنامَ شُركاءَ له، والأصنامَ مِلْكاً له، يقول: إذا لم يكن عبيدُكم معكُم في المُلكِ سواءً، فكيف تجعلون عبيدي معي سواءً، وتَرضَون لي ما تأنفونَ لأنفسِكم منه؟! وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، قال: لم يكونوا أشركوا عَبيدَهُم في أموالِهم ونسائِهم، فكيف يُشركون عبيدِي معي في سُلطَاني؟ وروى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ قال: نزلت في نَصارَى نَجْرانَ حين قالوا: عيسى ابنُ اللهِ تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تَجحدون» بالتاء. وفي هذه النِّعمة قولان: **أحدهما**: حُجَّتُه وهِدايتُه. **والثاني**: فَضْلُهُ ورِزقُهُ.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يعني النِّساءَ، وفي معنى «من أنفسكم» قولان: **أحدهما**: أنه خلَق آدمَ، ثم خَلَق زوجتَهُ منه، قاله قَتادةُ. **والثاني**: «من أنفسكم»، أي: مِنْ جنسِكم مِنْ بني آدمَ، قاله ابنُ زيدٍ. وفي الحَفَدَةِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الأصهارُ، أَخْتَانُ الرجل على بناتِه، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، ومُجاهدٌ في روايةٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والنَّخعيُّ، وأنشدوا مِنْ ذلك:

ولَو أنَّ نَفْسِي طَاوعَتني لأَصْبَحتْ ... لـهـا حَـفَـدٌ مِـمَّـا يُـعَـدُّ كـثـيـرُ[1]
ولـكـنَّـهـا نَـفْـسٌ عَـلَـيَّ أَبِـيَّـةٌ ... عَـيُـوفٌ لأَصـهـارِ الـلِّـئـام قَـذُورُ

والثاني: **أنهم الخدَمُ**، رواه مُجاهدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهدٌ في روايةِ الحسَنِ، وطَاوسٌ وعِكرمَةُ **في روايةِ الضَّحَّاكِ**، وهذا القولُ يحتمل وَجْهَين: أحدهما: أنه يُراد بالخَدَمِ: **الأولادُ، فيكون**

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «حَفَدَ». ولم ينسبه لقائل.

المعنى: أنَّ الأولادَ يَخدمُون. قال ابنُ قُتَيبةَ: الحَفَدَةُ: الخَدَمُ والأعوانُ، فالمعنى: هم بَنُونَ، وهم خَدَمٌ. وأصل الحَفْدِ: مُدارَكَةُ الخَطْوِ والإِسراعُ في المَشْي، وإنما يفعلُ الخَدمُ هذا، فقيلَ لهم: حَفَدَةٌ. ومنه يُقال في دُعاء الوِتْرِ:

[٨٦٤] «وإليكَ نسعى ونَحْفِد».

والثاني: أنْ يُرادَ بالخَدمِ: المَماليكُ، فيكون معنى الآية: وجعل لكم مِنْ أزواجكُم بَنِينَ، وجعلَ لَكُم حَفَدةً مِنْ غير الأزواج، ذَكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنهم بَنُوا امرأةِ الرجلِ مِنْ غيره، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنهم وَلَدُ الوَلَدِ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنهم: كبارُ الأولادِ، والبَنُونَ: صِغارُهم، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قال مُقاتِلٌ: وكانوا في الجاهلية تَخدمُهم أولادُهم. قال الزَّجَّاجُ: وحقيقةُ هذا الكلام أنَّ اللهَ تعالى جعلَ مِنَ الأزواج بَنِينَ، ومَنْ يُعاونَ على ما يُحتاجُ إليه بسرعةٍ وطاعةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: مِنْ أنواع الثِّمارِ والحُبوبِ والحيوانِ. قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأصنام، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: أنه الشَّريكُ والصَّاحِبةُ والوَلَدُ، فالمعنى: يُصدِّقون أنَّ للهِ ذلك؟! قاله عَطَاءٌ. **والثالث**: أنه الشيطانُ، أَمرَهُم بتَحريمِ البَحِيْرَةِ والسَّائِبَةِ، فصدَّقوا.

وفي المُراد بـ «نعمة الله» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها التَّوحيدُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: القرآنُ، والرَّسول. **والثالث**: الحلالُ الذي أَحلَّه اللهُ لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ وفي المُشَارِ إليه قولان:

أحدهما: أنها الأصنامُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: الملائكةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني: المطر، ومن «الأرض» النَّبات والثَّمر. قوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾ قال الأَخفَشُ: جعل «شيئاً» بَدَلاً مِنَ الرِّزق، والمعنى: لا يَملِكُون رزقاً قليلاً ولا كثيراً ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي لا يَقدِرُون على شيءٍ. قال الفَرَّاءُ: وإنَّما قال في أولِ الكلام «يملك» وفي آخرِه «يستطيعون»، لأنَّ «ما» في مذهبِ: جمعٌ لآلهتِهم، فوَحَّدَ «يملك» على لفظِ «ما» وتَوحيدِها، وجمعَ في «يستطيعون» على المعنى، كقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ﴾ أي: لا تُشَبِّهوهُ بخَلْقِهِ، لأنه لا يُشْبِهُ شيئاً، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ، فالمعنى: لا تجعلوا له شَريكاً. وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أربعةُ أقوالٍ:

---

[٨٦٤] ضعيف. أخرجه البيهقي ٢/ ٢١٠ عن خالد بن أبي عمران مرسلاً مرفوعاً، فهو ضعيف. وهو بعض حديث. وأخرجه البيهقي ٢/ ٢١٠، ٢١١ عن عمر موقوفاً، وقال الزيلعي في «نصب الراية» ٢/ ١٣٥: روى هذا الدعاء أبو داود في مراسيله عن خالد بن أبي عمران أن جبريل علمه للنبي ﷺ. وهذا مرسل جيد الإسناد رجاله ثقات إلا أنه لم يذكر أنه في وتر أو في غير وتر. وانظر «تلخيص الحبير» ٢/ ٢٤.

---

(١) سورة يونس: ٤٢.

أحدها: يَعلمُ ضَرْبَ المَثَلِ، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابنُ السَّائِب. **والثاني**: يعلمُ أنه ليس له شَريكٌ، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شَريكٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: يعلم خَطأً ما تَضرِبون مِنَ الأمثالِ، وأنتم لا تعلمون صَوابَ ذلك مِنْ خَطَئِه. **والرابع**: يعلمُ ما كانَ ويكونُ، وأنتم لا تعلمون قَدْرَ عظَمَتِه حين أشرَكْتُم به ونَسَبْتُموهُ إلى العَجز عن بَعْثِ خَلْقِه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: بيَّنَ شَبَهاً فيه بَيانُ المَقصودِ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه مَثَلٌ للمُؤمِن والكافِرِ. فالذي ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ هو الكَافرُ، لأنه لا خيرَ عنده، وصاحبُ الرِّزقِ هو المؤمنُ، لِمَا عندَهُ مِنَ الخيرِ؛ هذا قولُ ابن عباس، وقَتادَةَ.

والثاني: أنه مَثَلٌ ضَربَهُ اللهُ تعالى لنفسه وللأوثانِ، لأنه مَالكُ كلِّ شيءٍ، وهي لا تملكُ شيئاً، هذا قولُ مُجاهِدٍ، والسُّدِّيِّ.

وذُكرَ في التَّفسير أنَّ هذا المَثَلَ ضُربَ بِقومٍ كانوا في زمنِ رسولِ الله ﷺ، وفيهم قولان:

أحدهما: أنَّ المَملُوكَ: أبو الجِوَارِ، وصاحبُ الرِّزقِ الحَسنِ: سيِّدُهُ هشامُ بن عَمرو، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُقاتِلٌ: المَملوكُ: أبو الحَواجِرِ[١]. **والثاني**: أنَّ المَملُوكَ: أبو جَهلِ بنُ هشامٍ، وصاحبُ الرِّزق الحَسنِ: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي اللهُ عنه، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

فأمَّا قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ولم يَقُلْ: يستويان، لأنَّ المُرادَ: الجنسُ. وقال ابنُ الأنباري: لفظُ «مَنْ» لفظُ توحيدٍ، ومعناها معنى الجَمْعِ، ولم يقع المَثَلُ بعَبْدٍ مُعيَّنٍ، ومالكٍ مُعيَّنٍ، لكنْ عُنِيَ بهما جماعةُ عبيدٍ، وقومُ مالِكُون، فلمَّا فارَقَ مِنْ تأويل الجَمْعِ، جمعَ عائِدَهَا لذلكَ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: هو المُستَحِقُّ للحَمْدِ، لأنه المُنعِمُ، ولا نِعمةَ للأصنام، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الحَمدَ للهِ. قال العلماءُ: وَصفَ أكثرَهُم بذلك، والمُراد: جميعُهم.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ قد فسَّرنا «البَكَم» في سُورة البقرة[٢]. ومعنى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: مِنَ الكلام، لأنه لا يَفهَمُ ولا يُفهَمُ عنه. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: ثِقْلٌ على وَلِيِّه وقرابَتِه. وفيمَنْ أُريدَ بهذا المَثَلِ أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه مَثَلٌ ضَربَهُ اللهُ تعالى للمؤمنِ والكافرِ، فالكافرُ هو الأبكَمُ، والذي يأمر بالعَدلِ هو المؤمنُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ

---

(١) في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٥: أبو الجوزاء.

(٢) البقرة عند الآية: ١٨.

(٣) رجح الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٦٢٤: القول الثالث.

عباسٍ. **والثاني**: أنها نزلت في عُثمانَ بنِ عَفّانَ، هو الذي يأمرُ بالعَدْلِ، وفي مَولَىً له كان يكرهُ الإسلامَ وينهى عُثمانَ عن النَّفقةِ في سبيلِ الله، وهو الأبْكَمُ، رواه إبراهيمُ بنُ يَعلَى بن مُنْيَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه مَثَلٌ ضَربَهُ اللهُ تعالى لنفسِه، وللوَثَنِ. فالوَثَنُ: هو الأَبْكَمُ، واللهُ تعالى: هو الآمِرُ بالعَدْلِ، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، وابنِ السَّائِبِ، ومُقاتِلٍ. **والرابع**: أنَّ المراد بالأبْكَم: أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، وبالذي يأمرُ بالعَدْلِ: حَمزَةُ، وعُثْمانُ بنُ عفّانَ، وعُثْمانُ بن مَظْعُونٍ، قاله عَطاءٌ. فيُخَرَّجُ على هذه الأقوال في معنى «مولاه» قولان: **أحدهما**: أنه مَولَىً حقيقةً، إذا قُلنا: إنه رجلٌ مِنَ الناسِ. **والثاني**: أنه بمعنى الوَليّ، إذا قلنا: إنه الصَّنَمُ، فالمعنى: وهو ثِقْلٌ على وَلِيّهِ الذي يَخدمُهُ ويُزيّنه.

ويُخَرَّجُ في معنى «أينما يُوجهه» قولان: إنْ قُلنا: إنه رجلٌ، فالمعنى: أينَمَا يُرسِلهُ. والتَّوجيهُ: الإرسَالُ في وَجْهٍ مِنَ الطريق. وإنْ قُلنا: إنه الصَّنَمُ، ففي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أينما يَدْعُوهُ، لا يُجيبُه، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أينَما تَوجَّه تأمِيلُه إيّاهُ ورَجاهُ له، لا يَأتِهِ ذلك بخيرٍ، فحُذِفَ التَّأميلُ، وخَلفَهُ الصَّنَمُ، كقوله: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[1] أي: على ألسنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما تُوَجّهْهُ» بالتاء على الخطابِ. فأمَّا قولُه: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإنْ قُلنا: هو رجلٌ، فإنَّما كان كذلك، لأنه لا يَفهَمُ ما يُقالُ له، ولا يُفهَمُ عنهُ، إمَّا لكُفرِهِ وجُحودِه، أو لِبَكَمٍ به. وإنْ قُلنا: إنه الصَّنمُ، فلِكَونه جَماداً. ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: هذا الأبْكَمُ ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومَنْ هو قادرٌ على التَّكلُّم، ناطِقٌ بالحقِّ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قد ذكرناه في آخِر (هُود)[2]، وسببُ نزول هذه الآيةِ أنَّ كفَّارَ مكَّةَ سألوا رسولَ الله ﷺ: متى السَّاعةُ؟ فنزلت هذه، قاله مُقاتِلٌ.

وقال ابنُ السَّائبِ: المُراد بالغَيبِ هاهنا: قيامُ السَّاعةِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يعني: القيامَة ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ واللَّمْحُ: النَّظَرُ بسُرعةٍ، والمعنى: إنَّ القيامة في سُرعةِ قيامِها وبَعْثِ الخلائقِ، كَلَمْحِ العينِ، لأنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[3]، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ قال مُقاتِلٌ: بل هو أسرَعُ. وقال الزَّجّاجُ: ليس المُرادُ أنَّ الساعة تأتي في أقربِ مِنْ لَمحِ البَصَرِ، ولكنه يَصِفُ سُرعةَ القُدرَةِ على الإتيانِ بها متى شاءَ.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ قرأ حَمزَةُ «إمِّهاتِكم» بكسرِ الألف والميم، وقرأ الكِسَائيُّ بكسرِ الألف وفتحِ الميم، والباقون بضمِّ الألف وفتحِ الميم، وكذلك في النور[4] والزمر[5]

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٤. (٢) سورة هود: ١٢٣. (٣) سورة البقرة: ١١٧.
(٤) سورة النور: ٦١. (٥) سورة الزمر: ٦.

والنجم[1]، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضم الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لفظه لفظُ الواحد، والمُرادُ به الجميع، وقد بيَّنَّا عِلَّةَ ذلك في أوَّلِ البقرة[2] والأفئِدَةُ: جمعُ فُؤادٍ. قال الزَّجَّاجُ: مثل غُرَاب وأَغْرِبَة، ولم يُجمع «فؤاد» على أكثر العَددِ، لم يَقُلْ فيه: «فِئدان» مثل غُراب وغِرْبان. وقال أبو عُبيدَةَ: وإنما جعل لهم السَّمعَ والأبصارَ والأفئدةَ قبل أنْ يُخرجَهُم. غير أنَّ العرب تُقدِّم وتُؤخر، وأنشد:

ضَـخْـمٌ تُـعَـلَّـقُ أَشْـنَـاقُ الـدِّيَـاتِ بِـهِ ... إذا الـمِـئُـونَ أُمِـرَّتْ فَـوْقَـهُ حَـمَـلا[3]

الشَّنَقُ: ما بين الفَريضَتَيْنِ. والمِئُون أعظمُ مِنَ الشَّنَقِ، فبدأ بالأقلِّ قبلَ الأعظَمِ.

قال المُفسِّرون: ومقصودُ الآية: أنَّ الله تعالى أَبَانَ نعمَةُ عليهم حيث أخرجَهُم جُهَّالاً بالأشياء، وخلَقَ لهم الآلاتِ التي يَتوصَّلُون بها إلى العِلْمِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو الهواء البعيد مِنَ الأرض.

قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما يُمْسِكُهنَّ عند قَبْضِ أجنِحَتهنَّ وبَسْطها أنْ يَقَعْنَ على الأرض إلاَّ اللهُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: ما يُمسِكُهنَّ أنْ يرسِلنَ الحجارةَ على شِرارِ هذه الأُمَّةِ، كما فُعِلَ بغيرِهم، إلاَّ اللهُ، قاله ابنُ السَّائِبِ.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ أي: مَوضِعاً تَسكُنون فيه، وفي المَساكِنِ المتَّخذةِ مِنَ الحَجرِ والمَدرِ تُستَرُ العوراتُ والحُرَمُ، وذلك أنَّ الله تعالى خَلَقَ الخشبَ والمَدرَ والآلةَ التي بها يمكن بناءُ البيت وتَسْقيفُه، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ وهي القِبابُ والخِيَمُ المُتَّخذةُ مِنَ الأدَمِ ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: يَخِفُّ عليكم حَمْلُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو «ظَعَنِكم» بفتحِ العينِ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ بتسكين العينِ، وهُما لُغتانِ، كالشَّعر والشَّعْر، والنَّهرِ والنَّهْرِ، والمعنى: إذا سَافرتُم، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ أي: لا تَثقُلُ عليكم في الحَالَين ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ يعني: الضَّأنَ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني: الإبلَ ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ يعني: المَعزَ ﴿أَثَاثًا﴾ قال الفرَّاءُ: الأثاثُ: المَتاعُ، لا

(١) سورة النجم: ٣٢. (٢) سورة البقرة: ٧.

(٣) البيت للأخطل كما في «ديوانه» ١٤٣، وذكره في «اللسان» مادة «شَنَق» وعنده «قَرْم» بدل «ضخم».

واحدَ له، كما أنَّ المَتاعَ لا واحدَ له. والعرب تقول: جمعُ المَتاع أمتِعَةٌ، ولو جمعتَ الأثاث، لَقُلتَ: ثَلاثةُ آثَّةٍ، وأُثُث: مثل أعِنَّة وعُنُن لا غيرَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الأَثاثُ: متاعُ البيت مِنَ الفُرُشِ والأكسِيَةِ. قال أبو زيدٍ: واحدُ الأثاثِ: أثاثةٌ. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: قد أَثَّ يَأُثُّ أَثّاً: إذا صار ذا أثاثٍ. ورُوي عن الخَليلِ أنه قال: أصلُه مِنَ الكثرة واجتماعِ بعضِ المَتاعِ إلى بعضٍ، ومنه: شَعَرٌ أثيثٌ.

فأما قوله: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ فقيلَ: إنما جمع بينه وبين الأَثاثِ، لاختلاف اللفظين. وفي قوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الموتُ، والمعنى: ينتفعون به إلى حينِ المَوتِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه إلى حينَ البِلَى، فالمعنى: إلى أن يَبْلَى ذلك الشيءُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ أي: ما يَقِيْكُم حرَّ الشمسِ، وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ظِلالُ الغَمام، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ظِلالُ البُيوتِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: ظِلالُ الشَّجرِ، قاله قَتادةُ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: ظِلالُ الشَّجرِ والجبالِ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والخامس**: أنه كلُّ شيءٍ له ظِلٌّ مِنْ حائطٍ وسَقفٍ وشَجرٍ وجبلٍ وغيرِ ذلك، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ أي: ما يَكُنُّكم مِنَ الحَرِّ والبَردِ، وهي الغِيْرانِ والأسرابُ. وواحدُ الأكنانِ «كِنٌّ»، وكلُّ شيءٍ وَقَى شيئاً وسَترهُ فهو «كِنٌّ». ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ وهي القُمُصُ ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يَقُلْ: البردَ، لأنَّ ما وَقَى مِنَ الحَرِّ، وَقَى مِنَ البَرْدِ. وأنشد:

وما أدري إذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يليني[1]

وقال الزجاج: إنما خص الحر لأنهم كانوا في مكاناتهم أكثر معاناة له من البرد. وهذا مذهب عطاء الخراساني.

قوله تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يريد الدُّروعَ التي يَتَّقون بها شِدَّةَ الطَّعْنِ والضَّرْبِ في الحربِ. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي: مِثلَما أنعَم اللهُ عليكم بهذه الأشياءِ، يُتِمُّ نعمتَهُ عليكم في الدنيا ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ والخِطابُ لأهل مكَّةَ، وكان أكثرُهم حِينَئذٍ كُفَّاراً، ولو قيل: إنه خطابٌ للمسلمين، فالمعنى: لعلَّكم تَدُومُونَ على الإسلام، وتَقُومونَ بحقِّهِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، وأبو رَجاء: «لعلكم تَسلَمون» بفتحِ التاء واللام، على معنى: لعلَّكُم إذا لَبستُمُ الدُّروعَ تَسلَمُون مِنَ الجِراحِ في الحربِ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرَضُوا عن الإيمَانِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وهذه عندَ المُفسِّرين مَنْسُوخةٌ بآيةِ السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ وفي هذه النِّعمَةِ قولان[2]:

أحدهما: أنها المَساكِنُ نِعَمُ الله عزَّ وجلَّ عليهم في الدنيا. وفي إنكارِها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يقولون: هذه وَرِثناها عن آبائِنا. روى ابنُ أبي نَجِيح عن مُجاهِدٍ قال: نِعَمُ الله المَساكنُ، والأنعامُ، وسَرابيلُ الثِّيابِ، والحَديدُ، يعرفُه كُفَّارُ قُريشٍ، ثم يُنكِرونَهُ بأنْ يقولوا: هذا كان لآبائنا

---

(١) البيت للمثقب العبدي وتقدم في الجزء الأول.

(٢) رجح الطبري رحمه الله القول الثاني ٧/ ٦٣٠.

وَرِثناهُ عنهم، وهذا عن مُجاهِدٍ. **والثاني**: أنهم يقولون: لَولا فُلانٌ، لَكانَ كذا، فهذا إنكارُهم، قاله عَونُ بنُ عبدِ اللهِ. **والثالث**: يَعرفون أنَّ النِّعَمَ مِنَ اللهِ، ولكنْ يقولون: هذه بشَفاعةِ آلهتِنا، قاله ابنُ السَّائبِ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ.

والثاني: أنَّ المراد بالنِّعمةِ هاهنا: محمَّدٌ ﷺ يعرفون أنه نَبيٌّ ثم يُكذِّبونَهُ، وهذا مَرويٌّ عن مُجاهِدٍ، والسُّدِّيِّ، والزَّجّاجِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال الحسَنُ: وجميعهم كُفَّارٌ، فذَكَرَ الأكثرَ، والمُراد به الجميعُ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: يومَ القيامةِ، وشاهدُ كُلِّ أُمَّةٍ نبيُّها يَشهَدُ عليها بتَصديقِها وتكذيبِها ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في الاعتِذارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلَبُ منهم أنْ يَرجِعوا إلى ما أمرَ اللهُ به لأنَّ الآخرةَ ليست بدارِ تكليفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشرَكُوا ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُؤخَّرون ولا يُمهَلُونَ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ يعني: الأصنامَ التي جعلوها شُركاءَ للهِ في العبادة، وذلك أنَّ اللهَ يَبعَثُ كلَّ مَعبُودٍ مِنْ دُونِه، فيقول المشركون: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟﴾ أي: نَعبُدُ مِنْ دُونِكَ.

فإنْ قيل: فهذا معلومٌ عندَ الله تعالى، فما فائدةُ قولِهم: «هؤلاء شركاؤنا»؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم لمَّا كَتَموا الشِّركَ في قولهم: واللهِ ما كُنَّا مُشركين، عَاقَبَهُم اللهُ تعالى بإصمَاتِ ألسِنَتِهم، وإنطَاقِ جَوارِحِهم، فقالوا عند مُعايَنةِ آلهتِهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ أي: قد أقرَرْنا بعدَ الجَحْدِ، وصَدَّقنا بعد الكَذِبِ، التِماساً للرَّحمةِ، وفِراراً مِنَ الغَضبِ، وكأنَّ هذا القولَ منهم على وَجْهِ الاعتِرافِ بالذَّنبِ، لا على وَجْهِ إعلامِ مَنْ لا يَعلَمُ.

والثاني: أنهم لمَّا عَايَنُوا عِظَمَ غضبِ الله تعالى قالوا: هَؤلاءِ شُركاؤنا، تقديرَ أنْ يعودَ عليهم مِنْ هذا القولِ رَوحٌ، وأنْ تلزَمَ الأصنامُ إجرامَهُم، أو بعضَ ذُنوبِهم إذْ كانوا يَدَّعون لها العَقلَ والتَّمييزَ، فأجابَتْهُمُ الأصنامُ بما حَسَمَ طَمعَهُم.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أجَابُوهم وقالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ قال الفَرَّاءُ: رَدَّتْ عليهم آلهتُهم قولَهم. وقال أبو عُبيدَةَ: «فألقوا»، أي: قالوا لَهُم. يُقالُ: ألقَيتُ إلى فُلانٍ كذا، أي: قُلتُ له. قال العلماءُ: كَذَّبُوهم في عبادَتِهم إيَّاهم، وذلك أنَّ الأصنام كانت جَماداً لا تعرفُ

عابدِيَها فظهرَتْ فَضِيحتُهم يومَئذٍ إذْ عَبَدُوا مَنْ لم يَعلَمْ بعبادَتِهم وذلك كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾[1]. قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ المعنى: أنهم استَسْلَمُوا له. وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثمَّ في معنى استِسْلاَمِهم قولان: أحدهما: أنهم استَسْلَموا له بالإقرارِ بتَوحيدِهِ ورُبوبيَّتِه. والثاني: أنهم استَسْلَمُوا لعذَابِه. **والثاني**: أنهم المشركون والأصنامُ كُلُّهم. قال الكَلبيُّ: والمعنى: أنهم استَسْلَمُوا للهِ مُنقَادِينَ لحُكْمِه.

قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بَطَلَ قولُهم أنها تَشفَعُ لهم. **والثاني**: ذهب عنهم ما زَيَّنَ لهم الشَّيطانُ أنَّ للهِ شَرِيكاً ووَلَداً.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مَنَعُوا النَّاسَ مِنْ طاعةِ الله والإيمانِ بمحمَّدٍ. قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ إنما نَكَّرَ العذابَ الأولَ، لأنه نوعٌ خاصٌّ لقوم بأعيَانِهم، وعَرَّفَ العذابَ الثاني، لأن العذابَ الذي يُعذَّبُ به أكثرُ أهلِ النارِ، فكأنَّ في شُهرَتِه بمنزلَةِ النارِ في قولِ القائلِ: نعوذُ باللهِ مِنَ النَّارِ، وقد قيلَ: إنما زِيدُوا هذا العذابَ على ما يَستحقُّونَهُ مِنْ عذابِهم، بِصَدِّهِم عن سبيل الله. وفي صِفَةِ هذا العذابِ الذي زِيدُوا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها عَقارِبُ كأمثالِ النَّخلِ الطُّوالِ، رواه مَسرُوقٌ عن ابنِ مسعودٍ. **والثاني**: أنها حيَّاتٌ كأمثالِ الفِيلَةِ، وعَقارِبُ كأمثالِ البِغَالِ، رواه زِرٌّ عن ابنِ مسعودٍ. **والثالث**: أنها خمسةُ أنهارٍ مِنْ صُفرٍ[2] مُذَابٍ تَسِيلُ مِنْ تحتِ العَرشِ يُعذَّبون بها، ثلاثةٌ على مِقدارِ الليل، واثنان على مِقدارِ النهارِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: أنه الزَّمهَرِيرُ، ذكره ابنُ الأنباري. قال الزَّجَّاجُ: يخرجون مِنْ حرّ الزَّمهرير، فيَتبادَرونَ مِنْ شدَّةِ بَرْدِهِ إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم قومُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أُمَّتُه قاله مُقاتِلٌ. وتَمَّ الكلامُ هاهُنا. ثم قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: التِّبْيَانُ: اسمٌ في معنى البَيَانِ. فأمَّا قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فقال العلماءُ بالمعاني: يعني: لكلِّ شيءٍ مِنْ أمورِ الدِّين، إمَّا بالنَّصِّ عليه، أو بالإحَالَةِ على ما يُوجِبُ العِلْمَ، مثلَ بيانِ رسولِ الله ﷺ أو إجماعِ المسلمين.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ

(١) سورة مريم: ٨٣.
(٢) في «اللسان»: الصُّفر: النحاس الجيد وقيل: ضرب من النحاس.

قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه شهادةُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه الحقُّ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه استِوَاءُ السَّريرَةِ والعَلانيةِ في العملِ للهِ تعالى، قاله سُفيَانُ بنُ عُيَينَةَ. **والرابع**: أنه القَضاءُ بالحقِّ، ذكره المَاوَردِي. قال أبو سُليمانَ: العَدْلُ في كلام العرب: الإنصَافُ، وأعظمُ الإنصَافِ: الاعتِرَافُ للمُنْعِمِ بنِعمَتِهِ. وفي المُرادِ بالإحسان خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه أداءُ الفَرائِضِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: العفو. رواه الضحاك عن ابن عباس. **والثالث**: الإخلاصُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنْ تعبدَ الله كأنَّكَ تراهُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنْ تكونَ السَّريرَةُ أحسَنَ مِنَ العَلانيَةِ، قاله سُفيانُ بنُ عُيينَةَ.

فأما قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فالمُراد به: صِلَةُ الأَرحَامِ.

وفي الفَحشَاءِ **قولان**: **أحدهما**: أنها الزِّنا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: المعاصي، قاله مُقاتِلٌ.

وفي (المُنْكَر) أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشِّركُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه ما لا يُعرَف في شَريعةٍ ولا سُنَّةٍ. **والثالث**: أنه ما وَعدَ اللهُ عليه النارَ، ذكرهما ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: أنْ تكون عَلانيَةُ الإنسان أحسَنَ مِنْ سَريرَتِهِ، قاله سُفيانُ بنُ عُيينَةَ.

فأمَّا (البَغْيُ) فقال ابنُ عباسٍ: هو الظُّلمُ، وقد سبق شَرحُهُ في مَواضِعَ.

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُؤَدِّبكُم، وقد ذكرنا معنى الوَعْظِ في سُورةِ النِّساء[2].

و ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى: تتَّعِظُونَ. قال ابنُ مسعودٍ: هذه الآيةُ أجمَعُ آيةٍ في القرآن لخيرٍ أو لشَرّ. وقال الحسَنُ: واللهِ ما تركَ العَدْلُ والإحسَانُ شيئاً مِنْ طاعةِ اللهِ إلاَّ جَمعَاهُ، ولا تَركَتِ الفحشاءُ والمُنكرُ والبَغيُ شيئاً مِنْ معصيةِ اللهِ إلاَّ جَمعُوهُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمَن نزلت على قولَين[3]: **أحدهما**: أنها نزلت في

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن»: الإحسان مصدر أحسن يحسن إحساناً، ويقال على معنيين، أحدهما: متعد بنفسه كقولك: أحسنت كذا، أي حسّنته وكملته، وهو منقول بالهمزة من حَسُن الشيء، وثانيهما: متعد بحرف جر، كقولك: أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ما ينتفع به.
قلت: وهو في الآية مراد بالمعنيين معاً، فإنه تعالى يحب من خلقه إحسان بعضهم إلى بعض، حتى أن الطائر في سجنك والسنّور في دارك لا ينبغي أن تقصر تعهده بإحسانك، وهو تعالى غني عن إحسانهم ومنه الإحسان والنعم والفضل والمنن.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/٦٣٦: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين، بعقود تكون بينهم بحق، مما لا يكرهه الله. وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ بنهيهم عن =

حِلْفِ أهلِ الجَاهليَّةِ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنها نزلت في الذين بايعوا رسولَ الله ﷺ. قال المُفسِّرون: العهدُ الذي يجبُ الوفاءُ به، هو الذي يَحسُنُ فِعلُه، فإذا عاهَدَ العبدُ عليه، وَجبَ الوفاءُ به، والوَعدُ مِنَ العَهْدِ ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد تَغليظِها وتشديدِها بالعَزْمِ والعَقْدِ على اليَمينِ، بخلافِ لَغْوِ اليَمينِ، ووَكَّدْتُ الشيءَ توكيداً، لُغةُ أهلِ الحجازِ. فأمَّا أهلُ نَجْدٍ، فيقولون: أكَّدْتُه تأكيداً. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: وَكَّدتُ الأمرَ، وأكَّدْتُ، لُغَتانِ جَيِّدتانِ، والأصلُ الواو، والهَمزةُ بَدلٌ منها. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: بالوَفاءِ، وذلك أنَّ مَنْ حلفَ باللهِ، فكأنه أكفَلَ اللهَ بالوَفاءِ بما حَلفَ عليه. وللمُفسِّرين في معنى «كفيلاً» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: شَهيداً، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: وَكِيلاً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: حفيظاً مُراعِياً لعَقْدِكم، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ قال مُجاهِدٌ: هذا فعلُ نساءِ أهلِ نَجْدٍ، تَنْقضُ إحدَاهُنَّ حَبْلَها، ثم تَنفشُهُ، ثم تَخلِطُهُ بالصُّوف فتَغْزِلهُ. وقال مُقاتِلٌ: هي امرأةٌ مِنْ قُريشٍ تُسمَّى «رَيطة» بنتَ عَمرِو بنِ كَعبٍ، كانت إذا غَزلَتْ، نَقَضَتْهُ. وقال ابنُ السَّائبِ: اسمُها «رَائِطة» وقالَ ابنُ الأنبَاري: اسمُها «رَيطة» بنتُ عَمرِو المريّة، ولقبُها الجعرَاءُ، وهي مِنْ أهلِ مكَّةَ، وكانت معروفةً عند المُخاطَبينَ، فعَرفُوهَا بوَصْفِها، ولم يكُنْ لها نَظيرٌ في فِعْلِها ذلك، كانت متناهيةَ الحُمْقِ، تَغزِلُ الغَزلَ مِنَ القُطنِ أو الصُّوفِ فتُحكِمُهُ، ثم تأمرُ جَاريَتَها بتَقْطِيعِهِ. وقال بعضُهم: كانت تَغزِلُ هي وجَوارِيها، ثم تأمُرهنَّ أنْ يَنقُضْنَ ما غَزلنَ، فضَربَها اللهُ مَثَلاً لِناقِضِي العَهْدِ. و «نقضت»، بمعنى: تَنْقُضُ، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[1] بمعنى: ويُنادي. وفي المُرادِ بالغَزْلِ قولان: **أحدهما**: أنه الغَزْلُ المعروفُ، سواءٌ كان مِنْ قُطنٍ أو صُوفٍ أو شَعرٍ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه الحَبْلُ، قاله مُجاهِدٌ. وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ قال قَتادَةُ: مِنْ بعدِ إبرَامٍ، وقوله: ﴿أَنكَٰثًا﴾ أي: أنقاضاً. قال ابنُ قُتَيبةَ: الأنكَاثُ: ما نُقِضَ مِنْ غَزلِ الشَّعْرِ وغيرِه. ووَاحِدُها: نِكْثٌ. يقول: لا تُؤكِّدوا على أنفُسِكم الأيمانَ والعُهودَ، ثم تَنقُضُوا ذلك وتَحنَثُوا فيه، فتكونوا كامرأةٍ غَزلَتْ ونسجَتْ، ثم نَقَضتْ ذلك النَّسجَ، فجعلَتْهُ أنكَاثاً.

قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ أي: دَغلاً، ومَكْراً، وخَديعَةً، وكلُّ شيءٍ دَخلَهُ عَيبٌ، فهو مَدخُولٌ، وفيه دَخَلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لأنْ تكونَ أُمَّةٌ، ﴿هِىَ أَرْبَىٰ﴾ أي: هي أغْنَى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: بأنْ تكونَ أُمَّةٌ هي أكثرُ، يُقالُ: رَبَا الشيءُ يَربُو: إذا كَثُرَ. قال ابنُ الأنبَاري: قال اللغويون: «أربى»: أزْيَد عَدداً. قال مُجاهِدٌ: كانوا يُحالفُون الحُلفاءَ فيَجِدونَ أكثرَ منهم

= نقض بيعتهم حذراً من قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلة عددهم في آخرين لكثرة عددهم. وجائز أن تكون في غير ذلك، ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عُني بها، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عاماً في كل ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه.

(١) سورة الأعراف: ٤٤

وأعزّ، فينقُضونَ حِلْفَ هؤلاءِ ويُحالِفون أولئكَ، فَنُهوا عن ذلك! وقال الفَرَّاءُ: المعنى: لا تَغْدِرُوا بقومٍ لِقِلَّتِهم وكَثْرَتِكُم، أو قِلَّتِكُم وكَثْرَتِهم وقد غَرَّرتُموهُم بالأيمانِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ في هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الكَثْرَةِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ، فيكون المعنى: إنما يَختبِرُكم اللَّهُ بالكَثْرَةِ، فإذا كان بين قومَيْنِ عَهدٌ فكَثُرَ أحدُهما، فلا ينبغي أنْ يَفسَخَ الذي بينه وبينَ الأقلِّ. فإنْ قيلَ: إذا كَنَّى عن الكَثْرَةِ، فهَلاَّ قيلَ بها؟ فقد أجابَ عنه ابنُ الأنباري. بأنَّ الكثرة ليس تأنيثُها حقيقياً، فحُمِلَتْ على معنى التَّذكيرِ، كما حُمِلَتِ الصَّيحةُ على معنى الصِّياحِ. **والثاني**: أنها تَرجِعُ إلى العَهدِ، فإنَّه لدلالةِ الأيمَانِ عليه، يجري مَجرَى المُظْهَرِ، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنها ترجع إلى الأمرِ بالوَفاءِ، ذكره بعضُ المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قد فسَّرناه في آخرِ هُود[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ صريحٌ في تكذيبِ القَدَريَّةِ، حيثُ أضافَ الإضلالَ والهِدايةَ إليه، وعَلَّقَهُما بمَشيئتِه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا﴾ هذا استِئنافٌ للنَّهي عن أيمَانِ الخديعَةِ. ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هذا مَثَلٌ يُقالُ لكلِّ مُبتَلًى بعدَ عافيةٍ، أو ساقطٍ في وَرْطَةٍ بعد سلامةٍ: زَلَّتْ به قَدَمُه. قال مُقاتِلٌ: ناقِضُ العَهدِ يَزِلُّ في دِينِه كما تَزِلُّ قَدَمُ الرَّجُل بعد الاستِقامَةِ. قال المُفسِّرون: وهذا نَهيٌ للذين بايعوا رسولَ الله ﷺ على الإسلام ونُصرةِ الدِّين عن نَقْضِ العَهدِ، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني: العقوبة ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يريد أنهم إذا نقضوا عهدَهم مع رسولِ الله ﷺ، صَدُّوا الناسَ عن الإسلام، فاستَحقُّوا العذابَ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة. ثم أكَّد ذلك بقولِه: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

[٨٦٥] قال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: نزلت في رَجُلين اختَصَما إلى رسولِ الله ﷺ في أرضٍ، يُقال لأحدِهما: «عِيدانُ بنُ أشوعَ» وهو صاحبُ الأرض، وللآخر: «امرُؤ القَيْس» وهو المُدَّعَى عليه، فهَمَّ امرُؤ القَيْسِ أنْ يَحلِفَ، فأخَّرهُ رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

---

[٨٦٥] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراويةُ أبي صالح هو الكلبي، وتقدم أن هذا إسناد ساقط، وتقدم في سورة النساء بسياق آخر صحيح، فالخبر بذكر نزول هذه الآية، ليس له أصل.

---

(١) عند الآية: ١١٨.

وذكر أبو بكرٍ الخطيبُ أنَّ اسمَ صاحبِ الأرضِ «رَبيعةُ بنُ عَبْدانَ»، وقيل: «عَيدَان»، بفتح العين وياءٍ معجمةٍ باثنتَيْنِ. ومعنى الآية: لا تَنْقُضوا عُهودَكُم، تطلُبون بنَقْضِها عَرَضاً يسيراً مِنَ الدنيا، إنَّ ما عندَ الله مِنَ الثَّوابِ على الوفاءِ هو خيرٌ لكم مِنَ العَاجِلِ. ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي: يَفْنَى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿بَاقٍ﴾ وَقَفَ بالياء ابنُ كَثيرٍ في روايةٍ عنه، ولا خلافَ في حَذْفِها في الوَصْلِ. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «ولَيَجْزِيَنَّ» بالياء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصِمٌ «ولنجْزِيَنّ» بالنُّون. ولم يختلفوا في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ أنها بالنون، ومعنى هذه الآيةِ: وَلَيَجْزِيَنَّ الذين صَبَرُوا على أمرِهِ أَجْرَهُم بأحسنَ ما كانوا يعملون في الدُّنيا، ويتجاوزُ عن سيِّئاتِهِم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في سبب نُزولها قولان: **أحدهما**: أنَّ امرأَ القَيْسِ المُتقدِّمَ ذِكرُه أقرَّ بالحقِّ الذي كان هَمَّ أنْ يَحلِفَ عليه، فنزلت فيه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾، وهو إقرارُه بالحقِّ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ ناساً مِنْ أهل التَّوراةِ وأهلِ الإنْجيلِ وأهلِ الأوثَانِ جلسوا فتفاضَلُوا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ اختلفوا أينَ تكونُ هذه الحياةُ الطَّيِّبةُ على ثلاثةِ أقوالٍ:

أحدها: أنها في الدنيا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. ثم فيها للمُفسِّرين تسعةُ أقوالٍ[1]: أحدها: أنها القَناعةُ، قاله عليٌّ عليه السَّلامَ، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، والحسَنُ في روايةٍ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. والثاني: أنها الرِّزقُ الحَلالُ، رواه أبو مالكٍ عن ابنِ عباسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: يأكلُ حَلالاً ويَلبَسُ حَلالاً. والثالث: أنها السعادةُ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. والرابع: أنها الطَّاعةُ، قاله عِكرِمَةُ. والخامس: أنها رِزقُ يوم بيوم، قاله قَتادَةُ. والسادس: أنها الرِّزقُ الطيِّبُ، والعملُ الصالحُ، قاله إسماعيلُ بنُ أبي خَالدٍ. والسابع: أنها حلاوةُ الطَّاعةِ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. والثامن: العَافيةُ والكِفايةُ. والتاسع: الرِّضى بالقَضاءِ، ذكرهما المَاوَردِي. **والثاني**: أنها في الآخرة، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ، وذلك إنما يكون في الجنَّةِ. **والثالث**: أنها في القَبْرِ، رواه أبو غَسَّان عن شريكٍ.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٦٤٣: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنّ المعنى: فإذا أردتَ القراءةَ فاستعِذْ، ومِثلُه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾[١] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[٢] وقوله: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[٣]. ومِثلُه في الكلام: إذا أكلتَ، فقُلْ بسم اللهِ، هذا قولُ عامَّةِ العلماء واللغويين. **والثاني**: أنه على ظاهِرِه، وأنّ الاستعاذةَ بعد القراءةِ، رُوي عن أبي هُريرَةَ، وداودَ[٤]. **والثالث**: أنه مِنَ المُقدَّمِ والمُؤخَّرِ، فالمعنى: فإذا استعذْتَ باللهِ فاقرأْ، قاله أبو حَاتمٍ السِّجِسْتَانِي، والأولُ أصحُّ.

فصل: والاستعاذةُ عند القراءة سُنَّةٌ في الصلاة وغيرها. وفي صِفَتِها عن أحمدَ رِوايتان:

إحداهما: أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم، إنَّ اللَّهَ هو السَّميعُ العَليمُ، رَواها أبو بكرٍ المَرْوَزِيُّ. **والثانية**: أعوذُ باللهِ السَّميعِ العَليمِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم، إنَّ اللَّهَ هو السَّميعُ العَليمُ، رواها حَنْبَلٌ. وقد بيَّنَّا معنى «أعوذُ» في أوَّلِ الكتابِ، وشَرحنا اشتِقاقَ الشَّيطَانِ في البقرة[٥] والرَّجيمِ في آلِ عِمرانَ[٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في المُرادِ بالسُّلطانِ قولان[٧]: **أحدهما**: أنه التَّسلُّطُ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: ليس له عليهم سُلطانٌ بحَالٍ، لأنَّ الله صَرفَ سُلطانَهُ عنهُم بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[٨]. والثاني: ليس له عليهم سُلطانٌ، لاستِعاذَتِهم منهُ. والثالث: ليس له قُدرَةٌ على أنْ يَحمِلَهُم على ذَنْبٍ لا يُغفَرُ. **والثاني**: أنه الحُجَّةُ. فالمعنى: ليس له حُجَّةٌ على ما يَدعُوهم إليه مِنَ المعاصي، قاله مُجاهِدٌ. فأما قوله: ﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ معناه: يُطِيعونَهُ. وفي هاءِ الكِنايَةِ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها تَرجِعُ إلى اللَّهِ تعالى، قاله مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها تَرجِعُ إلى الشَّيطانِ، فالمعنى: الذين هُمْ مِنْ أَجلِهِ مُشركون باللَّهِ، وهذا كما يُقال: صَارَ فُلانٌ بكَ عَالِماً، أي: مِنْ أجلِكَ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ. وقال ابنُ الأنباري: المعنى: والذين هم بإشراكِهم إبليسَ في العبادةِ، مُشركونَ باللَّهِ تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾.

[٨٦٦] سببُ نُزولِها أنَّ اللَّهَ تعالى كان يُنَزِّلُ الآيةَ، فيُعمَلَ بها مُدَّةً، ثم يَنْسَخُها، فقال كفَّارُ قُريشٍ: واللَّهِ ما محمَّدٌ إلاَّ يَسخَرُ مِنْ أصحابه، يأمرُهم اليومَ بأمرٍ، ويأتيهم غداً بما هو أَهونُ عليهم منه،

---

[٨٦٦] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهذه رواية ساقطة. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٦٥، دون عزوٍ لقائل. والخبر باطل لا أصل له، وهل علم كفار قريش بالناسخ والمنسوخ أيضاً؟!!

---

(١) سورة المائدة: ٦. (٢) سورة الأحزاب: ٥٣. (٣) سورة المجادلة: ١٢.

(٤) داود هو ابن علي الظاهري. (٥) عند الآية: ١٤. (٦) عند الآية: ٣٦.

(٧) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٦٤٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة **﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾** على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه.

(٨) سورة الحجر: ٤٢.

فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

والمعنى: إذا نَسَخْنا آيةً بآيةٍ، إمَّا نُسِخَ الحُكمُ والتِّلاوةُ، أو نُسِخَ الحُكْمُ مع بقاء التِّلاوةِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ مِنْ ناسِخٍ ومَنْسُوخٍ، وتشديدٍ وتخفيفٍ، فهو عليمٌ بالمَصلَحةِ في ذلك ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ أي: كاذبٌ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يعلمون أنَّ اللَّهَ أنزَلَهُ. **والثاني**: لا يعلمون فائدَةَ النَّسْخِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ يعني: جِبريلَ. وقد شرحنا هذا الاسمَ في البَقرةِ[1]. وقوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أي: مِنْ كلامِه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالأمرِ الصَّحيحِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بما فيه مِنَ البَيِّناتِ فيَزدادُوا يقيناً.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ يعني: قُريشاً ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ أي: آدميٌّ، وما هو مِنَ عندِ اللَّهِ. وفيمَن أرادُوا بهذا البَشرِ تسعةُ أقوالٍ:

[٨٦٧] **أحدها**: أنه كان لبَني المُغيرَةِ غُلامٌ يُقالُ له: يعيش، يقرأ التَّوراةَ، فقالوا: منه يتعلَّمُ محمَّدٌ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. وقال عِكرمَةُ في روايةٍ: كان هذا الغلامُ لبَني عامرِ بنِ لُؤيٍّ، وكان رُوميًا.

[٨٦٨] **والثاني**: أنه فتًى كان بمكَّةَ يسمى بَلْعَام وكان نصرانياً أعجَميًا، وكان رسولُ الله ﷺ يُعلِّمه، فلمَّا رأى المشركون دخولَهُ إليه وخُروجَهُ، قالوا ذلك، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

[٨٦٩] **والثالث**: أنه نزلت في كاتبٍ كان يكتُبُ لرسولِ الله ﷺ، فيُملِي عليه «سميع عليم» فيكتبُ هو «عزيز حكيم» أو نحو هذا، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أيَّ ذلك كَتَبْتَ فهو كذلكَ»، فافتُتِنَ، وقال: إنَّ محمَّداً يَكِلُ ذلك إليَّ فأكتبُ ما شِئْتُ، رُوي عن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ.

[٨٧٠] **والرابع**: أنه غلامٌ أعجَميٌّ لامرأةٍ مِنْ قُريشٍ يُقالُ له: جابر، وكان جابرُ يأتي

---

[٨٦٧] مرسل. أخرجه الطبري ٢١٩٣٤ عن عكرمة مرسلاً، وورد من مرسل قتادة برقم ٢١٩٣٥. وعزاه المصنف لعكرمة عن ابن عباس أيضاً، ولم أره عن ابن عباس من طريقة عكرمة. وانظر ما بعده.

[٨٦٨] ضعيف. أخرجه الطبري ٢١٩٣٣ من حديث ابن عباس، وضعّفه السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٤٧.
ـ وعلّته مسلم بن كيسان أبو عبد الله الملائي، فقد ضعفه الجمهور.

[٨٦٩] أخرجه الطبري ٢١٩٤٣ عن سعيد بن المسيب مرسلاً. والمشهور في هذا السياق ما يأتي في مطلع سورة «المؤمنون».

[٨٧٠] هو مرسل، وانظر ما يأتي.

---

(١) سورة البقرة: ٨٧.

رسولَ الله ﷺ فيَتعلَّمُ منه، فقال المشركون: إنما يتعلَّمُ محمَّدٌ مِنْ هذا، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ.

[٨٧١] **والخامس**: أنهم عَنَوا سَلمانَ الفَارسيَّ، قاله الضَّحَّاكُ؛ وفيه بُعْدٌ مِنْ جهة أنَّ سَلمانَ أسلَمَ بالمَدينةِ، وهذه الآية مكِّيَّةٌ.

[٨٧٢] **والسادس**: أنهم عَنَوا به رجلاً حَدَّاداً كان يُقال له: يحُنّس النَّصراني، قاله ابنُ زيدٍ.

[٨٧٣] **والسابع**: أنهم عَنَوا به غُلاماً لعَامرِ بنِ الحَضْرَميّ، وكان يَهوديًا أعجميًا، واسمُه «يَسارُ»، ويُكنَى أبا فُكَيهَة، قاله مُقاتِلٌ. وقد رُوي عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ نحو هذا، إلاَّ أنه لم يَقُلْ: إنه كان يهوديًا.

[٨٧٤] **والثامن**: أنهم عَنَوا غُلاماً أعجميًا اسمُه عَايش، وكان مَملُوكاً لحُوَيطِبٍ، وكان قد أسلَمَ، قاله الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

[٨٧٥] **والتاسع**: أنهما رَجُلان، قال عبدُ الله بنُ مُسلِمِ الحَضْرَميّ: كان لنا عَبْدَان مِنْ أهل عَيْنِ التَّمرِ، يُقال لأحدهما: «يَسَار» وللآخرِ «جَبر» وكانا يَصنعان السُّيوف بمكَّةَ، ويَقرآن الإنجيلَ، فرُبَّما مرَّ بهما النبيُّ ﷺ وهما يقرآن، فيَقفُ يستَمعُ، فقال المشركون: إنما يتَعلَّمُ منهما. قال ابنُ الأنباري؛ فعلى هذا القولِ، يكون البَشَرُ واقعاً على اثنين، والبَشَرُ مِنْ أسماءِ الأجناسِ، يُعَبَّرُ عن اثنين، كما يُعبَّرُ «أحد» عن الاثنين والجميع، والمُذكَّرِ والمُؤنَّثِ.

قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: «يُلحِدون» بضمِّ الياءِ وكسرِ الحاءِ، وقرأ حَمزَةُ والكِسَائيُّ: «يَلحَدون» بفتح الياءِ والحاءِ. فأمَّا القراءةُ الأولى، فقال ابنُ قُتَيبةَ: «يُلحِدون» أي: يَمِيلُونَ إليه، ويَزعمُونَ أنه يُعلِّمه، وأصلُ الإلحَادِ المَيلُ. وقال الفَرَّاءُ: «يُلحِدون» بضمِّ الياءِ: يَعترِضُونَ، ومنه قوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ أي: باعتِرَاضٍ، و «يَلحَدون» بفتح الياءِ: يَمِيلُونَ. وقال الزَّجَّاجُ: يَلحَدُونَ إليه، أي: يُمِيلُونَ القولَ فيه أنه أعجميٌّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: لا يَكادُ عَوامُّ الناسِ يُفرِّقون بين العَجميِّ والأعجمي، والعَربيِّ والأعرَابي، فالأعجميُّ: الذي لا يُفصِحُ وإنْ كان نازلاً بالبادية، والعَجَميُّ: منسوبٌ إلى العَجَم وإنْ كان فصيحاً؛ والأعرَابيُّ: هو البَدويُّ، والعربيُّ: مَنسُوبٌ إلى العربِ وإنْ لم يَكُنْ بدويًا. قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ﴾ يعني: القرآن، ﴿عَرَبِىٌّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أنَّ صاحبَهُ يتكلَّمُ بالعربية. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِى ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: الذين إذا رَأوا الآياتِ التي لا يَقدِرُ عليها إلاَّ

---

[٨٧١] باطل. أخرجه الطبري ٢١٩٤١ عن الضحاك مرسلاً، فهذه علة، وله علّة ثانية، فيه راوٍ لم يسم، وله علة ثالثة، وهي كون السورة مكية، وسلمان كان في المدينة. وكذا ضعف هذا القول ابن كثير في «التفسير».

[٨٧٢] هذا معضل، وابن زيد واسمه عبد الرحمن ضعيف متروك إذا وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟!

[٨٧٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم.

[٨٧٤] عزاه المصنف للفراء والزجاج، ولم أر من أسنده.

[٨٧٥] مرسل. أخرجه الطبري ٢١٩٣٨ و ٢١٩٣٩ و ٢١٩٤٠ والواحدي في «الأسباب» ٥٦٦ عن عبد الله بن مسلم الحضرمي مرسلاً، فهو ضعيف. وله شاهد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢١٩٤٢.

ـ الخلاصة: هذه الروايات جميعاً ضعيفة، لا يحتج بشيء منها بمفرده. لكن تعدد هذه الروايات مع اختلاف مخارجها يدل على صحة أصل هذه الأخبار مع ضعف تعيين ذاك الرجل الذي يقصده المشركون في ذلك.

اللَّهُ، كذَّبوا بها، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ أي: أنَّ الكَذبَ نعتٌ لازمٌ لهم، وعادةٌ مِنْ عاداتِهم، وهذا رَدٌّ عليهم إذْ قالوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍۭ﴾(١). وهذه الآيةُ مِنْ أبلَغِ الزَّجْرِ عن الكَذِبِ، لأنه خُصَّ به مَنْ لا يُؤمِنُ.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾. قال مُقاتِلٌ:

[٨٧٦] نزلت في عبدِ اللهِ بن سَعْدِ بنِ أبي سَرْحِ القُرَشي، ومِقْيَس بنِ صُبَابَةَ، وعبدِ اللهِ بنِ أنسِ بنِ خَطَلٍ، وطُعْمَة بن أُبَيْرِقٍ، وقَيسِ بنِ الوليدِ بنِ المُغيرَةِ، وقيسِ بن الفاكِه المَخزُومي.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فاختلفوا فيمَن نزلَ على أربعةِ أقوالٍ:

[٨٧٧] **أحدها**: أنه نَزل في عمَّارِ بنِ ياسرٍ، أخذه المشركون فعَذَّبوه، فأعطاهُم ما أرادوا بلسانِه، رواه مُجاهِدٌ عن ابن عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ.

[٨٧٨] **والثاني**: أنه لمَّا نَزلَ قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إلى آخرِ الآيتَين اللتَين

---

[٨٧٦] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان إن أطلق، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر باطل، وقد تفرّد به.

[٨٧٧] حسن، أخرجه الطبري ٢١٩٤٤ عن ابن عباس في قوله **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**... إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فحدثه بالذي لقي من قريش والذي قال. فأنزل الله تعالى ذكره عذره **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه.....﴾** إلى قوله **﴿ولهم عذاب عظيم﴾**. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٤٠ عن مجاهد مرسلاً.
وله شاهد عند الحاكم ٢/ ٣٥٧، وعبد الرزاق في تفسيره ١٥٠٩، والطبري ٢١٩٤٦ من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه. وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، مع أن مداره على محمد بن عمار بن ياسر، وهو مقبول، ولم يروِ له الشيخان، لكن أصل الخبر محفوظ، فقد أخرجه الطبري ٢١٩٤٧ عن أبي مالك مرسلاً. وله شاهد من مرسل قتادة: أخرجه الطبري ٢١٩٤٤. الخلاصة: هذه الروايات تتأيد بمجموعها، وله شواهد أخرى أوردها السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٤٩.

[٨٧٨] حسن. أخرجه الطبري ٢١٩٥٣ بإسناد حسن عن ابن عباس. وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٢١٩٥٢. وله شاهد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢١٩٥٠ و ٢١٩٥١.

---

(١) سورة النحل: ١٠١.

في سُورةِ النِّساء[1]، كتب بها المسلمون الذين بالمَدينة إلى مَنْ كان بمكّة، فخرج ناسٌ ممَّنْ أقرَّ بالإسلام، فاتَّبعهم المشركون، فأدركُوهم، فأكرهُوهم حتى أعطَوا الفِتْنَةَ، فنَزَلَ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ.

[٨٧٩] **والثالث**: أنه نَزلَ في عيّاش بنِ أبي رَبيعةَ، كان قد هاجر فحَلفَتْ أُمُّهُ ألاَّ تستظِلَّ ولا تشبعَ مِنْ طعامٍ حتى يرجعَ، فرجعَ إليها، فأكرَهَهُ المشركون حتى أعطَاهُم بعضَ ما يُريدون، قاله ابنُ سِيْرِينَ.

[٨٨٠] **والرابع**: أنه نزلَ في جَبرٍ، غُلامِ ابنِ الحَضرَمي، كان يهوديًا فأسلمَ، فضربَهُ سيِّدُه حتى رجعَ إلى اليَهوديةِ، قاله مُقاتِلٌ.

وأمّا قولُه: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فقال مُقاتِلٌ: هم النَّفَرُ المُسَمَّوْن في أوَّلِ الآيةِ.

فأمّا التَّفسير، فاختلف النُّحاة في قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ فقال الكوفيون: جوابُهما جميعاً في قوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾، فقال البَصريُّون: بل قولُه: ﴿مَن كَفَرَ﴾ مرفوعٌ بالرَّدِّ على ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. قال ابنُ الأنباري: ويجوز أنْ يكون خبرُ ﴿مَن كَفَرَ﴾ محذوفاً، لوضوحِ معناهُ، تقديرُه: مَنْ كَفرَ باللهِ، فاللهُ عليهِ غَضبانُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: ساكِنٌ إليه رَاضٍ به. ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ قال قَتادَةُ: مَنْ أتاهُ بإيثارٍ واختيارٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: مَنْ فتحَ له صَدرَهُ بالقَبولِ. وقال أبو عُبيدَةَ: المعنى: مَنْ تابعَتْهُ نَفسُهُ، وانبسَطَ إلى ذلك، يُقال: ما يَنشرِحُ صَدْرِي بذلك، أي: ما يَطيبُ: وجاءَ قولُه: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ على معنى الجميعِ، لأنَّ «مَنْ» تقعُ على الجميعِ.

فصل: الإكراهُ على كلمةِ الكُفرِ يُبيحُ النُّطقَ بها. وفي الإكراهِ المُبيحِ لذلك عن أحمدَ رِوايتان[2]: **إحداهما**: أنه يَخافُ على نفسِه أو على بعضِ أعضَائِه التَّلَفَ إنْ لم يفعل ما أُمِرَ به. **والثانية**: أنَّ التَّخويفَ لا يكون إكراهاً حتى يُنالَ بعذابٍ. وإذا ثَبَتَ جوازُ «التَّقِيَّة» فالأفضلُ ألاّ يفعلَ، نصَّ عليه أحمدُ، في أسِيرٍ خُيِّرَ بين القَتْلِ وشُربِ الخمرِ، فقال: إنْ صبرَ على القَتْلِ فلهُ الشَّرفُ، وإنْ لم يَصْبِرْ، فله الرُّخصَةُ، فظاهرُ هذا، الجَوازُ. وروى عنه الأثْرَمُ أنه سُئِلَ عن التَّقيَّةِ في شُربِ الخمرِ فقال: إنما

---

[٨٧٩] عزاه السيوطي في «الدر» ٤/ ٥٤٩ لابن أبي حاتم عن ابن سيرين لكن ذكره مختصراً، وهو غير صحيح، وما قبله هو الراجح، وكذا حديث عمار، هو أشهر وأصح حديث في الباب.

[٨٨٠] باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو ابن سليمان حيث أطلق، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) سورة النساء: ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) في «المغني» ١٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤: من أكره على الكفر، فأتى بكلمة الكفر لم يصر كافراً وبهذا قال مالك وأبو حنيفة والشافعي. وقد قال النبي عليه السلام: «عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». ولأنه قول أكره عليه بغير حق فلم يثبت حكمه. لكن من الأفضل له أن يصبر ولا يقولها وإن أتى ذلك على نفسه لما روى خبّاب عن رسول الله ﷺ قال: «إن كان الرّجل من قَبْلِكُم ليحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بمنشار، فيوضع على شق رأسه، ويُشَقُّ باثنين، ما يمنعه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم ما يصرفه ذلك عن دينه».

التَّقِيَّةُ في القولِ. فظاهرُ هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأمَّا إذا أُكرِهَ على الزِّنا، لم يَجُزْ له الفعلُ، ولم يَصِحَّ إكراهُه، نصَّ عليه أحمدُ. فإن أُكرِهَ على الطَّلاقِ، لم يقع طلاقُه، نصَّ عليه أحمدُ، وهو قولُ مالكٍ، والشَّافعيِّ. وقال أبو حنيفةَ: يقعُ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ في المُشارِ إليه بذلك قولان:

أحدهما: أنه الغَضبُ والعذابُ، قاله مُقاتِلٌ.

والثاني: أنه شَرحُ الصَّدْرِ للكُفرِ. و «استحبُّوا» بمعنى: أحبُّوا الدنيا واختارُوهَا على الآخرَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: وبأن اللَّهَ لا يُريد هِدايتَهم. وما بعدَ هذا قد سبقَ شرحُه[1] إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: الغافلون عمَّا يُراد بهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عن الآخرة، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شَرحناها في هُود[2]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[٨٨١] **أحدها**: أنها نزلت فيمَن كان يُفْتَنُ بمكَّةَ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٨٢] **والثاني**: أنَّ قوماً مِنَ المسلمين خرجوا للهجرة، فلَحِقَهُمُ المشركون فأعطَوهم الفِتْنَةَ، فنزل فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾[3] فكتبَ المسلمون إليهم بذلكَ، فخرجوا، وأدركَهُمُ المشركون فقاتَلُوهم حتى نَجا مَنْ نَجا، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، فنزلت فيهم هذه الآيةُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٨٣] **والثالث**: أنها نزلت في عبدِ الله بنِ سَعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، كان الشيطانُ قد أَزَلَّهُ حتى لَحِقَ بالكفار، فأمرَ به رسولُ الله ﷺ أن يُقتلَ يومَ الفتح، فاستجارَ له عُثمانُ بنُ عَفَّانَ، فأجارَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ، والحسَنِ، وعِكرمَةَ، وفيه بُعدٌ، لأنَّ المُشَارَ إليه وإنْ كان قد عادَ إلى الإسلامِ، فإنَّ الهجرةَ انقطعَتْ بالفَتْحِ.

والرابع: أنها نزلت في عَيَّاشِ بن أبي رَبيعةَ، وأبي جندَلِ بنِ سُهيلِ بنِ عمرٍو، وعبدِ اللهِ بنِ أسيدٍ الثَّقفي، قاله مُقاتِلٌ.

فأمَّا قولُه تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ﴾ فقرأ الأكثرون: «فُتنوا» بضمِّ الفاء وكسرِ التاء، على معنى: مِنْ بعد ما فَتَنَهُمُ المشركون عن دِينِهم. قال ابنُ عباسٍ: فُتِنُوا بمعنى: عُذِّبوا. وقرأ عبدُ الله بنُ عامرٍ:

---

[٨٨١] تقدم قبل قليل، ويدل عليه ما بعده.

[٨٨٢] أخرجه الطبري ٢١٩٥٣ من رواية عكرمة عن ابن عباس بنحوه، وتقدم قبل قليل.

[٨٨٣] أخرجه الطبري ٢١٩٥٥ عن عكرمة والحسن مرسلاً، وهو ضعيف بذكر نزول الآية فيه، وأما استشفاع عثمان له وإعلان إسلامه فصحيح، ولعله يأتي.

---

(١) انظر سورة البقرة: ٧، والنساء: ١٥٥، والمائدة: ٦٧.

(٢) سورة هود: ٢٢. (٣) العنكبوت: ١٠.

«فَتَنوا» بفتح الفاء والتاء، على معنى: مِنْ بعدِ ما فَتَنُوا الناسَ عن دِيْنِ الله، يُشير إلى مَنْ أسلَمَ مِنَ المشركين. وقال أبو عليٍّ: مِنْ بعدِمَا فتنُوا أنفسَهم بإظهارِ ما أظهَرُوا للتَّقيَّة، لأنَّ الرُّخصةَ لم تكُن نزلت بعدُ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟﴾ أي: قاتَلوا مع رسولِ الله ﷺ ﴿وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الدِّينِ والجهادِ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ في المَكْنيِّ عنها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الفِتْنةُ، وهو مذهبُ مُقاتِلٍ. **والثاني**: الفَعلَةُ التي فعلُوها، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: المُجاهدَةُ، والمُهاجرَةُ، والصَّبرُ. **والرابع**: المُهاجرَةُ. ذكرهما واللَّذين قبلَهما ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على أحدِ شيئين، إمَّا على معنى: إنَّ ربَّكَ لَغفورٌ يومَ تأتي، وإمَّا على معنى: اذكُرْ يومَ تأتي. ومعنى ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي: عنها. والمُراد: أنَّ كلَّ إنسانٍ يُجادلُ عن نَفْسِه. وقد رُوي عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ أنه قال لكَعْبِ الأحبَارِ: يا كَعبُ خَوِّفنا، فقال: إنَّ لجهنَّمَ زَفْرةً ما يبقى مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ إلاَّ وقعَ جاثِياً على رُكبَتيه، حتى إنَّ إبراهيمَ خليلَ الرَّحمنِ لَيُدْلي بالخُلَّةِ فيقول: يا ربِّ أنا خَليلُكَ إبراهيمُ، لا أسألُكَ إلاَّ نفسِي، وإنَّ تصديقَ ذلك في كتابِ الله: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾. وقد شرحنا معنى «الجِدَالِ» في هُود[1].

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ في هذه القريةِ قولان:

أحدهما: أنها مكَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والجمهورُ، وهو الصَّحيحُ.

والثاني: أنها قريةٌ أوسَعَ اللهُ على أهلها حتى كانوا يستَنْجُونَ بالخُبْزِ، فبعثَ اللهُ عليهم الجُوعَ حتى كانوا يأكلون ما يَقعُدُون، قاله الحَسنُ. فأمَّا ما يُروى عن حَفصَةَ أنها قالت: هي المَدينةُ، فذلك على سبيلِ التَّمثيلِ، لا على وَجْهِ التَّفسيرِ، وبيانُه: ما روى سُلَيْمُ بنُ عِترٍ[2]، قال: صَدَرنا مِنَ الحَجِّ مع حَفْصَة، وعُثمانُ مَحصُورٌ بالمَدينةِ، فرأَتْ رَاكِبَينِ فسأَلَتْهُما عنه، فقالا: قُتِلَ، فقالت: والذي نَفْسِي بيدِهِ إنها لَلقريةُ، تعني المَدينةَ التي قال الله تعالى في كتابهِ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾، تعني حَفْصَةُ: أنها كانت على قانونِ الاستِقامَةِ في أيَّامِ النبيِّ ﷺ، وأبي بكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهما، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ عند قَتْلِ عُثمانَ رضي الله عنه. ومعنى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ أي: ذاتَ أمْنٍ يأمَنُ فيها أهلُها أنْ يُغارَ عليهم، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ أي: ساكنةً بأهلها لا يحتاجون إلى الانتِقَالِ عنها لخوفٍ أو ضِيقٍ. وقد شرحنا معنى الرَّغَدِ في البقرة[3].

وقوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يُجلَبُ إليها مِنْ كلِّ بلدٍ وذلك كلُّه بدعوةِ إبراهيمَ عليه السلام، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ بتكذيبهم رسولَ الله ﷺ. وفي واحدِ الأنْعُم قولان: **أحدهما**: أنَّ واحدَها «نُعْمٌ» قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: «نِعْمة» قاله الزَّجَّاجُ: قال ابنُ قُتيبةَ: ليس قولُ مَنْ

---

(١) سورة هود: ٣٢.

(٢) في المطبوع «عنز» والمثبت عن «التاريخ الكبير» ٢/ ٢/ ١٢٥ للبخاري.

(٣) سورة البقرة: ٣٥ ـ ٥٨.

قال: هو جمعُ «نِعْمة» بشيءٍ، لأن «فِعْلَة» لا تُجمع على «أفْعُلٍ»، وإنما هو جَمعُ «نُعْمٍ»، يُقال: يَومٌ نُعْمٌ، ويومٌ بُؤْسٌ، ويجمع «أنْعُماً»، و «أَبْؤُساً».

قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ وروى عُبيدُ بنُ عَقيلٍ، وعبدُ الوارثِ عن أبي عمروٍ: «والخوفَ» بنصبِ الفاءِ. وأصلُ الذَّوقِ إنما هو بالفَم، وهذا استعارةٌ منه، وقد شرحنا هذا المعنى في آلِ عِمرانَ[١]. وإنما ذكر اللبَاسَ هاهنا تَجوُّزاً، لِمَا يَظْهرُ عليهم مِنْ أثَرِ الجُوعِ والخَوفِ، فهو كقوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٢] وذلك لِمَا يظهرُ على المُتَّقي مِنْ أثَرِ التَّقوى. قال المُفسِّرونَ: عَذَّبهم اللهُ بالجُوعِ سبعَ سنينَ حتى أكلوا الجِيَفَ والعِظامَ المُحترِقةَ. فأما الخَوفُ، فهو خَوفُهم مِنْ رسولِ الله ﷺ ومِنْ سَراياهُ التي كان يَبعثُها حَولَهُم. والكلامُ في هذه الآية خُرِّجَ على القرية، والمُرادُ أهلُها، ولذلكَ قال: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ يعني به: بتكذيبِهم لرسولِ اللهِ ﷺ وإخراجِهم إيَّاهُ وما هَمُّوا به مِنْ قَتْلِه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه الجُوعُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: القَتْلُ ببَدْرٍ، قاله مُجاهِدٌ. قال ابنُ السَّائبِ: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: كافرون.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في المُخاطَبين بهذا قولان:

أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قولُ الجمهورِ.

والثاني: أنهم أهلُ مكَّةَ المشركون، لمَّا اشتَدَّتْ مجاعَتُهم، كَلَّم رؤساؤُهم رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنْ كنتَ عاديتَ الرِّجالَ، فما بَالُ النساء والصِّبيان؟! فأَذِنَ رسولُ الله ﷺ للناس أنْ يحملوا الطعامَ إليهم، حكاه الثَّعلبيُّ، وذكر نحوَهُ الفرَّاءُ. وهذه الآيةُ والتي تليها مُفسَّرتان في البقرة[٣].

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ قال ابنُ الأنباري: اللامُ في «لِما» بمعنى مِنْ أَجلِ، وتلخيصُ الكلام: ولا تقولوا: هذه المَيْتَةُ حَلالٌ، وهذه البَحِيرَةُ حَرامٌ، مِنْ أجلِ كَذبِكُم، وإقدامِكُم على الوَصفِ، والتَّخرُّصِ[٤] لِمَا لا أصلَ له، فجرَتْ اللامُ هاهنا مَجراها في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ

(١) سورة آل عمران: ١٠٦ ـ ١٨٥. (٢) سورة الأعراف: ٢٦. (٣) سورة البقرة: ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٤) في «اللسان» التخرّص: من خَرَصَ أي كذب، وتخرّص فلان على الباطل واخترصه أي افتعله.

﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[١] أي: وإنَّهُ مِن أجلِ حُبِّ الخَيْرِ لَبَخِيلٌ، و «ما» بمعنى المصدرِ، والكذبُ منصوبٌ بـ «تصف»، والتَّلخيصُ: لا تقولوا لِوَصْفِ ألسِنَتِكُم الكذبَ. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ: «الكُذُبُ»، قال ابنُ القاسم: هو نعتُ الألسِنةِ، وهو جمعُ كَذُوبٍ. قال المُفسِّرون: والمعنى: أنَّ تَحليلَكُم وتحريمَكُم ليس له معنًى إلاَّ الكَذِبُ. والإشارةُ بقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ إلى ما كانوا يُحلُّون ويُحرِّمون، ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وذلك أنهم كانوا يَنسِبون ذلك التَّحليلَ والتَّحريمَ إلى اللهِ تعالى، ويقولون: هوَ أَمَرَنا بهذا.

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: مَتاعُهم بهذا الذي فعلُوه قليلٌ.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني به ما ذُكر في الأنعام[٢] وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بتحريمنا ما حرَّمنا عليهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالبَغي والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قد شرحناه في سُورة النِّساء[٣]، وشَرَحنا في البَقرةِ[٤] التَّوبةَ والإصلاحَ، وذكرنا معنى قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ آنفاً.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابنُ الأنباري: هذا مِثلُ قولِ العربِ: فُلانٌ رَحمةٌ، وفُلانٌ عَلاَّمةٌ، ونَسَّابةٌ، ويقصِدُونَ بهذا التَّأنيثِ قَصْدَ التَّناهي في المعنى الذي يَصِفونَهُ، والعربُ قد تُوقِعُ الأسماءَ المُبهَمةَ على الجماعةِ، وعلى الواحدِ، كقوله: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٥]، وإنما ناداهُ جِبريلُ وحدَهُ. وللمُفسِّرين في المُرادِ بالأُمَّةِ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ[٦]: **أحدها**: أنَّ الأُمَّةَ: الذي يُعلِّم الخَيرَ، قاله ابنُ مسعودٍ، والفرَّاءُ، وابنُ قُتيبة. **والثاني**: أنه المؤمنُ وحدَهُ في زمانِه، رَوى هذا المعنى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه الإمامُ الذي يُقتَدَى به، قاله قَتادةُ، ومُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ، وهو في معنى القولِ الأوَّلِ. فأمَّا القانِتُ فقال ابنُ مَسعودٍ: هو المُطيعُ، وقد شرحنَا «القُنُوتَ» في البقرة[٧] وكذلك الحَنيفَ[٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أصلُها: لم يَكُنْ، وإنما حُذفت النونُ عند سِيبَويه، لِكَثرةِ

---

(١) سورة العاديات: ٨. (٢) سورة الأنعام: ١٢٦. (٣) سورة النساء: ١٧.
(٤) سورة البقرة: ١٦٠. (٥) سورة آل عمران: ٣٩.
(٦) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٧٢٩: الأمة: هو الإمام الذي يقتدى به.
(٧) سورة البقرة: ١١٦ ـ ٢٣٨. (٨) سورة البقرة: ١٣٥.

استعمالِ هذا الحرفِ، وذكر الجلّةُ مِنَ البَصريين أنها إنما احتملَتِ الحذفَ، لأنه اجتمع فيها كثرةُ الاستعمالِ، وأنها عبارةٌ عن كلِّ ما يمضي مِنَ الأفعالِ وما يُستأنَفُ، وأنها قد أشبَهتْ حروفَ اللِّيْنِ، وأنها تكون علامةً كما تكون حُروفُ اللِّيْن عَلامةً، وأنها غُنَّةٌ تخرجُ مِنَ الأنفِ، فلذلك احتَملتِ الحذفَ.

قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ انتصبَ بَدَلاً مِنْ قوله: ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرنا واحدَ الأَنْعُم آنِفاً، وشرحنا معنى «الاجتِبَاء» في (الأنعام)[1]. قال مُقاتِلٌ: والمُرادُ بالصِّراطِ المُستقيم هاهنا: الإسلامُ.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فيها ستةُ أقوالٍ[2]: أحدها: أنها الذِّكْرُ الحَسنُ، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: النُّبوَّة، قاله الحَسنُ. والثالث: لسانُ صِدْقٍ، قاله مُجاهِدٌ. والرابع: اجتماعُ المِلَلِ على وِلايَتِه، فكُلُّهم يَتولَّونَهُ ويَرضَونَهُ، قاله قَتادَةُ. والخامس: أنها الصَّلاةُ عليه مَقرونَةً بالصَّلاةِ على محمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. والسادس: الأولادُ الأبرارُ على الكِبَرِ، حكاه الثَّعلبيُّ. وباقي الآيةِ مُفسَّرٌ في البَقرةِ[3].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مِلَّتُه: دِيْنُه. وفيما أُمِرَ باتِّباعِه مِنْ ذلك قولان: أحدهما: أنه أُمِرَ باتِّباعِه في جميع مِلَّتِه، إلاَّ ما أُمِرَ بتَرْكِه، وهذا هو الظاهرُ. والثاني: اتِّباعُه في التَّبرُّؤِ مِنَ الأوثان، والتَّدَيُّنِ بالإسلام، قاله أبو جعفرَ الطَّبري. وفي هذه الآية دليلٌ على جَوازِ اتِّباعِ المَفضُولِ، لأنَّ رسولَنا أفضلُ الرُّسلِ، وإنما أُمرَ باتِّباعه، لسَبْقِه إلى القَولِ بالحقِّ.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ أي: إنما فُرِضَ تعظيمُه وتحريمُه، وقرأ الحَسنُ، وأبو حَيوَةَ: «إنما جَعَل» بفتحِ الجيمِ والعينِ، «السبتَ» بنصبِ التاءِ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ والهاءُ ترجع إلى السَّبتِ. وفي معنى اختلافِهم فيه قولان: أحدهما: أنَّ موسى قال لهم: تفرَّغوا للهِ في كلِّ سبعةِ أيامٍ يوماً، فاعبُدُوه في يوم الجُمعةِ، ولا تعملوا فيه شيئاً مِنْ صَنِيْعِكُم، فأبَوا أنْ يَقبَلُوا ذلك، وقالوا: لا نَبتَغي إلاَّ اليومَ الذي فَرَغَ فيه مِنَ الخَلْقِ، وهو يومُ السَّبتِ، فجعلَ ذلك عليهم، وشُدِّد عليهم فيه، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُقاتِلٌ: لمَّا أمرَهُم موسى بيوم الجُمعةِ، قالوا: نَتَفرَّغُ يومَ السَّبتِ، فإنَّ الله لم يَخْلُقْ فيه شيئاً، فقال: إنما أُمِرتُ بيوم الجُمعةِ، فقال أحبارُهم: انتَهُوا إلى أمرِ نبيِّكم، فأبَوا،

---

(١) سورة الأنعام: ٨٧.

(٢) قال الإمام الطبري ٧/ ٦٦١ في ذلك: وآتينا إبراهيم على قنوته لله وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكراً حسناً، وثناء جميلاً باقياً على الأيام. وقال ابن كثير ٢/ ٧٣٠: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾، أي: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة.

(٣) سورة البقرة: ١٣٠.

فذلك اختلافهم، فلمّا رأى موسى حِرصَهم على السَّبتِ، أمَرهم به، فاستَحَلُّوا فيه المَعاصي. ورَوى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: رأى موسى رجلاً يحمِلُ قَصَباً يومَ السَّبتِ، فضربَ عُنقَهُ، وعَكَفَت عليه الطَّيرُ أربعين صباحاً. وذكر ابنُ قُتَيبةَ في (مُختلف الحديث): أنَّ الله تعالى بَعثَ موسى بالسَّبتِ، ونُسِخَ السَّبتَ بالمَسيحِ. **والثاني**: أنَّ بعضَهم استحلَّهُ، وبعضَهم حَرَّمهُ، قاله قَتادةُ.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت مع الآيةِ التي بعدَها، وسنذكر هناك السَّببَ. فأمَّا السَّبيلُ، فقال مُقاتِلٌ: هو دِينُ الإسلام. وفي المُراد ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابنِ عباس. **والثاني**: الفِقْهُ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس. **والثالث**: النبوَّةُ، ذكره الزَّجَّاجُ. وفي ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ قولان[(٢)]: **أحدهما**: مَواعِظُ القرآن، قاله أبو صالح عن ابنِ عباس[(٣)]. **والثاني**: الأدبُ الجَميلُ الذي يعرفونه، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ مكَّةَ، قاله أبو صالح. **والثاني**: أهلُ الكتابِ، قاله مُقاتِلٌ. وفي قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: جادِلْهُم بالقرآن. **والثاني**: بـ «لا إله إلاَّ اللهُ»، رُوي القولان عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: جادِلْهُم غيرَ فَظٍّ ولا غليظٍ، وأَلِنْ لهم جانِبَكَ، قاله الزَّجَّاجُ. وقال بعضُ علماء التَّفسيرِ: وهذا مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ[(٤)]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ في سبب نُزولها قولان:

[٨٨٤] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ أشرَفَ على حَمزَةَ، فرآهُ صريعاً، فلم يرَ شيئاً كان أوجعَ لقلْبِه

---

[٨٨٤] عجزه ضعيف. أخرجه البزار ١٧٩٥ من حديث أبي هريرة، وقال: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠١٠٤: فيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف. اهـ. وقد ضعفه ابن كثير أيضاً ٢/ ٧٣٢، والوهن فقط في ذكر نزول جبريل، ونزول الآية، ولفظ: «وكفر عن يمينه»، وأما صدره فهو حسن، وله شاهد من حديث أنس، أخرجه ابن سعد ٣/ ١/ ٨ والدارقطني ٤/ ١١٦، وفيه عبد العزيز بن عمران ضعيف.

---

(١) قال الإمام الطبري ٧/ ٦٦٣: ﴿بالحكمة﴾ يقول: بوحي الله الذي يوحيه إليك، وكتابه الذي نزله عليك.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٢/ ٧٣١: ﴿والموعظة الحسنة﴾ أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس يذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى.

(٣) هذا ما اختاره الطبري رحمه الله ٧/ ٦٦٣.

(٤) هذا ما قاله ابن كثير رحمه الله ٢/ ٧٣١.

منه، فقال: «واللهِ لأُمثِّلَنَّ بسبعينَ منهم»، فنزل جِبريلُ، والنبيُّ ﷺ واقفٌ، بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرِها، فصَبَر رسولُ الله وكَفَّر عن يَمينِه، قاله أبو هُريرَة.

[٨٨٥] وقال ابنُ عباسٍ: رأى رسولُ الله ﷺ حَمزةَ قد شُقَّ بطنُهُ، وجُدِعَتْ أُذناهُ، فقال: «لولا أَنْ تحزنَ النساءُ أو تكونَ سُنَّةً بعدي لتركتُهُ حتَّى يبعثَهُ اللهُ مِنْ بُطونِ السِّباع والطَّيرِ ولأَقتُلَنَّ مكانَهُ سبعينَ رجلاً منهم»، فنزلَ قولُه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

[٨٨٦] ورَوى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئذٍ: «لَئِن ظَفِرتُ بقاتِلِ حَمزَةَ لأُمثِّلَنَّ به مُثْلَةً تتحدَّثُ بها العربُ»، وكانت هِندُ وآخرون معها قد مَثَّلُوا به، فنزلت هذه الآيةُ.

[٨٨٧] **والثاني**: أنه أُصِيبَ مِنَ الأنصَارِ يومَ أُحُدٍ أربعةٌ وستونَ، ومِنَ المُهاجرين ستةٌ منهم حَمزَةُ، ومَثَّلوا بقَتْلاهُم، فقالت الأنصار: لَئِن أصبْنَا منهم يوماً مِنَ الدَّهر، لَنَزيدَنَّ على عِدَّتهم مَرَّتين، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ.

[٨٨٨] ورَوى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: أنَّ المسلمين قالوا: لَئِن أمكَنَنا اللهُ منهم لَنُمثِّلَنَّ بالأحياء فَضْلاً عن الأمواتِ، فنزلت هذه الآيةُ، يقول: إنْ كُنتُم فاعِلينَ، فمَثِّلوا بالأمواتِ، كما مَثَّلوا بأمواتِكم. قال ابنُ الأنباري: وإنما سمَّى فِعلَ المشركين مُعاقبةً وهم ابتَدَؤوا بالمُثْلَةِ، لِيَزْدَوجَ اللفظان، فَيَخِفَّ على اللسانِ، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[١].

فصل: واختلف العلماءُ، هل هذه الآيةُ مَنسُوخَةٌ، أَمْ لا؟ على قولين[٢]: **أحدهما**: أنها نزلت قبلَ (بَراءَة) فأُمِرَ رسولُ الله ﷺ أنْ يُقاتِلَ مَنْ قاتلَهُ، ولا يبدأ بالقتالِ، ثم نُسِخَ ذلك، وأُمِرَ بالجهادِ، قاله

---

[٨٨٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٧٣ بدون إسناد، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٠، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٨٧، والواحدي ٥٧٠ و ٥٧٢ من حديث ابن عباس، بإسناد ضعيف جداً، فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، متهم بسرقة الحديث كما في «التقريب»، وقيس بن الربيع تغير لما كبر.
وأيضاً هذا إسناد منقطع بين الحكم ومقسم، كما في «تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٧٣. وانظر ما قبله.

[٨٨٦] عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وانظر ما تقدم.

[٨٨٧] جيد، أخرجه الترمذي ٣١٢٩، وأحمد ٥/ ١٣٥، والحاكم ٢/ ٣٥٩ ـ ٣٥٨، والنسائي في «التفسير» ٢٩٩، وابن حبان ٤٨٧، من حديث أبي بن كعب. وإسناده حسن لأجل الربيع بن أنس، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي. وله شاهد مرسل، أخرجه الطبري ٢١٩٩٦ و ٢١٩٩٧ عن الشعبي مرسلاً. وله شاهد من مرسل عطاء بن يسار، أخرجه الطبري ٢١٩٩٨. وآخر من مرسل قتادة برقم ٢١٩٩٩. وآخر من مرسل ابن جريج برقم ٢٢٠٠٠. فهذه المراسيل تشهد للموصول المتقدم، وترقى به إلى درجة الجودة. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٣٩٦ بتخريجي.

[٨٨٨] باطل بهذا اللفظ، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وتقدم مراراً أنه إسناد ساقط.

---

(١) سورة الشورى: ٤٠.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ٦٦٦: وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قِبَل غيرهم من حق من مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجهاً صحيحاً مفهوماً.

ابنُ عباس، والضَّحَّاكُ، فعلى هذا يكون المعنى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن القتال، ثم نُسِخَ هذا بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[(١)]. **والثاني**: أنها مُحكَمةٌ، وإنما نزلت فيمَنْ ظُلِم ظُلامةً، فلا يَحِلُّ له أنْ يَنالَ مِنْ ظالمِه أكثرَ ممَّا نالَهُ الظالمُ منه، قاله مُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، والنَّخعيُّ، وابنُ سِيرِينَ، والثَّوريُّ، وعلى هذا يكون المعنى: ولَئِنْ صَبرتُم عن المُثْلَةِ، لا عن القتالِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: بتوفيقِهِ ومَعُونتِه. وهذا أمرٌ بالعَزِيمَةِ.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان[(٢)]: **أحدهما**: على كفَّارِ مكَّةَ إن لم يُسلِمُوا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ولا تحزَنْ على قَتْلَى أُحدٍ، فإنهم أفضَوا إلى رَحمةِ الله، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيْسابوري. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ﴾ قرأ الأكثرون بنصبِ الضَّادِ، وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «في ضِيق» بكَسرِ الضَّادِ هاهنا وفي (النَّمل)[(٣)]. قال الفَرَّاءُ: الضَّيق بفتحِ الضادِ: ما ضَاقَ عنه صَدرُكَ، والضِّيْقُ: ما يكون في الذي يَضيقُ ويَتَّسعُ، مثل الدَّارِ والثَّوبِ وأشباهِ ذلك. وقال ابنُ قُتيبةَ: الضَّيْق: تخفيفُ ضَيِّق، مثل: هَيْن ولَيْن. وهو، إذا كان على هذا التَّأويل: صِفَةٌ، كأنه قال: لا تَكُ في أمرٍ ضَيِّقٍ مِنْ مَكرِهم. قال: ويُقال: مكانٌ ضَيْقٌ وضِيقٌ، بمعنًى واحدٍ، كما يُقال: رَطْلٌ ورِطْلٌ، وهذا أَعجبُ إليَّ. فأمَّا مَكرُهُم المذكورُ هاهنا، فقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: فِعلُهُم وعَملُهُم. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ ما نَهاهُم عنه، وأحسَنُوا فيما أمَرَهُم به، بالعَونِ والنَّصرِ.

---

(١) سورة التوبة: ٥.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/٦٦٦: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ لا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة.

(٣) سورة النمل: ٧٠.

زاد المسير

في علم التفسير

للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي

ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق

عبد الرزاق المهدي

المجلد الثالث

(سورة الإسراء - سورة ص)

الناشر

دار الكتاب العربي

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

ISBN: 9953-27-016-3

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ISBN 9953-27-016-3
9 789953 270166

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون: 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب.: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb

زاد المسير

في علم التفسير

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
١٧ ـ تفسير سورة الإسراء	٧
١٨ ـ تفسير سورة الكهف	٦٣
١٩ ـ تفسير سورة مريم	١١٦
٢٠ ـ تفسير سورة طه	١٥٠
٢١ ـ تفسير سورة الأنبياء	١٨٤
٢٢ ـ تفسير سورة الحج	٢٢٠
٢٣ ـ تفسير سورة المؤمنون	٢٥٤
٢٤ ـ تفسير سورة النور	٢٧٥
٢٥ ـ تفسير سورة الفرقان	٣١١
٢٦ ـ تفسير سورة الشعراء	٣٣٤
٢٧ ـ تفسير سورة النمل	٣٥٢
٢٨ ـ تفسير سورة القصص	٣٧٤
٢٩ ـ تفسير سورة العنكبوت	٣٩٨
٣٠ ـ تفسير سورة الروم	٤١٥
٣١ ـ تفسير سورة لقمان	٤٢٩
٣٢ ـ تفسير سورة السجدة	٤٣٧
٣٣ ـ تفسير سورة الأحزاب	٤٤٦
٣٤ ـ تفسير سورة سبأ	٤٨٩
٣٥ ـ تفسير سورة فاطر	٥٠٥
٣٦ ـ تفسير سورة يس	٥١٦
٣٧ ـ تفسير سورة الصافات	٥٣٥
٣٨ ـ تفسير سورة صٓ	٥٥٧

سورة الإسراء

ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١

فصلٌ في نُزولها: هي مكيَّةٌ في قول الجماعة، إلاَّ أنَّ بعضَهم يقول: فيها مدَنيٌّ، فرُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هي مكيَّةٌ إلاَّ ثمانِ آياتٍ: مِنْ قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿نَصِيرًا﴾[١]، وهذا قولُ قَتادَةَ. وقال مُقاتِلٌ: فيها مِنَ المَدنيِّ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾[٣] وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ والتي تليها[٧].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ﴾.

[٨٨٩] رَوي عن النبيِّ ﷺ أنه سُئِلَ عن تفسير «سُبحانَ اللَّهِ»، فقال: «تَنْزيهُ اللَّهِ عن كلِّ سُوءٍ»، وقد ذكرنا هذا المعنى في سورة البقرة[٨].

قال الزَّجَّاجُ: و «أسرى»: بمعنى: «سَيَّر عبدَهُ»، يقال: أسرَيتُ وسَرَيْتُ: إذا سِرتَ ليلاً. وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾[٩].

وفي معنى التَّسبيح ها هنا قولان: **أحدهما**: أنَّ العرب تُسبِّح عند الأمرِ المُعجِبِ، فكأنَّ الله تعالى عَجَّبَ العبادَ ممَّا أسدَى إلى رسولِه مِنَ النِّعمة. **والثاني**: أنْ يكون خُرِّج الرَّدَّ عليهم، لأنه لمَّا حدَّثهم

---

[٨٨٩] ضعيف جداً. أخرجه البزار ٣٠٨٢ والحاكم ١/ ٥٠٢ من طريق عبد الرحمن بن حماد عن حفص بن سليمان عن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير... الحديث. صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل لم يصح، فإن طلحة منكر الحديث، قاله البخاري، وحفص واهٍ وعبد الرحمن، قال أبو حاتم: منكر الحديث. قلت: فهو إسناد ضعيف جداً، مسلسل بالضعفاء.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٣، ٧٥. (٢) سورة الإسراء: ٨٠. (٣) سورة الإسراء: ١٠٧.
(٤) سورة الإسراء: ٦٠. (٥) سورة الإسراء: ٧٣. (٦) سورة الإسراء: ٧٦.
(٧) سورة الإسراء: ٧٤ و ٧٥. (٨) سورة البقرة: ٣٢. (٩) سورة الفجر: ٤.

بالاسرَاء، كذَّبُوه، فيكون المعنى: تنزَّه الله أنْ يتَّخذَ رسولاً كذَّاباً. ولا خلافَ أنَّ المراد بعبده هاهنا: محمَّدٌ ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه أُسرِيَ به مِنْ نَفسِ المسجد، قاله الحَسنَ، وقَتادَةُ. ويسندُهُ حديثُ مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ، وهو في (الصحيحين):

[٨٩٠] «بينما أنا في الحَطِيْم» وربما قال بعضُ الرُّواة: في «الحِجْرِ»(١).

والثاني: أنه أُسرِيَ به مِنْ بيت أمِّ هانئٍ(٢)، وهو قولُ أكثرِ المُفسِّرين(٣)، فعلى هذا يعني بالمسجدِ الحرامِ: الحرم. والحَرمُ كلُّه مسجدٌ، ذكره القاضي أبو يَعلَى وغيرُه.

فأمّا ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ فهو بيتُ المَقدِس، وقيل له: الأَقصَى، لبُعدِ المسافةِ بين المسجدَين. ومعنى ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: أنَّ الله أجرَى حولَهُ الأنهارَ، وأنبتَ الثِّمارَ. وقيل: لأنه مَقرُّ الأنبياء، ومَهْبِطُ الملائكة. واختلف العلماء، هل دخلَ بيتَ المَقدِس، أم لا؟

[٨٩١] فروى أبو هُريرةَ أنه دخل بيتَ المَقدِس، وصلَّى فيه بالأنبياء، ثم عُرِجَ به إلى السماء. وقال حُذيفةُ بنُ اليَمانِ: لم يدخل بيتَ المَقدِسِ ولم يُصلِّ فيه، ولا نزلَ عن البُرَاقِ حتى عُرِجَ به(٤). فإنْ

---

[٨٩٠] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ و ٣٣٩٣ و ٣٤٣٠ و ٣٨٨٧، وابن حبان ٤٨، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٨٧ من طرق عن أنس عن مالك بن صعصعة.

[٨٩١] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٢ والنسائي في «الكبرى» ١١٢٨٤، وابن منده في «الإيمان» ٧٤٠ من طريق حجين بن المثنى به. وأخرجه أبو عوانة ١/ ١٣١، وابن منده ٧٤٠ من طريق أحمد بن خالد الوهبي به وأربعتهم عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به، من حديث أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر. وقريش تسألني عن مسراي. فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها. فكربت كربةً ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي. فإذا رجل ضرب جعدٌ كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأممتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلّم عليه. فالتفت إليه فبدأني بالسلام». واللفظ لمسلم.

---

(١) هو عند مسلم ١٧٢ من حديث أبي هريرة، وانظر الآتي.

(٢) ورد من وجوه متعددة بأسانيد بعضها ضعيف، وبعضها حسن، انظر «الدر المنثور». وانظر التعليق الآتي.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٢٠٤: هو شك من قتادة كما بينه أحمد، عن عفان عن همام ولفظه «بينا أنا نائم في الحطيم، وربما قال قتادة: في الحجر» والمراد بالحطيم هنا الحجر، وأبعد من قال: المراد به ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر، وهو وإن كان مختلفاً في الحطيم هل هو الحجر أم لا، لكن المراد هنا بيان البقعة التي وقع فيها ذلك، ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها. وجاء في رواية: «بينا أنا عند البيت» وهو أعم، وفي رواية أخرى: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة» وفي رواية غيرها أنه أسري به من شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته ـ وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه ـ فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكأن به مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد، فأركبه البراق. وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد، فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع.

(٤) أخرجه الطبري ٢٢٠٣٠ عن حذيفة به، وإسناده حسن لأجل عاصم بن بهدلة، فإنه صدوق يخطئ، وباقي الإسناد على شرطهما. ومع ذلك المتن غريب، والصحيح خلاف ما ذهب إليه حذيفة. وجاء في «الفتح» ١/ =

قيلَ: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وأنتم تقولون: صَعِدَ إلى السماء؟ فالجواب: أنَّ الإسراءَ كان إلى هنالك، والمِعراجَ كان مِنْ هنالك. وقيل: إنَّ الحكمةَ في ذِكْرِ ذلك، أنه لو أخبرَ بِصُعوده إلى السماء في بَدْءِ الحديث، لاشتدَّ إنكارُهم، فلمَّا أخبر ببيت المَقْدِسِ، وبانَ لهم صِدْقُه فيما أخبرَهُم به مِنَ العَلاماتِ الصَّادقةِ، أخبر بمِعراجِه.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ يعني: ما رأى تلك الليلةَ مِنَ العَجائبِ التي أخبرَ بها الناسَ. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَقَالَةِ قُريشٍ، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمَّى بِـ «الحدائق» أحاديثَ المِعراجِ، وكرِهنَا الإطالةَ ها هنا.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ لمَّا ذكر في الآيةِ الأُولى إكرامَ محمَّدٍ ﷺ، ذكر في هذه كَرامةَ موسى. و ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراة. ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: دَلَلْنَاهُم به على الهُدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ قرأ أبو عمرٍو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هَديناهُم لئلاً يتَّخذوا، وقرأ الباقون بالتاء، قال أبو عليٍّ: وهو على الانصِرافِ إلى الخطابِ بعد الغَيْبَةِ، مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. قوله تعالى: ﴿وَكِيلًا﴾ قال مجاهِدٌ: شَريكاً. وقال الزَّجاجُ: رَبًّا. قال ابنُ الأنباري: وإنما قيل للرَّبِّ: وَكِيل، لِكفايَتِه وقيامِه بشأن عبادِه، مِنْ أجل أنَّ الوَكيلَ عندَ الناس قد عُلِمَ أنه يقوم بشؤون أصحابه، وتفقُّدِ أمورِهم، فكان الرَّبُّ وَكيلاً مِنْ هذه الجِهَةِ، لا على معنى ارتفاع منزلَةِ المُوكِّل وانحطاطِ أمرِ الوَكيلِ.

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ قال مُجاهِدٌ: هو نداءٌ: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَملنا. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ: «ألاَّ تتخذوا» بالتاء، فإنه يقول: بعدَ الذُّرِّيَّةِ مُضمَرٌ حُذفَ اعتماداً على دلالةِ ما سبق، تلخيصُه: يا ذُرِّيَّةَ مَنْ حملنا مع نوحٍ لا تتَّخذوا وَكيلاً، ويجوز أنْ يُستغنى عن الإضمَارِ بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ لأنه بمعنى: اشكروني كَشُكرِهِ. ومَنْ قرأ: «ألاَّ يتَّخذوا» بالياء، جعل النداءَ مُتصلاً بالخطابِ، و «الذُّرِّيَّة» تَنتصبُ بالنداءِ، ويجوز نصبُها بالاتِّخاذ على أنها مفعولٌ ثانٍ، تلخيصُ الكلام: ألاَّ يتَّخذوا ذُرِّيَّةَ مَنْ حمَلنا مع نُوحٍ وكيلاً. قال قَتادَةُ: الناسُ كلُّهم ذُرِّيَّةُ مَنْ أنجى اللَّهُ في تلك السفينة. قال العلماء: ووجه الإنعام على الخَلق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد لله» وإذا شرب قال: «الحَمدُ لله». وقال غيرُه: كان إذا لبسَ ثوباً قال: «الحمدُ لله» فسَمَّاه اللَّهُ «عبداً شكوراً».

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾

= ٤٦٥: فائدة: ذهب جماعة إلى أنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد. وذهب الحربي إلى أن الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيه قولان[١]: **أحدهما**: أخبرناهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ. **والثاني**: قَضينا عليهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال قَتادَةُ، فعلى الأوَّلِ: تكون ﴿إِلَىٰ﴾ على أصلِها، ويكون الكتابُ: التَّوراة، وعلى الثاني: تكون ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى «على»، ويكون «الكتاب»: الذِّكْرُ الأوَّلُ.

قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرضَ مِصْرَ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي ومُخالفةِ التَّوراة. وفي من قَتلُوه مِنَ الأنبياء في الفَسادِ الأوَّلِ قولان: **أحدهما**: زكريَّا، قاله السُّدِّيّ عن أشياخه. **والثاني**: شَعْيا، قاله ابنُ إسحاقَ. فأمَّا المَقتولُ مِنَ الأنبياء في الفَسادِ الثاني: فهو يَحيَى بنُ زكريَّا. قال مُقاتِلٌ: كان بينَ الفَسادَيْنِ مائتا سنةٍ وعشرُ سنين. فأمَّا السَّببُ في قَتْلِهم زكريَّا، فأنهم اتَّهمُوه بمريمَ، وقالوا: منه حَمَلَتِ، فهرب منهم، فانفتحتْ له شَجرةٌ فدخل فيها وبقي مِنْ ردائه هدب، فجاءهم الشَّيطانُ فَدَلَّهم عليه، فقطعوا الشجرةَ بالمِنشارِ وهو فيها. وأما السببُ في قَتْلِهِم «شَعْيا»، فهو أنه قام فيهم برسالةٍ مِنَ الله ينهَاهُم عن المعاصي. وقيلَ: هو الذي هرب منهم فدخلَ في الشجرة حتى قَطعُوه بالمِنشارِ، وأنَّ زكريَّا مات حَتْفَ أنفِه. فأمَّا السببُ في قَتْلِهم يَحيَى بنِ زكريَّا، ففيه قولان: **أحدهما**: أنَّ مَلِكَهم أراد نِكاحَ امرأةٍ لا تَحِلُّ له، فنَهاهُ عنها يَحيَى. ثم فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ابنةُ أخيه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ابنتُه، قاله عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ. **والثالث**: أنها امرأةُ أخيه، وكان ذلك لا يَصلُح عندهم، قاله الحُسينُ بن عليٍّ عليهما السلامُ. **والرابع**: ابنةُ امرأتِه، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه، وذكر أنَّ السببَ في ذلك: أنَّ مَلِكَ بَني إسرائيلَ هَوِيَ بنتَ امرأتِه، فسأل يحيَى عن نِكاحِها، فنَهاهُ، فحَنقَتْ أُمُّها على يحيَى حين نَهَاهُ أنْ يتزوَّجَ ابنتَها، وعَمدَتْ إلى ابنتها فزَيَّنتها وأرسلَتْهَا إلى المَلِكِ حين جلس على شرابه، وأَمَرتْها أنْ تسقيَه، وأنْ تعرضَ له، فإنْ أرادها على نَفْسِها، أَبَتْ حتى يُؤتى برأس يَحيى بنِ زكريَّا في طَسْتٍ، ففعلَتْ ذلك، فقال: وَيْحكِ سَلِيْني غيرَ هذا، فقالت: ما أريدُ إلاّ هذا، فأمرَ، فأُتيَ برأسِه والرأسُ يتكلَّمُ ويقول: لا تَحِلُّ لكَ، لا تَحِلُّ لكَ. **والقول الثاني**: أنَّ امرأةَ المَلِكِ رَأَتْ يَحيى عليه السَّلامُ وكان قد أُعطِيَ حُسناً وجمالاً، فأرادَتْهُ على نَفسِه، فأَبَى، فقالت لابنَتِها: سَلِي أباكِ رأسَ يَحيى، فأعطاها ما سألَتْ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. قال العلماءُ بالسِّيَرِ: ما زال دَمُ يَحيى يغلي حتى قُتِلَ عليه مِنْ بَني إسرائيلَ سبعون ألفاً، فسَكنَ، وقيلَ: لم يَسكُنْ حتى جاء قاتِلُه، فقال: أنا قَتلتُهُ، فقُتِلَ، فسَكَنَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: لَتعظمُنَّ عن الطَّاعة ولَتبغُنَّ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: عقوبةُ أُولَى المَرَّتين ﴿بَعَثْنَا﴾ أي: أرسلنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ وفيهم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم جَالُوتُ وجنُوده، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: «بُخْتَنَصَّر»، قاله سعيدُ بنُ المُسيَّبِ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثالث**: العَمالِقَةُ، وكانوا كُفَّاراً، قاله الحَسنُ. **والرابع**: سنْحَارِيبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: قومٌ مِنْ أهل فارسَ، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ زيدٍ:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٤: يقول الله تعالى: إنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب، أي تقدّم إليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم: أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً، أي يتجبرون ويطغون على الناس. كما قال تعالى: **﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾**، أي تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه.

سَلَّطَ اللَّهُ عليهم سَابُور ذا الأكتافِ مِنْ مُلوكِ فارسَ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذَوي عَددٍ وقوةٍ في القتال.

وفي قوله: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَشَوا بين منازلِهم، قاله ابنُ أبي طَلْحَة عن ابن عباس. وقال مجاهد: يتجسسون أخبارهم ولم يكن قتال. وقال الزَّجَّاجُ: طَافُوا خلال الدِّيار ينظرون هل بقي أحدٌ لم يَقتُلوه؟ و «الجوسُ»: طَلَبُ الشيءِ باستِقصَاءٍ. **والثاني**: قَتلُوهم بين بُيوتِهم، قاله الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَة. **والثالث**: عَاثوا وأفسَدُوا، يُقال: جَاسُوا وحَاسُوا، فهم يَجُوسُون ويَحُوسُون إذا فعلوا ذلك، قاله ابنُ قُتَيبةَ. فأمَّا الخِلالُ: فهي جَمْعُ خَلَلٍ، وهو الانفراجُ بين الشيئين. وقرأ أبو رَزِينٍ، والحَسنُ، وابنُ جُبيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «خلَلَ الديار» بفتح الخاءِ واللامِ مِنْ غيرِ أَلِفٍ. ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: لا بُدَّ مِنْ كَونِه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أظفرَناكم بهم. والكَرَّةُ، معناها: الرَّجعَةُ والدَّولةُ، وذلك حين قَتَلَ داودُ جَالوتَ وعاد مُلكُهم إليهم. وحكى الفَرَّاءُ أنَّ رجلاً دَعَا على «بُخْتَنصَّرَ»؛ فَقتلَهُ اللَّهُ، وعاد مُلكُهم إليهم. وقيلَ: غزَوا مَلِكَ بَابِلَ فأخذوا ما كان في يَدِهِ مِنَ المال والأَسرَى. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثرَ عَدَداً وأنصاراً منهم. قال ابنُ قُتَيبةَ: النَّفِيرُ والنَّافِرُ واحدٌ، كما يُقال: قَدِيرٌ وَقادِرٌ، وأصله: مَنْ يَنفِرُ مع الرجل مِنْ عشيرَتِه وأهلِ بيته.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ أي: وقلنا لكم إنْ أحسَنتُم فأطَعتُم اللَّهَ ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ﴾ أي: عاقبةُ الطاعة لكُم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفسادِ والمعاصي ﴿فَلَهَاۚ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى: فإلَيْها. **والثاني**: فعَلَيها. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ جوابُ «فإذا» مَحذوفٌ، تقديرُه: فإذا جاء وَعْدُ عُقوبةِ المَرَّةِ الآخِرَةِ مِنْ إفسَادِكُم، بعَثناهُم ليَسُوءُوا وجوهَكُم، وهذا الفَسادُ الثَّاني، هو قَتْلُهم يَحيى بنِ زكريَّا، وقَصدُهُم قَتْل «عيسى» فرُفِع، وسَلَّطَ اللَّهُ عليهم مُلوكَ فارسَ والرُّومِ فقتَلُوهم وسَبَوهُم، فذلك قوله تعالى: ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «ليسوؤوا» بالياء على الجميعِ والهَمْزِ بين الواوين، والإشارةِ إلى المَبْعُوثِين. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «ليسوءَ وجوهكم» على التَّوحيد؛ قال أبو عليٍّ: فيه وَجْهَان. أحدهما: لِيَسُوءَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ. والثانيْ: ليَسُوءَ البَعْثُ. وقرأ الكِسَائيُّ: «لنسوءَ» بالنون، وذلك راجعٌ إلى الله تعالى. وفيمن بعثَ عليهم في المَرَّةِ الثانية قولان: **أحدهما**: بُخْتَنَصَّرُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وكثيرٌ مِنَ الرُّواة يأبى هذا القولَ، ويقولون: كان بين تَخريبِ «بُخْتنَصَّرَ» بيت المَقْدسِ، وبين مَولِدِ يَحيى بنِ زكريَّا زمانٌ طويلٌ. **والثاني**: أَنْطِيَاخُوس الرُّوميّ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ أي: ليُدخِلوا عليكم الحُزنَ بما يفعلون مِنْ قَتلِكم وسَبيِكُم، وخُصَّتِ المَسَاءةُ بالوجُوه، والمراد: أصحابُ الوجُوهِ، لِمَا يبدو عليها مِنْ أثرِ الحُزنِ والكآبَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيتَ المقدسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ في المرَّةِ الأُولَى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ أي: لِيُدمِّروا ويُخرِّبوا. قال الزَّجَّاجُ: يقال لكلِّ شيءٍ ينكسِرُ مِنَ الزُّجاجِ والحديدِ والذَّهبِ: تِبْرٌ. ومعنى ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي: لِيُدمِّروا في حالِ عُلوِّهم عليكم.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ هذا ممَّا وُعِدُوا به في التَّوراة، و «عسى» مِنَ اللهِ واجبةٌ، فرَحِمَهُم اللهُ بعدَ انتقامِه منهم، وعَمرَ بلادَهُم، وأعادَ نِعمَهُم بعد سبعين سنةً. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى معصيتنا ﴿عُدْنَا﴾ إلى عُقوبتِكُم. قال المُفسِّرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصيةِ، فبعثَ اللهُ عليهم مُلوكاً مِنْ مُلوكِ فارسَ والرُّوم. قال قَتادَةُ: ثم كان آخرُ ذلك أنْ بعثَ اللهُ عليهم محمَّداً ﷺ، فهم في عذابٍ إلى يوم القيامة، فيُعطُون الجزيَةَ عن يَدٍ وهُمْ صَاغِرُون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سِجْناً، قاله ابنُ عباس، والضَّحَّاكُ، وقتادةُ. وقال مُجاهِدٌ: يُحصَرون فيها. وقال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ: مَحْبَساً، وقال الزَّجَّاجُ: «حصيراً»: حَبْساً، أُخِذَ مِنْ قولِكَ: حَصرتُ الرجلَ، إذا حَبستَهُ، فهو مَحصُورٌ، وهذا حَصِيرُه، أي: مَحبِسُهُ، والحَصِيرُ: المَنسُوجُ. سُمِّي حَصِيراً، لأنه حُصِرَتْ طَاقَاتُه بعضُها مع بعضٍ، ويقال للجَنْبِ: حَصِيرٌ، لأن بعضَ الأضلاعِ مَحصُورٌ مع بعضٍ. وقال ابنُ الأنباري: حَصِيْراً: بمعنى: حَاصِرَة، فصُرِفَ من حَاصِرةٍ إلى حَصِيرٍ، كما صُرِفَ «مؤلِم» إلى أَلِيْم. **والثاني**: فِراشاً ومِهاداً، قاله الحسَنُ. قال أبو عُبيدَةَ: ويجوز أنْ تكونَ جهنَّمُ لهم مِهاداً بمنزلة الحَصِيرِ، والحَصِيرُ: البِسَاطُ الصغير.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ قال ابنُ الأنباري: «التي» وَصفٌ للجَمعِ، والمعنى: يَهدِي إلى الخِصَالِ التي هي أقومُ الخِصَالِ. قال المُفسِّرونَ: وهي توحيدُ اللهِ والإيمانُ به وبرُسُلِه والعملُ بطاعتِه، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ﴾ أي: بأنَّ لهم ﴿أَجْرًا﴾ وهو الجنَّةُ، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: ويُبشِّرهم بالعذاب، لأعدائِهم، وذلك أنَّ المؤمنين كانوا في أذىً مِنَ المشركين، فعَجَّلَ اللهُ لهمُ البُشْرَى في الدنيا بعقابِ الكافرين.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ وذلك أنَّ الإنسان يَدْعُو في حالِ الضَّجَرِ والغضب على نَفْسِه وأهلِهِ بما لا يُحبُّ أنْ يُستجَابَ له كما يَدْعُو لنَفسِه بالخَيْرِ. ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ يُعجِل بالدُّعاء بالشرِّ عند الغضب والضَّجَرِ عَجَلتَهُ بالدُّعاء بالخَيرِ.

وفي المُراد بالإنسان ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ جنسٍ يُراد به الناس، قاله الزَّجَّاجُ وغيرُه. **والثاني**: آدمُ، فاكتفى بذِكرِه مِنْ ذِكرِ وَلَدِه، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنه النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ حينَ قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[1]، قاله مُقاتِلٌ. وقال سلمانُ الفارسي: أول ما خَلَقَ

---

(١) سورة الأنفال: ٣٢.

اللّهُ مِنْ آدمَ رأسُهُ، فجعلَ ينظرُ إلى جَسدِهِ كيف يُخلَقُ، قال: فَبقِيَتْ رِجلاهُ، فقال: يا رَبِّ عَجِّلْ، فذلكَ قولُه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[١].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ أي: عَلامَتين يدلاَّن على قُدرةِ خَالِقِهِمَا. ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ آيةَ الليل: القَمرُ، ومَحْوهَا: ما في بعض القَمرِ مِنَ الاسوِدَادِ. وإلى هذا المعنى ذهب عليٌّ رضيَ اللّهُ عنه، وابنُ عباسٍ في آخرين. **والثاني**: آيةُ الليلِ مُحِيْتْ بالظُّلمة التي جُعلَتْ مُلازمةً للَّيلِ؛ فنسبَ المَحْوَ إلى الظُّلمَةِ إذْ كانت تَمحُو الأنوارَ وتُبطِلُها، ذكره ابنُ الأنباري. ويُروى أنَّ الشمسَ والقمرَ كانَا في النُّورِ والضَّوءِ سواءً، فأرسلَ اللّهُ جِبريلَ فأَمَرَّ جَناحَهُ على وَجْهِ القمرِ وطَمسَ عنه الضَّوءَ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ يعني: الشمسَ ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: مُنيرَةً، قاله قَتادةُ. قال ابنُ الأنباري: وإنما صَلحَ وصفُ الآية بالإبصارِ على جهة المَجازِ، كما يقال: لَعِبَ الدَّهرُ ببَنِي فُلانٍ. **والثاني**: أنَّ معنى ﴿مُبْصِرَةً﴾: مُبصَراً بها، قاله ابنُ قُتيبة. **والثالث**: أنَّ معنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ مُبَصِّرَةً، فجرى «مُفعِل»، مَجْرى «مُفَعِّل»، والمعنى: أنها تُبَصِّرُ الناسَ، أي: تُريهِم الأشياءَ، قاله ابنُ الأنباري. ومعاني الأقوالِ تَتقارَبُ.

قوله تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لِتُبصِرُوا كيف تَتصرَّفون في أعمَالِكُم وتَطلُبون رِزقَكم بالنهار ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ بمَحْوِ آيةِ الليلِ، ولولا ذلك، لم يُعرَفِ الليلُ مِنَ النَّهارِ، ولم يُتبيَّنِ العَددُ. ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: ما يُحتاجُ إليه، ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيَّنَّاه تبييناً لا يلتبسُ معه بغَيْرِه.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ «وكلُّ» برفع وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ، والحسَنُ «ألزمناه طيره» بياءٍ ساكنةٍ مِنْ غير ألِفٍ. وفي الطَّائرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: شَقاوتُهُ وسَعادتُهُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال مُجاهِدٌ: ما مِنْ مولودٍ يُولَدُ إلاَّ وفي عُنُقِه ورقةٌ مكتوبٌ فيها شَقِيٌّ، أو سعيدٌ. **والثاني**: عَمَلُهُ، قاله الفَرَّاءُ، وعن الحسَنِ كالقولَين. **والثالث**: أنه ما يُصيبه، قاله خُصَيفٌ. وقال أبو عُبيدةَ: حَظُّهُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى فيما أرى ـ واللّهُ أعلمُ ـ: أنَّ لكلِّ امرئٍ حَظًّا مِنَ الخيرِ والشَّرِّ قد قَضاهُ اللّهُ عليه، فهو لازمٌ عُنقَهُ، والعربُ تقول لكلِّ ما لَزِمَ الإنسانَ: قد لَزِمَ عُنقَهُ، وهذا لكَ عليَّ وفي عُنُقِي حتى أخرجَ منه، وإنما قيلَ للحَظِّ مِنَ الخيرِ والشرِّ: «طائر»، لقولِ العرب: جَرَى له الطَّائرُ بكذا مِنَ الخيرِ، وجَرى له الطَّائرُ بكذا مِنَ الشرِّ، على طريق الفَألِ والطِّيرَةِ، فخاطَبَهُم اللّهُ بما يستعملون،

---

(١) منكر. أخرجه الطبري ٢٢١١٦ عن سلمان الفارسي موقوفاً، وإسناده ضعيف، إبراهيم النخعي عن سلمان منقطع، والمتن منكر، والأشبه أنه متلقى عن كتب الأقدمين.

وأعلَمَهم أنَّ ذلك الأمرَ الذي يجعلونه بالطَّائِرِ، هو الذي يُلزِمُه أعناقَهم. وقال الأَزهَريُّ: الأصلُ في هذا أنَّ اللَّه تعالى لمَّا خلقَ آدمَ، علم المُطيعَ مِنْ ذُرِّيَّتِه، والعاصي، فكتب ما عَلِمَهُ منهم أجمعين، وقَضى سعادةَ مَنْ عَلِمَهُ مُطيعاً، وشَقاوةَ مَنْ عَلِمَهُ عاصياً، فصارَ لكلٍّ منهم ما هو صائِرٌ إليه عند خَلْقِه وإنشائِه، فذلك قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾. **والرابع**: أنه ما يَتطَيَّر مِنْ مثله مِنْ شيءِ عَمِلَهُ، وذِكْرُ العُنُقِ عبارةٌ عن اللزوم له، كَلُزوم القِلادَةِ العُنُق مِنْ بين ما يُلبَسُ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وقال ابنُ الأنباري: الأصلُ في تسميتِهم العملَ طائِراً، أنهم كانوا يَتطيَّرون مِنْ بعض الأعمالِ.

قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ قرأ أبو جَعفرَ: «ويُخرَج» بياءٍ مضمومةٍ وفتح الراءِ. وقرأ يَعقوبُ. وعبدُ الوَارِثِ: بالياءِ مفتوحةً وضمِّ الراءِ. وقرأ قَتادَةُ، وأبو المُتوكِّلِ: «ويُخرِج» بياءٍ مرفوعةٍ وكسرِ الراءِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، والأعرَجُ: «وتَخرُجُ» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفع الراءِ، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ: «كتاب» بالرفع، يلقاه وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرَ «يُلقَّاه» بضمِّ الياءِ وتشديدِ القافِ. وأَمالَ حَمزَةُ، والكِسائيُّ القافَ. قال المُفسِّرون: هذا كتابُه الذي فيه ما عَمِلَ. وكان أبو السَّوّار العَدَوي إذا قرأ هذه الآيةَ قال: نَشْرَتانِ وطَيَّةٌ، أمَّا ما حَييتَ يا ابنَ آدمَ، فصحِيفَتُكَ مَنْشورةٌ، فأَمْلِ فيها شِئتَ، فإذا مُتَّ، طُوِيَتْ، ثم إذا بُعِثْتَ، نُشِرَتْ.

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾، وقرأ أبو جعفر: «اقرا» بتخفيف الهمزة وفيه إضمار تقديره، فيقال له إقرأ كتابك. قال الحسَنُ: يقرؤه أُميّاً كان أو غيرَ أُمِّيٍّ، ولقد عَدلَ عليكَ مَنْ جَعلكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ. وفي معنى ﴿حَسِيبًا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُحاسِباً. **والثاني**: شَاهِداً. **والثالث**: كَافِياً، والمعنى: أنَّ الإنسانَ يُفوِّضُ إليه حسَابُه، ليعلمَ عَدْلَ الله بين العباد، ويرى وجُوبَ حُجَّةِ الله عليه، واستِحقاقَهُ العقوبةَ، ويعلَمَ أنه إنْ دخلَ الجنَّةَ، فبِفَضْلِ الله، لا بعَمَلِه، وإنْ دخل النارَ، فبِذَنْبِه. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما قال: ﴿حَسِيبًا﴾ والنَّفسُ مُؤنَّثةٌ، لأنه يعني بالنَّفسِ: الشَّخصَ، أو لأنه لا علامةَ للتَّأنيثِ في لَفظِ النَّفسِ، فشُبِّهت بالسماءِ والأرضِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾(١)، قال الشاعر:

ولا أرضَ أبـقـلَ إبـقـالَـهـا(٢)

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: له ثوابُ اهتِدائِه، وعليه عِقابُ ضَلالِه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ أي: نَفسٌ وَازِرَةٌ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنَّ الوليدَ بنَ المُغيرة قال: اتَّبِعُوني وأنا أحمِلُ أوزارَكُم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، قال أبو عُبيدَةَ: والمعنى: ولا تَأْثَم آثِمَةٌ إِثْمَ أُخرى. قال الزَّجَّاجُ: يقال: وَزَرَ، يَزِرُ، فهو وَازِر، وَزْراً، ووِزْراً، ووِزْرَةً، ومعناه: أَثِمَ إِثْماً. وفي تأويلِ هذه الآيةِ وَجْهان: **أحدهما**: أنَّ الآثِمَ لا يُؤخَذُ بذَنْبِ غيرِه. **والثاني**: أنه

---

(١) سورة المزمل: ١٨.

(٢) هو عجز بيت لعامر بن جوين وصدره: «فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها». كما في «الكتاب» ١/ ٢٠٥. وفي «اللسان» المزنة: السحابة، والودق: المطر.

لا ينبغي أنْ يعملَ الإنسانُ بالإثم، لأنَّ غيرَه عَمِلَهُ، كما قال الكفَّار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[١] ومعنى ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أي: حتى نُبيِّنَ ما به نُعذِّبُ، وما مِنْ أجلِهِ نُدخلُ الجنَّةَ.

فصل: قال القاضي أبو يَعلَى: في هذا دليلٌ على أنَّ معرفةَ الله لا تَجبُ عقلاً، وإنما تَجبُ بالشَّرع، وهو بِعثةُ الرُّسلِ، وأنه لو مات الإنسانُ قبلَ ذلك، لم يُقطَعْ عليه بالنارِ[٢]. قال: وقيلَ معناه: أنه لا يُعذَّبُ في ما طريقُه السَّمعُ إلاَّ بقيام حُجَّةِ السَّمعِ مِنْ جهة الرَّسول، ولهذا قالوا: لو أسلَمَ بعضُ أهلِ الحَرْبِ في دَارِ الحربِ ولم يَسمَعْ بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ونحوِها، لم يَلزَمْهُ قضاءُ شيءٍ منها، لأنها لم تَلزَمْهُ إلاَّ بعدَ قيام حُجَّةِ السَّمعِ، والأصلُ فيه قصَّةُ أهلِ قُباء حين استَدارُوا إلى الكعبةِ ولم يستأنِفُوا[٣]، ولو أسلَمَ في دارِ الإسلام ولم يعلمْ بفَرْضِ الصَّلاةِ، فالواجبُ عليه القضاءُ، لأنه قد رأى النَّاسَ يُصلُّون في المساجد بأذانٍ وإقامةٍ، وذلك دُعاءٌ إليها.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ

---

(١) سورة الزخرف: ٢٢.

(٢) قال القرطبي رحمه الله ١٠/٢٠٣: قوله تعالى **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** أي لم نترك الخلق سدى، بل أرسلنا الرسل. وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع خلافاً للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبّح ويحسّن ويبيح ويحظر، والجمهور على أن هذا في حكم الدنيا أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار. وقالت فرقة: هذا عام في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: **﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا﴾** الملك: ٨. قال ابن عطية: والذي يعطيه النظر أنّ بَعْثَهُ آدَمَ عليه السلام بالتوحيد وبث المعتقدات في بنيه مع نصب الأدلة الدالة على الصانع مع سلامة الفِطَر توجب على كل أحد من العالم الإيمان واتباع شريعة الله، ثم تجدد ذلك في زمن نوح عليه السلام بعد غرق الكفار. وهذه الآية يعطي احتمال ألفاظها نحو هذا في الذين لم تصلهم رسالة وهم أهل الفترات. فمن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل. وأما ما روي أن الله يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال، فحديث لم يصح، ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف. وقد احتج من قال ذلك بحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ـ ثم تلا ـ **﴿ولو أنا أهلكنهم بعذابٍ من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾** ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود رب لم أدرك العمل فَتُرفع لهم نار فيقول لهم رِدُوها وادخلوها ـ قال ـ فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل فيقول الله تبارك وتعالى: «إياي عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم». قلت: ضعيف. أخرجه الطبري ٢٤٤٢٦ من حديث أبي سعيد وفيه عطية العوفي ضعيف ولو صح مثل هذا لارتفع الخلاف في المولود وأهل الفترة ونحوهم. وروي عن أبي سعيد موقوفاً، وفيه نظر. والله أعلم.

(٣) حديث أهل قباء تقدّم في سورة البقرة: ١٤٢. وقد خرّج البخاري ٧٢٥٢ و ٣٩٩ و ٤٤٩٢ ومسلم ٥٢٥ والترمذي ٣٤٠ و ٢٩٦٢ والنسائي ٢/٦٠ وابن ماجة ١٠١٠ وابن حبان ١٧١٦ كلهم من حديث البراء: أن النبي ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وإنه صلى أول صلاة صلاّها العصر وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان يصلي مع النبي ﷺ فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله، لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل البيت، فداروا كما هم قِبَل البيت. وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل قبل البيت رجال قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾**.

﴿ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادته لذلك قولان: **أحدهما**: ما سَبَقَ لهم في قَضائِهِ مِنَ الشَّقاءِ. **والثاني**: عِنادُهم الأنبياءَ وتكذيبُهم إيَّاهُم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ الأكثرون: «أمرْنَا» مخفَّفةً، على وَزْنِ «فَعَلْنا»، وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مِنَ الأمْرِ، وفي الكلام إضمارٌ، تقديره: أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا بالطَّاعَةِ، ففَسَقُوا، هذا مذهبُ سعيدِ بن جُبَيرٍ. قال الزَّجَّاجُ: ومِثْلُه في الكلام: أَمرتُكَ فعَصيتَنِي، فقد عُلِمَ أنَّ المعصيةَ مُخالفةُ الأمْرِ. **والثاني**: كَثَّرنا، يقال: أَمَرتُ الشيءَ وآمَرتُهُ، أي: كَثَّرتُه، ومنه قولهم: مُهرَةٌ مأمُورَةٌ، أي: كثيرةُ النِّتاجِ، يُقال: أَمِرَ بَنو فُلانٍ يأمَرُون أمراً: إذا كَثُروا، هذا قولُ أبي عُبيدَةَ، وابنِ قُتَيبةَ. **والثالث**: أنَّ معنى «أَمَرْنَا»: أمَّرْنا، يُقال: أَمَرتُ الرَّجلَ، بمعنى: أمَّرتُه، والمعنى: سلَّطنا مُترَفِيها بالإِمَارَةِ، ذكره ابنُ الأنبارِي. وروى خَارِجَةُ عن نافعٍ: «آمَرْنا» ممدودةً، مثل «آمنّا»، وكذلك روى حمَّادُ بن سَلَمَةَ عن ابنِ كَثيرٍ، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي الدَّرداءِ، وأبي رَزِيْنٍ، والحسَنِ، والضَّحَّاكِ، ويَعقوبَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهي اللغةُ العاليةُ المشهورةُ، ومعناه: كَثَّرنا، أيضاً. وروى ابنُ مُجاهِدٍ أنَّ أبا عَمروٍ قرأ: «أمَّرْنا» مشددةَ الميم، وهي روايةُ أَبانَ عن عَاصِمٍ، وهي قراءةُ أبي العَالِيَة، والنَّخعيِّ، والجَحدرِيِّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: جعلناهُم أُمراءَ، وقرأ أبو المتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمَرَ: «أَمِرْنا» بفتح الهمزةِ مكسورةَ الميم مخفَّفةً. فأمَّا المُترَفُون، فهمُ المُتَنَعِّمُون الذين أبطَرتْهُم النِّعمةُ وسَعَةُ العَيْشِ، والمُفسِّرون يقولون: هُمُ الجَبَّارون والمُسَلَّطون والمُلوكُ، وإنما خَصَّ المُترَفين بالذِّكرِ، لأنهم الرُّؤساءُ، ومَنْ عَدَاهُم تَبَعٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي: تَمَرَّدوا في كُفْرِهم، لأنَّ الفسقَ في الكُفرِ: الخُروجُ إلى أفحَشِهِ. وقد شرحنا معنى «الفِسْقِ» في البقرة[1]. قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ قال مُقاتِلٌ: وَجبَ عليها العَذابُ. وقد ذكرنا معنى «التَّدمير» في الأعراف[2]. قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ وهو جَمْعُ قَرْنٍ. وقد ذكرنا اختلافَ الناسِ فيه في الأنعام[3] وشرحنا معنى الخبير والبصير في سُورة البقرة[4] قال مُقاتِلٌ: وهذه الآيةُ تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: مَنْ كان يُريد بعَملِه الدُّنيا، فعَبَّر بالنَّعتِ عن الاسم، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ مِنْ عَرَضِ الدنيا، وقيل: مِنَ البَسْطِ والتَّقتِيرِ، ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لِمَنْ نُريدَ هَلَكتَهُ، قاله أبو إسحاقَ الفَزارِي. **والثاني**: لِمَنْ نُريد أنْ نُعجِّلَ له شيئاً وفي هذا ذَمٌّ لِمَنْ أراد بعَملِه الدُّنيا، وبيانُ أنه لا يَنالُ ما يَقْصِدُهُ منها إلاَّ ما قُدِّرَ له، ثم يَدخلُ النارَ في الآخِرَةِ. وقال ابنُ جَريرٍ:

---

(١) سورة البقرة: ٢٦، ١٩٧.
(٢) سورة الأعراف: ١٣٧.
(٣) سورة الأنعام: ٦.
(٤) سورة البقرة: ٢٣٤ وعند الآية: ٩٦.

هذه الآيةُ لِمَنْ لا يُوقِنُ بالمَعادِ. وقد ذكرنا معنى «جهنَّم» في سُورةِ البقرة[١]، ومعنى ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ في سُورةِ النِّساءِ[٢]، ومعنى ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ في الأعرافِ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾ يعني: الجنَّةَ ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عَمِلَ لها العملَ الذي يَصلُحُ لها، وإنَّما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأنَّ الإيمانَ شَرطٌ في صِحَّةِ الأعمالِ، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ أي: مَقبولاً. وشُكْرُ الله عزَّ وجلَّ لهم: ثوابُه إيَّاهُم، وثَناؤه عليهم.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كلاًّ» منصوبٌ بـ «نمِدُّ»، «هؤلاء» بدلٌ مِنْ «كل» والمعنى: نُمِدُّ هؤلاءِ وهؤلاءِ مِنْ عطاءِ ربِّكَ، قال المُفسِّرون: كُلاً نُعطي مِنَ الدنيا، البَرَّ والفَاجِرَ، والعَطاءُ هاهنا: الرِّزقُ، والمَحظُورُ: المَمنُوعُ، والمعنى: أنَّ الرِّزقَ يَعُمُّ المؤمنَ والكافرَ، والآخِرةُ للمُتَّقين خاصَّةً. ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وفيما فُضِّلوا فيه قولان: **أحدهما**: الرِّزقُ، منهم مُقِلٌّ، ومنهم مُكثِرٌ. **والثاني**: الرِّزقُ والعملُ، فمنهم مُوفَّقٌ لعملٍ صالحٍ، ومنهم مَمنُوعٌ مِنْ ذلك. قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخِطابُ للنبيِّ ﷺ، والمعنى عامٌّ لجميعِ المُكلَّفين. والمَخذُولُ: الذي لا ناصرَ له، والخِذلانُ: تَرْكُ العونِ. قال مُقاتِلٌ: نزلت حينَ دَعوا رسولَ الله ﷺ إلى مِلَّةِ آبائِه.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ روى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: أَمَرَ ربُّكَ. ونقلَ عنه الضَّحَّاكُ أنه قال: إنَّما هي «ووصى ربك» فالتَصقَتْ إحدى الوَاوَين بـ «الصاد»، وكذلك قرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّل، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «ووصى»، وهذا على خلافِ ما انعقدَ عليه الإجماعُ، فلا يُلتفَتُ إليه. وقرأ أبو عِمرانَ، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ، ومعاذٌ القَارِئُ: «وقضاءُ ربك» بقافٍ وضادٍ بالمَدِ والهَمزِ والرَّفع وخَفضِ اسم الرَّبِّ. قال ابنُ الأنباري: هذا القَضاءُ ليس مِنْ بابِ الحَتْمِ والوجُوبِ، لكنه مِنْ بابِ الأمرِ والفَرْضِ، وأصلُ القضاء في اللغة: قَطْعُ الشيءِ بإحكامٍ وإتقانٍ، قال الشَّاعر يَرثي عمرَ:

قَضَيْتَ أُموراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَها … بَوائِقَ في أَكْمامِها لَمْ تُفَتَّقِ[٤]

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٦. (٢) سورة النساء: عند الآية ١٠. (٣) سورة الأعراف: ١٨.

(٤) البيت للشمَّاخ كما في «حماسة أبي تمام» ٣/ ١٠٩. ويُروى أيضاً للمزرد بن ضرار كما في «البيان والتبيين» ٣/ ٣٦٤. وقيل إن هذا الشعر للجنّ قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث، فكان ذلك نعياً قبل أن يقتل. وفي «اللسان»: البوائق: جمع بائقة وهي الداهية والبلية.

أراد: قَطعتها مُحْكِماً لها.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً وهو البِرُّ والإكرامُ، وقد ذكرنا هذا في البَقرةِ[١]. قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يبلغنّ» على التَّوحيد. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «يبلغان» على التَّثنيةِ. قال الفَرَّاءُ: جُعلَتْ «يبلغن» فِعلاً لأحدِهما وكرَّت عليهما «كلاهما» ومَنْ قرأ «يبلغانّ» فإنه ثَنَّى لأنَّ الوَالدَين قد ذُكِرا قبل هذا، فصارَ الفعلُ على عَددِهما، ثم قال: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ على الاستِئنَافِ، كقوله تعالى: ﴿فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾[٢] ثم استأنفَ فقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ قرأ أبو عمروٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «أُفِّ» بالكسر مِنْ غير تنوينٍ، وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ويَعقوبُ، والمُفَضَّلُ: «أُفَّ» بالفتح مِنْ غيرِ تنوينٍ. وقرأ نافعٌ، وحَفصٌ عن عَاصِم: ﴿أُفٍّ﴾ بالكسرِ والتنوينِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ وابنُ يَعمَرَ: «أُفٌّ» بالرفع والتنوين وتشديدِ الفاء. وقرأ مُعاذُ القارئُ، وعَاصِمٌ، الجَحدرِيُّ، وحُمَيدُ بنُ قَيْسٍ: «أُفّاً» مثل «تَعْساً». وقرأ أبو عَمرَانَ الجَوْني، وأبو السَّمَّال العَدَويّ: «أُفُّ» بالرفع مِنْ غير تنوينٍ مع تشديدِ الفاء، وهي رواية الأصمَعيِّ عن أبي عَمروٍ. وقال عِكرِمَةُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو رَجَاء، وأبو الجَوزَاءِ: «أُفْ» بإسكانِ الفاء وتخفيفِها؛ قال الأَخفَشُ: وهذا لأنَّ بعضَ العرب يقولُ: أُفْ لكَ، على الحِكايةِ، والرَّفعُ قبيحٌ، لأنه لم يَجِئْ بعدَهُ بلاَم. وقرأ أبو العَالِية، وأبو حَصِينِ الأَسَديّ: «أُفِّي» بتشديدِ الفاءِ وبياءٍ وروى ابنُ الأنباري أنَّ بعضَهم قرأها: «إِفِ» بكسرِ الهمزة. وقال الزَّجَّاجُ: فيها سبعُ لُغاتٍ: الكسرُ بلا تنوينٍ، وبتنوينٍ والضَّمُّ بلا تنوينٍ، وبتنوينٍ، والفتحُ بلا تنوينٍ، وبتنوينٍ، واللغةُ السابعةُ لا تجوز في القِراءة: «أُفي» بالياء، هكذا قال الزَّجَّاجُ. وقال ابنُ الأنباري: في «أُفٍّ» عشرةُ أوجهٍ: «أُفَّ» بفتح الفاء، و «أُفِّ» بكسرها، و «أُفُّ»، و «أُفّاً» لكَ بالنَّصبِ والتنوينِ على مذهبِ الدُّعاءِ كما تقول: «وَيْلاً» للكافرين، و «أُفٌّ» لكَ، بالرَّفع والتنوينِ، وهو رفعٌ باللام، كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[٣] و «أُفهٍ» لكَ، بالخَفضِ والتنوينِ، تشبيهاً بالأصواتِ، كقولكَ: «صَهٍ» و «مَهٍ»، و «أُفهاً» لكَ، على مذهبِ الدُّعاء أيضاً، و «أُفِّي» لكَ، على الإِضافةِ إلى النَّفسِ، و «أُفْ» لكَ، بسكونِ الفاءِ تشبيهاً بالأدواتِ، مثل: «كم» و «هل» و «بل»، و «إِفّ» لكَ، بكسرِ الألفِ، وقرأتُ على شيخنا أبي منصورِ اللغوي، قال: وتقولُ: «أُفِ» منه، و «أُفَ»، و «أُفُ»، و «أُفٍ»، و «أُفّاً»، و «أُفٌّ»، و «أُفِّي» مضافٌ، و «أُفهاً» و «أُفاً» بالألفِ، ولا تقل: «أُفي» بالياء فإنه خطأ.

فأما معنى ﴿أُفٍّ﴾ ففيه خمسةُ أقوال: **أحدها**: أنه وَسَخُ الظُّفرِ، قاله الخَليلُ. **والثاني**: وَسَخُ الأُذنِ، قاله الأَصمَعيُّ. **والثالث**: قُلامَةُ الظُفرِ، قاله ثَعلَبُ. **والرابع**: أن «الأُفَّ» الاحتِقارُ والاستِصغَارُ، مِنَ «الأَفَف»، والأَفَفُ عند العرب: القِلَّةُ، ذكره ابنُ الأنبَاري. **والخامس**: أن «الأُفَّ» ما رَفعتَهُ مِنَ الأرض مِنْ عُودٍ أو قَصبَةٍ، حكاه ابنُ فارسٍ اللغوي. وقرأتُ على شيخنا أبي مَنصُورٍ قال: معنى «الأفّ»: النَّتَنُ، والتَّضجُّرُ، وأصلها: نَفخُكَ الشيءَ يسقطُ عليكَ مِنْ تُرابٍ ورَمادٍ، وللمكانِ تُريدُ إماطَةَ الأذَى عنه، فقيلَتْ لكلِّ مُستثقَلٍ، قلتُ: وأما قولُهم: «تُف»، فقد جَعلَها قومٌ بمعنى «أف»، فرُوِي عن

---

(١) سورة البقرة عند الآية: ٨٣. (٢) سورة المائدة: ٧١. (٣) سورة المطففين: ١.

أبي عُبيدٍ أنه قال: أصلُ «الأفّ» و «التفّ»: الوَسَخ على الأصابع إذا فَتَلْتَهُ. وحكى ابنُ الأنباري فَرْقاً، فقال: قال اللغويون: أصلُ «الأفّ» في اللغة: وَسخُ الأذنِ، و «التُفّ»: وَسخُ الأظفارِ، فاستعملَتْهما العربُ فيما يُكرَهُ ويُستقذرُ ويُضجَرُ منه. وحكى الزَّجّاجُ فَرْقاً آخرَ، فقال: قد قِيلَ: إنَّ «أف»: وَسخُ الأظفارِ، و «التُفُّ»: الشيءُ الحَقيرُ، نحو وَسَخِ الأذنِ، أو الشَّظِيَّةُ تُؤخَذُ مِنَ الأرض، ومعنى «أُف»: النَّتَنُ، ومعنى الآية: لا تَقُلْ لهما كلاماً تتبرَّم فيه بهما إذا كَبِرَا وأَسَنَّا، فينبغي أنْ تتولَّى مِنْ خِدْمَتِهما مثلَ الذي تَوَلَّيَا مِنَ القيام بشأنِكَ وخِدْمَتِكَ، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي: لا تكلِّمْهما ضَجِراً صائحاً في وجُوهِهِما. وقال عَطاءُ بنُ أبي رَباح: لا تَنْفُضْ يدكَ عليهما، يقال: نَهَرْتُهُ أَنْهَرُه نَهْراً، وانتهَرْتُه انتِهاراً، بمعنًى واحدٍ، وقال ابنُ فارس: نَهرتُ الرجُلَ وانتهرتُه مثل: زَجرتُه. قال المُفسِّرون: وإنما نَهى عن أذاهُما في الكِبَرِ، وإنْ كان منهياً عنه على كلِّ حالٍ، لأنَّ حالةَ الكِبَرِ يظهرُ فيها منهما ما يُضجِرُ ويُؤذي، وتَكثُرُ خِدمَتُهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: لَيِّناً لطيفاً أحسنَ ما تَجِدُ. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ: قولَ العبدِ المُذنِبِ للسَّيِّدِ الفَظِّ. قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: أَلِنْ لهما جانبَكَ مُتذلِّلاً لهما مِنْ رحمتِكَ إيَّاهُما. وخَفضُ الجَناحِ قد شرحناه في الحِجْر[1]. قال عَطاءٌ: جَناحُكَ: يَدَاكَ، فلا تَرْفَعهُما على وَالِدَيْكَ. والجمهور يَضُمُّون الذالَ مِنَ «الذُّلّ» وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، وعَاصِمٌ الجَحدريُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: بكسرِ الذال. قال الفرَّاءُ: الذُّلُّ: أنْ تتذلَّلَ لهما، مِنَ الذُّلِّ، والذِّلُّ: أنْ تتذَلَّلَ ولستَ بذليلٍ في الخدمة[2] والذُّلُّ والذِّلَّةُ: مصدرُ الذَّليلِ، والذِّلُّ بالكسر: مصدرُ الذَّلُولِ، مثل الدَّابَّةِ والأرضِ. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ «الذِّل»، بكسرِ الذَّالِ، جعله بمعنى الذُّلِّ، بضمِّ الذَّالِ، والذي عليه كُبَراءُ أهلِ اللغة أنَّ الذُّلَّ مِنَ الرجل الذَّليلِ، والذِّلَّ مِنَ الدَّابَّةِ الذَّلُولِ.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ أي: مِثْلَ رَحمَتِهما إيَّايَ في صِغَري حتى رَبَّيانِي، وقد ذهبَ قومٌ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ المُطلَقَ نُسِخَ منه الدُّعاءُ لأهلِ الشِّركِ بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[3]، وهذا المعنى منقولٌ عن ابنِ عباسٍ، والحسنِ، وعِكرمَةَ، ومُقاتِلٍ. قال المصنف: ولا أرى هذا نَسْخاً عند الفقهاء، لأنه عامٌّ دَخلَهُ التَّخصِيصُ، وقد ذَكَرَ قريباً ممَّا قلتُه ابنُ جريرٍ. قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ أي: بما تُضمِرُون مِنَ البِرِّ والعُقوقِ، فمَنْ بَدَرَتْ منه بَادِرةٌ وهو لا يُضمِرُ العُقوقَ، غُفِرَ له ذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ أي: طَائعينَ للهِ، وقيلَ بَارِّينَ، وقيل: توَّابينَ، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ في الأوَّاب عشرةُ أقوال[4]:

أحدها: أنه المُسلِمُ، رواه الضَّحّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه التَّوَّابُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحّاكُ، وأبو عُبيدَةَ، وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو التَّائِبُ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ. وقال الزَّجّاجُ: هو التَّوَّابُ المُقلِعُ عن جميع ما نَهاهُ اللهُ عنه، يُقال: قد آبَ يَؤوبُ أَوْباً: إذا رجعَ.

---

(١) الحجر عند الآية: ٨٨. (٢) في نسخة «الخلق». (٣) سورة التوبة: ١١٣.

(٤) قال الإمام الطبري رحمه الله ٨/٦٦: وأولى الأقوال بالصواب: قول من قال: الأوّاب: هو التائب من الذنب الراجع عن معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه.

والثالث: أنه المُسَبِّحُ، رواه سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه المُطِيعُ للهِ تعالى، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه الذي يذْكُرُ ذَنْبَهُ في الخَلاءِ، فيَستغفِرُ اللهَ منه، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والسادس**: أنه المُقْبِلُ إلى الله تعالى بقَلْبِه وعَملِه، قاله الحَسنُ. **والسابع**: المُصَلِّي، قاله قَتادَةُ. **والثامن**: هو الذي يُصَلِّي بين المَغربِ والعِشاءِ، قاله ابنُ المُنكَدِرِ. **والتاسع**: الذي يُصلِّي صلاةَ الضُّحى، قاله عَونٌ العُقَيليُّ. **والعاشر**: أنه الذي يُذْنِبُ سِراً ويتوبُ سِراً، قاله السُّدِّيُّ.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ فيه قولان[1]: **أحدهما**: أنه قَرابَةُ الرجل مِنْ قِبَلِ أبيه وأُمِّهِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسَنُ، فعَلَى هذا في حقِّهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المراد به: بِرُّهُم وصِلَتُهم. **والثاني**: النَّفقةُ الواجبةُ لهم وقتَ الحَاجةِ. **والثالث**: الوَصيَّةُ لهم عند الوَفاةِ.

والثاني: أنهم قَرابَةُ الرَّسول، قاله عليُّ بنُ الحُسينِ عليهما السَّلامُ والسُّدِّيُّ. فعلى هذا، يكون حَقُّهم: إعطاؤهُم مِنَ الخُمسِ، ويكون الخطابُ للوُلاةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال القاضي أبو يَعلَى: يجوز أنْ يكون المُراد: الصَّدقاتُ الواجبةُ، يعني، الزَّكاةَ، ويجوز أنْ يكون الحقُّ الذي يَلزمُه إعطاؤه عندَ الضرورة إليه. وقيل: حقُّ المِسكين، مِنَ الصَّدقَةِ، وابنِ السَّبيل، مِنَ الضِّيافَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ في التَّبذيرِ قولان: **أحدهما**: أنه إنفاقُ المال في غير حقّ، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: لو أنفقَ الرجلُ مالَهُ كُلَّهُ في حقٍّ، ما كان مُبذِراً، وأنفقَ مُدّاً في غير حقٍّ، كان مُبذِراً. قال الزَّجَّاجُ: التَّبذيرُ: النَّفقةُ في غير طاعةِ الله، وكانت الجاهلية تَنحرُ الإبلَ وتُبذِّرُ الأموالَ تطلب بذلك الفَخرَ والسُّمعةَ، فأمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بالنَّفقةِ في وَجْهِها فيما يُقرِّبُ منه. **والثاني**: أنه الإِسرَافُ المُتلِفُ للمالِ، ذكره المَاوَرديِ. وقال أبو عُبيدَةَ: المُبَذِّر: هو المُسرِفُ المُفسِدُ العائِثُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ لأنهم يُوافِقونَهُم فيما يَدعُونهم إليه، ويُشاكِلونَهُم في معصية الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ أي: جَاحِداً لِنِعَمِه. وهذا يتضمَّنُ أنَّ المُسرِفَ كَفُورٌ للنِّعَم.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ في المُشارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين تقدَّم ذِكْرُهم مِنَ الأقارب والمساكين وأبناءِ السَّبيلِ، قالهُ الأكثرون، فعَلَى هذا في عِلَّةِ هذا الإِعراضِ قولان: **أحدهما**: الإِعسَارُ، قاله الجمهور. **والثاني**: خَوفُ إنفاقِهم ذلك في معصية الله، قاله ابنُ زيدٍ. وعلى هذا في الرَّحمةِ قولان: **أحدهما**: الرِّزقُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه الصَّلاحُ والتَّوبةُ. هذا على قولِ ابنِ زيدٍ. **والثاني**: أنهم المشركون، فالمعنى: وإمَّا تُعرِضَنَّ عنهم لتَكذيبِهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. فتحتملُ إذاً الرَّحمةُ وَجْهَين: **أحدهما**: انتظار النَّصرِ عليهم. **والثاني**: الهِدايةُ لهم.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٨/ ٦٧: وأولى التأولين عندي بالصواب تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم.

[٨٩٢] **والثالث**: أنهم ناسٌ مِنْ مُزَينةَ جاؤوا يَستحمِلُون رسولَ الله ﷺ، فقال: «لا أجدُ ما أحمِلُكم عليه»، فبَكوا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عَطاءُ الخُراسَانيّ.

[٨٩٣] **والرابع**: أنها نزلَت في خَبَّابٍ، وبلالٍ، وعَمَّارٍ، ومِهجَعٍ، مِنَ الفقراء، كانوا يسألون رسولَ الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيُعرِضُ عنهم ويَسكتُ، قاله مُقاتِلٌ، فعلى هذا القول والذي قبلَهُ تكون الرَّحمةُ بمعنى الرِّزق.

قوله تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: لَيِّناً هيِّناً، وهو مِنَ اليُسْرِ. وللمُفسِّرين فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العِدَةُ الحسَنةُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه القولُ الجميلُ، مثل أنْ يقولَ: رزقَنا اللهُ وإيَّاكَ، قاله ابنُ زيدٍ؛ وهذا على ما تقدَّم مِنْ قوله. **والثالث**: أنه المُدَارَاةُ لهم باللسان، على قولِ مَنْ قال: همُ المشركون، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وعلى هذا القولِ، تحتملُ الآيةُ النَّسْخَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

[٨٩٤] سببُ نُزولِها: أنَّ غُلاماً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال، إنَّ أُمي تسألُكَ كذا وكذا، قال: «ما عندَنا اليومَ شيءٌ»، قال: فتقولُ لكَ: اكْسني قميصَكَ، قال: فَخلَعَ قميصَهُ فدفعَهُ إليه، وجلسَ في البيت حَاسِراً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ مسعودٍ. وروى جابرُ بنُ عبدِ الله نحوَ هذا، فزادَ فيه، فأذَّنَ بلالٌ للصلاةِ، وانتظرُوه فلم يَخرُجْ، فشغلَ قلوبَ الصَّحابةِ، فدخلَ عليه بعضُهم، فرأوهُ عُريَاناً، فنزلت هذه الآيةُ.

والمعنى: لا تُمسِكْ يدَكَ عن البَذْلِ كلَّ الإمسَاكِ حتى كأنها مقبوضةٌ إلى عُنُقِكَ، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ في الإعطاءِ والنَّفقةِ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ تلومُ نَفسَكَ ويلومُكَ الناسُ، ﴿مَّحْسُورًا﴾ قال ابنُ قُتَيبة: تَحْسِرُكَ العَطيَّةُ وتَقطَعُكَ كما يَحسِرُ السَّفرُ البعيرَ فيبقى مُنقطِعاً به. قال الزَّجَّاجُ: المَحسُورُ: الذي قد بلغَ الغايةَ في التعب والإعياءِ، فالمعنى: فتقعدَ وقد بالغتَ في الحَمْلِ على نفسِكَ وحالِكَ حتى صِرتَ بمنزلة مَنْ قد حَسِرَ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا الخِطابُ أُريدَ به غيرُ رسولِ الله ﷺ لأنه لم يَكُنْ يدَّخِرُ شيئاً

---

[٨٩٢] واه بمرة. فهو مرسل ومع إرساله. عطاء بن عبد الله الخراساني ضعفه البخاري وابن حبان، وغيرهما. والمتن منكر جداً، فإن خبر مزينة كان في غزوة تبوك، وهذه السورة مكية أو في أول العهد المدني.

[٨٩٣] باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم، والمتن منكر، فهو باطل، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ١١٢ بدون سند ولا عزو لأحد.

[٨٩٤] ضعيف جداً. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٥٧٥ من حديث ابن مسعود، وإسناده ضعيف جداً. فيه سليمان بن سفيان الجهني متروك، والخبر لا شيء، شبه موضوع. وذكره الواحدي في «أسبابه» ٥٧٦ عن جابر بدون إسناد.

لِغَدٍ[١]، وكان يجوع حتى يشدَّ الحَجَرَ على بطنِه[٢]، وقد كان كثيرٌ مِنْ فُضلاءِ الصحابة يُنفقون جميعَ ما يَملِكُون، فلم يَنْهَهُم اللهُ، لصحَّة يَقينِهم، وإنما نهىٰ مَنْ خِيْفَ عليه التَّحسُّر على ما خرج مِنْ يدهِ، فأمَّا مَنْ وَثِقَ بوعدِ الله تعالى، فهو غيرُ مُرادٍ بالآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُوسِّع على مَنْ يشاء ويُضيِّق، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ حيث أجرى أرزاقَهم على ما علمَ فيه صلاحَهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ قد فسَّرناه في سُورة الأنعام[٣].

قوله تعالى: ﴿كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خِطْءاً» مكسورةَ الخاءِ ساكنةَ الطاءِ مهموزةً مقصورةً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «خِطاءً» مكسورةَ الخاء ممدودةً مهموزةً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «خَطَأً» بنصبِ الخاء والطاء وبالهمزِ مِنْ غيرِ مدٍّ. وقرأ أبو رَزِينٍ كذلك، إلاَّ أنه مَدَّ وقرأ الحسنُ، وقَتادَةُ: «خَطْءاً» بفتح الخاء وسكونِ الطاء مَهموزاً مَقصُوراً، وقرأ الزُّهريُّ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «خِطاً» بكسرِ الخاء وتنوينِ الطاء مِنْ غير هِمزٍ ولا مَدّ. قال الفَرّاءُ: الخِطْءُ: الإثمُ، وقد يكون في معنى «خطَإٍ» كما قالوا: «قِتْبٌ» و «قَتَبٌ» و «حِذْرٌ» و «حَذَرٌ» و «نِجْسٌ» و «نَجَسٌ»، والخِطْءُ، والخِطَاءُ، والخَطَاءُ، ممدودٌ: لُغاتٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: خَطِئْتُ وأَخْطَأْتُ، لُغتان. وقال أبو عليّ: قراءة ابنِ كَثيرٍ «خِطاءً»، يجوز أنْ تكون مصدرَ «خاطأ» وإِنْ لم يُسمع «خاطأ» ولكنْ قد جاء ما يدلُّ عليه، أنشد أبو عُبيدَةَ:

تَخَاطَأتْ إليكَ أحشَاؤهُ

وقال الأَخفَشُ: خَطِئَ يَخْطَأُ بمعنى «أَذْنَبَ» وليس بمعنى «أَخطأَ»، لأنَّ «أخطَأَ»: فيما لم يصنعه عَمْداً. وتقول فيما أتيتَهُ عَمْداً، «خَطِئْتُ»، وفيما لم تَتعمَّدْهُ: «أخطأتُ». وقال ابنُ الأنباري: «الخِطء»: الإثمُ، يُقال: قد خَطِئَ يَخطَأُ: إذا أَثِم، وأَخطَأَ يُخْطِئُ: إذا فارقَ الصَّوابَ. وقد شرحنا هذا في سُورة يُوسفَ عند قولِه: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾[٤].

---

(١) حديث ضعيف. مداره على جعفر بن سليمان، وهو غير قوي بل أدرجه البخاري وغيره في «الضعفاء» راجع «الميزان» ١/ ٤٠٨ ـ ٤١٠ وهذا الحديث رواه عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يدّخر شيئاً لغد. أخرجه الترمذي ٢٣٦٢ وابن عدي في «الكامل» ٢/ ٥٧٢ والخطيب في «تاريخه» ٧/ ٩٨ وابن حبان ٦٣٥٦. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن النبي ﷺ مرسلاً. وقال الحافظ ابن كثير في «الشمائل» ٩٨ ـ ٩٩: المراد أنه كان لا يدّخر شيئاً لغد مما يسرع إليه الفساد كالأطعمة ونحوها لما ثبت في «الصحيحين» عن عمر أنه قال: إن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب فكانت له خالصةً، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وما بقي جعله في الكُرَاع والسلاح في سبيل الله. الكُرَاع: اسم يجمع الخيل والسلاح. حديث صحيح، أخرجه البخاري ٢٩٠٤ و ٤٨٨٥ ومسلم ١٧٥٧ وأبو داود ٢٩٦٥ والنسائي ٨/ ١٠٢.

(٢) حسن. أخرجه أحمد ٣/ ٣٠٠ بإسناد حسن من حديث جابر وأخرجه أبو يعلى ٢٠٠٤ من وجه آخر بسند فيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس. وله شاهد من حديث أبي طلحة، أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢/ ٢٣٢ وإسناده ضعيف لضعف سيار بن حاتم، لكن يصلح حديثه شاهداً لما قبله.

(٣) الأنعام: عند الآية ١٥١. (٤) سورة يوسف: ٩١.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ وقرأ أبو رَزِين، وأبو الجَوزاءِ، والحسَنُ: بالمَدِّ. وقال أبو عُبيدَة: وقد يُمدُّ «الزنى» في كلام أهلِ نَجْدٍ، قال الفَرزدَقُ:

أبا حاضِرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرَفْ زِناؤُه ... ومَنْ يَشْرَبِ الخُرْطُومَ يُصْبِحْ مُسَكَّرا

وقال أيضاً[1]:

أَخضَبتَ فِعلَك للزِّناءِ ولم تكُنْ ... يومَ اللِّقاءِ لِتَخضِبَ الأبطالا

وقال آخرُ:

كانتْ فَريضَةُ ما تقولُ كَما ... كانَ الزِّناءُ فَريضَةَ الرَّجْمِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قد ذكرناه في سُورة الأنعام[3].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الأجودُ إدغامُ الدالِ مع الجيم، والإظهارُ جيدٌ بالغٌ، إلاَّ أنَّ الجيمَ مِنْ وسط اللسان، والدالَ مِنْ طَرفِ اللسان، والإدغامُ جائزٌ، لأنَّ حروفَ وَسطِ اللسان تَقربُ مِنْ حروف طَرفِ اللسان. ووَلِيُّه: الذي بينه وبينه قَرابةٌ تُوجبُ المطالبةَ بدَمِه، فإنْ لم يكُنْ له وَليٌّ، فالسُّلطان وَليُّه.

وللمُفسِّرين في السُّلطان قولان: **أحدهما**: أنه الحُجَّة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الوَالي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يَنصُره ويُنصِفُه في حَقِّه، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وعَاصِمٌ: ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزةُ والكِسَائيُّ: بالتاء. وفي المُشارِ إليه في الآيةِ قولان: **أحدهما**: أنه وَليُّ المَقتولِ. وفي المُراد بإسرَافِه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يَقتُلَ غيرَ القَاتِلِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: أنْ يقتُلَ اثنين بواحدٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنْ يقتُلَ أشرفَ مِنَ الذي قُتِلَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنْ يُمثِّلَ، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنْ يتولَّى هو قَتْلَ القاتلِ دُونَ السلطان، ذكره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ الإشارَة إلى القاتلِ الأوَّلِ، والمعنى: فلا يُسرفِ القاتلُ بالقَتْلِ تَعدِّياً وظُلماً، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ أي: مُعَاناً عليه. وفي هاءِ الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الوَليِّ، فالمعنى: أنه كان منصوراً بتمكِينِه مِنَ القَوَدِ، قاله قَتادَةُ، والجمهورُ. **والثاني**: أنها ترجع إلى المَقتُولِ، فالمعنى: أنه كان منصوراً بقَتْلِ قاتلِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها ترجع إلى الدَّم، فالمعنى: أنَّ دَمَ المَقتولِ كان مَنصُوراً، أي: مَطلُوباً به. **والرابع**: أنها ترجع إلى القَتْلِ، ذكرَ القولَين الفَرَّاءُ.

---

(١) وقع في النسخ «آخر» والصواب ما أثبتناه كما في «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٧.

(٢) البيت للنابغة الجعدي كما في «اللسان» مادة ـ زنى ـ وقوله: «كان الزناء فريضة الرجم» مقلوب والأصل: كان الرجم فريضة الزنا.

(٣) سورة الأنعام: ١٥١.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ قد شرحناه في سُورة الأنعام[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وهو عامٌّ فيما بين العبدِ وبين رَبِّه، وفيما بينه وبين الناسِ. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما أَمرَ اللهُ به ونَهى عنه فهو مِنَ العَهدِ.

قوله تعالى: ﴿كَانَ مَسْئُولًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: مَسؤولاً عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: أَتِمُّوه ولا تَبْخَسوا منه. قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ فيه خمسُ لُغاتٍ: **إحداها**: «قُسْطَاس»، بضمِّ القافِ وسِينينِ، وهذه قراءةُ ابنِ كَثيرٍ، ونافعٍ، وأبي عمروٍ، وابنِ عامرٍ، وأبي بكرٍ عن عَاصِمٍ هاهنا وفي سُورة الشُّعراء[2]. **والثانية**: كذلك؛ إلاَّ أَنَّ القافَ مكسورةٌ، وهذه قراءةُ حَمزةَ، والكِسائيِّ، وحَفصٍ عن عَاصِمٍ. قال الفَرَّاءُ: هما لُغتان **والثالثة**: «قصطاص»، بصَادَيْن. **والرابعة**: «قصطَاس»، بصادٍ قبلَ الطاءِ وسِينٍ بعدَها، وهاتان مَرويَّتان عن حَمزةَ. **والخامسة**: «قِسطان»، بالنون. قرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي عن ابنِ دُريدٍ قال: القِسْطَاسُ: المِيزانُ، رُوميٌّ مُعرَّبٌ، «قُسْطَاس» و «قِسْطَاس». قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: ذلك الوَفاءُ خيرٌ عند الله وأقربُ إليه، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: عاقبة في الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الفَرَّاءُ: أصلُ «تَقْفُ» مِنَ القِيَافَةِ، وهي: تَتبُّعُ الأَثَرِ، وفيه لُغتان: قَفا يَقْفُو، وقَافَ يَقُوفُ وأكثرُ القُرَّاء يجعلونها مِنْ «قفوتُ» فيُحركُ الفاءَ إلى الواو ويَجزِمُ القافَ كما تقول: لا تَدْعُ، وقرأ مُعاذٌ القارئُ: «لا تَقُفْ»، مثل: تَقُلْ؛ والعربُ تقول: قُفْتُ أَثرهُ، وقَفوتُ، ومِثلُه: عَاثَ وعَثا، وقَاعَ الجَملُ النَّاقةَ، وقَعاها: إذا رَكِبَها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بإسكانِ الفاء وضمِّ القافِ مِنْ: قَافَ يَقُوفُ، فكأنه مَقلوبٌ مِنْ قَفَا يَقْفُو، والمعنى واحدٌ: تقول: قَفوتُ الشيءَ أقفوهُ قَفْواً: إذا تَبعتَ أَثرَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «لا تَقْفُ»، أي: لا تُتْبِعهُ الظُّنونَ والحَدْسَ، وهو مِنَ القَفاءِ مأخوذٌ، كأنك تَقفُو الأمورَ، أي: تكون في أَقفائِها وأواخِرها تَتعقَّبُها، والقَائِفُ: الذي يعرفُ الآثارَ ويتبَعُها فكأنه مقلوبٌ عن القَافِي.

وللمُفسِّرين في المراد به أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا ترْمِ أحداً بما ليس لك به عِلْمٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا تَقُلْ: رأيتُ، ولم تَرَ، ولا سمعتُ، ولم تَسمَعْ. رواه عُثمانُ بنُ عَطاءٍ عن أبيه عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتَادةُ. **والثالث**: لا تُشرِكْ بالله شيئاً، رواه عَطاءٌ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: لا تَشهَدْ بالزُّورِ، قاله محمَّدُ بنُ الحَنفيَّةِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنما قال: ﴿كُلُّ﴾، ثم قال: ﴿كَانَ﴾، لأنَّ كُلاً في لفظِ الواحِدِ، وإنما قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ لغيرِ الناسِ، لأنَّ كلَّ جَمْعٍ أشرتَ إليه مِنَ

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٢. (٢) سورة الشعراء: ١٨٢.

الناس وغيرِهم مِنَ المَواتِ، تشيرُ إليه بلفظِ «أولئك» قال جَريرٌ:

الآيـة ذُمَّ الـمَـنـازِلَ بَـعْـدَ مَـنْـزِلَـةِ الـلِّـوَى   والـعَـيْـشَ بَـعْـدَ أُولـئِـكَ الأيَّـام

قال المُفسِّرون: الإشارةُ إلى الجوارحِ المذكورةِ، يُسأَلُ العبدُ يومَ القيامة فيما إذا استعملَها، وفي هذا زَجْرٌ عن النَّظرِ إلى ما لا يَحِلُّ، والاستِماعِ إلى ما يَحرُمُ، والعَزْمِ على ما لا يَجوزُ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «مَرِحاً» بكسرِ الراء، قال الأخفَشُ: والكسرُ أجوَدُ، لأنَّ «مَرِحاً» اسمُ الفاعِلِ؛ قال الزَّجَّاجُ: كِلاهما في الجَودةِ سَواءٌ، غيرَ أنَّ المصدرَ أوكَدُ في الاستعمال، تقول: جاء زيدٌ رَكْضاً، وجاء زيدٌ راكِضاً، فـ «ركضاً» أوكَدُ في الاستعمالِ، لأنه يدلُّ على توكيدِ الفعلِ، وتأويلُ الآيةِ: لا تَمْشِ في الأرض مُختالاً فَخُوراً، والمَرحُ: الأَشَرُ والبَطَرُ. وقال ابنُ فارسٍ: المَرحُ: شدَّةُ الفرحِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لن تَقطَعَها إلى آخرِها. **والثاني**: لن تَنفذها وتَنقبها. قال ابنُ عباسٍ: لن تَخرِقَ الأرضَ بِكِبْرِكَ، ولن تبلغَ الجبالَ طُولاً بعظَمتك. قال ابنُ قُتيبةَ: والمعنى: لا ينبغي للعاجزِ أنْ يَبْذَخَ ويستكبِرَ.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «سَيِّئَةً» منوَّناً غيرَ مُضافٍ، على معنى: كان خطيئةً، فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى المَنهيِّ عنه مِنَ المذكورِ فقط. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسائيُّ: «سَيِّئُهُ» مُضافاً مُذكَّراً، فتكون لفظةُ «كلّ» يُشار بها إلى سائرِ ما تقدَّمَ ذِكْرُه. وكان أبو عمروٍ لا يرى هذه القِراءةَ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا غلطٌ مِنْ أبي عمروٍ، لأنَّ في هذه الأقاصيص سَيِّئاً وحَسَناً، وذلك أنَّ فيها الأمرَ بِبِرِّ الوالدين، وإيتاءِ ذي القُربى، والوفاءِ بالعَهدِ، ونحوِ ذلك، فهذه القِراءةُ أحسَنُ مِنْ قراءة مَنْ نصبَ السَّيِّئةَ، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ: تدبَّرتُ الآياتِ مِنْ قـولـه تـعـالـى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ فوجدتُ فيها أموراً حَسَنةً. وقال أبو عليٍّ: مَنْ قرأ «سَيِّئَةً» رأى أنَّ الكلام انقطعَ عندَ قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وأنَّ قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا حُسْنَ فيه.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يُشيرُ إلى ما تقدَّمَ مِنَ الفرائض والسُّنَنِ، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾، أي: مِنَ الأمور المُحكَمَةِ والأدبِ الجامعِ لِكلِّ خيرٍ. وقد سبق معنى «المَدْحُور»(١).

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) سورة الأعراف: ١٨.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في مُشركي العرب الذين قالوا: الملائكةُ بنَاتُ الرَّحمنِ. وقال أبو عُبيدةَ: ومعنى ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾: اختَصَّكم. وقال المُفَضَّلُ: أخلَصَكم. وقال الزَّجَّاجُ: اختار لكُم صَفوةَ الشيء، وهذا توبيخٌ للكفَّارِ، والمعنى: اختارَ لكم البَنينَ دونه، وجعلَ البنَاتِ مُشترَكةً بينكم وبينه، فاختَصَّكُم بالأَعلَى وجعلَ لنفسه الأَدْوَنَ؟!

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معنى التَّصريف هاهنا: التَّبيينُ، وذلك أنه إنما يُصَرِّفُ القولَ ليُبيِّن. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «صرَّفنا» بمعنى: وَجَّهنا، وهو مِنْ قولِكَ: صرفتُ إليكَ كذا، أي: عَدَلتُ به إليكَ، وشُدِّدَ للتَّكثير، كما تقول: فَتَّحتُ الأبوابَ. قوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعَاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «لِيَذَّكَّروا» مُشدَّداً. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «ليَذْكُروا» مُخففاً، وكذلك قرؤوا في الفُرقان[١]: والتَّذَكُّرُ: الاتِّعاظُ والتَّدبُّرُ. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَصريفُنا وتذكيرُنا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: ينفِرُون مِنَ الحقِّ، ويَتَّبِعونَ الباطلَ.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تقولون» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «يقولون» بالياء. قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لابتَغوا سبيلاً إلى مُمَانعَتِه وإزالةِ مُلكِهِ، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: لابتغَوا سبيلاً إلى رِضاه، لأنهم دُونَهُ، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عَامرٍ، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «يقولون» بالياء. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ: بالتاء..

قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «تسبّح» بالتاء. وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «يسبِّح» بالياء. قال الفَرَّاءُ: وإنما حَسُنَت «الياء» هاهنا، لأنه عددٌ قليلٌ، وإذا قَلَّ العددُ مِنَ المؤنَّث والمُذكَّر، كانت الياءُ فيه أحسنَ مِنَ التاء، قال عزَّ وجلَّ في المُؤنَّث القليلِ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾[٢] وقال في المُذكَّر: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾[٣]. قال العلماء: والمُراد بهذا التَّسبيحِ: الدَّلالةُ على أنه الخالقُ القادرُ. قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿وَإِن﴾ بمعنى «ما». وهل هذا على إطلاقه، أمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على إطلاقِه، فكلُّ شيءٍ يُسبِّحُهُ حتى الثوبُ والطعامُ وصَريرُ الباب، قاله إبراهيمُ النَّخعيُّ. **والثاني**: أنه عامٌّ يُراد به الخَاصُّ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كلُّ شيءٍ فيه الرُّوحُ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه كُلُّ ذِي رُوحٍ، وكُل نَامٍ مِنْ شجرٍ أو نباتٍ، قال عِكرمَةُ: الشَّجرةُ تُسبِّحُ، والأسطُوانَةُ لا

---

(١) سورة الفرقان: ٥٠. (٢) سورة يوسف: ٣٠. (٣) سورة التوبة: ٥.

تُسبّحُ وجلسَ الحسَنُ على طعام فقدَّموا الخِوَانَ، فقيل له: أيُسبّحُ هذا الخِوَانُ؟، فقال: قد كان يُسبِّح مرَّةً. **والثالث**: أنه كلُّ شيءٍ لم يُغيَّر عن حالِه، فإذا تَغيَّر انقطعَ تسبيحُه، رَوى خالدُ بنُ مَعْدَانَ عن المِقدَام بنِ مَعدِيكَرِب قال: إنَّ الترابَ لَيُسبِّح ما لم يَبْتَلّ، فإذا ابتلَّ تركَ التَّسبيحَ، وإنَّ الورقةَ تُسبِّح ما دامتْ على الشجرةِ، فإذا سَقطتْ تركتِ التَّسبيحَ، وإنَّ الثوبَ لَيُسبِّحُ ما دامَ جديداً، فإذا توسَّخَ تَركَ التَّسبيحَ. فأمَّا تسبيحُ الحيوان النَّاطِق، فمعلومٌ، وتسبيحُ الحيوانِ غيرِ النَّاطقِ، فجائزٌ أنْ يكون بصَوتِه، وجائزٌ أنْ يكون بدَلالتِه على صانِعه. وفي تسبيحِ الجَماداتِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تسبيحٌ لا يعلمه إلاَّ اللهُ. **والثاني**: أنه خُضوعُه وخُشوعُه لله. **والثالث**: دلالتُه على صانِعه، فيُوجب ذلك تسبيحَ مُبْصِرِه. فإنْ قُلنا: إنه تسبيحٌ حقيقةً، كان قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لجميع الخَلْقِ؛ وإنْ قُلنا: إنه دلالتُه على صانِعه، كان الخِطابُ للكفَّارِ، لأنهم لا يَستدِلُّون، ولا يَعتبِرون. وقد شرحنا معنى «الحَلِيم» و «الغَفُور» في سُورة البقرة.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحِجابَ: هو الأكِنَّةُ على قلوبهم، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه حِجابٌ يستُرهُ فلا يَرونَهُ؛ وقيل: إنها نزلت في قومٍ كانوا يُؤذُون رسولَ الله ﷺ إذا قرأ القرآن.

[٨٩٥] قال الكَلبيُّ: وهم أبو سُفيانَ والنَّضرُ بنُ الحَارثِ وأبو جهلٍ وأمُّ جَميلٍ امرأةُ أبي لَهبٍ،

---

[٨٩٥] باطل بهذا اللفظ، والكلبي كذاب يضع الحديث. وقد ورد في كتب الحديث. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لما نزلت سورة ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمماً أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا. والنبي جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله أقبلت وأنا أخاف أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني» وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال وقرأ ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني فقال: لا وربِّ هذا البيت ما هجاك فولّت، وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها. حديث حسن بشواهده. أخرجه الحميدي ٣٢٣ والحاكم ٢/ ٣٦١ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١١٠ من حديث أسماء، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! مع أن ابن تدريس مجهول، ـ وله شاهد ـ أخرجه أبو يعلى ٢٥ وابن حبان ٦٥١١ والبزار ٢٢٩٤ من حديث ابن عباس. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٥٢٩ وقال: قال البزار: إسناده حسن. مع أن =

فحَجبَ اللهُ رسولَهُ عن أبصارِهم عند قراءةِ القرآن، فكانوا يأتونَهُ ويَمرُّون به ولا يَرونَهُ.

والثالث: أنه مَنعُ اللهِ عزَّ وجلَّ إيَّاهم عن أذاهُ، حكاه الزَّجَّاجُ.

وفي معنى ﴿مَّسْتُورًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى سَاتِرٍ؛ قال الزَّجَّاجُ: وهذا قولُ أهل اللغة. قال الأخفَشُ: وقد يكون الفاعِلُ في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مَشؤومٌ علينا، ومَيمُونٌ علينا، وإنما هو شائِمٌ ويامِنٌ، لأنه مِنْ «شَأمَهم» و «يَمَنَهم». **والثاني**: أنَّ المعنى: حِجاباً مَستُوراً عنكم لا تَرونَهُ، ذكره المَاوَردِي. وقال ابنُ الأنبَاري: إذا قيل: الحجابُ هو الطَّبعُ على قلوبِهم، فهو مَستورٌ عن الأبصار، فيكون «مَستُوراً» باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ قد شَرحناهُ في سُورة الأنعام[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ يعني: قلتَ: لا إله إلاَّ اللهُ، وأنتَ تَتلُو القرآنَ ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي على أعقابِهم، ﴿نُفُورًا﴾ وهو: جَمْعُ نَافِرٍ، بمنزلة قاعِدٍ وقُعُودٍ، وجَالِسٍ وجُلُوسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: تحتمل مَذهَبين: **أحدهما**: المَصدرُ، فيكون المعنى: ولوا نَافِرينَ نُفُوراً. **والثاني**: أنْ يكون «نفوراً» جمعَ نَافِرٍ. وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الشياطين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم المشركون، وهذا مذهبُ ابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ﴾.

[٨٩٦] قال المُفسِّرون: أمرَ رسُولُ الله ﷺ عليّاً رضي اللهُ عنه أنْ يتَّخذَ طعاماً ويدعوَ إليه أشرَافَ قُريشٍ مِنَ المشركين، ففعلَ ذلك، ودخلَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ فقرأ عليهم القرآنَ، ودَعاهُم إلى التَّوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحِرٌ، هو مَسحُورٌ، فنزلت هذه الآيةُ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾، أي: يستمِعونَهُ، والباءُ زائدةٌ. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ قال أبو عُبيدةَ: هي مصدرٌ مِنْ «نَاجَيْتُ» واسمٌ منها، فوصفَ القومَ بها، والعربُ تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذابٌ، وأنتم غَمٌّ، فجاءت في موضعِ «مُتناجِين». وقال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وإذْ هم ذَوو نَجوَى، وكانوا يستمعون مِنْ رسولِ الله ﷺ ويقولون بينهم: هو ساحرٌ، وهو مَسحورٌ، وما أشبهَ ذلك مِنَ القول.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما تتَّبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي سُحِرَ فذُهِبَ بعقلِه، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَخدُوعاً مغروراً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: له سَحْرٌ، أي: رِئَةٌ؛ وكلُّ دابَّةٍ أوْ طائرٍ أو بَشَرٍ يأكلُ فهو: مَسحُورٌ ومُسحَّرٌ، لأنَّ له سَحراً، قال لَبيدُ:

= فيه عطاء بن السائب وقد اختلط اهـ. وأخرجه الحاكم ٢/٥٢٦ من حديث زيد بن أرقم، وأعلّه الحاكم بالإرسال، ووافقه الذهبي. وللحديث شواهد ضعيفة، لكن تتأيد بمجموعها، ويُعْلَم أن للحديث أصلاً، والله أعلم وقد صححه الشيخ شعيب في «الإحسان». انظر «تفسير القرطبي» ٤٠٢٧.

[٨٩٦] ورد هذا الخبر من وجوه متعددة واهية، وستأتي. ولم أجد من ذكر أن سبب نزول هذه الآية هو هذا الخبر. وانظر «تفسير القرطبي» ١٠/٢٣٧ بتخريجنا.

---

(١) سورة الأنعام: ٢٥.

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإنّنا عصافيرُ مِنْ هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

وقال امرؤ القيس:

أُرانا مُرَصِّدِينَ لأمرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطّعامِ وبالشَّرابِ

أي: نُغذّى، لأنَّ أهلَ السماء لا يأكلون، فأراد أنْ يكون مَلَكاً. فعلى هذا يكون المعنى: إنْ تتَّبعونَ إلاّ رجلاً به سَحْرٌ، خلقَهُ اللهُ كخَلْقِكُم، وليس بمَلَكٍ، وهذا قولُ أبي عُبيدَةَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والقولُ قولُ مُجاهِدٍ، أي مخدوعاً، لأنَّ السِّحرَ حِيلَةٌ وخديعةٌ؛ ومعنى قولِ لَبيدٍ «المسحَّر»: المُعلَّلُ، وقولُ امرِئِ القَيْسِ: «ونُسْحَر» أي: نُعلَّلُ، وكأنَّا نُخدَعُ، والناس يقولون: سَحرْتَني بكلامِكَ، أي: خَدعتَني، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾، لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رِئَةٍ، لم يكن في ذلك مَثَلٌ ضَربُوه، فلمّا أرادوا مَخدُوعاً ـ كأنه بالخَديعةِ سُحِرَ ـ كان مَثَلاً ضَربُوه، وكأنهم ذهبوا إلى أنَّ قوماً يُعلِّمونه ويَخدَعُونه. قال المُفسِّرون: ومعنى ﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بيَّنوا لكَ الأشباهَ، حتى شبَّهوكَ بالساحرِ والشاعرِ والمجنونِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقِّ، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَجدونَ سبيلاً إلى تصحيحِ ما يَعيبُونكَ به. **والثاني**: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهُدى، لأنّا طبَعنَا على قلوبهم. **والثالث**: لا يأتونَ سبيلَ الحقِّ، لِثِقَلِه عليهم؛ ومِثلُه قولهم: لا أستطيع أنْ أنظرَ إلى فُلانٍ، يَعنُونَ؛ أنا مُبغِضٌ له، فنَظَري إليه يَثْقُلُ، ذكرهنَّ ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «أيذا» بهمزةٍ ثم يأتي بياءٍ ساكنةٍ مِنْ غيرِ مَدّ، «أَيْنا»، مثله وكذلك في كلِّ القرآن. وكذلك رَوى قَالُونُ عن نافعٍ، إلاّ أنَّ نافعاً كان لا يَستَفهِمُ في «أَيْنا»، كان يجعل الثاني خبراً في كلِّ القرآن، وكذلك مذهبُ الكِسَائيِّ، غير أنه يَهمِزُ الأُولى همزتين. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ بهمزتين في الحرفين جميعاً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «إذا كُنّا» بغير استفهام بهمزةٍ واحدةٍ «آئنا» بهمزتين يمُدُّ بينهما مَدَّةً.

قوله تعالى: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه التراب ولا واحدَ له، فهو بمنزلة الدُّقاقِ والحُطَام، قاله الفَرّاءُ، وهو مذهبُ مُجاهِدٍ. **والثاني**: أنه العِظَامُ ما لم تَتحطَّمْ، والرُّفَاتُ: الحُطَامُ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقال الزَّجّاجُ: الرُّفَاتُ: الترابُ. والرُّفَاتُ: كلُّ شيءٍ حُطِمَ وكُسِرَ، و ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ في معنى مُجَدَّداً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الموتُ، قاله ابنُ عمرَ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، والأكثرون. **والثاني**: أنه السماءُ والأرضُ والجبالُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه ما يَكبُرُ في صُدورِكُم، مِنْ كلِّ ما استعظَمُوه مِنْ خَلْقِ الله تعالى، قاله قَتادَةُ.

فإنْ قيلَ: كيف قيلَ لهم: ﴿كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ وهم لا يقدرون على ذلك؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: إنْ قدرتُم على تَغيُّرِ حالاتِكُم، فكونوا حِجارةً أو أشدَّ منها، فإنّا نُميتُكم، ونُنفِّذُ أحكامَنا فيكم، ومثل هذا قولكَ للرَّجلِ: اصعَدْ إلى السماءِ فإنِّي لاحِقُكَ. **والثاني**: تَصوَّروا أنفسَكُم حِجارةً أو أصلَبَ منها، فإنا سَنُبيدُكُم، قال الأحوَصُ:

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٩١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كل ما في صدور بني آدم، فجائز أن يكون عني به الموت أو السماء والأرض أو غير ذلك لأن الله جل ثناؤه لم يخصص منه شيئاً دون شيء.

إذا كُنتَ عَزْهاةً عَنِ اللَّهوِ والصِّبا فَكُنْ حَجَراً مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَامِدا[١]

معناه: فتَصوَّرْ نفسَكَ حَجَراً، وهؤلاءِ قومق اعترَفُوا أنَّ الله خَالِقُهم، وجَحدُوا البَعثَ، فأُعلِموا أنَّ الذي ابتدأ خَلْقَهُم هو الذي يُحييهُم.

قوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ قال قَتادَةُ: يُحَرِّكُونها تكذيباً واستهزاء. قال الفراء: يقال: أنغض رأسه: إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل. وقال ابن قتيبة: المعنى يحركونها كما يُحرِّكُ الآيسُ مِنَ الشيء والمُستبعِدُ له رأسَه، يقال: نَغَضتْ سِنُّه: إذا تَحرَّكَتْ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ يعنونَ البعْثَ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريبٌ. ثم بَيَّن متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يعني: مِنَ القبور بالنِّداءِ الذي يُسمِعُكم، وهو النَّفخَةُ الأخيرة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أي: تُجيبون. قال مُقاتِلٌ: يقوم إسرافيلُ على صخرةِ بيتِ المَقدسِ يدعو أهلَ القبور في قَرْنٍ. فيقول: أيَّتُها العِظامُ البَالية، وأيَّتُها اللحُومُ المُتمزِّقةُ، وأيَّتُها الشُّعورُ المُتفرِّقة، وأيَّتها العُروقُ المُتقطِّعةُ، اخرُجوا إلى فَصْلِ القضاءِ لِتُجزَوا بأعمالِكُم، فيسمعون الصوتَ، فيَسْعَون إليه. وفي معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: بأمره، قاله ابنُ عباسٍ وابنُ جُرَيجٍ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: يخرجون مِنَ القبور وهم يقولون: سُبحانكَ وبحَمدِكَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَير. **والثالث**: أن معنى ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بمعرفته وطاعَتِه، قاله قَتادَةُ، قال الزَّجَّاجُ: تَستَجِيبون مُقِرِّينَ أنه خَالِقُكم. **والرابع**: تُجيبون بحمدِ الله لا بحَمدِ أنفسِكُم، ذكره المَاوَرديِ.

قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في هذا الظَّنِّ قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى اليَقين. **والثاني**: أنه على أصله. وأينَ يظنُّون أنهم لَبِثوا قليلاً؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بين النَّفختَين ومِقدارُه أربعونَ سنةً، ينقطِعُ في ذلك العذابُ عنهم، فيرَونَ لُبثَهُم في زمانِ الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: في الدنيا، لِعلمِهم بطُولِ اللُّبثِ في الآخرة، قاله الحَسنُ. **والثالث**: في القبُور، قاله مُقاتِلٌ. فعلى هذا إنما قُصِرَ اللُّبثُ في القبور عندهم، لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظَمُ عذاباً مِنْ عذاب القبور. وقد ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيَةَ خطابٌ للمؤمنين، لأنهم يُجيبون المُنادي يحمدون اللهَ على إحسَانِه إليهم، ويَستقِلُّون مدَّةَ اللُّبثِ في القبور، لأنهم كانوا غيرَ مُعذَّبين.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٨٩٧] **أحدهما**: أنَّ المشركين كانوا يُؤذونَ أصحابَ رسول الله ﷺ بمكَّةَ، بالقولِ والفعلِ،

---

[٨٩٧] باطل. ذكره الواحدي ٥٧٨ في «أسباب النزول» عن الكلبي بدون إسناد مختصراً، والكلبي يضع الحديث. =

---

(١) في «اللسان» العِزهاة: هو الذي لا يقرب النساء. وفيه انقباض وإعراض. وفي رواية «اللسان»: فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا. وصخرة جلمد: شديدة مجتمعة صلبة.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٩٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائه إياكم ولله الحمد على كل حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني لله الحمد على كل ما فعلته.

فشَكَوا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ. قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٨٩٨] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنَ الكفار شَتَمَ عمرَ بنَ الخَطَّابِ، فهَمَّ به عمرُ رضي الله عنه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ، والمعنى: وقُلْ لِعبادي المؤمنين يَقُولوا الكلمةَ التي هي أحسنُ.

واختلفوا فيمن تُقالُ له هذه الكلمةُ على قولين: **أحدهما**: أنهم المشركون، قال الحَسنُ: تقول له: يَهديكَ اللهُ، وما ذكرنا مِنْ سبب نزول الآيةِ يُؤيِّدُ هذا القولَ. وذهب بعضُهم إلى أنهم أُمِرُوا بهذه الآيةِ بتَحسينِ خطابِ المشركين قبلَ الأمرِ بقتالِهم، ثم نُسِخَتْ هذه الآيةُ بآية السَّيفِ. **والثاني**: أنهم المسلمون، قاله ابنُ جريرٍ. المعنى: وقُلْ لعبادِي يقول بعضُهم لبعضٍ التي هي أحسَنُ مِنَ المُحاورَةِ والمُخاطَبةِ. وقد روى مُبارَكٌ عن الحسَنِ قال: «التي هي أحسَنُ» أنْ يقولَ له مثلَ قولِه، ولكن يقولُ له: يَرحمُكَ اللهُ، يَغفِرُ اللهُ لكَ. قال الأخفَشُ: وقوله ﴿يَقُولُوا﴾ مثلُ قوله: ﴿وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقد شرحنا ذلك في سُورةِ إبراهيمَ[1]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يُفسِدُ ما بينهم، والعَدوُّ المُبِينُ: الظاهرُ العَداوَةِ.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فيمَنْ خُوطِبَ بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون. ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيُنجيكُم مِنْ أهل مكَّةَ ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيُسلِّطهم عليكم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إنْ يَشَأْ يرحَمْكُم بالتَّوبةِ، أو يُعذِّبْكم بالإقامَةِ على الذُّنوب، قاله الحَسنُ. **والثاني**: أنهم المشركون. ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: إنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُم، فيَهديكُم للإيمان، أو إنْ يَشأْ يُعذِّبْكم، فيُميتكم على الكُفرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه لمَّا نزل القَحْطُ بالمشركين فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[2]، قال الله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ مِنَ الذي يُؤمِنُ، ومن الذي لا يُؤمِنُ ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ فيكشِفُ القحطَ عنكم ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فيَترُكُه عليكم، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قال ابنُ الأنباري: و «أو» هاهنا دخلت لِسَعةِ الأمرَين عندَ الله تعالى، وأنه لا يَرُدُّ عنهما، فكانت مُلحقَةً بـ «أو» المُبيحَةِ في قولهم: جالِسِ الحسنَ، أو ابنَ سِيْرينَ، يَعنُونَ: قد وَسَّعنا لكَ الأمرَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: كفيلاً تُؤخَذُ بهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: حافِظاً ورَبّاً، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: كَفِيلاً بهدَايتِهم وقادِراً على إصلاحِ قُلوبِهم، ذكره ابنُ الأنباري. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذا مَنسوخٌ بآية السَّيفِ.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

= وعزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهو باطل، فقد أقر الكلبي وأبو صالح بالكذب على ابن عباس.

[٨٩٨] باطل. ذكره الثعلبي كما في «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٤١ والماوردي والواحدي في «أسبابه» ٥٧٧ بدون نسبة لأحد. وعزاه المصنف لمقاتل، وهو كذاب يضع الحديث، ولذا لم يسمه الثعلبي والواحدي والماوردي.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣١. (٢) سورة الدخان: ١٢.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لأنه خالِقُهم، فهَدَى مَنْ شاءَ، وأضلَّ مَنْ شاءَ، وكذلك فضَّلَ بعضَ النَّبيينَ على بعضٍ، وذلك عن حِكمَةٍ منه وعلْم، فخَلَقَ آدَم بيدِهِ، ورَفع إدريسَ، وجعلَ الذُّرِّيَةَ لنُوحٍ، واتَّخذَ إبراهيمَ خَليلاً، وموسى كَليماً، وجعل عيسى رُوحاً، وأعطى سُليمانَ مُلْكاً جسيماً، ورفعَ محمَّداً ﷺ فوقَ السَّمواتِ، وغفرَ له ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبهِ وما تأخَّرَ. يجوز أنْ يكون المُفضَّلون أصحابَ الكُتبِ، لأنه خَتمَ الكلامَ بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾. وقد شرحنا معنى «الزَّبُور» في سُورة النِّساءِ(١).

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٨٩٩] **أحدهما**: أنَّ نَفراً مِنَ العرب كانوا يعبدون نَفراً مِنَ الجِنِّ، فأسلمَ الجِنُّ والنَّفرُ مِنَ العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، رُوي عن ابن مسعودٍ.

[٩٠٠] **والثاني**: أنَّ المشركين كانوا يعبدون الملائكةَ، ويقولون: هي تشفعُ لنا عندَ اللهِ، فلمَّا ابتُلوا بالقَحْطِ سبعَ سنين، قيلَ لهم: «ادعوا الذين زعمتم»، قاله مُقاتِلٌ، والمعنى: قُلِ ادْعُوا الذينَ زَعمتُم أنهم آلهةٌ، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لهُ إلى غيرِكُم.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ في المُشارِ إليهم بـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ(٢):

أحدها: أنهم الجِنُّ الذين أسلَمُوا. **والثاني**: الملائكةُ، وقد سبقَ بيانُ القولَين. **والثالث**: أنهم المَسِيحُ، وعُزَيْرٌ، والملائكةُ! والشَّمسُ والقَمرُ، قاله ابنُ عباسٍ. وفي معنى «يدعون» قولان: **أحدهما**: يَعبدُون، أي: يَدعُونَهُم آلهةً، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه بمعنى يتضرَّعون إلى الله في طَلَبِ الوَسيلَةِ. وعلى هذا يكون قوله تعالى: «يدعون» راجعاً إلى «أولئك»، ويكون قوله: «يبتغون» تماماً للكلام. وعلى القولِ الأوَّلِ: يكون «يدعون» راجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: «يبتغون» وَصفاً لـ «أولئك» مُستأنَفاً. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ: «تدعون» بالتاء. قال ابنُ الأنباري: فعلى هذا، الفِعلُ مَردُودٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ ومَنْ قرأ «يدعون» بالياء، قال: العربُ تَنصَرفُ مِنَ الخِطَابِ إلى الغَيْبَةِ إذا أَمِنَ اللَّبْسُ. ومعنى «يدعون»:

---

[٨٩٩] موقوف صحيح. أخرجه البخاري ٤٧١٥ ومسلم ٣٠٣٠ والنسائي في «التفسير» ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ والطبري ٢٢٣٧٦ و ٢٢٣٨٠ عن ابن مسعود موقوفاً. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٠٣١ بتخريجنا.

[٩٠٠] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره باطل. وحيثما أطلق مقاتل، فهو ابن سليمان.

---

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٩٧: وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول ابن مسعود أنهم الجن الذين أسلموا.

يدعُونَهُم آلهةً. وقد فسَّرنا معنى «الوَسيلَةِ» في المَائِدة[١].

وفي قوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قولان: ذكرهما الزَّجَّاج. **أحدهما**: أنْ يكونَ «أيهم» مرفوعاً بالابتِداءِ، وخبرُه أقربُ ويكون المعنىٰ: يطلبون الوسيلة إلى ربهم ينظرون أيهم أقرب إليه فيَتوسَّلون إلى اللهِ به. **والثاني**: أنْ يكونَ «أيهم أقرب» بَدَلاً مِنَ الواو في «يبتغون»، فيكون المعنى: يبتغي أيُّهُم هو أقربُ الوَسيلَةِ إلى اللهِ، أي: يَتقرَّبُ إليه بالعملِ الصَّالحِ.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ «إن» بمعنى «ما»، والقريةُ الصَّالحةُ هَلاكُها بالموتِ، والعَاصِيةُ بالعذابِ، والكتابُ: اللوحُ المَحفوظُ، والمَسطُورُ: المكتوبُ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٩٠١] **أحدهما**: أنَّ أهلَ مكَّةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أنْ يجعلَ لهم الصَّفَا ذَهَباً، وأنْ يُنَحي عنهم الجبالَ فيزرعوا، فقيلَ لهُ: إنْ شئتَ أنْ تستأنيَ بهم لعلَّنا نَجتَبي منهم، وإنْ شِئتَ نُؤتيهم الذي سألوا، فإنْ كَفَروا أُهلِكُوا كما أُهلِكَ مَنْ كان قَبلَهُم، قال: «لا، بل أستأني»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: قد ذكرناه عن الزُّبير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾[٢]، ومعنى الآيةِ: وما منَعَنا إرسَالَ الآياتِ التي سَألُوها إلاَّ تكذِيبُ الأوَّلينَ، يعني أنَّ هؤلاءِ سَألُوا الآياتِ التي استَوجبَ بتكذيبِها الأَوَّلونَ العذابَ، فلم يُرسِلْها لِئَلاَّ يُكَذِّب بها هؤلاءِ، فيَهلِكُوا كما هَلَكَ أولئكَ، وسُنَّةُ الله في الأُمَمِ أنهم إذا سألوا الآياتِ ثم كذَّبوا بها عذَّبَهُم.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: أي: بَيِّنَةً، يريد: مُبْصَراً بها. قال ابنُ الأنباري: ويجوز أنْ تكونَ مُبصَرة، ويصلحُ أنْ يكونَ المعنى: مُبصِرٌ مُشاهِدُوهَا، فنسبَ إليها فِعلَ غيرِها تَجوُّزاً، كما يُقال: لا أَرَيَنَّكَ هاهنا، فأدخلَ حرفَ النَّهي على غير المَنْهِيِّ عنه، إذ المعنى: لا تَحْضُرْ

[٩٠١] أخرجه النسائي في «التفسير» ٣١٠ وأحمد ١/ ٢٥٨ والطبري ٢٢٣٩٨ والحاكم ٢/ ٣٦٢ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٧١ والواحدي في «أسباب النزول» ٥٧٩ من طرق عن جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وإسناده صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه البزار ٢٢٢٤ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٧٢ من حديث سلمة بن كهيل عن عمران السلمي عن ابن عباس به. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٥٠ وقال: ورجال الروايتين رجال الصحيح. وصححه أحمد شاكر في «المسند» ٢٣٣٣.

(١) سورة المائدة: ٣٥. (٢) سورة الرعد: ٣١.

هاهنا، حتى إذا جئتُ لم أرَكَ فيه. ومَنْ قرأ «مَبْصَرة» بفتحِ الميمِ والصَّادِ، فمعناه: المُبالغَةُ في وَصْفِ النَّاقة بالتِّبيان، كقولِهم: «الوَلَدُ مَجْبَنة».

قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ قال ابنُ عباس: فجَحدُوا بها. وقال الأخفَشُ: بها كان ظُلمُهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: نُخوِّف العبادَ ليتَّعِظوا. وللمُفسِّرين في المُرادِ بهذه الآيةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَوتُ الذَّرِيعُ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: مُعجزَاتُ الرُّسلِ جعلها اللهُ تعالى تخويفاً للمُكذِّبين. **والثالث**: آياتُ الانتقام تخويفاً مِنَ المعاصي. **والرابع**: تَقلُّبُ أحوالِ الإنسان مِنْ صِغَرٍ إلى شبابٍ، ثم إلى كُهُولَةٍ، ثم إلى مَشِيبٍ، ليعتبر بتقلُّب أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذَكرَ هذه الأقوالَ الثلاثةَ المَاوَردِي، ونسبَ الأخيرَ منها إلى إمامِنا أحمدَ رضي الله عنه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أحاطَ عِلمُه بالناس، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. وقال مُقاتِلٌ: أحاطَ عِلمُهُ بالناس، يعني: أهلَ مكّةَ، أنْ يفتحَها لرَسولِه ﷺ. **والثاني**: أحاطَتْ قُدرتُه بالناس، فَهُمْ في قَبضَتِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: حَالَ بينكَ وبين الناس أنْ يقتُلوكَ، لِتُبلِّغ رسالَتَهُ، قاله الحَسَنُ، وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ في هذه الرُّؤيا قولان(١):

أحدهما: أنها رُؤيا عَينٍ، وهي ما أُري ليلةَ أُسريَ به مِنَ العجائبِ والآياتِ. روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: هي رُؤيَا عَينٍ رآها ليلةَ أُسريَ به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، ومَسرُوقٌ، والنَّخعيُّ، وقَتادَةُ، وأبو مالكٍ، وأبو صالحٍ، وابنُ جُريجٍ، وابنُ زيدٍ في آخَرين. فعَلَى هذا يكون معنى الفِتنة: الاختِبَارُ، فإنَّ قوماً آمَنوا بما قَالَ، وقوماً كَفَروا. قال ابنُ الأنبَاري: المُختارُ في هذه الرُّؤيةِ أنْ تكون يقظةً، ولا فرقَ بين أنْ يقولَ القائلُ: رأيتُ فُلاناً رُؤيةً، ورأيتُه رُؤيَا، إلاَّ أنَّ الرُّؤيةَ يقِلُّ استعمَالُها في المنام، والرُّؤيَا يكثرُ استعمَالُها في المنامِ، ويجوز كلُّ واحدٍ منهما في المَعنَيينِ. **والثاني**: أنها رُؤيَا منامٍ. ثمَّ فيها قولان:

[٩٠٢] **أحدهما**: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان قد أُرِيَ أنه يدخلُ مكّةَ، هو وأصحابُه، وهو يَومئذٍ بالمدينةِ، فعجَّلَ قبل الأجَلِ، فردَّه المشركون، فقال أُناسٌ: قد رُدَّ، وكان حدَّثَنا أنه سَيدخُلها، فكان رجوعُهم فِتنَتُهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وهذا لا يُنافي حديثَ المِعرَاجِ، لأنَّ هذا كان بالمدينة، والمِعراجُ كان بمكَّةَ: قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وإنما ذكره ابنُ عباسٍ على وَجهِ الزيادة في الإخبارِ لنا أنَّ المشركين بمكَّةَ افتتَنُوا برُؤيَا عَينِه، والمنافقين بالمَدينةِ افتتَنُوا برُؤيا نومِه.

---

[٩٠٢] أخرجه الطبري ٢٢٤٣٢ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف عطية.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٠٣: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به.

[٩٠٣] **والثاني**: أنه أُرِيَ بَني أُميَّةَ على المَنابرِ، فسَاءَهُ ذلك، فقيلَ له: إنها الدُّنيا يُعْطَونَها، فَسُرِّيَ عنه. فالفِتنة هاهنا: البَلاءُ، روَاه عليُّ بن زيدِ بنِ جُدْعانَ عن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ، وإنْ كان مثلُ هذا لا يصحُّ، ولكن قد ذكره عامَّةُ المُفسِّرين.

ورَوى ابنُ الأنبَاري أنَّ سعيدَ بنَ المُسيِّبِ قال: رأى رسولُ اللهِ ﷺ قوماً على منابرَ، فشَقَّ ذلك عليه، وفيه نزلَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾، قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: إلاَّ بلاءً للناس(١). قال ابنُ الأنبَاري: فمَنْ ذهب إلى أنَّ الشجرةَ رجالٌ رآهم النبيُّ ﷺ في منامه يَصعَدُونَ المنَابرَ، احتجَّ بأنَّ الشجرة يُكَنَّى بها عن المرأة لتأنيثِها، وعن الجماعة لاجتماع أغصَانِها. قالوا: ووقعت اللعنةُ بهؤلاءِ الذين كَنَّى عنهم بالشجرة. قال المُفسِّرون: وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وما جعلنا الرُّؤيا والشجرةَ إلاَّ فتنةً للناس. وفي هذه الشَّجرةِ ثلاثةُ أقوالٍ(٢):

أحدها: أنها شجرةُ الزَّقُّومِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، ومَسرُوقٌ، والنَّخعيُّ، والجمهور.

[٩٠٤] وقال مُقاتِلٌ: لمَّا ذكرَ اللهُ تعالى شجرةَ الزَّقُّوم، قال أبو جَهلٍ: يا معشرَ قُريشٍ إنَّ محمَّداً يُخوِّفكُم بشجرةِ الزَّقُّوم، ألستُم تعلمونَ أنَّ النارَ تُحرِقُ الشجرَ، ومحمَّدٌ يزعم أنَّ النارَ تُنبتُ الشجرَ، فهل تدرون ما الزَّقُّومُ، فقالَ عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى: إنَّ الزَّقُّومَ بلسان بَرْبَر: التَّمرُ والزُّبدُ، فقال أبو جَهلٍ: يا جاريةُ ابغِينا تمراً وزُبداً، فجاءتْهُ به، فقال لِمَنْ حوله: تَزَقَّمُوا مِنْ هذا الذي يُخوّفكُم به محمَّدٌ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾: قال ابنُ قُتَيبةَ: كانت فِتنَتُهم بالرُّؤيا قولُهم: كيف يذهب إلى بيتِ المَقدِسِ، ويرجِعُ في ليلةٍ؟! وبالشجرةِ قولُهم: كيف يكون في النارِ شجرةٌ؟!

وللعلماءِ في معنى «المَلعُونة» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَذمُومَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: المَلعونُ آكلُهَا، ذكره الزَّجَّاجُ، وقال: إنْ لم يكن في القرآن ذِكْرُ لَعنِهَا، ففيه لعنُ آكِليهَا؛ قال: والعرب تقول لكلِّ طعامٍ مكروهٍ وضَارٍّ: مَلعونٌ؛ فأمَّا قوله تعالى: ﴿فِي الْقُرْءَانِ﴾ فالمعنى: التي ذُكِرَتْ في القرآن، وهي

---

[٩٠٣] ضعيف جداً. أخرجه ابن مردويه وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٣/٣٤٦ على علي بن زيد عن سعيد بن المسيّب مرسلاً، وهذا إسناد واهٍ، فهو مرسل، وعلي بن زيد ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٤٣٣ عن ابن عباس، وأعله ابن كثير بمحمد بن الحسن بن زبالة وأنه ضعيف جداً، قال: وشيخه ـ عبد المهيمن بن عباس ضعيف بالكلية.

قلت: والمتن منكر، لا يصح في هذا الباب شيء. قال الحافظ في «الفتح» ٨/٣٩٨: روي عن جماعة من الصحابة، وأسانيد الكل ضعيفة اهـ. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٣٥ بتخريجنا.

[٩٠٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية. وأخرجه الطبري ٢٢٤٥٢ و ٢٢٤٥٣ بنحوه عن قتادة. مرسلاً. وورد من مرسل الحسن، أخرجه برقم ٢٢٤٣٩.

---

(١) ضعيف جداً، وانظر ما قبله.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/١٠٥: وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عني بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٦٤. وقال الحافظ في «الفتح» ٨/٣٩٩ وهذا هو الصحيح ذكره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين.

مذكورةٌ في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾[١]. **والثالث**: أنَّ معنى «المَلعُونة»: المُبعَدَةُ عن منازل أهل الفَضْلِ، ذكره ابنُ الأنباري.

والقول الثاني: أنَّ الشجرَة المَلعُونةَ هي التي تَلتَوي على الشَّجرِ، يعني: الكَشُوثى[٢]، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

والثالث: أنَّ الشجرةَ كنايةٌ عن الرجالِ على ما ذكرنا عن سعيدِ بنِ المُسَيِّب.

قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ قال ابنُ الأنباري: مفعولُ «نخوّفهم» محذوفٌ، تقديرُه: ونخوّفهم العذابَ، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: فما يَزيدُهم التَّخويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا﴾؛ وقد ذكرنا معنى الطُّغيانِ في سورةِ البَقرةِ[٣]، وذكرنا هناك تفسيرَ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟﴾[٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝٦٣ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥﴾

قوله تعالى: «آسْجُدُ» قرأه الكُوفيُّون: بهَمزتَين. وقرأه الباقون: بهمزةٍ مُطوَّلةٍ؛ وهذا استفهامُ إنكارٍ، يعني به: لم أكُنْ لأفعَلَ.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «طيناً» منصوبٌ على وَجْهَين: **أحدهما**: التَّميز، المعنى: لِمَنْ خَلقتَهُ مِنْ طينٍ. **والثاني**: على الحالِ، المعنى: أنشأتَهُ في حالِ كونه مِنْ طينٍ. ولفظُ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ﴾ جاء هاهنا بغير حرفِ عطفٍ، لأنَّ المعنى: قال آسجدُ لِمَنْ خلقتَ طِيناً، وأرَأيتَكَ، وهي في معنى: أخبرني، والكافُ ذُكِرَتْ في المُخاطبة توكيداً، والجوابُ محذوفٌ، والمعنى: أخبِرني عن هذا الذي كرَّمتَ عليَّ، لِمَ كرَّمتَهُ عليَّ وقد خَلقتَني مِنْ نارٍ وخَلقتَهُ مِنْ طينٍ؟! فحذفَ هذا، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرَ: «أخرتني» بياءٍ في الوصلِ. ووَقَفَ ابنُ كَثيرٍ بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ بغير ياءٍ في وَصلٍ ولا في وَقْفٍ. قوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأَستَولِيَنَّ عليهم، قاله ابنُ عباسٍ، والفرَّاءُ. **والثاني**: لأُضِلَّنَّهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: لأَستَأصِلَنَّهم؛ يُقال: احْتَنَكَ الجرادُ ما على الأرضِ: إذا أكلَهُ؛ واحْتَنَكَ فُلانٌ ما عند فُلانٍ مِنَ العِلْمِ: إذا استقصَاهُ، فالمعنى: لأَقودَنَّهم كيف شِئتُ،

---

(١) سورة الدخان: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) في «اللسان»: الكشوث: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.
والكَشُوثَى: نبات مجتث مقطوع الأصل، وقيل: لا أصل له، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك.

(٣) سورة البقرة: ١٥.

(٤) سورة البقرة: ٣٤.

هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ. فإنْ قيلَ: مِنْ أين عَلِمَ الغيبَ. فقد أجبْنَا عنه في سُورة النِّساءِ[1]. قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابنُ عباس: هم أولياءُ اللهِ الذي عَصمَهُم. قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ﴾ هذا اللفظُ يتضمَّنُ إنظارَهُ؛ ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾، أي: تَبِعَ أمرَكَ منهم، يعني: ذُرِّيةَ آدمَ. والمَوفُورُ: المُوفَّرُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: وفَّرْتُ مالَهُ عليه، وَوَفَرْتُه، بالتَّخفيفِ والتَّشديدِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: اسْتَخِفَّ، ومنه تقولُ: استَفزَّني فُلانٌ. وفي المُراد بصَوتهِ قولان[2]: **أحدهما**: أنه كلُّ داعٍ دَعَا إلى معصيةِ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الغِناءُ والمَزامِيرُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم﴾ أي: صِحْ ﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ واحثُثْهُم عليهم بالإغْراءِ؛ يقال: أجْلَبَ القومُ وجَلَّبُوا: إذا صَاحُوا. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: اجمَعْ عليهم كلَّ ما تَقدِرُ عليه مِنْ مَكايدِكَ؛ فعلى هذا تكون الباءُ زائدةً. قال ابنُ قُتَيبةَ: والرَّجلُ: الرَّجَّالَةُ؛ يُقال: رَاجِلٌ ورَجْلٌ، مثل تاجِر وتَجْر، وصاحِب وصَحْب. قال ابنُ عباسٍ: كلُّ خَيْلٍ تسير في معصيةِ الله، وكلّ رَجْلٍ يَسيرُ في معصيةِ الله. وقال قَتَادةُ: إنَّ له خَيْلاً ورَجْلاً مِنَ الجِنِّ والإنسِ. وروى حَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «بخيلك ورَجِلِكَ» بكسرِ الجيم، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي رَزِينٍ، وأبي عبدِ الرَّحمن السُّلَميِّ. قال أبو زيدٍ: يُقال: رَجُلٌ رَجِلٌ: للرجَّال، ويقال: جاءنا حَافِياً رَجِلاً. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَعِ، والجَحدريُّ: «بخيلك ورُجَّالك» برفعِ الراءِ وتشديدِ الجيم مفتوحةً وبألِفٍ بعدَها. وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ، وعِكرمَةُ: «ورِجَالك» بكسرِ الراءِ وتخفيفِ الجيم مع ألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما كانوا يُحرِّمونه مِنْ أنعَامِهم، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الأموالُ التي أُصِيبتْ مِنْ حَرام، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: التي أنفقُوها في معاصي اللهِ، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: ما كانوا يَذبَحون لآلِهَتِهِم، قاله الضَّحَّاكُ. فأمَّا مُشارَكتُه إيَّاهُم في الأولادِ، ففيها أربعةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنهم أولادُ الزِّنا، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: المَوءُودةُ مِنْ أولادِهم، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه تسميةُ أولادِهم عبيداً لأوثَانِهم، كعبدِ شَمْسٍ، وعبدِ العُزَّى، وعبدِ مَنَافٍ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: ما مَجَّسُوا وهَوَّدُوا ونَصَّرُوا، وصَبَغُوا مِنْ أولادِهم غيرَ صِبْغَةِ الإسلام، قاله الحَسنُ، وقَتَادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ قد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ﴾[4] إلى آخرِ الآيةِ. وهذه

---

(١) سورة النساء: ١١٩.

(٢) قال الطبري ٨/١٠٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتاً دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافاً للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/١١١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصي الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها به أو فيه، وأطيع به الشيطان أو فيه.

(٤) سورة النساء: ١٢٠.

الآيةُ لفظُها لفظُ الأمرِ، ومعناها التَّهديدُ، ومِثلُها في الكلامِ أنْ تقولَ للإنسانِ: اِجْهَدْ جَهدَكَ فسترى ما يَنزلُ بكَ. قال الزَّجَّاجُ: إذا تقدَّمَ الأمرَ نهيٌ عمَّا يُؤمرُ به، فمعناه التَّهديدُ والوَعيدُ، تقولُ للرجلِ: لا تدخُلَنَّ هذه الدارَ؛ فإذا حاولَ أنْ يدخلَها قلتَ: ادخلْهَا وأنتَ رجلٌ، فلستَ تأمُرُه بدخولِها، ولكنَّكَ تُوعِدُه وتُهدِّدُه، ومثله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾[1] وقد نُهوا أنْ يعملوا بالمعاصي. وقال ابنُ الأنباري: هذا أمرٌ معناه التَّهديدُ، تقديره: إنْ فعلتَ هذا عاقَبْناكَ وعذَّبناكَ، فنُقِلَ إلى لفظِ الأمرِ عن الشَّرطِ، كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾ قد شرحناه في الحِجْرِ[3]. قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: كفى به وَكِيلاً لأوليائِه يَعصِمُهُم مِنَ القَبولِ مِنْ إبليسَ.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ أي: يُسيِّرُها. قال الزَّجَّاجُ: يُقالُ: زَجيتُ الشيءَ، أي قَدَّمتُهُ. قوله تعالى: ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: في طَلَبِ التِّجارة. وفي «مِنْ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** أنها زائدةٌ. **والثاني:** أنها للتَّبعيضِ. **والثالث:** أنَّ المفعولَ محذوفٌ، والتقدير: لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه الرِّزقَ والخيرَ، ذكرهنَّ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ هذا الخِطابُ خاصٌّ للمؤمنين، ثم خَاطبَ المشركين فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ يعني: خَوفَ الغَرَقِ ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ﴾ أي: يَضِلُّ مَنْ يدعُونَ مِنَ الآلهةِ، إلاَّ اللهُ تعالى. ويُقالُ: ضلَّ بمعنى غابَ، يقال: ضَلَّ الماءُ في اللَّبَنِ: إذا غَابَ، والمعنى: أنكم أخلَصتُم الدُّعاءَ للهِ، ونَسيتُم الأندادَ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو المُتوكِّلِ: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُون» بالياء. ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾ عن الإيمانِ والإخلاصِ ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعني الكافرَ ﴿كَفُورًا﴾ بنعمةِ ربِّه. ﴿أَفَأَمِنتُمۡ﴾ إذا خرَجتُم مِنَ البحرِ ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «نخسف بكم» «أو نرسل» «أن نعيدكم» «فنرسل» «فنغرقكم» بالنون في الكُلِّ. وقرأ نَافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، بالياء في الكُلِّ. وقرأ نَافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، بالياءِ في الكُلِّ. ومعنى ﴿يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾، أي: نُغيِّبُكُم ونَذهبُكم في ناحيةِ البَرِّ، والمعنى: إنَّ حُكمِي نافِذٌ في البَرِّ نُفوذَهُ في البحرِ. ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** أنَّ الحَاصِبَ: حِجارةٌ مِنَ السماء، قاله قَتادَةُ. **والثاني: أنه الرِّيحُ العَاصِفُ تَحْصِبُ**، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد للفرزدَقِ:

---

(١) سورة فصلت: ٤٠. (٢) سورة الكهف: ٢٩. (٣) سورة الحجر: ٤٢.

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُم بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

وقال ابنُ قُتَيبةَ: الحَاصِبُ: الرِّيحُ، سُمِّيت بذلك لأنها تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحَصبَاءِ، وهي الحَصَى الصِّغَارُ. وقال ابنُ الأنبَاري: قال اللغويون: الحَاصِبُ الرِّيحُ التي فيها الحَصَى. وإنَّما قال في الرِّيح: ﴿حَاصِبًا﴾ ولم يَقُلْ: «حَاصِبة» لأنه وَصْفٌ لزمَ الرِّيحَ ولم يكن لها مُذكَّرٌ تنتقلُ إليه في حالٍ، فكان بمنزلةِ قولهم: «حائِض» للمَرأةِ، حينَ لم يُقلْ: رجلٌ حائِضٌ. قال: وفيه جوابٌ آخرُ، وهو أنَّ نَعتَ الرِّيح عُزِيَ مِنْ علامة التَّأنيثِ، فأشبهَتْ بذلك أسماءَ المُذَكَّرِ، كما قالوا: السماءُ أمطَرَ، والأرضُ أنبَتَ. **والثالث**: أنَّ الحَاصِبَ: التُّرابُ الذي فيه حَصبَاءُ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: مانِعاً وناصِراً.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: في البَحرِ ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: مَرَّةً أُخرى، والجمعُ: تَارَاتٌ. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هي التي تَقصِفُ كلَّ شيءٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: القَاصِفُ: الرِّيح التي تَقْصِفُ الشَّجرَ، أي: تكسِرُهُ.

قوله تعالى: ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو جعفرَ، وشَيبَةُ، ورُوَيسٌ: «فتغرقكم» بالتاء، وسكونِ الغينِ، وتخفيفِ الراءِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأيوبُ: «فيغرّقكم» بالياءِ، وفتح الغينِ، وتشديدها. وقرأ أبو رَجاءٍ مثلَهُ، إلاَّ أنه بالتاء ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ أي: بكُفرِكُم حيثُ نَجوتُم في المَرَّة الأُولَى، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: مَنْ يتبَعُ بدِمائِكُم، أي: يُطالِبُنا. قال عبدُ اللهِ بنُ عمروٍ رضي الله عنهما: رِيحُ العذابِ أربعٌ، اثنتان في البَرِّ، واثنتان في البحرِ، فاللَّتان في البَرِّ: الصَّرْصَرُ، والعَقِيمُ، واللتان في البحرِ: العَاصِفُ، والقَاصِفُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ أي: فضَّلناهم. قال أبو عُبيدَةَ: و «كرَّمنا» أشدُّ مُبالغةً مِنْ «أكرمنا». وللمُفسِّرين فيما فُضِّلوا به أحدَ عشرَ قولاً: **أحدها**: أنهم فُضِّلوا على سائرِ الخَلْقِ غيرَ طائفةٍ مِنَ الملائكة: جِبريلُ، ومِيكائيلُ، وإسرافيلُ، ومَلَكُ المَوتِ، وأشباهُهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. فعَلَى هذا يكون المُراد: المؤمنين منهم، ويكون تفضِيلُهم بالإيمان. **والثاني**: أنَّ سائرَ الحيوان يأكلُ بفِيهِ، إلاَّ ابنَ آدمَ فإنه يأكلُ بيده، رواه مَيْمُونُ بنُ مِهرَانَ عن ابنِ عباسٍ. وقال بعضُ المُفسِّرين: المراد بهذا التَّفضيلِ: أكلُهم بأيدِيهم، ونظافةُ ما يقتَاتُونَهُ، إذِ الجِنُّ يَقتَاتُون العِظَامَ والرَّوثَ. **والثالث**: فُضِّلوا بالعقل، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: بالنُّطقِ والتَّمييزِ، قاله **الضَّحَّاكُ**. **والخامس**: بتَعديلِ القَامَةِ وامتِدادِها، قاله عَطاءٌ. **والسادس**: بأنْ جعلَ محمَّداً ﷺ منهم، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والسابع**: فُضِّلوا بالمَطاعِمِ واللَّذَّاتِ في الدنيا، قاله زَيْدُ بنُ أسلَمَ. **والثامن**: بحُسنِ الصُّورةِ، قاله يَمَانٌ. **والتاسع**: بتَسليطِهم على غيرِهم مِنَ الخَلْقِ، وتسخيرِ سائرِ الخَلْقِ لهم، قاله محمَّدُ بنُ جَريرٍ. **والعاشر**: بالأمرِ والنَّهي، ذكره المَاوَردِي. **والحادي عشر**: بأنْ جُعلتِ اللِّحى للرجال، والذَّوائبُ للنساء، ذكره الثَّعلبيُّ.

فإنْ قيلَ: كيف أطلقَ ذِكْرَ الكرامة على الكُلِّ، وفيهم الكافرُ المُهانُ؟ فالجواب مِنْ وَجهَين: **أحدهما**: أنه عَاملَ الكُلَّ معاملةَ المُكرَم بالنِّعم الوَافرةِ. **والثاني**: أنه لمَّا كان فيهم مَنْ هو بهذه الصِّفةِ، أجرى الصِّفةَ على جماعَتِهم، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على أكبادٍ رَطْبَةٍ، وهي: الإبلُ، والخَيلُ، والبِغالُ، والحَميرُ، وفي ﴿الْبَحْرِ﴾ على أعواد يابسةٍ، وهي: السُّفنُ. ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: الحَلالُ. **والثاني**: المُستَطابُ في الذَّوقِ. قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على لَفظِه، وأنهم لم يُفضَّلوا على سائرِ المَخلُوقاتِ. وقد ذكرنا عن ابنِ عباسٍ أنهم فُضِّلوا على سائرِ الخَلْقِ غيرَ طائفةٍ مِنَ الملائكة. وقال غيرُه: بل الملائكةُ أفضَلُ. **والثاني**: أنّ معناه: وفضَّلناهُم على جميع مَنْ خَلَقْنَا. والعربُ تضع الأكثَر والكثيرَ في موضعِ الجمعِ، كقوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[1].

[٩٠٥] وقد رَوى أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: **«المؤمنُ أكرَمُ على اللهِ عزَّ وجلَّ مِنَ الملائكةِ الذين عِندَهُ»**.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: «اذكر يوم ندعو كل أناس بإمامهم». والمُراد به: يومُ القيامةِ. وقرأ الحَسنُ البَصريُّ: «يوم يدعو» بالياء (كلَّ) بالنَّصب. وقرأ أبو عِمرَانَ الجَونيُّ: «يوم يُدعى» بياءٍ مرفوعةٍ، وفتحِ العينِ، وبعدَها ألِفٌ، «كلُّ» بالرفع. وفي المراد بإمَامِهم أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه رَئيسُهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وروى عنه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ أنه قال: إمامُ هُدًى، أو إمامُ ضَلالَةٍ. **والثاني**: عَمَلُهم، رواه عطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه

---

[٩٠٥] ضعيف جداً، أخرجه ابن ماجه ٣٩٤٧ من طريق الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن أبي المُهَزِّم يزيد بن سفيان قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن أكرم على الله عز وجل، من بعض ملائكته». وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده ضعيف لضعف يزيد بن سفيان، أبي المهزِّم. وأخرجه البيهقي في «الشعب» ١٥٢ عن أبي هريرة موقوفاً. وقال: كذا رواه أبو المهزّم عن أبي هريرة موقوفاً، وأبو المهزّم متروك.
وله شاهد أخرجه البيهقي في «الشعب» ١٥٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وإسناده ضعيف جداً لأجل عبيد الله بن تمام. وقال البيهقي: تفرّد به ابن تمام، وقال البخاري: عنده عجائب ورواه غيره موقوفاً، وهو الصحيح اهـ. ومن طريق عبيد الله بن تمام أخرجه الخطيب ٤/ ٤٥ والطبراني كما في «المجمع» ٢٦٦ وأعله الهيثمي بابن تمام. وأخرجه الطبراني كما في «المجمع» ٢٦٥ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال الهيثمي: فيه إبراهيم بن عبد الله المصيصي، وهو متروك، ورواه في «الأوسط» وفيه طلحة بن زيد وهو كذاب اهـ. وورد من حديث جابر أخرجه البيهقي في «الشعب» ١٤٩ وقال البيهقي: في ثبوته نظر اهـ وفيه عبد ربه بن صالح العرشي لم أجد له ترجمة، والحديث غير صحيح بكل حال. والأشبه كونه من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد أخذه من الزاملتين اللتين وقعتا له يوم اليرموك والله أعلم. والحديث استغربه ابن كثير جداً. انظر «تفسيره» ٣/ ٦٨.

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٣.
(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١١٦: وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمون به في الدنيا.

قال الحسَنُ، وأبو العَالِية. **والثالث**: نَبيُّهم، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ. **والرابع**: كِتابُهم، قاله عِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ. ثم فيه قولان: **أحدهما**: أنه كِتابُهم الذي فيه أعمالِهم، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: كِتابُهم الذي أُنزِلَ عليهم، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **فعلى القولِ الأولِ** يُقال: يا مُتَّبِعي موسى، يا مُتَّبِعي عيسى، يا مُتَّبِعي محمَّدٍ؛ ويقال: يا مُتَّبِعي رؤساءِ الضَّلالةِ. **وعلى الثاني**: يا مَنْ عَمِلَ كذا وكذا. **وعلى الثالث**: يا أُمَّةَ موسى، يا أُمَّةَ عيسى، يا أُمَّةَ محمَّدٍ. **وعلى الرابع**: يا أهلَ التَّوراةِ، يا أهلَ الإنجيلِ، يا أهلَ القرآنِ. أو يا صاحبَ الكتابِ الذي فيه عَمَلُ كذا وكذا.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ﴾ معناه: يقرؤون حِسابَهم، لأنهم أخذُوا كُتبَهم بأيْمَانِهم. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾ أي: لا يُنقَصُونَ مِنْ ثوابِهم بقَدْرِ الفَتيْلِ، وقد بيَّنَّاهُ في سُورةِ النِّساء[1].

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ مَفتُوحَتَي الميم، وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ بكسر المِيْمَينِ، وقرأ أبو عَمروٍ: «في هذه أعمي» بكسرِ الميمِ، «فهو في الآخرة أعمَى» بفَتْحِها.

وفي المُشارِ إليها بـ ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ قولان[2]: **أحدهما**: أنها الدنيا، قاله مُجاهِدٌ. ثم في معنى الكلام خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنْ كان في الدنيا أعمى عن معرفةِ قُدرَةِ الله في خَلْقِ الأشياء، فهو عَمَّا وُصِفَ له في الآخرة أعمَى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ كان في الدنيا أعمى بالكُفرِ، فهو في الآخرةِ أعمى، لأنه في الدنيا تُقبَلُ تَوبَتُه، وفي الآخرة لا تُقبَلُ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: مَنْ عَمِيَ عن آياتِ الله في الدنيا، فهو عن الذي غُيِّبَ عنه مِنْ أمور الآخرة أشدُّ عَمى. **والرابع**: مَنْ عَمِيَ عن نِعَم الله التي بَيَّنَها في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ إلى قوله: ﴿تَفۡضِيلٗا﴾ فهو في الآخرة أعمى عن رَشَادِه وصَلاحِه، ذكرهما ابنُ الأنباري. **والخامس**: مَنْ كان فيها أعمى عن الحُجَّةِ، فهو في الآخرة أعمى عن الجنَّةِ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والثاني**: أنَّها النِّعَمُ. ثم في الكلام قولان: **أحدهما**: مَنْ كان أعمى عن النِّعَمِ التي تُرى وتُشَاهدُ، فهو في الآخرة التي لم تُرَ أعمَى، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ كان أعمى عن معرفةِ حَقِّ الله في هذه النِّعَم المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ولم يُؤدِّ شُكرَهَا، فهو فيما بينَهُ وبينَ الله مِمَّا يُتقرَّبُ به إليه أعمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾، قاله السُّدِّيُّ. قال أبو عليٍّ الفارسيّ: ومعنى قوله: ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ أي: أشدُّ عَمىً، لأنه كان في الدنيا يُمكِنُه الخروجُ عن عَمَاهُ بالاستِدلالِ، ولا سبيلَ له في الآخرة إلى الخروجِ مِنْ عَمَاهُ. وقيلَ: معنى العَمَى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريقِ الثوابِ، وهذا كلُّه مِنْ عَمَى القَلبِ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ ولم يَقُلْ: أشدُّ عَمىً، لأنَّ العمى خِلْقةٌ بمنزلةِ الحُمرَةِ، والزُّرقَةِ، والعرب تقول: ما أشدَّ سَوادَ زيدٍ، وما أبْيَنَ زُرقَةَ عَمروٍ، وقلَّما يقولون: ما أسودَ زيداً، وما أزرقَ عُمراً؟ فالجوابُ: أنَّ

---

(١) سورة النساء: ٤٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/١١٨: وأولى الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها، ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلاً. يقول: وأضل منه في أمر الدنيا التي عاينها ورآها.

المُرَاد بهذا العَمَى عَمَى القَلبِ، وذلك يتزايدُ ويَحدثُ منه شيءٌ بعد شيءٍ، فيخالف الخِلْقَ اللاَّزِمةَ التي لا تزيدُ، نحو عَمَى العَينِ، والبياضِ، والحُمرَةِ، ذكره ابنُ الأنباري.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ في سببِ نُزولها أربعةُ أقوالٍ[(١)]:

[٩٠٦] **أحدها**: أنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: مَتِّعنا باللاتِ سَنةً، وحَرِّمْ وادِيَنا كما حرَّمتَ مكَّةَ، فأبَى ذلك، فأقبَلُوا يُكثِرون مسألتَهم، وقالوا: إنَّا نُحبُّ أنْ تُعرِّفَ العربَ فَضْلَنا عليهم، فإنْ خشيتَ أنْ يقولَ العربُ: أعطَيْتَهم ما لم تُعطِنا، فقُلْ: اللهُ أمرَني بذلكَ؛ فأمسَكَ رسولُ الله ﷺ عنهم ودَخلَهُم الطَّمعُ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وروى عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ أنهم قالوا: أجِّلْنا سنةً، ثم نُسْلِمُ ونكسِرُ أصنامَنا، فهَمَّ أنْ يُؤجِلَهُم، فنزلت هذه الآيةُ.

[٩٠٧] **والثاني**: أنَّ المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: لا نَكُفُّ عنكَ إلاَّ بأنْ تُلِمَّ بآلهَتِنا، ولو بأطرَافِ أصابعكَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما علَيَّ لو فعلتُ واللهُ يعلم إنِّي لَكَارِهٌ»؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وهذا باطلٌ لا يجوز أنْ يُظَنَّ برسولِ اللهِ ﷺ، ولا ما ذكرنا عن عَطيَّةَ مِنْ أنه هَمَّ أنْ يُنْظِرهم سَنَةً، وكلُّ ذلك مُحال في حَقِّهِ وفي حق الصحابة أنهم رووا عنه.

[٩٠٨] **والثالث**: أنَّ قُريشاً خَلَوْا برسولِ الله ليلةً إلى الصَّباح يُكَلِّمونَهُ ويُفَخِّمونَهُ، ويقولون: أنتَ سيِّدُنا وابنُ سَيِّدِنا، وما زالوا به حتى كادَ يُقاربهم في بعضِ ما يُريدون، ثم عَصمَهُ اللهُ مِنْ ذلك، ونزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

---

[٩٠٦] واهٍ بمرة. أخرجه الطبري ٢٢٥٤٠ عن عطية العوفي عن ابن عباس مختصراً بإسناد فيه مجاهيل، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٨١ بدون إسناد عن عطاء عن ابن عباس، فالخبر واهٍ جداً فالسورة مكية، وتحريم مكة كان في حجة الوداع، والحديث ليس بشيء لخلوه عن الإسناد.

[٩٠٧] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٢٥٣٦ عن سعيد بن جبير مرسلاً، ومع إرساله فيه يعقوب القمي، وشيخه جعفر بن أبي المغيرة، وكلاهما غير قوي.

[٩٠٨] باطل. أخرجه الطبري ٣٣٥٣٧ عن قتادة مرسلاً، فهو ضعيف، والمتن باطل بهذا اللفظ فإن قريشاً لم تقل للنبي ﷺ أنت سيدنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/١١٩: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله. ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان، والاختلاف فيه موجود فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره. حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُني بذلك منه.

[٩٠٩] **والرابع**: أنهم قالوا لرسولِ الله ﷺ: اطرُدْ عنك سُقَاطَ الناسِ، ومَواليَهم، وهؤلاءِ الذين رائِحتُهم رائحةُ الضَّأنِ، وذلك أنهم كانوا يَلْبَسون الصُوفَ، حتى نُجالسَكَ ونَسمعَ منكَ، فهَمَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يفعلَ ما يَستدعِي به إسلامَهُم، فنزلت هذه الآياتُ. حكاه الزَّجَّاجُ؛ قال: ومعنى الكلام: كَادُوا يفتِنونَكَ، ودخلت «إن» واللامُ للتَّوكيد. قال المُفسِّرون: وإنما قال: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾، لأنَّ في إعطائِهم ما سألوا مُخالفةً لِحُكمِ القرآن.

قوله تعالى: ﴿لِتَفْتَرِيَ﴾ أي: لِتَختَلِقَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ وهو قولُهم: قُلِ اللهُ أمرَني بذلكَ، ﴿وَإِذًا﴾ لو فعلتَ ذلكَ ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: وَالَوكَ وصافَوْكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ على الحقِّ، لعِصمَتِنا إيَّاكَ ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ أي: هَمَمْتَ وقارَبْتَ أن تَميلَ إلى مُرادِهِم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: وذلك حين سكتَ عن جوابِهم، واللهُ أعلمُ بِنيَّتِه. وقال ابنُ الأنباري: الفِعلُ في الظاهرِ للنَّبيِّ ﷺ، وفي الباطِنِ للمشركين، وتقديره: لقد كَادُوا يُركِنُونكَ إليهم، ويَنسِبُونَ إليكَ ما يشتهونَهُ مما تكرَهُه، فنَسبَ الفعلَ إلى غير فاعِله عند أمنِ اللَّبْسِ، كما يقولُ الرجلُ للرجلِ: كِدْتَ تقتلُ نَفْسَكَ اليومَ، يريد: كِدْتَ تفعلُ فِعلاً يقتُلكَ غيرُكَ مِنْ أجلِه؛ فهذا المَجازُ والاتِّساعُ وشَبيهُ بهذا قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]، وقولُ القائِلِ: لا أَرَيَنَّكَ في هذا المَوضِعِ.

قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ المعنى: لو فعلتَ ذلك الشيءَ القليلَ ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: ضِعفَ عذابِ الحياة ﴿وَضِعْفَ﴾ عذابِ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾، ومثلُه قولُ الشاعر:

واسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ[2]

أي: أهلُ المَجلِسِ. وقال ابنُ عباسٍ: ضِعْفَ عذابِ الدنيا والآخرة. وكان رسولَ الله ﷺ مَعصُوماً، ولكنه تخويفٌ لأُمَّتِه، لِئَلاً يَرْكَنَ أحدٌ مِنَ المؤمنين إلى أحدٍ مِنَ المشركين في شيءٍ مِنْ أحكام اللهِ وشرائِعه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ نُزولها قولان[3]:

[٩١٠] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا قَدِمَ المدينةَ، حَسدَتْهُ اليهودُ على مُقامِه بالمَدينةِ، وكَرِهوا

---

[٩٠٩] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير كما في «الدر» ٣/ ٣٥٢ وهذا مرسل، فهو ضعيف، ولا يصح في هذا الباب شيء.

[٩١٠] باطل. ذكره الواحدي عن ابن عباس في «أسباب النزول» ٥٨٤ بدون إسناد وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهذا القول ضعيف، لأن الآية مكية. اهـ والصواب أنه باطل، فالسورة مكية، وكيد اليهود وحسدهم كان في =

---

(١) سورة البقرة: ١٣٢.

(٢) هو عجز بيت لعدي بن ربيعة وصدره: «نُبِّئْتُ أن النارَ بعدَكَ أُوقِدت». كما في «الحماسة» ٢/ ٩٢٩. ومعنى قوله: أوقدت نيران الحرب لمقتل كليب.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٢١: وأولى القولين عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله **﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾** في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله **﴿إن كادوا﴾** إلى أنه خبر عنهم.

قُربَهُ، فقالوا: يا محمَّدُ أَنبيٌّ أنت؟ قال: نعم، قالوا: فوَاللّهِ لقد عَلِمْتَ ما هذه بأرضِ الأنبياءِ، وأنَّ أرضَ الأنبياءِ الشَّامُ، فإنْ كنتَ نبياً فَائتِ الشَّامَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحِ عن ابنِ عباسٍ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هَمَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يَشْخَصَ عن المدينةِ، فنزلت هذه الآيةُ. وقال عبدُ الرَّحمن بنُ غَنْم: لمَّا قالت له اليهودُ هذا، صَدَّق ما قالوا، وغَزا غزوةَ تَبُوكَ لا يريد إلاَّ الشَّامَ، فلما بلغَ تَبُوكَ، نزلت هذه الآيةُ[١].

[٩١١] **والثاني**: أنهم المشركون أهلُ مكَّةَ هَمُّوا بإخراجِ رسول الله ﷺ مِنْ مكَّةَ، فأمره اللهُ بالخروج، وأنزل هذه الآيةَ إخباراً عمَّا هَمُّوا به، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ. وقال قَتادةُ: هَمَّ أهلُ مكَّة بإخراجِهِ مِنْ مكَّةَ، ولو فعلوا ذلك ما نُوظِرُوا، ولكنَّ اللهَ كَفَّهم عن إخراجِه حتى أمرَهُ بالخروج. وقيل: ما لَبِثُوا بعد ذلك حتى بَعثَ اللهُ عليهم القَتْلَ ببَدرٍ.

فعلى القول الأول، المُشارُ إليهم: اليهودُ، والأرضُ: المدينةُ. وعلى الثاني: هم المشركون، والأرضُ: مكَّةُ، وقد ذكرنا معنى «الاستِفزَازِ» آنفاً[٢]، وقيل: المُراد به هاهنا: القَتلُ، لِيخرجُوه مِنَ الأرض كلّها، رُوي عن الحسَنِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «خلفك». وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «خلافك». قال الأخفشُ «خلافك» في معنى خلفك، والمعنى: لا يلبثون بعد خروجك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو أخرجوكَ لاستَأْصَلنَاهُم بعد خروجكَ بقليلٍ، وقد جَازَاهُم اللهُ على ما هَمُّوا به، فقَتلَ صَنَاديدَ المشركين ببدرٍ، وقَتلَ مِنَ اليهودِ بَني قُريظَةَ، وأجلَى النَّضِيرَ. وقال ابنُ الأنبَاري: معنى الكلام: لا يَلْبَثون على خلافِكَ ومُخالفَتِكَ، فسقط حرفُ الخَفضِ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «خُلاَّفَكَ» بضمِّ الخاء، وتشديدِ اللام، ورفعِ الفاء. قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفَرَّاءُ: نصب السُّنَّةِ على العذاب المُضْمَرِ، أي: يُعذَّبونَ كَسُنَّتِنا فيمَنْ أرسَلْنا. وقال الأخفَشُ: المعنى: سَنَّها سُنَّةً. وقال الزَّجَّاجُ: انتصبَ بمعنى

= المدينة، وانظر «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٦١ بتخريجنا.

[٩١١] عزاه الواحدي في «الأسباب» ٥٨٦ لمجاهد وقتادة والحسن. وأخرجه الطبري ٢٢٥٥٠ و ٢٢٥٥١ عن قتادة مرسلاً بنحوه. وأثر مجاهد لم أره بهذا اللفظ مسنداً وكذا أثر الحسن، وإنما أخرجهما الطبري ٢٢٥٥٢ و ٢٢٥٥٣ عنهما بلفظ: «لو أخرجت قريش محمداً لعذبوا بذلك».

(١) واهٍ بمرة. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وابن أبي حاتم وابن عساكر كما في «الدر» ٤/ ٣٥٢ عن عبد الرحمن بن غنم، وهذا مرسل، وإسناده ضعيف لضعف أحمد بن عبد الجبار. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٢/ ٦٨٦: لم أجده، وذكره السهيلي في «الروض» عن عبد المجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم... فذكره اهـ. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٨٥ بدون سند عن عبد الرحمن بن غنم. ورد الحافظ ابن كثير هذا في «تفسيره» ٣/ ٧٠ وقال: والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾** وغزاها ليقتص وينتقم لأهل مؤتة من أصحابه والله أعلم.
قلت: الخبر منكر شبه موضوع. فالسورة مكية والخبر مدني، وبعيد أن يصغي رسول الله ﷺ لليهود.

(٢) سورة الإسراء: ٦٤.

«لا يلبثون» وتأويلُه: إنَّا سَنَنَّا هذه السُّنَّة فيمَنْ أرسَلْنا قبلكَ أنهم إذا أخرجوا نبيَّهم أو قتَلوه، لم يَلبَث العذابُ أنْ ينزلَ بهم.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: أدِّها ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ أي: عند دُلوكِها. وذكر ابنُ الأنباري في «اللام» قولين: **أحدهما**: أنها بمعنى «في». **والثاني**: أنها مُؤكِّدةٌ، كقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[1]. وقال أبو عُبيدَة: دُلوكُها: مِنْ عند زَوالِها إلى أنْ تغيبَ. وقال الزَّجَّاج: مَيْلُها وقتَ الظَّهيرةِ دُلوكٌ، ومَيْلها للغُروبِ دُلوكٌ. وقال الأزهَريُّ: معنى «الدُّلوك» في كلام العرب: الزَّوالُ، ولذلك قيل للشمسِ إذا زالَتْ نصفَ النهار: دَالِكَة، وإذا أفَلَتْ: دَالِكَة، لأنها في الحالَين زائِلةٌ. وللمُفسِّرين في المُراد بالدُّلوكِ هاهنا قولان[2]: **أحدهما**: أنه زَوالُها نصفَ النهار.

[٩١٢] روى جابرُ بنُ عبدِ الله قال: دَعوتُ رسولَ الله ﷺ ومَنْ شاءَ مِنْ أصحابه، فطَعِمُوا عندي، ثم خرجوا حينَ زالَتِ الشمسُ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ وقال: «اخرُجْ يا أبا بكرٍ فهذا حينَ دَلَكَتِ الشمسُ»؛ وهذا قولُ ابنِ عمرَ، وأبي بَرزَةَ، وأبي هُريرةَ، والحسَنِ، والشَّعبيِّ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وأبي العَالِيَة، ومُجاهِدٍ، وعَطاءٍ، وعُبيدِ بنِ عُمَيرٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاكِ، ومُقاتِلٍ، وهو اختيارُ الأزهَري. قال الأزهَريُّ: لتكونَ الآيةُ جامعةً للصَّلواتِ الخمسِ، فيكون المعنى: أَقِم[3] الصلاةَ مِنْ وقتِ زوالِ الشمسِ

---

[٩١٢] حسن. أخرجه الطبري ٢٢٥٨٣ عن جابر به، وإسناده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وفيه راوٍ لم يسمّ. وكرره برقم ٢٢٥٨٤ عن جابر بسند ليّن لأجل نُبيح العَنَزي فإنه مقبول كما في «التقريب» فهذا يقوي ما قبله، وقد ورد تفسير الدلوك بالزوال عن جماعة من الصحابة والتابعين، وهو الصحيح، والله أعلم.

---

(١) سورة النمل: ٧٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/١٢٦: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها. لأن غسق الليل هو إقبال الليل وظلامه وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس.

(٣) فائدة: قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/١١ ـ ١٢: وتجب جميع الصلوات بدخول وقتها في حق من هو أهل الوجوب فأما أهل الأعذار، كالحائض والمجنون والصبيّ والكافر، فتجب في حقه بأول جزء أدركه من وقتها بعد زوال عذره. وبهذا قال الشافعي، رحمه الله. وقال أبو حنيفة، رحمه الله: يجب تأخُّرُ وقتها إذا بقي منه ما لا يتسع لأكثر منها، لأنه في أول الوقت يتخيّر بين فعلها وتركها، فلم تكن واجبة كالنافلة. ولنا، أنه مأمور بها في أول الوقت بقوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ والأمر يقتضي الوجوب على الفور، فلو أدرك جزءاً من أول وقتها ثم جُنّ، أو حاضت المرأة لزمها القضاء إذا أمكنها. وقال الشافعي وإسحاق: لا يجب القضاء بما دون مضي زمن يُمكِنُ فعلها فيه، كما لو طرأ العذر قبل دخول الوقت.

إلى غَسَقِ الليل، فيدخل فيها الأولى، والعَصرُ، وصلاتا غَسَقِ الليلِ، وهما العِشاءانِ، ثم قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، فهذه خمسُ صَلواتٍ.

والثاني: أنه غُروبها، قاله ابنُ مسعودٍ، والنَّخعيُّ، وابنُ زيدٍ، وعن ابنِ عباسٍ كالقولَين، قال الفَرَّاءُ: ورأيتُ العرب تذهب في الدُّلُوكِ إلى غَيبُوبةِ الشمس، وهذا اختيارُ ابنِ قُتيبةَ، قال: لأنَّ العرب تقول: دَلَكَ النَّجمُ: إذا غابَ؛ قال ذُو الرّمَّةِ:

مَصابِيحُ لَيسَتْ باللّواتي تَقُودُها ... نُجومٌ وَلاَ بالآفِلاتِ الدَّوالِكِ[1]

وتقول في الشمس: دَلَكَتْ بِراح[2]، يريدون: غَربَتْ، والناظرُ قد وضعَ كفَّه على حاجبِهِ ينظر إليها، قال الشاعر:

والشَّمسُ قَدْ كادَتْ تَكُونُ دَنَفَا ... أَدْفَعُها بالرَّاحِ كَيْ تَزَحْلَفَا[3]

فشَبَّهها بالمريض الدَّنِفِ، لأنها قد هَمَّتْ بالغروب كما قاربَ الدَّنِفُ الموتَ، وإنما ينظر إليها مِنْ تحت الكفِّ ليعلمَ كم بقيَ لها إلى أنْ تغيبَ، ويتوقّى الشُّعاعَ بكفِّه. فعلى هذا، المراد بهذه الصَّلاةِ: المَغربُ. فأمّا غَسقُ الليل فظَلامُه. وفي المُراد بالصَّلاة المُتعلِّقة بغَسَقِ الليل ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: العِشاءُ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: المَغربُ، قاله ابنُ عباسٍ. قال القاضي أبو يَعلَى: فيحتمل أنْ يكونَ المراد بيانَ وقتِ المَغربِ، أنه مِنْ غروبِ الشمسِ إلى غَسَقِ الليل. **والثالث**: المَغربُ والعِشاءُ، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ المعنى: وأَقِمْ قراءةَ الفَجرِ. قال المُفسِّرون: المراد به: صلاةُ الفَجرِ. قال الزَّجّاجُ: وفي هذا فائدةٌ عظيمةٌ تدلُّ على أنَّ الصلاة لا تكون إلاّ بقراءةٍ، حين سُمِّيت الصلاةُ قرآناً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

[٩١٣] روى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «تَشهدُه ملائكةُ الليل، وملائكةُ النهارِ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فَصَلِّ بالقرآنِ. قال مُجاهِدٌ، وعَلقَمةُ، والأَسوَدُ: التَّهجُّد بعد النَّومِ. قال ابنُ قُتيبةَ: تهجَّدتُ: سَهِرتُ، وهَجَدتُ: نِمتُ. وقال ابنُ الأنباري:

---

[٩١٣] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١٣٥ والنسائي ١/ ٢٤١ وفي «التفسير» ٣١٣ وابن ماجه ٦٧٠ وأحمد ٢/ ٤٧٤ والطبري ٢٢٥٩٤ من حديث أبي هريرة. وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم ١/ ٢١١ على شرطهما، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وهو في الصحيحين عنه مرفوعاً بلفظ: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم **﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾**. أخرجه البخاري ٦٤٨ و ٤٧١٧ ومسلم ٨٤٩ والنسائي في «التفسير» ٣١٣ وابن حبان ٢٠٥١ من حديث أبي هريرة. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ١٤٥٤ و ١٤٥٥ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان»: أفل: غاب وإذا غابت الشمس فهي آفلة، وكذلك القمر يأفل: إذا غاب.

(٢) في «اللسان»: بَراح: اسم للشمس، سميت بذلك لانتشارها وبيانها. وبِراح: بكسر الباء، وهي باء الجر، وهو جمع راحة وهي الكف. ومن قال: دلكت الشمس بِراح: أنها كادت تغرب.

(٣) البيت للعجّاج كما في ديوانه: ٨٢ و «اللسان» ـ زحلفَ ـ ويقال للشمس إذا مالت للمغيب قد تزحلفت.

التَّهجُدُ ها هنا بمعنى: التيقُّظ والسَّهَر، واللغويون يقولون: هو مِنْ حروف الأضدَادِ؛ يقال للنَّائِم: هَاجِدٌ ومُتهجِّدٌ، وكذلك للسَّاهِر، قال النَّابغَةُ:

وَلَـو أنَّـهـا عَـرَضَـتْ لأشْـمَـطَ رَاهِـبٍ ... عَـبَـدَ الإلـه صَـرُورَةٍ مُـتَـهَـجِّـدِ

لَـرَنَـا لِـبَـهْـجَـتِـهَـا وحُـسْـنِ حَـدِيـثِـهـا ... وَلَـخَـالَـهُ رَشَـداً وإنْ لَـمْ يَـرْشُـدِ[١]

يعني بالمُتَهجِّدِ: السَّاهرَ، وقال لَبِيدُ:

قَـالَ هَـجِّـدْنـا فَـقَـد طَـالَ الـسُّـرَى[٢]

أي: نَوِّمْنَا. وقال الأزهَرِيُّ: المُتَهجِّدُ: القائمُ إلى الصلاة مِنَ النَّوم: وقيلَ له: مُتَهجِّدٌ، لإلقائِه الهُجُودَ عن نَفْسِه، كما يقال: تَحَرَّجَ وتأثَّم.

قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النَّافلة في اللغة: ما كان زائداً على الأصلِ.

وفي معنى هذه الزِّيادة في حقِّه قولان[٣]: **أحدهما**: أنها زائدةٌ فيما فُرِضَ عليه، فيكون المعنى: فريضةً عليكَ، وكان قد فُرِضَ عليه قيامُ الليل، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنها زائدةٌ على الفَرضِ، وليست فَرضاً؛ فالمعنى: تطوُّعاً وفضيلةً. قال أبو أُمَامَةَ، والحَسَنُ، ومُجاهِدٌ: إنما النَّافِلةُ للنبيِّ ﷺ خاصَّةً. قال مُجاهِدٌ: وذلك أنه قد غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأخَّر، فما زادَ على فرضه فهو نافلةٌ له وفضيلةٌ، وهو لغيره كفَّارةٌ. وذكر بعضُ أهلِ العلم: أنَّ صلاةَ الليل كانت فَرضاً عليه في الابتداء، ثم رُخِّص له في تَرْكِها، فصارت نافِلةً. وذكر ابنُ الأنبَاري في هذا قولين: **أحدهما**: يُقارب ما قاله مُجاهِدٌ، فقال: كان رسولُ الله ﷺ إذا تنفَّلَ لا يُقَدَّرُ له أنْ يكون بذلك ماحِياً للذُّنوبِ، لأنه قد غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبه وما تأخَّر، وغيرُه إذا تنفَّل كان رَاجِياً، ومُقدَّراً مَحو السيئاتِ عنه بالتَّنفُّل، فالنَّافِلةُ لرسولِ الله ﷺ زيادةٌ على الحاجةِ، وهي لغيره مُفتقرٌ إليها، ومأمولٌ بها دَفعُ المَكرُوهِ. **والثاني**: أنَّ النَّافلةَ للنبيِّ ﷺ وأُمَّتِه، والمعنى: ومِنَ الليل فتَهجَّدُوا به نافلةً لكم، فخُوطِبَ النبيُّ ﷺ بخطابِ أُمَّتِه.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ «عسى» مِنَ الله واجبةٌ، ومعنى «يبعثك» يُقيمُكَ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهو الذي يحمَدُه لأجلِه جميعُ أهلِ المَوقفِ. وفيه قولان:

أحدهما: أنه الشَّفاعةُ للناس يومَ القيامة، قاله ابنُ مسعودٍ، وحُذَيفةُ بنُ اليَمانِ، وابنُ عمرَ، وسَلمانُ الفَارسيُّ، وجابرُ بنُ عبدِ الله، والحَسَنُ، وهي روايةُ ابنِ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ.

والثاني: يُجلِسُه على العَرشِ يومَ القيامة. روى أبو وائلٍ عن عبدِ الله أنه قرأ هذه الآيَةَ، وقال:

---

(١) في «اللسان»: الشمط في الشعر: اختلافه بلونين من سواد وبياض. والصّرورة: الذي لم يأت النساء كأنه أصرّ على تركهن.

(٢) هو صدر بيت وعجزه: «وقَدَرْنا إن خنا الدهر غَفَل».

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٣٠: وأولى القولين بالصواب في ذلك، أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصّه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته وهو قول ابن عباس. وأما ما ذُكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، وذلك لأن رسول الله ﷺ فيما ذُكر عنه أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل عليه ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

يُقعِدُه على العَرشِ، وكذلك روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وليثٌ عن مُجاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وقرأ الحَسنُ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ بفتحِ الميم في «مَدخل» و «مَخرج». قال الزَّجَّاجُ: المُدخلُ، بضمِّ الميم: مصدرُ أدخَلتُهُ مُدخَلاً، ومَنْ قال: مَدخل صِدقٍ، فهو على أدخَلتُه، فدخلَ مَدخل صِدقٍ، وكذلك شرحُ «مَخرج» مثله. وللمُفسِّرين في المراد بهذا المَدخل والمَخرج أحدَ عشرَ قولاً[١]: **أحدها**: أَدْخِلْني المدينةَ مدخلَ صدقٍ، وأَخرِجْني مِنْ مكَّةَ مخرجَ صدقٍ.

[٩١٤] روى أبو ظَبيَانَ عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ، ثم أُمِرَ بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآيةُ. وإلى هذا المعنى ذهب الحَسَنُ في روايةِ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وقَتادَةَ، وابنِ زيدٍ. **والثاني**: أَدخِلْني القبرَ مُدخلَ صدقٍ، وأَخْرِجني منه مُخرجَ صدقٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أَدْخِلني المدينةَ، وأَخْرِجْني إلى مكَّةَ، يعني: لِفَتْحِها، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أَدْخِلْني مكَّةَ مدخلَ صدقٍ، وأَخرِجْني منها مخرجَ صدقٍ، فخرجَ منها آمِناً مِنَ المشركين، ودَخلَها ظاهراً عليها يومَ الفتحِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: أدخِلْني مُدخلَ صدقِ الجنَّةَ، وأَخرِجْني مخرجَ صِدقٍ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ، رواه قَتادَةُ عن الحَسنِ. **والسادس**: أَدخِلْني في النبوَّة والرِّسالةِ، وأَخْرِجْني منها مخرجَ صدقٍ، قاله مُجاهِدٌ، يعني: أَخرِجْني ممَّا يَجِبُ عليَّ فيها. **والسابع**: أَدْخِلني في الإسلام، وأَخرِجْني منه، قاله أبو صالحٍ؛ يعني: مِنْ أداءِ ما وَجبَ عليَّ فيه إذا جاء الموتُ. **والثامن**: أَدْخِلني في طاعَتِكَ، وأَخرِجني منها، أيَ: سالماً غيرَ مُقصِّرٍ في أدائِها، قاله عَطاءٌ. **والتاسع**: أَدْخِلني الغَارَ، و أَخرِجني منه، قاله محمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ. **والعاشر**: أَدخِلني في الدِّين، وأَخرِجني مِنَ الدنيا وأنا على الحقِّ، ذكره الزَّجَّاجُ. **والحادي عشر**: أَدخِلني مكَّةَ، وأَخرِجني إلى حُنَين، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وأما إضافةُ الصِّدقِ إلى المُدخلِ والمُخرجِ، فهو مدحٌ لهما. وقد شرحنا هذا المعنى في سُورةِ يُونسَ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مِنْ عندكَ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه التَّسلُّطُ على الكافرين بالسَّيف، وعلى المُنافقين بإقامةِ الحُدودِ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنه الحُجَّةُ البَيِّنةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المُلْكُ العزيزُ الذي يُقهَرُ به العُصاةُ، قاله قَتادَةُ. وقال ابنُ الأنباري: وقوله تعالى: ﴿نَّصِيرًا﴾ يجوز أنْ يكون بمعنى مُنْصَراً، ويصلح أنْ يكونَ تأويلُه ناصِراً.

---

[٩١٤] حسن. أخرجه الترمذي ٣١٣٩ وأحمد ١٩٤٨ والحاكم ٣/ ٣ والطبري ٢٢٦٤٤ من حديث ابن عباس وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح! مع أن مداره على قابوس بن أبي ظبيان، وهو لين الحديث، لكن ورد معناه من مرسل الحسن، أخرجه الطبري ٢٢٦٤٥ ومن مرسل قتادة ٢٢٦٤٧.

---

(١) قال الطبري ٨/ ١٣٧: وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخرج صدق. اهـ ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٧٧.

(٢) سورة يونس: ٢.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٣٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيَّه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده. ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٧٧.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ الحقَّ: الإسلامُ، والباطلَ: الشِّركُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الحقَّ: القرآن، والباطلَ: الشيطانُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ الحقَّ: الجِهادُ، والباطلَ: الشِّركُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والرابع**: الحقُّ: عبادةُ الله، والباطلُ: عبادةُ الأصنام، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى «زهق»: بَطَلَ واضمَحَلَّ. وكلُّ شيءٍ هَلَكَ وبَطَلَ فقد زَهَقَ، وزَهَقتْ نَفْسُهُ: تَلِفتْ.

[٩١٥] وروى ابنُ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل مكَّةَ وحولَ البيت ثلاثمائةٍ وستون صَنماً، فجعل يطعَنُها ويقول: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾».

فإنْ قيلَ: كيف قُلتم: إنَّ ﴿وَزَهَقَ﴾ بمعنى بَطَلَ، والباطلُ موجودٌ معمولٌ عليه عند أهلِه؟

فالجواب: أنَّ المراد مِنْ بُطلانِه وهَلَكتِه: وضُوحُ عَيْبِه، فيكون هَالِكاً عند المُتدبِّرِ النَّاظرِ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ «مِنْ» ها هنا لبيانِ الجنسِ، فجميعُ القرآنِ شفاءٌ. وفي هذا الشفاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: شفاءٌ مِنَ الضَّلالِ، لِمَا فيه مِنَ الهُدى. **والثاني**: شفاءٌ مِنَ السَّقم، لِمَا فيه مِنَ البَرَكَةِ. **والثالث**: شفاءٌ مِنَ البيانِ للفَرائضِ والأحكَام. وفي «الرَّحمة» قولان: **أحدهما**: النِّعمة. **والثاني**: سببُ الرَّحمةِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمَواعِظِه، فيزيد خُسرَانُهم.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: الإنسانُ ها هنا: الكافرُ، والمراد به الوليدُ بنُ المُغيرَة. قال المُفسِّرون: وهذا الإنعَامُ: سَعةُ الرِّزقِ، وكشفُ البَلاءِ. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وحَفصٌ عن عَاصِم: «ونَأى» على وَزْنِ «نَعَى» بفتح النونِ والهمزةِ. وقرأ ابنُ عامرٍ: «ناء» مثل «باع». وقرأ الكِسَائيُّ، وخَلَفٌ عن سُلَيم عن حَمزَةَ: «ونـاء» بإمَالَةِ النونِ والهمزة. وروى خَلادٌ عن سُلَيم: «نَئِي» بفتحِ النون، وكسرِ الهمزةِ، والمعنى: تَباعدَ عن القيامِ بحقوق النِّعَم،

---

[٩١٥] صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٧٨ و ٤٢٨٧ و ٤٧٢٠ ومسلم ١٧٨١ والترمذي ٣١٣٨ والنسائي في «التفسير» ٣١٧ وابن حبان ٥٨٦٢ والطبراني ١٠٤٢٧ والبيهقي ٦/ ١٠١ من حديث ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٦٣ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ١٣٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء وهو كل ما كان لله فيه رضا ورطاعة، وأن الباطل قد زهق، يقول: وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحق، وإبطال جميع الباطل.

وقيل: تَعظُّم وتَكبُّر. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: نزلَ به البَلاءُ والفقرُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ أي: قنوطاً شديدَ اليأسِ، لا يرجو فضلَ اللّهِ. قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: على ناحِيَتِهِ، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. قال الفَرَّاءُ: الشَّاكِلَةُ: النَّاحية، والجَدِيلَةُ، والطَّريقةُ، سمعتُ بعضَ العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جديلته، وابن الزبير على جديلته، يريد: على ناحيته. وقال أبو عُبيدَةَ: على ناحيَتِه وخَليقَتِهِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: على خَليقَتِهِ وطبيعَتِهِ، وهو مِنَ الشَّكلِ. يُقال: لستَ على شَكلِي، ولا شَاكِلَتي. وقال الزَّجَّاجُ: على طريقته، وعلى مذهَبِه. **والثاني**: على نِيَّتِهِ؛ قاله الحَسَنُ، ومُعاويةُ بنُ قُرَّة. وقال الليثُ: الشَّاكِلةُ مِنَ الأمور: ما وافق فاعِلَهُ. **والثالث**: على دِينه، قاله ابنُ زيدٍ. وتحريرُ المعنى: أنَّ كلَّ واحدٍ يعمل على طريقَتِهِ التي تُشاكلُ أخلاقَهُ، فالكافر يعمل ما يُشبه طريقَتَهُ مِنَ الإعراضِ عند النِّعَم واليأسِ عند الشدة، والمؤمنُ يعمل ما يُشبه طريقَتَهُ مِنَ الشُّكرِ عند الرَّخاءِ والصَّبرِ عند البَلاءِ، والله يُجازي الفريقَين. وذكر أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(١)، وليس بشيءٍ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ في سببِ نُزُولها قولان:

[٩١٦] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بناسٍ مِنَ اليهود، فقالوا: سَلُوهُ عن الرُّوحِ، فقال بعضُهم: لا تسألُوهُ، فيَستقبِلَكُم بما تكرهون. فأتاهُ نَفرٌ منهم، فقالوا: يا أبا القَاسِم: ما تقولُ في الرُّوحِ؟ فسكتَ، ونزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ مسعودٍ.

[٩١٧] **والثاني**: أنَّ اليهودَ قالت لقُريشٍ: سَلُوا محمَّداً عن ثلاثٍ، فإنْ أخبرَكُم عن اثنتين وأمسَكَ عن الثالثةِ فهو نبيٌّ؛ سَلُوهُ عن فِتيةٍ فُقِدُوا، وسَلُوهُ عن ذِي القَرْنَيْنِ، وسَلُوهُ عنِ الرُّوحِ. فسألوه عنها، ففسَّر لهم أمرَ الفِتْيَةِ في الكَهفِ، وفسَّرَ لهم قصةَ ذي القَرنَين، وأمسَكَ عن قصةِ الرُّوحِ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

وفي المُراد بالرُّوحِ ها هنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرُّوح الذي يَحيا به البَدنُ، روى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقد اختلف الناسُ في مَاهيَةِ الرُّوح، ثم اختلفوا هل الرُّوحُ النَّفْسُ، أَمْ هما شيئان فلا يحتاج إلى ذِكْرِ اختلافِهم لأنه لا بُرهانَ على شيءٍ مِنْ ذلك وإنما هو شيءٌ أخذوه عن الطِّبِّ

---

[٩١٦] صحيح. أخرجه البخاري ١٢٥ و ٤٧٢١ و ٧٢٩٧ و ٧٤٥٦ و ٧٤٦٢ ومسلم ٤/ ٢١٥٢ والترمذي ٣١٤١ والنسائي في «التفسير» ٣١٩ وأبو يعلى ٥٠١ والطبري ٢٢٦٧٥ و ٢٢٦٧٦ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٢٤ من حديث ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٦٤ و «أحكام القرآن» ١٤٤٨ بتخريجنا.

[٩١٧] ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مطولاً، وفيه راوٍ لم يسم. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٩٠ نقلاً عن المفسرين بنحوه. وفي «الوسيط» ٣/ ١٢٥ عن ابن عباس بدون إسناد. وهو بهذا اللفظ ضعيف. أما السؤال عن الروح فقد صح من حديث ابن مسعود الحديث المتقدم.

---

(١) سورة التوبة: ٥.

والفلاسفةِ؟ فأمَّا السَّلَفُ، فإنهم أمسَكُوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، فلمَّا رَأوا أنَّ القومَ سألوا عن الرُّوح فلم يُجَابوا، والوَحيُ ينزلُ، والرُّسولُ حيٌّ، عَلِمُوا أنَّ السُّكوتَ عمَّا لم يُحَطْ بحقيقة عِلمِه أوْلَى. **والثاني**: أنَّ المُرادَ بهذا الرُّوح؛ مَلَكٌ مِنَ الملائكة على خِلْقَةٍ هائلةٍ، رُوي عن عليٍّ عليه السَّلامُ، وابنِ عباسٍ، ومُقاتِلٍ. **والثالث**: أنَّ الرُّوحَ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله عزَّ وجلَّ صَوَّرَهُم على صُوَرِ بَني آدمَ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه جِبريلُ عليه السلام، قاله الحَسنُ، وقَتادَةُ. **والخامس**: أنه القرآن، رُوي عن الحَسنِ أيضاً. **والسادس**: أنه عيسى ابنُ مَريمَ، حكاه المَاوَرديّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: قد ذكرَ اللَّهُ تعالى الرُّوحَ في مواضعَ مِنَ القرآن، فغالِبُ ظَنِّي أنَّ النَّاقِلينَ نقلوا تفسيرَهُ مِنْ مَوضِعه إلى مَوضعٍ لا يليقُ به، وظَنُّوه مِثلَهُ، وإنما هو الرُّوحُ الذي يَحيَى به ابنُ آدمَ. وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: مِن عِلمِه الذي مَنَعَ أنْ يعرفَهُ أحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في المُخاطَبين بهذا قولان[1]: **أحدهما**: أنهم اليهودُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنهم جميعُ الخَلْقِ، عِلمُهم قليلٌ بالإضافة إلى عِلْم الله عزَّ وجلَّ، ذكره المَاوَرديّ. فإنْ قيلَ: كيف الجَمعُ بين هذه الآيةِ، وبينَ قولِه تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]؟ فالجواب: أنَّ ما أُوتيَهُ الناسُ مِنَ العِلْمِ، وإنْ كان كثيراً، فهو بالإضافة إلى عِلْمِ اللَّهِ قليلٌ.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: لو شِئنا لَمَحوناهُ مِنَ القلوب والكُتبِ، حتى لا يوجدَ له أثرٌ، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي لا تجدُ مَنْ يتوكَّلُ علينا في رَدِّ شيءٍ منه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ هذا استثناءٌ ليس مِنَ الأوَّلِ، والمعنى: لكنَّ اللَّهَ رَحِمكَ فأثبَتَ ذلك في قلبكَ وقلوبِ المؤمنين.

وقال ابنُ الأنبَاري: المعنى: لكنَّ رحمةً مِنْ ربِّكَ تمنعُ مِنْ أنْ تُسْلَبَ القرآنَ، وكان المشركون قد خاطبوا نساءَهُم مِنَ المسلمين في الرُّجوع إلى دِينِ آبائِهم، فهَدَّدهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ بسَلْبِ النِّعمة، فكان ظاهرُ الخِطابِ للرَّسول، ومعنى التَّهدُّدِ للأُمَّةِ. وقال أبو سُليمانَ: «ثم لا تجد لك به» أي: بما نفعله بكَ، مِنْ إذهاب ما عندكَ» وكيلاً» يدفعنا عمَّا نُريده بكَ. ورُوي عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ أنه قال: يُسْرَى على القرآن في ليلةٍ واحدةٍ، فيجيءُ جِبريلُ مِنْ جوفِ الليلِ، فيذهبُ به مِنْ صُدورِهم ومِنْ بُيوتِهم، فيُصبِحونَ لا يقرؤون آيةً، ولا يُحسِنُونها[3]. ورَدَّ أبو سُليمانَ الدِّمشقي صحةَ هذا الحديث بقوله عليه الصَّلاةُ والسلام:

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطاباً لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كلّ أحدٍ سوى الله، وإن كثر هو في علم الله قليل.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبراني في «الكبير» ٨٧٠٠ عن ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل، وهو ثقة قاله الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٢٩ ـ ١٢٤٦٥. ولبعضه شواهد في المرفوع. عند أبي يعلى ٦٦٣٤ من حديث أبي هريرة «أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة وآخر ما يبقى منها الصلاة. . .» وفيه أشعث بن =

[٩١٨] «إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انتزاعاً»، وحديثُ ابنِ مسعودٍ مَرويٌّ مِنْ طُرُقٍ حِسَانٍ، فيحتمل أنْ يكونَ النبيُّ ﷺ أراد بالعلم ما سِوى القرآنِ، فإنَّ العلمَ ما يزالُ ينقرِضُ حتى يكون رَفْعُ القرآنِ آخِرَ الأمرِ(١).

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ قال المُفسِّرون: هذا تكذيبٌ للنَّضر بنِ الحَارثِ حين قال: «لو شِئنا لَقُلنا مثلَ هذا». والمِثْلُ الذي طُلِبَ منهم: كلامٌ له نَظْمٌ كنَظمِ القرآن، في أعلى طبقاتِ البَلاغةِ. والظَّهيرُ: المُعِينُ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في هذه السُّورةِ(٢)، والمعنى: مِنْ كُلِّ

---

[٩١٨] صحيح. أخرجه البخاري ١٠٠ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بلفظ «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وأخرجه البخاري ٧٣٠٧ ومسلم ٢٦٧٣ والترمذي ٢٦٥٢ وابن ماجة ٥٢ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ٢/ ٢٠٣ والطيالسي وابن حبان ٤٥٧١ من طرق عن عبد الله بن عمرو بن العاص به.

= براز، وهو متروك قاله الهيثمي ٧/ ٣٢١. وعند الطبراني في «الصغير» ٣٨٧ من حديث عمر بنحو حديث أبي هريرة وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين، وضعفه أبو زرعة وبقية رجاله ثقات اهـ قاله الهيثمي.

(١) ورد في هذا المعنى خبر مرفوع غير قوي. أخرج ابن ماجه ٤٠٤٩ والحاكم ٤/ ٤٧٣ و ٥٤٥ والخطيب في تاريخه، والبيهقي كما في «الدر» ٤/ ٣٦٤ من حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة فيسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله. وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة». قال له ـ صلة بن زفر أحد رواة هذا الحديث ـ: ما تغني عنهم لا إله إلا الله! وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة، فأعرض عنه حذيفة، ثم ردّدها ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة! تنجيهم من النار، ثلاثاً. صححه الحاكم على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي في الرواية الأولى، ووافقه في الرواية الثانية، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات. . . اهـ وهو في صحيح ابن ماجه ٣٢٧٣، ومع ذلك هو معلول حيث أخرجه الحاكم ٤/ ٥٠٥ بإسناد صحيح لكن جعله موقوفاً، وهو أصح. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٠٧٧ بتخريجنا.

(٢) سورة الإسراء: ٤١.

مَثَلٍ مِنَ الأمثال التي يكون بها الاعتبارُ ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ يعني أهلَ مكّةَ ﴿إِلَّا كُفُورٗا﴾ أي: جُحوداً للحقِّ وإنكاراً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾.

[٩١٩] سببُ نُزولِ هذه الآيةِ وما يَتبَعُها، أنَّ رؤساءَ قُريشٍ، كعُتبَةَ، وشَيْبةَ، وأبي جَهلٍ، وعبدِ الله بنِ أبي أُميّةَ، والنَّضْرِ بنِ الحَارثِ في آخَرين، اجتمعوا عند الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ابعَثوا إلى محمّدٍ فكلّموه وخاصِموه حتى تُعذَروا فيه، فبَعثوا إليه: إنَّ أشرافَ قومكَ قد اجتمعوا ليُكلّموكَ، فجاءَهُم سريعاً، وكان حريصاً على رُشدِهم، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللَّهِ لا نعلمُ رجلاً مِنَ العربِ أدخلَ على قومِه ما أدخلتَ على قومِكَ، لقد شَتمتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وسَفَّهتَ الأحلامَ، وفرَّقتَ الجماعةَ، فإنْ كنتَ إنما جئتَ بهذا لتطلبَ مالاً، جعلنا لكَ مِنْ أموالنا ما تكونُ به أكثرَ مالاً، وإنْ كنتَ إنما تطلب الشَّرفَ فينا، سَوَّدناكَ علينا، وإنْ كان هذا الرَّئِيُّ الذي يأتيكَ قد غَلبَ عليكَ، بَذَلنَا أموالَنا في طَلَبِ الطِّبِّ لكَ حتى نُبرئَكَ منه، أو نُعْذَرَ فيكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «إنْ تَقبَلُوا مِنِّي ما جِئتُكم به، فهو حَظُّكُم في الدنيا والآخرة، وإنْ تَرُدُّوه عليَّ أصبرْ لأمرِ الله حتى يَحكُمَ اللَّهُ بيني وبينَكُم». قالوا: يا محمَّدُ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ مِنّا ما عرَضنا، فقد عَلِمتَ أنه ليس مِنَ الناس أحدٌ أضيقَ بلاداً ولا أشدَّ عَيْشاً منّا، سَلْ لنا ربَّكَ يُسيِّرْ لنا هذه الجبالَ التي ضُيِّقَتْ علينا، ويُجري لنا أنهاراً، ويَبعَثْ مَنْ مَضى مِنْ آبائِنا، ولْيكُنْ فيمَن يُبعثُ لنا منهم قُصَيُّ بنُ كِلابٍ، فإنه كان شيخاً صَدوقاً، فنسألُهم عمّا تقول: أحقٌّ هو؟ فإنْ فعلتَ صَدَّقناكَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما بهذا بُعِثتُ، وقد أبلَغتُكم ما أُرسِلتُ به»؛ قالوا: فَسَلْ ربَّكَ أنْ يبعثَ مَلَكاً يُصدِّقكَ، وسَلْهُ أنْ يجعلَ لكَ جِنَاناً، وكنوزاً، وقُصوراً مِنْ ذهبٍ وفِضّةٍ تُغنيكَ؛ قال: «ما أنا بالذي يسألُ ربَّهُ هذا»؛ قالوا: فأسقِطِ السماءَ علينا كَما زعمتَ بأنَّ ربَّكَ إنْ شاءَ فَعلَ؛ فقال: «ذلكَ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ»؛ فقال قائلٌ منهم: لن نُؤمنَ لكَ حتى تأتيَ باللَّهِ والملائكةِ قَبيلاً، وقال عبدُ الله بنُ أبي أُميَّةَ: لا أؤمنُ لكَ حتى تتَّخذَ إلى السماء سُلَّماً، وتَرقَى فيه وأنا أنظرُ، وتأتي بنُسخَةٍ منشورةٍ معكَ، ونَفَرٍ مِنَ الملائكةِ يشهدونَ لكَ، فانصرفَ رسولُ الله ﷺ حزيناً لِمَا رأى مِن مُباعَدتِهم إيَّاهُ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾... الآيات، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «حتى تُفجِّرَ» بضمّ التاء، وفتحِ الفاء، وتشديدِ الجيم مع الكَسرةِ. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ والكِسَائيُّ: «حتى تَفْجُرَ» بفتحِ التاء، وتسكينِ الفاء، وضمِّ الجيم مع التَّخفيفِ. فمَنْ ثَقَّلَ، أراد كثرةَ الانفجارِ مِنَ اليَنبوعِ، ومَنْ خفَّفَ، فلأنَّ اليَنبوعَ واحدٌ. فأمّا اليَنبوعُ: فهو عينٌ ينبعُ الماءُ منها؛ قال أبو عُبيدَةَ: وهو يَفعُول، مِنْ نَبعَ الماءُ، أي: ظهرَ وفارَ. قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ﴾ أي: بُستان ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ أي: تَفتحُها وتُجريها ﴿خِلَٰلَهَا﴾ أي: وَسطَ تلك الجنَّةِ. قوله تعالى: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾ وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو مِجْلَز، وأبو رَجَاءٍ، وحُمَيدٌ، والجَحدريُّ: «أو تَسقُط» بفتحِ التاء، ورفعِ القاف «السماء» بالرَّفعِ.

---

[٩١٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٢٧١٩ عن ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمّ، وكرره الطبري ٢٢٧٢٠ عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد وإسناده ضعيف لجهالة محمد هذا.

قوله تعالى: ﴿كِسَفًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «كسْفاً» بتسكينِ السين في جميع القرآن إلاّ في الرُّوم[1] فإنهم حرَّكوا السينَ. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم بتحريكِ السين في المَوضِعين، وفي باقي القرآن بالتَّسكين. وقرأ ابنُ عامرٍ ها هنا بفتحِ السينِ، وفي باقي القرآن بتسكينِها.
قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «كِسَفاً» بفتح السين، جعلها جَمْعَ كِسْفَةٍ، وهي: القِطعةُ، ومَنْ قرأ «كِسْفاً» بتسكينِ السينِ، فكأنهم قالوا: أَسْقِطْهَا طَبَقاً علينا؛ واشتِقاقُه مِنْ كَسفتُ الشيءَ: إذا غطَّيتَهُ، يَعنُونَ: أسقِطْهَا علينا قطعةً واحدةً. وقال ابنُ الأنباري: مَنْ سَكَّنَ قال: تأويلُه: ستراً وتغطيةً، مِنْ قولهم: قد انكسَفَتِ الشمسُ: إذا غطَّاهَا ما يحولُ بين النَّاظرين إليها وبينَ أنوارِها.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عِيَاناً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، وابنُ جُرَيجٍ، ومُقاتِلٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: معناه: مُقابلةً، أي: مُعاينةً، وأنشد الأعشَى:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوؤُوا بِمِثْلِهَا   كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا

أي: قابِلَتُها. ويُروى: وَجَّهتْهَا، يعني: بدل يسرتها.
والثاني: كفيلاً أنكَ رسولُ الله، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ، قال: القَبِيلُ، والكَفيلُ، والزَّعيمُ، سواءٌ؛ تقول: قَبِلتُ، وكَفِلتُ، وزَعمتُ. **والثالث**: قبيلةً قبيلةً، كلُّ قبيلةٍ على حِدَتِها، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ. فأمَّا الزُّخرُفُ، فالمراد به الذَّهبُ، وقد شرحنا أصلَ هذه الكلمةِ في سُورة يُونس[2]، و ﴿تَرْقَىٰ﴾: بمعنى «تصعد»؛ يقال: رَقِيتُ أرقَى رُقِيًّا.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: كتاباً مِنْ رَبِّ العَالَمين إلى فُلانِ بنِ فُلانٍ يُصبِحُ عند كلِّ واحدٍ منَّا يقرؤهُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «قل». وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ: «قال»، وكذلك هي في مَصاحفِ أهلِ مكَّةَ والشَّام، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، أي: أنَّ هذه الأشياء ليست في قُوى البشرِ.

فإنْ قيلَ: لِمَ اقتصرَ على حكايةِ «قالوا» مِنْ غير إيضاحِ الرَّدِّ؟
فالجواب: أنه لمَّا خَصَّهُم بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ فلم يكن في وُسْعِهم، عَجَّزَهُم، فكأنه يقول: قد أوضحتُ لكم بما سبقَ مِنَ الآياتِ ما يدلُّ على نُبوَّتي، ومِنْ ذلك التَّحدِّي بمثل هذا القرآن، فأمَّا عَنَتُكم فليس في وُسْعِي، ولأنهم ألَحُّوا عليه في هذه الأشياء، ولم يسألوه أنْ يسألَ ربَّهُ، فَرَدَّ قولَهُم بكونِه بشراً، فكَفَى ذلك في الرَّدِّ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

(١) سورة الروم: ٤٨.
(٢) سورة يونس: ٢٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أهلَ مكَّةَ. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: وما منعَهُم مِنَ الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو البيانُ والإرشادُ في القرآن ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ قولُهم في التَّعجُّبِ والإنكارِ: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ وفي الآيةِ اختصارٌ، تقديرُه: هَلاَّ بعثَ اللهُ مَلَكاً رسولاً، فأُجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي: مُستوطِنينَ الأرضَ. ومعنى الطُّمأنينةِ: السُّكون؛ والمُرادُ مِنَ الكلام أنَّ رسولَ كلِّ جنسٍ ينبغي أنْ يكونَ منهم. قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾ قد فسَّرناه في الرَّعدِ[1] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ قال مُقاتِلٌ: حين اختصَّ اللهُ محمَّداً بالرِّسالة.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ بالياء في الوَصْلِ، وحَذَفاها في الوَقْفِ. وأثبَتَها يعقوبُ في الوَقفِ، وحذَفَها الأكثرون في الحالَتين. قال ابنُ عباسٍ: مَنْ يُرِدِ اللهُ هُداهُ ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَهدونَهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يُمشّيهم على وجُوهِهم، وشاهِدُه ما رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «صحيحيهما» مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ كيف يُحشر الكافرُ على وَجْهِه يومَ القيامة؟ قال:

[٩٢٠] «إنَّ الذي أمشَاهُ على رِجلَيْه في الدنيا، قادرٌ على أنْ يُمشِيهُ على وَجْهِه يومَ القيامةِ».

والثاني: أنَّ المعنى: ونَحشُرهم مَسحُوبينَ على وُجوهِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: نَحشُرهم مُسرعين مُبادِرينَ، فعَبَّر بقوله تعالى: «على وجوههم» عن الإسرَاعِ، كما تقول العرب: قد مَرَّ القومُ على وجُوهِهم: إذا أسرَعوا، قاله ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عُمياً لا يَرونَ شيئاً يَسرُّهُم، وبُكماً لا يَنطِقون بحُجَّةٍ، وصُمّاً لا يسمعون شيئاً يَسُرُّهم، قاله ابنُ عباسٍ. وقال في روايةٍ: عُمياً عن النَّظرِ إلى ما جعل اللهُ تعالى لأوليائِه، وبُكماً عن مُخاطبةِ الله تعالى، وصُمّاً عمَّا مَدحَ به أولياءَهُ، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ هذا الحَشرَ في بعض أحوال القيامة بعدَ الحَشرِ الأولِ. قال مُقاتِلٌ: هذا يكون حينَ يُقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾[2] فيَصِيرون عُمياً بُكماً صُمّاً لا يَرونَ ولا يسمعون ولا يَنْطِقون بعد ذلك.

---

[٩٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٦٠ و ٦٥٢٣ ومسلم ٢٨٠٦ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٦٧ وأحمد ٣/ ٢٢٩ وأبو يعلى ٣٠٤٦ وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣٤٣ وابن حبان ٧٣٢٣ من طرق عن أنس بن مالك، به.

---

(١) سورة الرعد: ٤٣. (٢) سورة المؤمنون: ١٠٨.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابنُ عباس: أي: سَكَنَتْ. قال المُفسِّرونَ: وذلك أنهم تأكُلُهم، فإذا لم تُبْقِ منهم شيئاً وصاروا فَحماً ولم تَجِدْ شيئاً تأكله، سَكَنَتْ، فيُعادُون خَلْقاً جديداً، فتعود لهم. وقال ابنُ قُتيبة: يقال: خَبَتِ النارُ: إذا سَكنَ لَهَبُها. فاللَّهَبُ يَسكُنُ، والجَمرُ يعملُ، فإن سَكَنَ اللَّهبُ، ولم يُطفأ الجَمرُ، قيل: خَمدتْ تَخمُدُ خُموداً، فإنْ طُفِئَتْ ولم يَبْقَ منها شيءٌ، قيل: هَمَدَتْ تَهْمُدُ هُموداً. ومعنى ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: ناراً تتسعَّرُ، أي تَتَلهَّبُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ تفسيرُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: على أنْ يَخلُقَهُم مرَّةً ثانيةً، وأراد بـ «مثلهم» إيَّاهم، وذلك أنَّ مِثْلَ الشيءِ مُساوٍ له، فجازَ أنْ يُعبَّرَ به عن نَفْسِ الشيءِ، يقال: مِثْلُكَ لا يفعل هذا، أي: أنتَ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[2] وقد تَمَّ الكلامُ عند قوله تعالى: ﴿مِثْلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: أجلَ البعثِ ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: جُحُوداً بذلك الأجلِ. قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو تَملِكُون أنتم، قال المُتَلَمِّسُ:

وَلَوْ غيرُ أَخْوالِي أَرادُوا نَقِيصَتِي ... نَصبْتُ لهُم فَوْقَ العَرانِينِ مَيْسَما[3]

المعنى: لو أراد غيرُ أخوالي.

وفي هذه الخَزائِن قولان: **أحدهما**: خَزائنُ الأرزاقِ. **والثاني**: خزائنُ النِّعَم.

فيخرج في الرَّحمةِ قولان: **أحدهما**: الرِّزقُ. **والثاني**: النِّعمةُ. وتحريرُ الكلام: لو مَلكتُم ما يَملكُه اللهُ عزَّ وجلص لأَمسكتُم عن الإنفاق خشيةَ الفاقَةِ. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: الكافر ﴿قَتُورًا﴾ أي: بَخيلاً مُمْسِكاً؛ يقال: قَتَر يَقتُرُ، وقَتَر يَقْتِرُ: إذا قَصَّر في الإنفَاقِ. وقال المَاوردِي: لو مَلكَ أحدٌ مِنَ المخلوقين مِنْ خَزائنِ الله تعالى، لَمَا جادَ كَجُودِ الله تعالى، لأمرين: **أحدهما**: أنه لا بُدَّ أنْ يُمسِكَ منهُ لنَفقتِه ومَنفعتِه. **والثاني**: أنه يخافُ الفقرَ، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ في جُودِه عن الحالَين.

ثم إنَّ اللهَ تعالى ذَكرَ إنكارَ فِرعونَ آياتِ موسى، تشبيهاً بحالِ هؤلاءِ المشركين، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى المُعجزات والدَّلالاتِ، ثم اتَّفق جمهورُ المُفسِّرين على سبعِ آياتٍ منها، وهي: يَدهُ، والعصا، والطُّوفَانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ، والدَّمُ، واختلفوا في الآيتين الآخرتين على ثمانيةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنهما لسانُه والبَحرُ الذي فُلِقَ له، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ؛ يعني بلسانه: أنه كان فيه عُقدَةٌ فحَلَّها اللهُ تعالى له. **والثاني**: البحرُ والجَبلُ الذي نُتِقَ فوقَهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: السِّنون ونَقصُ الثَّمراتِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. وقال الحَسَنُ: السِّنُون ونقصُ الثَّمراتِ آيةٌ واحدةٌ. **والرابع**: البحرُ والموتُ أُرسِلَ عليهم، قاله الحسَنُ، ووَهْبٌ. **والخامس**: الحَجَرُ والبحرُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والسادس**: لسانُه وإلقاءُ العَصا مرَّتين عند فِرعونَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والسابع**: البحرُ والسِّنون، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والثامن**: ذكره محمَّدُ بن إسحاق عن محمد بنُ كَعبٍ أيضاً، فذكر السَّبْعَ الآياتِ الأُولى، إلاَّ أنه جعلَ مكانَ يدِه البحرَ، وزاد الطَّمْسَةَ والحَجرَ، يعني قوله تعالى: ﴿ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾.

---

(١) الإسراء: ٤٩. (٢) سورة البقرة: ١٣٧.

(٣) في «اللسان»: نقيصتي: ظلمي ـ العرانين: الأنوف ـ والميسم: آلة الوسم بالنار.

والثاني: أنها آياتُ الكتابِ.

[٩٢١] روى أبو داودَ السجستَاني مِنْ حديث صَفوانَ بن عَسَّالٍ، أنَّ يهودياً قال لصاحبه: تعالَ حتى نسألَ هذا النبيَّ، فقال الآخرُ: لا تَقُلْ: إنه نبيٌّ، فإنه لو سمعَ ذلك، صارت له أربعةُ أعيُنٍ، فأتياه فسألاهُ عن تسع آياتٍ بيّناتٍ، فقال: «لا تُشركوا باللهِ شيئاً، ولا تقتُلوا النَّفسَ التي حَرَّم اللهُ إلاّ بالحقِّ، ولا تَزنُوا، ولا تَسرِقوا، ولا تأكُلوا الرِّبا، ولا تمشُوا بالبَريءِ إلى السُّلطانِ ليَقتُلَه، ولا تَسحَرُوا، ولا تَقذِفوا المُحصَنَاتِ، ولا تفِرُّوا مِنَ الزَّحفِ، وعليكم خاصَّةً يهودُ ألاّ تَعْدُوا في السَّبتِ»، قال: فقبَّلا يدَهُ، وقالا: نشهدُ أنكَ نبيٌّ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قرأ الجمهورُ: «فاسأل» على معنى الأمرِ لرسولِ الله ﷺ. وإنما أُمِرَ أنْ يسألَ مَنْ آمنَ منهم عمَّا أُخبِرَ به عنهم، ليكون حُجَّةً على مَنْ لم يُؤمِنْ منهم. وقرأ ابنُ عباسٍ: «فَسألَ بني إسرائيل»، على معنى الخبرَ عن موسى أنه سألَ فِرعونَ أنْ يُرسلَ معه بَني إسرائيلَ. ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾ أي: لأَحسِبُكَ ﴿يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَخدُوعاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَسحُوراً قد سُحِرْتَ، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: ساحِراً، فوضعَ مفعولاً في موضع فاعلٍ، هذا مَرويٌّ عن الفَرَّاءِ، وأبي عُبيدَةَ. فقال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ عليٌّ عليه السلام بضمِّها، وقال: واللهِ ما عَلِمَ عَدوُّ اللهِ، ولكنَّ موسى هو الذي عَلِمَ، فبلغَ ذلك ابنَ عباسٍ، فاحتجَّ بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾(١). واختار الكِسَائيُّ وثَعلَبُ قراءةَ عليٍّ عليه السلام، وقد رُويتْ عن ابنِ عباسٍ، وأبي رَزِينٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وابنِ يَعمُرَ. واحتجَّ مَنْ نَصرَهَا بأنه لمَّا نَسبَ موسى إلى أنه مَسحورٌ، أعلمَهُ بصحَّةِ عقلِه بقوله تعالى: «لقد علمتُ»، والقِراءةُ الأُولَى أصحُّ، لاختيارِ الجمهور، ولأنه قد أَبانَ موسى مِنَ المُعجزاتِ ما أوجبَ عِلْمَ فِرعونَ بصِدقِه، فلم يَرُدَّ عليه إلاّ بالتَّعلُّلِ والمُدافعة، فكأنه قال: لقد عَلِمتَ بالدليلِ والحُجَّةِ «ما أنزل هؤلاء» يعني الآياتِ. وقد شَرَحنا معنى «البَصائِر» في سُورة الأعرافِ(٢).

---

[٩٢١] ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٧٣٣ و ٣١٤٤ والنسائي ٣٥٤١ و ٨٦٥٦ في «الكبرى» وابن ماجه ١٧٠٥ والحاكم ١/٩ من حديث صفوان بن عسال، وإسناده ضعيف، مداره على عبد الله بن سلمة، قال شعبة عن عمر بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة حدثنا، وإنا لنعرف وننكر وكان قد كبر، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه ـ وقال أبو حاتم والنسائي: يعرف وينكر اهـ «الميزان» ٤٣٦٠. وفي الحديث بعض الألفاظ المنكرة وقد نبه عليها الحافظ ابن كثير، عند هذه الآية.

---

(١) سورة النحل: ١٤.
(٢) سورة الأعراف: ٢٠٣.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ قال أكثرُ المُفسِّرين: الظَّنُّ هاهنا بمعنى العِلْم، على خلافِ ظَنِّ فِرعَونَ في موسى، وسَوَّى بينهما بعضُهم، فجعلَ الأولَ بمعنى العِلْم أيضاً. وفي المَثبورِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المَلعُونُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: المَغلُوبُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: النَّاقِصُ العَقلِ، رواه مَيمُونَ بن مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: المُهلَكُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثُبِرَ الرجلُ، فهو مَثْبُورٌ، إذا أُهلِكَ. **والخامس**: الهَالِكُ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: المَمنُوع مِنَ الخَيرِ؛ تقول العرب: ما ثَبَرَكَ عن هذا، أي: ما مَنعَكَ، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: فِرعونَ أراد أنْ يَستفِزَّ بَني إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصْرَ. وفي معنى ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾ قولان: **أحدهما**: يَستأصِلُهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَستخِفُّهم حتى يخرجوا، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وقال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أنْ يكونَ استِفزَازُهم إخراجَهم منها بالقتلِ أو بالتَّنحِيَةِ. قال العلماءُ: وفي هذه الآيَةِ تنبيهٌ على نُصرَةِ رسولِ الله ﷺ، لأنه لمَّا خرجَ موسى فطَلَبَهُ فِرعَونُ، هَلكَ فِرعَونُ ومَلَكَ موسى، فكذلك أظهرَ اللهُ نبيَّه بعدَ خُروجِه مِنْ مكَّةَ حتى رجع إليها ظاهراً عليها. قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: مِنْ بعدِ هَلاكِ فِرعونَ ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فِلسطينُ والأُردنُّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أرضٌ وراءَ الصِّينِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أرضُ مِصرَ والشَّام. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: جميعاً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ قُتَيبةَ. وقال الفَرَّاءُ: لَفِيْفاً، أي: مِنْ هاهنا ومِنْ هاهنا. وقال الزَّجَّاجُ: اللفِيْفُ: الجماعاتُ مِنْ قبائلَ شَتَّى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ الهاءُ كِنايةٌ عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القُرآنَ بالأمرِ الثَّابتِ والدِّين المُستقيمِ، فهو حَقٌّ، ونُزولُه حقٌّ، وما تضمَّنَهُ حقٌّ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: «وبالحق أنزلناه» أي: بالتَّوحيد، «وبالحق نزل» يعني: بالوَعدِ والوَعيدِ، والأمرِ والنَّهي.

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ قرأ عليٌّ عليه السلام، وسعدُ بنُ أبي وَقَّاص، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ، والشَّعبيُّ، وقَتادَةُ، والأعرَجُ، وأبو رَجَاءٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «فرَّقناه» بالتشديد. وقرأ الجمهورُ بالتَّخفيفِ.

فأمَّا قراءة التَّخفيفُ، ففي معناها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بَيَّنَّا حلالَهُ وحَرَامَهُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فَرَقْنَا فيه بين الحقِّ والباطل، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أحكمنَاهُ، وفَصَّلناهُ، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1]، قاله الفَرَّاءُ. وأما المُشَدَّدةُ، فمعناها: أنه أُنزِلَ مُتفرِّقاً، ولم يَنزِلْ جُملةً واحدةً. وقد بَيَّنَّا في أوَّلِ كتابنا هذا مِقدارُ المُدَّةِ التي نزلَ فيها.

---

(١) سورة الدخان: ٤.

قوله تعالى: ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ قرأ أنسٌ، والشَّعبيُّ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ، وأبو رَجَاءٍ، وأبَانُ عن عَاصِمٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: بفتح الميم؛ والمعنى: على تُؤدَةٍ وتَرَسُّلٍ ليتدبَّروا معنَاهُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ هذا تهديدٌ لكفَّارِ مكَّةَ، والهاءُ كنايةٌ عن القرآن. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم ناسٌ مِنْ أهلِ الكتاب، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهم الأنبياء عليهم السلام، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: طُلاَّبُ الدِّينِ، كأبي ذرّ، وسلمانَ، وورَقَةَ بنِ نَوفَلٍ، وزيدِ بنِ عَمرٍو، قاله الواحديُّ.

وفي هاءِ الكِنايةِ في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى القرآن، والمعنى: مِنْ قبلِ نُزولِه. **والثاني**: ترجعُ إلى رسولِ الله ﷺ، قاله ابنُ زيدٍ. فعلى الأوَّلِ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآنُ. وعلى قولِ ابنِ زيدٍ ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ ما أُنزلَ إليهم مِنْ عندِ الله.

قوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ اللامُ هاهنا بمعنى «على». قال ابنُ عباسٍ: قوله «للأذقان» أي: للوجُوهِ. قال الزَّجَّاجُ: الذي يَخِرُّ وهو قائمٌ، إنما يَخِرُّ لوَجْهِه، والذَّقنُ: مُجتمَعُ اللَّحْيَين. وهو عضوٌ مِنْ أعضاءِ الوَجْهِ، فإذا ابتدأ يَخِرُّ، فأقربُ الأشياء مِنْ وجهِه إلى الأرض الذَّقنُ. وقال ابنُ الأنباري: أولُ ما يَلقَى الأرضَ مِنَ الذي يَخِرُّ، فأقربُ الأشياء مِنْ وجهه إلى الأرض الذَّقنُ. وقال ابنُ الأنباري: أولُ ما يَلقَى الأرضَ مِنَ الذي يَخِرُّ قبلَ أنْ يُصَوِّب جبهتَهُ ذَقْنُهُ، فلذلك قال: «للأذقان» ويجوز أن يكونَ المعنى: يَخِرُّون للوجُوهِ، فاكتفى بالذَّقنِ مِنَ الوَجهِ كما يُكتفى بالبعضِ مِنَ الكُلِّ، وبالنَّوعِ مِنَ الجِنسِ. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهُوا اللهَ تعالى عن تكذيبِ المُكذِّبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزلِ القرآنِ وبَعثِ محمَّدٍ ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ واللامُ دخلت للتَّوكيدِ. وهؤلاءِ قومٌ كانوا يسمَعون أنَّ اللهَ باعثٌ نبياً مِنَ العرب، ومُنزِلٌ عليه كتاباً، فلمَّا عايَنُوا ذلك، حَمِدُوا اللهَ تعالى على إنجازِ الوَعدِ، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كرَّر القولَ ليدلَّ على تكرارِ الفعلِ منهم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: يَزيدُهم القرآنُ تواضُعاً. وكان عبدُ الأعلى التَّيميُّ يقول: مَنْ أوتيَ مِنَ العِلْم ما لا يُبكِيه، لَخليقٌ أنْ لا يكون أُوتيَ عِلْماً ينفعُه، لأنَّ اللهَ تعالى نعتَ العلماءَ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿يَبْكُونَ﴾[1].

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ

(١) فائدة: قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٤٥٣: فصل: فأما البكاء والتأوه والأنين الذي ينتظم منه حرفان، فما كان مغلوباً عليه لم يفسد الصلاة، وما كان من غير غلبة، فإن كان لغير خوف الله أفسد صلاته، قال أبو عبد الله بن بطّة، في الرجل يتأوه في الصلاة: إن تأوه من النار فلابأس. والتأوه ذكر مدح الله تعالى الباكين بقوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾. وروي عن عبد الله بن الشّخير، عن أبيه، أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء. ولم أر عن أحمد في التأوه شيئاً، ولا في الأنين والأشبه بأصوله: أنه متى فعله مختاراً أفسد صلاته. وقال في البكاء الذي لا يفسد الصلاة: ما كان من غلبةٍ. والنصوص عامة تمنع من الكلام كله، ولم يرد في التأوه والأنين ما يخصُّهما، والمدح على التأوه لا يوجب تخصيصه.

بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ الآية. هذه الآيةُ نزلت على سَببين، نزل أوَّلُها إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ على سببٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ(١):

[٩٢٢] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله تَهجَّدَ ذاتَ ليلةٍ بمكَّةَ، فجعل يقولُ في سُجودِهِ: «يا رحمنُ، يا رَحيمُ»، فقال المشركون: كان محمَّدٌ يدعو إلهاً واحِداً، فهو الآن يدعو إلهَينِ اثنين: الله، والرَّحمنَ، ما نعرِفُ الرَّحمنَ إلاَّ رَحمَنَ اليمامةِ، يَعنُون: مُسَيلمَةَ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٢٣] **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكتب في أوَّلِ ما أُوحيَ إليه: باسمِكَ اللهُمَّ، حتى نزل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾(٢) فكتبَ: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، فقال مُشركو العرب: هذا الرَّحيمُ نَعرِفُه، فمَا الرَّحمنُ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مَيمونُ بنُ مِهرَانَ.

[٩٢٤] **والثالث**: أنَّ أهلَ الكتاب قالوا لرسولِ الله ﷺ: إنكَ لَتُقِلُّ ذِكْرَ الرَّحمنِ وقد أكثرَ اللهُ في التَّوراةِ هذا الاسمَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ.

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. فنزل على سبب، وفيه ثلاثة أقوال:

[٩٢٥] **أحدها**: أن رسول الله كان يرفع صوته بالقرآن بمكة فيسُبُّ المشركون القرآن ومن أتى به

---

[٩٢٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٢٨٠١ وابن مردويه كما في «أسباب النزول» ٧٠٥ للسيوطي واللفظ بدون ذكر مسيلمة كلاهما عن ابن عباس، وفي إسناده الحسين بن داود «سُنيد» وهو ضعيف.
وأخرجه الطبري ٢٢٨٠٢ عن مكحول مرسلاً. وفيه ذكر مسيلمة وهو باطل فالسورة مكية، وأمر مسيلمة كان قبل وفاة النبي ﷺ بقليل. وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٨٩ و «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٤٠٨٣ و ٤٠٨٤ وكلاهما بتخريجنا.

[٩٢٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٥٩٤ عن ميمون بن مهران مرسلاً هكذا بلا سند، وهو باطل، لأن السورة مكية. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٤٠٨٥ بتخريجنا.

[٩٢٤] باطل. عزاه المصنف رحمه الله للضحاك، وهو بدون إسناد، ومع ذلك مراسيل الضحاك واهية، وراويته جويبر بن سعيد ذاك المتروك. والسورة مكية، وأخبار يهود مدنية.

[٩٢٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢٢ و ٧٤٩٠ و ٧٥٢٥ و ٢٥٤٧ ومسلم ٤٤٦، ١٤٥١ والترمذي ٣١٤١ والنسائي في «التفسير» ٣٢٠ وأحمد ١/ ٢٣ عن ابن عباس، في قوله تعالى: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾** قال: نزلت ورسول الله ﷺ مُختفٍ بمكة كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن **﴿ولا تخافت بها﴾** عن أصحابك فلا تسمعهم **﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾** لفظ البخاري.
وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١٤٥١ بتخريجنا.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٨٩: يقول الله تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل، المانعين من تسميته بالرحمن: **﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾** لا فرق بين دعائكم له باسم «الله» أو باسم «الرحمن» فإنه ذو الأسماء الحسنى.

(٢) سورة النمل: ٣٠.

فخفض رسول الله صوته بعد ذلك حتى لم يسمع أصحابه، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾. أي: بقراءَتِكَ، فيسمع المشركون فيَسبُّوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابِكَ، فلا يَسمَعُونَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٢٦] **والثاني**: أنَّ الأعرابيَّ كان يَجهرُ في التَّشهُدِ ويرفعُ صوتَهُ، فنزلت هذه الآيةُ، هذا قولُ عائشةَ.

[٩٢٧] **والثالث**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُصلِّي بمكَّةَ عند الصَّفَا، فجَهرَ بالقرآنِ في صلاةِ الغَداةِ، فقال أبو جَهلٍ: لا تَفترِ على اللهِ، فخَفضَ النبيُّ ﷺ صوتَهُ، فقال أبو جَهلٍ للمشركين: ألاَ تَرونَ ما فَعلتُ بابنِ أبي كَبْشَةَ؟! رَددتُهُ عن قراءَتِه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

فأمَّا التَّفسيرُ، فقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ المعنى: إنْ شِئتُم فقولوا: يا اللهُ، وإنْ شِئتُم فقولوا: يا رَحمنُ، فإنهما يَرجعانِ إلى واحدٍ، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ المعنى: أيَّ أسماءِ الله تَدْعُوا؛ قال الفَرَّاءُ: و «ما» قد تكون صِلةً، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[1]، وتكون في معنى: «أيّ» معادَةً لمَّا اختلف لَفظُهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الصَّلاةُ الشَّرعيةُ. ثم في المُراد بالكلام ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَجهَرْ بقراءَتِكَ، ولا تُخافِتْ بها، فكأنه نَهيٌ عن شِدَّةِ الجَهرِ بالقراءة وشدَّةِ المُخافَتةِ، قاله ابنُ عباسٍ. فعلى هذا في تسمية القراءةِ بالصَّلاةِ قولان: ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنْ يكونَ المعنى: فلا تَجْهَرْ بقراءةِ صلاتكَ. **والثاني**: أنَّ القراءة بعضُ الصَّلاةِ، فنَابَتْ عنها، كما قِيلَ لعيسى: كلمةُ اللهِ، لأنه بالكَلمَةِ كانَ. **والثاني**: لا تُصَلِّ مُراءَاةً للناس، ولا تَدَعْها مَخافةَ الناسِ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: لا تَجهَرْ بالتَّشهُّد في صَلاتكَ، رُوي عن عائشةَ في روايةٍ، وبه قال ابنُ سِيرينَ. **والرابع**: لا تَجهَرْ بفعلِ صلاتكَ ظاهراً ولا تُخافِتْ بها شديدَ الاستِتارِ، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: لا تُحسِنْ عَلانِيَتَها، وتُسِيْءْ سَريرَتَها، قاله الحسَنُ. **والسادس**: لا تجهر بصلاتكَ كلِّها، ولا تُخافِتْ بجميعِها، فاجهَرْ في صلاةِ الليل، وخَافِتْ في صلاةِ النهار، على ما أمرنَاكَ به، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

والقول الثاني: أنَّ المُرادَ بالصلاة: الدُّعاءُ، وهو قولُ عائشةَ، وأبي هُريرَةَ، ومُجاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المُخافَتَةُ: الإخفَاءُ، يقال: صَوتٌ خَفِيتٌ. ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

---

[٩٢٦] واهٍ بمرة. عزاه المصنف تبعاً للواحدي في «الأسباب» ٥٩٧ بدون إسناد لعائشة. أخرجه الطبري ٢٢٨٢١ عن عبد الله بن شداد، وهذا مرسل فهو ضعيف، والمتن منكر جداً، شبه موضوع، ثم إن السورة مكية، والأعراب إنما أسلموا في المدينة. وإنما أخرج البخاري ٤٧٢٣ و ٦٣٢٧ و ٧٥٢٦ والنسائي في «التفسير» ٣٢١ والطبري ٢٢٨٣٩ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله تعالى: **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾** نزلت في الدعاء. ولم يذكر فيه الأعرابي. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٢١٧ بتخريجنا.

[٩٢٧] باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، والمتن منكر جداً بهذا اللفظ، فهو باطل.

---

(١) سورة المؤمنون: ٤٠.

أي: اسلُكْ بينَ الجَهرِ والمُخافَتةِ طريقاً. وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: نُسِخَتْ هذه الآيةُ بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1]، وقال ابنُ السَّائبِ: نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[2]؛ وعلى التَّحقيقِ، وجودُ النَّسخِ هاهنا بَعيدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ، وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ: «في المِلك» بكسرِ الميم. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال مُجاهِدٌ: لم يُحالِفْ أحداً، ولم يَبْتَغِ نصرَ أحدٍ؛ والمعنى: أنه لا يحتاجُ إلى مُوالاةِ أحدٍ لِذُلٍّ يلحَقُه، فهو مُستَغنٍ عن الوَليِّ والنَّصيرِ. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: عَظِّمْهُ تعظيماً تامّاً. واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٥.

(٢) سورة الحجر: ٩٤.

سورة الكهف

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

فصلٌ في نُزولها: روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنَّ سورةَ الكهف مكِّيَّةٌ، وكذلك قال الحَسنُ، ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ. وهذا إجماعُ المُفسِّرينَ مِنْ غير خلافٍ نعلَمُه، إلاَّ أنه قد رُوي عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً وهي قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[1]. وقال مُقاتِلٌ: مِنْ أوَّلِها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾[2] مَدنيٌّ، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[3] الآيتان مَدنيَّةٌ، وباقيها مكِّيٌّ.

[٩٢٨] ورَوى أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «مَنْ حَفِظَ عشرَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ سُورةِ الكهف ثم أدركَ الدَّجَّالَ لم يَضُرَّهُ، ومَنْ حَفِظَ خواتيمَ سُورةِ الكهف كانت له نُوراً يومَ القيامةِ».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قد شرحناه في أوَّلِ «الفاتحة». والمُراد بعَبْدِه هاهنا: محمَّدٌ ﷺ، وبالكتاب: القرآن، تَمَدَّح بإنزالِه، لأنه إنعامٌ على الرسول خاصَّةً، وعلى الناس عامَّةً. قال العلماء باللغة والتَّفسير: في هذه الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُها: أنزلَ على عَبدِه الكتابَ ﴿قَيِّمًا﴾ أي: مُستقيماً عَدْلاً. وقرأ أبو رَجاء، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمَرَ، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ: «قِيَماً» بكسرِ القاف، وفتحِ الياء، وقد فسَّرناهُ في الأنعام[4].

---

[٩٢٨] صحيح. أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٧/٣٨/ ١٣٢ من حديث أبي الدرداء، وإسناده على شرط مسلم. وأخرج مسلم ٨٠٩ وأبو داود ٤٣٢٣ والنسائي في «اليوم والليلة» ٩٥١ وأحمد ٦/٤٤٩ وابن حبان ٧٨٥ و ٧٨٦ من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجّال». وانظر «تفسير الشوكاني» ١٤٧٩ بتخريجنا.

---

(١) سورة الكهف: ٢٨.
(٢) سورة الكهف: ٨.
(٣) سورة الكهف: ١٠٧ و ١٠٨.
(٤) سورة الأنعام: ١٦١.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافاً، وقد سبق بيانُ العِوَجِ في سُورةِ آلِ عِمرانَ(١). قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾ أي: عذاباً شديداً، ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي: مِنْ عنده، ومِنْ قِبَلِه، والمعنى: لِيُنذِرَ الكافرين ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بأنَّ لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنَّةُ. ﴿مَّٰكِثِينَ﴾ أي: مُقيمينَ، وهو منصوبٌ على الحالِ. ﴿وَيُنذِرَ﴾ بعذابِ الله ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهودُ حين قالوا: عُزَيرٌ ابنُ اللهِ، والنَّصارى حين قالوا: المَسيحُ ابنُ الله، والمشركون حين قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلك القولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ لأنهم قالوه افتِراءً على اللهِ، ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿كَبُرَتْ﴾ أي: عَظُمَتْ ﴿كَلِمَةً﴾ الجمهورُ على النَّصبِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو رَزِينٍ، وأبو رَجَاءٍ، ويَحيى بنُ يَعمُرَ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «كلمةٌ» بالرفعِ. قال الفَرَّاءُ: مَنْ نَصبَ، أضمَرَ: كَبُرَتْ تلك الكلمةُ كلمةً، ومَنْ رَفَعَ، لم يُضمِرْ شيئاً، كما تقول: عَظُمَ قولُكَ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ نصبَ، فالمعنى: كَبُرَتْ مقالَتُهم: اتَّخذَ اللهُ وَلَداً كلمةً، و «كلمةً» منصوبٌ على التَّمييزِ. ومَنْ رفعَ، فالمعنى: عَظُمَتْ كلمةٌ هي قولُهم: اتَّخذَ اللهُ وَلَداً.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: إنها قولٌ بالفَم لا صِحَّةَ لها، ولا دليلَ عليها، ﴿إِن يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ ثم(٢) عاتبَهُ على حُزنِهِ لِفَوتِ ما كان يرجو مِنْ إسلامِهم، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو الجَوزَاءِ، وقَتادَةُ: «باخع نفسِك» بكسرِ السين، على الإضافة. قال المُفسِّرون واللغويون: فلَعلَّكَ مُهلِكٌ نفسَكَ، وقَاتِلٌ نفسَكَ، وأنشد أبو عُبيدَةَ لذِي الرُّمَّةِ:

ألا أيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نفْسَهُ لِشيْءٍ نَحتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقادِرُ

أي: نحَّتْهُ. فإنْ قيلَ: كيف قال: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ والغالبُ عليها الشَّكُّ، واللهُ عالمٌ بالأشياء قبلَ كونِها؟ فالجواب: أنها ليست بشَكٍّ، إنما هي مُقدَّرةٌ تقديرَ الاستفهام الذي يَعني به التَّقريرَ، فالمعنى: هل أنتَ قاتلٌ نفسَكَ؟! لا ينبغي أن يطولَ أساكَ على إعراضِهم، فإنَّ مَنْ حَكَمْنا عليه بالشِّقْوَةِ لا تُجدي عليه الحَسرةُ؛ ذكره ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ أي: مِنْ بعد تَولِّيهم عنكَ ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَسَفًا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَزَناً، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: جَزَعاً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: غَضَباً، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: نَدَماً، قاله السُّدِّيُّ. وقال أبو عُبيدَةَ: نَدَماً وتَلهُّفاً وأَسَىً. قال الزَّجَّاجُ: الأَسَفُ: المُبالغة في الحُزنِ، أو الغَضبِ، يُقال: قد أَسِفَ الرجلُ، فهو أَسِيفٌ، قال الشاعر:

أَرَى رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفاً كَأَنَّما يَضُمُّ إلى كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا(٣)

---

(١) سورة آل عمران: ٩٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٩٣: يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه، كما قال تعالى: **﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾** وقال: **﴿لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين﴾**. ولهذا قال **﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾** أي لم يؤمنوا بالقرآن، يقول: لا تهلك نفسك أسفاً، أي لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.

(٣) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس كما في «ديوانه»: ١١٥ و «اللسان» مادة ـ أسف ـ يقول: كأن يده قطعت فاختضبت بدمها، والآسف هو الغضبان وقد يكون الأسيف: الغضبان مع الحزن.

وهذه الآيةُ يُشير بها إلى نَهي رسولِ الله ﷺ عن كثرة الحِرْصِ على إيمانِ قومِه لِئَلاً يُؤدِّي ذلك إلى هَلاكِ نفسِه بالأَسَفِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الرجالُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: العلماءُ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنَّه ما عليها مِنْ شيءٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: النَّباتُ والشَّجرُ، قاله مُقاتِلٌ. وقولُ مُجاهِدٍ أَعَمُّ، يدخل فيه النَّباتُ، والماءُ، والمَعادنُ، وغيرُ ذلك.

فإنْ قيلَ: قد نرى بعضَ ما على الأرضِ سَمِجاً وليس بزينةٍ. فالجواب: أنَّا إنْ قُلنا: إنَّ المراد به شيءٌ مَخصُوصٌ، فالمعنى: إنَّا جعلنا بعضَ ما على الأرضِ زِينَةً لها، فخرجَ مخرجَ العُمومِ، ومعناه الخُصوصُ. فإنْ قُلنا: همُ الرجال أو العلماء، فَلِعبادَتِهم أو لِدَلالَتِهم على خالِقِهم. وإنْ قُلنا: النباتُ والشَّجرُ، فلأنه زِينَةٌ لها تجري مَجرى الكِسوَةِ والحِلْيَةِ. وإنْ قُلنا: إنه عامٌّ في كلِّ ما عليها، فلِكَونه دَالاًّ على خَالِقِه، فكأنَّه زِينَةُ الأرض مِنْ هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ أي: لِنَختَبِرَ الخَلْقَ، والمعنى: لِنُعامِلَهُم مُعاملَةَ المُبتَلِي. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قال إنَّ ما على الأرض يعني به النَّباتَ، قال: الهاءُ والميمُ ترجع إلى سُكانِ الأرض المُشاهدينَ للزِّينة، ومَنْ قال: «ما على الأرض» الرجال، رَدَّ الهاءَ والميمَ على «ما على» لأنها بتأويلِ الجميع، ومعنى الآيةِ: لِنَبلُوهم فَنرى أيُهم أحسنُ عَمَلاً، هذا، أَمْ هذا. قال الحسَنُ: أيُهم أزهَدُ في الدنيا. وقد ذكرنا في هذه الآيةِ أربعةَ أقوالٍ في سُورة هُودٍ[1]. ثم أعلمَ الخَلْقَ أنه يُفنِي جميعَ ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الصَّعِيدُ: الطريقُ الذي لا نباتَ فيه. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الصَّعيدُ: التُّرابُ، ووَجْهُ الأرضِ. فأمَّا الجُرزُ، فقال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: أرضٌ «جُرُزٌ»، وأَسَدُ تقول: «جرز» وجُرُز، وتَمِيمُ تقول: أرضٌ «جُرْز» وَجَرْز بالتَّخفيف، وقال أبو عُبيدَةَ: الصَّعيدُ الجُرُزُ: الغليظ الذي لا يُنبِتُ شيئاً. ويُقال للسَّنَةِ المُجْدِبةِ: جُرُز، «وسُنون أجرَاز» لجُدوبَتِها، وقِلَّة مَطَرِها، وأنشد:

قَـدْ جَـرَفَـتْـهُـنَّ الـسُّـنُـونُ الأَجْـرَازْ[2]

وقال الزَّجَّاجُ: الجُرُزُ: الأرضُ التي لا يَنبتُ فيها شيءٌ، كأنها تأكلُ النَّبتَ أَكْلاً. وقال ابنُ الأنبَاري: قال اللغويون: الجُرُزُ: الأرض التي لا يبقى بها نباتٌ، تُحرِقُ كلَّ نباتٍ يكون بها. قال المُفسِّرون: وهذا يكون يومَ القيامة، يجعل اللّهُ الأرضَ مُستَويَةً لا نباتَ فيها ولا ماءَ.

---

(١) سورة هود: ٧.

(٢) هو في «اللسان»: مادة جرز و «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٤ والطبري ٨/ ١٧٩ بلا نسبة.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ نزلت على سببٍ قد ذكرناه عندَ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[1] قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «أم حسبت»: أَحَسِبْتَ. فأمّا «الكهف» فقال المُفسِّرون: هو المَغارةُ في الجبلِ، إلاَّ أنه واسعٌ، فإذا صَغُرَ، فهو غارٌ. قال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: الكَهفُ بمنزلةِ الغَارِ في الجبلِ.

فأمّا الرَّقِيمُ، ففيه ستةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه لَوحٌ مِنْ رَصَاصٍ كانت فيه أسماءُ الفِتْيَةِ مكتوبةً ليعلَمَ مَنِ اطَّلَع عليهم يوماً مِنَ الدَّهرِ ما قِصَّتُهم، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ. وقال السُّدِّيُّ: الرَّقِيمُ: صخرةٌ كُتبَ فيها أسماءُ الفِتْيَةِ، وجُعِلتْ في سُوْرِ المَدينةِ. وقال مُقاتِلٌ: الرَّقِيمُ: كتابٌ كَتَبَهُ رجلان صالحان، وكانا يكتُمان إيمَانَهُما مِنَ المَلِكِ الذي فَرَّ منه الفِتيَةُ، كَتَبا أمرَ الفِتْيَةِ في لَوح مِنْ رَصَاص، ثم جعلاه في تابُوتٍ مِنْ نُحاسٍ، ثم جَعَلاهُ في البِناء الذي سَدُّوا به بابَ الكَهفِ، فقالا: لَعلَّ اللَّهُ أنْ يُطْلِعَ على هؤلاءِ الفِتْيَةِ أحداً فيعلمون أمرَهُم إذا قرؤوا الكتابَ. وقال الفَرَّاءُ: كُتِبَ في اللوح أسماؤُهم، وأنسَابُهم، ودِينهُم، ومِمَّن كانوا، قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ: الرَّقِيمُ: الكتاب، وهو فَعِيلٌ بمعنى مَفعُولٍ، ومنه: كتابٌ مرقُومٌ، أي: مكتوبٌ. **والثاني**: أنه اسمُ القرية التي خرجوا منها، قاله كَعْبٌ. **والثالث**: اسمُ الجَبلِ، قاله الحسَنُ، وعَطيَّةُ. **والرابع**: أنَّ الرَّقِيمَ: الدَّواةُ، بلسانِ الرُّوم، قاله عِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ في روايةٍ. **والخامس**: اسمُ الكلب، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والسادس**: اسمُ الواديَ الذي فيه الكَهفُ، قاله قَتَادَةُ: والضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ قال المُفسِّرون: ومعنى الكلام: أَحَسِبتَ أنهم كانوا أَعجَبَ آياتِنا؟! قد كان في آياتِنا ما هو أعجَبُ منهم، فإنَّ خَلْقَ السمواتِ والأرضِ وما بينهما أعجَبُ مِنْ قِصَّتِهم. وقال ابنُ عباسٍ: الذي آتيتُكَ مِنَ الكتاب والسُّنَّةِ والعِلْمِ، أفضلُ مِنْ شأنِهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معنى: أَوَوْا إليه: صَارُوا إليه، وجعلوه مَأوَاهُم. والفِتْيَةُ: جمع فَتًى، مثل غُلامٍ وغِلْمَة، وصَبِيٍّ وصِبْيَةٌ. و «فِعْلَة» مِنْ أسماءِ الجَمعِ، وليس ببناءٍ يُقاسُ عليه؛ لا يجوز غُرَاب وغِرْبَة، ولا غنيٌّ وغنية، قال بعضُ المُفسِّرين: الفِتْيَةُ: بمعنى الشبان. وقد ذكرنا عن القُتَيبي أنَّ الفَتى: بمعنى الكاملِ مِنَ الرجال، وبيَّنَّاه في قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مِنْ عندِكَ ﴿رَحْمَةً﴾ أي: رزقاً ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أَصْلِحْ لنا

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٨٢: وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنياً به: لوح، أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب.
ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٩٥ بقوله: وهذا هو الظاهر من الآية، وهو اختيار ابن جرير.

(٣) سورة النساء: ٢٥.

﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أَرْشِدْنا إلى ما يُقرِّبنا منكَ. والمعنى: هَيِّئ لنا مِنْ أمرِنَا ما نُصِيبُ به الرَّشَدَ. والرَّشَدُ والرُّشْدُ، والرَّشَادُ: نَقِيضُ الضَّلالةِ.

تلخيص قصَّةِ أصحابِ الكَهفِ

اختلف العلماء في بُدُوِّ أمرِهم، وسببِ مَصيرِهم إلى الكَهفِ، على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم هَربوا ليلاً مِنْ مَلِكِهم حين دَعاهُم إلى عبادة الأصنام، فمَرُّوا بِرَاعٍ له كلبٌ، فتبِعَهُم على دِينهم، فأَوَوا إلى الكَهفِ يتعبَّدون، ورجلٌ منهم يَبتاعُ لهم أرزاقَهُم مِنَ المدينة، إلى أنْ جاءَهُم يوماً فأخبرَهُم أنهم قد ذُكِروا، فبَكَوا وتعوَّذوا باللهِ تعالى مِنَ الفِتْنَةِ، فضَربَ اللَّهُ تعالى على آذانِهم، وأمرَ المَلِكُ فسَدَّ عليهم الكَهفَ، وهو يَظُنُّهُم أيقاظاً، وقد توفَّى اللَّهُ أرواحَهُم وفاةَ النَّوم، وكلبُهم قد غَشِيَهُ ما غَشِيَهُم. ثم إنَّ رَجُلين مُؤمِنَيْن يكتُمانِ إيمانَهُما كَتَبا أسماءَهُم وأنسابَهُم وخَبرَهُم في لوحٍ مِنْ رَصاصٍ، وجعلاه في تابُوتٍ مِنْ نُحاسٍ في البُنيَانِ، وقالا: لعلَّ اللَّهُ يُطْلِعُ عليهم قوماً مؤمنين، فيعلَمون خَبرَهُم، هذا قولُ ابنِ عباسٍ. وقال عُبيدُ بنُ عُمَير: فَقَدهُم قومُهم فطَلبُوهُم، فعمَّى اللَّهُ عليهم أمرَهُم، فكتبوا أسماءَهُم وأنسابَهُم في لَوحٍ: فُلانٌ وفُلانٌ أبناءُ مُلوكِنا فَقَدْنَاهم في شهرِ كذا، في سنةِ كذا، في مَملكَةِ فُلانٍ، ووَضعُوا اللوحَ في خِزانَةِ المَلِكِ، وقالوا: لَيَكُونَنَّ لهذا شأنٌ. **والثاني**: أنَّ أحدَ الحَوارِيِّينَ جاء إلى مدينةِ أصحابِ الكَهفِ، فأرادَ أنْ يدخُلَها، فقيلَ له: إنَّ على بابها صَنماً لا يدخُلها أحدٌ إلاَّ سَجدَ له، فكَرِهَ أنْ يدخُلَها، فأتى حَمَّاماً قريباً مِنَ المدينةِ، فكان يعملُ فيه بالأَجْرِ، وعَلِقَهُ فِتيَةٌ مِنْ أهلِ المدينة، فجعلَ يُخبرُهم عن خبرِ السماء والأرض، وخبرِ الآخرَةِ، فآمنوا به وصَدَّقُوه، حتى جاء ابنُ المَلِكِ يوماً بامرأةٍ، فدخلَ معها الحَمَّامَ، فأنكرَ عليه الحَوارِيُّ ذلك، فسَبَّهُ ودخلَ، فماتَ وماتَتِ المرأةُ في الحَمَّام، فأتى المَلِكُ، فقيلَ له: إنَّ صاحبَ الحَمَّام قَتلَ ابنَكَ، فالْتُمِسَ فهربَ، فقال: مَنْ كان يَصحَبُه؟ فسُمِّي له الفِتْيَةُ، فالْتُمِسوا فخرجوا مِنَ المدينةِ، فمَرُّوا على صاحبِ لهم في زَرْعٍ، وهو على مثل أمرِهِم، فانطلقَ معهم ومعه كَلبٌ حتى آوَاهُم الليلُ إلى الكَهفِ، فدَخلُوه فقالوا: نَبِيتُ ها هنا، ثم نُصبِحُ إنْ شاء اللَّهُ فترونَ رأيكُم، فضَربَ اللَّهُ على آذانِهم فنامُوا؛ وخرج المَلِكُ، وأصحابُه يتبعُونَهُم، فوَجدُوهم قد دخلوا الكَهْفَ، فكلما أراد رجلٌ أن يدخلَ الكهف أُرعِبَ، فقال قائلٌ للمَلِكِ: أليس قلتَ: إنْ قدرتُ عليهم قَتَلْتُهم؟ قال: بلى، قال: فابْنِ عليهم بابَ الكَهفِ حتى يموتوا جُوعاً وعطشاً، ففعلَ، هذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنهم كانوا أبناءَ عُظماءِ المدينةِ وأشرافِهم، خرجوا فاجتمعوا وراءَ المدينةِ على غيرِ مِيعَادٍ، فقال رَجلٌ منهم: هو أَسَنُّهُم: إني لأَجِدُ في نفسي شيئاً ما أظُنُّ أحداً يَجِدُه، فقالوا: ما تَجِدُ؟ قال: أجد في نفسي أنَّ رَبِّي ربُّ السمواتِ والأرضِ، فقاموا جميعاً فقالوا: رَبُّنا رَبُّ السمواتِ والأرضِ. فأجمَعُوا أن يدخُلوا الكهفَ، فدخلوا، فلَبِثُوا ما شاءَ اللَّهُ، هذا قولُ مُجاهِدٍ. وقال قَتادَةُ: كانوا أبناءَ مُلوكِ الرُّومِ، فتفرَّدوا بدِينِهم في الكَهفِ، فضَربَ اللَّهُ على آذانِهم.

فصل: فأما سببُ بعثِ أصحابِ الكهف مِنْ نَومِهم، فقال عِكرِمَةُ: جاءت أُمَّةٌ مُسلمةٌ، وكان مَلِكُهم مُسلماً، فاختلفوا في الرُّوحِ والجسدِ، فقال قائلٌ: يُبعَثُ الرُّوحُ والجَسدُ. وقال قائلٌ: يُبعَثُ الرُّوحُ وحدَهُ، والجسدُ تأكُلُه الأرضُ فلا يكون شيئاً، فشَقَّ اختلافُهم على المَلِكِ، فانطلق فلَبِسَ المُسُوحَ، وقعد على الرَّمادِ، ودَعَا اللَّهَ أن يبعثَ لهم آيةً تُبيِّنُ لهم، فبعثَ اللَّهُ أصحابَ الكهفِ. قال

وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: جاء رَاعٍ قد أدرَكَهُ المطرُ إلى الكهفِ، فقال: لو فَتَحْتُ هذا الكهفَ، وأدخلته غَنَمي مِنَ المطرِ، فلم يَزَلْ يُعالِجُهُ حتى فَتَحَهُ، ورَدَّ اللَّهُ إليهم أرواحَهُم حين أصبحوا مِنَ الغَدِ. وقال ابنَ السَّائبِ: احتاج صاحبُ الأرض التي فيها الكهفُ أن يبنيَ حظيرةً لغَنَمِه، فهَدَمَ ذلك السَّدَّ، فبنى به، فانفتَحَ بابُ الكهفِ. وقال ابنُ إسحَاقَ: ألقى اللَّهُ في نَفْسِ رجلٍ مِنْ أهلِ البَلَدِ أن يهدمَ ذلك البُنيانَ فيبني به حظيرةً لغَنَمِه، فاستأجَر عامِلَيْنِ يَنْزِعانِ تلك الحِجارةَ، فنزعَاهَا، وفَتَحا بابَ الكهفِ، فجسلوا فَرِحينَ، فسَلَّم بعضُهم على بعضٍ لا يَرون في وجُوهِهم ولا أجسَادِهم شيئاً يكرَهُونَهُ، إنما هم كَهيئَتِهم حينَ رَقَدُوا وهم يَرونَ أنَّ مَلِكَهُم في طَلَبِهم، فصَلُّوا، وقالوا ليَمليخا صاحبِ نَفَقتِهم: انطَلِقْ فاستَمِعْ، ما نُذكَرُ به، وابتغِ لنا طعاماً، فوضعَ ثيابَهُ، وأخذَ الثيابَ التي كان يَتنكَّرُ فيها، وخرج فرأى الحِجارةَ قد نُزِعَتْ عن بابِ الكهفِ، فعَجِبَ، ثم مَرَّ مُستخفياً مُتخوِّفاً أن يراهُ أحدٌ فيذهب به إلى المَلِكِ، فلما رأى بابَ المدينة رأى عليه عَلامةً تكون لأهلِ الإيمان، فعَجِبَ، فخُيِّلَ إليه أنها ليست بالمدينةِ التي يَعرفُ، ورأى ناساً لا يَعرفُهم، فجعلَ يتعجَّبُ ويقول: لعلِّي نائمٌ؛ فلمَّا دخلها رأى قوماً يَحلِفُونَ باسم عيسى، فقام مُسنِداً ظهرَهُ إلى جِدارٍ، وقال في نَفْسِه: واللَّهِ ما أدري ما هذا، عشيةَ أمسِ لم يكُنْ على وَجه الأرض مَنْ يذكرُ عيسى إلاَّ قُتِلَ، واليومَ أسمَعُهُم يذكرونه، لعلَّ هذه ليست المدينةَ التي أعرفُ، واللَّهِ ما أعرفُ مدينةً قُربَ مدينَتِنا فقام كالحَيْرَانِ، وأخرجَ وَرِقاً فأعطاه رجلاً فقال: بِعْنِي طعاماً، فنظرَ الرجلُ إلى نَقْشِه فعَجِبَ، ثم ألقاهُ إلى آخر، فجعلوا يتطَارَحُونهُ بينهم، ويَتعَجَّبون، ويَتَشاوَرُونَ، وقالوا: إنَّ هذا قد أصابَ كَنزاً، فَفَرِقَ منهم، وظنَّهُم قد عَرفُوه، فقال: أمسِكُوا طعامَكُم فلا حاجةَ بي إليه، فقالوا له: مَنْ أنتَ يا فتى؟ واللَّهِ لقد وجدتَ كَنزاً وأنتَ تريد أنْ تُخفيَهُ، شَارِكْنَا فيه وإلاَّ أتينا بكَ إلى السُّلطان فيَقتُلَكَ. فلم يَدْرِ ما يقول، فطَرحُوا كِسَاءَهُ في عُنقِهِ وهو يبكي ويقول: فُرِّقَ بيني وبين إخوَتي يا لَيتَهُم يعلمون ما لَقِيتُ. فأتَوا به إلى رَجُلين كانا يُديرَانِ أمرَ المدينةِ، فقالا: أينَ الكَنزُ الذي وجدتَ؟ قال: ما وجدتُ كَنزاً، ولكنْ هذه وَرِقُ آبائي، ونَقْشُ هذه المدينةِ وضَرْبُها، ولكنْ واللَّهِ ما أدري ما شأني، ولا ما أقولُ لكم. قال مُجاهِدٌ: كانَ وَرِقُ أصحاب الكَهفِ مثلَ أخفَافِ الإبلِ، فقالوا: مَنْ أنتَ، وما اسمُ أبيك؟ فأخبرَهُم، فلم يجدوا مَنْ يعرفه، فقال له أحدُهُما: أتظُنُّ أنكَ تَسخَرُ مِنَّا وخزائنُ هذه البَلدة بأيدِينا، وليس عندنا مِنْ هذا الضَّربِ دِرهَمٌ ولا دِينارٌ؟! إني سآمُرُ بِكَ فتُعذَّبُ عذاباً شديداً، ثم أُوثِقُكَ حتى تَعترِفَ بهذا الكَنزِ، فقال يَمليخا: أنبِئُوني عن شيءٍ أسألُكُم عنه، فإنْ فعلتُم صَدَقتُكُم، قالوا: سَلْ، قال: ما فعلَ المَلِكُ دقيانوس؟ قالوا: لا نعرفُ اليومَ على وَجهِ الأرض مَلِكاً يُسمَّى دقيانوس، وإنما هذا مَلِكٌ كان منذ زمانٍ طويلٍ، وهَلكَتْ بعده قُرونٌ كثيرةٌ، فقال: واللَّهِ ما يُصدِّقُني أحدٌ بما أقوله، لقد كُنَّا فِتيَةً، وأكرَهنا المَلِكُ على عبادة الأوثان والذَّبح للطَّواغِيتِ فهَربنا منه عشيةَ أمسِ فنِمْنَا، فلمَّا انتبَهنَا خرجتُ أشتري لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما تَرون، فانطَلِقُوا معي إلى الكَهفِ أُرِيكُم أصحابي. فانطَلَقُوا معه وسائرُ أهلِ المدينةِ، وكان أصحابُه قد ظَنُّوا لإبطَائه عليهم أنه قد أُخِذَ، فبينما هم يَتخوَّفون ذلك، إذ سمعوا الأصواتَ وجَلبَةَ الخَيلِ، فظَنُّوا أنهم رُسُلُ دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسَلَّم بعضُهم على بعضٍ، فسَبَقَ يَمليخا إليهم وهو يبكي، فبَكَوا معه، وسألوهُ عن شأنِه، فأخبرَهُم خَبَرَهُ، وقصَّ عليهم النَّبأَ كُلَّه، فعرفوا أنهم كانوا نِياماً بأمرِ الله تعالى، وأنَّما أُوقِظُوا ليكونوا آيةً للناس، وتصديقاً للبَعثِ، ونظر الناسُ إلى المَسطُورِ الذي فيه أسمَاؤهم وقِصَّتُهم، فعَجِبوا، وأرسلوا إلى مَلِكِهم فجاء،

واعتنق القومَ، وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك. فبينا المَلِكُ قائمٌ رَجعوا إلى مَضاجِعِهم، وتوفَّى اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنفُسَهُم، فأمرَ المَلِكُ أن يُجعلَ لكلِّ واحدٍ منهم تابوتٌ مِنْ ذَهبٍ، فلمَّا أمسَوْا رآهُم في المنام، فقالوا: إنَّا لم نُخلَق مِنْ ذَهبٍ وفِضةٍ، ولكن خُلِقنَا مِنْ تُرابٍ، فاترُكنا كما كُنَّا في الكَهفِ على التُّرابِ حتى يَبعَثَنا الله عزَّ وجلَّ منه، وحَجبَهُم اللَّهُ عزَّ وجلَّ حين خرجوا مِنْ عندهم بالرعب، فلم يَقدِرْ أحدٌ أن يدخلَ عليهم، وأمرَ المَلِكُ فجُعِلَ على باب الكَهفِ مسجدٌ يُصلَّى فيه، وجعل لهم عِيْداً عظيماً يؤتَى كلَّ سنةٍ، وقيل: إنه لمَّا جاء يَمليخا ومعه الناسُ، قال: دَعُوني أدخلْ على أصحابي فأُبشِّرهُم، فإنهم إنْ رَأَوكُم معي أرعبْتموهُم، فدخل فبَشَّرهُم، وقبضَ اللَّهُ رُوحَهُ وأرواحَهُم، فدخلَ الناسُ، فإذا أجسادٌ لا يُنكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواحَ فيها، فقال المَلِكُ: هذه آيةٌ بعثها اللَّهُ لكم.

قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أَنَمناهُم ومَنعنَاهُم السَّمعَ، لأنَّ النائمَ إذا سمعَ انتبه. و ﴿عَدَدًا﴾ منصوبٌ على ضَربين: **أحدهما**: على المصدرِ، المعنى: تُعَدُّ عَدداً. **والثاني**: أن يكون نَعتاً للسِّنين، المعنى: سِنين ذاتَ عَددٍ، والفائدةُ في ذِكْرِ العددِ في الشيءِ المَعدودِ، توكيدُ كثرة الشيءِ، لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مِقدارُه، وإذا كثُرَ احتِيْجَ إلى أنْ يُعَدَّ العددُ الكثيرُ. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ مِنْ نَومِهم، يُقال لكلِّ مَنْ خرج مِنَ الموت إلى الحياة، أو مِنَ النَّومِ إلى الانتباه: مَبعوثٌ، لأنه قد زَالَ عنه ما كان يَحبِسُه عن التَّصرُّفِ والانبعاثِ. وقيل: معنى ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أنه لم يكُن فيها شهورٌ ولا أيَّامٌ، إنما هي كاملةٌ، ذكره المَاوردي. قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ قال المُفسِّرون: أي: لِنَرَى. وقال بعضُهم: المعنى: لِتَعلَموا أنتم أيَّ الحِزبَيْنِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرانَ، والنَّخعيُّ: «ليُعلَم» بضمِّ الياء، على ما لم يُسمَّ فاعِلُه ويعني بالحِزبَيْنِ: المؤمنين والكافرين مِنْ قوم أصحابِ الكَهفِ. ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا﴾ أي: لِنَعلَمَ أهؤلاءِ أحصَى للأمَدِ أو هؤلاءِ، فكأنه وَقعَ بينهم تَنازُعٌ في مُدَّةِ لُبْثِهِم في الكهفِ بعد خُروجهم مِنْ بينهم، فبَعثهُم اللَّهُ لِيَبِينَ ذلك ويَظهر. قال قَتادةُ: لم يكن للفريقين عِلمٌ بلُبثِهِم، لا لِمُؤمِنيهِم، ولا لِكافريهم، قال مُقاتلٌ: لمَّا بُعثوا زال الشَّكُّ وعُرِفتْ حقيقةُ اللُّبثِ. وقال القاضي أبو يَعلَى: معنى الكلام: بعثناهُم ليظهرَ المعلومُ في اختلافِ الحِزبَيْنِ في مُدَّةِ لُبثِهِم، لِمَا في ذلك مِنَ العِبرَةِ.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ أي: خبرَ الفتية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصِّدقِ.

قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ أي: ثبَّتناهم على الإيمان، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ألهمناها الصَّبرَ ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ بين يَدَي مَلِكِهم دقيانوس ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أنه كان يدعو النَّاسَ إلى عبادةِ الأصنام، فعَصمَ اللَّهُ هؤلاءِ حتى عَصَوْا مَلِكَهُم. وقال الحسَنُ: قاموا في قومِهم

فدَعَوْهم إلى التوحيد. وقيل: هذا قولُهم بينهم لمَّا اجتمعوا خارجَ المدينة على ما ذكرنا في أوَّلِ القصة. فأمَّا الشَّطَطُ، فهو الجَوْرُ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: شَطَّ الرجلُ، وأشطَّ: إذ جارَ. ثم قال الفتيةُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا﴾ يعنون الذين كانوا في زمنِ دقيانوس ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾ أي: عَبدوا الأصنامَ ﴿لَّوۡلَا﴾ أي: هَلاَّ ﴿يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾ أي: على عبادةِ الأصنام ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖ﴾ أي: بِحُجَّةٍ وإنما قال: عليهم والأصنامُ مؤنَّثةٌ، لأنَّ الكفَّارَ نَحلُوها العقلَ والتَّمييزَ، فَجَرتْ مجرى المُذكَّرين مِنَ الناس.

قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ فزعم أنَّ له شريكاً؟!

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذا قولُ يَمليخا، وهو رئيسُ أصحاب الكَهفِ، قال لهم: وإذ اعتزلتُموهُم، أي: فارقتُموهم، يريد: عَبدَةَ الأصنامِ، ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: واعتَزلتُم ما يَعبدونَ، إلاَّ اللَّهَ، فإنَّ القوم كانوا يعبدون اللَّهَ ويعبدون معه آلهةً، فاعتزَلَ الفِتيةُ عبادةَ الآلهةِ، ولم يعتزلوا عبادةَ اللَّهِ، هذا قولُ عطاءِ الخراسَانيّ، والفَرَّاءِ. **والثاني**: وما يعبدون غيرَ اللَّهِ؛ قال قَتادَةُ: هي في مُصحفِ، عبدِ الله: «وما يعبدون مِنْ دون الله»، وهذا تفسيرُها. قوله تعالى: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ أي: اجعلُوه مأواكُم، ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أي: يَبسُطْ عليكم مِنْ رزقِهِ، ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «مِرفقاً» بكسرِ الميم، وفتحِ الفاء، وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «مَرفِقاً» بفتحِ الميم وكسرِ الفاء، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «مرفقاً» بفتح الميم وكسر الفاء في كلِّ مِرفَقٍ ارتَفقْتَ به، ويكسِرون مِرفَقَ الإنسانِ، والعربُ قد يكسِرون الميمَ منهما جميعاً. قال ابنُ الأنبَاري: معنى الآية: ويُهَيِّئْ لكم مِنْ أمرِكم الصَّعبِ مِرفَقاً، قال الشاعر:

فَلَيتَ لنا مِنْ ماءِ زمزَمَ شَرْبَةً ... مُبَرَّدةً باتَتْ على طَهيَانِ[1]

معناه: فَلَيتَ لنا بَدَلاً مِنْ ماءِ زَمزَمَ. قال ابنُ عباسٍ: «ويُهيِّئ لكم»: يُسَهِّلْ عليكم ما تخافون مِنَ المَلِكِ وظُلمِهِ ويأتِكم باليُسرِ والرِّفقِ واللُّطفِ.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت﴾ المعنى: لو رَأيتَها لَرَأيتَ ما وَصفنَا. ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو: «تَزَّاوَرُ» بتشديدِ الزَّاي. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تَزاور» خفيفةً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «تزوَرُّ» مثل: «تحمَرُّ». وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو رَجاء، والجَحدَريُّ: «تَزْوَارُّ» بإسكانِ الزَّاي، وبألفٍ ممدودةٍ بعد الواو مِنْ غير همزةٍ، مشددةَ الراء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «تَزوَئِرُّ» بهمزةٍ قبل الراء، مثل: «تَزوَعِرُّ». وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو السَّمَّال:

---

(١) البيت للأحول الكندي في «اللسان» ـ طها ـ و «البحر المحيط» ٦/ ١٠٣.

«تَزَوَّرُ» بفتح التاء والزَّاي وتشديدِ الواو المفتوحةِ خفيفةَ الرَّاءِ، مثل: «تَكَوَّرُ» والمعنى: تميلُ أو تَعدِلُ. قال الزَّجَّاجُ: «تزاور»: تتزاورُ، فأدغِمت التاءُ في الزاي، و (تقرضهم) أي: تَعدِلُ عنهم وتتركُهم، وقال ذو الرُّمَّةِ:

إلى ظُعُنٍ يَقرِضنَ أجوازَ مُشرِفٍ ... شِمالاً وعَن أيمانِهِنَّ الفَوارِسُ(١)

يَقرِضنَ: يَترُكنَ. وأصل القَرضِ: القَطعُ والتَّفرقةُ بين الأشياءِ، ومنه: أقرِضني دِرهماً، أي: اقطَع لي مِن مالِكَ دِرهماً. قال المُفسِّرون: كان كَهفُهم بإزاءِ بناتِ نَعشٍ في أرض الرُّوم، فكانت الشمسُ تميلُ عنهم طالعةً وغاربةً لا تدخل عليهم فتُؤذيهم بحَرِّها وتغيُّر ألوانِهم. ثم أخبرَ أنهم كانوا في مُتَّسَعٍ مِنَ الكَهفِ يَنالُهم فيه بَردُ الرِّيحِ، ونسيمُ الهواءِ، فقال: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: في مُتَّسَعٍ، والجميع: فَجَواتٌ، وفِجاءٌ، بكسرِ الفاءِ. وقال الزَّجَّاجُ: إنما صَرْفُ الشمسِ عنهم آيةٌ مِنَ الآياتِ، ولم يُرْضَ قولُ مَن قال: كان كَهفُهم بإزاءِ بناتِ نَعشٍ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يُشير إلى ما صنَعهُ بهم مِنَ اللُّطفِ في هِدايتِهم، وصَرفِ أذى الشمسِ عنهم، والرُّعبِ الذي أُلقِيَ عليهم حتى لم يقدر المَلِكُ الظالمُ ولا غيره على أذاهُم. «من آيات الله» أي: مِن دلائلِه على قُدرتِه ولُطفِه. ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ هذا بيانُ أنه هو الذي تولَّى هِدايَةَ القوم، ولولا ذلك لم يَهتَدُوا.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ أي: لو رَأيتَهم لَحَسِبتَهم أيقاظاً. قال الزَّجَّاجُ: الأيقَاظُ: المُنتَبِهون، واحدُهم: يَقِظٌ، ويَقظانُ، والجميع: أيقاظٌ؛ والرُّقودُ: النِّيامُ. وقال الفَرَّاءُ: واحدُ الأيقاظِ: يَقُظ، ويَقِظ. قال ابنُ السَّائبِ: وإنما يُحسَبون أيقاظاً، لأنَّ أعيُنَهم مُفتَّحةٌ وهم نِيامٌ. وقيل: لِتَقلُّبهم يميناً وشمالاً. وذكر بعضُ أهل العلم: أنَّ وَجهَ الحِكمَةِ في فتحِ أعيُنِهم، أنه لو دامَ طَبقُها لَذابَت. قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ وقرأ الحسنُ وأبو رَجاء: «وتَقْلِيبهم» بتاءٍ مفتوحةٍ، وسكونِ القاف، وتخفيفِ اللام المكسُورة. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وعِكرمَةُ: «ونَقلِبُهم» مثلها، إلاَّ أنه بالنون. ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: على أيمانِهم وعلى شَمائِلهم. قال ابنُ عباسٍ: كانوا يُقلَّبون في كلِّ عامٍ مرَّتين، ستةُ أشهرٍ على هذا الجَنبِ، وستةُ أشهرٍ على هذا الجَنبِ، لئلاً تأكلَ الأرضُ لُحومَهُم. وقال مُجاهِدٌ: كانوا ثلاثمائة عامٍ على شِقٍّ واحدٍ، ثم قُلِّبوا تسعَ سنين.

قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أخبرَ أنَّ الكلبَ كان على مِثلِ حالِهم في النَّوم، وهو في رَأي العَينِ مُنتَبِهٌ. وفي الوَصيدِ أربعةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنه الفِناءُ فِناءُ الكهفِ، رواه ابنُ أبي

---

(١) هو في «ديوانه» ٤٠٣ و «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٦ ومشرف والفوارس: موضعان بنجد كما في «معجم من استعجم».

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٩٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يوصد وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قوله تعالى: =

طَلحَةَ عن ابنِ عباس، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ. قال الفَرَّاءُ: يقال: الوَصِيدُ والأَصِيدُ لُغتان، مثل الإكَاف والوِكَاف. وأرَّختُ الكتابَ ووَرَّختُ، ووَكَّدْتُ الأمرَ وأكَّدتُ؛ وأهلُ الحِجاز يقولون: الوَصِيدُ، وأهلُ نَجدٍ يقولون: الأصِيْد، وهو: الحَظِيرةُ والفِناءُ.

والثاني: أنه البابُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، قال ابنُ قُتَيبَةَ: فيكون المعنى: وكَلبُهم باسِطٌ ذراعيه بالبابِ، قال الشاعر:

بِـأرْضِ فَـضَـاءٍ لا يُـسَـدُّ وَصِـيـدُهـا عَـلَـيَّ ومَـعْـرُوفي بِـهـا غَـيـرُ مُـنْـكَـرِ[1]

والثالث: أنه الصَّعيدُ، وهو الترابُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ عنهما. **والرابع**: أنه عَتَبَةُ الباب، قاله عَطاءٌ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وهذا أعجَبُ إليَّ، لأنهم يقولون: أوصِدْ بابَكَ، أي: أغلِقْهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[2]، أي: مُطْبَقةٌ مُغْلَقةٌ، وأصله أنْ يُلْصَقَ البابُ بالعَتَبَةِ، إذا أغلقته، ومما يوضح هذا أنك إذا جعلتَ الكلبَ بالفِناءِ، كان خارجاً مِنَ الكَهفِ، وإن جعلتَهُ بعَتبةِ الباب، أمكَنَ أن يكونَ داخلَ الكهفِ، والكَهفُ وإنْ لم يكن له بابٌ وعَتبةٌ، فإنما أراد أنَّ الكلبَ بموضع العَتَبَةِ مِنَ البيت، فاستُعِيرَ.

قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وقرأ الأعمَشُ وأبو حصين: «لوُ اطَّلعتَ» بضمِّ الواو، أي لو أشرفتَ عليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبةً لهم ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قرأ عاصِمٌ وابنُ عامرٍ وأبو عَمرو وحَمزَةُ والكِسائيُّ: «ولَمُلِئْتَ» خفيفةً مهموزةً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ: «ولَمُلِّئْتَ» مشددة مهموزةً، ﴿رُعْبًا﴾ أي فَزَعاً وخوفاً، وذلك أنَّ اللّهَ تعالى مَنَعَهُم بالرُّعب لئلاَّ يدخلَ إليهم أحدٌ. وقيل: إنهم طالَتْ شُعورُهم وأظفارُهم جداً فلذلك كان الرَّائي لهم لو رَآهُم هربَ مَرعُوباً، حكاه الزَّجَّاجُ.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذَكرنا، بَعثناهم مِنْ تلك النَّومة ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ﴾ أي: ليكونَ بينهم تساؤلٌ وتنازعٌ واختلافٌ في مُدَّةِ لُبثِهم، فيفيد تساؤلُهم اعتبارَ المُعتَبِرين بحَالِهم. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي: كم مَرَّ علينا منذُ دخلنا هذا الكهفَ؟ ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك أنهم دخلوا غُدْوَةً، وبعثَهم اللّهُ في آخرِ النهارِ، فلذلك قالوا: «يوماً»، فلمَّا رَأوا الشمسَ قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: القائلُ لهذا يَمليخا رئيسُهم، رَدَّ عِلْمَ ذلك إلى اللّهِ تعالى. وقال في روايةٍ أخرى: إنما قاله مكسلمينا، وهو أكبَرُهم. قال أبو سُليمانَ:

= ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ الهمزة: ٨.

(١) البيت لعبيد بن وهب العبسي، وهو في «غريب القرآن» ٢٦٥ و «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٢٤.

(٢) سورة الهمزة: ٨.

وهذا يُوجب أن تكونَ نفوسُهم قد حَدَّثتهم أنهم قد لَبِثوا أكثرَ ممَّا ذَكَروا. وقيلَ: إنما قالوا ذلك، لأنهم رَأوا أظفَارَهُم وأشعَارَهُم قد طالت جداً.

قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ قال ابنُ الأنبَاري: إنما قال: «أحدَكم»، ولم يَقُلْ: وَاحدَكُم، لئلاً يلتَبِسَ البعضُ بالمَمدوحِ المُعَظَّمِ، فإنَّ العرب تقول: رأيتُ أحدَ القوم، ولا يقولون: رأيتُ واحدَ القومِ، إلاّ إذا أرادوا المُعَظَّمَ، فأراد بأَحدِهم: بعضَهم، ولم يُرِدْ شريفَهُم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «بورِقِكُم» الراءَ مكسورةً خفيفةً. وقرأ أبو عمرٍو، وحَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ ساكنةَ الراء. وعن أبي عَمرٍو: «بورقكم» مُدغمةً يُشِمُّها شيئاً مِنَ التَّثقيل؛ قال الزَّجَّاجُ: تصيرُ كَافاً خالِصةً. قال الفَرَّاءُ: الورِقُ لغةُ أهلِ الحِجاز، وتَميمُ يقولون: الوَرْق، وبعضُ العرب يكسِرون الواوَ، فيقولون: الوِرْقُ. قال ابنُ قُتَيبةَ. الوَرِقُ: الفِضَّة، دراهم كانت أو غيرَ دَراهمَ، يَدلُّكَ على ذلك حديثُ عَرفَجَة أنه اتَّخذَ أنفاً مِنْ وَرِقٍ. قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يعنُون التي خرجوا منها، واسمُها دقسوس، ويقال: هي اليوم طَرسُوسُ. قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أيُّ أهلِها ﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾، وللمُفسِّرين في معناه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَحَلُّ ذبيحةً، قاله ابنُ عباسٍ، وعَطاءٌ، وذلك أنَّ عامَّةَ أهلِ بلدِهم كانوا كُفَّاراً، فكانوا يذبحون للطَّواغيتِ، وكان فيهم قومٌ يُخفون إيمانَهُم. **والثاني**: أَحَلُّ طعاماً، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ؛ قال الضَّحَّاكُ: وكان أكثرُ أموالهم غُصُوباً. وقال مُجاهِدٌ: قالوا لصاحبهم: لا تَبتغِ طعاماً فيه ظُلْمٌ ولا غَصْبٌ. **والثالث**: أكثرُ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: خيرٌ، أي: أجودُ، قاله قَتادةُ. **والخامس**: أطيبُ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والسادس**: أرخصُ، قاله يَمانُ بنُ رياب. قال ابنُ قُتَيبةَ: وأصل الزَّكَاءِ: النَّماءُ والزِّيادةُ.

قوله تعالى: ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾ أي: بما تأكلونه. ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ أي: لِيُدَقِّق النَّظرَ فيه، وليَحتَلْ لئلاً يُطَّلَع عليه. ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ﴾ أي: ولا يُخبِرَنَّ أحداً بمكانِكم. ﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ﴾ أي: يَطَّلِعوا ويُشرِفوا عليكم، ﴿يَرۡجُمُوكُمۡ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يقتلوكم، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: يقتلوكم بالرَّجمِ. **والثاني**: يرجُموكُم بأيديهم، استِنكاراً لكم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: بألسِنَتِهم شَتماً لكم، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ جُرَيجٍ.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾ أي: يَرُدُّوكم في دِينهم، ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ أي: إنْ رَجعتُم في دِينِهم، لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: وكما أَنمناهم وبعثناهم، أطلَعنا وأظهَرنَا عليهم. قال ابنُ قُتَيبةَ: وأصلُ هذا أنَّ مَنْ عَثَرَ بشيءٍ وهو غافلٌ، نظرَ إليه حتى يعرفَهُ، فاستُعِيرَ العِثَارُ مكانَ التَّبيين والظُّهور، ومنه قولُ الناس: ما عَثَرتُ على فُلانٍ بسوءٍ قَطُّ، أي: ما ظَهرتُ على ذلك منه. قوله تعالى: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ في المُشارِ إليهم بهذا العِلْمِ قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ بلدِهم حين اختَصَمُوا في البَعثِ،

فبَعثَ اللهُ أهلَ الكهفِ ليعلموا ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبَعثِ والجَزاءِ ﴿حَقٌّ﴾ وأنَّ القيامةَ لا شكَّ فيها، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنهم أهلُ الكهفِ، بَعثناهُم لِيَروْا بعدَ عِلمِهم أنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ، ذكره المَاوَرديِ. قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يعني: أهلَ ذلك الزّمانِ. قال ابنُ الأنبَاري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكونَ المعنى: إذ تَنازعوا. وفي ما تنازعُوا فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم تنازعوا في البُنيانِ، والمَسجدِ. فقال المسلمون: نبني عليهم مَسجِداً، لأنهم على دِينِنا؛ وقال المشركون: نبني عليهم بُنياناً، لأنهم مِنْ أهل سُنَّتِنا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم تنازعوا في البَعثِ، فقال المسلمون: تُبعَثُ الأجسادُ والأرواحُ، وقال بعضُهم: تُبعثُ الأرواحُ دونَ الأجسَادِ، فأراهُم اللهُ تعالى بعثَ الأرواحِ والأجسادِ بِبَعْثِه أهلَ الكهفِ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفِتْيَةِ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنهم تنازعوا في قَدْرِ مُكثِهم. **والخامس**: تنازعوا في عَدَدِهم، ذكرهما الثَّعلبيُّ. قوله تعالى: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي: استُرُوهُم مِنَ الناس بأنْ تجعلوهم وراءَ ذلك البُنيانِ. وفي القائلين لهذا قولان: **أحدهما**: أنهم مُشركو ذلك الزمان، وقد ذكرناه عن ابن عباس. **والثاني**: أنهم الذين أسلَمُوا حين رَأَوا أهلَ الكهفِ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: يعني المُطَاعين والرُّؤساء، قال المُفسِّرون: وهم المَلِكُ وأصحابُه المؤمنين اتَّخذوا عليهم مَسجِداً. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: بَنى عليهم المَلِكُ بِيعَةً.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾ مرفوع بخبرِ الابتداءِ، المعنى: سيقولُ الذين يتنازعون في أمرِهِم هُمْ ثلاثةٌ. وفي هؤلاءِ القائلين قولان:

[٩٢٩] **أحدهما**: أنهم نصارى نَجْرانَ، نَاظَرُوا رسولَ الله ﷺ في عَدَّةِ أهلِ الكهفِ، فقالت المَلكيَّة: هم ثلاثةٌ رابعهُم كلبُهُم، وقالت اليَعقوبيَّةُ: هم خمسةٌ سادسُهم كلبُهم، وقالت النَّسطُوريَّةُ: هم سبعةٌ وثامِنُهم كلبُهم، فنزلت هذه الآيَةُ: رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: أنهم أهلُ مدينَتِهم قبلَ ظُهورِهم عليهم، ذكره المَاوَرديِ.

قوله تعالى: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنّاً غيرَ يقينٍ، قال زُهيرٌ:

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ ما عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

فأمَّا دخولُ الواوِ في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولم تدخل فيما قبلَ هذا، ففيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ دخولَها وخروجَها واحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ ظهورَ الواو في الجملة الثامنةِ دلالةٌ على

---

[٩٢٩] باطل. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، ثم إن الراوي عن الضحاك على الدوام إنما هو جويبر ذاك المتروك.

أنها مُرادةٌ في الجملتين المُتقدِّمَتين، فأعلمَ بذكرها هاهنا أنها مُرادةٌ فيما قبلُ، وإنما حُذِفَتْ تخفيفاً، ذكره أبو نَصْر في «شرح اللمَع». **والثالث**: أنَّ دخولَها يدلُّ على انقطاعِ القصة، وأنَّ الكلامَ قد تمَّ، ذكره الزَّجّاجُ أيضاً، وهو مذهبُ مُقاتِلِ بنِ سُليمانَ، وإن الواو تدل على تمامِ الكلام قبلَها، واستئنافِ ما بعدَها؛ قال الثَّعلبيُّ: فهذه واو الحُكم والتَّحقيق، كأنَّ اللهَ تعالى حكى اختلافَهم، فتمَّ الكلامُ عندَ قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ثم حَكَمَ أنَّ ثامنَهُم كَلبُهم. وجاء في بعضِ التَّفسيرِ أنَّ المسلمين قالوا عند اختلافِ النَّصارى: هم سبعةٌ، فحَقَّق اللهُ قولَ المسلمين. **والرابع**: أنَّ العرب تعطِفُ بالواو على السبعة، فيقولون: ستةٌ، سبعةٌ، وثمانيةٌ، لأنَّ العِقدَ عندهم سبعةٌ، كقوله: ﴿التَّٰٓئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ﴾... إلى أنْ قالَ في الصِّفة الثامنةِ: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، وقوله في صِفةِ الجنَّةِ: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وفي صفةِ النَّارِ: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[2]، لأنَّ أبوابَ النار سبعةٌ، وأبوابُ الجنَّةِ ثمانيةٌ، ذكر هذا المعنى أبو إسحاقَ الثَّعلبيُّ.

وقد اختلف العلماء في عَددِهم على قولين: **أحدهما**: أنهم كانوا سبعةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ثمانيةٌ، قاله ابنُ جُريج، وابنُ إسحاقَ. وقال ابنُ الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحبُ كلبِهم، كما يُقَال: السَّخاءُ حَاتِمٌ، والشعرُ زُهيرٌ، أي: السَّخاءُ سَخاءُ حَاتِمٍ، والشَّعرُ شِعرُ زُهيرٍ. فأمَّا أسماؤهم[3]، فقال هُشَيْمٌ: مكسلمينا، ويمليخا، وطرينوس، وسَدينوس، وسَرينوس، ونَواسس، ويرانوس، وفي التَّفسير خلافٌ في أسمائِهم فلَمْ أطِلْ به.

واختلفوا في كلبِهم لِمَنْ كان على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان لِراعٍ مَرُّوا به فتَبِعَهُم الرَّاعي والكلبُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه كان لهم يتَصيَّدون عليه، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والثالث**: أنهم مَرُّوا بكلبٍ فتبِعَهُم، فطَرَدُوهُ، فعادَ، ففعلوا ذلك به مِراراً، فقال لهم الكلبُ: ما تريدون مني؟! لا تَخشَوا جانبي أنا أُحِبُّ أحِبَّاءَ الله تعالى، فناموا حتى أحرُسَكُم. قاله كَعبُ الأحبَارِ. وفي اسم كلبِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: قطميرُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أن اسمَهُ الرَّقيمُ، وقد ذكرناه عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والثالث**: قطمُور، قاله عبد الله بنُ كَثيرٍ. **والرابع**: حُمرانُ، قاله شُعيبُ الجَبَّائي[4]. وفي صفتِهِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أحمرُ، حكاه الثَّوريُّ. **والثاني**: أصفرُ، حكاه ابنُ إسحَاقَ. **والثالث**: أحمرُ الرأسِ، أسودُ الظَّهرِ، أبيضُ البَطنِ، أبلَقُ الذَّنَبِ، ذكره ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ حَرَّكَ الياء ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وأسكَنَها الباقون.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ما يعلم عددَهم إلاَّ قليلٌ مِنَ الناس. قال عَطاءٌ يعني بالقليل: هم سبعةٌ، إنَّ الله عَدَّهُم حتى انتهى إلى السبعة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ: لا تُمَارِ أحداً، حَسبُكَ ما قَصصتُ عليكَ مِنْ أمرِهِم. وقال ابنُ زيدٍ: لا تُمَارِ في عِدَّتِهم إلاَّ مِراءً ظاهراً أنْ تقولَ لهم: ليس كما

---

(١) سورة التوبة: ١١٢. (٢) سورة الزمر: ٧١ ـ ٧٣.

(٣) الوقوف على أسمائهم، والكشف عن صفاتهم وأحوالهم زيادة على ما ذكر القرآن إنما هو مجرد تخمين وكهانة، وليس فيه كبير فائدة.

(٤) قال في «الميزان» ٢/٢٧٨: شعيب الجبائي، أخباري متروك، قاله الأزدي، وجبأ من أعمال الجند باليمن.

تقولون، ليس كما تعلمون. وقيلَ: «إلا مِراءً ظاهراً» بحُجَّةٍ واضحةٍ، حكاه المَاوَرْدِي. والمِرَاءُ في اللغة: الجِدَالُ؛ يُقال: مَارَى يُمَارِي مُمَاراةً ومِرَاءً، أي: جَادَلَ. قال ابنُ الأنبَارِي: معنى الآيةِ: لا تُجادِلْ إلاَّ جِدالَ مُتيقِّنٍ عالِمٍ بحقيقة الخَبرِ، إذ اللهُ تعالى ألقى إليكَ ما لا يَشُوبه باطلٌ. وتفسيرُ المِراءِ في اللغة: استِخرَاجُ غَضبِ المُجَادِلِ، مِنْ قولهم: مَرَيْتُ الشَّاةَ: إذا استخرجتَ لَبَنَهَا. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم﴾ أي: في أصحابِ الكَهفِ، (منهم) قال ابنُ عباسٍ: يعني: مِنْ أهل الكتاب. قال الفَرَّاءُ: أتاه فريقان مِنَ النَّصارى، نسطُوريٌّ، ويَعقوبيٌّ، فسألهُم النبيُّ ﷺ عن عَدَدِهم، فنُهِيَ عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

[٩٣٠] سببُ نُزولها أنَّ قُريشاً سألوا النبيَّ ﷺ عن ذِي القَرْنَيْنِ، وعن الرُّوحِ، وعن أصحابِ الكهفِ، فقال: غداً أخبِرُكُم بذلك، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ، فأبطأ عليه جِبريلُ خمسةَ عشرَ يوماً لتَرْكِه الاستِثنَاءَ، فشَقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. ومعنى الكلام: ولا تقولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلكَ غداً، إلاَّ أنْ تقولَ: إنْ شاءَ اللهُ، فحَذَفَ القولَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ قال ابنُ الأنبَاري: معناه: واذكُرْ ربَّكَ بعدَ تَقَضِّي النِّسيانِ، كما تقول: اذكُرْ لعبدِ اللهِ ـ إذا صَلَّى ـ حاجتَكَ، أي: بعدَ انقضَاءِ الصَّلاةِ.

وللمُفسِّرين في معنى الآية ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أن المعنى: إذا نَسِيتَ الاستِثناءَ ثم ذَكَرْتَ،

---

[٩٣٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٣ نقلاً عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٨ ـ ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطولاً، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.
وأما سؤال قريش النبيَّ ﷺ فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١/ ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢/ ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اهـ. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** قالوا: أوتينا علماً كثيراً التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر﴾** إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن» ١٤٦٠ و ١٤٦١ بتخريجنا.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٢ في تفسير هذه الآية: هذا إرشاد من الله تعالى رسولَه ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يردّ ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علاّم الغيوب. وقوله: **﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾** قيل معناه: إذا نسيت الاستثناء، فاستثن عند ذكرك له، وعن ابن عباس في الرجل يحلف؟ قال: له أن يستثني ولو إلى سنة. ومعنى قول ابن عباس إذا نسي أن يقول في حلفه أو كلامه «إن شاء الله» وذكر ولو بعد سنة، ولو بعد الحنث فالسّنة أن يقول ذلك ليكون آتياً بسّنة الاستثناء. ولا يكون ذلك رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة، فأما الكفارة فله لازمة بالحنث بكل حال، إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بالحلف. قاله ابن جرير وهو الصحيح والأليق بحمل كلام ابن عباس عليه، والله أعلم. اهـ.

فقُلْ: إنْ شاءَ اللهُ، ولو كان بعدَ يوم أو شهرٍ أو سنةٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والجمهور. **والثاني**: أنَّ معنى «إذا نسيتَ»: إذا غَضِبتَ، قالَه عِكرِمَةُ، قال ابنُ الأنباري: وليس ببعيدٍ، لأنَّ الغضبَ يُنتِجُ النِّسيانَ. **والثالث**: إذا نَسِيتَ الشيءَ فاذكُرِ اللهَ لِيُذَكِّرك إيَّاهُ، حكاه المَاوَرْدِي.

فصل: وفائدةُ الاستِثناءِ أن يخرجَ الحَالِفُ مِنَ الكذب إذا لم يفعل ما حَلفَ عليه، كقوله تعالى في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾[1]، ولم يَصْبِرْ، فسَلِمَ مِنَ الكذبِ لوجودِ الاستِثناءِ في حقِّه. ولا تختلف الرواية عن أحمدَ أنه لا يصحُّ الاستثناءُ في الطلاقِ والعِتَاقِ، وأنه إذا قال: أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ، وأنتَ حُرٌّ إنْ شاءَ اللهُ، أنَّ ذلك يقعُ، وهو قولُ مالكٍ؛ وقال أبو حَنيفةَ والشَّافعيّ: لا يقعُ شيءٌ مِنْ ذلك. وأمَّا اليَمينُ بالله تعالى، فإنَّ الاستثناءَ فيها يصِحُّ، بخلافِ الطَّلاقِ، وكذلك الاستثناءُ في كلِّ ما يُكفَّرُ، كالظِّهارِ، والنَّذرِ، لأنَّ الطَّلاقَ والعِتَاقَ لفظُه لفظُ إيقاعٍ، وإذا عَلَّقَ به المَشيئةَ، عَلمنَا وجودَها، لوجودِ لفظِ الإيقاعِ مِنْ جهتِه، بخلافِ سائرِ الأيمَانِ، لأنها ليست بمُوجِباتٍ للحُكْمِ، وإنما تتعلَّقُ بأفعالٍ مُستقبَلةٍ. وقد اختُلِفَ في الوقتِ الذي يصحُّ فيه الاستثناءُ على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لا يصحُّ الاستثناءُ إلاَّ موصولاً بالكلام، وقد رُوي عن أحمدَ نحو هذا، وبه قال أكثرُ الفقهاء. **والثاني**: أنه يصحُّ ما دامَ في المجلس قاله الحَسنُ وطَاوسٌ، وعن أحمدَ نحوه. **والثالث**: أنه لو استَثْنَى بعد سَنَةٍ، جازَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو العَالِيةِ، وقال ابنُ جَريرِ الطَّبَري: الصَّوابُ للإنسان أن يستَثنيَ ولو بعد حِنْثِه في يمينه، فيقول: إنْ شاءَ اللهُ، ليخرجَ بذلك ممَّا ألزمَهُ اللهُ في هذه الآيةِ، فيسقطَ عنه الحَرَجُ، فأمَّا الكفَّارةُ فلا تسقط عنه بحالٍ، إلاَّ أن يكونَ الاستثناءُ موصولاً بيمينه، ومَنْ قال: له ثُنْياهُ ولو بعدَ سنةٍ، أراد سقوطَ الحَرجِ الذي يلزمُه بتَرْكِ الاستثناءِ دونَ الكفَّارَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو: «يهديَني ربِّي» بياءٍ في الوَصْلِ دونَ الوَقْفِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ بياءٍ في الحَالَين. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ بغير ياءٍ في الحالَينِ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: عَسَى أنْ يُعطِيني رَبِّي مِنَ الآياتِ والدَّلالاتِ على النُّبوَّة ما يكون أقربَ في الرُّشدِ وأدلَّ مِنْ قصَّةِ أصحابِ الكهفِ، ففعلَ اللهُ له ذلك، وآتاهُ مِنْ عِلْم غُيوبِ المُرسَلين ما هو أوضحُ في الحُجَّةِ وأقربُ إلى الرَّشَدِ مِنْ خبرِ أصحاب الكهفِ؛ هذا قولُ الزَّجَّاج. **والثاني**: أنَّ قُريشاً لمَّا سألت رسولَ الله ﷺ أن يُخبرَهم خبرَ أصحابِ الكهفِ، قال: «غداً أُخبرُكم»[2] كما شرحنا في سببِ نُزولِ الآيةِ، فقال اللهُ تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى﴾ أي: عسى أنْ يُعَرِّفَني جوابَ مَسائِلِكم قبلَ الوقت الذي حَدَّدتُه لكم، ويُعجِّلَ لي مِنْ جهتِه الرَّشَادَ، هذا قولُ ابنِ الأنباري.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «ثلاثمائةٍ سنين» مُنوَّناً وقرأ حَمزَةُ والكِسَائيُّ: «ثلاثمائة سنين» مُضافاً غيرَ مُنوَّنٍ. قال أبو

---

(١) سورة الكهف: ٦٩.
(٢) انظر الحديث المتقدم ٩٤٩.

عليّ: العددُ المضاف إلى الآحادِ قد جاء مُضافاً إلى الجميع، قال الشاعر:

وَمَا زَوَّدُونـي غيـرَ سَحْـقِ عِمَـامـةٍ وخَـمْـسِـمـئٍ مـنـهـا قَـسِـيٌّ وزَائِـفُ[١]

وفي هذا الكلام قولان[٢]: **أحدهما**: أنه حكايةٌ عمَّا قال الناس في حَقِّهم، وليس بمقدارِ لُبْثِهم، قاله ابنُ عباس، واستدلَّ عليه فقال: لو كانوا لَبِثوا ذلك لَمَا قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ وكذلك قال قَتادةُ، هذا قولُ أهلِ الكتاب. **والثاني**: أنه مِقدارُ ما لَبِثُوا، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ ومُجاهِدٌ والضَّحَّاكُ وابنُ زيدٍ؛ والمعنى: لَبِثُوا هذا القَدْرَ مِنْ يوم دَخَلُوهُ إلى أنْ بَعثَهُم اللهُ وأطلَعَ الخَلْقَ عليهم. قوله تعالى: ﴿سِنِينَ﴾ قال الفَرَّاءُ وأبو عُبيدَةَ والكِسَائيُّ والزَّجَّاجُ: التَّقديرُ: سنينَ ثلاثمائةٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: أنها لـم تكن شهوراً ولا أيَّاماً، إنما كانت سنينَ. وقال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: «سنين» بدلٌ مِنْ قوله: «ثلاثمائة». قال الضَّحَّاكُ: نزلت ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ فقالوا: أيَّاماً أو شهوراً أو سنينَ؟ فنزلت: «سنين» فلذلكَ قال: «سنين»، ولم يَقُلْ: سنةً.

قوله تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ يعني: تسعَ سنينَ، فاستغنى عن ذِكْرِ السِّنين بما تَقدَّم مِنْ ذِكْرِها. ثم أَعلَمَ أنه أعلَمُ بقدْرِ مُدَّةِ لُبثِهم مِنْ أهلِ الكتاب المُختلفينَ فيها، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ قال ابنُ السَّائبِ: قالت نصارى نَجرانَ: أمَّا الثلاثمائة، فقد عرفناها، وأما التِّسعُ، فلا عِلْمَ لنا بها[٣]، فنزلَ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ وقيلَ: إنَّ أهلَ الكتاب قالوا: إنَّ للفِتيَةِ منذ دخلوا الكهفَ إلى يومِنا هذا ثلاثمائةٍ وتسع سنينَ، فرَدَّ عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ بعدَ أن قبضَ أرواحَهُم إلى يومِكُم هذا، لا يعلمُ بذلك غيرُ اللهِ. وقيل: إنما زادَ التِّسع، لأنه تفاوتُ ما بين السِّنين الشَّمسيَّةِ والسِّنين القمريَّةِ، حكاه المَاوَرديِ.

قوله تعالى: ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه على مذهبِ التَّعجُّبِ، فالمعنى: ما أسمعَ اللهُ وأبصَرهُ، أي: هو عالمٌ بقصة أصحابِ الكهف وغيرِهم، هذا قولُ الزَّجَّاج، وذكر أنه إجماعُ العلماء. **والثاني**: أنه في معنى الأمرِ، فالمعنى: أبصِرْ بدِين الله وأَسمِعْ، أي: أبصِرْ بهُدَى اللهِ واسمَعْ، فترجع الهاءُ إمَّا على الهُدى، وإمَّا على الله عزَّ وجلَّ، ذكره ابنُ الأنباري. قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: ليس لأهلِ السَّمواتِ والأرضِ مِنْ دونِ الله مِنْ ناصرٍ، ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ ولا يجوزُ أن يَحكُمَ حاكمٌ بغيرِ ما حَكَم به، وليس لأحدٍ أن يحكمَ مِنْ ذاتِ نفسه فيكون شَريكاً للهِ عزَّ وجلَّ في حُكمِه. وقرأ ابنُ عَامرٍ: «ولا تُشرِكْ» جزماً بالتاء، والمعنى: لا تُشرِكْ أيُّها الإنسانُ.

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ

---

(١) البيت لمزرّد كما في «اللسان» مادة ـ مأي ـ سحق. والسَّحق: الثوب الخلق البالي. ودرهم قَسِيٌّ: رديء.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢١١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره: ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم وإلى أن أعثر عليهم من أعثر ثلاث مئة سنين وتسع سنين ثم قال الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض الله أرواحهم، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا، لا يعلم بذلك غير الله، وغير من أعلمه الله ذلك. وهو اختيار ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٣.

(٣) عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وهو ساقط الرواية.

نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ في هذه التّلاوة قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى القراءة. **والثاني**: بمعنى الاتباع. فيكون المعنى على الأول: اِقرأ القرآنَ، وعلى الثاني: اتَّبِعْهُ واعمَلْ به. وقد شرحنا في سُورةِ الأنعامِ معنى ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ (١). قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قال مُجاهِدٌ، والفَرَّاءُ: مَلجَأً. وقال الزَّجّاجُ: مَعْدِلاً عن أمرِهِ ونهيِهِ. وقال غيرُهم: مَوضِعاً تميلُ إليه في الالتِجاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ سببُ نُزولها:

[٩٣١] أنَّ المُؤلَّفةَ قلوبُهم جاؤوا إلى رسولِ اللهِ ﷺ: عُيَينَةُ بنُ حِصْنٍ، والأقرَعُ بنُ حابِسٍ، وذَوُوهُم، فقالوا: يا رسولَ الله: لو أنكَ جلستَ في صدرِ المجلسِ، ونحَّيتَ هؤلاءِ عنَّا، ـ يعنُونَ سليمانَ وأبا ذَرّ وفقراءَ المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ الصُّوفِ ـ جلسنا إليكَ، وأخذنا عنكَ، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسولُ الله ﷺ يلتَمِسُهم، حتى إذا أصابهم في مُؤخَّرِ المسجد يذكرونَ اللهَ، قال: «الحمدُ لله الذي لم يُمِتْني حتى أَمَرني أن أصبرَ نَفْسِي مع رجالٍ مِنْ أُمَّتي، معكم المَحيا ومعكم المَماتُ». هذا قولُ سلمانَ الفَارسيّ.

ومعنى قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ أي: احبِسْهَا معهم على أداءِ الصَّلواتِ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾. وقد فسَّرنا هذه الآيةَ في سُورة الأنعام(٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تَصْرِفْ بصرَكَ إلى غيرِهم مِنْ ذَوي الغِنى والشَّرفِ؛ وكان عليه السَّلامُ حريصاً على إيمانِ الرُّؤساء ليؤمِنَ أتباعُهم، ولم يكُنْ مُريداً لزينةِ الدنيا قطُّ، فأُمِرَ أن يجعلَ إقبالَهُ على فقراءِ المؤمنين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ سببُ نُزولها أنَّ أُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ الجُمَحِي، دَعا رسولَ الله ﷺ إلى طَرْدِ الفقراءِ عنه، وتقريبَ صَنادِيدِ أهلِ مكَّةٍ، فنزلت هذه الآيةُ(٣)، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ أخرى عنه أنه قال: هو عُيَينَةُ وأشباهُه. ومعنى «أغفلنا قلبه»: جعلناه غافلاً. وقرأ أبو مِجْلَز: «ومن أغفلَنا» بفتحِ اللام، ورفعِ باءِ القلبِ. «عن ذكرنا»: أي عن التَّوحيدِ والقرآنِ والإسلامِ، ﴿وَٱتَّبَعَ

---

[٩٣١] باطل. أخرجه الطبري ٢٣٠٢٢ وأبو نعيم ١/ ٣٤٥ والواحدي وفي «أسباب النزول» ٦٠٠ والبيهقي في «الشعب» ١٠٤٩٤ من حديث سلمان الفارسي وإسناده ضعيف جداً، فيه سليمان بن عطاء، قال البخاري: منكر الحديث. والمتن باطل، فإن السورة مكية، وإسلام سلمان مدني، وكذا عيينة بن حصن وفد في المدينة. والمرفوع منه لابأس به. أخرجه الطبري ٢٣٠٢٠ عن قتادة مرسلاً فهو ضعيف وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢ من حديث أبي سعيد الخدري وإسناده ضعيف، فيه العلاء بن بشير، وهو مجهول، ومع ذلك ليس فيه ذكر سلمان وعيينة ولا نزول الآية. عن أبي سعيد الخدري، قال: كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم، وإن بعضهم يستتر ببعض من العري، وقارئ لنا يقرأ علينا، فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى، فقال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر معهم نفسي» كما في «الدلائل».

---

(١) سورة الأنعام: ١١٥. (٢) سورة الأنعام: ٥٢.

(٣) ضعيف جداً. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠١ من طريق جويبر بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس، وجويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس، فالخبر واه بمرة.

هَوَنهُ﴾ في الشركِ. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها أفرطَ في قوله، لأنه قال: إنَّا رُؤوسُ مُضَرَ، وإنْ نُسلِمْ يُسلِم الناسُ بعدَنا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ضَياعاً، قاله مُجاهِدٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: سَرَفاً وتضييعاً. **والثالث**: نَدماً، حكَاه ابنُ قُتيبةَ عن أبي عُبيدَةَ. **والرابع**: كان أمرُه التَّفريطُ، والتَّفريطُ: تقديمُ العَجزِ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقُلِ الذي أتيتُكم به، الحقُّ مِنْ ربكم.

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: فمَنْ شاء اللهُ فليؤمِنْ، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه وعيدٌ وإنذارٌ، وليس بأمرٍ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ معناه: لا تنفعون اللهَ بإيمانِكم، ولا تَضرُّونه بكُفرِكم، قاله الماوَردِي. وقال بعضُهم: هذا إظهارٌ للغِنى، لا إطلاقٌ في الكُفرِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي هَيَّأنا وأعدَدْنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾[٣] فأمَّا الظالمون، فقال المُفسِّرون: هم الكافرون. فأمَّا السُّرَادِقُ، فقال الزَّجَّاجُ: السُّرَادِق: كلُّ ما أحاط بشيءٍ، نحو الشُّقَّة في المَضرَبِ، أو الحائطِ المُشتَمِل على الشيء. وقال ابنُ قُتيبةَ: السُّرَادِق: الحُجرَةُ التي تكون حولَ الفُسطَاطِ. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي، قال: السُّرَادِقُ فارسيٌّ مُعرَّبٌ، وأصله بالفارسيَّة سَرَادَار، وهو الدِّهْلِيزُ، قال الفَرزدَقُ:

تَمَنَّيْتَهُمْ حتَّى إذا ما لَقِيتَهُمْ ... تَركْتَ لهُم قبلَ الضِّرَابِ السُّرَادِقا[٤]

وفي المُراد بهذا السُّرَادِقِ قولان: **أحدهما**: أنه سُرَادِقٌ مِنْ نارٍ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٣٢] روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لِسُرَادِقِ النارِ أربعةُ جُدُرٍ كُثُفٌ، كلُّ جدارٍ منها مَسيرةُ أربعينَ سنةً». وفي روايةِ أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، قال: السُّرَادِقُ: لسانٌ مِنَ النارِ، يخرج مِنَ النارِ فيُحيطُ بهم حتى يفرَغَ مِنْ حسابِهم.

---

[٩٣٢] ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٥٨٤ والطبري ٢٣٠٣٧ من طريق ابن المبارك به. وأخرجه الحاكم ٤/ ٦٠٠ و ٦٠١ والطبري ٢٣٠٣٨ من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث به، وصححه! وسكت عنه الذهبي! مع أنه من رواية دراج عن أبي الهيثم، لكن قال الذهبي في مواضع كثيرة: دراج ذو مناكير. وأخرجه أحمد ٣/ ٢٩ وأبو يعلى ١٣٨٩ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٦ من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن درّاج به. فالإسناد ضعيف.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢١٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ضياعاً وهلاكاً من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطاً، إذا أسرف فيه وتجاوز.

(٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٥: يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال: ﴿**إنا أعتدنا**﴾ أي: أرصدنا ﴿**للظالمين**﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿**ناراً أحاط بهم سرادقها**﴾ أي سورها.

(٣) سورة يوسف: ٣١.

(٤) كما في «ديوانه» ٢/ ٥٨٦ و «المعرَّب»: ٢٠٠.

والثاني: أنه دُخانٌ يُحيط بالكفَّارِ يومَ القيامةِ، وهو الظِّلُ ذو ثلاثِ شُعَبِ الذي ذكره اللهُ تعالى في المُرسَلاتِ[1]، قاله ابنُ قُتيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا﴾ أي: ممَّا هم فيه مِنَ العذاب وشدَّةِ العَطشِ ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ وفيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ماءٌ غليظٌ كدُرْدِيِّ الزَّيتِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه كلُّ شيءٍ أُذيبَ حتى انماعَ، قاله ابنُ مسعودٍ، وقال أبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ: كلُّ شيءٍ أذبتَهُ مِنْ نُحاسٍ أو رَصاصٍ أو نحوِ ذلك، فهو مُهْلٌ. **والثالث**: قيحٌ ودَمٌ أسودُ كعَكَرِ الزَّيتِ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه الفِضةُ والرَّصاصُ يُذابانِ، رُوي عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والخامس**: أنه الذي قد انتهى حَرُّهُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والسادس**: أنه الصَّديدُ، ذكره ابنُ الأنباري. قال مُغيثُ بنُ سُمَيٍّ: هذا الماءُ هو ما يَسيلُ مِنْ عَرَقِ أهلِ المَوقفِ في الآخرة وبُكائِهم، وما يجري منهم مِنْ دَمٍ وقَيحٍ، يسيلُ ذلك إلى وادٍ في جهنَّم، فتطبُخهُ جهنَّمُ، فيكون أولَ ما يُغاثُ به أهلُ النار. **والسابع**: أنهُ الرَّمادُ الذي يُنفَضُ عن الخُبزَةِ إذا خرجت مِنَ التَّنُّورِ، حكاه ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ قال المُفسِّرون: إذا قَرَّبهُ إليه سَقطَتْ فَروَةُ وَجهه فيه[2]. ثم ذَمَّهُ، فقال بِئْسَ الشَّرابِ وساءَتِ النارُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: منزلاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مُجتَمَعاً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: مُتَّكأً، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشد لأبي ذُؤَيبٍ:

إنِّـي أرِقْـتُ فبِـتُّ الـلَّـيـلَ مُـرْتَـفِـقـاً ... كـأنَّ عَـيْـنِـيَ فِـيـهـا الـصَّـابُ مَـذْبُـوحُ[3]

وذَبحُهُ: انفجارُه؛ قال الزَّجَّاجُ: «مرتفقاً» منصوبٌ على التَّمييز. أي مُتَّكأً على المِرفَقِ.

والرابع: ساءَتْ مجلِساً؛ قاله ابنُ قُتيبةَ. **والخامس**: ساءَتْ مَطلَباً للرِّفقِ، لأن مَنْ طلب رِفقاً مِنْ جهتِها، عَدِمَهُ، ذكره ابنُ الأنباري. ومعاني هذه الأقوالِ تتقاربُ. وأصلُ المِرفَقِ في اللغة: ما يُرتَفقُ به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[4] قال الزَّجَّاجُ: خبرُ «إن» هاهنا على ثلاثةِ

---

(١) سورة المرسلات: ٣٠.

(٢) حديث ضعيف، وورد مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿بماء كالمهل﴾ قال: «كعكر الزيت فإذا قرّب إليه سقطت فروة وجهه فيه». أخرجه الترمذي ٢٥٨١ و ٣٣٢٢ والطبري ٢٣٠٣٩ والحاكم ٢/ ٥٠١ وابن حبان ٧٤٧٣ والبيهقي في «البعث» ٥٥٠ من طرق عن أبي سعيد الخدري. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي! مع أن مداره على دراج، وهو ضعيف الحديث، وأخرجه أحمد ٣/ ٧٠ ـ ٧١ وأبو يعلى ٣٧٥ والواحدي ٣/ ١٤٦ من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به.

(٣) البيت في ديوان «الهذليين» ١/ ١٠٤ و «اللسان» ـ صوب ـ.
والصّاب: عصارة شجرٍ مرٍّ، إذا وقعت قطرة في العين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر.

(٤) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٠٦: لما ذكر الله تعالى حال الأشقياء ثنّى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة فلهم ﴿جنات عدن﴾، =

أوجهٍ: **أحدها**: أن يكونَ على إضمارِ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ منهم، ولم يَحتَجْ إلى ذِكْرِ «منهم» لأنَّ الله تعالى قد أعلَمَنا أنه مُحبِطٌ عَمَلَ غيرِ المؤمنين. **والثاني**: أن يكون خبر «إن»: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، ويكون قولُه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ قد فَصَلَ به بين الاسم وخَبرِه، لأنه يحتوي على معنى الكلام الأوَّلِ، لأنَّ مَنْ أحسنَ عملاً بمنزلَةِ الذين آمنوا. **والثالث**: أَنْ يكونَ الخبرُ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، بمعنى: إنَّا لا نُضيعُ أجْرَهم.

قال المُفسِّرون: ومعنى ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نتركُ أعمالَهُ تذهبُ ضَيَاعاً، بل نُجازيهِ عليها بالثوابِ. فأمَّا الأساورُ، فقال الفَرَّاءُ: في الواحد منها ثلاثُ لُغاتٍ: إسوَار، وسِوَار، وسُوَار؛ فمَنْ قال: إسوَارُ، جَمعَه أسَاوِرَ، ومَنْ قال: سِوَار أو سُوَار، جَمعَه أسْوِرَة، وقد يجوز أن يكون واحدُ أَسَاوِرَة وأَسَاوِر: سِوَار؛ وقال الزَّجَّاجُ: الأسَاوِرُ جمعُ أَسْوِرَةٍ، وأَسْوِرَة جمعُ سِوَارٍ، يقال: سِوارُ اليَدِ، بالكسرة، وقد حُكيَ: سُوَار. قال المُفسِّرون: لمَّا كانت المُلوكُ تَلبَسُ في الدنيا الأسَاوِرَ في اليَدِ والتِّيجانَ على الرُّؤوس، جعلَ اللهُ تعالى ذلك لأهل الجنَّةِ. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: يُحَلَّى كلُّ واحدٍ منهم بثلاثةٍ مِنَ الأسَاوِرِ، واحدٍ مِنْ فضَّةٍ، وواحدٍ مِنْ ذهبٍ، وواحدٍ مِنْ لُؤلؤٍ ويَواقيتَ. فأما «السُّندُسُ» و «الإستبرق»، فقال ابنُ قُتَيبةَ: السُّندُسُ: رقيق الدِّيبَاج، والإِستَبْرَقُ ثَخينُه. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي، قال: السُّندُسُ: رقيقُ الدِّيبَاجِ، لم يختلف أهلُ اللغة في أنه مُعرَّبٌ، قال الرَّاجِزُ:

وليـلـةٍ مِـنَ الـلـيـالـي حِـنـدِسِ لَـونُ حَـواشِـيـهـا كَـلَـونِ الـسُّـنـدُسِ

والإستَبْرَقُ: غليظُ الدِّيباجِ، فارسيٌّ مُعرَّبٌ، وأصله إسْتفْرَهْ. وقال ابنُ دُريدٍ: إسْتَرْوَهْ، ونُقِلَ مِنَ العجميَّةِ إلى العربية، فلو حُقِّرَ «إستبرق»، أو كُسِّرَ، لَكانَ في التَّحقيرُ «أُبَيْرِق»، وفي التَّكسيرِ «أبارق» بحذفِ السين، والتاءِ جميعاً. قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ الاتكاءُ: التَّحاملُ على الشيء. قال أبو عُبيدَةَ: والأَرَائِكُ: الفُرُشُ في الحِجَال، ولا تكون الأريكَةُ إلاَّ بحَجَلةٍ وسَريرٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الأرائِكُ: السُّرُرُ في الحِجَالُ، واحدها: أرِيكَةٌ. وقال ثَعلَبُ: لا تكون الأريكَةُ إلاَّ سريراً في قُبَّةٍ عليه شَوَارُهُ ومَتاعُه؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: الشَّوَارُ، مفتوحُ الشين، وهو مَتَاعُ البيت. وقال الزَّجَّاجُ: الأرائِكُ: الفُرُشُ في الحِجَالِ. قال: وقيلَ: إنها الفُرُشُ، وقيل إنها الأَسِرَّةُ، وهي على الحقيقة: الفُرُشُ كانت في حِجَالٍ لهم.

﴿۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ روى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: هُما ابنا مَلِكٍ كان في بَني إسرائيلَ تُوفّي وتَركَهُما، فاتَّخذ أحدُهما الجِنَانَ والقصورَ، وكان الآخرُ زاهداً في الدنيا، فكان إذا عَمِلَ أخوه شيئاً مِنْ زينةِ الدنيا، أخذَ مثلَ ذلك فقدَّمه لآخِرَتِه، حتى نَفِدَ مالُه، فضَربَهُما اللهُ عزَّ وجلَّ مَثَلاً

= والعدن: الإقامة. ونعمت الجنة ثواباً على أعمالهم.

للمؤمنِ والكافرِ الذي أبطَرَتْهُ النِّعمةُ. وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: أنَّ المسلمَ لمَّا احتاجَ، تعرَّضَ لأخيه الكافرِ، فقال الكافرُ: أين ما وَرِثتَ عن أبيكَ؟ فقال: أنفقْتُهُ في سبيلِ الله، فقال الكافرُ: لكنِّي ابتَغْتُ منه جِناناً وغَنَماً، وبقراً، واللهِ لا أعطيْتُكَ شيئاً أبداً حتى تتبعَ دِيني، ثم أخذَ بيدِ المُسلِمِ فأدخلَهُ جِنَانِه يَطُوفُ به فيها، ويُرَغِّبه في دِينه. وقال مُقاتِلٌ: اسمُ المؤمن يمليخا، واسمُ الكافِرِ فرطس، وقيل: فطرس، وقيل: هذا المَثَلُ ضُرِبَ لعُيَيْنَةَ بنِ حصن وأصحابِه، ولسَلمانَ وأصحابِه[١]. قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ الحَفُّ: الإحاطةُ بالشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[٢] والمعنى: جعلنا النَّخلَ مُطِيفاً. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إعلامٌ أنَّ عِمارَتَهُما كاملةٌ.

قوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ قال الفَرَّاءُ: لم يَقُل تعالى: آتَتَا، لأنَّ «كلتا» ثِنتان لا تُفرَدُ واحدتُهما، وأصلُه: «كُلٌّ»، كما تقول للثلاثة: «كُلٌّ»، فكان القَضاءُ أن يكونَ للثِّنتين ما كان للجَمعِ، وجازَ توحيدُه على مذهبِ «كُلّ»، وتأنيثُه جائزٌ للتَّأنيث الذي ظهرَ في «كلتا»، وكذلك فافعَلْ بـ «كلا» و «كلتا» و «كُلّ»، إذا أضفتَهُنَّ إلى مَعرِفةٍ وجاء الفعلُ بعدَهنَّ فوَحّدْ واجمَعْ، فمِنَ التَّوحيد قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[٣]، ومِنَ الجمع: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[٤]، والعربُ قد تفعلُ ذلك أيضاً في «أي» فيُؤنِّثون ويُذكِّرون، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٥]، ويجوز في الكلام «بأية أرض»، وكذلك ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[٦]، ويجوز في الكلامَ «في أيّة»، قال الشاعر:

بِـأيِّ بَـلاءٍ أَمْ بـأيَّـةِ نِـعْـمَـةٍ تَـقَـدَّمَ قَـبْـلِـي مُـسْـلِـمٌ والـمُـهَـلَّـبُ

قال ابنُ الأنباري: «كلتا» وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإنَّ لفظَهُ لفظُ واحدةٍ مُؤنَّثةٍ، فغلبَ اللفظُ، ولم يستعملِ المعنى ثِقةً بمعرفةِ المُخاطَبِ به؛ ومِنَ العرب مَنْ يُؤثِرُ المعنى على اللفظِ، فيقول: «كلتا الجنتين آتتا أُكُلَها»، ويقول آخرون: «كلتا الجنتين آتى أُكُلَه»، لأنَّ «كلتا» تُفيدُ معنى «كُلّ»، قال الشاعر:

وكِلتَاهُـما قد خَطَّ لي في صَحِيفَتِي فـلا الـمَـوتُ أهـوَاهُ ولا الـعـيـشُ أَرْوَحُ

يعني: وكلُّهما قد خَطَّ لي، وقد قالتِ العربُ: كُلُّكم ذاهبٌ، وكُلُّكم ذاهبون. فوَحَّدوا لِلَفظِ «كُلّ» وجَمعُوا لتأويلِها. وقال الزَّجَّاجُ: إنَّما لم يَقُلْ: «آتتا»، لأنَّ لفظَ «كلتا» لفظُ واحدةٍ، والمعنى: كلُّ واحدةٍ منهما آتَتْ أُكُلَها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: لم تُنقِصْ ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فأعلَمَنا أنَّ شُربهما كان مِنْ ماءِ نهرٍ، وهو مِنْ أغزرِ الشُّربِ. وقال الفَرَّاءُ: إنما قال: «فجَّرنا» بالتَّشديد، وهو نَهَرٌ واحدٌ، لأنَّ النَّهر يمتَدُّ، فكان التَّفجُّر فيه كُلّه. قرأ أبو رَزِينٍ، وأبو مِجْلَز، وأبو العَالِيَة، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وفَجَرْنا» بالتَّخفيف. وقرأ أبو مِجلَز، وأبو المُتوكِّلِ: «خِلِلهما». وقرأ أبو العَالِيَة، وأبو عِمرَانَ: «نهْراً» بسكونِ الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ يعني: للأخِ الكافرِ (ثَمر) قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «وكان له ثُمُر»، «وأحيط بثُمُره» بضمَّتين. وقرأ عَاصِمٌ: «وكان له ثَمَر»، «وأُحيط بثَمَره»

(١) تقدّم أنه لا يصح في عيينة ولا سلمان، فإن السورة مكية.
(٢) سورة الزمر: ٧٥. (٣) سورة مريم: ٩٥.
(٤) سورة النمل: ٨٧. (٥) سورة لقمان: ٣٤. (٦) سورة الانفطار: ٨.

بفتح التاءِ والميم فيهما. وقرأ أبو عمرو: «ثُمْر» و «بثُمْره» بضمَّةٍ واحدةٍ وسكونِ الميم. قال الفَرَّاءُ: الثَّمَرُ، بفتح الثاءِ والميم: المأكول، وبضمِّها: المالُ وقال ابنُ الأنباري: الثَّمر، بالفتح: الجمعُ الأوَّلُ، والثُّمر، بالضمِّ: جمعُ الثَّمرِ، يقال: ثَمرٌ، وثُمُرٌ، كما يُقال: أَسَد، وأُسُد، ويصلح أن يكونَ الثُّمُرُ جمعَ الثِّمار، كما يُقال: حِمارٌ وحُمُرٌ، وكِتابٌ وكُتُبٌ، فمَنْ ضَمَّ، قال: الثُّمُرُ أعمُّ، لأنها تحتملُ الثِّمارَ المأكولَةَ، والأموالَ المَجموعَةَ. قال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: وقراءةُ أبي عمرو: «ثُمْر» يجوز أن تكونَ جمعَ ثمارٍ، ككتاب، وكُتُبٍ، فتُخفَّفُ، فيقال: كُتْب، ويجوز أن يكونَ «ثُمْر» جمعَ ثَمرةٍ، كبَدَنةٍ وبُدْنٍ، وخَشَبةٍ، وخُشْبٍ. ويجوز أن يكونَ (ثُمر) واحداً، كعُنُقٍ، وطُنُب. وقد ذكر المُفسِّرون في قراءةِ مَنْ ضَمَّ ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المالُ الكثير مِنْ صُنوفِ الأموال، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الذَّهبُ، والفِضَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه جمعُ ثَمرةٍ، قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ثَمرة، وثِمار، وثُمر. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في ذِكْرِ الثَّمرِ بعد ذِكْرِ الجنَّتين، وقد عُلِمَ أنَّ صاحبَ الجنَّةِ لا يخلُو مِنْ ثَمرٍ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه لم يكن أصلُ الأرضِ مُلكاً له، وإنما كانت له الثِّمارُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ ذِكْرَ الثَّمرِ دليلٌ على كثرة ما يَملكُ مِنَ الثِّمارِ في الجَنَّتين وغيرِهما، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: قد ذكرنا أنَّ المرادَ بالثُّمرِ الأموالُ مِنَ الأنواع وذكرنا أنها الذهبُ، والفضَّةُ، وذلك يُخالف الثَّمرَ المأكُولَ؛ قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: مَنْ قال: هو الذهبُ، والوَرِقُ، فإنما قيلَ لذلك: ثُمر على التَّفاؤل، لأنَّ الثُّمرَ نماءٌ في ذي الثَّمرِ، وكونه هاهنا بالجَنى أشبهُ بالذَّهب والفضَّةِ. ويقوي ذلك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ والإنفاقُ مِنَ الوَرِقِ، لا مِنَ الشجر.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾ أي: يُراجعه الكلامَ ويُجاوبُهُ. وفيما تَحاورَا فيه قولان: **أحدهما**: أنه الإيمانُ والكفرُ. **والثاني**: طلبُ الدنيا، وطلبُ الآخرة. فأمَّا «النَّفر» فهم الجماعةُ، ومِثلُهم: القوم والرَّهطُ ولا واحدَ لهذه الألفاظِ مِنْ لفظِها. وقال ابنُ فارسٍ اللغوي: النَّفر: عِدَّةُ رجالٍ مِنْ ثلاثةٍ إلى العشرة.

وفيمن أراد بنفَره ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: عَبيدُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: وَلدُهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: عَشيرتُه ورَهطُه، قاله أبو سُليمانَ.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكُفرِ؛ وكان قد أخذَ بيدِ أخيه فأدخلَهُ معه: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ أنكرَ فَناءَ الدنيا، وفَناءَ جنَّتِه، وأنكرَ البَعثَ والجزاءَ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ وهذا شَكٌّ منه في البَعثِ، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: كما تَزعُمُ أنتَ. قال ابنُ عباسٍ: يقول إنْ كان البَعثِ حقّاً ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «خيراً منها»، وكذلك هي في مصاحف أهلِ البَصرةِ والكُوفةِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «خيراً منهما» بزيادة ميم على التَّثنية، وكذلكَ هي في مصاحب أهل مكَّة والمدينةِ والشَّام. قال أبو عليٍّ: الإفرادُ أَوْلَى، لأنه أقْربُ إلى الجنَّةِ المفردة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، والتَّثنيةُ لا تمتنِعُ، لتقدُّمِ ذِكْرِ الجنَّتين.

قوله تعالى: ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيُعطِيني في الآخرةِ أفضلَ منه.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ

ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: خلقَ أباكَ آدم ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: ما أُنشِئَ هو منه، فلمَّا شَكَّ في البَعثِ كان كافراً.

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وعَاصِمٌ وحَمزَةُ والكِسائيُّ، وقالُونُ عن نافع: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾، بإسقاطِ الألفِ في الوَصْلِ، وإثباتِها في الوَقْفِ. وقرأ نافعٌ في رواية المُسيَّبي بإثباتِ الألفِ وَصْلاً ووَقْفاً. وأثبتَ الألفَ ابنُ عامرٍ في الحالَين. وقرأ أبو رَجاء: «لكنْ» بإسكانِ النُونِ خفيفةً مِنْ غيرِ ألِفٍ في الحالَين. وقرأ ابنُ يَعمُرَ «لكنّ» بتشديد النونِ مِنْ غيرِ ألِفٍ في الحالَين. وقرأ الحسَنُ: «لكنْ أنا هو الله ربي» بإسكانِ نونِ «لكنْ» وإثباتِ «أنا». قال الفَرَّاءُ: فيها ثلاثُ لُغاتٍ: لكنّا، ولكنَّ، ولكنَّه بالهاءِ، أنشدني أبو ثروان:

وتَرمينَني بالطَّرْفِ أي أنتَ مُذنِبٌ ... وتَقْلِينَنِي لكنَّ إيَّاكِ لا أَقْلِي

وقال أبو عُبيدَةَ: مَجازُه: لكن أنا هو اللهُ ربِّي، ثم حُذِفَتِ الألفُ الأُولَى، وأُدغِمَتْ إحدَى النُّونين في الأُخرى فشُدِّدتْ. قال الزَّجّاجُ: وهذه الألِفُ تُحذَفُ في الوَصْلِ، وتُثبَتُ في الوَقْفِ، فأمَّا مَنْ أثبتَها في الوَصْلِ كما تُثبَتُ في الوَقْفِ، فهو على لُغَةِ مَنْ يقول: أنا قُمتُ، فأثبتَ الألِفَ، قال الشاعر:

أنا سَيفُ العَشيرَةِ فاعْرِفُوني[1]

وهذه القراءةُ جيدةٌ، لأنَّ الهمزة قد حُذفَتْ مِنْ «أنا»، فصار إثباتُ الألِفِ عِوَضاً مِنَ الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي: وهلاً؛ ومعنى الكلام التَّوبيخُ. قال الفَرَّاءُ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في موضع رَفعٍ، إنْ شِئتَ رَفعتَهُ بإضمارِ هو، يريد: هو ما شاءَ اللهُ؛ وإنْ شِئتَ أضمَرْتَ فيه: ما شاءَ اللهُ كان؛ وجازَ طَرْحُ جوابِ الجزاءِ، كما جازَ في قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] ليس له جوابٌ، لأنه معروفٌ، قال الزَّجّاجُ: وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ الاختيارُ النَّصبُ بغير تنوينٍ على النَّفي، كقولِه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾[3]؛ ويجوز: «لا قوةَ إلاَّ بالله» على الرَّفع بالابتداءِ، والخبرِ «بالله»؛ المعنى: لا يَقوَى أحدٌ في بَدَنِه ولا في مِلكِ يَدِه إلاَّ اللهُ تعالى، ولا يكون لَه إلاَّ ما شاء اللهُ.

قوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «إن ترني أنا» و «يؤتيني خيراً» بياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بياءٍ في الوَصْلِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ بحذفِ الياء فيهما وَصْلاً ووَقْفاً. ﴿أَنَا۠ أَقَلَّ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ: «أنا أَقلُّ» برفعِ اللام. قال الفَرَّاءُ: «أنا» هاهنا عِمادٌ إنْ نصبت «أقلَّ»، واسمٌ إذا رفعتَ «أقلُّ»، والقراءةُ بهما جائزٌ.

قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: «حُميداً قد تَذرَّيْتُ السَّناما». كما في القرطبي ١٠/ ٣٥١ والطبري ٨/ ٢٢٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٥. (٣) سورة الكهف: ٢١.

أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العذابُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: ناراً مِنَ السماء. **والثاني**: قضاءٌ مِنَ الله يقضِيه، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: مَرامِيَ مِنَ السماءِ، واحدُها: حُسبانَةٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبة. قال النَّضْر بنُ شُمَيلٍ: الحُسبَانُ: سِهامٌ يرمي بها الرجلُ في جَوفِ قَصَبَةٍ تنزعُ في القوسِ، ثم يرمي بعشرينَ منها دُفعةً، فعلى هذا القولِ يكون المعنى: ويُرسلَ عليها مَرامِيَ مِنْ عذابه، إمَّا حجارةً أو بَرَداً أو غيرَهما مما يشاء مِنْ أنواع العذاب. **والرابع**: أنَّ الحُسبَانَ: الحِسابُ، كقوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[1] أي: بحسَابٍ، فيكون المعنى: ويُرسِلَ عليها عذابَ حسابِ ما كَسبَتْ يداهُ، هذا قول الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: الصَّعيدُ: الأملَسُ المُستوي، والزَّلَق: الذي تَزِلُّ عنه الأقدامُ، والغَورُ: الغَائِرُ، فجعل المصدر صفةً، يقال: ماءٌ غَوْرٌ، ومياهٌ غَوْرٌ، ولا يُثنَّى، ولا يُجمع، ولا يؤنَّث، كما يقال: رجلٌ نَوْمٌ، ورجلٌ صَوْمٌ، ورجلٌ فِطْرٌ، ورجالٌ نَوْمٌ، ونساء نومٌ، ونساءٌ صَوْمٌ. ويُقال للنساء إذا نُحْنَ: نَوْحٌ، والمعنى: يذهب ماؤها غائِراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها. ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثرٌ تطلبُهُ به، ولا تَنالُه الأيدي ولا الأَرْشِيَةُ. وقال ابنُ الأنباري: «غَوْراً» إذا غَوَّر، فسقطَ المُضافُ، وخلَفَهُ المُضافُ إليه، والمُرادُ بالطَّلبِ هاهنا: الوصُولُ، فقام الطَّلبُ مقامَهُ لأنه سَببُهُ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ: «غُؤُوراً» برفع الغين والواو الأولى جميعاً وواو بعدها.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ أي: أحاط اللهُ العذابَ بثَمره، وقد سبقَ معنى الثَّمرِ. ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: يضربُ بيَدٍ على يَدٍ، وهذا فِعلُ النَّادمِ، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في جَنَّتِه، و «في» هاهنا بمعنى «على». ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خاليةٌ ساقِطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعُرُوشُ: السّقوف؛ والمعنى: أنَّ حيطَانَها قائمةٌ والسُّقوفَ قد تهدَّمَتْ فصارت في قَرارِها، فصارت الحِيطانُ كأنها على السُّقوفِ. ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ فأخبرَ اللهُ تعالى أنه لمَّا سَلبَهُ ما أنعمَ به عليه، وحَقَّقَ ما أنذَرَهُ به أخوه في الدنيا، نَدِمَ على شِرْكِه حين لا تنفعه النَّدامةُ. وقيل: إنما يقول هذا في القيامة. ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وعَاصِمٌ: «ولم تكن» بالتاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «ولم يكن» بالياء. والفِئَةُ: الجماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾ أي: يمنعونَهُ مِنْ عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: «الوَلاية» بفتح الواو، و «لله الحقِّ» بكسر القاف أيضاً. وقرأ حمزة «الوِلاية» بكسرِ الواو، و «الحقِّ» بكسر القاف أيضاً. وقرأ أبو عمروٍ بفتحِ واوِ الوَلاية، ورفع «الحقُّ»، ووَافقهُ الكِسَائيُّ في رَفْع القافِ، لكنه كَسرَ «الوِلاية»، قال الزَّجَّاجُ: معنى الولاية في مِثْلِ تلك الحالِ: تَبيينُ نُصرةِ وَليِّ الله. وقال غيرُه: هذا الكلامُ عائدٌ إلى ما

(١) سورة الرحمن: ٥.

قبل قصة الرَّجلين. فأمَّا مَنْ فتحَ واوَ «الوَلاية» فإنه أراد المُوالاةَ والنُّصرةَ، ومَنْ كَسرَ، أراد السُّلطانَ والمُلْكَ على ما شرحنا في آخرِ الأنفالِ[(١)]. فعلى قراءةِ الفَتحِ، في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنهم يَتولَّون اللهَ تعالى في القيامة، ويُؤمنون به، ويَتبرَّؤونَ ممَّا كانوا يعبدُون، قاله ابنُ قُتَيبة. **والثاني**: هنالك يَتولَّى اللهُ أمرَ الخَلائِق، فيَنْصرُ المؤمنين ويَخْذِلُ الكافرين. وعلى قراءةِ الكَسرِ، يكون المعنى: هنالك السُّلطانُ لله. قال أبو عليّ: مَنْ كَسرَ قافَ «الحقّ»، جعله مِنْ وَصْفِ الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ رفعَهُ جعله صِفةً للوَلايةِ. فإنْ قيلَ: لِمَ نُعِتتِ الوَلايةُ وهي مؤنثةٌ بالحقّ وهو مصدرٌ؟ فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنباري: **أحدهما**: أنَّ تأنيثَها ليس حقيقياً، فحُمِلَتْ على معنى النَّصرِ؛ والتقدير: هنالك النَّصرُ لله الحق، كما حُمِلَتْ الصَّيحةُ على معنى الصِّياح في قوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[(٢)]. **والثاني**: أنَّ الحقَّ مصدرٌ يستوي في لفظِه المُذكَّرُ والمؤنثُ والاثنانِ والجمعُ، فيقال: قولكَ حقٌّ، وكلمَتُك حقٌّ، وأقوالُكم حقٌّ. ويجوز ارتفاعُ الحقِّ على المَدحِ للولايةِ، وعلى المَدْحِ للهِ تعالى بإضمَارِ «هو».

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: هو أفضلُ ثواباً ممَّنْ يُرجى ثوابُه، وهذا على تقدير أنه لو كان غيرُه يُثيبُ لَكانَ ثوابُه أفضلَ. قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمروٍ وابنُ عامرٍ والكِسائيُّ: «عُقُباً» مضمومةَ القافِ. وقرأ عاصِمٌ وحَمزةُ: «عُقْباً» ساكنةَ القاف. قال أبو عليٍّ: ما كان على «فُعُلٍ» جازَ تخفيفُه، كالعُنُقِ والطُّنُب. قال أبو عُبيدَةَ: العُقْبُ والعُقُبُ والعُقْبَى والعَاقِبَة، بمعنى: وهي الآخِرةُ، والمعنى عاقبةُ طاعةِ اللهِ خيرٌ مِنْ عاقبَةِ طاعةِ غيره.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: في سُرعة نَفادِها وذَهابِها، وقيلَ: في تَصرُّفِ أحوالِها، إذ مع كُلِّ فَرحةٍ تَرْحةٌ، وهذا مُفسَّرٌ في سُورة يُونس[(٣)] إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾. قال الفَرَّاءُ: الهَشِيمُ: كلّ شيءٍ كان رَطْباً فيَبِسَ. وقال الزَّجَّاجُ: الهَشِيمُ: النباتُ الجَافُّ. وقال ابنُ قُتَيبة: الهَشِيمُ مِنَ النَّبتِ: المُتَفتِّتُ، وأصله مِنْ هَشَمْتُ الشيءَ: إذا كَسرتَهُ، ومنه سُمِّي الرجلُ هاشِماً. و ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تَنسِفُهُ. وقرأ أُبيٌّ وابنُ عباسٍ وابنُ أبي عَبلَةَ: «تُذْرِيهِ» برفع التاء وكسرِ الراء بعدَها ياءٌ ساكنةٌ وهاءٌ مكسورةٌ. وقرأ ابنُ مسعودٍ كذلك، إلاَّ أنه فتحَ التاءَ. والمُقْتَدِر: مُفْتَعِل، مِنْ قَدَرْتُ. قال المُفسِّرون: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الإنشاءِ والإفناءِ ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هذا رَدٌّ على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالأموالِ والأولادِ، فأخبرَ اللهُ تعالى أنَّ ذلك ممَّا يُتزيَّنُ به في الدنيا، لا ممَّا ينفعُ في الآخرة. قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ[(٤)]: **أحدها**: أنَّها «سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلاَّ

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢. (٢) سورة هود: ٦٧. (٣) سورة يونس: ٢٤.
(٤) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢٣٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب كالذي روي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هن جميع أعمال الخير.

اللهُ، واللهُ أكبرُ».

[٩٣٣] روى أبو هُريرَةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «إنْ عَجزتُم عن الليلِ، أنْ تُكابِدُوهُ، وعن العَدُوِّ أن تُجاهِدُوه، فلا تَعجزوا عن قولِ: «سُبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، فقولُوها، فإنَّهنَّ الباقياتُ الصَّالحاتُ»، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ في روايةِ عطاءٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاك. وسُئِلَ عثمانُ بنُ عفَّانَ عن الباقياتِ الصَّالحاتِ، فقال هذه الكلماتِ، وزادَ فيها: «ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ». وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، ومحمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيّ مثلَهُ سواءً.

[٩٣٤] **والثاني**: أنها «لا إلهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكبرُ، والحمدُ للهِ؛ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ» رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ.

والثالث: الصَّلواتُ الخَمسُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ مسعودٍ، ومَسرُوقٌ، وإبراهيمُ. **والرابع**: الكلامُ الطَّيِّبُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: هي جميعُ أعمالِ الحَسَناتِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي: أفضلُ جزاءً ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: خيرٌ ممَّا تُؤمِّلون، لأنَّ آمالَكُم كَواذِبُ، وهذا أملٌ لا يكذِبُ.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ويوم تُسَيَّر» بالتاءِ «الجبالُ» رَفعاً. وقرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «نُسَيِّرُ» بالنونِ «الجبالَ» نصباً. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ: «ويوم تَسِيرُ» بفتحِ التاءِ وكَسرِ السينِ وتسكينِ الياءِ «الجبالُ» بالرَّفعِ. قال الزَّجَّاجُ: «ويوم» منصوبٌ على معنى اذكُرْ، ويجوزُ أن يكونَ منصوباً على: والباقياتُ الصَّالحاتُ خيرٌ يومَ تَسِيرُ الجبالُ. قال ابنُ عباسٍ: تُسيَّر الجبالُ عن وَجهِ الأرضِ، كما يُسيَّر السحابُ في الدنيا، ثم تُكسَّرُ فتكون في

---

[٩٣٣] حسن. أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٨٥٤ والطبري ٣١٠٠ والحاكم ١/ ٥٤١ والطبراني في «الصغير» ١/ ١٤٥ وفيه محمد بن عجلان، وهو وإن روى له مسلم، فقد اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة.
وحسّنه الشيخ شعيب في «الإحسان» ٨٤٠ وذكره الألباني في «صحيح الجامع» ٣٢١٤ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسبه أن يكون حسناً. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٠٦ و «أحكام القرآن» ١٤٦٩ بتخريجنا.

[٩٣٤] أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٤/ ٤٠٩ من حديث علي، ولم أقف على إسناده، لكن للحديث شواهد كثيرة، وهي وإن كانت ضعيفة لكن تتأيد بمجموعها، انظر المصادر المتقدمة.

الأرض كما خرجت منها. قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وقرأ عمرو بنُ العَاصِ، وابنُ السَّمَيْفِع، وأبو العَالِية: «وتُرى الأرضُ» برفع التاءِ والضادِ. وقرأ أبو رَجَاءِ العُطَارِدِي كذلك، إلاَّ أنه فتحَ ضادَ «الأرضَ». وفي معنى «بارزة» قولان: **أحدهما**: ظاهرةٌ فليس عليها شيءٌ مِنْ جبلٍ أو شجرٍ أو بناءٍ، قاله الأكثرون. **والثاني**: بارزاً أهلُها مِنْ بطنِها، قاله الفرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: فلم نُخَلِّفْ، يقال: غادرتُ كذا: إذا خلَّفتَهُ، ومنه سُمِّي الغَدِيرُ، لأنه ماءٌ تُخَلِّفُه السُّيولُ. وروى أبانُ: «فلم تغادر» بالتاء. قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ إنْ قيلَ: هذا أمرُ مُستقبل، فكيف عُبِّر عنه بالماضي؟ فالجواب: أنَّ ما قد عَلِمَ اللَّهُ وقوعَهُ، يجري مجرى المُعَايَنِ، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[(١)]. وفي معنى قوله: ﴿صَفًّا﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى جميعاً، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾[(٢)] قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أن المعنى: وعُرِضُوا على رَبِّك مَصفُوفينَ، هذا مذهبُ البَصريين. **والثالث**: أنَّ المعنى: وعُرِضُوا على ربِّكَ صُفُوفاً، فنابَ الواحدُ عن الجميع، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[(٣)]. **والرابع**: أنه لم يَغِبْ عن اللَّهِ منهم أحدٌ، فكانوا كالصَّفِّ الذي تَسهُلُ الإحاطةُ بجُملَتِه، ذَكَرَ هذه الأقوالَ ابنُ الأنباري، وقد قيلَ: إنَّ كلَّ أُمَّةٍ وزُمرَةٍ صَفٌّ.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، فيه إضمَارُ «فقال لهم». وفي المُخَاطَبين بهذا قولان: **أحدهما**: أنهم الكُلُّ. **والثاني**: الكُفَّارُ، فيكون اللفظُ عامًّا، والمعنى خاصًّا. وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ مفسَّرٌ في الأنعام[(٤)]. وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطابٌ للكفَّارِ خاصَّةً، والمعنى: زَعمتُم في الدنيا ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبَعثِ، والجَزاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكتابُ الذي سُطِرَ فيه ما تعمل الخَلائِقُ قبل وجُودِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الحسابُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: كتابُ الأعمال، قاله مُقاتِلٌ. وقال ابنُ جَريرٍ: وُضِعَ كتابُ أعمالِ العباد في أيديهم، فعَلَى هذا، الكتابُ اسمُ جنسٍ. قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال مُجاهِدٌ: هم الكافرون، وذكر بعض أهلِ العلم أن كل مجرم ذكر في القرآن، فالمُرادُ به: الكافرُ. قوله تعالى: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفينَ ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ مِنَ الأعمالِ السَّيئةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ هذا قولُ كلِّ واقعٍ في هَلَكةٍ. وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا﴾[(٥)].

قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ هذا على ظاهره في صغيرِ الأمورِ وكَبيرِها؛ وقد رَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، قال: الصَّغيرةُ: التَّبسُّمُ، والكبيرةُ: القَهْقَهَةُ، وقد يُتوهَّمُ أنَّ المرادَ بذلك صغائرُ الذُّنوبِ وكبائرُها، وليس كذلك، إذ ليس الضَّحِكُ والتَّبسُّمُ، بمُجرَّدِهما مِنَ الذنوب، وإنما المراد أنَّ التبسُّمَ مِنْ صِغارِ الأفعال، والضَّحِكَ فعلٌ كبيرٌ، وقد روى الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، قال: الصغيرة: التبسُّمُ والاستِهزاءُ بالمؤمنين، والكبيرَةُ: القَهقَهَةُ بذلك؛ فعلى هذا يكون ذَنباً مِنَ الذُّنوب لمقصود فاعِله، لا لِنَفسِه. و معنى «أحصاها»: عَدَّها وأثبَتَها، والمعنى: وُجِدَتْ مُحصَاةً. ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا

---

(١) سورة الأعراف: ٤٣. (٢) سورة طه: ٦٤. (٣) سورة الحج: ٥.
(٤) سورة الأنعام: ٩٤. (٥) سورة الأنعام: ٣١.

عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ﴾ أي: مكتوباً مُثبَتاً في الكتاب، وقيل: رَأَوا جزاءَهُ حاضِراً. وقال أبو سُليمانَ: الصَّحيحُ عند المُحقِّقينَ أنَّ صغائرَ المؤمنين الذين وُعِدُوا العفوَ عنها إذا اجتنبوا الكبائرَ، إنما يُعفَى عنها في الآخرة بعد أن يَراها صاحِبُها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ قال أبو سُليمانَ: لا تُنقَصُ حسناتُ المؤمنِ، ولا يُزادُ في سيئاتِ الكافر. وقيلَ: إنْ كان للكافر فِعلُ خيرٍ، كعِتْقِ رَقَبةٍ، وصَدَقةٍ، خُفِّفَ عنه به مِنْ عذابه، وإنْ ظلمَهُ مُسلمٌ، أخذَ اللَّهُ مِنَ المسلم، فصارَ الحقُّ لله.

ثم إنَّ اللَّهَ تعالى أمرَ نبيَّهُ ﷺ أن يذكرَ هؤلاءِ المُتكبِّرين عن مُجالسَةِ الفقراء قصة إبليس وما أورثَهُ الكِبْرُ، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: أُذكُرْ ذلك.

وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ الجِنِّ حقيقةً، لهذا النَّصِّ؛ واحتجَّ قائلو هذا بأنَّ له ذُرِّيَّةً ـ وليس للملائكة ذُرِّيَّةٌ ـ وأنه كَفَرَ، والملائكةُ رُسُلُ الله، فهم مَعصُومونَ مِنَ الكُفرِ. **والثاني**: أنه كان مِنَ الملائكةِ، وإنما قيلَ: «من الجن»، لأنه كان مِنْ قَبِيلٍ مِنَ الملائكة يُقال لهم: الجِنُّ، قاله ابنُ عباسٍ؛ وقد شرحنا هذا في سُورةِ البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: خرجَ عن طاعة ربِّه، تقول العرب: فَسَقَتِ الرُّطَبةُ مِنْ قِشْرِها: إذا خرجت منه، قاله الفرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أتاه الفِسْقُ لمَّا أُمِرَ فعصَى، فكان سببَ فِسْقِه عن أمرِ ربِّه، قال الزَّجَّاجُ: وهذا مذهبُ الخليلِ وسِيبَويه، وهو الحقُّ عندنا. **والثالث**: ففَسَقَ عن رَدِّ أمرِ ربِّه، حكاه الزَّجَّاجُ عن قُطْرُب.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ أي تُوالُونَهم بالاستجابة لهم؟! قال الحسَنُ، وقَتادةُ: ذُرِّيَّتُه: أولادُه، وهم يتوالَدُون كما يَتوالَدُ بَنُو آدمَ. قال مُجاهِدٌ: ذُرِّيَّتُه الشَّياطينُ، ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ زَلَنْبُور صاحبُ رايةِ إبليسَ بكلِّ سُوقٍ، وثَبْر، وهو صاحبُ المَصائبِ، والأعوَرُ صاحبُ الرِّياءِ، ومَسْوَطُ صاحبُ الأخبار يأتي بها فيطرَحُها على أفواهِ الناس، فلا يوجد لها أصلٌ، ودَاسم صاحبُ الإنسان إذا دخلَ بيتَهُ ولم يُسَلِّم ولم يذكرِ اسمَ الله، فهو يأكلُ معه إذا أكلَ. قال بعضُ أهلِ العلم: إذا كانت خطيئةُ الإنسان في كِبْرٍ فلا تَرْجُه، وإنْ كانت في شهوةٍ فارْجُهُ، فإنَّ معصيةَ إبليسَ كانت بالكِبْرِ، ومعصيةُ آدمَ بالشَّهوةِ.

قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بِئسَ الاتِّخاذ للظالمين بدلاً. **والثاني**: بِئسَ الشيطانُ. **والثالث**: بِئس الشيطانُ والذرِّيَّةُ، ذكرهنَّ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وشَيبَةُ: «ما أشهدناهم» بالنون والألف. وفي المُشارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: إبليسُ وذُرِّيَّته. **والثاني**: الملائكةُ. **والثالث**: جميعُ الكفَّارِ. **والرابع**: جميعُ الخَلْقِ؛ والمعنى: أني لم أُشَاوِرْهُم في خَلْقِهِنَّ؛ وفي هذا بيانٌ للغَناءِ عن الأعوانِ، وإظهارُ كمالِ القُدرةِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ما أشهدتُ بعضَهُم خَلْقَ بعضٍ، ولا استَعنتُ ببعضِهم على إيجادِ بعضٍ.

---

(١) عند الآية: ٣٤.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ يعني: الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أي: أنصاراً وأعواناً. والعَضُدُ يُستعمل كثيراً في معنى العَونِ، لأنه قِوامُ اليَدِ، قال الزَّجَّاجُ: والاعتِضادُ: التَّقوي وطلبُ المَعونَة، يُقال: اعتَضَدْتُ بفُلانٍ، أي: استعَنتُ به. وفي ما نَفَى اتِّخاذَهُم عَضُداً فيه قولان: **أحدهما**: أنه الوَلاياتُ، فالمعنى: ما كنتُ لاوِلِي المُضلِّين، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه خَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ، قاله مُقاتِلٌ. وقرأ الحَسنُ، والجَحدريُّ، وأبو جعفرَ: «وما كنتَ» بفتح التاء.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ وقرأ حمزةُ: «نقول» بالنون، يعني: يومَ القيامة ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ أضافَ الشُّركاءَ إليه على زَعمِهم، والمرادُ: نادُوهُم لدَفعِ العذاب عنكم، أو الشَّفاعةِ لكُم، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زَعمتُموهُم شركاءَ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: لم يُجيبُوهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون والشُّركاءُ. **والثاني**: أهلُ الهُدى وأهلُ الضَّلالَةِ. وفي معنى ﴿مَّوْبِقًا﴾ ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: مَهْلِكاً، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وقال ابنُ قُتيبةَ: مَهْلِكاً بينهم وبينَ آلهتِهم في جهنَّمَ، ومنه يُقالُ: أَوْبَقَته ذُنوبُه، أي أهلكته، وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلنا بينهم مِنَ العذاب ما يُوبِقُهم، أي: يُهْلِكهم، فالمَوْبِقُ: المَهْلِكُ، يقال: وَبَقَ، يَيْبَقُ ويابَقُ، وبَقاً، ووَبَقَ، يَبِقُ، وُبُوقاً، فهو وَابِقٌ؛ وقال الفرَّاءُ: جعلنا تواصُلَهُم في الدنيا مَوْبِقاً، أي: مَهْلِكاً لهم في الآخرة، فالبَيْنُ، على هذا القولِ؛ بمعنى التَّواصُلِ، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[2] على قراءةِ مَنْ ضمَّ النونَ. **والثاني**: أنَّ المَوْبِقَ: وَادٍ عميقٌ يُفرَّقُ به بينَ أهلِ الضَّلالة وأهلِ الهُدى، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو. **والثالث**: أنه وَادٍ في جهنَّمَ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ؛ ومُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ معنى المَوْبِق: العَداوةُ، قاله الحَسنُ. **والخامس**: أنه المَحْبِسُ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والسادس**: أنه المَوْعِدُ، قاله أبو عُبيدةَ.

قال ابنُ الأنباري: إنْ قيلَ: لِمَ قال: «مَوْبِقاً» ولم يَقُلْ: «مُوبِقاً»، بضمِّ الميم، إذ كان معناه عذاباً مُوبِقاً؟ فالجواب: أنه اسمُ موضوعٍ لمَحْبِسٍ في النار، والأسماءُ لا تُؤخَذُ بالقياسِ، فيُعلَم أنَّ «مَوْبِقاً»: مَفْعِل، مِنْ أوبقَهُ اللَّهُ: إذا أهلَكَهُ، فتنفتحُ ميمُه كما تنفتحُ في مَوْعِد ومَوْلِد ومَحْتِد إذ سُمِّيت الشُّخوصُ بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ أي: عَايَنُوها وهي تتغيَّظُ حَنقاً عليهم. والمُرادُ بالمجرمين: الكفَّار. ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقنُوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: دَاخِلُوها. ومعنى المُواقَعةِ: مُلابَسةُ الشيءِ بشدَّةٍ ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي: مَعْدِلاً؛ والمَصْرِفُ: الموضعُ الذي يُصْرَفُ إليه، وذلك أنها أحاطَتْ بهم مِنْ كلِّ جانبٍ، فلم يقدروا على الهَرَبِ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٢٤٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول عن ابن عباس ومن وافقه في تأويل الموبق، أنه المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلاناً: إذا أهلكته.

(٢) سورة الأنعام: ٩٤.

أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ قد فسَّرناه في سُورة بَني إسرائيل[١].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان: **أحدهما**: أنه النَّضرُ بنُ الحَارثِ، وكان جِدالُه في القرآن، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، وكان جِدالُه في البَعثِ حين أتى بعظم قد رَمَّ، فقال: أيَقْدِرُ الله على إعادةِ هذا؟! قاله ابنُ السَّائبِ[٢]. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما يَعقِلُ مِنَ الملائكةِ والجِنِّ يُجَادل، والإنسانُ أكثرُ هذه الأشياء جَدلاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ قال المُفسِّرون: يعني: أهلَ مكَّةَ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو محمدٌ ﷺ، والقرآنُ، والإسلامُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهو أنهم إذا لم يُؤمِنوا عُذِّبوا. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما مَنعَهُم مِنَ الإيمان إلاَّ طَلبُ أن تأتيَهُم سُنَّةُ الأوَّلين، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: وما منعَ الشيطانُ الناسَ أنْ يُؤمنوا إلاَّ لأنْ تأتيَهُم سُنَّةُ الأوَّلين، أي: مَنعَهُم رُشْدَهُم لكي يقعَ العذابُ بهم، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: ما مَنعَهُم إلاَّ أنِّي قد قدَّرتُ عليهم العذابَ. وهذه الآيةُ فيمَنْ قُتِلَ ببَدرٍ وأُحُدٍ مِنَ المشركين، قاله الواحِديُّ[٣].

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ ذكر ابنُ الأنباري في ﴿أَوْ﴾ ها هنا ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى الواو. **والثاني**: أنها لوقوعِ أحدِ الشيئين، إذ لا فائدةَ في بيانِه. **والثالث**: أنها دخلت للتَّبعيضِ، أي: أنَّ بعضَهم يقعُ به هذا وبعضَهم يقعُ به هذا وهذه الأقوالُ الثلاثةُ قد أسلَفْنا بيانَها في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قِبَلاً» بكسرِ القاف وفتح الباء. وقرأ عَاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «قُبُلاً» بضمِّ القافِ والباء. وقد بيَّنّا عِلَّةَ القِراءَتين في سُورةِ الأنعام[٤]. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وابنُ مَسْعودٍ. «قَبيلاً» بوزن فَعِيل. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو المُتوكِّل «قَبَلاً» بفتح القاف مِنْ غير ياءٍ، قال ابنُ قُتَيبةَ: أراد استِئنافاً. فإنْ قيلَ: إذا كان المراد بسُنَّةِ الأوَّلين العذابُ، فما فائدةُ التَّكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؟

فالجواب: أنَّ سُنَّةَ الأوَّلين أفادَتْ عذاباً مُبهَماً يمكن أنْ يَتراخى وَقتُه، وتَخلُّفُ أنواعِه، وإتيانُ العذابِ قِبَلاً أفادَ القتلَ يومَ بدرٍ. قال مُقاتِلٌ: «سُنَّة الأوَّلين»: عذابُ الأُمَمِ السَّالِفَةِ، «أو يأتيَهم العذاب قِبَلاً»، أي: عِيَاناً قتلاً بالسيف يومَ بَدرٍ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ

(١) سورة الإسراء: ٤١.
(٢) باطل. عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وتقدم أنه يضع الحديث، فخبره باطل، لا شيء، ويأتي شيء من هذا في أواخر سورة يس.
(٣) في «الوسيط» ٣/ ١٥٤.

﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: المُستهزئينَ والمُقتسِمين وأتباعَهُم. وجِدالُهم بالباطِل: أنهم ألزموهُ أن يأتيَ بالآياتِ على أهوائِهم ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ أي: ليُبْطلوا ما جاء به محمَّدٌ ﷺ وقيل: جِدالُهم: قولُهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾[1]؛ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]، ونحو ذلك لِيُبطِلوا به ما جاء في القرآن مِنْ ذِكْرِ البعثِ والجزاءِ. قال أبو عُبيدَة: ومعنى «لِيُدْحِضوا»: لِيُزيلوا ويُذهِبوا، يقال: مكانٌ دَحْضٌ، أي: مُزِلٌّ لا يَثْبُتُ فيه قَدَمٌ ولا حافِرٌ. قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾ يعني القرآن. ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ أي: خُوِّفوا به مِنَ النار والقيامة ﴿هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً به.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمةَ في البقرة[3] و﴿ذُكِّرَ﴾ بمعنى: وُعِظَ. وآياتُ ربِّه: القرآنُ، وإعراضُه عنها: تهاونُه بها. ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ما سَلَفَ مِنْ ذنوبِه؛ وقد شرحنا ما بعدَ هذا في الأنعام[4] إلى قوله: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ وهو: الإيمانُ والقرآنُ ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾ هذا إخبارٌ عن عِلْمِه فيهم. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يُعاجِلْهُم بالعقوبة. ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ للبَعثِ والجَزاءِ ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ قال الفرَّاءُ: المَوئِلُ: المَنْجَى، وهو المَلجأ في المعنى، لأنَّ المَنْجَى ملجَأ، والعربُ تقول: إنه لَيُوائِلُ إلى موضِعه، أي: يذهبُ إلى موضِعه، قال الشاعر:

لاوَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَها ... لِلْعَامِرِيِّينَ، وَلَمْ تُكْلَمِ

يريد: لا نَجَتْ نفسُكَ، وأنشد أبو عُبيدةَ للأعشى:

وَقَدْ أُخالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ ... وَقَدْ يُحاذِرُ مِنِّي ثَمَّ مَايَئِلُ

أي: ما يَنجُو. وقال ابنُ قُتيبةَ: المَوئِلُ: المَلجأُ. يقال: وَأَلَ فُلانٌ إلى كذا: إذا لَجأَ.

فإنْ قيلَ: ظاهرُ هذه الآيةِ يقتضي أنَّ تأخيرَ العذاب عن الكفَّارِ برحمةِ الله، ومعلومٌ أنَّه لا نصيبَ لهم في رَحْمَتِه[5]. فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الرَّحمةَ ها هنا بمعنى النِّعمة، ونِعمةُ الله لا يخلُو منها مؤمنٌ ولا كافرٌ. فأمَّا الرَّحمةُ التي هي الغُفرَانُ والرِّضى، فليس للكافرِ فيها نَصيبٌ. **والثاني**: أنَّ رحمةَ الله مَحظُورةٌ على الكفار يومَ القيامة، فأمَّا في الدنيا، فإنهم يَنالُونَ منها العافيةَ والرِّزقَ.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريد: التي قَصَصْنا عليكَ ذِكْرَها، والمراد: أهلُها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ والمراد: قومُ هُودٍ، وصالحٍ، ولُوطٍ، وشُعَيبٍ. قال الفرَّاءُ: وقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ معناه: بعدَمَا ظَلَمُوا. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ الميم وفتحِ اللام؛ قال الزَّجَّاجُ: وفيه

---

(١) سورة الأنعام: ١١١. (٢) سورة الإسراء: ٤٩. (٣) سورة السجدة: ١٠.

(٤) سورة البقرة: ١١٤. (٥) سورة الأنعام: ٢١.

(٦) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١١٧: وقوله تعالى: **﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾** أي ربّك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة والآيات في هذا كثيرة، ثم أخبر أنه يحلم ويستر ويغفر وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد، وتضع كل ذات حمل حملها. ولهذا قال: **﴿بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا﴾**.

وَجْهَان: **أحدهما**: أن يكونَ مصدراً، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكِهم. **والثاني**: أن يكونَ وقتاً، فالمعنى: لوَقْتِ هَلاكِهم. وقرأ أبو بكرٍ عن عَاصِم بفتحِ الميم واللام، وهو مصدرٌ مثل الهَلاكِ. وقرأ حَفصٌ عن عَاصِم بفتحِ الميم وكسرِ اللام، ومعناه: لوَقْتِ إهلاكِهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾... الآية.

[٩٣٥] سببُ خُروجِ موسى عليه السلام في هذا السَّفرِ، ما روى ابنُ عباسٍ عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ موسى قامَ خطيباً في بَني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أيُّ الناس أعلَمُ؟ فقال: أنا، فعَتِبَ اللَّهُ تعالى عليه إذ لم يَرُدَّ العِلْمَ إليه، فأوحَى اللَّهُ إليه أنَّ لي عبداً بمَجْمَعِ البحرَينِ هو أعلَمُ منكَ؛ قال موسى: يا ربِّ فكيفَ لي به؟ قال: تأخذُ معكَ حُوتاً فتجعله في مِكْتَلٍ، فحيثُما فَقدْتَ الحُوتَ فهو ثَمَّ. فانطَلَقَ معه فَتاهُ يُوشَعُ بنُ نُونٍ، حتى إذا أتَيَا الصَّخرةَ، وَضَعا رُؤوسَهُما فنامَا، واضطَرَبَ أي الحُوتُ في المِكْتَلِ فخرج منه فسَقطَ في البحرِ، فاتَّخذ سبيلَهُ في البحر سَرَباً، وأمسكَ اللَّهُ عن الحوتِ جِرْيَةَ الماء، فصارَ عليه مِثلُ الطَّاقِ[1]. فلما استيقظَ نَسيَ صاحبُه أن يُخبرَهُ بالحوتِ، فانطلقا بقيَّةَ يومِهما وليلَتِهما، حتى إذا كان مِنَ الغدِ قال موسى لِفَتَاهُ: آتِنَا غداءَنا لقد لَقِينَا مِنْ سفرنا هذا نَصَباً، قال: ولم يَجِدْ موسى النَّصَبَ حتى جاوزَ المكانَ الذي أمرَهُ اللَّهُ به، فقال فتاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿عَجَبًا﴾، قال: فكان للحُوتِ سَرَباً، ولموسى ولِفتاهُ عَجَباً، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قال: رَجعا يَقُصَّانِ آثارَهُما حتى انتَهَيا إلى الصَّخرةِ، فإذا هو مُسَجًّى بثوبٍ، فسَلَّمَ عليه موسى، فقال الخَضِرُ: وأنَّى بأرضِكَ السَّلامُ! مَنْ أنتَ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيلَ؟ قال: نعم أتيتُكَ لِتُعلِّمَني ممَّا عُلِّمَت رُشْداً، قال: إنكَ لن تستطيعَ معيَ صبراً يا موسى، إني على عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله لا تَعلَمُه عَلَّمنيه، وأنتَ على عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ الله علَّمَكَهُ لا أعلَمُه؛ فقال موسى: ستَجِدُني إنْ شاءَ اللَّهُ صابراً

---

[٩٣٥] صحيح. أخرجه البخاري ١٢٢ و ٣٢٧٨ و ٣٤٠١ و ٤٧٢٧ و ٦٦٧٢ ومسلم ٢٣٨٠ وأبو داود ٤٧٠٧ والترمذي ٣١٤٩ والحميدي ٣٧١ وأحمد ٥/١١٧ و ١١٨ وابن حبان ٦٢٢٠ والطبري ٢٣٢٠٨ من طريق عن سفيان به. مطوّلاً ومختصراً. وأخرجه البخاري ٤٧٢٥ عن الحميدي به. وأخرجه البخاري ٤٧٢٦ وأحمد ٥/ ١١٩ و ١٢٠ من طريق ابن جريج عن يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار به. وأخرجه البخاري ٧٤ و ٧٨ و ٣٤٠٠ ومسلم ٢٣٨٠ ح ١٧٤ وأحمد ٥/ ١١٦ وابن حبان ١٠٢ والطبري ٢٣٢١٣ و ٢٣٢١٤ من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس مختصراً.

---

(١) في «اللسان»: الطاق: عقد البناء حيث كان.

ولا أعصي لكَ أمراً؛ فقال له الخَضِرُ: فإنْ اتَّبعتَنِي فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحْدِثَ لكَ منهُ ذِكْراً؛ فانطلقَا يمشيان على السَّاحلِ، فمرَّتْ سفينةٌ فكلَّمُوهُم أن يَحمِلُوهم، فعَرفُوا الخَضِرَ فحملوه بغيرِ نَوْلٍ[1]؛ فلمَّا رَكِبا في السفينةِ لم يَفجأْ إلاَّ والخَضِرُ قد قلعَ لَوحاً مِنْ ألواحِ السفينة بالقَدوم، فقال له موسى: قومٌ قد حَمَلُونا بغيرِ نَوْلٍ عَمدتَ إلى سفينَتِهم فخرقتَها لتُغرِقَ أهلَها. . . . إلى قوله: ﴿عُسْرًا﴾؟! قال: وقال رسولُ الله ﷺ: «كانت الأُولَى مِنْ موسى نِسياناً» قال: وجاء عُصفورٌ فوقعَ على حرفِ السَّفينة، فنَقَرَ في البحر نَقْرَةً، فقال له الخَضِرُ: ما عِلْمِي وعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ إلاَّ مثلَ ما نَقصَ هذا العصفورُ مِنْ هذا البحرِ، ثم خرجا مِنَ السَّفينة، فبينما هما يمشيان على الساحلِ، إذ أبصرَ الخَضِرُ غلاماً يلعبُ مع الغِلمَانِ، فأخذ الخَضِرُ رأسَهُ بيده فاقتلَعَهُ فقتلَهُ، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ إلى قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ فقال الخَضِرُ بيده[2] هكذا، فأقامَهُ، فقال موسى: قومٌ أتيناهم فلم يُطعِمُونا، ولم يُضيِّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾! ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الآية». هذا حديثٌ صحيحٌ أخرجه البخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين»، وقد ذكرنا إسنادَهُ في كتابِ «الحدائق» فآثَرْنَا الاختصارَ ها هنا.

فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: واذكُرْ ذلك. وفي موسى قولان: **أحدهما**: أنه موسى بنُ عِمرَانَ، قاله الأكثرون. ويدلُّ عليه. ما رُوي في «الصحيحين» مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال:

[٩٣٦] قلتُ لابنِ عباسٍ: إنَّ نَوْفاً البِكَاليَّ يزعم أنَّ موسى بَني إسرائيلَ ليس هو موسى صاحب الخَضِرِ، قال: كذبَ عدوُّ الله، أخبرَني أُبيُّ بنُ كَعبٍ. فذكرَ الحديثَ الذي قدَّمناهُ آنِفاً.

والثاني: أنه موسى بنُ ميشا، قاله ابنُ إسحاقَ، وليس بشيءٍ، للحديثِ الصحيحِ الذي ذكرنَاهُ فأما فتاهُ فهو يُوشَعُ بنُ نُونٍ من غيرِ خلافٍ. وإنما سُمِّيَ فتاهُ، لأنه كان يُلازمه، ويأخذُ عنه العِلْمَ، ويَخدِمُه.

ومعنى ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزالُ. وليس المراد به: لا أزُولُ، لأنه إذا لم يَزُلْ لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولكَ: ما بَرحتُ أناظِرُ عبدَ الله أي: ما زِلتُ، قال الشاعر:

إذا أنتَ لم تَبْرَحْ تُؤدِّي أمانَةً وتحمِلُ أُخرَى أفرَحتْكَ الوَدائِعُ[3]

أي: أثقلَتْكَ، والمعنى: لا أزالُ أسيرُ حتى أبلُغَ مجمَعَ البَحرَينِ، أي: مُلتقاهُما، وهو المَوضعُ الذي وعده اللَّهُ بلقاءِ الخَضِرِ فيه، قال قَتادَةُ: بحرُ فارسَ، وبحرُ الرُّوم، فبَحرُ الرُّوم نحو المَغربِ، وبحرُ فارسَ نحو المَشرِقِ. وفي اسم البلدِ الذي بمَجمَعِ البَحرَينِ قولانَ: **أحدهما**: أنه إفريقيَّةُ، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ. **والثاني**: طَنجَةُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبِ القُرَظيِّ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وأبو مِجلَز، وقَتادَةُ، والجَحدريُّ،

---

[٩٣٦] هو المتقدم برقم ٩٣٥.

---

(١) النّوال: العطاء، ويقال: نالني الخير ينولني نولاً ونوالاً، ونيلاً.
(٢) معنى فقال بيده أي: أشار.
(٣) البيت لبيهس العذري كما في «اللسان» ـ فرح ـ.

وابنُ يَعمُرَ: «حُقباً» بإسكانِ الكافِ. قال ابنُ قُتيبةَ: الحُقبُ: الدَّهرُ، والحِقَبُ: السِّنونُ، واحدَتُها حِقبةٌ، ويُقال: حُقْبٌ وحُقُبٌ كما يُقال: قَفْلٌ وقُفُلٌ، وهُزْوٌ وهُزُوٌ، وكُفْوٌ وكُفُوٌ، وأُكْلٌ وأُكُلٌ، وسُحْتٌ وسُحُتٌ، ورُعْبٌ ورُعُبٌ، ونُكْرٌ ونُكُرٌ، وأُذْنٌ وأُذُنٌ، وسُحْقٌ وسُحُقٌ، وبُعْدٌ وبُعُدٌ، وشُغْلٌ وشُغُلٌ، وثُلْثٌ وثُلُثٌ، وعُذْرٌ وعُذُرٌ، ونُذْرٌ ونُذُرٌ، وعُمْرٌ وعُمُرٌ. وللمفسِّرين في المُراد بالحُقُبِ ها هنا ثمانية أقوالٍ: **أحدها**: أنه الدَّهر، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ثمانون سنةً، قاله عبدُ الله بنُ عمرٍو وأبو هُريرةَ. **والثالث**: سبعون ألفَ سنةٍ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: سبعونَ سنةً، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: سبعةَ عشرَ ألفَ سنةٍ، قاله مُقاتِلُ بن حَيَّانَ. **والسادس**: أنه ثمانون سنةً، كلُّ يوم ألفُ سنةٍ مِن عددِ الدنيا. **والسابع**: أنه سنةٌ بلُغة قَيْسٍ، ذكرهما الفَرَّاءُ. **والثامن**: الحُقُبُ عند العرب وَقتٌ غيرُ محدودٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. ومعنى الكلام: لا أزالُ أسيرُ، ولو احتَجْتُ أن أسيرَ حُقُباً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاهُ ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ يعني: البَحرَينِ ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وكانا قد تَزوَّدا حوتاً مالِحاً في زَبِيلٍ[١] فكانا يُصيبان منه عندَ الغَداءِ والعَشاءِ، فلمَّا انتهيا إلى الصخرة على ساحلِ البحر وَضعَ فتاهُ المِكْتَلَ، فأصابَ الحوتَ بَلَلُ البحرِ. وقيل: توضَّأ يُوشَعُ من عينِ الحياة فانتَضَحَ على الحوتِ الماءُ، فعاشَ، فتحرَّكَ في المِكْتَلِ، فانسرَبَ في البحرِ، وقد كان قيلَ لموسى: تزوَّدْ حُوتاً مالِحاً، فإذا فقدْتَهُ وجدتَ الرجلَ. وكان موسى حينَ ذهبَ الحُوتُ في البحر قد مضى لحاجةٍ فعزَمَ فتاهُ أن يُخبرَهُ بما جرى فنَسِيَ. وإنما قيلَ: «نسيا حوتهما» توسُّعاً في الكلام، لأنهما جميعاً تزوَّدَاهُ، كما يُقال: نسِيَ القومُ زادَهُم، وإنما نسيَهُ أحدُهم. قال الفَرَّاءُ: ومثله قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٢] وإنما يخرجُ ذلك مِنَ المالح، لا مِنَ العَذْبِ. وقيلَ: نسِيَ يُوشَعُ أن يحملَ الحُوتَ، ونسِيَ موسى أن يأمُرَهُ فيه بشيءٍ، فلذلك أُضيفَ النسيانُ، إليهما.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مَسلَكاً ومَذهَباً. قال ابنُ عباسٍ: جعلَ الحوتَ لا يَمَسُّ شيئاً مِنَ البحر إلاَّ يَبِسَ حتى يكون صخرةً. وقال قَتادَةُ: جعلَ لا يَسلُكُ طَريقاً إلاَّ صار الماءُ جامداً. وقد ذكرنا في حديثِ أُبيِّ بنِ كَعبٍ أنَّ الماءَ صار مثلَ الطَّاقِ على الحُوتِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكانَ الذي ذهب فيه الحوتُ، أصابهما ما يُصيب المسافرَ من النَّصَبِ، فدَعَا موسى بالطعام، فقال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ وهو الطعامُ الذي يُؤكَلُ بالغَداةِ. والنَّصَبُ: الإعياءُ. وهذا يدلُّ على إباحَةِ إظهارِ مثلِ هذا القولِ عندما يلحَقُ الإنسان مِنَ الأذى والتَّعب، ولا يكون ذلك شَكوَى. ﴿قَالَ﴾ يُوشَعُ لموسى ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نَسيتُ أن أخبرَكَ خبرَ الحوتِ. **والثاني**: نسيتُ حَمْلَ الحوتِ. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ قرأ الكِسَائيُّ: «أنسانيه» بإمَالَةِ السين مع كسرِ الهاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «أنسانيهي» بإثباتِ ياءٍ في الوَصْلِ بعد الهاء وروى حَفصٌ عن عَاصِمٍ: «أنسانيهُ إلا» بضمِّ الهاء في الوصل.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاءُ في السَّبيلِ ترجعُ إلى الحُوتِ. وفي المُتَّخِذِ قولان: **أحدهما**: أنه الحُوتُ، ثم في المُخبِرِ عنه قولان: **أحدهما**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، ثم في معنى

---

(١) في «اللسان» الزبيل: الوعاء يحمل فيه.

(٢) سورة الرحمن: ٢٢.

الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فاتَّخذَ سبيله في البحرِ يُرِي عَجَباً، ويُحدِثُ عَجَباً. **والثاني**: أنه لمَّا قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾، قال: اِعجَبُوا لذلكَ عَجَباً، وتنبَّهوا لهذه الآيةِ. **والثالث**: أنَّ إخبارَ الله تعالى انقطَعَ عند قوله: «في البحر» فقال موسى: عَجَباً، لِمَا شُوهِدَ مِنَ الحوتِ. ذكر هذه الأقوالَ ابنُ الأنبَاري. **والثاني**: أنَّ المُخْبِرَ عن الحوتِ يُوشَعُ، وَصفَ لموسى ما فعلَ الحُوتُ. **والقول الثاني**: أنَّ المُتَّخِذَ موسى، اتَّخذَ سبيلَ الحوتِ في البحر عَجَباً، فدخلَ في المكان الذي مَرَّ فيه الحوتُ، فرأى الخَضِرَ. وروى عطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ قال: رجعَ موسى إلى الصخرةِ فوجدَ الحوتَ، فجعل الحوتُ يضرِبُ في البحر، ويَتْبَعُه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرةٍ مِنْ جَزَائِرِ البحر، فَلَقِيَ الخَضِرَ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: ذلك الذي نطلبُ مِنَ العلامَةِ الدَّالَّةِ على مَطلُوبِنا. قرأ ابنُ كَثيرٍ؛ «نبغي» بياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ، بياءٍ في الوَقْفِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحَمزَةُ، بحذفِ الياء في الحالَين.

قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: رَجَعَا في الطريق الذي سَلكَاهُ، يَقُصَّان الأثَرَ. والقَصَصُ: اتِّبَاعُ الأثَرِ. قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ يعني: الخَضِرَ.

وفي اسمه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: اليَسَعُ، قاله وَهْبٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الخَضِرُ بنُ عاميا. **والثالث**: أرميا بنُ حلقيا، ذكرهما ابنُ المنَادِي. **والرابع**: يلياء بنُ ملكان، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابُوري. فأمَّا تسميتُه بالخَضِرِ، ففيه قولان:

[٩٣٧] **أحدهما**: أنه جلسَ في فَرْوَةٍ بيضاءَ فاخضَرَّتْ، رواه أبو هُرَيرَةَ عن رسولِ الله ﷺ. والفَرْوَةُ: الأرضُ اليابسةُ.

والثاني: أنه كان إذا جلسَ اخضَرَّ ما حولَهُ، قاله عِكرِمَةُ. وقال مُجاهِدٌ: كان إذا صلَّى اخضَرَّ ما حولَهُ. وهل كان الخَضِرُ نبيًّا، أَمْ لا؟ فيه قولان: ذكرهما أبو بكرِ بنُ الأنبَاري، وقال: كثيرٌ مِنَ الناس يذهبُ إلى أنه كان نبيًّا، وبعضُهم يقول: كان عبداً صالحاً. واختلفَ العلماءُ هل هو بَاقٍ إلى يومِنا هذا، على قولَين حكاهما المَاوَردِي، وكان الحسَنُ يذهبُ إلى أنه ماتَ، وكذلك كان ابنُ المنادي مِنْ أصحابنا يقول، ويُقبِّح قولَ مَنْ يرى بقاءَهُ، ويقول: لا يثبتُ حديثٌ في بقائِه. وروى أبو بكرٍ النَّقَّاشُ أنَّ محمَّدَ بنَ إسماعيلَ البُخاري سُئِلَ عن الخَضِرِ وإلياسِ: هل هُما في الأحياءِ؟ فقال: كيف يكون ذلك. وقد قال النبيُّ ﷺ:

[٩٣٨] «لا يبقى على رأسِ مائةِ سنةٍ ممَّنْ هو اليومَ على ظَهْرِ الأرضِ أحدٌ»؟!

قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ في هذه الرَّحمةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها النبوَّةُ، قاله

---

[٩٣٧] صحيح. أخرجه البخاري ٣٤٠٢ من طريق ابن المبارك عن معمر به. وأخرجه الترمذي ٣١٥١ وأحمد ٢/ ٣١٢ و ٣١٨ وابن حبان ٦٢٢٢ من طرق عن عبد الرزاق به، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمي الخضر أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء».

[٩٣٨] صحيح. أخرجه البخاري ١١٦ و ٥٦٤ و ٦٠١ ومسلم ٢٥٣٧ وأحمد ٢/ ٨٨ وأبو داود ٤٣٤٨ والترمذي ٢٢٥١ وابن حبان ٢٩٨٩ من حديث ابن عمر قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته، **فلما سلّم قام**: فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممّن هو على ظهر الأرض أحد».

مُقاتِلٌ. **والثاني**: الرِّقَّةُ والحُنُوُّ على مَنْ يستحِقُّهُ، ذكره ابنُ الأنبَاري. **والثالث**: النِّعمةُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أي: مِنْ عِندِنا ﴿عِلْمًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: أعطاه عِلْماً مِنْ عِلْمِ الغَيبِ.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «تعلمني مما» بإثباتِ الياء في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو بياءٍ في الوَصْلِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ بحذفِ الياءِ في الحالَين.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «رُشداً» بضمِّ الراء، وإسكان الشين خفيفةً. وقرأ أبو عَمرٍو: «رَشَداً» بفتحِ الراءِ والشينِ. وعن ابنِ عامرٍ بضمِّهما. والرُّشْدُ، والرَّشَدُ: لُغتانِ، كالبُخلِ والبَخَلِ، والعُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَب، والمعنى: أنْ تُعلِّمَني عِلْماً ذا رَشَدٍ. وهذه القصَّةُ قد حَرَّضتْ على الرِّحلةِ في طَلَبِ العلمِ، واتِّباعِ المفضولِ للفاضِلِ طَلَباً للفضلِ، وحثَّتْ على الأدب والتَّواضُعِ للمَصحُوب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: لن تصبرَ على صُنعي، لأني علمتُ مِنْ غيبِ عِلْمِ ربِّي. وفي هذا الصَّبرِ وَجْهانِ: **أحدهما**: عن الإنكارِ. **والثاني**: عن السُّؤالِ.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الخُبْرُ: عِلْمُكَ بالشيءِ؛ والمعنى: كيف تصبرُ على أمرٍ ظاهرُه مُنكَرٌ، وأنتَ لا تعلمُ باطنَهُ؟!

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ قال ابنُ الأنباري: نفيُ العِصيانِ مَنسُوقٌ على الصَّبرِ. والمعنى: ستَجدُني صابراً ولا أعصِي إنْ شاءَ اللَّهُ.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «فلا تسألْني» ساكنةَ اللام. وقرأ نافعٌ: «تسألَنِّي» مفتوحةَ اللام مُشدَّدةَ النونِ. وقرأ ابنُ عامرٍ في روايةِ الدَّاجوني: «فلا تسألَنِ عن شيءٍ» بتحريكِ اللامِ مِنْ غير ياءٍ، والنونَ مكسورةً. والمعنى: لا تسألني عن شيءٍ ممَّا أفعلُه ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكونَ أنا الذي أُبيِّنُه لكَ، لأنَّ عِلْمَهُ قد غابَ عنكَ.

قوله تعالى: ﴿خَرَقَهَا﴾ أي: شقَّها. قال المُفسِّرون: قلعَ منها لَوحاً، وقيل: لَوحَيْنِ مما يلي الماءَ، فحَشَاها موسى بثوبه وأنكرَ عليه ما فعلَ بقوله: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: لِتُغرِقَ بالتاء أهلَها بالنَّصب. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لِيَغْرَقَ» بالياء، أهلُها برفع اللام. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُنكراً، قاله مُجاهِدٌ. وقال الزَّجَّاجُ: عَظيماً مِنَ المُنكرِ. **والثاني**: عَجَباً، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبَةَ. **والثالث**: دَاهِيةً، قاله أبو عُبيدَةَ. قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ في هذا النِّسيانِ ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه على حقيقته، وأنه نَسِيَ.

[٩٣٩] روى ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ: «أنَّ الأُولَى كانت نِسياناً مِنْ موسى».

والثاني: أنه لم يَنْسَ، ولكنه مِنْ مَعَاريضِ الكلام، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ. **والثالث**: أنه بمعنى التَّركِ. فالمعنى: لا تُؤاخِذْني بما تَركتُه مما عاهَدتُك عليه، ذكره ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ قال الفَرَّاءُ: لا تُعجِلْني. وقال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ: لا تُغْشِني. قال أبو زيدٍ: يقال: أرهقتُه عُسراً: إذا كَلَّفتَهُ ذلك. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: عَامِلْني باليُسْرِ، لا بالعُسْرِ. قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني: موسى والخَضِرَ. قال المَاوَردِي: يحتمل أنَّ يُوشَعَ تأخَّرَ عنهما، لأنَّ الإخبارَ عن اثنين، ويحتمل أنْ يكونَ معهما ولم يُذكَرْ لأنه تَبَعٌ لموسى، فاقتصَرَ على حُكم المَتبُوعِ. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ اختلفوا في هذا الغُلامِ هل كان بالِغاً، أمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه لم يكن بالِغاً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والأكثرون. **والثاني**: أنه كان شابًا قد قَبَضَ على لِحيَتِه، حكاه المَاوَردِي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، واحتَجَّ بأنَّ غيرَ البالغِ لم يَجْرِ عليه قَلَمٌ، فلا يستَحِقُّ القَتْلَ. وقد يُسمَّى الرَّجلُ غُلاماً، قالت ليلَى الأخيَلِيَّةُ تمدحُ الحَجَّاجَ:

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ الذي بها(٢)

وفي صِفةِ قَتْلِه له ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اقتلَعَ رأسَهُ، وقد ذكرناه في حديث أُبَيٍّ. **والثاني**: كَسرَ عُنقَهُ، قاله ابنُ باسٍ. **والثالث**: أَضجَعَهُ وذَبَحهُ بالسِّكين، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قوله تعالى: «**أقتلت نفساً زاكية**» قرأ الكُوفيون، وابنُ عامرٍ: «زكيَّة» بغيرِ أَلِفٍ، والياءَ مُشدَّدةً. وقرأ الباقون بالألِفِ مِنْ غير تشديدٍ. قال الكِسَائيُّ: هُمَا لُغتان بمعنًى واحدٍ، وهما بمنزلة القاسِية، والقَسِيَّة. ولِلمُفسِّرين فيها ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها التَّائبةُ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: الزَّكيَّةُ: التَّائبةُ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها المُسلِمة، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنها الزَّكيَّةُ التي لم تبلُغ الخطايا، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنها الزَّكيَّةُ النَّامِيةُ، قاله قَتادَةُ. وقال ابنُ الأنباري: القويمة في تزكيتها. **والخامس**: أنَّ الزَّكيَّةَ: المُطَهَّرةُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والسادس**: أنَّ الزكيَّةَ: البريئة التي لم يظهر ما

---

[٩٣٩] هو بعض الحديث المتقدم برقم ٩٣٥.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢٥٨: والصواب من القول أن يقال: أن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله ﷺ.

(٢) هو صدر بيت وعجزه: غلام إذا هزّ القناة سقاها. كما في «الأغاني» ١١/ ٢٤٨ و «البحر المحيط» ٦/ ١٤١.

يُوجِبُ قَتْلَها، قاله الزَّجَّاجُ. وقد فَرَّق بعضُهم بين الزَّاكِيَة، والزَّكيَّة، فرُوي عن أبي عمرو بنِ العَلاءِ أنه قال: الزَّاكيَةُ: التي لم تُذنِبْ قطُّ، والزَّكيَّةُ: التي أذنَبَتْ ثم تابَتْ. ورُوي عن أبي عُبيدَةَ أنه قال: الزَّاكيَةُ في البَدَنِ، والزَّكيَّةُ في الدِّين.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قَتْلِ نَفْس ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: نكْراً خفيفةً في كلِّ القرآن، إلاَّ قولَه: ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[(١)] وخَفَّفَ ابنُ كثيرٍ أيضاً «إلى شيء نُكْر». وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «نُكُراً» و «إلى شيء نُكُر». مُثَقَّلٌ. والمُخَفَّفُ إنما هو مِنَ المُثَقَّلِ، كالعُنْق، والعُنُق، والنُّكْر، والنُّكُر. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لقد أتيتَ شيئاً نُكراً. ويجوز أن يكونَ معناه: جئتَ بشيءٍ نُكْرٍ، فلمَّا حذفَ الباء، أفضى الفعلُ فنصبَ نُكْراً، ونكراً أقلّ مُنكراً مِنْ قوله: «إمراً» لأنَّ تغريقَ مَنْ في السفينة كان عنده أنكرَ مِنْ قَتْلِ نَفْسٍ واحدةٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾. إنْ قيلَ: لم ذكر ﴿لَّكَ﴾ ها هنا، واختزله مِنَ المَوضعِ الذي قبله؟ فالجواب: أنَّ إثباتَهُ للتَّوكيد، واختزاله له لِوضُوحِ المعنى، وكلاهُما معروفٌ عند الفُصَحَاءِ. تقول العرب: قد قلتُ لكَ: اتَّقِ اللَّهَ. وقد قلتُ لكَ: يا فُلانُ اتَّقِ اللَّهَ، وأنشدَ ثَعلَبُ:

قَدْ كُنتُ حَذَّرْتُكَ آلَ المُصْطَلِقْ وقُلْتُ: يا هَذا أَطِعْنِي وانْطَلِقْ

فقوله: يا هذا، توكيدٌ لا يختَلُّ الكلامُ بسقوطِه. وسمعتُ الشيخَ أبا محمَّدٍ الخشَّابَ يقول: وَقَّرَه في الأول، فلم يُواجِهه بكافِ الخطاب، فلمَّا خالفَ في الثاني، واجَهَهُ بها.

قوله تعالى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ﴾ أي: سؤالَ توبيخٍ وإنكارٍ ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعدَ هذه المسألةِ ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ وقرأ كذلك معاذٌ القارئُ، وأبو نَهيكٍ، وأبو المُتَوكِّل، والأعرَجُ، إلا أنهم شدَّدوا النونَ. قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: إنْ طلبتُ صُحبتَكَ فلا تُتَابعني على ذلك. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «فلا تَصحبني» بفتح التاء مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِية، والأعمَشُ كذلك، إلا أنهم شدَّدوا النونَ. وقرأ أبو رَجاء، وأبو عُثمَانَ النَّهدِي، والنَّخعيُّ، والجَحدرِيُّ: «تُصْحِبْني» بضمِّ التاء، وكسرِ الحاء، وسكونِ الصاد والباء. قال الزَّجَّاجُ: فيهما وجهان: **أحدهما**: لا تُتابِعني في شيءٍ ألتَمِسُه منكَ. يقال: قد أصحَب المُهرُ: إذا انقادَ. **والثاني**: لا تَصحَبْني عِلْماً مِنْ عِلْمكَ. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: ﴿مِن لَّدُنِّي﴾ مُثقلٌ. وقرأ نافعٌ: «من لدُني» بضمِّ الدالِ مع تخفيفِ النون. وروى أبو بكرٍ عن عَاصِم: «من لَدْني» بفتح اللام مع تسكينِ الدال. وفي روايةٍ أخرى عن عَاصِم: «لُدْني» بضمِّ اللام وتسكينِ الدال. قال الزَّجَّاجُ: وأجودُها تشديدُ النون، لأنَّ أصل «لدن» الإسكانُ، فإذا أضفتَها إلى نفسكَ زِدتَ نوناً، ليسلَمَ سكونُ النون الأولى، تقول: مِنْ لَدُنْ زيدٍ، فتُسَكِّن النونَ ثم تُضيف إلى نفسك، فتقول: مِنْ لَدُنِّي، كما تقول: عن زيدٍ وعَنِّي. فأمَّا إسكانُ دالِ «لَدْني» فإنهم أسكنوها، كما تقول في عَضُد: عَضْد، فيَحذِفون الضمَّ. قال ابنُ عباسٍ: يريد: إنكَ قد أعذرتَ فيما بيني وبينكَ، يعني: أنكَ قد أخبرتَني أني لا أستطيعُ معكَ صَبراً.

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها أنطاكيَّةُ، قاله ابنُ

---

(١) سورة القمر: ٦.

عباسٍ. **والثاني**: **الأُبُلَّةُ**، قاله ابنُ سِيرينَ. **والثالث**: بَاجَرْوانُ، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾ أي: سَألاهم الضِّيافةَ ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ روى المُفضَّلُ عن عَاصِم: «يُضيفوهما» بضمِّ الياء الأولى وكسرِ الضاد وتخفيفِ الياء الثانيةِ. وقرأ أبو الجَوزَاءِ كذلك، إلاّ أنه فتحَ الياءَ الأولى وقرأ الباقون: «يضيِّفوهما» بفتحِ الضاد وتشديدِ الياء الثانيةِ وكسرِها. قال أبو عُبيدَةَ: ومعنى يُضيِّفوهما: يُنزِلُوهما منزلَ الأضيافِ، يُقال: ضِفتُ أنا، وأضافَني الذي يُنزِلُني. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: ضِفتُ الرجلَ: إذا نزلتَ عليه، وأَضفتُه: إذا أنزلتَهُ وقَرَيْتَهُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: ضَيَّفتُ الرجلَ: إذا أنزلتَه منزلةَ الأضيافِ، ومنه هذه الآيةُ، وأَضَفْتُه: أَنزلتُه، وضِفتُه: نزلتُ عليه.

[٩٤٠] وروى أُبيُّ بنُ كَعبٍ عن رسولِ الله ﷺ قال: «كانوا أهلَ قريةٍ لِئَاماً».

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حَائِطاً. قال ابنُ فارسٍ: وجمعه جُدُر، والجَدْر: أصلُ الحائطِ. ومنه حديثُ الزُّبير: «ثم دَعِ الماءَ يرجع إلى الجَدْرِ»(١)، والجَيْدَرُ: القصير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَجَاء: «ينقاض» بألفٍ ممدودةٍ، وضادٍ مُعجمةٍ، وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَاليةِ، وأبو عُثمانَ النَّهدِي: «ينقاص» بألفٍ ومَدَّةٍ وصادٍ غير مُعجمَةٍ، وكلُّه بلا تشديدٍ. قال الزَّجَّاجُ: فمعنى: يَنْقَضَّ: يسقطُ بسرعةٍ، ويَنقاصُ، غير مُعجمةٍ: ينشَقُّ طُولاً، يقال: انقَاصَتْ سِنُّه: إذا انشَقَّتْ. قال ابنُ مِقْسَمٍ: يقال انقاصَتْ سِنُّه، وانقَاضَتْ ـ بالصاد، والضاد ـ على معنًى واحدٍ.

فإنْ قيلَ: كيف نُسِبت الإرادةُ إلى ما لا يعقل؟

فالجوابُ: أنَّ هذا على وَجهِ المَجازِ تشبيهاً بمَنْ يعقلُ، ويريد: لأنَّ هيأته في التَّهيُّؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهرُ مِنْ أفعالِ المُريدِينَ القاصِدين، فوصِفَتْ بالإرادةِ إذ كانت الصُّورتان واحدةً، وقد أضافت العربُ الأفعالَ إلى ما لا يعقلُ تَجوُّزاً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى﴾(٢) والغضبُ لا يَسكتُ، وإنما يَسكتُ صاحبُه، وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾(٣). وأنشدوا من ذلك:

إنَّ دهراً يَلُفُّ شَمْلي بِجُمْلٍ ... لَزَمانٌ يَهُمُّ بالإحْسَانِ(٤)

وقال آخر:

ضحكوا والدَّهرُ عنهُمْ سَاكِتٌ ... ثم أبكاهم دَماً لمَّا نَطَقْ

وقال آخر:

يُريدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبي بَرَاءٍ ... وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقيلِ(٥)

---

[٩٤٠] صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٨٠ ح ١٧٢ وقد تقدم.

---

(١) أخرجه البخاري وغيره، وتقدَّم. (٢) سورة الأعراف: ١٥٤.
(٣) سورة محمد: ٢١.
(٤) البيت غير منسوب في «اللسان» ـ دهر ـ و «أمالي المرتضى» ٤/ ٥٥، وقد نسبه الآلوسي في «روح المعاني»: ١٦/٦ إلى حسان بن ثابت ولم يوجد في ديوانه.
(٥) البيت للراعي كما في «الكشاف» ٢/ ٦٨٩.

وقال آخر:

يشكو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرَى[1]

وهذا كثيرٌ في أشعارِهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ أي: سَوَّاهُ، لأنه وجدَهُ مائِلاً. وفي كيفيةِ ما فعلَ قولان: **أحدهما**: أنه دَفعَهُ بيده فقامَ. **والثاني**: هدمَهُ ثم قعدَ يبنيه، رُوي القولان عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «لَتَخِذتَ» بكسرِ الخاء، غيرَ أنَّ أبا عمرٍو كان يُدغِمُ الذَّالَ، وابنُ كَثيرٍ يُظهِرُها. وقرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لاتَّخذتَ» وكلُهم أدغموا، إلا حَفصاً عن عَاصِمٍ، فإنه لم يُدغِمْ مثل ابنِ كَثيرٍ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: تَخِذَ يَتْخَذُ في معنى: اتَّخذَ يَتَّخِذُ. وإنما قال له هٰذا، لأنهم لم يُضَيِّفوهما. قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني الخَضِرَ ﴿هَٰذَا﴾ يعني الإنكارَ عَلَيَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هو المُفَرِّقُ بيننا. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: هذا فِراقُ بَيْنِنا، أي: فِراقُ اتِّصالِنا، وكرَّرَ «بين» توكيداً، ومثلُه في الكلام: أخزَى اللَّهُ الكاذبَ مني ومنكَ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وابنُ السَّمَيْفع، وأبو العَالِيةِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «هذا فِراقٌ» بالتنوين «بيني وبينَك» بنصبِ النون. قال ابنُ عباسٍ: كان قولُ موسى في السفينة والغُلامِ، لرَبِّه، وكان قولُه في الجِدارِ، لنفسه لطلبِ شيءٍ مِنَ الدنيا.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ في المراد بمَسكَنَتِهم قولان: **أحدهما**: أنهم كانوا ضُعفاءَ في أكسَابِهم. **والثاني**: في أبدَانِهم. وقال كَعبٌ: كانت لعَشرةِ إخوَةٍ، خمسةٍ زَمْنَى، وخمسةٍ يعملون في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلَها ذاتَ عَيبٍ، يعني بخَرْقِها، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أمامَهُم، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ: «وكان أمامَهم مَلِك». **والثاني**: خَلفَهُم؛ قال الزَّجَّاجُ: وهو أجودُ الوَجْهَين. فيجوز أن يكون رُجوعُهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبَرِه، فأعلَمَ اللهُ تعالى الخَضِرَ خَبَرَه. قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كلَّ سفينةٍ صالحةٍ. وفي قراءةِ أُبيِّ بنِ كَعبٍ: «كلَّ سفينة صحيحة» قال الخَضِرُ: إنما خَرقتُها، لأنَّ المَلِكَ إذا رآها مُنخَرِقةً تركها ورَقَعها أهلُها فانتفعوا بها. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ﴾ رُوي عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً».

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: «صبراً جميلاً فكلانا مبتلى». وهو في «اللسان» ـ شكا ـ بلا نسبة لأحد.

[٩٤١] وروى أُبَيُّ بنُ كَعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الغلامَ الذي قتلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كافراً، ولو عاشَ لأرهقَ أبويه طُغياناً وكُفراً». قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان الغلامُ على الطريق لا يَمرُّ به أحدٌ إلاَّ قتلَهُ أو غَصَبهُ، فيدعو ذلك عليه وعلى أبوَيْهِ. وقال ابنُ السَّائبِ: كان الغلامُ لصّاً، فإذا جاء مَنْ يطلبه حَلَف أبواه أنه لم يفعل.

قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ﴾ في القائِل لهذا قولان: **أحدهما**: الله عزَّ وجلَّ. ثم في معنى الخَشيةِ المُضافةِ إليه قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى: العِلْم. قال الفرَّاءُ: معناه: فعَلِمْنا. **والثاني**: الكَراهَةُ، قاله الأخفشُ، والزَّجَّاجُ، وقال ابنُ عَقيلٍ: المعنى: فعَلنا فِعْلَ الخاشِي. **والثاني**: أنه الخَضِرُ، فتكون الخَشيَةُ بمعنى الخَوفِ للأمرِ المُتوهَّم، قاله ابنُ الأنبَاري. وقد استدلَّ بعضُهم على أنه مِنْ كلام الخَضِرِ بقوله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فأراد اللهُ، لأنَّ لفظَ الخبرِ عن الله تعالى هكذا أكثرُ مِنْ أنْ يُحصَى. ومعنى ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يحمِلُهما على الرَّهَقِ، وهو الجَهلُ. قال أبو عُبيدَةَ: «يُرْهِقَهُما»: يُغشِيهُما. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: خَشِينا أنْ يحملَهُما حُبُّه على أن يدخُلا في دِينه. وقال الزجَّاجُ: فَرِحا به حينَ وُلِدَ، وحَزِنَا عليه حينَ قُتِلَ، ولو بقي كان فيه هَلاكُهما، فرَضِيَ امرؤٌ بقضاءِ الله، فإنَّ قضاءَ الله للمؤمن فيما يكرَهُ، خيرٌ له مِنْ قضائِه فيما يحب. قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «أن يُبْدِلَهُما» بالتخفيف. وقرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ بالتشديد. قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: دِيناً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عَملاً، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: صَلاحاً، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «رُحْماً» ساكنةَ الحاء، وقرأ ابنُ عامرٍ: «رُحُماً» مُثقَّلةً. وعن أبي عمروٍ كالقراءَتين. وقرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ، وأبو رَجَاء: «رَحِماً» بفتحِ الراء، وكسرِ الحاء. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أوصَلُ للرَّحِم وأبَرُّ للوالدين، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ. وقال الزَّجَّاجُ: أقربُ عطفاً وأمسُّ بالقرابَةِ. ومعنى الرُّحْمِ والرُّحُمِ في اللغة: العَطفُ والرَّحمةُ، قال الشاعر:

وكيفَ بظُلمِ جَارِيَةٍ ... ومنها اللِّينُ والرُّحُمُ(١)

والثاني؛ أقربُ أن يُرحَما به، قاله الفَرَّاءُ، وفيما بُدِّلا به قولان: **أحدهما**: جارِيَةٌ، قاله الأكثرون. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: أبدَلَهُما به جاريَةً وَلَدَتْ سبعينَ نبيّاً. **والثاني**: غلامٌ مُسلمٌ، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: القريةَ المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال مُقاتِلٌ: واسمُهما: أصرمُ، وصَريمُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ(٢):

---

[٩٤١] صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٨٠ ح ١٧٢ عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر به مطوّلاً. وأخرجه أبو داود ٤٧٠٥، وأحمد ٥/ ١٢١، وابن حبان ٦٢٢١ من طرق عن معتمر به. وأخرجه أبو داود ٤٧٠٦ والترمذي ٣١٥٠ من طريقين عن أبي إسحاق به. وكلهم عن ابن عباس عن أبي بن كعب به.

---

(١) البيت في «اللسان» ـ رحم ـ و «تفسير القرطبي» بدون نسبة.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٢٦٩: وأولى التأولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله عكرمة، لأن المعروف =

[٩٤٢] **أحدها**: أنه كان ذهباً وفضَّةً، رواه أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ. وقال الحسنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ: كان مالاً. **والثاني**: أنه كان لَوحاً مِنْ ذهبٍ، فيه مكتوبٌ: عَجَباً لمَنْ أيقنَ بالقَدرِ ثم هو يَنْصَبُ، عَجَباً لمَنْ أيقنَ بالنارِ كيف يضحكُ، عَجَباً لمَنْ يُؤمنُ بالموتِ كيف يَفرحُ، عَجَباً لمَنْ يُوقِنُ بالرِّزقِ كيفَ يتعبُ، عَجَباً لمَنْ يُؤمنُ بالحسابِ كيف يَغفلُ، عَجَباً لمَنْ رأى الدنيا وتقلُّبَها بأهلِها كيف يطمَئِنُّ إليها، أنا اللهُ الذي لا إلهَ إلاّ أنا، محمَّدٌ عبدي ورسُولي؛ وفي الشِّقِّ الآخرِ: أنا اللهُ لا إلهَ إلاّ أنا وحدي لا شريكَ لي، خلقتُ الخيرَ والشَّرَّ، فطُوبَى لمَنْ خلقتُهُ للخيرِ وأجريْتُه على يديه، والوَيلُ لمَنْ خلقتُه للشرِّ وأجريْتُه على يديه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ الأنباري: فسُمّي كنزاً مِنْ جهة الذَّهب، وجُعل اسمُه هو المُغلَّبُ. **والثالث**: كَنزُ علمٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: صُحُفٌ فيها عِلْمٌ وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ. قالَ ابنُ الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحتَهُ مثلُ الكنزِ، لأنه يتعجَّل مِنْ نفعه أفضلَ مما يُنالُ من الأموال. قال الزَّجَّاجُ: والمعروف في اللغة: أنَّ الكنزَ إذا أُفرِدَ، فمعناه: المالُ المَدفونُ المُدَّخَر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كَنزُ علمٍ، وله كنزُ فَهْمٍ، والكنزُ هاهنا بالمال أشبَهُ، وجائزٌ أن يكونَ الكنزُ كان مالاً، مكتوبٌ فيه عِلمٌ، على ما رُوي، فهو مالٌ وعِلْمٌ عظيمٌ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: حُفظا بصلاحِ أبيهما، ولم يَذكُر منهما صَلاحاً. وقال جعفرُ بنُ محمَّدٍ: كان بينهما وبينَ ذلكَ الأبِ الصالحِ سبعةُ آباءٍ. وقال مُقاتِلٌ: كان أبوهما ذا أمانةٍ. قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ قال ابنُ الأنباري: لمَّا كان قولَه: «فأردتُ» «فأردنا» كلُّ واحدٍ منهما يصلُحُ أن يكونَ خبراً عن الله عزَّ وجلَّ، وعن الخَضِرِ، أتبَعهُما بما يَحصِرُ الإرادةَ عليه، ويُزيلُها عن غيره، ويكشِفُ البُغيةَ مِنَ اللفظتين الأُولَيين. وإنما قال: «فأردتُ» «فأردنا» «فأراد ربُّك»، لأنَّ العربَ تُؤثِرُ اختلافَ الكَلامِ على اتِّفاقِه مع تساوي المعاني، لأنه أعذبُ على الألسُنِ، وأحسنُ موقِعاً في الأسمَاعِ، فيقول الرجل: قَال لي فلانٌ كذا، وأنبأني بما كان، وخَبَّرني بما نالَ. فأمَّا «الأشُدُّ» فقد سبقَ ذِكرُه في مواضعِ[1]. ولو أنَّ الخَضِرَ لم يُقِم الحائطَ لنُقِضَ وأُخِذَ ذلك الكَنزُ قبل بُلوغِهما. قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: رَحِمَهما اللهُ بذلك. ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ قال قَتادَةُ: كان عبداً مأموراً. فأمَّا قوله: ﴿تَسْطِع﴾ فإنَّ «استطاع» و «اسطَاعَ» بمعنًى واحدٍ.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ

---

[٩٤٢] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ٣١٥٢ والحاكم ٢/ ٣٦٩ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٦٢ وابن عدي في «الكامل» ٧/ ٢٦٨ من حديث أبي الدرداء. وضعفه الحافظ في «تخريج الكشاف» ٢/ ٧٤٢ وفي إسناده يزيد بن يوسف الصنعاني، وهو متروك. قلت: وهذا الخبر وإن لم يصح عن النبي ﷺ، فمعناه صحيح وهو أن الكنز إنما هو مال أو ذهب أو فضة.

= من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم الكنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك.

(١) عند الآيات في الأنعام: ١٥٢ ويوسف: ٢٢ والإسراء: ٣٤.

شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[(١)]. واختلفوا في اسم ذي القَرْنَين على أربعةِ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: عبدُ الله، قاله عليٌّ رضي الله عنه، ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه عبدُ اللهِ بنُ الضَّحَّاكِ. **والثاني**: الاسكندَرُ، قاله وَهْبٌ. **والثالث**: عيَّاشُ، قاله محمَّدُ بنُ عليّ بنِ الحُسينِ. **والرابع**: الصَّعبُ بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة. وفي عِلَّة تسميته بذي القرنَيْنِ عشرةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه دعا قومَهُ إلى الله تعالى، فضربوه على قَرْنِه فهلكَ، فغَبَرَ زماناً، ثم بَعثَهُ الله، فدَعَاهُم إلى الله فضربوه على قَرْنِه الآخر فهلكَ، فذَانِكَ قرنَاهُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه. **والثاني**: أنه سُمِّيَ بذي القرنَيْنِ، لأنه سَارَ إلى مَغربِ الشمسِ وإلى مَطْلِعها، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لأنَّ صفحَتَي رأسِه كانتا مِنْ نُحاسٍ. **والرابع**: لأنه رأى في المنام كأنه امتَدَّ مِنَ السماء إلى الأرض وأخذَ بقَرْني الشمسِ، فقصَّ ذلك على قومه، فسُمِّي بذِي القَرنَيْنِ. **والخامس**: لأنه مَلَكَ الرُّومَ وفارسَ. **والسادس**: لأنه كان في رأسه شِبْهُ القَرنَيْنِ، رُويت هذه الأقوالُ الأربعةُ عن وَهبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والسابع**: لأنه كانت له غَديرَتانِ مِنْ شَعرٍ، قاله الحَسنُ. قال ابنُ الأنباري: والعرب تسمِّي الضَّفيرَتين مِنَ الشَّعرِ غَديرتَيْنِ، وجَمِيرَتَيْنِ، وقرنين؛ قال: ومَنْ قال: سُمِّي بذلك لأنه مَلَكَ فارسَ والرومَ، قال: لأنهما عَالِيانِ على جانبين مِنَ الأرض يُقال لهما: قَرنَان. **والثامن**: لأنه كان كريمَ الطَّرَفين مِنْ أهل بيتٍ ذَوِي شرفٍ. **والتاسع**: لأنه انقرَضَ في زمانه قرنَانِ مِنَ الناس، وهو حيٌّ. **والعاشر**: لأنه سَلكَ الظُّلمةَ والنُّورَ، ذكرَ هذه الأقوالَ الثلاثةَ أبو إسحَاقَ الثَّعلبيُّ.

واختلفوا هل كان نبيّاً، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه كان نبيّاً، قاله عبدُ الله بنُ عمروٍ، والضَّحَّاكُ بنُ مُزاحِم. **والثاني**: أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكُن نبيّاً، ولا مَلَكاً، قاله عليٌّ رضي الله تعالى عنه. وقال وَهْبٌ: كان مَلِكاً، ولم يُوحَ إليه.

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/١٢٨: ذكر الأزرقي وغيره أن الإسكندر الأول المذكور في القرآن هو الذي طاف بالبيت مع إبراهيم عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه. وكان معه الخضر عليه السلام. وقرّب إلى الله قرباناً وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من أخباره في كتاب «البداية والنهاية» بما فيه الكفاية ولله الحمد. وأما الإسكندر الثاني الذي كان من الروم بن فيليبس المقدوني اليوناني الذي تؤرخ به الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة. والحديث الذي روي عن النبي ﷺ لما سئل عن ذي القرنين: «أنه شاب من الروم، وأنه بنى الإسكندرية. . .» فيه طول ونكارة ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه من أخبار بني إسرائيل اهـ.
قلت: هذا الحديث ضعيف جداً، وهو مرسل، ولو صح هذا مرفوعاً لما اختلف الناس في سبب تسميته بذلك، والأشبه كونه من كلام بعض أئمة التفسير. وقد أخرجه الطبري ٢٣٢٧٥. وله ثلاث علل ضعف ابن لهيعة وشيخه عبد الرحمن بن غنم، وجهالة رواته، فهو شبه موضوع. وانظر «تفسير القرطبي» ٤١٩٢ و «تفسير الشوكاني» ١٥٢٤ بتخريجنا.

وفي زمان كونِه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مِنَ القُرونِ الأُوَلِ مِنْ وَلَدِ يافِثَ بنِ نُوح، قاله عليٌّ رضي الله تعالى عنه. **والثاني**: أنه كان بعد ثَمُودَ، قاله الحسَنُ. ويُقال: كان عُمره ألفاً وستمائة سنةٍ. **والثالث**: أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمَّدٍ صلى الله عليهما وسلَّمَ، قاله وَهْبٌ.

قوله تعالى: ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: خبراً يتضمَّنُ ذِكْرَهُ. ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سهَّلْنا عليه السَّيرَ فيها. قال عليٌّ رضي الله عنه: إنه أطاعَ اللهَ، فسَخَّر له السَّحابَ فحمَلَهُ عليه، ومَدَّ له في الأسبابِ، وبسَطَ له النُّورَ، فكان الليلُ والنهارُ عليه سواءً، وقال مُجاهِدٌ: مَلَكَ الأرضَ أربعةٌ: مؤمنان، وكافرن؛ سُليمانُ بنُ داودَ، وذُو القَرْنَيْنِ؛ والكافران: النُّمرُودُ، وبُخْت نَصَّرَ. قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: عِلْماً يتسبَّبُ به إلى ما يُريد. وقيل: هو العِلْمُ بالطُّرق والمَسالكِ. قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «فاتَّبع سبباً» «ثم اتَّبع سبباً» «ثم اتَّبع سبباً» مُشدَّداتِ التاء. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «فأتبع سبباً» «ثم أتبع سبباً» «ثم أتبع سبباً» مقطوعاتٍ. قال ابنُ الأنباري: مَنْ قرأ «فاتَّبع سبباً» فمعناه: قَفَا الأثرَ، ومَنْ قرأ «فأتبع» فمعناه: لَحِقَ؛ يقال: اتَّبَعَني فلانٌ، أي تَبِعَني، كما يقال: ألْحَقَني، بمعنى: لَحِقَني. وقال أبو عليٍّ: «أتبع» تقديره: أتبعَ سبباً سبباً، فأتبعَ ما هو عليه سَبباً، والسَّببُ: الطريقُ، والمعنى: تَبِعَ طريقاً يُؤدِّيَهُ إلى مَغْربِ الشمس. وكان إذا ظهرَ على قومٍ أخذَ منهم جيشاً فسَارَ بهم إلى غيرِهم.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمروٍ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «حمئة»، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «حامية»، وهي قراءةُ عَمروٍ، وعليٍّ، وابنِ مسعودٍ، وابنِ الزُّبير، ومُعاويَةَ، وأبي عبدِ الرَّحمنِ، والحَسنِ، وعِكرمَةَ، والنَّخعيِّ، وقَتادَةَ، وأبي جعفرَ، وشَيبَةَ، وابنِ مُحَيصِنٍ، والأعمَشِ، كلُّهم لم يَهمِزْ. قال الزَّجَّاج: فمَنْ قرأ: «حمئة» أراد في عَيْنٍ ذاتِ حَمْأةٍ. يُقال: حَمَأْتُ البئرَ: إذا أخرجتَ حَمْأتَها؛ وأحْمأْتُها: إذا ألقيتَ فيها الحَمْأَة. وحَمِئَتْ فهي حَمِئَةٌ: إذا صارت فيها الحَمْأَةُ. ومَنْ قرأ: «حامية» بغير همزٍ؛ أراد: حارَّةً. وقد تكون حارَّةً ذاتَ حَمْأةٍ. وروى قَتادَةُ عن الحَسنِ، قال: وجدها تَغْرُبُ في ماءٍ يغلي كغَلَيانِ القُدورِ ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ لِباسُهم جلودُ السِّباع، وليس لهم طعامٌ إلاَّ ما أحرقَتِ الشمسُ مِنَ الدَّوابِّ إذا غربَتْ نحوَها، وما لفظت العَينُ مِنَ الحيتان إذا وقعت فيها الشَّمسُ. وقال ابنُ السَّائبِ: وجد عندها قوماً مؤمنين وكافرين، يعني عند العَيْنِ. وربما توهَّم مُتوهِّمٌ أنَّ هذه الشمسَ على عِظَمِ قدْرِها تغوصُ بذاتِها في عينِ ماءٍ، وليس كذلك. فإنها أكبرُ مِنَ الدنيا مِراراً، فكيف يسعها عينُ ماءٍ، وقيل: إن الشمس بقدر الدنيا مائة وخمسين مرة، وقيل: بقدر الدنيا مائة وعشرين مرة، والقمر بقدر الدنيا ثمانين مرة وإنما وجدَها تغربُ في العَينِ كما يرى راكبُ البحر الذي لا يرى طَرَفَهُ أنَّ الشمسَ تغيبُ في الماء، وذلك لأنَّ ذا القَرْنَيْنِ انتهى إلى آخِرِ البُنيان فوجدَ عَيْناً حَمِئَةً ليس بعدَها أحدٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ فمَنْ قال: إنه نبيٌّ، قال: هذا القولُ وَحيٌ؛ ومَنْ قال: ليس بنبيٍّ، قال: هذا إلهامٌ. قوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ قال المُفسِّرون: إمَّا أنْ تقتُلَهُم إنْ أبَوْا ما تدعُوهم إليهم، وإمَّا أن تأسِرَهُم، فتُبصِّرُهم الرُّشدَ. ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: أشركَ ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل إذا لم يرجع عن الشِّركِ. وقال الحسَنُ: كان يَطبُخهم في القُدورِ، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ بعدَ العذابِ ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ بالنار.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرِ، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وابنُ عامرِ، وأبو بكرِ عن عَاصِم: «جزاءُ الحسنى» برفع مضاف. قال الفَرَّاءُ: «الحسنى»: الجنة، وأضيفَ الجزاءُ إليها، وهي الجزاءُ، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾[1] ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[2] ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[3] قال أبو عليّ الفارسيُّ: المعنى: فله جزاءُ الخِلالِ الحُسنى، لأنَّ الإيمان والعملَ الصالح خِلالٌ. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم، وخَلَفٌ، ويَعقوبُ: «جزاءً» بالنصبِ والتنوين؛ قال الزَّجَّاجُ: وهو مصدرٌ منصوبٌ على الحالِ، المعنَى: فله الحُسنى مَجزياً بها جزاءً. قال ابنُ الأنبَاري: وقد يكون الجزاءُ غيرَ الحُسنى إذا تأوَّلَ الجزاءُ بأنه الثواب؛ والحُسنى: الحَسنةُ المُكتَسبَةُ في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثوابُ ما قدَّم مِنَ الحسناتِ.

قوله تعالى: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً آخر يُوصِلُه إلى المَشرِق. قال قَتادَةُ: مَضى يفتحُ المدائنَ ويجمع الكنوزَ ويقتلُ الرجالَ إلاَّ مَنْ آمَنَ حتى أتى مَطلِعَ الشمس فأصاب قوماً في أسرابِ عُراةً، ليس لهم طعامٌ إلاَّ ما أحرقَتِ الشمسُ إذا طَلعَتْ، فإذا توسَّطَتِ السماءَ خرجوا مِنْ أسرابِهم في طلبِ معايشِهم ممَّا أحرقَتْهُ الشمسُ. وبَلغَنا أنهم كانوا في مكانٍ لا يَثبُتُ عليه بُنيانٌ، فيقال: إنهم الزَّنجُ. وقال الحَسنُ: إذا غَربتِ الشمسُ خرجوا يتراعَون كما يتراعى الوَحشُ. وقرأ الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو مِجلَز، وأبو رَجاء، وابنُ مُحَيصِن: «مَطْلَع الشمس» بفتح اللام. قال ابنُ الأنبَاري: ولا خلافَ بين أهل العربية في أنَّ المَطلِعَ، والمَطلَعَ كلاهما يُعنى بهما المَكانُ الذي تَطلُعُ منه الشمسُ. ويقولون: ما كان على فَعَلَ يَفعُل، فالمصدرُ واسمُ الموضع يأتيَانِ على المَفعَل، كقولهم: المَدخلُ، للدُّخول، والمَوضِع الذي يُدخَلُ منه، إلا أحدَ عشرَ حرفاً جاءت مكسورةً إذا أُريدَ بها المَواضعُ، وهي: المَطلِع، والمَسكِن، والمَنسِك، والمَشرِق، والمَغرِب، والمَسجِد، والمَنبِت، والمَجزِر، والمَفرِق، والمَسقِط، والمَهبِل، المَوضعُ الذي تضعُ فيه النَّاقةُ؛ وخمسةٌ مِنْ هؤلاءِ الأحدَ عشرَ حرفاً سُمِعَ فيهنَّ الكسرُ والفتحُ: المَطلِع، والمَطلَع. والمَنسِك، والمَنسَك. والمَجزِر، والمَجزَر. والمَسكِن، والمَسكَن. والمَنبِت، والمَنبَت؛ فقرأ الحَسنُ على الأصلِ مِنِ احتمال المَفعل الوَجهَين المَوصُوفَين، بفتح العين وكسرها وقراءةُ العامَّةِ على اختيار العرب وما كَثُرَ على ألسنتها، وخصَّتِ المَوْضِع بالكسرِ، وآثرَتِ المصدر بالفتح. قال أبو عَمرو: المطلِع، بالكسرِ: الموضع الذي تطلُع فيه؛ والمطلَع، بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابن الأنباري: هذا هو الأصل، ثم إن العرب تتسع فتجعل الاسمَ نائباً عن المصدر، فيقرؤون: ﴿حَتَّىٰ مَطْلِعِ ٱلْفَجْرِ﴾[4] بالكسر وهم يَعنُون الطُّلوعَ؛ ويقرأ مَنْ قرأ ﴿مَطْلَعَ ٱلشَّمْسِ﴾ بالفتح على أنه موضعٌ بمنزلة المدخل الذي هو اسمٌ للموضعِ الذي يُدخلُ منه.

---

(١) سورة الحاقة: ٥١.
(٢) سورة البينة: ٥.
(٣) سورة النحل: ٣٠.
(٤) سورة القدر: ٥.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: كما بلغَ مَغْرِبَ الشمسِ بلغَ مَطلِعَها. **والثاني**: أتبعَ سبباً كما أتبعَ سبباً. **والثالث**: كما وجد أولئك عند مَغْرِبِ الشمس وحَكَمَ فيهم، كذلك وجدَ هؤلاءِ عند مطلِعها وحَكَمَ فيهم. **والرابع**: أنَّ المعنى: كذلك أمْرُهم كما قَصَصْنا عليكَ؛ ثم استأنفَ فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عنده ومعه مِنَ الجيوش والعُددِ. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقي: «بما لديه» أي: بما عندَ مَطْلِعِ الشمس. وقد سبق معنى الخُبْرِ(١).

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً ثالثاً بين المَشْرِق والمَغْرِب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: هما جبلان مُنيفَانِ في السماء، مِنْ ورائِهما البحرُ، ومِنْ أمامِهما البلدان، وهما بمُنقطعِ أرضِ التُركِ مما يلي بلادَ أرمينيَّةَ. وروى عَطاءُ الخُراسَانيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: الجَبلانِ مِنْ قِبَلِ أرمينيَّةَ وأذرَبِيجَانَ. واختلف القُرَّاءُ في «السدّين» فقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عَمرٍو وحَفصٌ عن عَاصِمٍ بفتح السين. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ بضمِّها. وهل المعنى واحدٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه واحدٌ. قال ابنُ الأعرَابي: كلُّ ما قابَلكَ فسَدَّ ما وراءَهُ، فهو سَدٌّ، وسُدٌّ، نحو: الضَّعف والضُّعف، والفَقر والفُقر. قال الكِسَائيُّ، وثَعلَبُ: السَّدُّ والسُّدُّ لُغتان بمعنًى واحِدٍ، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ. **والثاني**: أنهما يختلفان.

وفي الفرق بينهما قولان: **أحدهما**: أنَّ ما هو مِنْ فعلِ الله تعالى فهو مضمومٌ، وما هو مِنْ فعل الآدَمِيينَ فهو مفتوحٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، وأبو عُبيدَةَ. قال الفَرَّاءُ: وعلى هذا رأيتُ المشيخَة وأهلَ العِلمِ مِنَ النحويين. **والثاني**: أنَّ السَّدَّ، بفتحِ السين: الحَاجِزُ بين الشيئين، والسُدُّ، بضمِّها: الغِشَاوةُ في العَيْنِ، قاله أبو عمرو بنِ العَلاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ يعني: أمامَ السَّدِّ ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يَفْقَهُون» بفتحِ الياء، أي: لا يكادون يفهمونه. قال ابنُ الأنباري: كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾(٢) قال المُفسِّرون: وإنْ كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غيرَ لُغتِهم. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يُفْقِهُون» بضمِّ الياء، أراد: يُفْهِمُون غيرَهم. وقيلَ: كَلَّم ذا القَرْنَيْنِ عنهم مُترجِمُون تَرجَمُوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما: اسمانِ أعجميَّانِ، وقد هَمزَهُما عَاصِمٌ. قال اللَّيثُ: الهَمزُ لغةٌ رديئةٌ. قال ابنُ عباسٍ: يأجُوجُ رجلٌ، وهما ابنا يافِثَ بنِ نُوحٍ عليه السلامُ، فيَاجُوجُ ومَاجُوجُ عشرةُ

---

(١) سورة الكهف: ٦٨. (٢) سورة البقرة: ٧١.

أجزاءٍ، ووَلَدُ آدمَ كلُّهم جُزءٌ، وهم شِبْرٌ وشِبْرَان وثلاثةُ أشبارٍ. وقال عليٌّ رضي الله عنه: منهم مَنْ طوله شِبْرٌ، ومنهم مَنْ هو مُفرِطٌ في الطُّولِ، ولهم مِنَ الشَّعْرِ ما يُواريهم مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ. وقال الضَّحَّاكُ: هم جيلٌ مِنَ التُّركِ. وقال السُّدِّيُّ: التُّركُ سَرِيَّةٌ مِنْ ياجُوجَ ومَاجُوجَ خرجت تُغِيرُ، فجاء ذُو القَرنَيْنِ فضربَ السَّدَّ، فبقيت خارجَهُ.

[٩٤٣] وروى شَقِيقٌ عن حُذَيفةَ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ياجُوجَ وماجُوجَ، فقال: «يَاجُوجُ أُمَّةٌ، ومَاجُوجُ أُمَّةٌ، كلّ أُمَّةٍ أربعمائةُ ألف أُمَّةٍ، لا يموت الرجُلُ منهم حتى ينظرَ إلى ألفِ ذَكر بين يديه مِنْ صُلْبِه كُلٌّ قد حملَ السلاحَ» قلتُ: يا رسولَ الله، صِفْهُم لنا، قال: «هم ثلاثةُ أصنافٍ، صِنفٌ منهم أمثالُ الأَرْزِ»؛ قلتُ: يا رسولَ الله: وما الأَرزُ؟ قال: «شجرٌ بالشَّامِ، طولُ الشَّجرةِ عِشرونَ ومائةُ ذراعٍ في السماء؛ وصِنفٌ منهم عَرضُه وطولُه سواءٌ، عشرونَ ومائةُ ذراعٍ، وهؤلاءِ الذين لا يقوم لهم جبلٌ ولا حديدٌ، وصِنفٌ منهم يفترِشُ أحدُهم أُذُنَهُ، ويلتَحِفُ بالأخرى ولا يَمُرُّون بفِيْلٍ ولا وَحشٍ ولا جَمَلٍ ولا خِنزيرٍ إلاّ أكلُوه، ومَنْ مات منهم أكلوه، مُقدِّمَتُهم بالشَّامِ، وسَاقَتُهم بخُرَاسَانَ، يشربون أنهارَ المَشرقِ وبُحيرةَ طَبَرِيَّةَ».

قوله تعالى: ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في هذا الفسادِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يفعلون فِعْلَ قوم لُوطٍ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثاني**: أنهم كانوا يأكلون الناسَ، قاله سعيدُ بنُ عبدِ العزيز. **والثالث**: يُخرِجون إلى الأرضِ الذين شَكَوْا منهم أيامَ الرَّبيعِ، فلا يَدَعون شيئاً أخضرَ إلاّ أكلُوه، ولا يابساً إلاّ احتملُوه إلى أرضِهم، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: كانوا يقتلون الناسَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ: «خَرجاً» بغيرِ ألِفٍ. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ: «خراجاً» بألِفٍ. وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما لُغتانِ بمعنًى واحدٍ، قاله أبو عُبيدَةَ، واللَّيْثُ. **والثاني**: أنَّ الخَرْجَ: ما تبرَّعتَ به، والخَرَاجَ: ما لَزِمكَ أداؤه، قاله أبو عَمرِو بنُ العَلاءِ. قال المُفسِّرون: المعنى: هل نُخرِجُ إليكَ مِنَ أموالنا شيئاً كالجُعلِ لكَ؟

قوله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «مكَّنَني» بنونين، وكذلك هي في مصاحفِ مكَّةَ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «مكَّنّي» بالتشديد، أدغم النون في النون لاجتماع النونين. ومن قرأ: «مكَّنني» أظهر النونين، لأنهما من كلمتين، الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان: **أحدهما**: أنه العِلْمُ بالله، وطَلَبُ ثوابه. **والثاني**: ما مَلَّكَ مِنَ الدنيا. والمعنى: الذي أعطاني اللهُ خيرٌ ممَّا تبذُلُون لي.

قوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الرجال، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الآلَةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. فأمَّا الرَّدْمُ، فهو: الحَاجِزُ؛ قال الزَّجَّاجُ: والرَّدْمُ في اللغة أكبرُ مِنَ السَّدِّ، لأنَّ الرَّدْمَ: ما جُعِلَ بعضُه على بعضٍ، يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ: إذا كان قد رُقِّعَ رُقعةً فوق رُقعةٍ. قوله تعالى:

---

[٩٤٣] موضوع. أخرجه ابن عدي ٦/ ١٦٩ وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٢٠٦ من حديث حذيفة، وأعله ابن عدي بمحمد بن إسحاق العكاشي، وأنه يضع الحديث، وحكم هو وابن الجوزي بوضعه.
وانظر «تفسير القرطبي» ٤١٩٧ بتخريجنا.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قرأ الجمهور: «ردماً آتوني» أي: أعطوني. وروى أبو بكر عن عَاصِم: «ردم أيتوني» بكسرِ التنوين، أي: جيئُوني بها. قال ابنُ عباسٍ: احمِلُوها إليَّ. وقال مُقاتِلٌ: أعطوني. وقالَ الفَرَّارُ: المعنى: إيتُوني بها، فلمَّا أُلقِيتِ الياءُ زيدَت ألِفٌ. فأمَّا الزُّبُر، فهي: القِطَعُ، واحدَتُها: زُبْرَة؛ والمعنى: فأتَوه بها فبَناهُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ وروى أبَانُ «إذا سوَّى» بتشديد الواو مِنْ غير ألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: سَاوَى وسَوَّى سَواءٌ. واختلف القُرَّاءُ في ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «الصُّدُفين» بضمِّ الصاد والدالِ، وهي: لغةُ حِمْيَر. وروى أبو بكرٍ والمُفضَّلُ عن عَاصِمٍ: «الصُّدْفين» بضمِّ الصاد وتسكينِ الدال. وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ، وخَلَفٌ، بفتح الصاد والدالِ جميعاً، وهي لغةُ تَمِيم، واختارها ثَعلَبُ. وقرأ أبو مِجْلَز، وأبو رَجَاء؛ وابنُ يَعمَرَ: «الصَّدُفين» بفتح الصاد ورفع الدال. وقرأ أبو الجَوزَاءِ، وأبو عِمرَانَ، والزُّهريُّ، والجَحدرِيُّ برفع الصاد وفتح الدال. قال ابنُ الأنبَاري: ويقال: صُدَف، على مثال نُغَر، وكلُّ هذه لُغاتٌ في الكلمة. قال أبو عُبيدَةَ: الصَّدَفان: جَنْبا الجبل. قال الأزهَريُّ يقال لجَانِبَي الجبلِ: صَدَفان، إذا تحَاذيا، لِتَصادُفِهما، أي: لتَلاقِيهما. قال المُفسِّرون: حَشَا ما بين الجبلين بالحديد، ونسَجَ بين طبقاتِ الحديد الحَطبَ والفَحمَ، ووضعَ عليها المَنافِيخَ، ثم ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاءُ ترجع إلى ما بينَ الصَّدَفينِ ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار، لأنَّ الحديد إذا أُحمِيَ بالفحم والمَنافِيخ صارَ كالنار، ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «آتوني» ممدودةً، والمعنى: أعطوني، وقرأ حَمزةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «إيتوني» مقصورةً؛ والمعنى: جيئوني به أُفرغه عليه.

وفي القِطْرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النُّحاس، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه الحديد الذَّائبُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: الصُّفْرُ المُذابُ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: الرَّصاصُ، حكاه ابنُ الأنبَاري. قال المُفسِّرون: أذابَ القِطْرَ ثم صَبَّه عليه، فاختلط والتَصَقَ بعضُه ببعضٍ حتى صار جبلاً صَلْداً مِنْ حديدٍ وقِطْرٍ. قال قَتادَةُ: فهو كالبُرْدِ المحبَّر، طَرِيقَةٌ سوداءُ وطَرِيقَةٌ حمراءُ. قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟﴾ أصله: فما «استطاعوا» فلمَّا كانت التاءُ والطاء مِنْ مخرج واحدٍ أحبُّوا التخفيف فحَذَفُوا. قال ابنُ الأنباري: إنما تقول العرب: اسطَاعَ، تخفيفاً، كما قالوا: سوف يقوم، أو سَو يَقُوم، فأسقَطُوا الفاءَ. قوله تعالى: ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يَعلُوه؛ يقال: ظَهَر فلانٌ فوق البيت: إذا عَلاهُ، والمعنى: ما قدروا أن يَعلُوه لارتفاعه وامْلاسِه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ مِنْ أسفله، لشدَّتِه وصَلابَتِه.

[٩٤٤] وروى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ لَيحفِرونَ السَّدَّ كلَّ يومٍ،

---

[٩٤٤] أخرجه ابن ماجة ٤١٩٩ والحاكم ٤/٤٤٨ والواحدي في «الوسيط» ٣/١٦٨ من طريق قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة به. وصححه الحاكم على شرطهما، وسكت الذهبي! وقال البوصيري: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ١١٠: إسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا نقبه، لإحكام بنائه وصلابته ثم ذكر ابن كثير أحاديث صحيحة مثل «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وهذا متفق عليه، وفيه أن ما فتح من الردم شيء يسير، فهو يخالف ما ذكره المصنف من الحديث، وأنه يظهر لهم شعاع الشمس، والله أعلم، وانظر بقية كلام ابن كثير عند هذه الآية بتخريجي، وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٣٠. بتخريجنا..

حتى إذا كادوا يرونَ شُعاعَ الشمسِ، قال الذي عليهم: ارجِعُوا، فستحفِرونَهُ غداً، فيعودون إليه، فيرونَهُ كأشدِّ ما كان، حتى إذا بلغَتْ مُدَّتُهم، وأراد اللهُ عزَّ وجلَّ أن يبعثَهُم على الناس، حَفَروا، حتى إذا كادوا يرونَ شُعاعَ الشمسِ، قال الذين عليهم: ارجِعوا، فستحفِرونَهُ غداً إنْ شاءَ اللهُ، ويستَثْنِي، فيعودون إليه وهو كهيئَتِهِ حين تركُوه، فيَحفِرونَهُ ويُخرِجونَ على الناسَ» وذكرَ باقي الحديثِ؛ وقد ذكرتُ هذا الحديثَ بطولِه وأشباهَهُ في كتاب «الحدائق» فكرهتُ التَّطويلَ هاهنا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ لمَّا فرغَ ذو القَرْنَيْنِ مِنْ بُنيانِه قال هذا. وفيما أشارَ إليه قولان:

أحدهما: أنه الرَّدمُ، قاله مُقاتِلٌ؛ قال: فالمعنى: هذا نِعْمَةٌ مِنْ ربِّي على المسلمين لئَلاَّ يخرجوا إليهم.

والثاني: أنه التَّمكينُ الذي أدركَ به عملَ السَّدِّ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ فيه قولان:

أحدهما: القيامة. **والثاني**: وَعدُهُ لخروج يأجوجَ ومأجُوجَ.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «دكّاً» مُنَوَّناً غيرَ مهموزٍ ولا ممدودٍ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: دكّاء مهموزةً بلا تنوينٍ. وقد شرحنا معنى الكلمةِ في سُورة الأعرافِ[1]. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ أي: بالثواب والعقاب.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ في المُشارِ إليهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يأجُوجُ ومأجُوجُ. ثم في المراد بـ «يومئذ» قولان: **أحدهما**: أنه يومُ انقضى أمرُ السَّدّ، تُرِكوا يموجُ بعضهم في بعض مِنْ ورائِه مُختلطِينَ لكثرَتِهم؛ وقيل: مَاجُوا مُتعجِّبينَ مِنَ السَّدّ. **والثاني**: أنه يومَ يخرجون مَنَ السَّدِّ تُركوا يمُوجُ بعضُهم في بعضٍ. **والثاني**: أنهم الكفَّارُ. **والثالث**: أنهم جميعُ الخَلائقِ: الجِنُّ والإنسُ يَمُوجونَ حَيارَى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يومُ القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ هذه نفخَةُ البَعثِ. وقد شرحنا معنى «الصُّور» في سُورة الأنعام[2].

قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أعيُنَ قلوبهم ﴿فِى غِطَآءٍ﴾ أي: في غفلةٍ ﴿عَن ذِكْرِى﴾ أي: عن توحيدي والإيمانِ بي وبكتابي ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هذا لعَداوتِهم وعِنادِهم وكراهَتِهم ما يُنْذَرُون به، كما تقول لمَنْ يكرَهُ قولكَ: ما تقدرُ أن تسمعَ كلامي.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: أفظَنَّ المشركون ﴿أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى﴾ في هؤلاءِ العبادِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الشياطين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الأصنام، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الملائكةُ والمَسيحُ وعُزَيرٌ وسائرُ المعبودات مِنْ دونه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿مِن دُونِىٓ﴾ فتحَ هذه الياءَ نافعٌ، وأبو عَمروٍ. وجوابُ الاستفهامِ في هذه الآيةِ محذوفٌ، وفي تقديره قولان: **أحدهما**:

(١) سورة الأعراف: ١٤٣. (٢) سورة الأنعام: ٧٣.

أفحَسِبُوا أنْ يتَّخذُوهم أولياءَ، كلا بل هم أعداءٌ لهم يتبرَّؤون منهم. **والثاني**: أنْ يتَّخذُوهم أولياءَ ولا أغْضبُ ولا أُعاقِبُهم. وروى أبانٌ عن عَاصِمٍ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «أفَحَسْبُ» بتسكينِ السين وضمِّ الباء، وهي قراءةُ عليٍّ، وابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ، وابنِ يَعمُرَ، وابنِ مُحَيصِنٍ؛ ومعناها: أفَيَكْفِيهِم أنْ يتَّخذُوهم أولياءَ؟ فأمَّا النُّزُلُ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه ما يُهيَّأُ للضَّيفِ والعَسكرِ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنه المَنزلُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم القِسِّيسُون والرُّهبانُ، قاله عليٌّ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: اليهودُ والنَّصارى، قاله سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَٰلًا﴾ منصوبٌ على التَّمييزِ، لأنه لمَّا قال: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ﴾ كان ذلك مُبهَماً لا يدلُّ على ما خَسِروه، فبيَّن ذلك في أيِّ نوعٍ وقعَ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: بطلَ عَملُهم واجتهادُهم في الدنيا، وهم يظنُّون أنهم مُحسِنون بأفعالِهم. فرُؤساؤهم يعلمون الصحيحَ، ويُؤثرون الباطلَ لبقاءِ رئاستِهم، وأتباعُهم مُقلِّدون بغير دليلٍ. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ جَحدوا دلائلَ توحيدِه، وكفروا بالبَعثِ والجزاءِ، وذلك أنهم بكُفرِهم برسولِ الله ﷺ والقرآنِ، صاروا كافرينَ بهذه الأشياء ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بطلَ اجتهادُهم، لأنه خَلاَ عن الإيمان ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والجَحدريُّ: «فلا يُقيم» بالياء. وفي معناه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إنما يَثقُلُ الميزانُ بالطاعة، وإنما تُوزَنُ الحسناتُ والسَّيئاتُ، والكافرُ لا طاعةَ له. **والثاني**: أنَّ المعنى: لا نُقيمُ لهم قَدْراً. قال ابنُ الأعرَابي في تفسيرِ هذه الآيةِ: يُقال: ما لفُلانٍ عندنا وَزْنٌ، أي: قَدْرٌ، لِخِسَّتِه. فالمعنى: أنهم لا يُعتَدُّ بهم، ولا يكون لهم عندَ الله قَدْرٌ ولا مَنزِلةٌ.

[٩٤٥] روى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يُؤتى بالرَّجلِ الطَّويلِ الأكُولِ الشَّرُوبِ فلا يَزِنُ جناحَ بَعُوضَةٍ، اقرؤوا إنْ شِئتُم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾».

والثالث: أنه قال: «فلا نقيم لهم» لأنَّ الوَزنَ عليهم لا لهُم، ذكره ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذَكرتُ مِن بُطلانِ عَملِهم وخِسَّةِ قَدرِهم، ثم ابتدأَ فقال: ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التَّصغيرُ لهم، وجَزاؤهم جهنَّمُ، فأُضمِرَتْ واوُ الحَالِ. قوله تعالى: ﴿بِمَا كَفَرُوا۟﴾ أي: بكُفرِهم واتِّخاذِهم ﴿ءَايَٰتِى﴾ التي أنزلتُها ﴿وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً به.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

---

[٩٤٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢٩ ومسلم ٢٧٨٥ والواحدي في الوسيط ٣/ ١٧٠ والبيهقي في «الشعب» ٥٦٧٠ كلهم عن أبي هريرة مرفوعاً.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ قال ابنُ الأنباري: كانت لهم في عِلْم اللَّهِ قبلَ أنْ يُخلَقُوا. وروى البُخاريُّ ومُسلمٌ في (الصَّحيحين) مِنْ حديث أبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ:

[٩٤٦] «جِنانُ الفِردَوسِ أربعٌ، ثِنتَانِ مِنْ ذهبٍ حِليَتُهما وآنِيَتُهما وما فيهما، وثِنتَانِ مِنْ فضَّةٍ حِليَتُهما وآنِيَتُهما وما فيها، وليس بينَ القومِ وبين أنْ ينظروا إلى ربِّهم إلاَّ رِداءُ الكِبرياءِ على وَجْهِه في جنَّةِ عَدْنٍ».

[٩٤٧] وروى عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنَّةُ مائةُ دَرَجةٍ، ما بينَ كلِّ دَرَجتين كما بينَ السماءِ والأرضِ، الفِردَوسُ أعلاها، ومنها تَفجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ، فإذا سَألتُم اللَّهَ تعالى فاسألُوهُ الفِردَوسَ». قال أبو أُمَامَةَ: الفِردَوسُ سُرَّةُ الجنَّةِ. قال مُجاهِدٌ: الفِردَوسُ: البُستانُ بالرُّوميَّةِ. وقال كَعبٌ، والضَّحَّاكُ: «جنات الفردوس»: جنَّاتُ الأعنَابِ. قال الكَلبيُّ، والفَرَّاءُ: الفِردَوسُ: البُستانُ الذي فيه الكَرْمُ. وقال المُبَرِّدُ: الفِردوس فيما سمعتُ مِنْ كلام العرب: الشجرُ المُلتَفُّ، والأغلب عليه العِنَبُ. وقال ثَعلَبُ: كلُّ بستانٍ يُحوَّطُ عليه فهو فِردَوسٌ، قال عبدُ الله بنُ رَوَاحَةَ:

فـي جِـنَـانِ الـفِـردَوسِ لـيـس يـخَـافُـو نَ خُـروجـاً عـنـهـا ولا تَـحـويـلاً

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: قال الزَّجَّاجُ: الفِردَوسُ أصله رُوميٌّ أُعرِبَ، وهو البستان، كذلك جاء في التَّفسير، وقد قيلَ: الفِردَوسُ تعرفه العرب، وتُسمِّي الموضع الذي فيه كَرْمٌ: فِردَوساً. وقال أهلُ اللغة: الفِردَوسُ مُذكَّرٌ، وإنما أُنِّث في قوله تعالى: ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١). لأنه عَنَى به الجنَّةَ. وقال الزَّجَّاجُ: وقيل: الفِردَوسُ: الأودِيةُ التي تُنبِتُ ضُروباً مِنَ النَّبتِ، وقيل: هو بالرُّوميَّةِ منقولٌ إلى لفظِ العربية، قال: والفِردَوسُ أيضاً بالسّريانيَّةِ كذا لفظه: فِردَوس، قال: ولم نجدْهُ في أشعارِ العرب إلاَّ في شعرِ حسَّانَ، وحقيقتُه أنه البستان الذي يَجمع كلَّ ما يكون في البساتين، لأنه عند أهلِ كلِّ لغةٍ كذلك، وبيتُ حسَّانَ:

فَـإنَّ ثَـوَابَ الـلَّـهِ كُـلَّ مُـوَحِّـدٍ جِـنَـانٌ مِـنَ الـفِـرْدَوْسِ فـيـهَـا يُـخَـلَّـدُ(٢)

---

[٩٤٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٨ و ٤٨٨٠ و ٧٤٤٤ ومسلم ١٨٠ والترمذي ٢٥٢٨ وابن ماجه ١٨٦ وابن أبي عاصم في «السنة» ٦١٣ وأحمد ٤/ ٤١١ والدولابي في «الكنى» ٢/ ٧١ وابن أبي داود في «البعث» ٥٩ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٦ وابن حبان ٧٣٨٦ والبيهقي في «الاعتقاد» ص ١٣٠ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٧٥ والذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧٠ من طرق عن أبي موسى الأشعري. وأخرجه أحمد ٤/ ٤١٦ وابن أبي شيبة ١٣/ ١٤٨ والدارمي ٢/ ٣٣٣ والطيالسي ٥٢٩ وابن مندة في «التوحيد» ٧٨١ من طريق أبي قدامة الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني به وأتم منه وكلهم عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن».

[٩٤٧] صحيح. أخرجه الترمذي ٢٥٣١ وأحمد ٥/ ٣١٦ والطبري ٢٣٤٠٦ و ٢٣٤٠٧ والحاكم ١/ ٨٠ والبيهقي في «البعث» ٢٤٨ من حديث عبادة بن الصامت، وإسناده صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وله شواهد كثيرة عند الطبري والبيهقي. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٣٦ بتخريجنا.

---

(١) سورة المؤمنون: ١١.

(٢) البيت في ديوانه: ١٥٠ واللسان ـ فردس ـ.

وقال ابنُ الكَلبي بإسنادِه: الفِردَوسُ: البستان بلُغة الرُّوم، وقال الفَرَّاءُ: وهو عربيٌّ أيضاً، والعرب تسمي البستانَ الذي فيه الكَرْمُ فِردَوساً. وقال السُّدِّيُّ: الفِردَوسُ أصله بالنَّبطِيَّةِ «فرداسا». وقال عبدُ الله بنُ الحَارِث: الفِردَوسُ: الأعنَابُ. وقد شرحنا معنى قوله: «نُزُلاً»[١] آنِفاً.

قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: لا يُريدون عنها تحَوُّلاً، يقال: قد حالَ مِنْ مكانِه حِوَلاً، كما قالوا في المصادر: صَغُر صِغَراً، وعَظُمَ عِظَماً، وعَادَني حُبُّها عِوَداً؛ قال: وقد قيلَ أيضاً: إنَّ الحِوَلَ: الحِيلَةُ، فيكون المعنى: لا يحتَالُون مَنْزِلاً غيرَها.

فإنْ قيلَ: قد عُلِمَ أنَّ الجنَّةَ كثيرةُ الخير، فما وَجْهُ مَدْحِها بأنهم لا يَبْغُون عنها حِوَلاً؟

فالجواب: أنَّ الإنسان قد يجدُ في الدار الأنيقة معنًى لا يُوافِقُه، فيحب أن ينتقلَ إلى دارٍ أخرى، وقد يَمَلُّ، والجنَّةُ على خلافِ ذلك.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ سببُ نزولها أنه لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] قالت اليهودُ: كيف وقد أُوتينا التَّوراةَ وفيها عِلْمُ كلِّ شيءٍ؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباس[٣]. ومعنى الآية: لو كان ماءُ البحر مِداداً يُكتَبُ به. قال مُجاهِدٌ: والمعنى: لو كان البحرُ مِداداً للقَلَم، والقَلَمُ يكتبُ. وقال ابنُ الأنباري: سُمِّي المِدَادُ مِداداً لإمدَادِه الكاتبَ، وأصلُه مِنَ الزيادة ومجيءِ الشيءِ بعدَ الشيءِ. وقرأ الحسَنُ، والأعمَشُ: «مددًا لكلمات ربِّي» بغير ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرو، وعَاصِمٌ: «تنفد» بالتاء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «ينفد» بالياء. قال أبو عليٍّ: التأنيثُ أحسَنُ، لأنَّ المُسنَدَ إليه الفعلُ مؤنَّثٌ، والتَّذكيرُ حسَنٌ، لأنَّ التأنيثَ ليس بحقيقي، وإنما لم تَنْفَدْ كلماتُ الله، لأنَّ كلامه صفةٌ مِنْ صفاتِ ذَاتِه، ولا يتطرَّقُ على صفاته النَّفادُ، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ﴾ أي: بمِثْلِ البحرِ ﴿مَدَدًا﴾ أي: زيادةً؛ والمَدَدُ: كلُّ شيءٍ زاد في شيءٍ. فإنْ قيلَ: لِمَ قال في أوَّلِ الآيةِ: «مداداً» وفي آخرِها: «مدداً» وكلاهما بمعنًى واحدٍ، واشتقاقُهما غيرُ مُختَلِفٍ؟ فقد أجاب عنه ابنُ الأنباري فقال: لمَّا كان الثاني آخرَ آيةٍ، وأواخرُ الآياتِ ها هنا أَتَتْ على الفُعُل، والفِعَل، كقوله تعالى: «نُزُلاً» «هُزُواً» «حِوَلاً» كان قوله: «مَدداً» أشبَهَ بهؤلاءِ الألفاظ مِنَ المِدَادِ، واتِّفاقُ المقاطع عند أواخِر الآي، وانقضاءِ الآياتِ، وتمام السَّجع والنَّثرِ، أخفُّ على الألسُنِ، وأحلى موقعاً في الأسمَاعِ، فاختلفت اللفظتان لهذه العِلَّةِ. وقد قرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو رَجاء، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «ولو جئنا بمثله مداداً» فحمَلُوها على الأُولَى، ولم ينظروا إلى المَقاطعِ. وقراءةُ الأوَّلين أبيَنُ حُجَّةً، وأوضحُ مِنهاجاً.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَلَّمَ اللَّهُ تعالى رسولَهُ التَّواضعَ لئلاً يَزْهَى

(١) سورة الكهف: ١٠٢. (٢) سورة الإسراء: ٨٥. (٣) تقدم.

على خَلْقِه، فأمرَهُ أنْ يُقِرَّ على نفسه بأنه آدميٌّ كغيرِه، إلاَّ أنه أُكرِمَ بالوَحي. قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ سببُ نزولها أنَّ جُنْدُبَ بنَ زُهيرِ العَامِرِيَّ قال لرسولِ الله ﷺ:

[٩٤٨] إني أعملُ العملَ لله تعالى فإذا اطلع عليه سَرَّني، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقبلُ إلاَّ الطَّيِّبَ، ولا يَقبلُ ما رُوئِيَ فيه» فنزلت فيه هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[٩٤٩] وقال طَاوُسٌ: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: إني أُحبُّ الجهادَ في سبيل الله وأُحبُّ أنْ يُرى مكاني، فنزلت هذه الآيةُ.

[٩٥٠] وقال مُجاهِدٌ: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أتصَدَّقُ، وأَصِلُ الرَّحِمَ، ولا أصنعُ ذلك إلاَّ لله تعالى، فيُذكَرُ ذلك مِنِّي وأحمَدُ عليه فيَسُرُّني ذلك وأُعجبُ به، فسكتَ رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

وفي قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ قولان: **أحدهما**: يخاف، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: يأملُ، وهو اختيارُ الزَّجَّاجُ. قال ابنُ الأنباري: المعنى: فمَنْ كان يرجو لقاءَ ثوابِ ربِّه. قال المُفسِّرون. وذلك يومُ البَعثِ والجَزاءِ. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ لا يُرائي به ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: لا يُرائي. قال مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ: هذه آخرُ آيةٍ نزلت مِنَ القرآن.

---

[٩٤٨] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٤ عن ابن عباس بدون سند. وأخرجه ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وابن عساكر عن طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس كما في «الدر» ٤/ ٤٥٩. وهذا إسناد ضعيف جداً، فيه السدي، وهو محمد بن مروان، متروك متهم، والكلبي هو محمد بن السائب متروك متهم بالكذب أيضاً. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٣٨ بتخريجنا.

[٩٤٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٣٤٢٧ وعبد الرزاق في «تفسيره» ١٧٢٨ عن طاوس مرسلاً.

[٩٥٠] هذا مرسل. ثم إن السورة مكية والخبر مدني، فهو واهٍ، ولا يصح في سبب نزول هذه الآية شيء.

سُورَةُ مَرْيَمَ

ترتيبها ١٩ — آياتها ٩٨

وهي مَكِّيَّةٌ بإجماعِهم مِنْ غير خلافٍ علمناه. وقال مُقاتِلٌ: هي مَكِّيَّةٌ غيرَ سجدَتِها، فإنها مَدنيَّةٌ. وقال هِبَةُ اللّهِ المُفَسِّرُ: هي مَكِّيَّةٌ غيرَ آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ والتي تليها[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ﴾ بفتح الهاء والياء وتبيينِ الدال التي في هِجاءِ «صاد». وقرأ أبو عَمرو: «كهيعص» بكسرِ الهاء وفتحِ الياء ويُدغِمُ الدالَ في الذالِ، وكان نافعٌ يلفظ بالهاءِ والياء بينَ الكسرِ والفتحِ، ولا يُدغِمُ الدالَ التي في هِجاء «صاد» في الذال مِنْ «ذِكْر». وقرأ أبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، والكِسَائيُّ، بكسرِ الهاء والياء. إلاّ أنَّ الكِسَائيَّ لا يُبيِّن الدال، وعَاصِمٌ يُبيِّنُها. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، بفتحِ الهاء وكسرِ الياء ويُدغِمان. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «كهيعص» برفعِ الهاء وفتحِ الياء. وقد ذكرنا في أوَّلِ «البقرة» ما يشتملُ على بَيانِ هذا الجنس. وقد خَصَّ المُفسِّرون هذه الحروفَ المذكورةَ ها هنا بأربعةِ أقوالٍ[٢]:

أحدها: أنها حروفٌ مِنْ أسماء الله عزَّ وجلَّ، قاله الأكثرون. ثم اختلفَ هؤلاءِ في الكافِ مِنْ أيِّ اسم هو، على أربعةِ أقوالٍ. **أحدُها**: أنه مِنْ اسم الله الكَبيرِ. **والثاني**: مِنَ الكريم. **والثالث**: مِنَ الكافِي، روى هذه الأقوالَ الثلاثةَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه مِنَ المَلِكِ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. فأمَّا الهاء، فكُلُّهم قالوا: هي مِن اسمه الهادي، إلاَّ القُرَظِي فإنه قال: مِن اسمه الله. وأمَّا الياءُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مِنْ حكيم. **والثاني**: مِنْ رَحيم. **والثالث**: مِنْ أمِينٍ، روى هذه الأقوالَ الثلاثةَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. فأمَّا العين، ففيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مِنْ عَليمٍ. **والثاني**:

---

(١) سورة مريم: ٥٩، ٦٠.

(٢) تقدم الكلام على الحروف المقطّعة في أول سورة البقرة.

مِنْ عَالِم. **والثالث**: مِنْ عَزيزٍ، رواها أيضاً سعيدُ بن جبير عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنها مِنْ عَدْلٍ، قاله الضَّحَّاكُ. وأما الصادُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها مِنْ صادقٍ. **والثاني**: مِنْ صَدوقٍ، رواهما سعيدٌ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها مِنَ الصَّمَدِ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ.

والقول الثاني: أنَّ «كهيعص» قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ تعالى به، وهو مِنْ أسمائه، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: هو اسمٌ مِنْ أسماءِ الله تعالى. ورُوي عنه أنه كان يقول: يا كهيعص اغفِرْ لي. قال الزَّجَّاجُ: والقَسَمُ بهذا والدُّعاءُ لا يدلُّ على أنه اسمٌ واحدٌ، لأنَّ الدَّاعي إذا عَلِمَ أنَّ الدُّعاءَ بهذه الحروف يدلُّ على صفاتِ الله تعالى فدَعَا بها، فكأنه قال: يا كَافِي، يا هَادِي، يا عَالِمُ، يا صَادِقُ، وإذا أقسَمَ بها، فكأنه قال: والكَافِي الهَادِي العَالِمِ الصَّادقِ، وأُسكِنَتْ هذه الحروفُ لأنها حروفُ تَهَجٍّ، النيَّة فيها الوَقْفُ. **والثالث**: أنه اسمٌ للسورةِ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ. **والرابع**: اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادةُ.

فإنْ قيلَ: لِمَ قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكافِ: كا، وفي العَينِ: عا، وفي الصَّادِ: صا، لِتَتَّفِقَ المَبَانِي كما اتَّفقتِ العِلَلُ؟ فقد أجاب عنه ابنُ الأنباري، فقال: حروفُ المُعجَم التِّسعةُ والعشرون تجري مجرى الرِّسالةِ والخُطبَةِ، فيَستقبِحون فيها اتِّفاقَ الألفاظِ واستِواءَ الأوزانِ، كما يَستقبِحونَ ذلك في خُطَبِهم ورَسائِلهم، فيُغَيِّرون بعضَ الكَلِمِ ليختلفَ الوَزْنُ وتتغيَّرَ المباني، فيكون ذلك أعذبَ على الألسُنِ وأحلى في الأسماعِ.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الذِّكرُ مرفوعٌ بالمُضمَرِ، المعنى: هذا الذي نتلو عليكَ ذِكْرُ رَحمةِ ربِّكَ عبدَه. قال الفرَّاءُ: وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ المعنى: ذِكْرُ ربِّكَ عبدَهُ بالرَّحمةِ، و «زكريا» في موضعِ نصبٍ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ النداء ها هنا بمعنى الدُّعاءِ. وفي عِلَّةِ إخفائِه لذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ليَبعُدَ عن الرِّياءِ، قاله ابنُ جُريجٍ. **والثاني**: لئلا يقولَ الناسُ: انظروا إلى هذا الشيخ يسألُ الوَلَدَ على الكِبَرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: لئلاً يُعاديَهُ بَنُو عمِّه، ويظنُّوا أنه كَرِهَ أنْ يَلُوا مكانَهُ بعدَهُ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وهذه القصة تدلُّ على أنَّ المُستحبَّ إسرارُ الدعاءِ، ومنه الحديث: «إنكم لا تدعُونَ أصَمَّ». قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ وقرأ معاذُ القارئُ، والضَّحَّاكُ: «وَهُن» بضمِّ الهاء، أي: ضَعُفَ. قال الفرَّاءُ وغيرُه: وَهَن العَظْمُ، ووَهِنَ، بفتح الهاء وكسرِها؛ والمُستقبلُ على الحالَين كليهما: يَهِنُ. وأراد أنَّ قوَّةَ عِظامِه قد ذهبت لِكِبَرِه؛ وإنما خَصَّ العَظْمَ، لأنه الأصلُ في التَّركيبِ. وقال قَتادةُ: شَكَا ذهابَ أضراسِه. قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ يعني: انتشَرَ الشَّيبُ فيه، كما ينتشرُ شُعاعُ النار في الحَطَبِ، وهذا مِنْ أحسنِ الاستِعاراتِ. ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ﴾ أي: بدُعائي إيَّاكَ ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم أكُنْ لأتعبَ بالدُّعاءِ ثم أُخيَّب، لأنكَ قد عوَّدتَني الإجابةَ؛ يقال: شَقِيَ فلانٌ بكذا: إذا تَعِبَ بسببه، ولم يَنَلْ مُرادَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾ يعني: الذين يَلُونَهُ في النَّسَبِ، وهم بَنُو العمِّ والعَصَبةُ ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أي: مِنْ بعدِ موتي. وفي ما خَافَهُم عليه قولان:

أحدهما: أنه خافَ أنْ يرثُوه، قاله ابنُ عباسٍ. فإن اعترضَ عليه مُعترضٌ، فقال: كيف يجوزُ لنبيٍّ

أنْ يَنْفَسَ على قَرابَاتِه بالحقوقِ المَفرُوضَةِ لهم بعدَ موتِه؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه لمَّا كان نبيًّا، والنبيُّ لا يُورَثُ، خاف أنْ يَرِثُوا مالَهُ فيأخذوا ما لا يجوزُ لهم. **والثاني**: أنه غَلَبَ عليه طَبْعُ البشرِ، فأحبَّ أنْ يتولَّى مالَهُ ولَدُهُ، ذكرهما ابنُ الأنبَاري. قلتُ: وبيانُ هذا أنه لا بُدَّ أنْ يتولَّى مالَهُ وإنْ لم يكُنْ مِيراثاً، فأحبَّ أن يتولاَّهُ وَلَدُهُ.

والقول الثاني: أنه خاف تضييعَهُم للدِّين ونَبْذَهُم إيَّاهُ، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

وقرأ عُثمانُ، وسَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وابنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ أبي سَرْح. عن الكِسَائيِّ: «خَفَّت» بفتحِ الخاء وتشديدِ الفاء على معنى «قلَّت»؛ فعلى هذا يكون إنما خافَ على عِلْمِه ونُبوَّتِه ألاَّ يُورَثا فيموتَ العِلْمُ. وأسكَنَ ابنُ شهابٍ الزُّهريُّ ياءَ «الموالي».

قوله تعالى: ﴿مِن وَرَآءِى﴾ أسكنَ الجمهورُ هذه الياءَ، وفتحَها ابنُ كَثيرٍ في روايةِ قُنْبُلٍ. وروى عنه شِبْلُ: «ورايَ» مثل «عصايَ».

قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ أي: مِنْ عندِكَ ﴿وَلِيًّا﴾ أي: وَلَداً صالحاً يَتولاَّني.

قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ: «يَرثُني ويَرِثُ» برفعِهما. وقرأ أبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ: «يَرثْني ويَرِثْ» بالجزم فيهما. قال أبو عُبيدَةَ: مَنْ قرأ بالرَّفع، فهو على الصِّفةِ للوَليِّ؛ فالمعنى: هَبْ لي وَليًّا وارِثاً، ومَنْ جَزَمَ، فعلى الشَّرطِ والجَزاءِ، كقولكَ: إنْ وَهبتَهُ لي وَرِثَني.

وفي المُراد بهذا المِيراثِ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: يَرِثُني مالي، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ النبوَّةَ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو صالح. **والثاني**: يَرِثُني العِلْمَ، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ المُلْكَ، فأجابه اللَّهُ تعالى إلى وِراثَةِ العِلْمِ دون المُلْكِ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: يَرِثُني نُبوَّتي وعِلْمِي، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ النبوَّةَ أيضاً، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: يَرِثُني النبوَّة، ويَرِثُ مِنْ آلِ يعقوبَ الأخلاقَ، قاله عَطاءٌ، قال مُجاهِدٌ: كان زكريًا مِنْ ذُرِّيَّةِ يعقوبَ. وزعَمَ الكَلبيُّ أنَّ آلَ يعقوبَ كانوا أخوالَهُ، وأنه ليس بيعقوبَ أبي يُوسفَ. وقال مُقاتِلٌ: هو يعقوبُ بنُ ماثَانَ، وكان يعقوبُ هذا وعِمرَانُ ـ أبو مريمَ ـ أخوَيْنِ. والصحيح: أنه لم يُرِد ميراثَ المالِ لوجُوهٍ: **أحدها**: أنه قد صحَّ. عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[٩٥١] «نحنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تَركنَاهُ صَدَقَةٌ».

---

[٩٥١] أخرجه النسائي في «الكبرى» ٦٣٠٩ من طريق أحمد بن منصور عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الزهري عن مالك بن أوس من حديث عمر. وقد تفرد النسائي من بين الأئمة الستة بهذا اللفظ، ورواية الأئمة لهذا الحديث هي بدون لفظ «معشر الأنبياء» ولم ينفرد أحمد بن منصور عن ابن عيينة بهذا اللفظ، بل تابعه =

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/١٤٢: سأل الله عز وجل ولداً يكون نبياً من بعده، ليسوس الناس بنبوته وما يوحى إليه لا أنه خشي وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجلُّ قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حدّه أن يأنف من وراثة عصابته له، ويسأل أن يكون له ولد، ليحوز ميراثه دونهم. ولم يذكر أنه كان ذا مال، بل كان نجاراً يأكل من عمل يده. وقد ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورَث، ما تركنا فهو صدقة».

. . . .

= الحميدي كما في «الفتح» ١٢/ ٨. وأخرجه ابن عبد البر ٨/ ١٧٥ من طريق مالك عن الزهري عن مالك بن أوس عن عمر عن أبي بكر مرفوعاً، ومالك فمن فوقه رجال البخاري ومسلم، لكن الوهم ممن دون مالك فقد رواه الثقات عن مالك دون هذه اللفظة.

وأخرجه باللفظ المذكور الهيثم بن كليب كما في «الفتح» ١٢/ ٨ من حديث أبي بكر.
وأخرجه الدارقطني في «العلل» كما في «الفتح» ١٢/ ٨ من حديث أم هانئ عن فاطمة، عن أبي بكر مرفوعاً، وسكت عليه الحافظ، وهو غريب جداً من هذا الوجه.
وورد من حديث أبي هريرة، أخرجه أحمد ٢/ ٤٦٣/ ٩٦٥٥ من طريق الثوري عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وأخرجه ابن عبد البر ٨/ ١٧٥ من طريق الحميدي عن ابن عيينة عن أبي الزناد به.
فهذه أشهر الكتب التي أوردت هذه اللفظة عن هؤلاء الأئمة. والحديث ورد عن جماعة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما بدون هذه اللفظة وإنما هو بلفظ «لا نورثُ، ما تركنا صدقة» وفي رواية زيد في أوله «إنا». أخرجه البخاري ٤٠٣٥ و ٤٠٣٦ و ٤٢٤٠ و ٤٢٤١ و ٦٧٢٥ و ٦٧٢٦ ومسلم ١٧٥٩ وأبو داود ٢٩٦٩ و ٢٩٧٠ وأحمد ١/ ٩ ـ ١٠ وابن حبان ٤٨٢٣ من حديث عائشة عن أبي بكر مرفوعاً، وله قصة. وورد من مسند أبي بكر وعمر، أخرجه البخاري ٢٩٠٤ و ٣٠٩٤ ومسلم ١٧٥٧ وأبو داود ٢٩٦٣ والترمذي ١٦١٠ والحميدي ٢٢ وعبد الرزاق ٩٧٧٢ وأحمد ١/ ٢٥ وأبو يعلى ٢ و ٣ و ٤ وابن حبان ٦٦٠٨ مطولاً. وورد من مسند عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٤٠٣٤ و ٦٧٣٠ ومسلم ١٧٥٨ وأبو داود ٢٩٧٦ و ٢٩٧٧ وأحمد ٦/ ١٤٥ وابن سعد ٢/ ٣١٤ وابن حبان ٦٦١١ والبيهقي ٦/ ٣٠٢.
ـ وورد من مسند أبي هريرة، بلفظ «لا يقتسم ورثتي بعدي ديناراً، ما تركت بعد نفقة عيالي ومؤونة عاملي صدقة». أخرجه البخاري ٢٧٧٦ و ٣٠٩٦ و ٦٧٢٩ ومسلم ١٧٦٠ وأبو داود ٢٩٧٤ ومالك ٢٠/ ٩٩٣ وابن سعد ٢/ ٣١٤ والحميدي ١١٣٤ وابن حبان ٦٦٠٩ و ٦٦١٠ و ٦٦١٢ والبيهقي ٦/ ٣٠٢ من طرق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به.
وهذا هو اللفظ المشهور في حديث أبي هريرة، وهكذا رواه مالك في «الموطأ» وأصحاب الصحيح والكتب المشهورة. وهو عند مسلم هكذا من طريق ابن عيينة، وهذا هو الصحيح في هذا المتن.
وللحديث شواهد أخرى، تبلغ به حد الصحة. دون لفظ «معاشر الأنبياء».
ـ وقال الحافظ في «الفتح» ١٢/ ٨ ما ملخصه: وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» فقد أنكره جماعة من الأئمة، لكن أخرجه النسائي. . . فذكر الطرق التي ذكرتها في أول هذا البحث، وقد نقلت عن الحافظ بعض ذلك، والله أعلم.
قال ابن عبد البر في «التمهيد» ٨/ ١٧٤ ـ ١٧٥ ما ملخصه بعد أن ذكر حديث الباب: وفي حديثنا المذكور تفسير لقول الله عز وجل **﴿وورث سليمان داود﴾** و **﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني. . .﴾** وتخصيص للعموم في ذلك، وإن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب وعلى هذا جماعة أهل العلم وسائر المسلمين إلا الروافض، وكذلك قولهم في **﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾** لا يختلفون في ذلك، إلا ما روي عن الحسن قال: يرثني: مالي، ويرث من آل يعقوب: النبوة والحكمة، والدليل على صحة ما قال علماء المسلمين ما ثبت عن النبي ﷺ «إنا معاشر الأنبياء. . .» اهـ. باختصار.
وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ١٢/ ٨١: ثم إن جمهور العلماء على أن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لا يورثون، وحكى القاضي ـ عياض ـ عن الحسن أنه قال: عدم الإرث بينهم مختص بنبينا ﷺ لقوله تعالى عن زكريا **﴿ويرثني ويرث من آل يعقوب﴾** وزعم أن المراد وراثة المال، وقال: لو أراد =

والثاني: أنه لا يجوز أنْ يتأسَّفَ نبيُّ اللَّهِ على مصيرِ مالِه بعدَ موتِه إذا وصَلَ إلى وارثِه المُستَحِقِّ له شَرعاً. **والثالث**: أنه لم يكن ذا مالٍ.

[٩٥٢] وقد روى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّ زكريَّا كان نَجَّاراً.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قال اللغويون: أي: مَرْضِيًّا، فصُرِفَ عن مفعولٍ إلى فَعِيلٍ، كما قالوا: مَقتولٌ وقَتِيلٌ.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الكلام إضمارٌ، تقديره: فاستجابَ اللَّهُ له فقال: «يا زكريّا إنا نبشرك». وقرأ حَمزَةُ: «نَبْشُرك» بالتَّخفيفِ. وقد شرحنا هذا في سُورة آلِ عِمرانَ[1]. قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لم يُسَمَّ يَحيى قبلَهُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ، والأكثرون. فإن اعترَضَ مُعترِضٌ، فقال: ما وَجْهُ المِدْحَةِ باسمِ لم يُسَمَّ به أحدٌ قبلَهُ، ونرى كثيراً مِنَ الأسماء لم يُسبَقْ إليها؟ فالجواب: أنَّ وَجْهَ الفضيلة أنَّ الله تعالَى تولَّى تسميتَهُ، ولم يَكِلْ ذلك إلى أبوَيه، فسَمَّاهُ باسم لم يُسبَقْ إليه. **والثاني**: لم تَلِدِ العَواقِرُ مثلَهُ وَلَداً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. فعلى هذا يكونُ المعنى: لم نجعلْ له نظيراً. **والثالث**: لم نجعل له مِنْ قبلُ مِثْلاً وشِبْهاً، قاله مُجاهِدٌ. فعلى هذا يكون عدمُ الشَّبَهِ مِنْ حيثُ إنه لم يَعْصِ ولم يَهِمَّ

= وراثة النبوة، لم يقل ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ إذ لا يخاف الموالي على النبوة، ولقوله تعالى: ﴿وورث سليمان داودَ﴾، والصواب ما حكيناه عن الجمهور، أن جميع الأنبياء لا يورثون، والمراد بقصة زكريا وداود، وراثة النبوة، والله أعلم.

وذكر الحافظ في «الفتح» ١٢/ ٨ ـ ٦ بعض كلام ابن عبد البر الذي تقدم آنفاً، ثم ذكر ما ذهب إليه الحسن، وأنه قول إبراهيم بن إسماعيل بن عُلية من الفقهاء. قال: وأخرج الطبري عن أبي صالح في الآية، حكاية عن زكريا ﴿وإني خفت الموالي﴾ قال: العصبة، ومن قوله ﴿يرثني﴾ يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وأخرج من طريق قتادة عن الحسن نحوه، لكن لم يذكر المال، ومن طريق مبارك بن فضالة عن الحسن رفعه «رحم الله أخي زكريا: ما كان عليه من يرث ماله».

[٩٥٢] صحيح. أخرجه مسلم ٢٣٧٩ وأحمد ٢/ ٢٩٦ ـ ٤٠٥ وابن ماجة ٢١٥٠ والطحاوي في «المشكل» ١/ ٤٢٩ وابن حبان ٥١٤٢، واستدركه الحاكم ٢/ ٥٩٠ كلهم من حديث أبي هريرة.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣١٠: وقول من قال: لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك، وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحداً مسمى باسمه.

بمعصيةٍ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في آلِ عِمرانَ[1] إلى قوله: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾. وفي معنى «كانت» قولان: **أحدهما**: أنه توكيدٌ للكلام، فالمعنى: وهي عَاقِرٌ، كقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾[2] أي: أنتم. **والثاني**: أنها كانت منذ كانت عَاقِراً، لم يحدُثْ ذلك بها، ذكرهما ابنُ الأنبَاري، واختار الأوَّلَ. قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «عُتيًا» و «بُكيًا»[3] و «صليًا»[4] بضمِّ أوائلِها. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، بكسرِ أوائِلها، وافقَهُما حَفصٌ عن عَاصِمٍ، إلاّ في قوله: «بُكيًا» فإنه ضمَّ أوَّلَهُ. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ: «عُسِيًّا» بالسين قال مُجاهِدٌ: «عتيًا» هو قُحولُ العَظْمِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يُبساً؛ يقال: عَتَا وعَسَا بمعنًى واحدٍ. قال الزَّجَّاجُ: كلُّ شيءٍ انتهى، فقد عَتَاَ يَعتُو عِتِيًّا، وعُتُوًّا، وعُسُوًّا، وعُسِيًّا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قيلَ لكَ مِنْ هِبَةِ الوَلَدِ على الكِبَرِ ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ أي: خَلْقُ يَحيى عليَّ سَهلٌ. وقرأ معاذٌ القارئ، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «هَيْن» بإسكانِ الياءِ. ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ﴾ أي: أوجدْتُكَ. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «خلقتُكَ». وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خَلَقْنَاكَ» بالنون والألِفِ. ﴿وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ المعنى: فخلْقُ الوَلَدِ، كخَلْقِكَ. وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في سُورةِ آلِ عِمرانَ[5] إلى قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «سَوِيًّا» منصوبٌ على الحالِ، والمعنى: تُمنَع عن الكلام وأنتَ سَوِيٌّ. قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: سليماً غيرَ أخرسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ وهذا في صبيحةِ الليلةِ التي حَملَتْ فيها امرأتُه ﴿مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ أي: مِنْ مُصَلاَّهُ، وقد ذكرناه في سُورةِ آلِ عِمرانَ[6]. قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه كَتَبَ إليهم في كتابٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَومأَ برأسِه ويَدَيهِ، قاله مُجاهِدٌ. قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾ أي: صَلُّوا ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ قد شرحناه في آلِ عِمرَانَ[7]، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومِه فيأمُرهم بالصَّلاةِ بُكرةً وعَشِيًّا، فلمَّا حَملَتْ امرأتُه أمَرَهم بالصَّلاةِ إشارةً.

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فوَهَبْنَا له يَحيى، وقُلنَا له: يا يَحيى ﴿خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني التَّوراةَ، وكان مَأموراً بالتَّمسُّكِ بها. وقال ابنُ الأنباري: المعنِي: اِقبَلْ كُتُبَ الله كلَّها إيماناً بها واستعمالاً لأحكامِها. وقد شرحنا في سُورةِ البقرة[8]: معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٖ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفَهْمُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: اللُّبُّ، قاله الحَسنُ، وعِكرمَةُ. **والثالث**: العِلْمُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: حِفظُ التَّوراةِ وعِلْمُها، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقد زِدْنَا هذا شرحاً في سُورةِ يُوسفَ[9]. وروى سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: مَنْ قرأ القرآنَ من قبل أنْ يحتلِمَ، فهو ممَّنْ أُوتيَ الحُكْمَ صَبيًّا. فأمَّا قوله: ﴿صَبِيّٗا﴾ ففي سِنِّه يومَ أُوتيَ

(١) سورة آل عمران: ٣٩.
(٢) سورة آل عمران: ١١٠.
(٣) سورة مريم: ٥٨.
(٤) سورة مريم: ٧٠.
(٥) سورة آل عمران: ٣٩.
(٦) سورة آل عمران: ٣٩.
(٧) سورة آل عمران: ٣٩.
(٨) سورة البقرة: ٦٣.
(٩) سورة يوسف: ٢٣.

الحُكْمَ قولان:

[٩٥٣] **أحدهما**: أنه سبعُ سنين، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: ابنُ ثلاثِ سنين. قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي وآتيناهُ حَناناً. وقال ابنُ الأنباري: المعنى وجعلناهُ حَناناً لأهلِ زمانِه. وفي الحَنانِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرَّحمةُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والفَرّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وأنشد:

تَـحَـنَّـنْ عَـلـيَّ هَـدَاكَ الـمَـلِـيـكُ فـإنَّ لِـكُـلِّ مَـقـامٍ مَـقَـالا[1]

قال: وعامَّةُ ما يُستعمَلُ في المَنطِقِ على لفظِ الاثنين، قال طَرَفَةُ:

أبـا مُـنْـذرٍ أفـنـيـتَ فـاسْـتَـبْـقِ بَـعـضَـنَـا حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهوَنُ مِنْ بَعْضِ[2]

قال ابنُ قُتَيبةَ: ومنه يُقال: تَحنَّنْ عليَّ، وأصلُه مِنْ حَنِينِ الناقة على وَلدِها. وقال ابنُ الأنباري: لم يختلف اللغويون أنَّ الحَنانَ: الرَّحمةُ، والمعنى: فعلنا ذلك رَحمةً لأبوَيه، وتزكيَةً له. **والثاني**: أنه التَّعطُّفُ مِنْ رَبِّه عليه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه اللِّينُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: البَرَكَةُ، ورُوي عن ابنِ جُبَيرٍ أيضاً. **والخامس**: المَحبَّةُ، قاله عِكرِمَةُ، وابنُ زيدٍ. **والسادس**: التَّعظيمُ، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباحٍ.

وفي قوله: ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها العملُ الصَّالحُ، قاله الضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنَّ معنى الزَّكاةَ: الصَّدقةُ، فالتَّقديرُ: إنَّ الله تعالى جعله صَدقَةً تصدَّقَ بها على أبوَيه، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنَّ الزَّكاةَ: التَّطهيرُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنَّ الزَّكاةَ: الزِّيادةُ، فالمعنى: وآتيناهُ زِيادةً في الخير على ما وُصِفَ وذُكِرَ، قاله ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال ابنُ عباسٍ: جَعلتُه يتَّقِيني، ولا يَعدِلُ بي غيري. قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه بَرًّا بوالدَيه، والبَرُّ بمعنى: البَارِّ؛ والمعنى: لطيفاً بهما، مُحسِناً إليهما. والعَصِيُّ بمعنى: العاصِي. وقد شرحنا معنى الجَبَّارِ في سُورةِ هُود[3].

قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه السلام المعروفُ مِنَ الله تعالى، قال عطاءٌ: سَلامٌ عليه مِنِّي في هذه الأيام؛ وهذا اختيارُ أبي سُليمانَ. **والثاني**: أنه بمعنى: السَّلامةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. فإنْ قيلَ: كيف خَصَّ التَّسليمَ عليه بالأيام وقد يجوز أنْ يُولَدَ ليلاً ويموتَ ليلاً؟ فالجواب: أنَّ المُرادَ باليوم الحِينُ والوقتُ، على ما بَيَّنا في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[4]. قال ابنُ عباسٍ:

---

[٩٥٣] واهٍ بمرة. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/١٦٣ من طريق أبي نعيم عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده ضعيف جداً. فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو واهٍ، وفيه محمد بن يونس الكديمي متروك الحديث وكذبه بعضهم. والأشبه في هذا كونه من كلام ابن عباس، غير مرفوع، والله أعلم.

---

(١) البيت للحطيئة كما في ديوانه: ٢٢٢ و «اللسان» ـ حنن ـ.

(٢) البيت في ديوانه: ٢٠٨ و «اللسان» ـ حنن ـ.

(٣) سورة هود: ٥٩. (٤) سورة المائدة: ٣.

وسلامٌ عليه حينَ وُلِدَ. وقال الحسَنُ البَصريُّ: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنتَ خيرٌ مني، فقال عيسى ليَحيى: بل أنتَ خيرٌ مني، سَلَّمَ اللَّهُ عليكَ، وأنا سلَّمتُ على نَفسِي. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ مِثلَهُ، إلاّ أنه قال: أثنى اللَّهُ عليكَ، وأنا أثنيتُ على نَفسِي. وقال سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ: أوحشُ ما يكون الإنسانُ في ثلاثةِ مَواطِنَ، يومَ يُولَدُ فيرَى نفسَهُ خارجاً ممَّا كان فيه، ويومَ يموتُ فيَرى قوماً لم يكن عايَنَهُم، ويومَ يُبعثُ فيَرى نفسَهُ في مَحشرٍ لم يرَهُ، فخَصَّ اللَّهُ تعالى يَحيى فيها بالكَرامةِ والسَّلامةِ في المَواطِنِ الثلاثةِ.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ قال أبو عُبيدةَ: تَنحَّتْ واعتزَلَتْ ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ممَّا يلي المَشرِقَ، وهو عندَ العرب خيرٌ مِنَ الغَربيِّ. قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾ يعني أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي سِتراً وحاجزاً، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها ضَربَتْ سِتراً، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الشمسَ أظلَّتْها، فلم يَرَها أحدٌ منهم، وذلك مما سَترَها اللَّهُ به، وروي هذا المعنى عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنها اتَّخذَتْ حِجاباً مِنَ الجُدران، قاله السُّدِّيُّ عن أشياخه وفي سببِ انفرادِها عنهم قولان: **أحدهما**: أنها انفردَتْ لِتَطْهُرَ مِنَ الحَيضِ وتمتَشِطَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لِتَفلِيَ رأسَها، قاله عَطاءٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريلُ في قولِ الجمهور. وقال ابنُ الأنباري: صاحبُ رُوحِنا، وهو جِبريلُ. والرُّوحُ بمعنى: الرَّوْح والفرَحِ، ثم تُضَمُّ الراءُ لتحقيق مذهبِ الاسم، وإبطالِ طريقِ المصدر، ويجوز أنْ يُرادَ بالرُّوح ها هنا: الوَحيُ وجِبريلُ صاحبُ الوَحي.

وفي وقتِ مجيئِهِ إليها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: وهي تغتسل. **والثاني**: بعد فَراغِها، ولُبْسِها الثيابَ. **والثالث**: بعد دُخولِها بيتَها. وقد قيلَ: المراد بالرُّوح ها هنا: الرُّوحُ الذي خُلِقَ منه عيسى، حكاه الزَّجَّاجُ، والمَاوَرْدِي، وهو مضمونُ كلام أُبَيِّ بنِ كَعبٍ فيما سنذكرُهُ عند قوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ قال ابنُ الأنباري: وفيه بُعْدٌ، لقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، والمعنى: تصوَّرَ لها في صُورةِ البَشَرِ التَّامّ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/١٤٦: وقوله ﴿**انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً**﴾ أي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس. وقوله ﴿**فاتخذت من دونهم حجاباً**﴾ أي استترت منهم وتوارت، فأرسل الله إليها جبريل عليه السلام ﴿**فتمثل لها بشراً سوياً**﴾ أي: على صورة إنسان تام كامل. وهو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين**﴾ ﴿**قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً**﴾ أي: لما تبدى لها الملك في صورة بشر، وهي في مكان منفرد، وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها على نفسه فقالت: ﴿**إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً**﴾ أي: إن كنت تخاف الله، تذكيراً له بالله، وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فخوفته أولاً بالله عزّ وجل.

الخِلْقَةِ. وقال ابنُ عباسٍ: جاءها في صُورةِ شابٍّ أبيضَ الوجهِ جَعْدٍ قَطَطٍ حين طَرَّ شاربُه. وقرأ أبو نَهيكٍ وأبو حَيْوَةَ: «فأرسلنا إليها رَوحنا» بفتح الراء.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ المعنى: إنْ كُنتَ تَتَّقي اللّهَ، فستنتهي بتَعوُّذي منكَ، هذا هو القولُ عند المُحقِّقين، وحُكي عن ابنِ عباسٍ أنه كان في زمانها رجلٌ اسمه تَقِيٌّ، وكان فاجراً، فظنَّتْهُ إيَّاهُ، ذكره ابنُ الأنباري، والمَاوَرديِ. وفي قراءةِ عليٍّ رضي الله عنه، وابنِ مسعودٍ، وأبي رَجاء: «إلاَّ أن تكون تقيّاً». قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُ: «لأهب لكِ» بالهمز. وقرأ أبو عَمرٍو، ووَرْشٌ عن نافعٍ: «ليهب لكِ» بغير همزٍ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلَني لِيَهَبَ ومن قرأ «لأهب» فالمعنى أرسلت إليك لأهب لك، وقال ابنُ الأنباري المعنى: أرسلَني يقولُ لكِ: أرسَلْتُ رسولي إليكِ لأَهَبَ لكِ.

قوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي: طاهراً مِنَ الذنوب. والبَغيُّ: الفاجرةُ والزَّانيةُ. قال ابنُ الأنَباري: وإنما لم يَقُلْ: «بغيَّة» لأنه وصفٌ يغلب على النساء، فقلَّما تقول العرب: رجلٌ بَغِيٌّ، فيجري مجرى حائِض، وعَاقِرٍ. وقال غيرُه: إنما لم يَقُلْ: «بغيَّة» لأنه مَصرُوفٌ عن وَجهِه، فهو «فعيل» بمعنى: «فاعل». ومعنى الآية: ليس لي زَوجٌ، ولستُ بزانيةٍ، وإنما يكون الوَلَدُ مِنْ هاتين الجهتين. ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ قد شرحناه في قصة زكريَّا، والمعنى: أنه يسيرٌ عليَّ أن أَهَبَ لكِ غُلاماً مِنْ غير أبٍ. ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: دَلالةً على قُدرتنا كونه مِنْ غير أبٍ. قال ابنُ الأنباري: إنما دخلت الواوُ في قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥ﴾ لأنها عاطفةٌ لِمَا بعدَها على كلامٍ مُضمَرٍ محذوفٍ، تقديره: قال ربُّكِ خَلْقُهُ عليَّ هَيِّنٌ لننفعَكِ به، ولنجعَلَهُ عِبرةً.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لِمَنْ تَبِعَهُ وآمَنَ به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي: وكان خَلْقُهُ أمراً مَحكُوماً به، مَفرُوغاً عنه، سابقاً في عِلْمِ الله تعالى كونُه.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى. وفي كيفية حَمْلِها له قولان: **أحدهما**: أنَّ جبريلَ نَفَخ في جَيْبِ دِرْعِها، فاستمرَّ بها حَمْلُها، رواه سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ. قال السُّدِّيُّ: نَفَخ في جَيْبِ دِرْعِها وكان مشقوقاً مِنْ قُدَّامِها، فدخلت النَّفخةُ في صدرها فحملَتْ مِنْ وقتِها. **والثاني**: أنَّ الذي خاطبَها هو الذي حَملَتْهُ، ودخل مِنْ فِيهَا، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ[1].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٤٦ بعد أن ذكر الحديث عن أبي بن كعب: وهذا في غاية الغرابة والنكارة، وكأنه إسرائيلي.

وفي مقدارِ حَمْلِها سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها حين حَملَتْ وضعَتْ، قاله ابنُ عباسٍ، والمعنى: أنه ما طالَ حَمْلُها، وليس المراد أنها وَضعَتْهُ في الحال، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، وهذا يدلُّ على أنَّ بين الحَمْلِ والوَضعِ وقتاً يحتملُ الانتِبَاذَ به. **والثاني**: أنها حَملَتْهُ تسعَ ساعاتٍ، ووَضَعَتْ مِن يومها، قاله الحسَنُ. **والثالث**: تسعةَ أشهرٍ قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ السَّائبِ. **والرابع**: ثلاثَ ساعاتٍ، حَملَتْهُ في ساعةٍ، وصُوِّرَ في ساعةٍ، ووَضعَتْهُ في ساعةٍ، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والخامس**: ثمانيةَ أشهرٍ، فعاشَ، ولم يَعِشْ مولودٌ قطُّ لثمانيةِ أشهرٍ، فكان في هذا آيةٌ، حكاه الزَّجَّاجُ. **والسادس**: في ستةِ أشهرٍ، حكاه المَاوَردِي. **والسابع**: في ساعةٍ واحدةٍ، حكاه الثَّعلبيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ يعني بالحَمْلِ ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيداً. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «قاصياً». قال ابنُ إسحَاقَ: مَشَتْ ستةَ أميالٍ. قال الفَرَّاءُ: القَصِيُّ والقاصِي بمعنًى واحدٍ. وقال غيرُ الفَرَّاءِ: القَصِيُّ والقاصِي بمنزلة الشهيد والشَّاهِد. وإنما بَعُدَتْ، فِراراً مِنْ قومها أنْ يُعيِّروها بولادَتِها مِنْ غيرِ زَوجٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ وقرأ عِكرِمَةُ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «المِخاض» بكسرِ الميم. قال الفَرَّاءُ: المعنى: فجاء بها المَخاضُ، فلمَّا أُلقِيت الباءُ، جُعلت في الفعل ألِفاً، ومثلُه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[1] أي: ومثلُه: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[2] أي: بزُبَرِ الحديد. قال أبو عُبيدَةَ: أفعَلَها مِنْ جاءت هي فَأَجاءَها غيرُها. وقال ابنُ قُتَيبَة: المعنى: جاء بها، وألجَأَها، وهو مِنْ حيث يُقال: جاءَت بيَ الحاجةُ إليكَ، وأجاءَتْنِي الحاجةُ إليكَ، والمَخاضُ: الحَمْلُ. وقال غيره: المَخاضُ: وَجعُ الوِلادة. ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وهو ساقُ النَّخلَةِ، وكانت نَخلةً يابسةً في الصحراء، ليس لها رأسٌ ولا سَعَفٌ. ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ اليوم، أو هذا الأمرِ، وقرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفصٌ: «مِتُّ» بكسرِ الميم. وفي سبب قولها هذا قولان: **أحدهما**: أنها قالَتْهُ حَياءً مِنَ الناس. **والثاني**: لئلاَّ يأثَمُوا بقَذْفِها.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، بكسرِ النون، وقرأ حَمزَةُ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «نَسياً» بفتحِ النونِ، قال الفَرَّاءُ: وأصحابُ عبدِ اللهِ يقرؤون: «نَسياً» بفتحِ النون وسائرُ العرب بكَسرِها، وهما لُغتان، مثل الجَسر والجِسر، والوَتر والوِتر، والفتحُ أحبُّ إليَّ، قال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: الكسرُ على اللُّغتين. وقال ابنُ الأنبَاري: مَنْ كسرَ النونَ قال: النِسي: اسمٌ لِمَا يُنسَى، بمنزلة البِغض اسمٌ لِمَا يُبْغَضُ، والسِّب اسمٌ لِمَا يُسَبُّ. والنَّسي بفتح النونِ: اسمٌ لِمَا يُنسَى أيضاً على أنه مصدرٌ نابَ عن الاسم، كما يقال: الرجل دَنِف، ودَنَف، فالمكسور: هو الوصفُ الصحيحُ، والمفتوحُ: مصدرٌ سَدَّ مَسَدَّ الوصفِ. ويمكن أن يكون النِسي والنَسي اسمَيْنِ لمعنًى، كما يُقال: الرِّطْل والرَّطْل.

وللمفسِّرين في قوله تعالى: ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: يا ليتَني لم أكُنْ شيئاً، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ وبه قال عطاءٌ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: «وكنت نسياً منسياً» أي دَمَ حَيضَةٍ مُلقاةٍ[3]،

---

(١) سورة الكهف: ٦٢. (٢) سورة الكهف: ٩٦.

(٣) هذا قول باطل، وهو من بدع التأويل، فيه التنقص من مقام السيدة مريم عليها السلام. والصواب قول ابن =

قاله مُجاهِدٌ، وعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ. قال الفَرَّاءُ: النَّسي: ما تُلقيهِ المرأةُ مِنْ خِرَقِ اعتِلالِها. وقال ابنُ الأنباري: هي خِرَقُ الحِيَضِ تُلقيها المرأةُ فلا تطلُبها ولا تَذكُرها. **والثالث**: أنه السِّقْطُ، قاله أبو العَالِية والرَّبيعُ. **والرابع**: أنَّ المعنى: ليتَني لا يُدرى مَنْ أنا، قاله قتَادَةُ. **والخامس**: أنه الشيءُ التَّافِهُ يَرتَحِلُ عنه القومُ، فيَهُونُ عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابنُ السَّائِبِ، وقال أبو عُبيدَةَ: النِّسي والمَنْسِي: ما يُنسى مِنْ إدَاوَةٍ وعصا. يعني أنه يُنسى في المنزل فلا يُرجَعُ إليه لاحتقارِ صاحبه إيَّاهُ. وقال الكِسَائيُّ: معنى الآية ليتَني كنتُ ما إذا ذُكِرَ لم يُطْلَبْ.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصم: «مَنْ تَحتَها» بفتحِ الميم، والتاء. وقرأ نافعٌ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «مِنْ تَحتِها» بكسر الميم والتاء، فمَنْ قرأ بكسرِ الميم، ففيه وجهان[١]: **أحدهما**: ناداها المَلَكُ مِنْ تَحت النَّخلةِ. وقيل: كانت على نَشزٍ، فناداها المَلَكُ أسفلَ منها. **والثاني**: ناداها عيسى لَمَّا خرج مِنْ بطنها. قال ابنُ عباسٍ: كلُّ ما رفعتَ إليه طَرْفكَ، فهو فوقَكَ، وكلُّ ما خَفضْتَ إليه طَرفَكَ، فهو تحتَكَ. ومَنْ قرأ ﴿مَن تَحۡتَهَآ﴾ بفتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران، وكان الفَرَّاءُ يقول: ما خاطَبَها إلاَّ المَلَكُ على القراءتين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ فيه قولان[٢]: **أحدهما**: أنه النَّهر الصغير، قاله جمهورُ المُفسِّرين، واللغويون، قال أبو صالح، وابنُ جُرَيجٍ: هو الجَدوَلُ بالسّريانيَّةِ. **والثاني**: أنه عيسى كان سَريًّا مِنَ الرجال، قاله الحسَنُ، وعِكرِمَةُ، وابنُ زَيدٍ، قال ابنُ الأنباري: وقد رجع الحسَنُ عن هذا القول إلى القولِ الأوَّل، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غُلاماً سَرِيًّا أو سَرِيًّا مِنَ الغِلمان، وقلَّما تقولُ العرب: رأيتُ عندكَ نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً.

فإنْ قيلَ: كيف ناسَبَ تسليتَها أنْ قيلَ: لا تحزني، فهذا نَهرٌ يجري؟ فالجواب مِنْ وجهين: **أحدهما**: أنها حَزِنتْ لجَدْبِ مكانها الذي وَلَدَتْ فيه، وعَدَم الطعام والشراب والماء الذي يُتَطَهَّرُ به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لكِ نهراً، وأطلعنا لكِ رُطَباً، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها حَزِنتْ لِمَا جرى عليها مِنْ ولادة وَلَدٍ عن غير زوجٍ، فأجرى اللَّهُ تعالى لها نَهراً، فجاءها مِنَ الأُردُن، وأخرجَ لها الرَّطبَ مِنَ الشجرة اليابسة، فكان ذلكَ آيةً تدلُّ على قُدرةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في إيجاد عيسى، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾ الهَزُّ: التَّحريكُ. والباءُ في قوله تعالى: ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال الفَرَّاءُ: معناه: فليَمْدُدْ سَبباً. والعرب تقول: هَزَّهُ، وهَزَّ به، وخُذِ الخِطَامَ وخُذْ بالخِطَامِ، وتَعَلَّقَ زيداً وتَعلَّقَ به. **والثاني**: أنها مؤكِّدةٌ، كقول الشاعر:

نَضرِبُ بالسَّيفِ ونرجو بالفَرَجِ[٣]

= عباس وغيره المتقدم، وكذا قول قتادة الآتي.

(١) الراجح أنه جبريل عليه السلام، وعيسى إنما تكلم أمام القوم، وكان أول ما نطق به هو العبودية لله تعالى.

(٢) القول الأول هو الصواب، وهو الذي اختاره الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣٠.

(٣) هو شطر من الرجز لراجز من بني جعدة، وهو في «الخزانة» ٤/ ١٥٩.

هذا مذهبُ أبي عُبيدَةَ.

والثالث: أنها دخلت على الجِذْعِ لِتُلصِقهُ بالهَزِّ، فهي مُفيدةٌ للالصاق، قاله ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «تَسَّاقط» بالتاء مشددةَ السين، وقرأ حَمزَةُ، وعبدُ الوارثِ: «تَسَاقط» بالتاء مفتوحةً مخفَّفة السينِ، وقرأ حَفصٌ عن عَاصِم: «تُساقِط» بضمِّ التاء وكسرِ القاف مخفَّفةَ السين، وقرأ يعقوبُ، وأبو زيدٍ عن المُفَضَّل: «يَسَّاقَط» بالياء مَفتوحةً وتشديدِ السين وفتحِ القاف. فهذه القِراءاتُ المشاهيرُ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو حَيْوَةَ: «يَسْقُطْ» بفتحِ الياء وسكونِ السين ورفعِ القاف. وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وعائشةُ، والحسَنُ: «يُساقِط» بألفٍ وتخفيفِ السين ورفعِ الياء وكسرِ القاف. وقرأ الضَّحَّاكُ، وعمرُو بنُ دِينَارٍ: «يُسْقِط» برفعِ الياء وكسرِ القاف مع سكونِ السين وعدمِ الألِفِ. وقرأ عَاصِمٌ الجَحدرِيُّ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني مثلَهُ، إلاَّ أنه بالتاء. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وابنُ يَعمُرَ مثلَهُ، إلاَّ أنه بالنون. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تَسْقُطُ» بالتاء مفتوحةً مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السَّمَّال العَدَويّ، وابنُ حذلم: «تتساقط» بتاءَين مفتوحين وبألِفٍ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «يسَّاقط» فالمعنى: يتساقَطُ، فأُدغِمَتِ التاءُ في السين. ومَنْ قرأ «تسَّاقط» فكذلك أيضاً، وأنَّث لأنَّ لفظَ النَّخلةِ مأنَّث. ومَنْ قرأ «تساقط» بالتاءِ والتَّخفيفِ، فإنه حَذَفَ مِنْ «تتساقط» اجتماعَ التاءين. ومَنْ قرأ «يُساقط» ذهب إلى معنى: يُساقِط الجِذْعُ عليكِ. ومَنْ قرأ «نُساقط» بالنون، فالمعنى: نحنُ نُساقط عليكِ، فنجعله لكِ آيةً، والنحويون يقولون: إنَّ «رطباً» منصوبٌ على التَّمييز إذا قلتَ: يسَّاقط أو يتساقط، المعنى: يتساقط الجِزْعُ رُطباً. وإذا قلتَ: تسَّاقط بالتاء، فالمعنى: تتساقط النَّخلةُ رُطباً.

قوله تعالى: ﴿جَنِيّٗا﴾ قال الفَرَّاءُ: الجَنِيّ: المُجتَنَى، وقال ابنُ الأنبَاري: هو الطَّرِيُّ، والأصل: مَجْنُوٌّ، صُرِفَ مِنْ مَفعُولٍ إلى فَعِيلٍ، كما يقال: قَدِيْد، وطَبِيخ، وقال غيره: هو الطَّرِيُّ بغُبارة؛ ولم يكن لتلكَ النَّخلةِ رأسٌ، فأنبتَهُ اللهُ تعالى، فلما وَضَعتْ يدَها عليه، سَقَطَ الرُّطَبُ رَطْباً وكان السَّلَف يستحبُّون للنُّفساءِ الرُّطَبَ مِنْ أجل مريمَ عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي﴾ أي: مِنَ الرُّطَبِ ﴿وَٱشۡرَبِي﴾ مِنَ النَّهرِ ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ بولادةِ عيسى عليه السلام. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: قَرِرتُ به عَيناً أقَرُّ، بفتح القاف في المستقبل وقررت في المكان أقر بكسر القاف، «وعيناً»: منصوبٌ على التَّمييز. وروَرى ابنُ الأنباري عن الأصمَعِي أنه قال: معنى «وقرّي عيناً»؛ ولتَبْرُدْ دَمعتُكِ، لأنَّ دمعةَ الفَرَحِ باردةٌ، ودمعة الحزنِ حارَّةٌ. واشتقاقُ «قرّي» مِنَ القرور، وهو الماء البارِدُ. وقال لنا أحمدُ بنُ يَحيى: تفسيرُ «قرّي عيناً» بَلَغْتِ غَاية أَمَلِكِ حتى تَقَرَّ عينُكِ مِنَ الاستِشرَافِ إلى غيره. واحتجَّ بقول عمرو بنِ كُلثوم:

بِـيـومِ كَـرِيـهَـةٍ ضَـرْبَـاً وطَـعْـنَـاً   أَقَـرَّ بِـه مَـوالِـيْـكَ الـعُـيُـونـا[1]

أي ظَفِرُوا وبَلَغُوا مُنتهى أُمْنِيتِهم، فقرَّت أعينهم مِنْ تَطلُّعٍ إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو مِجْلَز، وابنُ السَّمَيْفع، والضَّحَّاكُ، وأبو العَالِيَة،

---

(١) البيت في «مختار الشعر الجاهلي» ٢/ ٣٦٢ و «اللسان» ـ قرر ـ.

وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «ترئِنَّ» بهمزةٍ مكسورةٍ مِنْ غير ياءٍ. أي: إنْ رأيتِ مِنَ البشرِ أحداً فقولي؛ وفيه إضمارٌ تقديره: فسَألَكِ عن أمرِ وَلدِكِ. ﴿فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: صمتاً، قاله ابنُ عباسٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، والضحاك. وكذلك قرأ أبي بن كعب وأبو رَزِينٍ العَقيليّ: «صمتاً» مكانَ قوله: «صوماً» وقرأ ابنُ عباسٍ: صياماً. **والثاني**: صوماً عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتَادَةُ. وقال ابنُ زيدٍ: كان المُجتهدُ مِنْ بني إسرائيلَ يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام، إلاَّ مِنْ ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ. قاله السُّدِّيُّ: فأَذِنَ لها أنْ تتكلَّمَ بهذا القَدْرِ ثم تَسكُت. قال ابنُ مسعودٍ: أُمِرَتْ بالصَّمتِ، لأنها لم تكن لها حُجَّةٌ عند الناس، فأُمِرَتْ بالكَفِّ عن الكلام ليكفيَها الكلامَ وَلدُها بما يُبرِّئُ به ساحتَها. وقيل: كانت تُكلِّمُ الملائكةَ ولا تُكلِّمُ الإنسَ. قال ابنُ الأنباري: الصومُ في لغة العرب على أربعةِ مَعانٍ، يقال: صومٌ لتَركِ الطعام الشراب وصَومٌ للصَّمتِ، وصومٌ لضَرْبٍ مِنَ الشجر، وصومٌ لذَرقِ النَّعام.

واختلف العلماء في مقدار سِنِّ مريمَ يومَ ولاَدتِها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ولَدَتْ وهي بنتُ خمسَ عشرةَ سنةً، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبهٍ. **والثاني**: بنتَ اثنتي عشرَة، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ. **والثالث**: بنتَ ثلاثَ عشرةَ سنةً، قاله مُقاتِلٌ.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ قال ابنُ عباسٍ في رواية أبي صالح: أتتهم به بعدَ أربعين يوماً حين طَهُرَتْ مِنْ نَفَاسِها. وقال في رواية الضَّحَّاكِ: انطلق قومُها يطلبُونها، فلَمَّا رَأَتْهم حَملَتْ عيسى فتلقَّتْهُم به، فلذلكَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.

فإنْ قيلَ: «أتت به» يغني عن «تحمله» فما فائدةُ التَّكريرِ؟ فالجواب: أنه لمَّا ظهرت منه آياتٌ، جازَ أنْ يتوهَّمَ السامعُ «فأتت به» أن يكونَ ساعياً على قدميه، فيكون سَعيُه آيةً كنُطقِهِ، فقطعَ ذلك التَّوهُّمَ، وأعلَمَ أنه كسائرِ الأطفال، وهذا مِثل قولِ العرب: نظرتُ إلى فُلانٍ بعَيْني، فنفَوْا بذلك نَظر العطف؛ والرَّحمة، وأثبتوا أنه نَظرُ عَيْنٍ. وقال ابنُ السَّائِبِ: لمَّا دخلت على قومها بَكَوْا، وكانوا قوماً صالحين؛ و ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: شيئاً عظيماً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، قال الفَرَّاءُ: الفَرِيُّ: العظيم، والعرب تقول: تركتُه يَفرِي الفَرِيَّ، إذا عمل فأجادَ العملَ فَفَضَلَ الناسَ، قيل هذا فيه.

[٩٥٤] قال النبيُّ ﷺ: «فما رأيتُ عبقَرِيّاً يَفري فَرْيَ عمرَ».

---

[٩٥٤] صحيح. وهو بعض حديث عبد الله بن عمر أخرجه البخاري ٣٦٣٣ و ٣٦٨٢ ومسلم ٢٣٩٣ والترمذي ٢٢٩٠ =

والثاني: عَجَباً فائقاً، قاله أبو عُبيدَة. **والثالث**: شيئاً مصنوعاً، ومنه يُقال: فَرَيتَ الكذبَ، وافترَيتَهُ، قاله اليَزيديُّ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ في المراد بهارونَ هذا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أخٌ لها مِنْ أُمِّها، وكان مِنْ أمثَلِ فتىً في بَني إسرائيلَ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: كان مِنْ أبيها وأُمِّها. **والثاني**: أنها كانت مِنْ بَني هارونَ، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. وقال السُّدِّيُّ: كانت مِنْ بني هارونَ أخي موسى عليهما السلامُ، فنُسِبَتْ إليه، لأنها مِنْ وَلَدِهِ. **والثالث**: أنه رجلٌ صالحٌ كان من بني إسرائيلَ، فشبَّهوها به في الصَّلاحِ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وقَتادَةَ، ويدلُّ عليه ما روى المُغيرَةُ بنُ شُعبَةَ قال:

[٩٥٥] بَعثني رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ نَجرانَ، فقالوا: أَلَستُم تقرؤون: «يا أخت هارون» وقد عَلِمتُم ما كان بينَ موسى وعيسى؟ فلَمْ أدرِ ما أُجيبُهم، فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: «ألاَ أخبرتَهم أنهم كانوا يُسَمُّون بأنبيائِهم والصَّالحينَ قَبْلَهُم».

والرابع: أنَّ قومَ هارونَ كان فيهم فُسَّاقٌ وزُناةٌ، فنَسَبُوها إليهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

والخامس: أنه رجلٌ مِنْ فُسَّاقِ بَني إسرائيلَ شبَّهوها به، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ.

فعلى هذا يُخرَّجُ في معنى «الأخت» قولان: **أحدهما**: أنها الأختُ حقيقةً. **والثاني**: المُشابَهَةُ، لا المُناسبةُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ يعنون: عِمرانَ ﴿ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ﴾ حنَّةُ ﴿بَغِيّٗا﴾ زانيةً، فمِنْ أين لكِ هذا الولدُ؟!

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ﴾ أي: أومأَتْ ﴿إِلَيۡهِۖ﴾ أي: إلى عيسى فتكلَّم، وقيل المعنى: أشارَتْ إليه أنْ كَلِّمُوه. وكان عيسى قد كَلَّمها حين أتَتْ به قومَها وقال: يا أُمَّاهُ أبشِري فإنِّي عبدُالله ومَسِيحُه، فلمَّا أشارَتْ أنْ كَلِّموه، تعجَّبوا مِنْ ذلك، و ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها زائدةٌ، فالمعنى: كيف نُكلِّم صبياً في المَهْدِ؟! **والثاني**: أنها في معنى: وَقَع، وحدَث. **والثالث**: أنها في معنى الشَّرطِ والجزاء، فالمعنى: مَنْ يكُن في المَهْدِ صبياً، فكيف نُكلِّمه؟! حكاها الزَّجَّاجُ واختار الأخير منها، قال ابنُ الأنبَاري: وهذا كما تقول: كيف أَعِظُ مَنْ كان لا يقبلُ مَوعِظَتي؟! أي: مَنْ يكن لا يقبلُ، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجَزاء. **والرابع**: أنَّ «كان» بمعنى صار، قاله قُطرُبٌ. وفي المراد بالمَهْدِ قولان: **أحدهما**: حِجْرُها، قال نَوفٌ، وقَتادَةُ، والكَلبيُّ. **والثاني**: سريرُ الصَّبي

= وأحمد ٢/ ٢٧ ـ ٢٨ و ٨٩ و ١٠٤ وأبو يعلى ٥٥١٤. وصدره «رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غرباً. فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه، حتى ضرب الناس بعطن».

[٩٥٥] صحيح. أخرجه مسلم ٢١٣٥ والترمذي ٣١٥٥ والنسائي في «التفسير» ٣٣٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٨٢ والطبري ٢٣٦٩٢ من طرق عن المغيرة بن شعبة به.

---

(١) سورة الزخرف: ٤٨.

المعروف، حكاه الكَلبيُّ أيضاً.

قال السُدِّيُّ: فلمَّا سمع عيسى كلامَهُم، لم يَزِدْ على أن تَركَ الرَّضاعَ، وأقبلَ عليهم بوَجْهِهِ، فقال: إنِّي عبدُ الله، قال المُفسِّرون: إنما قَدَّم ذِكرَ العبودية، لِيُبطلَ قولَ مَنِ ادَّعى فيه الرُّبوبيةَ.

وفي قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أسكَنَ هذه الياءَ حَمزَةُ. وفي معنى الآيةِ قولان: **أحدهما**: أنه آتاهُ الكتابَ وهو في بطنِ أُمِّهِ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقيلَ: عَلِمَ التَّوراةَ والإنجيلَ وهو في بطن أُمِّهِ. **والثاني**: قضى أنْ يُؤتيَني الكتابَ، قاله عِكرمَةُ. وفي الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه التَّوراةُ. **والثاني**: الإنجيلُ. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ هذا وما بعده إخبارٌ عمَّا قضى الله له وحَكَمَ له به ومَنحَهُ إيَّاهُ ممَّا سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يُؤتيني الكتابَ وَيجعلُني نبيّاً إذا بَلَغتُ؛ فحَلَّ الماضي مَحَلَّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾[1]. وفي وقتِ تكليمِهِ لهم قولان: **أحدهما**: أنه كلَّمَهُم بعد أربعينَ يوماً. **والثاني**: في يومه. وهو مبنيٌّ على ما ذكرنا مِنَ الزمان الذي غابَتْ عنهم فيه مريمُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

[٩٥٦] روى أبو هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ في هذه الآيةِ قال: «نَفَّاعاً حيثُما توجَّهتُ». وقال مُجاهِدٌ: مُعلِّماً للخير.

وفي المُراد «بالزكاة» قولان: **أحدهما**: زكاةُ الأموالِ، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: الطهارة: قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ قال ابنُ عباس: لمَّا قال هذا، ولم يَقُلْ: «بوالديّ» علموا أنه وُلِدَ مِنْ غير بَشَرٍ. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا﴾ أي: مُتعظِّماً ﴿شَقِيًّا﴾ عاصياً لربه ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ قال المفسِّرون: السلامة عليَّ مِنَ الله يومَ وُلِدتُ حتى لم يَضُرَّني شيطانٌ. وقد سبق تفسيرُ الآية. فإنْ قيلَ: لِمَ ذكرَ هاهنا «السلام» بألِفٍ ولام، وذكرَهُ في قصة يَحيى بلا ألِفٍ ولام؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه لمَّا جرى ذِكرُ السلام قبلَ هذا الموضع بغير ألِفٍ ولام، كان الأحسَنُ أنْ يَرِدَ ثانيةً بألِفٍ ولام، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وقد اعتُرِضَ على هذا القول، فقيلَ: كيفَ يجوز أنْ يُعطَفَ هذا وهو قولُ عيسى، على الأوَّلِ وهو قولُ الله عزَّ وجلَّ؟! وقد أجاب عنه ابنُ الأنبَاري فقال: عيسى إنما يتعلَّمُ مِنْ ربِّه، فيجوز أن يكونَ سَمِعَ قولَ الله في يَحيى، فبَنى عليه وألصَقَهُ بنفسه، ويجوز أن يكون الله عزَّ وجلَّ عَرَّفَ السَّلامَ الثاني لأنه أتى بعد سلام قد ذكَرَهُ، وأجراه عليه غيرَ قاصدٍ به إتباعَ اللفظِ المَحكيِّ، لأنَّ المتكلِّمَ، له أنْ يُغيِّرَ بعضَ الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبدُ الله: أنا رَجُلٌ مُنصِفٌ، يريد: قال لي عبدُ الله: أنتَ رَجُلٌ مُنصِفٌ. **والجواب الثاني**: أنَّ سلاماً والسَّلامُ لُغتان بمعنًى واحدٍ، ذكره ابنُ الأنباري.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

---

[٩٥٦] ضعيف. أخرجه أبو نعيم ٣/ ٢٥ من حديث الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً، وهذا منقطع الحسن لم يسمع من أبي هريرة، والأشبه كونه من كلام الحسن أو أبي هريرة، والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي، ذلك الذي قال: إِني عبدُالله، هو ابنُ مريمَ، لا ما تقول النَّصارى: إنه ابنُ الله، وإنه إلهٌ. قوله تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، ونافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «قولُ الحق» برفع اللام. وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ بنصب اللام. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رفعَ «قولُ الحق» فالمعنى: هو قولُ الحقِّ، يعني هذا الكلامَ؛ ومَنْ نصبَ، فالمعنى: أقولُ قولَ الحقِّ. وذكرَ ابنُ الأنبَاري في الآيةِ وجهين: **أحدهما**: أنه لمَّا وُصِفَ بالكلمة جازَ أن يُنعَتَ بالقولِ. **والثاني**: أنَّ في الكلام إضماراً، تقديره: ذلك نبأُ عيسى، ذلك النَّبأ قولُ الحقِّ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يَشُكُّون. قال قَتادَةُ: امترَتِ اليهودُ فيه والنَّصارى، فزعم اليهودُ أنه ساحرٌ، وزعمَ النَّصارى أنه ابنُ الله وثالثُ ثلاثةٍ. قرأ أبو مِجْلَزٍ، ومعاذٌ القارئُ، وابنُ يَعْمَرٍ، وأبو رَجَاءٍ: «تمترون» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنْ يتَّخذَ وَلَداً. و«مِنْ» مؤكدَةُ تدُل على نفي الواحد والجماعة، لأنَّ للقائلِ أن يقول: ما اتخذتُ فَرَساً، يريد: اتَّخذتُ أكثرَ مِنْ ذلك، وله أن يقول: ما اتَّخذتُ فَرَسَين ولا أكثرَ، يريد: اتَّخذتُ فَرَساً واحداً؛ فإذا قال: ما اتَّخذتُ مِنْ فرسٍ، فقد دَلَّ على نفي الواحدِ والجميع. قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني، وابنُ أبي عَبلَةَ: «فيكونَ» بالنَّصبِ، وقد ذكرنا وَجْهَهُ في سُورةِ البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ؛ وأبو عمروٍ: «وأنَّ الله» بنصبِ الألف، وقرأ عَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «وإن الله» بكسر الألِفِ. وهذا مِنْ قول عيسى؛ فمَنْ فَتَح، عَطَفَهُ على قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وبأنَّ الله ربِّي؛ ومَنْ كَسَر، ففيه وجهان: **أحدهما**: أن يكونَ معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾. **والثاني**: أن يكونَ مُستأنفاً.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ قال المفسِّرون: «مِنْ» زائدةٌ، والمعنى: اختلفوا بينهم. وقال ابنُ الأنبَاري: لمَّا تمسَّكَ المؤمنون بالحقِّ، كان اختلافُ الأحزابِ بين المؤمنين مقصُوراً عليهم. وفي الأحزاب قولان: **أحدهما**: أنهم اليهودُ والنَّصارى، فكانت اليهودُ تقول: إنه لَغَيْرِ رِشْدَةٍ، والنَّصارى تدَّعي فيه ما لا يَليقُ به. **والثاني**: أنهم فِرَقُ النَّصارى، قال بعضُهم، يعني اليَعقوبيَّةَ: هو اللهُ، وقال بعضُهم، يعني النسطُوريَّةَ: ابنُ الله، وقال بعضُهم: ثالثُ ثلاثةٍ.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بقولهم في المَسيحِ ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: مِنْ حُضورِهم ذلك اليومَ للجزاءِ.

قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ لفظَهُ لفظُ الأمرِ، ومعناه الخَبرُ؛

(١) سورة البقرة: ١١٧.

فالمعنى: ما أَسْمَعَهُم وأبصرَهُم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حينَ لم يَنفَعْهُم ذلك لأنهم شاهدوا مِنْ أمرِ الله ما لا يحتاجون معه إلى نَظَرٍ وفِكرٍ فعلموا الهُدى وأطاعوا، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أَسْمِع بحديثِهم اليومَ، وأبصِرْ كيف يُصنَعُ بهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، قاله أبو العَالية. قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ يعني المشركين والكفَّارَ ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: خَوِّفْ كفَّار مكَّةَ ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يعني: يومَ القيامة يَتَحَسَّرُ المُسيءُ إذا لم يُحْسِنْ، والمُقصِّرُ إذ لم يَزْدَدْ مِنَ الخير. ومُوجباتُ الحَسرةِ يومَ القيامةِ كثيرةٌ، فمِنْ ذلك ما رَوى أبو سعيدٍ الخُدريُّ، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٩٥٧] «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النارِ النارَ، قيل: يا أهلَ الجنَّةِ، فيَشرئبُّون وينظرون، وقيل: يا أهلَ النار فيشرئبون وينظرون فيُجاءُ بالموتِ كأنه كَبْشٌ أملَحُ، فيُقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموتُ، فيُذبَحُ، ثم يقال: يا أهلَ الجنة خلودٌ فلا مَوتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موتَ؛ ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾». قال المُفسِّرون: فهذه هي الحَسرةُ إذا ذُبِحَ الموتُ، فلو مات أحدٌ فرحاً ماتَ أهلُ الجنَّةِ، ولو مات أحدٌ حُزناً ماتَ أهلُ النار.

ومِنْ مُوجباتِ الحَسرةِ ما روى عَدِيُّ بنُ حاتمٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

[٩٥٨] «يُؤتى يومَ القيامةِ بناسٍ إلى الجنَّةِ، حتى إذا دَنَوْا منها واستَنْشَقُوا رِيحَها ونظروا إلى قُصورِها، نُودُوا: أنِ اصرِفُوهم عنها، لا نَصيبَ لهم فيها، فيرجعون بحَسرةٍ مَا رَجَعَ الأوَّلُون بمِثْلِها. فيقولون: يا رَبَّنا لو أدخلْتَنا النارَ قبلَ أنْ تُرِيَنا ما أريتَنا كان أهونَ علينا؛ قال: ذلكَ أردتُ بكُم، كنتُم إذا خَلَوْتُم بارزتُموني بالعَظائمِ، وإذا لَقِيتُمُ الناسَ لقِيتُوهم مُخبِتِينَ[1]، تُراؤونَ الناس بخِلافِ ما تُعطوني مِن قُلوبِكُم، هِبْتم[2] الناسَ ولم تَهابُوني، وأجلَلْتُم[3] الناسَ ولم تُجِلُّوني، تركتُم للناس ولم تَتركُوا لِي، فاليومَ أُذيقُكُم العذابَ مع ما حَرمتُكُم مِنَ الثَّواب».

ومِنْ مُوجباتِ الحَسرةِ ما رُوِي عن ابنِ مسعودٍ قال: ليس مِنْ نَفْسٍ يومَ القيامةِ إلاَّ وهي تنظر إلى بيتٍ في الجنة، وبيتٍ في النار، ثم يُقال: يعني لهؤلاءِ: لو عَملتُم، ولأهلِ الجنَّةِ: لولا أنْ مَنَّ اللهُ

---

[٩٥٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٣٠ ومسلم ٢٨٤٩ وأحمد ٣/ ٩ والترمذي ٢٥٥٨ وأبو يعلى ١١٧٥ وابن حبان عقب حديث ٧٤٧٤ من حديث أبي سعيد. وورد من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ٦٥٤٨ ومسلم ٢٨٥٠. وفي الباب أحاديث كثيرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٦٠ بتخريجنا.

[٩٥٨] ضعيف جداً. أخرجه ابن حبان في «المجروحين» ٣/ ١٥٥ ـ ١٥٦ وأبو نعيم ٤/ ١٢٥ والطبراني ١٧/ ٨٥ ـ ٨٦ والبيهقي في «الشعب» ٦٨٠٩ من حديث عدي بن حاتم، ومداره على أبي جنادة حصين بن مخارق، وهو متروك، واتهمه الدارقطني بالوضع. وقال ابن حبان: لا يجوز الرواية عنه. ومع ذلك قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٢٠/ ١٧٦٤٩: أبو جنادة ضعيف!!؟. والصواب أنه ضعيف جداً، والخبر شبه موضوع.

---

(١) الإخبات: الخشوع والتواضع.
(٢) هبتم: خفتم الناس وحسبتم لهم حساباً.
(٣) أجللتم: عظمتم.

عليكم. ومِنْ مُوجباتِ الحَسرةِ: قَطعُ الرَّجاءِ عند إطبَاقِ النار على أهلِها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال ابنُ الأنباري: «قُضي» في اللغة بمعنى: أُتقِنَ وأُحكِمَ، وإنما سُمِّي الحَاكِمُ قاضياً، لإتقانِه وإحكامِه ما يُنفِذُ. وفي الآية اختصارٌ، والمعنى: إذ قُضِيَ الأمرُ الذي فيه هَلاكُهم. وللمُفسِّرين في الأمرِ قولان: **أحدهما**: أنه ذبحُ الموتِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنَّ المعنى: قُضِيَ العذابُ لهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ هم في الدنيا في غفلة عمَّا يُصنع بهم ذلك اليومَ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: نُميتُ سُكَّانها فنرثُها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في «نحن» وقد كَفَتْ عنها «إنا»؟. فالجواب: أنه لمَّا جاز في قول المُعظَّم: «إنَّا نفعل» أنْ يُتوهَّمَ أنَّ أتباعَهُ فعلوا، وأبانَتْ «نحن» بأنَّ الفعلَ مضافٌ إليه حقيقةً. فإنْ قيلَ: فلِمَ قال: «ومَنْ عليها» وهو يَرِثُ الآدميين وغيرَهم؟! فالجواب: أنَّ «مَنْ» تختصُّ أهلَ التَّمييزِ، وغيرُ المُميِّزين يدخلون في معنى الأرضِ ويجرون مَجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابنُ الأنباري.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: أُذكُر لقومكَ قصتَهُ. وقد سبقَ معنى الصِّدّيق[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ أي: لا يدفعُ عنكَ ضرّاً.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لا تُطِعهُ فيما يأمرُ به مِنَ الكُفرِ والمعاصي. وقد شرحنا معنى «كان» آنِفاً. و ﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً، فهو «فَعِيل» بمعنى «فاعِل».

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قال مُقاتِلٌ: في الآخرة؛ وقال غيرُه: في الدنيا، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ أي: قريباً في عذاب الله، فَجرَتِ المقارنةُ مجرى المُوالاةِ. وقيل: إنما طَمِعَ إبراهيمُ في إيمانِ أبيه، لأنه حينَ خرج مِنَ النار قال له: نِعْمَ الإلهُ إلهُكَ يا إبراهيمُ، فحينئذٍ أقبلَ يَعِظه، فأجابَهُ أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾! أي: أَتارِكٌ عبادتَها أنتَ؟! ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن

(١) سورة النساء: ٦٩.

عَيبها وشتمِها ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: بالشَّتم والقولِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: بالحجارة حتى تَتباعدَ عني، قاله الحَسَنُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اهجُرني طويلاً، رواه مَيمُونُ بنُ مِهرَانَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، والفَرَّاءُ، والأكثرون. قال ابنُ قُتَيبةَ: اهجُرني حِيناً طويلاً، ومنه يُقالُ: تَمَلَّيت حبيبكَ. **والثاني**: اجتَنِبْني سالماً قبلَ أنْ تُصيبَكَ عُقوبتي، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ؛ فَعَلى هذا يكون مِنْ قولِهم: فلانٌ مَلِيٌّ بكذا وكذا: إذا كان مُضطَلِعاً به، فالمعنى: اهجُرني وعِرضُكَ وافِرٌ، وأنتَ سليمٌ مِنْ أذايَ، قاله ابنُ جَريرٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ أي: سَلِمتَ مِنْ أنْ أُصِيبَكَ بمكروهٍ، وذلك أنه لم يُؤمَرْ بقتاله على كُفرِه، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: سأسألُ اللهَ لكَ تَوبةً تَنالُ بها مغفرتَهُ. **والثاني**: أنه وَعَدَهُ الاستغفارَ وهو لا يعلم أنَّ ذلك محظورٌ في حقِّ المُصِرِّينَ على الكُفرِ، ذكرهما ابنُ الأنبَاري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لطيفاً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: رحيماً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بارّاً عَوَّدَني منه الإجابةَ إذا دَعوتُهُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ﴾ أي: وأتنحَّى عنكم، ﴿و﴾ أعتزِلُ ﴿ما تدعون من دون الله﴾ يعني الأصنام. وفي معنى «تَدْعُون» قولان: **أحدهما**: تَعبُدون. **والثاني**: أنَّ المعنى: وما تدعُونه ربّاً، ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ أي وأعبُدُه ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ أي أرجو أنْ لا أشقَى بعبادته كما شَقِيتُم أنتم بعبادة الأصنام، لأنها لا تنفعُهم ولا تُجيبُ دُعاءَهم ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ قال المُفسِّرون: هاجَرَ عنهم إلى أرضِ الشَّام، فوَهَبَ اللهُ له إسحاقَ ويعقوبَ، فآنسَ اللهُ وَحشتَهُ عن فهراقِ قومه بأولادٍ كِرامٍ. قال أبو سُليمانَ: وإنما وَهَبَ له إسحاقَ ويعقوبَ بعدَ إسماعيلَ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا﴾ أي وكُلاً مِنْ هذَين. وقال مُقاتِلٌ: ﴿وَكُلّٗا﴾ يعني إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ قال المُفسِّرون: المالُ والوَلَدُ والعِلْمُ والعملُ، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ أي ذِكراً حَسَناً في النَّاس مُرتفعاً، فجميعُ أهلِ الأديان يَتولَّون إبراهيمَ وذُريَّتَه ويُثنُون عليهم، فوضعَ اللسانَ مكانَ القولِ، لأنَّ القولَ يكون باللسانِ.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عَاصِمٍ: «مُخْلِصاً» بكسرِ اللام. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ بفتح اللام. قال الزَّجَّاجُ: **المُخلِص**، بكسرِ اللام: الذي وَحَّدَ اللَّهَ، وجعل نفسَهُ خالصَةً في طاعة الله غَيرَ دَنِسَةٍ، والمُخلَص، بفتح **اللام**: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدَّنس.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ قال ابنُ الأنباري: إنما أعادَ «كان» لِتفخيمِ شأن النّبيّ المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: مِنْ ناحية الطُّورِ، وهو جبلٌ بين مِصرَ ومَدْينَ اسمه زَبير. قال ابنُ الأنباري: إنما خاطبَ اللَّهُ العربَ بما يستعملون في لُغتهم، ومِنْ كلامهم: عن يمينِ القِبلَةِ وشمالها، يَعنُون: ممَّا يلي يمينَ المُستَقبِلِ لها وشمالَهُ، فنقلوا الوصفَ إلى ذلك اتِّساعاً عند انكشاف المعنى، لأنَّ الوادي لا يَدَ لَهُ فيكون له يمينٌ. وقال المُفسِّرون: جاء النِّداءُ عن يمينِ موسى، فلهذا قال: «الأيمنِ»؛ ولم يُرِدْ به يمينَ الجبل. قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: مُناجياً، فعبَّرَ «فَعيل» عن مُفَاعِل، كما قالوا: فلانٌ خَليطِي وعَشِيري: يَعنُونَ: مُخالِطِي ومُعاشِري. وروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ في قوله: «وقرَّبناه» قال: حتى سمعَ صَرِيفَ القَلَم حين كتبَ له في الألواحِ. قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾ أي: مِنْ نِعمَتِنا عليه إذ أجبنا دُعاءَهُ حين سَأل أنْ نجعلَ معه أخاه وَزِيراً له.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ هذا عامٌّ فيما بينه وبينَ الله، وفيما بينه وبينَ الناس. وقال مُجاهِدٌ: لم يَعِدْ ربَّهُ بوَعدٍ قطُّ إلاَّ وَفى له به. فإنْ قيلَ: كيف خُصَّ بصِدْقِ الوَعدِ إسماعيلُ، وليس في الأنبياء مَنْ ليس كذلك؟ فالجواب: أنَّ إسماعيلَ عَانَى في الوفاءِ بالوَعدِ ما لم يُعانِهِ غيرُه مِنَ الأنبياء، فأُثنِيَ عليه بذلك. وذكر المُفسِّرونَ: أنه كان بينه وبينَ رجلٍ مِيعادٌ، فأقامَ ينتظره مُدَّةً فيها لهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أقامَ حَوْلاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: اثنين وعشرينَ يوماً، قاله الرَّقاشِي. **والثالث**: ثلاثةَ أيام، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ إلى قومه، وهُمْ جُرْهُمُ. ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني: قومَه. وقال الزَّجَّاجُ: أهله جميعُ أُمَّتِه. فأمَّا الصَّلاةُ والزَّكاةُ، فهُما العِباداتانِ المعروفتان.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه في السماءِ الرابعةِ.

[٩٥٩] روى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث مالكِ بنِ صَعصَعةَ عن رسولِ الله ﷺ في حديثِ المِعراجِ: أنه رأى إدريسَ في السماءِ الرابعةِ، وبهذا قال أبو سعيدٍ الخُدريُّ، ومُجاهِدٌ، وأبو العَالية.

والثاني: أنه في السماءِ السادسةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه في الجنَّةِ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ، وهذا يرجع إلى الأوَّلِ، لأنه قد رُوِيَ أنَّ الجنَّةَ في السماءِ الرابعةِ. **والرابع**: أنه في السماء السابعةِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

وفي سببِ صُعودِهِ إلى السماءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٦٠] **أحدها**: أنه كان يُصعدُ له مِنَ العمل مِثْلُ ما يُصعدُ لجميع بَني آدمَ؛ فأحبَّه مَلَكُ المَوتِ،

---

[٩٥٩] تقدّم في سورة الإسراء، وهو متفق عليه.

[٩٦٠] لم أره بهذا اللفظ مسنداً. وعزاه المصنف لزيد بن أسلم بمعناه، وهذا مرسل، زيد تابعي، ولم أقف على =

فاستأذنَ اللَّهَ في خُلَّتِه، فأَذِنَ له، فهبطَ إليه في صُورةِ آدميٍّ، وكان يَصحَبُه، فلمَّا عَرفَهُ، قال: إنّي أسألُكَ حاجةً، قال: ما هي؟ قال: تُذيقُني الموتَ، فلعلّي أعلَمُ ما شِدَّتُه فأكونَ له أشدَّ استِعداداً؛ فأوحى اللَّهُ إليه أنِ اقبِضْ رُوحَهُ ساعةً ثم أرسِلْهُ، ففعلَ، ثم قال: كيفَ رأيتَ؟ قال: كانَ أشدَّ ممَّا بلَغني عنه، وإنّي أُحِبُّ أنْ تُرِيَني النارَ، قال: فحَملَهُ، فأراه إيَّاها؛ قال: إني أُحِبُّ أنْ تُرِيَني الجنَّةَ، فأراهُ إيَّاها، فلمَّا دَخلَها وطافَ فيها، قال له مَلَكُ المَوتِ: اخرُجْ، فقال: واللَّهِ لا أخرجُ حتى يكونَ اللَّهُ تعالى يُخرِجُني؛ فبعثَ اللَّهُ مَلَكاً فحَكَمَ بينهما، فقال: ما تقولُ يا مَلَكَ الموتِ؟ فقصَّ عليه ما جَرى؛ فقال: ما تقولُ يا إدريسُ؟ قال: إنَّ اللَّهَ تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾[١] وقد ذُقتُه، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾[٢]، وقد وَرَدْتُها، وقال لأهلِ الجنَّة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٣]، فواللَّهِ لا أخرجُ حتى يكونَ اللَّهُ يُخرِجُني؛ فسمعَ هاتِفاً مِنْ فوقِه يقول: بإذني دَخلَ وبأمري فعلَ فخَلِّ سبيلَهُ؛ هذا معنى ما رَواهُ زَيدُ بنُ أسلَمَ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ.

فإنْ سألَ سائِلٌ فقال: مِنْ أينَ لإدرِيسَ هذه الآياتُ، وهي في كتابنا؟! فقد ذكرَ ابنُ الأنبَاري عن بعضِ العلماء، قال: كان اللَّهُ تعالى قد أعلَمَ إدريسَ بما ذكرَ في القرآن مِنْ وجوبِ الورُودِ، وامتناعِ الخُروجِ مِنَ الجنَّةِ، وغيرِ ذلك؛ فقال ما قاله بعِلْم.

والثاني: أنَّ مَلَكاً مِنَ الملائكة استأذَنَ ربَّهُ أنْ يَهبطَ إلى إدريسَ، فأَذِنَ له، فلمَّا عرفه إدريسُ، قال: هل بينكَ وبينَ مَلَكِ الموت قَرابةٌ؟ قال: ذاكَ أخي مِنَ الملائكة، قال: هل تستطيعُ أنْ تنفعني عندَ مَلَكِ المَوتِ؟ قال: سأُكَلِّمه فيكَ، فيَرفِقُ بكَ، اركَبْ بين جناحَيَّ، فرَكِبَ إدريسُ، فصَعدَ به إلى السماءِ، فلَقِيَ مَلَكَ الموتِ، فقال: إنَّ لي إليكَ حاجةً، قال؛ أعلَمُ ما حاجَتُكَ، تُكلِّمني في إدريسَ وقد مُحِيَ اسمُه مِنَ الصَّحيفَةِ ولم يَبْقَ مِنْ أجَلِه إلاَّ نصفُ طَرفَةِ عَينٍ؟! فماتَ إدريسُ بين جناحَي مَلَكٍ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ[٤] وقال أبو صالحِ عن ابنِ عباسٍ: فقبضَ مَلَكُ المَوتِ رُوحَ إدريسَ في السماءِ السادسةِ.

والثالث: أنَّ إدريسَ مشى يوماً في الشمس، فأصابَهُ وَهجُها، فقال: اللهُمَّ خَفِّفْ ثِقَلَها عمَّن يَحمِلُها، يعني به المَلَكَ المُوكَّلَ بالشمس، فلما أصبحَ المَلَكُ وجدَ مِنْ خِفَّةِ الشمس وحَرِّها ما لا يعرفُ، فسألَ اللَّهَ تعالى عن ذلك، فقال: إنَّ عبدي إدريسَ سألَني أنْ أُخفِّفَ عنكَ حِمْلَها وحَرَّها، فأجبتُه، فقال: يا ربِّ اجمَعْ بيني وبينه، واجعلْ بيننا خُلَّةً، فأَذِنَ له، فأتاهُ، فكان مما قاله إدريسُ: اشفَعْ لي إلى مَلَكِ الموتِ ليؤخِّرَ أَجَلي، فقال: إنَّ اللَّهَ لا يُؤخِّرُ نَفساً إذا جاء أجلُها، ولكنْ أُكلِّمُه فيكَ، فما كان مُستطيعاً أن يفعلَ بأحدٍ مِنْ بَني آدمَ فعَلَ بكَ ثم حَملَهُ المَلَكُ على جناحِه، فرَفعهُ إلى السماء، فوضعه عند مَطلِعِ الشمس، ثم أتى مَلَكَ الموتِ فقال: إنَّ لي إليكَ حاجةَ صديقٍ لي مِنْ بَني آدمَ تشفَّعَ بي إليكَ لِتؤخِّرَ أَجلَه، قال: ليس ذاكَ إليَّ، ولكن إنْ أحبَبْتَ أَعلَمْتُهُ متى يموتُ، فنظرَ في دِيوانِه،

= إسناده إليه، ولا يصح، والأشبه في هذا كونه متلقى عن أهل الكتاب، والله أعلم.

(١) سورة آل عمران: ١٨٥. (٢) سورة مريم: ٧١. (٣) سورة الحجر: ٤٨.
(٤) هذه الآثار مصدرها كتب الأقدمين، لا حجة في شيء منها.

فقال: إنكَ كَلَّمتَني في إنسانٍ ما أراه يموتُ أبداً، ولا أجِدُه يموتُ إلاَّ عند مَطْلِعِ الشمس، قال: إني أتيتُكَ وتركتُه هناك، قال: انطَلِقْ، فما أراكَ تجِدُهُ إلاَّ ميتاً، فوَاللَّهِ ما بقي مِنْ أجلِهِ شيءٌ، فرجعَ المَلَكُ فرآه ميتاً[1]. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ وكَعبٌ في آخرين. فهذا القولُ والذي قبلَهُ يدلأن على أنه ميتٌ، والقولُ الأول يدلُّ على أنه حيٌّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا (٦١) لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا (٦٢) تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا (٦٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا (٦٥)﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين ذكرَهُم مِنَ الأنبياء في هذه السُّورة ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني إدريسَ ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ يعني إبراهيمَ، لأنه مِنْ وَلَدِ سَامِ بنِ نُوحٍ ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ يريد: إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يعني ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهارونُ وزكريًا ويَحيى وعيسى. قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾ أي: وهؤلاءِ كانوا ممَّن أرشَدْنا، ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أي: واصطفَينا. قوله تعالى: ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «سُجَّداً» حالٌ مقدَّرةٌ، المعنى: خَرُّوا مُقَدِّرين السجودَ، لأنَّ الإنسانَ في حالِ خُرورِه لا يكون ساجداً، فـ«سُجَّداً» منصوبٌ على الحالِ، وهو جمعُ ساجدٍ ﴿وَبُكِيّٗا﴾ معطوفٌ عليه، وهو جمعُ باكٍ فقد بيَّنَ اللَّهُ تعالى أنَّ الأنبياء كانوا إذا سمعوا آياتِ الله سَجَدُوا وبَكَوْا مِنْ خشيةِ الله.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعراف[2]. وفي المُراد بهذا الخَلْفِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم اليهودُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: اليهودُ والنَّصارى، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنهم مِنْ هذه الأمَّةِ، يأتونَ عند ذهاب صَالِحي أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ يَتبارَوْنَ بالزِّنا، ويَنزو بعضُهم على بعضٍ في الأزِقَّة زُناةً، قاله مُجاهِدٌ، وقتادةُ. قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ العُقيلي، والحسَنُ البَصريُّ: «الصلوات» على الجمع. وفي المُراد بإضاعَتِهم إيَّاها قولان[3]: **أحدهما**: أنهم أخَّرُوها عن وقتها، قاله ابنُ مسعودٍ، والنَّخَعيُّ، وعمرُو بنُ عبدِالعزيز،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٦٠: هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٩.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٣٥٥: وأولى التأولين في ذلك عندي بالصواب بتأويل الآية، قول من قال: إضاعتها تركهم إياها، لدلالة قوله تعالى ذكره بعده على ذلك كذلك، وذلك قوله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً﴾ =

والقاسمُ بنُ مُخَيْمِرة. **والثاني**: تركوها، قاله القُرَظيُّ، واختاره الزَّجَّاج. **قوله تعالى**: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وذلك مثل استماعِ الغِناءِ، وشُربِ الخمرِ، والزِّنا، واللهوِ، وما شاكَلَ ذلك مما يقطعُ عن أداءِ فرائضِ الله عزَّ وجلَّ. قولُه تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللقاء مُجرَّدُ الرُّؤية، وإنما المُرادُ به الاجتماعُ والمُلابسَةُ مع الرؤية. وفي المُراد بهذا الغَيِّ ستةُ أقوالٍ[(١)]:

[٩٦١] **أحدها**: أنه وَادٍ في جهنَّم، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال كَعبٌ.

والثاني: أنه نهرٌ في جهنَّم، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثالث**: أنه الخُسرَانُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه العذابُ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنه الشرُّ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائب. **والسادس**: أنَّ المعنى: فسوف يَلقونَ مُجازَاةَ الغَيِّ، كقوله: ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾[(٢)] أي: مُجازاةَ الآثامِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تابَ مِنَ الشِّركِ، وآمَنَ بمحمَّدٍ ﷺ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: تابَ مِنَ التَّقصير في الصلاة، وآمَنَ مِنَ اليهودِ والنَّصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ وقرأ أبو رَزِين العُقَيليّ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «جناتُ» برفع التاء. وقرأ الحسَنُ البَصريُّ، والشَّعبيُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «جنةُ عدن» على التوحيد مع رفع التاء. وقرأ أبو مِجلَز، وأبو المُتوكِّل النَّاجِي: «جنةَ عدن» على التوحيد مع نصبِ التاء. وقوله: ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ أي: وَعدَهُم بها، ولم يَروْها، فهي غائبةٌ عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: آتياً، قال ابنُ قُتيبة: وهو «مفعول» في معنى «فاعل»، وهو قليلٌ أنْ يأتيَ الفاعلُ على لفظِ المفعولِ به. وقال الفَرَّاءُ: إنما لم يَقُلْ: آتياً، لأنَّ كلَّ ما أتاكَ، فأنتَ تأتيه؛ ألاَ ترى أنكَ تقول: أتيتُ على خمسينَ سنةٍ، وأَتَتْ عَليَّ خمسون سنة. **والثاني**: مَبلُوغاً إليه، قاله ابنُ الأنبَاري. وقال ابنُ جُرَيجٍ: «وعده» ها هنا: مَوعُوده، وهو الجنة، و «مأتيّاً»: يأتيه أولِيَاؤهُ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه التَّخالُف عند شربِ الخَمرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ما يَلغَى مِنَ الكلام ويُؤثَمُ فيه، قاله الزَّجَّاج. وقال ابنُ الأنبَاري: اللغْوُ في العربية: الفَاسِدُ المُطَّرَحُ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمٗاۖ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: السَّلامُ ليس مِنَ اللغو، والعربُ تستثني الشيءَ بعدَ الشيءِ وليس منه، وذلك أنَّها تُضمِرُ فيه، فالمعنى: إلاَّ أنهم يسمعون فيها سلاماً. وقال ابنُ

---

[٩٦١] باطل. عزاه السيوطي في «الدر» ٤/ ٥٠٠ لابن مردويه من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً ونهشل متروك متهم، والضحاك لم يلق ابن عباس.

= فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن وهم مؤمنون، ولكنهم كانوا كفاراً لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة.

وقد قيل: هم قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٥٧: وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني.

(٢) سورة الفرقان: ٦٨.

الأنبَاري: استثنى السلامَ مِنْ غيرِ جنسِه، وفي ذلك توكيدٌ للمعنى المقصودِ، لأنهم إذا لم يسمعوا مِنَ اللغوِ إلاَّ السلامَ، فليس يسمعونَ لغواً البَتَّةَ، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]. إذا لم يخرج مِنْ عَداوتِهم لي غيرُ ربِّ العَالَمين، فكلُّهم عَدوٌّ. وفي معنى هذا السلام قولان: **أحدهما**: أنه تسليمُ الملائكة عليهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم لا يسمعون إلاَّ ما يُسلِمُهم، ولا يسمعون ما يُؤثِمُهم، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال المُفسِّرون: ليس في الجنة بُكْرةٌ ولا عشيَّةٌ، ولكنَّهم يُؤتَوْن برزقِهم ـ على مقدار ما كانوا يعرفون ـ في الغَداةِ والعَشيّ. قال الحسَنُ: كانت العرب لا تعرف شيئاً مِنَ العَيشِ أفضلَ مِنَ الغداةِ والعِشاءِ، فذكرَ اللَّهُ لهم ذلك. وقال قَتادَةُ: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغَداءَ والعَشاءَ أُعجِبَ به، فأخبرَ اللَّهُ أنَّ لهم في الجنة رِزقَهم بُكرةً وعَشيًّا على قَدْرِ ذلك الوقت، وليس ثَمَّ ليلٌ ولا نهارٌ، وإنما هو ضوءٌ ونُورٌ. وروى الوليدُ بنُ مُسلم، قال: سألتُ زهيرَ بنَ محمَّدٍ عن قوله تعالى: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقال: ليس في الجنَّة ليلٌ ولا نهارٌ، هم في نورٍ أبداً، ولهم مِقدارُ الليلِ والنهارِ، يعرفون مقدارَ الليلِ بإرخاءِ الحُجُبِ وإغلاقِ الأبوابِ، ويعرفون مقدارَ النهارِ برفعِ الحُجُبِ وفتحِ الأبوابِ.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ الإشارةُ إلى قوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿نُورِثُ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ، والشَّعبيُّ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: بفتح الواو وتشديد الراء. قال المُفسِّرون: ومعنى «نورث»: نُعطي المساكنَ التي كانت لأهل النار ـ لو آمنوا ـ للمؤمنين. ويجوز أنْ يكون معنى «نورث»: نُعطي، فيكون كالمِيراثِ لهم مِنْ جهة أنها تَمليكٌ مُستأنَفٌ. وقد شرحنا هذا في سُورةِ الأعرافِ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ يَعمَرَ: «وما يَتنزَّل» بياء مفتوحةٍ. وفي سببِ نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٦٢] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يا جِبريلُ ما يَمنعُكَ أنْ تزورَنا»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٩٦٣] **والثاني**: أنَّ المَلَكَ أبطأَ على رسولِ الله ﷺ ثم أتاهُ، فقال: لعلِّي أبطأتُ، قال: «قد فعلتَ»، قال: وما لي لا أفعلُ، وأنتم لا تَتَسوَّكُونَ، ولا تَقصُّونَ أظفارَكم، ولا تُنَقُّونَ براجِمَكُم، فنزلت الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ. قال ابنُ الأنباري: البَراجِمُ عند العرب: الفُصُوصُ التي في ظهور الأصابعِ، تبدو إذا جُمِعتْ، وتَغمضُ إذا بُسِطَتْ. والرَّواجِبُ: ما بين البَراجِمِ، بين كلِّ بُرجُمَتَين رَاجِبَةٌ.

---

[٩٦٢] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢١٨ و ٤٧٣١ و ٧٤٥٥ والترمذي ٣١٥٨ والطبري ٢٣٨٠٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٨٩ و «أسباب النزول» ٦٠٦ من طرق عن ابن عباس.

[٩٦٣] ضعيف جداً. ذكره الواحدي ٦٠٧ عن مجاهد مرسلاً. وبدون إسناد! ومع ذلك هو منكر، يخالف ما رواه البخاري وغيره وقد تقدم. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٢٥٣.

---

(١) سورة الشعراء: ٧٧. (٢) سورة الأعراف: ٤٣.

[٩٦٤] **والثالث**: أنَّ جبريلَ احتبسَ عن النبيِّ ﷺ حين سألَهُ قومُه عن قصة أصحابِ الكَهفِ، وذي القرنَيْنِ، والرُّوحِ، فلم يَدْرِ ما يُجيبُهم، ورَجَا أنْ يأتيَهُ جبريلُ بجوابٍ، فأبطأَ عليه، فشَقَّ على رسولِ الله ﷺ مشقَّةً شَديدةً، فلمَّا نزلَ جِبريلُ قاله له: «أبطأتَ عليَّ حتى ساءَ ظَنِّي، واشتَقْتُ إليكَ» فقال جِبريلُ: إنِّي كنتُ أشوَقَ، ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ، إذا بُعِثْتُ نزلتُ، وإذا حُبِستُ احتَبستُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ.

وفي سبب احتبَاسِ جِبريلَ عن رسولِ الله ﷺ قولان: **أحدهما**: لامتناعِ أصحابه مِنْ كمال النَّظافة، كما ذكرنا في حديثِ مُجاهِدٍ. **والثاني**: لأنهم سألوهُ عن قصة أصحاب الكهف، فقال: «غداً أُخبِرُكم»، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ اللَّهُ؛ وقد سبق هذا في سُورةِ الكهف.

وفي مِقدارِ احتِباسِه عنه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: خمسةَ عشرَ يوماً؛ وقد ذكرناه في الكهف عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أربعونَ يوماً، قاله عِكرِمَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: اثنتا عشرة ليلةً، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: ثلاثةُ أيامٍ، حكاه مُقاتِلٌ. **والخامس**: خمسةٌ وعشرون يوماً، حكاه الثَّعلبيُّ. وقيل: إنَّ سورةَ الضحى نزلت في هذا السببِ. والمُفسِّرون على أنَّ قوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قولُ جِبريلَ. وحكى المَاوَرديِ: أنه قولُ أهلِ الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما نَنزِلُ هذه الجِنَانَ إلاَّ بأمرِ الله. وقيل: ما نَنزِلُ موضعاً مِنَ الجنة إلاَّ بأمرِ الله.

وفي قوله ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قولان(١): **أحدهما**: ما بينَ أيدينا: الآخرة، وما خلفَنا: الدنيا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: ما بين أيدينا: ما مضى مِنَ الدنيا، وما خَلفَنا مِنَ الآخرة، فهو عكسُ الأول، قاله مجاهد: وقال الأخفش: ما بينَ أيدينا: قبلَ أنْ نُخلَقَ، وما خلفَنا بعدَ الفَناءِ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بينَ الدنيا والآخرة، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: ما بين النَّفختَينِ، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وأبو العَالِية. **والثالث**: حين كَوْنِنا، قاله الأخفَشُ. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما وحَّدَ ذلك، والإشارةُ إلى شيئين: **أحدهما**: «ما بين أيدينا». **والثاني**: «ما خلفنا»، لأنَّ العرب تُوقع ذلك على الاثنين والجمعِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ النَّسِيُّ، بمعنى النَّاسِي. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ما كان تارِكاً لكَ منذُ أبطأَ الوَحيُ عنكَ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُقاتِلٌ: ما نَسِيَكَ عند انقطاعِ الوَحيِ عنكَ. **والثاني**: أنه عالِمٌ بما كان ويكون، لا يَنسى شيئاً، قاله الزَّجَّاجُ.

---

[٩٦٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٨ عنهم بدون إسناد. وأثر الضحاك، أخرجه الطبري ٢٣٨١٢. وأثر قتادة. أخرجه الطبري ٢٣٨٠٩. ويشهد لأصله خبر ابن عباس المتقدم.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٦٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، لأن ذلك لم يجيء وجاءٍ، فهو بين أيديهم، فإن أغلب الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاءٍ. وبالتالي ـ وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ أي: وَحْدَهُ، لأنَّ عبادتَهُ بالشِّركِ ليست عبادةً، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي: اصبِرْ على توحيدِهِ وقيل: على أمرِهِ ونَهيِهِ. قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ رَوى هارونُ عن أبي عَمرٍو أنه كان يُدغِمُ «هل تعلم»، ووَجْهُه أنَّ سِيبَويه يُجيز إدغَامَ اللامِ في التاء والثاء والدال والزاي والسين والصاد والطاء، لأنَّ آخرَ مخرج مِنَ اللام قريبٌ مِنْ مخارجِهنَّ، قال أبو عُبيدَةَ: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لُغتان وبعضُهم يُبينَ لامَ «هل»، وبعضُهم يُدغِمُها. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِثْلاً وشَبهاً، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: هل تعلم أحداً يُسمَّى «الله» غيرهُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: هل تعلمُ أحداً يستحقُّ أنْ يُقال له: خالقٌ وقادرٌ، إلاّ هو، قاله الزَّجّاجُ.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

[٩٦٥] سببُ نُزولها أنَّ أُبيَّ بنَ خَلَفٍ أخذَ عَظماً بالياً، فجعلَ يَفتُّهُ بيده ويُذَرِّيه في الرِّيح ويقول: زَعَم لكم محمَّدٌ أنَّ الله يبعثُنا بعد أن نكون مثلَ هذا العَظْم البالي، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ: أنه الوليدُ بنُ المُغيرَةِ.

قوله تعالى: ﴿لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ إنْ قيلَ: ظاهرُه ظاهرُ سؤالٍ، فأينَ جوابه؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ ذكرها ابنُ الأنباري: **أحدها**: أنَّ ظاهرَ الكلام استفهامٌ، ومعناه معنى جُحدٍ وإنكارٍ، تلخيصُه: لستُ مبعُوثاً بعد الموتِ. **والثاني**: أنه لمَّا استَفهمَ بهذا الكلام عن البَعثِ، أجابه الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، فهو مُشتَمِلٌ على معنى: نعم، وأنتَ مَبعُوثٌ. **والثالث**: أنَّ جواب سؤالِ هذا الكافر في يس عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا﴾[1]، ولا يُنكرَ بُعدُ الجواب، لأنَّ القرآن كلَّه بمنزلةِ الرِّسالة الواحدةِ، والسُّورتان مَكِّيَّتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: بفتح الذال مشدَّدةَ الكافِ. وقرأ نافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يَذْكُرُ» ساكنةَ الذالِ خفيفةً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ النَّاجي أو لا يتذكر الإنسان: بياءٍ وتاءٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ: «يذْكُر» بياءٍ مِنْ غير تاءٍ ساكنةَ الذالِ مخففةً مرفوعةَ الكاف، والمعنى: أوَلا يتذكَّرُ

---

[٩٦٥] باطل. عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٠٩ عن الكلبي بدون إسناد. والصواب عموم الآية.

(١) سورة يس: ٧٨.

هذا الجاحدُ أوَّلَ خَلْقِه، فيستدلَّ بالابتداءِ على الإعادة؟! ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يعني: المُكذِّبين بالبَعثِ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: مع الشياطين، وذلك أنَّ كلَّ كافرٍ يُحشَرُ مع شيطانه في سِلسِلَةٍ، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: في جهنَّم، وذلك أنَّ حَولَ الشيءِ يجوز أنْ يكون دَاخِلَهُ، تقول: جلسَ القومُ حولَ البيت: إذا جلسوا داخلَهُ مُطيفِينَ به. وقيل: يَجثُون حولَها قبل أنْ يدخلوها. فأما قوله: ﴿جِثِيًّا﴾ فقال الزَّجَّاجُ: هو جَمعُ جَاثٍ، مثل قاعِدٍ وقُعودٍ، وهو منصوبٌ على الحالَ، والأصل ضمُّ الجيم، وجاء كسرُها إتباعاً لكسرةِ الثاء. وللمُفسِّرين في معناه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُعوداً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: جماعاتٍ جماعاتٍ، ورُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. فعلى هذا هو جمعَ جثْوة وهي المَجموعُ مِنَ التراب والحجارة. **والثالث**: جثيًا على الرُّكَبِ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ والزَّجَّاجُ. **والرابع**: قِياماً، قاله أبو مالكٍ. **والخامس**: قياماً على رُكَبِهم، قاله السُّدِّيُّ، وذلك لضِيقِ المكانِ بهم.

قوله تعالى: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لَنَأخُذَنَّ مِنْ كلِّ فِرقَةٍ وأُمَّةٍ وأهلِ دِينٍ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمُهم له معصيةً، والمعنى: أنه يُبدَأ بتعذيبِ الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جُرْماً، والرُّؤوس القادةِ في الشرِّ. قال الزَّجَّاجُ: وفي رفع «أيُّهم» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه على الاستئناف، ولم تَعملْ «لننزعنَّ» شيئاً، وهذا قولُ يُونسَ. **والثاني**: أنه على معنى الذي يُقال لهم: أيُّهم أشدُّ على الرَّحمن عِتيًّا؟ قاله الخَليلُ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: التَّأويلِ: لنَنزِعَنَّ الذي مِنْ أجل عُتُوِّه يُقال: أيُّ هؤلاءِ أَشَدُّ عِتيًّا؟ وأنشد:

وَلَقَدْ أَبِيتُ عنِ الفَتاةِ بمَنزِلٍ فأَبِيتُ لا حَرِجٌ ولا مَحرُومُ

أي: أبيتُ بمنزلة الذي يُقال له: لا هو حَرِجٌ ولا مُحرمٌ.

والثالث: أنَّ «أيُهم» مبنيةٌ على الضمِّ، لأنها خالَفَتْ أخواتِها، فالمعنى: أيُهم هو أفضلُ. وبيانُ خِلافِها لأخواتِها أنكَ تقول: اضرِبْ أيُهم أفضلُ. ولا يَحْسُنُ: اضرِبْ مَنْ أَفضلُ، حتى تقول: مَنْ هو أفضلُ، ولا يَحسُنُ: كُلْ ما أَطيبُ، حتى تقول: ما هوأَطيَبُ، ولا خُذْ ما أفضلُ، حتى تقول: الذي هو أفضلُ، فلمَّا خالفَتْ «ما» و «مَنْ» و «الذي» بُنِيَتْ على الضمِّ، قاله سِيبَويه.

قوله تعالى: ﴿هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يعني: أنَّ الأوْلَى بها صِلِيًّا الذين هم أشدُّ عِتِيًّا فيُبْتَدَأُ بهم قبلَ أتباعِهم. و «صِلِيًّا»: منصوبٌ على التفسير، يُقال: صَلِيَ النارَ يَصْلاهَا: إذا دخلَها وقاسَى حرَّها. قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ في الكلام إضمارٌ تقديره: وما منكم أحدٌ إلاَّ وهو وَارِدُها. وفيمَن عُنِيَ بهذا الخِطَابِ قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في حقِّ المؤمن والكافر، هذا قولُ الأكثرين. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هذه الآيةُ للكفَّارِ. وأكثرُ الرِّواياتِ عنه كالقول الأوَّل. قال ابنُ الأنباري: ووَجْهُ هذا أنه لمَّا قال: ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ وقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ كان التَّقدير؛ وإنْ مِنهُم، فأُبدِلَتِ الكافُ مِنَ الهاء، كما فُعِلَ في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾(١) المعنى: كان لهم، لأنه مَردودٌ على قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾(٢)، وقال الشاعر:

شَطَّتْ مَزارَ العاشقينَ وأصبَحتْ عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخرَمِ

(١) سورة الإنسان: ٢٢. (٢) سورة الإنسان: ٢١.

أراد: طِلابها. وفي هذا الورُودِ خمسةُ أقوالٍ[1]:

أحدها: أنه الدُّخول. روى جابرُ بنُ عبدِ الله عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[٩٦٦] «الورُودُ: الدُّخولُ لا يبقى بَرٌّ ولا فاجرٌ إلاَّ دخلَها، فتكون على المؤمن بَرْداً وسَلاماً كما كانت على إبراهيمَ، حتى إنَّ للنار ـ أو قال: لجهنَّمَ ـ ضَجيجاً مِنْ بَرْدِهِم».

ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه سأله نافعُ بنُ الأزرقِ عن هذه الآيةِ، فقال له: «أمَّا أنا وأنتَ فسندخُلها، فانظُرْ أيُخرِجُنا الله عزَّ وجلَّ منها، أمْ لا؟ فاحتجَّ بقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[2] وبقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[3]. وكان عبدُ الله بنُ رَواحةَ يبكي ويقول: أُنبِئتُ أني وَارِدٌ، ولم أُنبَأْ أنّي صادِرٌ. وحكى الحسَنُ البَصريُّ: أنَّ رجلاً قال لأخيه: يا أخي هل أتاكَ أنكَ وارِدُ النارَ؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاكَ أنكَ خارجٌ منها؟ قال: لا؛ قال: ففِيمَ الضَّحِكُ؟! وقال خالدُ بنُ مَعْدَانَ: إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنَّةَ، قالوا: أَلَمْ يَعِدْنا ربُّنا أنْ نَرِدَ النارَ؟ فيُقال لهم: بلى، ولكن مَرزتُم بها وهي خَامِدةٌ. وممَّن ذهب إلى أنه الدُّخولُ: الحسنُ في روايةٍ، وأبو مالكٍ. وقد اعترِضَ على أربابِ هذا القولِ بأشياءَ. فقال الزَّجَّاجُ: العربُ تقول: وَردتُ بلدَ كذا، ووَردْتُ ماءَ كذا: إذا أشرَفُوا عليه وإنْ لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾[4] والحُجَّةُ القاطِعةُ في هذا القولِ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[5]، وقال زُهيرُ:

فَـلَـمَّـا وَرَدْنَ الـمـاءَ زُرْقـاً جِـمَـامُـهُ وَضَـعْـنَ عِـصِـيَّ الـحـاضِـرِ الـمُـتَـخِـيِّـمِ[6]

أي: لمَّا بَلغنَ الماءَ قُمْنَ عليه. قلتُ: وقد أجاب بعضُهم عن هذه الحُجَج، فقال: أمَّا الآيةُ الأُولى، فإنَّ موسى لمَّا أقامَ حتى استقى الماءَ وسقى الغنَم، كان بِلُبْثِه ومُباشَرتِه كأنه دخلَ، وأمَّا الآيةُ الأخرى؛ فإنها تضمَّنَتِ الإخبارَ عن أهل الجنَّةِ حين كَونِهم فيها، وحِينَئذٍ لا يسمعون حَسِيسَها. وقد رَوينا آنفاً عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ أنهم يَمرُّون بها، ولا يعلمون.

والثاني: أنَّ الورُودَ: المَمَرُّ عليها، قاله عبدُ الله بنُ مَسعودٍ، وقَتادَةُ. وقال ابنُ مسعودٍ: يَرِدُ الناسُ النارَ، ثم يَصْدُرُونَ عنها بأعمالِهم، فأوَّلُهم كلَمْحِ البَرقِ، ثم كالرِّيحِ، ثم كحُضْرِ الفَرَسِ، ثم كالراكب في رحله، ثم كَشَدِّ الرَّحْلِ، ثم كمَشْيِهِ. **والثالث**: أنَّ ورُودَها: حُضورُها، قاله عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والرابع**: أنَّ ورُودَ المسلمين: المُرورُ على الجِسرِ، ووُرُودَ المشركين: دخولُها. قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنَّ ورُودَ المؤمن إليها: ما يُصيبه مِنَ الحُمَّى في الدنيا، روى عثمانُ بنُ الأسودِ عن مُجاهِدٍ أنه قال: الحُمَّى

---

[٩٦٦] حسن. أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٩ والحاكم ٤/ ٥٨٧ ح ٨٧٤٤ والبيهقي في «الشعب» ٣٧٠ من حديث جابر. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي ٧/ ٥٥: رجال أحمد ثقات اهـ. وهو حديث حسن.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٦٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار.

(٢) سورة هود: ٩٨.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٤) سورة القصص: ٣٣.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠١ و ١٠٢.

(٦) البيت في «شرح ديوان زهير» ١٣، و «اللسان» ـ زرق ـ. والزُّرق: المياه الصافية. وجَمامةُ: راحة وشبعٌ وريٌ.

حَظُّ كلِّ مؤمنٍ مِنَ النَّارِ، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فعلى هذا مَن حُمَّ مِنَ المسلمين، فقد وَرَدَها.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: الورُودَ حتماً والحَتْمُ: ايجابُ القضاءِ، والقَطعُ بالأمر. والمَقضِيُّ: الذي قضاهُ الله تعالى، والمعنى: إنه حَتَمَ ذلك وقَضاهُ على الخَلْقِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو مِجلَز، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي ليلَى، وعَاصِمٌ الجَحدرِيُّ: «ثَمَّ» بفتح الثاء. وقرأ الكِسَائِيُّ، ويعقوبُ: «نُنْجي» مخفَّفةً. وقرأت عائشةُ، وأبو بَحْرِيَّة، وأبو الجَوْزاءِ الرَّبَعيُّ: «ثم يُنجي» بياءٍ مرفوعةٍ قبل النون خفيفةَ الجيم مكسورةً. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَز، وابنُ السَّمَيْفع، وأبو رَجَاء: «ننحّي» بحَاءٍ غير مُعجمةٍ مُشدَّدةٍ. وهذه الآيةُ يحتَجُّ بها القائلون بدخول جميعِ الخَلْقِ، لأنَّ النَّجاةَ: تخليصُ الواقعِ في الشيء، ويُؤكِّده قولُه تعالى: ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يَقُلْ: ونُدخِلُهم؛ وإنما يُقال: نَذَرُ ونتركُ لِمَنْ قد حصلَ في مكانه. ومَنْ قال: إنَّ الورُودَ للكفار خاصَّةً، قال: معنى هذا الكلام: نُخرج المُتَّقينَ مِنْ جُملةِ مَنْ يدخل النارَ. والمراد بالمُتَّقين: الذين اتَّقَوْا الشِّركَ، وبالظالمين: الكفار، وقد سبق معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جِثِيًّا﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿آيَاتُنَا﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مُشركي قُريشٍ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لفقراءِ المؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ مَقاماً بفتح الميم وقرأ ابنُ كَثيرٍ بضمِّ الميم. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: المقام: اسمُ المَثوى، إنْ فُتِحَتِ المِيمُ أو ضُمَّتْ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ والنَّديُّ والنَّادي: مجلسُ القومِ ومُجتَمَعُهم. وقال الفَرَّاءُ: النَّديُّ والنَّادي، لُغتان. ومعنى الكلام: أَنحنُ خيرٌ، أَمْ أنتم؟ فافتخَرُوا عليهم بالمَساكِنِ والمجالسِ، فأجابَهُم اللهُ تعالى فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ وقد بَيَّنَّا معنى القَرْنِ في الأنعام(١) وشرحنا الأَثاثَ في النَّحلِ(٢).

فأمَّا قوله تعالى: ﴿وَرِئْيًا﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، وعَاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحَمزةُ، والكِسَائيُّ: «ورئياً» بهمزةٍ بين الراء والياء في وَزْنِ: «رِعيا»؛ قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: مَنظراً، مِنْ «رأيت». وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «رِيّاً» بياءٍ مِشدَّدةٍ مِنْ غير همزٍ، قال الزَّجَّاجُ: لها تفسيران. أحدُهما: أنها بمعنى الأُولَى. والثاني: أنها مِنَ الرِّيِّ، فالمعنى: مَنظرُهم مُرتوٍ مِنَ النِّعمة، كأنَّ النعيمَ بَيِّنٌ فيهم. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو المُتوكِلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي سُرَيْجٍ عن الكِسَائيِّ: «زِيّاً» بالزاي المعجمة مع تشديد الياء مِنْ غير همزٍ. قال الزَّجَّاجُ: ومعناها: حَسَنُ هَيئَتِهِم.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

---

(١) سورة الأنعام: ٦. (٢) سورة النحل: ٨٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ أي: في الكُفرِ والعَمَى عن التَّوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: وهذا لفظُ أمرٍ، ومعناه الخَبرُ، والمعنى: أنَّ الله تعالى جعلَ جزاءَ ضلالَتِهِ أنْ يَترُكَهُ فيها. قال ابنُ الأنباري: خاطبَ اللهُ العربَ بلسانها، وهي تَقصِدُ التَّوكيدَ للخبر بذِكْرِ الأمرِ، يقول أحدُهم: إنْ زارَنا عبدُ الله فلنُكرِمْهُ، يقصدُ التَّوكيدع، ويُنَبِّه على أنِّي أُلزِمُ نفسي إكرامَهُ؛ ويجوز أنْ تكون اللامُ لامَ الدعاء على معنى: قل يا محمَّدُ: مَنْ كان في الضَّلالة فاللَّهم مُدَّ له في العُمرِ مَدّاً. قال المُفسِّرون: ومعنى مَدّ اللهِ تعالى له: إمهالُه في الغيِّ. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ يعني الذين مَدَّهُم في الضَّلالة. وإنما أخبرَ عن الجماعة، لأنَّ لفظَ «مَن» يَصِحُّ للجماعة. ثم ذكرَ ما يُوعدون فقال: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: القَتْلَ، والأَسْرَ ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني: القيامة وما وُعِدُوا فيها مِنَ الخلود في النارِ ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخرة، أهُمْ، أَمْ المؤمنون؟ لأنَّ مكانَ هؤلاءِ الجنَّةُ، ومكانَ هؤلاءِ النارُ، ﴿وَ﴾ يعلمون بالنَّصْرِ والقَتْلِ مَنْ ﴿أضعف جنداً﴾ جُندُهم، أَمْ جُنْدُ رسول الله ﷺ. وهذا رَدٌّ عليهم في قولِهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: ويزيد اللهُ الذين اهتدوا بالتَّوحيدِ إيماناً. **والثاني**: يَزيدُهم بَصيرةً في دِينِهم. **والثالث**: يَزيدُهم بزيادةِ الوَحي إيماناً، فكلَّما نزلت سُورةٌ زادَ إيمانُهم. **والرابع**: يَزيدُهم إيماناً بالنَّاسِخ والمَنسُوخ. **والخامس**: يزيدُ الذين اهتَدَوا بالمَنسُوخ هُدَى بالنَّاسِخ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّ الله تعالى يجعل جزاءَهُم أنْ يزيدَهُم يقيناً، كما جعلَ جزاءَ الكافر أنْ يُمِدَّه في ضَلالَتِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قد ذكرناها في سُورةِ الكهف[1].

قوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ المَرَدُّ هاهنا مصدرٌ مثل الرَّدِّ، والمعنى: وخيرٌ رَدّاً للثَّوابِ على عامِلِيها، فليست كأعمالِ الكفارِ التي خَسِرُوها فبطلَتْ.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[٩٦٧] **أحدها**: ما روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث مَسرُوقٍ عن خَبَّابِ بن الأرتّ قال: كنتُ رجلاً قَيْناً، أي حدادا، وكان لي على العَاصِ بنِ وائلٍ دَيْنٌ، فأتيتُهُ أتقاضاهُ، فقال: لا واللهِ لا أقضِيكَ حتى تكفُرَ بمحمَّدٍ، فقلتُ: لا واللهِ لا أكفر بمحمَّدٍ ﷺ حتى تموتَ، ثم تُبعَثَ. قال:

---

[٩٦٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٢٧٥ و ٤٧٣٢ و ٤٧٣٣ ومسلم ٢٧٩٥ ح ٣٦ والترمذي ٣١٦٢ وأحمد ٥/ ١١٠ وابن حبان ٥٠١٠ من طرق عن سفيان عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٢٠٩١ و ٢٤٢٥ و ٤٧٣٤ و ٤٧٣٥ ومسلم ٢٧٩٥ والنسائي في «التفسير» ٣٤٢ وأحمد ١/ ١١١ وابن حبان ٤٨٨٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٠ و ٦١١ والطبراني ٣٦٥١ و ٣٦٥٢ و ٣٦٥٤.

---

(١) سورة الكهف: ٤٦.

فإني إذا مِتُّ ثم بُعِثتُ جِئتَني ولي ثَمَّ مالٌ ووَلَدٌ، فأعطيتُكَ، فنزلت فيه هذه الآيةُ، إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَرْدًا﴾. **والثاني**: أنها نزلت في الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ، وهذا مَرويٌّ عن الحَسنِ. والمُفسِّرون على الأوَّلِ.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، ونافعٌ، وعَاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: بفتحِ الواو. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ: بضمِّ الواو. وقال الفَرَّاءُ: وهم لُغتان، كالعُدْمِ، والعَدَمِ، وليس يُجمَعُ، وقَيْسٌ تجعل الوُلْدَ جمعاً، والوَلَدَ، بفتحِ الواو، واحداً.

وأين زعمَ هذا الكافرُ أنْ يُؤتَى المالَ والولَدَ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه أراد في الجنَّةِ على زَعمِكُم. **والثاني**: في الدنيا. قال ابنُ الأنباري: وتقدير الآية: أرأيتَهُ مُصيباً؟!

قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ قال ابنُ عباسٍ في روايةٍ: أعَلِمَ ما غابَ عنه حتى يعلمَ أفي الجنةِ هو، أمْ لا؟! وقال في روايةٍ أخرى: أنَظرَ في اللوح المحفوظِ؟!

قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمْ قال: لا إلَه إلاَّ اللهُ، فأرحمَهُ بها؟! قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أمْ قَدَّمَ عملاً صالحاً، فهو يَرجُوهُ؟! قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أمْ عَهِدَ إليه أنه يُدخِلَهُ الجنَّةَ؟! قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ على ما قال مِنْ أن يُؤتَى المالَ والولَدَ. ويجوز أنْ يكون معنى «كلاَّ» أي: إنه لم يطَّلِعِ الغيبَ، ولم يتَّخِذْ عند اللهِ عَهْداً. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمُر الحَفظَةَ بإثباتِ قوله لِنُجازيَه به، ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نجعل بعضَ العذاب على إثْرِ بعضٍ. وقرأ أبو العَاليةِ الرِّياحي، وأبو رَجَاءٍ العُطَارِدي: «سيكتب» «ويرثه» بياءٍ مفتوحةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: نَرِثُه ما يقول أنه له في الجنَّةِ، فنجعلَهُ لغيره مِنَ المسلمين، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، واختاره الفَرَّاءُ. **والثاني**: نَرِثُ ما عنده مِنَ المال، والولَدِ، بإهلاكنا إيَّاهُ، وإبطالُ مُلكِه، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال قَتادَةُ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: سَنسلُبُهُ المالَ والولَدَ، ونجعله لغيره.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مالٍ ولا ولَدٍ.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يعني: المشركين عابدِي الأصنام ﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ قال الفَرَّاءُ: ليكونوا لهم شُفعاءَ في الآخرة. قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ كما قَدَّروا، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يعني الأصنامَ بجَحدِ عبادةِ المشركين، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ لأنها كانت جَماداً لا تعقِلُ العبادةَ، ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يُكذِّبونَهم ويَلعنُونَهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: في معنى هذا الإرسالِ وجهان:

أحدهما: خَلَّينا بين الشياطين وبني الكافرين فلم نَعْصِمْهُم مِنَ القَبولِ منهم. **والثاني**: وهو المُختارُ: سَلَّطناهم عليهم، وقيَّضْنَاهم لهم بكُفرهم. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تُزعِجُهم إزعاجاً حتى يركبوا

المعاصي. وقال الفرّاءُ: تُزعِجُهم إلى المعاصي، وتُغريهم بها. قال ابنُ فارسٍ: يُقال: أزَّهُ على كذا: إذا أغراهُ به، وأزّتِ القِدْرُ: غلَتْ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تعجَلْ بطَلَبِ عذابهم. وزَعَمَ بعضُهم أنّ هذا مَنسوخٌ بآية السيفِ، وليس بصحيح، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ في هذا المَعدودِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أنفاسُهم، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال طاوسٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الأيامُ، والليالي، والشُهورُ، والسِّنون، والسَّاعاتُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها أعمالُهم، قاله قُطرُبُ.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضُهم: هذا مُتعلّقٌ بقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ وقال بعضُهم: تقديره: اذكُرْ لهم يومَ نحشرُ المُتّقين، وهم الذين اتّقَوا اللهَ بطاعته واجتنابِ معصيَتِه. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «يوم يحشُر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الشين «ويَسُوق» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ السين. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ البَصريُّ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو المُتوكّلِ النّاجي: «يوم يُحشَر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ الشين «المتقون» رفعاً «ويُساق» بألِفٍ وياءٍ مرفوعةٍ «المجرمون» بالواو على الرّفع. والوَفْدُ: جمعُ وَافِدٍ، مثل: رَكْب، وراكِب، وصَحْب، وصاحِب. قال ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، والفرّاءُ: الوَفْدُ: الرُّكبانُ. قال ابنُ الأنباري: الرُّكبان عند العرب: رُكّاب الإبلِ.

وفي زمان هذا الحَشرِ قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قبورهم إلى الرحمن، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه. **والثاني**: أنه بعدَ الحساب، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ قال ابنُ عباسٍ، وأبو هُريرةَ، والحسَنُ: عِطاشاً. قال أبو عُبيدَةَ: الوِرْدُ: مصدرُ الورُودِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الوِرْدُ: جماعةٌ يَرِدون الماءَ، يعني: أنهم عِطاشٌ، لأنه لا يَرِدُ الماءَ إلاّ العَطشان. وقال ابنُ الأنباري: معنى قوله: «وِرْداً»: وارِدِينَ. قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي: لا يشفعون، ولا يُشفعَ لهم. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ قال الزّجّاجُ: جائزٌ أن يكونَ «مَن» في موضع رفعٍ على البَدَلِ مِنَ الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملكُ الشفاعةَ إلاّ مَنِ اتّخذَ عند الرحمنِ عَهْداً؛ وجائزٌ أنْ يكونَ في موضعِ نصبٍ على استثناءٍ ليس مِنَ الأوّل، فالمعنى: لا يملكُ الشفاعةَ المجرمون، ثم قال: «إلا» على معنى «لكن» ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ فإنه يملكُ الشفاعةَ. والعَهْدُ هاهنا: توحيدُ اللهِ والإيمانُ به. وقال ابنُ الأنباري: تفسيرُ العَهْدِ في اللغة: تَقدِمَةُ أمرٍ يُعلَمُ ويُحفَظُ، مِنْ قولك: عَهِدْتُ فُلاناً في المكان، أي: عَرفتُهُ، وشَهِدتُه.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ يعني: اليهودَ، والنَّصارى، ومَنْ زعمَ مِنَ المشركين أنَّ الملائكة بناتُ الله ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: شيئاً عظيماً مِنَ الكُفرِ. قال أبو عُبيدَةَ: الإِدُّ، والنُّكْرُ: الأمرُ المُتناهي العِظَمِ.

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «تكاد» بالتاء. وقرأ نافعٌ، والكِسائيُّ: «يكاد» بالياء. وقرآ جميعاً: «يتفطرن» بالياء والتاء مُشدَّدةَ الطّاء، ووافقَهُما ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ في «يتفطّرن» وقرأ أبو عَمرٍو، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «ينفطرن»، بالنون وهذا خلافُهم في عسق. وقرأ حمزةُ، وابنُ عامرٍ في سُورةِ مريم مثل أبي عمروٍ، وفي «عسق»[1] مثلَ ابنِ كَثيرٍ. ومعنى «يتفطَّرن منه»: يُقارِبْنَ الانشقاقَ مِنْ قولِكُم. قال ابنُ قُتَيبةَ: وقوله تعالى: ﴿هَدًّا﴾ أي: سُقوطاً.

قوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْاْ﴾ قال الفَرَّاءُ: مِنْ أنْ دَعَوا، ولأن دَعَوا. وقال أبو عُبيدَةَ: معناه: أنْ جعلوا، وليس هو مِنْ دعاءِ الصَّوت، وأنشد:

ألا رُبَّ مَنْ تَـدْعـو نَـصِـيحـاً وإنْ تَـغِـبْ تَجِدْهُ بغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يَصلُحُ له، ولا يَليقُ به اتّخاذُ الولَدِ، لأنَّ الولَدَ يقتضي مُجانسةً، وكلُّ مُتّخذٍ ولَداً يتَّخِذُهُ مِنْ جنسه، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ عن أن يُجانِسَ شيئاً، أو يُجانِسَهُ، فمُحَالٌ في حقّه اتّخاذُ الولَدِ. ﴿إِن كُلُّ﴾ أي: ما كلُّ ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يومَ القيامة ﴿عَبْدًا﴾ ذليلاً خاضعاً. والمعنى: أنَّ عيسى وعُزَيْراً والملائكةَ عَبيدٌ له. قال القاضي أبو يَعلَى: وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الوَالِدَ إذا اشترى ولَدَهُ، لم يبقَ ملكُهُ عليه، وإنما يُعتَقُ بنفسِ الشراء، لأنَّ اللهَ تعالى نفى البُنُوَّةَ لأجلِ العبودية، فدلَّ على أنه لا يجتمع بنوَّةٌ ورِقٌّ. قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ﴾ أي: عَلِمَ عددَهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مَبلَغُ جميعهم مع كَثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مالٍ، ولا نصيرٍ يمنعُه. فإنْ قيلَ: لأيَّةِ علَّةٍ وحَّدَ في «الرحمن» و «آتيه» وجَمعَ في العائدِ في «أحصاهم، وعدَّهم». فالجواب: أنَّ لكلِّ لفظِ توحيداً، وتأويلَ جمعٍ، فالتوحيدُ محمولٌ على اللفظِ، والجَمعُ مَصرُوفٌ إلى التأويلِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في عليّ رضي اللهُ عنه، وقال معناها: يُحبُّهم، ويُحَبِّبُهم إلى المؤمنين. قال قَتادَةُ: يجعل لهم وُدّاً في قلوب المؤمنين. ومِنْ هذا حديثُ أبي هُريرةَ عن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة الشورى: ٢.

(٢) في «اللسان»: النُّصح: نقيض الغش.

[٩٦٨] «إذا أحبَّ اللهُ عبداً قال: يا جِبريلُ، إني أُحِبُّ فُلاناً فأحِبُّوهُ، فينادي جبريل في السموات إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيُلقى حُبُّهُ على أهلِ الأرض فيُحَبُّ»، وذكرَ في البُغضِ مثلَ ذلك. وقال هَرِمُ بنُ حيَّانَ: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله عزَّ وجلَّ، إلاَّ أقبلَ اللهُ عزَّ وجلَّ بقلوب أهلِ الإِيمان إليه، حتى يرزقَهُ مَودَّتَهم ورَحمَتَهُم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآن. قال ابنُ قُتيبةَ: أي، سَهَّلنَاهُ، وأنزلناه بلُغَتِكَ واللُّدُّ: جمع ألَدّ، وهو الخَصِمُ الجَدِلُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ هذا تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: هل ترى يُقال: هل أحسَسْتَ صاحبَكَ، أي: هل رأيتَهُ؟ والرِّكْزُ: الصوتُ الخَفِيُّ؛ وقال ابنُ قُتَيبةَ: الصَّوتُ الذي لا يُفْهَم، وقال أبو صالحٍ: حَرَكَةٌ، واللهُ تعالى أعلَمُ.

---

[٩٦٨] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٩ و ٧٤٨٥ ومسلم ٣٦٣٧ ومالك ٢/ ٩٥٣ والطيالسي ٢٤٣٦ وأحمد ٢/ ٢٦٧ وابن حبان ٣٦٥ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٩٧ كلهم من حديث أبي هريرة. وانظر «أحكام القرآن» ١٤٧٩ بتخريجنا.

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

وهي مكِّيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم. وفي سببِ نُزول ﴿طه﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٦٩] **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُراوِحُ بين قَدَمَيْهِ، يقومُ على رِجْلٍ، حتى نزلت هذه الآيةُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه.

[٩٧٠] **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا نزلَ عليه القرآن صلَّى هو وأصحابُه فأطَالَ القيامَ، فقالت قُريشٌ: ما أُنزِلَ هذا القرآنُ على محمَّدٍ إلاَّ ليَشْقى، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ.

والثالث: أنَّ أبا جَهْلٍ، والنَّضرَ بنَ الحَارِثِ، والمُطْعِمَ بنَ عَدِيٍّ، قالوا يا رسولَ الله ﷺ: إنكَ لَتشْقَى بتَرْكِ دِيْنِنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ(1).

وفي «طه» قِراءاتٌ. قرأ ابنُ كَثِيرٍ، وابنُ عامرٍ: «طَهَ» بفتحِ الطاء والهاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: بكسرِ الطاء والهاء. وقرأ نافعٌ: «طه» بينَ الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقربُ؛ كذلك قال خَلَفٌ عن المُسَيَّبي. وقرأ أبو عَمرٍو: بفتحِ الطاء وكسرِ الهاء وروى عنه عباسٌ مثلَ حَمزةَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ العُقَيلي، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وأبو العَالِية: بكسرِ الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن «طَهْ» بفتح الطاء وسكون الهاء، وقرأ الضَّحَّاكُ، ومُوَرِّقُ العِجْلي: «طِهْ» بكسرِ الطاء وسكونِ الهاء. واختلفوا في معناها على أربعةِ أقوالٍ(2): **أحدها**: أنَّ معناها: يا رَجلُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ

---

[٩٦٩] أخرجه البزار ٢٢٣٢ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ١١١٦٥: فيه يزيد بن بلال. قال البخاري: فيه نظر. وكيسان بن عمرو، وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ. فالخبر غير قوي، وهو إلى الضعف أقرب. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٩١ بتخريجنا.

[٩٧٠] واهٍ بمرة. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٤ عن الضحاك مرسلاً، ومع إرساله مراسيل الضحاك واهية، والراوي عنه جويبر بن سعيد، وهو متروك الحديث، فالخبر لا شيء.

---

(1) باطل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٣ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل متهم، والمتن باطل.

(2) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٣٩٠: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه: قول من قال: =

عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ؛ واختلف هؤلاءِ بأيِّ لغةٍ هي، على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: بالنَّبطيَّة، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، والضَّحاكُ. **والثاني**: بلسانِ عَكٍّ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بالسّريانيَّةِ، قاله عِكرمَةُ في روايةٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، وقَتادةُ. **والرابع**: بالحَبشيَّةِ، قاله عِكرمَةُ في روايةٍ. قال ابنُ الأنبَاري: ولغةُ قُريشٍ وافقت هذه اللغةَ في المعنى. **والثاني**: أنها حروفٌ مِنْ أسماءٍ. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنها مِنْ أسماءِ الله تعالى. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ الطاء مِنَ اللطيف، والهاءَ مِنَ الهادي، قاله ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِية، **والثاني**: أنَّ الطاء افتتاحُ اسمِه «طاهر» و «طيِّب» والهاء افتتاحُ اسمِه «هادي» قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. والقول الثاني: أنها مِنْ غير أسماءِ الله تعالى. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الطاءَ مِنَ طابَةٍ وهي مدينةُ رسولِ الله ﷺ، والهاءَ مِنْ مكَّةَ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثاني**: أنَّ الطاءَ: طَرَبُ أهلِ الجنة، والهاءَ: هَوَانُ أهلِ النار. **والثالث**: أنَّ الطاءَ في حساب الجُمَّلِ تسعةٌ، والهاءَ خمسةٌ، فتكون أربعةَ عشرَ. فالمعنى: يا أيها البَدْرُ ما أنزلنا عليكَ القُرآنَ لِتشقَى، حكى القولَين الثَّعلبيُّ. **والثالث**: أنه قَسَمٌ أَقسَمَ اللّهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقد شرحنا معنى كَونِه اسماً في فاتحةِ (مريم). وقال القُرظيُّ: أقسَمَ اللّهُ بطَوْلِه وهِدايَتِه؛ وهذا القولُ قريبُ المعنى مِنَ الذي قبلَهُ. **والرابع**: أن معناه: طَأ الأرضَ بقدَمَيْكَ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. ومعنى قوله تعالى ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾: لِتتعبَ وتبلغَ مِنَ الجهدِ ما قد بَلغتَ، وذلك أنه اجتهدَ في العبادة وبالَغَ، حتى إنه كان يُرواحُ بين قدَميهِ لِطُولِ القيام، فأُمِرَ بالتَّخفيف.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً﴾ قال الأخفشُ: هو بدلٌ مِنْ قوله تعالى: ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ ما أنزلناه إلاَّ تَذْكرةً، أي: عِظَةً. قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و ﴿ٱلۡعُلَى﴾ جمعُ العُليا، تقول: سماءٌ عُليا، وسماواتٌ عُلَى، مثل الكُبرَى، والكُبَر، فأمَّا «الثَّرى» فهو التُّراب النَّديُّ، والمُفسِّرون يقولون: أراد الثَّرى الذي تحتَ الأرض السابعةِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: تَرفَعْ صوتَكَ ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ والمعنى: لا تُجهِدْ نفسَكَ برفع الصوت، فإنَّ اللّهَ يعلمُ السِّرَّ. وفي المراد بـ «السِّرَّ وأخفى» خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ السِّرَّ: ما أَسَرَّهُ الإنسانُ في نفسِه، وأخفَى: ما لم يكُنْ بَعْدُ وسيكون، رواه جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنَّ السِّرَّ: ما حدَّثتَ به نفسَكَ، وأخفَى: ما لم تَلفظْ به، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنَّ السِّرَّ: العملُ الذي يُسِرُّه الإنسانُ مِنَ الناس، وأخفَى منه: الوَسوَسَةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ معنى الكلام: يعلمُ إسرَارَ عبادِه؛ وقد أخفى سِرَّه عنهم فلا يُعْلَمُ، قاله زيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه. **والخامس**: يعلمُ ما أَسَرَّه الإنسانُ إلى غيره، وما أخفَاهُ في نفسه، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعرَاف[2].

= معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكٍّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل.

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/ ٣٩٤: والصواب من القول في ذلك، معناه: يعلم السرّ وأخفى من السر، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام. فإنه يعلم السر وأخفى من السر وهو ما علم الله مما أخفى عن عباده ولم يعلموه مما هو كائن ولم يكن.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٠.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ هذا استفهامُ تقريرٍ، ومعناه: قد أتاكَ. قال ابنُ الأنباري: وهذا معروفٌ عند اللغويين أنْ تأتي «هل» معبِّرةً عن «قد».

[٩٧١] فقد قال رسولُ الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهُمَّ هل بلَّغتُ»، يريد: قد بلَّغتُ.

قال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ: استأذنَ موسى شُعيباً عليهما السَّلامُ في الرُّجوع إلى وَالِدَتِه، فأذِنَ له، فخرجَ بأهلِه، فوُلِدَ له في الطريق في ليلةٍ شاتيةٍ، فقدحَ فلم يُورِ الزِّنادُ، فبينا هو في مُزاولتِه ذلك، أبصرَ ناراً مِنْ بعيدٍ عن يسارِ الطريق؛ وقد ذكرنا هذا الحديثَ بطوله في كتاب «الحدائق» فكرهنا إطالةَ التفسير بالقَصَصِ، لأنَّ غرضَنا الاقتصارُ على التفسير ليَسْهُلَ حِفظُه، قال المُفسِّرون: رأى نُوراً، ولكن أَخبَرَ بما كان في ظَنِّ موسى. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأتَهُ ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أي: أقيموا مكانكم وقرأ حمزة: «لأهْلِهُ امكثوا» بضمِّ الهاء ها هنا وفي القَصَصِ[1] ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ قال الفَرَّاءُ: إني وجدتُ، يُقال: هل آنستَ أحداً، أي: وجدتَ؟ وقال ابنُ قُتيبةَ: «آنستُ» بمعنى أبصرتُ. فأمَّا القَبَسُ، فقال الزَّجَّاجُ: هو ما أخذتَهُ مِنَ النار في رأسِ عُودٍ أو في رأسِ فَتِيلَةٍ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ قال الفَرَّاءُ: أراد: هادياً، فذكرَهُ بلفظِ المصدر، قال ابنُ الأنباري: يجوز أنْ تكونَ «على» ها هنا بمعنى «عند»، وبمعنى «مع»، وبمعنى الباء. وذكر أهلُ التَّفسيرِ أنه كان قد ضَلَّ عن الطريق، فعَلِمَ أنَّ النارَ لا تخلو مِنْ مُوقِدٍ. وحكى الزَّجَّاجُ: أنه ضَلَّ عن الماءِ، فَرَجَا أن يجدَ مَنْ يَهدِيَهُ الطريقَ أو يَدُلُّه على الماءِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ يعني: النَّارَ ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ إنما كرَّرَ الكِنايةَ، لتوكيدِ

---

[٩٧١] صحيح. أخرجه البخاري ٩٢٥ و ٢٥٩٧ و ٦٦٣٦ و ٧١٧٤ ومسلم ١٨٣٢ وأبو داود ٢٩٤٦ والحميدي ٨٤٠ وأحمد ٥/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤ من طرق عن الزهري عن عروة عن أبي حميد وهو بعض حديث.
وأخرجه البخاري ٦٩٧٩ و ٧١٩٧ ومسلم ١٨٣٢ ح ٢٧ و ٢٨ والحميدي ٨٤٠ والشافعي ١/ ٢٤٧ من طرق عن هشام بن عروة، عن عروة به، وأتم. وأخرجه البغوي ١٥٦٢ والشافعي ١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧ والبيهقي ٧/ ١٦ و ١٠/ ١٣٨ عن الزهري عن عروة بن الزبير عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن الأتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي. قال: «فهلا جلس في بيت أبيه ـ أو بيت أمه ـ فينظر يهدى إليه أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت» ثلاثاً.

---

(١) سورة القصص: ٢٩.

الدِّلالة وتحقيقِ المعرفةِ وإزالةِ الشُّبهةِ، ومثله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وأبو جعفرَ: «أَنِّيَ» بفتح الألِفِ والياءِ. وقرأ نافع وعَاصِمٌ، وابنُ عَامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إِنِّي» بكسرِ الألِفِ، إلاَّ أنَّ نافعاً فَتحَ الياءَ، قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «أَنِّي أنا» بالفَتحِ، فالمعنى: نُودِيَ بأني أنا ربُّكَ، ومَنْ قرأ بالكَسرِ، فالمعنى: نُودِيَ يا موسى، فقال اللَّهُ: إنِّي أنا ربُّكَ. قوله تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ في سبب أمرِهِ بخَلعِهما قولان:

[٩٧٢] **أحدهما**: أنهما كانا مِنْ جِلْدِ حمارٍ ميتٍ، رواه ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ وبه قال عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وعِكرمَةُ.

والثاني: أنهما كانا مِنْ جِلْدِ بقرةٍ ذُكِّيَتْ، ولكنه أُمِرَ بخلعِهما ليُباشِرَ تُرابَ الأرض المُقدَّسةِ، فتَنالَهُ بَرَكتُها، قاله الحَسنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في سُورةِ المائدَةِ[2] عند قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾. قوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «طُوى، وأنا» غيرَ مُجْرَاةٍ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «طُوًى» مُجْرَاةً؛ وكلُّهم ضَمَّ الطاءَ، وقرأ الحَسَنُ وأبو حَيْوَةَ: «طِوًى» بكسرِ الطاء مع التنوين، وقرأ عليُّ بنُ نَصْرٍ عن أبي عمرٍو: «طِوى» بكسرِ الطاء مِنْ غير تنوينٍ. قال الزَّجَّاجُ: في «طُوى» أربعةُ أوجُهٍ. طُوى، بضمِّ أوَّله مِنْ غير تنوينٍ وبتنوينٍ. فمَنْ نوَّنَهُ، فهو اسمٌ للوادي. وهو مذكَّرٌ سُمِّيَ بمذكَّرٍ على فُعَلٍ نحو حُطَمٍ وصُرَدٍ، ومَنْ لم يُنوِّنْهُ تَرَكَ صَرفَهُ مِنْ جهتين: **إحداهما**: أن يكونَ معدُولاً عن طَاوٍ، فيصير مثلَ «عُمَرَ» المَعدُول عن عامِرٍ، فلا ينصرفُ كما لا ينصَرفُ «عُمر». **والجهة الثانية**: أن يكونَ اسماً للبُقعَةِ، كقوله: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾[3]، وإذا كُسِرَ ونُوِّنَ فهو مثل مِعىً. والمعنى: المُقدَّس مرَّةً بعد مرَّةٍ كما قال عَدِيُّ بنُ زيدٍ:

أَعَـاذِلَ، إنَّ الـلَّـومَ فـي غَـيْـرِ كُـنْـهِـهِ عَـلـيَّ طِـوىً مِـن غَـيِّـكَ الـمُـتَـرَدِّدِ

أي: اللومُ المُكرَّرُ عليَّ؛ ومَنْ لم يُنوِّنْ جعلَهُ اسماً للبُقعةِ.

وللمُفسِّرين في معنى «طوىً» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ الوادي، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ معنى «طوى»: طَأِ الوادي، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وعن مُجاهِدٍ كالقولَين. **والثالث**: أنه قُدِّسَ مرَّتين، قاله الحَسنُ وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ أي: اصطَفيتُك، وقرأ حمزةُ، والمُفَضَّلُ: «وأنَّا» بالنون المشدَّدةِ

---

[٩٧٢] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ١٧٣٤ والطبري ٢٤٠٣٨ والحاكم ٢/ ٣٧٩ والذهبي في «الميزان» ١/ ٦١٥ من طرق عن حميد بن عبد الله الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود مرفوعاً. صححه الحاكم على شرط البخاري! وتعقبه الذهبي بقوله: بل ليس على شرط البخاري وإنما غرّه أن في الإسناد حميد بن قيس كذا، وهو خطأ. إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي أو ابن عمارة، أحد المتروكين. فظنه المكي الصادق. وقال الترمذي: غريب، وحميد هو ابن علي، سمعت محمداً ـ البخاري ـ يقول: منكر الحديث. ونقل الذهبي في «الميزان» ١/ ٦١٥ عن ابن حبان قوله: روى عن ابن مسعود نسخة كأنها موضوعة.

---

(١) سورة الحجر: ٨٩. (٢) سورة المائدة: ٢١. (٣) سورة القصص: ٣٠.

«اخترناك» بألِفٍ. ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: للذي يُوحَى، قال ابنُ الأنباري: الاستماعُ ها هنا محمولٌ على الإنصاتِ. المعنى: فأنصِتْ لوَحْيِي، والوَحيُ ها هنا قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ أي: وَحِّدْني، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أَقِمِ الصَّلاةَ متى ذكرتَ أنَّ عليكَ صلاةً، سواءٌ كنتَ في وَقْتِها أو لم تكُنْ، هذا قولُ الأكثرين.

[٩٧٣] وروى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ نَسِيَ صلاةً فليُصَلِّها إذا ذَكَرَها، لا كفَّارةَ لها غيرُ ذلك، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾».

والثاني: أَقِمِ الصَّلاةَ لِتَذْكُرَني فيها، قاله مُجاهِدٌ. وقيلَ: إنَّ الكلام مَرْدُودٌ على قوله: ﴿فَٱسْتَمِعْ﴾، فيكون المعنى: فاستَمِع لِمَا يُوحىٰ، واستَمِع لِذِكْرِي. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ السَّمَيْفَع: «وأقم الصلاة للذكرى» بلامَيْنِ وتشديدِ الذال.

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أكثرُ القُرَّاءِ على ضمِّ الألِفِ. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أكادُ أُخفِيها مِنْ نَفْسِي، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ في آخَرين. وقرأ ابنُ مسعود وأبيّ بن كعب، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ: أكادُ أُخفِيها مِنْ نَفْسِي، قال الفَرَّاءُ: المعنى: فكيف أُظهِرُكم عليها؟ قال المُبَرِّدُ: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالَغُوا في كِتمَانِ الشيءِ: كَتَمْتُه حتى مِنْ نَفْسي، أي: لم أُطلِعْ عليه أحداً. **والثاني**: أنَّ الكلام تَمَّ عند قوله: «أكاد»، وبعده مُضمَرٌ تقديره: أكادُ آتي بها والابتداء: أُخفِيها، قال ضَابِئُ البرجمي:

هَـمَـمْـتُ ولَـم أفـعَـلْ وكِـدْتُ[٢]

أراد: كِدْتُ أفعَلُ. **والثالث**: أنَّ معنى «أكاد»: أُريد، قال الشاعر:

كـادَتْ وكِـدْتُ وتِـلْـكَ خَـيْـرُ إرادَةٍ ... لَـوْ عَـادَ مِنْ لَـهْـوِ الـصَّبابَـةِ ما مَضى[٣]

معناه: أرادتْ وأردتُ، ذكرهما ابنُ الأنبَاري.

فإنْ قيلَ: فما فائدةُ هذا الاخفاءِ الشديدِ؟ فالجواب: أنه للتَّحذير والتَّخويف، ومَنْ لم يعلَمْ متى يَهجُمُ عليه عَدوُّه كان أشدَّ حَذَرًا. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعُروةُ بنُ الزُّبيرِ، وأبو رَجَاءِ العُطارِدي، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «أخفيها» بفتحِ الألِفِ، قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: أَكادُ أُظهِرُها، قال امرُؤُ القَيسِ:

وإنْ تَـدْفِـنُـوا الـدَّاءَ لا نُـخْـفِـهِ ... وإنْ تَـبْـعَـثُـوا الـحَـرْبَ لا نَـقْـعُـدِ[٤]

---

[٩٧٣] صحيح. أخرجه البخاري ٥٩٧ و ٨٤٧ ومسلم ٦٨٤ وأبو داود ٤٤٢ والترمذي ١٧٨ والنسائي ٦١٤ وابن ماجه ٦٩٦ وأحمد ٣/ ٢٤٣ وأبو يعلى ٢٨٥٤ كلهم من حديث أنس.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٤٠٢: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء.

(٢) هو صدر بيت وتمامه:

همـمـت ولـم أفـعـل وكـدت وليتـنـي ... تـركـت عـلـى عـثـمـان تـبـكـي حـلائـلـه

(٣) البيت غير منسوب في «اللسان» ـ كود ـ.

(٤) البيت في ديوانه ١٨٦ و «اللسان» ـ خفا ـ.

أي: إنْ تدفنوا الدّاءَ لا نُظهره. قال: وهذه القراءةُ أبيَنُ في المعنى، لأنَّ معنى «أكاد أُظهرها» قد أَخفيتُها وكِدتُ أُظهِرُها. ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل. و ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ متعلّقٌ بقوله: «إن الساعة آتية» لِتُجزى، ويجوز أنْ يكونَ على «أقم الصلاة لذكري» لِتُجزى.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ أي: مَنْ لا يُؤمِن بكونها؛ والخِطابُ للنبيِّ ﷺ خِطابٌ لجميع أُمَّتِه، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي: مُرادَهُ وخالَف أمرَ الله عزَّ وجلَّ، ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ أي: فتهلِكُ؛ قال الزَّجَّاجُ: يُقال: رَدِي يَرْدَى رَدًى: إذا هَلَكَ.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ قال الزَّجّاجُ: «تلك» اسمٌ مُبهَمٌ يجري مَجرى «التي»، والمعنى: ما التي بيمينِكَ؟ قوله تعالى: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ التَّوكُّؤُ: التَّحامُلُ على الشيءِ اليابس ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ قال الفرّاءُ: أَضْرِبُ بها الشجرَ اليابسَ ليسقطَ ورقُهُ فترعاهُ غَنَمِي، قال الزَّجّاجُ: واشتِقاقُه مِنْ أنّي أُحِيلُ الشيءَ إلى الهَشاشَةِ والإمكانِ. والمآرِبُ: الحاجاتُ، واحدُها: مَأْرُبَة، ومَأْرَبَة، وروى قُتَيبةُ، ووَرْشٌ: «مآرب» بإمالةِ الهمزةِ. فإنْ قيلَ: ما الفائدة في سؤالِ الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ وهو يعلمُ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنَّ لفظَهُ لفظُ الاستفهام، ومَجراهُ مجرى السؤال، يُجيبَ المُخاطَبُ بالإقرارِ به، فتثبتَ عليه الحُجَّةُ باعترافه فلا يمكنه الجَحدُ، ومثله في الكلام أن تقولَ لِمَنْ تُخاطِبُه وعندك ماءٌ: ما هذا؟ فيقول: ماءٌ، فتضعُ عليه شيئاً مِنَ الصِّبْغ، فإنْ قال: لم يَزَلْ هكذا، قلتَ له: ألستَ قد اعترفتَ بأنه ماءٌ؟ فتثبت عليه الحُجَّةُ، هذا قولُ الزَّجّاجِ. فعلى هذا تكون الفائدةُ أنه قرَّرَ موسى أنها عَصاً لمّا أراد أنْ يُريَه مِنْ قُدرته في انقِلابها حيَّةً، فوقع المُعجزُ بها بعد التَّثبتِ في أمرِها. **والثاني**: أنه لمّا اطّلع اللّهُ تعالى على ما في قَلْبِ موسى مِنَ الهيبة والإجلال حين التَّكليم، أراد أنْ يُؤانسَهُ ويُخفِّفَ عنه ثِقَلَ ما كان فيه مِنَ الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستِئناسِ، حكاه أبو سُلَيمانَ الدِّمشقي. فإنْ قيلَ: قد كان يكفي في الجواب أن يقولَ: «هي عصاي» فما الفائدةُ في قوله: «أتوكَّأُ عليها» إلى آخرِ الكلام، وإنما يُشرَحُ هذا لِمَنْ لا يعلم فوائِدَها؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه أجاب بقوله: «هي عصاي» فقيلَ لهُ: ما تَصنعُ بها؟ فذكرَ باقي الكلام جواباً عن سؤالٍ ثانٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ووَهْبٌ. **والثاني**: أنه إنما أظهرَ فوائدَها، وبيَّنَ حاجتَهُ إليها، خوفاً من أن يأمُرَهُ بإلقائها كالنَّعلين، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنه بيَّنَ منافعها لئلاّ يكونَ عابثاً بحَملِها، قاله المَاوَرديِ. فإنْ قيلَ: فلِمَ اقتصرَ على ذِكْرِ بعض منافعها ولم يُطِلِ الشرحَ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه كَرِهَ أن يشتغلَ عن كلام الله بتَعدادِ منافِعها. **والثاني**: أنه استغنى بعِلْمِ الله فيها عن كَثرةِ التَّعدادِ. **والثالث**: أنه اقتصرَ على اللازمِ دُونَ العَارِضِ. وقيلَ: كانت تُضيءُ له باللَّيل، وتدفعُ عنه الهَوامَ، وتُثمِرُ له إذا اشتهى الثِّمارَ. وفي جِنسها قولان: **أحدهما**: أنها كانت مِنْ آسِ الجنَّةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها كانت مِنْ عَوسَجٍ.

فإن قيل: المآربُ جمعٌ، فكيف قال: «أخرى» ولم يَقُلْ: «أُخَر»؟ فالجواب: أنَّ المآرِبَ في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعةٌ مِنَ الحاجاتِ أُخرى، قاله الزَّجَّاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: ألقاها، ظَنًّا منه أنه قد أُمِرَ برَفْضِها، فسمعَ حسًّا فالتَفتَ فإذا هي كأعظم ثُعبانٍ تمرُّ بالصخرة العظيمة فتبتَلِعُها، فهربَ منها.

وفي وَجْهِ الفائدة في إظهار هذه الآيةِ ليلةَ المُخاطبةِ قولان: **أحدهما**: لئلاً يخافَ منها إذا ألقاها بينَ يَدَي فِرعَونَ. **والثاني**: لِيُريَهُ أنَّ الذي أبعثُكَ إليه دُونَ ما أريتُكَ، فكما ذلَّلْتُ لكَ الأعظَمَ وهو الحيَّة، أُذلِّلُ لكَ الأدنى.

ثم إنَّ الله تعالى أَمرَهُ بأخذِها وهي على حالِها حيَّةً، فوضع يدَهُ عليها فعادَتْ عَصاً، فذلك قوله: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: طريقَتَها، يقول: تردُّها عصا كما كانت، قال الزَّجَّاجُ: «وسيرتها» منصوبةٌ على إسقاطِ الخافضِ وإفضاءِ الفعلِ إليها، المعنى: سَنُعيدُها إلى سيرَتِها.

فإنْ قيلَ: إنما كانت العَصَا واحدةً، وكان إلقَاؤُها مرَّةً، فما وَجْهُ اختلافِ الأخبار عنها، فإنه يقول في الأعرافِ: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾(١)، وهاهنا: «حية» وفي مكانٍ آخرَ: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾(٢) ليست بالعظيمة، والثُّعبانُ أعظمُ الحيَّاتِ؟ فالجواب: أنَّ صِفتَها بالجَانّ عبارةٌ عن ابتداءِ حَالِها، وبالثُّعبان إخبارٌ عن انتهاءِ حالِها، والحَيَّة اسمٌ يقع على الصَّغيرِ والكبيرِ والذَّكرِ والأنثى. وقال الزَّجَّاجُ: خَلْقُها خَلْقُ الثُّعبان العظيم، واهتزازُها وحَرَكَتُها وخِفَّتُها كاهتزازِ الجَانِّ وخفته.

قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ قال الفَرَّاءُ: الجَناحُ مِنْ أسفل العَضُدِ إلى الإبطِ.

وقال أبو عُبيدَةَ: الجَناحُ ناحيةُ الجَنْبِ، وأنشد:

أَضُمُّهُ للصَّدْرِ والجَناحِ

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: مِنْ غيرِ بَرَصٍ ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: دلالةٌ على صِدقِكَ سوى العصا. قال الزَّجَّاجُ: ونصب «آيةً» على معنى: آتيناكَ آيةً، أو نُؤتيكَ.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾. إن قيل: لِمَ لَمْ يَقُلْ: «الكُبَر»؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ وقد شرحناه، هذا قولُ الفَرَّاءِ. **والثاني**: أنَّ فيه إضماراً تقديره: لِنُريكَ مِنْ آياتنا الآيةَ الكُبرى. وقال أبو عُبيدَةَ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: لِنُريكَ الكُبرى مِنْ آياتنا. **والثالث**: أنه إنما كان ذلك لِوِفَاقِ الآيِ، حكى القولَين الثَّعلبيُّ.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: جاوزَ الحَدَّ في العِصيان.

قوله تعالى: ﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ قال المُفسِّرون: ضَاقَ موسى صدراً بما كُلِّفَ مِنْ مُقاومة فِرعونَ

(١) سورة الأعراف: ١٠٧. (٢) سورة النمل: ٢٠.

وجُنودِه، فسأَلَ اللّهَ تعالى أن يُوسِّعَ قلبَهُ للحقِّ حتى لا يخافَ فِرعونَ وجنودَهُ. ومعنى قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾: سَهِّل عليَّ ما بعَثتَني له. ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: كانت فيه رُتَّةٌ[1] قال المُفسِّرون: كان فِرعونُ قد وضعَ موسى في حِجرِهِ وهو صغيرٌ، فجرَّ لِحيَةَ فِرعونَ بيده، فهَمَّ بقتْلِه، فقالت له آسِيَةُ: إنه لا يَعقِلُ، وسأُريكَ بيانَ ذلك، قَدِّمْ إليه جَمْرَتين ولُؤلُؤتين، فإنِ اجتنبَ الجَمْرَتين عرفتَ أنه يَعقِلُ، فأخذَ موسى جَمرةً فوضعَها في فِيهِ فأحرقَتْ لسانه وصارَ فيه عُقدَة، فسأَلَ حَلَّها ليفهَمُوا كلامَهُ.

وأمّا الوَزير، فقال ابنُ قُتيبةَ: أصلُ الوِزَارة مِنَ الوِزْرِ وهو الحِمْلُ، كأنَّ الوَزيرَ قد حملَ عن السلطانِ الثِّقلَ. وقال الزَّجّاجُ. اشتقاقه مِنَ الوَزَرِ، والوَزَرُ: الجبلُ الذي يُعتَصَمُ به ليُنجي من الهَلَكةِ، وكذلك وَزيرُ الخليفة، معناه: الذي يعتمدُ عليه في أموره ويلتجئُ إلى رَأيه. ونصبُ «هارون» مِنْ جهتين. إحداهما: أن تكونَ «اجعل» تتعدَّى إلى مفعولَين، فيكون المعنى: اجعَلْ هارونَ أخي وَزِيري، فينتصب «وزيراً» على أنه مفعولٌ ثانٍ. ويجوز أن يكونَ «هارون» بَدَلاً مِنْ قوله: ﴿وَزِيرًا﴾، فيكون المعنى: اجعَلْ لي وزيراً مِنْ أهلي، ثم أُبدِلَ هارونُ مِنْ وزيرٍ؛ والأوَّلُ أجودُ. قال المَاوَرديّ: وإنما سأَلَ اللّهَ تعالى أن يجعلَ له وَزيراً، لأنه لم يُرِدْ أن يكون مقصوراً على الوِزارَةِ حتى يكونَ شريكاً في النُّبوَّةِ، ولولا ذلك لجَازَ أنْ يَستَوزرَ مِنْ غير مسألةٍ. وحرَّكَ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو بفتحِ ياءِ «أخيَ». قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا دعاءٌ مِنْ موسى، والمعنى: اشْدُدْ به يا ربِّ أزْري، وأشْرِكْهُ يا ربِّ في أمري. وقرأ ابنُ عامرٍ: «أشدد» بالألِفِ مقطوعةً مفتوحةً، «وأشركه» بضمِّ الألِفِ، وكذلك يَبتدِئ بالألِفَين. قال أبو عليٍّ: هذه القراءةُ على الجواب والمُجازاةِ، والوَجْهُ الدُّعاءُ دونَ الإخبار، لأنَّ ما قَبْله دعاءٌ، ولأنَّ الإشراكَ في النبوّة لا يكون إلاَّ مِنَ الله عزَّ وجلَّ. قال ابنُ قُتيبةَ: والأَزْرُ: الظَّهْرُ، يقال: آزَرتُ فُلاناً على الأمرِ، أي: قَوَّيته عليه وكنت له فيه ظَهْراً. قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ أي: في النبوّة معي ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ أي: نُصلّي لكَ ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بألسِنَتنا حامِدينَ لكَ على ما أَولَيتَنا أي مِنْ نِعَمِك ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالِماً إذ خَصَصْتَنا بهذه النِّعَم.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: طَلِبَتَكَ، وهو «فُعْل» من «سَأَلت»، أي: أُعطِيتَ ما سألتَ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمْنا عليكَ ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ قبلَ هذه المَرَّةِ. ثم بيَّنَ متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: ألهَمْناها ما يُلهَمُ مما كان سبباً لنجاتِكَ، ثم فسَّرَ

(١) في «اللسان»: الرُّتَة بالضم: عجلة في الكلام، وقلة أناة، وقيل: هو أن يقلب اللام ياء.

ذلك بقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ وقَذْفُ الشيءِ: الرَّميُ به. فإنْ قيلَ: ما فائدةُ قوله: ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ وقد عُلِمَ ذلك؟ فقد ذكرَ عنه ابنُ الأنباري جوابين: **أحدهما**: أنَّ المعنى: أوحينا إليها الشيءَ الذي يجوز أنْ يُوحَى إليها، إذ ليس كلُّ الأمور يَصلُحُ وَحْيُهُ إليها، لأنها ليست بنَبِيٍّ، وذلك أنها أُلهِمَتْ. **والثاني**: أنَّ ﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ أفادَ توكيداً، كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ﴾ قال ابنُ الأنباري: ظاهرُ هذا الأمرُ، ومعناه معنى الخَبرُ، تأويله: يُلقِيه اليَمُّ، ويجوز أن يكون البحرُ مأموراً بآلةٍ رَكَّبها اللهُ تعالى فيه، فسمعَ وعَقلَ، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار. فأمَّا السَّاحلُ، فهو: شَطُّ البحر. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعني: فِرعونَ. قال المُفسِّرون: اتَّخذَتْ أُمُّهُ تابوتاً وجعلت فيه قُطناً مَحلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكَمَتْ بالقَارِ شُقوقَ التَّابوتِ، ثم ألقَتْهُ في النِّيلِ، وكان يَشرعُ منه نهرٌ كبيرٌ في دار فِرعونَ، فبَيْنَا هو جالسٌ على رأس البِرْكَةِ مع امرأتِه آسِيَةَ، إذا بالتَّابوتِ، فأمرَ الغِلمانَ والجَواري بأخْذِه، فلما فَتَحُوهُ رأوا صبياً مِنْ أصبَحِ الناس وَجْهاً؛ فلما رآه فِرعونُ أحبَّه حُبّاً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، قال أبو عُبيدَةَ: ومعنى «ألقيتُ عليكَ» أي: جعلتُ لكَ مَحبَّة مني. قال ابنُ عباسٍ: أحَبَّه وحبَّبه إلى خَلْقِه، فلا يَلقاهُ أحدٌ إلاَّ أحبَّهُ مِنْ مؤمنٍ وكافرٍ. وقال قَتادَةُ: كانت في عينيه مَلاحَةٌ، فما رآه أحدٌ إلاَّ أحبَّه.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ وقرأ أبو جعفرَ: «ولْتُصنعْ» بسكونِ اللام والعين والإدغام. قال قتادة: لتغذىٰ على محبتي وإرادتي. قال أبو عُبيدَةَ: على ما أُريدَ وأُحِبَّ. قال ابنُ الأنباري: هو مِنْ قول العرب: غُذِيَ فُلانٌ على عَيني، أي: على المَحبَّة مِنّي. وقال غيرُه: لتَرَبَّى وتُغذَى بمَرْأىً منّي، يقال: صنعَ الرجلُ جاريتَهُ: إذا ربَّاها؛ وصَنعَ فرسَهُ: إذا داوَمَ على عَلَفِه ومُراعَاتِه، والمعنى: ولِتُصْنَعَ على عيني، قَدَّرنا مَشيَ أختِكَ وقولَها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ لأنَّ هذا كان مِنْ أسباب تربيَتِه على ما أراد اللهُ تعالى. فأمَّا أختُه، فقال مُقاتِلٌ: اسمُها مَريمُ. قال الفَرَّاءُ: وإنما اقتصَرَ على ذِكْرِ المَشي، ولم يذكُرْ أنها مَشَتْ حتى دخلَتْ على آلِ فِرعونَ فدَلَّتْهم على الظِّئرِ، لأنَّ العرب تجتَزِئُ بحذفِ كثيرٍ مِنَ الكلام، وبقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾[2]، ولم يَقُلْ: فأرسِلَ حتى دخلَ على يُوسفَ.

قال المُفسِّرون: سببُ مَشْيِ أختِه أنَّ أُمَّهُ قالت لها: قُصِّيه، فاتَّبعَتْ موسى على أَثَرِ الماء، فلمَّا التَقَطَهُ آلُ فِرعونَ جعل لا يقبلُ ثَدْيَ امرأةٍ، فقالت لهم أُختُهُ: «هل أدُلُّكم على من يَكْفُلُه» أي: يُرْضِعه ويَضُمُّه إليه، فقيلَ لها: ومَنْ هي؟ فقالت: أُمِّي، قالوا: وهل لها لَبَنٌ؟ قالت: لبنُ أخي هارونَ، وكان هارونُ أسَنَّ مِنْ موسى بثلاثِ سنين، فأرسَلُوها، فجاءت بالأمِّ فقبَّلَ ثديَها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ أي: رَدَدناكَ إليها ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بكَ وبرُؤْيتِكَ. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني: القِبْطِيَّ الذي وَكَزَهُ فقضى عليه، وسيأتي ذِكْرُه إنْ شاءَ اللهُ تعالى ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ وكان مَغموماً مَخافَةَ أنْ يُقتلَ به، فنَجَّاهُ اللهُ بأن هربَ إلى مَدْيَنَ، ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اختبرناكَ اختِباراً، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أخلَصناكَ إخلاصاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: ابتَليناكَ ابتِلاءً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وقال الفَرَّاءُ: ابتَليناكَ بغَمٍّ

(١) سورة النجم: ٥٤. (٢) سورة يوسف: ٤٥.

القَتْلِ ابتلاءً. وروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: الفُتُونُ: وقوعُه في مِحنةٍ بعد مِحنةٍ خلَّصَهُ الله منها، أوَّلُها أنَّ أُمَّه حَملَتْهُ في السَّنَةِ التي كان فِرعونُ يذبحُ فيها الأطفالَ، ثم إلقاؤُهُ في البحرِ، ثم مَنعَهُ الرَّضاعَ إلاَّ مِنْ ثَدي أُمِّهِ، ثم جَرُّهُ لِحيَةَ فِرعونَ حتى هَمَّ بقَتْلِه، ثم تناولُه الجَمرَةَ بدَلَ الدُّرَّةِ، ثم قَتْلُه القِبْطِيَّ، ثم خُروجُه إلى مَدْيَنَ خائفاً؛ وكان ابنُ عباسٍ يقصُّ هذه القَصَصَ على سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، ويقول له عندَ كلِّ بَليَّةٍ: وهذا مِنَ الفُتُونِ يا ابنَ جُبَيرٍ؛ فعلى هذا يكون معنى «فتنَّاكَ» خلَّصناكَ مِنْ تلك المِحَنِ كما يُفتَنُ الذهبُ بالنارِ فيُخَلَّصُ مِنْ كلِّ خَبَثٍ. والفُتُونُ: مصدرٌ.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ تقدير الكلام: فخرجتَ إلى أهلِ مَدْيَنَ. ومَدْيَنُ: بلدُ شُعَيبٍ، وكان على ثماني مَراحلَ مِنْ مِصْرَ، فهربَ إليه موسى. وقيل: مَدْيَنُ: اسمُ رجلٍ، وقد سبق هذا[1]. وفي قَدْرِ لُبثِه هناك قولان: **أحدهما**: عشرُ سنين، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: ثمانٌ وعشرون سنةً، عشرٌ منهنَّ مَهرُ امرأته، وثمان عشرة أقام حتى وُلِدَ له، قاله وَهْبٌ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: جئتَ لميقاتٍ قَدَّرته لمَجيئكَ قبلَ خَلْقِكَ، وكان ذلك على رأسِ أربعين سنةً، وهو الوقت الذي يُوحى فيه إلى الأنبياء، هذا قولُ الأكثرين. وقال الفَرَّاءُ: «على قَدَرٍ» أي: على ما أراد اللهُ به مِنْ تكليمِه.

قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي: اصطَفيتُكَ واختَصصتُكَ، والاصطِناعُ: اتِّخاذُ الصَّنيعَةِ، وهو الخير تُسديه إلى إنسانٍ. وقال ابنُ عباسٍ: اصطَفيتُكَ لِرسالَتي ووَحْيي ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها العَصا واليدُ. وقد يُذْكَرُ الاثنان بلفظِ الجمعِ. **والثاني**: العصا واليدُ وَحَلُّ العُقدَةِ التي ما زال فِرعونُ وقومه يعرفونها، ذكرهما ابنُ الأنباري. **والثالث**: الآياتُ التِّسعُ. والأولُ أصحُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: لا تَضعُفا ولا تَفتُرا؛ يقال: وَنَى يَنِي في الأمرِ؛ وفيه لغةٌ أخرى: وَنِيَ، يَونَى. وفي المراد بالذِّكرِ هاهنا قولان[2]: **أحدهما**: أنه الرِّسالةُ إلى فِرعَونَ. **والثاني**: أنه القيامُ بالفرائضِ والتَّسبيحُ والتَّهليلُ.

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ فائدةُ تكرارِ الأمرِ بالذَّهاب، التَّوكيدُ. وقد فسَّرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وعَاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «لَيْنا» بإسكانِ

---

(١) في سورة الأعراف: ٨٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ١٩٤: والمراد أنهما لا يفتران عن ذكر الله، بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون، ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوةً لهما وسلطاناً كاسراً له، كما جاء في الحديث: «إن عبدي كل عبدي للذي يذكرني وهو مناجز قِرْنَه».

(٣) في سورة طه: ٢٤.

الياء، أي: لطيفاً رَفيقاً. وللمفسِّرين فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: قولاً له: قُلْ: «لا إلَه إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له»، رواه خالدُ بنُ مَعْدانَ عن مُعاذٍ، والضَّحّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾(١)، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثالث**: كَنّياهُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. فأمّا اسمُه، فقد ذكرناه في البقرة(٢). وفي كُنيَتِه أربعةُ أقوالٍ. أحدُها: أبو مُرَّة، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أبو مُصعَبٍ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. والثالث: أبو العَبّاسِ. والرابع: أبو الوَليدِ، حكاهما الثَّعلبيُّ. **والقول الرابع**: قولا له: إنَّ لكَ رَبّاً، وإنَّ لكَ مَعاداً، وإنَّ بين يديكَ جَنَّةً وناراً، قاله الحَسنُ. **والخامس**: أنَّ القولَ اللَّيِّنَ: أنَّ موسى أتاهُ، فقال له: تُؤمِنُ بما جِئتُ به وتَعبدُ رَبَّ العالَمين، على أنَّ لكَ شبابَكَ فلا تَهرَمُ، وتكون مَلِكاً لا يُنزَعُ منك حتى تموتَ، فإذا مِتَّ دخلتَ الجنَّةَ، فأعجبه ذلك؛ فلمّا جاء هَامَانُ، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنتُ أرى أنَّ لكَ رأياً، أنتَ رَبٌّ أردتَ أنْ تكونَ مَربُوباً؟! فقلَبَهُ عن رأيِهِ، قاله السُّدِّيُّ. وحُكي عن يَحيى بنِ مُعاذٍ أنه قرأ هذه الآيَةَ، فقال: إلهي هذا رِفقُكَ بمَنْ يقول: أنا إلهٌ، فكيفَ رِفقُكَ بمَنْ يقول: أنتَ إلهٌ.

قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ قال الزَّجّاجُ: «لَعَلَّ» في اللغة: تَرَجٍّ وطَمعٌ، تقول: لَعَلّي أصيرُ إلى خيرٍ، فخاطَبَ اللهُ تعالى العبادَ بما يعقلون. والمعنى عند سِيبَويه: اذهبا على رَجائِكُما وطَمَعِكُما. والعِلمُ مِنَ الله تعالى مِنْ وراءِ ما يكون، وقد عَلِمَ أنه لا يتذَكَّرُ ولا يخشى، إلاّ أنَّ الحُجَّةَ إنما تَجِبُ عليه بالآيَةِ والبُرهانِ، وإنما تُبعَثُ الرُّسلُ وهي لا تعلمُ الغَيْبَ ولا تدري أيُقبَلُ منها، أمْ لا، وهم يَرجُونَ ويَطمَعُونَ أنْ يُقبلَ منهم، ومعنى «لعلَّ» مُتصوَّرٌ في أنفُسِهم، وعلى تَصوُّرِ ذلك تقومُ الحُجَّةُ. قال ابنُ الأنباري: ومذهبُ الفَرّاءِ في هذا: كي يتذكَّرَ. وروى خالدُ بن مَعْدانَ عن مُعاذٍ قال: واللهِ ما كان فِرعونُ لِيَخرُجَ مِنَ الدنيا حتى يتذكَّرَ أو يَخْشى، لهذه الآيةِ، وإنه تَذكَّرَ وخَشِيَ لمّا أدركَهُ الغرقُ. وقال كَعبٌ: والذي يحلِفُ به كَعبٌ، إنه لَمكتوبٌ في التَّوراةِ: فقُولا له قَولاً لَيِّناً، وسأُقسّي قلبَهُ فلا يُؤمِنُ. قال المُفسِّرون: كان هارونُ يَومَئذٍ غائباً بمِصْرَ، فأوحى اللهُ تعالى إلى هارونَ أنْ يتلقّى موسى، فتَلَقّاه على مَرحَلةٍ، فقال له موسى: إنَّ الله تعالى أَمَرني أنْ آتيَ فِرعونَ، فسألتُه أنْ يجعَلَكَ معي؛ فعلى هذا يحتملُ أنْ يكونا حين التَقيا قالا: رَبَّنا إننا نخافُ. قال ابنُ الأنباري: ويجوزُ أنْ يكون القائلُ لذلك موسى وحدَهُ، وأخبرَ اللهُ عنه بالتثنية لمّا ضمَّ إليه هارونَ، فإنَّ العربَ قد تُوقع التثنيةَ على الواحدِ، فتقول: يا زيدُ قوما، يا حرسيَّ اضربا عُنقَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ﴾ وقرأ عبدُ الله بن عَمرٍو، وابنُ السَّمَيْفع، وابنُ يَعمَرَ، وأبو العَالِية: «أن يُفْرِط» برفع الياء وكسرِ الراء. وقرأ عِكرِمَةُ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ: «أن يَفْرَط» بفتح الياء والراء. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَارِدي، وابنُ مُحَيصِنٍ: «أن يُفْرَط» بضمِّ الياء وفتح الراء. قال الزَّجّاجُ: المعنى، أنْ يُبادِرَ بعقوبتنا، يقال: قد فَرَطَ منه أمرٌ، أي: قد بَدَرَ؛ وقد أفرَطَ في الشيء: إذا اشتَطَّ فيه؛ وفرَّطَ في الشيء: إذا قصَّرَ؛ ومعناه كلُّه: التَّقدم في الشيء، لأنَّ الفَرَطَ في اللغة: المُتقدِّمُ.

---

(١) سورة النازعات: ١٨ و ١٩. (٢) سورة البقرة: ٤٩.

[٩٧٤] ومنه قوله عليه الصلاةُ والسلامُ: «أنا فَرَطُكُم على الحَوضِ».

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يستعصي، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: يُجاوز الحَدَّ في الإساءةِ إلينا. قال ابنُ زيدٍ: نخاف أنْ يُعجِلَ علينا قبلَ أن نُبلِّغَهُ كلامَكَ وأمرَكَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ أي: بالنُّصرَة والعَونِ ﴿أَسْمَعُ﴾ أقوالَكُم ﴿وَأَرَىٰ﴾ أفعالَكُم. قال الكَلبيُّ: أسمعُ جوابَه لكُما، وأرى ما يَفعلُ بكما.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: خَلِّ عنهم (ولا تعذّبهم) وكان يستعمِلُهم في الأعمال الشَّاقَّة، ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي العَصا. قال مُقاتِلٌ: أظهَرَ اليدَ في مقام، والعَصا في مقام. قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: على مَنْ آمَنَ بالله. قال الزَّجَّاجُ: وليس يعني به التَّحيَّةَ، وإنما معناه: أنَّ مَنِ اتَّبعَ الهُدى، سَلِمَ مِنْ عذاب الله وسَخطِه، والدليلُ على أنه ليس بسلامٍ، أنه ليس بابتداءِ لقاءٍ وخطابٍ. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرَضَ عنه.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ في الكلام محذوفٌ معناه معلومٌ، وتقديره: فأتياهُ فأدَّيا الرِّسالةَ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما لم يَقُلْ: فأتياه، لأنَّ في الكلام دليلاً على ذلك، لأنَّ قوله: «فمَنْ ربُّكما» يدلُّ على أنهما أتياهُ وقالا له.

قوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعطى كُلَّ شيءٍ صُورَتَهُ، فخَلَقَ كُلَّ جنسٍ مِنَ الحيوان على غيرِ صورةِ جنسه، فصورةُ ابنِ آدمَ لا كصورةِ البهائم، وصورةُ البَعيرِ لا كصورةِ الفَرَسِ، روى هذا المعنى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أعطى كلَّ ذَكَرٍ زوجةً مثله، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباس، وبه قال السُّدِّيُّ، فيكون المعنى: أعطى كُلَّ حيوانٍ ما يُشاكِلُه. **والثالث**: أعطى كلَّ شيءٍ ما يُصْلِحه، قاله قَتادةُ. وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: هَدَى كيف يأتي الذَّكرُ الأُنثى، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: هَدَى للمَنْكَحِ والمَطعَمِ والمَسكَنِ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: هَدَى كلَّ شيءٍ إلى مَعيشَتِه، قاله مُجاهِدٌ. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وابنُ عباسٍ، والأعمَشُ، وابنُ السَّمَيْفع، ونُصَيرُ عن الكِسائيِّ: «أعطى كُلَّ شيءٍ خَلَقَهُ» بفتحِ اللام.

---

[٩٧٤] صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٨٩ ومسلم ٢٢٨٩ والحميدي ٧٨٧ وابن أبي شيبة ١١/ ٤٤٠ **وأحمد** ٤/ ٣١٣ والطبراني ١٦٨٨ و ١٦٨٩ و ١٦٩١ وابن حبان ٦٤٤٥ و ٦٤٤٦ من طرق عن جندب بن سفيان **البجلي**. **وفي** الباب أحاديث كثيرة.

فإنْ قيلَ: ما وَجْهُ الاحتِجاجِ على فِرعَونَ مِنْ هذا؟

فالجواب: أنه قد ثَبَتَ وجودُ خَلْقٍ وهِدايةٍ، فلا بُدَّ مِنْ خالقٍ وهَادٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ اختلفوا فيما سألَ عنه مِنْ حالِ القُرونِ الأولى على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه سأله عن أخبارها وأحادِيثها، ولم يكُنْ له بذلك عِلْمٌ، إذ التَّوراةُ إنما نزلت عليه بعد هَلاكِ فِرعَونَ، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، هذا مذهبُ مُقاتِلٍ. وقال غيره: أراد: إنّي رسولٌ، وأخبارُ الأُمَمِ عِلْمُ غَيْبٍ، فلا عِلْمَ له بالغَيْبِ. **والثاني**: أنَّ مُرادَهُ مِنَ السؤال عنها: لِمَ عُبِدَتِ الأصنامُ، ولِمَ لم يُعبَدِ اللهُ إنْ كان الحقُّ ما وَصَفتَ؟! **والثالث**: أنَّ مُرادَهُ: ما لها لا تُبعَثُ ولا تُحاسَبُ ولا تُجازَى؟! فقال: عِلْمُها عند الله، أي: عِلْمُ أعمالِها. وقيلَ: الهاءُ في «عِلْمُها» كنايةٌ عن القيامة، لأنه سألَهُ عن بَعْثِ الأُمَمِ، فأجابه بذلك.

وقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ أراد: اللَّوحَ المَحفوظَ. قوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ وقرأ عبدُ الله بنُ عمرٍو، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «لا يُضِلُّ» بضمِّ الياء وكسرِ الضاد، أي: لا يضيعه وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفع: «لا يُضَل» بضمِّ الياء وفتح الضاد. وفي هذه الآية توكيدٌ للجَزاءِ على الأعمال، والمعنى: لا يُخطِئ رَبِّي ولا يَنسى ما كان مِنْ أمرِهم حتى يُجازِيَهُم بأعمالِهم. وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتابٍ لأنه يَضِلُّ ويَنسى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «مِهاداً». وقرأ عاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «مهداً» بغيرِ ألِفٍ. والمِهادُ: الفِراشُ، والمَهْدُ: الفَرشُ. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخلَ لأجلِكُم في الأرض طُرُقاً تسلُكونها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطرَ. وهذا آخرُ الإخبارِ عن موسى. ثم أخبرَ اللهُ تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ يعني: بالماءِ ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافاً مُختلفةً في الألوان والطُّعوم، كلُّ صِنفٍ منها زوجٌ. و «شتى» لا واحدَ له مِنْ لفظِه. ﴿كُلُوا۟﴾ أي: ممَّا أخرجنا لكُم مِنَ الثِّمار ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ يقال: رَعَى الماشيةَ، يرعَاها: إذا سَرَّحَها في المَرعى. ومعنى هذا الأمر: التَّذكيرُ بالنِّعَم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ أي: لَعِبَراً في اختلافِ الألوانِ والطُّعوم ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ قال الفَرّاءُ: لِذَوي العُقولِ، يُقال للرجل: إنه لذُو نُهْيَةٍ: إذا كان ذا عَقْلٍ. قال الزَّجَّاجُ: واحدُ النُّهى: نُهْيَة، يُقال: فلانٌ ذو نُهْيَةٍ، أي: ذو عَقْلٍ ينتهي به عن المَقابِحِ، ويدخل به في المحاسِنِ؛ قال: وقال بعضُ أهلِ اللغة: ذُو النُّهيَةِ: الذي يُنتهَى إلى رأيهِ وعقلِه، وهذا حسنٌ أيضاً. قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني: الأرضَ المذكورةَ في قوله: «جعل لكم الأرض مهاداً». والإشارةُ بقوله: «خلقناكم» إلى آدمَ، والبَشرُ كلُّهم منه. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ أي: مَرَّةً ﴿أُخْرَىٰ﴾ بعدَ البَعثِ، يعني: كما أخرجناكُم منها أولاً عند خَلْقِ آدمَ مِنَ الأرض.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟

ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ يعني: فِرعونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني: التِّسعَ الآياتِ، ولم يُرَ كلَّ آيةٍ لله، لأنها لا تُحصى، ﴿فَكَذَّبَ﴾ إذ نَسبَ الآياتِ إلى الكذب، وقال: هذا سِحْرٌ ﴿وَأَبَىٰ﴾ أنْ يُؤمنَ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعني: مِصرَ ﴿بِسِحْرِكَ﴾ أي: تريد أنْ تغلبَ على دِيارنا بسِحْرِكَ فتَمْلِكَها وتُخرجنا منها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: فلَنُقابِلَنَّ ما جئتَ به مِنَ السِّحْرِ بمثله ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: اضرِبْ بيننا وبينَكَ أَجَلاً وميقاتاً ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ أي: لا نُجاوزه ﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾ وقيل: اجعَلْ بيننا وبينَكَ مَوعِداً مكاناً نَتَواعَدُ لحضورنا ذلك المكان، ولا يقعُ مِنَّا خِلافٌ في حُضورِه. ﴿سُوًى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، والكِسَائيُّ بكسر السين. وقرأ ابنُ عامرٍ، وعَاصِمٌ، وحمزَةُ، وخَلَفٌ، ويعقوبُ: «سُوىً» بضمِّها. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «مكاناً سَواءً» بالمَدِّ والهمزِ والنَّصبِ والتنوين وفتح السين. وقرأ ابنُ مسعودٍ مثلَهُ، إلا أنه كَسَرَ السينَ. قال أبو عُبيدَةَ: هو اسمٌ للمكان النِّصفِ فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافتُه على الفريقين، فتكون مسافةُ كلِّ فريقٍ إليه كمسافة الفريق الآخر. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ قرأ الجمهور برفع الميم. وقرأ الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وهُبَيرةُ عن حَفْصٍ بنصبِ الميم. وفي هذا «اليوم» أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: يومُ عيدٍ لهم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، والسُّدِّيُّ عن أشياخه، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: يومُ عاشُوراءَ، رَواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: يومُ النَّيرُوزِ، ووافقَ ذلك يومَ السبتِ أولَ يومٍ مِنَ السَّنَةِ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: يومُ سَوْقٍ لهم، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

وأمَّا رَفعُ اليوم، فقال البَصريُّون: التقدير: وقتُ مَوعِدكُم يومُ الزِّينَةِ، فنابَ المَوعدُ عن الوقت، وارتفعَ به ما كان يرتَفعُ بالوقتِ إذا ظَهرَ. فأمَّا نصبُه، فقال الزَّجَّاجُ: المعنى: مَوعِدُكم يقعُ يومَ الزِّينة، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ موضعُ «أن» رفعٌ، المعنى: مَوعِدُكم حشرُ الناس ﴿ضُحًى﴾ أي: إذا رأيتُم الناسَ قد حُشِرُوا ضُحىً. ويجوز أن تكون «أن» في موضع خَفْضٍ عطفاً على الزِّينةِ، المعنى: مَوعِدُكم يومُ الزِّينة ويومُ حَشْرِ الناس ضُحىً. وقرأ ابنُ مسعودٍ: وابنُ يَعمُرَ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «وأن تَحْشُرَ» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الشين ونصبِ «الناسَ». وعن ابنِ مسعودٍ، والنَّخعيِّ: «وأن يَحشُرَ» بالياءِ المفتوحة ورفعِ الشين ونصبِ «الناسَ».

قال المُفسِّرون: أراد بالناس: أهلَ مِصْرَ، وبالضُّحَى: ضُحَى اليومِ، وإنما عَلَّقَهُ بالضُّحى، ليتكامَلَ ضوءُ الشمس واجتماعُ الناس، فيكون أبلغَ في الحُجَّةِ وأبعدَ مِنَ الرِّيبة.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: تولَّى عن الحقِّ الذي أُمِرَ به. **والثاني**: أنه انصَرَفَ إلى منزله لاستعدادِ ما يَلقى به موسى، أي: مكرَهُ وحِيلَتَهُ **﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ أي: حَضرَ** المَوعِدَ. قال لهم موسى: أي للسحرة وقد ذكرنا عَددَهُم في الأعرافِ[1].

---

(١) سورة الأعراف: ١١٤.

قوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على «ألزمكم الله ويلاً» ويجوز أنْ يكون على النداءِ، كقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[١].

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا تُشركوا معه أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «فَيَسحَتَكم» بفتحِ الياء، مِنْ «سَحَتَ». وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «فيُسحِتكم» بضمِّ الياء، مِنْ «أسحَتَ». قال الفَرَّاءُ: ويُسحِتُ أكثرُ، وهو الاستِئصَالُ، والعرب تَقول: سَحتَهُ اللهُ، وأسحَتَهُ، قال الفرزدَقُ:

وعَـضُّ زَمـانٍ يـا بْـنَ مَـرْوَانَ لَـمْ يَـدَعْ مِـنَ الـمَـالِ إلاَّ مُـسْـحَـتاً أوْ مُـجـلَّـفُ[٢]

هكذا أنشد البيتَ الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ، ورواه أبو عُبيدَةَ: «إلا مُسْحَتٌ أبو مُجلَّفُ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السَّحرةَ تناظروا فيما بينهم في أمرِ موسى، وتشاوَرُوا ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: أخْفَوْا كلامَهُم مِنْ فِرعونَ وقومِه. وقيل: مِنْ موسى وهارونَ. وقيلَ: «أسرُّوا» ها هنا بمعنى «أظهروا».

وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا إنْ كان هذا ساحراً، فإنَّا سنغلِبُه، وإنْ يكُنْ مِنَ السماء كما زَعمتُم، فله أمرُهُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنهم لمَّا سمعوا كلامَ موسى قالوا: ما هذا بقولِ ساحرٍ، ولكنْ هذا كلامُ الرَّبِّ الأعلى، فعرفوا الحقَّ، ثم نظروا إلى فِرعونَ وسُلطانِه، وإلى موسى وعصَاهُ، فنُكِسُوا على رؤوسِهم، وقالوا إنْ هذان لَساحران، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلُ. **والثالث**: أنهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾. . . الآيات، قاله السُّدِّيُّ.

واختلف القُرَّاءُ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ فقرأ أبو عمروِ بنِ العَلاءِ: «إنَّ هذين» على إعمالِ «إنَّ» وقال: إني لأستَحيِي مِنَ الله أنْ أقرأَ «إنْ هذان». وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «إنْ» خفيفةً «هذانّ» بتشديد النون. وقرأ عاصِمٌ في رواية حَفْصٍ: «إنْ» خفيفةً «هذان» خفيفةً أيضاً. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إنّ» بالتشديد «هاذان» بألِفٍ ونونٍ خفيفةٍ. فأما قراءةُ أبي عمروٍ، فاحتجَاجُه في مخالفة المُصحَفِ بما رُوي عن عثمانَ وعائشةَ، أنَّ هذا مِنْ غَلَطِ الكاتبِ على ما حكيناهُ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٣] في سُورةِ النساء. وأمَّا قراءةُ عاصِم، فمعناها: ما هذان إلاَّ سَاحِران، كقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٤] أي: ما نَظُنُّكَ إلاَّ مِنَ الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

ثَـكِـلَـتْـكَ أمُّـكَ إنْ قَـتـلـتَ لَـمُـسْـلِـمـاً حَـلَّـتْ عـلـيـه عُـقـوبَـةُ الـمُـتَـعَـمِّـدِ

أي: ما قتلتَ إلاَّ مُسْلِماً. قال الزَّجَّاجُ: ويشهد لهذه القراءة، ما رُوي عن أُبيِّ بنِ كَعبٍ أنه قرأ «ما هذان إلاَّ ساحران»، ورُوي عنه، «إنْ هذان لساحران» بالتخفيف، ورويت عن الخليل «إن هذان» بالتخفيف والإجماعُ على أنه لم يكن أحدٌ أعلمَ بالنَّحْوِ مِنَ الخَليلِ. فأمَّا قراءةُ الأكثرين بتشديد «إنَّ»

---

(١) سورة يس: ٥٢.

(٢) البيت في ديوانه ٥٥٦ و «اللسان» ـ جلف ـ. والمجلّف: الذي أتى عليه الدهر فأذهب ماله. والجلف: أشد استئصالاً من الجرف وأجفى.

(٣) سورة النساء: ١٦٢. (٤) سورة الشعراء: ١٨٦.

وإثباتِ الألِفِ في قوله: «هاذان» فروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: هي لغةُ بلحَارث بنِ كَعبٍ وقال ابنُ الأنبَاري: هي لغةٌ لِبَني الحَارثِ بنِ كَعبٍ، وافقتْهَا لغةُ قُريشٍ. قال الزَّجَّاجُ: وحكى أبو عُبيدَةَ عن أبي الخَطَّابِ، وهو رأسٌ مِنْ رؤوس الرُّواة: أنها لغةٌ لِكِنانَةَ، يجعلون ألِفَ الاثنين في الرفع والنصب والخَفضِ على لفظٍ واحدٍ، يقولون: أتاني الزَّيدان، ورأيتُ الزَّيدان، ومررتُ بالزَّيدان، وأنشدوا:

فَـأَطْـرَقَ إِطْـرَاقَ الـشُّـجَـاعِ وَلَـوْ رَأَى　　مَـسَـاغـاً لِـنَـابَـاهُ الـشُّـجَـاعُ لَـصَـمَّـمَـا(١)

ويقول هؤلاء: ضَربتُه بين أُذناهُ وقال النَّحويون القدماءُ: ها هنا هاءٌ مُضمَرةٌ، المعنى: إنه هذان لَسَاحران. وقالوا أيضاً: إنَّ معنى «إنَّ»: نَعَمْ «هذان لساحران»، ويُنشدون:

ويَـقُـلْـنَ شَـيْـبٌ قـد عَـلاَ　　كَ وقـد كَـبِـرْتَ فـقُـلْـتُ إِنَّـهْ(٢)

قال الزَّجَّاجُ: والذي عندي، وكنتُ عرضتُه على عالِمنا محمَّدِ بنِ يَزيدَ، وعلى إسماعيلَ بنِ إسحاقَ بنِ حمَّادِ بنِ زيدٍ، فقَبِلاهُ، وذكرا أنه أجودُ ما سمعناه في هذا، وهو أنَّ «إنَّ» قد وقعت موقعَ «نعم»، والمعنى: نَعَمْ هذان لَهُمَا السَّاحِران، ويَلِي هذا في الجَودةِ مذهبُ بَني كِنانَةَ. وأستحسنُ هذه القراءَةَ، لأنها مذهبُ أكثر القُرَّاءِ، وبها يُقرأ. وأستحسنُ قراءةَ عَاصِم، والخَليلِ، لأنهما إمامان، ولأنهما وافقا أُبَيَّ بنَ كَعبٍ في المعنى. ولا أُجِيزُ قراءةَ أبي عمرٍو لخلافِ المُصحَفِ. وحكى ابنُ الأنبَاري عن الفَرَّاءِ قال: «ألف» «هذان» هي أَلِفُ «هذا» والنونُ فَرَّقتْ بين الواحِد والتثنية، كما فَرَّقَتْ نونُ «الذين» بين الواحد والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ وقرأ أَبَانُ عن عَاصِم: «ويُذهِبا» بضمِّ الياء وكسرِ الهاء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وعبدُ الله بنُ عمرٍو، وأبو رَجَاءٍ العُطَارِدِي: «ويذهبا بالطريقة» بألِفٍ ولام، مع حذف الكاف والميم. وفي الطَّريقة قولان: **أحدهما**: بدِيْنِكُم المستقيم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: بسُنَّتِكُم ودِينِكُم وما أنتم عليه، يُقال: فلانٌ حَسَنُ الطريقة. **والثاني**: بأَمثَلِكُم، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: بأُولِي العَقلِ، والأشرافِ، والأسنانِ. وقال الشَّعبيُّ: يَصرِفَانِ وجوهَ الناس إليهما. قالَ الفَرَّاءُ: الطَّريقةُ: الرجال الأشرافُ، تقول العرب للقوم الأشرافِ: هؤلاءِ طريقةُ قومِهِم، وطَرائِقُ قومِهِم.

فأمَّا «المُثلى» فقال أبو عُبيدَةَ: هي تأنيثُ الأمثَلِ. تقول في الإناث: خُذِ المُثْلَى منها، وفي الذكور: خُذِ الأمثَلَ. وقال الزَّجَّاجُ: ومعنى المُثْلَى والأَمثَل: ذو الفَضلِ الذي به يستحق أن يُقالَ هذا أمثلُ قومِهِ؛ قال: والذي عندي أنَّ في الكلام محذوفاً، والمعنى: يذهبا بأهلِ طريقَتِكُم المُثلَى، وقولُ العرب: هذا طريقةُ قومِه، أي: صاحبُ طريقَتِهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ قرأ الأكثرون: «فأجمِعوا» بقطع الألِفِ مِنْ «أجمعت». والمعنى: ليكُنْ عَزمُكُم مُجمَعاً عليه، لا تختلفوا فيَختَلَّ أمرُكُم. قال الفَرَّاءُ: وَالإجماعُ: الإحكامُ والعزيمةُ على

---

(١) البيت للمتلمس. وهو في «اللسان» ـ صمم ـ. والشجاع: ضرب من الحيات، وقيل الحية الذكر. والمساغ: المدخل، وفي حديث أبي أيوب: إذا شئت فاركب ثم سغ في الأرض ما وجدت مساغاً.

(٢) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، وهو في «اللسان» ـ أنن ـ.
أي: إنّه كما تقلن.

الشيء، تقول: أجمَعتُ على الخروج، وأجمَعتُ الخروجَ، تريد: أزمَعتُ، قال الشاعر:

يا لَيتَ شِعري والمُنى لا تَنفَعُ ... هَلْ أغدُوَنْ يَوماً وأمري مُجمَعُ[1]

يريد: قد أُحكِمَ وعُزِمَ عليه. وقرأ أبو عَمرو: «فاجمَعوا» بفتح الميم مِنْ «جَمَعتُ»، يريد: لا تَدَعوا مِنْ كيدِكُم شيئاً إلاّ جئتُم به. فأمَّا كَيدُهم، فالمراد به: سِحرُهم، ومَكرُهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ أي: مُصطَفِّين مُجتَمِعينَ، ليكونَ أنظَمَ لأمورِكم، وأشدَّ لِهَيبَتِكم. قال أبو عُبيدَةَ: «صفاً» أي: صُفوفاً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «صفاً» بمعنى: جَمْعاً. قال الحسَنُ: كانوا خمسة وعشرين صَفّاً، كلُّ ألفٍ ساحرٍ صفٌّ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ قال ابنُ عباسٍ: فازَ مَنْ غلبَ.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ قال ابنُ الأنباري: دخلت ﴿بَلْ﴾ لمعنى: جَحْدٍ في الآية الأولى، لأن الآية إذا تُؤمِّلَتْ وُجِدَتْ مُشتملَةً على: إمَّا أنْ تُلقيَ، وإمَّا أنْ لا تُلقيَ. قوله تعالى: ﴿وَعِصِيُّهُمْ﴾ قرأ الحسَنُ، وأبو رَجاءٍ العُطارِدي، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وأبو الجَوزاءِ: «وعُصيُّهم» برفع العين. قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ وقرأ أبو رَزينٍ العُقَيلي، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ، وقَتادَةُ، والزُّهريُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تُخيَّلُ» بالتاء، «إليه» أي: إلى موسى. يُقال: خُيِّلَ إليه: إذا شُبِّهَ له. وقد استدلَّ قومٌ بهذه الآية على أنَّ السِّحرَ ليس بشيءٍ. قالوا إنما خُيِّلَ إلى موسى، والجواب: أنَّا لا نُنكِرُ أنْ يكون ما رآه موسى تخيُّلاً، وليس بحقيقةٍ، فإنه مِنَ الجائز أن يكونوا تركوا الزِّئبَقَ في سُلوخِ الحيَّاتِ حتى جَرَتْ، وليس ذلك بحيَّاتٍ. فأمَّا السِّحرُ، فإنه يُؤثِّرُ، وهو أنواعٌ.

[٩٧٥] وقد سُحِرَ رسولُ الله ﷺ حتى أَثَّرَ فيه،

---

[٩٧٥] صحيح. أخرجه البخاري ٦٣٩١ و٣١٧٥ و٥٧٦٥ و٥٧٦٣ و٦٠٦٣ ومسلم ٢١٨٩ وابن ماجه ٣٥٤٥ والنسائي في «الكبرى» ٧٦١٥ وأحمد ٦/ ٥٧ و٦٣ و٩٦ وابن أبي شيبة ٨/ ٣٠ - ٣١ وابن سعد ٢/ ١٩٦ وأبو يعلى ٤٨٨٢ والحميدي ٢٥٩ والطحاوي في «المشكل» ٥٩٣٤ وابن حبان ٦٥٨٣ والبيهقي ٨/ ١٣٥ من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَر رسولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان =

---

(١) البيت في «اللسان» - جمع - بلا نسبة.

[٩٧٦] ولعَنَ العَاضِهَةَ، وهي السَّاحرةُ.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أضمَرَ في نفسه خوفاً. وقال الزَّجَّاجُ: أصلُها «خِوْفَة» ولكنَّ الواو قُلِبتْ ياءً لانكسارِ ما قبلَها. وفي خَوفِه قولان: **أحدهما**: أنه خَوفُ الطَّبْعِ البَشَري. **والثاني**: أنه لمَّا رأى سِحرَهُم مِنْ جنس ما أرَاهُم في العِصِيّ، خافَ أن يلتَبِسَ على الناس أمرُهُ، ولا يؤمنوا، فقيلَ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عليهم بالظَّفرِ والغَلَبةِ. وهذا أصحُّ مِنَ الأوَّلِ. قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: العَصا ﴿تَلْقَفْ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «تلقَّفُ ما» برفع الفاءِ وتشديدِ القاف. وروى حَفصٌ عن عَاصِمٍ: «تَلْقَفْ» خفيفةً. وكان ابنُ كَثيرٍ يُشدِّد التاءَ مِنْ «تّلقفْ» يريد: «تَتَلَقَّفْ». وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو رَجَاءٍ: «تلقم» بالميم. وقد شرحنا هذا في سُورةِ الأعرافِ[(١)]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ قرأ حَمزةُ، والكسائي وخلف «كيد سحر» وقرأ الباقون «كيد ساحر» بألف والمعنى إنَّ الذي صنعوا كيدُ ساحرٍ»، أي: عَمَلُ ساحرٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «إنما صنعوا كيدَ» بنصبِ الدالِ. ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا يَسْعَدُ حيثما كان[(٢)]. وقيلَ: لا يفوزُ.

[٩٧٧] ورَوى جُنْدُبُ بنُ عبدِ الله البَجَلي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أخذتُم السَّاحرَ فاقتلُوهُ، ثمَّ قرأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، قال: «لا يأمَنُ حيثُ وُجِدَ».

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِمٍ، ووَرْشٌ عن نافعٍ: «آمنتم له» على لفظِ الخبرِ. وقرأ نافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، «آمنتم له» بهمزةٍ ممدودةٍ. وقرأ حَمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «أآمنتم له» بهمزتين الثانيةُ ممدودةٌ. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مُعَلِّمُكم. قال الكِسَائيُّ: الصبيُّ بالحجاز إذا جاء عند مُعلِّمه، قال: جِئتُ مِنْ عند كَبيري. قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ «في» بمعنى «على»، ومثله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾[(٣)]. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيُّها

= رسول الله ﷺ يُخيّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشطٍ ومشاطة، وجُفِّ طلع نخلةٍ ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فأتاها رسول الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه فجاء، فقال: «يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحنّاء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين» قلت: يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً» فأمر بها فدفنت. لفظ البخاري.

[٩٧٦] ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٣/ ٣٣٩ من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وكلاهما ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر ٢/ ٥٩٠ في «تخريجه»: وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن عطاء اهـ. وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[٩٧٧] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٠٠ عن الحسن البصري عن جندب البَجَلي مرفوعاً، وإسناده ضعيف، الحسن لم يسمع من جندب كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم ص ٤٢.

---

(١) سورة الأعراف: ١١٧.

(٢) تقدم الكلام عن حكم السحر في الإسلام في «سورة البقرة» عند الآية ١٠٢.

(٣) سورة الطور: ٣٨.

السَّحرةُ ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لكُم ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: أدوَمُ، أنا على أيمانِكُم، أو رَبُّ موسى على تركِكُم الإيمانَ به؟ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارَكَ ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعنُونَ اليَد والعَصا.

فإنْ قيلَ: لِمَ نَسَبُوا الآياتِ إلى أنفسِهم بقولهم: «جاءنا» وإنما جاءت عامَّةً لهم ولغيرهم.

فالجوابُ: أنهم لمَّا كانوا بأبوابِ السِّحرِ ومَذاهِبِ الاحتيالِ أعرَفَ مِنْ غيرِهم، وقد عَلِموا أنَّ ما جاء به موسى ليس بسِحْرٍ، كان ذلك في حقِّ غيرهم أبْيَنَ وأوضَحَ، وكانوا هم لمَعرفتِه أخَصَّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ وجهان ذكرهما الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ: **أحدهما**: أنَّ المعنى: لن نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا مِنَ البيِّناتِ، وعلى الذي فَطَرَنا. **والثاني**: أنه قَسَمٌ، تقديره: وحقِّ الذي فَطَرَنا. قوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنَعْ ما أنتَ صانعٌ. وأصلُ القَضاءِ: عَمَلٌ بإحكام ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ قال الفَرَّاءُ: «إنما» حرفٌ واحدٌ، فلهذا نُصِبَ: الحياة الدنيا». ولو قرأ قارئٌ برفع «الحياة» لَجَازَ، على أنْ يجعلَ «ما» في مذهبِ «الذي»، كقولكَ: إنَّ الذي تقضي هذه الحياةُ الدنيا. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو المُتوكِّلِ: «إنما تُقضى» بضمِّ التاء على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، «الحياةُ» برفع التاء. قال المُفسِّرون: والمعنى إنما سُلطانُكَ ومُلكُكَ في هذه الدنيا، لا في الآخرة. قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا﴾ يَعنُونَ الشِّركَ ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ أي: والذي أكرَهْتَنا عليه، أي: ويَغفِرَ لنا إكراهَكَ إيَّانا على السِّحْرِ.

فإنْ قيلَ: كيف قالوا: أكرَهْتَنا، وقد قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ وفي هذا دليلٌ على أنهم فعلوا السِّحرَ غيرَ مُكرَهين؟ فعنه أربعةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ فِرعونَ كان يُكرِهُ النَّاسَ على تَعَلُّم السِّحرِ، قاله ابنُ عباسٍ. قال ابنُ الأنباري: كان يُطالب بعضَ أهلِ مملكَتِه بأنْ يُعَلِّموا أولادَهُم السِّحرَ وهم لذلك كارِهُونَ، وذلك لشَغَفِه بالسِّحرِ، ولِمَا خَامَرَ قلبَهُ مِنْ خوفِ موسى، فالإكرَاهُ على السِّحرِ، هو الإكرَاهُ على تَعَلُّمِهِ في أوَّلِ الأمرِ. **والثاني**: أنَّ السَّحرَةَ لمَّا شاهدوا موسى بعدَ قولهم: «أئن لنا لأجراً» ورأوا ذِكرَهُ اللَّهَ تعالى وسُلُوكَه مِنهاجَ المُتَّقين، جَزِعُوا مِنْ مُلاقاتِه بالسِّحرِ، وحَذِروا أنْ يظهرَ عليهم فيَطَّلِعَ على ضعفِ صِناعَتِهِم، فتَفسُدَ مَعيشَتُهم، فلم يَقْنَعْ فِرعونُ منهم إلاَّ بمُعارضَةِ موسى، فكان هذا هو الإكرَاهَ على السِّحرِ. **والثالث**: أنهم خافوا أنْ يُغلَبوا في ذلك الجَمعِ، فيَقدَحَ ذلك في صَنعَتِهم عند المُلوكِ والسُّوَقِ وأكرههم فرعون على فعل السحر. **والرابع**: أنَّ فِرعونَ أكرَهَهُم على مُفارقة أوطَانِهم، وكان سببَ ذلك السِّحرُ، ذَكرَ هذه الأقوالَ ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: خيرٌ منكَ ثواباً إذا أُطِيعَ ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ عقاباً إذا عُصِيَ، وهذا جوابُ قوله: «ولتعلمُنَّ أيُّنا أشد عذاباً وأبقى»؛ وهذا آخرُ الإخبارِ عن السَّحرةِ.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ يعني: مُشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعه[1]. أنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى قوله:

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٢٠٢: الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وَعظ به السحرة فرعون، يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدي، ويرغبونه في ثوابه الأبدي المخلّد، قالوا ﴿إنه من يأت ربه =

ألا مَن لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيا حياة لهم طعم

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال ابنُ عباس: قد أدّى الفرائِضَ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ يعني: دَرجاتُ الجنَّةِ، وبَعضُها أعلى مِن بعضٍ. والعُلَى، جمعُ العُلْيَا، وهو تأنيثُ الأعلى. قال ابنُ الأنباري: وإنَّما قال: «فأولئك»، لأنَّ «مَن» تقعُ بلفظ التَّوحيدِ على تأويلِ الجَمْعِ. فإذا غَلَبَ لفظُها، وُحِّدَ الرَّاجعُ إليها، وإذا بُيِّن تأويلُها، جُمِعَ المَصروفُ إليها.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تَطَهَّرَ مِنَ الكُفرِ والمعاصي.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أي: سِرْ بهم ليلاً مِنْ أرض مِصْرَ ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ أي اجعَلْ لهم طريقاً ﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ قرأ أبو المُتوكّل والحسَنُ والنَّخعيُّ: «يَبْساً» بإسكانِ الباء. وقرأ الشَّعبيُّ وأبو رَجاءٍ وابنُ السَّمَيْفع: «يابساً» بألِفٍ. قال أبو عُبيدَةَ: اليَبَسُ، مُتحرِّكُ الحروف، بمعنى اليَابِسِ، يُقال: شاةٌ يَبَسٌ، أي يابسةٌ ليس لها لَبَنٌ. وقال ابنُ قُتَيبة: يُقال لليابِسِ: يَبَسٌ، ويَبْسٌ. قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ قرأ الأكثرون بألِفٍ. وقرأ أبَانُ وحمزةُ عن عَاصِم: «لا تخفْ» قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «لا تخاف» فالمعنى: لستَ تخافُ، ومَنْ قرأ «لا تخفْ» فهو نَهيٌ عَن الخوف. قال الفَرَّاءُ: قرأ حمزةُ: «لا تخفْ» بالجزم، ورفَعَ «ولا تخشى» على الاستئنافِ، كقوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ استأنَفَ بـ «ثم» فهذا مثله، ولو نَوَى حمزةُ بقوله: «ولا تخش» الجزمَ وإنْ كانت فيه الياءُ، كان صواباً. قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى ﴿دَرَكًا﴾ لَحَاقاً. قال المُفسِّرون: قال أصحابُ موسى: هذا فِرعونُ قد أدرَكنا، وهذا البَحرُ بين أيدينا، فأنزلَ اللّهُ على موسى ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي مِنْ فِرعونَ، ولا تخشىٰ غرقاً في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: لَحِقَهُم. وروى هارونُ عن أبي عمرٍو: «فاتَّبعهم» بالتشديد. وقال الزَّجَّاجُ: تَبِعَ الرجلُ الشيءَ، وأتبَعَهُ، بمعنًى واحدٍ، ومَنْ قرأ «فاتَّبعَهُم» بالتشديد، ففيه دليلٌ على أنه اتَّبعَهُم ومعه الجنودُ. ومَنْ قرأ «فأتبعهم» فمعناه: ألحَقَ جنودَهُ بهم، وجائزٌ أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائزٌ أنْ لا يكون إلاَّ أنه قد كان معهم، ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: فغشيهم مِنَ

= مجرماً﴾ أي يلقى الله يوم القيامة وهو مجرم ﴿فإن له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ وروى الإمام مسلم وأحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ كان في البادية.

ماء البحر ما غرَّقَهم، وقال ابنُ الأنباري: ويعني بقوله: «ما غشيهم» البعضَ الذي غَشِيَهم، لأنه لم يَغشَهُم كلُّ مائِهِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرمَةُ، وأبو رَجاءٍ، والأعمَشُ: «فغشّاهم من اليم ما غشّاهم» بألِفٍ فيهما مع تشديدِ الشين وحَذْفِ الياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: دَعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: ما أرشدَهم حين أوردَهم مَوارِدَ الهلكَةِ. وهذا تكذيبٌ له في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لأخذِ التَّوراةِ. وقد ذكرنا في مريم[2] معنى «الأيمَن» وذكرنا في البقرة[3] «المَنَّ والسَّلْوَى». قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟﴾ أي: وقُلنا لهم: كُلوا. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَبطَرُوا في نِعَمِي فتَظلِموا. **والثاني**: لا تَجحَدُوا نِعَمِي فتكونوا طاغِينَ. **والثالث**: لا تَدَّخروا منه لأكثر مِنْ يوم وليلةٍ. قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ أي: فتَجِبَ لكم عُقوبتي. والجمهورُ قرؤوا «فيَحِل» بكسرِ الحاء ﴿وَمَن يَحْلِلْ﴾ بكسرِ اللام. وقرأ الكِسائيُّ: «فيَحُل» بضمِّ الحاء «ومَنْ يَحْلُلْ» بضمِّ اللام. قال الفَرَّاءُ: والكَسرُ أحبُّ إليَّ، لأنَّ الضمَّ مِنَ الحُلُولِ، ومعناه: الوقُوعُ، و «يحل» بالكسر، يَجِبُ، وجاء التَّفسيرُ بالوجوبِ، لا بالوقُوعِ. قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هَلَكَ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾ الغفَّارُ: الذي يَغفِرُ ذُنوبَ عباده مرَّةً بعد أُخرَى، فكلَّما تكررت ذُنوبُهم تكررت مَغفِرَتُه، وأصلُ الغَفرِ: السَّترُ، وبه سُمِّي زِئبِرُ الثَّوبِ: غَفرَاً، لأنه يَستُرُ سَدَاهُ. فالغَفَّارُ: السَّتَّارُ لذنوب عباده، المُسْبِلُ عليهم ثوبَ عَطفِه. قوله تعالى: ﴿لِّمَن تَابَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لِمَنْ تاب مِنَ الشِّركِ ﴿وَءَامَنَ﴾ أي وَحَّدَ اللّه وصَدَّقَهُ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدَّى الفرائضَ. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ ثمانيةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: عَلِمَ أنَّ لعمَلِه هذا ثواباً، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لم يُشكِّكْ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: عَلِمَ أنَّ ذلك توفيقٌ مِنَ الله له، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: لَزِمَ السُّنَّةَ والجماعةَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: استقامَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: لَزِمَ الإسلامَ حتى يموتَ عليه، قاله قَتادَةُ. **والسابع**: اهتدى كيف يَعمَلُ، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. **والثامن**: اهتدى إلى وِلايةِ بيتِ النبيِّ ﷺ، قاله ثابتٌ البُنانيُّ.

﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) سورة غافر: ٢٩. (٢) سورة مريم: ٥٢. (٣) سورة البقرة: ٥٧.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٤٤٢: الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح فمن فعل ذلك وثبت عليه، فلا شك في اهتدائه.

قوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا نَجَّى اللّهُ تعالى بَني إسرائيلَ وأغرَقَ فِرعونَ، قالوا: يا موسى، لو أتيتَنا بكتابٍ مِنْ عند الله، فيه الحَلالُ والحَرامُ والفرائضُ، فأوحى اللّهُ تعالى إليه يَعِدُهُ أنه يَنزلُ عليه ذلك في المَوضعِ الذي كَلَّمَهُ فيه، فاختارَ سبعينَ، فذهبوا معه إلى الطُّورِ لأخْذِ التَّوراة، فعَجِلَ موسى مِنْ بينهم شَوقاً إلى ربِّه، وأمرَهُم بلَحاقِه، فقال اللّهُ تعالى له: ما الذي حَمَلَكَ على العَجَلَةِ عن قومِكَ، ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أي: هؤلاءِ ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾، وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «على إِثْري» بكسرِ الهمزة وسكونِ الثاء. وقرأ عِكرمَةُ، وأبو المُتوكِّل، وابنُ يَعْمَرَ، برفعِ الهمزة وسكونِ الثاء. وقرأ أبو رَجاءٍ، وأبو العَالِية: بفتحِ الهمزة وسكونِ الثاء. والمعنى: هُمْ بالقُربِ منِّي يأتُونَ بَعدِي ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ أي: لِتزدَادَ رِضَى، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ألقيناهم في فِتنةٍ ومِحنَةٍ، واختبرنَاهُم. قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِكَ﴾ أي: مِنْ بعدِ انطلاقِكَ مِنْ بينهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أي: كان سبباً لإضلالِهم، وقرأ مُعاذُ القارئ، وأبو المُتوكِّلِ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «وأضلُّهم» برفعِ اللام. وقد شرحنا في البقرة[١] سببَ اتِّخاذِ السَّامِرِيِّ العِجْلِ، وشرحنا في سُورةِ الأعرافِ[٢] معنى قوله تعالى: ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ أي: صِدقاً، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: إعطاءُ التَّوراةِ. **والثاني**: قوله: ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾... الآية في المائدة[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾[٤]. **والثالث**: النَّصرُ والظَّفَرُ.

قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ أي: مُدَّةُ مُفارقتي إيَّاكم ﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أنْ تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربِّكُم ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ أي: عَهْدِي، وكانوا قد عاهَدُوه أنه إنْ فَكَّهُم اللّهُ مِنْ مَلَكَة آلِ فِرعونَ، أنْ يعبدوا اللّهَ ولا يُشركوا به، ويُقيموا الصلاةَ، ويَنصُروا اللّهَ ورُسلَهُ. ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: بكسرِ الميم، وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ: بفتحِ الميم. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ: بضمِّ الميم. قال أبو عليٍّ: وهذه لُغاتٌ. وقال الزَّجَّاجُ: المُلْكُ بالضَمِّ: السلطانُ والقُدرةُ. والمِلْكُ، بالكسرِ: ما حَوَتْهُ اليدُ. والمَلْكُ، بالفتح: المَصدَرُ، يقال: مَلَكْتُ الشيءَ أَمْلِكُه مَلْكاً. وللمُفسِّرين في معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما كُنَّا نَملِكُ الذي اتُّخِذَ منه العِجْلُ ولكنها كانت زينةَ آلِ فِرعونَ، فقَذَفناها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بطَاقَتِنا قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: لم نَملِكْ أنفُسَنا عندَ الوقوعِ في البَلِيَّةِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: لم يَملِكْ مُؤمنونا سُفهاءَنا، ذكره المَاوَردِي. فيُخرَّج فيمن قال هذا لِموسى قولان: **أحدهما**: أنهم الذين لم يَعبُدوا العِجلَ. **والثاني**: عابِدُوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ وحَفْصٌ عن عاصِم: «حُمِّلنا» بضمِّ الحاء وتشديدِ الميم. وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «حملْنا» خفيفةً. والأوزارُ: الأثقالُ. والمُراد بها: حُلِيُّ آلِ فِرعونَ الذي كانوا استعارُوهُ منهم قبلَ خروجِهم مِنْ مِصرَ. فمَنْ قرأ «حُمِّلنا» بالتشديد فالمعنى: حَمَّلناها موسى، أمَرَنا باستعارتها مِنْ آلِ فِرعونَ ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ أي

(١) سورة البقرة: ٥٢.
(٢) سورة الأعراف: ١٥٠.
(٣) سورة المائدة: ١٣.
(٤) سورة طه: ٨٢.

طَرحنَاها في الحُفَيرة. وقد ذكرنا سببَ قَذْفِهم إيَّاها في سُورةِ البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه أَلْقَى حُلِيًّا كما أَلْقَوْا. **والثاني**: أَلْقَى ما كان مِنْ تُرابِ حافِرِ فَرَسِ جبريلَ. وقد سبق شَرحُ القصة في البقرة[٢] وذكرنا في الأعراف[٣] معنى قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ هذا قولُ السَّامِريّ ومَنْ وافقهُ مِنَ الذين افتُتِنُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المُشارِ إليه بالنِّسيان قولان: **أحدهما**: أنه موسى. ثم في المعنى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: هذا إلهُكُم وإلهُ موسى فنسِيَ موسى أنْ يُخبرَكُم أنَّ هذا إلهُهُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فنسِيَ موسى الطريقَ إلى ربِّه، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: فنسِيَ موسى إلهَهُ عندكُم، وخالفَهُ في طريقٍ آخر، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه السَّامِريُّ، والمعنى: فنَسِيَ السَّامِريُّ إيمانَهُ وإسلامَهُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مَكحُولٌ: فنسِيَ، أي: فتَرَكَ السَّامِريُّ ما كان عليه مِنَ الدِّينِ. وقيل: فنسِيَ أنَّ العِجْلَ لا يَرْجِعُ إليهم قولاً، ولا يَملِكُ لهم ضرّاً ولا نفعاً. فعلى هذا القولِ، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ مِنْ إخبارِ الله عزَّ وجلَّ عن السَّامِريّ. وعلى ما قبلَهُ، فيمَنْ قاله قولان: **أحدهما**: أنه السَّامِريُّ. **والثاني**: بَنُو إسرائيلَ. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: أَفَلا يَرونَ أنه لا يَرْجِعُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قبلِ أنْ يأتيَ موسى ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أي: ابتلَيْتُم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العِجلُ، ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ أي: لن نَزالَ مُقيمِينَ على عبادة العِجْلِ ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فلمَّا رجعَ موسى ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ بعبادةِ العِجْلِ ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «ألا تتبعني» بياءٍ في الوَصْلِ ساكنةٍ، ويَقِفُ ابنُ كَثيرٍ بالياء، وأبو عمروٍ بغيرِ ياءٍ. وروى إسماعيلُ بنُ جعفرَ عن نافعٍ: «ألا تتبعني أفعصيت» بياءٍ منصوبةٍ. وروى قَالُونُ عن نافع مثلَ أبي عمروٍ سواءً. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ والكِسَائيُّ: بغير ياءٍ في الوَصْلِ، والوَقْفِ. والمعنى: ما مَنعَكَ مِنِ اتِّباعِي و «لا» كلمةٌ زائدةٌ. وفي المعنى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تسيرَ ورائي بمَنْ معكَ مِنَ المؤمنين، وتُفارِقَهم. رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنْ تُناجِزَهم القتالَ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: في الإنكارِ عليهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ وهو قولُه في وَصيَّتِه إيَّاهُ «اخلفني في قومي وأصلح». قال المُفسِّرون: ثم أخذَ برأسِ أخيه ولحيَتِه غضباً منه عليه[٤]. وهذا وإنْ لم يُذْكَرْ هاهنا، فقد ذُكِرَ في

(١) سورة البقرة: ٥٢. (٢) في الآية ٥٢ من سورة البقرة. (٣) سورة الأعراف: ١٤٨.

(٤) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٢٥٥: وكان هارون أكبر من موسى ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ =

الأعراف[1] فاكتُفِيَ بذلك، وقد شرحنا هناك معنى «يا ابنَ أُمَّ» واختلافَ القُرَّاءِ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ أي: بشَعْرِ رأسي. وهذا الغَضبُ كان لله عزَّ وجلَّ لا لنفسه، لأنه وقعَ في نفسه، أنَّ هارونَ عصى اللهَ بتَرْكِ اتِّباعِ موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي: إنْ فارقتُهم واتَّبعتُكَ ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: باتِّباعي إيَّاكَ ومَنْ معي مِنَ المؤمنين. **والثاني**: بقتالي لبعضِهم ببعضٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قولان: **أحدهما**: لم تَرْقُبْ قولي لكَ: «اخلُفني في قومي وأَصْلِحْ». **والثاني**: لَمْ تنتظِرْ أمري فيهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: ما أمرُكَ وشأنُكَ الذي دَعاكَ إلى ما صنعتَ؟ قال ابنُ الأنباري: وبعضُ اللغويين يقول: الخَطْبُ مُشتقٌّ مِنَ الخِطاب. المعنى: ما أمرُكَ الذي تُخاطبُ فيه؟!

واختلفوا في اسم السَّامِريِّ على قولين[2]: **أحدهما**: موسى أيضاً، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. **والثاني**: مِيْخا، قاله ابنُ السَّائبِ.

وهل كان مِنْ بَني إسرائيلَ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: لم يكُنْ منهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كان مِنْ عُظمائِهم، وكان مِنْ قبيلةٍ تُسمَّى «سامِرَة»، قاله قَتادَةُ.

وفي بلدِه قولان: **أحدهما**: كَرْمان، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: باجَرْمَا، قاله وَهْبٌ.

= بثلاث سنين، وأحب إلى بني إسرائيل من موسى لأنه كان ليّن الغضب. وللعلماء في أخذ موسى برأس أخيه أربعة تأويلات: الأول ـ أن ذلك كان متعارفاً عندهم، من قبض الرجل على لحية أخيه وصاحبه إكراماً وتعظيماً، فلم يكن على طريق الإذلال. والثاني: أن ذلك إنما كان ليسرّ إليه نزول الألواح عليه؛ لأنها نزلت عليه في هذه المناجاة وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل قبل التوراة. فقال له هارون: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، لئلا يشتبه سراره على بني إسرائيل بإذلاله. والثالث: إنما فعل ذلك لأنه وقع في نفسه أن هارون مائل مع بني إسرائيل فيما فعلوه من أمر العجل. ومثل هذا لا يجوز على الأنبياء. والرابع: ضمّ إليه أخاه ليعلم ما لديه، فكره ذلك هارون لئلا يظن بنو إسرائيل أنه أهانه، فبين له أخوه أنهم استضعفوه، يعني عبدة العجل، وكادوا يقتلونه أي قاربوا. وقد دلت هذه الآية على أنه لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر أن يسكت.

وقال ابن العربي: وفيها دليل على أن الغضب لا يغير الأحكام كما زعم بعض الناس، فإن موسى لم يغير غضبُه شيئاً من أفعاله، بل اطردت على مجراها، وقال المهدوي: لأن غضبه كان لله عز وجل وسكوته عن بني إسرائيل خوفاً أن يتحاربوا ويتفرقوا.

(١) سورة الأعراف: ١٥٠.

(٢) ليس في تسميته كبير فائدة، ولو تعلقت بذلك فائدة لذكره الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ: «تَبصروا» بالتاء، فعَلَى قراءة الجمهور أشارَ إلى بَني إسرائيلَ، وعلى هذه القراءة خاطَبَ الجميعَ. قال أبو عُبيدَة: علمتُ ما لم يعلموا. قال: وقومٌ يقولون: بَصُرْتُ، وأبصَرتُ سواءٌ، بمنزلة أسرَعْتُ، وسَرُعتُ. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: بَصُر الرجلُ يَبصُرُ: إذا صار عليماً بالشيء، وأبصَرَ يَبصُرُ: إذا نظر. قال المُفسِّرون: فقال له موسى: وما ذاكَ؟ قال: رأيتُ جِبريلَ على فَرَسٍ، فأُلقِيَ في نفسي: أَنِ اقبِضْ مِنْ أثرِها ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾، وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، ومُعاذٌ القارئُ: «قبصة» بالصاد. قال الفَرَّاءُ: والقبضَةُ بالكفِّ كلِّها. والقَبْصَةُ ـ بالصاد ـ بأطرافِ الأصابعِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومثل هذا: الخَضْمُ بالفم كلِّه، والقَضْمُ بأطرافِ الأسنانِ. والنَّضْخُ أكثرُ مِنَ النَّضحِ، والرِّجزُ: العذاب والرِّجْسُ: النَّتْنُ، والهُلَاسُ في البَدنِ، والسُّلاسُ في العَقلِ، والغَلَطُ في الكلام، والغَلَتُ في الحِسَابِ، والخَصِرُ: الذي يجدُ البردَ، والخَرِصُ: الذي يجد البردَ والجوعَ، والنار الخامدةُ: التي قد سَكنَ لَهبُها ولم يُطفأ جَمرُها، والهَامِدةُ: التي طَفِئَتْ فذهبت البتَّةَ، والشُّكْد: العطاءُ ابتداءً، فإنْ كان جَزاءً فهو شُكْمٌ، والمَائِحُ: الذي يدخلُ البئرَ فيملأ الدَّلْوَ، والمَاتِحُ: الذي يَنْزِعُها.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: فقذفْتُها في العِجْلِ. وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ: «فنبذتها» بالإدغام ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما حدَّثتُكَ ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ أي: زَيَّنَتْ لي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَاذْهَبْ﴾ أي: مِنْ بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: ما دُمتَ حَيّاً ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أمسُّ ولا أُمَسُّ، فصار السَّامِريُّ يَهِيمُ في البَرِّيَّةِ مع الوَحشِ والسِّباعِ، لا يَمَسُّ أحداً، ولا يَمَسُّه أحدٌ، عاقبه اللهُ بذلك، وألهَمَهُ أنْ يقولَ: «لا مِسَاسَ»، فكان إذا لَقِيَ أحداً يقول: لا مِسَاسَ، أي: لا تَقرَبْني، ولا تَمَسَّني، وصار بذلك عُقوبةً لوَلَدِه، حتى بقاياهُم اليومَ، فيما ذكرَ أهلُ التَّفسيرِ، بأرضِ الشام يقولون ذلك. وحُكِيَ أنه إنْ مَسَّ واحدٌ مِنْ غيرهم واحداً منهم، أخذتهما الحُمَّى في الحالِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابكَ يومَ القيامةِ ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: لن يتأخَّرَ عنكَ ومَنْ كسرَ لامَ «تخلف» أراد: لن تَغِيبَ عنه.

قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ يعني: العِجلَ ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: معناه: أقمتَ عليه، وقال الفَرَّاءُ: معنى «ظلت»: فعلتَهُ نهاراً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمَرَ: «ظُلت» برفع الظاء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ظِلت» بكسرِ الظاء. وقال الزَّجَّاجُ: «ظَلت» و «ظِلت» بفتحِ الظاء وكَسرِها، فمَنْ فتحَ، فالأصلُ فيه: «ظللت» ولكنَّ اللامَ حُذِفتْ لِثقَلِ التَّضعيف والكَسرِ، وبقيتِ الظاءُ على فَتحِها، ومَنْ قرأ: «ظِلت» بالكسرِ، حَوَّلَ كسرةَ اللامِ على الظاء. ومعنى ﴿عَاكِفًا﴾ مُقيماً، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قرأ الجمهور ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بضمِّ النون وفتح الحاءِ وتشديدِ الراء، وقرأ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وابنُ يَعمَرَ: «لَنَحْرُقنه» بفتح النون وسكونِ الحاء ورفع الراء مخفَّفةً. وقرأ أبو هريرَةَ، والحسَنُ، وقَتادَةُ: «لنحرقنه» برَفعِ النون وإسكانِ الحاء وكسرِ الراء مخفَّفةً. قال الزَّجَّاجُ: إذا شُدِّدَ فالمعنى: نُحرقُه مرَّةً بعد مرَّةٍ وتأويلُ «لنحرقنَّه»: لَنُبَردنَّه، يقال: حَرقتُ أَحرُقُ وأَحرِقُ: إذا بَرَدْتَ الشيءَ، والنَّسْفُ: التَّذريَةُ. وجاء في التَّفسيرِ: أنَّ موسى أخذَ العِجلَ فذبحَهُ، فسَالَ منه دَمٌ، لأنه كان قد صارَ لحماً ودَماً، ثم أحرَقَهُ بالنار، ثم ذَرَّاهُ في البحر، ثم أخبرهم موسى عن إلهِهم، فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحقُّ العبادةَ، لا العِجلُ،

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وَسِعَ عِلْمُهُ كلَّ شيءٍ.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤)﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قَصَصْنا عليك يا محمَّدُ مِنْ نبأ موسى وقومِه، نَقُصُّ عليكَ ﴿مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: مِنْ أخبارِ مَنْ مضى، والذِّكْرُ هاهنا: القرآن ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلَمْ يُؤمِنْ به ولم يَعملْ بما فيه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وقرأ عِكرمةُ وأبو المُتوكِّلِ، وعَاصِمٌ الجَحدَريُّ: «يُحَمَّل» برفعِ الياءِ وفتحِ الحاءِ وتشديدِ الميم، ﴿وِزْرًا﴾ أي: إثماً ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذابِ ذلك الوِزْرِ ﴿وَسَاءَ لَهُمْ﴾ قالَ الزَّجَّاجُ: المعنى: وسَاءَ الوِزْرُ لهم يومَ القيامة ﴿حِمْلًا﴾ و «حملاً» منصوبٌ على التَّمييزِ. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قرأ أبو عمروٍ: «ننفخ» بالنون. وقرأ الباقون مِنَ السبعة: «ينفخ» بالياء، على ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «يوم ينفخ» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الفاءِ وقد سبق ذِكْرُ الصُّورِ. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو الجوزاءِ وطَلْحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ: «ويحشر» بياءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الشين. وقرأ ابنُ مسعودٍ والحسَنُ وأبو عِمرانَ: «ويحشر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ الشين، «المجرمون» بالواو. قال المُفسِّرون: والمُرادُ بالمجرمين: المشركون ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: عُمْياً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال ابنُ قُتيبةَ: بِيْضَ العيونِ مِنَ العَمى، قد ذَهَبَ السَّوادُ والنَّاظِرُ. **والثاني**: زُرْقَ العيونِ مِنْ شدَّةِ العَطَشِ، قاله الزُّهريُّ. والمراد: أنه يُشَوِّه خَلْقَهُم بسَوادِ الوجوهِ وزَرَقِ العيونِ.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يُسَارُّ بعضُهم بعضاً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: ما لَبِثْتم إلاَّ عشرَ ليالٍ. وهذا على طريق التَّقليلِ، لا على وَجْهِ التَّحديدِ. وفي مُرادهم بمكانِ هذا اللُّبْثِ قولان: **أحدهما**: القبور. ثم فيه قولان. أحدهما: أنهم عَنَوا طُولَ ما لَبِثُوا فيها، روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: إنْ لَبِثْتم بعدَ الموت إلاَّ عشراً. والثاني: ما بينَ النَّفختَيْنِ، وهو أربعون سنةً، فإنه يُخَفَّفُ عنهمُ العذابُ حِينَئذٍ، فيَستَقِلُّونَ مُدَّةَ لُبثِهم لِهَوْلِ ما يُعاينونَ، حكاه عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريّ. **والقول الثاني**: أنهم عَنَوا لُبْثَهم في الدنيا، قاله الحسَنُ: وقتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلُهم، وأعدلُهم قولاً ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسِيَ القومُ مقدارَ لُبثِهم لِهَوْلِ ما عَايَنُوا.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾.

[٩٧٨] سببُ نُزولِها أنَّ رجالاً مِنْ ثَقيفٍ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا يا محمَّدُ: كيف تكون الجبالُ يومَ القيامة؟ فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ قال المُفسِّرون: النَّسْفُ: التَّذرِيَةُ. والمعنى: يُصيِّرها رِمالاً تسيلُ سَيلاً، ثم يُصيِّرها كالصُّوفِ المَنفوشِ، تُطَيِّرُها الرياحُ فتستأصِلُها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدعُ أماكنَها مِنَ الأرض إذا نسفَها ﴿قَاعًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ القَاعُ مِنَ الأرض: المُستوِي الذي يَعلُوهُ الماءُ، والصَّفْصَفُ: المُستوِي أيضاً، يريد: أنه لا نَبْتَ فيها.

قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ في ذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرادَ بالعِوَجِ: الأوديةُ، وبالأَمْتِ: الرَّوابي، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال مُجاهِدٌ: العِوَجُ: الانخِفاضُ، والأَمْتُ: الارتفاعُ، وهذا مذهبُ الحسَنِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الأَمْتُ: النَّبْكُ. **والثاني**: أنَّ العِوَجَ: المَيْلُ، والأَمْتَ: الأَثَرُ مثل الشِّراكِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ العِوَجَ: الصَّدْعُ، والأَمْتَ: الأَكَمَةُ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ قال الفرَّاءُ: أي يتَّبعون صوتَ الدَّاعي للحَشرِ، لا عِوَجَ لهم عن دُعائه: لا يقدرون أنْ لا يتَّبعوا. قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: سَكَنَتْ وخَفِيَتْ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: وَطْءُ الأقدام، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ في روايةٍ، واختاره الفرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: تحريكُ الشِّفاهِ بغيرِ نُطقٍ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الكلامُ الخفيُّ، رُوي عن مُجاهِدٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: الصَّوتُ الخفيُّ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ يعني لا تنفعُ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي إلاَّ شفاعة مَنْ أذِنَ له الرَّحمنُ، أي: أذِنَ أنْ يُشفَعَ له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ أي ورَضِيَ للمَشفوعِ فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا مِنْ أهلِ «لا إلهَ إلاَّ اللهُ». ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكِنايةُ راجعةٌ إلى الذين يَتَّبعون الدَّاعي. وقد شرحنا هذه الآيةَ في سُورةِ البقرة(١) وفي هاء «به» قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إلى «ما بين أيديهم وما خلفهم»، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «عنَتْ» في اللغة: خَضعَتْ، يُقال: عَنَا يَعْنُو: إذا

---

[٩٧٨] باطل، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي وهذا إسناد ساقط، وتفرد به المصنف عند هذه الآية دون سائر أهل التفسير، ولم أجده عند غيره، فهو شبه موضوع، بل هو باطل.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

خَضعَ، ومنه قيلَ: أُخِذَتِ البلادُ عَنْوَةً: إذا أُخِذتْ غَلَبَةً، وأُخِذتْ بخُضوعٍ مِنْ أهلها. والمُفسِّرون: على أنَّ هذا في يوم القيامة، إلاّ ما رُوي عن طَلْقِ بنِ حبيبٍ: هو وَضْعُ الجَبْهةِ والأنفِ والكفَّين والرُّكبتين وأطرافِ القَدَمَين على الأرضِ للسُّجودِ. وقد شرحنا في آيةِ الكُرسيِّ معنى «الحَيّ القَيُّوم»[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: خَسِرَ مَنْ أشرَكَ بالله.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ «مِنْ» هاهنا للجنس. وإنما شَرطَ الإيمانَ، لأنَّ غيرَ المؤمن لا يُقبَلُ عملُه، ولا يكون صالحاً ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي فهو لا يخافُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «فلا يَخَفْ» على النَّهي. قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يخافُ أنْ يُظلَمَ فيُزادَ في سيِّئاتِه، ولا أنْ يُهضَمَ مِنْ حسناتِه، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا يخافُ أنْ يُظلَمَ فيُزادَ مِنْ ذَنْبِ غيرِه، ولا أنْ يُهضَمَ مِنْ حسناتِه، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: لا يَخافُ أنْ يُؤاخَذَ بما لم يعملْ، ولا يُنتقَصَ مِنْ عمله الصَّالح، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: لا يخافُ أنْ لا يُجزَى بعمله، ولا أنْ يُنقَصَ مِنْ حَقِّه، قاله ابنُ زيدٍ. قال اللغويون: الهَضْمُ: النَّقْصُ، تقول العرب: هَضَمتُ لكَ مِنْ حَقّي، أي: حَطَطْتُ، ومنه: فُلانٌ هَضِيمُ الكَشْحَيْن، أي: ضامِرُ الجَنْبَين، ويُقال: هذا شيءٌ يُهضِمُ الطعامَ، أي: يُنقِصُ ثِقْلَهُ. وفرَّقَ بعضُ المُفسِّرين بين الظُّلم والهَضمِ، فقال: الظُّلمُ: مَنْعُ الحقِّ كلِّه، والهَضْمُ: مَنْعُ البَعضِ، وإنْ كان ظُلماً أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ أي: وكَما بيَّنَّا في هذه السُّورةِ، أنزلنَاهُ، أي: أنزلْنا هذا الكتابَ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: بيَّنَّا فيه ضُروبَ الوعيدِ. قال قَتادَةُ: يعني: وَقائِعَهُ في الأُمَمِ المُكذِّبَةِ. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: لِيكونَ سبباً لاتقائِهِم الشِّركَ بالاتِّعاظِ بِمَنْ قبلَهُم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ أي: يُجدِّدُ لهم القرآنَ، وقيلَ: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتباراً، فيتذكَّروا به عِقابَ الأُمَمِ، فيَعتَبِروا. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «أو نُحْدِثُ» بنونٍ مرفوعةٍ. قوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: جَلَّ عن إلحَادِ المُلحِدينَ وقولِ المشركين في صِفاتِه، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ الذي بيده كلُّ شيءٍ، ﴿ٱلْحَقُّ﴾ وقد ذكرناه في سُورةِ يونسَ[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ في سببِ نُزولها قولان:

[٩٧٩] أحدهما: أنَّ جِبريلَ كان يأتي النبيَّ ﷺ بالسُّورة والآي فيتلوها عليه، فلا يَفرغُ جِبريلُ مِنْ

---

[٩٧٩] أصل الحديث محفوظ، وذكر سبب النزول لهذه الآية باطل. تفرد به أبو صالح عن ابن عباس، وعن أبي صالح الكلبيُّ، وهو يضع الحديث. والذي صح في هذا الباب هو ما أخرجه البخاري ٥ و ٤٩٢٩ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤ ومسلم ٤٤٨ والنسائي ٢/ ١٤٩ والترمذي ٣٣٢٩ وأحمد ١/ ٣٤٣ وابن سعد ١/ ١٩٨ والحميدي ٥٢٧ وابن حبان ٣٩ والطبراني ١٢٢٩٧ والطيالسي ٢٦٢٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١٩٨ كلهم عن ابن عباس في قوله: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به**﴾ قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه. فقال ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. فأنزل الله: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ قال: جمعه في صدرك، ثم تقرؤه ﴿**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**﴾ قال: فاستمع له وأنصِتْ ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾ ثم إن علينا أن تقرأه. قال فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل، استمع، فإذا انطلق =

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥. (٢) سورة يونس: ٣٢.

آخرها حتى يتكلَّمَ رسولُ الله ﷺ بأوَّلِها مَخافةَ أنْ ينسَاها، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[٩٨٠] **والثاني**: أنَّ رجلاً لَطَمَ امرأتَهُ، فجاءتْ إلى رسولِ الله ﷺ تطلبُ القِصَاصَ، فعَجَّلَ رسولُ الله ﷺ بينهما القِصَاصَ، فنزلت هذه الآيةُ، فوقفَ رسولُ الله ﷺ حتى نزلَ قولُه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾(١)، قاله الحسنُ البصريُّ.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحَسنُ، ويعقوبُ، «نَقْضِيَ» بالنونِ وكسرِ الضاد وفتحِ الياء «وَحْيَه» بنصبِ الياء.

وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَعجَلْ بتلاوَتِه قبلَ أنْ يَفرغَ جبريلُ مِنْ تلاوته تَخافُ نِسيانَهُ، هذا على القول الأوَّل. **والثاني**: لا تُقرِئ أصحابَكَ حتى نُبيِّنَ لكَ معانيَهُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. **والثالث**: لا تسألْ إنزالَهُ قبلَ أن يأتيَكَ الوَحيُ، ذكره المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: زِدْني قُرآناً، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: فَهماً. **والثالث**: حِفظاً، ذكرَهُما الثَّعلبيُّ.

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: أمَرْناهُ وأوصيناهُ أنْ لا يأكل مِنَ الشَّجرة ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: مِنْ قبلِ هؤلاءِ الذين نقضوا عَهْدِي وتَرَكُوا الإيمانَ بي، وهم الذين ذَكرَهُم في قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾،

= جبريل، قرأه النبي ﷺ كما كان أقرأه». وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية وإنما الآيات التي نزلت من سورة القيامة.

[٩٨٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٩٣٠٨ عن الحسن مرسلاً، ومراسيل الحسن واهية والمتن منكر جداً، فإن السورة مكيّة.

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

والمعنى: أنهم إنْ نَقَضُوا العَهْدَ، فإنَّ آدمَ قد عَهِدْنَا إليه ﴿فَنَسِيَ﴾.

وفي هذا النِّسيانِ قولان: أحدهما: أنه التَّرْكُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والمعنى: تَرَكَ ما أُمِرَ به. والثاني: أنه مِنَ النِّسيانِ الذي يُخالِفُ الذِّكْرَ، حكاه المَاوَرْدِي. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «فَنُسِّيَ» برفع النون وتشديدِ السين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ العَزْمُ في اللغة: تَوطِينُ النَّفْسِ على الفعلِ.

وفي المعنى أربعةُ أقوالٍ[1]: أحدها: لم نَجِدْ له حِفظاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، والمعنى: لم يَحفَظْ ما أُمِرَ به. والثاني: صَبْراً، قاله قَتَادَةُ، ومُقاتِلٌ، والمعنى: لم يَصْبِرْ عمَّا نُهِيَ عنه. والثالث: حَزماً، قاله ابنُ السَّائبِ. قال ابنُ الأنباري: وهذا لا يُخرِجُ آدمَ مِنْ أُولِي العَزْمِ، وإنما لم يكُنْ له عَزْمٌ في الأكْلِ فحَسْبُ. والرابع: عَزماً في العَوْدِ إلى الذَّنْبِ، ذكره المَاوَرْدِي. وما بَعدَهُ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[2] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ قال المُفسِّرون: المُرادُ به نَصَبُ الدُّنيا وتَعَبُها مِنْ تَكَلُّفِ الحَرْثِ والزَّرعِ والعَجْنِ والخَبْزِ وغيرِ ذلك. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أُهبِطَ إلى آدمَ ثَورٌ أحمرُ، فكان يعتَمِلُ عليه ويَمسَحُ العَرَقَ عن جَبِينِه، فذلك شَقَاؤُهُ. قال العلماء: والمعنى: فتَشْقَيا؛ وإنما لم يَقُلْ فتَشْقَيَا، لوَجْهَين: أحدهما: أنَّ آدمَ هو المُخاطَبُ، فاكتفى به، ومِثلُه: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[3]، قاله الفَرَّاءُ. والثاني: أنه لمَّا كان آدمُ هو الكَاسِبَ، كان التَّعَبُ في حَقِّه أكثرَ، ذكره المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ: «لا تُجاع ولا تُعرى» بالتاءِ المضمومةِ والألِفِ. ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسَائيُّ وحَفصٌ عن عَاصِمٍ: «وأنَّك» مفتوحةَ الألِفِ. وقرأ نافعٌ وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ: «وإنَّك» بكسرِ الألِفِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ فتحَ حَمَلَهُ على أنَّ لكَ أنْ لا تجوعَ وأنَّ لكَ أنْ لا تظمأَ، ومَنْ كسرَ استأنَفَ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ أي: لا تَعطَشُ. يقال: ظَمِئَ الرجلُ يَظمَأُ ظَمَأً، فهو ظَمآنٌ، أي: عطشانُ. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ لا تبرُزُ للشمسِ فيُصيبَكَ حَرُّها، لأنه ليس في الجنة شمسٌ. قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: على شجرةٍ مَنْ أكَلَ منها لم يَمُتْ ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ جَدِيدُهُ ولا يَفنى، وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الأعراف[4]. وفي قوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ قولان: أحدهما: ضَلَّ طريقَ الخُلودِ حيثُ أرادَهُ مِنْ قِبَلِ المعصية. والثاني: فَسَدَ عليه عَيشُهُ، لأنَّ معنى الغَيِّ: الفسادُ. قال ابنُ الأنباري: وقد غَلِطَ بعضُ المُفسِّرين، فقال: معنى «غَوَى»: أكثرَ مِمَّا أكلَ مِنَ الشجرة حتى بَشِمَ[5]، كما يُقال: غَوَى الفَصِيلُ إذا أكثرَ مِنْ لَبنِ أمِّهِ فبَشِمَ وكادَ يَهْلِكُ، وهذا خطأٌ مِنْ وجهين: أحدهما: أنه لا يُقال مِنَ البَشَمِ: غَوَى يَغْوِي، وإنما يُقال: غَوِيَ يَغْوَى. والثاني: أنَّ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾[6] يدلُّ على أنهما لم يُكثِرا، ولم تَتأخَّرْ عنهما العقوبةُ حتى يَصِلا إلى الإكثارِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فنحنُ نقولُ

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٨/٤٦٦: وأصل العزم: اعتقاد القلب على الشيء، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه، فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

(٢) سورة البقرة: ٣٤. (٣) سورة ق: ١٧. (٤) سورة الأعراف: ٢٢.

(٥) في «اللسان»: البَشَمُ: التخمة عن الدسم. (٦) سورة الأعراف: ٢٢.

في حقِّ آدمَ: عَصَى وغَوَى كما قال الله عزَّ وجلَّ، ولا نقول: آدمُ عَاصٍ وغَاوٍ، كما تقول لرَجلٍ قطَعَ ثوبَهُ وخَاطَهُ: قد قَطعَهُ وخَاطَهُ، ولا تقول: هذا خَيَّاطٌ، حتى يكونَ مُعَاوِداً لذلك الفِعْلِ، معروفاً به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ قد بيَّنَّا الاجتباءَ في الأنعام[1]. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي: هَدَاهُ للتَّوبةِ. ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ في المُشَارِ إليهما قولان: **أحدهما**: آدمُ وإبليسُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: آدم وحَوَّاءُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. ومعنى قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدَمُ وذُرِّيَّته، وإبليسُ وذُرِّيَّته، والحَيَّةُ أيضاً؛ وقد شرحنا هذا في البقرة[2].

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي: رَسُولي وكِتابي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: مَنْ قرأَ القرآنَ واتَّبعَ ما فيه، هَداهُ الله مِنَ الضَّلالةِ، ووَقَاهُ سُوءَ الحساب، ولقد ضَمِنَ الله لِمَنْ اتَّبَعَ القرآنَ أنْ لا يَضِلَّ في الدنيا ولا يَشْقَى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآيَةَ. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ قال عَطاءٌ: عن مَوعِظَتي. وقال ابنُ السَّائبِ: عن القرآن ولم يُؤمِنْ به ولم يَتَّبِعْهُ. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال أبو عُبيدَة: معناه: مَعيشَةً ضَيِّقَةً، والضَّنْكُ يُوصَفُ به الأنثى والذَّكرُ بغير هاءٍ، وكلُّ عيشٍ أو مكانٍ أو منزلٍ ضَيِّقٍ، فهو ضَنْكٌ، وأنشد:

وإنْ نَـزَلُـوا بِـضَـنْـكٍ فـانْـزِلِ[3]

وقال الزَّجَّاجُ: الضَّنْكُ أصله في اللغة: الضِّيقُ والشِّدَّةُ.

وللمُفسِّرين في المراد بهذه المَعيشَةِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها عذابُ القبرِ.

[٩٨١] رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ: «أَتدرُونَ ما المَعيشةُ الضَّنْكُ؟ قالوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قال: عذابُ الكافِرِ في قَبْرِه، والذي نَفْسِي بيَدِهِ إنه لَيُسلَّطُ عليه تسعةٌ وتسعون تِنِّيناً ينفُخونَ في جِسمِه ويَلسَعونَهُ ويَخدِشُونَهُ إلى يومِ القيامةِ». وممَّنْ ذهبَ إلى أنه عذابُ القبرِ ابنُ مسعود، وأبو سعيدِ الخُدرِيُّ، والسُّدِّيُّ.

---

[٩٨١] ضعيف. أخرجه ابن حبان ٣١٢٢ والطبري ٢٤٤٢٦ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ٦٨ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف، وقال الشيخ شعيب في «الإحسان»: إسناده حسن. فإن أبا السمح أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، وهو ههنا عن ابن حجيرة وقد روى له مسلم اهـ.
وفيما قاله نظر. جاء في «الميزان» ٢٦٦٧ في ترجمة درّاج أبي السّمح ما ملخصه: قال أحمد: أحاديثه مناكير، ولينه. وقال الدوري عن يحيى: ليس به بأس، وقال الدارمي عن يحيى: ثقة. وقال فضْلك الرازي: ما هو ثقة ولا كرامة وقال النسائي: منكر الحديث، وفي رواية: ليس بالقوي. وقال أبو حاتم: ضعيف. وساق له ابن عدي أحاديث، وقال: عامتها لا يتابع عليها. وقال الدارقطني: ضعيف. ورواية: متروك اهـ. فتلخص من هذا، أن الرجل ضعفه الجمهور، وهو الصواب. وحديثه هذا منكر، فمثله لا يحسن حديثه خلافاً للشيخ شعيب. والله الموفق. وقال ابن كثير عقب هذا الحديث: رفعه منكر جداً. راجع «تفسيره» ٣/ ٢١٣ و «تفسير الشوكاني» ١٦١٠ و ١٦١١ بتخريجي، والله الموفق.

---

(١) سورة الأنعام: ٨٧. (٢) سورة البقرة: ٣٦.

(٣) هو جزء من عجز بيت لعنترة بن شداد العبسي وهو في مختار الشعر الجاهلي ١/ ٣٨٨ و «اللسان» ـ ضنك ـ وتمامه:

إن يـلـحـقـوا أكـرُر وإن يـسـتـلـحـمـوا أشـدد وإن يُـلْـفـوا بـضـنـك أنـزل

والضنك: الضيق من كل شيء.

والثاني: أنه ضَغْطَةُ القبرِ حتى تَختلِفَ أضلاعُه فيه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: شِدَّةُ عيشِه في النار، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. قال ابنُ السَّائب: وتلكَ المَعيشَةُ مِنَ الضَّريعِ والزَّقُّوم. **والرابع**: أنَّ المعيشَة الضَّنْكَ: كَسْبُ الحَرام، روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ قال: المعيشةُ الضَّنْكُ: أنْ تضيقَ عليه أبوابُ الخير فلا يهتدي لشيءٍ منها، وله معيشةٌ حَرامٌ يركضُ فيها. قال الضَّحَّاكُ: فهذه المعيشةُ هي الكَسبُ الخَبيثُ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والخامس**: أنَّ المعيشَةَ الضَّنْكَ: المالُ الذي لا يَتَّقي الله صاحبُه فيه، رواه العَوفيُّ عن ابن عباسٍ.

فخُرِّجَ في مكانِ المعيشةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: القبرُ. **والثاني**: الدنيا. **والثالث**: جهنَّمُ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «أعمى» «حشرتَني أعمى» بفتحِ الميمين، وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم بكسرهما. وقرأ نافعٌ بينَ الكسرِ والفتحِ. ثم في هذا المعنى للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أعمَى البَصرِ، روى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ قال: إذا أُخرِجَ مِنَ القبر خَرَجَ بصيراً، فإذا سِيْقَ إلى المَحشَرِ عَمِيَ. **والثاني**: أعمىً عن الحُجَّةِ، قاله مُجاهِدٌ، وأبو صالحٍ. قال الزَّجَّاجُ: معناه: فلا حُجَّةَ له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمرُ كذلك كما ترى ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي فتركْتَها ولم تؤمِنْ بها، وكما تَركْتَها في الدنيا تُترَكُ اليومَ في النار ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما ذكرناه ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي أشرَكَ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ مِنْ عذابِ الدنيا ومِنْ عذاب القبرِ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنه يَدومُ.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي: أفلمْ يتبيَّنْ لكفَّارِ مكَّةَ إذا نظروا آثارَ مَنْ أهلَكْنا مِنَ الأُمَمِ؛ وكانت قُريشٌ تتَّجِرُ وترى مساكنَ عادٍ وثَمودَ وفيها علاماتُ الهَلاكِ، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾. ورَوى زيدٌ عن يعقوبَ: «أفلم نَهْدِ» بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ العذاب عن هؤلاءِ الكفَّارِ إلى يوم القيامة، وقيلَ: إلى يومِ بَدْرٍ، وقيلَ: إلى انقضاءِ آجالِهم ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ أي: لَكَانَ العذابُ لِزَاماً، أي: لازِماً لهم. واللِّزَامُ: مَصدرٌ وُصِفَ به العذابُ. قال الفَرَّاءُ وابنُ قُتَيبةَ: في هذه الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، والمعنى: ولولا كَلِمةٌ وأجَلٌ مُسمّىً لكَانَ لِزاماً.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أمرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ بالصَّبرِ على ما يَسمعُ مِنْ أذاهم إلى أنْ يَحكُمَ اللهُ فيهم، ثم حَكَمَ فيهم بالقَتْلِ، ونُسِخَ بآيةِ السَّيفِ إطلاقُ الصَّبرِ.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي صَلِّ له بالحَمدِ له والثَّناءِ عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يريد الفَجرَ ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العَصرَ ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ الآناءُ: السَّاعاتُ، وقد بيَّنّاها في آلِ عمرانَ[1]،

---

(١) سورة آل عمران: ١١٣.

﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فَصَلِّ.

وفي المُراد بهذه الصَّلاةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَغرب والعِشاءُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: جَوفُ الليل، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: العِشاءُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والرابع**: أوَّلُ الليلِ وأوسَطُه وآخِرُه، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: وسَبِّحْ أطرافَ النهاء. قال الفَرَّاءُ: إنَّما هما طَرَفانِ، فَخُرِّجا مخرجَ الجمع، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(١).

وللمُفسِّرين في المراد بهذه الصَّلاةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الظُّهرُ، قاله قَتادَةُ؛ فعَلَى هذا، إنما قيلَ لصلاةِ الظُّهرِ: أطرافُ النَّهار، لأنَّ وقتَها عند الزَّوالِ، فهو طَرَفُ النِّصفِ الأوَّلِ النِصفِ الثاني. **والثاني**: أنها صلاةُ المَغربِ وصلاةُ الصُّبح، قاله ابنُ زيدٍ؛ وهذا على أنَّ الفَجرَ في ابتداء الطَّرَفِ الأوَّلِ، والمَغربَ عندَ انتهاءِ الطَّرَفِ الثاني. **والثالث**: أنها الفَجرُ والظُّهرُ والعَصرُ؛ فعلى هذا يكون الفَجرُ مِنَ الطَّرَفِ الأوَّلِ، والظُّهرُ والعَصرُ مِنَ الطَّرَفِ الثاني، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، وحَفْصٌ عن عَاصِمٍ: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم بضمِّها. فمَنْ فَتَحَ، فالمعنى: لعلَّكَ ترضَى ثوابَ اللهِ الذي يُعطيك. ومَنْ ضَمَّها، ففيه وَجهانِ: **أحدهما**: لَعلَّكَ ترضى بما تُعطَى. **والثاني**: لَعلَّ الله أنْ يَرضاكَ.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

[٩٨٢] سببُ نُزولِها، ما رَوى أبو رَافع مَولَى رسولِ الله ﷺ، قال: نَزلَ ضَيفٌ برسولِ الله ﷺ، فدَعاني فأَرسَلَني إلى رجلٍ مِنَ اليهودِ يبيعُ طَعاماً، فقال: قُلْ له: إنَّ رسولَ الله ﷺ يقول: «بِعْنِي كذا وكذا مِنَ الدَّقيقِ، أو أَسلِفْني إلى هِلالِ رَجَبٍ» فأتيتُه فقلتُ له ذلك، فقال اليَهوديُّ: واللهِ لا أبيعُهُ ولا أُسلِفُه إلاَّ برَهنٍ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبَرتُهُ، فقال: «واللهِ لو بَاعَني أو أَسلَفَني لَقضَيْتُه، وإنِّي لأَمينٌ في السَّماءِ أمينٌ في الأرض، اذهَبْ بِدِرْعِي الحديدِ إليه»، فنزلت هذه الآيةُ تعزيةً له في الدنيا. قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: مَنْ لم يَتَعزَّ بعَزاءِ الله تقطَّعَتْ نفسُهُ حَسَراتٍ على الدنيا. وقد مَضى تفسيرُ هذه الآيةِ في آخرِ سُورةِ الحِجْرِ(٢).

---

[٩٨٢] إسناده ضعيف، والمتن منكر. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٥ من طريق روح عن موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد عن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع به. وفيه موسى بن عبيدة الربذي، ضعيف ليس بشيء. وأخرجه الطبري ٢٤٤٥٥ من طريق موسى بن عبيدة بالإسناد السابق مختصراً. وأخرجه الطبري ٢٤٤٥٦ من وجه آخر من حديث أبي رافع، وفيه الحسين بن داود، وهو ضعيف. ثم إن السورة مكية كما تقدم في مطلعها، وأما الخبر فمدني. وانظر «فتح القدير» ١٦١٦.

---

(١) سورة التحريم: ٤. (٢) سورة الحجر: ٨٨.

قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحَسَنُ، والزُّهريُّ، ويعقوبُ: «زَهَرة» بفتح الهاء. قال الزَّجّاجُ: وهو منصوبٌ بمعنى «متَّعنا»، لأنَّ معنى «متَّعنا»: جعلنا لهم الحياةَ الدنيا زَهرةً، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لِنجعلَ ذلك فِتنةً لهم. وقال ابنُ قُتيبةَ: لِنَختبِرَهُم. قال المُفسِّرون: زَهرةُ الدنيا: بَهجَتُها وغَضارَتُها وما يَروقُ النَّاظر منها عندَ رُؤيتِه، وهو مِنْ زَهرةِ النباتِ وحُسْنِه. قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ثوابُه في الآخرة. **والثاني**: القَناعةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال المُفسِّرون: المُراد بأهلِه: قومُه ومَنْ كان على دِينِه، ويدخلِ في هذا أهلُ بيتِه[1]. قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: واصبِر على الصَّلاةِ ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نُكلِّفكَ رزقاً لنفسكَ ولا لِخَلْقِنا، إنما نأمرُكَ بالعبادة ورزقُكَ علينا، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: وحُسنُ العاقبةِ لأهلِ التَّقوى. وكان بكرُ بنُ عبدِالله المُزَنيُّ إذا أصابَ أهلَه خَصاصَةٌ قال: قوموا فَصَلُّوا، ثم يقول: بهذا أمَرَ اللهُ تعالى ورسولَه، وَيتلو هذه الآيةَ.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلاَّ ﴿يَأْتِينَا﴾ محمَّدٌ ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي كآياتِ الأنبياء، نحو النَّاقةِ والعَصا ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ قرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «تأتهم» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وابنُ عامرٍ وحَمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «يأتهم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: أوَلَمْ يأتِهم في القرآن بيانُ ما في الكُتُبِ مِنْ أخبار الأُمَمِ التي أهلكنَاهَا لمَّا سألوا الآياتِ ثم كفروا بها، فمَا يُؤمِّنُهم أن تكونَ حالُهم في سؤالِ الآياتِ كحَالِ أولئكَ؟! ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾ يعني: مُشركي مكَّةَ ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ في الهاء قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الكِتاب، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إلى الرَّسولِ، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا۟﴾ يومَ القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ أي: هَلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يَدعُونا إلى طاعَتِكَ ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ أي: نعملُ بمُقتَضاها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في جهنَّم. وقرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ السَّمَيْفع، وأبو حَاتِم عن يعقوبَ: «نُذَلَّ» «ونُخزَى» برفع النون فيهما، وفَتحِ الذالِ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿كُلٌّ﴾ مِنَّا ومِنكُم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: نحنُ نتربَّصُ بكُمُ العذابَ في الدنيا، وأنتُم تتربَّصُونَ بنا الدَّوائِرَ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: فانتَظِرُوا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمرُ الله ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾ أي: الدِّينُ المُستقيمُ ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ مِنَ الضَّلالَةِ، أنحنُ، أمْ أنتم؟ وقيل: هذه مَنسوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ، وليس بشيءٍ.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٣٥٠: ويؤدب الغلام على الطهارة والصلاة إذا تمت له عشر سنين. وهذا الأمر والتأديب في حق الصبي لتمرينه على الصلاة، كي يألفها ويعتادها والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: «علّموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر».

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝٥ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾

وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم مِنْ غير خلافٍ نعلَمُه.

قوله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَ﴾ افتعَلَ، مِنَ القُرْبِ، يُقال: قَرُبَ الشيءُ، واقتَرَبَ. وهذه الآيةُ نزلت في كفَّارِ مكَّةَ. وقال الزَّجَّاجُ: اقتربَ للناس وقتُ حسابِهم. قيل: اللامُ في قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى: «مِنْ». والمُرادُ بالحسابِ: مُحاسبَةُ اللهِ لهم على أعمالِهم. وفي معنى قُرْبِهِ قولان: **أحدهما**: أنه آتٍ، وكلُّ آتٍ قريبٌ. **والثاني**: لأنَّ الزمان ـ لِكثرة ما مضى وقِلَّةِ ما بقي ـ قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عمَّا يفعلُ اللهُ بهم ذلك اليومَ ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التأهُّبِ له. وقيل: «اقترب للناس» عامٌّ، والغَفْلَةُ والإعراضُ خاصٌّ في الكفَّارِ، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، وفي هذا الذِّكْرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن، قاله ابنُ عباسٍ؛ فعلى هذا تكون الإشارةُ بقوله: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ إلى إنزالِه له، لأنه أُنزِلَ شيئاً بعدَ شيءٍ. **والثاني**: أنه ذِكْرٌ مِنَ الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقال النَّقَّاشُ: هو ذِكْرٌ مِنْ رسول الله، وليس بالقرآن. **والثالث**: أنه رسولُ الله، بدليل قوله في سِياق الآية: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، قاله الحسَنُ بنُ الفَضلِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يستمعون القرآنَ مُستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلةً عمَّا يُراد بهم. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إلاَّ استمعون لاعِبينَ لاهِيَةً قلوبُهم؛ ويجوز أنْ يكونَ منصوباً بقوله: «بلعبون». وقرأ عِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ أبي عبلَةَ: «لاهيةٌ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ أي: تناجَوا فيما بينهم، يعني المشركين. ثم بَيَّنَ مَنْ هم فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله. و«الذين» في موضع رفع على البَدلِ مِنَ الضمير في «وأَسَرُّوا» ثم بَيَّن سِرَّهم الذي تناجَوا به فقال: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: آدميٌّ، فليس بمَلَكٍ، وهذا إنكارٌ لنبوَّته. وبعضُهم يقول: «أسرُّوا» هاهنا بمعنى: أظهروا، لأنه مِنَ الأضدادِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ أي: أفتقبلُون السِحرَ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه سِحرٌ؟! يَعنُون أنَّ مُتابَعة محمَّدٍ ﷺ متابعةُ السِّحرِ. ﴿قُلْ رَبِّي﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عَاصِم: «قل ربي». وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عَاصِم: «قال ربِّي»، وكذلك هي في مصاحفِ الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبيِّ ﷺ قال: يعلمُ القولَ، أي: لا يخفى عليه شيءٌ يُقال في السماء والأرض، فهو عالِمٌ بما أسررتُم. ﴿بَلْ قَالُوا﴾، قال الفرَّاءُ: رَدٌّ بـ ﴿بَلْ﴾ على معنى تكذيبِهم، وإنْ لم يظهر قبله الكلامُ بجُحودِهم، لأنَّ معناه الإخبارُ عن الجَاحِدين، وأعلمَ أنَّ المشركين كانوا قد تَحيَّروا في أمرِ رسولِ الله ﷺ، فاختلَفَتْ أقوالُهم فيه، فبعضُهم يقول: هذا الذي يأتي به سِحْرٌ، وبعضُهم يقول: أضغاثُ أحلام، وهي الأشياء المُختلطَةِ تُرى في المنام؛ وقد شرحناها في يُوسَف[1]، وبعضُهم يقول: افتَرَاهُ، أي: اختَلَقَهُ، وبعضُهم يقول: هو شاعرٌ فَلْيَأْتِنا بآيَةٍ كالناقةِ والعَصا، فاقترحوا الآياتِ التي لا إمهَالَ بعدَها.

قوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ﴾ يعني: مُشركي مكَّةَ ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وَصَفَ القريةَ، والمرادُ أهلُها، والمعنى: أنَّ الأُمَمَ التي أُهلِكَتْ بتكذيب الآياتِ، لم يُؤمِنوا بالآياتِ لَمَّا أَتَتْهُم، فكيف يُؤمنُ هؤلاء؟! وهذه إشارةٌ إلى أنَّ الآيَةَ لا تكون سبباً للإيمان، إلاَّ أنْ يشاءَ اللهُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا جوابُ قولهم: «هل هذا إلاَّ بَشَر مِثلُكم». قوله تعالى: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ قرأ الأكثرون: «يوحَى» بالياء. وروى حَفصٌ عن عَاصِمٍ: «نُوحي» بالنون. وقد شرحنا هذه الآيَةَ في النَّحل[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ يعني الرُّسُلَ ﴿جَسَدًا﴾ قال الفَرَّاءُ: لم يَقُلْ: أجساداً، لأنه اسمُ الجنس. قال مُجاهِدٌ: وما جعلناهم جَسَداً ليس فيهم رُوحٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ما جعلنا الأنبياءَ قبله أجساداً لا تأكلُ الطعامَ ولا تموت فنجعله كذلك. قال المُبَرِّدُ وثَعلَبُ جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلام بجَحدَيْنِ، كان الكلامُ إخباراً، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جَسَداً ليأكلوا الطعامَ. قال قَتادَةُ: المعنى: وما جعلناهم جَسَداً إلاَّ ليأكلوا الطعامَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وَعدَهم الذي وَعَدْناهم بإنجائِهم وإهلاكِ مُكذِّبيهِم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ وهم الذين صَدَّقوهُم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: أهلَ الشِّركِ؛ وهذا

(١) سورة يوسف: ٤٤.
(٢) سورة النحل: ٤٣.

تخويفٌ لأهل مكّة. ثم ذكَرَ مِنَّتَهُ عليهم بالقرآن فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وفي ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: فيه شرفُكم، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فيه دِينُكم، قاله الحَسنُ، يعني: فيه ما تحتاجون إليه مِنْ أمرِ دِينِكُم. **والثالث**: فيه تذكرةٌ لكم لِمَا تلقونَهُ مِنْ رَجعَةٍ أو عذابٍ، قاله الزَّجّاجُ. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضّلتُكم به على غيرِكم.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

ثم خوَّفهم فقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ قال المُفسِّرون واللغويون: معناه: وكم أهلَكْنا، وأصلُ القَصْم: الكَسْرُ. قوله تعالى: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾؛ أي: كافرةً، والمراد: أهلُها. ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: رَأَوا عذابَنا بحاسَّةِ البَصرِ ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي: يَعْدُون، وأصلُ الرَّكْضِ: تحريكُ الرِّجلَين، يقال: رَكَضْتُ الفَرَسَ: إذا أَعْدَيتُه بتحريكِ رِجلَيْكَ فعَدَا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ قال المُفسِّرون: هذا قولُ الملائكة لهم: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، أي: إلى نِعَمِكُم التي أترَفَتْكُم، وهذا توبيخٌ لهم. وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: تُسألون مِنْ دُنياكم شيئاً، استهزاءً بهم، قاله قَتادةُ. **والثاني**: تُسألون عن قَتْلِ نبيِّكم، قاله ابنُ السَّائِب. فلمَّا أيقنُوا بالعذاب ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بكُفرنا، ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: ما زالت تلك الكلمةُ التي هي «يا ويلنا إنَّا كنَّا ظالمين» قولَهم يُرَدِّدونها. ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف ﴿خَٰمِدِينَ﴾، أي: مَيِّتين كَخُمود النار إذا طُفِئَتْ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ أي: لم نَخلُق ذلك عَبَثاً، إنما خلقناهما دلالةً على قُدرَتِنا ووَحدانيَّتنا ليعتبرَ الناسُ بخَلْقِه، فيعلموا أنَّ العبادةَ لا تَصلُح إلاَّ لخالِقه، لِنُجازيَ أولياءَنا، ونُعَذِّبَ أعداءَنا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ في سبب نُزولها قولان: **أحدهما**: أنَّ المشركين لمَّا قالوا:

---

(١) قال الطبري ٩/٨: عنى بالذكر في هذا الموضع الشرف، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

الملائكةُ بَناتُ اللّهِ والآلِهةُ بناتُه، نزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ[١]. **والثاني**: أنَّ نصارى نَجْرانَ قالوا: إنَّ عيسى ابنُ اللّهِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ[٢].

وفي المُراد باللَّهْوِ ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: الوَلَدُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. قال الزَّجّاجُ: المعنى: لو أرَدْنا أنْ نتَّخِذَ وَلَداً ذا لَهْوٍ نُلْهَى به. **والثاني**: المرأةُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: اللعِبُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ قال ابنُ جُرَيج: لاتَّخذنا نساءً ووَلَداً مِنْ أهل السماء، لا مِنْ أهلِ الأرض. قال ابنُ قُتَيبة: وأصلُ اللَّهْوِ: الجِماعُ، فكُنِّي عنه باللَّهْوِ، كما كُنِّيَ عنه بالسِّرِّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لاتَّخذناهُ مِنْ عندنا، لأنكم تعلمون أنَّ وَلَد الرجل وزوجَتَهُ يكونان عنده، لا عندَ غيره. وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ ﴿إِنۡ﴾ بمعنى «ما»، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقتادةُ. **والثاني**: أنها بمعنى الشَّرطِ. قال الزَّجّاجُ: والمعنى: إنْ كُنّا نفعلُ ذلك، ولَسنا ممَّنْ يفعله؛ قال: والقولُ الأولُ قولُ المُفسِّرين، والثاني: قولُ النَّحويين، وهم يستَجِيدونَ القولَ الأولَ أيضاً، لأنَّ «إنْ» تكون في موضعِ النَّفي، إلاَّ أنَّ أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إنْ كنتَ لَصالحاً، معناه: ما كنتَ إلاَّ صالحاً.

قوله تعالى: ﴿بَلۡ﴾ أي: دَعْ ذاكَ الذي قالوا، فإنه باطلٌ ﴿نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: نُسلِّط الحقَّ وهو القرآن ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ وهو كَذِبُهم ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: يَكسِرُه، وأصلُ هذا إصابةُ الدِّماغ بالضَّربِ، وهو مَقْتَلٌ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ أي: زائِلٌ ذاهبٌ. قال المُفسِّرون: والمعنى: إنَّا نُبطِلُ كذبَهم بما نُبيِّن مِنَ الحق حتى يضمَحِلَّ، ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: مِنْ وَصفِكُم الله بما لا يجوزُ ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعني: هُمْ عَبيدُه ومُلْكه ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ يعني: الملائكة. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَرجِعون، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لا يَنقطِعون، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: لا يَعيَون، والحَسِرُ: المُنقطِعُ الواقفُ إعياءً وكَلالاً. **والثالث**: لا يَملُّون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾ قال قَتادةُ: لا يسأَمون. وسُئِلَ كَعبٌ: أما يشغلهم شأن؟ أَمَا تَشغَلُهم حاجةٌ؟ فقال للسائلِ: يا ابنَ أخي، جُعِلَ لهم التَّسبيحُ كما جُعِلَ لكم النَّفَسُ، ألستَ تأكلُ وتشربُ وتقومُ وتَجلسُ وتجِيءُ وتَذهبُ وتتكلَّمُ وأنتَ تتنفَّسُ؟! فكذلك جُعِلَ لهم التَّسبيحُ. ثم إنَّ اللّهَ تعالى عادَ إلى توبيخِ المشركين فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ لأنَّ أصنامَهم مِنَ الأرض هي، سواءٌ كانت مِنْ ذَهبٍ أو فِضَّةٍ أو خشبٍ أو حِجارةٍ ﴿هُمۡ﴾ يعني: الآلهةَ ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحْيُون المَوتى. وقرأ الحسَنُ:

---

(١) لا يصح عن ابن عباس، أبو صالح ضعيف، وراويته الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

(٢) باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والسورة مكية، وإنما قدم نصارى نجران في المدينة.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١١: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولداً لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله، ولا ينبغي، لأنه لا يكون لله ولد ولا صاحبة. وقال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٢٢١: فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً، لا سيما عما يقولون من الإفك والباطل، من اتخاذ عيسى، أو عزير، أو الملائكة سبحان الله عما يقولون علواً كبيراً.

«يَنشُرون» بفتح الياء وضمِّ الشين. وهذا استفهامٌ بمعنى الجَحْدِ، والمعنى: ما اتَّخذُوا آلهةً تَنشُر ميتاً.
﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ يعني: السماء والأرض ﴿ءَالِهَةٌ﴾ يعني: معبُودِين ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال الفَرَّاءُ: سِوى الله. وقال الزَّجَّاجُ: غيرَ اللهِ.

قوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ أي: لَخرِبَتا وبطَلَتا وهَلكَ مَنْ فيهما، لِوجُود التَّمانُعِ بين الآلهَةِ، فلا يجري أمرُ العالَمِ على النِّظام، لأنَّ كلَّ أمرٍ صَدَرَ عن اثنين فَصاعداً لم يَسْلَمْ مِنَ الخلافِ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ أي: عمَّا يَحْكُم في عباده مِنْ هَدْيٍ وإضلالٍ، وإعزازٍ وإذلالٍ، لأنه المَالِكُ للخَلْقِ، والخَلْقُ يُسألُون عن أعمالهم؛ لأنهم عبيدٌ يجب عليهم امتِثالُ أمرِ مَولاهُم. ولمَّا أبطَلَ عزَّ وجلَّ أن يكون آلهٌ سواه مِنْ حيثُ العقلُ بقوله: ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾، أبطَلَ ذلك مِنْ حيثُ الأمرُ فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ وهذا استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ على ما تقولون، ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يعني: القرآن خَبَرُ مَنْ معي على دِيني ممَّنْ يَتَّبِعُني إلى يوم القيامة بما لَهُم مِنَ الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يعني: الكُتُبَ المُنَزَّلَةَ، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكُتُبُ التي أُنزِلَتْ قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أنَّ اللَّهَ أمرَ باتِّخاذِ إلهٍ سِواه؟ فبطَلَ بهذا البيانِ جوازُ اتِّخاذ معبودٍ غيره مِنْ حيثُ الأمرُ به، قال الزَّجَّاجُ: قيلَ لهم: هاتوا بُرهانَكم بأنَّ رسولاً مِنَ الرُّسُلِ أخبَرَ أُمَّتَهُ بأنَّ لهم إلَهاً غيرَ الله! . قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: التوحيد، قاله مُقاتِلٌ ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن التَّفكُّرِ والتَّأمُّلِ وما يجب عليهم مِنَ الإيمان.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «إلا نوحي» بالنون؛ والباقون بالياء. قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ في القائلين لهذا قولان: **أحدهما**: أنهم مُشركو قُريشٍ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال ابنُ إسحاقَ: القائِلُ لهذا النَّضرُ بنُ الحارثِ. **والثاني**: أنهم اليهود قالوا: إنَّ الله صَاهَرَ الجنَّ فكانت منهم الملائكةُ، قاله قَتادةُ. فعلى القولين، المراد بالوَلَدِ: الملائكةُ، وكذلك المُراد بقوله: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾، والمعنى: بل عبادٌ أكرمَهُم اللَّهُ واصطَفاهُم، ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾، أي: لا يتكلَّمون إلاَّ بما يأمُرهم به. وقال ابنُ قُتيبةَ: لا يقولون حتى يقولَ، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمُرَهم. قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: ما قدَّموا مِنَ الأعمال ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما هم عامِلُون، ولا يشفعون يومَ القيامة، وقيلَ: لا يستغفرون في الدنيا ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ أي: لِمَن رَضِيَ عنه، ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ أي: مِنْ خَشيَتِهم منه، فأُضِيفَ المصدرُ إلى المفعول، ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ أي: خائفون. وقال الحسَنُ: يرتَعِدُون. ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ﴾ أي: مِنَ الملائكة. قال الضَّحَّاكُ

في آخرين: هذه خاصةٌ لإبليس، لم يَدْعُ أحدٌ مِنَ الملائكة إلى عبادةِ نفسه سِواهُ؛ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهذا قولُ مَنْ قال: إنه مِنَ الملائكة، فإنَّ إبليسَ قال ذلك للملائكة الذين هَبَطُوا معه إلى الأرض، ومَنْ قال: إنه ليس مِنَ الملائكة، قال: هذا على وَجْهِ التَّهديد، وما قال أحدٌ مِنَ الملائكة ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: أوَلَمْ يعلموا. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ألم ير الذين كفروا» بغيرِ واوٍ بينَ الألِفِ واللام، وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ مكَّةَ، ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: السَّمواتُ جمعٌ؛ والأرضُ واحدةٌ، فخرجت صفةُ لفظِ الجمعِ على لفظِ صفةِ الواحدِ والعرب تفعلُ هذا إذا أشرَكُوا بينَ الجمعِ وبين واحدٍ؛ والرَّتْقُ مصدرٌ يُوصَفُ به الواحدُ والاثنان والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنثُ سواءٌ، ومعنى الرَّتْقِ: الذي ليس فيه ثُقْبٌ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: كانتا ذواتَي رَتْقٍ، فجعلناهُما ذواتَ فَتْقٍ، وإنما لم يَقُلْ: «رَتْقَيْنِ» لأنَّ الرَّتْقَ مصدرٌ. وللمُفسِّرين في المراد به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ السمواتِ كانت رَتْقاً لا تُمْطِرُ، وكانت الأرض رَتْقاً لا تُنْبِتُ، ففَتَقَ هذه بالمطرِ، وهذه بالنباتِ، رواه عبدُ الله بنُ دِينارٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ، وعِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ في آخرين. **والثاني**: أنَّ السمواتِ والأرضَ كانتا مُلتَصِقَتَيْنِ، ففتَقَهُما اللَّهُ تعالى، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ. **والثالث**: أنه فَتَقَ مِنَ الأرضِ ستَّ أَرَضِينَ فصارت سبعاً، ومِنَ السماء ستَّ سمواتٍ فصارت سبعاً، رواه السُّدِّيُّ عن أشياخه، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ وقرأ معاذٌ القارئ وابنُ أبي عبلَةَ وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «كلَّ شيءٍ حيّاً» بالنصب. وفي هذا الماء قولان: **أحدهما**: أنه الماءُ المعروف، والمعنى: جعلنا الماءَ سبباً لحياة كلِّ حَيٍّ، قاله **الأكثرون**. **والثاني**: أنه النُّطفَةُ، قاله أبو العَالِيَة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ قد فسَّرناه في سُورةِ النَّحل[1]. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرَّواسي ﴿فِجَاجًا﴾، قال أبو عُبيدَةَ: هي المَسالِك. قال الزَّجَّاجُ: الفِجَاجُ جمعُ فَجّ، وهو كلُّ مُنخَرِقٍ بين جبلين، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طُرُقاً. قال ابنُ عباسٍ: جعلنا مِنَ الجبال طُرُقاً كي تهتدوا إلى مقاصِدِكُم في الأسفَارِ. قال المُفسِّرون. وقوله: ﴿سُبُلًا﴾ تفسيرٌ للفِجَاجِ، وبيان أنَّ تلك الفِجَاجَ نافذةٌ مَسلُوكَةٌ، فقد يكون الفَجُّ غيرَ نافذٍ. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ أي: هي للأرض كالسَّقفِ. وفي معنى ﴿مَّحْفُوظًا﴾ قولان: **أحدهما**: بالنُّجوم مِنَ الشياطين، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَحفُوظاً مِنَ الوقوعِ إلاَّ بإذن الله، قاله الزَّجَّاجُ.

---

(١) سورة النحل: ١٥.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: شمسِها وقمرِها ونُجومِها، قال الفرَّاءُ: وقرأ مُجاهِدٌ: «عن آيتها» فوحَّدَ، فجعلَ السماءَ بما فيها آيةً؛ وكلٌّ صوابٌ.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِى فَلَكٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الفَلَكُ: مَدارُ النجوم الذي يضمُّها، وسمَّاه فَلَكاً، لاستِدارَتِه، ومنه قيلَ: فَلْكَةُ المِغزَلِ، وقد فَلَك ثَدْيُ المرأةِ. قال أبو سُليمانَ: وقيل: إنَّ الفَلَكَ ـ كهيئَةِ السَّاقيَةِ مِنْ ماءٍ ـ مُستديرةٌ دونَ السماء وتحتَ الأرض، فالأرضُ وسطها والشمسُ والقمرُ والنجومُ والليلُ والنهارُ يَجرُون في الفَلَكِ، وليس الفَلَكُ يُديرُها. ومعنى «يَسْبحون»: يَجْرُون. قال الفرَّاءُ: لمَّا كانت السِّباحةُ مِنْ أفعال الآدميين، ذُكِرَتْ بالنون، كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾[(1)] لأنَّ السُّجودَ مِنْ أفعال الآدميين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ سببُ نُزولها أنَّ ناساً قالوا: إنَّ محمَّداً لا يموتُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى الآيةِ ما خَلَّدنا قبلَكَ أحداً مِنْ بَني آدمَ؛ والخُلْدُ: البقاءُ الدَّائمُ. ﴿أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ يعني مُشركي مكَّةَ، لأنهم قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[(2)]. قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ قال ابنُ زيدٍ: نختبِرُكم بما تحبُّون لننظرَ كيف شُكرُكم، وبما تكرَهُون لننظرَ كيف صَبْرُكم. قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: «تَرجعون» بتاءٍ مفتوحةٍ. وروى ابنُ عباسٍ عن أبي عمرٍو: «يُرجعون» بياء مضمومةٍ. وقرأ الباقون تُرجعون بتاءٍ مضمومةٍ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني المُستَهزِئين، وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أبي جهلٍ، مَرَّ به رسولُ الله، فضحكَ وقال: هذا نَبيُّ بَني عبدِ مَنافٍ. و ﴿إِن﴾ بمعنى «ما»، ومعنى ﴿هُزُوًا﴾ مَهزُوءاً به ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يَعيبُ أصنامَكُم، وفيه إضمارُ «يقولون»، ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرفُ الرَّحمنَ، فكفروا بالرَّحمنِ.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ العُقيلي، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ؛ «خَلَقَ الإنسانَ» بفتحِ الخاء واللام ونصبِ النون. وهذه الآيةُ نزلت حين استعجَلَتْ قُريشٌ بالعذاب.

وفي المُراد بالإنسان هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النضرُ بنُ الحارثِ، وهو الذي قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن

(١) سورة يوسف: ٤. (٢) سورة الطور: ٤٠.

كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١]، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: آدمُ عليه السَّلامُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ في آخرين. **والثالث**: أنه اسمُ جنسٍ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوري؛ فعلى هذا يدخل النَّضرُ بنُ الحارثِ وغيرُه في هذا وإنْ كانت الآيةُ نزلت فيه.

فأمَّا مَنْ قال: أُريدَ به آدمُ، ففي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنه خُلِقَ عَجُولاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا يقول: لمَّا طُبِعَ آدمُ على هذا المعنى، وُجِدَ في أولاده، وأورثَهُم العَجَلَ. **والثاني**: خُلِقَ بعَجَلٍ، استعجلَ بخلقِه قبلَ غُروبِ الشمس مِنْ يوم الجُمعةِ، وهو آخرُ الأيام الستة، قاله مُجاهِدٌ. فأمَّا مَنْ قال: هو اسمُ جنسٍ، ففي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: خُلِق عَجُولاً؛ قال الزَّجَّاجُ: خوطِبَتِ العربُ بما تَعقِلُ، والعرب تقول للذي يَكثُر منه اللعبُ: إنما خُلِقتَ مِنْ لَعِبٍ، يريدون المُبالغة في وصفه بذلك. **والثاني**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، والمعنى: خُلِقَت العَجلَةُ في الإنسان، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما أصابَ الأُممَ المُتقدِّمةَ؛ والمعنى: أنكم تُسافرون فترونَ آثارَ الهَلاكِ في المَاضِينَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنها القتلُ ببدرٍ، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أثبتَ الياءَ في الحالَتين يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنُونَ: القيامة. ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جوابه محذوفٌ، والمعنى: لو علموا صِدْقَ الوعدِ ما استعجَلُوا، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ أي: لا يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطَتِها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمنَعون مما نَزلَ بهم، ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ يعني: الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تُحيِّرهم؛ وقد شرحنا هذا عندَ قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[٢] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: صَرْفَها عنهم، ولا هم يُمْهَلون لتوبةٍ أو معذرةٍ. ثم عَزَّى نَبيَّهُ، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كما فعلَ بكَ قومُكَ ﴿فَحَاقَ﴾ أي نَزلَ ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ أي: مِنَ الرُّسُلِ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يعني: العذابَ الذي كانوا استهزؤوا به.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ المعنى: قُلْ لهؤلاء المُستعجِلين بالعذاب: مَنْ يحفظُكم مِنْ بأسِ الرَّحمن إنْ أراد إنزالَهُ بكم؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، أي: لا أحدَ يفعلُ ذلك، ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ أي: عن كلامه ومواعِظه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون ولا يعتبرون. ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن

(١) سورة الأنفال: ٣٢. (٢) سورة البقرة: ٢٥٨.

دُونِنَاۚ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: أمْ لهم آلهةٌ مِنْ دُونِنا تمنَعُهم؟ وهاهنا تَمَّ الكلام. ثم وَصفَ آلِهَتَهم بالضَّعف، فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ والمعنى: مَنْ لا يقدر على نَصْرِ نفسه عمَّا يُراد به، فكيف يَنصُرُ غيرَهُ؟! قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الكفَّار، وهو قولُ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الأصنام، قاله قَتادَةُ. وفي معنى ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُجَارُون، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: لا يُجيرُهم منَّا أحدٌ، لأنَّ المُجيرَ صاحبٌ لجَارِه. **والثاني**: يُمنَعُون، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: يُنصَرون، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: لا يُصحَبون بخيرٍ، قاله قَتادَةُ.

ثم بيَّن اغتِرارَهُم بالإهمالِ، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قد شرحناه في الرَّعدِ[١] ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحالِ، وهو نَقصُ الأرض، والمعنى: ليسوا بغالِبين، ولكنَّهم المَغلوبون. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم﴾ أي: أُخَوِّفُكم ﴿بِالْوَحْيِ﴾ أي: بالقرآن، والمعنى: إنني ما جئتُ به مِنْ تلقاءِ نَفسي، إنما أُمِرتُ فبلَّغتُ. ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «ولا تُسمِعُ» بالتاءِ مضمومةً «الصُّمَّ» نصباً. وقرأ ابنُ يَعمُرَ، والحسَنُ: «ولا يُسمَعُ» بضمِّ الياء وفتح الميم «الصُّمُّ» بضمِّ الميم. شبَّه الكفَّارَ بالصُّمِّ الذين لا يسمعون نداءَ مُنادِيهم؛ ووَجهُ التشبيه أنَّ هؤلاءِ لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُّمِّ لا يُفيدهم صوتُ مُناديهم. ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾ أي: أصابَتْهم ﴿نَفْحَةٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: طَرَفٌ. وقال الزَّجَّاجُ: المراد أدنى شيءٍ مِنَ العذاب، ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا﴾ والوَيلُ يُنادي به كلُّ مَنْ وقعَ في هَلَكةٍ.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ونضعُ المَوازِينَ ذَواتَ القِسْطِ، والقِسْطُ: العدل، وهو مصدرٌ يُوصَفُ به، يُقال: ميزانٌ قِسْطٌ، وميزانان قِسْطٌ، ومَوازينُ قِسْطٌ. قال الفَرَّاءُ: القِسْطُ مِنْ صفة المَوازين وإنْ كان مُوَحَّداً، كما تقول: أنتم عَدْلٌ، وأنتم رِضىً. وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ و «في يوم القيامة» سواءٌ. وقد ذكرنا الكلامَ في المِيزان في أوَّلِ الأعراف[٢]. فإنْ قيلَ: إذا كان الميزانُ واحداً، فما المعنى بذِكرِ المَوازين؟ فالجواب: أنه لمَّا كانت أعمالُ الخَلائِق تُوزَنُ وَزْنةً بعدَ وَزْنةٍ، سُمِّيت مَوازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: لا يُنقَصُ مُحسِنٌ مِنْ إحسانه، ولا يُزَادُ مُسِيءٌ على إساءَتِه ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: وَزْنَ حَبَّةٍ. وقرأ نافعٌ: «مثقالُ» برفع اللام. قال الزَّجَّاجُ: ونصبُ «مثقالَ» على معنى: وإنْ كان العملُ مِثقالَ حَبَّةٍ. وقال أبو عليٍّ الفَارسيُّ: وإنْ كان الظُّلامَةُ مِثقالَ حَبَّةٍ، لقوله تعالى: «فلا تُظلَمُ نَفسٌ شيئاً». قال: ومَنْ رَفَعَ، أسندَ الفعلَ إلى المِثقالِ، كما أُسنِدَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[٣].

---

(١) سورة الرعد: ٤١. (٢) سورة الأعراف: ٨. (٣) سورة البقرة: ٢٨٠.

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: جئنا بها، وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وحُمَيدٌ: «آتينا بها» ممدودةً، أي: جازَيْنا بها. قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على وَجْهَين أحدهما: التَّمييزُ؛ والثاني: الحَالُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: التَّوراة التي فرَّقَ بها بين الحلالِ والحرام، قاله مُجاهِدٌ، وقتادةُ. **والثاني**: البُرهانُ الذي فرَّقَ به بين حقِّ موسى وباطلِ فِرعونَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: النَّصرُ والنَّجاةُ لموسى، وإهلاكُ فِرعونَ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾ روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ أنه كان يرى الواوَ زائدةً؛ قال الزَّجَّاجُ: وكذلك قال بعضُ النَّحويين أنَّ المعنى: الفُرقانُ ضياءً، وعند البَصريِّين: أنَّ الواوَ لا تُزاد ولا تأتي إلاَّ بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[2] قال المُفسِّرون: والمعنى أنهم استضاؤوا بالتَّوراة حتى اهتَدَوا بها في دِينِهم. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أنهم يذكُرونَهُ ويعملون بما فيه. ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يخافونَهُ ولم يَرَوهُ، قاله الجمهور. **والثاني**: يخشَون عذابَهُ ولم يَرَوهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: يخافونَهُ مِنْ حيثُ لا يراهُم أحدٌ، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: يخافونَهُ إذا غابُوا عن أعيُنِ الناس كخوفِهم له إذا كانوا بينَ الناس، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. ثم عاد إلى ذِكرِ القرآن، فقال: ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ لِمَنْ تذكَّرَ به، وعِظةٌ لمَنْ اتعظَ ﴿مُّبَارَكٌ﴾ أي: كثيرُ الخيرِ ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ أي: جاحِدُون؟! وهذا استفهامُ توبيخٍ.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ أي: هُداهُ ﴿مِن قَبْلُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[3]:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٢٩: وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدي والضلال، والغيّ والرشاد، والحلال والحرام وعلى ما يحصّل نوراً في القلوب، وهداية وخوفاً وإنابة وخشية ولهذا قال: **﴿الفرقان وضياء وذكراً للمتقين﴾** أي: تذكيراً لهم وعظة.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

(٣) قال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٢٧: قال النحاس: ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: **﴿نور على نور﴾** قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نوراً على نور، وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له =

أحدها: مِنْ قبلِ بُلوغِه، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: آتيناه ذلك في العِلْم السَّابق، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مِنْ قَبْلِ موسى وهارونَ، قاله الضَّحَّاكُ. وقد أشَرنا إلى قصة إبراهيمَ في الأنعام[1]. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: عَلِمْنَا أنه موضعٌ لإيتاءِ الرُّشدِ. ثم بيَّن متى آتاهُ فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنام، والتِّمثَالُ: اسمٌ للشيء المَصنوع مُشَبَّهاً بِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِ الله تعالى، وأصلُهُ مِنْ مثَّلتُ الشيءَ بالشيءِ: إذا شبَّهتَهُ به، وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: على عبادَتِها ﴿عَٰكِفُونَ﴾ أي: مُقيمونَ، فأجابوه أنهم رَأوا آباءَهُم يعبدونها فاقتدوا بهم فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلالٍ مُبينٍ، ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾. يَنُون: أجادٌّ أنتَ، أَمْ لاعِبٌ؟! قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ الكَيدُ: احتِيَالُ الكائِد في ضرِّ المَكِيْدِ. والمُفسِّرون يقولون: لأكيدَنَّها بالكَسْرِ ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ أي: تذهبوا عنها، وكان لهم عِيدٌ في كلِّ سنةٍ يخرجون إليه ولا يخلِّفون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيمَ: لو خرجتَ معنا إلى عِيدِنا أعجَبَكَ دِيْنُنا، فخرجَ معهم، فلمَّا كان ببعض الطريق، قال: إني سَقيمٌ، وألقَى نَفْسَهُ، وقال سِرّاً منهم: «وتالله لأكيدنَّ أصنامَكُم»، فسَمِعَهُ رجلٌ منهم، فأفشَاهُ عليه، فرجعَ إلى بيتِ الأصنام، وكانت ـ فيما ذكره مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ ـ اثنين وسبعين صَنَماً مِنْ ذهبٍ وفضَّةٍ ونُحَاس وحديدٍ وخشَبٍ، فكَسَّرَهَا، ثم وضعَ الفأسَ في عُنُقِ الصَّنم الكبير، فذلك قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ قرأ الأكثرون: «جُذاذاً» بضمِّ الجيم. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ، وابنُ مُحَيصِن، والأعمَشُ، والكِسَائيُّ: «جِذاذاً» بكسرِ الجيم. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَاردي، وأيُّوبُ السَّختِيَانيُّ، وعَاصِمٌ الجَحدَريُّ: «جَذاذاً» بفتح الجيم. وقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «جَذاذاً» بفتحِ الجيم مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ معاذٌ القارئ، وأبو حَيْوَةَ، وابنُ وَثَّابٍ: «جُذذاً» بضمِّ الجيم مِنْن غيرِ ألِفٍ. قال أبو عُبيدَةَ: أي: مُستَأصَلِينَ، قال جَريرٌ:

بَنِي المُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابِرَهُم ... أَمْسَوْا رَمَاداً فلا أَصْلٌ ولا طَرَفُ[2]

أي: لم يَبْقَ منهم شيءٌ، ولفظُ «جُذاذ» يقع على الواحدِ والاثنين والجميع مِنَ المُذكَّرِ والمؤنَّثِ. وقال ابن قتيبة: «جُذاذاً» أي: فُتاتاً، وكلُّ شيءٍ كَسرتَه فقد جَذَذْتَهُ، ومنه قيلَ للسَّويْقِ: الجَذِيْذ. وقرأ الكِسَائيُّ: «جِذاذاً» بكسرِ الجيم على أنه جمعُ جَذِيذٍ، مثل ثَقِيل وثِقَال، وخَفيف وخِفَاف. والجَذِيذُ بمعنى: المَجذُوذِ، وهو المَكسُور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ أي: كَسَر الأصنامَ إلاَّ أكبرَها. قال الزَّجَّاج:

= رباً وخالقاً. وقال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٢٢٩: يخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم أنه آتاه رشده من قبل أي: من صغره ألهمه الحق والحجّة على قومه، كما قال ﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**﴾ وقوله: ﴿**وكنا به عالمين**﴾ أي: وكان أهلاً لذلك. والرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه عبادة الأصنام من دون الله عز وجل. قال الزمخشري في «الكشاف» ٣/ ١٢٢: ومعنى علمه به: أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبة وصفات قد رضيها وأحمدها، حتى أهَّلَه لمخالّته ومخالصته. وفي قوله: ﴿**لقد كنتم أنتم وءاباؤكم في ضلال مبين**﴾ يقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، فما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم.

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

(٢) البيت في ديوانه: ٣٩٠ و «الكامل»: ٥١٠. وفي «اللسان»: طَرَفُ القوم: رئيسهم.

جائزٌ أن يكون أكبرَها في ذاته، وجائزٌ أن يكونَ أكبرَها عندَهم في تعظيمِهم إيَّاه، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى الصَّنَم، ثم فيه قولان: **أحدهما**: لعلَّهم يرجِعون إليه فيُشاهدُونَهُ، هذا قولُ مُقاتِلٍ. **والثاني**: لعلَّهم يرجِعون إليه بالتُّهمَةِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والثاني**: أنها ترجع إلى إبراهيمَ. والمعنى: لعلَّهم يرجِعون إلى دِينِ إبراهيمَ بوجوبِ الحُجَّة عليهم، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

فلمَّا رَجعوا مِنْ عِيدِهم ونظروا إلى آلهتِهم ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: قد فعل ما لم يكُنْ له فِعْلُه، فقال الذي سمعَ إبراهيمَ يقول: «لأكيدن أصنامكم»: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي يَعِيبُهم؛ تقول للرجل: لَئِنْ ذَكَرتَني لَتَندمنَّ، تريد: بسُوءٍ.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: بمَرْأَىً منهم[(١)]، لا تأتوا به خِفيةً. قال أبو عُبيدَة: تقول العرب إذا أظهرَ الأمرُ وشُهِرَ: كان ذلك على أعيُنِ الناس.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: يشهدون أنه قال لآلِهَتنا ما قال، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: يشهدون أنه فَعَلَ ذلك، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: يشهَدون عقابَهُ وما يُصنَع به، قاله محمَّدُ بنُ إسحاقَ.

قال المُفسِّرون: فانطلَقوا به إلى نُمرُودَ، فقال له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ غَضِبَ أنْ تُعبَدَ معه الصِّغار، فكَسرها، ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ مَنْ فعله بهم؟! وهذا إلزَامٌ للحُجَّةِ عليهم بأنهم جَمادٌ لا يقدرون على النُّطق.

واختلف العلماء في وَجهِ هذا القول مِنْ إبراهيمَ عليه السلام على قولَين: **أحدهما**: أنه وإنْ كان في صورة الكَذِبِ، إلاَّ أنَّ المراد به التَّنبيهُ على أنَّ مَنْ لا قُدرةَ له، لا يَصلُحُ أنْ يكونَ إلهاً، ومثله قولُ المَلَكين لداودَ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[(٣)]، ولم يكُنْ له شيءٌ، فجرى هذا مَجرَى التَّنبيه لداودَ على ما فعلَ، أنه هو المُرادُ بالفعل والمَثَلِ المَضروبِ؛ ومثلُ هذا لا تُسمِّيه العربُ كَذِباً. **والثاني**: أنه مِنْ مَعاريضِ الكلام؛ فرُوي عن الكِسائيِّ أنه كان يقفُ عند قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ ويقول: معناه: فَعلَهُ مَنْ فَعلَهُ، ثم يَبتَدِئُ ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. قال الفَرَّاءُ: وقرأ بعضُهم: «بل فعلّه»

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٢٣١: وقوله: **﴿فأتوا به على أعين الناس﴾** أي: على رؤوس الأشهاد في الملأ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقولهم في عبادة هذه الأصنام، التي لا تدفع عن نفسها ضراً.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٦٢: **﴿لعلهم يشهدون﴾** طعنه على آلهتهم ليعلموا أنه يستحق العقاب. قلت: وفي هذا دليل على أنه كان لا يؤاخذ أحد بدعوى أحد.

(٣) سورة ص: ٢٣.

بتشديد اللام، يريد: بل فلعله كبيرُهم هذا. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هذا مِنَ المَعاريض، ومعناه: إنْ كانوا يَنطِقون، فقد فَعَلَهُ كبيرُهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[١] أي سَأسقَمُ، ومثلُه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[٢] أي: ستَموتُ، وقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[٣] قال ابنُ عباسٍ: لم يَنْسَ، ولكنه مِنْ مَعاريضِ الكلام، والمعنى: لا تُؤاخِذْني بنِسيَاني، ومِنْ هذا قصةُ الخَصْمَين ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[٤]، ومثله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾[٥]، والعربُ تستعمل التَّعريضَ في كلامها كثيراً، فتَبلغُ إرادَتَها بوَجْهٍ هو ألطَفُ مِنَ الكَشفِ وأحسنُ مِنَ التَّصريح. ورُوي أنَّ قوماً مِنَ الأعراب خرجوا يمتَارُونَ، فلمَّا صَدرُوا، خالفَ رجلٌ في بعض الليل إلى عِكْم[٦] صاحبه، فأخذَ مِنهُ بُرّاً وجعله في عِكْمِه، فلما أراد الرِّحلَة وقاما يتعاكَمانِ، رأى عِكْمَهُ يَشُولُ، وعِكْمَ صاحبهِ يثْقُلُ، فأنشأ يقول:

عِكْمٌ تَغشَّى بعضَ أعكَامِ القومِ ... لَمْ أرَ عِكْماً سَارِقاً قبلَ اليومِ

فخوَّن صاحبَهُ بوَجْهٍ هو ألطَفُ مِنَ التَّصريح. قال ابنُ الأنباري: كلامُ إبراهيمَ كان صِدْقاً عند البحث، ومعنى قولِ النبيِّ ﷺ:

[٩٨٣] «كَذَبَ إبراهيمُ ثلاثَ كِذباتٍ»: قال قولاً يُشبه الكذبَ في الظاهر، وليس بكذب، قال المُصنِّفُ: وقد ذهب جماعةٌ مِنَ العلماء إلى هذا الوَجْهِ، وأنه مِنَ المَعاريضِ، والمَعاريضُ لا تُذَمُّ، خصوصاً إذا احتِيْجَ إليها.

[٩٨٤] روى عمرانُ بنُ حُصَينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في المَعاريضِ لَمَنْدُوحَةً عن

---

[٩٨٣] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٥٧ ومسلم ٢٣٧١ وأبو داود ٢٢١٢ وأحمد ٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ والترمذي ٣١٦٦ وابن حبان ٥٧٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات. ثنتين في ذات الله. قوله: إني سقيم. وقوله: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة. وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبّار. فأتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأُتي بها. فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها. فقبضت يده قبضة شديدة. فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضُرُّك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها مثل ذلك. ففعلت. فعاد. فقبضت أشدُّ من القبضتين الأوليين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي. فلك الله أن لا أضرك. ففعلت. وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان. ولم تأتني بإنسان. فأخرجها من أرضي. وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي. فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف. فقال لها: مهيم؟ قالت: خيراً. كفّ الله يد الفاجر. وأخدم خادماً. قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. لفظ مسلم. وأخرجه البخاري ٣٣٥٨ و ٥٠٨٤ والبيهقي ٧/ ٣٦٦ عن أبي هريرة موقوفاً.

[٩٨٤] أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» ١٠١١ وأبو الشيخ في «الأمثال» ٢٣٠ والحافظ في «الفتح» ١٠/ ٥٩٤ =

---

(١) سورة الصافات: ٨٩. (٢) سورة الزمر: ٣٠. (٣) سورة الكهف: ٧٤.
(٤) سورة ص: ٢١. (٥) سورة سبأ: ٢٤.
(٦) في «اللسان»: العِكم: العِدل ما دام فيه المتاع، وعَكَم المتاع: شدّه بثوب وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشدّه، ويسمّى حينئذٍ عِكماً.

الكذبِ»، وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: ما يَسرُّني أنَّ لي بما أعلمُ مِنْ معاريضِ القولِ مِثْلَ أهلي ومالي، وقال النَّخعيُّ، لهم كلامٌ يتكلَّمون به إذا خَشوا مِنْ شيءٍ يَدرؤونَ به عن أنفُسِهم. وقال ابنُ سِيرِينَ: الكلامُ أوسعُ مِنْ أنْ يكذبَ ظريفٌ.

[٩٨٥] وقد قال رسولُ الله ﷺ لعَجوزٍ: «إنَّ الجنَّةَ لا يدخُلها العَجائزُ»، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾[(١)].

[٩٨٦] ورُوي عنه ﷺ أنه كان يُمازح بلالاً، فيقول: «ما أُختُ خالِكَ منكَ»؟

[٩٨٧] وقال لامرأةٍ: «مَنْ زَوجُكِ»؟ فسَمَّتْهُ له، فقال: «الذي في عينيهِ بَياضٌ»؟

[٩٨٨] وقال لرجلٍ: «إنَّا حامِلُوكَ على وَلَدِ ناقةٍ».

[٩٨٩] وقال العباسُ: ما ترجو لأبي طالبٍ؟ فقال: «كلَّ خيرٍ أرجُوهُ مِنْ رَبِّي».

= وابن عدي في «الكامل» ٣/ ٩٦ والديلمي من حديث عمران بن حصين، وفيه داود بن الزبرقان قال عنه ابن عدي: هو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم، وقال في موضع آخر: لا أعلم أحداً رفعه غير داود اهـ وقال الذهبي في «المغني»: هو متروك. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٨٨٤ عن عمران موقوفاً، وعن عمر مثله، فالمرفوع وإن كان ضعيفاً إلا أنه يتقوى بالموقوف، والله أعلم، وانظر «المقاصد الحسنة» ٢٢٧. و «تفسير القرطبي» ٣٦٩٩.

[٩٨٥] ضعيف. بهذا اللفظ وذكر الآية. ورد من مرسل الحسن. وله ثلاث علل: الأولى: الإرسال، والثانية: المبارك بن فضالة غير قوي، والثالثة: مراسيل الحسن واهية لأنه كان يحدث عن كل أحد. أخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٤٠ والبغوي في «الأنوار» ٣٢٠ والبيهقي في «البعث» ٣٨٢ عن ابن فضالة عن الحسن.

ـ وله شاهد من حديث عائشة: أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥٥٤١ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٩١. من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن ابن طارق عن مسعدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة. واسم طارق عند الطبراني «أحمد» أما عند أبي نعيم «محمد». قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٩ وفيه مسعدة بن اليسع، وهو ضعيف. قلت: بل هو ضعيف جداً. قال الذهبي في «الميزان» ٤/ ٩٨: هالك، كذبه أبو داود، وقال أحمد: خرقنا حديثه منذ دهر.

وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/ ١٤٢ والبيهقي في «٣٧٩» وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» ١٨٦ من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة. وليث ضعيف. وذكر ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤/ ٤٦٢ هذه الطرق وقال: كلها ضعيفة. وله شاهد من حديث أنس. أخرجه ابن الجوزي في «الوفاء» كما في «تخريج الإحياء» ٣/ ١٢٩. قال العراقي: وأسنده ابن الجوزي من حديث أنس بسند ضعيف. الخلاصة: لا يصح هذا الحديث بهذا اللفظ مع ذكر الآية الكريمة على أنه مرفوع، والله أعلم.

[٩٨٦] لم أره مسنداً بعدُ، فلينظر.

[٩٨٧] ضعيف، عزاه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» ٣/ ١٢٩ للزبير بن بكر في كتاب «الفكاهة والمزاح» عن زيد بن أسلم به، وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[٩٨٨] صحيح، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٢٦٨ وأبو داود ٤٩٩٨ والترمذي ١٩٩٢ والبغوي في «الأنوار» ٣١٦ من حديث أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستحمله. فقال: «إنا حاملوك على ولد الناقة» قال: يا رسول الله! وما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق». وإسناده صحيح.

[٩٨٩] ضعيف. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٠٠ بسند حسن عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث به مرسلاً، =

---

(١) سورة الواقعة: ٣٥.

[٩٩٠] وكان أبو بكرٍ حين خرجَ مِنَ الغَارِ مع رسول الله ﷺ إذا سأله أحدٌ: مَنْ هذا بينَ يديكَ؟ يقول: هادٍ يَهدِيني.

[٩٩١] وكانت امرأةُ ابنِ رَواحةَ قد رَأَتْهُ مع جاريةٍ له، فقالت له: وعلى فِراشي أيضاً؟! فجحدَ، فقالت له: فاقرأ القرآنَ، فقال:

وفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إذا انشقَّ مشهورٌ مِنَ الصُّبحِ طالِعُ
يَبِيتُ يُجَافي جَنْبَه عن فِرَاشِهِ ... إذا استَثْقَلَتْ بالكافرينَ المَضاجِعُ

فقالت: آمنتُ بالله وكذَّبتُ بَصَري، فأتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَهُ، فضحكَ وأعجَبَهُ ما صنعَ.

وعَرضَ شُرَيحٌ ناقةً ليبيعَها فقال له المُشتَري: كيف لَبَنُها؟ قال: احلِبْ في أيِّ إناءٍ شِئتَ، قال: كيف الوِطَاءُ؟ قال: افرِشْ ونَمْ، قال: كيف نَجَاؤُها[1]؟ قال: إذا رأيتَها في الإبلِ عرفتَ مكانَها، عَلِّقْ سَوطَكَ وسِرْ، قال: كيف قُوَّتُها؟ قال: احمِلْ على الحائطِ ما شِئتَ؛ فاشتَراها فلم يَرَ شيئاً ممَّا وصفَ، فرجعَ إليه، فقال: لَمْ أرَ فيها شيئاً ممَّا وصفتَها به، قال: ما كَذَبْتُكَ، قال: أَقِلْني، قال: نعم. وخرجَ شُرَيحٌ مِنْ عند زيادٍ وهو مريضٌ، فقيلَ له: كيف وجدتَ الأميرَ؟ قال: تركتُه يأمُرُ ويَنهى، فقيلَ له: ما معنى يأمرُ وينهى؟ قال: يأمرُ بالوَصيَّةِ، وينهى عن النَّوح. وأخذ محمَّدُ بنُ يوسفَ حِجْراً المداريَّ فقال: اِلْعَنْ عَليّاً، فقال: إنَّ الأميرَ أمَرَني أَنْ أَلعَنَ عليّاً محمَّدَ بنَ يوسفَ، فالعَنُوه، لعنَهُ اللهُ. وأمرَ بعضُ الأمراء صَعصَعَةَ بنَ صُوحان بلَعْنِ عليٍّ، فقال: لَعنَ اللهُ مَنْ لَعنَ اللهُ ولَعَنَ عليٌّ، ثم قال: إنَّ هذا الأميرَ قد أَبَى إلاَّ أنْ أَلعَنَ عليّاً، فالعَنُوهُ، لعنَهُ اللهُ. وامتَحنتِ الخَوارجُ رجلاً مِنَ الشِّيعةِ، فجعل يقول: أنا مِنْ عليّ ومِنْ عثمانَ بريءٌ. وخَطَبَ رجلٌ امرأةً وتحتَهُ أخرى، فقالوا: لا نُزوِّجكَ حتى تُطلِّقَ امرأتَكَ! فقال: اشهَدُوا أنِّي قد طَلَّقتُ ثلاثاً، فزوَّجوهُ، فأقام مع المرأة الأولى، فادَّعوا أنه قد طَلَّقَ، فقال: أمَا تعلمونَ أنه كان تحتِي فُلانةُ فطلَّقتُها، ثم فلانة فطلَّقتها. ثم فُلانةُ فطلَّقتُها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طَلَّقتُ ثلاثاً[2]. وحُكي أنَّ رجلاً عَثَرَ به الطَّائفُ ليلةً، فقال له: مَنْ أنتَ؟ فقال:

= والمرسل من قسم الضعيف.

[٩٩٠] ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤٨٩ من طريق أبي معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به مرفوعاً، وهو طرف حديث. وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، واسمه نجيح السندي.

[٩٩١] لم أره مسنداً بهذا اللفظ.

---

(١) في «اللسان»: نَجَأ الشيء: أصابه بالعين. والنَّجأة: شدة النظر.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٠/ ٣٧٨: مسألة: ولو قيل له: ألك امرأة؟ فقال: لا. وأراد به الكذب، لم يلزمه شيء. ولو قال: قد طلقتها. وأراد به الكذب، لزمه الطلاق. وقد طَلَقَتْ. لأن لفظ الطلاق صريح، يقع به الطلاق من غير نية. وإن قال خليتها أو أبنتها افتقر إلى النية؛ لأنه كناية لا يقع به الطلاق من غير نية. وإن قيل له: أطلقت امرأتك؟ فقال: نعم. أو قيل له: امرأتك طالق؟ فقال: نعم. طَلَقَت امرأته، وإن لم ينو. وهذا الصحيح من مذهب الشافعي، واختيار المزني لأن نعم صريح الجواب. والجواب الصريح للفظ الصريح صريح. وإن قيل له: طلقت امرأتك؟ فقال: قد كان بعض ذلك. ثم قال: إنما أردت أني طلقتها في نكاح آخر. دِينَ فيما بينه وبين الله تعالى، فأما في الحكم، فإن لم يكن ذلك وُجِدَ منه، لم يُقبل، لأنه لا يحتمل ما قاله. وإن كان وجد، فعلى وجهين.

أنا ابنُ الذي لا يُنزِلُ الدَّهرَ قِدرَهُ ... وإنْ نزلَتْ يوماً فسوفَ تعودُ
ترى النَّاسَ أفواجاً إلى ضوءِ نارِه ... فمِنهُم قيامٌ حولَها وقُعودُ

فظنَّ الطَّائفُ أنه ابنُ بعض أشرافِ البَصرةِ، فلمَّا أصبحَ سأل عنه، فإذا هو ابنُ باقِلاَّني. ومثلُ هذا كثيرٌ.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: رَجعَ بعضُهم إلى بعضٍ. **والثاني**: رَجعَ كلٌّ منهم إلى نَفسِه مُتفكِّراً.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: حين عَبدْتُم مَن لا يتكلَّمُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: حين تتركون آلهتَكم وحدَها، وتذهبون، قاله وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ. **والثالث**: في عبادة هذه الأصاغرِ مع هذا الكبيرِ، رُوي عن وَهْبٍ أيضاً. **والرابع**: لإبراهيمَ حين اتَّهمتُموه والفأسُ في يَدِ كبيرِ الأصنام، قاله ابنُ إسحاقَ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: أنتم ظالمون لإبراهيمَ حين سألتُموه، وهذه أصنامُكم حاضِرةٌ، فاسألُوها، ذكره ابنُ جرير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيْوَةَ: «نُكِّسوا» برفعِ النون وكسرِ الكاف مشدَّدةً. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ يَعمَرَ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «نَكَسوا» بفتحِ النون والكاف مُخفَّفةً. قال أبو عُبيدَةَ: «نُكِسوا»: قُلِبوا، تقول: نَكَسْتُ فلاناً على رأسه؛ إذا قهرتَهُ وعَلَوتَهُ.

ثم في المراد بهذا الانقلابِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أدركتْهم حيرةٌ، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، قاله قتادة. **والثاني**: رَجعوا إلى أوَّلِ ما كانوا يعرفونَها به مِنْ أنها لا تَنطِقُ، قاله ابنُ قُتَيبة. **والثالث**: انقلَبوا على إبراهيمَ يحتجُّون عليه بعدَ أنْ أقَرُّوا به ولامُوا أنفُسَهم في تُهمَتِه، قاله أبو سُليمانَ.

وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمارُ «قالوا»، وفي هذا إقرارٌ منهم بعَجزِ ما يعبدونه عن النُّطقِ، فحِينئذٍ توجَّهتْ لإبراهيمَ الحُجَّةُ، فقال مُوبِّخاً لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يُعطيكُم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدُوه، وفي هذا حَثٌّ لهم على عبادةِ مَنْ يَملِكُ النَّفعَ والضُّرَّ، ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: النَّتَنُ لكم؛ فلمَّا لَزِمَتْهُمُ الحُجَّةُ غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. وذُكِرَ في التفسير أنَّ نُمرُودَ استَشارَهُم، بأيِّ عذابٍ أُعذِّبُه، فقال رجلٌ: حَرِّقوه، فخَسَفَ اللهُ به الأرضَ، فهو يتجلجَلُ فيها إلى يومِ القيامةِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/٤١: وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نكس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه، وتصيير أعلاه أسفله، ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رؤوسهم، وأنهم إنما نكست حجتهم، فأقيم الخبر عنهم، مقام الخبر عن حجتهم. فنكس الحجة لا شك، إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقِه، لأنّه يَعيبُها ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: ناصِريْها.

الإشارةُ إلى القصّة

ذَكرَ أهلُ التفسير أنهم حَبَسُوا إبراهيمَ عليه السلام في بيتٍ ثم بَنَوا له حَيْراً طُولُ جدارِه ستون ذِراعاً إلى سَفحِ جبلٍ مُنيفٍ، ونادى مُنادي المَلِكِ: أيُّها الناسُ احتطبوا لإبراهيمَ، ولا يَتخلّفنَّ عن ذلك صغيرٌ ولا كبيرٌ، فمَنْ تخلَّفَ أُلقِيَ في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعينَ ليلةً، حتى إنْ كانت المرأةُ لَتقولُ: إنْ ظَفِرتُ بكذا لأحتطِبنَّ لِنارِ إبراهيمَ، حتى إذا كادَ الحَطَبُ يُساوي رأسَ الجِدارِ سَدُّوا أبوابَ الحَيْرِ وقَذَفوا فيه النار، فارتفعَ لَهَباً، حتى إنْ الطائرُ لَيمرُّ بها فيَحترِقُ مِنْ شدَّةِ حَرِّها، ثم بَنَوا بُنياناً شامِخاً، وبَنَوا فوقه مِنجَنيقاً، ثم رفعوا إبراهيمَ على رأسِ البُنيان، فرفعَ إبراهيمُ رأسَهُ إلى السماء، فقال: اللهُمَّ أنتَ الواحدُ في السماء، وأنا الواحدُ في الأرض، ليس في الأرض أحدٌ يعبُدُكَ غيري، حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ؛ فقالت السماءُ والأرضُ والجبالُ والملائكةُ: رَبَّنا إبراهيمُ يُحرَقُ فيكَ، فائذَنْ لنا في نُصرَتِه؛ فقال: أنا أعلَمُ به، وإنْ دَعاكُم فأغيثُوهُ؛ فقَذَفُوهُ في النار وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنةً، وقيل: ستٍ وعشرين، فقال: «حَسبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ». فاستقبلَهُ جِبريلُ، فقال: يا إبراهيمُ ألكَ حاجةٌ؟ قال: أمّا إليكَ، فلا، قال جِبريلُ: فسَلْ ربَّكَ، فقال: «حَسْبِي مِنْ سُؤالي عِلْمُهُ بحَالِي»[1]، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، فلم تَبْقَ نارٌ على وَجْهِ الأرض يَومئذٍ إلاّ طُفِئَتْ وظنَّتْ أنها عُنِيَتْ. وزعم السُّدِّيُّ أن جبريل هو الذي ناداها. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها، قال السدي: فأخذت الملائكةُ بضَبْعَي[2] إبراهيمَ فأجلَسُوه على الأرضِ، فإذا عَيْنٌ مِنْ ماءٍ عَذْبٍ، ووَردٌ أحمرُ، ونَرجِسٌ، قال كَعبٌ ووَهْبٌ: فما أحرَقَتِ النارُ مِنْ إبراهيمَ إلاّ وَثاقَهُ، وأقام في ذلك الموضع سبعةَ أيام، وقال غيرُهما: أربعينَ أو خمسينَ يوماً، فنزل جِبريلُ بقميصٍ مِنَ الجنة وطَنفِسَةٍ[3] مِنَ الجنة، فألبسَهُ القميصَ، وأجلَسَهُ على الطَّنفِسَةِ وقعدَ معه يُحدِّثُه. وإنَّ آزَرَ أتى نُمرُودَ فقال: ائذَنْ لي أنْ أُخرِجَ عظامَ إبراهيمَ فأدفِنَها، فانطلق نُمرُودُ ومعه الناسُ، فأمرَ بالحائطِ فنُقِبَ، فإذا إبراهيمُ في رَوضةٍ يهتَزُّ وثيابُه تَندَى، وعليه القميصُ وتحته الطَّنفِسَةُ والمَلَكُ إلى جنبه، فناداه نُمرُودُ: يا إبراهيمُ إنَّ إلهكَ الذي بَلَغتْ قُدرَتُه هذا لَكبيرٌ، هل تستطيعُ أنْ تخرجَ؟ قال: نعم، فقام إبراهيمُ يمشي حتى خرجَ، فقال: مَنِ الذي رأيتُ معكَ؟ قال: مَلَكٌ أرسلَهُ إليَّ ربِّي لِيُؤنِسَني، فقال نُمرودُ: إني مُقَرِّبٌ لإلهكَ قُرباناً لِما رأيتُ مِن

(١) هذا من الإسرائيليات، وهو معارض بكتاب الله فإن الله أمر عباده أن يسألوه في السراء والضراء.
(٢) في «اللسان»: الضَّبع: وسط العَضد بلحمه يكون للإنسان وغيره.
(٣) في «اللسان» الطُّنفسة: النُّمرقة فوق الرجل، وقيل: البساط الذي له خمل رقيق.

قُدرته، فقال: إذَنْ لا يقبلُ اللهُ منكَ ما كنتَ على دِيْنِكَ، فقال: يا إبراهيمُ، لا أستطيعُ تَرْكَ مُلْكِي، ولكن سوفَ أذبَحُ له، فذبَح القُربانَ وكَفَّ عن إبراهيمَ.

قال المُفسِّرون: ومعنى: «كُوني بَرْداً» أي: ذاتَ بَرْدٍ، «وسلاماً» أي: سلامةً. ﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾ وهو التَّحريقُ بالنار ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أنَّ الله تعالى سَلَّطَ البَعوضَ عليهم حتى أكلَ لُحومَهُم وشَرِبَ دِماءَهُم، ودخلت واحدةٌ في دِماغِ نُمرودَ حتى أهلَكَتْهُ، والمعنى: أنهم كادُوه بسوءٍ. فانقلبَ السُّوءُ عليهم. قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ أي: مِنْ نُمرودَ وكَيدِه ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابنُ أخي إبراهيمَ، وهو لُوطُ بنُ هارانَ بنِ تارخَ، وكان قد آمَنَ به، فهاجَرا مِنْ أرضِ العراقِ إلى الشَّام. وكانت سارَةُ مع إبراهيمَ في قولِ وَهْبٍ. وقال السُّدِّيُّ: إنما هي ابنةُ مَلِكِ حَرَّانَ، لَقِيَها إبراهيمُ فتزَوَّجَها على أن لا يُغَيِّرَها، وكانت قد طَعَنَتْ على قومها في دِيْنِهم.

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان: **أحدهما**: أنها أرضُ الشَّام، وهذا قولُ الأكثرين. وبَركَتُها: أنَّ اللهَ تعالى بَعثَ أكثرَ الأنبياء منها، وأكثرَ فيها الخِصْبَ والثِّمارَ والأنهارَ. **والثاني**: أنها مكَّةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. والأول أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ يعني: إبراهيمَ ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾. وفي معنى النَّافِلة قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى الزِّيادة، والمراد بها: يعقوبُ خاصَّةً، فكأنه سألَ واحداً، فأُعطِيَ اثنين، وهذا مذهبُ ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، وابنِ زيدٍ، والفرَّاءِ. **والثاني**: أنَّ النَّافِلةَ بمعنى العَطِيَّةِ، والمراد بها: إسحاقُ ويعقوبُ، وهذا مذهبُ مُجاهِدٍ، وعَطاءٍ. قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ يعني: إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. قال أبو عُبيدَةَ: «كُلٌّ» يقعُ خَبرُه على لفظِ الواحدِ، لأنَّ لفظَهُ لفظُ الواحدِ، ويقع خَبرُهُ على لفظِ الجميع، لأنَّ معناه معنى الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: رُؤوساً يُقتَدَى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يَدْعونَ النَّاسَ إلى دِيْنِنا بأمرِنا إيَّاهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: شرائع النبوَّة. وقال مُقاتِلٌ: الأعمال الصالحة، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: حَذْفُ الهاءِ مِنْ إقامة الصلاة قليلٌ في اللغة، تقول: أقامَ إقامةً، والحَذفُ جائزٌ، لأنَّ الإضافةَ عِوَضٌ مِنَ الهاءِ.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: انتصبَ «لوط» بفعلٍ مُضمَرٍ، لأنَّ قبلَه فِعلاً، فالمعنى: وأوحينا إليهم وآتينا لُوطاً. وذكر بعضُ النَّحويين أنه منصوبٌ على «واذكر لوطاً»، وهذا جائزٌ لأنَّ ذِكْرَ إبراهيمَ قد جرى، فحُمِلَ لُوطُ على معنى: واذكُرْ. قال المُفسِّرون: لمَّا هاجرَ لُوطُ مع إبراهيمَ، نزل إبراهيمُ أرضَ فلسطين ونزلَ لُوطُ بالمُؤتَفِكَةِ على مَسيرَةِ يوم وليلةٍ أو نحو ذلك مِن إبراهيمَ، فبعثَهُ اللهُ نبياً. فأمَّا «الحُكم» ففيه قولان: **أحدهما**: أنه النبوَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الفَهْمُ والعَقلُ، قاله مُقاتِلٌ، وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سُورةِ يُوسفَ[1]. وأمَّا «القرية» هاهنا، فهي سَدُومُ، والمراد أهلُها،

---

(١) سورة يوسف: ٢٢.

والخَبائِثُ: أفعالُهم المُنكَرَةُ، فمنها إتيانُ الذُّكُورِ، وقَطْعُ السبيل، إلى غيرِ ذلك ممَّا قد ذكره اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم في مَواضِعَ[1]. قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: بإنجائه مِنْ بينهم.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: واذكرْ نُوحاً، وكذلك ما يأتيكَ مِنْ ذِكْرِ الأنبياء ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دَعَا على قومِه ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قبلِ إبراهيمَ ولُوطٍ. فأمَّا الكَرْبُ العظيمُ! فقال ابنُ عباسٍ: هو الغَرقُ وتكذيبُ قومِه. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: مَنعناهُ منهم أنْ يَصِلُوا إليه بِسُوءٍ، وقيل: «من» بمعنى «على».

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه كان عِنَباً، قاله ابنُ مسعودٍ، ومَسروقٌ، وشُرَيحٌ. **والثاني**: كان زَرْعاً، قاله قَتادةُ. ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: رَعَتْ ليلاً، يُقال: نَفَشَت الغَنمُ بالليل، وهي إبلٌ نَفَشٌ ونُفَّاشٌ ونفاشٌ، والواحد: نَافِشٌ، وسَرَحَتْ وسَرَبَتْ بالنهار. قال قَتادةُ: النَّفَشُ بالليل، والهَمَلُ بالنهار. وقال ابنُ السِّكِّيتِ: النَّفْشُ: أنْ تنتشِرَ الغنمُ بالليل تَرعى بلا رَاعٍ.

الإشارةُ إلى القصَّة

ذكرَ أهلُ التَّفسير أنَّ رَجُلين كانا على عَهْدِ دَاودَ عليه السلام، أحدُهما صاحبُ حَرْثٍ، والآخرُ صاحبُ غَنَم، فتفلَّتَتِ الغَنَمُ فوقعت في الحَرْثِ فلم تُبْقِ منه شيئاً، فاختَصَما إلى داودَ، فقال لصاحبِ الحَرْثِ: لكَ رِقابُ الغَنَم، فقال سُليمانُ: أَوَ غيرَ ذلك؟ قال: ما هوَ؟ قال: ينطَلِقُ أصحابُ الحَرْثِ بالغَنَمِ فَيُصيبونَ مِنْ ألبانِهَا ومَنافِعِها، ويُقبِلُ أصحابُ الغَنَم على الكَرْم، حتى إذا كان كَلَيْلَةِ نَفشَتْ فيه الغَنَمُ، دَفعَ هؤلاءِ إلى هؤلاءِ غَنمَهم، ودَفعَ هؤلاءِ إلى هؤلاءِ كَرْمَهُم، فقال داودُ: قد أَصَبْتَ القضاءَ، ثم حَكَمَ بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ وفي المُشَارِ إليهم قولان: **أحدهما**: داودُ وسُليمانُ، فذكرهما بلفظِ الجمع، لأنَّ الاثنين جَمْعٌ، هذا قولُ الفَرَّاءِ. **والثاني**: أنهم داودُ وسُليمانُ والخُصومُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وكنا لِحُكمهما» على التثنية. ومعنى «شاهِدين»: أنه لم يَغِبْ عنَّا مِنْ أمرِهم شيءٌ. ﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ﴾ يعني: القضيَّةَ والحُكومةَ.

---

(١) في سورة هود: ٧٨، والحجر: ٦٩.

وإنما كَنَّى عنها، لأنه قد سَبَقَ ما يدلُّ عليها مِنْ ذِكْرِ الحُكْم، ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانُه. قال الحَسَنُ: لولا هذه الآيةِ لَرَأيتُ أنَّ القُضاةَ قد هَلَكُوا، ولكنه أَثْنَى على سُليمانَ لصَوابِه، وعَذَرَ داودَ باجتهادِه.

فصل: قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: كان قضاءُ داودَ وسُليمانَ جميعاً مِنْ طريق الاجتهادِ، ولم يكُنْ نَصّاً، إذ لو كان نَصّاً ما اختَلَفا. قال القاضي أبو يَعلَى: وقد اختلف الناسُ في الغَنَم إذا نَفَشَتْ ليلاً في زَرع رجلٍ فأفسَدَتْهُ، فمذهبُ أصحابنا أنَّ عليه الضَمانَ(١)، وهو قولُ الشَّافعيِّ، وقال أبو حَنيفةَ وأَصحابُه: لا ضمانَ عليه ليلاً ونهاراً، إلاَّ أنْ يكونَ صاحبُها هو الذي أرسَلَها، فظاهرُ الآية يدلُّ على قولِ أصحابنا، لأنَّ داودَ حَكَمَ بالضَّمانِ، وشرعُ مَنْ قَبْلَنا شَرْعٌ لنا ما لم يَثْبُتْ نَسْخُه. فإنْ قيلَ: فقد ثَبَتَ نَسْخُ هذا الحُكم، لأنَّ داودَ حكَمَ بدَفعِ الغَنَم إلى صاحبِ الحَرْثِ، وحَكَمَ سليمانُ له بأولادِها وأصوافِها، ولا خَلافَ أنه لا يجبُ على مَنْ نَفَشَتْ غَنمُهُ في حَرْثِ رجلٍ شيءٌ مِنْ ذلك؛ قيل: الآية تضَمَّنَتْ أحكاماً، منها وجوبُ الضَّمانِ وكيفيَّتُه، فالنَّسخُ حصلَ على كيفيَّته، ولم يحصلْ على أصلِه، فوَجَبَ التَّعلُّقُ به.

[٩٩٢] وقد روى حَرَامُ بنُ مُحَيِّصةَ عن أبيه: أنَّ ناقةً للبَراءِ دخلت حائِطَ رجلٍ فأفسَدَتْ، فقَضى رسولُ الله ﷺ على أهلِ الأموال حِفظَها بالنهار، وعلى أهل المَواشي حِفظَها بالليل.

---

[٩٩٢] صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٦ وابن أبي شيبة ٩/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ وابن الجارود ٧٩٦ والبيهقي ٨/ ٣٤٢ من طريق ابن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب وحرام بن محيصة به. وأخرجه مالك ٢/ ٧٤٧ والشافعي ٢/ ١٠٧ والطحاوي ٣/ ٢٠٣ والدارقطني ٣/ ١٥٦ وابن ماجه ٢٣٣٢ كلهم عن الزهري عن حرام بن سعد بن محيصة به. وهو مرسل صحيح. وأخرجه الشافعي ٢/ ١٠٧ وأحمد ٤/ ٢٩٥ وأبو داود ٣٥٧٠ والطحاوي ٣/ ٢٠٣ والحاكم ٢/ ٤٧ والدارقطني ٣/ ١٥٥ والبيهقي ٨/ ٣٤١ من طرق عن الأوزاعي عن الزهري عن حرام بن محيصة عن البراء، وفيه إرسال لكن يشهد لمرسل ابن المسيب المتقدم، ويرقى به إلى درجة الحسن. وورد موصولاً، أخرجه عبد الرزاق ١٨٤٣٧ وأحمد ٥/ ٤٣٦ وأبو داود ٣٥٦٩ والدارقطني ٣/ ١٥٤ والبيهقي ٨/ ٣٤٢ كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حرام بن محيصة عن أبيه به. ورجاله ثقات، لكن أعله ابن عبد البر كما نقل ابن التركماني في «الجوهر النقي» ٨/ ٣٤٢ بأنه أُنكر على عبد الرزاق ذكره ـ عن أبيه ـ ونقل ابن عبد البر عن أبي داود قوله: لم يتابع عبد الرزاق على قوله: عن أبيه. والصحيح أنه توبع، فقد أخرجه الدارقطني ٣/ ١٥٥ من طريق الشافعي عن أيوب بن سويد عن الأوزاعي عن الزهري عن حرام عن أبيه.

الخلاصة: ورد موصولاً ومرسلاً، ومرسل ابن المسيب وحده يحتج به الأئمة الأربعة. كيف وقد توبع، تابعه حرام بن محيصة، وورد أيضاً موصولاً، فهو صحيح إن شاء الله تعالى، وقد صححه ابن العربي.

ـ وانظر ما ذكره الشيخ شعيب في «الإحسان» ١٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٧. وانظر «أحكام القرآن» ١٤٩٧ بتخريجنا.

---

(١) جاء في «المغني» مسألة: «وما أفسدت البهائم بالليل من الزرع فهو مضمون على أهلها، وما أفسدت من ذلك نهاراً، لم يضمنوه». قال العلامة الموفق في شرحه: يعني إذا لم تكن يد أحد عليها، فإن كان صاحبها معها أو غيره فعليه ضمان ما أتلفته من نفس أو مال، وإن لم تكن يد أحد عليها، فعلى مالكها ضمان ما أفسدته من الزرع ليلاً دون النهار. وهذا قول مالك والشافعي وأكثر فقهاء الحجاز، وقال الليث يضمن مالكها ما أفسدته ليلاً أو نهاراً بأقل الأمرين من قيمتها أو قدر ما أتلفته. وقال أبو حنيفة لا ضمان عليه بحال اهـ ملخصاً.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسَخَّرنا الجبالَ يُسبِّحن مع داودَ. قال أبو هُريرَة: كان إذا سَبَّح أجابَتْهُ الجبالُ والطَّيرُ بالتَّسبيح والذِّكْر، وقال غيرُه: كان إذا وَجدَ فترةً، أمَرَ الجبالَ فسبَّحتْ حتى يشتاقَ هو فيُسبِّحَ. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: لذلك. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وكُنَّا نَقدِرُ على ما نُريده.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ في المُراد باللَّبُوس قولان: **أحدهما**: الدُّروعُ، وكانت قبل ذلك صَفائِحَ، وكان داودُ أوَّلَ مَنْ صَنَع هذه الحَلَقَ وسَرَدَ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنَّ اللَّبُوسَ: السلاحُ كلُّه مِنْ دِرعٍ إلى رُمحٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفع: «لُبوس» بضم اللام. قوله تعالى: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لِيُحْصِنَكُمْ» بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «لِتُحْصِنَكُمْ» بالتاء. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «لِنُحْصِنَكُمْ» بالنون خفيفَةً. وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وأبو حَيْوَةَ: «لِتُحَصِّنَكُمْ» بتاءٍ مرفوعةٍ وفتح الحاء وتشديدِ الصاد. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجَوزاءِ، وحُمَيدُ بنُ قيسٍ: «لِتَحَصِّنَكُمْ» بتاءٍ مفتوحةٍ مع فتح الحاء وتشديدِ الصاد مع ضمِّها. وقرأ أبو رَزينٍ العُقَيلي، وأبو المُتوكِّلِ، ومُجاهِدٌ: «لِنُحَصِّنَكُمْ» بنونٍ مرفوعةٍ وفتح الحاء وكسرِ الصاد مع تشديدِها. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وعِكرمَةُ، وابنُ يَعمُرَ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «لِيُحْصِنَّكُمْ» بياءٍ مرفوعةٍ وسكونِ الحاء وكسرِ الصاد مُشدَّدةَ النون. فمَنْ قرأ بالياء، ففيه أربعةُ أوجهٍ: قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أن يكون الفاعل اسم الله، لتقدم معناه ويجوز أنْ يكونَ اللباسَ، لأنَّ اللبوسَ بمعنى اللِّباسِ مِنْ حيثُ كان ضَرْباً منه، ويجوز أن يكونَ داودَ، ويجوز أنْ يكون التَّعليمَ، وقد دَلَّ عليه «علَّمناه». ومَنْ قرأ بالتاء، حَمَلَهُ على المعنى، لأنه الدِّرعُ. ومَنْ قرأ بالنون، فَلِتَقَدُّمِ قوله: «وعلَّمناه». ومعنى ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾: لِتُحرِزَكُم وتَمنَعكم (مِنْ بأسكم) يعني: الحَرْبَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِي، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وأبو حَيْوَةَ الحَضْرَميُّ: «الرِّياحُ» بألِفٍ مع رفع الحاء. وقرأ الحسَنُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزَاءِ: بالألِفِ ونصبِ الحاء، والمعنى: وسَخَّرنا لسُليمانَ الرِّيحَ ﴿عَاصِفَةً﴾ أي: شديدةَ الهُبوبِ ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ يعني: بأمرِ سُليمانَ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرضُ الشَّام، وقد مَرَّ بيانُ بَرَكَتِها في هذه السُّورةِ[1] والمعنى: أنها كانت تَسيرُ به إلى حيثُ شاءَ، ثم تعودُ به إلى مَنْزِلِه بالشَّام.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ عَلِمْنَا أنَّ ما نُعطي سُليمانَ يَدعُوه إلى الخُضوعِ لِربِّه. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «مَنْ» تقعُ على الواحدِ والاثنين والجميع مِنَ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ. قال المُفسِّرون: كانوا يَغوصُونَ في البحر، فيستخرجُونَ الجَواهِرَ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: سِوى ذلك: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ أنْ يُفسِدُوا ما عَمِلُوا. وقال غيرُه: أنْ يَخرُجوا عن أمرِهِ.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٢.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ أي: دعا ربه ﴿أَنِّى﴾ وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «إني» بكسرِ الهمزة، ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ وقرأ حمزةُ: «مَسَّنِي» بتسكين الياء، أي: أصابَني الجَهْدُ، ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي: أكثرُهم رَحمةً، وهذا تعرِيضٌ منه بسؤال الرَّحمة إذ أثنى عليه بأنه الأرحَمُ وسَكَتَ.

الإشارةُ إلى قصَّته

ذَكرَ أهلُ التَّفسير(١) أنَّ أيوبَ عليه السلام كان أغنى أهلِ زمانِه، وكان كثيرَ الإحسَانِ. فقال إبليسُ: يا ربِّ سلِّطْنِي على ماله ووَلَدِه ـ وكان له ثلاثةَ عشرَ ولداً ـ فإنْ فعلتَ رأيته كيف يُطَيعُني ويَعصيك، فقيلَ له: قد سلَّطْتُكَ على ماله ووَلَدِه، فرجعَ إبليسُ فجمعَ شياطينَهُ ومَرَدَتَهُ، فبعثَ بعضَهم إلى دَوابِّه ورُعاتِه، فاحتَملُوها حتى قَذَفُوها في البحر، وجاء إبليسُ في صورة قَيِّمِه، فقال: يا أيوبُ ألا أراكَ تُصَلِّي وقد أقبَلَتْ ريحٌ عاصِفٌ فاحتَمَلَت دَوابَّكَ ورُعاتَها حتى قَذفَتْها في البحر؟ فلم يَرُدَّ عليه شيئاً حتى فرغَ مِنْ صلاتِه، ثم قال: الحمدُ لله الذي رَزقَني ثم قَبِلَهُ مِنِّي، فانصرفَ خائباً، ثم أرسلَ بعضَ الشياطين إلى جِنَانِه وزُروعِه، فأحرَقُوها، وجاء فأخبرَهُ، فقال مثلَ ذلك، فأرسلَ بعضَ الشياطين فَزَلْزَلُوا منازلَ أيوبَ وفيها وَلَدُه وخَدمُه، فأهلَكُوهُم، وجاء فأخبرَهُ، فحَمِدَ اللّهَ، وقال لإبليسَ وهو يظنُّه قَيِّمَهُ في ماله: لو كان فيكَ خيرٌ لَقبَضَكَ معهم، فانصرفَ خائباً، فقيل له: كيف رأيتَ عبدي أيوبَ؟ قال: يا ربِّ سَلِّطْنِي على جسدِه فسوفَ ترى، قيلَ له قد سَلَّطْتُكَ على جسده فجاء فَنَفَخَ في إبهامِ قدَمَيْهِ، فاشتعلَ فيه مثلُ النارِ، ولم يكن في زمانِه أكثرُ بكاءً منه خَوفاً مِنَ الله تعالى، فلمَّا نزلَ به البَلاءُ لم يَبْكِ مخافةَ الجَزَعِ، وبقيَ لِسانُه للذِّكرِ، وقلبُه للمعرفَةِ والشُّكرِ، وكان يرى أمعاءَهُ وعُروقَهُ وعظامَهُ، وكان مَرضُه أنه خرجَ في جميعِ جسدِه ثآليل كأليات الغنم ووقعت به حكَّةٌ لا يملِكُها، فحَكَّ بأظفارِه حتى سقطَتْ، ثم بالمُسُوحِ، ثم بالحجارة، فأنتَنَ جِسمُه وتقطَّعَ، وأخرجَهُ أهلُ القرية فجعلوا له عَريشاً على كُناسَةٍ، ورفضَهُ الخَلْقُ سوى زوجَتِه، واسمُها رَحمَةُ بنتُ إفرَاييمَ بنِ يوسفَ بنِ يعقوبَ، فكانت تختلفُ إليه بما يُصلِحُه. وروى أبو بكرٍ القُرشيُّ عن الليْثِ بنِ سَعدٍ، قال: كان مَلِكٌ يظلم النَاسَ، فكلَّمه في ذلك جماعةٌ مِنَ الأنبياء، وسكَتَ عنه أيُوبَ لأجل خَيْلٍ كانت له في سُلطانه، فأوحَى اللّهُ إليه: تركتَ كلامَهُ مِنْ أجل خَيْلِكَ؟! لأُطِيلَنَّ بلاءكَ. واختلفوا في مُدَّةِ لُبثِه في البَلاءِ على أربعةِ أقوالٍ:

[٩٩٣] أحدها: ثماني عشرةَ سنةً، رواه أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ.

---

[٩٩٣] غريب. أخرجه البزار ٢٣٥٧ «كشف» وأبو يعلى ٣٦١٧ وابن حبان ٢٨٩٨ والحاكم ٢/ ٥٨١ والطبراني «الطوال» ٤٠ وأبو نعيم ٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ من حديث أنس، ورجاله رجال البخاري ومسلم، وقال الحاكم على شرطهما!، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي ١٣٨٠٠: رجال البزار رجال الصحيح اهـ. وقال أبو نعيم: غريب من حديث الزهري لم يروه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم. ومع ذلك استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ =

---

(١) هذا الخبر بطوله، من أساطير الإسرائيليين وترّهاتهم وافتراءاتهم، وكل ذلك باطل، وليعلم أن علماء العقيدة قد نصوا على أن الأنبياء لا يمرضون أمراضاً منفرة تحطّ من قدرهم، فهذه أخبار لو لم يذكرها المفسرون لكان أولى، فتنبه والله أعلم.

والثاني: سبعَ سنين، قاله ابنُ عباسٍ، وكَعبٌ، ويَحيى بنُ أبي كَثيرٍ. **والثالث**: سبعَ سنين وأشهرٍ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: ثلاثَ سنين، قاله وَهْبٌ.

وفي سبب سؤاله العافية ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اشتهى إدَاماً، فلم تُصِبْهُ امرأتُه حتى باعَتْ قُروناً مِنْ شَعرِها، فلما علم ذلك قال: «مسَّني الضُّر»، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الله تعالى أنسَاهُ الدعاءَ مع كثرة ذِكْرِهِ الله، فلمَّا انتهى أجلُ البلاءِ، يَسَّرَ الله له الدعاءَ، فاستجابَ له، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ نَفَراً مِنْ بَني إسرائيلَ مرُّوا به، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما أصابَه هذا إلاَّ بذَنْبٍ عظيم، فعند ذلك قال: «مسَّني الضُّر»، قاله نَوفٌ البِكَاليُّ. فقال عبدُ الله بْنُ عُبيدِ بنِ عُمَيرٍ: كان له أَخوانٌ، فأتياه يوماً فوَجَدا رِيحاً[1]، فقالا: لو كان اللَّهُ عَلِمَ منه خيراً ما بلغَ به كلَّ هذا، فما سمع شيئاً أشدَّ عليه مِنْ ذلك، فقال: اللهُمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنّي لم أبِتْ ليلةً شبعانَ وأنا أعلَمُ مكانَ جائعٍ فصَدِّقني، فصُدِّقَ وهما يسمعانِ، ثم قال: اللهُمَّ إنْ كنتَ تعلَمُ أنّي لم أَلْبَسْ قميصاً وأنا أعلَمُ مكانَ عَارٍ فصَدِّقني، فصُدِّقَ وهما يسمعانِ، فخَرَّ ساجداً، ثم قال: اللهُمَّ لا أرفعُ رأسي حتى تكشِفَ ما بي، فكشفَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ما به. **والرابع**: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجته بسَخْلَةٍ، فقال: لِيَذْبَحْ أيوبُ هذه لي وقد بَرَأ، فجاءت فأخبَرتْهُ، فقال: لَئِنْ شَفَاني اللَّهُ لأجلِدَنَّكِ مائةَ جَلْدةٍ، أَمَرْتِني أنْ أذبحَ لغيرِ الله؟! ثم طَرَدَها عنه، فذهبتْ، فلمَّا رأى أنه لا طعامَ له ولا شرابَ ولا صَديقَ، خرَّ ساجداً وقال: «مسَّني الضُّر»، قاله الحسَنُ. **والخامس**: أنَّ اللَّهَ تعالى أوحى إليه وهو في عُنفُوانِ شبابه: إنِّي مُبتَلِيكَ، قال: يا ربِّ، وأينَ يكونُ قلبي؟ قال: عندي، فصَبَّ عليه مِنَ البلاءِ ما سمعتُم، حتى إذا بلغَ البلاءُ مُنتَهاهُ، أوحى إليه أني مُعافِيكَ، قال: يا ربِّ، وأينَ يكون قلبي؟ قال: عندكَ، قال: «مسَّني الضُّر»، قاله إبراهيمُ بنُ شَيبانَ القرميسي فيما حدَّثنا به عنه. **والسادس**: أنَّ الوَحيَ انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هُجرَانَ ربِّه، فقال: «مسَّني الضُّر»، ذكره المَاوَرديِ.

فإنْ قيلَ: أينَ الصبرُ، وهذا لفظُ الشَّكوى؟ فالجواب: أنَّ الشكوى إلى الله لا تُنافي الصبرَ، وإنما المَذمُومُ الشَّكوى إلى الخَلْقِ، أَلَمْ تسمعْ قولَ يعقوبَ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]. قال سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ: وكذلك مَنْ شكا إلى الناس، وهو في شَكوَاهُ رَاضٍ بقضاء الله، لم يكُن ذلك جَزَعاً، أَلَمْ تسمعْ قولَ رسولِ الله ﷺ لجبريلَ في مرضه:

[٩٩٤] «أَجِدُني مَغمُوماً» و «أَجِدُني مَكرُوباً».

= ٢٣٩. وانظر «البداية والنهاية» ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ و «الإحسان» ٢٨٩٨. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٦ بتخريجنا، والراجح وقفه، والله أعلم.

[٩٩٤] ضعيف. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ من طريقين عن جعفر بن محمد عن أبيه، وفي إسناد ابن سعد من لم يسمّ، وهو مرسل. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٧/ ٢١٠ ـ ٢١١ من طريق الحسن بن علي عن محمد بن علي مرسلاً. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٨٩٠ من طريق علي بن الحسن عن أبيه. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٩/ ٣٤ ح ١٤٢٦١ وقال: وفيه عبد الله بن =

---

(١) هذا مفترى، قبح الله من وضعه، وهو من افتراءات اليهود.

(٢) سورة يوسف: ٨٦.

[٩٩٥] وقوله: «بَلْ أنا وَا رَأْسَاه».

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ يعني: أولادَهُ ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ الله تعالى أحيَا له أهلَهُ بأعيَانِهم، وآتاهُ مِثلَهم معهم في الدنيا، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ. وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: كانت امرأتُه ولَدَتْ له سبعةَ بنينَ وسبعَ بناتٍ، فنُشِرُوا له، وولَدَتْ له امرأتُه سبعةَ بنِينَ وسبعَ بناتٍ. **والثاني:** أنهم كانوا قد غُيِّبوا عنه ولم يَموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومِثلَهُم معهم في الآخرة، رواه هشامٌ عن الحسَنِ. **والثالث:** آتاه اللَّهُ أجورَ أهله في الآخرة، وآتاه مِثلَهم في الدنيا، قاله نَوْفٌ، ومُجاهِدٌ. **والرابع:** آتاه أهلَهُ ومِثلَهُم معهم في الآخرة، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي عِظَةً ﴿لِلْعَٰبِدِينَ﴾ قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ: مَنْ أصابه بَلاءٌ فليذكُرْ ما أصاب أيُوبَ، فليَقُلْ: إنه قد أصابَ مَنْ هو خيرٌ مني.

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختلفوا هل كان نبيًا، أَمْ لا؟ على قولَين[١]: **أحدهما:** أنه لم يكن نبيًا، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعَرِيُّ، ومُجاهِدٌ. ثم اختلف أربابُ هذا القول في عِلَّة تسمِيَتِه بذي الكِفلِ على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها:** أنَّ رجلاً كان يُصلِّي كلَّ يوم مائةَ صلاةٍ فتوفِّيَ، فكَفِلَ بصَلاتِه، فسُمِّي: ذا الكِفلِ، قاله أبو موسى الأشعَرِيُّ. **والثاني:** أنه تكَفَّلَ للنبيِّ بقومِه أنْ يكفِيَهُ أمرَهُم ويُقيمَهُ ويقضيَ بينهم بالعَدْلِ ففعلَ، فسُمِّي: ذا الكِفلِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث:** أنَّ مَلِكاً قَتَلَ في يوم ثلاثمائةِ نبي، وفرَّ منه مائةُ نبيٍّ، فكفلهم ذو الكفل يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمي ذا الكفل، قاله ابنُ السَّائبِ. **والقول الثاني:** أنه كان نبيًا، قاله الحسَنُ، وعطاءٌ. قال عطاءٌ: أوحى اللَّهُ تعالى إلى نبيٍّ مِنَ الأنبياء: إني أريدُ قَبْضَ رُوحِكَ، فاعرِضْ مُلكَكَ على بَني إسرائيلَ، فمَنْ تكَفَّلَ لكَ بأنه يُصلِّي الليلَ

ميمون القداح، وهو ذاهب الحديث.

[٩٩٥] صحيح. أخرجه البخاري ٥٦٦٦ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ١٦٨ من حديث عائشة. وأخرجه ابن ماجة ١٤٦٥ وأحمد ٦/ ٢٢٨ وعبد الرزاق ٩٧٥٤ وابن حبان ٦٥٨٦ والبيهقي ٣/ ٣٩٦ وفي «الدلائل» ٧/ ١٦٨ من وجه آخر من حديث عائشة أيضاً. وقال البوصيري في «الزوائد» إسناده رجال ثقات.

وتمامه في البخاري: قال القاسم بن محمد: قالت عائشة وارأساه فقال رسول الله ﷺ: «ذاكِ لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثكلياه والله إني لأظنك تحبُّ موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرِّساً ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ: «أنا وارأساه لقد هممت ـ أو أردت ـ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون، أو يتمنّى المتمنّون، ثم قلت: يأبى الله ويدفعُ المؤمنون ـ أو يدفعُ الله ويأبى المؤمنون ـ».

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٧٤: وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه به بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضباً لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضباً لهم، وقد أمره الله تعالى بالمُقام بين أظهرهم، ليبلغهم رسالته، ويحذّرهم بأسه وعقوبته، على تركهم الإيمان به، والعمل بطاعته لا شك أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لنبيه ﷺ **﴿ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾**.

لا يَفتُرُ، ويصومُ النهارَ لا يُفطِرُ، ويقضي بين الناس ولا يَغضَبُ، فادفَعْ مُلكَكَ إليه، ففعلَ ذلك، فقام شابٌّ فقال: أنا أتكفَّلُ لكَ بهذا، فتكفَّلَ به، فوَفى، فشكرَ اللّهُ له ذلك، ونبَّأه، وسُمِّي: ذا الكِفْلِ.

[٩٩٦] وقد ذكرَ الثَّعلبيُّ حديثَ ابنِ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ في الكِفْلِ: «أنه كان رجلاً لا يَنزِعُ عن ذَنْبٍ، وأنه خَلاَ بامرأةٍ ليَفجُرَ بها، فبكتْ، وقالت: ما فعلتُ هذا قطُّ، فقامَ عنها تائباً، وماتَ مِنْ ليلَتِه، فأصبحَ مكتوباً على بابه: قد غفرَ اللّهُ للكِفْلِ»؛ والحديثُ معروفٌ، وقد ذكرتُه في «الحدائق»، فجعله الثَّعلبيُّ أحدَ الوجوه في بيان ذي الكِفْلِ، وهذا غلطٌ، لأنَّ ذلك اسمه الكِفْلُ، والمذكورُ في القرآن: ذو الكِفْلِ، ولأنَّ الكِفْلَ مات في ليلَتِه التي تابَ فيها، فلم يَمْضِ عليه زمانٌ طويلٌ يُعالج فيه الصبرَ عن الخطايا، وإذا قلنا: إنه نبيٌّ، فإنَّ الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحَالِ. وذكرتُ هذا لشيخنا أبي الفَضْلِ بنِ ناصرٍ، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاكَ.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: على طاعةِ الله وتَرْكِ معصيَتِه، ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ في هذه الرَّحمةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الجنةُ، وقاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: النبوَّةُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: النِّعمةُ والمُوالاةُ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعني: يُونسَ بنَ مَتَّى. والنُّونُ: السَّمكةُ؛ أُضيفَ إليها لابتلاعِها إيَّاهُ.
قوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: المُغاضَبة: مُفاعَلة، وأكثرُ المُفاعَلة مِن اثنين، كالمُناظَرَةِ

---

[٩٩٦] ضعيف. أخرجه الترمذي ٢٤٩٦ وأحمد ٢/ ٢٣ والحاكم ٤/ ٢٥٤ ح ٧٦٥١ من حديث ابن عمر. صححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وكذا صححه أحمد شاكر في «المسند»!
مع أن مداره على سعد مولى طلحة، وهو مجهول كما في «التقريب».
وأخرجه ابن حبان ٣٨٧ عن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهذا إسناد ظاهره الحسن، لكنه معلول. وقال الترمذي عقب روايته: حديث حسن، ورواه غير واحد عن الأعمش فرفعوه.
ورواه بعضهم فلم يرفعه، ورواه أبو بكر بن عياش فأخطأ فيه، فقال: عن سعيد بن جبير عن ابن عمر، وهو غير محفوظ اهـ. وهو كما قال الترمذي رحمه الله. وهذا الحديث إنما يعرف بسعد مولى طلحة، وهو مجهول. وهناك علة أخرى، وهي الاضطراب في المتن. ففي «مسند أحمد» و «سنن الترمذي» و «المستدرك»، «كان الكفل»، وعند ابن حبان «كان ذو الكفل» وعند ابن حبان «سمعته أكثر من عشرين مرة» وعند غيره «سبع مرات» وهذه الرواية تدل على وهنه. فلو كرره النبي ﷺ عشرين مرة أو سبع مرات لرواه عدد من الصحابة. ولحمله جماعة من التابعين. كيف ولم يروه سوى رجل مجهول. فالخبر واه، وقد استغربه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٤١ لكنه ذكر أنه لم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة، والصواب أن الترمذي قد رواه كما تقدم. وقال الحافظ ابن كثير في «تاريخه» ١/ ٢٢٦: غريب جداً. وفي إسناده نظر، فإن سعداً قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد. ووثقه ابن حبان ولم يرو عنه سوى عبد الله الرازي اهـ. وقد ورد نحو هذه القصة في خبر الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار. ومما يدل على وهن هذا الحديث أن الكفل هذا أو «ذا الكفل» مات في الليلة التي تاب فيها، فكيف ذلك والآية وصفت إياه بالصبر؟! فتنبه والله أعلم. وانظر «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية بتخريجي، وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٧ بتخريجنا. والله الموفق.

والمُجادَلَةِ والمُخاصَمةِ، وربما تكون مِنْ واحدٍ، كقولكَ: سافرتُ، وشَارَفْتُ الأمرَ، وهي ها هنا مِنْ هذا الباب. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وابنُ السَّمَيْفع: «مُغْضَباً» بإسكانِ الغين وفتحِ الضاد مِنْ غيرِ أَلِفٍ.

واختلفوا في مُغاضَبَتِه لِمَنْ كانت؟ على قولَين[1]: **أحدهما**: أنه غَضِبَ على قومه، قاله ابنُ عباس، والضَّحَّاكُ. وفي سبب غَضَبِه عليهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الله تعالى أوحَى إلى نبيٍّ يُقال له: شَعْياً: أَنِ ائتِ فلاناً المَلِكَ، فقُلْ له يبعثُ نبيًّا أميناً إلى بَني إسرائيلَ، وكان قد غَزَا بَني إسرائيلَ مَلِكٌ، وسَبَا منهم الكثيرَ، فأراد النبيُّ والمَلِكُ أن يبعثا يُونسَ إلى ذلك المَلِكِ لِيُكلِّمَه حتى يُرسِلَهم، فقال يُونسُ لِشَعْيا: هل أمرَكَ اللَّهُ بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سَمَّاني لكَ؟ قال: لا، قال: فها هنا غيري مِنَ الأنبياء، فألَحُّوا عليه، فخرجَ مُغاضِباً للنبيِّ والمَلِكِ ولقومِه، هذا مرويٌّ عن ابنِ عباسٍ؛ وقد زِدناهُ شَرحاً في سُورةِ يُونسَ[2]. **والثاني**: أنه عَانَى مِنْ قومه أمراً صعباً مِنَ الأذى والتَّكذيب، فخرجَ عنهم قبل أنْ يُؤمنوا ضَجِراً، وما ظنَّ أنَّ هذا الفعلَ يُوجبُ عليه ما جرى مِنَ العقوبة، ذكره ابنُ الأنباري. وقد رُوي عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: لمَّا حُمِلَتْ عليه أثقالُ النبوَّة، ضاقَ بها ذَرْعاً ولم يَصبِرْ، فقذفَها مِنْ يَدِه وخرجَ هارباً. **والثالث**: أنه لمَّا أوعدَهُم العذابَ، فتابُوا ورُفِعَ عنهم، قيلَ له: ارجِعْ إليهم، فقال: كيف أرجِعُ فيَجِدُوني كاذباً؟ فانصرفَ مُغاضِباً لقومه، عاتِباً على ربِّه. وقد ذكرنا هذا في سُورةِ يُونسَ. **والثاني**: أنه خرجَ مُغاضِباً لربِّه، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والشَّعبيُّ، وعُروَةُ، وقال: المعنى: مُغاضِباً مِنْ أجل ربِّه، وإنما غَضِبَ لأجل تَمرُّدِهم وعِصيَانِهم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: كان مَغِيظاً عليهم لِطُولِ ما عاناهُ مِنْ تكذيبِهم، مُشتهياً أنْ ينزلَ العذابُ لهم فعاقبَهُ اللَّهُ على كَراهِيَتِه العَفْوَ عن قومِه.

قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ وقرأ يَعقوبُ: «يُقَدَّر عليه» بضمِّ الياء وتشديدِ الدال وفتحِها. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي لَيلى: «يُقْدَرَ» بياءٍ مرفوعةٍ مع سكون القافِ وتخفيفِ الدالِ وفتحِها. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «يَقْدِرَ» بياءٍ مفتوحةٍ وسكونِ القافِ وكسرِ الدالِ خفيفةً. وقرأ الزُّهريُّ، وابنُ يَعمُرَ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «نُقَدِّر» بنونٍ مرفوعةٍ وفتحِ القاف وكسرِ الدال وتشديدِها. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ لنْ نقضِيَ عليه بالعقوبة، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. قال الفرَّاءُ: معنى الآية: فظَنَّ أنْ لنْ نُقَدِّرَ عليه ما قَدَّرْنَا مِنَ العقوبة، والعرب تقول: قَدَرَ، بمعنى: قَدَّرَ، قال أبو صَخرٍ:

ولا عَـائِـداً ذاكَ الـزَّمـانُ الـذي مَـضَـى ... تَـبـارَكـتَ مَـا تَـقْـدِرْ يَـكُـنْ ولـكَ الـشُّـكْـرُ[3]

أراد: ما تُقَدِّرُ، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/٧٦: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي، قول من قال: عني به: فظنّ يونس أن لن نحبسه ونضيّق عليه عقوبة له على مغاضبة ربه وذلك من قولهم قدرت على فلان: إذا ضيقت عليه، كما قال الله جل ثناؤه ﴿ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾.
وافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٢٤٢.

(٢) سورة يونس: ٩٨.

(٣) البيت في «شرح أشعار الهزليين» ٢/٩٥٨.

والثاني: فظَنَّ أنْ لنْ نُضيِّقَ عليه، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: يقال فلان مُقَدَّرٌ عليه، ومُقَتَّرٌ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾[1] أي ضَيَّقَ عليه فيه. قال النقاش: والمعنى فظن أن يضيقه عليه الخُروجَ، فكأنَّه ظَنَّ أنَّ اللَّهَ تعالى قد وَسَّعَ عليه إنْ شاءَ أنْ يُقيمَ وإنْ شاء أنْ يخرجَ، ولم يُؤذَنْ له في الخروجِ. **والثالث**: أنَّ المعنى: أَفظَنَّ أنه يُعجِزُ ربَّهُ فلا يَقْدِرُ عليه، رواه عَوفٌ عن الحسَنِ. وقال ابنُ زيدٍ وسُليمانُ التَّيمِيُّ: المعنى أفظَنَّ أنْ لنْ نَقدِرَ عليه؛ فعلى هذا الوَجهِ يكون استفهاماً قد حُذِفَتْ أَلِفُه؛ وهذا الوجهُ يدلُّ على أنه مِنَ القُدرةِ، ولا يُتَصوَّرُ إلاَّ مع تقديرِ الاستفهام، ولا أعلَمُ له وَجهاً إلاَّ أنْ يكونَ استفهامَ إنكارٍ تقديره: ما ظَنَّ عَجزَنا فأينَ يهربُ مِنَّا؟!

قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه ظُلمةُ البحر، وظُلمةُ بَطنِ الحُوتِ وظُلمةُ الليل، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ وقَتادَةُ والأكثرون. **والثاني**: أنَّ حُوتاً جاء فابتَلَعَ الحُوتَ الذي هو في بطنِه فنادى في ظُلمةِ حُوتٍ ثم في ظُلمةِ حُوتٍ ثم في ظُلمةِ البحر، قاله سالمُ بنُ أبي الجَعْدِ. **والثالث**: أنها ظُلمةُ الماء وظُلمةُ مِعَىٰ السَّمكة وظُلمةُ بطنِها، قاله ابنُ السَّائبِ.

[٩٩٧] وقد رَوى سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنِّي لأَعلَمُ كلمةً لا يقولُها مَكرُوبٌ إلاَّ فَرَّجَ اللَّهُ عنه، كلمةُ أخي يُونسَ: فنادى في الظُّلماتِ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنتَ، سُبحانَكَ إنِّي كنتُ مِنَ الظَّالمين». قال الحسَنُ: وهذا اعترافٌ مِنْ يُونسَ بذَنْبِه وتوبةٌ مِنْ خطيئته.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: أجبناهُ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ أي: مِنَ الظُّلماتِ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا دَعَونا. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ أنه قرأ: «نُجِّي المؤمنين» بنونٍ واحدةٍ مُشدَّدةِ الجيم؛ قال الزَّجَّاجُ: وهذا لَحنٌ لا وجهَ له، وقال أبو عَليٍّ الفارسيُّ: غَلِطَ الرَّاوي عن عاصِمٍ، ويدلُّ على هذا إسكانُه الياءَ مِنْ «نُجِّي» ونصبُ «المؤمنين» ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه ما سَكَّنَ الياءَ، ولَرَفعَ «المؤمنين».

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

---

[٩٩٧] حسن. أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٦٦٠ وابن السني ٣٤٥ بإسناد ضعيف. وأخرجه الترمذي ٣٥٠٥ والحاكم ١/ ٥٠٥ من حديث سعد بن أبي وقّاص، من وجه آخر، وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في صحيح سنن الترمذي، وورد من وجه آخر مطولاً وله قصة أخرجه أحمد ١٤٦٤ وقال الهيثمي ١١١٧٦: رجاله رجال الصحيح سوى إبراهيم بن محمد، وهو ثقة. فهذه الطرق تتأيد بمجموعها. فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٣٨ بتخريجنا.

---

(١) سورة الفجر: ١٦.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٧٧: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات، ولا شك أنه قد عني بإحدى الظلمات: بطن الحوت وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، ولا دليل يدلّ على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا وَلَدٍ ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَٰرِثِينَ﴾ أي: أفضلُ مَنْ بقي حيًّا بعدَ ميتٍ. قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أصلحتْ للولَدِ بعد أن كانت عقيماً، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: أنه كان في لسانها طُولٌ، وهو: البِذاءُ، فأُصلِحتْ، قاله عطاءٌ وقال السُّدِّيُّ: كانت سليطةً فكَفَّ عنه لسانَها. **والثالث**: أنه كان خُلُقها سيِّئاً، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ﴾ أي: يُبادرون في طاعة الله. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: زكريَّا، وامرأتُه، ويَحيى. **والثاني**: جميعُ الأنبياء المذكورون في هذه السُّورةِ. قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «ويدعونا» بنونٍ واحدةٍ. قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رَغَباً فيما عندنا، ورَهَباً منَّا؛ وقرأ الأعمَشُ: «رُغْباً ورُهْباً» بضم الرَّاءَين وجَزْمِ الغينِ والهاءِ، وهما لُغتان مثل النَّخل، والنَّحَل، والسُّقْم، والسَّقَم ﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي: مُتواضِعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مَخرجُ الوَلَدِ، والمعنى مَنَعْتُه مما لا يَحِلُّ. وإنما وُصِفَتْ بالعَفافِ لأنها قُذِفَتْ بالزِّنا. **والثاني**: أنه جَيْبُ دِرعِها. ومعنى الفَرْجِ في اللغة: كلُّ فُرجةٍ بين شيئين، وموضعُ جَيْبِ دَرْعِ المرأة مَشقوقٌ، فهو يُسمَّى فَرْجاً. وهذا أبلغُ في الثناءِ عليها، لأنها إذا مَنعَتْ جَيْبَ دَرْعِها، فهي لنفسها أمنَعُ.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمَرنا جِبريلَ، فنَفخَ في دَرْعِها، فأجرَينا فيها رُوحَ عيسى كما تجري الريحُ بالنَّفخ. وأضافَ الرُّوحَ إليه إضافةَ المُلْكِ، للتَّشريفِ والتَّخصيصِ ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَابْنَهَا ءَايَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: لمَّا كان شأنُهما واحداً، كانت الآيةُ فيهما آيةً واحدةً، وهي وِلادةٌ مِنْ غير فَحْلٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ وابنُ أبي عبلَةَ: «آيتين» على التثنية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ أُمَّتُكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: المُراد بالأُمَّةِ هاهنا: الدِّينُ، وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ وهو معنى قولِ مُقاتِلٍ. **والثاني**: أنهم الأنبياءُ عليهم السلام، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. ثم ذَكرَ أهلَ الكتابِ، فذَمَّهُم بالاختلافِ، فقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا في الدِّين، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: شيئاً مِنَ الفرائضِ وأعمالِ البِرِّ ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: لا نَجحَدُ ما عَمِلَ، قاله ابنُ قُتيبةَ، والمعنى: أنه يُقبَلُ منه ويُثابُ عليه

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٧٩: والصواب أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه بأن جعلها ولوداً حسنة الخلق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصص الله جلّ ثناؤه بذلك في كتابه ولا على لسان رسوله، فهو على العموم. واختار ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٢٤٤ الأول وقال: وهو الأظهر من السياق.

﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ ذلك بأمرِ الحفظةِ أنْ يكتبُوه ليُجازيَهُ به.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحَفْصٌ عن عاصِم: «وحرام» بألِفٍ. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصم: «وحِرْم» بكسرِ الحاء مِنْ غير ألِفٍ، وهما لُغتانِ. يُقال: حِرْم وحَرَام. وقرأ مُعاذٌ القارئُ وأبو المُتوكِّلِ وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «وحَرْمٌ» بفتحِ الحاء وسكونِ الراء مِنْ غير ألِفٍ والميمَ مرفوعةً مُنوَّنةً. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «وحَرِمَ» بفتحِ الحاء وسكونِ الراء وفتحِ الميم وكسرِ الراء مِنْ غير تنوينٍ ولا ألِفٍ. وقرأ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ وأبو مِجْلَزٍ وأبو رَجَاءٍ: «وحَرُمَ» بفتحِ الحاء وضمِّ الراء ونصبِ الميم مِنْ غير ألِفٍ. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ﴾ قولان: **أحدهما**: واجبٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وأنشدوا في معناه:

فَإِنَّ حَرَاماً لا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِياً عَلَى شَجْوِهِ إلاَّ بَكَيْتُ على عَمْرو[١]

أي: واجبٌ. **والثاني**: أنه بمعنى العَزمِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال عطاءٌ: حَتْمٌ مِنَ الله، والمراد بالقرية: أهلُها.

ثم في معنى الآية أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: واجبٌ على قريةٍ أهلَكنَاها أنهم لا يَتوبُون، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: واجبٌ عليها أنها إذا أُهلِكَتْ لا ترجعُ إلى دُنياها، هذا قولُ قَتادَةَ؛ وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ نحوه. **والثالث**: أنَّ «لا» زائدةٌ؛ والمعنى: حرامٌ على قريةٍ مُهلَكَةٍ أنهم يَرجعون إلى الدنيا، قاله ابنُ جُرَيجٍ، وابنُ قُتَيبةَ في آخَرين. **والرابع**: أنَّ الكلامَ مُتعلِّقٌ بما قبلَهُ، لأنه لمَّا قال: «فلا كفران لسعيه» أعلَمَنا أنه قد حَرَّمَ قَبولَ أعمالِ الكفَّارِ؛ فمعنى الآية: وحَرامٌ على قريةٍ أهلكنَاها أنْ يُتقبَّلَ منهم عَملٌ، لأنهم لا يتوبون، هذا قولُ الزَّجَّاجِ.

فإنْ قيلَ: كيف يصحُّ أنْ يُحَرَّمَ على الإنسان ما ليس مِنْ فِعْلِه، ورُجوعُهم بعدَ الموتِ ليس إليهم؟

---

(١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي الجاهلي. كما في «اللسان» ـ حرم ـ.
ونُسب للخنساء في «البحر المحيط» ٦/ ٣١٤ و «تفسير القرطبي» ١١/ ٢٩٧ ولا يوجد البيت في ديوانها.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٩٨: قال النحاس: والآية مشكلة ومن أحسن ما قيل فيها وأجلّه ما رواه عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل: **﴿وحرام على قرية أهلكناها﴾** قال وجب أنهم لا يرجعون؛ قال لا يتوبون. قال أبو جعفر: واشتقاق هذا بيّن في اللغة وشرحه: أن معنى حُرّم الشيء حُظِر ومُنع منه، كما أن معنى أحل أبيح ولم يمنع منه. وقيل: في الكلام إضمار أي وحرام على قرية حكمنا باستئصالها، أو بالختم على قلوبها أن يتقبل منها عمل لأنهم لا يرجعون أي لا يتوبون، قاله الزجاج وأبو علي، وهذا هو معنى قول ابن عباس.

فالجواب: أنَّ المعنى: مُنِعوا مِنْ ذلك فلا يقدرون عليه كما يُمنَعُ الإنسانُ مِنَ الحَرامِ وإنْ قَدرَ عليه، فكان التَّشبيهُ بالتَّحريم للحالَتين مِنْ حيثُ المَنْعُ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «فُتِّحت» بالتشديد، والمعنى: فُتِحَ الرَّدْمُ عنهم ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: مِنْ كلِّ نَشْزٍ مِنَ الأرض وأَكَمَةٍ ﴿يَنسِلُونَ﴾ مِنَ النَّسَلانِ: وهو مُقاربَةُ الخَطْوِ مع الإسراع كمَشْيِ الذِّئبِ إذا بادَرَ، والعَسَلانُ مِثلُه. وقال الزَّجَّاجُ: الحَدَبُ: كلُّ أكَمَةٍ، و «يَنسِلون» يُسرِعون. وقرأ أبو رَجاءٍ العُطارديُّ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «يَنسُلون» بضمِّ السين. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُم﴾ قولان: **أحدهما**: أنه إشارةٌ إلى يأجوجَ ومأجوجَ، قاله الجمهور. **والثاني**: إلى جميع الناس، فالمعنى: وهم يُحشَرون إلى المَوقفِ، قاله مُجاهِدٌ. والأوَّلُ أصحُّ.

فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ «حتى»؟ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ والواو في قولِه تعالى: «واقترب» زائدةٌ، قاله الفرَّاءُ. قال: ومثله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[2]، المعنى: ناديناه. وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: الساعةُ مِنَ الناس بعدَ يأجوجَ ومأجوجَ، كالحامِلِ المُتِمِّ، لا يدري أهلُها متى تَفجَؤُهم بوَلَدِها ليلاً أو نهاراً. **والثاني**: أنه قولٌ محذوفٌ في قوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾، فالمعنى: حتى إذا فُتِحَتْ يأجوجُ ومأجوجُ واقتربَ الوَعدُ، قالوا: يا وَيْلَنا. قال الزَّجَّاجُ: هذا قولُ البَصريِّينَ. فأمَّا ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ فهو القيامة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ في «هي» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ «هي» كنايةٌ عن الأبصارِ، والأبصارُ تفسيرٌ لها، كقول الشاعر:

لَعَمْرُو أَبِيهـا لا تَقُـولُ ظَعِينَتِي ... أَلاَ فَرَّ عَنِّي مالِكُ بنُ أبي كَعْبِ

فذكَر الظَّعينَةَ، وقد كَنَّى عنها في «لعمرو أبيها». **والثاني**: أنَّ «هي» ضمير فصل وعِمادٌ، ويَصلُحُ في موضِعها «هو»، ومِثلُه قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا اللَّهُ﴾[3] وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ﴾[4]، وأنشدوا:

بِثَوبٍ ودِينـارٍ وشَـاةٍ ودِرْهَـمٍ ... فَهَلْ هوَ مَرفوعٌ بما هاهُنا رَأْسُ

ذكرهما الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنْ يكونَ تمامُ الكلامِ عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزةٌ واقِفةٌ، يعني: مِنْ قُربِها، كأنها آتيَةٌ حاضرةٌ، ثم ابتدأ فقال: ﴿شَٰخِصَةٌ﴾، ذكره الثَّعلبيُّ. **والرابع**: أنَّ «هي» كِنايةٌ عن القصة، والمعنى: القصةُ أنَّ أبصارَهم شَاخِصَةٌ في ذلك اليوم، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابوريُّ.

قال المُفسِّرون: تَشخَصُ أبصارُ الكفار مِنْ هَولِ يوم القيامة، ويقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا﴾ أي: في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفُسَنا بكُفرِنا ومَعاصِينا. ثم خاطبَ أهلَ مكَّةَ، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طَالبٍ، وأبو العَاليةِ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «حَطَب» بالطاءِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعائشةُ وابنُ

(١) سورة الزمر: ٧٣.
(٢) سورة الصافات: ١٠٣ و ١٠٤.
(٣) سورة النمل: ٩.
(٤) سورة الحج: ٤٦.

السَّمَيْفع: «حَضَب» بالضادِ المُعجَمَةِ المفتوحةِ. وقرأ عُروةُ، وعِكرمَةُ، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «حَضْب جهنم» بإسكانِ الضادِ المُعجمَةِ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو حَيْوَة، ومعاذُ القارئُ «حِضب» بكسرِ الحاء مع تسكينِ الضاد المُعجمَةِ. وقرأ أبو مِجْلَز، وأبو رَجاءٍ، وابنُ مُحَيصِين: «حَصْب» بفتح الحاء وبصادٍ غيرِ مُعجمَةٍ ساكنةٍ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ «حصَب جهنم» فمعناه: كلُّ ما يُرمى به فيها، ومَنْ قرأ «حطب» فمعناه: ما تُوقَدُ به، ومَنْ قرأ بالضاد المُعجمَةِ، فمعناه: ما تَهيجُ به النارُ وتُذكَى به، قال ابنُ قُتَيبةَ: الحَصَبُ: ما أُلقِيَ فيها، وأصلُه مِنَ الحَصْباء، وهو الحَصى، يقال: حَصَبْتُ فُلاناً؛ إذا رَمَيتَهُ حَصْباً، بتسكينِ الصادِ، وما رَمَيْتَ به فهو حَصَبٌ، بفتح الصاد.

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ يعني: العابِدِينَ والمَعبُودِين ﴿لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ أي: دَاخِلُون. ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلِهَةً ما دَخَلُوا النارَ. **والثاني**: أنه إشارةٌ إلى عابِديها، فالمعنى: لو كانت الأصنامُ آلِهةً، مَنَعَتْ عابِديها دخولَ النارِ. **والثالث**: أنه إشارةٌ إلى الآلِهَةِ وعابِدِيها، بدليلِ قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني: العابِدَ والمَعبُودَ.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ قد شرحنا معنى الزَّفيرِ في سُورةِ هُودٍ[1] وفي عِلَّةِ كونِهم لا يسمعون ثلاثةُ أقوالٍ:

[٩٩٨] **أحدها**: أنه يُوضع في مَسامِعِهم مَسامِيرُ مِنْ نارٍ، ثم يُقذَفونَ في تَوابِيتٍ مِنْ نارٍ مُقْفَلَةٍ عليهم، رواه أبو أُمامَةَ عن رسول الله ﷺ في حديثٍ طويلٍ. وقال ابنُ مسعودٍ: إذا بقيَ في النار مَنْ يُخلَّدُ فيها جُعِلوا في تَوابِيتٍ مِنْ نارٍ، ثم جُعِلَتْ تلك التَّوابيتُ في تَوابِيتٍ أُخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يَرى أحدُهم أنَّ في النار أحداً يُعذَّب غيرُه.

والثاني: أنَّ السَّماعَ أُنسٌ، واللهُ لا يحبُّ أن يُؤنِسَهم، قاله عَونُ بنُ عُمارَةَ.

والثالث: إنما لم يسمعوا لشِدَّةِ غليانِ جهنَّم، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

---

[٩٩٨] لم أقف عليه، وهو واهٍ، فالمتن منكر، لا يصح مرفوعاً. وورد عن سويد بن غَفَلَة موقوفاً، أخرجه البيهقي في «البعث» ٥٩٢. وورد عن ابن مسعود قوله أيضاً، وهو اللفظ الآتي. أخرجه الطبري ٢٤٨٢٩.
الخلاصة: المرفوع لا يصح، والصحيح موقوف.

---

(١) سورة هود: ١٠٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾

[٩٩٩] سببُ نُزولها أنه لمَّا نزلت: «إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم» شقَّ ذلك على قُريشٍ، وقالوا: شَتَمَ آلهَتنا، فجاءَ ابنُ الزِّبَعْرَى، فقال: ما لَكُم؟ قالوا: شَتَم آلهَتنا، قال: وما قال؟ فأخبَرُوه، فقال: ادعُوهُ لي، فلمَّا دُعِيَ رسولُ الله ﷺ، قال: يا محمَّدُ، هذا شيءٌ لآلِهَتِنا خاصَّةً، أَوْ لكلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ الله؟ قال: «لا، بل لكلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ الله»، فقال ابنُ الزِّبَعرَى: خُصِمْتَ وربِّ هذا البيتِ، ألستَ تزعمُ أنَّ الملائكةَ عِبادٌ صالحُونَ، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ، وأنَّ عُزَيراً عبدٌ صالحٌ، فهذه بَنُو مليح يَعبدُون الملائكةَ، وهذه النَّصارَى تَعبدُ عيسى، وهذه اليَهودُ تَعبدُ عُزَيراً، فضَجَّ أهلُ مكَّةَ، فنزلت هذه الآيَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الحُسَينُ بنُ الفَضلِ: إنما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ الأصنامَ دونَ غيرِها، لأنه لو أرادَ الملائكةَ والناسَ، لَقالَ: «ومَنْ» وقيل: «إنَّ» بمعنى: «إلاَّ»، فتقديره: إلاَّ الذين سَبقَتْ لهم مِنَّا الحُسنى، وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ، وأبي نَهِيكٍ، فإنهما قرآ: «إلا الذين». ورُوِي عن عليِّ بنِ أبي طَالبٍ أنه قرأ هذه الآيَةَ، فقال: أنا منهم، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وطَلحةُ، والزُّبيرُ، وسعدٌ، وعبدُ الرحمن.

وفي المراد «بالحسنى» قولان: أحدهما: الجنَّةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ. والثاني: السعادةُ، قاله ابنُ زيدٍ. قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ أي: عن جهنَّم، وقد تقدَّمَ ذِكرُها ﴿مُبۡعَدُونَ﴾ والبُعْدُ: طُولُ المسافة، والحَسِيسُ: الصوتُ تسمعه مِنَ الشيءِ إذا مَرَّ قريباً منكَ، قال ابنُ عباسٍ: لا يسمع أهلُ الجنة حَسِيسَ أهلِ النار إذا نزلوا منازلَهُم مِنَ الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ وقتادةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وأبو جعفر الشَّيْزَرِيّ عن الكِسَائيِّ: «لا يُحْزِنُهُم» بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي.

وفي الفَزَعِ الأكبرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّفخَةُ الآخِرةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ؛ وبهذه النَّفخَةِ يقوم النَاسُ مِنْ قبورِهم، ويدلُّ على صحة هذا الوَجه قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾. **والثاني**: أنه إطبَاقُ النار على أهلها، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه ذَبْحُ الموتِ بين الجنة والنار، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال ابنُ جِرَيجٍ. **والرابع**: أنه حين يُؤمَرُ بالعبدِ إلى النار، قاله الحَسنُ البَصريُّ.

وفي مكان تَلقِّي الملائكةِ لهم قولان: **أحدهما**: إذا قاموا مِنْ قبورهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: على أبواب الجنة، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ﴾ فيه إضمَارٌ: «يقولون» هذا يومُكم ﴿ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ فيه

---

[٩٩٩] أخرجه الواحدي ٦١٦ والطبراني ١٢/١٥٣ عن ابن عباس، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو صدوق يخطئ. وأخرجه الطبري ٢٤٨٣٥ مطولاً عن ابن إسحاق مرسلاً. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٢٥١: وهذا الذي قاله ابن الزبعرى خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك تقريعاً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾** فكيف يورد على المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح، ولم يرض بعبادة من عبده، وعوّل ابن جرير في «تفسيره» في الجواب على أن «ما» لما لا يعقل عند العرب. وقد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك.

الجنَّة. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ وقرأ أبو العَالِية، وابنُ أبي عَبلَة، وأبو جعفرَ: «تُطوى» بتاءٍ مضمومةٍ «السماءُ» بالرفع؛ وذلك بمَحْوِ رُسومِها، وتكدِيرِ نجُومِها، وتكويرِ شمسِها، ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قرأ الجمهور: «السِّجِلّ» بكسرِ السين والجيمِ وتشديدِ اللام. وقرأ الحسَنُ، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزَاءِ، ومَحبُوبٌ عن أبي عمروٍ: «السِّجْلِ» بكسرِ السين وإسكانِ الجيم خفيفةً. وقرأ أبو السَّمّال كذلك، إلاَّ أنه فَتَحَ الجيمَ. قوله تعالى: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ قرأ ابنُ كَثِيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «للكتاب». وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «للكُتب» على الجمع.

وفي السِّجِلِّ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه مَلَكٌ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عمرَ، والسُّدِّيُّ.

[١٠٠٠] **والثاني**: أنه كاتِبٌ كان لرسول الله ﷺ، رواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنَّ السِّجِلَّ بمعنى: الرجل، روى أبو الجَوزَاءِ عن ابنِ عباسٍ، قال: السِّجِلُ: هو الرجل. قال شيخنا أبو منصورٍ اللغوي: وقد قيلَ: «السِّجِلُّ» بلغة الحَبشَةِ: الرجل.

والرابع: أنه الصَّحِيفَةُ. رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والفَرَّاءُ وابنُ قُتَيبة. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ، قال: قال أبو بكرٍ، يعني ـ ابنَ دُرَيدٍ ـ: السِّجِلُّ: الكتابُ، واللهُ أعلمُ؛ ولا ألتفِتُ إلى قولِهم: إنه فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، والمعنى: كما يُطوَى السِّجِلُّ على ما فيه مِنْ كتابٍ. و «اللام» بمعنى «على». وقال بعضُ العلماء: المراد بالكتاب: المَكتوبُ، فلمَّا كان المكتوبُ ينطوي بانطِوَاءِ

[١٠٠٠] باطل، أخرجه أبو داود ٢٩٣٥ والنسائي ٣٥٥ والطبري ٢٤٨٤٩ والبيهقي ١٠/ ١٢٦ كلهم عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس به. وهذا إسناد ضعيف يزيد بن كعب مجهول، قال الذهبي في «الميزان» لا يدرى من ذا أصلاً. وأبو الجوزاء أوس بن عبد الله ثقة لكنه يرسل كثيراً، ولم يصرّح بسماع أو تحديث. وأخرجه ابن عدي ٧/ ٦٦٢ والبيهقي ١٠/ ١٢٦ والطبراني ٢/ ١٧٠ ح ١٢٧٩٠ من طريق يحيى بن عمرو بن مالك عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً. لأجل يحيى بن عمرو، فقد كذبه حماد بن زيد. وأخرجه النسائي ٣٥٦ عن نوح عن عمر بن مالك به، وهو منقطع بين نوح وعمرو، ولعل نوحاً أسقطه عمداً. وبكل حال الخبر واهٍ جداً وليس بشيء. أخرجه الخطيب ٨/ ١٧٥ من حديث حمدان بن سعيد عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر به. وهذا خبر باطل لا أصل له، والحمل فيه على حمدان بن سعيد، فقد اتهمه الذهبي بهذا الحديث، فقال: أتى بخبر كذب اهـ.

ومما يدل على أنه كذب هو كون من فوقه رجال البخاري ومسلم. فلو كان هذا الحديث عن نافع أو عبيد الله لرواه مالك والبخاري وغيرهم من الأئمة. لكنه إسناد مصنوع مركب. وقد حكم بوضع هذا الحديث كل من الإمام المزي والذهبي وابن كثير وسبقهم الطبري. وليس في الصحابة من اسمه «السجل» وإن أورده أبو نعيم وابن منده فإنهما يرويان الموضوع وكتبهما مشحونة بذلك، وممن حكم بوضعه شيخ الإسلام ابن تيمية، ووافقه الإمام ابن القيم. راجع عون المعبود ٨/ ١٥٤ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٢ و «تفسير الشوكاني» ١٦٤٧ و ١٦٤٨ و ١٦٤٩ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٩٥: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: قول من قال: السّجل في هذا الموضع: الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه. وكتّاب النبي ﷺ كانوا معروفين. ووافقه ابن كثير وقال: وقد صدق رحمه الله في ذلك، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث.

الصَّحيفةِ، جعلَ السِّجِلَ كأنه يَطوي الكتابَ.

ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الخَلْقُ هاهنا مصدرٌ، وليس بمعنى المَخلُوقِ. وفي معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: كما بدأناهُم في بُطونِ أُمَّهاتِهم حُفاةً عُراةً غُرْلاً، كذلك نُعيدهم يومَ القيامة.

[١٠٠١] رُوي عن ابن عباسٍ، عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامة عُراةً حُفاةً غُرْلاً كما خُلِقوا، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ وإلى هذا المعنى ذهبَ مُجاهِدٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: إنا نُهلِكُ كلَّ شيءٍ كما كان أَوَّلَ مرَّةٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنَّ السماء تُمطِرُ أربعين يوماً كَمَنِيِّ الرجال، فيَنبتُونَ بالمطر في قبورِهم، كما يَنبتُون في بطُونِ أُمَّهاتِهم، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنَّ المعنى: قُدرَتُنا على الإعادة كقُدرَتِنا على الابتداءِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَعْدًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه تعالى: «نعيده» بمعنى: وَعَدْنا هذا وَعداً، ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فِعْلِ ما نشاء. وقال غيرُه: إنَّا كُنَّا فاعلين ما وَعَدْنا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ(١):

أحدها: أنَّ الزَّبورَ جميعُ الكُتُبِ المُنزَّلَةِ مِنَ السماء، و«الذِّكر»: أُمُّ الكتاب الذي عندَ الله، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في روايةِ ابنِ جُبَيرٍ، فإنه قال: الزَّبُورُ: التَّوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ، والذِّكْرُ: الذي في السماء. **والثاني**: أنَّ الزَّبُورَ: الكُتُبُ، والذِّكرُ: التَّوراة، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ الزَّبُورَ: القرآن، والذِّكرُ: التَّوراةُ والإنجيلُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ في روايةٍ. **والرابع**: أنَّ الزَّبُورَ: زَبورُ داودَ، والذِّكْرُ: ذِكْرُ موسى، قاله الشَّعبيُّ.

وفي الأرض المذكورةِ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها أرضُ الجنة، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الأكثرون. **والثاني**: أرضُ الدنيا، وهو مَنقولٌ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: الأرضُ المقدَّسةُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

[١٠٠١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٤٩ و ٤٦٢٥ و ٤٦٢٦ و ٤٧٤٠ ومسلم ٢٨٦٠ ح ٥٨ والترمذي ٢٤٢٥ والنسائي ٤/ ١١٤ و ١١٧ وأحمد ١/ ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٣٥ و ٢٥٣ والدارمي ٢/ ٣٢٦ وأبو يعلى ٢٥٧٨ من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً». ثم قرأ: **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا، إنا كنا فاعلين﴾** وأول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم. وإن أناساً من أصحابي أخذ بهم ذات الشمال، **فأقول**: أصحابي، أصحابي. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، **فأقول** لكم كما قال العبد الصالح: **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾** إلى قوله **﴿الحكيم﴾**.

---

(١) **قال الطبري رحمه الله ٩/ ٩٨: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك: ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد،** ومن قال بقولهما في أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه، قبل خلق السموات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب. يقال منه: زبرت الكتاب وزبرته: إذا كتبته، وإن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه فهو ذكر.

وفي قوله تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ: تَرِثُ أُمَّةُ محمَّدٍ أرضَ الدنيا بالفُتوحِ. **والثاني**: بَنو إسرائيلَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنه عامٌّ في كلِّ صالحٍ، قاله بعضُ فقهاء المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ أي: لَكِفايَةٍ؛ والمعنى: أنَّ مَن اتَّبعَ القرآن وعَمِلَ به، كان القرآن بَلاغَهُ إلى الجنة. وقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ قال كعب: هم أُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ الذين يُصَلُّون الصَّلواتِ الخَمْسَ ويصومون شهرَ رمضانَ. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذا عامٌّ للبَرِّ والفاجرِ، فمَنْ آمنَ به تَمَّتْ له الرَّحمةُ في الدنيا والآخرة، ومَنْ كفرَ به صُرِفَتْ عنه العقوبةُ إلى الموتِ والقيامة. وقال ابنُ زيدٍ: هو رحمةٌ لمَنْ آمنَ به خاصَّةً.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فهل أنتم مُخلِصون له العبادةَ؟ قال أهلُ المعاني: هذا استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرَضوا ولم يُؤمِنوا ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: نابَذْتُكم وعَادَيْتُكم وأعلَمْتُكم ذلك، فصِرتُ أنا وأنتم على سواءٍ قد استوَينا في العِلْم بذلك، وهذا مِنَ الكلام المُختَصَرِ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أعلَمْتُكم بالوَحيِ إليَّ لِتَستَوُوا في الإيمانِ به، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾ أي: وما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ بنُزولِ العذاب بكم. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ وهو ما يقولونه للنبيِّ ﷺ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾(١)، و ﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارُهم أنَّ العذابَ لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ في هاء «لَعَلَّه» قولان(٢): **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى ما آذَنَهم به، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعلَّ تأخيرَ العذاب عنكم فِتنَةٌ، قاله ابنُ جَرير، وأبو سُليمانَ الدِّمشقي. ومعنى الفِتنَةِ هاهنا: الاختبارُ. ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تستَمتِعونَ إلى انقضاءِ آجالِكم. ﴿وَقُل رَّبِّ﴾ وروى حَفصٌ عن عاصِمٍ: «قال رَبِّ» ﴿احْكُم﴾ قرأ أبو جعفرَ: «ربُّ احكم» بضمِّ الباء.

---

(١) سورة يس: ٤٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٥٥: وقوله: **﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾**، أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده، وقوله **﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾** أي: وما أدري لعل هذا فتنة لكم ومتاع إلى حين. قال ابن جرير: لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم، ومتاع إلى أجل مسمّى. وحكاه عن ابن عباس والله أعلم. **﴿قال رب احكم بالحق﴾** أي: افصل بيننا وبين قومنا المكذبين بالحق وقوله **﴿وربنا المستعان على ما تصفون﴾** على ما يقولون ويفترون من الكذب، ويتنوعون في مقامات التكذيب والإفك والله المستعان عليكم في ذلك.

وروى زيدٌ عن يعقوبَ: «رَبِّيَ» بفتحِ الياء «أَحْكَمُ» بقطعِ الهمزة وفتح الكاف ورفع الميم. ومعنى «احكم بالحق» أي: بعذاب كفَّارِ قومي الذي نُزولُه حَقٌّ، فحَكَمَ عليهم بالقتل في يومِ بَدْرٍ وفيما بعدَهُ مِنَ الأيام؛ والمعنى على هذا: افْصِلْ بيني وبين المشركين بما يظهرُ به الحقُّ. ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: مِنْ كَذِبِكُم وباطِلِكُم. وقرأ ابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم: «يصفون» بالياء. فإِنْ قيلَ: فهل يجوز على الله أنْ يَحكُمَ بغير الحقِّ؟ فالجواب: أنَّ المعنى: احكُمْ بحُكمِكَ الحقِّ، كأنه استَعجَلَ النَّصرَ عليهم، واللهُ أعلَمُ بالصواب.

سورة الحج

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

فصلٌ في نُزولِها[١]: روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ أنها مكّيَّةٌ كلُّها، غيرَ آيتَين نزلَتا بالمدينةِ: قولُه سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، والتي تليها[٢] وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ أنها مَدنيَّةٌ إلاّ أربعَ آياتٍ نزلت بمكَّةَ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخرِ الأربع[٣]. وقال عطاءُ بنُ السَّائبِ: نزلت بمكَّةَ إلاّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت بالمدينةِ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ واللَّتان بعدَها[٤] وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: أوَّلُها مَدنيٌّ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥] وسائرُها مكّيٌّ. وقال الثَّعلبيُّ: هي مكيَّةٌ غيرَ ستِ آياتٍ نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾[٦]. وقال هِبَةُ الله بنُ سَلامَة: هي مِنْ أعاجيب سُورِ القرآن، لأنَّ فيها مكيّاً، ومدنيّاً، وحَضَريّاً، وَسَفَريّاً، وحَرْبيّاً، وسِلْميّاً، ولَيْليّاً، ونهاريّاً، وناسِخاً، ومَنسُوخاً. فأمَّا المكّيُّ، فمِنْ رأس الثلاثين منها إلى آخرِها. وأما المَدنيُّ، فمِنْ رأس خمسٍ وعشرين إلى رأسِ ثلاثين. وأما الليليُّ، فمِنْ أوّلها إلى آخرِ خمسِ آياتٍ. وأما النَّهاريُّ، فمِنْ رأس خمس آيات. إلى رأس تسع. وأما السَّفريُّ، فمِنْ رأس تسعٍ إلى اثنتي عشرةَ. وأما الحَضَريُّ، فإلى رأسِ العشرين، نُسِبَ إلى المدينةِ، لقُربِ مُدَّتِه.

قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي: احذَرُوا عقابَهُ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزَّلزَلَةُ: الحركةُ على الحالَةِ الهائلَةِ. وفي وقت هذه الزَّلزَلةِ قولان[٧]: **أحدهما**: أنها يومَ القيامة بعد النُّشور.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥: وقال الجمهور: السورة مختلطة، منها مكي ومنها مدني. وهذا هو الأصح، لأن الآيات تقتضي ذلك، لأن «يا أيها الناس» مكي و «يا أيها الذين آمنوا» مدني.

(٢) سورة الحج: ١٢، ١٣. (٣) سورة الحج: ٥٣ ـ ٥٧. (٤) سورة الحج: ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) سورة الحج: ٢٤، ٢٥. (٦) سورة الحج: ٣٨.

(٧) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٠٥: والصواب من القول في ذلك: ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ ـ وهو حديث أبي سعيد الخدري ـ.

[١٠٠٢] روى عِمرَانُ بنُ حُصَينٍ عن رسولِ الله ﷺ أنه قرأ: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ وقال: «تدرونَ أيَّ يومٍ ذلك؟ فإنه يومَ يُنادي الرَّبُّ عزَّ وجلَّ آدمَ عليه السلامُ: ابعَثْ بَعْثاً إلى النار» فذكرَ الحديثَ.

[١٠٠٣] وروى أبو سعيدِ الخُدريُّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقول اللّهُ تعالى يومَ القيامة لآدمَ: قُمْ، فابعَثْ بَعْثَ النار، فيقول: يا رَبِّ، وما بَعْثُ النار؟ قال: مِنْ كلِّ ألفٍ تسعمائةٌ وتسعةٌ وتسعين إلى النار، فحِينَئذٍ يَشِيبُ المولودُ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَملَهَا»، وقرأ الآيةَ. وقال ابنُ عباسٍ: زَلْزَلَةُ الساعة: قِيَامُها، يعني أنها تُقارِب قيامَ الساعةِ، وتكون معها. وقال الحسَنُ، والسُّدِّيُّ: هذه الزَّلْزَلَةُ تكون يومَ القيامة.

والثاني: أنها تكون في الدنيا قبلَ القيامة، وهي مِنْ أشرَاطِ الساعة، قاله عَلقَمةُ، والشَّعبيُّ، وابنُ جُرَيجٍ. وروى أبو العَاليَة عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، قال: ستُّ آياتٍ قبلَ القيامة، بينما الناسُ في أسواقِهم إذ ذهبَ ضوءُ الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثَرَتِ النُّجومُ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبالُ على وَجْهِ الأرض، فتحرَّكَتْ، واضطَرَبتْ، ففَزِعَ الجنُّ إلى الإنسِ، والإنسُ إلى الجنِّ، فاختلَطَتِ الدَّوَابُّ، والطَّيرُ، والوَحشُ، فمَاجَ بعضُهم في بعضٍ، فقالت الجنُّ للإنسِ: نحن نأتيكُم بالخَبرِ، فانطلَقُوا إلى البُحورِ، فإذا هي نارُ تأجَّجُ، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعتِ الأرضُ إلى الأرضِ السابعةِ، والسماءُ إلى

[١٠٠٢] حسن، أخرجه الترمذي ٣١٦٨ من حديث عمران بن حصين، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان. وزاد في هذا الحديث «فأنشأ المؤمنون يبكون. . .» و «فإنها لم تكن نبوة قط. . .» وأخرجه الطبري ٢٤٩٠٦ عن الحسن بهذا السياق. وقد رواه غير واحد بدون هذه اللفظة. وأخرجه الترمذي ٣١٦٩ والنسائي في «الكبرى» ١٣٤٠ والحاكم ٢/ ٣٨٥ و ٤/ ٥٦٧ والطبري ٢٤٩٠٤ عن الحسن عن عمران بن حصين، ورجاله ثقات كلهم لكن في سماع الحسن من عمران كلام.
وقد أنكره أبو حاتم في «المراسيل» ص ٤٠ ومع ذلك قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم، وقال: أكثر أئمة البصرة على أن الحسن سمع من عمران، ووافقه الذهبي، ولأكثره شواهد ولذا صححه الألباني في صحيح الترمذي. وورد من حديث أنس أخرجه أبو يعلى ٣١٢٢ وابن حبان ٧٣٥٤ والحاكم ١/ ٢٩ و ٤/ ٥٦٦ من حديث أنس، وصححه الحاكم على شرطهما، لكن أعله بقوله: قال محمد بن يحيى الذهلي: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن أنس، ولكن المحفوظ عندنا عن قتادة عن الحسن عن عمران اهـ وسكت الذهبي، ولأكثره شواهد ومنها الآتي، فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٥٩ و ١٦٦٠ و «تفسير القرطبي» ٤٣٦٧ و ٤٣٦٨ و ٤٣٦٩ بتخريجنا. ولله الحمد والمنة.
[١٠٠٣] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٤٨ و ٤٧٤١ و ٦٥٣١ ومسلم ٢٢٢ وأحمد ٣/ ٣٢ و ٣٣ والطبري ٢٤٩٠٧ و ٢٤٩٠٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٧١ والبغوي ٤٢٢٠ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف». ثم قال: «والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبّرنا فقال: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أسود». لفظ البخاري.

السماءِ السابعةِ، فبينما هم كذلك إذ جاءَتْهُمُ الرِّيحُ فماتُوا. وقال مُقاتِلٌ: هذه الزَّلْزَلَةُ قبلَ النَّفخةِ الأولى، وذلك أنَّ مُنادياً يُنادي مِنَ السماء: يا أيُّها الناسُ أتى أمرُ الله فيَفزَعُونَ فَزَعاً شديداً فيَشِيبُ الصغيرُ، وتضعُ الحَوامِلُ.

قوله تعالى: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يُوصف لعِظَمِه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزَّلزَلَة ﴿تَذْهَلُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تَسلُو عن ولَدِها، وتترُكه، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: تُشغَلُ عنه، قاله قُطْرُبُ، ومنه قولُ ابنِ رَواحةَ:

ويَـذْهَـلُ الـخَـلـيـلُ عـن خَـلـيـلِـهِ

وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تُذهِل» برفع التاء وكسرِ الهاء «كلَّ» بنصبِ اللام. قال الأخفشُ: وإنَّما قال: «مُرضِعة»، لأنه أراد ـ واللّهُ أعلمُ ـ الفِعلَ، ولو أراد الصِّفةَ فيما نرى، لَقالَ: «مُرضِع». قال الحسَنُ: تَذْهَلُ المُرضِعَةُ عن وَلَدِها لغير فِطَام، وتضع الحَاملُ ما في بطنها لغيرِ تمام، وهو يدلُّ على أنَّ الزَّلزَلَةَ تكون في الدنيا، لأنَّ بعدَ البَعثِ لا تكُون حُبلى.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ وقرأ عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ، «وتُرى» بضمِّ التاء. ومعنى «سكارى»: مِنْ شدَّة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ مِنَ الشراب، والمعنى: ترى الناسَ كأنهم سُكارَى مِنْ ذُهولِ عقولِهم، لشدَّة ما يَمرُّ بهم، يضطَربون اضطِرَابَ السَّكْرَانِ مِنَ الشراب. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «سَكْرى وما هم بسَكْرى» وهي قراءةُ ابنِ مسعودٍ. قال الفَرَّاءُ: وهو وَجهٌ جيدٌ، لأنه بمنزلة الهَلْكَى والجَرْحَى. وقرأ عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ السَّمَيْفع: «سَكارى وما هم بسَكارى» بفتحِ السين والراء وإثباتِ الألف، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليلٌ على أنَّ سُكرَهُم مِنْ خوفِ عذابِه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت في النَّضْرِ بنِ الحَارثِ. وفيما جَادَلَ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان كلَّما نزلَ شيءٌ مِنَ القرآن كذَّبَ به، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه زعمَ أنَّ الملائكة بناتُ الله، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه قال: لا يَقدِرُ اللّهُ على إحياءِ المَوتى، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: إنما يقوله بإغواءِ الشَّيطانِ، لا بعلم ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ ما يُسوِّل له ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى «المَريد» في سُورةِ النساء[1]. قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ «كُتب» بمعنى: قُضِيَ. والهاءُ في «عليه» وفي «تولاه» كنايةٌ عن الشيطان. ومعنى الآية: قُضِيَ على الشيطان أنه يُضِلُّ مَنِ اتَّبعَه. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني: «كَتَب» بفتحِ الكاف «أنه» بفتح الهمزة «فإنه» بكسرِ الهمزة وقرأ أبو مِجلَز، وأبو العَالِية، وابنُ أبي لَيلى، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «إنه» «فإنه» بكسرِ الهمزة فيهما. وقد بيَّنَّا معنى «السَّعير» في سُورةِ النِّساء[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

(١) سورة النساء: ١١٧. (٢) سورة النساء: ١٠.

طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: أهلَ مكّةَ ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: في شَكٍّ مِنَ القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: خَلْقَ آدمَ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني: خَلْقَ وَلَدِه، والمعنى: إنْ شَكَكْتُم في بَعثِكم فتدبَّروا أمرَ خَلقِكُم وابتِدائِكُم، فإنكم لا تجدون في القُدرةِ فَرْقاً بين الابتداء والإعادة. فأمّا النُّطفةُ، فهي المَنِيُّ. والعَلَقةُ: دمٌ عَبيطٌ جامدٌ. وقيلَ: سُمِّيتْ عَلَقةً لرُطُوبَتِها وتَعلُّقِها بما تَمُرُّ به، فإذا جَفَّتْ فليست عَلَقَةً. والمُضغَةُ: لَحمةٌ صغيرةٌ. قال ابنُ قُتيبة: وسُمِّيت بذلك، لأنها بقَدْرِ ما يُمضَغُ، كما قيلَ: غُرفَة لقَدْرِ ما يُغرَفُ.

قوله تعالى: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ المُخلَّقةَ: ما خُلِقَ سَوِيًّا، وغير المُخلَّقةِ: ما ألقَتْهُ الأرحامُ مِنَ النُّطَفِ، وهو دَمٌ قبل أن يكونَ خَلْقاً، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنَّ المُخلَّقةَ: ما أُكمِلَ خَلقُه بنفخِ الرُّوح فيه، وهو الذي يُولَدُ حيًّا لتمام، وغيرَ المُخلَّقةِ: ما سقطَ غيرَ حيٍّ لم يَكمُل خَلقُه بنفخ الرُّوح فيه، هذا معنى قولِ ابنِ عباس. **والثالث**: أنَّ المُخلَّقةَ: المُصوَّرةُ، وغيرَ المُخلَّقة: غيرُ مُصوَّرةٍ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنَّ المُخلَّقةَ وغيرَ المُخلَّقةِ: السِّقطُ، تارةً يَسقطُ نُطفةً وعَلقةً، وتارةً قد صُوِّر بعضُه، وتارةً قد صُوِّر كلُّه، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنَّ المُخلَّقةَ: التَّامةُ، وغيرَ المُخلَّقةِ: السِّقطُ، قاله الفرّاءُ، وابنُ قُتيبة.

قوله تعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خلقناكُم لِنُبَيِّنَ لكم ما تأتونَ وما تذَرُونَ. **والثاني**: لِنُبيِّنَ لكم في القرآن بُدُوَّ خَلقِكُم، وتَنقُّلَ أحوالِكُم. **والثالث**: لِنُبيِّنَ لكم كمالَ حِكمتِنا وقُدرتِنا في تقليبِ أحوالِ خَلقِكُم. **والرابع**: لنُبيِّنَ لكم أنَّ البعثَ حقٌّ.

وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ أبي عبلَةَ: «ليبيِّن لكم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ: «ويُقَرُّ» بياءٍ مرفوعةٍ وفتحِ القاف ورفع الراء. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو إسحاقَ السَّبيعيُّ: «ويُقِرَّ» بياءٍ مرفوعةٍ وبكسرِ القاف ونصبِ الراء. والذي يُقَرُّ في الأرحام، هو الذي لا يكون سِقطاً، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجلُ الولادة ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ قال أبو عُبيدَة: هو في موضع أطفال، والعرب قد تضع لفظَ الواحدِ في معنى الجميع، قال اللّهُ تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2] أي: ظُهَراءُ، وأنشد:

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١١١: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: المخلّقة: المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلّقة: السقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقاً سوياً إلا التصوير.

(٢) سورة التحريم: ٤.

فَـقُـلْـنـا أسـلِـمُـوا إنّـا أخـوكُـم فـقـد بَـرِئَـتْ مِـنَ الإحَـنِ الـصُّـدور[1]

وأنشد أيضاً:

فـي خَـلْـقِـكُـم عِـظَـمٌ وقـد شَـجِـيـنـا

وقال غيره: إنما قال: «طفلاً» فوحَّدَ، لأنَّ الميمَ في قوله تعالى: ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلَّت على الجميع، فلم يَحتَجْ إلى أن يقولَ: أطفالاً. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: ثم نعمركم لِتبلُغوا أشُدَّكُم، وقد سبق معنى «الأشد»[2]، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ مِنْ قبل بُلوغِ الأشُدِّ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ وقد شرحناه في النَّحل[3].

ثم إنَّ الله تعالى دَلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: ميتةً يابسةً، ومثله: هَمدَتِ النارُ: إذا طُفِئَتْ فذهبت. قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعني: المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكت للنَّباتِ، وذلك أنها ترتفع عن النَّباتِ إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى ﴿وَرَبَتْ﴾ أي ارتفعتْ وزادتْ. وقال المُبَرِّدُ: أراد: اهتزَّ نباتُها ورَبَا، فحذف المضاف. قال الفَرَّاءُ: وقرأ أبو جعفرَ المَدنيُّ: «وربأت» بهمزةٍ مفتوحةٍ بعد الباء. فإنْ كان ذهب إلى الرَّبيئَة الذي يَحرسُ القومَ، أي: أنه يرتفع، وإلاَّ، فهو غَلطٌ. قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: مِنْ كلِّ جنسٍ حَسَنٍ يُبهِجُ، أي: يَسُرُّ، وهو فعِيلٌ في معنى فاعِلٍ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك كما وَصفَ لكم. والأجودُ أن يكونَ موضعُ «ذلك» رفعاً، ويجوز أن يكونَ نصباً على معنى: فَعلَ اللّهُ ذلك بأنه هو الحقُّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي: ولِتعلَموا أنَّ الساعة ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾ قد سبق بيانه. وهذا ممَّا نزلَ في النَّضرِ أيضاً. والهدى: البيانُ والبُرهانُ. قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ العِطْفُ: الجانِب. وعِطْفَا الرجل: جانِبَاهُ عن يمينٍ وشمالٍ، وهو الموضع الذي يَعطِفُه الإنسانُ ويَلْويه عند إعراضِه عن المَشْي. قال الزَّجَّاجُ: «ثانيَ» منصوبٌ على الحالِ، ومعناه: التَّنوين، معناه: ثانياً عِطْفَهُ. وجاء في التفسير: أنَّ معناه: لاَوِياً عُنقَهُ، وهذا يُوصَفُ به المُتكبِّرُ، والمعنى: ومِنَ الناس مَنْ يُجادلُ بغير عِلْم مُتكبِّراً. قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ أي: لِيَصيرَ أمرُهُ إلى الضَّلال، فكأنَّه وإنْ لم يُقدِّر أنه يَضِلُّ، فإنَّ أمرَهُ يصيرُ إلى ذلك. ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ وهو ما أصابه يومَ بدرٍ، وذلك أنه قُتِلَ. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[4] إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ وفي سبب نزول هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنَّ ناساً مِنَ العرب كان يأتون

---

(١) البيت لعباس بن مرداس، كما في «الخزانة» ١/ ٧٣ و «الأغاني» ١/ ٧٣.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٣. (٣) سورة النحل: ٧٠. (٤) سورة يونس: ٧٠.

رسولَ الله ﷺ، فيقولون: نحنُ على دِينِكَ، فإنْ أصابُوا معيشةً، ونُتِجَتْ خَيْلُهم، وَوَلَدَتْ نساؤهم الغِلمانَ اطمأنُّوا وقال: هذا دِينُ حقٍّ، وإنْ لم يَجْرِ الأمرُ على ذلك قالوا: هذا دِينُ سُوءٍ، فينقلبون عن دِينِهم، فنزلت هذه الآيةُ، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ، وبه قال الأكثرون[1].

[١٠٠٤] **والثاني**: أنَّ رجلاً مِنَ اليهود أسلَمَ فذهب بصَرُه ومالُهُ ووَلَدُهُ، فتشاءَمَ بالإسلام، فأتى رسولَ الله ﷺ، فقال: أقِلْنِي، فقال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقالُ». فقال: إنّي لم أُصِبْ في دِيني هذا خيراً، أذهَبَ بصري ومالي وولَدِي، فقال: «يا يهوديُّ: إنَّ الإسلامَ يَسْبِكُ الرِّجالَ كما تَسْبِكُ النارُ خَبَثَ الحديدِ والفِضَّةِ والذَّهبِ»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطيَّةُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ: «على شكٍّ»، قال أبو عُبيدَةَ: كلُّ شاكٍّ في شيءٍ فهو على حَرْفٍ لا يثبتُ ولا يَدومُ. وبيانُ هذا أنَّ القائمَ على حَرْفِ الشيءِ غيرُ مُتمكِّنٍ منه فشُبِّه به الشَّاكُّ، لأنه قَلِقٌ في دِينِه على غيرِ ثباتٍ، ويُوضحُه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾ أي: رَخاءٌ وعافيةٌ ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ على عبادةِ الله ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبارٌ بجَدْبٍ وقِلَّةِ مالٍ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رجعَ عن دِينِه إلى الكُفرِ. والمعنى: انصرفَ إلى وجهه الذي تَوجَّهَ منه، وهو الكُفرُ، ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ حيث لم يظفَرْ بما أراد منها، ﴿وَ﴾ خسر ﴿ٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ بارتدادِه عن الدِّينِ. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وأبو مِجْلَز، ومُجاهِدٌ، وطَلْحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «خاسِرَ الدنيا» بألِفٍ قبلَ السين، وبنصبِ الراء «والآخرةِ» بخفضِ التاء. ﴿يَدْعُواْ﴾ هذا المُرتَدُّ، أي: يَعبدُ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إنْ لم يَعبُدْهُ و ﴿لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ إنْ أطاعَهُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الحقِّ ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ قال بعضُهم: اللامُ صِلَةٌ، والمعنى: يدعو مَنْ ضَرُّهُ. وحكى الزَّجّاجُ عن البَصريِّين والكُوفيِّين أنَّ اللامَ معناها التأخيرُ، والمعنى: يَدْعُو مَنْ لِضَرِّهِ ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ﴾، قال: وشرحُ هذا أنَّ اللامَ للِيَمينِ والتَّوكيدِ،

[١٠٠٤] ضعيف ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦١٨ عن عطية العوفي عن أبي سعيد وعطية هو ابن سعد الكوفي، وهو ضعيف واهٍ. وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٤/ ٦٢٤ من طريق عطية عن أبي سعيد به. وله شاهد من حديث جابر، أخرجه العقيلي ٣/ ٣٦٨، وفيه عنبسة بن سعيد، وهو ضعيف متروك. ثم إن السورة مكية في قول الجمهور، وأخبار يهود مدنية. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٦٦٣ بتخريجي.

---

(١) **موقوف، صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٤٢** عن ابن عباس قال: ومن الناس من يعبد الله **على حرف قال: كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج** خيله قال: هذا دين سوء. ولم يذكر سبب نزول الآية: وذكره بنحوه الواحدي في **«أسباب النزول» ٦١٧** وفيه سبب نزول الآية.

فحَقُّها أن تكونَ أولَ الكلام، فقدِّمت لِتُجعلَ في حقِّها. قال السُّدِّيُّ: ضَرُّهُ في الآخرة بعبادَتِهِ إيَّاهُ أقربُ مِنْ نَفْعِه.

فإنْ قيلَ: فهل للنَّفع مِنْ عبادة الصَّنَم وَجْهٌ؟ فالجواب: أنه لا نَفعَ مِنْ قِبَلِه أصلاً، غيرَ أنه جاء على لُغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيدٌ.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المَولَى: الوَلِيُّ. والعَشِيرُ: الصاحبُ، والخَلِيلُ.

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في نَفَرٍ مِنْ أَسَدٍ، وغَطَفانَ، قالوا: إنَّا نخافُ أنْ لا يُنْصَرَ محمَّدٌ، فينقَطِعَ الذي بيننا وبين حُلفائِنا مِنَ اليهود، وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزةَ الثُّماليُّ، والسُّدِّيُّ[١]. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقي أنَّ الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن رسولِ الله لأنَّ أرزاقَهم ما اتَّسعَتْ، وقد شرحنا القصَّةَ في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[٢]. وفي هاءِ «ينصره» قولان[٣]: **أحدهما**: أنها ترجعُ على «مَن»، والنَّصْرُ: بمعنى الرِّزقِ، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. قال أبو عُبيدَةَ: وَقَفَ علينا سائلٌ مِنْ بَني بَكْرٍ، فقال: مَنْ يَنصُرني نَصَرَهُ اللّهُ، أي: مَنْ يُعطيني أعطَاهُ اللّهُ، ويُقال: نَصرَ المطرُ أرضَ كذا، أي: جَادَهَا، وأحيَاهَا، قال الرَّاعي:

وانـــــصُـــــرِي أرْضَ عَـــامِـــــرِ[٤]

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فهذا الخبر لا شيء.
وذكره الطبري ٩/ ٢٠ بدون إسناد، ومن غير عزو لأحد.

(٢) سورة الحج: ١١.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٢٠: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه، وذكر هذه الآية توبيخاً لمن ارتدوا عن دينهم، وشكوا فيه، استبطاءً منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، فمن كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً ﷺ وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم فليمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره، مما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجّل قبل حينه. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٦٤ وقال: وهو الأولى والأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم، فإن المعنى: من ظن أن الله ليس بناصر محمداً ﷺ وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه، إن كان ذلك غائظه فإن الله ناصرهُ لا محالة، قال تعالى: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾. ولهذا قال: ﴿**فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ**﴾.

(٤) هو جزء من عجز بيت وتمامه: =

والثاني: أنها ترجعُ إلى رسولِ الله ﷺ، فالمعنى: مَنْ كان يظنُّ أنْ لنْ يَنْصرَ اللَّهُ محمَّداً، رواه التَّميميُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ، وقتادةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهذه كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، وكان قومٌ مِنَ المسلمين لشدَّة حَنَقِهم على المشركين يَستَبْطِئونَ ما وَعَدَ اللَّهُ رسولَهُ مِنَ النَّصرِ، وآخرون مِنَ المشركين، يُريدون اتِّباعَهُ، ويَخشَوْنَ أنْ لا يتِمَّ أمرُهُ، فقال هذه الآيَةَ للفريقين. ثم في معنى هذا النَّصرِ قولان: **أحدهما**: أنه الغَلَبَةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه الرِّزقُ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ في المُرادِ بالسماءِ قولان: **أحدهما**: سَقْفُ بيتِه، والمعنى: فليَشْدُدْ حَبْلاً في سَقْفِ بيتِه، فليَخْتَنِقْ به ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الحَبْلَ ليموتَ مُختَنِقاً، هذا قولُ الأكثرين. ومعنى الآية: لِيُصوِّرْ هذا الأمرَ في نفسه لا أنه يَفعَلُه، لأنه إذا اختنَقَ لا يُمكِنُه النَّظَرُ والعِلْمُ. **والثاني**: أنها السماءُ المعروفةُ، والمعنى: فلْيَقطَعِ الوَحيَ عن رسولِ الله ﷺ إنْ قَدِرَ، قاله ابنُ زيدٍ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قرأ أبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «ثم لِيقطع» «ثم لِيقضوا»[(١)] بكسرِ اللامِ. زاد ابنُ عامرٍ «ولِيوفوا»[(٢)] «ولِيطوفوا»[(٣)] بكسرِ اللام أيضاً. وكَسَرَ ابنُ كَثيرٍ لامَ «ثم لِيقضوا» فحَسْبُ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بسكون هذه اللاماتِ، وكذلك في كلِّ القرآن إذا كان قبلَها واوٌ أو فاءٌ أو ثم، قال الفرَّاءُ: مَنْ سَكَّنَ فقد خَفَّفَ، وكلُّ لامِ أمرٍ وصِلَتْ بواوٍ أو فاءٍ، فأكثر كلام العرب تَسكِينُها، وقد كَسَرَها بعضُهم. قال أبو عليٍّ: الأصل الكَسْرُ، لأنكَ إذا ابتدأتَ قلتَ: لِيَقُمْ زيدٌ. قوله تعالى: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: هل تُذهِبَنَّ حِيلَتُه غَيْظَهُ، والمعنى: لِيَجْهَدْ جُهْدَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدَّمَ مِنَ آياتِ القرآن ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي يقضي ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بينهم بإدخالِ المؤمنين الجنَّة والآخرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مِنْ أعمالِهم ﴿شَهِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨)﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: أَلَمْ تعلَمْ. وقد بيَّنَّا في سُورةِ النَّحل[(٤)] معنى السُّجودِ[(٥)] في حَقِّ مَنْ يَعقِل، ومَنْ

= إذا أدبر الشهر الحرام فودعي ... بلاد تميم وانصري أرض عامر

(١) سورة الحج: ٢٩.
(٢) سورة الحج: ٢٩.
(٣) سورة الحج: ٢٩.
(٤) سورة النحل: ٤٩.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٦٥: يخبر الله تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، وسجود كل شيء مما يختص به، كما قال: ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ فأخبر أن كل ماله ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أي ـ بكرة وعشياً ـ فإنه ساجد بظله لله تعالى وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه. =

لا يَعقِلُ. قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: المؤمنين الذين يَسجُدونَ للّهِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم الكفَّارُ، وهم يَسجُدونَ، وسُجودُهم سجودُ ظِلِّهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم لا يَسجُدون؛ والمعنى: وكثيرٌ مِنَ الناس أَبى السُّجودَ، فحَقَّ عليه العذابُ، لِتَركِهِ السُّجودَ، هذا قولُ الفرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: مَنْ يُشقِه اللهُ فما له مِنْ مُسْعِدٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في خَلْقِه مِنَ الكرامَةِ والإهانَةِ.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ[1]:

[١٠٠٥] **أحدها**: أنها نزلت في النَّفَرِ الذين تبارزوا للقتال يومَ بدرٍ، حمزَةُ، وعليٌّ، وعُبيدَةُ بنُ الحَارِثِ، وعُتبَةُ وشَيبَةُ ابنَي رَبيعَةَ، والوليدُ بنُ عُتبَةَ، هذا قول أبي ذَرٍّ.

[١٠٠٦] **والثاني**: أنها نزلت في أهلِ الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحنُ أَوْلَى بالله، وأقدَمُ منكم كِتاباً، ونَبيُّنا قبلَ نبيِّكم، وقال المؤمنون: نحنُ أحقُّ باللَّهِ، آمَنَّا بمحمَّدٍ، وآمَنَّا بنَبيِّكم وبما أنزلَ اللَّهُ مِنْ كتابٍ، وأنتم تعرفون نبينا ثم كَفَرتُم به حَسَداً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ.

والثالث: أنها في جميع المؤمنين والكفَّارِ، وإلى هذا المعنى ذهب الحَسَنُ وعطاءٌ، ومُجاهِدٌ.

والرابع: أنها نزلت في اختِصَامِ الجنَّةِ والنَّارِ، فقالت النَّارُ: خَلَقَني اللَّهُ لِعقوبَتِه، وقالت الجنَّةُ: خَلَقَني اللَّهُ لِرَحمَتِه، قاله عِكرِمَةُ.

فأما قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ وابنُ جُبَيرٍ ومُجاهِدٌ وعِكرِمَةُ وابنُ كَثيرٍ: «هاذانّ» بتشديدِ النون «خصمان»، فمعناه: جَمْعَانِ وليسا برَجُلَين، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ ولم يَقُلْ:

[١٠٠٥] صحيح. أخرجه البخاري ٨/٣٩٦ و ٣٩٦٩ و ٣٩٦٦ ومسلم ٣٠٣٣ والنسائي في «التفسير» ٣٦١ وابن ماجه ٢٨٣٥ والطبري ٢٤٩٧٩ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٩ والبغوي ٢٧٠١ من حديث أبي ذر.

[١٠٠٦] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٤٩٨٤ عن ابن عباس برواية العوفي عنه، وهي رواية واهية، العوفي واسمه عطية بن سعد وهو واهٍ، وعنه مجاهيل.

= وروى أحمد في حديث الكسوف: «إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله إذا تجلّى لشيء من خلقه خشع له».

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٢٤: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهها بتأويل الآية: قول من قال: عني بالخصمين: جميع الكفار من أي أصناف الكفار كانوا، وجميع المؤمنين ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٦٧ وقال: وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن ويشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل.

اختصَما؛ على أنه قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «اختصما».

وفي خُصومَتِهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: في دِينِ رَبِّهم، وهذا على القولَين تبقىٰ كما هي. **والثاني**: في البَعثِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه خِصامُ مُفاخَرةٍ، على قولِ عِكرِمَةَ.

قوله تعالى: ﴿قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٌ﴾ أي: سُوِّيتْ وجُعِلَتْ لِباساً. قال ابنُ عباسٍ: قُمُصٌ مِن نارٍ، وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: المراد بالنار ها هنا: النُّحاسُ. فأمّا «الحَميم» فهو الماءُ الحارُّ ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ﴾ قال الفَرّاءُ: يُذابُ به، يُقالُ: صَهرتُ الشَّحمَ بالنارِ. قال المُفسِّرون: يُذابُ بالماءِ الحارِّ ﴿مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ من شحم أو مِعىً حتى يخرج من أدبارهم، وتنضج الجلود فتتساقط من حرِّه. ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ قال الضَّحّاكُ: هي المَطارِقُ. وقال الحسَنُ: إنَّ النّارَ ترمِيهِم بلَهَبِها، حتى إذا كانوا في أعلاها، ضُربوا بمقامِعَ فهَوَوْا فيها سبعينَ خريفاً، فإذا انتهَوا إلى أسفلِها، ضَرَبَهُم زَفيرُ لَهَبِها، فلا يستقرُّون ساعةً. قال مُقاتِلٌ: إذا جاشَتْ جهنَّمُ، ألقتْهُم في أعلاها، فيُريدونَ الخُروجَ، فتتَلقّاهُم خَزَنةُ جهنَّمَ بالمَقامِعِ، فيَضرِبُونَهُم، فيَهْوِي أحدُهم مِنْ تلك الضَّربَةِ إلى قَعْرِها. وقال غيرُه: إذا دَفعَتْهُمُ النارُ، ظَنُّوا أنها سَتَقذِفُهم خارِجاً منها، فتُعيدُهُم الزَّبانيَةُ بمقامِعِ الحديدِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «ولؤلؤٍ» بالخَفضِ. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ولؤلؤاً» بالنصبِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ خفضَ، فالمعنى: يُحَلَّون أساوِرَ مِنْ ذَهبٍ ومِنْ لُؤلؤٍ؛ ومَنْ نصَبَ قال: ويُحلَّون لُؤلؤاً قال الزَّجّاجُ: واللؤلُؤُ اسمٌ جامعٌ للحبِّ الذي يخرج مِنَ البحر. قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أي: أُرْشِدوا في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه «لا إلَه إلاّ اللهُ، والحمدُ للهِ» قاله ابنُ عباسٍ. وزاد ابنُ زيدٍ؛ «واللهُ أكبرُ». **والثاني**: القرآن، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: **الأمرُ** بالمَعروفِ، والنَّهيُ عن المُنكَرِ، حكاه المَاوَرديِ. فأما «صراط الحميد» فقال ابنُ عباسٍ: هو طريقُ الإسلامِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: يَمنَعُونَ الناسَ مِنَ الدُّخولِ في الإسلامِ. قال الزَّجّاجُ: ولفظُ «يصدون» لفظُ مُستقبَلٍ عُطِفَ به على لفظِ الماضي، لأنَّ معنى «الذين كفروا»: الذين هُم كافرون، فكأنَّه قال: إنَّ الكافرين والصّادّين؛ فأمّا خبرُ «إنَّ» فمَحذُوفٌ، فيكون المعنى: إنَّ الذين هذه صِفَتُهم هَلَكُوا.

وفي «المسجد الحرام» قولان: **أحدهما**: جميعُ الحَرَمِ. روى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: كانوا يَرَونَ الحَرَمَ كُلَّه مَسجداً. **والثاني**: نَفسُ المَسجِدِ، حكاه المَاوَرديِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ هذا وَقْفُ التَّمام. وفي معناه قولان: **أحدهما**: جعلناه للنَّاسِ كُلِّهم، لم نَخُصَّ به بعضَهم دونَ بعضٍ، هذا على أنه جميعُ الحَرَم. **والثاني**: جعلناه قِبْلَةً لِصَلاتِهم، ومَنْسَكاً لِحَجِّهم، وهذا على أنه نَفْسُ المسجد. وقرأ ابراهيمُ النَّخَعيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وحَفْصٌ عن عاصِم: «سواءً» بالنصب، فيتوجَّهُ الوَقْفُ على «سواء»، وقد وَقَفَ بعضُ القُرَّاءِ كذلك. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أبدَلَ العاكِفَ والبَادِي مِنَ الناس مِنْ حيثُ كانا كالشَّامِلِ لهم، فصارَ المعنى: الذي جعلناه للعَاكِفِ والبَادِي سواءً. فأمَّا العَاكِفُ: فهو المُقيم، والبَادِي: الذي يأتيه مِنْ غيرِ أهلِه، وهذا مِنْ قولهم: بَدَا القومُ: إذا خرجوا مِنَ الحَضَرِ إلى الصحراء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «البَادِي» بالياء، غيرَ أنَّ ابنَ كَثيرٍ، وَقَفَ بياءٍ، وأبو عمروٍ بغير ياءٍ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، والمُسَيَّبي عن نافعٍ بغير ياء في الحالَتَين.

ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنَّ العَاكِفَ والبَادي يستويان في سُكنَى مكَّةَ والنُّزولِ بها، فليس أحدُهما أحقَّ بالمنزل مِنَ الآخر، غير أنه لا يُخرَجُ أحدٌ مِنْ بيته، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بن جُبَيرٍ، وقَتادَةَ؛ وإلى نحوِ هذا ذهب أبو حَنيفَةَ، وأحمدُ؛ ومذهبُ هؤلاءِ أنَّ كِرَاءَ دُورِ مكَّةَ وبَيْعَها حرامٌ[١]، هذا على أنَّ المسجدَ: الحَرَمُ كُلُّه. **والثاني**: أنهما يستويان في تفضيلِه وحُرمَتِه وإقامةِ المَناسِكِ به، هذا قولُ الحسَنِ، ومُجاهِدٍ. ومنهم مَنْ أجازَ بيعَ دُورِ مكَّةَ، وإليه يذهب الشَّافعيُّ. وعلى هذا يجوز أنْ يُرادَ بالمسجدِ الحَرامِ، ويجوز أنْ يُرادَ نفسُ المسجدِ.

قوله تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ الإِلحَادُ في اللغة: العُدُولُ عن القَصْدِ، والباءُ زائدةٌ، كقوله

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦: واختلفت الرواية في بيع رباع مكة، وإجارة دورها. فروي أن ذلك غير جائز. وهو قول أبي حنيفة، ومالك، والثوري، وأبي عبيد.
وكرهه إسحاق لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «مكة حرام بيع رباعها، حرام إجارتها» رواه سعيد بن منصور، كسائر الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، ولم يقسموها والدليل على أن مكة فتحت عنوة، قوله ﷺ: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلّط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار» متفق عليه. ولذلك أمر النبي ﷺ، بقتل أربعة، فقتل منهم ابن خطل، ومقيس بن صبابة، وهذا يدل على أنها فتحت عنوة.
والرواية الثانية، أنه يجوز بيع رباعها، وإجارة بيوتها. روي ذلك عن طاوس وعمرو بن دينار وهذا قول الشافعي وابن المنذر. وهو أظهر في الحجة، لأن النبي ﷺ لما قيل له: أين ننزل غداً؟ قال: «وهل ترك لنا عقيل من رباع؟» متفق عليه يعني أن عقيلاً باع رباع أبي طالب، لأنه ورثه دون إخوته، لكونه كان على دينه دونهما، فلو كانت غير مملوكة، لما أثر بيع عقيل شيئاً، ولأن أصحاب النبيّ ﷺ كانت لهم دور بمكة لأبي بكر، والزبير، وحكيم، فمنهم من باع ومنهم من ترك داره، فهي في يد أعقابهم ولم يزل أهل مكة يتصرفون في دورهم تصرف الملاّك بالبيع وغيره، ولم ينكره منكر، فكان إجماعاً. وكونها فتحت عنوة، الصحيح الذي لا يمكن دفعه إلا أنّ النبي ﷺ أقر أهلها فيها على أملاكهم ورباعهم. وعلى القول الأول: إن سكن بأجرة فأمكنه أن لا يدفع إليهم الأجرة، جاز له ذلك وقد روي أن سفيان سكن في بعض رباع مكة، وهرب، ولم يعطهم أجرة فأدركوه فأخذوها منه. وذُكر لأحمد فعل سفيان، فتبسم، فظاهر هذا، أنه أعجبه. قال ابن عقيل: والخلاف في غير مواضع المناسك، أما بقاع المناسك كموضع السعي والرمي فحكمه حكم المساجد، بغير خلاف.

تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[١]، وأنشدوا:

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّثَّ صَدْرُهُ وأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهانِ[٢]

المعنى: وأسفَلُهُ يُنبِتُ المَرْخَ؛ وقال آخر:

هُنَّ الحَرائِرُ لاربَّاتُ أخْمِرَةٍ سُودُ المَحَاجِرِ لا يَقْرأْنَ بالسُّوَرِ[٣]

وقال آخرُ:

نحنُ بَنُو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَج نَضرِبُ بالسَّيفِ ونَرجُو بالفَرَج[٤]

هذا قولُ جمهور اللغويين. قال ابنُ قُتَيبةَ: والباءُ قد تُزادُ في الكلام، كهذه الآيةِ، وكقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٥] ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[٦] ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝﴾[٧] ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[٨] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾[٩] أي: يشربُها؛ وقد تُزاد «من»، كقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾[١٠]، وتُزاد «اللام» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[١١]، والكاف، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١٢]، و«عن»، كقوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[١٣]، و«إنَّ»، كقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[١٤] و«إنْ» الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾[١٥]، و«ما»، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[١٦]، و«الواو»، كقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ﴾[١٧].

وفي المراد بهذا الإلحَادِ خمسةُ أقوالٍ[١٨]: **أحدها**: أنه الظُّلمُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هو عملُ سيئةٍ؛ فعلى هذا تدخلُ فيه جميعُ المعاصي، وقد رُوي عن عمرَ بنِ الخطَّابِ أنه قال: لا تَحتكِروا الطعامَ بمكَّةَ، فإنَّ احتِكَارَ الطعام بمكَّةَ إلحَادٌ بظُلم. **والثاني**: أنه الشِّركُ، رواه ابنُ أبي طلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال الحَسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: الشِّركُ والقَتْلُ، قاله عطاءٌ. **والرابع**: أنه استِحلالُ محظُوراتِ الإحرَامِ، وهذا المعنى مَحكِيٌّ عن عطاءٍ أيضاً. **والخامس**: استِحلالُ الحَرامِ تعمُّداً، قاله ابنُ جُريجٍ.

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٠.

(٢) البيت: للأحول اليشكري واسمه يعلى كما في «اللسان» ـ شث ـ و «مجاز القرآن» ٢/ ٤٨ والشّث: شجر طيب الريح، مُرُّ الطعم يدبغ به. والمرخ: شجر كثير الوَرْي سريعه، وفي المثل: في كل شجرٍ نار، واستمجد المَرْخ والعفار واستمجد: استفضل، ومنه الزناد الذي يقتدح به. والشبهان: نبت يشبه الثُّمام.

(٣) البيت في «اللسان» ـ سور ـ و «مجاز القرآن» ١/ ٤ و «الخزانة» ٣/ ٦٦٨.

(٤) البيت لراجز من بني جعدة كما في «الخزانة» ٤/ ١٥٩.

(٥) سورة العلق: ١. (٦) سورة مريم: ٢٤. (٧) سورة القلم: ٦.

(٨) سورة الممتحنة: ١. (٩) سورة الإنسان: ٦. (١٠) سورة الذاريات: ٥٧.

(١١) سورة الأعراف: ١٥٤. (١٢) سورة الشورى: ١١. (١٣) سورة النور: ٦٣.

(١٤) سورة الجمعة: ٨. (١٥) سورة الأحقاف: ٢٦. (١٦) سورة المؤمنون: ٤٠.

(١٧) سورة الصافات: ١٠٣، ١٠٤.

(١٨) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٣٢: وأولى الأقوال بالصواب قول ابن عباس وابن مسعود: من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عمّ بقوله ﴿ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم﴾ ولم يخصص، فهو على عمومه.

فإن قيل: هل يُؤاخَذُ الإِنسانُ إنْ أراد الظُّلمَ بمكَّةَ، ولم يفعَلْهُ؟ فالجواب مِنْ وجهين: **أحدهما**: أنه إذا هَمَّ بذلك في الحَرم خاصَّةً، عُوقِبَ، هذا مذهبُ ابنِ مسعودٍ، فإنه قال: لو أنَّ رجلاً هَمَّ بخطيئةٍ، لم تُكتَبْ عليه ما لم يعمَلْهَا، ولو أنَّ رجلاً هَمَّ بقتلِ مؤمنٍ عند البيت، وهو بـ «عَدَنِ أَبْيَن»، أذاقَهُ اللهُ في الدنيا مِنْ عذابٍ أليم. وقال الضَّحَّاكُ: إنَّ الرجلَ لَيهمُّ بالخطيئةِ بمكَّةَ وهو بأرضٍ أخرى، فتُكتَبُ عليه ولم يعمَلْها. وقال مُجاهِدٌ: تُضاعَفُ السيئاتُ بمكَّةَ، كما تُضاعَفُ الحسناتُ. وسُئِلَ الإِمامُ أحمدُ: هل تُكتَبُ السيئةُ أكثرَ مِنْ واحدةٍ؟ فقال: لا، إلاَّ بمكَّةَ لتعظيمِ البلدِ. وأحمدُ على هذا يرى فضيلةَ المُجاورَةِ بها؛ وقد جاورَ جابرُ بنُ عبدِ الله، وكان ابنُ عمرَ يُقيم بها[1]. **والثاني**: أنَّ معنى: «ومَنْ يُرِدْ»: مَنْ يعمَلْ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: هذا قولُ سائرِ مِنْ حَفِظْنا عنه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: جعلنا. وقال مُقاتِلٌ: دَلَلْناهُ عليه، وقال ثَعلَبُ: وإنما أدخلَ اللامَ، على أنَّ «بوَّأنا» في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى «رَدِفَ لكم»[2] أي: رَدِفَكم. وقد شرحنا كيفيةَ بناءِ البيتِ في سُورةِ البقرة[3]. قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ حرَّكَ هذه الياءَ، نافعٌ وحَفصٌ عن عاصِمٍ. وقد شرحنا الآيةَ في البَقرة[4]. وفي المُراد بـ «القائمين» قولان: **أحدهما**: القائمون في الصَّلاةِ، قالهُ عطاءٌ، والجمهور. **والثاني**: المُقيمون بمكَّةَ، حُكيَ عن قَتادَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا فَرَغَ إبراهيمُ مِنْ بناءِ البيت، أمَرَهُ اللهُ تعالى أنْ يُؤذِّنَ في الناس بالحَجِّ، فقال إبراهيمُ: يا ربِّ، وما يَبلُغُ صوتي؟ قال: أذِّنْ، وعليَّ البَلاغُ، فَعَلا على جبلِ أبي قُبَيسٍ، وقال: يا أيُّها الناسُ: إنَّ رَبَّكُم قد بَنَى بيتاً، فحُجُّوه، فأسمَعَ مَنْ في أصلابِ الرجالِ وأرحامِ النساءِ ممَّنْ سبقَ في عِلم الله أنْ يَحُجَّ، فأجابُوه: لَبَّيكَ اللهُمَّ لَبَّيك. والأذانُ بمعنى النِّداءِ والإِعلام، والمَأمُورُ بهذا الأذانِ، إبراهيمُ في قولِ الجمهور، إلاَّ ما رُويَ عن الحسَنِ أنه قال: المأمورُ به محمَّدٌ ﷺ والناسُ ها هنا: اسمٌ يعُمُّ جميعَ بَني آدمَ عند الجمهور، إلاَّ ما رَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنه

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٤٦٤: قال أحمد: كيف لنا بالجوار بمكة! قال النبي ﷺ: «إنك لأحب البقاع إلى الله عز وجل، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». وإنما كره الجوار بمكة لمن هاجر منها، وجابر بن عبد الله جاور بمكة، وجميع أهل البلاد ليس بمنزلة من يخرج ويهاجر. أي لابأس به. وكان ابن عمر يقيم بها. قال: والمقام بالمدينة أحب إلي من المقام بمكة لمن قوي عليه، لأنها مهاجر المسلمين. وقال النبي ﷺ: «لا يصبر أحد على لأوائها وشدّتها إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة».

(٢) سورة النمل: ٧٢. (٣) سورة البقرة: ١٢٩. (٤) سورة البقرة: ١٢٥.

قال: عَنَى بالناس أهلَ القِبْلَة.

واعلَمْ أنَّ مَنْ أتى البيتَ الذي دَعا إليه إبراهيمُ، فكأنه قد أتى إبراهيمَ، لأنه أجابَ نداءَهُ. وواحدُ الرجال ها هنا: رَاجِلٌ، مثل صاحب، وصِحَاب، والمعنى: يأتوكَ مُشَاةً. وقد رُوي أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ حَجَّا ماشيَيْنِ، وحَجَّ الحسَنُ بنُ عليٍّ خمساً وعشرين حِجَّةً ماشياً مِنَ المدينة إلى مكَّةَ، والنَّجَائبُ تُقَاد معه. وحجَّ الإمامُ أحمدُ ماشياً مرَّتين أو ثلاثاً(١).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: رُكبَاناً على ضُمَّرٍ مِنْ طُولَ السفر. قال الفَرَّاءُ: «ويأتين» فِعلٌ للنُّوقِ. وقال الزَّجَّاجُ: «يأتين» على معنى الإِبلِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عبلَةَ: «يأتون» بالواو. قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريقٍ بعيدٍ. وقد ذكرنا تفسيرَ الفَجّ عندَ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ أي: لِيَحضُروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: التِّجارة، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: منافعُ الآخرة، قاله سعيدُ بنُ المُسيِّب، والزَّجَّاجُ في آخرين. **والثالث**: منافع الدَّارَيْنِ جميعاً، قاله مُجاهِدٌ. وهو أصحُّ، لأنه لا يكون القَصْدُ للتجارة خاصَّةً، وإِنما الأصل قَصْدُ الحَجِّ؛ والتجارةُ تَبَعٌ.

وفي الأيام المَعلوماتِ ستةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنها أيامُ العَشْرِ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عمرَ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وعطاءٌ، وعِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ والشَّافعيُّ. **والثاني**: تسعةُ أيامٍ مِنَ العَشْرِ، قاله أبو موسى الأشعَريُّ. **والثالث**: يوم الأضحى وثلاثةُ أيام بعدَهُ، رواه نافعٌ عن ابنِ عمرَ، ومِقْسَمٌ عن ابن عباسٍ. **والرابع**: أنها أيامُ التَّشريقِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ الخُراسَانيُّ، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: أنها خمسةُ أيام، أوَّلُها يومُ التَّروِيَةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والسادس**: ثلاثة أيام، أوَّلُها يومُ عَرفَةَ، قاله مالكُ بنُ أنس. وقيلَ: إنما قال: «معلومات»، لِيُحرَصَ على عِلمِها بحسَابها مِنْ أجل وقتِ الحَجِّ في آخرِها. قال الزَّجَّاجُ: والذِّكرُ هاهنا يدلُّ على التسمية على ما يُنحَرُ، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ قال القاضي أبو يعلَى: ويحتمل أنْ يكونَ الذِّكرُ المذكورُ هاهنا: هو الذِّكرُ على الهَدَايا الواجبة، كالدَّم الواجبِ لأجلِ التَّمتُّعِ والقرآن، ويحتمل أنْ يكونَ الذِّكرُ المفعولُ عند رَمي الجِمَارِ وتكبيرِ التَّشرِيقِ، لأنَّ الآيَةَ عامَّةٌ في ذلك.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٣٩: لا خلاف في جواز الركوب والمشي. واختلفوا في الأفضل منهما فذهب مالك والشافعي في آخرين إلى أن الركوب أفضل، اقتداء بالنبي ﷺ، ولكثرة النفقة ولتعظيم شعائر الحج بأهبة الركوب.

(٢) قال أبو جعفر رحمه الله في «تفسيره» ٢/٣١٧: وصف الله جلّ ذكره ﴿المعلومات﴾ بأنها أيام يذكر اسم الله على بهائم الأنعام. فكان معلوماً، إذ قال ﷺ لأيام التشريق إنها أيام أكل وشرب وذكر الله فأخرج قوله: «وذكر الله» مطلقاً بغير شرط، ولا إضافة إلى أنه الذكر على بهائم الأنعام، أنه عنى بذلك الذكر الذي ذكره الله في كتابه، فأوجبه على عباده مطلقاً بغير شرط، ولا إضافة إلى معنى في «الأيام المعدودات». ويعني جل ذكره: اذكروا الله بالتوحيد والتعظيم في أيام محصيات، وهي أيام رمي الجمار. وإنما قلنا إن «الأيام المعدودات» هي أيام منى وأيام رمي الجمار، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول فيها: إنها أيام ذكر الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يعني: الأنعامُ التي تُنحرُ؛ وهذا أمرُ إباحَةٍ. وكان أهلُ الجاهليَّةِ لا يستَحِلُّون أكْلَ ذبائِحِهم، فأعلَمَ الله عزَّ وجلَّ أنَّ ذلك جائزٌ[1]، غيرَ أنَّ هذا إنما يكون في الهَدْيِ المُتطوَّعِ به، فأمَّا دم التمتُّعُ والقِرانُ فعندنا أنه يجوز أن يأكلَ منه، وقال الشَّافعيُّ: لا يجوز، وقد رَوى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: مِنْ كلِّ الهَدْيِ يُؤكَلُ، إلاَّ ما كان مِنْ فِدَاءٍ أو جَزاءٍ أو نَذْرٍ. فأما «البائس» فهو ذو البُؤْسِ، وهو شدَّةُ الفقر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَلْقُ الرأس، وأخذُ الشَّارِبِ، ونَتفُ الإبطِ، وحَلقُ العَانَةِ، وقصُّ الأظفَارِ، والأخذُ مِنَ العارِضَيْنِ، ورَميُ الجِمَارِ، والوقوفُ بعرَفَةَ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مناسِكُ الحَجِّ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وهو قولُ ابنِ عمرَ. **والثالث**: حَلْقُ الرأس، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الشَّعرُ، والظُّفرُ، قاله عِكرمَةُ.

والقول الأول أصحُّ، لأنَّ التَّفَثَ: الوَسخُ، والقَذارَةُ: مِنْ طولِ الشَّعرِ والأظفَارِ والشَّعَثِ. وقضاؤه: نَقضُه، وإذهابُه، والحاجُّ مُغبرٌ شَعثٌ لم يدَّهِنْ، ولم يَستَحِدَّ، فإذا قَضى نُسكَهُ، وخرج مِنْ إحرامِهِ بالحَلْقِ، والقَلْم، وقصِّ الأظفَارِ، ولبسِ الثياب، ونحوِ ذلك، فهذا قضاءُ تَفَثِه. قال الزَّجَّاجُ: وأهل اللغة لا يعرفون التَّفَثَ إلاَّ مِنَ التفسير، وكأنه الخُروجُ مِنَ الإحرام إلى الإحلالِ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ وروى أبو بكرٍ عن عاصِم: «ولِيوفّوا» بتسكينِ اللام وتشديدِ الفاء. وقال ابنُ عباسٍ: هو نَحرُ ما نَذَروا مِنَ البُدْنِ. وقال غيرُهُ: ما نَذَروا مِنْ أعمالِ البِرِّ في أيام الحَجِّ، فإنَّ الإنسان ربَّما نَذَرَ أنْ يتصدَّقَ إنْ رزقَهُ رُؤيةَ الكعبةِ، وقد يكون عليه نُذورٌ مُطلَقَةٌ، فالأفضل أنْ يُؤدِّيَها بمكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا هو الطَّوافُ الواجبُ، لأنه أُمِرَ به بعد الذَّبحِ، والذبح إنما يكون في يوم النَّحرِ، فدَلَّ على أنه الطَّوافُ المَفروضُ.

وفي تسمية البيت عَتيقاً أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنَّ الله تعال أعتقَهُ مِنَ الجَبابرَةِ.

[١٠٠٧] روى عبدُالله بنُ الزُّبيرِ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنما سمَّى الله البيتَ: العَتِيقَ، لأنَّ الله

[١٠٠٧] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٧٠ والحاكم ٢/ ٣٨٩/ ٣٤٦٥ والطبري ٢٥١١٧ من حديث عبد الله بن الزبير. صححه الحاكم على شرط البخاري، وقال الترمذي: حسن صحيح.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٣/ ٣٧٩: والاستحباب أن يأكل ثلث أضحيته، ويهدي ثلثها، ويتصدق بثلثها، ولو أكل أكثر جاز. والأمر للاستحباب في قوله: **﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾** قال أحمد: نحن نذهب إلى حديث عبد الله: يأكل هو الثلث، ويطعم من أراد الثلث، ويتصدق على المساكين بالثلث. قال علقمة: بعث معي عبد الله بهديةٍ فأمرني أن آكل ثلثاً، وأن أرسل إلى أخيه بثلث، وأن أتصدق بثلث. وعن ابن عمر قال: الضحايا والهدايا ثلث لك، وثلث لأهلك، وثلث للمساكين، وهذا قول إسحاق، وأحد قولي الشافعي. وقال في آخر: يجعلها نصفين، يأكل نصفاً ويتصدّق بنصف. وقال أصحاب الشافعي: يجوز أكلها كلها. وقال أصحاب الرأي: ما كثر من الصدقة فهو أفضل، لأن النبي ﷺ أهدى مائة بدنة، وأمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فأكل هو وعليٌّ من لحمها، وحسيا من مرقها. ونحر خمس بدنات أو ست بدنات، وقال: «من شاء فليقتطع». ولم يأكل منهن شيئاً. لأنها ذبيحة يتقرب إلى الله تعالى بها، فلم يجب الأكل منها. والأمر للاستحباب أو للإباحة.

أعتقَهُ مِنَ الجَبابِرةِ، فلم يَظْهَرْ عليه جبَّارٌ قطُّ» وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ.

والثاني: أنَّ معنى العَتيقِ: القدِيم، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: لأنه لم يُملَكْ قطُّ، قاله مجاهِدٌ في روايةٍ، وسُفيانُ بنُ عُيينَةَ. **والرابع**: لأنه أُعتِقَ مِنَ الغرَقِ زمانَ الطُّوفان، قاله ابنُ السَّائبِ، وقد تكلَّمنا في هذه السُّورةِ في «لِيَقضوا» «وليُوفوا» «وليُطوفوا».

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك، يعني: ما ذكرَ مِنْ أعمال الحجِّ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فيجتنبَ ما حرَّمَ الله عليه في الإحرَامِ تعظيماً لأمرِ الله. قال اللَّيْثُ: الحُرمَةُ: ما لا يَحِلُّ انتهاكُه. وقال الزَّجَّاجُ: الحُرمَةُ: ما وَجبَ القيامُ به، وحرُمَ التَّفريطُ فيه. قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التَّعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ وقد سبق بيانُها[1] ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمُه، يعني به: ما ذُكِرَ في سُورةِ المائِدة من المنخنقة وغيرها. وقيل: وأحلت لكم الأنعام في حالِ إحرَامِكم، إلاَّ ما يُتلى عليكم في الصَّيدِ، فإنه حَرامٌ. قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: دَعُوهُ جانباً، قال الزَّجَّاجُ: و«مِن» ها هنا، لِتَخليص جنسٍ مِنَ الأجناس، المعنى: فاجتَنِبُوا الرِّجسَ الذي هو وَثَنٌ. وقد شرحنا معنى الرِّجسِ في المائِدَةِ[2]. وفي المراد بقول الزُّورِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: شهادةُ الزورِ، قال ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: الكذبُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الشِّركُ، قاله أبو مالكٍ. **والرابع**: أنه قولُ المشركين في الأنعَام: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، قاله الزَّجَّاجُ، قال: وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ منصوبٌ على الحالِ، وتأويلُه: مسلمين لا يُنسَبون إلى دِينٍ غيرِ الإسلام. ثم ضربَ الله مَثَلاً للمُشركِ، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَحِيقٍ﴾، والسَّحِيقُ: البعيد.

واختلفوا في قراءة «فتخطَفُه» فقرأ الجمهورُ: «فتخطَفُه» بسكونِ الخاء مِنْ غير تشديدِ الطاء. وقرأ نافعٌ: بتشديدِ الطاء، وقرأ أبو المُتوكِّلِ، ومعاذٌ القارئُ: بفتحِ التاء والخاء وتشديدِ الطاء ونصبِ الفاء. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: بكسرِ التاء والخاء وتشديدِ الطاء ورفعِ الفاء. وقرأ

= وقد روي عن الزهري مرسلاً. ومرسل الزهري أخرجه الطبري ٢٥١١٨ والمرفوع المتصل ضعيف، لأن مداره على عبد الله بن صالح كاتب الليث، وقع له مناكير بسبب جار له، كان يدس في كتبه. كما قال العلماء، راجع «الميزان». وذكر ابن كثير الاختلاف فيه، فروي متصلاً ومرسلاً وموقوفاً على ابن الزبير وموقوفاً على مجاهد، فالحديث ضعيف، والأشبه أن يكون موقوفاً، ولو صح ما اختلفوا في سبب تسميته والله أعلم. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٤١٨ بتخريجنا.

(١) في سورة المائدة: ١.
(٢) سورة المائدة: ٩٠.

الحَسنُ، والأعمَشُ: بفتح التاء وكسرِ وتشديدِ الطاء ورفع الفاء. وكُلُّهم فَتَحَ الطاءَ. وفي المراد بهذا المَثَلِ قولان: **أحدهما**: أنه شَبَّه المُشركَ بالله في بُعدِه عن الهُدى وهَلاكِه، بالذي يَخِرُّ مِنَ السماء، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه شَبَّهَ حالَ المُشركِ في أنه لا يَملكُ لنفسه نَفعاً ولا دَفعَ ضُرٍّ يومَ القيامة، بحالِ الهَاوي مِنَ السماء، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرناهُ ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشَّعائِر في البقرة[1]. وفي المُراد بها هاهنا قولان: **أحدهما**: أنها البُدْنُ. وتعظيمُها: استحسانها واستِسمَانُها ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ قبل أنْ يُسمِّيَها صاحبُها هَدْياً، أو يُشعِرَها ويُوجِبَها، فإذا فعل ذلك، لم يكُنْ له مِنْ منافعها شيءٌ، روى هذا المعنى مِقْسَمٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. وقال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ: لكم في هذه الهَدايا منافُع بعد إيجابِها وتسمِيَتِها هدايَا إذا احتَجْتُم إلى شيءٍ مِنْ ذلك أو اضطُرِرتُم إلى شُربِ ألبانِها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أنْ تُنحرَ. **والثاني**: أنَّ الشعائِرَ: المَناسك ومَشاهِدُ مكَّةَ؛ والمعنى: لكم فيها منافعُ بالتجارة إلى أجَلٍ مُسمَّىً، وهو الخروجُ مِنْ مكَّةَ، رواه أبو رَزِينٍ عن ابنِ عباسٍ. وقيلَ: لكم فيها منافعُ مِنَ الأجرِ، والثوابِ في قضاءِ المَناسِكِ إلى أجَلٍ مُسَمَّىً، وهو انقضاءُ أيامِ الحَجِّ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعالَ المذكورة، مِن اجتِنابِ الرِّجسِ وقولِ الزُّورِ، وتعظيم الشعَائِر. وقال الفَرَّاءُ: «فإنها» يعني الفِعْلَةَ ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، وإنما أضافَ التقوى إلى القلوب، لأنَّ حقيقةَ التقوى تقوى القلوبِ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: حيثُ يَحِلُّ نحرُها ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: عندَ البيت، والمراد به: الحَرَمُ كُلُّه[2]، لأنَّا نعلَمُ أنها لا تُذبَحُ عندَ البيت، ولا في المَسجدِ، هذا على القولِ الأوَّلِ، وعلى الثاني، يكون المعنى: ثمَّ مَحِلُّ الناس مِنْ إحرامِهم إلى البيتِ، وهو أنْ يَطُوفوا به بعدَ قضاءِ المَناسِكِ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسائِيُّ، وبعضُ أصحاب أبي عمرٍو بكسرِ السين، وقرأ الباقون بفتْحِها: فمَنْ أراد المَصدَرَ، مِنْ نَسَكَ يَنْسُكُ، ومَنْ كَسرَ أراد مكانَ النُّسْكِ كالمَجلِسِ والمَطلِعِ. ومعنى الآية: لكلِّ جماعةٍ مؤمنةٍ مِنَ الأُمَمِ السَّالفَةِ جعلنا ذَبحَ القَرابين ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾، وإنما خَصَّ بهيمةَ الأنعام، لأنها المَشروعَةُ في القُرَبِ. والمراد مِنَ الآية: أنَّ الذبائحَ ليست مِنْ خصائص هذه الأمَّةِ، وأنَّ التَّسمِيةَ عليها كانت مشروعةً قبلَ هذه الأُمَّةِ. قوله تعالى: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لا ينبغي أنْ تَذكُروا على ذَبائِحِكُم سِواهُ ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ أي: انقادُوا واخضَعُوا. وقد ذكرنا معنى الإخبَاتِ في سُورةِ هودٍ[3]. وكذلك ألفاظُ الآيةِ التي تَلِي هذه.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨.
(٢) تقدم الكلام عن محل الذبح في سورة المائدة.
(٣) سورة هود: ٢٣.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى؛ ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ وقرأ الحسَنُ، وابنُ يعمَرَ برفع الدال. قال الفرَّاءِ: يُقال: بُدْن وبُدُن، والتخفيفُ أجوَدُ وأكثرُ، لأنَّ كلَّ جمعٍ كان واحدُهُ على «فَعَلة» ثم ضُمَّ أولُ جمعِه، خُفِّفَ، مثل: أَكَمَة وأُكْم، وأَجَمَة وأُجْم، وخَشَبَة وخُشْب. وقال الزَّجَّاجُ: «البُدْنَ» منصوبةٌ بفعلٍ مُضمَرٍ يفسِّرُهُ الذي ظهرَ، والمعنى: وجعلنا البُدْنَ؛ وإنْ شئتَ رَفعتَها على الاستِئنَافِ، والنَّصبُ أحسنُ؛ ويُقال: بُدْن وبُدُن وبَدَنَة، مثل قولك: ثُمْر وثُمُر وثَمَرة؛ وإنما سُمِّيَتْ بَدَنَة، لأنها تَبْدُنُ، أي: تَسْمَنُ.

وللمفسِّرين في البُدْنِ قولان: **أحدهما**: أنها الإِبلُ والبَقرُ، قاله عطاءٌ. **والثاني**: الإِبلُ خاصَّةً، حكاه الزَّجَّاجُ، وقال: الأولُ قولُ أكثرِ فقهاءِ الأمصَارِ. قال القاضي أبو يَعلَى: البُدْنَةُ: اسمٌ يختصُّ الإِبلَ في اللغة، والبقرةُ تقوم مقامَها في الحُكم.

[١٠٠٨] لأنَّ النبيَّ ﷺ جعلَ البدنَة عن سبعةٍ والبقرةَ عن سبعةٍ.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي: جعلنا لكم فيها عبادةَ الله، مِنْ سَوْقِها إلى البيت، وتقليدِها، وإشعَارِها[١]، ونَحرِها، والإطعام منها، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وهو النَّفعُ في الدنيا والأجْرُ في الآخرة، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: على نَحْرِها، ﴿صَوَآفَّ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وقتادَةُ: «صَوافِن» بالنون. وقرأ الحسَنُ، وأبو مِجلَز، وأبو العَالِيةِ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يعمَرَ: «صَوافي» بالياء. وقال الزَّجَّاجُ: «صَوافَّ» منصوبةٌ على الحَالِ، ولكنها لا تُنوَّنُ لأنها لا تَنصرِفُ؛ أي: قد صُفَّتْ قوائِمُها[٢]، والمعنى: اذكرُوا اسمَ الله عليها في حالِ نَحْرِها[٣]؛ والبَعيرُ يُنحَرُ قائماً، وهذه الآيةُ تدلُّ

[١٠٠٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٣١٨ ح ٣٥٠ وأبو داود ٢٨٠٩ والترمذي ٩٠٤ وابن ماجه ٣١٣٢ والبغوي ١١٣٠ وابن حبان ٤٠٠٦ والبيهقي ٥/ ١٦٨ ـ ١٦٩ و ٢١٦ و ٢٣٤ و ٩/ ٢٩٤ من حديث جابر أنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية البقرة عن سبعة، والبدنة عن سبعة. لفظ مسلم.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٤٥٥ فصل: ويسن إشعار الإبل والبقر، وهو أن يشق صفحة سنامها الأيمن حتى يدميها في قول عامة أهل العلم، وقال أبو حنيفة: هذا مثله غير جائز لأن النبي ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان، ولأنه إيلام، فهو كقطع عضو منه. وقال مالك: إن كانت البقرة ذات سنام، فلابأس بإشعارها، وإلا فلا، ولنا ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: فتلت قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها وقلدها. متفق عليه، ورواه ابن عباس وغيره، وفعله الصحابة، فيجب تقديمه على عموم ما احتجوا به... إذا ثبت هذا فالسنة الإشعار في صفحتها اليمنى، وبهذا قال الشافعي وأبو ثور، وقال مالك وأبو يوسف: بل تشعر في صفحتها اليسرى وعن أحمد مثله.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٥/ ٢٩٨: والسنة نحر الإبل قائمة معقولة يدها اليسرى، فيضربها بالحربة في الوهدة التي بين أصل العنق والصدر. وممن استحب ذلك مالك، والشافعي وإسحاق، وابن المنذر. واستحب عطاء نحرها باركة. وجوّز الثوري وأصحاب الرأي كل ذلك. ولنا، ما روى زياد بن جبير، =

على ذلك. ومَنْ قرأ: «صوافن» فالصَّافِنُ: التي تقوم على ثلاثٍ، والبَعيرُ إذا أرادوا نَحرَهُ، تُعقَلُ إحدى يديه، فهو الصَّافِنُ، والجميع: صَوَافِنُ. هذا ومَنْ قرأ: «صوافي» بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيرُه: خَوالِصُ، أي: خالصَةٌ لله لا تُشركوا به في التَّسميةِ على نَحرِها أحداً. ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: إذا سقطَتْ إلى الأرض، يُقال: وَجَبَ الحائِطُ وَجْبَةً، إذا سقطَ. ووجَبَ القلبُ وَجيباً: إذا تحرَّكَ مِنْ فَزَعٍ. واعلَمْ أنَّ نحرَها قياماً سُنَّةٌ، والمُراد بوقُوعِها على جنُوبِها: مَوتُها، والأمرُ بالأكْلِ منها أمرُ إباحَةٍ، وهذا في الأضاحِي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقرأ الحَسنُ: «والمُعْتَرِ» بكسرِ الراء خفيفةً. وفيهما ستةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنَّ القَانِع: الذي يَسألُ، والمُعْتَرّ السَّائلُ الذي يتعرَّضُ ولا يسألُ، رواه بكرُ بنُ عبدالله

= قال: رأيت ابن عمر أتى على رجلٍ أناخ بدنته لينحرها، فقال: ابعثها قياماً مقيّدة، سنة محمد ﷺ. متفق عليه. وفي قوله تعالى: **﴿فإذا وجبت جنوبها﴾** دليل على أنها تنحر قائمة. وتجزئه كيفما نحر. قال أحمد: ينحر البُدن معقولةً على ثلاث توائم، وإن خشي عليها أن تنفر أناخها. وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ٩/ ٦٩: يستحب نحر الإبل وهي قائمة معقولة اليد اليسرى. وأما البقر والغنم فيستحب أن تذبح مضطجعة على جنبها الأيسر، وتترك رجلها اليمنى، وتشد قوائمها الثلاث، وهو مذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور، وقال أبو حنيفة والثوري: يستوي نحرها قائمة وباركة، وحكى القاضي ـ عياض ـ عن طاوس أن نحرها باركة أفضل، وهذا مخالف للسنة، والله أعلم.

(٣) قال الإمام الموفق في «المغني» ١٣/ ٣٨٤: وإذا مضى من نهار يوم الأضحى مقدار صلاة العيد وخطبته، فقد حل الذبح، ولا يعتبر نفس الصلاة، ولا فرق في هذا بين أهل المصر وغيرهم. وهذا مذهب الشافعي، وابن المنذر، وظاهر كلام أحمد، وروي نحو هذا عن الحسن وقال أبو حنيفة: أما غير أهل الأمصار فأول وقتها في حقهم إذا طلع الفجر الثاني. ولنا لما روى البراء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول نسكنا في يومنا هذا الصلاة، ثم الذبح، فمن ذبح قبل الصلاة، فتلك شاة لحم قدمها لأهله، ليس من النسك في شيء». ولنا آخر الذبح إلى آخر يومين من أيام التشريق نهاراً. لأن النبي ﷺ نهى عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث. ولا يجوز الذبح في وقت لا يجوز ادخار الأضحية إليه. ولأن اليوم الرابع لا يجب الرمي فيه، فلم تجز التضحية فيه، كالذي بعده. وممن قال بهذا القول من الصحابة ـ عمر، وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وأنس وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة. ورُوي عن علي، آخره آخر أيام التشريق. وهو مذهب الشافعي، وقول عطاء، والحسن، لأنه رُوِي عن جبير بن مطعم، أن النبي ﷺ قال: «أيام منى كلها منحر». ولأنها أيام تكبير وإفطار، فكانت محلاً للنحر كالأولين. ويجوز الذبح ليلاً. وهو قول أصحابنا المتأخرين، وقول الشافعي وإسحاق، وأبي حنيفة وأصحابه. لأن الليل زمن يصح فيه الرمي، فأشبه النهار. وفي رواية عن أحمد لا يجوز الذبح في الليل وهو قول مالك، فعلى هذا إن ذبح ليلاً لم يجزئه عن الواجب، ولم تكن أضحية، فإن فرقها حصلت القربة بتفريقها، دون ذبحها.

(فائدة) قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» ١١/ ١٣٤ عقب الحديث عن ثوبان قال: ذبح رسول الله ﷺ ضحيته ثم قال: «يا ثوبان أصلح لحم هذا» فلم أزل أطعمه منها حتى قدم المدينة:

فيه تصريح بجواز ادخار لحم الأضحية فوق ثلاث، وجواز التزود منه، وفيه أن الادخار والتزود في الأسفار لا يقدح في التوكل، ولا يخرج صاحبه عن التوكل، وفيه أن الضحية مشروعة للمسافر كما هي مشروعة للمقيم، وهذا مذهبنا، وبه قال جماهير العلماء، وقال النخعي وأبو حنيفة: لا ضحية على المسافر وروي هذا عن علي، وقال مالك وجماعة: لا تشرع للمسافر بمنى ومكة.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٥٩: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال عني بالقانع: السائل، لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال، والمعتر من الاعترار وهو الذي يتعرض لأكل اللحم، فيأتيك معتراً بك =

عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ، واختاره الفرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ القانِعَ، المُتعفِّفُ، والمُعْتَرّ: السَّائل، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والنَّخعيُّ. وعن الحَسنِ كالقولَين. **والثالث**: أنَّ القانِعَ: المُستغني بما أعطَيتَهُ وهو في بيتِه؛ والمُعْتَرُّ: الذي يتعرَّضُ لكَ ويُلِمُّ بكَ ولا يسألُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: القانِعُ: جارُكَ الذي يقنَعُ بما أعطَيْتَهُ، والمُعْتَرُّ: الذي يَتعرَّضُ ولا يسألُ، وهذا مذهبُ القُرَظيِّ. فعلى هذا يكون معنى القانِعِ: أنْ يقنَعَ بما أُعطِيَ. ومَنْ قال: هو المُتعفِّفُ، قال: هو القانِعُ بما عنده. **والرابع**: القانِعُ: أهلُ مكَّةَ، والمُعْتَرُّ: الذي يَعترُّ بهم مِنْ غير أهل مكَّةَ، رواه خُصَيفٌ عن مُجاهِدٍ. **والخامس**: القانِعُ: الجَارُ وإنْ كان غنيًا، والمُعترُّ الذي يَعترُّ بكَ، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. **والسادس**: القانِعُ: المِسكينُ السَّائلُ، والمُعْتَرُّ: الصَّديقُ الزَّائرُ، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال: قَنَعَ يَقْنَع قُنُوعاً: إذا سألَ، وقَنِع يَقْنَع قَناعةً: إذا رَضِيَ، ويُقال في المُعْتَرِّ: اعترَّني واعترَاني وعَرَاني. وقال الزَّجَّاجُ: مذهبُ أهل اللغة أنَّ القانِعَ: السَّائلُ، يُقال: قَنَع يَقْنَع قُنُوعاً: إذا سألَ، فهو قانِعٌ، قال الشَّمَّاخُ.

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ[(١)]

أي: مِنَ السُّؤال؛ ويُقال: قَنِعَ قَناعةً: إذا رَضِيَ، فهو قَنِعٌ، والمُعْتَرُّ والمُعتَرِي واحدٌ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ ما وَصَفنا مِنْ نَحرِها قائمةً ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ نِعمَةً مِنَّا عليكم لِتتمكَّنوا مِنْ نَحرِها على الوَجْهِ المَسنُونِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لِكَي تَشْكُروا.

قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾ وقرأ عاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «لن تنال الله لحومُها» بالتاء «ولكن تناله التقوى» بالتاء أيضاً. سببُ نُزولِها أنَّ المشركين كانوا إذا ذَبحوا استقبَلُوا الكعبةَ بالدِّماء يَنضَحُونَ بها نحوَ الكَعبةِ، فأراد المسلمون أنْ يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ[(٢)]. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: لن تُرفعَ إلى الله لُحومُها ولا دِماؤُها، وإنما يُرفَعُ إليه التَّقوى؛ وهو ما أُرِيدَ به وَجهُه منكم، فمن قرأ «تناله» بالتاء فإنه أنَّثَ للفظ التقوى ومَنْ قرأ «يناله» بالياء، فلأنَّ التقوى والتُّقى واحدٌ. والإشارةُ بهذه الآيةِ إلى أنه لا يَقبَلُ اللحومَ والدِّماءَ إذا لم تَكُن صَادِرةً عن تقوى الله، وإنما يَتقبَّلُ ما يَتَّقُونَهُ به، وهذا تنبيهٌ على امتِناعِ قَبولِ الأعمال إذا عَرِيَتْ عن نيَّةٍ صحيحةٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبقَ تفسيرُه ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: على ما بَيَّنَ لكم وأرشَدَكُم إلى مَعالِمِ دِينِه ومناسِك حَجِّهِ، فذلك أنْ تقولَ: اللهُ أكبرُ على ما هَدانا، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: المُوحِّدين.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ

= لتعطيه وتطعمه. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٠.

(١) في «اللسان» مفاقره: أي وجوه فقره، ويقال: سد الله مفاقره أي أغناه وسدّ وجوه فقره.

(٢) عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح الكلبيُّ، وهو كذاب.
وأخرجه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر» ٤/ ٦٥٤ عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح.

ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف وهذا على مصدر «دفع» وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إن الله يدافع» بألِفٍ «ولولا دفع» بغيرِ ألِفٍ، وهذا على مصدَرِ «دافعَ» والمعنى: يَدفَعُ عن الذين آمنوا غائِلَةَ المشركين بمَنْعِهم منهم ونَصْرِهم عليهم. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إذا فَعلتُم هذا وخَالَفتُم الجاهليَّةَ فيما يفعلُونَهُ مِنْ نَحرِهم وإشرَاكِهم، فإنَّ الله يَدفعُ عن حِزْبِه، والـ «خَوَّان» فَعَّال مِنَ الخِيانَةِ، والمعنى: أنَّ مَنْ ذَكَرَ غيرَ اسمِ الله، وتَقرَّبَ إلى الأصنام بذَبيحَتِه، فهو خَوَّانٌ.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «أَذِنَ» بفتحِ الألف. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «أُذِنَ» بضمِّها. قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بكسرِ التاء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: بفَتْحِها.

[١٠٠٩] قال ابنُ عباسٍ: كان مُشركو أهلِ مكَّةَ يُؤذونَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ فيقول لهم: «اصبِرُوا، فإنِّي لم أُومَرْ بالقتالِ» حتى هاجرَ رسولُ الله ﷺ، فأنزلَ اللَّهُ هذه الآيَةَ، وهي أولُ آيَةٍ أُنزِلت

[١٠٠٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٢١ وفي الوسيط ٣/ ٢٧٣ نقلاً عن المفسرين. ولم أره مرفوعاً صريحاً. وقال الحافظ في «تخريجه» ٣/ ١٦٠: لم أجده هكذا، وعزاه الواحدي في الوسيط للمفسرين اهـ. فالمراد بقول ابن حجر: «لم أجده هكذا» أي مسنداً. وقد ورد نحوه من مرسل قتادة أخرجه الطبري ٢٥٢٦١. وورد نحوه من مرسل مقاتل بن حيان أخرجه ابن أبي حاتم كما قال الحافظ في «تخريجه» ٣/ ١٦٠، فهذه الروايات واهية لا يحتج بشيء منها، والصواب أن الآية مدنية. والحديث الصحيح يؤيد ذلك. وهو ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم لَيَهْلكن فأنزل الله ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**﴾ الآية فقال أبو بكر: لقد علمت أنه سيكون قتال. أخرجه الترمذي ٣١٧١ والنسائي في «السنن» ٦/ ٥٢ و «التفسير» ٣٦٥ وأحمد ١/ ٢١٦ والحاكم ٢/ ٦٦ ـ ٩٤٦ ـ ٣٩٠ والطبري ٢٥٢٥٤ و ٢٥٢٥٥ والطبراني ١٧/ ١٢٣ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٩٤ من طرق عن الثوري عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وهذا إسناد على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه الطبري ٢٥٢٥٦ من طريق قيس بن الربيع عن الأعمش به. وأخرجه الحاكم ٣/ ٧ من طريق شعبة عن الأعمش به. فهذه ثلاث طرق عن الأعمش فيها وصل الخبر. وورد مرسلاً، أخرجه الترمذي ٣١٧٢ والطبري ٢٥٢٥٣ عن الثوري عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير، وهذا مرسل، لكن القول قول من وصله لأنه زيادة جماعة الثقات. والموصول صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وله شواهد مراسيل تعضده. فقد أخرجه الطبري ٢٥٢٥٩ و ٢٥٢٦٠ عن مجاهد مرسلاً. وورد من مرسل قتادة، أخرجه برقم ٢٥٢٦٢، فهذه الروايات تشهد لأصل الموصول المتقدم. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ١٦٧٩ و «أحكام القرآن» لابن العربي ١٥١٣.

في القتال. وقال مُجاهِدٌ: هم ناسٌ خرجوا مِنْ مكَّةَ مُهاجرِينَ، فأدركَهُم كفَّارُ قُريشٍ، فأُذِنَ لهم في قِتالِهم. قال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: أُذِنَ للذين يُقاتَلُون أنْ يُقاتِلوا. ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ أي: بسبب ما ظَلَموا. ثم وَعدَهُمُ النَّصرَ بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ولا يجوز أنْ تقرأ بفتح «إن» هذه مِنْ غير خلافٍ بين أهلِ اللغة، لأنَّ «إنَّ» إذا كانت معها اللامُ، لم تُفتَحْ أبداً، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ معناه: أُخرِجوا لتوحيدِهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ قد فسَّرناهُ في سُورةِ البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ: «لَهُدِمَتْ» خفيفةً، والباقون بتشديدِ الدَّالِ.

فأمَّا الصَّوامعُ، ففيها قولان[2]: **أحدهما**: أنها صَوامِعُ الرُّهبانِ، قاله ابنُ عباسٍ، وأبو العَالِيةِ، ومُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنها صَوامِعُ الصَّابِئِينَ، قاله قَتادةُ، وابنُ قُتَيبةَ.

فأمَّا البِيَعُ، فهي جمعُ بِيعَةٍ، وهي بِيَعُ النَّصارى.

وفي المراد بالصَّلواتِ قولان: **أحدهما**: مَواضعُ الصَّلواتِ. ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنها كنائسُ اليهود، قاله قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغويِّ، قال: قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ هي كَنائِسُ اليهود، وهي بالعِبرانيَّةِ «صلوثا». **والثاني**: أنها مساجدُ الصَّابِئين، قاله أبو العَالِية. **والقول الثاني**: أنها الصَّلواتُ حقيقةً، والمعنى: لولا دَفْعُ الله عن المسلمين بالمُجاهِدِين؛ لانقطَعَتِ الصَّلواتُ في المساجِد، قاله ابنُ زيدٍ.

فأمَّا المساجدُ، فقال ابنُ عباسٍ: هي مساجدُ المسلمين. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: لولا دَفْعُ بعضِ الناس ببعضٍ لَهُدِّمَتْ في زمانِ موسى الكنائسُ، وفي زمانِ عيسى الصَّوامِعُ والبِيَعُ، وفي زمانِ محمَّدٍ المساجدُ.

وفي قوله تعالى: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أن الكناية ترجع إلى جميعُ الأماكِن المَذكُوراتِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: إلى المساجِدِ خاصَّةً، لأنَّ جميعَ المَواضعِ المذكورة، الغَالبُ فيها الشِّركُ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ وشَرعَهُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذه صفةُ ناصِرِيه. قال المُفسِّرون: التَّمكينُ في الأرض: نَصرُهُم على عَدُوِّهم، والمعروفُ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، والمُنكَرُ: الشِّركُ. قال الأكثرون: وهؤلاءِ أصحابُ رسولِ الله ﷺ وقال القُرَظِيُّ: همُ الوُلاةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إليه مَرجِعُها، لأنَّ كلَّ مُلكٍ يَبْطُل سِوى مُلكِه.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٦٦: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: لهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصارى، وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً. لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب.

ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٤ وقال: وقال بعض العلماء: هذا ترقٍّ من الأقل إلى الأكثر إلى أن ينتهي إلى المساجد، وهي أكثر عمّاراً وأكثر عبّاداً، وهم ذوو القصد الصحيح.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي: بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أثبتَ الياءَ في «نكير» يعقوبُ في الحالَيْن، ووافقهُ وَرْشٌ في إثباتِها في الوَصْلِ، والمعنى: كيف أنكرتُ عليهم ما فعلوا مِنَ التَّكذيبِ بالإهلاكِ؟! والمعنى: إنّي أنكرتُ عليهم أبلغَ إنكارٍ، وهذا استفهامٌ معناه التَّقرير.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ قرأ أبو عَمرٍو: «أهلكتها» بالتاء، والباقون: «أهلكناها» بالنون.

قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عمرَ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «وبئر» مهموزٌ، وروى وَرْشٌ عن نافع بغير هَمزٍ، والمعنى: وكم بئرٍ مُعطَّلةٍ، أي: متروكةٍ[1] ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مُجصَّصٌ، قاله ابنُ عباسٍ وعِكرمَةُ. قال الزَّجّاجُ: أصلُ الشِّيدِ الجَصُّ والنُّورَةُ، وكلُّ ما بُنِيَ بهما أو بأحدِهما فهو مَشِيدٌ. **والثاني**: طويلٌ، قاله الضَّحّاكُ ومُقاتِلٌ. وفي الكلام إضمَارٌ، تقديره: وقَصْرٍ مَشِيدٍ مُعطَّلٍ أيضاً ليس فيه ساكِنٌ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ قال المُفسِّرون: أفلَمْ يَسِرْ قومُك في أرضِ اليَمنِ والشَّام ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا نَظروا آثارَ مَنْ هلَكَ ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارَ الأُمَمِ المُكذِّبَةِ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ﴾ قال الفَرّاءُ: الهاءُ في قوله: «فإنها» عِمادٌ، والمعنى: أنَّ أبصارَهُم لم تَعْمَ، وإنما عَمِيَتْ قلوبُهم[2]. فأمّا قوله تعالى: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فهو توكيدٌ، لأنَّ القلب لا يكون إلاّ في الصَّدرِ، ومثله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[3] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[4]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾[5]. قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٦: وقوله تعالى: ﴿**وبئر معطلة**﴾ أي لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها. ﴿**وقصر مشيد**﴾ قيل المنيف المرتفع وقيل الشديد المنيع الحصين وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله به، كما قال تعالى: ﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**﴾، النساء: ٧٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٢٨٦: «وقال ابن أبي الدنيا: قال بعض الحكماء: أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالفكر، وموّته بالزهد، وقوّه باليقين وذلّله بالموت وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسر في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا، وأين حلوا وعمّ انقلبوا». وقوله تعالى: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ أي: ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، وإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر، ولا تدري ما الخبر.

(٣) سورة البقرة: ١٩٦. (٤) سورة الأنعام: ٣٨. (٥) سورة آل عمران: ١٦٧.

قال مُقاتِلٌ: نزلت في النَّضرِ بن الحارثِ القُرشيِّ. وقال غيرُه: هو قولُهم له: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾[1] ونحوه مِن استعجَالِهم، ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في إنزالِ العذابِ بهم في الدنيا، فأنزلَهُ بهم يومَ بَدرٍ، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: مِنْ أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ مِنْ أيام الدنيا، قرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، و ابنُ عامرٍ: «تَعُدُّون» بالتاء. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «يَعُدُّون» بالياء.

فإنْ قيلَ: كيف انصرَفَ الكلامُ مِنْ ذِكرِ العذاب إلى قوله: «وإنَّ يوماً عند ربِّك»؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم استعجَلُوا العذابَ في الدنيا، فقيلَ لهم: لنْ يُخلِفَ اللَّهُ وعدَهُ في إنزالِ العذاب بكم في الدنيا. وإنَّ يوماً مِنْ أيام عذابِكُم في الآخرة كألْفِ سنةٍ مِنْ سِني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمَّنَتِ الآيةُ وعَدَهُم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قولُ الفَرَّاءِ. **والثاني:** وإنَّ يوماً عند الله وألْفَ سنَةٍ سواءٌ في قُدرَتِه على عذابِهم، فلا فرقَ بين وقوعِ ما يستعجلُونَهُ وبين تأخيرِه في القُدرة، إلاَّ أنَّ اللَّهَ تفضَّل عليهم بالإمهالِ، هذا قولُ الزَّجَّاج.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني به الرزق الحَسَن في الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: عملوا في إبطالِها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «مُعجزين» بغيرِ ألِفٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرو: «مُعاجِزين» بألف قال الزَّجَّاجُ: «مُعاجِزين» أي: ظانِّين أنهم يُعجِزونَنا، لأنهم ظَنُّوا أنهم لا يُبعَثُون وأنه لا جنَّةَ ولا نارَ. قال: وقيلَ في التَّفسير: مُعاجِزين: مُعانِدين، وليس هو بخارجٍ عن القولِ الأوَّلِ؛ و «معجزين» تأويلُها: أنهم كانوا يُعَجِّزون مَنِ اتَّبعَ النبيَّ ﷺ ويُثبِّطونَهم عنه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ الآية.

[١٠١٠] قال المُفسِّرون: سببُ نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا نزلت عليه سورةُ النَّجم قرأها حتى

[١٠١٠] موضوع مفترى. بأسانيد واهية. ورد عن محمد بن كعب القرظي، أخرجه الطبري ٢٥٣٢٨ وله علل ثلاث: الأولى الإرسال، والثانية عنعنة ابن إسحاق، والثالثة فيه يزيد بن زياد المدني، قال البخاري: لا يتابع على حديثه. وكرره الطبري ٢٥٣٢٧ من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس معاً. وهذا مرسل =

---

(١) سورة الملك: ٢٥.

. . . .

= أيضاً، وأبو معشر اسمه نجيح ضعفه النسائي والدارقطني، وقال البخاري: منكر الحديث، وضعفه يحيى بن سعيد جداً. وورد من مرسل أبي العالية، أخرجه الطبري ٢٥٣٣٠. وورد من مرسل سعيد بن جبير، أخرجه الطبري ٢٥٣٣١ و ٢٥٣٣٢. وورد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٢٥٣٣٤. وورد من مرسل عروة بن الزبير، أخرجه الطبراني ٥٠٧٨، ومع إرساله فيه ابن لهيعة.

قال الهيثمي في «المجمع» ١١١٨٦: فيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة اهـ. أي لنكارة المتن الذي ساقه، فإن فيه رجوع بعض من هاجر إلى الحبشة إلى المدينة بسبب هذا الخبر.

ـ وورد عن ابن عباس من طرق ثلاث: الأول: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه. وهذا إسناد ساقط مصنوع، فقد روى الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً، وقد أقرّا بالوضع والكذب على ابن عباس. الثاني: أخرجه الطبري ٢٥٣٣٣ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو ضعيف عن ابن عباس، فهذا إسناد ساقط لا يُفرح به. الثالث: أخرجه البزار ٢٢٦٣ «كشف» والضياء في «المختارة» ١٢٠/٢ ـ ١٢٠ والطبراني ١٢٤٥٠ وفيه أمية بن خالد، وهو وإن وثقه غير واحد، فقد نقل الذهبي في «الميزان» ١٠٢٩ عن أحمد أنه لم يحمده، وذكره العقيلي في «الضعفاء» اهـ. وقد روى هذا الحديث غير واحد عن ابن جبير ليس فيه ذكر ابن عباس، وللحديث علة أخرى، وهي ما قاله البزار حيث قال عقبه: لا نعلمه يروى بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد، وأمية بن خالد ثقة مشهور، وإنما يعرف هذا من حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس اهـ. والكلبي متروك متهم، وأبو صالح ساقط، ولم يدرك ابن عباس، فلم يصح هذا الطريق عن ابن عباس أيضاً، وعامة روايات هذا الخبر مراسيل لا يحتج بها، والظاهر أن بعضهم أخذه من بعض لغرابته، فحدثوا به واشتهر، وهو خبر باطل مصنوع، ولو صح لرواه واحد من أصحاب الكتب المعتبرة، والمسانيد المشتهرة، ولكن كل ذلك لم يكن وقد اضطربوا في ألفاظه اضطراباً كبيراً، وزادوا فيه ونقصوا، وكل ذلك دليل على بطلانه.

وقد ذهب الحافظ ابن حجر في تخريج «الكشاف» ٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥ إلى تقوية هذا الحديث، وكذا السيوطي في «الدر» ٤/ ٦٦١، وليس كما قالا، وقد خالفهما أئمة ثقات أثبات في ذلك. وإليك بيانه: قال الإمام أبو حيان في «البحر» ٦/ ٣٥٢: سئل ابن إسحاق ـ جامع السيرة النبوية ـ عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً.

وقال الإمام البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ورواتها مطعون عليهم، وليس في الصحاح ولا التصانيف الحديثية شيء مما ذكروه، فوجب اطّراحه، ولذا نزهت كتابي عن ذكره فيه. اهـ ملخصاً.

وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٢٨٨: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرانيق، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح.

وقال العلامة الآلوسي في «روح البيان» ١٧/ ١٨٢ ما ملخصه: قال أبو منصور الماتريدي: هذا الخبر من إيحاء الشيطان إلى أوليائه الزنادقة، والرسالة بريئة من هذه الرواية.

وقال القاضي عياض: يكفيك أن هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواة ثقة بسند سليم متصل.

وقال العلامة الآلوسي: ويكفي في ردها قول الله تعالى في وصف القرآن **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾** اهـ.

وقال الإمام الشوكاني في «فتح القدير» ٣/ ٥٤٦: قال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة.

وقال القاضي عياض في «الشفا»: إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً.

وقد جمع الألباني رسالة في ذلك وسماها «نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق». =

بلغ قولَه: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[(١)] فألقى الشيطانُ على لسانِه: تلكَ الغَرانِيقُ العُلَى، وإنَّ شَفاعَتَهُنَّ لَتُرتَجَى؛ فلمَّا سمعَتْ قريشُ بذلك فَرِحوا، فأتاهُ جِبريلُ، فقال: ماذا صنعتَ؟ تَلَوتَ على الناس ما لَمْ آتِكَ به عن الله، فحزِنَ رسولُ الله ﷺ حُزناً شديداً، فنزلت هذه الآيةُ تطييباً لِقلبِه، وإعلاماً له أنَّ الأنبياءَ قد جرى لهم مثلُ هذا. قال العلماءُ المُحقِّقون: وهذا لا يَصحُّ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ معصُومٌ عن مثلِ هذا، ولو صَحَّ، كان المعنى أنَّ بعضَ شياطين الإنسِ قال تلك الكلماتِ[(٢)]، فإنَّهم كانوا إذا تَلا لَغَطُوا، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾[(٣)].

قال: وفي معنى «تَمنَّى» قولان[(٤)]:

= ـ وانظر «فتح القدير» ١٦٨١ و «أحكام القرآن» ١٥١٧ وابن كثير عند هذه الآية.

أخيراً: أورد لك الوجه الصحيح في قصة سورة النجم، والسجود فيها. وقد ورد في ذلك حديثان الأول حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس.

وهذا ثابت عن ابن عباس، أخرجه البخاري ١٠٧١ و ٤٨٦٢ والترمذي ٥٧٥ وابن حبان ٢٧٦٣ والدارقطني ١/ ٤٠٩. وحديث ابن مسعود، أخرجه البخاري ١٠٦٧ و ١٠٧٠ و ٣٨٥٣ و ٣٩٧٢ ومسلم ٥٧٦ وأبو داود ١٤٠٦ والنسائي ٢/ ١٦٠ والدارمي ١/ ٣٤٢ وابن حبان ٢٧٦٤ وحديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد فما بقي أحد من القوم إلا سجد إلا رجل واحد أخذ كفاً من حصًى، فوضعه على جبهته، وقال: يكفيني. قال عبد الله: فلقد رأيته بعدُ قتل كافراً. فالوارد الصحيح عن ابن عباس هو المتقدم عنه لا ما رواه عنه الضعفاء والهلكىٰ من ذكر الغرانيق. . .

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فالصحيح في هذا المقام هو الوارد عن ابن مسعود فإنه قد أدرك الحادثة وهي مكية، بخلاف ابن عباس، فإنه ما حضرها ولا أدركها، فالصحيح في هذا ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أحد السابقين الأعلام، وأما ما رواه جماعة من التابعين، فإنما تلقّاه بعضهم عن بعض واشتهر بسبب غرابته، وكان الأصلح لهؤلاء رحمهم الله أن يأخذوا ذلك عن ابن مسعود، فتنبه والله الموفق، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

---

(١) سورة النجم: ١٩ ـ ٢٠.

(٢) قلت الصواب أن النبي ﷺ ما قال ذلك، ولا زاده الشيطان أيضاً بل لا سلطان للشيطان في شيء من ذلك، حاشا الله أن يكون للشيطان مدخل على القرآن أو في حال تبليغه، وما هي إلا روايات عامتها مراسيل، وكأن بعض الزنادقة حدث بها في عهد التابعين، فأولع بها هؤلاء فرووها وانتشرت، والدليل على أن مصدرها رجال مجاهيل لا يعرفون، هو أنها وردت عن عشرة أو أكثر من التابعين، ولم يذكر عامتهم من حدثه بها، فهذا دليل على أن لا أصل لها، وأنه مفتعلة مصنوعة مزورة، تروج على من لا علم له ولا دراية، وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(٣) سورة فصلت: ٢٦.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٧٨: التمني يعني التلاوة والقراءة قاله الضحاك. وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيله، فمَعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدّث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾** يقول الله تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله.

أحدهما: تَلاَ، قاله الأكثرون، وأنشدوا:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ الـلَّـهِ أوَّلَ لَـيـلَـةٍ ... وآخِـرَهُ لاقَـى حِـمَـامَ الـمَـقَـادِرِ

وقال آخرُ:

تَـمَـنَّـى كِـتَـابَ اللهِ آخِـرَ لَـيْـلِـهِ ... تَـمـنِّـيَ داودَ الـزَّبُـورَ عـلـى رِسْـلِ

والثاني: أنه مِنَ الأُمنِيَةِ، وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ تمنَّى يوماً أنْ لا يأتيَهُ مِنَ الله شيءٌ يَنفرُ عنه به قومُه، فألقى الشيطانُ على لسانِه لِمَا كان قد تَمنَّاهُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظي.

قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ أي يُبطِلُه ويُذهِبُه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ قال مُقاتِلٌ: يُحْكِمُها مِنَ الباطل. قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ اللامُ مُتعلِّقةٌ بقوله: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾، والفِتنةُ ها هنا بمعنى البَلِيَّةِ والمِحنةِ. والمَرضُ: الشَّكُّ والنِّفاقُ. ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجَافِية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شِقَاقٍ دائم، والشِّقاقُ: غايةُ العَداوَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو التَّوحيدُ والقرآنُ، وهم المؤمنون. وقال السُّدِّيُّ: التَّصديقُ بنَسْخِ الله. قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى نَسْخِ ما يُلقي الشيطانُ؛ فالمعنى: لِيَعلَمُوا أنَّ نَسْخَ ذلك وإبطالَهُ حقٌّ مِنَ الله ﴿فَيُؤْمِنُوا۟﴾ بالنَّسْخِ ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تَخْضَعُ وتَذِلُّ. ثم بَيَّنَ بباقي الآيَة أنَّ هذا الإيمانَ والإخبَاتَ إنما هو بلُطفِ الله وهِدايَتِه..

قوله تعالى: ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في شَكٍّ. وفي هاءِ «منه» أربعةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى قوله: تلكَ الغَرانِيقُ العُلَى. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى سُجودِه في سُورةِ النَّجم. والقولان عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما بَالُهُ ذَكَرَ آلهَتَنا ثم رجعَ عن ذِكرِها؟! **والثالث**: أنها ترجعُ إلى القرآن، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والرابع**: أنها ترجعُ إلى الدِّينِ، حكاه الثَّعلبيُّ. قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: القيامة تأتي مَنْ تقومُ عليه مِنَ المشركين، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ساعةُ موتِهم، ذكره الوَاحِدي. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان[(٢)]: **أحدهما**: أنه يومُ بَدرٍ، رُوي عن ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، والسُّدِّيِّ. **والثاني**: أنه يومُ القيامة، قاله عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ. وأصل العُقم في الوِلادَةِ، يُقال: امرأةٌ عَقِيمٌ لا تَلِدُ، ورجلٌ عَقِيمٌ لا يُولَدُ له؛ وأنشدوا:

عُـقِـمَ الـنِّـسـاءُ فـلا يَـلِـدْنَ شَـبِـيـهَـهُ ... إنَّ الـنِّـسـاءَ بِـمِـثْـلِـهِ عُـقْـمُ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨٠: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾** أقرب منه من ذكر قوله **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾** والهاء في قوله أنه من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله **﴿في مرية منه﴾** بالهاء من قوله **﴿أنه الحق من ربك﴾** أولى من إلحاقها بما التي في قوله **﴿ما يلقي الشيطان﴾** مع بُعد ما بينهما.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ١٨١: والقول الأول: أنه يوم بدرٍ أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة، وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة، فإنما معناه تكرير الساعة مرتين، باختلاف الألفاظ، وذلك لا معنى له فأولى التأولين أصحهما معنى، وهو ما ذكرنا. فتأويل الكلام: أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم، فلا يُنظر وافيه إلى الليل، ولا يؤخروا فيه إلى المساء لكنهم يقتلون قبل المساء.

وسمِّيَتِ الرِّيحُ العَقِيمُ بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسَّحابِ المُمطِرِ، فقيل لهذا اليوم: عَقِيم، لأنه لم يأتِ بخيرٍ.

فعلى قولِ مَنْ قال: هو يومُ بدرٍ في تسميته بالعَقِيم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لم يكُنْ فيه للكفار بَركَةٌ ولا خيرٌ، قاله الضَّحّاكُ. **والثاني**: لأنهم لم يُنظَروا فيه إلى الليل، بل قُتِلوا قبلَ المساءِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والثالث**: لأنه لا مِثْلَ له في عِظَم أمرِه، لقتالِ الملائكةِ فيه، قاله يَحيى بنُ سَلام. وعلى قولِ مَنْ قال: هو يومُ القيامة، في تسميته بذلك قولان: **أحدهما**: لأنه لا ليلةَ له، قاله عِكرِمَةُ. **والثاني**: لأنه لا يأتي المشركين بخيرٍ ولا فَرَجٍ، ذكره بعضُ المُفسِّرين.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ مِنْ غير مُنازِع ولا مُدَّعٍ ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحُكمُهُ بينهم بما ذَكرَهُ في تمامِ الآية وما بعدَها. ثم ذَكرَ فضلَ المهاجرين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ مكّةَ إلى المدينة. وفي الرِّزقِ الحسَنِ قولان: **أحدهما**: أنه الحَلال، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: رِزقُ الجنَّةِ، قاله السُّدّيُّ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «قُتِّلوا» بالتَّشديدِ قوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾ وقرأ نافعٌ بفتح الميم ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾ يعني: الجنَّة. والمُدخَلُ يجوز أن يكونَ مصدراً، فيكون المعنى: لَيُدخِلنَّهم إدخالاً يُكرَّمون به فيَرضَونَهُ؛ ويجوز أنْ يكونَ بمعنى المكان. و «مَدخلاً» بفتحِ الميم على تقدير: فيَدخُلونَ مَدخَلاً. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك، أي: الأمرُ ما قَصصْنا عليكم ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ والعقوبةُ: الجَزاءُ؛ والأول ليس بعقوبةٍ، ولكنه سُمِّيَ عُقوبةً، لاستِواءِ الفِعلَينِ في جنسِ المَكروهِ، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[1] لمّا كانت المُجازاةُ إساءةً بالمفعولِ به سُمِّيت سَيِّئةً، ومثله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[2] قاله الحسَنُ، ومعنى الآية: مَنْ قاتَلَ المشركين كما قاتَلوه ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظُلِمَ بإخراجِه عن منزله. وزَعم مُقاتِلٌ أنَّ سببَ نُزولِ هذه الآية أنَّ مُشركي مكّةَ لَقُوا المسلمين لِليلةٍ بقيَتْ مِنَ المُحرَّمِ، فقَاتَلوهم، فناشَدَهُم المسلمون أنْ لا يُقاتِلوا في الشهرِ الحَرامِ، فأَبَوا إلاّ القِتالَ،

(١) سورة الشورى: ٤٠. (٢) سورة البقرة: ١٥.

فثبَتَ المسلمون، ونَصرَهُم اللّهُ على المشركين، ووقعَ في نفوسِ المسلمين مِنَ القتال في الشَّهرِ الحَرام، فنزلت هذه الآيةُ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عنهم ﴿غَفُورٌ﴾ لقتالِهِم في الشهرِ الحَرامِ[١].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ذلك النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ القادر على ما يشاء، فمن قدرته أنه ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لِدُعاءِ المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيثُ جعلَ فيهم الإيمانَ والتَّقوى، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَ مِنْ نَصْرِ المؤمنين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: هو الإلهُ الحَقُّ ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم: «يدعون» بالياء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بالتاء، والمعنى: وأنَّ ما يَعبدُونَ ﴿مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطر ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنَّبات. وحكَى الزَّجَّاجُ عن الخَليلِ أنه قال: معنى الكلام التَّنبيهُ، كأنه قال: أتسمع، أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا. وقال ثَعلَبُ: معنى الآية عند الفَرَّاءِ خبرٌ، كأنه قال: اعلَمْ أنَّ الله يُنزِلُ مِنَ السماء ماءً فتُصْبِحُ، ولو كان استفهاماً والفاءُ شرطاً لنَصبَهُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراجِ النَّباتِ مِنَ الأرض رِزقاً لِعبادِه ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخيرِ المطرِ. وقد سَبقَ معنى الغَنيِّ الحَميدِ في سُورةِ البقرة[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد البهائِمَ التي تُركَبُ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: كراهَةَ أنْ تقعَ. وقال غيرُه: لِئلاً تقعَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيما سَخَّرَ لهم وفيمَا حَبَسَ عنهم مِنْ وقوعِ السماء عليهم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أنْ كُنتم نُطَفاً ميتةً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالِكُم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعثِ والحِساب ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: المُشرِكَ ﴿لَكَفُورٌ﴾ لِنِعَمِ الله إذ لم يُوَحِّدْهُ.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

---

(١) واهٍ بمرة. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٤/ ٦٦٥ عن مقاتل مرسلاً. ومقاتل واهٍ.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٧.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قد سبق بيانه في هذه السُّورةِ ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: في الذَّبائحِ، وذلك أنَّ كفَّارَ قُريشٍ وخُزاعةَ خاصَمُوا رسولَ الله ﷺ في أمرِ الذَّبيحةِ، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتلَهُ الله؟! يعنُونَ: المَيْتَةَ.

فإنْ قيلَ: إذا كانوا هم المُنَازِعين له، فكيف قيلَ: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾؟

فقد أجابَ عنه الزَّجَّاجُ، فقال: المُرادُ: النَّهيُ له عن مُنازَعَتِهِم، فالمعنى: لا تُنَازِعَنَّهم، كما تقول للرجل: لا يُخاصِمَنَّكَ فلانٌ في هذا أبداً، وهذا جائزٌ في الفعلِ الذي لا يكون إلاَّ مِن اثنين، لأنَّ المُجادَلَةَ والمُخاصَمَةَ لا تَتِمُّ إلاَّ باثنين، فإذا قلتَ: لا يُجادِلَنَّكَ فُلانٌ، فهو بمنزلة: لا تُجادِلَنَّهُ، ولا يجوز هذا في قولِكَ: لا يَضربَنَّكَ فُلانٌ وأنتَ تريد: لا تَضربَنَّهُ، ولكن لو قلتَ: لا يُضارِبَنَّكَ فلانٌ، لَكانَ كقولك: لا تُضارِبَنَّ، ويدلُّ على هذا الجواب قوله: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى دِينه والإيمانِ به. و«جادلوك» بمعنى: خاصَمُوكَ في أمرِ الذَّبائح، ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ التَّكذيبِ، فهو يُجازيكم به. ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: يَقضي بينكم ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِنَ الدِّين، أي: تذهبون إلى خِلافِ ما ذهبَ إليه المؤمنون وهذا أدبٌ حسنٌ عَلَّمَهُ الله عِبادَهُ لِيَرُدُّوا به مَنْ جادَلَ على سبيل التَّعنُّتِ، ولا يُجيبُوه، ولا يُناظِرُوه.

فصل: قال أكثرُ المُفسِّرين: هذا نَزلَ قبلَ الأمرِ بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السَّيفِ. وقال بعضُهم: هذا نَزلَ في حقِّ المنافقين، كانت تظهرُ مِنْ أقوالِهم وأفعالِم فَلَتاتٌ تدلُّ على شِركِهم، ثم يُجادِلون على ذلك، فوَكَلَ أمرَهُم إلى الله تعالى، فالآيةُ على هذا مُحكَمَةٌ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا استفهامٌ يرادُ به التَّقريرُ؛ والمعنى قد عَلِمْتَ ذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني ما يجري في السَّمواتِ والأرض ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ يعني: اللَّوحَ المَحفوظَ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: عِلْمَ الله بجميع ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سَهْلٌ لا يَتعذَّرُ عليه العِلْمُ به.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حُجَّةً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنه إلهٌ، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يعني: المشركين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مانعٌ مِنَ العذاب. ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني القرآنَ؛ والمُنْكَرُ هاهنا بمعنى الإنكَارِ، فالمعنى: أَثَرُ الإنكارِ مِنَ الكراهة، وتعبيسُ الوجوه، معروفٌ عندهم. ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي: يَبطِشُونَ ويُوقِعون بمَنْ يتلُو عليهم القرآنَ مِن شِدَّةِ الغَيظِ، يقال: سَطَا عليه، وسَطَا به: إذا تناولَهُ بالعُنفِ والشِّدةِ. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بأشدَّ عليكم وأكرَهَ إليكم مِنْ سماعِ القرآن، ثم ذَكرَ ذلك فقال: ﴿ٱلنَّارُ﴾ أي: هو النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟

﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ قال الأخفش: إنْ قيلَ: أينَ المَثَلُ؟

فالجواب: أنه ليس هاهنا مَثَلٌ، وإنما المعنى: يا أيُّها الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ، أي: شُبِّهَتْ بي الأوثانُ ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ﴾ لهذا المَثَلِ. وتأويلُ الآية: جَعلَ المشركون الأصنامَ شُركائي فعَبدُوها معي فاستَمِعُوا حالَها؛ ثم بَيَّنَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «يدعون» بالياء المفتوحةِ. وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع، وأبو رَجاءٍ وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «يُدْعون» بضمِّ الياء وفتحِ العين، يعني: الأصنام، ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ والذُّبابُ واحدٌ، والجمعُ القليل: أذِبَّةٌ، والكثيرُ: الذِّبَّانُ، مثل: غُراب وأغرِبَة وغِرْبان؛ وقيل: إنما خَصَّ الذُّبابَ لِمَهانَتِه واستِقذَارِه وكثرتِه. ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ﴾ يعني: الأصنام؛ ﴿لَهُۥ﴾ أي: لخلقه، ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ﴾ يعني: الأصنام. قال ابنُ عباسٍ: كانوا يَطلُون أصنامَهم بالزَّعفرانِ فيَجِفّ، فيأتي الذُّبابُ فيَختَلِسُهُ. وقال ابنُ جُرَيج: كانوا إذا طَيَّبوا أصنامَهم عَجَنوا طِيبَهُم بشيءٍ مِنَ الحَلوَاءِ، كالعَسلِ ونحوه، فيقع عليها الذباب فيسلِبُها إيَّاهُ، فلا تستطيعُ الآلهةُ ولا مَنْ عَبَدَها أنْ يمنعهُ ذلك. وقال السُّدِّيُّ: كانوا يجعلون للآلهةِ طعاماً، فيقع الذُّبابُ عليه فيأكل منه قال ثَعلَبُ: وإنما قال: ﴿لَا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ فجعلَ أفعالَ الآلهةِ كأفعالِ الآدميين، إذا كانوا يُعظِّمونها ويَذبحونَ لها وتُخاطَبُ، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[1] لمَّا خاطَبَهم جعلَهم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾[2]، وقد بيَّنَّا هذا المعنى في (الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾[3]. قوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: أنَّ الطَّالِبَ: الصَّنمُ، والمَطلوبُ: الذُّبابُ، رواه عطاءق عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الطَّالِبُ: الذُّبابُ يطلب ما يَسلُبُه مِنَ الطِّيبِ الذي على الصَّنم، والمَطلوبُ: الصَّنمُ يطلب الذُّبابَ منه سَلْبَ ما عليه، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: الطَّالِبُ: عابِدُ الصَّنمِ يطلب التَّقرُّبَ بعبادته، والمَطلوبُ: الصَّنمُ، هذا معنى قولِ الضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ.

قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ﴾ أي: ما عَظَّموه حقَّ عَظَمَتِه، إذ جعلوا هذه الأصنامَ شُركاءَ له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يُقْهَرُ ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يُرامُ.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ۝٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ كجبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ومَلَكِ الموتِ، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الأنبياءَ المُرسلين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لمَقالَةِ العِبادِ ﴿بَصِيرٞ﴾ بمَنْ يتَّخِذُهُ رسولاً.

---

(١) سورة النمل: ١٨. (٢) سورة يوسف: ٤. (٣) الأعراف: ١٩١.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/١٨٩: والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة. أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب.
وواقفه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٢٩٦ وقال: اختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق.

وزعمَ مُقاتِلٌ أنَّ هذه الآيةَ نزلت حين قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[(١)].

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الإشارةُ إلى الذين اصطَفاهم؛ وقد بيَّنَّا معنى ذلك في آيةِ الكُرسِي[(٢)].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨)﴾

قوله تعالى: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ قال المُفسِّرون: المراد: صَلُّوا، لأنَّ الصلاةَ لا تكون إلاَّ بالرُّكوعِ والسُّجودِ، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: وَحِّدُوه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ يريد: أبوابَ المَعروفِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لِكي تَسْعَدُوا وتَبقُوا في الجنَّةِ.

فصل: لم يختلف أهلُ العِلمِ في السَّجدةِ الأُولَى مِنَ الحَجِّ واختلفوا في هذه السَّجدةِ الأخيرة؛ فرُوِي عن عمرَ، وابنِ عمرَ، وعمَّارٍ، وأبي الدَّرداءِ، وأبي موسى، وابنِ عباسٍ، أنهم قالوا: في الحَجِّ سَجدَتانِ، وقالوا: فُضِّلَتْ هذه السُّورةُ على غيرها بسَجدَتَيْنِ، وبهذا قال أصحابُنا، وهو مذهبُ الشَّافعيِّ رضي الله عنه. ورُوِي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: في الحَجِّ سجدَةٌ، وبهذا قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وإبراهيمُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وأبو حَنيفَةَ وأصحابُه، ومالكٌ؛ ويدلُّ على الأوَّلِ.

[١٠١١] ما رَوى عُقبَةُ بنُ عامرٍ، قال: قلت: يا رسولَ الله أفي الحَجِّ سَجدَتانِ؟ قال: «نَعَم، ومَن

[١٠١١] صدره حسن، وعجزه ضعيف. أخرجه أبو داود ١٤٠٢ والترمذي ٥٧٨ والدارقطني ١/ ٤٠٨ والحاكم ١/ ٢٢١ وأحمد ٤/ ١٥١ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٢٨١ والبيهقي ٢/ ٣١٧ والبغوي في «التفسير» ٣/ ٢٩٩ من طرق عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر به. وإسناده ضعيف، وله علتان: ضعف ابن لهيعة، وشيخه مشرح قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. وقال الذهبي في «الميزان» ٤/ ١١٧: صدوق لينه ابن حبان، وقال عثمان بن سعيد عن ابن معين: ثقة، وقال ابن حبان: يروي عن عقبة مناكير، لا يتابع عليها، فالصواب ترك ما انفرد به اهـ. وعجزه ضعيف، وهو قوله «فمن لم يسجدها فلا يقرأها» بل هو منكر، وهو إما من مناكير ابن لهيعة حيث اختلط، أو من شيخه مشرح، حيث إن الراوي عنه عند أبي داود ابن وهب، وهو أحد العبادلة وأيّاً كان فعجز الحديث ضعيف منكر، وقد ضعفه الترمذي بقوله: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي.

ـ وعارضه أحمد شاكر رحمه الله فقال: بل هو حديث صحيح، فإن ابن لهيعة ومشرح ثقتان. . . ؟!

ـ وأما الألباني فذكر الحديث في «ضعيف أبي داود» ٣٠٣، وفي ذلك نظر، فإن لصدره شواهد منها:

ـ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أخرجه أبو داود ١٤٠١ وابن ماجه ١٠٥٧ والحاكم ١/ ٢٢٣ والبيهقي ٢/ ٧٩ وإسناده ضعيف، فيه عبد الله بن منين مجهول، وعنه الحارث بن سعيد العتكي، لا يعرف. وقال الحاكم عقبه: رواته مصريون، واحتج الشيخان بأكثر الرواة! وسكت الذهبي! وقال الزيلعي في «نصب الراية» ٢/ ١٨٠: قال عبد الحق: ابن منين، لا يحتج به. قال ابن القطان: وذلك لجهالته اهـ. ومع ذلك يصلح شاهداً لما قبله، فليس بشديد الضعف، حيث فيه الجهالة فقط، ومع ذلك فقد أدخله الألباني في «ضعيف سنن =

---

(١) سورة ص: ٨٠. (٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

لم يَسجُدْهُما فلا يَقرَأْهُما».

فصل(١): واختلفَ العلماء في عدد سُجودِ القرآن، فرُويَ عن أحمدَ رِوايتان، إحداهما: أنها أربعَ عشرةَ سجدةً. وبه قال الشّافعيُّ، والثانية: أنها خَمسَ عشرةَ، فزادَ سَجدة (ص). وقال أبو حَنيفةَ: هي أربعَ عشرةَ، فأخرجَ التي في آخرِ (الحَجّ) وأبدَلَ منها سَجدَة ص.

فصل(٢): وسجودُ التّلاوة سُنّةٌ، وقال أبو حَنيفةَ: واجبٌ. ولا يصِحُّ سجودُ التّلاوة إلاّ بتكبيرةِ الإحرامِ والسّلام، خِلافاً لأصحاب أبي حَنيفةَ وبعضِ أصحاب الشّافعيِّ. ولا يُجزئُ الرُّكوع عن سجودِ التلاوةِ، وقال أبو حَنيفةَ: يُجزئُ. ولا يَسجدُ المُستَمِعُ إذا لم يَسجُدِ التّالي، نصَّ عليه أحمدُ رضي الله عنه. وتُكرَهُ قراءةُ السَّجدَةِ في صلاةِ الإخفَاتِ، خِلافاً للشّافعيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ في هذا الجهاد ثلاثةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنه فِعلُ جميع الطاعات،

= أبي داود» ١٣٠١؟!

وله شاهد مرسل، أخرجه أبو داود في «المراسيل» ص ١١٣ عن خالد بن معدان، ومن طريق أبي داود، أخرجه البيهقي ٢/٣١٧ ونقل عن أبي داود قوله: وقد أسند هذا الحديث، ولا يصح اهـ ومراده والله أعلم، أن هناك من وصل مرسل ابن معدان، والصواب إرساله. ومع ذلك يصلح شاهداً للموصول المتقدم، وما قبله.

وقد ورد موقوفاً عن جماعة من الصحابة، أسند ذلك كله الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ والبيهقي ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨ وكذا الدارقطني ١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

فهذه الموقوفات مع المرسل مع الموصول المتقدم تشهد لصدر حديث عقبة دون عجزه، وترقى به إلى درجة الحسن والله تعالى أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ١٥١٩ بتخريجنا.

---

(١) قال الترمذي عقب الحديث ٢/ ٤٧٢: واختلف أهل العلم في هذا، فروي عن عمرو وابنه أن سورة الحج فضلت بسجدتين. وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، ورأى بعضهم فيها سجدة، وهو قول الثوري ومالك وأهل الكوفة اهـ. والمذهب الأول هو الراجح فإن مستندهم حديثان موصولان يقوي أحدهما الآخر مع مرسل أضف إلى ذلك موقوفات عن جماعة من الصحابة، والله الموفق.

(٢) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٣٥٩: سجود التلاوة سنة مؤكدة، وليس بواجب ومن ترك فلا شيء عليه وإذا سجد للتلاوة فعليه التكبير للسجود والرفع منه سواء كان في صلاة أو في غيرها وقال الشافعي: إذا سجد خارج الصلاة كبّر واحدةً للافتتاح وأخرى للسجود، ويرفع يديه عند تكبيرة الابتداء إن كان في غير صلاة وهو قول الشافعي. قال القاضي: وقياس المذهب لا يرفع ويقول في سجوده ما يقول في سجود صلاته. ويسلّم إذا رفع ورأى أحمد أنه واجب وفي رواية ثانية، لا تسليم فيه، وبه قال النخعي، والحسن، وسعيد بن جبير ويحيى بن وثاب. وروي ذلك عن أبي حنيفة. واختلف قول الشافعي فيه. ويسن السجود للتالي والمستمع، لا نعلم في هذا خلافاً. ويشترط لسجود المستمع أن يكون التالي ممن يصلح أن يكون له إماماً. وقال أبو حنيفة: إذا امتنع من السجود لمعارض، فإذا زال المعارض يسجد. ولا يقوم الركوع مقام السجود، وقال أبو حنيفة: يقوم مقامه استحباباً. وإذا قرأ السجدة على الراحلة في السفر أوماً بالسجود حيث كان وجهه، وإن كان ماشياً سجد على الأرض. ولا يسجد إلا وهو طاهر ويعتبر للسجود من الشروط ما يشترط لصلاة النافلة. ولا نعلم في ذلك اختلافاً. ويكره اختصار السجود، وهو أن ينتزع الآيات التي فيها سجود فيقرأها ويسجد فيها أو يقرأ القرآن إلا آيات السجود.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٩١: والصواب من القول في ذلك: عني به الجهاد في سبيل الله لأن المعروف من =

هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنه جهادُ الكفَّارِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه جهادُ النَّفسِ والهَوَى، قاله عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ. فأمَّا حقُّ الجهاد، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه الجِدُّ في المُجاهَدةِ، واستيفاءُ الإمكَانِ فيها. **والثاني**: أنه إخلاصُ النيَّة لله عزَّ وجلَّ. **والثالث**: أنه فِعلُ ما فيه وَفاءٌ لَحقِّ الله عزَّ وجلَّ.

فصل: وقد زعمَ قومٌ أنَّ هذه الآيةَ منسُوخَةٌ، واختلفوا في نَاسِخِها على قولَين: **أحدهما**: قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. **والثاني**: قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وقال آخرون: بل هي مُحكَمَةٌ، ويُؤكِّده القولان الأوَّلان في تفسيرِ حقِّ الجهاد، وهو الأصحُ، لأنَّ الله تعالى لا يُكلِّف نفساً إلا وُسعَها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: اختارَكُم واصطَفاكُم لدِيْنِه. والحَرَجُ: الضِّيقُ، فما مِنْ شيءٍ وقعَ الإنسانُ فيه إلاَّ وَجَد له في الشَّرعِ مَخرَجاً بتوبةٍ أو كفَّارةٍ أو انتقالٍ إلى رُخصَةٍ ونحو ذلك. ورُوي عنِ ابنِ عباسٍ أنه قال: الحَرَجُ: ما كان على بَني إسرائيلَ مِنَ الإصْرِ والشَّدائدِ، وَضَعَهُ الله عن هذه الأُمَّةِ. قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى: وَسَّعَ عليكم كَمِلَّةِ أبيكم، فإذا ألقيْتَ الكاف نصبتَ، ويجوز النَّصبُ على معنى الأمرِ بها، لأنَّ أولَ الكلام أمرٌ، وهو قوله تعالى؛ ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ والزَمُوا مِلَّةَ أبيكم.

فإنْ قيلَ: هذا الخطابُ للمسلمين، وليس إبراهيمُ أَبَاً لكُلِّهم. فالجواب: أنه إنْ كان خِطاباً عامَّاً للمسلمين، فهو كالأبِ لهم، لأنَّ حُرمَتَهُ وحَقَّه عليكم كحَقِّ الوَالِد، وإنْ كان الخِطابُ للعرب خاصَّةً، فإبراهيمُ أبو العرب قاطِبَةً، هذا قولُ المُفسِّرين. والذي يقعُ لي أنَّ الخِطابَ لرسولِ الله ﷺ، لأنَّ إبراهيمَ أبوهُ، وأُمَّةُ رسولِ الله ﷺ داخلةٌ فيما خُوطِبَ به رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ في المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور؛ فعَلَى هذا في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ قولان. أحدُهما: مِنْ قبلِ القرآن سَمَّاكُم بهذا في الكُتب التي أنزَلها. والثاني: «مِنْ قَبْلُ» أي: في أُمِّ الكتاب، وقوله تعالى: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: في القرآن. **والثاني**: أنه إبراهيمُ عليه السَّلامُ حينَ قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[3]؛ فالمعنى: مِنْ قبل هذا الوقتِ، وذلك في زمان إبراهيم عليه السلام وفي هذا الوقت حين قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾، هذا قولُ ابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكُم وسَمَّاكُم ليكونَ الرَّسولُ يعني محمَّداً ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يومَ القيامة أنه قد بلَّغَكُم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة[4] إلى قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: سَلُوهُ أنْ يَعْصِمَكُم مِنْ كلِّ ما يُسخِطُ. ويُكرَهُ. وقال الحسَنُ: تَمسَّكوا بدِيْنِ الله. وما بعدَ هذا مشروحٌ في الأنفال[5].

= الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله، وحق الجهاد: استفراغ الطاقة فيه.

(١) سورة البقرة: ٢٨٦. (٢) سورة التغابن: ١٦.

(٣) سورة البقرة: ١٢٨. (٤) سورة البقرة: ١٤٣.

(٥) سورة الأنفال: ٤٠.

ترتيبها ٢٣ | سورة المؤمنون | آياتها ١١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ
هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

سورة المؤمنين مكيَّةٌ في قولِ الجميع.

[١٠١٢] روى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لقد أُنزِلَتْ علينا عشرُ آياتٍ مَن أقامَهُنَّ دخلَ الجنَّةَ، ثمَّ قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ إلى عشرِ آياتٍ»، رواه الحاكمُ أبو عبدِالله في «صحيحِه».

[١٠١٣] وروَى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الله تعالى حَاطَ حَائِطَ الجنَّةِ

[١٠١٢] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٧٣ والنسائي في «الكبرى» ١٤٣٩ وأحمد ١/ ٣٤ والحاكم ٢/ ٣٩٢/ ٣٤٧٩ والعقيلي ٤/ ٤٦٠ ـ ٤٦١ والواحدي ٣/ ٢٨٣ من حديث عمر، ومداره على يونس بن سُليم، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، وصوب الترمذي كونه من مرسل الزهري، وأنه الصحيح. ومع ذلك صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه يونس هذا فقال: لا أظنه شيء، وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة يونس: حدث عنه عبد الرزاق، ولم يعتمده في الرواية. وأعله العقيلي به، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وقال النسائي: هذا حديث منكر. انظر «أحكام القرآن» ١٥٢٢ بتخريجنا.

[١٠١٣] ضعيف. أخرجه البزار ٣٥٠٨ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٢٠٤ وفي «صفة الجنة» ١/ ١٣٧/ ١٤٠ والبيهقي في «البعث» ٢٣٦ من حديث أبي سعيد وضعفه البزار بقوله: لا نعلم رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وكذا ضعفه البيهقي. وجاء في «الميزان»: عدي بن الفضل، قال ابن معين وأبو حاتم: متروك الحديث، وقال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال غير واحد: ضعيف اهـ. فالرجل ضعيف جداً. وله شاهد: أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ والبيهقي في «الصفات» ٢/ ٤٧ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٧ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم الواسطي. وذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث وحديث آخر، وقال: هذان باطلان اهـ. والحديث صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعيف اهـ. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في ١١٤٣٩ وفي «الأوسط» ٤٧٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٦. =

لَبِنَةٌ مِنْ ذهبٍ ولَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وغرسَ غَرسَها بيدِه فقال لها: تَكَلَّمِي، فقالت: قد أفلَحَ المؤمنون، فقال لها: طُوبَى لَكِ مَنزِلَ المُلُوكِ».

قال الفَرَّاءُ: «قد» ها هنا يجوزُ أنْ تكونَ تأكيداً لفَلاحِ المؤمنين. ويجوز أنْ تكونَ تقريباً للماضي مِنَ الحالِ، لأنَّ «قد» تُقرِّبُ الماضي مِنَ الحالِ حتى تُلْحِقَه بحُكمِه، ألاَ تراهُم يقولون: قد قامتِ الصَّلاةُ، قبلَ حالِ قيامِها، فيكون معنى الآيةِ: إنَّ الفَلاحَ قد حصلَ لهم وإنهم عليه في الحَالِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعِكرِمَةُ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وطَلحةُ بن مُصَرِّفٍ: «قد أُفلِحَ» بضمِّ الألِفِ وكسرِ اللام وفتحِ الحاء، على ما لم يُسمَّ فاعِلُه. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الآيةِ: قد نَالَ المؤمنون البقاءَ الدائمَ في الخيرِ. ومَنْ قرأ: «قد أُفلِحَ» بضمِّ الألِفِ، كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفَلاحِ. وأصلُ الخُشوعِ في اللغة: الخُضوعُ والتَّواضُعُ. وفي المراد بالخُشوعِ في الصَّلاةِ أربعةُ أقوالٍ:[1] **أحدها**: أنه النَّظَرُ إلى موضعِ السُّجودِ.

[١٠١٤] روى أبو هُريرةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صَلَّى رَفَع بصرَهُ إلى السماء، فنزلَتْ: «الذين هم في صلاتهم خاشعون» فنَكَسَ رأسَهُ. وإلى هذا المعنى ذهب مُسلِمُ بنُ يَسَارٍ، وقَتَادَةُ. **والثاني**: أنه تَرْكُ الالتِفَاتِ في الصَّلاةِ، وأنْ تُلَيِّنَ كَنَفَكَ للرجل المُسلمِ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ.

= وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٥٤٦٨: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد. وتبعه على ذلك الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٩، وأما ابن كثير ـ رحمه الله ـ فأعلّه بضعف رواية بقية عن الحجازيين والمعروف أن إسماعيل بن عياش هو الذي بهذه الصفة، وإنما علّة الحديث هي أن بقية مدلس، وقد عنعن، قال أحمد: توهمت أن بقية، لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير. وللحديث علة أخرى ابن جريج أيضاً مدلس، وقد عنعن، لكن الحمل فيه على بقية أولى. والله أعلم.

تنبيه: وقع في الأوسط تصريح بقية بالتحديث، وهو خطأ من شيخ الطبراني أو من هشام بن خالد فإنه كان يجعل ما رواه بقية بـ «عن» «حدثنا» توهماً، راجع ذلك في الميزان، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٩٩ والشوكاني ١٦٨٩ بتخريجنا.

[١٠١٤] ضعيف. أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٣ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٢٦ كلاهما عن ابن سيرين عن أبي هريرة، وهو حديث ضعيف. ففي الإسناد أبو شعيب الحراني عن أبيه، ولم أجد لهما ترجمة. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً. وصوب الذهبي الإرسال، وهو كما قال كذا رواه الثقات عند الطبري، ومع ذلك لا يصح رفعه. فقد أخرجه الطبري ٢٥٤١٥ بإسناد صحيح عن ابن سيرين قال: كان أصحاب النبي ﷺ... ليس فيه ذكر النبي ﷺ، فالصواب موقوف. وأخرجه الطبري ٢٥٤١٤ بسند صحيح عن ابن سيرين مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وكرره ٢٥٤١٦ من وجه آخر عن ابن سيرين قال: نُبئت أن رسول الله ﷺ... وهذا ضعيف لجهالة المنبئ لابن سيرين. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٢٣، و «تفسير الشوكاني» ١٦٩٣، والله الموفق.

---

(١) قال الطبري رحمه الله ٩/ ١٩٨: الخشوع: التذلل والخضوع، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، فكان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم، وتأويل الكلام على ذلك أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه، وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها.

والثالث: أنه السُّكونُ في الصَّلاةِ، قاله مُجاهِدٌ، وإبراهيمُ، والزُّهرِي. **والرابع**: أنه الخَوفُ، قاله الحَسنُ. وفي المراد باللَّغوِ ها هنا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشِركُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الباطلُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: المعاصي، قاله الحَسنُ. **والرابع**: الكذب: قاله السدي. **والخامس**: الشَّتمُ والأذى الذي كانوا يسمعونَهُ مِنَ الكفَّارِ، قاله مُقاتِلٌ. قاله الزَّجَّاجُ: واللغو: كلُّ لَعبٍ ولَهوٍ، وكلُّ معصيةٍ فهي مُطَّرَحَةٌ مُلغاةٌ. فالمعنى؛ شَغلَهُم الجِدُّ فيما أمرَهُم الله به عن اللغو.

قوله تعالى: ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ أي: مؤدُّون[1]، فعبَّر عن التَّأديَةِ بالفِعلِ، لأنه فِعلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ قال الفَرَّاءُ: «على» بمعنى «مِن». وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنهم يُلامُونَ في إطلاقِ ما حُظِرَ عليهم وأمِرُوا بحِفظِهِ[2]، إلاَّ على أزواجهم ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ﴾ فإنهم لا يُلامُونَ. قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ﴾ أي: طَلَبَ ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سِوى الأزواج والمَملُوكاتِ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ يعني الجَائرينَ الظَّالمينَ، لأنهم قد تجاوَزُوا إلى ما لا يَحِلُّ. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «لأ مانتهم» وهو اسمُ جنسٍ، والمعنى: للأمانَاتِ التي ائتُمِنُوا عليها، فتارَةً تكون الأمانةُ بين العبدِ وبين رَبِّه، وتارَةً تكون بينه وبين جنسه، فعَلَيْهِ مُراعاةُ الكُلِّ. وكذلك العَهدُ. ومعنء ﴿رَٰعُونَ﴾: حافِظون. قال الزَّجَّاجُ: وأصلُ الرَّعيِ في اللغة: القيامُ على إصلاحِ ما يَتولاَّهُ الرَّاعي مِنْ كلِّ شيءٍ. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «صلواتِهم» على الجَمعِ. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «صلاتِهم» على التَّوحيدِ، وهو اسمُ جنسٍ. والمُحافَظَةُ على الصَّلواتِ: أداؤها في أوقاتِها. قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ ذَكرَ السُّدِّيُّ عن أشياخه أنَّ الله تعالى يرفَعُ للكفَّارِ الجنَّةَ، فينظرونَ إلى بُيوتِهم فيها لو أنهم أطاعوا، ثم تُقسَمُ بين المؤمنين فيَرِثُونَهُم، فذلك قوله: «أولئك هم الوارثون». وقد شرحنا هذا في الأعراف[3] عند قوله: ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾، وشرحنا معنى الفِردَوسِ في الكهف[4].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَـٰهُ نُطۡفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةً

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٠٠: وقوله: **﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾** الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات الأنصبة. والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجباً بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية **﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾**. وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس، كقوله: **﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾** وكقوله **﴿وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة﴾** فصلت: ٦ على أحد القولين في تفسيرها، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٠٠: والذين حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلّها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج، وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة، قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال: **﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾**.

(٣) سورة الأعراف: ٤٣. (٤) سورة الكهف: ١٠٧.

فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه آدمُ عليه السَّلامُ. وإنما قيلَ: «مِنْ سُلالة» لأنه استُلَّ مِنْ كلِّ الأرض، هذا مذهبُ سَلمانَ الفارسيِّ، وابنِ عباسٍ في روايةٍ، وقَتادَةَ. **والثاني**: أنه ابنُ آدمَ، والسُّلالَةُ: النُّطفَةُ استُلَّت مِنَ الطِّين، والطِّينُ: آدَمُ عليه السَّلامُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال الزَّجّاجُ: والسُّلالَةُ: فُعالَة، وهي القليلُ ممَّا يُنسَلُ، وكلُّ مبنيّ على **«فُعالَة»** يُراد به القليلُ، مِنْ ذلك: الفضالَة، والنُّخالَة، والقُلامَة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني: ابنَ آدمَ ﴿نُطْفَةً فِى قَرَارٍ﴾ وهو الرَّحِمُ ﴿مَّكِينٍ﴾ أي: حَرِيز، قد هُيِّئ لاستِقرارِه فيه. وقد شرحنا في سُورة الحَجِّ[1] معنى النُّطفَةِ والعَلقَةِ والمُضغَةِ.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم: «عظاماً فكسونا العظام» على الجَمعِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «عَظْما فسكونا العَظْم» على التَّوحيدِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هذه الحالَةُ السَّابعَةُ. قال عليٌّ رضي الله عنه لا تكون مَؤُودَةً حتى تَمُرَّ على التَّاراتِ السَّبع. وفي مَحَلِّ هذا الإنشَاءِ قولان: **أحدهما**: أنه بَطنُ الأمِّ. ثم في صِفةِ الإنشَاءِ قولان: **أحدهما**: أنه نَفْخُ الرُّوح فيه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العَاليَة، والشَّعبيُّ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، والضَّحّاكُ في آخرِين. **والثاني**: أنه جَعلَهُ ذكراً أو أُنثى، قاله الحَسنُ. **والقول الثاني**: أنه بعدَ خُروجِه مِنْ بطنِ أُمِّهِ. ثم في صِفةِ هذا الإنشَاءِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ ابتداءَ ذلك الإنشَاءِ أنه استُهِلَّ، ثم دُلَّ على الثَّدي، وعُلِّمَ كيف يَبسُطُ رِجلَيْهِ إلى أنْ قَعَدَ، إلى أنْ قامَ على رجلَيْهِ، إلى أنْ مَشى، إلى أنْ فُطِمَ، إلى أنْ بَلَغَ الحُلُمَ، إلى أنْ تقلَّبَ في البلاد، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه استِواءُ الشباب، قاله ابنُ عمرَ، ومُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه خُروجُ الأسنانِ والشَّعرِ، قاله الضَّحّاكُ، فقيلَ له: أليس يُولَدُ وعلى رأسِه الشَّعرُ؟ فقال: وأينَ العَانَةُ والإبْطُ؟. **والرابع**: أنه إعطاءُ العَقلِ والفَهمِ، حكاه الثَّعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: استَحقَّ التَّعظيم والثَّناءَ. وقد شرحنا معنى «تَبارَكَ» في الأعراف[2] ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ أي: المُصَوِّرين والمُقَدِّرين. والخَلْقُ في اللغة: التَّقديرُ. وجاء في الحَديث.

[١٠١٥] أنَّ رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآيَةَ وعندَهُ عمرُ، إلى قوله تعالى: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقال عمرُ: فَتَباركَ الله أحسَنُ الخَالِقِينَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد خُتِمَت بما تكلَّمْتَ به يا ابنَ الخَطَّابِ».

[١٠١٥] ضعيف. أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل كما في **«الدر» ٥/ ١١**، وصالح أبو الخليل في عداد تابع التابعين، فالخبر واهٍ. وأخرجه الطيالسي ٤١ ومن طريقه الواحدي ٦٢٧ وابن =

---

(١) سورة الحج: ٥.
(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

فإنْ قيلَ: كيف الجمعُ بين قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[1]. فالجواب: أنَّ الخَلقَ يكون بمعنى الإيجادِ، ولا مُوجِدَ سِوى الله، ويكون بمعنى التَّقديرِ، كقول زُهيرٍ:

وبعضُ القومِ يَخلُقُ ثمَّ لا يَفري[2]

فهذا المُرادُ ها هنا، أنَّ بَني آدمَ قد يُصوِّرون ويُقدِّرون ويَصنَعُون الشيءَ، فاللهُ خيرُ المُصوِّرين والمُقدِّرين. وقال الأخفشُ: الخالِقُون ها هنا همُ الصَّانِعون، فاللهُ خيرُ الخالِقينَ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعدَما ذُكِرَ مِنْ تمام الخَلْقِ ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ عند انقضاءِ آجالِكُم. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وعِكرمَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لَمائتون» بألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول لِمَنْ لم يَمُتْ: إنكَ مائِتٌ عن قليلٍ، ومَيِّتٌ، ولا يقولون للمَيتِ الذي قد ماتَ: هذا مائِتٌ، إنما يُقال في الاستقبال فقط، وكذلك يُقال: هذا سيِّدُ قومه اليومَ، فإذا أخبرتَ أنه يَسُودُهم عن قليلٍ، قلتَ: هذا سائِدُ قومه عن قليل، وكذلك هذا شريفُ القوم، وهذا شارِفٌ عن قليلٍ؛ وهذا البابُ كلُّه في العربية على ما وَصَفتُ لكَ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السَّمواتِ السَّبع، قال الزَّجَّاجُ: كلُّ واحدةٍ طَرِيقَةٌ. وقال ابنُ قُتَيبة: إنما سُمِّيَتْ «طَرائق» بالتَّطارُقِ، لأنَّ بعضَها فوقَ بعضٍ، يُقال: طَارَقتُ الشيءَ: إذا جَعلتَ بعضَه فوقَ بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما غَفلنا عنهم إذ بَنَيْنا فوقَهُم سماءً أطلَعْنا فيها الشمسَ والقمرَ والكواكبَ. **والثاني**: ما كُنَّا تاركينَ لهم بغيرِ رزقٍ، فأنزلنا المطرَ. **والثالث**: لم نَغفَلْ عن حِفظِهم مِنْ أنْ تسقُطَ السماءُ عليهم فتُهلِكَهُم. قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يَعلَمُه اللَّهُ، وقال مُقاتِلٌ: بقَدْرِ ما يَكفِيهم للمَعيشَةِ.

= أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٣٠٤ عن أنس عن عمر به، من حديثه. «وافقت ربي في أربع...» فذكره منها والوهن فيه فقط في الفقرة الأخيرة وهي ما يتعلق بهذه الآية. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف روى مناكير كثيرة، ولا يحتج بما ينفرد به.

وأصل الحديث في الصحيحين دون الموافقة المذكورة في هذه الآية. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٠٠ و «تفسير ابن كثير» ٣/ ٣٠٤ و «تفسير القرطبي» ٤٤٦٠ جميعاً بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

---

(١) سورة فاطر: ٣.

(٢) هو جزء من بيت لزهير بن أبي سلمى وتمامه:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـض القوم يخلق ثم لا يفري

وهو في «اللسان» ـ خلق ـ و «شرح ديوان زهير» ٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي معطوفةٌ على قوله: ﴿جَنَّٰتٍ﴾. وقرأ أبو مِجْلَز، وابنُ يَعمَرَ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ: «وشجرةٌ» بالرفع. والمُراد بهذه الشَّجرةِ: شجرةُ الزَّيتونِ.

فإنْ قيلَ: لماذا خَصَّ هذه الشَّجرةَ مِنْ بين الشَّجرِ؟ فالجواب مِنْ أربعةِ أوجُهٍ:

أحدها: لِكثرةِ انتفاعِهم بها، فذَكَّرهم مِنْ نِعَمِهِ ما يعرفون، وكذلك خَصَّ النَّخيلَ والأعنابَ في الآيةِ الأُولى، لأنهما كانا جُلَّ ثمارِ الحِجازِ وما وَالاَها، وكانت النَّخيلُ لأهلِ المدينة، والأعنابُ لأهلِ الطَّائفِ. **والثاني**: لأنهم لا يكادون يَتعاهَدُونَها بالسَّقي، وهي تُخرِجُ الثَّمرةَ التي يكون منها الدُّهنُ. **والثالث**: أنها تَنبتُ بالماء الذي هو ضِدُّ النار، وفي ثَمرَتِها حياةٌ للنار ومادَّةٌ لها. **والرابع**: لأنَّ أوَّلَ زيتونةٍ نَبتَتْ بذلك المكانِ فيما زعمَ مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، «طور سِيناء» مكسورةَ السينِ، وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، مفتوحةَ السينِ، وكلُّهم مَدَّها. قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: سَيْناء، بفتح السين في جميع اللغات، إلاَّ بَني كِنانَةَ، فإنهم يكسِرُونَ السِّينَ. قال أبو عليٍّ: ولا تَنصَرِفُ هذه الكلمةُ، لأنها جُعِلتْ اسماً لِبُقعَةٍ أو أرضٍ، وكذلك «سِينين» ولو جُعِلَتْ اسماً للمنزِلِ أو للمكان أو نحوِ ذلك مِنَ الأسماء المُذكَّرة لصُرِفَتْ، لأنكَ كنتَ قد سَمَّيتَ مُذكَّراً بمُذكَّرٍ. والطُّورُ: الجَبلُ. وفي معنى «سَيْناء» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى الحَسَنِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال الضَّحَّاكُ: «الطُّور»: الجَبلُ بالسّريانيَّةِ، و «سَيْناء»: الحَسَنُ بالنَّبطِيَّةِ. وقال عَطاءٌ: يُريد: الجَبلَ الحَسَنَ. **والثاني**: أنه المُبارَكُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه اسمُ حجارةٍ بعينها، أضيفَ الجَبلُ إليها لوجُودِها عندَهُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أن طُورَ سَيْناءَ: الجَبلُ المُشَجَّرُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: أنَّ سَيْناءَ: اسمُ المكان الذي به هذا الجَبلُ، قاله الزَّجَّاج؛ قال الوَاحِدِي: وهو أصحُّ الأقوال[1]؛ قال ابنُ زيدٍ: وهذا هو الجَبلُ الذي نُودِيَ منه موسى، وهو بينَ مِصْرَ وأيلَةَ.

قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «تُنْبِت» برفع التاء وكسرِ الباء. وقرأ نافعٌ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسَائيُّ بفتح التاء وضمِّ الباء. قال الفَرَّاءُ: وهُما لُغتَانِ: نَبتَتْ وأَنبَتَتْ، وكذلك قال الزَّجَّاجُ: يُقال: نَبتَ الشَّجرُ وأَنبتَ في معنىً واحدٍ، قال زُهيرٌ:

رأيتُ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِم ... قَطِيناً لهُم حتى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ[2]

قال: ومعنى «تَنبُتُ بالدُّهن»: تَنبُتُ ومعها دُهنٌ، كما تقول: جاءني زيدٌ بالسَّيفِ، أي: جاءني ومعه السَّيفُ. وقال أبو عُبيدَةَ: معنى الآية: تُنبِتُ الدُّهنَ، والباء زائدةٌ، كقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾[3] وقد بَيَّنَّا هذا المعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعمَرَ، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ، والأعمَشُ: «وصِبْغاً» بالنَّصبِ. وقرأ ابنُ السَّمَيْفعِ: «وصِبَاغٍ» بألِفٍ مع الخَفضِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: الصِّبْغُ مِثْلُ الصِّباغِ، كما يُقال: دِبْغ ودِبَاغ، ولِبْس ولِبَاس. قال المُفسِّرون: والمراد بالصِّبْغِ هاهنا: الزَّيتُ، لأنه

---

(١) وهو اختيار الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/٢٠٨ وقال: إنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء معنى مبارك.

(٢) في «اللسان»: القطينة، سَكَنُ الدار. (٣) سورة الحج: ٢٥.

يُلَوِّنُ الخبزَ إذا غُمِسَ فيه، والمُراد أنه إدامٌ يُصبَغُ به.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ﴾ وقرأ نافع، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «نَسقيكم» بفتح النون. وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصم: بضمِّها. وقد شرحنا هذا في النَّحل[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعني: في ظُهورِها وألبانِها وأولادِها وأصوافِها وأشعارِها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مِنْ لُحومِها وأولادِها والكَسْبِ عليها. قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعني: الإبلَ خاصَّةً ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ فالإبلُ تحمِلُ في البَرِّ والسُّفُنُ تحمِلُ في البحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ قال المُفسِّرون: هذا تعزيةٌ لرسولِ الله ﷺ بذِكرِ هذا

---

(١) سورة النحل: ٦٦.

الرَّسولِ الصَّابرِ لِيَتأسَّى به في صَبرِه، وليعلَمَ أنَّ الرُّسلَ قبلَهُ قد كُذِّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يعلوكُم بالفضيلَةِ، فيَصِيرَ مَتبُوعاً، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أنْ لا يُعبَدَ شيءٌ سِواهُ ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ تُبلِّغُ عنه أمرَهُ، لَمْ يُرسِلْ بَشَراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي يدعونا إليه نُوحٌ مِنَ التَّوحيدِ ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾. فأمَّا الجِنَّةُ فمعناها: الجُنونُ.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الموت، فتقديره: انتَظِرُوا موتَهُ. **والثاني**: أنه وقتٌ مُنكَّرٌ. قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ وقرأ عِكرِمَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «قال ربُّ» بضمِّ الباء، وفي القصَّة الأخرى. قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ وقرأ يعقوبُ: «كذَّبوني» بياءٍ، وفي القصة التي تلِيها أيضاً: «فاتقوني» «أن يَحْضرونِي» «ربِّ ارجعوني» «ولا تكلِّموني» أثبتهنَّ في الحالَين يعقوبُ، والمعنى: انصُرني بتكذِيبِهم، أي: انصُرني بإهلاكِهم جزاءً لهم بتكذيبِهم. ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في هود[1] إلى قوله: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أَدْخِلْ في سفينَتِكَ ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «من كلِّ» بكسرِ اللام مِنْ غير تنوينٍ. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين. قال أبو عليٍّ: قراءةُ الجمهور إضافةُ «كلّ» إلى «زوجين» وقراءةُ حَفصٍ تؤُولُ إلى زَوجَين، لأنَّ المعنى: مِنْ كلِّ الأزواج زَوجَين. قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «مُنْزَلاً» بضمِّ الميم. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ فَتْحَهَا. والمَنْزِلُ، بفتحِ الميم: اسمٌ لكلِّ ما نزلتَ به، والمُنْزَلُ، بضمِّها: المصدرُ: بمعنى الإنزَالِ، تقول: أنزلتُه إنزالاً ومُنْزَلاً. وفي الوقت الذي قال فيه نوحٌ ذاكَ قولان: **أحدهما**: عندَ نزولِه في السفينة. **والثاني**: عندَ نزولِه مِنَ السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في قصة نُوحٍ وقومِه ﴿لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا﴾ أي: وما كنَّا ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: لَمُختبِرين إيَّاهُم بإرسالِ نُوحٍ إليهم. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني عاداً ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهو هُودُ، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: هم ثمودُ، والرسولُ صالحٌ. وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: موضعُ «أنَّكم» نصبٌ على معنى: أيَعِدُكُم أنَّكم مُخرَجُون إذا مِتُّم فلمَّا طالَ الكلامُ أُعِيدَ ذِكْرُ «أنَّ» كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بفتحِ التاء فيهما في الوَصْلِ، وإسكانِها في الوَقْفِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وهارونُ عن أبي عمرٍو: «هيهاتاً هيهاتاً» بالنَّصبِ والتنوينِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وأبو حَيْوَةَ الحَضرميُّ، وابنُ السَّمَيْفَعِ: «هيهاتٌ هيهاتٌ» بالرفعِ والتنوينِ. وقرأ أبو العَالِيَةِ، وقَتادَةُ: «هيهاتٍ هيهاتٍ» بالخَفضِ والتنوينِ. وقرأ أبو جعفرَ: «هيهاتِ هيهاتِ» بالخَفضِ مِنْ غير تنوينٍ، وكان يَقِفُ بالهاء. وقرأ أبو المُتوكِّلِ النَّاجِي، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعِكرِمَةُ: «هيهاتُ هيهاتُ» بالرفع مِنْ غير تنوينٍ، وقرأ معاذُ القارئُ، وابنُ يَعمُرَ، وأبو رَجاءٍ، وخارِجَةُ عن أبي عمرٍو: «هيهاتْ هيهاتْ»

(١) سورة هود: ٣٧.
(٢) سورة التوبة: ٦٣.

بإسكانِ التاء فيهما. وفي «هيهات» عشرُ لُغاتٍ قد ذكرنا منها سبعةً عن القُرَّاءِ، والثامنةُ: «إيهات»، والتاسعةُ: «إيهان» بالنون، والعاشرةُ: «إيها» بغير نونٍ، ذكرَهنَّ ابنُ القاسمِ؛ وأنشد الأحوَصُ في الجَمعِ بين لُغتَينِ منهنَّ:

تذكَّرُ أياماً مَضَيْنَ مِنَ الصِّبَا ... وهَيهاتِ هَيهَاتاً إليكَ رُجوعُها

قال الزَّجَّاجُ: فأمَّا الفتحُ، فالوَقْفُ فيه بالهاء، تقول: «هيهاه» إذا فَتحْتَ ووقفتَ بعد الفتحِ، فإذا كَسَرتَ ووقفتَ على التاء كنت ممَّنْ يُنَوِّنُ في الوَصْلِ، أو كنتَ ممن لا يُنَوِّن. وتأويلُ «هيهات»: البُعدُ لِمَا تُوعَدُون. وإذا قلتَ: «هيهات ما قلتَ» فمعناه: بعيدٌ ما قُلتَ. وإذا قلتَ: «هيهات لِمَا قُلتَ»، فمعناه: البُعدُ لِما قُلتَ. ويقال: «أيهات» في معنى «هيهات»، وأنشدوا:

وأَيهَاتَ أَيهَاتَ العَقِيقُ ومَنْ بِهِ ... وأَيهَاتَ وَصْلٌ بالعَقِيقِ نُواصِلُه

قال أبو عمرِو بنِ العلاءِ: إذا وقفتَ على «هيهات» فقُلْ: «هيهاه» وقال الفَرَّاءُ: الكِسَائيُّ يختارُ الوَقْفَ بالهاء، وأنا أختارُ التاءَ.

قوله تعالى: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ما تُوعَدُون» بغيرِ لامٍ. قال المُفسِّرون: استَبعَدَ القومُ بَعثَهُم بعدَ الموت إغفالاً منهم للتَّفكُّرِ في بُدوِّ أمرِهم وقُدرةِ الله على إيجادِهم، وأرادوا بهذا الاستبعادِ أنه لا يكون أبداً، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ يَعنُونَ: ما الحياةُ إلاَّ ما نحنُ فيه، وليس بعد الموت حياةٌ. فإنْ قيلَ: كيف قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ وهم لا يُقرُّون بالبَعثِ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ ذكرها الزَّجَّاجُ: **أحدها**: نموت ويَحيا أولادُنا، فكأنهم قالوا: يموتُ قومٌ ويَحيا قومٌ. **والثاني**: نَحيا ونَموتُ، لأنَّ الواوَ للجمعِ، لا للتَّرتيبِ. **والثالث**: ابتِداؤنا مَواتٌ في أصلِ الخِلْقَةِ، ثم نَحيا، ثم نموتُ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يَعنونَ الرسولَ. وقد سبق تفسيرُ ما بعد هذا[1] إلى قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: عن قليلٍ، و «ما» زائدةٌ بمعنى التَّوكيدِ.

قوله تعالى: ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ أي: على كُفرِهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: باستِحقاقِهم العذاب بكُفرِهم. قال المُفسِّرون: صَاحَ بهم جِبريلُ صيحةً رَجَفَتْ لها الأرضُ مِنْ تحتِهم، فصاروا لِشدَّتها غُثَاءً. قال أبو عُبيدَةَ: الغُثَاءُ: ما أشبَهَ الزَّبدَ وما ارتفع على السَّيلِ ونحو ذلك مما لا يُنتفَعُ به في شيءٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: فجعلناهم هَلْكى كالغُثَاءِ، وهو ما عَلاَ السَّيلَ مِنَ الزَّبَد والقَمْشِ[2]، لأنه يذهبُ ويتفرَّقُ. وقال الزَّجَّاجُ: الغُثَاءُ: الهَالِكُ والبَالِي مِنْ وَرقِ الشجر الذي إذا جرى السَّيلُ رأيتَهُ مُخالِطاً زَبدَهُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ شرحُه[3] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرَ: «تترىً كلَّما» منوَّنةً والوَقْفَ بالألِفِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: بلا تنوينٍ، والوَقْفُ عند نافعٍ وابنِ عامرٍ، بألِفٍ. وروى هُبَيرةُ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ، أنه

(١) سورة هود: ٧، والنحل: ٣٨.

(٢) في «اللسان» القَمْشُ: الرديء من كل شيء، والجمع قُماش: وهو ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس: قُماش. وقُماش كل شيء: فتاته.

(٣) سورة الحجر: ٥.

يقفُ بالياء؛ قال أبو عليٍّ: يعني بقوله: يَقِفُ بالياء، أي: بألِفٍ مُمالَةٍ. قال الفَرَّاءُ: أكثر العرب على تَرْكِ التنوين، ومنهم مَنْ نوَّنَ، قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: نُتَابع بفترةٍ بين كلِّ رَسُولَين، وهو مِنَ التَّواتُر، والأصلُ: وترَى، فقُلبت الواوُ تاءً كما قَلَبُوها في التَّقوى والتُّخَمَة. وحكى الزَّجَّاجُ عن الأصمَعِي أنه قال: معنى واتَرْتُ الخبَرَ: أتبَعْتُ بعضَهُ بعضاً، وبينَ الخبَرين هُنيَّة. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: وممَّا تَضَعُهُ العامَّةُ غيرَ موضِعه قولُهم: تواترت كُتبي إليكَ، يَعنُونَ: اتَّصَلَتْ من غير انقطاع، فيضعونَ التَّواتُرَ في موضع الاتِّصال، وذلك غلطٌ، إنما التَّواتُرُ مجيءُ الشيءِ ثم انقطاعُه ثم مَجيئُه، وهو التَّفاعلُ مِنَ الوِتْرِ، وهو الفردُ، يُقال: وَاترتُ الخبرَ، أتبعتُ بعضَه بعضاً، وبين الخَبَرين هُنيهَةٌ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أصلُها «وترى» مِنَ المُواتَرةِ فأُبدلت التاءُ مِنَ الواو، ومعناه: مُنقطِعةً مُتفاوِتَةً، لأنَّ بين كلِّ نَبيَّين دَهراً طويلاً، وقال أبو هُريرَةَ: لا بأس بقضاءِ رمضانَ تَترَى، أي: مُنقطِعاً، فإذا قيلَ: وَاترَ فلانٌ كُتبَهُ، فالمعنى: تابَعَها، وبينَ كلِّ كتابَيْنِ فترةٌ.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: أهلَكْنا الأُمَمَ بعضَهم في إثْرِ بعضٍ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي يُتَمثَّلُ بهم في الشرِّ، ولا يُقال في الخير: جَعلتُه حديثاً.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادَتِه ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: قاهِرِينَ للناس بالبَغي والتَّطاولِ عليهم. قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ أي: مُطيعُونَ. قال أبو عُبيدَةَ: كلُّ مَنْ دَانَ لِمَلِكٍ فهو عابدٌ له.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التَّوراةَ، أُعطِيَها جُملةً واحدةً بعد غَرَقِ فِرعونَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني: بَني إسرائيلَ، والمعنى: لكي يهتَدُوا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «آيتين» على التَّثنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾[1] وقد سبقَ شرحُه.

قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾ أي: جعلناهما يأوِيانِ ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «رُبوة» بضمِّ الراء، وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: بفَتْحِها. وقد شرحنا معنى الرَّبْوَةِ في البقرة[2]، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مُستَويةٍ يستقِرُّ عليها سَاكِنُوها، والمعنى: ذات موضعِ قرارٍ. وقال الزَّجَّاجُ: أي: ذات مُستقَرٍّ ﴿وَمَعِينٍ﴾ وهو الماءُ الجاري مِنَ العيون. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «ذاتَ قرار» أي: يُستقَرُّ بها للعِمارَةِ «ومَعِينٍ» هو الماءُ الظاهرُ، ويُقال: هو مَفعُول مِنَ العَيْنِ، كأنَّ أصلَهُ مَعْيُون، كم يُقال: ثَوبٌ

---

(١) سورة الأنبياء: ٩١. (٢) سورة البقرة: ٢٦٥.

مَخِيطٌ، وبُرٌّ مَكِيلٌ. واختلف المُفسِّرون في موضع هذه الرَّبوَةِ المَوصُوفَةِ على أربعةِ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها دمشقُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عبدُ الله بنُ سَلاَم، وسعيدُ بنُ المُسَيِّب. **والثاني**: أنها بيتُ المَقدِسِ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وعن الحَسنُ كالقولَين. **والثالث**: أنها الرَّمْلَةُ مِنْ أرض فلسطين، قاله أبو هُريرَةَ. **والرابع**: مِصرُ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائِبِ. فأمَّا السببُ الذي لأجلِهِ أوَيَا إلى الرَّبوَةِ، فقال أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: فَرَّتْ مريمُ بابنِها عيسى مِنْ مَلِكِهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد اثنتي عشرةَ سنةً. قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: وكان المَلِكُ أراد قَتْلَ عيسى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ قال ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ في آخَرين: يعني بالرُّسُلِ ها هنا محمَّداً ﷺ وَحدَهُ، وهو مذهبُ العرب في مُخاطَبَةِ الواحدِ خِطابَ الجميعِ، ويتضمَّنُ هذا أنَّ الرُّسُلَ جميعاً كذا أُمِروا، وإلى هذا المعنى ذهبَ ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ، والمُراد بالطَّيِّبات: الحَلالُ. قال عمرُو بنُ شُرَحبِيل: كان عيسى عليه السلام يأكلُ مِنْ غَزْلِ أُمِّه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «وأنَّ» بالفتح وتشديدِ النونِ. وَافَق ابنُ عامرٍ في فَتح الألِفِ، لكنه سَكَّنَ النونَ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «وإنَّ» بكسر الألِفِ وتشديدِ النون. قال الفَرَّاءُ: مَنْ فتحَ، عَطَفَ على قوله: «إني بما تعملون عليم» وبأنَّ هذه أُمَّتُكم، فمَوضِعُها خَفضٌ لأنها مَردودَةٌ على «ما»، وإنْ شئتَ كانت منصوبةً بفعلٍ مُضمَرٍ، كأنكَ قلتَ: و اعلموا هذا؛ ومَنْ كَسَرَ استأنَفَ. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: وأما ابنُ عامرٍ، فإنه خَفَّفَ النونَ المُشدَّدةَ، وإذا خُفِّفت تعلَّقَ بها ما يَتعلَّقُ بالمُشدَّدةِ. وقد شرحنا معنى الآيَة والتي بعدَها في الأنبياء[٢] إلى قوله: ﴿زُبُرًا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «زُبَراً» برفع الزاي وفتح الباء. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «زُبْراً» برفعِ الزاي وإسكانِ الباء. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «زُبُراً» بضمِّ الباء، فتأويلُه: جَعَلُوا دِينَهُم كُتُباً مختلفةً، جمعُ زَبُورٍ. ومَنْ قرأ «زُبَراً» بفتح الباء، أراد قِطَعاً. قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: بما عندهم مِنَ الدِّين الذي ابتدَعُوهُ مُعْجَبون، يَرونَ أنهم على الحقِّ. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ الكِتاب، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهم أهلُ الكِتاب ومُشركو العرب، قاله ابنُ السَّائبِ.

---

(١) الصواب أنها بيت المقدس، ولا يعني اشتهار موضع في دمشق بـ «الربوة» أن يكون هو ذلك الموضع، لأن الربوة تطلق على كل ما ارتفع من الأرض، وقد وصف الله تلك الربوة بأنها ذات قرار أي صالحة للاستقرار. و «معين» أي فيها نبع ماء صالحة للشرب، وليس بالأمر اليسير انتقال مريم عليها السلام من بيت المقدس إلى دمشق، ومن ذا الذي يوصلها إليه. فالصحيح أن ذلك كان في بيت المقدس أو في بيت لحم، وغير ذلك بعيد غريب، والله أعلم. فالصواب أنها لم تفارق موطنها الأصلي فلسطين، وبقيت في قومها وزكريا يحوطها ويرعاها، والله أعلم.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٢.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ: «في غمراتهم» على الجَمع. قال الزَّجَّاجُ: في عَمايَتِهم وحَيْرَتِهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حينِ يأتيهُم ما وُعِدُوا به من العذاب. قال مُقاتِلٌ: يعني كفَّارَ مكَّةَ.

فصل: وهل هذه الآيةُ مَنسُوخَةٌ، أَمْ لا؟ فيها قولان: **أحدهما**: أنها مَنسُوخَةٌ بآية السَّيفِ. **والثاني**: أنَّ معناها التَّهديدُ، فهي مُحكَمَةٌ.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ وقرأ عِكرمَةُ، وأبو الجَوزاءِ: «يُمِدُّهم» بالياء المرفوعةِ وكَسْرِ الميم. وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني: «نَمُدُّهُم» بنونٍ مفتوحةٍ ورفعِ الميم. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أَيحسَبونَ أنَّ الذي نُمِدُّهم به ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ مُجازاةٌ لهم؟! إنما هو استِدراجٌ، ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: نُسارعُ لهم به في الخَيراتِ. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، وأيوبُ السَّخْتِيانيُّ: «يُسارِعُ» بياءٍ مرفوعةٍ وكسرِ الراء. وقرأ معاذٌ القارئُ، وأبو المُتوكِّلِ مثله، إلاَّ أنهما فَتَحا الراءَ وقرأ أبو عِمرَانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرِعُ» بياءٍ مرفوعةٍ وسكونِ السين ونصبِ الراء مِنْ غيرِ ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ ذلك استِدراجٌ لهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

ثم ذَكَرَ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ وقد شَرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ وقرأ عاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «يأتون ما أتوا» بقَصْرِ همزةِ «أتوا».

[١٠١٦] وسألَتْ عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآيةِ فقالت: يا رسولَ الله، أَهُمُ الذين يُذنِبون وهم مُشفِقونَ؟ فقال: «لا، بل هُمُ الذين يُصَلُّون وهُم مُشفِقُونَ، ويَصومُونَ وهُمْ مُشفِقونَ، ويَتصَدَّقونَ

[١٠١٦] حسن. أخرجه الترمذي ٣١٧٥ وابن ماجه ٤١٩٨ وأحمد ٦/ ٢٠٥ والطبري ٢٥٥٦٠ و ٢٥٥٦٢، والحاكم ٢/ ٣٩٤ والبيهقي في «الشعب» ٧٦٢ من طريق عبد الرحمن بن سعيد الهمداني عن عائشة به. وإسناده ضعيف، رجاله رجال مسلم، إلا أنه منقطع، عبد الرحمن لم يدرك عائشة. وجرى الحاكم على ظاهره، فصححه! وسكت الذهبي! ووصله الطبري، فقد أخرجه ٢٥٥٥٩ من طريق عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف عمر بن قيس. وكرره ٢٥٥٦١ من وجه آخر عن ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة، وإسناده ضعيف، فيه راوٍ لم يسمّ. وكرره ٢٥٥٦٣ من طريق ليث وهشيم عن العوام بن حوشب عن عائشة، وهو ضعيف لانقطاعه بين عائشة والعوام. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٢٩٣ عن ليث عن عمرة عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف ليث، وهو ابن أبي سُليم.

الخلاصة: هو حديث حسن صحيح، بمجموع طرقه، والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٨.

وهُمْ مُشفِقونَ أنْ لا يُتقبَّلَ منهم». قال الزَّجّاجُ: فمعنى: «يؤتون»: يُعطُون ما أعْطَوا وهم يَخافونَ أنْ لا يُتقبَّلَ منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ أي: لأنهم يُوقِنونَ أنهم يَرجِعون. ومعنى «يأتون»: يعملون الخَيراتِ وقلوبُهم خائفةٌ أنْ يكونوا مع اجتِهادِهم مُقصِّرين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل، وابنُ السَّمَيْفَع: «يُسْرِعون» برفعِ الياء وإسكانِ السين وكسرِ الراء مِنْ غيرِ ألِفٍ. قال الزَّجّاجُ: يُقال: أسرَعتُ وسارَعتُ في معنىً واحدٍ، إلاَّ أنَّ «سَارَعتُ» أبلغُ مِنْ «أسرعتُ»، ﴿وَهُمۡ لَهَا﴾ أي: مِنْ أجلِها، وهذا كما تقول: أنا أُكرِمُ فُلاناً لكَ، أي: مِنْ أجلِكَ. وقال بعضُ أهلِ العِلْمِ: الوَجَلُ المذكورُ هاهنا واقعٌ على مُضمَرٍ.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ﴾ يعني: اللَّوحَ المَحفوظَ ﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ﴾ قد أُثبِتَ فيه أعمالُ الخَلْقِ، فهو يَنطِقُ بما يعملون ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا يُنْقَصُونَ مِنْ ثوابِ أعمالِهم. ثم عادَ إلى الكفّارِ، فقال: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ قال مُقاتِلٌ: في غفلةٍ عن الإيمانِ بالقرآن. وقال ابنُ جريرٍ: في عَمىً عن هذا القرآن. قال الزَّجّاجُ: يجوز أنْ يكونَ إشارةً إلى ما وَصفَ مِنْ أعمالِ البرِّ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾، فيكون المعنى: بل قلوبُ هؤلاءِ في عِمَايةٍ من هذا؛ ويجوز أنْ يكوَ إشارةً إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبُهم في غمرةٍ مِنَ الكتاب الذي يَنطِقُ بالحقِّ وأعمالُهم مُحصَاةٌ فيه. فخرجَ في المُشارِ إليه بـ «هذا» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: القرآن. **والثاني**: أعمالُ البرِّ. **والثالث**: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعمالٌ سيِّئةٌ دونَ الشركِ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: خطايا مِنْ دونِ ذلك الحقِّ، قاله مُجاهِدٌ. وقال ابنُ جريرٍ: مِنْ دون أعمالِ المؤمنين و أهلِ التقوى والخَشيةِ. **والثالث**: أعمالٌ غيرُ الأعمالِ التي ذُكِروا بها سيعمَلُونها، قاله الزَّجّاجُ. **والرابع**: أعمالٌ ـ مِنْ قبلِ الحِينِ الذي قدَّر الله تعالى أنه يُعذِّبُهم عند مَجيئِه ـ مِنَ المعاصي، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. قوله تعالى: ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ إخبارٌ بما سيعمَلُونَهُ مِنْ أعمالِهم الخَبيثةِ التي كُتِبَتْ عليهم لا بدَّ لهم مِنْ عَمَلِها.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ أي: أغنياءَهُم ورؤساءَهم، والإشارةُ إلى قُريشٍ. وفي المُرادِ «بالعذاب» قولان: **أحدهما**: ضَربُ السيوفِ يومَ بَدرٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحّاكُ. **والثاني**: الجوعُ الذي عُذِّبُوا به سبعَ سنينَ، قاله ابنُ السَّائب. و﴿يَجۡـَٔرُونَ﴾ بمعنى: يَصيحُون. ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ أي: لا تَستغيثُوا مِنَ العذاب ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تُمنَعون مِنْ عذابِنا. ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: القرآن ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ أي: ترجِعون وتَتأخَّرون عن الإيمان بها، ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ منصوبٌ على الحالِ. وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ الكنايةُ عن البيتِ الحَرام، وهي كِنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ؛ والمعنى: إنَّكم تستكبِرونَ وتفتخِرون بالبيتِ والحَرَمِ، لأمنِكُم فيه مع خوفِ سائرِ الناس في

مَواطِنِهم. تقولون: نحن أهلُ الحَرَم فلا نخافُ أحداً، ونحنُ أهلُ بيتِ الله وَوُلاته، هذا مذهبُ ابنِ عباسٍ وغيره. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ تكونَ الهاءُ في «به» للكِتَاب، فيكون المعنى: تُحدِثُ لكم تِلاوتُه عليكم استِكبَاراً. قوله تعالى: ﴿سَٰمِرًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: معناه: تَهجُرون سُمَّاراً، والسَّامِرُ بمعنى السُّمَّارِ، بمنزلة طِفْل في موضع أطْفَال، وهو مِنْ سَمَر الليلِ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: «سامراً» أي: مُتحدِّثين ليلاً، والسَّمَرُ: حديثُ الليل. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو العَالِيَة، وابنُ مُحيصِنٍ: «سُمَّراً» بضمِّ السين وتشديدِ الميم وفَتْحِها، جمعُ سَامِرٍ. قرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجَاءٍ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «سُمَّاراً» برفعِ السين وتشديدِ الميم وألِفٍ بعدَها. قوله تعالى: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تَهجُرون» بفتحِ التاء وضمِّ الجيم. وفي معناها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَهجُرونَ ذِكْرَ الله والحَقَّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تَهجُرونَ كتابَ الله تعالى ونبيَّه ﷺ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: تَهجُرونَ البيتَ، قاله أبو صالح. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: كانت قُريشٌ تَسْمرُ حولَ البيت، وتَفتخِرُ به ولا تَطوفُ به. **والرابع**: تقولونَ هُجْراً مِنَ القولِ، وهو اللَّغْو والهَذَيانُ، قاله ابنُ قُتَيبة. قال الفَرَّاءُ: يُقال: قد هَجَرَ الرجلُ في منامِه: إذا هَذَى، والمعنى: إنَّكُم تقولون في رسولِ الله ﷺ ما ليس فيهِ وما لا يَضُرُّه. وقرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وَقتادَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ، ونافعٌ: «تُهجِرُون» بضمِّ التاء وكَسرِ الجيم. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وهذا مِنَ الهُجْرِ، وهو السَّبُّ والإِفحَاشُ مِنَ المَنطِقِ، يريد سَبَّهم للنبيِّ ﷺ ومَنِ اتَّبعَهُ. وقرأ أبو العَالِيَة، وعِكرمَةُ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ، وأبو نَهِيكٍ: «تُهَجِّرُون» بتشديدِ الجيم ورفعِ التاء؛ قال ابنُ الأنبَاري: ومعناها معنى قراءةِ ابنِ عباسٍ.

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعني: القرآن، فيَعرفوا ما فيه مِنَ الدَّلالاتِ والعِبَرِ على صِدْقِ رَسولِهم ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ المعنى: أليس قد أُرسِلَ الأنبياءُ إلى أُمَمِهم كما أُرسِلَ محمَّدٌ ﷺ؟! ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ هذا توبيخٌ لهم، لأنهم عَرَفوا نَسَبَهُ وصِدقَهُ وأمانَتَهُ صغيراً وكبيراً ثم أعرَضُوا عنه. والجِنَّةُ: الجنونُ، ﴿بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني القرآن.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ في المُراد بالحقِّ قولان: **أحدهما**: أنه الله عزَّ وجلَّ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ جُريجٍ، والسُّدّيُّ في آخرين. **والثاني**: أنه القرآن، ذكره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. فعلى القولِ الأول يكون المعنى: لو جَعلَ اللهُ لِنَفسِه شريكاً كما يُحبُّون. وعلى الثاني: لو نَزَّلَ القرآن بما يُحبُّون مِنْ جَعلِ شريكٍ لله ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ أي: فما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ أي: قد تولَّوا عما جاءَهُم مِنْ شَرَفِ الدنيا والآخرة. وقرأ ابنُ

مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعب، وأبو رَجاءٍ، وأبو الجَوزاءِ: «بل أتيناهم بذِكرَاهُم فَهُم عن ذِكرَاهُم مُعْرِضون» بألِفٍ فيهما. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ عمَّا جئتَهُم به ﴿خَرْجًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وعاصِمٌ: «خَرْجاً» بغير أَلِفٍ «فخراج» بأَلِفٍ. وقرأ ابن عامر: «خرجاً» «فخرجُ» بغير ألف في الحرفين. وقرأ حمزة والكسائي «خراجاً» بألف «فخراج» بألف في الحَرفَين. ومعنى «خَرجاً»: أجراً ومالاً، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أي؛ فما يُعطيكَ ربُّكَ مِنْ أجرِهِ وثوابه ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: أفضلُ مَنْ أَعطى؛ وهذا على سبيل التَّنبيهُ لهم أنه لم يسألْهُم أجراً، لا أنه قد سألَهُم. والنَّاكِبُ: العَادِلُ؛ يُقال: نَكَبَ عن الطريق، أي: عَدَلَ عنه.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾.

[١٠١٧] قال ابنُ عباسٍ: الضُّرُّ هاهنا: الجوع الذي نَزلَ بأهلِ مكَّةَ حين دَعَا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «اللهُمَّ أعِنِّي على قُرَيشٍ بسِنِينَ كَسِنِي يُوسفَ»، فجاء أبو سُفيانَ إلى رسولِ الله ﷺ فشكَا إليه الضُّرَّ، وأنهم قد أكَلُوا القِدَّ[1] والعِظَامَ، فنزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها، وهو العذابُ المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يومُ بَدرٍ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّهُ الجوعُ الذي أصابهُم، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: بابٌ مِنْ عذاب جهنَّم في الآخرة، حكاه المَاوردي.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو نَهيكٍ، ومعاذٌ القارئُ: «مبلَسون» بفتحِ اللام. وقد شرحنا معنى المُبْلِسِ في سُورةِ الأنعام.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا

[١٠١٧] أخرجه الطبري ٢٥٦٣٣ عن ابن عباس به، وفيه يحيى بن واضح، وفيه كلام، وعبد المؤمن بن عثمان غير قوي. وورد من وجه آخر بنحوه عن ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز ـ يعني الوبر، والدم ـ فأنزل الله ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب...**﴾.
أخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٣٥٢ وفي «التفسير» ٣٧٢ والطبري ٢٥٦٣٢ والواحدي ٦٢٩ والطبراني ١١/ ٣٧٠ ح ١٢٠٣٨ والحاكم ٢/ ٣٩٤ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٩٠ من وجوه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس به، وهو حديث حسن بطرقه. ويشهد لأصله ما أخرجه البخاري ٤٨٢٤ ومسلم ٢٧٩٨ والترمذي ٣٢٥٤ وأحمد ١/ ٣٨٠ من حديث ابن مسعود وفيه «...اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف...».

---

(١) في «اللسان»: القِدُّ: السير الذي يُقَدُّ من الجلد.

قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ قال المفسرون: يريد أنهم لا يشكرون أصلاً.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خلقكم من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أي: هو الذي جعَلَهما مُختلِفين يَتعاقَبانِ ويَختلِفانِ في السَّوادِ والبَياضِ ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ مال تَرونَ مِنْ صُنعِه؟! وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: قُلْ لأهلِ مكَّةَ المُكَذِّبين بالبَعثِ: لِمَن الأرضُ ﴿وَمَن فِيهَآ﴾ مِنَ الخَلْقِ ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بحَالِها، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾ قرأ أبو عمروٍ: «لله» بغيرِ ألِفٍ هاهنا، وفي اللَّذَيْنِ بعدَها بألِفٍ. وقرأ الباقون: «لله» في المَواضعِ الثلاثةِ. وقراءة أبي عمروٍ على القياس. قال الزَّجاجُ: ومَنْ قرأ: «سيقولون الله» فهو جوابُ السؤال، ومَنْ قرأ «لله» فجَيّدٌ أيضاً، لأنكَ إذا قلتَ؛ مَنْ صاحبُ هذه الدَّارِ؟ فقيلَ: لزَيدٍ، جازَ، لأنَّ معنى «مَن صاحبُ هذه الدَّارِ؟»: لِمَنْ هي؟ وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: مَنْ قرأ «لله» في المَوضِعينِ الآخَرَيْنِ، فقد أجابَ على المعنى دونَ ما يقتضيه اللفظُ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّل، وأبو الجوزاءِ: «سيقولون الله» «الله» «الله» بألِفٍ فيهنَّ كلِّهنَّ. قال أبو عليٍّ الأهوازي: وهو في مصاحفِ أهلِ البَصرةِ بألِفٍ فيهنَّ. قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمونَ أنَّ مَنْ قَدر على خَلْقِ ذلك ابتداءً، أقدرُ على إحياءِ الأمواتِ؟!

﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تَتَّقونَ عِبادةَ غيرِه. **والثاني**: تَخشَونَ عذابَهُ. فأمَّا المَلَكُوتُ، فقد شرحناه في سُورةِ الأنعام(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ أي: يَمنعُ مِنَ السُّوءِ مَنْ شاءَ، ولا يَمنعُ منه مَنْ أراده بسُوءٍ، يُقال: أجَرْتُ فُلاناً: أي: حَمَيْتُه، وأجرتُ عليه: أي: حَمَيْتُ عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أنَّى تُخْدَعون وتُصْرَفون عن هذا؟!.

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتَّوحيد والقرآن ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما يُضيفون إلى الله مِنَ الوَلَدِ والشَّريك؛ ثم نَفاهما عنه بما بعدَ هذا إلى قوله: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفرد بخَلْقِه ولم يَرْضَ أنْ يُضافَ خَلْقُه وإنعامُه إلى غيره، ولَمَنَعَ الإلهُ الآخرُ عن الاستيلاءِ على ما خَلَقَ ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: غَلَب بعضُهم بعضاً. قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحَفصٌ عن عاصِم: «عالم» بالخَفضِ. وقرأ نافعٌ وحَمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِم: «عالمُ» بالرَّفع. قالَ الأخفشُ: الجرُّ أجودُ ليكونَ الكلامُ مِنْ وَجهٍ واحدٍ، والرَّفعُ على أنْ يكون خَبرَ ابتداءٍ محذوفٍ. ويُقوّيه أنَّ الكلام الأولَ قد انقطَعَ.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ وقرأ أبو عِمرانَ الجَوني، والضَّحَّاكُ: «تُرئَنّي» بالهَمزِ بين الراء والنون مِنْ غيرِ ياءٍ. والمعنى: إنْ أريتَني ما يُوعَدون مِنَ القَتلِ والعذاب، فاجعَلْني خارِجاً عنهم ولا تُهلِكْني بهَلاكِهم؛ فأرَاهم الله تعالى ما وَعدَهم ببَدرٍ وغيرِها، ونجَّاهُ ومَنْ معه.

قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ادفَعْ إساءةَ المُسيءِ بالصَّفحِ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ادفَعِ الفُحشَ بالسَّلام، قاله عطاءٌ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: ادفَعِ الشِّركَ بالتوحيدِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: ادفَعِ المُنكَرَ بالمَوعظَةِ، حكاه المَاوَردِي. وذكر بعضُ المُفسِّرينَ أنَّ هذا مَنسُوخٌ بآيَة السيفِ(١).

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون مِنَ الشِركِ والتَّكذيبِ؛ والمعنى: إنَّا نُجازيْهِم على ذلك. ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أي: ألجأُ وأمتنِعُ ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: هو نَخسُها وطعنُها، ومنه قيلَ للعَائِبِ: هُمَزَةٌ، كأنه يَطعَنُ ويَنخَسُ إذا عابَ. وقال ابن فارس: الهَمزُ كالعَصْر، يقال: هَمزتُ الشيءَ في كَفِّي، ومنه الهَمزُ في الكلام، لأنه كأنه يَضغَطُ الحَرفَ، وقال غيرُه: الهَمزُ في اللغة: الدَّفعُ، وهَمَزاتُ الشَّياطِينِ: دَفعُهُم بالإغواءِ إلى المعاصي.

قوله تعالى: ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ أي: أنْ يَشهَدُون؛ والمعنى: أنْ يُصيبُوني بسُوءٍ، لأنَّ الشيطانَ لا يحضُرُ ابنَ آدمَ إلاَّ بسُوءٍ. ثم أخبرَ أنَّ هؤلاءِ الكفار المُنكرينَ للبَعثِ يسألون الرَّجعَةَ إلى الدنيا عند الموت بالآيَة التي تَلِي هذه، وقيلَ: هذا السؤالُ منهم للمَلائكةِ الذين يَقبِضونَ أرواحَهُم.

فإنْ قيلَ: كيفَ قال: «ارجِعُونِ» وهو يريد: «ارجِعْني»؟

فالجواب: أنَّ هذا اللفظَ تعرفه العربُ للعظيمِ الشَّأنِ، وذلك أنه يُخبِرُ عن نفسه فيه بما تُخبِرُ به الجماعةُ، كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾(٢)، فجاء خِطابُه عن نفسه، هذا قولُ الزَّجَّاجِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ

---

(١) وهي مطلع سورة براءة ـ التوبة. (٢) سورة ق: ٤٣.

قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: فيما مَضى مِن عُمْري؛ وقال مُقاتِلٌ: فيما تَركتُ مِنَ العملِ الصَّالح. قوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يَرجعُ إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: مَسألَتَهُ الرجعَةَ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي: هو كلامٌ لا فائدةَ له فيه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: أمامَهُم وبينَ أيديهِم ﴿بَرْزَخٌ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: البَرْزَخُ: ما بينَ الدنيا والآخرة، وكلُّ شيءٍ بينَ شيئين فهو بَرزَخٌ. وقال الزَّجّاجُ: البرزَخُ في اللغة: الحَاجِزُ، وهو هاهنا: ما بينَ مَوتِ الميتِ وبَعثِه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ في هذه النَّفخَةِ قولان: **أحدهما**: أنها النَّفخَةُ الأولى، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها الثانيةُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في الكلام مَحذوفٌ، تقديره: لا أنسابَ بينَهم يومَئذٍ يَتفاخرونَ بها أو يَتقاطَعونَ بها، لأنَّ الأنسابَ لا تنقطِعُ يومَئِذٍ، إنما يُرفَع التَّواصُلُ والتَّفاخرُ بها.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَتساءَلونَ بالأنسابِ أنْ يَتركَ بعضُهم لبعضٍ حَقَّه. **والثاني**: لا يسألُ بعضُهم بعضاً عن شأنِه، لاشتغالِ كلِّ واحدٍ بنفسه. **والثالث**: لا يسألُ بعضُهم بعضاً مِنْ أيِّ قبيلٍ أنتَ، كما تفعلُ العرب لِتعرفَ النَّسَبَ فتعرف قَدْرَ الرَّجُلِ. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه إلى قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ قال الزَّجّاجُ: تَلفَحُ وتَنفَحُ بمعنًى واحدٍ، إلاَّ أنَّ اللفحَ أعظمُ تأثيراً، والكَالِحُ: الذي قد تَشَمَّرَتْ شَفَتُه عن أسنانِه، نحو ما ترى مِنْ رُؤوسِ الغَنمِ إذا بَرزتِ الأسنانُ وتَشمَّرتِ الشِّفاهُ. وقال ابنُ مسعودٍ: قد بَدَتْ أسنانُهم وتقلَّصَتْ شِفاهُم كالرأس المَشِيطِ بالنار.

[١٠١٨] وروى أبو عبدِ اللهِ الحاكِمُ في («صحيحه») مِنْ حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال في هذه الآيةِ: «تَشوِيهِ النَّارُ فتُقلِّصَ شَفَتَهُ العُليا حتى تبلُغَ وَسَطَ رأسِه وتَسترخي شَفَتُهُ السُّفلى حتى تَبلُغ سُرَّتَهُ».

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

[١٠١٨] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٧٦ والحاكم ٢/ ٣٩٥ من حديث أبي سعيد، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم! واعترضه الذهبي على أن الكلام على إسناده تقدم اهـ. وإسناده ضعيف لأجل دراج، فإنه روى عن أبي الهيثم أحاديث مناكير، كما ذكر العلماء وهذا منها. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٤٨٠ بتخريجنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويُقال لَهُمْ: أَلَمْ تَكُنْ ﴿ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن. ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «شِقوتُنا» بكسرِ الشين مِنْ غيرِ ألِفٍ، وقرأ عمرُو بنُ العَاصِ، وأبو رَزِينٍ العُقَيلي، وأبو رَجَاءٍ العُطَارِدِي كذلك، إلاّ أنه بفَتْحِ الشينِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، والحَسنُ، والأعمَشُ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «شَقَاوتُنا» بألِفٍ مع فَتْحِ الشين والقاف؛ وعن الحَسنِ، وقَتادةُ كذلك، إلاّ أنَّ الشينَ مكسورةٌ. قال المُفسِّرون: أقرَّ القومُ بأنَّ ما كُتِبَ عليهم مِنَ الشَّقاءِ مَنعَهُم الهُدَى. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: مِنَ النَّارِ. قال ابنُ عباسٍ: طَلَبُوا الرُّجوعَ إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى الكُفرِ والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔواْ﴾ قال الزَّجّاجُ: تَبَاعَدُوا تباعُدَ سَخَطٍ، يقال: خَسَأْتُ الكلبَ أَخْسَؤهُ: إذا زَجَرتَهُ ليتباعَدَ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رَفعِ العذاب عنكم. قال عبدُ الله بنُ عمرٍو: إنَّ أهلَ جهنَّم يَدعُونَ مالِكاً أربعينَ عاماً، فلا يُجيبُهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[1]، ثم يُنادونَ ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فَيَدَعُهم مثلَ عُمُرِ الدنيا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ ثم يُنادُون ربَّهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ فَيَدَعُهم مثلَ عُمُرِ الدنيا، ثم يَردُّ عليهم: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما يَنبِسُ القومُ بعد ذلك بكَلِمةٍ إنْ كان، إلاّ الزَّفيرِ والشَّهيقِ.

ثم بيَّن الذي لأجلِه أخسأَهُم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «أنَّه» بفتحِ الهمزة ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد المُهاجرين.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: الأجودُ إدغامُ الذال في التاءِ لِقُربِ المَخرَجين، وإنْ شئتَ أظهرتَ، لأنَّ الذالَ مِنْ كلمةٍ والتاءَ مِنْ كلمةٍ، وبين الذال والتاء في المَخرج شيءٌ مِنَ التباعُدِ. قوله تعالى: ﴿سِخْرِيًّا﴾ قرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو حاتِم عن يعقوبَ: «سُخرِيّاً» بضمِّ السين هاهنا وفي سُورة ص[2]، تابعَهُم المُفضَّلُ في ص. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: بكسرِ السين في السُّورتين. ولم يختلف في ضمِّ السينِ في الحرفِ الذي في الزُّخرُف. واختار الفَرَّاءُ الضمَّ، والزَّجّاجُ الكَسرَ. وهل هما بمعنىً؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما لُغتانِ ومعناهما واحدٌ، قاله الخليلُ، وسِيبَويه، ومثلُه قولُ العربِ: بَحرٌ لُجِيٌّ ولِجّيٌّ، وكَوكبٌ دُرِّيٌّ ودِرّيٌّ. **والثاني**: أنَّ الكَسرَ بمعنى الهَمزِ، والضَّمَّ بمعنى السُّخرة والاستعبَادِ، قاله أبو عُبيدَةَ، وحكاه الفَرَّاءُ، وهو مَرويٌّ عن الحَسنِ، وقَتادَةَ. قال أبو عليٍّ: قراءةُ مَنْ كَسرَ أرجحُ مِنْ قراءة مَنْ ضَمَّ، لأنه مِنَ الهزء، والأكثرُ في الهزء كَسرُ السين.

[١٠١٩] قال مُقاتِلٌ: كان رُؤوسُ كفارِ قريشٍ كأبي جَهلٍ وعُقبَةَ والوَليدِ قد اتَّخذوا فقراءَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ كعمَّارٍ وبلالٍ وخَبَّابٍ وصُهَيبٍ سِخرِيّاً يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي: أنساكُم الاشتِغَالَ بالاستهزاءِ بهم ذِكرِي، فنَسَبَ الفعلَ إلى

[١٠١٩] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

---

(١) سورة الزخرف: ٧٧. (٢) سورة ص: ٦٣.

المؤمنين وإنْ لم يَفعلُوهُ، لأنهم كانوا السَّببَ في وجُودِه، كقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]. قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ أي على أذاكم واستِهزائِكم ﴿أَنَّهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وعاصِمٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «أنَّهم» بفتحِ الألفِ. وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «إنَّهم» بكسرِها. فمَنْ فتَحَ «أنَّهم» فالمعنى: جَزيتُهم بصَبْرِهم الفور، ومَنْ كَسرَ «إنهم»، استأنَفَ.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عَمرو، وابنُ عامرٍ: «قال كم لبثتم» وهذا سؤالُ الله تعالى للكافرين. وفي وَقْتِه قولان: **أحدهما**: أنه يسألُهم يومَ البَعثِ. **والثاني**: بعد حُصولِهم في النار. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «قُلْ كم لبثتم» وفيها قولان: **أحدهما**: أنه خِطابٌ لكلِّ واحدٍ منهم، والمعنى: قلْ يا أيُّها الكافرُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: قولوا، فأخرَجَهُ مخرجَ الأمرِ للواحدِ، والمُرادُ الجماعةُ، لأنَّ المعنى مفهومٌ. وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ يُدغِمُونَ ثاءَ «لبثتم»، والباقون لا يُدغِمُونَها؛ فمَنْ أدغَمَ، فلِتَقارُبِ مَخرجِ الثاءِ والتاءِ، ومَنْ لم يُدغِمْ، فلِتَبايُنِ المَخرجَيْن.

وفي المُرادِ بالأرض قولان: **أحدهما**: أنها القُبورُ. **والثاني**: الدنيا. فاحتقَرَ القوم ما لَبِثُوا لِمَا عَايَنُوا مِنَ الأهوالِ والعذاب فقالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: والمعنى: لا نَدري كم لَبِثْنا. وفي المُرادِ بالعَادِّينَ قولان: **أحدهما**: الملائكةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الحُسَّابُ، قاله قَتادَةُ. وقرأ الحسَنُ، والزُّهريُّ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ يعمُرَ: «العادِين» بتخفيفِ الدَّالِ.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عَمرٍو، وابنُ عامرٍ: «قال إنْ لَبِثتم». وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: «قُلْ إنْ لَبثتم» على معنى: قُلْ أيُّها السَّائلُ عن لُبْثِهم. وزعموا أنَّ في مصحَفِ أهلِ الكوفةِ «قل» في المَوضِعين، فقرأهُما حَمزَةُ، والكِسائيُّ على ما في مصاحِفِهم، أي: ما لَبِثتم في الأرضِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأنَّ مُكثَهُم في الأرض وإنْ طالَ، فإنه مُتَناهٍ ومُكثُهُم في النارِ لا يَتناهَى. وفي قوله: ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لو عَلِمتُم قَدْرَ لُبثِكم في الأرض. **والثاني**: لو عَلِمتُم أنكم إلى الله تَرجِعُون، فعَمِلتُم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظَننتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعَبَثِ؛ والعَبَثُ في اللغة: اللَّعِبُ، وقيلَ: هو الفعلُ لا لغَرضٍ صحيحٍ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصِمٌ: «لا تُرْجعون» بضمِّ التاء. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ بفَتْحِها. ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عمَّا يَصِفُه به الجاهلون مِنَ الشِّركِ والوَلَدِ، ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ قال الخَطَّابي: هو التَّامُّ المُلْكِ الجَامِعُ لأصنَافِ المَملُوكاتِ.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٦.

وأمَّا المَالِكُ: فهو الخَالِصُ المُلْكِ. وقد ذكرنا معنى «الحَقّ» في سُورةِ يُونس[1].

قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ والكريمُ في صفةِ الجَمادِ بمعنى: الحَسَن. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ: «الكريمُ» برفع الميم، يعني الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليلَ؛ وقال بعضُهم: معناه: فلا بُرهانَ له به. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: جَزاؤهُ عند ربِّه.

(١) سورة يونس: ٣٢.

سُورَةُ النُّور

ترتيبها ٢٤ — آياتها ٦٤

وهي مَدنيّةٌ كلُّها بإجمَاعِهِم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

[١٠٢٠] روى أبو عبدِ اللَّهِ الحاكِمُ في صحيحه مِنْ حديث عائشةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «لا تُنزِلُوهنَّ الغُرَفَ ولا تُعلِّمُوهنَّ الكتابةَ، وعلِّموهنَّ الغزَلَ وسُورةَ النُّورِ»، يعني: النِّساء.

قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ﴾ قرأ الجمهورُ بالرَّفع. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وابنُ أبي عَبلَة، ومَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو: «سورةً» بالنصب. قال أبو عُبيدَة: مَنْ رَفعَ، فعلى الابتداءِ. وقال الزَّجّاجُ: هذا قبيحٌ، لأنها نَكِرةٌ، و ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صِفَةٌ لها، وإنما الرَّفعُ على إضمَارِ: هذه سُورةٌ، والنَّصبُ على وجهين: أحدُهما على معنى: أنزلنا سُورةً والثاني على معنى: أُتلُ سُورةً.

قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو بالتشديد. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي والحسَنُ وعِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ والزُّهري ونَافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحَمزَةُ والكِسَائيُّ وأبو جعفرَ وابنُ يَعمَرَ والأعمَشُ وابنُ أبي عَبلَةَ بالتَّخفيف. قال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ بالتشديد فعَلَى وجهين: **أحدهما**: على معنى التَّكثير، أي إنَّنا فَرضنَا فيها فُروضاً. **والثاني**: على معنى: بَيَّنَّا وفَصَّلنا ما فيها مِنَ الحَلالِ والحَرام؛ ومَنْ قرأ بالتَّخفيف، فمعناه: أَلزَمنَاكُمُ العملَ بما فُرِضَ فيها. وقال غيرُه: مَنْ شدَّد، أراد: فَصَّلنا فرَائِضَها، ومَنْ خفَّف، فمعناه: فَرضْنَا ما فيها.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ القراءةُ المشهورةُ بالرَّفعِ. وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وأبو الجَوزَاءِ، وابنُ

[١٠٢٠] موضوع. أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٦ والبيهقي في «الشعب» ٢٤٥٣ من حديث عائشة وفيه عبد الوهّاب بن الضحاك، وهو متروك متهم، ومع ذلك، صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع، وآفته عبد الوهّاب. قال أبو حاتم: كذاب اهـ. وأخرجه الخطيب ١٣/ ٢٢٤ ومن طريقه ابن الجوزي والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٠٢ والبغوي في «التفسير» ٣/ ٣٦٠ من طريقين عن محمد بن إبراهيم الشامي، وإسناده ساقط، فيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال عنه الذهبي في «الميزان» ٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦: قال الدارقطني: كذاب، وقال ابن حبان: يضع الحديث، ثم ذكر الذهبي أحاديث ومنها حديث الباب هذا، وقال: صدق الدارقطني. وورد من حديث ابن عباس أخرجه ابن عدي ٢/ ١٥٣ ومن طريقه ابن الجوزي ٢/ ٢٦٨ وفيه جعفر بن نصر أعله ابن عدي به، وقال: حدّث عن الثقات بالبواطل، وله موضوعات. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٢٤ بتخريجنا.

أبي عَبلَةَ، وعيسى بنُ عمرَ: «الزانيةَ» بالنَّصبِ. واختاره الخَليلُ وسِيبَويه والرَّفعُ اختيارُ الأكثرين. قال الزَّجَّاجُ: والرَّفعُ أقوى في العربية، لأنَّ معناه: مَنْ زَنَى فاجلِدُوه، فتأويلُه الابتداءُ، ويجوز النَّصبُ على معنى: اجلِدُوا الزَّانية. فأمَّا الجَلْدُ، فهو ضَربُ الجِلْدِ، يُقال: جَلَدَه: إذا ضَربَ جِلْدَهُ، كما يُقال: بَطَنَه: إذا ضَرَب بَطْنَهُ. قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: الزَّانيةُ والزَّاني إذا كانا حُرَّين بالِغَين بِكْرَيْنِ، ﴿فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾.

فصل: قال شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله: هذه الآيةُ تقتضي وجوبَ الجَلْدِ على البِكْرِ والثَّيِّب(١). وقد رُوي عن رسول الله ﷺ في حقِّ البِكْرِ زيادة على الجَلْدِ بتَغريبِ عامٍ، وفي حقِّ الثَّيِّب زيادةً على الجَلْدِ بالرَّجْمِ بالحِجارة.

[١٠٢١] فروى عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ وتَغريبُ عامٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ ورَجْمٌ بالحِجارَةِ». وممَّنْ قال بوجُوبِ النَّفي في حقِّ البِكْرِ: أبو بكرٍ،

[١٠٢١] تقدم في سورة النساء: عند الآية ١٥ و ١٦ وقد خرّجه مسلم وغيره.

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ١٢/ ٣٧٠: الزنى حرام، وهو من الكبائر العظام وقد كان حد الزاني في صدر الإسلام الحبس للثيب، والأذى بالكلام من التقريع والتوبيخ للبكر. ثم نسخ بما روى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ، وقد ذهب بعض أصحابنا بجواز نسخ القرآن بالسنة ومن منع ذلك قال: ليس هذا نسخاً، وإنما هو تفسير للقرآن وتبيين له. ويمكن أن يقال إن نسخه حصل بالقرآن، فإن الجلد في كتاب الله تعالى، والرجم كان فيه، فنسخ رسمه، وبقي حكمه. وإذا زنى الحر المحصن، أو الحرة المحصنة، جلدا ورجما حتى يموتا، في إحدى الروايتين عن أبي عبد الله رحمه الله، والرواية الأخرى، يرجمان ولا يجلدان.
وفي وجوب الرجم على الزاني المحصن، رجلاً كان أو امرأة قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار ولا نعلم فيه مخالفاً إلا الخوارج، فإنهم قالوا: الجلد للبكر والثيب، ولا يجوز ترك كتاب الله تعالى الثابت بطريق القطع واليقين بخبر الآحاد.
والرد عليهم ـ لقد ثبت الرجم عن رسول الله ﷺ بقوله وفعله، في أخبار تشبه التواتر وأجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأتها وعقلتها ووعيتها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل، أو الاعتراف وقد قرأتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» متفق عليه.
وأما الجلد فنقول بها، إن الزاني يجب جلده، فإن كان ثيباً رجم مع الجلد والآية لم تتعرض لنفيه. في إحدى الروايتين، فعل ذلك علي رضي الله عنه، وبه قال ابن عباس وأبي بن كعب وأبو ذر وفي الرواية الثانية، يرجم ولا يجلد. روي عن عمر وعثمان وابن مسعود، والنخعي، والزهري والأوزاعي ومالك، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي.
وإذا زنى الحر البكر، جلد مائة، وغرّب عاماً. ولا خلاف في وجوب الجلد على الزاني ويجب مع الجلد تغريبه عاماً في قول جمهور العلماء. وقال مالك والأوزاعي: يغرّب الرجل دون المرأة، لأنها إن غرّبت بمحرم، أفضى إلى تغريب من ليس بزان، ونفي من لا ذنب له، وإن كلفت أجرته ففي ذلك زيادة على عقوبتها بما لم يرد الشرع به، ويلزم منه الزيادة على ذلك. وفوات حكمته. وفي تغريبها إغراء به، وتمكين منه. وقال أبو حنيفة ومحمد بن الحسن: لا يجب التغريب وقول مالك فيما يقع لي، أصح الأقوال وأعدلها.

وعمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ، وابنُ عمرَ، وممن بعدَهم عَطاءٌ، وطَاوسٌ، وسُفيَانُ، ومالكٌ، وابنُ أبي لَيلى، والشَّافعيُّ، وأحمدُ، وإسحَاقُ، وممَّن قال بالجَمعِ بين الجَلْدِ والرَّجْمِ في حقِّ الثَّيِّبِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والحَسَنُ البَصريُّ، والحَسنُ بنُ صالحٍ، وأحمدُ، وإسحَاقُ. قال: وذهب قومٌ مِنَ العلماء إلى أنَّ المراد بالجَلْدِ المذكورِ في هذه الآية: البِكْرُ، فأمَّا الثَّيِّبُ، فلا يجب عليه الجَلْدُ، وإنما يجبُ الرَّجمُ، رُوي عن عمرَ، وبه قال النَّخعيُّ والزُّهري والأوزاعي والثَّوري وأبو حَنيفَةَ ومالكٌ، ورُوي عن أحمدَ روايةٌ مثلُ قول هؤلاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي وأبو رَزِينٍ والضَّحَّاكُ وابنُ يَعمَرَ والأعمَشُ: «يأخُذكُمْ» بالياء ﴿بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزَةُ والكِسَائيُّ: «رَأْفَةٌ» بإسكانِ الهمزة. وقرأ أبو المُتوكِّلِ ومُجاهِدٌ وأبو عِمرَانَ الجَوْني وابنُ كَثيرٍ: بفتح الهمزة وقَصْرِها على وزن رَعَفَة. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ والضَّحَّاكُ وأبو رَجَاءٍ العُطَاردي: «رَآفَةٌ» مثل سَآمة وكَآبة، وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: لا تأخُذكم بهما رَأفَةٌ، فَتخففُوا الضَّربَ، ولكنْ أوجِعُوهُما، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ والحسَنُ والزُّهري وقَتادَةُ. **والثاني**: لا تأخُذكم بهما رَأفَةٌ فتُعطِّلوا الحُدودَ ولا تُقيموها، قاله مُجاهِدٌ والشَّعبيُّ وابنُ زيدٍ في آخَرين.

فصل: واختلف العلماءُ في شدَّةِ الضَّربِ في الحُدودِ، فقال الحسَنُ البَصريُّ: ضَربُ الزِّنا أشدُّ مِنَ القَذفِ، والقَذفُ أشدُّ مِنَ الشُّرْب، ويُضرَبُ الشَّاربُ أشدَّ مِنْ ضَربِ التَّعزيرِ، وعلى هذا مذهبُ أصحابنا، وقال أبو حَنيفَةَ: التَّعزيرُ أشدُّ الضَّربِ، وضَربُ الزِّنى أشدُّ مِنْ ضَربِ الشَّارِبِ، وضَربُ الشَّارِبِ أشدُّ مِنْ ضَربِ القَذْفِ. وقال مالكٌ: الضَّربُ في الحُدودِ كلِّها سَواءٌ غيرُ مُبَرِّحٍ.

فصل: فأمَّا ما يُضرَبُ مِنَ الأعضاء، فنَقلَ المَيمُوني عن أحمدَ في جَلْدِ الزَّاني، قال: يُجَرَّدُ، ويُعطى كلُّ عُضوٍ حَقَّهُ، ولا يُضرَب وَجهُه ولا رَأسُه. ونقلَ يعقوبُ بن بختان: لا يُضرَبُ الرَّأسُ ولا الوَجهُ ولا المَذاكِيرُ، وهو قولُ أبي حَنيفةَ. وقال مالكٌ: لا يُضرب إلاَّ في الظَّهرِ. وقال الشَّافعيُّ: يُتَّقى الفَرْجُ والوجهُ.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: في حُكمِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: في طاعة الله، ذكره المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: القِراءةُ بإسكانِ اللام، ويجوز كَسرُها، والمراد بعذابِهما ضَربُهما، وفي المراد بالطَّائفة ها هنا خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: الرجلُ فما فوقَهُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. وقال النَّخعيُّ: الواحدُ طَائفةٌ. **والثاني**: الاثنان فصَاعِداً، قاله

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٦٠: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قول: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعداً، وذلك أن الله عمّ بقوله **﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾** والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً، غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس، عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون.

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعطاءٍ؛ وعن عِكرمَةَ كالقولَين. قال الزَّجّاجُ: والقولُ الأولُ على غير ما عند أهل اللغة، لأنَّ الطَّائفةَ في معنى جماعةٍ، وأقلُّ الجماعة اثنان. **والثالث**: ثلاثةٌ فصَاعِداً، قاله الزُّهري. **والرابع**: أربعةٌ، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: عشرةٌ، قاله الحسَنُ البَصْريُّ.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

[١٠٢٢] قال عبدُ الله بنُ عمرو: كانت امرأةٌ تُسافِحُ، وتشترطُ للذي يتزوجها أنْ تكفِيَهُ النَّفقة فأراد رجلٌ مِنَ المسلمين أنْ يتزوَّجها، فذكرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٠٢٣] وقال عِكرمَةُ: نزلت في بَغَايا، كُنَّ بمكَّةَ، ومنهنَّ تِسعُ صَواحِبَ رَاياتٍ، وكانت بيوتُهنَّ تُسمَّى في الجاهليَّةِ: المَواخِيرُ، ولا يدخلُ عليهنَّ إلاّ زَانٍ مِنْ أهل القِبْلَةِ، أو مُشرِكٌ مِنْ أهل الأوثانِ، فأراد ناسٌ مِنَ المسلمين نِكاحَهنَّ، فنزلت هذه الآيةُ. قال المُفسِّرون: ومعنى الآيةِ: الزَّاني مِنَ المسلمين لا يتزوَّجُ مِنْ أولئكَ البَغايا إلاّ زانِيَةً ﴿أَوْ مُشْرِكَةً﴾ لأنهنَّ كذلك كُنَّ ﴿وَالزَّانِيَةُ﴾ منهنَّ ﴿لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾، ومذهبُ أصحابنا(١) أنه إذا زَنَى بامرأةٍ، لم يَجُزْ له أنْ يتزوَّجها إلاّ بعدَ التَّوبةِ منهما.

[١٠٢٢] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٣٧٩ وأحمد ٢/ ١٥٩ ـ ٢٢٥ والحاكم ٢/ ١٩٣ والطبري ٢٥٧٤٢ والواحدي في «الأسباب» ٦٣٢ والبيهقي ٧/ ١٥٣ كلهم من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص به مع اختلاف يسير في ألفاظهم. وإسناده ضعيف لجهالة الحضرمي هذا، وقد وثقه ابن حبان وحده. واعتمده الهيثمي، فقال في «المجمع» ٧/ ٧٤: رجال أحمد ثقات! وكذا صححه الحاكم! ووافقه الذهبي. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٩١ من طريق هُشيم عن سليمان التيمي عن القاسم عن عبد الله بن عمرو به، وإسناده ضعيف، فقد سقط منه الحضرمي، ولعل ذلك بسبب عنعنة هشيم، فإنه مدلس، وقد جرى الحاكم على ظاهره، فصححه على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي! وليس كما قالا. وله شاهد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢٥٧٤٩ ومع إرساله فيه راو لم يسم، ومع ذلك هذه الروايات تشهد للحديث الآتي وليست مخالفة له، والله أعلم فقد تكون الحادثة مكررة والسبب واحد. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٤٩.

[١٠٢٣] مرسل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٣١ عن عكرمة بدون إسناد. وانظر ما قبله.

---

(١) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٩/ ٥٦١: إذا زنت المرأة، لم يحل ذلك نكاحها إلا بشرطين: **أحدهما**: انقضاء عدتها ولا يحل نكاحها قبل وضع حملها. وبهذا قال مالك وأبو يوسف وهو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة، وفي الأخرى قال: يحل نكاحها ويصح. وهو مذهب الشافعي لأنه وطء لا يلحق به النسب فلم يحرّم النكاح، كما لو لم تحمل. **والثاني**: أن تتوب من الزنى. وبه قال قتادة، وأبو عبيد، وإسحاق وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: لا يشترط ذلك. وإذا وجد الشرطان حل نكاحها للزاني وغيره في قول أكثر العلم. وروي عن ابن مسعود وعائشة والبراء: أنها لا تحل للزاني بحال، قالوا: لا يزالان زانيين ما اجتمعا، ويحتمل أنهم أرادوا بذلك ما كان قبل التوبة. أو قبل استبرائها فيكون كقولنا. أما تحريمها على الإطلاق فلا يصح. هذا وإن عدة الزانية كعدة المطلقة، لأنه استبراء لحرة، فأشبه عدة الموطوءة بشبهة. وحكى ابن أبي موسى، أنها تستبرأ بحيضة. وأما التوبة، فهي الاستغفار والندم والإقلاع عن الذنب، كالتوبة من سائر الذنوب. وهو الصحيح. وروي عن ابن عمر، أنه قيل له: كيف تعرف توبتها؟ قال يريدها على ذلك، فإن طاوعته لم تتب وإن أبت فقد تابت. فصار أحمد إلى قول ابن عمر اتباعاً له. والصحيح الأول، فإنه لا ينبغي لمسلم أن يدعو امرأة إلى الزنا، ويطلبه منها، ولا تحل الخلوة بأجنبية ولو كان في تعليمها القرآن. فلا يحل التعرض لمثل هذا. قال الطبري رحمه الله ٩/ ٢٦٤: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني =

قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزَاءِ: «وحرَّم الله ذلك» بزيادةِ اسم اللهِ تعالى مع فَتْح حروفِ «حرَّم». وقرأ زيدُ بنُ عليٍّ: «وحَرَمَ ذلك» بفتح الحاء وضمِّ الراء مُخفَّفة. ثم فيه قولان: **أحدهما**: أنه نِكاحُ الزَّواني، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: الزِّنا، قاله الفَرَّاءُ.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ شَرائِطُ الإحصَانِ في الزنا الموجب للرجم عندنا أربعةٌ: البُلوغُ، والحُريَّةُ، والعقلُ، والوَطءُ في نِكاحٍ صحيحٍ. فأمَّا الإسلامُ، فليس بشَرطٍ في الإحصَانِ، خلافاً لأبي حَنيفَةَ، ومالكٍ. ومعنى الآية: يَرمُونَ المُحصَنَاتِ بالزِّنا، فاكتَفَى بذِكْرِه المُتقدِّم عن إعادَتِه ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟﴾ على ما رمَوْهُنَّ به ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ عُدُولٍ يَشهدونَ أنهم رَأوهُنَّ يفعَلْنَ ذلك ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ يعني القَاذِفِين.

فصل: وقد أفادَتْ هذه الآيةُ أنَّ على القَاذِفِ إذا لم يُقِم البَيِّنَةَ، الحَدَّ، ورَدَّ الشهادةِ وثُبُوتَ الفِسْق، واختلفوا هل يُحكَمُ بفِسقِهِ ورَدِّ شهادَتِه بنَفْسِ القَذْفِ، أَمْ بالحَدِّ؟ فعلى قولِ أصحابنا: إنه يُحكَمُ بفِسقه ورَدِّ شهادَتِه إذا لم يُقِم البَيِّنَةَ، وهو قولُ الشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفَةَ ومالكٌ: لا يُحكَمُ بفِسقِهِ، وتُقبَلُ شهادَتُه ما لم يُقَمِ الحَدُّ عليه.

فصل: والتَّعريضُ بالقَذفِ ـ كقوله لِمَنْ يُخاصِمُه: ما أنتَ بزانٍ، ولا أُمُّكَ زانِيَةٌ ـ يُوجِبُ الحَدَّ في المشهورِ مِنْ مذهبنا. وقال أبو حَنيفَةَ: لا يُوجِبُ الحَدَّ. وحَدُّ العبدِ في القَذفِ نصفُ حَدِّ الحُرِّ، وهو أربعونَ، قاله الجماعةُ، إلاَّ الأوزاعيَّ فإنه قال: ثمانونَ. فأمَّا قَاذِفُ المجنونِ، فقال الجماعةُ: لا يُحَدُّ. وقال اللَّيثُ: يُحَدُّ. فأمَّا الصَّبيُّ، فإنْ كان مِثلُه يُجامِعُ أو كانت صَبيَّةً مثلُها يُجامَعُ، فعلى القَاذِفِ الحَدُّ. وقال مالكٌ: يُحَدُّ قَاذِفُ الصَّبيَّةِ التي يُجَامَع مثلُها، ولا يُحَدُّ قاذِفُ الصَّبيِّ. وقال أبو حَنيفةَ، والشَّافعيُّ: لا يُحَدُّ قَاذِفُهما. فإنْ قَذفَ رجلٌ جماعةً بكلمةٍ واحدةٍ، فعليه حَدٌّ واحدٌ، وإنْ أفرَدَ كلَّ واحدٍ بكلمةٍ، فعليه لكلِّ واحدٍ حَدٌّ، وهو قولُ الشَّعبيِّ، وابنِ أبي لَيلى؛ وقال أبو حَنيفَةَ وأصحابه: عليه حَدٌّ واحدٌ، سواءٌ قَذَفَهُم بكلمةٍ أو بكلماتٍ.

فصل: وحدُّ القَذفِ حقٌّ لآدَميٍّ، يَصِحُّ أنْ يُبْرِئَ منه، ويَعفُوَ عنه، وقال أبو حَنيفَةَ: هو حقُّ الله عزَّ وجلَّ وعندنا أنه لا يُستوفى إلاَّ بمُطالبة المَقذوفِ، وهو قولُ الأكثرين. وقال ابنُ أبي لَيلى: يَحدُّه

= بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات وإنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة. وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحله. وقوله **﴿وحرّم ذلك على المؤمنين﴾** يقول: وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه **﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾**. ووافقه ابن كثير رحمه الله ٣/ ٣٢٩ وقال: وهذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة، أي: لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة، لا ترى حرمة ذلك وكذلك: **﴿الزانية لا ينكحها إلا زان﴾** أي: عاص بزناه **﴿أو مشرك﴾** لا يعتقد تحريمه.

الإمامُ وإن لم يُطالِب المَقذُوفَ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ أي: مِنَ القَذفِ ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ قال ابنُ عباسٍ: أظهِرُوا التَّوبةَ؛ وقال غيرُه: لم يَعودوا إلى قَذفِ المُحْصَناتِ، وفي هذا الاستثناءِ قولان: **أحدهما**: أنه نَسْخ حدَّ القَذفِ وإسقاطُ الشَّهادَةِ معاً، وهذا قولُ عِكرمَةَ، والشَّعبيِّ، وطَاوسٍ، ومُجاهِدٍ، والقاسم بنِ محمَّدٍ، والزُّهري، والشَّافعيِّ، وأحمدَ. **والثاني**: أنه يعود إلى الفِسْقِ فقط، وأمَّا الشَّهادةُ، فلا تُقبَلُ أبداً، قاله الحَسنُ، وشُرَيحٌ، وإبراهيمُ، وقَتادةُ. فعلى هذا القول انقطَعَ الكلامُ عند قوله: «أبداً»؛ وعلى القولِ الأول وقعَ الاستثناءُ على جميع الكلام، وهذا أصحُّ، لأنَّ المتكلِّمَ بالفاحِشَةِ لا يكون جُرماً مِنْ رَاكِبها، فإذا قُبِلَتْ شهادةُ المَقذُوفِ بعدَ ثُبوتِه، فالرَّامي أيسَرُ جُرماً، وليس القَاذفُ بأشدَّ جُرماً مِنَ الكافرِ، فإنه إذا أسْلَمَ قُبِلَتْ شهادَتُه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾.

[١٠٢٤] سببُ نُزولِها أنَّ هِلالَ بنَ أُميَّةَ وجدَ عند أهله رجلاً، فرأى بعَينِه وسَمِعَ بأُذُنِه، فلم يُهِجْهُ حتى أصبَحَ، فغَدَا على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله: إنِّي جِئتُ أهلي، فوجَدتُ عندها رجلاً، فرأيتُ بعَينِي وسَمِعتُ بأُذُني، فَكَرِهَ رسولُ الله ﷺ ما جاء به، واشتَدَّ عليه، فقال سَعدُ بنُ عُبادَةَ: الآن يَضرِبُ رسولُ الله هِلالاً ويُبطِلُ شهادَتَهُ، فقال هِلالٌ: واللَّهِ إنِّي لأَرجُو أنْ يجعلَ اللَّهُ لي منها مَخرَجاً، فَواللَّهِ إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ يريد أنْ يأمُرَ بضَرْبِه إذ نَزلَ عليه الوَحيُ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٢٥] وفي حديثٍ آخَرَ، أنَّ الرجلَ الذي قَذفَها به شريك بنُ سَحْماء، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قال

[١٠٢٤] أخرجه أحمد ١/٢٣٨ والطبري ٢٥٨٢٨ من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس. وإسناده ضعيف لأجل عباد بن منصور، لكن أصله محفوظ، أخرجه البخاري وغيره. وانظر ما بعده وانظر «أحكام القرآن» ١٥٥٥.

[١٠٢٥] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٧١ و ٤٧٤٧ وأبو داود ٢٢٥٤ والترمذي ٣١٧٩ وابن ماجه ٢٠٦٧ والبيهقي ٧/٣٩٣ والبغوي ٢٣٧٠ كلهم من حديث ابن عباس، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدّ في ظهرك» فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد. فنزل جبريل وأنزل عليه **﴿والذين يرمون أزواجهم﴾** فقرأ حتى بلغ **﴿إن كان من الصادقين﴾**، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها. فجاء هلال فشهد. والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت. فقال =

لِهلالٍ حين قَذَفَها: «ائتِني بأربعةِ شُهداء، وإلاَّ فَحَدٌّ في ظَهرِكَ»، فنزلت هذه الآيةُ، فنُسِخَ حُكمُ الجَلْدِ في حقِّ الزوجِ القَاذفِ.

فصل في بيان حكم الآية: إذا قَذَفَ الرجلُ زوجَتَهُ بالزِّنا، لَزِمهُ الحَدُّ، وله التَّخلُّصُ منه بإقامة البَيِّنةِ، أو باللِّعَانِ، فإنْ أقامَ البَيِّنةَ لَزِمَها الحَدُّ، وإنْ لاعَنَها، فقد حقَّقَ عليها الزِّنا، ولها التَّخليصُ منه باللِّعَانِ، فإنْ نَكَلَ الزَّوجُ عن اللِّعَانِ، فعليه حَدُّ القَذفِ، وإنْ نَكَلَتِ الزوجةُ، لم تُحَدّ، وحُبِسَتْ حتى تُلاعِنَ أو تُقِرَّ بالزِّنا في إحدى الروايتين، وفي الأُخرى: يُخلَّى سبيلُها، وقال أبو حَنيفَةَ: لا يُحَدُّ واحدٌ منهما، ويُحبَسُ حتى يُلاعِنَ. وقال مالكٌ، والشَّافعيُّ: يَجِبُ الحَدُّ على النَّاكِلِ منهما.

فصل: ولا تَصِحُّ المُلاعَنةُ إلاَّ بحضرةِ الحَاكِمِ. فإنْ كانتِ المرأةُ خَفِرةً، بَعثَ الحاكِمُ مَنْ يُلاعِنُ بينهما. وصِفَةُ اللِّعَانِ أنْ يبدأَ الزَّوجِ فيقول: أشهدُ باللَّهِ إنِّي لَمِنَ الصَّادِقِيْن فيما رمَيتُها به مِنَ الزِّنا، أربعَ مرَّاتٍ، ثم يقولُ في الخامسةِ: ولَعنَةُ اللَّهِ عليه إنْ كان مِنَ الكَاذِبِيْن، ثم تقولُ الزَّوجةُ أربعَ مراتٍ: أشهدُ باللَّهِ لقد كَذَبَ فيما رَمَاني به مِنَ الزِّنا، ثم تقول: وغَضِبَ اللَّهُ عليها إنْ كان مِنَ الصَّادِقِين. والسُّنةُ أنْ يَتلاعَنَا قِياماً، ويُقالُ للزَّوجِ إذا بلغَ اللعنَةَ: اتَّقِ اللَّهَ فإنها المُوجِبَةُ، وعذابُ الدنيا أهونُ مِنْ عذاب الآخرة، وكذلك يُقال للزَّوجَةِ إذا بَلغَتْ إلى الغَضَبِ. فإنْ كان بينهما وَلَدٌ، افتَقَرَ نَفيُهُ عن الأبِ إلى ذِكْرِه في اللِّعَانِ، فيزيدُ في الشَّهادةِ: وما هذا الوَلَدُ وَلَدِي، وتَزيدُ هي: وإنَّ هذا الولَدَ وَلَدُهُ.

فصل: واختلفَ الفقهاءُ في الزَّوجين اللَّذَيْنِ يجري بينهما اللِّعَانُ، فالمشهورُ عن أحمدَ أنَّ كلَّ زوجٍ صحَّ قَذفُهُ صحَّ لِعَانُه، فيدخلُ تحتَ هذا المُسلمُ والكافرُ والحُرُّ والعَبدُ، و كذلك المرأةُ، وهذا قولُ مالكٍ، والشَّافعيِّ. وقال أبو حَنيفةَ: لا يجوز اللِّعَانُ بين الحُرِّ والأَمَةِ، ولا بين العَبدِ والحُرَّةِ، ولا بين الذِّمِّيَّينَ، أو إذا كان أحدُهما ذِمِّيًا؛ ونقلَ حَربٌ عن أحمدَ نحوَ هذا، والمذهبُ هو الأولُ. ولا تختلف الرواية عن أحمدَ أنَّ فُرقَةَ اللِّعَانِ لا تقعُ بلِعَانِ الزوجِ وحدَهُ. واختلَفَتْ هل تقعُ بلِعَانِهما مِنْ غيرِ فُرقَةِ الحاكِمِ على روايتين. وتحريمُ اللِّعَانِ مُؤبَّدٌ، فإنْ أكذبَ المُلاعِنُ نفسَهُ لم تَحِلَّ له زوجَتُه أيضاً، وبه قال عمرُ، وعليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعن أحمدَ روايتان، أصحُّهما: هذا، والثانية: يجتمعان بعد التَّكذيبِ، وهو قولُ أبي حَنيفَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ﴾ وقرأ أبو حَنيفَةَ وأبو المُتوكِّلِ. وابنُ يَعمُرَ، والنَّخعيُّ: «تكن» بالتاء. قوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «أربعَ» بفتح العين. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: برفعِ العين. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رَفَعَ «أربعُ» فالمعنى: فشهادةُ أحدِهم التي تَدْرأُ حَدَّ القَذفِ أربعُ؛ ومَنْ نَصبَ، فالمعنى: فعَلَيهم أنْ يشهَدَ أحدُهم أربعَ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ﴾ قرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: «والخامسةَ» نصباً، حَمْلاً على نصبِ «أربعَ شهادات». قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قرأ نافعٌ، ويعقوبُ، والمُفضَّلُ:

= النبي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلّج الساقين فهو لشريك بن سمحاء» فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». لفظ البخاري. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٥٣ بتخريجنا.

«أن لعنةُ الله» و «أن غضبُ الله» بتخفيفِ النُّونِ فيهما وسُكونهما ورفع الهاءِ من «لعنةُ» والباءِ من «غضبُ»، إلاّ أنَّ نافعاً كَسرَ الضادَ مِنْ «غَضِب» وفتحَ الباءَ. قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا﴾ أي: ويدفع عنها ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه الحد. **والثاني**: الحبس ذكرهما ابن جرير. **والثالث**: العار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: سِترُهُ ونِعمَتُه. قال الزَّجَّاج: وجوابُ «لولا» ها هنا متروك، والمعنى: لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيمٌ، وقال غيرُه: لولا فَضْلُ اللَّهِ لَبيَّنَ الكاذبَ مِنَ الزَّوجين فأُقيمَ عليه الحدُّ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على مَنْ رجعَ عن المعاصي بالرَّحمة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما فَرضَ مِنَ الحُدودِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ أجمعَ المُفسِّرون؛ أنَّ هذه الآيةَ وما يتعلَّقُ بها بعدَها نزلت في قصة عائشةَ رضي الله عنها، وفي حديثِ الإفكِ أنَّ هذه الآيةَ إلى عَشرِ آياتٍ نزلت في قصة عائشةَ. وقد ذكرنا حديثَ الإفكِ في كتاب «الحدائق» وفي كتاب «المغني في التفسير» فلم نُطِلْ بذكرِه، لأنَّ غَرضَنا اختصارُ هذا الكتاب ليُحفظَ. فأمَّا الإفكُ، فهو الكَذِبُ، والعُصبَةُ: الجماعةُ. ومعنى قوله تعالى: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: مِنَ المؤمنين.

[١٠٢٦] وروى عُروةُ عن عائشةَ أنها قالت: هم أربعةٌ: حسَّانُ بنُ ثابتٍ، وعبدُ الله بنُ أُبيّ بن سلول ومِسطَحُ بنُ أُثاثَة وحَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ، وكذلك عَدَّهم مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ قال المُفسِّرون: هذا خطابٌ لعائشةَ وصفوانَ بن المُعطِّلِ،

[١٠٢٦] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٧٠ ح ٥٨ والترمذي ٣١٨٠ من طريق أبي أسامة عن هشام عن عروة عن عائشة، وهو طرف حديث. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٦٦ بتخريجنا. وحديث الإفك، حديث صحيح مشهور. أخرجه البخاري ٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠، و ٦٦٧٩ ومسلم ٢٧٧٠ وأبو داود ٤٧٣٥ والترمذي ٣١٨٠ والنسائي في «عشرة النساء» ٤٥ وعبد الرزاق ٩٧٤٨ وأحمد ٦/١٩٧ وأبو يعلى ٤٩٢٧ و ٤٩٣٣ وابن حبان ٤٢١٢ والطبراني ٢٣/ ١٣٤ والبيهقي ٧/٣٠٢ من طرق كلهم من حديث عائشة.

وقيلَ: لرسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعائشةَ؛ والمعنى: إنكم تُؤجَرُونَ فيه، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم﴾ يعني: مِنَ العُصبَةِ الكاذبةِ ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ أي: جزاءُ ما اجترحَ مِنَ الذَّنبِ على قَدْرِ خوضِه فيه، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ وابنُ أبي عَبلَةَ، والحسن، ومحبوب عن أبي عمرو ويعقوب: «كُبره» بضم الكاف. قال الكسائي: وهما لغتان. وقال ابنُ قُتيبةَ: كِبْرُ الشيءِ: مُعْظَمُه، ومنه هذه الآيةُ. قال قيسُ بنُ الخَطيم يذكرُ امرأةً:

تَـنَـامُ عَـنْ كِـبْـرِ شَـأْنِـهَـا فـإذا قـامَـتْ رُوَيْـداً تَـكـادُ تَـنْـغَـرِفُ[1]

وفي المُتولّي لذلك قولان:[2] **أحدهما**: أنه عبدِ الله بنُ أُبيّ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وعُروَةُ عن عائشةَ، وبه قال مُجاهِدٌ، والسُّدّيُّ، ومُقاتِلٌ. قال المُفسِّرون: هو الذي أشاعَ الحديثَ، فله عذابٌ عظيمٌ بالنارِ. وقال الضَّحّاكُ: هو الذي بدأَ بذلك. **والثاني**: أنه حسَّانُ.

[١٠٢٧] روى الشَّعبيُّ أنَّ عائشةَ قالت: ما سمعتُ أحسنَ مِنْ شعر حسَّانَ، وما تمثَّلتُ به إلاَّ رَجَوتُ له الجنَّةَ؛ فقيل: يا أمَّ المؤمنين، أليس الله يقول: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فقالت: أليس قد ذهبَ بَصَرُه؟

[١٠٢٨] وروى عنها مَسرُوقٌ أنها قالت: وأيُّ عذابٍ أشدُّ مِنَ العَمى، ولعلَّ الله أن يجعلَ ذلكَ العذابَ العظيمَ، ذهابَ بَصَرِه، تعني: حسَّانَ بنَ ثابتٍ.

ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنكَرَ على الخائِضينَ في الإفكِ بقوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: هَلاَّ إذ سَمِعتُم أيَّتُها العُصْبَةُ الكاذبةُ قَذْفَ عائشةَ ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مِنَ العُصْبَةِ الكاذبةِ، وهم حسَّانُ ومِسْطَحٌ

[١٠٢٧] أخرجه الطبري ٢٥٨٤٣ عن الشعبي عن عائشة، وهذا منقطع، وانظر ما بعده.

[١٠٢٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤١٤٦ و ٤٧٥٥ و ٤٧٥٦ ومسلم ٢٤٨٨ والطبري ٢٥٨٤٥ من طريق مسروق به.
قال مسروق، دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب بأبيات له وقال:

حـصـان رزان مـا تُـزَنُّ بـريـبَـة وتـصـبـح غـرثى مـن لـحـوم الـغـوافـل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك. قال مسروق: فقلت لها: لِمَ تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله: ﴿والذي تولّى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى؟ قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ. ومعنى: حصان: عفيفة، رزان: ذات ثبات ووقار وعفة، ما تزن: ما تتهم، غرثى: جائعة.

---

(١) في «اللسان»: الغَرْفُ: التثني والانقصاف، وقال يعقوب: معناه تتثنى وقيل: معناه: تنقصف من دقة خصرها.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٤٠: ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾. ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي ابن سلول ـ قبّحه الله ولعنه ـ وقولهم: حسان بن ثابت. وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده فائدة، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: هاجم وجبريل معك ـ ولقد وافقه الطبري ـ.
وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٧٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك لأنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفعله ذلك كان توليه كبر ذلك الأمر.

﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ وهي: حَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بأُمَّهاتِهم. **والثاني**: بأخَواتِهم. **والثالث**: بأهلِ دِينِهم، لأنَّ المؤمنين كنَفْسٍ واحدةٍ، ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أي: كَذِبٌ بَيِّنٌ. وجاء في التفسير أنَّ أبا أيوبَ الأنصاريَّ قالت له أُمُّه:

[١٠٢٩] ألاَ تسمعُ ما يقولُ الناسُ في أمرِ عائشةَ؟! فقال: هذا إفكٌ مُبينٌ، أكُنتِ يا أمَّاهُ فاعِلتَهُ؟ فقالت: مَعاذَ اللهِ، قال: فعَائشةُ واللهِ خيرٌ مِنْكِ؛ فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو﴾ أي: هلاَّ جاءت العُصْبَةُ الكاذبةُ على قَذْفِهم عائشةَ ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ: «بأربعةٍ» مُنوَّنَةً؛ والمعنى: يَشهدُونَ بأنهم عَايَنُوا ما رَمَوْها به ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في حُكمِه ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾. ثم ذَكَرَ القَاذِفِينَ فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: لولا ما مَنَّ الله به عليكم، ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أي: لأصابكم ﴿فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أي: أخذْتُم وخضْتُم ﴿فِيهِ﴾ مِنَ الكذبِ والقَذْفِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة. ثم ذَكَرَ الوقتَ الذي لولا فَضْلُه لأصابَهُم فيه العذابُ فقال ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ وكان الرجلُ منهم يَلْقَى الرَّجلَ فيقول: بَلَغني كذا، فيَتَلَقَّاهُ بعضُهم مِنْ بعضٍ. وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ: «إذ تُلْقُونَه» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مرفوعةٍ وإسكانِ اللام وقافٍ منقوطَةٍ بنُقطتين مرفوعةٍ خفيفةٍ؛ وقرأ مُعاويةُ، وابنُ السَّمَيْفَع مِثْلَهُ، إلاَّ أنهما فَتَحا التاءَ والقافَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «تَتَلَقَّوْنَهُ» بتاءَين مفتوحتَيْنِ مع نصبِ اللام وتشديدِ القاف. وقرأ أُبَيُّ بنُ كعبٍ، وعائشةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو حَيْوَةَ: «تَلِقُونَهُ» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مفتوحةٍ وكَسْرِ اللام ورفع القاف. وقال الزَّجَّاجُ: «تَلِقُونَه»: يُلقِيهِ بعضُكم إلى بعضٍ وتلقُونه؛ معناه: إذ تُسرِعون بالكَذبِ، يقالُ: قد وَلَقَ يَلِقُ: إذا أسرعَ في الكَذِبِ وغيرِهِ، قال الشاعر:

جاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّامِ تَلِقْ

أي: تُسرِعُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «تَلَقَّوْنَهُ» أي: تَقبَلُونه، ومَنْ قرأ: «تَلِقُونه» أخذَهُ مِنَ الوَلْقِ، وهو الكَذِبُ.

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: مِنْ غيرِ أن تعلَمُوا أنه حقٌّ ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾ يعني: ذلك القَذْفَ ﴿هَيِّنًا﴾ أي: سهلاً لا إثمَ فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوِزْرِ. ثم زادَ عليهم في الإنكارِ فقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ أي: ما يَحِلُّ وما ينبغي لنا ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ وهو يحتملُ التَّنزِيهَ والتَّعجُّبَ. ورَوَتْ عائشةُ أنَّ امرأةَ أبي أيوبَ الأنصاريِّ قالت له: ألَمْ تسمَعْ ما يتحدَّثُ الناسُ؟! فقال: «ما يكونُ لنا أنْ نتكلَّمَ بهذا..» الآية، فنزلت الآيةُ، وقد رَوينا آنفاً أنَّ أُمَّهُ ذكَرَتْ له ذلكَ، فنزلت الآيةُ المُتقدِّمَةُ، ورُوي عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنَّ سعدَ بنَ مُعاذٍ لمَّا سمعَ ذلك قال سُبحانَكَ هذا بُهتانٌ عظيمٌ، فقيلَ للناسِ: هَلاَّ قُلتُم كما قال سعدٌ؟!

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يَنهاكُم الله ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ أي: إلى مِثْلِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[١٠٢٩] أخرجه الطبري ٢٥٨٥٩ من طريق محمد بن إسحاق به، عن بعض رجال بني النجار، فهذا إسناد ضعيف.
وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٣٦ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته... وذكر الحديث وفي إسناده عطاء الخراساني، وهو ضعيف.

لأنَّ مِنْ شرطِ الإيمان تَرْكُ قَذفِ المُحصَنةِ ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ في الأمرِ والنَّهي.

ثم هَدَّدَ القاذِفِيْنَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: يُحبُّون أنْ يَفشوَ القَذفُ بالفاحشَةِ، وهي الزِّنا ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ يعني: الجَلْدَ ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ عذابُ النار.

[١٠٣٠] ورَوَتْ عَمْرةُ عن عائشةَ قالت: لمَّا نزلَ عُذري قامَ رسولُ الله ﷺ على المِنبرِ، فذَكر ذلك، وتَلا القرآنَ، فلمَّا نزلَ أَمَرَ بَرجُلين وامرأةٍ، فضُرِبوا حَدَّهُم.

[١٠٣١] وروى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ جَلَدَ عبدَالله بنَ أُبيٍّ، ومِسْطَح ابنَ أُثاثَة، وحَسَّانَ بنَ ثابتٍ، وحَمْنَةَ، فأمَّا الثلاثةُ فتابوا، وأمَّا عبدُ الله فماتَ مُنافقاً؛ وبعضُ العلماء يُنكِرُ صحَّةَ هذا، ويقول: لم يَضرِبْ أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شرَّ ما خُضتُم فيه وما يتضمَّنُ مِنْ سَخَطِ الله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابُه محذوفٌ، تقديره: لَعَاقَبكُم فيما قُلتُم لعائشةَ. قال ابنُ عباسٍ: يريد: مِسْطَحاً، وحسَّاناً، وحَمْنَةَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تَزيينَهُ لكم قَذْفَ عائشةَ. وقد سبقَ شرحُ «خُطوات الشيطان» وبيانُ «الفَحشاءِ والمُنكرِ»[1]. قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ وقرأ الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ: «ما زَكّى» بتشديدِ الكافِ. وفيمَنْ خُوطِبَ بهذا قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ في الخَلْقِ. **والثاني**: أن خاصٌّ للمُتكلِّمين في الإفكِ. ثم في معناه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما اهتدَى، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ما أَسلَمَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: ما صلَحَ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: ما ظَهرَ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

[١٠٣٠] غير قوي. أخرجه أبو داود ٤٤٧٤ والترمذي ٣١٨١ وابن ماجه ٢٥٦٧ وأحمد ٦/ ٣٥ والطحاوي في «المشكل» ٢٩٦٣ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٧٤ وفي «السنن» ٨/ ٢٥٠ من طرق عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت: «لما نزل عذري قام النبي ﷺ على المنبر فذكر ذاك، وتلا ـ تعني القرآن ـ فلما نزل المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم».
وفي رواية الطحاوي «فأمر برجلين وامرأة، فضربوا حدهم ثمانين ثمانين». وفي إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس، لكن صرّح بالتحديث في رواية الطحاوي والبيهقي. وأخرجه أبو يعلى ٤٩٣٢ عن عروة مرسلاً. وأخرجه عبد الرزاق ٩٧٥٠ عن الزهري مرسلاً. وأخرجه أبو داود ٤٤٧٥ عن محمد بن إسحاق مرسلاً. وأخرجه عبد الرزاق ٩٧٤٩ من طريق ابن أبي يحيى عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة. وإسناده ضعيف جداً، فيه ابن أبي يحيى، وهو إبراهيم بن محمد، وهو متروك. فلا يقطع بصحة هذا الخبر بمثل هذه الروايات، والله أعلم.

[١٠٣١] لم يثبت أن ابن سلول، قد حدّ البتة، وأصح شيء ورد في ذلك هو ما تقدم. وهذا الطريق عن أبي صالح عن ابن عباس، ليس بشيء. لأن أبا صالح واهٍ في ابن عباس، وراويته الكلبيُّ، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) في سورة البقرة عند الآيتان: ١٦٨ و ١٦٩.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُطَهِّرُ مَنْ يشاء مِنَ الإثم بالتَّوبةِ والغُفرانِ؛ فالمعنى: وقد شِئتُ أنْ أتوبَ عليكم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عَلِمَ ما في نُفوسِكم مِنَ التَّوبةِ والنَّدامةِ.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ وقرأ الحسنُ، وأبو العَالية، وأبو جعفر، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لا يَتَألَّ» بهمزةٍ مفتوحةٍ بين التاء واللام وتشديدِ اللام على وَزنِ يَتَعَلَّ.

[١٠٣٢] قال المُفسِّرون: سببُ نُزولِها أنّ أبا بكرِ الصِّدِّيقَ كان يُنفِقُ على مِسْطَحٍ لقرابَتِه وفَقرِه، فلَمّا خاضَ في أمرِ عائشةَ قال أبو بكرٍ: واللهِ لا أُنفِقُ عليه شيئاً أبداً، فنزلت هذه الآيةُ. فأمّا الفَضْلُ، فقال أبو عُبيدَةَ: هو التَّفَضُّلُ والسَّعةُ. الجِدَةُ. قال المُفسِّرون: والمُرادُ به: أبو بكرٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ﴾ قال ابنُ قُتَيبَةَ: معناه: أنْ لا يُؤتُوا، فحَذفَ «لا». فأمّا قوله تعالى: ﴿أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فإنه يعني مِسْطَحاً، وكان ابنَ خالَةِ أبي بكرٍ، وكان مسكيناً، وكان مُهاجِراً. قال المُفسِّرون: فلمّا سمعَ أبو بكرٍ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾ قال: بلى يا ربِّ، وأعادَ نَفَقَتَهُ على مِسْطَحٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعني: العفائِفَ ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفَواحِشِ، ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي: عُذِّبوا بالجَلدِ، وفي الآخرة بالنّارِ.

واختلفَ العلماءُ فيمَنْ نزلت هذه الآيةُ على أربعةِ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها نزلت في عائشةَ خاصَّةً. قال خُصَيفٌ: سألتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ عن هذه الآيةِ، فقلتُ: مَنْ قَذفَ مُحصَنَةً لَعنَهُ اللهُ؟ قال: لا، إنما أُنزِلَتْ هذه الآيةُ في عائشةَ خاصَّةً. **والثاني**: أنها في أزواجِ النبيِّ ﷺ خاصَّةً، قاله الضَّحّاكُ. **والثالث**: أنها في المُهاجِراتِ. قال أبو حمزةَ الثُّمالي: بَلَغنا أنَّ المرأةَ كانت إذا خرجَتْ إلى المدينةِ مُهاجِرةً، قَذفَها المشركون مِنْ أهل مكّةَ، وقالوا: إنما خرجَتْ تَفجُرُ، فنزلت هذه الآيةُ. **والرابع**: أنها عامّةٌ في أزواجِ النبيِّ ﷺ وغيرِهنَّ، وبه قال قَتادةُ، وابنُ زيدٍ.

فإنْ قيلَ: لِمَ اقتصرَ على ذِكرِ المُحصَناتِ دون الرِّجالِ؟

[١٠٣٢] هو طرف حديث الإفك المتقدم برقم ١٠٤٥، وهو عند الطبري ٢٥٨٧٥ من طريق ابن إسحاق عن الزهري، وقد عنعن. لكن الحجة بما تقدم، ذكره البخاري ٤٧٥٧ من وجه آخر تعليقاً، ووصله أحمد ٦/ ٥٩ والطبري ٢٥٢٥٧. وانظر «أحكام القرآن» ١٥٧١ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٩٢: وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه بها فيها.

فالجواب: أنَّ مَنْ رَمى مؤمنةً فلا بدَّ أنْ يَرمي معها مؤمناً، فاستُغنِيَ عن ذِكرِ المؤمنين، ومِثلُه: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾(١) أراد: والبَرْدَ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ: «يشهد» بالياء؛ وهو إقرارُها بما تكلَّموا به مِنَ الفِرْيَةِ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهؤلاءِ غيرُ الذين يُختَمُ على أفواهِهم. وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أنَّ ألسنَةَ بعضِهم تشهَدُ على بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: حِسابَهمُ العَدْلَ، وقيل: جَزاءَهم الواجِبَ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو الجَوزاءِ، وحُمَيدُ بنُ قيسٍ، والأعمَشُ: «دينهم الحقُّ» برَفع القافِ ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: وذلك أنَّ عبدَالله بنَ أُبيّ كان يشُكُّ في الدِّينِ، فإذا كانت القيامةُ عَلِمَ حيثُ لا ينفَعُه.

﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ﴾ فيه أربعة أقوال(٢): **أحدها**: الكلماتُ الخَبيثاتُ لا يَتكلَّمُ بها إلاَّ الخبيثُ مِنَ الرِّجال والنساءِ، والكَلِماتُ الطيِّباتُ لا يتكلَّمُ بها إلاَّ الطَّيِّبون مِنَ الرِّجالِ والنساءِ. **والثاني**: الكَلماتُ الخَبيثاتُ إنما تلصقُ بالخَبيثينَ مِنَ الرجالِ والنساء، فأمَّا الطِّيِّباتُ والطَّيِّبون، فلا يَصلحُ أنْ يقالَ في حَقِّهم إلاَّ الطَّيِّباتُ. **والثالث**: الخَبيثاتُ مِنَ النساء للخَبيثينَ مِنَ الرجال، والطَّيِّباتُ مِنَ النساءِ للطَّيِّبين مِنَ الرجال. **والرابع**: الخَبيثاتُ مِنَ الأعمال للخَبيثينَ مِنَ الناس، والخَبيثُونَ مِنَ الناس للخَبيثاتِ مِنَ الأعمالِ، وكذلك الطَّيِّباتُ وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: عائشةَ وصفوانَ ﴿مُبَرَّءُونَ﴾: مُنَزَّهُون ﴿مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ مِنَ الفِرْيَةِ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذُنوبِهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجنَّةِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ﴾.

---

(١) سورة النحل: ٨١.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٢٩٥: وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية: قول من قال: عنى بالخبيثات: الخبيثات من القول، وذلك قبيحه وسيئه، للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولى، لأنهم أهلها.
والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله، للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول، لأنهم أهلها، وأحق بها.

[١٠٣٣] ذكرَ أهلُ التفسير أنَّ سببَ نُزولِها أنَّ امرأةً مِنَ الأنصارِ جاءت إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، إنِّي أكونُ في بيتي على حالٍ لا أُحبُّ أنْ يَراني عليها أحدٌ، فلا يزالُ يدخلُ عليَّ رجلٌ مِنْ أهلي، فنزلَتْ هذه الآيةُ؛ فقال أبو بكرٍ بعد نُزولها: يا رسولَ الله، أفرأيتَ الخَانَاتِ والمَساكنَ التي ليس فيها سَاكِنٌ، فنزلَ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ الآية.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بُيوتاً ليست لكم. واختلفَ القُرَّاءُ في باءِ البيوت، فقرأ بعضُهم بضمِّها، وبعضُهم بكَسْرِها. وقد بيَّنَّا ذلك في سُورةِ البقرة[١].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ قال الفَرَّاءُ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: حتى تُسلِّموا وتَستأنِسُوا. قال الزَّجَّاجُ: و«تستأنسوا» في اللغة، بمعنى تَستأذِنُوا، وكذلك هو في التفسير، والاستِئذانُ: الاستِعلامُ، تقول: آذَنْتُهُ بكذا، أي: أعلَمْتُه، وآنَسْتُ منه كذا، أي: عَلِمتُ منه، ومثله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾[٢] أي: عَلِمتُم. فمعنى الآية: حتى تستَعلِمُوا، يريدُ أهلَها أنْ تدخلُوا، أَمْ لا؟ قال المُفسِّرون: وصفةُ الاستِعلام أنْ تقولَ: السَّلامُ عليكم، أأدْخُلُ؟ ولا يجوز أنْ تدخلَ بيتَ غيرِكَ إلاَّ بالاستِئذَانِ، لهذه الآيةِ، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ أنْ تدخلوا بغيرِ إذنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّ الاستئذانَ خيرٌ فتأخذُونَ به، قال عَطاءٌ: قلتُ لابنِ عباسٍ: أستَأْذِنُ على أُمِّي وأُختي ونحنُ في بيتٍ واحدٍ؟ قال: أَيَسُرُّكَ أنْ ترى منهنَّ عَورَةً؟ قتلُ: لا، قال: فاستَأذِنْ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ أي: إنْ وَجَدْتُمُوها خاليَةً ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إنْ رَدُّوكم فلا تَقِفُوا على أبوابِهم وتُلازِمُوها، ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني: الرُّجوعُ خيرٌ لكم وأفضلُ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾.

فصل[٣]: وهل هذه الآيةُ مَنسُوخَةٌ، أَمْ لا؟ فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ حُكمَهَا عامٌّ في جميع

[١٠٣٣] ضعيف. أخرجه الواحدي ٦٣٨ من طريق الفريابي، والطبري ٢٥٩٢١ كلاهما عن أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت، وإسناده ضعيف لضعف أشعث بن سوار، ثم هو مرسل، عدي تابعي. وهو عند الطبري دون آخره، ـ وعند الواحدي قال: قال المفسرون: فلما نزلت قال أبو بكر.. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٤٠ و «تفسير القرطبي» ٤٥١٣ كلاهما بتخريجنا.

---

(١) عند الآية: ١٨٩. (٢) سورة النساء: ٦.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٣٤٧: هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول، ويسلّموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثاً، فإن أذِن له وإلا انصرف، كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يؤذن له، فلينصرف» ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن امرأً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاةٍ، ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح». وقال مقاتل بن حيان في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها﴾: كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلّم عليه، ويقول: حييت صباحاً وحييت مساءً وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول: «قد دخلت» =

البيوت، ثم نُسِخَتْ منها البيوتُ التي ليس لها أهلٌ يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مَرويٌّ عن الحسَنِ، وعِكرِمَة. **والثاني**: أنَّ الآيتَيْنِ مُحكَمَتانِ، فالاستئذانُ شَرطٌ في الأُولى إذا كان للدار أهلٌ، والثانيةُ وَرَدَتْ في بيوتٍ لا ساكنَ لها، والإذنُ لا يُتصَوَّرُ مِنْ غيرِ آذِنٍ، فإذا بَطَلَ الاستئذانُ، لم تكن البيوتُ الخاليةُ داخلةً في الأُولَى، وهذا أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيها خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الخَاناتُ والبيوتُ المَبنيَّةُ للسَّابِلَةِ ليَأوُوا إليها، ويُؤْوُوا أمتِعَتَهم، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنها البيوتُ الخَرِبةُ، والمَتاعُ: قضاءُ الحاجةِ فيها مِنَ الغائطِ والبولِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنها بيوتُ مكَّةَ، قاله محمَّدُ بنُ الحَنفيَّةِ. **والرابع**: حَوانيتُ التُّجّار التي بالأسواق، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنها جميع البيوت التي لا ساكنَ لها، لأنَّ الاستِئذَانَ إنما جُعِلَ لأجلِ السَّاكن، قاله ابنُ جُرَيج. فيُخرَّجُ في معنى «المَتاع» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأمتِعَةُ التي تُباع وتُشترَى. **والثاني**: إلقاءُ الأذى مِنَ الغائِطِ والبَولِ. **والثالث**: الانتفاعُ بالبُيوتِ لاتِّقاءِ الحَرِّ والبَردِ.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ في «مِنْ» قولان: **أحدهما**: أنها صِلَةٌ. **والثاني**: أنها أصلٌ، لأنهم لم يُؤمَروا بالغضّ مطلقاً، وإنما أُمِروا بالغضّ عمّا لا يَحِلُّ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: عمّا لا يَحِلُّ لهم، قاله الجمهور. **والثاني**: عن أنْ تُرى، فهو أمرٌ لهم بالاستِتَارِ، قاله أبو العَالِية، وابنُ زيدٍ.

= فيشق ذلك على الرجل، فغير الله ذلك كله، في ستر وعفة، وجعله نقياً نزهاً من الدنس والقذر والدرن، وهذا الذي قاله مقاتل حسن. ولهذا قال: **﴿ذلكم خير لكم﴾** يعني الاستئذان خير لكم، بمعنى هو خير للطرفين: للمستأذن ولأهل البيت **﴿لعلكم تذكرون﴾**.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/٣٠١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله عمّ بقوله **﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾** كل بيت لا ساكن فيه ولا مالك له، من بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه لمتاع له يؤويه إليه، أو لقضاء حقه.

وأما بيوت التجار، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها، فإن ظن ظان أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعدُ راجع إلى ما قلنا. من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الغَضّ وحِفظِ الفُرُوج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي؛ خيرٌ وأفضلُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفُرُوجِ. ثم أمَرَ النساءَ بما أمَرَ به الرجالَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يُظهِرْنَها لغيرِ مَحْرَم. وزينَتُهنَّ على ضَرْبَين: خَفيَّةٌ كالسِّوارَين والقُرْطَين والدُّمْلُج والقَلائِد ونحو ذلك، وظاهرٌ وهي المُشَارُ إليها بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفي سبعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها الثيابُ، رواه أبو الأحوَصِ عن ابنِ مسعودٍ؛ وفي لفظٍ آخرَ قال؛ هو الرِّدَاءُ. **والثاني**: أنها الأكُفُّ، والخَاتمُ والوَجهُ. **والثالث**: الكُحْلُ والخَاتمُ، رواهما سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: القُلْبَان، وهما السِّوارَان والخَاتمُ والكُحْلُ، قاله المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَةَ. **والخامس**: الكُحْلُ والخَاتمُ والخِضَابُ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: الخَاتمُ والسِّوارُ، قاله الحَسنُ. **والسابع**: الوَجهُ والكَفَّانِ، قاله الضَّحَّاكُ. قال القاضي أبو يَعلَى: والقولُ الأوَّلُ أشبَهُ، وقد نصَّ عليه أحمدُ، فقال: الزِّينَةُ الظاهرةُ: الثيابُ، وكلُّ شيءٍ منها عَورَةٌ حتى الظُّفرُ[٢]، ويُفيد هذا تحريمَ النَّظرِ إلى شيءٍ مِنَ الأجنبياتِ لغيرِ عُذرٍ، مثل أنْ يريدَ أنْ يتزوَّجها أو يَشهَدَ عليها، فإنه ينظرُ في الحالَين إلى وَجْهِها خاصَّةً؛ فأما النَّظرُ إليها لغيرِ عُذرٍ، فلا يجوز لا لِشَهوَةٍ ولا لغيرِها[٣]، وسواءٌ في ذلك الوَجهُ والكَفَّانِ وغيرُهما مِنَ البَدنِ. فإنْ قيلَ: فلِمَ لا تبطلُ الصلاةُ بكَشفِ وَجْهِها؟! فالجواب: أنَّ في تغطيَتِه مَشقَّةً، فعُفِيَ عنه[٤].

---

(١) قال الطبري رحمه الله في في «تفسيره»: وأولى هذه الأقوال بالصواب: قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان.

(٢) جاء في «المغني» ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨: وقال بعض أصحابنا: المرأة كلها عورة، لأنه قد روي في حديث عن النبي ﷺ: «المرأة عورة»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. لكن رخّص لها في كشف وجهها وكفيها، لما في تغطيته من المشقة، وأبيح النظر إليه لأجل الخطبة، لأنه مجمع المحاسن. وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: المرأة كلها عورة حتى ظفرها لما روي عن النبي ﷺ: «المرأة عورة». وهذا عام يقتضي وجوب ستر جميع بدنها وترك الوجه للحاجة، ففيما عداه يبقى على الدليل.

(٣) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٩/ ٤٨٩: لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها ولا خلاف في إباحة النظر إلى وجهها، وذلك لأنه ليس بعورة وهو مجمع المحاسن، وموضع النظر، ولا يباح له النظر إلى ما لا يظهر عادة. ولابأس بالنظر إليها بإذنها أو غير إذنها، لأن النبي ﷺ قال: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل» وقد أمر بالنظر وأطلق. ولا يجوز له الخلوة بها، لأنها محرّمة، ولم يرد الشرع بغير النظر فبقيت على التحريم، ولأنه لا يؤمن مع الخلوة مواقعة المحظور، ولا ينظر إليها نظر تلذذ وشهوة، ولا لريبة، قال أحمد، في رواية صالح: ينظر إلى الوجه، ولا يكون عن طريق لذة. وله أن يردد النظر إليها، ويتأمل محاسنها، لأن المقصود لا يحصل إلا بذلك. فأما ما يظهر غالباً سوى الوجه، كالكفين والقدمين ونحو ذلك، مما تظهره المرأة في منزلها ففيه روايتان: **إحداهما**: لا يباح النظر إليه، لأنه عورة، فلم يبح النظر إليه كالذي لا يظهر ولأن الحاجة تندفع بالنظر إلى الوجه فيبقى ما عداه على التحريم. **والثانية**: له النظر إلى ذلك. وإلى ما يدعو إلى نكاحها، من يدٍ أو جسم ونحو ذلك.

قال أبو بكر: لابأس أن ينظر إليها عند الخطبة حاسرة. وقال الشافعي: فينظر إلى الوجه والكفين.

(٤) قال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» ٢/ ٣٢٨: لا يختلف المذهب في أنه يجوز للمرأة كشف وجهها في الصلاة ولا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم. وفي الكفين روايتان: إحداهما: يجوز كشفهما. وهو قول مالك =

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جَمْعُ خِمَارٍ، وهو ما تُغطِّي به المرأةُ رأسَها، والمعنى: ولْيُلْقِين مَقانِعَهُنَّ ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ لِيَستُرنَ بذلك شُعورَهنَّ وقُرطَهُنَّ وأعناقَهنَّ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، والأعمَشُ: «على جِيُوبِهِنَّ» بكسرِ الجيم، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفيَّة، وقد سبقَ بيانُها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لا يَضَعْنَ الجِلبَابَ والخِمَارَ إلاَّ لأزوَاجِهِنَّ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: المُسْلماتِ. قال أحمدُ: لا يَحِلُّ للمُسْلِمَةِ أنْ تكشفَ رأسَها عند نساءِ أهلِ الذِّمَّةِ واليَهوديةُ والنَّصرانيَّةُ لا تُقبِّلانِ المُسلِمَةَ[1].

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ قال أصحابنا: المراد به: الإِمَاءُ دونَ العَبيدِ. وقال أصحابُ الشَّافعيِّ: يدخلُ فيه العَبيدُ، يجوز للمرأةِ عندَهم أنْ تُظهِرَ لِمَملُوكِها ما تُظهِرُ لمَحَارِمها، لأنَّ مذهبَ الشَّافعيِّ رضي الله عنه أنه مَحْرَمٌ لها، وعندنا أنه ليس بمَحرَم، ولا يجوز أنْ ينظرَ إلى غيرَ وَجْهِها وكَفَّيها، وقد نصَّ أحمدُ على أنه لا يجوز أنْ ينظرَ إلى شَعْرِ مَولاَتِهِ. قال القاضي أبو يَعْلى: وإنما ذَكَر الإِمَاءَ في الآية، لأنه قد يَظُنُّ الظَّانُّ أنه لا يجوز أنْ تُبدِيَ زِينَتَها للإِمَاءِ، لأنَّ الذين تقدَّم ذِكْرُهُم أحرارٌ، فلمَّا ذَكَرَ الإِمَاءَ زَالَ الإِشكَالُ.

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وهم الذين يَتبعُونَ القومَ ويكونون معهم لإِرفَاقِهم إيَّاهم، أو لأنهم تَنشؤوا فيهم. وللمُفسِّرين في هذا التَّابعِ سِتةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأحمَقُ الذي لا تَشتَهِيهِ المرأةُ ولا يَغارُ عليه الرجلُ، قاله قَتادَةُ، وكذلك قال مُجاهِدٌ: هو الأبلَهُ الذي يُريد الطعامَ ولا يريد النساءَ. **والثاني**: أنه العِنّينُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: المُخنَّثُ، كانَ يَتبَعُ الرجلَ يَخدمه بطعامه، ولا يستطيع غِشْيَانَ النساءِ ولا يَشتَهِيهُنَّ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: أنه الشَّيخُ الفَاني. **والخامس**: أنه الخادمُ، قالهما ابنُ السَّائبِ. **والسادس**: أنه الذي لا يكترِثُ بالنساء، إمَّا لِكِبَرٍ أو لِهَرَمٍ أو لِصغَرٍ، ذكره ابنُ المنادي مِنْ أصحابنا. قال الزَّجَّاجُ: «غيرِ» صفةٌ للتَّابِعين. وفيه دليلٌ على أنَّ قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ معناه: ﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ فالمعنى: ولا يُبْدِينَ زِينَتَهنَّ لِمَمالِيكِهنَّ، ولا لِتُبَّاعِهِنَّ، إلاَّ أنْ يكونوا غيرَ أولي الإِرْبَةِ. والإِرْبَةُ: الحاجَةُ، ومعناه: غير ذَوِي الحَاجَاتِ إلى النساء[2].

= والشافعي لقول ابن عباس قال، في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ قال: الوجه والكفين. وقال أبو حنيفة: القدمان ليس من العورة لأنهما يظهران غالباً منها كالكفين والوجه. وإذا انكشف من المرأة أقل من ربع شعرها أو ربع فخذها أو ربع بطنها لم تبطل صلاتها. وأجمع أهل العلم على أن للمرأة الحرة أن تخمر رأسها إذا صلت، وعلى أنها إذا صلت وجميع رأسها مكشوف أن عليها الإعادة. والثانية: هما من العورة ويجب سترهما في الصلاة. وهذا قول الخرقي، ونحوه قال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: من فقهاء التابعين بالمدينة وأحد الفقهاء السبعة، وكان يقال له: راهب قريش، توفي سنة ٩٤. انظر طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٩، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٠ ـ ٣٢.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٥٥: وقوله ﴿أو نسائهن﴾ يعني: تظهر زينتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة، لئلا يصفن لرجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنهن ما يمنعهن من ذلك مانع، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٥٥: في الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن مخنثاً كان يدخل على أهل رسول الله ﷺ وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي ﷺ وهو ينعت امرأة: أنها =

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: يريد الأطفالَ، بدليلِ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يَعرِفُوها[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بإحدى الرِّجْلَيْنِ على الأخرى لِيَضربَ الخلخالُ الخلخالَ فيُعلَمَ أنّ عليها خلخالَيْنِ[٢].

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ وهم الذين لا أزواجَ لهم مِنَ الرجال والنساء، يُقال: رجلٌ أيِّمٌ وامرأةٌ أيِّمٌ، ورجلٌ أرمَلُ وامرأةٌ أرمَلَةٌ، ورجلٌ بِكرٌ وامرأةٌ بِكرٌ: إذا لم يتزوَّجا، وامرأةٌ ثَيِّبٌ ورجلٌ ثَيِّبٌ: إذا كانا قد تزوَّجا، ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي: مِنْ عَبيدِكم، يُقال: عَبْد وعِبَاد وعَبِيد، كما يُقال: كَلْب وكِلَاب وكَلِيب. وقرأ الحَسنُ، ومعاذٌ القارئُ: «من عَبيدكم». قال المُفسِّرون: والمُراد بالآية النَّدْبُ. ومعنى الصَّلاحِ ها هنا: الإيمانُ. والمراد بالعِبادِ: المَمْلُوكون، فالمعنى: زَوِّجُوا المؤمنين مِنْ عَبيدِكُم ووَلَائِدِكُم. ثم رجعَ إلى الأحرارِ فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ فأخبرَهم أنَّ النكاحَ سببٌ لِنَفْيِ الفقرِ.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ولْيَطْلُبِ العِفَّةَ عن الزِّنا والحَرامِ مَنْ لا يَجِدُ ما يَنكِحُ به مِنْ صَدَاقٍ ونَفَقةٍ.

= إذا أقبلت بأربع وإذا أدبرت بثمان. فقال رسول الله ﷺ ألا أرى هذا يعلم هاهنا، لا يدخلن عليكن فحجبوه، فكان بالبيداء يدخل كل جمعة يستطعم.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٥٦: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك فلابأس بدخوله على النساء، فأما إذا كان مراهقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرّق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكّن من الدخول على النساء.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٣٥٦: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذا إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي ومن ذلك أنها تُنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها.
وقوله **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهيا عنه، والله تعالى هو المستعان وعليه التكلان.

[١٠٣٤] وقد روى ابنُ مسعودٍ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يا مَعشَرَ الشبابِ عليكم بالبَاءَةِ، فمَنْ لم يَجِدْ فعَلَيْهِ بالصِّيامِ فإنهُ لهُ وِجَاءٌ».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: يطلبون المُكَاتَبَة مِنَ العبيدِ والإمَاءِ على أنفُسِهِم، ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مَندوبٌ إليه، قاله الجمهورُ. **والثاني**: أنه واجِبٌ، قاله عطاءٌ، وعمرُو بنُ دِينَارٍ. وذكر المُفسِّرون: أنها نَزلَتْ في غُلامٍ لِحُويطِبِ بنِ عبدِ العُزَّى يقال له: صُبيح، سأل مولاهُ الكتابةَ فأبَى عليه، فنَزلَتْ هذه الآيةُ، فكَاتَبَهُ حُويطِبٌ على مائةِ دينارٍ ووَهَبَ له منها عشرينَ دِيناراً.

قوله تعالى: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: إنْ عَلِمتُم لهم مالاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: إنْ عَلِمتُم لهم حِيْلَةً، يعني: الكَسْبَ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: إنْ عَلِمتُم فيهم دِيناً، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: إنْ عَلِمتُم أنهم يُريدون بذلك الخيرَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: إنْ أقاموا الصَّلاةَ، قاله عُبيدَةُ السَّلْمَانِي. **والسادس**: إنْ عَلِمتُم لهم صِدقاً ووَفاءً، قاله إبراهيمُ. قوله تعالى: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ فيه قولان[٢]: **أحدهما**: أنه خِطابٌ للأغنياء الذين تَجِبُ عليهم الزَّكاةُ، أُمِرُوا أنْ يُعطوا المُكَاتَبِينَ مِنْ سَهْمِ الرِّقابِ، روى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ في هذه الآيةِ قال: هو سَهْمُ الرِّقَابِ يُعطَى منه المُكَاتَبون. **والثاني**: أنه خِطابٌ للسَّادةِ، أُمِرُوا أنْ يُعطُوا مُكَاتَبِيهم مِنْ كِتابَتِهم شيئاً. قال أحمدُ والشَّافعيُّ: الايتاءُ وَاجِبٌ، وقَدَّرَهُ أحمَدُ برُبعِ مالِ الكتابةِ. وقال الشَّافعيُّ: ليس بمُقَدَّرٍ. وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يَجِبُ الإيتاءُ: وقد رُوِيَ عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ أنه كاتَبَ غلاماً له يُقالُ له: أبو أُميَّةَ، فجاءَ بنَجْمِه حين حَلَّ؛ فقال: اذهَبْ يا أبا أُميَّةَ فاستَعِنْ به في مُكَاتَبَتِكَ، قال: يا أميرَ المؤمنين لو أخَّرْتَه حتى يكونَ في آخِرِ النُّجومِ، فقال: يا أبا أُميَّةَ: إني أخافُ أنْ لا أُدرِكَ ذلك، ثم قرأ: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾، قال عِكرِمَةُ: وكان ذلك أوَّلَ نَجمٍ أُدِّيَ في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾.

[١٠٣٥] روى مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديثِ أبي سُفيانَ عن جابرٍ، قال: كان عبدُ الله بنُ أُبيٍّ

[١٠٣٤] صحيح. أخرجه البخاري ٥٠٦٦ ومسلم ١٤٠٠ ح ٣ و ٤ والترمذي ١٠٨١ والنسائي ٤/ ١٦٩ و ٢٧٠ و ٦/ ٥٧ و ٥٨ وأحمد ١/ ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٣٢ والدارمي ٢/ ١٣٢. والبيهقي ٧/ ٧٧ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ١٩٠٥ و ٥٠٦٥ ومسلم ١٤٠٠ وأبو داود ٢٠٤٦ وابن ماجه ١٨٤٥ والنسائي ٤/ ١٧١ و ٦/ ٥٧ و ٥٨ وأحمد ١/ ٣٧٨ و ٤٤٧ والطيالسي ١٩٠٥ وأبو يعلى ٥١١٠ و ٥١٩٢ والبيهقي ٧/ ٧٧ من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود به. وورد من حديث أبي هريرة عند الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣١٨.

[١٠٣٥] حديث صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٢٩ وأبو داود ٢٣١١ والنسائي في «التفسير» ٣٨٥ والطبري ٢٦٠٧٢ =

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣١٥: وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال: معناه: فكاتبوهم إن علمتم فيهم القوة على الاحتراف والاكتساب، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها، وصدق لهجة. وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد، فأما المال فلا يكون في العبد، وإنما يكون عنده وله.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣١٧: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي: قول من قال: عنى به إتياءهم سهمهم من الصدقة المفروضة.

يقول لجاريةٍ له: اذهبي فَابْغِينا شيئاً، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٠٣٦] قال المفسِّرون: وكان له جَاريتانِ، مُعاذةُ ومُسَيكةُ، فكان يُكرِهُهما على الزِّنا، ويأخذُ منهما الضَّريبةَ، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهليَّة، يُؤاجِّرون إماءَهُم، فلمَّا جاء الإسلامُ قالت مُعاذَةُ لمُسَيكةَ: إنَّ هذا الأمرَ الذي نحن فيه إنْ كان خيراً فقد استكثَرنا منه، وإنْ كان شرًّا فقد آنَ لنا أنْ نَدَعَهُ، فنزلت هذه الآيةُ. وزعمَ مُقاتِلٌ أنها نزلت في سِتِّ جَوارٍ كُنَّ لعبدِ اللهِ بن أُبيٍّ، مُعاذَةُ، ومُسَيكةُ، وأُميمةُ، وقُتيلةُ، وعَمْرَةُ، وأَروَى[١].

فأمَّا الفتياتُ، فهنَّ الإِماءُ. والبِغَاءُ: الزِّنا. والتَّحصُّنُ: التَّعففُ. واختلفوا في معنى ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الكلام وَرَدَ على سببٍ، وهو الذي ذكرناه، فخرجَ النَّهيُ عن صفةِ السَّببِ، وإنْ لم يكنْ شَرطاً فيه. **والثاني**: إنه إنَّما شَرطَ إرادةَ التَّحصُّنِ، لأنَّ الإكراهَ لا يُتصَوَّرُ إلاَّ عند إرادةِ التَّحصُّنِ، فأمَّا إذا لم تُرِدِ المرأةُ التَّحصُّنَ، فإنها تَبْغِي بالطَّبعِ. **والثالث**: أنَّ «إنْ» بمعنى «إذ»، ومثله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢] ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]. **والرابع**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديرُه: «وأنكحوا الأيامى» إلى قوله: «وإمائكم» «إن أردنَ تحصُّناً» ولا تُكرِهوا فتيَاتِكُم على البِغَاءِ ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو كَسْبُهنَّ وبيعُ أولادِهنَّ ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ للمُكرَهاتِ ﴿رَّحِيمٌ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمرانَ الجَوني، وجَعفرُ بنُ محمَّدٍ: «من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأهلُ الكُوفةِ غيرَ أبي بكرٍ، وأبَانَ: «مبيِّنات» بكسرِ الياءِ في المَوضِعَين في هذه السُّورة[٤] وآخرِ سُورةِ الطَّلاقِ[٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ أي: شَبهاً مِن حالِهم بحَالِكم أيُّها المُكذِّبون، وهذا تخويفٌ لهم أنْ يلحقَهُم ما لَحِقَ المُكذِّبين قبلَهُم.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

= و ٢٦٠٧٣ والواحدي في «الأسباب» ٦٤٠ واستدركه الحاكم ٢/٣٩٧ كلهم عن جابر: أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مُسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله **﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ـ إلى قوله ـ غفور رحيم﴾**. لفظ مسلم في روايته الثانية، ورووه بألفاظ متقاربة بمثل سياق المصنف. وانظر «أحكام القرآن» ١٦٠٢ بتخريجنا.

[١٠٣٦] ذكره الواحدي في «الأسباب» بإثر حديث ٦٤٣ بقوله: قال المفسرون. وورد نحوه من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ٢٦٠٧٥. وانظر ما قبله.

---

(١) تفرد مقاتل بذكر أسماء النساء الستة، ومقاتل ساقط، ليس بشيء.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٨. (٣) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٤) سورة النور: ٣٤ و ٤٦. (٥) سورة الطلاق: ١١.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه قولان[1]: **أحدهما**: هادي أهلِ السَّمواتِ والأرضِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أنسُ بنُ مالكٍ، وبيانُ هذا أنَّ النُّورَ في اللغة: الضِّياءُ، وهو الذي تصلُ به الأبصارُ إلى مُبْصَراتِها، فوَردَ النُّورُ مضافاً إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يَهْدِي المؤمنين ويُبَيِّنُ لهم ما يَهتَدُونَ به. فالخلائقُ بنُورِه يهتدون. **والثاني**: مُدبِّرُ السَّمواتِ والأرضِ، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيْفَع: «الله نَوَّر» بفتحِ النون والواو وتشديدِها ونصبِ الراء «السمواتِ» بالخَفْضِ «والأرضَ» بالنَّصبِ.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في هاءِ الكِنايةِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، قال ابنُ عباسٍ: مَثَلُ هُداهُ في قَلْبِ المؤمنِ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى المؤمنِ، فتقديره: مَثَلُ نُورِ المؤمنِ، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ. وكان أُبيٌّ وابنُ مسعودٍ يَقرآنِ: «مَثَلُ نُور المؤمنين». **والثالث**: أنها ترجعُ إلى محمَّدٍ ﷺ، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: أنها ترجعُ إلى القرآن، قاله سُفيانُ.

فأمَّا المِشكَاةُ، ففيها ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنها في موضع الفَتِيْلَةِ مِنَ القِنديلِ الذي هو كالأنبوبِ، والمِصبَاح: الضَّوءُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها القِنْدِيلُ، والمِصباحُ: الفَتِيلَةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنهَا الكُوَّةُ التي لا مَنْفذَ لها، والمِصبَاحُ: السِّراجُ، قاله كَعبٌ، وكذلك قال الفَرَّاءُ: المِشكَاةُ: الكُوَّةُ التي ليست بنَافِذَةٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المِشكَاةُ: الكُوَّةُ بلسان الحَبَشَةِ. وقال الزَّجَّاجُ: هي مِنْ كلام العرب، والمِصبَاحُ: السِّراجُ. وإنما ذَكرَ الزُّجاجَةَ، لأنَّ النُّورَ في الزُّجَاج أشدُّ ضَوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رَجَاءٍ العُطَارِدِي، وابنُ أبي عَبلَةَ: «في زَجاجة الزَّجاجة» بفتحِ الزاءِ فيهما. وقرأ مُعاذٌ القارئ، وعَاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ يَعمَرَ: بكسرِ الزاءِ فيهما. وقال بعضُ أهلِ المعاني: معنى الآيةِ: كَمَثلِ مِصبَاحٍ في مِشكَاةٍ، فهو مِنَ المَقلُوبِ.

فأما الدُّرِّيُّ، فقرأ أبو عَمرٍو، والكسائي وأبانٌ عن عاصم «دِرِّيءٌ» بكَسرِ الدالِ وتخفيفِ الياءِ ممدوداً مَهمُوزاً. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى على هذا: إنه مِنَ الكَواكبِ الدَّرارِيءِ، وهي اللاتي يَدْرأنَ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٢٠: يعني هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون. وإنما اخترنا القول الذي اخترنا، لأنه عقيب قوله ﴿**ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين**﴾ فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه.
فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس، آيات مبينات الحق من الباطل، ﴿**ومثلاً من الذين خلوا من قبل وموعظة للمتقين**﴾ فهديناكم بها، وبينا لكم معالم دينكم بها، لأني هادي أهل السماوات والأرض.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٢٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به. مثل المشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة. وذلك نظير الكوة تكون في الحيطان لا منفد لها. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٦١ فقال: وتقديره: شبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه ـ كما قال تعالى: ﴿**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**﴾ فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل، الذي لا كدر فيه ولا انحراف. فقوله ﴿**كمشكاة**﴾ هو موضع الفتيلة من القنديل. هذا هو المشهور ولهذا قال بعده: ﴿**فيها مصباح**﴾ وهو الذّبالة التي تضيء. ﴿**المصباح في زجاجة**﴾ أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية.

عليكَ، أي: يَطلُعن. وقال الزَّجَّاجُ: هذا مأخوذٌ مِنْ دَرَأ يَدرَأُ: إذا اندَفَعَ مُنقَضًا فتضاعفَ نُورُه، يُقال: تَدارَأ الرَّجلانِ: إذا تَدافَعا. ورَوى المُفَضَّلُ عن عاصِمٍ كَسْرَ الدالِ وتشديدَ الياءِ مِنْ غيرِ همزٍ ولا مَدٍّ، وهي قراءةُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو، والزُّهريِّ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصم «دُرِّيٌّ» بضمِّ الدالِ وكَسْرِ الراءِ وتشديدِ الياءِ مِنْ غيرِ مَدٍّ ولا هَمزٍ، وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، وابنُ عباسٍ، وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «دَرِّيءٌ» بفَتْحِ الدالِ وكَسْرِ الراءِ مَمدُوداً مَهمُوزاً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وقَتادةُ: بفَتْحِ الدالِ وتشديدِ الراءِ والياءِ مِنْ غيرِ مَدٍّ ولا هَمزٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وابنُ يَعمَرَ: بفَتْحِ الدالِ وكَسْرِ الراءِ مهمُوزاً مَقصُوراً. قال الزَّجَّاجُ: والدُّرِّيءُ: مَنسُوبٌ إلى أنه كالدُّرِّ في صَفائِه وحُسنِه. وقال الكِسائيُّ: الدُّرِّيءُ: يُشبِهُ الدُّرَّ، والدِّرِّيءُ: جَارٍ، والدَّرِّءُ: يلتَمِعُ، وقرأ حَمزَةُ، وأبو بكرٍ عن عَاصِمٍ، والوليدُ بنُ عُتبَةَ عن ابنِ عامرٍ: بضمِّ الدال وتخفيفِ الياء مع إثباتِ الهمزةِ والمَدِّ، قال الزَّجَّاجُ: والنَّحويون أجمعونَ لا يعرفون الوَجْهَ في هذا؛ وقال الفَرَّاءُ: ليس هذا بجائزٍ في العربية، لأنه ليس في الكلام «فُعِّيل» إلاَّ أعجميٌّ، مِثل: مُرِّيق، وما أشبَهَهُ. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي: المُرِّيق: العُصْفُر، أعجَميٌّ مُعرَّبٌ، وليس في كلامهم اسمٌ على زِنَةِ فُعِّيل. قال أبو عليٍّ: وقد حكى سِيبَويه عن أبي الخَطَّابِ: كَوكَب دُرِّيء: مِنَ الصِّفاتِ، ومِنَ الأسماء: المُرِّيق: العُصْفُر.

قوله تعالى: «تَوَقَّدَ» قرأ ابنُ كَثيرٍ. وأبو عَمرٍو: بالتاءِ المفتوحة وتشديدِ القاف ونصبِ الدَّال، يُريدانِ المِصبَاحَ، لأنه هو الذي يُوقَدُ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء مضمُومةً مع ضَمِّ الدال، يُريدون المِصبَاحَ أيضاً. وقرأ حَمزَةُ والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تُوقَد» بضمِّ التاء والدال، يريدون الزُّجَاجَةَ، قال الزَّجَّاجُ: والمقصود: مِصبَاحُ الزُّجَاجَةِ، فحَذفَ المُضافَ. قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: مِنْ زَيتِ شجرةٍ، فحَذفَ المُضافَ، يَدُلُّكَ على ذلك قولُه تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾؛ والمُرادُ بالشجرةِ ها هنا: شجرةُ الزَّيتونِ، وبَرَكَتُها مِنْ وجُوهٍ، فإنها تجمَعُ الأُدْمَ والدُّهنَ والوقُودَ، فيُوقَدُ بحَطَبِ الزَّيتونِ، ويُغسَلُ برَمَادِه الإبريسم، ويُستخرجُ دُهنُهُ أسهَلَ استخرَاجٍ، ويُورِقُ غُصنُهُ مِنْ أوَّلِه إلى آخِرِه. وإنما خُصَّتْ بالذِّكرِ ها هنا دونَ غيرِها، لأنَّ دُهنَها أصفَى وأضوَأُ. قوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بينَ الشَّجرِ، فهي خَضراءُ ناعمةٌ لا تُصِيبُها الشمسُ، قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ، ورواه سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها في الصحراء لا يُظِلُّها جبلٌ ولا كَهفٌ، ولا يُواريها شيءٌ، فهو أجوَدُ لِزَيتِها، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنها مِنْ شَجرِ الجنَّةِ، لا مِنْ شَجرِ الدُّنيا، قاله الحَسنُ. قولُه تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي: يكادُ مِنْ صَفائِه يُضيءُ قبلَ أنْ تُصيبَهُ النارُ بأنْ يُوقدَ به. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: النارُ على الزَّيتِ. وقال ابنُ السَّائبِ: المِصباحُ نُورٌ، والزُّجاجةُ نُورٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: نُورُ النارِ، ونُورُ الزَّيتِ، ونُورُ الزُّجاجةِ، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لِنُور القرآنِ. **والثاني**: لِنُور الإيمانِ. **والثالث**: لِنُور محمَّدٍ ﷺ. **والرابع**: لِدِينِه الإسلامِ.

فصل: فأما وجه هذا المثل ففيه ثلاثة أقوال[1]: **أحدها**: أنه شَبَّه نُورَ محمَّدٍ ﷺ بالمِصباحِ النَّيِّرِ؛

---

(١) تقدم الكلام على أولى الأقوال بالصواب.

فالمِشكَاةُ جَوفُ رسولِ الله ﷺ، والمِصباحُ النُّورُ الذي في قلبه، والزُّجاجةُ قَلبُهُ، فهو مِنْ شجرةٍ مُباركَةٍ، وهو إبراهيمُ عليه السلام، سَمَّاهُ شجرةً مُبارَكةً، لأنَّ أكثر الأنبياء مِنْ صُلْبِهِ «لا شرقية ولا غربية» لا يَهوديٌّ ولا نَصرَانيٌّ، يَكادُ محمَّدٌ ﷺ يَتبيَّنُ للناس أنه نَبيٌّ ولو لَمْ يَتكَلَّمْ. وقال القُرَظيُّ: المِشكَاةُ: إبراهيمُ، والزُّجَاجةُ: إسماعيلُ، والمِصباحُ: محمَّدٌ، صَلواتُ اللَّهِ عليهم أجمعينَ. وقال الضَّحَّاكُ: شَبَّهَ عبدَ المُطَّلبِ بالمِشكَاةِ، وعبدَ اللَّهِ بالزُّجَاجةِ، ومُحمَّداً ﷺ بالمِصْبَاح. **والثاني**: أنه شَبَّهَ نُورَ الإيمان في قلبِ المؤمن بالمِصبَاح، فالمِشكَاةُ: قَلبُه، والمِصباحُ: نُورُ الإيمان فيه. وقيلَ: المِشكَاةُ: صَدرُهُ، والمِصبَاحُ: القرآنُ والإيمانُ اللَّذانِ في صَدرِه، والزُّجَاجَةُ: قَلبُه، فكأنه ممَّا فيه مِنَ القرآن والإيمان كَوكَبٌ مُضيءٌ تَوَقَّدَ مِنْ شجرةٍ، وهي الإخلاصُ، فَمَثَلُ الإخلاصِ عنده كشَجرةٍ لا تُصيبُها الشمسُ، فكذلك هذا المؤمنُ قد احتَرَسَ مِنْ أنْ تُصيبَهُ الفِتَنُ، فإن أُعطِيَ شَكَرَ، وإنِ ابتُلِيَ صَبَرَ، وإنْ قال صَدَقَ، وإنْ حَكَمَ عَدَلَ، فقَلْبُ المؤمن يعملُ بالهُدى قبلَ أنْ يأتيَهُ العِلمُ، فإذا جاءَهُ العِلْمُ ازدادَ هُدىً على هُدىً كما يكادُ هذا الزيتُ يُضيءُ قبل أنْ تَمَسَّهُ النارُ، فإذا مَسَّتْهُ اشتَدَّ نُوره، فالمؤمنُ كَلامُه نُورٌ، وعَمَلُه نُورٌ، ومدخلُهُ نورٌ، ومخرجه نُورٌ، ومَصيرُهُ إلى نُورٍ يومَ القيامة. **والثالث**: أنه شَبَّهَ القرآن بالمِصبَاح يُستضاءُ به ولا يَنقُصُ، والزُّجَاجَةُ: قلبُ المؤمن، والمِشكَاةُ: لِسانُه وفَمُه، والشجرةُ المُبارَكَةُ: شجرةُ الوَحي، تكادُ حُجَجُ القرآن تَتَّضِحُ وإنْ لم يُقرأ. وقيلَ: تكادُ حُجَجُ الله تُضِيءُ لِمَنْ فكَّرَ فيها وتَدَبَّرها ولو لم يَنزِلِ القرآن، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي: القرآنُ نُورٌ مِنَ الله لِخَلْقِهِ[١] مع ما قد قامَ لهم مِنَ الدَّلائِلِ والأعلامِ قبلَ نُزولِ القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: ويُبَيِّنُ اللَّهُ الأشباه للناسِ تقريباً إلى الأفهامِ وتسهيلاً لسُبُلِ الإدراكِ.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿فِى﴾ مِنْ صِلَةِ قوله: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾، فالمعنى: كمِشكَاةٍ في بيوت؛ ويجوز أنْ تكونَ مُتَّصِلَةً بقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ فتكون فيها تكريراً على التَّوكيدِ؛ والمعنى: يُسَبِّحُ للَّهِ رجالٌ في بيوتٍ. فإنْ قيلَ: المِشكَاةُ إنما تكون في بيتٍ واحدٍ، فكيف قال: «في بيوت»؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه مِنَ الخِطابِ المُتلَوِّنِ الذي يُفتَحُ بالتَّوحيدِ ويُختَمُ بالجَمعِ، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[٢]. **والثاني**: أنه راجعٌ إلى كلِّ واحدٍ مِنَ البيوت، فالمعنى: في كلِّ بيتٍ مِشكَاةٌ. ولِلمُفسِّرين في المراد بالبيوتِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنها المَساجدُ، قاله ابنُ عباسٍ،

---

(١) وإنما يستجيب له من نوّر الله قلبه، وهداه إلى صراطه المستقيم.

(٢) سورة الطلاق: ١.

(٣) قال الطبري رحمه الله ٩/٣٢٩: ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع، وعني بالبيوت المساجد وإنما اخترنا هذا القول لدلالة قوله **﴿يسبّح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾** على =

والجمهورُ. **والثاني**: بيوتُ أزواجِ رسولِ الله ﷺ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: بيتُ المَقدِسِ، قاله الحَسنُ.

فأمَّا ﴿أَذِنَ﴾ فمعناه: أمَرَ. وفي معنى ﴿أَن تُرْفَعَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنْ تُعظَّمَ، قاله الحَسنُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنْ تُبْنَى، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ قولان: **أحدهما**: توحيدُه؛ رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يُتلَى فيها كِتابُهُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «يُسَبِّح» بكَسْرِ الباء؛ وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بفَتْحِها. وقرأ معاذٌ القارئُ، وأبو حَيْوَةَ: «تُسَبِّحُ» بتاءٍ مرفوعةٍ وكَسْرِ الباء ورَفْعِ الحاء. وفي قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه الصَّلاةُ. ثم في صلاةِ الغُدُوِّ قولان: **أحدهما**: أنها صلاةُ الفَجرِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: صلاةُ الضُّحَى، روى ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: إنَّ صلاةَ الضُّحَى لَفِي كتابِ اللَّهِ، وما يَغُوصُ عليها إلاَّ غَوَّاصٌ، ثم قرأ «يُسَبِّح له فيها بالغُدوِّ والآصالِ». وفي صلاةِ الآصَالِ قولان: **أحدهما**: أنها صَلاةُ الظُّهرِ والعَصرِ والمَغربِ والعِشاءِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: صلاةُ العَصرِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

والقول الثاني: أنه التَّسبيحُ المَعروفُ، ذكره بعضُ المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ أي: لا تَشْغَلُهم[1] ﴿تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ قال ابنُ السَّائبِ: التُّجَّار: الجَلاَّبُون، والبَاعَةُ: المُقيمُونَ. وقَال الوَاقِدي: التِّجارة ها هنا بمعنى الشِّراءِ. وفي المُرادِ بذِكْرِ الله ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصَّلاةُ المَكتوبَةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وعطاءٌ، ورَوَى سالمٌ عن ابنِ عمرَ أنه كان في السُّوقِ فأقيمَتِ الصلاةُ، فأغلَقُوا حَوانِيتَهُم ودَخلوا المسجدَ، فقال ابنُ عمرَ: فيهم نزلت «رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذِكرِ الله». **والثاني**: عن القيامِ بحقِّ اللَّهِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: عن ذِكرِ اللَّهِ باللِّسَانِ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

= أنها بيوت بنيت للصلاة، وهي المساجد. ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٦٤، وقال: لما ضرب الله مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيتٍ طيب، وذلك كالقنديل مثلاً، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٦٧: فقوله **﴿رجال﴾** فيه إشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية، التي صاروا عماراً للمساجد، التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته وشكره، وتوحيده وتنزيهه. وقوله: **﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾**، كقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾**. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصَّلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** فمعنى قوله تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها، وملاذ بيعها وربحها، عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق، فيقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم. فأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن. قال: هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذي أحداً من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب.

قوله تعالى: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أداؤها لِوَقتِها وإتمامِها. فإنْ قيلَ: إذا كان المرادُ بذِكْرِ اللّهِ الصَّلاةُ، فمَا معنى إعادَتِها؟ فالجواب: أنه بَيَّنَ أنهم يُقيمُونَها بأدائِها في وَقتِها.

قوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في معناه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ مَنْ كان قلبُه مؤمناً بالبَعثِ والنُّشورِ، ازدادَ بصيرةً برُؤيةِ ما وُعِدَ به؛ ومَنْ كان قلبُه على غيرِ ذلك، رأى ما يُوقِنُ معه بأمرِ القيامةِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنَّ القلوبَ تتقلَّبُ بينَ الطَّمَعِ في النَّجاةِ والخَوفِ مِنَ الهَلاكِ، والأبصار تتقلَّبُ، تنظرُ مِنْ أينَ يؤتَونَ كُتبَهم، أمِنْ قِبَلِ اليمينِ، أمْ مِنْ قِبَلِ الشِّمالِ؟ وأيَّ ناحيةٍ يُؤخَذُ بهم، أذاتَ اليمينِ، أمْ ذاتَ الشِّمالِ؟ قاله ابنُ جَريرٍ. **والثالث**: تَتقلَّبُ القلوبُ فتَبلُغُ إلى الحَناجِرِ، وتتقلَّبُ الأبصارُ إلى الزَّرَقِ بعدَ الكَحَلِ والعَمَى بَعْدَ النَّظَرِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ المعنى: يُسَبِّحونَ اللّهَ ليَجزِيَهم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: لِيجزيَهم بحَسَناتِهم. فأمَّا مَساوِئُهم فلا يَجزيهم بها ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لَمْ يَستحِقُّوهُ بأعمالِهم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قد شرحناهُ في آلِ عِمرانَ[١].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

ثم ضَربَ اللّهُ مَثَلاً للكفار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: السَّرابُ: ما رَأيتَهُ مِنَ الشمس كالماءِ نِصفَ النهار، والآلُ[٢]: ما رأيتَهُ في أولِ النهارِ وآخرِه، وهو يَرفعُ كلَّ شيءٍ، والقِيعَةُ والقَاعُ واحدٌ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعاصمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيْفَعِ: «بِقِيعات». وقال الزَّجَّاجُ: القِيعَةُ جمعُ قَاعٍ، مثل جَارٍ وجِيرَة، والقِيعَةُ والقَاعُ: ما انبسَطَ مِنَ الأرض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسيرُ فيه يرى كأنَّ فيه ماءً يجري، وذلك هو السَّرابُ، والآلُ مِثلُ السَّرابِ، إلاَّ أنه يرتفعُ وقتَ الضُّحَى، كالماءِ، بينَ السماء والأرض ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ وهو الشديدُ العَطَشُ ﴿مَآءً﴾، حتى إذا جاء إلى مَوضعِ السَّرابِ رأى أرضاً لا ماءَ فيها، فأعلَمَ اللّهُ أنَّ الكافرَ الذي يَظنُّ أنَّ عمله قد نَفعَهُ عندَ الله، كظَنِّ الذي يَظنُّ السَّرابَ ماءً، وعَمَلُه قد حَبِطَ.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: قَدِمَ على الله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: جَازاهُ بعَمَلِه؛ وهذا في الظاهر خبرٌ عن الظَّمآنِ، والمراد به الخَبرُ عن الكافرِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ مُفسَّرٌ في سُورةِ البقرة[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ٢٧.

(٢) في «اللسان» الآل: السراب وقال الأصمعي: الآل والسراب واحد، وخالفه غيره فقال: الآل من الضحى إلى زوال الشمس، والسراب بعد الزوال إلى صلاة العصر، واحتجوا بأن الآل يرفع كل شيء حتى يصير آلاً أي شخصاً، والسراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو نصف النهار.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٢.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ في هذا المَثَلُ قولان: **أحدهما**: أنه لِعمَلِ الكافرِ، قاله الجمهورُ، واختاره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه مَثَلٌ لِقلبِ الكافرِ في أنه لا يَعقِلُ ولا يُبْصِرُ، قاله الفرَّاءُ. فأمَّا اللُّجِّيُّ، فهو العظيمُ اللُّجَّةِ، وهو العَميقُ. ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ أي: يَعلُو ذلك البَحرَ ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: مِنْ فوق المَوجِ مَوجٌ، والمعنى: يَتبَعُ المَوجَ مَوجٌ، حتى كأنَّ بعضَهُ فوقَ بعضٍ، ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: مِنْ فوق ذلك المَوجِ ﴿سَحَابٌ﴾. ثم ابتدأ فقال: ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ يعني: ظُلمةَ البحرِ، وظُلمَةَ المَوجِ الأوَّلِ، وظُلمةَ المَوجِ الذي فوقَ المَوجِ، وظُلمةَ السَّحابِ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «سحابُ ظلماتٍ» مُضافاً. ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ يعني: إذا أخرَجَها مُخرِجٌ، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه لم يَرَها، قاله الحسَنُ، واختاره الزَّجَّاجُ. قال: لأنَّ في دُونِ هذه الظُّلماتِ لا يَرى الكَفَّ؛ وكذلك قال ابنُ الأنباري: معناه: لم يَرَها البتَّةَ، لأنه قد قامَ الدَّليلُ عند وَصفِ تكاثُفِ الظُّلماتِ على أنَّ الرُّؤيةَ مَعدومةٌ، فبَانَ بهذا الكلام أنَّ «يَكد» زائدةٌ للتَّوكيدِ، بمنزلةِ «ما» في قوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾[1]. **والثاني**: أنه لَمْ يَرَها إلاَّ بعدَ الجهدِ، قاله المُبَرِّدُ. قال الفَرَّاءُ: وهذا كما تقول: ما كِدْتُ أبلغُ إليكَ، وقد بَلَغتَ، قال الفَرَّاءُ: وهذا وَجهُ العربيةِ.

فصل: وأما وَجْهُ المَثَلِ، فقال المُفسِّرون: لَمَّا ضَربَ اللَّهُ للمؤمن مَثَلاً بالنُّور، ضَرب للكافرِ هذا المَثَلَ بالظُّلماتِ؛ والمعنى: أنَّ الكافرَ في حَيْرَةٍ لا يهتدي لِرُشدٍ. وقيل: الظُّلماتُ: ظُلمةُ الشِّركِ وظُلمةُ المعاصي. وقال بَعضُهم: ضَرَبَ الظُّلماتِ مَثَلاً لعَملِه، والبحرَ اللُّجِّيَ لِقلبِه، والمَوجَ لِمَا يغشى قلبَهُ مِنَ الشِّركِ والجَهلِ والحَيْرَةِ، والسَّحابَ للرَّيْنِ والخَتْمِ على قلبِه، فكلامُه ظُلمَةٌ، وعَملُهُ ظُلمَةٌ، ومدخَلُه ظُلمَةٌ، ومخرَجُه ظُلمَةٌ، ومصيرُه إلى الظُّلمات يومَ القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: دِيْناً وإيماناً، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: هِدايةً، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قد تقدَّمَ تفسيرُه[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ أي: وتُسبِّحُ له الطَّيرُ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: باسِطَاتٍ أجنِحَتَها في الهواءِ. وإنَّما خَصَّ الطَّيرَ بالذِّكرِ، لأنها تكون بينَ السماءِ والأرضِ إذا طَارَتْ، فهي خارِجَةٌ عن جُملَةِ مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ. قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ أي: مِنَ الجُملَةِ التي ذَكرَها ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ قال المُفسِّرون: الصَّلاةُ، لِبَني آدمَ، والتَّسبيحُ، لغيرِهم مِنَ الخَلْقِ. وفي المُشَارِ إليه بقوله: «قد عَلِمَ» قولان: **أحدهما**: أنه اللَّهُ تعالى، والمعنى: قد عَلِمَ اللَّهُ صلاةَ المُصَلِّي وتسبيحَهُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه المُصَلِّي والمُسَبِّحُ. ثم فيه قولان: **أحدهما**: قد عَلِمَ المُصَلِّي والمُسَبِّحُ صلاةَ نفسِه وتَسبيحَهُ، أي: قد عَرفَ ما كُلِّفَ مِنْ ذلك. **والثاني**: قد عَلِمَ المُصَلِّي صلاةَ اللَّهِ وتَسبِيحَهُ، أي: عَلِمَ

(١) سورة المؤمنون: ٤٠. (٢) سورة البقرة: ٣٠.

أنَّ ذلك للَّهِ تعالى وَحدَهُ. وقرأ قَتادَةُ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ يَعمَرَ: «كُلٌّ قد عُلِمَ» برفعِ العين وكَسرِ اللام «صلاتُه وتسبيحُه» بالرَّفعِ فيهما.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ أي: يَسُوقُه ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ أي: يَضُمُّ بعضَه إلى بعضٍ، فيجعلُ القِطَعَ المُتفرِّقَةَ قِطعَةً واحدةً. والسَّحابُ لفظُه لفظُ الواحِدِ، ومعناه الجَمعُ، فلِهذا قال: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ أي: يَجعلُ بعضَ السَّحابِ فوقَ بعضٍ ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ وهو المطرُ. قال اللَّيثُ: الوَدْقُ: المطرُ كُلُّه شديدة وهَيِّنُهُ. قوله تعالى: ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العَالِيةِ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ: «من خَلَلِهِ» والخِلالُ: جَمعُ خَلَلٍ، مثل: جِبال وجَبَل. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مفعولُ الإنزالِ محذوفٌ، تقديره: ويُنزِّلُ مِنَ السماء مِنْ جبالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ بَرَداً، فاستَغنَى عن ذِكرِ المفعولِ للدَّلالةِ عليه. و «مِنْ» الأولى، لابتداءِ الغَايَة، لأنَّ ابتداءَ الإنزالِ مِنَ السماءِ، والثانيةُ، للتَّبعيضِ، لأنَّ الذي يُنزِلُهُ اللَّهُ بعضُ تلكَ الجِبالِ، والثالثةُ، لِتَبيينِ الجِنسِ، لأنَّ جنسَ تلك الجبال جنسُ البَرَدِ، قال المُفسِّرون: وهي جِبالٌ في السماء مَخلوقَةٌ مِنْ بَرَدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الكلام: ويُنزِّلُ مِنَ السماء مِنْ جبالِ بَرَدٍ فيها، كما تقولُ: هذا خاتمٌ في يَدِي مِن حديدٍ، المعنى: هذا خاتمُ حديدٍ في يَدِي. قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي بالبَرَدِ ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيَضُرُّه في زَرعِه وثَمَرِه. والسَّنا: الضَّوءُ، ﴿يَذْهَبُ﴾ وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو جعفرَ: «يُذهِبُ» بضمِّ الياءِ وكَسرِ الهاءِ. ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا، ويَذهَبُ بهذا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التَّقليبِ ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أي: دِلالَةً لأهلِ البَصائِرِ والعُقولِ على وَحدانيَّةِ اللَّهِ وقُدرَتِه.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «والله خالِقُ كُلِّ دابَّة مِنْ ماءٍ» وفي الماء قولان: **أحدهما**: أنَّ الماءَ أصلُ كُلِّ دابَّةٍ. **والثاني**: أنه النُّطفَةُ، والمراد به: جميع الحيوان المُشاهَدِ في الدنيا. وإنما قال: «فمنهم» تغليباً لِمَا يَعقِلُ. وإنما لم يذكُرِ الذي يمشي على أكثرَ مِنْ أربعٍ، لأنه في رَأيِ العين كالذي يمشي على أربعٍ، وقيلَ: لأنه يعتمدُ في المشي على أربعٍ. وإنما سَمَّى السَّائرَ على بطنِه ماشياً، لأنَّ كُلَّ سائرٍ ومستمرٍّ يُقال له: ماشٍ وإنْ لم يكن حيواناً، حتى إنه يُقال: قد مشى هذا الأمرُ، هذا قول الزَّجَّاج. وقال أبو عُبيدَةَ: إنما هذا على سبيل التشبيه بالمَاشِي، لأنَّ المَشيَ لا يكون على البطنِ، إنما يكون لِمَنْ له قوائمُ، فإذا خَلَطوا ما له قوائمُ بما لا قوائمَ له، جازَ ذلك، كما يقولون: أكلتُ خبزاً ولَبَناً، ولا يُقال: أكلتُ لَبَناً.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ

وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُولَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

[١٠٣٧] قال المُفسِّرون: نزلَتْ في رجلٍ مِنَ المنافقين يُقال له: بِشْرٌ كان بينه وبينَ يهوديٍّ حُكومَةٌ، فدَعَا اليهوديُّ المنافقَ إلى رسولِ الله ﷺ لِيَحكُمَ بينهما، فقال المنافقُ لليهوديِّ: إنَّ محمَّداً يَحِيفُ علينا، ولكن بيني وبينَكَ كعبُ بنُ الأشرَفِ، فنزلت هذه الآيَةُ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يعني المنافقين ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي مِنْ بعدِ قولِهم: آمنَّا ﴿وَمَآ أُولَـٰٓئِكَ﴾ يعني المُعْرِضِين عن حُكمِ اللَّهِ ورسوله ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى كِتابه ﴿وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرَّسولُ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ ومعنى الكلام: أنهم كانوا يُعْرِضُون عن حُكمِ الرَّسول عليهم، لعِلْمِهم أنَّه يَحكُم بالحقِّ؛ وإنْ كان الحقُّ لهم على غيرِهم، أسرَعوا إلى حُكمِه مُذْعِنينَ، لِثِقَتِهم أنه يحكُمُ لهم بالحقِّ. قال الزَّجَّاجُ: والإذعَانُ في اللغة: الإسراعُ مع الطاعةِ، تقول: قد أذعَنَ لي، أي: قد طَاوَعَني لِمَا كنتُ ألتَمِسه منه. قوله تعالى: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي كُفرٌ ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ أي شَكُّوا في القرآن؟ وهذا استفهامُ ذمٍّ وتَوبيخٍ، والمعنى: إنهم كذلك، وإنما ذكرَهُ بلفظِ الاستفهامِ ليكونَ أبلغَ في ذَمِّهم، كما قال جَريرٌ في المَدحِ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا(١)

أي: أنتُم كذلك. فأمَّا الحَيْفُ، فهو: المَيْلُ في الحُكم؛ يُقال: حَافَ في قَضِيَّتِه، أي: جارَ ﴿بَلْ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي: لا يَظْلِمُ اللَّهُ ورسولُه أحداً، بل هم الظَّالمون لأنفُسِهم بالكُفرِ والإعراضِ عن حُكمِ الرَّسولِ.

ثم نَعَتَ المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الفَرَّاءُ: ليس هذا بخبرٍ ماضٍ، وإنَّما المعنى: إنَّما كان ينبغي أنْ يكونَ قولُ المؤمنين إذا دُعُوا أنْ يَقولوا سَمِعنا. وقرأ الحَسنُ، وأبو الجَوزَاءِ: «إنما كان قولُ المؤمنين» بضمِّ اللام. وقرأ أبو جعفرَ، وعاصِمٌ الجَحدَرِيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ليُحكَم بينهم» برفع الياء وفتح الكاف. قال المُفسِّرون: والمعنى: سَمِعنا قولَ رسولِ الله ﷺ وأطَعْنا أمرَهُ، وإنْ كانَ ذلك فيما يكرَهُونه. قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما مَضى مِنْ ذُنوبه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بعدُ أنْ يَعصِيَه. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، ووَرْشٌ عن نافعٍ: «ويَتَّقْهي» موصولةً بياءٍ. وروى قَالُونُ

[١٠٣٧] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٥ بدون إسناد، وتقدم في سورة النساء عند الآية: ٦٧ باستيفاء.

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: «وأندى العالمين بطون راح».

عن نافع: «ويتّقهِ فأولئك» بكسرِ الهاء لا يَبلُغُ بها الياءَ. وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويتّقهْ» جزماً.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ قال المُفسّرون: لمّا نزلَ في هؤلاءِ المنافقين ما نزلَ مِنْ بيانِ كراهَتِهم لحُكمِ الله، قالوا للنبيِّ ﷺ: والله لو أمرتَنا أنْ نخرجَ مِنْ دِيارنا وأموالِنا ونسائِنا لَخرجنا، فكيف لا نَرضى حُكمَكَ؟! فنزلت هذه الآيةُ. وقد بيَّنّا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾(١)، ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ مِنْ أموالِهم ودِيارِهم، وقيلَ: لَيَخرجُنَّ إلى الجهادِ ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ هذا تمامُ الكلامِ؛ ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى: أمْثَلُ مِنْ قَسَمِكُم الذي لا تَصدقُون فيه طاعةٌ معروفةٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وبعضُ النَّحويين يقول: الضميرُ فيها: لِتَكُن منكم طاعةٌ معروفةٌ، أي: صحيحةٌ لا نِفاقَ فيها. قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ هذا خطابٌ لهم، والمعنى: فإنْ تتولّوا، فحذَفَ إحدى التّاءَين، ومعنى التَّولّي: الإعراضُ عن طاعةِ اللَّهِ ورسولِه، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ يعني: الرَّسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ مِنَ التّبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ مِنَ الطّاعة؛ وذكرَ بعضُ المُفسّرين أنَّ هذا مَنسُوخٌ بآيةِ السيفِ، وليس بصحيحٍ. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعني: رسولَ الله ﷺ ﴿تَهْتَدُوا﴾، وكان بعضُ السّلَفِ يقول: مَنْ أمَّرَ السُّنَّةَ على نفسه قولاً وفِعلاً، نَطَقَ بالحِكمةِ، ومَنْ أمَّرَ البِدعَةَ الهَوى على نفسِه قولاً وفِعلاً، نَطَقَ بالبِدعَةِ، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾.

[١٠٣٨] روى أبو عبدِ الله الحَاكِمُ في «صحيحه» مِنْ حديث أُبيِّ بنِ كَعبٍ، قال: لمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه المدينةَ وآوَتْهُمُ الأنصارُ، رَمَتْهُم العرب عن قوسٍ واحدةٍ، كانوا لا يَبيتون إلاّ في

[١٠٣٨] أخرجه الحاكم ٢/ ٤٠١ والطبراني في «الأوسط» ٧٠٢٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٧ والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٦ ـ ٧ من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب. وإسناده لين. مداره على علي بن حسين بن واقد، وهو لين الحديث، ضعفه أبو حاتم، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٢٣٧: رجاله ثقات اهـ. وانظر «أحكام القرآن» ١٦١٠.

---

(١) سورة المائدة: ٥٣.

السِّلاح، ولا يُصبِحون إلاَّ في لأمَتِهم، فقالوا: أترونَ أنَّا نعيشُ حتى نَبيتَ آمِنينَ مُطمَئِنِّين لا نخافُ إلاَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ؟! فنزلت هذه الآيةُ. قال أبو العَالِية: لمَّا أظهَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ على جزيرةِ العرب، وَضعوا السلاحَ وأَمِنُوا، ثم قبضَ اللَّهُ نبيَّهُ، فكانوا آمِنِينَ كذلك في إمَارةِ أبي بكرٍ، وعمرَ، وعُثمانَ، حتى وَقعوا فيما وَقعوا فيه وكَفروا بالنِّعمَةِ، فأدخلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليهم الخَوفَ فغيروا، فغيَّرَ اللَّهُ تعالى ما بِهم. وروى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ: أنَّ هذا الوعدَ وَعدَهُ اللَّهُ أُمَّةَ محمَّدٍ في التَّوراةِ والإنجيلِ.

[١٠٣٩] وزعمَ مُقاتِلٌ أنَّ كفارَ مكَّةَ لمَّا صدُّوا رسولَ الله ﷺ والمسلمين عن العُمْرَةِ عامَ الحُدَيبية، قال المسلمون. لو أنَّ اللَّهَ تعالى فَتحَ علينا مكَّةَ، فنزلت هذه الآيَةُ.

قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أي: لَيَجعلنَّهُم يَخلُفون مَنْ قَبْلَهم، والمعنى: لَيُورِثَنَّهُم أرضَ الكفار مِنَ العرب والعَجَم، فيَجعلَهُم مُلوكَها وسَاسَتَها وسُكَّانَها. وعلى قولِ مُقاتِلٍ: المراد بالأرض مكَّةُ. قوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِم: «كما استُخْلِف» بضمِّ التاء وكسرِ اللام؛ يعني: بني إسرائيلَ، وذلك أنه لمَّا هَلكَتِ الجَبابِرةُ بمِصْرَ، أورثَهُم اللَّهُ أرضَهُم ودِيارَهُم وأموالَهُم. قوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ وهو الإسلامُ، وتمكِينُهُ: إظهارُه على كلِّ دِينٍ، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ، وأبَانُ، ويعقوبُ: «وليُبْدِلَنَّهم» بسكونِ الباء وتخفيفِ الدال ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ لأنهم كانوا مَظلُومِينَ مقهُورينَ، ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ لأنهم كانوا مظلُومينَ مقهُورينَ، ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ هذا استئنافُ كلامٍ في الثَّناءِ عليهم، ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بهذه النِّعَمِ، أي: مَنْ جَحدَ حقَّها. قال المُفسِّرون: وأوَّلُ مَنْ كفرَ بهذه النِّعَمِ قَتَلَهُ عُثمانَ.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ وحَفصٌ، عن عاصِمٍ: «لا يَحْسَبَنَّ» بالياء وفَتْحِ السين. وقرأ الباقون بالتاء وكَسْرِ السين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٠٤٠] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ وَجَّهَ غُلاماً مِنَ الأنصار يُقال له: مُدْلِجُ بنُ عمرٍو إلى

[١٠٣٩] عزاه المصنف لمقاتل، ومقاتل ساقط الرواية ليس بشيء.

[١٠٤٠] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٨ عن ابن عباس بدون إسناد. وقال الحافظ ابن حجر في =

عمرَ بنِ الخطَّابِ وقتَ الظَّهيرةِ لِيَدْعُوَهُ، فدخلَ فرأى عمرَ على حالةٍ كَرِهَ عمرُ رؤيتَه عليها، فقال: يا رسولَ الله، وَدِدتُ له لو أنَّ اللَّهَ تعالى أمَرَنا ونَهَانا في حالِ الاستِئذَانِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٠٤١] **والثاني**: أنَّ أسماءَ بنتَ مِرثَدٍ كان لها غُلامٌ، فدخلَ عليها في وقتٍ كَرِهَتْهُ، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فقالت: إنَّ خَدَمنا وغِلمَانَنا يَدخلونَ علينا في حالةٍ نَكرَهُها، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى الآية: لِيَستأذِنكُمُ الذين مَلكَتْ أيمانُكم؛ وفيهم قولان[1]: **أحدهما**: أنه أرادَ الذُّكورَ دونَ الإناثِ، قاله ابنُ عمرَ. **والثاني**: الذُّكورُ والإناثُ، رواه أبو حصينٍ عن أبي عبدِ الرَّحمنِ. ومعنى الكلام: لِيَستَأذِنكُم مَماليكُكُم في الدُّخولِ عليكم. قال القاضي أبو يَعلَى: والأظهَرُ أنْ يكونَ المراد: العبيدُ الصغارُ والإماءُ الصغارُ، لأنَّ العبدَ البالغَ بمنزلة الحُرِّ البالغِ في تحريمِ النَّظَرِ إلى مَولاتِه، فكيف يُضافُ إلى الصبيانِ الذين هم غيرُ مُكلَّفِين؟!

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ وقرأ عبدُ الوارثِ: «الحُلْم» بإسكانِ اللام ﴿مِنكُمْ﴾ أي: مِنْ أحرارِكم مِنَ الرجال والنساء ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ أي: ثلاثةَ أوقاتٍ؛ ثم بيَّنَها فقال: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ وذلك لأنَّ الإنسانَ قد يَبيتُ عُريَاناً، أو على حالةٍ لا يُحبُّ أنْ يُطَّلعَ عليه فيها ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أي: القائِلَة ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ حين يأوِي الرجلُ إلى زوجَتِه، ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «ثلاثُ عوراتٍ» برفع الثاء مِنْ «ثلاثُ»، والمعنى: هذه الأوقاتُ هي ثلاثُ عَوراتٍ، لأنَّ الإنسانَ يَضَعُ فيها ثِيابَه، فربما بَدَتْ عورتُه. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ثلاثَ عوراتَ» بنصبِ التاء؛ قال أبو عليٍّ: جَعلُوه بَدَلاً مِنْ قوله: «ثلاثَ مَرَّات» والأوقاتُ ليستْ عَوراتٍ، ولكنَّ المعنى: أنها أوقاتُ ثلاثِ عَوراتٍ، فلمَّا حُذفَ المضافُ أعربَ بإعراب المحذوف. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلمي وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ والأعمَشُ «عَوَرات» بفتح الواوِ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني المؤمنين الأحرارَ ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني الخدمَ والغِلمانَ ﴿جُنَاحٌ﴾ أي حرج ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي بعدَ مُضِيِّ هذه الأوقاتِ في أنْ لا يستأذِنُوا، فرَفعَ الحَرجَ عن الفرِيقَيْنِ ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ أي هم طوافون عليكم ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يَطوفُ بعضُكم وهم المَماليكُ على بعضٍ وهم الأحرارُ.

= «تخريج الكشاف» ٣/ ٢٥٣: هكذا نقله الثعلبي والواحدي والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما بغير سند اهـ. فالخبر لا أصل له، يعني: لا إسناد له. وانظر «أحكام القرآن» ١٦٢١ بتخريجنا.

[١٠٤١] كذا ذكره الواحدي في «الأسباب» ٦٤٩ عن مقاتل بدون إسناد، وهذا معضل، وهو بدون إسناد.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٧٧: هذه الآيات اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض. وما تقدم في أول السورة فهو استئذان الأجانب بعضهم على بعض، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال: الأول من قبل صلاة الغداة، لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم **﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾** أي: وقت القيلولة، لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال **﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾** لأنه وقت نوم، فيؤمر الخدم والأطفال ألا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال، لما يخشى من أن يكون الرجل مع أهله، أو نحو ذلك من الأعمال. وإذا دخلوا في غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم من ذلك، وقد أذن لهم في الهجوم.

فصل: وأكثرُ علماءِ المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيةَ مُحكَمَةٌ، وممَّنْ رُوي عنه ذلك ابنُ عباسٍ، والقاسمُ بن محمَّدٍ، وجابرُ بنُ زيدٍ، والشَّعبيُّ. وحُكيَ عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ أنها مَنسوخَةٌ بقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ والأول أصح، لأن معنى هذه الآية: وإذا بلغ الأطفال منكم، أو مِنَ الأحرار الحُلمَ، ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾، أي: في جميع الأوقاتِ في الدُّخولِ عليكم ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كما استأذَنَ الأحرارُ الكبارُ، الَّذين هم قَبْلَهُم في الوجودِ، وهم الذين أُمِرُوا بالاستئذانِ على كلِّ حالٍ؛ فالبالغُ يستأذِنُ في كلِّ وقتٍ، والطفلُ والمَملُوكُ يستأذِنانِ في العَوراتِ الثَّلاثِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: يعني: العُجَّزَ، واحدُها: قاعِدٌ، ويُقال: إنما قيلَ لها: قاعدٌ، لِقُعودِها عن الحَيْضِ والوَلَدِ، وقد تَقعُدُ عن الحَيْضِ والوَلَدِ ومِثْلُها يرجو النِّكاحَ، ولا أُراها سُمِّيَتْ قاعِداً إلاَّ بالقُعود، لأنها إذا أَسنَّتْ عَجزتْ عن التَّصرُّفِ وكثرةِ الحَركةِ، وأطالَتِ القُعودَ، فقيلَ لها: «قاعد» بلا هاءٍ، ليدلَّ حذفُ الهاء على أنه قُعودُ كِبرٍ، كما قالوا: «امرأة حاملٌ»، لِيَدلُّوا بحذفِ الهاء على أنه حَمْلُ حَبَلٍ، وقالوا في غيرِ ذلك: قاعِدةٌ في بيتِها، وحامِلةٌ على ظَهرِها. قوله تعالى: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي: عندَ الرجال؛ ويعني بالثياب: الجِلبَابَ والرِّداءَ والقِناعَ الذي فوق الخِمارِ، هذا المراد بالثياب، لا جميع الثياب، ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: مِنْ غيرِ أن يُرِدْنَ بوضع الجِلبَابِ أنْ تُرى زينتُهنَّ؛ والتَّبرُّجُ: إظهارُ المرأةِ مَحاسنها، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ فلا يَضعْنَ تلك الثيابَ ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، قال ابنُ قُتَيبَة: والعرب تقول: امرأةٌ واضِعٌ: إذا كبِرَتْ فوضعَتِ الخِمَارَ، ولا يكون هذا إلاَّ في الهَرِمَةِ. قال القاضي أبو يَعلَى: وفي هذه الآيةِ دلالةٌ على أنه يُباح للعجوز كشفُ وَجْهِها ويَدَيها بين يَدَي الرجالِ، وأما شَعرُها، فيَحرمُ النظرُ إليه كشَعَرِ الشابَّةِ.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ في سببِ نُزُولها خمسةُ أقوالٍ:

[١٠٤٢] **أحدها:** أنه لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(١) تحرَّجَ المسلمون عن مُؤاكَلَةِ المَرضى والزَّمْنَى والعُمْيِ والعُرْجِ، وقالوا: الطعامُ أفضلُ الأموالِ، وقد نهى اللَّهُ تعالى عن أكلِ المالِ بالباطِلِ، والأعمى لا يُبْصِرُ موضعَ الطعام الطَّيِّبِ، والمريضُ لا يَستوفي الطعامَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٠٤٢] أخرجه الطبري ٢٦٢١٩ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به، ورجاله ثقات إلا أنه منقطع بين علي وابن عباس. والراجح هو الآتي، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٤٢١ بتخريجنا.

---

(١) سورة النساء: ٢٩.

[١٠٤٣] **والثاني**: أنَّ ناساً كانوا إذا خرجوا مع رسولِ الله ﷺ، وَضَعوا مفاتيحَ بُيوتِهم عند الأعمى والأعرَجِ والمَريضِ وعند أقارِبِهم، وكانوا يأمُرونَهم أنْ يأكلوا ممَّا في بُيوتِهم إذا احتَاجُوا، فكانوا يَتَّقونَ أنْ يأكُلوا منها، ويقولون: نَخشَى أنْ لا تكونَ أنفُسُهم بذلك طيِّبةً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ.

والثالث: أنَّ العُرجانَ والعُميانَ كانوا يمتنعون عن مُؤاكَلَةِ الأصِحَّاءِ، لأنَّ النَّاسَ يَتَقذَّرونَهُم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ[١]. **والرابع**: أنَّ قوماً مِنَ أصحاب رسولِ الله ﷺ كانوا إذا لم يكُنْ عندَهُم ما يُطعِمونَ المريضَ والزَّمِنَ، ذهبوا به إلى بيوتِ آبائِهم وأُمَّهاتِهم وبعضِ مَنْ سمَّى اللَّهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ، فكان أهلُ الزَّمانَةِ يتحرَّجون مِنْ أكلِ ذلك الطعام لأنه أطعَمَهُم غيرُ مالِكِهِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ[٢]. **والخامس**: أنها نزلت في إسقَاطِ الجهاد عن أهلِ الزَّمانَةِ المَذْكُورينَ في الآيةِ، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ[٣].

فعلى القولِ الأولِ يكون معنى الآية: ليس عليكُم في الأعمَى حَرَجٌ أنْ تأكلوا معه، ولا في الأعرَجِ، وتكون «على» بمعنى «في»، ذَكرَهُ ابنُ جَريرٍ. وكذلك يُخرَّج معنى الآيةِ على كلِّ قولٍ بما يَليقُ به. وقَد كان جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين يذهبون إلى أنَّ آخرَ الكلام «ولا على المريض حرج» وأن ما بعدَهُ مُستأنَفٌ لا تَعلُّقَ له به، وهو يُقَوِّي قولَ الحسَنِ، وابنِ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٤]: **أحدها**: أنها بيوتُ الأولاد. **والثاني**: البيوتُ التي يَسكُنونَها وهم فيها عِيالُ غيرِهم، فيكون الخِطابُ لأهلِ الرجلِ ووَلَدِه وخادِمِه ومَنْ يشتملُ

[١٠٤٣] حسن. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٥٣ من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلاً، ومراسيل سعيد جياد. وله شاهد من مرسل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أخرجه الطبري ٢٦٢٢٤. وله شاهد موصول عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه البزار ٢٢٤١ «كشف». وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٢٣٨/٧: رجاله رجال الصحيح.

ـ **الخلاصة**: مرسل سعيد مع مرسل عبيد الله إذا انضم إليهما الموصول رقى بهما إلى درجة الحسن في أقل تقدير، وهذا القول أرجح الأقوال، ومع ذلك باقي الأقوال لا تعارضه، بل تشهد لبعضه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٦٢٢٠ عن الضحاك مرسلاً.

(٢) أخرجه الطبري ٢٦٢٢١ و ٢٦٢٢٢ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف، لكن هذه الروايات متقاربة، سواء ما تقدم أو ما يأتي. وانظر أحكام القرآن ٣/ ٤٢٠ بتخريجنا.

(٣) أخرجه الطبري ٢٦٢٢٥ عن عبد الرحمن بن زيد، وهذا معضل، وابن زيد واهٍ، والصواب في ذلك الحديث ١٠٦٢.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٧٩: وقوله تعالى: **﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾** إنما ذكر هذا، وهو معلوم، ليعطف عليه غيره في اللفظ، وليساوي به ما بعده في الحكم. وتضمن هذا بيوت الأبناء، لأنه لم يَنُصَّ عليهم. ولهذا استدل من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه، وقد جاء في المسند والسنن، من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»، وقوله **﴿أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم﴾** إلى قوله **﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾** هذا ظاهر، وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، كما هو مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما.

عليه مَنزلُه، ونَسَبَها إليهم لأنهم سُكَّانُها. **والثالث**: أنها بيوتُهم، والمرادُ أكلُهُم مِنْ مالِ عِيالِهِم وأزواجِهم، لأنَّ بيتَ المرأةِ كبيتِ الرجلِ. وإنما أباحَ الأكْلَ مِنْ بيوتِ القَراباتِ المذكورين، لجرَيانِ العَادةِ ببذْلِ طعامِهم لهُم؛ فإنْ كان الطعامُ وراءَ حِرْزٍ، لم يَجُزْ هَتْكُ الحِرْزِ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَكيلُ، لا بأسَ أنْ يأكلَ اليَسيرَ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. وقرأها سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو العَاليةِ: «ما مُلِّكْتُمْ» بضمِّ الميم وتشديدِ اللام مع كَسْرِها على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، وفسَّرها سعيدٌ فقال: يعني القَهرَمانَ الذي بيدِهِ المَفاتِيحُ. وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، وقَتادَةُ، وابنُ يَعمُرَ: «مِفْتاحَه» بكسرِ الميم على التَّوحيدِ. **والثاني**: بيتُ الإنسان الذي يملِكُه، وهو معنى قولِ قَتادَةَ. **والثالث**: بيوتُ العَبيدِ، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٤٤] نزلت هذه في الحارثِ بنِ عَمرٍو، خرجَ مع رسولِ الله ﷺ غازياً، وخلَّفَ خالدَ بنَ زيدٍ على أهلِه، فلمَّا رجعَ وجدَهُ مَجهُوداً، فقال: تحرَّجْتُ أنْ آكلَ مِنْ طعامِكَ بغيرِ إذنِكَ، فنزلت هذه الآيةُ. وكان الحسَنُ وقتادةُ يَريَانِ الأكْلَ مِنْ طعامِ الصَّديقِ بغيرِ استِئذَانٍ جائزاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ في سببِ نُزولِ هذا ثلاثةُ أقوالٍ(١):

[١٠٤٥] **أحدها**: أنَّ حَيًّا مِنْ بَني كِنانَةَ يُقال لهم: بَنُو لَيثٍ كانوا يَتحرَّجُونَ أن يأكلَ الرجلُ الطعامَ وحدَهُ، فربَّما قعدَ الرجلُ والطعامُ بين يَدَيْهِ مِنَ الصَّباحِ إلى الرَّواحِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ والضَّحَّاكُ.

والثاني: أنَّ قوماً مِنَ الأنصار كانوا لا يأكلونَ إذا نزلَ بهم ضَيفٌ إلاَّ مع ضَيفِهِم، فنزلت هذه الآيةُ، ورُخِّصَ لهم أنْ يأكلوا جميعاً أو أشتَاتاً، قاله عِكرِمَةُ(٢). **والثالث**: أنَّ المسلمين كانوا يَتحرَّجون مِنْ مُؤاكَلَةِ أهلِ الضُّرِّ خوفاً مِنْ أنْ يستَأثِرُوا عليهم، ومِنَ الاجتِماعِ على الطَّعام، لاختِلافِ الناس في مآكِلِهم وزيادةِ بعضِهم على بعضٍ، فوُسِّعَ عليهم، وقيلَ: «ليس علَيكم جُناحٌ أن تأكلُوا جميعاً» أي: مُجتَمِعينَ «أو أشتاتاً» أي: مُتفرِّقينَ، قاله ابنُ قُتَيبة.

- - - - - - - - - - - - - - - - - -

[١٠٤٤] ذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٨٠٧ وقال: أخرجه الثعلبي في «تفسيره» عن ابن عباس، ولم أقف على إسناده، وتفرّد الثعلبي به دليل وهنه.

[١٠٤٥] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٢٣٧ عن قتادة مرسلاً و ٢٦٢٣٥ عن الضحاك مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. ولا يصح في سبب نزول هذه الآية خبراً، وإنما ذكرت على سبيل الإرشاد والإباحة. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٤٢٥ بتخريجنا.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٥٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين، أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاءوا، أو أشتاتاً متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه. والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل.

(٢) ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٢٣٨ عن عكرمة مرسلاً، فهو ضعيف.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ[١]: أحدها: أنها بيوتُ أنفسِكم، فسَلِّموا على أهالِيكم وعِيالِكم، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله، وطَاوسٌ، وقَتادةُ. والثاني: أنها المساجدُ، فسَلِّموا على مَنْ فيها، قاله ابنُ عباسٍ. والثالث: بيوتُ الغَيْرِ، فالمعنى: إذا دَخلتُم بيوتَ غيرِكم فسَلِّموا عليهم، قاله الحسنُ. قوله تعالى: ﴿تَحِيَّةً﴾ قال الزَّجّاجُ: هي منصوبةٌ على المَصدرِ، لأنَّ قولَه: ﴿فَسَلِّمُوا﴾ بمعنى: فحَيُّوا ولْيُحَيِّ بعضُكم بعضاً تحيَّةً، ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: ﴿مُبَارَكَةً﴾ بالأجرِ، ﴿طَيِّبَةً﴾ أي: حَسَنةً.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ يعني: مع رسولِ الله ﷺ ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي: على أمرِ طاعةٍ يجتمعون عليها، نحو الجهادِ والجُمعةِ والعِيْدِ ونحو ذلك ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾.

[١٠٤٦] قال المُفسِّرون: كان رسولُ الله ﷺ إذا صَعِدَ المِنبَرَ يومَ الجُمعةِ، وأراد الرجلُ أن يخرجَ مِنَ المسجدِ لِحاجةٍ أو عُذرٍ، لم يَخرُجْ حتى يقومَ بحِيالِ رسولِ الله ﷺ حيثُ يَراهُ، فيعرف أنه إنما قامَ لِيستأذِنَ، فيأذَنُ لِمَنْ شاءَ منهم، فالأمرُ إليه في ذلك. قال مُجاهِدٌ: وإذْنُ الإمامِ يومَ الجُمعَةِ أنْ يُشِيرَ بيدِه.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ أي: لِخُروجِهم عن الجَماعةِ إنْ رأيتَ لهم عُذراً.

﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: أحدها: أنه نَهيٌ عن التَّعرُّضِ

[١٠٤٦] ذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٣١ نقلاً عن المفسرين، ولم أقف على إسناده فهو مما لا أصل له، والمراد في ذلك الجهاد، ويدخل في ذلك كل أمر جامع، لكن سياق الآيات وسباقها يشير إلى الجهاد.
وانظر تفسير الطبري ٢٦٢٥٧ و ٢٦٢٥٨ و ٢٦٢٥٩.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٥٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض. ﴿تحية﴾ بمعنى: تحيون أنفسكم تحيةً من عند الله السلام تحية، فكأنه قال: فليحيي بعضكم بعضاً تحية من عند الله.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٦٠: وأولى التأولين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس، وذلك أن الذي قبل قوله ﴿ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ نهيٌ من الله =

لإسخاطِ رسولِ الله ﷺ، فإنه إذا دَعَا على شخصٍ فَدعوَتُه مُوجِبَةٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم أُمِرُوا أنْ يقولوا: يا رسولَ اللّهِ، ونُهوا أنْ يَقولوا: يَا محمَّدُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعَلقَمةُ، والأسوَدُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه نَهيٌ لهم عن الإبطاءِ إذا أمرَهُم والتَّأخُرِ إذا دَعاهُم، حكاه المَاوَردِي. وقرأ الحسَنُ، وأبو رَجَاءٍ، وأبو المُتوكِّلِ، ومعاذٌ القارئ: «دعاء الرسول نبيِّكم» بياءٍ مُشدَّدةٍ ونونٍ قبلَ الباء.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ التَّسَلُّلُ: الخروجُ في خِفيَةٍ. واللِّوَاذُ: أنْ يستَتِرَ بشيءٍ مَخافةَ مَنْ يَراهُ. والمُراد بقوله «قد يَعْلَمُ» التَّهديدُ بالمُجازَاةِ. قال الفَرَّاءُ: كان المنافقون يَشهدون الجُمعَةَ فيَذكُرُهم رسولُ الله ﷺ ويَعِيبُهم بالآياتِ التي أُنزلَت فيهم، فإنْ خَفِيَ لأَحدِهم القيامُ قامَ، فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يَلُوذُ هذا بهذا، أي: يَستَتِرُ ذَا بِذَا. وإنما يُقال: «لِوَاذاً» لأنها مصدرُ «لاوذْتُ»، ولو كان مصدراً لـ «لُذْتُ» لَقُلتَ: لُذْتُ لِيَاذاً، كما يُقال: قُمْتُ قِياماً. وكذلك قال ثَعلَبُ: وقعَ البناءُ على لاَوَذَ مُلاوَذَةً، ولو بَنَى على لاَذَ يَلُوذُ، لَقِيلَ: لِيَاذاً. وقيلَ: هذا كان في حَفرِ الخندَقِ، كان المنافقون يَنصَرِفون عن غيرِ أمرِ رسولِ الله ﷺ مُختفِين. قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: إلى رسولِ الله ﷺ، قاله قَتادَةُ. وفي «عن» قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، قاله الأخفَشُ. **والثاني**: أنَّ معنى «يُخالِفون»: يُعْرِضُونَ عن أمرِهِ. وفي الفِتنَةِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الضَّلالَةُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بلاءٌ في الدُّنيا، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: كُفرٌ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: القَتْلُ في الدنيا. **والثاني**: عذابُ جهنَّمَ في الآخِرَة. قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما في أنفُسِكم، وما تَنطَوِي عليه ضَمائِرُكم مِنَ الإيمانِ والنِّفاقِ؛ وهذا تنبيهٌ على الجَزاءِ على ذلك. واللّهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

= المؤمنين. أن يأتوا من الانصراف عنه، في الأمر الذي يجمع جمعهم، ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه عنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيراً لهم سخطه، أن يضطره إلى الدعاء عليهم، أشبه من أن يكون أمراً لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء.

سورة الفرقان

ترتيبها ٢٥ — آياتها ٧٧

قال ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ في آخرين: هي مكِّيَّةٌ[١]. وحُكي عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنهما قالا: إلاّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأعراف[٣]، والفُرقان: القرآن، سُمِّيَ فُرْقاناً، لأنه فُرِّقَ به بين الحقِّ والباطلِ. والمراد بعَبْدِه: محمَّدٌ ﷺ، ﴿لِيَكُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه كِنايةٌ عن عَبدِه، قاله الجمهور. **والثاني**: عن القرآن، حكاه المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني الجنَّ والإنسَ ﴿نَذِيرًا﴾ أي: مُخَوِّفاً مِنْ عذاب الله.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٣/ ٥: سورة الفرقان مكية كلها في قول الجمهور. ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة، والرد على مقالاتهم وجهالاتهم.

(٢) الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠.

(٣) الأعراف: ٥٤. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٨٣: يقول الله تعالى حامداً نفسه الكريمة على ما نزّله على رسوله الكريم من القرآن العظيم، كما قال تعالى ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً**﴾ وقال هاهنا: ﴿**تبارك**﴾ وهو تفاعل من البركة المستقرة الدائمة الثابتة ﴿**الذي نزل الفرقان**﴾ فعل من التكرر والتكثر كما قال: ﴿**والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل منجماً مفصلاً آيات بعد آيات، وأحكاماً بعد أحكام، وسوراً بعد سور. وهذا أبلغ وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة: ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾ ولذلك سمّاه هاهنا الفرقان، لأنه يفرق بين الحق والباطل. والحلال والحرام، والهدى والضلال، والغي والرشاد.

قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سَوَّاه وهيَّأه لِمَا يَصلح له، فلا خَلَلَ فيه ولا تفاوتَ. **والثاني**: قَدَّر له ما يُصلِحه ويُقيمه. **والثالث**: قَدَّر له تقديراً مِنَ الأَجَلِ والرِّزق.

ثم ذَكرَ ما صنعهُ المشركون، فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعني: الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دَفْع ضرٍّ، ولا جرَّ نفع، لأنها جمادٌ لا قُدرة لها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملكُ أنْ تُميتَ أحداً، ولا أنْ تُحييَ أحداً، ولا أنْ تبعثَ أحداً مِنَ الأموات؛ والمعنى: كيف يَعبُدون ما هذه صِفتُه، ويتركون عبادةَ مَنْ يَقدر على ذلك كُلِّه؟!

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: مُشركي قُريشٍ؛ وقال مُقاتِلٌ: وهو قولُ النَّضرِ بنِ الحارثِ مِنْ بني عبدِ الدَّارِ ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا، يَعنُونَ القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ أي: كَذِبٌ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: اختلقَهُ مِنْ تِلْقاءِ نفسه ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ قال مُجاهِدٌ: يَعنُونَ اليهود؛ وقال مُقاتِلٌ: أشاروا إلى عدَّاسٍ مولى حُويطِبٍ، ويَسارٍ غلام عامِرِ بنِ الحَضرَمي، وجبرٍ مَولًى لعامرٍ أيضاً، وكان الثلاثةُ مِنْ أهلِ الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾. قال الزَّجَّاج: المعنى فقد جاؤوا بظُلم وزُورٍ فلمَّا سَقَطتِ الباءُ، أفضى الفعل فنُصبَ، والزُّورُ: الكَذِبُ. ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين، وقد بيَّنَّا ذلك في (الأنعام)[1]. قال المُفسِّرون: والذي قال هذا هو النَّضرُ بنُ الحارثِ. ومعنى ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أمرَ أنْ تُكْتَبَ له. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، وطَلحةُ بنُ مُصرِّفٍ: «اكْتُتِبَها» برفع التاء الأُولى وكسرِ الثانية، والابتداء على قراءتِهم برفع الهمزة، ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: تُقرأ عليه ليحفظَها لا ليكتبَها، لأنه لم يكن كاتباً، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: غُدوةً وعَشِيّاً. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿أَنزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ أي: لا يخفى عليه شيءٌ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني المشركين ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الطُّرُق كما يمشي سائرُ الناس يطلب المعيشةَ؛ والمعنى: أنه ليس بملَكٍ ولا مَلِكٍ، لأنَّ الملائكةَ لا تأكلُ، والملوكُ لا تَتبذَّلُ في الأسواقِ، فعَجِبُوا أنْ يكون مُساوياً للبشرِ لا يتميَّز عليهم بشيءٍ؛ وإنما جعله اللهُ بَشَراً ليكون مُجانِساً للذين أُرسِلَ إليهم، ولم يجعله مَلَكاً يمتنعُ

(١) الأنعام: ٢٥.

مِنَ المَشي في الأسواق، لأنَّ ذلك مِن فعلِ الجَبابرَةِ، ولأنه أُمِرَ بدُعائِهم، فاحتاجَ أنْ يمشيَ بينهم. قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وذلك أنهم قالوا له: سَلْ ربَّكَ أنْ يبعثَ معكَ مَلَكاً يُصدِّقكَ ويجعلُ لكَ جِناناً وقُصوراً وكُنوزاً؛ فذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ أي: ينزِّلُ إليه كَنزٌ مِنَ السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بُستانٌ يأكل مِنْ ثِمارِه. قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافع، وأبو عمرٍو، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «يأكل منها» بالياء، يَعنُون النبيَّ ﷺ. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ: «نأكل» بالنون، قال أبو عليٍّ: المعنى: يكون له علينا مَزِيَّةٌ في الفَضلِ بأكلِنا مِنْ جنَّتِه. وباقي الآيةِ مُفسَّرٌ في (بَني إسرائيلَ)[1].

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمَّدُ ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ حين مَثَّلوكَ بالمَسحورِ، وبالكاهِنِ والمجنونِ والشاعرِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بهذا عن الهُدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: لا يستطيعون مَخرجاً مِنَ الأمثال التي ضَرَبُوها، قاله مُجاهِدٌ، والمعنى أنهم كَذَّبُوا ولم يجدوا على قولِهم حُجَّةً وبُرهاناً. وقال الفَرَّاءُ: لا يستطيعون في أمرِكَ حِيلَةً.

والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السُّدِّيُّ.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

ثم أخبرَ أنه لو شاء لأعطاهُ خيراً مما قالوا في الدنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني: لو شِئتُ لأعطيتُكَ في الدنيا خيراً ممَّا قالوا، لأنه قد شاءَ أنْ يُعطيَهُ ذلك في الآخرة. ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويجعلُ لَكَ قصوراً» برفعِ اللام. وقرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «ويجعلْ» بجزمِ اللام. فمَنْ قرأ بالجزم، كان المعنى: إنْ يشأ يجعلْ لكَ جنَّاتٍ ويَجعلْ لكَ قُصوراً. ومَنْ رفعَ، فعَلَى الاستئنافِ المعنى: وسيجعلُ لكَ قُصوراً في الآخرة. وقد سبق معنى «اعتَدْنا»[2] ومعنى «السَّعير»[3].

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال السُّدِّيُّ عن أشياخه: مِنْ مَسيرةِ مائةِ عام.

فإنْ قيلَ: السَّعيرُ مُذكَّرٌ، فكيف قال: «إذا رأَتْهم»؟ فالجواب: أنه أراد بالسَّعيرِ النارَ.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: غَليانُ تَغَيُّظٍ، قاله الزَّجَّاجُ. قال المُفسِّرون: والمعنى أنها تَتغيَّظُ عليهم فيَسمعونَ صوتَ تغيُّظِها وزَفيرِها كالغَضبانِ إذا غَلاَ صدرهُ مِنَ الغَيظِ. **والثاني**: يسمعون فيها تَغيُّظَ المُعذَّبين وزَفيرَهم، حكاه ابنُ قُتَيبَة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ قال المُفسِّرون: تُضَيَّق عليهم كما يُضَيَّق الزُّجُّ على الرُّمح، وهُمْ قد قُرِنُوا مع الشياطين. والثُّبورُ: الهَلَكَة. وقرأ عاصِمُ الجَحدَريُّ، وابنُ السَّمَيفَع: «ثَبوراً» بفتحِ الثاء.

---

(١) الإسراء: ٤٧. (٢) النساء: ٣٧. (٣) النساء: ١٠.

قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الثُّبورُ مصدرٌ، فهو للقليل والكثير على لفظِ الواحدِ، كما تقول: ضَربتُه ضَرباً كثيراً، والمعنى: هَلاكُكُم أكثرُ مِنْ أنْ تَدعوا مرَّةً واحدةً.

[١٠٤٧] وروى أنسُ بنُ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أول مَنْ يُكسَى مِنْ أهلِ النارِ يومَ القيامة إبليسُ، يُكسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ فيَضعها على حاجِبَيْهِ ويَسحبُها مِنْ خلفِه وذُرِّيَّتُه خَلفَهُ وهو يقول: وَاثُبُوراه، وهم يُنادونَ: يا ثُبورَهم، حتى يَقِفُوا على النارِ، فيُنادي: يا ثُبوراه، ويُنادُونَ: يا ثُبورَهم، فيقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾».

﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا ﴿١٥﴾ لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ﴾ يعني: السَّعير ﴿خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ وهذا تنبيهٌ على تَفاوتِ ما بين المَنزِلَتَيْنِ، لا على أنَّ في السَّعيرِ خيراً. وقال الزَّجَّاجُ: قد وقعَ التَّساوي بين الجنَّةِ والنارِ في أنهما مَنزِلانِ، فلذلك وَقعَ التَّفضيلُ بينهما. قوله تعالى: ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ﴾ أي: ثَواباً ﴿وَمَصِيرٗا﴾ أي: مَرْجِعاً. قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ المُشارُ إليه، إمَّا الدُّخولُ، وإمَّا الخُلودُ ﴿وَعۡدٗا﴾ وَعدهُم اللهُ إيَّاهُ على ألسِنَةِ الرُّسلِ. وفي معنى «مَسؤولاً» قولان: **أحدهما**: مطلوباً. وفي الطَّالبِ له قولان. **أحدهما**: أنهم المؤمنون، سألوا اللهَ في الدنيا إنجازَ ما وَعدَهُم به. **والثاني**: أنَّ الملائكةَ سألَتْهُ ذلك لهم، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ﴾(١). **والثاني**: أن معنى المَسؤولِ: الوَاجِبُ.

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٨﴾ فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «يحشرهم» «فيقول» بالياء

[١٠٤٧] ضعيف. أخرجه أحمد ٣/ ١٥٢ ـ ١٥٤ ـ ٢٤٩ وابن أبي شيبة ١٣/ ١٦٨ والبزار ٣٤٩٥ «كشف» والطبري ٢٦٢٩٤ والخطيب ١١/ ٢٥٣ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٣٦ وأبو نعيم ٦/ ٢٥٦ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وقد تفرّد به. وصححه السيوطي في «الدر» ٥/ ١١٧ فلم يصب. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٦١١: رجاله رجال الصحيح غير علي بن زيد، وقد وثق. وفيما قاله نظر إذ كان عليه أن يضعف علي بن زيد حيث ضعفه الجمهور، وهو الذي استقر عليه ابن حجر في «التقريب» حيث قال: ضعيف. وعبارة الهيثمي توهم أنه لم يضعف، وقد وثقه بعضهم.

---

(١) غافر: ٨.

فيهما. وقرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «نحشرهم» بالنون «فيقول» بالياء. وقرأ ابنُ عامرٍ: «نحشرهم» «فنقول» بالنون فيهما جميعاً؛ ويعني: المشركين، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ قال مُجاهِدٌ: يعني عيسى وعُزيراً والملائكةَ. وقال عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ: يعني الأصنام، فيأذَنُ اللهُ للأصنام في الكلام، ويُخاطِبُها: ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾ أي: أَمَرتُموهم بعبادَتِكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: أخطأوا الطَّريقَ. ﴿قَالُوا﴾ يعني الأصنام ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ نزَّهوا اللهَ تعالى أنْ يُعْبَدَ غيرُه ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نُوالِيهم؛ والمعنى: ما كان ينبغي لنا أنْ نَعبدَ نحنُ غيرَكَ، فكيف ندعو إلى عبادَتِنا؟! فدلَّ هذا الجوابُ على أنهم لم يَأمُروا بعبادَتِهم. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وابنُ جُبيرٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ، وأبو جعفرَ، وابنُ يَعمُرَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «أن نُتَّخَذ» برفعِ النون وفتح الخاء. ثم ذكروا سببَ تركِهم للإيمان، فقالوا: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ أي: أطَلْتَ لهم العُمرَ وأوسعتَ لهم الرِّزقَ ﴿حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ﴾ أي: تَركوا الإيمانَ بالقرآن والاتِّعاظَ به ﴿وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هَلْكى. وقال في روايةٍ أخرى، البُورُ: في لغةِ أزْدِ عُمانَ: الفاسِدُ. قال ابنُ قُتيبةَ: هو مِنْ بارَ يَبُور: إذا هَلَكَ وبطَلَ، يُقال: بَارَ الطعامُ: إذا كَسَدَ، وبَارَت الأيِّمُ: إذا لم يُرغَبْ فيها.

[١٠٤٨] وكان رسولُ الله ﷺ يتعوَّذُ مِنْ بَوَارِ الأيِّم.

قال: وقال أبو عُبيدَةَ: يُقال رجلٌ بُورٌ وقومٌ بُورٌ، لا يُجمَع ولا يُثنَّى، واحتجَّ بقول الشاعر:

يـا رَسُـولَ الـمَـلِـيـكِ إنَّ لِـسَـانِـي ... رَاتِـقٌ مَـا فَـتَـقْـتُ إذْ أنَـا بُـورُ(١)

قال: وقد سمعنا بـ «رجلٌ بائِرٌ»، ورأيناهم ربَّما جمعوا «فاعلاً» على «فُعْل»، نحو عائذٍ وعُوذٍ، وشَارِفٍ وشُرْفٍ. قال المُفسِّرون: فيُقال للكفَّار حِينَئذٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أي: فقد كذَّبكم المَعبودُونَ في قولكم: إنهم آلهةٌ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، ومعاذٌ القارئُ، وابنُ شَنَبُوذَ عن قُنبُل: «بما يقولون» بالياء؛ والمعنى: كذَّبُوكُم بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ الآية؛ هذا قولُ الأكثرين. وقال ابنُ زيدٍ: الخطابُ للمؤمنين؛ فالمعنى: فقد كذَّبكُم المشركون بما تقولون: إنَّ محمَّداً رسولُ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وَجهان: **أحدهما**: فما يستطيع المَعبودُون صَرفاً للعذاب عنكم ولا نَصراً لكم. **والثاني**: فما يستطيع الكفَّارُ صَرفاً لعذابِ الله عنهم ولا نَصراً لأنفسِهم. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: «تستطيعون» بالتاء؛ والخِطابُ للكفَّارِ. وحكى ابنُ قُتيبةَ عن يُونس البَصري أنه قال: الصَّرْفُ: الحِيْلَةُ مِنْ قولهم: إنه لَيَتصرَّفُ. قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي: بالشِركِ ﴿نُذِقْهُ﴾ في الآخرة. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، والضَّحَّاكُ، وأبو الجَوزاءِ وقَتادَةُ: «يذقه» بالياء ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: شديداً. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال الزَّجَاج: في الآية مَحذوفٌ، تقديره: وما أرسَلنا قَبلَكَ رُسُلاً مِنَ المُرسَلين، فحُذِفَتْ رسلاً لأنَّ قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يدلُّ عليها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ أي: إنهم كانوا على مِثْلِ حالِكَ،

[١٠٤٨] لا أصل له في المرفوع، وإنما هو من كلام بعض السلف. وانظر «تفسير القرطبي» ١٣/ ١٤.

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى السهمي كما في «اللسان» ـ بور ـ و «مجاز القرآن»: ٢/ ٧٣.

فكيف تكون بذعاً منهم؟! فإنْ قيلَ: لِمَ كُسِرَتْ «إنهم» هاهنا، وفُتِحتْ في براءة في قوله تعالى: ﴿أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾[1] فقد بيَّنَّا عِلَّةَ فَتْحِ تلك؛ فأمَّا كَسرُ هذه فذكرَ ابنُ الأنباري فيه وَجهين: **أحدهما**: أنْ تكونَ فيها واوٌ للحالِ مُضمَرةٌ، فكُسِرَتْ بعدَها «إنّ» للاستئناف، فيكون التقدير: إلاَّ وإنَّهم لَيأكلونَ الطعامَ، فأُضمِرَتِ الواوُ هاهنا كما أُضمِرتْ في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[2]، والتأويلُ، أو وَهُمْ قائلون. **والثاني**: أنْ تكونَ كُسِرَتْ لإضْمارِ «مَنْ» قبلَها، فيكون التقدير: وما أرسَلْنا قبلكَ مِنَ المُرسَلين إلاَّ مَنْ إنهم لَيأكلون، قال الشاعر:

فَظَلُّوا ومِنهُمْ دَمْعُه سابِقٌ له وآخَرُ يَثْني دَمْعَةَ العَيْنِ بالمَهْلِ[3]

أردا: مَنْ دَمعُه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ الفِتنَةُ: الابتِلاءُ والاختِبارُ. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه افتِتَانُ الفقير بالغني، يقول: لو شاءَ لَجعلني غنياً، والأعمَى بالبَصير، والسَّقيم بالصَّحيح، قاله الحَسنُ. **والثاني**: ابتلاءُ الشَّريفِ بالوَضِيع، والعَربيّ بالمَولَى، فإذا أراد الشَّريفُ أنْ يُسْلِمَ فرأَى الوَضِيعَ قد سَبقَهُ بالإسلام أَنِفَ فأقامَ على كُفرِه، قاله ابنُ السَّائب. **والثالث**: أنَّ المُستَهزئينَ مِنْ قُريشٍ كانوا إذا رَأَوا فقراءَ المؤمنين، قالوا: انظُروا إلى أتباعِ محمَّدٍ مِنْ مَوالينا ورُذالَتِنا، قاله مُقاتِلٌ. فعَلَى الأول: يكون الخِطابُ بقوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ لأهلِ البَلاءِ. وعلى الثاني: للرُّؤساءِ، فيكون المعنى: أَتصبرُونَ على سَبْقِ المَوالي والأتباع. وعلى الثالث: للفقراء؛ والمعنى: أَتصبرُونَ على أذى الكفار واستِهزائِهم، فالمعنى: قد عَلِمتُم ما وُعِدَ الصَّابرون، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمَنْ يَصبرُ وبِمَنْ يَجزَعُ.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعثَ ﴿لَوْلَآ﴾ أي: هلاَّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فكانوا رُسُلاً إلينا وأخبَرُونا بصِدقِكَ، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيُخبرَنا أنَّكَ رَسُوله، ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تكبَّروا حينَ سألوا هذه الآياتِ ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ قال الزَّجَّاج: العُتُوُّ في اللغة: مُجاوَزةُ القَدْرِ في الظُّلم. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عند الموت. **والثاني**: يوم القيامة. قال الزَّجَّاجُ: وانتَصبَ اليومُ على معنى: لا بُشرى للمجرمين يومَ يَرونَ الملائكةَ، و «يَومَئِذٍ» مؤكِّدٌ لـ «يومَ يَرَوْنَ الملائكةَ»؛ والمعنى أنهم يُمنَعون البُشرى في ذلك اليوم؛ ويجوز أنْ يكونَ «يومَ» منصوباً على معنى: اذكُرْ يومَ يَرونَ الملائكةَ، ثم أخبرَ فقال: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ والمجرمون هاهنا: الكفَّارُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وقرأ قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، ومعاذٌ القارئُ: «حُجْراً» بضمِّ الحاء. قال الزَّجَّاجُ: وأصلُ الحجر في اللغة: ما حَجَرتَ عليه، أي: مَنَعتَ مِنَ أن يُوصَلَ إليه، ومنه حَجْرُ

---

(١) التوبة: ٥٤. (٢) الأعراف: ٤.
(٣) البيت لذي الرمّة كما في ديوانه ص ٥٧٠.

القُضاةِ على الأيتام. وفي القائلين لهذا قولان[١]: **أحدهما**: أنهم الملائكةُ يقولون للكفَّارِ: حِجْراً مَحجُوراً، أي: حَراماً مُحرَّماً. وفيما حرَّموه عليهم قولان: أحدهما: البُشرى، فالمعنى: حرامٌ مُحرَّمٌ أنْ تكونَ لكم البشرى، قاله الضَّحَّاكُ، والفرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. والثاني: أنْ تدخلوا الجنَّةَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه قولُ المشركين إذا عَايَنوا العذابَ، ومعناه الاستِعاذَةُ مِنَ الملائكة، رُوي عن مُجاهِدٍ أيضاً. وقال ابنُ فارسٍ: كان الرَّجلُ إذا لَقِيَ مَنْ يخافُه في الشهرِ الحَرام، قال: حِجْراً مَحجُوراً أي: حرامٌ عليكَ أذايَ، فإذا رأى المشركون الملائكةَ يومَ القيامةِ، قالوا: حِجْراً مَحجُوراً، يظنُّون أنه يَنفَعُهم كما كان يَنفعُهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: أي: قَصَدْنا وعَمَدْنا، والأصل أنَّ مَنْ أراد القُدُومَ إلى موضعٍ عَمَدَ له وقَصدَهُ. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي مِنْ أعمالِ الخيرِ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾ لأنَّ العملَ لا يُتقبَّل مع الشِّركِ. وفي الهَبَاءِ خمسةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه ما رأيتَهُ يَتطايرُ في الشمس التي تدخلُ في الكُوَّةِ مثل الغُبارِ، قاله عليٌّ رضي الله عنه، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ، واللغويون؛ والمعنى أنَّ الله أحبطَ أعمالَهم حتى صارت بمنزلة الهَبَاءِ. **والثاني**: أنه الماء المُهرَاقُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه ما تَنسِفُهُ الرِّياحُ وتَذرِيه مِنَ التراب وحُطَام الشجر، رواه عطاءٌ الخُراساني عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه الشَّرَرُ الذي يطير مِنَ النار إذا أُضرِمَتْ، فإذا وَقعَ لم يكُنْ شيئاً، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه ما يَسطَعُ مِنْ حَوافِرِ الدَّوابِ، قاله مُقاتِلٌ. والمَنثُورُ: المُتفرِّقُ.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضلُ مَنزِلاً مِنَ المشركين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المَقِيلُ: المُقامُ وقتَ القائلَةِ، وهو النَّومُ نِصفَ النهار. وقال الأزهَريُّ: القَيلُولَةُ عند العرب: الاستِراحَةُ نِصفَ النهار إذا اشتدَّ الحَرُّ وإنْ لم يكُنْ مع ذلك نَومٌ. وقال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ: لا يَنتَصِفُ النهارُ مِنْ يومِ القيامة حتى يَقِيلَ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ وأهلُ النارِ في النارِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٣٧٨: يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا **﴿لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا﴾** بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم بخير **﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾** يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجراً محجوراً، حراماً محرّماً عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله. وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك لأن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام. ووافقه ابن كثير رحمه الله ٣/ ٣٩٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩١: وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية، وذلك أنهم عملوا أعمالاً اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، إذ إنها لا شيء بالكلية. وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق، الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية، كما قال تعالى: **﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصفٍ لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ ذلك هو الضلال البعيد﴾**. وقال تعالى: **﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾** وهذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشرّ فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل. فأعمال الكفار لا تخلو من واحدٍ من هذين، وقد تجمعهما معاً، فتكون أبعد من القبول حينئذٍ.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ هذا معطوفٌ على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، وقرأ ابن كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تَشَّقَّقُ» بالتشديد، فأدغَمُوا التاءَ في الشين، لأنَّ الأصلَ: تَتشقَّقُ. قال الفرَّاءُ: المعنى: تَتشقَّقُ السماءُ عنِ الغَمَام، وتَنزِلُ فيه الملائكةُ، و «على» و «عن» و «الباء» في هذا الموضع بمعنًى واحدٍ، لأنَّ العرب تقول: رَميتُ عن القَوسِ، وبالقَوسِ، وعلى القَوسِ، والمعنى واحدٌ. وقال أبو عليٍّ الفارسِي: المعنى: تَتشقَّقُ السماءُ وعليها غَمامٌ، كما تقول: رَكِبَ الأميرُ بسلاحِه، وخرجَ بثيَابِه، وإنما تَتشقَّق السماءُ لِنزُولِ الملائكة. قال ابنُ عباسٍ: تَتشقَّقُ السماءُ عن الغَمام، وهو الغَيْمُ الأبيضُ، وتنزلُ الملائكةُ في الغَمام. وقال مُقاتِلٌ: المراد بالسماء: السَّموات، تَتشقَّقُ عن الغَمام، وهو غَمامٌ أبيضُ كهيئَةِ الضَّباب، فتنزلُ الملائكةُ عند انشِقاقِها. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ونُنْزِلُ» بنونين، الأُولى مَضمُومَةٌ، والثانية ساكنةٌ، واللامَ مضمومةٌ، و «الملائكة» نصباً. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «ونَزَّلَ» بنونٍ واحدةٍ مفتوحةٍ ونصبِ الزاي وتشديدِها وفتح اللام ونصبِ «الملائكةَ». وقرأ ابنُ يَعْمَرَ: «ونَزَلَ» بفتح النون واللام والزاي والتخفيفِ «الملائكةُ» بالرفع. قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: المُلْكُ الذي هو المُلْكُ حقّاً للرَّحمن(1). فأمَّا العَسِيرُ، فهو الصَّعبُ الشديدُ يشتدُّ على الكفار، ويَهونُ على المؤمنين فيكون كمِقدَارِ صلاةٍ مكتُوبَةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ في سبب نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٠٤٩] **أحدها**: أنَّ أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ كان يحضرُ عند رسولَ الله ﷺ ويُجالِسُه مِنْ غير أنْ يؤمنَ به، فزَجَرهُ عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ عن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطاءُ الخُراساني عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٥٠] **والثاني**: أنَّ عُقبةَ دَعَا قوماً فيهم رسولُ الله ﷺ لطعام فأكَلوا، وأَبَى رسولُ الله ﷺ أنْ يأكلَ، وقال: «لا آكلُ حتى تَشهَدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ»، فشَهِدَ بذلك عُقبَةُ، فبلغَ ذلك

[١٠٤٩] أخرجه الطبري ٢٦٣٤٧، وإسناده ضعيف جداً، فيه عنعنة ابن جريج، وهو مدلس، وفيه إرسال بين عطاء الخراساني وابن عباس.

[١٠٥٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٣٥١ عن مجاهد به. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ٤٠١ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره، والكلبي كذاب متهم، وأبو صالح ضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٥٧ م و «الوسيط» ٣/ ٣٣٩ بدون إسناد.

الخلاصة: الخبر واهٍ، وتخصيص الآية بواحد من بدع التأويل، بل «ال» في الظالم لاستغراق الجنس، فالآية تعم كل ظالم كافر، وعقبة داخل في العموم ومثله أبي بن خلف وغيرهما.

---

(1) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٣: وقوله ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ كما قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾ وفي الصحيح: «أن الله يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين بيده ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»».

أُبيَّ بنَ خَلَفٍ، وكان خليلاً له، فقال: صَبوتَ يا عُقبَةُ؟ فقال: لا واللهِ، ولكنه أَبى أنْ يأكلَ حتى قلتُ ذلك، وليس مِنْ نفسي، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

[١٠٥١] **والثالث**: أنَّ عُقبةَ كان خليلاً لأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ، فأسلَمَ عُقبَةُ، فقال أُميَّةُ: وَجْهي مِنْ وَجْهِكَ حرامٌ إنْ تابعتَ محمَّداً، فكفَرَ وارتدَّ لرِضى أُميَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الشَّعبيُّ.

فأمَّا الظالمُ المذكورُ هاهنا، فهو الكافرُ، وفيه قولان:

أحدهما: أنه أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: عُقبَةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، قاله مُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ. وقال عطاءٌ: يأكلُ يَدَيْهِ حتى تذهبا إلى المِرفقين، ثم تَنْبُتان، فلا يزالُ هكذا كلَّما نَبتَتْ يَدُهُ أكلَهَا ندامةً على ما فَعلَ.

قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ﴾ الأكثرون يُسَكِّنون «يا ليتني»، وأبو عمرو يُحَرِّكها، قال أبو عليٍّ: والأصلُ التَّحريكُ، لأنها بإزاءِ الكافِ التي للخطَابِ، إلاَّ أنَّ حرفَ اللِّينِ تُكرَهُ فيه الحَركةُ، ولذلك أسكَنَ مَنْ أسكَنَ؛ والمعنى: لَيتَني اتَّبَعتُه فاتَّخذتُ معه طريقاً إلى الهُدى.

قوله تعالى: ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ في المُشارِ إليه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عَنَى أُبيَّ بنَ خَلَفٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عُقبَةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، قاله أبو مالكٍ. **والثالث**: الشيطان، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله السُّدِّيُّ. فإنْ قيلَ: إنما يُكَنِّي مَنْ يخاف المُباداَةَ أو يحتاجُ إلى المُداجاةِ، فمَا وَجْهُ الكِنايةِ؟ فالجواب: أنه أراد بالظالم: كلَّ ظالم، وأراد بفُلانٍ: كلَّ مَنْ أُطِيعَ في معصية الله وأُرضِيَ بسَخَطِ الله، وإنْ كانت الآيةُ نزلت في شخصٍ، قاله ابنُ قُتَيبة.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: صَرفني عن القرآنِ والإيمانِ به ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ مع الرسول، وهاهنا تَمَّ الكلامُ. ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني: الكافر ﴿خَذُولًا﴾ يَتبرَّأُ منه في الآخرة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ يعني محمَّداً ﷺ، وهذا عندَ كثيرٍ مِنَ العلماء أنه يقوله يومَ القيامة؛ فالمعنى: ويقولُ الرَّسولُ يومَئذٍ. وذهبَ آخرون، منهم مُقاتِلٌ، إلى أَنَّ الرَّسولَ قال ذلك شاكِياً مِن قومه إلى الله تعالى حين كذَّبوه[1]. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «إن قوميَ اتخذوا» بتحريكِ الياء؛ وأسكَنَها عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحَمزَةُ، والكِسَائيُّ.

[١٠٥١] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٦٣٤٨ عن الشعبي هكذا مرسلاً.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٤: يقول الله تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ دائماً إلى يوم الدين ـ أنه قال: **﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾**. وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعونه، وكانوا إذا تلي عليهم أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه. فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه وترك تفهمه وتدبره من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، =

وفي المراد بقوله: ﴿مَهْجُورًا﴾ قولان: **أحدهما**: متروكاً لا يَلتفِتونَ إليه ولا يُؤمنون به، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ، ومُقاتِلَ. **والثاني**: هَجَروا فيه، أي: جَعلُوه كالهَذَيان، ومنه يقال: فلانٌ يَهْجُر في منامه، أي: يَهْذِي، قاله ابنُ قُتَيبة. وقال الزَّجَّاجُ: الهُجْرُ: ما لا يُنتفَعُ به مِنَ القول: قال المُفسِّرون: فعَزَّاهُ الله عزَّ وجلَّ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: كما جعلنا لكَ أعداءً مِن مُشركي قومِكَ، جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدواً مِن كفَّارِ قومه؛ والمعنى: لا يَكْبُرَنَّ هذا عليكَ، فلَكَ بالأنبياء أُسوةٌ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لكَ ﴿وَنَصِيرًا﴾ يمنعكَ مِنْ عدوِّكَ. قال الزَّجَّاجُ: والباءُ في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدةٌ؛ فالمعنى: كَفَى ربُّكَ هادياً ونصيراً.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: كما أُنزلَتِ التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أنزلناهُ كذلك مُتفرِّقاً، لأنَّ معنى ما قالوا: لِمَ نُزِّلَ عليه مُتفرِّقاً؟ فقيلَ: إنما أنزلناهُ كذلك ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي: لِنُقوِّي به قلبَكَ فتزدادَ بصيرةً، وذلك أنه كان يأتيه الوَحيُ في كلِّ أمرٍ وحادثةٍ، فكان أقوى لقلبه وأنورَ لبصيرتِه وأبعدَ لاستيحاشِه، ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أنزلناه على التَّرتيلِ، وهو التَّمكُّثُ الذي يُضادُّ العَجَلةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني المشركين ﴿بِمَثَلٍ﴾ يضربونه لكَ في مُخاصَمَتِكَ وإبطالِ أمركَ ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالذي هو الحقُّ لِنَرُدَّ به كيدَهُم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ مِنْ مَثَلِهم؛ والتفسيرُ: البيانُ والكَشفُ. قال مُقاتِلٌ: ثم أخبرَ بمُستقرِّهم في الآخرة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنَّ محمَّداً وأصحابه شرُّ خَلْقِ الله، فنزلت هذه الآيةُ. قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ أي: مَنزِلاً ومَصِيراً ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ديناً وطَريقاً مِنَ المؤمنين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾. إنْ قيلَ: إنما عَاينُوا الآيات بعد وجود الرسالة، فكيف يقعُ التَّكذيبُ منهم قبلَ وجودِ الآياتِ؟ فالجواب: أنهم كانوا مُكذِّبين أنبياءَ الله وكُتُبَه

= وترك العمل به من امتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره، من هجرانه. فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهّاب.

المُتقدِّمة، ومَنْ كذَّبَ نبياً فقد كذَّبَ سائرَ الأنبياء، ولهذا قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾، وقال الزَّجَّاجُ: يجوز أَنْ يكونَ المرادَ به نوحٌ وحدَهُ، وقد ذُكِرَ بلفظِ الجنس، كما يُقال: فلانٌ يركبُ الدَّوابَّ، وإنْ لم يَرْكَبْ إلاَّ دابَّةً واحدةً؛ وقد شرحنا هذا في سُورةِ هُودٍ عند قوله: ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾[١]. وقد سبق معنى التَّدميرِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ في الرَّسِّ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بِئرٌ كانت تسمَّى الرَّسَّ، قاله ابنُ عباسٍ في روايةِ العَوفيِّ. وقال في روايةِ عِكرمَةَ: هي بِئرٌ بأذْربيجَانَ. وزعم ابنُ السَّائبِ أنها بِئرٌ دونَ اليَمامَةِ. وقال السُّدِّيُّ: بِئرٌ بأنطاكيَّةَ. **والثاني**: أنَّ الرَّسَّ قريةٌ مِنْ قُرى اليَمامَةِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنها المَعْدِنُ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ.

وفي تسمِيَتِها بالرَّسِّ قولان: **أحدهما**: أنهم رَسُّوا نبيَّهم في البِئر، قاله عِكرمَةُ. قال الزَّجَّاجُ: رَسُّوهُ، أي: دَسُّوهُ فيها. **والثاني**: أنَّ كلَّ رَكِيَّةٍ لم تُطْوَ فهي رَسٌّ، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

واختلفوا في أصحابِ الرَّسِّ على خمسةَ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنهم قومٌ كانوا يَعبدون شجرةً، فبَعثَ اللهُ إليهم نبياً مِنْ وَلَدِ يَهُوذَا بنِ يعقوبَ، فحفروا له بِئراً وألقَوهُ فيها، فهَلَكُوا، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ. **والثاني**: أنهم قومٌ كان لهم نبيٌّ يُقال له: حَنظَلَةُ بنُ صَفوانَ، فقتَلُوا نبيَّهم فأهلَكَهُم اللهُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنهم كانوا أهلَ بئرٍ ينزلون عليها، وكانت لهم مَوَاشٍ، وكانوا يَعبدون الأصنامَ، فبَعثَ اللهُ إليهم شُعَيباً، فتمادَوا في طُغيانِهم، فانهَارَتِ البِئرُ، فخُسِفَ بهم وبِمَنازِلِهم، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والرابع**: أنهم الذين قتلوا حَبِيباً النَّجَّارَ، قتلوه في بِئرٍ لهم، وهو الذي قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٣]، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنهم قومٌ قتلوا نبيَّهم وأكلُوهُ، وأولُ مَنْ عَمِلَ السِّحرَ نِساؤهم، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَقُرُونَۢا﴾ المعنى: وأهلَكْنا قُروناً ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عَادٍ وأصحابِ الرَّسِّ. وقد سبقَ بيانُ القُرونِ[٤]؛ وفي هذه القَصَصِ تهديدٌ لقُريشٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي: أعذَرْنا إليه بالمَوعظَةِ وإقامةِ الحُجَّةِ ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: التَّتبِيرُ: التدمِيرُ، وكلُّ شيءٍ كَسرتَهُ وفتَّتَّه فقد تبَّرتَهُ، وكُسَارَتُه: التِّبْرُ، ومِنْ هذا قيلَ لِمكسُورِ الزُّجَاجِ: التِّبْرُ، وكذلك تِبرُ الذهب.

---

(١) هود: ٥٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٧: واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود، الذين ذكروا في سورة البروج، والله أعلم.

(٣) يس: ٢٠.

(٤) الأنعام: ٦. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٣٩٧: وقوله ﴿وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ أي: وأمماً بين أصناف من ذكر أهلكناهم كثيرة، والقرن: هو الأمة من الناس، كقوله ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ وحدّه بعض المفسرين بمائة وعشرين سنة، وقيل: بمئة سنة. وقيل: بثمانين سنة، وقيل: أربعين. وقيل غير ذلك، والأظهر أن القرن هم الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد، فإذا ذهبوا وخلفهم جيل فهم قرن ثان، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»... الحديث.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ يعني قريةَ قوم لوطٍ التي رُمِيَتْ بالحِجارةِ ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في أسفارِهم فيعتبِرُوا؟! ثم أخبرَ بالذي جرَّأَهم على التكذيب، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي: لا يخافون بَعْثاً، هذا قولُ المُفسِّرين. وقال الزَّجَّاجُ: الذي عليه أهلُ اللغة أنَّ الرَّجاءَ ليس بمعنى الخَوفِ، وإنما المعنى: بل كانوا لا يَرجُونَ ثوابَ عملِ الخيرِ، فرَكِبُوا المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يَتَّخذُونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مَهزُوءاً به، ثم ذكرَ ما يقولون مِنَ الاستِهزاءِ: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾أي: لِيَصرفَنا عن عبادةِ آلهتِنا ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عِبادَتِها؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ أي: مَنْ أخطأَ طريقاً عن الهُدى، أَهُمْ، أم المؤمنون. ثم عَجَّبَ نبيَّهُ مِنْ جهلِهم حين عَبَدُوا ما دَعاهُم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان أحدُهم يَعبُدُ الحَجَرَ، فإذا رأى ما هو أحسَنُ منه رَمَى به وعَبَدَ الآخَرَ. وقال قَتادةُ: هو الكافر لا يَهوى شيئاً إلاَّ رَكِبَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: يتَّبعُ هَواهُ ويَدَعُ الحقَّ، فهو له كالإلَهِ. قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظاً يحفظُه مِن اتِّباعِ هَواهُ. وزعم الكلبيُّ أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بآيةِ القتال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ؛ والمراد: يسمعون سماع طالبٍ للإفهام ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يُعاينونَ مِنَ الحُجَجِ والأعلامِ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ وفي وَجْهِ تشبيهِهم بالأنعامِ قولان: **أحدهما**: أنَّ الأنعَامَ تسمعِ الصوتَ ولا تَفقَهُ القولَ. **والثاني**: أنه ليس لها هَمٌّ إلاَّ المأكلُ والمَشربُ. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنَّ البهائمَ تهتدي لِمَراعيها وتَنقادُ لأربابِها وتُقبِلُ على المُحسِنِ إليها، وهم على خلافِ ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى فِعْلِ ربِّكَ. وقال الزَّجّاجُ: معناه: أَلَمْ تعلَمْ، فهو مِنْ رُؤيةِ القلب، ويجوز أن يكونَ مِنْ رؤيةِ العَينِ، فالمعنى: أَلَمْ ترَ إلى الظِّلِّ كيف مَدَّه ربُّكَ؟ والظِّلُّ مِنْ وقتِ طلوعِ الفَجرِ إلى وقتِ طُلوعِ الشمسِ ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتاً لا يزولُ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فالشمس دليل على الظل، فلولا الشمس ما عُرِف أنه شيء، كما أنه لولا النُّورُ ما عُرِفَتِ الظُّلمةُ، فكلُّ الأشياء تُعرَفُ بأضدادِها. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ يعني: الظِّلَّ ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: سريعاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: خَفِيّاً، قاله مُجاهِدٌ. وفي وقتِ قَبْضِ الظِّل قولان: **أحدهما**: عند طُلوعِ الشمس يُقبض الظِّل وتجمع أجزاؤه المنبسطة بتسليط الشمس عليه حتى تَنسِخَهُ شيئاً فشيئاً. **والثاني**: عند غروبِ الشمسُ تُقبَضُ أجزاءُ الظِّلِّ بعدَ غروبها، ويُخلَفُ كلُّ جزءٍ منه جزءاً مِنَ الظلام.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ساتِراً بظُلمَتِه، لأنَّ ظُلمتَهُ تغشى الأشخاصَ وتشتمل عليها اشتمالَ اللبَاس على لابِسِه ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: راحةً، ومنه يومُ السَّبتِ، لأنَّ الخَلْقَ اجتمع يومَ الجُمعةِ، وكان الفَراغُ منه في يومِ السَّبتِ، فقيلَ لِبَني إسرائيلَ: استَريحوا في هذا اليوم ولا تَعمَلُوا فيه شيئاً، فسُمِّيَ يومَ السَّبتِ، أي: يومَ الرَّاحةِ، وأصلُ السَّبتِ: التَّمدُّدُ، ومَنْ تمدَّدَ استراحَ. وقال ابنُ الأنبَاري: أصلُ السَّبتِ، القَطْعُ، فالمعنى: وجعلنا النَّومَ قَطْعاً لأعمالِكُم. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تنتشرون فيه لابتِغاءِ الرِّزقِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تُنشَرُ الرُّوحُ باليَقظةِ كما تُنشَرُ بالبَعثِ، حكاه المَاوَردِي. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قد شرحناه في الأعراف[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ يعني: المطر. قال الأزْهَريُّ: الطَّهُور في اللغة: الطَّاهِرُ المُطهِّر. والطَّهُورُ ما يُتَطَهَّر به، كالوَضوءِ الذي يُتَوضَّأ به، والفَطُور الذي يُفطَرُ عليه.

قوله تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو الجَوزاءِ، وأبو جعفرَ: «مَيِّتاً» بالتشديد. قال الزَّجّاجُ: لفظُ البَلدة مؤنَّثٌ، وإنَّما قيلَ: «ميتاً» لأنَّ معنى البَلدةِ والبَلَدِ سواءٌ. وقال غيرُه: إنما قال: «ميتاً»، لأنه أراد بالبَلدةِ المكانَ. وقد سبقَ معنى صِفةِ البَلدةِ بالموتِ. ومعنى: «ونُسْقِيَهُ»[2]. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، والضَّحَّاكُ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «نَسْقِيَهُ» بفتح النون. فأمَّا الأناسِيُّ، فقال الزَّجّاجُ: هو جمعُ إنسِيّ، مثل كُرسيّ وكَراسِي، ويجوز أن يكونَ جمعَ إنسانٍ، وتكون الياءُ بَدَلاً مِنَ النون، الأصل: أناسِين مثل سَراحِين. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو العَالِيةِ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «وأناسيَ» بتخفيف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ يعني المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ مرَّةً لهذه البَلدَةِ، ومرَّةً لهذه ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ أي: لِيَتفكَّروا في نِعَمِ الله عليهم فيه فيَحمَدُوه. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: «لِيَذْكُروا» خفيفةَ الذال. قال أبو عليٍّ: يَذْكُر في معنى يتذكَّر، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ وهم الذين يقولون: مُطِرنا بنَوْءِ كذا وكذا، كفروا بنِعمَةِ الله. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ المعنى: إنَّا بعثنَاكَ إلى جميعِ القُرَى لِعظَمِ كرامَتِكَ، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ دَعَوهُ إلى دِينِ آبائهم، ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ **أي بالقرآن** ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: تامّاً شديداً.

---

(١) الأعراف: ٥٧. (٢) الحجر: ٢٤.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: خَلَّى بينهما؛ تقول: مَرجتُ الدّابَّة وأَمْرَجتُها: إذا خلَّيتَها تَرعَى. ومنه الحديث:

[١٠٥٢] «مَرَجَتْ عُهودُهم وأَماناتُهم» أي: اختلطَتْ.

قال المُفسِّرون: والمعنى(١) أنه أرسلَهُما في مَجاريهما، فما يلتقيَانِ، ولا يَختلِطُ المَلحُ بالعَذْبِ، ولا العَذبُ بالمَلح، وهو قوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ يعني: أحدَ البَحرينِ ﴿عَذْبٌ﴾ أي: طيِّبٌ، يُقال: عَذُبَ الماءُ يَعْذُبُ عُذوبةً، فهو عَذْبٌ. قال الزَّجّاجُ: والفُراتُ صِفةٌ للعَذْبِ، وهو أشدُّ الماء عُذوبةً، والأُجاجُ صِفةٌ للمَلحِ، وهو: المُرُّ الشديدُ المَرارَةِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو أشدُّ الماءِ مُلوحةً، وقيلَ: هو الذي

[١٠٥٢] صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢١٢ وأبو داود ٤٣٤٣ من طريق يونس بن أبي إسحاق عن هلال بن خباب به من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وهلال بن خباب حسن الحديث إذا لم يخالف ثقة. وأخرجه أحمد ٢/ ٢٢١ وأبو داود ٤٣٤٢ وابن ماجه ٣٩٥٧ من طريق أبي حازم، حدثنا عمارة بن عمرو به. وصححه الحاكم ٤/ ٤٣٥ ووافقه الذهبي، وهو كما قالا. وأخرجه أحمد ٢/ ١٦٢ من طريق إسماعيل عن يونس عن الحسن أن عبد الله بن عمرو قال: وهذا إسناد فيه كلام. ويشهد له حديث أبي هريرة الذي أخرجه الدولابي في «الكنى» ٢/ ٣٥ وصححه ابن حبان ١٨٤٩. وأخرجه البخاري ٤٧٨ من طريق حامد بن عمر عن بشر، عن عاصم عن واقد عن أبيه عن ابن عمر ـ أو ابن عمرو ـ «شبك النبي ﷺ أصابعه». وعلقه البخاري ٤٨٠. قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ «يا عبد الله بن عمرو، كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس، بهذا». وقال الحافظ في الفتح ١/ ٥٦٦ بعد أن ذكر هذا: (وقد ساقه الحميدي في الجمع بين الصحيحين نقلاً عن أبي مسعود)، وزاد هو: «قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا، وشبك بين أصابعه». وأخرجه أبو يعلى ٥٥٩٣ بتمامه: وهو عند أحمد من حديث عبد الله بن عمرو قال: «بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكروا الفتنة أو ذكرت عنده»، قال: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال: فقمت إليه فقلت له: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة».

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٠٠: وقوله ﴿وهو الذي مرج البحرين...﴾ أي خلق الماءين: الحلو والملح. والحلو كالأنهار والعيون والآبار، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزلال، واختاره ابن جرير وهذا لا شك فيه، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات. والله سبحانه إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليشكروه، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس، فرّقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهاراً وعيوناً في كل أرض، بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم. وقوله: ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي: مالح مر زعاق لا يستساغ، وذلك كالبحار المعروفة الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب، وتغتلم في زمن الشتاء وشدة الرياح، ومنها ما فيه مد وجزر ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض، فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت بعد الليلة الرابعة عشرة فأجرى الله تعالى ـ وله القدرة التامة ـ العادة بذلك فكل هذه البحار الساكنة مالحة الماء لئلا يحصل بسببها نتن الهواء، فيفسد الجو بذلك، ولئلا تجوى الأرض بما يموت فيها من الحيوان، ولما كان ماؤها مِلحاً كان هواؤها صحيحاً وميتتها طيبة.

يُخالِطهُ مرارةٌ، ويُقال ماءٌ مِلحٌ، ولا يُقال مالحٌ، والبَرزَخُ: الحَاجِزُ. وفي هذا الحَاجِزِ قولان: **أحدهما**: أنه مانعٌ مِنْ قُدرةِ الله تعالى، قاله الأكثرون، قال الزَّجَّاجُ: فهما في مَرْأى العَينِ مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر. قال أبو سليمان الدمشقي: ورأيت عند عَبَّادان مِنْ سَوادِ البَصرَةِ الماء العَذبَ ينحَدِرُ في دِجلَةَ نحوَ البحرِ، ويأتي المَدُّ مِنَ البحر، فيلتقيان، فلا يختَلِطُ أحدُ الماءَينِ بالآخَرِ، يُرى ماءُ البحرِ إلى الخُضرَةِ الشديدةِ، وماءُ دِجلَةَ إلى الحمرة الخفيفة فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عَذباً لا يُخالِطُه شيءٌ، وإلى جانبه ماءُ البحرِ في مكانٍ واحد. **والثاني**: أنَّ الحاجِزَ: الأرضُ واليَبَسُ، وهو قولُ الحسَنِ، والأولُ أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: حراماً مُحرَّماً أنْ يغلبَ أحدُهما صاحبَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ أي من النطفة بشراً أي: إنساناً ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ﴾ أي: ذا نَسَبٍ وصِهْرٍ. قال عليٌّ عليه السلام: النَّسَبُ: ما لا يَحِلُّ نِكاحُه، والصِّهرُ: ما يَحِلُّ نِكاحُه. وقال الضَّحَّاكُ: النَّسَبُ سبعٌ، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾، والصِّهرُ خمسٌ، وهو قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾[(١)]. وقال طَاوسٌ: الرَّضاعَةُ مِنَ الصِّهرِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «نَسباً» أي: قَرابَةَ النَّسَبِ، «وَصِهراً» أي: قَرابَةَ النِّكاحِ. وكلُّ شيءٍ مِنْ قِبَلِ الزَّوجِ، مثل الأبِ والأخِ، فهم الأحماءُ، واحدُهم حَماً، مثل: قَفاً، وحَمُو مثل أَبُو، وحَمْء مهموزٌ ساكِنُ الميم، وحَمٌ مثل أبٍ. وحَماةُ المرأة: أُمُّ زوجِها، لا لغةَ فيها غير هذه، وكلُّ شيءٍ مِنْ قِبَلِ المرأة، فهُم الأختانُ. والصِّهرُ يَجمع ذلك كلَّه. وحكى ابنُ فارسٍ عن الخَليلِ، أنه قال: لا يُقالُ لأهلِ بيتِ الرجل إلاَّ أَختانٌ، ولأهلِ بيت المرأة إلاَّ أصهارٌ. ومِنَ العرب مَنْ يجعلهم أصهاراً كلَّهم. والصَّهْرُ: إذابَةُ الشيء. وذكَرَ المَاوَرديِ أنَّ المَناكِحَ سُمِّيتْ صِهراً، لاختلاطِ الناس بها كما يختَلِطُ الشيءُ إذا صُهِرَ.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: مُعِيناً للشيطان على رَبِّه، لأنَّ عِبادَتَهُ الأصنامَ مُعاونَةٌ للشيطان. **والثاني**: مُعيناً للمشركين على أنْ لا يُوحِّدوا الله تعالى. **والثالث**: مُعِيناً على أولياءِ ربِّه. **والرابع**: وكان الكافرُ على رَبِّه هَيِّناً ذليلاً، مِنْ قولِكَ: ظَهرتُ بفُلانٍ: إذا جَعلتَهُ وراءَ ظَهرِكَ ولم تلتَفِتْ إليه. قالوا: والمراد بالكافر هاهنا أبو جَهلٍ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا

---

(١) النساء: ٢٣.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٤١٠: يقول الله تعالى ذكره، ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم إذا عبدوها ولا تضرهم إذا تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس، فلم يكن لمن غضب عليه عنه ناصر، ولا له عنه دافع **﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾** فكان الكافر معيناً للشيطان على ربه، مظاهراً له على معصيته.

﴿قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا توكيدٌ لِصِدْقِه، لأنه لو سألَهم شيئاً مِنْ أموالِهم لاتَّهموهُ. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ﴾ معناه: لكنْ مَنْ شاء ﴿أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بإنفاقِ مالِه في مَرضاةِ الله، فَعلَ ذلك، فكأنه قال: لا أسألُكم لِنفسي. وقد سبقَ تفسيرُ الكلماتِ التي تَلِي هذه(١)، إلى قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾، و «به» بمعنى: «عنه»، قال ابنُ أحمَر(٢):

فإنْ تَسألُوني بالنِّساءِ فإنَّني ... بَصيرٌ بأدْواءِ النِّساءِ طَبيبُ

وفي هاءِ «به» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى. **والثاني**: إلى اسمِه الرَّحمنِ، لأنهم قالوا: لا نَعرفُ الرَّحمنَ. **الثالث**: إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض وغير ذلك. وفي الخبير أربعة أقوال(٣): **أحدها**: أنه جِبريلُ، قاله ابنُ عباسٍ: **والثاني**: أنه اللهُ تعالى، والمعنى: سَلْنِي فأنا الخَبيرُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: القرآن، قاله شِمْرٌ. **والرابع**: مُسْلِمةُ أهلِ الكتاب، قاله أبو سُليمانَ، وهذا يُخرَّجُ على قولِهم: لا نعرفُ الرَّحمنَ، فقيل: سَلُوا مُسْلِمَةَ أهلِ الكتاب، فإنَّ اللهَ خاطبَ موسى في التَّوراةِ باسمِه الرَّحمنِ، فعَلَى هذا، الخِطابُ للنبيِّ ﷺ والمُرادُ سِواهُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ قال المُفسِّرون: إنهم قالوا: لا نعرفُ الرَّحمنَ إلا رَحمنَ اليَمامَةِ، فأنكرُوا أنْ يكونَ مِنْ أسماءِ الله تعالى، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ: «يأمُرنا» بالياء، أي: لِمَا يأمُرنا به محمَّدٌ، وهذا استفهامُ إنكارٍ، ومعناها: لا نَسجُدُ للرَّحمن الذي تأمُرنا بالسُّجودِ له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذِكرُ الرَّحمنِ ﴿نُفُورًا﴾ أي: تباعداً مِنَ الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ قد شرحناه في الحِجْر(٤): والمُرادُ بالسِّراج: الشمسُ. وقرأ حَمزَةُ، والكِسائيُّ: «سُرُجاً» بضمِّ السينِ والراء وإسقاطِ الألِفِ. قال الزَّجَّاجُ: أراد: الشمسَ والكواكبَ العِظامَ؛ ويجوز «سُرْجاً» بتسكينِ الراء، مثل رُسْل ورُسُل. قال المَاورديُّ: لَمَّا اقترَنَ بضَوءِ الشمس وَهجُ حَرِّها، جعلها لأجلِ الحرارة سِرَاجاً، ولمَّا عُدِمَ ذلك في القمرِ جعله نُوراً.

---

(١) البقرة: ٣٠ وآل عمران: ١٥٩ والأعراف: ٥٤.

(٢) بل هو علقمة بن عبدة والبيت في ديوانه ١١ و «أدب الكاتب» ٥٠٥.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٠٢: وقوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ﷺ ـ فهو سيد ولد آدم على الإطلاق، في الدنيا والآخرة، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ـ فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب ردّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله أفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائناً من كان. قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾، وقال: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾.

(٤) الحجر: ١٦.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُخالف الآخرَ في اللونِ، فهذا أبيضُ، وهذا أسودُ، رَوى هذا المعنى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادةُ. **والثاني**: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَخْلُفُ صاحبَهُ، رواه عمرُو بنُ قيسٍ المُلائي عن مُجاهِدٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ وأهلُ اللغة، وأنشدوا قولَ زُهيرٍ:

بِـهَـا الـعِـيـنُ والآرَامُ يـمْـشِـيـنَ خِـلْـفَـةً   وأطْلاؤُهـا يَـنْـهَـضْـنَ مِـنْ كُـلِّ مَـجْـثَـمِ(١)

أي: إذا ذهبت طائفةٌ جاءت طائفةٌ.

قوله تعالى: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتَّعِظَ ويعتبرُ باختلافِهما. وقرأ حَمزَةُ: «يَذْكُرَ» خفيفة الذال مضمومةَ الكاف، وهي في معنى: يتذكَّر، ﴿أَوْ أَرَادَ﴾ شُكْرَ الله تعالى فيهما.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وقرأ عليٌّ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وابنُ السَّمَيفَع: «يُمَشَّون» برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد. قال ابنُ قُتيبةَ: إنما نَسبَهُم إليه لاصطفائِهِ إيَّاهم، كقوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾(٢)، ومعنى «هَوْناً»: مَشْياً رُوَيداً. ومنه يُقال: أَحْبِبْ حبيبكَ هَوْناً ما. وقال مُجاهِدٌ: يَمشُونَ بالوَقارِ والسَّكِينةِ. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سَداداً. وقال الحَسنُ: لا يجهلون على أحدٍ، وإنْ جُهِلَ عليهم حَلُموا. وقال مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ: «قالوا سلاماً» أي: قَولاً يَسْلَمون فيه مِنَ الإثم. وهذه الآيةُ مُحكَمةٌ عند الأكثرين. وزعم قومٌ أنَّ المُراد بها أنهم يقولون للكفَّارِ: ليس بيننا وبينكُم غيرُ السَّلام، ثم نُسِخَتْ بآيةِ السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: كلُّ مَنْ أدركَهُ الليلُ فقد باتَ، نامَ أو لم يَنَمْ؛ يُقال: باتَ فُلانٌ قَلِقاً، إنما المَبِيتُ إدراكُ الليلِ.

قوله تعالى: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ فيه خمسة أقوالٍ تتقارَبُ معانيها:

[١٠٥٣] **أحدها**: دائماً، رواه أبو سعيدٍ الخُدريُّ، عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: مُوجِعاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مُلِحّاً، قاله ابنُ السَّائبِ؛ وقال ابنُ جُرَيجٍ:

[١٠٥٣] أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٥/ ١٤٢، ولم أقف على إسناده، وتفرده به يدل على وهنه، ولم يذكره القرطبي ولا ابن كثير ولا غيرهما. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٩٨ بتخريجنا.

---

(١) في «اللسان» العين: جمع عيناء، وهي واسعة العين، وهي بقر الوحش. والآرام: جمع رئم، وهو الظبي الخالص البياض. والأطلاء: جمع الطلا: وهو الولد من ذوات الظلف والخف، والطلو والطلا: الصّغير من كل شيء. والمجثم: المربض. وهو الموضع الذي يجثم فيه، أي يقام فيه.

(٢) الأعراف: ٧٣.

لا يُفارق. **والرابع**: هلاكاً، قاله أبو عُبيدَةَ: **والخامس**: أنّ الغرامَ في اللغة: أشدُّ العذابِ، قال الشاعر:

وَيَـوْمَ الـنِّـسـارِ وَيَـوْمَ الـجِـفَـا ... رِ كـانـا عَـذابـاً وكـانـا غَـرَامـاً[1]

قاله الزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: بِئْسَ مَوضِعُ الاستِقرارِ وموضعُ الإقامةِ هي.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو: «يَقتِروا» مفتوحة الياء مكسورةَ التاء. وقرأ عاصِمٌ، وحَمزَةُ، والكِسائيُّ: «يَقتُروا» بفتح الياء وضمِّ التاء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «يُقتِروا» بضمِّ الياء وكَسْرِ التاء. وفي معنى الكلام قولان[2]: **أحدهما**: أنّ الإسرافَ: مُجاوَزةُ الحدِّ في النَّفقةِ، والإقتارُ: التَّقصيرُ عما لا بُدَّ منه، ويدلُّ على هذا قولُ عمرَ بنِ الخطَّاب: كفى بالمَرءِ سَرَفاً أنْ يأكلَ كلَّ ما اشتهى. **والثاني**: أنّ الإسرافَ: الإنفاقُ في معصيةِ الله وإنْ قلَّ، والإقتارُ: مَنعُ حقِّ الله تعالى، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ وابنُ جُرَيجٍ في آخَرين. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ يعني الإنفاق ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين الإسْرافِ والإقتارِ ﴿قَوَامًا﴾ أي: عَدْلاً؛ قال ثَعلبُ: القَوامُ، بفتحِ القاف: الاستقامَةُ والعَدلُ، وبكَسْرِها: ما يَدومُ عليه الأمرُ ويَستقِرُّ.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ في سببِ نُزولها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٠٥٤] **أحدها**: ما رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ أيُّ الذَّنبِ أعظمُ؟ قال: «أن تَجعَلَ لله نِداً وهو خَلَقَكَ»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تَقتُلَ وَلَدَكَ مَخافةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ»، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تُزانيَ حَلِيلَةَ جارِكَ»، فأنزلَ الله تعالى تصديقَها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية.

[١٠٥٥] **والثاني**: أنّ ناساً مِنْ أهلِ الشِّركِ قَتَلُوا فأكثَرُوا وزَنَوا فأكثَرُوا، ثم أتَوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدعُو إليه لَحَسَنٌ لو تُخبِرُنا أنّ لِمَا عَمِلنا كفّارةً، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله

[١٠٥٤] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥٢٠ ومسلم ١/ ٩٠ ح ٨٦ والترمذي ٣١٨٣ والنسائي ٧/ ٩٠ وأحمد ١/ ٣٨٠ و ٤٣١ و ٤٣٤ من حديث ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٧٩٩ و «تفسير القرطبي» ٤٧٢٠.

[١٠٥٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨١٠ ومسلم ١٢٢ وأبو داود ٤٢٧٤ والنسائي في «التفسير» ٤٦٩ والحاكم ٢/ ٤٠٣ والبيهقي ٩/ ٩٨ والواحدي في أسباب النزول ٦٥٨ من طريق يعلى بن مسلم به.

وأخرجه الطبري ٢٦٥١٢ من طريق منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير به.

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم، كما في «تفسير الطبري» ٩/ ٤١٠ وفي «اللسان» ـ غرم ـ نسبه للطرماح.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٤١٢: والصواب من القول أن معنى الإسراف الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك.

تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، أخرجه مُسلمٌ مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٥٦] والثالث: أنَّ وَحشِيًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا محمَّدُ أتيتُكَ مُستَجيراً فأجرني حتى أسمعَ كلامَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: قد كنتُ أُحِبُّ أنْ أراكَ على غيرِ جوارٍ، فأمَّا إذا أتيتَني مُستَجيراً فأنتَ في جِواري حتى تَسمعَ كلامَ الله، قال: فإنِّي أشرَكتُ بالله وقَتلتُ النَّفسَ التي حرَّمَ اللهُ وَزَنيتُ، فهل يقبلُ اللهُ منِّي توبةً؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآيةُ، فَتلاها عليه، فقال: أرَى شَرْطاً، فلعلِّي لا أعملُ صالحاً، أنا في جِوارِكَ حتى أسمعَ كلامَ الله، فنزَلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فدعَاهُ فتلاَها عليه، فقال: ولَعلِّي ممَّنْ لا يَشاءُ، أنا في جِوارِكَ حتى أسمعَ كلامَ الله، فنزلت: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية[١]، فقال: نَعَمْ، الآن لا أرى شَرْطاً، فأسْلَمَ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ؛ وهذا وَحشِيٌّ هو قاتلُ حمزَةَ؛ وفي هذا الحديثِ المذكور عنه نَظَرٌ، وهو بعيدُ الصحَّةِ، والمَحفوظُ في إسلامِه غيرُ هذا، وأنه قَدِمَ مع رُسُلِ الطَّائفِ فأسلَمَ مِنْ غير اشتراطٍ.

وقوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ﴾ معناه: يَعْبُدون. وقد سبقَ بيانُ قَتْلِ النفسِ بالحقِّ في الأنعام[٢].

قوله تعالى: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «يُلَقَّ» برفعِ الياء وفتحِ اللام وتشديدِ القاف مفتوحةً. قال ابنُ عباسٍ: يَلْقَ جزاءً. وقال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ: هو وَادٍ في جهنَّمَ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: يَلْقَ عقوبةً، وأنشد:

جَزَى اللهُ ابنَ عُروَةَ حيثُ أمسَى ... عُقوقاً والعُقوقُ لَهُ أثَامُ[٣]

قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ جزمٌ على الجَزاءِ. قال أبو عمرٍو الشَّيباني: يُقال: قد لَقِيَ أثَامَ ذلك، أي: جزاءَ ذلك، وسِيبَويه والخَليلُ يذهبان إلى أنَّ معناه: يَلقَى جزاءَ الأثَام. قال سِيبَويه: وإنما جُزِمَتْ «يُضَاعَفْ له العذابُ» لأنَّ مُضاعفةَ العذاب لُقِيُّ الآثَامِ، فلذلك جُزِمَتْ، كما قال الشاعر:

مَتَى تَأتِنَا تُلْمِمْ بنَا في دِيارِنا ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً ونَاراً تَأَجَّجَا

لأنَّ الإتيانَ هو الإلمَامُ، فجَزمَ «تُلمِمْ» لأنه بمعنى «تأتي». وقرأ الحسَنُ: «يُضعَّفْ»، وهو جيِّدٌ بالِغٌ؛ تقول: ضاعفتُ الشيءَ وضعَّفتُه. وقرأ عاصِمٌ: «يُضَاعَفُ» بالرَّفعِ على تفسيرِ «يَلْقَ أثاماً» كأنَّ قائلاً قال: ما لُقِيُّ الأثَامِ؟ فقيلَ: يُضاعَفُ للآثِم العذابُ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وقَتادَةُ، وأبو حَيْوَةَ: «يُضعَفْ» برفعِ الياء وسكونِ الضاد وفتحِ العين خفيفةً مِنْ غيرِ ألِفٍ. وقرأ أبو حَصِينٍ الأسَدي، والعُمَري عن أبي

[١٠٥٦] واهٍ. أخرجه الواحدي ٦٦٠ والطبراني ١١٤٨٠ من حديث ابن عباس، قال في المجمع ٧/١٠١: فيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي اهـ. والمتن بهذا اللفظ، وأن وحشياً تردد حتى نزل فيه آيات باطل لا أصل له، وله علة ثانية وهي عنعنة ابن جريج. وانظر «تفسير القرطبي» ٣٥١٧ بتخريجنا.

---

(١) الزمر: ٥٣. (٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) البيت لبلعاء بن قيس الكناني كما في «غريب القرآن» ٣١٥. ونسبه في «اللسان» ـ أثم ـ إلى شافع الليثي. والعقوق: عدم بر الوالدين وقطع صلتهما.

جعفرَ مثلَهُ، إلاَّ أنَّ العينَ مكسورةٌ، و «العذابَ» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُدْ﴾ وقرأ أبو حَيْوَةَ وقتادةُ والأعمَشُ: «ويُخْلَد» برفع الياء وسكونِ الخاء وفتحِ اللام مخففَةً. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري وابنُ يَعمَرَ وأبو المُتوكِّلِ مثلَهُ، إلاَّ أنهم شَدَّدوا اللامَ.

فصل: ولعلماء النَّاسِخِ والمَنسُوخِ في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها مَنسُوخَةٌ؛ وفي ناسِخِها ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾[1]، قاله ابنُ عباسٍ. وكان يقول: هذه مكِّيَّةٌ، والتي في النِّساء مدنيَّةٌ. والثاني: أنها نُسِخَتْ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الآية[2]. والثالث: أنَّ الأولَى نُسِخَتْ بالثانية، وهي: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾.
والقول الثاني: أنها مُحكَمَةٌ؛ والخلودُ إنما كان لانضِمَامِ الشِّركِ إلى القتلِ والزِّنا. وفَسادُ القولِ الأولِ ظاهِرٌ، لأنَّ القتلَ لا يُوجبُ تخليداً عند الأكثرين؛ وقد بَيَّنَّاه في سُورةِ النِّساء[3]، والشِّركُ لا يُغْفر إذا مَاتَ المُشرِكُ عليه، والاستثناءُ ليس بنَسْخٍ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٥٧] قرأنا على عهدِ رسولِ الله سنتين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ثم نزلت ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَرِحَ بشيءٍ فَرحَهُ بها، وبـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ اختلفوا في كيفية هذا التَّبديلِ وفي زمانِ كَونه، فقال ابنُ عباسٍ: يُبدِّلُ الله شِركَهُم إيماناً، وقَتْلَهُم إمساكاً، وزِنَاهُم إحصَاناً؛ وهذا يَدلُّ: **أولاً**: على أنه يكون في الدنيا، وممَّنْ ذهب إلى هذا المعنى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنَّ هذا يكون في الآخرة، قاله سلمانُ رضي الله عنه، وسعيدُ بنُ المُسيِّبِ، وعليُّ بنُ الحُسينِ. وقال عمرُو بنُ مَيمُونٍ: يبدّل الله سيئاتِ المؤمِنِ إذا غَفرَها له حَسَناتٍ، حتى إنَّ العبدَ يتمنَّى أنْ تكون سيئاتُه أكثرَ ممَّا هي. وعن الحَسنِ كالقولَين. ورُوي عن الحَسنِ أنه قال: وَدَّ قومٌ يومَ القيامةِ أنهم كانوا في الدنيا استَكثَروا مِنَ الذُّنوب؛ فقيل: مَنْ هم؟ قال: هُمُ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾.

[١٠٥٨] ويؤكِّد هذا القولَ حديثُ أبي ذرّ عن النبيِّ ﷺ: «يُؤتَى بالرَّجُلِ يومَ القيامة، فيُقال:

[١٠٥٧] ضعيف. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٩٧٢ والطبراني في «الكبير» ١٢٩٣٥ والواحدي ٣/ ٣٤٧ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٨٤ وقال: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات. كذا قال رحمه الله، وما ذكره لعله يصدق على يوسف بن مهران، فقد قال عنه الحافظ. لين الحديث، وأما علي بن زيد فضعيف. وقد ضعفه الجمهور، وجزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، وقد روى مناكير كثيرة، وشيخه يوسف بن مهران، وثقة أبو زرعة وابن حبان، وقال أحمد: لا يُعرف.

[١٠٥٨] صحيح. أخرجه مسلم ١٩٠ والترمذي ٢٥٩٦ وأحمد ٥/ ١٧٠ وابن حبان ٧٣٧٥ وأبو عوانة ١/ ١٦٩ _ ١٧٠ وابن مندة في «الإيمان» ٨٤٧ _ ٨٤٩ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٢٩ والبغوي ٤٢٥٦ من طرق كلهم من حديث أبي ذر.

---

(١) النساء: ٩٣. (٢) النساء: ٤٨. (٣) النساء: ٩٣.

اعرِضُوا عليه صِغارَ ذُنوبِه، فتعرضُ عليه صِغارُ ذُنوبِه، وتُنحّى عنه كِبارُها، فيُقال: عَمِلتَ يومَ كذا، كذا وكذا، وهو مُقِرٌّ لا يُنكِرُ، وهو مُشفِقٌ مِنَ الكِبارِ، فيُقال: أعطُوهُ مكانَ كلِّ سيئةٍ عَمِلَها حسنةً»، أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه».

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ﴾ ظاهرُ هذه التَّوبةِ أنها عن الذُّنوبِ المذكورةِ. وقال ابنُ عباسٍ: يعني: ممَّنْ لم يَقتُل ولم يَزنِ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فإنِّي قد قدَّمتُهم وفضَّلتُهم على مَنْ قاتلَ نَبيّي واستحلَّ مَحارِمي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ قال ابنُ الأنباري: معناه: مَنْ أرادَ التَّوبةَ وقصدَ حقيقتَها، فينبغي له أنْ يُريدَ الله بها ولا يَخلِطَ بها ما يُفسِدُها؛ وهذا كما يقول الرَّجلُ: مَنْ تَجرَ فإنه يَتَّجِرُ في البَزِّ، ومَنْ ناظرَ فإنه يُناظِرُ في النَّحْوِ، أي: مَنْ أرادَ ذلك، فينبغي أنْ يقصدَ هذا الفنَّ؛ قال: ويجوز أنْ يكون معنى هذه الآيَة: ومَنْ تابَ وعَمِلَ صالحاً، فإنَّ ثوابَهُ وجزاءَهُ يعظُمانِ له عندَ ربِّه الذي أراد بتوبَتِه، فلمَّا كان قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ يؤدِّي عن هذا المعنى، كَفى منه، وهذا كما يقول الرجلُ للرجلِ: إذا تكلَّمتَ فاعلَمْ أنكَ تُكلِّم الوزير، أي تكلم مَنْ يَعرفُ كلامَكَ ويُجازيكَ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾، أي: فإنِّي أتوكَّلُ على مَنْ يَنصُرني ولا يُسلِمُني. وقال قومٌ: معنى الآيَة: فإنه يَرجعُ إلى اللهِ مَرجِعاً يقبَلُه منه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الصَّنَمُ، روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ أنَّ الزُّورَ صَنَمٌ كان للمشركين. **والثاني**: أنه الغِناءُ، قاله محمَّدُ ابنُ الحنَفِيَّةِ، ومَكحُولٌ؛ وروى لَيثٌ عن مُجاهِدٍ قال: لا يسمعون الغِناءِ. **والثالث**: الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ، وأبو مالكٍ. **والرابع**: لَعِبٌ كان لهم في الجاهلية، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: الكذب، قاله قَتادَةُ، وابنُ جُرَيج. **والسادس**: شهادَةُ الزُّورِ، قاله عليُّ بنُ أبي طلحة. **والسابع**: أعيادُ المشركين، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثامن**: أنه الخَنَا، قاله عمرُو بنُ قَيسٍ. وفي المراد باللَّغوِ هاهنا خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: المعاصي، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أذى المشركين إيَّاهُم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الباطلُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: إذا ذَكَروا النِّكاح كَنَوْا عنه، قاله مُجاهِدٌ. وقال محمَّدُ بنُ عليٍّ: إذا ذَكَروا الفُرُوجَ كَنَوا عنها.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٤٢١: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل بذلك لأنه محسن لأهله، حتى ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يعنيه ترجيع الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه، لتحسين صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور فالتأويل: الذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، وكل ما لزمه اسم الزور.

(٢) قال الطبري رحمه الله ٩/ ٤٢٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء =

قوله تعالى: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَرُّوا حُلَماءَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: مَرُّوا مُعْرِضِينَ عنه، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّ المعنى إذا مَرُّوا باللَّغوِ جاوَزُوهُ، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ أي: وُعِظُوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وهي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لم يتغافَلُوا عنها فكأنَّهم صُمٌّ لم يَسمَعوها، عُمْيٌ لم يَرَوها. وقال غيرُهُ مِنْ أهلِ اللغة: لم يَثبُتوا على حالَتِهم الأولى كأنَّهم لم يَسمعوا ولم يَرَوا، وإنْ لم يكونوا خَرُّوا حقيقةً؛ تقول العرب: شَتمتُ فُلاناً فقامَ يبكي، وقعدَ يَندُبُ، وأقبلَ يَعتذِرُ، وظلَّ يتحيَّرُ، وإنْ لم يكن قامَ ولا قَعدَ. قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «وذُرِّيَّاتِنا» على الجَمعِ. وقرأ أبو عَمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ، عن عاصِمٍ: «وذُرِّيَّتِنا» علَى التوحيد، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو حَيْوَةَ: «قُرَّات أعْيُنٍ» يعنُونَ: مَنْ يَعمَلُ بطاعتِكَ فتقَرُّ به أعيُننا في الدنيا والآخرة. وسُئِلَ الحسَنُ عن قوله: «قُرَّة أعين» في الدنيا، أَمْ في الآخرة؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأيُّ شيءٍ أقَرُّ لعَينِ المؤمنِ مِنْ أنْ يَرى زوجتَهُ ووَلَدَهُ يُطيعون اللهَ، واللهِ ما طَلَبَ القومُ إلاَّ أنْ يُطاعَ اللهُ فتقَرَّ أعينُهم. قال الفَرَّاءُ: إنما قال: «قُرَّة» لأنها فعلٌ، والفعلُ لا يكادُ يُجمَعُ، ألاَ ترى إلى قوله: ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[1] فلم يجمَعْهُ؛ والقُرَّةُ مصدرٌ، تقول: قَرَّت عَينُه قُرَّةً، ولو قيلَ: قُرَّة عَينٍ أو قُرَّات أعيُنٍ كان صواباً. وقال غيرُه: أصلُ القُرَّةِ مِنَ البَرْدِ، لأنَّ العرب تتأذَّى بالحَرِّ، وتَسْتَروِحُ إلى البَرْدِ.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اجعَلْنا أئمةً يُقتدى بنا، قاله ابنُ عباسٍ. وقال غيرُه: هذا مِنَ الواحِدِ الذي يُراد به الجَمعُ، كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾[3]. **والثاني**: اجعَلْنا مؤتَمِّينَ بالمُتَّقِين مُقتَدِينَ بهم، قاله مُجاهِدٌ؛ فعَلَى هذا يكون الكلامُ مِنَ المَقلُوبِ، فالمعنى: واجعَلِ المُتَّقِين لنا إماماً.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الجنَّةَ. وقال غيرُه: الغُرفَةُ: كلُّ بناءٍ عَالٍ مرتفعٍ، والمراد غُرَفُ الجنَّةِ، وهي مِنَ الزَّبرجَدِ والدُّرِّ والياقُوتِ، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على دِينِهم وعلى أذى المشركين. قوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عَمرٍو وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «ويُلَقَّوْنَ» بضمِّ الياء وفتحِ اللام وتشديدِ القاف. وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويَلْقَوْنَ» بفتحِ الياء وسكونِ اللام وتخفيفِ القاف، ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُحَيِّي بعضُهم بعضاً بالسَّلامِ، ويُرسِلُ إليهم الرَّبُّ عزَّ وجلَّ بالسَّلام. وقال مُقاتِلٌ: «تحيةً» يعني السَّلامَ، «وسلاماً» أي: سَلَّمَ اللهُ لهم أمرَهُم وتجاوَزَ عنهم. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

= المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مرّوا كراماً، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح، وكل ما يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو، أن يقال: عني به بعض ذلك دون بعض.

(١) الفرقان: ٤٤. (٢) الشعراء: ١٦. (٣) الشعراء: ٧٧.

أحدها: ما يَصنَعُ بكم! قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أيُّ وَزنٍ يكون لكم عنده؛ تقول: ما عَبأتُ بفُلانٍ، أي: ما كانَ له عندي وَزنٌ ولا قَدرٌ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: ما يَعبَأُ بعذابكم، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لولا إيمانُكم، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لولا عبادتُكم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لولا دُعاؤُه إيّاكُم لِتعبُدُوه، قاله مُجاهِدٌ؛ والمراد نَفعُ الخَلقِ، لأنَّ الله تعالى غيرُ مُحتَاجٍ. **والرابع**: لَولا توحِيدُكُم، حكاه الزَّجَّاجُ. وعلى قولِ الأكثرين ليس في الآية إضمَارٌ؛ وقال ابنُ قُتَيبةَ: فيها إضمارٌ تقديره: ما يَعبأُ بعذابِكُم لولا ما تَدعونَهُ مِنَ الشَّريك والوَلَدِ، ويُوضح ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يعني: العذابَ، ومثلُه قول الشاعر:

مَـنْ شَـاءَ دَلَّـى الـنَّـفْـسَ فـي هُـوَّةٍ ضَـنْـكٍ ولـكِـنْ مَـنْ لَـهُ بـالـمَـضِـيـقْ

أي: بالخروج مِنَ المَضِيقِ. وهل هذا خِطابٌ للمؤمنين، أو للكفَّار؟ فيه قولان. فأمَّا قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فهو خِطابٌ لأهل مكَّةَ حين كذَّبوا رسولَ الله ﷺ، ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ يعني: تكذِيبُكم ﴿لِزَامًا﴾ أي: عذاباً لازِماً لكم؛ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَتلُهم يومَ بدرٍ، فقُتِلُوا يَوْمَئذٍ، واتَّصل بهم عذابُ الآخرة لازِماً لهم، وهذا مذهبُ ابنِ مسعودٍ، وأُبيِّ بنِ كَعبٍ، ومُجاهِدٍ في آخَرِين. **والثاني**: أنه المَوتُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ اللِّزَامَ: القِتالُ، قاله ابنُ زيدٍ. والله أعلَمُ بالصَّواب.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

وهي مكّيَّةٌ كلُّها، إلاَّ أربعَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة، مِنْ قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ إلى آخرِها، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «طسٓمٓ» بفتح الطاء وإدغام النون مِنْ هِجاءِ «سين» عند الميم. وقرأ حَمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ، وأبانُ، والمُفَضَّلُ: «طِسٓمٓ» و «طسٓ»[1] بإمالَةِ الطاءِ فيهما. وأظهَرَ النونَ مِنْ هِجاءِ «سين» عندَ الميم حمزةُ هاهنا وفي «القَصص». وفي معنى «طسٓمٓ» أربعةُ أقوالٍ[2]:

أحدها: أنها حروفٌ مِنْ كلماتٍ، ثم فيها ثلاثة أقوالٍ:

[١٠٥٩] **أحدها**: رواه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: لـمَّا نزلت «طسٓمٓ» قال رسولُ الله ﷺ: «الطاءُ: طُورُ سَيناءَ، والسينُ: الإسكَندريَّةُ، والميمُ: «مكَّةُ». **والثاني**: أنَّ الطاءَ: طَيْبَةُ، وسينُ: بيتُ المَقدِسِ، وميمُ: مكَّةُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الطاءُ: شجرةُ طُوبَى، والسينُ: سِدرَةُ المُنتهى، والميمُ: محمَّدٌ ﷺ، قاله جعفرُ الصَّادقُ.

والثاني: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، وهو مِنْ أسماء الله تعالى، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقد بيَّنَّا كيف يكون مِثلُ هذا مِنْ أسماء الله تعالى في فاتحةِ (مريم). وقال القُرَظيُّ: أقسَمَ اللهُ بطَوْلِه وسَنائِه

[١٠٥٩] لا أصل له في المرفوع، ولم يذكره سوى المصنف، وهو من بدع التأويل، ولو صح مثل هذا ما اختلف المفسرون في تأويل الحروف في أوائل السور.

---

(١) النمل: ١.

(٢) تقدم في سورة البقرة أن الراجح في ذلك كله هو أن نكل علم ذلك إلى الله تعالى، فهو أعلم بمراده.

ومُلكِه. **والثالث**: أنه اسمٌ للسُّورَة، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ، وأبو رَوْقٍ. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه[١] إلى قوله: ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ والمعنى: لَعلَّكَ قاتلٌ نفسَكَ لِتركِهِم الإيمانَ.

ثم أخبرَ أنه لو أراد أنْ يُنزِلَ عليهم ما يَضطَرُّهُم إلى الإيمان لَفعلَ، فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «إِن يَشَأْ يُنَزِّلْ» بالياءِ فيهما، ﴿عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ جعل الفعلَ أولاً للأعناقِ، ثم جعلَ «خاضعين» للرِّجال، لأنَّ الأعناقَ إذا خَضعَتْ فأربَابُها خاضِعون. وقيل: لمَّا وَصفَ الأعناقَ بالخُضوعِ، وهو مِنْ صفاتِ بني آدمَ، أخرجَ الفعلَ مَخرجَ الآدميين كما بيَّنَّا في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[٢]، وهذا اختيارُ أبي عُبيدَة. وقال الزَّجَّاجُ: قوله: «فظلَّت» معناه: فتَظَلُّ، لأنَّ الجزاءَ يقعُ فيه لفظُ الماضي في معنى المُستقبَلِ، كقولك: إنْ تأتِني أكرمْتُكَ، معناه: أُكرِمْكَ؛ وإنَّما قال: «خاضِعين» لأنَّ خُضوعَ الأعناقِ هو خُضوعُ أصحابِها، وذلك أنَّ الخُضوعَ لمَّا لم يكُنْ إلاَّ بخُضوعِ الأعناقِ، جازَ أنْ يُخبرَ عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي ... كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ[٣]

فلمَّا كانت السِّنون لا تكون إلاَّ بمَرّ، أخبرَ عن السِّنين، وإنْ كان أضافَ إليها المُرورَ. قال: وجاء في التَّفسيرِ أنه يعني بالأعناقِ كُبَراءَهُم ورُؤساءَهُم. وجاء في اللغة أنَّ أعناقَهُم جَماعَاتُهم؛ يقال: جاءَني عُنُقٌ مِنَ الناس، أي: جماعةٌ. وما بعد هذا قد سَبقَ تفسيرُه[٤] إلى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني المُكذِّبين بالبعثِ ﴿كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أنْ لَمْ يكُنْ بها نَباتٌ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ قال ابنُ قُتيبة: مِنْ كل جِنسٍ حَسَنٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الزَّوجُ: النَّوعُ، والكَريمُ: المَحمودُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإنباتُ ﴿لَآيَةً﴾ تدلُّ على وحدانيَّةِ الله وقُدرَتِه ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: ما كان أكثرُهم يؤمِنُ في عِلْمِ الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ المُنتقِمُ مِنْ أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ﴾ المعنى: واتْلُ هذه القصَّةَ على قومِكَ. قوله تعالى: ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ياءُ

---

(١) المائدة: ١٥، والكهف: ٦. (٢) يوسف: ٤.
(٣) البيت لجرير، كما في ديوانه ٤٢٦ و «اللسان» ـ خضع ـ و «تفسير القرطبي» ١٣/ ٨٧.
(٤) الأنبياء: ٢.

«يُكَذِّبونِ» محذوفةٌ، ومِثلُها ﴿أَن يَقۡتُلُونِ﴾[(١)] «سَيَهدِينِ»[(٢)] «فهو يَهدِينِ»[(٣)] «ويَسْقِينِ»[(٤)] «فهو يَشْفِينِ»[(٥)] «ثم يُحْيِينِ»[(٦)] «كذِّبونِ»[(٧)] «وأَطِيعُونِ»[(٨)] فهذه ثماني آياتٍ أثبتَهُنَّ في الحالَينِ يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾ أي بتكذيبِهم إيَّايَ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ للعُقدَةِ التي كانت بلسانِه. وقرأ يعقوبُ: «ويَضيقَ» «ولا يَنطلقَ» بنصبِ القافِ فيهما، ﴿فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ المعنى: ليُعينَني، فحُذِفَ، لأنَّ في الكلامِ دليلاً عليه. ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ﴾ وهو القَتيلُ الذي وكزَهُ فقضى عليه؛ والمعنى: ولَهُمْ عليَّ دَعوى ذَنْبٍ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾ به ﴿قَالَ كَلَّا﴾ وهو رَدْعٌ وزَجرٌ عن الإقامةِ على هذا الظَّنِّ؛ والمعنى: لن يَقتُلوكَ لأنّي لا أُسلِّطُهم عليكَ، ﴿فَٱذۡهَبَا﴾ يعني: أنتَ وأخوكَ ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهي: ما أعطاهما مِنَ المُعجزةِ ﴿إِنَّا﴾ يعني نفسَهُ عزَّ وجلَّ ﴿مَعَكُم﴾ فأجراهُما مَجرى الجماعةِ ﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾ نَسمَعُ ما تقولان وما يُجيبُونَكُما به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: الرَّسولُ يكون بمعنى الجميع، كقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾[(٩)] وقوله: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾[(١٠)]. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّا رِسالةُ ربِ العالَمِين، أي: ذوو رِسالَةِ رَبِّ العالَمِين، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ ما بُحْتُ عِنْدَهُم ... بِسِرٍّ ولا أرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[(١١)]

أي: برسالة.

قوله تعالى: ﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ﴾ المعنى: بأنْ أرسِلْ ﴿مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أَطلِقهُم مِنَ الاستِعبادِ، فأتَياهُ فبَلَّغاهُ الرِّسالةَ، فـ ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ أي: صَبيّاً صغيراً ﴿وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: ثمانيَ عشرَةَ سنةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أربعون سنةً، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: ثلاثونَ سنةً، قاله مُقاتِلٌ، والمعنى: فجَازَيْتَنا على أن رَبَّيناكَ أنْ كَفرتَ نِعمتَنا، وقَتلتَ منَّا نَفساً، وهو قوله: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ﴾ وهي قَتْلُ النَّفْسِ. قال الفرَّاءُ: وإنَّما نُصِبَت الفاءُ، لأنها مرَّةٌ واحدةٌ، ولو أُريدَ بها مثل الجِلسَةِ والمِشيَةِ جازَ كَسرُها.

وفي قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قولان[(١٢)]: **أحدهما**: مِنَ الكافرين لِنعمَتي، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعطاءٌ، والضَّحَّاكُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: مِنَ الكافرين بإلهك، كنتَ معنا على دِينِنا الذي تَعِيبُ، قاله الحَسنُ، والسُّدِّيُّ. فعَلَى الأول: وأنتَ مِنَ الكافرين الآنَ. وعلى الثاني: وكنتَ. وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الجاهِلِينَ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ

---

(١) الشعراء: ١٤. (٢) الشعراء: ٦٢. (٣) الشعراء: ٧٨.
(٤) الشعراء: ٧٩. (٥) الشعراء: ٨٠. (٦) الشعراء: ٨١.
(٧) الشعراء: ١١٧. (٨) الشعراء: ١٠٨. (٩) الحجر: ٦٨.
(١٠) الحج: ٥. (١١) البيت لكثير عزة، كما في «اللسان» ـ رسل ـ.
(١٢) قال الطبري رحمه الله ٩/٤٣٧: وأشبه الأقوال بتأويل الآية أن يقال: من الكافرين لنعمتي، لأن فرعون لم يكن مقراً لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب، فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى عنده على دينه يوم قتل القتيل. إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى على قولك اليوم فيكون ذلك وجهاً يتوجه.

جُبَيرٍ، وقَتادةُ. وقال بعضُ المُفسِّرين: المعنى: إنّي كنتُ جاهلاً لم يأتِني مِنَ الله شيءٌ. **والثاني**: مِنَ الخاطِئينَ؛ والمعنى: إني قَتَلتُ النَّفسَ خَطأً، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: مِنَ النَّاسِينَ؛ ومثلُه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾(١)، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ أي: ذهبتُ مِنْ بينكم ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي إلى مَدْيَنَ، وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، والضَّحّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «لِما» بكسرِ اللام وتخفيفِ الميم، ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: النبوَّةُ، **قاله ابنُ السَّائب**. **والثاني**: العِلْمُ والفَهمُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ يعني التَّربيةَ ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: اتَّخذتَهُم عبيداً؛ يقال: عبَّدتُ فُلاناً وأعبَدْتُهُ واستَعبَدتُهُ: إذا اتَّخذتُهُ عبداً. وفي «أنْ» وَجْهان: **أحدهما**: أنْ تكونَ في موضِع رفعٍ على البَدلِ من «نِعمةٌ». **والثاني**: أنْ تكونَ في موضعِ نصبٍ بنَزعِ الخَافِضِ، تقديره: لأنْ عبَّدتَ، أو لِتَعبيدِكَ. واختلف العلماءُ في تفسير الآيةِ(٢)، ففَسَّرها قومٌ على الإنكارِ، وقومٌ على الإقرارِ، فمَنْ فسَّرَها على الإنكارِ قال معنى الكلام: أَوَ تلكَ نِعمَةٌ؟! على طريقِ الاستفهامِ، ومثله ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾(٣)، وقوله: ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾(٤)، وأنشدوا:

لـم أنْـسَ يـومَ الـرَّحـيـلِ وقـفـتَـهـا ... وجَـفـنُـهـا مِـنْ دُمـوعِـهـا شَـرِقُ
وقَـولَـهـا والـرُّكـابُ سَـائِـرةٌ ... تَـتـرُكُـنـا هـكـذا وتَـنْـطَـلِـقُ

وهذا قولُ جماعةٍ منهم. ثم لهم في معنى الكلام ووَجْهِهِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ فِرعونَ أخذَ أموالَ بني إسرائيلَ واستَعبَدَهُم وأنفقَ على موسى منها، فأبطَلَ موسى النِّعمةَ لأنها أموالُ بني إسرائيلَ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: إنَك لو كنتَ لا تقتلُ أبناءَ بَني إسرائيلَ لَكَفِلَني أهلي، وكانت أُمّي تستغني عن قَذْفِي في اليَمّ، فكأنَّكَ تَمُنُّ عليَّ بما كان بَلاؤكَ سبباً له، وهذا قولُ المُبرّدِ، والزَّجّاجِ، والأزهَري. **والثالث**: أنَّ المعنى: تَمنُّ عليَّ بإحسانِكَ إليَّ خاصَّةً، وتنسى إساءَتَكَ بتَعبيدِكَ بني إسرائيلَ؟! قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى: كيف تَمُنُّ عليَّ بالتَّربية وقد استعبَدْتَ قومي؟! ومَنْ أُهِينَ قومُه فقد ذَلَّ، فقد حَبِطَ إحسانُكَ بتَعبيدِكَ قومي، حكاه الثَّعلبيُّ. فأمَّامَنْ فَسَّرَها على الإقرارِ، فإنه قال: عَدَّها موسى نِعمَةً حيثُ رَبَّاهُ ولم يَقتُلْهُ ولا استَعبَدَهُ. فالمعنى: هي لَعَمري نِعمَةٌ إذ ربَّيتَني ولم تَستَعبِدْني كاستِعبادِكَ بَني إسرائيلَ؛ فـ «أن» تدلُّ على المَحذوفِ، ومثلُه في الكلام ـ أنْ تَضربَ بعضَ عبيدِكَ وتَترُكَ الآخرَ، فيقول المَترُوكُ ـ: هذه نعمةٌ عليَّ أنْ ضربتَ فُلاناً وتركتَني، ثم تَحذِفُ «وتركتني» لأنَّ المعنى معروفٌ، هذا قولُ الفَرّاءِ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ

---

(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤١٣: أي وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل! فجعلتهم عبيداً وخدماً، تصرِّفهم في أعمالك ومشاق رعيتك أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم.
(٣) الأنعام: ٧٦. (٤) الأنبياء: ٣٤.

حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ سألَهُ عن ماهيَّةِ مَنْ لا مَاهيَّةَ له[1]، فأجابَهُ بما يدلُّ عليه مِنْ مَصنُوعاتِه. وفي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ. **والثاني**: إنْ كُنتم مُوقِنينَ أنَّ ما تُعايِنُونَهُ كما تُعايِنُونَهُ، فكذلك، فأيْقِنُوا أن رب العالمين رَبُّ السَّمواتِ والأرضِ. قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: فِرعونَ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ مِنْ أشرافِ قومِه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ مُعَجِّباً لهم. فإنْ قيلَ: فأينَ جوابُهم؟ فالجواب: أنه أراد: ألَا تستمعون قولَ موسى؟ فَرَدَّ موسى، لأنه المُرادُ بالجَوابِ، ثم زَادَ في البيانِ بقوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فأعرَضَ فِرعونُ عن جوابِه ونَسبَهُ إلى الجُنونِ، فلم يَحفِلْ موسى بقولِ فِرعونَ، واشتغلَ بتأكيدِ الحُجَّةِ فـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إنْ كُنتم ذَوِي عقولٍ لم يَخفَ عليكم ما أقولُ.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ
بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾
فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟
هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا
لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا
لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤١٤: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون، وتمرده، وطغيانه وجحوده في قوله **﴿وما رب العالمين﴾** وذلك أنه كان يقول لقومه: **﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾** و **﴿استخف قومه فأطاعوه﴾** وكانوا يجحدون الصانع ـ تعالى ـ ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون. فلما قال موسى: **﴿إني رسول رب العالمين﴾** قال له: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟!
ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن ماهيته. بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فيجيبه موسى: **﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾** أي إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلاً لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى فيما قاله: **﴿ألا تستمعون﴾** أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري. فأجاب موسى بقوله: **﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾** ولهذا لما غلب فرعون وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى ـ عليه السلام ـ فقال: ما أخبر الله تعالى عنه: **﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾**.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بأمرٍ ظاهرٍ يُعرَفُ به صِدْقي أتسجنُني؟! وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الأعراف[1] إلى قوله: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يومُ الزِّينةِ، وكان عِيداً لهم، ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعني أهلَ مِصرَ. وذهب ابنُ زيدٍ إلى أنَّ اجتماعَهم كان بالإسكندريَّة. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ قال الأكثرون: أرادُوا سَحرَةَ فِرعونَ؛ فالمعنى: لعلَّنا نتَّبعهم على أمرِهم. وقال بعضُهم: أرادُوا موسى وهارونَ، وإنما قالوا ذلك استهزاءً. قال ابنُ جَريرٍ: و«لعل» هاهنا بمعنى «كي». وقوله تعالى: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بعظمته.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: اللامُ دخلَتْ للتوكيدِ.

قوله تعالى: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا ضَرَرَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: هو مِنْ ضَارَهُ يَضُورُهُ ويَضِيرُهُ؛ بمعنى ضَرَّهُ. والمعنى: لا ضَررَ علينا فيما ينالُنا في الدنيا لأنَّا نَنقلِبُ إلى ربِّنا في الآخرة مُؤمِّلينَ غُفرانَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَن كُنَّآ﴾ أي: لأن كنا ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بآياتِ موسى في هذه الحالِ.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يَتبعُكم فِرعونُ وقومُه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المعنى: وقال فِرعونُ إنَّ هؤلاءِ، يعني بَني إسرائيلَ ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: طائفةٌ. قال الزَّجَّاجُ: والشِّرذِمَةُ في كلامِ العربِ: القليلُ. قال المُفسِّرون: وكانوا ستمائةَ ألفٍ، وإنما استقلَّهم بالإضافةِ إلى جُندِه، وكان جُندُهُ لا يُحصَى. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ تقول: غاظَني الشيءُ، إذا أغضبَكَ. قال ابنُ جَريرٍ: وذُكِرَ أنَّ غَيظَهُم كان لِقَتْلِ الملائكةِ مَنْ قَتَلَتْ مِنْ أبكارِهم. قال: ويحتملُ أنَّ غَيظَهُم لِذَهابِهم بالعَواري التي استعاروها مِنْ حُليِّهم، ويحتمل أنْ يكونَ لِفراقِهم إيَّاهم وخُروجِهم مِنْ أرضِهم على كُرْهٍ منهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «حَذِرون» بغير ألِفٍ. وقرأ الباقون: ﴿حَٰذِرُونَ﴾ بألِفٍ. وهل بينهما فَرْقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أن الحَاذِرَ، المُستعِدُّ، والحَذِرَ: المُتيقِّظُ. وجاء في التَّفسيرِ أنَّ معنى حاذِرِينَ: مُؤْدُون، أي: ذَوو أَدَاةٍ، وهي السِّلاحُ، لأنها أداةُ الحَربِ. **والثاني**: أنهما لُغتان معناهما واحدٌ؛ قال أبو عُبيدَةَ: يُقال: رجلٌ حَذِرٌ وحَذُرٌ وحاذِرٌ. والمَقامُ الكريمُ: المَنزِلُ الحَسَنُ. وفي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قولان: **أحدهما**: كذلك أفعلُ بمَنْ عَصاني، قاله

---

(١) الأعراف: ١٠٧.

ابنُ السَّائب. **والثاني**: الأمرُ كذلك، أي: كما وَصفنا، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى رَدَّهُم إلى مِصْرَ بعد غَرَقِ فِرعونَ، وأعطاهُم ما كان لِفرعَونَ وقومِه مِنَ المَساكِنِ والأموالِ. وقال ابنُ جَريرِ الطَّبَري: إنَّما جعلَ دِيارَ آل فِرعونَ مُلْكاً لبَني إسرائيلَ ولم يَرْدُدْهم إليها لكنَّهُ جعلَ مساكِنَهم الشَّامَ.

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: لَحِقوهُم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ أي: حينَ شَرَقَتِ الشمسُ، أي: طَلَعتْ، يُقال: أشْرَقْنا: دخلنا في الشُّروقِ، كما يُقال: أمسَيْنا وأصبَحنا. وقرأ الحَسنُ، وأيُّوبُ السَّخْتِياني: «فاتَّبعوهم» بالتَّشديد. قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ، والنَّخَعيُّ، والأعمَشُ: «تَراأى» بكسرِ الراء وفتحِ الهمزة، أي: تقابلا بحيثُ يَرى كلُّ فريقٍ صاحبَهُ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يُدركُونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أي: سَيدلُّني على طريقِ النَّجاةِ. قوله تعالى: ﴿فَانفَلَقَ﴾ فيه إضمارُ «فضرب فانفلق»، أي: انشَقَّ الماءُ اثني عشرَ طريقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كلُّ جزءٍ انفرَق منه. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدري: «كُلُّ فِلْقٍ» باللام، ﴿كَالطَّوْدِ﴾ وهو الجَبلُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ أي: قرَّبْنا الآخرين مِنَ الغرَقِ، وهم أصحابُ فِرعونَ. وقال أبو عُبيدَةَ: «أزلفنا» أي: جَمَعنا. قال الزَّجَّاجُ: وكِلاَ القولَين حَسنٌ، لأنَّ جَمعَهُم تقريبُ بعضِهم مِنْ بعضٍ، وأصلُ الزُّلفى في كلام العرب: القُرْبَى. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو رَجاءٍ والضَّحَّاكُ وابنُ يَعمَرَ: «أَزْلَقْنا» بالقاف، وكذلك قرأوا: «أُزْلِقَتِ الجنَّةُ»[1] بقافٍ أيضاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعني: في إهلاكِ فِرعونَ وقومِه عِبرَةً لِمن بعدَهُم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكُنْ أكثرُ أهلِ مِصْرَ مؤمنين، إنما آمَنتْ آسيَةُ، وخِربيلُ مؤمنُ آلِ فِرعونَ، وفتَةُ الماشِطةُ، ومريمُ ـ امرأةٌ دلَّتْ موسى على عِظامِ يُوسفَ ـ، هذا قولُ مُقاتِلٍ[2]. وما أخلَلْنا به مِنْ تفسيرِ كلماتٍ في قصة موسى، فقد سبقَ بيانُها، وكذلك ما تَفْقدُ ذِكْرَهُ في مكانٍ، فهو إمَّا أنْ يكونَ قد سَبقَ، وإمَّا أنْ يكونَ ظاهراً، فتنبَّهْ لهذا.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ

---

(١) في الشعراء: ٩٠.

(٢) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، فخبره لا شيء.

﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ والمعنى: هل يَسمعون دُعاءَكُم. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ وابنُ يَعمَرَ وعاصِمٌ الجَحْدَري: «هل يُسْمِعونكم» بضمِّ الياء وكسرِ الميم، ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنْ شِئتَ بيَّنتَ الذالَ، وإنْ شئتَ أدغمتَها في التاء وهو أجودُ في العربية لِقُربِ الذالِ مِنَ التاءِ. قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ أي إنْ عَبدتُموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إنْ لم تَعبُدوهُم؟ فأخبَرُوا عن تقليدِ آبائِهم. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ فيه وَجْهان: **أحدهما**: أنَّ لفظَة لفظُ الواحد والمُرادُ به الجميعُ؛ فالمعنى: فإنَّهم أعداءٌ لي. **والثاني**: فإنَّ كلَّ مَعبُودٍ لكم عَدوٌّ لي. فإنْ قيلَ: ما وَجْهُ وَصفِ الجَمادِ بالعَداوَةِ؟ فالجواب: مِنْ وَجهَينِ. **أحدهما**: أنَّ معناه: فإنهم عَدوٌّ لي يومَ القيامة إنْ عَبدتُهم. **والثاني**: أنه مِنَ المَقلُوبِ؛ والمعنى: فإنِّي عَدوٌّ لهم، لأنَّ مَنْ عاديتَه عَاداكَ، قاله ابنُ قُتيبةَ. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه استثناءٌ مِنَ الجِنسِ، لأنه عَلِمَ أنهم كانوا يعبُدون الله مع آلهَتِهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه مِنْ غيرِ الجِنسِ؛ فالمعنى: ولكنَّ رَبَّ العالَمِينَ ليس كذلك، قاله أكثرُ النَّحويين.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي إلى الرُّشدِ، لا ما تعبُدونَ ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ أي هو رَازِقي الطَّعامَ والشَّرابَ.

فإنْ قيلَ: لِمَ قال: «مرِضتُ»، ولم يَقلْ: «أمرضَني»؟ فالجواب: أنه أراد الثناءَ على ربِّهِ فأضاف إليه الخيرَ المَحضَ، لأنه لو قال: «أمرضَني» لَعدَّ قومُه ذلك عَيْباً، فاستعملَ حُسنَ الأدبِ؛ ونظيرُهُ قصَّةُ الخَضِرِ حين قال في العَيْبِ: «فأردتُ»[1]، وفي الخيرِ المَحضِ: «فأراد ربُّكَ»[2].

فإنْ قيلَ: فهذا يَرُدُّه قوله: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾. فالجواب: أنَّ القومَ كانوا لا يُنكِرونَ الموتَ، وإنما يجعلونَ له سبباً سِوى تقديرِ الله عزَّ وجلَّ، فأضافَهُ إبراهيمُ إلى الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ يعني للبَعْثِ، وهو أمرٌ لا يُقِرُّونَ به، وإنما قاله استِدلالاً عليهم؛ والمعنى: أنَّ ما وافَقتُموني عليه مُوجِبٌ لِصِحَّةِ قولي فيما خَالَفتُموني فيه. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ يعني: ما يجري على مِثْلي مِنَ الزَّلَلِ؛ والمُفسِّرون يقولون: إنما عَنَى الكلماتِ الثلاثَ التي ذكرناها في الأنبياء[3]، ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يعني: يومَ الحَشرِ والحِسابِ؛ وهذا احتِجاجٌ على قومِه أنه لا تصلحُ الإلٰهيَّةُ إلاَّ لِمَنْ فَعلَ هذه الأفعالَ.

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَبْ لِى حُكْمًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النبوَّة، قاله أبو صالح، عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: اللُّبُّ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: الفَهْمُ والعِلْمُ، قاله مُقاتِلٌ، وقد بيَّنَّا قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

(١) الكهف: ٧٩. (٢) الكهف: ٨٢. (٣) الأنبياء: ٦٣.

في سُورةِ يُوسفَ[١]، وبيَّنَّا معنى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ في مريم[٢]؛ والمُرادُ بالآخرين: الذين يأتون بعدَهُ إلى يوم القيامةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ قال الحَسنُ: بَلَغَني أنَّ أُمَّه كانت مُسلِمَةً على دِينِه، فلذلك لم يَذكرْها. فإنْ قيلَ: فقد قال: ﴿ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[٣]. قيل: أكثرُ الذِكرِ إنما جرَى لأبيه، فيجوزُ أنْ يسألَ الغُفرانَ لأُمِّهِ وهي مؤمنةٌ، فأمَّا أبوه فلا شكَّ في كُفره. وقد بيَّنَّا سببَ استغفارِه لأبيه في براءة[٤]، وذكرنا معنى الخِزْيِ في آل عِمران[٥]. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يعني: الخلائقَ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: سليمٌ مِنَ الشركِ، قاله الحَسنُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: سليمٌ مِنَ الشَّكِّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: سليمٌ، أي صحيحٌ، وهو قلبُ المؤمنِ، لأنَّ قلبَ الكافرِ والمُنافقِ مريضٌ، قاله سعيدُ بنُ المُسيِّبِ. **والرابع**: أنَّ السَّليمَ في اللغة: اللَّدِيغُ، فالمعنى: كاللَّدِيغِ مِنْ خوفِ الله عزَّ وجلَّ، قاله الجُنَيدُ. **والخامس**: سليمٌ مِنْ آفاتِ المالِ والبَنين، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ. **والسادس**: سليمٌ مِنَ البِدعَةِ، مُطْمئنٌّ على السُّنَّة، حكاه الثَّعلبي.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: قُرِبَتْ إليهم حتى نَظَروا إليها، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أي: أُظهِرَتْ ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ وهم الضَّالُّون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ على وَجهِ التَّوبيخِ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ أي: يَمنعونكم مِنَ العذاب، أو يَمتَنِعونَ منه.

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ قال السُّدِّيُّ: هم المشركون. قال ابنُ قُتيبَة: أُلقُوا على رُؤوسِهم، وأصلُ الحَرفِ «كُبِبوا» مِنْ قولكَ: كَبَبْتُ الإناءَ، فأبدَلَ مِنَ الباء الوسطى كافًا، استِثقالاً لاجتماع ثلاثِ باءاتٍ، كما قالوا: «كُمْكِمُوا» مِنَ «الكُمَّة»، والأصلُ: «كُمِّمُوا». وقال الزَّجّاجُ: معناه: طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ؛ وحقيقةُ ذلك في اللغة تكريرُ الانكِبابِ، كأنه إذا أُلقِيَ يَنكَبُّ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ حتى يَستَقِرَّ فيها. وفي الغَاوِينَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الشَّياطينُ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: الآلِهَةُ، قاله السُّدِّيُّ. ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعُه مِنَ الجنِّ والإنس. ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ يعني: هم وآلِهتهم، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا﴾ قال الفراء: لقد كُنَّا. وقال الزجاج: ما كُنَّا إلا في ضلال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ أي نَعدِلُكم بالله في العِبادةِ ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: الشَّياطينُ. **والثاني**: أوَّلُوهم الذين اقتدَوا بهم، قال عِكرِمَةُ: إبليسُ وابنُ آدمَ القاتِلُ. قوله

---

(١) يوسف: ١٠١. (٢) مريم: ٥٠. (٣) إبراهيم: ٤١.
(٤) التوبة: ١١٣. (٥) آل عمران: ١٩٢.

تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ هذا قولُهم إذا شفع الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنون.

[١٠٦٠] وروى جابرُ بنُ عبدِ الله عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ الرَّجلَ يقول في الجَنَّةِ: ما فعلَ صديقي فُلانٌ؟ وصديقُه في الجَحِيمِ، فيقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: أخرجوا له صديقَهُ إلى الجنَّةِ، فيقول مَنْ بقيَ في النار: فمَا لنا مِنْ شافِعِينَ ولا صَديقٍ حَميمٍ؟». والحَميمُ: القريبُ الذي تَوَدُّه ويَوَدُّك والمعنى: ما لَنَا مِنْ ذِي قَرَابةٍ يُهِمُّه أمرُنا، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ أي: رَجعةً إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِتَحِلَّ لنا الشَّفاعةُ كما حَلَّتْ للمُوَحِّدين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: القومُ مُذَكَّرون؛ والمعنى كذَّبتْ جماعةُ قومِ نُوحٍ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ كانت الأُخُوَّةُ مِنْ جهةِ النَّسَبِ بينهم، لا مِنْ جهةِ الدِّينِ، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ اللهِ بتوحِيْدِه وطاعَتِه، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الرِّسالَةِ فيما بيني وبينَ ربِّكم. ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على الدُّعاءِ إلى التَّوحيدِ.

﴿۞ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ وقرأ يعقوبُ بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين: «وأَتْبَاعُكَ الأرذلون»، وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الحَاكَةُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الحَاكَةُ والأَسَاكِفَةُ؛ قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: المساكينُ الذين ليس لهم مالٌ ولا عِزٌّ، قاله عَطاءٌ. وهذا جَهلٌ منهم، لأنَّ الصِّناعات لا تَضُرُّ في باب الدِّياناتِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لم أعلَمْ أعمالَهُم وصنائِعَهُم، ولم أُكلَّفْ ذلك، إنما كُلِّفتُ أنْ أدعُوَهم، ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ فيما يعملون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ بذلك ما عِبتُمُوهم في صَنائِعِهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما أنا بالذي لا أقبلُ إيمانَهُم لِزَعمِكم أنهم الأرذَلُون. وفي قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ المَشتُومين، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: مِنَ المَضرُوبين بالحِجارةِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: مِنَ المَقتُولِين بالرَّجمِ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

[١٠٦٠] أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٥٧ من حديث جابر، وإسناده ضعيف جداً، الوليد بن مسلم يدلس عن كذابين، وههنا شيخه لم يسم، وباقي الإسناد ثقات. وأبو الزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس.

قوله تعالى: ﴿فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ﴾ أي: اقْضِ بيني وبينهم قضاءً، يعني: بالعذاب ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ مِنْ ذلك العذابِ. والفُلْكُ قد تقدَّمَ بيانه. والمَشْحُونُ: المَمْلُوءُ، يُقال: شَحنتُ الإناءَ: إذا ملأْتَهُ؛ وكانت سفينةُ نُوحٍ قد مُلِئَتْ مِنَ الناس والطَّيرِ والحيوانِ كُلِّه، ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ﴾ بعد نَجاةِ نُوحٍ ومَنْ معه ﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ﴾ وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، وأبو حَيْوَةَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «بكلِّ رَيْع» بفتح الراء. قال الفَرَّاءُ: هما لُغتانِ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المكانُ المُرتفِعُ؛ روى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: بكلِّ شَرَفٍ. قال الزَّجّاجُ: هو في اللغة: المَوضِعُ المُرتفعُ مِنَ الأرضِ. **والثاني**: أنه الطريقُ، رواه الضَّحّاكُ عن ابنِ عباس، وبه قال قَتادةُ. **والثالث**: الفَجُّ بين الجَبلَيْنِ، قاله مُجاهِدٌ. والآية: العَلامَةُ. وفيما أراد بهذا البناء ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنه أراد: تَبنُونَ ما لا تَسكُنونَ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ؛ والمعنى أنه جعل بِناءَهُم ما يستغنونَ عنه عَبَثاً. **والثاني**: بُروجُ الحَمام، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومُجاهِدٌ. **والثالث**: أنهم كانوا يَبنُونَ في المَواضِعِ المُرتفعَةِ لِيُشرِفُوا على المارَّةِ فيَسْخَروا منهم ويَعْبَثُوا بهم، وهو معنى قولِ الضَّحّاكِ. قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قصورٌ مُشيَّدةٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مصانعُ للماءِ تحتَ الأرض، قاله قَتادةُ. **والثالث**: بُروجُ الحَمام، قاله السُّدِّيُّ. وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: كأنَّكم تَخلُدُون، قاله ابنُ عباسٍ، وأبو مالكٍ. **والثاني**: كَيْمَا تَخلُدوا، قاله الفَرّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. وقرأ عِكرمَةُ، والنَّخعيُّ، وقَتادةُ، وابنُ يَعمُرَ: «تُخْلَدون» برفع التاء وتسكينِ الخاء وفتح اللام مخفَّفةً. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري، وأبو حَصِينٍ: «تُخَلَّدون» بفتح الخاء وتشديدِ اللام. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾ المعنى: إذا ضَربتُم ضَربْتُم بالسِّياطِ ضَرْبَ الجَبّارين، وإذا عاقَبْتُم قَتَلتم؛ وإنما أنكرَ عليهم ذلك، لأنه صَدَرَ عن ظُلم، إذ لو ضَرَبوا بالسَّيفِ أو بالسَّوطِ في حَقٍّ ما لِيْمُوا. وفي قوله: ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ قولان: **أحدهما**: ما عذبوا به في الدنيا. **والثاني**: عذاب جهنم.

﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٤٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٤٣ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، والكِسائيُّ: «خَلْق» بفتح الخاء وتسكينِ اللام؛ قال ابنُ قُتَيبة: أرادوا اختلاقَهم وكَذِبَهم، يُقال: خَلَقتُ الحديثَ واختَلَقتُه، أي: افتَعلتُه،

قال الفرّاءُ: والعرب تقول للخُرافاتِ: أحاديثُ الخَلْقِ. وقرأ عاصِمٌ، ونافعٌ وابنُ عامرٍ وحَمزةُ وخلف «خُلُق الأولين» بضمِّ الخاء واللام. وقرأ ابنُ عباس، وعِكرمةُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «خُلْق» برفع الخاء وتسكينِ اللام؛ والمعنى: عادَتُهم وشأنُهم. قال قَتادةُ: قالوا له: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بَعْثَ لهم ولا حِساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: على ما نَفعَلهُ في الدنيا.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ أي فيما أعطاكُم اللّهُ في الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنَ الموت والعذابِ. قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطَّلْعُ: الثَّمرُ. وفي الهَضِيم سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي قد أينَعَ وبَلغَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه الذي يتهشَّمُ تَهشُّماً، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه الذي ليس له نوىً، قاله الحَسنُ. **والرابع**: أنه المُذَنِّبُ مِنَ الرُّطَبِ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والخامس**: اللَّيِّنُ، قاله قَتادةُ، والفرّاءُ. **والسادس**: أنه الحَمْلُ الكثيرُ الذي يركبُ بعضُه بعضاً، قاله الضَّحّاكُ. **والسابع**: أنه الطَّلْعُ قبلَ أنْ ينشَقَّ عنه القِشرُ وينفتِحَ، يريد أنه مُنضَمٌّ مُكتَنِزٌ، ومنه قيل: رجلٌ أهضَمُ الكَشْحَينِ، إذا كان مُنضَمَّهُما، قاله ابنُ قُتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عَمرٍو: «فَرِهين». وقرأ الباقون: «فارِهين» بألِفٍ. قال ابنُ قُتيبةَ: «فَرِهِينَ»: أَشِرِينَ بَطِرِينَ، ويُقال: الهاءُ فيه مُبدَلَةٌ مِنْ حاءٍ، أي: فَرِحِينَ، و «الفرحُ» قد يكون السُّرورَ، وقد يكون الأشَرَ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾(١) أي: الأشِرِينَ، ومَنْ قرأ: «فَارِهِينَ» فهي لغةٌ أُخرى، يُقال: فَرِهٌ وفارِهٌ، كما يُقال: فَرِحٌ وفارِحٌ، ويُقال: «فارِهِين» أي: حاذِقِينَ؛ قال عِكرِمَةُ: حاذِقِينَ بنَحْتِها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: المشركين. وقال مُقاتِلٌ: هم التِّسعةُ الذين عَقَروا النّاقةَ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

---

(١) القصص: ٧٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ قال الزَّجّاج: أي: ممَّنْ له سَحْرٌ، والسَّحْرُ: الرِّئَةُ، والمعنى: أنتَ بَشرٌ مِثْلُنا. وجائزٌ أنْ يكونَ مِنَ المُفَعَّلين مِنَ السِّحْرِ؛ والمعنى: ممَّنْ قد سُحِرَ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ. قوله تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ أي: حَظٌّ مِنَ الماء. وقال ابنُ عباسٍ: لها شِرْبٌ معروفٌ لا تَحضُرُوه معها، ولكُمْ شِرْبٌ لا تحضُرُ معكم، فكانت إذا كان يَومُهم حَضَروا الماءَ فاقتَسَمُوهُ، وإذا كان يَومُها شَرِبَتِ الماءَ كُلَّه. وقال قَتادةُ: كانت إذا كان يومُ شربِها، شَرِبَتْ ماءَهُم أولَ النهار، وسَقَتْهم اللبَنَ آخرَ النهار. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لها شُرْبٌ» بضمِّ الشين. قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نَدِموا حينَ رَأَوا العذابَ، على عَقْرِها، وعذابُهم كان بالصَّيحَةِ.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ وهو جَمعُ ذَكَرٍ ﴿مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مِنْ بَني آدمَ، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ قال الزَّجّاجُ: وقرأ ابنُ مسعودٍ: «ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم» يعني به الفُروجَ. وقال مُجاهِدٌ: تَركتُم أقبالَ النساءِ إلى أدبارِ الرِّجالِ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمونَ مُعتَدونَ. ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ أي: لَئِنْ لم تسكُتْ عن نَهيِنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ مِنْ بَلَدِنا. ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم﴾ يعني: إتيانَ الرِّجالِ ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: مِنَ المُبْغِضِينَ، يُقال: قَلَيْتُ الرَّجلَ: إذا أبغَضْتُهُ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي مِنْ عقوبة عَمَلِهم ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ وقد ذكرناهم في هود(١)، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني امرأتَهُ ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي الباقينَ في العذاب. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ أهلكناهم بالخَسْفِ والحَصْبِ، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحِجارةَ.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أصحاب لَيْكَةَ» هاهنا، وفي (صَ)(٢) بغير همزٍ والتاء مفتوحةٌ؛ وقرأ الباقون: «الأيكَةِ» بالهمزةِ فيهما والألِفِ. وقد سَبقَ هذا الحَرفُ (٣). ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إنْ قيلَ: لِمَ لَمْ يَقُلْ: أخوهم، كما قال في (الأعراف)(٤)؟ فالجواب: أنَّ شُعيباً لم يكن مِنْ نَسْلِ أصحابِ الأيكَةِ، فلذلك لم يَقُلْ: أخوهم؛ وإنما أُرسِلَ إليهم بعدَ أنْ أُرسِلَ

---

(١) هود: ٨٠.
(٢) صَ: ١٣.
(٣) الحجر: ٧٨.
(٤) الأعراف: ٨٥.

إلى مَدْيَنَ، وهو مِنْ نَسْلِ مَدْيَنَ، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قولُ مُقاتِلِ بنِ سُليمانَ. وقد ذكَرْنا في سُورةِ (هود)[1] عن محمَّدِ بنِ كَعبِ القُرَظي، أنَّ أهلَ مَدْينَ عُذِّبوا بعذابِ الظُّلَّة، فإنْ كانوا غيرَ أصحاب الأيكةِ كما زَعَم مُقاتِلٌ، فقد تَساوَوا في العذاب، وإنْ كان أصحابُ مَدْينَ هم أصحاب الأيكةِ، وهو مذهبُ ابنِ جَريرٍ الطَّبَري كان حذفُ ذِكرِ الأخِ تخفيفاً، واللَّهُ أعلَمُ.

﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ أي: مِنَ النَّاقِصين للكَيْلِ، يُقال: أخسَرْتُ الكَيْلَ والوَزْنَ: إذا نَقَصتَهُ. وقد ذكرنا القِسْطَاسَ في (بني إسرائيل)[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ أي: وخَلَقَ الجِبِلَّةَ. وقيل: المعنى: واذكُروا ما نَزَلَ بالجِبِلَّةِ ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾. وقرأ الحَسنُ، وأبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، وابنُ يَعمَرَ، وابن أبي عَبلَةَ: «الجُبُلَّة» برفعِ الجيم والباء جميعاً مشدَّدةَ اللام. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلمي، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: بكسرِ الجيم وتسكينِ الباء وتخفيفِ اللام. قال ابنُ قُتَيبةَ: الجِبِلَّة: الخَلْقُ، يُقال: جُبِلَ فُلانٌ على كذا، أي: خُلِقَ، قال الشاعر:

والـمَـوتُ أعـظـمُ حـادِثٍ مِـمَّـا يَـمُـرُّ عـلـى الـجِـبِـلَّـهْ

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي قِطعةً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، و«كِسَفٌ» جمعُ «كِسْفَة»، كما يُقال: قِطَعٌ وقِطْعَةٌ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: مِنْ نُقصانِ الكَيْلِ والمِيزانِ؛ والمعنى: إنهُ يُجازيكم إنْ شاءَ، وليس عذابُكم بيَدِي، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ قال المُفسِّرون: بعَثَ اللَّهُ عليهم حَرًّا شديداً، فأخَذَ بأنفاسِهم، فخرَجُوا مِنَ البيوت هَرَباً إلى البَرِّيَّة، فبعَثَ اللَّهُ عليهم سَحابةً أظلَّتْهم مِنَ الشمس، فوَجَدُوا لها بَرْداً، ونادى بعضُهم بعضاً، حتى إذا اجتمَعُوا تَحتَها، أرسلَ اللَّهُ عليهم ناراً، فكان ذلك مِنْ أعظَمِ العذاب، فالظُّلَّةُ: السَّحابةُ التي أظلَّتْهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

---

(١) هود: ٩٤. (٢) الإسراء: ٣٥.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «نَزَلَ به» خفيفاً «الرُّوحُ الأمينُ» بالرفع. وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «نَزَّلَ» مشددةَ الزاي «الرُّوح الأمين» بالنَّصبِ. والمراد بالرُّوح الأمينِ جِبريلُ، وهو أمينٌ على وَحيِ اللهِ تعالى إلى أنبيائِه، ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: نَزَلَ عليكَ فوَعَاهُ قلبُكَ، فثبَتَ، فلا تنساهُ أبداً. قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ أي: ممَّنْ أنذرَ بآياتِ الله المُكَذِّبين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بلسانِ قُريشٍ ليَفهَمُوا ما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وقرأ الأعمَشُ: «زُبْرِ» بتسكين الباء. وفي هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القرآن؛ والمعنى: وإنَّ ذِكرَ القرآن وخبرَهُ، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنها تعود إلى رسولِ الله ﷺ، قاله مُقاتِلٌ. والزُّبُر: الكُتُب.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أو لم يكن» بالياء «آيةً» بالنَّصبِ. وقرأ ابنُ عامرٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تكن» بالتاء «آيةٌ» بالرفع. وقرأ أبو عِمرانَ الجَوْني، وقَتادةُ: «تكن» بالتاء «آيةً» بالنصب، قال الزَّجَّاجُ: إذا قلتَ: «يكن» بالياء، فالاختيارُ نصبُ «آية» وتكون «أنْ» اسمَ كان، وتكون «آية» خبرَ كان، المعنى: أوَلَم يكن لهم عِلْمُ علماء بَني إسرائيلَ أنَّ النبيَّ ﷺ حقٌّ، وأنَّ نبوَّتَهُ حقٌّ؟! «آية»: علامةٌ موضِّحةٌ، لأنَّ العلماءَ الذين آمنوا مِنْ بني إسرائيلَ وجدوا ذِكْرَ النبيِّ ﷺ مكتوباً عندهم في التَّوراة والإنجيلِ. ومَنْ قرأ «أوَلَم تكن» بالتاء جعلَ «آية» هي الاسمَ، و «أن يعلمه» خبرَ «تكن». ويجوز أيضاً «أو لَم تكن» بالتاء «آيةً» بالنَّصب، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ﴾(١) وقرأ الشَّعبيُّ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «أن تَعْلَمَهُ» بالتاء.

[١٠٦١] وقال ابنُ عباسٍ: بَعثَ أهلُ مكَّةَ إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمَّدٍ ﷺ، فقالوا: إنَّ هذا لَزمانُه، وإنَّا لَنَجِدُ في التوراةِ صِفتَهُ، فكان ذلك آيةً لهم على صِدْقِه.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ أعجَم، والأنثى عَجْماءُ، والأعجم: الذي لا يُفصِحُ، وكذلك الأعجميُّ؛ فأمَّا العَجَمي: فالذي مِنْ جنس العَجَم، أفصَحَ أو لَمْ يُفصِح. قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لو قرَأهُ عليهم أعجميٌّ لَقالوا: لا نَفقَهُ هذا، فلَمْ يُؤمِنوا.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ۝٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٠٩﴾

[١٠٦١] لا أصل له. ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٩٨ والقرطبي ١٣/ ١٢٦ كلاهما عن ابن عباس بدون إسناد.

---

(١) الأنعام: ٢٣.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ قد شرحناه في الحِجر[1]. والمجرمون هاهنا: المشركون. قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: كي لا يُؤمِنوا. فأمَّا العذابُ الأليمُ، فهو عند الموت. ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ عند نزول العذاب ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ أي: مُؤَخَّرون لِنُؤمِنَ ونُصَدِّقَ.

[١٠٦٢] قال مُقاتِلٌ: فلمَّا أوعدَهم رسولُ الله ﷺ بالعذاب، قالوا: فَمَتى هو؟ تكذيباً به، فقال الله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ قال عِكرِمَةُ: عُمُرَ الدنيا. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ أي: مِنَ العذاب. ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ يعني: رُسُلاً تُنذِرهم العذابَ. ﴿ذِكْرَىٰ﴾ أي: مَوعِظةً وتذكيراً.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

[١٠٦٣] سببُ نزولِها أنَّ قُريشاً قالت: إنما تجيءُ بالقرآن الشياطينُ فتُلقيه على لسانِ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ أي: أنْ يَنزِلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أنْ يأتوا به مِنَ السماء، لأنهم قد حِيلَ بينهم وبين السَّمع بالملائكة والشُّهب. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ أي: عن الاستماع للوَحي مِنَ السماء ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ فكيف يَنزِلونَ به؟! وقال عطاءٌ: عن سماع القرآن لَمحجُوبون، لأنهم يُرْجَمُونَ بالنجوم.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُحذِّر به غيرَهُ، يقول: أنتَ أكرمُ الخَلْقِ عليَّ، ولو اتَّخذتَ مِنْ دوني إلهاً لَعَذَّبتُك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

[١٠٦٤] روى البخاريُّ ومُسلمٌ مِنْ حديث أبي هُريرةَ قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزلَ اللهُ تعالى

[١٠٦٢] لا أصل له. ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٩٩ عن مقاتل بدون إسناد. ومقاتل متهم بوضع الحديث.

[١٠٦٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك يضع الحديث.

[١٠٦٤] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٥٣ و ٣٥٢٧ و ٤٧٧١ ومسلم ٢٠٦ والترمذي ٣١٨٥ والنسائي ٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩ وأحمد ٢/ ٣٣٣ وابن حبان ٦٤٦ و ٦٥٤٩ والبيهقي ٦/ ٢٨٠ والبغوي ٣٧٤٤ من طرق من حديث أبي هريرة. واللفظ الأول للبخاري، واللفظ الأخير لمسلم. قال: «لما أنزلت هذه الآية **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلُّها ببلالها».

---

(١) الحجر: ١٢.

«وأنذِرْ عشيرَتَكَ الأقرَبين» فقال: «يا مَعْشَرَ قُريشٍ: اشتَرُوا أنفُسَكُم مِنَ الله، لا أُغني عنكم مِنَ الله شيئاً، يا بَني عَبْدِ مَنافٍ لا أُغني عنكم مِنَ اللهِ شيئاً، يا عبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلبِ لا أُغني عنكَ مِنَ اللهِ شيئاً، يا صفيةُ عَمَّةَ رسولِ الله لا أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً، يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ سَليني ما شِئتِ ما أُغني عنكِ مِنَ الله شيئاً» وفي بعضِ الألفاظ: «سَلُوني مِنْ مالي ما شِئتُم». وفي لفظٍ: «غيرَ أنَّ لَكُم رَحِماً سأبُلُّها ببلالِها».

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: رَهطَكَ الأدْنَين. ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعني: العشيرة ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكفرِ. و ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: ثِقْ به وفوِّضْ أمرَكَ إليه، فهو عزيزٌ في نِقْمَتِه، رحيمٌ لم يُعجِّل بالعقوبة. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «فتوَكَّل» بالفاء، وكذلك في مصاحفِ أهلِ المدينة والشَّام. ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حينَ تقوم إلى الصلاة، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: حين تقوم مِنْ مَقامِكَ، قاله أبو الجوزاءِ. **والثالث**: حين تَخلُو، قاله الحَسنُ. قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ أي: ونرى تقلُّبَكَ ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: وتقلُّبَكَ في أصلابِ الأنبياء حتى أخرَجكَ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تقلُّبَكَ في الرُّكوعِ والسجود والقيام مع المُصلِّين في الجماعةِ؛ والمعنى: يَراكَ وحدَكَ ويَراكَ في الجماعة، وهذا قولُ الأكثرين منهم قَتادةُ. **والثالث**: وتصرُّفَكَ في ذهابِكَ ومَجيئِكَ في أصحابِكَ المؤمنين، قاله الحَسنُ.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ هذا رَدٌّ عليهم حينَ قالوا: إنما يأتيهِ بالقرآن الشياطين. فأمَّا الأفَّاكُ فهو الكذَّابُ، والأثيمُ: الفاجرُ؛ قال قَتادةُ: وهم الكَهَنةُ.

قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي: يُلْقُون ما سمعوه مِنَ السماء إلى الكَهَنةِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم الشياطين. **والثاني**: الكَهَنةُ.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ وقرأ نافعٌ: «يَتْبعهم» بسكونِ التاء؛ والوَجْهانِ حَسَنان، يقال: تَبِعتُ واتَّبَعتُ، مثل حَفَرتُ واحتَفَرتُ.

[١٠٦٥] وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، قال: كان رجلان على عهد رسولِ الله ﷺ قد تَهاجَيا، فكان مع كلِّ واحدٍ منهما غُواةٌ مِنْ قومه، فقال الله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾. وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ، قال: هم شعراءُ المشركين، قال مُقاتِلٌ: منهم عبدُ الله بنُ الزِّبَعْري، وأبو سُفيانَ بنُ حَربٍ، وهُبيرَةُ بنُ أبي وَهْبٍ المَخزُومي، في آخَرِين، قالوا: نحن نقول مثلَ قولِ محمَّدٍ، وقالوا الشِّعرَ، فاجتمع

[١٠٦٥] واهٍ. أخرجه الطبري ٢٦٨٣٨ عن عطية العوفي عن ابن عباس، وهو واهٍ لأجل عطية العوفي.

إليهم غُواةٌ مِنْ قومِهم يسمعون أشعارَهم ويَرْوُون عنهم[١].

وفي الغَاوِينَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشياطين، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: السُّفهاء، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: المشركون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ هذا مَثَلٌ بمَنْ يَهيمُ في الأودِيَةِ؛ والمعنى أنهم يأخذون في كلِّ فنّ مِنْ لَغوٍ وكذبٍ وغيرِ ذلك؛ فيَمدَحونَ بباطلٍ ويذُمّونَ بباطلٍ، ويقولون: فَعَلنا، ولم يفعلوا: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٦٦] لمّا نزلَ ذَمُّ الشعراء، جاء كَعبُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بن رَواحَةَ، وحسَّانُ بنُ ثابتٍ، فقالوا: يا رسولَ الله، أنزلَ اللهُ هذا وهو يعلم أنَّا شعراءُ، فنزلت هذه الآيةُ.

وقال المُفسِّرون: وهذا الاستثناءُ لِشُعراء المسلمين الذين مَدَحوا رسولَ الله ﷺ وذَمُّوا مَنْ هَجاهُ، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يَشغَلْهُم الشِّعْرُ عن ذِكرِ الله ولم يجعلوا الشِّعرَ هَمَّهُم. قال ابنُ زيدٍ: وذَكَروا اللهَ في شِعرِهم. وقيلَ: المراد بالذِّكرِ: الشِّعرُ في طاعة الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿وَانتَصَرُوا﴾ أي: مِنَ المشركين ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ لأنَّ لمشركين بَدَؤوا بالهجاء. ثم أوعَدَ شعراءَ المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وهَجَوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «أيّ» منصوبةٌ بقوله: «ينقلبون» لا بقوله: «سيعلم»، لأنَّ «أيّا» وسائرُ أسماء الاستفهام لا يعملُ فيها ما قَبْلَها. ومعنى الكلام: إنهم يَنقلِبُون إلى نارٍ يُخلَّدون فيها. وقرأ ابنُ مسعودٍ، ومُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو رَجاءٍ: «أيَّ مُتَقَلَّبٍ يَتَقَلَّبُون» بتاءين مفتوحتين وبقافين على كلِّ واحدةٍ منهما نُقطتان وتشديدِ اللام فيهما. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العَالِيةِ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو عِمرَانَ الجوني، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «أيَّ مُنفَلَتٍ يَنفَلِتُون» بالفاء فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين. وكان شُرَيحٌ يقول: سيعلَمُ الظَّالمون حظَّ مَنْ نَقَصوا، إنَّ الظَّالم يَنتَظِرُ العقابَ، وإنَّ المَظلومَ ينتظرُ النَّصرَ. واللهُ أعلَمُ.

[١٠٦٦] خبر منكر، لا يصح. أخرجه الطبري ٢٦٨٤٨ و ٢٦٨٥٩ عن سالم البراد وهو مرسل، والمتن غريب، فالسورة مكية والخبر مدني. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عروة بنحوه كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٤٠ وقال ابن كثير بعده: وهكذا قال ابن عباس، وعكرمة وغير واحد وهذه مرسلات لا يعتمد عليها، فالسورة مكية وهؤلاء الشعراء من الأنصار اهـ. بتصرف واختصار.

---

(١) عزاه المصنّف لمقاتل، وهو متروك متهم.

ترتيبها ٢٧ — سُورَةُ النَّمْلِ — آياتها ٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓۚ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، وهو مِنْ أسمائِه، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ أخرى عنه، قال: هو اسمُ اللهِ الأعظَمُ. **والثاني**: اسمٌ مِنْ أسماءِ القرآنِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الطّاءُ مِنَ اللطيفِ، والسينُ مِنَ السَّميعِ، حكاه الثَّعلَبي. قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وكتابٌ مبينٌ» بالرفع فيهما. قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي: بُشرى بما فيه مِنَ الثواب للمُصدِّقين.

قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: حَبَّبْنا إليهم قبيحَ فِعْلِهم. وقد بيَّنَّا حقيقةَ التَّزيينِ والعَمَه في سُورةِ البقرة[1]. وسُوءُ العذاب: شَديدُه.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ لأنهم خَسِروا أنفُسَهم وأهليهم وصاروا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يُلْقَى عليكَ فتتلقَّاه أنتَ، أي: تأخُذه. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: اذكُر إذْ قال[2] موسى.

---

(١) البقرة عند الآيات: ١٥، ٢١٢.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٤٤٢: أي اذكر حين سار موسى بأهله، فأضل الطريق وذلك في ليل وظلام، فآنس من جانب الطور ناراً، فقال لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أي عن الطريق، وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم، واقتبس منها نوراً عظيماً، ولهذا قال تعالى: **﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾** أي: فلما أتاها رأى منظراً هائلاً عظيماً حيث انتهى إليها، والنار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقداً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء. قال ابن عباس: لم تكن ناراً، إنما كانت نوراً يتوهج.

قوله تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُ، ويعقوبُ إلاَّ زيداً: «بشهابٍ» بالتنوين. وقرأ الباقون على الإضافة غيرَ مُنوِّنٍ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ نوَّنَ الشِّهابَ، جعل القَبَس مِنْ صِفةِ الشِّهابِ، وكلُّ أبيضَ ذي نُورٍ، فهو شِهابٌ. فأمَّا مَنْ أضافَ، فقال الفَرَّاءُ: هذا ممَّا يُضاف إلى نفسه إذا اختلفَتِ الأسماءُ، كقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[1]. قال ابنُ قُتَيبة: الشِّهابُ: النَّارُ، والقَبَسُ: النار تُقْبَس: يُقال: قَبَسْتُ النَّارَ قَبْساً، واسمُ ما قَبَسْتَ: قَبَسٌ.

قوله تعالى: ﴿تَصْطَلُونَ﴾ أي: تَستَدْفِئونَ، وكان الزمانُ شتاءً.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ أي: جاء موسى النَّارَ، وإنما كان نُوراً فاعتقدَهُ ناراً، ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: قُدِّسَ مَنْ في النَّارِ، وهو الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسنُ؛ والمعنى: قُدِّسَ مَنْ نادى مِنَ النَّارِ، لا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يَحُلُّ في شيءٍ. **والثاني**: أنَّ «مَنْ» زائدةٌ؛ فالمعنى: بُورِكَتِ النَّارُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنَّ المعنى بُورِكَ على مَنْ في النَّارِ، أو فيمَنْ في النَّارِ؛ قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول: باركَهُ الله، وبارَكَ عليه، وبارَكَ فيه، بمعنًى واحدٍ، والتقدير: بُورِكَ في مَنْ طلب النارَ، وهو موسى، فحذف المضاف. وهذه تحيَّةٌ مِنَ الله تعالى لموسى بالبَرَكَةِ، كما حيَّا إبراهيمَ بالبَرَكَةِ على ألسنةِ الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[2]. فخرج في قوله تعالى: ﴿بُورِكَ﴾ قولان: **أحدها**: قُدِّسَ. **والثاني**: مِنَ البَرَكَة. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الملائكة، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: موسى والملائكةُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والثالث**: موسى؛ فالمعنى: بُورِكَ فيمَنْ يطلبها وهو قريبٌ منها.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الهاء عِمادٌ في قول أهل اللغة؛ وعلى قول السُّدِّيِّ: هي كِنايةٌ عن المُنادي، لأنَّ موسى قال: مَنْ هذا الذي يُناديني؟ فقيلَ: «إنَّه أنا الله».

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ في الآية محذوفٌ، تقديره: فألقاها فصارت حيَّةً، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ قال الفَرَّاءُ: الجَانُّ: الحيَّةُ التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لم يَلتَفِتْ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: لم يَرجِعْ، قاله

---

(١) يوسف: ١٠٩. (٢) هود: ٧٣.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٤٤٣: الجانّ ضرب من الحيات، أسرعه حركة، وأكثره اضطراباً.
ـ وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال «نهى رسول الله ﷺ عن قتل الجِنّان التي في البيوت». أخرجه البخاري ٣٣١٢ و ٣٣١٣ ومسلم ٢٢٣٣ وأبو داود ٥٢٥٣ وابن حبان ٥٦٣٩.

ابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتيبةَ: وأهلُ النَّظرِ يرون أنه مأخوذٌ مِنَ العَقبِ..

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافون عندي. وقيل: المراد: في الموضع الذي يُوحى إليهم فيه، فكأنه نبَّهه على أنَّ مَنْ آمَنَهُ الله بالنبوَّة مِنْ عذابه لا ينبغي أنْ يخافَ مِنْ حيَّةٍ. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ ثلاثةُ أقوال[١]:

أحدها: أنه استثناءٌ صحيحٌ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ؛ والمعنى: إلاَّ مَنْ ظَلَمَ منهم فإنه يخافُ. قال ابنُ قُتيبةَ: عَلِمَ اللهُ تعالى أنَّ موسى مُستشعِرٌ خيفةً مِنْ ذَنْبِه في الرَّجل الذي وَكزَه، فقال: «إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً» أي: توبةً وندماً، فإنه يخاف، وإني غفورٌ رحيمٌ.

والثاني: أنه استثناءٌ مُنقطِعٌ؛ والمعنى: لكنَّ مَنْ ظَلَمَ فإنه يخافُ، قاله ابنُ السَّائبِ؛ والزَّجَّاجُ. وقال الفَرَّاءُ: «مَنْ» مُستثناةٌ مِنَ الذين تُركوا في الكلام، كأنه قال: لا يخافُ لَدَيَّ المُرسَلون، إنما الخوف على غيرِهم، إلاَّ مَنْ ظَلَمَ، فتكون «مَنْ» مُستثناةً. وقال ابنُ جَريرٍ: في الآية محذوفٌ، تقديره: إلاَّ مَنْ ظَلَمَ، فمَنْ ظَلَمَ ثم بدَّلَ حُسْناً.

والثالث: أنَّ «إلاَّ» بمعنى الواو، فهو كقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾[٢]، حكاه الفَرَّاءُ عن بعض النحويين، ولم يَرْضَهُ.

وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري، وابنُ يَعمُرَ: «أَلا مَنْ ظَلَمَ» بفتح الهمزة وتخفيفِ اللام. وللمفسِّرين في المراد بالظُّلم هاهنا قولان[٣]:

أحدهما: المعاصي. **والثاني**: الشِّركُ. ومعنى «حُسْناً» توبةً وندماً.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو رَجاءٍ، والأعمَشُ، وابنُ السَّمَيفَع، وعبدُ الوارث عن أبي عمروٍ: «حَسَناً» بفتح الحاء والسين ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ أي: بعد إساءة، وقيل: الإشارة بهذا إلى أنَّ موسى وإنْ كان قد ظَلَمَ نفسه بقَتْلِ القِبْطِيِّ، فإنَّ الله يغفِرُ له، لأنه نَدِمَ على ذلك وتابَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ الجَيْبُ حيث جِيبَ مِنَ القميص، أي: قُطِعَ. قال ابنُ جَريرٍ: إنَّما أُمِرَ بإدخال يدِه في جَيْبِه، لأنه كان عليه حِينَئذٍ مِدْرَعةٌ مِنْ صوفٍ ليس لها كُمٌّ. والسُّوء: البَرَصُ. قوله تعالى: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «في» مِنْ صِلَة قوله: «وألْقِ عصاكَ» «وأدْخِلْ يَدَكَ»، فالتأويل:

---

(١) قال الزمخشري في «الكشاف» ٣/٣٥٦: و ﴿إلا﴾ بمعنى لكن، لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان مظنّة لطروق الشبهة، فاستدرك ذلك. والمعنى: ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء، كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف، ومن موسى بوكزه القبطي، وسماه ظلماً، كما قال موسى: **﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾** ـ القصص: ١٦ ـ والحسن، والسوء: حسن التوبة، وقبح الذنب. وقال الطبري في «تفسيره» ٩/٥٠٠: والصواب من القول في قوله تعالى: **﴿إلا من ظلم ثم بدل﴾** أنه استثناء صحيح وهو قول الحسن البصري وابن جريج ومن قال قولهما. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/٤٤٣: وهذا استثناء منقطع، وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على شيء ثم أقلع عنه ورجع وأناب. فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾** والآيات في هذا كثيرة.

(٢) البقرة: ١٥٠.

(٣) تقدم معنى الظلم بقول الزمخشري رحمه الله، وابن كثير رحمه الله.

أظهرْ هاتين الآيتين في تسع آياتٍ. و «في» بمعنى «مِنْ»، فتأويله: مِنْ تسع آياتٍ؛ تقول: خُذْ لي عشراً مِنَ الإبِلِ فيها فحلانِ، أي: منها فَحلانِ. وقد شرحنا الآياتِ في بني إسرائيل[١]. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: مُرْسَلاً إلى فِرعونَ وقومِه، فحذفَ ذلك لأنه معروفٌ. ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي: بيِّنةً واضحةً، وهو كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[٢] وقد شرحناه.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ أي: هذا الذي نَراهُ عِياناً ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾. ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: أنكرُوها ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنها مِنْ عند الله، ﴿ظُلْمًا﴾ أي: شِرْكاً وعُلُوّاً أي: تكبُّراً. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وجَحَدوا بها ظُلماً وعُلُوّاً، أي: ترفُّعاً عن أنْ يُؤمِنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها مِنْ عند الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ قال المُفسِّرون: عِلماً بالقضاء وبكلام الطَّيْرِ والدَّوابِّ وتسبيحِ الجبال ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنبوَّة والكتابِ وإلانةِ الحديد وتسخيرِ الشياطين والجنِّ والإنسِ ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: كان داودُ أشدَّ تعبُّداً مِنْ سُليمانَ، وكان سُليمنُ أعظمَ مُلْكاً منه وأفطَنَ.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ أي: وَرِثَ نبوَّتَهُ وعِلْمَهُ ومُلْكَهُ، وكان لداودَ تسعةَ عشرَ ذَكَراً، فخصَّ سليمانَ بذلك، ولو كانت وِراثَةَ مالٍ لَكانَ جميع أولاده فيها سواءً[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني سُليمانَ لِبَني إسرائيلَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ قرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «عَلَّمْنا» بفتحِ العين واللام. قال الفَرَّاءُ: «مَنطِق الطَّيْر»: كلامُ الطَّيرِ كالمَنطِقِ إذا فهم، قال الشاعر:

عَجِبْتُ لها أنّى يَكُونُ غِناؤها فَصيحاً ولم تَفْغَرْ بِمَنْطِقِها فَما[٤]

ومعنى الآية: فَهِمْنَا ما تقولُ الطَّيرُ. قال قَتادَةُ: والنَّملُ مِنَ الطَّيرِ. ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: مِنْ كلِّ شيءٍ يجوز أنْ يُؤتاهُ الأنبياءُ والناسُ. وقال مُقاتِلٌ: أُعطينا المُلْكَ والنبوَّةَ والكتابَ والرِّياحَ ومَنْطِقَ الطَّيرِ، وسُخِّرتْ لنا الجِنُّ والشياطين. وروى جعفرُ بنُ محمَّدٍ عن أبيه، قال: أُعطِيَ

---

(١) الإسراء: ١٠٨. (٢) الإسراء: ٥٩.

(٣) هذا القول لا حجة فيه، وهو قول الكلبي كما في «تفسير القرطبي» ١٣/١٤٩، والكلبي كذاب متروك.
ـ وانظر الكلام على توريث الأنبياء في سورة مريم: ٧.

(٤) البيت لحميد بن ثور يصف حمامة، كما في «اللسان» فغر، فغر فاه: فتحه، ويعني بالمنطق: بكاؤه.

سليمانُ مُلْكَ مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، فمَلَكَ سبعمائةَ سنة وستةَ أشهرٍ، ومَلَكَ أهلَ الدنيا كلَّهم مِنَ الجنِّ والإنسِ والشياطين والدَّوابِّ والطَّيرِ والسِّباعِ، وأُعطِيَ عِلْمَ كلِّ شيءٍ ومَنطِقَ كلِّ شيءٍ، وفي زمانه صُنِعتِ الصنائعُ المُعجَّبة، فذلك قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: الذي أعطِينا ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الزيادةُ الظاهرةُ على ما أُعطِيَ غيرُنا. ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ أي: جُمِعَ له كلُّ صِنفٍ مِنْ جُنده على حِدَةٍ، وهذا كان في مسيرٍ له، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال مُجاهِدٌ: يُحبَس أوَّلُهم على آخرِهم. قال ابنُ قُتيبة: وأصلُ الوَزْعِ: الكَفُّ والمَنعُ. يُقال: وَزَعْتُ الرَّجل، أي: كَففته، ووازِعُ الجيش: الذي يَكُفُّهم عن التَّفرُّق، ويَردُّ مَنْ شَذَّ منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟﴾ أي: أشرَفوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ وفي موضعه قولان:

أحدهما: أنه بالطَّائفِ، قاله كَعبٌ. **والثاني**: بالشَّام، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ وعاصِمٌ الجَحْدَري، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ: «نَمُلَةٌ» بضمِّ الميم؛ أي: صاحَتْ بصوتٍ، فلما كان ذلك الصوتُ مفهوماً عبَّر عنه بالقول؛ ولمَّا نَطقَ النَّملُ كما ينطِقُ بَنو آدمَ، أُجريَ مجرى الآدميين، فقيل: ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، وألْهَمَ اللهُ تلك النَّملةَ معرفةَ سُليمانَ مُعجزاً له، وقد ألْهَمَ اللهُ النَّملَ كثيراً مِنْ مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمِنْ ذلك أنها تكسِرُ كلَّ حبَّةٍ تدَّخِرُها قطعتين لئلاَّ تَنبُتَ، إلاَّ الكُزْبرة فإنها تكسِرُها أربعَ قِطَعٍ، لأنها تَنْبُتُ إذا كُسِرَتْ قطعتين، فسُبحانَ مَنْ ألْهَمَها هذا! وفي صفة تلك النَّملةِ قولان: **أحدهما**: أنها كانت كهيئة النَّعجَةِ، قال نَوفٌ الشَّامي: كان النَّملُ في زمن سُليمانَ بنِ داودَ كأمثال الذئاب[1]. **والثاني**: كانت نملةً صغيرةً. ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «مَسْكَنَكم» على التوحيد. قوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ الحطم: الكسر. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَجاءٍ: «لَيَحْطِمَنَّكُمْ» بغير ألِفٍ بعد اللام. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «لا يَحْطِمْكُمْ» بفتح الياء وسكونِ الحاء وتخفيفِ الطاء وسكونِ الميم وحذفِ النون. وقرأ عمروُ بنُ العاصِ، وأبَانٌ: «يَحْطِمَنْكُمْ» بفتح الياء وسكونِ الحاء والنونَ ساكنةً أيضاً والطاءَ خفيفةً. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو مِجْلَزٍ: «لا يَحِطِمَنَّكُمْ» بفَتح الياء وكسرِ الحاء وتشديدِ الطاء والنون جميعاً. وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمَرَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «يُحْطِمَنَّكُمْ» برفع الياء وسكونِ الحاء وتخفيفِ الطاء وتشديدِ النون. والحَطْمُ: الكَسْرُ، والحُطامُ: ما تَحطَّمَ. قال مُقاتِلٌ: سمع سُليمانُ كلامَها مِنْ ثلاثة أميالٍ. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: وأصحابُ سُليمانَ لم يشعروا بكلام النَّملةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: وأصحابُ سُليمانَ لا يَشعُرون بمكانِكم، لأنها عَلِمَتْ أنَّه مَلِكٌ لا بَغْيَ فيه، وأنهم لو علموا بالنَّملِ ما توطَّؤوهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ قال الزَّجَّاج؛ «ضاحكاً» منصوبٌ، حالٌ مؤكِّدةٌ، لأنَّ «تبسَّم» بمعنى «ضَحِكَ». قال المُفسِّرون: تبسَّمَ تعجُّباً ممَّا قالت، وقيل: مِنْ ثَنائها عليه. وقال بعضُ العلماء: هذه الآيةُ مِنْ عجائب القرآن، لأنها بلفظةِ «يا» نادَتْ «أيها» نبَّهتْ «النمل» عيَّنَتْ «ادخلوا» «مساكنكم» نصت «لا يحطمنكم» حذّرت «سليمان» خَصَّتْ «وجنوده» عَمَّتْ «وهم لا يشعُرون» عَذرَتْ. قوله

---

(١) قال ابن كثير بعد أن ذكر قول نوف البكالي. هكذا رأيته مضبوطاً بالياء المثناة من تحت (الذياب) وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف والله أعلم. فصوابه «بالباء» «ذباب» وإلا فهو من مجازفات نوف البكالي.

تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: ألهِمْني، أصلُ الإيزاعِ: الإغراءُ بالشيء، يُقال: أوزعْتُه بكذا، أي: أغريْتُه به، وهو مُوزَعٌ بكذا، ومُولَعٌ بكذا. وقال الزَّجَّاجُ. تأويله في اللغة: كُفَّني عن الأشياء إلاَّ عن شُكرِ نِعمَتِكَ؛ والمعنى: كُفَّني عمَّا يُباعِدُ منك، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾ أي: وألهِمْني أن أعمل ﴿صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ قال المُفسِّرون: إنما شكَرَ الله تعالى لأنَّ الريحَ أبلغَتْ إليه صوتَها ففهِمَ ذلك.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ التَّفقُّد: طلبُ ما غابَ عنكَ؛ والمعنى أنه طَلَبَ ما فقدَ مِنَ الطَّير؛ والطَّير اسمٌ جامعٌ للجنس، وكانت الطَّيرُ تصحبُ سليمانَ في سَفَرِه تُظلُّه بأجنحتِها ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، والكِسائيُّ: ﴿مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ بفتح الياء. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ بالسكون، والمعنى: ما لِلهُدهُدِ لا أراه؟! تقول العرب: مالي أراكَ كئيباً، أي: مَالَكَ؟ فهذا مِنَ المقلوب الذي معناه معلومٌ. قال المُفسِّرون: لمَّا فَصَل سليمانُ عن وادي النَّملِ، وقعَ في قَفْرٍ مِنَ الأرض، فعَطِشَ الجيشُ فسألوه الماءَ، وكان الهُدهُدُ يدلُّه على الماء، فإذا قال له: هاهنا الماء، شقَّقت الشياطينُ الصَّخرةَ وفجَّرت العيونَ قبل أن يضربوا أبنيَتَهم، وكان الهُدهُدُ يرى الماءَ في الأرض كما يرى الماءَ في الزُّجاجة، فطلبه يومَئذٍ فلم يَجِدْهُ. وقال بعضُهم: إنما طلبه لأنَّ الطَّيرَ كانت تُظِلُّهم مِنَ الشمس، فأخلَّ الهُدهُدُ بمكانه، فطلعت الشمسُ عليهم مِنَ الخَلَلِ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ كَانَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: بل كان. قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: نَتْفُ ريشِه، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: نَتْفُه وتَشميسُه، قاله عبدُ الله بنُ شَدَّادٍ. **والثالث**: شَدُّ رِجلِه وتشميسُه، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنْ يطليَهُ بالقَطِرانِ ويُشمِّسَهُ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والخامس**: أنْ يودِعَهُ القَفصَ. **والسادس**: أنْ يُفرِّق بينه وبين إلْفِه، حكاهما الثَّعلبي. قوله تعالى: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «لَيأتِيَنَّني، بِنُونين، وكذلك هي في مصاحِفهم. فأمَّا السلطان، فهو الحُجَّةُ، وقيلَ: العُذر.

وجاء في التفسير أنَّ سُليمان لمَّا نزل في بعض مسيرِه، قال الهُدهُدُ: إنه قد اشتغلَ بالنُّزول فأرتفعُ أنا إلى السماء فأنظُرُ إلي طُولِ الدنيا وعَرضِها، فارتفع فرأى بستاناً لِبلْقِيسَ، فمَالَ إلى الخُضرة فوقع فيه، فإذا هو بهُدهُدٍ قد لَقِيَه، فقال: مِنْ أين أقبلْتَ؟ قال: مِنَ الشَّام مع صاحبي سُليمانَ، فمِنْ أين أنت؟ قال: مِنْ هذه البلاد، ومَلِكُها امرأةٌ يُقال لها: بِلقِيسُ، فهل أنتَ مُنطَلِقٌ معي حتى ترى مُلْكَها؟ قال: أخاف أنْ يتفقَّدني سليمانُ وقتَ الصَّلاةِ إذا احتاج إلى الماء، قال: إنَّ صاحبَكَ يسرُّه أنْ تأتيَه بخبرِ هذه المَلِكة، فانطلقَ معه، فنظرَ إلى بِلقِيسَ ومُلْكِها، ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قرأ الجمهور بضمِّ الكاف، وقرأ

عاصِمٌ بفتحها، وقرأ ابنُ مسعودٍ: «فتمكَّث» بزيادةِ تاءٍ؛ والمعنى: لم يَلْبَثْ إلاَّ يسيراً حتى جاء، فقال سُليمانُ: ما الذي أبطأ بك؟ ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: عَلِمتُ شيئاً مِنْ جميع جهاتِه ممَّا لم تَعْلَمْ به ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «سَبَأَ» نصباً غيرَ مصروفٍ، وقرأ الباقون خَفضاً منوّناً[(١)].

[١٠٦٧] وجاء في الحديث عن رسولِ الله ﷺ «أنَّ سَبَأَ رجلٌ مِنَ العرب». وقال قَتادَةُ: هي أرضٌ باليمن يُقال لها: مَأْرِبُ. وقال أبو الحسنِ الأخفشُ: إنْ شئتَ صرفتَ «سبأ» فجعلتَهُ اسمَ أبيهم، أو اسمَ الحيِّ، وإنْ شئتَ لم تَصرِفْ فجعَلتَهُ اسمَ القبيلة، أو اسمَ الأرض. قال الزَّجَّاجُ: وقد ذكر قومٌ مِنَ النَّحويين أنه اسمُ رجلٍ. وقال آخرون: الاسم إذا لم يُدْرَ ما هو لم يُصرَفْ؛ وكِلاَ القولين خطأٌ، لأنَّ الأسماء حَقُّها الصَّرفُ، وإذا لم يُعلَمْ هل الاسمُ للمذكَّر أم للمؤنَّث، فحَقُّهُ الصَّرفُ حتى يُعلمَ أنَّه لا ينصَرفُ، لأنَّ أصلَ الأسماء الصَّرفُ. وقولُ الذين قالوا: هو اسمُ رجلٍ، غَلطٌ، لأنَّ سبأَ هي مدينةٌ تُعرف بمَأرِب مِنَ اليمن، بينها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ، فمَنْ لم يصرِفْهُ جعله اسمَ مدينةٍ، ومَنْ صرفَهُ فلأنَّه اسمُ البلد، فيكون مذكَّراً سُمِّيَ بمذكَّرٍ.

قوله تعالى: ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي: بخبرٍ صادقٍ، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾ يعني بِلقيس ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: مِنْ كلِّ شيءٍ يُعطاه الملوك ويؤتاهُ الناس. والعَرشُ: سريرُ المَلِكِ. قال قتادَةُ: كان عَرشُها مِنْ ذهبٍ، قوائمُه مِنْ جوهرٍ مكلَّلٌ باللؤلؤِ، وكان أحدُ أبوَيها مِنَ الجنِّ، وكان

[١٠٦٧] صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٢٢ وابن سعد في «الطبقات» ١/ ٣٨ والطبري ٢٨٧٨٣ من طرق عن أبي أسامة عن الحسن بن الحكم ثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك به. وإسناده لين، لأجل أبي سبرة، فإنه مقبول، وباقي الإسناد ثقات. وقال الترمذي. حسن غريب. وورد من وجه آخر. أخرجه البخاري في «التاريخ» ٧/ ١٢٦/ ٥٦٨ والحاكم ٢/ ٤٢٤ من طريق الحميدي عن فرج بن سعيد حدثني عمي ثابت بن سعيد عن أبيه عن فروة به. وإسناده حسن في المتابعات والشواهد، لأجل ثابت بن سعيد بن أبيض، فإنه مقبول هو وأبوه. وباقي الإسناد ثقات. وسكت عليه الحاكم، وصححه الذهبي، وورد من وجه آخر. أخرجه الطبري ٢٨٦٨٢ من طريق أبي حيان عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادي عن فروة به. وإسناده ضعيف، فيه مجاهيل، وورد من وجه آخر. أخرجه الطبري ٢٨٧٨٤ من طريق أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادي عن أبيه أو عن عمه ـ شك أسباط ـ قال: قدم فروة، فهذا مرسل. وفيه من لم يسم فهو ضعيف. وله شاهد من حديث يزيد بن حصين، أخرجه الطبراني ٢٢/ ٢٤٥. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٤/ ١١٢٨٧: رجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني علي بن الحسن الصائغ، ولم أعرفه. قلت: ذكره الخطيب في «التاريخ» ١١/ ٣٧٦ من غير جرح أو تعديل، وبكل حال يصلح شاهداً لما قبله، ويشهد له حديث ابن عباس، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٣ وصححه، ووافقه الذهبي. الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، وقال ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٥٣٨: إسناده حسن قوي. وانظر «تفسير القرطبي» ١١٢ و «تفسير الشوكاني» ٢٠٤٩ وكلاهما بتخريجي.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٩/ ٥٠٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لأن سبأ إن كان رجلاً كما جاء به الأثر، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجري، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجر، وإن كان سبأ جبلاً، أجري لأنه يراد به الجبل بعينه، وإن لم يجر فلأنه يجعل اسماً للجبل وما حوله من البقعة.

مؤخَّرُ أحدِ قدميها مثل حافرِ الدَّابة، وقال مُجاهِدٌ: كان قدماها كحافرِ الحمار. وقال ابنُ السَّائبِ: لم يكن بقدميها شيءٌ، إنما وقع الجِنُّ فيها عند سُليمانَ بهذا القول، فلمَّا جعل لها الصَّرحَ بانَ له كذبُهم. قال مُقاتِلٌ: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعاً في عرضِ ثمانين، وكانت أُمُّها مِنَ الجِنِّ(١). قال ابنُ جَريرٍ: وإنما صار هذا الخبر عُذراً للهُدهُدِ، لأنَّ سُليمانَ كان لا يرى لأحدٍ في الأرض مملكةً سِواهُ، وكان مع ذلك يحبُّ الجهاد، فلمَّا دَلَّهُ الهُدهُدُ على مملكةٍ لغيره، وعلى قوم كَفَرةٍ يُجاهدهم، صار ذلك عُذراً.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ قرأ الأكثرون: «ألاّ» بالتشديد. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: وزيَّنَ لهم الشيطانُ ألاَّ يسجدوا، أي: فَصَدَّهم لئلاَّ يَسجُدوا. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، والحسَنُ، والزُّهريُّ وقتادةُ، وأبو العَالِيةِ، وحُمَيدٌ الأعرجُ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، والكِسَائيُّ: «ألا يسجُدوا» مخفَّفةً، على معنى: ألا يا هؤلاءِ اسجُدوا، فيكون في الكلام إضمارُ «هؤلاء» ويُكتفى منها بـ «يا»، ويكون الوقفُ «ألا يا» والابتداءُ «اسجدوا»؛ قال الفَرَّاءُ: فعَلَى هذه القراءة هي سَجدَةٌ، وعلى قراءة مَنْ شدَّد لا ينبغي لها أن تكون سَجدَةً. وقال أبو عُبيدَةَ: هذا أمرٌ مِنَ الله مُستأنَفٌ، يعني: ألا يا أيُّها الناسُ اسجُدوا. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيٌّ: «هلاّ يسجدوا» بهاءٍ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: المُستَتِر فيهما، وهو مِنْ خَبَأْتُ الشيءَ: إذا أخفيتَهُ، ويُقال: خبْءُ السمواتِ: المطر، وخَبْءُ الأرض: النباتُ. وقال الزَّجَّاجُ: كلُّ ما خَبَأْتَهُ فهو خَبْءٌ، فالخَبْءُ: كُلُّ ما غابَ؛ فالمعنى: يعلم الغيبَ في السمواتِ والأرضِ. وقال ابنُ جَريرٍ: «في» بمعنى «مِنْ» فتقديره: يُخرجُ الخَبْءَ مِنَ السمواتِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ قرأ حَفصٌ عن عاصِم، والكِسَائيُّ، بالتاء فيهما. وقرأ الباقون بالياء. قال ابنُ زيدٍ: مِنْ قوله: ﴿أَحَطتُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ كلامُ الهُدهُدِ. وقرأ الضَّحَّاكُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «العَظيمُ» برفع الميم.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

فلمَّا فَرغَ الهُدهُدُ مِنْ كلامه ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ فيما أخبرتَنا به ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما قلتَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وإنما شَكَّ في خبره، لأنه أنكرَ أنْ يكون لغيره في الأرض سلطانٌ. ثم كتب كتاباً وختمَهُ بخاتَمِه ودَفعَهُ إلى الهُدهُدِ وقال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «فألقِهِي» موصولةً بياءٍ. وقرأ أبو عمرٍو، وعاصِمٌ، وأبو جعفرَ، وحمزَةُ: «فألقِهْ» بسكون الهاء، وروى قَالُونُ عن نافع: كَسْرَ الهاء مِنْ غير إشبَاعٍ؛ ويعني: إلى أهلِ سَبأ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أعرِضْ. **والثاني**: انصَرِفْ، ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يَرُدُّون مِنَ الجواب. فإنْ قيلَ: إذا تولَّى عنهم فكيف يعلم جوابَهُم؟ فعنه جوابان(٢): **أحدهما**: أنَّ المعنى: ثم تَوَلَّ عنهم مُستتراً

---

(١) هذا وما قبله وأمثالها من الإسرائيليات المنكرة.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٤٤٨: كتب سليمان كتاباً إلى بلقيس وقومها. وأعطاه للهدهد فحمله =

مِنْ حيثُ لا يَرونكَ، فانظُرْ ماذا يردُّون مِنَ الجواب، وهذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والثاني**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: فانظُرْ ماذا يرجِعون ثم تَولَّ عنهم، وهذا مذهبُ ابنِ زيدٍ. قال قَتادَةُ: أتاها الهُدهُدُ وهي نائمةٌ فألقى الكتاب على نحرِها فقرأَتْهُ وأخبرَتْ قومَها. وقال مُقاتِلٌ: حَملَهُ بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة، فرَفرَفَ ساعةً والناسُ ينظُرون، فرفعت رأسَها فألقى الكتابَ في حِجْرِها، فلمَّا رأتِ الخاتَمَ أُرْعِدَتْ وخَضعَتْ وخضعَ مَنْ معها مِنَ الجنود. واختلفوا لأيِّ عِلَّةٍ سمَّتْهُ كريماً على سبعةِ أقوالٍ: **أحدها**: لأنه كان مختوماً، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: لأنها ظنَّته مِنْ عندِ الله عزَّ وجلَّ، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنَّ معنى قولها: «كريمٌ»: حَسَنٌ ما فيه، قاله قَتادَةُ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: لكلام صاحبه، فإنه كان مَلِكاً، ذكره ابنُ جَريرٍ. **والخامس**: لأنه كان مَهيباً، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والسادس**: لتسخيرِ الهُدهُدِ لِحَمْلِه، حكاه المَاوَرْدِي. **والسابع**: لأنها رأتْ في صدره «بسم الله الرحمن الرحيم»، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: إنَّ الكتابَ مِنْ عنده ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإنَّ المكتوبَ «بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا علي» أي: لا تتكبَّروا. وقرأ ابنُ عباسٍ: «تَغْلُوا» بغينٍ مُعجمةٍ وأتوني ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ أي: مُنقادينَ طائعينَ. ثم استشارت قومَها، فـ ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ يعني الأشرافَ، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشرَ قائداً، كلُّ رجلٍ منهم على عشرةِ آلافٍ. وقال ابنُ عباسٍ: كان معها مائة ألفِ قَيْلٍ، مع كلِّ قَيْلٍ مائة ألفٍ. وقيل: كانت جنودها ألفَ ألفٍ ومائتي ألفٍ.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: بيِّنوا لي ما أفعل، وأشيروا عليَّ. قال الفَرَّاءُ: جَعلَتِ المَشورةَ فُتْيا، وذلك جائزٌ لسَعَةِ اللغة. قوله تعالى: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾ أي: فاعلَته ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾ أي: تَحضُرون: والمعنى: إلاَّ بحضورِكُم ومَشورَتكم. ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم أرادوا القُوَّة في الأبدان. **والثاني**: كثرة العَدَد والبأس والشجاعة في الحرب. وفيما أرادوا بذلك القول قولان: **أحدهما**: تفويض الأمرِ إلى رأيها. **والثاني**: تعريضٌ منهم بالقتالِ إنْ أمَرتْهم. ثم قالوا: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ أي: في القتال وتَرْكِه. ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا دخلوها عَنْوةً عن قتالٍ وغَلَبةٍ. قوله تعالى: ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ أي: خرَّبوها ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ أي: أهانوا أشرافَها ليستقيمَ لهم الأمرُ. ومعنى الكلام: أنها حذَّرتْهم مسيرَ سُليمانَ إليهم ودخولَهُ بلادَها. قوله تعالى:

= وجاء قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هناك بين يديها، ثم تولى ناحيةً أدباً ورياسةً فتحيرت مما رأت وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب، وقرأته وفتحت ختمه، فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها، ثم قالت: ﴿يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم﴾ تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره، كون الطائر أتى به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدباً وهذا أمر لا يقدر عليه أحدٌ من الملوك، ولا سبيل لهم إلى ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزَّجّاجُ. **والثاني**: مِنْ تمام كلامها؛ والمعنى: وكذلك يفعلُ سُليمانُ وأصحابه إذا دخلوا بلادَنا، حكاه المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنما أرسَلَت الهديَّةَ لتعلمَ أنه إن كان نبيًّا لم يُرِد الدُّنيا، وإنْ كان مَلِكاً فسيرضى بالحَمْلِ، وأنها بَعثَتْ ثلاثَ لَبِناتٍ مِنْ ذهبٍ في كلِّ لَبِنةٍ مائةُ رطلٍ؛ وياقوتةً حمراءَ طولُها شبرٌ مثقوبة، وثلاثين وَصِيفاً وثلاثين وَصِيفةً، وألبَسَتْهم لِباساً واحداً حتى لا يُعرفَ الذَّكرُ مِنَ الأنثى، ثم كَتَبَتْ إليه: إنِّي قد بعثتُ إليكَ بهديَّةٍ فاقبَلْها، وبعثتُ إليكَ بياقوتةٍ طولُها شِبرٌ، فأدخِلْ فيها خيطاً واختمْ على طَرَفي الخيط بخاتَمكَ، وقد بعثتُ إليكَ ثلاثين وَصِيفاً وثلاثين وَصِيفةً، فميِّز بين الجواري والغِلمان؛ فجاء أميرُ الشياطين فأخبره بما بعثَتْ إليه، فقال له: انطَلِقْ فافرشْ على طريق القوم مِنْ باب مجلسي ثمانيةَ أميالٍ في ثمانيةِ أميالٍ لَبِناً مِنَ الذهب؛ فانطلَقَ، فبعثَ الشياطين، فقطعوا اللَّبِنَ مِنَ الجبال وطَلَوه بالذهب وفَرَشُوه، ونَصَبوا في الطريق أساطِينَ الياقوتِ الأحمرِ، فلمَّا جاء الرُّسُلُ، قال بعضُهم لبعضٍ: كيف تدخُلون على هذا الرجل بثلاثِ لَبِناتٍ، وعنده ما رأيتم؟! فقال رئيسُهم: إنما نحن رُسُلٌ، فدَخَلوا عليه، فوضعوا اللَّبِنَ بين يديه، فقال: أتُمِدُّونني بمالٍ؟ ثم دَعَا ذَرَّةً فربطَ فيها خيطاً وأدخلها في ثَقْب الياقوتةِ حتى خرجت مِنْ طرفها الآخر، ثم جمع بين طَرَفي الخيط فختَمَ عليه ودَفَعَها إليهم، ثم ميَّزَ بين الغِلمان والجواري؛ هذا كلُّه مرويٌّ عن ابنِ عباسٍ[١]. وقال مُجاهِدٌ: جعلَتْ لباسَ الغِلمان للجواري ولباسَ الجواري للغلمان، فميَّزهم ولم يَقبَلْ هديَّتَها. وفي عدد الوَصائفِ والوُصفاءِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثلاثون وَصِيفاً وثلاثون وَصِيفةً، وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: خمسمائة غلام وخمسمائة جاريةٍ، قاله وَهْبٌ. **والثالث**: مائتا غلام ومائتا جاريةٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: عشرة غلمانٍ وعشر جَوارٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: مائة وَصِيفٍ ومائة وَصِيفةٍ، قاله مُقاتِلٌ. وفيما ميَّزهم به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أمَرَهُم بالوضوء، فبدأ الغلامُ مِنْ مِرفَقِه إلى كَفِّه، وبدأتِ الجاريةُ مِنْ كفِّها إلى مِرفَقِها، فميَّزهم بذلك، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنَّ الغِلمان بدؤوا بغَسْلِ ظُهور السَّواعدِ قبل بُطونها، والجَواري على عكس ذلك، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ الغلام اغترَفَ بيده، والجارية أفرغت على يدِها، قاله السُّدِّيُّ. وجاء في التفسير أنها أَمَرتِ الجواري أنْ يُكلِّمنَ سُليمانَ بكلام الرجال، وأمرتِ الرجالَ أنْ يُكلِّموه كلامَ النساء، وأرسلَتْ قَدَحاً أنْ يملأه ماءً ليس مِنَ ماء السماء ولا مِنْ ماءِ الأرض، فَجرَى الخَيْلَ ومَلأه مِنْ عَرَقِها.

قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: بقَبُولٍ أَمْ بِرَدٍّ. قال ابنُ جَريرٍ: وأصل «بِمَ»: بما، وإنما أُسقِطَت الألِفُ لأنَّ العرب إذا كانت «ما» بمعنى «أيّ» ثم وَصَلوها بحرفٍ خافضٍ، أسقَطوا أَلِفَها، تفريقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٢] و ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾[٣]، وربما أثبتوا فيها الألِفَ كما قال الشاعر:

عَـلَـى مَـا قـام يَـشْـتُـمُـنَـا لَـئِـيـمٌ ... كَـخِـنْـزِيـرٍ تَـمَـرَّغَ فِـي رَمَـادِ؟[٤]

---

(١) هو متلقىً عن أهل الكتاب. ولا يصح شيء في تعيين الهدية أو وصفها، وكل ذلك من الإسرائيليات.
(٢) النبأ: ١. (٣) النساء: ٩٧.
(٤) البيت لحسان بن ثابت، ديوانه: ١٤٣.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ قال الزجّاج: لمّا جاء رسولُها، ويجوز: فلمّا جاء بِرُّها.

قوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «أتُمِدُّونَني» بنونين وياءٍ في الوَصْلِ. وروى المسيّبي عن نافع: «أتُمِدُّوني» بنونٍ واحدةٍ خفيفةٍ وياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ: «أتُمِدُّونَنِ» بغير ياءٍ في الوَصْلِ والوَقْفِ. وقرأ حمزةُ: «أتُمِدُّونّي بمال» بنونٍ واحدةٍ مشددةٍ ووَقَفَ على الياء.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «فما آتانِ» بكسرِ النون مِنْ غير ياءٍ. وقرأ أبو عمرو، ونافعٌ، وحَفصٌ عن عاصِم: «أتانيَ الله» بفتح الياء. وكلُّهم فتَح التاءَ غيرَ الكِسائيِّ، فإنه أمالَها مِنْ «أتاني اللّهُ» وأمالَ حمزةُ: «أنا آتيكَ به» أشمَّ النونَ شيئاً مِنَ الكسرِ، والمعنى: فما آتاني اللّهُ، أي: مِنَ النبوّة والمُلْكِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ مِنَ المال ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يعني إذا أهدى بعضُكم إلى بعضٍ فرِحَ، فأمّا أنا فلا، ثم قال للرّسول: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ أي: لا طاقةَ ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ يعني بلدتَهم. فلمّا رجعتْ رُسلُها إليها بالخبر، قالت: قد علمتُ أنّه ليس بمَلِكٍ وما لنا به طاقةٌ، فبعثَتْ إليه: إني قادمةٌ عليكَ بملوكِ قومي لأنظُرَ ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشِها فجُعِلَ وراء سبعةِ أبواب، ووكّلَتْ به حَرَساً يحفظونه، وشَخصَتْ إلى سُليمانَ في اثني عشرَ ألفِ مَلِكٍ، تحت يَدَي كلِّ ملِكٍ ألوفٌ. وكان سُليمانُ مَهيباً لا يَبتدئ بشيءٍ حتى يُسألَ عنه، فجلس يوماً على سرير مُلكه فرأى رَهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقِيسُ قد نزلت بهذا المكان، وكان قَدْرَ فرسَخٍ، وقد كان بَلَغهُ أنها احتاطَتْ على عرشها قبل خُروجها، و ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ وفي سببِ طلبه له خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: ليعلَمَ صِدْقَ الهُدهُدِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ليجعلَ ذلك دليلاً على صِدقِ نبوّتِه، لأنها خلّفَتْهُ في دارِها واحتاطَتْ عليه، فوجدَتْهُ قد تقدَّمها، قاله وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ. **والثالث**: ليختبِرَ عقلَها وفِطنتَها، أتعرفُه أمْ تُنكِرُه، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والرابع**: لأنَّ صفتَهُ أعجبَتْهُ، فخشِيَ أنْ تُسلِمَ فيَحرُمَ عليه مالُها، فأراد أخذَهُ قبلَ ذلك، قاله قَتادَةُ.

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٩/ ٥٢١: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضار عرش المرأة دون سائر ملكها عندها ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ويعرّفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض مغلق مقفل فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله إلى وليه من خلقه وسلمه إليه فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان وعلى صدقه فيما أعلمها من نبوته.

والخامس: لِيُرِيَها قُدرةَ الله تعالى وعِظَمَ سُلطانِه، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: العِفريتُ مِنْ كلِّ جنٍّ أو إنسٍ: الفائقُ المُبالِغُ الرَّئيسُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: العِفريتُ: الشرير الوَثيقُ. وقال الزَّجَّاجُ: العِفريتُ: النَّافِذُ في الأمرِ، المُبالِغُ فيه مع خُبثٍ ودَهاءٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو العَاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «قال عَفْريت» بفتحِ العينِ وكَسْرِ الراءِ، وروى ابنُ أبي شُرَيحٍ عن الكِسَائيِّ: «عِفْرِيَة» بفتحِ الياءِ وتخفيفِها، ورُوي عنه أيضاً تشديدُها وتنوينُ الهاءِ على التأنيثِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيفَع: «عِفْرَاةٌ» بكسرِ العينِ وفتحِ الراءِ وبألِفٍ مِنْ غيرِ ياءٍ.

قوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ أي: مِنْ مجلِسِكَ؛ ومثله: «في مقامٍ أمينٍ»[1]. وكان سُليمانُ يجلس للقضاء بين الناس مِنْ وقت الفَجرِ إلى طلوعِ الشمسِ، وقيل: إلى نِصْفِ النهار. ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ﴾ أي: على حَمْلِه ﴿لَقَوِيٌّ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿أَمِينٌ﴾ قولان: **أحدهما:** أمينٌ على ما فيه مِنَ الجَوهرِ والدُّرِّ وغيرِ ذلك، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني:** أمينٌ أنْ لا آتيكَ بغيرِه بَدَلاً منه، قاله ابنُ زيدٍ. قال سُليمانُ: أريد أسرَعَ مِنْ ذلك. ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهل هو إنسِيٌّ أم مَلَكٌ؟ فيه قولان: **أحدهما:** إنسِيٌّ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو صالحٍ، ثم فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّه رجلٌ مِنْ بَني إسرائيلَ، واسمه آصَفُ بنُ برخياء، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ عباسٍ: دعا آصَفُ ـ وكان آصَفُ يقوم على رأس سُليمانَ بالسيف ـ فبعثَ اللَّهُ الملائكةَ فحملوا السَّريرَ تحتَ الأرض يَخُدُّون الأرضَ خَدًّا، حتى انخرقت الأرضُ بالسرير بين يَدَي سُليمانَ. والثاني: أنه سُليمانُ عليه السلام، وإنما قال له رجلٌ: أنا آتِيكَ به قبل أنْ يرتَدَّ إليكَ طَرْفُكَ، فقال: هاتِ، قال: أنتَ النبيُّ ابنُ النبيِّ، فإنْ دَعوتَ اللَّهَ جاءَكَ، فَدَعا اللَّهَ فجاءَهُ، قاله محمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ. والثالث: أنَّه الخَضِرُ، قاله ابنُ لَهِيعَةَ[2]. والرابع: أنه عابدٌ خرج يومَئِذٍ مِنْ جزيرةٍ في البحرِ فوَجدَ سُليمانَ فَدَعا فأُتيَ بالعَرشِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والقول الثاني:** أنه مِنَ الملائكة، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه جِبريلُ عليه السلام. والثاني: مَلَكٌ مِنَ الملائكة أيَّدَ اللَّهُ تعالى به سُليمانَ، حكاهما الثَّعلَبي. وفي العِلْمِ الذي عنده مِنَ الكتاب ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها:** أنه اسمُ الله الأعظَمُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والجمهور. **والثاني:** أنه عِلْمُ كتاب سُليمانَ إلى بِلقِيسَ. **والثالث:** عِلْمُ ما كتبَ اللَّهُ لبَني آدمَ، وهذا على أنه مَلَكٌ، حكى القولين المَاوَردِي. وفي قوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها:** قبل أنْ يأتيكَ أقصى ما تنظرُ إليه، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني:** قبل أنْ ينتهيَ طَرفُكَ إذا مدَدْتَهُ إلى مَداهُ، قاله وَهْبٌ. **والثالث:** قبل أنْ يرتَدَّ طَرفُكَ حسيراً إذا أدمتَ النَّظرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع:** بمقدار ما تفتحُ عينَكَ ثم تطرف، قاله الزَّجَّاجُ: قال مُجاهِدٌ: دعا فقال: يا ذا الجَلالِ والإكرامِ، وقال ابنُ السَّائبِ: إنما قال: يا حيُّ يا قيُّومُ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ في الكلام محذوفٌ تقديره: فَدَعا اللَّهَ فأُتيَ به، فلمَّا رآهُ، يعني: سُليمان ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ أي ثابتاً بين يديه ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ يعني التَّمكُّن مِنْ حصول المراد.

قوله تعالى: ﴿ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ فيه قولان: **أحدهما:** أأشكرُ على السَّريرِ إذْ أُتيتُ به، أم أكفرُ إذا

---

(١) الدخان: ٥١.

(٢) ابن لهيعة: ضعيف إذا وصل الحديث فكيف إذا أرسله، وقد استغرب ابن كثير هذا القول جداً.

رأيتُ مَنْ هو دوني في الدنيا أعلَمُ مني، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أأشكُرُ ذلك مِنْ فضل الله عَليَّ، أمْ أكفرُ نعمتَهُ بتَرْكِ الشُّكرِ له، قاله ابنُ جَرير.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ قال المُفسِّرون: خافت الشياطينُ أنْ يتزوَّجَ سُليمانُ بلقِيسَ فتُفشي إليه أسرارَ الجنِّ، لأنَّ أُمَّها كانت جِنيّةً، فلا ينفكُّون مِنْ تسخير سُليمانَ وذرِّيَّته بعدَهُ، فأساؤوا الثناءَ عليها وقالوا: إنَّ في عقلِها شيئاً، وإنَّ رِجلَها كحافرِ الحمار، فأراد سليمانُ أن يختبرَ عقلَها بتنكيرِ عَرْشِها، وينظرَ إلى قَدَميها ببناءِ الصَّرحِ. قال ابنُ قُتيبةَ: ومعنى «نكّروا»: غَيِّرُوا، يُقال: نَكَّرتُ الشيءَ فتنكَّر، أي: غيَّرتُه فتغيَّرَ. وللمفسِّرين في كيفية تغييره ستةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه زِيدَ فيه ونُقِصَ منه، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم جعلوا صفائحَ الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضَّة، وصفائحَ الفضَّة مكانَ صفائح الذهب، والياقوتَ مكانَ الزَّبَرْجَدِ، والدُّرَّ مكانَ اللؤلؤِ، وقائمتَي الزَّبَرْجَدِ مكانَ قائمتَي الياقوتِ، قاله ابنُ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنهم نزعوا ما عليه مِنْ فُصوصِه وجواهِره، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والرابع**: أنهم جعلوا ما كان منه أحمرَ أخضرَ، وما كان أخضرَ أحمرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنهم جعلوا أسفلَهُ أعلاهُ، ومُقَدَّمَهُ مُؤخَّرَه، وزادوا فيه، ونَقَصُوا منه، قاله قَتادةُ. **والسادس**: أنهم جعلوا فيه تماثيلَ السَّمَكِ، قاله أبو صالح.

وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنها لمَّا رأتْهُ جعلَتْ تَعْرِف وتُنْكِر، ثم قالت في نفسها: مِنْ أين يَخْلُص إلى ذلك وهو في سبعة أبياتٍ والحَرسُ حولَهُ؟! ثم قالت: كأنه هو، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وقال قَتادةُ: شبَّهتْه بعَرشِها. وقال السُّدِّيُّ: وجدَتْ فيه ما تعرفُه فلم تُنْكِر، ووجدَتْ فيه ما تُنْكِرُه فلم تُثْبِت، فلذلك قالت: كأنه هو. **والثاني**: أنَّها عَرَفَتْه، ولكنها شبَّهتْ عليهم كما شبَّهوا عليها، فلو أنهم قالوا: هذا عَرشُكِ، لَقالَتْ: نعم، قاله مُقاتِلٌ. قال المفسِّرون: فقيلَ لها: فإنه عَرشُكِ، فما أغنى عنكِ إغلاقُ الأبواب؟!

وفي قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قول سليمانُ، قاله مُجاهِدٌ، ثم في معناه قولان: أحدهما: وأُوتينا العِلْمَ بالله وقُدرتِه على ما يشاءُ مِنْ قبل هذه المرأةِ. والثاني: أُوتينا العِلْمَ بإسلامِها ومجيئِها طائعة من قبل مجيئِها وكُنَّا مُسْلِمِين لله. **والقول الثاني**: أنه مِنْ قول بلقيسَ، فإنها لمَّا رأتْ عرشَها، قالت: قد عرفتُ هذه الآيةَ، وأُوتينا العِلْمَ بصِحَّة نبوَّة سُليمانَ بالآياتِ المُتقدِّمةِ، تعني أمرَ الهُدهُدِ والرُّسُلِ التي بُعثَتْ مِنْ قَبْلِ هذه الآيةِ، وكُنَّا مُسلِمين مُنقادِينَ لأمرِكَ قبل أنْ نجيءَ. **والثالث**: أنه مِنْ قول قومِ سُليمانَ، حكاه المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: معنى الكلام: هي عاقلةٌ، إنَّما صدَّها عن عبادة الله عبادتُها الشمسَ والقمرَ، وكان عادةً مِنْ دِيْنِ آبائها؛ والمعنى: وصَدَّها أنْ تعبدَ اللَّهَ ما كانت

تعبدُ، قال: وقد قيلَ: صَدَّها سليمانُ، أي: مَنَعها ما كانت تعبُدُ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: صَدَّها عن الإيمان العادةُ التي كانت عليها، لأنها نشأت ولم تعرِفْ إلاَّ قوماً يعبُدون الشمسَ، وبيَّن عبادَتَها بقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أنَّها كانت» بفتحِ الهمزة.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ قال المُفسِّرون: أمرَ الشياطين فبنَوا له صَرْحاً كهيئة السَّطح مِنْ زُجاج. وفي سبب أمرِهِ بذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنه أراد أنْ يُريَها مُلكاً هو أعزُّ مِنْ مُلكِها، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثاني**: أنه أراد أنْ ينظرَ إلى قَدَمِها مِنْ غير أنْ يسألَها كَشفَها، لأنه قيلَ له: إنَّ رِجلَها كحافرِ الحمار، فأمَرَ أنْ يُهيَّأَ لها بيتٌ مِنْ قَواريرَ فوق الماء، ووُضِعَ سريرُ سُليمانَ في صدر البيت، هذا قولُ محمَّدِ بن كَعبٍ القُرَظي. **والثالث**: أنه فعلَ ذلك ليختَبِرَها كما اختبَرَتْهُ بالوَصائِفِ والوصَفاءِ، ذكره ابنُ جَريرٍ. فأمَّا الصَّرْحُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: هو القَصرُ، وجمعه: صُرُوح، ومنه قول الهُذَليّ:

تَـحْـسَـبُ أعـلامَـهُـنَّ الـصُّـروحـا[1]

قال: ويُقال: الصَّرْحُ بَلاطٌ اتُّخِذ لها مِنْ قَوارِيرَ، وجُعِلَ تحته ماءٌ وسمكٌ، قال مُجاهِدٌ: كانت بِركةً مِنْ ماءٍ ضَربَ عليها سليمانُ قَواريرَ. وقال مُقاتِلٌ: كان قصراً مِنْ قَواريرَ بُنِيَ على الماء وتحته السَّمكُ. قوله تعالى: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ وهي: مُعظَمُ الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لدخولِ الماء، فناداها سليمانُ ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي: مُملَّسٌ ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: مِنْ زُجاجٍ؛ فعلِمَتْ حِينَئذٍ أنَّ مُلكَ سليمانَ مِنَ الله تعالى، فـ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ أي: بعبادة غيرِكَ. وقيل: ظَنَّتْ في سُليمانَ أنه يريد تَغريقَها في الماء، فلمَّا علِمَتْ أنه صَرحٌ مُمَرَّدٌ قالت: ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نفسي بذلك الظَّنِّ، وأسلمتْ مع سُليمانَ، ثم تزوَّجها سُليمان. وقيل: إنه رَدَّها إلى مملَكَتِها وكان يزورها في كلِّ شهرٍ مرَّةً ويُقيم عندها ثلاثةَ أيامٍ، وأنها وَلَدَتْ منه. ويُقال: إنه زوَّجها ببعضِ الملوك ولم يتزوجها هو.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ مؤمنٌ وكافرٌ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه قولُهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآيات[2]. **والثاني**: أنه قولُ كلِّ فريقٍ منهم: الحقُّ معي. قوله تعالى: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ وذلك حين قالوا: إنْ كان ما أتيْتَنا به حقّاً فائتِنا بالعذاب. وفي السَّيِّئة والحَسنةِ قولان: **أحدهما**: أنَّ السَّيِّئةَ: العذابُ، والحَسنةَ: الرَّحمةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ السَّيِّئةَ: البلاءُ، والحَسنةَ، العافيةُ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تُعذَّبون. ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: تَطَيَّرنا وتَشاءَمْنا ﴿بِكَ﴾، فأُدغِمَتِ التاءُ في الطاءِ، وأُثبتَتِ الألِفُ، لِيسلَمَ

---

(١) هو جزء من عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو في «ديوان الهذليين» ١/ ١٣٦ وتمامه:

عـلـى طـرقٍ كـنـحـور الـركـا ... ب تـحـسَـب أعـلامـهـن الـصـروحـا

(٢) الأعراف: ٧٥ ـ ٨٠.

السكونُ لِمَا بعدها. وقال الزَّجَّاجُ: الأصل: تَطَيَّرنا، فأُدغِمَتِ التاءُ في الطاء، واجتُلِبَتِ الألفُ لسكون الطاء؛ فإذا ابتدأتَ قلتَ: اطَّيَّرنا، وإذا وَصلتَ لم تذكرِ الألِفَ وتسقط لأنها أَلِفُ وَصْلٍ، وإنما تَطَيَّروا به، لأنهم قُحِطُوا وجاعوا، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وقد شرحنا هذا المعنى في الأعراف.

وفي قوله تعالى: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تُختَبرون بالخير والشرِّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تُصرَفون عن دِينِكم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: تُبتَلَوْن بالطاعة والمعصية، قاله قَتادَةُ.

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي الحِجْرُ التي نَزَلَها صالحٌ ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: في أرضِ الحِجْرِ، وفسادُهم: كُفرُهم ومعاصيهم، وكانوا يَسفِكون الدِّماءَ ويَثِبُون على الأموال والفُروجِ، وهم الذين عَمِلُوا في قَتْلِ النَّاقةِ. ورُوِي عن سعيدِ بن جُبَيرٍ وعطاءِ بن أبي رَبَاحٍ قالا: كان فسادُهم كَسْرَ الدَّراهم والدَّنانير، ﴿قَالُوا۟﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي: احلِفُوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ أي: لَنَقتُلَنَّ صالحاً (وأهله) ليلاً (ثم لنقولن) وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: «لَتُبيِّتُنَّهُ وأهلَه ثم لَتقولُنَّ» بالتاء فيهما. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو رَجاءٍ، وحُمَيدُ بنُ قَيسٍ: «لَيُبيِّتُنَّهُ» بياءٍ وتاءٍ مرفوعتين «ثم ليَقولُنَّ» بياءٍ مفتوحةٍ وقافٍ مرفوعةٍ وواوٍ ساكنةٍ ولام مرفوعةٍ ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لِوَليِّ دَمِه إنْ سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ الميم وفتحِ اللام؛ والمَهْلِكُ يجوز أن يكونَ مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أنْ يكون الموضعَ. وروى أبو بكرٍ، وأبانُ عن عاصِمٍ: بفتح الميم واللام، يريد الهَلاكَ؛ يُقال: هَلَكَ يَهلِكُ مَهْلِكاً. وروى عنه حَفصٌ، والمُفضَّلُ: بفتحِ الميم وكسرِ اللام، وهو اسمُ المكان، على معنى: ما شَهِدْنا موضعَ هلاكِهم؛ فهذا كان مكرَهم، فجازَاهم الله عليه فأهلَكَهم. وفي صفةِ إهلاكِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أتَوا دارَ صالح شاهِرينَ سيوفهم، فرمَتْهم الملائكةُ بالحِجارة فقتلَتْهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: رَماهُم الله بصخرةٍ فَقتلَتْهم، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيءَ صالحٍ، فبعثَ الله صخرةً سدَّت بابَ الغَارِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنهم نَزلوا في سفحِ جبلٍ ينتظر بعضُهم بعضاً ليأتوا دارَ صالح، فجَثَمَ عليهم الجبلُ فأهلَكَهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «أنَّا دمَّرناهم» بفتح الألف. وقرأ الباقون بكَسرِها. فمَنْ كَسرَ استأنفَ، ومَنْ فتحَ، فقال أبو عليٍّ: فيه وجهان: **أحدهما**: أنْ يكونَ بَدَلاً من ﴿عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾. **والثاني**: أنْ يكونَ محمولاً على مبتدأ مضمرٍ، كأنه قال: هو أنَّا دمَّرناهم.

قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هي منصوبةٌ على الحالِ؛ المعنى: فانظر إلى بيوتِهم خاويةً.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن

دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وأنتم تعلمون أنها فاحشةٌ. **والثاني**: بعضكم يُبصِر بعضاً. قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تجهلون القيامةَ وعاقبةَ العصيانِ. قوله تعالى: ﴿قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: جعلناها بتقديرِنا وقضائِنا عليها مِنَ الباقين في العذاب. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «قَدَرْنَاهَا» خفيفةً، وهي في معنى المُشدَّدةِ. وباقي القصَّةِ قد تقدَّم تفسيرُهُ.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هذا خطابٌ لرسول الله ﷺ أُمِرَ أن يَحْمَدَ الله على هلاكِ الأُمَمِ الكافرةِ، وقيل: على جميع نِعَمِه، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ فيهم أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: الرُّسلُ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباس، وروى عنه عِكرمَةُ، قال: اصطفى إبراهيمَ بالخُلَّةِ، وموسى بالكلام، ومحمَّداً بالرُّؤية. **والثاني**: أنهم أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، رواه أبو مالكٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنهم الذين وحَّدوه وآمنُوا به، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه أُمَّة محمَّد ﷺ، قاله ابنُ السَّائب.

قوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: أَوْ ما تُشركون، وهذا خطابٌ للمشركين؛ والمعنى: آللهُ خيرٌ لِمَنْ عَبدَهُ، أم الأصنامُ لعابديها؟! ومعنى الكلام: أنه لمَّا قصَّ عليهم قَصصَ الأُمَمِ الخاليةِ، أخبرَهم أنَّه نجَّى عابدِيهِ، ولم تُغنِ الأصنامُ عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تقديره: أمَّا يُشركون خيرٌ، أمَّن خلَقَ السَّمواتِ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ فأمَّا الحدائقُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: هي البساتين، واحدُها: حديقةٌ، سمِّيتْ بذلك لأنه يُحْدَقُ عليها، أي: يُحظَرُ، والبَهجةُ: الحُسنُ.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك لأنكم لا تقدرون عليه. ثم قال مُستفهِماً مُنكِراً عليهم: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس معه إلهٌ ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ وقد شرحناه في فاتحةِ (الأنعام). ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مُستقرًّا لا تَميدُ بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ أي: فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابتَ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ أي: مانعاً مِنْ قُدرتِه بين العَذْبِ والمِلْح أنْ يختلِطا، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَدْرَ عَظَمة الله عزَّ وجلَّ.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ وهو: المَكروبُ المَجهودُ؛ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني الضُّرَّ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يُهلِكُ قَرْناً ويُنشِئُ آخرين، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى تَتَّعِظون. وقرأها أبو عمرٍو بالياء، والباقون بالتاء ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يُرشِدُكم إلى مقاصِدِكم إذا سافرتُم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقد بيَّنّاها في الأنعام[1] وشرحنا ما يليها مِنَ الكلمات فيما مضى[2] إلى قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: متى يُبْعَثون بعدَ موتِهم.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «بل أَدرَكَ» قال مُجاهِدٌ: «بل» بمعنى «أم» والمعنى: لم يُدرِكْ عِلمُهم، وقال الفَرَّاءُ: المعنى: هل أدركَ عِلمُهم عِلمَ الآخرة؟ فعَلَى هذا يكون المعنى: إنهم لا يَقِفون في الدنيا على حقيقةِ العِلْم بالآخرة. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «بل ادّارَكَ» على معنى: بل تَدارَكَ، أي: تتابعَ وتلاحقَ، فأُدغِمَتِ التاءُ في الدال. ثم في معناها قولان: **أحدهما**: بل تكاملَ عِلمُهم يومَ القيامة لأنهم مبعوثون، قاله الزَّجّاجُ: وقال ابنُ عباسٍ: ما جَهِلوهُ في الدُّنيا، عَلِموهُ في الآخرة. **والثاني**: بل تَدارَكَ ظنُّهم وحَدْسُهم في الحُكم على الآخرة، فَتارةً يقولون: إنها كائنةٌ، وتارةً يقولون: لا تكون، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «بل ادَّرَكَ» على وزن افتعل مِنْ أدركت. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي: بل هم اليومَ في شَكٍّ مِنَ القيامة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: مِنْ عِلمِها. وما بعد هذا قد سبق بيانه[3] إلى قوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنونَ: العذابَ الذي تَعِدُنا. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: قَرُبَ لكم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تَبِعَكُم، واللامُ زائدةٌ، كأنه قال: رَدِفَكُم. وفي ما تَبِعَهُم ممَّا استعجَلوه قولانِ:

أحدهما: يوم بَدْرٍ. **والثاني**: عذاب القبرِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال مُقاتِلٌ: على أهل مكّةَ حين لا يُعجِّلُ عليهم

---

(١) الأنعام: ٦٣، ٩٧.
(٢) الأعراف: ٥٧، يونس: ٤.
(٣) النحل: ١٢٧، المؤمنون: ٣٥، ٨٢.

العذاب. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم مِن عداوتِك وخِلافِك؛ والمعنى أنه يُجازيهم عليه. ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ أي: وما مِن جُملةٍ غائبةٍ، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ يعني اللَّوحَ المَحفوظَ؛ والمعنى: إنَّ عِلْمَ ما يستعجلونه مِنَ العذاب بَيِّنٌ عندَ الله وإنْ غابَ عن الخَلْقِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وذلك أنَّ أهلَ الكِتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يَطعنُ بعضُهم على بعضٍ، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لَسَلِمُوا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ يعني بين بَني إسرائيلَ ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «بِحِكَمِه» بكسرِ الحاء وفتح الكاف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ قال المُفسِّرون: هذا مَثَلٌ ضَربَهُ الله للكفَّارِ فشبَّههُم بالمَوتى. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ وقرأ ابنُ كَثير: «ولا يَسْمَعُ الصُّمُّ» بفتح ميم «يَسْمَعُ» وضمِّ ميم «الصُّمُّ». قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ أي: أنَّ الصُّمَّ إذا أدبَرُوا عنكَ ثم ناديتَهُم ولم يسمعوا، فكذلك الكافرُ. ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ أي ما أنت بمُرشِدِ مَنْ أعماهُ اللهُ عن الهُدى، ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ سَماعَ إفهامٍ ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ «وقع» بمعنى وَجَبَ، وفي المراد بالقولِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: العذابُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الغَضبُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الحُجَّةُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. ومتى ذلك؟ فيه قولان: **أحدهما**: إذا لم يأمُروا بمَعروفٍ، ولم يَنْهَوا عن مُنكرٍ، قاله ابنُ عمرَ، وأبو سعيدٍ الخُدْري. **والثاني**: إذا لم يُرْجَ صلاحُهم، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وهو معنى قولِ أبي العاليةِ. والإشارةُ بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى الكفار الذين تخرجُ الدَّابَّةُ عليهم. وللمُفسِّرين في صفة الدَّابَّة أربعةُ أقوالٍ:

[١٠٦٨] **أحدها**: أنها ذاتُ وَبَرٍ وريشٍ، رواه حُذيفةُ بنُ اليَمانِ عن النبيِّ ﷺ. وقال ابنُ عباسٍ: ذات زَغَبٍ وريشٍ لها أربعُ قوائم.

والثاني: أنَّ رأسَها ثَورٍ، وعَينَها عينُ خِنزيرٍ، وأُذُنَها أُذُنُ فِيلٍ، وقَرنَها قَرنُ إيَّلٍ، وصَدرَها صدرُ أَسَدٍ، ولونَها لونُ نَمِرٍ، وخاصِرَتَها خاصِرَةُ هر وذنبها ذنب كبشٍ، وقوائِمَها قوائمُ بَعيرٍ، بين كلِّ مِفصَلَيْنِ اثنا عشرَ ذِراعاً، رواه ابنُ جُرَيجٍ عن أبي الزُّبيرِ.

[١٠٦٨] هو الحديث الآتي.

والثالث: أنَّ وَجهَها وجهُ رجلٍ، وسائرُ خَلْقِها كخَلْقِ الطَّير، قاله وَهْبٌ.

والرابع: أنَّ لها أربعَ قوائم وزَغَباً وريشاً وجناحَيْنِ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي المكان الذي تخرجُ منه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الصَّفا.

[١٠٦٩] روى حُذيفَةُ بنُ اليَمَانِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «بينما عيسى يطوفُ بالبيت ومعه المسلمون، تضطَرِبُ الأرضُ تحتَهُم، ويَنشَقُّ الصَّفا ممَّا يلي المَسعَى، وتخرجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصَّفا، أولُ ما يبدو منها رأسُها، مُلمَّعةٌ ذاتُ وَبَرٍ وريشٍ، لن يُدرِكَها طالبٌ، ولن يَفوتَها هارِبٌ».

[١٠٧٠] وفي حديثٍ آخرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «طُولُها ستونَ ذِراعاً»، وكذلك قال ابنُ مسعودٍ: تخرُجُ مِنَ الصَّفا.

[١٠٧١] وقال ابنُ عمرَ: تخرُجُ مِنْ صَدْعٍ في الصَّفا كجَرْيِ الفرسِ ثلاثةَ أيام وما خرجَ ثُلثُها. وقال عبدُ الله بنُ عمرَ: تخرج الدَّابَّةُ فيَمَسُّ رأسُها السَّحابَ ورِجلاها في الأرض ما خَرَجَتا.

[١٠٧٢] **والثاني**: أنها تخرُجُ مِنْ شِعْبِ أجيادٍ، رُوي عن النبيِّ ﷺ، وعن ابنِ عمرَ مثله.

والثالث: تخرُج مِنْ بعض أوديةِ تِهامَةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: مِنْ بحر سَدُوم، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والخامس**: أنها تخرج بتِهامَةَ بين الصَّفا والمَروَة، حكاه الزَّجَّاجُ.

[١٠٧٣] وقد روى أبو هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «تخرُجُ الدَّابَّةُ معها خاتَمُ سُليمانَ، وعصا موسى، فتَجلُو وجهَ المؤمِنِ بالعَصا وتَحطِمُ أنفَ الكافرِ بالخَاتَمِ، حتى إنَّ أهلَ البيت لَيَجتمِعونَ، فيقول

[١٠٦٩] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٧١٠٠ من حديث حذيفة بن اليمان، وإسناده ضعيف لضعف روّاد بن الجراح. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٦٤ عن هذا الحديث: لا يصح. وورد من حديث أبي طفيل عن أبي سريحة أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» ص ٤٠١ والطيالسي ١٠٦٩ والحاكم ٤/ ٤٨٤ ح ٨٤٩٠ وإسناده ضعيف لضعف طلحة بن عمرو الحضرمي كما قال الذهبي متعقباً للحاكم في تصحيحه للحديث.

[١٠٧٠] عزاه الحافظ في «تخريجه» ٣/ ٣٨٤ للثعلبي من حديث حذيفة اهـ. ولم يبين إسناده، وتفرّد الثعلبي به دليل على وهنه، وهذا بالنسبة لصدر الحديث (أن طولها ستون ذراعاً) وأما باقي لفظ حديث حذيفة فهو المتقدم. وانظر تفاصيل ذلك في «الفتن» لنعيم بن حماد ص ٤٠١ و «الدر» ٥/ ٢١٧ ـ ٢٢٠ وابن كثير ٣/ ٣٨٧ و «المستدرك» ٤/ ٤٨٤ ـ ٤٨٦. وانظر «تفسير القرطبي» ١٣/ ٢١١ بتخريجنا.

[١٠٧١] موقوف ضعيف. أخرجه الطبري ٢٧٠٩٤ من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي. وأخرجه نعيم بن حماد ص ٤٠٣ من طريق فضيل بن مرزوق به لكن عن ابن عمرو، وهو أشبه فإن هذا الأثر متلقى عن أهل الكتاب، وابن عمر ما روى عن أهل الكتاب بخلاف ابن عمرو، والله أعلم.

[١٠٧٢] ضعيف. مداره على رباح بن عبيد الله، وهو منكر الحديث. أخرجه ابن عدي ٣/ ٧٣ و ٧/ ١١٢ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٣٨٥ والذهبي في «الميزان» ٢/ ٣٧/ ٢٧٢٣ من طرق عن هشام بن يوسف عن رباح بن عبيد الله عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة.

[١٠٧٣] أخرجه الترمذي ٣١٨٧ وابن ماجه ٤٠٦٦ وأحمد ٢/ ٢٩٥ والطبري ٢٧١٠١ والحاكم ٤/ ٤٨٥ ونعيم بن حماد في «الفتن» ص ٤٠٣ والحاكم ٤/ ٤٨٥ من طرق عن حماد بن سلمة به، سكت عليه الحاكم! وكذا الذهبي! وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، فقد ضعفه غير واحد، روى مناكير كثيرة، وهذا منها.
ـ وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٥ من طريق حماد بن سلمة بهذا الإسناد موقوفاً على أبي هريرة. وهو أصح من المرفوع، والله أعلم.

هذا: يا مؤمنُ، ويقول هذا: يا كافرُ».

[١٠٧٤] ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «تَسِمُ المؤمنَ بين عَينَيهِ وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتَسِمُ الكافرَ بين عينيه وتكتبُ بين عَينَيهِ: كافر، وتصرخُ ثلاثَ صَرخاتٍ يسمعُها مَنْ بين الخافِقَين». وقال حُذَيفَةُ بنُ أَسِيدٍ: إنَّ للدَّابَّةِ ثلاثَ خرجاتٍ: خَرجَةٌ في بعض البَوادي ثم تَنكتِمُ، وخَرجَةٌ في بعض القُرى ثم تَنكتِمُ، فبينما الناس عند أشرفِ المساجد ـ يعني المسجدَ الحَرامَ ـ إذِ ارتفعت الأرضُ، فانطلَقَ الناسُ هِرَاباً، فلا يَفوتُونَها، حتى إنَّها لَتأتي الرجلَ وهو يُصلِّي، فتقول: أَتتعوَّذُ بالصَّلاةِ، واللهِ ما كنتَ مِنْ أهلِ الصَّلاةِ، فتَخطِمُه، وتَجلو وجهَ المؤمن. وقال عبدُ الله بنُ عمرٍو: إنها تَنكُتُ في وَجهِ الكافر نُكْتَةً سوداءَ فتفشُو في وجهِه فيَسودُّ وجهُهُ، وتَنكُتُ في وَجهِ المؤمن نُكْتَةً بيضاءَ فتفشُو في وجهه حتّى يبيَضَّ وَجهُه، فيعرف الناسُ المؤمنَ والكافرَ، ولَكأنّي بها قد خرجَتْ في عَقِبِ رَكْبٍ مِنَ الحاجِّ.

قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بتشديدِ اللام، فهو مِنَ الكلام. وفيما تُكلِّمهم به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تقول لهم: إنَّ الناسَ كانوا بآياتِنا لا يُوقنون، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: تُكلِّمُهم ببُطلانِ الأديانِ سوى دِيْنِ الإسلام، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: تقول: هذا مؤمنٌ، وهذا كافرٌ، حكاه المَاوَرديّ. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ، والجَحْدَري: بتسكينِ الكاف وكسرِ اللام وفتح التاء فهو مِنَ الكَلْم؛ قال ثَعلَبُ: والمعنى: تَجرَحُهم. وسُئِلَ ابنُ عباسٍ عن القِراءَتَينِ، فقال: كلُّ ذلك واللهِ تفعَلُه تُكلِّم المؤمنَ، وتَكْلِمُ الفاجرَ والكافرَ، أي: تَجرَحُه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرأ عاصِمٌ وحمزةُ والكِسائيُّ بفتح الهمزة، وكَسَرَها الباقون؛ فمَنْ فَتحَ أراد: تُكلِّمهم بأنَّ الناسَ، وهكذا قرأ ابنُ مسعودٍ وأبو عِمرانَ الجَوْني: «تكلِّمهم بأنَّ الناس» بزيادة باءٍ مع فتحِ الهمزة؛ ومَنْ كَسَرَ فلأنَّ معنى «تكلِّمهم» تقولُ لهم: إنَّ الناسَ، والكلام قولٌ.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ الفَوجُ: الجماعة مِنَ الناس كالزُّمرَةِ، والمراد به: الرُّؤساء والمَتبُوعين في الكُفر، حُشِرُوا وأُقيمَتِ الحُجَّةُ عليهم. وقد سبقَ معنى ﴿يُوزَعُونَ﴾[1] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ إلى موقفِ لِحسابٍ ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ عليهم ووَعيدٌ لهم ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لم تعرفوها حقَّ معرفتِها. **والثاني**: لم تُحيطُوا عِلماً بُطلانِها. والمعنى: إنكم لم تتفكَّروا في صحَّتِها، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا فيما أَمرْتُكم به ونَهيتُكم عنه؟! قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ قد شرحناه آنِفاً[2] ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي: بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا

[١٠٧٤] صدره تقدم برقم ١٠٦٩، وهو حديث حذيفة، واختصره المصنف.
ـ وقوله «تصرخ ثلاث...» هو من حديث أبي هريرة، وتقدم تخريجه برقم ١٠٧٢.

(١) النمل: ١٧.
(٢) النمل: ٨٢.

﴿يَنطِقُونَ﴾ بحُجَّةٍ عن أنفسِهم. ثم احتجَّ عليهم بالآية التي تَلِي هذه. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يُبْصَرُ فيه لابتغاءِ الرِّزقِ.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هذه النَّفخةُ الأولى.

قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: فيَفزَعُ مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرضِ، والمراد أنهم ماتوا، بَلَغ بهم الفَزَعُ إلى الموت.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الشهداء، قاله أبو هُريرَةَ، وابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَلَكُ الموتِ، ثم إنَّ الله تعالى يُميتُهم بعد ذلك، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنهم الذين في الجنة مِنَ الحُورِ وغيرِهنَّ، وكذلك مَنْ في النار، لأنهم خُلِقُوا للبقاء، ذكرَهُ أبو إسحاقَ بنُ شاقِلاً مِنْ أصحابنا. قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ﴾ أي مِنَ الأحياء الذين ماتوا ثم أُحيُوا «آتوهُ» وقرأ حمزَةُ وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «أَتَوْهُ» بفتح التاء مقصورةً، أي: يأتون الله يومَ القيامة ﴿دَٰخِرِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: صاغرين. قال أبو عُبيدَةَ: «كُلٌّ» لفظُه لفظُ الواحد، ومعناه يقع على الجميع، فهذه الآيةُ في موضع جمع.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: هذا يكون إذا نُفِخَ في الصُّور، تُجمَعُ الجبالُ وتُسَيَّر فهي لكثرتها تُحسَبُ ﴿جَامِدَةً﴾ أي: واقفةً ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ أي: تسيرُ سيرَ السَّحابِ، وكذلك كلُّ جيشٍ عظيمٍ يَحسَبُه النَّاظرُ مِنْ بعيدٍ واقفاً وهو يسيرُ، لِكثرَتِه، قال الجَعْدِيُّ يصِفُ جيشاً:

بِـأَرْعَـنَ مِـثْـلِ الـطَّـوْدِ تَـحْـسَـبُ أَنَّـهُـمْ ... وُقُـوفٌ لِـحَـاجٍ والـرِّكَـابُ تُـهَـمْـلِـجُ[١]

قوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على المصدر، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دليلٌ على الصَّنعَةِ، فكأنه قال: صَنعَ الله ذلك صُنعاً، ويجوز الرفعُ على معنى: ذلك صُنعُ الله. فأمَّا الإتقانُ، فهو في اللغة: إحكامُ الشيءِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «يفعلون» بالياء. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحَسنةَ والسيِّئةَ في آخرِ الأنعام[٢]. وفي قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قولان: **أحدهما**: فله خيرٌ منها يصل إليه، وهو الثواب، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ

---

(١) الرَّعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً، ويقال: الجيش الأرعن: هو المضطرب لكثرته. والطود: الجبل العظيم. والحاج: جمع حاجة. والهملجة والهملاج: حسن سير الدابة في سرعة.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

وعِكرمَةُ. **والثاني**: فله أفضلُ منها، لأنه يأتي بحسَنةٍ فيُعطى عشرَ أمثالِها، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ.

قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ» مضافاً. وقرأ عاصِمٌ. وحمزَةُ، والكِسائيُ: «مِنْ فَزَعٍ» بالتنوين «يومَئِذٍ» بفتح الميم. وقال الفَرّاءُ: الإضافة أعجَبُ إليَّ في العربية، لأنه فَزَعٌ معلومٌ، ألاَ ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[1]. فصَيَّره معرفةً، فإذا أضفت مكانَ المعرفة كان أحبَّ إليَّ، واختار أبو عُبيدَة قراءةَ التنوين وقال: هي أعمُّ التأويلين، فيكون الأمنُ مِنْ جميع فَزَعِ ذلك اليوم. قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: إذا نُوِّنَ جازَ أنْ يُعنَى به فَزعٌ واحدٌ، وجازَ أنْ يُعنى به الكَثرةُ، لأنه مصدرٌ، والمصادر تدلُّ على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ، كقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[2]، وكذلك إذا أُضيفَ جازَ أنْ يعنى به فَزعٌ واحدٌ، وجازَ أنْ يُعنى به الكَثرةُ؛ وعلى هذا القول، القِراءتان سواءٌ، فإنْ أُريدَ به الكثرةُ، فهو شاملٌ لكلِّ فَزعٍ يكون في القيامة، وإنْ أُريدَ به الواحد، فهو المُشارُ إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾. وقال ابنُ السَّائبِ: إذا أطبَقَتِ النَّارُ على أهلها فَزِعوا فَزعَةً لم يفزعوا مثلَها، وأهلُ الجنَّة آمِنون مِنْ ذلك الفَزَعِ. قوله تعالى: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قال المُفسِّرون: هي الشِّركُ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يُقال: كَبَبْتُ الرجلَ: إذا ألقيتَه لوجهِه؛ وتقول لهم خَزَنَةُ جهنَّمَ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي إلاَّ جزاءَ ما كنتم تعملون في الدُّنيا مِنَ الشِّركِ.

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
(٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ المعنى: قل للمشركين: إنّما أُمِرتُ ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «التي حرَّمها» وهي مكَّةُ، وتحريمُها: تعظيمُ حُرمَتِها بالمَنع مِنَ القَتلِ فيها والسَّبي والكَفُّ عن صَيدِها وشَجرِها، ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ لأنه خالقُه ومالِكه، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المُخلِصين لله بالتوحيد، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: فله ثوابُ اهتِدائِه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ أي: أخطأَ طريقَ الهُدى ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: ليس عليَّ إلاّ البلاغُ، وذكر المُفسِّرون أنَّ هذا مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: قُلْ لِمَن ضَلَّ: الحمدُ لله الذي وَفَّقَنا لقَبول ما امتَنعتُم منه ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ ومتى يُريهم؟ فيه قولان: **أحدهما**: في الدنيا. ثم فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ منها الدُّخانُ وانشقاقُ القمر، وقد أراهُم ذلك، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: سَيُريكم آياتِه فتعرفونها في السماء، وفي أنفسِكُم، وفي الرِّزقِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: القَتلُ ببَدرٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: سيُريكم آياتِه في الآخرة فتَعرِفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحَسنُ. قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «تعملون» بالتاء، على معنى: قُلْ لهم. وقرأ الباقون بالياء، على أنه وَعيدٌ لهم بالجزاء على أعمالِهم. واللهُ أعلَمُ بالصَّواب.

---

(١) الأنبياء: ١٠٣.
(٢) لقمان: ١٩.

سورة القصص

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

وهي مكِّيَّةٌ كلُّها غيرَ آيةٍ منها، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[(١)] فإنها نزلت عليه وهو بالجُحْفَةِ في وقت خروجه للهجرة، هذا قولُ ابنِ عباسٍ. ورُوي عن الحَسنِ، وعطاءٍ، وعِكرمَةَ: أنها مكِّيَّةٌ كلُّها. وزعم مُقاتِلٌ: أنَّ فيها مِنَ المَدنيِّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[(٢)] وفيها آيةٌ ليست بمكِّيَّةٍ ولا مدنيَّةٍ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ نزلت بالجُحْفَةِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ قد سبق تفسيرُه[(٣)]. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: طَغى وتَجبَّر في أرض مِصْرَ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: فِرَقاً وأصنافاً في خِدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهم بَنو إسرائيلَ، واستِضعَافُه إيَّاهُم: استعبادُهم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل والعملِ بالمعاصي. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، والزُّهري، وابن مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «يَذْبحُ» بفتح الياء وسكونِ الذال خفيفةً. قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ أي: نُنعِم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ وهم بَنو إسرائيلَ، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يُقتَدى بهم في الخير؛ وقال قَتادَةُ: وُلاةً ومُلوكاً ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ لمُلْكِ فِرعون بعد غَرَقِه. قوله تعالى: ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «ويَرىٰ» بياءٍ مفتوحةٍ وإمالَةِ الألِفِ التي بعد الراء «فرعونُ وهامانُ وجنودُهما» بالرفع. ومعنى الآية: أنهم أُخبِروا أنَّ هلاكَهُم على يَدَي رجلٍ مِنْ بني إسرائيلَ، فكانوا على وَجَلٍ منهم، فأرَاهُم اللهُ ما كانوا يَحْذَرون.

---

(١) القصص: ٨٥. (٢) القصص: ٥٥.
(٣) مضى الكلام على ذلك في أول سورة البقرة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه إلهامٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ جبريلَ أتاها بذلك، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّه كان رؤيا منام، حكاه الماوَرديِ. قال مُقاتِلٌ: واسم أمِّ موسى «يوخابذ»[1]. قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قال المفسِّرونَ: كانت امرأةٌ مِنَ القوابِلِ مصافِيَةً لأمِّ موسى، فلما وَضعَتْهُ تولَّت أمرَها ثم خرجت فرآها بعضُ العيونِ فجاؤوا ليدخلوا على أمِّ موسى، فقالت أختُه: يا أُمَّاه هذا الحَرسُ بالباب، فلَفَّتْ موسى في خِرقَةٍ ووضعَتْهُ في التَّنُّور وهو يُسجَرُ، فدخلوا ثم خرجوا، فقالت لأُختِه: أينَ الصَّبيُّ، قالت: لا أدري، فسمِعَتْ بكاءَهُ مِنَ التَّنُّور فاطلعت وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، فأرضعته بعد ولادَتِه ثلاثةَ أشهرٍ، وقيل: أربعةَ أشهرٍ، فلمَّا خافت عليه صَنعَتْ له التَّابوتَ[2]. وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ قولان[3]: **أحدهما**: إذا خِفْتَ عليه القَتْلَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: إذا خِفْتِ عليه أنْ يصيحَ أو يبكيَ فيُسمعَ صوتُه، قاله ابنُ السَّائبِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ قولان: **أحدهما**: أنْ يغرقَ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنْ يضيعَ، قاله مُقاتِلٌ. قال الأصمعيُّ: قُلتُ لأعرابيَّةٍ: ما أفصحَكِ! فقالت: أَوَ بعدَ هذه الآيةِ فَصاحَةٌ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ جمعَ فيها بين أمرين ونَهيَيْنِ وخَبرَيْنِ وبِشارَتَيْنِ؟!

قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتِقاطُ: إصابةُ الشيءِ مِنْ غير طَلَبٍ. والمراد بآلِ فِرعونَ: الذين تولَّوا أَخْذَ التَّابوتِ مِنَ البحرِ. وفي الذين التَقَطُوه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: جواري امرأةِ فِرعونَ، قاله السُّدِّيُ. **والثاني**: ابنةُ فِرعونَ، قاله محمَّدُ بنُ قيسٍ. **والثالث**: أعوانُ فِرعونَ، قاله ابنُ إسحاقَ. قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: لِيصيرَ بهم الأمرُ إلى ذلك، لا أنهم أخذُوهُ لهذا، وهذه اللامُ تُسمَّى لامَ العاقِبَةِ، وقد شرحناها في يونس[4]، وللمفسِّرين في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ليكونَ لهم عَدُوّاً في دِينِهم وحَزَناً لِمَا يصنَعُه بهم. **والثاني**: عَدوّاً لرجالِهم وحَزناً على نسائِهم، فقَتلَ الرجالَ بالغَرقِ، واستَعبدَ النساءَ. ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسيَةُ بنتُ مُزاحِم، وكانت مِنْ بَني إسرائيلَ تزوَّجها فِرعونُ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: رفع «قُرَّةُ عَيْنٍ» على إضمارِ «هو». قال المفسِّرون: كان فِرعونُ لا

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو غير حجة.

(٢) هذه الأقوال مصدرها كتب الأقدمين.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٣٠: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادتها إياه. واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل.

(٤) يونس: ٨٨.

يُولَدُ له إلاَّ البناتُ، فقالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فنُصِيبُ منه خيراً ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يشعرون أنه عدوٌّ لهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ هلاكَهُم على يدَيهِ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: لا يَشعرُ بَنو إسرائيلَ أنَّا التقطناه، قاله محمَّدُ بنُ قَيسٍ. **والرابع**: لا يشعرون أنّي أفعلُ ما أريد لا ما يريدون، قاله محمَّدُ بنُ إسحاقَ.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: فارغاً مِن كلِّ شيءٍ إلاَّ مِن ذِكرِ موسى، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أصبح فؤادُها فزِعاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وهي قراءةُ أبي رَزِينٍ، وأبي العَالِيَةِ، والضَّحَّاكِ، وقَتادَةَ، وعاصِمٍ الجَحْدَري، فإنهم قرؤوا: «فَزِعاً» بزايٍ مُعجَمةٍ. **والثالث**: فارغاً مِن وَحينا بنسيانه، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ. **والرابع**: فارِغاً مِنَ الحُزنِ، لِعِلْمِها أنَّه لم يُقتَلْ، قاله أبو عُبيدَةَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهذا مِن أعجبِ التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾؟! وهل يُرْبَطُ إلاَّ على قلب الجَازعِ المَحزونِ؟!

قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ في هذه الهاءِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى موسى. ومتى أرادَتْ هذا؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه حينَ فارَقَتْهُ؛ روى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: كادَتْ تقول: يا بُنَيَّاه. قال قَتادَةُ: وذلك مِنْ شدة وَجْدِها. **والثاني**: حين حُمِلَتْ لِرَضاعِه كادَتْ تقول: هو ابني، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنَّه لمَّا كَبِرَ وسَمِعَت الناسَ يقولون: موسى بنُ فِرعونَ، كادَتْ تقول: لا بل هو ابني، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والقول الثاني**: أنها ترجعُ إلى الوَحي؛ والمعنى: إنْ كادت لَتُبْدِي بالوَحي، حكاه ابنُ جَريرٍ.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لَولا رَبطُنا على قلبِها، والرَّبْطُ: إلهامُ الصَّبرِ وتشديدُ القلب وتقويَتُه. قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مِنَ المُصدِّقين بوَعدِ الله. ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: قُصِّي أَثَرَهُ واطلُبيه هل تسمعين له ذِكْراً، أي: أحَيٌّ هو، أو قد أكلَتْهُ الدَّوابُّ؟ ونَسِيت الذي وعَدَها الله فيه. وقال وَهْبٌ: إنَّما قالت لأختِه: قُصِّيه، لأنَّها سمعتْ أنَّ فِرعونَ قد أصاب صبيّاً في تابوتٍ. قال مُقاتِلٌ: واسمُ أختِه: مريمُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «قُصِّيه»: قُصِّي أَثَرَه واتبَعِيه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: عن بُعْدٍ منها عنه وإعراضٍ، لئلاَّ يَفطَنوا، والمُجانَبةُ مِنْ هذا. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ: «عَنْ جَنَابٍ» بفتح الجيم والنون وبألِفٍ بعدهما. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني: «عَنْ جَانِبٍ» بفتح الجيم وكَسْرِ النونَ وبينهما ألِفٌ. وقرأ قَتادَةُ، وأبو العَالِيَةِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «عَنْ جَنْبٍ» بفتحِ الجيمِ وإسكانِ النونِ مِنْ غير ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وهم لا يشعُرونَ أنَّه عَدوٌّ لهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا يشعرون أنَّها أختُه، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ وهي جَمْعُ مُرْضِع ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ أنْ نَرُدَّه على أمِّه، وهذا تحريمُ مَنْع، لا تحريم شَرع. قال المُفسِّرون: بقي ثمانيةَ أيام ولياليهنَّ، كلَّما أُتيَ بمُرْضِع لم يَقبلْ ثَديها، فأهمَّهم ذلك واشتدَّ عليهم ﴿فَقَالَتْ﴾ لهم أختُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ فقالوا لها: نعم، مَنْ تلك؟ فقالت: أمِّي، قالوا: وهل لها لَبنٌ؟ قالت: لَبنُ هارونَ. فلمَّا جاءت قَبِلَ ثَديَها. وقيل: إنَّها لمَّا قالت: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ قالوا: لَعلَّكِ تعرفين أهلَهُ، قالت: لا، ولكني إنما قلتُ: وهم للمَلِكِ ناصِحون.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ قد شرحناه في طه[1].

قوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بِردِّ وَلَدِها ﴿حَقٌّ﴾ وهذا عِلْمُ عِيانٍ ومشاهَدةٍ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله وَعدَها أنْ يَرُدَّه إليها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قد فسَّرنا هذه الآيةَ في سُورةِ يُوسفَ[2]، وكلامُ المفسِّرين في لفظِ الآيتين مُتقارِبٌ، إلاَّ أنهم فرَّقوا بين بُلوغِ الأشُدِّ وبين الاستِواءِ. فأما بلوغ الأشد فقد سلف بيانه في سورة الأنعام[3]. وفي مُدَّةِ الاستِواءِ لهم قولان: **أحدهما**: أنه أربعون سنةً، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: ستونَ سنةً، ذكره ابنُ جَريرٍ. قال المُفسِّرون: مَكثَ عند أُمِّه حتى فَطمَتْهُ، ثم ردَّتْهُ إليهم، فنَشأ في حِجْرِ فِرعونَ وامرأتِه واتَّخذاهُ وَلَداً.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها مِصْرُ. **والثاني**: مدينةٌ بالقُرب مِنْ مِصْرَ. قال السُّدِّيُّ: ركب فِرعونُ يوماً وليس عنده موسى، فلمَّا جاء موسى ركب في إثْره فأدرَكَهُ المَقِيلُ في تلك المدينة. وقال غيرُه: لمَّا توهَّم فِرعونُ في موسى أنَّه عدوُّه أمرَ بإخراجِه مِنْ مدينَتِه، فلم يَدخلْ إلاَّ بعدَ أنْ كَبِرَ، فدخلَها يوماً ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾. وفي ذلك الوقت أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه كان يومَ عيدٍ لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بِلَهْوِهم، قاله عليٌّ عليه السَّلامُ. **والثاني**: أنه دخل نصفَ النهار، رواه جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثالث**: بين المَغربِ والعِشاءِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ. **والرابع**: أنَّهم لمَّا أخرجُوه لم يدخل عليهم حتى كَبِرَ، فدخل على حين غفلَةٍ عن ذِكْرِه، لأنَّه قد نُسِيَ أمرُه، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: مِنْ أصحابه مِنْ بَني إسرائيلَ ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: مِنْ أعدائه مِنَ القِبْطِ، والعَدوُّ يُذكَر للواحد وللجمع. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قيل في الغائب: «هذا» و «هذا»،

---

(١) طه: ٤٠. (٢) يوسف: ٢٢. (٣) الأنعام: ١٥٢.

على جهة الحكاية للحَضْرَةِ؛ والمعنى: أنه إذا نظر إليهما النَّاظرُ قال: هذا مِنْ شِيعَتِه، وهذا مِنْ عَدوِّه. قال المُفسِّرون: وكان القِبْطيُّ قد سَخَّر الإسرائيليَّ ليحمِلَ حَطَباً إلى مطبخ فِرعونَ ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ أي: فاستنصرَهُ، ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ قال الزَّجاج: الوَكْزُ: أنْ يضربَهُ بجمع كفه. وقال ابنُ قُتيبةَ: «فوكزه» أي: لكزَهُ، يُقال: وَكَزْتُه ولَكَزْتُه ولَهَزْتُه: إذا دفَعْتَه، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتلَهُ؛ وكلُّ شيءٍ فرغتَ منه فقد قَضيتَهُ وقَضيتَ عليه. وللمُفسِّرين فيما وَكزهُ به قولان: **أحدهما**: كفُّه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: عَصاهُ، قاله قتادةُ. فلمَّا مات القِبْطيُّ نَدِمَ موسى لأنه لم يُرِدْ قَتْلَهُ، و ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: هو الذي هيَّجَ غضبي حتى ضربتُ هذا، ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابنِ آدمَ ﴿مُّضِلٌّ﴾ له مبين عَداوتَهُ. ثم استغفرَ فـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ أي: بقتلِ هذا، ولا ينبغي لنبيّ أنْ يقتلَ حتى يُؤْمَرَ. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: عَوناً للكافرين. وهذا يدلُّ على أنَّ الإسرائيليَّ الذي أعانَهُ موسى كان كافراً.

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي التي قَتَلَ بها القِبْطيَّ ﴿خَآئِفًا﴾ على نفسه ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظرُ سُوءاً ينالُه منهم ويخاف أنْ يُقتلَ به ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ وهو الإسرائيليُّ ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ أي: يستغيثُ به على قِبْطيٍّ آخرَ أراد أن يُسَخِّره أيضاً ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القِبْطيِّ. **الثاني**: إلى الإسرائيليِّ، وهو أصحُّ. فعلى الأول يكون المعنى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ﴾ بتسخيرِكَ وظُلمِكَ. وعلى الثاني فيه قولان: **أحدهما**: أنْ يكونَ الغَويُّ بمعنى المُغْوي، كالأليم بمعنى المؤلم والوَجيع بمعنى الموجع والمعنى: إنَّكَ لَمُضِلٌّ حين قتلتُ بالأمسِ رجلاً بسَببِكَ، وتَدعوني اليومَ إلى آخرَ. **والثاني**: أنْ يكونَ الغَويُّ بمعنى الغاوي؛ والمعنى: إنك غاوٍ في قتالِكَ مَنْ لا تُطيقُ دَفْعَ شَرِّه عنكَ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي: بالقِبْطيِّ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ هذا قولُ الإسرائيليِّ مِنْ غيرِ خِلافٍ عَلِمناهُ بين المُفسِّرين؛ قالوا: لمَّا رأى الإسرائيليُّ غَضَبَ موسى عليه حينَ قال له: «إنَّكَ لَغويٌّ مُبين» ورآه قد هَمَّ أن يَبْطِشَ بالفِرعونيِّ، ظَنَّ أنَّه يريده فخافَ على نفسه فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى﴾ وكان قوم فِرعونَ لم يعلموا مَنْ قاتِلُ القِبْطيِّ، إلاَّ أنَّهم أتَوا إلى فِرعونَ فقالوا: إنَّ بَني إسرائيلَ قتلوا رجلاً مِنَّا فخُذْ لَنا بحَقِّنا، فقال: ابغُوني قاتِلَهُ ومَنْ يَشهدُ عليه لآخُذَ لكم حقَّكُم، فبَيْنَا هم يَطوفون ولا يَدرون مَن القاتلُ، وقعت هذه الخُصومةُ بين الإسرائيليِّ والقِبْطيِّ في اليوم الثاني فلمَّا قال الإسرائيليُّ لموسى: «أتريد أن تقتُلني كما قتلت نفساً بالأمس» انطلَقَ القِبْطيُّ إلى فِرعونَ فأخبرَهُ أنَّ موسى هو الذي قَتَلَ الرجلَ، فأمَرَ بقَتْلِ موسى، فعَلِمَ بذلك رجلٌ مِنْ شِيعةِ موسى فأتاهُ فأخبَرَهُ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾. فأمَّا الجَبَّار، فقال السُّدِّيُّ: هو القَتَّال، وقد شرحناه في

هود[١]، وأقصى المدينة: آخِرُها وأبعدُها، ويسعى، بمعنى يُسرع. قال ابنُ عباسٍ: وهذا الرجل هو مؤمنُ آلِ فِرعونَ، وسيأتي الخِلافُ في اسمه في سُورةِ المُؤمِن[٢]. فأمّا المَلأُ، فهم الوجُوه مِنَ الناسِ والأشرافِ. وفي قوله: ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يتشاورون فيكَ لِيقتُلوك، قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: يَهمُّون بكَ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: يأمُرُ بعضُهم بعضاً بقَتْلِك، قاله الزَّجّاج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ مِصرَ ﴿خَآئِفًا﴾ وقد مضى تفسيرُه[٣].

قوله تعالى: ﴿نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين أهلَ مِصرَ. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: تِجاهَ مَدْيَنَ ونحوَها، وأصله: اللِّقاءُ، وزيدت فيه التاءُ، قال الشاعر:

فاليومَ قَصَّرَ عن تِلْقائكَ الأمَلُ[٤]

أي: عن لِقائِك. قال المُفسِّرون: خرج خائفاً بغير زادٍ ولا ظَهْرٍ، وكان بينَ مِصرَ ومَدْيَنَ مسيرةُ ثمانيةِ أيام، ولم يكن له بالطريق عِلْمٌ، فـ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قَصْدَه. قال ابنُ عباسٍ: لَم يكُنْ له عِلْمٌ بالطريقِ إلاّ حُسْنُ ظنِّه بربِّه. وقال السُّدِّيُّ: بعثَ اللهُ تعالى له مَلَكاً فدَلَّه، قالوا: ولم يكن له في طريقه طعامٌ إلاّ ورقُ الشَّجرِ، فورَدَ ماءَ مَدْيَنَ وخُضرةُ البَقلِ تتراءى في بطنه مِنَ الهُزالِ؛ والأُمَّةُ: الجماعة، وهم الرُّعاةُ، ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشِيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: مِنْ سوى الأُمّة ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ وهم ابنتا شُعَيبٍ؛ قال مُقاتِلٌ: واسمُ الكُبرى: صبوراً، والصُّغرى: عبرا ﴿تَذُودَانِ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: أي: تكُفّانِ غَنَمَهما، فحذفَ الغَنمَ اختصاراً. قال المُفسِّرون: إنما فعَلْنا ذلك لِيَفرغَ الناس وتخلوَ لهما البئرُ، قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنُكما لا تَسقِيانِ؟! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو الجَوزاءِ وابنُ يَعمُرَ وابنُ السَّمَيفَع: «لا نُسقي» برفعِ النون ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ وقرأ أبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وأبو جعفرَ: «يَصْدُرَ» بفتحِ الياء وضمِّ الدال، أي: حتى يَرجِعَ الرِّعاءُ. وقرأ الباقون: «يُصْدِرَ» بضمّ

(١) هود: ٥٩. (٢) غافر: ٢٨. (٣) القصص: ١٨.
(٤) هو عجز بيت للراعي النميري وصدره: أملت خيرك هل تأتي مواعده

الياء وكسرِ الدال، أرادوا: حتى يَرُدَّ الرِّعاءُ غَنَمَهُم عن الماء. والرِّعَاءُ: جمعُ رَاعٍ، كما يُقال: صاحب وصِحاب. وقرأ عِكرمَةُ وسعيدُ بنُ جُبيرٍ وابنُ يَعمَرَ وعاصِمٌ الجَحْدَري: «الرُّعَاءُ» بضمِّ الراء، والمعنى: نحن امرأتانِ لا نستطيع أنْ نُزاحِمَ الرجالَ، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يَقدِرُ أنْ يَسقيَ ماشيَتَهُ مِنَ الكِبَرِ؛ فلذلك احْتَجْنَا نحن إلى أنْ نسقيَ، وكان على تلك البئر صخرةٌ عظيمةٌ، فإذا فرغ الرِّعاءُ مِنْ سَقيِهم أعادوا الصخرةَ، فتأتي المَرأتان إلى فُضولِ حِياضِ الرِّعاءِ فتَسْقيانِ غَنَمهما. ﴿فَسَقَىٰ﴾ موسى ﴿لَهُمَا﴾. وفي صفةِ ما صنع قولان: **أحدهما**: أنه ذهب إلى بئرٍ أُخرى عليها صخرَةٌ لا يقتلِعُها إلاَّ جماعةٌ مِنَ الناس، فاقتَلَعها وسَقَى لهما، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ وشُرَيحٌ. **والثاني**: أنه زَاحَمَ القومَ على الماء وسَقى لهما، قاله ابنُ إسحاقَ، والمعنى: سَقى غَنَمَهُما لأجلِهما.

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ أي: انصرَفَ ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ وهو ظِلُّ شجرةٍ ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾ اللامُ بمعنى إلى، فتقديره: إنِّي إلى ما ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وأراد بالخير: الطَّعامَ. وحكى ابنُ جَرير أنه أَسمَعَ المرأتين هذا الكلامَ تعريضاً أنْ تُطعِمَاهُ. ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ المعنى: فلمَّا شَرِبتْ غنَمُهما رَجَعَتا إلى أبيهما فأخبرَتَاهُ خبرَ موسى، فبَعثَ إحداهُما تدعو موسى. وفيها قولان: **أحدهما**: الصُّغرى. **والثاني**: الكُبرى. فجاءَتْهُ ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ قد سَترتْ وجهَها بِكُمِّ دِرْعِها. وفي سبب استحيائِها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان مِنْ صفتِها الحَياءُ، فهي تمشي مَشْيَ مَنْ لم تَعتَدِ الخُروجَ والدُّخولَ. **والثاني**: لأنها دَعتْهُ لِتُكافِئَهُ، وكان الأجمَلُ عندَها أنْ تدعوَهُ مِنْ غير مكافأةٍ. **والثالث**: لأنها رسولُ أبيها.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا سمع موسى هذا القولَ كَرِهَهُ وأراد أنْ لا يتبَعها، فلم يجِدْ بُدّاً للجهدِ الذي به مِن اتِّباعها، فتبِعَها، فكانت الرِّيحُ تضربُ ثوبَها فيَصِفُ بعضَ جَسدِها، فناداها: يا أَمَةَ اللهِ، كوني خَلْفِي ودُلِّيني الطريقَ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي: جاء موسى شُعَيباً ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي: أخبره بأمره مِنْ حين وُلِدَ والسبب الذي أخرَجَهُ مِنْ أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا سُلطانَ لِفرعونَ بأرضِنا ولسنا في مملَكتِه. ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي الكُبرى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي: اتَّخِذْهُ أجيراً ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: خير مَنِ استعمَلْتَ على عَمَلِكَ مَنْ قَوِيَ على عملِكَ وأدَّى الأمانةَ؛ وإنَّما سمَّتْه قوياً، لِرَفعِه الحَجَرَ على رأسِ البئرِ، وقيل: لأنه استقَى بدَلْوٍ لا يُقِلُّها إلاَّ العددُ الكثيرُ مِنَ الرجال، وسمَّته أميناً، لأنه أمَرَها أنْ تمشيَ خَلفَهُ. وقال السُّدِّيُّ: قال لها شُعَيبٌ: قد رأيتِ قوَّته، فما يُدريك بأمانَتِه؟ فحدَّثَتْه. قال المُفسِّرون: فرَغِبَ فيه شُعَيبٌ، فقال له: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ أي: أُزَوِّجَكَ[1] ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي

---

(١) قال القرطبي في «التفسير» ١٣/ ٢٧٢: استدل أصحاب الشافعي بهذه الآية على أن النكاح موقوف على لفظ التزويج والإنكاح، وبه قال ربيعة وأبو ثور وأبو عبيد وداود ومالك على اختلاف منه. وقال علماؤنا في المشهور: ينعقد النكاح بكل لفظ. وقال أبو حنيفة. ينعقد بكل لفظ يقتضي التمليك على التأبيد.
ـ وقال الإمام الموفق في «المغني» ٩/ ٤٦٠: وينعقد النكاح بلفظ الإنكاح والتزويج والجواب عنهما إجماعاً، وهما اللذان ورد بهما نص الكتاب في قوله تعالى ﴿زوجناكها﴾ وقوله سبحانه ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾. ولا ينعقد بغير لفظ الإنكاح والتزويج، وبهذا قال ابن المسيب وعطاء والزهري وربيعة والشافعي. وقال الثوري والحسن بن صالح وأبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور وأبو عبيد وداود: ينعقد بلفظ الهبة والصدقة والبيع والتمليك، وفي لفظ الإجارة روايتان عن أبي حنيفة، وقال مالك ينعقد بذلك إذا ذكر المهر اهـ ملخصاً.

ثَمَنِيَ حِجَجٍ﴾ قال الفراء: تأجُرني وتأجِرني، بضمِّ الجيم وكَسرِها، لُغتان. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: تكون أجيراً لي ثمانيَ سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ أي: فذلك تفضّل منك، وليس بواجبٍ عليك.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: في العَشرِ. ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: في حُسْنِ الصُّحبَةِ والوفاء بما قُلتَ. ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: ذلك الذي وصفتَ وشَرطَت عليَّ فَلَكَ، وما شَرطتَ لي مِنْ تزويج إحداهما فَلِي، فالأمرُ كذلك بينَنَا. وتَمَّ الكلامُ هاهنا. ثم قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ يعني: الثَّمانيَ والعَشرَ. قال أبو عُبيدَةَ: «ما» زائدةٌ. قوله تعالى: ﴿قَضَيْتُ﴾ أي: أتممتُ ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ أي: لا سبيلَ عَلَيَّ؛ والمعنى: لا تَعتَدِ عليَّ بأنْ تُلزِمَني أكثرَ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: واللهُ شاهِدُنا على ما عَقَدَ بعضُنا على بعضٍ. واختلفَ العلماءُ في هذا الرجل الذي استأجَرَ موسى على أربعةِ أقوالٍ(1):

[١٠٧٥] **أحدها**: أنه شُعيبٌ نبيُّ الله ﷺ، وعلى هذا أكثرُ أهل التفسير. وفيه أَثرٌ عن النبيِّ ﷺ يدلُّ عليه، وبه قال وَهبٌ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنه صاحبُ مَدْيَنَ، واسمه يثربي، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: رجلٌ مِنْ قوم شُعَيبٍ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنه يثرون ابنُ أخي شُعَيبٍ، رواه عمرُو بنُ مرَّةَ عن أبي عُبيدَةَ بنِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ، وبه قال ابنُ السَّائِبِ. واختلفوا في التي تزوَّجها موسى مِنَ الابنتين على قولين: **أحدهما**: الصُّغرى، رُوي عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الكُبرى، قاله مُقاتِلٌ. وفي اسم التي تزوَّجها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: صفوريا، حكاه أبو عِمرَانَ الجَوْني. **والثاني**: صفورة، قاله شُعَيبٌ الجبائي. **الثالث**: صبورا، قاله مُقاتِلٌ.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ

[١٠٧٥] واهٍ. أخرجه البزار ٢٨٢٨ والطبراني ٦٣٦٤ من حديث سلمة بن سعد، وإسناده واهٍ.
ـ قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٥١: فيه من لم أعرفهم.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/ ٦١: وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان... قالت إحداهما يا أبت استأجره﴾. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٧٦: ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى، لم يصح إسنادها، والموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون.

أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾.

[١٠٧٦] روى ابنُ عباسٍ عن رسول الله ﷺ أنه سُئِلَ: أيّ الأجلَيْنِ قضى موسى، قال: «أوفاهُما وأطيبَهُما». قال مُجاهِدٌ: مَكثَ بعد قضاءِ الأجَلِ عندهم عشراً أُخَرَ. وقال وَهب بنُ مُنَبِّهٍ: أقام عندهم بعد أنْ أدخل عليه امرأتَهُ سنين، وقد سبق تفسيرُ هذه الآية(١) إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ: «جِذْوَةٍ» بكسرِ الجيم. وقرأ عاصِمٌ بفتْحِها. وقرأ حمزةُ، وخَلَفٌ، والوليدُ عن ابنِ عامرٍ بضمِّها، وكلُّها لُغاتٌ. قال ابنُ عباس: الجَذوَةُ: قطعةُ حَطَبٍ فيها نارٌ، وقال أبو عُبيدَةَ: قطعةٌ غليظةٌ مِنَ الحَطبِ ليس فيها لَهَبٌ، وهي مثل الجِذْمَة مِنْ أصل الشجر، قال ابنُ مُقبِلٍ:

باتَتْ حَواطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَها ... جَزْلَ الجِذا غيرَ خَوّارٍ ولاَ دَعِرِ(٢)

والدَّاعِرُ: الذي قد نَخِرَ، ومنه رَجلٌ دَاعِرٌ. أي: فاسد.

قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ﴾ وهو: جانبُه ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ وهو الذي عن يمين موسى ﴿فِي

[١٠٧٦] حديث حسن أو يشبه الحسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٠٨ ح ٣٥٣١ من حديث ابن عباس، سكت عليه الحاكم، وضعفه الذهبي بقوله: حفص ـ ابن عمر العدني ـ واهٍ.
وتوبع حفص، فقد أخرجه الحميدي ٥٣٥ وأبو يعلى ٢٤٠٨ والبزار ٢٢٤٥ «كشف» والطبري ٢٧٤٠٩ والحاكم ٢/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ح ٣٥٣٢ كلهم من حديث ابن عباس، «أن النبي ﷺ سأل جبريل: «أي الأجلين قضى موسى؟» قال: أتمهما» وإسناده ضعيف فيه إبراهيم بن يحيى، وهو مجهول كما قال الذهبي في رده على الحاكم حيث صحح الحديث، وكذا أعله الحافظ في «تخريجه» ٣/ ٤٠٧ بجهالة إبراهيم هذا، وقد سقط إبراهيم هذا من إسناد أبي يعلى، فجرى الهيثمي في «المجمع» ١١٢٥٠ على ظاهره، فقال: رجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان، وهو ثقة! وكذا حسنه الشيخ حسين أسد محقق «مسند أبي يعلى» جرياً على ظاهره، وليس كذلك كما تقدم. لكن المرفوع ورد من وجوه أُخَر. فقد ورد من حديث أبي ذر، أخرجه البزار ٢٢٤٤ «كشف» وإسناده ضعيف جداً لأجل إسحق بن إدريس، متروك ومثله شيخه عويد بن أبي عمران، وقد توبع إسحق عند الطبراني في «الصغير» ٨١٥ و «الأوسط» كما في «المجمع» ١١٢٢٥٢. وقال الهيثمي: إسناده حسن، كذا قال رحمه الله! مع أن فيه عويد، وهو متروك. وورد من حديث عتبة بن النُّدر، أخرجه ابن ماجه ٢٤٤٤ وإسناده ضعيف جداً فيه بقية بن الوليد، مدلس، وقد عنعن، وفيه مسلمة بن علي الخشني، وهو متروك. وورد من وجه آخر عن أبي لهيعة، أخرجه البزار ٢٢٤٦ والطبراني ١٧/ ٣٤ ـ ١٣٥، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٧٧ وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وورد من مرسل مجاهد، أخرجه الطبري ٢٧٤١٠. ومن مرسل محمد بن كعب القرظي، أخرجه ٢٧٤٠٨ فلعل هذه الروايات بمجموعها تتأيد ويصير الحديث حسناً، على أنه أخرجه الطبري من وجوه عن ابن عباس وغيره موقوفاً، غير مرفوع والله أعلم.
وانظر «تفسير الشوكاني» ١٨٥٦ و ١٨٥٧ و ١٨٥٨ و ١٨٥٩ و «تفسير ابن كثير» كلاهما بتخريجي.

---

(١) طه: ١٠.
(٢) الحواطب: الجواري يطلبن الحطب، وفي «اللسان»: الجزل: الحطب اليابس الغليظ. والجذى: جمع جذوة، وهو العود الغليظ الذي في رأسه نار أو لا. الخوّار: الضعف. الدعر: الفساد والسوس.

﴿ٱلْبُقْعَةِ﴾ وهي القطعةُ مِنَ الأرض ﴿ٱلْمُبَـٰرَكَةِ﴾ بتكليم الله موسى فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: مِنْ ناحيَتِها. وفي تلك الشجرة قولان: **أحدهما**: أنها شجرةُ العنَّاب، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عَوسَجةٌ، قاله قَتادةُ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ أي: مِنْ أن ينالَكَ مكروهٌ.

قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾ أي: أَدْخِلْها، ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ قد فسَّرنا الجَناحَ في طه[2] إلاَّ أنَّ بعضَ المفسِّرين خالَفَ بين تفسير اللفظين، فشَرحنَاهُ. وقال ابنُ زيدٍ: جَناحُهُ: الذّراع والعَضُدُ والكَفُّ. وقال الزَّجَّاجُ: الجَناحُ هاهنا: العَضُدُ، ويُقال لليَد كلّها: جَناحٌ. وحكى ابنُ الأنباري عن الفرَّاءِ أنه قال: الجَناحُ: العصا. قال ابنُ الأنباري: الجَناحُ للإنسان مُشبَّهٌ بالجناح للطائر، ففي حالٍ تُشبِّهُ العربُ رِجْلَي الإنسان بجَناحَي الطائر، فيقولون: قد مضى فلانٌ طائراً في حاجَتِه، يَعنُونَ ساعياً على قدَمَيْه، وفي حالٍ يجعلون العضُدَ منه بمنزلة جناحَي الطائر، كقوله: «واضمُمْ يدَكَ إلى جناحِكَ»، وفي حالٍ يجعلون العصا بمنزلة الجَناح، لأنَّ الإنسان يدفعُ بها عن نفسه كدَفْعِ الطائر عن نفسه بجَناحِه، كقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾، وإنما يُوقِعُ الجَناحَ على هذه الأشياء تشبيهاً واستعارةً، كما يُقال: قد قُصَّ جَناحُ الإنسان، وقد قُطِعتْ يدُهُ ورجلُهُ: إذا وقعت به جائِحةٌ أبطلت تصرُّفَهُ؛ ويقول الرجل للرجل: أنت يَدِي ورِجْلِي، أي: أنتَ مَنْ به أَصِلُ إلى محابي، قال جَريرٌ:

سَـأَشْـكُـرُ أَنْ رَدَدْتَ إِلـيَّ رِيـشِـي ... وأَنْـبَـتَّ الـقَـوادِمَ فـي جَـنـاحِـي

وقالت امرأةٌ مِنَ العرب ترثي زوجَها الأغرَّ:

يـا عِـصـمَـتي فـي الـنَّـائـبـاتِ ويـا ... رُكْـنـي الأغـرّ ويـا يَـدي الـيُـمـنـى

لا صُـنْـتُ وَجـهـاً كـنـت صَـائِـنَـهُ ... أبـداً ووجـهُـكَ فـي الـثَّـرى يَـبْـلَـى

وأما الرَّهب، فقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «مِنَ الرَّهَب» بفتح الراء والهاء. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «من الرُّهْب» بضمِّ الراء وسكونِ الهاء. وقرأ حفص وأبان عن عاصم: «من الرَّهْب» بفتح الراء وسكون الهاء. وهي قراءة ابنِ مسعودٍ، وابنِ السَّمَيفَع. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ: بضمِّ الراء والهاء. قال الزَّجَّاجُ: الرُّهْب، والرَّهَب بمعنًى واحدٍ، مثل الرُّشْد، والرَّشَد. وقال أبو عُبيدَةَ: الرُّهب والرَّهْبة بمعنى الخوف والفَرَقِ. وقال ابنُ الأنباري: الرَّهْبُ، والرُّهْب، والرَّهَب، مثل الشَّغْل، والشُّغْل، والشَّغَل، والبَخْل، والبُخْل، والبَخَل، وتلك لُغاتٌ ترجع إلى معنى الخوف والفَرَقِ.

وللمفسِّرين في معنى هذه الآية ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه لمَّا هرب مِنَ الحَيَّة أمرَهُ اللهُ تعالى أنْ يَضُمَّ إليه جناحَهُ ليذهبَ عنه الفَزَعُ. قال ابنُ عباسٍ: المعنى: اضمُمْ يدَكَ إلى صدرِكَ مِنَ الخوف ولا خوفَ عليكَ. وقال مُجاهِدٌ: كلُّ مَنْ فَزِعَ فَضَمَّ جناحَهُ إليه ذهب عنه الفزعُ. **والثاني**: أنَّه لمَّا هالَهُ بياضُ يدِه وشُعاعُها، أُمِرَ أنْ يُدْخِلَها في جَيبه، فعادَتْ إلى حالَتِها الأولى. **والثالث**: أنَّ معنى الكلام: سَكِّنْ رَوْعَكَ، وثَبِّتْ جأشَكَ. قال أبو عليٍّ: ليس يُراد به الضَّمُّ بين الشيئين، إنما أُمِرَ بالعزم على ما أُمِرَ به

---

(١) النمل: ١٠. (٢) طه: ٢٢.

والجدّ فيه، ومثله: اشدُدْ حَيازِيمَكَ للموتِ.

قوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «فذانّك» بالتشديد. وقرأ الباقون: «فَذانِكَ» بالتَّخفيف. قال الزَّجّاجُ: التشديد تثنيةُ «ذلك»، والتخفيف تثنيةُ «ذاك»، فجعل اللامَ في «ذلك» بَدَلاً مِنْ تشديد النون في «ذانّك»، ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ أي: بيانان اثنان. قال المُفسِّرون: «فَذانِكَ» يعني العصا واليدَ، حُجَّتان مِنَ الله تعالى لموسى على صِدْقِه، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فِرعونَ. وقد سبق تفسيرُ ما بعدَ هذا[1] إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أي: أحسنُ بياناً، لأنَّ موسى كان في لسانه أثرُ الجَمرةِ التي تناولَها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ قرأ الأكثرون: «رِدْءاً» بسكونِ الدال وبعدها همزةٌ. وقرأ أبو جعفرَ: «رِدا» بفتح الدال وألِفٍ بعدَها مِنْ غير همزٍ ولا تنوينٍ؛ وقرأ نافعٌ كذلك إلاَّ أنه نوَّنَ. قال الزَّجّاجُ: الرِّدْءُ: العَونُ، يُقال: رَدأْتُه أردَؤُه رِدْءاً: إذا أعَنْتَه. قوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ: «يُصَدِّقُني» بضمِّ القاف. وقرأ الباقون بسكونِ القاف. قال الزَّجّاجُ: مَنْ جزمَ «يُصَدِّقْني» فعلى جوابِ المسألة: أرْسِلْهُ يُصَدِّقْني؛ ومَنْ رفعَ، فالمعنى: رِدْءاً مُصَدِّقاً لي. وأكثر المفسِّرين على أنه أشارَ بقوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ إلى هارونَ؛ وقال مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ: لكي يُصَدِّقَني فِرعونُ.

قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى: سنُعينُكَ بأخيكَ، ولفظُ العَضُد على جهةِ المَثَلِ، لأنَّ اليدَ قِوامُها عَضُدُها، وكلُّ مُعِيْنٍ فهو عَضُدٌ، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ أي: حُجَّةً بينةً. وقيل للزَّيتِ: السَّلِيط، لأنه يُستضاءُ به؛ فالسُّلطانُ: أبْيَنُ الحُجَج.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: بقَتْلٍ ولا أذًى. وفي قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المعنى: تمتنِعانِ منهم بآياتِنا وحُجَجِنا فلا يَصِلُون إليكما. **والثاني**: أنه مُتعلِّقٌ بما بعده، فالمعنى: بآياتِنا أنتما ومَنْ اتَّبعكُما الغالبون، أي: تَغلِبُون بآياتِنا. **والثالث**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: ونجعلُ لَكُما سُلطاناً بآياتِنا فلا يَصِلُون إليكُما.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ أي: ما هذا الذي جئتَنا به إلاَّ سِحْرٌ افتريتَهُ مِنْ قِبَلِ نَفسِكَ ولم تُبعَثْ به ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي تدعونا إليه ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ: «قال موسى» بِلاَ واوٍ، وكذلك هي في مصاحِفِهم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي: هو أعلَمُ بالمُحِقِّ منَّا، ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخلَفٌ، والمُفَضَّلُ: «يكون» بالياء، والباقون بالتاء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ

(١) الشعراء: ١٤.

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: المعنى: اصنَعْ ليَ الآجُرَّ ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ أي: قصراً عالياً. وقال الزَّجَّاج: الصَّرْحُ: كلُّ بناءٍ متَّسع مرتفع. وجاء في التفسير أنَّه لمَّا أمَرَ هامَانَ ـ وهو وزيرُهُ ـ ببناء الصَّرح، جَمَعَ العمَّالَ والفَعَلَةَ حتى اجتمع خمسون ألف بنَّاءٍ سوى الأتبَاع، فرَفَعُوه وشيَّدُوه حتى ارتفعَ ارتفاعاً لم يبلُغْهُ بُنيانُ أحدٍ قطُّ، فلمَّا تمَّ ارتقى فِرعونُ فوقه، وأمَر بنُشَّابَةٍ فرمى بها نحو السماء، فرُدَّتْ وهي متلطِّخَةٌ بالدَّم، فقال: قد قَتلتُ إلهَ موسى، فبعثَ الله تعالى جبريلَ فضَرَبَهُ بجناحِه فقطعه ثلاثَ قِطعٍ، فوقعت قطعةٌ على عَسكرِ فِرعونَ فقتلَتْ ألفَ ألفِ رجلٍ، ووقعت أخرى في البحرِ، وأخرى في المَغرِبِ[١].

قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أي: أصعَدُ إليه وأُشرِفُ عليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعني موسى ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادِّعائه إلهاً غيري. وقال ابنُ جَريرٍ: المعنى: أظنُّ موسى كاذباً في ادِّعائه أنَّ في السماء رَبّاً أرسَلَهُ. ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني أرضَ مِصرَ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالباطل والظُّلم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبَعثِ للجزاءِ. قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ: «يُرْجَعون» برفعِ الياء؛ وقرأ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: بفتحِها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ أي: قادةً في الكُفرِ يأتَمُّ بهم العُتاةُ ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ لأنَّ مَنْ أطاعهم دَخلَها؛ و «يُنصرون» بمعنى: يُمنَعون مِنَ العذاب. وما بعد هذا مفسَّرٌ في هود[٢]. قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: مِنَ المُبعَدِينَ المَلعُونين؛ قال أبو زيدٍ: يُقال: قَبَحَ الله فلاناً، أي: أبعَدَهُ مِنْ كلِّ خيرٍ. وقال ابنُ جُريج: معنى الآية: وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً ويومَ القيامة لَعنةً أخرى، ثم استقبلَ الكلامَ، فقال: هم مِنَ المَقبوحِينَ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني قومَ نُوحٍ وعادٍ وثَمود وغيرَهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: ليتبصَّرُوا به ويهتَدُوا.

---

(١) هذا الأثر من الإسرائيليات ولا حجة فيه، ذكره البغوي ٣/ ٣٨٣ بقوله: قال أهل السير.

(٢) هود: ٦٠ ـ ٩٩.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: وما كنتَ بجانبِ الجبل الغَربيِّ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أحْكَمْنا الأمرَ معه بإرسالِه إلى فِرعونَ وقومِه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك الأمر؛ وفي هذا بيانٌ لصحّةِ نبوّة نبيِّنا ﷺ، لأنهم يعلمون أنه لم يقرأ الكُتبَ، ولم يشاهِدْ ما جرى، فلولا أنّه أُوحِيَ إليه ذلك، ما عَلِمَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أي: خَلَقْنا أُمَماً مِن بعدِ موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: طالَ إمهالُهم فنسُوا عهدَ الله وتركوا أمرَهُ؛ وهذا يدلُّ على أنه قد عُهِدَ إلى موسى وقومِه عهودٌ في أمرِ محمَّدٍ ﷺ، وأُمِرُوا بالإيمان به، فلمَّا طالَ إمهالُهم، أعرَضُوا عن مُراعَاةِ العُهودِ. ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مُقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ فتَعلَمَ خبرَ موسى وشُعَيبٍ وابنتيهِ فتَتْلُو ذلك على أهلِ مكّةَ ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أرسلناكَ إلى أهل مكة وأخبرنَاكَ خبرَ المُتقدِّمين، ولولا ذلك ما عَلِمتَهُ. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ أي: بناحيةِ الجبل الذي كُلِّمَ عليه موسى ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى وكلَّمناه، هذا قولُ الأكثرين؛ وقال أبو هُريرَةَ: كان هذا النداءُ: يا أُمَّةَ محمَّدٍ، أعطيتُكم قبلَ أنْ تسألُوني، وأستَجيبُ لكم قبلَ أنْ تَدعُوني.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: لم تُشاهِدْ قَصَصَ الأنبياء، ولكنَّا أوحيناها إليكَ وقَصصناها عليكَ، رحمةً مِنْ ربِّكَ. ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ جوابُ «لولا» محذوفٌ، تقديره: لولا أنهم يحتجُّونَ بتَرْكِ الإرسالِ إليهم لعاجلناهم بالعقوبة، وقيل: لولا ذلك لم نحتج إلى إرسال الرسل ومؤاتَرَةِ الاحتِجاجِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ يعني أهلَ مكّةَ ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو محمَّدٌ عليه السلام والقرآنُ ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ أي: هَلاَّ ﴿أُوتِىَ﴾ محمَّدٌ مِنَ الآيات ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ كالعصا واليَدِ. قال المُفسِّرون: أمَرتِ اليهودُ قُريشاً أنْ تسألَ محمَّداً ﷺ مثلَ ما أُوتيَ موسى، فقال اللّهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ أي: فقد كفروا بآياتِ موسى، و ﴿قَالُوا۟﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: اليهود. **والثاني**: قُريشٌ. ﴿سِحْرَانِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: «ساحِران». ﴿تَظَٰهَرَا﴾ أي تعاوَنا. وروى العبَّاسُ الأنصاري عن أبي عمرٍو: «تَظَّاهَرا» بتشديدِ الظاء. وفيمَنْ عَنَوْا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: موسى ومحمَّدٌ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ؛ فعَلَى هذا هو مِنْ قول مُشرِكي العرب.

والثاني: موسى وهارونُ، قاله مُجاهِدٌ: فعَلَى هذا هو مِنْ قولِ اليهودِ لهما في ابتداءِ الرِّسالة. **والثالث**: محمَّدٌ وعيسى عليهما السلام، قاله قَتادَةُ؛ فعَلَى هذا هو مِنْ قولِ اليهودِ الذين لم يُؤمنوا بنَبِيِّنا. وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ والكِسائيُّ: «سِحْران» وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: التَّوراةُ والفُرقانُ، قاله ابنُ عباسٍ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: الإنجيلُ والقرآنُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: التَّوراةُ والإنجيلُ، قاله أبو مِجْلَزٍ وإسماعيلُ بن أبي خالدٍ. ومعنى الكلام: كلُّ سِحْرٍ منهما يُقَوِّي الآخرَ، فنُسِبَ التظاهرُ إلى السِّحْرَين توسُّعاً في الكلام، ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ يعنونَ ما تقدَّم ذِكرُه على اختلاف الأقوال، فقال اللَّهُ تعالى لنبيِّه ﴿قُلْ﴾ لكفَّار مكَّةَ ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ أي مِنَ التَّوراةِ والقرآنِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّهما ساحِرانِ. ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ أي فإنْ لم يأتُوا بمِثْلِ التَّوراةِ والقرآنِ، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي أنَّ ما رَكِبوه مِنَ الكفرِ لم يحمِلْهم عليه حُجَّةٌ، وإنما آثَروا فيه الهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: ولا أحدَ أضلُّ ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ أي بغير رُشْدٍ ولا بيانٍ جاء ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ وقرأ الحَسنُ وأبو المُتوكِّلِ وابنُ يَعمُرَ: «وصَلْنَا» بتخفيف الصاد. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم قُريشٌ، قاله الأكثرون، منهم مُجاهِدٌ. **والثاني**: اليهود، قاله رِفاعَةُ القُرَظي. والمعنى: أنزلْنا القرآنَ يتبع بعضُه بعضاً، ويُخبِرُ عن الأُمَمِ الخاليَةِ كيف عُذِّبوا لعلَّهم يتَّعظون. ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم مُؤمِنو أهلِ الكتاب، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: مُسلِمو أهلِ الإنجيلِ.

[١٠٧٧] روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أُحُداً، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

والثالث: مُسلِمو اليهود؛ كعَبْدِ الله بنِ سَلامٍ وغيرِه، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي مِنْ قبل القرآن ﴿هُم بِهِۦ﴾ في هاءِ الكِنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى محمَّدٍ ﷺ لأنَّ ذِكْرَهُ كان مكتوباً عندهم في كُتُبِهم فآمَنوا به. **والثاني**: إلى القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآنَ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي مِنْ قبلِ نُزولِ القرآنِ ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي مُخلِصِينَ لله تعالى مُصدِّقين بمحمَّدٍ، وذلك لأنَّ ذِكْرَهُ كان في كُتُبِهم فآمَنُوا به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنَّهم مُؤمِنُو أهلِ الكتاب، وهذا قولُ الجمهور، وهو الظَّاهِرُ، وفيما صَبَروا عليه قولان: أحدهما: أنهم صَبَروا على الكتاب الأوَّل وصَبَروا على اتِّباعِهم محمَّداً ﷺ قاله قَتادَةُ وابنُ زيدٍ. والثاني: أنهم صَبَروا على الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ قبل أنْ يُبْعَثَ ثم على اتِّباعِه حينَ بُعِثَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والقول الثاني**: أنهم قومٌ مِنَ المشركين أسلَمُوا فكان قومُهم يُؤذونَهم فصَبروا على الأذى، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيه أقوالٌ قد شرحناها في الرَّعد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأذى والسَّبُّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنهم قومٌ مِنَ اليهود آمَنُوا، فكانوا يسمعون ما غيَّرَ اليهودُ مِنْ

[١٠٧٧] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» برقم ٧٦٥٨ من حديث ابن عباس بأتم منه، **وإسناده ضعيف جداً**. فيه مجاهيل. قال السيوطي في «الأسباب» ١٠٧٣: فيه من لا يعرف.

صِفةِ رسولِ الله ﷺ فيكرَهون ذلك ويُعرِضُون عنه، قاله ابنُ زيدٍ. وهل هذا مَنسُوخٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: لنا دِينُنا ولكم دِينُكم. **والثاني**: لنا حِلْمُنا ولكم سَفَهُكُم. ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لم يُريدوا التَّحيَّةَ، وإنَّما أرادوا: بيننا وبينَكم المُتَارَكَةُ، وهذا قبلَ أنْ يُؤمَرَ المسلمون بالقتال. وذَكَر أهلُ التَّفسير، أنَّ هذا مَنسوخٌ بآيَة السَّيفِ. وفي قوله تعالى: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا نبتَغي دِينَ الجاهِلين. **والثاني**: لا نطلُبُ مجاورَتَهم. **والثالث**: لا نريد أنْ نكونَ جُهَّالاً؛ واللَّهُ أعلم

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولِها عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

[١٠٧٨] وقد روى مُسلِمٌ فيما انفرَدَ به عن البُخاريِّ مِنْ حديث أبي هُريرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ لِعَمِّهِ: «قل: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، أشهَدُ لكَ بها يومَ القيامة»، فقال: لولا أنْ تُعيِّرَني نساءُ قُريشٍ، يَقُلْنَ: إنَّما حملَهُ على ذلك الجَزَعُ، لأقررْتُ بها عينَكَ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. قال الزَّجَّاجُ: أجمعَ المُفسِّرون أنها نزلت في أبي طالبٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قولان: **أحدهما**: مَنْ أحببتَ هِدايَتَهُ. **والثاني**: مَنْ أحببتَهُ لِقرابَتِه. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُرْشِدُ لِدِينه مَنْ يشاءُ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: بمَنْ قدِّر له الهُدى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ قال ابنُ عباسٍ في رواية العَوفيِّ: هم ناسٌ مِنْ قُريشٍ قالوا ذلك. وقال في رواية ابنِ أبي مُلَيْكَةَ: إنَّ الحارثَ بنَ عامرِ بنِ نوفَلٍ قال ذلك.

[١٠٧٩] وذكر مُقاتِلٌ أنَّ الحارثَ بنَ عامرٍ قال لرسول الله ﷺ: إنَّا لَنعلَمُ أنَّ الذي تقولُ حقٌّ، ولكنْ يمنَعُنا أنْ نتَّبعَ الهُدى معك مَخافةَ أنْ تتخطَّفَنا العربُ من أرضنا، يعنون مكة.

[١٠٧٨] صحيح. أخرجه مسلم ٤١، ٤٢ والترمذي ٣١٨٨ وأحمد ٢/ ٤٣٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٢ من حديث أبي هريرة دون كلمة «نساء» وقد انفرد مسلم بروايته بهذا اللفظ مختصراً.
ـ وقد مضى تخريجه بأطول منه في سورة التوبة عند الآية ١١٣. متفق عليه.

[١٠٧٩] ضعيف. عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم، لكن ورد من وجه آخر. أخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٣٨٥ من طريق عمرو بن شعيب عن ابن عباس، وهو منقطع، قال النسائي: ولم يسمعه منه، أي لم يسمع عمرو من ابن عباس. فالإسناد ضعيف، ولا يصح هذا الخبر.

---

(١) التوبة: ١١٣.

ومعنى الآية: إن اتبعناك على دينك خفنا العرب لِمُخالفَتِنا إيَّاها. والتَّخطُّفُ: الانتِزاعُ بسرعةٍ؛ فَرَدَّ اللّهُ عليهم قولَهم، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ أي: أَوَلَمْ نُسْكِنهم حَرَماً ونجعَلْهُ مكاناً لهم، ومعنى ﴿ءَامِنًا﴾: ذو أمنٍ يأمَنُ فيه الناسُ، وذلك أنَّ العرب كانت يُغِيرُ بعضُها على بعضٍ، وأهلُ مكَّةَ آمِنُونَ في الحَرَمِ مِنَ القتلِ والسَّبي والغَارَةِ، أي: فكيف يخافون إذا أسلَمُوا وهم في حَرَمٍ آمِنٍ؟! ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ قرأ نافعٌ: «تُجبى» بالتاء، أي: تُجمَع إليه وتُحملُ مِنْ كلِّ النَّواحي الثَّمراتُ، ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: مِنْ عندِنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله تعالى هو الذي فعلَ بهم ذلك فيشكُرونَهُ. ومعنى الآية: إذا كنتم آمِنِيْنَ في حَرَمي تأكلون رزقي وتعبُدون غيري، فكيف تخافون إذا عَبَدتُموني وآمَنْتُم بي؟! ثم خوَّفَهُم عذابَ الأُمَمِ الخاليةِ فقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: «معيشتَها» منصوبةٌ بإسقاطِ «في»، والمعنى: بَطِرَتْ في معيشَتِها، والبَطَرُ: الطُّغيانُ في النِّعمَةِ. قال عطاءٌ: عاشوا في البَطَرِ فأكلوا رِزقَ اللّهِ وعَبَدوا الأصنامَ. قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابنُ عباس: لم يسكُنها إلاَّ المسافرون ومارُّ الطريق يوماً أو ساعة، والمعنى: لم تُسْكَن مِنْ بعدِهم إلاَّ سُكنى قليلةً ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: لم يخلُفْهُم أحدٌ بعد هلاكِهم في منازلهم، فبَقِيَتْ خَراباً غير مسكُونَةٍ.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعني القُرى الكافرَ أهلُها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: في أعظمِها ﴿رَسُولًا﴾، وإنما خصَّ الأعظمَ ببعثَةِ الرَّسولِ، لأنَّ الرَّسولَ إنَّما يُبعثُ إلى الأشرافِ، وأشرافُ القوم مُلوكُهم، وإنما يسكنُون المواضعَ التي هي أُمُّ ما حولَها. وقال قتادة: أُمُّ القُرى: مكَّةُ، والرسولُ: محمَّدٌ ﷺ. قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ قال مُقاتِلٌ: يُخبرهم الرَّسولُ أنَّ العذاب نازلٌ بهم إنْ لم يُؤمِنوا. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: بظُلمِهم أهلِكُهم. وظُلمُهُم: شِركُهم. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: ما أُعطيتُم مِنْ مالٍ وخيرٍ ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تتمتَّعون به أيامَ حياتِكُم ثم يَفنى وينقضي، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنَ الثَّواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ أفضلُ وأدْوَمُ لأهلِه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ الباقي أفضلُ مِنَ الفَاني؟!

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ اختُلف فيمن نزلت على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جَهلٍ. **والثاني**: في عليٍّ وحمزَةَ رضي اللّهُ عنهما، وأبي جهلٍ. والقولان مَرويَّان عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: في المؤمن والكافر، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: في عمَّارٍ والوليدِ بنِ المُغيرةِ، قاله السُّدِّيُّ. وفي الوَعدِ الحَسنِ قولان: **أحدهما**: الجَنَّةُ. **والثاني**: النَّصرُ.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ أي: مُصيبُه ومُدرِكُه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: كَمَنْ هو ممتَّعٌ بشيءٍ يَفنى ويزولُ عن قريبٍ ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مِنَ المُحْضَرِينَ في عذاب الله تعالى، قاله قَتادةُ.

والثاني: مِنَ المُحْضَرين للجَزاءِ، حكاه المَاوَرْدِي.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يُنادي اللّهُ تعالى المشركين يومَ القيامة ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ هذا على وَجْهِ حكايةِ قولِهم؛ والمعنى: أينَ شُركائيَ في قولِكُم؟! ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: وَجَب عليهم العذابُ، وهم رُؤساءُ الضَّلالةِ، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم رُؤوسُ المشركين. **والثاني**: أنهم الشياطينُ ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾ يعنونَ الأتباعَ ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: أضللناهُم كما ضَلَلْنا ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبرّأنا منهم إليك؛ والمعنى أنهم يَتبرّأ بعضُهم مِنْ بعضٍ ويصيرون أعداء. ﴿وَقِيلَ﴾ لكُفّار بني آدمَ ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: استغيثُوا بآلهتِكم لتُخلِّصَكم مِنَ العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ أي: فلم يُجيبُوهم إلى نَصرِهم ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ قال الزَّجّاجُ: جوابُ «لو» محذوفٌ؛ والمعنى: لو أنهم كانوا يهتدون لَمَا اتَّبعُوهم ولَمَا رَأَوُا العذابَ. قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يُنادي اللّهُ الكفّارَ ويسألُهم ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيلي، وقَتادةُ، وأبو العَالِيةِ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «فَعُمِّيَتْ» برفع العين وتشديدِ الميم. قال المُفسِّرون: خَفِيَتْ عليهم الحُجَجُ، وسمِّيت أنباءً، لأنها أخبارٌ يُخبَرُ بها. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: عَمُوا عنها ـ مِنْ شدَّةِ الهَولِ ـ فلم يُجيبوا، و «الأنباءُ» الحُجَجُ.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: لا يسأل بعضُهم بعضاً عن الحُجَّة، قاله الضَّحّاكُ. **والثاني**: أنَّ المعنى: سَكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعةِ، قاله الفَرّاءُ. **والثالث**: لا يسأل بعضُهم بعضاً أنْ يحملَ عنه شيئاً مِنْ ذُنوبه، حكاه المَاوَرْدِي.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشِّرك ﴿وَءَامَنَ﴾ أي: صدَّق بتوحيدِ الله عزَّ وجلَّ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدّى الفرائضَ ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ و «عسى» مِنَ الله عز وجل واجبٌ.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ روى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: كانوا يجعلون لآلهتِهم خيرَ أموالِهم في الجاهليَّة.

[١٠٨٠] وقال مُقاتِلٌ: نزلت في الوليدِ بنِ المُغيرةِ حين قال: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾(١).

والمعنى أنَّه لا تُبْعَثُ الرُّسلُ باختيارِهم. قال الزَّجّاجُ: والوَقْفُ الجيِّدُ على قوله تعالى: «ويختار» وتكون «ما» نفياً؛ والمعنى: ليس لهم أنْ يَختاروا على اللّهِ تعالى؛ ويجوز أنْ تكونَ «ما» بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: ويختارُ الذي لهم فيه الخِيرةُ ممَّا يتعبَّدُهم به ويَدعُوهم إليه؛ قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول لِمَا تختارُهُ: أعطِني الخِيرَةَ والخِيَرةَ والخَيْرَةَ، قال ثعلَبُ: كلُّها لُغاتٌ.

قوله تعالى: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تُخفي مِنَ الكُفرِ والعداوة ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسِنَتِهم. قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: يَحْمَدُه أولياؤه في الدنيا ويَحمَدُونَهُ في الجنَّةِ ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ وهو الفَصلُ بين الخلائق. والسَّرمَدُ: الدَّائمُ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سَماعَ فَهمٍ وقَبولٍ فتستدِلُّوا بذلك على وَحدانيَّةِ الله تعالى؟! ومعنى ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: تستريحون مِنَ الحَركةِ والنَّصَبِ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه مِنَ الخطأ والضَّلالةِ؟! ثم أخبرَ أنَّ اللَّيل والنَّهارَ رحمةٌ منه. وقوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ يعني في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لِتلتمِسُوا مِنْ رزقِه بالمَعاشِ في النهار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الذي أنْعَمَ عليكم بهما.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجْنا مِنْ كلِّ أُمَّةٍ رسولَها الذي يَشهدُ عليها بالتَّبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حُجَّتَكُم على ما كنتم تعبدُون مِنْ دُوني ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: عَلِموا أنَّه لا إلهَ إلاَّ هو ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بَطَلَ في الآخرة ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا مِنَ الشُّركاءِ.

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

[١٠٨٠] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٥ بدون إسناد، بقوله: قال أهل التفسير.

---

(١) الزخرف: ٣١.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ﴾ أي: مِنْ عشيرَتِه؛ وفي نَسَبِه إلى موسى ثلاثةُ أقوالٍ[1]: أحدها: أنه كان ابنَ عمِّهِ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عبدُ الله بنُ الحارثِ، وإبراهيمُ، وابنُ جُرَيج. والثاني: ابنَ خالَتِه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. والثالث: أنه كان عَمَّ موسى، قاله ابنُ إسحاقَ. قالَ الزَّجَّاجُ: «قارون» اسمٌ أعجميٌّ لا ينصَرِفُ، ولو كان «فاعولاً» مِنَ العربية مِنْ «قَرَنْتُ الشيءَ» لانْصَرَفَ.

قوله تعالى: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: أحدها: أنه جعَلَ لِبَغِيٍّ جُعْلاً على أنْ تقذفَ موسى بنَفْسِها، ففعلَتْ، فاستَحلَفَها موسى على ما قالت، فأخبرَتْهُ بقصَّتِها، فكان هذا بَغيَهُ، قاله ابنُ عباس. والثاني: أنه بَغى بالكُفرِ بالله تعالى، قاله الضَّحَّاكُ. والثالث: بالكِبْرِ، قاله قَتادَةُ. والرابع: أنه زادَ في طُولِ ثيابه شِبْراً، قاله عطاءٌ الخُراسَاني، وشَهرُ بنُ حَوشَبَ. والخامس: أنه كان يخدِمُ فِرعونَ فتعدَّى على بَني إسرائيلَ وظَلَمَهُم، حكاه المَاوَرْدِي.

وفي المُراد بمفاتِحِهِ قولان: أحدهما: أنها مفاتيحُ الخَزائِنِ التي تُفتح بها الأبوابُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وروى الأعمَشُ عن خَيْثَمَةَ قال: كانت مفاتيحُ قارونَ وِقْرَ ستين بَغلاً، وكانت مِنْ جلودٍ، كلُّ مفتاحٍ مثل الأصبَع. والثاني: أنها خَزائِنُه، قاله السُّدِّيُّ، وأبو صالح، والضَّحَّاكُ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا الأشبَهُ أنْ تكون مفاتِحُه خزائنَ مالِه؛ وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ قُتَيبة. قال أبو صالحٍ: كانت خزائِنُه تُحمَلُ على أربعينَ بَغلاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ أي: تُثقِلُهم وتُميلُهم. ومعنى الكلام: لَتُنِيءُ العُصبَةَ، فلمَّا دخلت الباءُ في «العُصْبة» انفتَحَتِ التاءُ، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بالأبصارِ، وهذا يُذهِبُ الأبصارَ، وهذا اختيارُ الفرَّاءِ وابنِ قُتَيبةَ والزَّجَّاج في آخَرين. وقال بعضُهم: هذا مِنَ المقلوب، وتقديرُه: ما إنَّ العُصْبَةَ لَتَنُوءُ بمفاتِحِهِ، كما يُقال: إنها لَتَنُوءُ بها عجيزتُها، أي: هي تَنُوءُ بعجيزَتِها، وأنشدوا:

فَـدَيْـتُ بِـنَـفْـسِـهِ نَـفْـسِـي ومَـالِـي ... ومَـا آلُـوكَ إلاَّ مَـا أُطِـيـقُ

أي: فَديتُ بنفسي وبمالي نفسَهُ، وهذا اختيارُ أبي عُبيدَةَ، والأخفَشِ. وقد بيَّنا معنى العُصْبَة في سورة يُوسفَ[2]، وفي المراد بها ها هنا ستةُ أقوالٍ: أحدها: أربعون رجلاً، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرة، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. والثالث: خمسةَ عشرَ، قاله مُجاهِدٌ. والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قَتادَةُ. والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالحٍ. والسادس: ما بين الخمسةَ عشرَ إلى الأربعين، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ في القائلِ له قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون مِنْ قومه، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: أنه قولُ موسى له، حكاه المَاوَرْدِي.

قوله تعالى: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: لا تأشَرْ ولا تَبطَرْ، قال الشاعر:

ولـسـتُ بِـمِـفْـرَاحٍ إذا الـدَّهـرُ سَـرَّنـي ... ولا جـازِعٍ مِـنْ صَـرْفِـهِ الـمُـتَـحَـوِّلِ[3]

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٩٢: قال ابن جرير: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه.
(٢) يوسف: ٨.
(٣) البيت لهدبة بن خشرم العذري، وهو في «حماسة البحتري» ١٢٠.

أي: لستُ بأشِرٍ، فأمّا السرورُ، فليس بمكرُوهٍ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ، وأبو حَيْوَةَ، وعاصِمٌ الجَحْدَري، وابنُ أبي عَبلَةَ: «الفارِحِين» بألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي: اطلُبْ فيما أعطاكَ اللّهُ مِنَ الأموال[1]. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيفع: «واتَّبِعْ» بتشديدِ التاء وكَسْرِ الباء وعينٍ ساكنةٍ غير مُعجَمةٍ ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ وهي: الجنَّةُ؛ وذلك يكون بإنفاقِهِ في رضى الله تعالى وشُكرِ المُنْعِم به ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يعملَ في الدنيا للآخرة، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: أنْ يُقدِّم الفضلَ ويُمسِكَ ما يُغنيه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أنْ يستغنيَ بالحلال عن الحرام، قاله قَتادَةُ. وفي معنى ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَعْطِ فَضلَ مالِكَ كما زادَكَ على قَدْرِ حاجَتِكَ. **والثاني**: أحسِنْ فيما افترَضَ عليكَ كما أحسَنَ في إنعامِهِ إليكَ. **والثالث**: أَحسِنْ في طلب الحلالِ كما أحسَنَ إليكَ في الإحلالِ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعني المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: على عِلْمٍ عندي بِصَنعةِ الذهب، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ؛ قال الزَّجّاجُ: وهذا لا أصلَ له، لأنَّ الكيمياءَ باطلٌ لا حقيقةَ له. **والثاني**: برضى اللّهِ عني، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: على خيرٍ عَلِمَهُ الله تعالى عندي، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: إنما أُعطيتُه لفضلِ عِلْمِي، قاله الفَرّاءُ. قال الزَّجّاج: ادّعى أنه أُعطيَ المالَ لِعلْمِه بالتَّوراةِ. **والخامس**: على عِلْمٍ عندي بوجُوهِ المكاسِبِ، حكاه المَاوَردِي. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يعني قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ في الدُّنيا حين كذَّبوا رُسُلَهم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ثلاثة أقوال: **أحدها**: لا يُسألون ليُعْلَمَ ذلك مِنْ قِبَلِهم وإنْ سُئِلوا سؤالَ توبيخٍ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ الملائكة تعرفُهم بسيماهُم فلا تسألهم عن ذُنوبِهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: يدخلون النارَ بغير حسابٍ، قاله قَتادَةُ. وقال السُّدِّيُّ: يُعذَّبون ولا يُسألون عن ذُنوبِهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٤٩٣: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بشتى أنواع القربات التي تُحصِّل لك الثواب في الدار الآخرة **﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾** ما أباح الله لك من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه. **﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾** أي أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض، وتسيء إلى خلق الله. **﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾**.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٩٤: وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد، فإنه قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، وقرأ: **﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾**.

لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ قال الحسَنُ: في ثيابٍ حُمرٍ وصُفرٍ؛ وقال عِكرمَةُ: في ثيابٍ مُعَصْفَرَةٍ. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: خرج على بغلَةٍ شهباءَ عليها سَرجٌ أحمرُ مِنْ أُرْجُوانٍ، ومعه أربعةُ آلافِ مُقاتلٍ، وثلاثمائة وَصِيفةٍ عليهنَّ الحُليّ والزِّينةُ على بغالٍ بِيضٍ. قال الزَّجَّاجُ: الأُرْجُوانُ في اللغة: صِبغٌ أحمرُ. قوله تعالى: ﴿لَذُو حَظٍّ﴾ أي: لَذُو نصيبٍ وافرٍ مِنَ الدنيا. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني الأحبارَ مِنْ بَني إسرائيلَ. وقال مُقاتِلٌ: الذين أوتوا العِلمَ بما وَعَدَ الله في الآخرة قالوا للذين تَمَنَّوا ما أوتيَ قارون ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ أي: ما عنده مِنَ الجَزاءِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ﴾ مِمَّا أُعطيَ قارُونُ. قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: لا يوفَّق لها ويُرْزَقُها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ولا يَلْقَاها» بفتح الياء وسكونِ اللام وتخفيفِ القاف. وفي المُشَارِ إليها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأعمال الصَّالحةُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها الجنَّةُ، والمعنى: لا يُعطاها في الآخرة إلاَّ الصَّابرون على أمرِ الله تعالى، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنها الكلمةُ التي قالوها، وهي قولهم: «ثوابُ الله خيرٌ»، قاله الفَرَّاءُ.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ لمَّا أَمَرَ قارُونُ البَغِيّ بقَذْفِ موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدَعا عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي قد أمَرتُ الأرضَ أنْ تُطيعَكَ فمُرْها؛ فقال موسى: يا أرضُ خُذِيه، فأخذَتْهُ حتى غيَّبَتْ سريرَهُ، فلمَّا رأى ذلك ناشَدَهُ بالرَّحِم، فقال: يا أرضُ خُذِيه، فأخذَتْهُ حتى غيَّبتْ قدمَيْهِ؛ فما زالَ يقول: خُذِيه، حتى غيَّبَتْه، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى ما أفظَّكَ، وعِزَّتي وجلالي لو استغاثَ بي لأغثتُهُ. قال ابنُ عباسٍ: فخُسِفتْ به الأرضُ إلى الأرضِ السُّفلى. وقال سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبٍ: إنَّه يُخسَفُ به كلَّ يوم قامَةً، فتبلغ به الأرضَ السُّفلى يومَ القيامة. قال مُقاتِلٌ: فلمَّا هَلكَ قارونُ قال بَنو إسرائيلَ: إنَّما أهلكَهُ موسى ليأخذَ مالَهُ ودارَهُ، فخَسَفَ الله تعالى بدارِه ومالِه بعدَه بثلاثةِ أيام[1].

قوله تعالى: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي يمنعونه مِنَ الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ أي من المُمتَنِعين ممَّا نزل به. ثم أعلَمنا أنَّ المُتَمنِّين مكانَهُ نَدِموا على ذلك التَّمنِّي بالآية التي تَلِي هذه. وقوله تعالى: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ الأكثرون على ضمّ الخاء وكسرِ السين. وقرأ يعقوبُ، والوليدُ عن ابنِ عامرٍ، وحَفصٌ، وأبَانُ عن عاصِمٍ: بفتح الخاء والسين. فأما قوله تعالى: «وَيْكَ» فقال ابنُ عباسٍ: معناه: ألَمْ تَرَ، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ، والكِسائيُّ. وقال الفَرَّاءُ: «وَيْكَ أن» في كلام العلاب تقريرٌ، كقول الرجل:

(١) هذا الأثر مصدره كتب الأقدمين لا حجة فيه.

أَمَا ترى إلى صُنعِ الله تعالى وإحسانِه، أنشدني بعضُهم:

وَيْـكَ أَنْ مَـنْ يَـكُـنْ لَـهُ نَـشَـبٌ يُـحْـ ... ـبَبْ ومَـنْ يـفْـتَـقِـرْ يَـعِـشْ عَـيْـشَ ضُـرّ

وقال ابنُ الأنباري: في قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ ثلاثةُ أوجهٍ[1]: **الأول**: إنْ شئتَ قلتَ: «وَيْكَ» حرفٌ، و «أنَّه» حرفٌ؛ والمعنى: أَلَمْ تَرَ أنَّه، والدليل على هذا قولُ الشاعر:

سَـالَـتَـانـي الـطَّـلاقَ أَنْ رَأَتَـانـي ... قَـلَّ مـالـي قَـدْ جِـئْـتُـمَـانـي بِـنُـكْـرِ

وَيْـكَ أَنْ مَـنْ يَـكُـنْ لَـهُ نَـشَـبٌ يُـحْـ ... ـبَبْ ومَـنْ يـفْـتَـقِـرْ يَـعِـشْ عَـيْـشَ ضُـرّ[2]

والثاني: أن يكونَ «وَيْكَ» حرفاً، «وأنَّه» حرفاً. والمعنى: ويلَكَ اعلَمْ أنَّه، فحُذفت اللامُ، كما قالوا: قُمْ لا أباكَ، يريدون: لا أبالكَ، وأنشدوا:

أَبِـالْـمَـوْتِ الـذي لا بُـدَّ أنّـي ... مُـلاقٍ لا أَبَـاكِ تُـخَـوِّفِـيـنـي[3]

أراد: لا أَبالَكِ، فحذفَ اللامَ. **والثالث**: أنْ يكونَ «وَيْ» حرفاً، و «كأنَّه» حرفاً، فيكون المعنى «وَيْ» التعجُّب، كما تقول: وَيْ لِمَ فعلتَ كذا وكذا، ويكون معنى «كأنَّه»: أَظُنُّه وأعلمُه، كما تقول في الكلام: كأنَّك بالفَرَجِ قد أقْبَلَ؛ فمعناه: أَظُنُّ الفَرَجِ مُقْبِلاً. وإنما وصلوا الياءَ بالكاف في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ لأنَّ الكلام بهما يَكثُر، كما جعلوا «يا ابْنَ أُمَّ»[4] في المصحف حرفاً واحداً، وهما حرفان. وكان جماعةٌ منهم يعقوبُ، يقِفُون على «وَيْكَ» في الحرفين، ويبتدئون «أَنَّ» و «أنه» في الموضعين. وذكر الزجَّاج عن الخليل أنه قال: «وَيْ» مفصولة من «كأنَّ»، وذلك أنَّ القوم تندَّموا فقالوا: «وَيْ» مُتندِّمين على ما سَلَفَ منهم، وكلُّ مَنْ نَدِم فأظهرَ ندامتَهُ **قال**: وَيْ. وحكى ابنُ قُتَيبةَ عن بعض العلماء أنه قال: معنى «ويكأنَّ»: رحمةً لكَ، بلُغةِ حِمْيَر. قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالرَّحمةِ والمُعافاةِ والإيمانِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ يعني الجنَّةَ ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وفيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّه البَغْيُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَير. **والثاني**: الشَّرَفُ والعِزُّ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: الظُّلْمُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: الشركُ، قاله يَحيى بنُ سلام. **والخامس**: الاستِكبارُ عن الإيمان، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/ ١١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة من أن معناه: ألم تر، ألم تعلم. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٤٩٦: وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى: **﴿ويكأنه﴾** فقال بعضهم: معناها «ويلك اعلم أن» ولكن خففت فقيل: «ويك» ودل فتح «أن» على حذف اعلم وهذا القول ضعفه ابن جرير. والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة «ويكأن». والكتابة أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم.

(٢) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي، كما في «مجاز القرآن» ٢/ ١١٢ و «سيبويه» ١/ ٢٩٠.

(٣) البيت لأبي حية النميري، وهو في «اللسان» ـ أبى ـ.

(٤) طه: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: العملُ بالمعاصي، قاله عِكرمَةُ. **والثاني**: الدُّعاءُ إلى غير عبادةِ الله تعالى، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: العاقبةُ المحمودةُ لهم. قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ قد فسَّرناهُ في سُورةِ النَّمل[1]. قوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد الذين أشركوا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: إلاَّ جزاءَ عَملهم مِنَ الشِّرك، وجزاؤه النَّارُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

[١٠٨١] قال مُقاتِلٌ: خرجَ رسولُ الله ﷺ مِنَ الغَارِ ليلاً، فمضى مِنْ وجهِه إلى المدينة فسَارَ في غير الطريق مخافةَ الطَّلَبِ؛ فلمَّا أَمِنَ رجعَ إلى الطريق فنزلَ الجُحْفَةَ بين مكَّةَ والمدينةِ، فعرفَ الطريقَ إلى مكَّةَ، فاشتاقَ إليها، وذَكرَ مولِدَهُ، فأتاه جِبريلُ فقال: أتشتاقُ إلى بلدِكَ ومَولِدِكَ؟ قال: نعم؛ قال: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، فنزلت هذه الآيةُ بالجُحْفَةِ.

وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَرضَ عليكَ العملَ بالقرآن، قاله عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ، وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أعطاكَ القرآنَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنزلَ عليكَ القرآنَ، قاله مُقاتِلٌ والفَرَّاءُ وأبو عُبيدَةَ. وفي قوله تعالى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أربعة أقوالٍ[2]:

أحدها: إلى مكَّةَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاكُ. قال ابنُ قُتيبةَ: مَعَادُ الرَّجُل: بلدُه، لأنه يتصرَّف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعودُ إلى بلدِه.

والثاني: إلى مَعادِكَ مِنَ الجنَّةِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، والزُّهري. فإنِ اعتُرِضَ على هذا فقيلَ: الرَّدُّ يقتضي أنه قد كان فيما رُدَّ إليه؛ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: أحدها: أنَّه لمَّا كان أبوه آدمُ في الجنة ثم أُخرِجَ، كان كأنَّ ولدَهُ أُخرِجَ منها، فإذا دخلَها فكأنه أُعيدَ. والثاني: أنَّه دخلَها ليلةَ

[١٠٨١] عزاه المصنف لمقاتل، وهذا معضل، وهو بدون إسناد، ومقاتل ساقط الرواية، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) النمل: ٨٩.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/١١٨: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث ولدت اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٤٩٧: ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسّر تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر سورة **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾**: أنه أجل النبي ﷺ نعي إليه ووافقه عمر بن الخطاب، وتارة أخرى فسّر ابن عباس قوله تعالى: **﴿لرادك إلى معاد﴾** بالموت، وتارة بعد الموت الذي هو يوم القيامة.

المِعراج، فإذا دخلَها يومَ القيامة كان ردّاً، ذكرهما ابنُ جَريرٍ. والثالث: أنَّ العرب تقول: رجعَ الأمرُ إلى كذا، وإنْ لم يكُنْ له كَوْنٌ فيه قطُّ، وأنشدوا:

يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ[1]

وقد شرحنا هذا في قوله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ عن ابنِ عباسٍ وبه قال أبو سعيدٍ الخُدْريّ. **الثالث**: لرادك إلى الموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال أبو سعيد الخدري. **والرابع**: لَرَادُّك إلى القيامة بالبَعثِ، قاله الحسَنُ والزُّهري ومُجاهِدٌ في روايةٍ والزَّجّاجُ.

ثم ابتدأ كلاماً يَرُدُّ به على الكفار حين نَسبوا النبيَّ ﷺ إلى الضَّلال، فقال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾؛ والمعنى: قد علم أنّي جئتُ بالهُدى، وأنّكم في ضلالٍ مُبينٍ. ثم ذَكَّرهُ نِعَمه، فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي: أنْ تكونَ نبيّاً وأنْ يُوحى إليك القرآنُ ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۖ﴾ قال الفَرّاءُ: هذا استثناءٌ مُنقطِعٌ، والمعنى: إلاّ أنَّ ربَّكَ رَحِمَكَ فأنزلَهُ عليكَ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: عَوْناً لهم على دِينِهم، وذلك أنّهم دَعَوه إلى دِينِ آبائِه فأُمِرَ بالاحترازِ منهم؛ والخطابُ بهذا وأمثالِه له، والمراد أهلُ دِينِه لئلاّ يُظاهِروا الكفّار ولا يُوافقوهم.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلا ما أُريدَ به وَجهُه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الثَّوْري. **والثاني**: إلاّ هو، قاله الضَّحّاكُ وأبو عُبيدَةَ. قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ أي الفَصلُ بينَ الخَلائِقِ في الآخرة دونَ غيرِه ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ في الآخرة.

---

(١) هو عجز بيت للبيد بن ربيعة العامري وصدره: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه، كما في «ديوانه» ١٦٩، و «اللسان» ـ حور ـ.

سورة العنكبوت

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

فصلٌ في نُزولها: روى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ أنَّها مكِّيَّةٌ، وبه قال الحسَنُ، وعطاءٌ، وقَتادةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ. وفي روايةٍ عن ابنِ عباسٍ أنها مَدنيَّةٌ. وقال هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ المُفسِّرُ: نزلت مِنْ أوَّلِها إلى رأسِ العشرِ بمكَّةَ، وباقيها بالمَدينةِ. وقال غيرُه عكسَ هذا: نزلت العَشرُ بالمدينةِ، وباقيها بمكَّةَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٠٨٢] **أحدها:** أنَّه لمَّا أُمِرَ بالهجرة، كتب المسلمون إلى إخوانِهم بمكَّةَ أنَّه لا يُقبَلُ منكم إسلامُكم حتى تُهاجِروا، فخرجوا نحوَ المدينةِ فأدركَهُم المشركون فرَدُّوهم، فأنزلَ اللهُ تعالى مِنْ أوَّلِ هذه السُّورةَ عشرَ آياتٍ، فكتبوا إليهم يُخبِرونَهُم بما نزلَ فيهم، فقالوا: نَخرُج، فإن اتَّبَعَنا أحدٌ قاتلناه، فخرجوا فاتَّبعَهُم المشركون فقاتلوهم، فمنهم مَنْ قُتِلَ، ومنهم مَنْ نَجا، فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾(١)، هذا قولُ الحسَنِ والشَّعبيِّ.

[١٠٨٣] **والثاني:** أنها نزلت في عمَّارِ بنِ ياسرٍ إذ كان يُعذَّب في اللهِ عزَّ وجلَّ، قاله عبدُ اللهِ بنُ عُبيدِ بن عُمَيرٍ.

[١٠٨٤] **والثالث:** أنَّها نزلت في مِهْجَعٍ مولى عمرَ بنِ الخَطَّابِ حين قُتِلَ ببَدرٍ، فجَزِعَ عليه أبواه وامرأتُه، فأنزلَ اللهُ تعالى في أبوَيه وامرأتِه هذه الآيَةَ.

[١٠٨٢] أخرجه الطبري ٢٧٦٩٣ وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٦ عن الشعبي مرسلاً، فهو ضعيف.

[١٠٨٣] أخرجه الطبري ٢٧٦٩٢ عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

[١٠٨٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٦٧ عن مقاتل بدون إسناد، ومقاتل ساقط الرواية، فخبره واهٍ.

---

(١) النحل: ١١٠.

قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكَّةَ كعيَّاشِ بن أبي رَبيعة وعمَّارِ بنِ ياسرٍ وسَلَمةَ بنِ هشام وغيرِهم. قال الزَّجَّاجُ: لفظُ الآيةِ استخبارٌ ومعناها معنى التَّقريرِ والتَّوبيخِ؛ والمعنى: أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُترَكوا بأنْ يقولوا: آمَنَّا، ولأنْ يقولوا: آمَنَّا، أي أحَسِبوا أنْ يُقنَع منهم بأنْ يقولوا: إنَّا مؤمنون، فقط، ولا يُمتَحنون بما يبيِّن حقيقةَ إيمانِهم ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ أي لا يُختَبرون بما يُعلَم به صِدقُ إيمانِهم مِنْ كذبِه. وللمفسِّرين فيه قولان: **أحدهما**: لا يُفتَنون في أنفُسِهم بالقَتْلِ والتَّعذيبِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا يُبتَلَوْن بالأوامر والنَّواهي. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي ابتَليناهم واختبرناهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَليُرِيَنَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الذين صَدَقوا في إيمانِهم عند البَلاءِ إذا صبروا لقضائه، وليُرِيَنَّ الكاذِبِيْنَ في إيمانِهم إذا شَكَوا عند البَلاءِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: فليُمَيِّزَنَّ، لأنَّه قد عَلِمَ ذلك مِنْ قَبْلُ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: فَليُظْهِرَنَّ ذلك حتى يُوجَدَ مَعلوماً، حكاه الثَّعلَبي. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «فَليُعْلِمَنَّ الله» «ولَيُعْلِمَنَّ الكاذبين» «وليُعْلِمَنَّ الله الذين آمنوا ولَيُعْلِمَنَّ المنافقين»[1] بضمِّ الياء وكسرِ اللام.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أي: أحَسِبَ ﴿ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعني الشِّركَ ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أي: يفُوتونا ويُعجِزونا ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بِئسَ ما حكَموا لأنفسِهم حين ظنُّوا ذلك. قال ابنُ عباسٍ: عَنَى بهم الوليدَ بنَ المُغيرةِ، وأبا جَهلٍ، والعاصَ بنَ هشامٍ، وغيرَهُم.

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ قد شرحناه في آخرِ الكهف[2] ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ يعني الأجَلَ المَضرُوبَ للبَعثِ؛ والمعنى: فليَعمَلْ لذلك اليوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِمَا يقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يَعمَلُ. ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أي: إنَّ ثوابَهُ إليه يرجعُ. قوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي: لَنُبطِلَنَّها حتى تصيرَ بمنزلة ما لم يُعمَلْ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالِهم، وهو الطَّاعةُ، ولا نَجزيهم بمساوئ أعمالِهم.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «إحساناً» بألِفٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ: «حَسَناً» بفتحِ الحاء والسين.

[١٠٨٥] وروى أبو عُثمانَ النَّهْدي عن سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، قال: فيَّ أُنزلت هذه الآيةُ، كنتُ

[١٠٨٥] أصله صحيح. أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤١٤ من طريق مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي عثمان =

---

(١) العنكبوت: ١١.
(٢) الكهف: ١١٠.

رجلاً بَرّاً بأمّي، فلمَّا أسلمتُ قالت: يا سعدُ! ما هذا الدِّينُ الذي قد أحدَثتَ، لتَدَعَنَّ دِينَكَ هذا أوْ لا آكلُ ولا أشربُ حتى أموتَ فتُعيَّرَ بي فيُقال: يا قاتلَ أُمِّه، قلتُ: لا تفعلي يا أُمَّاه، إنِّي لا أَدَعُ دِيني هذا لشيءٍ، قال: فمَكثَتْ يوماً وليلةً لا تأكلُ، فأصبَحَتْ قد جُهِدَتْ، ثم مَكثَتْ يوماً آخر وليلةً لا تأكلُ، فلمَّا رأيتُ ذلك قلتُ: تعلمِينَ واللهِ يا أُمَّاهُ لو كانت لكِ مائةُ نَفْسٍ فخَرَجَتْ نَفساً نَفساً ما تركتُ دِيْني هذا لشيءٍ، فكُلِي، وإنْ شِئتِ لا تأكلي، فلمَّا رأتْ ذلك أكَلَتْ فأُنزلَتْ هذه الآيةُ. وقيل: إنَّها نزلت في عيَّاشِ بن أبي رَبيعَةَ، وقد جرى له مع أُمِّه نحو هذا. وذكرَ بعضُ المفسِّرين أنَّ هذه الآيةَ، التي في لقمان[1] وفي الأحقاف[2]: نَزلْنَ في قصَّةِ سعدٍ.

قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «حُسْناً» فمعناه: ووصَّينا الإنسان أنْ يفعلَ بوالدَيْه ما يَحْسُن، ومَنْ قرأ: «إحساناً» فمعناه: ووصينا الإنسانَ أنْ يُحْسِنَ إلى والدَيْهِ، وكان «حُسْناً» أعمَّ في البِرِّ.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُ هذا الكلام مَجازُ المُختَصَرِ الذي فيه ضَميرٌ، والمعنى: وقُلنا له: وإنْ جاهدَاكَ. قوله تعالى: ﴿لِتُشْرِكَ بِي﴾ معناه: لِتُشرِكَ بي شَريكاً لا تَعْلَمُه لي وليس لأحدٍ بذلك عِلْمٌ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾. قوله تعالى: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في زُمرَةِ الصَّالحين في الجنَّةِ. وقال مُقاتِلٌ: «في» بمعنى «مع».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[١٠٨٦] **أحدها**: أنَّها نزلت في المؤمنين الذين أخرجَهُم المشركون إلى بَدرٍ فارتدُّوا، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٠٨٧] **والثاني**: نزلت في قومٍ كانوا يُؤمنون بألسِنَتِهم، فإذا أصابَهُم بلاءٌ مِنَ الله تعالى أو مُصيبةٌ

= النهدي أن سعد بن مالك قال: نزلت فيَّ هذه الآية ﴿**وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم**﴾ قال: كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتُعَيَّر بي فيقال: يا قاتل أمه...» فذكره بتمامه. وأخرجه مسلم ص ١٨٧٧ ح ١٧٤٨ والترمذي ٣١٨٩ وأبو يعلى ٧٨٢ من حديث سعد قال: «وحلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل، ولا تشرب قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك آمرك بهذا قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقال ابن لها يقال له عمارة: نسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿**ووصينا الإنسان...**﴾» وله تتمة عند مسلم.

[١٠٨٦] أخرجه الطبري ٢٧٧٠٦ بأتم منه، وإسناده لا بأس به لأجل محمد بن شريك، وباقي الإسناد ثقات.

[١٠٨٧] أخرجه الطبري ٢٧٧٠٣ عن مجاهد مرسلاً، وعزاه السيوطي في «الدر» ٥/ ٢٧٠ إلى ابن أبي شيبة والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

---

(١) لقمان: ١٥. (٢) الأحقاف: ١٥.

في أنفسِهم وأموالِهم افتَتَنوا، قاله مُجاهِدٌ.

[١٠٨٨] **والثالث**: نزلت في ناسٍ مِنَ المنافقين بمكَّةَ، كانوا يُؤمنون، فإذا أُوذُوا أو أصابَهُم بَلاءٌ مِنَ المشركين رَجعوا إلى الشِّركِ، قاله الضَّحَّاكُ.

[١٠٨٩] **والرابع**: أنها نزلت في عيَّاشِ بنِ أبي رَبيعَةَ، كان أسلَمَ، فخافَ على نفسِهِ مِنْ أهله وقومه، فخرجَ مِنْ مكَّةَ هارباً إلى المدينة، وذلك قبلَ قدوم رسولِ الله ﷺ إلى المدينةِ، فجَزِعَتْ أمُّه فقالت لأخوَيْهِ أبي جَهلٍ والحارثِ ابنَي هِشام ـ وهما أخواهُ لأمِّه ـ: واللّهِ لا آوِي بيتاً ولا آكلُ طعاماً ولا أشربُ شراباً حتى تأتياني به، فخَرجا في طَلَبِه فظَفِرَا به، فلم يَزالا به حتى تابعَهُما وجاءا به إليها، فقيَّدَتْهُ، وقالت: واللّهِ لا أحُلُّكَ مِنْ وَثاقِكَ حتى تكفرَ بمحمَّدٍ، ثم أقبلَتْ تَجلِدُه بالسياط وتُعذِّبه حتى كَفرَ بمحمَّدٍ عليه السلام جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ، فنزلت فيه هذه الآيةُ، ثم هاجرَ بَعْدُ وحَسُنَ إسلامُه، هذا قولُ ابنِ السَّائبِ، ومُقاتِلٍ. وفي روايةٍ عن مُقاتِلٍ أنَّهما جَلَدَاهُ في الطريق مائتي جلدَةً، فتبرَّأ مِنْ دِيْنِ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: نالَهُ أذى أو عذابٌ بسبب إيمانِه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ما يُصيبه مِنْ عذابِهم في الدنيا ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة؛ وإنما ينبغي للمؤمن أنْ يصبرَ على الأذى في الله تعالى لِمَا يَرجُو مِنْ ثوابه ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني: دَولةٌ للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على دِينِكم، فكذَّبهم اللّهُ تعالى وقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مِنَ الإيمان والنِّفاقِ. وقد فسَّرنا الآيةَ التي تَلِي هذه في أوَّلِ السُّورةِ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ يعنون: دِيْنَنا. قال مُجاهِدٌ: هذا قولُ كفَّارِ قُريشٍ لِمَنْ آمَنَ مِنْ أهل مكَّةَ، قالوا لهم: لا نُبعَثُ نحن ولا أنتم فاتَّبِعونا، فإنْ كان عليكم شيءٌ فهو علينا.

قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو أمرٌ في تأويلِ الشَّرطِ والجَزاءِ، يعني إن اتَّبعتُم سبيلَنا حَمَلْنا خطاياكم. وقال الأخفَشُ: كأنَّهم أَمَرُوا أنفسَهُم بذلك. وقرأ الحسَنُ: «ولِنَحمل» بكسرِ اللام. قال ابنُ قُتَيبَةَ: الواو زائدةٌ، والمعنى: لِنَحمِلَ خطاياكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي فيما ضَمِنُوا مِنْ حَمْلِ خطاياهم. قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي أوزارَ أنفسِهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي أوزاراً مع أوزارهم، وهي أوزارُ الذين أضَلُّوهُم، وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١)

[١٠٨٨] أخرجه الطبري ٢٧٧٠٤ عن الضحاك مرسلاً، فهو ضعيف.

[١٠٨٩] عزاه المصنف لمقاتل وهو ساقط الحديث، ومثله ابن السائب، كلاهما ممن يضع الحديث، فالخبر لا شيء.

---

(١) النحل: ٢٥.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ سؤالُ توبيخٍ وتقريعٍ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِنَ الكذب على الله عزَّ وجلَّ؛ وقال مُقاتِل: عن قولِهم نحن الكُفلاءُ بكلِّ تَبِعَةٍ تُصيبُكم مِنَ الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وفي هذه القصة تسليةٌ للنبيِّ ﷺ حيث أُعلِمَ أنَّ الأنبياء قد ابتُلُوا قبلَه، وفيها وعيدٌ شديدٌ لِمَنْ أقام على الشِّركِ. فإنهم وإنْ أُمهِلُوا، فقد أُمهِلَ قومُ نُوح أكثرَ ثم أُخِذُوا. قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ اختلفوا في عُمُرِ نُوح على خمسةِ أقوالٍ[(١)]. **أحدها**: بُعِثَ بعد أربعين سنةً، وعاش في قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً يَدعُوهم، وعاشَ بعد الطُّوفان ستينَ سنةً، رواه يوسفُ بنُ مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ[(٢)]. **والثاني**: أنَّه لَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً، وعاشَ بعد ذلك سبعينَ عاماً، فكان مَبلَغُ عُمُرِه ألفَ سنةٍ وعشرينَ سنةً، قاله كَعبُ الأحبارِ. **والثالث**: أنه بُعِثَ وهو ابنُ خمسينَ وثلاثمائةٍ، فلَبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسينَ وثلاثمائةٍ، قاله عَونُ بنُ أبي شَدَّادٍ. **والرابع**: أنَّه لَبِثَ فيهم قبل أنْ يدعُوَهُم ثلاثمائةَ سنةٍ، ودعاهم ثلاثمائة سنة ولَبِثَ بعد الطُّوفانِ ثلاثمائةً وخمسينَ سنة، قاله قَتادَةُ. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: بُعِثَ لخمسينَ سنةً. **والخامس**: أنَّ هذه الآيَةَ بيَّنت مقدارَ عُمُرِه كلِّه، حكاه المَاوَردِي. فإنْ قيلَ: ما فائدةُ قوله تعالى: «إلاَّ خمسينَ عاماً»، فهَلاَّ قال: تسعمائةً وخمسينَ؟ فالجواب: أنَّ المراد به تكثيرُ العددِ، وذِكْرُ الألفِ أفخَمُ في اللفظ، وأعظَمُ للعَددِ. وقال الزَّجَّاجُ: تأويلُ الاستثناء في كلام العرب: التَّوكيدُ، تقول: جاءني إخوتُكَ إلاَّ زيداً، فتؤكِّد أنَّ الجماعة جاؤوا، وتُنْقِصُ زيداً. واستثناءُ نصفِ الشيء قبيحٌ جداً لا تتكلَّمُ به العرب، وإنما يُتكلَّمُ بالاستثناء كما يُتَكلَّمُ بالنُّقصانِ، تقول: عندي دِرهمٌ ينقُص قِيراطاً، فلو قلتَ: ينقُصُ نِصفُه، كان الأَوْلَى أنْ تقولَ: عندي نصفُ دِرهم، ولم يأتِ الاستثناءُ في كلام العرب إلاَّ قليلٌ مِنْ كثيرٍ. قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الموتُ.

[١٠٩٠] رَوَتْ عائشةُ عن رسولِ الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ قال: «المَوت».

والثاني: المطرُ، قاله ابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وقَتادَةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: هو المطر الشديدُ. **والثالث**: الغرقُ، قاله الضَّحَّاكُ. قال الزجاج: الطُّوفانُ مِنْ كلِّ شيءٍ: ما كان كثيراً مُطِيفاً بالجماعة كلِّها، فالغَرقُ

[١٠٩٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ١٥٠٠٥، و ١٥٠٠٩ من حديث عائشة، وإسناده ضعيف جداً فيه يحيىٰ بن يمان عن منهال بن خليفة عن حجاج بن أرطأة، وثلاثتهم ضعفاء. وزاد نسبته في «الدر» ٣/ ٢٠٣ إلى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه. وأخرجه الطبري من طرق متعددة عن مجاهد قوله، وهو الصواب.
يلاحظ أن المصنف ذكر هذا الخبر عند هذه الآية، وهو وهم، لإجماعهم أن المراد بالطوفان ههنا الغرق، وإنما أخرجه الطبري وغيره في سياق قصة موسى مع ذكر الآيات الأخر ـ منها الجراد والقمل وغير ذلك.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣: وظاهر سياق الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً، وقول عون بن أبي شداد رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وهذا قول غريب.

(٢) هذا القول متلقى عن أهل الكتاب، فما ورد في القرآن هو الذي يجب التصديق به.

الذي يشتمل على المُدنِ الكثيرة: طُوفانٌ، وكذلك القَتْلُ الذَّرِيعُ، والموتُ الجارِفُ: طُوفانٌ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ يعني السَّفينةَ، قال قَتادةُ: أبقاها اللهُ تعالى آيةً للناس بأعلى الجُوديّ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وجازَ أنْ يكونَ أراد: الفِعلَةَ التي فَعلَها بهم مِنَ الغرقِ ﴿ءَايَةً﴾، أي عِبرةً ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بعدَهم.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ قال الزَّجّاجُ: هو معطوفٌ على نُوحٍ، والمعنى: أرسلنا إبراهيمَ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني عبادة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِنْ عبادة الأوثان ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خيرٌ لكم ممّا هو شرٌّ لكم؛ والمعنى: ولكنّكم لا تعلمون. ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ قال الفَرّاءُ: «إنّما» في هذا الموضع حرفٌ واحدٌ، وليست على معنى «الذي»، وقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ مردودٌ على «إنّما»، كقولكَ: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقال مُقاتِلٌ: الأوثان: الأصنام. قال ابنُ قُتيبةَ: واحدها وَثَنٌ، وهو ما كان مِنْ حجارةٍ أو جِصٍّ. قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو المُتوكِّلِ: «وتختلقون» بزيادةِ تاءٍ. ثم فيه قولان: **أحدهما**: تختلِقُون كَذِباً في زَعمِكُم أنّها آلهةٌ. **والثاني**: تصنَعونَ الأصنامَ؛ فالمعنى: تَعبُدونَ أصناماً أنتم تصنَعونَها. ثم بيَّنَ عجزَهُم بقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يَقدِرونَ على أنْ يرزُقوكُم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ أي: فاطلُبُوا مِنَ الله تعالى، فإنّه القادرُ على ذلك. قوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ هذا تهديدٌ لقُريشٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ والمعنى: فأُهلِكوا.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «يَروْا» بالياء. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: بالتاء. وعن عاصمٍ كالقراءتَيْنِ. وعَنى بالكلام كفّارَ مكّةَ ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلُقُهم ابتداءً مِنْ نُطفةٍ، ثم مِنْ مُضغةٍ إلى أنْ يتِمَّ الخَلْقُ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: ثم هو يُعيدُهُ في الآخرة عند البَعثِ. وقال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: أوَلَمْ يَرَوا كيف استأنفَ اللهُ الخَلْقَ الأوّلَ ثم يُعيدُه. وفيه لُغتانِ: أَبدأَ وأعادَ، وكان مُبدِئاً ومُعيداً، وبدأ وعَادَ، وكان بادِئاً وعائِداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني الخَلْقَ الأوَّلَ والخَلْقَ الثاني. قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: انْظُروا إلى المَخلوقاتِ التي في الأرض، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غيرَ الله عزَّ وجلَّ، فإذا عَلِموا أنه لا خالقَ لهم سِواه، لزِمَتْهم الحُجَّةُ في الإعادةِ، وهو قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: ثمَّ اللَّهُ تعالى يُنشِئُهم عند البَعثِ نشأةً أخرى. وأكثرُ القُرَّاءِ قرؤوا: «النَّشْأة» بتسكينِ الشين وتَرْكِ المَدِّ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو: «النَّشاءة» بالمَدِّ.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّه في الآخرة بعد إنشَائِهم. **والثاني**: أنَّه في الدنيا. ثم فيه خمسةُ أقوالٍ حكاها المَاوَردي: **أحدها**: يُعذِّب مَنْ يشاء بالحِرصِ، ويَرحَمُ مَنْ يشاء بالقناعَةِ. **والثاني**: يُعذِّب بسوءِ الخُلُقِ، ويرحَمُ بحُسْنِ الخُلُقِ. **والثالث**: يُعذِّب بمُتابعَةِ البدعَةِ، ويَرحَمُ بمُلازمَةِ السُّنَّةِ. **والرابع**: يُعَذِّبُ بالانقِطاعِ إلى الدنيا، ويَرحَمُ بالإعراضِ عنها. **والخامس**: يُعذِّب مَنْ يشاء ببُغْضِ الناسِ له، ويَرحَمُ مَنْ يشاء بحُبِّ الناسِ له. قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: تُرَدُّون. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان حكاهما الزَّجَّاجُ: **أحدهما**: وما أنتم بمعجزينَ في الأرض، ولا أهلُ السماءِ بمُعجزينَ في السماء. **والثاني**: وما أنتم بمُعجِزينَ في الأرض، ولا لو كُنتم في السماء. وقال قُطْرُبُ: هذا كقولك: ما يفوتني فلان لا ها هنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو صار إليها. قال مقاتل: والخطابُ لكفَّارِ مكَّةَ؛ والمعنى: لا تَسبِقُونَ اللَّهَ حتى يَجزيَكم بأعمالِكُم السيِّئةِ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ أي: قريبٌ ينفعُكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنَعُكم مِنَ الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: بالقرآنِ والبَعثِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾؛ في الرَّحمةِ قولان: **أحدهما**: الجنةُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: العَفوُ والمَغفِرةُ، قاله أبو سُليمانَ. قال ابنُ جَريرٍ: وذلك في الآخرة عند رُؤيةِ العذاب.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

ثم عاد الكلامَ إلى قصة إبراهيمَ، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: حينَ دَعاهم إلى اللَّهِ تعالى ونَهاهم عن الأصنام ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وهذا بيانٌ لِسَفَهِ أحلامِهم حينَ قابلوا احتِجاجَهُ عليهم بهذا. قوله تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ المعنى: فحرَّقوهُ فأنجاهُ اللَّهُ ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يُشير إلى إنجائِه إبراهيمَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيمَ ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «مَوَدَّةُ بَيْنِكُمْ» بالرفع والإضافة. قال الزَّجَّاجُ: «مَودَّةُ» مرفوعةٌ بإضمارِ «هي» كأنه قال: تلك مَوَدَّةُ بينِكم، أي: أُلفتُكم واجتماعُكم على الأصنام مَودَّةُ بينِكم؛ والمعنى: إنَّما اتَّخذتُم هذه الأوثانَ لِتتوادُّوا بها في الحياة الدنيا. ويجوز أنْ تكونَ «ما» بمعنى الذي. وقرأ ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ المُسيِّبِ، وعِكرِمَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «مَودَّةٌ» بالرفع «بَيْنَكُمْ» بالنصب. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «مَوَدَّةً بَيْنَكم» قال أبو عليٍّ: المعنى: اتَّخذتُم الأصنام للمَودَّة، و «بينَكم» نُصِبَ على الظَّرفِ،

والعاملُ فيه «المودَّةُ». وقرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصم: «مَوَدَّةَ بَيْنِكُم» بنصبِ «مَوَدَّةَ» مع الإضافة، وهذا على الاتِّساع في جَعْلِ الظَّرفِ اسماً لِمَا أُضيفَ إليه. قال المُفسِّرون: معنى الكلام: إنَّما اتَّخذتُموها لِتتَّصِلَ المَودَّةُ بينكم واللقاءُ والاجتمَاعُ عندها، وأنتم تعلمون أنها لا تَضرُّ ولا تَنفعُ، ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرَّأ القادةُ مِنَ الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعَنُ الأتبَاعُ القادَةَ لأنَّهم زيَّنوا لهم الكُفر.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي: صَدَّقَ بإبراهيمَ ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيمَ ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلى رِضَى ربِّي. **والثاني**: إلى حيثُ أمَرني ربِّي، فهاجَرَ مِنْ سَوادِ العِراقِ إلى الشَّام وهَجَرَ قومَهُ المشركين. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ بعد إسماعيلَ ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ مِنْ إسحاقَ ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ وذلك أنَّ اللّهَ تعالى لم يَبْعَثْ نبيًّا بعدَ إبراهيمَ إلاَّ مِنْ صُلْبه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الذِّكرُ الحَسنُ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: الثناءُ الحَسَنُ والولَدُ الصالحُ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. **والثالث**: العافيةُ والعملُ الحَسَنُ والثناءُ، فلستَ تَلْقى أحداً مِنْ أهلِ المِلَلِ إلاَّ يَتولاَّهُ، قاله قتادَةُ. **والرابع**: أنه أُريَ مكانَه مِنَ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابنُ جَريرٍ: له هنالكَ جزاءُ الصَّالحين غيرَ مَنقوصٍ مِنَ الآخرة بما أُعطِيَ في الدنيا مِنَ الأجرِ. وما بعدَ هذا قد سبق بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا يعترضون مَنْ مَرَّ بهم لِعَملِهِم الخَبيثِ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم كانوا إذا جلسوا في مَجالِسِهم يَرمُونَ ابنَ السَّبيلِ بالحجارة، فيقطعون سبيلَ المسافرِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه قَطْعُ النَّسْلِ للعُدولِ عن النساء إلى الرجال، حكاه المَاوَرديّ.

قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: النَّادي: المَجلِسُ، والمُنْكَرُ يَجمعُ الفواحشَ مِنَ القولِ والفعلِ. وللمفسِّرين في المراد بهذا المُنْكَرِ أربعةُ أقوالٍ:

[١٠٩١] **أحدها**: أنهم كانوا يَحْذِفُونَ أهلَ الطريق ويَسخَرُونَ منهم، فذلك المُنْكَرُ، رَوَتْهُ أُمُّ هانئٍ

[١٠٩١] ضعيف جداً، والمتن منكر. أخرجه الترمذي ٣١٩٠ وأحمد ٦/ ٣٤١ و ٤٢٤ والطبري ٢٧٧٤٣ والحاكم ٢/ ٤٠٩ والطبراني ٢٤/ ١٠٠١ وابن أبي الدنيا في «الصمت» ٢٨٢ من طرق من حديث أم هانئ، وقال الترمذي: =

---

(١) سبق بيانه في سورة الأعراف: ٨٠.

بنتُ أبي طالبٍ عن رسولِ الله ﷺ. وقال عِكرمَةُ والسُّدِّيُ: كانوا يَحْذِفُونَ كلَّ مَنْ مَرَّ بهم.

والثاني: لَفُّ القميصِ على اليَدِ، وجَرُّ الإِزَارِ، وحَلُّ الأزرارِ، والحَذْفُ والرَّميُ بالبُنْدُقِ، ولَعِبُ الحَمَامِ، والصَّفِيرُ، في خِصالٍ أُخَر رواها مَيمُونُ بن مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه الضُّرَاطُ، رواه عُروَةُ عن عائِشةَ، وكذلك فسَّرَهُ القاسمُ بنُ محمَّدٍ.

والرابع: أنه إتيانُ الرِّجالِ في مجالِسِهم، قاله مُجاهِدٌ، وقتَادَةُ، وابنُ زيدٍ.

وهذه الآيةُ تدلُّ على أنه لا ينبغي للمُجتمِعينَ أنْ يتعاشَرُوا إلاَّ على ما يُقَرِّبُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ، ولا ينبغي أنْ يَجتمِعوا على الهُزءِ واللَّعِبِ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ أي: بتَصدِيقِ قولي في العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنُونَ قريةَ لُوطٍ. قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: «لَنُنَجِّيَنَّه» و «إِنَّا مُنَجُّوك» بتشديدِ الحَرفَينِ، وخفَّفهما حمزَةُ، والكِسائيُّ. وروى أبو بكر عن عاصِم: «لَنُنَجِّيَنَّه» مُشددةً، و «إنَّا مُنْجُوك» مخففةً ساكنةَ النونِ. وقد سبق شرحُ ما أخلَلْنا بذِكْرِه(1) إلى قولِه تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ وهو الحَصْبُ والخَسْفُ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا﴾ في المَكْنِيِّ عنها قولان: **أحدهما**: أنها الفَعْلَةُ التي فَعَلَ بهم؛ فعَلَى هذا في الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها الحجارة التي أدركَتْ أوائلَ هذه الأُمَّةِ، قاله قتادَةُ. والثاني: الماءُ الأسوَدُ على وَجهِ الأرض، قاله مُجاهِدٌ. والثالث: الخَبرُ عمَّا صُنِعَ بهم. **والثاني**: أنها القريةُ؛ فعَلَى هذا في المُرادِ بالآية ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها آثارُ منازِلِهم الخَرِبَةِ، قاله ابنُ عباسٍ.

= هذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث حاتم عن سماك. وإسناده ضعيف جداً، سماك بن حرب تغير حفظه بآخره لذا ضعفه غير واحد، وأبو صالح ـ واسمه باذام، ويقال باذان ـ ضعفه غير واحد، وتركه آخرون، وهو ضعيف جداً، روى عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً.

ـ وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤١٨ من طريق بشر بن معاد بهذا الإسناد. وأخرجه الطيالسي ١٦١٧ والطبراني ٢٤/ ١٠٠٢ من طريق قيس بن الربيع عن سماك به.

ـ وأخرجه الطبري ٢٧٧٤٥ والطبراني ٢٤/ ١٠٠٠ من طريق أبي يونس القشيري عن سماك به.

الخلاصة: الإسناد ضعيف جداً، والمتن منكر، فإن المنكر المراد في الآية أعظم من حذف المارة والسخرية منهم، بل يشمل اللواط وغيره.

---

(1) هود: ٧٧.

والثاني: أنَّ الآيةَ في قريتِهم إلى الآن أنَّ أساسَها أعلاهَا وسُقوفَها أسفلُها، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي.
والثالث: أنَّ المعنى: تركناها آيةً، تقول: إنَّ في السماءِ لآيةً، تريد أنها هي الآيةُ، قاله الفرَّاءُ.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ قال المُفسِّرون: اخشَوا البعثَ الذي فيه جزاءُ الأعمال.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ قال الزَّجاجُ: وأهلَكْنا عاداً وثَموداً، لأنَّ قبلَ هذا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾. قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ أي: ظَهرَ لكم يا أهلَ مكَّةَ مِنْ منازِلِهم بالحِجازِ واليَمنِ آيةٌ في هلاكِهم، ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: ذَوي بصائرَ. وقال الزَّجَّاجُ: أتَوا ما أتَوهُ وقد تبيَّنَ لهم أنَّ عاقبتَهُ عذابُهم. وقال غيرُه: كانوا عندَ أنفُسِهم مُستبصِرينَ يظنُّونَ أنهم على حقٍّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي: ما كانوا يَفوتُون اللَّهَ تعالى أنْ يفعلَ بهم ما يُريد.

قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ أي: عاقبنا بتكذيبه ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ يعني قومَ لُوطٍ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ يعني ثَموداً وقومَ شُعَيبٍ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ يعني قارُونَ وأصحابَهُ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قومَ نُوحٍ وفِرعونَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيُعذِّبَهُم على غيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامة على المعاصي.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني الأصنام يتَّخِذُها المشركون أولياءَ يَرجُونَ نفعَها ونَصرَها، فمَثَلُهم في ضَعْفِ احتيالِهم ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ قال ثَعلَبُ: والعَنكبوتُ أُنثى، وقد يُذكِّرُها بعضُ العرب، قال الشاعر:

كأنَّ العَنكبوتَ هو ابتَناها[1]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ أي: هو عالِمٌ بما عَبَدوه مِنْ دُونِه، لا

---

(١) هو عجز بيت وصدره: على هطّالهم منهم بيوتٌ، والبيت غير منسوب في «اللسان» ـ عنكب ـ.

يَخفى عليه ذلك؛ والمعنى أنه يُجازيهم على كُفرهِم. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ يعني أمثالَ القرآن التي شَبَّهَ بها أحوالَ الكفَّارِ، وقيلَ: إنَّ «تلك» بمعنى «هذه»، و ﴿ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يعقلون عن اللهِ عزَّ وجلَّ.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ أي: للحقِّ، ولإظهارِ الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ في المُرادِ بالصَّلاةِ قولان:

أحدهما: أنها الصلاةُ المَعروفةُ، قاله الأكثرون.

[١٠٩٢] وروى أنسُ بنُ مالكٍ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «مَنْ لم تَنْهَهُ صلاتُهُ عن الفَحشَاءِ والمُنكَرِ، لم يَزدَدْ مِنَ اللهِ إلاّ بُعداً».

[١٠٩٢] المرفوع واهٍ ليس بشيء، أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٢١ من حديث أنس، وفيه عمر بن شاكر وهو منكر الحديث. وله شاهد من حديث ابن عباس. أخرجه الطبراني ١١٠٢٥ والقضاعي في «الشهاب» ٥٠٩ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥١١ من طريق ليث عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً. وإسناده ضعيف، ليث هو ابن أبي سُليم. قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك. وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٣٤. وله شاهد من حديث عمران بن حصين، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥١١ من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمران به. وإسناده ضعيف جداً، وله علتان: عمر هذا لم أجد له ترجمة، والحسن لم يلق عمران، وهو مدلس، وقد عنعن. وله شاهد من حديث ابن مسعود، أخرجه الطبري ٢٧٧٨٤ والواحدي ٣/ ٤٢١ من طريق جويبر عن الضحاك عنه. وهذا إسناد ساقط، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن مسعود. وورد من مرسل الحسن، أخرجه الطبري ٢٧٧٨٥ من طريق إسماعيل بن مسلم عنه. ومع إرساله إسماعيل هذا متروك. وأخرجه القضاعي ٥٠٨ من وجه آخر عن مقدام بن داود عن علي بن معبد عن هشيم عن يونس عن الحسن مرسلاً. ورجاله ثقات سوى مقدام بن داود، فإنه ليس بثقة، قاله النسائي. ولعله توبع، فقد قال العراقي في «تخريج الإحياء» ١/ ١٤٣: أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» من حديث الحسن بإسناد صحيح. قلت: ومع ذلك مراسيل الحسن واهية لأنه يحدث عن كل أحد. كما هو مقرر في كتب التراجم. وقد خولف علي بن معبد فيه، فقد أخرجه الطبري ٢٧٧٨٦ عن يعقوب ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن. قوله، لم يرفعه. وهذا إسناد رجاله ثقات مشاهير. وأخرجه الطبري ٢٧٧٨٧ من طريق بشر عن يزيد عن سعيد هو ابن أبي عروبة ـ عن قتادة والحسن قالا. . . فذكره موقوفاً عليهما. وهو الصحيح عن الحسن وغيره. وحديث ابن مسعود المتقدم، مع سقوط إسناده، هو معلول بالوقف، كذا أخرجه الطبري ٢٧٧٨٣ ورجاله ثقات. وحديث ابن عباس، معلول أيضاً بالوقف، كذا أخرجه الطبري ٢٧٧٨١ لكن فيه من لم يسم. وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٥١٢: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم. الخلاصة: المرفوع ضعيف ليس بشيء، والصحيح وقفه على من ذُكر من الصحابة والتابعين، والله أعلم. والمتن مع ذلك منكر، فقد صح ما يخالفه، وهو ما أخرجه أحمد ٢/ ٤٤٧ والبزار ٧٢٠ وابن حبان ٢٥٦٠ من حديث أبي هريرة بسند صحيح «جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: إنه سينهاه ما تقول». انظر «تفسير الشوكاني» ١٨٨٧ أو ١٨٨٨ و «أحكام القرآن» ١٧٣٣.

والثاني: أنَّ المرادَ بالصَّلاةِ: القرآنُ، قاله ابنُ عمرَ، ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾[1] وقد شَرحنا معنى الفَحشَاءِ والمُنكرِ فيما سَبقَ[2].

وفي معنى هذه الآيةِ للعلماءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الإنسانَ إذا أدَّى الصلاةَ كما ينبغي وتَدبَّرَ ما يَتْلو فيها، نَهَتْهُ عن الفَحشَاءِ والمُنكَرِ، هذا مُقتضَاها ومُوجِبُها. **والثاني**: أنها تَنهَاهُ ما دامَ فيها. **والثالث**: أنَّ المعنى: ينبغي أنْ تَنْهى الصلاةُ عن الفَحشَاءِ والمُنكَرِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

[١٠٩٣] **أحدها**: ولَذِكرُ اللَّهِ إيَّاكُم أكبرُ مِن ذِكرِكُم إيَّاهُ، رواه ابنُ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ في آخرين.

والثاني: ولَذِكرُ الله تعالى أفضَلُ مِنْ كلِّ شيءٍ سِواهُ، وهذا مذهبُ أبي الدَّرداءِ، وسلمانَ، وقَتادَةَ.

والثالث: ولَذِكرُ اللَّهِ تعالى في الصَّلاةِ أكبرُ ممَّا نهاكَ عنه مِنَ الفَحشَاءِ والمُنكَرِ، قاله عبدُ اللَّهِ بنُ عَونٍ.

والرابع: ولَذِكرُ اللَّهِ تعالى العبدَ ـ ما كان في صَلاتِه ـ أكبرُ مِنْ ذِكرِ العبدِ لله تعالى، قاله ابنُ قُتيبةَ.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ في التي هي أحسَنُ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها الكَفُّ عنهم إذا بَذَلوا الجِزيَةَ، فإن أبَوْا قُوتِلُوا، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها القرآنُ والدُّعاءُ إلى الله تعالى بالآياتِ والحُجَجِ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ وهم الذين نَصبوا الحَربَ وأبَوْا أنْ يُؤدُّوا الجِزيَةَ، فجَادِلوا هؤلاءِ بالسَّيفِ حتى يُسلِموا أو يُعطُوا الجِزيَةَ ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لِمَن أدَّى الجِزيَةَ منهم إذا أخبرَكُم بشيءٍ ممَّا في كُتُبِهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الآية.

[١٠٩٤] وقد رَوى أبو هُريرَةَ قال: كان أهلُ الكِتابِ يقرأون التَّوراةَ بالعِبرانيَّةِ، ويُفسِّرونَها بالعربية

[١٠٩٣] المرفوع ضعيف جداً، والصحيح موقوف. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/ ١٦٥ من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى بن عقبة به عن ابن عمر. وإسناده ضعيف جداً، إسماعيل ضعفه غير واحد، وعنه مجاهيل، والصحيح موقوف على ابن عمر وابن عباس وغيرهما.
ـ وأثر ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٢٥٦ وابن أبي شيبة ٣٥٦٤٠ والطبري ٢٧٧٩١ و ٢٧٧٩٢ و ٢٧٧٩٣ و ٢٧٧٩٤ و ٢٧٧٩٧ و ٢٧٧٩٩ من طرق متعددة عنه موقوفاً، وهو الصحيح.

[١٠٩٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٤٨٥ و ٧٣٦٢ و ٧٥٤٢ والنسائي في «التفسير» ٤٠٧ والبغوي ١٢٥ من حديث أبي هريرة. ويشهد له حديث أبي نملة. أخرجه عبد الرزاق ٢٠٠٥٩ وأحمد ٤/ ١٣٦ وأبو داود ٣٦٤٤ وابن حبان ٦٢٥٧ والطبراني ٢٢/ ٨٧٤ و ٨٧٥ كلهم من حديث أبي نملة الأنصاري، ورجاله رجال الشيخين، سوى نملة بن أبي نملة، وهو ثقة. فقد وثقه ابن حبان، وروى عنه جمع منهم الزهري وعاصم ويعقوب ابنا عمر بن قتادة، وضمرة بن سعيد، ومروان بن أبي سعيد، وعلى هذا تزول جهالته حيث روى عنه أكثر من واحد، وقال عنه الحافظ في «التقريب» مقبول.

---

(١) الإسراء: ١١٠.
(٢) البقرة: ١٦٨ ـ النحل: ٩٠.

لأهلِ الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ «لا تُصدِّقوا أهلَ الكتاب ولا تُكذِّبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾» الآية.

فصل: واختُلِفَ في نَسْخ هذه الآيةِ على قولَين: **أحدهما**: أنها نُسِخَتْ بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(١)، قاله قَتادةُ والكَلبيُّ. **والثاني**: أنها ثابتةُ الحُكْم، وهو مذهبُ ابنِ زيدٍ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتابَ عليهم ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ يعني مُؤمِني أهلِ الكتاب ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أهلَ مكّةَ ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ وهم الذين أسلَمُوا ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ قال قَتادةُ: إنَّما يكون الجَحْدُ بعد المَعرفةِ. قال مُقاتِلٌ: وهم اليَهودُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: مَجازُهُ: ما كُنتَ تقرأُ قبلَهُ كتاباً، و «مِن» زائدةٌ. فأمَّا الهاءُ في «قَبْله» فهي عائدةٌ إلى القرآن. والمعنى: ما كنتَ قارئاً قبلَ الوَحْي ولا كاتِباً، وهكذا كانت صِفتُه في التَّوراةِ والإنجيلِ أنّه أُمّيٌّ لا يقرأُ ولا يَكتبُ، وهذا يدلُّ على أنَّ الذي جاءَ به، مِنْ عندِ الله تعالى. قوله تعالى: ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ أي لو كُنتَ قارئاً كاتباً لَشَكَّ اليهودُ فيك ولَقالوا: ليست هذه صِفَتَهُ في كتابِنا. والمُبْطِلُون: الذين يأتونَ الباطلَ، وفيهم ها هنا قولان: **أحدهما**: كفّارُ قُريشٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: كفّارُ اليهودِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾ في المُكنَّى عنه قولان: **أحدهما**: أنه النبيُّ محمَّدٌ ﷺ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنَّ المعنى: بل وُجْدانُ أهلِ الكتاب في كُتُبِهم أنَّ محمَّداً ﷺ لا يَكتبُ ولا يَقرأُ، وأنه أُمِّيٌّ، آياتٌ بيِّناتٌ في صُدورِهم، وهذا مذهبُ ابنِ عباسٍ، والضَّحّاكِ، وابنِ جُريجٍ. والثاني: أنَّ المعنى: بل محمَّدٌ عليه السلامُ ذُو آياتٍ بيِّناتٍ في صدورِ الذين أُوتوا العِلْمَ مِنْ أَهلِ الكتابِ، لأنَّهم يَجِدونَهُ بِنَعتِه وصِفتِهِ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه القرآن، والذين أُوتوا العِلْمَ: المؤمنون الذين حَمَلُوا القرآنَ على عهدِ رسول الله ﷺ وحَمَّلُوهُ بعدَهُ. وإنما أُعطِيَ الحِفظُ هذه الأُمَّةَ، وكان مَنْ قَبلَهُم لا يقرؤون كتابَهُم إلاّ نَظَراً، فإذا أطبَقُوه لم يَحفظُوا ما فيه سِوى الأنبياءِ، وهذا قولُ الحسَنِ. وفي المُرادِ بالظالمين ها هنا قولان: **أحدهما**: المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كفّارُ اليَهودِ، قاله مُقاتِلٌ.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾

(١) التوبة: ٢٩.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني كفار مكة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وحَفصٌ عن عاصم: «آياتٌ» على الجمعِ. وقرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «آيةٌ» على التَّوحيدِ. وإنما أرادوا: كآياتِ الأنبياءِ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو القادرُ على إرسالِها، وليست بيَدِي. وزعمَ بعضُ علماء التفسير أنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ. ثم بيَّن اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ القرآن يكفي مِنَ الآياتِ التي سألُوها بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؟!

[١٠٩٥] وذكَر يَحيى بنُ جَعْدَةَ أنَّ ناساً مِنَ المسلمين أتَوا رسولَ الله ﷺ بكُتُبٍ قد كَتَبوها، فيها بعضُ ما يقول اليهودُ، فلمَّا نظرَ إليها ألقاها وقال: «كَفَى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى قوم غيرهم» فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ إلى آخرِ الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا كذَّبوا بالقرآن نَزلَتْ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يَشهدُ لي أنِّي رسولُه، ويَشهَدُ عليكم بالتَّكذيبِ، وشَهادةُ اللهِ له: إثباتُ المُعجزةِ له بإنزالِ الكتاب عليه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بغيرِ الله تعالى. وقال مُقاتِلٌ: بعبادة الشيطان.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في النَّضرِ بنِ الحَارثِ حينَ قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[١]. وفي الأجَلِ المُسمَّى أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنه يومُ القيامة، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أجَلُ الحياة إلى حينِ الموتِ، وأجَلُ الموتِ إلى حينِ البَعثِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: مُدَّةُ أعمارِهم، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: يومُ بَدرٍ، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾ يعني العذابَ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وأبو نَهيكٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ولتأتِيَنَّهم» بالتاء ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانه. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي:

[١٠٩٥] مرسل. أخرجه الطبري ٢٧٨٣٨ عن يحيى بن جعدة بهذا اللفظ، وهذا مرسل.
ـ وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر» ٥/ ٢٨٣ كلهم عن يحيى بن جعدة. بدون لفظ «فلما أن نظر فيها ألقاها» إنما ـ فقال: «كفى بها حماقة أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قومٍ غيرهم» فنزلت: ﴿أو لم يكفهم...﴾ الآية ـ ولمعناه شواهد.

(١) الأنفال: ٣٢.

جامعةً لهم. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: بالنون. وقرأ نافعٌ: بالياء. فمَنْ قرأ بالياء، أراد المَلَكَ المُوكَّلَ بعذابِهم، ومَنْ قرأ بالنون، فلأنَّ ذلك لَمَّا كان بأمرِ الله تعالى جازَ أنْ يُنسَبَ إليه. ومعنى ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء ما عمِلتُم مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ بتحريكِ الياء. وقرأ أبو عمرٍو، والكِسائيُّ: بإسكانِها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ وحدَهُ: «أرضيَ» بفتح الياء، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه خِطابٌ لِمَنْ آمَنَ مِنْ أهل مكَّةَ، قيلَ لهم: «إن أرضي» يعني المدينةَ «واسعة»، فلا تُجاوروا الظَّلَمَةَ في أرضِ مكَّةَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ؛ وكذلك قال مُقاتِلٌ: نزلت في ضُعفاءِ مُسْلِمي مكَّةَ، أي: إنْ كُنتُم في ضِيقٍ بمكَّةَ مِنْ إظهارِ الإيمانِ، فأرضُ المدينةِ واسعةٌ. **والثاني**: أنَّ المعنى: إذا عُمِلَ بالمعاصي في أرضٍ فاخْرُجوا منها، رواه سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ. **والثالث**: إنَّ رِزقي لَكُم واسعٌ، قاله مُطَرِّفُ بنُ عبدِ الله.

قوله تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ أثبتَ فيها الياءَ يعقوبُ في الحالَين، وحذَفَها الباقون. قال الزَّجَّاجُ: أمَرَهم بالهجرة مِنَ المَوضع الذي لا يمكِنُهم فيه عبادةُ الله إلى حيثُ تتهيَّأُ لهم العبادةُ؛ ثم خوَّفَهم بالموت لِتَهونَ عليهم الهجرةُ، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ المعنى: فلا تُقيموا في دارِ الشِّركِ خوفاً مِنَ الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعدَ الموتِ فنَجزيكُم بأعمالِكُم، والأكثرون قرؤوا: «تُرْجَعون» بالتاء على الخِطاب؛ وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ بالياء.

قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «لَنبوئَنَّهم» بالباء، أي: لَنُنْزِلَنَّهم. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «لَنُثْوِيَنَّهُم» بالثاء، وهو مِنْ: ثَوَيتُ بالمكان: إذا أقمتَ به. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: ثَوَى الرجلُ: إذا أقام، وأثويتُه: إذا أنزلتهُ منزلاً يُقيمُ فيه. قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾. قال ابنُ عباسٍ:

[١٠٩٦] لَمَّا أمَرَهم رسولُ الله ﷺ بالخروج إلى المدينة، قالوا: يا رسولَ الله، نخرُجُ إلى المدينةِ وليس لنا بها عقارٌ ولا مالٌ؟! فمَنْ يُؤوينا ويُطعِمُنا؟ فنزلت هذه الآيةُ.

قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى الآية: كَم مِنْ دابَّةٍ لا تَرفَعُ شيئاً لِغَدٍ، قال ابنُ عُيَيْنَةَ: ليس شيءٌ يَخبأُ إلاَّ الإنسانُ والفأرةُ والنَّملةُ. قال المُفسِّرون وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ أي: حيثُ ما توجَّهتْ ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أي:

[١٠٩٦] لم أقف عليه مسنداً. وذكر الواحدي في الوسيط ٤٢٤ نحوه عن مقاتل بدون إسناد، فهو لا شيء، ومقاتل إن كان ابن حيان، فقد روى مناكير، وإن كان ابن سليمان فهو كذاب.

ويرزُقكم إنْ هاجرتُم إلى المدينةِ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولِكم: لا نَجدُ ما نُنفِقُ بالمدينةِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبِكم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ، وكانوا يُقِرُّون بأنه الخالقُ والرَّازقُ؛ وإنَّما أمَرَهُ أنْ يقولَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارِهم، لأنَّ ذلك يُلزِمُهم الحُجَّةَ فيُوجبُ عليهم التَّوحيدَ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ توحيدَ اللَّهِ مع إقرارِهم بأنه الخالقُ. والمراد بالأكثرِ: الجميعُ.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ والمعنى: وما الحياةُ في هذه الدنيا إلاَّ غرورٌ ينقضي عن قليلٍ ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعني الجنَّةَ ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: اللامُ في «لَهِيَ» زائدةٌ للتَّوكيدِ، والحيوانُ والحياةُ واحدٌ؛ والمعنى: لَهِيَ دارُ الحياة التي لا مَوتَ فيها، ولا تَنغِيصَ يَشُوبها كما يَشُوبُ الحياةَ في الدُّنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو عَلِموا لَرَغِبوا عن الفَاني في الباقي، ولكنهم لا يَعْلَمون. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعني المُشركينَ ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أفرَدُوهُ بالدُّعاء. قال مُقاتِلٌ: والدِّينُ بمعنى التَّوحيدِ؛ والمعنى أنهم لا يَدْعُونَ مَنْ يَدْعُونه شَريكاً له، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ أي: خَلَّصَهُم مِنْ أهوالِ البحر، وأفضَوا ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ في البَرِّ، وهذا إخبارٌ عن عِنادِهم ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ هذه لامُ الأمرِ، ومعناه التَّهديدُ والوَعيدُ، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[1] والمعنى: ليَجحَدوا نِعمةَ الله في إنجائِه إيَّاهم ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ بإسكانِ اللام على معنى الأمرِ؛ والمعنى: لِيتمتَّعوا بباقي أعمارِهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كُفرِهم. وقرأ الباقون بكَسرِ اللام في «لِيَتَمَتَّعوا»، فجعَلُوا اللاَّمَين بمعنى «كي»، فتقديرُه: لِكَي يكفُروا، ولِكي يَتمتَّعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يُشركون لِيَكفُروا ولِيتَمتَّعوا، أي: لا فائدةَ لهم في الإشراكِ إلاَّ الكُفرُ والتَّمتُّعُ بما يَتمتَّعُون به في العاجلَةِ مِنْ غيرِ نَصِيبٍ لهم في الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

---

(١) فصلت: ٤٠.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفَّار مكَّةَ ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يعني مكَّةَ، وقد شرحنا هذا المعنى في سُورةِ القَصَصِ[١] ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ أي: أنَّ العرب يَسْبِي بعضُهم بعضاً وأهلُ مكَّة آمِنُونَ ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشِّرْكُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: الأصنام، قاله ابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: الشيطانُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ أبو عبد الرَّحمنِ السُّلَمِي، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «تُؤْمِنونَ وبنعمة الله تكفُرونَ» بالتاء فيهما. قوله تعالى: ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمَّداً والإسلامَ، وقيل: بإنعَام الله عليهم حينَ أطعَمَهُم وآمَنَهُم ﴿يَكْفُرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: زَعَم أنَّ له شريكاً وأنه أمَرَ بالفَواحشِ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ﴾ يعني محمَّداً والقرآنَ ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؟! وهذا استفهامٌ بمعنى التَّقريرِ، كقول جَريرٍ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا[٢]

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي: قَاتَلُوا أعداءَنا لأَجْلِنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لَنُوفِّقَنَّهم لإصابةِ الطريقِ المُستقيمَةِ؛ وقيلَ: لَنَزيدنَّهم هِدايةً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنُّصرةِ والعَونِ. قال ابنُ عباسٍ: يُريد بالمُحْسِنينَ: المُوَحِّدِين؛ وقال غيرُه: يريد المُجاهِدين. وقال ابنُ المُبارَكِ: مَن اعتاصَتْ عليه مسألةٌ، فَلْيَسألْ أهلَ الثُّغُورِ عنها، لقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

واللَّهُ أعلَمُ بالصَّوابِ

---

(١) القصص: ٥٧.
(٢) هو صدر بيت لجرير كما في ديوانه: ٩٨. وعجزه: وأندى العالمين بطون راح.

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

وهي مَكّيَّة كُلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قلوبهم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ
ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

[١٠٩٧] ذكرَ أهلُ التفسير في سببِ نُزولها أنه كان بين فارسَ والرُّوم حربٌ فغَلبَتْ فارسُ الرُّومَ، فبَلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، فشقَّ ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأنَّ فارسَ لم يكُنْ لهم كتابٌ وكانوا يَجحدُونَ البَعثَ ويعبُدون الأصنام، والرُّومُ أصحاب كتابٍ، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: إنكم أهلُ كتابٍ، والنَّصارى أهلُ كتابٍ، ونحن أُمِّيُّون، وقد ظهرَ إخوانُنا مِنْ أهل فارسَ على إخوانِكُم مِنَ الرُّوم، فإنْ قاتَلتُمونا لَنَظْهَرنَّ عليكم، فنزلت هذه الآيةُ، فخرجَ بها أبو بكرٍ الصِّديقُ إلى المشركين، فقالوا: هذا كلامُ صاحِبِكَ؟ فقال: اللَّهُ أنزلَ هذا، فقالوا لأبي بكرٍ: نُراهِنكَ على أنَّ الرُّومَ لا تغلِبُ فارسَ، فقال أبو بكرٍ: البِضْعُ ما بين الثلاث إلى التِّسع، فقالوا: الوَسطُ مِنْ ذلك ستٌّ، فوَضعوا الرِّهانَ، وذلك قبلَ أن يُحرِّم الرِّهانُ، فرجعَ أبو بكرٍ إلى أصحابه فأخبرَهم، فلامُوهُ وقالوا: هلاَّ أقررتَها كما أقرَّها اللَّهُ تعالى؟! لو شاءَ أنْ يقولَ: سِتاً، لَقَال! فلمَّا كانت سنةَ ستٍّ، لم تظهر الرُّومُ على فارسَ، فأَخذوا الرِّهانَ، فلمَّا كانت سنةُ سبعٍ ظهرت الرُّومُ على فارسَ.

[١٠٩٨] وروى ابنُ عباسٍ قال: لمَّا نزلت: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ناحبَ أبو بكرٍ قريشاً، فقال له

[١٠٩٧] حديث صحيح بشواهده، دون بعض ألفاظ سأذكرها منكرة ليس لها شواهد. أخرجه الترمذي ٣١٩٤ من طريق إسماعيل بن أويس عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم به. وإسناده لين، إسماعيل بن أبي أويس، وثقه قوم وضعفه آخرون. وقد تفرد في هذا الحديث بألفاظ منها «فأخذ المشركون رهن أبي بكر» غريب، فعامة الروايات تذكر الخطر، من غير بيان أنه أبو بكر أو أخذه المشركون. على أنه ورد من حديث البراء أن أبا بكر هو أخذ الرهن. وقد ذكر الألباني هذا الحديث في «صحيح الترمذي» ٢٥٥٢ فحسنه من غير تفصيل وبيان لما فيه من ألفاظ غريبة أو منكرة، والله الموفق. وانظر «فتح القدير» ١٩٠٢ و«تفسير القرطبي» ٤٨٩٠ و«أحكام القرآن» ١٧٣٨ بتخريجنا، والله أعلم.

[١٠٩٨] صحيح. أخرجه الترمذي ٣١٩١ والطبري ٧٨٦٦ عن ابن عباس، وهو مختصر، وإسناده غير قوي لأجل =

رسولُ الله ﷺ: «ألا احتطتَ، فإنَّ البِضعَ ما بين السَّبعِ والتسعِ». وذَكَر بعضُهم أنهم ضربوا الأجَلَ خمسَ سنين، وقال بعضُهم: ثلاث سنين، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّما البِضْعُ ما بين الثلاثِ إلى التِّسع» فخرجَ أبو بكرٍ فقال لهم: أُزايدُكُم في الخطرِ وأَمُدُّ في الأجَلِ إلى تسع سنين، ففعلوا، فقهرَهُم أبو بكرٍ، وأخذَ رِهانَهُم. وفي الذي تَولَّى وَضْعَ الرِّهانِ مِنَ المشركين قولان: **أحدهما**: أُبيُّ بنُ خَلَفٍ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أبو سُفيانَ بنُ حَربٍ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو رَجاءٍ، وابنُ السَّمَيفَع: «في أداني الأرض» بألِفٍ مفتوحةِ الدال؛ أي: أقرَبُ الأرض أرضُ الرُّوم إلى فَارسَ. قال ابنُ عباس: وهي طَرفُ الشَّام. وفي اسم هذا المكان ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الجَزيرةُ، وهي أقربُ أرضِ الرُّوم إلى فَارسَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أذْرِعاتُ وكَسْكَرُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: الأردنُّ وفلسطينُ، قاله السُّدِّيُّ.
قوله تعالى: ﴿وَهُم﴾ يعني الرُّومَ ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو رَجاءٍ، وعِكرِمَةُ، والأعمَشُ: «غَلْبهم» بتسكين اللام؛ أي: مِنْ بعد غَلَبةِ فارسَ إيَّاهم، والغَلَبُ والغَلَبةُ لُغتانِ، ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾، في البِضعِ تسعةُ أقوالٍ قد ذكرناها في يوسف[1]. قال المفسِّرون: وهي ها هنا سبعُ سنين، وهذا مِنْ عِلْمِ الغَيبِ الذي يدلُّ على أنَّ القرآن حقٌّ، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي: مِنْ قبلِ أن تُغلَب الرُّومُ ومِنْ بَعْد ما غَلبَتْ؛ والمعنى أنَّ غَلَبة الغالِب وخِذلانَ المَغلُوبِ، بأمرِ الله عزَّ وجلَّ وقضائِه ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم غَلبَتِ الرُّومُ فارسَ ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ للرُّومِ. وكان التِقاءُ الفريقين في السَّنةِ السابعةِ مِنْ غَلَبة فارسَ إيَّاهم، فغَلَبتْهم الرُّومُ، وجاء

= عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي. ولحديث ابن عباس طريق آخر، أخرجه الترمذي ٣١٩٣ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٨٩ وفي «التفسير» ٤٠٩ وأحمد ١/ ٢٧٦ ـ ٣٠٤ والحاكم ٢/ ٤١٠ والطبراني ١٢/ ١٢٣٧٧ والطبري ٢٧٨٦٥ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ من طرق عن أبي إسحاق الفزاري عن الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، أبو إسحق هو إبراهيم بن محمد الحارث روى له الشيخان، ومن دونه توبعوا، ومن فوقه رجال البخاري ومسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وهذا المتن أصح شيء في الباب، ولأصله شواهد كثيرة منها الآتي لكن في بعض ألفاظها نكارة وغرابة أحياناً. وله طريق آخر، أخرجه الطبري ٢٧٨٦٧، وفي الإسناد مجاهيل، وفيه أيضاً عطية العوفي، وهو واهٍ. وله شاهد عن ابن مسعود، أخرجه الطبري ٢٧٨٧٦، وفيه إرسال بين الشعبي وابن مسعود، ورجال الإسناد ثقات. وله شاهد عن البراء بن عازب، أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» ٣٦٩٨، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٢٢ وإسناده ضعيف، فيه مؤمل بن إسماعيل، وضعفه غير واحد لسوء حفظه. وفي الباب مراسيل تشهد لأصله منها: مرسل عكرمة: أخرجه الطبري ٢٧٨٧٢ وكرره ٢٧٨٧٣. مرسل قتادة: أخرجه الطبري ٢٧٨٧٤. مرسل ابن زيد: أخرجه الطبري ٢٧٨٧٨.

ـ الخلاصة هو حديث صحيح، له شواهد وطرق كما ترى، وفي بعض ألفاظ تلك الشواهد والطرق نكارة أحياناً وغرابة أحياناً أخرى، لكن مع ذلك تشهد لأصل هذا الحديث: وتدل على ثبوته، والله أعلم.
ـ وانظر «تفسير القرطبي» ٤٨٨٩ و ٤٨٠ و ٤٨٩١ و «فتح القدير» ١٩٠٠ و ١٩٠١ و ١٩٠٢ و ١٩٠٣ و «أحكام القرآن» ١٧٣٧ وهي جميعاً بتخريجنا، والله الموفق.

(١) يوسف: ٤٢.

جبريلُ يُخبرُ بنصرِ الرُّومِ على فارسَ، فوافقَ ذلك يومَ بَدرٍ، وقيلَ: يومَ الحُديبيةِ(١).

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: وَعدَ اللّهُ ذلك وَعْداً ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أنَّ الرُّومَ يَظهرون على فارسَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله تعالى لا يُخلِفُ وَعدَهُ في ذلك. ثم وَصفَ كفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال عِكرمَةُ: هي المَعايشُ. وقال الضَّحَّاكُ: يعلمون بُنيانَ قصورِها وتشقيقَ أنهارِها. وقال الحَسنُ: يعلمون متى زَرْعُهم ومتى حَصادُهم، ولقد بَلغَ واللّهِ مِن عِلْمِ أحدِهم بالدنيا أنه يَنقرُ الدِّرهمَ بظُفره فيُخبرَكَ بوزنِه ولا يُحسِنُ يُصلِّي. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنهم لا يُؤمنون بها. قال الزَّجَّاجُ: وذِكْرُهم ثانيةً يجري مَجرى التَّوكيدِ، كما تقول: زيدٌ هو عالِمٌ، وهو أوكَدُ مِن قولِكَ: زيدٌ عالِمٌ. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: أوَلَمْ يتفكَّروا فيعلموا فحَذفَ «فيعلموا» لأنَّ في الكلام دليلاً عليه. ومعنى ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلاَّ للحقِّ، أي: لإقامةِ الحقِّ ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقتُ الجزاءِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ المعنى: لَكافرون بلقاءِ ربِّهم، فقُدِّمت الباءُ، لأنها متَّصِلةٌ بـ «كافرون»؛ وما اتَّصلَ بخبرِ «إنَّ» جازَ أن يُقدَّمَ قبلَ اللامِ، ولا يجوز أن تدخلَ اللامُ بعد مُضيِّ الخبرِ مِن غيرِ خلافٍ بين النَّحويين، لا يجوز أنْ تقولَ: إنَّ زيداً كافرٌ لَبِاللّهِ، لأنَّ اللامَ حَقُّها أنْ تدخلَ على الابتداء والخبرِ أو بين الابتداء والخبر، لأنها تُؤكِّد الجملةَ. وقال مُقاتِلٌ في قوله تعالى: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: للسَّمواتِ والأرضِ أجَلٌ ينتهيان إليه، وهو يومُ القيامةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ أي بالبعثِ ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أوَلَمْ يُسافروا فيَنظروا مَصارعَ الأُممِ قبلَهم كيف أُهلِكوا بتكذيبِهم فيَعتبِروا.

قوله تعالى: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: قَلبوها للزراعة، ومنه قِيلَ للبَقرةِ: مُثيرةٌ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو حَيْوَةَ: «وآثَرُوا الأرضَ» بمَدِّ الهمزة وفتحِ الثاء مرفوعةَ الراء، ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: أكثرَ مِن عِمارةِ أهلِ مكَّةَ، لِطُولِ أعمارِ أولئك وشِدَّةِ قوَّتِهم ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾

(١) هذا منكر فإن السورة مكية جميعاً باتفاق.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالدِّلالاتِ ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بتعذيبِهم على غيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكُفرِ والتَّكذيبِ؛ ودَلَّ هذا على أنهم لم يُؤمِنوا فأُهلِكوا.

ثم أخبَرَ عن عاقبتِهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ يعني الخَلَّةَ السيِّئةَ؛ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها العذاب، قاله الحسَنُ. **والثاني**: جهنَّمُ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ قال الفَرَّاءُ: لأَنْ كَذَّبوا، فلمَّا أُلقِيَت اللامُ كان نصباً، وقال الزَّجَّاجُ: لِتكذيبِهم بآياتِ الله واستهزائِهم. وقيل: السُّوأى مصدرٌ بمنزلة الإساءةِ؛ فالمعنى: ثم كان التَّكذيبُ آخرَ أمرِهم، أي: ماتوا على ذلك، كأنَّ اللَّهَ تعالى جازاهُم على إساءتِهم أنْ طَبَعَ على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عُقوبةً لهم. وقال مكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ النَّحوي: «عاقبةُ» اسمُ كان، و «السُّوأى» خبرُها، و «أن كذَّبوا» مفعولٌ مِنْ أجلِه؛ ويجوز أنْ يكونَ «السُّوأى» مفعولةً بـ «أساؤوا»، و «أن كذَّبوا» خبرُ كان، ومَنْ نَصبَ «عاقبةَ» جعلها خبرَ «كان»، و «السُّوأى» اسمُها، ويجوز أنْ تكونَ «أن كذَّبوا» اسمَها. وقرأ الأعمَشُ: «أساؤوا السُّوء» برفعِ السُّوءُ».

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يَخلقُهم أوَّلاً، ثم يُعيدهُم بعدَ الموت أحياءً كما كانوا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصم: «تُرْجَعون» بالتاء؛ فعَلَى هذا يكون الكلامُ عائداً مِنَ الخبرِ إلى الخطاب، وقرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بالياء، لأنَّ المُتقدِّمَ ذِكْرُه غَيبَةٌ، والمراد بذِكرِ الرُّجوعِ: الجَزاءُ على الأعمال، والخَلْقُ بمعنى المَخلوقِين، وإنما قال: «يُعيده» على لفظ الخَلْقِ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قد شرحنا الإبلاسَ في سُورةِ الأنعام(١). قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ أي: مِنْ أوثانِهم التي عَبَدُوها ﴿شُفَعَاءُ﴾ في القيامة ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يَتبرَّؤون منها وتَتبرَّأُ منهم. قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ وذلك بعدَ الحساب ينصرفُ قومٌ إلى الجنَّةِ، وقومٌ إلى النَّارِ. قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ الرَّوضة: المكانُ المُخضَرُّ مِنَ الأرض؛ وإنَّما خَصَّ الرَّوضة، لأنها كانت أعجَبَ الأشياء إلى العَربِ؛ قال أبو عُبيدَةَ: ليس شيءٌ عند العرب أحسنَ مِنَ الرِّياضِ المُعْشِبة ولا أطيبَ رِيحاً، قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
وَلاَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا نَشْرَ رائحَةٍ ... يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْهَا إذْ دَنا الأُصُلُ(٢)

قال المفسِّرون: والمراد بالرَّوضةِ: رِياضُ الجنَّةِ. وفي معنى «يُحْبَرون» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**:

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) في «اللسان»: السَّبل: المطر، وقيل: المطر السَّبَل. وقد أسبلت السماء، وأسبل المطر.

يُكْرَمون، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَنْعَمُون، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وقال الزَّجَّاجُ: والحَبْرَةُ في اللغة: كلُّ نغْمَةٍ حسَنةٍ. **والثالث**: يفرحون، قاله السُّدِّيُّ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «يُحْبَرون» يُسرُّون، والحَبْرَةُ؛ السُّرور. **والرابع**: أنَّ الحَبْرَ: السَّماعُ في الجنَّةِ، فإذ أخذَ أهلُ الجنَّةِ في السَّماع، لم تَبْقَ شجرةٌ إلاَّ ورَدَّت، قاله يَحيى بنُ أبي كَثيرٍ. وسُئِلَ يَحيى بنُ معاذٍ: أيُّ الأصواتِ أحسَنُ؟ فقال: مَزامِيرُ أُنسٍ، في مَقاصِيرِ قُدْسٍ، بألحانِ تَحمِيدٍ، في رِياضِ تَمجِيدٍ ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ أي هُمْ حاضرون العذابَ أبداً لا يُخفَّف عنهم.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾

ثم ذَكرَ ما تُدْرَك به الجنَّةُ ويُتباعدُ به مِنَ النَّار فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: فَصَلُّوا للَّهِ عزَّ وجلَّ حين تُمسُون، أي: حينَ تدخلونَ في المساء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخُلونَ في الصَّباحِ، و ﴿تُظْهِرُونَ﴾ تدخُلون في الظَّهيرَةِ، وهي وقتُ الزَّوال، ﴿وَعَشِيًّا﴾ أي: وسَبِّحُوهُ عَشِيًّا. وهذه الآيةُ قد جمعت الصَّلواتِ الخَمْسَ، فقوله تعالى: «حين تُمسون» يعني به صلاةَ المَغرب والعِشاءِ، «وحين تصبحون» يعني به صلاةَ الفَجرِ، «وعشِيًّا» العصر، و «حين تُظْهِرونَ» الظُّهرُ. قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَحْمَدُهُ أهلُ السَّمواتِ وأهلُ الأرض ويُصَلُّون له. قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ فيه أقوالٌ قد ذكرناها في سُورةِ آلِ عمران[2]. قوله تعالى: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يجعلها مُنْبِتَةً بعد أنْ كانت لا تُنْبِتُ، وتلك حياتُها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «تُخرَجون» بضمِّ التاء، وفتحَها حمزةُ والكِسائيُّ؛ والمراد: تَخرجون يومَ القيامة مِنَ الأرض، أي: كما أحيا الأرضَ بالنَّباتِ يُحييكم بالبَعثِ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ

(١) القمر: ٥٥. (٢) آل عمران: ٢٧.

كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي مِنْ دلائِلِ قُدرَتِه ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني آدمَ لأنه أصلُ البشر ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ مِنْ لحم ودَم، يعني ذُرِّيَّتَهُ ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ يعني تنبسطون في الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يعني بذلك آدمَ، خَلَقَ حوَّاءَ مِنْ ضِلَعِه، وهو معنى قولِ قَتادة. **والثاني**: أنَّ المعنى: جَعلَ لكم آدميَّاتٍ مثلَكم ولم يجعلهنَّ مِنْ غير جنسِكُم، قاله الكَلبي. قوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ أي لِتَأْوُوا إلى الأزواج ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وذلك أنَّ الزوجين يَتوادَّان ويَتراحمَان مِنْ غيرِ رَحِم بينهما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره مِنْ صُنعِه ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في قُدرَةِ الله عزَّ وجلَّ وعظَمَتِه. قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ لأنَّ الخَلْقَ بين أسودَ وأبيضَ وأحمرَ، وهم وَلَدُ رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ. وقيل: المراد باختلاف الألسِنَةِ: اختلافُ النَّغَمَاتِ والأصواتِ، حتى إنه لا يشتبه صوتُ أخَوين مِنْ أبٍ وأمٍّ. والمراد باختلاف الألوانِ: اختلافُ الصُّوَرِ، فلا تشتَبِهُ صُورتانِ مع التَّشاكُلِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «للعَالَمِين» بفتح اللام. وقرأ حَفصٌ عن عاصِم: «للعالِمِين» بكسرِ اللام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: نومُكم. قال أبو عُبيدَة: المَنامُ مِنْ مصادر النَّوم، بمنزلةِ قامَ يَقومُ قِياماً ومَقاماً، وقَالَ يَقولُ مَقالاً. قال المُفسِّرون: وتقديرُ الآية: مَنامُكم بالليل ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ وهو طَلَبُ الرِّزقِ بالنهار ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَماعَ اعتبارٍ وتَذكُّرٍ وتدبُّر ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ قال اللغويون: إنَّما حذف «أنْ» لِدَلالَةِ الكلام عليه، وأنشدوا:

وما الدَّهرُ إلاَّ تارَتَانِ فَتارةً أموتُ وأُخرى أبتَغِي العَيْشَ أكدَحُ[1]

ومعناه: فتَارةً أموتُ فيها، وقال طَرَفَةُ:

ألاَ أيُّهذا الزَّاجِرِي أحْضُرَ الوَغَى[2]

أراد: أنْ أَحضُرَ. وقد شرحنا معنى الخوف والطَّمعِ في رؤيةِ البَرْقِ في سُورةِ الرَّعد[3].

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: تَدومَا قائمتَيْنِ ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ وهي نَفخةُ إسرافيلَ الأخيرة في الصُّورِ بأمرِ الله عزَّ وجلَّ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مِنْ قبورِكُم ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها، وما بعد هذا قد سَبقَ بيانُه[4] إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الإعادةَ أهونُ عليه مِنَ البداية، وكُلٌّ هيِّنٌ عليه، قاله مُجاهِدٌ، وأبو العَالِيَةِ. **والثاني**: أنَّ «أهون» بمعنى «هيِّن» عليه، فالمعنى: وهو هين عليه، وقد يُوضع «أفعل» في موضعِ «فاعل»، ومثلُه قولُهم في الأذانِ: اللَّهُ أكبرُ، أي: الله كبير، قال الفَرزدَقُ:

---

(١) البيت لتميم بن مقبل.

(٢) هو صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته وعجزه: وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي.

(٣) الرعد: ١٢.

(٤) البقرة: ١١٦ والعنكبوت: ١٩.

إنَّ الَّـذِي سَـمَـكَ الـسَّـمـاءَ بَـنـى لَـنـا ... بَـيْـتـاً دَعـائِـمُـهُ أَعَـزُّ وأَطْـوَلُ

وقال مَعنُ بنُ أوسٍ المُزَني:

لَـعَـمْـرُكَ مَـا أَدْرِي وإِنِّـي لأَوْجَـلُ ... عـلـى أيِّـنـا تَـغْـدُو الـمَـنِـيَّـةُ أَوَّلُ(١)

أي: وإِنِّي لَوَجِلٌ، وقال غيرُه:

أصـبَـحْـتُ أَمـنَـحُـكَ الـصُّـدُودَ وإِنَّـنـي ... قَـسَـمـاً إلـيـك مـعَ الـصُّـدُودِ لأَمْـيَـلُ(٢)

وأنشدوا أيضاً:

تَـمَـنَّـى رِجـالٌ أنْ أمـوتَ وإنْ أَمُـتْ ... فَـتِـلْـكَ سَـبِـيـلٌ لَـسْـتُ فِـيـهـا بـأَوْحَـدِ

أي: بواحدٍ، هذا قولُ أبي عُبيدَةَ، وهو مَرويٌّ عن الحسَنِ، وقَتادَةَ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ: «وهو هَيِّن عليه». **والثالث**: أنه خَاطَبَ العِبادَ بما يَعقِلون، فأعلَمَهم أنه يجبُ أنْ يكونَ عندَهم البَعثُ أسهلَ مِنَ الابتداء في تقديرِهم وحُكمِهم، فمَنْ قَدَرَ على الإنشاء كان البَعثُ أهوَنَ عليه، هذا اختيارُ الفَرَّاءِ، والمُبَرِّدِ، والزَّجاجِ، وهو قولُ مُقاتِلٍ. وعلى هذه الأقوال الثلاثةِ تكون الهاءُ في «عليه» عائدةً إلى الله عزَّ وجلَّ. **والرابع**: أنَّ الهاءَ تعود على المخلوق، لأنه خَلقَهُ نُطفةً ثم عَلقَةً ثم مُضغَةً، ويومَ القيامة يقول له كُنْ فيكون، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وهو اختيارُ قُطْرُب. قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ قال المفسِّرون: أي: له الصِّفَةُ العُليا ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وهي أنَّه لا إلهَ غيرُه.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا﴾ سببُ نُزولِها أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يُلبُّون فيقولون: لَبَّيكَ لا شريكَ لكَ إلاَّ شَريكاً هو لكَ تَملكُه وما مَلَكَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُقاتِلٌ. ومعنى الآية: بَيَّن لكم أيُّها المشركون شَبَهاً، وذلك الشَّبَهُ ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ ثم بَيَّنَهُ فقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ أي: مِنْ عبيدِكُم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من المال والأهلِ والعبيد، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالِكم ﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ أي: أنتم وشُركاؤكُم مِنْ عبيدِكُم سواءٌ ﴿تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ أي: كما تخافون أمثالَكم مِنَ الأحرار، وأقرباءَكُم كالآباء والأبناء؟ قال ابنُ عباسٍ: تخافونَهم أنْ يَرِثُوكُم كما يَرِثُ بعضُكم بعضاً؟ وقال غيرُه: تخافونَهُم أنْ يُقاسِمُوكُم أموالَكُم كما يفعلُ الشُّركاءُ؟ والمعنى: هل يرضى أحدُكُم أنْ يكونَ عبدُه شريكَهُ في مالِه وأهلِه حتى يُساوِيَهُ في التَّصرُّفِ في ذلك، فهو يخاف أنْ ينفردَ في مالِه بأمرٍ يتصرَّفُ فيه كما يخافُ غيرَهُ مِنَ الشُّركاء الأحرارِ؟، فإذا لَمْ تَرضَوْا ذلك لأنفسِكُم، فلِمَ عَدَلتُم بي مِنْ خَلْقِي مَنْ هو مملوكٌ لي؟! ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بيَّنَّا هذا المَثَلَ ﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ عن الله تعالى. ثم بَيَّن أنَّهم إنَّما اتَّبعوا الهَوى في إشراكِهم، فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: أشرَكُوا بالله ﴿أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ وهذا يدلُّ على أنهم إنما أشرَكُوا بإضلالِ الله إيَّاهم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: مانِعينَ مِنْ عذابِ الله تعالى.

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ

---

(١) في «اللسان»: الوَجَل: الفزع والخوف.

(٢) البيت للأحوص.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ
ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ
ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ
أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ
ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ قال مُقاتِلٌ: أخلِصْ دِينَكَ الإسلامَ ﴿لِلدِّينِ﴾ أي: للتَّوحيد. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: استقِمْ بدِينِكَ نحوَ الجهة التي وَجَّهكَ اللَّهُ تعالى إليها. وقال غيرُه: سَدِّدْ عَملكَ. والوَجهُ: ما يُتوجَّهُ إليه، وعملُ الإنسان ودِينُه: ما يُتوجَّهُ إليه لتَسديدِه وإقامَتِه.

قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ قال الزَّجّاجُ: الحَنيفُ: الذي يَميلُ إلى الشيءِ ولا يرجعُ عنه، كالحَنَفِ في الرِّجْلِ، وهو مَيْلُها إلى خارجِها خِلْقةً، لا يقدرُ الأحنفُ أنْ يَردَّ حَنَفهُ، وقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ، بمعنى: اتَّبِعْ فِطرةَ الله، لأنَّ معنى «فأقِمْ وجهَكَ»: اتَّبع الدِّينَ القَيِّمَ، واتَّبِعْ فِطرةَ الله تعالى، أي: دِيْنَ الله تعالى؛ والفِطرَةُ: الخِلْقَةُ التي خُلِقَ عليها البَشرُ.

[١٠٩٩] وكذلك قوله عليه السلام: «كلُّ مَولودٍ يُولَدُ على الفِطرَة»!، أي: على الإيمان بالله تعالى. وقال مُجاهِدٌ في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلامُ، وكذلك قال قَتادةُ. والذي أشارَ إليه الزَّجّاجُ أصحُّ، وإليه ذهب ابنُ قُتيبة، فقال: فَرْقُ ما بيننا وبين أهلِ القَدَرِ في هذا الحديث، أنَّ الفِطرَةَ عندهم: الإسلامُ، والفِطرَةُ عندنا: الإقرارُ بالله عز وجل والمعرفةُ به، لا الإسلامُ، ومعنى الفِطرَةِ: ابتداءُ الخِلْقة، فالكلُّ أقرُّوا حينَ قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1]، ولستَ واجداً أحداً إلاّ وهو مُقِرٌّ بأنَّ له صانعاً ومُدبِّراً وإنْ عَبدَ شيئاً دُونَهُ وسمَّاه بغيرِ اسمه؛ فمعنى الحديث: إنَّ كلَّ مولودٍ في العالَمِ على ذلك العَهدِ وذلك الإقرارِ الأول، وهو الفِطرَةُ، ثم يُهَوِّدُ اليهودُ أبناءَهُم، أي:

[١٠٩٩] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٨ وأحمد ٢/ ٢٧٥ وابن حبان ١٣٠ من طرق عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به. وهو في «مصنف عبد الرزاق» برقم ٢٠٠٨٧. وأخرجه مسلم ٢٦٥٨ وأحمد ٢/ ٢٣٣ من طريقين عن الزهري به. وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٣/ ٣٠٨ من طريق قتادة عن ابن المسيب به. وورد من وجه آخر مختصراً عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، وينصرانه، ويمجّسانه». أخرجه البخاري ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٨٥ و ٤٧٧٥ ومسلم ٢٦٥٨ وأحمد ٢/ ٣٩٣، وابن حبان. وورد أيضاً من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة باللفظ المذكور آنفاً عند مسلم ٢٦٥٨ ح ٢٣ والترمذي ٢١٣٨ وأحمد ٢/ ٢٥٣ و ٤٨١ والطيالسي ٢٤٣٣ وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٩٦ والبغوي في «شرح السنة» ٨٤.

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

يُعلِّمونَهُم ذلك، وليس الإقرارُ الأولُ ممَّا يقع به حُكمٌ ولا ثَوابٌ، وقد ذَكَرَ نحوَ هذا أبو بكرٍ الأثْرَمُ، واستدلَّ عليه بأنَّ النَّاسَ أجمعوا على أنه لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ، ولا الكافرُ المسلمَ، ثم أجمعوا على أنَّ اليهوديَّ إذا مات له وَلَدٌ صغيرٌ وَرِثَهُ، وكذلك النَّصرانيُّ، والمَجُوسيُّ، ولو كان معنى الفِطرَةِ الإسلامُ، ما وَرِثَهُ إلاَّ المسلمون، ولا دُفِنَ إلاَّ معهم، وإنما أراد بقوله عليه السلامُ: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطرَةِ» أي: على تلك البداية التي أَقَرُّوا له فيها بالوحدانيَّةِ حين أَخذَهُم مِنْ صُلبِ آدمَ، فمنهم مَنْ جَحدَ ذلك بعد إقرارِه. ومثلُ هذا الحديث حديثُ عِياضِ بنِ حِمَارٍ عن النبيِّ ﷺ قال:

[١١٠٠] «قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: إني خَلَقتُ عِبادِي حُنفَاءَ»، وذلك أنه لم يَدْعُهم يومَ المِيثاقِ إلاَّ إلى حرفٍ واحدٍ، فأجابُوه.

قوله تعالى: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ لفظُه لفظُ النَّفي، ومعناه النَّهيُ؛ والتقدير: لا تُبَدِّلوا خَلْقَ الله عزَّ وجلَّ، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه خصَاءُ البهائم، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه. **والثاني**: دِيْنُ الله عز وجل، قاله مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، والنَّخعيُّ في آخَرِينَ، وعن ابنِ عباسٍ وعِكرمَةَ كالقولَين. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ يعني التَّوحيدَ المستقيمَ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ توحيدَ الله عز وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: زَعَم جميعُ النَّحويين أنَّ معنى هذا: فأقيموا وجوهَكُم مُنيبِينَ، لأنَّ مخاطبَة النبيِّ ﷺ تدخل معه فيها الأمَّة، ومعنى «مُنِيبِين»: راجِعينَ إليه في كلِّ ما أَمَرَ، فلا يخرجون عن شيءٍ مِنْ أمرِه. وما بعد هذا قد سبقَ تفسيرُه(١) إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه القَحطُ، والرَّحمةُ: المطرُ. **والثاني**: أنه البَلاءُ، والرَّحمةُ: العافيةُ، ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ وهم المشركون. والمعنى: إنَّ الكلَّ يلتجِئونَ إليه في

[١١٠٠] صحيح. أخرجه مسلم ٢٨٦٥ وعبد الرزاق في «المصنف» ٢٠٠٨٨ وأحمد ٤/ ١٦٢ و ٢٦٦ والطيالسي ١٠٧٩ والطبراني ١٧/ ٩٨٧ و ٩٩٢ ـ ٩٩٧ والبغوي ٤١٠٥ والبيهقي ٩/ ٦٠ وابن حبان ٦٥٣ من طرق عن قتادة.

والحديث بتمامه بلفظ مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا كل مالٍ نَحلْتُه عبداً، حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرَّمت عليهم ما أحللت لهم. وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء. تقرؤه نائماً ويقظان. وإن الله أمرني أن أحرّق قريشاً. فقلت: رب! إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله. وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق. ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم. وعفيف متعفف ذو عيال قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً. والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دقّ إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك».

ومعنى لا يخفى: لا يظهر ويقول أهل اللغة خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته وكتمته.

---

(١) البقرة: ٣، الأنعام: ١٥٩.

شدائدِهم، ولا يلتَفِتُ المشركون حينئذٍ إلى أوثانِهم.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قد شرحناه في آخرِ العنكبوت[١]، وقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ خطابٌ لهم بعد الإخبارِ عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاءِ المشركين ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً وكتاباً مِنَ السماء ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرُهم بالشِّركِ؟! وهذا استفهامُ إنكارٍ، ومعناه: ليس الأمرُ كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿رَحْمَةً﴾ وهي المطر. والسيئة: الجوع والقحط، وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيِّئةُ: المُصيبةُ. قال المفسِّرون: وهذا الفَرحُ المذكورُ ها هنا، هو فَرحُ البَطَرِ الذي لا شُكرَ فيه. والقُنوطُ: اليأسُ مِنْ فَضلِ الله عزَّ وجلَّ، وهذا خلافُ وَصفِ المؤمن، فإنه يَشكُرُ عند النِّعمةِ، ويَرجو عند الشِّدةِ؛ وقد شرحناه في بني إسرائيل[٢]، إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني إعطاءُ الحقِّ ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضلُ مِنَ الإمساكِ ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: يطلُبون بأعمالِهم ثوابَ الله.

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ في هذه الآية أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنَّ الرِّبا هاهنا: أنْ يُهدي الرجلُ للرجلِ الشيءَ يقصِدُ أن يُثيبَهُ عليه أكثرَ مِنْ ذلك، هذا قولُ ابنِ عباسٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ ومُجاهِدٍ وطاوُسٍ والضَّحَّاكِ وقَتادةَ والقُرظي. قال الضَّحَّاكُ: فهذا ليس فيه أجرٌ ولا وِزرٌ، وقال قَتادةُ: ذلك الذي لا يَقبَلُه اللَّهُ عزَّ وجلَّ ولا يَجزي به، وليس فيه وِزرٌ. **والثاني**: أنه الرِّبا المُحرَّمُ، قاله الحسَنُ البَصري. **والثالث**: أن الرجل يُعطي قرابته المال ليصير به غنياً لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. **والرابع**: أنه الرجلُ يُعطي مَن يخدمُه لأجْلِ خدمَتِه، لا لأجْلِ الله تعالى، قاله الشَّعْبيُّ. قوله تعالى: ﴿لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ وقرأ نافعٌ ويعقوبُ: «لتَربُو» بالتاء وسكونِ الواو، أي: في اجتِلابِ أموالِ الناس واجتذابِها ﴿فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ﴾ أي: لا يزكُو ولا يضاعف لأنَّكُم قَصدتُم زيادةَ العِوَضِ ولم تقصُدوا القُربَةَ. ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أي: ما أعطيتُم مِنْ صدقةٍ لا تطلبون بها المُكافأةَ إنما تريدون بها ما عندَ الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: الذين يجدون التَّضعيفَ والزِّيادةَ. وقال

(١) العنكبوت: ٦٧. (٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٣٦: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله، وهذا الصنيع مباح، وإن كان لا ثواب له فيه، إلا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة قاله الضحاك واستدل بقوله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ أي لا تعطي العطاء تريد أكثر منه. وقال ابن عباس: الربا رباءان، فربا لا يصح يعني ربا البيع، وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وإضعافها، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾ وإنما الثواب عند الله في الزكاة، ولهذا قال: ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء.

الزَّجّاجُ: أي ذَوو الأضعافِ مِنَ الحَسناتِ، كما يُقال: رجلٌ مُقْوٍ، أي: صاحبُ قُوَّةٍ، ومُوسِر: صاحبُ يَسارٍ.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في هذا الفسادِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: نُقصانُ البَركةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ارتكابُ المعاصي، قاله أبو العَاليةِ. **والثالث**: الشِّركُ، قاله قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والرابع**: قَحطُ المطرِ، قاله عَطِيَّةُ. فأما البَرُّ. فقال ابنُ عباسٍ: البَرُّ: البَرِّيَّةُ التي ليس عندها نَهرٌ، وفي البحرِ قولان[1]: **أحدهما**: أنه ما كان مِنَ المدائنِ والقُرى على شَطِّ نهرٍ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال عِكرِمَةُ: لا أقولُ: بَحرُكم هذا، ولكنْ كلُّ قريةٍ عامرةٍ. وقال قَتادةُ: المراد بالبَرِّ: أهلُ البَوادي، وبالبحرِ: أهلُ القُرى، وقال الزَّجّاجُ: المراد بالبحرِ: مُدنُ البحرِ التي على الأنهار، وكلُّ ذي ماءٍ فهو بحرٌ. **والثاني**: أنَّ البحرَ: الماءُ المعروف. قال مُجاهِدٌ: ظهورُ الفساد في البَرِّ: قَتْلُ ابنِ آدمَ أخاه، وفي البَحرِ: مَلِكٌ جائرٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غَصْباً. وقيل لعَطيَّةَ: أيُّ فسادٍ في البحرِ؟ فقال: إذا قلَّ المطرُ قلَّ الغوصُ.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بما عملوا مِنَ المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وعِكرِمَةُ، وقَتادةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ، ورَوحٌ عن يعقوبَ، وقُنبُلٌ عن ابنِ كَثيرٍ: «لِنُذيقَهم» بالنون ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاءَ بعضِ أعمالِهم؛ فالقَحطُ جزاءٌ، ونُقصانُ البَركةِ جزاءٌ، ووقوعُ المَعصيةِ منهم جزاءٌ مُعجَّلٌ لمعاصِيهِم أيضاً. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الذين أُذيقُوا الجَزاءَ. ثم في معنى رُجوعِهم قولان: **أحدهما**: يَرجعُون عن المعاصي، قاله أبو العَاليةِ. **والثاني**: يَرجعُون إلى الحقِّ، قاله إبراهيمُ. **والثاني**: أنهم الذين يأتون بعدَهُم؛ فالمعنى: لعلَّه يرجعُ مَنْ بعدَهُمْ، قاله الحسَنُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سافِروا ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ أي: الذين كانوا قبلَكُم؛ والمعنى: انظُروا إلى مساكِنِهم وآثارِهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلِكوا بشِركِهم. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أقِمْ قصدَكَ لاتِّباع الدِّينِ ﴿ٱلْقَيِّمِ﴾ وهو الإسلامُ المستقيمُ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ يعني القيامةَ، لا يقدرُ أحدٌ على رَدِّ ذلك اليومِ، لأنَّ اللّهَ تعالى قد قضى كونَهُ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يَتفرَّقون إلى الجنَّةِ والنَّارِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ١٩٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب فهما جميعاً بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك ما وقع عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذن: إذا كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من برّ وبحر بما كسبت أيدي الناس، أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما اهـ.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كُفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يُوطِئُون. وقال مُجاهِدٌ: يُسَوُّون المَضاجعَ في القبور، قال أبو عُبيدَةَ: «مَنْ» تقع على الواحد والاثنين والجمع مِنَ المذكَّرِ والمؤنَّثِ، ومَجازُها هاهنا مَجازُ الجميع، و «يَمْهَد» بمعنى يكتَسِبُ ويعملُ ويستَعِدُّ.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ تُبشِّر بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وهو الغيثُ والخِصبُ ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحر بتلك الرِّياح ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ بالتِّجارة في البحر ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ وهو الرِّزقُ؛ وكلُّ هذا بالرِّياح. قوله تعالى: ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالدَّلالاتِ على صِدْقِهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي: عَذَّبْنا الذين كذَّبُوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجِباً هو أوجَبَهُ على نفسه ﴿نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاؤهُم مع الرُّسلِ مِنْ عذاب المُكَذِّبين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءٍ، والنَّخعيُّ، وطَلحةُ بنُ مُصرِّفٍ، والأعمشُ: «يُرْسِلُ الرِّيح» بغيرِ ألِفٍ. قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تُزعِجُه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ اللهُ ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ إنْ شاءَ بَسطَهُ مسيرةَ يومٍ أو يومين أو أقلَّ أو أكثرَ ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي: قِطَعاً مُتفرِّقة. والأكثرون فَتَحوا سينَ «كِسَفاً»؛ وقرأ أبو رَزِينٍ، وقَتادةُ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ:

بتسكينها؛ قال أبو عليّ: يمكن أن يكونَ مثلَ سِدْرَة وسِدَر، فيكون معنى القِراءَتَين واحداً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو العَالِيَةِ: «مِن خَلَلِه»؛ وقد شرحناه في النور[١]. ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ أي: بالوَدْقِ؛ ومعنى ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطرِ، ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطرَ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ وفي هذا التَّكرير ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه للتأكيدِ، كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٢]، قاله الأخفشُ في آخرين. **والثاني**: أنَّ «قَبْل» الأولى للتَّنزيلِ، والثانية للمطرِ، قاله قُطْرُبُ. قال ابنُ الأنبَاري: والمعنى: مِنْ قَبْلِ نزولِ المطرِ، مِنْ قَبلِ المطرِ، وهذا مثل ما يقول القائلُ: آتيكَ مِنْ قبلِ أنْ تتكلَّمَ، مِنْ قبلِ أنْ تَطمَئِنَّ في مجلِسِكَ، فلا تُنكرُ الإعادةَ، لاختلافِ الشيئين. **والثالث**: أنَّ الهاءَ في قوله تعالى: «مِنْ قَبْله» ترجعُ إلى الهُدى وإنْ لم يتقدَّم له ذِكْرٌ، فيكون المعنى: كانوا يَقنَطون مِنْ قبلِ نزولِ المطرِ، مِنْ قبلِ الهُدى، فلمَّا جاء الهُدى والإسلامُ زالَ القُنوطُ، ذكره ابنُ الأنبَاري عن أبي عُمرَ الدريدي وأبي جعفرَ بنِ قادم. والمُبلِسُون: الآيِسُونَ وقد سبقَ الكلامُ في هذا[٣]. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «إلى أثر». وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «إلى آثار» على الجمعِ. والمراد بالرَّحمة ها هنا: المطرُ، وأثَرُها: النَّبتُ والمَنبتُ؛ والمعنى: انظرْ إلى حُسنِ تأثيرِه في الأرض ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلُها تُنبِتُ بعدَ أنْ لم يكُنْ فيها نَبْتٌ. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عِمرانَ الجوني، وسُليمانُ التَّيمِي، «كيف تُحيي» بتاءٍ مرفوعةٍ مكسورةِ الياءِ «الأرضَ» بفتحِ الضاد.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ أي: رِيحاً باردةً مُضِرَّةً، والرِّيحُ إذا أَتَتْ على لفظِ الواحد أُريدَ بها العذابُ، ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقول عند هُبوبِ الرِّيح:

[١١٠١] «اللهُمَّ اجعَلْهَا رِياحاً ولا تجعَلْهَا رِيْحاً».

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ يعني النَّبتَ، والهاءُ عائدةٌ إلى الأثرِ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: فرأَوُا النَّبتَ قد اصفرَّ وجَفَّ ﴿لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ ومعناه: لَيَظَلُّنَّ، لأنَّ معنى الكلام الشَّرطُ والجَزاءُ، فهم يَستبشِرون بالغَيثِ، ويَكفُرون إذا انقطَعَ عنهم الغيثُ وجَفَّ النَّبتُ. وقال غيرُه: المراد برَحمةِ الله: المطرُ. و «ظلُّوا» بمعنى صارُوا «مِنْ بعدِه» أي: مِنْ بعدِ اصفِرَارِ النَّبتِ يَجحَدُونَ ما سَلفَ مِنَ النِّعمَةِ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في سُورةِ النَّمل[٤] إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ وقد ذكرنا الكلامَ فيه في الأنفال[٥]، قال المُفسِّرون: المعنى: خَلَقَكُم مِنْ ماءٍ ذي ضَعْفٍ، وهو المَنِيُّ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ يعني ضَعفَ الطُّفولةِ قوَّةَ الشَّبابِ، ثُمَّ جعلَ مِن بَعْد قوَّةِ الشباب ضَعفَ الكِبَرِ، وشَيْبَةً، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: مِنْ ضَعفٍ وقوَّةٍ وشبابٍ وشَيْبَةٍ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبيرِ خَلْقِه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ

[١١٠١] ضعيف جداً، أخرجه الشافعي ١/ ١٧٥ والبغوي في «التفسير» ١٢٣٤ من طريق الشافعي أنبأنا من لا أتهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال: ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: اللهم اجعلها... ، وشيخ الشافعي هو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى، وهو متروك وكذبه القطان وابن معين، وكان الشافعي يوثقه؟! وهذا إسناد ساقط، والخبر شبه موضوع.

---

(١) النور: ٤٣. (٢) الحجر: ٣٠. (٣) الأنعام: ٤٤.
(٤) النمل: ٨٠ ـ ٨١. (٥) الأنفال: ٦٦.

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ قال الزَّجَّاج: الساعةُ في القرآن على معنى الساعةِ التي تقوم فيها القيامةُ، فلذلك لم تُعرَفْ أيّ ساعةٍ هي. قوله تعالى: ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يَحْلِفُ المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في القبورِ ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: يُقال: أُفِكَ الرَّجلُ: إذا عُدِلَ به عن الصِّدقِ، فالمعنى أنهم قد كَذَّبوه في هذا الوقتِ كما كَذَّبوه في الدنيا. وقال غيرُه: أراد اللّهُ تعالى أنْ يَفضَحَهُم يومَ القيامة بين المؤمنين، فحَلَفوا على شيءٍ تَبيَّن للمؤمنين كَذِبُهم فيه، ويَستدِلُّون على كَذِبهم في الدنيا. ثم ذكَرَ إنكارَ المؤمنين عليهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة. **والثاني**: المؤمنون. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: وقال الذين أُوتوا العِلْمَ بكتاب الله والإيمانَ بالله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ جُرَيج في جماعةٍ مِنَ المُفسِّرين. **والثاني**: أنه على نَظمِه. ثم في معناه قولان: **أحدهما**: لقد لَبِثتم في عِلْمِ الله، عزَّ وجلَّ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: لقد لَبِثتم في خَبَرِ الكتاب، قاله ابنُ قُتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ أي: اليوم الذي كُنتم تُنكِرونَهُ ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدنيا أنه يكون. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «لا تَنْفَعُ» بالتاء. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالياء، لأنَّ التأنيث غيرُ حقيقيٍّ. قال ابنُ عباسٍ: لا يُقْبَلُ مِنَ الذين أشرَكوا عُذرٌ ولا توبةٌ.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: كعصا موسى ويدِهِ ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: ما أنتُم يا محمَّدُ وأصحابُكَ ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أي: أصحابُ أباطيل، وهذا بيانٌ لعِنادِهم. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طَبعَ على قلوبِهم حتى لا يُصدِّقون الآياتِ ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله عزَّ وجلَّ؛ فالسببُ في امتناعِ الكفار مِنَ التَّوحيدِ، الطَّبْعُ على قلوبِهم.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك وإظهارك على عدوك ﴿حَقٌّ﴾. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ وقرأ يعقوبُ إلاّ رَوحاً وزيداً: «يَسْتَخِفَنْكَ» بسكونِ النون. قال الزَّجَّاجُ: لا يَستفِزَّنَّك عن دِينِك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: هم ضُلاَّلٌ شاكُّون. وقال غيرُه: لا يُوقِنون بالبَعثِ والجزاءِ. وزعم بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذه الآيَةَ منسُوخةٌ؛ واللّهُ أعلَمُ.

سورة لقمان

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

وهي مكيَّةٌ في قولِ الأكثرين. ورُوي عن عطاءٍ أنه قال: هي مكيَّةٌ سوى آيتَيْنِ منها نزلتا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ والتي بعدَها[1]؛ وروى الحسَنُ أنه قال: إلاَّ آيةَ نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، لأنَّ الصلاةَ والزَّكاةَ مَدنيَّتانِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ
دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ
ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا
تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ وقرأ حمزةُ وحدَهُ: «ورحمةٌ» بالرَّفع. قال الزَّجَّاجُ: القراءة بالنَّصب على الحالِ؛ المعنى: تلك آياتُ الكتاب في حالِ الهِدايَةِ والرَّحمةِ؛ ويجوز الرفعُ على إضمارِ «هو هدىً ورحمةٌ» وعلى معنى: «تلك هدىً ورحمةٌ». وقد سبقَ تفسيرُ مُفتتَح هذه السُّورة[3] إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت هذه الآيَةُ في رجلٍ اشترى جاريةً مُغنِّيةً. وقال مُجاهِدٌ: نزلت في شراءِ القِيانِ والمُغنِّياتِ.

(١) لقمان: ٢٧ ـ ٢٨. (٢) لقمان: ٤. (٣) البقرة: ١ ـ ٥.

[١١٠٢] وقال ابنُ السَّائِبِ ومُقاتِلٌ: نزلت في النَّضْرِ بنِ الحَارِثِ، وذلك أنه كان تاجراً إلى فارسَ، فكان يشتري أخبارَ الأعاجِمِ فيُحدِّث بها قُريشاً ويقول لهم: إنَّ محمَّداً يُحدِّثكُم بحديث عادٍ وثَمودَ، وأنا أُحدِّثكم بحديثِ رُستَمَ وإسفنديارَ وأخبارِ الأكاسِرَةِ، فيستَملِحُونَ حديثَهُ ويتركون استماعَ القرآن، فنزلت فيه هذه الآيةُ.

وفي المراد بلَهْوِ الحديث أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الغِناء، كان ابنُ مسعودٍ يقول: هو الغِناءُ والذي لا إلهَ إلاَّ هوَ، يُردِّدها ثلاثَ مراتٍ؛ وبهذا قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ. وروى ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، قال: اللَّهْوُ: الطَّبلُ. **والثاني**: أنه ما أَلْهَى عن الله تعالى: قاله الحسَنُ، وعنه مثل القولِ الأولِ. **والثالث**: أنه الشِّركُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: الباطلُ، قاله عطاءٌ. وفي معنى «يشتري» قولان: **أحدهما**: يشتري بمالِه؛ وحديثُ النَّضرِ يعَضُدهُ. **والثاني**: يختارُ ويَستَحِبُّ، قاله قَتادَةُ، ومَطرُ. وإنما قيلَ لهذه الأشياء: لَهْو الحديث، لأنها تُلهِي عن ذِكْرِ الله تعالى.

قوله تعالى: «لِيَضلَّ» المعنى: ليصيرَ أمرُهُ إلى الضَّلالِ، وقد بيَّنَّا هذا الحرفَ في الحَجِّ[1]. وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ، والأعمَشُ، وأبو جعفرَ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضمِّ الياء، والمعنى: ليُضِلَّ غيرَه، وإذا أَضَلَّ غيرَه فقد ضَلَّ هو أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ويَتَّخِذُها» برفع الذال. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: بنصبِ الذال. قال أبو عليٍّ: مَن نَصبَ عَطفَ على «لِيُضِلَّ» «ويَتَّخذ»، ومَنْ رَفعَ عَطفَهُ على «من يَشتري» «ويتخذ». وفي المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ قولان: **أحدهما**: أنها الآياتُ. **والثاني**: السَّبيلُ. وما بعد هذا مفسَّرٌ في مواضعَ قد تقدَّمَتْ[2] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وفيها قولان[3]: **أحدهما**: الفَهْم والعَقل، قاله الأكثرون. **والثاني**: النُّبوَّة. وقد اختُلِفَ في نُبوَّتِه على قولَين: **أحدهما**: أنه كان حكيماً ولم يكُن نبيًّا، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه كان نبيًّا، قاله الشَّعْبيُّ، وعِكرِمَةُ، والسُّدِّيُّ. هكذا حكاه عنهم الوَاحِدِي، ولا يُعرف، إلاَّ أنَّ هذا ممَّا انفرَدَ به عِكرِمَةُ؛ والقولُ الأولُ أصحُّ. وفي صِناعَتِه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان خيَّاطاً، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: راعياً، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: نجَّاراً، قاله خالدُ الرَّبعي. فأمَّا صِفتُه، فقال ابنُ عباسٍ؛ كان عبداً حبشِيًّا. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ: كان لُقمانُ أسودَ مِنْ سُودَانِ مِصرَ. وقال مُجاهِدٌ: كان غليظَ الشَّفتين مُشقَّقَ

[١١٠٢] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٧٦ عن مقاتل والكلبي بدون إسناد. وكلاهما متهم بالكذب.

---

(١) الحج: ٩.
(٢) البقرة: ٢٥، الأنعام: ٢٥، الرعد: ١٥، النحل: ١٥، الإسراء: ٤٦، الشعراء: ٧.
(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/٥٤٨: اختلف السلف في لقمان عليه السلام هل كان نبياً، أو عبد صالحاً من غير نبوة؟ على قولين والأكثرون على القول بأن لقمان كان من سودان مصر، ذا مشافر، أعطاه الله الحكمة ومنحه النبوة. وقوله: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي: الفهم والعلم والتعبير، ﴿أن أشكر لله﴾ أي أمرناه أن يشكر لله ـ عز وجل ـ على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصَّصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه.

القَدَمين، وكان قاضياً على بَني إسرائيلَ.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ المعنى: وقلنا له: أن أشكرْ للَّهِ على ما أعطاكَ مِنَ الحِكمةِ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: إنما يفعلُ لنفسِه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النِّعمة، فإنَّ الله لَغنيٌّ عن عبادةِ خَلْقِه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في سعدِ بنِ أبي وقّاص، وقد شرحنا ذلك في العنكبوت[1]. قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ وقرأ الضَّحّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «وَهَناً على وَهَنٍ» بفتحِ الهاء فيهما، قال الزَّجّاجُ: أي: ضَعفاً على ضَعفٍ. والمعنى لَزِمَها بحَمْلِها إيّاه أنْ تَضْعُفَ مَرّةً بعد مَرّةٍ. وموضِعُ «أنِ» نصبٌ «بوصيّنا»؛ المعنى: ووصينا الإنسان أنِ اشكرْ لي ولوالدَيْكَ، أي: وَصَّيناهُ بشُكرِنا وشكرِ والدَيه.

قوله تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ أي: فِطامُه يقعُ في انقضاءِ عامَيْنِ. وقرأ إبراهيمُ النَّخعيُّ، وأبو عِمْرانَ، والأعمَشُ: «وفَصالُه» بفتحِ الفاء. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وأبو رَجاءٍ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَري، وقَتادَةُ: «وفَصْلُه» بفتحِ الفاء وسكونِ الصاد مِنْ غيرِ أَلِفٍ؛ والمراد: التَّنبيهُ على مشقّةِ الوالدَةِ بالرَّضاع بعد الحَمْلِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ قد فسَّرنا ذلك في سُورةِ العنكبوت إلى قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: مُصَاحَباً معروفاً، تقول: صاحبه مُصَاحَباً ومُصَاحَبَةً، والمعروف: ما يُستَحسنُ مِنَ الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ أي: مَنْ رَجَع إليَّ؛ وأهلُ التَّفسير يقولون: هذه الآيةُ نزلت في سَعدٍ، فهو المُخاطَبُ بها. وفي المراد بمَنْ أنابَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، قيل لسَعدٍ: اتَّبعْ سبيلَهُ في الإيمان، هذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في رواية عطاءٍ. وقال ابنُ إسحاقَ: أسلَمَ على يَدَي أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ: عثمانُ بنُ عفّانَ، وطَلحَةُ، والزُّبيرُ، وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ. **والثاني**: أنه رسولُ الله ﷺ، قاله ابنُ السّائبِ. **والثالث**: مَنْ سَلَكَ طريقَ محمَّدٍ وأصحابه، ذكره الثعلبي.

ثم رجع إلى الخبرِ عن لُقمانَ فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾. وقال ابنُ جريرٍ: وَجهُ اعتراض هذه الآيات بين الخبرَيْنِ عن وصيّةِ لُقمانَ أنَّ هذا مما أوصى به لُقمانُ ابنه. قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وقرأ

---

(١) العنكبوت: ٨.

نافع وحده «مثقالُ حَبَّةٍ» برفع اللام. وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان: **أحدهما**: أنَّ ابنَ لُقمانَ قال لأبيه: أرأيتَ لو كانت حبَّةٌ في قَعرِ البحر أكانَ الله تعالى يعلَمُها؟ فأجابه بهذه الآيةِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه قال: يا أبَتِ إنْ عَمِلتُ بالخطيئةِ حيث لا يَراني أحدٌ، كيف يَعلَمُها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: مِنْ قرأ برفعِ المِثقَالِ مع تأنيثِ «تَكُ» فلأنَّ «مثقال حبَّة من خردل» راجعٌ إلى معنى: خَردَلَة، فهي بمنزلة: إنْ تَكُ حبَّةٌ مِن خَردَلٍ؛ ومَنْ قرأ: «مثقالَ حبَّة» فعَلَى معنى: إنَّ التي سألْتَني عنها إنْ تَكُ مثقالَ حبَّةٍ، وعلى معنى: إنَّ فَعْلَة الإنسان وإنْ صَغُرتْ يأتِ بها الله عزَّ وجلَّ وقد بيَّنَّا معنى «مثقالَ حبَّة من خردل» في الأنبياء[1]. قوله تعالى: ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ قال قَتادَةُ: في جَبلٍ. وقال السُّدِّيُّ: هي الصخرة التي تحت الأرضِ السابعةِ، ليست في السَّمواتِ ولا في الأرضِ. وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يعلَمُها اللّهُ تعالى: قاله أبو مالكٍ. **والثاني**: يُظهِرُها، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثالث**: يأتِ بها الله في الآخرة للجزاءِ عليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراجِها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانِها. وهذا مَثَلٌ لأعمال العِبادِ، والمراد أنَّ الله تعالى يأتي بأعمالِهم يومَ القيامة، مَنْ يعملْ مِثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ، ومَنْ يعمل مِثقالَ ذَرَّةٍ شرّاً يَرَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ أي: في الأمر المعروف والنَّهي عن المُنكرِ مِنَ الأذى. وباقي الآية مفسَّرٌ في آل عِمران[2].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرَ، ويعقوبُ: «تُصَعِّر» بتشديد العينِ مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بألِفٍ مِنْ غير تشديدٍ. قال الفرَّاءُ: هما لُغتان، ومعناهما الإعراضُ مِنَ الكِبْرِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَجاءٍ وابنُ السَّمَيفَع، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «ولا تُصعِر» بإسكانِ الصاد وتخفيفِ العين مِنْ غير ألِفٍ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: لا تُعْرِضْ عن الناس تكبُّراً؛ يُقال: أصاب البَعيرَ صَعَرٌ: إذا أصابه داءٌ يَلْوِي منه عُنُقَهُ. وقال ابنُ عباسٍ: هو الذي إذا سُلِّم عليه لَوَى عُنُقَهُ كالمُستكبِر. وقال أبو العَاليةِ: لِيَكُنِ الغنيُّ والفقيرُ عندكَ في العِلْمِ سواءً. وقال مُجاهِدٌ: وهو الرجل يكون بينه وبين أخيه الحِنَةُ[3]، فيَراهُ فيُعرِضُ عنه. وباقي الآية بعضُه مفسَّرٌ في بني إسرائيل[4] وبعضُه في سُورةِ النِّساء[5].

قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي: لِيَكُن مَشْيُكَ قَصْداً، لا تخيُّلاً ولا إسراعاً. قال عطاءٌ: امْشِ بالوَقارِ والسَّكينَةِ. قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي: انقُص منه. قال الزَّجَّاجُ: ومنه: غَضَضْتُ بَصري، وفلانٌ يَغُضُّ مِنْ فُلانٍ، أي: يَقصرُ به. ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أنَّ أنكر الأصوات» بفتحِ الهمزة. ومعنى «أنكر»: أقبَحُ؛ تقول: أتانا فُلانٌ بوَجهٍ منكرٍ، أي:

---

(١) الأنبياء: ٤٧. (٢) آل عمران: ٢٨٦.

(٣) في «اللسان»: الحنة: هو من العداوة والإحنة: الحقد في الصدر ويقال في صدره عليّ إحنة ولا تقل حنة.

(٤) الإسراء: ٣٧. (٥) النساء: ٣٦.

قبيح. وقال المُبَرِّدُ: تأويله: أنَّ الجَهرَ بالصوت ليس بمَحمودٍ، وأنه داخلٌ في باب الصوت المُنكَرِ، وقال ابنُ قُتَيبة: عَرَّفَه قُبحَ رفعِ الأصواتِ في المُخاطبةِ والمُلاحَاةِ[1] بقُبحِ أصواتِ الحمير، لأنها عالِيةٌ. قال ابنُ زيدٍ: لو كان رفعُ الصوت خيراً، ما جعله الله عزَّ وجلَّ للحمير. وقال سُفيانُ الثَّوري: صِياحُ كلِّ شيءٍ تسبيحٌ لله عزَّ وجلَّ، إلاَّ الحمارَ، فإنه يَنهقُ بلا فائدةٍ. فإنْ قيلَ: كيف قال: «لَصَوتُ» ولم يَقُلْ: «لأصواتُ الحمير»؟ فالجواب: أنَّ لكلِّ جنسٍ صوتاً، فكأنه قال: إنَّ أنكرَ أصواتِ الأجناسِ صوتُ هذا الجنس.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسعَ وأكمَلَ ﴿نِعَمَهُۥ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَفصٌ عن عاصِم: «نِعَمَهُ»، أرادوا جميعَ ما أنعَمَ به. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ؛ وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «نِعْمَةً» على التوحيد. قال الزَّجَّاجُ: هو ما أعطاهم مِنْ توحيدِه.

[١١٠٣] ورَوى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! ما هذه النِّعمةُ الظاهرةُ والباطِنةُ؟ فقال: «أمَّا ما ظَهَرَ: فالإسلامُ، وما سَوَّى الله مِنْ خَلْقِكَ، وما أفضَلَ عليكَ مِنَ الرِّزق. وأمَّا ما بَطَنَ: فسَتْرُ مساوئِ عمَلِكَ، ولم يَفضَحْكَ» وقال الضَّحَّاكُ: الباطِنةُ: المَعرفةُ، والظَّاهِرةُ: حُسنُ الصَّوتِ، وامتدادُ القامَةِ، وتسويةُ الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ﴾ هو مَتروكُ الجوابِ، تقديره فيَتبعُونَهُ؟.

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو العَالِيةِ، وقَتادَةُ: «ومَنْ

[١١٠٣] باطل. لا أصل له في المرفوع. أخرجه البيهقي في «الشعب» ٤٥٠٥ والديلمي ٧١٦٧ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً، له ثلاث علل: عمار بن عمرو الجنبي ضعيف وجويبر بن سعيد متروك متهم بالوضع، والضحاك لم يلق ابن عباس. والمتن باطل لا أصل له، وحسبه أن يكون موقوفاً.
وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٣٠ بتخريجنا.

---

(١) الملاحاة: المخاصمة والمقاولة.

يُسَلِّم» بفتح السين وتشديد اللام. وذكرَ المفسِّرون أن قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ منسوخ بآيةِ السَّيفِ، ولا يَصِحُّ، لأنه تسليةٌ عن الحُزنِ، وذلك لا يُنافي الأمرَ بالقتال. وما بعد هذا قد تقدَّمَ تفسيرُ ألفاظِه في مواضعَ[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ وفي سببِ نُزولِها قولان:

[١١٠٤] **أحدهما**: أنَّ أحبارَ اليَهودِ قالوا لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] إيَّانا يريدُ، أمْ قومَكَ؟ فقال: «كُلاًّ»، فقالوا: ألستَ تتلُو فيما جاءَكَ أنَّا قد أُوتينا التَّوراةَ فيها تِبيانُ كلِّ شيءٍ؟ فقال: «إنها في عِلْمِ الله قليلٌ»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ المُشركين قالوا في القرآن: إنَّما هو كلامٌ يُوشكُ أنْ يَنْفَدَ وينقطِعَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادةُ.

ومعنى الآية: لو كانت شجرُ الأرضِ أقلاماً، وكان البحرُ ومعه سبعةُ أبحُرٍ مِداداً ـ وفي الكلام محذوفٌ تقديره: فكُتِبَ بهذه الأقلام وهذه البُحورِ كلماتُ الله عزَّ وجلَّ ـ لَتكسَّرت الأقلامُ ونَفِدَتِ البُحورُ، ولم تَنْفَدْ كلماتُ الله، أي: لَم تَنقطِعْ. فأما قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾ فقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «والبَحْرُ» بالرفع، ونَصبَهُ أبو عمروٍ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «والبحرَ» بالنَّصبِ، فهو عَطفٌ على «ما»؛ المعنى: ولو أنَّ ما في الأرض، ولو أنَّ البحرَ؛ والرفعُ حسَنٌ على معنى: والبحرُ هذه حالُه. قال اليَزيدي: ومعنى «يَمُدُّهُ مِنْ بعده»: يَزيدُ فيه؛ يُقال: مُدَّ قِدْرَكَ، أي: زِدْ في مائِها، وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ: «يَمُدُّه» مِنَ المِدادِ، لا مِنَ الإمدادِ، يُقال: مَدَدْتُ دَواتي بالمِدادِ، وأَمدَدْتُه بالمالِ والرجالِ.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

[١١٠٥] سببُ نُزولِها أنَّ أُبيَّ بنَ خَلَفٍ في آخرين مِنْ قُريشٍ قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَنا أطواراً: نُطفةً، عَلَقةً، مُضغةً، عِظاماً، لحماً، ثم تزعُمُ أنَّا نُبعَثُ خَلْقاً جديداً جميعاً في ساعةٍ واحدةٍ؟! فنزلت هذه الآيةُ.

[١١٠٤] أخرجه الطبري ٢٨١٤٨ بنحوه بسند مجهول عن ابن عباس. و ٢٨٤٠١ بنحوه عن عكرمة مرسلاً و ٢٨١٥٠ عن عطاء بن يسار مرسلاً أيضاً، فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها والله أعلم.

[١١٠٥] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، فهذا خبر لا شيء.

---

(١) البقرة: ٢٦٧، وهود: ٤٨، والعنكبوت: ٦١.

(٢) الإسراء: ٨٥.

ومعناها: ما خَلقكم أيها الناسُ جميعاً في القُدرةِ إلاّ كخَلْقِ نفسٍ واحدةٍ، ولا بَعْثُكم جميعاً في القُدرةِ إلاّ كبَعثِ نفسٍ واحدةٍ، قاله مُقاتِلٌ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ تجري في البَحر بِنعمة الله، قال ابنُ عباسٍ: مِنْ نِعَمِه جَريانُ الفُلْكِ ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي: لِيُرِيَكُم مِنْ صُنعِه وعجائبِه في البحر، وابتغاءِ الرِّزقِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: لكُلِّ صبورٍ على أمرِ الله عزَّ وجلَّ ﴿شَكُورٍ﴾ في نِعَمِه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ يعني الكفَّارَ؛ وقال بعضُهم: هو عامٌّ في الكفَّارِ والمسلمين ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: وهي جَمْعُ ظُلَّةٍ، يُراد أنَّ بعضَهُ فوق بعضٍ، فلَهُ سَوادٌ مِن كثرَتِه.

قوله تعالى: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وقد سَبقَ شرحُ هذا[2]، والمعنى: فإنهم لا يذكرون أصنامهم في شدائدهم إنما يَذكُرون اللهَ وحدَهُ.

[١١٠٦] وجاء في الحديث أنَّ عِكرمَةَ بنَ أبي جَهْلٍ لمَّا هربَ يومَ الفَتْحِ مِنْ رسول الله ﷺ ركبَ البحرَ فأصابَتْهُم رِيحٌ عاصِفٌ، فقال أهلُ السفينة: أَخْلِصوا، فإنَّ آلهتَكم لا تُغْني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عِكرمَةُ: ما هذا الذي تقولون، فقالوا: هذا مكانٌ لا يَنفعُ فيه إلاّ الله تعالى: فقال: هذا إلَٰهُ محمَّدٍ الذي كان يَدْعُونا إليه، لَئِنْ لم يُنجِني في البحرِ إلاّ الإخلاصُ ما يُنجِيني في البَرِّ غيرُهُ، ارجِعُوا بنا، فرَجَعَ فأَسْلَمَ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مؤمنٌ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: مُقتَصِدٌ في قولِه، وهو كافرٌ، قاله مُجاهِدٌ. يعني أنه يعترفُ بأنَّ الله تعالى وحدَهُ القادرُ على إنجائِه وإنْ كان مُضمِراً للشِّرك. **والثالث**: أنه العادلُ في الوفاءِ بما عاهَدَ اللهَ عليه في البحرِ مِنَ التَّوحيدِ، قاله مُقاتِلٌ. فأمَّا «الخَتَّار» فقال الحسَنُ: هو الغَدَّارُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: الخَتْرُ: أقبحُ الغَدْرِ وأشَدُّهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: هذا خِطابٌ لكفَّارِ مكَّةَ. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ أي: لا يَقضي عنه شيئاً مِنْ جِنايَتِه ومَظالِمِه. قال مُقاتِلٌ: وهذا يعني به

[١١٠٦] أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/٤٤٧ من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح هرب عكرمة بن أبي جهل فركب البحر. . . فذكره. وكان قد أخرجه ٣/٤٤٦ من طريق أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: لما كان يوم فتح مكة أمَّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي اليسر؛ فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم بها. . .

---

(١) آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الحج: ٦٢. (٢) يونس: ٢٢.

الكفَّارَ. وقد شرحنا هذا في البقرة[1]. قال الزَّجَّاجُ: وقوله تعالى: ﴿هُوَ جَازٍ﴾ جاءت في المُصحفِ بغيرِ ياءٍ، والأصلُ «جازيٌ» بضمَّةٍ وتنوينٍ. وذَكرَ سِيْبَويه والخَليلُ أنَّ الاختيارَ في الوقفِ هو «جازٍ» بغيرِ ياءٍ، هكذا وَقفَ الفُصحاءُ مِنَ العرب ليُعلِموا أنَّ هذه الياءَ تسقُط في الوَصْلِ. وزعمَ يُونسُ أنَّ بعضَ العرب المَوثُوقِ بهم يَقِفُ بياءٍ، ولكن الاختيارَ اتِّباعُ المُصحفِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: بالبَعثِ والجزاءِ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بزينَتِها عن الإسلام والتَّزوُّدِ للآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ أي: بحِلْمِه وإمهالِه ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي مِنْ شأنه أنْ يَغُرَّ. قال الزَّجَّاجُ: «الغرور» على وزن الفَعول، وفَعول مِنْ أسماء المُبالغة، يُقال: فلانٌ أَكُول: إذا كان كثيرَ الأكلِ، وضَرُوب: إذا كان كثيرَ الضَّرْبِ، فقيل للشيطان غَرُور، لأنه يَغُرُّ كثيراً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الغَرُور بفتحِ الغين: الشيطانُ، وبضَمِّها: الباطلُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

[١١٠٧] سببُ نُزولِها أنَّ رجلاً مِنْ أهل الباديةِ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ امرأتي حُبْلَى، فأخبِرني ماذا تَلِدُ؟ وبلَدُنا مُجْدِبٌ، فأخبِرني متي يَنزِلُ الغَيْثُ؟ وقد عَلِمْتُ متى وُلِدْتُ، فأخبرني متى أمُوتُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ.

ومعنى الآية: «إنّ الله» عزَّ وجلَّ «عنده عِلْم الساعة» متى تقومُ، لا يَعلمُ سِواهُ ذلك ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «ويُنَزِّلُ» بالتشديد، فلا يَعلَمُ أحدٌ متى يَنزِلُ الغيثُ، أَلَيْلاً أمْ نهاراً ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ لا يعلمُ سِواهُ ما فيها، أذكرٌ أمْ أُنثى، أبيضُ أو أَسوَدُ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخيْراً أمْ شرّاً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأيِّ مكانٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «بأيَّةِ أرض» بتاءٍ مكسورةٍ. والمعنى: ليس أحدٌ يَعلَمُ أينَ مَضجَعُهُ مِنَ الأرض حين يموت، أفِي بَرّ أو بحرٍ أو سَهلٍ أو جبلٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: يُقال: بأيِّ أرضٍ كُنتَ، وبأيةِ أرضٍ كُنتَ، لُغتانِ، وقال الفَرَّاءُ: مَنْ قال: بأيِّ أرضٍ، اجتزَأَ بتأنيث الأرض مِنْ أنْ يُظهِرَ في «أيّ» تأنيثاً آخرَ. قال ابنُ عباسٍ: هذه الخَمسُ لا يَعلَمُها مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ مُصطفى. قال الزَّجَّاجُ: فمَنِ ادَّعى أنه يَعلَمُ شيئاً مِنْ هذه كَفَرَ بالقرآن لأنه خالَفَهُ.

[١١٠٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨١٧٣ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

---

(١) البقرة: ٤٨.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

وتسمَّى سُورة المَضاجع، وهي مكِّيَّةٌ بإجمَاعِهم وقال الكَلبيُّ: فيها مِنَ المَدنيِّ ثلاثُ آياتٍ، أوَّلُها قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾[1]. وقال مُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ الآية[2]. وقال غيرُهما: فيها خمسُ آياتٍ مَدنيَّاتٌ، أوَّلُها ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: المعنى: لا شكَّ فيه أنَّه تنزيلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمَّدٌ عليه السَّلامُ مِنْ تِلقاءِ نَفْسِه، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العربَ الذين أدركُوا رسولَ الله ﷺ لم يأتِهم نذيرٌ مِنْ قَبْلِ محمَّدٍ عليه السلام. وما بعدَهُ قد سبق تفسيرُه[3] إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ يعني الكفَّارَ؛ يقول: ليس لكم مِنْ دونِ عذابِه مِنْ وَليٍّ، أي: قَريبٍ يَمنعُكم فيَردُّ عذابَهُ عنكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفَعُ لكُم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في معنى الآيةِ قولان[4]: **أحدهما**: يقضي

---

(١) السجدة: ١٨. (٢) السجدة: ١٦.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٢٣٢: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: =

القضاءَ مِنَ السماءِ فيُنزِّله مع الملائكة إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ المَلَكُ ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ مِنْ أيام الدنيا، فيكون المَلَكُ قد قطعَ في يوم واحدٍ مِنْ أيام الدنيا في نُزولِه وصُعودِه مسافةَ ألف سنةٍ مِنْ مسيرةِ الآدميّ. **والثاني**: يُدبِّر أمرَ الدنيا مدَّةَ أيّام الدنيا، فيُنزِّل القضاءَ والقَدَرَ مِنَ السماء إلى الأرض «ثم يعرُج إليه» أي: يعودُ إليه الأمرُ والتَّدبيرُ حين يَنقطعُ أمرُ الأمراء وأحكَام الحُكَّام ويَنفرِدُ الله تعالى بالأمرِ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك في يوم القيامة، لأنَّ كلَّ يوم مِنْ أيامِ الآخرة كألْفِ سنةٍ. وقال مُجاهِدٌ: يقضي أمرَ ألفِ سنةٍ في يوم واحدٍ، ثم يُلقِيه إلى ملائكتِه فإذا مَضتْ قضى لألفِ سنةٍ أخرى، ثم كذلك أبداً. وللمُفسِّرين في المرادِ بالأمرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَحيُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: القضاء، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أمرُ الدنيا. و«يعرج» بمعنى يَصعَدُ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَرَجْتُ في السُّلَّم أعرُجُ، وعَرِجَ الرجلُ يَعرَجُ: إذا صار أعرَجَ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وابنُ السَّمَيفع، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ثم يُعْرَجُ إليه» بياءٍ مرفوعة وفتح الراء، وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء «يَعرِج» بياء مفتوحة وكسر الراء، وقرأ أبو عِمْرَانَ الجَوْني، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «ثم تَعْرُجُ» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الراء.

قوله تعالى: ﴿الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: جعله حَسَناً. **والثاني**: أحكَمَ كلَّ شيءٍ، رُويا عن ابنِ عباسٍ، وبالأول قال قَتادَةُ، وبالثاني قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: أحسَنَهُ، ولم يتعَلَّمْهُ مِنْ أحدٍ، كما يُقال: فُلانٌ يُحْسِنُ كذا: إذا عَلِمَهُ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى ألْهَمَ خَلْقَهُ كلَّ ما يحتاجون إليه، كأنه أعلَمَهُم كلَّ ذلك وأحسَنَهُم، قاله الفَرَّاءُ. **والخامس**: أحسَنَ إلى كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ، حكاه المَاوَرْدِي. وفي قوله تعالى: «خَلَقه» قِراءتان. قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «خَلْقَه» ساكنةَ اللام. وقرأ الباقون بتحريكِ اللام. وقال الزَّجَّاجُ: فَتحُها على الفعل الماضي وتَسكِينُها على البَدَلِ، فيكون المعنى أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ. وقال أبو عُبيدَةَ: المعنى أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ، والعرب تفعلُ مثلَ هذا، يُقدِّمون ويُؤخِّرون.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ﴾ يعني آدمَ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ أي: ذُرِّيتَهُ ووَلَدَهُ، وقد سبق شرحُ الآية[٢]. ثم رجع إلى آدمَ فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ وقد سبقَ بيانُ ذلك[٣]. ثم عادَ إلى ذُرِّيَّتِه فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ﴾ أي: بعدَ كونِكم نُطَفاً.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ

= يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم، كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمس مئة في النزول وخمس مئة في الصعود، لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره»: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: أحكم وأتقن لأنه لا معنى لذلك إذا قرئ بفتح لام ﴿خلَقه﴾ إلا أحد الوجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان أو معنى التحسين الذي هو معنى الجمال والحسن، فلما كان في خلقه ما لا يشك في قبحه وسماجته، علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته.
وقراءة من قرأ ﴿الذي أحسن كل شيء خلَقه﴾ بفتح اللام هي عندي أولى الأقوال في ذلك بالصواب.

(٢) المؤمنون: ١٢. (٣) الحجر: ٢٩.

ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ يعني مُنكِري البَعثِ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وعليُّ بنُ الحُسينِ وجعفرُ بنُ محمَّدٍ وأبو رَجاءٍ وأبو مِجلَزٍ وحُمَيدٌ وطَلحةُ: «ضَلِلْنَا» بضادٍ مُعجَمَةٍ وكسرِ اللامِ الأُولَى. قال الفرَّاءُ: ضَلَلْنا وضَلِلْنا لغتانِ، والمعنى: إذا صارت عظامُنا ولُحومُنا تراباً كالأرض؛ تقول: ضَلَّ الماءُ في اللبَنِ، وضلَّ الشيءُ في الشيءِ: إذا أخفاهُ وغَلبَ عليه. وقرأ أبو نَهِيكٍ وأبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ وأبو حَيْوَةَ وابنُ أبي عَبلَةَ: «ضُلِّلْنَا» بضمِّ الضاد المُعجَمةِ وتشديدِ اللامِ الأُولى وكَسْرِها. وقرأ الحسَنُ وقَتادةُ ومعاذٌ القارئُ: «صَلَلْنَا» بصادٍ غيرِ مُعجَمَةٍ مفتوحةٍ، وذَكرَ لها الزَّجَّاجُ مَعنيين: **أحدهما**: أَنْتَنَّا وتَغيَّرنا وتغيَّرتْ صُوَرُنا؛ يُقال: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ: إذا أنتَنَ وتَغيَّرَ. **والثاني**: صِرْنَا مِنْ جنس الصِّلَّةِ، وهي الأرضُ اليابسةِ.

قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾؟! هذا استفهامُ إنكارٍ. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بِقَبْضِ أرواحِكُم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يوم الجَزاءِ. ثم أخبرَ عن حالِهِم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مُطأطِئوها حياءً ونَدماً، ﴿رَبَّنَآ﴾ فيه إضمَارُ «يقولون ربَّنا» ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: عَلِمْنا صِحَّةَ ما كنَّا به مُكذِّبين ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا؛ وجوابُ «لو» مَتروكٌ، تقديره: لو رأيتَ حالَهُم لَرأيتَ ما يُعتَبرُ به، ولَشاهدتَ العَجَبَ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ أي: وَجبَ وسَبَقَ؛ والقولُ هو قوله تعالى لإبليسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: مِنْ كفارِ الفريقين. ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ قال مُقاتِلٌ: إذا دَخلوا النار قالت لهم الخَزَنةُ: فذُوقوا العذابَ. وقال غيرُه: إذا اصطرَخُوا فيها قيلَ لهم: ذُوقُوا بما نَسِيتُم، أي بما تَركتُم العملَ للقاءِ يومِكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي: تَركناكُم مِنَ الرَّحمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ أي: وُعِظوا بها ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ أي: سَقَطُوا على وُجوهِهم ساجِدِينَ. وقيل: المعنى: إنَّما يُؤمِنُ بفرائِضنا مِنَ الصَّلواتِ الخَمسِ الذين إذا ذُكِّروا بها بالأَذانِ والإقامةِ خَرُّوا سُجَّداً.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت وفي الصلاة التي تَتجافَى لها جُنوبُهم على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في المُتهجِّدِين بالليل.

[١١٠٨] روى معاذُ بنُ جبلٍ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: «تتجافى جُنوبُهم» قال: «قيامُ العَبدِ مِنَ الليل». وفي لفظٍ آخرَ أنه قال لمُعاذٍ: «إنْ شِئتَ أنبأتُكَ بأبوابِ الخيرِ»، قال: قلتُ أَجَلْ يا رسولَ الله، قال: «الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُكفِّر الخَطيئةَ، وقيامُ الرَّجلِ في جَوفِ الليل يبتغي وَجْهَ اللهِ»، ثم قرأ: «تتجَافى جُنوبُهم عن المَضاجِعِ». وكذلك قال الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وعطاءٌ، وأبو العَالِيةِ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ أنها في قيام الليل. وقد روَى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: تتجَافى جُنوبُهم لذِكرِ الله تعالى، كلَّما استيقظوا ذَكَروا اللهَ تعالى، إمَّا في الصلاة، وإمَّا في قيامٍ، أو في قُعودٍ، أو على جُنوبِهم، فهم لا يَزالون يَذكُرون الله عزَّ وجلَّ.

[١١٠٩] والثاني: أنها نزلت في ناسٍ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ كان يُصلُّون ما بين المَغربِ

[١١٠٨] حديث حسن، وهو قطعة من حديث مطوّل، رجاله ثقات إلا أنه منقطع، أبو وائل لم يسمع من معاذ. أخرجه الترمذي ٢٦١٦ والنسائي في «الكبرى» ١١٣٩٤ و «التفسير» ٤١٤ وابن ماجه ٣٩٧٣ وأحمد ٥/ ٢٣١ والطبراني ٢٠/(٢٦٦) والبغوي ١١ وعبد الرزاق في «التفسير» ٢٣٠٢ من طرق عن معمر به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ـ وأخرجه أحمد ٥/٢٤٨ والطبراني ٢٠/(٢٠٠) من طريق عاصم عن شهر عن معاذ به، رواية أحمد مختصرة، وهذا منقطع أيضاً.
ـ وأخرجه أحمد ٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ من طريق شهر عن عبد الرحمن بن غَنْم عن معاذ به، وهذا إسناد موصول، وشهر لا بأس به، وهو حسن الحديث في المتابعات، ولا يوجد في لفظة (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال: «قيام العبد من الليل» ولا ذكر أبواب الخير.
ـ وأخرجه أحمد ٥/ ٢٣٣ وابن أبي شيبة في «الإيمان»/ ٢ والحاكم ٢/ ٧٦ و ٤١٢ والطبراني ٢٠/ ٢٩١ ـ ٢٩٤، والطبري ٢٨٢٣٩ والبيهقي ٩/ ٢٠ من طريقين عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ به مطولاً ومختصراً. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وهذا منقطع بين ميمون ومعاذ.
الخلاصة: هو حديث حسن بمجموع طرقه، ولفظ الحديث عند الترمذي: عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر. فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل قال: ثم تلا: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾** حتى بلغ **﴿يعملون﴾** ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: كفَّ عليك هذا، فقلت يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبّ الناس على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

[١١٠٩] ضعيف. أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢/ ١٩٣ والطبري ٢٨٢٢٥ من طريق الحارث بن وجيه عن مالك بن دينار: سألت أنس رضي الله عنه عن قوله **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾** قال: . . . فذكره.
وأعله ابن عدي بالحارث بن وجيه الراسبي ونقل عن النسائي قوله الحارث بن وجيه ضعيف.
ـ وذكره الواحدي في «الأسباب» ٦٨٤ عن مالك بن دينار به دون إسناد.
ـ وورد بدون ذكر الآية، وإنما هو رأي لأنس يبين المراد بالآية. أخرجه أبو داود ١٣٣١ والطبري ٢٨٢٢٦ من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس: «كانوا يتقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون». ورجاله، ثقات لكنه رأي لأنس رضي الله عنه، والراجح في معنى الآية قيام الليل وهو المتقدم.

والعِشاءِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

والثالث: أنها نزلت في صلاةِ العِشَاءِ، كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ لا يَنامون حتى يُصلُّوها، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: أنها صلاةُ العِشاءِ والصُّبحِ في جماعةٍ، قاله أبو الدَّرداءِ والضَّحَّاكُ.

ومعنى «تَتجافى»: ترتفع. والمَضَاجِعُ جَمعُ مَضْجَع، وهو الموضعُ الذي يُضطَجَعُ عليه. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مِنْ عذابِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رَحمَتِه وثوابِه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في الواجبِ والتَّطوُّعِ. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾ وأسكَنَ ياءَ «أُخْفِي» حمزةُ، ويعقوبُ. قال الزَّجَّاجُ: في هذه الآية دليلٌ على أنَّ المُرادَ بالآية التي قبلها: الصلاةُ في جَوفِ الليل، لأنه عَملٌ يَستَتِرُ الإنسانُ به، فجَعَل لفظَ ما يُجازَى به «أُخفي لهم»، وإذا فَتحتَ الياءَ مِنْ أُخفِي، فعَلَى تأويل الفعلِ الماضي، وإذا أسكَنْتَها، فالمعنى: ما أُخفِيْ أنا لهم، إخبارٌ عن الله تعالى؛ وكذلك قال الحسَنُ البَصْريُّ: أُخفِي لهم، بالخُفْيةِ خُفيةً، وبالعَلانيةِ عَلانيةً.

[١١١٠] وروى أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ «يقول الله عزَّ وجلَّ: أعدَدتُ لِعبَادي الصَّالحين ما لا عَينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بَشرٍ، اقرَؤوا إنْ شِئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم﴾».

قوله تعالى: ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو هُريرَة، وأبو عبدِ الرَّحنِ السُّلَمي، والشَّعْبيُّ، وقَتادَةُ: «من قُرَّاتِ أعيُنٍ» بألِفٍ على الجمع.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ في سبب نُزولها قولان:

[١١١١] **أحدهما**: أنَّ الوليدَ بنَ عُقبَةَ بنَ أبي مُعَيطٍ قال لعَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السَّلامُ: أنا أَحَدُ

[١١١٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٨٠ عن إسحاق بن نصر به. وأخرجه مسلم ٢٨٢٤ ح ٤ وابن ماجه ٤٣٢٨ وأحمد ٢/٤٦٦ و ٤٩٥ وابن أبي شيبة ١٣/١٠٩ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٣٢٤٤ و ٤٤٧٩ ومسلم ٢٨٢٤ والترمذي ٣١٩٧ والحميدي ١١٣٣ وابن حبان ٣٦٩ من طرق عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة به. وأخرجه البخاري ٧٤٩٨ وعبد الرزاق ٢٠٨٧٤ وأحمد ٢/٣١٣ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٦٦ من طريق معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة به. وأخرجه أحمد ٢/٣١٣ والدارمي ٢/٣٣٥ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٦٨ من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به. وله شاهد من حديث سهل بن سعد أخرجه مسلم ٢٨٢٥. ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/٢٦٢.

[١١١١] ضعيف منكر. أخرجه الواحدي ٦٨٧ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأخرجه الطبري ٢٨٢٦٢ عن ابن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار مرسلاً. وهو ضعيف، =

منكَ سِناناً، وأبسَطُ منكَ لساناً، وأَمْلأُ للكَتِيبةِ منكَ، فقال له عليٌّ: اسكُتْ فإنما أنتَ فاسقٌ، فنزلت هذه الآيةُ، فعَنَى بالمؤمن عليّاً، وبالفاسِقِ الوليدَ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءُ بنُ يَسارٍ، وعبدُ الرَّحمن بنُ أبي لَيلَى، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنها نزلت في عمرَ بنِ الخطَّابِ وأبي جَهلٍ، قاله شَريكٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُنَ﴾ قال الزَّجَّاج: لا يَستوي المؤمنون والكافرون؛ ويجوز أنْ تكونَ لاثنين، لأنَّ معنى الاثنين جماعةٌ؛ وقد شَهِدَ اللهُ عزَّ وجلَّ بهذا الكلام لِعَليّ عليه السَّلامُ بالإِيمان وأنَّه في الجنَّة، لقولِه تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وطَلحةُ بنُ مُصرّفٍ: «جنةُ المأوى» على التَّوحيدِ. قوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ قرأ الحسَنُ، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «نزلاً» بتسكينِ الزاي. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ وفيه ستةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه ما أصابَهُم يومَ بدرٍ، رواه مَسرُوقٌ عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: سِنُون أُخِذُوا بها، رواه أبو عُبيدَةَ عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال النَّخعيُّ. وقال مُقاتِلٌ: أُخِذُوا بالجُوعِ سبعَ سنين. **والثالث**: مصائبُ الدنيا، قاله أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ في روايةِ ابنِ أبي طَلحَةَ، وأبو العَالِيةِ، والحَسنُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: الحُدودُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: عذابُ القبرِ، قاله البَراءُ. **والسادس**: القتلُ والجوعُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي: قَبلَ العذاب الأكبرِ؛ وفيه قولان:

أحدهما: أنه عذابُ يوم القيامة، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنه القتلُ ببَدْرٍ. قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال أبو العَالِيةِ: لعلَّهم يَتُوبون. وقال ابنُ مسعودٍ: لَعلَّ مَنْ بقيَ منهم يَتُوبُ. وقال مُقاتِلٌ: لكي يَرجِعُوا عن الكُفرِ إلى الإِيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد فسَّرناهُ في الكهف[٢]. قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ قال يَزيدُ بنُ رُفَيعٍ: هم أصحابُ القَدَرِ. وقال مُقاتِلٌ: هم كفَّارُ مكَّةَ انتقَمَ اللهُ منهم بالقتلِ ببَدْرٍ، وضَربَتِ الملائكةُ وجُوهَهُم وأدبارَهُم، وعَجَّل أرواحَهُم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا

= فمع إرساله فيه مجاهيل والصواب أن الآية عامة في كل مؤمن وفاسق. وكون الآية نزلت في ذلك لا يصح وهو من بدع التأويل كونها خاصة في علي وعقبة، والمراد بالفاسق الكافر لا المؤمن العاصي. وانظر «تفسير القرطبي» ٤٩٧٤. و «أحكام القرآن» ٣/ ٥٣٥.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٢٤٨: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدة من مجاعة أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالجوع والشدائد والمصائب في الأموال فأوفى لهم بما وعدهم.

(٢) الكهف: ٥٧.

مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى
مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ
زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم
مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التَّوراةَ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ:

[١١١٢] **أحدها:** فلا تكُنْ في مِرْيَةٍ مِنْ لقاءِ موسى رَبَّهُ، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: مِنْ لقاءِ موسى ليلةَ الإسراء، قاله أبو العَالِيَةِ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ السَّائب. **والثالث:** فلا تكُنْ في شكٍّ مِنْ لقاء الأذى كما لَقِيَ موسى، قال الحَسَنُ. **والرابع:** لا تكن في مِرْيَةٍ مِنْ تلقِّي موسى كتابَ الله عزَّ وجلَّ بالرِّضى والقَبولِ، قاله السُّدِّيُّ.

قال الزَّجَّاجُ: وقد قِيلَ: فلا تكُنْ في شَكٍّ مِنْ لقاءِ موسى الكتاب، فتكون الهاءُ للكتاب. وقال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: المعنى: مِنْ لقاءِ موسى الكتاب، فأُضِيفَ المصدرُ إلى ضميرِ الكتاب، وفي ذلك مَدحٌ على امتِثالِهِ ما أُمِرَ به، وتَنبيهٌ على الأَخْذِ بمثلِ هذا الفعلِ. وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ قولان: **أحدها:** الكتاب، قاله الحسَنُ. **والثاني:** موسى، قاله قَتادةُ. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: مِنْ بَنِي إسرائيلَ ﴿أَيِمَّةً﴾ أي: قادةً في الخيرِ ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناسَ إلى طاعةِ الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: «لَمَّا صَبَروا» بفتحِ اللامِ وتشديدِ الميم. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ: «لِمَا» بكسرِ اللامِ خفيفةً. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «بما» بباءٍ مكانَ اللامِ؛ والمراد: صَبْرُهم على دِينِهم وأذى عدوِّهِم ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أنها مِنَ الله عزَّ وجلَّ؛ وفيهم قولان: **أحدهما:** أنهم الأنبياءُ. **والثاني:** أنهم قومٌ صالحون سِوى الأنبياءِ. وفي هذا تَنبيهٌ لقُريشٍ أنكم إنْ أَطَعتُم جَعلتُ منكم أئمَّةً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ويَحْكُمُ؛ وفي المُشارِ إليهم قولان:

[١١١٢] الصواب موقوف. أخرجه الطبراني ١٢٧٥٨ من حديث ابن عباس وإسناده ضعيف، لضعف محمد بن عثمان بن أبي شيبة. وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٢٧٠: رجاله رجال الصحيح! كذا قال رحمه الله مع أن شيخ الطبراني وهو محمد بن عثمان بن أبي شيبة. ذكره الذهبي في «الميزان» ٧٩٣٤ فقال: وثقة صالح جزرة، وقال ابن عدي، لم أر له حديثاً منكراً، وأما عبد الله بن أحمد، فقال: كذاب. وقال ابن خراش: كان يصنع الحديث. وقال مُطَيَّن: هو عصا موسى، تلقف ما يأفكون. وقال ابن عقدة: سمعت عبد الله بن أسامة الكلبي، وإبراهيم بن إسحق الصواف، وداود بن يحيى يقولون: محمد بن عثمان، كذاب اهـ باختصار والأشبه في هذا، الوقف فيه على ابن عباس. وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٧١ و «فتح القدير» ١٩٥١ بتخريجنا.

أحدهما: أنهم الأنبياءُ وأُمَمُهم. **والثاني**: المؤمنون والمشركون.

ثم خوَّف كفَّارَ مكَّةَ بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي: «نَهْدِ» بالنون. وقد سبقَ تفسيرُه[١]. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ يعني المطرَ والسَّيلَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا تُنبِتُ ـ وقد ذكرناها في أوَّل الكهف[٢] ـ فإذا جاء الماءُ أنبتَ فيها ما يأكلُ الناسُ والأنعامُ. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه ما فُتِحَ يومَ بدرٍ؛ روى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ في هذه الآيةِ قال: يومَ بَدرٍ فُتِحَ للنبيِّ ﷺ، فلم يَنْفَعِ الذين كَفَروا إيمانُهم بعدَ الموتِ. **والثاني**: أنه يومُ القيامة، وهو يومُ الحُكم بالثوابِ والعقابِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه اليومُ الذي يأتيهم فيه العذابُ في الدنيا؛ قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: فتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ السَّائبِ والفَرَّاءُ وابنُ قُتَيبةَ؛ وقد اعتُرِضَ على هذا القول، فقيلَ: كيف لا ينفعُ الكفَّارَ إيمانُهم يومَ الفتح وقد أَسْلَمَ جماعةٌ منهم وقُبِلَ إسلامُهم يومَئِذٍ؟! ففيه جوابان: **أحدهما**: لا يَنفعُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الكفَّارِ يومَئِذٍ إيمانُهم بعدَ الموتِ؛ وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ.

[١١١٣] وقد ذَكَر أهلُ السِّيَرِ أنَّ خالداً دخلَ يومَ الفتحِ مِنْ غيرِ الطريقِ التي دخلَ منها رسولُ الله ﷺ، فلَقِيَهُ صفوانُ بنُ أُميَّةَ وسُهَيلُ بنُ عمروٍ في آخَرِينَ فقاتَلُوه، فصَاحَ خالدٌ في أصحابه وقاتَلَهُم، فقتَلَ أربعةً وعشرين مِنْ قُريشٍ، وأربعةً مِنْ هُذيلٍ، وانهزموا، فلمَّا ظَهرَ رسولُ الله ﷺ قال: «أَلَمْ أَنْهَ عن القتال»؟ فقيلَ: إنَّ خالداً قُوتِلَ فقاتَلَ.

والثاني: لا يَنفعُ الكفَّارَ ما أُعطُوا مِنَ الأمانِ، لأنَّ النبيَّ ﷺ قال:

[١١١٤] «مَنْ أغلَقَ بابَه فهو آمِنٌ، ومَنْ دَخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ».

قال الزَّجَّاجُ: يُقال: آمَنتُ فُلاناً إيماناً، فعَلَى هذا يكون المعنى: لا يَدفَعُ هذا الأمَانُ عنهم عذابَ

[١١١٣] يأتي في سورة الفتح. وانظر قصة فتح مكة في «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٤٤ ـ ٦٤ و «سيرة ابن هشام» ٤/ ٢٦ ـ ٤٢. و «المغازي» للواقدي ٢/ ٧٨٠ و «الطبقات لابن سعد» ٢/ ١٣٤. و «البداية والنهاية» ٤/ ٢٩٧.

[١١١٤] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٨٠ ح ٨٦ وأبو داود ٣٠٢٣ والبيهقي ٩/ ١١٨ من طريقين عن ثابت عن أنس.
ـ وأخرجه مسلم ١٧٨٠ ح ٨٤ و ٨٥ وأبو داود ١٨٧٢ والطيالسي ٢٤٢٤ وأحمد ٣/ ٥٣٨ وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٧١ ـ ٤٧٣ والبيهقي ٩/ ١١٧ ـ ١١٨ وابن حبان ٤٧٦٠ من حديث أبي هريرة في أثناء خبر مطوّل.
وانظر «تفسير القرطبي» ٤٣٩٤ بتخريجنا.

---

(١) طه: ١٢٨. (٢) الكهف: ٨.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٧٣: إنما المراد بالفتح الذي هو القضاء والفصل، كقوله تعالى: ﴿**فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين**﴾ وكقوله: ﴿**قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**﴾ فيقول الله تعالى مخبراً عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم، استبعاداً وتكذيباً وعناداً ﴿**ويقولون متى هذا الفتح**﴾ أي متى تُنْصر علينا يا محمد كما تزعم أن لك وقتاً تدال علنا، ويُنْتَقم لك منا فمتى يكون هذا؟ قال تعالى: ﴿**قل يوم الفتح**﴾ أي إذا حلّ بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة، ﴿**لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون**﴾.
ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النّجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله ﷺ إسلام الطلقاء وكانوا قريباً من ألفين.

اللهِ عزَّ وجلَّ. وهذا القولُ الذي قد دَافعنا عنه ليس بالمُختارِ، وإنما بيَّنَّا وَجهَهُ لأنه قد قِيلَ.

وقد خرج بما ذكرنا في الفَتْحِ قولان: **أحدهما**: أنه الحُكمُ والقضاءُ، وهو الذي نختاره. **والثاني**: فَتْحُ البَلدِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ أي: انتَظِرْ عذابَهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بكَ حوادثَ الدَّهر. قال المُفسِّرون: وهذه الآيةُ مَنسُوخةٌ بآية السَّيفِ. واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

ترتيبها ٣٣ | # سُورَةُ الأَحْزَابِ | آياتها ٧٣

وهي مدنيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

[١١١٥] سببُ نُزولِها أنَّ أبا سُفيانَ بنَ حَربٍ، وعِكرمَةَ بنَ أبي جهلٍ، وأبا الأعورِ السُّلَمي، قَدِموا على رسولِ الله ﷺ في المُوادعةِ التي كانت بينهم، فنزلوا على عبدِ الله بنِ أُبيّ، ومُعتّب بنِ قُشيرٍ، والجدّ بنِ قَيسٍ؛ فتكلّموا فيما بينهم، وأتوا رسولَ الله ﷺ فدَعوه إلى أمرِهم وعَرضوا عليه أشياءَ كَرِهَها، فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١١١٦] قال مُقاتِلٌ: سألوا رسولَ الله ﷺ أن يَرفُض ذِكرَ اللاتِ والعُزّى ويقولَ: إنَّ لها شفاعةً، فكَرِهَ ذلك، ونزلت الآيةُ.

وقال ابنُ جَرير: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين يقولون: اطرُدْ عنّا أتباعَكَ مِنْ ضُعفاءِ المسلمين ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فلا تَقبَلْ منهم رأياً. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في أمرِ اللهِ تعالى رسولَه بالتقوى، وهو سيّدُ المُتَّقين؟! فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ المراد بذلك استِدامَةُ ما هو عليه. **والثاني**: الإكثارُ ممّا هو فيه. **والثالث**: أنه خطابٌ ووُجِّهَ به، والمراد أُمَّتُه. قال المفسِّرون: وأراد بالكافرين في هذه الآيةِ: أبا سُفيانَ، وعِكرمَةَ، وأبا الأعوَرِ، وبالمنافقين: عبدَ الله بنَ أُبيّ، وعبدَ الله بنَ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وطُعمَةَ بنَ

[١١١٥] عزاه المصنف لابن عباس من طريق أبي صالح، وأبو صالح وتلميذه الكلبي رويا عن ابن عباس تفسيراً موضوعاً. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٨٨ بدون إسناد، ولم أره مسنداً، فهو لا شيء، وعزاه الحافظ في «الكشاف» ٣/ ٥١٩ للثعلبي والواحدي بدون إسناد.

[١١١٦] عزاه المصنف لمقاتل، وهذا معضل، وهو بدون إسناد، ومقاتل ممن يضع الحديث، فهذا لا شيء.

أُبَيْرِقٍ. وما بعدَ هذا قد سبق بيانه[1] إلى قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ وفي سببِ نُزولها قولان:

[١١١٧] أحدهما: أنَّ المنافقين كانوا يقولون: لمحمَّدٍ قلبان، قلبٌ معنا، وقلبٌ مع أصحابِه، فأكذَبَهم اللهُ تعالى، ونزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١١١٨] والثاني: أنها نزلت في جميلِ بنِ مَعْمَرٍ الفِهْرِي ـ كذا نَسبَهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. وقال الفَرَّاءُ: جميلُ بنُ أسدٍ، ويُكنَّى: أبا مَعْمَر. وقال مُقاتِلٌ: أبو مَعْمَر بنُ أنسٍ الفِهْرِي ـ وكان لَبِيباً حافظاً لِمَا سمعَ، فقالت قُريشٌ: ما حَفِظَ هذه الأشياءَ إلاَّ وله قلبان في جَوفِه، وكان يقول: إنَّ لي قلبين أعقِلُ بكلِّ واحدٍ منهما أفضلَ مِنْ عقلِ محمَّدٍ، فلمَّا كان يوم بدر وهُزم المشركون وفيهم يومئذٍ جميلُ بنُ مَعْمَرٍ، تلقَّاه أبو سُفيانَ وهو مُعلِّقٌ إحدى نعليه بيَدِه، والأخرى في رِجلِه، فقال له: ما حالُ الناس؟ قال: انهزَموا، قال: فما بَالُكَ إحدى نَعلَيكَ في يدِكَ والأُخرى في رِجلِكَ؟ قال: ما شَعرتُ إلاَّ أنهما في رِجلَيّ، فعرفوا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان لَمَا نَسِيَ نَعلَهُ في يدِه؛ وهذا قولُ جماعةٍ مِنَ المُفسِّرين. وقد قال الزُّهري في هذا قولاً عجيباً، قال: بَلَغنا أنَّ ذلك في زيدِ بنِ حارِثَةَ ضُرِبَ له مثَلٌ يقول: ليس ابنُ رجلٍ آخر ابنَكَ.

قال الأخفَشُ: «مِنْ» زائدةٌ في قوله تعالى: «مِنْ قلبين». قال الزَّجَّاجُ: أكذبَ اللهُ عزَّ وجلَّ هذا الرجلَ الذي قال: لي قلبان، ثم قرَّرَ بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرُهم ممَّا لا حقيقةَ له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ فأعلم اللهُ تعالى أنَّ الزوجةَ لا تكون أُمّاً، وكانت الجاهليةُ تُطلِقُ بهذا الكلام، وهو أنْ يقولَ لها: أنتِ عليَّ كَظَهرِ أمّي، وكذلكَ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أي: ما جَعلَ مَنْ تَدْعونه ابناً ـ وليس بولَدٍ في الحقيقة ـ ابناً ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي: نَسَبُ مَنْ لا حقيقة لنَسَبه قولٌ بالفم لا حقيقةَ تحته ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا يَجعلُ غيرَ الابنِ ابناً ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: للسَّبيلَ المُستقيم. وذكر المُفسِّرون أنَّ قولَه تعالى: «وما جَعل أزواجَكم اللائي تُظاهِرون مِنهُنَّ» نزلت في أَوسِ بنِ الصَّامتِ وامرأتِه خولَةَ بنتِ ثَعلَبَةَ. ومعنى الكلام: ما جعلَ أزواجَكُم اللائي تُظاهِرون منهنَّ كأمَّهاتِكُم في التَّحريم، إنَّما قولُكم معصيةٌ، وفيه كفَّارةٌ، وأزواجُكم حلالٌ لكم؛ وسنشرحُ هذا في سُورةِ المُجادلة إنْ شاءَ الله. وذَكَروا أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

[١١١٧] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣١٩٩ وأحمد ١/ ١٦٨ والحاكم ٢/ ٤١٥ والطبري ٢٨٣١٨ من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف قابوس. قال الترمذي: حديث حسن! وقال الحاكم: صحيح الإسناد! وتعقبه الذهبي بقوله: قابوس ضعيف. وانظر «فتح القدير» ١٩٥٦ و «أحكام القرآن» ١٧٥٠ بتخريجنا، والله الموفق.

[١١١٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٦٨٩ بتمامه بدون إسناد. وورد بنحوه عند الطبري ٢٨٣٢١ وعبد الرزاق ٢٣١١ عن قتادة مرسلاً. وورد أيضاً من مرسل عكرمة عند الطبري ٢٨٣٢٣. وعن ابن عباس أخرجه الطبري ٢٨٣١٩ وفيه مجاهيل، وفيه أيضاً عطية العوفي، وهو واهٍ. الخلاصة: هو خبر ضعيف، فهذه الروايات واهية لا تقوم بها حجة.

---

(١) النساء: ٨١.

[١١١٩] نزل في زَيدِ بنِ حارثةَ، أعتقَهُ رسولُ الله ﷺ وتبنّاه قبلَ الوحْي، فلمّا تزوَّجَ رسولُ الله ﷺ زينبَ بنتَ جَحشٍ قال اليهودُ والمنافقون: تزوَّج محمدٌ امرأةَ ابنِه وهو يَنهى الناسَ عنها، فنزلت هذه الآيةُ.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾. قال ابنُ عمرَ:

[١١٢٠] ما كنّا ندعو زيدَ بنَ حارثةَ إلاّ زيدَ بنَ محمّدٍ، حتى نزلت «ادعُوهم لآبائِهم».

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أي: أعدلُ، ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: إنْ لم تعرفوا آباءَهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فَهُم إخوانُكم، فلْيقُل أحدُكم: يا أخي، ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي بَنو عمِّكم. ويجوزُ أنْ يكونَ «مواليكم» أولياءَكم في الدِّينِ. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فيما أخطأتُم به قبلَ النَّهي، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: في دُعائِكم مَنْ تَدْعونَهُ إلى غيرِ أبيه وأنتم تَرونَهُ كذلك، قاله قَتادةُ. **والثالث**: فيما سَهوتُم فيه، قاله حَبيبُ بنُ أبي ثابتٍ. فعَلى الأول يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: بعدَ النَّهي. وعلى الثاني والثالث. ما تعمَّدتْ في دُعاءِ الرجل إلى غيرِ أبيه.

قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: أَحقُّ، فلَهُ أنْ يحكُمَ فيهم بما يشاءُ، قال ابنُ عباسٍ: إذا دَعاهُم إلى شيءٍ، ودَعتْهُم أنفُسُهم إلى شيءٍ، كانت طاعتُه أَوْلَى مِنْ طاعةِ أنفُسِهم؛ وهذا صحيحٌ، فإنَّ أنفُسَهُم تَدعُوهم إلى ما فيه هلاكُهم، والرسولُ عليه السلام يَدعُوهم إلى ما فيه نَجاتُهم. قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: في تحريمِ نِكاحِهنَّ على التأبيدِ، ووجوبِ إجلالِهنَّ وتَعظيمِهنَّ؛ ولا تجري عليهنَّ أحكامُ الأُمّهاتِ في كلِّ شيءٍ، إذْ لو كان كذلك لَمَا جازَ لأحدٍ أنْ يتزوَّجَ بناتِهنَّ، وَلَوَرِثْنَ المسلمين، ولَجازَتِ الخلوةُ بهنَّ. وقد رَوى مَسروقٌ عن عائشةَ أنَّ امرأةً قالت: يا أُمَّاه، فقالت: لستُ لكِ بأُمٍّ؛ إنّما أنا أُمُّ رجالِكم؛ فبانَ بهذا الحديث أنَّ معنى الأُمُومةِ تحريمُ نكاحهنَّ فقط. وقال مُجاهِدٌ: «وأزواجُه أُمّهاتُهم» وهو أبٌ لهم. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في آخرِ الأنفال إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ والمعنى أنَّ ذوي القَراباتِ بعضُهم أَوْلَى بميراثِ بعضٍ مِنْ أنْ يرِثوا بالإيمانِ والهجرةِ كما كانوا يفعلون قبلَ النَّسخِ ﴿إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ وهذا استثناءٌ ليس مِنَ الأول،

[١١١٩] لم أره بهذا التمام، وكونه عليه الصلاة والسلام أعتق زيداً مشهور متواتر في كتب الحديث والسير، وكونه تبناه فهذا مشهور، وأما ذكر نزول الآية، فلا يصح، ولم أره مسنداً.

[١١٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٨٢ ومسلم ٢٤٢٥ والترمذي ٣٢٠٩ و ٣٨١٤ والنسائي في «التفسير» ٤١٦ وأحمد ٢/ ٧٧ وابن سعد ٣/ ٤٣ وابن حبان ٧٠٤٢ والطبراني ١٣١٧ والبيهقي ٧/ ١٦١ والواحدي في «الأسباب» ٦٩١ من طرق عن موسى بن عقبة به عن ابن عمر.

والمعنى: لكنْ فِعلُكم إلى أوليائِكم معروفاً جائزٌ، وذلك أنَّ الله تعالى لمَّا نسخَ التَّوارُثَ بالحِلْفِ والهجرةِ، أباحَ الوَصيَّةَ للمُعاقَدِين، فللإنسان أنْ يُوصي لمن يَتولاَّه بما أحبَّ مِنْ ثُلثِهِ. فالمعروف هاهنا: الوصيَّةُ. قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني نَسْخَ المِيراثِ بالهجرة وردَّه إلى ذوي الأرحامِ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني اللَّوحَ المَحفوظَ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ⑦ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ⑧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ⑨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ المعنى: واذكرْ إذ أخذْنا ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي: عَهدَهم؛ وفيه قولان: **أحدهما**: أخذُ ميثاقِ النَّبيِّين: أنْ يُصدِّقَ بعضُهم بعضاً، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنْ يَعبُدوا اللَّهَ تعالى ويَدْعوا إلى عبادَتِه، ويُصَدِّق بعضُهم بعضاً، وأنْ ينصحوا لقومِهم، قاله مُقاتِلٌ. وهذا المِيثاقُ أُخِذَ منهم حين أُخرِجُوا مِنْ ظَهرِ آدمَ كالذَّرِّ. قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: لمَّا أخذَ مِيثاقَ الخَلقِ خَصَّ النَّبيِّين بمِيثاقٍ آخرَ.

فإنْ قيلَ: لِمَ خصَّ الأنبياءَ الخمسةَ بالذِّكرِ دون غيرهم مِنَ الأنبياء؟ فالجواب: أنه نبَّهَ بذلك على فَضْلِهِم، لأنهم أصحابُ الكُتُبِ والشرائعِ؛ وقدَّم نبيَّنا ﷺ بياناً لفَضْلِه عليهم[1].

[١١٢١] قال قَتادةُ: كان نبيُّنا أوَّلَ النَّبيِّين في الخَلْقِ.

[١١٢١] باطل، أخرجه الطبري ٢٨٣٥٣ عن أبي هلال عن قتادة من قوله وهذا باطل. وأخرجه الطبري ٢٨٣٥٢ وابن سعد في «الطبقات» ١/ ١١٩ عن قتادة، مرسلاً والمرسل من قسم الضعيف، وله علة ثانية: سعيد بن أبي عروبة، تغير بأخرة. وعلة ثالثة: فيه عطاء بن عبد الوهّاب الخفاف وثقه قوم وضعفه أحمد بقوله: ضعيف مضطرب الحديث.
وورد من حديث أبي هريرة مرفوعاً. أخرجه الديلمي ٤٨٥٠ وأبو نعيم في «الدلائل» ٣ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جداً، فيه سعيد بن بشير، وهو ضعيف منكر الحديث، وساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته في «الميزان» ٣١٤٣ على أنه من منكراته. وله علة ثانية: وهي أن الحس لم يسمع من أبي هريرة، فالإسناد ضعيف جداً، لا شيء. وأما المتن فباطل. بل أول من خلق من البشر، آدم عليه السلام، هذا وقد خلط بعضهم هذا الحديث بحديث «كنت نبياً، وآدم بين الروح والجسد». وهذا الحديث الأخير صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٥٩ والحاكم ٢/ ٦٠٩ والطبراني ٢/ ٣٥٣ والآجري في «الشريعة» ٩٥٦ من طرق عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال مسلم. وقال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٢٢: رجاله رجال الصحيح. ولهذا الحديث شواهد كثيرة، لكنه لا يثبت أولية الخلق إنما فيه إثبات، أنه مكتوب في اللوح المحفوظ وفي علم الله تعالى، فتنبّه، فإن هذا الحديث الأخير، يخالف الأول ويفارقه، وإنما خلق وولد رسول الله ﷺ يوم ولدته أمه آمنة كما هو معلوم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٧٩: يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق، **فهذا العهد والميثاق** أخذ عليهم بعد إرسالهم، ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة، وهم أولو العزم، وهو من **باب عطف الخاص** على العام، وقد صرح بذكرهم نصاً في هذه الآية، وبدأ في هذه الآية بالخاتم، لشرفه ـ **صلوات الله عليه** ـ ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم.

=

وقوله تعالى: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ أي: شديداً على الوفاءِ بما حُمِّلوا. وذَكَرَ المُفسّرون أنَّ ذلك العهدَ الشديدَ: اليَمينُ باللهِ عزَّ وجلَّ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يقول: أَخَذنا ميثاقَهُم لكي نسألَ الصادقين، وهم الأنبياءُ ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغِهم. ومعنى سؤالِ الأنبياءِ ـ وهو يَعلمُ صِدقَهُم ـ تَبكِيتُ مُكذِّبيهِم. وها هنا تَمَّ الكلامُ. ثم أَخبرَ بعدَ ذلك عمَّا أعدَّ للكافرين بالرُّسلِ.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الذين تَحزَّبوا على رسولِ الله ﷺ أيامَ الخَندقِ.

الإشارةُ إلى القصّةِ

[١١٢٢] ذَكرَ أهلَ العِلْمِ بالسِّيرة أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا أَجلَى بَني النَّضيرِ، ساروا إلى خَيْبَرَ، فخرج نَفرٌ مِنْ أشرافِهِم إلى مكَّةَ فألَّبُوا قُريشاً ودَعَوهم إلى الخروج لقتالِه، ثم خرجوا مِنْ عندهم فأَتَوا غَطفانَ وسُلَيمَ، ففارَقُوهم على مثلِ ذلك. وتجهَّزَتْ قُريشٌ ومَنْ تبِعَهُم مِنَ العرب، فكانوا أربعةَ آلافٍ، وخرجوا يقودُهم أبو سُفيانَ، ووافَتْهُم بَنو سُلَيمَ بـ «مرِّ الظّهران»، وخرجت بَنو أسدٍ، وفَزارَةُ، وأشجَعُ، وبَنو مُرَّةَ، فكان جميعُ مَنْ وافى الخَندقَ مِنَ القبائلِ عشرةَ آلافٍ، وهم الأحزابُ؛ فلمَّا بلغَ رسولَ الله ﷺ خروجُهم مِنْ مكَّةَ، أخبر الناسَ خبرَهُم، وشاوَرَهُم، فأشارَ سلمانُ بالخندقِ، فأعجَبَ ذلك المسلمين، وعَسكَرَ بهم رسولُ الله ﷺ إلى سَفحِ «سَلْعٍ»، وجعلَ سَلْعاً خلفَ ظهرِه؛ ودَسَّ أبو سُفيانَ بنُ حَربٍ حُيَيَّ بنَ أخطَب إلى بني قُريظةَ يسألُهم أنْ ينقُضوا العهدَ الذي بينهم وبين رسولِ الله ﷺ ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتدَّ الخوف، وعَظُمَ البلاءُ، ثم جَرتْ بينهم مُناوشةٌ وقتالٌ، وحُصِرَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بِضعَ عشرةَ ليلةً حتى خَلَصَ إليهم(١) الكَرْبُ، وكان نُعَيمُ بن مسعودٍ الأشجَعيّ قد أسلَمَ، فمَشى بين قُريشٍ وقُريظةَ وغطفانَ فخَذَّلَ بينهم، فاستَوحَشَ كلٌّ منهم مِنْ صاحبه، واعتلَّت قُريظَةُ بالسَّبتِ فقالوا: لا نُقاتِلُ فيه، وهبَّت ليلةَ السبتِ رِيحٌ شديدةٌ، فقال أبو سُفيانَ: يا معشرَ قُريشٍ، إنكم واللَّهِ لستُم بدارِ مُقام، لقد هَلَكَ الخُفُّ والحافِرُ، وأجدَبَ الجَنابُ(٢)، وأخلفَتْنا قُريظةُ، ولَقِينا مِنَ الرِّيحِ ما تَرَون، فارتَحِلوا فإني مُرتحِلٌ؛ فأصبحت العَساكرُ قد أقشَعَتْ(٣) كلُّها. قال مُجاهِدٌ: والريحُ التي أُرسِلَتْ عليهم هي الصَّبا، حتى أكفأَتْ(٤) قُدورَهُم، ونزعت فَساطِيطَهُم(٥). والجنودُ: الملائكة،

= الخلاصة: إسناده ضعيف جداً كما تقدم، والمتن باطل، فالنبي ﷺ آخر النبيين في الخلق والبعث. والله أعلم. وانظر «فتح القدير» ١٩٦٦ و «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٧٩ و «المقاصد الحسنة» ٨٣٧ للسخاوي و «الشريعة» ٤٢٨ ـ ٤٣٠ للآجري بتخريجنا والله الموفق.

[١١٢٢] جزء من حديث. أخرجه الطبري ٢٨٣٦٩ عن ابن إسحق عن عروة والزهري وغيرهما. وانظر خبر غزوة الخندق في «سيرة ابن هشام» ٣/ ١٤١ ـ ١٤٥ نقلاً عن ابن إسحاق و «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٤٠٨، و «تفسير الطبري» ٢٨٣٦٤ و «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٨٠ ـ ٥٨١.

---

(١) في «اللسان» خلص: وصل وبلغ.
(٢) الجَناب والجانب: الناحية والفناء وما قرب من محلّة القوم.
(٣) أقشع القوم: تفرّقوا.
(٤) أكفأ الشيء: أماله، وكفأت الإناء: كبته.
(٥) الفسطاط: بيت من شعَر.

ولم تُقاتِلْ يومئِذٍ. وقيلَ: إنَّ الملائكة جَعلَتْ تقلَعُ أوتادَهُم وتُطفِئُ نيرانَهُم وتُكبِّر في جوانب عسكَرِهِم، فاشتدَّت عليهم، فانهزموا مِنْ غير قتالٍ.

قوله تعالى: ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وقرأ النَّخعيُّ، والجَحْدَري، والجَوْني، وابنُ السَّمَيفَع: «لم يَرَوْها» بالياء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ وقرأ أبو عمرٍو: «يعملون» بالياء.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أي: مِنْ فوق الوادي ومِنْ أسفلِه ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مَالَتْ وعَدلَتْ، فلم تنظر إلى شيءٍ إلاَّ إلى عدوِّها مُقبِلاً مِنْ كلِّ جانبٍ ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ وهي جمعُ حَنْجَرَةٍ. والحَنْجَرَة: جوفُ الحُلقوم. قال قَتادَةُ: شَخَصتْ عن مكانِها، فلولا أنَّه ضاقَ الحُلقومُ عنها أنْ تخرُجَ لَخرجتْ. قال غيرُه: المعنى أنهم جَبُنُوا وجَزِعَ أكثرُهم؛ وسبيل الجَبانِ إذا اشتدَّ خوفُه أنْ تنتفِخَ رئتُه فيرتفع حِينئِذٍ القلبُ إلى الحَنْجَرة، وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ والفَرَّاء. وذهب ابنُ قُتَيبةَ إلى أنَّ المعنى: كادَتِ القلوبُ تبلغُ الحُلُوقَ مِنَ الخوفِ. وقال ابنُ الأنباري: «كاد» لا يُضمَرُ ولا يُعْرَف معناه إذا لم يُنْطَق به. قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ قال الحسَنُ: اختلفَتْ ظُنونُهم، فظَنَّ المنافقون أنَّ محمَّداً عليه السلام وأصحابَه يُستأصَلون، وظَنَّ المؤمنون أنه يُنْصَر. قرأ ابنُ كَثيرٍ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «الظُّنونا» و «الرَّسولا»(١) و «السَّبيلا»(٢) بألِفٍ إذا وَقَفوا عليهِنَّ، وبِطَرْحِها في الوَصْلِ. وقال هُبَيرةُ عنْ حَفصٍ عن عاصِمٍ: وَصْلٌ أو وَقْفٌ بألِفٍ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: بالألف فيهنَّ وَصْلاً ووَقْفاً. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: بغيرِ ألِفٍ في وَصْلٍ ولا وَقفٍ. قال الزَّجَّاجُ: والذي عليه حُذَّاقُ النَّحويين والمُتَّبِعون السُّنَّةَ مِنْ قُرَّائِهم أنْ يقرؤوا: «الظُّنونا» ويَقِفون على الألفِ ولا يَصِلُونَ؛ وإنما فعلوا ذلك، لأنَّ أواخرَ الآياتِ عندهم فَواصِلُ يُثبِتون في آخرِها الألفَ في الوَقْفِ.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: عند ذلك ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختُبِروا بالقتال والحَصْرِ لِيتبيَّن المُخلِصُ مِنَ المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أي: أُزعِجوا وحُرِّكوا بالخوف، فلم يُوجَدوا إلاَّ صابرين. وقال الفَرَّاءُ: حُرِّكوا إلى الفِتنة تحريكاً، فعُصِموا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الشِّركُ، قاله الحَسنُ. **والثاني**: النِّفاقُ، قاله قَتادَةُ، ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال المُفسِّرون: قالوا يومئِذٍ: إنَّ محمَّداً يَعِدُنا أنْ نفتحَ مدائِنَ كِسرَى وقيْصرَ وأحدُنا لا يستطيع أنْ يُجاوزَ رَحلَهُ! هذا واللّهِ الغرورُ. وزَعمَ ابنُ السَّائبِ أنَّ القائلَ هذا مُعَتِّبُ بنُ قُشَيرٍ.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا

---

(١) الأحزاب: ٦٦. (٢) الأحزاب: ٦٧.

عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني مِنَ المنافقين. وفي القائلين لهذا منهم قولان: **أحدهما**: عبدُ الله بن أبيِّ وأصحابه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: بَنو سالمٍ مِنَ المنافقين، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: يَثْرِبُ اسمُ أرضٍ، ومدينةُ النبيِّ ﷺ في ناحيةٍ منها. قوله تعالى: ﴿لا مَقَامَ لكم﴾ وقرأ حَفْصٌ عن عاصِمٍ: ﴿لَا مُقَامَ﴾ بضمِّ الميم. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ ضمَّ الميمَ، فالمعنى: لا إقامةَ لكُم؛ ومَنْ فتحَها، فالمعنىَ: لا مكانَ لكم تُقيمون فيه. وهؤلاءِ كانوا يُثَبِّطون المؤمنين عن النبيِّ ﷺ. قوله تعالى: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي: إلى المدينة.

[١١٢٣] وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ بالمسلمين حتى عَسكروا بـ «سَلْع»، وجَعلوا الخندقَ بينهم وبينَ القوم، فقال المنافقون للناس: ليس لكُم ها هنا مُقامٌ، لكثرةِ العدوِّ، هذا قولُ الجمهور. وحكى المَاوَردِي قولَين آخرَين:

أحدهما: لا مُقامَ لكم على دِيْنِ محمَّدٍ فارجِعوا إلى دِيْنِ مُشركي العرب، قاله الحسَنُ.

والثاني: لا مُقامَ لكم على القتال، فارجِعُوا إلى طلبِ الأمانِ، قاله الكَلْبي.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم بَنو حَارِثَةَ، قاله ابن عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: بَنو حارِثَةَ بن الحارثِ بنِ الخَزْرَج. وقال السُّدِّيُّ: إنما استأذنَهُ رجلان مِن بَني حارِثَةَ. **والثاني**: بَنو حارِثَةَ، وبَنو سَلِمةَ بنِ جشم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: خاليةٌ، فقد أمْكَنَ مَنْ أراد دُخولَها، وأصلُ العَوْرَة: ما ذَهبَ عنه السِّترُ والحِفظُ، فكأنَّ الرجالَ سِترٌ وحِفظٌ للبيوت، فإذا ذهبوا أعوَرَت البيوتُ، تقول العرب: أعْوَرَ منزلي: إذا ذهب سِترُه، أو سَقطَ جدارُه، وأعْوَر الفارس: إذا بَانَ منه موضعُ خَلَلٍ للضَّربِ والطَّعنِ، يقول الله تعالى ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ لأنَّ اللّهَ تعالى يحفظها، ولكن يريدون الفِرارَ. وقال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ قالوا: بيوتنا ضائعةٌ نَخشى عليها السُّرَّاقَ. وقال قَتادَةُ: قالوا: بُيوتُنا ممَّا يلي العَدُوَّ، ولا نأمَنُ على أهلنا، فكذَّبَهم الله تعالى وأعلمَ أنَّ قصدَهُم الفِرارُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعني المدينة؛ والأقطارُ: النَّواحي والجَوانبُ، واحدها: قُطْرٌ، ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، والضَّحَّاكُ، والزُّهري، وأبو عِمْرَانَ وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ: «ثم سِيلوا» برفعِ السين وكسرِ الياء مِنْ غير همزٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، ومُجاهِدٌ وأبو الجَوزَاءِ: «ثم سوءِلوا» برفع السين ومَدِّ الواو بهمزةٍ مكسورةٍ بعدَها. وقرأ الحسَنُ، وأبو

[١١٢٣] ذكره الطبري ١٠/ ٢٧٠ عند تفسير هذه الآية فقال: وهو قول أوس بن قيظي ومن كان على ذلك من رأيه ذكر ذلك في حديث ابن إسحاق أخرجه برقم ٢٨٣٨٠.

الأشهَبِ: «ثم سُولوا» برفعِ السين وسكونِ الواو مِنْ غير مَدٍّ ولا همزٍ. وقرأ الأعمَشُ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «ثم سِيلوا» بكسرِ السين ساكنةَ الياء مِنْ غير همزٍ ولا واوٍ. ومعنى: «سُئلوا الفتنة»، سُئِلوا فِعْلَها؛ والفِتنَةُ: الشِّركُ، ﴿لَآتَوْهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «لأتوها» بالقَصْرِ، أي: لَقصدُوها، ولَفعلُوها. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «لَآتَوْهَا» أي بالمَدِّ، لأعطَوها. قال ابنُ عباسٍ في معنى الآيَة: لو أنَّ الأحزابَ دخلوا المدينةَ ثم أمَرُوهم بالشِّركِ لأشرَكُوا. قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وما احتبَسُوا عن الإجابة إلى الكُفر إلاَّ قليلاً، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: وما تلبَّثوا بالمدينة بعد الإجابَةِ إلاَّ يسيراً حتى يُعذَّبوا، قاله السُّدِّيُّ. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقي في الآيَة قولاً عجيباً، وهو أنَّ الفِتنَةَ ها هنا: الحَربُ، والمعنى: ولو دُخِلَت المدينةُ على أهلِها مِنْ أقطارِها ثم سُئِلَ هؤلاءِ المنافقون الحربَ لأتَوها مُبادِرينَ، وما تلبَّثوا ـ يعني الجيوشَ الدَّاخلةَ عليهم بها ـ إلاَّ قليلاً حتى يُخرجُوهم منها؛ وإنما مَنَعَهُم مِنَ القتال معكَ ما قد تداخلهم مِنَ الشَّكِّ في دِينِكَ؛ قال: وهذا المعنى حَفِظتُه مِنْ كتاب الوَاقِدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ في وقتِ مُعاهدَتِهم ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم ناسٌ غابوا عن وَقعةِ بَدرٍ، فلمَّا عَلِموا ما أعطى اللَّهُ عزَّ وجلَّ أهلَ بدرٍ مِنَ الكرامة قالوا: لَئِنْ شهدنا قتالاً لَنُقاتِلَن، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنهم أهلُ العَقَبةِ، وهم سبعون رجلاً بايَعوا رسولَ الله ﷺ على طاعة الله تعالى ونُصرَةِ رسولِه، قاله مُقاتِلٌ[١]. **والثالث**: أنه لمَّا نزل بالمسلمين يومَ أُحدٍ ما نَزلَ، عاهدَ اللَّهَ تعالى مُعَتِّبُ بنُ قُشَيرٍ وثَعلَبَةُ بنُ حاطِبٍ: لا نُوَلِّي دُبُراً قطُّ، فلمَّا كان يومُ الأحزابِ نافقَا، قاله الوَاقِدي، واختاره أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وهو أليَقُ ممَّا قبله. وإذا كان الكلام في حقِّ المنافقين، فكيف يُطلَقُ القولُ على أهلِ العَقَبَةِ كلِّهم!

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة.

ثم أخبرَ أنَّ الفِرارَ لا يزيد في آجالِهم، فقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ بعد الفِرارِ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو باقي آجالِكم.

ثم أخبرَ أنَّ ما قدَّره عليهم لا يُدفَع، بقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: يُجيرُكم ويَمنعُكم منه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ وهو الإهلاكُ والهزيمةُ والبَلاءُ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ وهي النَّصرُ والعافيةُ والسَّلامةُ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لا يَجِدون مُوالياً ولا ناصراً يَمنعُهم مِنْ مُرادِ الله عزَّ وجلَّ فيهم.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

(١) المشهور عن أصحاب بيعة العقبة أنهم استقاموا على الإسلام؛ ومقاتل إن كان ابن سليمان فهو كذاب وإن كان ابن حيان فقد روى مناكير.

يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ
يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا
وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ في سبب نُزولِها قولان:

[١١٢٤] أحدهما: أنَّ رجلاً انصرفَ مِنْ عندِ رسول الله ﷺ يومَ الأحزابِ، فوجدَ أخاه لأبيه وأُمِّهِ وعنده شِواءٌ ونَبيذٌ، فقال له: أنتَ ها هنا ورسولُ الله بينَ الرِّماحِ والسيوفِ؟! فقال: هَلُمَّ إليَّ، لقد أُحيطَ بكَ وبصاحِبِكَ؛ والذي يُحلَفُ به لا يَستقبِلُها محمَّدٌ أبداً؛ فقالَ له: كَذبتَ، والذي يُحلَفُ به، أمَا واللَّهِ لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ بأمرِكَ، فذهبَ إلى رسولِ الله ﷺ لِيُخبِرَه، فوجدَهُ قد نزلَ جِبريلُ بهذه الآيةِ إلى قوله تعالى: ﴿يَسِيرًا﴾، هذا قولُ ابنِ زيدٍ.

[١١٢٥] والثاني: أنَّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ ومُعتِّبَ بنَ قُشَيرٍ والمنافقين الذين رَجعوا مِنَ الخَندقِ إلى المدينة، كانوا إذا جاءَهُم منافقٌ قالوا له: وَيحَكَ اجلِسْ فلا تخرُجْ، ويكتُبون بذلك إلى إخوانِهم الذين في العَسكَرِ أنِ ائتُونا بالمدينة فإنَّا ننتظِرُكُم ـ يُثبِّطونَهم عن القتال ـ وكانوا لا يأتون العَسكَرَ إلاَّ أنْ لا يجدوا بُدًّا، فيأتون لِيَرى الناسُ وجُوهَهُم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينةِ، فنزلت هذه الآية، قاله ابنُ السّائبِ.

والمُعَوِّقُ: المُثَبِّطُ؛ تقول: عاقَنِي فُلانٌ، واعتاقَني، وعَوَّقَني: إذا مَنعَكَ عن الوَجْهِ الذي تُريده. وكان المنافقون يُعوِّقون عن رسولِ الله ﷺ نُصَّارَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنه المنافقُ الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قولِ ابنِ زيدٍ. والثاني: أنهم اليهودُ دَعَوْا إخوانَهُم مِنَ المنافقين إلى تَرْكِ القتال، قاله مُقاتِلٌ. والثالث: أنهم المنافقون دَعَوْا المسلمين إليهم عن رسولِ الله ﷺ، حكاه المَاوَرْدِي. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي: لا يَحضُرون القتالَ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ للرِّياءِ والسُّمعَةِ مِنْ غير احتِسَابٍ، ولو كان ذلك القليل لله عزَّ وجلَّ لَكانَ كثيراً.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحَالِ. المعنى: لا يَأتون الحربَ إلاَّ تعذيراً، بُخلاً عليكُم. وللمُفسِّرين فيما شَحُّوا به أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أشِحَّةٌ بالخير، قاله مُجاهِدٌ. والثاني: بالنَّفقةِ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ. والثالث: بالغَنيمةِ، رُويا عن قَتادَةَ. وقال الزَّجَّاجُ: بالظَّفَرِ والغَنيمَةِ. والرابع: بالقتالِ معكم، حكاه المَاوَرْدِي.

ثـم أخبرَ عن جُبنِهم فقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ أي: إذا حَضـرَ القتـالُ ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: كَدورانِ عينِ الذي يُغْشَى عليه مِنَ الموت، وهو الذي دَنا موتُه

[١١٢٤] ضعيف. هذا مرسل، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم تابعي أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٥/ ٣٦٠. وانظر «تفسير القرطبي» ١٤/ ١٣٦.

[١١٢٥] عزاه المصنف لابن السائب وهو الكلبي، وتقدم مراراً أنه ممن يضع الحديث، فخبره لا شيء.

وغَشِيَتهُ أسبابُه، فإنه يخافُ ويَذهَلُ عقلُه ويَشخَصُ بَصرُه فلا يَطْرِفُ، فكذلك هؤلاءِ، لأنهم يخافونَ القتلَ. ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾ قال الفَرَّاءُ: يقول آذَوْكُم بالكلام في الأمْنِ ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ سَليطَةٍ ذَرِبةٍ، والعرب تقول: صَلقُوكُم، بالصاد، ولا يجوز في القراءة؛ هذا قولُ الفَرَّاءِ. وقد قرأ بالصاد أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني، وابنُ أبي عَبلَةَ في آخرين. وقال الزَّجَّاجُ: معنى «سلَقوكم»: خاطَبُوكُم أشدَّ مُخاطَبةٍ وأبلَغها في الغَنيمَةِ، يُقال: خطيبٌ مِسْلاقٌ: إذا كان بليغاً في خُطبَتِه ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: خاطَبُوكم وهم أشحَّةٌ على المالِ والغَنيمَةِ. قال قَتادَةُ: إذا كان وقتُ قِسمَةِ الغَنيمَةِ، بَسَطوا ألسِنتَهم فيكم، يقولون: أعطُونا فلستُم أحقَّ بها منَّا؛ فأمَّا عند البأسِ، فأجبَنُ قوم وأخذَلُهُ للحقِّ، وأمَّا عندَ الغَنيمَةِ، فأشَحُّ قوم. وفي المراد بالخير ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الغَنيمَةُ. **والثاني**: على المال أنْ يُنفقوه في سبيلِ الله تعالى. **والثالث**: على رسولِ الله ﷺ بظَفَرِه.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: هُمْ وإنْ أظهَروا الإيمانَ فليسوا بمؤمنين، لِنِفاقِهم ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال مُقاتِلٌ أي: أبطَلَ جِهادَهم، لأنه لم يكُنْ في إيمانٍ ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباطُ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾. ثم أخبرَ عنهم بما يدلُّ على جُبنِهم، فقال: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: يَحسَبُ المنافقون مِن شدَّةِ خوفِهم وجُبْنِهم أنَّ الأحزابَ بعد انهزامِهم وذهابِهم لم يذهبوا، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أي: يَرجِعُوا إليهم كَرَّةً ثانيةً للقتال ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: يَتمنَّوا لو كانوا في باديةِ الأعرابِ مِنْ خوفِهم، ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ أي: وَدُّوا لو أنَّهم بالبُعدِ منكم يسألون عن أخبارِكُم، فيقولون: ما فعلَ محمَّدٌ وأصحابُه، لِيَعرفوا حالَكُم بالاستِخبارِ لا بالمُشاهَدةِ، فَرَقاً وجُبناً؛ وقيلَ: بل يَسألون شَماتةً بالمسلمين وفَرَحاً بنكَباتِهم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ أي: لو كانوا يَشهَدون القتالَ معكم ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلاَّ رَمياً بالحجارة، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: إلاَّ رِياءً مِنْ غير احتِسابٍ، قاله مُقاتِلٌ.

ثم عابَ مَنْ تخلَّفَ بالمدينة بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قُدوةٌ صالحةٌ. والمعنى: لقد كان لكم به اقتِداءٌ لو اقتدَيتُم به في الصَّبرِ معه كما صَبَرَ يومَ أُحُدٍ حتى كُسِرَتْ رَباعِيَتُه وشُجَّ جَبينُه وقُتِلَ عمُّه، وواسَاكُم مع ذلك بنفسِه. وقرأ عاصِمٌ: «أُسوة» بضمِّ الألِفِ؛ والباقون بكسرِ الألِفِ؛ وهما لُغتانِ. قال الفَرَّاءُ: أهلُ الحِجازِ وأسَدٌ يقولون: «إسوة» بالكسرِ، وتَميمُ وبعضُ قَيسٍ يقولون: «أُسوة» بالضمِّ. وخصَّ اللَّهُ تعالى بهذه الأُسوةِ المؤمنين، فقال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ والمعنى أنَّ الأُسوَةَ برسولِ الله ﷺ إنما كانت لِمَنْ كان يَرجُو اللَّهَ واليوم الآخر وفيه قولان: **أحدهما**: يَرجو ما عندَهُ مِنَ الثواب والنَّعيمِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يخشى اللَّهَ عزَّ وجلَّ ويخشى البَعثَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: ذِكراً كثيراً، لأنَّ ذاكرَ اللَّهِ تعالى مُتَّبعٌ لأوامِره، بخلافِ الغافلِ عنه. ثم وصَفَ حالَ المؤمنين عند لقاءِ الأحزابِ، فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وفي ذلك الوَعدِ قولان: **أحدهما**: أنه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾[1] الآية: فلمَّا عايَنُوا البَلاءَ يومَئذٍ قالوا: هذا ما وَعَدَنا اللَّهُ ورسولُه، قاله ابنُ

---

(١) البقرة: ٢١٤.

عباسٍ، وقَتادَةُ في آخَرين. **والثاني**: أنّ رسولَ الله ﷺ وَعدَهُم بالنَّصرِ والظُّهورِ على مَدائِنِ كِسْرَى وقُصورِ الحِيْرَةِ، ذكره المَاوَرْدِي وغيرُه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني ما رَأوهُ ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ بوَعدِ الله تعالى ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمرِهِ.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولَين:

أحدهما: أنها نزلت في أنسِ بنِ النَّضرِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

[١١٢٦] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلِمٌ مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ قال: غابَ عمِّي أنسُ بنُ النَّضرِ عن قتالِ بَدْرٍ، فلمَّا قَدِمَ قال: غِبْتُ عن أوَّلِ قتالٍ قاتلَهُ رسولُ الله ﷺ المشركين، لَئِنْ أشهدَني اللّهُ عزَّ وجلَّ قتالاً لَيَرَيَنَّ اللّهُ ما أصنَعُ، فلمَّا كان يومُ أُحُدٍ انكشَفَ الناسُ، فقال: اللهُمَّ إنِّي أبرأُ إليكَ ممَّا جاء به هؤلاءِ، يعني المشركين، وأعتَذِرُ إليكَ ممَّا صَنعَ هؤلاءِ، يعني المسلمين؛ ثم مَشى بسيفِهِ، فلَقِيَهُ سعدُ بنُ مُعاذٍ، فقال: أي سَعدُ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ إني لأجِدُ رِيْحَ الجنَّةِ دونَ أُحُدٍ، وَاهاً لِريحِ الجنَّةِ. قال سَعدُ: فما استطعتُ يا رسولَ الله ما صَنَعَ؛ قال أنسٌ: فوجدنَاهُ بين القَتْلَى به بِضْعٌ وثمانونَ جِراحَةً، مِنْ ضربةٍ بسيفٍ، وطَعنةٍ برُمحٍ، ورَمْيَةٍ بسَهمٍ، قد مَثَّلوا به؛ قال: فما عرفناه حتى عَرفتْهُ أختُه بِبَنانِه؛ قال أنسٌ: فكنَّا نقول: أُنزلت هذه الآيةُ «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فيه وفي أصحابِه.

[١١٢٧] والثاني: أنها نزلت في طَلحَةَ بنِ عُبيدِ الله. رَوى النزَّالُ بنُ سَبْرةَ عن عليٍّ عليه السلام

[١١٢٦] صحيح. أخرجه البخاري ٢٨٠٥ و ٤٠٤٨ ومسلم ١٩٠٣ والترمذي ٣٢٠٠ والنسائي في «التفسير» ٤٢٢ و ٤٢٣ من حديث أنس، وليس فيه سبب النزول.

[١١٢٧] حسن بشواهده. أخرجه أبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر» ٥/ ٣٦٦، ولم أقف على إسناده، وللحديث شواهد مرفوعة إلى رسول الله ﷺ بلفظ «طلحة ممن قضى نحبه» وبألفاظ متقاربة منها: حديث جابر بن عبد الله أخرجه الترمذي ٣٧٣٩ والحاكم ٣/ ٣٧٦ من طرق عن الصلت بن دينار به. قال الحاكم: تفرّد به الصلت، وليس من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: الصلت واه. وحديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه الترمذي ٣٢٠٢ و ٣٧٤٠ وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٦٤ وابن ماجه ١٢٦ و ١٢٧ والطبري ٢٨٤٣١ من طريقين عن إسحاق بن يحيى الطلحي عن موسى بن طلحة عن معاوية مرفوعاً. وإسناده واهٍ لأجل إسحاق بن يحيى، قال أحمد والنسائي: متروك. وقال يحيى: لا يكتب حديثه. وحديث عائشة أخرجه ابن سعد ٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤ وأبو يعلى ٤٨٩٨ وأبو نعيم ١/ ٨٨ ومداره على صالح بن موسى، وهو متروك، وكذا قال الهيثمي في «المجمع» ٩/ ٤٨. وحديث عائشة أخرجه الحاكم ٣/ ٣٧٦ من وجه آخر عنها وفيه إسحاق بن يحيى متروك ليس بشيء. وحديث طلحة بن عبيد الله أخرجه الترمذي ٣٢٠٣ و ٣٧٤٢ وأبو يعلى ٦٦٣ والطبري ٢٨٤٣٠ =

أنهم قالوا له: حدِّثنا عن طَلحَةَ، قال: ذاكَ امرؤٌ نزلت فيه آيةٌ مِنْ كتاب الله تعالى: «فمنهم من قضى نَحبَهُ» لا حسابَ عليه فيما يَستقبِلُ. وقد جعلَ بعضُ المفسِّرين هذا القَدْرَ مِنَ الآية في طَلحَةَ، وأوَّلَها في أنس.

قال ابنُ جَريرٍ: ومعنى الآية: وَفَوْا اللَّهَ بما عاهَدُوهُ عليه. وفي ذلك أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنهم عاهدوا ليلةَ العَقَبةِ على الإسلام والنُّصرةِ. **والثاني**: أنهم قومٌ لم يَشهدوا بَدْراً، فعاهدوا اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنْ لا يتأخَّروا بعدَها. **والثالث**: أنهم عاهدوا أنْ لا يفِرُّوا إذا لاقَوْا، فَصَدَقُوا. **والرابع**: أنهم عاهدوا على البأساءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البأسِ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فمنهم مَنْ مات، ومنهم مَنْ ينتظر الموتَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: فمنهم مَنْ قضى عهدَهُ قُتِلَ أو عاشَ، ومنهم مَنْ ينتظر أنْ يقضيَهُ بقتالٍ أو صدق لقاءٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: فمنهم مَنْ قضى نَذْرَهُ الذي كان نَذَرَ، قاله أبو عُبيدَةَ. فيكون النَّحبُ على القول **الأول**: الأجَل؛ وعلى **الثاني**: العَهد؛ وعلى **الثالث**: النَّذر. وقال ابنُ قُتيبةَ: «قضى نحبه» أي: قُتِلَ، وأصلُ النَّحبِ: النَّذرُ، كأنَّ قوماً نَذَروا أنهم إنْ لَقُوا العدوَّ قاتَلوا حتى يُقتَلوا أو يَفتَحَ اللَّهُ عليهم، فقُتِلوا، فقيلَ: فلانٌ قَضَى نَحْبَهُ، أي: قُتِلَ، فاستعيرَ النَّحبُ مكانَ الأجَلِ، لأنَّ الأجَلَ وقعَ بالنَّحبِ، وكان النَّحبُ سبباً له، ومنه قيلَ: للعَطيَّةِ: «مَنٌّ»، لأنَّ مَنْ أعطى فقَدْ مَنّ. قال ابنُ عباسٍ: ممَّن قضى نَحْبَهُ: حمزةُ بنُ عبد المُطَّلبِ، وأنسُ بنُ النَّضرِ وأصحابُه. وقال ابنُ إسحاقَ: «فمنهم مَنْ قضى نحبَهُ» مَنِ استُشهِدَ يومَ بدرٍ وأُحُدٍ، «ومنهم من ينتظرُ» ما وَعدَ اللَّهُ مِنْ نصرِهِ، أو الشهادةِ على ما مضى عليه أصحابُه ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ أي: ما غَيَّروا العهدَ الذي عاهدوا ربَّهم عليه كما غيَّرَ المنافقون.

قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ وهم المؤمنون الذين صَدَقوا فيما عاهدوا اللَّهَ تعالى عليه ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بنَقْضِ العهدِ ﴿إِن شَآءَ﴾ وهو أنْ يُميتَهم على نِفاقِهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا، فيُخرجَهم مِنَ النِّفاق إلى الإيمان، فيَغفِرَ لهم.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني الأحزابَ، صَدَّهُم ومَنَعَهُم عن الظَّفَرِ بالمسلمين ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: لم يَشْفِ صدُورَهُم بِنَيْلِ ما أرادوا ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ أي: لم يَظفَرُوا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً، فخُوطِبوا على استعمالِهم ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالرِّيحِ والملائكةِ، ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ أي: عَاوَنوا الأحزابَ، وهم بَنو قُرَيظَةَ، وذلك أنهم نَقَضُوا ما بينهم وبين رسولِ الله ﷺ مِنَ العَهدِ، وصاروا مع المشركين يَداً واحدةً.

= من طريق موسى وعيسى ابني طلحة عنه. قال الترمذي: حسن غريب، وسمعت البخاري يحدث بهذا الحديث عن أبي كريب، ووضعه في كتاب «الفوائد». ورجاله رجال مسلم ولكن طلحة بن يحيى، وإن روى له مسلم، ووثقه غير واحد فقد قال يحيى القطان: لم يكن بالقوي. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو زرعة: صالح الحديث. وله شاهد مرسل أخرجه ابن سعد ٣/ ١٦٤ من طريق حصين عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. وهذا مرسل صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم، ليس له علة إلا الإرسال فهذا شاهد لما تقدم. الخلاصة: هو حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده، ومع ذلك في المتن غرابة وانظر «أحكام القرآن» ١٧٦٦ بتخريجنا وانظر «الصحيحة» ١٢٦.

وهذه الإشارةُ إلى قصَّتِهِم

[١١٢٨] ذَكرَ أهلُ العِلْمِ بالسِّيرة، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا انصرفَ مِنَ الخَندقِ وضعَ عنه اللأْمَةَ واغتَسلَ، فتبدَّى له جِبريلُ، فقال: ألاَ أراكَ وضعتَ اللأمَةَ، وما وَضعَتِ الملائكةُ سِلاحَهَا منذ أربعينَ ليلةً؟! إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يأمُرُكَ أنْ تسيرَ إلى بَني قُريظَةَ فإنِّي عامِدٌ إليهم فمُزلزِلٌ بهم حُصونَهُم، فدَعَا عليًّا رضي الله عنه فدفعَ لِواءَهُ إليه، وبعثَ بلالاً فنادى في الناس:

[١١٢٩] إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمُرُكم أنْ لا تُصلُّوا العَصرَ إلاَّ ببَني قُريظَةَ، ثم سار إليهم فحَاصَرَهُم خمسةَ عشرَ يوماً أشدَّ الحِصَارِ، وقيل: عشرين ليلةً.

[١١٣٠] فأرسَلُوا إلى رسولِ الله ﷺ: أَرْسِلْ إلينا أبا لُبَابَةَ بنَ عبدِ المُنذرِ، فأرسلَهُ إليهم، فشَاوَرُوهُ في أمرِهِم، فأشارَ إليهم بيدِه: إنه الذَّبحُ، ثُمَّ نَدِمَ فقال: خُنْتُ اللَّهَ تعالى ورسولَه، فانصرَفَ فارتَبطَ في المسجدِ حتى أنزلَ اللَّهُ تعالى توبتَهُ، ثم نزلوا على حُكمِ رسولِ الله ﷺ، فأمَّر بهم رسولُ الله محمَّدَ بنَ مَسْلمةَ، فكُتِفُوا، ونُحُّوا ناحيةً، وجُعلَ النساءُ والذُّرِّيةُ ناحيةً. وكلَّمَت الأوسُ رسولَ الله ﷺ أنْ يَهَبَهُم لهم، وكانوا حُلفاءَهُم، فجعلَ رسولُ الله ﷺ الحُكْمَ فيهم إلى سعدِ بنِ مُعاذٍ؛ هكذا ذَكرَ محمَّدُ بنُ سعدٍ.

[١١٣١] وحكى غيرُه: أنهم. نَزَلوا أوّلاً على حُكمِ سعدِ بنِ معاذٍ، وكان بينهم وبين قومِهِ حِلفٌ، فَرَجَوْا أنْ تأخذَهُ فيهم هَوادَةٌ، فحَكَمَ فيهم أنْ يُقتلَ كلُّ مَنْ جَرَت عليه المَوَاسِي(١)، وتُسبَى النساءُ

[١١٢٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤١٢٢ ومسلم ١٧٦٩ وأبو داود ٣١٠١ والنسائي ٢/ ٤٥ وابن سعد ٣/ ٤٢٥ كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أصيب سعد يوم الخندق، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام، وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وقد وَضَعْتَ السلاح، والله ما وضعتُهُ، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ: فأين، فأشار إلى بني قريظة. . . » الحديث راجع «المجمع» ١٠١٥٦ وما بعده وانظر «أحكام القرآن» ١٧٦٢ بتخريجنا.

[١١٢٩] صحيح. أخرجه البخاري ٩٤٦ و ٤١١٩ و ١٧٧٠ و ٣٧٩٨ والبغوي ٣٧٩٨ والطبراني ١٩/ ١٦٠ وابن حبان ١٤٦٢ من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لنا لما رجع من الأحزاب: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، ولم يُرَد منا ذلك فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم. لفظ البخاري.

[١١٣٠] أخرجه الطبري ٢٨٤٤٦ من طريق محمد بن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري مرسلاً، لكن لأصله شواهد.

[١١٣١] صحيح. أخرجه البخاري ٣٠٤٣ و ٣٨٠٤ و ٤١٢١ و ٦٢٦٢ ومسلم ١٧٦٨ ح ٦٤ وأبو داود ٥٢١٥ و ٥٢١٦ والنسائي في «الفضائل» ١١٨ وابن سعد ٣/ ٤٢٤ وأحمد ٣/ ٢٢ والطبراني ٥٣٢٣ والبيهقي ٦/ ٥٧ ـ ٥٨ و ٩/ ٦٣ وابن حبان ٧٠٢٦ والبغوي ٢٧١٨ من طرق عن شعبة به.

ـ وأخرجه مسلم ١٧٦٨ وأبو يعلى ١١٨٨ وابن حبان ٧٠٢٦ عن أبي خيثمة زهير بن حرب به.

ـ وأخرجه أحمد ٣/ ٢٢ عن عبد الرحمن بن مهدي به، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بعث إليه رسول الله ﷺ ـ وكان قريباً منه ـ فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك» قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية. قال: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك».

---

(١) أراد أن تقتل الرجال.

والذَّرَارِي، وتُقسَمَ الأموالُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد حكمتَ بحُكم الله تعالى مِنْ فوق سبعةِ أرْقِعةٍ»؟ وانصرفَ رسولُ الله ﷺ، وأمَرَ بهم فأُدخِلوا المدينةَ، وحُفِرَ لهم أُخدُودٌ في السُّوقِ، وجَلَسَ رسولُ الله ﷺ ومعه أصحابُه، وأُخرجُوا إليه فضُرِبَتْ أعناقُهم، وكانوا ما بين ستمائةٍ إلى سبعمائةٍ.

قوله تعالى: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ وقَتادةُ: مِنْ حُصونِهم؛ قال ابنُ قُتيبةَ: وأصلُ الصَّياصِي: قرونُ البَقرِ، لأنها تمتنعُ بها، وتَدفعُ عن أنفسِها؛ فقيلَ للحُصونِ: الصَّياصِي، لأنها تَمنَعُ، وقال الزَّجّاجُ: كلُّ قَرنٍ صِيصِيَةٌ، وصِيصِيَةُ الدِّيكِ: شَوكةٌ يتحصَّنُ بها.

قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أي: ألْقَى فيها الخوفَ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم المُقاتِلَةُ ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾ وقرأ ابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وتأسُرون» برفعِ السين ﴿فَرِيقًا﴾ وهم النساءُ والذَّرارِي، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ﴾ يعني عقارهم ومنازِلَهم ونَخِيلَهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ مِنَ الذهب والفضَّةِ والحُليِّ والعبيدِ والإماءِ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ أي: لم تطؤوها بأقدامِكم بَعْدُ، وهي مما سَنفتَحُها عليكم؛ وفيها أربعةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنها فارسُ والرُّومُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة، قاله عِكرمَةُ. **والثالث**: مكَّةُ، قاله قَتادةُ. **والرابع**: خَيْبَرُ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ السَّائبِ، وابنُ إسحاقَ، ومُقاتِلٌ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ . . . الآية.

[١١٣٢] ذكرَ أهلُ التفسير أنَّ أزواجَ النبيِّ ﷺ سألْنَهُ شيئاً مِن عَرَضِ الدنيا، وطَلَبْنَ منه زيادةً في

[١١٣٢] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧٩ وأبو يعلى ١٦٤ من طريق سماك بن حرب عن ابن عباس عن عمر مطوّلاً مع اختلاف في ألفاظه. وأخرجه البخاري ٨٩ ومسلم ١٤٧٩ والترمذي ٣٣٢٥ وأحمد ١/ ٣٣ والنسائي ٤/ ١٣٧ =

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٢٨٨: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضاً لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن.

النَّفقةِ، وآذَيْنَهُ بغَيْرَةِ بعضِهنَّ على بعضٍ، فآلَى رسولُ الله ﷺ شهراً، وصَعِدَ إلى غُرفةٍ له فمَكثَ فيها، فنزلت هذه الآيةُ،

[١١٣٣] وكُنَّ أزواجُه يومئِذٍ تسعاً: عائشةُ، وحَفصَةُ، وأمُّ حَبيبَةَ، وسَوْدَةُ، وأمُّ سَلَمَةَ، وصَفيَّةُ الخَيْبَرِيَّةُ، ومَيمُونَةُ الهِلاليَّةُ؛ وزَينَبُ بنتُ جَحشٍ، وجُوَيرِيَةُ بنتُ الحَارِثِ،

[١١٣٤] فنزلَ رسولُ الله ﷺ فعرَضَ الآيةَ عليهنَّ، فبدأ بعائشةَ، فاختارت اللَّهَ ورسولَهُ، ثم قالت: يا رسولَ الله لا تُخبِرْ أزواجَكَ أنِّي اخترتُكَ؛ فقال؛ «إنَّ اللَّهَ بَعثَني مُبلِّغاً ولم يَبْعَثْني مُتعنِّتاً». وقد ذكرتُ حديثَ التَّخييرِ في كتاب «الحدائق» وفي «المغني» بِطُولِهِ.

وفي ما خيَّرهُنَّ فيه قولان(١): **أحدهما**: أنه خَيَّرهُنَّ بين الطَّلاقِ والمقام معه، هذا قولُ عائشة رضيَ الله عنها. **والثاني**: أنه خَيَّرهُنَّ بين اختيارِ الدنيا فيُفارقهنَّ، أو اختيارِ الآخرة فيُمسِكهنَّ، ولم يُخيِّرهنَّ في الطَّلاقِ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ.

وفي سببِ تخييرِهِ إيَّاهُنَّ ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: أنهنَّ سألْنَهُ زيادةَ النَّفقةِ. **والثاني**: أنَّهنَّ آذَيْنَهُ بالغَيْرَةِ. والقولان مشهوران في التفسير. **والثالث**: أنه لمَّا خُيِّر بين مُلْكِ الدنيا ونعيمِ الآخرة فاختار الآخرةَ، أُمِرَ بتخيير نسائِه ليكنَّ على مِثْلِ حاله، حكاه أبو القاسِمِ الصَّيمري.

والمراد بقوله تعالى: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: مُتعةُ الطلاقِ. والمراد بالسَّراح: الطَّلاقُ، وقد ذَكَرنا ذلك في البقرة(٢). والمراد بالدَّارِ الآخرة. الجنَّةُ. والمُحْسِناتُ: المُؤْثِراتُ للآخرةَ.

قال المفسرون: فلمَّا اخْتَرنَه أثابَهُنَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ثلاثةَ أشياءَ: **أحدها**: التَّفضيل على سائرِ النساء بقوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾. **والثاني**: أنْ جَعلَهُنَّ أُمَّهاتِ المؤمنين. **والثالث**: أنْ حَظَرَ عليه طلاقَهُنَّ والاستبدالَ بهِنَّ بقوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾(٣). وهل أُبيحَ له بعدَ ذلك

= من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس عن عمر بنحوه.

[١١٣٣] أخرجه الطبري ٢٨٤٦١ عن قتادة مرسلاً، وله شواهد.

[١١٣٤] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٧٨ وأحمد ٣/٣٢٨ وأبو يعلى ٢٢٥٣ والبيهقي ٧/٣٨ من حديث جابر مطولاً.

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٥٢١: قال الماوردي: اختلف هل كان التخيير بين الدنيا والآخرة، أو بين الطلاق والإقامة عنده؟ على قولين للعلماء أشبههما بقول الشافعي الثاني، ثم قال: إنه الصحيح، وكذا قال القرطبي: اختلف في التخيير. قال الحافظ: والذي يظهر الجمع بين القولين، لأن أحد الأمرين ملزوم الآخر، وكأنهنّ خُيرن بين الدنيا فيطلقهنّ، وبين الآخرة فيمسكهن، وهو مقتضى سياق الآية.
ـ وقال القرطبي رحمه الله في «التفسير» ١٢/ ١٧٠: اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي ﷺ أزواجه على قولين: الأول: أنه خيرهن في البقاء على الزوجية أو الطلاق، قالته عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهري وربيعة. والثاني: أنه خيرهن بين الدنيا والآخرة، ذكره الحسن وقتادة، ومن الصحابة علي. والأول أصح لقول عائشة لما سئلت عن الرجل يخير امرأته، فقالت: قد خيّرنا رسول الله ﷺ، أفكان طلاقاً. ولم يثبت عن النبي ﷺ إلا التخيير المأمور بين البقاء والطلاق اهـ ملخصاً.
ـ والذي ذهب إليه القرطبي هو الصواب إن شاء الله تعالى، وحديث عائشة أخرجه البخاري ٥٢٦٢ و ٥٢٦٣ ومسلم ١٤٧٧ ح ٢٥ و ٢٦.

(٢) البقرة: ٢٣١. (٣) الأحزاب: ٥٢.

التَّزويجُ عليهنَّ؟ فيه قولان سيأتي ذِكْرُهما إنْ شاء اللّهُ تعالى.

قوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعصيةٍ ظاهرةٍ. قال ابنُ عباسٍ: يعني النُّشوزَ وسُوءَ الخُلُقِ ﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يُجعَلْ عذابُ جُرمِها في الآخرة كعذابِ جُرمَيْن، كما أنها تُؤتَى أجرَها على الطاعةِ مرَّتين. وإنما ضُوعِفَ عِقابُهنَّ، لأنهنَّ يُشاهِدْنَ مِنَ الزَّواجرِ الرَّادِعةِ ما لا يُشاهِدُ غيرُهنَّ، فإذا لم يَمتنِعنَ استحققْنَ تضعيفَ العذابِ، ولأنَّ في مَعصِيتِهنَّ أذىً لرسولِ الله ﷺ؛ وجُرمُ مَنْ آذى رسولَ الله ﷺ أكبرُ مِنْ جُرمِ غيرِه.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ أي: وكان عذابُها على الله عزَّ وجلَّ هَيِّناً. ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ أي: تُطِعْ، و ﴿أَعْتَدْنَا﴾ قد سبقَ بيانُه[1]، والرِّزقُ الكريمُ: الحَسَنُ، وهو الجنَّةُ.

ثُمَّ أظهَرَ فضيلَتَهنَّ على النساء بقوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لم يَقُلْ: كواحدةٍ مِنَ النساء، لأنَّ «أحداً» نفيٌ عامٌّ للمذكَّرِ والمؤنَّثِ والواحدِ والجماعةِ. قال ابنُ عباسٍ: يريد: ليس قَدْرُكُنَّ عندي مثل قَدْرِ غيرِكُنَّ مِنَ النساء الصَّالحاتِ، أنتُنَّ أكرَمُ عليَّ، وثوابُكُنَّ أعظَمُ ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾، فشَرَطَ عليهنَّ التقوى بياناً أنَّ فضيلَتَهنَّ إنَّما تكون بالتَّقوى، لا بنَفْسِ اتصالِهنَّ برسولِ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: لا تلِنَّ بالكلام ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: فجور؛ والمعنى: لا تَقُلْنَ قولاً يَجِدُ به منافقٌ أو فاجرٌ سبيلاً إلى مُوافقتِكُنَّ له، والمرأةُ مندوبةٌ إذا خاطبَتِ الأجانبَ إلى الغِلظَةِ في المَقالة، لأنَّ ذلك أبعدُ مِنَ الطَّمع في الرِّيبَةِ. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: صحيحاً عفيفاً لا يُطمِعُ فاجِراً. ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ إلاَّ أبانَ، وهُبَيرَةُ، والوليدُ بنُ مُسلِم عن ابنِ عامرٍ: «وقَرْنَ» بفتح القاف؛ وقرأ الباقون بكَسْرِها. قال الفَرَّاءُ: مَنْ قرأ بالفتح، فهو مِنْ قَرِرْتُ في المكان، فخُفِّفَتْ، كما قال: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[2]، ومَنْ قرأ بالكسرِ، فمِنَ الوَقارِ، يُقال: قِرَّ في منزلِكَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: مَنْ قرأ بالكَسرِ، فهو مِنَ الوَقارِ، يُقال: وَقَرَ في منزله يَقِرُ وَقُوراً. ومَنْ قرأ بنَصبِ القافِ جعلَهُ مِنَ القَرارِ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ: «واقْرَرْنَ» بإسكانِ القاف وبراءَيْنِ الأُولى مفتوحةٌ والثانية ساكنةٌ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ مثلَهُ، إلاَّ أنهما كَسَرا الراءَ الأولى.

قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: الأمرُ لهُنَّ بالتَّوقُّرِ والسُّكونِ في بُيوتِهنَّ وأنْ لا يَخْرُجْنَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ قال أبو عبيدة: التبرُّج: أن يُبرِزن محاسنهن. وقال الزجاج: التبرُّجُ: إظهارُ الزِّينة وما يُستَدْعَى به شَهوةُ الرَّجلِ. وفي ﴿ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها كانت بين إدريسَ ونُوحٍ، وكانت ألفَ سنةٍ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها كانت على عهدِ إبراهيمَ عليه السلامُ، وهو قولُ عائشةَ رضيَ اللّهُ عنها. **والثالث**: بين نُوحٍ وآدمَ، قاله الحَكَمُ. **والرابع**: ما بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السلام، قاله الشَّعْبيُّ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قِيلَ: «الأُولى»، لأنَّ كلَّ مُتقدِّمٍ أوَّلُ، وكلَّ متقدِّمَةٍ أُولَى، فتأويله: أنهم تَقدَّموا أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ.

وفي صِفةِ تبرجِ الجاهليَّةِ الأُولى ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرأةَ كانت تخرجُ فتمشي بين الرجالِ، فهو التَّبرُّجُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها مِشيةٌ فيها تَكسُّرٌ وتَغنُّجٌ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه التَّبختُرُ، قاله

---

(١) النساء: ٣٧. (٢) طه: ٩٧.

ابنُ أبي نَجِيحٍ. **والرابع**: أنَّ المرأةَ منهنَّ كانت تتَّخِذُ الدِّرعَ مِنَ اللؤلؤِ فتَلْبَسُه ثم تَمشِي وَسْطَ الطريق ليس عليها غيرُه، وذلك في زمنِ إبراهيمَ عليه السلام، قاله الكَلْبي. **والخامس**: أنها كانت تُلقي الخِمَارَ عن رأسِها ولا تَشُدُّه، فيُرى قُرْطُها وقلائِدُها، قاله مُقاتِلٌ. **والسادس**: أنها كانت تَلْبَس الثيابَ تبلغُ المالَ، لا تُواري جَسدَها، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ وفيه للمفسِّرين خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشِّركُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: الإثمُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: الشيطانُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: الشَّكُّ. **والخامس**: المعاصي، حكاهما المَاوَرْدِي. قال الزَّجَّاجُ: الرِّجسُ: كلُّ مُستَقذَرٍ مِنْ مأكُولٍ أو عملٍ أو فاحشَةٍ. ونصبُ «أهلَ البيت» على وَجْهَين: **أحدهما**: على معنى: أَعْنِي أهلَ البيتِ. **والثاني**: على النداءِ، فالمعنى: يا أهلَ البيتِ. وفي المراد بأهلِ البيتِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم نساءُ رسولِ الله ﷺ، لأنهنَّ في بيتِه، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ، وابنُ السَّائِبِ، ومُقاتِلٌ. ويُؤكِّدُ هذا القولَ أنَّ ما قبلَهُ وبعدَهُ مُتعلِّقٌ بأزواجِ رسولِ الله ﷺ. وعلى أرباب هذا القول اعتراضٌ، وهو أنَّ جمعَ المؤنَّث بالنون، فكيف قيلَ: «عنكم» «ويُطهركم»؟ فالجوابُ أنَّ رسولَ الله ﷺ فيهنَّ، فغلَّبَ المُذكَّر. **والثاني**: أنه خاصٌّ في رسولِ الله ﷺ وعليٍّ وفاطِمةَ والحسَنِ والحُسينِ رضوانُ الله عليهم، قاله أبو سعيدٍ الخُدْريُّ.

[١١٣٥] ورُوي عن أنسٍ وعائشةَ وأمِّ سَلَمَةَ نحوُ ذلك.

[١١٣٥] أصل الحديث. ورد عن جماعة من الصحابة.

١ ـ حديث أم سلمة، وله طرق متعددة: **الأول**: أخرجه الطحاوي في «المشكل» ٧٦٦ من طريق الأجلح عن شهر بن حوشب عن أم سلمة، وعبد الملك عن عطاء عن أم سلمة. وإسناده حسن في الشواهد، الأجلح هو ابن عبد الله، وثقه قوم، وضعفه آخرون، وقد تابعه عبد الملك بن أبي سليمان، وهو ثقة، لكن لم يسمع عطاء من أم سلمة. وأخرجه أحمد ٦/ ٣٠٤ والترمذي ٣٨٧٦ والطبراني ٢٣ (٧٦٩) عن زبيد بن الحارث عن شهر عن أم سلمة. وإسناده لين لأجل شهر. **الطريق الثاني**: أخرجه الطحاوي ٧٦٨ والطبري ٢٨٤٩٥ و ٢٨٤٩٧ من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد عن أم سلمة. وإسناده واهٍ لأجل عطية العوفي. **الطريق الثالث**: أخرجه الطحاوي ٧٦٥ و ٧٧٢ من طريق عمرة بنت أفعى عن أم سلمة. وإسناده ضعيف لجهالة عمرة. **الطريق الرابع**: أخرجه الطحاوي ٧٦٣ والطبري ٢٨٤٩٨ من طريق عبد الله بن وهب بن زمعة. وإسناده ضعيف، فيه خالد بن مخلد =

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٥٩٨: ثم الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...﴾**، فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالىٰ بعد هذا كله **﴿واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾** أي: واعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغيره واحد.
ـ وقال القرطبي رحمه الله في «التفسير» ١٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣: اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم؟
ـ فقال عطاء وعكرمة وابن عباس: هم زوجاته خاصة، لا رجلَ معهنّ.
ـ وقالت فرقة منهم الكلبي: هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة.
ـ والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال **﴿ويطهركم﴾** لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلِّب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهنّ، والمخاطبة لهنَّ، يدل عليه سياق الكلام اهـ ملخصاً.

والثالث: أنهم أهلُ رسولِ الله ﷺ وأزواجُه، قاله الضَّحَّاكُ. وحكى الزَّجَّاجُ أنهم نساءُ النبيِّ ﷺ والرجالُ الذين هم آلُهُ؛ قال: واللغةُ تدلُّ على أنها للنساءِ والرِّجالِ جميعاً، لقوله تعالى: ﴿عَنكُمُ﴾ بالميم، ولو كانت للنساءِ، لم يَجُزْ إلاَّ «عنكنّ» «ويُطهركنّ».

قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الشِّركِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مِنَ السُّوءِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: مِنَ الإِثمِ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ.

= القطواني، غير حجة، وموسىٰ بن يعقوب سيء الحفظ. **الطريق الخامس**: أخرجه الطحاوي ٧٦٢ والطبري ٢٨٥٠٢ والطبراني ٢٣ (٧٥٠). وإسناده ضعيف، فيه عنعنة الأعمش، وهو مدلس، وفيه جعفر بن عبد الرحمن البَجَلي، وهو شبه مجهول، حيث وثقه ابن حبان وحده. **الطريق السادس**: أخرجه الطبري ٢٨٤٩٦ من طريق سعيد بن زربي عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة. وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن زربي. ولفظه عند الترمذي: عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله قال: إنك إلى خير. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحس شيء روي في هذا الباب.

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه مسلم ٢٤٢٤ والطبري ٢٨٤٨٨ من طريقين عن محمد بن بشر عن زكريا به وإسناده غير قوي، فيه مصعب بن شيبة، فهو وإن روى له مسلم فقد ضعفه غير واحد، لذا لينه الحافظ في «التقريب» لكن لم ينفرد بهذا المتن. وأخرجه الحاكم ٣/ ١٤٧ من طريق عبيد الله عن زكريا به! وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي!، وليس كما قالا، فقد تفرد. وأخرجه البغوي ٣٨٠٤ من طريق الوليد بن شجاع عن يحيى بن زكريا به. ولفظه عند مسلم: قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

٣ ـ حديث واثلة بن الأسقع: أخرجه أحمد ٤/ ١٠٧ وفي «الفضائل» ٩٧٨ وابن أبي شيبة ١٢/ ٧٢ ـ ٧٣ وابن حبان ٦٩٧٦ والحاكم ٣/ ١٤٧ والطحاوي في «المشكل» ٧٧٣ والطبري ٢٨٤٩٤ من طرق عن الأوزاعي ثني شداد أبو عمار قال سمعت واثلة. . . بنحو الحديث المتقدم، وليس فيه ذكر أم سلمة أصلاً. وإسناده صحيح. شداد من رجال مسلم، وباقي الإسناد على شرط الشيخين، وقد صححه الحاكم على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: على شرط مسلم. وكرره الطبري ٢٨٤٩٣ من طريق كلثوم المحاربي عن شداد به، وإسناده حسن في الشواهد.

٤ ـ حديث عمرو بن أبي سلمة: أخرجه الترمذي ٣٧٨٧ والطبري ٢٨٤٩٩ والطحاوي في «المشكل» ٧٧١ من طريق يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة به. ورجاله ثقات معروفون غير يحيىٰ بن عبيد حيث قال الحافظ في «التقريب»: يحيىٰ بن عبيد عن عطاء، يحتمل أن يكون الذي قبله، وإلا فمجهول. وقال عن الذي قبله: يحيىٰ بن عبيد المكي، مولىٰ بني مخزوم، ثقة من السادسة. قلت: قد توبع على أكثر هذا المتن، دون لفظ «وجعل علياً خلفه» فقد تفرد به، وهو غريب.

٥ ـ حديث سعد بن أبي وقاص: أخرجه مسلم ٢٤٠٤ ح ٣٢ والترمذي ٢٩٩٩ و ٣٧٢٤ وأحمد ١/ ١٨٥ والنسائي في «الخصائص» ١١ والطحاوي في «المشكل» ٧٦١ من طرق عن حاتم بن إسماعيل عن بُكير بن مسمار عن عامر بن سعد عن سعد قال: لما نزلت هذه الآية **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾** دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي». لفظ مسلم والترمذي وغيرهما دون النسائي والطحاوي حيث ذكر في الحديث الآية التي في الأحزاب. وكرره النسائي ٥٤ والطبري ٢٨٥٠١ والحاكم ٣/ ١٠٨ من وجه آخر، وليس فيه ذكر الآية أصلاً، بل فيه «حين نزل الوحي» وإسناده صحيح.

الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وأصح متن وإسناد في هذا الباب حديث سعد ثم حديث واثلة ثم حديث أم سلمة لطرقه الكثيرة ثم حديث عائشة ثم حديث عمر بن أبي سلمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه تذكيرٌ لهنَّ بالنِّعَم. **والثاني**: أنه أمرٌ لهنَّ بحفظِ ذلك. فمعنى «واذكُرنَ»: واحفظْنَ ﴿مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن. وفي الحِكمَةِ قولان: **أحدهما**: أنها السُّنَّة، قاله قَتادةُ. **والثاني**: الأمرُ والنَّهيُ، قاله قتادةُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لُطفٍ بكُنَّ إذْ جعلكُنَّ في البيوت التي تُتلى فيها آياته ﴿خَبِيرًا﴾ بكُنَّ إذ اختارَكُنَّ لرسوله.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ في سببِ نُزولِها خمسةُ أقوالٍ:

[١١٣٦] **أحدها**: أنَّ نساءَ رسولِ الله ﷺ قُلْنَ: ما له ليس يُذكَرُ إلاَّ المؤمنون، ولا يَذكُرُ المؤمناتِ بشيءٍ؟! فنزلت هذه الآيةُ، رواه أبو ظَبيانَ عن ابنِ عباسٍ.

[١١٣٧] **والثاني**: أنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قالت: يا رسولَ الله يُذكَرُ الرجالُ ولا نُذكَرُ! فنزلت هذه الآيةُ، ونَزلَ قولُه تعالى: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾(١)، قاله مُجاهِدُ.

[١١٣٨] **والثالث**: أنَّ أُمَّ عُمارةَ الأنصاريَّةَ قالت: قُلتُ: يا رسولَ الله بأبي وأُمِّي ما بالُ الرِّجالِ يُذكَرون، ولا تُذكَرُ النساءُ؟! فنزلت هذه الآيةُ، قاله عِكرمَةُ. وذكر مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ أنَّ أُمَّ سَلَمةَ وأُمَّ عُمارةَ قالتا ذلك، فنزلت الآيةُ في قولِهما(٢).

[١١٣٩] **والرابع**: أنَّ الله تعالى لمَّا ذَكَر أزواجَ رسولِه دخلَ النساءُ المُسلماتُ عليهنَّ فقُلْنَ: ذُكِرْتُنَّ ولم نُذكَرْ، ولو كان فينا خيرٌ ذُكِرْنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادةُ.

[١١٤٠] **والخامس**: أنَّ أسماءَ بنتَ عُمَيسٍ لمَّا رَجعَتْ مِنَ الحَبشَةِ دخلت على نساءِ

[١١٣٦] إسناده ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨٥١٠ والطبراني ١٢/ ١٠٨ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف قابوس بن أبي ظبيان، وقال الهيثمي ٧/ ٩١: قابوس ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات اهـ. فالإسناد ضعيف. مع ذلك فهو شاهد لما بعده وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٩٨ بتخريجنا.

[١١٣٧] أخرجه الحاكم ٢/ ٤١٦ عن مجاهد عن أم سلمة ورجاله ثقات لكن رواية مجاهد عن أم سلمة مرسلة، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وأخرجه أحمد ٦/ ٣٠١ والنسائي في «التفسير» ٤٢٥ والطبري ٢٨٥١٢ من حديث أم سلمة وإسناده حسن رجاله ثقات، وورد من طرق كثيرة. وأخرجه النسائي ٤٢٤ والطبراني ٢٣/ ٢٦٣ من وجه آخر. وله شاهد هو الآتي.

[١١٣٨] أخرجه الترمذي ٣٢١١ من حديث أم عمارة، وقال حسن غريب اهـ. وسليمان بن كثير فيه ضعف، ومع ذلك هو شاهد لما قبله. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٩٩٧ بتخريجنا.

[١١٣٩] مرسل. أخرجه الطبري ٢٨٥٠٥ عن قتادة مرسلاً. وانظر ما تقدم.

[١١٤٠] ذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٧١ و «أسباب النزول» ٧٠٠ عن مقاتل بن حيان بدون إسناد، وهو مرسل، ومقاتل ذو مناكير، والصحيح ما تقدم.

---

(١) آل عمران: ١٩٥. (٢) الحجة بما تقدم.

رسولِ الله ﷺ فقالت: هل نَزلَ فينا شيءٌ مِنَ القرآن؟ قُلْنَ: لا، فأتَتْ رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله إنَّ النساءَ لَفِي خَيْبةٍ وخَسارٍ، قال: «ومِمَّ ذاكِ»؟ قالت: لأنهُنَّ لا يُذْكَرْنَ بخيرٍ كما يُذْكَرُ الرجالُ، فنزلت هذه الآيةُ، ذكره مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ.

وقد سبق تفسيرُ ألفاظِ الآية في مَواضِعَ(١).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾... الآية، في سبب نزولها قولان:

[١١٤١] **أحدهما**: أنَّ رسولَ الله ﷺ انطلَقَ يَخطِبُ زينبَ بنتَ جحشٍ لزيدِ بنِ حارثةَ، فقالت: لا أرضاهُ، ولستُ بناكِحَتِه، فقال رسولُ الله ﷺ: «بلى فانكِحِيه، فإنِّي قد رَضِيتُه لكِ»، فأبَتْ. فنزلت هذه الآيةُ. وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادةَ والجمهورِ. وذَكَر بعضُ المُفسِّرين أنَّ عبدَ الله بنَ جَحشٍ أخا زينبَ كَرِهَ ذلك كما كَرِهَتْهُ زينبُ، فلمَّا نزلت الآيةُ رَضِيا وسَلَّما. قال مُقاتِلٌ: والمراد بالمؤمنِ عبدُ الله بنُ جَحشٍ، والمُؤمنةِ زينبُ بنتُ جَحشٍ.

[١١٤٢] **والثاني**: أنها نزلت في أمِّ كُلثوم بنتِ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وكانت أوَّلَ امرأةٍ هاجرت، فوَهبَتْ نَفْسَها لرسولِ الله ﷺ، فقال: «قد قَبِلْتُكِ»، وزوَّجها زيدَ بنَ حارثةَ، فسَخِطَتْ هي وأخوها، وقالا: إنَّما أردنا رسولَ الله، فزوَّجها عبدَه؟! فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ زيدٍ. والأولُ عند المُفسِّرين أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي: حَكَما بذلك «أَنْ تَكُونَ» وقرأ أهلُ الكُوفةِ: «أن يكون» بالياء ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ وقرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو رَجاءٍ: «الخِيْرَةُ» بإسكانِ الياء؛ فجمع في الكناية في قوله تعالى: «لهم»، لأنَّ المراد جميعُ المؤمنين والمؤمنات، والخِيَرَةُ: الاختيارُ، فأعلَمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه لا اختيارَ على ما قضاه اللَّهُ ورسولُه.

[١١٤٣] فلمَّا زوَّجها رسولُ الله ﷺ زيداً مَكثَتْ عنده حيناً، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أتى منزلَ زيدٍ

[١١٤١] أخرجه الطبري ٢٨٥١٣ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف عطية بن سعد العوفي، ومن دونه مجاهيل، لكن لأصله شواهد، وأخرجه الطبري ٢٨٥١٥ عن قتادة مرسلاً.
ـ وأخرجه الدارقطني ٣/ ٣٠١ عن زينب بنت جحش بمعناه.

[١١٤٢] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٨٥١٧ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو معضل، ومع ذلك عبد الرحمن بن زيد متروك الحديث.

[١١٤٣] باطل بهذا اللفظ. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٨٠ ومن طريقه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٢٣ من =

(١) انظر البقرة: ٤٥، ١٠٩، ١٢٩، ١٨٤. وآل عمران: ١٧، ١٩١. والأنبياء: ٩١. والأحزاب: ٣١.

فنظر إليها وكانت بيضاءَ جميلةً مِنْ أتمِّ نساءِ قُريشٍ، فوقعت في قلبِه، فقال: «سُبحانَ اللَّهِ مُقلِّبِ القلوب»، وفَطِنَ زيدٌ، فقال: يا رسولَ الله ائذَنْ لي في طَلاقِها. وقال بعضُهم: أتى رسولُ الله ﷺ منزلَ زيدٍ، فرأى زينبَ، فقال: «سُبحانَ مُقلِّبِ القلوب»، فسمِعَتْ ذلك زينبُ، فلمَّا جاء زيدٌ ذكَرَتْ له ذلك، فعَلِمَ أنها قد وقعت في نفسِه، فأتاهُ فقال: يا رسولَ الله ائذَنْ لي في طلاقِها. وقال ابنُ زيدٍ: جاء

= طريق محمد بن عمر الواقدي عن عبد الله بن عامر الأسلمي عن محمد بن يحيى بن حبان مرسلاً. وإسناده ساقط له علل ثلاث: الأولى: الإرسال. الثانية: عبد الله بن عامر ضعيف الحديث. الثالثة: الواقدي متروك الحديث. والمتن باطل بهذا اللفظ، لا يليق بمقام النبي ﷺ مثل هذا.

ـ وورد نحوه عن عبد الرحمن بن زيد. أخرجه الطبري ٢٨٥١٩ وهذا معضل، وابن زيد متروك إذا وصل الحديث فكيف إذا أرسله.

ـ وورد نحوه عن مقاتل كما ذكر المصنف والحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف عن الثعلبي بدون إسناد. ومقاتل لا يحتج بما يتفرد به، فهو متهم بالوضع. وقد قال الحافظ في «الفتح»: وردت آثار أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين، لا ينبغي التشاغل بها.

ـ قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٣/٥٧٦: عهدنا إليكم عهداً لن تجدوا له ردّاً أن أحداً لا ينبغي أن يذكر نبياً إلا بما ذكره الله، لا يزيد عليه، فإن أخبارهم مروية، وأحاديثهم منقولة بزيادات تولاها أحد رجلين: إما غبي عن مقدارهم، وإما بدعي لا رأي له في برّهم ووقارهم فيدس تحت المقال المطلق الدواهي ولا يراعي الأدلة ولا النواهي ومحمد ﷺ ما عصى ربه قط. فلم يقع قط في صغيرة ـ حاشا لله ـ ولا ذنب كبير. وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. فأما قولهم: إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، حاشا لذلك القلب المطهّر من هذه العلاقة الفاسدة وإنما كان الحديث. . .

قلت: وهو الصواب في ذلك أن زينب كانت تفخر وتترفع على زيد بسبب أنها قرشية حسيبة نسيبة وهو مولى الأصل. . . فكان يشكوها لرسول الله ﷺ، والنبي ﷺ يقول له: «أمسك عليك زوجك» كما أخبر به القرآن ـ.

وقد أخرج مسلم ١٤٢٨ وابن سعد ٨/ ٨٢ والنسائي في «التفسير» ٤٣٠، عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكرها عليّ» قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمّر عجينها. قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها. فوليتها صدري ونكصت على عقبي. فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن. . . الحديث واللفظ لمسلم. فهذا هو الصحيح فعليك به.

وقال ابن العربي رحمه الله ٣/٥٧٨: وإنما كان الحديث أنها لما استقرت عند زيد جاءه جبريل: إن زينب زوجك، ولم يكن بأسرع أن جاءه زيد يتبرأ منها، فقال له: اتق الله، وأمسك عليك زوجك فأبى زيد إلا الفراق وطلّقها وانقضت عدتها، وخطبها رسول الله ﷺ على يدي مولاه زوجها. وأنزل الله القرآن المذكور فيه خبرهما، هذه الآيات. فقال: اذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه: أمسك عليك زوجك، واتق الله في فراقها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، يعني من نكاحك لها. وهو الذي أبداه لا سواه. وقد علم النبي ﷺ أن الله تعالى إذا أوحى إليه أنها زوجته لا بد من وجود هذا الخبر وظهوره، هذا يدلك على براءته من كل ما ذكره متسور من المفسرين، مقصور على علوم الدين. فإن قيل: فكيف يأمره بالتمسك بها، وقد علم أن الفراق لا بد منه؟ قلنا: هو صحيح للمقاصد الحسنة لإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة، إنه أراد أن يختبر منه ما لم يُعْلِمْه الله به من رغبته منها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهية فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها. ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلّق الأمر لمتعلّق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم فتيقنوه وتقبلوه.

قلت: هذا هو الصواب إن شاء الله، وكلام ابن العربي نفيس جداً، فتدبره والله الموفق.

رسولُ الله ﷺ إلى باب زيدٍ - وعلى الباب سِترٌ مِنْ شَعرٍ - فرفعت الرِّيحُ السِّترَ، فرأى زينبَ، فلمّا وقعت في قلبِه كرِهَتْ إلى الآخرِ، فجاء فقال: يا رسولَ الله أُريدُ فِراقَها، فقال: «اتَّقِ اللَّهَ». وقال مُقاتِلٌ: لمّا فَطِنَ زيدٌ لِتسبيحِ رسولِ الله ﷺ، قال: يا رسولَ الله ائذَنْ لي في طلاقِها، فإنَّ فيها كِبْراً، فهي تَعظَّم عليَّ وتُؤذيني بلسانِها، فقال له النبيُّ ﷺ: «أمسِكْ عليكَ زوجَكَ واتَّقِ اللَّهَ». ثم إنَّ زيداً طلَّقها بعد ذلك، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعِتقِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: في أمرِها فلا تُطلِّقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ أي: تُسِرُّ وتُضمِر في قلبِكَ ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مُظهِره؛ وفيه أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: حُبُّها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عهدُ عهِدَهُ اللَّهُ إليه أنَّ زينبَ ستكون له زوجةً، فلمّا أتى زيدٌ يشكوها، قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، وأخفى في نفسِه ما اللَّهُ مُبدِيه، قاله عليُّ بنُ الحُسينِ. **والثالث**: إيثارُهُ لطلاقِها، قاله قَتادةُ، وابنُ جُرَيجٍ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ الذي أخفاه: إنْ طلَّقها زيدٌ تزوَّجتُها، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه خَشيَ اليهودَ أنْ يقولوا: تزوَّجَ محمَّدٌ امرأةَ ابنِه، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه خَشيَ لَوْمَ الناس أنْ يقولوا: أَمَرَ رجلاً بطلاقِ امرأتِه ثم نكَحَها. قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ أي: أَوْلَى في كلِّ الأحوال. وليس المراد أنه لم يَخْشَ الله تعالى في هذه الحالِ ولكنْ لمّا كان لخَشيَتِه بالخَلْقِ نوعُ تَعلُّقٍ قيل له: اللَّهُ أحقُّ أنْ تخشى منهم.

[١١٤٤] قالت عائشةُ: ما نزلت على رسولِ الله ﷺ آيةٌ هي أشدُّ عليه مِنْ هذه الآية، ولو كَتَمَ شيئاً مِنَ الوحي لَكتَمَها.

فصل: وقد ذهب بعضُ العلماء إلى تنزيهِ رسولِ الله ﷺ مِنْ حُبِّها وإيثارِه طلاقَها. وإنْ كان ذلك

[١١٤٤] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٧ ح ٢٨٨ والترمذي ٣٢٠٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ وأحمد ٦/ ٢٤١ والطبري ٢٨٥٢٢ من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة مختصراً. وأخرجه الترمذي ٣٢٠٧ من طريق داود بن الزبرقان عن داود عن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مطولاً. وإسناده ضعيف جداً له علتان: الأولى: داود بن الزبرقان متروك الحديث. والثانية: الشعبي، وهو عامر بن شراحبيل عن عائشة منقطع. وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وله شاهد من حديث أنس أخرجه البخاري ٧٤٢٠. وله شاهد من مرسل الحسن أخرجه الطبري ٢٨٥١٨.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» ٨/ ٥٢٤: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعي ابنا. ووقوع ذلك في إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم. وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم. وقال ابن العربي: إنما قال عليه الصلاة والسلام لزيد **﴿أمسك عليك زوجك﴾** اختباراً لما عنده من الرغبة فيها أو عنها، وليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكرها علي» الحديث. وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب. لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه. وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله عز وجل يسّر الله له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرى.

شائعاً في التفسير. قالوا: وإنما عُوتِبَ في هذه القصة على شيئين: **أحدهما**: أنه أُخبِرَ بأنها ستكون زوجةً له، فقال لزيدٍ: «أمسِكْ عليكَ زوجَكَ» وكَتَمَ ما أخبرَهُ اللَّهُ تعالى به مِنْ أمرِها حياءً مِنْ زيدٍ أنْ يقول له: إنَّ زوجتَكَ ستكون امرأتي؛ وهذا يخرج على ما ذكرنا عن عليِّ بنِ الحُسينِ، وقد نَصَرَهُ الثَّعلَبي، والواحِدي. **والثاني**: أنه لمَّا رأى اتِّصالَ الخُصومةِ بين زيدٍ وزينبَ، ظَنَّ أنهما لا يَتَّفقان وأنه سَيُفارِقها، وأضمَرَ أنه إنْ طلَّقها تزوَّجتُها صِلةً لرَحِمِها، وإشفاقاً عليها، لأنها كانت بنتَ عمَّتِه أُمَيمةَ بنتِ عبدِ المُطَّلبِ، فعاتَبَهُ اللَّهُ تعالى على إضمارِ ذلك وإخفائِه حينَ قال لزيدٍ: «أمسِكْ عليكَ زوجَكَ»، وأراد منه أنْ يكون ظاهرُه وباطنُه عند الناس سواءً.

[١١٤٥] كما قيلَ له في قصة رجلٍ أراد قَتْلَهُ: هلاَّ أومأتَ إلينا بقَتْلِه؟ فقال: «ما ينبغي لنبيٍّ أنْ تكونَ له خائنةُ الأعيُنِ»، ذكر هذا القولَ القاضي أبو يَعلَى رحمةُ الله عليه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: الوَطَرُ كلُّ حاجةٍ لكَ فيها هِمَّةٌ، فإذا بَلَغها البالغُ، قيل: قد قضى وَطرَهُ. وقال غيرُه: قضاءُ الوَطَرِ في اللغة: بُلوغُ مُنتهى ما في النَّفسِ مِنَ الشيء، ثم صار عبارةً عن الطلاقِ، لأنَّ الرجلَ إنما يُطلِّق امرأتَهُ إذا لم يَبْقَ له فيها حاجةٌ. والمعنى: لمَّا قضى زيدٌ حاجتَهُ مِنْ نِكاحِها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، وإنَّما ذَكَرَ قضاءَ الوَطَرِ ها هنا ليُبيِّنَ أنَّ امرأةَ المُتَبنَّى تَحِلُّ وإنْ وَطِئَها، وهو قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾؛ والمعنى: زَوَّجْناكَ زينبَ ـ وهي امرأةُ زيدٍ الذي تبنَّيتَه ـ لكيلا يُظَنَّ أنَّ امرأةَ المُتبنَّى لا يحِلُّ نِكاحُها.

[١١٤٦] وروى مُسلمٌ في أفرادِهِ مِنْ حديث أنسِ بن مالكٍ قال: لمَّا انقضَتْ عِدَّةُ زينبَ قال رسولُ الله ﷺ لزيدٍ: «اذهَبْ فاذكُرْها عَلَيَّ»، قال زيدٌ: فانطلَقْتُ، فلمَّا رأيتُها عَظُمَتْ في صدري حتى ما أستطيعُ أنْ أنظُرَ إليها، لأنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَها، فولَّيتُها ظَهري، ونَكَصْتُ على عَقِبَي، وقلتُ: يا زينبُ، أرسَلَنِي رسولُ الله ﷺ يذكُرُكِ، قالت: ما أنا بصَانِعةٍ شيئاً حتى أُؤامِرَ(1) ربِّي، فقامت إلى مسجِدِها، ونَزلَ القرآنُ، وجاء رسولُ الله ﷺ فدخل عليها بغيرِ إذْنٍ.

وذَكَرَ أهلُ العلمِ أنَّ مِنْ خصائص رسولِ الله ﷺ أنه أُجيزَ له التَّزويجُ بغير مَهْرٍ ليَخلُصَ قَصْدُ

[١١٤٥] جيد. أخرجه أبو داود ٢٦٨٣ و ٤٣٥٩ والنسائي ٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦ والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٩١ ـ ٤٩٢ وأبو يعلى ٧٥٧ والبزار ١٨٢١ والدارقطني ٣/ ٥٩، والحاكم ٣/ ٤٥ والبيهقي ٧/ ٤٠ وفي «دلائل النبوة» ٥/ ٥٩ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٤/ ٧٠ ـ ٧١ من طرق عن أحمد بن المفضل به، جميعهم من حديث سعد بن أبي وقاص. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي؛ وهو حديث حسن. وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩: ورواه أبو داود وغيره باختصار، ورواه أبو يعلى والبزار ورجالهما ثقات! وفي الباب عن أنس: أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٦٠ ـ ٦١، وفيه الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨ ونسبه إلى الطبراني في «الأوسط» وأعله بالحكم بن عبد الملك. وعن سعيد بن المسيب مرسلاً، أخرجه ابن سعد ٢/ ١٤١ من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عنه.

[١١٤٦] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٢٨ والنسائي في «التفسير» ٤٣٠ والنسائي ٦/ ٧٩ وأحمد ٣/ ١٩٥ وأبو يعلى ٣٣٣٢ وابن سعد ٨/ ٨٢ من حديث أنس. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٠٠٣ بتخريجنا.

---

(1) أوامِر ربي: أستشيره وأستخيره.

زوجاتِه لله عزَّ وجل دونَ العِوَضِ، وليُخفِّفَ عنه، وأُجيزَ له التَّزويجُ بغيرِ وَليٍّ، لأنه مقطوعٌ بكفاءَتِه، وكذلك هو مُستَغْنٍ في نِكاحِه عن الشُّهودِ.

[١١٤٧] وكانت زينبُ تُفاخِرُ نساءَ النبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجكُنَّ أهلوكُنَّ وزوَّجني اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

﴿مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ قال قَتادةُ: فيما أحَلَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ له مِنَ النساء. قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ هي منصوبةٌ على المَصدرِ، لأنَّ معنى ﴿مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾: سَنَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ سُنَّةً واسعةً لا حَرَجَ فيها. والذين خَلَوا: هم النبيُّون؛ فالمعنى: أنَّ سُنَّةَ الله عزَّ وجل في التَّوسِعة على محمَّدٍ فيما فرضَ له، كَسُنَّتِه في الأنبياء المَاضِين. قال ابنُ السَّائِب: هكذا سُنَّةُ اللَّهِ في الأنبياء، كداودَ، فإنه كان له مائةُ امرأةٍ، وسليمانَ كان له سبعمائةِ امرأةٍ وثلاثمائةِ سُرِّيَّةٍ(١)، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي: قضاءً مَقضِيًّا. وقال ابنُ قُتيبة: «سُنَّةَ الله في الذين خَلَوا» معناه: لا حَرَجَ على أحدٍ فيما لم يَحْرُمْ عليه. ثم أثنى اللَّهُ تعالى على الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: لا يخافون لائِمَةَ الناس وقولَهم فيما أُحِلَّ لهم. وباقي الآية قد تقدَّمَ بيانُه(٢).

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال المُفسِّرون:

[١١٤٨] لمَّا تزوَّج رسولُ الله ﷺ زينبَ، قال الناسُ: إنَّ محمَّداً قد تزوَّج امرأةَ ابنِه، فنزلت هذه الآية. والمعنى: ليس بأَبٍ لزيدٍ فتَحْرُمَ عليه زوجتُه ﴿وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَن نَصبَهُ،

[١١٤٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٨٧ و ٧٤٢٠ و ٧٤٢١ والترمذي ٣٢١٢ و ٣٢١٣ والحاكم ٢/ ٤١٧ وأحمد ٣/ ١٥٠ والبيهقي ٧/ ١٦١ من حديث أنس رضي الله عنه.
ـ وهو عند مسلم ١٤٢٨ ح ٩٠ في إحدى الروايات دون باقي الروايات، عن أنس رضي الله عنه قال: جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: «اتق الله وأمسك عليك زوجك» قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه. قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات. واللفظ للبخاري.

[١١٤٨] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٠٧ من طريق داود بن الزبرقان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مطوّلاً. وإسناده ضعيف جداً له علتان: الأولى: داود بن الزبرقان متروك الحديث. الثانية: الشعبي، وهو عامر بن شراحيل عن عائشة منقطع. وضعفه الترمذي بقوله: غريب.
ـ قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٠٦: وقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ نهى أن يقال بعد هذا «زيد بن محمد» أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه ولد له القاسم، والطيب، والطاهر، من خديجة فماتوا صغاراً وولد له إبراهيم من مارية القبطيّة، فمات أيضاً رضيعاً. وكان له من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية وأم كلثوم، =

---

(١) عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو ممن يروي الإسرائيليات، فالله تعالى أعلم.
(٢) النساء: ٦.

فالمعنى: ولكنْ كانَ رسولَ الله عليه السلام، وكان خاتَمَ النَّبيِّين؛ ومَنْ رَفعَهُ، فالمعنى: ولكنْ هو رسولُ الله عليه السلام؛ ومَنْ قرأ: «خاتِمَ» بكسرِ التاء، فمعناه: وخَتَمَ النَّبيِّين؛ ومَنْ فَتحَها، فالمعنى: آخِر النَّبيِّين. قال ابنُ عباسٍ: يريد: لو لم أختِمْ به النَّبيِّين، لَجعلتُ له وَلَداً يكون بعدَهُ نبيًّا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال مُجاهِدٌ: هو أنْ لا تنسَاهُ أبداً. وقال ابنُ السَّائبِ: يُقال: «ذِكْراً كثيراً» بالصَّلواتِ الخَمسِ. وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ: هو التسبيحُ والتحميدُ والتهليلُ والتكبيرُ على كلِّ حالٍ. وقد روى أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[١١٤٩] «يقول ربُّكم: أنا معَ عبدي ما ذَكَرني وتحرَّكَتْ بي شَفتَاهُ».

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الأصيل: ما بينَ العَصرِ إلى الليل. وللمُفسِّرين في هذا التسبيحِ قولان: **أحدهما**: أنه الصَّلاةُ، واتَّفقَ أربابُ هذا القول على أن المراد بالتسبيحِ بُكْرَةً: صلاةُ الفجرِ. واختلفوا في صلاةِ الأصِيلِ على ثلاثةِ أقوالٍ: أحدها: أنها صلاةُ العَصرِ، قاله أبو العَالِيةِ، وقَتادةُ. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. الثالث: أنها الظُّهرُ والعَصرُ، قاله مُقاتِلٌ. **والقول الثاني**: أنه التسبيحُ باللسان، وهو قول: سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلاَّ اللهُ واللهُ أكبَرُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ في صلاةِ الله تعالى علينا خَمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها رَحمَتُه، قاله الحَسنُ. **والثاني**: مَغفِرتُهُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: ثَناؤهُ، قاله أبو العَالِيةِ. **والرابع**: كرامَتُه، قاله سُفيانُ. **والخامس**: بَرَكَتُه، قاله أبو عُبيدَةَ. وفي صلاةِ الملائكةِ قولان: **أحدهما**: أنها دُعاؤهُم، قاله أبو العَالِيةِ. **والثاني**: استغفارُهُم، قاله مُقاتِلٌ. وفي الظُّلُماتِ والنُّورِ ههنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الضَّلالةُ والهُدى، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: الإيمانُ والكُفرُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الجنَّةُ والنارُ، حكاه المَاورْدِي.

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ الهاءُ والميمُ كنايةٌ عن المؤمنين. فأمَّا الهاءُ في قوله تعالى: ﴿يَلْقَوْنَهُۥ﴾ ففيها قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ معناه تحيَّتُهم مِنَ الله يومَ يَلْقَونَهُ سلامٌ[١].

= وفاطمة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ثم ماتت بعده بستة أشهر اهـ.

[١١٤٩] جيد، أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٨٧ وابن ماجه ٣٧٩٢ وأحمد ٢/ ٥٤٠ والحاكم ١/ ٤٩٦ والبغوي في «التفسير» ١٠٤ كلهم من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن صحيح.

---

(١) هذا ما اختاره ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦١٠، ثم قال: وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم

[١١٥٠] روى صُهَيبٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّ الله تعالى يُسلِّم على أهل الجنَّةِ. والثاني: تحيَّتُهم مِنَ الملائكة يومَ يَلْقَون الله تعالى: سلامٌ، قاله مُقاتِلٌ. وقال أبو حمزةَ الثُّمالِيُّ: تُسلِّم عليهم الملائكةُ يومَ القيامة، وتُبشِّرهم حين يَخرجون مِنْ قُبورِهم. والثالث: تحيَّتُهم بينهم يومَ يَلْقَونَ ربَّهم: سلامٌ، وهو أنْ يُحيّي بعضُهم بعضاً بالسَّلام، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

والقول الثاني: أنَّ الهاءَ ترجعُ إلى مَلَكِ الموتِ، وقد سبق ذِكْرُه في ذِكْرِ الملائكة. قال ابنُ مسعودٍ: إذا جاء مَلَكُ الموت يَقبِضُ رُوحَ المؤمن قال له: ربُّكَ يُقرِئُكَ السَّلامَ. وقال البَراءُ بنُ عازِبٍ في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ قال: مَلَكُ الموتِ، ليس مؤمنٌ يَقبِضُ رُوحَهُ إلاَّ سَلَّم عليه. فأمَّا الأجرُ الكريمُ، فهو الحُسنُ في الجنَّةِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـٰذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾ أي: على أُمَّتِكَ بالبَلاغ ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنَّةِ لِمَنْ صَدَّقكَ ﴿وَنَـٰذِيرًا﴾ أي: مُنذِراً بالنارِ لِمَنْ كذَّبكَ، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى توحيدِه وطاعتِه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمرِه، لا أنكَ فعلْتَهُ مِن تلقاءِ نفسِكَ ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: أنتَ لِمَن اتَّبعكَ «سِراجاً»، أي: كالسِّراجِ المُضِيءِ في الظُّلمَةِ يُهتَدى به.

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ وهو الجنَّةُ.

[١١٥١] قال جابرُ بنُ عبدِ الله: لمَّا أُنزِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآياتُ، قالت

[١١٥٠] لم أقف عليه من حديث صهيب، ولا يصح، وإنما حديث صهيب فيه إثبات الرؤية دون السلام كذا أخرجه مسلم ١٨١ وغيره، وتقدم في سورة يونس.
وورد ما ذكره المصنف من حديث جابر بن عبد الله، وهو ضعيف. أخرجه ابن ماجه ١٨٤ والآجري في «الشريعة» ٦٢٦ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٥١٧ من طريق محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وإسناده ضعيف. وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» ٩١ والبيهقي في «البعث» ٤٩٣ من طريق العبّاداني به. وقال البوصيري في «الزوائد» أبو عاصم العبّاداني منكر الحديث قاله العقيلي. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٨ وقال: رواه البزار، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وهو ضعيف.

[١١٥١] لم أره مسنداً من حديث جابر، وتفرد المصنف بذكره، فهو لا شيء، وأصل الخبر صحيح دون ذكر نزول الآية، فقد ورد من حديث أنس بن مالك وليس فيه سبب نزول الآية في الأحزاب. أخرجه البخاري ٤١٧٢ و ٤٨٣٤ وأحمد ٣/ ١٧٣ من طريق شعبة. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ وأحمد ٣/ ١٢٢ و ١٣٤ والطبري ٣١٤٥٤ من طريقين عن همام به. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ والبيهقي ٥/ ٢١٧ من طريق شيبان. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٣ وأحمد ٣/ ١٩٧ من طريق معمر. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ والطبري ٣١٤٥٢ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣ من طريق سليمان بن طرخان. وأخرجه الطبري ٣١٤٥٣ من طريق سعيد بن أبي عروبة. كلهم عن قتادة =

بعضاً بالسلام، يوم يلقون الله في الدار الآخرة، واختاره ابن جرير. قلت: وقد يستدل بقوله تعالى: **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾**.

الصَّحابةُ: هَنيئاً لكَ يا رسولَ الله، فمَا لَنا؟ فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قد سبقَ في أوَّلِ السُّورةِ. قوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ قال العلماء: معناه لا تُجازِهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في كفايةِ شرِّهم؛ وهذا مَنسُوخٌ بآية السَّيفِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معنى «نَكَحْتُم» تزوَّجتُم(١). ومعنى «تَمَسُّوهنَّ» تَقربُوهن. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: «تُماسُوهُنَّ» بألِفٍ. قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ أجمع العلماءُ أنه إذا كان الطَّلاقُ قبلَ المَسِيسِ والخَلوَةِ فلا عِدَّةَ(٢)؛ وعندنا أنَّ الخلوَةَ تُوجِبُ العِدَّةَ

= به. وأخرجه ابن حبان ٣٧١ من طريق سفيان عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ قال: الحديبية. قال أصحابه: هنيئاً مريئاً فما لنا! فأنزل الله ﴿**ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ قال شعبة: فقدمت الكوفة فحدثت بهذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكر له فقال: أما ﴿**إنا فتحنا لك**﴾ فعن أنس، وأما هنيئاً مريئاً فعن عكرمة. وحديث عكرمة أخرجه الطبري ٣١٤٥٧ من طريق شعبة عن قتادة به. وليس فيه سبب نزول الآية في الأحزاب. وقد عزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٣ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه عن عكرمة. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٩٠٢ وعزاه إلى ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري وفيه سبب نزول الآية في الأحزاب... وبرقم ٩٠٣ وعزاه إلى البيهقي في «دلائل النبوة» عن الربيع بن أنس بنحوه.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦١١: هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة، منها: إطلاق النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها.

وقوله ﴿**المؤمنات**﴾ خرج مخرج الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله ٣/ ٦١٢: وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء إذا طلّقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً.

وقال الإمام الموفق في «المغني» ٩/ ٥٣٣: فأما الخلوة بالمرأة، فالصحيح أنها لا تنشر حرمة. وقد روي عن أحمد: إذا خلا بالمرأة، وجب الصّداق والعدة، ولا يحل له أن يتزوج أمها أو ابنتها. قال القاضي: هذا محمول على أنه حصل مع الخلوة الجماع، فيخرّج كلامه بقوله: لا يحرّمه شيء من ذلك إلا الجماع. وفي رواية عن أحمد. فأما تحريم أمها فبمجرد العقد، وأما تحريم ابنتها فبالدخول وقوله تعالى: ﴿**فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم**﴾ فأما مع خلّوه من ذلك، فلا يؤثر في تحريم الربيبة لما في ذلك من مخالفة قوله تعالى. وأما الخلوة بأجنبية. فلا تنشر تحريماً. لا نعلم في ذلك خلافاً.

وجاء في «المغني» ١١/ ١٩٧: العدة تجب على كل من خلا بها زوجها، وإن لم يمسها. وإن خلا بها ولم يصبها ثم طلّقها، فإن مذهب أحمد وجوب العدة عليها. وروي ذلك عن الخلفاء الراشدين، وزيد، وابن عمر وأصحاب الرأي والشافعي في القديم. وقال الشافعي في الجديد: لا عدّة عليها، لهذه الآية وهذا نص. ولأنها مطلقة لم تمس، فأشبهت من لم يخل بها. ولنا، إجماع الصحابة. فإنه من أرخى ستراً أو أغلق باباً، فقد وجب المهر، ووجبت العدة. وهذه قضايا اشتهرت ولم تنكر فصارت إجماعاً. وقد روي عن أحمد، أن الصداق لا يكْمل مع وجود المانع، فكذلك يخرّج في العدة. لأن الخلوة إنما إقيمت مقام المسيس، لأنها مظنة له، ومع المانع لا تتحقق المظنة. ولأن العدة تجب لبراءة الرحم. وأجمع أهل العلم على أن عدة الحرة =

وتُقرِّر الصَّداقَ، خلافاً للشَّافعيِّ رضيَ الله عنه. قوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ المراد به مَنْ لم يُسمّ لها مَهراً، لقوله تعالى: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[(١)]، وقد بيَّنَّا المُتعَةَ هنالك. وكان سعيدُ بنُ المُسيِّب وقَتادةُ يقولان: هذه الآيةُ مَنسُوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[(٢)]. قوله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي: مِنْ غيرِ إضرارٍ. وقال قَتادةُ: هو طلاقُها طاهراً مِنْ غيرِ جِماعٍ. وقال القاضي أبو يَعلَى: الأظهَرُ أنَّ هذا التسريحَ ليس بطلاقٍ، لأنه قد ذكَرَ الطَّلاقَ، وإنما هو بيان أنَّهُ لا سبيلَ له عليها، وأنَّ عليه تخليَتَها مِنْ يدِه وحِبالِه.

فصل: واختلف العلماء فيمَنْ قال: إنْ تزوَّجتُ فُلانةَ فهي طالِقٌ، ثم تزوَّجها؛ فعندنا أنها لا تَطلُقُ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ، وعائشةَ، والشَّافعيِّ، واستدلَّ أصحابُنا بهذه الآية، وأنه جَعلَ الطَّلاقَ بَعدَ النِّكاح. وقال سِماكُ بنُ الفَضلِ: النِّكاحُ عُقدةٌ، والطَّلاقُ يَحُلُّها، فكيف يَحلُّ عقدةً لم تُعقَدْ؟! فجُعلَ بهذه الكلمة قاضياً على «صَنعاءَ». وقال أبو حَنيفَةَ: يَنعقِدُ الطَّلاقُ، فإذا وُجِدَ النِّكاحُ وقعَ. وقال مالكٌ: ينعَقِدُ ذلك في خُصوصِ النساء، وهو إذا كان في امرأةٍ بعَينِها، ولا ينعقِدُ في عُمومِهنَّ. فأما إذا قال: إنْ ملَكتُ فُلاناً فهو حُرٌّ، ففيه عن أحمدَ روايتان[(٣)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ

= المسلمة غير ذات الحمل من وفاة زوجها أربعة أشهر وعشر، مدخولاً بها أو غير مدخول بها، سواء كانت كبيرة بالغة أو صغيرة لم تبلغ.

(١) البقرة: ٢٣٦. (٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) قال الإمام الموفق في «المغني» ٣/ ٤٨٨: وإذا قال: إن تزوجت فلانة، فهي طالق. لم تطلق إن تزوج بها، وإن قال: إن ملكت فلاناً فهو حرّ، فملكه صار حراً واختلفت الرواية عن أحمد، فعنه: لا يقع طلاق. روي هذا عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء، والحسن، وعروة، وجابر بن زيد، والشافعي، قال: وهو قول أكثر أهل العلم لما روي عن رسول الله ﷺ قال: «لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق فيما لا يملك، ولا طلاق لابن آدم فيما لا يملك». قال الترمذي: وهذا حديث حسن.
قال أحمد: هذا عن النبي ﷺ وعدةٍ من الصحابة. ولم نعرف لهم مخالفاً في عصرهم، فيكون إجماعاً.
والرواية الثانية عن أحمد: أنه يصح في العتق ولا يصح في الطلاق.
ـ وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره»١٣/ ١٨٠: استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿ثم طلقتموهن﴾ وبمهلة ثمّ على أن الطلاق لا يكون إلا بعد نكاح، وأن من طلّق المرأة قبل نكاحها وإن عينها، فإن ذلك لا يلزمه.
وقال هذا نيف على ثلاثين من صاحبٍ وتابعٍ وإمام. سمى الإمام البخاري منهم اثنين وعشرين. وقد روي عن النبي ﷺ: «لا طلاق قبل نكاح» ومعناه: أن الطلاق لا يقع حتى يحصل النكاح. وقال طائفة من أهل العلم: إن طلاق المعيّنة الشخص أو القبيلة أو البلد لازم قبل النكاح، منهم مالك وجميع أصحابه، وجمع عظيم من علماء الأمة. وإن قال: كل امرأة أتزوجها طالق وكل عبد أشتريه حرّ، لم يلزمه شيء.

أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ ذكر الله تعالى أنواعَ الأنكحةِ التي أحلَّها له، فقال: ﴿أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مُهورَهُنَّ، وهُنَّ اللَّواتي تزوَّجْتَهُنَّ بصَداقٍ ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الجَوارِي ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رَدَّهُ عليكَ مِنَ الكفَّارِ، كَصفيَّةَ وجُويرية، فإنه أعتقَهُما وتزوَّجَهُما ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ يعني نساءُ قُريشٍ ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ يعني نساءَ بَني زُهْرةَ ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة. قال القاضي أبو يَعلَى: وظاهر هذا يدلُّ على أنَّ مَنْ لم تُهاجِرْ معه مِنَ النساء لم يَحلَّ له نِكاحُها.

[١١٥٢] وقالت أمُّ هانئٍ: خَطَبني رسولُ الله ﷺ فاعتذرتُ إليه بعُذرٍ، ثم أنزلَ الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، قالت: فلم أكُنْ لأحِلَّ له، لأنِّي لم أُهاجِرْ معه، كنتُ مِنَ الطُّلَقاءِ؛ وهذا يدلُّ مِن مذهبِها أنَّ تخصيصَهُ بالمُهاجراتِ قد أوجَبَ حَظْرَ مَنْ لم تُهاجِرْ.

وذكرَ بعضُ المُفسِّرين: أنَّ شرطَ الهجرة في التَّحليلِ مَنسُوخٌ، ولم يُذكرْ ناسِخُه. وحكى المَاوَرديِ في ذلك قولين: **أحدهما**: أنَّ الهجرةَ شَرطٌ في إحلالِ النساء له على الإطلاق. **والثاني**: أنه شَرطٌ في إحلالِ قراباته المذكُوراتِ في الآية دونَ الأجنبيَّاتِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ أي: وأحلَلْنا لكَ امرأةً مؤمنةً ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا﴾ لكَ، ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أي: إنْ آثَرَ نِكاحِها ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي: خاصَّةً. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قال: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾، ولم يَقُلْ: «لك»، لأنه لو قال: «لك»، جازَ أنْ يُتوهَّمَ أنَّ ذلك يجوز لغيرِ رسولِ الله ﷺ كما جازَ في بناتِ العَمّ وبناتِ العَمَّاتِ. و«خالِصَةً» منصوبٌ على الحالِ. وللمفسِّرين في معنى «خالصةً» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرأةَ إذا وَهبتْ له نَفْسَها، لم يَلزَمْهُ صَداقُها دونَ غيره مِنَ المؤمنين، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، وسعيدُ بنُ المُسيِّبِ. **والثاني**: أنَّ له أنْ يَنكِحَها بِلاَ وليٍّ ولا مَهرٍ دونَ غيرِه، قاله

[١١٥٢] صدره صحيح، له شواهد، وعجزه ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢١٤ وابن سعد ٨/ ١٢١ والحاكم ٢/ ١٨٥ ـ ٢٢٤ و ٤/ ٥٣ والطبري ٢٨٥٤٦ والبيهقي ٧/ ٥٤ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦١٣ من طرق عن إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ به. وإسناده ضعيف جداً لأجل أبي صالح واسمه باذام، فقد ضعفه غير واحد، واتهمه بعضهم بالكذب. وصدر الحديث محفوظ، وهو كون النبي ﷺ خطبها، والوهن فقط في ذكره الآية وكلام أم هانئ عقب الحديث، حيث تفرّد بذلك أبو صالح. والحديث ضعفه ابن العربي جداً، وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح!! قلت: وصدره محفوظ، أخرجه مسلم ٢٥٢٧ وعبد الرزاق ٢٠٦٠٣ وأحمد ٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٥ وابن حبان ٦٢٦٨ من طريق معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني قد كبرت، ولي عيال، فقال رسول الله ﷺ «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده». وورد من مرسل الشعبي أخرجه ابن سعد ٨/ ١٢٠، وكرره من مرسل أبي نوفل.
الخلاصة: تبين من ذلك أن صدر الحديث محفوظ، والوهن فقط في عجزه. ولم يفرق الألباني في ذلك حيث أورد الحديث في «ضعيف سنن الترمذي» ٦٣٠، وقال: إسناده ضعيف جداً؟!!

قَتادَةُ. **والثالث**: خالِصَةً لكَ أنْ تملِكَ عقدَ نكَاحِها بلَفظِ الهِبَةِ دُونَ المؤمنين، وهذا قولُ الشَّافعيِّ، وأحمدَ.

وفي المرأةِ التي وَهبَتْ له نَفْسَها أقوالٌ:

[١١٥٣] **أحدها**: أُمُّ شَرِيكٍ.

[١١٥٤] **والثاني**: خَولَةُ بنتُ حكيمٍ.

[١١٥٥] ولم يدخل بواحدةٍ منهما.

[١١٥٦] وذكروا أنَّ ليلى بنتَ الخطيم وَهبَتْ نَفْسَها له فلم يَقبَلْهَا. قال ابنُ عباسٍ: لم يكُنْ عندَ رسولِ الله ﷺ امرأةٌ وَهبَتْ نَفْسَها له. وقد حُكي عن ابنِ عباسٍ أنَّ التي وَهبَتْ نفسَها له مَيمونَةُ بنتُ الحارثِ، وعن الشَّعْبِيِّ: أنها زينبُ بنتُ خُزيمَةَ. والأول: أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين غيرِكَ ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنْ لا يُجاوزَ الرجلُ أربعَ نسوةٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنْ لا يتزوَّجَ الرجلُ المرأةَ إلاَّ بوَليٍّ وشاهِدَين وصَدَاقٍ، قاله قَتادَةُ. قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: وما أبَحْنا لهم مِنْ مَلْكِ اليَمين مع الأربعِ الحَرائرِ مِنْ غيرِ عددٍ محصورٍ.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ هذا فيه تقديمٌ؛ المعنى: أحلَلْنا لكَ أزواجَكَ، إلى قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تُرْجِئ» مهموزاً؛ وقرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: بغيرِ همزٍ.

[١١٥٧] وسببُ نُزُولِها أنه لمَّا نزلت آيةُ التَّخييرِ المُتقدِّمةُ(١)، أشفَقْنَ أنْ يُطلِّقَنَ، فقُلْنَ: يا

[١١٥٣] مرسل. أخرجه الطبري ٢٨٥٦٠ عن عروة مرسلاً. وأخرجه الطبري ٢٨٥٥٧ عن الحكم أن علي بن الحسين كتب إلى عبد الملك قال: هي امرأة من الأسد يقال لها أم شريك، وهبت نفسها للنبي ﷺ. وانظر «الدر» ٥/ ٣٩٥.

[١١٥٤] خبر صحيح. أخرجه البخاري ٥١١٣ من طريق محمد بن سالم. وأخرجه البخاري ٤٧٨٨ ومسلم ١٤٦٤ والنسائي ٦/ ٥٤ وابن ماجه ٢٠٠٠ وأحمد ٦/ ١٨٥ والحاكم ٢/ ٤٣٦ وابن حبان ٦٣٦٧ والطبري ٢٨٥٧٤ والبغوي في «شرح السنة» ٢٢٦٢ من طرق عن هشام به. كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل! فلما نزلت: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. لفظ البخاري في الرواية الأولى.

[١١٥٥] ضعيف. أخرجه ابن سعد ٨/ ١١٩ عن ابن أبي عون مرسلاً قال: فلم يُسمع أن النبي ﷺ قبل منهن أحداً.

[١١٥٦] أخرجه ابن سعد ٨/ ١١٩ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ساقط لأجل الكلبي، فإنه متهم. وأخرجه ابن سعد ٨/ ١١٩ عن قتادة مرسلاً. وذكره ابن سعد ٨/ ٢٥٥ في ترجمة ليلى بنت الخطيم بدون عزو لأحد.

[١١٥٧] ضعيف. أخرجه ابن سعد ٨/ ١٥٨ والطبري ٢٨٥٦٧ و ٢٨٥٦٩ و ٢٨٥٧٢ من طريق منصور عن أبي رزين =

---

(١) الأحزاب: ٢٨.

نبيَّ الله، اجعَلْ لنا مِنْ مالِكَ ونفسِكَ ما شئتَ ودَعْنا على حالِنا، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو رَزِين.

وفي معنى الآيةِ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: تُطلِّق مَنْ تشاء مِنْ نسائِكَ، وتُمسِكُ مَنْ تشاء مِنْ نسائِكَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: تَترُكُ نِكاحَ مَنْ تشاء، وتَنْكِحُ مِنْ نساءِ أُمَّتِكَ مَنْ تشاء، قاله الحسَنُ. **والثالث**: تَعزِلُ مَنْ شِئتَ مِنْ أزواجِكَ فلا تأتيها بغيرِ طلاقٍ، وتأتي مَنْ تشاء فلا تَعزِلُها. قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: تَقْبَلُ مَنْ تشاء مِنَ المؤمنات اللواتي يَهَبْنَ أنفُسَهُنَّ، وتترُكُ مَنْ تشاء، قاله الشَّعْبيُّ، وعِكرِمَةُ. وأكثرُ العلماء على أنَّ هذه الآيةَ نزلت مُبيحةً لرسولِ الله ﷺ مُصاحَبةَ نسائِه كيف شاءَ مِنْ غيرِ إيجابِ القِسْمَةِ عليه والتَّسويةِ بينهنَّ. غير أنه كان يسوّي بينهن. وقال الزُّهري: ما عَلِمْنا رسولَ الله ﷺ أرجأَ منهنَّ أحداً، ولقد آوَاهنَّ كلَّهنَّ حتى مات.

[١١٥٨] وقال أبو رَزِينٍ: آوَى عائشةَ، وأمَّ سَلَمَةَ، وحَفْصَةَ، وزينبَ، وكان قَسْمُه مِنْ نَفْسِه ومالِه فيهنَّ سواءً. وأرْجأ سَوْدَةَ، وجُوَيرِيَّةَ، وصَفِيَّةَ، وأمَّ حَبِيبةَ، ومَيمُونَةَ، وكان يَقْسِم لهنَّ ما شاءَ. وكان أراد فِراقهنَّ فقُلنَ: اقْسِمْ لنا ما شِئتَ، ودَعْنا على حالِنا.

[١١٥٩] وقال قومٌ: إنه أرجأ سَوْدَةَ وحدَها لأنها وَهبَتْ يومَها لعائشةَ، فتُوفِّي وهو يَقْسِمُ لِثمانٍ.

قوله تعالى: ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ أي: تَضمُّ، ﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ أي: إذا أردتَ أنْ تُؤوي إليكَ امرأةً مِمَّن عَزَلتَ مِنَ القِسمَةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ أي: لا مَيْلَ عليكَ بلَوْم ولا عَتْبٍ ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ أي: ذلك التَّخييرُ الذي خيَّرناكَ في صُحبتهنَّ أقربُ إلى رِضاهنَّ. والمعنى: إنهنَّ اذا عَلِمنَ أنَّ هذا أمرٌ مِنَ الله تعالى، كان أطيبَ لأنفُسهنَّ. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْني: «أن تُقِرَّ» بضمِّ التاء وكَسرِ القاف «أعينَهنَّ» بنَصبِ النون. ﴿وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ أي: بما أعطيتَهُنَّ مِن تقريبٍ وتأخيرٍ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ مِنَ المَيْلِ إلى بعضِهنَّ. والمعنى: إنما خيَّرناكَ تسهيلاً عليكَ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ كلُّهم قرأ: «لا يَحِلُّ» بالياء، غيرَ أبي عمروٍ، فإنه قرأ بالتاء؛ والتأنيثُ ليس بحقيقيٍ، إنما هو تأنيثُ الجمع، فالقراءتانِ حسَنَتانِ. وفي قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ ثلاثةُ

= به، وهذا مرسل، فهو ضعيف. وأخرجه ابن سعد ٨/١٥٨ والطحاوي في «المشكل» ١/٤٥٦ عن مغيرة عن أبي رزين به أبو رزين هو مسعود بن مالك الأسدي، ـ أسد خزيمة ـ تابعي كبير.

[١١٥٨] انظر الحديث الذي قبله.

[١١٥٩] لم أره بهذا اللفظ، وخبر سودة دون ذكر هذه الآية. أخرجه الترمذي ٣٠٤٠ والطبري ١٠٦١٣ من حديث ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل فنزلت: **﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا...﴾** النساء: ١٢٨. قال الترمذي: هذا حديث غريب اهـ. وله شاهد من حديث عائشة أخرجه أبو داود ٢١٣٥ والبيهقي ٧/٤٧ وإسناده حسن صححه الحاكم ٢/١٨٦ ووافقه الذهبي، وليس فيه ذكر الآية. وعند أبي داود ٢١٣٨ من حديث عائشة «...وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها».

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٣١٥: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أصلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله، عندما نزلت الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن.

أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ بعد نسائِكَ اللواتي خيرتَهُنَّ فاخترنَ الله تعالى ورسولَه، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ في آخَرين، وهُنَّ التسعُ، فصارَ مقصوراً عليهنَّ ممنوعاً مِنْ غيرهنَّ. وذكر أهلُ العِلْمِ أنَّ طلاقَهُ لحَفصَةَ وعَزْمَهُ على طلاقِ سَوْدةَ كان قبلَ التَّخييرِ. **والثاني**: مِنْ بعد الذي أحلَلْنا لكَ، فكانت الإباحةُ بعد نسائِه مقصورةً على المَذكورِ في قوله تعالى: «إنا أحللنا لك أزواجك» إلى قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ قاله أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: لا تَحِلُّ لكَ النساءُ غيرُ المُسْلِماتِ كاليَهوديَّاتِ والنَّصرانيَّاتِ والمُشركاتِ، وتَحِلُّ لكَ المسلماتُ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ تُطلِّقَ زوجاتِكَ وتستبدِلَ بهنَّ سِواهنَّ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنْ تُبدِلَ بالمسلماتِ المُشركاتِ، قاله مُجاهِدٌ في آخَرين.

[١١٦٠] **والثالث**: أنْ تُعطيَ الرجلَ زوجتَكَ وتأخذَ زوجتَهُ، وهذه كانت عادةً للجاهلية، قاله أبو هُريرَةَ، وابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإمَاءَ. وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: إلاَّ أنْ تَملكَ بالسَّبْي، فيَحِلّ لكَ وَطْؤها وإنْ كانت مِنْ غيرِ الصِّنفِ الذي أحلَلْتُه لكَ؛ وإلى هذا أومأَ أُبيُّ بنُ كَعبٍ في آخَرين. **والثاني**: إلاَّ أنْ تُصيبَ يهوديَّةً أو نَصرانيَّةً فتطأها بمَلْكِ اليَمينِ، قاله ابنُ عباسٍ ومجاهد. **والثالث**: إلاَّ أنْ تُبدِّلَ أَمَتَكَ بأَمَة غيرِكَ، قاله ابنُ زيدٍ.

قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: وهذه الأقوالُ جائزةٌ، إلاَّ أنَّا لا نعلَمُ أنَّ رسولَ الله ﷺ نكحَ يهوديةً ولا نصرانيةً بتزويجٍ ولا مَلْكِ يمينٍ.

[١١٦١] ولقد سَبى رَيحانَةَ القُرَظِيَّةَ فلم يَدْنُ منها حتى أسلَمَتْ.

فصل: واختلف علماءُ الناسخِ والمَنسُوخِ في هذه الآيَة على قولين:

أحدهما: أنها مَنسُوخَةٌ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾، وهذا مَرويٌّ عن عليّ، وابنِ عباسٍ، وعائشةَ، وأمِّ سَلَمَةَ، وعليِّ بنِ الحُسينِ، والضَّحَّاكِ.

[١١٦٢] وقالت عائشةُ: ما مات رسولُ الله ﷺ حتى أُحِلَّ له النساءُ، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي:

[١١٦٠] باطل. هو صدر حديث. أخرجه البزار ٢٢٥١ «كشف» والدارقطني ٣/ ٢١٨ من حديث أبي هريرة، وفيه إسحق بن أبي فروة متروك الحديث. واتهمه الزهري، وهذا الحديث مما صنعت يداه، وهو باطل لا أصل له، وضعفه البزار جداً بقوله: إسحق لين الحديث، ولا نحفظه إلا عنه. ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦١٨. ونقل الآبادي عن الحافظ في «الفتح» قوله: ضعيف جداً اهـ. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٠٢٣.

[١١٦١] ضعيف. أخرجه ابن سعد ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٣ عن عمر بن الحكم مرسلاً.

[١١٦٢] ورد عن عائشة وعن أم سلمة. أما حديث عائشة فأخرجه الترمذي ٣٢١٦ والنسائي ٦/ ٥٦ وأحمد ٦/ ٤١ والحميدي ٢٣٥ وابن سعد ٨/ ١٤٠ والبيهقي ٧/ ٥٤ من طريق عمرو بن دينار عن عطاء عن عائشة، ورجاله رجال الشيخين فالإسناد صحيح إذا كان عطاء سمعه من عائشة، والظاهر أنه لم يسمعه منها كما سيأتي. وأخرجه الطبري ٢٨٥٩٤ من طريق ابن جريج عن عطاء عن عائشة. وأخرجه أحمد ٦/ ١٨٠ ـ ٢٠١ والنسائي ٦/ ٥٦ وفي «التفسير» ٤٣٥ وابن سعد ٨/ ١٤١ والطحاوي في «المشكل» ٥٢٢ وابن حبان ٦٣٦٦ والطبري ٢٨٥٩٨ والبيهقي ٧/ ٥٤ من طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به. ورجاله رجال البخاري ومسلم، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن سعد ٨/ ١٤٠ من طريق عطاء ومحمد بن =

يعني نساءَ جميع القبائل مِنَ المُهاجِراتِ وغيرِ المُهاجِراتِ.

والقول الثاني: أنها مُحكَمَةٌ؛ ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى أثابَ نساءَهُ حين اختَرنَهُ بأنْ قَصَرهُ عليهنَّ، فلم يُحِلَّ له غيرَهنَّ، ولم يُنسَخ هذا، قاله الحسَنُ وابنُ سِيرِينَ وأبو أُمامَةَ بنُ سَهلٍ وأبو بكرِ بنُ عبد الرَّحمنِ بنِ الحارثِ. **والثاني**: أنَّ المراد بالنساءِ هاهنا: الكافراتُ، ولم يَجُز له أنْ يتزوَّجَ كافرةً، قاله مُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعِكرِمَةُ وجابرُ بنُ زيدٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ﴾ الآية. في سبب نُزولِها ستةُ أقوالٍ:

[١١٦٣] **الأول**: أخرَجاه في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا تزوَّجَ زينبَ بنتَ جَحشٍ دَعا القومَ، فطَعِمُوا ثم جلسوا يتحدَّثون، فأخذَ كأنَّه يتهيَّأُ للقيام، فلم يَقُوموا، فلَما رأى ذلك قامَ وقامَ مِنَ القوم مَنْ قامَ، وقَعدَ ثلاثةٌ، فجاءَ رسولُ الله ﷺ فدخلَ فإذا القومُ جلوسٌ، فرجعَ، وإنَّهم قاموا فانطَلَقُوا، وجِئتُ فأخبرتُ النبيَّ ﷺ أنَّهم قد انطَلَقُوا، فجاءَ حتى دخلَ، وذهبتُ أدخلُ فألقَى الحِجابَ بيني وبينَهُ، وأنزلَ الله تعالى هذه الآية.

[١١٦٤] **والثاني**: أنَّ ناساً مِنَ المؤمنين كانوا يَتَحيَّنون طعامَ النبيِّ ﷺ فيدخُلون عليه قبلَ الطعام إلى أنْ يُدرِكَ، ثم يأكلون ولا يخرُجون، فكان رسولُ الله ﷺ يتأذَّى بهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١١٦٥] **والثالث**: أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ قال: قلتُ يا رسولَ الله! إنَّ نساءَكَ يدخلُ عليهنَّ البَرُّ

= علي عن عائشة، وفيه الواقدي متروك الحديث.

- وأما حديث أم سلمة، فقد أخرجه الطحاوي في «المشكل» ٥٢٤. وإسناده ساقط، فيه عمر بن أبي بكر الموصلي، وهو متروك. وأخرجه ابن سعد ٨/ ١٩٤ من وجه آخر، وفيه الواقدي متروك. الخلاصة: حديث عائشة قوي، وأما حديث أم سلمة، فهو واهٍ ليس بشيء. والجمهور على خلاف مذهب عائشة.

انظر «أحكام القرآن» ١٨٢٨ بتخريجنا.

[١١٦٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٢١ و ٦٢٣٩ و ٦٢٧١ ومسلم ١٤٢٨ والترمذي ٣٢١٨ و ٣٢١٩ والنسائي في «الكبرى» ١١٤١٦ و ١١٤٢٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٠٦ من حديث أنس.

[١١٦٤] ذكره البغوي هكذا بدون إسناد عن ابن عباس، ولم أره مسنداً.

- وورد نحوه عن الربيع بن أنس، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٤/ ٤٠٢.

[١١٦٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٢ و ٤٧٩٠ والنسائي في «التفسير» ٤٣٨ وابن حبان ٦٨٩٦ عن أنس عن عمر به، وأتم. ولم أره عن ابن عمر عن عمر، فالله أعلم.

والفاجرُ، فلو أمرتَهُنَّ أنْ يَختَجِبْنَ، فنزلت آيةُ الحِجَابِ، أخرجه البُخاريُّ مِنْ حديث أنسٍ، وأخرجه مُسلِمٌ مِنْ حديث ابنِ عمرَ، كلاهما عن عمرَ.

[١١٦٦] **والرابع**: أنَّ عُمَر أمَرَ نساءَ رسولِ الله ﷺ بالحِجابِ، فقالت زينبُ: يا ابنَ الخَطَّابِ، إنكَ لَتَغارُ علينا والوَحيُ ينزلُ في بيوتِنا؟! فنزلت الآيةُ، قاله ابنُ مسعودٍ.

[١١٦٧] **والخامس**: أنَّ عمرَ كان يقول لرسولِ الله ﷺ: أُحْجُبْ نساءَكَ، فلا يَفعلُ، فخرجت سَوْدَةُ ليلةً، فقال عمرُ: قد عَرفناكِ يا سَوْدَةُ ـ حِرصاً على أنْ ينزلَ الحِجابُ ـ فنزلَ الحِجابُ، رواه عِكرِمَةُ عن عائشةَ.

[١١٦٨] **والسادس**: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُطعِمُ معه بعضَ أصحابه، فأصابَتْ يدُ رجلٍ منهم يدَ عائشةَ، وكانت معهم، فكَرِهَ النبيُّ ﷺ ذلك، فنزلت آيةُ الحِجابِ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: أنْ تُدعَوا إليه[1] ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ أي: مُنتظِرينَ ﴿إِنَىٰهُ﴾. قال الزَّجَّاجُ: موضعُ «أن» نصبٌ؛ والمعنى: إلاَّ بأنْ يؤذَنَ أو لأنْ يؤذَنَ، و «غير» منصوبةٌ على الحالِ؛ المعنى: إلاَّ أنْ يُؤذَنَ لكم غيرَ منتَظِرِينَ. و «إِنَاهُ»: نُضجُه وبُلوغُه.

[١١٦٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨٦٢١ وفيه عطاء بن السائب، وهو صدوق، لكن اختلط، وهو بهذا اللفظ ضعيف، والصواب ما تقدم برقم ١١٦٣ و ١١٦٥. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٣٢ بتخريجنا.

[١١٦٧] أخرجه مسلم ٢١٧٠ ح ١٨ والطبري ٢٨٦١٩ من طريقين عن الزهري به. وأخرجه البخاري ٦٢٤٠ من طريق صالح بن كيسان عن الزهري به. وأخرجه البخاري ٥٢٣٧ ومسلم ٢١٧٠ من طريق علي بن مسهر عن هشام عن عروة به. وأخرجه البخاري ٤٧٩٥ ومسلم ٢١٧٠ والبيهقي ٧/ ٨٨ من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه به. وأخرجه مسلم ٢١٧٠ وأحمد ٦/ ٥٦ من طريق ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه به. وأخرجه أبو يعلى ٤٤٣٣ وابن حبان ١٤٠٩ من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن هشام بن عروة عن أبيه به. وهم جميعاً من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنهما. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٢٠: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟ قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت فقالت يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال: «**إنه قد أذن لَكُنَّ أن تخرجن لحاجتكن**».

[١١٦٨] ضعيف. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧٠٩ عن مجاهد مرسلاً، وصوّبه الدارقطني كما ذكر الحافظ في «تخريج الكشاف» ٣/ ٥٥. وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٤١٩ والبخاري في «الأدب المفرد» ١٠٥٣ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٢١ من حديث عائشة قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ حيساً، فمرّ عمر، فدعاه فأكل، فأصابت يده أصبعي، فقال: حس! لو أُطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب وهذا منقطع مجاهد لم يسمع من عائشة كما في مراسيل ابن أبي حاتم. ثم إن الخبر منكر.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٢٠: حظّر الله على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ﴿**إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه**﴾ لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه، قال: وهذا دليل على تحريم التطفيل، وهو الذي تسميه العرب: «الضيفن» اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ أي: فاخرُجوا. قوله تعالى: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ المعنى: ولا تَدخُلوا مُستأنِسِينَ، أي: طالِبي الأُنسِ لِحديثٍ، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكلِ فيَتحدَّثون طويلاً، وكان ذلك يُؤذِيه، ويَستحيي أنْ يقولَ لهم: قُوموا، فعلَّمهُم الله تعالى الأدبَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾ أي: لا يَترُكُ أنْ يُبيِّنَ لكم ما هو الحقُّ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا﴾ أي: شيئاً يُستمتَعُ به ويُنتفَعُ به مِنْ آلةِ المنزلِ ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ﴾ أي: سُؤالُكم إيَّاهُنَّ المَتاعَ مِنْ وراء حِجابٍ أطهرُ ﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ مِنَ الرِّيبَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما كان لكُم أذاهُ في شيءٍ مِنَ الأشياء. قال أبو عُبيدَةَ: «كان» مِنْ حروف الزَّوائدِ. والمعنى: ما لَكُم أنْ تُؤذوا رسولَ الله ﷺ ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾.

[١١٦٩] روى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، قال: كان رجلٌ مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ قال: لو تُوفِّي رسولُ الله ﷺ تزوَّجتُ عائشةُ، فأنزلَ الله تعالى ما أنزلَ.

[١١٧٠] وزعمَ مُقاتِلٌ أنَّ ذلك الرجلَ طَلحةُ بنُ عُبيدِ الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ يعني نِكاحَ أزواجِ رسولِ الله ﷺ ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ أي: ذنباً عظيمَ العُقوبةِ.

[١١٦٩] أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٥/ ٤٠٤ عن ابن عباس. وأخرجه البيهقي ٧/ ٦٩ من طريق مهران بن أبي عمر عن الثوري عنه: قال: قال رجل من أصحاب النبي ﷺ: لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة وأم سلمة، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...**﴾. وإسناده ضعيف لضعف مهران في روايته عن الثوري خاصة. وأخرج ابن سعد نحوه عن جويبر عن ابن عباس كما في «أسباب النزول» للسيوطي ٩٢٠ وليس فيه ذكر عائشة. سكت عليه السيوطي، لأن جويبراً مكشوف الحال، فهو متروك الحديث. وورد من مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ٨٢٦٢٣ وابن زيد ليس بشيء. وأخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٣٧٢ عن قتادة مرسلاً. الخلاصة: هذه المراسيل مع الموصول عن ابن عباس تتأيد بمجموعها، ويعلم أن لهذا الخبر أصلاً فهو حسن، أو يقارب الحسن، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٣٨ بتخريجنا.

[١١٧٠] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية. وورد من مرسل أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوجت عائشة. وفيه الواقدي ساقط الحديث متروك، فلا فائدة من هذا الشاهد. وبكل حال لا يحتج بالضعاف في هذا المقام على أن الحافظ ابن حجر ذكر هذا في «الإصابة» ٢/ ٢٣٠ وقال: طلحة بن عبيد الله بن مسافع، يقال هو الذي نزل فيه ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا...**﴾ وذكره أبو موسى في «الذيل» عن ابن شاهين بغير إسناد، وقال: إن جماعة من المفسرين غلطوا، فظنوا أنه طلحة بن عبيد الله أحد العشرة اهـ. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٤/ ٢٠٢: وقال ابن عطية: وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله. قال شيخنا أبو العباس: وقد حكي هذا القول عن فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله، وإنما الكذب في نقله، وإنما يليق هذا القول بالمنافقين الجهال. اهـ.

قلت: وكون المراد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وفارس أحد باطل مفترى، وإن كان أحد المنافقين فهو محتمل حيث ورد من وجوه. وهذه الألفاظ إن صحت يكن قائلها منافقاً، ولا يقولها مسلم.

وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٢١ و«فتح القدير» ٢٠٢٧ بتخريجنا و«الدر» ٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قيلَ: إنها نزلت فيما أبداهُ القائلُ: لَئِنْ مات رسولُ الله ﷺ لأتزوَّجَنَّ عائشةَ[1]. قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾. قال المُفسِّرون:

[١١٧١] لمَّا نزلت آيةُ الحجابِ، قال الآباءُ والأبناءُ والأقاربُ لرسول الله ﷺ: ونحن أيضاً نُكلِّمُهُنَّ مِن وراءِ حجابٍ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾ أي: في أنْ يَرَوْهُنَّ ولا يحتجِبْنَ عنهم، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني نساءَ المؤمنين، لأنَّ نساءَ اليهودِ والنَّصارى يَصِفْنَ لأزواجِهِنَّ نساءَ رسول الله ﷺ إنْ رأينَهُنَّ.

فإنْ قيلَ: ما بالُ العَمِّ والخالِ لم يُذكَرا؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: لأنَّ المرأةَ تَحِلُّ لأبنائِهما، فكرِهَ أنْ تضعَ خِمارَها عند عمِّها وخالِها، لأنهما يَنعتانِها لأبنائِهما، هذا قولُ الشَّعبيّ وعِكرمَةَ. **والثاني**: لأنهما يجريان مَجرى الوالِدَين فلم يُذكَرا، قاله الزَّجَّاجُ.

فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه أراد الإماءَ دونَ العبيد، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: أنه عامٌّ في العبيد والإماءِ. قال ابنُ زيدٍ: كُنَّ أزواجُ رسولِ الله ﷺ لا يَحتجِبْنَ مِن المَماليكِ. وقد سبق بيانُ هذا في سُورةِ النُّورِ[2].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ أي: أنْ يراكُنَّ غيرُ هؤلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: لم يَغِبْ عنه شيءٌ.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ في صلاةِ الله وصلاةِ الملائكة أقوالٌ قد تقدَّمَتْ في هذه السُّورةِ[3].

قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾. قال كَعْبُ بنُ عُجْرَةَ:

[١١٧٢] قُلنا: يا رسولَ الله قد عَرَفنا التَّسليمَ عليكَ، فكيف الصلاةُ عليكَ؟ فقال: قولوا: «اللهُمَّ

[١١٧١] لم أره مسنداً، وإنما عزاه المصنف للمفسرين، وهو خبر واهٍ، شبه لا شيء، لخلوه عن الإسناد.
[١١٧٢] صحيح. أخرجه البخاري ٣٣٧٠ و ٤٧٩٧ و ٦٣٥٧ ومسلم ٤٠٦ وأبو داود ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ والترمذي ٤٨٣ والنسائي ٣/ ٤٧ وابن ماجه ٩٠٤ والشافعي ١/ ٩٢ والحميدي ٧١١ و ٧١٢ وعبد الرزاق ٣١٠٥ وأحمد =

---

(١) انظر الحديث المتقدم برقم ١١٦٩.
(٢) النور: ٣١. (٣) الأحزاب: ٤٣.

صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صَلَّيتَ على آل إبرَاهيمَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ، وبارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكْتَ على آلِ إبراهيمَ، إنكَ حميدٌ مجيدٌ»، أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ. ومعنى قولِهِ قد عَلِمْنَا التَّسليمَ عليكَ: ما يُقال في التشهُّدِ: «السَّلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبَركاتُه». وذهبَ ابنُ السَّائبِ إلى أنَّ معنى التَّسليم: سَلِّمُوا لِمَا يأمُركُم بِهِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١١٧٣] **أحدها**: في الذين طَعَنوا على رسولِ الله ﷺ حين اتَّخذَ صَفيَّةَ بنتَ حُيَيّ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: نزلت في المُصَوِّرين، قاله عِكرمَةُ.

والثالث: في المشركين واليهودِ والنَّصارى، وَصَفُوا اللهَ تعالى بالوَلَدِ وكذَّبوا رسولَهُ وشَجُّوا وَجهَهُ وكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وقالوا: مَجنونٌ شاعرٌ ساحرٌ كذَّابٌ. ومعنى أذَى اللهِ: وَصْفُهُ بما هو مُنزَّهٌ عنه[١]،

= ٤/ ٢٤٤ وإسماعيل القاضي ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ وابن الجارود ٢٠٦ وابن حبان ٩١٢ والطبراني ١٩/ ١١٦ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ والبيهقي ٢/ ١٤٧ من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة به. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٤٤ بتخريجنا.

فائدة: قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «جلاء الأفهام» ص ١١٨ ـ ١٢٦ ما ملخصه: واختلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال:

ـ فقيل: هم الذين حُرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

ـ أحدها: أنهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في رواية.

ـ والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية عن أحمد، واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

والثالث: أنهم بنو هاشم، ومن فوقهم إلى غالب، فيدخل بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، وهذا اختيار أشهب من أصحاب مالك.

ـ قال: وهذا القول في الآل ـ أعني الذين تحرم عليهم الصدقة ـ هو منصوص الشافعي وأحمد والأكثرين، وهو اختيار أصحاب أحمد والشافعي.

ـ والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في «التمهيد». . .

ـ والقول الثالث: أن آله أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم، ورجحه النووي في «شرح مسلم».

ـ والقول الرابع: أن آله هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين والراغب وجماعة.

ـ ثم ذكر ابن القيم رحمه الله أدلة أصحاب هذه الأقوال وعقب ذلك بقوله: والصحيح هو القول الأول، ويليه الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان اهـ.

ـ وقال النووي كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٣٥: إذا صُلِّي على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: «صلى الله عليه» فقط، ولا: «عليه السلام». وقال ابن كثير: وهذا منتزع من الآية الكريمة فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليماً.

[١١٧٣] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٢٨٦٤١ عن ابن عباس برواية عطية العوفي، وهو واهٍ، وعنه مجاهيل.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٤/ ٢١١: اختلف العلماء في أذية الله بماذا تكون؟ فقال الجمهور من العلماء: معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك إليه، ووصفه بما لا يليق به، كقول اليهود لعنهم الله: =

وعصيانه؛ ولَعنُهم في الدنيا: بالقَتْلِ والجَلاءِ، وفي الآخرة: بالنَّارِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ في سببِ نُزولها أربعةُ أقوالٍ:

[١١٧٤] **أحدها**: أنَّ عمرَ بنَ الخَطَّابِ رأى جاريةً مُتبرِّجةً فضرَبها، وكَفَّ ما رأى مِنْ زينتِها، فذهبت إلى أهلِها تَشكُو، فخرجوا إليه فآذَوْه، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

[١١٧٥] **والثاني**: أنها نزلت في الزُّناةِ الذين كانوا يمشون في طُرقِ المدينة يَتبعون النساءَ إذا برزْنَ بالليلِ لِقضاءِ حوائجهنَّ، فيرونَ المرأةَ فيدنُونَ منها فيَغمِزُونَها، وإنما كانوا يُؤذُونَ الإماءَ، غيرَ أنه لم تكُن الأمَةُ تُعرَفُ مِنَ الحُرَّةِ، فشَكَونَ ذلك إلى أزواجِهنّ، فذكَروا ذلك لرسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيُّ.

[١١٧٦] **والثالث**: أنها نزلت فيمَنْ تكلَّم في عائشةَ وصفوانَ بنِ المُعطَّلِ بالإفكِ، قاله الضَّحَّاكُ.

[١١٧٧] **والرابع**: أنَّ ناساً مِنَ المنافقين آذَوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: يَرمُونَهم بما ليس فيهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

[١١٧٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٦ برواية عطاء عن ابن عباس بدون سند تعليقاً ـ قلت: وتفرد الواحدي بذكره من غير إسناد، فهو لا أصل له لخلوه عن الإسناد، ولم يذكره الواحدي في «الوسيط» ولا رأيت من أخرجه غيره، فهو لا شيء.

[١١٧٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون إسناد.

[١١٧٦] ضعيف جداً. ذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٩٢٢ قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس.

[١١٧٧] باطل، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٧ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل ممن يضع الحديث، والمتن باطل.

وقالت اليهود يد الله مغلولة. والنصارى: المسيح ابن الله والمشركون: الملائكة بنات الله. وفي صحيح البخاري قال الله تعالى: «كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك...».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال الله تبارك وتعالى: «يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما». وقال عكرمة: معناه بالتصوير والتعرض لفعل لا يفعله إلا الله بنحت الصور وغيرهما. قلت: وهذا مما يقوي قول مجاهد في المنع من تصوير الشجر وغيرهما، إذ كل ذلك صفة اختراع وتشبّه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى. وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف، تقديره: يؤذون أولياء الله اهـ. قلت: وأخرج الطبري ٢٨٦٤٠ عن عكرمة قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ الآية. سبب نزولها:

[١١٧٨] أنَّ الفُسَّاقَ كانوا يُؤذونَ النساءَ إذا خرجْنَ بالليل، فإذا رَأَوا المرأة عليها قِناعٌ تركُوها وقالوا: هذه حُرَّةٌ، وإذا رأَوها بغيرِ قِناعٍ قالوا: أَمَةٌ، فآذَوها، فنزلت هذه الآيةُ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: يَلْبَسْنَ الأرْدِيةَ. وقال غيرُه: يُغَطِّينَ رُؤوسَهنَّ ووجُوهَهنَّ ليُعلَمَ أنهنَّ حَرائرُ ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ أي: أحرَى وأقربُ ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ أنهنَّ حَرائرُ ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾. قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ أي: عن نِفاقِهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: فُجورٌ، وهم الزُّناةُ ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ بالكذبِ والباطلِ، يقولون: أتاكُم العَدوُّ، وقُتِلَتْ سَراياكُم وهُزِمَتْ ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ﴾ أي: لَنُسلِّطَنَّكَ عليهم بأنْ نأمُرَكَ بقتالِهم. قال المُفسِّرون: وقد أُغرِيَ بهم، فقيلَ له: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ (١). وقال يومَ جُمعةٍ:

[١١٧٩] «اخرُجْ يا فُلانُ مِنَ المسجد فإنكَ منافقٌ. قُمْ يا فلانُ فإنكَ منافقٌ».

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ ثم لا يجاوِرونك فيها أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ حتى يَهلِكُوا، ﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾ منصوبٌ على الحالِ؛ أي: لا يُجاوِرُونكَ إلاّ وهم ملعُونون ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي: وُجِدُوا وأُدرِكوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ معنى الكلام: الأمرُ، أي: هذا الحُكمُ فيهم، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَنَّ في الذين يُنافقون الأنبياءَ ويُرجِفُون بهم أنْ يُفعلَ بهم هذا.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ قال عُروةُ: الذي سأله عنها عُتبةُ بنُ رَبيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ يُعلِمكَ أمرَ الساعة ومتى تكون؟ والمعنى: أنتَ لا تَعرفُ ذلك؛ ثم قال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ فإنْ قيلَ: هَلاَّ قال: قريبةٌ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**:

[١١٧٨] أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٥/ ٤١٦ عن السدي مرسلاً. وأخرجه الطبري ٢٨٦٥١ عن قتادة، وهذا مرسل. وورد من مرسل أبي مالك. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧١٩. وورد من مرسل أبي صالح، أخرجه الطبري ٢٨٦٥٣ ومع إرساله فيه من لم يسم، وأبو صالح ضعيف الحديث، ليس بشير بشيء. وعزاه الواحدي في «الأسباب» ٧١٨ للضحاك والسدي والكلبي بدون إسناد. وورد من مرسل معاوية بن قرة، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» ٥/ ٤١٦. الخلاصة: هذه المراسيل تتأيد بمجموعها وتعتضد، ويعلم أن للخبر أصلاً، والله أعلم. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٦٢٦ بتخريجنا.

[١١٧٩] ضعيف. أخرجه الطبري ١٧١٣٧ بإسناد واهٍ، لأجل حسين بن عمرو العنقزي عن أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.

---

(١) التوبة: ٧٣.

أنه أرادَ الظَّرفَ، ولو أراد صِفةَ الساعة بعَيْنِها، لَقالَ: قريبةٌ، هذا قولُ أبي عُبيدَةَ. **والثاني**: أنَّ المعنى راجعٌ إلى البَعثِ، أو إلى مجيءِ الساعة. **والثالث**: أنَّ تأنيثَ الساعة غيرُ حقيقيٍ، ذكرهما الزَّجّاجُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُ ألفاظِه[1].

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾ فقال الزَّجّاجُ: الاختيارُ الوَقْفُ بألِفٍ، لأنَّ أواخرَ الآي وفَواصِلَها تجري مجرى أواخرِ الأبياتِ، وإنما خُوطِبوا بما يعقِلونَهُ مِنَ الكلام المؤلَّفِ ليدلَّ بالوَقْفِ بزيادةِ الحرف أنَّ الكلامَ قد تمَّ، وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا﴾[2].

قوله تعالى: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي: أشرافَنا وعُظماءَنا. قال مُقاتِلٌ: هم المُطْعِمون في غُزاةِ بَدرٍ. وكُلُّهم قرأوا: «سادتَنا» على التوحيد، غيرَ ابنِ عامرٍ، فإنه قرأ: «ساداتِنا» على الجمع مع كسرِ التاء، ووَافَقَهُ المُفَضَّلُ، ويعقوبُ، إلاَّ أبا حاتِمٍ ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا﴾ أي: عن سبيلِ الهُدى، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ﴾ يَعنونَ السَّادةَ ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: ضِعْفَي عذابِنا، ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «كثيراً» بالثاء. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامر: «كبيراً». وقال أبو علي: الكثرة أشبه بالمرار المتكررة من الكبر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ أي: لا تُؤذُوا محمَّداً كما آذَى بَنُو إسرائيلَ موسى فيَنزِلَ بكم ما نَزلَ بهم، وفي ما آذَوا به موسى أربعةُ أقوالٍ:

[١١٨٠] **أحدها**: أنهم قالوا: هو آدَرُ، فذهبَ يوماً يغتسِلُ، ووَضعَ ثوبَهُ على حَجَرٍ، ففَرَّ الحجرُ

[١١٨٠] صح مرفوعاً وموقوفاً، فالله أعلم. أخرجه البخاري ٣٤٠٤ والترمذي ٣٢٢١ والبغوي في «معالم التنزيل» ٣/ ٥٤٥ من طريق روح بن عبادة عن عوف عن الحسن ومحمد وخِلاس عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده فيه لين، روح بن عبادة، وإن وثقه غير واحد، فقد قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال يعقوب بن شيبة: سمعت عفانَ لا يرضى أمر روح بن عبادة. هذا شيء. والشيء الثاني: الحسن لم يسمع من أبي هريرة. وكذا خِلاس فيما قال أحمد. قال الحافظ في «الفتح» ٦/ ٤٣٧: قال أبو داود عن أحمد: لم يسمع خِلاس من أبي هريرة. قال الحافظ: وما له في البخاري غير هذا الحديث، وقد أخرجه له مقروناً بغيره، وله حديث آخر مقرون بمحمد بن سيرين. قلت: وكأن روح اضطرب في هذا الحديث. فقد أخرجه أحمد ٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥ عن روح عن عوف عن الحسن عن النبي ﷺ وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. فجعل رواية الحسن مرسلة. وهكذا أخرجه الطبري ٢٨٦٧٤ من طريق ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن مرسلاً. وأخرجه الطبري ٢٨٦٧٣ والطحاوي في «المشكل» ٦٧ عن روح عن عوف عن محمد ـ ابن سيرين ـ عن أبي هريرة. وأخرجه النسائي في «التفسير» ٤٤٤ و «الكبرى» ١١٤٢٤ من طريق روح عن عوف عن خِلاس عن أبي هريرة مرفوعاً، وتقدم عن أحمد قوله: خلاس لم يسمع من أبي هريرة. وكرره النسائي ١١٤٢٥ وفي «التفسير» ٤٤٥ من طريق النضر عن عوف بمثله. وعلى هذا فقد توبع روح، لكن هذا الإسناد معلول بسبب =

---

(١) البقرة: ١٥٩ ـ النساء: ١٠ ـ الإسراء: ٩٧. (٢) الأحزاب: ١.

بثوبِه، فخرجَ في طَلَبِه، فرَأَوهُ فقالوا: واللهِ ما به مِنْ بأسٍ. والحديثُ مشهورٌ في الصِّحاح كلِّها مِنْ حديث أبي هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ، وقد ذَكرتُه بإسنادِه في «المغني» و «الحدائق». قال ابنُ قُتَيبةَ: والآدَرُ: عظيمُ الخُصْيَتَيْنِ.

[١١٨١] **والثاني**: أنَّ موسى صَعِدَ الجبلَ ومعه هارونُ، فماتَ هارونُ، فقال بَنو إسرائيلَ: أنتَ قتلتَهُ فآذَوهُ بذلك، فأمَرَ اللهُ تعالى الملائكة فحَمَلَتْهُ حتى مرَّتْ به على بَني إسرائيلَ، وتكلَّمت الملائكةُ بموته حتى عَرفَ بنو إسرائيلَ أنه مات، فبرَّأهُ اللهُ تعالى مِنْ ذلك، قاله عليٌّ عليه السلام.

= الإرسال كما تقدم. وكرره البخاري ٤٧٩٩ من طريق روح عن عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حيياً»، وذلك قوله تعالى **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى...﴾**.

ـ وللحديث طريق آخر: أخرجه البخاري ٢٧٨ ومسلم ٣٣٩ وص ١٨٤١ وابن حبان ٦٢١١ وأبو عوانة ١/ ٢٨١ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٨٣ من طرق عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة مرفوعاً.

ـ وله علة، وهي الوقف: أخرجه مسلم ص ١٨٤٢ من وجه آخر عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة موقوفاً عليه. وراويه عن خالد الحذاء، يزيد بن زريع، وهذا إسناد كالشمس.

ـ وأخرجه الطبري ٢٦٨٧٥ عن قتادة، قال: حدث الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ... الحديث، وهذا منقطع. وورد من حديث أبي هريرة من وجه آخر: أخرجه الطبري ٢٨٦٦٩ من طريق جابر الجعفي عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده ساقط، جابر هو ابن يزيد، متروك الحديث. وله شاهد من حديث أنس: أخرجه البزار ٢٢٥٢ «كشف» وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٣ ـ ٩٤: ثقة، سيء الحفظ. قلت: جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه. وورد عن ابن عباس موقوفاً: أخرجه الطبري ٢٨٦٦٨ وإسناده صحيح، رجاله رجال البخاري ومسلم. وكرره ٢٨٦٧٠ وإسناده ضعيف جداً، فيه مجاهيل، وعطية العوفي واهٍ. وورد عن قتادة قوله: أخرجه الطبري ٢٨٦٧٢. وورد عن الحسن وقتادة قولهما: أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٣٨٢ عن معمر عن الحسن وقتادة.

ـ الخلاصة: روي مرفوعاً بإسناد حسن، وآخر صحيح، وأخر ضعيفة. وورد موقوفاً بإسناد كالشمس، عن أبي هريرة ومثله عن ابن عباس بسند صحيح موقوفاً. وورد عن قتادة وعن الحسن قولهما لم يرفعاه. فالحديث كما ترى ورد مرفوعاً، وموقوفاً، وموقوفاً على بعض التابعين، وفي المتن غرابة. لكن لا أقدم على ترجيح الوقف بسبب أن الحديث في الصحيحين، ولم أجد من رجح وقفه، والله أعلم.

ولفظ البخاري المرفوع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حيياً ستراً لا يرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة، وإما من آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً. فذلك قوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً﴾**. قال الحافظ في «الفتح» ١/ ٣٨٦: قال الجوهري: الأدرة: نفخة في الخصية، وهي بفتحات، وحكي بضم أوله، وإسكان الدال.

وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٤/ ٢٢٤: وهو الصحيح من الأقوال. وهو مذهب الجمهور.

[١١٨١] أخرجه الطبري ٢٨٧٦ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٣٩ وإسناده حسن لأجل سفيان بن حسين، فإنه حسن الحديث، وباقي الإسناد ثقات. وانظر «أحكام القرآن» ٣/ ٦٢٧ بتخريجنا.

[١١٨٢] **والثالث**: أنَّ قارُونَ استأجَرَ بَغِيّاً لِتقذِفَ موسى بنَفسِها على مَلإٍ مِنْ بَني إسرائيلَ فعَصَمها الله تعالى وبَرَّأ موسى مِنْ ذلك، قاله أبو العَالِيةِ.

والرابع: أنهم رَمَوهُ بالسِّحرِ والجُنونِ، حكاه المَاوَردِي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان عندَ الله تعالى حَظِيّاً لا يسألُه شيئاً إلاَّ أعطاه. وقد بيَّنّا معنى الوَجِيهِ في سُورةِ آلِ عِمرَان[1]. وقرأ ابنُ مسعودٍ والأعمَشُ، وأبو حَيْوَةَ: «وكان عَبْداً لِلّهِ» بالتنوين والباء وكَسْرِ اللام.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: صواباً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: صادقاً، قاله الحسَنُ. **والثالث**: عَدْلاً، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: قَصْداً، قاله ابنُ قُتَيبةَ. ثم في المراد بهذا القولِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه «لا إلَه إلاَّ اللهُ»، قاله ابنُ عباسٍ وعِكرمَةُ. **والثاني**: أنه العَدْلُ في جميع الأقوالِ، والأعمالِ، قاله قَتَادةُ. **والثالث**: في شأنِ زينبَ وزيدٍ، ولا تَنْسُبوا رسولَ الله ﷺ إلى ما لا يَصلُحُ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيّانَ. قوله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يتقبَّلُ حسناتِكُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُزَكِّي أعمالَكُم، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أي: نَالَ الخيرَ وظَفِرَ به.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ فيها قولان[2]:

أحدهما: أنها الفَرائِضُ، عَرضَها الله على السَّمواتِ والأرضِ والجبال، إنْ أدَّتْها أثابَها، وإنْ ضَيَّعَتْها عذَّبها، فكَرِهَتْ ذلك؛ وعَرضَها على آدمَ فقبِلَها بما فيها، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ؛ وكذلك قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: عُرِضَتِ الأمانةُ على آدمَ فقيلَ له: تأخُذُها بما فيها، إنْ أطَعتَ غَفرتُ لكَ، وإنْ عَصيتَ عذَّبتُكَ، فقال: قَبِلتُ، فما كان إلاَّ كما بينَ صلاةِ العَصرِ إلى أن غَرَبَت الشمسُ حتى أصابَ الذَّنْبَ. وممن ذهبَ إلى أنها الفرائِضُ قَتادةُ والضَّحّاكُ والجمهورُ.

والثاني: أنها الأمانةُ التي يأتَمِنُ الناسُ بعضَهم بعضاً عليها. رَوى السُّدِّيُّ عن أشياخِه أنَّ آدمَ لمّا أرادَ الحَجَّ قال للسماء: احفَظِي وَلَدي بالأمانةِ، فأَبَتْ، وقال للأرضِ، فأَبَتْ، وقال للجبالِ، فأَبَتْ، فقال لِقابِيلَ، فقال: نعم، تذهبُ وتجيءُ وتَجِدُ أهلَكَ كما يَسُرُّكَ، فلما انطلَقَ آدمُ قَتَلَ قابيلُ هابِيلَ،

[١١٨٢] لا أصل له. عزاه المصنف لأبي العالية، ولم أره عنه مسنداً، وأبو العالية يروي عن كتب الإسرائيليات، وهذا منها.

---

(١) آل عمران: ٤٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٣٤٢: إنه عني بالأمانة في هذا الموضع جميع معاني الأمانات في الدين وأمانات الناس، وذلك أن الله تعالى لم يخصَّ بقوله بعض معاني الأمانات.

فرَجعَ آدمُ فوجدَ ابنَهُ قد قَتَلَ أخاهُ، فذلك حيثُ يقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وهو ابنُ آدمَ، فما قامَ بها.

وحَكى ابنُ قُتَيبةَ عن بعضِ المُفسِّرين أنَّ آدمَ لمَّا حَضرَتْهُ الوفاةُ قال: يا رَبِّ، مَنْ أستَخْلِفُ مِنْ بعدي؟ فقيلَ له: اعرِضْ خِلافَتَكَ على جميعِ الخَلْقِ، فعَرضَها، فكُلٌّ أباها غيرَ وَلَدِه. وللمفسِّرين في المُراد بعَرْضِ الأمانةِ على السَّمواتِ والأرضِ قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى رَكَّبَ العقلَ في هذه الأعيانِ، وأفهَمَهُنَّ خِطابَهُ، وأنطَقَهنَّ بالجواب حين عرَضَها عليهنَّ، ولم يُرِدْ بقوله: «أَبَيْنَ» المُخالَفَةَ، ولكنْ أَبَيْنَ للخَشْيةِ والمَخافَةِ، لأنَّ العَرْضَ كان تخييراً لا إلزاماً، و «أشفَقْنَ» بمعنى خِفْنَ منها أنْ لا يُؤَدِّينَها فيَلحَقَهُنَّ العقابُ، هذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ المراد بالآية: إنَّا عَرَضْنا الأمانةَ على أهلِ السَّمواتِ وأهلِ الأرضِ وأهلِ الجبالِ مِنَ الملائكة، قاله الحَسَنُ.

وفي المراد بالإنسان أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: آدمُ في قولِ الجمهور. **والثاني**: قابيلُ في قولِ السُّدِّيّ. **والثالث**: الكافرُ والمنافقُ، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: جميعُ الناس، قاله ثَعلَبُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ظَلوماً لنَفْسِه، غِرّاً بأمرِ رَبِّه، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ظَلوماً لنَفْسِه، جَهُولاً بعاقبةِ أمرِه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: ظَلُوماً بمعصيةِ رَبِّه، جَهُولاً بعقابِ الأمانة، قاله ابنُ السَّائبِ.

وذَكرَ الزَّجَّاجُ في الآيةِ وَجْهاً يُخالفُ أكثرَ الأقوال، وذَكرَ أنَّه موافقٌ للتفسير فقال: إنَّ الله تعالى ائتَمَنَ بَني آدمَ على ما افترَضَهُ عليهم مِنْ طاعَتِه، وائتَمَنَ السَّمواتِ والأرضَ والجبالَ على طاعته والخُضوعِ له، فأمَّا السمواتُ والأرضُ فقالَتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1] وأعلَمَنا أنَّ مِنَ الحجارةِ ما يَهْبِطُ مِنْ خَشيةِ الله، وأنَّ الشمسَ والقمرَ والنجومَ والجبالَ والملائكةَ يَسجُدون لله، فعَرَّفنا اللّهُ تعالى أنَّ السمواتِ والأرضَ لم تحتَمِلِ الأمانة، لأنها أدَّتْهَا، وأداؤُها: طاعةُ الله وتَرْكُ مَعْصِيتِه، وكلُّ مَنْ خانَ الأمانةَ فقد احتَمَلَها، وكذلك كلُّ مَنْ أَثِمَ فقد احتَمَلَ الإثْمَ، وكذلك قال الحَسَنُ: «وحَمَلَها الإنسانُ» أي: الكافرُ والمنافقُ حَمَلاها، أي: خَانَا ولم يُطيعا؛ فأمَّا مَنْ أطاعَ، فلا يُقال: كان ظلوماً جهولاً.

قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: عَرَضْنا ذلك لِيَظهرَ نِفاقُ المنافِقِ وشِركُ المُشرِكِ فيُعذِّبَهم الله، ويُظهِرَ إيمانَ المؤمنين فيَتوبَ الله عليهم، أي: يَعودُ عليهم بالرَّحمة والمَغفرةِ إنْ وَقعَ منهم تقصيرٌ في الطاعاتِ.

---

(١) فصلت: ١١.

سُورَةُ سَبَإٍ

ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

وهي مكّيّة بإجماعِهم. وقال الضَّحّاكُ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مَدنيَّةٌ، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا
يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يَحمدُه أولياؤه إذا دَخلوا الجنَّةَ، فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[٤]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِنْ بذرٍ أو مطرٍ أو كَنزٍ أو غيرِ ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ مِنْ زَرعٍ ونباتٍ وغيرِ ذلك ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مِنْ مطرٍ أو رزقٍ أو مَلَكٍ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ مِنْ ملَكٍ أو عملٍ أو دُعاءٍ. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني مُنْكِري البَعثِ ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: لا نُبعَثُ[٥].

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وأبو عمرٍو: «عالِمِ الغيب» بكسرِ الميم، وقرأ

---

(١) سبأ: ٦.
(٢) الزمر: ٧٤.
(٣) الأعراف: ٤٣.
(٤) فاطر: ٣٤.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٤٥: هذه إحدى الآيات الثلاث اللاتي لا رابع لهن، مما أمر الله رسولَه ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس: [٥٣]، والثانية هذه، والثالثة في سورة التغابن [٧].

نافعٌ وابنُ عامرٍ برَفْعِها. وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «علاَّم الغيب» بالكسرِ ولام قبلَ الألِفِ. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسرَ فعَلَى معنى: الحمدُ للّهِ عالم الغَيبِ؛ ومَنْ رَفَعَ جازَ أنْ يكون «عَالِمُ الغيب» خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ تقديره: هو عالِمُ الغيب، ويجوز أنْ يكون ابتداءً خبَرُه ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾؛ و «علاَّم» أبلَغُ مِنْ «عالِم». وقرأ الكِسائيُّ وحدَهُ: «لا يَعْزِبُ» بكسرِ الزاي؛ وهما لُغتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، والنَّخعيُّ، والأعمَشُ: «ولا أصغرَ مِنْ ذلك ولا أكبرَ» بالنصب فيهما. قوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: بَلْ وربِّي لَتَأتِيَنَّكُم المُجازَاةُ، وقال ابنُ جريرٍ: المعنى: أثبتَ مِثقالَ الذَّرَّةِ وأصغرَ منه في كتابٍ مُبينٍ، ليَجْزِيَ الذين آمَنوا، ولِيُرِيَ الذين أوتُوا العِلْمَ.

قوله تعالى: ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ، والمُفضَّلُ: «مِنْ رِجْزٍ أليمٌ» رفعاً؛ والباقون بالخَفضِ فيهما[1]. وفي ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم مُؤمنوا أهلِ الكتاب، كعبدِ اللّهِ بنِ سَلاَمٍ وأصحابه، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ قال الفَرَّاءُ: «هو» عِمادٌ للذي، فلذلك انتصبَ الحقُّ. وما أخلَلْنا به فقد سبقَ في مَواضِعَ[2].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم مُنْكِروا البَعثِ، قال بعضُهم لبعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: يقولُ لكم: إنَّكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فُرِّقتُم كلَّ فريقٍ؛ والمُمزَّقُ هاهنا مصدرٌ بمعنى التَّمزيقِ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: يُجدَّدُ خَلْقُكم للبَعثِ. ثم أجاب بعضُهم فقالوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعمَ أنَّا نُبعَثُ؟! وألِفُ «أفترى» ألِفُ استفهام، وهو استفهامُ تعجُّبٍ وإنكارٍ، ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون؟! فرَدَّ اللّهُ تعالى عليهم فقال: ﴿بَلِ﴾ أي: ليس الأمرُ كما تقولون مِنَ الافتراءِ والجُنونِ، بل ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ وهم الذين يَجحَدُونَ البَعثَ ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ إذا بُعِثوا في الآخرة ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ مِنَ الحقِّ في الدنيا. ثم وَعظَهم فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك أنَّ الإنسانَ حيثُما نظر رأى السماءَ والأرض قُدَّامَهُ وخَلفَهُ وعن يمينِه وعن شِمالِه؛ فالمعنى أنهم أينَ كانوا فأرْضِي وسَمائِي مُحيطةٌ بهم، وأنا القادرُ عليهم، إنْ شِئتُ خَسفتُ بهم الأرضَ، وإنْ شِئتُ أسقطتُ عليهم قطعةً مِنَ السماء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي فيما يَرون مِنَ السماء والأرض

(١) أي هنا وفي سورة الجاثية: ١١.

(٢) البقرة: ١٣٠ ـ ٢٦٧، الحج: ٥١ ـ ٥٢.

﴿لَآيَةً﴾ تدلُّ على قُدرةِ الله تعالى على بَعثِهم والخَسْفِ بهم ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي رَاجعٍ إلى طاعةِ الله، مُتأملٍ لِمَا يرى.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وهو النُّبوَّة والزَّبُورُ وتسخيرُ الجبال والطَّير، إلى غيرِ ذلك ممَّا أنعمَ اللّهُ به عليه ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ وروى الحَلَبيُّ عن عبدِ الوارثِ: «أُوْبي» بضمِّ الهمزة وتخفيفِ الواو. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقُلنا: يا جبالُ أَوِّبي معه، أي: ارجِعي معه. والمعنى: سَبِّحي معه ورَجِّعي التَّسبيحَ. ومَنْ قرأ: «أُوبي» معناه: عُودي في التَّسبيح معه كلَّما عادَ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «أَوِّبي» أي: سَبِّحي، وأصلُ التَّأويبِ في السَّيْرِ، وهو أنْ يسيرَ النهارَ كُلَّه، وينزلَ ليلاً، فكأنه أراد: اذأبي النهارَ كُلَّه بالتَّسبيحِ إلى الليل.

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَمي، وأبو العَاليةِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «والطَّيْرُ» بالرفع. فأمَّا قراءةُ النصب، فقال أبو عمروِ بنِ العلاءِ: هو عَطفٌ على قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له الطَّيْرَ. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكون نصباً على النداء، كأنه قال: دَعَوْنا الجبالَ والطَّيرَ، فالطَّيرُ معطوفٌ على موضع الجبال، وكلُّ مُنادًى عند البَصْرِيين فهو في موضع نصبٍ؛ قال: وأمَّا الرفعُ، فمِنْ جهتين: **إحداهما**: أنْ يكونَ نَسقاً على ما في «أَوِّبي» فالمعنى يا جبالُ رَجِّعي التَّسبيحَ معه أنتِ والطَّيرُ. **والثانية**: على النداء، المعنى: يا جبالُ ويا أيُّها الطَّيرُ أَوِّبي معه. قال ابنُ عباسٍ: كانت الطَّيرُ تُسبِّحُ معه إذا سبَّحَ، وكان إذا قرأَ لم تَبْقَ دابَّةٌ إلا استَمعَتْ لقراءَتِه وبَكَتْ لبُكائِه. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: كان يقول للجبال: سَبِّحي. وللطَّيرِ: أَجِيبِي، ثم يأخذ هو في تلاوةِ الزَّبُورِ بين ذلك بصوتِه الحسَنِ، فلا يَرى الناسُ منظراً أحسنَ مِنْ ذلك، ولا يسمعون شيئاً أطيَب منه. قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعَلناه لَيِّناً. قال قَتادةُ: سَخَّرَ اللّهُ له الحديدَ بغيرِ نارٍ، فكانَ يُسوِّيه بيَدِه، لا يُدخِلُه النارَ، ولا يَضرِبُه بحَديدَةٍ، وكان أولَ مَنْ صَنعَ الدُّروعَ، وكانت قبلَ ذلك صَفائحَ.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: وقُلنا له: اعْمَلْ، ويكون في معنى «لأنْ يَعملَ» ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: دُروعاً سَابِغاتٍ، فذكَر الصِّفَةَ لأنها تدلُّ على الموصوفِ. قال المُفسِّرون: كان يأخذُ الحديدَ بيَدِه فيَصِيرُ كأنه عَجِينٌ يعملُ به ما يشاء، فيَعمَلُ الدُّروعَ في بعضِ يوم فيبيعُهُ بمالٍ كثيرٍ، فيأكل ويتصدَّقُ. والسَّابغاتُ: الدُّروعُ الكَوامِلُ التي تُغطِّي لابِسَها حتى تَفْضُلَ عنه فيَجُرّها على الأرض. ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: اجعَلْهُ على قَدْرِ الحاجة. قال ابنُ قُتيبةَ: السَّرْدُ: النَّسْجُ، ومنه يُقال لصانعِ الدُّروعِ: سَرَّادٌ وزَرَّادٌ، تُبدَلُ مِنَ السين الزاي، كما يُقال: سَرَّاط وزرَّاط. وقال الزَّجَّاجُ: السَّرْدُ في اللغة: تَقدِمَةُ الشيءِ إلى الشيءِ تأتي به مُتَّسِقاً بعضُه في إثْرِ بعضٍ مُتتابعاً، ومنه قولهم: سَرَدَ فلانٌ الحديثَ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: عَدِّلِ المِسمَارَ في الحَلْقَةِ ولا تُصغِّرْهُ فيَقْلَقَ، ولا تُعظِّمْه فتَنفَصِمَ الحَلْقَةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا تجعَلْ حِلَقَهُ واسعةً فلا تَقِي صاحبَها، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ خِطابٌ لداودَ وآلِه.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الرِّيح على معنى: وسَخَّرنا لسُليمانَ الرِّيحَ. وروى أبو بكرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصم: «الرِّيحُ» رفعاً، أي: له تَسخيرُ الرِّيح. وقرأ أبو جعفر: «الرِّياح» على الجمع. ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ قال قتادةُ: تَغدُو مسيرةَ شهرٍ إلى نصفِ النَّهار، وتَروحُ مسيرةَ شهرٍ إلى آخرِ النَّهار، فهي تسيرُ في اليوم الواحدِ مسيرةَ شهرين. قال الحسَنُ: لمَّا شَغلَتْ نبيَّ الله سُليمانَ الخيلُ عن الصلاةِ فعَقرَها، أبدَلَهُ اللَّهُ خيراً منها وأسرَعَ وهي الرِّيحُ، فكان يَغدُو مِنْ دِمشقَ فيَقيلُ بإصْطَخْرَ وبينهما مسيرةُ شهرٍ للمُسرعِ، ثم يَروحُ مِنْ إصْطَخْرَ فيَبيتُ بكَابُلَ، وبينهما مسيرةُ شهرٍ للمُسرع. قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: القِطْرُ: النُّحاس، وهو الصُّفْرُ، أُذِيبَ مُذْ ذاكَ، وكان قبلَ سُليمانَ لا يذوبُ. قال المُفسِّرون: أجرى اللَّهُ تعالى: لسُليمانَ عَيْنَ الصُّفْرِ حتى صنعَ منها ما أراد مِنْ غير نارٍ، كما أُلِينَ لداودَ الحديدُ بغيرِ نارٍ، فبقيَتْ تجري ثلاثةَ أيامٍ ولياليهنَّ كجَرْيِ الماءِ؛ وإنما يعملُ الناسُ اليومَ ممَّا أُعطيَ سُليمانُ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ﴾ المعنى: وسَخَّرنا له مِنَ الجِنِّ ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: بأمرِه؛ سَخَّرهُم اللَّهُ له، وأمَرهُم بطاعتِه؛ والكلامُ يدلُّ على أنَّ منهم مَنْ لم يُسخَّر له ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ أي: يَعْدِلْ ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعةِ سُليمانَ ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ وهل هذا في الدنيا، أمْ في الآخرة؟ فيه قولان: **أحدهما**: في الآخرة، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: في الدنيا، قاله مُقاتِلٌ. وقيل: إنه كان مع سُليمانَ مَلَكٌ بيدِه سَوطٌ مِنْ نارٍ، فمَنْ زاغَ مِنَ الجِنِّ ضَربَهُ المَلَكُ بذلك السَّوطِ. ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المساجدُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ قُتيبة. **والثاني**: القصورُ، قاله عَطيَّةُ. **والثالث**: المساجدُ والقصورُ، قاله قتادةُ. وأمَّا التماثيلُ، فهي الصُّوَرُ؛ قاله الحسَنُ. ولم تكُنْ يومئذٍ محرَّمةً؛ ثم فيها قولان: **أحدهما**: أنها كانت كالطَّواويسِ والعِقْبانِ والنُّسورِ على كُرسيِّهِ ودَرجاتِ سريرِه لكي يَهابَها مَنْ أراد الدُّنُوَّ منه، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها كانت صُوَرَ النَّبيِّين والملائكة لكي يَراهُم الناسُ مُصوَّرين، فيَعبُدوا مثلَ عبادَتِهم ويتشبَّهوا بهم، قاله ابنُ السَّائب. وفي ما كانوا يعملونها منه قولان: **أحدهما**: مِنَ النُّحاس، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مِنَ الرُّخام والشَّبَه[1]، قاله قتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ الجِفانُ: جمعُ جَفْنَة، وهي القَصْعةُ الكبيرةُ، والجَوابي؛ جمعُ جابيَة، وهي الحَوضُ الكبيرُ يُجْبَى فيه الماء، أي: يُجمَعُ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو: «كالجَوابي» بياءٍ،

(١) في «اللسان»: الشَّبَه: النحاس يصبغ فيصفر.

إلاَّ أنَّ ابنَ كَثير يُثبت الياءَ في الوَصْلِ والوَقفِ، وأبو عمرو يُثبتها في الوَصلِ دونَ الوَقفِ. قال الزَّجَّاجُ: وأكثرُ القُرَّاءِ على الوَقفِ بغيرِ ياءٍ، وكان الأصل الوَقفُ بالياء، إلاَّ أنَّ الكسرة تَنُوبُ عنها. قال المُفسِّرون: كانوا يصنعون له القِصَاعَ كحِياض الإبل، يجتمعُ على القَصْعةِ الواحدةِ ألفُ رجلٍ يأكلون منها. قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ أي: ثَوابِت؛ يُقال: رَسَا يَرْسُو: إذا ثَبتَ. وفي عِلَّة ثُبوتها في مكانها قولان: **أحدهما**: أنَّ أثافيَها[1] منها، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: أنها لا تُنزَلُ لِعظَمها، قاله ابنُ قُتيبةَ. قال المُفسِّرون: وكانت القُدورُ كالجبال لا تُحرَّكُ مِنْ أماكِنها، يأكلُ مِنَ القِدْرِ ألفُ رجلٍ. قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ المعنى: وقُلنا: اعملوا بطاعةِ الله تعالى، شُكراً له على ما آتاكم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ يعني على سُليمانَ. قال المُفسِّرون: كانت الإنسُ تقول: إنَّ الجِنَّ تعلمُ الغيبَ الذي يكون في غَدٍ، فوقف سُليمانُ في مِحرابِه يُصلِّي مُتوكِّئاً على عصاه، فماتَ، فمكثَ كذلك حَوْلاً والجِنُّ تعملُ تلك الأعمالَ الشَّاقَّةَ ولا تعلَمُ بموتِهِ حتى أكلَتِ الأرضُ عصا سُليمانَ، فخرَّ فعلموا بمَوتِه، وعَلِمَ الإنسُ أنَّ الجِنَّ لا تعلمُ الغيبَ. وقيل: إنَّ سُليمانَ سأل اللَّهَ تعالى أنْ يُعمِّي على الجِنِّ موتَه، فأخفاهُ الله عنهم حَوْلاً. وفي سبب سؤاله قولان: **أحدهما**: لأنَّ الجِنَّ كانوا يقولون للإنس: إنَّنا نَعلَمُ الغيبَ، فأراد تكذيبَهم. **والثاني**: لأنه كان قد بقيَ مِنْ عِمارةِ بيتِ المَقدسِ بقيَّةٌ. فأما ﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ فهي: الأرَضَةُ: وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «دابَّة الأرَض» بفتح الراء. والمِنسأةُ: العصا. قال الزَّجَّاجُ: وإنما سُمِّيت مِنسأةً، لأنه يُنسأُ بها، أي: يُطْرَدُ ويُزْجَرُ. قال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجازِ لا يَهمِزون المِنسأةَ، وتميمٌ وفصحاءُ قَيسٍ يَهمِزُونها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سَقطَ ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ أي: ظَهرتْ وانكشَفَ للناس أنهم لا يعلمونَ الغيبَ، ولو عَلِموا ﴿مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أي: ما عَمِلُوا مُسخَّرين وهو ميتٌ وهم يَظنُّونَهُ حيًّا. وقيلَ: تبيَّنتِ الجِنُّ، أي عَلِمتْ، لأنَّها كانت تَتوَهَّم باستِرَاقِها السَّمعَ أنها تعلَمُ الغيبَ، فعلِمَتْ حِينئذٍ خطأَهَا في ظنِّها. وروى رُوَيسٌ عن يعقوبَ: «تُبُيِّنَتْ» برفعِ التاء والباءِ وكَسرِ الياء.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

(١) في «اللسان»: الأثف: الحجر الذي توضع عليه القِدْر، وجمعها أثافي.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «في مَسَاكِنِهم». وقرأ حمزةُ، وحَفْصٌ عن عاصمٍ: «مَسْكَنِهم» بفتحِ الكاف مِنْ غير ألِفٍ. وقرأ الكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «مَسْكِنِهم» بكسرِ الكاف، وهي لغةٌ.

قال المُفسِّرون: المراد بسَبأٍ ها هنا: القبيلةُ التي هم مِنْ أولاد سَبَأ بنِ يَشْجُب بنِ يَعْرُب بنِ قَحطانَ؛ وقد ذكرنا في سُورةِ النَّمل[١] الخلافَ في هذا، وأنَّ قوماً يقولون: هو اسمُ بلدٍ، وليس باسم رجلٍ. وذَكر الزَّجَّاجُ في هذا المكان أنَّ مَنْ قرأ: «لِسبأَ» بالفتح وتَرْكِ الصَّرْفِ، جعلَهُ اسماً للقبيلةِ، ومَنْ صَرَفَ وكَسَرَ ونوَّنَ، جعله اسماً للحيِّ واسماً لرجلٍ؛ وكلٌّ جائزٌ حسَنٌ. و ﴿ءَايَةٌ﴾ رفعٌ، اسمُ «كان» و ﴿جَنَّتَانِ﴾ رفعٌ على نوعين. **أحدهما**: أنه بدلٌ مِنْ «آية». **والثاني**: على إضمارٍ، كأنه لمَّا قيلَ: «آيةٌ» قيلَ: الآيةُ جنَّتان.

الإشارة إلى قصتهم

ذَكر العلماء بالتفسير والسِّيَرِ أنَّ بِلْقِيسَ لمَّا مَلَكَتْ قومها جعلَ قومُها يقتتلون على ماءِ وادِيهم، فجعلت تَنهاهُم فلا يُطِيعونَها، فتركَتْ مُلْكَها وانطلقت إلى قَصرِها فنزلَتْهُ، فلمَّا كَثُرَ الشَّرُّ بينهم ونَدِموا، أَتوها فأرادوها على أنْ ترجعَ إلى مُلكِها، فأبَتْ، فقالوا: لَترجِعِنَّ أو لَنَقْتُلَنَّكِ، فقالت: إنكم لا تُطيعونَني وليست لكم عقولٌ، فقالوا: فإنَّا نُطيعُكِ، فجاءت إلى وادِيهم ـ وكانوا إذا مُطِرُوا أتاهُ السَّيْلُ مِنْ مسيرة أيَّامٍ ـ فأمَرَتْ به، فسُدَّ ما بين الجبلين بمُسَنَّاةٍ[٢]، وحَبَسَت الماءَ مِنْ وراء السَّدِّ، وجَعلتْ له أبواباً بعضُها فوقَ بعضٍ، وبَنَتْ مِنْ دونِه بِركَةً وجَعلَتْ فيها اثني عشرَ مَخرجاً على عِدَّةِ أنهارِهم، فكان الماءُ يخرجُ بينهم بالسَّوِيَّةِ، إلى أنْ كان مِنْ شأنها مع سُليمانَ ما سَبَقَ ذِكرُه[٣]، وبَقُوا بعدَها على حالِهم، وقيل: إنما بَنوا ذلك البُنيانَ لِئلاَّ يغشى السَّيلُ أموالَهم فيُهلِكَها، فكانوا يفتحون مِنْ أبواب السَّدِّ ما يُريدون، فيأخذون مِنَ الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنَّتانِ عن يمينِ وادِيهم وعن شِمالِه، فأخصَبَتْ أرضُهم، وكَثُرَتْ فواكِهُهم، وإنْ كانت المرأةُ لَتمُرُّ بين الجَنَّتين والمِكْتَلُ على رأسِها، فترجعُ وقد امتلأَ مِنَ الثَّمرِ ولا تَمَسُّ بيدِها شيئاً منه، ولم يكُنْ يُرى في بلدِهم حيَّةٌ ولا عقربٌ، ولا بَعوضةٌ ولا ذُبابٌ ولا بُرغوثٌ، ويمرُّ الغريبُ ببلدَتِهم وفي ثيابه القَمْلُ، فيموتُ القَمْلُ لِطِيبِ هوائِها. وقيلَ لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: هذه بلدةٌ طيِّبةٌ، أو بلدَتُكم بلدةٌ طيِّبةٌ، ولم تكُنْ سَبخَةً ولا فيها ما يُؤذي ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي: واللَّهُ ربٌّ غفورٌ، وكانت ثلاثَ عشرةَ قريةً، فبَعثَ اللَّهُ إليهم ثلاثةَ عشرَ نبيًّا[٤]، فكذَّبوا الرُّسلَ، ولم يُقِرُّوا بنِعَم الله، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن الحقِّ، وكذَّبوا أنبياءَهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ العَرِمَ: الشديدُ، رواه عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابنِ عباسٍ. وقال ابنُ الأعْرابي: العَرِم: السَّيلُ الذي لا يُطاقُ. **والثاني**: أنه اسمُ الوادي، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه المُسَنَّاةُ، قاله مُجاهِدٌ، وأبو مَيسرَةَ، والفرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. وقال أبو عُبيدَةَ: العَرِم: جمعُ عَرِمَة، وهي: السِّكْرُ[٥] والمُسَنَّاةُ. **والرابع**: أنَّ العَرِمَ: الجُرَذُ

(١) النمل: ٢٢.

(٢) في «اللسان» سننت التراب: صببته على وجه الأرض صباً حتى صار كالمسَنَّاة.

(٣) النمل: ٢٩ ـ ٤٤.

(٤) هذا الأثر من إسرائيليات وهب بن منبه.

الذي نَقَبَ عليهم السِّكْرَ، حكاه الزَّجَّاجُ.

وفي صفةِ إرسالِ هذا السَّيلِ عليهم قولان: **أحدهما**: أنَّ اللّهَ تعالى بَعَثَ على سِكرِهِم دابَّةً مِنَ الأرض فَنَقَبتْ فيه نَقْباً، فسَالَ ذلكَ الماءُ إلى موضعِ غيرِ الموضع الذي كانوا ينتفعون به، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال قَتادَةُ والضَّحَّاكُ في آخرين: بَعثَ الله عليهم جُرَذاً يُسمَّى الخُلْدَ ـ والخُلْدُ: الفأرُ الأعمَى ـ فنقَبَهُ مِن أسفلِه، فأغرقَ اللّهُ به جَنَّاتِهم، وخرَّبَ به أرضَهُم. **والثاني**: أنه أرسَلَ عليهم ماءً أحمرَ، أرسَلَهُ في السَّدِّ فنسفَهُ وهَدمَهُ وحَفرَ الوادي، ولم يكن الماءُ أحمرَ مِنَ السَّدِّ، وإنما كان سَيْلاً أُرسِلَ عليهم، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ يعني اللتَيْنِ تُطعمَانِ الفواكِهَ ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «أُكُلٍ» بالتنوين. وقرأ أبو عمرٍو: «أُكُلِ» بالإضافة. وخفَّفَ الكاف ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ، وثقَّلها الباقون. أمَّا الأُكُلُ، فهو الثَّمرُ.

وفي المراد بالخَمْطِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأرَاكُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والجمهور؛ فعَلَى هذا، أُكُلُه: ثَمرُهُ؛ ويُسمَّى ثَمرُ الأراكِ: البَرير. **والثاني**: أنه كلُّ شجرةٍ ذاتُ شَوكٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: أنه كلُّ نَبتٍ قد أخذَ طعماً مِنَ المَرارةِ حتى لا يُمكن أكلُهُ، قاله المُبَرِّدُ والزَّجَّاجُ. فعَلَى هذا القول، الخَمْطُ: اسمٌ للمأكُولِ، فيَحسُن على هذا قراءةُ مَنْ نوَّنَ الأُكُل؛ وعلى ما قبله، هو اسمُ شجرةٍ، والأُكُل ثَمرُها، فيَحسُن قراءةُ مَنْ أضاف.

فأمَّا الأَثْل، ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الطَّرْفاءُ[1]، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه السَّمُرُ، حكاه ابنُ جريرٍ. **والثالث**: أنه شجرٌ يُشبه الطَّرْفاءَ إلاَّ أنَّه أعظَمُ منه.

قوله تعالى: ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ففيه تقديمٌ، تقديره: وشيءٍ قليلٍ مِنَ السِّدْر وهو شجر النبق. والمعنى: أنه كان الخمط والأثل في جنتيهم أكثر من السدر. قال قَتادَةُ: بينما شَجرُهُم مِنْ خيرِ الشجر، إذ صَيَّرهُ اللّهُ تعالى مِنْ شَرِّ الشجر.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: ذلك التَّبديلَ جزيناهُم ﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

فإنْ قيلَ: قد يُجازَى المؤمنُ والكافرُ، فما معنى هذا التَّخصِيصِ؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ المؤمنَ يُجزَى ولا يُجازَى، فيُقال في أفصح اللغة: جَزَى اللّهُ المؤمنَ، ولا يُقال: جازَاهُ، لأنَّ جازاه بمعنى كافَأَهُ، فالكافرُ يُجازَى بسيِّئَتِهِ مِثلَها، مكافأةً له، والمؤمنُ يُزادُ في الثواب ويُتفضَّلُ عليه، هذا قولُ الفرَّاءِ. **والثاني**: أنَّ الكافر ليست له حسَنةٌ تُكفِّرُ ذنوبَهُ، فهو يُجازَى بجميع الذُّنوب، والمؤمنُ قد أَحبَطتْ حسناتُه سيِّئاتِه، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وقال طاوسٌ: الكافرُ يُجازَى ولا يُغفَرُ له، والمؤمنُ لا يُناقَشُ الحسابَ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هذا معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾؛ والمعنى: كان مِنْ قَصَصِهِم أنَّا جَعلْنا بينهم ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي: قُرى الشامِ؛ وقد سبق بيانُ معنى البَرَكةِ

---

(١) السِّكْرُ بالسكون: ما سد به النهر.

(٢) في «اللسان»: الطرفاء: قال أبو حنيفة: الطرفاء من العضاه وهدبه مثل هدب الأثل، وليس له خشب وإنما يخرج عِصياً سمحة في السماء.

فيها[(١)]، هذا قولُ الجمهور. وحَكَى ابنُ السَّائبِ أنَّ اللَّهَ تعالى لمَّا أهلَكَ جنَّتَيهِم قالوا للرُّسلِ: قد عَرفنا نِعمةَ الله علينا، فلَئِنْ رَدَّ إلينا ما كنَّا عليه لنَعبُدَنَّه عبادةً شديدةً، فرَدَّ عليهم النِّعمة، وجعل لهم قُرىً ظاهرةً، فعادوا إلى الفسادِ وقالوا: باعِدْ بين أسفارِنا؛ فَمُزِّقوا.

قوله تعالى: ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ أي: مُتواصِلةً يَنظُر بعضُها إلى بعض ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ فيه قولان:
أحدهما: أنهم كانوا يَغدُون فيَقِيلُون في قريةٍ، ويَروحُونَ فيَبيتونَ في قريةٍ، قاله الحسَنُ، وقتادةُ.
والثاني: أنه جَعلَ ما بين القريةِ والقريةِ مِقداراً واحداً، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ والمعنى: وقُلنا لهم: سِيْروا فيها ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنْ مَخاوفِ السفر مِنْ جوعٍ أو عطشٍ أو سَبُعٍ أو تعبٍ. وكانوا يسيرون أربعةَ أشهرٍ في أمانٍ، فبَطِروا النِّعمةَ ومَلُّوها كما مَلَّ بَنو إسرائيلَ المَنَّ والسَّلوى ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «بَعِّد» بتشديد العينِ وكَسْرِها. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ: «باعِدْ» بألِفٍ وكَسرِ العين. وعن ابنِ عباسٍ كالقراءتين. قال ابنُ عباسٍ: إنهم قالوا: لو كانت جَنَّاتُنا أبعدَ ممَّا هي، كان أجْدَرَ أنْ يُشتهى جَناها. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: لمَّا ذكَّرتْهُم الرُّسلُ نِعَم الله، أنكَرُوا أنْ يكونَ ما هم فيه نِعمةً، وسألوا اللَّهَ أنْ يُباعِدَ بين أسفارِهم. وقرأ يعقوبُ: «ربُّنا» برفع الباء «باعَدَ» بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزلَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ بهم. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، وأبو رَجاءٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ أبي عَبلَةَ: «بَعُدَ» برفع العين وتخفيفِها وفتح الدال مِنْ غيرِ ألِفٍ، على طريقِ الشَّكايَةِ إلى الله عزَّ وجلَّ. وقرأ عاصِمٌ الجَحْدَري؛ وأبو عِمرانَ الجَوني: «بُوعِدَ» برفع الباء وبواوٍ ساكنةٍ مع كَسرِ العين. قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فيه قولان:
أحدهما: بالكُفرِ وتكذيبِ الرُّسلِ. **والثاني**: بقولهم: «بَعِّدْ بين أسفارِنا». ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لِمَنْ بعدَهم يتحدَّثون بما فُعِلَ بهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فَرَّقْناهم في كلِّ وَجهٍ مِنَ البلاد كلَّ التَّفريق، لأنَّ الله لمَّا غَرَّقَ مكانَهم وأذهَبَ جنَّتَيهم تبدَّدوا في البلاد، فصارت العربُ تتمثَّلُ في الفُرقَةِ بسَبأ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما فُعِلَ بهم ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ أي: لَعِبَراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لِنِعَمِه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ «عليهم» بمعنى «فيهم»، وصدَّقه في ظَنِّه أنَّه ظَنَّ بهم أنَّهم يَتَّبِعُونَهُ إذ أغواهُم، فوَجدَهُم كذلك. وإنما قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ بالظَّنِّ، لا بالعِلْم، فمَنْ قرأ: «صَدَّق» بتشديدِ الدال، فالمعنى: حَقَّقَ ما ظَنَّهُ فيهم بما فَعلَ بهم؛ ومَنْ قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صَدَقَ عليهم في ظَنِّهِ بهم. وفي المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم أهلُ سَبأ. **والثاني**: سائرُ المُطيعين لإبليسَ. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ قد شرحناه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[(٢)]. قال الحسَنُ: واللَّهِ ما ضَرَبَهُم بعصاً ولا قهرَهُم على شيءٍ، إلا أنه دَعاهُم إلى الأماني والغُرورِ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ما كان تسليطُنا إيَّاه إلاَّ لِنَعلَمَ المؤمنين مِنَ الشَّاكِّين. وقرأ الزُّهري: «إلاَّ لِيُعْلَم» بياءٍ مرفوعةٍ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه. وقرأ ابنُ يَعمُرَ: «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء. وفي المُراد بعِلمِه ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: قد شرحناها في أوَّلِ العنكبوت[(٣)]. ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنَ الشَّكِّ والإيمانِ ﴿حَفِيظٌ﴾، وقال ابنُ قُتَيبةَ: والحَفيظُ بمعنى الحافِظ. قال الخَطَّابيُّ: وهو فَعيل بمعنى فاعِل، كالقدير،

---

(١) الأنبياء: ٧١. (٢) الحجر: ٤٢. (٣) العنكبوت: ٣.

والعَلِيم، فهو يحفظُ السَّمواتِ والأرضَ بما فيها لِتَبقى مُدَّةَ بقائِها، ويَحفظُ عبادَهُ مِنَ المَهالكِ، ويَحفظُ عليهم أعمالَهُم، ويعلمُ نيَّاتِهم، ويحفظُ أولياءَهُ عن مُواقَعةِ الذُّنوب، ويَحرُسُهم مِنْ مكايدِ الشيطان.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ المعنى: قُلْ للكفَّار: ادعُوا الذين زَعمتُم أنهم آلهةٌ لِيُنْعِموا عليكم بنِعْمةٍ، أو يَكشِفوا عنكم بَليَّةً. ثم أخبرَ عنهم فقال: ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: مِنْ خيرٍ وشرٍّ ونفعٍ وضُرٍّ ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ﴾ لم يُشارِكونا في شيءٍ مِنْ خلقِهما، ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ أي: وما للَّهِ ﴿مِنۡهُم﴾ أي: مِنَ الآلهةِ ﴿مِّن ظَهِيرٖ﴾ أي: مِنْ مُعينٍ على شيءٍ. ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أذِنَ له» بفتح الألِفِ. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، «أُذِنَ له» برفع الألِفِ، وعن عاصِمٍ كالقراءتين. أي: لا تنفعُ شفاعةُ مَلَكٍ ولا نبيٍّ حتى يُؤْذَنَ له في الشفاعة، وقيلَ: حتى يُؤذَنَ له فيمَنْ يشْفَعُ. وفي هذا ردٌّ عليهم حين قالوا: إنَّ هذه الآلهةَ تَشفَعُ لنا. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قرأ الأكثرون: «فُزِّعَ» بضمِّ الفاء وكَسْرِ الزاي، قال ابنُ قُتيبةَ: خُفِّفَ عنها الفزَعُ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: كُشِفَ الفزَعُ عن قلوبِهم. وقرأ ابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وأبَانُ: «فَزَّعَ» بفتح الفاء والزاي، والفعلُ لله عزَّ وجلَّ. وقرأ الحسَنُ، وقَتادةُ، وابنُ يَعمَرَ: «فرغ» بالراء غير مُعجمةٍ، وبالغَين معجمة، وهو بمعنى الأول، لأنها فَرَغَتْ مِنَ الفزعِ. وقال غيرُه بل فَرَغَتْ مِنَ الشَّكِّ والشِّركِ. وفي المُشارِ إليهم قولان(١):

أحدهما: أنهم الملائكة وقد دل الكلام على أنهم يفزعون لأمر يطرأ عليهم من أمر الله ولم يذكره في الآية، لأن إخراج الفزع يدل على حصوله وفي سبب فزعهم قولان: أحدهما: أنهم يَفزعون لسماعِ كلام الله تعالى. ورَوى عبدُ الله بنُ مسعودٍ عن رسول الله ﷺ قال:

[١١٨٣] «إذا تكلَّم اللَّهُ بالوَحي سَمعَ أهلُ السماء صَلْصَلةً كَجَرِّ السِّلسِلة على الصَّفَا، فيُصعَقونَ، فلا يَزالون كذلك حتى يأتيَهُم جِبريلُ، فإذا جاءَهُم جِبريلُ فزِّعَ عن قلوبِهم، فيقولون: يا جِبريلُ، ماذا

[١١٨٣] حسن بشواهده. أخرجه أبو داود ٤٧٣٨ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤٥ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٣٤ وابن حبان ٣٧، ورجاله ثقات معروفون. وأخرجه موقوفاً ابن خزيمة في التوحيد ص ١٤٦ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٣٢ كلاهما عن أبي معاوية به. وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٩٢، ٩٣ والخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٩٣ وعبد الله بن أحمد في «السنة» ص ٧١ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤٦ ـ ١٤٧ من طرق عن الأعمش به موقوفاً على عبد الله. وعلقه البخاري عن مسروق عن ابن مسعود موقوفاً كما في «الفتح» ١٣/ ٤٥٢. ومع ذلك فمثله لا يقال بالرأي، ويشهد لأصله ما بعده.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٣٧٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، حتى إذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦٥٩: وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه.

قال ربُّكَ؟ قال: فيقول: الحقَّ، فيُنادون: الحقَّ الحقَّ».

[١١٨٤] وروى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا قَضَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ الأمرَ في السماءِ ضَربَتِ الملائكةُ بأجنِحَتِها خُضْعَاناً لقوله، كأنه سِلْسِلةٌ على صَفوَانَ، فإذا فُزِّعَ عن قلوبِهم قالوا: ماذا قال ربُّكم، قالوا للذي قال: الحقَّ وهو العليُّ الكبير».

والثاني: أنهم يَفزَعون مِنْ قيام الساعة. وفي السبب الذي ظَنُّوه بدُنُوِّ الساعة فَفزِعوا، قولان:

[١١٨٥] أحدهما: أنه لمَّا كانت الفترةُ التي بين عيسى ومحمَّدٍ صلَّى الله عليهما وسَلَّمَ، ثم بَعثَ اللَّهُ محمَّداً، أنزَلَ اللَّهُ جِبريلَ بالوَحي، فلمَّا نزلَ ظَنَّتِ الملائكةُ أنه نَزلَ بشيءٍ مِنْ أمرِ الساعة، فصُعِقُوا لذلك، فجَعلَ جِبريلُ يَمرُّ بكلِّ سماءٍ ويَكشِفُ عنهم الفَزَعَ ويُخبِرُهم أنه الوَحيُ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، وابنُ السَّائبِ. وقيلَ: لمَّا علموا بالإيحَاءِ إلى محمَّدٍ ﷺ، فَزِعوا، لِعِلْمِهم أنَّ ظُهورَه مِنْ أشراطِ الساعة.

[١١٨٦] والثاني: أنَّ الملائكةَ المُعقِّباتِ الذين يختلفون إلى أهلِ الأرض ويكتبون أعمالَهُم إذا أرسلَهُم اللَّهُ تعالى فانحَدَروا، يُسْمَعُ لهم صوتٌ شديدٌ، فيحْسَبُ الذين هم أسفَلَ منهم مِنَ الملائكة أنه مِنْ أمرِ الساعة، فيَخِرُّون سُجَّداً، ويُصْعَقُون حتى يعلموا أنه ليس مِنْ أمرِ الساعة، وهذا كلَّما مَرُّوا عليهم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ مسعودٍ.

والقول الثاني: أنَّ الذي أُشِيرَ إليهم المشركون؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنَّ المعنى: حتى إذا كُشِفَ الفَزعُ عن قلوبِ المشركين عند الموت ـ إقامةً للحُجَّةِ عليهم ـ قالت لهم الملائكةُ: ماذا قال ربُّكم في الدنيا؟ قالوا: الحقَّ، فأَقَرُّوا حين لم يَنْفَعُهم الإقرارُ، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ. والثاني: حتى إذا كُشِفَ الغِطاءُ عن قلوبِهم يومَ القيامة، قيلَ لهم: ماذا قال ربُّكم؟ قاله مُجاهدٌ.

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني النَّباتَ والثَّمرَ. وإنما

[١١٨٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٧٠١ و ٧٤٨١ و ٤٨٠٠ وأبو داود ٣٩٨٩ والترمذي ٣٢٢٣ وابن ماجه ١٩٤ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٤٧ وابن حبان ٣٦ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ وابن منده في «الإيمان» ٧٠٠ والحميدي ١١٥١ من طرق عن سفيان به.

[١١٨٥] لا أصل له، عزاه المصنف لابن السائب الكلبي ومقاتل، وكلاهما يضع الحديث. وأخرجه الطبري ٢٨٨٥٤ عن قتادة قال: يوحي الله إلى جبرائيل، فتفرّق الملائكة، أو تفزع مخافة يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم، وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة **﴿قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾**. وهذا من كلام قتادة، ليس بمرفوع، فالخبر ليس له أصل في المرفوع.

[١١٨٦] موقوف ضعيف. أخرجه الطبري ٢٨٨٥٥ عن الضحاك عن ابن مسعود قوله، وإسناده ضعيف، شيخ الطبري لم يسمّ، والضحاك لم يلق ابن مسعود.

أُمِرَ أنْ يسألَ الكفَّارَ عن هذا، احتجاجاً عليهم بأنَّ الذي يَرزُق هو المُستَحِقُّ للعبادة، وهم لا يُثبِتُون رازقاً سواهُ، ولهذا قيلَ له: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ لأنهم لا يُجيبون بغير هذا؛ وها هنا تمَّ الكلامُ. ثم أمَرَه أنْ يقولَ لهم: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ مذهبُ المُفسِّرين أنَّ «أو» ها هنا بمعنى الواو. وقال أبو عُبيدَةَ: معنى الكلام: وإنَّا ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾، وإنَّكم لفي ضلالٍ مبينٍ. وقال الفَرَّاءُ: معنى «أو» عند المُفسِّرين معنى الواو، وكذلك هو في المعنى، غيرَ أنَّ العربيَّة على غيرِ ذلك، لا تكون «أو» بمنزلةِ الواو، ولكنها تكون في الأمرِ المُفوَّضِ، كما تقول: إنْ شِئتَ فَخُذْ دِرهماً أو اثنين، فله أنْ يأخذَ واحداً أو اثنين، وليس له أنْ يأخذَ ثلاثةً، وإنما معنى الآية: وإنَّا لَضالُّون أو مُهتَدون، وإنكم أيضاً لَضالُّون أو مُهتَدُون، وهو يَعلَمُ أنَّ رسولَه المُهتَدي، وأنَّ غيرَه الضَّالُّ، كما تقول للرجل تُكذِّبُه: واللّهِ إنَّ أحدَنا لَكاذبٌ ـ وأنتَ تَعنيه ـ فكذَّبتَهُ تكذيباً غيرَ مكشُوفٍ؛ ويقول الرجل: واللّهِ لقد قَدِمَ فلانٌ، فيقول له مَنْ يَعلَم كذبَهُ: قُلْ: إنْ شاءَ اللّهُ، فيُكذِّبه بأحسنَ مِنْ تصريح التكذيبِ؛ ومِنْ كلام العرب أنْ يقولوا: قاتَلَهُ اللّهُ، ثم يَستقبِحونَها، فيقول: قاتَعَه اللّهُ، ويقول بعضُهم: كاتَعَهُ اللّهُ؛ ويقولون: جوعاً، دعاءً على الرجل، ثم يستقبحونها فيقولون: جوداً، وبعضهم يقول: جوساً؛ ومن ذلك قولهم: وَيحَكَ ووَيسَكَ، وإنما هي في معنى «وَيلَكَ» إلاَّ أنها دُونَها. قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أي: لا تُؤاخَذون به ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكُفرِ والتَّكذيبِ؛ والمعنى إظهارُ التَّبرِّي منهم. وهذه الآيةُ عند أكثرِ المُفسِّرين مَنسُوخةٌ بآيةِ السيفِ، ولا وَجهَ لذلك. قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يعني عند البَعثِ في الآخرة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي يقضي ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعَدْلِ ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ القاضي ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يقضي ﴿قُلْ﴾ للكفَّارِ ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: أَعلِمُوني مِنْ أيِّ وَجهٍ ألحَقتُمُوهم وهم لا يَخلقُون ولا يرزقُون ﴿كَلَّا﴾ رَدْعٌ وتنبيهٌ؛ والمعنى: ارتَدِعوا عن هذا القول، وتَنبَّهوا عن ضَلالَتِكم، فليس الأمرُ على ما أنتم عليه.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عامَّةً لجميع الخلائقِ. وفي الكلام تقديمٌ، تقديره: وما أرسلْناكَ إلاَّ للناس كافَّةً. وقيل: معنى «كافة للناس»: تَكفُّهم عمَّا هُم عليه مِنَ الكُفرِ، والهاءُ فيه للمُبالغة. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يَعنُونَ العذابَ الذي يَعِدُهم به في يوم القيامة؛ وإنما قالوا هذا لأنَّهم يُنكِرون البَعثَ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه يومُ الموت عندَ النَّزعِ والسِّياقِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: يومَ القيامة، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم

مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني مُشركي مكَّة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعنون التَّوراةَ والإنجيلَ، وذلك أنَّ مؤمني أهلِ الكتاب قالوا: إنَّ صِفةَ محمَّدٍ في كتابِنا، فكفرَ أهلُ مكَّةَ بكتابِهم. ثم أخبرَ عن حالِهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني مُشركي مكَّة ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: يَرُدُّ بعضُهم على بعضٍ في الجِدالِ واللَّوم ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ وهم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ وهم الأشرافُ والقادَةُ: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مُصَدِّقين بتوحيدِ الله؛ والمعنى: أنتُم مَنعتُمونا عن الإيمان؛ فأجابَهُم المَتبُوعون فقالوا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: مَنعناكُم عن الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ به الرَّسولُ؟ ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ بتَرْكِ الإيمان ـ وفي هذا تنبيهٌ للكفَّارِ على أنَّ طاعة بعضِهم لبعضٍ في الدنيا تصيرُ سبباً للعَداوة في الآخرة ـ فرَدَّ عليهم الأتباعُ فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: بلْ مَكرُكُم بنا في الليلِ والنَّهارِ. قال الفَرَّاءُ: وهذا ممَّا تَتوسَّعُ فيه العربُ لوضوحِ معناه، كما يقولون: ليلُه قائمٌ، ونهارُه صائمٌ، فتُضيفُ الفِعلَ إلى غيرِ الآدَميين، والمعنى لهم. وقال الأخفشُ: وهذا كقوله تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾[1]، قال جَريرٌ:

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيلانَ في السُّرَى ونِمْتِ وما لَيلُ المَطِيِّ بنائمِ[2]

وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَري: «بل مَكَرَ» بفتحِ الكاف والرَّاء «الليلُ والنهارُ» برفعِهما. وقرأ ابنُ يَعمَرَ: «بل مَكْرٌ» بإسكانِ الكاف ورفعِ الراء وتنوينِها، «الليلَ والنهارَ» بنصبِهما.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لهم: إنَّ دِينَنا حقٌّ ومحمَّدٌ كذَّابٌ، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ وقد سبقَ بيانُه في يُونس[3].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إذا دَخلوا جهنَّمَ غُلَّتْ أيديهم إلى أعناقِهم، وقالت لهم خَزَنةُ جهنَّمَ: هل تُجزَون إلاَّ ما كُنتم تعملون في الدنيا. قال أبو عُبيدَةَ: مجازُ «هل» ها هنا مجازُ الإيجَابِ، وليس باستفهامٍ؛ والمعنى: ما تُجزَونَ إلاَّ ما كنتم تعملون.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ

---

(١) محمد: ١٣.

(٢) في «اللسان»: السُّرَى: سير الليل عامته. (٣) يونس: ٥٤.

مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي نبيٍّ يُنذِرُ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ وهم أغنياؤُها ورؤساؤُها.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾. في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم المُتْرَفون مِنْ كلِّ أُمَّةٍ. **والثاني**: مُشركو مكَّةَ، فظنُّوا مِنْ جَهلهم أنَّ الله خوَّلَهُم المالَ والولَدَ لكرامَتِهم عليه، فقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لأنَّ الله أحسنَ إلينا بما أعطانا فلا يُعذِّبُنا، فأخبرَ أنَّهُ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ والمعنى أنَّ بَسْطَ الرِّزق وتضييقَهُ ابتلاءٌ وامتِحانٌ، لا أنَّ البَسْطَ يدلُّ على رِضى الله، ولا التَّضييقُ يدلُّ على سَخطِهِ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ثم صَرَّحَ بهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ قال الفرَّاءُ: يَصلُح أنْ تقعَ «التي» على الأموالِ والأولاد جميعاً، لأنَّ الأموالَ جَمعٌ والأولادَ جمعٌ؛ وإنْ شِئتَ وجَّهتَ «التي» إلى الأموالِ، واكتَفيْتَ بها مِنْ ذِكْرِ الأولاد؛ وأنشدَ لِمَرَّارِ الأسَدِي:

نَـحْـنُ بِـمَـا عِـنْـدَنَـا وأنْـتَ بِـمَـا عِـنْـدَكَ رَاضٍ والـرَّأْيُ مُـخْـتَـلِـفُ

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[(١)]. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وما أموالُكم بالتي تُقرِّبُكم، ولا أولادُكم بالذين يُقرِّبُونَكم، فحُذِفَ اختصاراً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وأبو الجَوزاءِ: «باللاتي تقرِّبكم». قال الأخفش: و «زُلفى» ها هنا اسمُ مصدرٍ، كأنه قال: تُقرِّبُكم عندنا ازدِلافاً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «زُلفى» أي: قُرْبى ومَنْزِلةً عِندَنا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ما تُقرِّبُ الأموالُ إلاَّ مَنْ آمَنَ وعملَ بها في طاعةِ الله، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ والمراد به ها هنا عشرُ حسناتٍ، تأويلُه: لهم جزاءُ الضِّعْفِ الذي قد أعلَمْتُكم مقدارَهُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: لم يُرِدْ فيما يرى أهلُ النَّظرِ ـ واللَّهُ أعلمُ ـ أنهم يُجازَون بواحدٍ مثلِه، ولا اثنين، ولكنه أراد جَزاءَ التَّضعيفِ، وهو مِثلٌ يُضَمُّ إلى مِثْلٍ ما بَلَغَ، وكأنَّ الضِّعفَ الزيادةُ، فالمعنى: لهم جزاءُ الزِّيادةِ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ، ورُوَيسٌ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «لهم جزاءً» بالنصب والتنوين وكَسْرِ التنوين وَصْلاً «الضِّعفُ» بالرفع. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وقَتادةُ؛ وأبو عِمْرانَ الجَوْني: «لهم جزاءٌ» بالرفع والتنوين «الضِّعفُ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ يعني غُرَفَ الجنَّةِ، وهي البيوت فوق الأبنية. وقرأ حمزةُ: «في الغُرْفَة» على التَّوحيد؛ أراد اسمَ الجنس. وقرأ الحسَنُ، وأبو المُتوكِّلِ: «في الغُرْفات» بضمِّ الغين وسكونِ الراء مع الألِفِ. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وابنُ يَعمُرَ: بضمِّ الغين وفتحِ الراء مع الألف ﴿آمِنُونَ﴾ مِنَ الموت والغِيَرِ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[(٢)] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: يأتي ببَدَلِه، يُقال: أخلَفَ اللَّهُ له وعليه: إذا أبدلَ ما ذهب عنه. وفي معنى الكلام أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: ما أنفقتُم مِنْ غير إسرَافٍ ولا تقتيرٍ فهو يُخلِفُه، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: ما أنفقتُم في طاعتِه، فهو يُخلفُه في الآخرة بالأجرِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: ما أنفقتُم في الخير والبرِّ فهو يُخلِفُه، إمَّا أنْ يُعجِّلَه في الدنيا،

---

(١) التوبة: ٣٤. (٢) الحج: ٥١ ـ الرعد: ٢٦.

أو يَدَّخره لكم في الآخرة، قاله ابنُ السَّائب. **والرابع**: أنَّ الإنسانَ قد يُنفِقُ مالَه في الخير ولا يَرى له خَلَفاً أبداً؛ وإنما معنى الآية: ما كان مِنْ خَلَفٍ فهو منه، ذكره الثَّعلبي. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لمَّا دَارَ على الألسنِ أنَّ السلطانَ يَرزقُ الجُندَ، وفُلانٌ يرزقُ عيالَه، أي: يُعطِيهم، أخبَرَ أنه خيرُ المُعْطِين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني المشركين؛ وقال مُقاتِلٌ: يعني الملائكةَ وَمَنْ عَبَدها ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ وهذا استفهامُ تقريرٍ وتوبيخٍ للعابدِين؛ فنزَّهتِ الملائكةُ ربَّها عن الشِّركِ فـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تنزيهاً لكَ مما أضافوه إليكَ مِنَ الشُّركاء ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: نحنُ نتبرَّأُ إليكَ منهم، ما تولَّيناهم ولا اتَّخذْناهم عابدِين، ولسنا نُريدُ وَليًّا غيرَكَ ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: يُطيعون الشياطين في عبادتِهم إيَّانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم﴾ أي: بالشياطين ﴿مُّؤْمِنُونَ﴾ أي: مُصدِّقون لهم فيما يُخبِرونَهم مِنَ الكذبِ أنَّ الملائكةَ بناتُ الله، فيقول اللَّهُ تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني في الآخرة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يعني العابدِين والمَعبُودِين ﴿نَّفْعًا﴾ بالشَّفاعةِ ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالتَّعذيب ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فعبَدوا غيرَ الله ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ...﴾ الآية. ثم أخبرَ أنهم يُكذِّبون محمَّداً والقرآنَ بالآيةِ التي تَلِي هذه، وتفسيرُها ظاهرٌ. ثم أخبرَ أنهم لم يقولوا ذلك عن بَيِّنةٍ، ولم يُكذِّبوا محمَّداً عن يقينٍ، ولم يأتِهم قبلَهُ كتابٌ ولا نبيٌّ يُخبِرُهم بفسادِ أمرِه، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ قال قَتادَةُ: ما أنزلَ اللَّهُ على العرب كتاباً قبلَ القرآن ولا بعثَ إليهم نبيًّا قبلَ محمَّدٍ؛ وهذا محمولٌ على الذين أنذرَهم نَبيُّنا محمد ﷺ؛ وقد كان إسماعيلُ نذيراً للعرب.

ثم أخبرَ عن عاقبة المُكذِّبين قبلَهم مُخوِّفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأُمَمَ الكافرةَ ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بَلَغ كفَّارُ مكَّةَ مِعشارَ ما آتينا الأُمَمَ التي كانت قبلَهم مِنَ القوَّة والمالِ وطُولِ العُمرِ، قاله الجمهور. **والثاني**: ما بَلَغ الذين مِنْ قَبلِهم مِعشارَ ما أعطينا هؤلاءِ مِنَ الحُجَّة والبُرهانِ. **والثالث**: ما بَلَغ الذين مِنْ قَبلِهم مِعشَارَ شُكرِ ما أعطيناهم، حكاهما المَاوَردي. والمِعشَارُ: العُشرُ. والنَّكيرُ: اسمٌ بمعنى الإنكارِ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: فكيف كان نَكِيري؛ وإنما حُذفت الياءُ لأنه آخرُ آيةٍ.

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي: آمُرُكم وأُوصيكم ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنها «لا إلهَ إلاّ اللّهُ»، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. **والثاني**: طاعةُ الله، رواه ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنها قولُه تعالى: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾، قاله قَتادَةُ. والمعنى: أنَّ التي أَعِظُكم بها، قيامُكم وتَشميرُكم لِطلَبِ الحقِّ، وليس بالقيام على الأقدام. والمُراد بقوله تعالى: «مثنى» يجتمع اثنان فيتناظَرانِ في أمرِ رسولِ الله ﷺ. والمُراد بـ «فرادى» أنْ يتفكَّرَ الرجلُ وحدَهُ، ومعنى الكلام: لِيتفكَّرِ الإنسانُ منكم وحدَهُ، ولْيَخلُ بغيره، ولْيُناظِرْ، ولْيَستَشِرْ، فَيَستَدِلَّ بالمَصنوعاتِ على صانعِها، ويُصدِّقَ الرسولَ على اتباعِه، ولْيَقُلِ الرجلُ لصاحبه: هَلُمَّ فلْنَتصادَقْ هل رأينا بهذا الرجل جِنَّةً قَطُّ، أو جرَّبْنا عليه كَذِباً قَطُّ. وتَمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، وفيه اختصارٌ تقديره: ثم تتفكَّروا لِتعلَموا صِحَّةَ ما أمَرتُكم به وأنَّ الرسولَ ليس بمَجنونٍ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغ الرِّسالةِ ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ والمعنى: ما أسألُكم شيئاً؛ ومثلُه قولُ القائل: ما لي في هذا فقَدْ وَهبتُهُ لكَ، يريد: ليس لي فيه شيءٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يُلقي الوحي إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ وقرأ أبو رَجاءٍ: «عَلاّمَ» بنصبِ الميم. ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو الإسلام والقرآن. وفي المراد بالباطلِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشيطان، لا يَخلُقُ أحداً ولا يَبعثُهُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه الأصنام، لا تُبدِئُ خَلْقاً ولا تُحيي، قاله الضَّحّاكُ. وقال أبو سُليمانَ: لا يَبتَدِئُ الصَّنمُ مِنْ عنده كلاماً فيُجاب ولا يَرُدُّ ما جاء مِنَ الحقِّ بحُجَّةٍ. **والثالث**: أنه الباطلُ الذي يُضادُّ الحقَّ؛ فالمعنى: ذهب الباطلُ بمجيءِ الحقِّ، فلم تَبْقَ منه بقيَّةٌ يُقبِلُ بها أو يُدبر أو يُبدِئُ أو يُعيد، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

قوله تعالى ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي إثمُ ضَلالَتي على نفسي وذلك أنَّ كُفّارَ مكَّةَ زعموا أنه قد ضَلَّ حينَ تَركَ دِينَ آبائه ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ مِنَ الحِكمةِ والبيانِ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ في زمانِ هذا الفَزع قولان: **أحدهما**: أنه حينَ البَعثِ مِنَ القبور، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه عندَ ظهورِ العذاب في الدّنيا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو الجيشُ الذي يُخسَفُ به بالبَيداءِ، يبقى منهم رجلٌ فيُخبِر الناسَ بما لَقُوا، وهذا حديثٌ مشروحٌ في التفسير، وأنَّ هذا الجيشَ يَؤُمُّ البيتَ الحَرامَ لِتَخريبِه، فيُخسَفُ بهم[1]. وقال الضَّحّاكُ وزيدُ بنُ أَسلَمَ: هذه الآيةُ فيمَنْ قُتِلَ يومَ بدرٍ مِنَ المشركين. قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ المعنى: فلا فَوْتَ لهم، أي: لا يُمكِنُهم أنْ يَفوتُونا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**:

(١) هذا من بدع التأويل، ولا يصح، والصواب أن ذلك يوم يحشرون إلى جهنم.

مِنْ مكانِهم يومَ بدرٍ، قاله زيدُ بنُ أَسلَمَ. **والثاني**: مِنْ تحتِ أقدامِهم بالخَسْفِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: مِنَ القبور، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وأينَ كانوا فَهُمْ مِنَ الله قريبٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: حين عايَنُوا العذابَ ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ في هاء الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها تعود إلى الله عزَّ وجلَّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: إلى البَعثِ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: إلى الرَّسول، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: إلى القرآن، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «التَّناوُش» غيرَ مهموزٍ. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، والمُفضَّلُ عن عاصِم: بالهَمزِ. قال الفَرَّاءُ: مَنْ هَمزَ جعله مِنْ «نأشتُ»، ومَنْ لم يَهمِزْ، جعله مِنْ «نُشتُ»، وهما مُتقاربان؛ والمعنى: تناوَلتُ الشيءَ، بمنزلةِ: ذِمْتُ الشيءَ وذأَمتُه: إذا عِبْتَه؛ وقد تَناوَشَ القومُ في القتال: إذا تناوَلَ بعضُهم بعضاً بالرِّماحِ، ولم يَتدانَوا كُلَّ التَّداني، وقد يجوزُ هَمزُ «التَّناؤش» وهي مِنْ «نُشْتُ» لانضمامِ الواو، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾[1]. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ هَمزَ «التَّناؤش» فلأنَّ واوَ التَّناوُشِ مضمومةٌ، وكُلُّ واوٍ مضمومةٍ ضَمَّتُها لازمةٌ، إنْ شِئتَ أبدلتَ منها همزةً، وإنْ شِئتَ لم تُبدِلْ نحو: أَدْؤُر. وقال ابنُ قُتَيبةَ: معنى الآية: وأنَّى لهم التَّناوُشُ لِمَا أرادوا بُلوغَه، وإدراكُ ما طلبوا مِنَ التَّوبة ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ وهو المَوضعُ الذي تُقبَلُ فيه التَّوبةُ. وكذلك قال المُفسِّرون: أنَّى لهم بتَناولِ الإيمانِ والتَّوبةِ وقد تَركُوا ذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت؟! قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ في هاءِ الكنايةِ أربعةُ أقوالٍ قد تقدَّمت في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، ومعنى ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: في الدنيا مِنْ قبلِ مُعايَنةِ أهوالِ الآخرة ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: يَرمُون بالظَّنِّ ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ وهو بُعدُهم عن العِلْم بما يقولون. وفي المُراد بمَقالَتِهم هذه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم يظُنُّون أنهم يُردُّون إلى الدنيا، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه قولُهم في الدنيا: لا بَعْثَ لنا ولا جَنَّةَ ولا نارَ، قاله الحَسَنُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنه قولُهم عن رسولِ الله ﷺ: هو ساحرٌ، هو كاهِنٌ، هو شاعرٌ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ أي مُنِعَ هؤلاءِ الكفَّارُ ممَّا يَشتهون، وفيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرُّجوعُ إلى الدنيا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الأهلُ والمالُ والولَدُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الإيمان، قاله الحَسَنُ. **والرابع**: طاعةُ الله، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: التَّوبةُ. قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: حِيلَ بين الجيش الذي خرجَ لِتخريبِ الكَعبةِ وبين ذلك بأنْ خُسِفَ بهم، قاله مُقاتِلٌ[2].

قوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمْرانَ: «كما فَعَل» بفتحِ الفاء والعين ﴿بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: بمَنْ كان مذهبُه مذهبَهم. قال المُفسِّرون: والمعنى: كما فُعِلَ بنُظَرائِهم مِنَ الكفَّارِ، مِنْ قَبلِ هؤلاءِ، فإنهم حِيلَ بينهم وبين ما يَشتهون. وقال الضَّحَّاكُ: هم أصحابُ الفِيلِ حين أرادوا خَرابَ الكعبةِ ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ﴾ مِنَ البَعثِ ونُزولِ العذاب بهم ﴿مُّرِيبِۭ﴾ أي: مُوقِعٍ لِلرِّيبَةِ والتُّهمَةِ. واللَّهُ أعلَمُ بالصَّواب.

---

(١) المرسلات: ١١.

(٢) لا يصح كما تقدّم.

سُورَةُ فَاطِر

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

وتُسمَّى سُورة الملائكة، وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقُهما مُبتدِئاً على غيرِ مِثالٍ. قال ابنُ عباسٍ: ما كنتُ أدري ما فاطِرُ السَّمواتِ والأرضِ حتى اختَصَمَ أعرابيَّان في بِئْرٍ، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها، أي: ابتدأتُها.

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وروى الحلبيُّ والقزَّازُ عن عبدِ الوارثِ: «جاعلٌ» بالرفع والتنوين «الملائكة» بالنَّصب ﴿رُسُلًا﴾ يُرسِلُهم إلى الأنبياءِ وإلى ما شاءَ مِنَ الأمور ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ أي: أصحابُ أجنحةٍ ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فبعضُهم له جناحانِ، وبعضُهم له ثلاثةٌ، وبعضُهم له أربعة، و ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ فيه خمسة أقوال: **أحدها**: أنه زادَ في خَلْقِ الملائكةِ الأجنحة، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: يَزيدُ في الأجنحةِ ما يشاءُ، رواه عبَّادُ بنُ منصورٍ عن الحسَنِ، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه الخَلْقُ الحسَنُ، رواه عوفٌ عن الحسَنِ. **والرابع**: أنه حُسنُ الصَّوتِ، قاله الزُّهري: وابنُ جُرَيجٍ. **والخامس**: المَلاحَةُ في العينَينِ، قاله قَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أي: مِنْ خيرٍ ورزقٍ. وقيل: أراد بها المطرَ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «فلا مُمْسِكَ له». وفي الآية تنبيهٌ على أنه لا إلهَ إلاَّ هو، إذ لا يستطيعُ أحدٌ إمساكَ ما فَتَحَ وفَتْحَ ما أمسَكَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: الخِطابُ لأهلِ مكَّةَ، و «اذكُروا» بمعنى احْفظُوا، ونِعمةُ الله عليهم: إسكانُهم الحَرَمَ ومَنْعُ الغاراتِ عنهم. ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «غيرِ الله» بخفضِ الراء، قال أبو عليٍّ: جَعَلاهُ صِفةً على اللفظِ، وذلك حَسَنٌ لإتباع الجَرِّ. وهذا استفهامُ تقريرٍ وتوبيخ؛ والمعنى: لا خالقَ سِواهُ ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿و﴾ ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ النَّباتَ. وما بعد هذا قد سبق بيانُه(١) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: إنه يريدُ هلاكَكُم ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي: أنزلُوه مِنْ أنفسِكُم منزلةَ الأعداءِ، وتَجنَّبوا طاعتَهُ ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ أي: شِيعَتَهُ إلى الكُفرِ ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١١٨٧] **أحدها**: أنها نزلت في أبي جَهْلٍ ومُشركي مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: في أصحاب الأهواءِ والمِلَلِ التي خالَفتِ الهُدى، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: أنهم اليهودُ والنَّصارى والمَجُوسُ، قاله أبو قِلابَةَ. فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ «أفَمَنْ زُيِّن له»؟. فالجوابُ مِنْ وجهين: ذكرهما الزَّجَّاجُ. **أحدهما**: أنَّ الجواب محذوفٌ؛ والمعنى: أفَمَنْ زُيِّن له سُوءُ عمله كمَنْ هَداهُ اللَّهُ؟ ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾. **والثاني**: أنَّ المعنى: أفَمَنْ زُيِّن له سُوءُ عملِه فأضلَّهُ اللَّهُ ذهبتْ نفسُكَ عليهم حَسَراتٍ؟! ويدلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾. وقرأ أبو جعفرَ: «فلا تُذْهِبْ» بضمِّ التاء وكَسْرِ الهاء «نَفْسَكَ» بنَصبِ السين. وقال ابنُ عباسٍ: لا تَغتمَّ ولا تُهلِكْ نَفْسَكَ حَسْرةً على تَرْكِهم الإيمانَ. قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تُزعِجُه مِنْ مكانِه؛ وقال أبو عُبيدَةَ: تجمعُه وتجيءُ به، و «سُقْناه» بمعنى «نسوقه»؛ والعربُ قد تضعُ «فَعَلْنا» في موضعِ «نَفْعَلُ»؛ وأنشدوا:

إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طارُوا بِها فَرَحاً ... مِنِّي ومَا سَمِعوا مِنْ صَالحٍ دَفَنُوا(٢)

المعنى: يَطيروا ويَدفِنوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ وهو الحياةُ، وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: كما أحيَا اللَّهُ الأرضَ بعد موتِها يُحيي المَوتى يومَ البَعثِ.

[١١٨٧] واهٍ بمرة. ورد في «أسباب النزول» للسيوطي ٩٢٨ برواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وهذا سند تالف، جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس. والصحيح عموم الآية.

---

(١) البقرة: ٢١٠، آل عمران: ١٨٤، لقمان: ٣٣.

(٢) البيت لقعنب بن أم صاحب كما في «اللسان» ـ أذن ـ وقد سبق تخريجه.

[١١٨٨] رَوى أبو رَزِينٍ العُقَيلي، قال: قلتُ: يا رسولَ الله؛ كيف يُحيي اللَّهُ الموتى؟ وما آيةُ ذلك في خَلْقِه؟ فقال: «هل مَررتَ بوادي أهلِكَ مَحْلاً، ثم مَررت به يَهتزُّ خَضِراً؟» قلتُ: نعم، قال: «فكذلك يُحيي اللَّهُ المَوتى، وتلكَ آيَتُه في خَلْقِه».

والثاني: كما أحيَا اللَّهُ الأرضَ المَيْتَةَ بالماء، كذلك يُحيي اللَّهُ الموتى بالماءِ. قال ابنُ مسعودٍ: يُرسِلُ اللَّهُ تعالى ماءً مِنْ تحتِ العَرشِ كمَنِيِّ الرِّجالِ، قال: فتَنبُتُ لُحمانُهم وجُسمانُهم مِنْ ذلك الماء، كما تَنبُتُ الأرضُ مِنَ الثَّرى، ثم قرأَ هذه الآيَةَ. وقد ذكرنا في الأعراف[١] نحوَ هذا الشَّرحِ.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: مَنْ كان يريد العزَّةَ بعبادةِ الأوثانِ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مَنْ كان يريد العزَّةَ فليَتَعزَّز بطاعةِ الله، قاله قَتادَةُ. وقد رَوى أنسٌ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[١١٨٩] «إنَّ ربَّكُم يقول كلَّ يومٍ: أنا العَزيزُ، فمَنْ أرادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِعِ العَزيزَ».

والثالث: مَنْ كان يُريد عِلْمَ العِزَّةِ لِمَنْ هي، فإنَّها لله جميعاً، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ؛ وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمي، والنَّخعيُّ، والجَحْدَريُّ، والشَّيزريُّ عن الكِسائيِّ: «يُصْعَدُ الكلامُ الطَّيِّبُ» وهو توحيدُه وذِكْرُه ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ قال عليُّ بنُ المَدِيني: الكَلِمُ الطَّيِّبُ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، والعملُ الصَّالحُ: أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المَحارمِ. وفي هاءِ الكنايةِ في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُهُۥۚ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها ترجعُ إلى الكَلِمِ الطَّيِّبِ؛ فالمعنى: والعملُ الصَّالحُ يَرفعُ الكَلِمَ الطَّيِّبَ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. وكان الحسَنُ يقول: يُعْرَضُ القولُ على الفعلِ، فإنْ وافقَ القولَ الفعلُ قُبِلَ، وإنْ خالَفَ رُدَّ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى العملِ الصَّالحِ، فالمعنى: والعملُ الصَّالحُ يرفعُهُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ، فهو عكسُ القولِ الأوَّلِ، وبه قال أبو صالحٍ، وشَهْرُ بنُ حَوْشَب. فإذا قُلنا: إنَّ الكَلِمَ الطَّيِّبَ هو التوحيدُ، كانت فائدةُ هذا القول أنه لا يُقبَلُ عملٌ صالحٌ إلاَّ مِنْ مُوَحِّدٍ.

[١١٨٨] ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ١١ والطيالسي ١٠٨٩ من حديث أبي رزين، وفيه وكيع بن عُدُس، قال الذهبي في «الميزان» لا يعرف، تفرد عنه يعلى بن عطاء اهـ فالإسناد ضعيف، وكيع مجهول العين.

[١١٨٩] باطل. أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١١٩ من حديث أنس، وأعله بداود بن عفان، وقال: قال ابن حبان: كان يضع الحديث على أنس. وكرره ١/ ١٢٠ من وجه آخر، وأعله بسعيد بن هبيرة، ونقل عن ابن عدي وابن حبان أنه كان يضع الحديث.

---

(١) الأعراف: ٥٧.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/ ٣٩٨: وأولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعاً، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦٧٣: من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها.

والثالث: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، فالمعنى: والعملُ الصالحُ يَرفعُه اللّهُ إليه، أي: يَقبلُه. قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: يَمكُرون: بمعنى يَكتسِبون ويَجْترِحون. ثم في المُشارِ إليهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّهم الذين مَكَروا برسولِ الله ﷺ في دارِ النَّدْوَةِ، قاله أبو العاليةِ. **والثاني**: أنَّهم أصحابُ الرِّياءِ، قاله مُجاهِدٌ، وشَهْرُ بنُ حَوْشَب. **والثالث**: أنَّهم الذين يعملون السَّيِّئاتِ، قاله قَتادةُ، وابنُ السَّائب. **والرابع**: أنَّهم قائِلُو الشِّرك، قاله مُقاتِلٌ.

وفي معنى ﴿يَبُورُ﴾ قولان: **أحدهما**: يَبْطُلُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: يَفْسُدُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (١١) وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢) يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ (١٣) إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ (١٤)﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ يعني آدمَ ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ يعني نَسْلَهُ ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ أي: أصنافاً، ذكوراً وإناثاً؛ قال قَتادةُ: زَوَّجَ بعضَهم ببعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾ أي: ما يَطُول عُمرُ أحدٍ ﴿وَلَا يُنقَصُ﴾ وقرأ الحسَنُ، ويعقوبُ: «يَنْقُصُ» بفتح الياء وضَمِّ القاف ﴿مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ في هذه الهاءِ قولان: **أحدهما**: أنها كنايةٌ عن آخَرَ، فالمعنى: ولا يُنقَصُ مِنْ عُمرِ آخَرَ؛ وهذا المعنى في روايةِ العَوْفيِّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ في آخرين. قال الفَرَّاءُ: وإنما كُني عنه كأنَّه الأولُ، لأنَّ لفظَ الثاني لو ظهرَ كان كالأوَّلِ، كأنَّه قال: ولا يُنقَصُ مِنْ عُمرِ مُعَمَّرٍ، ومثلُه في الكلام: عندي دِرهَمٌ ونِصفُهُ؛ والمعنى: ونِصفُ آخَرَ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى المُعَمَّرِ المذكورِ؛ فالمعنى: ما يذهبُ مِنْ عُمرِ هذا المُعَمَّرِ يومٌ أو ليلةٌ إلاَّ وذلك مكتوبٌ؛ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: مكتوبٌ في أوَّلِ الكتاب: عُمرُهُ كذا وكذا سنةً، ثم يُكتَبُ أسفلَ مِنْ ذلك: ذَهبَ يومٌ، ذَهبَ يومان، ذَهبتْ ثلاثةٌ، إلى أنْ ينقطعَ عُمرُه؛ وهذا المعنى في روايةِ ابنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرمَةُ وأبو مالكٍ في آخَرين.

فأما الكتاب، فهو اللَّوحُ المَحفوظُ. وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجعُ إلى كتابةِ الآجالِ. **والثاني**: إلى زيادةِ العُمرِ ونُقصانِه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ يعني العَذبَ والمِلْحَ؛ وهذه الآيةُ وما بعدَها قد سبق بيانُه[1] إلى قوله: ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو القِشْرُ الذي يكون على ظَهْرِ النَّواةِ. قوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ لأنهم جمادٌ ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ بأنْ يَخلُقَ اللّهُ لهم أسماعاً ﴿مَا

---

(١) آل عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٣، النحل: ١٤.

ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ أي: لم يكن عندهم إجابةٌ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: يتبرَّؤون مِن عبادتِكم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ يا محمَّدُ ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: عالِمٌ بالأشياء، يعني نَفْسَهُ عزَّ وجلَّ؛ والمعنى أنه لا أَخْبَرَ منه عزَّ وجلَّ بما أخبَرَ أنه سيكون.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: المحتاجون إليه ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عبادتِكم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ عند خَلْقِه بإحسانِه إليهم. وما بعدَ هذا قد تقدَّم بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي: نَفْسٌ مُثْقَلَةٌ بالذُّنوبِ ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ الذي حَمَلَتْ مِنَ الخطايا ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ الذي تَدْعُوهُ ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ذا قَرابَةٍ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يَخشونَهُ ولم يَرَوهُ؛ والمعنى: إنما تنفعُ بإنذارِكَ أهلَ الخشيةِ، فكأنَّكَ تُنذِرُهم دونَ غيرِهم لِمكانِ اختِصاصِهم بالانتفاعِ، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تَطَهَّرَ مِنَ الشركِ والفَواحِشِ، وفعَلَ الخيرَ ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فَصَلاحُه لنَفسِه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيَجزي بالأعمالِ. ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني المؤمنَ والمُشرِكَ، ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ يعني الشِّركَ والضَّلالاتِ ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ الهُدى والإيمانُ، ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ظِلُّ اللَّيلِ وسَمُومُ النَّهارِ، قاله عطاءٌ. **والثاني**: الظِّلُّ: الجنَّةُ، والحَرورُ: النَّارُ، قاله مُجاهِدٌ. قال الفَرَّاءُ: الحَرورُ بمنزلةِ السَّمُوم، وهي الرِّياحُ الحارَّةُ. والحَرُور تكون بالنَّهارِ وباللَّيلِ، والسَّمُومُ لا تكون إلاَّ بالنَّهار. وقال أبو عُبيدَة: الحَرُورُ تكون بالنَّهارِ مع الشمسِ، وكان رُؤْبةُ يقول: الحَرورُ باللَّيل، والسَّمُومُ بالنَّهار.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنَّ الأحياءَ: المؤمنون، والأمواتَ: الكفَّارُ. **والثاني**: أنَّ الأحياءَ، العُقَلاءُ: والأمواتَ: الجُهَّالُ. وفي «لا» المذكورةِ في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ مؤكِّدةٌ. **والثاني**: أنها نافيةٌ لاستواءِ أحدِ المذكُورَين مع الآخَرِ. قال قَتادةُ: هذه أمثالٌ ضَربها اللَّهُ تعالى للمؤمنِ والكافرِ، يقول: كما لا تَستوي هذه الأشياءُ، كذلك لا يَستوي الكافرُ والمؤمنُ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُفهِمُ مَنْ يريد إفهامَهُ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرحمنِ السُّلمي، والحسَنُ، والجَحْدَريُ: «بِمُسْمِعِ مَنْ» على الإضافة؛ يعني الكفَّارَ، شبَّهَهُم بالمَوتى، ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ قال بعضُ المُفسِّرين: نُسِخَ معناها بآيةِ السَّيفِ. قوله

(١) إبراهيم: ١٩ ـ ٧١، الأنعام: ١٦٤.

تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ما مِنْ أُمَّةٍ إلاّ قد جاءَها رسولٌ. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أثبتَ فيها الياءَ في الحالَين يعقوبُ، وَافقهُ في الوَصْلِ وَرْشٌ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ أي: ومِمَّا خَلَقْنا مِنَ الجبال جُدَدٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: الجُدَدُ: الخُطوطُ والطَّرائِقُ تكون في الجبالِ، فبعضُها بِيْضٌ، وبعضُها حُمرٌ، وبعضُها غَرَابِيْبُ سُودٌ، والغرابِيْبُ جمعُ غِرْبِيبٍ، وهو الشديدُ السَّوادِ، يُقال: أسْوَدُ غِرْبِيبٌ، وتمامُ الكلام عندَ قوله: «كذلك»، يقول: مِنَ الجبالِ مُختلِفٌ ألوانُه، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كاختلافِ الثَّمراتِ. قال الفَرَّاءُ: وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وسُودٌ غَرابيبُ، لأنه يُقال: أسودُ غِرْبِيبٌ، وقلَّما يُقال: غِرْبِيبٌ أسوَدُ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: ومِنَ الجبال غَرَابِيبُ سُودٌ، وهي ذَواتُ الصَّخرِ الأسْوَدِ. وقال ابنُ دُرَيدٍ: الغِرْبِيبُ: الأسْوَدُ، أَحْسِبُ أنَّ اشتِقاقَهُ مِنَ الغُرابِ. وللمُفسِّرين في المراد بالغَرَابِيبِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الطَّرائِقُ السُّودُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الأودِيَةُ السُّودُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: الجِبالُ السُّودُ، قاله السُّدِّيُّ.

ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماءَ باللَّهِ عزَّ وجلَّ. قال ابنُ عباسٍ: يُريد: إنَّما يَخافُني مِنْ خَلْقِي مَنْ عَلِمَ جَبَرُوتي وعِزَّتي وسُلطاني. وقال مُجاهِدٌ والشَّعْبِيُّ: العالِمُ مَنْ خافَ اللَّهَ. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: مَنْ لم يَخْشَ اللَّهَ فليس بعالِمٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني قُرَّاءَ القرآن، فأثنى عليهم بقراءةِ القرآنِ؛ وكانَ مُطَرِّفٌ يقول: هذه آيةُ القُرَّاءِ. وفي قوله تعالى ﴿يَتْلُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: يَقرؤون. **والثاني**: يَتَّبِعُون. قال أبو عُبيدَةَ: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بمعنى ويُقيمُون وهو إدامَتُها لِمَواقيتِها وحُدودِها. قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ قال الفَرَّاءُ: هذا جوابُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾. قال المُفسِّرون: والمعنى: يَرجونَ بفِعْلِهم هذا تجارةً لن تَفسُدَ ولن تَهلِكَ ولن تَكْسُدَ ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: جزاءَ أعمالِهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: سِوى الثَّوابِ ما لم تَرَ عينٌ ولم تسمَعْ أُذنٌ. فأمَّا الشَّكورُ، فقال الخَطَّابيُّ: هو الذي يَشكُر اليَسيرَ مِنَ الطاعة، فيُثيبُ عليه الكثيرَ مِنَ الثواب، ويُعطي الجَزيلَ مِنَ النِّعمَةِ، ويَرضى باليَسيرِ مِنَ الشُّكرِ؛ ومعنى الشُّكرِ المضافِ إليه: الرِّضى بيَسيرِ الطَّاعة مِنَ العَبدِ، والقَبولُ له، وإعظامُ الثَّوابِ عليه؛ وقد يَحتمِلُ أنْ يكونَ معنى الثناءِ على الله بالشَّكُورِ ترغيبُ

(١) آل عمران: ١٨٤.

الخَلقِ في الطاعة قَلَّتْ أو كَثُرَتْ، لِئلاً يَسْتَقِلُّوا القليلَ مِنَ العملِ، ولا يَتركُوا اليَسيرَ منه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ في «ثُمَّ» وجهان: **أحدهما**: أنها بمعنى الواو. **والثاني**: أنها للتَّرتيب. والمعنى: أنزلْنا الكُتبَ المتقدِّمَةَ، ثُمَّ أورَثْنا الكتابَ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الأنبياءُ وأتباعُهم، قاله الحسَنُ. وفي الكتاب قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ جنسٍ، والمُراد به الكُتبُ التي أنزلَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وهذا يُخرَّج على القولَين. فإنْ قُلنا: الذين اصطَفُوا أُمَّةُ محمَّدٍ، فقد قال ابنُ عباسٍ: إنَّ الله أورَثَ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ كلَّ كتابٍ أنزَلَهُ. وقال ابنُ جَريرٍ الطَّبَري: ومعنى ذلك: أورَثَهُم الإيمانَ بالكُتبِ كلِّها ـ وجميعُ الكُتبِ تأمُرُ باتِّباعِ القرآنِ ـ فهم مؤمنون بها عامِلون بمُقتضَاها؛ واستدَلَّ على صحةِ هذا القولِ بأنَّ اللَّهَ تعالى قال في الآيةِ التي قبلَ هذه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وأتبعَهُ بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فعَلِمْنا أنهم أُمَّةُ محمَّدٍ، إذ كان معنى المِيراثِ: انتقالُ شيءٍ مِنْ قومٍ إلى قومٍ، ولم تكُنْ أُمَّةٌ على عهدِ نبيِّنا ﷺ انتقَلَ إليهم كتابٌ مِنْ قومٍ كانوا قبلَهُم غيرِ أُمَّتِهِ. فإنْ قُلنا: هم الأنبياءُ وأتباعُهم، كان المعنى: أورَثْنا كلَّ كتابٍ أُنزِلَ على نبيٍّ ذلكَ النبيَّ وأتباعَه. **والقول الثاني**: أنَّ المرادَ بالكتاب القرآنُ. وفي معنى «أَوْرَثْنا» قولان: **أحدهما**: أعْطَيْنا، لأنَّ المِيراثَ، عطاءٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أخَّرْنا، ومنه المِيراثُ، لأنه تأخَّرَ عن المَيتِ؛ فالمعنى: أخَّرْنا القرآنَ عن الأُمَمِ السَّالِفةِ وأعطيناهُ هذه الأُمَّةَ، إكراماً لها، ذكرَهُ بعضُ أهلِ المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه صاحبُ الصغائرِ؛

[١١٩٠] رَوى عمرُ بنُ الخَطَّابِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «سَابِقُنا سابقٌ، ومُقتصِدُنا نَاجٍ، وظالِمُنا مَغفورٌ لَهُ».

[١١٩١] ورَوى أبو سعيدٍ الخُدريُّ عن رسولِ الله ﷺ في هذه الآيةِ، قال: «كلُّهم في الجنَّةِ».

[١١٩٠] أخرجه العقيلي في «الضعفاء» ١٤٩١ من طريق محمد بن أيوب عن عمرو بن الحصين به، وإسناده ضعيف جداً لأجل عمرو بن حصين، فإنه متروك. وأخرجه البيهقي في «البعث» ٦٥ من طريق حفص بن خالد عن ميمون بن سياه عن عمر به. وقال البيهقي: فيه إرسال بين ميمون، وعمر. وانظر ما بعده.

[١١٩١] حسن. أخرجه الترمذي ٣٢٢٥ وأحمد ٣/٧٨ والطبري ٢٩٠١٢ والطيالسي ٢٢٣٦ والبيهقي في «البعث» ٦١ من حديث أبي سعيد، وإسناده ضعيف. فيه رجل من ثقيف عن رجل من كنانة، وكلاهما لم يسمّ، فالخبر واهٍ، وضعفه الترمذي، بقوله: غريب اهـ لكن له شواهد. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٠٦٥.
ـ وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» ٢٥٧٧، وفيه نظر، وحسبه الحسن.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٦٨٠: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير، فقد قال: وأما الظالم لنفسه فإنه من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك.

والثاني: أنه الذي مات على كبيرةٍ ولم يَتُبْ منها، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه الكافرُ، رواه عمرُو بنُ دِينارٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١١٩٢] وقد رواه ابنُ عمرَ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ. فَعَلى هذا يكون الاصطِفاءُ لجُملةِ مَنْ أُنزلَ عليه الكتابُ، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[١] أي: لَشَرَفٌ لكم، وكم مِنْ مُكرَمٍ لم يَقبَلِ الكَرامةَ!

والرابع: أنه المنافقُ، حُكيَ عن الحسَنِ. وقد رُويَ عن الحسَنِ أنه قال: الظَّالمُ: الذي تَرجَحُ سيِّئاتُه على حسناته، والمُقتَصِدُ: الذي قد استَوَتْ حسناتُه وسيِّئاتُه، والسَّابقُ: مَنْ رَجَحَتْ حسناتُه. ورُوِي عن عُثمانَ بنِ عَفَّانَ أنه تَلا هذه الآيةَ، فقال: سَابِقُنا أهلُ جِهادِنا، ومُقتَصِدُنا أهلُ حَضَرِنا، وظالِمُنا أهلُ بَدْوِنا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ﴾ وقرأ أبو المتوكل والجحدري وابن السميفع: «سبّاق» مثل: فعّال ﴿بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: بالأعمالِ الصَّالحةِ إلى الجنَّةِ، أو إلى الرَّحمةِ ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادتِه وأمرِه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ يعني إيراثَهم الكتابَ.

ثم أخبَرَ بثَوابِهم، فجَمعَهم في دخولِ الجنَّةِ فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ قرأ أبو عمرٍو وحدَهُ: «يُدخَلُونَها» بضمِّ الياء؛ وفتَحها الباقون، وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنَّصبِ. وروى أبو بكرٍ عن عاصِمٍ أنه كان يَهمِزُ الواوَ الثانيةَ ولا يَهمِزُ الأولى؛ وفي روايةٍ أخرى أنه كان يَهمِزُ الأولى ولا يَهمِزُ الثانيةَ. والآيةُ مفسَّرةٌ في سُورةِ الحَجِّ[٢]. قال كَعبٌ: تحاكَّتْ مناكِبُهم ورَبِّ الكعبةِ، ثم أُعطُوا الفَضْلَ بأعمالِهم.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾

ثم أخبرَ عمَّا يقولون عند دُخولِها، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ الحَزَن والحُزن واحدٌ، كالبَخَل والبُخل. وفي المُراد بهذا الحَزنِ خمسةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه الحُزنُ

[١١٩٢] باطل، أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٥/ ٤٧٤ عن عمر مرفوعاً، وتفرد ابن مردويه به دليل وهنه، ويخالفه ما تقدم من أحاديث، فهو متن باطل.

---

(١) الزخرف: ٤٤. (٢) الحج: ٢٣.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» ١٠/٤١٦: وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن =

لِطُولِ المُقامِ في المَحشرِ.

[١١٩٣] روى أبو الدَّرداءِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «أمَّا السَّابقُ، فيَدخلُ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا المُقتَصِدُ، فيُحاسَبُ حِساباً يَسيراً، وأمَّا الظَّالمُ لنفسِه، فإنه حَزِينٌ في ذلك المُقامِ»، فهو الحَزَنُ والغَمُّ، وذلك قوله تعالى: «الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَن».

[١١٩٤] **والثاني**: أنه الجوعُ، رواه أبو الدَّرداءِ أيضاً عن رسولِ الله ﷺ، ولا يَصِحُّ، وبه قال شِمْرُ بنُ عَطيَّةَ. وفي لفظٍ عن شِمْرٍ أنه قال: الحَزنُ: هَمُّ الخُبزِ، وكذلك رُوِيَ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنه قال: الحَزنُ: هَمُّ الخُبزِ في الدنيا.

والثالث: أنه حَزنُ النَّارِ، رَواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: حَزنُهم في الدنيا على ذُنوبٍ سَلفَتْ منهم، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: حَزنُ الموتِ، قاله عَطيَّةُ.

والآيةُ عامَّةٌ في هذه الأقوال وغيرِها، ومِنَ القَبيحِ تخصيصُ هذا الحَزنِ بالخُبزِ وما يُشبهه، وإنما حَزِنوا على ذُنوبِهم وما يُوجِبُه الخَوفُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾ أي: أنزَلَنا ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ قال الفَرَّاءُ: المُقامَةُ هي الإقامَةُ، والمَقامةُ: المَجلِسُ، بالفتح لا غير، قال الشاعر:

يَــوْمَــانِ يَــوْمُ مَــقَــامَــاتٍ وَأَنْــدِيَــةٍ ... وَيَــوْمُ سَــيْــرٍ إِلــى الأَعْــدَاءِ تَــأْوِيــبِ[١]

قوله تعالى: ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: بتفضُّلِه، لا بأعمالِنا. والنَّصَبُ: التَّعَبُ. واللُّغوبُ: الإعياءُ مِنَ التَّعبِ. ومعنى ﴿لُغُوبٌ﴾: شيء يُلْغِبُ؛ أي: لا نَتكلَّفُ شيئاً نُعَنَّى منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ أي: لا يُهلَكُون فيستَريحوا ممَّا هُمْ فيه، ومثله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾[٢]. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ وقرأ أبو عمرٍو: «يُجزى» بالياء «كُلُّ»

[١١٩٣] حديث حسن أو شبه حسن بطرقه وشواهده دون لفظ «فإنه حزين...» فهذا ضعيف، ليس له شواهد.
أخرجه أحمد ٥/ ١٩٤ و ٦/ ٤٤٤ من طريق وكيع عن سفيان به. وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٦ ومن طريقه البيهقي في «البعث» ٦٢ من طريق جرير عن الأعمش به. وأخرجه أحمد ٥/ ١٩٨ من طريق أنس بن عياض الليثي عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٩٥ ـ (١٢٢٩٠): رواه الطبراني، وأحمد باختصار إلا أنه قال عن ثابت أو أبي ثابت... وثابت بن عبيد ومن قبله من رجال الصحيح، وفي إسناد الطبراني رجل غير مسمى. وقد فصّل الحاكم في اختلاف طرق هذا الحديث، وقال: إذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً. وللحديث شواهد منها الضعيف، وانظر «فتح القدير» ٢٠٦٦ و ٢٠٦٧.

[١١٩٤] لم أره مسنداً، وأمارة الوضع لائحة عليه، فإنه من بدع التأويل، واكتفى المصنف رحمه الله بقوله: لا يصح. وورد من كلام شمر بن عطية أحد علماء التفسير، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٤/ ٤٧٦.
ـ والصحيح عموم الآية في كل ما يحزن الإنسان من مصائب وهموم ونصب، وهو الذي اختاره المصنف.

= هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع.

(١) البيت لسلامة بن جندل كما في «اللسان» ـ أوب ـ. (٢) القصص: ٥١.

برَفعِ اللام. وقرأ الباقون: «نَجزي» بالنون «كُلَّ» بنصبِ اللام.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ وهو افتِعالٌ مِنَ الصُّراخ: والمعنى: يَستغِيثُون، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ أي: نُوحّدكَ ونُطيعكَ ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ مِنَ الشركِ والمعاصي؛ فوبَّخَهُم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ قال أبو عُبيدَة: معناه التَّقرير، وليس باستفهام؛ والمعنى: أوَ لَمْ نُعَمِّركُم عُمراً يَتذكَّر فيه مَنْ تذَكَّرَ؟! وفي مقدارِ هذا التَّعميرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه سبعونَ سنةً، قال ابنُ عمرَ: هذه الآيةُ تعييرٌ لأبناءِ السَّبعين. **والثاني**: أربعونَ سنةً. **والثالث**: ستونَ سنةً، رواهما مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبالأوَّلِ منهما قال الحسَنُ، وابنُ السَّائبِ. **والرابع**: ثماني عشرةَ سنةً، قاله عطاءٌ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، وأبو العَاليةِ، وقَتادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشَّيبُ، قاله ابنُ عمرَ وعِكرمَةُ وسُفيانُ بنُ عُيينةَ؛ والمعنى: أوَلَمْ نعمِرْكُم حتى شِبْتُم؟! **والثاني**: النبيُّ ﷺ، قاله قَتادَةُ وابنُ زيدٍ وابنُ السَّائبِ ومُقاتِلٌ. **والثالث**: موتُ الأهلِ والأقارِبِ. **والرابع**: الحُمَّى، ذكرهما المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾ يعني العذابَ ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: مِنْ مانعٍ يَمنعُ عنهم. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بيانُه[١] إلى قوله تعالى: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأمَّةُ التي خَلَفَتْ مَنْ قبْلَها ورأَتْ فيمَنْ تقدَّمها ما ينبغي أنْ تَعتبرَ به ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: جزاءُ كُفرِه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ المعنى: أخبِروني عن الذين عَبَدْتُم مِنْ دونِ الله واتَّخذْتُموهُم شُركاءَ بزَعمِكُم، بأيِّ شيءٍ أوجبتم لهم الشِّركَةَ في العبادة؟! أبِشيءٍ خَلقُوهُ مِنَ الأرض، أمْ شارَكُوا خالِقَ السَّمواتِ في خَلقِها؟! ثم عاد إلى الكفَّارِ فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ يأمُرهم بما يفعلون ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «على بيِّنةٍ» على التوحيد. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «بيِّنات» جمعاً. والمُراد: البيانُ بأنَّ مع الله شَريكاً ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني المشركين يَعِدُ ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ أنَّ الأصنامَ تَشفعُ لهم، وأنَّه لا حِسابَ عليهم ولا عِقابَ. وقال مُقاتِلٌ: ما يَعِدُ الشيطانُ الكفَّارَ مِنْ شفاعةِ الآلهةِ إلاَّ باطلاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: يَمنعُهما مِنَ الزَّوالِ والذَّهابِ والوقُوع. قال الفَرَّاءُ ﴿وَلَئِن﴾ بمعنى «ولو»، و«إنْ» بمعنى «ما»، فالتقدير: ولو زَالَتا ما أمسَكَهُما مِنْ أحَدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لمَّا قالت النَّصارى: المَسيحُ ابنُ الله، وقالت اليَهودُ: عُزَيرٌ ابنُ الله، كادَتِ السموات يتفطَّرْنَ والجبالُ أنْ تَزولَ والأرضُ أنْ تنشَقَّ، فأمسَكَها الله عزَّ وجلَّ؛ وإنَّما وَحَّدَ «الأرض» مع جَمْعِ «السموات»، لأنَّ الأرضَ تدلُّ على الأرَضِين. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ تحتملُ وَجْهَين: **أحدهما**: زَوالُهما يومَ القيامة. **والثاني**: أنْ يُقال

---

(١) المائدة: ٧.

تقديراً: وإنْ لم تَزُولا، وهذا مكانٌ يَدُلُّ على القُدرةِ، غيرَ أنه ذكر الحِلْم فيه، لأنه لمَّا أمسَكهما عند قولِهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[١]، حَلُمَ فلم يُعجِّلْ لهم العقوبةَ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني كفّارَ مكّةَ حَلفُوا بالله قبلَ إرسالِ محمَّدٍ ﷺ ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسولٌ ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ أي: أصْوبَ دِيْناً ﴿مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى والصَّابِئِينَ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مَجِيئُهُ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعُدا عن الهُدى، ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عُتوّاً على الله وتكبُّراً عن الإيمان به. قال الأخفشُ: نصب «استكباراً» على البَدلِ مِنَ النُّفورِ. قال الفرَّاءُ: المعنى: فعَلُوا ذلك استكباراً ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، فأُضيفَ المَكرُ إلى السَّيِّءِ، كقولِه: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[٢]، وتصديقُه في قراءةِ عبدِالله: «ومَكْراً سَيِّئاً»، والهمزةُ في «السَّيِّءِ» مَخفُوضةٌ، وقد جَزَمها الأعمشُ وحمزةُ، لكثرةِ الحَركاتِ؛ قال الزَّجّاج: وهذا عند النَّحويِّين الحُذّاقِ لَحنٌ، إنّما يجوز في الشِّعرِ اضطراراً. وقال أبو جعفرَ النَّحاسُ: كان الأعمشُ يَقِفُ على «مَكرَ السَّيِّ» فيترُكُ الحركةَ، وهو وَقْفٌ حَسَنٌ تامٌّ، فغَلِطَ الراوي؛ فروى أنه كان يَحْذِفُ الإعرابَ في الوَصْلِ، فتابعَ حمزةُ الغلطَ، فقرأ في الإدراجِ بتَرْكِ الحركةِ. وللمُفسِّرين في المراد بـ «مكر السيّء» قولان: **أحدهما**: أنه الشِّركُ. قال ابنُ عباسٍ: عاقبةُ الشِّركِ لا تَحلُّ إلا بمَنْ أشركَ. **والثاني**: أنه المَكرُ برسولِ الله ﷺ، حكاه الماوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: إلاّ أنْ يَنزلَ العذابُ بهم كما نَزَلَ بالأُمَمِ المُكذِّبةِ قبلَهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ﴾ في العذابِ ﴿تَبْدِيلًا﴾ وإنْ تأخَّر ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يَقْدِرُ أحدٌ أنْ يُحوِّلَ العذابَ عنهم إلى غيرِهم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ هذا عامٌّ، وبعضُهم يقول: أراد بالناس المُشركين. والمعنى: لو وَاخذَهُم بأفعالِهم لَعَجَّلَ لهم العقوبةَ. وقد شرحنا هذه الآيةَ في «النَّحل»[٣]. وما أخلَلْنا به فقد سبقَ بيانُه[٤]. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ قال ابنُ جَريرٍ: بصيراً بمَنْ يستحِقُّ العُقوبةَ ومَنْ يستوجِبُ الكرامَةَ.

---

(١) مريم: ٨٨. (٢) الحاقة: ٥١. (٣) النحل: ٦١.

(٤) يوسف: ١٠٩، الروم: ٩، الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١.

سورة يس

ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

وفيها قولان[١]: **أحدهما**: أنها مكّيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعِكرَمةُ، وقَتادةُ، والجمهور. ورُوي عن ابنِ عباسٍ وقَتادةَ أنهما قالا: إنها مكّيَّةٌ إلاّ آيةً منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾[٢]. **والثاني**: أنها مَدنيَّةٌ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقي، وقال: ليس بالمشهور.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾

وفي قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ خمسةُ أقوالٍ:

[١١٩٥] أحدها: أنَّ معناها: يا إنسانُ، بالحَبشيَّةِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعِكرمَةُ، ومُقاتِلٌ.

والثاني: أنها قَسَمٌ أقسَمَ اللهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ معناها: يا محمَّدُ، قاله ابنُ الحَنفيَّة، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنَّ معناها: يا رَجُلُ، قاله الحَسنُ. **والخامس**: اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادةُ. وقرأ الحسَنُ، وأبو الجَوزاءِ: «يَسِنِ» بفتح الياء وكسرِ النون. وقرأ أبو المُتوكِّلِ وأبو رَجاءٍ وابنُ أبي عَبلَةَ بفتح الياء والنون جميعاً. وقرأ أبو حَصِينٍ الأسدي بكسرِ الياء وإظهارِ النون. قال الزَّجّاجُ: والذي عند أهلِ العربية أنَّ هذا بمنزلة افتتاح السُّوَرِ، وبعضُ العرب يقول: «يَسَنَ والقرآن» بفتحِ النون، وهذا جائزٌ في العربية لِوَجهين: **أحدهما**: أنَّ «يَس» اسمٌ للسُّورة، فكأنه قال: اتلُ يَس، وهو على وزن هابيل وقابيل لا يَنصرِفُ. **والثاني**: أنه فُتِحَ لالتقاءِ السَّاكِنَين، والتسكينُ أجودُ لأنه حرفُ هجاءٍ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ هذا قَسَمٌ، وقد سبقَ معنى

[١١٩٥] أخرجه الطبري ٢٩٠٤٨ بسند رجاله ثقات عن عكرمة عن ابن عباس، والله أعلم.

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» ١٥/٥: هي مكية بإجماع، إلا أن فرقة قالت: إن قوله تعالى **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** [الآية ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار... قلت: وفي هذا نظر وسيأتي.

(٢) يس: ٤٥.

«الحكيم»[١]، قال الزَّجّاجُ: وجوابُه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ وأَحسنُ ما جاء في العربيَّة أنْ يكونَ «لَمِنَ المُرْسَلِينَ» خبرَ «إنَّ»، ويكون قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبراً ثانياً، فيكون المعنى: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِين، إنَّكَ على صِراطٍ مستقيم. ويجوز أنْ يكونَ «على صِراطٍ» مِنْ صِلَةِ «المُرْسَلِين»، فيكون المعنى: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ الذين أُرسِلوا على طريقةٍ مستقيمةٍ. قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «تنزيلُ» برفع اللام. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «تنزيلَ» بنصب اللام. وعن عاصِمٍ كالقِراءتين. قال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ بالنَّصبِ، فعَلَى المصدر، على معنى: نزَّلَ اللهُ ذلك تنزيلاً، ومَنْ قرأ بالرفع، فعَلَى معنى: الذي أُنزِلَ إليكَ تنزيلُ العزيزِ. وقال الفَرَّاءُ: مَنْ نَصبَ، أراد: إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ تنزيلاً حقّاً مُنزلاً ويكون الرفعُ على الاستئناف، كقوله: «ذلك تنزيلُ العَزيزِ». وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو العَالِيةِ، والحَسَنُ، والجَحْدَري: «تنزيلِ» بكسرِ اللام. وقال مُقاتِلٌ: هذا القرآنُ تنزيلُ العَزيزِ في مُلْكِه، الرَّحيمِ بِخَلْقِه.

قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: أنها نفيٌ، وهو قولُ قَتادَةَ والزَّجّاجِ في الأكثرين. **والثاني**: أنها بمعنى «كما»، قاله مُقاتِلٌ. وقيلَ: هي بمعنى «الذي».

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي: عن حُجَجِ التوحيدِ وأدلَّةِ البَعثِ.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وَجَبَ العذابُ. **والثاني**: سَبقَ القولُ بكُفرهم.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ، وهذه إشارةٌ إلى إرادةِ الله تعالى السَّابقةِ لكُفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لِمَا سبقَ مِنَ القَدَرِ بذلك. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنها مَثَلٌ، وليس هناك غُلٌّ على حقيقةٍ، قاله أكثرُ المُحققين، ثم لهم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها مَثَلٌ لِمَنعِهم عن كلِّ خيرٍ، قاله قَتادةُ. والثاني: لِحَبْسِهم عن الإنفاقِ في سبيلِ الله بمَوانعَ كالأغلالِ، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. والثالث: لِمَنعِهم مِنَ الإيمان بالله، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والقول الثاني**: أنها موانعُ حِسِّيَّةٌ مَنَعَتْ ما يَمنعُ الغُلُّ.

---

(١) البقرة: ٣٢.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/٦٩٢: يقول الله تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتُهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غُلّ، فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه فصار مقمحاً، ولهذا قال: ﴿فهم مقمحون﴾، والمقمح هو الرافع رأسه، كما قالت أم زرع في كلامها: «وأشرب فأتقمّحُ»، أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهنيئاً وترويًا. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

[١١٩٦] قال مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ: حَلفَ أبو جَهلٍ لَئِنْ رأى النبيَّ ﷺ يُصلّي لَيَدْمَغَنَّهُ، فجاءَهُ وهو يُصلّي، فرفعَ حَجَراً فيَبِسَتْ يدُه والتَصقَ الحَجَرُ بيده، فرجَع إلى أصحابه فأخبَرَهم الخبَرَ، فقامَ رجلٌ منهم فأخذَ الحجرَ، فلمَّا دَنا مِنْ رسول الله ﷺ طَمَسَ اللهُ على بصَرِهِ فلم يَرَهُ، فرجعَ إلى أصحابه فلم يُبْصِرهم حتى نادَوْه، فنزلَ في أبي جَهلٍ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ الآية. ونزل في الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلاَّ أنَّه وَصْفٌ لِمَا سيُنْزِلُه اللهُ تعالى بهم في النار، حكاه المَاوَرْدي.

قوله تعالى: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ قال الفَرَّاءُ: «فهي» كنايةٌ عن الأيمَانِ، ولم تُذْكَرْ، لأنَّ الغُلَّ لا يكون إلاَّ في اليَمين والعُنق جامعاً لهما، فاكتُفيَ بذِكرِ أحدِهما عن صاحبِه. وقال الزَّجَّاجُ: «هي» كنايةٌ عن الأيدي، ولم يَذْكُرها إيجازاً، لأنَّ الغُلَّ يتضمَّنُ اليدَ والعُنقَ، وأنشد:

وما أدري إذا يَمَّمْتُ أرضاً أُريدُ الخَيْرَ أيُّهما يَلِيني

وإنما قال: أيُّهما، لأنه قد عَلِمَ أنَّ الخير والشرَّ مُعرَّضان للإنسان. قال الفَرَّاءُ: والذَّقْنُ: أسفَلُ اللَّحْيَيْن، والمُقْمَحُ: الغاضُّ بصَرَهُ بعد رفع رأسه. قال أبو عُبيدَةَ: كُلُّ رافع رأسَه فهو مُقامِحٌ وقَامِحٌ، والجمع: قِمَاحٌ، فإنْ فُعِلَ ذلك بإنسانٍ فهو مُقْمَحٌ، ومنه هذه الآية. وقال ابنُ قُتيبة: يُقال: بَعيرٌ قامِحٌ، وإبلٌ قِمَاحٌ: إذا رَوِيَتْ مِنَ الماء فقَمَحَتْ، قال الشاعر ـ وذكر سفينةً ـ:

ونحنُ على جَوانِبِها قُعودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالإبِلِ القِمَاحِ(١)

وقال الأزهَري: المُراد أنَّ أيديَهم لمَّا غُلَّتْ عند أعناقِهم، رَفَعَتْ الأغلالُ أذقَانَهم ورؤوسَهم، فهم مَرفُوعو الرؤوس برَفعِ الأغلال إيَّاها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِم: بفتح السين، والباقون: بضمِّها، وقد تكلَّمنا على الفَرْق بينهما في سُورةِ الكهف(٢). وفي معنى الآيةِ قولان: **أحدهما:** منَعناهم عن الإيمان بمَوانعَ، فهم لا يستطيعون الخروجَ عن الكُفرِ. **والثاني:** حَجبناهُم عن أذى رسولِ الله ﷺ بالظُّلمة لمَّا قَصدُوه بالأذى.

[١١٩٦] عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهو ممن يضع الحديث. وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١٥٦ من طريق إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس مطوّلاً بنحوه، وليس فيه ذكر رجل، ولا ذكر نزول الآية، وإسناده ضعيف فيه من لم يسمّ. وأخرج أبو نعيم ١٥٢ من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه: أن رجلاً من بني مخزوم قام إلى رسول الله ﷺ، وفي يده مهز، ليرمي به رسول الله ﷺ...». وهذا مرسل. وليس فيه أن الآية نزلت بسبب ذلك. وأخرج الطبري ٢٩٠٦٤ عن عكرمة مرسلاً «قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن، ولأفعلن» فأنزلت **﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...﴾**.
وانظر «صحيح البخاري» ٤٩٥٨ حديث ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنّ على عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة».

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي، كما في «تفسير القرطبي» ١٥/ ١٢ و «اللسان» ـ قمح ـ.
(٢) الكهف: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَهُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أغشينا عيونَهم وأعميناهم عن الهُدَى. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والحسَنُ، وقَتادَةُ، ويَحيى بنُ يَعمَرَ: «فأعشيناهم» بعينٍ غيرِ مُعجمةٍ. ثم ذكر أنَّ الإنذارَ لا ينفعهم لإضلالِه إيَّاهم بالآيةِ التي بعدَ هذه. ثم أخبرَ عمَّن ينفعُه الإنذارِ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي: إنما ينفع إنذارُك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ وهو القرآن، فعمِلَ به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ وقد شرحناه في الأنبياء[1]، والأجرُ الكريم: الحَسَنُ، وهو الجنَّةُ. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ للبعثِ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ مِنْ خيرٍ وشرٍ في دُنياهم. وقرأ النَّخعيُّ، والجَحْدَريُّ: «ويُكْتَبُ» بياءٍ مرفوعةٍ وفَتحِ التاء «وآثارُهم» برفعِ الراء.

وفي آثارِهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها خُطاهم بأرجُلِهم، قاله الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

[١١٩٧] قال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ: شَكَتْ بنو سَلِمَةَ إلى رسولِ الله ﷺ بُعْدَ منازلِهم مِنَ المسجد، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، فقال النبيُّ ﷺ: «عليكم منازلَكم، فإنَّما يُكْتَبُ آثارُكم»، وقال قَتادَةُ وعمرُ بنُ عبدالعزيز: لو كان الله مُغفِلاً شيئاً، لأغفَلَ ما تعفي الرِّياحُ[2] مِنْ أَثَرِ قدمِ ابنِ آدمَ.

والثاني: أنَّها الخُطا إلى الجُمعةِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. **والثالث**: ما أَثَروا مِنْ سُنَّةٍ حسنةٍ أو سيِّئةٍ يُعْمَلُ بها بعدَهم، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، واختاره الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبَةَ، والزَّجاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وابنُ أبي عَبلَةَ: «وكُلُّ» برفع اللام، أي: مِنَ الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ أي: حَفِظْناه ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ وهو اللَّوحُ المَحفوظُ.

[١١٩٧] ذكر نزول الآية ضعيف، وأصل الحديث صحيح. أخرجه الترمذي ٣٢٢٦ والطبري ٢٩٠٧٣ وعبد الرزاق في «المصنف» ١٩٨٢ من طريق سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ومداره على طريف بن شهاب، وهو ضعيف. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري، وأبو سفيان هو طريف السعدي. وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٠ وفي «الوسيط» ٣/ ٥١٠ ـ ٥١١ من طريق الثوري، عن سعد بن طريف عن أبي نضرة به، وفي الإسناد قلب، والصواب طريف بن شهاب كما تقدم. وقال ابن كثير في «التفسير» عند هذه الآية: فيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية، فالله أعلم. وورد من رواية سماك عن عكرمة عن ابن عباس عند ابن ماجه ٧٨٥ والطبري ٢٩٠٦٩ و ٢٩٧٠ وقال البوصيري في «الزوائد» هذا موقوف، فيه سماك، وهو ابن حرب، وإن وثقه ابن معين، وأبو حاتم، فقد قال أحمد: مضطرب الحديث، وقال يعقوب بن شيبة: روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وروايته عن غيره صالحة. وأشار الحافظ في «الفتح» ٢/ ١٤٠ إلى هذه الرواية وقال: وإسناده قوي. وفيه نظر، والصواب أن إسناده ضعيف لضعف سماك في عكرمة، فقد روى عنه مناكير. والسورة مكية كلها كما قال الحافظ ابن كثير، والصواب حديث أنس بن مالك في «صحيح البخاري» وغيره، وحديث جابر عند مسلم، وليس فيه نزول الآية. قال أنس رضي الله عنه: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قُرب المسجد، فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة وقال: «يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم؟» فأقاموا. أخرجه البخاري ٦٥٥ ـ ٦٥٦ ـ ١٨٨٧ وابن ماجه ٧٨٤ وأحمد ٣/ ١٠٦ و ١٨٢ و ٢٦٣ والبيهقي ٣/ ٦٤ والبغوي في «شرح السنة» ٤٧٠ من طرق عن حميد به. وحديث جابر، أخرجه مسلم ٦٦٥ وأحمد ٣/ ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٧١ و ٣٩٠ وابن حبان ٢٠٤٢ وأبو عوانة ١/ ٣٨٧ والبيهقي ٣/ ٦٤ وأبو يعلى ٢١٥٧.

---

(١) الأنبياء: ٤٩.

(٢) عَفَت الرياح الأثر: إذا طمسته ومحته.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ المعنى: صِفْ لأهل مكّةَ مَثَلاً؛ أي: شِبْهاً. وقال الزَّجّاجُ: المعنى: مَثِّلْ لهم مَثَلاً ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ وهو بدلٌ مِنْ مَثَل، كأنه قال: اذكُرْ لهم أصحابَ القرية. وقال عِكرمَةُ، وقَتادَةُ: هذه القريةُ هي أنطاكيَّةُ[1]. ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾ وفي اسمَيْهِما ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: صادق وصدُوق، قاله ابنُ عباسٍ، وكَعبٌ. **والثاني**: يُوحنَّا وبُولس، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: تُومان وبُولس، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «فعَزَّزنا» بتشديد الزاي، قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: قوَّيْنا وشدَّدْنا، يُقال: تعزَّزَ لحمُ النّاقة: إذا صَلُبَ. وقرأ أبو بكرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ: «فعَزَزْنا» خفيفةً، قال أبو عليٍّ: أراد: فغَلَبْنا. قال مُقاتِلٌ: واسمُ هذا الثالث شمعُون، وكان مِنَ الحَوارِيّين، وهو وَصِيُّ عيسى عليه السلام. قال وَهْبُ: وأوحى اللهُ إلى شمعُونَ يُخبِره خبرَ الاثنين ويأمرُه بنُصرَتِهما، فانطلقَ يَؤُمُّهما. وذكرَ الفَرّاءُ أنَّ هذا الثالثَ كان قد أُرسِلَ قبلَهما؛ قال: ونَراهُ في التَّنزيلِ كأنه بعدَهما، وإنما المعنى: فعَزَّزنا بالثالثِ الذي قبلَهما، والمُفسِّرون على أنه إنما أُرسِلَ لِنُصرَتِهما، ثُمَّ إنَّ الثالثَ إنما يكون بعد ثانٍ، فأمّا إذا سبق الاثنين فهو أوَّلٌ؛ وإنّي لأتَعجَّبُ مِنْ قول الفَرّاءِ.

واختلف المُفسِّرون فيمن أرسلَ هؤلاءِ الرُّسل على قولين[3]: **أحدهما**: أنَّ اللهَ تعالى أرسلَهُم،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٣/ ٦٩٥ ـ ٦٩٨: وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سيأتي في نهاية القصة وهو أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح، ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتاركة، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلد آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم. وإن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى﴾** فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) هذه الأقوال لا حجة فيها جميعاً لأن مصدرها كتب الأقدمين، فالله أعلم بالصواب.

(٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٦٩٨: إن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ـ عز وجل ـ لا من =

وهو ظاهرُ القرآن، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ، وكَعبٍ، ووَهْبٍ. **والثاني**: أنَّ عيسى أرسَلَهُم، وجازَ أنْ يُضافَ ذلك إلى الله تعالى لأنهم رُسلُ رسولِه، قاله قَتادةُ، وابنُ جُريجٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: مالَكُم علينا فَضلٌ في شيءٍ ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ أي: لم يُنزِلْ كتاباً ولم يُرسِلْ رسولاً. وما بعدَهُ ظاهرٌ إلى قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وذلك أنَّ المطرَ حُبِسَ عنهم، فقالوا: إنَّما أصابنا هذا مِن قِبَلِكُم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ أي تَسكتوا عنَّا ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي لنقتلنكم. ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي شُؤمُكم معكم بكُفرِكم لا بنا ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ «أَيْن ذُكِرتم» بهمزةٍ واحدةٍ بعدها ياءٌ؛ وَافقه أبو عمروٍ إلاَّ أنه كان يَمُدُّ. قال الأخفشُ: معناه حيث ذُكِرتُم، أي وُعِظتُم وخُوِّفتُم، وهذا استفهامٌ جوابه محذوفٌ تقديره: أَئِنْ ذُكِّرتم تَطَيَّرتُم بنا؟ وقيل: أَئِنْ ذُكِرتُم قلتُم هذا القولَ؟ والمُسرِفون هاهنا المشرِكون.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ واسمه حَبيبٌ النجار، وكان مَجذُوماً، وكان قد آمَنَ بالرُّسل لمَّا وَرَدُوا القريةَ، وكان منزلُه عند أقصى بابٍ مِنْ أبواب القرية، فلمَّا بَلَغَهُ أنَّ قومَهُ قد كذَّبوا الرُّسلَ وهَمُّوا بقَتْلِهم، جاء يسعى، فقال ما قَصَّهُ الله علينا إلى قوله تعالى: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني الرُّسلَ، فأخَذُوه ورفعُوه إلى المَلِكِ، فقال له المَلِكُ: أفأنتَ تتبعُهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِىَ﴾ أسكَنَ هذه الياءَ حمزَةُ، وخَلَفٌ، ويعقوبُ ﴿لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أي: وأيُّ شيءٍ لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ عند البَعثِ، فيَجزيكم بكُفرِكم؟!

فإنْ قيلَ: لِمَ أضافَ الفِطرَةَ إلى نفسه والبَعثَ إليهم وهو يَعلمُ أنَّ الله فَطَرهُم جميعاً كما يَبعَثُهم جميعاً؟ فالجواب: أنَّ إيجادَ الله تعالى نِعمَةٌ يُوجِبُ الشُّكرَ، والبَعثُ في القيامة وَعِيدٌ يُوجِبُ الزَّجرَ، فكانت إضافةُ النِّعمة إلى نفسه أظهَرَ في الشُّكرِ، وإضافةُ البَعثِ إلى الكافرِ أبلغَ في الزَّجرِ.

ثم أنكرَ عبادةَ الأصنام بقوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ يعني أنه لا شفاعةَ لهم فتُغْني، ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أثبتَ هاهنا

= جهة المسيح، كما قال تعالى: **﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين. . .﴾** إلى أن قالوا: **﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين﴾** ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: **﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا﴾**.

الياءَ في الحالَين يعقوبُ، وورْشٌ، والمعنى: لا يُخلّصوني مِنْ ذلك المكروهِ. ﴿إِنِّيٓ إِذًا﴾ فتح هذه الياءَ نافعٌ، وأبو عمروٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فتح هذه الياءَ أهلُ الحجازِ وأبو عمروٍ. وفيمَنْ خاطبَهم بإيمانِه قولان: **أحدهما**: أنه خاطبَ قومَهُ بذلك، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنه خاطبَ الرُّسلَ. ومعنى ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾: اشهَدوا لي بذلك، قاله الفرَّاءُ. وقال أبو عُبيدَةَ: المعنى: فاسمَعوا مِنّي. وأثبتَ ياءَ «فاسمَعوني» في الحالَين يعقوبُ. قال ابنُ مسعودٍ: لمَّا خاطبَ قومَه بذلك، وَطِئوه بأرجُلِهم. وقال السُّدِّيُّ: رَمَوْه بالحجارة، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ قَومي.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ لمَّا قتلُوه فلَقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ، قيلَ له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾، فلمَّا دَخلَها ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾، وفي «ما» قولان:

أحدهما: أنها مع «غفرَ» في موضع مصدرٍ؛ والمعنى بغُفرانِ اللهِ لي. **والثاني**: أنها بمعنى «الذي»، فالمعنى: لَيْتَهُم يعلمون بالذي غَفرَ لي به ربّي فيُؤمنون، فَنصحَهُم حَيّاً وميتاً.

فلمَّا قَتلُوه عَجَّل اللهُ لهم العذابَ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني قوم حَبيبٍ ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ قَتْلِه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الملائكةَ، أي: لم يَنتَصِرْ منهم بجُندٍ مِنَ السَّماء ﴿وَمَا كُنَّا﴾ نُنْزِلُهم على الأُمَمِ إذا أهلكنَاهُم. وقيلَ: المعنى: ما بَعثْنا إليهم بعدَهُ نبيّاً، ولا أنزلنا عليهم رسالةً. ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ قال المُفسّرون: أَخذَ جِبريلُ عليه السلام بِعِضَادَتَي بابِ المدينةِ ثم صاحَ بهم صيحةً واحدةً فإذا هم ميّتون لا يُسْمَعُ لهم حِسٌّ كالنَّار إذا طُفِئتْ، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي ساكنون كهَيئَةِ الرَّمادِ الخامدِ.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى: يا لَها حَسْرَةً على العِبادِ. وقال الزَّجّاجُ: الحَسْرَةُ أنْ يَرْكَبَ الإنسانُ مِنْ شِدَّة النَّدَم ما لا نهايةَ له حتى يبقى قلبُه حَسِيراً. وفي المُتحسّرِ على العبادِ قولان: **أحدهما**: أنهم يَتحسَّرون على أنفُسِهم، قال مُجاهِدٌ والزَّجّاجُ: استِهزاؤُهم بالرُّسلِ كان حَسرةً عليهم في الآخرة. وقال أبو العَاليةِ: لمَّا عايَنوا العذابَ، قالوا: يا حَسرَتنا على المُرسَلين، كيف لنا بهمُ الآن حتى نُؤمِنَ. **والثاني**: أنه تَحسُّرُ الملائكة على العِبادِ في تكذيبِهم الرُّسلَ، قاله الضَّحَّاكُ.

ثم خَوَّف كُفَّار مكَّةَ فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي: أَلَمْ يَعْلَموا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ فيَعتَبروا ويَخافوا أنْ نُعجّلَ لهم الهلاكَ كما عُجّلَ لِمَنْ أُهلِكَ قبلَهُم ولم يَرجِعوا إلى الدنيا؟!. قال الفرَّاءُ: وألِفُ ﴿أَنَّهُمْ﴾ مفتوحةٌ، لأنَّ المعنى: أَلَمْ يَرَوا أنهم إليهم لا يَرجِعون. وقد كَسرَها الحسَنُ، كأنه لم يُوقِع

الرُّؤيةَ على «كم»، فلم يُوقِعْها على «أنَّ» وإن استأنفتَها كَسرتَها.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا﴾ وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ: «لَمَّا» بالتشديد، ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي: إنَّ الأممَ يُحضَرون يومَ القيامة، فيُجازَون بأعمالِهم. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «لَمَا» بالتخفيف، فـ «ما» زائدةٌ مؤكِّدةٌ، والمعنى: وإنْ كُلٌّ لَجميعٌ، ومعناه: وما كُلٌّ إلاَّ جميعٌ لدينا مُحضَرون. ومَنْ قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فهو بمعنى «إلاَّ»، تقول: «سألتُكَ لَمَّا فعلتَ» و «إلاَّ فعلتَ».

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وقرأ نافعٌ: «المَيِّتَةُ» بالتشديد، وهو الأصلُ، والتخفيفُ أكثرُ، وكِلاهما جائزٌ؛ و «آيةٌ» مرفوعةٌ بالابتداء، وخبرُها «لهم»، ويجوز أنْ يكونَ خبرَها «الأرضُ الميتةُ»؛ والمعنى: وعلامةٌ تَدُلُّهم على التوحيد وأنَّ الله يَبْعثُ الموتى أحياءً، الأرضُ الميتةُ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ يعني ما يُقتاتُ مِنَ الحُبوب.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ وقوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ يعني في الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ يعني النَّخيل، وهو في اللفظِ مذكَّرٌ. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «عمِلَتْهُ» بهاءٍ. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «عَمِلَتْ» بغيرِ هاءٍ. والهاءُ مُثْبَتةٌ في مَصاحف مكَّةَ والمدينةِ والشام والبَصْرةِ، ومحذوفةٌ مِنْ مصاحفِ أهلِ الكُوفةِ. قال الزَّجَّاجُ: موضعُ «ما» خَفضٌ؛ والمعنى: ليأكلوا مِنْ ثمره وممَّا عَمِلَته أيديهم؛ ويجوز أنْ يكونَ «ما» نفياً؛ المعنى: ولم تعمَلْهُ أيديهم، وهذا على قراءةِ مَنْ أثبتَ الهاءَ، فإذا حُذفت الهاءُ، فالاختيارُ أن تكونَ «ما» في موضع خَفضٍ، وتكون بمعنى «الذي»، فيَحْسُن حذفُ الهاء؛ وكذلك ذَكَر المُفسِّرون القولَين، فمَنْ قال بالأوَّلِ، قال: لِيأكُلوا ممَّا عَمِلَتْ أيديهم، وهو الغُروسُ والحُروثُ التي تَعِبُوا فيها، ومَنْ قال بالثاني. قال: لِيأكُلوا ما ليس مِنْ صُنعِهم، ولكنه مِنْ فِعلِ الحقِّ عزَّ وجلَّ ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله تعالى فيُوحِّدوه؟!. ثم نزَّه نَفْسَه بقوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ يعني الأجناسَ كُلَّها ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مِنَ الفواكِه والحُبوبِ وغيرِ ذلك ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهم الذكورُ والإناثُ ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ دوابِّ البَرِّ والبحر وغيرِ ذلك ممَّا لم يَقِفوا على عِلْمِه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي: وعلامةٌ لهم تَدُلُّ على توحيدِنا وقُدرتِنا الليلُ نَسلَخُ منه النهارَ؛ قال الفَرَّاءُ: نَرمي بالنهارِ عنه، و «منه» بمعنى «عنه». وقال أبو عُبيدَةَ: نُخرِجُ منه النهارَ ونُمَيِّزه منه فتجيءُ الظُّلمةُ، قال الماوَرديُّ: وذلك أنَّ ضوءَ النهار يتداخَلُ في الهواء فيُضيءُ، فإذا خرجَ منه أظلَمَ. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ أي: داخِلُون في الظَّلامِ. ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ أي: وآيةٌ لهم الشمسُ ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: إلى موضعِ قرارِها. رَوى أبو ذَرٍّ قال:

[١١٩٨] سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: «مُسْتقَرُّها تحتَ العَرْشِ». وقال: «إنَّها تذهبُ حتى تسجُدَ بين يَدَي ربِّها، فتَستأذِنُ في الطُّلوعِ، فيُؤذَنُ لها».

والثاني: أنَّ مُسْتَقَرَّها مَغْرِبُها لا تُجاوِزُه ولا تَقصُرُ عنه، قاله مُجاهِدٌ. والثالث: لِوقتٍ واحدٍ لا تَعدُوه، قاله قَتادَةُ. وقال مُقاتِلٌ: لِوقتٍ لها إلى يوم القيامة. والرابع: تسيرُ في منازِلِها حتى تنتهيَ إلى مُسْتَقَرِّها الذي لا تُجاوِزُه، ثم تَرجِعُ إلى أوَّلِ منازِلِها، قاله ابنُ السَّائبِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: إلى مُسْتَقَرٍّ لها، ومُسْتَقَرُّها: أقصى منازِلِها في الغُروبِ، وذلك لأنها لا تزالُ تَتقدَّمُ إلى أقصى مغارِبِها ثم تَرجِعُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ وعِكرِمَةُ وعليُّ بنُ الحُسينِ والشَّيزريُّ عن الكِسائيِّ «لا مُسْتَقَرَّ لها» والمعنى أنها تجري أبداً لا تثبُتُ في مكانٍ واحدٍ. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ مِنْ أمرِ الليلِ والنهارِ والشمسِ والقمرِ ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلكِه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بما يُقدِّرُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «والقَمَرُ» بالرَّفع. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «والقَمَرَ» بالنَّصب. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالنَّصب، فالمعنى: وقدَّرْنا القمرَ قدَّرناه منازلَ، ومَنْ قرأ بالرفع، فالمعنى: وآيةٌ لهم القمرُ قدَّرناه، ويجوز أنْ يكونَ على الابتداءِ، و «قدَّرْناه» الخبرُ. قال المُفسِّرون: ومنازلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرون منزلاً ينزلُها مِنْ أوَّل الشَّهرِ إلى آخرِه، وقد سمَّيناها في سُورةِ يُونس[١]، فإذا صارَ إلى آخر منازِله، دَقَّ فعادَ كالعُرجُونِ، وهو عُودُ العِذْقِ الذي تركَتْهُ الشَّماريخُ[٢]، فإذا جَفَّ وقَدُم يُشبه الهِلالَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: و «القديم» هاهنا: الذي قد أتى عليه حَوْلٌ، شُبِّه القمرُ آخِرَ ليلةٍ يطلُع به. قال الزَّجَّاجُ: وتقديرُ «عُرجون»: فُعْلُون، مِنَ الانعِراج. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو رَجاءٍ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وابنُ السَّمَيفَع: «كالعِرْجَوْن»، بكسرِ العين.

قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: أحدها: أنهما إذا اجتمعا في السماء، كان أحدُهما بينَ يَدَي الآخر، فلا يَشتركان في المنازِلِ، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: لا يُشبه ضوءُ أحدِهما ضوءَ الآخر، قاله مُجاهِدٌ. والثالث: لا يجتمع ضوءُ أحدِهما مع الآخرِ، فإذا جاءَ سُلطانُ أحدِهما ذهبَ سُلطانُ الآخر، قاله قَتادَةُ؛ فيكون وَجهُ الحِكمَةِ في ذلك أنه لو اتَّصلَ الضوءُ، لم يُعرَفِ

[١١٩٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٠٣ و ٧٤٣٣ ومسلم ١٥٩ ح ٢٥١ وأحمد ٥/١٥٨ وابن حبان ٦١٥٢ والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٥١٤ من طرق عن وكيع به عن أبي ذر مرفوعاً.
ـ وأخرجه الطحاوي في «المشكل» ٢٨١ من طريق أبي معاوية عن الأعمش به.

---

(١) يونس: ٥.
(٢) في «اللسان»: الشمروخ: غصن دقيق رخصٌ ينبت في أعلى الغصن الغليظ في سنته رخصاً.
(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/ ٤٤٢: يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر فيذهب ضوءها بضوئه فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها، ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلاً اهـ.
وقال ابن كثير رحمه الله: يعني لكل منهما سلطاناً، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل ولا ينبغي إذا كان الليل أن يكون لِيل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل. وأنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما سخران دائبين يتطالبان طلباً حثيثاً.

الليلُ. قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمْرانَ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ: «سابِقٌ» بالتنوين «النَّهارَ» بالنَّصبِ، وفيه قولان: **أحدهما**: لا يَتقدَّمُ الليلُ قبلَ استكمالِ النَّهارِ. **والثاني**: لا يأتي ليلٌ بعد ليل مِنْ غير نهارٍ فاصِلٍ بينهما. وباقي الآيَة مفسَّرٌ في سُورةِ الأنبياء[١].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «ذُرِّيَّاتِهِمْ» على الجمعِ؛ وقرأ الباقون مِنَ السَّبعة: «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التَّوحيدِ. قال المُفسِّرون: أراد: في سفينةِ نُوحٍ، فنَسَبَ الذُّرِّيَّةَ إلى المُخاطَبين، لأنهم مِنْ جنسِهم، كأنه قال: ذُرِّيَّةَ الناس. وقال الفَرَّاءُ: أي: ذُرِّيَّةَ مَنْ هو منهم، فجعلَها ذُرِّيَّةً لهم، وقد سَبقتْهم. وقال غيرُه: هو حَمْلُ الأنبياءِ في أصلابِ الآباءِ حين رَكِبوا السفينةَ، ومنه قولُ العبَّاسِ:

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقَدْ أَلْجَمَ نَسْراً وأَهْلَهُ الغَرَقُ

قال المُفضَّلُ بنُ سَلَمةَ: الذُّرِّيَّةُ: النَّسْلُ، لأنهم مَنْ ذَرَأَهُمُ اللهُ منهم، والذُّرِّيَّةُ أيضاً: الآباءُ، لأنَّ الذَّرَّ وقعَ منهم، فهو مِنَ الأضدادِ، ومنه هذه الآيةُ، وقد شرحنا هذا في قولِه تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[٢]. والمَشْحُونِ: المملوء. قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مِثْلَ سفينة نُوحٍ، وهي السُّفُنُ، رَوى هذا المعنى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ، وأبو مالكٍ، وأبو صالحٍ، والمراد بهذا ذِكْرُ مِنَّتِه بأنْ خَلَقَ الخشبَ الذي تُعْمَلُ منه السُّفُنُ. **والثاني**: أنها الإبلُ، خَلَقَها لهم للرُّكُوب في البَرِّ مثل السُّفُنِ المَركُوبةِ في البحرِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وعن الحسَنِ وقَتادَةَ كالقولَين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: لا مُغيثَ ولا مُجيرَ ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ أي: يَنجُونَ مِنَ الغرَقِ، يُقال: أنقذَهُ واستنقذَهُ: إذا خَلَّصَهُ مِنَ المَكرُوهِ، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ المعنى: إلاَّ أنْ نَرحمَهُم ونُمتِّعَهُم إلى آجالِهم. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني الكُفَّارَ ﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: «ما بين أيديكم»: ما مضى مِنَ الذُّنوبِ، «وما خلفكم»: ما يأتي مِنَ الذُّنوب، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: ما تَقدَّم مِنْ عذاب الله للأُمَم، «وما خلفكم» مِنْ أمرِ الساعة، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: «ما بين أيديكم» مِنَ الدنيا، «وما خَلْفكم» مِنْ عذاب الآخرة، قاله سُفيَانُ. **والرابع**: «ما بين أيديكم» مِنْ أمرِ الآخرة، «وما خَلْفكم» مِنْ أمرِ الدنيا فلا تَغترُّوا بها. قاله ابن عباس والكلبي. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لِتَكُونوا على رجاءِ الرَّحمةِ مِنَ الله. وجوابُ «إذا» محذوفٌ، تقديره: إذا قيلَ لهم هذا، أعرضوا؛ ويدُلُّ على هذا المحذوفِ قوله تعالى ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ أي: مِنْ دَلالَةٍ تدلُّ على صِدْقِ الرَّسولِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ

(١) الأنبياء: ٣٣. (٢) آل عمران: ٣٤.

أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: في اليهودِ، قاله الحسنُ. **والثاني**: في الزَّنادقةِ، قاله قتادةُ.

[١١٩٩] **والثالث**: في مُشركي قُريشٍ، قاله مُقاتِلٌ؛ وذلك أنَّ المؤمنين قالوا لكفَّارِ مكَّةَ: أنْفِقوا على المساكين النَّصيبَ الذي زعمتُم أنه للَّهِ مِنَ الحَرْثِ والأنعامِ، فقالوا: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾.

[١٢٠٠] وقال ابنُ السَّائبِ: كان العَاصُ بنُ وائلٍ إذا سألَهُ المِسكينُ، قال: اذهَبْ إلى رَبِّك فهو أولى بك مني ويقول: قد منعه الله، أطعمه أنا؟!

ومعنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم، فنحنُ نُوافقُ مَشيئةَ اللَّهِ فيهم فلا نُطعِمُهم؛ وهذا خطأٌ منهم، لأنَّ اللَّهَ تعالى أغنى بعضَ الخَلْقِ وأفقرَ بعضاً، لِيَبْلُوَ الغنيَّ بالفقير فيما فَرضَ له في مالِهِ مِنَ الزَّكاةِ، والمؤمنُ لا يَعترِضُ على المَشيئةِ، وإنما يُوافِقُ الأمرَ. وقيلَ: إنما قالوا هذا على سبيلِ الاستِهزاءِ. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قول الكفَّارِ للمؤمنين، يَعنُونَ: إنكم في خطأٍ مِنِ اتِّباع محمَّدٍ. **والثاني**: أنه مِنْ قول الله للكفَّارِ لِمَا رَدُّوهُ مِنْ جوابِ المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يَعنُونَ القيامةَ؛ والمعنى: متى إنجازُ هذا الوعدِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ يَعنُونَ محمَّداً وأصحابَهُ. ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ما يَنتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي النَّفخةُ الأُولى. و ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بمعنى يَختَصِمون، فأُدغِمَت التاءُ في الصاد، كذلك قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يَخَصِّمُونَ» بفتحِ الياءِ والخاءِ وتشديدِ الصاد. ورُوِيَ عن ابن عمرو اختلاس حركة الخاء. وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي «يَخِصِّمُون» بفتح الياء وكسر الخاء. وعن عاصم كسر الياء والخاء. وقرأ نافع بسكون الخاء وتشديد الصاد. وقرأ حمزَةُ بسكونِ الخاء وتخفيفِ الصاد، أي: يَخْصِمُ بعضُهم بعضاً. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ: «يختصمون» بزيادةِ تاءٍ؛ والمعنى أنَّ الساعةَ تأتيهم أغفَلَ ما كانوا عنها وهم يَتشاغَلُونَ في مُتصرَّفاتِهم وبَيْعِهم وشِرائِهم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ قال مُقاتِلٌ: أُعجِلُوا عن الوَصِيَّةِ

[١١٩٩] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم.
[١٢٠٠] عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم.

فماتوا، ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: لا يَعودون مِنَ الأسواق إلى منازِلِهم؛ فهذا وصفُ ما يَلْقَون في النَّفخةِ الأُولى. ثم ذَكرَ ما يَلْقَون في النَّفخةِ الثانيةِ قال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ يعني القبور، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾ أي: يَخرجُون بسرعةٍ، وقد شرحنا هذا المعنى في سُورةِ الأنبياء[1].

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، والضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «مِن بعْثِنا» بكسرِ الميم والثاءِ وسكونِ العين. قال المُفسِّرون: إنما قالوا هذا، لأنَّ اللَّهَ تعالى رَفعَ عنهم العذابَ فيما بينَ النَّفختَين. قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: ينامون نَومةً قبلَ البَعثِ، فإذا بُعِثُوا قالوا هذا.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ في قائِلي هذا الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قولُ المؤمنين، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ أبي لَيلى. قال قَتادةُ: أوَّلُ الآية للكافرين، وآخِرُها للمؤمنين. **والثاني**: أنه قولُ الملائكة لهم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أنه قولُ الكافرين، يقول بعضُهم لبعضٍ: هذا الذي أخبَرنا به المُرسَلون أنّا نُبعَثُ ونُجازَى، قاله ابنُ زيدٍ.

قال الزَّجّاجُ: «من مرقدنا» هو وَقْفُ التَّمام، ويجوز أنْ يكونَ «هذا» مِنْ نَعتِ «مرقدنا» على معنى: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مرقَدِنا هذا الذي كنّا راقِدينَ فيه؟ ويكون في قوله تعالى: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أحدُ إضمارَين، إمّا «هذا»، وإمّا «حق»، فيكون المعنى: حقٌّ ما وَعدَ الرَّحمنُ.

ثم ذَكرَ النَّفخةَ الثانيةَ، فقال: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ﴾ يعني في الآخِرة ﴿فِي شُغُلٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «في شُغْلٍ» بإسكانِ الغين. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «في شُغُلٍ» بضمِّ الشين والغين. وقرأ أبو هُريرةَ، وأبو رَجاءٍ، وأيوبُ السَّخْتِيانيُّ: «في شَغَلٍ» بفتحِ الشين والغين. وقرأ أبو مِجْلَزٍ، وأبو العَالِيةِ، وعِكرمةُ، والضَّحَّاكُ، والنَّخعيُّ، وابنُ يَعمُر، والجَحْدَريُّ: «في شَغْلٍ» بفتحِ الشين وسكونِ الغين، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ شُغلَهم افتِضاضُ العَذارى، رواه شَقِيقٌ عن ابنِ مسعودٍ، ومُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ المُسيِّبِ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ضَربُ الأوتارِ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ؛ وعن عِكرمَةَ كالقولَين، ولا يَثبتُ هذا القولُ. **والثالث**: النِّعمةُ، قاله مُجاهِدٌ. وقال الحَسنُ: شُغلُهم: نعيمُهم عمّا فيه أهلُ النّارِ مِنَ العذاب. قوله تعالى: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عبد الرَّحمنِ السُّلَمي، وأبو المُتوكِّلِ، وقَتادةُ، وأبو الجَوزاءِ، والنَّخعيُّ، وأبو جعفرَ: «فكِهون». وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ بينهما فَرقاً. فأمّا «فاكهون» ففيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: فَرِحون، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: مُعْجَبون، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. والثالث: ناعِمون، قاله أبو مالكٍ، ومُقاتِلٌ. والرابع: ذَوو فاكِهةٍ، كما يُقال: فُلانٌ لابِنٌ تامِرٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. وأمّا «فَكِهون» ففيه قولان: أحدهما: أنَّ الفَكِهَ: الذي يتفكَّهُ، تقول العربُ للرجل إذا كان يَتَفكَّهُ بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراضِ

---

(١) الأنبياء: ٩٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٣/ ٧٠٥: يخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم، وعن ابن عباس في رواية عنه: ﴿في شغل فاكهون﴾ أي: سماع الأوتار. وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار.

الناس: إنَّ فُلاناً لَفَكِهٌ بكذا، ومنه يُقال للمُزاح: فُكاهَة، قاله أبو عُبيدَةَ. والثاني: أنَّ فَكِهين بمعنى فَرِحين، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقي. **والقول الثاني**: أنَّ فاكِهين وفَكِهين بمعنىً واحدٍ، كما يُقال: حاذِرٌ وحَذِرٌ، قاله الفَرَّاءُ. وقال الزَّجَّاجُ: فاكِهُون وفَكِهُون بمعنى فَرِحين. وقال أبو زيدٍ: الفَكِهُ: الطيبُ النَّفْسِ الضَّحُوكُ، يُقال: رجلٌ فاكِه وفَكِه.

قوله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ يعني حلائِلَهم ﴿فِى ظِلَـٰلٍ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «في ظُلَلٍ». قال الفَرَّاءُ: الظِّلالُ جمع ظِلٍّ والظُّلَلُ جمعُ ظُلَّةٍ وقد تكون الظلال جمع ظلة أيضاً، كما يُقال: خُلَّة وخِلَل؛ فإذا كَثُرتْ فهي الخِلالُ والحِلالُ والقِلالُ. قال مُقاتِلٌ: والظِّلال: أكنَانُ القصورِ. قال أبو عُبيدَةَ: والمعنى أنهم لا يَضحَوْنَ. فأمّا الأرائِكُ فقد بيَّنَّاها في الكَهْفِ[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: ما يَتمَنَّوْنَ، ومنه يقول الناس: هو في خيرِ ما ادَّعى، أي: ما تَمنَّى، والعرب تقول: ادَّعِ ما شِئتَ، أي: تَمَنَّ ما شِئتَ. وقال الزَّجَّاجُ: وهو مأخوذٌ مِنَ الدُّعاء؛ والمعنى: كلُّ ما يَدعو به أهلُ الجنَّةِ يأتِيْهم. وقوله: ﴿سَلَـٰمٌ﴾ بدلٌ مِنَ «ما»؛ المعنى: لهم ما يتمنَّون سلامٌ، أي: هذا مُنَى أهل الجنَّةِ أنْ يُسلِّم اللَّهُ عليهم. و ﴿قَوْلًا﴾ منصوبٌ على معنى: سلامٌ يقولُه اللَّهُ قولاً. وقال أبو عُبيدَةَ: «سلامٌ» رفعٌ على «لهم»؛ فالمعنى: لهم فيها فاكِهةٌ ولهم فيها سلامٌ. وقال الفَرَّاءُ: معنى الكلام: لها ما يَدَّعون مُسلَّمٌ خالصٌ، ونَصبُ القولِ، كأنكَ قلتَ: قاله قولاً، وإنْ شِئتَ جَعلتَهُ نصباً مِنْ قوله تعالى: ولهم ما يَدَّعون قولاً، كقولِكَ: عِدَةً مِنَ الله. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، والجَحْدَريُّ: «سلاماً قولاً» بنَصبِهما جميعاً.

﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: انقطِعوا عن المؤمنين وتَميَّزوا منهم، يُقال: مِزْتُ الشيءَ مِنَ الشيءِ: إذا عَزَلْته عنه، فانمازَ وامتازَ، ومَيَّزته فتَميَّزَ. قال المُفسِّرون: إذا اختلطَ الإنسُ والجنُّ في الآخرة، قيلَ: ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فيُقال للمُجرمين: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ أي: أَلَمْ آمُركم، أَلَمْ أُوصِكُم؟ و «تعبدُوا» بمعنى تُطيعوا، والشيطانُ هو إبليسُ، زَيَّنَ لهم الشِّركَ فأطاعُوه، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ العَداوةِ، أخرَجَ أبوَيْكم مِنَ الجنَّةِ. ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: «وأنُ اعبُدوني» بضمِّ النون. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ: «وأنِ اعبُدوني» بكسرِ النون؛ والمعنى: وَحِّدُوني ﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يعني التَّوحيدَ. ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «جُبُلاً» بضمِّ الجيم والباء وتخفيفِ اللام، وقرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «جُبْلاً» بضمِّ الجيم وتسكينِ الباء مع تخفيفِ اللام. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ: «جِبِلاًّ» بكسرِ الجيم والباء مع تشديدِ اللام. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِي، والزُّهريُّ،

---

(١) الكهف: ٣١.

والأعمش: «جُبُلاًّ» بضمِّ الجيم والباء مع تشديدِ اللام. وقرأ عبدُ الله بنُ عمرو، وابنُ السَّمَيفَع: «جِبْلاً» بكسرِ الجيم وسكونِ الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو المُتوكِّلِ، ومُعاذٌ القارئُ: «جُبَلاً» برفع الجيم وفتحِ الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ أبو العَالِيةِ: وابنُ يَعمُرَ: «جِبَلاً» بكسرِ الجيم وفتح الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ أبو عِمْرَانَ الجَوْنيُ، وعمرُو بنُ دِينارٍ: «جِبالاً» مكسورةَ الجيم مفتوحةَ الباء وبألِفٍ. ومعنى الكلمة كيف تصرَّفَتْ في هذه اللغاتِ: الخَلْقُ والجماعةُ؛ فالمعنى: ولقد أَضَلَّ منكم خَلْقاً كثيراً ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾؛ فالمعنى: قد رَايتُم آثارَ الهَالِكين قبلَكُم بطاعةِ الشيطان، أفلَمْ تَعقِلُوا ذلك؟! وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُّ، وأبو رَجاءٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ يَعمُرَ: «أفلم يكونوا يعقلون» بالياء فيهما، فإذا أُدْنُوا إلى جهنَّمَ قيلَ لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: قاسُوا حرَّها.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ: «يُختَمُ» بياءٍ مضمومةٍ وفتحِ التاء ﴿وَتُكَلِّمُنَآ﴾ قرأ ابنُ مسعودٍ: «ولِتُكلِّمَنا» بزيادةِ لامٍ مكسورةٍ وفتح الميم وواوٍ قبلَ اللام. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لِتُكلِّمَنا» بلامٍ مكسورةٍ مِنْ غيرِ واوٍ قبلَها وبنَصبِ الميم؛ وقرأوا جميعاً: «ولِتَشهَدَ أرجُلُهم» بلامٍ مكسورةٍ وبنَصبِ الدَّال. ومعنى «نَختِمُ»: نَطبَعُ عليها، وقيلَ: مَنْعُها مِنَ الكلام هو الخَتْمُ عليها، وفي سَببِ ذلك أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم لمَّا قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(١) خَتَمَ اللَّهُ على أفواهِهم ونَطقَتْ جَوارِحُهم، قاله أبو موسى الأشعَريُّ. **والثاني**: لِيَعلَموا أنَّ أعضاءَهُم التي كانت أعواناً لهم على المعاصي صارَتْ شُهوداً عليهم. **والثالث**: لِيَعرِفَهُم أهلُ المَوقفِ، فتَميَّزوا منهم بذلك. **والرابع**: لأنَّ إقرارَ الجَوارحِ أبلَغُ في الإقرارِ مِنْ نُطقِ اللسان، ذكرَهنَّ المَاوَرديُّ. فإنْ قيلَ: ما الحكمةُ في تسميةِ نُطقِ اليدِ كلاماً ونُطقِ الرِّجْلِ شهادةً؟ فالجواب: أنَّ اليدَ كانت مباشِرةً والرِّجلَ حاضرةً، وقولُ الحاضرِ على غيرِه شهادةٌ بما رأى، وقولُ الفاعلِ على نفسِه إقرارٌ بما فَعلَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ولو نشاءُ لأذهبْنا أعيُنَهم حتى لا يبدو لَها شَقٌّ ولا جَفنٌ. والمَطموسُ: الَّذي لا يكون بين جَفْنَيهِ شَقٌّ، ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي: فتَبادَروا إلى الطريقِ ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي: فكيف يُبصِرون وقد أعمَيْنا أعيُنَهم؟! وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعُروةُ بنُ الزُّبَيرِ، وأبو رَجاءٍ: «فاستَبِقوا» بكسرِ الباء «فأنَّى تُبصِرونَ» بالتاء. وهذا تهديدٌ لأهل مكَّةَ، وهو قولُ الأكثرين. **والثاني**: ولو نشاءُ لأضلَلْناهُم وأعمَيناهُم عن الهُدى، فأنَّى يُبصِرون الحقَّ؟ رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ولو نشاءُ لَفَقأنا أعيُنَ ضَلالَتِهم وأعمَيناهُم عن غَيِّهم وحَوَّلْنا أبصارَهُم مِنَ الضَّلالةِ إلى الهُدى فأبصَرُوا رُشدَهُم، فأنَّى يُبصِرونَ ولم أفعَلْ ذلك بهم؟! حكي عن جماعَةٍ منهم مُقاتِلٌ.

---

(١) الأنعام: ٢٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ روى أبو بكرٍ، عن عاصِم «على مكاناتهم» وقد سبق بيانُ هذا[1]. وفي المُراد بقوله: «لَمَسَخناهم» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأهلَكْناهُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لأقعدْنَاهم على أرجلِهم، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: لَجعلْناهُم حِجارةً، قاله أبو صالح، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: لَجعلْناهُم قِردةً وخَنازيرَ لا أرواحَ فيها، قاله ابنُ السَّائبِ. وفي قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فما استطاعوا أنْ يَتقدَّموا ولا أنْ يَتأخَّروا، قاله قَتادةُ. **والثاني**: فما استطاعوا مُضيًّا عن العذاب، ولا رُجوعاً إلى الخِلْقةِ الأُولى بعد المَسْخِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: مُضيًّا مِنَ الدنيا ولا رُجوعاً إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ قرأ حمزةُ: «نُنَكِّسه» مشدَّدةً مع ضمِّ النون الأُولى وفَتحِ الثانيةِ؛ والباقون: بفَتحِ النون الأُولى وتسكينِ الثانيةِ مِنْ غير تشديدٍ؛ وعن عاصِمٍ كالقِراءتين. ومعنى الكلام: مَنْ نُطِلْ عُمرَهُ نُنكِسْ خَلْقَهُ، فنجعل مكانَ القوّةِ الضَّعفَ، وبَدلَ الشبابِ الهَرَمَ، فنَردُّه إلى أرذَلِ العُمرِ. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو: «أفلا تعقلون» بالتاء، والباقون بالياء. والمعنى: أفلا يعقلون أنَّ مَنْ فعلَ هذا قادرٌ على البَعثِ؟

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنَّ القرآن شِعْرٌ وإنَّ محمَّداً شاعرٌ، فقال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: ما يَتسهَّلُ له ذلك. قال المُفسِّرون: ما كان يَتَّزِنُ له بيتُ شِعرٍ،

[١٢٠١] حتى إنه رُوي عنه ﷺ أنه تمثَّل يوماً فقال: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا.

فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، إنما قال الشاعر:

كَفَىٰ الشَّيبُ والإِسلامُ لِلْمَرءِ ناهِياً

أشهدُ أنَّكَ رسولُ اللَّهِ، ما علَّمكَ اللَّهُ الشِّعرَ، وما يَنبغي لكَ.

[١٢٠٢] ودَعا يوماً بعباسِ بنِ مِرْداسٍ فقال: «أنتَ القائلُ:

أَتَجعَلُ نَهْبِي ونَهْبَ العَبِيـ ـدِ بينَ الأقرَعِ وعُيَيْنَةْ»؟

فقال أبو بكرٍ: بأبي أنتَ وأُمّي، لم يَقُلْ كذلك، فأنشدَهُ أبو بكرٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَضُرُّكَ بأيِّهما بَدأتَ»، فقالَ أبو بكرٍ: واللَّهِ ما أنتَ بشاعرٍ، ولا ينبغي لكَ الشِّعرُ.

[١٢٠١] ضعيف جداً. أخرجه ابن سعد ١/ ٢٩٨ والبغوي في «معالم التنزيل» ١٧٨٩ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٧٠٩ من طريق علي بن زيد عن الحسن مرسلاً، وإسناده ضعيف جداً وله علل ثلاث: الأولى: ضعف علي بن زيد، والثانية: هو مرسل، والثالث: مراسيل الحسن واهية.

[١٢٠٢] ضعيف. هو بعض حديث أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ١٧٩ ـ ١٨١ ـ ١٨٢ وعلته الإرسال.

---

(١) البقرة: ٦٥.

[١٢٠٣] وتمثَّلَ يوماً، فقال: «ويأتِيكَ مَنْ لم تُزَوِّدْهُ بالأَخْبَارِ» فقال أبو بكرٍ: ليس هكذا يا رسولَ اللَّهِ، فقال: «إِنِّي لستُ بشاعرٍ، ولا يَنبغي لي». وإنما مُنِعَ مِنْ قولِ الشِّعر، لِئلاً تدخلَ الشُّبهةُ على قومٍ فيما أتى به مِنَ القرآن فيقولون: قَوِيَ على ذلك بما في طَبْعِه مِنَ الفِطنَةِ للشِّعرِ.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إلاَّ موعظةٌ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ فيه الفَرائضُ والسنن والأحكامُ. قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لِيُنْذِرَ» بالياء، يَعنُونَ القرآنَ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: «لِتُنْذِرَ» بالتاء، يَعنونَ النبيَّ ﷺ، أي: لِتُنْذِرَ يا محمَّدُ بما في القرآن. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ السَّمَيفع: «لِيُنْذَرَ» بياءٍ مرفوعةٍ وفَتْحِ الذال والراء جميعاً. قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: حيَّ القلب حيَّ البَصرِ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: مَنْ كان عاقلاً، قاله الضَّحَّاكُ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ كان يَعْقِلُ ما يُخاطَبُ به، فإِنَّ الكافرَ كالمَيتِ في تَرْكِ النَّذيرِ. **والثالث**: مُهتدياً، قاله السّدي. وقال مقاتل: من كان مهتدياً في عِلْمِ الله. **والرابع**: مَنْ كان مؤمناً، قاله يَحيى بنُ سَلام؛ وهذا على المعنى الذي قد سبقَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[1]، ويجوز أنْ يريدَ: إنَّما يَنفعُ إنذارُكَ مَنْ كان مؤمِناً في عِلْم الله. قوله تعالى: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ معناه: يَجِبُ. وفي المُراد بالقولِ قولان: **أحدهما**: أنه العذابُ. **والثاني**: الحُجَّة.

[١٢٠٣] صحيح. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٢٤٩٦ والطبري ٢٩٢٢٩ عن قتادة عن عائشة، ورجاله ثقات لكنه منقطع، قتادة لم يدرك عائشة. وورد موصولاً من وجه آخر، أخرجه أحمد ٦/ ١٥٦ والبخاري في «الأدب المفرد» ٨٦٧ والترمذي ٢٨٥٢ والطحاوي في «المعاني» ٤/ ٢٩٧ والبغوي في «معالم التنزيل» ١٧٩٠ عن شريح بن هانئ عن عائشة، وإسناده حسن في الشواهد لأجل شريك. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» ٢٩٢ وابن سعد ١/ ٢٩٠ من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عكرمة عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف الوليد، وسماك مضطرب في عكرمة. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه البزار ٢١٠٦ والطبراني ١١٧٦٣ وقال الهيثمي في «المجمع» ١٣٣٤٦: رجالهما رجال الصحيح. الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشاهده، وانظر «معالم التنزيل» للبغوي ١٧٩٠ و «أحكام القرآن» ١٨٧٦ بتخريجنا، والله الموفق.

ـ وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٣/ ٧٠٨: يقول تعالى مخبراً عن نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه أنه ما علّمه الشعر، ﴿**وما ينبغي له**﴾ أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته، ولهذا ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه وما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث السابقة ـ قال ابن كثير رحمه الله: وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما عُلِّم شعراً ولا ينبغي له، فإن الله تعالى إنما علّمه القرآن العظيم الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ وهو ليس بشعر كما زعمه طائفة من جهلة قريش، ولا كهانة ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهّال. وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً، ثم قال ابن كثير رحمه الله: على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت. وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأحزابهم رضي الله عنهم أجمعين، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية.

---

(١) فاطر: ١٨.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

ثم ذكَّرهم قُدرَتهُ فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: يجوز أنْ يكونَ المعنى: ممّا عَمِلْناهُ بقوّتِنا وقُدرتِنا، وفي اليَدِ القُدرةُ والقُوّةُ على العملِ، فتُستَعارُ اليدُ فتُوضع موضِعَها، هذا مَجازٌ للعرب يَحتمِلُه هذا الحرفُ، واللّهُ أعلَمُ بما أرادَ. وقال غيرُه: ذِكرُ الأيدي ها هنا يدلُّ على انفرادِه بما خلَقَ، والمعنى: لم يُشارِكْنا أحدٌ في إنشائِنا؛ والواحدُ مِنّا إذا قال: عَمِلتُ هذا بيدي، دَلَّ ذلك على انفرادِه بعَمَلِه. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: معنى الآيَة: ممَّا أوجَدْناه بقُدرَتِنا وقوَّتِنا؛ وهذا إجماعٌ أنه لم يُرِدْ ها هنا إلاَّ ما ذكَرْنا. قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ضَابِطون، قاله قَتادةُ ومُقاتِلٌ. قال الزَّجّاجُ: ومِثلُه في الشِّعرِ:

أصبَحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولا أملِكُ رأسَ البَعيرِ إنْ نَفَرا[1]

أي: لا أضبِطُ رأسَ البَعير. **والثاني**: قادرون عليها بالتَّسخير لهم، قاله ابنُ السَّائب.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي: سَخَّرناها، فهي ذَليلَةٌ لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبة: الرَّكُوب: ما يَرْكَبون، والحَلُوبُ: ما يَحلُبون. قال الفرّاءُ: ولو قرأ قارئٌ: «فمنها رُكوبُهم»، كان وَجْهاً، كما تقول: منها أكلُهم وشُربُهم ورُكوبُهم. وقد قرأ بضمِّ الراء الحسَنُ، وأبو العَاليةِ، والأعمَشُ، وابنُ يَعمَرَ في آخَرين. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعائشةُ: «رَكُوبَتُهم» بفتح الراء والباء وزيادةِ تاءٍ مرفوعةٍ. قال المُفسِّرون: يَركبون مِنَ الأنعام الإبلَ، ويأكلُون الغنَمَ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ مِنَ الأصوافِ والأوبارِ والأشعارِ والنَّسلِ ﴿وَمَشَارِبُ﴾ مِنْ ألبانِها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رَبَّ هذه النِّعم فيُوحِّدونه؟! ثم ذكَر جهلَهم فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لِتَمنَعُهم مِنْ عذاب الله؛ ثم أخبرَ أنَّ ذلك لا يكون بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ أي: لا تَقْدِرُ الأصنامُ على مَنعِهم مِنْ أمرٍ أرادَهُ اللّهُ بهم ﴿وَهُمْ﴾ يعني الكفَّارَ و ﴿لَهُمْ﴾ يعني الأصنامَ ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: جُندٌ في الدنيا مُحْضَرونَ في النَّارِ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: مُحْضَرونَ عندَ الحِسَابِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المشركون جُندٌ للأصنام، يَغضَبونَ لها في الدنيا، وهي لا تَسوقُ إليهم خيراً ولا تَدفعُ عنهم شرًّا، قاله قَتادةُ. وقال مُقاتِلٌ: الكفَّارُ يَغضبون للآلهَةِ ويَحضُرونَها في الدنيا. وقال الزَّجّاج: هم للأصنامِ يَنتَصِرون، وهي لا تستطيعُ نَصرَهُم. **والرابع**: هُم جُندٌ مُحْضَرون عند الأصنام يَعبُدونَها، قاله ابنُ السَّائِب.

قوله تعالى ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني قولَ كفَّارِ مكَّةَ في تكذيبِكَ ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في ضمائرِهم مِنْ تكذيبِكَ ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسِنَتِهم مِنْ ذلك؛ والمعنى: إنا نُثيبُكَ ونُجازيهِم.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ

(١) البيت للربيع بن منيع الفزاري، كما في «روح المعاني» ٢٣/٤٧، قاله بعدما أسن، وجاوز المائة.

مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت هذه الآيةُ والتي بعدَها على خمسةِ أقوالٍ:

[١٢٠٤] **أحدها**: أنه العَاصُ بنُ وائلٍ السَّهمِي، أخذ عَظماً مِنَ البَطحاءِ ففتَّهُ بيَدِه، ثم قال لرسولِ الله ﷺ: أيُحيي اللهُ هذا بعدَما أرى؟ فقال: «نعم، يُميتُكَ اللهُ ثُمَّ يُحْييكَ ثُمَّ يُدخِلُكَ نارَ جهنَّمَ»، فنزلت هذه الآياتُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٠٥] **والثاني**: أنه عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولٍ، جَرى له نحو هذه القصَّةِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٠٦] **والثالث**: أنه أبو جَهلِ بنُ هشامٍ، وأنَّ هذه القصةَ جَرَتْ له، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٠٧] **والرابع**: أنه أُميَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله الحَسَنُ.

[١٢٠٨] **والخامس**: أنه أُبَيُّ بنُ خَلَفِ الجُمَحِي، وهذه القصَّةُ جَرَت له، قاله مُجاهِدٌ وقتادة والجمهور، وعليه المُفسِّرون.

ومعنى الكلام: التَّعجُّبُ مِنْ جَهلِ هذا المُخاصِمِ في إنكارِهِ البَعْثَ؛ والمعنى: ألاَ يَعلَمُ أنه مخلوقٌ فيتفكَّرَ في بَدْءِ خَلْقِه فيترُكَ خُصومَتَهُ؟! وقيل: هذا تنبيهٌ له على نِعمةِ الله عليه حيثُ أنشأَهُ مِنْ نُطفةٍ فصارَ مُجادِلاً. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في إنكارِ البَعثِ بالعَظْم البالي حين فَتَّه بيده، وتعجَّبَ ممَّنْ يقول: إنَّ اللهَ يُحْييه ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ أي: نَسِيَ خَلْقَنا لهُ، أي: تَرَكَ النَّظَرَ في خَلْقِ نفسِه إذ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ أي: باليَةٌ، يُقال: رَمَّ العَظْمُ، إذا بَلِيَ، فهو رَمِيمٌ، لأنه مَعدولٌ عن فاعِله، وكلُّ

[١٢٠٤] حسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٩ من حديث ابن عباس، وإسناده حسن، وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وأخرجه الطبري ٢٩٢٤٣ عن سعيد بن جبير مرسلاً. وانظر «أحكام القرآن» ١٨٨٢.

[١٢٠٥] باطل، أخرجه الطبري ٢٩٢٤٤ بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو واهٍ عن ابن عباس، وهذا باطل لأن السورة مكية بإجماع، وعبد الله بن أبي ابن سلول إنما كانت أخباره في العهد المدني.

[١٢٠٦] ضعيف جداً. عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك.

[١٢٠٧] عزاه المصنف للحسن البصري، وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

[١٢٠٨] أخرجه الطبري ٢٩٢٤٠ عن مجاهد مختصراً، وهذا مرسل. وكرره ٢٩٢٤٢ عن قتادة مرسلاً. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٢١ عن أبي مالك مرسلاً. والخلاصة: ورد في شأن العاص وابن خلف من وجوه متساوية، فأصل الخبر محفوظ، وإن كان اضطرب المفسرون في تعيين أحدهما، والله أعلم. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥١٨١ و «فتح القدير» ٢١٠٣ بتخريجنا، والله الموفق.

مَعدُولٍ عن وَجْهِه ووَزنِه فهو مَصروفٌ عن إعرابِه كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1] فأسقطَ الهاءَ لأنها مَصروفةٌ، عن «باغية»؛ فقَاسَ هذا الكافرُ قُدرةَ الله تعالى بقُدرةِ الخَلْقِ، فأنكَرَ إحياءَ العَظْمِ البالي لأنَّ ذلكَ ليس في مَقدورِ الخَلْقِ. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ أي: ابتدأَ خَلْقَها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مِنَ الابتداءِ والإعادةِ ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: أراد الزُّنُودَ التي تُوري بها الأعرابُ مِنْ شجرِ المَرْخِ والعَفَار. فإنْ قيلَ: لِمَ قال: «الشَّجَرِ الأخضرِ». ولم يقل: الشجر الخُضر. فالجواب: أنَّ الشَّجرَ جمعٌ، وهو يُؤنَّثُ ويُذكَّرُ، قال الله تعالى: ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[2]، وقال: ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾. ثم ذَكَر ما هو أعظَمُ مِنْ خَلْقِ الإنسان، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ﴾ وقرأ أبو بكرٍ الصِّدّيقُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «يَقْدِرُ» بياءٍ مِنْ غير أَلِفٍ ﴿عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ وهذا استفهامُ تقريرٍ؛ والمعنى: مَنْ قَدَرَ على ذلك العظيم، قَدَرَ على هذا اليَسِيرِ. وقد فسَّرنا معنى «أنْ يَخلُقَ مِثْلَهم» في بَني إسرَائيل[3]؛ ثم أجابَ عن هذا الاستفهامَ فقال: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ يَخلُقُ خَلْقاً بَعْدَ خَلْقٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «وهو الخَالِقُ» ﴿الْعَلِيمُ﴾ بجميع المَعلوماتِ. والمَلَكوتُ والمُلْكُ واحدٌ. وباقي السُّورةِ قد تقدَّمَ شرحُه[4]. والله أعلَمُ بالصَّوابِ.

---

(١) مريم: ٢٨.
(٢) الواقعة: ٥٣.
(٣) الإسراء: ٩٩.
(٤) البقرة: ٣٢ ـ ١١٧، الأنعام: ٧٥.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

وهي مكيَّة كُلها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الملائكة، قاله ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعِكرِمَةُ ومُجاهِدٌ وقَتادةُ والجمهورُ. قال ابنُ عباسٍ: هم الملائكةُ صُفوفٌ في السماءِ، لا يَعْرِفُ مَلَكٌ منهم مَنْ إلى جانبه، لم يَلْتَفِتْ منذُ خَلَقَه الله عزَّ وجلَّ. وقيلَ: هي الملائكةُ تَصُفُّ أجنحتَها في الهواء واقفةً إلى أنْ يأمرَها الله تعالى بما يشاءُ. **والثاني**: أنها الطَّيرُ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖ﴾[1]، حكاه الثَّعلَبيُّ. وفي الزَّاجِرَاتِ قولان: **أحدهما**: أنها الملائكةُ التي تَزجُرُ السَّحابَ، قاله ابنُ عباسٍ والجمهور. **والثاني**: أنها زَواجِرُ القرآن وكلُّ ما يَنهى ويَزجُرُ عن القَبيح، قاله قَتادَةُ. وفي التَّالِياتِ ذِكراً ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الملائكةُ تقرأُ كُتبَ اللهِ تعالى، قاله ابنُ مسعودٍ والحسَنُ والجمهور. **والثاني**: أنهم الرُّسلُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ما يُتلَى في القرآنِ مِنْ أخبار الأُمَمِ، قاله قَتادَةُ. وهذا قَسَمٌ بهذه الأشياء، وجوابُه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾. وقيل معناه: وربِّ هذه الأشياء إنَّه واحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ قال السُّدِّيُّ: المَشارقُ ثلاثمائةٌ وستون مَشْرِقاً، والمَغاربُ مِثْلُها، على عددِ أيامِ السَّنةِ. فإنْ قيلَ: لِمَ تركَ ذِكْرَ المَغاربِ؟

فالجوابُ: أنَّ المشارقَ تَدُلُّ على المَغاربِ، لأنَّ الشُّروقَ قَبلَ الغُروبِ.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني التي تَلِي الأرضَ، وهي أَدْنَى السَّمواتِ إلى الأرضِ ﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمروٍ، والكِسائيُّ: «بزينةِ الكواكب» مضافاً، أي: بحُسْنِها وضَوئِها. وقرأ حمزَةُ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «بزينةٍ» مُنوَّنةً وخَفضَ «الكواكبِ» فجعل

---

(١) النور: ٤١.

«الكواكبِ» بَدَلاً مِنَ الزِّينة لأنها هي، كما تقول: مَررتُ بأبي عبدِ الله زيدٍ؛ فالمعنى: إنَّا زيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بالكواكبِ. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِم: «بزينةٍ» بالتنوين وبنَصبِ «الكواكبَ»؛ والمعنى: زيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بأنْ زيَّنَّا الكواكبَ فيها حين ألْقيناها في منازلِها وجعلناها ذاتَ نُورٍ. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكونَ «الكواكبَ» في النَّصْبِ بَدلاً مِنْ قوله: «بزينة» لأنَّ قولَه: «بزينة» في موضع نصبٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، ومعاذٌ القارئ، وأبو نَهيْكٍ، وأبو حَصينٍ الأسَدِي في آخرين: «بزينةٍ» بالتنوين «الكواكبُ» برفع الباء؛ قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: إنّا زيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بأنْ زَيَّنْتُها الكواكبُ وبأنْ زُيِّنتِ الكواكبُ. ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وحَفِظْناها حِفظاً. فأمَّا المارِدُ، فهو العاتي، وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾[1].

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ قال الفَرَّاءُ: «لا» هاهنا كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[2]، ويَصلُح في «لا» على هذا المعنى الجزمُ، والعربُ تقول: رَبطتُ فَرَسي لا يَنفَلِتْ. وقال غيرُه: لِكَي لا يَسَّمَّعوا إلى المَلأِ الأعلَى، وهم الملائكةُ الذين في السماء. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ وخلف، وحَفصٌ عن عاصِم: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ بتشديدِ السين، وأصلُه: يَتسمَّعون، فأُدغِمَتِ التاءُ في السين. وإنَّما قال: ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لأنَّ العرب تقول: سَمِعتُ فلاناً، وسَمِعت مِنْ فُلانٍ، وإلى فُلانٍ. ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ بالشُّهُبِ ﴿دُحُورًا﴾ قال قَتادةُ: أي قَذفاً بالشُّهُبِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: أي: طَرْداً، يُقال: دَحَرْتُه دَحْراً ودُحُوراً، أي: دَفعتُه. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، والضَّحَّاكُ، وأيوبُ السَّخْتِيانيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «دَحُوراً» بفتح الدال. وفي «الوَاصِب» قولان: **أحدهما**: أنه الدائمُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنه المُوجِعُ، قاله أبو صالحٍ، والسُّدِّيُّ. وفي زمانِ هذا العذاب قولان: **أحدهما**: أنه في الآخرة. **والثاني**: أنه في الدنيا، فهم يُخرَجون بالشُّهُبِ ويُخبلون إلى النَّفْخةِ الأُولى في الصُّورِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ قرأ ابنُ السَّمَيفَع: «خَطَّفَ» بفتح الخاء وكسرِ الطاء وتشديدِها. وقرأ أبو رَجاءٍ، والجَحْدَريُ: بكسرِ الخاء والطاء جميعاً والتَّخفيفِ. وقال الزَّجَّاجُ: خَطَفَ وخَطِفَ، بفتح الطاء وكَسرِها، يُقال: خَطَفْتُ أَخْطِفُ، وخَطِفتُ أَخْطَفُ: إذا أخذتَ الشيءَ بسرعةٍ، ويجوزُ «إلاَّ مَنْ خَطَّف» بفتح الخاء وتشديدِ الطاء، ويجوز «خِطَّفَ» بكسرِ الخاء وفتح الطاء؛ والمعنى: اختَطَفَ، فأُدغِمتِ التاءُ في الطاء، وسَقطَتِ الألِفُ لِحركةِ الخاء؛ فمنْ فَتحَ الخاءَ؛ أَلقَى عليها فتحةَ التاء التي كانت في «اختَطَفَ»، ومَنْ كَسرَ الخاءَ، فَلِسُكونِها وسُكونِ الطاء. فأمَّا مَنْ رَوى «خِطِف» بكسرِ الخاء والطاء، فلا وَجهَ لها إلاَّ وَجهاً ضعيفاً جدّاً، وهو أنْ يكونَ على إتباعِ الطاءِ كَسرةَ الخاء. قال المُفسِّرون: والمعنى: إلاَّ مَنِ اختَلَسَ الكلمةَ مِنْ كلام الملائكة مُسارقَةً ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ أي لَحِقَهُ ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي كوكبٌ مُضِيءٌ، يُقال: أثقِبْ نارَكَ، أي: أضِئْها، والثُّقُوبُ: ما تُذْكَى به النَّارُ.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

(١) النساء: ١١٧. (٢) الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ
لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: فَسَلْهُم سؤالَ تقريرٍ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أحكم صَنعةً ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: أَمْ مَنْ عَدَدْنا خَلْقَه مِنَ الملائكة والشياطين والسَّمواتِ والأرضِ، قاله ابنُ جبير. **والثاني**: أَمْ مَنْ خَلَقْنا قبلَهُم مِنَ الأُممِ السَّالِفةِ، والمعنى: إنَّهم ليسوا بأقوى مِنْ أولئكَ وقد أهلَكناهُم بالتَّكذيبِ، فمَا الذي يُؤمِنُ هؤلاءِ؟. ثم ذَكَرَ الناسَ فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ قال الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ: أي: لاصِقٍ لازِمٍ، والباءُ تُبدَلُ مِنَ الميمِ لِقُربِ مَخرَجَيْهِما. قال ابنُ عباسٍ: هو الطِّينُ الحُرُّ الجيِّدُ اللَّزِقُ. وقال غيرُه: هو الطِّينُ الذي يَنْشَفُ عنه الماءُ وتبقى رُطوبَتُه في باطنِه فيَلْصَقُ باليَدِ كالشَّمعِ. وهذا إخبارٌ عن تَساوي الأصلِ في خَلْقِهم وخَلْقِ مَنْ قَبلَهم؛ فمَنْ قَدرَ على إهلاكِ الأقوياءِ، قَدَرَ على إهلاكِ الضُّعفاءِ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ «بل» معناه: تَركُ الكلامِ في الأوَّلِ والأخذُ في الكلامِ الآخَرِ، كأنه قال: دَعْ يا محمَّدُ ما مَضى. وفي «عَجِبْتَ» قِراءَتان قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «بل عَجِبْتَ» بفتحِ التاءِ. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وعِكرِمَةُ، وقَتادةُ، وأبو مِجلَزٍ، والنَّخعيُّ، وطَلحةُ بنُ مُصرِّفٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي لَيلى، وحمزَةُ، والكِسائيُّ في آخرين: «بل عَجِبْتُ» بضمِّ التاءِ، واختارَها الفَرَّاءُ. فمَنْ فَتحَ أراد: بل عَجِبْتَ يا محمَّدُ، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم. قال ابنُ السَّائِبِ: أنتَ تَعْجَبُ منهم، وهم يَسْخرون منكَ. وفي ما عَجِبَ منه قولان[1]: **أحدهما**: مِنَ الكفَّارِ إذ لم يُؤمِنوا بالقرآن. **والثاني**: إذْ كَفَروا بالبَعثِ. ومَنْ ضَمَّ، أراد الإخبارَ عن الله عزَّ وجلَّ أنه عَجِبَ، قال الفراء: وهي قراءة علي وعبد الله وابن عباس وهي أحب إليّ، وقد أنكَرَ هذه القراءةَ قومٌ، منهم شُرَيحٌ القاضي، قال: إنَّ اللهَ لا يَعْجَبُ، إنَّما يَعْجَبُ مَنْ لا يَعْلَم، قال الزَّجَّاجُ: وإنكارُ هذه القراءةِ غَلطٌ، لأنَّ العَجَبَ مِنَ الله خِلافُ العَجَبِ مِنَ الآدَميينَ، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾[2] وقوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[3]، وأصلُ العَجَبِ في اللغة: أنَّ الإنسانَ إذا رأى ما يُنْكِرُه ويَقِلُّ مِثلُه، قال: قد عَجِبتُ مِنْ كذا، وكذلك إذا فَعَلَ الآدَميُّون ما يُنكِره اللّهُ عزَّ وجلَّ، جازَ أنْ يقول عَجِبتُ. واللّهُ قد عَلِمَ الشيءَ قبلَ كونِه. وقال ابنُ الأنباري: المعنى: جَازَيتُهم على عَجَبِهم مِنَ الحقِّ، فسمَّى الجزاءَ على الشيءِ باسمِ الشيءِ الذي له الجَزاءُ، فسمَّى فِعلَهُ عَجَباً وليس بعَجَبٍ في الحقيقة، لأنَّ المُتعجِّبَ يُدهَشُ ويَتحيَّرُ، واللّهُ عزَّ وجلَّ قد جَلَّ عن ذلك؛ وكذلك سُمِّي تعظيمُ الثوابِ عَجَباً،

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٤٧٦: والصواب من القول أن يقال: أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنيهما؟ إنهما وإن اختلف معناهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.
(٢) الأنفال: ٣٠. (٣) التوبة: ٧٩.

لأنه إنما يُتعجَّبُ مِنَ الشيءِ إذا كان في النِّهايةِ، والعربُ تُسمِّي الفِعلَ باسمِ الفِعلِ إذا دَانَاهُ مِنْ بعضِ وجُوهِهِ وإِنْ كان مُخالفاً له في أكثرِ معانيه، قال عَدِيٌّ:

ثُـمَّ أَضْـحَـوْا لَـعِـبَ الـدَّهْـرُ بِـهِـمْ(١)

فجَعَل إهلاكَ الدهرِ وإفسادَهُ لَعِباً، قال ابنُ جَريرٍ: مَنْ ضَمَّ التاءَ، فالمعنى: بل عَظُمَ عندي وكَبُرَ اتِّخاذُهم لي شَريكاً وتكذِيبُهم بتَنْزيلي. وقال غيرُه: إضافةُ العَجَبِ إلى الله عزَّ وجلَّ على ضَرْبَين: **أحدهما**: بمعنى الإنكارِ والذَّمِّ، كهذه الآية. **والثاني**: بمعنى الاستِحسَانِ والإِخبارِ عن تمامِ الرِّضا، كقوله عليه السَّلامُ:

[١٢٠٩] «عَجِبَ ربُّكَ مِنْ شابٍّ ليست له صَبوَةٌ».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾ أي: إذا وُعِظُوا بالقرآن لا يَذْكُرون ولا يَتَّعِظُون. وقرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُ، وأبو عِمْرَانَ: «ذُكِروا» بتخفيفِ الكاف. ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني انشقاقَ القمرِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: يَسْتَسْخِرون ويَسْخَرونَ سواءٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ. يُقالُ: سَخِرَ واسْتَسْخَرَ، كما يُقالُ: قَرَّ واسْتَقَرَّ، وعَجِبَ واسْتَعْجَبَ، ويجوز أنْ يكونَ: يسألون غيرَهم مِنَ المشركين أنْ يَسْخَروا مِنْ رسول الله، كما يُقالُ: اسْتَعْتَبْتُه، أي: سألْتُه العُتْبَى، واسْتَوْهَبْتُه، أي: سألْتُه الهِبَةَ، واسْتَعْفَيْتُه: سألتُه العَفْوَ. ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ يعنونَ انشقاقَ القمرِ ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بَيِّنٌ لِمَنْ تأمَّلَهُ أنه سِحْرٌ. ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ قد سبقَ بيانُ هذه الآية(٢). ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ هذه أَلِفُ الاستفهام دَخلَتْ على حرفِ العطف، كقوله: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾(٣). وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «أَوْ آباؤنا الأَوَّلُونَ» بسكونِ الواو هاهنا وفي الواقعة(٤). ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ أي: نعم تُبعَثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي: صَاغِرُونَ. ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: فإنَّما قِصَّةُ البَعثِ صَيحةٌ واحدةٌ مِنْ إسرافيلَ، وهي نَفخَةُ البَعثِ، وسُمِّيَتْ زَجرةً، لأنَّ مقصودَها الزَّجرُ ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: يُحْيَوْن ويُبعَثونَ بُصَراءَ يَنظُرون، فإذا عَايَنوا بَعثَهُم، ذَكروا إخبارَ الرُّسلِ عن البَعثِ، ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الحسابِ والجزاءِ، فتقول الملائكةُ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: يومُ القَضاءِ الذي يُفصَلُ فيه بين المُحْسِنِ والمُسيءِ؛ ويقول الله عزَّ وجلَّ يَومَئذٍ للملائكةِ: ﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ أي: اجْمَعُوا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ مِنْ حيثُ هم، وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون. **والثاني**: أنه عامٌّ في كلِّ ظالم. وفي أزوَاجِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمثالُهم وأشباهُهم، وهو قولُ عمرَ وابنِ عباسٍ، والنُّعمانِ بنِ بشيرٍ، ومُجاهِدٍ في آخرين. ورُوي عن عمرَ قال: يُحْشَرُ صاحبُ الرِّبا مع صاحبِ الرِّبا وصاحبُ الزِّنا مع صاحبِ الزِّنا وصاحبُ الخَمرِ مع

[١٢٠٩] ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ١٥١ وأبو يعلى ١٧٤٩ والطبراني ١٧/ ٣٠٩ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٩٣ من طريق ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعاً. وإسناده ضعيف، لضعف ابن لهيعة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٢٧٠ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وإسناده حسن! كذا قال رحمه الله، ومداره على ابن لهيعة، وهو ضعيف لا يحتج به، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣٤٩ موقوفاً وهو أصح.

---

(١) هو صدر بيت وعجزه: وكذاك الدهر يودي بالرجال.
(٢) مريم: ٦٦. (٣) الأعراف: ٩٨. (٤) الواقعة: ٤٨.

صاحبِ الخمرِ. **والثاني**: أنَّ أزواجَهم: المُشركاتُ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: أشياعُهم، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: قُرناؤهم مِنَ الشَّياطين الذين أَضَلُّوهم، قاله مُقاتِلٌ. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأصنامُ، قاله عِكرِمَةُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: إبليسَ وحدَهُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الشياطينُ، ذكره المَاوَرديُّ وغيرُه.

قوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: دُلُّوهم على طريقِها؛ والمعنى: اذهبوا بهم إليها. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: هَدَيْتُ الرَّجُلَ: إذا دَلَلْتَه، وهَدَيْتُ العَروسَ إلى زوجِها، وأهدَيتُ الهديةَ، فإذا جَعلتَ العروسَ كالهَديَّةِ، قلتَ: أهدَيتُها.

قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أي: احْبِسُوهم ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع: «أنَّهم» بفتحِ الهمزة. قال المُفسِّرون: لمَّا سِيقُوا إلى النَّارِ حُبِسُوا عند الصِّراطِ، لأنَّ السؤالَ هناك. وفي هذا السؤالِ ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم سُئِلُوا عن أعمالِهم وأقوالِهم في الدنيا. **والثاني**: عن «لا إلهَ إلاَّ اللهُ»، رُويا جميعاً عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: عن خطاياهُم، قاله الضَّحاكُ. **والرابع**: سألَهُم خزنَةُ جهنَّمَ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[1] ونحوَ هذا، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: أنهم يُسألُون عمَّا كانوا يعملون، ذكره ابنُ جَريرٍ. **والسادس**: أنَّ سؤالَهم قولُه تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، ذكره المَاوَرديُّ. قال المُفسِّرون: المعنى: ما لكُم لا يَنصُرُ بعضُكم بعضاً كما كُنتم في الدنيا؟! وهذا جوابُ أبي جَهلٍ حينَ قال يومَ بَدرٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾[2]، فقيلَ لهم ذلك يومَئذٍ توبيخاً. والمُستَسْلِمُ: المُنقادُ الذَّليلُ؛ والمعنى أنهم مُنقادُون لا حِيلَةَ لهم.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾
وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا
كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ
لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ
﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ
قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فيهم قولان: أحدهما: الإنسُ على الشَّياطين. والثاني: الأتباعُ على الرُّؤساءِ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ تَسآلَ توبيخٍ وتأنيبٍ ولَوْمٍ، فيقولُ الأتباعُ للرُّؤساءِ: لِمَ غرَّرتُمونا؟ ويقول الرُّؤساءُ: لِمَ قَبِلتُم مِنَّا؟ فذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟﴾ يعني الأتباعُ للمَتبوعِين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: كُنتم تَقهَرونَنا بقُدرَتِكُم علينا، لأنكم كنتم أعَزَّ مِنَّا، رواه الضَّحَّاكُ. والثاني: مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فتُضِلُّونا عنه، قاله الضَّحَّاكُ، وقال الزَّجَّاجُ: تأتُونَنا مِن قِبَلِ الدِّينِ فتَخدَعُونا

---

(١) الملك: ٨٠. (٢) القمر: ٤٤.

بأقوى الأسبابِ. **والثالث**: كُنتم تُوثِّقون ما كنتم تقولون بأيمانِكُم، فتأتونَنا مِنْ قِبَلِ الأيْمانِ التي تَحْلِفونَها، حكاه عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابُوريّ. فيقول المَتبُوعون لهم: ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لم تكونوا على حَق فَنُضِلَّكُم عنه، إنما الكُفرُ مِنْ قِبَلِكُم. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه القَهرُ. **والثاني**: الحُجَّةُ. فيكون المعنى على الأول: وما كان لنا عليكُم مِنْ قُوَّةٍ نَقْهَرُكم بها ونُكْرِهُكُم على مُتابعَتِنا، وعلى الثاني: لم نأتِكُم بحُجَّةٍ على ما دَعَوْناكم إليه كما أتَتِ الرُّسلُ.

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ﴾ أي: فوَجَبتْ علينا كلمةُ العذابِ، وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[1]؛ ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ العذابَ جميعاً نحنُ وأنتم، ﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ﴾ أي: أضلَلْناكم عن الهُدى بدُعائِكم إلى ما نحنُ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

ثم أخبرَ عن الأتبَاعِ والمَتبُوعِين بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾، والمجرمون هاهنا: المشركون، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ﴾ في الدُّنيا ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: قولوا هذه الكلمةَ ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي: يَتعظَّمُون عن قولِها، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ المعنى: أنَتْرُكُ عبادةَ آلهتِنا ﴿لِشَاعِرٖ﴾ أي: لاتِّباعِ شاعرٍ؟! يَعنُونَ رسولَ الله ﷺ، فردَّ اللَّهُ تعالى عليهم فقال: ﴿بَلۡ﴾ أي: ليس الأمرُ على ما قالوا، بل ﴿جَآءَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو التوحيدُ والقرآنُ، ﴿وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الذين كانوا قبلَهُ؛ والمعنى أنه أتى بما أتَوْا به. ثم خاطبَ المُشركين بما بعدَ هذا إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ يعني المُوحِّدين. قال أبو عُبيدَةَ: والعربُ تقول: إنَّكم لَذاهبون إلاّ زيداً. وفي ما استَثناهُم منه قولان: **أحدهما**: مِنَ الجَزاءِ على الأعمال، فالمعنى: إنَّا لا نُؤاخِذُهم بسُوءِ أعمالِهم، بل نَغفِرُ لهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: مِنْ دونِ العذاب، فالمعنى: فإنهم لا يَذوقونَ العذابَ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الجنَّةُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنه الرِّزقُ في الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ، فعلَى هذا، في معنى «معلوم» قولان: **أحدهما**: أنه بمِقدارِ الغَداةِ والعَشِيِّ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنهم حينَ يشتَهونَهُ يُؤتَون به، قاله مُقاتِلٌ.

ثم بَيَّنَ الرِّزقَ فقال: ﴿فَوَٰكِهُۖ﴾ وهي جمعُ فاكهةٍ وهي الثِّمارُ كلُّها، رَطْبُها ويابِسُها ﴿وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾ بما أعطاهُم اللَّهُ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[2] إلى قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ﴾ قال الضَّحَّاكُ: كلُّ كأسٍ ذُكِرَتْ في القرآن، فإنما عُنِيَ بها الخمرُ، قال أبو عُبيدَةَ: الكأسُ: الإناءُ بما فيه؛ والمَعِينُ: الماءُ الطاهرُ الجَاري. قال الزَّجَّاجُ: الكأسُ: الإناءُ الذي فيه الخَمرُ، وتقعُ الكأسُ على كلِّ إناءٍ مع شرابِه، فإنْ كان فارغاً فليس بكأسٍ. والمَعِينُ: الخَمرُ يجري كما يجري الماءُ على وَجهِ الأرضِ مِنَ العُيون.

قوله تعالى: ﴿بَيۡضَآءَ﴾ قال الحسَنُ: خَمرُ الجنَّةِ أشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَن، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقي: ويدلُّ على أنه أراد بالكأسِ الخَمرَ، أنه قال: «بيضاء» فأنَّثَ ولو أراد الإناءَ على انفرادِه، أو الإناء والخمر، لَقَالَ: أبيض. وقال ابنُ جَرير: إنما أراد بقوله: «بيضاء» الكأسَ، ولتأنيثِ الكأس أُنِّثت البيضاءُ. قوله تعالى: ﴿لَذَّةٖ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: لذيذةٌ، يُقال: شرابٌ لِذاذٌ: إذا كان طيِّباً. وقال

(١) الأعراف: ١٨. (٢) الحجر: ٤٧.

الزَّجّاجُ: أي: ذات لَذَةٍ. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ليس فيها صُداعٌ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: ليس فيها وَجعُ بَطنٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ وابنُ زيدٍ. **والثالث**: ليس فيها وَجعٌ ولا صُداعُ رأسٍ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: ليس فيها أذىً ولا مكرُوهٌ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: لا تَغتالُ عقولَهُم، قاله السُّدِّيُّ. وقال الزَّجّاجُ: لا تَغْتَالُ عقولَهم فتذهب بها ولا يُصيبُهم منها وَجعٌ. **والسادس**: ليس فيها إثمٌ، حكاه ابنُ جَريرٍ. **والسابع**: ليس فيها شيءٌ مِنْ هذه الآفاتِ، لأنَّ كُلَّ مَنْ نالَهُ شيءٌ مِنْ هذه الآفاتِ قيلَ: قد غالَتْهُ غَوْل، فالصواب أنْ يكونَ نفيُ الغَوْلِ عنها يَعُمُّ جميعَ هذه الأشياء، هذا اختيارُ ابنِ جَريرٍ. قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: بكَسرِ الزاي ها هنا وفي الواقعة، وفَتَحَ عاصِمٌ الزايَ ها هنا، وكَسَرَها في الواقعة[1]. وقرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، بفتحِ الزاي في السُّورَتين، قال الفَرّاءُ: فمَنْ فَتحَ، فالمعنى: لا تذهبُ عقولُهم بشُربِها. يُقال للسَّكرانِ: نَزيفٌ ومَنزُوف؛ ومَنْ كَسرَ، ففيه وجهان: **أحدهما**: لا يُنفِدُون شرابَهم، أي: هو دائمٌ أبداً. **والثاني**: لا يَسْكَرون، قال الشاعر:

لَعَمْري لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أو صَحَوْتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرا[2]

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهنَّ نساءٌ قد قَصَرنَ طَرْفَهنَّ على أزواجِهنَّ فلا يَنظُرْنَ إلى غيرهم. وأصلُ القَصْرِ: الحَبسُ، قال ابنُ زيدٍ: إنَّ المرأةَ منهنَّ لَتقولُ لِزوجِها: وعِزَّةِ ربِّي ما أرىٰ في الجنَّةِ شيئاً أحسَنَ منكَ، فالحمدُ لله الذي جعلني زَوجَكَ وجعَلَكَ زوجي. **والثاني**: أنهنَّ قد قَصَرنَ طَرْفَ الأزواج عن غيرِهنَّ، لِكمالِ حُسنِهنَّ، سمعتُهُ مِنَ الشيخِ أبي محمَّدِ بن الخَشّابِ النَّحوي.

وفي العِينِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حِسَانُ العيون، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: عِظامُ الأعيُنِ، قاله السُّدِّيُّ. وابنُ زيدٍ. **والثالث**: كِبارُ العُيونِ حِسَانُها، وواحدتُهنَّ عَيْناء، قاله الزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ في المراد بالبيض ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللؤلؤ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: بَيْضُ النَّعام، قاله الحسَنُ، وابنُ زيدٍ، والزَّجّاجُ. قال جماعةٌ مِنْ أهلِ اللغة: والعرب تُشَبِّهُ المرأةَ الحسناءَ في بياضِها وحُسْنِ لونِها بِبَيْضَةِ النَّعامَةِ، وهو أحسَنُ ألوانِ النساء، وهو أنْ تكون المرأة بيضاءَ مُشْرَبَةً صُفْرَةً. **والثالث**: أنه البَيْضُ حين يُقشَرُ قبلَ أنْ تَمَسَّهُ الأيدي، قاله السُّدِّيُّ، وإلى هذا المعنى ذهب سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وابنُ جَريرٍ. فأمّا المَكنُونُ، فهو المَصُونُ. فعَلَى القولِ الأولِ: هو مكنُونٌ في صَدَفِهِ، وعلى الثاني: هو مكنُونٌ بريشِ النَّعامِ، وعلى الثالث: هو مَكنُونٌ بقِشْرِه.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا

---

(١) الواقعة: ١٩.

(٢) البيت للأبيرد الرياحي من بني مِخجل كما في «اللسان» ـ نزف ـ.

مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني أهلَ الجنَّةِ ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ عن أحوالٍ كانت في الدنيا. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الصَّاحبُ في الدنيا. **والثاني**: أنه الشَّريكُ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الشيطان، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنه الأخ؛ قال مُقاتِلٌ: وهما الأخَوانِ المذكورانِ في سُورةِ الكَهفِ[1] في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾؛ والمعنى: كان لي صاحبٌ أو أخٌ يُنْكِرُ البعثَ، ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هي مُخفَّفةَ الصاد، مِنْ صَدَّقَ يُصدِّقُ فهو مُصدِّق، ولا يَجوزُ ها هنا تشديدُ الصاد، قال المُفسِّرون: والمعنى: أئِنَّكَ لَمِنَ المُصدِّقين بالبَعثِ؟ وقرأ بكرُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ القاضي عن حمزةَ: «المُصَّدِقِينَ» بتشديد الصاد. قوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ أي: مَجْزِيُّون بأعمالِنا، يُقال: دِنْتُهُ بما صَنعَ، أي: جازيْتُهُ. فأحَبَّ المؤمِنُ أنْ يَرى قرينَهُ الكافرَ، فقال لأهلِ الجنَّةِ: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ أي: هل تُحبُّون الاطِّلاعَ إلى النَّار لِتَعْلَمُوا أينَ مَنزِلَتُكم مِنْ منزلةِ أهلِها؟ وقرأ ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو عِمرانَ، وابنُ يَعمَرَ: «هل أنتم مُطْلِعُونَ» بإسكانِ الطاء وتخفيفِها «فَأُطْلِعَ» بهمزةٍ مرفوعةٍ وسكونِ الطاء. وقرأ أبو رَزِينٍ وابنُ أبي عَبلَةَ: «مُطلِعونِ» بكسرِ النون، قال ابنُ مسعودٍ: اطَّلَعَ ثم التَفَتَ إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجِمَ القوم تَغْلِي؛ قال ابنُ عباسٍ: وذلك أنَّ في الجنَّةِ كُوَىً ينظرُ منها أهلُها إلى النارِ. قوله تعالى: ﴿فَرَءَاهُ﴾ يعني قرينَهُ الكافرَ ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في وسَطِها. وقيلَ: إنما سُمِّيَ الوسَطُ سَواءً، لاستِواءِ المسافة منه إلى الجَوانبِ. قال خُلَيدُ العَصَريُّ: واللَّهِ لولا أنَّ اللَّهَ عرَّفَهُ إيَّاه، ما عَرفَهُ، لقد تغيَّرَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ. فعندَ ذلك ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ قال المُفسِّرون: معناه: واللَّهِ ما كِدْتَ إلاَّ تُهلِكني؛ يُقال: أرديْتُ فلاناً، أي: أهلَكتُه. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ أي: إنعامُه عليَّ بالإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معكَ في النارِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه إذا ذُبِحَ الموتُ، قال أهلُ الجنَّة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ فيُقال لهم: لا؛ فعندَ ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فيقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، قاله ابنُ السَّائِبِ. وقيلَ: يقولُ ذلك للملائكةِ. **والثاني**: أنه قولُ المؤمن لأصحابِه، فقالوا له: إنكَ لا تموتُ، فقال: «إنَّ هذا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ»، قاله مُقاتِلٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: إنما خاطَبَ المؤمنُ أهلَ الجنَّةِ بهذا على طريقِ الفَرحِ بدوامِ النَّعيم، لا على طريقِ الاستفهام، لأنه قد عَلِمَ أنَّهم ليسوا بميِّتينَ، ولكنْ أعادَ الكلامَ ليزدَادَ بتكرَارِهِ على سَمْعِه سروراً. **والثالث**: أنه قولُ المؤمنِ لِقرينِه الكافرِ على جهةِ التَّوبيخِ بما كان يُنْكِرُه، ذكره الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ يعني النَّعيمَ الذي ذَكرهُ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾[2]، ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، وهذا ترغيبٌ في طلبِ ثوابِ الله عزَّ وجلَّ بطاعتِه.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ

(١) الكهف: ٣٢. (٢) الصافات: ٤١.

ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يُشير إلى ما وَصفَ لأهلِ الجنَّةِ ﴿نُّزُلًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: رِزقاً، ومنه: إقامةُ الأنزالِ، وأنزالُ الجنودِ: أرزاقُها، وقال الزَّجَّاجُ: النُزلُ ها هنا: الرَّيْعُ والفَضلُ، تقول: هذا طعامُ نُزْلٍ ونُزُلٍ، بتسكينِ الزاي وضَمِّها؛ والمعنى: أذلِكَ خيرٌ في بابِ الأنزالِ التي تُتَقَوَّتُ ويمكن معها الإقامةُ، أَمْ نُزُلُ أهلِ النَّارِ؟! وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾. واختلف العلماءُ هل هذه الشجرةُ في الدنيا، أَمْ لا؟ فقال قُطْرُبُ: هي شجرةٌ مُرَّةٌ تكون بأرضِ تِهامَةَ مِنْ أخبَثِ الشجرِ. وقال غيرُه: الزَّقُّومُ: ثمرةُ شجرةٍ كريهةِ الطَّعم. وقيلَ: إنها لا تُعرَفُ في شجرِ الدنيا، وإنما هي في النَّارِ، يُكرَه أهلُ النَّارِ على تناولِها. قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني للكافرين، وفي المُراد بالفِتنة ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لمَّا ذُكرَ أنها في النَّارِ، افتُتِنوا وكَذَّبوا، فقالوا: كيف يكون في النَّارِ شجرةٌ، والنَّارُ تأكل الشجرَ؟، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ[1]، وقال السُّدِّيُّ: فِتنةٌ لأبي جَهلٍ وأصحابه. **والثاني**: أنَّ الفِتنةَ بمعنى العذاب، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والثالث**: أنَّ الفِتنةَ بمعنى الاختبارِ، اختُبِروا بها فكَذَّبوا، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: في قَعرِ النَّارِ. قال الحسَنُ: أَصلُها في قَعرِ النَّارِ، وأغصانُها ترتفعُ إلى دَرَكاتِها. ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثَمرُها، وسُمِّي طَلعاً، لِطلوعِه ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾. فإنْ قيلَ: كيف شبَّهها بشيءٍ لم يُشاهَدْ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه قد استقرَّ في النُّفوسِ قُبحُ الشياطين ـ وإنْ لم تُشاهَدْ ـ فجازَ تشبيهُها بما قد عُلِمَ قُبحُه، قال امرؤُ القَيسِ:

أَيَقْتُلُنِي والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي ... ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيابِ أَغْوالِ

قال الزَّجَّاجُ: هو لم يَرَ الغُولَ ولا أنيابَها، ولكنَّ التمثيلَ بما يُستقبَحُ أبلَغُ في باب المُذكَّرِ أنْ يُمثَّلَ بالشياطين، وفي باب المُؤنَّثِ أنْ يُشبَّه بالغُولِ.

والثاني: أنَّ بين مكَّةَ واليَمنِ شجراً يُسمَّى رُؤوسَ الشياطين، فشَبَّهها بها، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أنه أرادَ بالشياطين: حيَّاتٍ لها رؤوسٌ ولَها أعرافٌ، فشبَّه طَلعَها برؤوسِ الحيَّاتِ، ذكره الزَّجَّاجُ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تُسمِّي بعضَ الحيَّاتِ شيطاناً، وهو حيَّةٌ ذو عُرْفٍ قبيحُ الوجهِ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ أي: مِنْ ثمرها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ وذلك أنهم يُكرَهون على أكلِها حتى تمتلئَ بُطونُهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: لَخلطاً مِنَ الماء الحَارِّ يشربُونَهُ عليها. قال أبو عُبيدَةَ: تقول العرب: كلُّ شيءٍ خَلَطْتَه بغيرِه فهو مَشُوبٌ. قال المُفسِّرون: إذا أكلوا الزَّقُّومَ ثم شربوا عليه الحَميمَ، شَابَ الحَميمُ الزَّقُّومَ في بطونهم فصارَ شَوْباً له. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ أي: بعدَ أكلِ الزَّقُّومِ وشُربِ الحَميمِ ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ وذلك أنَّ الحَميمَ خارجٌ مِنَ الجحيمِ، فهُم يُوردُونَه

(١) مرسل. أخرجه الطبري ٢٩٣٩٨ عن قتادة مرسلاً، وتقدم في سورة الإسراء: ٦٠.

كما تُورَدُ الإبلُ الماءَ، ثم يُرَدُّونَ إلى الجحيم؛ ويدلُّ على هذا قولُه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[١]. و ﴿أَلْفَوْا﴾ بمعنى وَجَدوا. و ﴿يُهْرَعُونَ﴾ مشروحٌ في هود[٢]، والمعنى أنهم يتَّبِعون آباءَهم في سرعةٍ. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبلَ هؤلاءِ المشركين ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الأُمَمِ الخاليةِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني المُوَحِّدِين، فإنَّهم نَجَوا مِنَ العذاب. قال ابنُ جرير: وإنما حَسُنَ الاستثناءُ، لأنَّ المعنى: فانظُرْ كيف أهلَكْنا المُنذَرين إلاَّ عبادَ الله.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ أي: دَعانا. وفي دُعائِه قولان: **أحدهما**: أنه دَعا مُستنصِراً على قومِه. **والثاني**: أنْ يُنجيَه مِنَ الغرَقِ ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ نحنُ؛ والمعنى: إنّا أنجيناه، وأهلَكْنا قومَهُ. وفي ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الغرقُ. **والثاني**: أذى قومِه. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ وذلك أنَّ نسلَ أهلِ السفينة انقرضُوا غيرَ نسلِ وَلَدِه، فالناسُ كلُّهم مِنْ وَلَدِ نوح، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: تركْنا عليه ذِكراً جميلاً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا بعدَهُ إلى يوم القيامة. قالَ الزَّجّاجُ: وذلك الذِّكْرُ الجميلُ قولُه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَٰلَمِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا مِن بعده، والمعنى: تَركْنا عليه أنْ يُصَلَّى عليه في الآخِرين إلى يوم القيامة. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: جَزاهُ اللّهُ بإحسانِه الثَّناءَ الحَسَنَ في العالَمين.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: مِنْ أهلِ دِينِه ومِلَّتِه. والهاءُ في «شِيعته» عائدةٌ على نوحٍ في قولِ الأكثرين؛ وقال ابنُ السَّائبِ: تعود إلى محمَّدٍ ﷺ، واختارَهُ الفَرّاءُ. فإنْ قيلَ: كيف يكون مِنْ شِيعَتِه وهو قَبْلَه؟ فالجواب: أنه مِثلُ قوله تعالى: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٣] فجعلَها ذُرِّيَّتَهم وقد سبقَتْهم، وقد شرحنا هذا فيما مَضى[٤]. قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ﴾ أي: صَدَّقَ اللّهَ وآمَنَ به ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشِّركِ وكلِّ دَنَسٍ، وفيه أقوالٌ ذكرناها في الشُّعَراء[٥].

---

(١) الرحمن: ٤٤. (٢) هود: ٧٨. (٣) يس: ٤١.
(٤) يس: ٤١. (٥) الشعراء: ٨٩.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا استفهامُ تَوبيخ، كأنه وَبَّخَهُم على عبادةِ غيرِ الله. ﴿أَئِفْكًا﴾ أي: أَتَأفِكُونَ إفكاً وتَعبُدون آلهةً سِوى اللَّهِ؟! ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ إذا لَقِيتُموهُ وقد عَبَدتُم غيرَه؟! كأنه قال: فما ظنُّكُم أنْ يصنعَ بكم؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه نَظَرَ في عِلْمِ النُّجوم، وكان القومُ يَتعاطَوْنَ عِلْمَ النُّجوم، فعامَلَهُم مِنْ حيثُ هم، وأراهُم أنِّي أعلَمُ مِنْ ذلك ما تعلَمون، لِئَلاَّ يُنكِروا عليه ذلك. قال ابنُ المُسَيِّبِ: رأى نجماً طالِعاً، فقال: إِنِّي مريضٌ غداً. **والثاني**: أنه نَظرَ إلى النُّجوم، لا في عِلمِها. فإن قيل: فما كان مَقصودُه؟ فالجواب أنه كان لهم عِيدٌ، فأراد التَّخلُّفَ عنهم لِيَكِيدَ أصنامَهم، فاعْتَلَّ بهذا القول.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ مِنْ مَعاريضِ الكلام، ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناه: سأَسْقَمُ، قاله الضَّحَّاكُ. قال ابنُ الأنباري: أعْلَمَه اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنَّه يَمتَحِنُهُ بالسُّقم إذا طَلَعَ نجمٌ يعرفُه، فلمَّا رأى النَّجمَ، عَلِمَ أنه سيَسْقم. **والثاني**: أنِّي سَقِيمُ القلب عليكم إذْ تكهَّنْتُم بنجوم لا تضرُّ ولا تَنْفَع، ذكره ابنُ الأنباري. **والثالث**: أنه سَقِمَ لِعِلَّةٍ عَرضَتْ له، حكاه المَاوَردي. وذكر السُّدِّيُّ أنه خرج معهم إلى يوم عيدِهم، فلمّا كان ببعضِ الطريق، أَلْقَى نَفْسَهُ وقال: إنِّي سَقِيمٌ أشتكي رِجلِي، ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾أي: مالَ إليها ـ وكانوا قد جعلوا بين يدَيْها طعاماً لِتباركَ فيه على زعمِهم ـ ﴿فَقَالَ﴾ إبراهيمُ استِهزاءً بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ في اليمين ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها اليدُ اليُمنى، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: بالقُوَّة والقُدرةِ، قاله السُّدِّيُّ، والفرَّاءُ. **والثالث**: باليمينِ التي سَبقَتْ منه، وهي قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم﴾[1]. حكاه المَاورديُّ. قال الزَّجَّاجُ: «ضَرْباً» مصدرٌ؛ والمعنى: فَمَالَ على الأصنام يَضرِبُها ضَرْباً باليمين؛ وإنما قال: «عليهم»، وهي أصنامٌ، لأنهم جعلُوها بمنزلةِ ما يُمَيِّز. ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وعاصِمٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ والكِسَائيُّ: «يَزِفُّونَ» بفتحِ الياء وكَسرِ الزاي وتشديدِ الفاء. وقرأ حمزَةُ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم: «يُزِفُّونَ» برفعِ الياء وكسرِ الزاي وتشديدِ الفاء. وقرأ ابن السميفع وأبو المتوكل والضحاك: «يَزِفُون» بفَتح الياء وكسر الزاء وتخفيف الفاء. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ وأبو نَهِيكٍ: «يَزْفُونَ» بفتح الياء وسكونِ الزاي وتخفيفِ الفاء. قال الزَّجَّاجُ: أعربُ القراءاتِ فتحُ الياء وتشديدُ الفاء، وأصله مِنْ زَفيفِ النَّعَام، وهو ابتداءُ عَدْوِ النَّعَام، يُقال: زَفَّ النَّعامُ يَزِفُّ؛ وأمَّا ضمُّ الياء، فمعناه: يصيرون إلى الزَّفيفِ، وأنشدوا:

فأضحى حُصَيْنٌ قد أَذَلَّ وأَقْهَرا[2]

أي: صار إلى القَهْرِ. وأمَّا كَسْرُ الزَّاي مع تخفيفِ الفاء، فهو مِنْ: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ يُسْرِع، ولم يَعْرِفْهُ الكِسائيُّ ولا الفَرَّاءُ، وعَرَفه غيرُهما. قال المُفسِّرون: بَلَغَهم ما صنعَ إبراهيمُ، فأسرعوا، فلمَّا انتهَوْا إليه، قال لهم مُحتجًا عليهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، قال ابنُ جَريرٍ: في «ما» وجهان[3]: **أحدهما**: أنْ تكون بمعنى المصدرِ، فيكون المعنى: واللَّهُ

---

(١) الأنبياء: ٥٧.

(٢) هو عجز بيت للمخبّل السعدي كما في «اللسان» ـ قهر ـ. وصدره: تمنّى حصين أن يسود جذاعه.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ١٨/٤: وكلا القولين متلازم، والأول أظهر لما رواه البخاري في كتاب =

خَلَقَكم وعَمَلَكم. **والثاني**: أنْ تكون بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: واللَّهُ خَلَقَكم وخَلَقَ الذي تعملونه بأيديكم مِنَ الأصنام، وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ أفعالَ العبادِ مخلوقةٌ لله سبحانَهُ. فلمَّا لَزِمَتْهم الحُجَّةُ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ وقد شرحنا قصَّتَهُ في سُورةِ الأنبياء[1]، وبيَّنَّا معنى الجَحِيم في البقرة[2]، والكَيْدُ الذي أرادوا به: إحرَاقُه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أنَّ إبراهيمَ عَلاهُم بالحُجَّة حيثُ سَلَّمَهُ الله مِنْ كيدِهم وحَلَّ الهلاكُ بهم. ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبراهيمَ ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ في هذا الذَّهاب قولان: **أحدهما**: أنه ذاهبٌ حقيقةً، ثم في وقت قوله هذا قولان: أحدهما: أنه حينَ أراد هِجرةَ قومِه؛ فالمعنى: إنِّي ذاهبٌ إلى حيثُ أمَرَني ربِّي عزَّ وجلَّ ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيثُ أمَرَني، وهو الشَّامُ، قاله الأكثرون. والثاني: حين أُلقِيَ في النَّارِ، قاله سليمانُ بنُ صُرَدٍ؛ فعَلَى هذا، في المعنى قولان: أحدهما: ذاهبٌ إلى الله بالموتِ، سَيهْدِينِ إلى الجَنَّة. والثاني: ذاهبٌ إلى ما قضى به رَبِّي سَيَهْدِينِ إلى الخَلاصِ مِنَ النَّارِ. **والقول الثاني**: إنِّي ذاهبٌ إلى ربِّي بقلبي وعَملي ونِيَّتي، قاله قَتَادَةُ.

فلمَّا قَدِمَ الأرضَ المقدَّسة، سأل ربَّه الوَلَدَ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: وَلَداً صالحاً مِنَ الصَّالِحين، فاجتزأ بما ذَكَرَ عمَّا تَرَكَ، ومثله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[3]، فاستجابَ له، وهو قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ وفيه قولان[4]: **أحدهما**: أنه إسحَاقُ. **والثاني**: أنه إسمَاعِيلُ. قال الزَّجَّاجُ. هذه البِشارةُ تَدُلُّ على أنه مُبَشَّرٌ بابنِ ذَكَرٍ، وأنه يبقى حتى ينتهي في السنِّ ويُوصَفُ بالحِلْمِ.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المرادَ بالسَّعي هاهنا: العملُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه المَشيُ، والمعنى: مَشى مع أبيه، قاله قَتَادَةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: بَلَغَ أنْ يَنصرِفَ معه

= «أفعال العباد» عن حذيفة مرفوعاً: «إن الله يصنع كل صانع وصنعته».

(١) الأنبياء: ٥٢ ـ ٧٤. (٢) البقرة: ١١٩. (٣) يوسف: ٢٠.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/١٩: يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه بعدما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم **﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين﴾** يعني: أولاداً مطيعين عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم. قال الله تعالى: **﴿فبشرناه بغلام حليم﴾** وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بُشّر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل نصّ كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ لإبراهيم عليه السلام وعمره ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعُمرُ إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة: بكره.

ويُعِينَهُ. قال ابنُ السَّائبِ: كان ابنَ ثلاثَ عشرةَ سنةً. **والثالث**: أنَّ المرادَ بالسَّعي: العبادةُ، قاله ابنُ زيدٍ؛ فعلَى هذا، يكون قد بَلَغَ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ أكثرُ العلماء على أنه لم يَرَ أنه ذَبحَهُ في المنام. وإنما المعنى أنه أُمِرَ في المنام بذَبْحِه، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. وذهب بعضُهم إلى أنه رأى أنه يُعالجُ ذَبْحَه، ولم يَرَ إراقةَ الدَّم. قال قَتادةُ: ورُؤيا الأنبياءِ حَقٌّ، إذا رَأَوا شيئاً، فعلُوه. وذكر السُّدِّيُّ عن أشياخه أنه لمَّا بَشَّر جِبريلُ سَارةَ بالوَلدِ، قال إبراهيمُ: هو إذاً لله ذبيحٌ، فلمّا فَرَغَ مِن بُنيانِ البيت، أُتي في المنام، فقيلَ له: أَوْفِ بنَذْرِكَ. واختلفوا في الذَّبيحِ على قولين[1]: **أحدهما**: أنه إسحاقُ، قاله عمرُ بنُ الخَطّابِ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، والعبَّاسُ بن عبدالمُطَّلبِ، وابنُ مسعودٍ، وأبو موسى الأشعَريُّ، وأبو هُريرَةَ، وأنسٌ، وكَعبُ الأحبارِ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، ومَسرُوقٌ، وعُبيدُ بنُ عُميرٍ، والقاسمُ بنُ أبي بَزَّةَ، ومُقاتِلُ بنُ سُليمانَ، واختاره ابنُ جريرٍ. وهؤلاءِ يقولون: كانت هذه القصةُ بالشام. وقيل: طُويَتْ له الأرضُ حتى حملَهُ إلى المَنْحَرِ بِمِنىً في ساعةٍ. **والثاني**: أنه إسماعيلُ، قاله ابنُ عُمرَ، وعبدُ الله بنُ سَلام، والحسَنُ البَصْريُّ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والشَّعْبيُّ، ومُجاهِدٌ، ويوسفُ بنُ مِهْرَانَ، وأبو صالحٍ، ومحمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ، وعبدُ الرحمن بنُ سابطٍ. واختلفت الروايةُ عن ابنِ عباسٍ، فَروى عنه عِكرِمَةُ أنه إسحاقُ، وروى عنه عطاءٌ، ومُجاهِدٌ، والشَّعْبيُّ، وأبو الجَوزاءِ، ويُوسفُ بنُ مِهْرَانَ أنه إسماعيلُ، وروى عنه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ كالقولَين. وعن سعيدِ بن جُبَيرٍ، وعِكرِمَةَ، والزُّهْرِيِ، وقَتادَةَ، والسُّدِّيِّ رِوايتان. وكذلك عن أحمدَ رضي الله عنه رِوايتان. ولكلِّ قومٍ حُجَّةٌ ليس هذا موضعُها، وأصحابُنا يَنصُرون القولَ الأولَ.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/ ١٩ ـ ٢١: نصّ في كتاب أهل الكتاب أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة: بكره، فأقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً «إسحاق» ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرّفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل. فإنه لا يقال: وحيد إلا لمن ليس له غيره، وأيضاً فإن أول ولدٍ له معزّةٌ ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.
وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلُقِّي إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأُخِذَ ذلك مُسلَّماً من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: **﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾**. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: **﴿إنا نبشرك بغلام عليم﴾** وقال تعالى: **﴿فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** أي: يولد له في حياتهما ولد يسمّى يعقُوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. ولا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير، لأن الله وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً. وإسماعيل وصف هاهنا بالحلم، لأنه مناسب لهذا المقام. وقوله: **﴿فلما بلغ معه السعي﴾** أي: كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه. وقد كان إبراهيم عليه السلام يذهب في كل وقتٍ يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فارن وينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك. والله أعلم. والصحيح أنه إسماعيل، وهو المقطوع به اهـ.

الإشارة إلى قصَّةِ الذَّبح

ذَكرَ أهلُ السِّيَر والتفسير(١) أنَّ إبراهيمَ لمَّا أراد ذَبْحَ وَلدِه، قال له: انطَلِقْ فنُقَرِب قُرباناً إلى الله عزَّ وجلَّ، فأخذَ سِكِّيناً وحَبْلاً، ثم انطلَقَ، حتى إذا ذهبا بين الجبال، قال له الغلامُ: يا أبتِ أينَ قُربانُكَ؟ قال: يا بُني إنِي رأيتُ في المنام أنِّي أذبَحكَ، فقال له: اشْدُدْ رِباطِي حتى لا أضْطَرِبَ، واكْفُفْ عنِّي ثيابَكَ حتى لا يَنتَضِحَ عليكَ مِنْ دمي فتراهُ أُمّي فتحزَنَ، وأسْرِعْ مَرَّ السِّكِينِ على حَلْقِي ليكونَ أهونَ للموت عليَّ، فإذا أتيتَ أُمّي فاقرأ عليها السلامَ منّي؛ فأقبَلَ عليه إبراهيمُ يُقبّله ويبكي ويقول: نِعْمَ العَونُ أنتَ يا بُنيَّ على أمرِ الله عزَّ وجلَّ، ثم إنه أمَرَّ السِّكِّينَ على حَلْقِه فلم يَحْكِ شيئاً. وقال مُجاهِدٌ: لمَّا أمَرَّها على حَلْقِه انقلَبَتْ، فقال: ما لكَ؟ قال: انقلَبَتْ، قال: اطْعَنْ بها طَعْناً. وقال السُّدِّيُّ: ضَربَ الله على حَلْقِه صفيحةً مِنْ نُحاسٍ؛ وهذا لا يُحتاجُ إليه، بل مَنعُها بالقُدرةِ أبلَغُ. قالوا: فلمَّا طعَنَ بها، نَبَتْ، وعَلِمَ الله منهما الصِّدقَ في التَّسليم، فنُودِيَ: يا إبراهيمُ قد صَدَّقْتَ الرُّؤيا، هذا فِداءُ ابنِكَ؛ فنظرَ إبراهيمُ، فإذا جِبريلُ معه كَبْشٌ أملَحُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ لَمْ يَقُلْ له ذلك على وَجهِ المؤامرةِ في أمرِ الله عزَّ وجلَّ، ولكنْ أراد أنْ يَنْظُرَ ما عنده مِنَ الرَّأي. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ: «ماذا تُرِي» بضمِّ التاء وكسرِ الراء؛ فيها قولان: **أحدهما**: ماذا تُرِيني مِنْ صبرِكَ أو جَزعِكَ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: ماذا تُبِينُ، قاله الزَّجَّاجُ. وقال غيرُه: ماذا تُشِيرُ. قوله تعالى: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: افعَلْ ما أُوحيَ إليكَ مِنْ ذَبحِي ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاءِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي: استَسلَما لأمرِ الله عزَّ وجلَّ فأطَاعا ورَضِيا. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والأعمَشُ وابنُ أبي عَبلَةَ: «فلمّا سَلَّما» بتشديدِ اللام مِنْ غير همزٍ قبلَ السين؛ والمعنى: سَلَّما لأمرِ الله عزَّ وجلَّ. وفي جواب قوله: «فلمَّا أسلَما» قولان: **أحدهما**: أنَّ جوابَهُ: «وناديناه»، والواو زائدةٌ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ الجوابَ محذوفٌ لأنَّ في الكلام دليلاً عليه؛ والمعنى: فلمَّا فعَلَ ذلك، سَعِدَ وأُجْزِلَ ثوابُه، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: صَرَعَهُ على جَبينِه فصار أحدُ جَبِينَيهِ على الأرض، وهما جَبِينان، والجَبهةُ بينهما، وهي ما أصابَ الأرضَ في السُّجود، والناسُ لا يكادون يُفرِّقون بين الجَبِين والجَبهةِ، فالجَبهةُ مسجدُ الرجل الذي يُصيبه نَدَبُ السُّجودِ، والجَبِينان يَكتَنفانِها، مِنْ كلِّ جانبٍ جَبِينٌ. قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ قال المُفسِّرون: نُودِيَ مِنَ الجبل: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾وفيه قولان: **أحدهما**: قد عَمِلْتَ ما أُمِرْتَ، وذلك أنه قَصدَ الذَّبحَ بما أمكنَهُ، وطاوَعهُ الابنُ بالتَّمكينِ مِنَ الذَّبحِ، إلاَّ أنَّ الله تعالى صَرفَ ذلك كما شاءَ، فصارَ كأنه قد ذَبَحَ وإنْ لم يتحقَّقِ الذَّبحُ. **والثاني**: أنه رأى في المَنامِ مُعالجةَ الذَّبحِ، ولم يَرَ إراقةَ الدَّمِ، فلمَّا فَعَلَ في اليَقظةِ ما رأى في المنام، قيلَ له: «قد صدَّقتَ الرُّؤيَا». وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرَانَ، والجَحْدَرِيُّ: «قد صَدَقْتَ الرُّؤيا» بتخفيفِ الدال، وها هنا تَمَّ الكلامُ. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما ذَكَرنا مِنَ العَفوِ مِنْ ذبحِ وَلدِهِ

(١) هو موقوف على ابن عباس، انظر «تفسير البغوي» ٤/ ٣٣.

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: النِّعمةُ البيِّنةُ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الاختبارُ العظيمُ، قاله ابنُ زيدٍ، وابنُ قُتيبة. فعَلى الأولِ، يكون قولُه هذا إشارةً إلى العَفوِ عن الذَّبح. وعلى الثاني، يكون إشارةً إلى امتِحانِه بذَبحِ وَلدِه.

قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ يعني الذَّبيح ﴿بِذِبْحٍ﴾ وهو بكسرِ الذَّال اسمُ ما ذُبِحَ، وبفتحِ الذَّال مصدرُ ذَبحتُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. ومعنى الآية: خلَّصْناه مِنَ الذَّبح بأنْ جعلنا الذِّبحَ فِداءً له. وفي هذا الذِّبحِ ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه كان كَبشاً أقرَنَ قد رَعى في الجنَّةِ قبلَ ذلك أربعينَ عاماً، قاله ابنُ عباسٍ في رواية مُجاهِدٍ، وقال في روايةِ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ: هو الكَبشُ الذي قرَّبَهُ ابنُ آدمَ فتُقُبِّلَ منه، كان في الجنَّةِ حتى فُدِيَ به. **والثاني**: أنَّ إبراهيمَ فَدَى ابنَه بكَبْشَينِ أبيضَينِ أعيَنَيْنِ أقرنَيْنِ، رواه أبو الطُّفَيلِ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه ما فُدِيَ إلاَّ بتَيسٍ مِنَ الأرْوَى، أُهبِطَ عليه مِنْ ثَبيرٍ، قاله الحسَنُ. وفي معنى ﴿عَظِيمٍ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنه كانَ قد رَعى في الجنَّةِ، قاله ابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: لأنه ذُبحَ على دِينِ إبرهيمَ وسُنَّتِه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: لأنه مُتقبَّلٌ، قاله مُجاهِدٌ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ: لمَّا قرَّبَهُ ابنُ آدمَ رُفِع حيّاً فرَعَى في الجنَّةِ ثم جُعِلَ فِداءً للذَّبيحِ، فقُبِلَ مرَّتين. **والرابع**: لأنه عظيمُ الشَّخصِ والبَرَكةِ، ذكره المَاوَردي.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾. . . قد فسَّرناه في هذه السُّورة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ مَنْ قال: إن إسحَاقَ الذَّبيحُ، قال: بُشِّرَ إبراهيمُ بنُبوَّة إسحاقَ، وأُثيبَ إسحاقُ بصَبْرِهِ النبوَّةَ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ في رواية عِكرمَةَ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُ. ومَنْ قال: الذَّبيحُ إسماعيلُ، قال: بَشَّرَ الله إبراهيمَ بوَلَدٍ يكون نبيّاً بعدَ هذه القصة، جزاءً لطاعته وصَبْرِهِ، وهذا قولُ سعيدِ بنِ المُسيِّبِ. قوله تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ يعني بكثرة ذُرِّيَّتِهما، وهم الأسباطُ كلُّهم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ أي: مُطيعٌ لله ﴿وَظَالِمٌ﴾ وهو العاصي له. وقيلَ: المُحْسِنُ: المؤمِنُ، والظالمُ: الكافرُ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أي: أنعمنا عليهما بالنبوَّةِ. وفي ﴿الْكَرْبِ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/ ٢٢: والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه فُدي بكبش. اهـ.

(٢) الصافات: ٧٨.

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ قولان: **أحدهما**: استِعبادُ فِرْعَوْنَ وبلاؤُهُ، وهو معنى قولِ قَتادَةَ. **والثاني**: الغَرقُ، قاله السُّدِّيُّ. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يرجع إلى موسى وهارُونَ وقومِهما. **والثاني**: أنه يرجع إليهما فقط، فجُمِعا، لأنَّ العرب تذهبُ بالرئيسِ إلى الجَمعِ، لِجُنودِه وأتباعِه، ذكرهما ابنُ جَريرٍ. وما بعدَ هذا قد تقدَّم بيانُه[١]، إلى قوله: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه نبيٌّ مِنْ أنبياء بَني إسرائيلَ، قاله الأكثرونَ. **والثاني**: أنه إدريسُ، قاله ابنُ مسعودٍ، وقَتادَةُ، وكذلك كان يقرأُ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَاليةِ، وأبو عُثمانَ النَّهْديُّ: «وإن إدريس» مكانَ «إلياس». قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألاَ تخافونَ الله فتُوحِّدونَهُ وتَعبُدونَهُ؟! ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بمعنى الرَّبِّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ. وقال الضَّحَّاكُ: كان ابنُ عباسٍ قد أعياهُ هذا الحرفُ، فبَينا هو جالسٌ، إذ مَرَّ أعرابيٌّ قد ضَلَّت ناقتُه وهو يقول: مَنْ وَجدَ ناقةً أنا بَعلُها؟ فتَبِعَهُ الصِّبيانُ يَصِيحونَ به: يا زوجَ النَّاقةِ، يا زَوجَ النَّاقةِ، فدَعاهُ ابنُ عباسٍ فقال: وَيْحكَ، ما عَنَيتَ بَبَعلِها؟ قال: أنا رَبُّها، فقال ابنُ عباسٍ: صَدقَ اللهُ: «أَتَدْعون بَعْلاً»: رَبّاً. وقال قَتادَةُ: هذه لغةٌ يَمانيَّةٌ. **والثاني**: أنه اسمُ صَنَم كان لهم، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. وحكى ابنُ جرير أنه به سُمِّيت «بَعْلَبكّ». **والثالث**: أنها امرأةٌ كانوا يَعبدونَها، حكاه محمَّدُ بنُ إسحاقَ. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصِم: «الله ربُّكم» بالرَّفع. وقرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ وحَفصٌ عن عاصِم وخَلَفٌ ويعقوبُ: «الله» بالنصب. قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ النارَ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ الذين لم يُكذِّبوه، فإنَّهم لا يُحْضَرونَ النَّارَ.

الإشارةُ إلى القصَّة

ذَكَرَ أهلُ العِلْم بالتفسير والسِّيَرِ أنه لمَّا كَثُرت الأحداثُ بعدَ قَبْضِ حِزقيل، وعُبِدَتِ الأوثانُ، بَعَثَ الله تعالى إليهم إلياسَ. قال ابنُ إسحاقَ: وهو إلياسُ بنُ تشبي بن فنحاص بن العيزار بنِ هارُونَ بنِ عِمرانَ، فَجعلَ يَدعُوهم فلا يَسمعون منه، فدَعا عليهم بحَبْسِ المطر، فجُهِدوا جَهْداً شديداً، واستَخفى إلياسُ خوفاً منهم على نَفْسِه. ثم إنه قال لهم يوماً: إنكم قد هَلَكْتُم جَهْداً، وهَلَكَت البهائمُ والشجرُ بخَطاياكُم، فاخْرُجوا بأصنامِكم وادْعُوها، فإنِ استَجابَتْ لكم، فالأمرُ كما تقولون، وإنْ لم تَفعَلْ، عَلِمتُم أنكم على باطلٍ فنَزَعتُم عنه، ودَعوتُ الله فَفَرَّجَ عنكم، فقالوا: أنصَفْتَ، فخَرجُوا بأوثانِهم، فدَعَوْا فلم تَستَجِبْ لهم، فَعَرفوا ضَلالَهم، فقالوا: ادْعُ الله لنا، فدَعا لهم فأرسَلَ المطرَ وعاشَتْ بلادُهم، فلم يَنْزِعوا عمَّا كانوا عليه، فدَعا إلياسُ رَبَّه أنْ يَقْبِضَه إليه ويُريحَه منهم، فقيلَ له: اخْرُجْ يومَ كذا إلى مكانِ كذا، فما جاءَكَ مِنْ شيءٍ فارْكَبْهُ ولا تَهَبْهُ، فخرجَ؛ فأقبَلَ فَرَسٌ مِنْ نارٍ، فوَثَبَ عليه، فانطلَقَ به، وكَساهُ اللهُ الرِّيشَ وألبَسَهُ النُّورَ وقَطعَ عنه لَذَّةَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ، فطَارَ في الملائكة، فكان إنسيّاً مَلَكيّاً، أرضيّاً سَماويّاً[٢].

قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عَمروٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ:

(١) الأنبياء: ٤٨.
(٢) هذا من حماقات الإسرائيليين. وهو باطل.

«إلياسينَ» موصولةَ مكسورةَ الألِفِ ساكنةَ اللام، فجَعلُوها كلمةً واحدةً؛ وقرأ الحسَنُ مِثلَهُم، إلاَّ أنه فَتَحَ الهمزَةَ، وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعبدُ الوارث، ويعقوبُ إلاَّ زيداً: «إلْ ياسينَ» مقطوعةً، فجَعلَها كلمتين. وفي قراءةِ الوَصْلِ قولان: **أحدهما**: أنه جَمْعٌ لهذا النبيّ وأُمَّتِه المؤمنين، به، وكذلك يُجمَعُ ما يُنْسَبُ إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيتُ المَهالِبَةَ، تُريد: بَني المُهلَّبِ، والمَسامِعَة، تريد: بَني مسمع. **والثاني**: أنه اسمُ النبيِّ وحدَهُ، وهو اسمٌ عِبرانيٌّ، والعَجميُّ مِنَ الأسماء قد يُفعَلُ به هذا، كما يُقال: مِيكَال ومِيكائيل، ذَكَر القولَين الفرَّاء والزَّجَّاجُ. فأمَّا قراءةُ مَنْ قرأ: «إلْ ياسينَ» مفصُولةً، ففيها قولان: **أحدهما**: أنهم آلُ هذا النبيِّ المذكورِ، وهو يَدخلُ فيهم، كقوله ﷺ:

[١٢١٠] «اللهُمَّ صَلِّ على آلِ أبي أَوْفَى»، فهو داخلٌ فيهم، لأنه هو المُرادُ بالدُّعاءِ.

والثاني: أنهم آلُ محمَّدٍ ﷺ؛ قاله الكَلبيُّ. وكان عبدُالله بنُ مسعودٍ يقرأُ: «سَلامٌ على إدْرَاسِينَ» وقد بيَّنَّا مذهَبُه في أنَّ إلياسَ هو إدريس.

فإنْ قيلَ: كيفَ قال: «إدْرَاسِينَ» وإنما الواحدُ إدرِيسُ، والمَجموعُ إدْرِيسِيٌّ، لا إدْرَاسٌ ولا إدْرَاسِيّ؟. فالجواب: أنه يجوز أنْ يكونَ لُغةً، كإبراهيم وإبْراهَام، ومثلُه:

قَدْنِيَ مِنْ نَصرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي(١)

وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو نَهِيْكٍ: «سلام على ياسين» بحذفِ الهمزةِ واللامِ.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ﴾ «إذ» هاهنا لا يَتعلَّقُ بما قبلَهُ، لأنه لم يُرسَلْ إذْ نُجِّيَ، ولكنه يَتعلَّقُ بمحذوفٍ، تقديره: واذكُرْ يا محمَّدُ إذْ نجيَّناه. وقد تَقدَّمَ تفسيرُ ما بعدَ هذا(٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ هذا خطابٌ لأهلِ مكَّةَ، كانوا إذا ذهبوا إلى الشَّامِ وجاؤوا، مَرُّوا على قُرى قومِ لُوطٍ صباحاً ومساءً، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعتَبِرون؟!

[١٢١٠] صحيح. أخرجه البخاري ١٤٩٧ و ٤١٦٦ ومسلم ١٠٧٨ وأبو داود ١٥٩٠ والنسائي ٥/ ٣١ وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٩٦ والطيالسي ٨١٩ والبيهقي في «السنن» ٢/ ١٥٢ و ٤/ ١٥٧ وابن حبان ٩١٧ من طرق عن شعبة، به. وكلهم من حديث ابن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقة، قال: «اللهم صلِّ عليهم» فأتاه أبي بصدقته فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». لفظ البخاري في الرواية الثانية.

---

(١) الرجز لحميد الأرقط كما في «اللسان» ـ قدد.

(٢) الشعراء: ١٧١. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٦: يخبر الله تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمرُّ بها المسافرون ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: **﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾** أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمّر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟!

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ قال المُبَرِّدُ: تأويلُ «أبَقَ»: تَباعَدَ؛ وقال أبو عُبيدَةَ: فَزِعَ؛ وقال الزَّجَّاجُ: هَربَ؛ وقال بعضُ أهلِ المعاني: خَرجَ ولم يُؤْذَنْ له، فكان بذلك كالهَارِبِ مِنْ مَولاهُ. قال الزَّجَّاجُ: والفُلْكُ: السَّفينةُ، والمَشْحُونُ: المَملوءُ، وسَاهَمَ بمعنى قَارَعَ، ﴿مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي: المَغلوبين؛ قال ابنُ قُتَيبَةَ: يُقال: أَدْحَضَ اللهُ حُجَّتَهُ، فَدَحَضَتْ، أي: أزالَها فزالَتْ، وأصلُ الدَّحْض: الزَّلَق.

الإشارةُ إلى قصَّته

قد شرحنا بعضَ قصَّتِه في آخرِ يُونس وفي الأنبياء[1] على قَدْرِ ما تحتَمِلُه الآياتُ، ونحن نذكر هاهنا ما تحتمله. قال عبدُالله بنُ مسعودٍ: لمّا وَعدَ يُونسُ قومَه العذابَ بعد ثلاثٍ، جَأَرُوا إلى الله عزَّ وجلَّ واستَغْفَروا، فكَفَّ عنهم العذاب، فانطلَقَ مُغاضِباً حتى انتهى إلى قوم في سفينةٍ، فعَرفُوه فحَملُوه، فلمَّا رَكِبَ السفينةَ وقَفَتْ، فقال: ما لِسَفينَتِكُم؟ قالوا: لا ندري، قال: لَكِنِّي أَدري، فيها عبدٌ أَبَقَ مِنْ رَبِّه، وإنَّها واللهِ لا تسيرُ حتى تُلْقُوه، فقالوا: أمَّا أنتَ يا نبيَّ اللهِ فواللهِ لا نُلْقِيكَ، قال: فاقتَرِعوا، فمَنْ قَرِعَ فَلْيَقَع، فاقترَعوا، فقَرَعَ يُونسُ، فأبَوا أنْ يُمكِّنوه مِنَ الوُقوعِ، فعادُوا إلى القُرعةِ حتى قَرِعَ يُونسُ ثلاثَ مرَّاتٍ. وقال طَاوسٌ: إنَّ صاحبَ السَّفينةِ هو الذي قال: إنَّما يَمنعُها أنْ تسيرَ أنَّ فيكُم رجلاً مشؤوماً فاقتَرِعوا لِنُلقيَ أحدَنا، فاقترَعوا فقرِعَ يونسُ ثلاثَ مرَّاتٍ.

قال المفسِّرون: وكَّلَ الله به حُوتاً، فلمَّا ألقى نفسَهُ في الماء التَقَمهُ، وأُمِرَ أنْ لا يَضُرَّه ولا يَكْلِمَه، وسارَتِ السفينةُ حِينَئِذٍ. ومعنى التَقَمَهُ: ابتَلَعَهُ. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: مُذْنِبٌ، يُقال: أَلامَ الرجلُ: إذا أتى ذَنْباً يُلامُ عليه، قال الشاعر:

ومَــنْ يَــخْــذُلْ أَخَــاهُ فَــقَــدْ أَلامَــا[2]

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: مِنَ المُصلِّين، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: مِنَ العَابِدين، قاله مُجاهِدٌ، ووَهْبُ بنُ مُنَبِهٍ. **والثالث**: قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4]، قاله الحَسَنُ. ورَوى عِمرانُ القَطَّانُ عن الحَسن قال: واللهِ ما كانت إلاَّ صلاةً أحدَثَها في بَطنِ الحُوتِ؛ فعَلَى هذا القول، يكون تسبيحُه في بطن الحُوتِ.

---

(١) الأنبياء: ٨٦.

(٢) هو عجز بيت لأم عمير بن سلمى الحنفي كما في «اللسان» ـ لوم ـ. وصدره: تعدُّ معاذراً لا عذر فيها.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٢٧: لولا ما تقدّم له من العمل في الرخاء وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك. واختاره ابن جرير.

(٤) الأنبياء: ٨٧.

وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا ما تقدَّم له قبلَ الْتِقامِ الحُوتِ إيَّاهُ مِنَ التَّسبيحِ، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال قَتادةُ: لَصارَ بَطنُ الحُوتِ له قبراً إلى يومِ القيامة، ولكنَّه كان كثيرَ الصلاة في الرَّخاءِ، فنَجَّاهُ الله تعالى بذلك.

وفي قَدْرِ مُكثِه في بطن الحُوتِ خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أربعون يوماً، قاله أنسُ بنُ مالكٍ، وكَعبٌ، وأبو مالكٍ، وابنُ جُرَيجٍ، والسُّدِّي. **والثاني**: سبعةُ أيام، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعطاءٌ. **والثالث**: ثلاثةُ أيام، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ. **والرابع**: عشرون يوماً، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: بعضُ يومٍ، الْتقمهُ ضُحىً، ونَبذَهُ قبلَ غروبِ الشمسِ، قاله الشَّعْبيُّ.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي أَلْقَيْناه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ وهي الأرضُ التي لا يُتَوارَى فيها بشجرٍ ولا غيره، فكأنَّه مِنْ عَرِيَ الشَّيءُ. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أي: مريضٌ؛ قال ابنُ مسعودٍ: كهَيئةِ الفَرْخِ المَمْعُوطِ الذي ليس له رِيشٌ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أوحَى اللَّهُ تعالى إلى الحوتِ أنْ أَلْقِه في البَرِّ، فألقاهُ لا شَعْرَ عليه ولا جِلْدَ ولا ظُفرَ. قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو القَرْعُ، وقد قال أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ قبلَ الإسلام:

فأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ ... مِنَ اللّهِ لَوْلا الله أُلْفِيَ ضَاحِيا

قال الزَّجَّاجُ: كلُّ شجرةٍ لا تَنبتُ على ساقٍ وإنما تمتدُّ على وجهِ الأرض نحو القَرْعِ والبِطِّيخِ والحَنظَلِ، فهي يَقطِينٌ، واشتقاقه مِنْ: قَطَنَ بالمكان: إذا أقامَ، فهذا الشجرُ وَرقُه كلُّه على وجهِ الأرض، فلذلك قيلَ له: يَقطِين. قال ابنُ مسعودٍ: كان يَستظِلُّ بها ويُصيب منها فيَبِسَتْ فبكى عليها، فأوحَى الله إليه: أَتبكي على شجرةٍ أنْ يَبِسَتْ، ولا تبكي على مائةِ ألفٍ أو يزيدون أردتَ أنْ تُهلكَهم؟ وقال يزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ قُسَيْط: قيَض اللَّهُ له أرويةً مِنَ الوَحش تَروحُ عليه بُكرةً وعَشِيًّا فيشرب مِنْ لَبَنِها حتى نَبَتَ لحمُه. فإنْ قيلَ: ما الفائدة في إنباتِ شجرةِ اليَقطِينِ عليه دونَ غيرها؟ فالجواب: أنه خرجَ كالفَرخِ على ما وَصفنا، وجِلدُه قد ذابَ، فأدنَى شيءٍ يَمُرُّ به يُؤذيه، وفي وَرَقِ اليَقطِينِ خاصيَّةٌ، وهي أنه إذا تُرِكَ على شيءٍ، لم يَقربْهُ ذُبابٌ، فأنبَتَهُ اللَّهُ عليه لِيُغطِّيَه ورقُها ويَمنعَ الذُّبابَ رِيحُهُ أنْ يسقطَ عليه فيؤذيه.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ اختلفوا، هل كانت رِسالتُه قبلَ الْتِقامِ الحوتِ إيَّاهُ، أمْ بعد ذلك؟ على قولين: **أحدهما**: أنها كانت بعد نَبْذِ الحوتِ إيَّاهُ، على ما ذكرنا في سُورةِ يُونس[2]، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها كانت قبلَ الْتِقامِ الحُوتِ له، وهو قولُ الأكثرين، منهم الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وهو الأصَحُّ، والمعنى: وكنَّا أرسلناه إلى مائةِ ألفٍ، فلمَّا خرجَ مِنْ بطن الحُوتِ، أُمِرَ أنْ يرجعَ إلى قومه الذين أُرسِلَ إليهم. وفي قوله: ﴿أَوْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى «بل»، قاله ابنُ عباسٍ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها بمعنى الواو، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وقد قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، ومعاذٌ القارئُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ الجوني: «ويزيدون» مِنْ غير ألِفٍ. **والثالث**: أنها على أصلِها، والمعنى: أو يزيدون في تقديرِكُم؛ إذا رَآهم الرَّائي قال: هؤلاء مائةُ ألفٍ أو يزيدون. وفي زيادتِهم أربعةُ أقوالٍ:

---

(١) هذا الخلاف ليس بشيء لأن مرجعه كتب الإسرائيليات، والله أعلم بمقدار ذلك.

(٢) يونس: ٩٨.

[١٢١١] **أحدها**: أنهم كانوا مائةَ ألفٍ يزيدون عشرينَ ألفاً، رواه أُبيُّ بنُ كعبٍ عن رسول الله ﷺ.

والثاني: أنهم كانوا مائةَ ألفٍ وثلاثين ألفاً. **والثالث**: مائةَ ألفٍ وبضعةً وثلاثين ألفاً، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفاً، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، ونَوفٌ.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ في وقتِ إيمانِهم قولان: **أحدهما**: عند مُعاينةِ العذاب. **والثاني**: حين أُرسِلَ إليهم يُونسُ ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى مُنتهى آجالِهم.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: سَلْ أهلَ مكَّةَ سؤالَ توبيخٍ وتقريرٍ، لأنهم زَعموا أنَّ الملائكةَ بناتُ الله ﴿وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ أي: حاضِرون. ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ أي: كَذِبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ حين زَعموا أنَّ الملائكةَ بناتُه.

قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ قال الفرَّاءُ: هذا استفهامٌ فيه توبيخٌ لهم، وقد تُطرَحُ ألِفُ الاستفهام مِنَ التَّوبيخ، ومثله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ و «أذهبتم» يُستفهَم بها ولا يُستفهَم، ومعناهما واحدٌ. وقرأ أبو هُريرَةَ وابنُ المُسَيِّبِ والزُّهريُّ وابنُ جماز عن نافعٍ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ: «لكاذبون اصْطفى» بالوَصلِ غيرَ مهموزٍ ولا ممدودٍ؛ وقال أبو علي: وهو على وجهِ الخبرِ، كأنه قال: اصْطفى البنات على البنين فيما يقولون؛ كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لله بالبَناتِ ولأنفسِكم بالبَنين؟! ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: حُجَّةٌ بيِّنَةٌ على ما تقولون، ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ الذي فيه حُجَّتُكم. ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا: هو وإبليسُ أخَوان، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ؛ قال الماوَرديُّ: وهو قولُ الزَّنادِقةِ والذين يقولون: الخيرُ مِنَ الله، والشَّرُّ مِنْ إبليسَ. **والثاني**: أنَّ كفارَ قُريشٍ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، والجِنَّةُ صِنفٌ مِنَ الملائكة يُقال لهم: الجِنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنَّ اليهودَ قالت: إنَّ الله تعالى

[١٢١١] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ٣٢٢٩ من طريق الوليد عن زهير به. وأخرجه الطبري ٢٩٦٣٥ من طريق عمرو بن أبي سلمة قال: سمعت زهيراً عمن سمع أبا العالية قال: حدثني أبي بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله: **﴿وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون﴾** قال: يزيدون عشرين ألفاً. وإسناده ضعيف جداً، وله علتان: فيه راوٍ لم يسم، فهذه علة، والثانية زهير روى عنه أهل الشام مناكير كثيرة، وهذا الحديث من رواية أهل الشام عنه، وحسبه الوقف، والله أعلم.

---

(١) الدخان: ٤٩.

تزوّجَ إلى الجنّ فخرجت مِنْ بينهم الملائكةُ، قاله قَتادةُ، وابنُ السَّائبِ. فخَرجَ في معنى الجِنَّة قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة. **والثاني**: الجنُّ. فعَلَى الأول، يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ أي: عَلِمَت الملائكةُ ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: إنَّ هؤلاءِ المشركين ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ النَّار. وعلى الثاني: «ولقد عَلِمت الجنَّةُ إنهم» أي: إنَّ الجِنَّ أنفُسها «لَمُحْضَرون» الحِسابَ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يعني المُوحِّدين. وفيما استُثنوا منه قولان: **أحدهما**: أنهم استُثنوا مِنْ حضورِ النَّارِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ممَّا يَصِفُ أولئكَ، وهو معنى قول ابنِ السَّائب.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعني المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِنْ دونِ الله، ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبُدونَ ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: بمُضِلِّينَ أحداً، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: مَنْ سَبَق له في عِلْمِ الله أنه يدخلُ النَّار.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

ثم أَخبرَ عن الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ والمعنى: ما منا مَلَكٌ ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي مكانٌ في السَّمواتِ مخصوصٌ يَعبدُ اللَّهَ فيه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾. قال قَتادةُ: صفوفٌ في السماء. وقال السُّدِّيُّ: هو الصَّلاةُ. وقال ابنُ السَّائبِ: صفوفُهم في السماء كَصُفوفِ أهلِ الدنيا في الأرض. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: المُصلُّون. **والثاني**: المُنزِّهون لله عزَّ وجلَّ عن السُّوءِ. وكان عمرُ بنُ الخطَّابِ إذا أُقيمَتِ الصلاةُ أقبلَ على الناس بوجهه وقال: يا أيُّها الناسُ استوُوا، فإنَّما يُريد اللَّهُ بكم هَدْيَ الملائكة، وإنَّا لَنَحنُ الصَّافُونَ، وإنَّا لَنَحنُ المُسبِّحون.

ثم عادَ إلى الإخبارِ عن المشركين، فقال: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾ اللامُ في «لَيقُولونَ» لامُ توكيدٍ؛ والمعنى: وقد كان كفَّارُ قُريشٍ يقولون قبل بعثةِ النبيِّ ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتاباً ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: مثل كُتُبِ الأوَّلِين، وهم اليهودُ والنَّصارى، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: لأخلَصْنا العبادةَ لله عزَّ وجلَّ. ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فيه اختصارٌ تقديره: فلمَّا آتاهم ما طَلَبوا كفَروا به ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ كُفرِهم، وهذا تهديدٌ لهم. ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ أي: تقدَّم وَعْدُنا للمُرسَلين بنَصرِهم، والكلمةُ قولُه تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[1]، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ بالحُجة، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ يعني حِزبَنا المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بالحُجَّة أيضاً والظَّفرِ. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرِضْ عن كفَّارِ مكَّةَ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ **أي حتى تنقضيَ مُدَّةُ إمهالِهم**. وقال مُجاهِدٌ: حتى نأمُرَكَ بالقتال؛ فعَلَى هذا، الآيةُ مُحكَمةٌ. وقال في روايةٍ: حتى

---

(١) المجادلة: ٢١.

الموتِ، وكذلك قال قَتادَةُ. وقال ابنُ زيدٍ: حتى القيامة؛ فعَلَى هذا، يَتطرَّقُ نَسخُها. وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ: نَسخَتْها آيةُ السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ أي: انظُرْ إليهم إذا نَزلَ بهم العذابُ. قال مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ، هو العذابُ ببَدرٍ؛ وقيلَ: أبصِرْ حالَهُم بقلبِكَ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما أنكَرُوا، وكانوا يستعجلون بالعذابِ تكذيباً به، فقيلَ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ يعني العذابَ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمْرانَ، والجَحْدَرِيُ، وابنُ يَعمُرَ: «فإذا نُزِّل» برفع النون وكَسرِ الزاي وتشديدِها ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: بفِنائِهم وناحِيَتِهم. والسَّاحةُ: فِناءُ الدَّارِ. قال الفَرَّاءُ: العَربُ تكتفي بالسَّاحةِ والعَقْوة مِنَ القوم، فيقولون: نَزلَ بكَ العذابُ، وبسَاحَتِكَ. قال الزَّجَّاجُ: فكان عذابُ هؤلاءِ القَتْلُ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: بِئْسَ صَباحُ الذين أُنذِروا بالعذاب.

ثم كَرَّر ما تقدَّمَ توكيداً لِوَعدِهِ بالعذاب، فقال: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ الآيتين.

ثم نَزَّه نَفْسَهُ عن قولِهم بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني عِزَّةَ مَنْ يتعزَّزُ مِنْ ملوكِ الدنيا. قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي مِنِ اتِّخاذِ النساءِ والأولادِ. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وَجْهَان: **أحدهما**: تسليمُه عليهم إكراماً لهم. **والثاني**: إخبارُه بسلامَتِهم. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على هلاكِ المُشْرِكِينَ ونُصرَةِ الأنبياءِ والمؤمنين. واللَّهُ أعلَمُ بالصَّوابِ.

سورة ص

آياتها ٨٨ — ترتيبها ٣٨

ويُقال لها: سُورة داودَ، وهي مكّيَّةٌ كُلُّها بإجماعِهم.

[١٢١٢] فأمَّا سببُ نُزولِها: فروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ أنَّ قُريشاً شَكَوْا رسولَ الله ﷺ إلى أبي طالبٍ، فقال: يا ابنَ أخي، ما تُريدُ مِنْ قومِكَ؟ فقال: «يا عمِّ، إنما أُريدُ منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بها العربُ وتؤدِّي إليهم الجزيةَ بها العَجَمُ»، قال: كلمةً؟ قال: «كلمةً واحدةً»، قال: ما هي؟ قال: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، فقالوا: أجَعلَ الآلِهةَ إلهاً واحداً، فنزلت فيهم: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾﴾

واختلفوا في معنى «صٓ» على سبعةِ أقوالٍ[١]: . **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ به، وهو مِنْ أسمائِه، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه بمعنى: صَدَقَ محمَّدٌ ﷺ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: صَدَقَ اللَّهُ، قاله الضَّحَّاكُ، وقد رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: معناه: صَادِقٌ فيما وَعَدَ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: الصَّادقُ اللَّهُ تعالى. **والرابع**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، أَقْسَمَ اللَّهُ به، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنه اسمُ حَيَّةٍ رأسُها تحتَ العَرشِ وذَنَبُها تحتَ الأرضِ السُّفلى، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، وقال: أظُنُّهُ عن عِكرِمَةَ. **والسادس**: أنه بمعنى: حادِثِ القرآنَ، أي: انْظُرْ فيه، قاله الحسَنُ، وهذا على قراءةِ مَنْ كَسَروا، منهم ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، قال ابنُ جريرٍ: فيكون المعنى: صادِ

[١٢١٢] حديث حسن بطرقه وشواهده. أخرجه أحمد ١/ ٢٢٧ وأبو يعلى ٢٥٨٣ والترمذي ٣٢٣٢ والنسائي في «التفسير» ٤٥٦ والحاكم ٢/ ٤٣٢ والبيهقي ٩/ ١٨٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٢ عن ابن عباس به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن فيه يحيى بن عمارة، وهو مقبول. وتوبع في رواية ثانية للنسائي ٤٥٧ وأحمد ٢/ ٣٦٢. وفيه أيضاً عباد بن جعفر، وهو مجهول. وورد من وجه ثالث، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٢ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حسن لأجل ابن إسحق، وقد صرح بالتحديث.

---

(١) تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور، وقد تكلم المصنف على ذلك في أول سورة البقرة. وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه، وهو الراجح، والله تعالى أعلم.

بِعَمَلِكَ القُرآنَ، أي: عارِضْهُ. وقيلَ: اعْرِضْهُ على عَمَلِكَ، فانظُرْ أينَ هو منه. **والسابع**: أنه بمعنى: صادَ محمدٌ قلوبَ الخَلْقِ واستَمَالَها حتى آمَنُوا به وأَحَبُّوه، حكاه الثَّعلَبيُّ، وهذا على قراءة مَنْ فتَحَ، وهي قراءةُ أبي رَجاءٍ، وأبي الجَوزاءِ، وحُمَيدٍ، ومَحبُوبٍ عن أبي عمرٍو. قال الزَّجَّاجُ: والقراءة «صادْ» بتسكينِ الدال، لأنها مِنْ حروفِ التَّهجِّي. وقد قُرِئَتْ بالفتحِ وبالكَسرِ، فمَنْ فتَحَها، فعَلَى ضَرْبَينِ: **أحدهما**: لالْتِقاءِ السَّاكِنَيْنِ. **والثاني**: على معنى: أُتْلُ «صاد»، وتكون صاد اسماً للسُّورةِ لا يَنصَرِفُ؛ ومَنْ كَسرَ، فعَلَى ضَرْبَينِ: **أحدهما**: لالْتِقاءِ السَّاكِنَيْنِ أيضاً. **والثاني**: على معنى: صادِ القرآنَ بعَمَلِكَ، مِنْ قولكَ: صَادَى يُصادِي: إذا قابَلَ وعادَلَ، يُقال: صادَيْتُه: إذا قابَلْتَهُ.

قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ في المراد بالذِّكْرِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الشَّرَفُ، قاله ابنُ عباسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ والسُّدِّيُّ. **والثاني**: البيانُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: التَّذكيرُ، قاله الضَّحَّاكُ.

فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ القَسَم بقوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾؟ فعنه خمسةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنَّ «صٓ» جوابٌ لقوله: «والقرآن»، فـ «ص» في معناها، كقولكَ: وَجَبَ واللَّهِ، نَزَلَ واللَّهِ، حَقٌّ واللَّهِ، قاله الفَرَّاءُ، وثَعلَبٌ. **والثاني**: أنَّ جوابَ «صٓ» قوله تعالى ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾ ومعناه: لَكَمْ، فلمَّا طالَ الكلامُ، حُذِفت اللامُ، ومِثلُه: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ . . . ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾[2]، فإنَّ المعنى: لقد أفْلَحَ، غيرَ أنه لمَّا اعترَضَ بينهما كلامٌ، تَبِعَهُ قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾، حكاه الفَرَّاءُ وثَعلَبٌ أيضاً. **والثالث**: أنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾[3]، حكاه الأخفشُ. **والرابع**: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾[4] قاله الكِسائيُّ، وقال الفَرَّاءُ: لا نَجِدُهُ مُستقيماً في العربية، لِتأخُّرِه جدًّا عن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾. **والخامس**: أنَّ جوابَه محذوفٌ تقديره: والقرآنِ ذي الذِّكْرِ ما الأمْرُ كما يقول الكُفَّارُ، ويدلُّ على هذا المحذوفِ قولُه تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾، ذَكَرَهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين، وإلى نحوِهِ ذهب قَتادةُ. والعِزَّةُ: الحَمِيَّةُ والتَّكبُّرُ عن الحَقِّ. وقرأ عمرُو بنُ العَاصِ وأبو رَزِينٍ وابنُ يَعمُرَ وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ ومَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو: «في غِرَّةٍ» بغينٍ مُعجمَةٍ وراءٍ غيرِ مُعجمَةٍ. والشِّقاقُ: الخِلافُ والعَداوةُ لرَسولِ الله ﷺ، وقد سَبَقَ بيانُ الكلمتين مَشروحاً[5].

ثم خَوَّفَهم بقوله تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٍ﴾ يعني الأُمَمَ الخالية ﴿فَنَادَواْ﴾ عند وقوعِ الهَلاكِ بهم. وفي هذا النداءِ قولان: **أحدهما**: أنه الدُّعاء. **والثاني**: الاستِغاثَةُ.

قوله تعالى[6]: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وأبو المُتوكِّلِ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وابنُ

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٤٦: الصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قوله: **﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾** فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق.

(٢) الشمس: ١، ٩.   (٣) صٓ: ١٤.

(٤) صٓ: ٦٤.   (٥) البقرة: ٢٠٦ ـ ١٣٨.

(٦) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٣٣: في قوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ وهذه الكلمة وهي «لات» هي «لا» التي للنفي، زيدت معها التاء، كما تزاد في ثمّ فيقولون: «ثمت»، و «رب» فيقولون: «ربت» وهي مفصولة، والوقف عليها، ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بحين: «ولا تحين مناص» والمشهور الأول. ثم قرأ الجمهور بنصب «حين» تقديره: وليس الحينُ حين مناص. ومنهم من =

يَعمُرَ: «ولاتَ حينُ» بفتحِ التاء ورفعِ النون. قال ابنُ عباس: ليس حينَ يَروهُ فِرارٌ. وقال عطاءٌ: في لغة أهلِ اليَمنِ «لاتَ» بمعنى «ليس». وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: هي بالسّريانيَّةِ. وقال الفَرَّاءُ: «لاتَ» بمعنى «ليس»، فالمعنى: ليس بحِيْنِ فِرارٍ. ومِنَ القُرَّاءِ مَنْ يَخْفِضُ «لاتِ»، والوَجهُ النَّصبُ، لأنها في معنى «ليس»؛ أنشدني المُفَضَّلُ:

تَـذَكَّـرَ حُـبَّ لَـيْـلَـى لاتَ حِـيـنَـا ... وأَضْحَى الشَّـيْـبُ قَدْ قَطَعَ الـقَـرِيـنـا

قال ابنُ الأنباري: كان الفَرَّاءُ والكِسائيُّ والخليلُ وسِيبَويه والأخفشُ وأبو عُبيدَةَ يذهبون إلى أنَّ التاءَ في قوله تعالى: «ولاتَ» مُنقطعةٌ مِنْ «حين»، قال: وقال أبو عُبيدَةَ: الوَقفُ عندي على هذا الحرفِ «ولا»، والابتداءُ «تحين» لثلاثِ حُجَجٍ: **إحداهنَّ**: أنَّ تفسيرَ ابنِ عباسٍ يَشهدُ لها، لأنه قال: ليس حِينَ يَرَوْه فِرارٌ؛ فقد عُلِمَ أنَّ «ليس» هي أخْتُ «لا» وبمعناها. **والحُجَّةُ الثانية**: أنّا لا نَجدُ في شيءٍ مِنْ كلامِ العرب «وَلاتَ»، إنما المَعروفةُ «لا». **والحُجَّةُ الثالثة**: أنَّ هذه التاءَ، إنما وجدناها تُلحَقُ مع «حين» ومع «الآن» ومع الـ «أوان»، فيقولون: كان هذا تَحِينَ كان ذلك، وكذلك: «تَأوَانَ»، ويُقال: اذهَبْ تَلانَ، ومنه قولُ أبي وَجزَةَ السَّعْدِي:

الـعَـاطِـفُـونَ تَـحِـيـنَ مَـا مِـنْ عَـاطِـفٍ ... والـمُـطْـعِـمُـونَ زَمَـانَ مَـا مِـنْ مُـطْـعِـمِ

وذكر ابنُ قُتَيبَة عن ابنِ الأعرَابي أنَّ معنى هذا البيت: «العاطِفُونه» بالهاء، ثم تَبتَدِئ: «حينَ ما مِنْ عاطِفٍ»؛ قال ابنُ الأنبَاري: وهذا غَلطٌ، لأنَّ الهاءَ إنما تُقحَم على النُّون في مَواضعِ القَطْعِ والسُّكون، فأمَّا مع الاتِّصالِ، فإنه غيرُ موجودٍ، وقال عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابُوري: النَّحويُّون يقولون في قوله تعالى: «ولاتَ»: هي «لا» زِيدَتْ فيها التاءُ كما قالوا: ثُمَّ وثُمَّتْ، ورُبَّ ورُبَّتْ، وأصلُها هاءٌ وُصِلَتْ بـ «لا»، فقالوا: «لاه» فلمَّا وَصلُوها، جعلوها تاءً؛ والوَقفُ عليها بالتاء عند الزَّجّاجِ؛ وأبي عليٍّ، وعند الكِسَائيِّ بالهاء، وعند أبي عُبيدِ الوَقفُ على «لا». فأمَّا المَناصُ، فهو الفِرارُ. قال الفَرَّاءُ: النَّوصُ في كلام العرب: التَّأخُرُ، والبَوْصُ: التَّقدُّمُ، قال امرؤُ القَيسِ:

أَمِـنْ ذِكْـرِ سَـلْـمَـى إذْ نَـأَتْـكَ تَـنُـوصُ ... فَـتَـقْـصُـرُ عَـنْـهـا خَـطْـوةً وَتَـبُـوصُ

وقال أبو عُبيدَةَ: المَناصُ: مصدرُ ناصَ يَنُوصُ، وهو المَنْجَى والفَوزُ.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

= جوز النصب بها، وأهل اللغة يقولون: النَّوص: التأخر، والبوص: التقدم. ولهذا قال تعالى: **﴿ولات حين مناص﴾**، أي: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا﴾ يعني الكفَّارَ ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني رسولاً مِنْ أنفُسِهم يُنذِرُهم النَّارَ. ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ لأنه دَعاهُم إلى الله وَحدَهُ وأَبطَلَ عبادةَ آلهتِهم.

[١٢١٣] وهذا قولُهم لمَّا اجتمعوا عند أبي طالب، وجاء رسولُ الله ﷺ فقال: «أَتُعطُوني كلمةً تَملِكُونَ بها العربَ وتَدِينُ لكم بها العَجمُ، وهي «لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ»، فقامُوا يقولون: «أَجَعَلَ الآلهةَ إِلٰهاً واحداً»، ونزلت هذه الآيةُ فيهم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي يقول محمَّدٌ مِنْ أنَّ الآلهةَ إِلٰهٌ واحدٌ ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: لأمرٌ عَجَبٌ. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو العَاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ السَّمَيفَعِ: «عُجَّابٌ» بتشديدِ الجيم. قال اللغويون: العُجَابُ والعُجَّابُ والعَجِيبُ بمعنىً واحدٍ، كما يُقال: كَبِيرٌ وكُبَارٌ وكُبَّار، وكَرِيمٌ وكُرَامٌ وكُرَّام، وطَوِيلٌ وطُوَالٌ وطُوَّالٌ، وأنشدَ الفَرَّاءُ:

جاؤوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ العَجَبْ أُزَيْرِقِ العَيْنَيْنِ طُوَّالِ الذَّنَبْ

قال قَتَادَةُ: عَجِبَ المشركون أنْ دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَه وقالوا: أَيَسْمَعُ لِحاجاتِنا جميعاً إِلٰهٌ واحدٌ!

قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا اجتمعَ أشرافُ قُريشٍ عند أبي طالبٍ وشَكَوا إليه رسولَ الله ﷺ على ما سبقَ بيانُه، نَفَروا مِنْ قولِ: «لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ»، وخرجوا مِنْ عند أبي طالبٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾. والانطلاقُ: الذَّهابُ بسهولةٍ، ومنه طَلاقَةُ الوَجْهِ. والمَلأُ: أشرافُ قُريشٍ. فخَرجوا يقولُ بعضُهم لبعضٍ: ﴿ٱمْشُوا﴾. و ﴿أَنِ﴾ بمعنى «أي»؛ فالمعنى: أي: امْشُوا. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أنْ يكونَ المعنى: انْطَلِقوا بأنْ امْشُوا، أي: انْطَلَقوا بهذا القولِ. وقال بعضُهم: المعنى: انْطَلَقوا يقولون: امْشُوا إلى أبي طالبٍ فاشكُوا إليه ابنَ أخيه، ﴿وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ أي: اثبُتوا على عبادَتِها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي نَراهُ مِنْ زيادةِ أصحاب محمَّدٍ ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: لأمرٌ يُرادُ بنا.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي جاء به محمَّدٌ مِنَ التوحيد ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: النَّصرانيَّةُ، رَواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وإبراهيمُ بنُ المُهاجِرِ عن مُجاهِدٍ، وبه قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها مِلَّةُ قُريشٍ، رواه ابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثالث**: اليَهوديَّةُ والنَّصرانيَّةُ، قاله الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ؛ والمعنى أنَّ اليهودَ أشرَكَتْ بعُزَيرٍ، والنَّصارى، قالت: ثالثُ ثلاثةٍ، فلِهذا أنكرَتِ التوحيدَ.

﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذي جاء به محمَّدٌ ﷺ ﴿إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي: كَذِبٌ. ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يَعنون القرآنَ. «عليه» يَعنونَ رسولَ الله ﷺ، ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: كيفَ خُصَّ بهذا دُونَنا وليس بأعلانَا نَسَباً ولا أعظَمِنا شَرَفاً؟! قال اللَّهُ تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ أي: مِنَ القرآن؛ والمعنى أنهم ليسوا على يقينٍ مِمَّا يقولون، إنما هم شَاكُون ﴿بَل لَّمَّا﴾ قال مُقاتِلٌ: «لَمَّا» بمعنى «لم» كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. وقال غيرُه: هذا تهديدٌ لهم؛ والمعنى أنه لو نَزلَ بهم العذابُ، عَلِموا أنَّ ما قاله محمَّدٌ حقٌّ. **وأثبَتَ ياءَ** ﴿عَذَابِ﴾ في الحالَين يعقوبُ.

قال الزَّجَّاجُ: ولمَّا دَلَّ قولُهم: «أَأُنزِلَ عليه الذِّكْرُ» على حَسَدِهم له، أعلَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ المُلْكَ

[١٢١٣] هو الحديث المتقدم ١٢١٢.

والرِّسالةَ إليه، فقال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾؟! قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: أبأيديهم مفاتيحُ النُّبوَّةِ فيضعونَها حيثُ شاؤوا؟! والمعنى: ليست بأيدِيهم، ولا مُلْكُ السَّمواتِ والأرضِ لهم، فإنِ ادَّعَوْا شيئاً مِنْ ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أي في أبواب السماء. وقال الزَّجَّاجُ: فَلْيَصعدوا في الأسبابِ التي تُوصِلُهم إلى السماء.

قوله تعالى: ﴿جُندٌ﴾ أي: هُمْ جُنْدٌ. والجُندُ: الأتباعُ؛ فكأنه قال: هُمْ أتباعٌ مُقلِّدُون ليس فيهم عالِمٌ راشدٌ. و ﴿مَّا﴾ زائدة، و ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى بَدرٍ. والأحزابُ: جميعُ مَنْ تقدَّمهم مِنَ الكفَّارِ الذي تَحزَّبوا على الأنبياء. قال قَتادَةُ: أَخبَرَ اللهُ نبيَّه وهو بمكَّة أنه سيَهْزِمُ جُندَ المشركين، فجاء تأويلُها يومَ بَدرٍ.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: قوم مِنَ العرب يُؤنِّثون «القوم»، وقومٌ يُذكِّرون، فإنِ احتُجَّ عليهم بهذه الآية، قالوا: وَقعَ المعنى على العشيرَة، واحتَجُّوا بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[1]، قالوا: والمضمَرُ مُذكَّرٌ.

قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه كان يُعذِّب الناسَ بأربعةِ أوتادٍ يَشُدُّهم فيها، ثُمَّ يَرفعُ صخرةً فتُلقى على الإنسان فتَشدَخُه، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وكذلك قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ: كان يُعذِّب الناسَ بأوتادٍ يُوتِدُها في أيديهم وأرجُلِهم. **والثاني**: أنه ذُو البِناء المُحكَم، رُوي عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الضَّحَّاكُ، والقُرظيُّ، واختاره ابنُ قُتيبةَ، قال: والعرب تقول: هُمْ في عِزٍّ ثابتِ الأوتادِ، ومُلكٍ ثابتِ الأوتادِ، يريدون أنه دائمٌ شديدٌ، وأصلُ هذا، أنَّ البيتَ مِنْ بيوتهم يُثبَّتُ بأوتادٍ، قال الأسوَدُ بنُ يَعْفُرَ:

فـي ظِـلِّ مُـلْـكٍ ثـابـتِ الأوتـادِ[3]

والثالث: أنَّ المرادَ بالأوتادِ: الجُنودُ، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وذلك أنهم كانوا يَشُدُّونَ مُلكَهُ ويُقوُّون أمرَهُ كما يُقوِّي الوَتِدُ الشيءَ. **والرابع**: أنه كان يبني مناراً يذبح عليها الناس. **والخامس**: أنه كان له أربعُ أُسطوَاناتٍ، فيأخذ الرَّجُلَ فيمُدُّ كلَّ قائمةٍ إلى أُسطوانةٍ فيُعذِّبه، رُوي القولان عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والسادس**: أنه كانت له أوتادٌ وأرْسَانٌ ومَلاعبُ يُلعَبُ له عليها، قاله عطاءٌ، وقَتادَةُ.

ولمَّا ذَكَر المُكذِّبين، قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ فأعلَمَنا أنَّ مُشركي قُرَيشٍ مِنْ هؤلاء[4]، وقد عُذِّبوا

(١) عبس: ١١.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٥٦: وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد.

(٣) هو عجز بيتٍ وصدره: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشةٍ.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٥٧: وقوله تعالى: **﴿أولئك الأحزاب﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك وهم مسلوك بهم سبيلهم، **﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾** يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب لرسل الله فحق =

وأُهلِكوا. ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أثبتَ الياءَ فيها في الحالَين يعقوبُ. ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ أي: وما يَنتظِرُ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها النَّفخةُ الأولى، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: النَّفخةُ الأخيرةُ، قاله ابنُ السَّائبِ.

وفي الفَوَاقِ قِراءتان. قرأ حمزةُ، وخَلَفٌ، والكِسَائيُّ: بضمِّ الفاء. وقرأ الباقون: بفَتْحِها. وهل بينهما فرقٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما لُغتان بمعنًى واحدٍ، وهو معنى قولِ الفرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ. قال الفرَّاءُ: والمعنى: ما لَها مِنْ راحةٍ ولا إفاقةٍ، وأصلُه مِنَ الإفاقةِ في الرَّضاعِ إذا ارتَضَعتِ البَهيمةُ أُمَّها ثم تركَتْها حتى تُنزلَ شيئاً مِنَ اللَّبنِ، فتِلكَ الإفاقةُ.

[١٢١٤] وجاء عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «العِيادةُ قَدْرُ فُواقِ ناقةٍ».

ومَنْ يَفتحُ الفاءَ، فهي لُغةٌ جيدةٌ عاليةٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الفُوَاقُ والفَوَاقُ واحدٌ، وهو أنْ تُحلَبَ النَّاقةُ وتُترَكَ ساعةً حتى تُنزلَ شيئاً مِنَ اللَّبنِ، ثم تُحلَب، فما بينَ الحَلْبَتينِ فَوَاقٌ. فاستُعِيرَ الفَواقُ في موضعِ المُكثِ والانتظار. وقال الزَّجَّاجُ: الفُوَاقُ: ما بين حَلْبتَي النَّاقةِ، وهو مُشتقٌّ مِنَ الرُّجوعِ، لأنه يَعُودُ اللبَنُ إلى الضَّرعِ بينَ الحَلْبَتين، يقال: أفاقَ مِنْ مرضه، أي: رَجَع إلى الصِّحَّة. **والثاني**: أنَّ مَنْ فتحَها، أراد: ما لَها مِنْ راحةٍ. ومَنْ ضَمَّها، أراد: فُوَاقَ النَّاقةِ، قاله أبو عُبيدةَ.

وللمُفسِّرين في معنى الكلام أربعةُ أقوال[1]: **أحدها**: ما لَها مِنْ رَجعةٍ، ثم فيه قولان: أحدهما: ما لَها مِنْ تَرْدَادٍ، قاله ابنُ عباسٍ، والمعنى أنَّ تلك الصَّيحة لا تُكَرَّرُ. والثاني: ما لَها مِنْ رُجوعٍ إلى الدنيا، قاله الحَسنُ، وقَتَادةُ، والمعنى أنهم لا يَعودون بعدَها إلى الدنيا. **والثاني**: ما لَهُم منها مِنْ إفاقةٍ، بل تُهلِكُهم، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: ما لَها مِنْ فُتورٍ ولا انقطاعٍ، قاله ابنُ جريرٍ. **والرابع**: ما لَها مِنْ راحةٍ، حكاه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ في سبب قولهم هذا قولان: **أحدهما**: أنه لمَّا ذُكِرَ لهم ما في الجنَّةِ، قالوا هذا، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، والسُّدِّيُّ: **والثاني**: أنه لمَّا نَزلَ قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ

[١٢١٤] ذكره ابن الأثير في «النهاية» ٣/٤٧٩، ولم أره مسنداً، ولعله من كلام بعض السلف.
وانظر «تفسير القرطبي» ٥٢٣٦ بتخريجنا.

= عليهم العذاب. وقال ابن كثير رحمه الله: فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر، لأن الله تعالى جعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٣٦: ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها، أي قد اقتربت ودنت وأزفت، وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل إن يطوّلها، فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى الله ـ عز وجل ـ.

كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ. . .﴾ الآيات[١]، قالت قُريشٌ: زَعمْتَ يا محمَّدُ أنَّا نُؤتى كُتبَنا بشمائِلنا؟! فعَجِّلْ لنا قِطَّنا، يقولون ذلك تكذيباً له، قاله أبو العَالِيةِ ومُقاتِلٌ. وفي المراد بالقِطِّ أربعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنه الصَّحيفَةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. قال الفَرَّاءُ: القِطّ في كلام العرب: الصَّكُّ. وقال أبو عُبيدَةَ: القِطُّ: الكتابُ، والقُطُوطُ: الكُتُبُ بالجوائز؛ وإلى هذا المعنى ذهب الحسَنُ ومُقاتِلٌ وابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: أنَّ القِطَّ: الحِسابُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه القضاءُ، قاله عطاءٌ الخُراسانيُّ، والمعنى أنهم لمَّا وُعِدوا بالقضاءِ بينهم، سألوا ذلك. **الرابع**: أنه النَّصيبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. قال الزَّجَّاجُ: القِطُّ: النَّصيبُ، وأصلُه: الصَّحيفةُ يُكْتَبُ للإنسان فيها شيءٌ يَصِلُ إليه، واشتِقاقُ القِطِّ مِنْ قَطَطْتُ، أي: قَطَعْتُ، فالنَّصِيبُ: هو القِطعةُ مِنَ الشيء. ثم في هذا القولِ للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أنهم سألوه نَصيبَهُم مِنَ الجنَّةِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: سألوه نَصيبَهُم مِنَ العذاب، قاله قَتادَةُ. وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاءً، لِتكذِيبِهم بالقيامة. ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: مِنْ تكذيبِهم وأذاهُم؛ وفي هذا قولان: **أحدهما**: أنه أُمِرَ بالصبر، سُلوكاً لطريق أُولي العَزمِ، وهذا مُحْكَمٌ. **والثاني**: أنه مَنسُوخٌ بآيَة السَّيفِ فيما زَعم الكَلبِيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ في وَجهِ المناسبة بين قولِه: «اصبر» وبين قوله: «واذكُرْ عَبْدَنا داوُدَ» قولان: **أحدهما**: أنه أُمِرَ أنْ يَتقوَّى على الصَّبر بذِكْرِ قُوَّةِ دَاوُدَ على العبادةِ والطاعةِ. **والثاني**: أنَّ المعنى: عَرِّفْهُم أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام ـ مع طاعَتِهم ـ كانوا خائفين منِّي، هذا دَاوُدُ مع قوَّتِه على العبادة، لم يَزَلْ باكياً مُستغفراً، فكيفَ حالُهم مع أفعالِهم؟! فأمَّا قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ فقال ابنُ عباسٍ: هي القُوَّةُ في العبادة. وفي «الصَّحيحين» مِنْ حديث عبدِ الله بنِ عمروٍ قال:

[١٢١٥] قال لي رسولُ الله ﷺ «أَحبُّ الصِّيام إلى الله صيامُ دَاودَ، كان يَصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، وأَحبُّ الصَّلاةِ إلى الله صلاةُ داوُدَ، كان ينامُ نِصفَ الليل ويقومُ ثُلثَهُ وينامُ سُدسَهُ».

وفي الأوّابِ أقوالٌ قد ذكرناها في بَني إسرائيل[٣]. ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ قد ذكرنا تسبيحَ الجبال معه في سُورةِ الأنبياء[٤]، وذكرنا معنى العَشيِّ في مواضعَ مما تقدَّمَ[٥]، وذكرنا معنى الإِشراقِ في الحِجْر[٦] عند قولِه تعالى ﴿مُشْرِقِينَ﴾. قال الزَّجَّاجُ: الإشراقُ: طلوعُ الشمسِ وإضاءَتُها. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: طَلَبْتُ صلاةَ الضُّحى، فلَمْ أجدْها إلاَّ في هذه الآيَةِ. وقد ذكرنا عنه أنَّ صلاةَ الضُّحى مذكورةٌ في النُّور[٧] في قوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾.

[١٢١٥] صحيح. أخرجه البخاري ١١٣١ ومسلم ١١٥٩ ح ١٨٩ من طرق عن سفيان بن عيينة به.

---

(١) الحاقة: ١٩ ـ ٢٧.
(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٣٦: قيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة أن يلقوا ذلك في الدنيا. وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب. وقال ابن جرير: سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا، وهذا الذي قاله جيد. ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد والاستهزاء قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم، ومبشرًا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر.
(٣) الإسراء: ٢٥. (٤) الأنبياء: ٧٩. (٥) آل عمران: ٤١، الأنعام: ٥٣.
(٦) الحجر: ٧٣. (٧) النور: ٣٦.

قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ وقرأ عِكرمةُ، وأبو الجوزاءِ، والضَّحَّاكُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «والطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ» بالرَّفع فيهما، أي: مجموعةٌ إليه، تُسبِّحُ الله معه ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ﴾ في هاءِ الكناية قولان: **أحدهما**: تَرجعُ إلى داوُدَ، أي: كُلٌّ لِداودَ ﴿أَوَّابٌ﴾ أي: رَجَّاعٌ إلى طاعتِه وأمرِه، والمعنى: كُلٌّ له مُطيعٌ بالتَّسبيح معه، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، فالمعنى: كُلٌّ مسبِّحٌ لله، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ أي: قوَّيناهُ. وفي ما شُدَّ به مُلْكُهُ قولان: **أحدهما**: أنه الحَرَسُ والجنودُ؛ قال ابنُ عباسٍ: كان يَحرُسه كلَّ ليلةٍ ستةٌ وثلاثون ألفَ رجلٍ. **والثاني**: أنه هَيْبَةٌ أُلْقِيَتْ له في قلوبِ الناس؛ وهذا المعنى مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الفَهْمُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: الصَّواب، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: السُّنَّة، قاله قَتادةُ. **والرابع**: النُّبوَّة، قاله السُّدِّيُّ.

وفي فَصلِ الخِطَابِ أربعةُ أقوال: **أحدها**: عِلْمُ القضاء والعدلُ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ. **والثاني**: بيانُ الكلام، رُويَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وذكر المَاوَرديُّ أنه البيانُ الكافي في كلِّ غَرضٍ مقصودٍ. **والثالث**: قوله: «أما بعد»، وهو أوَّلُ مَنْ تكلَّم بها، قاله أبو موسى الأشعَريُّ والشَّعْبيُّ. **والرابع**: تكليفُ المُدَّعي البيِّنَةَ، والمُدَّعَى عليه اليمين، قاله شُرَيحٌ وقَتادةُ؛ وهو قولٌ حسَنٌ لأنَّ الخُصومةَ إنما تُفْصَلُ بهذا.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ قال أبو سُليمانَ: المعنى: قد أَتاكَ فاستَمِعْ له نَقُصَّ عليكَ. واختلفَ العلماءُ في السببِ الذي امتُحِنَ لأجلِه داوُدُ عليه السلام بما امتُحِنَ به على خمسةِ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه قال: يا ربِّ قد أعطيتَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ مِنَ الذِّكْرِ ما لو وَدِدْتُ أنَّكَ

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١: قد قدمنا لكم وأوضحنا أن الأنبياء معصومون عن الكبائر إجماعاً، وفي الصغائر اختلاف؛ وأنا أقول إنهم معصومون عن الصغائر والكبائر، لوجوه بيناها في كتاب «النبوات» من أصول الدين. وقد قال جماعة: لا صغيرة في الذنوب وهو صحيح، وتحقيقه أن الكفر معصية ليس فوقها معصية كما أن النظرة معصية ليس دونها معصية، وبينهما ذنوب إن قرنتها بالكفر والقتل والزنا والعقوق كانت صغائر، وإن أضفتها إلى ما يليها في القسم الثاني الذي بعده من جهة النظر كانت كبائر. والذي أوقع الناس في ذلك رواية المفسرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء مصائب لا قدر عند الله لم =

أعطيتَني مِثلَه، فقال اللهُ تعالى: إنِّي ابتلَيتُهم بما لم أبتَلِكَ به، فإنْ شِئتَ ابتلَيتُكَ بِمثْلِ ما ابتَليتُهم به وأعطيتُكَ كما أعطَيتُهم؟ قال: نعم، فبينما هو في مِحرَابِه إذ وَقَعتْ عليه حَمامةٌ، فأراد أنْ يأخُذَها فطَارَتْ، فذهب لِيأخُذَها، فرأى امرأةً تغتسل، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه ما زال يَجتهِدُ في العبادةِ حتى بَرَزَ له قُرناؤُه مِنَ الملائكة وكانوا يُصَلُّونَ معه ويُسْعِدُونه بالبُكاء، فلمَّا استأنَسَ بهم، قال: أخبِرُوني بأيِّ شيءٍ أنتم مُوكَّلون؟ قالوا: ما نَكْتُبُ عليكَ ذَنباً، بل نكتبُ صالحَ عَمَلِكَ ونُثَبِّتُكَ ونُوفِّقُكَ ونَصْرِفُ عنكَ السُّوءَ، فقال في نَفْسِه: ليتَ شِعْري؛ كيفَ أكون لو خَلَّوني ونَفْسِي؛ وتمنَّى أنْ يُخَلَّى بينَهُ وبين نَفْسِه ليَعْلَمَ كيف يكون، فأمَرَ اللهُ تعالى قُرناءَه أنْ يعتزِلُوه ليَعْلَمَ أنه لا غَناءَ به عن اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فلمَّا فَقَدَهُم، جَدَّ واجتهدَ ضِعفَ عبادَتِه إلى أنْ ظَنَّ أنه قد غَلَبَ نَفْسَه، فأرادَ اللَّهُ تعالى أنْ يُعَرِّفَه ضَعْفَه، فأَرسلَ إليه طائراً مِنْ طيور الجنَّةِ، فسَقطَ في مِحرَابِهِ، فقَطعَ صلاتَهُ ومَدَّ يدَهُ إليه، فتنحَّى عن مكانِه، فأتْبَعَه بَصَرَهُ، فإذا امرأةُ أُوريا، هذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنه تَذاكَر هو وبَنو إسرائيلَ، فقالوا: هل يأتي على الإنسانِ يومٌ لا يُصيبُ فيه ذَنْباً؟ فأضمَرَ داودُ في نَفْسِه أنه سَيُطيقُ ذلك، فلمَّا كان يوم عبادَتِه، أغلَقَ أبوابَهُ وأمَرَ أنْ لا يدخُلَ عليه أحدٌ وأكَبَّ على قراءة الزَّبور، فإذا حمامَةٌ مِنْ ذهبٍ، فأهوى إليها فطارتْ، فتبِعَها فرأى المرأةَ، رواه مَطَرٌ عن الحَسنِ. **والرابع**: أنه قال لِبَني إسرائيلَ حين مَلَكَ: واللهِ لأَعْدِلَنَّ بينكم، ولم يَسْتَثْنِ، فابتُلِيَ، رواه قَتادَةُ عن الحَسنِ. **والخامس**: أنه أعجَبَهُ كثرةُ عملِه، فابتُلِيَ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ.

الإشارةُ إلى قصّة ابتلائِه

قد ذكرنا عن وهب أنه قال: كانت الحمامة من طيور الجنة. وقال السدي تصور له الشيطان في صورة حمامة. قال المفسرون: إنه لما تبع الحمامة رأى امرأة من بستان على شط بركة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح لها فعجب من حسنها، فحانت منها التفاتة فرأت ظله، فنفضت شعرها، فغطى بدنها فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة فكتب داود إلى أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح عليه أو يستشهد، ففعل ذلك، ففتح عليه فكتب إلى داود يخبره فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، ففُتح له، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فقتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود، فهي أم سليمان، فلما دخل بها لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله

= اعتقدها روايات ومذاهب، ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تبث عثراتهم لو عثروا، ولا تبث فلتاتهم لو استفلتوا، فإن إسبال الستر على الجار والولد والأخ فضيلة أكرم فضيلة، فكيف سترت على جارك حتى لم تقص نبأه في أخبارك، وعكفت على أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبسوا به، ولا تلوّثوا به، نعوذ بالله من هذا التعدّي والجهل بحقيقة الدين في الأنبياء والمسلمين والعلماء والصالحين. وقد وصيناكم إذا كنتم لا بد آخذين في شأنهم ذاكرين قصصهم ألا تَعْدُوا ما أخبر الله عنهم، وتقولوا ذلك بصفة التعظيم لهم والتنزيه عن غير ما نسب الله إليهم، ولا يقولن أحدكم: قد عصى الأنبياء فكيف نحن، فإن ذكر ذلك كفر.

ـ قلت: لو لم يذكر المصنف هذه الآثار لكان أولى، وقد أطال في ذلك رحمه الله وإنما هذه الآثار من ترّهات الإسرائيليين وأساطيرهم.

عز وجل ملكين في صورة أنسيين، وقيل: لم يأته الملكان حتى جاء منها سليمان وشب، ثم أتياه فوجداه في محراب عبادته، فمنعهما الحرس من الدخول، فتسوروا المحراب عليه، وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين، وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن وقتادة والسدي، ومقاتل في آخرين.

وذكر جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين[١] أنَّ داودَ لمَّا نَظرَ إلى المرأة، سألَ عنها، وبَعثَ زوجَها إلى الغَزاةِ مَرَّةً بعد مَرَّةٍ إلى أنْ قُتِلَ، فتزوَّجها؛ وروي مِثْلُ هذا عن ابنِ عباسٍ، ووَهْبٍ، والحَسنِ في جماعةٍ. وهذا لا يَصحُّ مِنْ طريق النَّقلِ، ولا يجوز مِنْ حيثُ المعنى، لأنَّ الأنبياءَ مُنزَّهون عنه.

وقد اختلف المُحققون في ذَنْبِه الذي عُوتِبَ عليه على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لمَّا هَوِيَها، قال لِزَوجِها: تحوَّلْ لي عنها، فعُوتِبَ على ذلك. وقد رَوى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: ما زادَ داوُدُ على أنْ قال لصاحبِ المرأةِ: أكفِلْنيها وتحوَّلْ لي عنها؛ ونحو ذلك رُوي عن ابنِ مسعودٍ[٢]. وقد حكى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ أنه بَعثَ إلى أوريا فأقدَمَهُ مِنْ غزاتِه، فأَدْناهُ وأكرَمَهُ جدًّا، إلى أنْ قال له يوماً: انْزِلْ لي عن امرأتِكَ؛ وانظُرْ أيَّ امرأةٍ شِئتَ في بَني إسرائيلَ أُزوِّجكَها، أو أيَّ أَمَةٍ شِئتَ أَبْتاعُها لكَ، فقال: لا أُريدُ بامرأتي بديلاً؛ فلمَّا لم يُجبهُ إلى ما سألَ، أمَرَه أنْ يَرْجِعَ إلى غَزاتِه. **والثاني**: أنه تمَنَّى تلك المرأةَ حلالاً، وحَدَّث نَفْسَهُ بذلك، فاتَّفقَ غَزوُ أُوريا مِنْ غيرِ أنْ يسعى في سبب قَتْلِه ولا في تعريضِه للهَلاكِ، فلمَّا بلغَهُ قَتْلُهُ، لم يَجْزَعْ عليه كما جزِعَ على غيرِه مِنْ جُنْدِه، ثُمَّ تزوَّجَ امرأتَه، فعُوتبَ على ذلك. وذُنوبُ الأنبياءِ عليهم السلامُ وإنْ صَغُرَتْ، فهي عظيمةٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ. **والثالث**: أنه لمَّا وَقعَ بصرُه عليها، أشبَعَ النَّظرَ إليها حتى عَلِقَتْ بقلبه[٣]. **والرابع**: أنَّ أُوريا كان قد خَطَبَ تلك المرأةَ، فخطَبها داودُ مع عِلْمِه بأنَّ أُوريا قد خطبها، فتزوَّجَها، فاغتمَّ أوريا، وعاتَبَ اللهُ تعالى داوُدَ إذْ لم يترُكْها لِخاطِبها الأوَّلِ[٤]؛ واختار القاضي أبو يَعلى هذا القولَ، واستدلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾، قال: فَدَلَّ هذا على أنَّ الكلامَ إنما كان بينهما في الخِطْبةِ، ولم يكن قد تَقدَّمَ تزوُّجُ الآخَرِ، فعُوتِبَ داوُدُ عليه السلامُ لشيئين ينبغي للأنبياء التَّنَزُّهُ عنهما: **أحدهما**: خِطْبَتُه على خِطبَةِ غيرِه. **والثاني**: إظهارُ الحِرْصِ على التَّزويج مع كثرةِ نسائِه، ولم يعتقِدْ ذلك معصيةً، فعاتَبَهُ اللهُ تعالى عليها؛ قال: فأمَّا ما رُويَ أنه نظرَ إلى المرأة فهَوِيَها وقدَّم زَوْجَها للقَتْلِ، فإنه وَجهٌ لا يجوز على الأنبياءِ، لأنَّ الأنبياءَ لا يَأتونَ المعاصي مع العِلْمِ بها.

قال الزَّجَّاجُ: إنَّما قال: «الخَصْم» بلفظِ الواحِدِ، وقال: «تَسَوَّرُوا» بلفظِ الجماعة، لأنَّ قولكَ:

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ٥٤: وأما قولهم: إنه أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله، فهذا باطل قطعاً، لأن داود لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه، وليس في القرآن أن ذلك كان، ولا أنه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، فعن من يروى هذا ويسند؟ وعلى من في نقله يعتمد، وليس يؤثره عن الثقات الأثبات أحد؟

(٢) لا يصح عن ابن مسعود، وقد ذكره المصنف بصيغة التمريض وهو متلقى عن أهل الكتاب.

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٥٦: لا يجوز ذلك عندي بحال، لأن طموح البصر لا يليق بالأولياء المتجردين للعبادة، فكيف بالأنبياء الذين هم الوسائط المكاشفون بالغيب.

(٤) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٥٧: هذا باطل يردّه القرآن والآثار التفسيرية كلها.

خَصْم، يَصْلُحَ للواحدِ والاثنينِ والجماعةِ والذكرِ والأنثى، تقول، هذا خَصْمٌ، وهي خَصْمٌ، وهما خَصْمٌ، وهم خَصْمٌ؛ وإنما يَصلُح لجميع ذلك لأنه مصدرٌ، تقول: خَصَمْتُه أَخْصِمُه خَصْماً. والمِحرَابُ هاهنا كالغُرفةِ، قال الشاعر:

رَبَّـةُ مِـحْـرَابٍ إذا جِـئْـتُـهـا ... لَـمْ أَلْـقَـهـا أَوْ أَرْتَـقِـي سُـلَّـمـا[1]

و «تسوَّروا» يدلُّ على عُلوّ. قال المُفسِّرون: كانا مَلَكين، وقيل: هما جِبريلُ ومِيكائيلُ عليهما السلامُ أَتَياه لِيُنبِّهاه على التَّوبةِ وإنما قال: «تسوَّروا» وهما اثنان، لأنَّ معنى الجمع ضَمُّ شيءٍ إلى شيءٍ، والاثنان فما فوقَهُما جماعةٌ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ قال الفرّاءُ: يجوز أنْ يكونَ معنى «تسوَّرُوا»: دَخَلوا، فيكون تكراراً؛ ويجوز أنْ يكونَ «إذ» بمعنى «لمّا»، فيكون المعنى: إذْ تَسوَّروا المِحرابَ لمَّا دَخلوا، ولمَّا تَسوَّروا إذْ دَخلوا. قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ وذلك أنهما أَتَيا على غيرِ صفةِ مجيءِ الخُصومِ، وفي غيرِ وقت الحُكومة، ودخلا تَسوُّراً مِنْ غير إذنٍ[2]. وقال أبو الأحوَصِ: دَخَلا عليه وكُلُّ واحدٍ منهما آخذٌ برأسِ صاحبِه. و ﴿خَصْمَانِ﴾ مرفوعٌ بإضمارِ «نَحنُ»، قال ابنُ الأنباري: المعنى: نحنُ كَخَصمَين، ومِثلُ خَصمَين، فسقطت الكافُ، وقامَ الخَصمانِ مقامَهُما، كما تقول العرب: عبدُ الله القمرُ حُسْناً، وهم يريدون: مِثْل القمرِ، قالت هِندُ بنتُ عُتبَةَ تَرثي أباها وعَمَّها:

مَـنْ حَـسَّ لِـي الأَخَـوَيْـنِ كـالـ ... غُـصْـنَـيْـنِ أَوْ مَـنْ راهُـمـا

أَسَـدَيْـنِ فـي غِـيْـلٍ يَـحِـيـدُ الـ ... قَـوْمُ عَـنْ عُـزواهُـمـا

صَـقْـرَيْـنِ لا يَـتَـذَلَّـلا ... نِ ولا يُـبـاحُ حِـمـاهُـمـا

رُمْـحَـيْـنِ خَـطِّـيَّـيْـنِ فـي ... كَـبِـدِ الـسَّـمـاءِ تَـراهُـمـا

أرادت: مِثْل أسدَيْنِ، ومثلَ صقرَيْنِ، فأسقطَتْ مِثْلاً وأقامَتْ الذي بعدَه مقامَهُ. ثم صَرفَ الله عزَّ وجلَّ النونَ والألفَ في «بَعْضنا» إلى «نحن» المُضمَرِ، كما تقول العرب: نحنُ قومٌ شَرُفَ أبونا، ونحنُ قومٌ شَرُفَ أبوهُم، والمعنى واحدٌ. والحقُّ هاهنا: العَدلُ. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تَجُرْ، يُقال: شَطَّ وأشَطَّ: إذا جارَ. وقرأ ابن أبي عبلة: «ولا تشطط» بفتح التاء وضم الطاء قال الفَرّاءُ: بعضُ العرب يقول: شَطَطْتَ عليَّ في السَّوْم، وأكثرُ الكلام «أشططتَ» بالألفِ، وشَطَّتِ الدَّارُ: تباعدتْ. قوله تعالى: ﴿وَاهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ الصِّرَاطِ﴾ أي: إلى قَصْدِ الطَّريق؛ والمعنى: احْمِلْنا على الحقِّ. فقال داوُدُ: تَكَلَّما، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ قال ابنُ الأنباري: المعنى: قال أحدُ الخَصمَين اللَّذين شُبِّه المَلَكانِ بهما: إنَّ هذا أخي، فأضمَرَ القولَ لِوضوحِ معناه ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ قال الزَّجّاج: كُنِيَ عن المرأة بالنَّعجة.

---

(١) البيت لوضاح اليمن كما في «الأغاني» ٦/ ٢٣٧ و «اللسان» ـ حرب ـ وقد سبق البيت في «الجزء الأول».

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨: وقوله: ﴿ففزع منهم﴾، إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه، وهو أشرف مكانٍ في داره، وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسوّرا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما. وقوله ﴿وعزّني في الخطاب﴾ أي غلبني. يقال: عزّ يعزُّ: إذا قهر وغلب. وقوله: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أي اختبرناه. وقوله ﴿وخرّ راكعاً﴾ أي ساجداً ﴿وأناب﴾ يحتمل أنه ركع أولاً، ثم سجد بعد ذلك.

وقال غيره: العربُ تُشَبِّهُ النساءَ بالنِّعاجِ، وتُوَرّي عنها بالشَّاءِ والبقرِ. قال ابنُ قُتَيبة: وَرّى عن ذِكرِ النساء بذِكرِ النِّعاجِ، كما قال عَنترةُ:

يا شَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ ولَيْتَها لَمْ تَحْرُمِ

يُعرِّض بجاريةٍ، يقول: أيُّ صيدٍ أنتِ لِمَنْ حَلَّ له أنْ يَصيدَكِ! فأمَّا أنا، فإنْ حُرْمَةَ الجِوارِ قد حرَّمتْكِ عَلَيَّ. وإنَّما ذَكَرَ المَلَكُ هذا العددَ لأنه عددُ نساءِ داوُدَ.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فتَحَ الياءَ حَفصٌ عن عاصمٍ، وأسكَنَها الباقون. ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: ضُمَّها إليَّ واجعَلْني كافِلَها. وقال الزَّجَّاجُ: انزِلْ أنتَ عنها واجعَلْني أنا أكفُلُها. قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي: غَلَبني في القول. وقرأ عمرُ بن الخَطَّابِ وأبو رَزِينٍ العُقَيليُّ والضَّحَّاكُ وابنُ يَعمَرَ وابنُ أبي عَبلَةَ: «وعَازَّني» بألِفٍ، أي: غالَبَني. قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ في قوله: «وعَزَّني في الخطاب»: ما زادَ على أنْ قال: انزِلْ لي عنها. وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: إنْ دَعوتُ ودَعا كان أكثر، وإنْ بَطَشْتُ وبَطَشَ كان أشدَّ مني. فإنْ قيلَ: كيف قال المَلَكانِ هذا، وليس شيءٌ منه موجوداً عندهما؟ فالجواب: أنَّ العلماءَ قالوا: إنَّما هذا على سبيلِ المَثَلِ والتَّشبيهِ بقصَّةِ داوُدَ، وتقديرُ كلامهما: ما تقولُ إنْ جاءكَ خَصمانِ فقالا كذا وكذا؟ وكان داوُدُ لا يرى أنَّ عليه تَبِعَةً فيما فَعَلَ، فنبَّهه اللهُ بالمَلَكين. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ له ونبَّههُ على خطيئتِه. وقد ذكرنا آنِفاً أنَّ المعنى: نحنُ كخَصْمَينِ. قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني داودَ ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: بسؤالِه نعجَتَكَ، فإذا ألقيتَ الهاءَ مِنَ السؤالِ، أضفتَ الفعلَ إلى النَّعجةِ، ومِثْلُه: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾[(١)]، أي: مِنْ دُعائِه بالخيرِ، فلمَّا ألقى الهاءَ، أضافَ الفعلَ إلى الخير، وألقى مِنَ الخير الباءَ، وأنشدوا:

فَلَسْتُ مُسَلِّماً ما دُمْتُ حَيّاً ... على زَيْدٍ بتسليمِ الأميرِ

أي: بتسليمٍ على الأمير.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ أي: لِيَضُمَّها إلى نِعاجِه. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: بسؤالِ نعجَتِكَ مضمومةً إلى نِعاجِه، فاختُصِرَ. قال: ويُقال «إلى» بمعنى «مع». فإنْ قيلَ: كيف حَكَمَ داودُ قبلَ أنْ يَسمعَ كلامَ الآخرِ؟ فالجواب: أنَّ الخصمَ الآخرَ اعترفَ، فحَكَمَ عليه باعترافِه، وحذف ذِكرَ الاعترافِ اكتفاءً بفهمِ السَّامع، والعربُ تقول: أَمَرتُكَ بالتِّجارة فكسبتَ الأموالَ، أي: فاتَّجرتَ فكسبتَ، ويدلُّ عليه قولُ السُّدِّيِّ: إنَّ داوُدَ قال للخصمِ الآخر: ما تقولُ؟ قال: نعم، أريدُ أنْ آخُذَها منه فأُكمِلَ بها نِعاجِي وهو كارِهٌ، قال: إذاً لا نَدعُكَ، وإنْ رُمْتَ هذا ضَرَبْنا منكَ هذا ـ ويُشير إلى أنفِه وجَبهتِه ـ فقال: أنتَ يا داوُدُ أحَقُّ أنْ يُضرَبَ هذا منكَ حيثُ لك تسعٌ وتسعون امرأةً، ولم يكن لأُورِيا إلاَّ واحدةٌ، فنظَر داوُدُ فلم يَرَ أحداً، فعَرَفَ ما وقعَ فيه[(٢)]. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ يعني الشُّركاء، واحدهم: خَليط، وهو المُخالِطُ في المالِ، وإنما قال هذا، لأنه ظنَّهما شريكَيْن، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: فإنهم لا يَظلِمون أحداً، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» زائدةٌ، والمعنى: وقليلٌ هم، وقيلَ: المعنى: هم قليلٌ، يعني الصَّالحين الذين لا يَظلِمونَ.

---

(١) فصلت: ٤٩.

(٢) تقدم أن هذه الآثار إسرائيلية.

قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ أي: أيقن وعَلِمَ ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اختبرناه. **والثاني**: ابتليناهُ بما جرى له مِنْ نظرِه إلى المرأةِ وافتتانِه بها[١]. وقرأ عمرُ بنُ الخطّابِ: «أنَّما فتَّنَّاهُ» بتشديدِ التاء والنون جميعاً. وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، وأبو رزينٍ، والحسَنُ، وقتادةُ، وعليُّ بنُ نصرٍ عن أبي عمروٍ: «أنَّما فتَنَاهُ» بتخفيفِ التاء والنون جميعاً، يعني المَلَكين، قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: يريد: صَمَدَا له. وفي سببِ عِلْمِه وتنبيهِه على ذلك ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ المَلَكين أفصحا له بذلك، على ما ذكرناه عن السُّدِّيِّ. **والثاني**: أنهما عَرَّجا وهما يقولان: قضى الرجلُ على نَفْسِه، فعَلِمَ أنه عُنِيَ بذلك، قاله وَهْبٌ. **والثالث**: أنه لمَّا حَكَم بينهما، نَظَرَ أحدُهما إلى صاحبِه وضَحِكَ، ثم صَعِدا إلى السماء وهو ينظرُ، فعَلِمَ أنَّ الله تعالى ابتَلاهُ بذلك، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا فَطِنَ داوُدُ بذَنبه خَرَّ راكعاً، قال ابنُ عباسٍ: أي: ساجداً، وعبَّرَ عن السجودِ بالرُّكوعِ، لأنهما بمعنى الانحِنَاءِ. وقال بعضُهم: المعنى: فَخَرَّ بعدَ أنْ كان راكعاً.

فصل: واختلف العلماءُ هل هذه مِنْ عزائمِ السُّجودِ؟ على قولَين: **أحدهما**: ليست مِنْ عزائمِ السُّجودِ، قاله الشَّافعيُّ. **والثاني**: أنها مِنْ عزائمِ السجود، قاله أبو حَنيفَةَ؛ وعن أحمدَ رِوايتان.

قال المُفسِّرون: فبَقيَ في سجودِهِ أربعينَ ليلةً، لا يرفعُ رأسَهُ إلاَّ لوقتِ صلاةٍ مكتوبةٍ أو حاجةٍ لا بُدَّ منها، ولا يأكل ولا يشرب، فأكَلتِ الأرضُ مِنْ جَبينِه، ونَبتَ العُشْبُ مِنْ دموعِه، ويقول في سُجودِهِ: ربَّ داودَ، زَلَّ داودُ زَلَّةً أبعدَ ممَّا بين المشرقِ والمغربِ. وقال مُجاهِدٌ: نَبتَ البَقلُ مِنْ دموعِه حتى غطَّى رأسَه، ثم نادى: رَبِّ قَرِحَ الجَبينُ وجَمَدت العينُ وداوُدُ لم يَرْجِعْ إليه في خطيئَتِه شيءٌ، فنُودِيَ: أجائعٌ فتُطعَم، أَمْ مريضٌ فتُشفَى، أَمْ مظلومٌ فيُنتصَر لكَ؟ فنَحَبَ نَحِيباً هاجَ كلَّ شيءٍ نَبَتَ، فعندَ ذلك غَفرَ له. وقال ثابتٌ البُنَانيُّ: اتَّخذَ داوُدُ سبعَ حَشايا مِنْ شَعْرٍ وحَشاهُنَّ مِنَ الرَّمادِ، ثم بكى حتى أنفذَها دموعاً، ولم يشربْ شراباً إلاَّ ممزوجاً بدموعِ عينيه. وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: نُودِيَ: يا داوُدُ ارفَعْ رأسَكَ فإنَّا قد غفَرْنا لكَ، فرفعَ رأسَهُ وقد زَمِنَ وصارَ مُرعِشاً[٢]. فأمَّا قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ فمعناه: رَجَعَ مِنْ ذَنْبِه تائباً إلى ربِّه، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذَّنْبَ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: تقدمٌ وقُربةٌ. قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ قال مُقاتِلٌ: حُسْنَ مَرْجِعٍ، وهو ما أعدَّ اللهُ له في الجنَّةِ. قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ المعنى: وقُلنا له يا داودُ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾ أيْ: صيَّرْناكَ ﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تُدبِّرُ أمرَ العبادِ مِنْ قِبَلِنا بأمرِنا، فكأنكَ خليفةٌ عنَّا ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعَدلِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: لا تَمِلْ مع ما تشتهي إذا خالفَ أمرَ الله عزَّ وجلَّ ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دِيْنِه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ وقرأ أبو نَهِيْكٍ، وأبو حَيْوَةَ، وابنُ يَعمَرَ: «يُضِلُّونَ» بضمِّ الياء. قوله تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بما تَرَكُوا العملَ ليوم الحساب، قاله السُّدِّيُّ. قال الزَّجَّاجُ: لمَّا تَركوا العملَ لذلك اليوم، صاروا بمنزلةِ النَّاسِين. **والثاني**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: لهم عذابٌ شديدٌ يومَ

---

(١) تقدم الكلام في أن مثل ذلك لا يليق بالأنبياء عليهم السلام والصواب هو القول الأول: اختبرناه كما جاء في «تفسير» ابن كثير رحمه الله.

(٢) في «اللسان» رَعِشَ: بالكسر، يَرْعَشُ، وارتعش: ارتعد.

الحساب بما نَسُوا، أي: تَرَكُوا القضاءَ بالعَدلِ، وهو قولُ عِكرمَةَ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي: عَبَثاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أنَّ ذلك خُلِقَ لِغَيْرِ شيءٍ، وإنَّما خُلِقَ للثوابِ والعقابِ. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال مُقاتِلٌ:

[١٢١٦] قال كفَّارُ قُريشٍ للمؤمنين: إنَّا نُعطى في الآخرة مثلَ ما تُعطَوْنَ، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٢١٧] وقال ابنُ السَّائبِ: نزلت في السِّتةِ الذين تَبارَزُوا يومَ بدرٍ، عليّ رضي الله عنه، وحمزةَ رضي الله عنه، وعُبيدةَ بنِ الحارثِ رضي الله عنه، وعُتبَةَ، وشَيْبَةَ، والوليدِ بنِ عُتبَةَ، فذكرَ أولئكَ بالفسادِ في الأرضِ لِعَمَلِهم فيها بالمعاصي، وسَمَّى المؤمنين بالمتَّقين لاتِّقائهم الشِّركَ، وحُكْمُ الآيةِ عامٌّ.

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾ أي: هذا كتابٌ، يعني القرآن، وقد بَيَّنَّا معنى بَرَكَتِهِ في سُورةِ الأنعَامِ(١). ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وقرأ عاصِمٌ في روايةٍ: «ليتَدبَّروا آياتِه» بالتاء خفيفة الدالِ، أي: لِيَتفكَّروا فيها فيتقرَّر عندهُم صِحَّتُها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بما فيه مِنَ المواعظِ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وقد سبق بيانُ هذا.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ يعني به سُليمانَ. وفي الأوَّابِ أقوالٌ قد تقدَّمَتْ في بَني إسرائيل(٢)، أَلْيَقُها بهذا المكان أنه رَجَّاعٌ بالتَّوبة إلى الله تعالى مِمَّا يَقعُ منه مِنَ السَّهْوِ والغَفْلةِ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ وهو ما بعدَ الزَّوالِ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ وهي الخَيلُ، وفي معنى

[١٢١٦] رواه المصنف عن مقاتل، ومقاتل متهم بالوضع.

[١٢١٧] رواه المصنف عن ابن السائب الكلبي، وكذا السيوطي في «أسباب النزول». وابن السائب متهم بالوضع.

---

(١) الأنعام: ٩٢. (٢) الإسراء: ٢٥.

الصَّافِناتِ قولان: **أحدهما**: أنها القائمةُ على ثلاثِ قوائمَ، وقد أقامت الأُخرى على طَرَفِ الحافرِ مِنْ يَدٍ أو رِجْلٍ؛ وإلى هذا المعنى ذهب مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: هذا أكثرُ قيامِ الخَيلِ إذا وَقفتْ كأنَّها تُراوِح بين قوائِمها، قال الشاعر:

أَلِفَ الصُّفُونَ فما يَزالُ كأنَّهُ ... مِمَّا يَقومُ على الثَّلاثِ كَسِيرا

والثاني: أنها القائمةُ، سواءٌ كانت على ثلاثٍ أو غيرِ ثلاثٍ، قال الفَرَّاءُ: على هذا رأيتُ العرب، وأشعارُهم تَدُلُّ على أنه القيامُ خاصَّةً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الصَّافِنُ في كلام العرب: الوَاقفُ مِنَ الخَيلِ وغيرِها،

[١٢١٨] ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أنْ يقومَ له الرِّجالُ صُفُوناً، فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، أي: يُدِيمونَ القيامَ له.

فأمَّا الجِيادُ، فهي السِّراعُ في الجَرْيِ. وفي سبب عَرْضِها عليه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عَرَضها لأنه أراد جهادَ عدوٍّ له، قاله عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. **والثاني**: أنها كانت مِنْ دَوابِّ البحر. قال الحسَنُ: بَلَغني أنها كانت خَيلاً خرجتْ مِنَ البحر لها أجنِحةٌ. وقال إبراهيمُ التَّيْميُّ: كانت عشرين فَرساً ذاتَ أجنحةٍ. وقال ابنُ زيدٍ: أخرَجَتْها له الشياطينُ مِنَ البحر. **والثالث**: أنه وَرِثَها مِنْ أبيه داوُدَ عليه السلام، فعُرِضَتْ عليه، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أنه غَزا جيشاً، فظَفِرَ به وغَنِمَها، فدَعا بها فعُرِضَتْ عليه، قاله ابنُ السَّائبِ. وفي عَدَدِها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثلاثة عشرَ ألفاً، قاله وَهْبٌ. **والثاني**: عشرون ألفاً، قاله سعيدُ بنُ مَسرُوقٍ. **والثالث**: ألفُ فَرسٍ، قاله ابنُ السَّائبِ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: عشرون فَرساً، وقد ذكرناه عن إبراهيمَ التَّيْمي. قال المُفسِّرون: ولم تَزَلْ تُعْرَضُ عليه إلى أنْ غابتِ الشمسُ، ففاتَتْهُ صلاةُ العَصرِ، وكان مَهيباً لا يَبْتَدِئُه أحدٌ بشيءٍ، فلم يُذَكِّروه، ونَسِيَ هو، فلمَّا غابتِ الشمسُ ذَكرَ الصلاةَ، ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ﴾ فتحَ الياءَ أهلُ الحِجازِ وأبو عمرٍو ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المالُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: حُبُّ الخَيلِ، قاله قَتادةُ والسُّدِّيُّ. والقولان يَرجِعان إلى معنىً واحدٍ، لأنه أراد بالخير الخَيلَ، وهي مالٌ. وقال الفَرَّاءُ: العرب تُسمِّي الخَيلَ: الخير.

[١٢١٩] قال الزَّجَّاجُ: وقد سمَّى رسولُ الله ﷺ زَيْد الخَيلِ: زَيْدَ الخيرِ.

[١٢١٨] لا أصل له بلفظ «صفونا» وإنما هو من تصرف بعض الرواة أو أهل اللغة. فهو عند أبي داود ٥٢٢٩ والترمذي ٥٧٥٦ وأحمد ٤/ ٩١ ـ ٩٤ من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار» هذا هو الصحيح الوارد في هذا المتن. وإسناده جيد، وصححه المنذري في «الترغيب» ٣/ ٤٣١. وفي الباب من حديث أبي أمامة أخرجه أبو داود ٥٢٣٠ وأحمد ٥/ ٢٥٣ وحسنه المنذري في «ترغيبه» ٣/ ٤٣١. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٩١ عن الحديث المذكور: لم أجده هكذا، وفي غريب الحديث لأبي عبيد من حديث البراء رضي الله عنه «كنا إذا صلينا مع رسول الله ﷺ، فرفع رأسه قمنا معه صفونا». قلت: هو في «الغريب» ١/ ٣٧٩ بدون إسناد.

[١٢١٩] ضعيف. أخرجه ابن عدي ٢/ ٢٢ وابن شاهين كما في الإصابة ٢٩٤١ من حديث ابن مسعود، ومداره على بشير مولى بني هاشم، وهو منكر الحديث، وبه أعله ابن عدي، وقال الذهبي في ترجمته: أتى بخبر منكر، ومراده هذا الحديث. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٢٧١ بتخريجنا.

ومعنى «أَحْبَبْتُ»: آثرتُ حُبَّ الخَيْرِ على ذِكْرِ رَبِّي؛ وكذلك قال غيرُ الزَّجَّاج: «عن» بمعنى «على». وقال بعضُهم: يحتمل المعنى: فشَغَلَني عن ذِكْرِ رَبِّي. وقال أبو عُبيدَةَ: معنى الكلام: أَحْبَبْتُ حُبًّا، ثم أضاف الحُبَّ إلى الخيرِ. وقال ابنُ قُتَيبة: سمَّى الخَيْلَ خَيْراً، لِمَا فيها مِنَ الخَيْر. والمُفسِّرون على أنَّ المراد بذِكْرِ ربِّه: صلاةُ العَصر، قاله عليٌّ وابنُ مسعودٍ وقَتادةُ في آخرين. وقال الزَّجَّاجُ: لا أدري هل كانت صلاةُ العَصرِ مفروضةً أَمْ لا!، إلاَّ أنَّ اعتِراضةَ الخيلَ شَغَلَه عن وقتٍ كان يذكُر اللَّهَ فيه ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ قال المصنف: وأهلُ اللغة يقولون: يعني الشمسَ، ولم يَجْرِ لها ذِكْرٌ، ولا أحسَبُهم أعطَوا في هذا الفِكْر حَقَّه، لأنَّ في الآية دليلاً على الشمسِ، وهو قوله: «بالعشيِّ» ومعناه: عُرِضَ عليه بعدَ زوالِ الشمس حتى تَوارَتِ الشمسُ بالحِجاب، ولا يجوز الإضمارُ إلاَّ أنْ يجريَ ذِكْرٌ أو دليلُ ذِكْرٍ فيكون بمنزلة الذِّكْر؛ وأمَّا الحِجَابُ، فهو ما يَحجُبها عن الأبصار.

قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ قال المُفسِّرون: لمَّا شغَلَهُ عَرْضُ الخَيْلِ عليه عن الصلاة، فَصلاَّها بعدَ خروج وَقْتِها، اغتمَّ وغضبَ، وقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، يعني: أَعِيدُوا الخَيْلَ عَلَيَّ ﴿فَطَفِقَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي أقبَلَ ﴿مَسْحًا﴾ قال الأخفشُ: أي: يَمْسَحُ مَسْحاً. فأمَّا السُّوقُ، فجَمعُ سَاقٍ، مثل دُور ودار. وهَمزَ السُّؤق ابنُ كَثيرٍ، قال أبو عليٍّ: وغيرُ الهَمزِ أحسنُ منه. وقرأ أبو عِمْرَانَ الجَوْنيُّ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «بالسُّؤوق» مثل الرُّؤوس. وفي المُراد بالمَسحِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه ضَرَبَها بالسيف.

[١٢٢٠] روى أُبيُّ بنُ كَعبٍ عن رسولِ الله ﷺ في قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوق والأعناق» قال: «بالسَّيف». وروى مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ قال: مَسَحَ أعناقَها وسُوقَها بالسَّيفِ. وقال الحسَنُ، وقَتادةُ، وابنُ السَّائبِ: قَطَعَ أعناقَها وسُوقَها، وهذا اختيارُ السُّدِّيِّ، ومُقاتِلٍ، والفَرَّاءِ، وأبي عُبيدَةَ، والزَّجَّاجِ، وابنِ قُتَيبَةَ، وأبي سُليمانَ الدِّمشقي، والجمهورِ.

والثاني: أنه جَعلَ يَمسحُ أعرَافَ الخَيْلِ وعَرَاقِيبَها حُبًّا لها، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: مَسحَها بيدِه، وهذا اختيارُ ابنِ جَرِيرٍ، والقاضي أبو يَعلَى.

والثالث: أنه كَوَى سُوقَها وأعناقَها وحَبسَها في سبيلِ الله تعالى، حكاه الثَّعلَبيُّ.

والمُفسِّرون على القولِ الأولِ، وقد اعترضوا على القولِ الثاني، وقالوا: أيُّ مناسبةٍ بينَ شَغْلِها إيَّاهُ عن الصلاة وبين مَسْحِ أعرافِها حُبًّا لها؟! ولا أعلَمُ قولَه: «حُبًّا لها» يَثبُتُ عن ابنِ عباسٍ. وحَمَلوا قولَ مُجاهِدٍ: «مَسَحها بيده» أي: تولَّى ضَرْبَ أعناقِها. فإنْ قيلَ: فالقولُ الأولُ يَفسُد بأنه لا ذَنْبَ للحيوان، فكيفَ وَجَّهَ العقوبةَ إليه وقَصدَ التَّشفِّي بقَتْلِه، وهذا يُشبه فِعْلَ الجَبَّارين، لا فِعْلَ الأنبياء؟ فالجوابُ: أنه لم يَكُنْ لِيَفعَلَ ذلك إلاَّ وقد أُبيحَ له، وجائزٌ أن يُباحَ له ما يُمنَعُ منه في شَرْعِنا، على أنه إذا ذَبَحها كانت قُرباناً، وأكلُ لَحمِها جائزٌ، فما وَقعَ تَفريطٌ. قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: لمَّا ضَرَبَ سُوقَها وأعناقَها، شَكَرَ اللَّهُ تعالى له ذلك، فسَخَّر له الرِّيحَ مكانَها، وهي أحسَنُ في المَنظرِ، وأسْرَعُ في السَّيْرِ، وأعْجَبُ في الأُحْدُوثَةِ.

[١٢٢٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٩٩٣ من حديث أبي بن كعب، وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن بشير وبخاصة عن قتادة، قال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات، وفيه أيضاً مروان بن محمد تكلم فيه لكن لا يحتمل مثل هذا بل الحمل في هذا الحديث على سعيد، فإنه منكر الحديث عن قتادة، وهذا منها.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: ابتَلَيناهُ وامْتَحَنَّاهُ بِسَلْبِ مُلْكِه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ﴾ أي: على سَريرِهِ ﴿جَسَدًا﴾ وفيه قولان[١]:

أحدهما: أنه شيطانٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهورُ. وفي اسم ذلك الشيطانِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: صخرٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وذكر العلماء أنه كان شيطاناً مَريداً لم يُسَخَّرْ لِسُليمانَ. **والثاني**: آصَفُ، قاله مُجاهِدٌ: إلاّ أنه ليس بالمُؤمِنِ الذي عندَهُ الاسمُ الأعظَمُ، إلاّ أنَّ بعضَ ناقِلِي التفسير حكى أنه آصَفُ الذي عندَهُ عِلْمٌ مِنَ الكتابِ، وأنه لمَّا فُتِنَ سُليمانُ سَقطَ الخاتَمُ مِنْ يدِه فلم يَثْبُتْ، فقال آصَفُ: أنا أقومُ مقامَكَ إلى أنْ يتوبَ اللّهُ عليكَ، فقامَ في مقامِه، وسارَ بالسِّيرةِ الجميلةِ، وهذا لا يَصِحُّ، ولا ذَكَرَهُ مَنْ يوثَق به. **والثالث**: حبقيق، قاله السُّدِّيُّ؛ والمعنى: أَجْلَسْنا على كُرسِيِّهِ في مُلْكِه شيطاناً. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رَجَع: وفيما رَجعَ إليه قولان: **أحدهما**: تابَ مِنْ ذَنْبِه، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: رَجَع إلى مُلْكِه، قاله الضَّحَّاكُ. وفي سببِ ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال[٢]: **أحدها**: أنه كانت له امرأةٌ يُقال لها: جَرادَة، فكان بين بعضِ أهلِها وبين قوم خُصومَةٌ، فقضى بينهم بالحقِّ، إلاّ أنه وَدَّ أنَّ الحقَّ كان لأهلِها، فعُوقِبَ حينَ لم يكن هَواهُ فيهم واحداً، وأوحى اللّهُ تعالى إليه أنه سيُصيبُكَ بلاءٌ، فكان لا يدري أيَأتيه مِنَ السماء، أو مِنَ الأرض، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ زوجتَهُ جَرادَةَ كانت آثَرَ النِّساءِ عندَهُ، فقالت له يوماً: إنَّ أخي بينه وبينَ فُلانٍ خُصومةٌ، وإنِّي أُحِبُّ أنْ تَقْضِيَ له، فقال: نعم، ولم يفعَلْ، فابتُلِيَ لأجلِ ما قال، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنَّ زوجتَهُ **جَرادَة** كان قد سَباها في غَزاةٍ له، وكانت بِنتَ مَلِكٍ فأسلَمَتْ، وكانت تبكي عنده بالليلِ والنهارِ، فسألها عن حالِها، فقالت: أذْكُرُ أبي وما كنتُ فيه، فلو أنَّكَ أَمَرْتَ الشياطين فصَوَّروا صورَتَهُ في داري فأتسلَّى بها، ففعلَ، فكانت إذا خرجَ سُليمانُ، تَسجدُ له هي وولائِدُها أربعينَ صباحاً، فلمَّا عَلِمَ سليمانُ، كَسَرَ تلك الصورةَ، وعاقبَ المرأةَ وولائِدَها ثم تَضرَّعَ إلى الله تعالى مُستغفراً ممَّا كان في دارِهِ، فسُلِّطَ الشيطانُ على خاتَمِه، هذا قولُ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ[٣]. **والرابع**: أنه احتَجَبَ عن الناس ثلاثةَ أيَّام، فأوحى اللّهُ تعالى إليه: يا سُليمانُ، احتَجَبْتَ عن الناسِ ثلاثةَ أيَّام فلم تنظُرْ في أُمورِ عبادي ولم تُنصِفْ مظلوماً مِنْ ظالِمٍ؟! فسَلَّطَ الشيطانَ على خاتَمِهِ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والخامس**: أنه قارَبَ امرأةً مِنْ نسائِه في الحَيْضِ أو غيرِه، قاله الحَسنُ[٤].

والقول الثاني: أنَّ المراد بالجَسدِ الذي أُلقِيَ على كُرسِيِّهِ: أنه وُلِدَ له وَلدٌ فاجتمعت الشياطينُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: إنْ عاشَ له وَلدٌ، لم نَنفكَّ مِنَ البلاءِ، فَسبيلُنا أنْ نَقتُلَ وَلدَهُ أو نَخبِلَه، فعَلِمَ بذلك

---

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط»: نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد، أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها، وهي إما من وضع اليهود، أو الزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ولا الجسد الذي ألقاه، ويستحيل عقلاً تمثل الشيطان بصورة نبي، فلو أمكن ذلك لم يوثق بإرسال نبي، وإنما هذه المقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية اهـ. ولو لم يذكر المصنف مثل هذا لكان أولى.

(٢) هذه الأقوال جميعاً من الإسرائيليات. وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٤٤: في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب.

(٣) عامة روايات وهب إسرائيلية.

(٤) هذا من الإسرائيليات الباطلة، وهذا القول أنكر الأقوال لما فيه من النيل من كرامة الأنبياء عليه السلام.

سليمانُ، فأمَرَ السَّحابَ فحَملَهُ، وغَدَا ابنه في السَّحابِ خوفاً مِنَ الشياطين، فعاتَبَهُ الحقُّ تعالى على تخوُّفِهِ مِنَ الشياطين، وماتَ الوَلَدُ، فأُلقِيَ على كُرسيِّه ميتاً جَسَداً، قاله الشَّعْبيُّ[١]. والمُفسِّرون على القولِ الأولِ. ونحنُ نذكُر قصَّةَ ابتلائِه على قولِ الجمهورِ.

الإشارةُ إلى ذلك

اختلف العلماء في كيفيَّةِ ذهابِ خاتَمِ سُليمانَ على قولين: **أحدهما**: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقعَ منه في البحر، قاله عليٌّ رضيَ الله عنه. **والثاني**: أنَّ شيطاناً أخذَهُ، وفي كيفيَّة ذلك أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه دخل ذاتَ يوم الحَمَّامَ ووضعَ الخاتمَ تحت فِراشِه، فجاء الشيطانُ فأخَذَهُ وألقاهُ في البحر، وجعل الشيطانُ يقول: أناَ نبيُّ الله، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: أنَّ سليمانَ قال للشيطان: كيف تَفْتِنون النَّاسَ؟ قال: أرِني خاتمَكَ أُخْبِرْكَ، فأعطاه إيَّاهُ فنبذَهُ في البحر فذهب مُلكُ سُليمانَ وقَعدَ الشيطان على كُرسيِّهِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه دَخلَ الحَمَّامَ ووضع خاتَمَهُ عند أوثَقِ نسائِه في نَفْسِه، فأتاها الشيطان فتمثَّل لها في صورة سُليمانَ وأخَذَ الخاتَمَ منها، فلمَّا خرج سُليمانُ طلَبَهُ منها فقالت: قد دَفعتُه إليكَ، فهَربَ سليمانُ وجاء الشيطانُ فجَلسَ على مُلكِه. قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنه دَخلَ الحمَّامَ وأعطى الشيطانَ خاتَمَهُ، فألقَاهُ الشيطانُ في البحر فذهب مُلكُ سُليمانَ وأُلقِيَ على الشيطان شِبْهُه قاله قَتادَةُ.

فأمَّا قِصَّةُ الشيطان، فذَكرَ أكثرُ المفسِّرين أنه لمَّا أخذَ الخاتَمَ رمى به في البحر، وأُلقِيَ عليه شبهُ سليمانَ، فجلس على كُرسيِّهِ، وتحكَّم في سُلطانه. وقال السُّدِّيُّ: لم يُلْقِه في البحر حتى فَرَّ مِنْ مكان سُليمانَ. وهل كان يأتي نساءَ سُليمانَ؟ فيه قولان[٢]: **أحدهما**: أنه لم يَقْدِرْ عليهنَّ، قاله الحَسنُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه كان يأتيهنَّ في زمنِ الحَيْضِ، فأنْكَرْنَه، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ؛ والأولُ أصحُّ. قالوا: وكان يقضي بقضايا فاسدةٍ، ويحكمُ بما لا يجوز، فأنكرَهُ بَنو إسرائيلَ، فقال بعضُهم لبعضٍ: إمَّا أنْ تكونوا قد هَلَكتُم أنتم، وإمَّا أنْ يكونَ مَلِكُكم قد هَلَكَ، فاذهَبوا إلى نسائِه فاسألوهُنَّ، فذَهبوا، فقُلْنَ: إنَّا واللَّهِ قد أنْكَرْناهُ؛ فلم يَزلْ على حالِه إلى أنِ انقضَى زمنُ البلاءِ.

وفي كيفيَّة بُعْدِ الشيطان عن مكان سُليمانَ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ سُليمانَ وجد خاتمَهُ فتختَّم به، ثم جاء فأخذَ بناصيةِ الشيطان، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثاني**: أنَّ سُليمانَ لمَّا رَجَع إلى مُلكِه وجاءَتْهُ الرِّيحُ والطَّيرُ والشياطين، فَرَّ الشيطانُ حتى دخل البحرَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه لمَّا مضى أربعون

---

(١) هذه الآثار من سخافات الإسرائيليين.

(٢) هذا وأمثاله من الإسرائيليات الباطلة المزورة، قبح الله واضعه، والعجب أن بعض المفسرين يذكر مثل هذه الأخبار دون أن يبين بطلانها.
قال الآلوسي: ومن أقبح ما في هذه الأخبار متسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطأهن وهنّ حيّض الله أكبر!! هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم اهـ ملخصاً، راجع روح المعاني ٢٣/ ١٩٩.
ـ وقال ابن كثير ٤/ ٤٤: إن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة التفسير أن ذلك الجني لم يسلّط على نساء سليمان، بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه، قال: وقد رويت هذه القصة عن جماعة من السلف، ثم قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب اهـ.

يوماً، طارَ الشيطانُ مِنْ مجلِسِه، قاله وَهْبٌ. **والرابع**: أنَّ بَني إسرائيلَ لمّا أنكروه، أتَوْهُ فأحدَقُوا به، ثم نَشَروا التَّوراةَ فقرؤوا فطارَ مِنْ بين أيديهِم حتى ذهبَ إلى البحر، فوقعَ الخاتمُ منه في البحر فابتَلَعهُ حوتٌ، قاله السُّدِّيُّ. وفي قَدْرِ مُكْثِ الشيطان قولان: **أحدهما**: أربعون يوماً، قاله الأكثرون. **والثاني**: أربعةَ عشرَ يوماً، حكاه الثَّعلَبيُّ.

وأمّا قصةُ سُليمانَ عليه السلام، فإنه لمّا سُلِبَ خاتمَهُ، ذهب مُلْكُهُ، فانطلق هارباً في الأرض، قال مُجاهِدٌ: كان يَسْتَطْعِمُ فلا يُطْعَم، فيقول: لو عَرَفْتُموني أعطَيتُموني، أنا سُليمانُ، فيَطردونَهُ، حتى أعطَتْهُ امرأةٌ حوتاً، فوجدَ خاتمَهُ في بطنِ الحُوتِ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: انطلَقَ سليمانُ حتى أتى ساحلَ البحر، فوجدَ صيَّادِين قد صادوا سمكاً كثيراً وقد أنتَنَ عليهم بعضُه، فأتاهم يَسْتَطعِمُ، فقالوا: اذهبْ إلى تلك الحِيْتان فخُذْ منها، فقال: لا، أَطْعِمُوني مِنْ هذا، فأبَوا عليه، فقال: أَطْعِموني، فإنِّي سُليمانُ، فوَثبَ إليه رجُلٌ منهم فضَربَهُ بالعصا غَضَباً لسُليمانَ، فأتى تلك الحِيتانَ فأخذَ منها شيئاً، فشقَّ بطنَ حوتٍ، فإذا هو بالخاتَم. وقال الحسَنُ: ذُكِرَ لي أنه لم يُؤْوِه أحدٌ مِنَ الناس، ولم يُعْرَفْ أربعينَ ليلةً، وكان يأوِي إلى امرأةٍ مَسكينةٍ، فبَيْنا هو يوماً على شطِّ نهرٍ، وجدَ سمكةً، فأتى بها المرأةَ فشقَّتها فإذا بالخاتَم. وقال الضَّحّاكُ: اشترى سمكةً مِن امرأةٍ فشَقَّ بطنَها فوجدَ خاتمَهُ. وفي المدَّةِ التي سُلِبَ فيها المُلْكَ قولان: **أحدهما**: أربعون ليلةً، كما ذكرنا عن الحسَنِ. **والثاني**: خمسون ليلةً، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ.

قال المُفسِّرون: فلمّا جعل الخاتَمَ في يدِه، رَدَّ اللّهُ عليه بهاءَه ومُلْكَهُ، فأظلّته الطَّيرُ، وأقبلَ لا يستقبله جنيٌّ ولا طائرٌ ولا حجرٌ ولا شجرٌ إلاّ سجدَ له، حتى انتهى إلى منزلِهِ، قال السُّدِّيُّ: ثم أرسلَ إلى الشيطان، فجيءَ به، فأمَرَ به فجُعِلَ في صندوقٍ مِنْ حديدٍ، ثم أطبقَ عليه وأُقفِلَ، وخَتَمَ عليه بخاتَمِهِ، ثم أمَرَ به فأُلقِيَ في البحر، فهو فيه إلى أنْ تقومَ الساعةُ. وقال وَهْبٌ: جابَّ صخرةً فأدخلَهُ فيها، ثم أوثَقَها بالحديدِ والرَّصاصِ، ثم قَذفَهُ في البحرِ.

قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فتَحَ الياءَ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وفيه قولان: **أحدهما**: لا يكونُ لأحدٍ بعدي، قاله مُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ.

[١٢٢١] وقد أخرجَ البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث أبي هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ عِفريتاً مِنَ الجنِّ تَفلَّتَ عليَّ البارحةَ ليَقطَعَ عَلَيَّ صلاتي، فأمكَنَني اللّهُ منه، فأَخَذتُهُ، فأَردتُ أنْ أربطَهُ إلى ساريةٍ مِنْ سَواري المسجدِ حتى تنظُروا إليه كلُّكُم، فذَكَرتُ دَعوةَ أخي سُليمانَ: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ فرَدَدْتُه خاسِئاً».

والثاني: لا ينبغي لأحدٍ أنْ يسلُبَهُ مِنّي في حياتي، كما فَعلَ الشيطانُ الذي جلس على كُرسيِّهِ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. وإنما طلب هذا المُلكَ، ليعلمَ أنه قد غُفِرَ له، ويَعرفَ منزلَتَهُ بإجابةِ دَعوتِه، قاله الضَّحّاكُ. ولم يكن في مُلكِه حين دَعا بهذا الرِّيحُ ولا الشياطينُ.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ وقرأ أبو الجَوزاءِ، وأبو جعفرَ، وأبو المُتوكِّلِ: «الرِّياح» على الجمع.

[١٢٢١] صحيح. أخرجه البخاري ٤٦١ ومسلم ٥٤١ وأحمد ٢/٢٩٨ والنسائي في «التفسير» ٤٦٠ والبغوي في «شرح السنة» ٧٤٧ وابن حبان ٦٤١٩ والبيهقي ٢/٢١٩ كلهم من حديث أبي هريرة.

قوله تعالى: ﴿رُخَآءً﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُطِيعة، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنها الطَّيِّبةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: اللَّيِّنةُ، مأخوذٌ مِنَ الرَّخاوَةِ، قاله اللُّغويُّون. فإنْ قيلَ: كيف وَصَفها بهذا بعدَ أنْ وَصَفها في سُورةِ الأنبياء[1] بأنَّها عاصِفَةٌ؟ فالجواب: أنَّ المُفسِّرين قالوا: كان يأمُرُ العاصِفَ تارَةً ويأمرُ الرُّخاء أُخرى. وقال ابنُ قُتيبة: كأنَّها كانت تشتدُّ إذا أراد، وتلين إذا أراد.

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيثُ قَصدَ وأراد. قال الأصْمَعيُّ: تقول العرب: أصابَ فُلانٌ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ، أي: أراد الصَّوابَ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له الشياطينَ ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يَبنُونَ له ما يشاء ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ يَغُوصون له في البحار فيَستخرجون الدُّرَّ، ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ أي: وسَخَّرْنا له آخَرينَ، وهم مَرَدَةُ الشياطين، سَخَّرَهم له حتى قَرَنَهُم في الأصفادِ لِكُفرِهم، قال مُقاتِلٌ: أوثَقَهم في الحديدِ. وقد شَرحنا معنى ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ في سورةِ نبيِّ اللَّهِ إبراهيم[2] عليه السلامُ. ﴿هَـٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ المعنى: قُلنا له: هذا عطاؤنا. وفي المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه جميعُ ما أُعطِيَ، ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ أي: أَعْطِ مَنْ شئتَ مِنَ المال، وامْنَعْ مَنْ شِئتَ. والمَنُّ: الإحسانُ إلى مَنْ لا يُطلَبُ ثوابُه. **والثاني**: أنه إشارةٌ إلى الشياطين المُسَخَّرين له؛ فالمعنى: فامْنُنْ على مَنْ شِئتَ بإطلاقِه، وأَمْسِكْ مَنْ شِئتَ منهم. وقد رُوي معنى القولَين عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال الحسَنُ: لا تَبِعَةَ عليكَ في الدُّنيا ولا في الآخرة. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ليس عليكَ حِسابٌ يومَ القيامة. وقيلَ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: هذا عطاؤنا بغيرِ حسابٍ فامْنُنْ أو أمسِكْ.

وما بعدَ هذا قد سبقَ تفسيرُه[3] إلى قوله: ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ وذلك أنَّ الشيطانَ سُلِّطَ عليه، فأضافَ ما أصابَهُ إليه. قوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ النُّونِ وسكونِ الصاد؛ وقرأ الحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وابنُ السَّمَيفَع، والجَحْدَريُّ، ويعقوبُ: بفتحِهِما، وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنهما سواءٌ، قال الفَرَّاءُ: هما كالرُّشْد والرَّشَد والعُدْم، والعَدَم، والحُزْن والحَزَن، وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ. وقال المُفسِّرون: والمراد بالنُّصْبِ: الضُّرُّ الذي أصابَهُ. **والثاني**: أنَّ النُّصْبَ بتسكين الصاد: الشَّرُّ. وبتحريكِها: الإعيَاءُ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقرأتْ عائشةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو عِمْرانَ، وأبو جعفرَ، وشَيبَةُ، وأبو عُمارَةَ عن حَفْصٍ: «بنُصُب» بضمِّ النُّون والصاد جميعاً. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميُّ، وأبو الجَوزاءِ، وهُبَيرَةُ بنُ حَفْصٍ: «بنَصْب» بفتحِ النون وسكونِ الصاد. وفي المراد بالعذاب قولان: **أحدهما**: أنه العذابُ الذي أصابَ جَسدَهُ. **والثاني**: أنه أخذُ مالِه ووَلَدِه وأهلِه.

قوله تعالى: ﴿ٱرْكُضْ﴾ أي: اضْربِ الأرضَ ﴿بِرِجْلِكَ﴾، ومنه: رَكَضْتُ الفَرَسَ، فركَضَ فنَبَعت عَيْنُ ماءٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: المُغْتَسَلُ: الماءُ، وهو الغَسُولُ أيضاً. قال الحسَنُ: رَكَضَ برِجْلِه فنَبَعت عَيْنٌ فاغتَسَلَ منها، ثم مشى نحواً مِنْ أربعين ذِراعاً، ثم رَكَضَ برِجْلِه

---

(١) الأنبياء: ٨١. (٢) إبراهيم: ٤٩.
(٣) سبأ: ٣٧، الرعد: ٢٩، الأنبياء: ٨٣.

فنَبَعت عَيْنٌ فشرِبَ منها؛ وعلى هذا جمهورُ العلماء أنه رَكَضَ رَكضَتَيْنِ فنَبَعت له عَينانِ، فاغتَسلَ مِنْ واحدةٍ، وشَرِبَ مِنَ الأُخرى.

قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ كان قد حَلَفَ لَئِنْ شَفاهُ اللَّهُ لَيَجلِدَنَّ زوجتَه مائةَ جَلْدَةٍ.

وفي سببِ هذه اليَمينِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ إبليسَ جَلسَ في طريق زوجةِ أيُّوبَ كأنه طبيبٌ، فقالت له: يا عبدَ اللَّهِ، إنَّ ها هنا إنساناً مُبتَلَىً، فهل لكَ أنْ تُداويَهُ؟ قال: نعم، إنْ شاءَ شفيتُهُ، على أنْ يقولَ إذا بَرَأَ: أنتَ شفيتَني، فجاءَتْ فأخبرَتْهُ، فقال: ذاكَ الشيطانُ، لِلَّهِ عَلَيَّ إنْ شَفَاني أنْ أجْلِدَكِ مائةَ جَلْدَةٍ، رواه يوسفُ بنُ مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ إبليسَ لَقِيَها فقال: إنِّي أنا الذي فَعلتُ بأيُّوبَ ما به، وأنا إلَهُ الأرض، وما أخَذْتُه منه فهو بيدي، فانطَلِقي أُرِيكِ، فمشى بها غيرَ بعيدٍ، ثم سَحَرَ بَصَرَها، فأراها وادياً عميقاً فيه أهلُها ووَلَدُها ومالُها، فأتَتْ أيُّوبَ فأخبرَتْه، فقال: ذاكَ الشيطانُ، وَيْحَكِ كيف وَعَى قولَه سَمْعُكِ، واللَّهِ لَئِنْ شفانِيَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لأجْلِدَنَّكِ مائةً، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنَّ إبليسَ جاء إلى زوجتِه بسَخْلَةٍ، فقال: لِيَذْبحْ لي هذه وقد بَرأَ فأخبرَتْهُ فحَلَفَ لَيَجْلِدَنَّها، وقد ذكرنا هذا القولَ في سُورةِ الأنبياء عن الحسَنِ. فأمَّا الضِّغْثُ، فقال الفَرَّاءُ: هو كُلُّ ما جَمَعتَه مِنْ شيءٍ مِثْلِ الحُزْمَةِ الرَّطْبة، قال: وما قام على ساقٍ واستطالَ ثم جَمَعتَه، فهو ضِغْثٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو الحُزْمَةُ مِنَ الخِلال والعِيْدانِ. قال الزَّجَّاجُ: هو الحُزْمَةُ مِنَ الحَشيشِ والرَّيحان وما أشبَهَهُ. قال المُفسِّرون: جزى اللَّهُ زوجتَه بحُسْنِ صَبرِها أنْ أفتاهُ في ضَرْبِها فسَهَّلَ الأمرَ، فجمعَ لها مائةَ عودٍ، وقيل: مائةَ سُنبلَةٍ، وقيل: كانت أَسَلاً، وقيل: مِنَ الإذْخِرِ، وقيل: كانت شَمارِيخَ، فضَرَبَها بها ضربةً واحدةً ولم يَحْنَثْ في يمينِه. وهل ذلك خاصٌّ له، أَمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنه عامٌّ، وبه قال ابنُ عباسٍ، وعطاءُ بنُ أبي رَباحٍ وابن أبي ليلى. **والثاني**: أنه خاصٌّ لأيُّوبَ، قاله مُجاهِدٌ.

فصل: وقد اختلفَ الفقهاءُ فيمَنْ حَلَفَ أنْ يَضرِبَ عبدَهُ عشرةَ أسواطٍ فجَمَعها كلَّها وضرَبَهُ بها ضربةً واحدةً، فقال مالكٌ، واللَّيْثُ بنُ سعدٍ: لا يَبَرُّ، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حَنيفَةَ والشَّافعيُّ: إذا أصابه في الضَّربةِ الواحدةِ كلُّ واحدٍ منها، فقد بَرَّ واحتَجُّوا بعموم قصَّة أيُّوبَ عليه الصلاةُ والسلامُ.

---

(١) هذه الأقول باطلة، والخبر بطوله من الإسرائيليات. وقال ابن العربي: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى قوله تعالى: **﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾** الأنبياء: ٨٣ والثانية في صَ: **﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾** وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «نبيا أيوب يغتسل إذ خرّ عليه رجل من جراد من ذهب» الحديث ـ أخرجه البخاري ٢٧٩ و ٣٣٩٣ وغيره من حديث أبي هريرة.

وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً. وفي «الصحيح» واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضاً لم يُشَب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدّلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب؛ فقالوا: **﴿هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾** ولا ينهاكم عما جاءكم من العلم عن مسألتهم، فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم، وقد أنكر النبي ﷺ في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ أي: على البلاءِ الذي ابتَلَيناهُ به.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وحُمَيدٌ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ كَثيرٍ: «عبدَنا» إشارة إلى إبراهيمَ، وجعلوا إسحاقَ ويعقوبَ عطفاً عليه، لأنه الأصلُ وهما وَلَدَاه، والمعنى: اذْكُرْ صبْرَهم، فإبراهيمُ أُلقِيَ في النّارِ، وإسحاقُ أُضجِعَ للذَّبحِ، ويعقوبُ صَبَرَ على ذهابِ بَصرِه وابتُلِيَ بفقْدِ وَلَدِه؛ ولم يُذْكَرْ إسماعيلُ معهم، لأنه لم يُبْتَلَ كما ابتُلوا. ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ يعني القوّة في الطّاعةِ ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ البَصائرُ في الدِّينِ والعِلْم. قال ابنُ جَريرٍ: وذِكْرُ الأيدي مَثَلٌ، وذلك لأنَّ باليدِ البَطشُ، وبالبَطشِ تُعرَفُ قُوّة القويِّ، فلذلك قيلَ للقويِّ: ذُو يَدٍ؛ وعَنَى بالبَصرِ: بَصرَ القلبِ، وبه تُنالُ معرفةُ الأشياء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أُولي الأيدِ» بغيرِ ياءٍ في الحالَين. قال الفَرّاءُ: ولها وَجْهانِ: **أحدهما**: أنْ يكونَ القارئُ لهذا أراد الأيدي، فحذف الياءَ، وهو صوابٌ، مثل الجَوارِ والمُنادِ. **والثاني**: أنْ يكونَ مِنَ القُوّة والتأييدِ، مِنْ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[1]. قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ أي: اصطَفيناهم وجعلناهم لنا خالِصينَ، فأفرَدناهم بمُفرَدةٍ مِنْ خِصالِ الخيرِ؛ ثم أبانَ عنها بقوله تعالى: ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾. وفي المُرادِ بالدّارِ ها هنا قولان: **أحدهما**: الآخِرةُ. **والثانية**: الجنّةُ. وفي الذِّكرى قولان: **أحدهما**: أنها مِنَ الذِّكْرِ، فعَلَى هذا يكون المعنى: أَخْلَصْناهم بذِكْرِ الآخرة، فليس لهم ذِكْرٌ غيرها، قاله مُجاهِدٌ، وعطاءٌ، والسُّدِّيُّ. وكان الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ يقول: هو الخوفُ الدائمُ في القلب. **والثاني**: أنها التَّذكيرُ، فالمعنى أنهم يَدْعُون الناسَ إلى الآخرة وإلى عبادةِ اللهِ تعالى، قاله قَتادَةُ. وقرأ نافعٌ: «بخالِصةِ ذِكرى الدّارِ» فأضافَ «خالِصَة» إلى «ذِكرَى الدّار» قال أبو عليٍّ: تحتمل قراءةُ مَنْ نوَّن وَجهَين: **أحدهما**: أنْ تكونَ «ذكرى» بَدلا مِنْ «خالِصة»، والتقدير: أخلَصْناهم بذِكْرِ الدّارِ. **والثاني**: أنْ يكونَ المعنى: أخلَصْناهم بأنْ يذكُروا الدّارَ بالتَّأهُب للآخرة والزُّهدِ في الدنيا. ومَنْ أضافَ، فالمعنى: أخلَصْناهم بإخلاصِهم ذِكْرى الدّارِ بالخوف منها. وقال ابنُ زيدٍ؛ أخلَصْناهم بأفضلَ ما في الجنّةِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ أي: مِنَ الذين اتَّخذَهُمُ اللهُ صَفوَةً فصفَّاهم مِنَ الأدناس ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ الذين اختارَهم. ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ﴾ أي: اذْكُرْهم بفضلِهم وصَبرِهم لِتَسلُكَ طريقَهم، والْيَسَعُ نبيٌّ، واسمُه أعجميٌّ مُعرَّبٌ، وقد ذكرناه في سُورةِ الأنعام[2]، وشرحنا في سُورةِ الأنبياء[3] قصّةَ ذِي الكِفْلِ، وتكلَّمنا في سُورةِ البَقرة[4] في اسمِ إسماعيلَ. وزعم مقاتل أن إسماعيل هذا ليس بابن إبراهيم.

---

(١) البقرة: ٧٨.
(٢) الأنعام: ٨٥.
(٣) الأنبياء: ٨٥.
(٤) البقرة: ١٢٥.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي: شرفٌ وثناءٌ جميلٌ يُذْكَرون به أبداً. ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ أي: حُسْنَ مَرْجِعٍ يَرجِعون إليه في الآخرة. ثم بيَّن ذلك المَرْجِعَ، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ قال الفَرَّاءُ: إنما رُفِعَتْ «الأبوابُ» لأنَّ المعنى: مُفتَّحةً لهم أبوابُها، والعرب تجعلُ الألِفَ واللام خَلَفاً مِنَ الإضافة، فيقولون: مَررتُ على رَجُلٍ حَسَنِ العَيْنِ، قبيحِ الأنفِ، والمعنى: حَسَنةٍ عينُه، قبيحٍ أنفُه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1] والمعنى: مأواه. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: مُفتَّحةً لهم الأبوابُ منها، فالألِفُ واللامُ للتعريفِ، لا للبَدَلِ. قال ابنُ جَرير: والفائدةُ في ذِكْرِ تفتح الأبوابِ، أنَّ الله تعالى أخبَرَ عنها أنَّ أبوابَها تُفتَحُ لهم بغيرِ فتح سُكَّانها لها بيَدٍ، ولكنْ بالأمرِ، قال الحَسَنُ: هي أبوابٌ تُكَلَّم، فتُكلَّم: انفتِحي، انغلِقي.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قد مضى بيانُه في سُورةِ الصَّافَّات[2]. قال الزَّجَّاج: والأَتْرَابُ: اللواتي أسنانُهنَّ واحدةٌ وهنّ في غايةِ الشَّبابِ والحُسْنِ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ أبو عمروٍ، وابنُ كَثيرٍ بالياء، والباقون بالتاء.

قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ اللامُ بمعنى «في». والنَّفَادُ: الانقِطاعُ. قال السُّدِّيُّ: كلَّما أُخِذَ مِن رزقِ الجنَّةِ شيءٌ، عادَ مِثلُه.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾
وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا
مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾
وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ
لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناهُ ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾، ثم بيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ﴾ والمِهادُ: الفِراشُ. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ قال الفَرَّاءُ: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُها: هذا حَميمٌ وغُسَّاقٌ فَلْيَذُوقُوه؛ وإنْ شِئتَ جعلتَ الحميمَ مُستأنَفاً، كأنَّكَ قُلتَ: هذا فلْيَذُوقُوه، ثم قُلتَ: منه حَميمٌ، ومنه غَسَّاقٌ، كقول الشاعر:

حَتَّى إذا ما أضَاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ ... وغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَخْضُودُ[3]

فأمَّا الحَميمُ، فهو الماءُ الحارُّ. وأمَّا الغَسَّاقُ، ففيه لُغتان، قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ: بالتشديد، وكذلك في ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، تابعَهم المُفضَّلُ في ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وقرأ الباقون بالتَّخفيفِ، وفي الغَسَّاقِ أربعةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: أنه الزَّمهَرِيرُ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

---

(١) النازعات: ٣٩. (٢) الصافات: ٤٨.

(٣) البيت من شواهد الفرّاء، وهو في «معاني القرآن»: ١٩٣.
وفي «اللسان»: الغلس: ظلام آخر الليل، واللّوِي: ما ذبل وجف من البقل.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٠/٥٩٩: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من =

وقال مُجاهِدٌ: الغَسَّاقُ لا يستطيعون أنْ يذُوقوه مِنْ بَردِه. **والثاني**: أنه ما يجري مِنْ صَديدِ أهلِ النَّار، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطِيَّةُ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ الغَسَّاقَ: عَيْنٌ في جهنَّم تسيلُ إليها حُمَةُ كل ذاتِ حُمَةٍ مِنْ حيَّةٍ أو عقربٍ أو غيرِها، فيَسْتَنقِعُ، فيُؤتَى بالآدَميّ فيُغْمَسُ فيها غَمْسَةً، فيخرج وقد سَقَطَ جِلْدُه ولَحمُه عن العِظام، ويَجُرُّ لَحمَهُ جَرَّ الرَّجُل ثوبه، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: أنه ما يَسيلُ مِنْ دُموعِهم، قاله السُّدِّيُّ. قال أبو عُبيدَةَ: الغَسَّاقُ: ما سَالَ، يُقال: غَسَقَت العَينُ والجُرحُ. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللُّغوي عن ابنِ قُتَيبَة قال: لم يكُنْ أبو عُبيدَةَ يذهب إلى أنَّ في القرآن شيئاً مِنْ غيرِ لغة العرب، وكان يقول: هو اتِّفاقٌ يقع بين اللُّغتين، وكان غيرُه يزعمُ أنَّ الغَسَّاقَ: البارِدُ المُنْتِنُ بلسانِ التُّركِ. وقيلَ: فعَّال، مِنْ غَسَقَ يَغْسِقُ؛ فعَلَى هذا يكون عربيّاً، وقيلَ في معناه: إنه الشديدُ البَرْدِ، يُحْرِق مِنْ بَرْدِه. وقيل: هو ما يَسيلُ مِنْ جُلودِ أهلِ النَّارِ مِنَ الصَّديدِ.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ﴾ قرأ أبو عمرٍو والمُفضَّلُ: «وأُخَرُ» بضمِّ الهمزة مِنْ غيرِ مَدٍّ، فجَمعا لأجْلِ نَعتِه بالأزواج، وهي جمعٌ. وقرأ الباقون بفتح الألف ومدِّهِ على التوحيدِ، واحتَجُّوا بأنَّ العرب تَنعتُ الاسمَ إذا كان فعلاً بالقليل والكثير؛ قال الفَرَّاءُ: تقول: عذابُ فلانٍ ضُروبٌ شتَّى، وضَرْبانِ مُختلفانِ؛ وإنْ شِئتَ جعلتَ الأزواجَ نَعتاً للحَميم والغَسَّاقِ والآخَرِ، فهُنَّ ثلاثةٌ، والأشبَهُ أنْ تجعلَهُ صفةً لواحدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «وآخرُ» بالمدِّ فالمعنى: وعذابٌ آخرُ ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: مِثْلِ الأوَّلِ. ومَنْ قرأ: «وأُخَرُ» فالمعنى: وأنواعٌ أُخَرُ، لأنَّ قولَه: ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ بمعنى أنواعٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «مِنْ شَكْلِهِ» أي مِنْ نَحْوِهِ، «أزْوَاجٌ» أي أصنافٌ. وقال ابنُ جَريرٍ: «مِنْ شَكْلِهِ» أي: مِنْ نَحْوِ الحَميمِ: قال ابنُ مسعودٍ في قوله: «وآخرُ مِنْ شَكْلِهِ»: هو الزَّمهريرُ. وقال الحسَنُ: لمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى العذابَ الذي يكون في الدنيا قال: «وآخرُ مِنْ شَكْلِهِ» أي وآخَرُ لم يُرَ في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ هذا قولُ الزَّبانِيَة للقَادَةِ المُتقدِّمين في الكُفرِ إذا جاؤوهُم بالأتباعِ. وقيلَ: بل هو قولُ الملائكة لأهلِ النَّارِ كلَّما جاؤوهم بأُمَّةٍ بعدَ أُمَّةٍ. والفَوجُ: الجماعةُ مِنَ الناس وجَمعُهُ: أفواجٌ. والمُقْتَحِمُ: الدَّاخِلُ في الشيءِ رَمياً بنفسِه. قال ابنُ السَّائبِ: إنهم يُضْرَبون بالمَقامِعِ، فيُلْقُونَ أنفُسَهم في النارِ ويَثِبُون فيها خوفاً مِنْ تلك المَقامِعِ. فلمَّا قالت الملائكةُ ذلك لأهلِ النارِ، قَالوا: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْۚ﴾، فاتَّصلَ الكلامُ كأنه قولٌ واحدٌ، وإنما الأولُ مِنْ قولِ الملائكة، والثاني مِنْ قولِ أهلِ النارِ؛ وقد بَيَّنَّا مِثْلَ هذا في قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾[1]. والرَّحبُ والرُّحْبُ: السَّعَةُ. والمعنى: لا اتَّسعَتْ بهم مساكِنُهم. قال أبو عُبيدَةَ: تقول العربُ للرجل: لا مَرحباً بكَ أي: لا رَحُبَتْ عليكَ الأرضُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: معنى قولِهم: «مَرْحباً وأهْلاً» أي: أتيتَ رحباً أي: سَعَةً، وأهْلاً أي: أتيتَ أهلاً لا غُرباءَ فائنَسْ ولا تَستَوحِشْ، وسَهْلاً، أي: أتيتَ سَهْلاً لا حَزْناً، وهو في مذهبِ الدُّعاء، كما تقول: لَقِيتَ خَيراً. قال الزَّجَّاجُ: و «مَرْحباً» منصوبٌ بقوله: رَحُبَتْ بلادُكَ مَرْحَباً، وصادَفْتَ مَرْحَباً، فأُدْخِلَتْ «لا» على ذلك المعنى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أي: دَاخِلُوها كما دَخلْناها ومُقاسُونَ حَرَّها. فأجابَهُم القومُ،

= صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحة.

(١) يوسف: ٥٢.

فـ ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ﴾ إن قلنا: إن هذا قول الأتباع للرؤساء فالمعنى: أنتم زينتم لنا الكفر، وإنْ قُلنا: إنه قولُ الأمَةِ المُتأخرةِ للأمَةِ المُتقدِّمةِ، فالمعنى: أنتم شَرَّعتُم لنا الكُفر وبدأتُم به قَبْلَنا، فدَخلتُم النَّارَ قبلَنا ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي: بِئْسَ المُسْتَقَرُّ والمَنزِلُ. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: مَنْ سَنَّه وشَرَّعَهُ ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ وقد شَرحناه في الأعراف[1]. وفي القائلين لهذا قولان: **أحدهما**: أنه قولُ جميع أهلِ النَّارِ، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: قولُ الأتباع. قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني أهلَ النَّارِ ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ قال المُفسِّرون: إذا دَخلوا النَّارَ، نَظَروا فلم يَرَوْا مَنْ كان يُخالِفُهم مِنَ المؤمنين، فيقولون ذلك. قال مُجاهِدٌ: يقول أبو جَهلٍ في النَّارِ: أينَ صُهَيبٌ، أين عمَّارٌ، أين خَبَّابٌ، أين بِلالٌ؟!

قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرأ أبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «مِنَ الأشرار اتَّخذناهم» بالوَصْلِ على الخبرِ، أي: إنَّا اتَّخذناهُم، وهؤلاءِ يَبتَدِئون بكسرِ الهمزة. وقرأ الباقون بقَطْعِ الألفِ وفَتْحِها على معنى الاستفهام، وهؤلاءِ يَبتَدِئون بفتحِ الهمزة. وقال الفَرَّاءُ: وهذا استفهامٌ بمعنى التعجُّبِ والتَّوبيخِ، والمعنى أنهم يُوبِّخون أنفُسَهم على ما صَنعوا بالمؤمنين. و «سخريًا» يُقرأ بضمِّ السين وكسرِها. وقد شرحناها في آخرِ سُورةِ المؤمنون[2] ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: وهم مَعَنا في النَّارِ ولا نَراهُم؟! وقال أبو عُبيدَةَ: «أمْ» هاهنا بمعنى «بَلْ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: إنَّ الذي وَصَفْناه عنهم لَحقٌّ، ثم بَيَّن ما هو، فقال: هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ وقرأ أبو الجوزاءِ، وأبو الشَّعثاءِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «تَخاصُمَ» برفعِ الصاد وفتحِ الميم، وكسرِ اللام مِنْ «أهلِ». وقرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو العاليةِ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ السَّمَيفع: «تَخاصَمَ أهلُ» بفتحِ الصاد والميم ورفعِ اللام.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ النَّبأ: الخبَرُ. وفي المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه القرآنُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: أنه البعثُ بعد الموت، قاله قَتادةُ. ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي:

---

(١) الأعراف: ٣٨. (٢) المؤمنون: ١١٠.

لا تَتفكّرون فيه فتَعلمونَ صِدْقي في نُبوّتي، وأنَّ ما جِئتُ به مِنَ الأخبار عن قَصَصِ الماضِين لم أعْلَمْه إلاَّ بوحيٍ مِنَ الله تعالى. ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ﴾ يعني الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأنِ آدمَ حينَ قالَ الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١) والمعنى: إنّي ما عَلِمْتُ هذا إلاَّ بوَحْيٍ، ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي: ما يُوحَى إليَّ ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ أي: إلاَّ أنّي نبيٌّ أُنذِرُكم وأُبيِّنُ لكم ما تأتُونَهُ وتَجْتَنِبُونه. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ هذا مُتَّصلٌ بقوله: «يختصمونَ» وإنما اعترضَتْ تلك الآيةُ بينهما. قال ابنُ عباسٍ: اختَصَموا حين شُووِرُوا في خَلْقِ آدمَ، فقال اللهُ تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهذه الخُصومَةُ منهم إنّما كانت مُناظَرةً بينهم. وفي مُناظَرتِهم قولان: **أحدهما**: أنه قولُهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾(٢)، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم قالوا: لن يَخْلُقَ اللهُ خَلْقاً إلاَّ كُنّا أكرمَ منه وأعْلَمَ، قاله الحَسنُ؛ هذا قولُ أكثرِ المُفسِّرين.

[١٢٢٢] وقد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «رأيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ، فقالَ لي: فِيمَ يختَصِمُ المَلأُ

[١٢٢٢] صحيح بمجموع طرقه وشواهده. رجاله ثقات معروفون، لكن عبد الرحمن بن عائش مختلف في صحبته، والراجح أنه تابعي، وقد نفى البخاري صحبته ويدل عليه كونه رواه بواسطة عن معاذ كما سيأتي، فالإسناد ضعيف لإرساله، لكن ورد موصولاً، وله شواهد. أخرجه الدارمي ٢/ ١٢٦ وابن خزيمة في «التوحيد» ٢١٥ ـ ٢١٦ والحاكم ١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١ والآجري في «الشريعة» ١٠٥٥ من طرق عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر به. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد ٤/ ٦٦ من هذا الوجه عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٧٦ ـ ١٧٧ وقال: رجاله ثقات اهـ. وجهالة الصحابي لا تضر. وأخرجه الترمذي ٣٢٣٥ والحاكم ١/ ٢١ من حديث عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: حسن صحيح. وورد من حديث ابن عباس. وأخرجه ابن خزيمة ص ٢١٧ والآجري في «الشريعة» ١٠٥٤ من طريق أيوب عن أبي قلابة عن خالد بن الجلاج عن ابن عباس، ورجاله ثقات. وورد من حديث ثوبان أخرجه البزار ٢١٢٩ وفيه أبو يحيى الراوي عن أبي أسماء الرحبي لا يعرف قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٧٨ وأخرجه البزار من وجه آخر عن ابن عمرو، وفيه سعيد بن سنان واهٍ. وورد من حديث أبي أمامة أخرجه الطبراني كما في «المجمع» ٧/ ١٧٨ وفيه ليث بن أبي سليم غير قوي. وللحديث شواهد أخرى، وإن كانت ضعيفة، إلا أنها تتقوى بمجموعها، والله أعلم. الخلاصة: هو حديث حسن صحيح كما قال البخاري، والله أعلم.

واللفظ عند الترمذي، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمي، عن مالك بن يخامر السككي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ غداةٍ عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوّب بالصلاة، فصلّى رسول الله ﷺ وتجوّز في صلاته فلما سلّم دعا بصوته قال لنا على مصافّكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال: «أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدّر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً، قال فرأيته وضع كفه بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلّى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربي، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفّارات، قال: ما هنّ؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: فيم، قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام قال: سل، قال: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب =

---

(١) البقرة: ٣٠. (٢) البقرة: ٣٠.

الأعلى؟ قلتُ: أنتَ أَعلَمُ يا ربِّ، قال: في الكفَّاراتِ والدَّرجاتِ، فأمَّا الكَفَّاراتُ، فإسبَاغُ الوضُوءِ في السَّبَراتِ، ونَقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ، وانتِظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ. وأمَّا الدَّرجاتُ فإفشَاءُ السَّلامِ، وإطعامُ الطَّعامِ، والصَّلاةُ باللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ».

قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي: أَسْتَكبَرْتَ بنفسِكَ حين أَبيْتَ السُّجودَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي: مِنْ قومٍ يتكبَّرون؟! قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: مَرْجُومٌ بالذَّمِّ واللَّعْنِ. قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ وهو وَقتُ النَّفخَةِ الأُولى، وهو حينَ موتِ الخلائِقِ. وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يمينٌ بمعنى: فوَعِزَّتِكَ. وما أخلَلْنَا به في هذه القصَّةِ فهو مذكورٌ في الأعرافِ[1] والحِجْرِ[2] وغيرِهما مما تقدَّمَ. قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ قرأ عاصِمٌ إلاَّ حَسْنونَ عن هُبَيرَةَ، وحمزةُ، وخَلَفٌ، وزيدٌ عن يعقوبَ: «فالحقُّ» بالرفعِ في الأولِ ونَصبِ الثاني، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ. ومُجاهِدٍ، قال ابنُ عباسٍ في معناه: فأنَا الحقُّ وأقولُ الحَقَّ؛ وقال غيرُه: خبَرُ الحقِّ محذوفٌ، تقديره: الحَقُّ مِنِّي. وقرأ مَحبُوبٌ عن أبي عمرٍو بالرفع فيهما؛ قال الزَّجَّاجُ: مَنْ رَفَعَهما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحَقُّ والحَقُّ أقولُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ: بالنَّصبِ فيهما. قال الفَرَّاءُ: وهو على معنى قولِكَ: حَقّاً لآتِيَنَّكَ، ووجُودُ الألِفِ واللَّامِ وطَرْحهما سواءٌ، وهو بمنزلةِ قولِكَ: حمداً لله، وقال مكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ: انتصبَ الحقُّ الأولُ على الإغراءِ، أي: اتَّبِعُوا الحَقَّ واسمَعوا والزَموا الحَقَّ. وقيلَ: هو نَصبٌ على القَسَمِ، كما تقول: الله لأفعَلَنَّ، فتَنْصِبُ حينَ حذفتَ الجارَّ، لأنَّ تقديره وبالحَقِّ؛ وأمَّا الحَقُّ الثاني، فيَجوز أنْ يكونَ الأولَ، وكرَّرهُ توكيداً، ويجوز أنْ يكونَ منصوباً بـ «أقولُ» كأنه قال: وأقولُ الحقَّ. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وأبو رَجاءٍ، ومعاذٌ القارئُ، والأعمَشُ: «فالحَقِّ» بكسرِ القاف «والحَقَّ» بنَصْبِها. وقرأ أبو عِمْرَانَ الجوني بكسرِ القافَيْنِ. جميعاً. وقرأ أبو المُتوكِلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو نَهِيكٍ: «فالحَقَّ» بالنَّصبِ «والحَقُّ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ أي مِنْ نَفسِكَ وذُرِّيَّتِكَ. ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي على تبليغ الوَحْي ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي لم أتكلَّفْ إتيانَكم مِنْ قِبَلِ نَفسِي إنَّما أُمِرْتُ أنْ آتيَكم، ولم أَقُلِ القرآنَ مِنْ تِلْقاءِ نَفسِي إنَّما أُوحِيَ إليَّ. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما هو، يعني القرآنَ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي مَوعِظَةٌ ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا معاشِرَ الكُفَّارِ ﴿نَبَأَهُۥ﴾ أي خَبرَ صِدْقِ القرآنِ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بعدَ المَوتِ. **والثاني**: يومَ القيامةِ، رُويا عن ابنِ عباسٍ، وبالأولِ يقول قَتادَةُ، وبالثاني يقول عِكرمَةُ[3]. **والثالث**: يومَ بَدرٍ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. وقال ابنُ السَّائبِ: مَنْ بقيَ إلى أنْ ظَهَرَ أمرُ رسولِ الله ﷺ عَلِمَ ذلك، ومَنْ ماتَ عَلِمَهُ بعدَ الموتِ. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخَةٌ بآيةِ السَّيفِ، ولا وَجْهَ لذلك.

= المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله ﷺ: إنها حق فادرسوها ثم تعلموها».

---

(١) الأعراف: ١٢. (٢) الحجر: ٣٤.

(٣) قال ابن كثير ٤/ ٥٣: ولا منافاة بين القولين، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة، قال: وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ قال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

زاد المسير

في علم التفسير

للحافظ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي
ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

تحقيق
عبد الرزاق المهدي

المجلد الرابع

(سورة الزمر - سورة الناس)

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

ISBN: 9953-27-016-3

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

ISBN 9953-27-016-3
9 789953 270166

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون : 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب.: 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb

زاد المسير

في علم التفسير

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
٣٩ ـ تفسير سورة الزمر	٧
٤٠ ـ تفسير سورة غافر	٢٩
٤١ ـ تفسير سورة فصلت	٤٥
٤٢ ـ تفسير سورة الشورى	٥٨
٤٣ ـ تفسير سورة الزخرف	٧٢
٤٤ ـ تفسير سورة الدخان	٨٧
٤٥ ـ تفسير سورة الجاثية	٩٦
٤٦ ـ تفسير سورة الأحقاف	١٠٢
٤٧ ـ تفسير سورة محمّد	١١٥
٤٨ ـ تفسير سورة الفتح	١٢٥
٤٩ ـ تفسير سورة الحجرات	١٤١
٥٠ ـ تفسير سورة قٓ	١٥٦
٥١ ـ تفسير سورة الذاريات	١٦٧
٥٢ ـ تفسير سورة الطور	١٧٥
٥٣ ـ تفسير سورة النجم	١٨٣
٥٤ ـ تفسير سورة القمر	١٩٦
٥٥ ـ تفسير سورة الرحمن	٢٠٥
٥٦ ـ تفسير سورة الواقعة	٢١٨
٥٧ ـ تفسير سورة الحديد	٢٣٢
٥٨ ـ تفسير سورة المجادلة	٢٤١

الموضوع	الصفحة
٥٩ ـ تفسير سورة الحشر	٢٥٣
٦٠ ـ تفسير سورة الممتحنة	٢٦٦
٦١ ـ تفسير سورة الصف	٢٧٦
٦٢ ـ تفسير سورة الجمعة	٢٨٠
٦٣ ـ تفسير سورة المنافقون	٢٨٦
٦٤ ـ تفسير سورة التغابن	٢٩١
٦٥ ـ تفسير سورة الطلاق	٢٩٥
٦٦ ـ تفسير سورة التحريم	٣٠٤
٦٧ ـ تفسير سورة الملك	٣١٣
٦٨ ـ تفسير سورة القلم	٣١٨
٦٩ ـ تفسير سورة الحاقة	٣٢٨
٧٠ ـ تفسير سورة المعارج	٣٣٥
٧١ ـ تفسير سورة نوح	٣٤١
٧٢ ـ تفسير سورة الجن	٣٤٦
٧٣ ـ تفسير سورة المزمل	٣٥٢
٧٤ ـ تفسير سورة المدثر	٣٥٨
٧٥ ـ تفسير سورة القيامة	٣٦٨
٧٦ ـ تفسير سورة الإنسان	٣٧٤
٧٧ ـ تفسير سورة المرسلات	٣٨٢
٧٨ ـ تفسير سورة النبإ	٣٨٧

الموضوع	الصفحة
٧٩ ـ تفسير سورة النازعات	٣٩٣
٨٠ ـ تفسير سورة عبس	٣٩٩
٨١ ـ تفسير سورة التكوير	٤٠٥
٨٢ ـ تفسير سورة الانفطار	٤١٠
٨٣ ـ تفسير سورة المطففين	٤١٣
٨٤ ـ تفسير سورة الانشقاق	٤١٩
٨٥ ـ تفسير سورة البروج	٤٢٣
٨٦ ـ تفسير سورة الطارق	٤٢٨
٨٧ ـ تفسير سورة الأعلى	٤٣١
٨٨ ـ تفسير سورة الغاشية	٤٣٤
٨٩ ـ تفسير سورة الفجر	٤٣٧
٩٠ ـ تفسير سورة البلد	٤٤٦
٩١ ـ تفسير سورة الشمس	٤٥٠
٩٢ ـ تفسير سورة الليل	٤٥٣
٩٣ ـ تفسير سورة الضحى	٤٥٦
٩٤ ـ تفسير سورة الشرح	٤٦٠
٩٥ ـ تفسير سورة التين	٤٦٣
٩٦ ـ تفسير سورة العلق	٤٦٦

الموضوع	الصفحة
٩٧ ـ تفسير سورة القدر	٤٦٩
٩٨ ـ تفسير سورة البينة	٤٧٥
٩٩ ـ تفسير سورة الزلزلة	٤٧٧
١٠٠ ـ تفسير سورة العاديات	٤٨٠
١٠١ ـ تفسير سورة القارعة	٤٨٣
١٠٢ ـ تفسير سورة التكاثر	٤٨٥
١٠٣ ـ تفسير سورة العصر	٤٨٧
١٠٤ ـ تفسير سورة الهمزة	٤٨٨
١٠٥ ـ تفسير سورة الفيل	٤٩٠
١٠٦ ـ تفسير سورة قريش	٤٩٣
١٠٧ ـ تفسير سورة الماعون	٤٩٥
١٠٨ ـ تفسير سورة الكوثر	٤٩٧
١٠٩ ـ تفسير سورة الكافرون	٤٩٩
١١٠ ـ تفسير سورة النصر	٥٠١
١١١ ـ تفسير سورة المسد	٥٠٢
١١٢ ـ تفسير سورة الإخلاص	٥٠٥
١١٣ ـ تفسير سورة الفلق	٥٠٧
١١٤ ـ تفسير سورة الناس	٥١٠

سُورَةُ الزُّمَر

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

وتُسمّى سُورَة الغُرَف

فصلٌ في نُزولها: رَوى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكّيّةٌ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ. ورُوي عن ابنِ عباسٍ أنه قال: فيها آيتان نزلَتا بالمدينة: قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[١] وقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾[٢] وقال مُقاتِلُ: فيها مِنَ المَدنيّ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ﴾[٣]. وفي روايةٍ أخرى عنه قال: فيها آيتان مدنيّتان: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾[٤]. وقال بعضُ السَّلَفِ: فيها ثلاثُ آياتٍ مدنيّاتٍ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[٥].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال الزَّجّاجُ: الكتاب ها هنا القرآن، ورفع «تنزيلُ» مِنْ وجهين: **أحدهما**: الابتداء، ويكون الخبرُ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، فالمعنى: نَزلَ مِنْ عندِ الله. **والثاني**: على إضمارٍ: هذا تنزيلُ الكتاب؛ و ﴿مُخۡلِصٗا﴾ منصوبٌ على الحَال؛ فالمعنى: فاعبُد الله مُوحِّداً لا تُشرِكْ به شيئاً. قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ يعني: الخالِص مِنَ الشِّرك، وما سِواه ليس بدِيْنِ الله الذي أمَرَ به؛ وقيل: المعنى: لا يَستحِقُّ الدِّينَ الخالِصَ إلاّ الله[٦]. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعني آلهةً، ويَدخل

---

(١) الزمر: ٢٣. (٢) الزمر: ٥٣. (٣) الزمر: ١٠.
(٤) الزمر: ١٠. (٥) الزمر: ٥٣ ـ ٥٥.
(٦) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن»: ١٥/ ٢٠٥: قال ابن العربي: هذه الآية دليل على وجوب النية في كل عمل، وأعظمه الوضوء الذي هو شطر الإيمان، خلافاً لأبي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان إن الوضوء يكفي من غير نية، وما كان ليكون من الإيمان شطره ولا ليخرج الخطايا من بين الأظافر والشعر بغير نية.

في هؤلاء اليهودُ حين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ والنّصارى لقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[(١)]، وجميعُ عُبَّادِ الأصنام، ويدلُّ عليه قولهُ بعد ذلك: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾. قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: يقولون: ما نعبُدُهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي: إلاَّ لِيَشفعوا لنا إلى الله. والزُّلفى: القُربى، وهو اسمٌ أُقيمَ مقامَ المصدرِ، فكأنه قال: إلاَّ لِيُقرِّبونا إلى الله تقريباً. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بينَ أهلِ الأديان فيما كانوا يختلفون فيه مِنْ أمرِ الدِّينِ. وذهب قومٌ إلى أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآية السيفِ، ولا وَجْهَ لذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ أي: لا يُرْشِدُ ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ في قوله: إنَّ الآلهةَ تشفعُ ﴿كَفَّارٌ﴾ أي: كافرٌ باتِّخاذِها آلهةً، وهذا إخبارٌ عمَّنْ سبقَ عليه القضاءُ بحرمانِ الهدايةِ.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: على ما يزعم مَنْ يَنسِبُ ذلك إلى الله ﴿لَاصْطَفَىٰ﴾ أي: لاَختارَ ممَّا يخلُق. قال مُقاتِلٌ: أي: مِنَ الملائكة.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: لم يَخلُقْهما لغيرِ شيءٍ. قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ قال أبو عُبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا. قال ابنُ قُتيبةَ: وأصلُ التَّكْويرِ: اللَّفُّ، ومنه كَوْرُ العِمامَة. وقال غيرُه. التَّكويرُ: طَرْحُ الشيءِ بعضه على بعضٍ. قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلهما للسَّير على ما أراد ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الأجلِ الذي وَقَّتَ اللَّهُ للدُّنيا. وقد شرحنا معنى العَزيزِ في البقرة[(٢)] ومعنى الغفَّار في طه[(٣)].

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكم جعلَ منها زَوجَها، لأنَّ حَوَّاء خُلِقَتْ قَبْلَ الذُّرِّيَّة، ومِثْلُه في الكلام أنْ تقولَ: قد أعطيتُكَ اليومَ شيئاً، ثمَّ الذي أعطيتُكَ أمسِ أكثرُ؛ هذا اختيارُ الفرَّاءِ. وقال غيرُه: ثم أخبرَكم أنه خلَق منها زَوجَها ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾ أي: خلَقَ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، وقد بيَّنَّاها في سورةِ الأنعام[(٤)].

قوله تعالى: ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطَفاً ثُمَّ عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عَظْماً ثم لَحْماً ثم أنبتَ الشَّعرَ، إلى غيرِ ذلك مِنْ تقلُّب الأحوال إلى إخراجِ الأطفال، هذا قولُ الجمهور. وقال ابنُ زيدٍ: خَلْقاً في البُطون مِنْ بَعْدِ خَلْقِكُم في ظَهْرِ آدمَ. قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظُلمةُ البَطْنِ، وظُلْمةُ الرَّحِم،

---

(١) التوبة: ٣٠.
(٢) البقرة: ١٢٩.
(٣) طه: ٨٢.
(٤) الأنعام: ١٤٣.

وظُلْمةُ المَشِيمَة[١]، قاله الجمهور، وابنُ زيدٍ معهم. وقال أبو عُبيدةَ: إنها ظُلمةُ صُلْبِ الأبِ، وظُلْمةُ بَطْنِ المرأة، وظُلْمةُ الرَّحِمِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: مِنْ أينَ تُصْرَفون عن طريقِ الحَقِّ بعد هذا البيان؟!

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ أي: عن إيمانِكم وعبادَتِكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَرضاهُ للمؤمنين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا يَرضاهُ لأحدٍ وإنْ وقعَ بإرادَتِه، وفَرَّقَ بين الإرادة والرِّضى، وقد أشرنا إلى هذا في البقرة عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٢]. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى ذلك الشُّكرَ لكم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين: **أحدهما**: في عُتْبَةَ ابنِ رَبيعةَ، قاله عطاءٌ. **والثاني**: في أبي حُذيفَة بنِ المُغيرَةِ، قاله مُقاتِلٌ. والضُّرُّ: البلاءُ والشِّدَّةُ. ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه مِنْ شِرْكِه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أي: أعطاهُ ومَلَّكه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ بعد البَلاء الذي أصابَهُ، كالصِّحَّة بعدَ المرضِ، والغنى بعدَ الفقرِ ﴿نَسِىَ﴾ أي: تَرَكَ ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: نَسِيَ الدُّعاءَ الذي كان يَتضرَّع به إلى الله تعالى. **والثاني**: نَسِيَ الضُّرَّ الذي كان يَدعو الله إلى كَشْفِهِ. **والثالث**: نَسِيَ الله الذي كان يَتضرَّعُ إليه. قال الزَّجَّاجُ: وقد تَدُلُّ «ما» على الله عزَّ وجلَّ، كقوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾. وقال الفَرَّاءُ: تَرَكَ ما كان يَدعو إليه. وقد سبقَ معنى الأَنْدادِ[٣] ومعنى ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤]. قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ لفظُه لفظُ الأمرِ ومعناه التَّهديدُ، ومثله: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) في «اللسان»: المشيمة: هي للمرأة التي فيها الولد، والجمع مشيم، وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الولد المشيمة، والكيس والحوران والقميص.

(٢) البقرة: ٢٠٥، وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع» ١٥/ ٢٠٨: وهذا مذهب أهل السنة أن الله تعالى لا يرضى الكفر وإن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا.

(٣) البقرة: ٢٢. (٤) الحج: ٩. (٥) النحل: ٥٥.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وحمزةُ، وأبو جعفر، والمُفَضَّلُ عن عاصم، وزيدٌ عن يعقوبَ: «أَمَنْ» بالتخفيف؛ وقرأ الباقون: بالتشديد. فأمّا المُشدَّدةُ، فمعناها: أَهَذا الذي ذَكَرْنا خيرٌ، أَمَّنْ هو قانِت؟ والأصلُ في «أمَّن»: أَمْ مَنْ، فأُدغِمتِ الميمُ في الميم. وأمّا المُخفَّفة، ففي تقديرِها ثلاثةُ أوجُهٍ: **أحدها**: أنها بمعنى النداء. قال الفَرّاءُ: فَسَّرها الذين قَرؤوا بها فقالوا: يا مَنْ هو قانِتٌ، وهو وَجهٌ حسنٌ، والعرب تدعو بالألِفِ كما تَدعو بياءٍ، فيقولون: يا زيدُ أقبِلْ، و: أَزَيْدُ أقبِلْ، فيكون المعنى: أنه ذَكَر النّاسي الكافرَ، ثم قصَّ قِصَّةَ الصّالح بالنِّداء، كما تقول: فُلانٌ لا يَصوم ولا يُصلِّي، فيا مَنْ يَصوم أَبْشِرْ. **والثاني**: أنَّ تقديرَها: أَمَنْ هو قانِتٌ كمَنْ ليس بقانِتٍ؟! **والثالث**: أَمَنْ هو قانِتٌ كمَنْ جَعلَ لله أنداداً؟!

وقد ذكرنا معنى القُنوتِ في سُورةِ البقرة[١] ومعنى ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ في آل عِمران[٢].

قوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يعني في الصلاة. وفيمن نزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال[٣]: **أحدها**: أنه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: عثمانُ بنُ عفّانَ، قاله ابنُ عمرَ. **والثالث**: عمّارُ بنُ ياسرٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: ابنُ مسعودٍ، وعمّارٌ، وصُهَيبٌ، وأبو ذَرٍّ، قاله ابنُ السّائبِ. **والخامس**: أنه رسولُ الله ﷺ، حكاه يَحيى بنُ سَلام. قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: عذابَ الآخرة. وقد قرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وعُروةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عِمْرانَ: «يَحذَرُ عذابَ الآخرة» بزيادة «عذابَ». ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها المَغفرةُ، قاله ابنُ السّائبِ. **والثاني**: الجنَّةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما وَعدَ الله مِنَ الثَّوابِ والعِقابِ حَقٌّ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وباقي الآية قد تقدَّمَ في الرَّعد[٤]، وكذلك قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قد تقدَّمَ في النَّحل[٥]. وفي قوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه حَثٌّ لهم على الهِجرة مِنْ مكَّةَ إلى حيثُ يأمَنُون. **والثاني**: أنها أرضُ الجنَّة رَغَّبهم فيها. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ الذين صَبَروا لأجلِ الله تعالى على ما نالَهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: يُعطَون عطاءً كثيراً أوسعَ مِنْ أن يُحْسَبَ وأعظمَ مِنْ أنْ يُحاطَ به، لا على قَدْرِ أعمالِهم.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾

---

(١) البقرة: ١١٦.
(٢) آل عمران: ١١٣.
(٣) الصواب أن الآية عامة.
(٤) الرعد: ١٩.
(٥) النحل: ٣٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾.

[١٢٢٣] قال مُقاتِلٌ: وذلك أنَّ كُفَّارَ قُريشٍ قالوا لرسولِ الله ﷺ: ما حَمَلَكَ على الذي أتيتَنا به؟! ألا تنظُرُ إلى مِلَّةِ آبائِكَ فتأخذ بها؟! فنزلت هذه الآيةُ.

والمعنى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: أُمِرْتُ أنْ أعبُدَه على التوحيدِ والإخلاصِ السالمِ مِنَ الشِّركِ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ هذه الأمَّةِ. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالرُّجوعِ إلى دِينِ آبائي، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وقد اختلفوا في نَسْخِ هذه الآيةِ كما بيَّنَّا في نظيرَتِها في الأنعام[١]. ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ بالتوحيد، ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾، وهذا تهديدٌ، وبعضُهم يقول: هو مَنسوخٌ بآيةِ السيفِ، وهذا باطلٌ، لأنه لو كان أمراً كان مَنسوخاً، فأمّا أنْ يكونَ بمعنى الوعيدِ، فلا وَجْهَ لِنَسْخِهِ. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بأنْ صاروا إلى النَّارِ ﴿وَ﴾ خسروا ﴿أَهْلِيهِمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: أنهم خَسِروا الحُورَ العِينَ اللَّواتي أُعدِدْنَ لهم في الجنَّةِ لو أطاعوا، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: خَسِروا الأهلَ في النَّار، إذ لا أهلَ لهم فيها، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: خَسِروا أهْلِيهم الذين كانوا في الدنيا، إذْ صاروا إلى النَّارِ بكُفرِهم، وصار أهلُوهم إلى الجَنَّة بإيمانِهم، قاله المَاوَرديُّ. قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ وهي الأطباقُ مِنَ النَّار. وإنما قال: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لأنها ظُلَلٌ لِمَنْ تحتَهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وَصفَ اللَّهُ مِنَ العذاب ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

[١٢٢٤] رَوى ابنُ زيدٍ عن أبيه أنَّ هذه الآيةَ والتي بعدَها نزلت في ثلاثةِ نَفَرٍ كانوا في الجاهليَّة يُوحِّدون الله تعالى: زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيلٍ، وأبي ذَرٍّ، وسَلْمَان الفارِسيّ، رضيَ الله عنهم؛ قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ بغيرِ كتابٍ ولا نبيٍّ.

وفي المُراد بالطَّاغوتِ ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الشياطين، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الكَهنَةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: الأوثانُ، قاله مُقاتِلٌ، فعَلَى قول مُقاتِلٍ هذا: إنما قال: «يعبدوها» لأنها مؤنَّثة. وقال الأخفَشُ: إنما قال: «يعبدوها» لأنَّ الطَّاغوتَ في معنى جماعةٍ، وإنْ شِئتَ جعلتَه واحداً مؤنَّثاً.

[١٢٢٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يصنع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

[١٢٢٤] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٠١٠٨ عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، حدثني أبي... وهذا مرسل، وابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو متروك، والمتن منكر جداً، والصحيح عموم الآية. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٢٤ وكذلك ابن كثير ٤/٥٩ بدون سند.
وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٩: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان، وأناب إلى عبادة الرحمن. فهؤلاء لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) الأنعام: ١٥.
(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٨: قوله تعالى: **﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾** أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً، سواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار، أو أن الجميع أسكنوا النار، ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: رَجعوا إليه بالطّاعة ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالجنَّةِ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ بياءٍ، وحرَّكَ الياءَ أبو عمرو. ثم نَعتَهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ وفيه قولان: **أحدها**: أنه القرآن، قاله الجمهور. فعلَى هذا، في معنى ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ أقوال قد شرحناها في الأعراف[1] عند قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾. **والثاني**: أنه جميعُ الكلام. ثم في المعنى قولان. **أحدهما**: أنه الرَّجل يَجْلِسُ مع القوم فيسمع كلامَهُم، فيَعمل بالمحاسنِ ويُحدِّث بها، ويَكُفُّ عن المَساوئِ ولا يُظْهِرُها، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: أنه لمَّا ادَّعى مُسيلمَةُ أنه قد أتى بقرآنٍ، وأَتَت الكَهنَةُ بالكلام المُزخرَفِ في الأباطيلِ، فرَّق المؤمنون بين ذلك وبينَ كلام الله، فاتَّبعوا كلامَ الله، ورَفضُوا أباطيلَ أُولئك، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال ابنُ عباس: سبق في عِلْم الله أنَّه في النّار. فإنْ قيلَ: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟ قيلَ: أمَّا الفرَّاءُ، فإنه يقول: هذا ممَّا يُراد به استفهامٌ واحدٌ، فسبَقَ الاستفهامُ إلى غير موضعهِ فرُدَّ إلى موضعِه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنتَ تُنقِذُ مَنْ في النَّارِ مَنْ حَقَّتْ عليه كلمةُ العذاب؟ ومثله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[2] فردَّ «أنَّكم» مرّتين، والمعنى: أيَعِدُكُم أنكم مُخرَجون إذا مِتُّم؟ ومثلُه: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾[3] فردَّ «تَحْسَبَنَّ» مرتين، والمعنى: لا تَحْسَبَنَّ الذين يَفْرَحُونَ بمفازةٍ مِنَ العذاب. وقال الزَّجاج: يجوز أنْ يكونَ في الكلام محذوفٌ، تقديره: أَفَمَنْ حَقَّ عليه كلمةُ العذاب فيتخلَّص منه أو يَنجو، أفأنتَ تُنقِذُهُ؟ قال المُفسِّرون: أفأنتَ تُخلِّصُه مِمَّا قُدِّر له فتجعله مؤمناً؟ والمعنى: ما تقدِرُ على ذلك. قال عطاءٌ: يريد بهذه الآية أبا لَهَبٍ ووَلَدَهُ ومَنْ تخلَّفَ مِنْ عشيرة النبيِّ ﷺ عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل، وأبو جعفرَ «لكِنَّ» بتشديد النون وفَتْحِها. قال الزَّجّاج: والغُرَفُ: هي المنازلُ الرَّفيعةُ في الجنَّةِ، ﴿مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ أي: منازلُ أرفعُ منها. ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ منصوبٌ على المصدر؛ فالمعنى: وعَدَهم الله غُرَفاً وَعْداً. ومَنْ قرأ: «وَعْدُ الله» بالرَّفع؛ فالمعنى: ذلك وَعْدُ اللهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال الشَّعبيُّ: كُلُّ ما في الأرض فمِنَ السَّماء ينزلُ ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: أدخلَه فجعَلَهُ ينابيعَ، أي: عُيوناً تَنبُعُ، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: ييبس. قال الأصمَعيُّ: يُقال للنَّبتِ إذا تَمَّ جفافُه: قد هاجَ يَهيجُ هَيْجاً. فأمَّا الحُطامُ، فقال أبو عُبيد: هو ما يَبِسَ

(١) الأعراف: ١٤٥. (٢) المؤمنون: ٣٥. (٣) آل عمران: ١٨٨.

فتحاتٌ مِنَ النَّبات، ومثلُه الرُّفاتُ. قال مُقاتِلُ: هذا مَثَلٌ ضُرِبَ للدنيا، بَيْنَا ترى النَّبتَ أخضرَ، إذْ تغيَّر فَيبِسَ ثُمَّ هَلَكَ، وكذلكَ الدُّنيا وزينَتُها. وقال غيرُه: هذا البيانُ للدَّلالة على قُدرةِ الله عزَّ وجلَّ.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ قال الزَّجَّاجُ: جوابُه متروكٌ، لأنَّ الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمَنْ شَرَحَ الله صَدرَهُ فاهتَدَى كمَنْ طَبَعَ على قلبه فلَمْ يَهْتَدِ؟ ويدلُّ على هذا قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾.

[١٢٢٥] وقد رَوى ابنُ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ تَلاَ هذه الآيَة، فقُلنا: يا رسولَ الله، وما هذا الشَّرْحُ؟ فذكَر حديثاً قد ذكرناه في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ. **أحدها**: اليقينُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كتابُ الله يأخذُ به وينتهي إليه، قاله قَتادةُ. **والثالث**: البيانُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: الهُدى، قاله مُقاتِلٌ.

وفيمَنْ نزلت هذه الآيَةُ؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّها نزلت في أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: في عليٍّ وحمزَةَ وأبي لَهَبٍ وولَدِه، قاله عطاءٌ. **والثالث**: في رسولِ الله ﷺ وفي أبي جَهْلٍ، قاله مُقاتِلٌ.

[١٢٢٥] متن منكر بأسانيد واهية، وهو شبه موضوع. إسناده ضعيف جداً، محمد بن يزيد بن سنان وأبوه ضعيفان، وفي الإسناد مجاهيل. وبهذا الإسناد أخرجه البغوي في «التفسير» ١٨١٧.
وأخرجه الحاكم ٤/ ٣١١ من طريق محمد بن بشر بن مطر، والبيهقي في «الشعب» ١٠٥٥٢ من طريق ابن أبي الدنيا كلاهما عن محمد بن جعفر الوركاني عن عدي بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود به. وإسناده ضعيف، لضعف عدي بن الفضل، وقد سكت عليه الحاكم، وأعله الذهبي بوهن ابن الفضل. هذا وله علة ثانية، المسعودي صدوق إلا أنه اختلط. وأخرجه الطبري ١٣٨٥٩ من وجه آخر عن أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود مرفوعاً، وإسناده ضعيف، ففي الإسناد مجاهيل، وعلة ثانية: وهي الإرسال بين أبي عبيدة، وابن مسعود. وأخرجه الطبري أيضاً ١٣٨٦١ من وجه آخر عن عبد الرحمن بن عتبة عن ابن مسعود به مرفوعاً وهذا إسناد ضعيف، عبد الرحمن عن ابن مسعود معضل. وقد ورد من مرسل أبي جعفر، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٨٥٢ ومن طريقه الطبري ١٣٨٥٦ و ١٣٨٥٧ و ١٣٨٥٨. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٣١٥ من وجه آخر عن أبي جعفر به، هذا مرسل، ومع إرساله، أبو جعفر هذا متهم بالوضع. قال أحمد: أحاديثه موضوعة. راجع «الميزان» ٤٦٠٨. وأخرجه الطبري ١٣٨٦٠ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٣٢٦ من وجه آخر عن عبد الله بن المسور. وعبد الله هذا هو أبو جعفر المدائني المتقدم ذكره، وهو متروك متهم، فالحديث ضعيف، ولا يصح عن النبي ﷺ، وحسبه أن يكون من كلام من دون ابن مسعود، والله أعلم. وأخرجه البيهقي ٣٢٥ من وجه آخر عن أبي جعفر فجعله من قوله، ولم يرفعه وقال: وقد روي في هذا خبر مرفوع. وانظر الحديث المتقدم في سورة الأنعام عند آية: ١٢٥. الخلاصة: المتن منكر كونه مرفوعاً، وحسبه أن يكون موقوفاً، أو من كلام أبي جعفر المدني فإنه لا يشبه كلام النبوة، بل الأشبه أنه من كلام الصوفية والوعاظ، والله أعلم.

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) لا حجة في شيء من ذلك، والآية عامة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا معنى القَساوَةِ في البقرة[1]. فإن قيل: كيف يقسُو القلبُ مِنْ ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ؟ فالجواب: أنه كُلَّما تُلِيَ عليهم ذِكْرُ الله الذي يُكذِّبونَ به، قَسَتْ قلوبُهم عن الإيمان به. وذهب مُقاتِلٌ في آخرين إلى أنَّ «مِنْ» ها هنا بمعنى «عَنْ»؛ قال الفَرَّاءُ: كما تقول: أُتخِمْتُ عن طعام أكلْتُه، ومِنْ طعامٍ أكَلْتُه؛ وإنما قَسَتْ قلوبُهم مِنْ ذِكرِ الله، لأنهم جعلوه كَذِباً فأقسَى قلوبَهم؛ ومَنْ قال: قَسَت قلوبُهم عنه، أراد: أعرَضَتْ عنه. وقد قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو عِمْرانَ: «قلوبُهم عن ذِكر الله» مكان قوله: «مِنْ».

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن؛ وقد ذكرنا سببَ نُزولِها في أولِ يُوسف[2].

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ بَعْضه يُشْبِه بَعْضاً في الآيِ والحروفِ، فالآيَةُ تُشْبِهُ الآيَةَ، والكَلِمةُ تُشْبِه الكَلِمةَ، والحَرْفُ يُشْبه الحَرْفَ. **والثاني**: أنَّ بَعْضَه يُصدِّق بَعْضاً، فليس فيه اختلافٌ ولا تناقضٌ.

وإنَّما قيلَ له: ﴿مَّثَانِيَ﴾ لأنه كُرِّرت فيه القَصَصُ والفرائضُ والحدودُ والثَّوابُ والعقابُ.

فإنْ قيلَ: ما الحِكمةُ في تكرارِ القَصَصِ، والواحدةُ قد كانت تكفي؟

فالجواب: أنَّ وفودَ العرب كانت تَرِدُ على رسول الله ﷺ، فيُقرِئُهم المسلمون شيئاً مِنَ القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يَبْعَثُ إلى القبائلِ المُتفرِّقة بالسُّورِ المختلفة، فلو لم تكُنِ الأنباءُ والقَصَصُ مُثَنَّاةً مُكرَّرة، لَوقعَتْ قصَّةُ موسى إلى قوم، وقصةُ عيسى إلى قوم، وقصةُ نُوح إلى قوم، فأرادَ الله تعالى أنْ يُشْهِرَ هذه القَصَصَ في أطرافِ الأرضِ ويُلْقِيَها إلى كلِّ سَمْع. فأمَّا فائدَةُ تكرارِ الكلام مِنْ جنسٍ واحدٍ، كقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3]، وقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾[5] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[6] فسنذكرها في سورةِ الرَّحمن عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: تأخذُهم قشَعْريرةٌ، وهو تغيُّرٌ يحدُث في جِلْدِ الإنسان مِنَ الوَجَلِ.

[١٢٢٦] وروى العبَّاسُ بنُ عبد المُطَّلبِ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا اقشَعرَّ جِلْدُ العَبْدِ مِنَ

[١٢٢٦] ضعيف. أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٥٧٨ والبيهقي في «الشعب» ٨٠٣ والبغوي في «تفسيره»١٨١٨ من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني من حديث العباس وإسناده ضعيف جداً، يحيى الحماني متروك، متهم بسرقة الحديث، وعبد العزيز هو الدراوردي روى مناكير، وأم كلثوم مجهولة لا تُعرف، وقد توبع الحماني، وعلة الحديث جهالة أم كلثوم. وأخرجه البزار ٤/ ٧٤ «كشف» والبيهقي ٨٠٣ من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي بهذا الإسناد. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣١٠: وفيه أم كلثوم بنت العباس، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات. قلت: الدراوردي، وإن وثقه غير واحد، فقد روى مناكير، راجع «الميزان». =

---

(١) البقرة: ٧٤.
(٢) يوسف: ٣.
(٣) الرحمن: ١٣.
(٤) الكافرون: ٢.
(٥) القيامة: ٣٤.
(٦) الانفطار: ١٧.

خَشيةِ الله، تَحاتَّتْ ذُنُوبُه كما يَتحَاتُّ عن الشجرةِ اليابسَةِ وَرَقُها».

وفي معنى الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: تَقْشَعِرُ مِنْ وَعيدِه، وتَلِينُ عندَ وَعْدِه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: تَقْشَعِرُ مِنَ الخَوْف، وتَلِينُ مِنَ الرَّجاءِ. **والثالث**: تَقْشَعِرُ الجُلود لإعظامه، وتَلِينُ عند تلاوَتِه، ذكرهما الماوَرديُّ. وقال بعضُ أهلِ المعاني: مفعولُ الذِّكرِ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ محذوفٌ، لأنه معلومٌ؛ والمعنى: تَطْمَئِنُّ قلوبُهم إلى ذِكرِ الله الجنَّة والثَّوابَ. قال قَتادَةُ: هذا نَعْتُ أولياءِ الله، تَقشَعِرُ جُلودُهم وتَلِينُ قُلوبُهم، ولم يَنْعَتْهم بذَهاب عُقولِهم والغِشْيانِ عليهم، إنَّما هذا في أهلِ البِدَعِ، وهذا مِنَ الشَّيطان.

[١٢٢٧] وقد رَوى أبو حازِم، قال: مَرَّ ابنُ عمرَ برجُلٍ ساقطٍ مِنْ أهلِ العراقِ، فقال: ما شأنُه؟ فقالوا: إنه إذا قُرِئَ عليه القرآنُ يُصيبُه هذا، قال: إنَّا لَنخشَى اللهَ عَزَّ وجلَّ، وما نَسْقُطُ.

[١٢٢٨] وقال عامرُ بنُ عبدِ الله بنِ الزُّبيرِ: جِئتُ أبي، فقال لي: أينَ كُنتَ؟ فقلتُ: وجدتُ قوماً، ما رأيتُ خيراً منهم قطُّ، يذكُرون اللهَ عزَّ وجلَّ فيُرعَدُ واحدُهم حتى يُغْشَى عليه مِنْ خَشْية الله عزَّ وجلَّ، فقَعَدتُ معهم، فقال: لا تَقعُدْ معهم بعدَها أبداً، قال: فرآني كأنِّي لم يأخُذْ ذلك فيَّ، فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَتْلُو القرآنَ، ورأيتُ أبا بكرٍ وعمرَ يَتْلُوانِ القرآنَ فلا يُصيبُهم هذا مِنْ خَشْيةِ الله

= وأخرجه أبو يعلى ٦٧٠٣ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٨٠٤ عن موسى بن محمد عن محمد بن عمر بن عبد الله الرومي قال: حدثني جابر بن يزيد بن رفاعه عن هارون بن أبي الجوزاء. هارون وبقية رجاله وثقوا، على ضعف في محمد بن عمر، وثقه ابن حبان. وأورده الحافظ في «المطالب العالية» ٣/ ٢١٨ و ٢١٩ ونسبه إلى أبي يعلى، ونقل الشيخ حبيب الرحمن عن البوصيري قوله: رواه أبو يعلى والبيهقي بسند ضعيف اهـ. وكذا ضعفه العراقي في «تخريج الإحياء» ٤/ ١٦٣، وانظر «الضعيفة» ٢٣٤٢.

[١٢٢٧] موقوف. أخرجه البغوي في «تفسيره» ١٨٢١، بإسناد ضعيف، فيه سعيد الجمحي لم يدرك ابن عمر.

[١٢٢٨] انظر ما بعده.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦١: وقوله: ﴿**تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾، أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبّار المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمونه من الوعيد والوعد، والتخويف والتهديد، تقشعر جلودهم من الخشية والخوف. ﴿**ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ لما يرجون ويؤمّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الفجّار من وجوه: أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات. الثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم**﴾ وقال تعالى: ﴿**والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صماً وعمياناً**﴾ أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها، بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمبانيها، فلهذا إنما يعملون بها، ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم. الثالث: يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس يهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالقدح المُعَلى في الدنيا والآخرة.

تعالى، أفترى أنهم أخشى لله مِنْ أبي بكرٍ وعمرَ؟ قال: فرأيتُ ذلك كذلك. وقال عِكرمَةُ: سُئِلَت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ: هل كان أحدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغشَى عليه مِنَ الخَوفِ؟ قالت: لا، ولكنَّهم كانوا يبكون.

[١٢٢٩] وقال عبدُ الله بنُ عُروَةَ بنِ الزُّبيرِ: قلتُ لجَدَّتي أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، كيف كان أصحابُ رسول الله ﷺ يفعلون إذا قُرِئَ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتَهم اللَّهُ تعالى، تَدمَعُ أعيُنُهم وتَقشَعِرُّ جلودُهم. فقلتُ لها: إنَّا ناساً اليومَ إذا قُرِئَ عليهم القرآنُ، خَرَّ أحدُهم مَغشِيّاً عليه، فقالتْ: أعوذُ بالله مِنَ الشيطان الرَّجيم.

وكان جَوَّابٌ يُرْعَدُ عند الذِّكرِ، فقال له إبراهيمُ النَّخعيُّ: إنْ كُنتَ تَملُكه، فما أُبالي أنْ لا أعتَدَّ بكَ، وإنْ كنتَ لا تملكُه، فقد خالفتَ مَنْ كان قبلَكَ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ في المُشارِ إليه قولان: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه ما يَنزِلُ بالمؤمنين عند تلاوة القرآن مِن اقشِعْرارِ الجُلودِ عند الوعيد، ولِينِها عند الوَعدِ، قاله ابنُ الأنبَاري.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: شِدَّته. قال الزَّجَّاج: جوابُه محذوفٌ، تقديره: كَمَنْ يدخُل الجنَّةَ؟ وجاء في التفسيرِ أنَّ الكافرَ يُلقى في النَّارِ مغلولاً، ولا يتهيَّأُ له أنْ يتَّقيَها إلاَّ بوَجْهِه. ثم أخبرَ عمَّا يقول الخزَنَةُ للكفَّارِ بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءَ كَسْبِكم.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مِنْ قَبلِ كفَّارِ مكَّةَ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم آمِنُون غافِلُون عن العذابِ، ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ يعني الهوانَ والعذابَ، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أصابَهُم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، ولكنهم لا يعلمون ذلك. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: وَصفْنا لهم ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: مِنْ كلِّ شبهٍ يُشبه أحوالَهُم.

قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ قال الزَّجَّاج: «عربيّاً» منصوبٌ على الحالِ، المعنى: ضَربنا للناس في هذا القرآنِ في حالِ عربيَّته وبيانِه، فذَكر «قرآناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، وجاءني عمروٌ إنساناً عاقلاً، فذَكَر رجلاً وإنساناً توكيداً. قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ روى ابنُ أبي طَلحَة عن ابنِ عباسٍ قال: غيرُ مَخلوقٍ. وقال غيره: مستقيمٌ غيرُ مُختَلِفٍ.

[١٢٢٩] موقوف. أخرجه البغوي في «التفسير» ١٨٢٠ بسند فيه خلف بن سالم فمن فوقه رجال الصحيح، ومن دونه بعضهم معروف، وبعضهم لم أجد له ترجمة، لكن توبعوا عند سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ٥/ ٦١٠ فالخبر صحيح.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ثم بيَّنهُ فقال: ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: مُختلِفون، يَتنازعون ويَتشاحُون فيه، يُقال: رجلٌ شَكِسٌ. وقال اليَزيديُّ: الشَّكِسُ مِنَ الرِّجال: الضَّيِّقُ الخُلُق. قال المُفسِّرون: وهذا مَثَلٌ ضربَهُ اللَّهُ للمؤمِنِ والكافر، فإنَّ الكافرَ يعبُدُ آلهةً شتَّى، فمَثَّله بعَبْدٍ يَملكُهُ جماعةٌ يتنافسون في خِدْمَتِه، ولا يَقدِرُ أنْ يبلُغَ رضاهم أجمعين؛ والمؤمنُ يعبُد اللَّهَ وحدَهُ، فمَثَّله بعبدٍ لرجلٍ واحدٍ، قد عَلِمَ مقاصِدَه وعَرَفَ الطريقَ إلى رِضاهُ، فهو في راحةٍ مِنْ تَشاكُسِ الخُلَطاءِ فيه، فذلك قولهُ تعالى: ﴿سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ إلاَّ عبدَ الوارثِ في غير روايةِ القَزَّازِ، وأبانُ عن عاصِم: «ورجلاً سالِماً» بألِفٍ وكسرِ اللام وبالنَّصبِ والتنوين فيهما؛ والمعنى: ورجُلاً خالِصاً لرجُلٍ قد سَلِمَ لَه مِنْ غيرِ مُنازِع. ورواه عبدُ الوارثِ إلاَّ القَزَّازَ كذلك، إلاَّ أنه رَفَعَ الاسمَيْن، فقال: «ورجُلٌ سالِمٌ لرجُلٍ»، وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ: «سِلْمٌ لِرَجُلٍ» بكسرِ السين ورفعِ الميم. وقرأ الباقون: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ بفتحِ السين واللام وبالنصب فيهما والتنوين. والسَّلَمُ، بفتح السين واللام، معناه الصُّلْحَ، والسِّلْم، بكسرِ السين مثلُه. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «سِلْماً» و «سَلَماً» فهُما مصدران وصفَ بهما، فالمعنى، ورجُلاً ذا سِلْم لرجُلٍ وذا سَلَم لرجُلٍ؛ فالمعنى: ذا سِلْمٍ؛ والسَّلْمُ: الصُّلحُ، والسِّلْمُ، بكسرِ السين مِثْلُه. وقال ابنُ قُتيبةَ: من قرأ «سَلَماً لِرَجُلٍ» أراد: سَلَّمَ إليه فهو سِلْمٌ له. وقال أبو عُبيدَةَ: السِّلْمُ والسَّلْمُ الصُّلحُ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكارُ، أي: لا يستويان، لأنَّ الخالِصَ لمالكٍ واحدٍ يَستحقُّ مِنْ مَعونَتِه وإحسانِه ما لا يستحقُّه صاحبُ الشُّركاء المُتشاكِسِين. وقيلَ: لا يستويان في بابِ الرَّاحة، لأنَّ هذا قد عرف الطريقَ إلى رِضى مالِكِه، وذاكَ مُتحيِّرٌ بين الشُّركاء. قال ثَعْلَبُ: وإنما قال: «هَلْ يَسْتويانِ مَثَلاً» ولم يَقُلْ: مَثَلَيْنِ، لأنهما جميعاً ضُرِبا مَثَلاً واحداً، ومِثْلُه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[١]، ولم يَقُلْ: آيتين، لأنَّ شأنَهما واحدٌ. وتَمَّ الكلامُ ها هنا، ثم قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: له الحَمدُ دونَ غيرِه مِنَ المَعبودِينَ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بالأكثرِ الكُلُّ. ثم أخبرَ نبيَّهُ بما بعدَ هذا الكلام أنه يموتُ، وأنَّ الذين يُكذِّبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخُصومَةِ عند الله عزَّ وجلَّ، المُحِقُّ والمُبطِلُ، والمظلومُ والظالم[٢].

---

(١) المؤمنون: ٥٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٣: وقوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾، هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته، مع قوله ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم. فينجي المؤمنين المخلصين المُوحِّدين، ويعذِّب الكافرين الجاحدين المشركين المكذِّبين، ثم إن هذه الآية، وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة.

[١٢٣٠] وقال ابنُ عمرَ: نزلتْ هذه الآيةُ وما ندري ما تفسيرُها، وما نرى أنها نزلتْ إلاَّ فينا وفي أهلِ الكِتَابَيْنِ، حتى قُتِلَ عثمانُ، فعَرفتُ أنها فينا نزلتْ. وفي لفظٍ آخرَ: حتى وقعت الفِتْنَةُ بين عليٍّ ومُعاويةَ.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأنْ دَعا له وَلَداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ وهو التوحيدُ والقرآنُ ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: مَقامٌ للجاحِدِين؟! وهذا استفهامٌ بمعنى التقريرِ؛ يعني: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه رسولُ الله ﷺ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. ثم في الصِّدْقِ الذي جاء به قولان: **أحدهما**: أنه «لا إلهَ إلاّ اللّهُ»، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيد ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: القرآن، قاله قَتادةُ. وفي الذي صَدَّقَ به ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه رسولُ الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصِّدْقِ، وهو صَدَّقَ به، قاله ابنُ عباسٍ، والشَّعْبيُ. **والثاني**: أنه أبو بكرٍ، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ. **والثالث**: أنهم المؤمنون، قاله قَتادةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ.

والقول الثاني: أن الذي جاء بالصِّدْقِ: أهلُ القرآن، وهو الصِّدْقُ الذي يُجيبون به يومَ القيامة، وقد أدَّوا حَقَّهُ، فَهُم الذين صدَّقوا به، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنَّ الذي جاء بالصِّدْقِ الأنبياءُ، قاله الرَّبيعُ، فعَلَى هذا، يكون الذي صَدَّقَ به: المؤمنون. **والرابع**: أنَّ الذي جاء بالصِّدْقِ: جبريلُ، وصَدَّقَ به: محمَّدٌ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين اتَّقوا الشِّركَ؛ وإنما قيلَ: «هُم»، لأنَّ معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويون، وأنشد أبو عُبيدَةَ، والزَّجّاجُ:

[١٢٣٠] حسن، أخرجه النسائي في «التفسير» ٤٦٧ والطبري ٣٠١٣٩ كلاهما عن ابن عمر، وإسناده حسن، رجاله ثقات معروفون، ويشهد له خبر عن أبي سعيد الخدري مثله. عزاه الشوكاني في «فتح القدير» ٤/ ٥٣٢ لسعيد بن منصور، وعزاه ابن حجر في «تخريجه» ٤/ ٢٧ للثعلبي.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١١/ ٥: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله **﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾** كل من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال الصدق: هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدّق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائناً من كان من نبي الله وأتباعه. ووافقه ابن كثير. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٦٥: وهذا القول الذي قاله مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

فإنَّ الذي حانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُم ... هُمُ القَوْمُ، كُلُّ القَوْمِ، يا أُمَّ خالِدِ(١)

قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا لِيكفِّرَ عنهم ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، أي: لِيَسْتُرَ ذلك بالمغفرة ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ بمحَاسِنِ أعمالِهم، لا بمَسَاوئِها.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

[١٢٣١] ذكرَ المُفسِّرون أنَّ مُشركي مكَّةَ قالوا: يا محمَّدُ، ما تزالُ تذكرُ آلهَتنا وتَعيبُها، فاتَّقِ أنْ تُصيبَكَ بسُوءٍ، فنزلت هذه الآيةُ. والمراد بعَبْدِه ها هنا: محمَّدٌ ﷺ.

وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ: «عِبادَه» على الجمع، وهم الأنبياء، لأنَّ الأُمَمَ قَصدتْهم بالسُّوءِ؛ فالمعنى أنه كما كَفَى الأنبياءَ قَبْلَكَ يكفيكَ، وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْنيُّ: «بِكافي» مُثبتَةَ الياء «عَبْدِهِ» بكسرِ الدال والهاء مِنْ غيرِ ألِفٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو العَاليَةِ، وأبو الجَوزاءِ، والشَّعبيُّ مِثلَه، إلاَّ أنهم أثبتُوا الألِفَ في «عبادة» وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو جعفَر، وشَيبَةُ، والأعمَشُ: «بِكافٍ» بالتنوين، «عباده» على الجمع. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَجاءِ العُطارديُّ: «يُكافِيْ» بياءٍ مرفوعةٍ قبلَ الكاف وياءٍ ساكنةٍ بعد الفاء «عِبادَهُ» على الجمع.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: بالذين يعبدون من دونه، وهم الأصنام. ثم أعلم بما بعد هذا أن الإضلال والهِداية إليه تعالى، وأنه مُنتقِمٌ ممَّنْ عَصَاهُ. ثم أخبرَ أنهم مع عبادَتِهم، يُقِرُّونَ أنه الخالقُ. ثم أمرَ أنْ يُحتجَّ عليهم بأنَّ ما يعبدون لا يَملِكُ كَشفَ ضُرٍّ ولا جَلْبَ خَيْرٍ. وقرأ أبو عمروٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «كاشِفاتٌ ضُرَّه» و «ممسكاتٌ رحمته» منوَّناً. والباقون: «كاشفاتُ ضُرِّه» و «مُمسكاتُ رحمتِهِ» على الإضافة.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ ذَكر بعضُ المُفسِّرين أنها والآية التي تَلِيها نُسِخَتْ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخَلْقِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليس فيه

[١٢٣١] ضعيف. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢٦٣٤ عن قتادة قال: قال لي رجل... فذكره، وهو ضعيف لجهالة الرجل.

---

(١) البيت للأشهب بن رميلة، وهو في «الكتاب» ١/ ٩٦، وقد تقدم في الجزء الأول.

باطلٌ. وتمامُ الآية مفسَّرٌ في آخرِ يونس[١]، وذكروا أنه مَنسُوخٌ بآية السيف.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يَقبِضُ الأرواحَ حين موتِ أجسادِها ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ﴾ أي: ويَتوفَّى التي لَم تَمُتْ ﴿فِى مَنَامِهَا﴾. ﴿فَيُمْسِكُ﴾ أي: عن الجَسدِ والنفس ﴿ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ: «قُضِيَ» بضمِّ القاف وفتح الياء، «الموتُ» بالرفع. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى الجَسدِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاءُ العُمرِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمرِ البَعثِ[٢]. وروى سعيد بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: تلتقي أرواحُ الأحياء وأرواحُ الأموات في المنام، فيتعارفون ويتساءلون، ثم تُردُّ أرواحُ الأحياءِ إلى أجسادِها، فلا يُخطأُ بشيءٍ منها، فذلك قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقال ابنُ عباسٍ في روايةٍ أخرى: في ابنِ آدمَ نَفسٌ وروحٌ، فبالنَّفسِ العقلُ والتَّمييزُ، وبالرُّوح النفس والتَّحريكُ، فإذا نامَ العبدُ، قَبَضَ اللَّهُ نَفْسَه ولم يَقْبِضْ رُوحَهُ[٣]. وقال ابنُ جُرَيج: في الإنسانِ رُوحٌ ونَفسٌ، بينهما حاجزٌ، فهو تعالى يَقبِضُ النَّفسَ عند النَّوم ثم يَرُدُّها إلى الجَسدِ عند الانتباه، فإذا أراد إماتةَ العبدِ في نَومِه، لم يَرُدَّ النَّفْسَ وقبضَ الرُّوحَ. وقد اختلف العلماء، هل بينَ النَّفسِ والرُّوح فَرْقٌ[٤]؟ على قولين: قد ذكرتُهما في «الوجوه والنظائر»، وزِدْتُ هذه الآيةَ شرحاً في

---

(١) يونس: ١٠٨.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٠: وقوله تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بَعْدُ نفس هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرة وعظة لمن تفكر وتدبّر، وبياناً له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

(٣) أثر ابن عباس، قال عنه الحافظ في «تخريجه» ٤/ ١٣١: لم أجده.
قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٥/ ٢٢٨: قال القشيري أبو النصر ـ رحمه الله ـ: وفي هذا بُعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد ولهذا قال: ﴿**فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾ فإذاً يقبض الله الروح في حالين: في حالة النوم وحالة الموت، فما قبضه في حال النوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض، وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿**ويرسل الأخرى**﴾ أي يزيل الحابس عنه فيعود كما كان. فتوفي الأنفس في حال النوم بإزالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الإدراك. وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية.

(٤) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع» ١٥/ ٢٢٩: والأظهر أنهما شيء واحد، وهو الذي تدل عليه الآثار الصحاح على ما نذكره في هذا الباب، من ذلك: حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقّ بصره فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصر» أخرجه مسلم ٩٢٠. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره» قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه» أخرجه مسلم ٩٢١. وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيها النفس الطيبة كانت في الجسر الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء». وإسناده صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٨٨ وابن ماجة ٤٢٦٢. وفي صحيح مسلم ٢٨٧٢ عنه رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها». وقال بلال في حديث الوادي الذي أخرجه مسلم ٢٨٧٢: أخذ بنفسي يا رسول الله =

«باب التَّوفِّي» في كتاب «النظائر». وذهب بعضُ العلماء إلى أنَّ التَّوفِّي المذكورَ في حقِّ النَّائم هو نَوْمُه. وهذا اختيار الفَرَّاءِ وابنِ الأنبارِي؛ فَعَلَى هذا، يكون معنى توفِّي النَّائمِ: قبضُ نَفْسِه عنِ التصرُّفِ، وإرسالُها: إطلاقُها باليَقَظَةِ للتَّصرُّفِ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ يعني كُفَّارَ مكَّةَ[1]. وفي المُراد بالشُّفعاءِ قولان: **أحدهما**: أنَّها الأصنام، زعموا أنها تَشفع لهم في حاجاتِهم، قاله الأكثرون. **والثاني**: الملائكة، قاله مُقاتِلٌ.

﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا﴾ مِنَ الشَّفاعة ﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ أنَّكم تعبدونهم؟! وجوابُ هذا الاستفهام محذوفٌ، تقديره: أوَلَو كانوا بهذه الصِّفةِ تَتَّخذونهم؟!.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: لا يَملِكُها أحَدٌ إلاَّ بتمليكِه، ولا يشفعُ عنده أحدٌ إلاَّ بإذنِه.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: انقبَضَت عن التوحيد، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: استكبَرتْ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: نفرتْ، قاله أبو عُبيدَةَ، والزَّجّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفرحون. وما بعد هذا قد تقدَّمَ تفسيرُهُ[2] إلى قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾. قال السُّدِّيُّ: ظَنُّوا أنَّ أعمالَهم حسناتٌ، فبدَتْ لهم سيئاتٌ. وقال غيرُه: عَمِلوا أعمالاً ظَنُّوا أنَّها تنفعُهم، فلم تَنفَعْ مع شِرْكِهم. قال مُقاتِلٌ: ظهر لهم حين بُعِثوا ما لم يحتَسِبوا أنَّه نازلٌ بهم؛ فهذا

= الذي بنفسك. وقال رسول الله ﷺ مقابلاً له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي ـ متفق عليه ـ: «يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردّها إلينا في حين غير هذا».

(١) قال الطبري رحمه الله في «جامع البيان» ١١/ ١٠: يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: **﴿قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً ولا يعقلون شيئاً، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله. وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعاً له لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولاً، وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، شفعكم **﴿له ملك السماوات والأرض﴾** فاعبدوا الذي له سلطان السموات والأرض وملكها ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم.

(٢) البقرة: ١١٣، الأنعام: ١٤ ـ ٧٣، الرعد: ١٨.

القولُ يحمل وجهين: **أحدهما**: أنَّهم كانوا يَرجُون القُرْبَ مِنَ الله بعبادةِ الأصنام، فلمَّا عُوقِبوا عليها، بَدَا لهم ما لم يكونوا يحتَسِبون. **والثاني**: أنَّ البَعْثَ والجزاءَ لم يَكُن في حِسَابِهم. ورُوِي عن محمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ أنه جَزِعَ عند الموتِ وقال: أخشى هذه الآيَةَ أنْ يبدوَ لي ما لا أحتسِبُ. قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: ما كانوا يُنْكِرونَهُ ويُكذِّبون به.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ قال مُقاتِلٌ: هو أبو حُذَيفةَ بنُ المُغيرةِ، وقد سبقَ في هذه السُّورَةِ نظيرُها[1]. وإنما كنَّى عن النِّعمَةِ بقوله تعالى: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾، لأنَّ المرادَ بالنِّعمة: الإنعامُ. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي، أي: على خيرِ عَلِمَهُ اللَّهُ عندي. وقيلَ: على عِلْمٍ مِنَ الله بأنِّي له أهلٌ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿بَلْ هِىَ﴾ يعني النِّعمةَ التي أنعمَ اللَّهُ عليه بها ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي: بَلْوَى يُبْتلى بها العبدُ لِيَشكُرَ أو يكفُرَ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ذلك استِدراجٌ لهم وامتحانٌ. وقيل: «بل هي» أي: المَقالةُ التي قالَها «فِتْنةٌ». ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ يعني تلك الكلمةَ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: «إنما أوتيتُه على عِلْم» ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنَّهم الأُمَمُ الماضيةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: قارُونُ، قالَه مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أي: ما دَفَع عنهم العذابَ ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنَ الكُفرِ. **والثاني**: مِنْ عبادة الأصنام. **والثالث**: مِنَ الأموال. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: جزاءُ سيِّئاتِهم، وهو العذابُ. ثم أوعَدَ كُفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: إنهم لا يعجزون الله ولا يفوتونه. قال مُقاتِلٌ: ثم وَعَظَهم لِيَعْلَموا وحدانيَّتَهُ حين مُطِرُوا بعدَ سبع سنين، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في بسط الرزق وتقتيره ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سببِ نُزولِها أربعةُ أقوالٍ:

[١٢٣٢] **أحدها**: أنَّ ناساً مِنَ المُشركين كانوا قد قَتَلُوا فأكثَروا، وزَنَوا فأكثَروا، ثم أَتَوا رسول

[١٢٣٢] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨١٠ عن إبراهيم بن موسى به عن ابن عباس وأخرجه مسلم ١٢٢ وأبو داود =

(١) الزمر: ٨.

الله ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تَدْعو إليه لَحَسَنٌ، لو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارةً، فنزلت هذه الآيةُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٣٣] والثاني: أنها نزلت في عَيَّاشِ بنِ أبي رَبيعَةَ والوليدِ بنِ الوليدِ ونَفَرٍ مِنَ المسلمين كانوا قد أسلَمُوا، ثم عُذِّبوا فافتُتِنوا، فكان أصحابُ رسول الله يقولون: لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ هؤلاء صَرْفاً ولا عَدْلاً، قومٌ تركوا دِيْنَهُم بعذابٍ عُذِّبُوه؛ فنزلت هذه الآيةُ، فكَتَبها عمرُ إلى عَيَّاشٍ والوليدِ وأولئك النَّفرِ، فأسلَموا وهاجروا؛ وهذا قولُ ابنِ عمرَ.

والثالث: أنها نزلتْ في وَحْشِيٍّ؛ وهذا القول ذكرناه مَشْرُوحاً في آخِرِ الفُرقان[1] عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٣٤] والرابع: أنَّ أهلَ مكَّةَ قالوا: يزعُمُ محمَّدٌ أنَّ مَنْ عَبَدَ الأوثانَ وقَتَلَ النَّفْسَ التي حرَّمَ اللَّهُ لم يُغْفَرْ له، فكيف نُهاجِرُ ونُسْلِمُ وقد فَعَلْنا ذلك؟! فنزلت هذه الآيةُ؛ وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

ومعنى ﴿أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ارتكَبوا الكبائرَ. والقُنوطُ بمعنى اليأسِ. ﴿وَأَنِيبُوٓا﴾ بمعنى ارْجِعُوا إلى الله مِنَ الشِّركِ والذُّنوبِ، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُۥ﴾ أي: أخلِصُوا له التوحيدَ. و «تُنْصَرون» بمعنى تُمْنَعُون. ﴿وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ قد بيَّنَّاه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[2].

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ قال المُبَرِّدُ: المعنى: بادِروا قَبْلَ أنْ تقولَ نَفْسٌ، وحَذَراً مِنْ أنْ تقولَ نَفْسٌ. وقال الزَّجَّاجُ: خوفَ أنْ تَصِيرُوا إلى حالٍ تقولون فيها هذا القولَ. ومعنى ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ يا

= ٤٢٧٤ والنسائي في «التفسير» ٤٦٩ والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٠٣ والبيهقي ٩/ ٩٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٦٥٨ كلهم من طريق يعلى بن مسلم به. وأخرجه الطبري ٢٦٥١٢ من طريق منصور بن المعتمر عن سعيد بن جبير به.

[١٢٣٣] حسن. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٥ والطبري ٢٠١٨٢ و ٢٠١٨٣ والواحدي ٧٣٠ من حديث ابن عمر عن عمر به، صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث فانتفت شبهة التدليس. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥٣١٤ بتخريجنا.

[١٢٣٤] أخرجه الواحدي ٧٢٧ معلقاً، ووصله ابن أبي حاتم كما في أسباب النزول للسيوطي ٩٥٥ عن ابن عباس، وصححه السيوطي. والحديث ١٢٣٢ أصح منه. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٣١٦ بتخريجنا.

قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى الله تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عمّ بقوله: **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾** جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفاً دون مسرف.

وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٧٠: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبارٌ بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر ما لم يتب منه.

---

(١) الفرقان: ٦٨. (٢) الأعراف: ١٤٥.

نَدامَتا ويا حُزنا. والتَّحسُّرُ: الاغتِمامُ على ما فاتَ. والألِفُ في «يا حَسْرَتا» هي ياءُ المُتكلِّم، والمعنى: يا حَسْرَتي، على الإضافة. قال الفَرَّاءُ: والعرب تُحوِّلُ الياءَ إلى الألِفِ في كلِّ كلام معناه الاستِغاثةُ ويخرج على لفظِ الدُّعاءِ، وربما أدخَلتِ العربُ الهاءَ بعد هذه الألِفِ، فيَخفِضُونَها مَرَّةً، ويَرفَعونَها أخرى. وقرأ الحسَنُ، وأبو العالِيَةِ، وأبو عِمْرانَ، وأبو الجَوزاءِ: «يا حسرتي» بكسرِ التاء، على الإضافة إلى النَّفسِ. وقرأ معاذُ القارئُ، وأبو جعفرَ: «يا حسرتايَ»، بألِفٍ بعدَ التاء وياءٍ مفتوحةٍ، قال الزَّجّاجُ: وزَعَمَ الفَرَّاءُ أنه يجوز «يا حسرتاهَ على كذا» بفتحِ الهاء، و «يا حسرتاهُ» بالضمِّ والكسرِ، والنَّحويّون أجمَعُون لا يُجيزون أنْ تُثبَتَ هذه الهاءُ مع الوَصْلِ.

قوله تعالى: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: في طاعةِ الله تعالى، قاله الحسَنُ. **والثاني**: في حقِّ الله، قاله سعيدُ بنُ جُبَير. **والثالث**: في أمرِ الله، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. **والرابع**: في ذِكرِ الله، قاله عِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: في قُرْبِ الله؛ رُوِيَ عن الفَرَّاءَ أنه قال: الجَنْبُ: القُرْب، أي: في قُرْبِ الله وجِوارِه، يُقال: فلانٌ يعيش في جَنْبِ فُلانٍ، أي: في قُرْبِه وجِوارِه؛ فعَلَى هذا يكون المعنى: على ما فرَّطتُ في طَلَبِ قُرْبِ الله تعالى، وهو الجنَّةُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ أي: وما كنتُ إلاَّ مِنَ المُستهزِئين بالقرآن وبالمؤمنين في الدُّنيا. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ أي: أرشَدَني إلى دِينِه ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الشِّرْكَ؛ فيُقال لهذا القائلِ: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ قال الزَّجّاجُ: و «بلى» جوابُ النَّفي، وليس في الكلام لفظُ النَّفي، غيرَ أنَّ معنى «لو أن الله هداني»: ما هُدِيتُ، فقيلَ: «بلى قد جاءتك آياتي». وروى ابنُ أبي سُرَيجٍ عن الكِسائي: «جاءتْكِ»، «فكذَّبتِ»، «واستكبَرتِ»، «وكُنتِ»، بكسرِ التاء فيهنَّ، مُخاطَبَةً للنَّفسِ. ومعنى «استكبَرتَ»: تكبَّرتَ عن الإيمان بها.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فزعموا أنَّ له وَلَداً وشريكاً ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾. وقال الحَسَنُ: هم الذين يقولون: إنْ شِئْنا فعَلْنا، وإنْ شِئْنا لم نَفعَلْ. وباقي الآيةِ قد ذكرناه آنِفاً. قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «بمفازاتهم». قال الفَرَّاءُ. وهو كما قد تقول: قد تبيَّنَ أمرُ القوم وأمورُهم، وارتفعَ الصوتُ والأصواتُ، والمعنى واحدٌ. وفيها للمُفسِّرين ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بفضائِلِهم، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: بأعمالِهم، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: بفوزِهم مِنَ النَّارِ. قال المُبرِّدُ: المَفازَةُ: مَفعَلَةٌ مِنَ الفوزِ، وإنْ جُمِعَ فحَسَنٌ، كقولِكَ: السَّعادةُ والسَّعاداتُ، والمعنى: يُنَجِّيهم اللهُ بفوزِهم، أي: بنَجاتِهم مِنَ النَّارِ وفوزِهم بالجنَّةِ.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: مَفاتيحُها وخزائِنُها، لأنَّ مالِكَ المَفاتيحِ مالِكُ الخزائِنِ، واحدُها: إقْلِيدٌ، وجُمِعَ على غيرِ واحدٍ، كما قالوا: مَذاكِيرُ جمع ذَكَرٍ، ويُقال: هو

فارسيٌّ معرَّبٌ. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد: المفتاح، فارسي معرَّب، قال الراجز:

لم يُؤذِها الدِّيكُ بصَوتِ تغريدْ ولَم تُعالِجْ غَلَقاً بإقليدْ

والمِقْلِيدُ: لغةٌ في الإقْلِيدِ، والجمع: مَقَالِيْدُ. وللمُفسِّرين في المَقالِيْدِ قولان: **أحدهما**: المفاتيحُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الخزائنُ، قاله الضَّحَّاكُ. وقال الزَّجَّاجُ: تفسيره أنَّ كلَّ شيءٍ في السَّمواتِ والأرضِ، فهو خالِقُهُ وفاتِحُ بابِه. قال المفسِّرون: مفاتيحُ السَّمواتِ: المطرُ، ومفاتيحُ الأرضِ: النَّباتُ.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تأمُرُوني أَعْبُدُ» مخفَّفةً، غيرَ أنَّ نافعاً فَتَحَ الياءَ، ولم يَفتحْها ابنُ عامرٍ. وقرأ ابنُ كَثير: «تأمرونّيَ» بتشديدِ النون وفتحِ الياء، وقرأ الباقون بسكونِ الياء. وذلك حينَ دَعَوْه إلى دِيْنِ آبائِه ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ أي: فيما تأمرون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: ولقد أُوحِيَ إليك لَئِنْ أشرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، وكذلك أُوحيَ إلى الذين مِنْ قَبْلِكَ. قال أبو عُبيدَةَ: ومَجازُها مَجازُ الأمرَيْنِ اللَّذين يُخْبَرُ عن أحدِهما ويُكَفُّ عن الآخرِ. قال ابنُ عباسٍ: هذا أَدَبٌ مِنَ الله تعالى لِنَبيِّهِ ﷺ وتهديدٌ لِغيرِهِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عَصَمَهُ مِنَ الشِّركِ. وقال غيرُه: إنما خاطبَهُ بذلك، لِيَعْرِفَ مَنْ دُونَهُ أنَّ الشِّركَ يُحبِطُ الأعمالَ المُتقدِّمَةَ كلَّها ولو وَقَعَ مِنْ نبيٍّ. وقرأ أبو عِمْرانَ وابنُ السَّمَيفَع ويعقوبُ: «لَنُحبِطَنَّ» بالنون، «عَمَلَكَ»، بالنَّصب. ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ أي: وَحِّدْ.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

[١٢٣٥] سببُ نُزولِها أنَّ رجلاً مِنْ أهل الكتاب أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، بَلَغَكَ أنَّ الله تعالى يَحْمِلُ الخلائِقَ على إصْبَعٍ والأرضينَ على إصْبَعٍ والشَّجَرَ على إصْبَعٍ والثَّرى على إصْبَعٍ؟ فضحكَ رسولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نواجِذُه، فأنزلَ اللّهُ تعالى هذه الآيةَ، قاله ابنُ مسعودٍ. وقد أخرجَ البخاري ومسلم في الصحيحين نحوه عن ابن مسعود.

[١٢٣٥] صحيح. وليس فيه سبب نزول الآية. وورد عند الواحدي في «أسباب النزول» ٧٣١ وفيه سبب نزول الآية. وأخرجه البخاري ٤٨١١ والبغوي في شرح السنة ٤١٩٩ بإسنادهما من حديث ابن مسعود، وأحمد ١/ ٤٥٧ والآجري في «الشريعة» ٧٥١ والبيهقي في «الاعتقاد» ص ٣٣٤ من طريق شيبان به. وأخرجه البخاري ٧٥١٣ ومسلم ٢٧٨٦ح ٢٠ والنسائي في «التفسير» ٤٧٠ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٧٨ والآجري في «الشريعة» ٧٥٠ وابن حبان ٧٣٢٦ وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٤١ والبيهقي ص ٣٣٥ من طرق عن جرير به. وأخرجه البخاري ٧٤١٤ ومسلم ٢٧٨٦ح ١٩ والترمذي ٣٢٣٨ و ٣٢٣٩ والنسائي في «التفسير» ٤٧١ والطبري ٣٠٢١٧ وابن خزيمة ص ٧٧ والآجري ٧٥٣ وابن أبي عاصم ٥٤٢ والبيهقي ص ٣٣٥ من طرق عن منصور به. وأخرجه البخاري ٧٤١٥ ومسلم ٢٧٨٦ح ٢١ و ٢٢ والنسائي ٤٧٢ من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة به.

وقد فسَّرنا أولَ هذه الآية في الأنعام[١]. قال ابنُ عباسٍ: هذه الآيةُ في الكفَّارِ، فأمَّا مَنْ آمَنَ بأنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فقد قَدَر الله حَقَّ قَدْرِهِ. ثم ذَكرَ عَظَمته بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

[١٢٣٦] وقد أخرج البُخاريُّ ومسلمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي هُريرَةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَقْبِضُ الله الأرضَ يومَ القيامة ويَطْوي السماءَ بيمينِه، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أينَ ملوكُ الأرضِ؟».

[١٢٣٧] وأخرجا مِنْ حديث ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَطْوي الله عزَّ وجلَّ السمواتِ يومَ القيامة، ثم يأخذُهنَّ بيدهِ اليمنى، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أينَ الجبَّارون، أينَ المُتكبِّرون؟». قال ابنُ عباسٍ: الأرضُ والسمواتُ كلُّها بيمينِه. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: السمواتُ قَبْضَةٌ والأرَضُونَ قَبْضَةٌ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ يَعمُر، والجَحْدَريُّ: «فصُعِقَ» بضمِّ الصاد ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ماتوا مِنَ الفزع وشِدَّة الصَّوتِ. وقد بيَّنا هذه الآيَة والخلافَ في الذين استُثنوا في سُورَةِ النَّمْل[٢]. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وهي نفخةُ البَعثِ ﴿فَإِذَا هُم﴾ يعني الخلائق ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي: أضاءَت. والمراد بالأرض: عَرَصَاتُ القيامة. قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كتابُ الأعمال، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الحِساب، قاله السُّدِّيُّ. وفي الشهداء قولان: **أحدهما**: أنهم الذين يَشْهَدون على الناس بأعمالِهم، قاله الجمهور. ثم فيهم أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم المُرْسَلون مِنَ الأنبياء. والثاني: أُمَّةُ محمَّدٍ يَشهدونَ للرُّسلِ بتبليغِ الرِّسالة، وتكذيبِ الأُمَمِ إيَّاهم، رُويا عن ابن عباس رضي الله عنه. والثالث: الحَفَظَه، قاله عطاءٌ. الرابع: النَّبيُّون والملائكةُ وأُمَّةُ محمَّدٍ ﷺ والجَوارِحُ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنهم الشهداءُ الذين قُتِلوا في سبيل الله، قاله قَتادَةُ، والأولُ أصحُّ. ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءَ عَمَلِها ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا يَحتاجُ إلى كاتبٍ ولا شاهدٍ.

[١٢٣٦] صحيح. أخرجه البخاري ٦٥١٩ ومسلم ٢٧٨٧ وأبو يعلى ٥٨٥٠ من طريق ابن المبارك به عن أبي هريرة.
وأخرجه البخاري ٧٣٨٢ والنسائي في «التفسير» ٤٧٥ وابن ماجة ١٩٢ من طريق ابن وهب عن يونس به.
وأخرجه البخاري ٤٨١٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ من طريقين عن الزهري: سمعت أبا سلمة، سمعت أبا هريرة....

[١٢٣٧] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٨٨ح ٢٤ وأبو داود ٤٧٣٢ وأبو يعلى ٥٥٥٨ وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٤٧ والطبري ٣٠٢٢٨ وأبو الشيخ في «العظمة» ١٣٩ من طرق عن أبي أسامة به. وذكره البخاري ٧٤١٣ تعليقاً عن عمر بن حمزة به. وأخرجه مسلم ٢٧٨٨ وابن ماجة ١٩٨ و ٤٢٧٥ والطبري ٣٠٢٢٣ والطبراني ١٣٣٢٧ وأبو الشيخ في «العظمة» ١٣١ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٧٢ ـ ٧٣ وابن حبان ٧٣٢٤ من طرق عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر به.

---

(١) الأنعام: ٩١.
(٢) النمل: ٨٧.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ قال أبو عُبيدَة: الزُّمَرُ: جماعاتٌ في تَفرقَةٍ بعضُهم على إثْرِ بعض، واحدُها: زُمْرَةٌ. قوله تعالى: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أي: أنفُسكم. و ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ هي قوله تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[1]. قوله تعالى: ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «فُتِّحَتْ» «وفُتِّحَتْ» مشدَّدتين، وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالتخفيف. وفي هذه الواوِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها زائدة، رُويَ عن جماعةٍ مِنَ اللغويِّين منهم الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها واوُ الحَالِ؛ فالمعنى: جاؤوها وقد فُتِحتْ أبوابُها، فدَخلَتِ الواوُ لبيان أنَّ الأبوابَ كانت مُفتَّحةً قبلَ مَجيئِهم، وحُذِفت مِنْ قصة أهلِ النار لبيانِ أنها كانت مُغلَقةً قبل مَجيئِهم، ووَجهُ الحِكمَةِ في ذلك مِنْ ثلاثة أوجُهٍ: أحدها: أنَّ أهلَ الجنَّةِ جاؤوها وقد فُتِحَتْ أبوابُها لِيَستعجلوا السُّرورَ والفرَحَ إذا رَأَوا الأبوابَ مُفتَّحةً، وأهلُ النَّارِ يأتونها وأبوابُها مُغلَقةٌ ليكونَ أشدَّ لِحَرِّها، ذكره أبو إسحَاقَ ابنُ شاقْلا مِنْ أصحابِنا. والثاني: أنَّ الوقوفَ على البابِ المُغلَقِ نوعُ ذُلٍّ، فَصِينَ أهلُ الجنَّةِ عنه، وجُعِلَ في حقِّ أهل النَّارِ، ذكره لي بعضُ مشايخِنا. والثالث: أنه لو وَجَدَ أهلُ الجنَّةِ بابَها مُغلَقاً لأثَّرَ انتظارُ فَتْحِه في كمالِ الكَرَم، ومِنْ كمالِ الكَرَم غَلْقُ باب النَّارِ إلى حين مجيءِ أهلِها، لأنَّ الكريمَ يُعجِّلُ المَثُوبةَ، ويؤخِّرُ العقوبَةَ، وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾[2]؛ قال المُصنِّفُ: هذا وَجهٌ خطَرَ لي. **والقول الثالث**: أنَّ الواوَ زِيدَتْ، لأنَّ أبوابَ الجنَّةِ ثمانيةٌ، وأبوابَ النَّارِ سبعةٌ، والعرب تَعْطِفُ في العددِ بالواو على ما فوقَ السبعة على ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾[3]، حكى هذا القولَ والذي قبلَهُ الثَّعلَبيُّ. واختلف العلماء أينَ جوابُ هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الجوابَ محذوفٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، والمُبرِّدُ، والزَّجَّاجُ في آخِرين. وفي تقدير هذا المحذوفِ قولان: أحدهما: أنَّ تقديرَهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلى آخرِ الآيةِ... سُعِدُوا، قاله المُبرِّدُ. والثاني: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.. دَخلوها، وإنَّما حُذِفَ، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وهذا اختيارُ الزَّجَّاجِ. **والقول الثاني**: أنَّ الجوابَ: قال لهم خَزَنتُها، والواو زائدةٌ، ذكرَهُ الأخفَشُ، قال: ومثله في الشِّعْر.

---

(١) الأعراف: ١٨. (٢) النساء: ١٤٧. (٣) الكهف: ٢٢.

فـإذا وذلـكَ يـا كُـبَـيْـشَـةُ لَـمْ يَـكُـنْ إلاَّ كَـلَـمَّـةِ حَـالِـمٍ بِـخَـيـالِ[1]

أي: فإذا ذلك. **والثالث**: الجواب: حتى إذا جاؤوها فُتِحتْ أبوابُها، والواو زائدةٌ، حكاه الزَّجَّاجُ عن قومٍ مِنْ أهل اللغة.

وفي قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ﴾ خمسة أقوال: **أحدها**: أنهم إذا انتهَوا إلى باب الجنَّةِ وَجدوا عند بابها شجرةً يخرج مِنْ تحت ساقِها عَيْنانِ، فيَشربون مِنْ إحداهما، فلا يبقى في بُطونِهم أذىً ولا قَذَىً إلاَّ خرَجَ، ويغتَسِلون مِنَ الأخرى، فلا تَغْبَرُّ جُلودُهم ولا تَشعَّثُ أشعارُهم أبداً. حتى إذا انتَهَوا إلى باب الجنَّةِ قال لهم عند ذلك خزَنَتُها: «سلامٌ عليكم طِبْتُم»، رواه عاصِمُ بنُ ضَمْرَةَ عن عليٍّ رضي الله عنه[2]، وقد ذكرنا في الأعراف[3] نحوَهُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: طابَ لكم المقامُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: طِبْتُم بطاعةِ الله، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنهم طُيِّبوا قَبْلَ دخول الجنَّةِ بالمغفرة، واقتُصَّ مِنْ بَعْضِهم لِبَعضٍ، فلمَّا هُذِّبوا قالت لهم الخَزَنَةُ: طِبْتُم، قاله قَتادَةُ[4]. **والخامس**: كنتمْ طيِّبينَ في الدُّنيا، قاله الزَّجَّاجُ. فلَمَّا دَخلوها قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنَّةِ ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنَّةِ نتبوَّأُ منها حيثُ نشاءُ منها أي: نَتَّخِذُ فيها مِنَ المنازل ما نشاءُ. وحكى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ أنَّ أُمَّةَ محمَّدٍ ﷺ يدخلون الجنَّةَ قبلَ الأُمَمِ، فينزلون منها حيثُ شاؤوا، ثم تنزلُ الأُمَمُ بعدَهُم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾؛ يقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ أي: نِعْمَ ثوابُ المُطيعينَ في الدُّنيا الجنَّةُ.

قولـه تعـالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: أي مُحْدِقِينَ به، يُقال: حَفَّ القومُ بفُلانٍ: إذا أحْدَقوا به؛ ودخلتْ «مِنْ» للتوكيد، كقولكَ: ما جاءني مِنْ أحدٍ. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ: بأمْرِ ربِّهم. وقال بعضُهم: يُسبِّحونَ بالحَمدِ له حيثُ دخلَ المُوحِّدون الجنَّةَ. وقال ابنُ جَريرٍ: التَّسبيحُ ها هنا بمعنى الصَّلاة.

قوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ أي: بينَ الخلائقِ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ هذا قولُ أهلِ الجنَّةِ شُكراً لله تعالى على إنعَامِه. قال المُفسِّرون: ابتَدأَ اللَّهُ ذِكْرَ الخَلْقِ بالحَمْدِ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[5] وختَمَ غايةَ الأمرِ ـ وهو استقرارُ الفريقين في منازِلِهم ـ بالحمدِ لله بهذه الآيةِ، فنبَّهَ على تحميدِه في بدايةِ كُلِّ أَمْرٍ وخاتِمَتِهِ.

---

(١) البيت لتميم بن مقبل، وهو في ديوانه ٢٥٩.

(٢) أخرجه الطبري ٣٠٢٥٤ وابن المبارك في «الزهد» ص ٥٠٩ ـ ٥١٠ والبيهقي في «البعث» ٢٧٢ عن عاصم عن علي، وإسناده لا بأس به.

(٣) الأعراف: ٤٤.

(٤) ورد في هذا المعنى حديث أخرجه البخاري ٢٤٤٠ و ٦٥٣٥ وابن أبي عاصم ٨٥٨ وابن مندة في «الإيمان» ٨٣٨ واستدركه الحاكم ٢/ ٣٥٤ وابن حبان ٧٤٣٤ كلهم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار منحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدكم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» لفظ البخاري. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٣٤٠ بتخريجنا.

(٥) الأنعام: ١.

سورة غافر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ: ويُقال لها: سُورَةُ الطَّوْلِ[١]. وهي مكِّيَّةٌ! قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ: ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. وحُكيَ عن ابن عباسٍ وقَتادَةَ أنَّ فيها آيتين نَزلَتا بالمدينة: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ والتي بعدَها[٢]. قال الزَّجَّاجُ: وذُكِرَ أنَّ الحَوَامِيْمَ كلَّها نزلت بمكَّةَ.

قال ابنُ قُتَيبَةَ: يُقال: إنَّ «حمٓ» اسمٌ مِنْ أسماءِ الله أُضيفَتْ هذه السُّورةُ إليه. كأنه قيلَ: سُورةُ اللَّهِ، لِشَرَفِها وفَضْلِها، فقيلَ: آلُ حامِيْمَ، وإنْ كان القرآنُ كلُّه سُوَرَ الله، وإنَّ هذا كما يُقال: بَيْتُ الله، وحَرَمُ الله، وناقَةُ اللَّهِ، قال الكُمَيْتُ:

وَجَدْنَا لَكُمْ في آلِ حامِيْمَ آيَةً ... تأَوَّلَها مِنَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ[٣]

وقد تُجعَلُ «حمٓ» اسماً للسُّورة، ويدخُل الإعرابُ ولا يُصْرَفُ، ومَنْ قال هذا في الجميع: الحَواميْمُ، كما يُقال: «طسٓ» والطَّواسِيْنُ. وقال محمَّدُ بنُ القاسِمِ الأنبَاريُ: العربُ تقول: وقع في الحَوَامِيْمِ، وفي آلِ حَمِيْمَ، أنشد أبو عُبيدَةَ:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّواتِي طُوِّلَتْ ... وبِمِئِيْنٍ بَعْدَها قد أُمْئِيَتْ

وبِمَثانٍ ثُنِّيَتْ فكُرِّرَتْ ... وَبِالطَّواسِينِ اللَّواتي ثُلِّثَتْ

وبالحَوامِيْمَ اللَّواتي سُبِّعَتْ

فمَنْ قال: وَقَع في آلِ حامِيْمَ، جعلَ حامِيْمَ اسماً لِكُلِّهِنَّ؛ ومَنْ قال: وقع في الحَوَامِيمِ، جعَلَ «حمٓ» كأنه حرفٌ واحدٌ بمنزلة قابِيْلَ وهابِيْلَ.

وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغويِّ قال: مِنَ الخطأ أنْ تقولَ: قرأتُ الحَوامِيمَ، وليس مِنْ كلام العرب، والصَّوابُ أنْ تقولَ: قرأتُ آلَ حامِيْمَ. وفي حديثِ ابنِ مسعودٍ: «إذا وقعتُ في آلِ حمٓ وقعتُ في رَوضاتٍ دَمِثاتٍ»[٤]، وقال الكُمَيْتُ:

وجَدْنا لَكُمْ في آلِ حامِيمَ آيةً

---

(١) ويقال لها: سورة المؤمن. (٢) غافر: ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) البيت في «الكتاب» ٢/ ٣٠ و «مجاز القرآن» ٢/ ١٩٣ و «اللسان» ـ عرب ـ.

(٤) في «اللسان» الدَّمِثُ: المكان اللين ذو رمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾

وفي (حمٓ) أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ به وهو مِنْ أسمائِهِ عزَّ وجلَّ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ: قال أبو سُليمانَ: وقد قيلَ: إنَّ جوابَ القَسَم قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾[2]. **والثاني**: أنها حروفٌ مِنْ أسماء الله عزَّ وجلَّ، ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ «آلر» و «حمٓ» و «ن» حروفُ الرَّحمن، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أنَّ الحاءَ مِفتاحُ اسمِه «حميد»، والميمَ مفتاحُ اسمِه «مجيد»، قاله أبو العَالِيةِ. والثالث: أنَّ الحاءَ مِفتاحُ كلِّ اسم لله ابتداؤه حاءٌ، مثل «حكيم»، و «حليم»، و «حَيّ»، والمِيمَ مِفتاحُ كلِّ اسم له ابتداؤه ميمٌ مثل «ملك»، و «متكبِّر»، و «مجيد»، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. ورُوي نحوهُ عن عطاءٍ الخُراسانيِّ. **والثالث**: أنَّ معنى «حمٓ»: قُضِيَ ما هو كائنٌ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. ورُويَ عن الضَّحَّاكِ والكِسَائيِّ مثلُ هذا، كأنهما أرادا الإشارةَ إلى حُمَّ، بِضَمِّ الحاء وتشديدِ الميم. قال الزَّجَّاجُ: وقد قيلَ في «حمٓ»: حُمَّ الأمرُ. **والرابع**: أنَّ «حمٓ» اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «حَمٓ» بفتح الحاء؛ وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: بكَسْرِها؛ واختلفَ عن الباقين. قال الزَّجَّاجُ: أمَّا الميمُ، فساكِنةٌ في قراءة القُرَّاءِ كلِّهم إلاَّ عيسى بنَ عمرَ، فإنه فَتَحها؛ وفتحها على ضَرْبَيْنِ. **أحدهما**: أنْ يجعلَ «حمٓ» اسماً للسُّورة، فينصِبهُ ولا يُنوِّنهُ، لأنه على لفظ الأسماء الأعجميَّةِ نحو هابيلَ وقابيلَ. **والثاني**: على معنى: اتْلُ حمَ؛ والأجودُ أنْ يكون فَتح لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ حيث جَعَلَهُ اسماً للسُّورَةِ، ويكون حكايةَ حروفِ الهِجاء.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: هذا تنزيلُ الكتاب. والتَّوْبُ: جمعُ تَوْبَةٍ، وجائزٌ أنْ يكونَ مصدراً مِنْ تابَ يَتُوبُ تَوْباً. والطَّوْلُ: الفَضْلُ. قال أبو عُبيدَةَ: يُقال: فُلانٌ ذُو طَوْلٍ على قومِه، أي: ذو فَضْلٍ. وقال ابنُ قُتيبةَ: يُقالُ: طُلْ عليَّ يرحمُكَ اللَّهُ، أي: تَفضَّلْ. قال الخَطَّابيُّ: ذو: حرفُ النِّسبَةِ، والنسبة في كلامِهم على ثلاثة أوجُهٍ: بالياء، كقولِهم: أَسَدِيّ، وبَكْرِيّ. **والثاني**: على الجمع، كقولِهم: المَهالِبَة، والمَسامِعَة، والأزارِقَة. **والثالث**: بـ «ذي» و «ذات»، كقولِهم: رجُلُ مالٍ، أي: ذو مالٍ، وكَبشٌ صافٍ، أي: ذُو صُوفٍ، وناقةٌ ضامِرٌ، أي: ذاتُ ضُمْرٍ؛ فقوله: ذُو الطَّوْلِ، معناه: أَهْلُ الطَّوْلِ والفَضْلِ.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/٣٨: والقول عندي في ذلك نظير القول في أخواتها، وقد بيّنا ذلك في قوله تعالى (آلم) ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في (حمٓ) وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجي قولاً واحداً. اهـ.

(٢) غافر: ١٠.

فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: ما يُخاصِمُ فيها بالتَّكذيب لها ودفعِها بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وباقي الآية في آل عمران[١]؛ والمعنى: إنَّ عاقبةَ أمرِهم إلى العذاب كعاقبةِ مَنْ قبلَهم. قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لِيَقتُلوه، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. **والثاني**: لِيَحبِسوه ويُعذِّبوه، ويقال للأسير: أَخِيذٌ، حكاه ابنُ قُتيبة. قال الأخفشُ: وإنما قال: «ليأخذوه» فجمعَ على الكُلِّ، لأنَّ الكُلَّ مذكَّرٌ ومعناه معنى الجماعة. وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الكهف[٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ أي: عاقبتُهم وأهلكتُهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهامُ تقريرٍ لِعقوبَتِهم الواقعةِ بهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ الذي حَقَّ على الأُمَمِ المكذِّبةِ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[٣]، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ قومِكَ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «حَقَّتْ كلمات ربك»، ﴿أَنَّهُمْ﴾ قال الأخفشُ: لأنهم أو بأنَّهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

ثم أخبرَ بفضلِ المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ وهم أربعةُ أملاكٍ، فإذا كان يومَ القيامة جُعِلُوا ثمانيةً ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ: حَوْلَ العرشِ سبعون ألفَ صفٍّ مِنَ الملائكة يَطُوفون به، ومِنْ وراءِ هؤلاءِ مائةُ ألفِ صَفٍّ مِنَ الملائكة ليس فيهم أحدٌ إلَّا وهو يُسبِّح بما لا يُسبِّحه الآخرُ. وقال غيرُه: الذين حولَ العرشِ هم الكروبيُّون وهم سادةُ الملائكة. وقد ذكرنا في السُّورةِ المُتقدِّمةِ معنى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٤]. قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: ربَّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على التَّمييز. وقال غيرُه: المعنى: وسِعَتْ رحمتُك وعِلْمُك كلَّ شيءٍ ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ مِنَ الشِّركِ ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ وهو دِينُ الإسلام. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قال قَتادةُ: يعني العذابَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ قال المفسِّرون[٥]: لمَّا رأَوْا أعمالَهم

---

(١) آل عمران: ١٩٦.
(٢) الكهف: ٥٦
(٣) الأعراف: ١٨.
(٤) الزمر: ٧٥.
(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٨٧: يقول تعالى مخبراً عن الكفار: أنهم ينادَون يوم القيامة وهم في =

وأُدخِلوا النَّارَ مَقَتُوا أنفسَهم لِسُوءِ فِعْلِهِم، فناداهُم مُنادٍ: لَمَقتُ الله إيَّاكُم في الدُّنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أكبرُ مِنْ مَقْتِكم أنفسَكُم. ثم أخبرَ عمَّا يقولون في النَّارِ بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ وهذا مِثْلُ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[١] وقد فسَّرناهُ هنالك. قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ أي: مِنَ النَّارِ إلى الدنيا لِنَعملَ بالطاعة ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾؟ وفي الكلام اختصارٌ، تقديرُه: فأُجيبوا أنْ لا سبيلَ إلى ذلك؛ وقيلَ لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾ يعني العذابَ الذي نَزلَ بهم ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ أي: إذا قيلَ «لا إله إلاَّ اللَّهُ» أنكرتُم، وإنْ جُعِلَ له شريكٌ آمنتُم، ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ فهو الذي حَكَمَ على المشركين بالنَّارِ، وقد بَيَّنَّا في سُورَةِ البَقرة[٢] معنى العَلِيّ، وفي الرَّعد[٣] معنى الكَبِير.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: مَصنوعاته التي تَدُلُّ على وَحدانيَّتِه وقُدرَتِه، والرِّزقُ ها هنا: المطرُ، سُمِّيَ رِزقاً، لأنه سببُ الأرزاق. و «يتذكَّر» بمعنى يَتَّعِظُ، و «يُنيب» بمعنى يَرْجِعُ إلى الطاعة. ثم أَمَرَ المؤمنين بتوحيدِه فقال: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: مُوَحِّدين.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني رَافِعُ السَّمواتِ، وحكى المَاوَرديُّ عن بعضِ المُفسِّرين قال: معناه: عظيمُ الصِّفاتِ. قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ أي: خالِقُهُ ومالِكُهُ. قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن. **والثاني**: النُّبوةُ. والقولان مَرويَّانِ عن ابنِ عباسٍ. وبالأولِ قال ابنُ زيدٍ، وبالثاني قال السُّدِّيُّ. **والثالث**: الوَحْيُ، قاله قَتادةُ، وإنما سُمِّيَ القرآن والوَحْيُ رُوحاً، لأنَّ قِوام الدِّين به كما أنَّ قِوَامَ البَدَنِ بالرُّوح. **والرابع**: جِبريلُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: الرَّحمةُ، حكاه إبراهيمُ الحَرْبيُّ. قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ قضائه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بأمرِهِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: مِنْ قوله تعالى، ذكره الثَّعلَبيُّ. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يعني الأنبياء. ﴿لِيُنذِرَ﴾ في المشار إليه قولان: **أحدهما**: أنه الله عزَّ وجلَّ. **والثاني**: النبيُّ الذي يُوحَى إليه. والمُراد بـ ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يوم القيامة. وأثبتَ ياءَ «التلاقي» في الحالَين ابنُ كَثيرٍ ويعقوبُ، وأبو جعفرَ وافقهما في الوَصْلِ؛ والباقون بغيرِ ياءٍ في الحالَيْن. وفي سبب تسميتِهِ بذلك خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه يلتقي فيه أهلُ السماء والأرض، رواه يُوسُفُ بنُ مِهْرَانَ عن ابنِ

= غمرات النيران يتلظون، وذلك عندما باشروا من عذاب الله ما لا قِبَل لأحدٍ به، فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة، التي كانت سبب دخولهم إلى النار: فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخباراً عالياً نادوهم نداءً بأن مقت الله لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان، فيكفرون، أشد من مقتكم، أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة.

(١) البقرة: ٢٨. (٢) البقرة: ٢٥٥. (٣) الرعد: ٩.

عباسٍ: **والثاني**: يلتقي فيه الأوَّلون والآخِرون، رُويَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: يلتقي فيه الخَلْقُ والخالِقُ، قاله قَتادَةُ ومُقاتِلٌ. **والرابع**: يلتقي المظلومُ والظَّالمُ، قاله مَيمونُ بنُ مِهْرَانَ. **والخامس**: يلتقي المرءُ بعمَلِه، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ أي: ظاهِرون مِنْ قُبورِهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾. فإنْ قيلَ: فهل يَخفَى عليه منهم اليومَ شيءٌ؟. فالجواب: أنْ لا، غيرَ أنَّ معنى الكلامِ التَّهديدُ بالجَزاءِ؛ وللمُفسِّرين فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يَخفَى عليه مِمَّا عَمِلُوا شيءٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا يَستَتِرون منه بجَبَلٍ ولا مَدَرٍ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنَّ المعنى: أبْرَزَهُم جميعاً، لأنه لا يَخفَى عليه منهم شيءٌ، حكاه الماوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ اتَّفقوا على أنَّ هذا يقوله اللَّهُ عزَّ وجلَّ بعدَ فَناءِ الخلائقِ. واختلفوا في وقتِ قولِه عزَّ وجلَّ له على قولين: **أحدهما**: أنه يقوله عند فَناءِ الخلائقِ إذا لم يَبْقَ مُجِيبٌ. فَيَرُدُّ هو على نفسِه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه يقولُهُ يومَ القيامة. وفيمَنْ يُجيبُه حِينَئذٍ قولان: **أحدهما**: أنهُ يُجيبُ نفْسَه وقد سَكَتَ الخلائقُ لقوله تعالى؛ قاله عطاءٌ. **والثاني**: أنَّ الخلائقَ كلَّهم يُجيبونَهُ فيقولون: «لِلَّه الواحِد القهارِ»، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يوم القيامةِ، قاله الجمهور. قال ابنُ قُتَيبَة: وسُمِّيَتِ القيامةُ بذلك لِقُربِها، يُقال: أزِفَ شُخوصُ فُلانٍ، أي: قَرُبَ. **والثاني**: أنه يومُ حُضورِ المنيَّة، قاله قُطْرُبُ. قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أنها ترتقي إلى الحَناجِرِ فلا تخرجُ ولا تعودُ، هذا على القولِ الأول، وعلى الثاني: القلوب هي النُّفُوسُ تَبلُغُ الحَناجرَ عند حضورِ المَنِيَّة؛ قال الزَّجَّاجُ: و﴿كَٰظِمِينَ﴾ منصوبٌ على الحَالِ، والحالُ محمُولَةٌ على المعنى؛ لأنَّ القلوبَ لا يُقال لها: كاظِمِينَ، وإنما الكاظِمُونَ أصحابُ القلوب؛ فالمعنى: إذ قلوبُ الناس لَدَى الحَناجِرِ في حالِ كَظْمِهم. قال المُفسِّرون: «كاظِمين» أي: مَغمُومِينَ مُمتَلِئِينَ خوفاً وحُزناً، والكاظمُ: المُمْسِكُ للشيءِ على ما فيه، وقد أشرنا إلى هذا عندَ قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[1]. ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: قريبٍ ينفعُهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيهم فتُقبَل شفاعتُه. ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال ابنُ قُتيبَةَ: الخائِنَةُ والخِيانةُ واحدٌ. وللمُفسِّرين فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرجُلُ يكون في القوم فتَمُرُّ به المرأةُ فيُريهم أنه يغُضُّ بصرَهُ، فإذا رأى منهم غفلةً لَحَظَ إليها، فإنْ خافَ أنْ يَفطُنوا له غَضَّ بصرَهُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه نَظَرُ العَينِ إلى ما نُهِيَ عنه، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الغَمزُ بالعَينِ، قاله الضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ. قال قَتادَةُ: هو الغمزُ بالعَينِ فيما لا يُحِبُّه الله ولا يَرضاه. **والرابع**: النَّظرةُ بعد النَّظرةِ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما تُضمِرُه مِنَ الفعل أنْ لو قَدَرْتَ على ما نَظَرْتَ إليه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الوَسوسةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: ما

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

يُسِرُّه القلبُ مِنْ أمانةٍ أو خيانةٍ، حكاه الماوردِيُّ.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يَحكم به فيجزي بالحسنةِ والسيئةِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ مِنَ الآلهةِ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تدْعون» بالتاء، على معنى: قُلْ لهم: ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ أي: لا يَحْكُمون بشيءٍ ولا يُجازُون به؛ وقد نبّهَ اللَّه عزَّ وجلَّ بهذا على أنه حَيٌّ، لأنه إنَّما يأمرُ ويَقضي مَنْ كان حيًّا، وأيَّدَ ذلك بذِكرِ السَّمعِ والبَصرِ، لأنهما إنما يَثْبُتان لِحَيٍّ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بعضُه[1]. وبعضُه ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «أشَدَّ مِنكُم» بالكاف، وكذلك هو في مصاحِفهم، وهو على الانصراف مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطاب، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عذابِ الله ﴿مِن وَاقٍ﴾ يَقِي العذابَ عنهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك العذابُ الذي نزلَ بهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ...﴾ إلى آخر الآية. ثم ذكر قصةَ موسى وفِرعونَ لِيَعتبِروا. وأراد بقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أعيدوا القَتْلَ عليهم كما كان أوَّلاً، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قَتادةُ: كان فِرعونُ قَدْ كَفَّ عن قَتْلِ الوِلْدانِ، فلمَّا بعثَ اللَّه موسى، أعادَ عليهم القَتْلَ لِيَصُدَّهم بذلك عن مُتابعة موسى. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ أي: إنه يَذْهَبُ باطلاً ويَحِيقُ بهم ما يُريده اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ

(١) يوسف: ١٠٩.

يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ وإنما قال هذا، لأنه كان في خاصَّة فِرعونَ مَنْ يَمْنَعُه مِنْ قَتْله خوفاً مِنَ الهلاك ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعمُ أنه أرسلَه فلْيَمْنَعْهُ مِنَ القتل ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أي: عبادَتَكم إيَّايَ ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامر: «وأن» بغيرِ ألِفٍ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أو أن» بألِفٍ قبلَ الواو، على معنى: إنْ لم يُبدِّلْ دِينَكم أوْقَعَ الفَسادَ، إلاّ أنَّ نافعاً وأبا عمروٍ قرأ: «يُظْهِرَ» بضمِّ الياء «الفسادَ» بالنَّصب. وقرأ الباقون: «يَظْهَرَ» بفتح الياء «الفسادُ» بالرفعِ، والمعنى: يُظهر الفَسادَ بتغييرِ أحكامِنا، فجعلَ ذلك فَساداً بزعْمِه؛ وقيلَ: يَقتلُ أبناءَكم كما تفعلون بهم.

فلمَّا قال فِرعَونُ هذا، استَعاذَ موسى بربِّهِ فقال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ: «عُذْتُ» مَبيِّنَةَ الذَّالِ، وأدغمَها أبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وخلَفٌ ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ أي: مُتعظِّمٌ عن الإيمان. فقصدَ فِرعَونُ قتلَ موسى، فقال حِينئذٍ ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وفي الآلِ ها هنا قولان[١]: **أحدهما**: أنه بمعنى الأهلِ والنَّسَبِ، قال السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ: كان ابنَ عَمِّ فِرعونَ، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[٢]. **والثاني**: أنه بمعنى القبيلةِ والعَشيرةِ، قال قَتادةُ ومُقاتِلٌ: كان قِبْطِيّاً. وقال قومٌ: كان إسرائيلياً، وإنما المعنى: قال رجلٌ مؤمنٌ يَكتُمُ إيمانَهُ مِنْ آلِ فِرعَونَ. وفي اسمِه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: حزبيل، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: حَبيب، قاله كَعبٌ. **والثالث**: سمعون، بالسِّين المُهمَلَةِ، قاله شُعَيبٌ الجَبَّائيُّ. **الرابع**: جِبريلُ. **والخامس**: شمعان، بالشين المُعجَمةِ، رُويا عن ابنِ إسحاقَ، وكذلك حكى الزَّجَّاجُ «شمعان» بالشين، وذكره ابنُ ماكولا بالشين المُعجَمَةِ أيضاً. والأكثرون على أنه آمَنَ بموسى لمَّا جاء. وقال الحسَنُ: كان مؤمناً قبلَ مجيءِ موسى. وكذلك امرأةُ فِرعَونَ، قال مُقاتِلٌ: كتَمَ إيمانَهُ مِنْ فِرعَونَ مائةَ سنةٍ.

قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ أي: لأَنْ يقولَ ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ وهذا استفهامُ إنكارٍ ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بما يدُلُّ على صِدْقِه ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي لا يَضرُّكُم ذلك ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ مِنَ العذاب. وفي «بَعْض» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى «كُلّ»، قاله أبو عُبيدَةَ، وأنشدَ لِلَبِيدِ:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٩٢: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون قال السدي: كان ابن عم فرعون، ويقال: إنه الذي نجا مع موسى، واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون انفعل لكلامه واستحقه، وكف عن قتل موسى عليه السلام، ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل له بالعقوبة، لأنه منهم.

(٢) القصص: ٢٠.

تَـرَّاكُ أَمْـكِـنَـةٍ إِذا لَـمْ أَرْضَـهـا أَوْ يَـعْـتَـلِقْ بَـعْـضَ الـنُّـفـوسِ حِـمَـامُـهـا

أراد: كُلَّ النُّفوس. **والثاني**: أنها صِلَةٌ، والمعنى: يُصِبْكُم الذي يَعِدُكم، حُكِيَ عن اللَّيْث.

والثالث: أنها على أصلِها، ثم في ذلك قولان **أحدهما**: أنه وَعدَهُم النَّجاةَ إنْ آمنوا، والهَلاكَ إنْ كَفروا، فدَخلَ ذِكْرُ البعضِ لأنهم على أحدِ الحالَيْن. **والثاني**: أنه وَعدَهُم على كُفرِهِم الهلاكَ في الدنيا والعذابَ في الآخرة، فَصارَ هلاكُهم في الدنيا بعضَ الوَعْدِ، ذكرهما المَاوَرديُ.

قال الزَّجَّاجُ: هذا بابٌ مِنَ النَّظرِ يذهب فيه المُناظِرُ إلى إلزامِ الحُجَّةِ بأيسَرِ ما في الأمرِ، وليس في هذا نَفيُ إصابةِ الكُلِّ، ومثلُه قول الشاعر:

قَـدْ يُـدْرِكُ الـمُـتَـأنِّي بَـعْـضَ حَـاجَـتِـهِ وَقَـدْ يَـكُـونُ مِـنَ الـمُـسْـتَـعْـجِـلِ الـزَّلَـلُ[1]

وإنما ذَكَر البعضَ لِيُوجِبَ الكُلَّ، لأنَّ البعضَ مِنَ الكلِّ، ولكنَّ القائلَ إذا قال: أقَلُّ ما يكون للمُتأنِّي إدراكُ بعضِ الحاجةِ، وأقلُّ ما يكون للمُستَعجلِ الزَّلَلُ، فقد أبَانَ فَضلَ المُتأنِّي على المُستعجِلِ، بما لا يَقْدِر الخَصمُ أنْ يدفعَهُ، فكأنَّ المؤمنَ قال لهم: أقَلُّ ما يكون في صِدْقِه أنْ يُصيبَكم بعضُ الذي يَعِدُكم وفي بعضِ ذلك هلاكُكُم، قال: وأمَّا بيتُ لَبِيدٍ: فإنه أراد ببعضِ النُّفوسِ: نَفْسَه وحدَها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى﴾ أي: لا يُوفِّقُ للصَّواب ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٌ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه المُشرِكُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه السَّفَّاكُ الدَّم، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: عَالِينَ في أرضِ مِصْرَ ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ أي: مَنْ يَمْنَعُنا ﴿مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ عذابِه؛ والمعنى: لا تَتعرَّضوا للعذابِ بالتَّكذيبِ وقَتْلِ النَّبيِّ؛ فقال فِرعَونُ عند ذلك: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ﴾ مِنَ الرَّأيِ والنَّصيحةِ ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لِنفسِي ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ﴾ أي: أدْعُوكم إلاَّ إلى طريقِ الهُدى في تكذيبِ موسى والإيمانِ بي، وهذا يَدُلُّ على أنه انقطَعَ عن جوابِ المؤمنِ. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: مِثْلَ يَوم حِزبٍ حِزبٍ؛ والمعنى: أخافُ أنْ تُقيموا على كُفرِكُم فينزلَ بكم مِنَ العذابِ مِثْلُ ما نَزلَ بالأُمَمِ المُكَذِّبَةِ رُسُلَهُم. قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ قرأ عاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «التَّنادِ» بغيرِ ياءٍ. وأثبتَ الياءَ في الوَصْلِ والوَقْفِ ابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ، وَافَقَهُم أبو جعفرَ في الوَصْلِ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ جُبَيرٍ، وأبو العَالِيةِ، والضَّحَّاكُ: «التَّنادِّ» بتشديدِ الدالِ. قال الزَّجَّاجُ: أمَّا إثباتُ الياءِ فهو الأصلُ، وحَذفُها حسنٌ جميلٌ، لأنَّ الكسرةَ تدُلُّ على الياءِ، وهو رأسُ آيةٍ، وأواخرُ هذه الآياتِ على الدَّالِ، ومَنْ قرأ بالتشديدِ، فهو مِنْ قولِهم: نَدَّ فُلانٌ، ونَدَّ البَعيرُ: إذا هربَ على وَجْهِه، ويدلُّ على هذا قولُه: «يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ» وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾[2]؛ قال أبو عليٍّ: معنى الكلام: إنِّي أخافُ عليكم عذابَ يوم التَّنادِ. قال الضَّحَّاكُ: إذا سمعَ الناسُ زَفيرَ جهنَّمَ وشَهيقَهَا نَدُّوا فِراراً منها في الأرضِ، فلا يَتوجَّهونَ قُطْراً مِنْ أقطار الأرض إلاَّ رَأَوْا ملائكةً، فيَرجِعون مِنْ حيثُ جاؤوا. وقال غيرُه: يُؤمَر بهم إلى النَّارِ فَيفِرُّون ولا عاصِمَ لهم. فأمَّا قراءةُ التخفيفِ، فهي مِنَ النِّداءِ، وفيها للمُفسِّرين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عندَ نَفخَةِ الفَزعِ يُنادي الناسُ بعضُهم بعضاً.

---

(١) البيت للقطامي، واسمه عمير.

(٢) عبس: ٣٤.

[١٢٣٨] روى أبو هُريرَة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يأمرُ اللّهُ عزَّ وجلَّ إسرَافيلَ بالنَّفخةِ الأولى فيقول: انفُخ نفخَةَ الفَزعِ، فيَفزَعُ أهلُ السمواتِ والأرضِ إلاّ مَنْ شاء اللّهُ، فتُسيَّر الجبالُ، وتُرَجُّ الأرضُ، وتَذهَلُ المَراضِعُ، وتضعُ الحَوامِلُ، ويُولّي الناسُ مُدبِرينَ يُنادي بعضُهم بعضاً، وهو قوله: «يومَ التَّناد».

والثاني: أنه نِداءُ أهلِ الجنَّةِ والنَّارِ بعضِهم بعضاً كما ذُكِرَ في الأعراف(١)، وهذا قولُ قَتادَةَ.

والثالث: أنه قولُهم: يا حَسْرَتنا، يا وَيلَتَنا، قاله ابنُ جُريجٍ. **والرابع**: أنه يُنادي فيه كلُّ أُناسٍ بإمامِهم بسعادةِ السُّعداءِ وشَقاوَةِ الأشقياءِ.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: هرباً مِنَ النَّارِ. **والثاني**: أنه انصِرَافُهم إلى النَّارِ. قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ أي: مِنْ مانعٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ﴾ وهو يُوسفُ بنُ يعقوبَ، ويُقال: إنه ليس به، وليس بشيءٍ. قوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: مِنْ قَبلِ موسى ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ وهي الدَّلالاتُ على التوحيدِ، كقوله تعالى: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ...﴾ الآية(٢)، وقال ابنُ السَّائبِ: البيِّناتُ: تعبيرُ الرُّؤيا وشَقُّ القميصِ،

[١٢٣٨] هو بعض حديث الصور الطويل: أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦ وأبو الشيخ في «العظمة ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩ والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ ـ ٣١ ـ ٣٢. وإسحق بن راهوية كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واهٍ، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في «الميزان» ٨٧٢: ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر اهـ باختصار وقد اضطرب فيه فرواه عن مجهول عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن محمد بن كعب عن مجهول عن أبي هريرة، وتارة بدون واسطة وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله. فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف اهـ وقال البوصيري في ١/ ٢١: تابعيه مجهول، وجاء في «الفتح» ١١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، فرواه تارة عن القرظي بلا واسطة، وتارة بذكر رجل مبهم بينهما، وتارة عن القرظي عن أبي هريرة، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل، فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقاً واحداً. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع: القاضي: أبو بكر العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ. وتكلم عليه أيضاً ابن كثير رحمه الله في «نهاية البداية» ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ وخلاصة القول أنه حديث ضعيف بتمامه، وبعض ألفاظه في الصحيحين، وغيرهما، وبعضه في الكتب المعتبرة. وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه. وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٠ بتخريجنا.

---

(١) الأعراف: ٤٤، ٥٠.

(٢) يوسف: ٣٩.

وقيل: بل بعثَهُ اللَّهُ تعالى بعد موتِ مَلِكِ مِصْرَ إلى القِبْطِ. قوله تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ﴾ أي: مِنْ عبادة الله وحدَهُ ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ أي: مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: إنكم أقمتُم على كُفرِكُم وظَنَنْتُم أنَّ الله لا يُجَدِّد إيجابَ الحُجَّةِ عليكم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثْلَ هذا الضَّلالِ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أي: مُشْرِكٌ ﴿مُّرْتَابٌ﴾ أي: شاكٌّ في التوحيدِ وصِدْقِ الرُّسلِ.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا تفسيرُ المُسْرِفِ المُرْتابِ، والمعنى: هُمُ الذين يُجادِلونَ في آياتِ الله. قال المُفسِّرون: يُجادِلونَ في إبطالِها والتكذيبِ بها بغيرِ سُلْطانٍ، أي: بغيرِ حُجَّةٍ أتَتْهم مِنَ الله. ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي: كَبُرَ جِدالُهم مَقْتاً عندَ الله وعندَ الذين آمنوا، والمعنى: يَمْقُتُهم اللَّهُ ويَمْقُتُهم المؤمنون بذلك الجِدالِ. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما طَبَعَ اللَّهُ على قلوبِهم حتى كذَّبوا وجادَلُوا بالباطِلِ، يَطْبَعُ ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ عن عبادةِ الله وتوحيدِه. وقد سبقَ بيانُ معنى الجَبَّارِ في هود[1]. وقرأ أبو عمروٍ: «على كلِّ قلبٍ» بالتنوين، وغيرُه مِنَ القُرَّاءِ السبعةِ يُضيفه. وقال أبو عليٍّ: المعنى: يَطبعُ على جملةِ القلبِ مِنَ المُتكبِّر. واختار قراءةَ الإضافةِ الزَّجَّاجُ، قال: لأنَّ المُتكبِّرَ هو الإنسانُ لا القلبُ. فإنْ قيلَ: لو كانت هذه القراءةُ أصوَبَ لَتقدَّم القلبُ على الكُلِّ؟ فالجواب: أنَّ هذا جائزٌ عند العرب، قال الفَرَّاءُ: تقدُّمُ هذا وتأخُّره واحدٌ، سمعتُ بعضَ العرب يقول: هو يُرَجِّل شَعْرَهُ يومَ كلِّ جُمعةٍ، يريد: كلَّ يومِ جُمعةٍ، والمعنى واحدٌ. وقد قرأ ابنُ مسعودٍ وأبو عِمرانَ الجَوْنيّ: «على قلبِ كلِّ متكبِّرٍ» بتقديم القلبِ.

قال المُفسِّرون: فلمَّا وَعظ المؤمنُ فِرعَونَ وزَجرهُ عن قَتْلِ موسى، قال فِرعَونُ لِوَزيرِه: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ وقد ذكرناه في القَصص[2]. قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وقَتادةُ: يعني أبوابَها. وقال أبو صالح: طُرُقها. وقال غيرُه: المعنى: لَعَلِّي أبلُغُ الطُّرُقَ مِنْ سماءٍ إلى سماءٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لَعَلِّي أبلُغ ما يُؤدِّيني إلى السَّمواتِ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في القَصص[3] إلى قولِه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومِثْلُ ما وَصَفْنا ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ﴾ عن سبيلِ الهُدى. قرأ عاصِمٌ، وحمزةُ والكِسائيُّ: «وصُدَّ» بضمِّ الصاد، والباقون بفتحِها، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطالِ آياتِ موسى ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في بُطلانٍ وخُسرانٍ.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) هود: ٥٩. (٢) القصص: ٣٨. (٣) القصص: ٣٨.

ثم عادَ الكلامُ إلى نصيحةِ المؤمنِ لِقومِه، وهو قوله: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ أي: طريقَ الهُدى، ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يعني: الحياةُ في هذه الدَّارِ مَتاعٌ يُتمتَّع بها أياماً ثم تنقطِعُ ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ التي لا زَوالَ لها. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الشركُ، ومِثلُها جهنَّمُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: المعاصي، ومِثلُها: العقوبةُ بمقدارِها، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. فعلَى الأول، العملُ الصَّالحُ: التوحيدُ، وعلى الثاني، هو على الإطلاقِ. قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يُدخَلونَ» بضمِّ الياء. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالفتح، وعن عاصمٍ كالقراءتَينِ. وفي قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم لا تَبِعَةَ عليهم فيما يُعطَوْنَ في الجنَّةِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه يُصَبُّ عليهم الرِّزقُ صَبّاً بغيرِ تقتيرٍ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ﴾ أي ما لَكُم، كما تقول: ما لي أراكَ حزيناً، معناه: ما لَكَ، ومعنى الآية: أخبِرُوني كيفَ هذه الحالُ، أدعُوكم ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ مِنَ النَّارِ بالإيمانِ ﴿وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي إلى الشِّركِ الذي يُوجِبُ النَّارَ؟! ثم فسَّرَ الدَّعوتَين بما بعدَ هذا.

ومعنى ﴿لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: لا أعلَمُ هذا الذي ادَّعوْه شريكاً له. وقد سَبقَ بيانُ ما بعدَ هذا[1] إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: ليس له استِجابةُ دَعوَةٍ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: ليس له شفاعةٌ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مَرْجِعُنا؛ والمعنى أنه يُجازينا بأعمالِنا. وفي المُسْرِفِينَ قولان قد ذكرناهما عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العَالِيةِ، وأبو عِمرانَ الجَوْنيُّ، وأبو رَجاءٍ: «فستَذَكَّرونَ» بفتحِ الذال وتخفيفِها وتشديدِ الكاف وفَتْحِها؛ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأيوبُ السَّخْتِيانيُّ: بفتحِ الذالِ والكافِ وتشديدِهما جميعاً. أي: إذا نَزلَ العذابُ بكُم، ما أقولُ لكُم في الدنيا مِنَ النَّصيحةِ؟! ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أرُدُّه، وذلك أنهم تَواعَدُوه لِمُخالَفتِهِ دِينَهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي: بأوليائِه وأعدائِه. ثم خَرجَ المؤمنُ عنهم، فطَلَبوه فلم يَقدِروا عليه، ونَجا مع

---

(١) البقرة: ١٢٩، طه: ٨٢.
(٢) غافر: ٢٨.

موسى لمّا عَبَرَ البحرَ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ أي: ما أرادوا به مِنَ الشَّرِّ ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ لمّا لَجُوا في البحرِ ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال المُفسِّرون: هو الغرقُ. قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[(١)]، قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ: إنَّ أرواحَ آلِ فِرعَونَ في أجوافِ طَيرٍ سُودٍ يُعرَضُونَ على النَّارِ كُلَّ يوم مرَّتين فيُقال: يا آلَ فِرعَونَ هذه دارُكم. وروى ابنُ جريرٍ قال: حدَّثنا عبدُ الكريم بنُ أبي عُمَيرٍ، قال: حدَّثنا حَمَّادُ بنُ محمَّدٍ البَلْخيُّ قال: سمعتُ الأوزاعيَّ، وسأله رجلٌ، فقال: رأينا طُيوراً تخرجُ مِنَ البحر فتأخذُ ناحيةَ الغربِ بيضاً، فَوْجاً فَوْجاً، لا يَعلَمُ عددَها إلاَّ اللَّهُ، فإذا كان العَشِيُّ رَجعَ مثلُها سُوداً، قال: وفَطِنتُم إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إنَّ تلكَ الطَّيرَ في حواصِلِها أرواحُ آلِ فِرعَونَ يُعرَضُونَ على النَّارِ غُدوّاً وعَشِيّاً، فترجِعُ إلى وَكُورِها وقد احترقَتْ رِياشُها وصارت سَوداءَ، فيَنْبتُ عليها مِنَ الليل رِياشٌ بِيضٌ، وتَتناثَرُ السُّودُ، ثم تَغدُو ويُعرَضون على النَّارِ غُدوّاً وعشِيّاً، فذلك دَأبُها في الدنيا، فإذا كانَ يومُ القيامة قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[(٢)].

[١٢٣٩] وقد رَوى البُخاريُ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُه بالغَداةِ والعَشِيِّ، إنْ كان مِنْ أهلِ الجنَّةِ فَمِنْ أهلِ الجنَّةِ، وإنْ كان مِنْ أهلِ النَّارِ فَمِنْ أهلِ النَّارِ، يُقال: هذا مَقعَدُكَ حتى يَبعثَكَ اللَّهُ إليه يومَ القيامةِ».

وهذه الآيةُ تدلُّ على عذابِ القبرِ، لأنه بَيَّنَ ما لهم في الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟﴾

[١٢٣٩] صحيح. أخرجه البخاري ١٣٧٩ ومسلم ٢٨٦٦ح ٦٥ والنسائي ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨ وأحمد ٢/ ١١٣ ومالك ١/ ٢٣٩ والبغوي في «شرح السنة ١٥١٨ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ٤٨ من طرق عن مالك به. وأخرجه البخاري ٣٢٤٠ و ٦٥١٥ والترمذي ١٠٧٢ والنسائي ٤/ ١٠٧ وابن ماجة ٤٢٧٠ وأحمد ٢/ ١٦ و ٥١ و ١٢٣ والطيالسي ١٨٣٢ من طرق عن نافع به. وأخرجه مسلم ٢٨٦٦ح ٦٦ والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» ٤٩ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر به.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٩٦: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾. ولكن ها هنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ، والجواب: أن الآية دلّت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث التي تدل أنه لا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها، فلما أوحي إليه في ذلك بخصوصيته استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم. ومن الأحاديث ـ حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود، وهي تقول: أشعرتِ أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور؟» وقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر. هكذا رواه مسلم. وفي رواية البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، أن يهودية دخلت عليها فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «نعم، عذاب القبر حق». قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر. وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً.

(٢) أثر باطل. أخرجه الطبري ٣٠٣٧ وإسناده واهٍ، عبد الكريم، قال عنه الذهبي في «الميزان» ٢/ ٦٤٤: فيه جهالة اهـ. وشيخه لم أجد له ترجمة، والأثر باطل.

قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ وأبو عمرو، وأبو بكرٍ وأبَانُ عن عاصِم: «الساعةُ ادْخُلوا» بالضمِّ، وضمِّ الخاء على معنى الأمرِ لهم بالدخول، والابتداءُ على قراءةِ هؤلاءِ بضمِّ الألِفِ. وقرأ الباقون: بالقَطْعِ مع كَسْرِ الخاء على جِهةِ الأمرِ للملائكة بإدخالِهم، وهؤلاء يَبْتَدِئون بفَتْحِ الألِفِ.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ المعنى: واذكر لِقومكَ يا محمَّدُ إذ يختَصِمون، يعني أهلَ النَّار، والآيةُ مفسَّرة في إبراهيم[1]. والذين استكبَروا هم القادةُ. ومعنى ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ أي: نحن وأنتم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ أي: قَضى هذا علينا وعليكم. ومعنى قول الخَزَنَةِ لهم: ﴿فَٱدْعُوا۟﴾ أي: نحنُ لا ندْعو لكم ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: إنَّ ذلك يَبْطُلُ ولا يَنفَعُ.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ ذلك بإثباتِ حُجَجِهم. **والثاني**: بإهلاكِ عَدُوِّهم. **والثالث**: بأنَّ العاقبةَ تكون لهم. وفَصْلُ الخِطَابِ: أنَّ نصرَهُم حاصلٌ لا بُدَّ منه، فتارةً يكون بإعلاءِ أمرِهم كما أعطى داودَ وسُليمانَ مِنَ المُلْكِ ما قَهرا به كلَّ كافرٍ، وأظهَرَ محمَّداً ﷺ على مُكذِّبيهِ، وتارةً يكون بالانتقام مِنْ مُكذِّبيهم بإنجاءِ الرُّسلِ وإهلاكِ أعدائِهم، كما فَعلَ بنُوحٍ وقومِه وموسى وقومِه، وتارةً يكون بالانتقام مِنْ مُكذِّبيهم بعدَ وفاةِ الرُّسُلِ، كتَسْليطِه بُخْتنصَّرَ على قَتَلةِ يَحيى بن زكريَّا. وأمَّا نصرُهم يومَ يقومُ الأشهادُ، فإنَّ الله مُنَجِّيهم مِنَ العذاب، وواحدُ الأشهادِ شاهِدٌ، كما أنَّ واحدَ الأصحابِ صاحِبٌ. وفي الأشهادِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الملائكةُ، شَهِدوا للأنبياءِ بالإبلاغ وعلى الأُمَم بالتَّكذيب، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. قال مُقاتِلٌ: وهم الحَفَظَةُ مِنَ الملائكة. **والثاني**: الملائكةُ والأنبياءُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنهم أربعةٌ: الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنون والجَوارِحُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ: «تَنفَعُ» بالتاء، والباقون بالياء؛ لأنَّ المعذرةَ والاعتِذارَ بمعنىً ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي: لا يُقْبَلُ منهم إنِ اعتَذَروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعدُ مِنَ الرَّحمةِ. وقد بيَّنَّا في الرَّعد[2] أنَّ «لهم» بمعنى «عليهم»، و ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: النَّارُ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) إبراهيم: ٢١.

(٢) الرعد: ٢٥.

يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ مِنَ الضَّلالَةِ، يعني التَّوراةَ ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بعدَ موسى، وهو التَّوراةُ أيضاً في قولِ الأكثرين، وقال ابنُ السَّائبِ: التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ، والذِّكرى بمعنى التَّذكيرِ. ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ في نَصرِكَ، وهذه الآيةُ في هذه السُّورةِ في موضعين[(١)]، وقد ذكروا أنها مَنسوخةٌ بآيةِ السيفِ. ومعنى «سَبِّح»: صَلِّ. وفي المرادِ بصلاةِ العَشيِّ والإبكارِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الصَّلواتُ الخمسُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: صلاةُ الغداةِ وصلاةُ العصرِ، قاله قتادةُ. **والثالث**: أنها صلاةٌ كانت قبلَ أنْ تُفرضَ الصَّلواتُ، رَكعتانِ غُدْوةً، ورَكعتانِ عَشيَّةً، قاله الحسَنُ.

وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ آنفاً[(٢)] إلى قوله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ الآيةُ، نزلت في قُريشٍ؛ والمعنى: ما يَحملُهم على تكذيبِكَ إلاَّ ما في صُدورِهم مِنَ التكبُّرِ عليكَ، وما هم بِبَالِغي مقتضى ذلك الكِبْرِ، لأنَّ الله تعالى مُذِلُّهم، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ مِنْ شَرِّهم؛ ثم نَبَّهَ على قُدرتِه بقوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: مِنْ إعادتِهم، وذلك لِكثرةِ أجزائِها وعِظَمِ جِرْمِها، فنبَّهَهم على قُدرتِه على إعادةِ الخَلْقِ. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني الكفَّارَ حينَ لا يَستدِلُّون بذلك على

(١) غافر: ٥٥، ٧٧.
(٢) غافر: ٤.

التوحيد. وقال مُقاتِلٌ[١]. عَظَّمَتِ اليهودُ الدَّجَّالَ وقالوا: إنَّ صاحبَنا يُبعَثُ في آخرِ الزَّمانِ وله سُلطانٌ، فقال اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ الدَّجَّالَ مِنْ آياتِه، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ أي: بغيرِ حُجَّةٍ، فاستَعِذْ باللهِ مِنْ فِتنَةِ الدَّجَّالِ. قال: والمُرادُ بـ «خَلْقِ الناس»: الدَّجَّالُ، وإلى نحوِ هذا ذهب أبو العَالِيةِ، والأولُ أصحُّ[٢].

وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وَحِّدُوني واعبُدُوني أُثِبْكُم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: سَلُوني أُعطِكُم، قاله السُّدِّيُّ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فيه قولان: **أحدهما**: عن تَوحيدِي. **والثاني**: عن دُعائِي ومَسْأَلَتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ، وعباسُ بنُ الفَضلِ عن أبي عمروٍ: «سيُدْخَلونَ» بضَمِّ الياء، والباقون بفَتحِها، والدَّاخِرُ: الصَّاغِرُ. وما بعدَ هذا قد سبقَ في مواضِعَ مُتفرِّقةٍ[٣] إلى قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وهو أجلُ الحياة إلى الموتِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ توحيدَ اللَّهِ وقُدرتَه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن، يقولون: ليس مِنْ عندِ الله، ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف صُرِفوا عن الحقِّ إلى الباطلِ؟! وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم القَدَرِيَّةُ، ذكره جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين، وكان ابنُ سِيرِينَ يقول: إنْ لم تكُنْ نزلت في القَدَرِيَّةِ فلا أدري فِيمَنْ نزلَتْ.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو مِجْلَزٍ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبْلَةَ: «والسلاسلَ يَسحبونَ» بفتحِ اللامِ والياءِ. وقال ابنُ عباسٍ: إذا سَحَبُوها كان أشدَّ عليهم.

قوله تعالى: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ قال مجاهد: تُوقَد بهم النارُ فصاروا وَقودَها.

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ مفسَّر في الأعراف[٤]. وفي قوله: ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ قولان: **أحدهما**: أنهم أرادوا أنَّ الأصنامَ لم تكُنْ شيئاً، لأنها لم تكُنْ تضرُّ ولا تنفعُ، وهو قول الأكثرين. **والثاني**: أنهم قالوه على وَجْهِ الجُحودِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضلَّ اللَّهُ هؤلاءِ يُضِلُّ الكافرين.

---

(١) عزاه لمقاتل، وهو متروك متهم.
(٢) مراد المصنف، أنها نزلت في قريش، هو الأصح. والله أعلم. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٠٠: وقال كعب وأبو العالية: نزلت هذه الآية في اليهود. وهذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.
(٣) يونس: ٦٧، القصص: ٧٣، الأنعام: ٩٥، النمل: ٦١، الأعراف: ٢٩، الحج: ٥.
(٤) الأعراف: ١٩٠.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾

﴿ذَٰلِكُم﴾ العذابُ الذي نَزلَ بكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بالباطل ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ وقد شرحنا المَرَحَ في بني إسرائيل[1]، وما بعدَ هذا قد تقدَّم بتمامِه[2] إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وذلك لأنهم كانوا يقترحون عليه الآياتِ ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وهو قضاؤه بينَ الأنبياء وأُمَمِهم، و ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾: أصحابُ الباطل.

قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: حَوائجَكم في البلاد. قوله تعالى: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ استفهامُ توبيخ. قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: أنها للنفي. **والثاني**: أنها للاستفهام، ذكرهما ابنُ جريرٍ.

قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الأُمَمُ المكذِّبةُ، قاله الجمهور، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلَمُ منهم لن نُبْعَث ولن نُحاسَب، قاله مُجاهِدٌ. والثاني: فَرِحوا بما كان عندهم أنه عِلْمٌ، قاله السُّدِّيُّ. **والقول الثاني**: أنهم الرُّسل، والمعنى: فَرِحَ الرُّسلُ لمَّا هَلكَ المُكذِّبون ونَجَوْا بما عندهم مِنَ العِلْم بالله إذ جاء تصديقُه، حكاه أبو سُليمانَ وغيرُه. قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعني بالمُكذِّبينَ العذاب الذي كانوا به يستهزئون. والبأسُ: العذابُ. ومعنى ﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾: أنه سَنَّ هذه السُّنَّةَ في الأُمَمِ، أي: أنَّ إيمانَهم لا ينفعُهم إذا رأوا العذابَ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾.

فإنْ قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبلَ ذلك؟ فعَنْهُ جوابان. **أحدهما**: أنَّ «خسر» بمعنى «هلك»، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه إنما بيَّن لهم خُسرانَهم عند نزولِ العذاب، قاله الزَّجَّاجُ.

---

(١) الإسراء: ٣٧.
(٢) النحل: ٢٩، يونس: ١٠٩، النساء: ١٦٤.

ترتيبها ٤١ — **سورة فصلت** — آياتها ٥٤

مكية كلها بإجماعهم، ويقال لها: سجدة المؤمن، ويقال لها: المصابيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ
وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ
﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ قال الفرَّاءُ: يجوز أنْ يرتفعَ «تنزيلٌ» بـ ﴿حمٓ﴾، ويجوز أنْ يرتفعَ بإضمارِ «هذا». وقال الزَّجّاجُ: «تنزيلٌ» مبتدأ، وخبره «كتابٌ فُصِّلَتْ آياته»، هذا مذهبُ البصريِّين، و ﴿قُرۡءَانًا﴾ منصوبٌ على الحالِ، المعنى: بُيِّنَتْ آياتُه في حالِ جَمْعِه، ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ أي لِمَنْ يَعلَمُ. قوله تعالى: ﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ تكبُّراً عنه، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ أي: في أغطيةٍ فلا نَفقَهُ قولَك. وقد سبق بيانُ «الأكِنَّة» و «الوَقْر» في الأنعام[1]. ومعنى الكلام: إنَّا في تَرْكِ القَبولِ منكَ بمنزلةِ مَنْ لا يَسمعُ ولا يَفهمُ، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ أي: حاجزٌ في النِّحْلةِ والدِّينِ. قال الأخفشُ: «ومن» ها هنا للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: اعْمَلْ في إبطالِ أمرنا إنَّا عامِلُونَ على إبطالِ أمرِكَ. **والثاني**: اعْمَلْ على دِيْنِكَ إنَّا عاملونَ على دِيْنِنا. ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ أي: لولا الوَحْيُ لَما دَعوتُكم. ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ أي: توجَّهوا إليه بالطاعة. واستغفِروه مِنَ الشِّركِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لا يَشهدونَ أنْ «لا إلهَ إلاَّ

---

(١) الأنعام: ٢٥

(٢) قال الطبري رحمه الله في «التفسير» ١١/٨٦: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة.
ـ وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١٠٩: قال قتادة: يمنعون زكاة أموالهم. وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر. لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة =

اللَّهُ»، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عكرمَةُ، والمعنى: لا يُطهِّرون أنفُسَهم مِنَ الشِّركِ بالتوحيد. **والثاني**: لا يُؤمِنون بالزَّكاة ولا يُقِرُّون بها، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: لا يُزكُّون أعمالَهم، قاله مُجاهِدٌ، والرَّبيعُ. **والرابع**: لا يَتصدَّقون، ولا يُنفِقون في الطَّاعاتِ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: لا يُعطُون زكاةَ أموالِهم، قال ابنُ السَّائبِ: كانوا يَحُجُّون ويَعتَمِرون ولا يُزكُّون.

قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مَقطوعٍ ولا مَنقوصٍ.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: في يوم الأحدِ والاثنينِ، وبه قال عبدُ اللهِ بنُ سَلامٍ، والسُّدِّيُّ، والأكثرون. وقال مُقاتِلٌ: في يومِ الثلاثاءِ والأربعاءِ.

[١٢٤٠] وقد أخرجَ مُسلِمٌ في أفرادِه مِنْ حديث أبي هُريرةَ قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بيدي، فقال: «خَلَقَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ التُّربةَ يومَ السَّبتِ، وخَلَقَ الجبالَ فيها يومَ الأحدِ، وخَلَقَ الشَّجرَ فيها يومَ الاثنينِ، وخَلَقَ المَكروهَ يومَ الثلاثاءِ، وخَلَقَ النُّورَ يومَ الأربعاءِ، وبَثَّ فيها الدَّوابَّ يومَ الخميسِ»، وهذا الحديثُ يُخالِف ما تقدَّم وهو أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ قد شرحناه في البقرة[1] و﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَ ما ذُكِرَ ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابِتَ مِنْ فوق الأرض، ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ بالأشجارِ والثِّمارِ والحُبوبِ والأنهارِ، وقيلَ: البَركةُ فيها: أنْ يُنمِيَ فيها الزَّرعَ، فتخرج الحبَّةُ حبَّاتٍ، والنَّواةُ نخلةً ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هي جمعُ قُوتٍ، وهي الأرزاقُ وما يُحتاجُ إليه. وللمُفسِّرين في هذا التَّقدير خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه شقَّقَ الأنهارَ وغَرسَ الأشجارَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه قَسَمَ أرزاقَ العِبادِ والبَهائِم، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أقواتُها مِنَ المطرِ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: قدَّرَ لكلِّ بلدةٍ ما لم

[١٢٤٠] تقدم تخريجه في الجزء الأول، وهو أحد الأحاديث التي تكلم فيها، وهو في صحيح مسلم ٢٧٨٩.

= مأموراً به في ابتداء البعثة، كقوله: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ فأما الزكاة ذات النُصب والمقادير فإنما بُيِّن أمرُها بالمدينة، ويكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله على رسوله الصلوات الخمس، وفصّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً، والله أعلم.

(١) البقرة: ٢٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٩٠: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾، ولا قول في ذلك أصح مما قال جل ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها لما وصفنا من العلة.

يجعله في الأخرى كما أنَّ ثيابَ اليَمَنِ لا تَصلُحُ إلاَّ بـ «اليَمَن» والهرويَّة بـ «هراة» ليعيشَ بعضُهم مِنْ بعضٍ بالتجارة، قاله عِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ. **والخامس**: قدَّر البُرَّ لأهلِ قُطرٍ، والتَّمْرَ لأهلِ قُطرٍ، والذُّرَةَ لأهلِ قُطرٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: في تتمةِ أربعةِ أيَّام. قال الأخفشُ: ومثلُه أنْ تقولَ: تزوَّجتُ أمسِ امرأةً، واليومَ ثِنْتَين، وإحداهما التي تزوَّجتَها أمسِ. قال المُفسِّرون: يعني: الثلاثاءَ والأربعاءَ، وهما مع الأحدِ والاثنينِ أربعةُ أيام. قوله تعالى: ﴿سَوَآءٗ﴾ قرأ أبو جعفرَ: «سواءٌ» بالرفع. وقرأ يعقوبُ، وعبدُ الوارثِ: «سواءٍ» بالجرِّ. وقرأ الباقون مِنَ العَشَرة: بالنَّصبِ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ بالخَفضِ، جَعلَ «سواء» مِنْ صفة الأيَّام؛ فالمعنى: في أربعةِ أيَّامٍ مُستوياتٍ تامَّاتٍ؛ ومَنْ نَصبَ، فَعلى المصدر؛ فالمعنى: استوَتْ سواءً واستِواءً؛ ومَنْ رَفعَ، فَعلى معنى: هي سواءٌ. وفي قوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ وجهان: **أحدهما**: للسائلين القُوت، لأنَّ كُلاًّ يَطلُبُ القُوتَ ويَسألُه. **والثاني**: لِمَنْ يَسألُ: في كَمْ خُلِقَتِ الأرضُ؟ فيُقال: خُلِقَتْ في أربعة أيَّام سواءً، لا زيادةَ ولا نُقصانَ. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قد شَرحناه في البقرة[1] ﴿وَهِىَ دُخَانٞ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه لمَّا خَلَقَ الماءَ أَرسَلَ عليه الرِّيحَ فثارَ منه دُخانٌ فارتفعَ وسَمَا، فَسمَّاه سماءً. **والثاني**: أنه لمَّا خَلَقَ الأرضَ أرسَلَ عليها ناراً، فارتفعَ منها دُخانٌ فَسما. قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: قال للسَّماء: أَظْهِري شَمْسَكِ وقَمرَكِ ونُجومَكِ، وقال للأرضِ: شَقِّقي أنهارَكِ، وأخرِجي ثِمارَكِ، ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحالِ، وإنما لم يَقُلْ: طائعاتٍ، لأنهنَّ جَرَيْنَ مَجرى ما يَعْقِلُ ويُميِّز، كما قال في النُّجوم: ﴿وَكُلّٞ فِى فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2]، قال: وقد قيلَ: أَتَيْنا نحنُ ومَنْ فينا طائعين. ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أي: خَلقهنَّ وصَنعهنَّ، قال أبو ذُؤيبٍ الهُذَليُّ:

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا … داوُدُ أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ[3]

معناه: عَمِلَهما وصَنعهما.

قوله تعالى: ﴿فِى يَوۡمَيۡنِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وعبدُ الله بنُ سَلاَم: وهما يومُ الخميسِ ويومُ الجُمعةِ. وقال مُقاتِلٌ: الأحدُ والاثنينُ، لأنَّ مذهبَهُ أنها خُلِقتْ قبلَ الأرض. وقد بَيَّنا مِقدارَ هذه الأيام في الأعراف[4]. ﴿وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أَوْحَى ما أراد، وأَمرَ بما شاء، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: خَلَقَ في كلِّ سماءٍ خَلْقَها، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: القُربى إلى الأرضِ ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي النُّجومُ، والمَصابيحُ: السُّرُجُ، فسُمِّيَ الكوكبُ مصباحاً، لإضاءتِه ﴿وَحِفۡظٗا﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: وحَفِظناها مِن استماعِ الشياطين بالكواكبِ حِفظاً.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٞ

---

(١) البقرة: ٢٩. (٢) يس: ٤٠.
(٣) في «اللسان» يقال: رجلٌ صَنَعٌ وامرأة صناع، إذا كان لهما صنعة يعملانها بأيديهما ويكسبان بها.
(٤) الأعراف: ٥٤.

فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ
فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعدَ هذا البيانِ ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ **الصَّاعِقةُ: المُهلِكُ** مِنْ كلِّ شيءٍ؛ والمعنى: أَنذرتُكم عذاباً مثلَ عذابِهم. وإنَّما خَصَّ القبيلتَيْنِ، لأنَّ قُريشاً يمرُّون على قُرى القوم في أسفارهم. ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أَتَتْ آباءَهم ومَنْ كان قبلَهُم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مِنْ خَلْفِ الآباءِ، وهم الذين أُرسِلوا إلى هؤلاءِ المُهلَكين ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ أي بأنْ لا تَعبُدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أي لو أرادَ دعوةَ الخلقِ ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي: تكبَّروا عن الإيمان وعَمِلوا بغيرِ الحقِّ. وكان هُودُ قد تهدَّدَهم بالعذاب فقالوا: نحنُ نَقْدِرُ على دَفْعِه بفضلِ قوَّتِنا. والآياتُ ها هنا: الحُجَجُ. وفي الرِّيحِ الصَّرْصَرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الباردةُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةُ، والضَّحَّاكُ. وقال الفَرَّاءُ: هي الرِّيحُ الباردةُ تُحرِقُ كالنار، وكذلك قال الزَّجَّاجُ: هي الشديدةُ البَرْدِ جدّاً؛ فالصَّرْصَرُ مُتكرِّرٌ فيها البَرْدُ، كما تقول: أَقلَلْتُ الشيءَ وقَلْقَلْتُه، فأَقْلَلْتُه بمعنى رَفَعتُه، وقَلْقَلْتُه: كَرَّرتُ رَفْعَهُ. **والثاني**: أنها الشَّديدةُ السَّمُومِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الشَّديدةُ الصَّوتِ، قاله السُّدِّيُّ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. **والرابع**: الباردةُ الشَّديدةُ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: «نَحْساتٍ» بإسكانِ الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسرَ الحاءَ، فَواحِدُهن «نَحِس»، ومَنْ أَسكَنَها، فواحِدُهنَّ «نَحْس»؛ والمعنى: مَشؤومَات. وفي أوَّلِ هذه الأيَّامِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: غَداةُ يومِ الأحدِ، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: يومُ الجُمعةِ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثالث**: يومُ الأربعاءِ، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ. والخِزْيُ: الهَوانُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بَيَّنَّا لهم، قاله ابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال قَتادَةُ: بَيَّنَّا لهم سبيلَ الخير والشرِّ. **والثاني**: دَعَوْناهم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: دَلَلْناهم على مذهبِ الخيرِ، قاله الفَرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ﴾ أي اختاروا الكُفرَ على الإيمان ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أي ذِي الهَوانِ، وهو الذي يُهِينُهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ

---

(١) وهذا من الشؤم المنهي عنه، حيث لا دليل عليه، وإنما هي روايات إسرائيلية، ولا يصح تعيين اسم هذا اليوم، والقرآن لم يذكر ذلك. قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/١١٢: وقوله **﴿في أيام نحسات﴾** أي متتابعات، **﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾**: أي ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحسٍ عليهم، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيامٍ، حتى أبادهم عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة.

وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ وقرأ نافعٌ: «نَحْشُرُ» بالنُّون «أعداءَ» بالنَّصب. قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُحْبَسُ أوَّلُهم على آخِرِهم لِيَتلاحَقوا. ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ يعني النَّارَ التي حُشِروا إليها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾، وفي المُراد بالجُلُودِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الأيدي والأَرْجلُ. **والثاني**: الفُرُوجُ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الجُلُودُ نَفْسُها، حكاه الماوَرديُّ. وقد أخرَجَ مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ قال:

[١٢٤١] كنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ فضَحِكَ فقال: «هل تَدرون مِمَّ أضحَكُ؟» قال: قُلنا: اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: «مِنْ مُخاطبةِ العَبدِ رَبَّهُ، يقول: يا ربِّ ألَمْ تُجِرْني مِنَ الظُّلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإنِّي لا أُجيزُ عليَّ إلاَّ شاهداً منِّي، قال: فيقول: كَفَى بنَفْسِكَ اليومَ عليكَ شهيداً، وبالكِرام الكاتِبِيْنَ شُهوداً، قال: فيُختَمُ على فِيهِ، فيُقال لأركانِه: انطِقي، قال: فتَنْطِقُ بأعمالِه، قال: ثُمَّ يُخلَّى بينَه وبينَ الكلام، فيقول: بُعْداً لكُنَّ وسُحْقاً، فعَنْكُنَّ كنتُ أُناضِلُ».

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: ممَّا نَطَقَ. وها هنا تَمَّ الكلامُ. وما بعدَهُ ليس مِنْ جوابِ الجُلُودِ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾.

[١٢٤٢] روى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: كُنتُ مُستَتِراً بأستارِ الكعبةِ، فجاءَ ثلاثةُ نفرٍ، قُرَشيٌّ وخَتَناهُ ثَقَفيَّان، أو ثَقَفيٌّ وخَتَناهُ قُرَشيَّانِ، كثيرٌ شحْمُ بُطونِهم، قليلٌ فِقْهُ قُلوبِهم، فتكلَّموا بكلامٍ لم أسمَعْهُ، فقال أحدُهم: أتَرَوْنَ اللهَ يَسْمَعُ كلامَنا هذا؟ فقال الآخَرانِ: إنَّا إذا

[١٢٤١] صحيح. أخرجه مسلم ٢٩٦٩ عن أبي بكر بن أبي النضر من حديث أنس. وأخرجه أبو يعلى ٣٩٧٧ وابن حبان ٧٣٥٨ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٦٧ من طرق عن أبي بكر بن أبي النضر به.

[١٢٤٢] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨١٧ والبغوي في «التفسير» ١٨٦٤ عن الحميدي من حديث ابن مسعود. وأخرجه البخاري ٤٨١٦ و ٧٥٢١ ومسلم ٢٧٧٥ والترمذي ٣٢٤٥ والطيالسي ١٩٧٢ والنسائي في «التفسير» ٤٨٨ والطبري ٣٠٤٩٦ والبيهقي في «الأسماء الصفات» ١٧٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٢ من طرق عن منصور به. وأخرجه مسلم ٢٧٧٥ وأحمد ١/ ٣٨١ و ٤٢٦ و ٤٤٢ و ٤٤٤ وأبو يعلى ٥٢٠٤ والطبري ٣٠٤٩٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٣ من طريق الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود به. وأخرجه الحميدي ٨٧ من طريق سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

رَفعنا أصواتَنا سَمِعَهُ، وإنْ لم نَرفَعْ لم يَسمَعْ، وقال الآخرُ: إنْ سَمِعَ منه شيئاً سَمِعهُ كُلَّهُ، فذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ومعنى «تَستتِرون»: تَستَخفون «أنْ يَشهد» أي: مِنْ أنْ يَشهَد «عليكم سَمْعُكم» لأنَّكم لا تقدِرُون على الاستِخفاءِ مِنْ جوارِحِكُم، ولا تظنُّون أنها تشهَدُ ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كان الكفَّارُ يقولون: إنَّ اللهَ لا يَعلَمُ ما في أنفُسِنا، ولكنه يعلم ما يَظهَرُ، ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ﴾ أي: أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ ما تعملون، ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلَكَكُم. ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ أي: على النَّارِ فهي مَسكَنُهم، ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ أي: يَسألوا أنْ يُرجَع لهم إلى ما يُحِبُّون، لم يُرجَعْ لهم، لأنهم لا يَستحقُّون ذلك. يُقال: أَعتَبَني فُلانٌ، أي: أرْضاني بعد إسخاطِه إيَّايَ. واستَعْتَبتُه، أي: طَلَبتُ منه أنْ يُعْتِبَ، أي: يَرضى. قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي: سَبَّبنا لهم قُرناءَ مِنَ الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما بينَ أيديهم مِنْ أمرِ الآخرة أنه لا جنَّةَ ولا نارَ ولا بَعْثَ ولا حِسابَ، وما خَلْفَهم مِنْ أمرِ الدنيا، فزَيَّنوا لهم اللَّذاتِ وجَمعَ الأموالِ وتَرْكَ الإنفاقِ في الخير. **والثاني**: ما بينَ أيديهم مِنْ أمرِ الدنيا، وما خَلْفَهُم مِنْ أمرِ الآخرة، على عكسِ الأول. **والثالث**: ما بينَ أيديهم: ما فعلُوه، وما خَلْفَهُم: ما عَزَموا على فِعْلِه. وباقي الآية قد تقدَّمَ تفسيرُه[1].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: لا تَسمَعوه ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ أي: عارِضُوه باللَّغو، وهو الكلام الخالي عن فائدةٍ. وكان الكفَّارُ يُوصي بعضُهم بعضاً: إذا سَمِعتُم القرآنَ مِنْ محمَّدٍ وأصحابِه فارْفَعُوا أصواتَكُم حتى تُلَبِّسوا عليهم قولَهُم. وقال مُجاهِدٌ: والغَوْا فيه بالمُكاءِ والصَّفيرِ والتَّخليطِ مِنَ القولِ على رسولِ الله ﷺ إذا قرأ ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكُتون.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ يعني العذابَ المذكورَ. وقوله: ﴿النَّارُ﴾ بدلٌ مِنَ الجزاء ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: دار الإقامة. قال الزَّجَّاجُ: النَّارُ هي الدَّارُ، ولكنه كما تقول: لكَ في هذه الدَّارِ دار السُّرور، وأنت تعني الدَّارَ بعَيْنِها، قال الشاعر:

أخو رَغائبَ يُعطيها ويَسألُها ... يأبَى الظُّلامَةَ منه النَّوفَلُ الزُّفَرُ[2]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ

---

(١) الأعراف: ٣٨، الإسراء: ١٦.
(٢) البيت لأعشى باهلة كما في «الأصمعيات» ٨٩ و «خزانة الأدب» ١/ ٨٩. والرغائب: العطايا الواسعة. والنَّوفَل: السيد المعطاء. والزفر: السيد. وقال في «اللسان» لأنه يزدفر بالأموال في الحمالات مطيقاً له، والمعنى: يأبى الظلامة لأنه النوفل الزفر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لمّا دخلوا النّار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «أرْنا» بسكونِ الراء. قال المُفسِّرون: يَعنُونَ إبليسَ وقابيلَ، لأنهما سَنَّا المعصيةَ، ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: في الدَّرْكِ الأسفلِ، وهو أشدُّ عذاباً مِنْ غيرِه. ثم ذَكَرَ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: وَحَّدوه ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: استقاموا على التوحيدِ، قاله أبو بكرٍ الصِّديق، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: على طاعة الله وأداءِ فرائضِه، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العَالِية، والسُّدِّيُّ.

[١٢٤٣] ورَوى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، وذلك أنَّ المشركين قالوا: ربُّنا اللَّهُ، والملائكةُ بَناتُه، وهؤلاءِ شُفعاؤنا عندَ الله، فلم يَستقيموا، وقالت اليهودُ: ربُّنا اللَّهُ، وعُزَير ابنُه، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، فلم يَستقيموا، وقالت النَّصارى: ربُّنا اللَّهُ، والمَسيحُ ابنُهُ، ومحمَّدٌ ليس بنبيٍّ، فلم يَستقيموا، وقال أبو بكرٍ: رَبُّنا اللَّهُ وحدَهُ، ومحمَّدٌ عبدُه ورسولُه، فاستَقامَ.

قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي: بأنْ لا تخافوا. وفي وقتِ نُزولِها عليهم قولان[1]: **أحدهما**: عندَ الموت، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ؛ فَعَلى هذا في معنى «لا تخافوا» قولان: **أحدهما**: لا تخافوا الموتَ، ولا تَحزَنوا على أولادِكم، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا تخافوا ما أمامَكم، ولا تَحزنوا على ما خَلْفكم، قاله عِكرمَةُ، والسُّدِّيُّ. **والقول الثاني**: تتنزَّل عليهم إذا قاموا مِنَ القبور، قاله قَتادةُ؛ فيكون معنى «لا تخافوا»: أنهم يُبشِّرونهم بزَوالِ الخوف والحُزنِ يومَ القيامة. قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: هذا قولُ الملائكة لهم، والمعنى: نحن الذين كُنَّا نتولاَّكم في الدُّنيا، لأنَّ الملائكة تتولّى المؤمنين وتُحبُّهم لِمَا ترى مِنْ أعمالِهم المرفوعةِ إلى السماء، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: ونحنُ معكم في الآخرة لا نُفارِقُكم حتى تدخلوا الجنَّةَ. وقال السُّدِّيُّ: هم الحفَظَةُ على ابنِ آدمَ، فلذلك قالوا: «نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة»؛ وقيل: هم الملائكةُ الذين يأتون لِقَبضِ الأرواح.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنَّةِ. ﴿نُزُلًا﴾ قال الزَّجّاجُ: معناه: أَبْشِروا بالجنَّةِ تَنزِلُونها نُزُلاً. وقال الأخفشُ: لكم فيها ما تشتهي أنفُسُكم أنزلناهُ نُزُلاً.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا

[١٢٤٣] ذكره الواحدي بدون إسناد في «أسباب النزول» ٧٣٤، ولم أره مسنداً، فهو لا شيء، لخلوه عن الإسناد، والصحيح عموم الآية، وذكر اليهود والنصارى في هذا الخبر منكر جداً.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١١٧: قال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث. وهذا القول يجمع الأقوال كلها. وهو حس جداً، وهو الواقع.

﴿يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيمَنْ أُرِيدَ بهذا ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم المُؤذِّنون. روَى جابرُ بنُ عبدِ الله عن رسولِ الله ﷺ أنه قال:

[١٢٤٤] «نزلت في المُؤذِّنين»، وهذا قولُ عائشةَ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ.

[١٢٤٥] والثاني: أنه رسولُ الله ﷺ دَعا إلى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه المؤمنُ أجابَ الله إلى ما دَعاهُ، ودَعا الناسَ إلى ذلك ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في إجابَتِه، قاله الحَسنُ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: صَلَّى رَكعَتَيْنِ بعدَ الأذانِ، وهو قولُ عائشةَ، ومُجاهِدٍ، وروَى إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ عن قَيسِ بنِ أبي حازم: «ومن أَحسنُ قولاً ممَّن دعا إلى الله» قال: الأذانُ «وعمل صالحاً» قال: الصَّلاةُ بينَ الأذانِ والإقامةِ. **والثاني**: أدَّى الفرائضَ وقام لله بالحقُوقِ، قاله عطاءٌ. **والثالث**: صام وصلَّى، قاله عِكرمَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قال الزَّجّاجُ: «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ؛ والمعنى: ولا تستوي الحَسنةُ والسَّيِّئةُ، وللمُفسِّرين فيهما ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحسنةَ: الإيمانُ، والسَّيِّئةَ: الشِّركُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحِلْمُ والفُحْشُ، قاله الضَّحّاكُ. **والثالث**: النُّفورُ والصَّبرُ، حكاه الماوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وذلك كَدَفعِ الغَضبِ بالصَّبرِ، والإساءةِ بالعَفوِ، فإذا فَعلْتَ ذلك صارَ الذي بينكَ وبينه عداوةٌ كالصَّديقِ القريبِ[2]. وقال عطاءٌ. هو السَّلامُ على مَنْ تُعاديه إذا

[١٢٤٤] لم أره في شيء من كتب التفسير والأثر، والأشبه أن المصنف أخذه من تفسير الكلبي أو مقاتل أو نحوهما، فإن المتن باطل. والصحيح العموم في كل داع يدعو إلى الله تعالى.

[١٢٤٥] أثر واهٍ. أخرجه الطبري ٣٠٥٤٢ عن ابن زيد، واسمه عبد الرحمن، وهو متروك، ليس بشيء. وأخرجه ٣٠٥٤١ عن السدي به، ولم أره عن ابن عباس. ولا يصح، وانظر التعليق المتقدم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١١٨ ـ ١١٩: وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد، ورسول الله ﷺ، أولى الناس بذلك. وقال بعد أن ذكر الأقوال فيمن نزلت: والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة، حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه، فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتاً.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ١١٩: **﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾** أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما عاقبتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وقوله **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** وهو الصديق، أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم، أي: قريب إليك. من الشفقة عليك والإحسان إليك وقال في ٢/ ٣٤٩: وقال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، وإما مسيء فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد كيده.

لَقِيتَه. قال المُفسِّرون: وهذه الآيةُ مَنسوخةٌ بآيةِ السَّيفِ. قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: ما يُعْطَاها. قال الزَّجَّاجُ: ما يُلَقَّى هذه الفَعْلَةَ: وهي دَفْعُ السَّيِّئةِ بالحَسنةِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على كَظْم الغيظِ ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ مِنَ الخيرِ. وقال السُّدِّيُّ: إلاّ ذو جَدٍّ. وقال قَتادةُ: الحَظُّ العظيمُ: الجنَّةُ؛ فالمعنى: ما يُلَقَّاها إلاّ مَنْ وَجَبَتْ له الجنَّةُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ قد فسَّرناه في الأعراف[١].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ أي: تكبَّروا عن التوحيدِ والعبادةِ ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يُصلُّون. و «يَسأمون» بمعنى يَمَلُّون. وفي موضعِ السَّجدةِ قولان[٢]: **أحدهما**: أنه عند قوله: «يَسأمون»، قاله ابنُ عباسٍ، ومَسرُوقٌ، وقَتادةُ، واختاره القاضي أبو يَعلَى، لأنه تمامُ الكلام. **والثاني**: أنه عندَ قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، رُوِيَ عن أصحابِ عبدِ الله، والحَسنِ، وأبي عبد الرَّحمنِ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ قال قَتادةُ: غَبراءَ مُتهشِّمَةً، قال الأزهَريُّ: إذا يَبِسَتِ الأرضُ ولم تُمطَر، قيلَ: خَشَعَتْ. قوله تعالى: ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكَتْ بالنَّباتِ ﴿وَرَبَتْ﴾ أي عَلَتْ، لأنَّ النَّبتَ إذا أراد أنْ يَظْهَر ارتفعت له الأرضُ؛ وقد سبق بيانُ هذا[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في أبي جَهلٍ، وقد شرحنا معنى الإلحادِ في النحل[٤]؛ وفي المُرادِ به ها هنا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه وَضْعُ الكلام على غيرِ موضعِه،

---

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» ١٥/٣١٧: وقوله تعالى: **﴿ومن آيته الليل والنهار والشمس والقمر...﴾** الآية، هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها فقال مالك: موضعه **﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾** لأنه متصل بالأمر وكان علي وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهم يسجدون عند قوله: **﴿تعبدون﴾**. وقال ابن وهب والشافعي: موضعه **﴿وهم لا يسأمون﴾** لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال وبه قال أبو حنيفة، وكان ابن عباس يسجد عند قوله: «يسأمون». وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما. وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي قال ابن العربي: والأمر قريب.

(٣) الحج: ٥. (٤) النحل: ١٠٣.

رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُكَاءُ والصَّفيرُ عند تلاوةِ القرآن، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه التكذيبُ بالآيات، قاله قَتادةُ. **والرابع**: أنه المُعانَدَةُ، قاله السُّدِّيُّ. **والخامس**: أنه المَيْلُ عن الإِيمان بالآياتِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ هذا وَعيدٌ بالجزاءِ ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهذا عامٌّ، غيرَ أنَّ المفسِّرين ذَكروا فيمَنْ أُريدَ به سبعةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أبو جَهلٍ وأبو بكرٍ الصِّدِّيق، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أبو جَهلٍ وعمَّارُ بنُ ياسرٍ، قاله عِكرمَةُ. **والثالث**: أبو جَهلٍ ورسولُ الله ﷺ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: أبو جَهلٍ وعُثمانُ بنُ عَفَّانَ، حكاه الثَّعلَبيُّ. **والخامس**: أبو جَهلٍ وحمزَةُ، حكاه الوَاحِديُّ. **والسادس**: أبو جَهلٍ وعمرُ بنُ الخطَّابِ. **والسابع**: الكافرُ والمؤمنُ، حكاهما المَاوَرْدي.

قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لَفظُه لفظُ الأمرِ، ومعناه الوَعيدُ والتَّهديدُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ يعني القرآن؛ ثم أخذَ في وَصفِ الذِّكرِ؛ وتَركَ جوابَ «إنَّ»، وفي جوابِها ها هنا قولان: **أحدهما**: أنه «أولئك ينادَوْنَ من مكان بعيد»، ذَكرهُ الفَرَّاءُ. **والثاني**: أنه متروكٌ، وفي تقديره قولان: **أحدهما**: إنَّ الذين كَفَروا بالذِّكرِ لمَّا جاءَهُم كَفَروا به. **والثاني**: إنَّ الذين كفروا يُجازَون بكُفرِهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنيعٌ مِنَ الشيطان لا يَجدُ إليه سبيلاً، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: كريمٌ على الله، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: مَنيعٌ مِنَ الباطلِ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: يَمتَنِعُ على الناس أنْ يقولوا مِثلَه، حكاه المَاوَرْديُّ.

قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ. **أحدها**: التكذيبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: الشيطان. **والثالث**: التَّبديلُ، رُويا عن مُجاهِدٍ. قال قَتادةُ: لا يستطيعُ إبليسُ أنْ يَنْقُصَ منه حقّاً ولا يَزيدَ فيه باطلاً، وقال مُجاهِدٌ: لا يدخل فيه ما ليس منه. وفي قوله: ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بينَ يَدَي تنزيلِه وبعدَ نزولِه. **والثاني**: أنه ليس قَبْلَه كتابٌ يُبْطِله ولا يأتي بعدَهُ كتابٌ يُبطِلُه. **والثالث**: لا يأتيه الباطلُ في إخبارِه عمَّا تقدَّم ولا في إخبارِه عمَّا تأخَّر.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قد قيلَ فيمَنْ أُرسِلَ قَبْلَكَ: ساحرٌ وكاهِنٌ ومجنونٌ. وكُذِّبوا كما كُذِّبتَ، هذا قولُ الحسَنِ، وقَتادَةَ، والجمهور. **والثاني**: ما تُخبرُ إلاَّ بما أُخبِرَ الأنبياءُ قَبْلَكَ مِنْ أنَّ اللَّه غفورٌ، وأنه ذو عِقابٍ، حكاه المَاوَرْديُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الكتاب الذي أُنزِلَ عليه ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ أي: بغيرِ لُغةِ العرب ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: هَلاَّ بُيِّنت آياته بالعربية حتى نَفْهَمَهُ؟! ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «آعجمي» بهمزةٍ ممدودةٍ، وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ؛ وأبو بكرٍ

عن عاصم: «أأعجمي» بهمزتين، والمعنى: أكِتابٌ أعجميٌّ ونبيٌّ عربيٌّ؟! وهذا استفهامُ إنكارٍ؛ أي: لو كان كذلكَ لَكانَ أشدَّ لِتكذيبهم. ﴿قُلْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ مِنَ الضَّلالةِ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ للشُّكُوكِ والأوجاع. و «الوَقْر»: الصَّمَمُ؛ فهُم في تَرْكِ القَبولِ بمنزلة مَنْ في أُذنِه صَمَمٌ. ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أي: ذُو عَمىً. قال قَتادةُ: صَمُّوا عن القرآن وعَمُوا عنه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي يُنادَى مِنْ بعيدٍ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ هذه تسليةٌ لِرسولِ الله ﷺ؛ والمعنى: كما آمَنَ بكتابِكَ قومٌ وكَذَّب به قومٌ. فكذلك كتابُ موسى، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ العذاب إلى أجَلٍ مسمَّىً وهو القيامةُ ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بالعذابِ الواقعِ بالمُكذِّبين ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ﴾ مِنْ صِدقِكَ وكتابِكَ، ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: موقِعٌ لهم الرِّيبةَ.

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ سببُ نزولِها أنَّ اليهودَ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: أَخْبِرْنا عن السَّاعةِ إنْ كُنتَ رسولاً كما تَزعُمُ، قاله مُقاتِلٌ[1]. ومعنى الآية: لا يَعْلَمُ قيامَها إلاّ هو، فإذا سُئِلَ عنها فعِلْمُها مَرْدُودٌ إليه. ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «من ثمرةٍ». وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «من ثمراتٍ» على الجمع ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أيْ: أَوْعِيَتِها. قال ابنُ قُتَيبَةَ: أي: مِنَ المَواضعِ التي كانت فيها مُستَتِرةً، وغِلافُ كلِّ شيءٍ: كُمُّه، وإنما قيلَ: كُمُّ القميصِ، مِنْ هذا. قال الزَّجَّاجُ: الأكمامُ: ما غَطَّى، وكلُّ شجرةٍ تُخرِجُ ما هو مُكَمَّمٌ فهي ذاتُ أكمامٍ، وأكمامُ النَّخلَةِ: ما غطَّى جُمّارَها مِنَ السَّعَفِ واللِّيفِ والجِذْعِ، وكلُّ ما أخرَجَتْهُ النَّخلَةُ فهو ذُو أكمامٍ، فالطَّلْعَةُ كُمُّها قِشرُها، ومِنْ هذا قيلَ للقَلَنسُوَةِ: كُمَّة، لأنها تُغطِّي الرأسَ، ومِنْ هذا كُمَّا القميصِ، لأنهما يُغطِّيان اليدين.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: يُنادي الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ الذين كُنتم تَزعُمون ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ قال الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبة: أَعلَمناكَ، وقال مُقاتِلٌ: أَسمَعناكَ ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مِنْ قول المشركين؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شهيدٍ بأنَّ لكَ شريكاً، فيَتبرَّؤون يومَئذٍ ممَّا كانوا يقولون، هذا قولُ مُقاتِلٍ. **والثاني**: أنه مِن قولِ الآلهةِ التي كانت تُعبَدُ؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شهيدٍ لهم بما قالوا، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ.

---

(١) باطل. عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والمتن باطل فإن السورة مكية بإجماع، وأخبار يهود وسآلاتهم كانت في المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي بَطَلَ عنهم في الآخرة ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾ أي يَعبُدون في الدنيا ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أي أيقَنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ وقد شرحنا المَحِيص في سُورةِ النِّساء[1].

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ قال المُفسِّرون: المراد به الكافرُ؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافرُ ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: مِنْ دُعائه بالخير، وهو المالُ والعافيةُ. ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ وهو الفقرُ والشِّدَّةُ، والمعنى: إذا اختُبِر بذلك يَئِسَ مِنْ رَوْح الله وقَنِطَ مِنْ رَحمتِه. وقال أبو عُبيدَةَ: اليَؤوسُ، فَعُولٌ مِنْ يأسَ، والقَنُوط، فَعُول مِنْ قَنَط.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: خيراً وعافيةً وغِنىً، ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ أي: هذا واجبٌ لي بعملي وأنا محقوقٌ به، ثم يشكُّ في البَعثِ فيقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: لستُ على يقينٍ مِنَ البعثِ ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الجنَّة، أي: كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: لَنُخبِرَنَّهم بمساوئ أعمالِهم. وما بعدَهُ قد سَبقَ[2] إلى قوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، «ونأى» مثل «نعى»، وقرأ ابنُ عامر: «وناء» مفتوحةَ النون، ممدودةً والهمزة بعدَ الألِفِ. وقرأ حمزةُ: «نئي» مكسورةَ النون والهمزةِ. ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ قال الفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبَة: معنى العَريض: الكثير، وإنْ وصفتَهُ بالطُّول أو بالعَرْض جازَ في الكلامِ. ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ لأهل مكَّةَ ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ﴾ أي خِلافٍ للحقِّ ﴿بَعِيدٍ﴾ عنه؟ وهو اسمٌ؛ والمعنى: فلا أحدَ أضلُّ منكم. وقال ابنُ جَرِيرٍ: معنى الآيَة: ثُمَّ كفرتُم به، أَلَستُم في شِقاقٍ للحقِّ وبُعدٍ عن الصَّوابِ؟! فجعلَ مكانَ هذا باقي الآية.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: في الآفاقِ:

---

(١) النساء: ١٢١.

(٢) إبراهيم: ١٧، الإسراء: ٨٣.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٢٥: إن الله وعد نبيه أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهديدهم بأن يريهم ما هم راؤوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعداً منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا أراؤه قبل من ظهور نبي الله ﷺ على أطراف بلدهم وعلى بلدهم. ووافقه ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٢٣ وقال: ويحتمل أيضاً أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركّب منه وفيه وعليه من =

فَتْحُ أقطارِ الأرض، وفي أنفُسِهم: فَتْحُ مكَّةَ، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنها في الآفاقِ: وقائعُ الله في الأُمَمِ الخاليَةِ، وفي أنفُسِهم: يومُ بَدْرٍ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّها في الآفاق: إمساكُ القَطْرِ عن الأرض كلِّها، وفي أنفُسِهم: البلايا التي تكون في أجسادِهم، قاله ابنُ جُرَيج. **والرابع**: أنها في الآفاق: آياتُ السماء كالشمسِ والقمرِ والنُّجوم، وفي أنفُسِهم: حوادثُ الأرض، قاله ابنُ زيدٍ. وحُكيَ عن ابنِ زيدٍ؛ أنَّ التي في أنفُسِهم: سبيلُ الغائطِ والبَولِ، فإنَّ الإنسانَ يأكل ويشرب مِنْ مكانٍ واحدٍ، ويخرج مِنْ مكانين. **والخامس**: أنها في الآفاقِ: آثارُ مَنْ مَضى قَبْلَهم مِنَ المُكذِّبين، وفي أنفُسِهم: كونُهم خُلِقوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عظاماً إلى أنْ نُقِلوا إلى العقل والتمييز، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى القرآن. **والثاني**: إلى جميع ما دعاهُم إليه الرسولُ. وقال ابنُ جَريرٍ: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقةَ ما أنزلنا على محمَّدٍ وأوحَيْنا إليه مِنَ الوَعدِ له بأنَّا مُظهِرو دِينِهِ على الأديان كلِّها. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أَوَ لَمْ يَكْفِ به أنه شاهدٌ على كلِّ شيءٍ؟! قال الزجَّاجُ: المعنى: أَو لَمْ يَكْفِهم شهادةُ ربِّك؟! ومعنى الكفايةِ ها هنا: أنه قد بَيَّنَ لهم ما فيه كفايةٌ في الدَّلالة على توحيدِه وتثبيتِ رُسلِه.

= المواد والأخلاط والهيئات العجيبة. كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع ـ تبارك وتعالى ـ وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة. من حسن وقبيح وبين ذلك. وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يحوزها ولا يتعدّاها.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

ترتيبها ٤٢ — آياتها ٥٣

وتسمى: سورة حم، عسق. وهي مكّيَّة، رواه العَوفيُّ وغيره عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والجمهور. وحُكيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ قالا: إلاَّ أربعَ آياتٍ نَزلْنَ بالمدينةِ، أوَّلُها: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[١] وقال مُقاتِلٌ: فيهَا مِنَ المَدَنيِّ قولُه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قولِه: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢] وقولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ إلى قولِه: ﴿مِن سَبِيلٍ﴾[٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قد سَبقَ تفسيرُه. قوله تعالى: ﴿عٓسٓقٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[٤]. **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه حروفٌ مِنْ أسماء؛ ثم فيه خمسةُ أقوالٍ: أحدها: أنَّ العينَ عِلْمُ الله، والسينَ سَناؤه، والقاف قُدرتُه، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ. والثاني: أنَّ العينَ فيها عذابٌ، والسينَ فيها مَسْخٌ، والقاف فيها قَذْفٌ، رواه أبو الجَوزَاءِ عن ابنِ عباسٍ. والثالث: أنَّ الحاءَ مِنْ حَرْبٍ، والميمَ مِنْ تحويلِ مُلْكٍ، والعينَ مِنْ عدوٍّ مقهورٍ، والسينَ استئصالٌ بِسنِيْنَ كسِنيّ يوسف، والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء. والرابع: أن العين من عالم، والسين مِنْ قُدُّوس، والقافَ مِنْ قاهِرٍ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. والخامس: أنَّ العينَ مِنَ العَزيز، والسينَ مِنَ السَّلام، والقافَ مِنَ القادِر، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ.

---

(١) الشورى: ٢٣. (٢) الشورى: ٢٣ ـ ٢٤. (٣) الشورى: ٣٩ ـ ٤١.

(٤) قال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٢: قد تقدم الكلام في أمثال هذه الفواتح، واختلفوا في (حم عسق) وقيل فيها، مما هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، وقد ذكرنا قبل ذلك ما روي من ذلك مما لا أصل له.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه كما أَوحيتُ «حمٓ عٓسٓقٓ» إلى كلِّ نبيٍّ، كذلك نُوحيها إليكَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ[٢]. **والثاني**: كذلك نُوحي إليكَ أخبارَ الغَيْبِ كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلَكَ، رواه عطاءٌ عنْ ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ «حمٓ عٓسٓقٓ» نزلت في أمرِ العذاب، فقِيلَ: كذلك نُوحِي إليكَ أنَّ العذابَ نازِلٌ بمَنْ كذَّبكَ كما أَوحينا ذلك إلى مَنْ كان قَبْلَكَ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنَّ المعنى: هكذا نُوحي إليكَ، قاله ابنُ جريرٍ.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «يُوحى» بضمِّ الياء وفتحِ الحاء كأنه إذا قيلَ: مَن يُوحي؟ قيلَ: اللهُ. وروى أبانُ عن عاصِمٍ: «نوحي» بالنونِ وكسرِ الحاء.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ: «تكاد» بالتاء «يَتَفَطَّرْنَ» بياءٍ وتاءٍ مفتوحةٍ وَفَتْحِ الطاء وتشديدِها. وقرأ نافعٌ، والكِسائيُّ، «يكاد» بالياء «يَتَفَطَّرْنَ» مثلَ قراءةِ ابنِ كَثيرٍ. وقرأ أبو عمروٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تكاد» بالتاء «يَنفَطِرْنَ» بالنونِ وكسرِ الطاء وتخفيفِها، أي: يَتَشقَّقْنَ ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي: مِنْ فوقِ الأَرَضِين مِنْ عَظَمةِ الرَّحمن؛ وقيلَ: مِنْ قولِ المشركين: «اتَّخذ الله ولداً». ونظيرُها التي في مريم[٣]. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال بعضُهم: يُصَلُّون بأمرِ ربِّهم؛ وقال بعضُهم: يُنزِّهونه عمَّا لا يجوز في صِفَتِه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه أراد المؤمنين، قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلمَّا ابتُلِيَ هاروتُ وماروتُ استَغْفَروا لِمَنْ في الأرض. ومعنى استِغفَارِهم: سُؤالُهم الرِّزقَ لهم، قاله ابنُ السَّائب. وقد زَعم قومٌ منهم مُقاتِلٌ أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٤]، وليس بشيءٍ، لأنهم إنَّما يَستغفرون للمؤمنين دونَ الكفَّار، فلَفظُ هذه الآيةِ عامٌّ، ومعناها خاصٌّ، ويدلُّ على التَّخصِيصِ قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأنَّ الكافرَ لا يستحقُّ أنْ يُستغفر له.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ اتَّخذوا آلهةً فَعبدوها مِنْ دُونِه ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حافظٌ لأعمالِهم لِيُجازيَهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم نُوكِّلْكَ بهم فتؤخَذ بهم. وهذه الآيةُ عند جمهورِ المُفسِّرين منسوخةٌ بآية السَّيفِ، ولا يصحُّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

---

(١) قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٤/ ٢١٣: (كذلك يوحي إليك) أي مثل ذلك الوحي. أو مثل ذلك الكتاب يوحي إليك وإلى الرسل (من قبلك) يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك إلى رسله، على معنى: أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية، لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده في الأولين والآخرين، ولم يقل: أوحي إليك، ولكن على لفظ المضارع، ليدل على أن إيحاء مثله عادته.

(٢) أبو صالح غير ثقة وبخاصة في ابن عباس، وراويته الكلبي، وهو وضاع.

(٣) مريم: ٩٠.

(٤) غافر: ٧.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومِثلَ ما ذكرنا ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ لِيفهموا ما فيه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ يعني مكَّةَ، والمراد: أهلُها، ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي: وتُنذِرَهم يومَ الجَمْعِ، وهو يومُ القيامة، يَجمَعُ الله فيه الأوَّلِينَ والآخِرِينَ وأهلَ السمواتِ والأرَضِين ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ أي: لا شكَّ في هذا الجَمعِ أنه كائنٌ، ثم بعدَ الجَمْعِ يتفرَّقون، وهو قوله: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾. ثم ذِكرَ سببَ افتراقِهم فقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي على دِينٍ واحدٍ، كقوله: ﴿لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾[1] ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي في دِينِه ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهم الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ﴾ يَدفعُ عنهم العذابَ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنَعُهم منه. ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي بل اتَّخذَ الكافرون مِنْ دُونِ الله ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾ يعني آلهةً يتولَّونَهم ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ أي وليُّ أوليائِه، فَلْيتَّخذوه وليّاً دونَ الآلهةِ؛ وقال ابنُ عباسٍ: وَلِيُّكَ يا محمَّدُ ووليُّ مَنِ اتَّبعك.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ أي: مِنْ أمرِ الدِّينِ؛ وقيلَ: بل هو عامٌّ ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ فيه قولان: أحدهما: عِلْمُه عندَ الله. والثاني: هو يَحكُم فيه. قال مُقاتِلٌ: وذلك أنَّ أهل مكَّةَ كَفَرَ بعضُهم بالقرآن وآمَنَ بعضُهم، فقال الله: أنا الذي أحكُم فيه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي يَحكُم بين المُختَلِفين هو ﴿رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في مُهِمَّاتي ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أي أرجِعُ في المَعادِ. ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قد سبق بيانُه[2]، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي مِنْ مِثْلِ خَلْقِكُم ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ نساءً ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ أصنافاً ذكوراً وإناثاً، والمعنى أنه خَلَقَ لكم الذَّكرَ والأُنثى مِنَ الحَيوانِ كلِّه ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: يَخلُقكم، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: يُعيِّشُكم، قاله مُقاتِلٌ. والثالث: يُكثِّرُكم، قاله الفرَّاءُ. وفي قوله ﴿فِيهِۚ﴾ قولان: أحدهما: أنها على أصلِها، قاله الأكثرون. فعَلَى هذا في هاءِ الكِنايةِ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنها ترجع إلى بُطونِ الإناث وقد تقدَّمَ ذِكْرُ الأزواج، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. فعَلَى هذا يكون المعنى: يخلقُكم في بُطونِ النِّساء، وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ قُتيبةَ، فقال: يَخلقُكم في الرَّحِم أو في الزَّوجِ؛ وقال ابنُ جريرٍ: يَخلقُكم فيما جَعَلَ لكم مِنْ أزواجِكم؛ ويُعيِّشُكم فيما جعلَ لكم مِنَ الأنعامِ.

---

(١) الأنعام: ٣٥. (٢) الأنعام: ١٤.

والثاني: أنها ترجعُ إلى الأرض، قاله ابنُ زيدٍ؛ فعَلى هذا يكون المعنى: يَذرَؤكُم فيما خلَقَ مِنَ السمواتِ والأرضِ. والثالث: أنها ترجع إلى الجَعْلِ المذكورِ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: يُعيِّشكُم فيما جعلَ مِنَ الأنعام، قاله مُقاتِلٌ، والثاني: يَخلُقكُم في هذا الوجه الذي ذَكَر مِنْ جَعْلِ الأزواج، قاله الواحِديّ. **والقولُ الثاني**: أنَّ «فيه» بمعنى «به»؛ والمعنى: يُكثِّركُم بما جعلَ لكم، قاله الفرّاءُ والزَّجّاجُ. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: ليس كَهُوَ شيءٌ، والعرب تُقيمُ المِثْلَ مُقامَ النَّفْسِ، فتقول: مِثْلي لا يُقال له هذا، أي: أنا لا يُقال لي هذا. وقال الزَّجّاجُ: الكافُ مؤكِّدةٌ؛ والمعنى: ليس مِثْلَه شيءٌ، وما بعدَ هذا قد سَبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ أي: بَيَّن وأوضحَ ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه تَحليلُ الحلالِ وتحريمُ الحَرام، قاله قَتادةُ. **والثاني**: تحريمُ الأخواتِ والأمَّهاتِ، قاله الحَكَمُ. **والثالث**: التوحيدُ وتَرْكُ الشِّرْكِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: مِنَ القرآن وشرائعِ الإسلام. قال الزَّجّاجُ: المعنى: وشَرعَ الذي أوحينا إليك وشَرعَ لكم ما وَصَّى به إبراهيمَ وموسى وعيسى. وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ تفسيرُ قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ وجائزٌ أنْ يكونَ تفسيراً لـ ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ ولقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾، فيكون المعنى: شَرعَ لكم ولِمَن قبلَكم إقامةَ الدِّين وتَرْكَ الفُرقةِ، وشَرعَ الاجتماعَ على اتِّباعِ الرُّسلِ. وقال مُقاتِلٌ: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ يعني التوحيد ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ أي لا تختلِفوا ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي عَظُمَ على مشركي مكّةَ ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمَّدُ مِنَ التَّوحيد.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾ أي: يَصطفي مِنْ عباده لِدِينِه ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ﴾ إلى دِينِه، ﴿مَن يُنِيبُ﴾ أي: يَرجع إلى طاعته. ثم ذَكَر افتِراقَهم بعد أنْ أوصاهم بتَرْكِ الفُرقةِ، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني أهلَ الكتاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ بعدِ كثرةِ عِلْمِهم للبَغْي. **والثاني**: مِنْ بعدِ أنْ علموا أنَّ الفُرقةَ ضلالٌ. **والثالث**: مِنْ بعدِ ما جاءهم القرآن، بَغْياً منهم على محمَّدٍ ﷺ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخيرِ المُكذِّبين مِنْ هذه الأُمَّة إلى يوم القيامة، ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزالِ العذاب على المُكذِّبِين ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني اليهودَ والنَّصارى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: مِنْ بعدِ أنبيائهم ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: مِنْ محمَّدٍ ﷺ.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ قال الفَرّاءُ: المعنى، فإلى ذلك، تقول: دَعوتُ إلى فُلانٍ، ودَعوت

---

(١) الرعد: ٢٦، الزمر: ٦٣.

لِفُلانٍ، و «ذلك» بمعنى «هذا»، وللمُفسِّرين فيه قولان[١]: **أحدهما**: أنه القرآن، قاله ابنُ السَّائب. **والثاني**: أنه التوحيد، قاله مُقاتِلٌ. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ يعني أهلَ الكتاب، لأنهم دَعَوه إلى دِيْنِهم. قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ قال بعضُ النَّحويِّين: المعنى: أمرت كي أعدل. وقال غيرُه: المعنى: أُمِرْتُ بالعَدْل. وتقع «أُمِرْتُ» على «أن»، وعلى «كي»، وعلى «اللام»؛ يُقال: أُمِرْتُ أنْ أعدِلَ، وكي أعدِلَ، ولأَعدِلَ. ثم في ما أُمِرَ أنْ يَعْدِلَ فيه قولان: **أحدهما**: في الأحكام إذا تَرافعوا إليه. **والثاني**: في تبليغ الرِّسالة. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو إلٰهُنا وإن اختلفنا، فهو يُجازينا بأعمالِنا، فذلك قوله: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ أي: جزاؤها. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قال مُجاهِدٌ: لا خُصومةَ بيننا وبينَكم.

فصل: وفي هذه الآية قولان: **أحدهما**: أنها اقتضَت الاقتِصارَ على الإنذارِ، وذلك قبلَ القتال، ثم نزلت آيةُ السَّيفِ فَنسختْها، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنَّ معناها: إنَّ الكلام ـ بعد ظُهور الحُجَج والبراهين ـ قد سَقط بيننا، فعَلَى هذا هي مُحْكَمةٌ، حكاه شيخنا عليُّ بنُ عبيدِ الله عن طائفةٍ مِنَ المُفسِّرين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: يُخاصِمون في دِيْنِهِ. قال قَتادةُ: هم اليهودُ، قالوا: كتابُنا قَبْلَ كتابكم، ونبيُّنا قبل نبيِّكم، فنَحنُ خيرٌ منكم. وعلى قولِ مُجاهِدٍ: هم المشركون، طمعوا أنْ تعودَ الجاهلية. قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي: مِن بعد إجابة الناس إلى الإسلام ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: خصومتُهم باطلةٌ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لم يُنزلْهُ لغيرِ شيءٍ ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه العَدْلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والجمهور. **والثاني**: أنه الذي يُوزَنُ به، حُكي عن مُجاهِدٍ. ومعنى إنزالِه؛ إلهامُ الخَلْقِ أنْ يَعملوا به، وأمرُ الله عزَّ وجلَّ إيَّاهُم بالإنصاف. وسُمِّي العَدْلُ ميزاناً لأنَّ الميزانَ آلةُ الإنصافِ والتَّسويةِ بينَ الخَلْقِ. وتمامُ الآية مشروحٌ في الأحزاب[٢].

---

(١) قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٤/ ٢٢٠: فلأجل ذلك التفرق ولما حدث سببه من تشعب الكفر شعباً (فادع) إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفة القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب، أي كتاب صح أن أنزله، يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة، لأن المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٢٩: اشتملت هذه الآية على عشر كلمات مستقلة، كل منها منفصلة عن التي قبلها، حُكْمٌ برأسه، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

(٢) الأحزاب: ٦٣.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لأنهم لا يخافون ما فيها، إذْ لم يُؤمنوا بكَوْنِها، فهم يَطلُبون قيامَها استبعاداً واستهزاءً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿مِنْهَا﴾ لأنهم يعلمون أنهم مُحاسَبون ومَجزيُّون، ولا يَدرون ما يكون منهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ أي: أنها كائنةٌ لا مَحالةَ ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: يُخاصِمون في كَونها ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ حينَ لم يتفكَّروا، فيَعلموا قدرة الله على إقامَتِها. ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ قد شرحنا معنى اسمِه «اللطيف» في الأنعام(١)، وفي عبادِه ها هنا قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون. **والثاني**: أنه عامٌّ في الكُلِّ. ولُطفُه بالفاجرِ: أنه لا يُهلِكه. ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يُوسِّع له الرِّزقَ. قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قال ابنُ قُتيبَة: أي عَمَل الآخرة، يُقال: فلانٌ يَحرُثُ للدُّنيا، أي: يعملُ لها ويجمع المالَ؛ فالمعنى مَنْ أراد بعمله الآخرةَ ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ أي: نُضاعِفُ له الحَسناتِ. قال المُفسِّرون: مَنْ أراد العملَ لله بما يُرضيه، أعانَهُ اللَّهُ على عبادتِه، ومَنْ أراد الدُّنيا مُؤْثِراً لها على الآخرةِ لأنه غيرُ مؤمنٍ بالآخرة، يُؤتِهِ منها، وهو الذي قَسَمَ له، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنه كافرٌ بها لم يَعمَلْ لها.

فصل: اتَّفق العلماء على أنَّ أول هذه الآية إلى «حرثه» مُحْكَمٌ، واختلفوا في باقيها على قولين: **أحدهما**: أنه مَنسوخٌ بقوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾(٢)، وهذا قولُ جماعةٍ منهم مُقاتِلُ. **والثاني**: أنَّ الآيتين مُحكَمتان متَّفِقتان في المعنى، لأنه لم يَقُلْ في هذه الآية: نُؤتِه مُرادَهُ، فعُلِمَ أنه إنما يُؤتيه اللَّهُ ما أراد، وهذا مُوافقٌ لقوله: «لِمَنْ نُريد»، ويُحقِّقُ هذا أنَّ لفظَ الآيتين لفظُ الخبر ومعناهما معنى الخبر، وذلك لا يَدخُله النَّسخُ، وهذا مذهبُ جماعةٍ منهم قَتادةُ.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ؛ والمعنى: أَلَهُمْ آلهةٌ ﴿شَرَعُوا۟﴾ أي ابتدعوا ﴿لَهُم﴾ دِيناً لم يأذن به الله؟! ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ وهي: القضاءُ السَّابقُ بأنَّ الجزاءَ يكون في القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا بنُزولِ العذاب على المُكذِّبين. والظالمون في هذه الآيةِ والتي تَليها: يُراد بهم المشركون. والإشفاقُ: الخوف. والذي كَسبوا: هو الكُفرُ والتَّكذيبُ، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ يعني جزاءَهُ. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما تقدَّمَ ذِكْرُه مِنَ الجنَّاتِ ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: «ذلك» بمعنى: هذا الذي أخبرتُكم به بُشرى يُبشِّر اللَّه بها عِبادَهُ. وقرأ

(١) الأنعام: ١٠٣. (٢) الإسراء: ١٨.

ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «يَبْشُرُ» بفتحِ الياء وسكونِ الباء وضمِّ الشين.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ في سبب نُزولِ هذه الآية ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٢٤٦] **أحدها**: أنَّ المشركين كانوا يُؤذون رسولَ الله ﷺ بمكَّةَ، فنزلت هذه الآيةُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٤٧] **والثاني**: أنه لمَّا قَدِمَ المدينةَ كانت تَنُوبُه نَوائبُ وليس في يَدِه سَعةٌ، فقال الأنصارُ: إنَّ هذا الرجُلَ قد هَداكُم اللّهُ به، وليس في يَدِه سَعَةٌ، فاجْمَعوا له مِنْ أموالِكُم ما لا يَضرُّكم، ففعلوا ثم أتَوْه به، فنزلت هذه الآيةُ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

[١٢٤٨] **والثالث**: أنَّ المشركين اجتمعوا في مَجمَعٍ لهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: أتُرَونَ محمَّداً يسأل على ما يَتعاطاهُ أجراً، فنزلت هذه الآيةُ، قاله قَتادَةُ.

والهاء في «عليه» كنايةٌ عمَّا جاء به مِنَ الهُدى. وفي الاستثناء ها هنا قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ الجنس، فعَلَى هذا يكون سائلاً أجراً. وقد أشارَ ابنُ عباسٍ في رواية الضَّحَّاكِ إلى هذا المعنى، ثم قال: نُسِخَتْ هذه بقوله: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡ﴾ الآيَة(١)، وإلى هذا المعنى ذهب مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه استثناءٌ مِنْ غيرِ الأول، لأنَّ الأنبياءَ لا يَسألون على تبليغِهم أجراً، وإنما المعنى: لكنِّي أُذَكِّركم المَوَدَّةَ في القُربى، وقد رَوى هذا المعنى جماعةٌ عن ابنِ عباسٍ، منهم العَوفيُّ، وهذا اختيارُ المُحقِّقين، وهو الصحيحُ، فلا يتوجَّه النَّسخُ أصلاً.

وفي المراد بالقُربى خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معنى الكلام: إلاَّ أنْ تَوَدُّوني لقرابَتي منكم، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ في الأكثرين. قال ابنُ عباسٍ: ولم يكُنْ بطنٌ مِنْ بطونِ قُريشٍ إلاَّ ولرسولِ الله ﷺ فيهم قرابةٌ. **والثاني**: إلاَّ أنْ تَوَدُّوا قرابَتي، قالَه عليُّ بنُ الحُسينِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والسُّدِّيُّ. ثم في المراد بقرابته قولان:

[١٢٤٩] أحدهما: عليٌّ وفاطمةُ وولَدُها، وقد رَوَوهُ مرفوعاً إلى رسولِ الله ﷺ. والثاني: أنهم الذين تَحرُم عليهم الصَّدقةُ ويُقسَمُ فيهم الخُمُس وهم بَنو هاشمٍ وبَنو المطَّلِبِ.

[١٢٤٦] أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر» ٥/ ٧٠٠ عن الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس.

[١٢٤٧] ضعيف جداً. ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٣٥ عن ابن عباس بدون إسناد، وقال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٢٢١ ذكره الثعلبي والواحدي في «الأسباب» عن ابن عباس بغير سند، ويشبه أن يكون عن الكلبي وعن أبي صالح اهـ. وهذا هو الراجح فإن الواحدي إذا وجد الكلبي في إسناد ما. فإنه يحذف الإسناد فيذكره تعليقاً ليبين أنه حديث واهٍ.

[١٢٤٨] واهٍ، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٦ عن قتادة مرسلاً، ولم أره عن غيره، فهو واهٍ.

[١٢٤٩] تقدم في سورة آل عمران.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٤٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبههما بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بينكم وبيني.

والثالث: أنَّ المعنى: إلاَّ أنْ تَوَدَّدوا إلى الله تعالى فيما يُقرِّبكم إليه مِنَ العمل الصَّالح، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والرابع**: إلاَّ أنْ تَوَدُّوني، كما تَوَدُّون قرابَتَكُم، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: إلاَّ أنْ تَوَدُّوا قرابَتَكُم وتَصِلوا أرحامَكُم، حكاه المَاوَرديُّ. والأول: أصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ أي: مَنْ يَكْتَسِبْ ﴿حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًاۚ﴾ أي: نُضاعِفْها بالواحدةِ عشراً فصاعِداً. وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ يَعمُرَ، والجَحْدَريُّ: «يزد له» بالياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليلِ حتى يُضاعفه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفارُ مكةَ ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حينَ زعمَ أنَّ القرآن مِن عند الله! ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يَختِمُ على قلبكَ فيُنسيكَ القرآنَ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: يَرْبِطُ على قلبكَ بالصَّبر على أذاهُم فلا يَشُقُّ عليكَ قولُهم: إنكَ مُفترٍ، قاله مُقاتِلٌ، والزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ قال الفرَّاءُ: ليس بمَردودٍ على «يَخْتِمْ» فيكونَ جزماً، وإنما هو مُستأنَفٌ، ومثله ممَّا حُذِفتْ منه الواوُ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾[(١)]. وقال الكِسائيُّ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ. تقديره: واللَّهُ يَمحو الباطلَ. وقال الزَّجَّاجُ: الوَقفُ عليها «ويمحوا» بواوٍ وألِفٍ؛ والمعنى: والله يَمحُو الباطلَ على كلِّ حالٍ، غيرَ أنها كُتِبتْ في المَصاحفِ بغيرِ واوٍ، لأنَّ الواوَ تَسقطُ في اللفظ لالتقاءِ الساكِنَيْن، فكُتِبتْ على الوصلِ، ولفظُ الواو ثابتٌ؛ والمعنى: ويَمحُو الله الشِّركَ ويُحِقُّ الحقَّ بما أنزلَهُ مِنْ كتابه على لسانِ نبيِّه ﷺ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ قد ذكرناه في براءة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: مِنْ خيرٍ وشرٍّ. قرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، على الإخبار عن المشركين والتَّهديدِ لهم. و «يستجيب» بمعنى يُجيب، وفيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الفعلَ فيه لله، والمعنى: يُجيبُهم إذا سألوه؛ وقد رَوى قَتادَةُ عن أبي إبراهيمَ اللَّخمي ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: يُشفَّعون في إخوانِهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: يُشفَّعون في إخوانِ إخوانِهم. **والثاني**: أنه للمؤمنين؛ فالمعنى: يُجيبونَهُ. والأولُ أصحُّ. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾.

[١٢٥٠] قال خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ: فينا نَزَلَتْ هذه الآيةُ، وذلك أنَّا نَظَرنا إلى أموالِ بَني قُريظَة والنَّضيرِ فتَمنَّيناها، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٢٥٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٣٧ عن خباب بدون إسناد فلا يحتج به، ولا يصح فالسورة مكية، والخبر مدني. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٠٠ بتخريجنا.

---

(١) الإسراء: ١١.
(٢) التوبة: ١٠٤.

ومعنى الآية: لو أوسعَ الله الرِّزقَ لِعبادِه لَبَطِروا وعَصَوْا وبغى بعضُهم على بعض، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: يُنزل أمرَهُ بتقدير ما يشاء ممَّا يُصلِحُ أمورَهُم ولا يُطغِيهم ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ فمنهم مَنْ لا يُصلحه إلاَّ الغِنى، ومنهم مَنْ لا يُصلحه إلاَّ الفقرُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ يعني المطرَ وقتَ الحاجة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ أي: يَئِسوا، وذلك أَدْعَى لهم إلى شُكرِ مُنزِلِه ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ في الرَّحمة ها هنا قولان: **أحدهما**: المطر، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: الشمس بعدَ المطرِ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقد ذكرنا «الوليّ» في سُورَةِ النِّساء[1] و«الحميد» في البقرة[2]. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ﴾ وهو ما يلحق المؤمنَ مِنْ مكروهٍ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ مِنَ المعاصي. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «بما كَسَبتْ أيديكم» بغيرِ فاءٍ، وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ المدينةِ والشَّام ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ مِنَ السَّيِّئاتِ فلا يُعاقِبُ بها. وقيل لأبي سُليمانَ الدَّاراني: ما بالُ العقلاءِ أَزَالوا اللَّومَ عمَّن أساءَ إليهم؟ قال: إنَّهم علموا أنَّ الله تعالى إنما ابتلاهُم بذُنوبِهم، وقرأ هذه الآيةَ. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إنْ أرادَ اللَّهُ عقوبتَكُم، وهذا يدخل فيه الكفَّارُ والعُصاةُ كلُّهم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٖ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٞ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ والمراد بالجَوارِ: السُّفن. قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو: «الجَواري» بياءٍ في الوصلِ، إلاَّ أنَّ ابنَ كَثيرٍ يقف أيضاً بياءٍ، وأبو عمرٍو بغيرِ ياءٍ، ويعقوبُ يُوافق ابنَ كَثيرٍ، والباقون بغيرِ ياءٍ في الوصلِ والوقفِ؛ قال أبو عليٍّ: والقياسُ ما ذهب إليه ابنُ كثيرٍ، ومَنْ حَذفَ فقد كَثُر حَذفُ مثلِ هذا في كلامِهم. ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: كالجبال، واحدها: عَلَم. ورُوِيَ عن الخليلِ بنِ أحمدَ أنه قال: كلُّ شيءٍ مرتفعٌ عند العرب فهو عَلَمٌ.

قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي تُجريها ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ يعني الجَواري ﴿رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: سَواكِنَ على ظهرِ البحر لا يَجْرِينَ. ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ أي: يُهْلِكْهُنَّ ويُغرِقْهُنَّ، والمراد أهلُ السُّفن،

---

(١) النساء: ٤٥.
(٢) البقرة: ٢٦٧.

ولذلك قال: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: مِنَ الذُّنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ مِنْ ذُنوبِهم، فيُنجيهم من الهلاك.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «ويَعْلَمُ» بالرفع على الاستئناف وقَطْعِه من الأول: وقرأ الباقون بالنَّصب، قال الفَرَّاءُ: هو مَردودٌ على الجزم؛ إلاّ أنه صُرِفَ، والجزمُ إذا صُرِفَ عنه معطوفُه نُصِبَ. وللمُفسِّرين في معنى الآية قولان: **أحدهما**: ويعلم الذين يُخاصِمون في آياتِ الله حينَ يُؤخذون بالغَرَقِ أنه لا ملجأَ لهم. **والثاني**: أنهم يعلمون بعدَ البَعثِ أنه لا مَهْرَبَ لهم مِنَ العذاب. قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما أُعطِيتُم مِنَ الدنيا فهو مَتاعٌ تتمتَّعون به، ثم يزولُ سريعاً. ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنه إنما أعدَّ لهم في الآخرة العذابَ.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «كبيرَ الإثم» على التوحيد مِن غير ألِفٍ، والباقون بألِفٍ. وقد شرحنا الكبائرَ في سُورةِ النِّساء[1]. وفي المراد بالفواحش ها هنا قولان: **أحدهما**: الزِّنا. **والثاني**: مُوجِباتُ الحدود.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يَعفُون عمَّن ظَلَمهم طلباً لثوابِ الله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه فيما دَعاهم إليه. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي يتشاورون فيه بينهم، وقال الزَّجَّاجُ: المعنى أنهم لا ينفردون برأيٍ حتى يجتمعوا عليه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ اختلفوا في هذا البَغْي على ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: أنه بَغْيُ الكفَّارِ على المسلمين، قال عطاءٌ: هم المؤمنون الذين أخرجَهم الكفَّارُ مِن مكَّةَ وبَغَوْا عليهم، ثم مَكَّنهم اللّهُ منهم فانتصروا. وقال زيدُ بنُ أسلَمَ: كان أصحابُ رسول الله ﷺ فِرقتين بمكَّةَ، فِرقةٌ كانت تُؤذَى فتعفو عن المشركين، وفِرقةٌ كانت تُؤذَى فتَنتصر، فأثنى الله عزَّ وجلَّ عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وقال في المنتصِرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: مِنَ المشركين. وقال ابنُ زيدٍ: ذَكَر المهاجرين، وكانوا صِنفَيْن، صنفاً عَفَا، وصِنفاً انتصرَ، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، فبدأ بهم، وقال في المُنتصِرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: مِنَ المشركين؛ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: «يُنفِقون» وهم الأنصار: ثم ذَكر الصِّنفَ الثالث فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ مِنَ المشركين. **والثاني**: أنه بَغْيُ المسلمين على المسلمين خاصَّةً. **والثالث**: أنه عامٌ في جميع البُغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

فصل: واختلف في هذه الآية علماءُ النَّاسخِ والمَنسوخِ، فذهب بعضُ القائلين بأنها في المشركين

---

(١) النساء: ٣١.

إلى أنها مَنسُوخةٌ بآية السَّيفِ، فكأنهم يُشيرون إلى أنها أثبتَت الانتصارَ بعد بَغْي المشركين، فلمَّا جازَ لنا أنْ نبدأهم بالقتال، دَلَّ على أنها مَنسوخةٌ. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان: **أحدهما**: أنها مَنسوخةٌ بقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾(١) فكأنها نبَّهت على مَدْح المُنتصِرِ، ثم أعلَمَنا أنَّ الصبرَ والغُفرانَ أمدَحُ، فبانَ وجهُ النَّسخ. **والثاني**: أنها مُحكمةٌ، لأنَّ الصبرَ والغُفرانَ فضيلةٌ، والانتصار مباحٌ، فَعَلى هذا تكون مُحكمةً، وهو الأصحُّ.

فإن قيلَ: كيف الجمعُ بين هذه الآية ـ وظاهرُها مدحُ المُنتصِرِ ـ وبينَ آياتِ الحَثِّ على العفوِ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: أنه انتصارُ المسلمين مِنَ الكافرين، وتلك رُتبةُ الجهاد كما ذكرنا عن عطاءٍ. **والثاني**: أنَّ المنتصِرَ لم يَخرج عن فعلٍ أُبيحَ له، وإنْ كان العفوُ أفضلَ، ومَنْ لم يَخرج مِنَ الشَّرعِ بفعله، حَسُنَ مدحُه. قال ابنُ زيدٍ: جعلَ اللَّهُ المؤمنين صِنفَيْن! صِنفٌ يعفو، فبدأ بذكره، وصِنفٌ ينتصر. **والثالث**: أنه إذا بَغى على المؤمِن فاسقٌ، فلأنَّ له اجتِراءَ الفُسَّاقِ عليه، وليس للمؤمن أنْ يُذِلَّ نَفْسَه، فينبغي له أنْ يَكْسِرَ شوكةَ العُصاة لتكونَ العِزَّةُ لأهل الدِّيْنِ. قال إبراهيمُ النَّخعيُ: كانوا يَكرهون للمؤمنين أنْ يُذِلُّوا أنفسَهم فيجترئ عليهم الفُسَّاقُ، فإذا قَدَروا عَفَوا، وقال القاضي أبو يَعلَى: هذه الآيةُ محمولةٌ على مَنْ تعدَّى وأَصَرَّ على ذلك، وآياتُ العفوِ محمولةٌ على أنْ يكونَ الجاني نادماً.

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ قال مُجاهِدٌ والسُّدِّيُّ: هو جوابُ القبيح، إذا قال له كلمةً أجابه بمِثْلِها مِنْ غير أنْ يعتديَ. وقال مُقاتِلٌ: هذا في القِصاص في الجِراحاتِ والدِّماءِ. ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ﴾ فلم يقتصَّ ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العملَ ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني مَنْ بدأ بالظُّلم. وإنما سَمَّى المُجازاةَ سيِّئةً، لِمَا بيَّنَّا عند قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾(٢) قال الحَسَنُ: إذا كان يومُ القيامة نادى مُنادٍ: لِيَقُمْ مَنْ كان أجرُه على الله، فلا يقوم إلاَّ مَنْ عَفا. ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ أي: بعدَ ظُلم الظَّالم إيَّاه؛ والمصدر ها هنا مضافٌ إلى المفعول، ونظيرُه: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾(٣) و﴿بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾(٤)، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني المُنتصِرين ﴿مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: مِنْ طريقٍ إلى لَوْم ولا حَدٍّ، ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: يبتدئون بالظُّلم ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي. قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصِرْ ﴿وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصَّبر والتَّجاوز ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ وقد شرحناه في آل عِمران(٥).

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ﴾ أي: مِنْ أحدٍ يلي هدايته بعد إضلالِ الله إيَّاه. ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ في الآخرة يسألون الرَّجعةَ إلى الدنيا ﴿يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ

(١) الشورى: ٤٣. (٢) البقرة: ١٩٤. (٣) فصلت: ٤٩.
(٤) صٓ: ٢٤. (٥) آل عمران: ١٨٦.

مِن سَبِيلٍ﴾؟ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النّارِ ﴿خَٰشِعِينَ﴾ أي: خاضعين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ طَرْفٍ ذليلٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقال الأخفَش: يَنظُرون مِنْ عينٍ ضعيفةٍ. وقال غيرُه: «مِنْ» بمعنى «الباء». **والثاني**: يُسارقون النَّظرَ، قاله قَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: ينظُرون ببعضِ العَيْنِ، قاله أبو عُبيدَةَ. **والرابع**: أنهم ينظُرون إلى النّارِ بقلوبهم، لأنهم قد حُشِروا عُمْياً، فلم يَرَوها بأعينهم، حكاه الفَرّاءُ، والزَّجّاجُ، وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعونَهم مِنْ عذاب الله.

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أي: أجيبوه، فقد دَعاكم برسوله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ وهو يومُ القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يَقدِرُ أحدٌ على رَدِّه ودَفْعِه ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤون إليه، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: مِنْ ناصرٍ ينصُركم، وقال غيرُه: مِنْ قُدرةٍ على تغيير ما نزلَ بكم. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابةِ ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لِحفظِ أعمالِهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: ما عليك إلاَّ أنْ تُبلِّغَهم. وهذا عندَ المُفسِّرين مَنسوخٌ بآية السَّيفِ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ قال المُفسِّرون: المراد به: الكافر؛ والرَّحمةُ: الغِنى والصِّحةُ والمطرُ ونحو ذلك، والسَّيِّئةُ: المرضُ والفقرُ والقَحطُ ونحو ذلك، والإنسانُ ها هنا: اسمُ جنسٍ، فلذلك قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما سَلَف مِنْ مُخالَفتِهم ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ بما سَلَفَ مِنَ النِّعَم. ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له التصرُّفُ فيها بما يريد، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني البناتِ ليس فيهنَّ ذكَرٌ، كما وَهَب لِلُوطٍ ﷺ، فلَمْ يولَدْ له إلاَّ البناتُ ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يعني البَنِينَ ليس معهم أُنثى، كما وَهَبَ لإبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسلامُ، فلم يُولَدْ له إلاَّ الذُّكورُ. ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يعني الإناثَ والذُّكورَ، قال الزَّجّاجُ: ومعنى «يزوِّجهم»: يَقرُنُهم، وكلُّ شيئَين يَقترِنُ أحدُهما بالآخر، فهما زَوجانِ، ويُقال لكلِّ واحدٍ منهما: زَوج، تقول: عندي زوجانِ مِنَ الخِفافِ، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمُفسِّرين قولان: **أحدهما**: أنه وَضعُ المرأة غلاماً ثم جاريةً ثم غلاماً ثم جاريةً، قاله مُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: أنه وَضعُ المرأة جاريةً وغلاماً توأمين، قاله ابنُ الحَنفيَّةِ. قالوا: وذلك كما جُمِعَ لمحمّدٍ ﷺ فإنه وَهَبَ له بَنِينَ وبناتٍ، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يولد له، كيَحيى بنِ زكريّا عليهما السلامُ. وهذه الأقسامُ موجودةٌ في سائرِ الناس، وإنما ذَكروا الأنبياءَ تمثيلاً.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ

(١) الأنعام: ١٢، هود: ٣٩.

إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾. قال المُفسِّرون:

[١٢٥١] سببُ نُزولِها أنَّ اليهودَ قالوا للنبيِّ ﷺ: ألا تُكلِّم الله وتنظرُ إليه إنْ كنتَ نبياً صادقاً كما كلَّمه موسى ونَظرَ إليه؟ فقال لهم: «لم ينظر موسى إلى الله»، ونزلت هذه الآيةُ.

والمراد بالوَحي ها هنا: الوَحيُ في المنامِ. ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كَلَّم موسى. ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «يُرْسِلُ» بالرفع ﴿فَيُوحِي﴾ بسكونِ الياء. وقرأ الباقون: «يُرْسِلَ» بنَصبِ اللام «فيوحيَ» بتحريكِ الياء، والمعنى: «أو يرسِلَ رسولاً» كجبرائيلَ «فَيُوحيَ» ذلك الرسولُ إلى المُرسَلِ إليه ﴿بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾. قال مَكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ: مَنْ قرأ «أو يرسِلَ» بالنَّصبِ، عَطفَهُ على معنى قوله: «إلاّ وحياً» لأنه بمعنى: إلاّ أنْ يُوحيَ. ومَنْ قرأ بالرفع، فعلى الابتداء، كأنه قال: أو هو يُرسِلُ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الآيةُ محمولةٌ على أنه لا يُكلِّم بشراً إلاّ مِن وراء حجابٍ في دار الدنيا. قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسلِ ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، وقيلَ: الواو عطفٌ على أولِ السُّورةِ، فالمعنى: كذلك نُوحي إليكَ وإلى الذين مِنْ قبلكَ. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو القرآن، وقال مُقاتِلٌ: وَحياً بأمرِنا.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ وذلك أنه لم يكُنْ يَعرفُ القرآنَ قبلَ الوحيِ ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنه بمعنى الدَّعوةِ إلى الإيمان، قاله أبو العَالِيةِ. **والثاني**: أنَّ المرادَ به: شرائعُ الإيمان ومعالِمُه، وهي كلُّها إيمانٌ، وقد سَمَّى الصَّلاةَ إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[٢] هذا اختيارُ ابنِ قُتَيبةَ، ومحمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ. **والثالث**: أنه ما كان يعرفُ الإيمانَ حين كان في المَهدِ وإذْ كان طفلاً قبلَ البلوغ، حكاه الواحِديُّ. والقولُ ما اختاره ابنُ قُتَيبةَ، وابنُ خُزَيمةَ، وقد اشتُهِرَ في الحديث عنه عليه السلامُ أنه كان قبلَ النُّبوَّة يُوحِّدُ اللَّه، ويُبْغِضُ اللاَّتَ والعُزَّى، ويَحُجُّ ويَعتمِرُ، ويتَّبِعُ شريعةَ إبراهيمَ عليه السلامُ[٣]. قال الإمامُ أحمدُ بنُ حَنبَلٍ رحمة اللَّهُ: مَنْ زعمَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان على دِيْنِ قومِه، فهو قولُ سوءٍ، أليسَ كان لا يأكلُ ما ذُبِحَ على النُّصُبِ؟ وقال ابنُ قُتَيبةَ:

[١٢٥١] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٣٩ بدون إسناد، ومن غير عزوٍ لأحد، فهو ساقط. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/٢٣٤: لم أجده. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٢٠ بتخريجنا.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٦/٥٣: اختلف العلماء في تأويل قوله تعالى: **﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾** قلت: الصحيح أنه ﷺ كان مؤمناً بالله عز وجل من حين نشأ إلى حين بلوغه وقيل: ـ في معنى الآية ـ أي كنت في قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان، حتى تكون قد أخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم، وهو كقوله تعالى: **﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾**.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) انظر «السيرة النبوية» للذهبي ص ٤١ ـ ٤٣.

قد جاء في الحديث أنه كان على دِيْنِ قومِه أربعينَ سنة[١]. ومعناه: أنَّ العربَ لم يزالوا على بقايا مِنْ دِيْنِ إسماعيلَ، مِنْ ذلك حِجُّ البيتِ، والخِتانُ، وإيقاعُ الطلاقِ إذا كان ثلاثاً، وأنَّ للزوجِ الرَّجعةَ في الواحدةِ والاثنتين، ودِيَةُ النَّفْسِ مائةً مِنَ الإبلِ، والغُسلُ مِنَ الجَنابةِ، وتحريمُ ذواتِ المحارمِ بالقَرابةِ والصِّهرِ، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ على ما كانوا عليه مِنَ الإيمان بالله والعملِ بشرائِعهم في الخِتان والغُسلِ والحَجِّ، وكان لا يَقربُ الأوثانَ، ويَعيبُها. وكان لا يَعرف شرائعَ الله التي شَرَعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ يعني شرائعَ الإيمان؛ ولم يُرِد الإيمانَ الذي هو الإقرارُ بالله، لأنَّ آباءَه الذين ماتوا على الشِّركِ كانوا يُؤمِنون بالله ويَحجُّون له البيتَ مع شِركِهم. قوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنَّها ترجعُ إلى القرآن. **والثاني**: إلى الإيمانِ. ﴿نُورًا﴾ أي: ضياءً ودليلاً على التوحيد ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى دِيْنِ الحقِّ. ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾ أي: لَتَدعوَ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلامُ.

---

(١) ليس بحديث، وإنما هو رأي لبعض أهل العلم، وهو مرجوح، بل الصواب أنه على دين إبراهيم عليه السلام، لأن قومه كانوا على الشرك كما نطق القرآن بذلك في آيات كثيرة فمن ذلك **﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة...﴾** والمراد بالمشركين هنا قريش وما والاها، فتنبه، والله أعلم.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

وهي مكية بإجماعهم. وقال مُقاتِلٌ: هي مكِّيَّة، إلاَّ آيَةً، وهي قولُه: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ قد تقدَّمَ بيانُه. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ قَسمٌ بالقرآن. ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أنزلْناه. وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ بيانُه[٢] إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: في أصلِ الكتاب، وأصلُ كلِّ شيءٍ: أُمُّه، والقرآن مُثْبَتٌ عند الله عزَّ وجلَّ في اللَّوحِ المحفوظِ. قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ أي: رَفيعٌ. وفي معنى الحكيم قولان: **أحدهما**: مُحْكَمٌ، أي: ممنوعٌ مِنَ الباطل، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: حاكمٌ لأهلِ الإيمان بالجنَّةِ ولأهل الكُفرِ بالنَّارِ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، والمعنى: إنْ كذَّبتم به يا أهلَ مكَّةَ فإنه عندنا شريفٌ عظيمُ المَحَلِّ. قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: نُمْسِكُ عنكم فلا نذكُركم صَفحاً، أي: إعراضاً، يُقال: صَفَحْتُ عن فُلانٍ: إذا أعرَضتَ عنه، والأصل في ذلك أنْ تُولِّيه صَفْحةَ عُنقِكَ، قال كُثَيِّرٌ يصف امرأةً:

صَفُوحاً فما تَلْقاكَ إلاَّ بَخِيلَةً ... فَمَنْ مَلَّ منها ذلك الوَصْلَ مَلَّتِ[٣]

أي: مُعْرِضة بوجهِها، يُقال؛ ضَرَبْتُ عن فُلانٍ كذا: إذا أمسكتَه، وأضربتَ عنه. ﴿أَن كُنتُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «أن كنتم» بالنَّصب، أي: لأَنْ كنتم قوماً مُسرفين. وقرأ نافعٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «إن كنتم» بكسرِ الهمزة. قال الزَّجَّاجُ: وهذا على معنى الاستقبال،

---

(١) الزخرف: ٤٥. (٢) النساء: ٨٢، يوسف: ٢.
(٣) البيت لكثير عزة كما في «اللسان» ـ صفح ـ

أي: إنْ تكونوا مُسرفين نَضْرِبْ عنكم الذِّكرَ. وفي المراد بالذِّكرِ قولان[١]: **أحدهما**: أنه ذِكْرُ العذاب، فالمعنى: أفنُمْسِكُ عن عذابِكُم ونترُكُكم على كُفرِكُم؟! وهذا معنى قول ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، والسُّدِّيِّ. **والثاني**: أنه القرآن، فالمعنى: أفنُمْسِكُ عن إنزالِ القرآن مِنْ أجل أنكم لا تُؤمنون به؟! وهو معنى قول قَتادَة، وابنِ زيدٍ. وقال قَتادَةُ: «مُسْرِفِينَ» بمعنى مشركين. ثم أعلَمَ نبيَّه أنِّي قد بَعثتُ رُسُلاً فكَذَّبوا فأهلَكتُ المُكذِّبين بالآيات التي تَلِي هذه.

قوله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ أي: مِنْ قُريشٍ ﴿بَطْشًا﴾ أي: قُوَّةً ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سَبَق وصفُ عِقابِهم فيما أُنزلَ عليكَ. وقيلَ: سبقَ تشبيهُ حالِ أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستقع المُشابهةُ بينهم في الإهلاك. ثم أخبرَ عن جهلِهم حين أقَرُّوا بأنه خالقُ السَّمواتِ والأرضِ ثم عَبَدوا غيرَهُ بالآية التي تلي هذه؛ ثم التي تليها مفسَّرةٌ في طه[٢] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفارِكُم إلى مقاصِدِكُم.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أنه ليس كما أنزل على قومِ نوحٍ بغير قَدَرٍ فأغرقَهُم، بل هو بقَدَرٍ ليكونَ نافعاً. ومعنى «أنشَرْنا» أحيَيْنا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ، وابنُ عامرٍ: «تَخْرُجُونَ» بفتح التاء وضمِّ الراء، والباقون بضمِّ التاء وفتحِ الراء. وما بعدَ هذا قد سبقَ[٣] إلى قوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هاء التذكير لـ «ما». ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ إذْ سخَّر لكم ذلك المَركبَ في البَرِّ والبحر، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ: أي: مُطيقين، قال ابنُ قُتيبةَ: يقال: أنا مُقْرِنٌ لكَ، أي: مُطيقٌ لكَ، ويُقال: هو مِنْ قولِهم: أنا قِرْنٌ لفلانٍ: إذا كنتَ مثلَهُ في الشِّدة، فإنْ قلتَ: أنا قَرْنٌ لِفلانٍ ـ بفتح القاف ـ فمعناه: أنْ تكونَ مثلَهُ بالسِّنِّ. وقال أبو عُبيدَةَ: «مُقْرِنِينَ» أي: ضابِطِين، يُقال: فلانٌ مُقْرِنٌ لفلانٍ: أي: ضابطٌ له.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أي: راجعون في الآخرة.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ أمَّا الجَعْلُ ها هنا، فمعناه: الحُكمُ بالشيء، وهم الذين

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/١٦٧: وأولى التأولين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوماً مسرفين لا تؤمنون بربكم.

(٢) طه: ٥٣.

(٣) يسٓ: ٣٦، ٤٢.

زعموا أنَّ الملائكة بناتُ الله؛ والمعنى: جَعلوا له نصيباً مِنَ الولدِ، قال الزَّجَّاجُ: وأنشدني بعضُ أهل اللغة بيتاً يدل على أنَّ معنى «جزءٍ» معنى الإناث ـ ولا أدري البيتَ قديمٌ أو مصنوعٌ:

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ، يَوماً، فلا عَجَبٌ ... قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أحيانا

أي: آنثَتْ، وَلَدَتْ أُنثى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جَحودٌ لِنِعمَ الله عزَّ وجلَّ ﴿مُّبِينٌ﴾ أي: ظاهرُ الكُفر. ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهامُ توبيخ وإنكارِ ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أي: أخلصَكم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي: بما جعلَ لله شَبهاً، وذلك أنَّ وَلدَ كلِّ شيءٍ شبهُه وجنسُه. والآية مفسَّرةٌ في النَّحل[1].

قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلفٌ، وحفصٌ: «يُنَشَّأُ» بضم الياء وفتح النون وتشديدِ الشين؛ وقرأ الباقون: بفتح الياء وسكونِ النون. قال المُبرِّدُ: تقديره: أَوَ يجعلون مَنْ يُنَشَّأُ ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الحِلْيَة: الحِلَى. قال المُفسِّرون: والمراد بذلك: البنات، فإنَّهنَّ رُبِّينَ في الحُليِّ. والخِصامُ بمعنى المُخاصمة، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ حُجَّةً. قال قَتادةُ: قلَّما تتكلَّمُ امرأةٌ بحُجَّتها إلاَّ تكلَّمتْ بالحُجَّة عليها. وقال بعضُهم: هي الأصنام.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الجَعْلُ ها هنا بمعنى القول والحُكم على الشيء، تقول: قد جعلتُ زيداً أعلَمَ الناسِ، أي: قد وَصفتُهُ بذلك وحَكمتُ به. قال المُفسِّرون: وجَعْلُهم الملائكةَ إناثاً قولُهم: هُنَّ بناتُ الله. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وأبَانُ عن عاصِمٍ، والشَّيزَريُ عن الكِسائيِّ: «عِنْدَ الرحمن» بنونٍ مِنْ غير أَلِفٍ، وقرأ الباقون: «عِبادُ الرحمن» ومعنى هٰذه القراءة: جعلوا له مِنْ عباده بناتٍ. والقراءةُ الأُولى موافقةٌ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[2]، وإذا كانوا في السماء كان أبْعَدَ لِلعِلْم بحالِهم. ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ قرأ نافعٌ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ: «أَأُشهِدوا» بهمزتين، الأولى مفتوحةٌ والثانية مضمومةٌ. وروى المُسَيَّبِيُّ عن نافع: «أَوُشهِدُوا» ممدودةً مِنْ أَشهِدْتُ، والباقون لا يُمدُّون. «أَشَهِدوا» مِنْ شَهِدْتُ، أي: أحَضروه فعرَفوا أنَّهم إناثٌ؟! وهذا توبيخٌ لهم إذْ قالوا فيما يُعْلَم بالمُشاهدةِ مِنْ غيرِ مُشاهدَةٍ. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ على الملائكة أنها بناتُ الله.

---

(١) النحل: ٥٨.
(٢) الأعراف: ٢٠٦.

[١٢٥٢] وقال مُقاتِلٌ: لمَّا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾، سُئِلوا عن ذلك فقالوا: لا، فقال النبيُّ ﷺ: «فما يُدريكُم أنها إناثٌ؟» فقالوا: سَمِعنا مِنَ آبائِنا، ونحنُ نَشهَدُ أنهم لم يَكذِبوا، فقال الله: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة.

وقرأ أبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٌ: «سَنَكتُبُ» بنونٍ مفتوحةٍ «شهادَتَهم» بنَصبِ التاء، ووافقهم ابنُ أبي عَبلَة في «سنَكتُبُ» وقرأ: «شهاداتِهم» بألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ في المَكنيِّ عنهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة، قاله قَتادةُ، ومُقاتِلٌ في آخرين. **والثاني**: الأوثان، قاله مُجاهِدٌ. وإنَّما عَنَوْا بهذا أنه لو لم يَرْضَ عبادَتَنا لها لَعجَّلَ عقوبتَنا، فرَدَّ عليهم قولَهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾. وبعضُ المُفسِّرين يقول: إنما أشارَ بقوله: «ما لهم بذلك مِنْ عِلْم» إلى ادِّعائِهم أنَّ الملائكةَ إناثٌ، قال: ولم يَتعرَّضْ لقولِهم: «لو شاء الرَّحمنُ ما عَبَدْناهُم» لأنه قولٌ صَحيحٌ؛ والذي اعتمدنا عليه أصحُّ، لأنَّ هذه الآيةَ كقوله: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾[١]، وقوله: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾[٢]، وقد كشفنا عن هذا المعنى هنالك. و «يَخرُصُونَ» بمعنى: يكذبون. وإنَّما كذَّبهم، لأنهم اعتقدوا أنه رَضِيَ منهم الكُفرَ دِيْناً. ﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: مِنْ قَبلِ هذا القرآن، أي: بأَنْ يعبدوا غيرَ الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ﴾ يأخذون بما فيه. ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ أي: على سُنَّةٍ ومِلَّةٍ ودِيْنٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ فجعلوا أنفسَهم مُهتَدِينَ بمجرَّدِ تقليد الآباء مِنْ غيرِ حُجَّةٍ؛ ثم أخبرَ أنَّ غيرَهم قد قال هذا القولَ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما قالوا قال مُترَفو القُرى مِنْ قَبلِهم، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ بهم. ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «قال أوَلَوْ جِئتُكم» بألِفٍ. قال أبو عليٍّ: فاعلُ «قال» النَّذيرُ، المعنى: فقال لهم النَّذيرُ. وقرأ أبو جَعفرَ: «أوَلَوْ جئناكم» بألِفٍ ونونٍ ﴿بِأَهۡدَىٰ﴾ أي: بأصوبَ وأرشَدَ. قال الزَّجاجُ: ومعنى الكلام: قُلْ: أتَّبعونَ ما وَجدتُم عليه آباءَكم وإنْ جِئتُكم بأهدَى منه؟! وفي هذه الآية إبطالُ القولِ بالتقليد. قال مُقاتِلٌ: فَرَدُّوا على النبيِّ ﷺ فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ ثم رجعَ إلى الأُمَمِ الخالية، فقال: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ الآية.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ قال الزَّجاجُ: البَراءُ بمعنى البَرِيء، والعرب تقول للواحد: أنا البَراءُ منكَ، وكذلك للاثنين والجماعة، وللذَّكر والأنثى، يقولون: نحنُ البَراءُ منكَ والخَلاءُ منكَ، لا يقولون: نحن البَراءَانِ منكَ، ولا البَراءُونَ منكَ، وإنما المعنى: أنا ذو البَراءِ منكَ، ونحن ذو البَراءِ

[١٢٥٢] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث. وعزاه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٦٨ للكلبي ومقاتل، والكلبي كذاب أيضاً، فهذا الخبر لا شيء.

---

(١) الأنعام: ١٤٨. (٢) يس: ٤٧.

منكَ، كما يُقال: رجلُ عَدْلٌ، وامرأةُ عدلٌ. وقد بيَّنَّا استثناءَ إبراهيمَ ربَّه عزَّ وجلَّ مما يعبدون عند قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[١]. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني كلمةَ التوحيد، وهي: «لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ»، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي: فيمَنْ يأتي بعدهُ مِنْ وَلَدِه، فلا يزال فيهم مُوحِّدٌ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد كلُّهم إذا سمعوا أنَّ أباهم تبرَّأَ مِنَ الأصنام ووَحَّدَ الله عزَّ وجلَّ.

ثم ذَكر نِعمتَهُ على قُريشٍ فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ والمعنى: إنِّي أجزلتُ لهم النِّعمَ ولم أُعاجِلْهُم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ، فكان ينبغي لهم أنْ يُقابِلوا النِّعَمَ بالطَّاعةِ للرَّسولِ، فخالَفوا. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني قُريشاً في قول الأكثرين. وقال قَتادةُ: هم اليهود. و ﴿الْحَقُّ﴾ القرآن.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أمَّا القَرْيتان، فمكَّةُ والطَّائفُ، قاله ابنُ عباسٍ، والجماعة؛ وأمَّا عظيمُ مكَّةَ، ففيه قولان[٢]: **أحدهما**: الوليدُ بنُ المُغيرةِ القُرشيّ، رواه العَوفيُّ وغيرُه عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ، قاله مُجاهِدٌ. وفي عظيمِ الطَّائفِ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: حبيبُ بنُ عمروِ بنِ عُميرٍ الثَّقفيُّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مَسعودُ بنُ عمروِ بنِ عُبيدِ الله، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه أبو مسعودٍ عُروةُ بنُ مسعودٍ الثَّقفيُّ، رواه ليثُ عن مُجاهِدٍ، وبه قال قَتادةُ. **والرابع**: أنه ابنُ عَبْدِ ياليل، رواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والخامس**: كِنانَةُ بنُ عبدِ بنِ عمروِ بنِ عُميرٍ الطَّائفيُّ، قاله السُّدِّيُّ.

فقال الله عزَّ وجلَّ رَدّاً عليهم وإنكاراً: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني النُّبوَّةَ، فيضعُونها حيث شاؤوا، لأنهم اعترضوا على الله بما قالوا. ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ المعنى أنه إذا كانت الأرزاقُ بقَدَرِ الله، لا بحَوْلِ المُحتالِ ـ وهو دونَ النُّبوَّة ـ فكيف تكون النُّبوَّةُ؟! قال قَتادةُ: إنكَ لَتَلْقَى ضعيفَ الحِيلَةِ عييَّ اللِّسان قد بُسِطَ له الرِّزْقُ، وتَلْقَى شديدَ الحِيْلةِ بسيطَ اللسانِ وهو مَقتورٌ عليه. قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: بالغِنى والفقرِ. **والثاني**: بالحُرِّيةِ والرِّقِّ ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفع، وابنُ مُحَيصِنٍ: «سِخْرِيّاً» بكسرِ السين. ثم فيه قولان: **أحدهما**: يستخدم الأغنياءُ الفقراءَ بأموالِهم، فَيَلْتَئِمُ قِوامُ العالَمِ، وهذا على القولِ الأول. **والثاني**: لِيملِكَ بعضُهم بعضاً بالأموال فيتَّخذونَهم عبيداً، وهذا على الثاني. قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ فيها قولان: **أحدهما**:

---

(١) الشعراء: ٧٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٥٠: والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان. وبه قال الطبري.

النُّبوَّة خيرٌ مِنْ أموالِهم التي يَجمعونَها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الجنَّةُ خيرٌ ممَّا يجمعون في الدنيا، قاله السُّدِّيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لولا أنْ يجتمعوا على الكُفرِ، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: على إيثارِ الدنيا على الدِّينِ، قاله ابنُ زيدٍ. قوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ لِهوانِ الدنيا عندَنا. قال الفَرَّاءُ: إنْ شئتَ جعلتَ اللامَ في «لبيُوتهم» مكرَّرةً، كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[1] وإنْ شئتَ جعلتَها بمعنى «على»، كأنه قال: جَعَلْنا لهم على بيُوتهم، تقول للرجل: جعلتُ لكَ لقومكَ الأعطيةَ، أي: جعلتُها مِنْ أجلكَ لهم.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «سَقْفاً» على التوحيد. وقرأ الباقون: «سُقُفاً» بضمِّ السينِ والقافِ جميعاً[2]. قال الزَّجَّاج: والسَّقفُ واحدٌ يدلُّ على الجمع؛ فالمعنى: جعلْنا لبيتِ كلِّ واحدٍ منهم سقفاً مِنْ فِضَّةٍ ﴿وَمَعَارِجَ﴾ وهي الدَّرجُ؛ والمعنى: وجعلْنا معارجَ مِنْ فِضَّةٍ، وكذلك «ولبيوتهم أبواباً» أي مِنْ فِضَّةٍ ﴿وَسُرُرًا﴾ أي مِنْ فِضَّةٍ. قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يَعْلُون، يُقال: ظَهَرْتُ على البيتِ: إذا عَلَوْتَ سَطحَهُ. قوله تعالى: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ وهو الذَّهبُ؛ والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهباً وغِنىً ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ المعنى: لَمتاعُ الحياة الدنيا، و «ما» زائدةٌ. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ: «لَمّا» بالتشديد، فجعَلاهُ بمعنى «إلاّ»؛ والمعنى: إنَّ ذلك يُتمتَّع به قليلاً ثم يزولُ ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصَّةً لهم.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٦/ ٧٤: استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن السقف لاحق لرب العلو، لأن الله تعالى جعل السقوف للبيوت كما جعل الأبواب لها. وهذا مذهب مالك رحمه الله.
قال ابن العربي: وذلك لأن البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب. فمن له البيت فله أركانه ولا خلاف أن العلو له إلى السماء. واختلفوا في السفل، فمنهم من قال: هو له ومنهم من قال: ليس له في باطن الأرض شيء. وفي مذهبنا القولان. ومن أحكام العلو والسفل: إذا كان العلو والسفل بين رجلين فيعتل السفل أو يريد صاحبه هدمه فذكر سحنون عن أشهب أنه قال: إذا أراد صاحب السفل أن يهدم، أو أراد صاحب العلو أن يبني علوه فليس لصاحب السفل أن يهدم إلا من ضرورة. ويكون هدمه له أرفق لصاحب العلو، لئلا ينهدم بانهدامه العلو، وليس لربّ العلو أن يبني على علوه شيئاً لم يكن قبل ذلك إلا الشيء الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل. وحجة مالك وأشهب، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوْقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً». أخرجه البخاري ٢٤٩٣ وغيره. وفيه دليل على استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يُعرِض، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: يَعْمَ، رُوِيَ عن ابنِ عباس أيضاً، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه البَصَرُ الضَّعيفُ، حكاه المَاوَرديُّ. وقال أبو عُبيدَةَ: تُظْلِمْ عينُه عنه. وقال الفَرَّاءُ: مَنْ قرأ: «يَعْشُ»، فمعناه: يُعْرِضْ، ومَنْ نصب الشينَ، أراد: يَعْمَ عنه؛ قال ابنُ قُتَيبة: لا أرى القولَ إلاَّ قولَ أبي عُبيدَةَ، ولم نَرَ أحداً يُجيزُ «عَشَوْتُ عن الشيءِ»: أعرضتُ عنه، إنَّما يُقال: «تَعاشَيْتُ عن كذا»، أي: تغافلتُ عنه، كأنّي لم أرَهُ، ومثلُه: تعامَيْتُ، والعرب تقول: «عَشَوْتُ إلى النَّار»: إذا استَدلَلْتَ إليها ببَصَرٍ ضعيفٍ، قال الحُطَيئةُ:

مـتـى تـأتِـهِ تـعْـشُـو إلـى ضَـوْءِ نـارِهِ ... تـجِـدْ خَـيْـرَ نـارٍ عِـنْـدَهـا خَـيْـرُ مُـوقِـدِ

ومنه حديثُ ابنِ المُسَيِّبِ: «أنَّ إحدى عينَيْه ذهبتْ، وهو يَعْشُو بالأخرى»، أي: يُبْصِرُ بها بَصَراً ضعيفاً. قال المُفسِّرون: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فلم يَخفْ عِقابَهُ ولم يلتفِتْ إلى كلامه نقيِّضْ له أي: نُسَبِّبْ له شيطاناً فنجعل ذلك جزاءَهُ فهو له قرين لا يُفارقه. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ يعني الكافرين، أي: يمنَعونَهُم عن سبيل الهُدى؛ وإنما جمع، لأنَّ «مَنْ» في موضعِ جمعٍ، ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ يعني كفّارَ بني آدمَ ﴿أَنَّهُم﴾ على هُدىً. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ وقرأ أبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «جاءنا» واحدٌ، يعني الكافر. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «جاءانا» بألِفَيْنِ على التثنية، يَعنونَ الكافرَ وشيطانَهُ. وجاء في التفسير أنهما يُجعلان يومَ البَعثِ في سِلْسِلَةٍ، فلا يفترقان حتى يُصيِّرَهما اللَّهُ إلى النَّارِ، قال الكافرُ للشيطانِ: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: بُعْدَ ما بينَ المَشرِقَيْنِ؛ وفيهما قولان: **أحدهما**: أنهما مَشرِقُ الشمس في أقصرِ يوم في السَّنةِ، ومَشرِقُها في أطولِ يوم، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه أراد المَشرِقَ والمَغرِبَ، فغلَّبَ ذِكْرَ المَشرِقِ، كما قالوا: سُنَّةُ العُمَرَيْن، يريدون: أبا بكرٍ وعمرَ، وأنشدوا مِنْ ذلك:

أخَـذْنـا بـآفـاقِ الـسَّـمـاءِ عَـلَـيْـكُـمُ ... لَـنـا قَـمَـراهـا والـنُّـجُـومُ الـطَّـوالِـعُ(١)

يريد: الشمسَ والقمرَ؛ وأنشدوا:

فَـبَـصْـرَةُ الأزْدِ مِـنَّـا والـعِـراقُ لَـنـا ... والـمَـوْصِـلانِ ومِـنَّـا مِـصْـرُ والـحَـرَمُ

يريد: الجزيرةَ والمَوصِلَ، وهذا اختيارُ الفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ.

قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أي: أنتَ أيُّها الشَّيطانُ. ويقول الله عزَّ وجلَّ يومئذٍ للكفّارِ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي: أشرَكتُم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لن ينفعَكم الشِّرْكَةُ في العذاب، لأنَّ لكلِّ واحدٍ منه الحَظُّ الأوفرَ. قال المُبرِّدُ: مُنِعوا رَوحَ التَّأسِّي، لأن التَّأسِّيَ يُسَهِّل المُصيبةَ، وأنشد للخنساءِ أختِ صَخرِ بنِ مالكٍ في هذا المعنى:

ولَـوْلا كَـثْـرَةُ الـبَـاكِـيـنَ حَـوْلِـي ... عـلـى إخْـوانِـهِـمْ لـقَـتَـلْـتُ نَـفْـسِـي

ومـا يَـبْـكُـونَ مِـثْـلَ أخـي ولـكِـنْ ... أُعَـزِّي الـنَّـفْـسَ عَـنْـهُ بـالـتَّـأسِّـي

وقرأ ابنُ عامرٍ: «إنَّكم» بكسرِ الألفِ. ثم أخبرَ عنهم بما سبق لهم مِنَ الشَّقاوةِ بقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ . . .﴾ الآيَة.

---

(١) البيت للفرزدق، ديوانه: ٥١٩، و «الكامل» ١٢٤.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ قال أبو عُبيدَة: معناها: فإنْ نَذْهَبَنَّ؛ وقال الزَّجّاجُ: دخلت «ما» توكيداً للشَّرط، ودخلت النونُ الثقيلةُ في «نَذْهَبَنَّ» توكيداً أيضاً؛ والمعنى: إنَّا ننتقِم منهم إنْ تُوفِّيتَ أوْ نُرِيَنَّكَ ما وَعَدْناهم ووعَدْناكَ فيهم مِنَ النَّصرِ. قال ابنُ عباسٍ: ذلك يومَ بدرٍ. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ مَنسوخٌ بآية السَّيفِ، ولا وجهَ له.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أي شَرَفٌ لَكَ بما أعطاكَ الله ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ في قومه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: العرب قاطبةً. **والثاني**: قُريشٌ. **والثالث**: جميع مَنْ آمَنَ به.

[١٢٥٣] وقد روى الضَّحّاكُ عن ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا سُئِلَ: لِمَنْ هذا الأمرُ مِنْ بعدِكَ؟ لم يُخْبِر بشيءٍ، حتى نزلت هذه الآيةُ، فكان بعدَ ذلك إذا سُئِلَ قال: «لقريش» وهذا يَدُلُّ على أنَّ النبيَّ ﷺ فَهِمَ مِنْ هذا أنه يَلِي على المسلمين بحُكْمِ النُّبوَّة وشَرَفِ القرآن، وأنَّ قومَهُ يَخْلُفونَهُ مِنْ بعدِه في الوِلايةِ لِشَرفِ القرآن الذي أُنزِلَ على رجُلٍ منهم. ومذهبُ مُجاهِدٍ أنَّ القومَ ها هنا: العرب، والقرآنُ شَرَفٌ لهم إذْ أُنزِلَ بلُغَتِهم.

قال ابنُ قُتيبَة: إنما وُضِعَ الذِّكرُ موضعَ الشَّرَفِ لأنَّ الشَّريفَ يُذْكَر. وفي قوله: ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ قولان. **أحدهما**: عن شُكرِ ما أُعطِيتُم مِنْ ذلك. **والثاني**: عمَّا لَزِمَكُم فيه مِنَ الحقوقِ.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ إنْ قيلَ: كيف يسأل الرُّسلَ وقد ماتوا قبلَهُ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ[1]: **أحدها**: أنه لمَّا أُسرِيَ به جُمِعَ له الأنبياءُ فصلَّى بهم، ثم قال له جِبريلُ: سَلْ مَنْ أرسلْنا

[١٢٥٣] لا أصل له ذكره المصنف تعليقاً، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذاك المتروك، حيث روى تفسيراً كاملاً عن الضحاك عن ابن عباس، وهو مصنوع، والضحاك لم يلق ابن عباس.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ١٩٢: وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: عني به: =

قَبلَكَ... الآية. فقال: لا أسألُ، قد اكتَفَيْتُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وهذا قولُ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، والزُّهري، وابنِ زيدٍ، قالوا: جُمِعَ له الرُّسلُ ليلةَ أُسرِيَ به، فَلَقِيَهم، وأُمِرَ أنْ يسألَهم، فما شَكَّ ولا سألَ. **والثاني**: أنَّ المراد: اسألْ مؤمني أهل الكتاب مِنَ الذين أُرسِلَتْ إليهم الأنبياءَ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، والحسنِ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ في آخرين. قال ابنُ الأنْبَاري: والمعنى سَلْ أتباعَ مَنْ أرسَلْنا قَبْلَكَ، كما تقول: السَّخاءُ حاتِمٌ، أي: سَخَاءُ حاتِمٍ، والشِّعرُ زُهيرُ، أي: شِعرُ زُهيرٍ. وعند المُفسِّرين أنه لم يسألْ على القولين. وقال الزَّجَّاجُ: هذا سؤالُ تقريرٍ، فإذا سألَ جميعَ الأمم، لم يأتوا بأن في كُتبهم: أنِ اعبُدُوا غيري. **والثالث**: أنَّ المُراد بخطاب النبيِّ ﷺ: خطابُ أُمَّتِه، فيكون المعنى سَلُوا، قاله الزَّجَّاجُ. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بها وتكذيباً. ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ يعني ما تَرادفَ عليهم مِنَ الطُّوفانِ والجَرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ والدَّمِ والطَّمْسِ[1]، فكانت كُلُّ آيةٍ أكبرَ مِنَ التي قَبْلَها، وهي العذابُ المذكور في قوله: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾، فكانت عذاباً لهم، ومعجزاتٍ لموسى عليه السلام. قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾، في خطابهم له بهذا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أرادوا: يا أيُّها العالِمُ، وكان السَّاحرُ فيهم عظيماً، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم قالوه على جهةِ الاستهزاءِ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أنهم خاطبوه بما تقدَّم له عندهم مِنَ التَّسمية بالسَّاحرِ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون بكَ. فَدَعا موسى، فكُشِفَ عنهم، فلم يُؤمنوا. وقد ذكرنا ما تركناه ها هنا في الأعراف[2]. قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أي: مِنْ تحتِ قُصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمَتي وشِدَّة مُلْكِي؟! ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أراد: بل أنا خَيْرٌ. وحكى الزَّجَّاجُ عن سِيبَويه والخَليلِ أنهما قالا: عطف «أنا» بـ «أمْ» على «أفلا تُبْصِرون» فكأنه قال: أفلا تُبْصِرون أَمْ أنتم بُصَراءُ؟! لأنهم إذا قالوا: أنتَ خيرٌ منه، فقد صاروا عنده بُصَراءَ. قال الزَّجَّاجُ: والمَهِين: القليل؛ يُقال: شيءٌ مَهِينٌ، أي: قليل. وقال مُقاتِلٌ: «مَهين» بمعنى ذليل ضعيف. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أشار إلى عُقدَةِ لسانه التي كانت به ثم أذهبَها اللَّهُ عنه، فكأنه عَيَّرَهُ بشيءٍ قد كان وزالَ، ويدلُ على زَوالِه قوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[3]، وكان في سؤاله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾[4]. وقال بعضُ العلماء: ولا يكاد يُبِين الحُجَّةَ ولا يأتي ببيانٍ يُفْهِمُ. ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي: فهلاّ ﴿أُلقيَ عَلَيهِ أساوِرةٌ مِنْ ذَهبٍ﴾ وقرأ حَفصٌ عن عاصِم: «أَسْوِرَةٌ» بغير ألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: واحد الأساوِرة إسْوار، وقد تكون الأساوِرَة جمعَ أَسْوِرَةٍ، كما يُقالُ في جمع الأسْقِيَة: الأساقي، وفي جمع الأكْرُع: الأكارع. وقال الزَّجَّاجُ: يصلُح أنْ تكونَ الأساوِرَة جمعَ الجمع، تقول: أَسْوِرَة وأساوِرة، كما تقول: أقوال وأقاويل، ويجوز أن تكونَ جمعَ إسْوار، وإنما صَرفتَ أساوِرَة، لأنكَ ضَممتَ الهاءَ إلى أساوِر، فصارَ اسماً واحداً، وصار له مثالٌ في الواحد، نحو «علانية».

= سل مؤمني أهل الكتابين. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١٥٢: قوله: **﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾**: أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد.

(١) في «اللسان»: الطموس: الدّروس والانمحاء، وطموس البصر: ذهاب نوره وضوئه.
(٢) الأعراف: ١٣٥. (٣) طه: ٣٦. (٤) طه: ٢٧.

قال المُفسِّرون: إنما قال فِرعَونُ هذا، لأنهم كانوا إذا سَوَّدوا الرجلَ منهم سَوَّرُوه بِسِوَارٍ. ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: متتابعين، قاله قتادة: **والثاني**: يمشون معه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ قال الفَرَّاءُ: استفزَّهم؛ وقال غيره: استخَفَّ أحلامَهم وحَملَهم على خِفَّة الحِلْم بكَيدِه وغروره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ في تكذيب موسى. ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: أغضبونا. قال ابنُ قُتيبَة: الأَسَفُ: الغَضَب، يُقال: أَسِفْتُ آسَفُ أَسَفاً، أي: غَضِبْتُ. ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ أي: قوماً تقدَّموا. وقرأها أبو هُريرَة، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وحُمَيدٌ الأعرَجُ: «سُلَفاً» بضمِّ السين وفتحِ اللام، كأنَّ واحدتَهُ سُلْفَةٌ مِنَ الناس، مثل القِطعة، يُقال: تقدَّمتْ سُلْفَةٌ مِنَ الناس، أي: قِطعةٌ منهم. وقرأ حمزةُ، والكِسَائيُّ: «سُلُفاً» بضمِّ السين واللام، وهو جمع «سَلَف»، كما قالوا: خَشَب وخُشُب، وثَمَر وثُمُر، ويُقال: هو جمع سَلِيفٍ، وكلُّه مِن التقدُّم. وقال الزَّجَّاجُ: السَّلِيف جمعٌ قد مضى؛ والمعنى: جعلْناهم سَلَفاً متقدِّمين لِيتَّعظَ بهم الآخرون. قوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا﴾ أي: عِبرةً وعِظَةً.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أكثرُ المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيةَ نزلت في مُجادَلةِ ابنِ الزِّبَعْرى رسولَ الله ﷺ حينَ نزلَ قولُه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآيةَ[1]. وقد شرحنا القصة في سُورَة الأنبياء[2]. والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مَثَلاً لآلِهَتِهم وشَبَّهوه بها، لأنَّ تلكَ الآيةَ إنما تضمَّنت ذِكْرَ الأصنام، لأنها عُبِدَتْ مِنْ دونِ الله، فألزَموه عيسى، وضربوه مَثَلاً لأصنامِهم، لأنه معبودُ النَّصارى، والمراد بقومه: المشركون. فأمَّا ﴿يَصِدُّونَ﴾ فقرأ ابنُ عامرٍ، ونافعٌ، والكِسَائيُّ: بضم الصاد، وكَسرَها الباقون؛ قال الزَّجَّاجُ: ومعناهما جميعاً: يَضِجُّون، ويجوز أن يكونَ معنى المضمومةَ: يُعرِضون. وقال أبو عُبيدَةَ: مَنْ كسرَ الصادَ، فمَجازُها: يَضِجُّون، ومَنْ ضمَّها، فمَجازُها: يَعْدِلون.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ المعنى: ليست خيراً منه، فإنْ كان في النَّارِ لأنه عُبِدَ مِنْ دون الله، فقد رضينا أنْ تكونَ آلهتُنا بمنزلَتِه. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ أي: ما ذَكَروا عيسى إلاَّ لِيُجادلوكَ به، لأنهم قد عَلِموا أنَّ المراد بـ ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[3] ما اتَّخذوه مِنَ المَواتِ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: أصحاب خصوماتٍ.

---

(١) الأنبياء: ٩٨.
(٢) الأنبياء: ١٠١.
(٣) الأنبياء: ١٠١.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾ أي: آيةً وعِبرةً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعرِفون به قُدرةَ الله على ما يريد، إذ خَلَقَهُ مِنْ غيرِ أبٍ. ثم خاطب كفَّارَ مكَّةَ، فقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى: لَجَعَلْنا بدلاً منكم ملائكةً؛ ثم في معنى «يَخْلُفون» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَخلُف بعضُهم بعضاً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَخلُفونكم ليكونوا بدلاً منكم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: يخلُفون الرُّسلَ فيكونون رُسلاً إليكم بدلاً منهم، حكاه المَاوَرديُ.

والقول الثاني: أنَّ المعنى: «ولو نشاء لَجَعَلْنا منكم ملائكة» أي: قَلَبْنا الخِلْقةَ فجعَلْنا بعضَكم ملائكةً يخلُفون مَنْ ذَهب منكم، ذكره المَاوَرديُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ في هاءِ الكنايةِ قولان: **أحدهما**: أنها تَرْجِعُ إلى عيسى عليه السلامُ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: نُزولُ عيسى مِنْ أشراطِ الساعةِ يُعْلَم به قُرْبُها، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ وقَتادَةَ والضَّحَّاكِ والسُّدِّيِّ. والثاني: أنَّ إحياءَ عيسى المَوتى دليلٌ على الساعةِ وبَعثِ الموتى، قاله ابنُ إسحاقَ. **والقول الثاني**: أنها تَرْجِع إلى القرآن، قاله الحسَنُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقرأ الجمهور: «لَعِلْمٌ» بكسرِ العين وتسكينِ اللام؛ وقرأ ابنُ عباسٍ وأبو رَزِينٍ وأبو عبدِ الرَّحمن وقَتادَةُ وحُمَيدٌ وابنُ مُحَيصنٍ بفتحِهما. قال ابنُ قُتَيبَة: مَنْ قرأ بكسرِ العين فالمعنى أنه يُعْلَم به قُرْبُ الساعة، ومَنْ فتحَ العينَ واللامَ فإنه بمعنى العلامةِ والدليلِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: فلا تَشُكُّنَّ فيها ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي أنا عليه ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾. ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ قد شرحنا هذا في سُورَةِ البَقرة[1]. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: النُبوَّة، قاله عطاءٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: الإنجيل، قاله مُقاتِلٌ. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: مِنْ أمر دِينِكم؛ وقال مُجاهِدٌ: «بعضَ الذي تختلفون فيه» مِنْ تبديل التَّوراةِ؛ وقال ابنُ جَريرٍ: مِنْ أحكام التَّوراةِ. وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ البعضَ ها هنا بمعنى الكُلِّ. وقد شرحنا ذلك في حَم المؤمن[2]؛ قال الزَّجَّاجُ: والصحيح أنَّ البعضَ لا يكون في معنى الكُلِّ، وإنما بيَّنَ لهم عيسى بعضَ الذي اختلَفوا فيه ممَّا احتاجوا إليه؛ وقد قال ابنُ جرير: كان بينهم اختلافٌ في أمرِ دِينِهم ودُنياهم، فبيَّنَ لهم أمرَ دِينِهم فقط. وما بعدَ هذا قد سبَقَ بيانُه[3] إلى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ أي في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأنَّ الخُلَّةَ إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوةً يومَ القيامة؛ وقال مُقاتِلٌ: نزلت في أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ وعُقبَةَ بنِ

(١) البقرة: ٨٧. (٢) غافر: ٢٨. (٣) النساء: ١٧٥ ـ مريم: ٣٧.

أبي مُعَيط ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني المُوحِّدين. فإذا وقعَ الخوفُ يومَ القيامة نادى مُنادٍ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرفع الخلائقُ رؤوسَهم، فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾، فيُنكِّس الكفارُ رؤوسَهم. قرأ نافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم: «يا عبادي» بإثبات الياء في الحالين وإسكانِها، وحَذَفها في الحالين ابنُ كَثيرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ، والمُفضَّلُ عن عاصمٍ، وخَلفٌ. وفي أزواجِهم قولان: **أحدهما**: زَوجاتُهم. **والثاني**: قُرناؤهم. وقد سبق معنى ﴿تُحْبَرُونَ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ قال الزَّجّاج: واحدها صَحْفَة، وهي القَصْعَة. والأكواب، واحدها: كُوب، وهو إناءٌ مستديرٌ لا عُرْوَةَ له؛ قال الفَرّاءُ: الكُوب: الكُوز المستديرُ الرأسِ الذي لا أُذُنَ له، وقال عَدِيٌّ:

مُتَّكِئاً تَصْفِقُ أبوابُه ... يَسْعَى عليه العَبْدُ بالكُوبِ(٢)

وقال ابنُ قُتَيبَة: الأكوابُ: الأباريق التي لا عُرَى لها. وقال شيخنا أبو منصورٍ اللغويُ: وإنما كانت بغيرِ عُرَىً لِيَشربَ الشاربُ مِنْ أينَ شاء، لأنَّ العُروةَ تَرُدُّ الشاربَ مِن بعضِ الجهات.

قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهي الأنفس﴾ وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصم: «تشتهيه» بزيادةِ هاءٍ. وحذفُ الهاءِ كإثباتِها في المعنى. قوله تعالى: ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَذِذْتُ الشيءَ، واستَلْذَذْتُه، والمعنى: ما مِنْ شيءٍ اشتهتْهُ نَفسٌ أو استَلَذَّتْه عينٌ إلاَّ وهو في الجنَّةِ، وقد جمعَ اللّهُ تعالى جميعَ نعيم الجنَّةِ في هذين الوصفين، فإنه ما مِنْ نِعمةٍ إلاَّ وهي نصيبُ النَّفسِ أو العينِ، وتمامُ النَّعيم الخلودُ، لأنه لو انقطعَ لم تَطِبْ. ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ﴾ يعني التي ذكرها في قوله: «ادخُلوا الجنَّة» ﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾ قد شرحنا هذا في الأعراف(٣) عند قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكافرين، ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ أي: لا يُخَفَّفُ ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ﴾ يعني في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: آيِسُونَ مِنْ رحمة الله. وقد شرحنا هذا في الأنعام(٤). ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ أي: ما عذَّبْناهم على غيرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسِهم بما جَنَوْا عليها. قال الزَّجّاجُ: والبَصريُّون يقولون: «هُم» ها هنا فَصلٌ، كذلك يُسمُّونها، ويُسمِّيها الكوفيُّون: العِمَاد. قوله تعالى:

---

(١) الروم: ١٥.
(٢) البيت لعدي بن زيد وهو في «مجاز القرآن»: ٢/٢٠٦ و «تفسير القرطبي» ١٦/٩٩.
(٣) الأعراف: ٤٣.
(٤) الأنعام: ٤٤.

﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعمَرَ: «يا مال» بغيرِ كافٍ مع كسرِ اللام. قال الزَّجَّاجُ: وهذا يسميه النَّحويون: التَّرخِيمَ، ولكني أكرَهُها لِمخالفةِ المُصحفِ. قال المُفسِّرون: يَدْعُون مالِكاً خازنَ النَّارِ فيقولون: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي: لِيُمِتْنا؛ والمعنى: أنهم تَوسَّلوا به لِيَسألَ الله تعالى لهم الموتَ فيستَرِيحوا مِنَ العذاب؛ فيَسكُت عن جوابِهم مُدَّةً، فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أربعونَ عاماً، قاله عبدُ الله بنُ عمروٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: ثلاثون سنةً، قاله أنسٌ. **والثالث**: ألفُ سنةٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والرابع**: مائةُ سنةٍ، قاله كَعبٌ. وفي سكوتِه عن جوابِهم هذه المُدَّةِ قولان. **أحدهما**: أنه سكتَ حتى أوحى اللَّهُ إليه أنْ أجِبْهم، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: لأنَّ بُعْدَ ما بينَ النداء والجواب أخْزَى لهم وأذَلُّ. قال المَاوردِيُّ: فَرَدَّ عليهم مالكٌ فقال: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ أي: مُقيمون في العذاب. ﴿لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: أرسلْنا رُسلنا بالتوحيد ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد: كُلُّكم ﴿كَـٰرِهُونَ﴾ لِمَا جاء به محمَّدٌ ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا أَمْرًا﴾ في «أَمْ» قولان: **أحدهما**: أنها للاستفهام. **والثاني**: بمعنى «بل». والإبرامُ: الإحكَامُ. وفي هذا الأمرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَكرُ برسولِ الله ﷺ لِيَقتُلوه أو يُخرِجوه حين اجتمعوا في دارِ النَّدْوةِ؛ وقد سبقَ بيانُ القصة[١]، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه إحكامُ أمرِهم في تكذيبِهم، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنه: إبرامُ أمرِهم يُنجيهم مِنَ العذاب، قاله الفَرَّاءُ. ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أي: مُحْكِمون أمراً في مُجازاتِهم. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ وهو ما يُسِرُّونه مِنْ غيرِهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يَتناجَوْن به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ والمعنى: إنَّا نسمعُ ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ يعني مِنَ الحَفَظَةِ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ﴾ في «إنْ» قولان[٢]: **أحدهما**: أنَّها بمعنى الشَّرطِ، والمعنى: إنْ كان له وَلدٌ في قولِكُم وعلى زَعمِكُم، فَعلَى هذا في قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ أربعةُ أقوالٍ: أحدها: فأنا أوَّلُ الجاحِدِيْنَ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. وفي روايةٍ أخرى عن ابنِ عباسٍ: أنَّ أعرابيَّين اختصما إليه، فقال أحدهما: إنَّ هذا كانت لي في يدِه أرضٌ، فعَبَدَنِيها، فقال ابنُ عباسٍ: اللَّهُ أكبرُ، فأنا أوَّلُ

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» ١١/٢١٦: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى (إن) الشرط الذي يقتضي الجزاء وذلك أن «إن» لا تعدو في هذا الموضع أحد معنيين: إما أن يكون الحرف الذي هو بمعنى الشرط الذي يطلب الجزاء، أو تكون بمعنى الجحد، وهب إذا وجهت إلى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى لأنه يصير بمعنى: قل ما كان للرحمن ولد، مع أنه لو كان ذلك معناه لقدر الذين أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم: ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين، أن يقولوا له: صدقت، وهو كما قلت ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد، ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتج لنبيه ﷺ وعلى مكذبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه، ذلك إذ كان في توجيهنا «إن» إلى معنى الجحد على ما ذكرنا، فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط، ومعنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له، وهذا لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف في الكلام وحسن الخطاب. ووافقه ابن كثير وقال في «تفسيره» ٤/١٦٠: أي لو فُرض هذا لعبدته على ذلك لأني عبد من عبيده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي إباء عن عبادته، فلو فُرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال تعالى: ﴿**لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار**﴾.

العَابِدينَ الجاحِدِينَ أنَّ لله وَلَداً. والثاني: فأنا أوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللّه مخالفاً لقولِكم، هذا قولُ مُجاهِدٍ. وقال الزَّجّاجِ: معناه: إنْ كنتم تزعُمون للرَّحمن وَلَداً، فأنا أوَّلُ المُوحِّدين. والثالث: فأنا أولُ الآنِفِينَ للّهِ مما قُلتُم، قاله ابنُ السَّائِبِ، وأبو عُبيدَة[1]. قال ابنُ قُتَيبَةَ: يقال: عَبِدْتُ مِنْ كذا، أعبَدُ عَبَداً، فأنا عَبِدٌ وعابِدٌ، قال الفَرَزْدَقُ:

وأعْبَدُ أنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ[2]

أي: آنَفُ. وأنشد أبو عُبيدَةَ:

وأعْبَدُ أنْ أسُبَّهُمُ بقَوْمِي ... وأوثِرُ دَارِماً وبَنِي رَزاحِ

والرابع: أنَّ معنى الآية: كما أنّي لستُ أولَ عابدٍ لله، فكذلك ليس له ولدٌ؛ وهذا كما تقول: إنْ كنتَ كاتباً فأنا حاسِبٌ، أي: لستَ كاتباً ولا أنا حاسِبٌ؛ حكى هذا القولَ الواحِديُّ عن سفيانَ بنِ عُيَينةَ. **والقول الثاني**: أنَّ «إنْ» بمعنى «ما»، قاله الحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ؛ فيكون المعنى: ما كان للرَّحمن وَلَدٌ، فأنا أولُ مَنْ عَبَدَ الله على يقينٍ أنه لا وَلَدَ له. وقال أبو عُبيدَةَ: الفاء على هذا القولِ بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطِلِهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا﴾ وقرأ أبو المُتوكِّل وأبو الجوزاءِ وابنُ مُحَيصنٍ وأبو جعفرَ: «حتى يَلْقوا» بفتح الياء والقاف وسكونِ اللام مِنْ غير ألِفٍ. والمراد: يُلاقوا يومَ القيامة، وهذه الآيةُ عندَ الجمهور مَنْسوخَةٌ بآية السَّيفِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ قال مُجاهِدٌ، وقَتادةُ: يُعْبَدُ في السماء ويُعْبَدُ في الأرض. وقال الزَّجّاجُ: هو المُوَحَّدُ في السماءِ وفي الأرض. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمَرَ، والجَحْدريُّ: «في السماء الله وفي الأرض الله» بألِفٍ ولام مِنْ غيرِ تنوينٍ ولا همزٍ فيهما. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[3] إلى قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾.

[١٢٥٤] سببُ نزولِها أنَّ النَّضْرَ بنَ الحارثِ ونَفَراً معه قالوا: إنْ كان ما يقول محمَّدٌ حَقّاً، فنحن

[١٢٥٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٦١: وهذا القول فيه نظر، لأنه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره: إن كان هذا فأنا ممتنع منه؟ هذا فيه نظر فليتأمل. اللهم إلا أن يقال: إن (إن) ليست شرطاً، وإنما هي نافية.

(٢) هو عجز بيت وصدره: أولئك قومٌ إن هجوني هجوتهم.

(٣) الأعراف: ٥٤، لقمان: ٣٤.

نتولّى الملائكةَ، فهم أحقُّ بالشَّفاعةِ مِنْ محمَّدٍ، فنزلت هذه الآية، قاله مُقَاتِلٌ.

وفي معنى الآية قولان[1]: **أحدهما**: أنه أراد بالذين يَدْعُون مِنْ دونه: آلهتَهُم، ثم استثنى عيسى وعُزَيرَ والملائكةَ، فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو أن يشهد أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شَهِدوا به بألسنتِهم، وهذا مذهبُ الأكثرين، منهم قَتادَةُ. **والثاني**: أنَّ المراد بالذين يَدْعُون: عيسى وعُزيرُ والملائكةُ الذين عَبدَهم المشركون بالله لا يَمْلِك هؤلاءِ الشفاعةَ لأحدٍ ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ﴾ أي: إلاَّ لِمَنْ شَهِدَ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وهي كلمةُ الإخلاص ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَق عيسى وعُزَيرَ والملائكةَ، وهذا مذهبُ قومٍ، منهم مُجاهِدٌ. وفي الآية دليلٌ على أنَّ شرطَ جميع الشَّهاداتِ أنْ يكونَ الشاهد عالِمَاً بما يَشْهدُ به.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ قال قَتادَةُ: هذا نبيُّكم يَشكُو قومَه إلى ربِّه. وقال ابنُ عباسٍ: شَكا إلى الله تَخلُّفَ قومِه عن الإيمان. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمروٍ: «وقِيلَه» بنصبِ اللام؛ وفيها ثلاثةُ أوجهٍ: **أحدها**: أنه أضمَرَ معها قولاً، كأنَّه قال: وقال قِيلَه، وشَكا شَكوَاه إلى ربِّه. **والثاني**: أنه عَطَف على قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ وقِيلَه فالمعنى: ونَسمعُ قِيلَه، ذَكَر القولين الفرَّاءُ، والأخفَشُ. **والثالث**: أنه منصوبٌ على معنى: وعنده عِلْمُ الساعة ويَعْلَم قِيلَه، لأنَّ معنى «وعنده عِلْمُ الساعة»: يَعْلَم الساعةَ ويَعْلَم قِيلَهُ، هذا اختيارُ الزَّجَّاج. وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ: «وقِيلِه» بكسرِ اللام والهاءِ حتى تبلغَ إلى الياء؛ والمعنى: وعنده عِلْمُ السّاعةِ وعِلْمُ قِيلِه. وقرأ أبو هُريرَةَ وأبو رَزِينٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وأبو رَجاءٍ والجَحْدَريُّ وقَتادَةُ وحُمَيدٌ برفعِ اللام؛ والمعنى: ونِداؤه هذه الكلمةَ: يا ربِّ؛ ذَكَرَ عِلَّةَ الخَفْضِ والرَّفع الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أي: فأعْرِضْ عنهم ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُلْ خيراً بدلاً مِنْ شرِّهم، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: ارْدُدْ عليهم معروفاً، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: قُلْ ما تَسْلَمُ به مِنْ شرِّهم، حكاه المَاوَرديُّ. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَعْلَمون عاقبةَ كُفرِهم. **والثاني**: أنكَ صادقٌ. **والثالث**: حُلولَ العذاب بهم، وهذا تهديدٌ لهم: «فسوف يعلمون». وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تعلمون» بالتاء. ومَنْ قرأ بالياء، فعَلَى الأمرِ للنبيِّ ﷺ بأنْ يُخاطِبَهم بهذا، قاله مُقاتِلٌ؛ فَنسختْ آيةُ السيفِ الإِعراضَ والسَّلامَ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦١: قوله تعالى: **﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾** أي من الأصنام، والأوثان (الشفاعة) أي لا يقدرون على الشفاعة لهم، **﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾**، هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له. وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢١٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق، وشهادته بالحق: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه. ووافقهما القرطبي في «تفسيره» ١٦/ ١٠٦ وقال: وقوله تعالى: **﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾** يدل على معنيين: أحدهما ـ أن الشفاعة بالحق غير نافعة إلا مع العلم، وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة. والثاني ـ أي شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها.

سُورَةُ الدُّخَانِ

ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

وهي مكّيّة كلُّها بإجماعهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قد تقدَّم بيانه، وجوابُ القَسم ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ والهاءُ كنايةٌ عن الكتاب، وهو القرآن ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ وفيها قولان[1]. **أحدهما**: أنها لَيلةُ القَدْرِ، وهو قولُ الأكثرين. ورَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: أُنزلَ القرآنُ مِنْ عند الرحمن ليلةَ القَدْرِ جُملةً واحدةً، فوُضِع في السماء الدنيا، ثم أُنزلَ نجوماً. وقال مُقاتِلٌ: نَزلَ القرآنُ كلُّه في ليلةِ القَدْرِ مِنَ اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. **والثاني**: أنها ليلةُ النِّصفِ مِنْ شعبانَ، قاله عِكرمَةُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مُخوِّفين عقابنا. ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفۡرَقُ كُلُّ﴾ أي: يُفْصَلُ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو نَهِيْكٍ، ومعاذٌ القارئ: «يَفْرِقُ» بفتح الياء وكسرِ الراء «كُلَّ» بنصب اللام ﴿أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَم. قال ابنُ عباسٍ: يُكتَبُ مِنْ أُمِّ الكتابِ في ليلةِ القَدْرِ ما هو كائنٌ في السَّنةِ مِنَ الخير والشرِّ والأرزاقِ والآجالِ، حتى الحَاجّ، وإنكَ لَترى الرجلَ يمشي في الأسواق وقد وقع اسمُه في المَوتى. وعلى ما رُوِيَ عن عِكرمَةَ أنَّ ذلك في ليلةِ النِّصفِ مِنْ شعبانَ، والرواية عنه بذلك مضطربةٌ قد خُولِفَ الراوي لها، فرُوِيَ عن عِكرمَة أنه قال: في ليلةِ القَدْرِ، وعلى هذا المُفسِّرون.

قوله تعالى: ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾ قال الأخفشُ: «أمراً» و «رحمةً» منصوبان على الحال؛ المعنى: إنَّا أنزلْناه آمِرِينَ أمراً وراحِمِينَ رحمةً. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن يكونَ منصوباً بـ«يُفرَقُ» بمنزلة يُفرَقُ فَرْقاً، لأنَّ «أمراً» بمعنى «فَرْقاً». قال الفَرَّاءُ: ويجوز أنْ تُنصبَ الرَّحمةُ بوقوع «مرسِلِين» عليها، فتكون الرحمةُ هي النبيُّ ﷺ. وقال مُقاتِلُ: «مرسِلِين» بمعنى مُنزلِين هذا القرآنَ، أنزلْناه رحمةً لِمَن آمنَ به. وقال

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٢٣: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك ليلة القدر. وهذا اختيار ابن كثير والقرطبي.

غيره: «أمراً من عندنا» أي: إنَّا نأمرُ بنَسخِ ما يُنسَخُ مِنَ اللوح ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الأنبياء، ﴿رَحْمَةً﴾ منَّا بخَلْقنا. ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «ربُّ» بالرفع. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «ربِّ» بكسرِ الباء. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني الكفَّار ﴿فِى شَكٍّ﴾ مما جئناهم به ﴿يَلْعَبُونَ﴾ يهزؤون به.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي: فانتظِرْ ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ اختلفوا في هذا الدُّخانِ ووَقتِه على ثلاثةِ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنه دُخانٌ يجيء قبلَ قيام الساعة.

[١٢٥٥] فرُويَ عن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الدُّخانَ يجيء فيأخذ بأنفاسِ الكفَّارِ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئةِ الزُّكام. ورَوى عبدُ الله بنُ أبي مُلَيكةَ قال: غدوتُ على ابنِ عباسٍ ذاتَ يوم، فقال: ما نِمتُ الليلةَ حتى أصبحتُ، قلتُ: لِمَ؟ قال: طَلعَ الكوكبُ ذو الذَّنَبِ، فخشيتُ أنْ يَطرقَ الدُّخانُ، وهذا المعنى مَرويٌّ عن عليٍّ، وابنِ عمرَ، وأبي هُريرةَ، والحَسنِ.

والثاني: أنَّ قريشاً أصابهم جوعٌ، فكانوا يَرون بينهم وبين السماء دُخاناً مِنَ الجوع.

[١٢٥٥] لم أره عن ابن عباس سواء مرفوعاً أو موقوفاً، ولعله سبق قلم. وورد من حديث جماعة من الصحابة فمن ذلك: حديث حذيفة بن اليمان: أخرجه الطبري ٣١٠٦١ وفيه رواد بن الجراح واهٍ. وورد من حديث أبي مالك الأشعري، أخرجه الطبري ٣١٠٦٢ وإسناده حسن في الشواهد. وله شواهد متعددة تراجع في كتب أشراط الساعة.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٤/٢٢٨: وأولى القولين بالصواب في ذلك ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرتقبه، هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم، على ما وصفه ابن مسعود لأن الله جل ثناؤه توعّد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه محمد ﷺ في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: **﴿لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك يلعبون﴾** ثم أتبع قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** أمراً منه بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديداً للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيداً لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخره عنهم لغيرهم. قلت: وحديث ابن مسعود صحيح كالشمس كما سيأتي. لكنه رأي له. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/١٦٥ بعد أن ساق أحاديث مرفوعة في أن الدخان هو عند قيام الساعة وعقب ذلك بآثار موقوفة ومنها أثر عن ابن عباس ـ وهو الآتي برواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس موقوفاً. فقال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان التي أوردناها مما فيه دلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** أي بين واضح يراه كل أحد، وعلى ما فسره ابن مسعود إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع، وهكذا قوله **﴿يغشى الناس﴾** أي يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل: **﴿يغشى الناس﴾**. اهـ.

[١٢٥٦] فروى البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث مَسرُوقٍ، قال: كنّا عند عبد الله، فدخل علينا رجلٌ، فقال: جئتُكَ مِنَ المسجد وتركتُ رجلاً يقول في هذه الآية ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾: يغشاهم يومَ القيامة دُخانٌ يأخذ بأنفاسِهم حتى يُصيبَهم منه كهيئةِ الزُّكام؛ فقال عبدُ الله: مَنْ عَلِمَ عِلماً فليَقُل به، ومَنْ لم يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أعلَمُ، إنما كان هذا لأنَّ قُريشاً لمّا استعصَتْ على النبيِّ ﷺ دَعا عليهم بسنين كسِنيِّ يُوسفَ، فأصابَهم قَحطٌ وجهدٌ، حتى أكلوا العِظامَ والمَيْتَةَ، وجعل الرجلُ ينظرُ إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئةِ الدُّخانِ مِنَ الجهدِ، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾، فكَشفَ عنهم، ثم عادوا إلى الكُفرِ، فأُخِذوا يومَ بدرٍ، فذلك قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾، وإلى نحوِ هذا ذهب مُجاهِدٌ وأبو العَاليةِ والضَّحّاكُ وابنُ السّائبِ ومُقاتِلٌ.

والثالث: أنه يومُ فَتحِ مكّةَ لمّا حُجبت السماءُ بالغَبَرةِ، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ﴾ أي: يقولون: هذا عذابٌ. ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: الجوع. **والثاني**: الدُّخان ﴿إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ بمحمَّدٍ ﷺ والقرآنِ. ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ أي: مِنْ أينَ لهم التَّذكُّر والاتِّعاظُ بعد نزولِ هذا البلاءِ، وحالُهم أنه قد ﴿جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ أي: ظاهرُ الصِّدقِ؟! ﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ أي: أعْرَضوا ولم يَقبلوا قوله ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ﴾ أي: هو مُعلَّم يُعلِّمه بشرٌ، مجنونٌ بادِّعائه النُّبوَّة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ﴾ أي: زماناً يسيراً[1]. وفي العذاب قولان: **أحدهما**: الضُّرُّ الذي نَزلَ بهم كُشِفَ بالخِصبِ، هذا على قول ابنِ مسعودٍ. قال مُقاتِلٌ: كَشفَه إلى يوم بدرٍ. **والثاني**: أنَّه الدُّخانُ، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إلى الشِّركِ، قاله ابنُ

[١٢٥٦] صحيح الإسناد. أخرجه البخاري ٤٧٧٤ عن محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق به. وأخرجه ابن حبان ٦٥٨٥ والطبراني ٩٠٤٨ وأبو نعيم في «الدلائل» ٣٦٩ من طريق محمد بن كثير به. وأخرجه البخاري ٤٦٩٣ والحميدي ١١٦ من طريق سفيان به. وأخرجه البخاري ٤٨٢٤ والترمذي ٣٢٥٤ وأحمد ١/ ٤٤١ من طريق شعبه عن الأعمش ومنصور به. وأخرجه البخاري ١٠٠٧ و ٤٨٢١ و ٤٨٢٢ و ٤٨٢٣ ومسلم ٢٧٩٨ح ٤٠ والطبري ٣١٠٤٣ والطبراني ٩٠٤٦ و ٩٠٤٧ وأحمد ١/ ٣٨٠ و ٤٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه مسلم ٢٧٩٨ والطبري ٣١٠٤٥ والبيهقي ٢/ ٣٢٦ من طرق عن جرير عن منصور به.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦٦: وقوله ﴿**إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون**﴾ يحتمل معنيين أحدهما: أنه يقول تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: ﴿**ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون**﴾ وكقوله: ﴿**ولو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**﴾ والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد سببه ووصوله كقوله تعالى: ﴿**إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾. ولم يكن العذاب، باشرهم واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخباراً عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿**لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال: أو لو كنا كارهين. قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها**﴾ وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقهم. اهـ.

مسعودٍ. **والثاني**: إلى عذاب الله، قاله قَتادةُ. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وقرأ الحسَنُ، وابنُ يَعمُرَ، وأبو عِمْرانَ: «يوم تُبْطَشُ» بتاءٍ مرفوعةٍ وفتح الطاء «البَطْشَةُ» بالرفع. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: واذْكُرْ يومَ نَبْطِشُ، ولا يجوز أنْ يكونَ منصوباً بقوله: «منتقِمون»، لأنَّ ما بعدَ «إنّا» لا يجوز أنْ يعملَ فيما قبلَها. وفي هذا اليوم قولان: **أحدهما**: يومُ بدرٍ، قاله ابنُ مسعودٍ وأُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو هُريرَةَ وأبو العاليةِ ومُجاهِدٌ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: يومُ القيامة، قاله ابنُ عباسٍ والحَسنُ. والبَطْش: الأَخْذُ بقوَّةٍ.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتَلَينا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي: قَبلَ قومِك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بنُ عِمرانَ. وفي معنى «كريم» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: حَسَنُ الخُلُق، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: كريمٌ على ربِّه، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: شريفٌ وَسِيطُ النَّسَبِ، قاله أبو سُليمانَ. قوله تعالى: ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟﴾ أي: بأنْ أدُّوا ﴿إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أدُّوا إليَّ ما أدعوكُم إليه مِنَ الحقِّ باتِّباعي، رَوى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. فعَلَى هذا ينتصبُ «عبادَ الله» بالنداءِ. قال الزَّجَّاجُ: ويكون المعنى: أنْ أدُّوا إليَّ ما آمُرُكم به يا عبادَ اللهِ. **والثاني**: أَرْسِلوا معي بَني إسرائيلَ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والمعنى: أَطْلِقوهم مِنْ تسخيرِكُم، وسَلِّموهم إليَّ. ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تفتروا عليه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تَعْتُوا عليه، قاله قَتادةُ. **والثالث**: لا تَعظَّموا عليه، قاله ابنُ جُريجٍ ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحُجَّةٍ تدلُّ على صِدْقِي. فلمَّا قال هذا تَواعَدوه بالقتل فقال: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه رَجْمُ القولِ، قاله ابنُ عباسٍ؛ فيكون المعنى: أنْ يقولوا: شاعرٌ أو مجنونٌ. **والثاني**: القتلُ، قاله السُّدِّيُّ. ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ أي: فاتركوني لا معيَ ولا عَليَّ، فكفروا ولم يُؤمنوا، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَنْ فتح «أنَّ»، فالمعنى: بأنَّ هؤلاء؛ ومَنْ كسرَ، فالمعنى: قال: إنَّ هؤلاء، و «إنَّ» بعد القول مكسورةٌ. وقال المُفسِّرون: المجرمون ها هنا: المشركون. فأجاب الله دُعاءَهُ، وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا﴾ يعني بالمؤمنين[1] ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يَتبعُكم فِرعَونُ وقومُه؛ فأعلَمَهُم أنهم يَتبعُونَهم، وأنه سيكون

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/١١٨: السرى: سير الليل. والإدلاج: سير السحر والإسآد: سيره كله. والتأويب: سير النهار. وقوله تعالى: **﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾** أمر بالخروج بالليل، وسير الليل يكون من الخوف، والخوف يكون من وجهين: إما من العدو فيتخذ الليل ستراً مسدلاً، فهو من أستار الله تعالى، وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان بحرّ أو جدب. فيتخذ السرى مصلحة من ذلك. وكان النبي ﷺ يسري ويدلج ويترفق ويستعجل قدر الحاجة وحسب العجلة، وما تقتضيه المصلحة. وفي «جامع الموطأ»: «إن الله =

سبباً لغرقِهم. ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي: ساكناً على حالِه بعد أنِ انفرَقَ لكَ، ولا تأمره أنْ يرجعَ كما كان حتى يدخُلَه فِرعَونُ وجنودُه. والرَّهو: مشيٌ في سُكونٍ. قال قَتادةُ: لمَّا قطع موسى عليه السلام البحرَ، عطف يضربُ البحرَ بعصاه لِيلتَئِمَ، وخاف أنْ يتبعه فِرعَونُ وجنودُه، فقيلَ له: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي كما هو طريقاً يابساً. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبره الله عزَّ وجلَّ بغرقِهم لِيَطْمَئِنَّ قلبُه في تركِ البحر على حالِه. ﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾ أي: بعد غَرقِهم ﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾ وقد فسَّرنا الآيةَ في الشُّعَراء[1]. فأمَّا «النَّعمة» فهو العيشُ اللَّيِّنُ الرَّغدُ. وما بعد هذا قد سبق بيانُه[2] إلى قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني بَني إسرائيلَ. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي على آلِ فِرعَونَ، وفي معناه ثلاثةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنه على الحقيقة.

[١٢٥٧] روى أنسُ بنُ مالكٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما مِنْ مُسْلِمٍ إلاَّ وله في السماء بَابَانِ، بابٌ يصعَدُ فيه عملُه، وبابٌ ينزل منه رِزقُه، فإذا ماتَ بَكَيا عليه» وتَلا ﷺ هذه الآيَةَ. وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ المؤمن إذا مات بكى عليه مُصلاَّهُ مِنَ الأرض ومَصْعَدُ عملِه مِنَ السماء، وإنَّ آلَ فِرعَونَ لم يكن لهم في الأرض مُصلًّى ولا في السماءِ مَصْعَدُ عملٍ، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾، وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ عباسٍ والضَّحَّاكُ ومُقاتِلٌ. وقال ابنُ عباسٍ: الحُمرَةُ التي في السماء

[١٢٥٧] ضعيف جداً. أخرجه الترمذي ٣٢٥٥ وأبو يعلى ٤١٣٣ وأبو نعيم ٣/ ٥٣ من طريق موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن أنس به مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف جداً، موسى بن عبيدة ضعيف ليس بشيء، وشيخه يزيد ضعيف روى مناكير كثيرة عن أنس، وهذا منها. وضعفه الترمذي بقوله: موسى ويزيد يضعفان، وكذا ضعفه الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٠٤ والحافظ في «المطالب العالية» ٣/ ٣٦٩. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٥٣ من طريق صفوان بن سليم عن يزيد بن أبان به والراوي عن صفوان هو إبراهيم بن مهاجر بن مسمار، وهو ضعيف. ولعجزه شاهد مرسل، أخرجه الطبري ٣١١٢٩ ومع ذلك المتن منكر، وحسبه الوقف، وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٦٩ بتخريجنا.

= رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف، فإذا ركبتم هذه الدّوابّ العجم فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها، وعليكم بسير الليل فإن الأرض تُطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار، وإياكم والتعريس على الطريق فإنه طرق الدّوابّ ومأوى الحيّات». **قلت**: حديث صحيح. أخرجه مالك ٢/ ٩٧٩ عن خالد بن معدان مرسلاً. وورد من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً، أخرجه مسلم ١٩٢٦.

(١) الشعراء: ٥٧. (٢) يسٓ: ٥٥.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٦٨: وقوله: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم وعنادهم. وقال القرطبي في «تفسيره» ١٦/ ١٢١: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ أي لكفرهم. وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض، أي عمّت مصيبته الأشياء، وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه، والمعنى أنهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فَقْد. وتقدير الآية: **فما بكت عليهم** مصاعد عملهم من السماء ولا موضع عبادتهم من الأرض وفي بكاء السماء والأرض أنه كالمعروف من بكاء الحيوان، ولا استحالة في ذلك. وإذا كانت السماوات والأرض تسبح وتسمع وتتكلم فكذلك تبكي مع ما جاء من الخبر في ذلك، والله أعلم بصواب هذه الأقوال.

بُكاؤها. وقال مُجاهِدٌ: ما مات مؤمنٌ إلاّ بَكَتْ عليه السماءُ والأرضُ أربعين صباحاً، فقيلَ له: أوَ تبكي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبدٍ كان يَعمُرها بالرُّكوع والسجودِ؟! وما للسماءِ لا تبكي على عبدٍ كان لتسبيحهِ وتكبيرهِ فيها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحلِ؟!.

والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسَنُ، ونظيرُ هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[(١)]، أي: أهل الحرب. **والثالث**: أنَّ العرب تقول إذا أرادت تعظيمَ مَهلِكِ عظيم: أظلمت الشمسُ له، وكَسَفَ القمرُ لِفَقدِه، وبكتْهُ الرِّيحُ والبَرقُ والسماءُ والأرضُ، يريدون المُبالغَةَ في وَصْفِ المُصيبة، وليس ذلك بكذبٍ منهم، لأنهم جميعاً مُتواطِئون عليه، والسَّامِعُ له يَعرف مذهبَ القائلِ فيه؛ ونيَّتُهم في قولهم: أظلمت الشمسُ؛ كادت تُظلِمُ، وكَسَفَ القمرُ: كادَ يَكْسِفُ، ومعنى «كاد»: هَمَّ أنْ يَفعَلَ ولم يفعل؛ قال ابنُ مُفرِّغٍ يرثي رجلاً:

الــرِّيــحُ تَــبْــكِــي شَــجْــوَه ... والــبَــرْقُ يَــلْــمَــعُ فــي غَــمــامَــة[(٢)]

وقال الآخر:

الشَّمْسُ طالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكاسِفَةٍ ... تَبْكِي عَلَيْكَ ـ نُجُومَ اللَّيلِ والقَمَرا[(٣)]

أراد: الشمسُ طالعةٌ تبكي عليه، وليست مع طلوعِها كاسِفةَ النُّجومَ والقمرَ، لأنها مُظْلِمةٌ، وإنما تَكْسِفُ بضوئِها، فنُجومُ الليل بادِيةٌ بالنَّهار، فيكون معنى الكلام: إنَّ الله لمَّا أهلكَ قومَ فِرعَونَ لم يَبْكِ عليهم باكٍ، ولم يَجْزَعْ جازِعٌ، ولم يُوجَدْ لهم فَقْدٌ، هذا كلُّه كلامُ ابنِ قُتَيبةَ.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ يعني قتلَ الأبناء واستخدامَ النِّساء والتَّعبَ في أعمال فِرعَونَ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ أي: جبَّاراً. ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ يعني بَني إسرائيلَ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ علمه الله فيهم على عالَمي زمانِهم، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كانفراقِ البحر، وتظليلِ الغَمامِ، وإنزالِ المَنِّ والسَّلْوى، إلى غيرِ ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ أي: نِعمةٌ ظاهرةٌ.

ثم رجعَ إلى ذِكرِ كفَّارِ مكَّةَ، فقال ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنُون التي تكون في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ أي: بمَبعوثِين، ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أي: ابعثُوهم لنا ﴿إِن كُنتُمْ

(١) محمد: ٤.

(٢) البيت ليزيد بن مفرّغ الحميري، وهو في «الأغاني» ١٨/ ١٨٧ و «الأضداد» ٤٢٤ للأنباري.

(٣) البيت لجرير يرثي عمر بن عبد العزيز، ديوانه: ٣٠٤ و «اللسان» ـ بكى ـ

﴿صَادِقِينَ﴾ في البَعثِ. وهذا جَهلٌ منهم مِن وجهين: **أحدهما**: أنهم قد رَأوا مِنَ الآيات ما يكفي في الدَّلالة؛ فليس لهم أنْ يَتنَطَّعوا(١). **والثاني**: أنَّ الإعادَة للجزاءِ؛ وذلك في الآخرة، لا في الدنيا. ثم خَوَّفهم عذابَ الأُمَمِ قَبلَهم، فقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: أشَدُّ وأقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟! أي: ليسوا خيراً منهم.

[١٢٥٨] روى أبو هُريرَة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أدري تُبَّعاً، نبيٌّ، أو غيرُ نبيٍّ».

وقالت عائشةُ: لا تسُبُّوا تُبَّعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألاَ ترى أنَّ الله تعالى ذَمَّ قومَه ولم يذُمَّه. وقال وَهْبٌ: أسلَم تُبَّعُ ولم يُسْلِمْ قومُه، فلذلك ذُكِرَ قومُه ولم يُذْكَرْ. وذكر بعضُ المُفسِّرين أنه كان يعبدُ النارَ، فأسلَمَ ودَعا قومَه ـ وهم حِمْيَر ـ إلى الإسلام، فكذَّبوه. فأمَّا تسميتُه بـ «تُبَّع» فقال أبو عُبيدَة: كلُّ مَلِكٍ مِنْ ملوكِ اليمنِ كان يُسمَّى: تُبَّعاً، لأنه يَتْبَعُ صاحبَه، فموضعُ «تُبَّع» في الجاهلية موضعُ الخليفةِ في الإسلام، وقال مُقاتِلٌ: إنما سُمِّي تُبَّعاً لكثرة أتباعِه، واسمه: مَلْكيْكَرِب. وإنما ذكر قوم تُبَّعٍ، لأنهم كانوا أقربَ في الهلاكِ إلى كفَّارِ مكَّةَ مِنْ غيرِهم.

وما بعد هذا قد تقدَّم(٢) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ وهو يومٌ يَفْصِلُ الله عزَّ وجلَّ بين العباد ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾ أي: ميعادهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يأتيه الأوَّلون والآخِرون. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَنفَعُ قريبٌ قريباً، قاله مُقاتِلٌ. وقال ابنُ قُتَيبَة: لا يُغْنِي وَليٌّ عن وليِّه بالقَرابةِ أو غيرِها. **والثاني**: لا يَنفَعُ ابنُ عمٍّ ابنَ عمِّه، قاله أبو عُبيدَة. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي، لا يُمْنَعون مِنْ عذابِ الله، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفعُ بعضُهم في بعضٍ.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾
خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ
وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ
فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

[١٢٥٨] صحيح. أخرجه أبو داود ٤٦٧٤ والبيهقي ٨/ ٣٢٩ من طريق عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن أبي ذئب المقبري عن أبي هريرة. لكن بلفظ. «ما أدري أتبع لعينٌ هو أم لا، وما أدري أعزير نبي هو أم لا؟». وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٥٠ من طريق آخر عن ابن أبي ذئب به، بلفظ أبي داود لكن عنده «ذو القرنين» بدل «عزير». وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في «الصحيحة» ٢٢١٧ على شرط البخاري فقط، فإن في إسناده آدم بن أبي إياس لم يروِ له مسلم.

---

(١) في «اللسان»: التَّنطُّع في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه، وفي الحديث «هلك المتنطعون» المتعمقون المغالون في الكلام، الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبراً.

(٢) الأنبياء: ١٦ ـ الحجر: ٨٥.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ قد ذكرناها في الصَّافَّات[١]. و «الأثيم»: الفاجر؛ وقال مُقاتِلٌ: هو أبو جَهْلٍ. وقد ذكرنا معنى «المُهْل» في الكهف[٢].

قوله تعالى: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «يغلي» بالياء؛ والباقون: بالتاء. فمَنْ قرأ «تغلي» بالتاء، فلِتأنيث الشجرة؛ ومَنْ قرأ بالياء، حَمَلَهُ على الطعام، قال أبو عليٍّ الفَارِسيُ: ولا يجوز أنْ يُحْمَلَ الغَلْيُ على المُهْلِ، لأنَّ المُهلَ ذُكِرَ للتشبيه في الذَّوْبِ، وإنما يغلي ما شُبِّه به ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ وهو الماء الحارُّ إذا اشتدَّ غَلَيَانُه.

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يُقال للزَّبانية: خُذوه ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بضمِّ التاء؛ وكَسَرَها الباقون؛ قال ابنُ قُتَيْبَة: ومعناه: قُودُوه بالعُنفِ، يُقال: جيء بفُلانٍ يُعْتَلُ إِلى السلطان، و «سواء الجحيم»: وسَطُ النَّارِ. قال مُقاتِلٌ: الآياتُ في أبي جَهْلٍ يضربه المَلَكُ مِنْ خُزَّانِ جهنَّم على رأسه بمَقمَعةٍ مِنْ حديدٍ فتنقُب عن دِماغِه، فيجري دِماغُه على جسده، ثم يَصُبُّ المَلَكُ في النَّقْب ماءً حميماً قد انتهى حَرُّه، فيقع في بطنه، ثم يقول له المَلَكُ: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ هذا توبيخ له بذلك؛ وكان أبو جَهْلٍ يقول: أنا أعزُّ قُريشٍ وأكرَمُها. وقرأ الكِسَائيُّ: «ذُقْ أنَّكَ» بفتحِ الهمزة؛ والباقون: بكسرِها. قال أبو عليٍّ: مَنْ كَسَرَها، فالمعنى: أنتَ العزيزُ في زَعمِكَ، ومَنْ فَتَحَ، فالمعنى: بأنَّكَ.

فإنْ قيلَ: كيف سُمِّي بالعزيزِ وليس به؟! فالجواب مِنْ ثلاثةِ أوجهٍ: **أحدها**: أنه قيلَ ذلك استهزاءً به، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنتَ العزيزُ الكريمُ عند نَفسِكَ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنتَ العزيزُ في قومكَ، الكريمُ على أهلكَ، حكاه المَاوَرديُّ.

ويقول الخُزَّانُ لأهلِ النَّارِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تَشُكُّون في كونِه. ثم ذَكَر مُستَقَرَّ المُتَّقين فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: «في مُقام» بضمِّ الميم؛ والباقون: بفَتْحِها. قال الفَرَّاءُ: المَقام، بفتحِ الميم: المكان، وبضَمِّها: الإقامة. قوله تعالى: ﴿أَمِينٍ﴾ أي: أَمِنُوا فيه الغِيَر والحوادثِ. وقد ذكرنا «الجنَّات» في البقرة[٣]، وذكرنا معنى «العُيون» ومعنى «متقابِلين» في الحِجْر[٤]، وذكرنا «السُّندُس والإستبرق» في الكهف[٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر كما وَصَفْنا ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: قَرَنَّاهم بِهِنَّ، وليس مِنْ عَقدِ التزويج. قال أبو عُبَيدَةَ: المعنى: جَعَلْنا ذكورَ أهل الجنَّةِ أزواجاً ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ مِنَ النساء، تقول للرجل: زَوِّجْ هذه النَّعلَ الفَردَ بالنَّعلِ الفَردِ، أي: اجعلهما زَوْجاً، والمعنى: جَعَلْناهم اثنين اثنين. وقال يُونسُ: العرب لا تقول: تزوَّج بها، إنما يقولون: تزوَّجها. ومعنى ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: قَرَنَّاهم. وقال ابنُ قُتَيْبَة: يُقال: زوَّجته امرأةً، وزوَّجته بامرأةٍ. وقال أبو عليٍّ الفارسيُ: والتنزيل على ما قال يُونسُ، وهو قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[٦]، وما قال: زَوَّجْناكَ بها. فأمَّا الحُورُ، فقال مُجاهِدٌ: الحُور: النساءُ النَّقيَّاتُ البَياضِ. وقال الفَرَّاءُ: الحَوْراء: البيضاءُ مِنَ الإبلِ؛ قال: وفي «الحُور العِين» لُغتان: حُور عِين، وحِير عِين، وأنشد:

---

(١) الصافات: ٦٢.
(٢) الكهف: ٢٩.
(٣) البقرة: ٢٥.
(٤) الحجر: ٤٥ ـ ٤٧.
(٥) الكهف: ٣١.
(٦) الأحزاب: ٣٧.

أزمانَ عيناءُ سُرور المَسير وحَوْرَاءُ عيناءُ مِنَ العِيْنِ الحِيْر

وقال أبو عبيدة: الحَورَاءُ: الشديدة بياضِ بياضِ العَيْنِ، الشديدةُ سوادِ سوادِها. وقد بيَّنَّا معنى «العِين» في الصَّافَّات[1].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: آمِنِيْنَ مِنَ انقطاعِها في بعض الأزمنة. **والثاني**: آمِنِيْنَ مِنَ التُّخم والأسقام والآفاتِ. قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها بمعنى «سوى»، فتقدير الكَلام: لا يذوقون في الجنَّةِ الموتَ سوى المَوتَةِ التي ذاقوها في الدنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2]، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[3] أي: سِوى ما شاء لهم ربُّكَ مِنَ الزِّيادة على مقدارِ الدنيا، هذا قولُ الفرَّاءِ، والزَّجَّاجِ. **والثاني**: أنَّ السُّعداءَ حين يموتون يصيرون إلى الرَّوحِ والرَّيحانِ وأسبابٍ مِنَ الجنَّةِ يَرَوْنَ منازلَهُم منها، وإذا ماتوا في الدنيا، فكأنهم ماتوا في الجنَّةِ، لاتِّصالِهم بأسبابها، ومشاهدتِهم إيَّاها، قاله ابنُ قُتَيبَة. **والثالث**: أنَّ «إلاَّ» بمعنى «بَعْدَ»، كما ذكرنا في أحدِ الوجوه في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[4]، وهذا قولُ ابنِ جرير. قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: فعلَ اللَّهُ ذلك بهم فَضلاً منه. ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أي: سَهَّلْناه، والكنايةُ عن القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلُغةِ العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: لكي يتَّعِظوا فيؤْمِنوا، ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي: انتَظِرْ بهم العذابَ ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هلاكَكَ؛ وهذه عندَ أكثر المُفسِّرين مَنسوخَةٌ بآية السَّيفِ، وليس بصحيحٍ.

---

(١) الصافات: ٤٨.
(٢) النساء: ٢٢.
(٣) هود: ١٠٧.
(٤) النساء: ٢٢.

سُورَةُ الجَاثِيَة

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

وتسمَّى: سورة الشريعة. روى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكّيَّةٌ، وهو قولُ الحَسنِ وعِكرمَةَ ومُجاهِدٍ وقَتادَةَ والجمهورِ. وقال مُقاتِلٌ: هي مكّيَّةٌ كُلُّها. وحُكي عن ابنِ عباسٍ وقَتادةَ أنهما قالا: هي مكّيَّةٌ إلاَّ آيةً، وهي قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قد شرحناه في أوّلِ المؤمن.

قوله تعالى: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أي: مِنْ ترابٍ ثم مِنْ نُطْفةٍ إلى أنْ يتكاملَ خَلْقُ الإنسان ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: وما يفرق في الأرض مِنْ جميع ما خَلَق على اختلاف ذلك في الخَلْقِ والصُّور ﴿ءَايَٰتٌ﴾ تدلُّ على وَحدانيّته. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: «آياتٌ» رفعاً «وتصريفِ الرِّياح آياتٌ» رفعاً أيضاً. وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: بالكسرِ فيهما. والرِّزق ها هنا بمعنى المطر. قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: هـذه حُـجَـجُ الله ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بـعـدَ حـديـثـه ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ يؤمِنُ هؤلاءِ المشركون؟!

---

(١) الجاثية: ١٤.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباسٍ أنها نزلت في النَّضرِ بنِ الحارثِ. وقد بيَّنا معناها في الشُّعَراء[1]، والآية التي تليها مفسَّرةٌ في لُقمان[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ قال مُقاتِلٌ: معناه: إذا سمع. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «وإذا عُلِّمَ» برفع العين وكسرِ اللام وتشديدِها. قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي: سَخِرَ منها، وذلك كفعلِ أبي جَهْلٍ حينَ نزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[3] فدعا بتمْرٍ وزُبْدٍ، وقال: تزَقموا فما يَعِدُكُم محمَّدٌ إلاَّ هذا، وإنما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لأنه ردَّ الكلام إلى معنى «كُلّ». ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ قد فسَّرناه في إبراهيم[4] ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا﴾ مِنَ الأموال، ولا ما عبدوا مِنَ الآلهةِ. قوله تعالى: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ يعني القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «أليمٌ» بالرفع على نَعْتِ العذاب. وقرأ الباقون: بالكسرِ على نَعْتِ الرِّجزِ. والرِّجزُ بمعنى العذاب، وقد شرحناه في الأعراف[5]. قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: ذلك التَّسخيرُ منه لا مِنْ غيره، فهو مِنْ فَضْلِه. وقرأ عبدُ الله بنُ عمروٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ مُحيصنٍ، والجَحْدَريُ: «جميعاً مِنَّةً» بفتح النون وتشديدِها وتاءٍ منصوبةٍ منوَّنةٍ. وقرأ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «مَنُّهُ» بفتحِ الميم ورفعِ النون والهاء مشددةَ النون.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا...﴾ الآية، في سبب نزولها أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم نزلوا في غَزاةِ بني المُصطَلِقِ على بئرٍ يُقال لها: «المُرَيسيع»، فأرسلَ عبدُ الله بنُ أُبيٍّ غُلامَه ليستقيَ الماءَ، فأبطأَ عليه، فلمَّا أتاه قال له: ما حَبسَكَ؟ قال: غلامُ عمرَ، ما تركَ أحداً يستقي حتى ملأَ قُرَبَ النبيِّ ﷺ وقُرَبَ أبي بكرٍ، وملأَ لِمَولاه، فقال عبدُ الله: ما مَثَلُنا ومَثَلُ هؤلاء إلاَّ كما قيلَ: سَمِّنْ كلبكَ يأكُلكَ، فبلغَ قولُه عمرَ، فاشتملَ سيفَه يريد التوجهَ إليه، فنزلت هذه **الآيةُ**، رواه **عطاءٌ**

(١) الشعراء: ٢٢٢. (٢) لقمان: ٧. (٣) الدخان: ٤٣ - ٤٤.
(٤) إبراهيم: ١٦. (٥) الأعراف: ١٣٤.

عن ابنِ عباسٍ[١].

[١٢٥٩] **والثاني**: أنها لمَّا نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[٢] قال يهوديٌّ بالمدينة يُقال له فِنحَاصُ: احتاج ربُّ محمَّدٍ. فلمَّا سمعَ بذلك عمرُ، اشتملَ على سيفِهِ وخرج في طلبه، فنزل جبريلُ عليه السلام بهذه الآية، فبعثَ النبيُّ ﷺ في طلب عمرَ، فلمَّا جاء، قال: «يا عمرُ، ضَعْ سيفَكَ» وتلا عليه الآيَةَ، رواه مَيْمُونُ بن مِهْرَانَ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٦٠] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ مِنْ أهل مكَّةَ كانوا في أذىً شديدٍ مِنَ المشركين قبل أنْ يُؤمَروا بالقتال، فشكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله القُرَظيُّ، والسُّدِّيُّ.

والرابع: أنَّ رجلاً مِنْ كفَّارِ قُريشٍ شتم عمرَ بنَ الخطَّابِ، فهَمَّ عمرُ أنْ يبطشَ به، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ[٣].

ومعنى الآية: قُلْ للذين آمنوا: اغفِروا، ولكن شُبِّه بالشَّرطِ والجزاءِ، كقوله: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٤]، وقد مضى بيانُ هذا. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يخافون وقائعَ الله في الأمَمِ الخاليةِ، لأنهم لا يُؤمنون به، فلا يخافون عقابَهُ. وقيل: لا يَدْرُون أنْعَمَ الله عليهم، أمْ لا. وقد سبقَ بيانُ معنى «أيَّام الله» في سُورَةِ إبراهيم[٥].

فصل: وجمهور المُفسِّرين على أنَّ هذه الآيَةَ مَنسوخَةٌ، لأنها تضمَّنت الأمرَ بالإعراض عن المشركين. واختلفوا في ناسِخها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٦]، رواه مَعمَرٌ عن قَتادةَ. **والثاني**: أنه قوله في الأنفال: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾[٧]، وقوله في براءة: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾[٨]، رواه سعيدٌ عن قتادةَ. **والثالث**: أنه قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾[٩]، قاله أبو صالحٍ.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «لِنَجْزِيَ» بالنون «قوماً» يعني الكفَّارَ، فكأنه قال: لا تُكافِئوهم أنتم لِنُكافِئَهم نحن. وما بعد هذا قد سبقَ[١٠] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

[١٢٥٩] ضعيف جداً، أخرجه الواحدي ٧٤٣م في «أسباب النزول» عن ميمون عن ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً محمد بن زياد اليشكري متروك متهم.

[١٢٦٠] عزاه المصنف للقرظي وهو محمد بن كعب، وللسدي، ولم أقف على إسناده، وكلاهما مرسل.
وأخرج الطبري ٣١١٨٥ بسند فيه مجاهيل عن ابن عباس نحوه. وهذا القول أقرب للصواب، وإن لم يصح بوجه من الوجوه. وكون السورة نزلت في عمر، واهٍ بمرة.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٤٣ بدون إسناد، فهو لا شيء.
(٢) البقرة: ٢٤٥.
(٣) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم بالكذب، فالخبر لا شيء.
(٤) إبراهيم: ٣١.
(٥) إبراهيم: ٥.
(٦) التوبة: ٥.
(٧) الأنفال: ٥٧.
(٨) التوبة: ٣٦.
(٩) الحج: ٣٩.
(١٠) الإسراء: ٧.

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني التوراةَ ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ وهو الفهمُ في الكتاب، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني المَنَّ والسَّلوى ﴿وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زمانِهِم. ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ فيه قولان: أحدهما: بيان الحلالِ والحَرام، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: العِلْمُ بمَبْعثِ النبيِّ ﷺ وشواهدِ نبوَّتِه، ذكره المَاوَرديّ. وما بعدَ هذا قد تقدَّم بيانُه[1] إلى قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾[2] سبب نُزولِها أنَّ رؤساءَ قُريشٍ دَعَوا رسولَ الله ﷺ إلى مِلَّة آبائه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. فأمَّا قوله: ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ﴾ فقال ابنُ قُتَيبَة: أي على مِلَّةٍ ومذهبٍ، ومنه يُقال: شَرَعَ فلانٌ في كذا: إذا أخَذ فيه، ومنه «مَشارِعُ الماء» وهي الفُرَضُ التي شرعَ فيها الوارِدَ. قال المُفسِّرون: ثم جعلناكَ بعد موسى على طريقةٍ مِنَ الأمر، أي: مِنَ الدِّين ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾. و ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كفَّارُ قُريشٍ. ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ﴾ أي: لن يَدفَعوا عنكَ عذابَ الله إنِ اتَّبعتَهم، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الشِّركَ. والآية التي بعدَها مفسَّرَةٌ في آخِرِ الأعراف[3]. ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ سببُ نُزولِها أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا للمؤمنين: إنَّا نُعطى في الآخرة مثلما تُعطَون مِنَ الأجرِ، قاله مُقاتِلٌ[4]. والاستفهام ها هنا استفهامُ إنكارٍ. و «اجترحوا» بمعنى اكتَسَبوا. ﴿سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم، وزيدٌ عن يعقوبَ: «سواءً» نصباً؛ وقرأ الباقون: بالرفع. فمَنْ رَفَعَ، فعلَى الابتداء؛ ومَنْ نَصبَ، جعله مفعولاً ثانياً، على تقدير: أنْ نجعلَ مَحياهُم ومَماتَهم سواءً؛ والمعنى: إنَّ هؤلاءِ يَحيَون مؤمنين ويموتون مؤمنين، وهؤلاءِ يَحيَون كافرين ويموتون كافرين؛ وشتَّانَ ما هم في الحالِ والمَآلِ ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: بِئسَ ما يَقضُون. ثم ذَكر بالآية التي تَلي هذه أنه خَلَق السمواتِ والأرضَ بالحقِّ، أي: للحقِّ والجزاءِ بالعَدْلِ، لِئلاَّ يظُنَّ الكافرُ أنه لا يُجزَى بكُفره.

﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/١٢٣: ظن بعض من تكلم في العلم أن هذه الآية دليل على أن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا، ولا ننكر أن النبي ﷺ وأمته منفردان بشريعة، وإنما الخلاف فيما أخبر النبي ﷺ من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء والعظة هل يلزم اتباعه أم لا؟ ولا إشكال في لزوم ذلك، ولا خلاف أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح، وإنما خالف بينها في الفروع بحسب ما علمه سبحانه.

(٣) الأعراف: ٢٠٣. (٤) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، لا حجة فيه البتة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قد شرحناه في الفرقان[١]. وقال مُقاتِلٌ: نزلت هذه الآية في الحارثِ بن قيسِ السَّهْمِي. قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على عِلْمِه السابقِ فيه أنه لا يَهتدي ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾ أي: طَبَعَ عليه فلم يَسمَعِ الهُدى ﴿وَ﴾ على ﴿قَلْبِهِۦ﴾ فلم يَعْقِلِ الهُدى، وقد ذكرنا الغِشاوةَ والخَتْمَ في (البقرة)[٢]. ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ إضلاله إيَّاهُ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتَعرِفوا قُدرتَهُ على ما يشاء؟!. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في سُورةِ المؤمنون[٣] إلى قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: اختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما قالوه عن عِلْمٍ، إنَّما قالوه شاكِّيْنَ فيه. ومِنْ أجل هذا قال نبيُّنا عليه الصلاة والسلام:

[١٢٦١] «لا تَسُبُّوا الدَّهر فإنَّ الله هو الدَّهرُ»، أي: هو الذي يُهلِكُكم، لا ما تتوهَّمونَهُ مِنْ مرورِ الزَّمانِ.

وما بعدَ هذا ظاهرٌ، وقد تقدَّم بيانُه[٤] إلى قوله: ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ يعني المُكذِّبين الكافرين أصحابَ الأباطيل؛ والمعنى: يَظهر خُسرانُهم يَومئذٍ. ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: ترى أهلَ كلِّ دِينٍ ﴿جَاثِيَةً﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: جالسةً على الرُّكَبِ، يُقال: قد جَثا فُلانٌ جُثُوّاً: إذا جلس على رُكبتيه، ومِثْلُه: جَذا يَجْذو. والجُذُوُّ أشدُّ استيفازاً مِنَ الجُثُوِّ، لأنَّ الجُذُوَّ: أنْ يجلسَ صاحبُه على أطرافِ أصابعِه. قال ابنُ قُتَيبَة: والمعنى أنها غيرُ مُطمئنَّةٍ.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كتابُها الذي فيه حسناتُها وسيئاتُها، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه حِسابُها، قاله الشَّعْبيّ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبة. **والثالث**: كتابُها الذي أنزلَ على رسولِه، حكاه المَاوَرديُّ. ويُقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كتابُ الأعمال الذي تكتبه الحَفَظَةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: اللَّوحُ المَحفوظُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: القرآن، والمعنى أنهم يَقرؤونَهُ فيَدُلُّهم ويُذَكِّرُهم، فكأنَّه يَنْطِقُ عليهم، قاله ابنُ قُتَيبَة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نَأمرُ الملائكةَ بِنَسْخِ أعمالِكُم، أي بكَتْبِها وإثباتِها. وأكثرُ المُفسِّرينَ على أنَّ هذا الاستِنساخَ، مِنَ اللَّوحِ المَحفوظِ، تَسْتَنسِخُ الملائكةُ كلَّ عامٍ ما

[١٢٦١] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٢٦ و ٧٤٩١ ومسلم ٢٢٤٦ والحميدي ١٠٩٦ وأبو داود ٥٢٧٤ وأحمد ٢/ ٢٣٨ وابن حبان ٥٧١٥ والبغوي ٣٣٨٩ والبيهقي في «السنن ٣/ ٣٦٥ والطبري ٣١٢٠٧ كلهم من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم ورواه البخاري بمعناه. قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٧٩: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه، وإنما فاعلها هو الله فكأنهم إنما سبّوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم. وقد غَلِطَ ابنُ حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدّهم الدهر من الأسماء الحسنى، أخذاً من هذا الحديث.

(١) الفرقان: ٤٣.
(٢) البقرة: ٧.
(٣) المؤمنون: ٣٧.
(٤) البقرة: ٢٨، الشورى: ٧.

يكون مِنْ أعمال بني آدمَ، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستِنسَاخُ لا يكون إلاّ مِنْ أصلٍ. قال الفَرَّاءُ: يرفع المَلَكانِ العملَ كلَّه، فيُثْبِتُ اللَّهُ منه ما فيه ثوابٌ أو عقابٌ، ويَطرحُ منه اللَّغوَ. وقال الزَّجَّاجُ: نَستَنْسِخُ ما تكتبه الحَفَظَةُ، ويَثبتُ عندَ الله عزَّ وجلَّ.

قوله تعالى: ﴿فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: في جَنَّتِه.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ فيه إضمارٌ، تقديره: فيُقال لهم أَلَمْ تكُنْ آياتي، يعني آياتِ القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمانِ بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: كافرين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعثِ ﴿حَقٌّ﴾ أي: كائنٌ ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ قرأ حمزةُ: «والساعةَ» بالنَّصبِ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: كائنةٌ بلا شكٍّ ﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ **أي أنكرتُموها** ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما نعلمُ ذلك إلاّ ظناً وحَدْساً، ولا نَسْتَيْقِنُ كونَها.

وما بعدَ هذا قد تقدَّمَ[1] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ أي: نَترُكُكم في النَّارِ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: كما تركتُم الإيمانَ والعملَ للقاءِ هذا اليوم. ﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي فَعلْنا بكم ﴿بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: مَهزوءاً بها ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى قُلتُم: إنه لا بعثَ ولا حسابَ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ: «لا يَخرُجونَ» بفتح الياء وضمِّ الراء. وقرأ الباقون: «لا يُخرَجونَ» بضمِّ الياء وفتحِ الراءِ ﴿مِنْهَا﴾ أي: مِنَ النَّارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلَبُ منهم أنْ يَرْجِعوا إلى طاعةِ الله عزَّ وجلَّ، لأنه ليس بحين توبةٍ ولا اعتذارٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: السُّلطان، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: الشَّرَفُ، قاله ابنُ زيد. **والثالث**: العَظَمةُ، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ، والزَّجَّاجُ.

---

(١) الزمر: ٤٨.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾

فصل في نزولها[١]: رَوى العَوفيُّ وابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ أنها مكِيَّةٌ، وبه قال الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادةُ، والجمهور. ورُويَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادة أنهما قالا: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٢]. وقال مُقاتِلٌ: نزلت بمكَّةَ غيرَ آيتَيْن: قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣]. نزلَتا بالمدينة.

وقد تقدَّمَ تفسيرُ فاتِحتِها[٤] إلى قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجَلُ فَناءِ السَّمواتِ والأرض، وهو يومُ القيامة. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ مفسَّرٌ في فاطر[٥] إلى قوله: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾[٦]، وفي الآية اختصارٌ، تقديره: فإن ادَّعَوْا أنَّ شيئاً مِنَ المخلوقاتِ صَنعةُ آلهتِهم، فقُلْ لهم: إيتُوني بكتابٍ ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآن فيه برهانُ ما تدَّعونَ مِنْ أنَّ الأصنامَ شركاءُ اللَّهِ، ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ[٧]: **أحدها**: أنه الشيء يُثيرُه مُستَخرِجُه، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: بَقيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ تُؤثَر عن

---

(١) سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم، كما في «تفسير القرطبي» ١٦/ ١٥٤ و «تفسير ابن كثير» ٤/ ١٨٢، و «تفسير الشوكاني» ٥/ ١٦.

(٢) الأحقاف: ١٠.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) المؤمن: ١ ـ ٢.

(٥) فاطر: ٤٠.

(٦) قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ٤/ ١٢٤: وهي أشرف آية في القرآن، فإنها استوفت أدلة الشرع عقليها وسمعيّها، لقوله تعالى: **﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾** فهذه بيان لأدلة العقل المتعلقة بالتوحيد، وحدوث العالم، وانفراد الباري سبحانه بالقدرة والعلم والوجود والخلق، ثم قال: **﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾** على ما تقولون وهذه بيان لأدلة السمع فإن مدرك الحق إنما يكون بدليل العقل أو بدليل الشرع حسبما بيناه من مراتب الأدلة في كتب الأصول.

(٧) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٧٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية =

الأوَّلين، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وإلى نحوه ذهب الفرَّاءُ، وأبو عُبيدَة. **والثالث**: علامةٌ مِنْ عِلم، قاله الزَّجَّاجُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزِينٍ، وأيُّوبُ السَّخْتِيانيُ، ويعقوبُ: «أَثَرَةٍ» بفتح الثاء، مثل شَجَرة. ثم ذَكروا في معناها ثلاثةَ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الخطُّ، قاله ابنُ عباسٍ؛ وقال: هو خَطٌّ كانت العرب تخُطُّه في الأرض، قال أبو بكرٍ بن عيَّاشٍ: الخطُّ هو العِيَافَةُ. **والثاني**: أو عِلْم تأثُرونَهُ عن غيرِكُم، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: خاصَّةٍ مِنْ عِلْم، قاله قَتادةُ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عَبدِ الرَّحمن السُّلَميُّ، والحَسَنُ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمُرَ: «أَثْرَةٍ» بسكونِ الثاء مِنْ غير أَلِفٍ بوزنِ نَظْرَةٍ. وقال الفرَّاء: قُرِئتْ «أَثارةٍ» و «أَثَرةٍ»، وهي لُغاتٌ، ومعنى الكلِّ: بقيَّةٍ مِنْ عِلم، ويُقال: أو شيءٍ مأثورٍ مِنْ كُتب الأوَّلين، فمَنْ قرأ «أَثارةٍ» فهو المصدر، مثل قولك: السَّماحَةُ والشَّجاعَة، ومَنْ قرأ «أَثَرةٍ» فإنه بَناهُ على الأَثَر، كما قيلَ: قَتَرة، ومَنْ قرأ «أَثْرَةٍ» فكأنه أراد قوله: «الخَطْفَة»[1] و «الرَّجْفَة»[2]. وقال اليَزيديُّ: **الأَثَارَةُ**: البقيَّةُ؛ والأَثَرَة، مصدرُ أثَرَه يأثُرُه، أي: يذكرُه ويَرويه، ومنه: حديثٌ مأثورٌ.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ يعني الأصنام ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ لأنها جمادٌ لا تسمعُ، فإذا قامتِ القيامةُ صارت الآلهةُ أعداءً لعابديها في الدنيا. ثم ذَكَر بما بعدَ هذا أنَّهم يُسمُّونَ القرآنَ سِحْراً وأنَّ محمَّداً افتراهُ. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تقدِرون على أنْ تَرُدُّوا عني عذابَهُ، أي: فكيف أفتري مِنْ أجلِكُم وأنتم لا تقدرون على دفع عذابهِ عنِّي؟! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه مِنَ التَّكذيبِ والقولِ بأنه سِحْرٌ ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أنَّ القرآنَ جاء مِنْ عندِ الله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في تأخيرِ العذاب عنكم. وقال الزَّجَّاجُ: إنما ذَكَرَ ها هنا الغُفرانَ والرَّحمةَ ليُعْلِمَهم أنَّ مَنْ أتى ما أَتَيْتُم ثم تابَ فإنَّ الله تعالى غفورٌ له رحيمٌ به.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: ما أنا بأوَّلِ رسولٍ. والبِدْعُ والبَديعُ مِنْ كلِّ شيءٍ: المبتدأ ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ وقرأ ابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ما يَفْعَلُ» بفتحِ الياء ثم فيه

= من علم، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأه «أو أثْرة» بسكون الثاء، وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط، ومن علم استثير من كتب الأولين ومن خاصة علم أوثروا به.

(١) الصافات: ١٠. (٢) الأعراف: ٧٨.

قولان: **أحدهما**: أنه أراد بذلك ما يكون في الدنيا. ثم فيه قولان[(١)]:

[١٢٦٢] أحدهما: أنه لمَّا اشتدَّ البلاءُ بأصحاب رسول الله ﷺ، رأى في المنام أنه هاجَرَ إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ وشجرٍ وماءٍ، فقصَّها على أصحابه، فاستَبْشَروا بذلك لِمَا يلقَون مِنْ أذى المشركين. ثم أنهم مكثوا بُرهةً لا يَروْن ذلك، فقالوا: يا رسولَ الله متى تُهاجِر إلى الأرض التي رأيتَ؟ فسكتَ رسولُ الله ﷺ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ يعني لا أدري، أخرُجُ إلى الموضع الذي رأيتُه في منامي أَمْ لا؟ ثم قال: إنَّما هو شيءٌ رأيتُه في منامي، وما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. وكذلك قال عَطيَّةُ: ما أدري هل يَتركُني بمكَّةَ أو يُخرِجُني منها.

والثاني: ما أدري هل أُخرَجُ كما أُخرِجَ الأنبياءُ قَبْلي، أو أُقتَلُ كما قُتِلوا، ولا أدري ما يُفعَلُ بكم، أتُعذَّبون أَمْ تؤخَّرونَ؟ أتصدقون أَمْ تُكذِّبونَ؟ قاله الحَسَن.

والقول الثاني: أنه أراد ما يكون في الآخرة.

[١٢٦٣] رَوى ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا نزلتْ هذه الآيةُ، نَزلَ بعدَها ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(٢)] وقال: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ...﴾ الآيةَ[(٣)]، فأُعلِمَ ما يُفعَلُ به وبالمؤمنين. وقيلَ: إنَّ المشركين فرحوا عندَ نزولِ هذه الآيةِ وقالوا: ما أَمْرُنا وأَمْرُ محمَّدٍ إلاَّ واحدٌ، ولولا أنه ابتَدَعَ ما يقوله لأَخبَرَهُ الذي بعَثَهُ بما يفعل به، فنزلَ قولُه: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ...﴾ الآية، فقال الصحابةُ: هنيئاً لكَ يا رسولَ الله، فماذا يُفعَلُ بنا؟ فنزلتْ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ...﴾ الآية؛ وممَّنْ ذهب إلى هذا القولِ أنسٌ وعِكرِمَةُ وقَتادَةُ. ورُوِيَ عن الحسَنِ ذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وفيه قولان[(٤)]: **أحدهما**: أنه عبدُ الله بنُ سَلامٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال

[١٢٦٢] واهٍ بمرة. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٤٤ معلقاً عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهذا ساقط، الكلبي متروك كذاب، والخبر واهٍ بمرة ليس بشيء.

[١٢٦٣] أخرجه الطبري ٣١٢٣٩ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مختصراً، وفيه إرسال بينهما.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١١/ ٢٧٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري. ومحال أن يقول لرسول الله ﷺ: قل للمشركين ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أي حال تصير غداً في القيامة. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٨٤: وهذا القول الذي عوّل عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره، ولا شك في أن هذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره، وأمر مشركي قريش إلى ماذا؟ أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم؟

(٢) الفتح: ٢. (٣) الفتح: ٥.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٢٨١: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق: هو موسى والتوراة، لا ابن سلام، لأنه أسلم بالمدينة والسورة مكية، في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل، لأن الآية في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيه ﷺ، وهذه الآية نظير سائر الآيات قبلها =

الحسنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه موسى بنُ عِمْرانَ عليه السلام، قاله الشَّعْبي، ومَسرُوقٌ. فعلَى القولِ الأولِ يكون ذِكْرُ المَثَلِ صِلةً، فيكون المعنى: وشَهِدَ شاهدٌ مِنْ بَني إسرائيلَ عليه، أي: على أنه مِنْ عند الله، ﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهدُ، وهو ابنُ سَلام ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يا مَعشَرَ اليهودِ. وعلى الثاني يكون المعنى: وشَهِدَ موسى على التَّوراةِ التي هي مِثْلُ القرآن أنها مِنْ عند الله، كما شَهِدَ محمَّدٌ على القرآن أنه كلامُ الله، «فآمن» مَنْ آمَنَ بموسى والتَّوراةِ «واستَكْبرتُم» أنتم يا مَعشَرَ العربِ أنْ تُؤمِنوا بمحمَّدٍ والقرآنِ.

فإنْ قيلَ: أينَ جوابُ «إنْ» قيلَ: هو مُضمَرٌ؛ وفي تقديره ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ جوابه: فمَنْ أضَلُّ منكم، قاله الحسَنُ. **والثاني**: أنَّ تقدير الكلام: وشَهِدَ شاهدٌ مِن بني إسرائيلَ على مِثْله فآمَنَ، أتُؤمِنون؟ قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنَّ تقديره: أتَأمَنون عقوبةَ الله؟ قاله أبو عليٍّ الفَارِسيُ. **والرابع**: أنَّ تقديره: أفَما تهلكون؟ ذكره المَاوَرديُ. **والخامس**: مَنِ المُحِقُّ مِنَّا ومِنكم ومَنِ المُبْطِلُ؟ ذكره الثَّعلَبيُ. **والسادس**: أنَّ تقديره: أليسَ قد ظَلَمْتُم؟ ويدُلُّ على هذا المحذوفِ قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، ذكره الوَاحِديُ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، في سببِ نُزولها خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**:

= ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه الآية إلى أنها فيهم نزلت، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به.

ـ وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٦/ ١٦٢: ويجوز أن تكون الآية نزلت بالمدينة وتوضع في سورة مكية، فإن الآية كانت تنزل فيقول النبي ﷺ: ضعوها في سورة كذا، والآية في محاجة المشركين، ووجه الحجة أنهم كانوا يراجعون اليهود في أشياء، أي شهادتهم لهم وشهادة نبيهم هي من أوضح الحجج، ولا يبعد أن تكون السورة في محاجة اليهود.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٨٥: وقوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾** أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه، يعنون المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. وقد غلطوا في =

أنَّ الكفَّارَ قالوا: لو كان دِيْنُ محمَّدٍ خيراً ما سَبَقَنا إليه اليهودُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مَسرُوقٌ[١]. **والثاني**: أنَّ امرأةً ضعيفَةَ البَصَرِ أسلَمَتْ، وكان الأشرافُ مِنْ قُرَيش يهزؤون بها ويقولون: واللَّهِ لو كان ما جاء به محمَّدٌ خيراً ما سَبَقَتْنا هذه إليه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو الزِّنادِ[٢]. **والثالث**: أنَّ أبا ذَرٍّ الغِفَارِي أسلَمَ واستجاب به قومُه إلى الإسلام، فقالت قُرَيشٌ: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو المُتوكِّلِ[٣]. **والرابع**: أنه لمَّا اهتدَتْ مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وأسلَمَتْ، قالت أَسَدُ وغَطَفانُ: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رِعاءُ الشَّاءِ، يَعْنونَ مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَة، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ السَّائبِ[٤]. **والخامس**: أنَّ اليهودَ قالوا: لو كان دِينُ محمَّدٍ خيراً ما سَبَقْتُمونا إليه، لأنه لا عِلْمَ لكم بذلك، ولو كان حقّاً لَدَخَلْنا فيه، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ وقال: هو قولُ مَنْ يقول: إنَّ الآية نزلت بالمدينةِ؛ ومَنْ قال: هي مكِّيَّةٌ، قال: هو قولُ المشركين. فقد خرجَ في «الذين كفروا» قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون. **والثاني**: اليهود.

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أي: لو كان دِيْنُ محمَّدٍ خيراً ﴿مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾. فمَنْ قال: هم المشركون، قال: أرادوا: إنَّا أعزُّ وأفضلُ؛ ومنْ قال: هم اليهود، قال: أرادوا: لأنَّا أعلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ أي: كَذِبٌ مُتقدِّمٌ، يَعنون أساطيرَ الأوَّلين. ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآن التَّوراةُ. وفي الكلام محذوفٌ، تقديره: فلَمْ يهتدوا، لأن المشركين لم يهتدوا بالتَّوراة. ﴿إِمَامًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحالِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ عطفٌ عليه ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ المعنى: مُصدِّقٌ للتَّوراةِ ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوبٌ على الحالِ؛ المعنى: مُصدِّقٌ لِما بين يديه عربيّاً؛ وذَكَر «لساناً» توكيداً، كما تقول: جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيدٌ صالحاً.

قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ قرأ عاصِمٌ وأبو عمروٍ وحمزَةُ والكِسَائيُ: «لِيُنْذِرَ» بالياء. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ: «لِتُنْذِرَ» بالتاء. وعن ابنِ كَثيرٍ كالقراءتين. «والذين ظلموا» المشركون ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ أي وهو بُشرى ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم المُوحِّدون يُبشِّرهم بالجنَّةِ.

وما بعد هذا قد تقدَّمَ تفسيرُه[٥] إلى قوله: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ وقرأ عاصِمُ، وحمزَةُ، والكِسَائيُ:

= ذلك غلطاً فاحشاً، وأخطؤوا خطأً بيناً، كما قال تعالى: **﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾** أي: يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا: **﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾**، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة، لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها.

(١) عزاه المصنف لمسروق: ولم أقف على إسناده، وهو مرسل.
ـ وأخرج الطبري ٣١٢٦١ عن قتادة نحوه وليس فيه ذكر اليهود وإنما بنو فلان.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٨/٦: أخرج ابن المنذر عن عون بن شداد قال كان لعمر أمة أسلمت قبله، يقال لها زيزة.. فذكره بنحوه وعزاه المصنف لأبي الزناد، ولم أقف عليه.

(٣) عزاه المصنف لأبي المتوكل، واسمه علي بن دؤاد، وهو في عداد التابعين، فالخبر مرسل، ولم أقف على إسناده.

(٤) عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم بالكذب.

(٥) فصلت: ٣٠.

﴿إِحْسَٰنًا﴾ بألِفٍ. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ: «كَرْهاً» بفتح الكاف، وقرأ الباقون بضمِّها. قال الفرَّاءُ: والنَّحويُّون يستحبُّون الضَّمَّ ها هنا، ويكرهون الفتحَ، للعلَّةِ التي بيَّنَّاها عند قوله: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[(١)]، قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: حَملَتْهُ على مَشقَّةٍ ﴿وَوَضَعَتْهُ﴾ على مَشقَّةٍ. ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فِطَامُه. وقرأ يعقوبُ: «وفَصْلُهُ» بفتح الفاء وسكونِ الصاد مِنْ غير ألِفٍ ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾. قال ابنُ عباسٍ: «ووَضعَتْه كُرْهاً» يريد به شِدَّةَ الطَّلْقِ. واعلَمْ أنَّ هذه المُدَّةَ قُدِرَتْ لأقلِّ الحَمْلِ وأكثرِ الرَّضاعِ؛ فأمَّا الأشُدُّ، ففيه أقوالٌ قد تقدَّمت؛ واختارَ الزَّجَّاج أنه بلوغُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، لأنه وقتُ كمالِ الإنسان في بَدنِه وقوَّتِه واستحكام شأنِه وتمييزِه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أشُدُّ الرجلِ غيرُ أشُدِّ اليتيم، لأنَّ أشُدَّ الرَّجُلِ: الاكتِهالُ والحُنْكَةُ وأنْ يشتدَّ رأيُه وعقلُه، وذلك ثلاثون سنةً، ويُقال: ثمانٍ وثلاثون سنةً، وأشُدُّ الغُلام: أنْ يشتدَّ خَلْقُه ويتناهى نَباتُه. وقد ذكرنا بيانَ الأشُدِّ في الأنعام[(٢)] وفي يوسف[(٣)] وهذا تحقيقُه. واختلفوا فيمَنْ نزلت هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١٢٦٤] **أحدها**: أنها نزلَت في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وذلك أنه صَحِبَ رسولَ الله ﷺ وهو ابنُ ثمانِ عشرةَ سنةً ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرينَ سنةً وهم يريدون الشَّامَ في تجارةٍ، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرَةٌ، فقعدَ رسولُ الله ﷺ في ظِلِّها، ومضى أبو بكرٍ إلى رَاهبٍ هناك يسأله عن الدِّيْنِ، فقال له: مَنِ الرَّجُل الذي في ظِلِّ السِّدْرَةِ؟ فقال: ذاكَ محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ عبدِ المُطَّلبِ، فقال: هذا واللهِ نبيٌّ، وما استظَلَّ تحتَها أحدٌ بعدَ عيسى إلاّ محمَّدٌ نبيُّ الله، فوقَع في قلبِ أبي بكرٍ اليقينُ والتصديقُ، فكان لا يُفارقُ رسولَ الله ﷺ في أسفارِه وحَضَرِه، فلمَّا نُبِّئَ رسولُ الله ﷺ ـ وهو ابنُ أربعين سنةً وأبو بكرٍ ابنُ ثمانٍ وثلاثينَ سنةً ـ صدَّق رسولَ الله ﷺ، فلمَّا بلغَ أربعينَ سنةً قال: ربِّ أوْزِعْني أنْ أشكُرَ نِعمَتَكَ التي أنعمتَ عليَّ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الأكثرون: قالوا: فلمَّا بلغَ أبو بكرٍ أربعين سنةً، دعا اللهَ عزَّ وجلَّ بما ذكره في هذه الآية، فأجابَهُ الله، فأسلَمَ والدَاهُ وأولادُهُ ذُكورُهم وإناثُهم، ولم يجتمع ذلك لغيرِه مِنَ الصحابة.

والقول الثاني: أنها نزلَتْ في سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ، وقد شرحنا قصتَهُ في العَنكبوت[(٤)]، وهذا مذهبُ الضَّحَّاكِ، والسُّدِّيِّ. **والثالث**: أنها نزلَتْ على العموم، قاله الحسَنُ.

وقد شرحنا في سورَةِ النَّمل[(٥)] معنى قوله: ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أجابه الله ـ يعني أبا بكرٍ ـ فأعتَقَ تسعةً مِنَ المؤمنين كانوا يُعذَّبون في الله عزَّ وجلَّ، ولم يُرِدْ شيئاً مِنَ الخير إلاَّ أعانَهُ الله عليه، واستجاب له في ذُرِّيتِه فآمنوا، ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ أي: رَجَعْتُ إلى كلِّ ما تُحِبُّ.

[١٢٦٤] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٤٥ عن ابن عباس من رواية عطاء بدون إسناد، ولم أقف عليه، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ١٠ لابن مردويه لكن ساقه مختصراً، وتفرد ابن مردويه به دليل وهنه.

---

(١) البقرة: ٢١٦. (٢) الأنعام: ١٥٣. (٣) يوسف: ٢٢.
(٤) العنكبوت: ٨. (٥) النمل: ١٩.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «يُتَقَبَّلُ» «ويُتَجاوَزُ» بالياء المضمومة فيهما. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم، وخَلفٌ: «نَتَقبَّلُ» و «نَتَجاوَزُ» بالنون فيهما، وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو رَجاءٍ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنيُّ: «يَتَقبَّلُ» «ويَتَجاوَزُ» بياءٍ مفتوحةٍ فيهما، يعني أهلَ هذا القولِ، والأحسَنُ بمعنى الحَسَن. ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أي: في جملة مَنْ يُتجاوزُ عنهم، وهم أصحاب الجنَّةِ. وقيلَ: «في» بمعنى «مع». ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ، لأنه مصدر مؤكِّدٌ لِمَا قَبْله، لأنَّ قوله: «أولئك الذين نَتقبَّلُ عنهم» بمعنى الوَعدِ، لأنه وَعَدهم القَبولَ بقوله: «وَعْدَ الصِّدْقِ»، يؤكِّدُ ذلك قولُه: ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ أي: على ألسنة الرُّسلِ في الدنيا.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾(١) قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ. وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «أُفِّ لكما» بالخَفضِ من غيرِ تنوينٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ: بفتح الفاء. وقرأ نافعٌ، وحَفصٌ عن عاصِم: «أُفٍّ» بالخَفضِ والتنوين. وقرأ ابنُ يَعمُرَ: «أُفٌّ» بتشديد الفاء مَرفوعةً منوَّنةً. وقرأ حُمَيدٌ، والجَحْدَرِيُّ: «أُفًّا» بتشديد الفاء وبالنَّصب والتنوين. وقرأ عمرُو بنُ دِينارٍ: «أُفُّ» بتشديدِ الفاء وبالرفع مِنْ غير تنوينٍ. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وعِكرِمَةُ، وأبو رَجاءٍ: «أُفْ لكما» بإسكانِ الفاءِ خفيفةً. وقرأ أبو العَالِيةِ، وأبو عِمْرانَ: «أُفِّي» بتشديدِ الفاء وياءٍ ساكنةٍ مُمالَةٍ.

[١٢٦٥] ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنها نزلت في عبدِ الرَّحمنِ بن أبي بكرٍ قَبْلَ إسلامِه، كان أبوَاهُ يَدعُوانه إلى الإسلام، وهو يأبى، وعلى هذا جمهورُ المُفسِّرين.

[١٢٦٦] وقد رُوِيَ عن عائشَة أنها كانت تُنْكِر أنْ تكونَ الآيةُ نزلت في عبدِ الرَّحمن، وتَحْلِفُ

[١٢٦٥] أخرجه الطبري ٣١٢٧٥ عن ابن عباس برواية عطية العوفي، قال: هذا ابن لأبي بكر. ولا يصح هذا، فإن راويه عطية العوفي ضعيف، وعنه من لا يُعرف.

[١٢٦٦] أخرجه النسائي في «التفسير» ٥١١ والحاكم ٤/ ٤٨١ والخطابي في «غريب الحديث» ٢/ ٥١٧ عن محمد بن زياد عن عائشة، وهذا منقطع، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وتعقبه الذهبي بقوله: محمد لم يسمع من عائشة. وللقصة طريق أخرى عند البزار ١٦٢٤ «كشف» وفيه عبد الله البهي، وثقه قوم، وضعفه أبو حاتم الرازي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٢٤١ إسناد البزار حسن. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٨/ ٨٩: =

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «جامع البيان» ١١/ ٢٨٧: وهذا نعت من الله تعالى ذكره، نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق ونصيحتهما له إلا عتواً وتمرداً على الله، وتمادياً في جهله.

على ذلك وتقول: لو شِئتُ لَسَمَّيتُ الذي نزلَتْ فيه.

قال الزَّجَّاجُ: وقولُ مَنْ قال: إنها نزلت في عبدِ الرَّحمن، باطلٌ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ فأعلَمَ اللَّهُ أنَّ هؤلاءِ لا يُؤمِنون، وعبدُ الرحمنِ مؤمِنٌ، والتفسيرُ الصَّحيحُ أنها نزلت في الكافرِ العاقِّ. ورُوِيَ عن مُجاهِدٍ أنها نزلت في عبدِ الله بنِ أبي بكرٍ، وعن الحَسنِ أنها نزلت في جماعةٍ مِنْ كفَّارِ قُريشٍ قالوا ذلك لآبائِهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مَضَتِ القُرونُ فلم يرجع منهم أحدٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: مضت القُرون مكذِّبةً بهذا، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ أي: يَدْعُوَان اللَّهَ له بالهُدى ويقولان له: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ أي: صَدِّقْ بالبَعثِ، ﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ الذي تقولان ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وقد سبق شرحُها.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الكفَّارَ ﴿ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: وَجَبَ عليهم قضاءُ الله أنهم مِنْ أهلِ النَّارِ ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ أي: مع أُمَم. فذكرَ اللَّهُ تعالى في الآيتين قَبْلَ هذه مَنْ بَرَّ والدَيْه وعَمِلَ بوصيَّة الله عزَّ وجلَّ، ثم ذكرَ مَنْ لم يَعْمَلْ بالوَصيَّة ولم يُطِعْ ربَّه ولا والِدَيْه، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو عِمرانَ: «أنَّهم» بفتحِ الهمزة. ثم قال: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾ أي: منازل ومراتبُ بحسب ما اكتسبوه مِنْ إيمانٍ وكُفرٍ، فيتفاضل أهلُ الجنَّةِ في الكرامة، وأهلُ النَّارِ في العذاب ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ: «وليُوفِّيهُمْ» بالياء، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: جزاءَ أعمالِهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ﴾ المعنى: واذكُرْ لهم يومَ يُعْرَض ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ﴾ أي: ويُقال لهم: أذهَبْتُم، قرأ ابنُ كَثيرٍ: «آذهَبْتُمْ» بهمزةٍ مُطوَّلةٍ. وقرأ ابنُ عامرٍ: «أأذهبتم» بهمزتين. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أذْهَبْتُمْ» على الخبرِ، وهو توبيخٌ لهم. قال الفَرَّاءُ والزَّجَّاجُ: العربُ تُوبِّخ بالألِفِ وبغيرِ الألفِ، فتقول: أذْهَبْتَ وفعلتَ كذا؟! وذهبتَ ففعلْتَ؟! قال المُفسِّرون: والمراد بطَيِّباتِهم: ما كانوا فيه مِنَ اللَّذَّات مُشتغِلين بها عن الآخرة مُعرِضين عن شُكرِها. ولمَّا وبَّخهم الله بذلك، آثَرَ النبيُّ ﷺ وأصحابه والصَّالحون بعدَهم اجتنابَ نعيمِ العيش ولذَّته ليتكاملَ أجرُهم ولئلاَّ يُلهيَهم عن مَعادِهم.

[١٢٦٧] وقد رُوِيَ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ أنه دخل على رسولِ الله ﷺ وهو مُضطجعٌ على خَصفَةٍ وبعضُه على التراب وتحت رأسه وِسادةٌ مَحشوَّة لِيفاً، فقال: يا رسولَ الله، أنتَ نبيُّ الله وصفوتُه، وكِسْرَى وقَيصَرُ على سُرُرِ الذَّهب وفُرُشِ الدِّيباج والحرير؟! فقال ﷺ: «يا عمرُ، إنَّ أولئك قومٌ عُجِّلَت

= لا يصح هذا عن عائشة. قلت: الذي صح في ذلك هو ما أخرجه البخاري ٤٨٢٧ عن يوسف بن ماهيك. قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه **﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾** فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري».

[١٢٦٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٦٨ ومسلم ١٤٧٩ والترمذي ٣٣١٨ وابن حبان ٤٢٦٨ من حديث ابن عباس في خبر مطوّل. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٤٩٧.

لهم طيِّباتهم، وهي وَشيكَةُ الانقطاع، وإنَّا أُخِّرَتْ لنا طيِّباتُنا».

وروى جابرُ بنُ عبدِ الله قال: رأى عمرُ بنُ الخَطَّابِ لحماً مُعلَّقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابرُ؟ فقلتُ: اشتهيتُ لحماً فاشتريتُه، فقال: أوَ كلَّما اشتهيتَ اشتريتَ يا جابرُ؟! أمَا تخافُ هذه الآيَةَ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾. ورُوِيَ عن عمرَ أنه قيلَ له: لو أمَرتَ أنْ نصنعَ لكَ طعاماً ألينَ مِنْ هذا، فقال: إني سمعتُ الله عَيَّرَ أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾.

قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تتكبَّرون عن عبادةِ الله والإيمانِ به.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هُوداً ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ قال الخليلُ: الأحقافُ: الرِّمالُ العِظامُ، وقال ابنُ قُتيبةَ: واحدُ الأحقافِ: حِقْفٌ، وهو من الرَّمْلِ: ما أشرَفَ مِنْ كُثبانِه واستطالَ وانحنَى. وقال ابنُ جريرٍ: هو ما استطالَ مِنَ الرَّمْلِ ولم يَبلُغْ أنْ يكونَ جَبَلاً. واختلفوا في المكان الذي سُمِّيَ بهذا الاسم على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جبلٌ بالشَّام، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه وَادٍ، ذكره عَطِيَّةُ. وقال مُجاهِدٌ: هي أرضٌ. وحكى ابنُ جريرٍ أنه وَادٍ بين عُمانَ ومَهْرة. وقال ابنُ إسحاقَ: كانوا ينزِلون ما بينَ عُمانَ وحَضْرَمَوْتَ، واليمنُ كلُّه. **والثالث**: أنَّ الأحقافَ: رمالٌ مُشرِفةٌ على البحر بأرضٍ يُقال لها: الشِّحْر، قاله قَتادةُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ أي: قد مَضتِ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِ هُودٍ ومِنْ بَعدِه بإنذارِ أُمَمِها ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ والمعنى: لم يُبعَثْ رسولٌ قَبْلَ هُودٍ ولا بعدَهُ إلاَّ بالأمرِ بعبادةِ الله وحدَهُ. وهذا كلامٌ اعترَضَ بين إنذارِ هُودٍ وكلامِه لقومِه، ثم عادَ إلى كلامِ هُودٍ فقال ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ أي: لِتَصْرِفَنا عن عبادةِ آلهَتِنا بالإفْكِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هو يَعْلَمُ متى يأتيكم العذابُ. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني ما يُوعَدون في قوله: «بما تَعِدُنا» ﴿عَارِضًا﴾ أي: سحابٌ يعرِضُ مِنْ ناحيةِ السماء. قال ابنُ قُتيبةَ: العَارِضُ: السَّحابُ. قال المُفسِّرون: كان المطر قد حُبِسَ عن عادٍ، فسَاقَ الله إليهم سحابةً سوداءَ، فلمَّا رَأَوها فَرِحوا و ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فقال لهم هُودٌ: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾، ثم بَيَّنَ ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فنَشأتِ الرِّيحُ مِنْ تلك السَّحابةِ، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: تُهْلِكُ كلَّ شيءٍ مَرَّت به مِنَ الناس والدَّوابِّ والأموالِ. قال عمرُو بنُ مَيمُونٍ: لقد كانت الرِّيحُ تحتمل الظَّعينةَ فترفعها حتى تُرى كأنها جرادةٌ، ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ يعني عَاداً ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزةُ: «لا يُرى» برفع الياء «إلاَّ مسَاكِنُهم» برفعِ النون. وقرأ عليٌّ، وأبو عبدِ الرَّحمن السُّلَميُّ، والحسَنُ، وقَتادةُ، والجَحْدَرِيُّ: «لا

تُرَى» بتاءٍ مضمومةٍ. وقرأ أبو عِمرَانَ، وابنُ السَّمَيفَع: «لا تَرى» بتاءٍ مفتوحةٍ «إلاّ مسكَنهم» على التوحيد. وهذا لأنَّ السُّكّانَ هلكوا، فقيلَ: أصبحوا وقد غطَّتهم الرِّيحُ بالرَّملِ فلا يُرَوْنَ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

ثم خوَّفَ كفَّار مكَّة، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ﴾ في «إنْ» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «لَمْ» فتقديره: فيما لم نُمكِّنكم فيه، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ قُتيبةَ. وقال الفرَّاءُ: هي بمنزلة «ما» في الجحدِ، فتقدير الكلام: في الذي لم نُمكِّنكُم فيه. **والثاني**: أنها زائدةٌ؛ والمعنى: فيما مكَّنَّاكم فيه، وحكاه ابنُ قُتيبَة أيضاً.

ثم أخبرَ أنه جعلَ لهم آلاتِ الفَهم، فلم يتدبَّروا بها، ولم يتفكَّروا فيما يدلُّهم على التوحيدِ، قال المُفسِّرون: والمراد بالأفئدة: القلوب؛ وهذه الآلاتُ لم تَرُدَّ عنهم عذابَ الله.

ثم زادَ كفَّارَ مكَّةَ في التَّخويفِ، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كديَارِ عادٍ وثَمودَ وقوم لُوطٍ وغيرهم مِنَ الأُمَمِ المُهلَكةِ ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ أي: بيَّنَّاها ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعني أهلَ القُرى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن كُفرهم. وها هنا محذوفٌ، تقديره: فما رَجَعوا عن كُفرهم. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاَّ ﴿نَصَرَهُمُ﴾ أي: مَنعهم مِنْ عذاب الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾ يعني الأصنام التي تقرَّبوا بعبادَتِها إلى الله على زَعمِهم؛ وهذا استفهامُ إنكارٍ، معناه: لم ينصروهم ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أي: لم ينفعوهم عند نزولِ العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني دُعاءَهم الآلهة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ أي: كَذِبُهم، وقرأ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ وابنُ يَعمَرَ وأبو عِمرَانَ: «وذلك أَفَكَهم» بفتحِ الهمزة وقصرِها وفتح الفاء وتشديدِها ونصبِ الكاف. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وابنُ عباسٍ وأبو رَزِينٍ والشَّعْبيُّ وأبو العَاليةِ والجَحْدَريُّ: «أَفَكَهم» بفتحِ الهمزة وقصرِها ونصبِ الكافِ والفاء وتخفيفِها. قال ابنُ جَريرٍ: أي: أضلَّهم. وقال الزَّجَّاجُ: معناها: صَرفَهم عن الحقِّ فجعلَهم ضُلاَّلاً. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو المُتوكِّلِ: «آفِكُهم» بفتحِ الهمزة ومدِّها وكسر الفاء وتخفيفِها ورفعِ الكاف، أي: مُضِلُّهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وبَّخ الله عزَّ وجلَّ بهذه الآية كُفَّار قريشٍ بما آمنت به

الجنُّ. وفي سببِ صَرفِهم إلى النبيِّ ﷺ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم صُرِفوا إليه بسبب ما حَدثَ مِنْ رَجْمِهم بالشُّهب. روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث ابنِ عباسٍ قال:

[١٢٦٨] انطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ مِنْ أصحابه عامِدِينَ إلى سوقِ عُكاظٍ، وقد حِيْلَ بين الشياطين وبين خبرِ السماء، وأُرسِلتْ عليهم الشُّهُبُ، فرجعت الشياطينُ، فقالوا: ما لَكُم؟ قالوا: حِيْلَ بينَنا وبينَ خبرِ السماء وأُرسِلتْ علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما ذاكَ إلاَّ مِنْ شيءٍ حَدثَ، فاضربوا مشارقَ الأرض ومغارِبَها فانظُروا ما هذا الأمرُ، فمَرَّ النَّفرُ الذين توجَّهوا نحوَ تِهامةَ بالنبيِّ ﷺ وهو بـ «نَخْلَة» وهو يُصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجرِ، فلمَّا سمعوا القرآنَ تسمَّعوا له، فقالوا: هذا الذي حالَ بينكم وبينَ خبرِ السماء، فهنالكَ رَجعوا إلى قومِهم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾(١)، فأنزلَ الله على نبيِّهُ ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾(٢).

[١٢٦٩] وروى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجِنِّ، ولا رآهم، وإنَّما أتَوْه وهو بـ «نَخْلَة» فسَمِعوا القرآن.

والثاني: أنهم صُرِفوا إليه لِيُنذِرَهم وأُمِرَ أنْ يقرأَ عليهم القرآن هذا مذهبُ جماعةٍ، منهم قَتادةُ.

[١٢٧٠] وفي أفرادِ مُسلم مِنْ حديث عَلقَمَةَ قال: قلتُ لعبدِ اللَّه: مَنْ كان منكم مع النبيِّ ﷺ ليلةَ الجِنِّ؟ فقال: ما كان منَّا معهُ أحدٌ، فَقَدْناه ذاتَ ليلةٍ ونحن بمكَّةَ، فقلنا: اغتِيْلَ رسولُ الله ﷺ أو استُطِيرَ، فانطَلَقْنا نطلبه في الشِّعابِ، فلَقِيناهُ مُقْبلاً مِنْ نحو حِراءَ، فقلنا: يا رسولَ الله، أينَ كنتَ؟ لقد أشفَقْنا عليكَ، وقلنا له: بِتْنا الليلةَ بِشَرِّ ليلةٍ باتَ بها قومٌ حينَ فَقَدْناكَ، فقال: «إنه أتاني دَاعي الجِنِّ، فذهبتُ أُقرِئُهم القرآن»، فذهبَ بنا، فأرانا آثارَهم وآثارَ نيرانِهم.

[١٢٧١] وقال قَتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنِّي أُمِرْتُ أنْ أقرأَ على الجِنِّ، فأيُّكم يَتبعُني؟» فأطرَقوا، ثم استَتْبَعهُم فأطرَقُوا ثم استَتْبَعهُم الثالثةَ فأطرَقُوا، فأتبَعَهُ عبدُ اللَّه بنُ مسعودٍ، فدخلَ

[١٢٦٨] صحيح. أخرجه البخاري ٧٧٣ عن مسدد ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
وأخرجه البخاري ٣٣٢٠ ومسلم ٤٤٩ والترمذي ٣٣٢٠ وأحمد ١/ ٢٥٢ و ٢٧٠ وأبو يعلى ٢٣٦٩ من طرق عن أبي عوانة به. وأخرجه أحمد ١/ ٢٧٤ وأبو يعلى ٢٥٠٢ من طريق أبي إسحاق عن سعيد به.

[١٢٦٩] هو صدر الحديث المتقدم.

[١٢٧٠] صحيح. أخرجه مسلم ٤٥٠ عن محمد بن المثنى ثنا عبد الأعلى ثنا داود قال سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود.
وأخرجه أبو داود ٨٥ مختصراً والترمذي ١٨ و ٤٢٥٨ وابن أبي شيبة ١/ ١٥٥ وابن خزيمة ٨٢ وأبو عوانة ١/ ٢١٩ وابن حبان ١٤٣٢ والبيهقي ١/١٠٨ ـ ١٠٩ وفي «دلائل النبوة» ٢/ ٢٢٩ والبغوي في «شرح السنة» ١٧٨ مختصراً من طرق عن داود بن أبي هند به.

[١٢٧١] هذا الخبر هو عند الطبري منجماً ٣١٣١٥ من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً. و ٣١٣١٦ من طريق معمر عن قتادة و ٣١٣١٧ من طريق عبد الله بن عمرو بن غيلان عن ابن مسعود و ٣١٣١٨ من طريق عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي عن ابن مسعود. فهذه الروايات تتأيد بمجموعها من جهة الإسناد، لكن هي معارضة بالحديث الصحيح المتقدم.

---

(١) الجن: ١ ـ ٢. (٢) الجن: ١.

نبيُّ الله ﷺ شِعْباً يُقال له: «شِعْبُ الحَجونِ»، وخطَّ على عبدِ الله خطّاً ليُثبتَهُ به، قال: فسمعتُ لَغطاً شديداً حتى خِفتُ على نبيِّ الله ﷺ، فلمَّا رجَعَ قلتُ: يا نبيَّ الله، ما اللَّغطُ الذي سمعتُ؟ قال: «اجتمعوا إليَّ في قتيلٍ كان بينهم، فقضَيتُ بينهم بالحقِّ».

والثالث: أنهم مَرُّوا به وهو يقرأ، فسَمِعوا القرآن.

[١٢٧٢] فذكَر بعضُ المُفسِّرين أنه لمَّا يَئِسَ مِنْ أهل مكَّةَ أنْ يُجيبوه، خرج إلى الطَّائفِ لِيَدعوَهم إلى الإسلام ـ وقيلَ: ليلتَمِسَ نَصرَهُم ـ وذلك بعد موتِ أبي طالبٍ، فلمَّا كان ببطنِ نَخْلةَ قام يقرأ القرآن في صلاةِ الفجرِ، فمَرَّ به نفرٌ مِنْ أشراف جِنِّ نصَيْبِينَ، فاستمعوا القرآنَ.

فعَلى هذا القولِ والقولِ الأولِ، لم يَعلَمْ بحضورِهم حتى أخبرَهُ الله تعالى؛ وعلى القولِ الثاني: عَلِمَ بهم حين جاؤوا. وفي المكان الذي سمِعوا فيه تلاوةَ النبيِّ ﷺ قولان: **أحدهما**: الحَجونُ، وقد ذكرناه عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال قَتادَةُ. **والثاني**: بَطْنُ نَخلَةَ، وقد ذكرناهُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. وأمَّا النَّفرُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: إنَّ النَّفَرَ ما بين الثلاثة إلى العَشرةِ. وللمُفسِّرين في عددِ هؤلاءِ النَّفر ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا سبعةً، قاله ابنُ مسعودٍ وزِرُّ بنُ حُبَيشٍ ومُجاهِدٌ، ورواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تسعةٌ، رواه أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ. **والثالث**: اثني عشرَ ألفاً، رُوِيَ عن عِكرِمَةَ، ولا يصحُّ، لأنَّ النَّفر لا يُطلَق على الكثير.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: حضروا استِماعَهُ، و﴿قُضِىَ﴾ يعني: فُرِغَ مِنْ تلاوته ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أي: مُحذِّرين عذابَ الله عزَّ وجلَّ إنْ لم يُؤمِنوا. وهل أنذَروا قومَهم مِنْ قِبَلِ أنفسِهم، أم جعلَهم رسولُ الله ﷺ رُسُلاً إلى قومِهم؟ فيه قولان.

قال عطاء: كان دِينُ أولئكَ الجِنِّ اليهوديةَ، فلذلكَ قالوا: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ يعنونَ محمَّداً ﷺ. وهذا يدُلُّ على أنه أُرسِلَ إلى الجنِّ والإنسِ.

قوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ «مِنْ» ها هنا صِلةٌ.

قوله تعالى: ﴿فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي لا يُعجِزُ اللّهَ تعالى ﴿وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُ﴾ أي أنصارٌ يمنعونه مِنْ عذابِ الله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يُجيبون الرُّسلَ ﴿فِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡىَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧىَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ثم احتجَّ على إحياءِ الموتى بقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ...﴾ إلى آخرِ الآية. والرُّؤيةُ ها هنا بمعنى العِلْم. ﴿وَلَمۡ يَعۡىَ﴾ أي: لم يَعجَزْ عن ذلك؛ يُقال: عَيَّ فلانٌ بأمرِه، إذا لم يَهتَدِ له ولم يَقدِرْ عليه. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَيِيتُ بالأمرِ، إذا لم تعرِفْ وجهَهُ، وأعيَيْتُ، إذا تعبت.

[١٢٧٢] ضعيف. رواه ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٢١ ـ ٢٣ من طريق ابن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي... فذكره. وهذا مرسل، فهو ضعيف، ويزيد غير قوي.

قوله تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ قال أبو عُبيدَة والأخفَش: الباء زائدةٌ مؤكِّدةٌ. وقال الفَرَّاءُ: العربُ تُدخِل الباءَ مع الجحدِ، مثل قولِكَ: ما أظُنُّك بقائم، وهذا قولُ الكِسَائيّ، والزَّجَّاج. وقرأ يعقوبُ: «يَقْدِرُ» بياءٍ مفتوحةٍ مكانَ الباء وسكونِ القاف ورفعِ الراءَ مِنْ غير ألِفٍ. وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ أي: ذَوو الحَزْم والصَّبْرِ؛ وفيهم عشرةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: أنهم نُوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمَّدٌ ﷺ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وعطاءٌ الخُراسانيُ، وابنُ السَّائبِ. **والثاني**: نُوحٌ، وهُودٌ، وإبراهيمُ، ومحمَّدٌ ﷺ، قاله أبو العَاليةِ الرِّياحيُ. **والثالث**: أنهم الذين لم تُصِبْهم فتنةٌ مِنَ الأنبياء، قاله الحسَنُ. **والرابع**: أنهم العرب مِنَ الأنبياء، قاله مُجاهِدٌ، والشَّعْبيُ. **والخامس**: أنهم إبراهيمُ، وموسى، وداودُ، وسُليمانُ، وعيسى، ومحمَّدٌ ﷺ، قاله السُّدِّيُ. **والسادس**: أنَّ منهم إسماعيلَ، ويعقوبَ؛ وأيُوبَ، وليس منهم آدمُ، ولا يونسُ، ولا سُليمانُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والسابع**: أنهم الذين أُمِروا بالجهاد والقتال، قاله ابنُ السَّائبِ، وحُكِيَ عن السُّدِّيِّ. **والثامن**: أنَّهم جميعُ الرُّسلِ، فإنَّ الله لم يَبْعثْ رسولاً إلاَّ كان مِنْ أولي العَزم، قاله ابنُ زيدٍ، واختاره ابنُ الأنبَاري، وقال: «مِنْ» دخلتْ للتَّجنيس لا للتَّبعيض، كما تقول: قد رأيتُ الثيابَ مِنَ الخَزِّ والجِبابَ مِنَ القَزِّ. **والتاسع**: أنهم الأنبياء الثَّمانيةَ عشر المذكورون في سُورَةِ (الأنعام)، قاله الحُسينُ بنُ الفَضلِ. **العاشر**: أنهم جميعُ الأنبياء إلاَّ يونسَ، حكاه الثَّعلَبيُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ يعني العذاب، قال بعضُ المُفسِّرين: كان النبيُّ ﷺ ضَجِرَ بعضَ الضَّجَرِ، وأحبَّ أنْ ينزلَ العذاب بِمَنْ أبى مِنْ قومه، فأُمِرَ بالصَّبر.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ أي: مِنَ العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ لأنَّ ما مضى كأنه لم يكُنْ وإنْ كان طويلاً. وقيلَ: لأنَّ مقدارَ مَكْثِهم في الدُّنيا قليلٌ في جَنْبِ مَكْثِهم في عذاب الآخرة. وها هنا تَمَّ الكلامُ. ثم قال: ﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه مِنَ البيان بلاغٌ عن الله إليكم. وفي معنى وَصْفِ القرآنِ بالبلاغ قولان: **أحدهما**: أنَّ البلاغَ بمعنى التبليغ. **والثاني**: أنَّ معناه: الكِفاية، فيكون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفايةٌ وغِنىً.

وذكر ابنُ جريرٍ وجهاً آخر، وهو أنَّ المعنى: لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ ساعةً مِنْ نهارٍ، ذلك لُبْثٌ بلاغٌ، أي: ذلك بلاغٌ لهم في الدنيا إلى آجالِهم، ثُمَّ حُذِفتْ «ذلك لُبْث» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِرَ في الكلام عليها. وقرأ أبو العَاليةِ، وأبو عِمرَانَ: «بَلِّغْ» بكسرِ اللام وتشديدِها وسكونِ الغين مِنْ غير ألِفٍ.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ وأبو المُتوكِّل وابنُ مُحَيصنٍ: «يَهْلِكُ» بفتحِ الياء وكسرِ اللام، أي عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمرِ الله عزَّ وجلَّ؟!.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٠٢: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ مثبته على المضي لما قلّده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة ﷺ، وآمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا من قومهم من المكاره، ونالهم فيه من الأذى والشدائد (فاصبر) يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار (كما صبر أولو العزم) على القيام بأمر الله والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جدّاً في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم.

سورة محمد

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

صلى الله عليه وآله وسلم

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الأكثرون، منهم مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادةُ أنها مدنيَّةٌ، إلاّ آيةً منها نزلت عليه بعدَ حَجِّه حين خرجَ مِنْ مكَّةَ وجعلَ ينظُر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾[1]. **والثاني**: أنّها مكِّيَّةٌ، قاله الضَّحّاكُ، والسُّدِّيُّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بتوحيد الله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناسَ عن الإيمان به، وهم مُشركو قُريشٍ، ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلَها، ولم يجعلْ لها ثواباً، فكأنَّها لم تكُنْ، وقد كانوا يُطعِمُون الطَّعامَ، ويَصِلُونَ الأرحامَ، ويَتصدَّقون، ويفعلون ما يعتقدونَهُ قُرْبَةً. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني أصحابَ محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ. ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ: «نَزَّلَ» بفتحِ النون والزّاي وتشديدِها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ ومعاذٌ القارئُ: «أُنْزِلَ» بهمزةٍ مضمومةٍ مكسورةِ الزّاي. وقرأ أبو رَزِينٍ وأبو الجَوزاءِ وأبو عِمرانَ: «نَزَلَ» بفتح النون والزّاي وتخفيفِها، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي غفرَها لهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي حالَهم، قاله قَتادةُ، والمُبَرِّدُ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجّاجُ: معناه: الأمرُ ذلك، وجائزٌ أنْ يكونَ: ذلك الإضلالُ، لاتِّباعِهم الباطلَ، وتلك الهِدايةُ والكفّاراتُ باتِّباع المؤمنين الحقَّ، ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: كذلك يُبيِّن أمثالَ حسناتِ المؤمنين وسيِّئاتِ الكافرين كهذا البيان. قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ إغراءٌ،

(١) محمد: ١٣.

والمعنى: فاقتلوهم[(١)]، لأنَّ الأغلبَ في موضع القتل ضَربُ العُنقِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أكثرتم فيهم القتلَ ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ يعني في الأسْرِ؛ وإنما يكون الأسْرُ بعد المبالغةِ في القتلِ. و «الوثاق» اسمٌ مِنَ الإيثاقِ؛ تقول: أوثقته إيثاقاً ووَثاقاً، إذا شددتَ أسرَهُ لئلاً يُفلِتَ ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: إمَّا أنْ تمنُّوا، وإمَّا أنْ تُفادوا، ومثلُه: سَقْياً، ورَعْياً، وإنما هو سُقِيتَ ورُعِيتَ. وقال الزَّجّاجُ: إمَّا مَنَنْتم عليهم بعدَ أنْ تأسِرُوهم مَنّاً، وإمَّا أطلَقتُموهم بِفِداءٍ.

فصل: وهذه الآيةُ مُحكَمةٌ عند عامَّة العلماء. ومِمَّن ذهب إلى أنَّ حُكمَ المَنِّ والفِداءِ باقٍ لم يُنسَخ ابنُ عمرَ، ومُجاهِدٌ، والحَسنُ، وابنُ سِيرِينَ، وأحمدُ، والشَّافعيُّ. وذهب قومٌ إلى نَسْخِ المَنِّ والفِداءِ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[(٢)]، ومِمَّنْ ذهب إلى هذا ابنُ جُرَيجٍ، والسُّدِّيُّ، وأبو حنيفةَ وقد أشرنا إلى القولين في براءة.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: حتى لا يبقى أحدٌ مِنَ المشركين. وقال مُجاهِدٌ: حتى لا يكونَ دِينٌ إلاَّ دِينَ الإسلام. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: حتى يخرُجَ المسيحَ. وقال الفرَّاءُ: حتى لا يبقى إلاَّ مُسلِمٌ أو مُسالِمٌ. وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: حتى يضعَ أهلُ الحرب سلاحَهم؛ قال الأعشى:

وَأَعْـــدَدْتُ لِـــلْـــحَـــرْبِ أَوْزَارَهَـــا: رِمَـــاحـــاً طِـــوَالاً وَخَـــيْـــلاً ذُكُـــورَا

وأصلُ «الوِزْرِ» ما حَملتَهُ، فسُمِّيَ السلاحُ «أوزاراً» لأنه يُحمَلُ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ.

والثاني: حتى تضعَ حربُكم وقتالُكم أوزارَ المشركين وقبائحَ أعمالِهم بأنْ يُسلِموا ولا يعبُدوا إلاَّ الله، ذكره الوَاحِديُّ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذَكَرنا ﴿وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ بإهلاكِهم أو تعذيبِهم بما شاءَ ﴿وَلَٰكِن﴾ أمَرَكُم بالحربِ ﴿لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ فيُثيبَ المؤمنَ ويُكرمه بالشهادةِ، ويُخزي الكافرَ بالقتلِ والعذابِ. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ: «قُتِلُوا» بضمِّ القاف وكسرِ التاء؛ والباقون: «قاتَلُوا» بألِفٍ. قوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها:**

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٣١: اعلموا وفقكم الله أن هذه الآية من أمهات الآيات ومحكماتها، أمر الله سبحانه فيها بالقتال، وبين كيفيته كما في قوله تعالى: **﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾** فإذا تمكّن المسلم من عنق الكافر أجهز عليه، وإذا تمكن من ضرب يده التي يدفع بها عن نفسه ويتناول قتال غيره فعل ذلك به، فإن لم يتمكن إلا ضرب فرسه التي يتوصل بها إلى مراده فيصير حينئذ راجلاً مثله أو دونه، والمآل إعلاء كلمة الله تعالى، وذلك لأن الله سبحانه لما أمر بالقتال أولاً، وعلم أن ستبلغ إلى الإثخان والغلبة بيّن سبحانه حكم الغلبة بشدّ الوثاق، فيتخير حينئذ المسلمون بين المن والفداء وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: إنما لهم القتل والاسترقاق، وهذه الآية عنده منسوخة. والصحيح إحكامها، فإن شروط النسخ معدومة فيها من المعارضة، وتحصيل المتقدم من المتأخر. وقد عضدت السنة ذلك كله، فروى مسلم أن النبي ﷺ أخذ من سلمة بن الأكوع جارية ففدى بها ناساً من المسلمين، وقد هبط على النبي ﷺ من أهل مكة قوم، فأخذهم النبي ﷺ ومَنَّ عليهم. وقال الحسن وعطاء: المعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، فإذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، وليس للإمام أن يقتل الأسير.

(٢) التوبة: ٥.

يهديهم إلى أرشَدِ الأمور، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُحقّق لهم الهِداية، قاله الحَسنُ. **والثالث**: إلى مُحاجَّةِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ. **والرابع**: إلى طريق الجنَّةِ، حكاهما المَاوَرديُّ. وفي قوله: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: عَرَّفهم منازِلَهُم فيها فلا يستدِلُّون عليها ولا يُخطِئونَها، هذا قولُ الجمهور، منهم مُجاهِدٌ وقَتادَةُ واختاره الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ. **والثاني**: طَيَّبها لهم، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهو قولُ أصحابِ اللغة، يُقال: طعامٌ مُعرَّفٌ، أي مُطَيَّب. وقرأ أبو مِجلَزٍ وأبو رَجاءٍ وابنُ مُحيصِنٍ: «عَرَفَها لهم» بتخفيفِ الراء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تنصروا دِينَهُ ورسولَه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوِّكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ عند القتال. وروى المُفَضَّلُ عن عاصِم: «ويُثْبِتْ» بالتخفيف. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: فأتعَسَهم اللَّهُ، والدُّعاءُ قد يجري مَجرى الأمرِ والنَّهي. قال ابنُ قُتَيبةَ: هو مِنْ قولِكَ: تَعَسْتُ، أي: عَثَرْتُ وسَقَطْتُ. وقال الزَّجّاجُ: التَّعْسُ في اللغة: الانحِطاطُ والعُثُور. وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكَهُم الله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: أمثالُ تلك العاقبة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله بالمؤمنين من النصر، وبالكافرين من الدَّمار ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وليُّهم. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أي: إنَّ الأنعامَ تأكُل وتَشرب، ولا تَدري ما في غدٍ، فكذلك الكفَّارُ لا يلتَفِتون إلى الآخرة. و «المَثْوَى»: المَنزِل. ﴿وَكَأَيِّن﴾ مَشروحٌ في آل عِمران[2]. والمراد بقريته: مكَّةُ؛ وأضاف القوةَ والإخراجَ إليها، والمراد أهلُها ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾. قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه رسولُ الله ﷺ؛ قاله أبو العَالِيةِ. **والثاني**: أنه المؤمن، قاله الحَسنُ. وفي «البيِّنة» قولان: **أحدهما**: القرآن، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: الدِّينُ، قاله ابنُ السَّائبِ. ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ يعني عبادةَ الأوثان، وهو الكافرُ ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ بعبادَتِها.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

---

(١) الكهف: ١٠٥، يوسف: ١٠٩.

(٢) آل عمران: ١٤٦.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: صِفَتُها، وقد شرحناه في الرَّعد[1]. و «المتَّقون» عند المُفسِّرين: الذين يتَّقون الشِّرْكَ. و «الآسِن» المتغيِّرُ الرِّيح، قاله أبو عُبيدَة، والزَّجّاجُ. وقال ابنُ قُتيبة: هو المُتغيِّر الرِّيح والطَّعم، و «الآجِن» نحوه. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «غير أسِنٍ» بغيرِ مدٍّ. وقد شرحنا قولَه: ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ في الصَّافّات[2]: قوله تعالى: ﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي: مِنْ عسل ليس فيه عَكَرٌ ولا كَدَرٌ كعسلِ أهلِ الدنيا. قوله تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ قال الفَرَّاءُ: أراد: مَنْ كان في هذا النَّعيم، كمَنْ هو خالدٌ في النَّارِ؟! قوله تعالى: ﴿مَآءً حَمِيمًا﴾ أي: حارّاً شديدَ الحرارةِ. و «الأمعاء» جميعُ ما في البَطنِ من الحَوايا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين. وفيما يستمعون قولان: **أحدهما**: أنه سَماعُ خُطبةِ رسولِ ﷺ يومَ الجُمعةِ. **والثاني**: سَماعُ قولِه على عمومِ الأوقاتِ. فأمَّا الذين ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، فالمراد بهم: علماءُ الصحابةِ.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ قال الزَّجّاج: أي: ماذا قال السَّاعةَ، وهو مِنْ قولكَ: استأنفتُ الشيءَ: إذا ابتدأتَه، ورَوضَة أُنُفٌ: لم تُرْعَ، أي: لها أوَّلٌ يُرْعَى؛ فالمعنى: ماذا قال في أوَّلِ وقتٍ يقْرُبُ مِنَّا. وحُدِّثْنا عن أبي عمرَ غلام ثَعْلَبٍ أنه قال: «آنِفاً» مُذ ساعةٍ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، في بعضِ الرِّوايات عنه: «أنِفاً» بالقَصرِ، وهذه قراءةُ عِكرِمَةَ، وحُمَيدٍ، وابنِ مُحَيصِنٍ. قال أبو عليٍّ: يجوز أنْ يكونَ ابنُ كَثيرٍ توهَّم، مثلَ حاذِرٍ وحَذِرٍ، وفاكِه وفَكِه. وفي استِفهامِهم قولان: **أحدهما**: لأنهم لم يَعْقِلوا ما يقول، ويدُلُّ عليه باقي الآية. **والثاني**: أنهم قالوه استِهزاءً.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المسلمون، قاله الجمهور. **والثاني**: قومٌ مِنْ أهلِ الكتاب كانوا على الإِيمان بأنبيائِهم وبمحمَّدٍ ﷺ، فلمَّا بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ آمنوا به، قاله عِكرِمَةُ. وفي الذي زَادَهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ. **والثاني**: قولُ الرَّسولِ. **والثالث**: استهزاءُ المنافقين زادَ المؤمنين هُدىً، ذكرهُنَّ الزَّجَّاجُ. وفي معنى الهُدى قولان: **أحدهما**: أنه العِلْمُ. **والثاني**: البصيرة. وفي قوله: ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثوابُ تقواهُم في الآخرة، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: اتِّقاءَ المَنسُوخِ والعملِ بالنَّاسخِ، قاله عَطيَّةُ. **والثالث**: أعطاهم التقوى مع الهُدى، فاتَّقوا معصيتَهُ خوفاً مِنْ عقوبتِهِ، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. و ﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى ينتظِرون، ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الأشهَبِ، وحُمَيدٌ: «إنْ تأتِهم» بكسرِ الهمزة مِنْ غير ياءٍ بعد التاء. والأشراطُ: العلامات؛ قال أبو عُبيدَةَ: الأشراطُ: الأعلامُ، وإنما سُمِّيَ الشُّرَطُ ـ فيما ترى ـ لأنهم أعلَموا أنفسَهُم. قال المُفسِّرون: ظُهور النبيِّ ﷺ مِنْ أشراطِ الساعة، وانشقاقُ القمرِ والدُّخانُ وغيرُ ذلك. ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾

---

(١) الرعد: ٣٥.
(٢) الصافات: ٤٦.

أي: فمِنْ أينَ لهم ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَاهُمْ﴾؟! قال قتادةُ: أنَّى لهم أنْ يَذَّكَّروا ويتوبوا إذا جاءَتْ؟!

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال بعضُهم: اثبُتْ على عِلْمِكَ، وقال قومٌ: المراد بهذا الخطابِ غيرُه؛ وقد شرحنا هذا في فاتحةِ الأحزاب. وقيلَ: إنه كان يَضيقُ صدرُه بما يقولون، فقيلَ له: اعلَمْ أنه لا كاشفَ لِمَا بِكَ إلاَّ الله.

فأمَّا قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ فإنه كان يستغفر في اليوم مائةَ مرَّةٍ، وأُمِرَ أنْ يستغفرَ للمؤمنين والمؤمناتِ إكراماً لهم لأنه شفيعٌ مُجابٌ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُتقلَّبكم في الدنيا ومَثْواكُم في الآخرة، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: مُتقلَّبكم في أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، ومقامَكُم في القبور، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: «مُتقلَّبكم» بالنهار و «مثواكم» أي: مَأْوَاكُم بالليل، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ قال المُفسِّرون: سألوا ربَّهم أنْ يُنزلَ سُورةً فيها ثوابُ القتال في سبيل الله، اشتياقاً منهم إلى الوحي وحِرصاً على الجهاد، فقالوا: «لولا» أي: هَلاَّ؛ وكان أبو مالكٍ الأشجعيُّ يقول: «لا» ها هنا صِلةٌ، فالمعنى: لو أُنزِلتْ سُورَةٌ، شَوقاً منهم إلى الزيادة في العِلْم، ورغبةً في الثَّواب والأجرِ بالاستِكثارِ مِنَ الفرائضِ. وفي معنى «محكمة» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها التي يُذكَرُ فيها القتال، قاله قَتادةُ. **والثاني**: أنها التي يُذْكَرُ فيها الحلالُ والحرامُ. **والثالث**: التي لا مَنسُوخَ فيها، حكاهما أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. ومعنى قوله: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ فيها الجهاد. وفي المُراد بالمَرضِ قولان: **أحدهما**: النِّفاقُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والجمهور. **والثاني**: الشَّكُّ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يَشخَصون نحوكَ بأبصارِهم ينظرون نَظراً شديداً كما يَنظر الشاخِصُ ببصرِه عند الموت، لأنهم يكرهون القتالَ، ويخافون إنْ قَعدوا أنْ يتبيَّن نِفاقُهم.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الأصمعيُّ: معنى قولِهم في التَّهديدِ: «أَوْلَى لَكَ» أي: وَلِيَكَ وقارَبَكَ ما تَكْرَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: هذا وَعيدٌ وتهديدٌ، تقولُ للرجُل ـ إذا أردتَ به سُوءاً، فَفَاتَكَ ـ أَوْلَى لكَ، ثم ابتدأ، فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ . . .﴾. وقال سِيبَويه والخَليلُ: المعنى: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثَلُ. وقال الفَرَّاءُ: الطاعةُ معروفةٌ في كلام العرب، إذا قيلَ لهم: افعَلُوا كذلك، قالوا: سَمعٌ وطاعةٌ، فوَصَفَ اللَّهُ قولَهم قبلَ أنْ تنزلَ السُّورةُ أنهم يقولون: سمعٌ وطاعةٌ، فإذا نزلَ الأمرُ كرهوا. وأخبرني حبَّانُ عن الكَلْبي عن أبي صالح عن ابنِ عباسٍ قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ﴾، ثم قال: ﴿لَهُمْ﴾ أي: للذين آمنوا منهم (طاعةٌ)، فصارَتْ «أَوْلَى» وَعيداً لِمَن كَرِهَها، واستأنفَ الطاعةَ بـ «لهم»؛ والأول عندنا كلامُ

العرب، وهذا غيرُ مَردودٍ، يعني حديثَ أبي صالح. وذَكَرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ الكلامَ مُتَّصلٌ بما قبله؛ والمعنى: فأَوْلَى لهم أنْ يُطيعوا وأنْ يقولوا معروفاً بالإجابة. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ قال الحسَنُ: جَدَّ الأمْرُ. وقال غيره: جَدَّ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في الجهاد، ولَزِمَ فرضُ القتال، وصار الأمرُ معروفاً عليه. وجوابُ «إذا» محذوفٌ، تقديره: فإذا عَزَمَ الأمرُ نَكَلُوا؛ يدُلُّ على المحذوفِ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: في إيمانِهم وجهادِهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مِنَ المعصية والكراهة.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ في المُخاطَب بهذا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المنافقون، وهو الظَّاهرُ. **والثاني**: مُنافِقو اليهودِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الخَوارِجُ، قاله بكرُ بنُ عبدِ الله المُزَنيُّ. **والرابع**: قُريشٌ، حكاه جماعةٌ منهم المَاوَرديُّ. وفي قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قولان[1]: **أحدهما**: أنه بمعنى الإعْراضِ. فالمعنى: إنْ أعرَضْتُم عن الإسلام ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأنْ تعودوا إلى الجاهليَّةِ يقتلُ بعضُكم بعضاً، ويُغيرُ بعضُكم على بعضٍ، ذكَرَهُ جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. **والثاني**: أنه مِنَ الوِلايةِ لأُمورِ الناس، قاله القُرَظيُّ. فعلَى هذا يكون معنى «أنْ تُفسِدوا في الأرض»: بالجَوْرِ والظُّلم. وقرأ يعقوبُ: «وتَقْطَعوا» بفتح التاء والطاء وتخفيفِها وسكونِ القاف، ثم ذَمَّ مَنْ يريد ذلك بالآية التي بعْدَ هذه. وما بعدَ هذا قد سبقَ[2] إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ «أمْ» بمعنى «بَلْ»، وذِكْرُ الأقفالِ استعارةٌ، والمراد أنَّ القَلْبَ يكون كالبيت المُقفَلِ لا يَصِلُ إليه الهُدى. قال مُجاهِدٌ: الرَّانُ أيسَرُ مِنَ الطَّبْع، والطَّبعُ أيسَرُ مِنَ الإقفالِ، والإقفَالُ أشَدُّ ذلك كُلِّه. وقال خالدُ بنُ مَعْدَانَ: ما مِنْ آدميٍّ إلاَّ وله أربعُ أعيُنٍ، عَيْنانِ في رأسِه لِدُنياه وما يُصْلِحه مِنْ معيشته، وعَيْنانِ في قَلْبه لِدِينِه وما وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الغَيْبِ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أبصَرَتْ عيناه اللتانِ في قلبه، وإذا أرادَ به غيرَ ذلك طَمَس عليهما، فذلك قوله: «أمْ على قلوب أقفالُها».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ أي: رَجَعوا كُفَّاراً؛ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المنافقون، قاله ابنُ عباسٍ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنهم اليهودُ، قاله قَتادةُ، ومُقاتِلٌ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ أي: مِنْ بَعْدِ ما وَضَحَ لهم الحقُّ. ومَنْ قال: هم اليهودُ، قال: مِنْ بَعْدَ أنْ تبيَّن لهم

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٢١١: وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قل أمر تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام.

(٢) النساء: ٨٢.

وَصفُ رسولِ الله ﷺ ونعتُه في كتابهم. و ﴿سَوَّلَ﴾ بمعنى زَيَّنَ. ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وزيدٌ عن يعقوبَ: «وأُمْلِي لَهم» بضمِّ الهمزة وكسرِ اللام وبعدها ياءٌ مفتوحةٌ. وقرأ يعقوبُ إلاَّ زيداً، وأبانُ عن عاصِمٍ كذلك، إلاَّ أنهما أسكَنَا الياءَ. وقرأ الباقون بفتحِ الهمزة واللام. وقد سبقَ معنى الإِملاءِ(١).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال الزَّجاجُ: المعنى: الأَمْرُ ذلك، أي: ذلكَ الإِضلالُ بقولِهم ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وفي الكارِهِينَ قولان: **أحدهما**: أنهم المنافقون، فعَلَى هذا في معنى قوله: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: في القُعودِ عن نُصْرَةِ محمَّدٍ ﷺ، قاله السُّدِّيُّ. والثاني: في المَيْلِ إليكم والمُظاهرةِ على محمَّدٍ ﷺ والثالث: في الارتِدادِ بعد الإِيمان، حكاهما الماوَرديُّ. **والثاني**: أنهم اليهود، فعَلَى هذا في الذي أطاعُوهم فيه قولان: أحدهما: في أنْ لا يُصدِّقوا شيئاً مِنْ مَقالةِ رسولِ الله ﷺ، قاله الضَّحّاكُ. والثاني: في كَتْمِ ما عَلِموه مِنْ نُبوَّتِه، قاله ابنُ جُرَيجٍ. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، والوليدُ عن يعقوبَ: بكسرِ الألف على أنه مصدرُ أَسْرَرْتُ: وقرأ الباقون: بفتحِها على أنه جمعُ سِرٍّ، والمعنى أنه يَعْلَمُ ما بينَ اليهودِ والمنافقين مِنَ السِّرِّ.

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾؟ أي: فكيف يكون حالُهم حِينئذٍ؟ وقد بيَّنَّا في الأنفال(٢) معنى قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: كَرِهوا ما فيه الرِّضوانُ، وهو الإِيمانُ والطَّاعةُ.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: نِفاقٌ ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: أي لن يُبْدِيَ الله عداوتَهم وبُغْضَهم لمحمَّدٍ ﷺ. وقال الزَّجَّاجُ: أي: لن يُبْدِيَ عداوتَهم لرسولِه ﷺ ويُظهِرَهُ على نِفاقِهم. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ أي: لَعَرَّفْناكَهم، تقول: قد أَرَيْتُكَ هذا الأمرَ، أي: قد عرَّفْتُكَ إيَّاهُ، المعنى: لو نشاءُ لجَعَلْنا على المنافقين علامةً، وهي السِّيماءُ ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بتلك العلامة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: في فَحْوَى القَوْلِ، فدَلَّ بهذا على أنَّ قولَ القائلِ وفِعلَهُ يدلُّ على نِيَّتِه. وقولُ الناس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويله: قد أَخَذَ في ناحيةٍ عن الصَّواب، وعَدَلَ عن الصَّواب إليها. وقولُ الشاعر:

مَنْطِقٌ صائِبٌ وتَلْحَنُ أحيا ... ناً، وخَيْرُ الحديثِ ما كانَ لَحْنا(٣)

---

(١) آل عمران: ١٧٨، والأعراف: ١٨٣. (٢) الأنفال: ٥٠.

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزازي وهو في «اللسان» ـ لحن ـ قال في «اللسان»: ومعنى صائب: قاصد =

تأويله: خيرُ الحديث مِنْ مِثْلِ هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أحدٍ، إنَّما يُعْرَفُ قولُها في أنحاءِ قولِها. قال المُفسِّرون: ولَتَعْرِفَنَّهم في فَحْوَى الكلام ومعناه ومقْصَدِه، فإنهم يتعرَّضون بتَهجِينِ أمرِكَ والاستهزاءِ بالمسلمين. قال ابنُ جَرير: ثم عرَّفَهُ الله إيَّاهُم.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: ولَنُعامِلَنَّكم معامَلَةَ المُخْتَبِر بأنْ نأمُرَكُم بالجهاد ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ العِلْمَ الذي هو عِلْمُ وجودٍ، وبه يقع الجَزاءُ؛ وقد شرحنا هذا في العَنكَبوت[١].

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ أي: نُظْهِرها ونَكْشِفها بإباءِ مَنْ يأبى القتالَ ولا يَصْبِرُ على الجهاد. وقرأ أبو بكر عن عاصِم: «ولَيَبْلُوَنَّكم» بالياء «حتى يَعْلَمَ» بالياء «وَيَبْلُوَ» بالياء فيهنَّ. وقرأ معاذُ القارئُ، وأيُّوبُ السَّخْتِيانيُّ: «أخيارَكم» بالياء جمع «خير».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية، اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها في المُطْعِمِينَ يومَ بدرٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها نزلت في الحارثِ بنِ سُوَيْدٍ، ووحوح الأنصاري، أسلَمَا ثم ارتَدَّا، فتابَ الحارثُ ورَجعَ إلى رسولِ الله ﷺ، وأَبَى صاحبُه أنْ يَرْجِعَ حتى ماتَ، قاله السُّدِّيُّ[٢]. **والثالث**: أنها في اليهود، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنها في قُرَيظَةَ والنَّضِيرِ، ذكره الوَاحِديُّ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ اختلفوا في مُبْطِلِها على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: المعاصي والكبائر، قاله الحَسنُ. **والثاني**: الشَّكُّ والنِّفاقُ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: الرِّياءُ والسُّمعَةُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: بالمنِّ.

[١٢٧٣] وذلك أنَّ قوماً مِنَ الأعراب قدِموا على رسولِ الله ﷺ فقالوا: أتيناكَ طائعين، فلنا عليكَ حقٌّ، فنزلت هذه الآية، ونزلَ قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾[٣]، هذا قولُ مُقاتِلٍ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا يدُلُّ على أنَّ كُلَّ مَنْ دخل في قُرْبةٍ لم يَجُزْ له الخُروجُ منها قبلَ إتمامِها، وهذا على ظاهرِه في الحَجِّ، فأمَّا في الصَّلاةِ والصيامِ، فهو على سبيل الاستِحبابِ[٤].

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ

[١٢٧٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم بالكذب.

= الصواب وإن لم يصب، وتلحن أحياناً أي تصيب وتفطن قال: فصار تفسير اللحن في البيت على ثلاثة أوجه: الفطنة والفهم، والتعرض، والخطأ في الإعراب.

(١) العنكبوت: ٣.
(٢) عزاه المصنف للسدي، وهذا مرسل، فهو واهٍ.
(٣) الحجرات: ١٧.
(٤) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٣٣: اختلف العلماء فيمن افتتح نافلة من صوم أو صلاة، ثم أراد تركها، قال الشافعي: له ذلك. وقال مالك وأبو حنيفة: ليس له ذلك لأنه إبطال لعمله الذي انعقد له، وقال الشافعي هو تطوّع فإلزامه إياه يخرجه عن الطواعية. قلنا: إنما يكون ذلك قبل الشروع في الفعل، فإذا شرع لزمه كالشروع في المعاملات. ولا تكون عبادة ببعض ركعة ولا ببعض يوم في صوم، فإذا قطع في بعض الركعة أو في بعض اليوم إن قال: إنه يعتد به فقد ناقض الإجماع، وإن قال: إنه ليس بشيء فقد نقض الإلزام. وذلك مستقصى في مسائل الخلاف.

وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي: فلا تَضعُفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصمٍ: «إلى السَّلْم» بفتح السين؛ وقرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسرِ السين، والمعنى: لا تدعُوا الكفَّارَ إلى الصُّلح ابتداءً. وفي هذا دلالةٌ على أنه لا يجوز طلبُ الصُّلحِ مِنَ المشركين، ودلالةٌ على أنَّ النبيَّ ﷺ لم يدخل مكَّةَ صُلحاً، لأنه نَهاهُ عن الصُّلحِ. قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: أنتم أعزُّ منهم، والحُجَّةُ لكم، وآخِرُ الأمرِ لكم وإنْ غَلَبوكُم في بعضِ الأوقاتِ ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعَوْن والنُّصرةِ ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي لن يَنقُصَكم ولن يَظلِمَكم، يُقال: وتَرَتني حَقِّي، أي: بَخَسْتَنيه. قال المُفسِّرون: المعنى: لن يَنقُصَكم من ثواب أعمالكم شيئاً. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: لن يَسألَكُموها كُلَّها.

قوله تعالى: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: يُجْهِدكم. وقال ابنُ قُتيبة: يُلِحُّ عليكم بما يُوجِبه في أموالِكم ﴿تَبْخَلُوا﴾، يُقال: أَحْفاني بالمسألةِ وألْحَفَ: إذا ألَحَّ. وقال السُّدِّيُّ: إنْ يسألْكم جميعَ ما في أيديكم تَبخلوا. ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ يَعمُر: «ويُخرَج» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح الراء «أضغانُكم» بالرفع. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو رَزِينٍ، وعِكرمَةُ، وابنُ السَّمَيفع، وابنُ مُحَيصِنٍ، والجَحْدَريُّ: «وتَخرُج» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ الراءِ «أضغانُكم» بالرفع. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والوليدُ عن يعقوبَ: «ونُخرِج» بنونٍ مرفوعةٍ وكسرِ الراءِ «أضغانَكم» بنَصبِ النون، أي: يُظهِرْ بُغضَكم وعَداوتَكم للهِ ولِرَسولِه ﷺ؛ ولكنه فَرَضَ عليكم يسيراً. وفيمَنْ يضاف إليه هذا الإخراجُ وجهان: **أحدهما**: إلى الله عزَّ وجلَّ. **والثاني**: البُخل، حكاهما الفرَّاءُ. وقد زعم قومٌ أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآية الزَّكاةِ، وليس بصحيحٍ لأنَّا قد بيَّنَّا أنَّ معنى الآية: إنْ يسألْكم جميعَ أموالِكم، والزَّكاةُ لا تُنافي ذلك.

قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني ما فَرَضَ عليكم في أموالِكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بما فُرِضَ عليه مِنَ الزَّكاة ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: على نفسه بما ينفعُها في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنكم وعن أموالِكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه وإلى ما عنده مِنَ الخيرِ والرَّحمةِ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أطوَعَ له منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ بل خيراً منكم. وفي هؤلاءِ القوم ثمانيةُ أقوالٍ:

أحدها: أنهم العَجَمُ، قاله الحسَنُ، وفيه حديثٌ يَرويه أبو هُريرَةَ قال:

[١٢٧٤] لمَّا نزلت: «وإن تتولَّوا يَستَبدِلْ قَوماً غيرَكم» كان سَلمانُ إلى جَنْبِ رسولِ الله ﷺ،

[١٢٧٤] عجزه صحيح، وتأويل الآية بأهل فارس لا يصح، فهو حديث ضعيف، فيه مسلم بن خالد الزنجي ضعيف أخرجه البغوي في «شرح السنة» ٣٨٩٥. وأخرجه الطبري ٣١٤٤٣ وابن حبان ٧١٢٣ وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١/ ٣ من طرق عن ابن وهب ثنا مسلم بن خالد به. وأخرجه الطبري ٣١٤٤٢ و ٣١٤٤ وأبو نعيم ١/ ٢ و ٣ من طرق عن مسلم بن خالد به. وأخرجه الترمذي ٣٢٦١ وأبو نعيم ١/ ٣ والواحدي ٤/ ١٣١ من =

فقالوا: يا رسولَ الله، مَنْ هؤلاءِ الذين إذا تولَّينا استُبْدِلوا بنا؟ فضربَ رسولُ الله ﷺ يدَه على مَنْكِبِ سَلمانَ، فقال: «هذا وقومُه، والذي نَفْسِي بيدِهِ! لو أنَّ الدِّينُ مُعلَّقٌ بالثُّريَّا لَتَناولَهُ رِجالٌ مِنْ فارِسَ».

والثاني: فارسُ والرُّومُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: مَنْ يشاء مِنْ جميع الناس، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: يأتي بخَلْقٍ جديدٍ غيرِكم. وهو معنى قولِ قَتادَةَ. **والخامس**: كِنْدَةُ والنَّخَعُ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والسادس**: أهلُ اليَمنِ، قاله رَاشِدُ بنُ سعدٍ، وعبدُ الرَّحمنِ بن جُبَيرٍ، وشُرَيحُ بنُ عُبيدٍ. **والسابع**: الأنصار، قاله مُقاتِلٌ. **والثامن**: أنهم الملائكةُ، حكاه الزَّجَّاجُ وقال: فيه بُعْدٌ لأنه لا يُقال للملائكة «قَوْمٌ»؛ إنَّما يُقال ذلك للآدَميِّين، قال: وقد قيلَ: إنْ تولَّى أهلُ مكَّةَ استَبْدَلَ اللَّهُ بهم أهلَ المدينةِ، وهذا معنى ما ذكَرْنا عن مُقاتِلٍ.

= طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن جعفر بن نجيع عن العلاء به وعبد الله بن جعفر، ضعيف متروك. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٣٤ من طريق أبي الربيع سليمان بن داود الزهراني عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء به، والظاهر أنه منقطع بين إسماعيل وسليمان بدليل الواسطة بينهما. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٠ من طريق عبد الرزاق عن شيخ من أهل المدينة عن العلاء به. قال الترمذي: هذا حديث غريب في إسناده مقال. قلت: هو ضعيف فيه من لم يسم، ولعل المراد إبراهيم المدني الآتي ذكره. وأخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ١/ ٣ ـ ٤ من طريق عبد الله بن جعفر ومن طريق إبراهيم بن محمد المدني كلاهما عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. وعبد الله بن جعفر ضعيف، والمدني أظنه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ذاك المتروك المتهم. وعجزه دون ذكر الآية. أخرجه مسلم ٢٥٤٦ح ٢٣٠ وأحمد ٢/ ٣٠٩ وأبو نعيم ١/ ٤ من طريق يزيد بن الأصم عن أبي هريرة. ويشهد لعجزه حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري ٤٧٩٨ ومسلم ٢٥٤٦ح ٢٣١ والنسائي في «فضائل الصحابة» ١٧٣ وأحمد ٢/ ٤١٧ وابن حبان ٧٣٠٨ من طرق عن عبد العزيز الداروردي به. ورواية البخاري لعبد العزيز إنما هي متابعة، فقد تابعه سليمان بن بلال، وأخرجه البخاري ٤٨٩٧ والترمذي ٣٣١٠ و ٣٩٣٣ من طريق ثور بن يزيد به. وأخرجه الترمذي ٣٢٦١ وابن حبان ٧١٢٣ والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٣٣٤ من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به. ولفظ البخاري في الرواية ٤٨٩٨ «لناله رجال من هؤلاء». ولفظ البخاري في الرواية ٤٨٩٧ «عن أبي هريرة رضي عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا﴾ بهم قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ـ أو رجل ـ من هؤلاء». وانظر «فتح القدير» ٢٢٨١ بتخريجنا.

سورة الفتح

ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

وهي مدنيّةٌ كُلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية.

[١٢٧٥] سببُ نُزولِها أنه لمّا نزلَ قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾(١)، قال اليهود: كيف نتّبعُ رجُلاً لا يَدري ما يُفعَلُ به؟! فاشتَدَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ فنزلت هذه الآية، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. وفي المُراد بالفَتحِ أربعةُ أقوال(٢):

أحدها: أنه كان يومَ الحُدَيبيةِ، قاله الأكثرون. قال البَراءُ بنُ عازِبٍ: نحن نَعُدُّ الفتحَ بَيْعةَ الرِّضوانَ. وقال الشَّعْبيُّ: هو فتحُ الحُدَيبيَةِ، غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأخر، وأُطعِموا نَخلَ خَيْبَر، وبلغ الهَدْيُ مَحِلَّهُ، وظَهرت الرُّومُ على فارسَ، ففرحَ المؤمنون بظهورِ أهلِ الكتاب على المَجُوسِ. قال الزُّهريُّ: لم يكن فتحٌ أعظمَ مِنْ صُلح الحُدَيبيَةِ، وذلك أنَّ المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامَهُم فتمكّن الإسلامُ في قلوبهم، وأسلَمَ في ثلاثِ سنين خَلْقٌ كثيرٌ وكَثُر بهم سوادُ الإسلام، قال مُجاهِدٌ: يعني بالفتح ما قضى الله له مِنْ نَحرِ الهَدْيِ بالحُدَيبيَةِ وحَلْقِ رأسه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ أي: قَضَينا لكَ قضاءً عظيماً، ويُقال للقاضي: الفتّاح. قال الفَرّاءُ: والفَتْحُ قد يكون صُلْحاً، ويكون أَخْذَ الشيء عَنْوَةً، ويكون بالقتال. وقال غيرُه: معنى الفَتْح في اللغة: فتحُ المُنغَلِقِ، والصُّلْحُ الذي جُعِلَ مع المشركين بالحُدَيبيَةِ كان مَسدُوداً متعذِّراً حتى فَتَحَهُ الله تعالى.

[١٢٧٥] ذكره الواحدي ٧٤٨ في «أسباب النزول» قاله عطاء عن ابن عباس بدون إسناد، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، والمتن باطل، فإن الآية المذكورة في الخبر مكية، عند الجمهور وسورة الفتح مدنية.

---

(١) الأحقاف: ٩.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢١٥: فقوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ أي: بيناً ظاهراً والمراد به صلح الحديبية، فإنه حصل بسببه حيز جزيل، وأمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلّم المؤمن مع الكافر، وانتشر العلم النافع والإيمان. وهذا اختيار الطبري والشوكاني وغيرهما من المفسرين.

الإشارة إلى قصّة الحُدَيبيَة

[١٢٧٦] رَوتْ عائشةُ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى في النَّوم كأنَّ قائلاً يقول له: لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ الله آمِنِينَ، فأصبحَ فحدَّثَ النَّاسَ برُؤياه، وأمرَهُم بالخروج للعُمْرةِ؛ فذكر أهلُ العِلْم بالسِّيَرِ أنَّه خرجَ واستَنْفر أصحابَه للعُمرَةِ، وذلك في سنةِ ستٍ، ولم يخرج بسلاحٍ إلاَّ السيوفِ في القُرُبِ(١).

[١٢٧٧] وساقَ هو وأصحابُه البُدْنَ، فصلَّى الظُّهرَ بـ «ذي الحُلَيْفَة»، ثم دَعا بالبُدْنِ فجُلِّلَتْ، ثم أشعَرَها وقلَّدَها، وفعلَ ذلك أصحابُه، وأحرَمَ ولَبَّى، فبلغَ المشركينَ خروجُه، فأجمعَ رأيُهم على صدِّهِ عن المسجدِ الحرام، وخرجوا حتى عَسكَروا بـ «بَلْدَح»، وقدَّموا مائتي فارسٍ إلى كُرَاعِ الغَمِيم(٢)، وسارَ رسولُ الله ﷺ حتى دَنا مِنَ الحُدَيبيَةِ؛ قال الزَّجَّاجُ: وهي بِئرٌ، فسُمِّي المكانُ باسم البِئرِ؛ قالوا: وبينها وبين مكَّة تسعةُ أميالٍ، فوقفت يَدَا رَاحلَتِه، فقال المسلمون: حَلْ حَلْ(٣)، يزجرونَها، فأَبَتْ، فقالوا: خَلأَتِ القَصْواءُ ـ والخِلاءُ في النَّاقة مثل الحِرَانِ في الفَرَسِ ـ فقال: «ما خَلأَتْ، ولكن حَبَسها حابِسُ الفِيلِ، أَمَا واللهِ لا يسألوني خُطَّةً فيها تعظيمُ حُرْمةِ اللهِ إلاَّ أعطَيتُهم إيَّاها»، ثم جَرَّها فقامَتْ، فولَّى راجعاً عَوْدَهُ على بَدْئِه حتى نَزَلَ على ثَمَدٍ(٤) مِنْ أثمادِ الحُدَيبيَةِ قليلِ الماء، فانتزَعَ سَهماً مِنْ كِنانَتِه فغرزَهُ فيها، فجاشَتْ لهم بالرِّواءِ، وجاءه بُدَيْلُ بنُ وَرقاءَ في رَكبٍ فسلَّموا وقالوا: جئناكَ مِنْ عند قومكَ وقد استنفروا لكَ الأحابيشَ ومَنْ أطاعَهم، يُقسِمون، لا يُخَلُّون بينكَ وبينَ البيت حتى تُبِيدَ خَضْراءَهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَمْ نأتِ لقتالِ أحدٍ إنما جئنا لِنَطُوفَ بهذا البيت، فمَنْ صدَّنا عنه قاتَلْنَاهُ». فرجعَ بُدَيلٌ فأخبرَ قُريشاً، فبَعثوا عُروةَ بنَ مسعودٍ، فكلَّمه بنحوِ ذلك، فأخبرَ قُريشاً، فقالوا: نَرُدُّه مِنْ عامِنا هذا، ويَرْجع مِن قابلٍ فيَدْخل مكَّةَ ويطوفُ بالبيت، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفَّانَ، قال: «اذهَبْ إلى قُريشٍ فأَخْبِرْهم أنَّا لَمْ نأتِ لقتالِ أحدٍ، وإنما جِئنا زُوَّاراً لهذا البيتِ، معنا الهَدْيُ ننحره وننصرف، فأتاهُم فأخبرَهُم، فقالوا: لا كانَ هذا أبداً، ولا يَدخُلها العامَ، وبَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنَّ عُثمانَ قد قُتِلَ، فقال: «لا نَبرَحُ حتى نُناجزَهُم»(٥)، فذاكَ حين دَعا المسلمين إلى بَيْعةِ الرِّضوانِ، فبايَعهُم تحتَ

[١٢٧٦] لم أره عن عائشة، وهو غريب هكذا، وقد نبه الحافظ على ذلك في تخريج «الكشاف» ٤/ ٣٤٥، وقد ورد منجماً وبمعناه عند الطبري ٣١٦٠١ و ٣١٦٠٢ و ٣١٦٠٣ و ٣١٦٠٤ وعامة هذه الروايات مراسيل.

[١٢٧٧] خبر الحديبية. صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٣١ و ٢٧٣٢ و ٤١٧٨ و ٤١٧٩ وأبو داود ٢٧٦٥ مختصراً وأحمد ٤/ ٣٢٨ والطبري ٣١٥٦٦ وابن حبان ٤٨٧٢ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٩٩ ـ ١٠٨.

---

(١) أخرجه الطبري ٣١٤٨٤ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٦٥ عن مجاهد مرسلاً بنحوه.

(٢) كُراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٣) حلْ حلْ: كلمة تقال للناقة إذا توقفت عن السير.

(٤) في «اللسان»: الثَّمْد: قال أبو مالك: أن يعمد إلى موضع يلزم ماء السماء يجعله صنعاً وهو المكان يجتمع فيه الماء، وله مسايل من الماء، ويحفر في نواحيه ركايا فيملأها من ذلك الماء فيشرب الناس الماء الظاهر حتى يجف، وتبقى تلك الركايا، وهي الثماد. والثمد: الماء القليل الذي لا مادّ له.

(٥) ورد هذا القول «فقال رسول الله ﷺ: لا نبرح حتى...» عند الطبري ٣١٥١٦ عن ابن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر.

الشجرةِ. وفي عَددِهم يومئذٍ أربعةُ أقوالٍ:

[١٢٧٨] **أحدها**: ألفٌ وأربعمائةٍ، قاله البَراءُ، وسَلمَةُ بنُ الأكوَعِ، وجابرٌ، ومَعْقِلُ بنُ يسَارٍ.

[١٢٧٩] **والثاني**: ألفٌ وخمسمائةٍ، رُويَ عن جابرٍ أيضاً، وبه قال قَتادَةُ.

[١٢٨٠] **والثالث**: ألفٌ وخمسمائةٍ وخمسٌ وعشرون، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٢٨١] **والرابع**: ألفٌ وثلاثمائةٍ، قاله عبدُالله بنُ أبي أَوفى.

[١٢٨٢] قال: وضَرَب يومئذٍ رسولُ الله ﷺ بشِمالِه على يمينِه لِعُثمانَ، وقال: إنه ذهب في حاجة الله ورسولِه. وجَعَلَتِ الرُّسُل تختلفُ بينهم، فأجمَعوا على الصُّلحِ، فبَعثوا سُهيلَ بنَ عمروٍ في عِدَّةِ رِجالٍ فصالَحهُ كما ذكرنا في براءة(١)؛ فأقام بالحُدَيبيَةِ بضعةَ عشرَ يوماً، ويُقال: عشرين ليلةً، ثم انصرَف.

[١٢٨٣] فلمَّا كان بـ «ضَجنَان» نزلَ عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فقال جِبريلُ: يَهنِيكَ يا رسولَ الله، وهنَّأهُ المسلمون.

والقول الثاني: أنَّ هذا الفتحَ فتحُ مكَّةَ، رواه مَسرُوقٌ عن عائشةَ، وبه قال السُّدِّيُّ. وقال بعضُ مَن ذَهَب إلى هذا: إنما وُعِدَ بفتحِ مكَّةَ بهذه الآية. **والثالث**: أنه فتحُ خَيْبَر، قاله مُجاهِدٌ، والعَوفيُّ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ كالقولين. **والرابع**: أنه القضاءُ له بالإِسلام، قاله مُقاتِلٌ. وقال غيره: حَكَمْنا لكَ بإظهارِ دِينِكَ والنُّصرة على عدوِّكَ.

قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ قال ثَعلَبٌ: اللام لامُ «كي»، والمعنى(٢): لكي يجتمعَ لكَ مع المغفرةِ تمامُ النِّعمة في الفتحِ، فلمَّا انضمَّ إلى المغفرةِ شيء حادِثٌ، حَسُنَ معنى «كي»، وغَلِطَ مَنْ قال:

- - - - - - - - - - - - -

[١٢٧٨] أخرجه البخاري ٤١٥٠ و ٤١٥١ من حديث البراء بن عازب. وورد أيضاً من حديث جابر، أخرجه البخاري ٤١٥٤ ومسلم ١٨٥٦ح ٧١ و ٧٢ و ٧٤، ومن حديث سلمة بن الأكوع، أخرجه مسلم ١٨٠٧.

[١٢٧٩] أخرجه الطبري ٣١٥٢٤ عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه قيل له «إن جابر بن عبد الله يقول: إن أصحاب الشجرة كانوا ألفاً وخمس مئة، قال سعيد: نسي جابر، هو قال لي: كانوا ألفاً وأربع مئة».

[١٢٨٠] أخرجه الطبري ٣١٥٢٦ عن ابن عباس بسند واهٍ.

[١٢٨١] أخرجه البخاري ٤١٥٥ ومسلم ١٨٥٧ عن عبد الله بن أبي أوفى.

[١٢٨٢] لم أره بهذا اللفظ، وخبر البيعة عن عثمان، أخرجه الترمذي ٣٧٠٢ من حديث أنس، وفيه الحكم بن عبد الملك، وهو ضعيف.

[١٢٨٣] لم أره بهذا اللفظ، وذكر جبريل غريب جداً. وانظر الآتي برقم ١٢٨٥.

---

(١) التوبة: ٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٢١٧: وقوله: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**، هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره. وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ ـ وهو في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة. ولما كان أطوع خلق الله لله، وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه. فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصلح قال الله له: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبينا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾**.

ليس الفتح سبب المغفرة. قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: والمعنى: «ما تقدَّم» في الجاهلية و «ما تأخَّر» ما لم تعلَمْهُ، وهذا على سبيل التأكيدِ، كما تقول: فُلانٌ يَضْرِب مَنْ يلقاه ومَنْ لا يلقاه. قوله تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ ذلك في الجنَّةِ. **والثاني**: أنه بالنُّبوَّةِ والمغفرةِ، رُويَا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: بفتح مكَّةَ والطَّائِفِ وخَيْبَرَ، حكاه الماوَرديُّ. **والرابع**: بإظهار دينك على سائر الأديان، قاله أبو سليمان الدمشقي. قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: ويُثبِّتكَ عليه؛ وقيل: ويَهدي بكَ، ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾ على عدوِّكَ ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: نصراً ذا عِزٍّ لا يقع معه ذُلٌّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: السُّكون والطُّمأنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلاً تنزعج قلوبُهم لِمَا يَرِدُ عليهم، فسلَّموا لقضاءِ الله، وكانوا قد اشتدَّ عليهم صَدُّ المشركين لهم عن البيت، حتى قال عمرُ: علامَ نُعطي الدَّنِيَّةَ في دِينِنا؟ فقال رسولُ الله ﷺ:

[١٢٨٤] «أنا عَبْدُ الله ورسوله، لَنْ أُخالِفَ أمرَهُ ولن يُضَيِّعَني».

ثم أَوْقَعَ اللهُ الرِّضى بما جرى في قلوبِ المسلمين، فسلَّموا وأطاعوا. ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ وذلك أنه كلَّما نزلت فريضةٌ زادَ إيمانُهم. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد أنَّ جميعَ أهلِ السَّمواتِ والأرضِ مُلْكٌ له، لو أراد نُصرةَ نبيِّهِ بغيرِكُم لَفَعَلَ، ولكنه اختارَكُم لذلك، فاشكرُوه.

قوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . .﴾ الآية.

[١٢٨٥] سببُ نُزولِها أنه لمَّا نزلَ قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قال أصحابُ رسول الله ﷺ: هنيئاً لك يا

[١٢٨٤] صحيح. أخرجه البخاري ٣١٨٢ ومسلم ١٧٨٥ والنسائي في الكبرى ١١٥٠٤ من حديث أبي وائل عن سهل بن حنيف. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٣٠٢.

[١٢٨٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤١٧٢ و ٤٨٣٤ وأحمد ٣/ ١٧٣ من طريق شعبة. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ وأحمد ٣/ ١٢٢ و ١٣٤ والطبري ٣١٤٥٤ من طريقين عن همام به. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ والبيهقي ٥/ ٢١٧ من طريق شيبان. وأخرجه أحمد ٣/ ٢٥٢ عن عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا أنس رضي الله عنه. وهو في «شرح السنة» ٣٩١٤ بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٣ وأحمد ٣/ ١٩٧ عن طريق معمر. وأخرجه مسلم ١٧٨٦ =

رسولَ الله بما أعطاكَ الله، فمَا لَنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

[١٢٨٦] قال مُقاتِلٌ: فلَمَّا سمعَ عبدُالله بنُ أُبَيٍّ بذلك، انطلَقَ في نَفَرٍ إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: ما لَنا عندَ الله؟ فنزلت: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ...﴾ الآية.

قال ابنُ جَرِيرٍ؛ كُرِّرت اللامُ في «لِيُدْخِلَ» على اللام في «لِيَغْفِرَ»، فالمعنى: إِنَّا فَتَحْنا لكَ لِيَغْفِرَ لكَ الله لِيُدْخِلَ المؤمنين، ولذلكَ لم يُدخِلْ بينهما واوَ العطفِ، والمعنى: لِيُدْخلَ ولِيعَذِّبَ.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو بضمِّ السين؛ والباقون بفَتْحِها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الوَعْدُ بإدخالِهم الجنَّةَ وتكفيرِ سيِّئاتِهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي في حُكْمِه ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لهم؛ والمعنى: أنه حَكَمَ لهم بالفَوْزِ، فلذلك وَعدَهُم إدخالَ الجنَّةِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم ظَنُّوا أنَّ لله شريكاً. **والثاني**: أنَّ الله لا يَنصُر محمَّداً وأصحابَهُ. **والثالث**: أنهم ظنُّوا به حينَ خرج إلى الحُدَيبيَةِ أنه سيُقْتَلُ أو يُهْزَمُ ولا يعود ظَافِراً. **والرابع**: أنهم ظنُّوا أنهم ورسولَ الله ﷺ بمنزلةٍ واحدةٍ عندَ الله. **والخامس**: ظنُّوا أنَّ الله لا يَبعثُ المَوتى. وقد بيَّنَّا معنى «دائِرَة السَّوء» في براءة[1]. وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[2] إلى قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو: «لِيُؤمِنوا» بالياء «ويُعَزروه ويُوقِّروه ويُسبِّحوه» كلُّهنَّ بالياء، والباقون: بالتاء، على معنى: قُلْ لهم: إِنَّا أرسلناكَ، لِتُؤمنوا، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وابنُ السَّمَيفَع: «ويُعَزِّزوه» بزاءَيْنِ. وقد ذكرنا في الأعراف[3] معنى «ويُعَزِّروه» عند قوله: «وعَزَّروه ونصروه». قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تُعظِّموه وتُبَجِّلوه. واختار كثيرٌ مِنَ القُرَّاء الوَقْفَ هاهنا، لاختلاف الكنايةِ فيه وفيما بعده. قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هذه الهاءُ ترجع إلى الله عزَّ وجلَّ. والمراد بتسبيحِه هاهنا: الصَّلاةُ له. قال المفسِّرون: والمراد بصَلاةِ البُكْرَةِ: الفجرُ، وبصَلاةِ الأصيلِ: باقي الصَّلواتِ الخَمسِ. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يعني بَيْعَةَ الرِّضوانِ بالحُدَيبِيَةِ. وعلى ماذا بايَعُوه؟ فيه قولان:

[١٢٨٧] **أحدهما**: أنهم بايَعُوه على الموت، قاله عُبادةُ بنُ الصَّامتِ.

[١٢٨٨] **والثاني**: على أنْ لا يَفِرُّوا، قاله جابرُ بنُ عبدِالله. ومعناهما متقاربٌ، لأنه أراد: على أنْ لا تَفِرُّوا ولو مُتُّم.

= والطبري ٣١٤٥٢ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣ من طريق سليمان بن طرخان. وأخرجه الطبري ٣١٤٥٣ من طريق سعيد بن أبي عروبة. كلهم عن قتادة به. وأخرجه ابن حبان ٣٧١ من طريق سفيان عن الحسن عن أنس به.

[١٢٨٦] واه بمرة. مقاتل هو ابن سليمان كذبه غير واحد، والصحيح في هذا ما رواه البخاري ومسلم، وتقدم.

[١٢٨٧] انظر الحديث الآتي.

[١٢٨٨] هو عند مسلم ١٨٥٦ عن جابر قال: «كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وقال: بايعناه على ألا نفر، ولم نبايعه على الموت» وفي رواية: فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره» فلم يبايع أصلاً. وقد نبه على هذا الحافظ في تخريجه ٤/ ٣٣٥. **وأما لفظ فبايعوه على** =

---

(١) التوبة: ٩٨. (٢) الفتح: ٤، الأحزاب: ٤٥. (٣) الأعراف: ١٥٧.

وسُمِّيت بَيْعَةً، لأنهم باعوا أنفسَهم مِنَ الله بالجنَّةِ، وكان العَقْدُ مع رسول الله ﷺ فكأنَّهم بايَعوا الله عزَّ وجلَّ، لأنه ضَمِنَ لهم الجنَّةَ بوفائِهم. ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَدُ الله في الوفاءِ فوقَ أيديهم. **والثاني**: يَدُ الله في الثَّوابِ فوقَ أيديهم. **والثالث**: يَدُ الله عليهم في المِنَّةِ بالهداية فوقَ أيديهم بالطَّاعة، ذكرَ هذه الأقوالَ الزَّجَّاجُ. **والرابع**: قُوَّةُ الله ونُصرَتُه فوقَ قُوَّتِهم ونُصرَتِهم، ذكره ابنُ جَرِيرٍ، وابنُ كَيسَانَ.

قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ أي: نَقَضَ ما عَقَدَهُ مِنْ هذه البَيْعَةِ ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي: يَرْجِعُ ذلك النَّقضُ عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ مِنَ البَيْعَةِ ﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ؛ وأبَانُ عن عاصِمٍ: «فسنُؤتيه» بالنون. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: بالياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنَّةُ. قالَ ابنُ السَّائِبِ: فلَمْ ينكُثِ العَهدَ منهم غيرُ رجلٍ واحدٍ يُقال له: الجدُّ بنُ قيسٍ، وكان مُنافقاً.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾

[١٢٨٩] قال ابنُ إسحاقَ: لمَّا أرادَ العُمرَةَ استنفرَ مَنْ حَوْلَ المدينةِ مِنْ أهلِ البَوادي والأعرابِ ليخرجوا معه، خوفاً مِنْ قومِه أنْ يَعرِضوا له بحَربٍ أو بصَدّ، فتثاقَلَ عنه كثيرٌ منهم، فهُم الذين عَنَى الله بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾،

[١٢٩٠] قال أبو صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ: وهم غِفارٌ ومُزَينَةُ وجهينة وأَشجَعُ والدِّيْلُ وأَسلَمُ. قال يُونسُ النَّحويُ: الدِّيْلُ في عبدِ القيسِ ساكنُ الياءِ. والدُّولُ مِنْ حَنِيفَةَ ساكنُ الواو، والدُّئِل في كِنانَةَ رَهطُ أبي الأَسوَدِ الدُّؤَلي.

فأمَّا المُخلَّفون، فإنَّهم تَخلَّفوا مَخافةَ القتلِ. ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ أي: خِفْنا عليهم الضَّيعَةَ

= الموت فقد ورد في خبر مرسل أخرجه الطبري ٣١٥١٦ عن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر وفيه «فكان رسول الله ﷺ بايعهم على الموت، فكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ولكنه بايعنا على ألانفر». وورد من حديث معقل بن يسار عند مسلم ١٨٥٨ ولفظه «لقد رأيتني يوم الشجرة، والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشر مائة. قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر» فهذا كله يرد ما ذُكر من أنهم بايعوه على الموت.

[١٢٨٩] أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٦٥ عن مجاهد بنحوه، وهذا مرسل، وقد أخرجه الطبري ٣١٤٨٤ عن مجاهد أيضاً.

[١٢٩٠] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح ساقط الرواية وبخاصة عن ابن عباس.

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: ادعُ الله أنْ يَغفِرَ لنا تخلُّفنا عنك ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ما يُبالون استغفرتَ لهم أم لم تستغفِرْ لهم. قوله تعالى: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «ضُرّاً» بضمّ الضاد؛ والباقون: بالفتح. قال أبو عليٍّ: «الضَّرُّ» بالفتح: خلافُ النَّفع، وبالضمّ: سُوءُ الحالِ، ويجوز أنْ يكونا لُغتين كالفَقرِ والفُقرِ، وذلك أنهم ظنُّوا أنَّ تَخلُّفهم يدفعُ عنهم الضَّرَّ. ويُعجِّلُ لهم النَّفعَ بسلامة أنفُسِهم وأموالِهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إنْ أراد بهم شيئاً لم يَقدِرْ أحدٌ على دَفعِه عنهم، ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ مِن تخلُّفِهم وقولِهم عن المسلمين أنهم سيَهلِكون، وذلك قوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾ أي: توهَّمتُم ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾ أي لا يَرْجِعون إلى المدينة، لاستِئصالِ العدوِّ إيَّاهم، ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وذلك مِن تزيينِ الشيطانِ. قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ قد ذكرناه في الفُرقان[1].

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلَّفوا عن الحُدَيبيَةِ ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ وذلك أنهم لمَّا انصرفوا عن الحُدَيبيَةِ بالصُّلح وعَدهم الله فَتحَ خَيبَر، وخَصَّ بها مَن شَهِد الحُدَيبيَةَ فانطلَقوا إليها، فقال هؤلاءِ المُخلَّفون: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ: «أنْ يبدّلوا كَلِمَ الله» بكسرِ اللام. وفي المعنى قولان: **أحدهما**: أنه مواعيدُ الله بغنيمةِ خَيبَرَ لأهلِ الحُدَيبيَةِ خاصَّةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَمْرُ الله نبيَّهُ أنْ لا يسيرَ معه منهم أحدٌ، وذلك أنَّ الله وَعدَهُ وهو بالحُدَيبيَةِ أنْ يفتحَ عليه خَيبَرَ، ونَهاهُ أنْ يسيرَ معه أحدٌ مِنَ المُتخلِّفين، قاله مُقاتِلٌ. وعلى القولين: قصدوا أنْ يُجيزَ لهم رسولُ الله ﷺ ما يُخالِفُ أَمْرَ الله، فيكون تبديلاً لأمرِه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: قال: إنَّ غنائمَ خَيبَرَ لِمَن شَهِد الحُدَيبيَةَ، وهذا على القولِ الأولِ. **والثاني**: قال: لن تتَّبِعُونا، وهذا قولُ مُقاتِلٍ.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: يَمنعُكم الحَسدُ مِن أنْ نُصيبَ معكم الغنائمَ.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ المعنى: إنْ كنتم تريدون الغزوَ والغَنيمةَ فستُدعَون إلى جهادِ قومٍ ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾. وفي هؤلاءِ القومِ ستةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم فارسُ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ

---

(١) الفرقان: ١٨.
(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/٣٤٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره =

عباسٍ، وبه قال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ، وعَطاءُ الخُراسانيُّ، وابنُ أبي لَيلى، وابنُ جُرَيجٍ في آخرين. **والثاني**: فارسُ والرُّومُ، قاله الحسَنُ، ورواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنهم أهلُ الأوثان، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: أنهم الرُّومُ، قاله كَعبٌ. **والخامس**: أنهم هَوازِنُ وغَطفَانُ، وذلك يومَ حُنَينٍ، قاله سعيدُ بن جُبَيرٍ، وقَتادَةُ. **والسادس**: بَنو حَنيفَةَ يومَ اليَمامةِ، وهم أصحابُ مُسَيلَمةَ الكذَّاب، قاله الزُّهريُّ، وابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قال مُقاتِلٌ: خِلافةُ أبي بكرٍ في هذه بَيِّنةٌ مؤكَّدةٌ. وقال رافعُ بنُ خَديجٍ: كُنَّا نقرأ هذه الآيةَ ولا نَعلَمُ مَنْ هُمْ حتى دُعِيَ أبو بكرٍ إلى قتال بَني حَنيفَةَ، فعَلِمنا أنهم هُمْ. وقال بعضُ أهلِ العِلْم: لا يجوز أنْ تكونَ هذه الآيةُ إلاَّ في العرب، لقوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾، وفارسُ والرُّومُ إنَّما يقاتَلون حتى يُسْلِموا أو يُؤدُّوا الجِزيةَ. وقد استدلَّ جماعةٌ مِنَ العلماء على صِحَّة إمامةِ أبي بكرٍ وعمرَ بهذه الآية، لأنه إنْ أُريدَ بها بَنو حَنيفةَ، فأبو بكرٍ دعا إلى قتالِهم، وإنْ أُريدَ بها فارسُ والرُّومُ، فعُمرُ دَعا إلى قتالِهم، والآيةُ تُلزِمُهم اتِّباعَ طاعةِ مَنْ يَدعُوهم، وتَتوعَّدُهم على التَّخلُّفِ بالعقابِ. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا يدلُّ على صِحَّةِ إمامَتِهما إذا كان المُتولِّي عن طاعَتِهما مُستَحِقًّا للعقاب. قوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ قال ابنُ جُرَيجٍ: فإنْ تُطيعوا أبا بكرٍ وعمرَ، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن طاعَتِهما ﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم﴾ عن طاعةِ محمَّدٍ ﷺ في المَسيرِ إلى الحُدَيبِيَةِ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنْ تُبتُم وتَركتُم نِفاقَكُم وجاهَدتُم، يؤتِكُم الله أجراً حسناً، وإنْ تولَّيتم فأقَمْتُم على نِفاقِكُم، وأعرَضتُم عن الإيمان والجهاد كما تولَّيتُم على عهدِ رسولِ الله ﷺ يُعذِبْكُم عذاباً أليماً. قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ قال المُفسِّرون: عَذَرَ الله أهلَ الزَّمانَةِ الذين تخلَّفوا عن المسيرِ إلى الحُدَيبِيَةِ بهذه الآية. قوله تعالى: ﴿يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «نُدْخِلْه» و «نُعذِّبْه» بالنون فيهما؛ والباقون: بالياء.

﴿۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢٠﴾ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

ثم ذَكَرَ الذين أخلصوا نِيَّتَهم وشَهِدوا بَيْعَةَ الرِّضوَانِ بقوله: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وقد

= أخبر عن هؤلاء المخلفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قومٍ أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل على أن المعني بذلك أعيان بأعيانهم.

ـ وقال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٣٥: وقوله تعالى: **﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾** وهذا يدل على أنهم باليمامة لا بفارس ولا بالروم، لأن الذي تعين عليه القتال حتى يسلم من غير قبول جزية هم العرب في أصح الأقوال والمرتدون. وأما فارس والروم فلا يقاتلون حتى يسلموا، بل إن بذلوا الجزية قبلت منهم، وجاءت الآية معجزة للنبي ﷺ وإخباراً بالغيب الآتي.

ذكرنا سببَ هذه البَيْعةِ آنِفاً. وإنما سُمّيت بَيْعَةَ الرِّضْوانِ، لقولِه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. رَوى إياسُ بنُ سَلَمَةَ بنِ الأكوَعِ عن أبيه، قال:

[١٢٩١] بينما نحنُ قائلون زمنَ الحُدَيبيَةِ، نادى مُنادي رسولِ الله ﷺ: أيُّها النَّاسُ، البَيْعَة، البيعةَ، نَزَلَ رُوحُ القُدُسِ، قال: فثُرْنا إلى رسولِ الله ﷺ وهو تحتَ شجرةِ سَمُرةٍ، فبايَعْناه.

[١٢٩٢] وقال عبدُالله بنُ مُغفَّلٍ: كان رسولُ الله ﷺ تحتَ الشجرةِ يُبايعُ الناسَ، وإني لأرفعُ أغصانَها عن رأسِه. وقال بُكَيْرُ بنِ الأشَجّ: كانت الشجرة بفجّ نحوَ مكّةَ. قال نافعٌ: كان الناسُ يأتون تلك الشجرةَ فيُصلُّون عندَها، فبلغَ ذلك عُمرَ بنَ الخطّابِ، فأوعَدَهُم فيها، وأمرَ بها فقُطِعتْ.

قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: مِنَ الصّدق والوفاءِ، والمعنى: عَلِمَ أنهم مُخْلِصُون ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الطُمأنينةَ والرّضى حتى بايَعوا على أنْ يُقاتلوا ولا يَفِرُّوا ﴿وَأَثَٰبَهُمْ﴾ أي: عوَّضهم على الرّضى بقضائِه والصَّبرِ على أمرِه ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو خَيْبرُ، ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ أي: مِنْ خَيْبَرَ، لأنها كانت ذا عَقارٍ وأموالٍ. فأمّا قولُه بعدَ هذا: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ فقال المُفسِّرون: هي الفُتوحُ التي تُفتَحُ على المسلمين إلى يومِ القيامة. ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها غَنيمةُ خَيْبَرَ، قاله مُجاهِدٌ وقَتادةُ والجمهورُ. **والثاني**: أنه الصُّلحُ الذي كان بينَ رسول الله ﷺ وبينَ قريشٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم اليهود هَمُّوا أنْ يَغتالوا عِيالَ المسلمين الذين خَلَّفوهم في المدينةِ، فكفَّهُم الله عن ذلك، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنهم أَسدُ وغَطَفانُ جاؤوا لِيَنصروا أهلَ خَيْبَرَ، فقَذَفَ الله في قلوبهم الرُّعبَ فانصَرَفوا عنهم، قاله مُقاتِلٌ. وقال الفَرّاءُ: كانت أسدُ وغَطَفانُ مع أهلِ خَيْبَرَ، فقَصدَهُم رسولُ الله ﷺ فصالَحوه، وخَلَّوا بينه وبينَ خَيْبَرَ. وقال غيرهما: بل هَمَّتْ أَسدُ وغَطَفانُ باغتيالِ أهلِ المدينةِ، فكفَّهم الله عن ذلك. **والثالث**: أنهم أهلُ مكّةَ كَفَّهم الله بالصُّلحِ، حكاهما الثَّعلَبيُّ وغيره. ففي قوله: «عنكم» قولان: **أحدهما**: أنه على أصله، قاله الأكثرون. **والثاني**: عن عِيالِكم، قاله ابنُ قُتَيبة، وهو مُقتضى قولِ قَتادَةَ. ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: أنها الفَعْلَةُ التي فَعَلَها بكم مِنْ كَفّ أيديهم عنكم كانت آيةً للمؤمنين، فعَلِموا أنَّ الله تعالى مُتولّي حِراسَتِهم في مَشهَدِهم ومَغيبِهم. **والثاني**: أنها خَيْبرُ كان فَتْحُها علامةً للمؤمنين في تصديقِ رسولِ الله ﷺ فيما وَعَدَهم به.

[١٢٩١] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٢٥ وفيه موسى بن عبيدة وهو الربذي ضعيف الحديث، والمتن غريب. وانظر «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٢٥ بتخريجنا.

[١٢٩٢] صحيح. أخرجه النسائي ٥٣١ في «التفسير» والطبري ٣١٥٥٤ من حديث عبد الله بن مغفل بإسناد صحيح على شرط مسلم. وورد من حديث معقل بن يسار عند مسلم ١٨٥٨ كما سبق في الحديث ١٢٨٨.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١١/ ٣٥٢: والذي قاله قتادة في ذلك عندي أشبه بتأويل الآية، وذلك أن كف الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية قد ذكره الله بعد هذه الآية في قوله **﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾** فعلم بذلك أن الكفّ الذي ذكره الله تعالى في قوله **﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾** غير الكف الذي ذكره الله بعد هذه الآية في قوله تعالى: **﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم﴾**.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: طريقَ التَّوكُّلِ عليه والتَّفويضِ إليه، وهذا على القولِ الأولِ. **والثاني**: يَزيدُكم هُدىً بالتصديقِ بمحمَّدٍ ﷺ فيما جاء به مِنْ وَعدِ الله تعالى بالفَتْحِ والغَنيمةِ.

قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ المعنى: وَعدَكُم الله مَغَانِمَ أخرى؛ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها ما فُتِحَ للمسلمين بعد ذلك. روَى سماكُ الحَنَفيُّ عن ابنِ عباسٍ: «وأخرى لَمْ تَقدِروا عليها» قال: ما فَتَح لكم مِنْ هذه الفُتوحِ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها خَيبرُ، رواه عَطِيَّةُ، والضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ زيدٍ. **والثالث**: فارسُ والرُّومُ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الحسَنُ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي لَيلى. **والرابع**: مكَّةُ، ذكره قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبةَ. قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أحاطَ بها عِلْماً أنها ستكون مِنْ فُتوحِكُم. **والثاني**: حَفِظَها لكم ومَنَعها مِنْ غيرِكم حتى فَتَحتُموها. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هذا خطابٌ لأهلِ الحُدَيْبِيَةِ، قاله قَتادَةُ؛ والذين كَفَروا مُشركو قُريشٍ. فعَلَى هذا يكون المعنى: لو قَاتَلُوكم يومَ الحُدَيبيَةِ ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ لِمَا في قلوبهم مِنَ الرُّعبِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ لأنَّ الله قد خَذَلَهم. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو قَاتَلَكَ مَنْ لم يُقاتِلْكَ لنُصِرْتَ عليه، لأنَّ سُنَّةَ الله النُّصْرَةُ لأوليائِه. و «سُنَّةَ الله» منصوبةٌ على المصدرِ، لأنَّ قولَه: «لولَّوُا الأدبار» معناه: سَنَّ الله عزَّ وجلَّ خِذلانَهُم سُنَّةً. وقد مَرَّ مِثلُ هذا في قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾[2]. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾.

[١٢٩٣] رَوى أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ ثمانين رجلاً مِنْ أهلِ مكَّةَ هَبطوا على رسولِ الله ﷺ مِنْ جبلِ التَّنعِيم مُتَسلِّحين يريدون غِرَّةَ[3] النبيِّ ﷺ وأصحابِه، فأخذَهم سِلْماً، فاستَحياهم، وأنزلَ الله هذه الآيةَ.

[١٢٩٤] وروى عبدُالله بنُ مُغفَّلٍ قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ بالحُدَيبيَةِ في أصلِ الشجرة، فبَيْنَا نحنُ كذلك إذْ خرجَ علينا ثلاثون شابّاً، فثَارُوا في وُجوهِنا، فدَعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جِئتُم في عهدٍ؟» أو «هل جعلَ لكم أحدٌ أَماناً؟» قالوا: اللهُمَّ لا، فخَلَّى سبيلَهُم، ونزلت هذه الآيةَ.

[١٢٩٣] صحيح. أخرجه مسلم ١٨٠٨ عن عمر بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن أبي سلمة عن ثابت ـ وهو ابن أسلم البناني ـ عن أنس بن مالك به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٤٢ من طريق إبراهيم بن محمد بهذا الإسناد. وأخرجه أبو داود ٢٦٨٨ والترمذي ٣٢٦٤ والنسائي في «التفسير» ٥٣٠ والطبري ٣١٥٥٨ وأحمد ٣/ ١٢٤ و ٢٩٠ والطحاوي في «المشكل» ٦٠ والبيهقي في «الدلائل» ٤/ ٤١ من طرق عن حمّاد بن سلمة به. وورد بنحوه في أثناء حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم ١٨٠٧ وأحمد ٤/ ٤٩ والطحاوي ٦٢.

[١٢٩٤] صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» ٥٣١ وأحمد ٤/ ٨٦ ـ ٨٧ والحاكم ٢/ ٤٦٠ ـ والطبري ٣١٥٥٤ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٤٢ والبيهقي ٦/ ٣١٩ من طرق عن الحسين بن واقد عن ثابت عن عبد الله بن المغفل به. وصححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٤٥: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وهو كما قالوا. وقال ابن حجر في «فتح الباري» ٥/ ٣٥١: أخرجه أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل بسند صحيح.

---

(١) النساء: ٢٤. (٢) النمل: ٨٨. (٣) في «اللسان» الغرة: الغفلة.

[١٢٩٥] وذكر قَتادَةُ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ خَيْلاً، فأتوه باثني عشرَ فارساً مِنَ الكفّارِ، فأرسَلَهُم.

[١٢٩٦] وقال مُقاتِلٌ: خرجوا يُقاتِلون رسولَ الله ﷺ، فهزمَهُم النبيُّ ﷺ بالطَّعنِ والنَّبلِ حتى أدخَلَهُم بيوتَ مكَّةَ.

قال المُفسِّرون: ومعنى الآية: إنَّ اللهَ تعالى ذَكَر مِنَّتَهُ إذْ حَجزَ بين الفريقين فلم يَقْتَتِلا حتى تَمَّ الصُّلحُ بينهم. وفي بَطْنِ مكَّةَ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحُدَيبيَةُ، قاله أنسٌ. **والثاني**: وادي مكَّةَ، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: التَّنْعيمُ، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. فأمَّا «مكَّة» فقال الزَّجّاجُ: «مكَّةُ» لا تنصرفُ لأنها مؤنَّثةٌ، وهي مَعرِفةٌ، ويَصلُحُ أنْ يكونَ اشتقاقُها كاشتقاقِ «بَكَّة»، والميم تُبدَلُ مِنَ الباء، يُقال: ضَرْبة لازِم، ولازِب، ويَصلُح أنْ يكونَ اشتقاقُها مِنْ قولهم: امْتَكَّ الفَصيلُ ما في ضَرْعِ النَّاقةِ: إذا مَصَّ مَصّاً شديداً حتى لا يُبقي فيه شيئاً، فيكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها، قال: والقول الأول أحسَنُ. وقال قُطْرُبُ: مكَّةُ مِنْ تَمَكَّكْتُ المُخَّ: إذا أكلْتَهُ. وقال ابنُ فارسٍ: تَمَكَّكْتُ العَظْمَ: إذا أخرجتَ مُخَّهُ؛ والتَّمكُّكُ: الاستِقصاءُ.

[١٢٩٧] وفي الحديث: «لا تُمَكِّكوا على غُرمائِكم». وفي تسميةِ «مكَّة» أربعةُ أقوالٍ:

أحدها: لأنها مَثابَةٌ يَؤُمُّها الخلقُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وكأنها هي التي تَجذِبُهم إليها، وذلك مِنْ قول العرب: امْتَكَّ الفَصيلُ ما في ضَرْعِ النَّاقةِ. **والثاني**: أنها سُمِّيتْ (مكَّة) مِنْ قولِكَ: بَكَكْتُ الرجُلَ: إذا وَضَعْتَ منه وَرَدَدْتَ نَخوتَهُ، فكأنَّها تَمُكُّ مَنْ ظَلَم فيها، أي: تُهلِكه وتُنْقِصه، وأنشدوا:

يـا مَـكَّـةُ، الـفـاجِـرَ مُـكِّـي مَـكَّـا ... ولا تَـمُـكِّـي مَـذْحِـجـاً وَعَـكَّـا[١]

والثالث: أنها سُمِّيتْ بذلك لِجَهْدِ أهلِها. **والرابع**: لِقِلَّةِ الماءِ بها.

وهل مكَّةُ وبكَّةُ واحدٌ؟ قد ذكرناه في آل عِمْران[٢].

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أي: بهم؛ يُقال: ظَفِرْتُ بفُلانٍ، وظَفِرْتُ عليه. قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قرأ أبو عمروٍ: «يعملون» بالياء؛ والباقون: بالتاء.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾﴾

[١٢٩٥] أخرجه الطبري ٣١٥٥٩ عن قتادة مرسلاً.

[١٢٩٦] تقدم أن هذا الخبر غير صحيح، ومقاتل متروك متهم بالكذب.

[١٢٩٧] لم أقف عليه، والظاهر أنه لا أصل له لخلوه عن كتب الحديث والأثر.

---

(١) الرجز غير منسوب في «اللسان» ـ مكة ـ.

(٢) آل عمران: ٩٦.

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني أهلَ مكّة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أنْ تطوفوا به وتحلُّوا مِنْ عُمرتِكم ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: وَصَدُّوا الهَدْيَ ﴿مَعْكُوفًا﴾ أي: محبوساً ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ أي: عن أنْ يبلُغَ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ قال المُفسِّرون: «مَحِلّه» مَنْحره، وهو حيثُ يَحِلُّ نَحْره ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ وهم المُستضعَفون بمكّة ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لم تعرفوهم ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بالقتل. ومعنى الآية: لولا أنْ تَطَؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ بالقَتل، وتُوقِعوا بهم ولا تَعرِفونَهم، ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: إثمٌ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثاني**: غُرمُ الدِّيَةِ، قاله ابنُ إسحاقَ. **والثالث**: كفَّارةُ قتلِ الخطأ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والرابع**: عَيْبٌ بقتلِ مَنْ هو على دِينِكم، حكاه جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. وفي الآية محذوفٌ، تقديره: لأَدخَلْتُكم مِنْ عامِكُم هذا؛ وإنَّما حُلْتُ بينكم وبينهُم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: في دِينِه ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِنْ أهلِ مكّةَ، وهم الذين أسلَمُوا بعدَ الصُّلْحِ ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لو تفرَّقوا. وقال ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجّاجُ: لو تميَّزوا. قال المُفسِّرون: لو انْمازَ المؤمنون مِنَ المشركين ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقتل والسَّبْي بأيدِيكُم. وقال قومٌ: لو تَزيَّلَ المؤمنون مِنْ أصلاب الكُفَّار لَعذَّبْنا الكفَّارَ. وقال بعضُهم: قوله: «لعذَّبنا» جوابٌ لِكلامَيْنِ، أحدهما: «لولا رجال»، والثاني: «لو تزيلوا» وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ مِنْ صِلَةِ قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والحَمِيَّةُ: الأنَفَةُ والجَبريَّةُ.

[١٢٩٨] قال المُفسِّرون: وإنما أخذَتْهُم الحَمِيَّةُ حين أراد رسولُ الله ﷺ دخولَ مكَّةَ، فقالوا: يدخلون علينا، وقد قتلوا أبناءَنا وإخوانَنا فتتحدَّثُ العربُ بذلك! واللهِ لا يكونُ ذلك، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يَدخُلْهم ما دخلَ أولئكَ فَيُخالِفوا اللهَ في قتالِهم.

[١٢٩٩] وقيلَ: الحَمِيَّةُ ما تَداخلَ سُهَيلَ بنَ عمروٍ مِنَ الأَنَفَةِ أنْ يكتُبَ في كتاب الصُّلحِ ذِكْرَ «الرَّحمن الرَّحيم» وذِكْرَ «رسول الله» ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

[١٣٠٠] **أحدها**: «لا إله إلاّ الله»، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعِكرمَةُ وقَتادَةُ

[١٢٩٨] عزاه المصنف للمفسرين. وذكره البغوي ٤/ ٢٠٤ وعزاه لمقاتل، وهو متروك متهم.

[١٢٩٩] أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٤/ ١٣٤ عن عروة أثناء خبر مطول، وهذا مرسل ومرسلات عروة جياد، وأصله في الصحيح من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وقد تقدم.

[١٣٠٠] المرفوع ضعيف، والصحيح موقوف. أخرجه الترمذي ٣٢٦٥ والطبري ٣١٥٧٩ وعبد الله في «زوائد المسند» ٥/ ١٣٨ والطبراني في «الكبير» ٥٣٦ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢٠٠ من طريق الحسن بن قزعة عن سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل عن أُبيّ عن أبيه، وإسناده ضعيف جداً، ثوير بن أبي فاختة متروك الحديث بل قال الثوري: هو ركن من أركان الكذب. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً، إلا من حديث الحسن بن قزعة. قال الترمذي: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث، فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه اهـ.

تنبيه: وقد وهم الألباني في هذا الحديث حيث حكم بصحته في «صحيح الترمذي» ٢٦٠٣.

ـ وأخرجه الطبراني في «الدعاء» ١٥٣٠ من حديث سلمة بن الأكوع، وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف، ليس بشيء. وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٨٠ من حديث أبي هريرة، وابن مردويه يروي الموضوعات، لا يحتج بما ينفرد، وقد تفرد به عن أبي هريرة، فهو لا شيء، وقد ورد موقوفاً عن غير واحد من الصحابة والتابعين، وهو الصواب، وقد وهم ثوير وموسى الربذي فروياه مرفوعاً.

والضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ وابنُ زيدٍ في آخرين، وقد رُوِيَ مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ؛ فعَلَى هذا يكون معنى: «ألزَمَهم»: حَكَمَ لهم بها، وهي التي تَنفي الشِّركَ.

والثاني: «لا إله إلا الله والله أكبَرُ»، قاله ابنُ عمرَ. وعن عليِّ بن أبي طالبٍ كالقولين.

والثالث: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباحٍ. **والرابع**: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ محمَّدٌ رسولُ الله»، قاله عَطاءٌ الخُراساني. **والخامس**: «بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»، قاله الزُّهريُّ. فعَلَى هذا يكون المعنى أنه لمَّا أَبى المشركون أنْ يكتُبوا هذا في كتابِ الصُّلحِ، ألزَمَهُ الله المؤمنين ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ مِنَ المشركين ﴿وَ﴾ كانوا ﴿أَهْلَهَا﴾ في عِلْمِ الله تعالى.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾.

[١٣٠١] قال المُفسِّرون. سبب نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ كان أُرِيَ في المنام قبلَ خروجه إلى الحُدَيبيَةِ قائلاً يقولُ له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ورأى كأنه هو وأصحابه يدخُلون مكَّةَ وقد حَلقوا وقصَّروا، فأخبرَ بذلك أصحابَه ففرِحوا، فلمَّا خرجوا إلى الحُدَيبيَةِ حَسِبُوا أنهم يدخُلون مكَّةَ في عامِهم ذلك، فلمَّا رَجعوا ولم يدخلوا قال المنافقون: أينَ رُؤياهُ التي رَأى؟ فنزلت هذه الآيةُ، فدَخلوا في العامِ المُقبِلِ.

وفي قوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ستةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ «إن» بمعنى «إذ»، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنه استثناءٌ مِنَ الله، وقد عَلِمَهُ، والخَلْقُ يَستثنُون فيما لا يَعْلَمون، قاله ثَعلَبٌ؛ فعَلَى هذا يكون المعنى أنه عَلِمَ أنهم سيدخُلونَهُ، ولكن استثنَى على ما أمِرَ الخَلْقُ به مِنَ الاستثناء. **والثالث**: أن المعنى: لَتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ أمَرَكُم اللهُ به، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنَّ الاستثناءَ يعود إلى دخولِ بعضِهم أو جميعِهم، لأنه عَلِمَ أنَّ بعضَهم يموتُ، حكاه المَاوَرديُ. **والخامس**: أنه على وَجهِ الحكايةِ لِمَا رآهُ النبيُّ ﷺ في المنام أنَّ قائلاً يقول: «لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ الله آمنين»، حكاه القاضي أبو يَعلَى. **والسادس**: أنه يعودُ إلى الأمنِ والخوفِ، فأمَّا الدُّخولُ، فلا شَكَّ فيه، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله تعالى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنَ العَدُوِّ ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ مِنَ الشَّعْرِ ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ عدوًّا.

[١٣٠١] غريب هكذا، وقد نبه الحافظ على ذلك في تخريجه ٤/ ٣٤٥ وقد ورد منجماً وبمعناه عند الطبري ٣١٦٠١ و ٣١٦٠٢ و ٣١٦٠٣ و ٣١٦٠٤ وعامة هذه الروايات مراسيل.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٣٦: هذا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليس هذا من الاستثناء في شيء. وقال الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٣٤٧: قلت فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة تعليماً لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك، متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عَلِم أنَّ الصَّلاحَ في الصُّلْحِ. **والثاني**: أنَّ في تأخيرِ الدُّخول صلاحاً. **والثالث**: فعَلِمَ أنْ يفتحَ عليكم خَيْبَرَ قبلَ ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فيه قولان[١]: **أحدهما**: فَتْحُ خَيْبَرَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زيدٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: صُلْحُ الحُدَيبيَةِ، قاله مُجاهِدٌ والزُّهْرِيُّ وابنُ إسحاقَ. وقد بيَّنَّا كيف كان فَتْحاً في أوَّلِ السُّورَةِ. وما بعدَ هذا مفسَّرٌ في براءة[٢]: إلى قوله ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه شَهِدَ على نَفْسِه أنه يُظْهِرُه على الدِّينِ كُلِّه، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: كفى به شهيداً أنَّ محمَّداً رسولُه، قاله مُقاتِلٌ.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ وقرأ الشَّعْبيُّ، وأبو رَجاءٍ، وأبو المُتوكِّلِ، والجَحْدَريُّ: «محمَّداً رسولَ الله» بالنَّصبِ فيهما. قال ابنُ عباسٍ: شَهِدَ له بالرِّسالة. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني أصحابَه، والأشدَّاءُ: جمعُ شديدٍ. قال الزَّجَّاجُ: والأصل: أَشْدِدَاءُ، نحو نَصِيبٍ وأَنْصِباء، ولكنَّ الدَّالَين تحرَّكَتا، فأُدغِمَتِ الأولى في الثانية، ومثلُه: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾[٣]. قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الرُّحماء جمعُ رَحيمٍ، والمعنى أنهم يُغْلِظُون على الكفَّارِ، ويَتَوادُّون بينَهم ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ يَصِفُ كثرةَ صَلاتِهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ وهو الجنَّةُ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ وهو رِضى اللهِ عنهم. وهذا الوَصْفُ لجميعِ الصحابةِ عند الجُمهورِ.

[١٣٠٢] وروى مُبارَكُ بنُ فَضالةَ عن الحسَنِ البَصْري أنه قال: «والذين معه» أبو بكرٍ «أشداء على الكفار» عمرُ «رحماء بينهم» عُثمانُ «تراهم ركَّعاً سُجَّداً» عليُّ بن أبي طالبٍ «يبتغون فضلاً من الله ورضواناً» طَلحةُ والزُّبيرُ وعبدُ الرَّحمنِ وسَعدٌ وسَعيدٌ وأبو عُبيدَةَ.

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أي: علامَتُهم ﴿فِي وُجُوهِهِم﴾، وهل هذه العَلامةُ في الدنيا، أمْ في الآخرة؟ فيه قولان[٤]: **أحدهما**: في الدنيا. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها السَّمْتُ الحسَنُ، قاله ابنُ

[١٣٠٢] لا يصح هذا عن الحسن، مبارك غير قوي، والأثر من بدع التأويل.

---

(١) انظر الكلام على أرجح الأقوال في المراد بالفتح في أول السورة.
(٢) التوبة: ٣٣.
(٣) المائدة: ٥٤.
(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٧٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم في وجوههم من أثر السجود، وذلك في كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه. وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون، وذلك الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود.

عباسٍ في روايةِ ابنِ أبي طَلحَةَ؛ وقال في روايةِ مُجاهِدٍ: أَمَا إنه ليس بالذي تَرَونَ، ولكنه سِيمَا الإسلامِ وسَمْتُه وخُشوعُه، وكذلك قال مُجاهِدٌ: ليس بِنَدَبِ التُّرابِ في الوجهِ، ولكنه الخُشوعُ والوَقارُ والتَّواضعُ. **والثاني**: أنه نَدَى الطَّهورِ وثَرَى الأرضِ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال أبو العَاليةِ: لأنهم يَسجُدون على الترابِ لا على الأثوابِ. وقال الأَوْزَاعِيُّ: بَلَغني أنه ما حَمَلتْ جِباهُهم مِنَ الأرضِ. **والثالث**: أنه السُّهومُ، فإذا سَهِمَ وجهُ الرجلِ مِنَ الليلِ أصبحَ مُصفارًّا. قال الحسَنُ البَصْرِيُّ: «سيماهم في وجوههم»: الصُّفرةُ؛ وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أَثَرُ السَّهرِ؛ وقال شِمْرُ بن عَطيَّةَ: هو تهيُّجٌ في الوجهِ مِن سَهَرِ الليلِ.

والقول الثاني: أنها في الآخرة. ثم فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ مواضعَ السجودِ مِنْ وجوهِهم يكون أشدَّ وجوهِهم بياضاً يومَ القيامة، قاله عَطِيَّةُ العَوفيُّ، وإلى نحوِ هذا ذهب الحَسَنُ، والزُّهْرِيُّ. وروى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: صلاتُهم تبدو في وجوهِهم يومَ القيامة. **والثاني**: أنهم يُبعَثون غرّاً مُحجَّلِين مِنْ أثرِ الطُّهورِ، ذكره الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي: صِفتُهم، والمعنى أنَّ صفةَ محمَّدٍ ﷺ وأصحابه ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ هذا. فأمَّا قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ ففيه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنَّ هذا المَثَلَ المذكورَ أنه في التَّوراةِ هو مَثَلُهم في الإنجيلِ. قال مُجاهِدٌ: مَثَلُهم في التَّوراة والإنجيل واحدٌ. **والثاني**: أنَّ المتقدِّمَ مَثَلُهم في التَّوراةِ. فأمَّا مَثَلُهم في الإنجيلِ فهو قولُه: ﴿كَزَرْعٍ﴾، وهذا قولُ الضَّحَّاكِ وابنِ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ مَثَلَهم في التَّوراةِ والإنجيلِ كزَرْعٍ، ذَكَرَ هذه الأقوالَ أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ: «شَطَأَهُ» بفتحِ الطاء والهمزة. وقرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «شطْأَه» بسكونِ الطاء. وكلُّهم يقرأ بهمزةٍ مفتوحةٍ. وقرأ أُبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو العَاليةِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «شَطَاءَهُ» بفتح الطاء وبالمَدِّ والهمزةِ وبألِفٍ. قال أبو عُبَيدَةَ: أي: فِراخَه، يُقال: أشطأَ الزَّرعُ فهو مُشطِئٌ: إذا أفرخَ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: سَاوَاهُ وصارَ مِثلَ الأُمِّ. وقرأ ابنُ عامرٍ: «فأزَرَهُ» مقصورةَ الهمزةِ مثلَ فَعَلَهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: آزرَهَ: أعانَهُ وقوَّاهُ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: غَلُظَ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ وهي جمع «ساق»، وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ عزَّ وجلَّ للنبيِّ ﷺ إذ خرجَ وحدَهُ، فأيَّدَهُ بأصحابه، كما قوَّى الطَّاقةَ مِنَ الزَّرْعِ بما نَبَتَ منها حتى كَبُرتْ وغَلُظَتْ واستحكَمَتْ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «على سُؤْقه» مهموزةً، والباقون: بلا همزةٍ. وقال قَتادَةُ: في الإنجيلِ: سَيَخرجُ قومٌ ينبُتون نباتَ الزَّرْعِ، وفيمَنْ أُرِيدَ بهذا المَثَلِ قولان[2]: **أحدهما**: أنَّ أصلَ الزَّرْعِ: عبدُ المُطَّلبِ «أخرج شطأه» أخرجَ محمَّداً ﷺ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بأبي بكرٍ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: بعُمَر ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: بعُثمانَ ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: عليِّ بنِ أبي طالبٍ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٧٣: الصواب قول من قال: مثلهم في التوراة غير مثلهم في الإنجيل وأن الخبر عن مثلهم في التوراة متناه عند قوله: ﴿**ذلك مثلهم في التوراة**﴾ وذلك لو كان القول: أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد، لكان التنزيل، ومثلهم في الإنجيل وكزرع أخرج شطأه، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفاً على قوله: ﴿**سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾ وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله: (كزرع) دليل بيّن على صحة ما قلنا.

(٢) لا يصح مثل هذا عن ابن عباس ولا عن سعيد بن جبير، بل هو من بدع التأويل.

ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ المرادَ بالزَّرع: محمَّدٌ ﷺ «أخرج شطأهُ»: أبو بكرٍ «فآزره»: بعُمرَ «فاستغلظ»: بعُثمانَ «فاستوى على سوقه»: بعليٍّ ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: يعني المؤمنين «لِيَغيظَ بهم الكُفّار» وهو قولُ عمرَ لأهلِ مكَّةَ: لا يُعْبَدُ اللهُ سِرًّا بعدَ اليوم، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، ومُبارَكٌ عن الحسَنِ. قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ أي: إنَّما كَثَّرهم وقوَّاهم لِيَغيظَ بهم الكُفّارَ، وقال مالكُ بنُ أنسٍ[1]: مَنْ أصبح وفي قلبِهِ غَيْظٌ على أصحابِ رسولِ الله ﷺ فقد أصابَتْهُ هذه الآيةُ. وقال ابنَ إدريس لا آمَنُ أنْ يكونوا قد ضارَعوا الكُفّارَ، يعني الرَّافِضةَ، لأنَّ الله تعالى يقول: «لِيَغيظَ بهم الكُفّار». قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ قال الزَّجّاجُ: في «مِنْ» قولان: **أحدهما**: أنْ يكونَ تخليصاً للجِنسِ مِنْ غيره، كقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[2]، ومِثلُه أنْ تقولَ: أنْفِقْ مِنَ الدَّراهِم، أي: اجعَلْ نفقتَكَ مِنْ هذا الجنسِ، قال ابنُ الأنباري: معنى الآية: وَعَدَ الله الذين آمَنوا مِنْ هذا الجِنسِ، أي: مِنْ جِنْسِ الصَّحابةِ. **والثاني**: أنْ يكونَ هذا الوَعْدُ لِمَنْ أقامَ منهم على الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسير» ٤/ ٢٤١: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم ثم قال: ﴿وعد الله الذين آمنوا منهم﴾ من هذه لبيان الجنس ﴿مغفرة﴾ أي لذنوبهم، ﴿وأجراً عظيماً﴾ أي ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً. ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مثواهم، وقد فعل.

- وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٦/ ٢٥٤: الصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، وهذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر. وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلائهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة. وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخبارهم لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب قال ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم» متفق عليه وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً لم يدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه.

(٢) الحج: ٣٠.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

وهي مدنيّة بإجماعهم

[١٣٠٣] رَوى ثَوبَانُ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنّ الله أعطاني السَّبْعَ الطُّول مكانَ التَّوراةِ، وأعطاني المِئِينَ مكانَ الإنجيلِ، وأعطاني مكانَ الزّبورِ المَثاني، وفَضَّلني ربِّي بالمُفَصَّلِ».

أمّا السَّبْعُ الطُّولُ فقد ذكرناها «عند قوله»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾[(١)]. وأمّا المِئُون، فقال ابنُ قُتَيبةَ: هي ما وَلِي الطُّولَ، وإنَّما سُمِّيتْ بالمِئِين، لأنَّ كلَّ سُورَةٍ تزيد على مائةِ آيةٍ أو تُقارِبُها، والمَثَاني: ما وَلِي المِئِينَ مِنَ السُّوَرِ التي دونَ المائةِ، كأنَّ المِئِينَ مَبادٍ، وهذه مَثانٍ. وأمَّا المُفَصَّلُ فهو ما يَلي المَثاني مِنْ قِصَار السُّوَرَ، وإنما سُمِّيتْ مُفَصَّلاً لِقِصَرها وكثرةِ الفُصُولِ فيها بسَطرِ: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم. وقد ذَكَرَ المَاوَرديُ في أولِ «تفسيره» في المُفَصَّلِ ثلاثةَ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: أنه مِنْ أول سُورَةِ (محمَّد) إلى آخرِ القرآن، قاله الأكثرون. **والثاني**: مِنْ سُورَةِ (قاف) إلى آخرِه، حكاه عيسى بنُ عمرَ عن كثيرٍ مِنَ الصحابةِ. **والثالث**: مِنَ (الضُّحى) إلى آخرِه، قاله ابنُ عباسٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ في سبب نُزولِها أربعةُ أقوالٍ:

[١٣٠٤] **أحدها**: أنَّ رَكْباً مِنْ بَني تَميمٍ قَدِموا على رسولِ الله ﷺ، فقال أبو بكرٍ: أَمِّرِ القَعْقاعَ بنَ

[١٣٠٣] جيد. أخرجه الطيالسي ١٠٧٤ وأحمد ٤/١٠٧ والطبري ١٢٦ والطحاوي في «المشكل» ١٣٧٩ من حديث واثلة بن الأسقع، وإسناده حسن. وله طرق وشواهد ذكرتها في «معالم التنزيل» للبغوي برقم (١١) والله الموفق.

[١٣٠٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٣٦٧ عن إبراهيم بن موسى به. وأخرجه أبو يعلى ٦٨١٦ من طريق هشام بن =

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٢٥٨: سورة قٓ هي أول الحزب المفصّل على الصحيح، وقيل: من الحجرات، وأما ما يقوله العامة: إنه من (عمّ)، فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم.

مَعْبَدٍ، وقال عمرُ: أَمِّرِ الأَقْرَعَ بنَ حابِسٍ، فقال أبو بكرٍ: ما أَرَدتَ إلاّ خِلافي، وقال عمرُ: ما أَرَدتُ خلافَكَ، فتَمارَيا حتى ارتفعَتْ أصواتُهما، فنزلَ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ﴾، فما كان عمرُ يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ بعدَ هذه الآيةِ حتى يَستفهِمَه، رواه عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ.

[١٣٠٥] **والثاني**: أنَّ قوماً ذَبَحوا قبلَ أنْ يُصَلِّي رسولُ الله ﷺ يومَ النَّحْرِ، فأَمَرهم رسولُ الله ﷺ أنْ يُعيدوا الذَّبحَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الحسَنُ.

[١٣٠٦] **والثالث**: أنها نَزَلَتْ في قومٍ كانوا يقولون: لو أنزلَ اللهُ فِيَّ كذا وكذا! فكَرِهَ اللهُ ذلك، وقَدَّمَ فيه، قاله قَتادَةُ.

[١٣٠٧] **والرابع**: أنها نَزَلَتْ في عمرِو بنِ أُميَّةَ الضَّمْريّ، وكان قد قَتَلَ رجُلين من بَني سليم قبلَ أنْ يستأذن رسولَ الله ﷺ، قاله ابنُ السَّائبِ.

ورَوى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ قال: لا تقولوا خلافَ الكتابِ والسُّنَّةِ. ورَوى العَوفيُّ عنه قال: نُهوا أنْ يتكلَّموا بينَ يَدَيْ كلامِه، ورُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها في هذه الآية قالت: لا تَصوموا قبلَ أنْ يصومَ نبيُّكُم. ومعنى الآية على جميع الأقوال[(١)]: لا تَعجَلُوا بقولٍ أو فعلٍ قبلَ أنْ يقولَ رسولُ

= يوسف به. وأخرجه البخاري ٤٨٤٧ والنسائي ٨/ ٢٢٦ وفي «التفسير» ٥٣٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٥٢ من طريق الحسن بن محمد عن حجاج بن محمد عن ابن جريج به. وأخرجه الترمذي ٣٢٦٢ والطبري ٣١٦٧٣ من طريق مؤمن بن إسماعيل عن نافع عن عمر بن جميل عن ابن أبي مليكه به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب حسن، وقد رواه بعضهم عن ابن أبي مليكة ـ مرسلاً، ولم يذكر عن عبد الله بن الزبير.

[١٣٠٥] ضعيف جداً. أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢٩٢٣ عن الحسن مرسلاً، وفيه انقطاع بين معمر والحسن، ومع ذلك مراسيل الحسن واهية كما هو مقرر عند علماء هذا الفن. وأخرجه الطبري ٣١٦٦٠ و ٣١٦٦١ عن الحسن أيضاً والصحيح في ذلك ما رواه البخاري وقد تقدم. **فائدة**: قال الزمخشري رحمه الله في «الكشاف» ٤/ ٣٥٣: وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله، إلا أن تزول الشمس. وعند الشافعي يجوز الذبح إذا مضى من الوقت مقدار الصلاة. وقد تقدم الكلام عليه في سورة الحج.

[١٣٠٦] أخرجه الطبري ٣١٦٦١ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

[١٣٠٧] عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم بالوضع. والقول الأول هو الراجح.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٤٢: هذه آداب أدّب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية، أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور. وقال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٤٤: إذا قلنا إنها نزلت في تقديم الطاعات على أوقاتها فهو صحيح، لأن كل عبادة مؤقتة بميقات لا يجوز تقديمها عليه، كالصلاة والصوم والحج، وذلك بين، إلا أن العلماء اختلفوا في الزكاة لما كانت عبادة مالية، وكانت مطلوبة لمعنى مفهوم، وهو سد خلّة الفقير، ولأن النبي ﷺ استعجل من العباس صدقة عامين، ولما جاء من جمع صدقة الفطر قبل يوم الفطر حتى تعطى لمستحقها يوم الوجوب، وهو يوم الفطر، فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها. وقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز تقديمها لعام ولاثنين. فإن جاء رأس العام والنصاب بحاله وقعت موقعها، وإن جاء رأس الحول وقد تغير النصاب تبين أنها صدقة تطوع. وقال أشهب: لا يجوز تقديمها على الحول لحظة، كالصلاة، وكأنه طرد الأصل في العبادات فرأى أنها إحدى دعائم الإسلام، فوفّاها =

الله ﷺ أو يفعلَ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال فُلانٌ يُقَدِّم بين يَدَي الإمامِ وبينَ يدَي أبيه، أي: يُعجِّلُ بالأمرِ والنَّهي دونَهُ. فأمّا «تُقدِّموا» فقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو هُريرَةَ، وأبو رَزِينٍ، وعائشةُ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ وابنُ سِيرينَ، وقَتادَةُ، وابنُ يَعمُرَ، ويعقوبُ: بفتحِ التاء والدال؛ وقرأ الباقون: بضمِّ التاء وكسرِ الدال. قال الفَرّاءُ: كلاهما صوابٌ، يُقال: قَدَّمتُ، وتَقَدَّمتُ؛ وقال الزَّجّاجُ: كلاهما واحدٌ؛ فأمّا «بينَ يَدَي الله ورسولِه» فهو عبارةٌ عن الأمامِ، لأنَّ ما بين يَدَيِ الإنسان أمامَه؛ فالمعنى: لا تَقدَّموا قُدّامَ الأمير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣٠٨] أحدهما: أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ رَفَعا أصواتَهما فيما ذكرناه آنِفاً في حديثِ ابنِ الزُّبيرِ، وهذا قولُ ابنِ أبي مُلَيكَةَ.

[١٣٠٩] والثاني: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس، وكان جهوريَّ الصَّوت، فربما كان إذا تكلّم تأذّى رسول الله ﷺ بصوته. قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ فيه قولان. أحدهما: أن الجهر بالصَّوت في المخاطبة، قاله الأكثرون. والثاني: لا تدعوه باسمه يا محمد كما يدعو بعضكم بعضاً ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبيَّ الله، وهو معنى قول سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تحبط. وقال الأخفش: مخافة أن تحبط، قال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المنزلة، لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾.

[١٣١٠] قال ابنُ عباسٍ: لمَّا نَزلَ قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ تألّى أبو بكرٍ أنْ لا يُكلّم رسول

[١٣٠٨] انظر الحديث المتقدم ١٣٠٤.

[١٣٠٩] غريب. قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٣٥٣: لم أجده اهـ. قلت: ويغني عنه حديث أنس. أخرجه البخاري ٣٦١٣ و ٤٨٤٦ ومسلم ١٨٨ والنسائي في «التفسير» ٥٣٣ والواحدي في «أسبابه» ٧٥٣ والبغوي في «التفسير» ٤/ ٨٩. وله شواهد كثيرة راجع الطبري ٣١٦٦٩ ـ ٣١٦٧٩ ـ ٣١٧١. ولفظ البخاري في الرواية الأولى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: «ما شأنك» فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى بن أنس فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: «إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة».

[١٣١٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٥٥ بدون إسناد عن ابن عباس. وأخرجه البزار ٢٢٥٧ «كشف» وابن عدي ٢/ ٣٩٦ والحاكم ٣/ ٧٤ من حديث أبي بكر، وإسناده ضعيف لضعف حصين بن عمر الأحمسي، فإنه =

= حقّها في النظام وحسن الترتيب. ورأى سائر علمائنا أن التقديم اليسير فيها جائز، لأنه معفوٌ عنه في الشرع، بخلاف الكثير. وما قاله أشهب أصح، فإن مفارقة اليسير الكثير في أصول الشريعة صحيح، ولكنه لمعان تختص باليسير دون الكثير، فأما في مسألتنا فاليوم فيه كالشهر والشهر كالسنة، فإما تقديم كلي كما قال أبو حنيفة والشافعي، وإما حفظ العبادة وقصرها على ميقاتها كما قال أشهب وغيره، وذلك يقوى في النظر، والله أعلم.

الله ﷺ إلاّ كأخي السِّرَارِ، فأنزلَ الله في أبي بكرٍ: «إنَّ الذين يَغُضُّون أصواتَهم».

والغضُّ: النَّقصُ كما بيَّنَّا عندَ قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾(١). ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أخلَصَها ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ مِنَ المَعصيةِ. وقال الزَّجَّاجُ: اختبَرَ قلوبَهُم فوجدَهُم مُخلِصِينَ، كما تقول: قد امتَحَنْتُ هذا الذَّهبَ والفِضَّةَ، أي: اختبَرْتَهما بأَنْ أَذَبْتَهما حتى خَلَصا، فَعَلِمتَ حقيقةَ كلِّ واحدٍ منهما. وقال ابنُ جَريرٍ: اختبَرَها بامتِحانِهِ إيَّاها، فاصطفَاها وأخلَصَها للتَّقوى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣١١] **أحدها**: أنَّ بَني تَمِيم جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ فنادَوْا على الباب: يا محمَّدُ اخرُجْ إلينا، فإنَّ مَدْحَنا زَيْن وإنَّ ذَمَّنا شَيْن، فخرَجَ وهو يقول: «إنما ذلكم الله» فقالوا: نحن ناسٌ مِنْ بني تَمِيم جئنا بشَاعِرنا وخَطِيبنا نُشاعِرَكَ ونُفاخِرَك، فقال: «ما بالشِّعرِ بُعِثْتُ ولا بالفخارِ أُمِرْتُ، ولكنْ هاتوا»، فقال الزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ لِشَابٍّ منهم: قُمْ فاذكُرْ فَضْلَكَ وفَضْلَ قومِكَ، فقام فذَكَرَ ذلك، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ ثابتَ بنَ قيسٍ، فأجابه، وقام شاعِرُهم، فأجابه حسَّانُ، فقال الأقرَعُ بنُ حابسٍ: واللهِ ما أدري ما هذا الأمرُ؟! تكلَّم خطيبُنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وتكلَّم شاعرُنا فكان شاعرُهم أشعَرَ، ثم دَنَا فأسلَمَ، فأعطاهم رسولُ الله ﷺ وكَسَاهُم، وارتفعَتِ الأصواتُ وكَثُرَ اللَّغَطُ عندَ رسولِ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيَةُ، هذا قولُ جابرِ بنِ عبدِالله في آخرين.

[١٣١٢] وقال ابنُ إسحَاق: نزلت في جُفَاةِ بَني تَمِيمٍ، وكان فيهم الأقرَعُ بنُ حابِسٍ، وعُيَينَةُ بنُ

= متروك، وبه أعله ابن عدي، وأما الحاكم فقد صححه! وتعقبه الذهبي فقال: حصين بن عمر واهٍ.
وورد من حديث أبي هريرة، أخرجه الحاكم ٢/ ٤٦٢ وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقد ذهب ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٤٢ إلى أن هذا الحديث يتأيد بشواهده والله أعلم.

[١٣١١] أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧٥٩ من حديث جابر مطوّلاً وفيه معلى بن عبد الرحمن ضعيف.
وهذا الخبر أخرجه ابن سعد في «الطبقات ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ من طريق الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري، وعن عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو مرسلاً بنحوه، والواقدي متروك. وأخرجه ابن إسحاق وابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٩٠ من حديث ابن عباس بنحوه. وصدر الحديث ورد مسنداً عند الترمذي ٣٢٦٧ والنسائي في «التفسير» ٥٣٥ والطبري ٣١٦٧٦ من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء: «﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن حمدي زين، وإن ذمي شين فقال: ذاك الله تبارك وتعالى». قال الترمذي: حديث حسن غريب. وقال ابن كثير في «السيرة» بعد أن ذكر هذا الحديث ٤/ ٨٦: وهذا إسناد جيد متصل. وله شاهد من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس. أخرجه أحمد ٣/ ٤٨٨ و ٦/ ٣٩٣ و ٣٩٤ والطبري ٣١٦٧٩ والطبراني ٨٧٨. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٠٨: وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح، إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع، وإلا فهو مرسل. وأخرجه الطبري ٣١٦٨١ عن قتادة مرسلاً و ٣١٦٨٤ عن الحسن مرسلاً.

[١٣١٢] عزاه المصنف لابن إسحق، وهذا معضل انظر «الدر» ٦/ ٩٠.

---

(١) النور: ٣٠.

حصن، والزِّبْرِقان بن بَدر، وقيس بن عاصم المِنقري، وخالدُ بنُ مالكٍ، وسُوَيدُ بنُ هشامٍ، وهما نَهشَليَّانِ، والقعقاعُ بن مَعْبَدٍ، وعطاءُ ابنُ حابسٍ، ووَكِيعُ بنُ وَكِيعٍ.

[١٣١٣] **والثاني**: أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ سريَّةً إلى بني العنبرِ، وأمَّرَ عليهم عُيَينةَ بنَ حِصنٍ الفَزاريَ، فلمَّا عَلِموا بذلك هربوا وتركوا عِيالَهم، فسَباهُم عُيَينةُ، فجاء رِجالُهم يَفْدُون الذَّرارِي، فقَدِموا وقتَ الظَّهيرةِ ورسولُ الله ﷺ قائِلٌ، فجعلوا يُنادون: يا محمَّدُ اخرُجْ إلينا، حتى أيقظوهُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٣١٤] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنَ العرب قال بعضُهم لبعضٍ: انطَلِقوا بنا إلى هذا الرجلِ، فإنْ يكن نبيّاً نَكُنْ أسعَدَ الناسِ به، وإنْ يكُنْ مَلِكاً نَعِشْ في جناحِه، فجاؤوا، فجعلوا يُنادون: يا محمَّدُ، يا محمَّدُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله زيدُ بنُ أرقَمَ.

فأمَّا «الحُجرات» فقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعائشةُ، وأبو عبدِالرَّحمنِ السُّلَميُّ، ومُجاهِدٌ وأبو العَالِيةِ، وابنُ يَعمَرَ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ: بفتح الجيم؛ وأسكنَها أبو رَزِينٍ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ أبي عَبلَةَ؛ وضمَّها الباقون. قال الفَرَّاءُ: وجهُ الكلام أنْ تُضمَّ الحاءُ والجيمُ، وبعضُ العرب يقول: الحُجَرات والرُّكبات، وربما خَفَّفوا فقالوا: «الحُجْرات» والتخفيفُ في تَميم، والتثقيلُ في أهلِ الحِجازِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: وأحدُ الحُجُرات حُجْرَة، مثل ظُلْمَة وظُلُمات، قال المُفسِّرون: وإنما نادَوا مِنْ وراء الحُجراتِ، لأنهم لم يعلموا في أيِّ الحُجَرِ رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: لَكانَ الصَّبرُ خيراً لهم، وفي وَجهِ كونِه خيراً لهم قولان: **أحدهما**: لَكانَ خيراً لهم فيما قدموا له مِنْ فِداءِ ذَرارِيهم، فلو صَبَروا خَلَّى سبيلَهُم بغيرِ فِداءٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: لَكانَ أحسنَ لآدابِهم في طاعةِ الله ورسولِه، ذكره المَاوَرديُ. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لِمَنْ تَابَ منهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

[١٣١٣] غريب: لم أقف عليه بهذا السياق. وهذا الخبر قد ورد في السيّر. فقد أخرجه الواقدي في «المغازي» ص ٩٧٣ ـ ٩٧٩ عن سعيد بن عمرو، والزهري مطولاً. والواقدي متروك. وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٥ و «سيرة ابن هشام» ٤/ ٢٠٣ و «سيرة ابن كثير» ٤/ ٧٩ ـ ٨٥.

[١٣١٤] أخرجه الطبري ٣١٦٧٨ من طريق داود الطفاوي عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم به، وإسناده ضعيف، أبو مسلم مجهول، وداود ضعفه ابن معين، ووثقه ابن حبان، ومع ذلك يشهد له حديث جابر.

الخلاصة: أكثر هذه الروايات يذكر فيها الأقرع بن حابس، والظاهر أنه قدم معه وفد فتارة يذكر الرواة الوفد، وتارة يذكرون الأقرع ويسمونه لأنه أمير الوفد من بني تميم، فالحديث أصله محفوظ، وقد جوّد ابن كثير أحد طرقه كما تقدم، وتقدم أيضاً أسباباً أخرى لنزول هذه الآيات، والظاهر تعدد الأسباب، والله أعلم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.

[١٣١٥] نزلت في الوليدِ بن عُقبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، بَعثَهُ رسولُ الله ﷺ إلى بَني المُصطَلِقِ ليقبض صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوةٌ في الجاهليَّةِ، فلما سمع به القوم تلقَّوهُ تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، ثم إنه رجعَ إلى النبيِّ ﷺ وقال: إنَّ بَني المُصطَلِقِ قد مَنَعوا الصَّدقةَ وأرادوا قتلي، فصَرفَ رسولُ الله ﷺ البعْثَ إليهم، فنزلت هذه الآيةُ.

وقد ذَكرتُ القصد في كتاب «المُغني» وفي «الحدائق» مُستوفَاة، وذَكرتُ معنى «فتبيَّنوا» في سُورَةِ النِّساء(١)، والنَّبأ: الخَبرُ، و «أنْ» بمعنى «لئلاً»، والجَهالَةُ هاهنا: أنْ يجهلَ حالَ القومِ، ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ مِنْ إصابَتِهم بالخطأ ﴿نَٰدِمِينَ﴾. ثم خوَّفَهم فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ أي إنْ كَذَبتُموه أخبره الله فافتُضِحتُم، ثم قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي ممَّا تُخبرونَهُ فيه بالباطِلِ ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ أي لَوَقَعتُم في عَنَتٍ. قال ابنُ قُتيبة: وهو الضَّررُ والفَسادُ. وقال غيرُه: هو الإثمُ والهَلاكُ. وذلك أنَّ المسلمين لمَّا سَمِعوا أنَّ أولئكَ القومَ قد كفروا قالوا:

[١٣١٦] ابْعَثْ إليهم يا رسولَ الله واغزُهم واقتُلْهم.

ثم خاطبَ المؤمنين فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْعِصْيَانَ﴾، ثم عادَ إلى الخبرِ عنهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ أي: المُهتَدون إلى محاسنِ الأمورِ، ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجّاجُ: المعنى: ففعلَ بكم ذلك فضلاً، أي: للفَضلِ والنِّعمةِ.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

[١٣١٥] جيد. أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٩ والطبراني في «الكبير» ٣٣٩٥ والواحدي في «أسباب النزول» من حديث الحارث بن ضرار. قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٣٥٢: رجال أحمد ثقات. وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٠٩ هذا الحديث أحسن ما روي في هذه القصة اهـ. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣٨٠٩ من حديث جابر، وإسناده ضعيف، لضعف عبد الله بن عبد القدوس وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٣٥٥. وورد من حديث علقمة بن ناجية: أخرجه الطبراني ١٧/ ٦ ـ ٨ وإسناده ضعيف، لضعف يعقوب بن كاسب، لكن توبع كما ذكر الهيثمي في «المجمع» ١١٣٥٤. وورد من حديث أم سلمة: أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٣/ ٤٠١ وقال الهيثمي ١١٣٥٧: فيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. وورد عن قتادة مرسلاً. أخرجه الطبري ٣١٦٨٨. وورد من مرسل يزيد بن رومان: أخرجه الطبري ٣١٦٩٢. وورد من مرسل ابن أبي ليلى. أخرجه الطبري ٣١٦٩٠ و ٣١٦٩١. فالحديث بهذه الشواهد الموصولة والمرسلة يتقوى ويرقى إلى درجة الحسن الصحيح والله أعلم. وانظر مزيد الكلام عليه في «أحكام القرآن» لابن العربي ١٩٨٦ و «تفسير القرطبي» ٥٥٦١ بتخريجنا ولله الحمد والمنة.

[١٣١٦] لم أجده بهذا اللفظ. وأخرجه الطبري ٣١٦٩٢ عن ابن إسحق عن يزيد بن رومان بنحوه.

---

(١) النساء: ٩٤.

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ. . .﴾ الآية، في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣١٧] أحدهما: ما رَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ قال: قيلَ لرسولِ الله ﷺ: لو أتيتَ عبدَالله بنَ أُبيٍّ، فرَكِبَ حماراً وانطلَقَ معه المسلمون يمشون، فلمَّا أتاهُ النبيُّ ﷺ، قال: إليكَ عني، فَوَاللهِ لقد آذاني نَتَنُ حمارِكَ، فقال رجلٌ مِنَ الأنصار: واللهِ لَحِمارُ رسولِ الله أطيبُ ريحاً منكَ، فغضبَ لعبدِ اللهِ رجلٌ مِنْ قومه، وغضبَ لكلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينهم ضربٌ بالجَريدِ والأيدي والنِعالِ، فبَلَغنا أنه أُنزلت فيهم «وإِنْ طائفتان. . .» الآية.

[١٣١٨] وقد أخرجا جميعاً مِنْ حديث أسامةَ بنِ زيدٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج يعودُ سعدَ بنَ عُبادَةَ، فمَرَّ بمجلسٍ فيهم عبدُالله بن أُبيٍّ، وعبدُالله بن رَواحةَ، فخَمَّرَ ابن أُبيٍّ وجهَهُ بردائِه، وقال: لا تُغَبِّروا علينا، فذكَر الحديثَ، وأنَّ المسلمين والمشركين واليهودَ استَبُّوا. وقد ذكرتُ الحديثَ بطُولِه في «المغني» و «الحدائق».

[١٣١٩] وقال مُقاتِلٌ: وقفَ رسولُ الله ﷺ على الأنصار وهو على حمارٍ له، فبَالَ الحمارُ، فقال عبدُالله بنُ أُبَي: أُفٍّ، وأمسَكَ على أنفِه، فقال عبدُالله بنُ رَواحةَ: واللهِ لَهُوَ أطيبُ ريحاً منكَ، فكان بين قومِ ابنِ أُبيٍّ وابنِ رَواحةَ ضَربٌ بالنِعالِ والأيدي والسَّعَفِ، ونزلت هذه الآيةُ.

[١٣٢٠] والقول الثاني: أنها نزلت في رَجُلَين مِنَ الأنصار كانت بينهما مُمَاراةٌ في حقٍ بينهما، فقال أحدهما: لآخُذَنَّ حقي عَنوةً، وذلك لكثرةِ عشيرَتِه، ودعاه الآخرُ لِيُحاكِمَهُ إلى رسولِ الله ﷺ، فلم يَزَلِ الأمرُ بينهما حتى تناولَ بعضُهم بعضاً بالأيدي والنِّعالِ، قاله قَتادةُ.

وقال مُجاهِدٌ: المراد بالطَّائفتين: الأَوسُ والخَزرَجُ؛ اقتَتَلُوا بالعِصِي بينهم. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ الجَوْنيُّ: «اقتتلا» على فعلِ اثنين مُذَكَّرين. وقرأ أبو المُتوكِّلِ النَّاجي، وأبو الجَوْنِ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «اقتتلتا» بتاءٍ وألِفٍ بعدَ اللام على فعلِ اثنين مؤنَّثَتين. وقال الحسَنُ وقَتادَةُ والسُّدِّيُّ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَآ﴾(١) بالدعاء إلى حُكمِ كتابِ الله عزَّ وجلَّ والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فَإِنْ

[١٣١٧] صحيح. أخرجه البخاري ٢٦٩١ عن مسدد ثنا معمر قال سمعت أبي يقول، وأخرجه مسلم ١٧٩٩ وأحمد ٣/ ١٥٧ و ٢١٩ وأبو يعلى ٤٠٨٣ والطبري ٣١٦٩٩ والبيهقي ٨/ ١٧٢ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٦١ و «الوسيط» ٤/ ١٥٣ من طرق عن المعتمر بن سليمان به. فالحديث صحيح، ولكن ذكر نزول الآية الظاهر أنه من كلام سليمان، وأنه مدرج في الحديث، والله أعلم.

[١٣١٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٥٦٦ و ٥٦٦٣ و ٦٢٥٤ ومسلم ١٧٩٨ وأحمد ٥/ ٢٠٣ وابن حبان ٦٥٨١ من حديث أسامة بن زيد، وهو حديث مطول.

[١٣١٩] عزاه المصنف لمقاتل، وهو واهٍ، لكن ورد أيضاً عن الزهري، أخرجه الطبري ٣١٧١٠ مع اختلاف يسير فيه ولأصله شواهد، لكن ذكر نزول الآية لا يصح.

[١٣٢٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٣١٧٠٧ و ٣١٧٠٨ عن قتادة مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ١٤٩: هذه الآية هي الأصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة. ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة. وقوله تعالى: **﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾** أمر الله تعالى بالقتال، وهو فرض على الكفاية وإن الله سبحانه أمر بالصلح قبل القتال، وعين القتال عند =

بغت إحداهما﴾ طلبَتْ ما ليس لها ولم ترجعْ إلى الصُّلح ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ أي ترجعَ ﴿إلى أمر الله﴾ أي إلى طاعتِه في الصُّلحِ الذي أمَر به. قوله تعالى: ﴿وأقسطوا﴾ أي: أعدِلُوا في الإصلاحِ بينهما.

قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ قال الزَّجَّاجُ: إذا كانوا مُتَّفِقين في دِينِهم رَجعوا باتِّفاقِهم إلى أصلِ النَّسَبِ، لأنهم لآدمَ وحوَّاءَ، فإذا اختلفتْ أديانُهم افترَقوا في النَّسَبِ.

قوله تعالى: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ قرأ الأكثرون: «بين أخويكم» بياءٍ على التثنية. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، ومُعاويةُ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ جُبَيرٍ، وقَتادةُ، وأبو العَاليةِ، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «بين إخوتكم» بتاءٍ مع كسرِ الهمزة على الجمع. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وأبو عبدِالرَّحمنِ السُّلَميُّ، والحسَنُ، والشَّعْبيُّ، وابنُ سِيرِينَ: «بين إخوانكم» بالنونِ وألِفٍ قبلَها. قال قَتادةُ: ويعني بذلك الأَوْسَ والخَزرَجَ.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ هذه الآيةُ نزلت على ثلاثةِ أسبابٍ؛ فأمَّا أوَّلُها إلى قوله تعالى: ﴿خيرا منهم﴾ فنزلت على سببٍ، وفيه قولان:

[١٣٢١] **أحدهما**: أنَّ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ جاء يوماً يريد الدُّنُوَّ مِنْ رسول الله ﷺ، وكان به صَمَمٌ، فقال لرجلٍ بين يديه: افسَحْ، فقال له الرجلُ: قد أصَبْتَ مجلساً، فجلسَ مُغْضَباً، ثم قال للرجل: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا فلانٌ، فقال ثابتٌ: أنتَ ابنُ فُلانةٍ!! فذكَر أُمّاً له كان يُعَيَّرُ بها في الجاهلية، فأغضَى الرجلُ ونَكَسَ رأسَهُ، ونزلَ قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٣٢٢] **والثاني**: أنَّ وَفدَ تَميم استهزَؤوا بفقراءِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ لِمَا رَأَوا مِنْ رَثَاثةِ حالِهم، فنزلت هذه الآيةُ، قاله الضَّحَّاكُ ومُقاتِلٌ.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ولا نساء من نساء﴾ فنزلت على سببٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٢١] لا أصل له، ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٢ بدون إسناد. وقال الحافظ في «الكشاف» ٤/ ٣٧٠ ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بدون إسناد. وعزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس.

[١٣٢٢] عزاه المصنف للضحاك ومقاتل، أما الضحاك فقد روى مناكير كثيرة، وأما مقاتل، فهو ممن يضع الحديث، فهذا الخبر لا شيء.

= البغي وقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه البغاة والمرتدين، فأما البغاة فهم الذين منعوا الزكاة بتأويل ظناً منهم أنها سقطت بموت النبي ﷺ ـ وفي قتال المسلمين للفئة الباغية قال: ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع منهزمهم، لأن المقصود دفعهم لا قتلهم.

[١٣٢٣] أحدها: أنَّ نساءَ رسول الله ﷺ عيَّرن أُمَّ سَلَمةَ بالقِصَرِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. وزعَمَ مُقاتِلٌ أنَّ عائشةَ استهزأَتْ مِنْ قِصَرِ أُمِّ سَلَمةَ.

[١٣٢٤] والثاني: أنَّ امرأتين مِنْ أزواج رسولِ الله ﷺ سَخِرَتا مِنْ أُمِّ سَلَمَة زوجِ رسولِ الله ﷺ، وكانت أُمُّ سَلَمَةَ قد خرجت ذاتَ يوم وقد ربطَتْ أحدَ طَرَفَيْ جلبابِها على حَقْوِها، وأَرْخَتِ الطَّرفَ الآخرَ خلفَها، ولا تَعلَمُ، فقالت إحداهُما للأخرى: انظُرِي ما خَلْفَ أُمِّ سَلَمَةَ كأنه لِسانُ كلبٍ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٣٢٥] والثالث: أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطَبَ أتَتْ رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ النساءَ يُعيِّرنَني ويَقُلْنَ: يا يهوديَّة بنتَ يَهُوديِّين، فقال رسولُ الله ﷺ: «هَلاَّ قُلْتِ: إنَّ أبي هارُونُ، وإنَّ عمّي موسى، وإنَّ زوجي محمَّدٌ»، فنزلت هذه الآيةُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ فنزلت على سببٍ، وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٢٦] أحدها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَدِمَ المدينةَ ولهم ألقابٌ يُدْعَون بها، فجعلَ الرجلُ يدعو الرجلَ بلَقَبِه، فقِيلَ له: يا رسولَ الله، إنهم يَكرهون هذا، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾، قاله أبو جَبِيرةَ بنُ الضَّحَّاكِ.

[١٣٢٧] والثاني: أنَّ أبا ذَرٍّ كان بينه وبين رجلٍ مُنازَعةٌ، فقال له الرجلُ: يا ابنَ اليَهوديَّةِ، فنزلَتْ: «ولا تَنابزوا بالألقاب»، قاله الحسَنُ.

[١٣٢٣] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٣م عن أنس بدون إسناد، فهو لا شيء. وقول مقاتل واهٍ فهو يضع الحديث.

[١٣٢٤] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد رويا عن ابن عباس تفسير موضوعاً. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٦٣ بدون إسناد، ومن غير عزو لقائل، وذلك دليل أنه من رواية الكلبي، والأئمة ينأون عن ذكره، فإن وجد في إسناد أسقطوا الإسناد.

[١٣٢٥] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٤ عن عكرمة عن ابن عباس به معلقاً بدون إسناد، وأخرج الترمذي ٣٨٩٤ وابن حبان ٧٢١١ وعبد الرزاق في «المصنف» ٢٠٩٢١ وأحمد ٦/ ١٣٥ ـ ١٣٦ عن أنس قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت لها: ابنة يهودي، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال لها النبي ﷺ: وما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة. إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي فبم تفخر عليك، ثم قال: اتق الله يا حفصة. وإسناده على شرط الشيخين، لكن ليس فيه ذكر نزول الآية كما ترى. فهذا الذي صح في شأن صفية، وذكر نزول الآية لا يصح.

[١٣٢٦] جيد. أخرجه أبو داود ٤٩٦٢ والترمذي ٣٢٦٨ والنسائي في «التفسير» ٥٣٦ وابن ماجة ٣٧٤١ وأحمد ٤/ ٢٦٠ والبخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٠ والحاكم ٢/ ٤٦٣ و ٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ والطبري ٣١٧١٧ و ٣١٧١٨ و ٣١٧١٩ و ٣١٧٢٠ من حديث أبي جبيرة بن الضحاك، ورجاله رجال مسلم، لكن اختلف في صحبة أبي جبيرة وصححه الحاكم في الموضع الأول على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه أحمد ٤/ ٦٩ و ٥/ ٣٨٠ بإسناد جيد عن أبي جبيرة عن عمومة له، وهذا موصول قوي الإسناد. وانظر «فتح القدير» ٢٣٢٠ و «أحكام القرآن» ١٩٩٩ بتخريجنا.

[١٣٢٧] عزاه المصنف للحسن، ولم أقف عليه، وهو مرسل، ومراسيل الحسن واهية. وورد بنحوه دون ذكر نزول الآية. أخرجه أحمد ٥/ ١٥٨ عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى». قال الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٨٣: رجاله ثقات إلا أن بكر بن عبد الله المزني لم يسمع من =

[١٣٢٨] **والثالث**: أنَّ كَعبَ بنَ مالكٍ الأنصاريَّ كان بينه وبينَ عبدِالله بنِ أبي حَدْرَد الأسلَميِّ كلامٌ، فقال له: يا أعرابيُّ، فقال له عبدُالله: يا يَهوديُّ، فنزلت فيهما: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾، قاله مُقاتِلٌ.

وأمَّا التَّفسيرُ، فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ أي: لا يَستهزئ غنيٌّ بفقيرٍ، ولا مَستورٌ عليه ذَنْبُه بمَنْ لم يُستَرْ عليه، ولا ذو حَسَبٍ بلئيم الحَسَبِ، وأشباه ذلك ممَّا يتنقَّصه به، عسى أنْ يكونَ عند اللهِ خيراً منه. وقد بيَّنَّا في البقرة[١] أنَّ القومَ اسمُ الرِّجال دونَ النِّساءِ، ولذلك قال: «ولا نساءٌ من نساء» و «تَلْمِزوا» بمعنى تَعِيبوا، وقد سبق بيانُه[٢]. والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخوان. والمعنى: لا تَعِيبوا إخوانَكم مِنَ المسلمين لأنهم كأنفسِكم. والتَّنابُز: التَّفَاعُل مِنَ النَّبزِ، وهو مصدرٌ، والنَّبَز الاسمُ. والألقابُ جمعُ لَقَبٍ، وهو اسمٌ يُدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سُمِي به. قال ابنُ قُتَيبةَ: «ولا تنابزوا بالألقاب» أي لا تَتداعَوْا بها. و الألقاب و الأنباز واحدٌ.

[١٣٢٩] ومنه الحديث: «نَبْزُهم الرافضة» أي: لَقَبُهم.

وللمُفسِّرين في المراد بهذه الألقاب أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: تَعييرُ التَّائبِ بسيِّئاتٍ قد كان عَمِلَها، رواه عَطِيَّةُ العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه تسميتُه بعد إسلامِه بدِينِه قبلَ الإسلام، كقولِه لليَهوديِّ إذا أَسلَمَ: يا يَهوديّ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال الحَسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعَطاءٌ الخُراسانيُّ، والقُرظيُّ. **والثالث**: أنه قولُ الرجلِ للرجلِ: يا كافرُ، يا مُنافقُ، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: أنه تسميتُه بالأعمالِ السَّيئةِ، كقوله: يا زاني؛ يا سَارِقُ، يا فاسِقُ، قاله ابنُ زيدٍ. قال أهلُ العلم: والمراد بهذه الألقاب: ما يَكرهه المُنادَى به، أو يُعَدُّ ذمّاً له. فأمَّا الألقابُ التي تُكسِبُ حمداً وتكون صِدْقاً، فلا تُكرَهُ، كما قيلَ لأبي بكرٍ: عَتِيق، ولِعُمَر: فارُوق، ولِعُثمانَ: ذو النُّورَين، ولعليٍّ: أبو تُرابٍ: ولِخالدٍ:

= أبي ذر. فالإسناد ضعيف. وذكر نزول الآية لم أره أصلاً، وكذا قوله: «يا ابن اليهودية». والذي صح في هذا الباب هو ما أخرجه البخاري ٦٠٥٠ ومسلم ١٦٦١ وأبو داود ١٥٧ والترمذي ١٩٤٥ من حديث أبي ذر «... كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ، فقال لي: أساببت فلاناً؟ قلت: نعم، قال: أفنلت من أمه؟ قلت: نعم، قال: إنك امرؤ فيك جاهلية». وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٠٠ بتخريجنا.

[١٣٢٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، كذبة غير واحدة فهذا خبر ليس له أصل.
وأصح هذه الأقول هو الحديث ١٣٢٦.

[١٣٢٩] باطل. أخرجه البغوي في «معالم التنزيل» ١٩٨٨ من حديث علي، وإسناده ساقط، فيه فضيل بن مرزوق ضعيف، ومن فوقه مجاهيل. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه ابن عدي ٥/ ١٥٣ وأعله بعمر بن المخرم، وقال: يروي عن ابن عيينة وغيره البواطيل.

---

(١) البقرة: ٥٤. (٢) التوبة: ٥٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٣٩٢: والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهي المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها.

سيفُ اللهِ، ونحو ذلك. وقوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾ أي: تسميته فاسقاً أو كافراً وقد آمَنَ، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ مِنَ التَّنابُز ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: الضَّارُّونِ لأنفسِهم بمَعصِيَتِهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: هم أظلَمُ مِنَ الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابنُ زيدٍ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نهى الله تعالى المؤمنَ أنْ يَظُنَّ بالمؤمن شرّاً. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو الرجل يسمعُ مِنْ أخيه كلاماً لا يريد به سوءاً، أو يَدخُل مَدخلاً لا يريد به سُوءاً، فيَراهُ أخوه المسلمُ فيَظُنُّ به سوءاً. وقال الزَّجَّاجُ: هو أنْ يظُنَّ بأهلِ الخير سُوءاً. فأمَّا أهلُ السوءِ والفِسْقِ، فلنا أنْ نظنَّ بهم مِثْلَ الذي ظَهر منهم. قال القاضي أبو يَعلَى: هذه الآية تدلُّ على أنه لم يُنْهَ عن جميع الظَّنِّ؛ والظَّنُّ على أربعةِ أضْرُبٍ. مَحظُورٌ، ومأمُورٌ به، ومُباحٌ، ومَندُوبٌ إليه، فأمَّا المَحظُور، فهو سوءُ الظَّنِّ بالله تعالى، والواجبُ: حُسْنُ الظَّنِّ بالله، وكذلك سُوءُ الظَّنِّ بالمسلمين الذين ظاهِرُهم العَدالةُ مَحظُورٌ، وأمَّا الظَّنُّ المَأمورُ به، فهو ما لم يُنْصَبْ عليه دليلٌ يُوصِلُ إلى العِلْمِ به، وقد تُعبِدنا بتنفيذ الحُكْمِ فيه، والاقتصارِ على غالبِ الظَّنِّ، وإجراءُ الحُكمِ عليه واجبٌ، وذلك نحو ما تُعبِدنا به مِنْ قَبولِ شهادةِ العُدُولِ، وتَحرّي القِبلَةِ، وتقويمِ المُستهلَكاتِ، وأروشِ الجِناياتِ التي لم يَرِدْ بمقاديرِها توقيفٌ، فهذا وما كان مِنْ نظائره قد تُعُبِّدنا فيه بأحكامِ غالبِ الظُّنونِ. فأمَّا الظَّنُّ المُباحُ، فَكالشَّاكِّ في الصلاة إذا كان إماماً، أمرَهُ النبيُّ ﷺ بالتَّحري والعملِ على ما يَغْلِبُ في ظَنِّه، وإنْ فعلَهُ كان مُباحاً، وإنْ عَدَلَ عنه إلى البِناءِ على اليقينِ كان جائزاً.

[١٣٣٠] وروى أبو هُريرَةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا ظَننْتم فلا تُحقِّقوا»، وهذا مِنَ الظَّنِّ الذي يَعرِض في قلبِ الإنسان في أخيه فيما يُوجب الريبةَ، فلا ينبغي له أنْ يُحقِّقَهُ.

وأمَّا الظَّنُّ المَندوبُ إليه، فهو إحسانُ الظَّنِّ بالأخِ المسلمِ يُندَب إليه ويُثابُ عليه.

[١٣٣١] فأمَّا ما رُوِيَ في الحديث: «احترِسُوا مِنَ الناس بسُوءِ الظَّنِّ»، فالمراد: الاحتِراسُ بحفظِ المالِ، مثل أنْ يقولَ: إنْ تركتُ بابي مفتوحاً خشيتُ السُّرَّاقَ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قال المُفسِّرون: هو ما تكلَّم به ممَّا ظنَّه مِنَ السُّوءِ بأخيه المسلم، فإنْ لم يتكلَّم به فلا بأسَ، وذهب بعضُهم إلى أنه يأثَمُ بنَفسِ ذلك الظَّن وإنْ لم يَنْطِق به. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقرأ أبو رَزينٍ والحسَنُ والضَّحَّاكُ وابنُ سِيرِينَ وأبو رَجاءٍ وابنُ يَعمَرَ: بالحاء. قال أبو عُبيدَةَ: التجسس والتَّحسُّسُ واحدٌ، وهو التَّبحُّث، ومنه الجَاسوس. ورُوي عن يَحيى بنِ أبي

[١٣٣٠] لم أره من حديث أبي هريرة. وورد من حديث حارثة بن النعمان، أخرجه الطبراني ٣٢٢٧ وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٧٧. وورد من مرسل إسماعيل بن أمية، أخرجه عبد الرزاق ١٩٥٠٤ فهو شاهد له.

[١٣٣١] ضعيف جداً، أخرجه تمام في «فوائده» ١١٦٧ من حديث أنس، وفيه أبان بن أبي عياش متروك، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٠٢ من وجه آخر، وفيه معاوية الصدفي واهٍ.

كَثيرٍ أنه قال: التَّجَسُّسُ، بالجيم: البَحثُ عن عَوراتِ النَّاسِ، وبالحاء: الاستِماعُ لحديثِ القوم. قال المُفسِّرون: التَّجسُّسُ: البَحثُ عن عيبِ المسلمين وعَوراتِهم؛ فالمعنى: لا يَبحثْ أحدُكم عن عيبِ أخيهِ لِيَطَّلعَ عليه إذْ سَترَهُ الله. وقيلَ لابنِ مسعودٍ: هذا الوليدُ بنُ عقبة تَقطرُ لِحيتُه خمراً، فقال: إنَّا نُهينا عن التَّجسسِ، فإنْ يَظهَرْ لنا شيءٌ نأخُذْه به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لا يتناولْ بعضُكم بعضاً بظَهرِ الغَيبِ بما يَسُوؤُه.

[١٣٣٢] وقد رَوى أبو هُريرَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ ما الغِيبَةُ؟ قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكره. قال: أرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقولُ؟ قال: «إنْ كان في أخيكَ ما تقولُ فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لم يكُنْ فقد بَهَتَّهُ».

ثم ضَرَبَ الله للغِيبَةِ مَثَلاً، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ وقرأ نافعٌ «ميّتاً» بالتشديد. قال الزَّجَّاجُ: وبيانه أنَّ ذِكركَ بسُوءٍ مَنْ لم يَحضُرْ، بمنزلةِ أكلِ لحمِه وهو مَيتٌ لا يُحِسُّ بذلك. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذا تأكيدٌ لتحريم الغِيبَةِ، لأنَّ أكلَ لحمِ المسلم محظورٌ، ولأنَّ النُّفوسَ تَعافُه مِنْ طريق الطَّبعِ، فينبغي أنْ تكونَ الغِيبَةُ بمنزلَتِه في الكراهة.

قوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وقرأ الضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «فكُرِّهتموه» برفع الكافِ وتشديدِ الراء. قال الفَرَّاءُ: أي وقد كَرِهتُموه فلا تفعلوه، ومَنْ قرأ «فكُرِّهتموه» أي: فقد بُغِّضَ إليكم، والمعنى واحدٌ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: كما تكرهون أكلَ لحمِه ميتاً فكذلك تَجنَّبوا ذِكْرَهُ بالسُّوءِ غائباً. قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي في الغيبة ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ في سببِ نُزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٣٣] **أحدها**: نزلت في ثابتِ بنِ قيسٍ وقوله في الرجل الذي لم يَفسَحْ له: أنتَ ابنُ فُلانةٍ، وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾.

[١٣٣٤] **والثاني**: أنه لمَّا كان يومُ الفَتحِ أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بلالاً فصَعِدَ على ظهرِ الكعبةِ فأذَّنَ،

[١٣٣٢] صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٨٩ عن يحيى بن أيوب، وقتيبة، وعلي بن حجر عن إسماعيل بن العلاء به.
. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٣٤٥٤ عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. وأخرجه ابن حبان ٥٧٥٩ والبيهقي ١٠/ ٢٤٧ وفي «الآداب» ١٥٤ من طريق إسماعيل بن جعفر به.
وأخرجه أبو داود ٤٨٧٤ والترمذي ١٩٣٤ وأحمد ٢/ ٣٢٠ و ٣٨٤ و ٤٥٨ والدارمي ٢/ ٢٩٧ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٥٦ والأصبهاني في «الترغيب» ٢٢٢٩. وابن حبان ٥٧٥٨ من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

[١٣٣٣] لم أقف له على إسناد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٥ عن ابن عباس بدون إسناد، والظاهر أنه من رواية الكلبي الكذاب، وتقدم أن الذي صح في ثابت هو حديث أنس المتفق عليه، انظر تخريج الحديث ١٣٠٩.

[١٣٣٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، يضع الحديث. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٥م عن مقاتل بدون إسناد.

وأراد أنْ يُذِلَّ المشركين بذلك، فلمّا أذَّنَ، قال عَتّابَ بنَ أَسِيدٍ: الحمدُ لله الذي قَبضَ أَسِيداً قبلَ اليوم، وقال الحَارِثُ بنُ هِشام: أَمَا وجدَ محمَّدٌ غير هذا الغُرابِ الأسودِ مُؤذِناً؟! وقال سُهَيلُ بنُ عمروٍ: إنْ يَكْرَهِ الله شيئاً يُغيِّره، وقال أبو سُفيانَ: أمّا أنا فلا أقولُ شيئاً، فإني إنْ قُلتُ شيئاً لَتَشهَدَنَّ عليَّ السماءُ، ولتُخبِرَنَّ عني الأرضُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

[١٣٣٥] والثالث: أنَّ عبداً أسودَ مَرِضَ فعادَهُ رسولُ الله ﷺ، ثم قُبِضَ فتولّى غَسلَهُ وتكفينَهُ ودَفنَهُ، فأثَّرَ ذلك عند الصحابةِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله يَزيدُ بنُ شجرةٍ.

فأمّا المراد بالذَّكَر والأُنثى، فآدمُ وحوّاءُ. والمعنى: إنكم تَتساوَوْن في النَّسَبِ؛ وهذا زَجْرٌ عن التفاخرِ بالأنسابِ. فأمّا الشُّعوبِ، فهي جمعُ شَعْبٍ. وهو الحَيُّ العظيمُ، مثل مُضَر ورَبيعَة، والقبائل دُونَها، كبَكْرٍ مِنْ رَبيعَة، وتَميمٍ من مُضَرَ، هذا قولُ الجمهور مِنَ المُفسِّرين وأهلِ اللغة. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: يريد بالشعوبِ المَوالِي، وبالقبائل العربَ. وقال أبو رَزِينٍ: الشعوب: أهلُ الجبال الذين لا يَعتَزُون لأحدٍ، والقبائل: قبائلُ العرب. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: وقد قيلَ إنَّ القبائلَ هي الأصولُ، والشُّعوب هي البُطونُ التي تتشعَّبُ منها، وهذا ضِدُّ القولِ الأولِ.

قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ أي: ليَعْرِفَ بعضُكم بعضاً في قُربِ النَّسَبِ وبُعْدِه. قال الزَّجّاج: المعنى: جعلْناكم كذلك لِتَعارَفوا، لا لِتَفاخَروا. ثم أعلَمَهُم أنَّ أرفَعَهُم عنده منزلةً أتقاهُم، وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وابنُ يَعمَرَ، وأبَانُ عن عاصِمٍ: «لِتَعْرِفُوا» بإسكانِ العينِ وكسرِ الراء مِنْ غيرِ أَلِفٍ. وقرأ مُجاهِدٌ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «لِتَّعارَفوا» بتاءٍ واحدةٍ مشددةٍ وبألفٍ مفتوحةِ الراء مخففةٍ. وقرأ أبو نَهِيكٍ، والأعمَشُ: «لِتتعرَّفوا» بتاءين مفتوحةَ الراء وبتشديدِها مِنْ غيرِ أَلِفٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ﴾ وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، ومُجاهِدٌ، وأبو الجَوزاءِ: «أَنَّ» بفتحِ الهمزة. قال الفَرّاءُ: مَنْ فَتَحَ «أنَّ» فكأنه قال: لِتَعارَفوا أنَّ الكريمَ التَّقيُّ، ولو كان كذلك لَكانت «لِتَعْرِفوا»، غيرَ أنه يجوز «لِتعارفوا» على معنى: لِيُعَرِّفَ بعضُكم بعضاً أنَّ أكرمَكم عندَ الله أتقاكُم.

﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾.

[١٣٣٥] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٦٦م هكذا بدون إسناد، وكذا الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» ٤/ ٣٧٥، فهو خبر ساقط، ليس بشيء.

[١٣٣٦] قال مُجاهِدٌ: نزلت في أعرابِ بني أَسدِ بنِ خُزَيمةَ. ووصَفَ غيرُه حالَهم، فقال: قَدِموا المدينةَ في سنةٍ مُجْدِبةٍ، فأظهروا الإسلامَ ولم يكونوا مؤمنين، وأفسدُوا طُرقَ المدينة بالعَذِرَاتِ، وأغْلَوا أسعارَهم، وكانوا يَمُنُّونَ على رسولِ الله ﷺ فيقولون: أتيناكَ بالأثقالِ والعِيالِ، ولَمْ نُقاتِلْك، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

[١٣٣٧] وقال السُّدِّيُّ: نزلت في أعرابِ مُزَينةَ وَجُهَينةَ وأسلَمَ وأَشجَعَ وغِفَارَ، وهم الذين ذَكرَهم اللَّهُ تعالى في سُورَةِ الفتح، وكانوا يقولون: آمَنَّا بالله، لِيَأْمَنوا على أنفُسِهم، فلمَّا استُنفِروا إلى الحُدَيبيَةِ تَخلَّفوا، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

[١٣٣٨] وقال مُقاتِلٌ: كانت منازِلُهم بينَ مكَّةَ والمدينةِ، فكانوا إذا مَرَّتْ بهم سَرِيَّةٌ مِنْ سرايا رسولِ الله ﷺ قالوا: آمَنَّا، لِيَأْمَنُوا على دِمائِهم وأموالِهم، فلمَّا سارَ رسولُ الله ﷺ إلى الحُدَيبِيَةِ استَنفَرَهُم فلم يَنفِروا معه.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لَمْ تُصدِّقوا ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: استَسلَمْنا مِنْ خوفِ السَّيفِ، وانقَدْنا. قال الزَّجَّاجُ: الإسلامُ: إظهارُ الخُضوعِ والقَبولِ لِمَا أتى به رسولُ الله ﷺ، وبذلك يُحقَنُ الدَّمُ، فإنْ كان معه اعتقادٌ وتصديقٌ بالقلبِ، فذلك الإيمانُ، فأخرَجَ الله هؤلاءِ مِنَ الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لَمْ تُصدِّقوا، إنما أسلَمْتُم تعَوُّذاً مِنَ القتلِ، وقال مُقاتِلٌ: «ولمّا» بمعنى «ولم» يدخُلِ التَّصديقُ في قلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنْ تُخلِصوا الإيمانَ ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قرأ أبو عمروٍ: «يألِتْكم» بألِفٍ وهمزٍ؛ ورُوِيَ عنه بألِفٍ ساكنةٍ مع تركِ الهمزة. وقرأ الباقون: «يَلِتْكُم» بغير ألِفٍ ولا همزٍ. فقراءةُ أبي عَمروٍ مِنْ ألَتَ يألِتُ، وقراءةُ الباقين مِنْ لاتَ يَلِيتُ، قال الفَرَّاءُ: وهما لُغتان، قال الزَّجَّاجُ: معناهما واحدٌ. والمعنى: لا يُنْقُصكُم. وقال أبو عُبيدَةَ: فيها ثلاثُ لُغاتٍ: أَلَتَ يألِتُ، تقديرها: أفَكَ يأفِكُ، وألاتَ يُليتُ، تقديرها: أقالَ يُقِيلُ، ولاتَ يَلِيتُ، قال رُؤْبَةُ:

وليــلــةٍ ذاتِ نَــدَىً سَــرَيْــتُ ... ولم يَـلِـتْـنِـي عـن سُـراهـا لَـيْـتُ

قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أي: مِنْ ثوابِها. ثم نَعَتَ الصَّادقينَ في إيمانِهم بالآيةِ التي تَلِي هذه، ومعنى: ﴿يَرْتَابُوا۟﴾ يَشُكُّوا. وإنما ذَكَرَ الجهادَ، لأنَّ الجهادَ مع رسول الله ﷺ كان فرضاً في ذلك

[١٣٣٦] أخرجه الطبري ٣١٧٧٥ عن مجاهد مختصراً. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٧ بدون إسناد، وذكره البغوي في «تفسيره» ٢٠١٧ تعليقاً، ومن غير عزو لقائل. وورد بنحوه من حديث ابن عباس عند النسائي في «التفسير» ٥٣٩ والبزار كما في «تفسير ابن كثير» ٤/٢٥٨ من طريقين ضعيفين عن سعيد بن جبير به. وورد من حديث أبي قلابة مرسلاً، أخرجه ابن سعد ١/٢/٣٩. وورد عن قتادة مرسلاً، أخرجه الطبري ٣١٧٨١. وورد عن عبد الله بن أبي أوفى، أخرجه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «المجمع» ٧/١١٢. قال الهيثمي: وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. رووه بألفاظ متقاربة، والمعنى واحد، فالحديث حسن إن شاء الله. وانظر «فتح القدير» ٢٣٢٤ للشوكاني بتخريجنا.

[١٣٣٧] عزاه المصنف للسدي، ولم أقف عليه، وهو مرسل.

[١٣٣٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، لكن هو موافق لما قبله في أكثر الخبر.

الوقت، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم، فلمّا نزلت هاتانِ الآيتانِ أتَوا رسولَ الله ﷺ يَحلِفون أنهم مؤمنون صادقون، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ و «علَّم» بمعنى «أعلَمَ» ولذلك دخلت الباءُ في قوله: «بدِينِكُم» والمعنى: أَتُخبِرُونَ الله بالدِّينِ الذي أنتم عليه؟!، أي: هو عالِمٌ بذلك لا يحتاج إلى إخبارِكُم؛ وفيهم نَزَلَ قولُه تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ قالوا: أسْلَمْنا ولم نُقاتِلْك، واللَّهُ تعالى أعلَمُ.

سُورَةُ قٓ
ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

ويقال لها: سورة الباسقات. رَوى العَوفيُّ وغيره عن ابنِ عباس أنها مكِّيَّةٌ، وكذلك قال الحَسَن، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، والجمهور. وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾ الآية[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قٓ﴾ قرأ الجمهور بإسكانِ الفاء. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو رَجاءٍ، وأبو الجَوزاءِ: «قافَ» بنَصبِ الفاء. وقرأ أبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ: «قافُ» برفع الفاء. وقرأ الحسَنُ، وأبو عِمرَانَ: «قافِ» بكسرِ الفاء. وفي «قٓ» خمسةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه قَسَمٌ أقسَمَ اللَّهُ به، وهو مِنْ أسمائه، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه جَبلٌ مِنْ زَبَرْجَدةٍ خضراءَ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. ورَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ قال: خَلَقَ اللَّهُ جبلاً يُقال له: «قٓ» مُحيطٌ بالعالَم،

---

(١) قٓ: ٣٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٢٦٠: «قٓ»: حرف من حروف الهجاء التي تقدم ذكرها في أوائل السور بما أغنى عن إعادته. وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: قٓ: جبل محيط بجميع الأرض يقال له قاف وكأن هذا. والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يُصدَّق ولا يُكذَّب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى على هذه الأمة ـ مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها ـ أحاديث عن النبي ﷺ ـ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلّة الحفّاظ النقّاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدّثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل. فأما ما تحيله العقول ويُحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل، والله أعلم.
وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة.

وعرُوقُه إلى الصخرة التي عليها الأرضُ، فإذا أراد اللّهُ عزّ وجلّ أنْ يُزَلزِلَ قريةً، أمَرَ ذلك الجبَل فحرَّكَ العِرْقَ الذي يلي تلك القريةَ. وقال مُجاهِدٌ: هو جبلٌ مُحيطٌ بالأرض. ورُوِيَ عن الضَّحَّاكِ أنه مِنْ زُمُرُّدةٍ خضراءَ، وعليه كنَفَا السماءِ، وخُضرةُ السماءِ منه. **والثالث**: أنه جبلٌ مِنْ نارٍ في النَّارِ، قاله الضَّحَّاكُ في روايةٍ عنه عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء القرآن، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنه حَرفٌ مِنْ كلمةٍ. ثم فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه افتتاحُ اسمِه «قدير»، قاله أبو العَالِيةِ. **والثاني**: أنه افتتاحُ أسمائِه: القديرِ والقاهِرِ والقَرِيبِ ونحو ذلك، قاله القُرَظيُّ. **والثالث**: أنه افتتاحُ «قُضِيَ الأمرُ» وأنشدوا:

قُلـنـا لـهـا قِـفِـي فـقـالـتْ قـافْ

معناه: أقِفُ، فاكتَفتْ بالقاف مِنْ «أقف»، حكاه جماعةٌ منهم الزَّجَّاجُ. **والرابع**: قِفْ عند أمرنا ونَهْينا، ولا تَعْدُهُما، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والخامس**: قُلْ يا محمَّدُ، حكاه الثَّعلَبي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قال ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ: المَجيد: الكريم. وفي جوابِ هذا القَسَم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مُضمرٌ، تقديره: لَيُبْعَثُنَّ بَعْدَ الموت. قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبَةَ، ويدُلُّ عليه قولُ الكفَّارِ: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾. **والثاني**: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى: قاف والقرآنِ المجيدِ لقدْ عَلِمْنا، فحذِفت اللامُ لأنَّ ما قَبْلَها عِوَضٌ منها، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾... ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾[1] أي: لقد أفلحَ، أجازَ هذا القولَ الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه قولُه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾[2]، حُكيَ عن الأخفَشِ. **والرابع**: أنه في سُورةٍ أُخرى، حكاه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، ولم يُبيِّن في أيِّ سُورةٍ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ مُفسَّرٌ في «ص»[3] إلى قوله: ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: مُعْجِبٌ. ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ قال الأخفَشُ: هذا الكلام على جوابٍ، كأنه قيلَ لهم: إنَّكم تَرجِعون، فقالوا: أئِذا مِتْنا وكُنَّا تراباً؟ وقال غيرُه: تقدير الكلام: ق والقرآن لَيُبعَثُنَّ، فقال: أئِذا مِتنا وكنّا تراباً؛ والمعنى: أنُبعَثُ إذا كنَّا كذلك؟! وقال ابنُ جَريرٍ: لمَّا تعجَّبوا مِنْ وعيدِ الله على تكذيبِهم بمحمَّدٍ ﷺ فقالوا: هذا شيءٌ عجيبٌ، كان كأنه قال لهم: ستعلمون إذا بُعِثْتم ما يكون حالُكم في تكذيبِكُم محمَّداً، فقالوا: أئِذا مِتنا وكُنَّا تُراباً؟!

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ﴾ أي: ردّ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أيْ لا يكون. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي ما تأكل مِنْ لحومِهم ودمائِهم وأشعارِهم إذا ماتوا، يعني أنَّ ذلك لا يَعْزُبُ عن عِلْمِه ﴿وَعِندَنَا﴾ مع عِلْمِنا بذلك ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ أي حافظٌ لِعدَدِهم وأسمائِهم ولِمَا تَنْقُص الأرضُ منهم، وهو اللَّوحُ المَحفوظُ قد أُثبِتَ فيه ما يكون. ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو القرآنُ. والمَرِيجُ: المُختَلِط، قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال مَرِجَ أمرُ الناسِ، ومَرِجَ الدِّينُ، وأصل هذا أنْ يَقْلَقَ الشيءُ ولا يستقرَّ، يُقال: مرِجَ الخاتمُ في يدي: إذا قَلِقَ للهُزالِ. قال المُفسِّرون: ومعنى اختِلاطِ أمرِهم: أنهم كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ مَرَّةً ساحِر، ومرَّةً شاعر، ومرَّةً مُعَلَّم، ويقولون للقرآن مرَّةً سِحر، ومرَّةً مُفْتَرى، ومرَّةً رَجَز، فكان أمرُهم مُلتَبِساً مُختَلِطاً عليهم.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا

---

(١) الشمس: ١ ـ ٩. (٢) قَ: ١٨. (٣) صَ: ٤.

﴿...فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

ثم دلَّهم على قُدرته على البَعثِ بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير عَمَدٍ ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: مِنْ صُدُوعٍ وشُقوقٍ، والزَّوج: الجِنسُ. والبَهيجُ: الحَسَنُ، قاله أبو عُبيدَةَ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: البَهيجُ: الذي يُبتَهَجُ به.

قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: فَعَلنا ذلك لِنُبصِّرَ ونَدُلَّ على القُدرةِ. والمُنيبُ: الذي يَرجِعُ إلى الله ويُفكِّر في قُدرَتِه.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو المطر ﴿مُّبَارَكًا﴾ أي: كثير الخيرِ، فيه حياةُ كلِّ شيءٍ ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أراد: الحبَّ الحَصِيدَ، فأضافَهُ إلى نَفْسِه، كقوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾(١) وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢) فالحَبلُ هو الوَريدُ، وكما يُقال: صلاةُ الأولى، يُراد: الصَّلاةُ الأولى، ويُقال: مسجدُ الجامعِ، يراد: المَسجدُ الجامعُ، وإنما تُضاف هذه الأشياء إلى أنفسِها لاختلافِ لفظِ اسمِها، وهذا قولُ الفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ. وقال غيرُهما: أراد حَبَّ النَّبتِ الحَصِيد. ﴿وَالنَّخْلَ﴾ أي: وأنبَتْنا النَّخلَ ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ و «بسوقها»: طُولُها؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: بَسَقَ الشيءُ يَبْسُقُ بُسُوقاً: إذا طالَ، والنَّضِيدُ: المَنضُودُ بعضُه فوق بعضٍ، وذلك قبلَ أنْ يتفتَّحَ، فإذا انشَقَّ جُفُّ طَلْعِه وتفرَّقَ فليس بنَضِيدٍ. قوله تعالى: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: أنبَتْنا هذه الأشياءَ للرِّزقِ ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطرِ ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ مِنَ القُبور.

ثم ذَكرَ الأممَ المُكذِّبَةَ بما بعدَ هذا، وقد سبقَ بيانُه إلى قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وَجَبَ عليهم عذابي. ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ هذا جوابٌ لقولِهم: ذلك رَجْعٌ بعيدٌ. والمعنى: أعَجَزنا عن ابتداءِ الخَلقِ، وهو الخَلقُ الأوَّلُ، فنَعْيَا بالبعث وهو الخَلقُ الثاني؟! وهذا تقريرٌ لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخَالِقُ وأنكروا البَعثَ ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي في شَكٍّ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البَعثُ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) الواقعة: ٩٥. (٢) ق: ١٦.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني ابنَ آدمَ ﴿وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ أي ما تُحدِّثُه به نفسُه. وقال الزَّجَّاجُ: نَعلمُ ما يُكِنُّه في نَفسِه. قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ﴾ أي بالعِلْم ﴿مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ الحَبْلُ هو الوَريدُ، وإنَّما أضافه إلى نَفسِه لِمَا شرحناه آنفاً في قوله: «وحَبَّ الحَصيدِ»[1]. قال الفَرَّاءُ: والوَرِيدُ: عِرقٌ بين الحُلقومِ والعِلْباوين. وعنه أيضاً قال: عِرقٌ بين اللَّبَّة والعِلْباوَيْن. وقال الزَّجَّاجُ: الوَريدُ: عِرقٌ في باطِنِ العُنُقِ، وهما وَرِيدانِ، والعِلْباوَانِ: العَصبتانِ الصَّفراوانِ في مَتْنِ العُنُقِ، واللَّبَّتانِ: مَجْرَى القُرْطِ في العُنُقِ. وقال ابنُ الأنباري: اللَّبَّةُ حيث يَتذَبذَبُ القُرْطُ مِمَّا يَقْرُبُ مِنْ شَحمةِ الأذنِ. وحكى بعضُ العلماء أنَّ الوَريدَ: عِرقٌ متفرِّقٌ في البَدنِ مُخالِطٌ لجميعِ الأعضاء، فلمَّا كانت أبعاضُ الإنسان يَحجُبُ بعضُها بعضاً، أعْلَمَ أنَّ عِلْمَهُ لا يَحجُبه شيءٌ. والمعنى: ونحن أقربُ إليه حينَ يَتلقَّى المُتلقِّيَانِ، وهما المَلكَانِ المُوكَّلانِ بابنِ آدمَ يتلقَّيانِ عَمَلَه. وقوله: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذانِ ذلك ويُثْبِتانِه ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ كاتبُ الحسناتِ ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ كاتبُ السَّيِّئاتِ. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: عن اليمينِ قَعِيدٌ، وعن الشِّمالِ قَعِيدٌ، فدَلَّ أحدُهما على الآخرِ، فحُذِفَ المدلولُ عليه، قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا وأنْتَ بِمَا عِنـ ... ـدَكَ رَاضٍ والرَّأيُ مُخْتَلِفُ

وقال آخر:

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي ... بَرِيئاً، ومِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي[2]

المعنى: كنتُ منه بريئاً. وقال ابنُ قُتَيبَة: القَعِيدُ بمعنى قاعِد، كما يُقال: «قدير» بمعنى «قادر»، ويكون القَعِيدُ بمعنى مُقاعِد، كالأكِيلِ والشَّرِيبِ بمنزلةِ: المُؤاكِل والمُشَارِب.

قوله تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلَّم مِنْ كلام فيَلْفِظُه، أي يَرميه مِنْ فَمِه، ﴿إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ﴾ أي: حافظٌ، وهو المَلَكُ الموكَّلُ به، إمَّا صاحبُ اليمين، وإمَّا صاحبُ الشِّمال ﴿عَتِيدٞ﴾ قال الزَّجَّاجُ: العَتِيدُ: الثابتُ اللازِمُ. وقال غيرُه: العَتِيدُ: الحاضرُ معه أينما كان.

[١٣٣٩] ورَوى أبو أُمامةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كاتِبُ الحَسَناتِ على يمينِ الرَّجُلِ، وكاتبُ

[١٣٣٩] حديث ضعيف. في إسناده جعفر بن الزبير متروك متهم، والقاسم وإن وثقه ابن معين والترمذي، فقد ضعفه ابن حيان، وقال أحمد: روى عنه علي بن زيد أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم، وقال ابن معين بعد أن وثقه: والثقات يروون عنه الأحاديث. أي الواهية ـ ولا يرفعونها ثم قال: يجيئ من المشايخ الضعفاء ما يدل حديثهم على ضعفه. وأخرجه الطبراني في «الكبيرة» ٧٩٧١ من طريق عبد القاهر بن شعيب، والبيهقي في «الشعب» ٧٠٤٩ من طريق مروان بن معاوية كلاهما عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة. وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٠٥٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦ من طريقين عن إسماعيل بن عيسى العطار عن المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم به دون صدره، وإسماعيل ضعيف ومثله القاسم. وورد بلفظ «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتب واحدة». أخرجه البيهقي ٧٠٥١ وأبو نعيم ٦/ ١٢٤ والواحدي ٤/ ١٦٥ والطبراني ٧٧٦٥ من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن عروة بن رويم عن القاسم به. وإسناده ضعيف، وعلته القاسم، وكذا إسماعيل ضعفه غير واحد مطلقاً. وضعفه بعضهم في روايته خاصة عن =

---

(١) قٓ: ٩.
(٢) البيت لعمرو بن أحمر، أو للأزرق بن طرفة وهو في «الكتاب» ١/ ٣٨٠ و «اللسان» ـ حول.

السَّيِّئاتِ على يسارِه، فكاتِبُ الحسناتِ أمينٌ على كاتبِ السَّيِّئاتِ، فإذا عَمِلَ حسنةً كَتَبها له صاحبُ اليمينِ عشراً، وإذا عَمِلَ سيِّئةً، وأراد صاحبُ الشِّمالِ أنْ يكتُبَها، قال صاحبُ اليمينِ: أمسِكْ، فيُمسِكُ عنه سَبْعَ ساعاتٍ، فإنِ استغفرَ منها لم يُكتَبْ عليه شيءٌ، وإنْ لم يستَغفِرْ كُتِبَ عليه سيِّئةٌ واحدةٌ». وقال ابنُ عباسٍ: جَعَلَ اللهُ على ابنِ آدمَ حافِظَيْنِ في الليل، وحافِظَيْنِ في النَّهارِ. واختلفوا هل يَكتُبانِ جميعَ أفعالِه وأقوالِه على قولين[1]: **أحدهما**: أنهما يكتُبان عليه كلَّ شيءٍ حتى أنينَهُ في مرضه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنهما لا يكتبانِ إلاَّ ما يُؤجر عليه أو يُوزَر، قاله عِكرمَةُ. فأمَّا مجلِسُهما فقد نَطقَ القرآنُ بأنهما عن اليمينِ وعن الشِّمالِ، وكذلك ذكرنا في حديثِ أبي أُمامَةَ.

[١٣٤٠] وقد رَوى عليٌّ كرَّم اللهُ وَجهَهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ مقعدَ ملَكَيك على ثَنيَّتيك، ولسانُكَ قلَمُهما، ورِيقُكَ مِدادُهما، وأنتَ تجري فيما لا يَعنِيكَ»، ورُوِيَ عن الحَسنِ والضَّحَّاكِ قالا: مَجلِسُهما تحتَ الشَّعرِ على الحَنكِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ وهي غمرتُه وشِدَّته التي تَغشى الإنسانَ وتَغلِبُ على عقلِه وتدلُّه على أنه ميتٌ ﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾ وفيه وَجهانِ: **أحدهما**: أنَّ معناه: جاءت بحقيقةِ الموتِ. **والثاني**: بالحقِّ مِنْ أمر الآخرة، فأبانَتْ للإنسان ما لم يكُنْ بيِّناً له مِنْ أمرِ الآخرة. ذكر الوجهين الفَرَّاءُ، وابنُ جَرير. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «وجاءت سَكْرةُ الحقِّ بالموت»، قال ابنُ جَرير: ولهذه القراءةِ وَجهانِ. **أحدهما**: أنْ يكونَ الحقُّ هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سَكرَةُ اللهِ بالموتِ. **والثاني**: أنْ تكونَ السَّكرةُ هي الموتُ، أُضِيفَتْ إلى نَفسِها، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾[2]، فيكون المعنى: وجاءتْ السَّكْرةُ الحَقُّ بالموتِ، بتقديم «الحَقّ». وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرَانَ: «وجاءت سَكَراتُ»

= غير الشاميين. قال الهيثمي في «المجمع» ١٠/٢٠٨: وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب، ولكن ورد من وجه آخر رواه الطبراني بأسانيد رجال أحدها وثقوا! قلت: فيه القاسم كما تقدم، ولا يحتج بما ينفرد به، وتعيين ست ساعات أو سبع ساعات غريب جداً. وله شاهد من حديث أم عصمة فيه «ثلاث ساعات» وفي الإسناد سعيد بن سنان وهو متروك، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٧، فهذا شاهد لا يفرح به، وهو يعارض الأول في تعيين الزمن. **الخلاصة**: لفظ المصنف ضعيف جداً، واللفظ المختصر عن إسماعيل بن عياش الذي أوردته ضعيف فقط، وشاهده ليس بشيء، وقد أورده الألباني في «الصحيحة» ١٢٠٩ وحسنه وليس كما قال بل الإسناد ضعيف والمتن غريب، ولا يتدين بحديث ينفرد به القاسم، وفي الطريق إليه جعفر وهو متروك أو ابن عياش، وهو غير حجة.

[١٣٤٠] ضعيف جداً. أخرجه الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطاة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مقعد مليكك...» فذكره. كذا قاله الحافظ في تخريج الكشاف ٤/ ٣٨٤ وسكت عليه. وإسناده ضعيف جداً فيه جميل بن الحسن جرحه عبدان، ووثقه ابن حبان، وفيه أرطاة بن أشعث قال عنه في «الميزان» هالك. وهاه ابن حبان. ثم ذكر الذهبي له خبراً غير هذا وقال: هو المتهم به، ثم هو منقطع بين علي ومحمد الباقر. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٦٣١ بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٦٣: وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب؟ وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

(٢) الواقعة: ٩٥.

على الجمع «الحَقِّ بالموتِ» بتقديم «الحَق». وقرأ أُبيُّ بنُ كَعب، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «وجاءتَ سَكَراتُ الموت» على الجمع «بالحق» بتأخير «الحق». قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي فيُقال للإنسان حِينَئذٍ: «ذلك»: أي ذلك الموتُ ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تهرُبُ وتَفِرُّ. وقال ابنُ عباسٍ: تَكرَهُ. قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ يعني نَفخةَ البَعثِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ أي يومَ وقوعِ الوعيدِ. قوله تعالى: ﴿مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ السَّائقَ مَلَكٌ يَسوقُها إلى مَحشَرِها، قاله أبو هُريرَةَ: **والثاني**: أنه قَرينُها مِنَ الشياطين، سُمِّي سائقاً لأنه يتبَعُها وإنْ لم يَحُثَّها. وفي (الشَّهيدِ) ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مَلَكٌ يَشهدُ عليها بعمَلِها، قاله عُثمانُ بنُ عفَّانَ والحسَنُ. وقال مُجاهِدٌ: المَلَكان سائِقٌ وشَهيدٌ. وقال ابنُ السَّائبِ: السَّائقُ الذي كان يكتب عليه السَّيِّئاتِ، والشَهيدُ الذي كان يكتب الحَسناتِ. **والثاني**: أنه العملُ يَشهدُ على الإنسانِ، قاله أبو هُريرَةَ. **والثالث**: الأيدي والأرجُلُ تَشهدُ عليه بعمَلِه، قاله الضَّحَّاكُ. وهل هذه الآياتُ عامَّةٌ، أَمْ خاصَّةٌ؟ فيها قولان: **أحدهما**: أنها عامَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: خاصَّةٌ في الكافرِ، قاله الضَّحَّاكُ ومُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ أي: ويُقال له: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم، وفي المُخاطَبِ بهذه الآياتِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكافر، قاله ابنُ عباسٍ، وصالحُ بنُ كَيسانَ في آخرين. **والثاني**: أنه عامٌّ في البَرِّ والفاجرِ، قاله حُسَينُ بنُ عبدِ الله بنِ عُبيدِ الله بنِ عباسٍ، واختاره ابنُ جَريرٍ. **والثالث**: أنه النبيُّ ﷺ، وهذا قولُ ابنِ زيدٍ. فعَلَى القولِ الأول يكون المعنى: لقد كنتَ في غفلةٍ مِنْ هذا اليوم في الدنيا بكُفرِكَ به؛ وعلى الثاني: كنتَ غافلاً عن أهوالِ القيامة ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبَكَ وسَمعَكَ وبَصَرَكَ. وقيلَ معناه: أريناكَ ما كان مَستُوراً عنكَ؛ وعلى الثالث: لقد كنتَ قبلَ الوحي في غفلةٍ عمَّا أُوحِيَ إليكَ، فكَشفنا عنكَ غِطاءَكَ بالوحي ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ وفي المراد بالبصرِ قولان: **أحدهما**: البَصرُ المعروفُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: العِلْمُ، قاله الزَّجَّاجُ. وفي قوله: «اليوم» قولان: **أحدهما**: أنه يومُ القيامة، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه في الدنيا، وهذا على قولِ ابنِ زيدٍ. فأمَّا قوله: «حديدٌ» فقال ابنُ قُتَيبةَ: الحديدُ بمعنى الحَادّ. أي: فأنتَ ثاقِبُ البصرِ. ثم فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فَبَصَرُكَ حديدٌ إلى لسانِ الميزانِ حين تُوزَنُ حسناتُكَ وسيِّئاتُكَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه شاخِصٌ لا يطرف لِمُعاينةِ الآخرة، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه العِلْمُ النَّافذُ، قاله الزَّجَّاجُ.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قال مُقاتِلٌ: هو مَلَكُه الذي كان يكتب عملَه السَّيِّءَ في دارِ الدنيا، يقولُ لِربِّه: قد كتبتُ ما وكَّلتَني به، فهذا عندي مُعَدٌّ حاضرٌ مِنْ عمله الخبيثِ، فقد أتيتُكَ به وبعمَلِه. وفي «ما» قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «من» قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيءٌ لديَّ عَتِيدٌ، قاله الزَّجَّاجُ. وقد ذكرنا معنى العَتيدِ في هذه السُّورَة[1]، فيقول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) ق: ١٨.

وفي معنى هذا الخطاب ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مُخاطبةٌ للواحد بلفظِ الخطاب للاثنين، قال الفَرَّاءُ: والعرب تأمُر الواحدَ والقومَ بأمرِ الاثنين، فيقولون للرجُلِ: وَيلَكَ ارْحَلاها وازْجُراها، سَمِعتها مِنَ العرب، وأنشدني بعضُهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لا تَحْبِسَانا بِنَزْعِ أُصُولِهِ واجْتَزَّ شِيحَا[١]

وأنشدني أبو ثَرْوان:

فإنْ تَزْجُرانِي يابْنَ عَفَّانُ أَنْزَجِرْ وإنْ تَدَعانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا

ونرى أنَّ ذلك منهم، لأنَّ أدنى أعوانِ الرجُل في إبلِه وغَنمِه اثنان، وكذلك الرُّفقة أدنى ما تكون ثلاثةٌ، فجَرى الكلامُ على صاحبَيْهِ، ألا ترى الشِّعرَ أكثرَ شيءٍ قِيلاً: يا صَاحِبَيَّ ويا خليليَّ. قال امرؤ القيسِ:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي على أُمِّ جُنْدَبِ نُقَضِّي لُبانَاتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ[٢]

ثم قال:

أَلَمْ تَرَ أنِّي كُلَّما جِئْتُ طارِقاً وَجَدْتُ بها طِيباً وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فرجعَ إلى الواحدِ، وأولُ كلامِه إثنان، وإلى هذا المعنى ذهب مُقاتِلٌ، وقال: «ألقيا» خطابٌ للخازِنِ، يعني خازنَ النَّارِ. **والثاني**: أنه فِعلٌ ثُنِّي توكيداً، كأنه لمَّا قال: «ألقيا»، نابَ عن ألْقِ ألْقِ، وكذلك: قِفا نَبْكِ، معناه: قِفْ قِفْ، فلمَّا نابَ عن فِعْلَيْنِ، ثُنِّي، قاله المُبَرِّدُ. **والثالث**: أنه أمرٌ للمَلَكين، يعني السَّائقَ والشَّهيدَ، وهذا اختيارُ الزَّجَّاجِ. فأمَّا «الكَفَّارُ»، فهو أشدُّ مُبالَغةً مِنَ الكافر. و «العنيد» قد فسَّرناهُ في هود[٣].

قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ في المراد بالخير ها هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الزكاة المَفروضةُ، قاله قَتَادَةُ. **والثاني**: أنه الإسلام، يمنع الناسَ مِنَ الدُّخول فيه، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، وذَكرَ أنها نزلت في الوَليدِ بنِ المُغيرةِ، مَنعَ بني أخيه عن الإسلام. **والثالث**: أنه عامٌّ في كلِّ خيرٍ مِنْ قولٍ أو فعلٍ، حكاه المَاوَرديُ. قوله تعالى: ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: ظالمٌ لا يُقِرُّ بالتوحيدِ ﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: شاكٌّ في الحقِّ، مِنْ قولهم: أَرَابَ الرَّجُلُ: إذا صارَ ذا رَيْبٍ. قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: شيطانُه، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ والجمهور. وفي الكلام اختصارٌ تقديره: إنَّ الإنسان ادَّعى على قرينِه مِنَ الشياطين أنه أضَلَّهُ فقال: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي لم يكُنْ لي قُوَّةٌ على إضلالِه بالإكراهِ، وإنما طَغى هو بضَلالِه. **والثاني**: أنه المَلَكُ الذي كان يَكْتب السَّيِّئاتِ. ثم فيما يدَّعيه الكافرُ على المَلَكِ قولان: **أحدهما**: أنه يقول: زادَ عليَّ فيما كَتَبَ، فيقول المَلَكُ: ما أطغَيْتُه، أي ما زِدتُ عليه، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنه يقول: كان يُعْجِلني عن التَّوبةِ، فيقول: رَبَّنا ما أطغَيْتُه، هذا قولُ الفَرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيد مِنَ الهُدى، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟

---

(١) البيت لمضرس بن ربعي الأسدي وهو في «مشكل القرآن» ٢٢٤ و «اللسان» جزز.
واجتزّ: قطع، والشيح: نبت سهلي من الفصيلة المركبة وهو كثير الأنواع ترعاه الماشية.
(٢) في «المعجم الوسيط» اللبان: جمع اللبانة: الحاجة من غير فاقة ولكن من نهمة.
(٣) هود: ٥٩.

لَدَىَّ﴾. في هذا الخِصام قولان: **أحدهما**: أنه اعتِذارُهم بغيرِ عُذرٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه خِصامُهم مع قُرنائِهم الذين أغوَوْهم، قاله أبو العَاليةِ. فأمّا اختِصامُهم فيما كان بينهم مِنَ المظالم في الدنيا، فلا يجوزُ أنْ يُهمَلَ، لأنه يومُ التّناصُفِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ أي: قد أخبرتُكم على ألسُنِ الرُسلِ بعذابي في الآخرة لِمَنْ كَفر. ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما يُبدَّلُ القولُ فيما وَعدتُه مِنْ ثوابٍ وعقابٍ، قاله الأكثرون. **والثاني**: ما يُكذَّبُ عندي ولا يُغيَّر القولُ عن جِهتِه، لأني أعْلَمُ الغيبَ وأعْلَمُ كيف ضلُّوا وكيف أضلَلْتُموهُم، هذا قولُ ابنِ السَّائبِ واختيارُ الفَرّاءِ وابنِ قُتَيبةَ، ويدلُّ عليه أنه قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ ولم يَقُلْ: ما يُبدَّل قولي ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأزيدَ على إساءةِ المُسيءِ، أو أنْقص مِنْ إحسان المُحسنِ.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ؛ وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «يومَ نقول» بالنونِ المفتوحةِ وضمِّ القاف. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ: «يوم يقول» بالياء المفتوحةِ وضمِّ القاف. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وعبدُ الوارث عن أبي عمرٍو: «يومَ يُقال» بياءٍ مضمومةٍ وفتحِ القاف وإثباتِ ألفٍ. قال الزَّجّاجُ: وانتصابُ «يومَ» على وجهين، **أحدهما**: على معنى: ما يُبدَّلُ القولُ لديَّ في ذلك اليوم. **والثاني**: على معنى: وأَنْذِرْهم يومَ نقولُ لجهنَّمَ.

فأمّا فائدةُ سؤالِه إيّاها، وقد عَلِمَ هل امتلأتْ أمْ لا، فإنه توبيخٌ لِمَنْ أُدخِلَها، وزيادةٌ في مكروهِه، ودليلٌ على تصديقِ قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[1].

وفي قولِها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قولان عند أهلِ اللغة: **أحدهما**: أنها تقول ذلك بعد امتِلائِها، فالمعنى: هل بقيَ فيَّ موضعٌ لم يمتلِئ؟ أي: قد امتلأتُ. **والثاني**: أنها تقول تغيُّظاً على مَنْ عصى الله تعالى، وجَعلَ الله فيها أنْ تُميِّزَ وتُخاطِبَ، كما جعَلَ في النّملةِ أنْ قالت: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[2]، وفي المخلوقاتِ أنْ تُسبِّحَ بحَمْدِه.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي قُرِّبَتْ للمُتَّقين الشِّركَ ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي جُعِلتْ عن يمينِ العَرشِ حيثُ يراها أهلُ المَوقفِ، ويُقال لهم: ﴿هَذَا﴾ الذي تَرونَهُ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾، وقرأ عُثمانُ بنُ

(١) الأعراف: ١٨. (٢) النمل: ١٨.

عفَّانَ، وابنُ عمرَ، ومُجاهِدٌ، وعِكرَمَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «يُوعَدونَ» بالياء ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ وفيه أقوالٌ قد ذكرناها في بني إسرَائيل[1]. وفي ﴿حَفِيظٍ﴾ قولان: **أحدهما**: الحافظُ لذنوبِه حتى يرجعَ عنها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحافظُ لأمرِ الله تعالى، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ قد بيَّنّاه في (الأنبياء)[2] ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجعٍ إلى طاعةِ الله عن معصيتِه. ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يُقال لهم: ادخُلو الجنَّةَ ﴿بِسَلَامٍ﴾ وذلك أنهم سَلِمُوا مِنْ عذابِ الله، وسَلِمُوا فيها مِنَ الغُمومِ والتغيُّرِ والزَّوالِ، وسَلَّمَ اللهُ وملائكتُه عليهم ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ في الجنَّة، لأنه لا موتَ فيها ولا زوالَ. ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ وذلك أنهم يَسألون اللهَ حتى تنتهيَ مسائلُهم، فيُعطَوْن ما شاؤوا، ثم يَزيدُهم ما لم يَسألوا، فذلك قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾. وللمُفسِّرين في المراد بهذا المزيدِ ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٤١] **أحدها**: أنه النَّظرُ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ رَوى عليٌّ رضي الله عنه عن النبيِّ عليه السلام في قوله: «ولدينا مَزيدٌ» قال: «يتجلَّى لهم». وقال أنسُ بنُ مالكٍ في قوله: «ولدينا مزيد»: يتجلَّى لهم الرَّبُّ تعالى في كلِّ جُمعةٍ.

[١٣٤٢] **والثاني**: أنَّ السَّحابَ يَمُرُّ بأهلِ الجنَّةِ، فيُمطِرُهم الحُورَ، فتقول الحُورُ: نحن اللواتي قال الله عزَّ وجلَّ: «ولدينا مزيد»، حكاه الزَّجّاجُ.

والثالث: أنَّ الزِّيادَةَ على ما تَمَنَّوه وسألوا ممَّا لم تسمع به أُذُنٌ ولم يَخطُرْ على قلبِ بشرٍ، ذكره أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ.

ثم خوَّفَ كفَّارَ مكَّةَ بما بعدَ هذا إلى قوله: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي الْبِلَادِ﴾ قرأ الجمهور «فنقَّبوا» بفتح النون والقاف مع تشديدِها. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وابنُ السَّمَيفَع، ويَحيى بنُ يَعمَرَ كذلك، إلاَّ أنهم كَسَروا القافَ على جهةِ الأمرِ تهدُّداً. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وعمرُ بنُ عبدِالعزيزِ، وقَتادَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وعُبيدٌ عن أبي عمرٍو: «فنقَبوا» بفتحِ القاف وتخفيفِها. قال الفَرَّاءُ: ومعنى «فنقَّبوا»: سَارُوا في البلادِ، فهل كان لهم مِنَ الموت ﴿مِن مَّحِيصٍ﴾ فأُضمِرَتْ «كان» ها هنا، كقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[3] أي: فلم يُكُن لهم ناصِرٌ. ومَنْ قرأ «فنقِّبوا» بكسرِ القاف، فإنه كالوَعيدِ؛ والمعنى: اذهَبُوا في البلاد وجِيئُوا فهل مِنَ الموتِ مِنْ مَحيصٍ؟! وقال الزَّجّاجُ: «نَقَّبوا»: طَوَّفُوا وفتَّشُوا، فلم تَروا مَحِيصاً مِنَ الموتِ. قال امرؤُ القيسِ:

لَقَدْ نَقَّبْتُ في الآفاقِ حتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بالإِيابِ

[١٣٤١] لم أقف عليه، وهو غريب جداً.

[١٣٤٢] لم أره بهذا اللفظ، وصدره ليس له أصل، وأما عجزه فقد ورد مرفوعاً بسند ضعيف. أخرجه أبو يعلى ١٣٨٦ وأحمد ٣/ ٧٥ كلاهما عن أبي سعيد مرفوعاً: «إن الرجل ليتكئ في الجنة مسيرة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه ويسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد. . .» حسنه الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٤١٩ والسيوطي في «الدر» ٦/ ١٢٧ مع أنّ فيه ابن لهيعة ضعيف، وشيخه دراج في روايته عن أبي الهيثم ضعيف وهذا منها. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٦٤٥ بتخريجنا.

---

(١) الإسراء: ٢٥. (٢) الأنبياء: ٤٩. (٣) محمد: ١٣.

فأمَّا المَحِيصُ فهو المَعْدِلُ؛ وقد استَوفَيْنا شَرحَهُ في سُورَ النِّساء[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي ذَكرَهُ مِنْ إهلاك القُرى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: تَذكِرةٌ وعِظَةٌ ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أي: عَقلٌ. قال الفَرَّاءُ: وهذا جائزٌ في اللغة أنْ تقولَ: ما لَكَ قلبٌ، وما معكَ قَلبُكَ، تريد العقلَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: لَمَّا كان القلبُ موضعاً للعقلِ كَنَّى به عنه. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: لِمَنْ صُرِفَ قلبه إلى التَّفهُّم ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي: استَمَعَ مِنِّي ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: وقَلْبُه فيما يسمعُ. وقال الفَرَّاءُ: «وهو شهيد» أيَ: شاهدٌ ليس بغائبٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

[١٣٤٣] ذكرَ المُفسِّرون أنَّ اليهودَ قالت: خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيام، آخرُها يومُ الجُمعةِ، واستراحَ يومَ السبتِ، فلذلك لا نعملُ فيه شيئاً، فنزلت هذه الآياتُ، فأكْذَبَهُم اللهُ عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾. قال الزَّجَّاجُ: واللُّغوبُ: التَّعبُ والإعْيَاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: مِنْ بَهْتِهم وكَذِبِهم. قال المُفسِّرون: ونُسِخَ معنى قوله: «فاصْبِر» بآية السَّيفِ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صَلِّ بالثَّناء على ربِّكَ والتَّنزيهِ له مِمَّا يقول المُبْطِلون ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ وهي صلاةُ الفَجرِ. ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ فيها قولان:

أحدهما: صلاةُ الظُّهرِ والعَصرِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: صلاةُ العَصرِ، قاله قَتادَةُ.

[١٣٤٤] وروى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث جَريرِ بنِ عبدِالله، قال: كُنَّا عندَ رسولِ الله ﷺ ليلةَ البَدْرِ، فقال: «إنَّكم سَتَرَونَ ربَّكُم عِياناً كما تَرون هذا القمرَ، لا تُضامُونَ في رُؤيَتِه، فإنِ استطَعتُم أنْ لا تُغلَبوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمسِ وقبلَ الغُروبِ فافعَلُوا» وقرأ: «فَسَبِّحْ بحمدِ ربِّك قبلَ طُلوعِ الشمسِ وقبلَ الغروبِ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها صلاةُ الليل كلِّهِ، أيَّ وقتٍ صلَّى منه، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: صلاةُ العِشاءِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: صلاةُ المغربِ والعِشاءِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافِعٌ، وحمزَةُ، وخَلَفٌ: بكسرِ الهمزة؛ وقرأ الباقون بفَتحِها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ فَتَحَ ألفَ «أدبار» فهو جمعُ دُبُرٍ، ومَنْ كَسرَها فهو مصدر: أَدْبَرَ يُدْبِرُ إدْباراً. وللمُفسِّرين في هذا التَّسبيح ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الرَّكعتانِ بعدَ صلاةِ المَغرِبِ، رُوِيَ عن عمرَ، وعليٍّ، والحسَنِ بنِ عليٍّ، رضي الله عنهم، وأبي هُريرَةَ، والحسَنِ، ومُجاهِد، والشَّعْبي، والنَّخعيِّ،

[١٣٤٣] ضعيف جداً. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٩ من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس: أن اليهود أتت النبي ﷺ. . . فذكره. وإسناده ضعيف جداً لضعف أبي سعد، بل هو متروك. وأخرجه الطبري ٣١٩٦٠ من طريق أبي سنان عن أبي بكر قال: جاءت اليهود النبي ﷺ فقالوا: . . . فذكره. وهذا معضل، وهو أصح من الموصول، والمتن منكر جداً بذكر نزول الآية، فإن السورة مكية وسآلات اليهود كانت في المدينة، وقد ورد نحو هذا الخبر بدون ذكر هذه الآية، وهو أصح.

[١٣٤٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٥١ ومسلم ٦٣٣ وأبو داود ٤٧٢٩ والترمذي ٢٥٥١ وابن ماجة ١٧٧ والنسائي في «التفسير» ٣٥٠ من حديث جرير، ولفظ «عيانا» ليس في «الصحيحين».

---

(١) النساء: ١٢١.

وقَتادَةَ في آخرين، وهو روايةُ العَوفيِّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه النَّوافِلُ بعدَ المَفروضاتِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه التسبيحُ باللسانِ في أدبارِ الصَّلواتِ المكتوباتِ، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. ورُوِيَ عن أبي الأحوَصِ أنه قال في جميعِ التسبيحِ المذكورِ في هاتين الآيتين كذلك.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ «ينادي المُنادي» بياءٍ في الوَصْلِ. ووَقَفَ ابنُ كَثيرٍ بياءٍ، ووقفَ نافعٌ وأبو عمروٍ بغيرِ ياءٍ. ووقفَ الباقون ووَصَلوا بياءٍ. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: المعنى: واستَمِعْ حديثَ يوم يُنادي المُنادي. قال المُفسِّرون: والمُنادي: إسرافِيلُ، يَقِفُ على صخرةِ بيتِ المقدسِ فيُنادي: يا أيُّها الناسُ هَلُمُّوا إلى الحسابِ، إنَّ الله يأمُركُم أنْ تجتمعوا لِفَصلِ القضاءِ؛ وهذه هي النَّفخةُ الأخيرةُ. والمكان القريب: صخرةُ بيتِ المَقدسِ. قال كَعبٌ ومُقاتِلٌ: هي أقربُ الأرضِ إلى السماء بثمانيةَ عشرَ ميلاً. وقال ابنُ السَّائبِ باثني عشرَ ميلاً. قال الزَّجَّاجُ: ويُقال: إنَّ تلك الصخرةَ في وسطِ الأرضِ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ وهي هذه النَّفخةُ الثانيةُ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالبَعثِ الذي لا شَكَّ فيه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ مِنَ القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أي: نُميتُ في الدنيا ونُحيي للبَعثِ ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ بعدَ البَعثِ، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «تشَّقَّقُ» بتشديد الشين؛ وقرأ الباقون بتخفيفِها ﴿سِرَاعًا﴾ أي: فيخرجون منها سِراعاً ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هَيِّنٌ. ثم عَزَّى نبيَّهُ فقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في تكذيبِكَ، يعني كفَّارَ مكَّةَ ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لم تُبعَثْ لِتُجبرَهم على الإسلام إنَّما بُعِثتَ مُذكِّراً، وذلك قبلَ أنْ يؤمَرَ بقتالِهم؛ وأنكرَ الفَرَّاءُ هذا القولَ فقال: العرب لا تقول: «فَعَّال مِنْ أفعَلتُ» لا يقولون: «خَرَّاج» يريدون «مُخرِج» ولا «دَخَّال» يريدون «مُدخِل»، إنَّما يقولون: «فَعَّال» مِنْ «فَعَلْتُ»، وإنما الجَبَّارُ هنا في موضعِ السلطانِ مِنَ الجَبْرِيَّةِ، وقد قالت العرب في حرفٍ واحدٍ: «دَرَّاك» مِنْ «أدركْتُ» وهو شاذ، فإنْ جعلَ هذا على هذه الكلمة فهو وَجْهٌ. وقال ابنُ قُتيبةَ: ﴿بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمُسَلَّطٍ. والجبَّارُ: المَلِكُ، سُمِّيَ بذلك لِتَجبُّرِه، يقول: لستَ عليهم بمَلِكٍ مُسَلَّطٍ. قال اليَزيديُّ: لستَ بمُسلَّطٍ فتَقْهرهُم على الإسلام. وقال مُقاتِلٌ: لِتَقتُلَهم. وذكر المُفسِّرون أنَّ قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ منسوخٌ بآية السَّيفِ.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: فَعِظْ به ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وقرأ يعقوبُ: «وعيدي» بياءٍ في الحالَين، أي: ما أوعَدتُ مَنْ عَصاني مِنَ العذاب.

ترتيبها ٥١ — سُورَةُ الذَّارِيَات — آياتها ٦٠

مكيّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥)
وَإِنَّ الدِّينَ لَوَٰقِعٌ (٦) وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّٰصُونَ
(١٠) الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ
هَٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ
(١٩) وَفِى الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِى السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ
السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾

قوله تعالى: ﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ يعني الرِّياح، يقال: ذَرَت الرِّيحُ الترابَ تَذْرُوه ذَرْواً: إذا فَرَّقته. قال الزَّجَّاج: يُقال: ذَرَت فهي ذارِيةٌ، وأذرَتْ فهي مُذْرِيةٌ، بمعنًى واحدٍ. ﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ﴾، مجرورةٌ على القَسَم، المعنى: أحلِفُ بالذارياتِ وهذه الأشياء، والجواب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾، قال قومٌ: المعنى: وربِّ الذارياتِ، وربِّ الجارياتِ. قوله تعالى: ﴿فَالْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ يعني السَّحابَ التي تحملُ وِقرَها مِنَ الماء. ﴿فَالْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ يعني السُّفنَ تجري مُيسَّرةً في الماء جَرْياً سهلاً. ﴿فَالْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ يعني الملائكة تَقسِمُ الأمورَ على ما أمَرَ الله به. قال ابنُ السَّائب: والمُقسِّماتُ أربعةٌ، جِبريلُ، وهو صاحبُ الوَحي والغِلظَةِ، ومِيكائِيلُ، وهو صاحبُ الرِّزق والرَّحمة، وإسرافِيلُ، وهو صاحبُ الصُّورِ واللَّوح، وعِزرائيلُ، وهو قابضُ الأرواح. وإنما أقسَمَ بهذه الأشياء لِمَا فيها مِنَ الدلالة على صُنعِه وقُدرتِه. ثم ذَكَر المُقسَمَ عليه فقال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: مِنَ الثَّواب والعقاب يومَ القيامة ﴿لَصَادِقٌ﴾ أي: لَحَقٌّ. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: الحساب. **والثاني**: الجزاء ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي: لَكَائِنٌ.

ثم ذَكَرَ قَسَماً آخر فقال: ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وأبو رَزِينٍ: «الحِبِكِ» بكسرِ الحاء والباء جميعاً. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والشَّعبيُّ، وأبو العَالِيَةِ، وأبو حَيْوَةَ: «الحِبْكِ» بكسرِ الحاء وإسكانِ الباء. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو رَجاءٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «الحُبْكِ» برفعِ الحاء وإسكانِ الباء. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرِمَةُ: «الحَبَكِ» بفتح الحاء والباء جميعاً. وقرأ أبو الدَّرداءِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمرانَ الجَونيُّ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «الحَبِكِ» بفتحِ الحاء وكسرِ الباءِ.

ثم في معنى «الحُبُك» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ذاتُ الخَلْقِ الحَسَنِ، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتَادَةُ. **والثاني**: البُنيان المُتقَن، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: ذاتُ الزِّينة، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. وقال الحَسنُ: حُبُكها: نُجومُها. **والرابع**: ذاتُ الطَّرائِق، قاله الضَّحَّاكُ واللغويون. وقال الفَرَّاءُ: الحُبُك: تَكَسُّر كُلِّ شيءٍ كالرَّمْلِ إذا مَرَّت به الرِّيحُ السَّاكنةُ، والماء القائم إذا مَرَّت به الرِّيحُ، والشَّعرةُ الجَعْدَة تكسُّرها حُبُكٌ، وواحدُ الحُبُك: حِباكٌ وحَبيكَة. وقال الزَّجَّاجُ: أهلُ اللغة يقولون: الحُبُك: الطَّرائِقُ الحَسَنة، والمَحْبُوك في اللغة: ما أُجِيدَ عملُه، وكلُّ ما تراهُ مِنَ الطَّرائِق في الماء وفي الرَّمْلِ إذا أصابَتْهُ الرِّيحُ فهو حُبُك. ورُوِيَ عن عبدِالله بنِ عمرو أنه قال: هذه هي السماءُ السابعةُ.

ثم ذَكَرَ جوابَ القَسَم الثاني، قال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في أمر محمَّدٍ ﷺ، بعضُكم يقول: شاعرٌ، وبعضُكم يقول: مجنونٌ. وفي القرآن، بعضُكم يقول: سِحْرٌ، وبعضُكم يقول: كَهانَةٌ ورَجَزٌ، إلى غيرِ ذلك. ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يُصْرَف عن الإيمان به مَنْ صُرِفَ فحُرِمَه. والهاء في «عنه» عائدةٌ إلى القرآن، وقيلَ: يُصْرَف عن هذا القول، أي: مِنْ أجْلِه وسببِه، عن الإيمان مَنْ صُرِفَ. وقرأ قَتادَةُ: «مَنْ أَفَكَ» بفتحِ الألف والفاء. وقرأ عمرُو بنُ دِينَارٍ: «مَنْ أَفِكَ» بفتحِ الألِفِ وكسرِ الفاء. ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ قال الفَرَّاءُ: يعني: لُعِنَ الكذَّابون الذين قالوا: إنَّ النبيَّ ﷺ ساحرٌ وكذابٌ وشاعرٌ، خَرَصوا ما لا عِلْمَ لهم به. وفي روايةِ العَوفيِّ عن ابنِ عباسٍ: أنهم الكَهَنَةُ. وقال ابنُ الأنباري: والقتلُ إذا أُخبِرَ عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأنَّ مَنْ لَعَنَهُ الله فهو بمنزلة المقتولِ الهالكِ.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ أي في عَمًى وجهالةٍ بأمرِ الآخرة ﴿سَاهُونَ﴾ أي غافلون. والسَّهو: الغفلةُ عن الشيءِ وذهابُ القلبِ عنه. ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يقولون: يا محمَّدُ متى يومُ الجزاءِ؟! تكذيباً منهم واستهزاءً. ثم أخبرَ عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «اليومَ» منصوبٌ على معنى: يقع الجزاءُ يومَ هُم على النَّارِ ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي يُحرَقون ويُعذَّبون، ومِنْ ذلك يُقال للحجارة السُّود التي كأنها قد أُحرِقت بالنَّارِ: الفَتِين. قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟﴾ المعنى: يُقال لهم: ذُوقوا ﴿فِتْنَتَكُمْ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: تكذيبُكم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: حَريقَكم، قاله مُجاهِدٌ. قال أبو عُبيدَةَ: هاهنا تَمَّ الكلامُ، ثم ائْتَنَفَ، فقال: ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ قال المُفسِّرون: يعني الذي كنتم تستعجلونَهُ في الدنيا استهزاءً.

ثم ذَكَرَ ما وَعَدَ الله لأهل الجنَّةِ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وقد سبَق شرحُ هذا[1].

قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحال، فالمعنى: في جنَّاتٍ وعيونٍ في حالِ أخْذِ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال المُفسِّرون: أي ما أعطاهم الله مِنَ الكرامةِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ في أعمالِهم. وفي الآية وجهٌ آخرُ: «آخذين ما آتاهم ربُّهم» أي: عامِلين بما أمَرَهُم به مِنَ الفرائض «إنهم كانوا قبلَ» أنْ تُفرضَ الفرائضُ عليهم، «محسِنين» أي: مطيعين، وهذا معنى قولِ ابنِ عباسٍ في رواية مُسلم البَطِين.

ثم ذَكَرَ إحسانَهم فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهُجوع: النَّومُ بالليل دونَ النهارِ. وفي **«ما» قولان**: **أحدهما**: **النَّفي**. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً مِنَ الليل. قال **أنسُ بنُ مالكٍ**، وأبو العَاليةِ: هو ما بينَ المَغربِ والعِشاءِ. والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً مِنَ الليل.

---

(١) البقرة: ٢٥، الحجر: ٤٥.

واختار قومٌ الوقفَ على قوله: «قليلاً» على معنى: كانوا مِنَ الناس قليلاً، ثم ابتدأ فقال: «مِنَ الليل ما يهجعون» على معنى نفي النَّوم عنهم البتَّة، وهذا مذهبُ الضَّحَّاكِ، ومُقاتِلٍ. **والقول الثاني**: أنَّ «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً مِنَ الليل الذي يَهجعُونَهُ، وهذا مذهبُ الحَسَنِ، والأحنفِ بنِ قيسٍ، والزُهْري. وعلى هذا يحتمل أن تكونَ «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقد شرحناه في آل عمران[1].

قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: نصيبٌ، وفيه قولان: **أحدهما**: أنه ما يَصِلون به رَحِماً، أو يَقْرُون به ضيفاً، أو يحملون به كَلاً، أو يُعِينون به محروماً، وليس بالزَّكاة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الزكاة، قاله قَتادةُ، وابنُ سِيرِينَ. قوله تعالى: ﴿لِّلسَّآئِلِ﴾ وهو الطَّالبُ. وفي «المحروم» ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي ليس له سَهمٌ في فَيءِ المسلمين، وهو المُحارَفُ[2]، قاله ابنُ عباسٍ. وقال إبراهيمُ: هو الذي لا سَهْمَ له في الغنيمةِ. **والثاني**: أنه الذي لا يَنمى له شيءٌ، قاله مُجاهِدٌ، وكذلك قال عَطاءٌ: هو المحرومُ في الرِّزقِ والتجارةِ. **والثالث**: أنه المُسلمُ الفقير، قاله محمَّدُ بنُ عليٍّ. **والرابع**: أنه المُتعفِّفُ الذي لا يسألُ شيئاً، قاله قَتادةُ، والزُهْريُ. **والخامس**: أنه الذي يجيء بعد الغنيمةِ، وليس له فيها سَهْمٌ، قاله الحَسَنُ بنُ محمَّدِ ابنُ الحَنفيَّةِ. **والسادس**: أنه المُصابُ ثَمرتُه وزرعُه أو نَسلُ ماشيتِه، قاله ابنُ زيدٍ. **والسابع**: أنه المملوكُ، حكاه المَاوَرديُ. **والثامن**: أنه الكَلْبُ، رُوِيَ عن عمرَ بنِ عبد العزيزِ، وكان الشَّعْبيُ يقول: أعياني أنْ أعلَمَ ما المحرومُ. وأظهَرُ الأقوالِ قولُ قتادةَ والزُهْري، لأنه قَرنَهُ بالسائلِ، والمُتعفِّفُ لا يَسألُ ـ ولا يكادُ الناسُ يُعطون مَنْ لا يسأل ـ ثم يتحفَّظُ بالتعفُّفِ مِنْ ظُهور أثر الفاقةِ عليه، فيكون محروماً مِنْ قِبَل نفسه حين لم يَسألْ، ومِنْ قِبَلِ الناس حين لا يُعطونه، وإنما يَفطَنُ له مُتيقِّظٌ. وقد ذكر المُفسِّرون أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخَةٌ بآيةِ الزكاة، ولا يصحُّ.

قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثِّمار وغير ذلك ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ بالله عزَّ وجلَّ الذين يعرفونه بصُنعِه. ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آياتٌ إِذْ كنتم نُطَفاً ثم عظاماً، ثم عَلَقاً، ثم مُضَغاً إلى غيرِ ذلك مِنْ أحوال الاختلاف؛ ثم اختلافُ الصُّوَرِ والألوانِ والطَّبائع، وتقويمُ الأدواتِ، والسَّمعُ والبَصرُ والعَقلُ، وتسهيلُ سبيل الحَدَثِ، إلى غيرِ ذلك مِنَ العجائب المُودَعةِ في ابنِ آدمَ. وتمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، ثم قال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ: أفلا تُبصِرون كيف خَلَقكم فتَعرِفوا قُدرتَهُ على البَعث.

قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وحُمَيدٌ، وأبو حَصينٍ الأَسَديُ: «أرزاقُكم» براءٍ ساكنةٍ، وبألفٍ بين الزاي والقاف. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والضَّحَّاكُ، وأبو نَهيكٍ: «رازِقُكم» بفتحِ الراء وكسرِ الزَّاي وبألفٍ بينهما. وعن ابن مُحَيصنٍ كهاتين القراءتين. وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المطرُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وليثٌ عن مُجاهِدٍ، وهو قولُ الجمهورِ. **والثاني**: الجنَّةُ، رواه ابنُ نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه الخيرُ والشرُّ كلاهما يأتي مِنَ السماء، قالَه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثاني**: الجنَّةُ، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ. قال أبو

---

(١) آل عمران: ١٧.

(٢) في «القاموس» المحارف: المحدود والمحروم.

عُبيدَةَ: في هذه الآية مُضمَرٌ مَجازُه: عندَ مَنْ في السماءِ رِزقُكم، وعنده ما تُوعَدون، والعربُ تُضمِر، قال نابغةُ ذُبيانَ:

كـأنَّـكَ مِـنْ جِـمـالِ بَـنـي أُقَـيْـشٍ يُـقَـعْـقَـعُ خَـلْـفَ رِجْـلَـيْـهِ بِـشَـنٍّ[١]

أراد: كأنك جَملٌ مِنْ جِمالِ بَني أُقَيشٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يعني ما ذكره مِنْ أمرِ الآياتِ والرِّزقِ وما تُوعَدون وأمرِ النبيِّ ﷺ ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ قرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «مِثْلُ» برفع اللام. وقرأ الباقون بنَصبِ اللام. قال الزَّجَّاجُ: فمَنْ رَفَعَ «مِثْلُ» فهي مِنْ صفةِ الحقِّ، والمعنى: إنه لَحَقٌّ مِثْلُ نُطقِكم؛ ومَنْ نَصبَ فعَلَى ضربين: **أحدهما**: أنْ يكونَ في موضعِ رفعٍ، إلاَّ أنه لمَّا أُضِيفَ إلى «أنَّ» فُتِحَ. **والثاني**: أنْ يكونَ منصوباً على التأكيدِ، على معنى: إنه لَحَقٌّ حَقّاً مِثْلَ نُطقِكم، وهذا الكلام كما تقول: إنه لَحَقٌّ كما أنَّكَ تتكلَّم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ «هل» بمعنى «قد» في قولِ ابنِ عباسٍ، ومُقاتِلٍ، فيكون المعنى: قد أتاكَ فاستمِعْ نَقُصُّهُ عليك، وضَيفُه: هم الذين جاؤوا بالبُشرى. وقد ذكرنا عددَهُم في هود[٢]، وذكرنا هناكَ معنى الضَّيفِ. وفي معنى «المُكْرَمِينَ» أربعةُ أقوالٍ: **أحدهما**: لأنه أكرَمَهُم بالعِجْلِ، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: بأنْ خدَمَهُم هو وامرأته بأنفسِهما، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: أنهم مُكْرَمون عندَ الله، قاله عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى. **والرابع**: لأنهم أضيافٌ، والأضيافُ مُكْرَمون، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ قد ذكرناه في هود[٣].

قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ارتفعَ على معنى: أنتم قومٌ مُنكَرونَ. وللمُفسِّرين في سببِ إنكارِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأنه لم يعرِفْهم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لأنهم سَلَّموا عليه، فأنكرَ سلامَهُم في ذلك الزَّمانِ وفي تلك الأرضِ، قاله أبو العَالِيةِ. **والثالث**: لأنهم دَخلوا عليه مِنْ غيرِ استئذانٍ. **والرابع**: لأنه رأى فيهم صورةَ البَشَرِ وصورةَ الملائكةِ.

---

(١) في «القاموس» الشَّنّ: وبهاء القربة الخَلَق.
(٢) هود: ٧٠.
(٣) هود: ٧٠.

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة: أي: عَدَلَ إليهم في خُفيةٍ، ولا يكون الرَّوَاغُ إلاَّ أنْ تُخفيَ ذَهابَكَ ومَجيئَكَ. قوله تعالى: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وكان مشوياً ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: فقرَّبَهُ إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟! على النَّكيرِ، أي: أمْرُكم في ترك الأكلِ ممَّا أُنكِرُه. قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قد شرحناه في هود[1]. وذكرنا معنى: «غلام عليم» في (الحِجر)[2]. ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ وهي: سارةُ. قال الفرَّاءُ وابنُ قُتَيبةَ: لم تُقبِلْ مِنْ موضعٍ إلى مَوضعٍ، وإنما هو كقولكَ: أقبلَ يَشتمُني، وأقبلَ يَصيحُ ويتكلَّمُ أي: أخَذَ في ذلك، والصَّرَّة: الصَّيحَةُ. وقال أبو عُبيدَةَ: الصَّرَّةُ: شِدَّةُ الصَّوتِ. وفيما قالت في صَيحَتِها قولان: **أحدهما**: أنها تأوَّهتْ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنها قالت: ياوَيْلَتَا، ذكره الفرَّاءُ. قوله تعالى: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لَطمتْ وجهَها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: ضَربَتْ جبينَها تعجُّباً، قاله مُجاهِدٌ، ومعنى الصكِّ، ضَرْبُ الشيءِ بالشيءِ العريضِ. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ قال الفرَّاءُ: هذا مرفوعٌ بإضمارِ «أتَلِدُ عجوزٌ». وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنا عجوزٌ عقيمٌ، فكيفَ أَلِدُ؟! وقد ذكرنا معنى «العَقيم» في هود[3]. ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أنَّكِ ستَلِدِيْنَ غُلاماً؛ والمعنى: إنَّما نُخبركِ عن الله عزَّ وجلَّ، وهو حكيمٌ عليمٌ يَقْدِرُ أنْ يَجعلَ العقِيمَ وَلُوداً، فَعلِمَ حِينئذٍ إبراهيمُ أنهم ملائكةٌ. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مفسَّرٌ في الحِجر[4].

قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الآجُرُ. قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ قد شرحناه في هود[5]. قوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: للمشركين. قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾، أي: مِن قُرى لُوطٍ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الآية[6]. ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهو لُوطٌ وابنتاه، وصَفَهُم اللَّهُ عزَّ وجلَّ بالإيمان والإسلام، لأنه ما مِنْ مؤمنٍ إلاَّ وهو مُسْلِمٌ. ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي: علامةً للخائفين مِنْ عذاب الله تَدُلُّهم على أنَّ الله أهلكَهُم. وقد شرحنا هذا في العَنكبوت[7] وبيَّنَّا المَكْنِيَ عنها.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ أي وفيه أيضاً آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحُجَّةٍ ظاهرةٍ

---

(١) هود: ٧٠.
(٢) الحجر: ٥٤.
(٣) هود: ٧٢.
(٤) الحجر: ٥٧.
(٥) هود: ٨٣.
(٦) هود: ٨١.
(٧) العنكبوت: ٣٥.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرَض ﴿بِرُكْنِهِۦ﴾ قال مُجاهِدٌ: بأصحابه. وقال أبو عُبيدَةَ: «بِرُكْنه» و «بجانبه» سواءٌ، إنما هي ناحِيَتُهُ ﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ﴾ أي وقال لِموسى: هذا ساحرٌ ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾ وكان أبو عُبيدَةَ يقول: «أو» بمعنى الواو. فأمَّا «اليمُّ» فقد ذكرناه في الأعراف[١] و «مُليم» في الصَّافَّات[٢].

قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ أي في إهلاكِهم آيةٌ أيضاً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وهي التي لا خيرَ فيها ولا بَرَكةَ، لا تُلْقِحُ شجراً ولا تَحمِلُ مطراً، وإنما هي للإهلاكِ. وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ: هي الجَنوب. ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي مِنْ أنفسِهم وأموالِهم ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ أي كالشيءِ الهالِكِ البالي، قال الفَرَّاءُ: الرَّمِيمُ: نباتُ الأرضِ إذا يَبِسَ ودِيسَ. وقال الزَّجَّاجُ: الرَّمِيمُ: الورَقُ الجافُّ المُتحطِّمُ مثلَ الهَشِيم. ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آيةٌ أيضاً ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قيل لهم: تمتَّعوا في الدُّنيا إلى وقت انقضاءِ آجالِكُم تَهدُّداً لهم. **والثاني**: أنَّ صالحاً قال لهم بعد عَقْرِ النَّاقةِ: تَمتَّعوا ثلاثةَ أيام: فكان الحِينُ وقتَ فَناءِ آجالِهم، ﴿فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال مُقاتِلٌ: عَصَوا أمْرَه ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يعني العذابَ، وهو الموتُ مِنْ صَيحةِ جِبريلَ. وقرأ الكِسَائيُّ وحدَهُ: «الصعْقَةُ» بسكونِ العين مِنْ غير أَلِفٍ؛ وهي الصَّوتُ الذي يكون عن الصاعقةِ. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يرون ذلك عياناً، **والثاني**: وهم ينتظرون العذاب فأتاهم صبيحة يوم السبت. قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ما استطاعوا نُهوضاً مِنْ تلك الصَّرعَةِ. **والثاني**: ما أطاقوا ثُبوتاً لعذابِ الله ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أي مُمتَنِعين مِنَ العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ قرأ أبو عمرٍو إلاَّ عبدَ الوارِثِ، وحمزَةُ، والكِسَائيُ: بخَفْضِ الميم، ورَوى عبدُ الوارثِ رفعَ الميم. والباقون بنَصْبِها. وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ خَفَضَ (القوم) فالمعنى: وفي قوم نُوحٍ آيةٌ، ومَنْ نَصَبَ فهو عَطفٌ على معنى قوله: «فأخذتْهم الصَّاعقةُ» فإنَّ معناه: أهلَكْناهم، فيكونُ المعنى: وأهلَكْنا قوْمَ نُوحٍ، والأحسَنُ ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ أنْ يكونَ محمولاً على قوله: «فأخذْناهُ وجنُودَهُ فنَبذْناهم في اليَمّ» لأنَّ المعنَى: أغرقناه، وأغرَقنا قومَ نُوحٍ.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ المعنى: وبَنَينا السماءَ بَنيناها ﴿بِأَيْيدٍ﴾ أي بقوَّةٍ، وكذلك قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وسائرُ المُفسِّرين واللغويين: «بأيْدٍ» أي: بقُوَّةٍ. وفي قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: لَمُوسِعون الرِّزقَ بالمطرِ، قاله الحَسَنُ. **والثاني**: لَمُوسِعُونَ السماءَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: لَقَادِرونَ، قاله ابنُ قُتَيبة. **والرابع**: لَمُوسِعونَ ما بينَ السماءِ والأرضِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والخامس**: لَذُو سعةٍ لا يَضيقُ عمَّا يُريد، حكاه المَاوَرديُ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا عَطفٌ على ما قبلَهُ منصوبٌ بفعلٍ مُضمرٍ محذوفٍ يدلُّ عليه قولُه: «فَرَشْناها»؛ فالمعنى فرشْنا الأرضَ فَرَشْناها «فنِعْم الماهِدون» أي: فنِعْمَ المَاهِدون نحنُ. قال مُقاتِلٌ: «فرشْناها» أي: بَسَطْناها مسيرةَ خمسمائةِ عامٍ، وهذا بعيدٌ، وقد قال قَتادَةُ: الأرضُ عشرونَ ألفَ فَرْسَخٍ، واللَّهُ تعالى أعلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صِنفَين ونَوعَين كالذَّكرِ والأُنثى، والبَرِّ والبحرِ،

---

(١) الأعراف: ١٣٦. (٢) الصافات: ١٤٢.

والليلِ والنهارِ، والحلوِ والمرِّ، والنورِ والظلمةِ، وأشباه ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلَموا أنَّ خالقَ الأزواج واحدٌ. ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوبة مِنْ ذُنوبكم؛ والمعنى: اهربوا ممَّا يُوجب العِقابَ مِنَ الكُفرِ والعِصيانِ إلى ما يُوجِبُ الثواب مِنَ الطَّاعة والإيمان.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما كذَّبكَ قومُكَ وقالوا: ساحرٌ أو مجنونٌ؛ كانوا مِنْ قبلِكَ يقولون للأنبياء. قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى أوَّلُهم آخرَهم بالتَّكذيب؟، وهذا استفهامُ توبيخ. وقال أبو عُبيدَة: أتواطَؤوا عليه فأخذَهُ بعضُهم مِنْ بعضٍ؟!. قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحمِلُهم الطُّغيانُ فيا أُعطوا مِنَ الدُّنيا على التَّكذيبِ؛ والمُشارُ إليهم أهلُ مكَّةَ. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فقد بلَّغتَهم ﴿فَمَا أَنتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٍ﴾ لأنَّكَ قد أدَّيتَ الرِّسالةَ. ومذهب أكثرِ المُفسِّرين أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ ولهم في ناسِخِها قولان: **أحدهما**: أنه قوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. **والثاني**: آيةُ السَّيفِ. وفي قوله: «وذكِّر» قولان: **أحدهما**: عِظْ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: ذكِّرْهم بأيَّامِ الله وعذابِه ورحمتِه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أثبتَ الياءَ في «يعبدون» و «يُطعِمون» و «لا يستعجِلون» في الحالَين يعقوبُ. واختلفوا في هذه الآية على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: إلاَّ لآمُرَهم أنْ يَعبُدوني، قاله عليُّ بنُ أبي طالب، واختاره الزَّجَّاجُ. **والثاني**: إلاَّ لِيُقِرُّوا بالعُبوديةِ طَوْعاً وكَرْهاً، قاله ابنُ عباسٍ؛ وبيانُ هذا قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(1). **والثالث**: أنه خاصٌّ في حقِّ المؤمنين. قال سعيدُ بنُ المُسيِّبِ: ما خَلقتُ مَنْ يَعبدُني إلاَّ لِيَعبُدَني. وقال الضَّحَّاكُ والفرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ: هذا خاصٌّ لأهلِ طاعتِه، وهذا اختيارُ القاضي أبي يَعلَى فإنه قال: معنى هذا الخُصوصُ لا العمومُ، لأنَّ البُلْهَ والأطفالَ والمَجانين لا يدخلون تحتَ الخطابِ وإنْ كانوا مِنَ الإنسِ؛ فكذلك الكُفَّارُ يَخرجُون مِنْ هذا بدليلِ قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾(2)، فمَنْ خُلِقَ للشَّقاء ولِجهنَّمَ لم يُخْلَقْ للعبادة. **والرابع**: إلاَّ لِيَخضَعوا إليَّ ويتذلَّلوا، ومعنى العِبادةِ في اللغة: الذُّلُّ والانقيادُ. وكُلُّ الخَلْقِ خاضعٌ ذليلٌ لقضاءِ الله عزَّ وجلَّ، لا يملك خروجاً عمَّا قضاه الله عزَّ وجلَّ، هذا مذهبُ جماعةٍ مِنْ أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي: ما أُريدُ أنْ يَرزقُوا أنفسَهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي أنْ يُطعِموا أحداً مِنْ خَلْقي، لأني أنا الرَّزَّاقُ. وإنما أسنَدَ الإطعامَ إلى نَفْسِه، لأنَّ الخَلْقَ عِيالُ الله، ومَنْ أطعمَ عِيالَ أحدٍ فقد أطعَمَهُ.

---

(1) الزخرف: ٨٧. (2) الأعراف: ١٧٩.

[١٣٤٥] وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «يقول اللّهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامة. يا ابنَ آدمَ: استَطْعَمتُك فلَمْ تُطعِمْني»، أي: لم تُطْعِمْ عبدي.

فأمّا ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ فقرأ الضَّحّاك، وابنُ مُحَيصنٍ: «الرازق» بوزنِ «العالِم». قال الخَطّابيُّ: هو المُتكفِّلُ بالرِّزقِ القائمُ على كلِّ نَفسٍ بما يُقيمُها مِنْ قُوتِها. و﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديدُ القُوَّةِ الذي لا تنقطع قُوَّته ولا يَلحَقُه في أفعالِه مَشقَّةٌ. وقد رَوى قُتَيبةُ عن الكِسائي أنه قرأ: «المتين» بكسرِ النون. وكذا قرأ أبو رَزينٍ، وقَتادةُ، وأبو العَالِيةِ، والأعمَشُ. قال الزَّجّاجُ: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: ذو الاقتِدارِ الشديدِ، ومَنْ رَفَعَ «المتين» فهو صِفةُ الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ خفضَهُ جعله صِفةً للقُوَّةِ، لأنَّ تأنيثَ القُوَّةِ كتأنيثِ المَوعظةِ، فهو كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني مُشركي مكَّةَ ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: نصيباً مِنَ العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ الذين أُهلِكوا، كقوم نُوحٍ وعادٍ وثَمودَ. قال الفَرّاءُ: الذَّنوب في كلام العرب: الدَّلْوُ العظيمةُ، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصِيبِ والحَظِّ، قال الشاعر:

لَـنَـا ذَنُـوبٌ ولَـكُـمْ ذَنُـوبُ ... فـإنْ أَبَـيْـتُـم فـلَـنـا الْـقَـلِـيـبُ(٢)

والذَّنوب، يُذَكَّر ويؤنَّث. وقال ابنُ قُتَيبةَ، أصلُ الذَّنوب: الدَّلْوُ العظيمةُ، وكانوا يَستَقُون، فيكون لكلِّ واحدٍ ذَنوبٌ، فجُعِلَ «الذَّنوب» مكانَ «الحَظ والنَّصيب».

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ أي: بالعذابِ إنْ أُخِّروا إلى يومِ القيامة، وهو يومُهم الذي يُوعَدون، ويُقال: هو يومُ بدرٍ.

[١٣٤٥] صحيح. وهذا اللفظ جزء من حديث طويل أخرجه مسلم ٢٥٦٩.

---

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) في «القاموس» القليب: البئر.

سورة الطور

ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

وهي مكيَّةٌ كلها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ هذا قَسَمٌ بالجبل الذي كلَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه موسى عليه السلام، وهو بأرضِ مَدْيَنَ واسمهُ زَبير. ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ أي: مكتوبٌ، وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللَّوحُ المَحفوظُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: كُتبُ أعمالِ بَني آدمَ، قاله مُقاتِلٌ والزَّجَّاجُ. **والثالث**: التَّوراةُ. **والرابع**: القرآن، حكاهما المَاورديُّ. قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الرَّقّ: الوَرَق. فأمَّا المَنشُورُ فهو المَبسُوطُ. قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه بيتٌ في السماء. وفي أيِّ سماءٍ هو؟ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٣٤٦] أحدها: أنه في السماءِ السابعةِ، رواه أنسٌ عن النبيِّ ﷺ.

[١٣٤٧] وحديثُ مالكِ بنِ صَعْصَعةَ الذي أُخرِجَ في «الصَّحيحين» يدلُّ عليه.

والثاني: أنه في السماءِ السادسةِ، قاله عليٌّ رضي الله عنه.

[١٣٤٨] والثالث: أنه في السماءِ الدُّنيا، رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ. وقال ابنُ عباسٍ: هو

[١٣٤٦] أخرجه الحاكم ٢/ ١١٧ والبيهقي في «الشعب» ٣٩٩٣ والطبري ٣٢٣٠١ من حديث أنس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ويشهد له ما بعده.

[١٣٤٧] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ومسلم ١/ ١٤٩ والطبري ٣٢٢٨٧ عن أنس عن مالك بن صعصعة مرفوعاً، في أثناء حديث الإسراء المطوّل، وتقدّم في أوائل سورة الإسراء.

[١٣٤٨] لا أصل له في المرفوع. أخرجه العقيلي ٢/ ٥٩ ـ ٦٠ وابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٨٢، وابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ١٤٧ من حديث أبي هريرة، ساقه العقيلي في ترجمة روح بن جناح، وقال: لا يتابع عليه، وقال ابن حبان في ترجمته: يروي عن الثقات ما إذا سمعها الإنسان الذي ليس =

حِيالَ الكعبة يحُجُّهُ كُلَّ يوم سبعون ألفَ ملَكٍ ثم لا يَعودون فيه حتى تقومَ الساعةُ، يُسمَّى الضُّراح. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان البيتُ المَعمورُ مكانَ الكعبةِ في زمانِ آدم، فلمَّا كان زمنُ نُوحٍ أمَرَ الناسَ بحَجِّهِ، فعَصَوهُ فلمَّا طَغى الماءُ رُفِعَ فجُعِلَ بحِذاءِ البيت في السماءِ الدُّنيا.

والثاني: أنه البيتُ الحَرامُ، قاله الحَسنُ، وقال أبو عُبيدَةَ: ومعنى «المعمور»: الكثيرُ الغاشِيةِ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه السماءُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه والجمهورُ. **والثاني**: العَرشُ، قاله الرَّبيعُ. قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ فيه قولان. **أحدهما**: أنه بَحرٌ تحتَ العَرشِ ماؤه غليظٌ يُمطَر العبادُ منه بعد النَّفخَةِ الأولى أربعينَ صباحاً فينبتُون في قبورِهم، قاله عليٌّ رضي الله عنه. **والثاني**: أنه بحرُ الأرضِ، ذكره المَاوَرديُّ. وفي ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: المَملوءُ، قاله الحَسنُ وأبو صالح وابنُ السَّائبِ وجميعُ اللغويين. **والثاني**: أنه المُوقَدُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ. وقال شِمْرُ بنُ عَطِيَّةَ: هو بمنزلةِ التَّنُّورِ المَسجُورِ. **والثالث**: أنه اليابسُ الذي قد ذهبَ ماؤه ونَضَبَ، قاله أبو العَاليةِ. ورُوِيَ عن الحسَنِ، قال: تُسجَرُ، يعني البحارَ، حتى يذهبَ ماؤُها فلا يبقى فيها قطرةٌ. وقولُ هذين يرجعُ إلى معنى قولِ مُجاهِدٍ.

[١٣٤٩] وقد نُقِلَ في الحديثِ أنَّ الله تعالى يجعلُ البحارَ كلَّها ناراً، فَتُزاد في نارِ جهنَّمَ.

والرابع: أنَّ «المَسْجُور» المُختَلِط عذبُه بمِلْحِه، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. فأقسَمَ الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيهِ على ما فيها مِنْ عظيم قُدرته على أنَّ تعذيبَ المشركين حقٌّ، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ أي: لَكائنٌ في الآخرة. ثم بَيَّنَ متى يقعُ، فقال: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: تدورُ دَوْراً رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وهو اختيارُ الفَرَّاءِ وابنِ قُتيبةَ والزَّجَّاج. **والثاني**: تحرَّكُ تحرُّكاً، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ. وقال أبو عُبيدَةَ «تَمُور» أي: تَكَفَّأُ، وقال الأَعْشى.

كَأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بيْتِ جارَتِها ... مَوْرُ السَّحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

والثالث: يَموجُ بعضُها في بعضٍ لأمرِ الله تعالى، قاله الضَّحَّاكُ.

وما بعدَ هذا قد سبقَ بيانُه[١] إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي: يخوضون في حديثِ محمَّدٍ ﷺ بالتَّكذيبِ والاستهزاءِ، ويَلهُون بذِكْرِه، فالوَيلُ لهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: يُدْفَعون، يُقال: دَعَعْتُه أدُعُّه؛ أي: دَفعتُه، ومنه قوله ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[٢]، قال ابنُ عباسٍ: يُدْفع في

= بالمتبحر في صناعة الحديث شهد لها بالوضع. وقال ابن الجوزي رحمه الله: هذا حديث لا يتهم به إلا روح بن جناح، قال الحافظ عبد الغني: هذا حديث منكر، ليس له أصل عن الزهري، ولا عن سعيد ولا عن أبي هريرة، ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق ولا من غيرها اهـ. ونقل الذهبي في «الميزان» ٢٧٩٩ عن أبي أحمد الحاكم قوله: حديث في البيت المعمور لا أصل له.

[١٣٤٩] غريب مرفوعاً. وقد ذكره البغوي في «تفسيره» ٢٣٧ بقوله وروي من غير عزو لأحد. وذكره الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٤١١ أيضاً بقوله روي من غير عزو لأحد ولم يخرجه الحافظ، وهذا دليل على أنه غير مرفوع. والله أعلم.

---

(١) النمل: ٨٨. (٢) الماعون: ٢.

أعناقِهم حتى يَردُوا النَّارَ. وقال مُقاتِلٌ: تُغلُّ أيديهم إلى أعناقِهم وتُجمعُ نواصِيهم إلى أقدامِهم، ثم يُدفَعون إلى جهَنَّم على وجوهِهم، حتى إذا دَنوا منها قالت لهم خَزَنَتُها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭﴾ في الدنيا ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذي ترون؟ فإنكم زَعمتُم أنَّ الرُّسلَ سَحرةٌ ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ النَّار؟ فلمَّا أُلقُوا فيها قال لهم خَزَنَتُها: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾. وقال غيرُه: لمَّا نَسبُوا محمَّداً ﷺ إلى أنه ساحرٌ يُغطي على الأبصارِ بالسِّحْرِ، وُبِخُوا عند رؤيةِ النَّارِ بهذا التوبيخ، وقيلَ: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: قاسُوا شِدَّتَها ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على العذاب ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصَّبرُ والجَزَعُ ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ جزاءَ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الكُفرِ والتكذيبِ.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ⑰ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ⑱ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑲ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ⑳﴾

ثم وَصفَ ما للمؤمنين بما بعدَ هذا، وقوله: ﴿فَٰكِهِينَ﴾ قُرئَت بألفٍ وبغيرِ ألفٍ. وقد شرحناها في يس[1]، ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ أي: صَرفَ عنهم، و﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ مذكورٌ في البقرة[2]. ﴿كُلُواْ﴾ أي يُقال لهم: كُلوا ﴿وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾ تأمنون حدوثَ المرضِ عنه. قال الزَّجَّاج: المعنى: لِيَنهكم ما صِرتُم إليه، وقد شرحنا هذا في سُورةِ النِّساءِ. ثم ذَكر حالَهم عند أكلِهم وشربِهم، فقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ وقال ابنُ جَريرٍ: فيه محذوفٌ تقديره: على نَمارِقَ على سُرُرٍ، وهي جمعُ سريرٍ ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ قد وُضِعَ بعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ. وباقي الآية مفسَّرٌ في سُورةِ الدُّخان[3].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ㉑ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ㉒ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ㉓ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ㉔ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ㉕ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ㉖ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ㉗ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ㉘﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: «واتَّبعتهم» بالتاء «ذُرِّيَّتهم» واحدةً ﴿بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ واحدةً أيضاً. وقرأ نافعٌ: «واتَّبعتْهم ذُرِّيَّتُهم» واحدةً «بهم ذُرِّيَّاتِهم» جمعاً. وقرأ ابنُ عامرٍ: «وأَتْبَعْناهم ذُرِّيَّاتِهم» «بهم ذُرِّيَّاتِهم» جمعاً في الموضعين. واختلفوا في تفسيرِها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ معناها: واتَّبعتْهم ذُرِّيَّتهم بإيمانٍ ألْحقْنا بهم ذُرِّياتِهم مِنَ المؤمنين في الجنَّةِ وإنْ كانوا لم يَبلُغوا أعمالَ آبائِهم تكرِمةً مِنَ الله تعالى لآبائِهم المؤمنين باجتماعِ أولادِهم معهم، رَوى هذا المعنى سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: واتَّبعتْهم ذُرِيَّتُهم بإيمانٍ، أي: بلغَتْ أنْ آمنَتْ، ألْحقْنا بهم ذُرِّيَّتهم الصِّغارَ الذينَ لم يبلُغوا الإيمانَ. ورَوى هذا المعنى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. ومعنى هذا القول، أنَّ أولادَهم الكبارَ، تَبِعُوهم بإيمانٍ منهم، وأولادُهم الصِّغارُ تَبِعُوهم

(١) يسٓ: ٥٥. (٢) البقرة: ١١٩. (٣) الدخان: ٥٤.

بإيمانِ الآباء، لأنَّ الولدَ يُحكَمَ له بالإسلام تَبَعاً لوالدِه. **والثالث**: «وأتبعْناهم ذُرِّياتهم» بإيمانِ الآباء فأدْخلناهم الجنَّةَ، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ قرأ نافعٌ: وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ وحمزةُ، والكِسَائيُّ: «وما ألتناهم» بالهمزةِ وفتح اللام. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ما ألِتناهم» بكسرِ اللام. وروى ابنُ شَنْبُوذَ عن قُنْبُلٍ عنه «وما لِتناهم» بإسقاطِ الهمزة مع كسرِ اللام. وقرأ أبو العَاليةِ، وأبو نَهِيْكٍ، ومعاذٌ القارئ بإسقاطِ الهمزة مع فتح اللام. وقرأ ابنُ السَّمَيفع «وما آلتناهم» بمَدِّ الهمزة وفتحِها. وقرأ الضَّحَّاكُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُ: «وما وَلَتْناهم» بواوٍ مفتوحةٍ مِنْ غير همزةٍ وبنصبِ اللام. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو المُتوكِّل: «وما أَلَتُّهُمْ» مثلَ: جعلتُهم. وقد ذكرنا هذه الكلمةَ في الحُجرات[1]، والمعنى: ما نقَصْنا الآباءَ بما أعطَيْنا الذُّرِّيَّةَ. ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بعمله لا يُؤاخَذُ أحدٌ بذَنْبِ أحدٍ، وقيلَ: هذا الكلام يختصُّ بصفةِ أهلِ النَّارِ، وذلك الكلامُ قد تَمَّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي الزيادة على الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: يَتعاطَون ويَتداولون: وأنشد الأخطَلُ:

نَـازَعْتُـهُ طَـيِّـبَ الـرَّاحِ الـشَّـمُـولِ وقَـدْ صَـاحَ الـدَّجـاجُ وحـانَـتْ وَقْـعَـةُ السَّـاري

قال الزَّجَاجُ: يتناول هذا الكأسَ مِنْ يَدِ هذا، وهذا مِنْ يَدِ هذا. فأمَّا الكأس فقد شرحناها في الصَّافَّات[2].

قوله تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قرأ ابنُ كَثير وأبو عمروٍ: «لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ» نصباً، وقرأ الباقون: «لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ» رفعاً مُنوَّناً، قال ابنُ قُتَيبةَ: أي لا تَذهبُ بعقولِهم فَيلْغُوا ويَرْفثُوا فيأثَموا كما يكون ذلك في خمرِ الدنيا. وقال غيرُه: التأثيمُ: تفعيلٌ مِنَ الإثم، يُقال: آثمَهُ: إذا جعله ذا إثم. والمعنى أنَّ تلك الكأسَ لا تجعلُهم آثِمِيْنَ. ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمةِ ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ في الحُسنِ والبياضِ ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ أي: مَصُونٌ لم تَمسَّه الأيدي.

[١٣٥٠] وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ فقيلَ: يا نبيَّ الله، هذا الخادمُ، فكيف المَخدُومُ؟ فقال: «إنَّ فَضلَ المَخدومِ على الخادمِ كفَضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ».

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا مِنَ الخوفِ والتَّعبِ، وهو قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ أي: في دارِ الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين مِنَ العذاب، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: عذابَ النَّارِ. وقال الحسَنُ: السَّمُومُ مِنْ أسماء جهنَّم. وقال غيرُه: سَمُوم جهنَّمَ، وهو ما يوجد مِنْ نَفْحِها وحَرِّها، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نُوحِّده ونُخْلِصُ له ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ وقرأ نافعٌ والكِسَائيُّ: «أنَّه» بفتحِ الهمزة. وفي معنى «البَرِّ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصادقُ فيما وَعدَ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: اللطِيفُ، رواه

[١٣٥٠] ضعيف جداً. أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٠١٢ والطبري ٣٢٢٣٧ من طريق معمر عن قتادة مرسلاً، وبصيغة التمريض. وعامة مراسيل قتادة في التفسير إنما هي عن الحسن، ومراسيل الحسن واهية.

---

(١) الحجرات: ١٤٠. (٢) الصافات: ٤٥.

ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: العَطُوفُ على عبادِهِ المُحسِنُ إليهم الذي عَمَّ بِبِرِّهِ جميعَ خَلْقِهِ، قاله أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فعِظْ بالقرآن ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي: بإنعامِه عليك بالنُّبوَّة ﴿بِكَاهِنٍ﴾ وهو الذي يُوهِمُ أنه يَعلمُ الغيبَ ويُخبِرُ عمَّا في غَدٍ مِنْ غيرِ وَحيٍ. والمعنى: إنما تَنطِقُ بالوَحيِ لا كما يقول فيكَ كفَّارُ مكَّة. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعرٌ. وقال أبو عُبيدَةَ: «أم» بمعنى «بل»، قال الأخطلُ:

كَـذَبَـتْـكَ عَـيْـنُـكَ أَمْ رَأَيْـتَ بِـوَاسِـطٍ ... غَـلَـسَ ٱلـظَّـلامِ مِـنَ الـرَّبـابِ خَـيـالا

لم يستفهِمْ، إنما أوجَبَ أنه رأى. قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الموت، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: حوادثُ الدَّهر، قاله مُجاهِدٌ، قال ابنُ قُتَيبة: حوادثُ الدَّهرِ وأوجاعُه ومصائِبُه، و«المَنُون» الدَّهرُ، قال أبو ذُؤيبٍ:

أَمِـنَ الـمَـنُـونِ ورَيْـبِـهِ تَـتَـوَجَّـعُ ... والـدَّهـرُ لـيـسَ بـمُـعْـتِـبٍ مَـنْ يَـجْـزَعُ

هكذا أنشدَنَاهُ أصحابُ الأَصمَعيِّ عنه، وكان يذهب إلى أنَّ المَنُونَ الدَّهرُ، قال: وقوله «والدَّهرُ ليس بمُعتِبٍ» يدلُّ على ذلك، كأنه قال: «أمِنَ الدَّهر ورَيْبِهِ تَتوجَّعُ؟!» قال الكِسائيُّ: العرب تقول: لا أُكلِّمُكَ آخِرَ المَنُونِ، أي: آخِرَ الدَّهرِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظِرُوا بي ذلك ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أي: مِنَ المُنتظِرين عذابَكُم، فعُذِّبوا يومَ بدرٍ بالسَّيفِ. وبعضُ المفسِّرين يقول: هذا مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ، ولا يصِحُّ، إذْ لا تضادَّ بينَ الآيتين. قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ قال المُفسِّرون: كانت عظماءُ قُريشٍ تُوصَفُ بالأحلام، وهيَ العُقول، فأزرَى الله بحُلومِهم، إذ لم تُثمِرْ لهم معرفةَ الحقِّ مِنَ الباطلِ. وقيلَ لعمرِو بنِ العَاصِ: ما بالُ قومِكَ لم يُؤمِنوا وقد وَصفَهُم الله تعالى بالعُقولِ؟! فقال: تلكَ عُقولٌ كادَها بارئُها، أي: لم يَصْحَبْها التَّوفيقُ.

وفي قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ وقوله ﴿أَمْ هُمْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنهما بمعنى «بل» قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: بمعنى أَلِفِ الاستفهام، قاله الزَّجَّاجُ: قال: والمعنى: أتأمُرُهم أحلامُهم بتَرْكِ القَبولِ ممَّن يدعُوهم إلى التَّوحيدِ ويأتيهم على ذلك بالدَّلائِلِ، أَمْ يكفُرون طُغياناً وقد ظهرَ لهم الحقُّ؟! وقال ابنُ قُتيبَةَ: المعنى: أَمْ تدُلُّهم عقولُهم على هذا؟! لأنَّ الحِلْمَ يكون بالعقلِ، فكُنِيَ عنه به.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي افتَعلَ القرآنَ مِن تِلقاءِ نَفْسِه؟ والتَّقوُّلُ: تكلُّفُ القولِ، ولا يُستَعملُ إلاَّ في الكذبِ ﴿بَل﴾ أي ليس الأمرُ كما زعموا ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن؛ استِكباراً. ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ في نَظْمِه وحُسنِ بيانِه. وقرأ أبو رَجاءٍ وأبو نَهيكٍ ومُوَرِّقٌ العِجليُّ وعاصِمٌ الجَحدَريُّ: «بحديثِ مِثْلِه» بغيرِ تنوينٍ ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ محمَّداً تقوَّلَه.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ رَبٍّ خالقٍ؟ **والثاني**: أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ آباءٍ ولا أُمّهاتٍ، فهم كالجمادِ لا يَعقِلون؟ **والثالث**: أَمْ خُلِقوا مِنْ غيرِ شيءٍ كالسَّماواتِ والأرضِ؟ أي: إنهم ليسوا بأشدَّ خَلْقاً مِنَ السَّماواتِ والأرضِ. لأنها خُلِقَتْ مِنْ غيرِ شيءٍ، وهم خُلِقوا مِنْ آدمَ، وآدمُ مِنْ تُرابٍ. **والرابع**: أَمْ خُلِقُوا لغيرِ شيءٍ؟ فتكون «مِنْ» بمعنى اللام. والمعنى: ما خُلِقوا عَبَثاً فلا يُؤمَرون ولا يُنهَون. قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ فلذلك لا يأتَمِرون ولا يَنتَهون؟ لأنَّ الخالِقَ لا يُؤمَرُ ولا يُنهى.

قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بالحقِّ، وهو توحيدُ الله وقُدرتُه على البَعثِ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المطرُ والرِّزقُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: النُّبوَّةُ، قاله عِكرِمَةُ. **والثالث**: عِلْمُ ما يكون مِنَ الغَيْبِ، ذكره الثَّعلَبيُّ، وقال الزَّجّاجُ: المعنى: أَعِندَهُم ما في خزائنِ ربِّكَ مِنَ العِلْمِ، وقيلَ: مِنَ الرِّزقِ، فهم مُعْرِضون عن ربِّهم لاستغنائِهم؟!. قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «المُسيطِرُونَ» بالسين. وقال ابنُ عباسٍ: المُسَلَّطون. قال أبو عُبيدَةَ: «المُصيطِرون»: الأرباب. يُقال تسيطَرتَ عليَّ، اتَّخذتني خَوَلاً، قال: ولم يأتِ في كلام العرب اسمٌ على «مُفَيْعِل» إلاّ خمسةُ أسماءٍ: مُهَيمِن، ومجيمر ومسيطر ومبيطر ومبيقر. فالمهيمن: الله الناظر المُحصي الذي لا يفوته شيء. ومُجَيمِر: جبلٌ. والمُسَيطِر: المُسَلَّطُ؛ ومُبَيطِر: بَيْطار؛ والمُبَيقِر: الذي يَخرجُ مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ، يُقال: بَيقَرَ: إذا خرجَ مِنْ بلدٍ إلى بلدٍ، قال امرؤُ القَيسِ:

ألاَ هَـلْ أتـاهـا والـحـوادِثُ جَـمَّـةٌ بـأنَّ امـرأَ الـقَـيسِ بـنَ تَـمـلِـك بَـيْـقَـرا؟

قال الزَّجّاجُ: المُسَيطِرون: الأربابُ المُسلَّطون، يقال: قد تَسيطَرَ علينا وتَصَيْطَرَ: بالسين والصاد، والأصل السين، وكلُّ سينٍ بعدَها طاءٌ، فيجوزُ أنْ تُقلَبَ صاداً، تقول: سَطر وصَطر، وسَطا علينا وصَطا. قال المُفسِّرون: معنى الكلام: أَمْ هُمُ الأربابُ فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحتَ أمرٍ ولا نهيٍ؟! قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ أي: مَرْقىً ومَصعَدٌ إلى السماءِ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه الوحيَ، كقوله: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[1]، فالمعنى: يستمِعونَ الوحيَ فيعلمونَ أنَّ ما هُم عليه حقٌّ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ إنِ ادَّعى ذلك ﴿بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي، بحُجَّةٍ واضحةٍ كما أتى محمَّدٌ بحُجَّةٍ على قوله. ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ هذا إنكارٌ عليهم حين جعلوا لله البَناتِ. ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي: هل سألْتَهم أجراً على ما جِئتَ به، فأثقلَهَم ذلك الذي تطلُبه منهم فمنَعَهُم عن الإسلام؟ والمَغرَمُ بمعنى الغُرْمِ، وقد شرحناه في براءة[2].

---

(١) طه: ٧١.
(٢) التوبة: ٩٨.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ هذا جوابٌ لقولِهم: «نَتربَّص به رَيْبَ المَنون»؛ والمعنى: أَعِندَهُمُ الغَيبُ؟ وفيه قولان: أحدهما: أنه اللَّوحُ المَحفوظُ، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه ويُخبِرون الناسَ. قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: أَعِندَهُم عِلْمُ الغَيبِ فيَعلَمون أنَّ محمَّداً يموتُ قبلَهم ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي، يَحكُمون فيقولون: سَنَقْهَرُكَ. والكتاب: الحُكْمُ.

[١٣٥١] ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «سأَقْضي بينَكُما بكتابِ الله» أي: بحُكْمِ الله عزَّ وجلَّ؛ وإلى هذا المعنى ذهب ابنُ قُتَيبةَ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو ما كانوا عَزَموا عليه في دارِ النَّدْوةِ؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١)؛ ومعنى ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ هم المَجْزيُّون بكَيدِهم، ولأنَّ ضَررَ ذلك عادَ عليهم فقُتِلوا ببدرٍ وغيرِها. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ أي ألَهُم إلهٌ يرزُقُهم ويَحفَظُهم غيرُ الله؟ والمعنى أنَّ الأصنامَ ليست بآلهةٍ لأنها لا تنفعُ ولا تدفعُ. ثم نزَّهَ نَفْسَهُ عن شِرْكِهم بباقي الآية.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

ثم ذكر عِنادَهم فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ والمعنى: لو سَقَطَ بعضُ السماء عليهم، لَمَا انتهَوا عن كُفرِهم، ولَقالوا: هذه قِطعةٌ مِنَ السَّحاب قد رُكِمَ بعضه على بعضٍ. ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي خَلِّ عنهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟﴾ قرأ أبو جعفرَ «يَلْقَوا» بفتحِ الياء والقاف وسكونِ اللام مِنْ غير ألِفٍ ﴿يَوْمَهُمُ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنه يومُ موتِهم. والثاني: يومُ القيامة. والثالث: يومُ النَّفخةِ الأولى. قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قرأ عاصِمٌ، وابنُ عامر: «يُصْعَقون» برفعِ الياء، مِنْ أصعَقَهم غيرُهم، والباقون بفَتْحِها، مِنْ صَعِقوا هُمْ. وفي قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قولان: أحدهما: يموتون. والثاني: يُغشَى عليهم، كقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٢)، وهذا يخرج على قولِ مَنْ قال: هو يومُ القيامة، فإنَّهم يُغشَى عليهم مِنَ الأهوالِ. وذَكَرَ المُفسِّرون أنَّ هذه الآيةَ مَنسُوخةٌ بآية السَّيفِ، ولا يَصحُّ، لأنَّ معنى الآية الوعيدُ. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ هذا اليومُ الأول. والمعنى: لا يَنفَعُهم مَكرُهم، ولا يَدفعُ عنهم العذابَ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمْنَعون مِنَ العذاب: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبلَ ذلك اليومِ؛ وفيه أربعةُ أقوالٍ(٣): أحدها: أنه عذابُ القبر، قاله البَراءُ، وابنُ عباسٍ.

[١٣٥١] صحيح. أخرجه البخاري ٢٧٢٤ و ٦٦٣٣ ومسلم ١٦٩٧ ومالك ٢/ ٨٨٢ من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في أثناء خبر العسيف. وتقدم في سورة النساء والنور.

---

(١) الأنفال: ٣٠. (٢) الأعراف: ١٤٣.
(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٤٩٩: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال، إن الله تعالى ذكره أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذاباً دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر =

والثاني: عذابُ القتلِ يومَ بدرٍ، ورُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال مُقاتِلٌ. **والثالث**: مصائِبُهم في الدنيا، قاله الحَسنُ، وابنُ زيدٍ. **والرابع**: عذابُ الجوعِ، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازل بهم. ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لِمَا يَحكُم به عليك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال الزَّجّاجُ: فإنكَ بحيث نراكَ ونَحفَظُكَ ونَرعاكَ، فلا يَصِلون إلى مكرُوهِكَ. وذكر المُفسِّرون: أنَّ معنى الصبرِ نُسِخَ بآيةِ السَّيفِ، ولا يصحُّ، لأنه لا تضادَّ. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: صَلِّ لله حينَ تقوم مِنْ منامِكَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: قُلْ: سُبحانَكَ اللهُمَّ وبحَمْدِكَ حينَ تقومُ مِنْ مَجْلِسكَ، قاله عطاءٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ ومُجاهِدٌ في آخرين. **والثالث**: قُلْ: سُبحانَكَ اللهُمَّ وبحمدِكَ وتبارَكَ اسمُكَ وتعالى جَدُّكَ ولا إلهَ غيرُكَ حين تقوم في الصَّلاةِ، قاله الضَّحّاكُ. **والرابع**: سَبِّح الله إذا قُمْتَ مِنْ نومِكَ، قاله حسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ. **والخامس**: صلِّ صلاةَ الظُّهرِ إذا قُمْتَ مِنْ نومِ القائلةِ، قاله زيدُ بنُ أسلَمَ. **والسادس**: اذْكُرِ الله بلسانِكَ حينَ تقوم مِنْ فِراشِكَ إلى أنْ تدخُلَ في الصَّلاة، قاله ابنُ السّائبِ. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال مُقاتِلٌ: صَلِّ المَغرِبَ وصَلِّ العِشاءَ ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قرأ زيدٌ عن يعقوبَ، وهارُونُ عن أبي عمروٍ، والجُعْفيُّ عن أبي بكرٍ: «وأدبار النُّجوم» بفتحِ الهمزة؛ وقرأ الباقون بكسرها وقد شرحناها في «قٓ»[1]؛ والمعنى: صَلِّ له في إدْبارِ النُّجومِ، أي: حينَ تُدْبِرُ، أي: تغيبُ بضَوءِ الصُّبحِ. وفي هذه الصَّلاة قولان:

[١٣٥٢] **أحدهما**: أنها الرَّكعتانِ قَبْلَ صلاة الفَجرِ، رواه عليٌّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، وهو قولُ الجمهور. **والثاني**: أنها صلاةُ الغَداةِ، قاله الضَّحّاكُ، وابنُ زيدٍ.

[١٣٥٢] لم أقف عليه في شيء من كتب الحديث والتفسير، فهو لا شيء لخلوه عن كتب الأصول.
وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ١٥٢ لأبي هريرة قوله، ونسبه لابن مردويه.

= دون عذاب يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش، والمصائب التي تصيبهم في أنفسهم وأموالهم وأولادهم دون يوم القيامة. ولم يخصص الله نوعاً من ذلك أنه لهم دون يوم القيامة دون نوع بل عمّ، فكل ذلك لهم عذاب.

(١) قٓ: ٤٠.

سورة النجم

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

وهي مكيّة بإجماعهم، إلاّ أنه قد حُكِيَ عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أنهما قالا: إلاّ آيةً منها، وهي ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾(١) وكذلك قال مُقاتِلٌ؛

[١٣٥٣] قال: وهذه أولُ سُورَةٍ أعلَنها رسولُ الله ﷺ بمكّةَ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ هذا قَسَمٌ. وفي المراد بالنَّجم خمسةُ أقوالٍ(٢): **أحدها**: أنه الثُّريَّا، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وابنُ أبي نَجيح عن مُجاهِدٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: والعرب تسمي الثُّريَّا ـ وهي ستةُ أنجُم ـ نجماً. وقال غيره: هي سبعةٌ، فستةٌ ظاهرةٌ، وواحدٌ خَفِيٌّ يَمتَحِنُ به الناسُ أبصارَهُم. **والثاني**: الرُّجوم مِنَ النُّجوم، يعني ما يُرمى به الشياطين، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه القرآن نَزلَ نُجوماً مُتفرّقةً، قاله عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، والأعمَشُ عن مُجاهِدٍ. وقال مُجاهِدٌ: كان ينزلُ نُجوماً ثلاثَ آياتٍ وأربعَ آياتٍ ونحو ذلك. **والرابع**: نجومُ السماءِ كُلُّها، وهو مَرويٌّ عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والخامس**: أنها الزُّهَرةُ: قاله السُّدِّيُّ.

فعَلَى قولِ مَنْ قال: النَّجمُ: الثُّريَّا، يكون «هَوى» بمعنى «غابَ»؛ ومَنْ قال: هو الرُّجُومُ، يكون هُوِيُّها في رَمْيِ الشياطين، ومَنْ قال: القرآن، يكون معنى «هَوَى»: نزلَ، ومَنْ قال: نجومُ السماءِ كلُّها، ففيه قولان: **أحدهما**: أنَّ هُوِيَّها أنْ تغيبَ. **والثاني**: أنْ تنتثرَ يومَ القيامة.

قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وابنُ عامرٍ هذه السُّورَةَ كلَّها بفتحِ أواخِر آياتِها. وقرأ أبو عمروٍ ونافعٌ بين الفتحِ والكسرِ. وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ ذلك كلَّه بالإمالَةِ..

[١٣٥٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية. وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/١٥٣ لابن مردويه عن ابن مسعود، وابن مردويه يروي الواهيات والموضوعات.

---

(١) النجم: ٣٢.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/٥٠٤: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد، من أنه عني بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جوابُ القَسَم؛ والمعنى: ما ضَلَّ عن طريقِ الهُدى، والمراد به: رسولُ الله ﷺ. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: ما يَتكلَّم بالباطلِ. وقال أبو عُبيدَة: «عن» بمعنى الباء. وذلك أنهم قالوا: إنه يقول القرآنَ مِنْ تلقاءِ نَفْسِه. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما القرآنُ ﴿إِلَّا وَحْيٌ﴾ مِنَ الله ﴿يُوحَىٰ﴾ وهذا ممَّا يَحتجُّ به مَنْ لا يُجيزُ للنبيِّ ﷺ أن يجتهدَ، وليس كما ظَنُّوا، لأنَّ اجتهادَ الرأي إذا صَدرَ عن الوَحي، جازَ أنْ يُنسَبَ إلى الوَحي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ وهو جِبريلُ عليه السلام علَّمَ النبيَّ ﷺ؛ قال ابنُ قُتيبة: وأصل هذا مِنَ «قُوَى الحَبْلِ» وهي طاقاتُه، الواحدة: قُوَّةٌ ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قُوَّةٍ، وأصلُ المِرَّة: الفَتْلُ. قال المُفسِّرون: وكان مِنْ قُوَّتِه أنه قَلعَ قَرْياتِ لُوطٍ وحَملَها على جناحِه فقَلَبها، وصاحَ بثَمُودَ فأصبحوا خامِدِينَ. قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فاستوَى جِبريلُ، (وهو) يعني النبيَّ ﷺ؛ والمعنى أنهما استوَيا بالأُفقِ الأعلى لمَّا أُسرِيَ برسولِ الله ﷺ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: فاستَوى جِبريلُ، و(هو) يعني جِبريلَ. بالأُفقِ الأعلى على صورَتِه الحقيقية.

[١٣٥٤] لأنه كان يَتمثَّلُ لرسولِ الله ﷺ إذا هَبطَ عليه بالوحي في صورةِ رجُلٍ، وأحبَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يراه على حقيقتِه، فاستَوَى في أُفقِ المَشرِقِ، فمَلأَ الأُفقَ. فيكون المعنى: فاستوَى جِبريلُ بالأُفقِ الأعلى في صورتِه، هذا قولُ الزَّجَّاجِ. قال مُجاهِدٌ: والأُفقُ الأعلى: هو مَطْلِعُ الشمس. وقال غيرُه: إنما قيلَ له: «الأعلى» لأنه فوقَ جانبِ المغرِبِ في صعيدِ الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: ثم تَدلَّى فَدَنا، ولكنه جائزٌ أنْ تُقدِّمَ أيَّ الفعلين شِئتَ إذا كان المعنى فيهما واحداً، فتقول: قد دَنا فقرُبَ، وقَرُبَ فدَنا، وشَتَم فأساءَ، وأساءَ فَشتَم، ومنه قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(١)، المعنى ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ: انشَقَّ القمرُ واقتربتِ الساعةُ. قال

[١٣٥٤] ساقه المصنف بمعناه. ورد من حديث مسروق عن عائشة: أخرجه البخاري ٣٢٣٥ ثنا أبي أسامة ثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشرع به. وأخرجه مسلم ١٧٧ح ٢٩٠ والطبري ٣٢٤٥٠ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٢١ وأبو عوانة ١/ ١٥٥ من طريق أبي أسامة بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري ٤٦١٢ و ٤٨٥٥ و ٧٣٨٠ و ٧٥٣١ ومسلم ١٧٧ح ١٨٩ وأحمد ٦/ ٤٩ وأبو عوانة ١/ ١٥٤ من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي به. وأخرجه مسلم ١٧٧ح ٢٨٧ و ٢٨٨ والترمذي ٣٠٦٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ و٥٥٢ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٢١ ـ ٢٢٤ وأبو يعلى ٤٩٠٠ وابن حبان ٦٠ والطبري ٣٢٤٧٥ وابن منده في «الإيمان» ٧٦٣ و ٧٦٦ وأبو عوانة ١/ ١٥٣ و ١٥٤ من طرق عن داود بن أبي هند عن الشعبي به. وأخرجه الترمذي ٣٢٧٨ =

(١) القمر: ١.

ابنُ قُتيبةَ، المعنى: تدلَّى فَدَنا، لأنه تَدَلَّى للدُّنُوِّ، ودَنَا بالتَّدلِّي، وقال الزَّجَّاجُ: دَنا بمعنى قَرُبَ، وتَدَلَّى: زادَ في القُرْبِ، ومعنى اللفظتين واحدٌ. وقال غيرُهم: أصلُ التَّدَلِّي: النُّزول إلى الشيء حتى يَقرُبَ منه، فوُضِعَ موضعَ القُرْبِ. وفي المُشارِ إليه بقوله: «ثُم دنا» ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**، أنه الله عزَّ وجلَّ.

[١٣٥٥] روى البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصحيحين. مِن حديث شَريكِ بنِ أبي نمرٍ عن أنسِ بن مالكٍ قال: دَنا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ فتدَلَّى حتى كان منه قابَ قوسَيْنِ أو أَدْنَى.

[١٣٥٦] وروَى أبو سَلَمَة عن ابنِ عباسٍ: «ثم دَنا» قال: دَنا ربُّه فتدلَّى.

وهذا اختيارُ مُقاتِلٍ. قال: دَنا الرَّبُّ مِنْ محمَّدٍ ليلَةَ أُسْرِيَ به، فكان منه قابَ قوسَيْنِ أو أدنَى. وقد كَشفتُ هذا الوجهَ في كتاب المُغْني وبيَّنتُ أنه ليس كما يخطُر بالبَالِ مِنْ قُربِ الأجسام وقَطْعِ المسافة، لأنَّ ذلك يختصُّ بالأجسامِ، والله مُنزَّهٌ عن ذلك. **والثاني**: أنه محمَّدٌ دنا مِنْ ربِّه، قاله ابنُ عباسٍ، والقُرَظيُّ. **والثالث**: أنه جِبريلُ. ثم في الكلام قولان: **أحدهما**: دَنا جبريلُ بعد استِوائِه بالأُفقِ الأعلى مِنَ الأرض، فنَزلَ إلى رسولِ الله ﷺ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثاني**: دَنا جِبريلُ مِنْ ربِّه عزَّ وجلَّ فكان منه قابَ قوسَيْنِ أو أدنى، قاله مُجاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رَزينٍ: «فكان قاد قوسين» بالدال. وقال أبو عُبيدَةَ: القابُ والقادُ: القَدْرُ. وقال ابنُ فارسٍ: القابُ: القَدْرُ. ويُقال: بل القابُ: ما بين

= من طريق مجالد عن الشعبي به. وأخرجه البخاري ٣٢٣٤ من طريق ابن عون عن القاسم عن عائشة به. وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٢٥ من طريق أبي معشر عن إبراهيم عن مسروق به. وأخرجه أبو عوانة ١/ ١٥٥ من طريق بيان عن قيس عن عائشة به. ولفظ البخاري برقم ٣٢٣٥: عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: فأين قوله: ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، قالت: ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنما أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدَّ الأفق.

[١٣٥٥] شاذ، أخرجه البخاري ٧٥١٧ ومسلم ١٦٢ح ٢٦٢ كلاهما من طريق شريك بن أبي نمر عن أنس، وشريك متكلم فيه، وقد تفرد في حديث الإسراء بعشرة أشياء لم يتابع عليها، ومنها هذه العبارة، وهي من منكراته. انظر ما ذكره الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣.

[١٣٥٦] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٦ح ٢٨٦ والنسائي في «التفسير» ٥٥٥ والطبري ٣٢٤٦٦ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه مسلم ١٧٦ح ٢٨٥ عن ابن أبي شيبة وأبي سعيد الأشج به. وأخرجه الترمذي ٣٢٨٠ وابن خزيمة ص ٢٠٠ والطبري ٣٢٤٨٩ وابن حبان ٥٧ والطبراني ١٠٧٢٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٩٣٣ من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن ابن عباس.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩٣: وقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما إذا مدّا. وهو قول عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة. وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربّه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما وحديث شريك عن أنس في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى» تكلم الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى، لا أنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه الآية كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال بعده: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ فهذه ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض.

المَقْبِضِ والسِّيَة، ولكلِّ قوسٍ قابانِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: سِيَةُ القَوْسِ: ما عُطِفَ مِنْ طَرَفَيْها. وفي المراد بالقَوسَيْنِ قولان: **أحدهما**: أنها القوسُ التي يُرمى بها، قاله ابنُ عباسٍ، واختاره ابنُ قُتيبةَ، فقال: قَدْرَ قوسَيْنِ، وقال الكِسَائيُّ: أراد بالقوسَيْنِ: قوساً واحداً. **والثاني**: أنَّ القوسَ: الذِّراعُ: فالمعنى: كان بينَهما قَدْرَ ذراعَيْنِ، حكاه ابنُ قُتيبةَ؛ وهو قولُ ابنِ مسعودٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، والسُّدِّيِّ. قال ابنُ مسعودٍ: دَنا جِبريلُ منه حتى كان قَدْرَ ذِراعٍ أو ذِراعَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿أَدْنَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها بمعنى «بل»، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنهم خُوطِبوا على لُغَتِهم، والمعنى: كان على ما تُقدِّرونه أنتم قَدْرَ قوسَيْنِ أو أقلَّ، هذا اختيارُ الزَّجَّاجِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أوحى الله إلى محمَّدٍ كِفاحاً بلا واسِطَةٍ، وهذا على قولِ مَنْ يقول: إنه كان في ليلةِ المِعراجِ. **والثاني**: أوحَى جِبريلُ إلى النبيِّ ﷺ ما أوحى اللَّهُ إليه، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أوحَى الله إلى جِبريلَ ما يُوحيه، رُوِيَ عن عائشةَ رضي الله عنها، والحَسنِ، وقَتادَةَ.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قرأ أبو جعفرَ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ، وأَبانُ عن عاصِمٍ: «ما كَذَّب» بتشديدِ الذَّال، وقرأ الباقون بالتخفيفِ. فمَنْ شدَّدَ أراد: ما أَنكَرَ فؤادُه ما رَأَتْهُ عينُه؛ ومَنْ خفَّفَ أراد: ما أوهَمَهُ فؤادُه أنه رأى، ولم يرَ؛ بل صَدَّقَ الفؤادُ رؤيَتَهُ. وفي الذي رأى قولان(1): **أحدهما**: أنه رأى ربَّه عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ وأنسٌ والحسَنُ وعِكرِمَةُ. **والثاني**: أنه رأى جِبريلَ في صورَتِه التي خُلِقَ عليها، قاله ابنُ مسعودٍ وعائشةُ. قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ قرأ حمزةُ والكِسَائيُّ والمُفضَّلُ وخَلَفٌ ويعقوبُ: «أفتَمرونه». قال ابنُ قُتيبةَ: معنى «أفتُمارونه»: أفتُجادِلُونه، مِنَ المِراءِ، ومعنى «أفتَمْرونه»: أفتَجحَدُونَهُ. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي رآه مَرَّةً أُخرى. قال ابنُ عباسٍ: رأى محمَّدٌ ربَّه؛ وبيانُ هذا أنه تردَّد لأجلِ الصَّلواتِ مِراراً، فرأى ربَّه في بعضِ تلك المَرَّاتِ مَرَّةً أُخرى. قال كَعبٌ: إِنَّ الله تعالى قَسَمَ كلامَهُ ورؤيتَهُ بين محمَّدٍ وموسى، فرآه محمَّدٌ مرتين، وكلَّمَهُ موسى مرَّتين.

[١٣٥٧] وقد رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ أنَّ هذه الرؤيةَ لِجبريلَ أيضاً، رآه على صورَتِه التي خُلِقَ عليها. فأمَّا سِدْرَةُ المُنتهى فالسِّدْرَةُ: شجرةُ النَّبِقِ.

[١٣٥٨] وقد صحَّ في الحديث عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «نَبِقُها مِثْلُ قِلالَ هَجَر، ووَرَقُها مِثْلُ آذانِ الفِيَلَة». وفي مكانِها قولان:

[١٣٥٧] حديث صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٥٦ ومسلم ١٧٤ح ٢٨١ والترمذي ٣٢٧٧ والنسائي في «التفسير» ٥٥٤ و ٥٦٠ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٠ و ٢٠٣ وأبو عوانة ١/ ١٥٣ من طرق عن الشيباني به. وأخرجه الترمذي ٣٢٨٣ وابن خزيمة ص ٢٠٤ والحاكم ٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ وابن حبان ٥٩ وأحمد ١/ ٤٩٤ و ٤١٨ من طرق عن إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود به. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[١٣٥٨] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥١٧ ومسلم ١٦٢ح ٢٦٢ وقد تقدم في سورة الإسراء.

---

(1) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٩٥: رواية إطلاق الرؤية عن ابن عباس محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم.

[١٣٥٩] **أحدهما**: أنها فوقَ السماءِ السابعةِ، وهذا مذكورٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ. قال مُقاتِلٌ: وهي عن يمينِ العَرْشِ.

[١٣٦٠] **والثاني**: أنها في السماءِ السادسةِ، أخرجه مُسلمٌ في أفرادِه عن ابنِ مسعودٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ.

قال المُفسِّرون: وإنما سُمِّيتْ سِدْرَةَ المُنتهى، لأنه إليها مُنتهى ما يُصْعَدُ به مِنَ الأرض، فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به مِنْ فوقِها فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي عِلْمُ جميعِ الملائكةِ.

قوله تعالى: ﴿عِندَهَا﴾ وقرأ معاذٌ القارئُ وابنُ يَعمُر وأبو نَهِيكٍ: «عِنْدَهُ» بهاءٍ مرفوعةٍ على ضميرِ مذكَّرٍ ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي جنَّةٌ يأوي إليها جِبريلُ والملائكةُ. وقال الحَسنُ: هي التي يصير إليها أهلُ الجنَّةِ. وقال مُقَاتلٌ: هي جنَّةٌ إليها تأوي أرواحُ الشهداء. وقرأ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ والشَّعبِيُّ وأبو المُتوكِّلِ وأبو الجَوزاءِ وأبو العَاليةِ: «جَنَّهُ المأوى» بهاءٍ صحيحةٍ مرفوعةٍ. قال ثَعلَبٌ: يريدون أجَنَّهُ، وهي شاذَّةٌ. وقيلَ: معنى «عندها»: أدرَكَهُ المَبيتُ يعني رسولَ الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

[١٣٦١] رَوى مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: غَشِيَها فِراشٌ مِنْ ذهبٍ.

[١٣٦٢] وفي حديث مالكِ بنِ صَعْصَعةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «لمَّا غَشِيَها مِنْ أمْرِ الله ما غَشِيَها، تغيَّرتْ، فما أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يستطيع أنْ يَصِفَها مِنْ حُسنِها». وقال الحسَنُ ومُقاتِلٌ: تَغْشَاها الملائكةُ أمثالَ الغِرْبانِ حين يَقَعْنَ على الشجرة. وقال الضَّحَّاكُ: غَشِيها نورُ ربِّ العالَمين.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي ما عَدَلَ بَصَرُ رسولِ الله ﷺ يميناً ولا شِمالاً ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما زادَ ولا جاوَزَ ما رأى: وهذا وَصفُ أدَبِه ﷺ في ذلك المَقام. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فيه قولان(١): **أحدهما**: لقد رأى مِنْ آيات ربِّه العِظَام. **والثاني**: لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّه الآيةَ الكُبرى. وللمُفسِّرين في المراد بما رأى مِنَ الآياتِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه رأى رَفْرَفاً أخضرَ مِنَ الجنَّةِ قد سَدَّ الأفُقَ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: أنه رأى جِبريلَ في صورتِه التي يكون عليها في السَّماواتِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه رأى مِنْ أعلامِ ربِّه وأدِلَّته الأعلامَ والأدِلَّةَ الكُبرى، قاله ابنُ جَريرٍ.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ

[١٣٥٩] صحيح. أخرجه البخاري ٣٢٠٧ ومسلم ١/١٤٩ والطبري ٣٢٢٨٧ عن أنس بن مالك بن صعصعة مرفوعاً، وفي أثناء حديث الإسراء المطوّل وتقدّم في أول سورة الإسراء.

[١٣٦٠] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٣ من حديث ابن مسعود.

[١٣٦١] صحيح. أخرجه مسلم ١٧٣ من حديث ابن مسعود.

[١٣٦٢] انظر الحديث المتقدم ١٣٥٩.

---

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ٤/٢٩٨ وقوله: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** كقوله: **﴿لنريك من آياتنا﴾** أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا. وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع، لأنه قال: **﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾** ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

قال الزَّجَّاجُ: فلمّا قصَّ اللَّهُ تعالى هذه الأقاصِيصَ قال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ المعنى: أخبرُونا عن هذه الآلِهَةِ التي تَعبدُونَها هل لها مِنَ القُدرة والعَظَمَةِ التي وُصِفَ بها ربُّ العِزَّة شيءٌ؟!. فأمَّا «اللات» فقرأ الجمهور بتخفيفِ التاء، وهو اسمُ صَنَم كان لِثَقيف اتَّخذوه مِنْ دونِ الله، وكانوا يَشتقُّون لأصنامِهم مِنْ أسماء الله تعالى؛ فقالوا مِنَ «الله»: اللاتَ: ومِنَ «العزيز»: العُزّى. قال أبو سُليمان الخَطَّابيُّ: كان المشركون يَتعاطَون «الله» اسماً لبعضِ أصنامِهم، فصَرفَهُ الله إلى اللاَّتِ صيانةً لهذا الاسم وذَبّاً عنه. وقرأ ابنُ عباسٍ وأبو رَزِينٍ وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ والضَّحَّاكُ وابنُ السَّمَيفَع ومُجاهِدٌ وابنُ يَعمَرَ والأعمَشُ، ووَرْشٌ عن يعقوبَ: «اللاتّ» بتشديدِ التاء؛ وَرَدَ في تفسير ذلك عن ابنِ عباسٍ ومُجاهدٍ أنَّ رجلاً كان يلُتُّ السَّويقَ للحَاجِّ، فلمّا مات عَكفوا على قبرِه فعَبدُوه. وقال الزَّجّاجُ: زعموا أنَّ رجلاً كان يلُتُّ السَّويقَ ويبيعُه عند ذلك الصَّنم، فسمِّي الصَّنمُ: اللاَّت. وكان الكِسائيُّ يقفُ عليها بالهاء، فيقول: «اللاَّه»؛ وهذا قياسٌ، والأجوَدُ الوقفُ بالتاء، لاتباع المُصحفِ. وأمَّا «العُزَّى» ففيها قولان: **أحدهما**: أنها شجرةٌ لِغَطفَانَ كانوا يَعبدونَها، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: صَنَمٌ لهم، قاله الضَّحَّاكُ. قال: وأمَّا «مَناة» فهو صَنَمٌ لهُذَيل وخُزاعة يَعبُده أهلُ مكَّةَ. وقال قَتادَةُ: بل كانت للأنصار. وقال أبو عُبيدَةَ: كانت اللاتُ والعُزَّى ومَناةُ أصناماً مِنْ حجارةٍ في جَوفِ الكَعبةِ يَعبدُونها. وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «ومَناءَة» ممدودةً مهموزةً. فأمَّا قولُه: ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾ فإنه نعتٌ لـ «مَناة»، هي ثالثةُ الصَّنمَين في الذِّكرِ، و «الأخرى» نعتٌ لها. قال الثَّعلَبيُّ: العرب لا تقول للثالثة: الأُخرى، وإنَّما الأُخرى نعتٌ للثانية؛ فيكون في المعنى وَجْهانِ: **أحدهما**: أن ذلك لِوفاقِ رُؤوسِ الآية، كقوله ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾[1] ولم يَقلْ، أُخَر، قاله الخليلُ. **والثاني**: أنَّ في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: أفرأيتُم اللاَّتَ والعُزَّى الأُخرى ومَناةَ الثالثةَ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضْلِ.

قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ﴾ قال ابنُ السَّائبِ: إنَّ مشركي قُريشٍ قالوا للأصنام والملائكة: بناتُ الله، وكان الرَّجلُ منهم إذا بُشِّرَ بالأُنثى كَرِهَ، فقال الله تعالى مُنكِراً عليهم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؟ يعني الأصنامَ وهي إناثٌ في أسمائِها. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ قرأ عاصِمٌ ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسَائيُّ: «ضِيزَى» بكسرِ الضاد مِنْ غير همزٍ؛ وافقهم ابنُ كَثيرٍ في كسرِ الضاد لكنه هَمَزَ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ ومعاذٌ القارئُ: «ضَيْزى» بفتحِ الضاد مِنْ غيرِ همزٍ. قال الزَّجَّاجُ: الضِّيزَى في كلام العرب: الناقصةُ الجائرةُ، يُقال: ضَازَهُ يَضِيزُه: إذا نَقَصَهُ حَقَّه، ويُقال: ضَأَزَه يَضْأَزُه بالهمز. وأجمع النَّحويُّون أنَّ أصلَ ضِيزَى: ضُوزَى، وحُجَّتُهم أنها نُقِلَتْ مِنْ «فُعْلى» مِنْ ضُوزى إلى ضِيزَى، لِتَسلَمَ الياءُ، كما قالوا: أبيض وبِيض، وأصله: بُوض، فَنُقِلَتْ الضَّمَّةُ إلى الكسرة. وقرأتُ على بعض العلماء باللُّغة: في «ضِيزَى» لغات؛ يُقال: ضِيزَى وضُوزَى وضُؤْزَى وضَأْزَى على «فَعْلى» مفتوحةً؛ ولا يجوز

(١) طه: ١٨.

في القرآن إلاَّ «ضِيزَى» بياءٍ غير مهموزةٍ؛ وإنما لم يَقُلِ النَّحويُّون: إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام «فِعْلى» صفةً، إنما يعرفون الصِّفاتِ على «فَعْلَى» بالفتح، نحو سَكْرَى وغَضْبَى، أو بالضمِّ؛ نحو حُبْلى وفُضْلى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ﴾ يعني الأوثان ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ والمعني: إنَّ هذه الأوثانَ التي سَمَّوها بهذه الأسامي لا معنى تحتها، لأنها لا تَضرُّ ولا تنفعُ، فهي تسمياتُ أُلقِيَتْ على جماداتٍ، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: لم يُنزِلْ كتاباً فيه حُجَّةٌ بما يقولون: أنها آلهةٌ. ثم رجعَ إلى الإخبار عنهم بعد الخِطاب لهم فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في أنها آلهةٌ ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وهو ما زَيَّنَ لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وهو البيانُ بالكتابِ والرَّسولِ، وهذا تعجيبٌ مِنْ حالِهم إذْ لم يتركوا عبادَتَها بعد وُضوحِ البيانِ. ثم أنكرَ عليهم تَمنِّيهم شفاعتَها فقال: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ﴾ يعني الكافر ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ مِنْ شفاعةِ الأصنامِ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي لا يَملِكُ فيهما أحدٌ شيئاً إلاَّ بإذنِه، ثم أكَّدَ هذا بقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ فجمعَ في الكنايةِ، لأنَّ معنى الكلام الجمعُ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ في الشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾؛ والمعنى أنهم لا يَشفعون إلاَّ لِمَنْ رضيَ اللّهُ عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي بالبعثِ ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ وذلك حين زعموا أنها بناتُ الله، ﴿وَمَا لَهُم﴾ بذلك ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما يَستيقِنون أنها إناثٌ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي لا يقوم مَقامَ العِلْم؛ فالحَقُّ ها هنا بمعنى العِلْم. ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن، وهذا عندَ المُفسِّرين مَنسُوخٌ بآية السيفِ. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنما يَعلمون ما يَحتاجون إليه في معايِشِهم، وقد نَبذُوا أمرَ الآخرة. قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الآية: والمعنى أنه عالِمٌ بالفريقين فيُجازيهم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا إخبارٌ عن قُدرتِه وسَعَةِ مُلْكِه، وهو كلامٌ معترضٌ بين الآيةِ الأولى وبين قوله: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ لأنَّ اللامَ في «ليجزي» متعلقةٌ بمعنى الآيةِ الأولى، لأنه إذا كان أعلَمَ بهما؛ جازى كُلاًّ بما يستحقُّه، وهذه لامُ العاقِبةِ، وذلك أنَّ عِلْمَهُ بالفريقين أدَّى إلى جزائِهم باستِحقاقِهم، وإنَّما يَقْدِرُ على مُجازاةِ الفريقين إذا كان واسعَ المُلْكِ، فلذلك أخبرَ به في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قال المُفسِّرون: و «أساؤوا» بمعنى أشرَكُوا، و «أحسنوا»

بمعنى وَحَّدُوا. والحُسْنَى: الجنَّة. والكبائرُ مذكورةٌ في سُورَةِ النِّساء[١]. وقيلَ: كبائرُ الإثمِ. كُلُّ ذَنْبٍ خُتِمَ بالنَّارِ، والفواحِشُ كُلُّ ذَنْبٍ فيه الحَدُّ. وقرأ حمزةُ والكِسَائيُّ والمُفَضَّلُ وخَلَفٌ: «يَجْتَنِبون كَبِيرَ الإثم» واللَّمَمُ في كلام العرب: المُقَارَبَةُ للشيءِ. وفي المراد به ها هنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما أَلَمُّوا به مِنَ الإثم والفواحِشِ في الجاهلية، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام، قاله زَيدُ بنُ ثابتٍ. **والثاني**: أنْ يُلِمَّ بالذَّنْبِ مَرَّةً ثم يتوبُ ولا يعودُ، قاله ابنُ عباسٍ والحَسنُ والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه صِغارُ الذُّنوب، كالنَّظرةِ والقُبلَةِ وما كان دونَ الزِّنا، قاله ابنُ مسعودٍ وأبو هُريرَةَ والشَّعْبي ومَسْرُوقٌ.

[١٣٦٣] ويؤيِّد هذا حديثُ أبي هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ الله كَتَبَ على ابنِ آدمَ حظَّهُ مِنَ الزِّنا، فَزِنا العَيْنَيْنِ النَّظرُ، وزِنا اللسانِ النُّطْقُ، والنَّفْسُ تشتهي وتَتَمنَّى، ويُصَدِّقُ ذلك ويُكذِّبُه الفَرْجُ»، فإنْ تقدَّمَ بفَرْجِه كان الزِّنا، وإلاَّ فهو اللَّمَمُ.

والرابع: أنه ما يَهُمُّ به الإنسانُ، قاله محمَّدُ ابنُ الحَنَفيَّةِ. **والخامس**: أنه أَلَمَّ بالقلبِ، أي: خَطَرَ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والسادس**: أنه النَّظرُ مِنْ غير تعمُّدٍ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضْلِ. فعَلَى القولَين الأَوَّلَيْنِ يكون الاستثناءُ مِنَ الجنسِ، وعلى باقي الأقوالِ ليس مِنَ الجنسِ..

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لِمَنْ فعلَ ذلك ثم تاب. وها هنا تمَّ الكلام. ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ يعني قبلَ خَلْقِكم ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني آدمَ عليه السلامُ ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جَمْعُ جَنينٍ؛ والمعنى أنه عَلِمَ ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا تَشهدوا لها أنَّها زكيَّةٌ بريئةٌ مِنَ المعاصي. وقيل: لا تمدَحُوها بحُسنِ أعمالِها. وفي سببِ نُزولِ هذه الآية قولان:

[١٣٦٤] **أحدهما**: أنَّ اليهود كانوا إذا هَلَكَ لهم صبيٌّ، قالوا: صِدِّيقٌ، فنزلت هذه الآيةُ، هذا قولُ عائشةَ رضي الله عنها.

والثاني: أنَّ ناساً مِنَ المسلمين قالوا: قد صَلَّينا وصُمْنا وفَعَلنا، يُزَكُّون أنفُسَهم، فنزلت هذه الآية، قاله مُقاتِلٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: عَمِلَ حسنةً وارْعَوى عن معصيةٍ، قاله عليٌّ رضي الله عنه. **والثاني**: أَخلَصَ العملَ لله، قاله الحَسَنُ. **الثالث**: اتَّقى الشِّركَ فآمَنَ، قاله الثَّعلبيُّ.

[١٣٦٣] صحيح. أخرجه البخاري ٦٦١٢ عن محمود بن غيلان به. وأخرجه البخاري بإثر ٦٢٤٣ ومسلم ٢٦٥٧ ح ٢٠ وأحمد ٢/ ٢٧٦ وابن حبان ٤٤٢٠ والبيهقي ٧/ ٨٩ و ١٠/ ١٨٥ والواحدي ٤/ ٢٠١ من طريق عبد الرزاق به.

[١٣٦٤] لم أره من حديث عائشة مسنداً. وورد هنا حديث ثابت بن الحارث الأنصاري، وهو ضعيف. أخرجه الواحدي ٧٧٠ والطبراني ٢/ ٨١ عن ثابت بن الحارث الأنصاري مرفوعاً وفيه ابن لهيعة ضعيف الحديث، والسورة مكية ومجادلات اليهود كانت في المدينة، وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٣٧٣ و «تفسير القرطبي» ٥٧١٦ بتخريجنا.

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم بالكذب، فخبره لا شيء.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[١٣٦٥] **أحدها**: أنه الوليدُ بنُ المُغيرةِ، وكان قد تَبِعَ رسولَ الله ﷺ على دِيْنِه، فعَيَّرَهُ بعضُ المشركين، وقال: تَركتَ دِيْنَ الأشياخِ وضَلَّلْتَهم؟ قال: إنّي خشيتُ عذابَ الله، فضَمِنَ له إنْ هو أعطاهُ شيئاً مِنْ مالِه ورَجعَ إلى شِرْكِه أنْ يتحمَّلَ عنه عذابَ الله عزَّ وجلَّ، ففعلَ، فأعطاه بعضَ الذي ضَمِنَ له، ثم بَخِلَ ومَنَعَهُ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُجاهِدٌ، وابنُ زيدٍ.

[١٣٦٦] **والثاني**: أنه النَّضْرُ بنُ الحارثِ أعطى بعضَ فقراءِ المسلمين خمسَ قَلائِصَ حتى ارتَدَّ عن إسلامِه، وضَمِنَ له أنْ يَحمِلَ عنه إثمَهُ، قاله الضَّحَّاكُ.

[١٣٦٧] **والثالث**: أنه أبو جَهلٍ، وذلك أنه قال: واللهِ ما يأمُرُنا محمَّدٌ إلاَّ بمكارمِ الأخلاق، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ القُرَظيُّ.

والرابع: أنه العَاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمي، وكان ربَّما وافقَ رسولَ الله ﷺ في بعضِ الأمور، قاله السُّدِّيُّ(١).

ومعنى «تَوَلّى»: أعرَضَ عن الإيمان. ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أطاعَ قليلاً ثم عَصَى. قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أعطى قليلاً مِنْ نَفْسِه بالاستِماعِ ثم أكْدَى بالانقطاع. قال مُجاهِدٌ. **والثالث**: أعطى قليلاً مِنْ مالِه ثم منَعَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أعطى قليلاً مِنَ الخير بلسانِه ثم قَطَع، قاله مُقاتِلٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «أكْدَى»: قَطَعَ، وهو مِنْ كُدْيَة الرَّكِيَّة، وهي الصَّلابةُ فيها، وإذا بلَغها الحافِرُ يَئِسَ مِنْ حَفْرِها، فقطعَ الحَفْرَ، فقيلَ لكلِّ مَنْ طلب شيئاً فلم يبلُغْ آخِرَه، أو أعطَى ولم يُتِمَّ: أَكْدَى. قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فهو يرى حالَه في الآخرة، قاله الفرَّاءُ، **والثاني**: فهو يَعلَمُ ما غابَ عنه مِنْ أمرِ الآخرة وغيرِها، قاله ابنُ قُتَيبةَ. قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ يعني التَّوراةَ، ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: وصُحُفِ إبراهيمَ.

[١٣٦٨] وفي حديث أبي ذَرٍّ عن النبيِّ ﷺ «أنَّ الله تعالى أَنزلَ على إبراهيمَ عشرَ صحائِف، وأنزلَ

[١٣٦٥] أخرجه الطبري ٣٢٥٩٥ عن مجاهد وبرقم ٣٢٥٩٦ عن ابن زيد، وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٧٢ عن مجاهد وابن زيد بدون إسناد.

[١٣٦٦] عزاه المصنف للضحاك، ولم أقف على إسناده، وهو مرسل، والضحاك ذو مناكير، وهذا منها، وأثر مجاهد المتقدم أصح.

[١٣٦٧] عزاه المصنف للقرظي، وهذا مرسل، فهو واهٍ.

[١٣٦٨] ضعيف جداً. أخرجه ابن حبان ٣٦١ وأبو نعيم ١/١٦٦ من حديث أبي ذر، وإسناده ضعيف جداً، فيه =

---

(١) عزاه المصنف للسدي، وهذا معضل، فهو واهٍ.

على موسى قَبْلَ التوراةِ عشرَ صحائِفٍ».

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قرأ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو عِمرانَ الجَوْنيُّ، وابنُ السَّمَيفع اليَمانيّ «وَفَى» بتخفيفِ الفاء. قال الزَّجّاجُ: قوله: «وَفَّى» أبلَغُ مِنْ «وَفَى» لأنَّ الذي امتُحِنَ به مِنْ أعظمِ المِحَن. وللمُفسِّرين في الذي وَفَّى عشرةُ أقوالٍ:

[١٣٦٩] **أحدها**: أنه وَفَّى عملَ يومِه بأربعِ رَكعاتٍ في أولِ النهار، رواه أبو أُمامَةَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: أنه وَفَّى في كلماتٍ كان يقولُها.

[١٣٧٠] رَوى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أُخْبِرُكم لِمَ سمَّى اللهُ إبراهيمَ خليلَهُ الذي وَفَّى؟ لأنه كان يقول كلَّما أصبح وكلَّما أمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[(١)] وختَمَ الآيةَ.

والثالث: أنه وَفَّى الطاعةَ فيما فعلَ بابنِه، رَواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال القُرَظيُّ. **والرابع**: أنه وَفَّى ربَّه جميعَ شرائعِ الإسلام، رَوى هذا المعنى عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنه وَفَّى ما أُمِرَ به مِنْ تبليغ الرِّسالة، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والسادس**: أنه عَمِلَ بما أُمِرَ به، قاله الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وقَتادَةُ، وقال مُجاهِدٌ: وَفَّى ما فُرِضَ عليه. **والسابع**: أنه وَفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي: «ألاّ تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى» وما بعدَها، وهذا مَرويٌّ عن عِكرِمَةَ، ومُجاهِدٍ، والنَّخَعي. **والثامن**: وَفَّى شأن المَناسكِ، قاله الضَّحّاكُ. **والتاسع**: أنه عاهَدَ أنْ لا يَسألَ مخلوقاً شيئاً، فلمَّا قُذِفَ في النارِ قال له جِبريلُ، أَلَكَ حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليكَ فلا، فوَفَّى بما عاهَدَ، ذكره عَطاءُ بنُ السَّائبِ. **العاشر**: أنه أدّى الأمانةَ، قاله سُفيانُ بنُ عُيَينة.

ثم بَيَّنَ ما في صُحفِهما فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تَحمِلُ نَفْسٌ حامِلةٌ حِمْلَ أُخرى؛ والمعنى: لا تؤخَذُ بإثم غيرِها. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ قال الزَّجّاجُ: هذا في صُحفِهما أيضاً ومعناه: ليس للإنسان إلاّ جزاءُ سَعْيِهِ، إنْ عَمِلَ خيراً جُزيَ عليه خيراً، وإنْ عَمِلَ شرّاً جُزيَ شرّاً. واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانيةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها منسوخةٌ بقوله: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم

= إبراهيم بن هشام الغساني، وهو متروك. وتقدم.

[١٣٦٩] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٢٦١٨ من طريق الحسن بن عطية عن إسرائيل. وإسناده ضعيف جداً، فيه جعفر بن الزبير متروك، والقاسم يروي مناكير عن أبي أمامة. قال الإمام أحمد: روى علي بن يزيد عن القاسم أعاجيب، ولا أراها إلا من قبل القاسم. وإسرائيل هو ابن يونس السَّبيعي، والقاسم هو ابن عبد الرحمن. وقد ضعفه ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٢٥٨ والسيوطي في «الدر» ١٨٦.

[١٣٧٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٢٦١٧ وأحمد ٣/ ٤٣٩ و ٤١٩ والطبراني في «الكبير» ٢٠/ ١٩٢ وابن السني في «اليوم والليلة» ٧٨ من حديث سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعاً، ومداره على زبان بن فائد، وهو ضعيف، وشيخه سهل بن معاذ روى مناكير كثيرة، وهذا منها وقال الهيثمي: في «المجمع» ١٠/ ١٠٧: وفيه ضعفاء وثقوا اهـ.

---

(١) الروم: ١٧.

بِإِيمَٰنٍ﴾[1] فأدخلَ الأبناءُ الجَنَّةَ بصلاحِ الآباء، قاله ابنُ عباسٍ، ولا يصحُّ، لأنَّ لفظَ الآيتين لفظُ خبرٍ، والأخبارُ لا تُنسَخُ. **والثاني**: أنَّ ذلك كان لقوم إبراهيمَ وموسى، وأمَّا هذه الأمَّةُ فلَهُم ما سَعَوا وما سعى غيرُهم، قاله عِكرمَةُ. واستدلَّ بقولِ النبيِّ ﷺ للمرأةِ التي سألَتْهُ:

[١٣٧١] إنَّ أبي ماتَ ولم يَحُجَّ، فقال: «حُجّي عنه».

والثالث: أنَّ المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأمَّا المؤمنُ، فله ما سَعى وما سُعِيَ له، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والرابع**: أنه ليس للإنسان إلاَّ ما سَعى مِنْ طريق العَدْلِ، فأمَّا مِنْ باب الفَضْلِ، فجائزٌ أنْ يَزيدَهُ الله عزَّ وجلَّ ما يشاء، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ. **والخامس**: أنَّ معنى «ما سَعى»: ما نَوى، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والسادس**: ليس للكافر مِنَ الخير إلاَّ ما عمله في الدُّنيا، فيُثابُ عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خيرٌ، ذكره الثَّعلبيُّ. **والسابع**: أنَّ اللامَ بمعنى «على»، فتقديره: ليس على الإنسان إلاَّ ما سَعى. **والثامن**: أنه ليس له إلاَّ سَعيُه، غيرَ أنَّ الأسبابَ مختلفةٌ، فتارَةً يكون سَعيُه في تحصيلِ قرابةِ ووَلَدٍ يَترحَّمُ عليه وصديقٍ، وتارَةً يسعى في خدمةِ الدِّينِ والعبادةِ، فيكتَسِبُ محبَّةَ أهلِ الدِّينِ، فيكون ذلك سبباً حصلَ بسَعْيِهِ، حكى القولين شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِالله الزّاغونيّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سوف يُعْلَمُ، قاله ابنُ قُتَيبة. **والثاني**: سوف يَرى العَبدُ سَعيَهُ يومَ القيامة، أي: يَرى عملَهُ في مِيزانِه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿يُجْزَىٰهُ﴾ الهاء عائدةٌ على السَّعي ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ أي: الأكملَ الأتَمّ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي: مُنتهى العبادِ ومَرجِعُهم. قال الزَّجَّاجُ: هذا كُلُّه في صُحفِ إبراهيمَ وموسى. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾. قالت عائشةُ:

[١٣٧٢] مَرَّ رسولُ الله ﷺ بقوم يضحكون، فقال: «لو تَعْلَمونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكتُم قليلاً، ولبَكَيتُم كثيراً»، فنزلَ جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية، فرَجعَ إليهم، فقال «ما خَطَوْتُ أربعينَ خطوةً حتى أتاني جِبريلُ، فقال: ائتِ هؤلاءِ فقُلْ لهم: إنَّ الله يقول: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾». وفي هذا تنبيهٌ على أنَّ جميعَ الأعمال بقضاءِ الله وقَدَرِه حتى الضَّحِكُ والبُكاءُ. وقال مُجاهِدٌ: أضْحَكَ أهلَ الجَنَّة. وأبكى أهلَ النَّارِ. وقال الضَّحَّاكُ: أضْحَكَ الأرضَ بالنباتِ وأبكى السماءَ بالمطرِ.

[١٣٧١] هو حديث الخثعمية، خرّجه الشيخان، وتقدم.

[١٣٧٢] ضعيف جداً. أخرجه الواحدي ٧٧٣ من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي الإسناد مجاهيل، ودلال بنت أبي المدلّ والصهباء لم أعثر لهما على ترجمة، والله أعلم، والمتن غريب جداً.

---

(١) الطور: ٢١.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدُّنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبَعثِ. ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: الصِّنفَيْنِ ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ مِنْ جميع الحيوانات، ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إذا تُراقُ في الرَّحِم، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: إذا تُخلَق وتُقدَّر. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وهي الخَلْقُ الثاني للبَعثِ يومَ القيامة. ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أغنى بالكِفايةِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: بالمَعيشَةِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: بالأموالِ، قاله أبو صالحٍ. **والرابع**: بالقناعةِ، قاله سُفيَانُ. وفي قوله: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أَرضى بما أعطى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أَخدَمَ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: جعلَ للإنسان قِنيَةً، وهو أَصلُ مالٍ. قاله أبو عُبيدَةَ. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: هو الكوكبُ الذي يَطلُع بعدَ الجَوْزاءِ، وكان ناسٌ مِنَ العرب يَعبدُونها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ: «عاداً الأولى» منوَّنةً. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو: «عاداً لُولى» موصولةً مُدغمةً. ثم فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم قومُ هُودٍ، وكان لهم عَقِبٌ فكانوا عاداً الأخرى، هذا قول الجمهور. **والثاني**: أنَّ قومَ هُودٍ هم عادٌ الأُخرى، وهم مِنْ أولاد عادٍ الأولى، قاله كَعبُ الأَحبارِ، وقال الزَّجَّاجُ: وفي «الأولى» لُغاتٌ، أجوَدُها سكونُ اللام وإثباتُ الهمزة، والتي تَليها في الجودَةِ ضمُّ اللام وطَرْحُ الهمزة، ومِنَ العرب مَنْ يقول: لُولى، يريد: الأُولى، فتطرحُ الهمزة لِتحرُّكِ اللاَّم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ عادٍ وثَمودَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ مِنْ غيرِهم، لِطُولِ دعوةِ نُوحٍ إيَّاهُم، وعُتُوِّهِم. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قُرى قوم لُوطٍ ﴿أَهْوَىٰ﴾ أي: أسقَطَ، وكان الذي تولَّى ذلك جِبريلُ بعدَ أن رَفَعَها، وأتبعَهُم الله بالحجارة، فذلك قوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ أي: ألبَسَها ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ يعني الحجارة ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا خطابٌ للإنسان، لمَّا عدَّدَ الله ما فعَلَهُ ممَّا يَدلُّ على وَحدانيَّتِه قال: فبأيِّ نِعَمِ ربِّكَ التي تدلُّ على وَحدانيَّتِه تَتشكَّكُ؟ وقال ابنُ عباسٍ: فبأيِّ آلاءِ ربِّكَ تُكذِّبُ يا وَليدُ، يعني الوليد ابنَ المُغيرَةِ.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه القرآنُ، نذيرٌ بما أنذرَتْ الكُتبُ المتقدِّمةُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه رسولُ الله ﷺ، نذيرٌ بما أنذرَتْ به الأنبياءُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ﴾ أي: دَنَتِ القيامةُ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إذا غَشِيَتِ الخَلْقَ شَدائِدُها وأهوالُها لَمْ يَكشِفْها أحدٌ ولم يردَّها، قاله عَطاءٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ليس لعِلمِها كاشِفٌ دونَ الله، أي: لا يَعلَمُ عِلمَها إلاَّ الله، قاله الفَرَّاءُ، قال: وتأنيثُ «كاشِفة» كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[1] يريد: مِن بقاءٍ؛ والعافيةُ والبَاقيةُ والنَّاهيةُ كُلُّه في معنى المصدرِ. وقال غيره: تأنيثُ «كاشِفة» على تقدير: «نَفسٌ كاشِفَةٌ».

---

(١) الحاقة: ٨.

قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيباً به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ ممَّا فيه مِنَ الوعيدِ؟! ويعني بهذا كفَّارَ مكَّةَ. ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ. **أحدها**: لاهُونَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الفَرَّاءُ والزَّجَّاجُ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: دَعْ عنكَ سُمُودَكَ، أي: لَهْوَكَ. **والثاني**: مُعْرِضُونَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه الغِناءُ، وهي لغةٌ يمَانِيَّةٌ، يقولون: اسْمُدْ لنا، أي: تَغَنَّ لنا، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. وقال عِكرمَةُ: هو الغِناءُ بالحِمْيَرِيَّة. **والرابع**: غافِلُون، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أَشِرُونَ بَطِرُونَ، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ فيه قولان[1]: **أحدهما**: أنه سُجودُ التِّلاوةِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: سُجودُ الفَرْضِ في الصَّلاةِ. قال مُقاتِلٌ: يعني بقولِه: «فاسْجُدوا»: الصَّلواتُ الخَمْسُ.

وفي قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه التَّوحيدُ. **والثاني**: العِبادةُ.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٧٢: قال علماؤنا رضي الله عنهم: لم يختلف قول مالك إن سجدة النجم ليست من عزائم القرآن، وأما ابن وهب رآها من عزائمه، وكان مالك يسجدها في خاصة نفسه. وقال أبو حنيفة والشافعي: هي من عزائم السجود، وهو الصحيح.

سُورَةُ القَمَر

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم، وقال مُقاتِلٌ: مكِّيَّةٌ غيرَ آيةِ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾(١)، وحُكِيَ عنه أنه قال: إلاَّ ثلاثَ آياتٍ، أوَّلُها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَرُّ﴾(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾

[١٣٧٣] قال ابنُ عباسٍ: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنْ كنتَ صادقاً فشُقَّ لنا القمرَ فِرْقَتَيْنِ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ «إنْ فعلتُ تُؤمنون؟» قالوا: نعم، فسأَلَ رسولُ الله ﷺ ربَّه أنْ يُعطيَه ما قالوا، فانشقَّ القمرُ فِرْقَتَيْنِ، ورسولُ الله ﷺ ينادي: «يا فُلانُ يا فُلانُ اشهَدُوا»، وذلك بمكَّةَ قبل الهجرة.

[١٣٧٤] وقد رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في (صحيحيهما) مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسول الله ﷺ شِقَّتين، فقال رسولُ الله ﷺ: «اشْهَدوا». وقد رَوى حديثَ الانشقاق جماعةٌ منهم: عبدُالله بنُ عمرَ وحُذَيفةُ وجُبَيرُ بنُ مُطْعِمٍ وابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ.

[١٣٧٣] أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ٢٠٩ من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس بهذا اللفظ، وفي الطريق عن عطاء، ابن جريج، وهو مدلس، وقد عنعن، وفي الطريق عن الضحاك مقاتل. وقد ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٧٧ فقال: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس بهذا اللفظ، ولم أره في «الحلية». وضعفه الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٨١. لكن أصل الحديث صحيح، انظر الآتي. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٧٣٦ بتخريجنا.

[١٣٧٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٦٤ عن مسدد به، من حديث ابن مسعود. وأخرجه البخاري ٣٨٦٩ و ٣٨٧١ ومسلم ٢٨٠٠ح ٤٤ والترمذي ٣٢٨٥ وأحمد ١/ ٤٤٧ والطبري ٣٢٦٩٤ وابن حبان ٦٤٩٥ والطبراني ٩٩٩٦ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٥من طرق عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٣٦٣٦ و ٤٨٦٥ والترمذي ٣٢٨٧ وأبو يعلى ٤٩٦٨ وأحمد ١/ ٣٧٧ وأبو يعلى ٤٩٦٨ والبيهقي ٢/ ٢٦٤ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٠٦ من طريق ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر به. وورد من حديث جبير بن مطعم أخرجه أحمد ٤/ ٨١ ـ ٨٢ وابن حبان ٦٤٩٧ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٨ والطبري ٣٢٧٠٥. وورد من حديث ابن عمر أخرجه مسلم =

---

(١) القمر: ٤٥. (٢) القمر: ٤٤ ـ ٤٦.

وعلى هذا جميعُ المُفسِّرين، إلاَّ أنَّ قوماً شذُّوا فقالوا: سَيَنْشَقُّ يومَ القيامة. وقد رَوى عُثمانُ بنُ عطاءٍ عن أبيه نحوَ ذلك، وهذا القول الشَّاذُ لا يُقاوِم الإجماعَ، ولأنَّ قوله: ﴿وَٱنشَقَّ﴾ لفظُ ماضٍ، وحَمْلُ لفظِ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينةٍ تنقُلُه ودليلٍ، وليس ذلك موجوداً. وفي قوله: «وإن يَروا آيةً يُعْرِضوا» دليلٌ على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾: دَنَتْ؛ و﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة. وقال الفَرَّاءُ: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: انشقَّ القمرُ واقتربَتِ الساعةُ. وقال مُجاهِدٌ: انشقَّ القمرُ فصار فِرقَتَيْنِ، فثَبتَتْ فِرقَةٌ، وذهبت فِرقَةٌ وراءَ الجبل. وقال ابنُ زيدٍ: لمَّا انشقَّ القمرُ كان يُرى نصفُه على قُعيقِعَانَ، والنصفُ الآخرُ على أبي قُبيسٍ.

[١٣٧٥] قال ابنُ مسعودٍ: لمَّا انشقَّ القمرُ قالت قُريشٌ: سَحَركُم ابنُ أبي كَبْشَةَ، فاسْألُوا السُّفَّارَ، فسألُوهم فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ أي: آية تدُلُّهم على صِدْقِ الرسول، والمراد بها ها هنا: انشقاقُ القمرِ ﴿يُعْرِضُوا۟﴾ عن التصديق ﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ذاهبٌ، مِنْ قولِهم: مَرَّ الشيءُ واستَمرَّ: إذا ذهبَ، قاله مُجاهِدٌ وقَتادَةُ والكِسَائيُّ والفَرَّاءُ؛ فعَلَى هذا يكون المعنى: هذا سِحْرٌ، والسِّحرُ يذهب ولا يَثْبُتُ. **والثاني**: شديدٌ قويٌّ، قاله أبو العَاليةِ والضَّحَّاكُ وابنُ قُتيبةَ، قال: وهو مأخوذٌ مِنَ المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْلُ. **والثالث**: دائمٌ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ يعني كذَّبوا النبيَّ ﷺ وما عاينوا مِنْ قُدرَةِ الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ما زَيَّنَ لهم الشيطانُ ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ كُلَّ أمْرٍ مُستقِرٌّ بأهله، فالخيرُ يستقِرُّ بأهلِ الخير، والشرُّ يستقِرُّ بأهل الشرِّ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: لكلِّ حديثٍ مُنتهىً وحقيقةٌ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنَّ قرارَ تكذيبِهم مُستقِرٌّ، وقرارَ تصديق المُصدِّقين مُستقِرٌّ حتى يعلموا حقيقتَهُ بالثَّواب والعقاب، قاله الفَرَّاءُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني أهلَ مكَّةَ ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: مِنْ أخبار الأُممِ المُكذِّبةِ في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: مُتَّعظٌ ومُنتهىً.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هي مرفوعةٌ لأنها بدلٌ مِنْ «ما»، فالمعنى: ولقد جاءهم حِكمةٌ بالِغَةٌ. وإنْ شئتَ رفعتَهُما بإضمارٍ: هو حِكمةٌ بالِغَةٌ. و«ما» في قوله ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾

= ٢٨٠١ والترمذي ٣٢٨٨ والطيالسي ١٨٩١ وابن حبان ٦٤٩٨ والطبراني ١٣٤٧٣. ومن حديث حذيفة: أخرجه الحاكم ٤/ ٦٠٩ والطبري ٣٢٧٠٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ومن حديث ابن عباس. أخرجه البخاري ٤٨٦٦ ومسلم ٢٨٠٣ عن ابن عباس: إن القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ. ومن حديث أنس بن مالك: أخرجه البخاري ٣٨٦٨ عن عبد الله بن عبد الوهاب به. وأخرجه البخاري ٣٦٣٧ وأحمد ٣/ ٢٢٠ والطبري ٣٢٦٩٣ من طرق عن سعيد بن أبي عروبة به. وأخرجه مسلم ٢٨٠٢ والترمذي ٣٢٨٢ وأحمد ٣/ ١٦٥ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة به وأخرجه البخاري ٤٨٦٨ ومسلم ٢٨٠٢ح ٤٧ وأحمد ٣/ ٢٧٥ والطبري ٣٢٦٩٠ و ٣٢٦٩٢ وأبو يعلى ٢٩٢٩ والطيالسي ٢٤٤٩ من طرق عن شعبة عن قتادة به. وأخرجه البخاري ٣٦٣٧ و ٤٨٦٧ ومسلم ٢٨٠٢ وأحمد ٣/ ٢٠٧ وأبو يعلى ٣١١٣ من طرق عن شيبان عن قتادة به.

[١٣٧٥] صحيح. أخرجه الطبري ٣٢٦٩٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٦ والواحدي في «الأسباب» ٧٧٤ من طريق المغيرة عن أبي الضحى به وإسناده على شرط الصحيح.

جائزٌ أن يكونَ استفهاماً بمعنى التَّوبيخ، فيكون المعنى: أيَّ شيءٍ تُغني النُّذُر؟! وجائزٌ أن يكونَ نفياً، على معنى، فليستْ تُغني النُّذُرُ. قالَ المفسِّرون: والمعنى: جاءَهُم القرآنُ وهو حِكْمةٌ تامَّةٌ قد بلغت الغايةَ، فما تُغني النُّذُرُ إذا لم يُؤمِنوا؟!

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: هذا وقفُ التَّمام، و ﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بقوله: «يخرُجون من الأجداث». وقال مُقاتِلٌ: فَتَوَلَّ عنهم إلى يوم ﴿يَدْعُ الدَّاعي﴾ أثبتَ هذه الياءَ في الحالين يعقوبُ؛ وافقَهُ أبو جعفرَ، وأبو عمروٍ في الوَصْلِ، وحَذَفَها الأكثرون في الحالين. و«الدَّاعي»: إسرافيلُ ينفُخُ النَّفخَة الثانية ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «نُكْرٍ» خفيفةً؛ أي: إلى أمرٍ فظيعٍ. وقال مُقاتِلٌ: «النُّكُر» بمعنى المُنكَرِ، وهو القيامة، وإنَّما يُنكِرونَهُ إعظاماً له. والتَّولِّي المذكورُ في الآيَةِ مَنسُوخٌ عند المُفسِّرين بآية السيفِ.

قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ قرأ أهلُ الحِجازِ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ: «خُشَّعاً» بضمِّ الخاء وتشديدِ الشين مِنْ غيرِ ألِفٍ. وقرأ أبو عمروٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «خاشِعاً» بفتح الخاء وألِفٍ بعدَها وتخفيفِ الشين. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: يَخرُجون خُشَّعاً، و «خاشِعاً» منصوبٌ على الحالِ، وقرأ ابنُ مسعودٍ: «خاشعةً»؛ ولكَ في أسماء الفاعِلين إذا تقدَّمت على الجماعة التوحيدُ والتأنيثُ والجمعُ؛ تقول: مررتُ بشُبَّانٍ حَسَنٍ أوجُهُهم، وحِسَانٍ أوجُههم، وحَسَنَةٍ أوجُهُهم، قال الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بْنِ نِزارِ بْنِ مَعَدّ[1]

قال المُفسِّرون: والمعنى أنَّ أبصارَهم ذليلةٌ خاضِعَةٌ عند رؤية العذاب. والأجْداثُ: القبور، وإنما شبَّهَهُم بالجرادِ المُنتَشِرِ، لأنَّ الجَرادَ لا جِهةَ له يَقْصِدُها، فهو أبداً مُختلِفٌ بعضُه في بعضٍ، فهم يخرُجون فَزِعِينَ ليس لأحدٍ منهم جِهةٌ يَقْصِدُها. والدَّاعي: إسرَافِيلُ. وقد أثبتَ ياءَ «الدَّاعي» في الحالين ابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ؛ تابعهما في الوَصْلِ نافعٌ، وأبو عمروٍ؛ والباقون بحذفِها في الحالين. وقد بيَّنّا معنى «مُهطِعين» في سُورةِ إبراهيم[2]. والعَسِرُ: الصَّعبُ الشَّديدُ.

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) البيت للحارث بن دوس الإيادي كما في «تفسير القرطبي» ١٧/ ١١٥.
(٢) إبراهيم: ٤٣.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبلَ أهلِ مكَّة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نُوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ قال أبو عُبيدَة: افتُعِلَ مِنْ زُجِرَ. قال المُفسِّرون: زَجَروه عن مقالَتِه ﴿فَدَعَا﴾ عليهم نُوحٌ ﴿رَبَّهُۥٓ﴾ بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ أي: فانتقِمْ لي ممَّن كذَّبني. قال الزَّجَّاجُ: وقرأ عيسى بنُ عمر النَّحويّ: «إنِّي» بكسرِ الألف، وفسَّرَها سِيْبَوَيه فقال: هذا على إرادة القولِ، فالمعنى: قال: إنِّي مغلوبٌ؛ ومَنْ فتحَ، وهو الوجه، فالمعنى: دَعا ربَّه بـ ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ «ففتَّحنا» بالتشديد. فأمَّا المُنْهَمِر، فقال ابنُ قُتَيبَة: هو الكثير السريعُ الانصِبابِ، ومنه يُقال: هَمرَ الرجُلُ: إذا أكثرَ مِنَ الكلام وأسرَعَ. وروى عليٌّ رضي الله عنه أنَّ أبواب السماء فُتِحَتْ بالماء مِنَ المَجَرَّة، وهي شَرَجُ السماء. وعلى ما ذَكرنا مِنَ القصة في هود[1] أنَّ المطرَ جاءهم، يكون هو المراد بقوله: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾. قال المُفسِّرون: جاءهم الماءُ مِنْ فوقِهم أربعينَ يوماً، وفُجِّرت الأرضُ مِنْ تحتِهم عيوناً أربعينَ يوماً. ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ وأبو رَجاءٍ وعاصِمٌ الجَحْدَري: «المآءان» بهمزةٍ وألفٍ ونونٍ مكسورةٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «المايانِ» بياءٍ وألفٍ ونونٍ مكسورةٍ مِنْ غير همزٍ. وقرأ الحسَنُ وأبو عِمرانَ: «الماوانِ» بواوٍ وألفٍ وكسرِ النون. قال الزَّجَّاجُ: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأنَّ اسمَ الماء اسمٌ يجمع ماءَ الأرض وماءَ السماء. قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كان قَدْرُ ماءِ السماء كقَدْرِ ماءِ الأرض، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: قد قُدِرَ في اللَّوحِ المَحفوظِ، قاله الزَّجَّاجُ. فيكون المعنى: على أمرٍ قد قُضِيَ عليهم، وهو الغرقُ.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ يعني نُوحاً ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ. أي: على سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ. قال المُفسِّرون: ألواحُها: خشباتُها العريضة التي منها جُمِعَتْ. وفي الدُّسُرِ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَسامير، رواه الوالِبِيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، والقُرَظيُّ، وابنُ زيدٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الدُّسُر: المساميرُ والشُّرُطُ التي تُشَدُّ بها الألواحُ، وكلُّ شيءٍ نحو السَّمْرِ أو إدخالِ شيءٍ في شيءٍ بقوَّةٍ وشِدَّةٍ قَهرٍ فهو دَسْرٌ، يقال: دَسَرْتُ المِسمارَ أدْسُرُه وأدْسِرُه. والدُّسُر: واحدها دِسار، نحو حِمار، وحُمُر. **والثاني**: أنه صَدْرُ السفينة، سُمِّي بذلك لأنه يَدْسُر الماءَ، أي: يدفَعُه، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ وعِكرِمَةُ؛ ومنه الحديث في العَنْبَرِ أنه شيءٌ دَسَرَهُ البحرُ، أي: **دفعَهُ**. **والثالث**: أنَّ الدُّسُرَ: أضلاعُ السفينة، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ الدُّسُرَ: طَرفاها وأَصْلُها، والألواح: جانِباها، قاله الضَّحَّاكُ.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمَنْظَرٍ ومَرْأىً مِنَّا ﴿جَزَآءً﴾ قال **الفَرَّاءُ**: فَعَلْنا به وبهم ما فَعَلنا مِنْ إنجائِه وإغراقِهم ثواباً لِمَنْ كُفِرَ به. وفي المراد بـ «مَنْ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وهو مذهبُ مُجاهِدٍ، فيكون المعنى: عُوقِبوا للَّهِ ولِكفرِهم به. **والثاني**: أنه نُوحٌ كُفِرَ به وجُحِدَ أمْرُه، قاله الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنَّ «مَنْ» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاءً لِمَا كان كُفِرَ مِنْ نِعَمِ الله عند الذين أغرَقَهم، حكاه ابنُ جَريرٍ. وقرأ قَتادَةُ: «لِمَنْ كان كَفَرَ» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾ في المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: أنها السفينة، قال قَتادَةُ: أبقاها اللَّهُ على الجُودي حتى أدركَها أوائلُ هذه الأمَّةِ. **والثاني**: أنها الفَعْلَةُ، فالمعنى: تركنا هذه الفَعْلَةَ وأمرَ سفينةِ

---

(١) هود: ٤٤.

نوح «آيةً»، أي: علامة ليُعتبَرَ بها، ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ وأصله مُذتكِر، فأُبدِلت التاءُ دالاً على ما بيَّنَّا في قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[1]. قال ابنُ قُتَيبة: أصله: مذْتَكِر، فأُدغِمت التاءُ في الذال ثم قُلِبت دالاً مشدَّدةً. قال المُفسِّرون: والمعنى: هل مِنْ مُتذكِّر يَعتبرُ بذلك؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ وفي هذه السُّورةِ «ونُذُر» ستةُ مواضعَ، أثبتَ الياءَ فيهنَّ في الحالَيْنِ يعقوبُ، تابعهُ في الوَصْلِ وَرْشٌ، والباقون بحَذْفِها في الحالين. وقوله: «فكيف كان عذابي» استفهامٌ عن تلك الحالةِ، ومعناه التعظيمُ لذلك العذاب. قال ابنُ قُتَيبةَ: والنُّذُر ها هنا جمع نذيرٍ، وهو بمعنى الإنذار، ومثله النَّكِيرُ بمعنى الإنكار. قال المُفسِّرون: وهذا تخويفٌ لِمُشركي مكَّةَ.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي بسهَّلْناه ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي للحِفظِ والقراءةِ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي مِنْ ذاكرٍ يذكُره ويقرؤه؛ والمعنى: هو الحَثُّ على قراءتِه وتعلُّمِه، قال سعيدُ بنُ جُبَير: ليس مِنْ كُتبِ الله كتابٌ يُقرأُ كلُّه ظاهراً إلاَّ القرآنُ. وأمَّا الرِّيح الصَّرْصَرُ، فقد ذكرناها في حَم السَّجدَة[2].

قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ قرأ الحسَنُ: «في يومٍ» بالتنوين، على أنَّ اليومَ مَنعوتٌ بالنَّحسِ. والمُستَمِرُّ: الدائمُ الشُّؤمِ، استمرَّ عليهم بنُحُوسِه. وقال ابنُ عباسٍ: كانوا يتشاءَمُون بذلك اليومِ. وقيلَ: إنه كان يومَ أربعاء في آخرِ الشهرِ. ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تَقلعهُم مِنَ الأرض مِنْ تحتِ أقدامِهم فتَصرعُهم على رِقابهم فتَدقُّ رقابَهم فتُبين الرَّأسَ عن الجسد، فـ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ السَّمَيفَع: «أعجُزُ نَخلٍ» برفعِ الجيم مِنْ غير أَلِفٍ بعد الجيم. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو عِمرانَ: «كأنَّهم عُجُز نخل» بضم العين والجيم. ومعنى الكلام: كأنهم أصولُ نخلٍ ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ أي: مُنقَلِع. وقال الفرَّاءُ: المُنقَعِر: المُنصرِعُ مِنَ النَّخلِ. قال ابنُ قُتَيبة: يُقال: قَعَرْتُه فانقعَر، أي قَلَعتُهُ فسقَطَ. قال أبو عُبيدَةَ: والنَّخلُ يُذكَّر ويؤنَّث، فهذه الآيةُ على لُغةِ مَنْ ذكَّرَ، وقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[3] على لُغةِ مَنْ أنَّث. وقال مُقاتلٌ: شبَّهَهُم حين وَقَعوا مِنْ شِدَّة العذاب بالنَّخلِ السَّاقطةِ التي لا رؤوسَ لها، وإنَّما شبَّهَهُم بالنَّخلِ لِطُولِهم، وكان طولُ كلِّ واحدٍ منهم اثني عشرَ ذِراعاً.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢)﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ نذيرٍ. وقد بيَّنَّا أنَّ مَنْ كذَّب نبيّاً واحداً فقد كذَّبَ الكُلَّ. **والثاني**: أنَّ النُّذُرَ بمعنى الإنذار كما بيَّنَّا في قوله: «فكيف كان عذابي ونُذُر»؛ **فكأنَّهم** كذَّبوا الإنذارَ الذي جاءَهم به صالحٌ، ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ والذي ظهرَ تفسيرُه، المعنى: أَنَتَّبِعُ بَشَراً مِنَّا ﴿وَٰحِدًا﴾، قال المُفسِّرون: قالوا: هو آدميٌّ مِثْلُنا، وهو

(١) يوسف: ٤٥. (٢) فصلت: ١٦٠. (٣) الحاقة: ٧.

واحدٌ فلا نكون له تَبَعاً ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: خطإٍ وذهابٍ عن الصَّوابِ ﴿وَسُعُرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أي: جُنون. قال ابنُ قُتيبة: هو مِنْ تَسعَّرتِ النّارُ: إذا التَهبَتْ، يقال: ناقةٌ مَسْعُورةٌ، أي: كأنّها مجنونةٌ مِنَ النشاط. وقال غيره: لَفِي شَقاءٍ وعَناءٍ لأجلِ ما يلزمنا مِنْ طاعتِه.

ثم أنكَروا أنْ يكونَ الوحيُ يأتيه فقالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ أي: أُنزلَ الوَحيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: كيف خُصَّ مِنْ بيننا بالنبوة والوحي؟! ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المَرِحُ المُتكبِّرُ، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثاني**: البَطِرُ، قاله الزَّجّاجُ.

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ قرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ: «ستَعلمون» بالتاء «غداً» فيه قولان:

أحدهما: يومُ القيامةِ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: عند نزولِ العذاب بهم، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ وذلك أنهم سأَلُوا صالحاً أنْ يُظْهِرَ لهم ناقةً مِنْ صخرةٍ، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: مُخرِجُوها كما أرادوا ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: مِحنةً واختِباراً ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي فانتَظِرْ ما هم صانعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يُصيبُكَ مِنَ الأذى، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بينَ ثَمُودَ وبينَ النّاقةِ، يومٌ لها ويومٌ لهم، فذلك قوله: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ يَحضُرُهُ صاحبُه ويَستحِقُّه. قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ واسمهُ قُدارُ بنُ سالفٍ ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: تعاطى عَقْرَ النّاقةِ ﴿فَعَقَرَ﴾ أي: قَتَلَ؛ وقد بيَّنا هذا في الأعراف[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وذلك أنَّ جبريلَ عليه السلام صاحَ بهم؛ وقد أشرنا إلى قصَّتهم في هود[2] ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الرَّجُلُ يجعل لِغَنَمِه حظيرةً بالشَّجرِ والشَّوكِ دونَ السِّباعِ، فما سقطَ مِنْ ذلك وداسَتْهُ الغَنَمُ، فهو الهَشِيمُ. وقد بيَّنَّا معنى «الهَشِيم» في الكهف[3]. وقال الزَّجّاجُ: الهَشِيم: ما يَبِسَ مِنَ الوَرَقِ وتكسَّرَ وتحطَّمَ، والمعنى: كانوا كالهَشِيم الذي يجمعه صاحبُ الحظيرةِ بعدَ أنْ بلغَ الغايةَ في الجَفافِ، هو يُجمعُ لِيُوقَدَ. وقرأ الحسَنُ: «المُحتظَرِ» بفتح الظاء، وهو اسمُ الحظيرةِ؛ والمعنى: كهَشِيم المكان الذي يُحتظَرُ فيه الهَشِيمُ مِنَ الحَطبِ. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو الترابُ الذي يتناثَرُ مِنَ الحِيطَان. وقال قَتادةُ: كالعِظامِ النَّخِرةِ المُحترِقةِ. والمراد مِنْ جميع ذلك: أنهم بادُوا وهَلَكوا حتى صاروا كالشيءِ المُتحطِّمِ.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ قال المُفسِّرون: هي الحجارةُ التي قُذِفوا بها ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعني لُوطَ وابنتَيْهِ ﴿نَّجَّيْنَٰهُم﴾ مِنْ ذلك العذاب ﴿بِسَحَرٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: «سَحَرٍ» ها هنا يجري لأنه نكرةٌ، كقوله: نجَّيناهُم بلَيْلٍ، فإذا أَلقتِ العربُ منه الباءَ لم يَجْرِ، لأنَّ لفظَهُم به بالألف واللام، يقولون: ما

(١) الأعراف: ٧٧. (٢) هود: ٦١. (٣) الكهف: ٤٥.

زالَ عندَنا منذُ السَّحَر، لا يكادون يقولون غيرَه، فإذا حُذفَتْ منه الألفُ واللامُ لم يُصْرَف. وقال الزَّجَّاجُ: إذا كان السَّحَرُ نكرةً يراد به سَحَرٌ مِنَ الأسحارِ، انصرَفَ، فإذا أردتَ سَحَرَ يومِكَ، لم ينصَرِف. قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ قال مُقاتِلٌ: مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تعالى لم يُعذَّبْ مع المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ أي: طَلَبوا أنْ يُسَلِّمَ إليهم أضيافَهُ، وهم الملائكة ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ وهو أنَّ جِبريلَ ضربَ أعيُنَهم بجناحِه فأذهَبها. وقد ذكرنا القصَّةَ في سُورَةِ هُود[1]. وتَمَّ الكلامُ ها هنا، ثم قال: ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: فقُلنا لقوم لُوطٍ لما جاءهم العذابُ: ذُوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: ما أنذرَكم به لُوطٌ، ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً﴾ أي: أتاهُم صباحاً ﴿عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي: نازِلٌ بهم. قال مُقاتِلٌ: استقرَّ بهم العذابُ بُكْرَةً. قال الفَرَّاءُ: والعرب تُجري «غُدوة» و«بُكرة» ولا تُجريهِما، وأكثرُ الكلام في «غُدوة» تَرْكُ الإجراءِ، وأكثرُ في «بكرة» أنْ تُجرَى، فمَنْ لم يُجرِها جعلَها مَعرفةً، لأنها اسمٌ يكون أبداً في وقتٍ واحدٍ بمنزلةِ «أمسِ» و«غدٍ»، وأكثرُ ما تُجري العربُ «غُدوةً» إذا قُرِنَتْ بعشيَّةٍ، يقولون: إني لآتيهم غُدوةً وعشيَّةً، وبعضُهم يقول: «غُدوة» فلا يُجريها و«عشيَّةً» فيُجريها، ومنهم مَنْ لا يُجري «عشيَّة» لكثرة ما صَحِبَتْ «غُدوةَ». وقال الزَّجَّاج: الغُدوةُ والبُكرَةُ إذا كانتا نكِرتَيْنِ نُوِّنَتا وصُرِفتا، فإذا أردتَ بهما بُكرةَ يومِكَ وغداةَ يومِكَ، لم تصرِفْهُما، والبُكرةُ ها هنا نكِرةٌ، فالصَّرفُ أجودُ، لأنه لم يَثْبت روايةٌ في أنه كان في يومِ كذا في شهرِ كذا.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ۝٤٢ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ۝٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ يعني القِبطَ ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ نذيرٍ، وهي الآياتُ التي أنذرَهُم بها موسى. **والثاني**: أنَّ النُّذُرَ بمعنى الإنذارِ؛ وقد بيَّناهُ آنِفاً. ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ أي: غالبٍ في انتقامه ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ قادرٍ على هلاكِهم. ثم خوَّفَ أهلَ مكَّةَ فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ﴾ يا مَعشَرَ العربِ ﴿خَيۡرٞ﴾ أي: أشَدُّ وأقوى ﴿مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾ وهذا استفهامٌ معناه الإنكارُ؛ والمعنى: ليسوا بأقوى مِنْ قوم نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ، وقد أهلَكناهُم ﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ﴾ مِنَ العذاب أنه لا يُصيبَكُم ما أصابَهُم ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: في الكُتُبِ المُتقدِّمَةِ، ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾ المعنى: أيَقولون: نحن يَدٌ واحدةٌ على مَنْ خالَفَنا فنَنْتَصِر منهم؟ وإنَّما وحَّدَ المُنْتَصِرَ لِلَفظِ الجميع، فإنه على لفظِ «واحد» وإنْ كان اسماً للجماعة ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ وروى أبو حاتِم بنُ يعقوبَ: «سنهزم» بالنُّون، «الجمعَ» بالنَّصبِ، «وتولّون» بالتاء، ويعني بالجمع: جمعَ كفَّار مكَّةَ ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ ولم يَقُلْ: الأدبار، وكِلاهما جائزٌ؛ قال الفَرَّاءُ: مِثلُه أنْ يقولَ: إنَّ فُلاناً لَكثيرُ الدِّينارِ والدِّرهَمِ. وهذا مما أخبر اللَّهُ به نبيَّهُ مِنْ عِلْمِ الغَيبِ، فكانت الهزيمةُ يومَ بدرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ﴾ قال مُقاتِلٌ: هي أفظَعُ ﴿وَأَمَرُّ﴾ مِنَ القَتلِ. قال الزَّجَّاج: ومعنى الدَّاهِيَةِ: الأمرُ الشديدُ الذي لا يُهتَدى لِدَوائِه؛ ومعنى «أمَرُّ»: أشَدُّ مرارةً مِنَ القَتْلِ والأَسْرِ.

---

(١) هود: ٨١.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣٧٦] **أحدهما**: أنَّ مشركي مكَّةَ جاؤوا إلى رسولِ الله ﷺ يُخاصِمونَ في القَدَرِ، فنزلت هذه الآيةُ إلى قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، انفرَدَ بإخراجه مُسلِمٌ مِنْ حديث أبي هُريرَة.

[١٣٧٧] ورَوى أبو أُمامةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ هذه الآيَةَ نزلَتْ في القَدَرِيَّةِ».

[١٣٧٨] **والثاني**: أنَّ أُسْقُفَ نَجْرانَ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمَّدُ تَزعُمُ أنَّ المعاصي بقَدَرٍ، وليس كذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: «أنتُم خُصَماءُ اللّهِ»، فنزلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾، قاله عطاءٌ.

قوله تعالى: ﴿وَسُعُرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ: **أحدها**: الجُنون. **والثاني**: العَناءُ، وقد ذكرناهما في صَدْرِ السُّورَةِ. **والثالث**: أنه نارٌ تَستَعِرُ عليهم، قاله الضَّحَّاكُ. فأمَّا ﴿سَقَرَ﴾ فقال الزَّجَّاجُ: هي اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ لا ينصَرِفُ لأنها معرفةٌ، وهي مؤنَّثةٌ. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ قال: سَقَر: اسمٌ لِنَارِ الآخرة أعجَميٌّ، ويُقال: بل هو عربيٌّ، مِنْ قولهم: سَقَرَتْه الشمسُ: إذا أذابَتْهُ، سُمِّيتْ بذلك لأنها تُذيبُ الأجسامَ. وروى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال:

[١٣٧٩] «إذا جَمعَ اللّهُ الخَلائقَ يومَ القيامة أَمَرَ مُنادياً فنادَى نِداءً يَسمعُهُ الأوَّلون والآخِرُون: أينَ خُصماءُ اللّهِ؟ فتقومُ القَدَريَّةُ، فيُؤمَرُ بهم إلى النَّارِ، يقولُ اللّهُ تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

وإنما قيلَ لهم: «خُصَماءُ اللّهِ» لأنهم يُخاصِمونَ في أنه لا يجوز أنْ يُقَدِّرَ المعصيةَ على العَبْدِ ثم يُعذِّبُه عليها. وروى هِشامُ بنُ حسَّانَ عن الحَسنِ قال: واللّهِ لو أنَّ قَدَريّاً صامَ حتى يصيرَ كالحَبْلِ، ثم صَلَّى حتى يَصيرَ كالوَتَرِ، ثم أُخِذَ ظُلماً وزوراً حتى ذُبِحَ بينَ الرُّكْنِ والمقام لَكَبَّهُ اللّهُ على وَجْهِه في سَقَر

[١٣٧٦] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٦ والترمذي ٢١٥٧ و ٣٢٩٠ وابن ماجة ٨٣ والطبري ٣٢٨٣٤ والبغوي في «شرح السنة» ٨٠ من طرق عن سفيان الثوري من حديث أبي هريرة. وأخرجه الطبري ٣٢٨٣٣ والواحدي في «الأسباب» ٧٧٥ من طريقين عن سفيان الثوري به.

[١٣٧٧] ضعيف جداً، أخرجه الواحدي في «الأسباب» ٧٧٦ من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف جداً، لأجل عفير بن معدان، فإنه متروك.

[١٣٧٨] باطل، أخرجه الواحدي ٧٧٧ في «أسبابه» عن بحر السقاء عن شيخ من قريش عن عطاء مرسلاً، وهو ضعيف جداً. بحر السقاء واهٍ، وفيه شيخ لم يسمّ، وهو مرسل أيضاً والمتن باطل، فالسورة مكية بإجماع، وأخبار اليهود والنصارى وسآلاتهم مدنية.

[١٣٧٩] لم أقف عليه، وأمارة الوضع لائحة عليه. وورد مختصراً من حديث عمر دون ذكر الآية، أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٢١٩ وفيه عنعنة بقية بن الوليد، فهذه علة وفي الإسناد من لم يسمّ.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

[١٣٨٠] وروى مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى العَجزُ والكَيْسُ».

وقال ابنُ عباسٍ: كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى وَضْعُ يدِكَ على خدِّك. وقال الزَّجَّاجُ: معنى «بقَدَرٍ» أي: كلُّ شيءٍ خلقناه بقَدَرٍ مكتوبٍ في اللَّوحِ المَحفُوظِ قبلَ وقوعِه، ونَصْبُ «كُلَّ شيءٍ» بفعلٍ مُضمَرٍ؛ المعنى: إنَّا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾قال الفرَّاءُ: أي: إلاَّ مرَّةٌ واحدةٌ، وكذلك قال مُقاتِلٌ: مرَّةٌ واحدةٌ لا مَثنَويَّةَ لها. وروى عطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: يريد: إنَّ قضائي في خَلْقي أسرَعُ مِنْ لَمْحِ البصرِ. وقال ابنُ السَّائبِ: المعنى: وما أَمْرُنا بمجيءِ الساعةِ في السُّرعة إلاَّ كلَمْحِ البصرِ. ومعنى اللَّمْحِ بالبَصرِ: النَّظَرُ بسرعةٍ. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: أشباهَكم ونُظراءَكم في الكُفرِ مِنَ الأُمَمِ الماضية ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي مُتَّعِظٍ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ يعني الأُمَمَ. وفي ﴿الزُّبُرِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه كُتُبُ الحَفظةِ. **والثاني**: اللَّوحُ المَحفُوظُ. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: مِنَ الأعمال المُتقدِّمةِ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوبٌ، قال ابنُ قُتيبةَ: هو «مُفتَعَل مِنْ «سَطَرْتُ»: إذا كَتَبْتَ، وهو مِثل «مَسْطُور». قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: في جناتٍ وأنهارٍ، والاسمُ الواحدُ يَدلُّ على الجميع، فيُجتَزَأ به مِنَ الجميع. أنشد سِيبَويه والخَليلُ:

بها جِيَفُ الحَسْرَى، فأمَّا عِظامُها فَبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ

يريد: وأمَّا جُلودها، ومِثلُه:

في حَلْقِكُم عَظْمٌ وقد شَجِينا

ومِثلُه:

كُلُوا في نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعِيشُوا

وحكى ابنُ قُتيبةَ عن الفرَّاءِ أنه وُحِّدَ لأنه رأسُ آيةٍ، فقابلَ بالتوحيد رُؤوسَ الآيِ، قال: ويُقال: النَّهَر: الضِّياءُ والسَّعَةُ، مِنْ قولِكَ: أنهَرْتُ الطَّعنَةَ: إذا وَسَّعْتَها، قال قيسُ بنُ الخَطِيم يصِفُ طَعنةً:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها يَرَى قائِمٌ مِنْ دُونِها ما وَراءَها

أي: أوسَعْتُ فَتْقَها. قلتُ: وهذا قولُ الضَّحَّاك. وقرأ الأعمَشُ «ونُهُرٍ».

قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مَجْلِسِ حَسَنٍ؛ وقد نبَّهْنا على هذا المعنى في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾(١). فأمَّا المَلِيك، فقال الخطَّابيُّ: المَلِيكُ: هو المالكُ، وبناءُ فَعِيل للمُبالغة في الوَصفِ، ويكون المَلِيكُ بمعنى المَلِكِ، ومنه هذه الآيةُ. والمُقتَدِرُ مشروحٌ في الكهف(٢).

[١٣٨٠] صحيح. أخرجه مسلم ٢٦٥٥ والبخاري في «خلق أفعال العباد» ٧٣ وأحمد ٢/ ١١٠ وابن حبان ٦١٤٩ من طرق عن مالك به من حديث ابن عمر. وأخرجه مالك ٢/ ٨٩٩ في «الموطأ» عن زياد بن سعد به. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٧٢ عن أبي مصعب عن مالك به.

---

(١) يونس: ٢. (٢) الكهف: ٤٥.

سورة الرحمن

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

وفي نُزولِها قولان: **أحدهما**: أنها مكّيّةٌ، رواه ابنُ أبي طَلحةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسنُ وعطاءٌ ومُقاتِلٌ والجمهور، إلاّ أنّ ابنَ عباسٍ قال: سِوى آيةٍ، وهي قوله: ﴿يَسْئَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١). **والثاني**: أنها مدنيّةٌ، رواه عَطِيّةُ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال ابنُ مسعودٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾. قال مُقاتِلٌ:

[١٣٨١] لمّا نزلَ قوله: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾(٢)، قال كُفّارُ مكّةَ: وما الرَّحمنُ؟! فأنكَروه وقالوا: لا نَعرِفُ الرَّحمنَ، فقال تعالى: «الرَّحمنُ» الذي أنكرُوه هو الذي «علّمَ القُرآنَ».

وفي قوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قولان(٣): **أحدهما**: علّمَهُ محمّداً، وعلّمَهُ محمّدٌ أُمّتَهُ، قاله ابنُ السّائبِ. **والثاني**: يَسّرَ القرآنَ، قاله الزّجّاجُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه اسمُ جنسٍ، فالمعنى: خَلَقَ الإنسانَ جميعاً، قاله الأكثرون. فعَلَى هذا، في «البيان» ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: النُّطقُ والتّمييزُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: الحلالُ والحَرامُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: ما يقول وما يُقالُ له، قاله محمّدُ بنُ كَعبٍ. **والرابع**: الخيرُ والشرُّ، قاله الضّحّاكُ. **والخامس**: طُرُقُ

[١٣٨١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، والخبر منكر جداً، أمارة الوضع لائحة عليه.

---

(١) الرحمن: ٢٩.   (٢) الفرقان: ٦٠.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٥٧٢: يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم إذ بصّركم به ما فيه رضا ربكم، وعرّفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه.

الهُدى، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والسادس**: الكتابةُ والخطُّ، قاله يَمانُ.

والثاني: أنه آدَمُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ. فعَلَى هذا في «البيان» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أسماءُ كلِّ شيءٍ. **والثاني**: بيانُ كلِّ شيءٍ. **والثالث**: اللُّغاتُ.

والقول الثالث: أنه محمَّدٌ ﷺ، علَّمَهُ بيانَ كلِّ شيءٍ مَا كان وما يكون، قاله ابنُ كَيسَانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: بحسابٍ ومنازلَ، لا يَعْدُوانِها، قاله ابنُ عباس وقَتادَةُ وأبو مالكٍ؛ وقد كَشَفْنا هذا المعنى في الأنعام[١]. قال الأخفَشُ: أُضمِرَ الخبرُ، وأظُنُّه ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ أراد: يَجريانِ بحُسْبانٍ. قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ في النَّجم قولان: **أحدهما**: أنه كُلُّ نَبْتٍ ليس له ساقٌ، وهو مذهبُ ابنِ عباسٍ، والسُّدِّيِّ، ومُقاتِلٍ، واللُّغويين. **والثاني**: أنه نَجمُ السماء، والمُراد به: جميعُ النُّجوم، قاله مُجاهِدٌ. فأمَّا الشَّجَرُ: فكُلُّ ماله ساقٌ. قال الفَرَّاءُ: سُجودُهما: أنَّهما يستقبِلانِ الشمسَ إذا أشرقَتْ، ثم يَميلانِ معها حتى ينكَسِرَ الفَيْءُ. وقد أشَرْتُ في النَّحل[٢] إلى معنى سُجودِ ما لا يَعْقِلُ. قال أبو عُبيدَةَ: وإنَّما ثُنِّيَ فِعلُهما على لَفظِهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ وإنما فعلَ ذلك لِيَحيا الحيوانُ وتَمتَدَّ الأنفاسُ بينها وبين الأرض، وأجرى الرِّيحَ بينها وبين الأرضِ، كيما يَتَرَوَّحَ الخَلْقُ. ولولا ذلك لَماتَتِ الخلائقُ كَرْباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدهما**: أنه العَدْل، قاله الأكثرون، منهم مُجاهِدٌ والسُّدِّيُّ واللغويون. قال الزَّجَّاجُ: وهذا لأنَّ المُعادلَةَ: موازَنَةُ الأشياء. **والثاني**: أنه المِيزانُ المعروفُ، لِيتَناصَفَ الناسُ في الحقوق، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ، والضَّحاكُ. **والثالث**: أنه القرآن، قاله الحَسنُ بنُ الفَضلِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟﴾ ذكر الزَّجَّاجُ في «أنْ» وَجهَين: **أحدهما**: أنها بمعنى اللام؛ والمعنى: لئلاَّ تَطْغَوا. **والثاني**: أنها للتفسير، فتكون «لا» للنَّهي؛ والمعنى أي لا تَطْغَوْا، أي لا تُجاوِزوا العَدْلَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ قال ابنُ قُتَيبَة، أي: لا تَنْقُصوا الوَزنَ.

فأمَّا الأَنامُ، ففيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الناسُ، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: كلُّ ذي رُوحٍ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والشَّعْبيُّ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ، والفَرَّاءُ. **والثالث**: الإنسُ والجِنُّ، قاله الحَسنُ، والزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ أي: ما يُتَفكَّه به مِنْ ألوان الثِّمارِ ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ والأكمَامُ: الأوعِيةُ والغُلُفُ؛ وقد استوفينا شرحَ هذا في حم السَّجْدَة[٣].

قوله عزَّ وجل ﴿وَٱلْحَبُّ﴾ يريد: جميع الحُبوبِ، كالبُرِ والشَّعيرِ وغيرِ ذلك. وقرأ ابنُ عامرٍ: «والحَبَّ» بنصبِ الباء «ذا العَصْفِ» بالألف «والرَّيحانَ» بنصبِ النون. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ إلاَّ ابنَ أبي سُرَيجٍ، وخَلَفٌ: «والحَبُّ ذو العَصْفِ والرَّيْحانِ» بخَفْضِ النون؛ وقرأ الباقون بضمِّ النون.

وفي «العَصْف» قولان: **أحدهما**: أنه تِبْنُ الزَّرعِ ووَرَقُه الذي تعصِفُه الرِّياحُ، قاله ابنُ عباسٍ.

---

(١) الأنعام: ٩٦. (٢) النحل: ٤٩. (٣) فصلت: ٤٧.

وكذلك قال مُجاهِدٌ: هو وَرَقُ الزَّرع. قال ابنُ قُتيبة: العَصْفُ: وَرقُ الزَّرع، ثم يصيرُ إذا جَفَّ ويبسَ ودِيسَ تِبناً. **والثاني**: أنَّ العَصْفَ: المأكولُ مِنَ الحبِّ، حكاه الفَرَّاءُ.

وفي «الرَّيْحان» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوَرقُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبير، والسُّدِّيُّ. قال الفَرَّاءُ: الرَّيْحانُ في كلام العرب: الرِّزقُ، يقولون: خرجنا طَلَبَ رَيْحانِ اللّهِ، وأنشد الزَّجَّاجُ للنَّمِرِ بنِ تَوْلَب:

سـلامُ الإلـهِ ورَيْـحـانُـه ورَحْـمَـتُـه وسَـمـاءٌ دِرَر

والثاني: خُضرةُ الزَّرع، رواه الوالبيُّ عن ابنِ عباس. قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: فعَلى هذا سُمِّي رَيحاناً، لاستراحةِ النَّفسِ بالنَّظرِ إليه. **والثالث**: أنه رَيحانُكم هذا الذي يُشَمُّ، رَوى العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: «الرَّيحان»: ما أنبتَتِ الأرضُ مِنَ الرَّيحان، وهذا مذهبُ الحَسنِ والضَّحَّاكِ وابنِ زيدٍ. **والرابع**: أنه ما لم يُؤكَلْ مِنَ الحَبِّ، والعَصْف: المأكول منه، حكاه الفراء.

قوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنْ قيلَ: كيف خاطبَ اثنين، وإنما ذَكر الإنسانَ وحدَهُ؟ فعنه جوابان ذكرهما الفَرَّاءُ: **أحدهما**: أنَّ العربَ تُخاطب الواحدَ بفعل الاثنين كما بيَّنَّا في قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾(١). **والثاني**: أنَّ الذِّكرَ أُريدَ به: الإنسانُ والجَانُّ، فجَرى مجرى الخطابِ لهما مِنْ أوَّلِ السُّورةِ إلى آخرِها. قال الزَّجَّاجُ: لمَّا ذَكرَ اللهُ تعالى في هذه السُّورة ما يدُلُّ على وحدانيتِه مِن خَلقِ الإنسان وتعليم البيان وخَلقِ الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطَبَ الجنَّ والإنسَ، فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأيِّ نِعَم ربِّكما تُكذِّبان مِنْ هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلَّها مُنعَمٌ بها عليكم في دلالَتِها إيَّاكم على وحدانيَّتِه وفي رِزقِه إيَّاكم ما به قِوامُكم. وقال ابنُ قُتيبةَ: الآلاءُ: النِّعَمُ، واحدها: ألا، مثل: قفاً، وإلاً، مثل: مِعىً.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني آدمَ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ قد ذَكرنا في الحِجر(٢) الصَّلصالَ والجانَّ. فأمَّا قوله: ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ فقال أبو عُبيدَةَ: خُلِقَ مِنْ طينٍ يابسٍ لم يُطْبَخ، فله صوتٌ إذا نُقِرَ، فهو مِنْ يابسه كالفخَّار. والفَخَّارُ: ما طُبِخَ بالنَّارِ. وأمَّا المَارِجُ، فقال ابنُ عباسٍ: هو لسانُ النَّارِ الذي يكون في طَرَفِها إذا التَهبَتْ. وقال مُجاهِدٌ: هو المُختَلِط بعضُه ببعضٍ مِنَ اللَّهبِ الأحمرِ والأصفرِ والأخضرِ الذي يَعلُو النَّارَ إذا أُوقِدَتْ. وقال مقاتل: هو لَهبُ النارِ الصافي مِنْ غيرِ دُخانٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: المَارِجُ: خَلْطٌ من النَّارِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: المارِجُ: لهبُ النَّارِ، مِنْ قولك: قد مَرِجَ الشيءُ: إذا اضطَربَ ولم يَستقِرَّ. وقال الزَّجَّاجُ: هو اللَّهب المُختلِطُ بسَوادِ النَّارِ. وإنْ قيلَ؛ قد أخبرَ اللهُ تعالى عن

(١) قٓ: ٢٤.
(٢) الحجر: ٢٦ ـ ٢٧.

خَلْقِ آدمَ عليه السلام بألفاظٍ مختلفةٍ، فتارةً يقول: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾(١)، وتارةً: «مِنْ صَلْصالٍ»، وتارةً: «مِنْ طِينٍ لازِبٍ»(٢)، وتارةً: «كالفَخّار»، وتارةً: «مِنْ حَمَإٍ مسنونٍ»(٣)؛ فالجواب: أنَّ الأصلَ الترابُ فجُعِلَ طِيناً، ثم صارَ كالحَمَإِ المَسنُونِ، ثم صارَ صَلْصالاً كالفَخَّارِ، فهذه أخبارٌ عن حالاتِ أصلِه. فإنْ قيلَ: ما الفائدة في تكرارِ قوله: «فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبانِ» الجواب أنَّ ذلك التكريرَ لتقريرِ النِّعَمِ وتأكيدِ التذكيرِ بها. قال ابنُ قُتَيبَةَ: مِنْ مذاهب العرب التكرارُ للتوكيدِ والإِفهام، كما أنَّ مِنْ مذاهِبهم الاختصارُ للتخفيف والإيجازِ؛ لأنَّ افتِنانَ المُتكلِّم والخطيبِ في الفنون أحسَنُ مِنَ اختصارِه في المقامِ على فنّ واحدٍ، يقول القائلُ: واللهِ لا أفعَلُه، ثم واللهِ لا أفعَلُه، إذا أراد التوكيدَ وحَسْمَ الأطماعِ مِنْ أنْ يفعَلَهُ، كما تقول: واللهِ أفعَلُه، بإضمارِ «لا» إذا أراد الاختصارَ، ويقول القائلُ للمُستَعجِلِ: اعْجَلْ اعْجَلْ، وللرامي: ارْمِ ارْمِ، قال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ له وَكَمْ وَكَمْ

وقال الآخر:

هَـــلاَّ سَـــأَلْـــتَ جُـــمُـــوعَ كِـــنْـــدَةَ يَـــوْمَ وَلَّـــوْا أَيْـــنَ أَيْـــنـــا(٤)

وربَّما جاءت الصِّفةُ فأرادوا توكيدَها، واستوحشوا مِنْ إعادتِها ثانيةً لأنها كلمةٌ واحدةٌ، فغيَّروا منها حرفاً ثم أتبَعُوها الأولى، كقولهم، عَطْشَانُ نَطْشَان، وشَيطان لَيطان، وحَسَنٌ بَسَنٌ. قال ابنُ دُرَيدٍ: ومِنَ الإِتْبَاعِ: جائع نائع، ومَليح قَريح، وقبيح شَقِيح، وشَحِيح نَحِيح، وخَبيث نَبيث، وكَثير نَثِير، وسَيِّغ لَيِّغ، وسائغ لائغ، وحَقير نَقير، وضَئيل بَئيل، وخَضِر مَضِر، وعِقريب نِقريب، وثِقَة نِقَة، وكِنٌّ إنٌّ، وواحدٌ فاحِدٌ، وحائرٌ بائرٌ، وسَمِجٌ لَمِجٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فلمَّا عَدَّدَ اللهُ تعالى في هذه السُّورة نَعْماءَهُ، وأذكَرَ عِبادَه آلاءَهُ، ونبَّهَهُم على قُدرَتِه، جعل كلَّ كلمةٍ مِنْ ذلك فاصلةً بين كلِّ نِعمَتَيْنِ، لِيُفَهِّمهم النِّعَمَ ويُقَرِّرهم بها، كقولكَ للرجلِ: أَلَمْ أُبَوِّئْكَ مَنْزِلاً وكنتَ طريداً؟ أفتُنكِرُ هذا؟ أَلَمْ أُحِجَّ بكَ وأنتَ صَرُورَةٌ؟ أفَتُنكِرُ هذا؟.

[١٣٨٢] ورَوى الحاكمُ أبو عبدِ الله في «صحيحه» مِنْ حديث جابرِ بنِ عبدِالله قال: قرأَ علينا

[١٣٨٢] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩١ والحاكم ٣٧٦٦ من طريق عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر به. وإسناده واهٍ، زهير منكر الحديث في رواية أهل الشام عنه، وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي. وأخرجه الحاكم ٣٧٦٦ وابن عدي ٣/ ٢١٩ وأبو الشيخ في «العظمة» ١١٢٣ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢١٩ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٣٢ من طريق هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم بالإسناد السابق. وأخرجه البيهقي ٢/ ٢٣٢ من طريق مروان بن محمد قال: حدثنا زهير بن محمد به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قال ابن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه. يعني لما يروون عنه من المناكير. وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة اهـ. وله شاهد من حديث ابن عمر: أخرجه البزار =

---

(١) آل عمران: ٥٩. (٢) الصافات: ١١. (٣) الحجر: ٢٩.
(٤) البيت للشاعر عبيد بن الأبرص ديوانه: ص ١٤٢ والشعر والشعراء: ١/ ٢٢٤.

رسولُ الله ﷺ سُورةَ الرَّحمنِ حتى خَتَمها ثم قال: «ما لي أراكُم سُكوتاً؟! لَلْجِنُّ كانوا أحسنَ منكم رَدّاً، ما قرأتُ عليهم هذه الآيةَ مِنْ مَرَّةٍ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلاَّ قالوا: ولا بشيءٍ مِنْ نِعَمِكَ ربَّنا نُكذِّبُ فلكَ الحمدُ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ قرأ أبو رَجاءٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «ربِّ المشرِقَيْن وربِّ المَغْرِبَيْن» بالخَفضِ، وهما مَشرِقُ الصَّيفِ ومَشرِقُ الشتاءِ ومَغرِبُ الصَّيفِ ومَغرِبُ الشتاءِ للشمسِ والقمرِ جميعاً. قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أرسلَ العذبَ والمِلْحَ وخلاهُما وجعلَهما ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجزٌ مِنْ قُدرةِ الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي: لا يختلطان. فيبغي أحدُهما على الآخرِ. وقال ابنُ عباسٍ: بحرُ السماءِ وبحرُ الأرض يلتقيان كُلَّ عام. وقال الحُسَينُ: «مَرَج البحرين» يعني بحرَ فارسَ والرُّوم، بينهما بَرزَخٌ، يعني الجَزائِرَ؛ وقد سبقَ بيانُ هذا في الفُرقان[1]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: إنَّما يخرجُ مِنَ البحرِ المِلْحِ، وإنما جَمَعهما، لأنه إذا خرجَ مِنْ أحدِهما فقد أُخرِجَ منهما، ومِثْلُه ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[2]. وقال أبو عليٍّ الفارسيُ: أراد: يَخرجُ مِنْ أحدهما، فحَذَفَ المُضافَ. وقال ابنُ جَريرٍ: إنما قال «منهما» لأنه يخرجُ مِنْ أصدافِ البحْرِ عن قَطْرِ السماء. فأمَّا اللُّؤلؤُ والمَرجانُ، ففيهما قولان: **أحدهما**: أنَّ المَرجانَ: ما صَغُرَ مِنَ اللُّؤلؤِ، واللُّؤلؤَ: العِظَامُ، قاله الأكثرون، منهم ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ. وقال الزَّجَّاجُ: اللؤلؤُ: اسمٌ جامعٌ للحَبِّ الذي يَخرجُ مِنَ البحرِ، والمَرجانُ: صِغارُه. **والثاني**: أنَّ اللُّؤلؤَ: الصِّغارُ، والمَرجَانُ: الكِبارُ، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. قال ابنُ عباسٍ: إذا أمطرت السماءُ، فَتَحَتِ الأصدافُ أفواهَها، فما وقعَ فيها مِنْ مطرٍ فهو لؤلؤٌ؛ وقال ابنُ جُرَيجٍ. حيثُ وقعَتْ قطرةٌ كانت لؤلؤةٌ. وقرأْتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللُّغويِّ قال: ذكرَ بعضُ أهلِ اللُّغةِ أنَّ المَرجانَ أعجميٌّ مُعرَّبٌ. قال أبو بكرٍ،

= ٢٢٦٩ من طريق عمرو بن مالك البصري عن يحيى بن سليم الطائفي عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً. وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٠١ والطبري ٣٢٩٢٨ من طريق محمد بن عباد بن موسى عن يحيى بن سليم الطائفي به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٨: رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: جزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، وقال الذهبي في «الميزان» ٣/ ٢٨٥ ضعفه أبو يعلى، وقال ابن عدي: يسرق الحديث، وتركه أبو زرعة وذكره ابن حبان في الثقات اهـ والظاهر أن ابن حبان ما عرفه. وتابعه محمد بن عباد بن موسى عند الطبري والخطيب كما تقدم، ومحمد هذا ضعيف، والظاهر أنه سرقه من عمرو بن مالك. وقال ابن عدي ٣/ ٢١٩: هذا حديث لا يعرف إلا بهشام بن عمار، وقد سرقه جماعة من الضعفاء ذكر منهم في كتابي هذا، فحدثوا به عن الوليد وهم سليمان بن أحمد الواسطي وعلي بن جميل السرّقي وعمرو بن مالك البصري وبركة بن محمد الحلبي، والحديث، فهشام. أي عن الوليد عن زهير بن محمد وبه يعرف.

تنبيه: ولم يتنبه الألباني إلى هذا الوارد عن ابن عدي، فجعل حديث ابن عمر شاهداً لحديث جابر فحكم بحسنه في «الصحيحة» ٢١٥٠ والصواب أنه غير شاهد وإنما سرقه عمرو بن مالك وغيره وركبوا له هذا الإسناد عن ابن عمر ولو كان كذلك لرواه الأئمة الثقات، ولكن كل ذلك لم يكن، والمتن منكر فمتى كان الجن أحسن فهماً من الصحابة؟!! كما هو مدلول هذا الخبر.

(١) الفرقان: ٥٣. (٢) نوح: ١٦.

يعني ابن دُرَيدٍ: ولم أسمَعْ فيه بفعلٍ مُنصَرِفٍ، وأخرِ به أنْ يكونَ كذلك. قال ابنُ مسعودٍ: المَرجانُ: الخَرَزُ الأحمرُ. وقال الزَّجَّاجُ: المَرجانُ أبيضُ شديدُ البياضِ. وحكى القاضي أبو يَعلَى أنَّ المَرجانَ: ضَرْبٌ مِنَ اللُّؤلؤِ كالقُضبانِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ يعني السُّفن ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ قال مُجاهِدٌ: هو ما قد رُفِعَ قِلْعُه مِنَ السُّفن دونَ ما لم يُرفَعْ قِلْعُه، القِلْع مكسورُ القافِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هُنَّ اللواتي أُنشِئْنَ، أي: ابتُدِئَ بهنَّ ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾، وقرأ حمزةُ: «المُنشِئاتُ»، فجعلَهُنَّ اللواتي ابتدَأْنَ، يُقال: أنشأَت السحابةُ تُمطِرُ: إذا ابتدأَتْ، وأنشأَ الشاعرُ يقول. والأَعْلامُ: الجبال، وقد سبقَ هذا[1].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ أي: على الأرض، وهي كِنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، «فانٍ» أي: هالِكٌ. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ويبقى ربُّكَ ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ قال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الجَلالُ: مصدر الجَليلِ، يُقال: جَليلٌ بَيِّنُ الجَلالَةِ والجَلالِ. والإكرامُ: مصدرُ أكرَمَ يُكرِم إكراماً؛ والمعنى أنه يُكرِمُ أهلَ وِلايَتِه وأنَّ الله مُستحِقٌ أنْ يُجَلَّ ويُكرَمَ، ولا يَجحَدُونَهُ ولا يَكفُروا به؛ وقد يحتملُ أنْ يكونَ المعنى: أنه يُكرِمُ أهلَ وِلايَتِه ويَرفعُ دَرجاتِهم؛ وقد يحتمل أنْ يكونَ أحدُ الأمرين ـ وهو الجَلالُ ـ مضافاً إلى الله تعالى بمعنى الصِّفة له، والآخرُ مضافاً إلى العبدِ بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ فانصَرفَ أحدُ الأمرَيْنِ إلى الله تعالى وهو المَغفِرةُ، والآخرُ إلى العِبادِ وهو التقوى.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى أنَّ الكُلَّ يحتاجون إليه فيسألونه وهو غنيٌّ عنهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ مثل أنْ يُحيي ويُميت، ويُعِزَّ ويُذِلَّ، ويَشفيَ مريضاً، ويُعطيَ سائلاً، إلى غيرِ ذلك مِنْ أفعالِه. وقال الحُسَينُ بنُ الفُضَيلِ: هو سَوقُ المَقاديرِ إلى المَواقيتِ.

[١٣٨٣] قال مُقاتِلٌ: وسببُ نُزولِ هذه الآية أنَّ اليهودَ قالت: إنَّ الله لا يقضي في يومِ السبتِ شيئاً، فنزلت: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾.

[١٣٨٤] عن عبدِالله بنِ منيب[2] عن رسولِ الله ﷺ قال لمَّا سُئِلَ عن ذاكَ الشأنِ: «يَغفِرُ ذَنْباً

[١٣٨٣] باطل، عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يصنع الحديث، والمتن باطل. وانظر ما بعده.

[١٣٨٤] أخرجه الطبري ٣٣١٢ والبزار ٢٢٦٦ «كشف» وأبو الشيخ ١٥١٠ من حديث عبد الله بن منيب، وإسناده ضعيف، فيه عمرو بن بكر السكسكي وهو ضعيف متروك. وله شاهد أخرجه ابن ماجة ٢٠٢ وابن أبي عاصم في «السنة» ٣٠١ وابن حبان ٦٨٩ والبزار ٢٢٦٧ «كشف» وأبو الشيخ ١٥٠ والديلمي ٤٧٧٥ والبيهقي في «الصفات» ص ٩٨ وأبو نعيم ٥/ ٢٥٢ من حديث أبي الدرداء. ومداره على الوزير ابن صبيح، وهو لين الحديث ومن وجه آخر أخرجه ابن الجوزي في «العلل» ٢٤ وفيه الوليد بن مسلم وهو مدلس. وقد عنعن. وصوب الدارقطني الوقف فيما نقل عنه ابن الجوزي. وكذا جعله البخاري من كلام أبي الدرداء. انظر «الفتح» ٨/ ٤٩٠، ومع ذلك صححه الألباني في «تخريج» السنة ٣٠١/ ١٣٠ فالله أعلم.

---

(١) الشورى: ٣٢.

(٢) تصحف في الأصل «حبيب».

ويُفَرِّجُ كَرْباً ويرفَعُ قوماً ويَضعُ آخَرِينَ».

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ: «سَنَفْرُغُ» بنونٍ مفتوحةٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعِكرمَةُ، والأعمَشُ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وعبدُ الوارثِ: «سيَفْرُغُ» بياءٍ مفتوحةٍ. وقرأ ابنُ السَّميفَع، وابنُ يَعمَرَ، وأبو عُبيدَةَ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ والحَلَبيُّ عن عبدِ الوارثِ: «سيُفْرَغُ» بضمِّ الياء وفتح الراء. قال الفَرَّاءُ: هذا وعيدٌ مِنَ الله تعالى، لأنه لا يَشغَلُه شيءٌ عن شيء، تقول للرجل الذي لا شُغلَ له: قد فَرِغتَ لي، قد فَرِغتَ تَشتُمني؟! أي: قد أخذتَ في هذا وأقبلْتَ عليه؟ وقال الزَّجَّاجُ: الفَراغُ في اللغة على ضَرْبَين. **أحدهما**: الفراغُ مِنْ شُغلٍ. والآخر: القَصْدُ للشيء، تقول: قد فَرِغتُ ممَّا كنتُ فيه، أي: قد زالَ شُغلي به، وتقول: سأتفرَّغُ لِفُلانٍ، أي: سأجعَلُه قَصْدِي، ومعنى الآية: سنَقْصدُ لِحِسابِكُم. فأمَّا «الثَّقَلان» فهما الجِنُّ والإنسُ، سُمِّيا بذلك لأنهما ثِقلُ الأرض.

قوله عزَّ وجَل: ﴿أَن تَنفُذُواْ﴾ أي: تَخرجوا؛ يُقال: نَفَذَ الشيءُ مِنَ الشيء: إذا خَلَصَ منه، كالسَّهم يَنفُذُ مِنَ الرَّمِيَّة؛ والأقْطارُ: النَّواحي والجَوانِبُ وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: إنِ استَطَعتُم أنْ تعلَموا ما في السَّمواتِ والأرضِ فاعلَموا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: إنِ استَطَعتُم أنْ تَهرُبوا مِنَ الموتِ بالخروج مِنْ أقطار السَّمواتِ والأرضِ فاهرُبوا واخرُجوا منها؛ والمراد: أنكم حيثما كنتُم أدرَكَكُم الموتُ، هذا قولُ الضَّحَّاكِ ومُقاتِلٍ في آخرين. **والثالث**: إنِ استَطَعتُم أنْ تَجوزُوا أطرافَ السمواتِ والأرضِ فتُعجِزوا ربَّكُم حتى لا يقدِرَ عليكم فَجُوزوا؛ وإنما يُقال لهم هذا يومَ القيامة، ذكره ابن جَريرٍ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَنفُذون إلاَّ في سلطانِ الله عزَّ وجلَّ، لأنه مالك كل شيء، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تَنفُذون إلاَّ بحُجَّةٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: لا تنفذون إلا بمُلْكٍ، وليس لكم مُلْكٌ، قاله قَتادةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ فثنَّى على اللفظِ. وقد جمعَ في قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ على المعنى. فأمَّا «الشُّواظ» ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه لَهَبُ النَّارِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هو اللهَبُ الأخضرُ المُنقطِعُ مِنَ النَّارِ. **والثاني**: الدُّخانُ، قاله سعيدُ بن جُبيرٍ. **والثالث**: النَّارُ المَحْضَةُ، قاله الفَرَّاءُ. وقال أبو عُبيدَةَ: هي النارُ التي تأجَّجُ لا دُخانَ فيها، ويُقال: شُواظ وشِواظ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ بكسرِ الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهلُ البَصْرَةِ: «ونُحاسٍ» بالخَفضِ، والباقون برَفْعِها. وفي «النُّحاس» قولان: **أحدهما**: أنه دُخانُ النَّارِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ والفَرَّاءُ وأبو عُبيدَةَ وابنُ قُتَيبَةَ والزَّجَّاجُ، ومنه قولُ الجَعْدِيِّ يذكرُ امرأةً:

تُضِيءُ كَضَوْءِ سِراجِ السَّلِيـ ... ـطِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسا

وذكر الفَرَّاءُ في السَّليطِ ثلاثةَ أقوالٍ: أحدها: أنه دُهنُ السَّنام، وليس له دُخانٌ إذا استُصبِحَ به. والثاني: أنه دُهْنُ السِّمْسِم. والثالث: أنه الزَّيتُ. **والقول الثاني**: أنه الصُّفْرُ المُذابُ يُصَبُّ على

رُؤوسِهم، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. قال مُقاتِلٌ: والمراد بالآية: كفّارُ الجنِّ والإنسِ، يُرْسِلُ عليهما في الآخرة لَهَبَ النّارِ والصُّفْرَ الذّائبَ، وهي خمسةُ أنهارٍ تجري على رؤوسِ أهلِ النّارِ، ثلاثةُ أنهارٍ مِنْ تحت العَرشِ على مقدارِ الليل، ونَهرَانِ على مقدارِ أنهارِ الدنيا، ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: فلا تَمتَنِعانِ مِنْ ذلك[1].

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي: انفرجَتْ مِنَ المَجرَّة لِنُزولِ مَنْ فيها يومَ القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: كلَوْنِ الفَرَسِ الوَرْدَةِ، قاله أبو صالحٍ، والضَّحّاكُ. وقال الفَرّاءُ: الفَرَسُ الوَرْدَةُ، تكون في الرَّبيعِ وَرْدَةً إلى الصُّفرةِ، فإذا اشتدَّ الحَرُّ كانت وَرْدَةً حمراءَ، فإذا كان بعدَ ذلك كانت وردَةً إلى الغُبرَةِ، فشبَّه تَلوُّنَ السماء بتلوُّنِ الوردَةِ مِنَ الخَيلِ؛ وكذلك قال الزَّجّاجُ: «فكانت وردة» كَلَونِ فَرَسٍ وَردَةٍ، والكُمَيتُ: الوَردُ يتلوَّنُ، فيكون لونُه في الشتاءِ خلافَ لونِه في الصَّيفِ، ولونُه في الصَّيفِ خلافَ لونِه في الشتاء، والسماءُ تتلوَّن مِنَ الفَزَعِ الأكبرِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: فكانت حمراءَ في لونِ الفَرَسِ الوَرْدِ. **والثاني**: أنها وَردَةُ النَّباتِ؛ وقد تختلفُ ألوانُها، إلاّ أنَّ الأغلبَ عليها الحُمرَةُ، ذكره المَاوَرديّ. وفي الدِّهانِ قولان: **أحدهما**: أنه واحدٌ، وهو الأَدِيمُ الأحمرُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه جَمْعُ دُهن، والدُّهنُ تختلف ألوانُه بخُضرَةٍ وحُمرةٍ وصُفرَةٍ، حكاه اليَزيديّ، وإلى نحوِهِ ذهب مُجاهِدٌ، وقال الفَرّاءُ: شبَّه تلوُّنَ السماء بتلوُّنِ الوردةِ مِنَ الخَيلِ، وشبَّهَ الوَردَةَ في اختلافِ ألوانِها بالدُّهنِ.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يُسألون ليُعلَمَ حالُهم، لأنَّ الله تعالى أعلَمُ منهم بذلك. **والثاني**: لا يَسألُ بعضُهم بعضاً عن حالِه لاشتغالِ كلِّ واحدٍ منهم بنفْسِه، رُوِيَ القولان عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لا يُسألون عن ذُنوبِهم لأنهم يُعرَفونَ بسِيماهُم، فالكافرُ أسوَدُ الوَجهِ، والمؤمن أغرُّ الوجهِ مُحجَّلٌ مِنْ أثَرِ وضُوئِه، قاله الفَرّاءُ. قال الزَّجّاجُ: لا يُسألُ أحدٌ عن ذنبِهِ لِيُستفْهَمَ، ولكنه يُسألُ سؤالَ توبيخٍ وتقريعٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ قال الحَسنُ: بسَوادِ الوجوه، وزَرَقِ الأعيُنِ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ خَزنةَ جهنَّمَ تَجمعُ بين نَواصِيهم إلى أقدامِهم مِنْ وراء ظُهورِهم ثم يَدفَعونَهم على وجوهِهم في النّارِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: يُؤخَذُ بالنَّواصي والأقدام فيُسحَبون إلى النّارِ، ذكره الثَّعلَبيُّ. وروى مَرْدَويه الصّائغُ، قال: صلَّى بنا الإمامُ صلاةَ الصُّبحِ فقرأ سُورةَ «الرَّحمن» ومعنا عليُّ بنُ الفُضيلِ بنِ عِياضٍ، فلمّا قرأ «يُعرَفُ المُجرِمون بسِيماهم» خَرَّ عليٌّ مَغشِيّاً عليه حتى فرغنا مِنَ الصلاة، فلمّا كان بعدَ ذلك قُلنا له: أمَا سمعتَ الإمامَ يقرأُ «حُورٌ مقصوراتٌ في الخِيام»؟ قال:

(١) هذا الخبر من مناكير مقاتل وأباطيله، وإنما هو التحدي في الدنيا.

شَغَلني عنها «يُعرَفُ المُجْرِمون بِسيماهُم فيُؤخَذُ بالنَّواصِي والأقدام».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي يُقال لهم: هذه جهنَّمُ ﴿ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعني المشركين ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ وقرأ أبو العَالِيةِ وأبو عِمرَانَ الجَوْنيُّ: «يُطَوِّفون» بياءٍ مضمومةٍ مع تشديد الواو، وقرأ الأعمَشُ مثلَهُ إلاّ أنه بالتاء. قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: الحَميم: الماءُ الحارُّ، والآني: الذي قد انتهَتْ شِدَّةُ حَرِّه. قال المُفسِّرون: المعنى أنهم يَسْعَون بينَ عذاب الحَميم وبين عذابِ الجحيم، إذا استغاثُوا مِنَ النّارِ جعلَ غياثَهم الحَميمَ الشديدَ الحرارةِ.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: قيامه بين يدي الله عزَّ وجلَّ يومَ الجَزاءِ. **والثاني**: قيام الله على عبدِه بإحصاءِ ما اكتسَبَهُ. وجاء في التفسير، أنَّ العبدَ يهُمُّ بمعصيةٍ فيتركها خوفاً مِنَ الله عزَّ وجلَّ فلَهُ جنَّتانِ، وهما بُستانانِ ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها الأغصان، وهي جمع فَنن، وهو الغُصنُ المستقيمُ طُولاً، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ، وَعَطِيَّة، والفَرّاءِ، والزَّجّاج. **والثاني**: أنها الألوان والضُّروبُ مِنْ كلِّ شيءٍ، وهي جَمعُ فَنٍّ، وهذا قولُ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. وقال الضَّحّاكُ: ذَواتا ألوانٍ مِنَ الفاكهة. وَجَمَع عطاءٌ بين القولين، فقال: في كلِّ غُصنٍ فُنونٌ مِنَ الفاكهة.

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تجريان بالماءِ الزُّلالِ، إحداهما: السَّلْسَبِيلُ، والأُخرى: التَّسْنِيمُ. وقال عَطِيَّةُ: إحداهما: مِنْ ماءٍ غيرِ آسِنٍ، والأخرى: مِنْ خمرٍ. وقال أبو بكرٍ الوَرّاقُ: فيهما عينانِ تجريانِ لِمَنْ كانت له في الدنيا عينانِ تَجْرِيَانِ مِنَ البكاء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي: صِنفانِ ونوعانِ. قال المُفسِّرون: فيهما مِنْ كلِّ ما يُتفكَّه به نوعانِ، رَطْبٌ ويابسٌ، لا يَقصُرُ أحدُهما عن الآخرِ في فَضْلِه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ هذا حالُ المذكورين ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾ جمعُ فِراشٍ ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بِطانَةٍ، وهي التي تحتَ الظِّهارَةِ. وقال أبو هُريرَةَ: هذه البَطائِنُ، فما ظَنُّكم بالظَّهائِرِ؟! وقال ابنُ عباسٍ: إنما تركَ وَصفَ الظواهر، لأنه ليس أحدٌ يعلَمُ ما هي. وقال قَتادَةُ: البَطائِنُ: هي الظواهر بِلُغةِ قوم. وكان الفَرّاءُ يقول: قد تكون البِطانَةُ ظاهرةً، والظِّهارَةُ باطنةً، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما قد يكون وجهاً، والعرب تقول: هذا ظَهْرُ السماء، وهذا بَطْنُ السماء، لِظاهرِها، وهو الذي تراه، وقال ابنُ الزُّبيرِ يَعيب قَتَلةَ عُثمانَ: خرجوا عليه كاللصوص مِنْ وراءِ القرية، فقتَلَهُم اللَّهُ كلَّ قِتلَةٍ، ونَجا مَنْ نَجا منهم تحتَ بُطونِ الكواكبِ. يعني هربوا ليلاً؛ فجعَلوا ظهورَ الكواكب بُطوناً، وذلك جائزٌ في العربيَّة. وأنكرَ هذا القولَ ابنُ قُتَيبةَ جدّاً، وقال:

إنما أرادَ اللَّهُ أنْ يُعرِّفنا ـ مِنْ حيثُ نفهم ـ فَضْلَ هذه الفُرش وأنَّ ما وَلِيَ الأرضَ منها إستَبْرَقٌ، وإذا كانت البطانَةُ كذلك، فالظِّهارةُ أعلى وأشرَفُ. وهل يجوز لأحدٍ أنْ يقولَ لِوجهِ مُصَلٍّ: هذا بِطانَتُه، ولِمَا وَلِيَ الأرضَ منه: هذا بِطانَتُه؟! وإنما يجوز هذا في ذي الوجهين المُتساوِيَيْنِ، تقول لِمَا وَلِيَكَ مِنَ الحائط: هذا ظَهْرُ الحائط، ويقول جارُكَ لِمَا وَلِيَه: هذا ظَهْرُ الحائط، وكذلك السماءُ ما وَلِينَا منها: ظَهْرٌ، وهي لِمَن فَوْقَها: بَطْنٌ. وقد ذكرنا الإِستَبْرَق في سورة الكهف[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: ما يُجتنَى قريبٌ لا يُعَنِّي الجانِي.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قد شرحناه في الصَّافَّات[2]. وفي قوله: «فِيهِنَّ» قولان: **أحدهما**: أنها تعود إلى الجَنَّتَين وغيرِهما ممَّا أُعِدَّ لصاحبِ هذه القِصَّة، قاله الزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنها تعود إلى الفُرُشِ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيْسابُوريُّ.

قوله عز وجَل: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قرأ الكِسَائيُّ بضمِّ الميم، والباقون بكَسرِها، وهما لُغتان: يَطْمِثُ ويَطْمُثُ، مثل يَعْكِفُ ويَعْكُفُ. وفي معناه قولان: **أحدهما**: لم يَفْتَضَّهُنَّ؛ والطَّمْثُ: النِّكاح بالتَّدمِيَةِ، ومنه قيلَ للحائضِ: طامِثٌ، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: لَمْ يَمْسَسْهُنَّ؛ يُقال: ما طَمَثَ هذا البعيرَ حَبْلٌ قط، أي: ما مَسَّه، قاله أبو عُبيدَةَ. قال مُقاتِلٌ: وذلك لأنهنَّ خُلِقْنَ مِنَ الجَنَّة؛ فعَلَى قوله، هذا صِفةُ الحُورِ. وقال الشَّعْبيُّ: هُنَّ مِنْ نساء الدنيا لَمْ يَمْسَسْهُنَّ مُذْ أُنشِئْنَ خَلْقٌ. وفي الآية دليلٌ على أنَّ الجِنِّيَّ يَغْشَى المرأةَ كالإِنسيِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال قَتادَةُ: هُنَّ في صفاءِ الياقُوتِ وبياضِ المَرْجانِ. وذكر الزَّجَّاجُ أنَّ أهلَ التفسير وأهلَ اللغة قالوا: هُنَّ في صفاء الياقُوتِ وبياضِ المَرْجانِ، والمرجان: صِغارُ اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضاً. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللغوي قال: «الياقوتُ» فارسيٌّ معرَّبٌ، والجمع «اليَواقِيت»، وقد تكلَّمتْ به العربُ، قال مالكُ بنُ نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعيّ:

لَنْ يُذْهِبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قَدْ حُبِيتَ بِهِ ... مِنَ الزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ والذَّهَبِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ قال الزَّجَّاجُ، أي: ما جزاءُ مَنْ أحسنَ في الدنيا إلاَّ أنْ يُحسَنَ إليه في الآخرة. وقال ابنُ عباسٍ: هل جزاءُ مَنْ قال: «لا إلهَ إلاَّ الله» وعَمِلَ بما جاء به محمَّدٌ ﷺ إلاَّ الجنَّةُ. وروَى أنسُ بن مالكٍ قال:

[١٣٨٥] قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ، وقال: «هل تَدرُونَ ما قال ربُّكم»؟ قالوا: اللَّهُ ورسُولُه أعلمُ، قال: «فإنَّ ربَّكُم يقول: هل جزاءُ مَنْ أنْعمْنا عليه بالتوحيدِ إلاَّ الجنَّةُ»؟!

[١٣٨٥] ضعيف. أخرجه البغوي ٢٠٩٤ من حديث أنس، وفي إسناده بشر بن الحسين، وهو منكر الحديث كما قال البخاري وغيره، لكن له شاهد أمثل منه إسناداً. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٢٧ من طريق إسحاق بن إبراهيم بن بهرام بهذا الإسناد. وأخرجه أبو نعيم في «تاريخ أصفهان» ١/ ٢٣٣ من طريق الحجاج بن يوسف به. وله شاهد من حديث ابن عمر، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٤٢٧ وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن محمد الكوفي، وبه أعلّه البيهقي حيث قال عنه: منكر.

---

(١) الكهف: ٣١. (٢) الصافات: ٤٨.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال الزَّجَّاج: المعنى: ولِمَنْ خاف مَقامَ ربِّه جنَّتانِ، وله مِنْ دُونِهما جنَّتانِ. وفي قوله: «ومِنْ دُونِهما» قولان: **أحدهما**: دُونهما في الدَّرجِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: دُونهما في الفَضْلِ، كما رَوى أبو موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

[١٣٨٦] «جَنَّتانِ مِنْ ذهبٍ وجَنَّتان مِنْ فِضَّةٍ»؛ وإلى نحو هذا ذهب ابنُ زيدٍ، ومُقاتلٌ.

قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وابنُ الزُّبير: خَضْرَاوانِ مِنَ الرِّيِّ. وقال أبو عبيدة: من خضرتهما قد اسودتا. قال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تضربُ خُضرتُهما إلى السَّوادِ، وكلُّ نَبْتٍ أخضرَ فتمامُ خُضرتِه وريِّهِ أنْ يَضربَ إلى السَّوادِ. قوله تعالى: ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: فَوَّارتانِ. وقال ابنُ قُتيبةَ: تَفُورانِ، و «النَّضْخ» أكثرُ مِنَ «النَّضْح». وفيما يَفُورانِ به أربعةُ أقوالٍ: **أحدهما**: بالمِسْكِ والكافُورِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: بالماء، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: بالخيرِ والبَركةِ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: بأنواعِ الفاكهة، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ قال ابنُ عباس: نَخلُ الجَنَّة: جُذوعُها زُمرُّدٌ أخضَرُ، وكَرَبُها: ذهبٌ أحمرُ، وسَعَفها: كُسوَةُ أهلِ الجنَّةِ، منها مُقطَّعاتُهم وحُلَلُهم. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: نَخلُ الجنَّةِ: جُذوعُها مِنْ ذهبٍ، وعُروقُها مِنْ ذهبٍ، وكَرانيفُها مِنْ زُمرُّدٍ، ورُطَبُها كالدِّلاءِ أشدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ، وألْيَنُ مِنَ الزُّبد، وأحلى مِنَ العَسلِ، ليس له عَجَمٌ. قال أبو عُبَيدٍ: الكَرانيفُ: أصولُ السَّعَفِ الغِلاظ، الواحدة: كرْنافَة. وإنما أعادَ ذِكرَ النَّخلِ والرُّمَّانِ ـ وقد دَخلا في الفاكهة ـ لبيانِ فَضْلِهما كما ذكرنا في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾(١)، هذا قولُ جمهور المُفسِّرين واللُّغويِّين. وحكى الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ أنَّ قوماً قالوا: ليْسَا مِنَ الفاكهة؛ قال الفرَّاءُ: وقد ذهبوا مذهباً، ولكنَّ العرب تجعلهما فاكهةً. قال الأزهريُّ: ما علمتُ أحداً مِنَ العرب قال في النَّخيل والكروم وثمارِها: إنها ليست مِنَ الفاكهة،

[١٣٨٦] صحيح. أخرجه البخاري ٧٤٤٤ من حديث أبي موسى. وأخرجه البخاري ٤٨٧٨ و ٤٨٨٠ ومسلم ١٨٠ والترمذي ٢٥٢٨ وابن ماجة ١٨٦ وابن أبي عاصم في «السنة» ٦١٣ وأحمد ٤/ ٤١١ والدولابي في «الكنى» ٢/ ٧١ وابن أبي داود في «البعث» ٥٩ وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٦ وابن حبان ٧٣٨٦ والبيهقي في «الاعتقاد» ص ١٣٠ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٧٥ والذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧٠ من طرق عن عبد العزيز بن عبد الصمد به. وأخرجه أحمد ٤/ ٤١٦ وابن أبي شيبة ٣/ ١٤٨ والدارمي ٢/ ٣٣٣ والطيالسي ٥٢٩ وابن مندة في «التوحيد» ٧٨١ من طريق أبي قدامة الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني به وأتم منه.

---

(١) البقرة: ٩٨.

وإنما قال مَنْ قال، لِقلّة عِلْمِه بكلام العرب، فالعربُ تذكرُ أشياءَ جُملةً ثم تخُصُّ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فَضْلٍ فيه، كقوله: «وجبريلَ وميكالَ»؛ فمَنْ قال: ليْسا مِنَ الملائكة كَفَرَ، ومَنْ قال: ثمرُ النَّخلِ والرُّمانِ ليس مِنَ الفاكهة جَهِلَ. قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجنانِ الأربعِ ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ يعني الحوَرَ. وقرأ معاذٌ القارئُ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُ، وأبو نَهِيْكٍ: «خَيِّرَاتٌ» بتشديد الياء. قال اللغويون: أصله «خَيِّراتٌ» بالتشديد، فخُفِّفَ، كما قيلَ: هَيِّن وهَيْن، ولَيِّن ولَيْن.

[١٣٨٧] ورَوَتْ أُمُّ سَلَمَة عن النبيِّ ﷺ قال «خَيْراتُ الأخلاقِ حِسانُ الوُجوهِ».

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قد بيَّنّا في سُورَةِ الدُّخان(١) معنى الحُوْرِ.

وفي المَقصُورَاتِ قولان: **أحدهما**: المَحبُوساتُ في الحِجَالِ، قاله ابنُ عباسٍ، وهو مذهب الحَسنِ، وأبي العَاليةِ، والقُرَظيّ، والضَّحّاكِ، وأبي صالح. **والثاني**: المَقصُورَاتُ الطَّرْفِ على أزواجهنَّ، فلا يَرفَعْنَ طَرْفاً إلى غيرهم، قاله الرَّبيعُ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. والأولُ أصحُّ، فإنَّ العرب تقول: امرأةٌ مَقْصورةٌ وقَصِيرةٌ وقَصُورَة: إذا كانت مُلازِمةً خِدْرَها، قال كُثَيِّرٌ:

لَعَمْرِي لقَدْ حبَّبْتِ كلَّ قصيرةٍ ... إليَّ، وما تَدْرِي بذاكَ القَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الحِجَالِ، ولَمْ أرِدْ ... قِصَارَ الخُطى، شَرُّ النِّساءِ البَحَاتِرُ

وبعضُهم يُنشده: قَصُورَة، وَقَصُورات؛ والبَحاتِرُ: القِصارُ.

وفي «الخِيام» قولان: **أحدهما**: أنها البيوت. **والثاني**: خِيامٌ تُضافُ إلى القصورِ.

[١٣٨٨] وقد رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في الصَّحيحين مِنْ حديث أبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ للمؤمِنِ في الجنَّةِ لَخَيْمةً مِنْ لُؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طُولُها في السماء سِتُّونَ مِيلاً، للمؤمنِ فيها أهْلُونَ يَطوفُ عليهم المؤمنُ، فلا يرى بعضُهم بعضاً».

وقال عمرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه وابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ: الخِيامُ: دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وقال ابنُ عباسٍ: الخَيْمةُ لؤلؤةٌ واحدةٌ أربعةُ فَراسِخَ في أربعةِ فَراسِخَ، لها أربعةُ آلافِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذهبٍ.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾، وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُ، وابنُ مُحيصنٍ: «على رَفارِفَ» جمعٌ غير مَصرُوفٍ. وقرأ الضَّحَّاكُ، وأبو العَاليةِ، وأبو عِمرانَ الجَوْني مِثلَهم، إلاَّ أنهم

[١٣٨٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣١٧٢ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٢٩ من طريقين عن عمرو بن هاشم عن سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، وإسناده ضعيف لضعف سليمان. أم الحسن اسمها خَيْرة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١١٨ ـ ١١٩ وأعلّه بسليمان بن أبي كريمة، فقال: ضعفه ابن عدي، وأبو حاتم.

[١٣٨٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٧٩ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٧٥ عن محمد بن المثنى به. وأخرجه مسلم ٢٨٣٨ح ٢٤ والترمذي ٢٥٢٨ وأحمد ٤/ ٤١١ وابن حبان ٧٣٩٥ من طرق عن عبد العزيز بن عبد الصمد به. وأخرجه البخاري ٣٢٤٣ ومسلم ٣٨٢٨ وأحمد ٤/ ٤٠٠ و ٤١٩ والدارمي ٢/ ٣٣٦ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٠٦ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٢٩ والبيهقي في «البعث» ٣٠٣ من طرق عن أبي عمران الجوني به.

---

(١) الدخان: ٥٤.

صَرَفوا «رفارِف» قال ثعلَبٌ: إنما لم يَقُلْ: أخضر، لأنَّ الرَّفرفَ جمعٌ، واحدَتُه: رَفرَفة، كقوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾(١) ولم يَقُلْ: الخُضْر، لأنَّ الشجر جمعٌ، تقول: هذا حَصىً أبيضُ، وحَصىً أسودُ، قال الشاعر:

أحَقّاً عِبادَ اللّهِ أنْ لستُ ماشِياً ... بِبهرَجابَ ما دامَ الأراكُ به خُضْرا

واختلف المُفسِّرون في المراد بالرَّفرَفِ على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: فُضولُ المجالِسِ والبُسُطِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقال أبو عُبيدَةَ: هي: الفُرُشُ والبُسطُ. وحكى الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبة: أنها المجالسُ. وقال النَّقَّاشُ: الرَّفرَف: المجالسُ الخُضْرُ فوقَ الفُرُشِ. **والثاني**: أنها رياضُ الجنَّةِ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ رِياضُ الجنَّةِ: خَضراءُ مُخصِبةٌ. **والثالث**: أنها الوسائِدُ، قاله الحَسنُ.

قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها الزَّرَابيُّ، قاله ابنُ عباسٍ، وعطاءٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ، وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ: العَبقَريُّ: الطَّنافِس الثِّخانُ. قال أبو عُبيدَةَ: يُقال لكلِّ شيءٍ مِنَ البُسطِ: عَبقَريّ. **والثاني**: أنه الدِّيباجُ الغليظُ، قاله مُجاهِدٌ. قال الزَّجَّاجُ: أصلُ العَبقريِّ في اللغة أنه صِفةٌ لكلِّ ما بُولِغَ في وَصْفِه، وأصلُه أنَّ عَبقَرَ: بلدٌ كان يُوشى فيه البُسطُ وغيرُها، فنُسِبَ كلُّ شيءٍ جيِّدٍ إليه، قال زُهيرٌ:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبقَرِيَّةٌ ... جَدِيرونَ يَوْماً أنْ يَنالوا فَيَسْتَعْلُوا

وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ وابنُ مُحَيصِنٍ: «وعَباقِرِيَّ» بألِفٍ مكسورةِ القاف مفتوحةِ الياء مِنْ غير تنوينٍ؛ قال الزَّجَّاجُ: لا وجهَ لهذه القراءة في العربية، لأنَّ الجمعَ الذي بعد ألفِهِ حرفان، نحو: مساجِد ومصابِح، لا يجوز أنْ يكونَ فيه مثل عباقِرِي، لأنَّ ما جاوزَ الثلاثةَ لا يُجمَعُ بياءِ النَّسبِ، فلو جمعتَ «عبقريّ» فإنَّ جمعَهُ «عباقِرة»، كما أنكَ لو جمعتَ «مُهلَّبي» كان جمعُه «مَهالِبة»، ولم تَقُلْ: «مَهالِبي»، قال: فإنْ قيلَ «عبقريّ» واحدٌ، و «حِسَان» جمعٌ، فكيف جازَ هذا؟ فالأصلُ أنَّ واحدةَ هذا «عبقرية» والجمعُ «عبقري»، كما تقول: ثَمرة وثَمَر، ولَوْزة ولَوْز، ويكون أيضاً «عبقري» اسماً للجنسِ. وقرأ الضَّحَّاكُ وأبو العَاليَة وأبو عِمرَانَ: «وعَباقِرِيٍّ» بألفٍ مع التنوين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ ذِكرَ «الاسم» صِلَةٌ، والمعنى: تبارَكَ ربُّكَ. **والثاني**: أنه أصلٌ، قال ابنُ الأنباري: المعنى: تَفاعَلَ مِنَ البَرَكَة، أي: البَركةُ تُكتَبُ وتُنالُ وتكسب بِذِكْرِ اسمِه. وقد بَيَّنا معنى «تبارَكَ» في «الأعْراف»(٢)، وذَكَرنا في هذه السُّورَةِ معنى ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٣)، وكان ابنُ عامرٍ يقرأ: «ذو الجَلال» وكذلك هي في مَصاحفِ أهلِ الشَّام؛ والباقون: «ذي الجَلال» وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ الحِجَازِ والعراقِ، وهم مُتَّفِقون على المَوضعِ الأولِ أنه «ذو».

---

(١) يس: ٨٠. (٢) الأعراف: ٥٤. (٣) الرحمن: ٢٧.

ترتيبها ٥٦

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

آياتها ٩٦

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكِّيَّةٌ، قاله الأكثرون، منهم ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعطاءٌ وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وجابرٌ، ومُقاتِلٌ، وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ أنَّ فيها آية مدنيَّة وهي قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، رَواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيّ: لمَّا قال المشركون: متى هذا الوعدُ، متى هذا الفَتْحُ؟! نَزَلَ قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُ فالمعنى: يكون إذا وَقعتْ. قال المُفسِّرون: والواقِعة: القيامة، وكلّ آتٍ يتوقَّع يُقال له إذا كان: قد وَقعَ، والمراد بها هاهنا: النَّفخةُ في الصُّورِ لقيام الساعة. ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ أي لِمَجيئها وظهورها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: كَذِبٌ، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[1] أي: لَغواً. قال الزَّجّاجُ: و«كاذبة» مصدر، كقولكَ؛ عافَاهُ الله عافيةً، وكَذَبَ كذبةً، فهذه أسماء في موضع المصدر. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: لا رَجعَةَ لها ولا ارتدادَ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: ليس الإِخبارُ عن وقوعِها كَذِباً، حكاه المَاوَرديُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَافِضَةٌ﴾ أي: هي خافِضَةٌ ﴿رَّافِعَةٌ﴾ وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وأبو العَاليةِ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيْوَةَ، واليَزيدِيُ في اختياره: «خافِضةً رافعةً» بالنَّصب فيهما. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنها خَفضَتْ فأسمعتِ القريبَ، ورَفَعَتْ فأسمعَتِ البعيدَ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الواقعة صَيحَةُ القيامة. **والثاني**: أنها خَفضَتْ ناساً، ورَفعَتْ آخرين، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. قال المفسِّرون: تَخْفِضُ أقواماً إلى أسفل السَّافِلينَ في النَّارِ، وتَرفَعُ أقواماً إلى عِلّيِّينَ في الجنَّةِ.

---

(١) الغاشية: ١١.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: حُرِّكَتْ حركةً شديدةً وزُلْزِلَتْ، وذلك أنها تَرْتَجُّ حتى يتهدَّمَ ما عليها مِنْ بناءٍ، ويَتَفَتَّتَ ما عليها مِنْ جبلٍ. وفي ارتجاجِها قولان: **أحدهما**: أنه لإِماتَةِ مَنْ عليها مِنَ الأحياء. **الثاني**: لإِخراجِ مَنْ في بَطْنِهَا مِنَ الموتى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فُتِّتَتْ فَتًّا، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال مُجاهِدٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فُتَّتْ حتى صارت كالدَّقيقِ والسَّويقِ المَبْسُوسِ. **والثاني**: لُتَّتْ، قاله قَتَادَةُ: وقال الزَّجَّاجُ: خُلِطَتْ ولُتَّتْ. قال الشاعر:

لا تَـخْـبِـزَنْ خَـبْـزاً وبُـسَّ بَـسَّـا

وفي «الهَباء» أقوالٌ قد ذكرناها في الفُرقان[1]. وذكر ابنُ قُتَيبةَ أنَّ الهَباءَ المُنْبَثَّ: ما سَطَعَ مِنْ سَنابِكِ الخَيلِ، وهو مِنَ «الهَبْوَة»، والهَبة: الغُبار. والمعنى: كانت تُراباً مُنتشراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾. ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ وفيهم ثمانيةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنهم الذين كانوا على يمينِ آدمَ حين أُخرِجَتْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ صُلْبِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الذين يُعْطَون كتبهم بأيمانهم، قاله الضحاك والقرظي. **والثالث**: أنهم الذين كانوا مَيامِيْنَ على أنفُسِهم، أي: مُبارَكِينَ، قاله الحسَنُ والرَّبيعُ. **والرابع**: أنهم الذين أُخِذوا مِنْ شِقِّ آدمَ الأيمنِ، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. **والخامس**: أنهم الذين مَنزلَتُهم عن اليمين، قاله مَيمونُ بنُ مِهْرَانَ. **والسادس**: أنهم أهلُ الجنَّةِ، قاله السُّدِّيُّ. **والسابع**: أنهم أصحابُ المنزلةِ الرَّفيعةِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثامن**: أنهم الذين يُؤخَذُ بهم ذاتَ اليمينِ إلى الجنَّةِ، ذَكَرَهُ عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ قال الفَرَّاءُ: عَجَّبَ نبيَّهُ ﷺ منهم؛ والمعنى: أيُّ شيءٍ هُمْ؟! قال الزَّجَّاجُ: وهذا اللفظ في العربية مَجراهُ مجرى التَّعجُّبِ، ومَجرَاهُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ في مُخاطبةِ العباد ما يَعظُمُ به الشأنُ عندهم، ومِثلُه: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾[3]، ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[4]؛ قال ابنُ قُتَيبةَ: ومِثلُه أنْ تقولَ: زَيدٌ ما زَيدٌ أيُّ رجُلٍ هو! ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: أصحابُ الشِّمالِ، والعرب تُسمِّي اليدَ اليُسرى: الشُّؤمَى، والجانبَ الأيسرَ؛ الأَشأم، ومنه قيل: اليُمنُ والشُّؤمُ، فاليُمنُ: كأنه ما جاء عن اليمينِ، والشُّؤم ما جاء عن الشِّمالِ، ومنه سُمِّيت اليَمن و«الشَّأم» لأنها عن يمينِ الكعبةِ وشِمالِها. قال المفسِّرون: أصحابُ المَيمَنَةِ: هم الذين يُؤخَذُ بهم ذاتَ اليمينِ، ويُعطَون كُتبَهُم بأيمانِهم؛ وتفسيرُ أصحاب المَشأَمةِ على ضدِّ تفسير أصحاب المَيمَنَةِ سواء،

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٣٥: وقوله: **﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾** أي: ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال. وهم عامّة أهل النار ـ عياذاً بالله من صنيعهم ـ وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله: **﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾** وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه. اهـ.

(٣) الحاقة: ٢. (٤) القارعة: ٢.

والمعنى: أيُّ قومٍ هم؟! ماذا أُعِدَّ لهم مِنَ العذاب؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فيهم خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أُمَّة، قاله الحسن، وقتادة. **والثاني**: أنهم الذين صَلُّوا إلى القِبْلَتَيْنِ، قاله ابنُ سِيْرِينَ. **والثالث**: أهلُ القرآن، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: الأنبياء، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والخامس**: السَّابقون إلى المساجدِ وإلى الخروجِ في سبيلِ الله، قاله عُثمَانُ بنُ أبي سَوْدَةَ. وفي إعادةِ ذِكْرِهم قولان: **أحدهما**: أنَّ ذلك للتوكيد. **والثاني**: أنَّ المعنى: السَّابقون إلى طاعةِ الله تعالى هم السَّابقون إلى رحمةِ الله، ذكرهما الزَّجَّاجُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ قال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: يعني عندَ الله في ظِلِّ عَرشِه وجِوارِه.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ الثُّلَّة: الجماعةُ غيرُ محصورةِ العددِ. وفي الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الأوَّلين: الذين كانوا مِنْ زمن آدمَ إلى زمنِ نبيِّنا ﷺ، والآخِرِيْنَ: هذه الأُمَّةُ. **والثاني**: أنَّ الأوَّلين: أصحابُ رسولِ الله ﷺ، والآخِرِيْنَ: التَّابعون. **والثالث**: أنَّ الأوَّلين والآخِرِينَ: مِنْ أصحاب نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ. فعَلَى الأولِ يكون المعنى: إنَّ السَّابقين جماعةٌ مِنَ الأُمَمِ المُتقدِّمةِ الذين سبقوا بالتصديق لأنبيائِهم مَنْ جاء بعدَهُم مؤمناً، وقليلٌ مِنْ أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، لأنَّ الذين عايَنُوا الأنبياءَ أجمعين وصَدَّقوا بهم أكثرُ مِمَّنْ عايَنَ نَبيَّنا وصَدَّقَ به. وعلى الثاني: أنَّ السَّابقين: جماعةٌ مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الأوَّلون مِنَ المهاجرين والأنصار، وقليلٌ مِنَ التابعين وهم الذين اتَّبعوهم بإحسانٍ. وعلى الثالث: أنَّ السَّابقين: الأوَّلُون مِنَ المهاجرين والأنصار، وقليلٌ مِمَّنْ جاء بعدَهُم لِعَجزِ المُتأخِّرِيْنَ أنْ يلحقوا الأوَّلِينَ، فقليلٌ منهم مَنْ يُقارِبُهم في السَّبْقِ. وأمَّا «المَوْضُونَة»، فقال ابنُ قُتَيبة: هي المَنْسُوجَةُ، كأنَّ بعضَها أُدخِلَ في بعضٍ، أو نُضِّدَ بعضُها على بعضٍ، ومنه قِيلَ للدِّرْعِ: مَوْضُونَة، ومنه قيلَ: وَضِينُ النَّاقةِ، وهو بِطانٌ مِنْ سُيُورٍ يُدْخَل بعضُه في بعضٍ. قال الفَرَّاءُ: سمعتُ بعضَ العرب يقول: الآجُرُّ مَوضُونٌ بعضُه على بعضٍ، أي: مَسْرُوحٌ، وللمُفسِّرين في معنى «مَوْضُونَةٍ» قولان: **أحدهما**: مَرمُولَةٌ بالذهبِ؛ رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وقال عِكرِمَةُ: مُشَبَّكَةٌ بالدُّرِّ والياقوتِ، وهذا معنى ما ذكرناه عن ابنِ قُتَيبةَ، وبه قال الأكثرون. **والثاني**: مَصفُوفَةٌ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وما بعدَ هذا ما تقدَّمَ بيانُه[1] إلى قوله: ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الوِلْدان: الغِلْمان. وقال الحسَنُ البَصْريُّ: هؤلاءِ أطفالٌ لم يكن لهم حسناتٌ فيُجزَون بها، ولا سيِّئاتٌ فيُعاقَبُون عليها، فُوضِعوا بهذا الموضع. وفي المُخَلَّدِينَ قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ الخُلْدِ، والمعنى: أنهم مُخَلَّدون للبقاءِ لا يَتغيَّرون، وهم على سِنٍّ واحدٍ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تقول للإنسان إذا كَبِرَ ولم يَشْمَطْ[2]، أو لم تذهب أسنانه عن

---

(١) الكهف: ٣٠.

(٢) في «القاموس»: الشمط: الشيب.

الكِبَر: إنه لَمُخلَّد، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنهم المُقرَّطون، ويُقال: المُسوَّرون، ذكره الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ، وأنشدوا في ذلك:

ومُخَلَّداتٌ باللُّجَيْنِ كأنَّما أعجازُهُنَّ أقاوزُ الكُثبانِ[1]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الكُوب: إناءٌ لا عُروةَ له ولا خُرطومَ، وقد ذكرناه في الزُّخرُف[2]، والأباريقُ: آنيةٌ لها عُرىً وخَراطيمُ؛ وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللغوي قال: الإبريقُ: فارسيٌّ مُعرَّبٌ، وترجمَتُه مِنَ الفارسيَّةِ أحدُ شيئين؛ إمَّا أنْ يكونَ: طريق الماءِ، أو: صبَّ الماءِ على هِينَتِهِ، وقد تكلَّمَتْ به العربُ قديماً، قال عَدِيُّ بنُ زيدٍ:

ودَعا بالصَّبُوحِ يوماً فجاءَتْ قَيْنَةٌ في يمينِها إبريقُ

وباقي الآية في «الصَّافَّات»[3].

قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يَلْحَقُهم الصُّداعُ الذي يَلحَقُ شاربي خمرِ الدنيا. و«عنها» كنايةٌ عن الكأسِ المذكورةِ، والمراد بها: الخَمرُ، وهذا قولُ الجمهور. **والثاني**: لا يَتفرَّقون عنها، مِنْ قولِكَ: صَدَّعْتُه فانصَدَعَ، حكاه ابنُ قُتَيبةَ. قوله «ولا يُنزِفُونَ» مُفسَّرٌ في «الصَّافَّاتِ»[4].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يختارون، تقول: تَخيَّرتُ الشيءَ: إذا أخذْتَ خيرَهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يَخطُر على قلبِه الطَّيرُ، فيصير مُمَثَّلاً بين يديه على ما اشتُهِيَ. وقال مُغيثُ بنُ سُمَيّ: يقع على أغصانِ شجرةِ طُوبَى كأمثالِ البُخْتِ. فإذا اشتهى الرجلُ طيراً دعاهُ، فيجيء حتى يقعَ على خِوَانِه، فيأكلُ مِنْ أحدِ جانِبَيْهِ قَدِيْدًا والآخرِ شِواءً، ثم يعود طيراً فيطيرُ فيذهب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وعاصم ونافعٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ: «وحُورٌ عِينٌ» بالرفع فيهما. وقرأ أبو جعفرَ وحمزةُ والكِسائيُّ والمفضَّلُ عن عاصمٍ: بالخَفضِ فيهما. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعْبٍ وعائشةُ وأبو العَاليةِ وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ: «وحُوراً عيناً» بالنَّصبِ فيهما. قال الزَّجَّاجُ: والذين رَفَعوا كَرِهوا الخفضَ، لأنه معطوفٌ على قوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، قالوا: والحُورُ ليس مما يُطافُ به، ولكنه مخفوضٌ على غيرِ ما ذهب إليه هؤلاءِ لأنَّ المعنى: يَطوفُ عليهم وِلْدَانٌ مُخلَّدون بأكوابٍ يُنعَّمون بها، فكذلك يُنعَّمون بلحم طيرٍ، وكذلك يُنعَّمون بحُورٍ عِينٍ، والرفعُ أحسنُ، والمعنى؛ فلَهُمْ حُورٌ عِينٌ، ومَنْ قرأ «وحُوراً عِيناً» حَمَلَه على المعنى، لأنَّ المعنى: يُعطَونَ هذه الأشياءَ ويُعطَون حُوراً عِيناً، إلاَّ أنها تُخالفُ المُصحفَ فيُكرَه. ومعنى ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ﴾ أي: صَفاؤهُنَّ وتلألؤهُنَّ شديدٌ كصَفاءِ اللُّؤلؤِ وتلألئه. والمَكنُون: الذي لم يُغيِّره الزمانُ واختلافُ أحوالٍ في الاستعمال، فهُنَّ كاللؤلؤِ حين يخرجُ مِنْ صَدَفِه. ﴿جَزَآءً﴾ منصوبٌ مفعولٌ له؛ والمعنى: يُفعَلُ بهم ذلك جزاءً بأعمالِهم، وجُوِّزَ أنْ يكونَ منصوباً على أنه مصدرٌ، لأنَّ معنى «يطوف عليهم وِلدانٌ مخلَّدون»: يُجازون جزاءً بأعمالِهم؛ وأكثرُ النَّحويِّين على هذا الوَجْهِ.

---

(١) في «القاموس» القوز: المستدير من الرمل والكثيب المشرف.
(٢) الزخرف: ٧٢. (٣) الصافات: ٤٦. (٤) الصافات: ٤٧.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قد فَسَّرنا معنى اللَّغوِ والسَّلامِ في سُورَةِ مريم[١] ومعنى التأثيمِ في الطُّور[٢] ومعنى «ما أصحابُ اليمين» في أولِ هذه السُّورَة[٣].

فإنْ قيلَ: التأثيمُ لا يُسمَع فكيف ذَكره مع المسموع؟. فالجواب: أنَّ العرب يُتْبِعون آخرَ الكلام أوَّلَه، وإنْ لم يَحسُن في أحدِهما ما يَحسُن في الآخر، فيقولون: أكلتُ خبزاً ولبناً، واللَّبَنُ لا يُؤكَل، إنما حَسُنَ هذا لأنه كان مع ما يؤكَل، قال الفَرَّاءُ: أنشدني بعض العرب:

إذا مـا الـغـانِـيـاتُ بَـرزْنَ يَـوْمـاً وَزَجَّـجْـنَ الـحَـواجِـبَ والـعُـيُـونـا

قال: والعَيْنُ لا تُزَجَّج إنما تُكَحَّلُ، فرَدَّها على الحاجبِ لأنَّ المعنى يُعْرَف، وأنشد آخر:

ولَـقِـيـتُ زَوْجَـكِ فـي الـوَغـى مُـتَـقَـلِّـداً سَـيْـفـاً ورُمْـحـا

وأنشدني:

عَـلَـفْـتُـهـا تِـبْـنـاً ومـاءً بـارداً

والماءُ لا يُعْلَف وإنما يُشْرَب، فجَعَلَه تابعاً للتِّبنِ، قال الفَرَّاءُ: وهذا هو وجهُ قراءةِ مَنْ قرأ، «وحُورٍ عِينٍ» بالخفضِ، لإتباعِ آخرِ الكلام أوَّله، وهو وجهُ العربيَّة.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ في قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[٤]. وقد رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: أصحابُ اليمينِ: أطفالُ المؤمنين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾.

[١٣٨٩] سبب نُزولِها أنَّ المسلمين نظروا إلى وَجٍّ، وهو وادٍ بالطَّائفِ مُخصِبٌ، فأعجبهم سِدْرُه. قالوا: يا ليتَ لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو العَاليةِ، والضَّحَّاكُ.

وفي المَخضُود ثلاثة أقوال: **أحدها**: أنه الذي لا شَوْكَ فيه، رواه ابنُ أبي طَلْحة عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وقَسامةُ بنُ زُهيرٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: كأنه خُضِدَ شوكه. أي: قُلِعَ.

[١٣٩٠] ومنه قول النبيِّ ﷺ في المدينة: «لا يُخضَدُ شَوكُها».

[١٣٨٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٨٠ وعزاه لأبي العالية والضحاك وهو منكر جداً، وأمارة الوضع عليه.

[١٣٩٠] ضعيف. في إسناده موسى بن عبيدة واهٍ، ويزيد منكر الحديث، وله شواهد لا تقوم بها حجة.

. أخرجه الطبري ٣٣٣٩٤ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٩٠ والبيهقي في «البعث» ٣٨٠ من طرق عن سفيان الثوري به. وأخرجه الترمذي ٣٢٩٦ والطبري ٣٣٣٩٦ و ٣٣٣٩٧ وأبو نعيم ٣٩٠ من طرق عن موسى بن عبيدة به. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان =

---

(١) مريم: ٦٢.
(٢) الطور: ٢٣.
(٣) الواقعة: ٨.
(٤) الواقعة: ٨.

والثاني: أنه المُوقَر حملاً، رواه العَوفيُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنه المُوقَر الذي لا شوكَ فيه، ذكره قَتادَةُ.

وفي الطَّلْحِ قولان: **أحدهما**: أنه الموزُ، قاله عليٌّ، وابنُ عباسٍ، وأبو هُريرَةَ، وأبو سعيدٍ الخُدْريُ، والحَسنُ، وعطاءٌ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه شجرٌ عِظامٌ كبارُ الشَّوكِ، قال أبو عُبيدَةَ: هذا هو الطَّلْحُ عند العرب، قال الحادي:

بَشَّرَها دَليلُها وقالا   غَداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والجِبالا

فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في الطَّلْحِ؟ فالجواب أنَّ له نَوْراً وريحاً طيِّبةً، فقد وَعدَهُم ما يعرفون ويميلون إليه، وإنْ لم يقع التساوي بينه وبينَ ما في الدنيا، وقال مُجاهِدٌ: كانوا يُعْجَبون بـ «وَجّ» وظِلالِه مِنْ طَلْحِه وسِدْرِه، فأمّا المَنضُودُ، فقال ابنُ قُتَيبةَ: هو الذي قد نُضِدَ بالحَمْلِ أو بالورقِ والحَمْلِ مِنْ أوّلِه إلى آخرِه، فليس له ساقٌ بارزةٌ، وقال مَسرُوقٌ: شجرُ الجنّةِ نُضِدَ مِنْ أسفلِها إلى أعلاها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: دائمٌ لا تَنسَخُه الشمسُ. ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ غيرُ مُنقطِعٍ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا مقطوعةٍ في حينٍ دونَ حينٍ، ولا ممنوعةٍ بالحِيطانِ والنَّواطيرِ إنما هي مُطْلَقةٌ لِمَنْ أرادها، هذا قولُ ابنِ عباسٍ، والحسَنِ، ومُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، ولَخَّصَهُ بعضهم فقال: لا مقطوعةٍ بالأزمانِ، ولا ممنوعةٍ بالأثمانِ. **والثاني**: لا تنقطعُ إذا جُنِيَتْ، ولا تُمْنَعُ مِنْ أحدٍ إذا أُريدَتْ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: لا مقطوعةٍ بالفَناءِ، ولا ممنوعةٍ بالفسادِ، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: أنها الحَشايا المَفروشةُ للجلوسِ والنَّوم. وفي رَفْعِها قولان: أحدهما: أنها مرفوعةٌ فوق السُّررِ. والثاني: أنَّ رفعَها: زيادةُ حَشْوِها لِيَطيبَ الاستمتاعُ بها. . **والثاني**: أنَّ المراد بالفُرُشِ: النساءُ؛ والعرب تسمِّي المرأةَ: فراشاً وإزاراً ولِباساً؛ وفي معنى رَفعِهنَّ ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنهنَّ رُفِعْنَ بالجَمالِ على نساءِ أهلِ الدنيا، والثاني: رُفِعنَ عن الأدْناسِ، والثالث: رُفِعنَ في القلوب لشِدَّة المَيْلِ إليهنَّ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ يعني النِّساء. قال ابنُ قُتَيبةَ: اكتفى بذكْرِ الفُرُشِ لأنها مَحلُّ النساءِ عن ذِكْرِهنَّ. وفي المُشارِ إليهنَّ قولان: **أحدهما**: أنهنَّ نساءُ أهلِ الدنيا المؤمناتُ؛ ثم في إنشائِهنَّ قولان: أحدهما: أنه إنشاؤهُنَّ مِنَ القبور، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: إعادَتُهنَّ بعد الشَّمَطِ والكِبَرِ صغاراً، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنهن الحُورُ العِيْنُ، وإنشاؤهُنَّ: إيجادُهنَّ عن غيرِ ولادةٍ، قاله الزَّجَّاجُ: والصواب أنْ يُقال: إنَّ الإنشاءَ عَمَّهُنَّ كُلَّهنَّ، فالحُورُ أُنشِئنَ ابتداءً، والمؤمناتُ أُنشِئنَ بالإعادة وتغييرِ الصِّفاتِ؛ وقد رَوى أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

= وموسى يضعّفان في الحديث. وورد من حديث أم سلمة، أخرجه الطبري ٣٣٤٠٢، وإسناده واهٍ، فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه غير واحد، والحسن لم يسمع من أم سلمة. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٣١٦٥ عن الحسن عن أمه عن أم سلمة، وفيه سليمان أيضاً، وهو ضعيف كما تقدم.

[١٣٩١] «إنَّ مِنَ المُنشآتِ اللاتي كُنَّ في الدنيا عجائِزَ عُمْشاً رُمصاً».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ أي: عَذارى. قال ابنُ عباسٍ: لا يأتيها زَوجُها إلاَّ وَجدَها بِكْراً. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُرُبًا﴾ قرأ الجمهور: بضمِّ الراء. وقرأ حمزةُ، وخَلَفٌ: بإسكانِ الراء؛ قال ابنُ جَريرٍ؛ هي لغةُ تَميم وبكرٍ. وللمُفسِّرين في معنى «عُرُباً» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهنَّ المُتحَبِّباتُ إلى أزواجِهِنَّ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بن جُبَيرٍ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنهنَّ العَواشِقُ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. وبه قال الحسَنُ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ، والمُبَرِّدُ، وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: الحسَنةِ التَّبعُّل، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ. **والرابع**: المُغنِّجات، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: الحسَنةُ الكلامِ، قاله ابنُ زيدٍ. فأمّا الأترابُ فقد ذكرناهُنَّ في صَ[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ هذا مِنْ نعتِ أصحاب اليمين. وفي الأوَّلين والآخِرين خلافٌ، قد سبقَ شرحُه[٢]. وقد زُعِمَ أنه لمّا أُنزلَت الآيةُ الأولى، وهي قوله: «وقليلٌ من الآخِرين» وَجدَ المؤمنون مِنْ ذلك وَجْداً شديداً حتى أُنزلَتْ «وثُلَّةٌ من الآخِرين» فنَسَخَتْها. ورُوِيَ عن عُروة بنِ رُوَيْم نحوُ هذا المعنى.

قلتُ: وادِّعاءُ النَّسخ هاهنا لا وجهَ له لثلاثةِ أوجهٍ: **أحدها**: أنَّ علماءَ النَّاسخ والمَنسُوخ لم يُوافِقوا على هذا. **والثاني**: أنَّ الكلامَ في الآيتين خبرٌ، والخبرُ لا يَدخُله النَّسخُ. فهو ها هنا لا وجه له. **والثالث**: أنَّ الثُّلَّةَ بمعنى الفِرْقَةِ والفِئة؛ قال الزَّجّاجُ: اشتِقاقُهما مِنَ القِطعة، والثَّلُّ: الكَسرُ والقَطعُ. فَعلى هذا قد يجوز أن تكونَ الثُّلَّةُ في معنى القليلِ.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ قد بيَّنّا أنه يمعنى التَّعجُّبِ مِنْ حالِهم؛ والمعنى: ما لهم، وما أُعدَّ لهم مِنَ الشَّرِّ؟! ثم بيَّنَ سُوءَ مُنقَلَبِهم فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: هو حَرُّ النّارِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ظِلٌّ مِنْ دُخانٍ. قال الفَرّاءُ: اليَحْمُوم: الدُّخانُ الأسودُ، ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فوَجْهُ الكلام الخَفضُ تَبعاً لِما قبلَهُ، ومِثلُه ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[٣]، وكذلك قولُه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾، ولو رَفعتَ ما بعدَ «لا» لَكانَ صواباً، والعرب تجعل الكريمَ

[١٣٩١] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٢٩٦ والطبري ٣٣٣٩٤ و ٣٣٣٩٧ والبيهقي في «البعث» ٣٨٠ من حديث أنس، وإسناده واه. فيه موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي، وهما ضعيفان.

---

(١) صَ: ٥٢. (٢) الواقعة: ١٣. (٣) النور: ٣٥.

تابعاً لكلِّ شيءٍ نَفَتْ عنه فعلاً يُنوى به الذَّمُّ، فتقول: ما هذه الدارُ بواسِعةٍ ولا كريمةٍ، وما هذا بسَمينٍ ولا كريم. قال ابنُ عباسٍ: لا باردِ المُدخَلِ ولا كريم المَنظرِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ أي: مُتنعِّمين في تَرْكِ أمرِ الله، فشَغلَهم تَرفُهم عن الاعتبار والتعبُّد. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ أي: يُقيمون ﴿عَلَى الْحِنثِ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشِّركُ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، والضَّحَّاكُ؛ وابنُ زيدٍ. **والثاني**: الذَّنْبُ العظيمُ الذي لا يتوبون منه، قاله مُجاهِدٌ. وعن قَتادَةَ كالقولين. **والثالث**: أنه اليَمينُ الغموسُ، قاله الشَّعْبيُ. **والرابع**: الشِّرْكُ والكُفر بالبعثِ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: الواو متحركةٌ لأنها ليست بواوِ إنما هي «وآباؤنا»، فدخلت عليها أَلِفُ الاستفهام فتُركتْ مفتوحة. وقرأ أهلُ المدينة، وابنُ عامرٍ: «أَوْ آباؤنا» بإسكانِ الواو. وقد سبقَ بيانُ ما لم نذكُرْهُ هاهنا[1] إلى قوله: ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ قرأ أهلُ المدينةِ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ: «شُرْبَ الهيم» بضمِّ الشين؛ والباقون بفَتْحِها.. وأكثرُ أهلِ نَجْدٍ يقولون: شَرْباً بالفتح، أنشدني عامَّتُهم:

تَـكْـفِـيـهِ حَـزَّةُ فِـلْـذٍ إنْ أَلَـمَّ بِـهـا ... مِنَ الشِّواءِ ويَكْفِي شَرْبَهُ الغُمَرُ[2]

وزَعم الكِسَائيُّ أنَّ قوماً مِنْ بني سَعدِ بنِ تَميم يقولون: «شِرْبَ الهيم» بالكسرِ. وقال الزَّجَّاجُ: «الشَّرْب» المصدر، و«الشُّرْب» بالضمِّ: الاسم. قالَ: وقد قيلَ: إنه مصدرٌ أيضاً. وفي «الهيم» قولان: **أحدهما**: الإبلُ العِطاشُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة والعَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة. قال ابن قتيبة: هي الإبلُ يُصيبها داءٌ فلا تَرْوَى مِنَ الماء، يُقال: بَعيرٌ أَهْيَمُ، وناقةٌ هَيْماءُ. **والثاني**: أنها الأرضُ الرَّملَةُ التي لا تَرْوَى مِنَ الماء، وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. قال أبو عُبيدَةَ: الهِيمُ: ما لا يَرْوَى مِنْ رَمْلٍ أو بعيرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ أي: رِزقُهم، ورَوى عباسٌ عن أبي عمرٍو: «نُزْلُهم» بسكونِ الزاي، أي رزقهم وطعامهم. وفي «الدِّين» قولان قد ذكرناهما في الفاتحة[3].

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي أوجَدْناكُم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تُقِرُّونَ بهذا ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاَّ ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبَعثِ؟! ثم احتجَّ على بعضِهم بالقُدرةِ على ابتدائِهم فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ما يكون منكم مِنَ المَنِيِّ، يُقال: أمنَى الرجلُ يُمْنِي، ومَنى يَمني، فيجوزُ على هذا «تَمنون» بفتح التاء إنْ ثَبتَتْ به روايةٌ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ أي تخلُقون ما تُمْنُون بَشَراً؟! وفيه تنبيهٌ على شيئين: **أحدهما**: الامتِهانُ: إذْ خُلِقَ مِنَ الماء المَهينِ بَشَراً سويّاً. **والثاني**:

---

(١) هود: ١٠٣ والصافات: ٦٢ والأنعام: ٧٠.
(٢) البيت لأعشى باهلة، كما في «جمهرة أشعار العرب» ٢٥٤، وفي «القاموس»: الحزة: **ما قطع من اللحم طولاً**. والفِلْذُ: كبد البعير. والغمور: قدح صغير والغَمْرُ: الماء الكثير.
(٣) الفاتحة: ٣.

أنَّ مَنْ قدَرَ على خَلْقِ ما شاهدتُموه مِنْ أصلِ وجودِكُم كان أقدرَ على خَلْقِ ما غابَ عنكم مِنْ إعادَتِكم. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «قَدَرْنا» بتخفيفِ الدال. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: قَضينا عليكم بالموتِ. **والثاني**: سَوَّينا بينكم في الموتِ. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنْ أردنا أنْ نَخلُقَ خَلْقاً غيرَكم لا يَسبِقُنا سابقٌ، ولا يَفوتُنا ذلك. قال ابنُ قُتَيبةَ: لسنا مغلوبين على أنْ لم نَستبدلَ بكم أمثالَكُم. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: نُبدِّلُ صفاتِكم ونَجعَلُكم قِردةً وخنازيرَ كما فعلنا بمَنْ كان قبلَكُم. قاله الحسَنُ. **والثاني**: نُنشِئكُم في حَواصلِ طيرٍ سُودٍ تكون بـ «برهوت» كأنها الخَطاطِيفُ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والثالث**: نَخلُقكم في أيِّ خَلْقٍ شِئْنا، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: نَخلُقكم في سِوى خَلْقِكُم، قاله السُّدِّيُّ. قال مُقاتِلٌ: نَخلُقُكم سِوى خَلْقِكُم في ما لا تعلمون مِنَ الصُّوَرِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهي ابتداءُ خَلْقِكم مِنْ نُطفةٍ وعَلَقةٍ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلاً تعتبرون فتعلموا قُدرة الله فتُقِرُّوا بالبَعثِ.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ أي: ما تعملون في الأرضِ مِنْ إثارتِها، وإلقاءِ البذرِ فيها، ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: تُنبِتونه؟! وقد نبَّه هذا الكلامُ على أشياءَ منها إحياءُ الموتى، ومنها الامتِنانُ بإخراجِ القُوتِ، ومنها القُدرةُ العظيمةُ الدالةُ على التوحيد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ﴾ يعني الزَّرعَ ﴿حُطَٰمًا﴾ قال عطاءٌ: تِبْناً لا قمحَ فيه. وقال الزَّجَّاجُ: أبطَلْناه حتى يكون مُنحَطِماً لا حِنطَةَ فيه، ولا شيءَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرأ الشَّعبيُّ وأبو العاليةِ وابنُ أبي عَبلة: «فظِلْتُم» بكسرِ الظاء؛ وقد بيَّنَّاه في قوله: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾(١). قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ وابنُ السَّمَيفَعِ والقاسِمُ بنُ محمَّدٍ وعروة: «تفكَّنون» بالنون. وفي المعنى أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: تَعَجَّبون، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وعَطاءٌ ومُقاتِلٌ. قال الفَرَّاءُ: تتعجَّبون مما نَزَل بكم في زَرْعِكم. **والثاني**: تَنَدَّمون، قاله الحَسَنُ والزَّجَّاجُ. وعن قَتادةَ كالقولين. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال «تفكَّهون»: تَنَدَّمون، ومثلها: تفكَّنونَ، وهي لُغةٌ لِعُكْلٍ. **والثالث**: تُلاومون، قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: تَتفجَّعون، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: تقولون: قد غُرِمْنا وذهبَ زَرعُنا. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «لَمُغْرَمونَ» أي: لَمُعَذَّبون. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمْنا ما كنَّا نطلبُ مِنَ الرَّيعِ في الزَّرعِ. وقد نبَّه بهذا على أمرين: **أحدهما**: إنعامُه عليهم إذْ لم يجعلْ زرعَهم حُطاماً. **والثاني**: قُدرتُه

---

(١) طه: ٩٧.

على إهلاكِهم كما قَدرَ على إهلاكِ الزَّرعِ. فأمَّا المُزنُ، فهي السَّحابُ، واحدتها: مُزنَةٌ. وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله: ﴿ٱلَّتِي تُورُونَ﴾ قال أبو عُبيدَة: أي تستخرجون، مِنْ أَوْرَيتُ، وأكثر ما يُقال: وَرَيتُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: «تورون» أي: تقدَحُون، تقول: أَورَيتُ النَّارَ: إذا قَدحتَها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ في المراد بشَجَرتها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها الشجرةُ التي تُتَّخذُ منها الزُّنودُ، وهو خشَبٌ يُحَكُّ بعضُه ببعض فتخرجُ مِنه النَّارُ، هذا قولُ ابن قُتيبةَ، والزَّجَّاج. **والثالث**: أنَّ شجرتَها: أصلُها، ذكره المَاوَرديُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ قال المُفسِّرونَ: إذا رآها الرَّائي ذَكرَ نارَ جهنَّمَ، وما يخافه مِنْ عذابِها، فاستَجارَ بالله منها ﴿وَمَتَٰعًا﴾ أي: منفعةً ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ وفيهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المسافرون، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ. قال ابن قُتيبةَ: سُمُّوا بذلك لِنُزولِهم القَوَى، وهو القَفْر. وقال بعضُ العلماء: المسافرون أكثرُ حاجةً إليها مِنَ المُقيمين، لأنهم إذا أوقَدُوها هربَتْ منهم السِّباعُ واهتدى بها الضَّالُّ. **والثاني**: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنهم الجائعون. ، قال ابنُ زيدٍ: المُقْوِي: الجائعُ في كلامِ العرب. **والرابع**: أنهم الذين لا زادَ معهم ولا مالَ لهم، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: لمَّا ذَكَر ما يدلُّ على توحيدِه، وقُدرَتِه، وإنعامِه، قال: «فسبِّح باسم ربك» أي: بَرِّئِ الله وَنَزِّهْهُ عمَّا يقولون في وَصفِه. وقال الضَّحَّاكُ: معناه: فَصَلِّ باسم ربِّكَ، أي: استَفتِحِ الصلاةَ بالتكبيرِ. وقال ابنُ جريرٍ: سَبِّحْ بذكرِ ربِّكَ وتسمِيَتِه. وقيلَ: الباءُ زائدةٌ. والاسم يكون بمعنى الذاتِ، والمعنى: فسَبِّحْ ربَّكَ.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ في «لا» قولان: **أحدهما**: أنها دخلت توكيداً. والمعنى: فأُقسِمُ، ومِثلُه ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]، قاله الزَّجَّاجُ، وهو مذهبُ سعيدِ بنِ جُبيرٍ. **والثاني**: أنها على أصلِها. ثم في معناها قولان: **أحدهما**: أنها ترجع إلى ما تقدَّمَ، ومعناه: النهي، تقدير الكلام: فلا تُكَذِّبوا، ولا تَجحَدوا ما ذَكرتُه مِنَ النِّعَمِ والحُجَجِ، قاله المَاوَرديُّ. **والثاني**: أنَّ «لا» رَدّاً لِمَا تقوله الكفَّارُ في القرآن: إنه سِحرٌ، وشِعرٌ، وكهانَةٌ، ثم استأنَفَ القَسَمَ على أنه قرآنٌ كريمٌ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ. وقرأ الحسَنُ: فلأُقسِم بغيرِ ألِفٍ بين اللامِ والهمزةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِمَوَٰقِعِ﴾ وقرأ حمزَةُ، والكِسائيُّ: «بموقع» على التوحيد. قال أبو عليٍّ: مواقِعُها: مساقِطُها. ومَنْ أفرَدَ، فلأنه اسمُ جنسٍ. ومَنْ جَمَعَ فلاختلافِ ذلك. وفي «النُّجوم» قولان: **أحدهما**: نجومُ السماءِ، قاله الأكثرون. فعَلَى هذا في مواقِعِها ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: انكِدَارُها وانتِثارُها يومَ القيامةِ، قاله الحسَنُ. والثاني: منازِلُها، قاله عطاءٌ، وقَتادةُ. والثالث: مَغِيبُها في

(١) الحشر: ٢٩.

المَغرِبِ، قاله أبو عُبيدَة. **والثاني**: أنها نجومُ القرآن، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. فعَلَى هذا سُمِّيَتْ نجوماً لِنزولِها مُتفرِّقةً، ومواقِعُها: نُزولُها. قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ الهاءُ كنايَةٌ عن القَسَم. وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: وإنه لَقَسمٌ عظيمٌ لو تعلمون عِظَمَهُ. ثم ذَكَر المُقْسَمَ عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ والكريم: اسمٌ جامعٌ لِمَا يُحمَدُ، وذلك أنَّ فيه البيان والهُدى والحِكمَة، وهو مُعظَّمٌ عند الله عزَّ وجلَّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اللوحُ المَحفوظُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُصحفُ الذي بأيدينا، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. وفي «المَكنُون» قولان: **أحدهما**: مَستُورٌ مِنَ الخَلقِ، قاله مُقاتِلٌ، وهذا على القولِ الأول. **والثاني**: مَصُونٌ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من قال: إنَّه اللوحُ المَحفُوظُ، فالمُطَهَّرُون عنده: الملائكةُ، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وعِكرِمَةَ، ومُجاهِدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ. فعَلَى هذا يكون الكلام خبراً. ومَنْ قال: هو المُصحفُ، ففي المُطَهَّرينَ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم المُطَهَّرونَ مِنَ الأحداثِ، قاله الجمهور. فيكون ظاهرُ الكلام النَّفي، ومعناه النَّهيُ. **والثاني**: المُطَهَّرونَ مِنَ الشِّرْكِ، قاله ابنُ السَّائب. **والثالث**: المُطَهَّرونَ مِنَ الذُّنوبِ والخَطايا، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والرابع**: أنَّ معنى الكلام: لا يَجِدُ طَعمَهُ ونَفعَهُ إلاَّ مَنْ آمنَ به، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيلٌ. والمعنى: هو مُنَزَّلٌ، فسُمِّيَ المُنَزَّل تنزيلاً على اتِّساعِ اللغة، كما تقول للمَقدُورِ: قَدَرٌ، وللمَخلُوقِ: خَلْقٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: مُكَذِّبون، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: مُمَالِئُون الكفَّارَ على الكُفرِ به، قاله مُجاهِدٌ. قال أبو عُبيدَةَ: المُدْهِنُ: المُداهِنُ؛ وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ «مُدهِنون» أي: مُداهِنُون. يُقال: أَدْهَنَ في دِيْنِه، ودَاهَنَ. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

[١٣٩٢] رَوى مُسلِمٌ في «صحيحه» مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ قال: مُطِرَ الناسُ على عهدِ رسولِ

[١٣٩٢] صحيح. أخرجه مسلم ٧٣ والطبراني في «الكبير» ١٢/ ١٩٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٨٢.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٧/ ١٩٥: واختلف العلماء في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسّه لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب عليّ وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعطاء والزهري والنخعي والحكم وحماد، وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي. واختلفت الرواية عن أبي حنيفة، فروي عنه أنه يمسّه المحدِث وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما. وروي عنه أنه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسّه إلا طاهر. ابن العربي: وهذا إن سلّمة مما يقوي الحجة عليه، لأن حريم الممنوع من الممنوع. وفيما كتبه النبي ﷺ لعمرو بن حزم أقوى دليل عليه وقال مالك: لا يحمله غير طاهر بعلاقة ولا على وسادة وقال أبو حنيفة: لا بأس بذلك. ولم يمنع من حمله بعلاقة أو مسّه بحائل. وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن عليّ أنه لا بأس بحمله ومسّه للمسلم والكافر طاهراً أو محدثاً إلا أن داود قال: لا يجوز للمشرك حمله. واحتجوا في إباحة ذلك بكتاب النبي ﷺ إلى قيصر وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه. وفي مس الصبيان إياه على وجهين: =

الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أصبحَ مِنَ الناس شاكِرٌ، ومنهم كافِرٌ». قالوا: هذه رَحمةٌ آتيَةٌ وَضَعهَا الله حيثُ شاءَ. وقال بعضُهم: لقد صَدَقَ نَوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآيةُ «فلا أُقسِمُ بمَواقِعِ النُّجومِ» حتى بَلَغَ «أنكم تُكَذِّبون».

[١٣٩٣] وروى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنِي، قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بِالحُدَيْبِيَةِ على إثْرِ سماءٍ كانت مِنَ الليل، فلمَّا انصرفَ أقبلَ على الناسِ، فقال: «هل تدرونَ ماذا قال ربُّكم»؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ. قال: «قال: أصبحَ مِنْ عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ. فأمَّا المؤمنُ فقال: مُطِرْنا بفَضْلِ اللهِ وبرَحمَتِه فذاكَ مؤمنٌ بي، كافِرٌ بالكَوكَبِ. وأمَّا مَنْ قال: مُطِرْنا بنَوءِ كذا وكذا، فذاكَ كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكبِ».

وللمُفسِّرين في معنى هذه الآيةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الرِّزقَ هاهنا بمعنى الشُّكرِ.

[١٣٩٤] رَوَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شُكرَكُم»، وهذا قولُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وابنِ عباسٍ. وكان عليٌّ يقرأ «وتجعلون شُكرَكُم».

والثاني: أنَّ المعنى: وتجعلون شُكرَ رِزقِكُم تكذيبَكُم، قاله الأكثرون. وذلك أنَّهم كانوا يُمطَرُون، فيقولون: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا. **والثالث**: أنَّ الرزقَ بمعنى الحَظِّ. فالمعنى: وتجعلون حظَّكُم ونَصِيبَكُم مِنَ القرآن أنكم تُكَذِّبون، ذكره الثَّعلَبيُّ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِمٍ «وتَكْذبون» بفتح التاء، وإسكانِ الكاف، مُخففَةَ الذال.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

[١٣٩٣] صحيح. أخرجه البخاري ٨٤٦ ومسلم ٧١ ومالك ١/ ١٩٢ وأحمد ٤/ ١١٧ من حديث زيد بن خالد.

[١٣٩٤] لم أره بهذا اللفظ عن عائشة. وقال السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٣٤: أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ. . .» فذكره بنحو حديث ابن عباس المتقدم، ولم يذكر فيه تفسير الآية ﴿وتجعلون رزقكم﴾. وورد من حديث علي، أخرجه الترمذي ٣٢٩٥ والطبري ٣٣٥٥٥ و ٣٣٥٥٦ وأحمد ١/ ١٣١ وإسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ومع ذلك رواه عنه الثوري موقوفاً على علي، والثوري أحفظ من إسرائيل، والمرفوع ضعفه أحمد شاكر في «المسند» ١٠٨٧. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٤٣٨.

= أحدهما المنع اعتباراً بالبالغ. والثاني الجواز، لأنه لو منع لم يحفظ القرآن، لأن تعلمه حال الصغر، ولأن الصبي وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة، لأن النية لا تصح منه فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ﴾ أي: فهلاَّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ يعني: النَّفسَ، فترك ذِكرَها لدلالةِ الكلام، وأنشدوا مِنْ ذلك:

إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[١]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنتُمْ﴾ يعني أهلَ المَيتِ ﴿تَنظُرُونَ﴾ إلى سلطان الله وأمره والثاني تنظرون للإنسانِ في تلك الحالةِ، ولا تَملِكُون له شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: مَلَكُ الموتِ أدنى إليه مِنْ أهلِه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكةَ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. والثاني: ونحن أقربُ إليه منكم بالعِلْمِ والقُدرةِ والرؤيةِ ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تعلمون، والخِطابُ للكفارِ، ذكره الوَاحِديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: أحدها: مُحاسَبِينَ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباس، وبه قال الحَسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وعطاءٌ، وعِكرمَةُ. والثاني: مُوقِنينَ، قاله مُجاهِدٌ. والثالث: مَبعُوثينَ، قاله قَتادَةُ. والرابع: مَجزيينَ. ومنه يُقال: دِنتُه، وكما تَدِينُ تُدَانُ، قاله أبو عُبيدَةَ. والخامس: مَملُوكينَ أذلاء، مِنْ قولكَ: دِنتُ له بالطاعة، قاله ابنُ قُتَيبةَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ أي: تَردُّون النَّفسَ. والمعنى: إنْ جَحدتُم الإلهَ الذي يُحاسِبُكم ويُجازيكم، فهلاَّ تَردُّون هذه النَّفسَ؟! فإذا لم يُمكِنكُم ذلك، فاعلموا أنَّ الأمرَ لِغيرِكم. قال الفَرَّاءُ: وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ هو جوابٌ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ولقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فإنهما أُجِيبَتا بجوابٍ واحدٍ. ومثله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

ثم ذَكرَ طبقاتِ الخَلْقِ عند الموتِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ يعني: الذي بلغت نَفْسُه الحُلقومَ ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عندَ اللّهِ. قال أبو العَالِيةِ: هُمُ السَّابقون ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فَلَهُ رَوْحٌ. والجمهور يفتحون الراءَ. وفي معناها ستةُ أقوالٍ[٣]: أحدها: الفَرحُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: الراحةُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ. والثالث: المَغفرةُ والرَّحمةُ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. والرابع: الجنَّةُ، قاله مُجَاهِدٌ. والخامس: رَوْحٌ مِنَ الغَمِّ الذي كانوا فيه، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. والسادس: رَوْحٌ في القبرِ، أي: طِيبُ نَسِيم، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وأبو رَزِينٍ، والحَسَنُ، وعِكرمَةُ وابنُ يَعمَرَ، وقَتَادةُ، ورُوَيْسٌ عن يعقوبَ، وابنُ أبي سُرَيج عن الكِسَائيِّ: «فَرُوحٌ» برفع الراء. وفي معنى هذه القراءةِ قولان: أحدهما: أنَّ معناها: فَرحمَةٌ، قالَه قَتادَةُ. والثاني: فحياةٌ وبقَاءٌ، قاله ابنُ قُتَيبةَ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: فحياةٌ دائمةٌ لا موتَ معها. وفي «الرَّيحان» أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنه الرزقُ، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أنه المُستَرَاحُ، رواه ابنُ أبي طَلْحَةَ عن

---

(١) هو عجز بيت لحاتم الطائي كما في ديوانه ٥٠، وصدره: أماويُّ ما يغني الثراء عن الفتى.

(٢) البقرة: ٣٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/٦٦٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بالرَّوح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله في قولهم: وجدت رَوحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحرّ. وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه.

ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الجنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والرابع**: أنه الرَّيحانُ المَشمُومُ. وقال أبو العَالِيةِ: لا تَخرجُ رُوحُ أحدٍ مِنَ المُقرَّبين مِنَ الدنيا حتى يُؤتى بغُصنٍ مِنْ ريحانِ الجنَّةِ، فيَشمُّهُ، ثم تُقبَضُ فيه رُوحُه، وإلى نحوِ هذا ذهب الحسَنُ. وقال أبو عِمرَانَ الجَوْنيُّ: بَلَغنا أنَّ المؤمنَ إذا قُبِضَ رُوحُه تُلْقَى بضَبائرِ الرَّيحانِ مِنَ الجنَّةِ، فتُجعَلُ رُوحُه فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: فسلامةٌ لكَ مِنَ العذاب، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: تُسلِّم عليه الملائكةُ، وتُخبره أنه مِنْ أصحاب اليمينِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنَّ المعنى: أنكَ ترى فيهنَّ ما تُحبُّ مِنَ السلامة، وقد عَلِمتَ ما أُعِدَّ لهم مِنَ الجزاءِ، قاله الزَّجَّاجُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: بالبَعثِ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الهُدى ﴿فَنُزُلٌ﴾ وقد بيَّناه في هذه السُّورَةِ[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني ما ذُكرَ في هذه السُّورَةِ ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي هو اليقينُ حقًّا، فأضافه إلى نَفْسِه، كقولكَ: صلاةُ الأولَى، وصلاةُ العَصرِ، ومثله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٢]، وقد سَبقَ هذا المعنى، وقال قومٌ: معناه: وإنه للمتقين حقًّا. وقيلَ للحقِّ: اليقينُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قد ذكرناه في هذه السُّورَةِ[٣].

---

(١) الواقعة: ٥٦. (٢) يوسف: ١٠٩. (٣) الواقعة: ٧٤.

سورة الحديد

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ السَّائبِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أما تسبيحُ ما يَعقِلُ، فمعلوم، وتسبيحُ ما لا يعقلُ، قد ذكرنا معناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[1]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الأولُ هو السابقُ للأشياء ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الباقي بعدَ فناءِ الخَلْقِ ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بحُجَّتِه الباهِرةِ، وبراهِينِه النَّيِّرةِ، وشواهِده الدَّالةِ على صِحَّةِ وحدانيَّتِه. ويكون: الظاهرُ فوقَ كلِّ شيءٍ بقُدرتِه. وقد يكون الظُّهورُ بمعنى العُلُوِّ، ويكون بمعنى الغَلَبةِ. والباطنُ: هو المُحتَجِبُ عن أبصارِ الخَلْقِ الذي لا يَستولي عليه توهُّمُ الكيفيةِ، وقد يكون معنى الظُّهورِ والبُطونِ: احتِجَابُه عن أبصارِ النَّاظِرين، وتَجَلِّيه لِبَصائِرِ المُتفكِّرين. ويكون معناه: العالِمُ بما ظَهَر مِنَ الأمورِ والمُطَّلِعُ على ما بَطَنَ مِنَ الغُيوبِ. قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مُفسَّرٌ في الأعْرافِ[2] إلى قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهو مُفسَّرٌ في سبأ[3] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: بعِلْمِه وقُدرتِه. وما بعدَهُ ظاهرٌ إلى قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قال المُفسِّرون: هذا الخِطَابُ لِكُفَّارِ قُريشٍ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: المالَ الذي كان بأيدي غيرِهم، فأهلَكَهم اللَّهُ، وأعطى قُريشاً ذلك المالَ، **فكانوا فيه خُلفاءَ مَنْ مَضَى**.

---

(١) الإسراء: ٤٤. (٢) الأعراف: ٥٤. (٣) سبأ: ٢.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ، والمعنى: أيُّ شيءٍ لكم مِنَ الثواب في الآخرة إذا لم تُؤمِنوا بالله ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو «أُخِذ» بالرفع. وقرأ الباقون «أَخَذ» بفتح الخاء ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ بالفتح. والمراد به: حينَ أخرجتُم مِنْ ظَهرِ آدمَ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالحُجَجِ والدلائلِ. قوله: عزَّ وجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني: القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ يعني الشِّركَ إلى نُورِ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حينَ بَعثَ الرسولَ ونَصبَ الأدلَّةَ. ثم حَثَّهم على الإنفاقِ فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أيُّ شيءٍ لكم في تَرْكِ الإنفاقِ ممَّا يُقرِّبُ إلى الله عزَّ وجلَّ وأنتم ميتون تاركُون أموالَكم؟! ثم بَيَّنَ فَضلَ مَنْ سبقَ بالإنفاقِ فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه فَتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: أنه فَتحُ الحُدَيْبيَةِ، قاله الشَّعبيُّ. والمعنى: لا يستوي مَنْ أنفقَ قبلَ ذلك ﴿وَقَاتَلَ﴾ ومَنْ فعلَ ذلك بعدَ الفَتح. قال المُفسرون: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ. ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ قال ابنُ عباسٍ: أعظَمُ منزلةً عندَ الله. قال عَطاءٌ: درجاتُ الجنَّةِ تتفاضلُ، فالذين أنفقوا مِنْ قبلِ الفَتحِ في أفضلِها. قال الزَّجَّاج: لأنَّ المُتقدِّمين كانت بصائرُهم، أنفَذَ. ونالَهُم مِنَ المشقَّةِ أكثرُ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: وَكِلا الفريقين وَعدَهُ الله الجنَّةَ. وقرأ ابنُ عامرٍ «وكُلٌّ» بالرفع. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ «فيضعِّفَه» مشدَدَة العينِ بغيرِ ألِفٍ، إلاَّ أنَّ ابنَ كَثيرٍ يضمُّ الفاءَ، وابنُ عامرٍ يَفتحُها. وقرأ نافعٌ؛ وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ «فيضاعفهُ» بالألفِ وضمِّ الفاءِ، وَافقَهُم عاصِمٌ إلاَّ أنه فَتَحَ الفاءَ. قال أبو عليٍّ: يُضاعِفُ ويُضَعِّفُ بمعنىً واحدٍ، إلاَّ أنَّ الرفعَ في «يُضاعف» هو الوجهُ، لأنه محمولٌ على «يُقرض». أو على الانقطاعِ مِنَ الأولِ كأنه قال: فهو يُضاعِفُ. ويُحمل قولُ الذي نصب على المعنى، لأنه إذا قال: مَنْ ذا الذي يُقرِضُ اللَّهَ، معناه: أيُقرِضُ الله أحدٌ قَرضاً فيُضاعِفَهُ. والآيةُ مُفسَّرةٌ في البقرة[1]. والأجرُ الكريمُ: الجنَّةُ.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝١٣

(١) البقرة: ٢٤٥.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ قال المُفسِّرون: يُضيء لهم نُورُ عَمَلِهم على الصِّراطِ على قَدْرِ أعمالِهم. قال ابنُ مسعودٍ: منهم مَن نُورُهُ مثلُ الجبلِ، وأدناهم نُوراً نُورُهُ على إبهامِهِ يُطفِيءُ مرةً، ويُوقِدُ أخرى. وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قولان: **أحدهما**: أنه كُتُبهم يُعطَونها بأيمانِهم، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه نورهم يسعى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، والباءُ بمعنى: «في». و «في» بمعنى «عن»، وهذا قولُ الفَرَّاءِ.

قوله تعالى: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا قولُ الملائكةِ لهم. قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾ وقرأ حمزةُ: «أَنظِرونا» بقطعِ الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء، قال المُفسرون: تغشى الناس يومَ القيامةِ ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون بنور المؤمنين، قالوا: انظرونا نقتبس من نوركم، ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ في القائل لهم قولان: **أحدهما**: أنهم المؤمنون، قاله ابنُ عباس. **والثاني**: الملائكةُ، قاله مُقاتِلٌ، وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ارْجِعوا إلى المكان الذي قَبَسْتُم فيه النُّورَ، فيَرجِعونَ، فلا يَرَونَ شيئاً. **والثاني**: ارْجِعوا فاعمَلُوا عملاً يجعَلُه اللَّهُ لكم نُوراً. **والثالث**: أنَّ المعنى: لا نُورَ لكم عندنا. قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو الأعرافُ، وهو سُورٌ بين الجنة والنار ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ يعني من وراء السور ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ وهو جهنَّمُ. وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ السُّورَ يكون ببيتِ المَقْدِسِ في مكانِ السُّورِ الشرقي بين الوادي الذي يُسمَّى: وادي جهنَّم، وبينَ البابِ الذي يُسمَّى: باب الرَّحمةِ، وإلى نحوِ هذا ذهب عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، وكَعْبٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: يُنادي المنافقون المؤمنين مِنْ وراء السُّورِ: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: على دِينِكم نُصلّي بصلاتِكم، ونَغزو معكم؟! فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: تربصتم بالتَّوبةِ. **والثاني**: تربَّصتُم بمحمَّدٍ الموتَ، وقُلتُم: يُوشِكُ أنْ يموتَ فنستريحَ ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شَكَكْتُم في الحقِّ ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ يعني ما كانوا يَتمنَّونَ مِنْ نزولِ الدَّوائرِ بالمؤمنين ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه المَوتُ. **والثاني**: إلقاؤهم في النَّارِ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي غَرَّكُمُ الشيطانُ بحُكم الله وإمهالِه ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ «لا تؤخذ» بالتاء، أي: بَدلٌ وعِوضٌ عن عذابِكم. وهذا خطابٌ للمنافقين، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: ؛ أي: أَوْلَى بكم.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ **اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين:**

[١٣٩٥] أحدهما: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابنُ مسعودٍ: ما كان بين إسلامِنا، وبينَ أنْ عُوتِبْنا بهذه الآيةِ إلاَّ أربعُ سنين، فجعلَ المؤمنونُ يُعاتِبُ بعضُهم بعضاً.

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ[١]. قال مُقاتِلٌ: سألَ المنافقون سَلمانَ الفارسيَّ فقالوا: حدِّثنا عن التَّوراةِ، فإنَّ فيها العجائبَ، فنزلت هذه الآية[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: نزلت هذه الآيةُ في طائفةٍ مِنَ المؤمنين حُثُّوا على الرِّقَّةِ والخُشوعِ. فأمَّا مَنْ كان وَصفَهُ الله عزَّ وجلَّ بالخشوعِ، والرِّقَّةِ، فطَبقةٌ مِنَ المؤمنين فوقَ هؤلاءِ. فعَلَى الأول: يكون الإيمانُ حقيقةً. وعلى **الثاني**: يكون المعنى: «ألم يأنِ للذين آمنوا» بألسِنَتِهم. قال ابنُ قُتيبةَ: المعنى: ألَمْ يَحِنْ. تقول: آنَ الشيءُ: إذا حَانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي تَرِقَّ وَتلينَ ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. المعنى: أنه يجب أنْ يورِثَهم الذِّكْرُ خشوعاً ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ وعاصِمٌ وأبو عمروٍ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسَائيُّ «وما نزَّل» بفتحِ النون والزاي مع تشديدِ الزاي. وقرأ نافعٌ وحَفصٌ، والمُفَضلُ عن عاصِمٍ «نَزَل» بفتحِ النون وتخفيفِ الزاي. وقرأ أبو عبدِالرَّحمن السُّلَميُّ وأبو العَاليةِ وابنُ يَعمُرَ، ويونسُ بنُ حَبيبٍ عَن أبي عمروٍ، وأبَانُ عن عاصِمٍ «نُزِّل» برفعِ النون وكسرِ الزاي مع تشديدِها. وقرأ ابنُ مسعودٍ وأبو رَجاءٍ «وما أَنزَل» بهمزةٍ مفتوحةٍ وفتحِ الزاي. وقرأ أبو مِجلَزٍ، وعمروُ بن دِينارٍ مثلَهُ إلا أنه بضَمِّ الهمزةِ وكَسْرِ الزاي. و«الحقّ» القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ قرأ رُوَيسٌ عن يعقوبَ «ولا تكونوا» بالتاء ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني اليهود والنَّصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ وهو الزَّمانُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الأَمَدُ: الغايَةُ. والمعنى: أنه بَعُدَ عَهدُهم بالأنبياء والصالحين ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يُؤمنوا بعيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلامُ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ أي يُخرجُ منها النباتَ بعد يَبَسِها، فكذلك يَقدِرُ على إحياءِ الأمواتِ ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدَّالةَ على وحدانيَّتِه وقُدرتِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تتأمَّلوا.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ إلاَّ حَفصاً بتخفيف الصاد فيهما على معنى التَّصديقِ. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى الصَّدَقةِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اختلفوا في نَظْمِ الآية على قولين[٣]: **أحدهما**: أنَّ تمامَ الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ:

[١٣٩٥] هذا الأثر صحيح، أخرجه مسلم ٣٠٢٧ والنسائي في «التفسير» ٥٨٨ واستدركه الحاكم ٢/ ٤٧٩ كلهم عن ابن مسعود. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٤٥٦.

---

(١) موضوع. عزاه المصنف لأبي صالح، وهو متهم في ابن عباس، حيث روى وصاحبه الكلبي تفسير موضوعاً عن ابن عباس، وهذا منه، فالآية المراد بها المؤمنون.

(٢) الخبر منكر جداً، أمارة الوضع لائحة عليه، ومقاتل هو ابن سليمان وهو كذاب.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٦٨٤: والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: =

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هذا قولُ ابنِ عباسٍ، ومَسْروقٍ، والفرّاءِ في آخرين. **والثاني**: أنها على نَظْمِها، والواوُ في «والشهداء» واو النَّسقُ، ثم في معناها قولان: **أحدهما**: أنَّ كلَّ مؤمنٍ صِدِّيقٌ شهيدٌ، قاله ابنُ مسعودٍ؛ ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانيةُ نَفرٍ سَبَقوا إلى الإسلام: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ، وحمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وطَلحَةُ، والزُّبيرُ، وسَعدٌ، وزيدٌ، قاله الضَّحَّاكُ. وفي الشهداء قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ شاهدٍ. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء خاصَّةً، قاله ابنُ عباسٍ. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربِّهم على أنفسِهم بالإيمانِ بالله، قاله مُجاهِدٌ. **والقول الثاني**: أنه جمعُ شهيدٍ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني: الحياةَ في هذه الدَّارِ ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: غُرورٌ تنقضي عن قليلٍ. وذهب بعضُ المُفسِّرين[(١)] إلى أنَّ المُشارَ بهذا إلى حالِ الكافرِ في دُنياهُ، لأنَّ حياته تنقضي على لَهْوٍ ولعبٍ وتزيينِ الدنيا، وتفاخُرٍ يُفاخِرُ قرناءَهُ وجيرانَه، ويُكاثِرُهم بالأموال والأولاد، فيَجمَعُ مِنْ غيرِ حِلِّه، ويتطاول على أولياءِ الله بمالِه، وخَدَمِه، ووَلَدِه، فيفنى عمرُهُ في هذه الأشياء، ولا يلتفتُ إلى العمل للآخرة. ثم بَيَّنَ لهذه الحياة شَبهاً، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ يعني: مطراً ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ وهم الزُّرَّاعُ، وسُمُّوا كفَّاراً، لأنَّ الزَّارعَ إذا ألقى البذْرَ في الأرض كَفَرَهُ، أي: غَطَّاهُ ﴿نَبَاتُهُ﴾ أي ما نَبَتَ مِنْ ذلك الغَيثِ ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي يَيْبَسُ ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خُضرتِه ورِيِّه ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أي ينحطِمُ، وينكسرُ بعدَ يُبْسِه. وشرحُ هذا المَثَلِ قد تقدَّمَ في يُونس عند قوله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(٢)]، وفي الكهف عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[(٣)]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لأعداءِ الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأوليائه وأهلِ طاعَتِه. وما

= الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناهٍ عند قوله **﴿أولئك هم الصديقون﴾** وأن قوله **﴿والشهداء عند ربهم﴾** خبر مبتدأ عن الشهداء.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٧٠: هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف، بهيّ المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: **﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾** الروم: ٥٤ ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذّر من أمرها ورغب فيما فيها من الخبر، فقال: **﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾** أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

(٢) يونس: ٢٤. (٣) الكهف: ٤٥.

بعدَ هذا مذكورٌ في آل عِمران[١]، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ فبيَّن أنه لا يدخل الجنَّةَ أحدٌ إلاَّ بفضلِ الله.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: قَحطَ المطرِ، وقِلَّةَ النَّباتِ، ونَقصَ الثِّمارِ ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني الأمراضَ، وفَقدَ الأولادِ ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ وهو اللَّوحُ المَحفوظُ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ أنْ نَخلُقَها، يعني: الأنفُس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: إنَّ إثباتَ ذلك على كثرتِه هَيِّنٌ على الله عزَّ وجلَّ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ مِنَ الدنيا ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ قرأ أبو عمرو ـ إلا اختيار اليزيدي ـ بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقون بالمَدِّ على معنى: ما أعطاكُمُ اللهُ منها. وأعلَمَ أنه مَنْ عَلِمَ أنَّ ما قُضِيَ لا بدَّ أنْ يُصيبَهُ قَبل حُزنه وفَرحِه. وقد رَوى قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ قال: دخلتُ بعض أحياءِ العرب، فإذا بفضاءٍ مِنَ الأرض فيه مِنَ الإبلِ ما لا يُحصى عددُهُ كلُّها قد ماتَ، فسألتُ عجوزاً: لِمَنْ كانت هذه الإبلُ؟ فأشارتْ إلى شيخ على تلٍ يغزِلُ الصُّوفَ، فقلتُ له: يا شيخُ لكَ كانت هذه الإبلُ؟ قال: كانت باسمي، قلتُ: فما أصابها؟ قال: ارتَجَعَها الذي أعطاها، قلتُ: فهل قلتَ في ذلك شيئاً؟ قال: نعم، قلتُ:

لا والَّـذي أنَـا عَـبْـدٌ فـي عِـبَـادَتِـهِ ... والمَرءُ في الدَّهرِ نَصْبَ الرُّزْءِ والحَزَنِ
مـا سَـرَّنـي أنَّ إبْـلـي فـي مَـبـارِكِـهـا ... ومـا جَـرى فـي قَـضـاء اللهِ لـم يَـكُـنِ

وما بعدَ هذا قد ذكرناه في سُورَةِ النِّساء[٢]، والذي قيلَ في البُخلِ هناك هو الذي قيلَ هاهنا إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عبادِه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ إلى أوليائِه. وقد سبقَ معنى الاسمَيْنِ في البقرة[٣]. وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ «فإن الله الغني الحميد» ليس فيها «هو» وكذلك هو في مصاحفِ أهلِ المدينةِ، والشَّامِ.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالآياتِ والحُجَج ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ببيانِ الشرائع، والأحكامِ. وفي «الميزان» قولان: **أحدهما**: أنه العَدلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادةُ. **والثاني**: أنه الذي يُوزَنُ به، قاله ابنُ زيدٍ ومُقاتِلٌ. فعَلى القولِ الأولِ: يكون المعنى: أمَرْنا بالعدلِ. وعلى الثاني: ووَضَعنا الميزانَ، أي: أمَرنا به ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أي: لكي يقوموا بالعدلِ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الله تعالى أنزلَ مع آدمَ السَّنْدانَ، والكَلْبَتَيْنِ، والمِطرقَةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ معنى «أنزلنا»: أنشأنا وَخلقنا، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ

(١) آل عمران: ١٨٥. (٢) النساء: ٣٧. (٣) البقرة: ٢٦٧.

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾(١). قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: وذلك أنه يُمتَنعُ به، ويُحارَبُ به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ يستعملونه في أدواتِهم، وما ينتفعون به مِنْ آنية وغيرِها. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ هذا معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾، والمعنى: ليتعاملَ الناسُ بالعدلِ وليعلَمَ الله ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بالقتال في سبيله، ونُصرةِ دِينِه، وذلك أنه أمَرَ في الكتاب الذي أَنْزَلَ بذلك. وقد سبق معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ في مواضعَ. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ولم يَرَ الله، ولا أحكامَ الآخرةِ، وإنما يَجهَدُ ويُثابُ مَنْ أطاعَ بالغَيبِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الكُتُبَ ﴿فَمِنْهُم﴾ يعني: مِنَ الذُّرِّية ﴿مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كافرون، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: عاصُون، قاله مُقاتِلٌ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: أَتْبَعْنا على آثارِ نُوحٍ، وإبراهيمَ، وذُرِّيتِهما ﴿بِعِيسَى﴾ وكان آخرَ أنبياء بني إسرائيلَ، ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعني: الحَوارِيينَ وغيرَهم مِنْ أتباعِه على دِينِه ﴿رَأْفَةً﴾ وقد سبقَ بيانُها(٢) والمعنى أنهم كانوا مُتوادِّين، كما وصفَ الله تعالى أصحابَ نبيِّنا عليه السَّلامُ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(٣).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ليس هذا معطوفاً على ما قبلَهُ، وإنَّما انتصبَ بفعلٍ مُضمَرٍ، يدلُّ عليه ما بعدَه، تقديره: وابتَدَعوا رهبانيَّةً ابتدَعوها، أي: جاؤوا بها مِنْ قِبَلِ أنفُسِهم، وهي غُلُوُّهم في العبادة، وحملُ المَشاقِّ على أنفسِهم في الامتناع عن المَطْعَمِ والمَشرَبِ والمَلْبسِ والنِّكاحِ، والتعبُّدُ في الجبال ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما فرضناها عليهم.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الاستثناءَ يرجعُ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ والمعنى ابتَدَعوها طَلَباً لِرضوانِ الله، ولم يَكْتُبْها عليهم، وهذا قولُ الجمهور. وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى والرماني عن قتادة وزيد بن أسلم.

والثاني: أنه راجعٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: «ما كتبناها» ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: ما كَتَبْناها عليهم بعدَ دُخولِهم فيها تطوُّعاً إلاَّ ابتغاءَ رضوانِ الله. قال الحسَنُ: تطوَّعاً بابتداعِها ثم كَتَبها الله عليهم. وقال الزَّجَّاجُ: لمَّا ألزموا أنفسَهُم ذلك التَّطوع لَزِمَهُم إتمامُه، كما أنَّ الإنسانَ إذا جعل على نَفْسِه صوماً لم يُفترَضْ عليه، لَزِمَهُ أنْ يُتِمَّهُ. قال القاضي أبو يَعلَى: والابتداعُ قد يكون بالقول، وهو ما

(١) الزمر: ٦.
(٢) النور: ٢.
(٣) الفتح: ٢٩.

يَنذُره ويُوجبه على نَفْسِه، وقد يكون بالفعلِ بالدُّخولِ فيه. وعمومُ الآية تتضمَّن الأمرين، فاقتضى ذلك أنَّ كلَّ مَنِ ابتدعَ قُربَةً، قولاً؛ أو فعلاً، فعليه رِعايَتُها وإتمامُها. **والثاني**: أنَّ المعنى: ما أَمَرناهم منها إلاَّ بما يُرضي الله عزَّ وجلَّ، لا غيرَ ذلك، قاله ابنُ قُتيبَة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ في المُشارِ إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الذين ابتَدَعوا الرَّهبانيَّةَ، قاله الجمهور. ثمَّ في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: أنهم ما رَعَوْها لتبديلِ دِيْنِهم وتغييرِهم له، قاله عَطيَّةُ العَوفيُّ. والثاني: لِتقصيرِهم فيما ألزَمُوه أنفُسَهم. والثالث: لِكُفرِهم برسولِ الله ﷺ لمَّا بُعِثَ، ذَكَر القولين الزَّجَّاجُ: **والثاني**: أنهم الذين اتَّبَعُوا مُبتَدِعي الرَّهبانيَّةِ في رَهبانيَّتِهم، ما رَعَوها بسلوكِ طريقِ أوَّلِيهم، رَوى هذا المعنى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الذين آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يُؤمنوا به. **والثاني**: أنَّ الذين آمنوا: المؤمنون بعيسى عليه السَّلامُ والفاسقون: المشركون. **والثالث**: أنَّ الذين آمنوا: مُبتَدِعو الرَّهبانيَّةِ، والفاسقون: مُتَّبِعوهُم على غيرِ القانونِ الصحيحِ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ عامَّةُ المُفسِّرين على أنَّ هذا الخطابَ لليهودِ والنَّصارى، والمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتَّقوا الله، وآمِنُوا برسوله محمَّدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي نَصيبَيْن، وحَظَّين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾. قال الزَّجَّاجُ: الكِفْلُ: كِساءٌ يَمنع الرَّاكِبَ أنْ يَسقُطَ، فالمعنى: يُؤتِكُمْ نَصيبَيْنِ يَحفظانِكم مِنْ هَلَكَةِ المعاصي. وقد بيَّنَّا معنى «الكِفْل» في سُورَةِ النِّساء. وفي المراد بالكِفلَينِ هاهنا قولان: **أحدهما**: أنَّ أحدَهما لإيمانِهم بمَنْ تقدَّم مِنَ الأنبياء، والآخرُ لإيمانِهم بمحمَّدٍ ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ أحدَهما: أجرُ الدنيا. والثاني: أجرُ الآخرة، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾. فيه أربعة أقوال: أحدها: القرآن، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. **والثاني**: تمشون به على الصِّراطِ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: الهُدى، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الإيمان، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ «لا» زائدةٌ. قال الفَرَّاءُ: والعرب تجعل «لا» صِلَةً في كلِّ كلامٍ دخل في آخرِه أو أوَّلِه جَحدٌ، فهذا ممَّا جُعِلَ في آخره جحدٌ. والمعنى: لِيعلَمَ ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الذين لم يُؤمنوا بمحمَّدٍ ﷺ ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: أنهم لا يَقدِرون ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أنه جعل الأجرَين لِمَنْ آمنَ بمحمَّدٍ ﷺ ليعلَمَ مَنْ لم يُؤمِنْ به أنه لا أجرَ لهم ولا نصيبَ في فضلِ الله ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فآتاه المؤمنين. هذا تلخيصُ قولِ الجمهور في هاتين الآيتين.

[١٣٩٦] وقد ذهب قومٌ إلى أنه لمَّا نزلَ في مُسلمي أهلِ الكتاب قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[١] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجْرِ، فشَقَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في روايةِ أبي صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُقاتِلُ. فعَلَى هذا يكون الخطابُ للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتِكُمْ أجْرَيْنِ ليعلَمَ مؤمنو أهلِ الكتاب أنهم لا يَقدِرون على شيءٍ مِنْ فضلِ الله الذي خصَّكُم به؛ فإنه فَضَّلَكُم على جميع الخلائق. وقال قَتادَةُ: لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ الآية، حَسَدَ أهلُ الكتاب المسلمين، فأنزلَ الله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

[١٣٩٦] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وهذه رواية ساقطة، مدارها على الكلبي، وهو ممن يضع الحديث. وعزاه لمقاتل، وتقدم أنه يضع الحديث أيضاً.

---

(١) القصص: ٥٤.

سُورَةُ المجَادِلَةِ

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

وهي مدنيَّةٌ في قول ابنِ عباسٍ، والحَسنِ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ وقَتادَةَ والجمهورِ. ورُوِيَ عن عطاءٍ أنه قال: العَشْر الأولُ منها مدنيٌّ، والباقي مكيٌّ. وعن ابنِ السَّائبِ: أنها مدنيَّةٌ سِوى آيةٍ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

[١٣٩٧] أما سببُ نُزولِها، فَروى عُروةُ عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: تبارَكَ الذي وَسِعَ سَمعُه الأصواتَ، ولقد جاءت المُجادِلَةُ فكلَّمت رسولَ الله ﷺ، وأنا في جانبِ البيتِ أسمعُ كلامَها، ويخفى عليَّ بعضُه، وهي تشتكي زوجَها وتقول: يا رسولَ الله، أبْلى شبابي، ونَثَرتُ له بطني، حتى إذا كَبِرَ سِنِّي، وانقطعَ وَلدي، ظاهَرَ منِّي، اللهُمَّ إني أشكو إليكَ، قالت: فما بَرِحَتْ حتى نزلَ جِبريلُ بهذه الآياتِ.

فأمَّا تفسيرُها، فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قال الزَّجَّاج: إدغامُ الدالِ في السين حسَنٌ لِقُرب المخرَجَينِ لأنهما مِنْ حروف طَرَفِ اللسان، وإدغامُ الدال في السين تقويةٌ للحرفِ، وإظهارُ الدال جائزٌ

[١٣٩٧] صحيح. أخرجه النسائي ٦/ ٤٦ وفي «الكبرى» ١١٥٧٠ و «التفسير» ٥٩٠ وابن ماجة ١٨٨ و ٢٠٦٣ وأحمد ٦/ ٤٦ وعبد الرزاق في «التفسير» ١١١٨ والحاكم ٢/ ٤٨١ والطبري ٣٣٧٢٥ و ٣٣٧٢٦ والواحدي في «الأسباب» ٧٨٨ والبيهقي ٧/ ٣٨٢ من طرق عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة. وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال البخاري ومسلم غير تميم، فإنه من رجال مسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وله شاهد من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام عن خولة بنت ثعلبة. أخرجه أحمد ٦/ ٤١٠ وأبو داود ٢٢١٤ والبيهقي ٧/ ٣٨٩ والطبري ٣٣٧١٤ وابن حبان ٤٢٧٩ والواحدي في «الأسباب» ٧٩١ من طريق محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف به. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٢٤٦٣ و «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٠٤٥ و ٢٠٤٧ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٨٣٨ وهي جميعاً بتخريجنا، ولله الحمد والمنة.

---

(١) المجادلة: ٧.

لأنه وإنْ قَرُبَ مِنْ مخرج السين فله حَيِّزٌ على حِدَةٍ، ومِنْ موضع الدالِ الطاءُ والتاءُ، فهذه الأحرف الثلاثةُ موضعها واحدٌ، والسينُ والزاي والصاد مِنْ موضع واحدٍ، وهي تُسمَّى حروف الصَّفير. وفي اسم هذه المُجادِلَةِ ونسبَتِها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خولةُ بنتُ ثَعلبَةَ، رواه مُجاهِدُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قالَ عِكرمَةُ وقَتادةُ والقُرَظيُّ. **والثاني**: خولةُ بنتُ خُوَيلدٍ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: خولةُ بنتُ الصَّامتِ، رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: خولةُ بنتُ الدّليجِ، قاله أبو العَاليةِ، واسمُ زَوجِها: أوسُ بنُ الصَّامتِ، وكانا مِنَ الأنصار.

[١٣٩٨] قال ابنُ عباسٍ: كان الرجلِ إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمِّي، حَرُمَتْ عليه، فكان أول مَنْ ظاهَرَ في الإسلام أوسٌ، ثم نَدِمَ، وقال لامرأتِه: انطَلِقي إلى رسولِ الله ﷺ فسَلِيْه، فأتَتْهُ، فنزلت هذه الآياتُ. فأمَّا مُجادَلَتُها رسولَ الله ﷺ، فإنه كان كلَّما قال لها: قد حَرُمْتِ عليه، تقول: واللهِ ما ذَكَرَ طلاقاً، فقال: ما أُوحِيَ إليَّ في هذا شيءٌ، فجعلتْ تشتكي إلى الله. وتشتكي بمعنى تشكو. يُقال: اشتكيتُ ما بي وشَكَوتُه، بمعنى شَكوى شاكٍ أي أشكَيْتُه. وقالت: إنَّ لي صِبيَةً صغاراً، إنْ ضَمَمتُهم إليه ضاعوا، وإنْ ضَمَمتُهم إليَّ جاعوا. فأمَّا التَّحاوُرُ، فهو مُراجعةُ الكلام. قال عَنترةُ في فَرَسِه:

لو كان يدْري ما المُحاورةُ اشتكى ... ولَكانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ ونافعٌ وأبو عمروٍ «يظَّهَّرون» بفتح الياء وتشديدِ الظاء والهاء وفَتْحِهما مِنْ غيرِ ألفٍ. وقرأ أبو جعفرَ وابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ: بفتح الياء وتشديدِ الظاء وبألفٍ وتخفيفِ الهاء. وقرأ عاصمٌ «يُظاهِرون» بضمِّ الياء وتخفيفِ الظاء والهاء وكَسْرِ الهاء في الموضعين مع إثباتِ الألفِ. وقرأ ابنُ مسعودٍ «يتظاهرون» بياءٍ وتاءٍ وألفٍ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ «يتظَهَّرون» بياءٍ وتاءٍ وتخفيفِ الظاء وتشديدِ الهاء مِنْ غيرِ ألفٍ. وقرأ الحسَنُ وقَتادةُ والضَّحَّاكُ «يظهرون» بفتحِ الياء وفتح الظاء مخفَّفةً، مكسورةَ الهاءِ مُشدَّدةً. والمعنى: تقولون لَهُنَّ: أنتُنَّ كظُهورِ أُمَّهاتِنا ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بكسرِ التاء. وروى المُفَضَّلُ عن عاصِمٍ رَفْعَها. والمعنى ما اللواتي تجعَلْنَ كالأُمَّهاتِ بأُمَّهاتٍ لهم ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي ما أُمَّهاتُهم ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ قال الفَرَّاءُ: وانتصابُ «الأُمَّهات» هاهنا بإلقاءِ الباء، وهي قراءةُ عبدِالله «ما هُنَّ بأمهاتهم»، ومِثلُه: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[1]، المعنى:

[١٣٩٨] أخرجه البيهقي ٧/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف أبي حمزة الثمالي، لكن يشهد لأصله ما تقدم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٤٦٢ بتخريجنا.

---

(١) يوسف: ٣١

ما هذا ببشر، فلمَّا أُلقِيَتِ الباءُ أبقي أَثَرُها، وهو النَّصبُ، وعلى هذا كلامُ أهلِ الحِجازِ. فأمَّا أهلُ نَجْدٍ فإنهم إذا أَلْقَوا الباءَ رَفَعوا، فقالوا: «ما هن أمهاتُهم» و «ما هذا بشرٌ» أنشدني بعضُ العرب:

رِكابُ حُسَيْلٍ آخِرَ الصَّيْفِ بُدَّنٌ ... ونَاقَةُ عَمْرٍو مَا يُحَلُّ لَها رَحْلُ
وَيَزْعُمُ حسلٌ أَنَّهُ فَرْعُ قَوْمِهِ ... وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يا حُسَيْلُ ولاَ أَصْلُ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: المُظاهرون ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات مُحرَّماتٌ على التأبيد، بخلافِ الزَّوجاتِ ﴿وَزُورًا﴾ أي: كذباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ إذ شرع الكفارة لذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾[1] اللام في «لِمَا» بمعني «إلى»، والمعنى: ثم يَعُودون إلى تحليلِ ما حَرَّموا على أنفُسِهم مِنْ وَطْءِ الزَّوجة بالعَزْم على الوَطْءِ، قال الفَرَّاءُ: معنى الآية: يرجِعون عمَّا قالوا، وفي نَقْضِ ما قالوا. وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: المعنى: يريدون أنْ يَعودوا للجِماع الذي قد حَرَّموه على أنفُسِهم. وقال الحسَنُ، وطَاوسٌ، والزُّهْرِيُّ: العَودُ: هو الوَطْءُ. وهذا يرجع إلى ما قُلناه. وقال الشَّافعيُّ: هو أنْ يُمسِكَها بعد الظِّهارِ مدَّةً يُمكنه طلاقها فيها فلا يُطلِّقها. فإذا وَجدَ هذا، استَقرَّتْ عليه الكَفَّارةُ، لأنه قَصدَ بالظِّهارِ تحريمَها، فإنْ وَصلَ إلى ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدَأَهُ، وإن سكتَ عن الطَّلاقِ، فقد نَدِمَ على ما ابتدأَ به، فهو عَودٌ إلى ما كان عليه، فحِينَئِذٍ تَجبُ الكفَّارةُ. وقال داودُ: هو إعادةُ اللفظِ ثانياً، لأنَّ ظاهرَ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعُودُونَ﴾ يدلُّ على تكريرِ اللفظ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا قولُ مَنْ لا يدري اللغةَ. وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: ليس في هذا كما ادَّعَوا، لأنَّ العَوْدَ قد يكون إلى شيءٍ لم يكُنِ الإنسانُ عليه قبل. وسُمِّيتِ الآخرةُ مَعاداً، ولم يكن فيها أحدٌ ثم عادَ إليها. قال الهُذَليُّ:

وعَادَ الفَتَى كالكَهْلِ ليس بِقَائِلٍ ... سِوى الحَقِّ شيئاً واسْتَراحَ العَواذِلُ

وقد شرحنا هذا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[2]. وقال ابنُ قُتيبةَ: مَنْ توهَّم أنَّ الظِّهارَ لا يقع حتى يُلفَظَ به ثانيةً، فليس بشيءٍ، لأنَّ الناس قد أجمعوا أنَّ الظِّهارَ يقع بلفظٍ واحدٍ. وإنما تأويلُ الآية: أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يُطلِّقون بالظِّهار، فجعلَ الله حُكمَ الظِّهارِ في الإسلام خِلافَ حُكمِه عندهم في الجاهلية، وأنزلَ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ يريد في الجاهلية «ثم يعودون لما قالوا» في الإسلام، أي: يَعودون لِما كانوا يقولونه مِنْ هذا الكلام، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ قال

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٩٢: وهو حرف مشكل، واختلف الناس فيه قديماً وحديثاً، وأما القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعاً، لا يصح، وإنما يشبه أن يكون من جهالة داود وأشياعه. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨٠: اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: **﴿ثم يعودون لما قالوا﴾** فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم وقول داود. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع والعزم على الجماع أو الإمساك، فلا تحل له حتى يكفّر بهذه الكفارة. وقد حكي عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإمساك وعنه: أنه الجماع، وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة.

(٢) البقرة: ٢١٠.

المُفسّرون: المعنى: فعَلَيهم، أو فكفَّارَتُهم تحريرُ رَقبةٍ[١]، أي: عِتقُها. وهل يُشترط أنْ تكونَ مؤمنةً؟ فيه عن أحمدَ روايتان. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ وهو: كنايةٌ عن الجِماعِ، على أنَّ العلماء قد اختلفوا هل يُباحُ للمُظاهِرِ الاستِمتاعُ باللمسِ والقُبلَةِ؟ وعن أحمدَ روايتان. وقال أبو الحسَنِ الأخفَشُ: تقديرُ الآيةِ: والذين يُظاهرون مِنْ نسائِهم فتحريرُ رقبةٍ لِمَا قالوا ثم يَعودون إلى نِسائِهم.

فصل: إذَا وَطِئَ المُظاهِرُ قبلَ أنْ يُكفِّرَ أَثِمَ، واستَقرَّت الكفَّارَةُ، وقال أبو حَنيفَةَ: يسقط الظِّهارُ والكفَّارةُ. واختلف العلماءُ فيما يجب عليه إذا فَعَلَ ذلك، فقال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وطَاوسٌ، ومُجاهِدٌ، وإبراهيمُ، وابنُ سِيْرِينَ: عليه كفَّارةٌ واحدةٌ، وقال الزُّهريُ، وقَتادةُ في آخرين: عليه كفَّارَتانِ. فإنْ قال: أنتِ عليَّ كَظَهْرِ أمي اليومَ، بَطلَ الظِّهارُ بمُضيِّ اليومِ، هذا قول أصحابنا؛ وأبي حَنيفَةَ، والثَّوري، والشَّافعي، وقال ابنُ أبي لَيلى، ومالكٌ، والحسَنُ بنُ صَالحٍ: هو مُظاهِرٌ أبداً. واختلفوا في الظِّهارِ مِنَ الأمَةِ، فقال ابنُ عباسٍ: ليس مِنَ الأمَةِ ظِهارٌ، وبه قال سَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والشَّعْبيُ، والنَّخعيُ، و أبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُّ، وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وطَاوسٌ، وعَطاءٌ، والأوزاعِيُ، والثَّوريُ، ومالكٌ: هو ظِهارٌ. وَنقلَ أبو طالبٍ عن أحمدَ أنه قال: لا يكون مُظاهِراً مِنْ أَمَتِه، ولكن يلزمه كفَّارةُ الظِّهارِ، كما قال في المرأة إذا ظاهَرَتْ مِنْ زوجِها لم تكنْ مُظاهِرةً، وتلزَمُها كَفَّارَةُ الظِّهارِ. واختلفوا فيمَنْ قال: أنتِ عليَّ كظَهْرِ أبي، فقال مالكٌ: هو مُظاهِرٌ، وهو قولُ أصحابنا، وقال أبو حَنيفَةَ والشَّافعيُ: لا يكون مُظاهِراً. واختلفوا فيمَنْ ظاهَرَ مِراراً، فقال أبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُ: إنْ كان في مجالس، فكفَّاراتٌ، وإن كان في مجلسٍ واحدٍ، فكفَّارَةٌ: قال القاضي أبو يَعلَى: وعلى قولِ أصحابنا يلزمه كفَّارَةٌ واحدةٌ، سواءٌ كان في مجلسٍ واحدٍ، أو في مجالس، ما لم يُكفِّرْ، وهذا قولُ مالكٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ قال الزَّجَّاجُ: ذَلِكُم التَّغليظُ تُوعَظون به. والمعنى: أنَّ غِلَظَ الكفَّارةِ وَعْظٌ لكم حتى تتركوا الظِّهارَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾ يعني: الرَّقبة ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ﴾ أي: فعليه صيامُ شهرين[٢] ﴿مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصيامَ فكفَّارتُه إطعامُ ﴿سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الفَرضُ ذلك الذي وَصَفنا ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ أي: تُصَدِّقوا بأنَّ الله أمَرَ بذلك، وتُصدِّقوا بما أتى به الرَّسولُ ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ يعني: ما وَصفَهُ الله مِنَ الكفَّاراتِ في الظِّهارِ ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: لِمَنْ جَحَد هذا وكذَّبَ به.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٠٥: وظاهر قوله تعالى، يرتبط الوجوب بالعود، وفيه يرتبط كيفما كانت حالة الارتباط، بيد أنه للمسألة حرف جرى في ألسنة علمائنا من غير قصد، وهو مقصود المسألة، وذلك أن المعتبر في الكفارة صفة العبادة أو صفة العقوبة. والشافعي اعتبر صفة العقوبة، ونحن اعتبرنا صفة القربة، والقرب إنما يعتبر في حال الإجراء خاصة بحال الأداء، كالطهارة والصلاة، والذي يعتبر فيه حالة الوجوب هي الحدود، والطهارة ليست مقصودة لنفسها، وإنما تراد للصلاة، فاعتبر حال فعل الصلاة فيها. قلنا: وكذلك الكفارة ليست مقصودة لنفسها، وإنما تراد لحل المسيس، فإذا احتيج إلى المسيس اعتبرت الحالة المذكورة فيها.

(٢) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ١٩٧: يقتضي أن الوطء للزوجة في ليل الظهار يبطل الكفارة، لأن الله سبحانه شرط في كفارة الظهار فعلها قبل التماس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قد ذكرنا معنى المُحادَّةِ في التَّوبة(١)، ومعنى «كُبِتوا» في آل عِمران عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾(٢)، وقال ابنُ عباسٍ: أُخزُوا يومَ الخَندقِ بالهزيمة كما أُخزيَ الذين مِنْ قَبلِهم ممَّنْ قاتلَ الرُّسلَ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: مِنْ قبورِهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ مِنْ معاصيهِ، وتضييعِ فرائضِه ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أي: حَفِظَهُ اللهُ عليهم ﴿وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْ أعمالِهم في السِّرِّ والعَلانيةِ ﴿شَهِيدٌ﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: أَلَمْ تعلَمْ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ وقرأ أبو جعفرَ «ما تكون» بالتاء. قال ابنُ قُتيبةَ: النَّجوى: السِّرارُ. وقال الزَّجَّاجُ: ما يكون مِنْ خَلوةِ ثلاثةٍ يُسِرُّون شيئاً، ويتناجَوْنَ به ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي: عالِمٌ به. و «نجوى» مُشتقٌّ مِنَ النَّجْوة، وهو ما ارتفعَ. وقرأ يعقوبُ «ولا أكثرُ» بالرفع. وقال الضَّحَّاكُ: «إلاَّ هو معهم» أي: عِلْمُه معهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٣٩٩] أحدهما: نزلت في اليهودِ والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يَتناجَوْنَ فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويَتغامزونَ بأعيُنِهم، فإذا رأى المؤمنون نَجواهُم قالوا: ما نراهُم إلاَّ قد بَلَغهم عن أقربائِنا وإخوانِنا الذين خرجوا في السَّرايا، قَتْلٌ أو موتٌ، أو مُصيبةٌ، فيقع ذلك في قلوبهم، ويُحزِنُهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدَّم أصحابُهم. فلمَّا طالَ ذلك وكَثر، شكا المؤمنون إلى رسولِ الله ﷺ، فأمَرهُم أنْ لا يتناجَوْا دونَ المسلمين، فلم يَنْتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٣٩٩] لم أره مسنداً. وذكره الواحدي في «الأسباب» ٧٩٢ عن ابن عباس ومجاهد بدون إسناد، فهو لا شيء.

---

(١) التوبة: ٦٣. (٢) آل عمران: ١٢٧.

والثاني: أنها نزلت في اليهودِ، قاله مُجاهِدٌ[١].

[١٤٠٠] قال مُقاتِلٌ: وكان بينَ اليهود وبيَن رسولِ الله مَوادَعَةٌ، فإذا رَأوا رجلاً مِنَ المسلمين وحدَهُ تناجَوْا بينهم فيظنُّ المسلمُ أنهم يَتناجَوْنَ بقتْلِه أو بما يكرَهُ فيترك الطريقَ مِنَ المَخافةِ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنهَاهُم عَنِ النَّجْوَى فلم يَنْتهوا وعادوا إليها، فنزلت هذه الآيةُ. وقال ابنُ السَّائبِ: نزلت في المنافقين[٢]. والنَّجْوَى: بمعنى المُناجاةِ ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ إلى المُناجاة التي نُهوا عنها ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ﴾ قرأ حمزَةُ، ويعقوبُ إلاَّ زيداً، ورَوْحاً «ويتنجَّون» وقرأ الباقون «ويتناجون» بألِفٍ. وفي معنى تناجِيْهِم ﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وجهان: **أحدهما**: يَتناجَوْنَ بما يَسُوءُ المسلمين، فذلك الإثمُ والعُدوانُ، ويُوصي بعضُهم بعضاً بمعصيةِ الرَّسولِ. **والثاني**: يَتناجَوْنَ بعد نهي الرسولِ لهم، ذلك هو الإثمُ والعُدوانُ ومعصيةُ الرسولِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ اختلفوا فيمَنْ نزلت على قولين:

[١٤٠١] **أحدهما**: أنها نزلت في اليهود. قالت عائشةُ رضي الله عنها: جاء ناسٌ مِنَ اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: السَّامُ عليكَ يا أبا القاسم، فقلتُ: السَّامُ عليكم، وفَعَلَ اللهُ بكم، فقال رسولُ الله ﷺ: مَهْ يا عائشةُ، فإنَّ اللهَ لا يحبُّ الفُحشَ، ولا التَّفَحُّشَ، فقلتُ: يا رسولَ الله، ترى ما يقولون؟ فقال: ألستِ تَرَينَ أردُّ عليهم ما يقولون، وأقولُ: وعليكم، قالت: فنزلت هذه الآيةُ في ذلك. قال الزَّجَّاجُ: والسَّامُ: الموت.

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ.

قال المُفسِّرون: ومعنى «حيَّوك» سَلَّموا عليكَ بغيرِ سلام الله عليكَ، وكانوا يقولون: السَّامُ عليكَ. فإذا خرجوا يقولون في أنفُسِهم، أو يقول بعضُهم لبعضٍ: لَو كان نبيّاً عُذِّبنا بقولنا له ما نقول.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾ فيها قولان: **أحدهما**: نزلت في المنافقين، فالمعنى: يا أيُّها الذين آمنوا بزعمِهم، وهذا قولُ عَطاءٍ ومُقاتِلٍ. **والثاني**: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نَهاهُم عن فعلِ المنافقين واليهودِ، وهذا مذهبُ جماعةٍ، منهم الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ﴾ هكذا قرأ الجماعة بألِفٍ. وقرأ يعقوبُ وحدَهُ «فلا تتنجَّوا». فأمَّا «البِرُّ» فقال مُقاتِلٌ: هو الطَّاعةُ، و«التقوى» تَرَكُ المعصيةِ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: «البِرُّ» الصدقُ،

[١٤٠٠] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية كذبه غير واحد.

[١٤٠١] صحيح. أخرجه البخاري ٦٤٠١ والبغوي في «شرح السنة» ٣٢٠٦ عن قتيبة بن سعيد به. وأخرجه البخاري ٢٩٣٥ و ٦٠٣٠ وفي «الأدب المفرد» ٣١١ من طريق أيوب عن ابن مليكة به. وأخرجه مسلم ٢١٦٥ح ١١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٦٢ من طريق مسروق عن عائشة به. وأخرجه البخاري ٦٠٢٤ و ٦٢٥٦ و ٦٣٩٥ ومسلم ٢١٦٥ والترمذي ٢٧٠١ وأحمد ٦/ ٣٧ و ١٩٩ وعبد الرزاق ١٩٤٦ وابن حبان ٦٤٤١ والبيهقي في «السنن» ٩/ ٢٠٣ وفي «الآداب» ٢٨٦ من طرق عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

---

(١) انظر الأثر المتقدم.

(٢) عزاه المصنف لابن السائب الكلبي، وهو متروك متهم.

ـ وورد مختصراً في ذكر المنافقين فحسب، من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٧٧٠.

و«التقوى» تَرْكُ الكَذِبِ. ثم ذكر أنَّ ما يفعله اليهودُ والمنافقون، مِنَ الشيطان، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: مِنْ تزيينه، والمعنى: إنما يُزَيِّنُ لهم ذلك ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وقد بَيَّنَّا آنِفاً ما كان يُحزِنُ المؤمنين مِنْ هذه النَّجْوى ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا﴾ أي: وليس الشيطانُ بضارٍّ المؤمنين شيئاً ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بإرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فَلْيَكِلُوا أمورَهم إليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إذا قيل لكم تفسَّحُوا في المَجْلسِ﴾ وقرأ عاصِمٌ «في المجالس» على الجمع، وذلك أنَّ كلَّ جالسٍ له مجلسٌ، فالمعنى: لِيَفْسَحْ كلُّ رجلٍ منكم في مَجْلِسِهِ[(١)].

[١٤٠٢] قال المُفسِّرون: نزلت في نَفَرٍ مِنَ المؤمنين كانوا يُسابقون إلى مجلسِ رسول الله ﷺ، فإذا أقبلَ المهاجرون وأهلُ السَّابقةِ، لم يجدوا موضعاً، وكان رسولُ الله ﷺ يحبُّ أنْ يَلِيَهُ أولو الفَضْلِ ليحفظوا عنه، فبينما رسولُ الله ﷺ يومَ جُمعةٍ جالسٌ في صُفَّةٍ ضَيِّقةٍ في المسجدِ، جاء نَفَرٌ مِنْ أهلِ بَدرٍ فيهم ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، فسَلَّموا وانتظروا أنْ يُوسِّعوا لهم، فأوسَعوا لبعضِهم، وبقي بعضهم، فشقَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ، فقال: قُمْ يا فُلانُ، قُمْ يا فُلانُ، حتى أقامَ مِنَ المجلس على عِدَّةِ مَنْ هو قائمٌ مِنْ أهل السابقةِ، فرأى رسولُ الله ﷺ في وجوهِ مَنْ أقامَهُم الكراهةَ، وتكلَّم المنافقون في ذلك وقالوا: واللهِ ما عَدَلَ، فنزلت هذه الآية.

وقال قَتادَةُ: كانوا يتنافسون في مجلسِ رسولِ الله ﷺ، فإذا أقبلَ مُقبِلٌ ضَنُّوا بمجلِسِهم، فأمَرَهُم اللهُ أنْ يفسحَ بعضُهم لبعضٍ. قال المفسِّرون: ومعنى «تفسَّحوا» توسَّعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون مُتصافِّينَ حولَ رسول الله ﷺ فلا يجدُ غيرُهم مجلساً عنده، فأمَرَهُم أنْ يُوسِّعوا لغيرِهم ليتساوى النَّاسُ في الحظِّ منه، ويُظهِرَ فضيلةَ المُقرَّبين إليه مِنْ أهل بدرٍ وغيرِهم.

وفي المراد «بالمجلس» هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مجلسُ الحرب ومَقاعِدُ القتال، كان الرجل يأتي القومَ في الصَّفِّ، فيقول لهم: توسَّعوا، فيأبَوْنَ عليه لِحِرصِهم على القتال، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ والحَسنِ وأبي العاليةِ والقُرَظي. **والثاني**: أنه مَجلسُ رسولِ الله ﷺ، قاله مُجاهِدٌ. وقال قَتادَةُ: كان هذا للنبيِّ ﷺ ومَنْ حولَهُ خاصَّةً. **والثالث**: مجالسُ الذِّكرِ كلِّها، رُوِيَ عن قَتادَةَ أيضاً. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام وأبو رَزِينٍ وأبو عبدِالرَّحمنِ ومُجاهِدٌ والحَسَنُ وعِكرِمَةُ وقَتادَةُ وابنُ أبي عَبلَةَ والأَعمَشُ: «تفسحوا في المجالس» بألِفٍ على الجمع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يُوسِّعُ اللهُ لكم الجنَّةَ، والمجالسَ فيها. ﴿وَإِذَا قِيلَ

[١٤٠٢] عزاه ابن كثير ٤/٣٨٣ ـ ٣٨٤ لابن أبي حاتم عن مقاتل، وهذا مرسل، ومقاتل ذو مناكير، وهذا منها.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٨/١٢: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال.

أَنشُزُوا﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ «انْشُزُوا فانشزُوا» برفع الشين فيهما. وقرأ ابنُ كَثِيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: بكسرِ الشين فيهما. ومعنى «انشزوا» قُوموا. قال الفَرَّاءُ: وهما لُغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسةُ أقوالٍ(١): أحدها: أنه القيامُ إلى الصَّلاةِ، وكان رجالٌ يتثاقلون عنها، فقيلَ لهم: إذا نُودِيَ للصلاة فانهضوا، هذا قولُ عِكرِمَةَ، والضَّحَّاكِ. والثاني: أنه القيامُ إلى قتالِ العدوِ، قاله الحسَنُ. والثالث: أنه القيامُ إلى كلِّ خيرٍ، مِنْ قتالٍ، أو أمرٍ بمعروفٍ، ونحوِ ذلك، قاله مُجاهِدٌ.

[١٤٠٣] والرابع: أنه الخُروجُ مِنْ بيتِ رسولِ الله ﷺ، وذلك أنهم كانوا إذا جلسوا في بيتِ رسول الله ﷺ أطالوا ليكونَ كلُّ واحدٍ منهم آخِرَهُم عهداً به، فأُمِروا أنْ يَنشُزوا إذا قِيلَ لهم: انْشُزوا، قاله ابنُ زيدٍ. والخامس: أنَّ المعنى: قوموا وتَحرَّكوا وتوسَّعوا لإخوانِكم، قاله الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ أي: يرفعهم بإيمانِهم على مَنْ ليس بمنزلَتِهم مِنْ أهلِ الإيمان ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ على مَنْ ليس بعالِمٍ. وهل هذا الرفعُ في الدنيا، أمْ في الآخرة؟ فيه وَجْهانِ: أحدهما: أنه إخبارٌ عن ارتفاع دَرجاتِهم في الجنَّةِ. والثاني: أنه ارتفاعُ مجالِسهم في الدنيا، فيكون ترتيبُهم فيها بحسبِ فضائِلهم في الدِّينِ والعِلْم. وكان ابنُ مسعودٍ يقول: أيُّها الناسُ: افهَمُوا هذه الآيَةَ ولْتُرَغِّبْكُم في العِلْمِ، فإنَّ الله يرفَعُ المؤمنَ العالِمَ فوقَ مَنْ لا يعلم دَرجاتٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ في سببِ نُزولِها قولان.

[١٤٠٤] أحدهما: أنَّ الناسَ سألوا رسولَ الله ﷺ حتى شَقُّوا عليه، فأراد الله أنْ يخفِّفَ عن نبيِّهِ،

[١٤٠٣] باطل، أخرجه الطبري ٣٣٧٨٥ عن عبد الرحمن بن زيد، وهذا معضل، وابن زيد واهٍ، والمتن باطل.

[١٤٠٤] ضعيف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «أسباب النزول» للسيوطي ١٠٨٣ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لانقطاعه بينهما.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٨٤: وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخّص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم» اهـ. والأولى ترك القيام لما فيه من مخالفات وذرائع ينبغي سدّها ذلك، وكثير من أهل العلم يجعلونه حتماً لازماً على الطالب وإن كانوا لا يقولونه صريحاً. فإنهم يؤكدون ذلك على أنه من باب احترام وإجلال العلم، والصواب أن نفوسهم هي التي تطلب ذلك. وقد شاهدت حادثة أذكرها ليتبين ويظهر الأمر جلياً في ذلك. كنا في صف وعلى مقاعد الدراسة، وكان حصة القرآن الكريم الطالب يتلو والشيخ يسمع. إذ دخل شيخ آخر كبير وبدل أن يبقى الجميع على ما هم عليه قام الجميع على حين غفلة احتراماً للشيخ وكما تعلم هؤلاء الطلبة مما أدى إلى وقوع كتاب الله عز وجل على الأرض وأخذه الطالب وكأن شيئاً لم يحصل فهذا القيام وفي مثل هذه الحال غير جائز بالإجماع والعالم الذي يرى الطالب، وقد قام له أثناء تلاوة القرآن عليه أن ينهاه عن ذلك وإلا فهو آثم عند جميع الفقهاء وأهل العلم. وقد أجمع أهل الحديث وعلم المصطلح على كراهة القيام لأحد أثناء تلاوة الحديث فكيف أثناء تلاوة القرآن؟!! . نسأل الله أن يبصرنا بعيوبنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

فأنزلَ هذه الآيَةَ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٤٠٥] **والثاني**: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يُكثِرون مُناجاةَ رسولِ الله ﷺ، ويَغلِبون الفقراءَ على المجالسِ، حتى كَرِهَ رسولُ الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآيَةُ، فأمَّا أهلُ العسرة فلم يَجِدُوا شيئاً، وأمَّا أهلُ المَيسَرةِ فبَخِلوا، واشتدَّ ذلك على أصحابِ رسول الله ﷺ، فنزلت الرُّخصةُ، قاله مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ.

[١٤٠٦] وإلى نحوِهِ ذهب مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ، إلاَّ أنه قال: فقَدرَ الفقراءُ حِينئذٍ على مُناجاةِ رسولِ الله ﷺ، ولم يُقدِّمْ أحدٌ مِنْ أهل المَيسَرةِ صدقةً غيرَ عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

[١٤٠٧] وروى مُجاهِدٌ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: آيَةٌ في كتاب الله لم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولن يعملَ بها أحدٌ بعدي، آيةُ النَّجْوَى. كان لي دينارٌ، فبِعتُه بعشرةِ دَراهِمَ، فكلَّما أردتُ أنْ أُناجِيَ رسولَ الله ﷺ قدَّمتُ دِرهماً، فنسخَتْها الآيةُ الأخرى ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾ الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: تقديمُ الصَّدقةِ على المُناجاةِ خيرٌ لكم، لِمَا فيه مِنْ

[١٤٠٥] ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم كما في «الدر» ٦/ ٢٧٢ عن مقاتل بن حيان، وهذا مرسل، فهو ضعيف.

[١٤٠٦] عزاه المصنف لمقاتل بن سليمان، وهو ممن يصنع الحديث، فخبره لا شيء.

[١٤٠٧] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٧٨٨ عن مجاهد مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف. وروي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية، دعاني رسول الله ﷺ فقال: أما ترى ديناراً؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ قال علي: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة. أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ وابن أبي شيبة ١٢/ ٨١ ـ ٨٢ وأبو يعلى ٤٠٠ وابن حبان ٦٩٤١ والعقيلي في «الضعفاء» ٣/ ٢٤٣ من طريق عبيد الله الأشجعي عن سفيان عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأنماري عن علي بن أبي بن أبي طالب به. وأخرجه الطبري ٣٣٧٩٦ وابن حبان ٦٩٤٢ والنسائي في «الخصائص» ١٥٢ عن سفيان الثوري بالإسناد المذكور. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» ٥/ ٢٠٤ من طريق شريك عن عثمان المغيرة به. وفي إسناده علي بن علقمة. قال العقيلي: قال البخاري في حديثه نظر. وفي «الميزان» ٥٨٩٣: وقال ابن المديني: لا أعلم له راوياً غير سالم اهـ. وفي هذه إشارة إلى أنه مجهول. وقال عنه ابن حبان في «المجروحين» ٢/ ١٠٩ منكر الحديث يروي عن علي بما لا يشبه حديثه، فلا أدري سمع منه، أو أخذ ما يروي عنه عن غيره. والذي عندي ترك الاحتجاج به إلا حين وافق الثقات من أصحاب علي اهـ. وتابعه ابن أبي ليلى عند الحاكم ٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٢ وصححه الحاكم على شرطهما! ووافقه الذهبي! والصواب أن فيه يحيى بن المغيرة السعدي، وهو لم يرو له الشيخان، ولا أحدهما لكن وثقه أبو حاتم وابن حبان، وللحديث علة أخرى، وهي الإرسال، حيث رواه ابن أبي ليلى بصيغة الإرسال، وهو كثير الإرسال، ثم وقع تخليط في هذه الرواية فقد جعله من كلام النبي ﷺ بدل كونه من كلام علي، وهذا دليل على أنها رواية واهية ليست بشيء. وأخرج عبد الرزاق في «التفسير» ٣١٧٨ والطبري ٣٣٧٨٩ و ٣٣٧٩١ والواحدي في «الوسيط» ٢٦٦،٤ من طريق مجاهد عن علي بن أبي طالب قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد غيري، آية النجوى: كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله قدمت درهماً، فنسخت بالآية الأخرى **﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾** الآية. وإسناده ضعيف لانقطاعه بين مجاهد وعلي.

. الخلاصة: هو خبر ضعيف ولا يحتج بمثل هذه الأخبار في هذه المواضع، فلا يثبت بمثل ذلك سبب نزول آية ولا كونها خاصة. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٥٦ و ٢٠٥٧ بتخريجنا.

طاعةِ الله، وأطهرُ لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ يعني: الفقراء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذْ عفا عمَّنْ لا يجد. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أي: خِفتم بالصَّدقةِ الفاقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فتجاوزَ عنكم، وخَفَّفَ بنَسخِ إيجابِ الصَّدقةِ. قال مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ: إنما كان ذلك عشرَ ليالٍ. قال قَتادةُ: ما كان إلاَّ ساعةً مِنْ نهارٍ.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في المنافقين الذين تولَّوا اليهودَ، ونقلوا إليهم أسرارَ المؤمنين.

[١٤٠٨] وقال السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ: نزلت في عبدِ الله بنِ نبتل المنافقِ، وذلك أنه كان يُجالِسُ رسولَ الله ﷺ، ويرفعُ حديثَهُ إلى اليهود، فدخلَ عليه يوماً، وكان أزرقَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: عَلامَ تَشتُمُني أنتَ وأصحابُكَ؟ فحلَفَ بالله ما فَعَل، فقال له النبيُّ ﷺ: «فعلتَ» فانطلَقَ فجاء بأصحابِه، فحلَفوا بالله ما سَبُّوهُ، فأنزلَ الله هذه الآياتِ.

[١٤٠٩] وروى الحاكِمُ أبو عبدِ الله في صحيحه مِنْ حديثِ ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان في ظِلِّ حُجرةٍ مِنْ حُجَرِه، وعنده نَفَرٌ مِنَ المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسانٌ ينظرُ إليكم بعَيْنَي شيطانٍ، فإذا أتاكم فلا تُكلِّموه، فجاء رجلٌ أزرقُ، فدعاهُ رسولُ الله ﷺ، فقال: عَلامَ تَشتُمُني أنتَ وفلانٌ وفلانٌ؟ فانطلَقَ الرجلُ فدعاهم، فحلَفوا بالله واعتذَروا إليه، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ﴾ الآية.

فأمَّا التفسيرُ، فالذين تولَّوا: هم المنافقون، والمَغضوبُ عليهم: همُ اليهودُ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يعني: المنافقين ليسوا مِنَ المسلمين، ولا مِنَ اليهودِ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سببِ نُزولِها. وقال بعضُهم: حَلَفوا أنهم ما سَبُّوا رسولَ الله ﷺ، ولا تولَّوا اليهودَ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كَذَبةٌ ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ أي: سُترةً يَتَّقون بها القَتْلَ. قال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: استَتَروا بالحَلِفِ، فكلَّما ظهر لهم شيءٌ يُوجِبُ مُعاقَبتَهم حَلَفوا كاذبين. ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: صَدُّوا النَّاسَ عن دِينِ الإسلام، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: صَدُّوا المؤمنين عن جهادِهم بالقتلِ وأخْذِ مالِهم. قوله عزَّ وجلَّ:

[١٤٠٨] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٩٨ عن السدي ومقاتل بدون إسناد، وهذا مرسل.
ـ وله شاهد من حديث ابن عباس وهو الآتي.

[١٤٠٩] حسن، أخرجه أحمد ١/ ٢٤٠١ والحاكم ٢/ ٤٨٢ والطبري ٣٣٨٠٥ والواحدي ٧٩٩. صححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٢ رجال أحمد رجال الصحيح اهـ.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ قال مُقاتِلٌ، وقَتادةُ: يَحلِفون لِلَّه في الآخرةِ أنهم كانوا مؤمنين، كما حَلَفوا لأوليائِه في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مِنْ أيمانِهم الكاذبةِ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ في قولِهم وأيمانِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: غَلَبَ عليهم، وحاذَهم، وقد بَيَّنَّا هذا في سُورَةِ النِّساء عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾(١)، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ أي: في المَغلوبين، فلَهُم في الدنيا ذُلٌّ، وفي الآخرةِ خِزيٌ.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قضى الله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ وفتَحَ الياءَ نافعٌ، وابنُ عامرٍ. قال المُفسِّرون: مَنْ بُعِثَ مِنَ الرُّسلِ بالحرب، فعاقبةُ الأمرِ له، ومَنْ لم يُبعَثْ بالحرب، فهو غالبٌ بالحُجَّةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: مانعٌ حِزبَهُ مِنْ أنْ يُذَلَّ.

قوله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. اختلفوا فيمَنْ نزلت على أربعةِ أقوالٍ:

[١٤١٠] **أحدها**: نزلت في أبي عُبيدَةَ بنِ الجَرَّاح، قَتَلَ أباه يومَ أُحدٍ، وفي أبي بكرٍ دَعا ابنَهُ يومَ بدرٍ إلى البِرازِ، فقال: يا رسولَ الله دَعْني أكون في الرَّعْلَةِ الأولى، فقال: مَتِّعنا بنَفسِكَ يا أبا بكرٍ، وفي مُصعَبِ بنِ عُمَيرٍ، قَتَلَ أخاه عُبيدَ بنَ عُمَيرٍ يومَ أُحدٍ، وفي عمرَ قَتَلَ خالَه العَاصَ بنَ هشامٍ يومَ بدرٍ. وفي عليٍّ وحمزَةَ قَتلا عُتبةَ وشَيبةَ يومَ بدرٍ، قاله ابنُ مسعودٍ.

[١٤١١] **والثاني**: أنها نزلت في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وذلك أنَّ أبا قُحافَةَ سَبَّ رسولَ الله ﷺ، فصَكَّهُ أبو بكرٍ صَكَّةً شديدةً سقطَ منها، ثم ذكرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ فعلتَه»؟ قال: نعم. قال: فلا تَعُدْ إليه، فقال أبو بكرٍ: واللَّهِ لو كان السيفُ قريباً مني لَقتَلْتُه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ جُرَيجٍ.

[١٤١٢] **والثالث**: نزلت في عبدِ اللَّه بنِ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ، وذلك أنه كان جالساً إلى جَنْبِ رسولِ الله ﷺ، فشَرِبَ رسولُ الله ﷺ ماءً، فقال عبدُ الله: يا رسولَ الله أَبقِ فَضلَةً مِنْ شرابِكَ، قال: وما تصنعُ

[١٤١٠] ضعيف، عزاه البغوي في «التفسير» ٤/ ٣١٢/ ٢١٥٤ لمقاتل بن حيان عن مرة الهمْداني عن ابن مسعود قوله: ومقاتل ذو مناكر، وهو غير حجة.

[١٤١١] باطل، أخرجه ابن المنذر كما في «أسباب النزول» ١٠٨٩ عن ابن جريج، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٠٠ عن ابن جريج تعليقاً، وهذا واهٍ ابن جريج مدلس، لم يذكر من حدثه، ومع ذلك هو معضل، فالخبر شبه موضوع، قال الإمام أحمد: هذه المراسيل التي يرسلها ابن جريج كأنها موضوعة.

. راجع «الميزان» في ترجمة ابن جريج واسمه عبد الملك بن عبد العزيز.

[١٤١٢] عزاه المصنف للسدي، ولم أقف عليه، وهو مرسل بكل حال فهو واهٍ.

---

(١) النساء: ١٤١.

بها؟ فقال: أسقيها أبي، لعلَّ الله سبحانه يُطَهِّرُ قلبَه، ففعلَ، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فَضْلَةٌ مِنْ شراب رسولِ الله جئتُكَ بها لتشرَبَها، لعلَّ الله يُطَهِّرُ قلبَكَ، فقال: هلاَّ جئتني ببولِ أُمِّكَ! فرجعَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، ائذَنْ لي في قَتْلِ أبي، فقال رسولُ الله ﷺ: ارْفِقْ به، وأحسِنْ إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السُّدِّيُّ.

[١٤١٣] **والرابع**: أنها نزلت في حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعَة حين كتب إلى أهلِ مكَّة يخبرهم أنَّ رسولَ الله ﷺ قد عَزَم على قَصْدِهم، قاله مُقاتِلٌ، واختاره الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

وهذه الآية قد بيَّنَتْ أنَّ مودَّةَ الكفَّارِ تقدَحُ في صحة الإيمان، وأنَّ مَنْ كان مؤمناً لم يُوَالِ كافراً وإنْ كان أباه أو ابنَهُ أو أحداً مِنْ عشيرته.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، يعني: الذين لا يُوَادُّون مَنْ حادَّ اللّه ورسولَهُ ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ وقرأ المُفَضَّلُ عن عاصِم «كُتِبَ» برفع الكاف والنون مِنَ «الإيمان». وفي معنى «كَتَب» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أثبَتَ في قلوبهم الإيمانَ، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والثاني**: جَعلَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: كَتَبَ في اللَّوحِ المَحفوظِ أنَّ في قلوبهم الإيمانَ، حكاه المَاوَرديُّ. **والرابع**: حَكَمَ لهم بالإيمان. وإنما ذَكَر القلوبَ، لأنها موضعُ الإيمان، ذكره الثَّعلَبيُّ. **والخامس**: جَمعَ في قلوبهم الإيمانَ حتى استكمَلُوه، قاله الوَاحِديُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾ أي قوَّاهم ﴿بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ في المراد «بالرُّوح» ها هنا خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّصرُ، قاله ابنُ عباسٍ والحسَنُ. فعَلَى هذا سُمِّيَ النَّصرُ رُوحاً لأنَّ أَمرَهُم يَحيا به. **والثاني**: الإيمان، قاله السُّدِّيُّ. **والثالث**: القرآن، قاله الرَّبيعُ. **والرابع**: الرَّحمة، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: جبريلُ عليه السلام أَيَّدَهُم به يومَ بَدرٍ، ذكره المَاوَرديُّ. فأمَّا ﴿حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ فقال الزَّجَّاجُ: هم الدَّاخلون في الجمع الذين اصطَفَاهُمُ اللّهُ وارتَضَاهُم، و «ألا» كلمةُ تنبيهٍ وتوكيدٍ للقصة.

[١٤١٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية متهم بالكذب، وخبر حاطب في «الصحيحين» وليس فيه ذكر نزول هذه الآية.

سُورَةُ الحَشْرِ

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

وهي مدنية كلها بإجماعهم، وذَكرَ المُفسِّرون أنَّ جميعَها نَزلَ في بني النَّضِيرِ. وكان ابنُ عباسٍ يُسمِّي هذه السُّورَةَ «سورة بني النَّضِير؛» وهذه الإشارةُ إلى قصَّتِهم.

[١٤١٤] ذكر أهلُ العلم بالتفسير والسِّيَر: أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج إلى مسجدِ قُباءٍ، ومعه نَفرٌ مِنْ أصحابه، فصَلَّى فيه، ثم أتى بني النَّضيرِ، فكلَّمهم أنْ يُعينوه في دِيَةِ رجلين كان قد آمَنَهُما، فقتلهما عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهَمُّوا بالغَدْرِ به، وقال عمرُو بنُ جحاشٍ: أنا أظهَرُ على البيتِ، فأطرَحُ عليه صخرةً، فقال سَلاَّمُ بنُ مِشْكَم: لا تفعلوا، واللهِ ليُخبرَنَّ بما هَمَمتُم به، وجاء رسولَ الله ﷺ الخبرُ، فنهضَ سريعاً، فتوجَّهَ إلى المَدينةِ، فَلحقَهُ أصحابُه، فقالوا: قُمتَ ولم نَشعُرْ؟! فقال: هَمَّتْ يهودُ بالغَدرِ، فأخبرني اللَّهُ بذلك، فقُمتُ، وبعَثَ إليهم رسولُ الله ﷺ محمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ: أنِ اخرُجوا مِنْ بلدتي، فلا تُساكِنوني، وقد هَمَمتُم بما هَمَمتُم به، وقد أجَّلتُكم عشراً. فمَنْ رُئِيَ بعد ذلك ضربتُ عُنقَهُ، فمَكثوا أياماً يتجهَّزون، فأرسلَ إليهم ابنُ أُبَيٍّ: لا تخرجوا، فإنَّ معي ألفين مِنْ قومي وغيرِهم، وتَمُدُّكُمْ قُرَيظَةُ، وحُلفاؤُكم مِنْ غطفانَ، وطَمِعَ حُيَيٌّ فيما قال ابنُ أُبَيٍّ، فأرسل إلى رسولِ الله ﷺ: إنَّا لا نخرجُ، فاصنَعْ مَا بَدَا لَكَ، فكبَّرَ رسولُ الله ﷺ، فَكَبَّرَ المسلمون لِتكبيرِهِ، وقال: حاربتْ يهود، ثم سارَ إليهم في أصحابه، فلمَّا رَأَوْهُ، قاموا على حُصونِهم معهم النَّبْلُ والحجارةُ، فاعتزَلَتْهُم قُرَيظةُ، وخذلَهم ابنُ أُبَيٍّ وحُلفاؤُهم مِنْ غطَفانَ، وكان رئيسُهم كَعبُ بنُ الأشْرَفِ قد خرج إلى مكَّةَ فعاقَدَ المشركين على التظاهُرِ على رسولِ الله ﷺ، فأخبرَ اللَّهُ نبيَّهُ بذلك، فبَعثَ محمَّد بنَ مَسْلَمةَ فاغترَّه فقتَلَهُ، وحاصَرهُم رسولُ الله ﷺ وقطعَ نَخْلَهُم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادِكَ، فأَجلاهُم عن المدينة، فمضى بعضُهم إلى الشَّام، وبعضُهم إلى خَيْبر، وقَبَضَ أموالَهم وسلاحَهُم، فوجد خمسينَ درْعاً، وخمسينَ بيضةً، وثلاثمائةَ وأربعين سيفاً.

فأمَّا التفسيرُ فقد ذكرنا فاتحةَ هذه السُّورةِ في أوَّلِ الحديد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

[١٤١٤] عزاه المصنف لأهل التفسير والسير، ولم أره بهذا اللفظ، والظاهر أنه ساقه بمعناه. وانظر «السيرة النبوية» ٣/ ١٥١ و «تفسير ابن كثير» ٤/ ٣٩١ و «الدر المنثور» ٦/ ٢٧٧ و «أسباب النزول» ٨٠٢.

ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: يهود بني النَّضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ أي: مِنْ منازِلِهم ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أولُ مَنْ حُشِرَ وأُخرِجَ مِنْ دارِه، قاله ابنُ عباسٍ. وقال ابنُ السَّائبِ: هم أولُ مَنْ نُفِيَ مِنْ أهلِ الكتاب. **والثاني**: أنَّ هذا كان أوَّلَ حَشرِهِم، والحَشرُ الثاني: إلى أرضِ المَحشرِ يومَ القيامة، قاله الحسنُ.

[١٤١٥] قال عِكرمَةُ: مَنْ شكَّ أنَّ المَحشرَ إلى الشَّام فليقرأ هذه الآيَةَ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال لهم يومَئذٍ: اخرُجوا، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرضِ المَحشرِ.

والثالث: أنَّ هذا كان أول حشرهم وأن الحَشرَ الثاني: نارٌ تَحشرُهم مِنَ المَشرقِ إلى المَغربِ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: هذا كان أولَ حَشرِهم مِنَ المدينةِ، والحَشرُ الثاني: مِنْ خَيْبَرٍ وجميعُ جزيرةِ العرب إلى أَذرعاتٍ وأَرِيحا مِنْ أرضِ الشَّامِ في أيام عمرَ بن الخطَّابِ، رضي الله عنه، قاله مُرَّةُ الهَمْدَاني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ يُخاطب المؤمنين ﴿أَن يَخْرُجُوا۟﴾ مِنْ ديارهم لِعزِّهم، ومَنَعتِهم، وحُصونِهم ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾: يعني: بني النَّضيرِ أنَّ حُصونَهم تَمنعُهم مِنْ سُلطانِ الله ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ وذلك أنَّه أَمرَ نبيَّهُ ﷺ بقتالِهم وإجلائِهم، ولم يكونوا يظنُّون أنَّ ذلك يكون، ولا يَحسبونَهُ ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ لِخوفِهم مِنْ رسول الله ﷺ، وقيلَ: لِقتلِ سيِّدِهم كَعْبِ بن الأشرَفِ ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمروٍ «يُخَرِّبون» بالتشديد. وقرأ الباقون «يُخرِبُون» بالتخفيف وهل بينهما فَرْقٌ، أمْ لا؟ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ المشددةَ معناها: النَّقضُ والهَدمُ. والمُخفَّفةَ معناها: يَخرجون منها ويَتركُونَها خَراباً مُعطَّلَةً، حكاه ابنُ جريرٍ. ورُويَ عن أبي عمروٍ أنه قال: إنما اخترتُ التشديدَ، لأنَّ بني النَّضيرِ نَقَضوا منازِلَهم، ولم يَرتحِلوا عنها وهي مَعمُورَةٌ. **والثاني**: أنَّ القراءتين بمعنىً واحدٍ. والتَّخريبُ والإخرَابُ لُغتانِ بمعنىً، حكاه ابنُ جريرٍ عن أهلِ اللغةِ. ولِلمُفسِّرين فيما فعلوا بمنازِلِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه كان المسلمون كلَّما ظهروا على دارٍ مِنْ دُورِهم هَدَمُوها لِيَتَّسِعَ لهم مكانُ القتال، وكانوا هم يَنقُبونَ دُورَهُم، فيخرجون إلى ما يَلِيها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه كان المسلمون كلَّما هَدَموا شيئاً مِنْ حُصونِهم نَقَضُوا هم ما يَبْنُون به الذي خَرَبَهُ المسلمون، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنهم كانوا ينظرون إلى الخَشبةِ في منازِلِهم، أو العَمودِ، أو البابِ، يَستَحسِنُونَهُ، فَيَهدِمون

[١٤١٥] هو مرسل وورد موصولاً. أخرجه البزار ٣٤٢٦ «كشف» من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس. وإسناده ضعيف لضعف أبي سعد البقال. وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٨٣٥٥: فيه أبو سعيد البقال، والغالب على حديثه الضعف. قلت: وكون المحشر في الشام، ورد في أحاديث أخرى. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٥٨٧٣ بتخريجنا.

البيوتَ، ويَنزِعونَ ذلك منها، ويَحمِلُونَهُ معهم، ويَخرِبُ المؤمنون باقيَها، قاله الزهْريُ. **والرابع**: أنهم كانوا يَخربُونها لئلاَّ يَسكُنَها المؤمنون، حَسَداً منهم، وبَغْياً، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ الاعتبار: النَّظرُ في الأمورِ، لِيُعرفَ بها شيءٌ آخرُ مِنْ جنسها، و «الأبصار» العقول. والمعنى: تدبَّروا ما نَزلَ بهم ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ وهو خُروجُهم مِنْ أوطانهم. وذكرَ الماوَرديُ بينَ الإخراجِ والجَلاءِ فَرقَين: **أحدهما**: أنَّ الجَلاءَ: ما كان مع الأهلِ والوَلَدِ، والإخراجَ: قد يكون مع بقاء الأهلِ والوَلَدِ. **والثاني**: أنَّ الجَلاءَ لا يكون إلاَّ لجماعةٍ. والإخراجَ: قد يكون لواحدٍ ولجماعةٍ. والمعنى: لولا أنَّ الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالقتلِ والسَّبْي، كما فعل بقُريظةَ ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ مع ما حلَّ بهم في الدنيا ﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ﴾ الذي أصابَهُم ﴿بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ وقد سبقَ بيانُ الآيةِ[1]. قال القاضي أبو يَعلَى: فقد دَلَّت هذه الآيةُ على جوازِ مصالحةِ أهلِ الحرب على الجَلاءِ مِنْ ديارِهم مِنْ غير سَبْيٍ ولا استِرقاقٍ، ولا جِزيَةٍ، ولا دخولٍ في ذِمَّةٍ، وهذا حُكمٌ مَنسُوخٌ إذا كان في المسلمين قوةٌ على قتالِهم، لأنَّ الله تعالى أمرَ بقتال الكفارِ حتى يُسلِموا، أو يُؤدُّوا الجِزيَةَ. وإنَّما يجوز هذا الحُكمُ إذا عَجزَ المسلمون عن مُقاومَتِهم فلم يقدروا على إدخالِهم في الإسلام أو الذِّمَّةِ، فيجوز لهم حِينَئذٍ مصالحَتُهم على الجَلاءِ مِنْ بلادِهم. وفي هذه القصة دلالةٌ على جواز مُصالحَتِهم على مجهولٍ مِنَ المال.

[١٤١٦] لأنَّ النبيَّ ﷺ صَالَحَهُم على أرضِهم، وعلى الحَلْقَةِ[2]، وتَرَكَ لهم ما أَقَلَّتِ الإبلُ، وذلك مجهولٌ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾.

[١٤١٧] سببُ نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ حَرقَ نَخلَ بني النَّضيرِ وقَطعَ، فنزلت هذه الآيةُ، أخرجَهُ البُخاريّ ومُسلِمٌ مِنْ حديث ابنِ عمرَ.

[١٤١٨] وذكر المُفسِّرون أنه لمَّا نزلت ببَني النَّضير تحصَّنوا في حُصونِهم، فأمَرَ بقَطْعِ نخيلِهم،

[١٤١٦] صحيح. أخرجه أبو داود ٣٠٠٤ مطولاً عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم، وجهالة الصحابي لا تضر.
وأخرجه الطبري ٣٣٨٢٥ عن الزهري مرسلاً. وله شواهد كثيرة.

[١٤١٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٠٣١ والبغوي ٣٦٧٦ عن آدم به من حديث ابن عمر. وأخرجه البخاري ٤٨٨٤ ومسلم ١٧٤٦ وأبو داود ١٦١٥ والترمذي ٣٢٩٨ وابن ماجة ٢٨٤٤ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٠٥ وأحمد ٢/ ١٢٣ من طرق عن الليث به. وأخرجه مسلم ١٧٤٦ح ٣١ وابن ماجة ٢٨٤٥ والدارمي ٢/ ٢٢٢ من طريق عبيد الله عن نافع به. وأخرجه البخاري ٣٠٢١ ومسلم ١٧٤٦ وأحمد ٢/ ٧ ـ ٨ و ٥٢ و ٨٠ والطبري ٣٣٨٥٣ والواحدي ٨٠٦ والبيهقي ٩/ ٨٣ والبغوي في «شرح السنة» ٣٦٧٥ من طرق عن جويرية عن نافع به.
وأخرجه البيهقي ٩/ ٨٣ من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن نافع.

[١٤١٨] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨٠٤ من غير عزوٍ لقائل. وورد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٣٨٥١.
وورد من مرسل يزيد بن رومان، أخرجه الطبري ٣٣٨٥٠.

---

(١) الأنفال: ١٣، ومحمد: ٣٢.

(٢) أي السلاح.

وإحراقِها، فَجزِعُوا، وقالوا: يا محمَّدُ زَعمتَ أنكَ تُريد الصَّلاحَ، أفمن الصَّلاحِ عَقرُ الشجرِ، وقَطعُ النَّخلِ؟ وهل وجدتَ فيما أُنزِلَ عليكَ الفسادَ في الأرض؟ فشَقَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ، ووَجدَ المسلمون في أنفسِهم مِنْ قولِهم. واختلف المسلمون، فقال بعضُهم: لا تقطعوا، فإنه ممَّا أفاءَ اللَّهُ علينا. وقال بعضُهم: بل نُغيظُهم بقَطعِها، فنزلت الآيةُ بتصديق مَنْ نهى عن قَطعِه، وتحليلِ مَنْ قَطعَهُ مِنَ الإثم، وأخبرَ أنَّ قَطْعَهُ وتَرْكَهُ بإذنِ الله تعالى.

وفي المراد «باللِّينَةِ»[1]: ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النَّخلُ كلُّه ما خلا العَجْوَة، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. وبه قال عِكرمَةُ، وقَتادةُ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنها النَّخلُ والشجرُ، رواه عطاءٌ عن ابنِ عباس. **والثالث**: أنها ألوانُ النَّخلِ كلُّها إلاَّ العَجوَة، والبَرْنِيَّة، قاله الزُّهريُّ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبة. وقال الزَّجَّاجُ: أهلُ المدينة يُسمُّونَ جميعَ النَّخيلِ: الألوانُ، ما خلا البَرْنِيّ، والعَجوَةِ. وأصلُ «لِينَة» لِوْنة، فقُلِبت الواوُ ياءً لانكسارِ ما قبلَها. **والرابع**: أنها النَّخلُ كلُّه، قاله مُجاهِدٌ وعَطيَّةُ، وابنُ زيدٍ. قال ابنُ جَريرٍ: معنى الآية: ما قَطعتُم مِنْ ألوانِ النَّخيلِ. **والخامس**: أنها كِرامُ النَّخلِ، قاله سُفيانُ. **والسادس**: أنها ضَربٌ مِنَ النَّخلِ يُقال لِتَمرِها: اللَّون، وهي شديدةُ الصُّفْرَةِ، تُرى نَواه مِنْ خارجٍ، وكان أعجبَ تَمرِهِم إليهم، قاله مُقاتِلٌ. وفي عددِ ما قَطعَ المسلمون ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قطعوا وأحرقوا ستةَ نَخلاتٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني**: أحرقوا نخلةً وقطعوا نخلةً، قاله ابنُ إسْحاقَ. **والثالث**: قطعوا أربعَ نَخلاتٍ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال يَزيدُ بنُ رُومانَ ومُقاتِلٌ: بأمرِ الله. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يعني اليهود. وخزيُهم: أنْ يُريَهم أموالَهم يَتحكَّم فيها المؤمنون كيف أحبُّوا. والمعنى: ولِيُخزيَ الفاسقين أذن في ذلك، ودلَّ على المحذوفِ قولُه: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٣٣: والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهي من ألوان النخل ما لم تكن عجوة. ووافقه القرطبي، وقال ابن العربي: والصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين ـ وهو اختيار الطبري ـ: أنهما أعرف ببلدهما وأشجارهما. والثاني: أن الاشتقاق يعضده، وأهل اللغة يصححونه، فإن اللينة وزنها لوْنه، واعتلت على أصولهم فآلت إلى لينة فهي لون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: ما رَدَّ عليهم ﴿مِنۡهُمۡ﴾ يعني: مِنْ بني النَّضير ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ قال أبو عبيدة: الإِيجَافُ: الإِيضَاعُ، والرِّكابُ: الإِبلُ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال: وَجَفَ الفرسُ والبعيرُ، وأوجَفتُه، ومِثلُه: الإِيضَاعُ، وهو الإِسرَاعُ في السَّيرِ. وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: أنه لا شيءَ لكم في هذا، إنما هو لرسولِ الله ﷺ خاصَّةً.

قال المُفسِّرون: طَلَبَ المسلمون مِنْ رسولِ الله ﷺ أنْ يُخَمِّسَ أموالَ بني النَّضِيرِ لمَّا أُجلُوا، فنزلت هذه الآيةُ تُبيِّنُ أنها فَيءٌ لم تحصل لهم بِمُحارَبَتِهم، وإنما هو بتَسليطِ رسولِ الله ﷺ، فهو له خاصَّةً، يفعلُ فيه ما يشاء.

[١٤١٩] فقَسمَهُ رسولُ الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يُعْطِ الأنصارَ منه شيئاً، إلاَّ ثلاثةَ نَفرٍ كانت بهم حاجةٌ، وهم: أبو دُجانَةَ، وسَهْلُ بنُ حُنَيفٍ، والحارثُ بنُ الصِّمَّةِ.

ثم ذَكَر حُكمَ الفَيءِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: مِنْ أموالِ كفَّارِ أهل القرى ﴿فَلِلَّهِ﴾ أي: يأمُرُكم فيه بما أحبَّ، ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ بتحليلِ اللهِ إيَّاهُ. وقد ذكرنا «ذوي القربى واليتامى» في الأنفال[1] وذكرنا هناك الفَرْقَ بين الفَيءِ والغَنيمةِ.

فصل [2]: واختلف العلماء في حُكم هذه الآية، فذهب قومٌ إلى أنَّ المراد بالفَيء ها هنا: الغَنيمةُ التي يأخذها المسلمون مِنْ أموال الكافرين عنوَةً، وكانت في بُدُوِّ الإِسلام للذين سمَّاهم الله ها هنا دونَ الغانِمين المُوجِفِين عليها، ثم نُسِخَ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن

[١٤١٩] ذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٢٩٢ بدون إسناد، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٥٠٥ ذكره الثعلبي بغير سند، وروى الواقدي عن معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد أم العلاء قالت: «لما غنم رسول الله ﷺ بني النضير قال لثابت بن قيس بن شماس: ادع لي الأنصار كلهم فقال: إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم، فقال السعدان: بل تقسمه للمهاجرين ويكونوا في دورنا، فرضيت الأنصار، فأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا رجلين محتاجين سهل بن حنيف، وأبا دجانة، ونفل ابن الحقيق. سعدَ بن معاذ «وكان له ذكر عندهم. . . اهـ وانظر «سنن أبي داود» ٣٠٠٤ حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٩٦: يقول تعالى: مبيناً لمال الفيء، وما صفته؟ وما حكمه؟ فالفيء: كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل، ولا ركاب كأموال بني النضير هذه، فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ ـ فأفاءه الله على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما شاء، فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى في هذه الآيات، فقال: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ أي: من بني النضير ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ يعني الإبل، ﴿ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء. ثم قال: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ أي جميع البلدان التي تفتح هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير. ولهذا قال: ﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾ إلى آخرها والتي بعدها. فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

شَيْءٍ﴾ الآية[1]، هذا قولُ قَتادةَ ويَزيدَ بنِ رُومانَ. وذهَب قومٌ إلى أنَّ هذا الفيءَ: ما أُخِذَ مِنْ أموال المشركين ما لم يُوجَفْ عليه مِنْ خيلٍ ولا رِكابٍ، كالصُّلح، والجِزيَةِ، والعُشورِ، ومالِ مَنْ مات منهم في دارِ الإسلام ولا وارِثَ له، فهذا كان يُقسَمُ في زمنِ رسولِ الله ﷺ خمسةَ أخماسٍ، فأربعةٌ لرسولِ الله ﷺ يفعلُ بها ما يشاء، والخُمسُ الباقي للمذكورين في هذه الآية.

واختلف العلماء فيما يُصنَعُ بسَهْمِ الرسول بعد موتِه على ما بيَّنَّاه في الأنفال، فعَلَى هذا تكون هذه الآيةُ مُبيِّنةً لِحُكمِ الفيءِ، والتي في الأنفال[2] مُبيِّنَةً لِحُكمِ الغنيمة، فلا يَتوجَّهُ النَّسخُ.

قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ يعني الفَيْءَ ﴿دُولَةً﴾ وهو اسمٌ للشيء يَتداوَلُه القومُ. والمعنى: لِئلاً يَتداوَلَه الأغنياءُ بينهم فيَغلِبونَ الفقراءَ عليه. قال الزَّجَّاجُ: الدُّولة: اسمُ الشيء يُتداوَلُ. والدَّولَةُ، بالفتح: الفعلُ والانتقالُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ مِنَ الفَيءِ ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ﴾ عن أخذِه ﴿فَٱنتَهُواْ﴾ وهذا نزلَ في أمرِ الفَيءِ، وهو عامٌّ في كلِّ ما أمرَ به، ونهى عنه. قال الزَّجَّاجُ: ثم بيَّنَ مَن المساكين الذين لهم الحقُّ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ قال المُفسِّرون: يعني بهم المهاجرين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: رِزقاً يأتيهم ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ رضيَ ربِّهم حين خرجوا إلى دارِ الهجرةِ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ في إيمانِهم. ثم مَدحَ الأنصارَ حين طابَتْ نفوسُهم عن الفَيءِ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعني: دارَ الهِجرةِ، وهي المَدينةُ ﴿وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: والذين تبوَّؤوا الدَّارَ مِنْ قبلِهم، أي: مِنْ قبلِ المهاجرين، والإيمانُ عطفٌ على «الدَّار» في الظاهر، لا في المعنى، لأنَّ «الإيمان» ليس بمكانٍ يُتَبَوَّأُ، وإنما تقديره: وآثَروا الإيمانَ، وإسلامُ المهاجرين قبلَ الأنصارِ، وسُكْنَى الأنصار المدينة قبلَ المهاجرين. وقيلَ: الكلامُ على ظاهره، والمعنى: تبوَّؤا الدَّارَ والإيمانَ قبلَ الهجرة ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شارَكوهم في منازِلهم، وأموالِهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حَسَداً وغيظاً ممَّا أُوتيَ المهاجرون. وفيما أُوتُوه قولان: **أحدهما**: مالُ الفَيءِ، قاله الحسَنُ. وقد ذكرنا آنِفاً أنَّ النبيَّ ﷺ قَسَمَ أموالَ بني النَّضِيرِ بين المهاجرين، ولم يُعطِ مِنَ الأنصار غيرَ ثلاثةِ نَفرٍ. **والثاني**: الفضل والتقدُّم، ذكره المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني الأنصار يُؤثِرون المهاجرين على أنفسِهم بأموالِهم ومنازِلهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي فَقرٌ وحاجةٌ، فبَيَّنَ الله عزَّ وجلَّ أنَّ إيثارَهم لم يكن عن غِنًى. وفي سببِ نُزولِ هذا الكلام قولان:

[١٤٢٠] **أحدهما**: أنَّ رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ، وقد أصابه الجَهدُ، فقال: يا رسولَ الله، إني جائعٌ فأطعِمْني، فبَعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أزواجِه: هل عِندَكُنَّ شيءٌ؟ فكُلُّهنَّ قُلْنَ: والذي بَعثَكَ بالحقِّ

[١٤٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ٣٧٩٨ والبغوي في «التفسير» ٢١٦٥ من حديث أبي هريرة. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٠٩ من طريق نصر بن علي الجهضمي عن عبد الله بن داود به. وأخرجه البخاري ٤٨٨٩ ومسلم ٢٠٥٤ والترمذي ٣٣٠٤ والنسائي في «التفسير» ٦٠٢ وابن حبان ٥٢٨٦ والبيهقي ٤/ ١٨٥ وفي «الأسماء والصفات» ٩٧٩ والواحدي في الوسيط» ٤/ ٢٧٣ من طرق عن فضل بن غزوان به.

---

(١) الأنفال: ٤١. (٢) الأنفال: ٤١.

ما عِندَنا إلاَّ الماءُ، فقال: ما عِندَ رسولِ الله ﷺ ما يُطعِمُكَ هذه الليلةَ. ثم قال: «مَنْ يُضِيفُ هذا هذه الليلةَ يرحمه الله؟» فقامَ رجلٌ فقال: أنا يا رسولَ الله، فأتى به منزلَه، فقال لأهلِهِ: هذا ضيفُ رسولِ الله ﷺ، فأكرِميه ولا تَدَّخري عنه شيئاً، فقالت: ما عِندَنا إلاَّ قُوتُ الصِّبْيَةِ، فقال: قومي فعَلِّليهم عن قُوتِهم حتى يناموا ولا يَطْعَموا شيئاً، ثم أَصبِحي سِراجَكِ، فإذا أخذَ الضَّيفُ ليأكلَ، فقومي كأنَّكِ تُصلِحينَ السِّراجَ، فأطفِئيه، وتعالَيْ نَمضَغُ ألسِنَتَنا لأجلِ ضيفِ رسولِ الله ﷺ حتى يشبعَ، ففعلَتْ ذلك، فظَنَّ الضَّيفُ أنهما يأكلانِ معه، فشَبِعَ هو، وباتا طاوِيَيْنِ، فلمَّا أصبحا غَدَوا إلى رسولِ الله ﷺ، فلمَّا نظرَ إليهما تبسَّمَ، ثم قال: ضَحِكَ الله الليلةَ، أو عَجِبَ مِنْ فَعالِكُما، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. خَرَّجَهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي هُريرَةَ. وفي بعضِ الألفاظ عن أبي هُريرَةَ: أنَّ الضَّيفَ كان مِنْ أهل الصُّفَّةِ، والمَضيفَ كان مِنَ الأنصارِ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لقد عَجِبَ مِنْ فَعالِكُما أهلُ السماءِ».

[١٤٢١] والثاني: أنَّ رجلاً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ أُهْدِيَ له رأسُ شاةٍ، فقال: إنَّ أخي فُلاناً وعيالَهُ أحوَجُ إلى هذا، فبَعثَ به إليه، فلم يَزَلْ يَبعَثُ به واحدٌ إلى واحدٍ حتى تناوَلَها سبعةُ أهلِ أبياتٍ، حتى رجعتْ إلى أولئكَ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ عمرَ.

[١٤٢٢] ورُوِيَ نحوُ هذه القصة عن أنسِ بن مالِكٍ قال: أُهدِيَ لبعضِ الصحابة رأسُ شاةٍ مَشويٍّ، وكان مَجهوداً، فوَجَّهَ به إلى جارٍ له فتناولَهُ تسعةُ أنفسٍ، ثم عاد إلى الأولِ، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ قرأ ابنُ السَّمَيفَع، وأبو رجاءٍ «ومن يُوَقَّ» بتشديد القاف. قال المُفسِّرون: هو أنْ لا يأخذَ شيئاً مما نَهاهُ الله عنه، ولا يَمنَعَ شيئاً أَمَرَهُ الله بأدائِه. والمعنى: أنَّ الأنصار ممَّنْ وُقِيَ شُحَّ نفسِه حين طابَتْ أنفسُهم بتَرْكِ الفَيءِ للمهاجرين.

فصل: وقد اختلف العلماء في الشُّحِّ والبُخلِ، هل بينهما فَرْقٌ، أَمْ لا؟ فقال ابنُ جَريرٍ: الشُّحُّ في كلام العرب: هو مَنْعُ الفَضلِ مِنَ المالِ. وقال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الشُّحُّ أبلغُ في المَنْعِ مِنَ البُخلِ، وإنما الشُّحُّ بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل إنما هو في أفراد الأمور وخَواصِّ الأشياء، والشُّحُّ عامٌّ، فهو كالوصفِ اللازم للإنسان مِنْ قِبَلِ الطَّبع والجِبِلَّةِ. وحكى الخَطَّابيُّ عن بعضِهم أنه قال: البُخلُ: أنْ يَضِنَّ بمالِه، والشُّحُّ: أنْ يبخلَ بمالِه ومعروفِه. وقد رَوى أبو الشَّعثاءِ أنَّ رجلاً أتى ابنَ مسعودٍ فقال: إني أخاف أن أكونَ قد هَلَكتُ، قال: وما ذاكَ؟ قال: أسمعُ الله يقول: «ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه» وأنا رجلٌ شَحِيحٌ لا يكاد يخرجُ مِنْ يديَّ شيءٌ، فقال: ليس ذاكَ بالشُّحِّ الذي ذَكَرَهُ الله في القرآن، الشُّحُّ: أنْ تأكلَ مالَ أخيكَ ظلماً، إنما ذلك البُخلُ، وبِئسَ الشيءُ البَخيلُ.

[١٤٢١] ضعيف. أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨٤ وصححه! وتعقبه الذهبي بقوله: عبيد الله ضعفوه. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨١٠ من طريق عبيد الله بن الوليد به. وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٨٩ للحاكم وابن مردويه.

[١٤٢٢] عزاه القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ٢٥ ـ بتخريجنا للثعلبي عن أنس، والثعلبي يروي الواهيات والموضوعات فهذا خبر لا شيء، لخلوه عن كتب الحديث والأثر.

[١٤٢٣] وروى أنسُ بنُ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أدَّى الزكاةَ، وَقَرَى الضَّيفَ، وأعطى في النَّائبةِ».

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني التَّابعين إلى يوم القيامة. قال الزَّجَّاجُ: إنَّ المعنى: ما أفاءَ اللهُ على رسولِه فللَّهِ وللرَّسولِ ولهؤلاءِ المسلمين، وللذين يجيئون مِنْ بَعدِهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبَّةِ أصحابِ رسول الله ﷺ، ودليلُ هذا قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: الذين جاؤوا في حالِ قولِهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا﴾ فمَنْ ترحَّمَ على أصحابِ رسول الله ﷺ ولم يكُنْ في قلبِه غِلٌّ لهم، فلَهُ حَظٌّ مِنْ فَيءِ المسلمين، ومَنْ شَتَمَهُم ولم يترحَّمْ عليهم، أو كان في قلبِه غِلٌّ لهم، فما جعلَ اللهُ له حقّاً في شيءٍ مِنْ فَيءِ المسلمين بنَصِّ الكتاب. وكذلك رُوِيَ عَن مالكِ بنِ أنسٍ رضي الله عنه أنه قال: مَنْ تَنَقَّصَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، أو كان في قلبِه عليهم غِلٌّ، فليس له حقٌّ في فَيءِ المسلمين، ثم تَلاَ هذه الآياتِ(١).

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ يعني: عبدَ الله بنَ أُبيٍّ وأصحابَه ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ﴾ في الدِّين، لأنهم كفَّارٌ مِثلُهم، وهم اليهود ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ مِنَ المدينةِ ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾ أي: في خِذلانِكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذَّبَهم اللهُ تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ ثم ذَكَرَ أنهم يُخلِفُونَهم ما وَعدُوهم مِنَ الخروج والنَّصر بالآية التي تَلِي هذه، فكان الأمرُ على ما ذَكَر اللهُ تعالى، لأنهم أُخرِجُوا فلم يَخرج معهم المنافقون، وقُوتِلوا فلم يَنصروهُم، ومعنى ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ﴾: لَئِنْ قُدِّرَ وجودُ نُصرِهم، لأنَّ اللهَ نفى نصرَهُم، فلا يجوز وجودُه. وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: بَني النَّضير.

قوله عز وجل: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ﴾ يعني: المؤمنين أشدُّ ﴿رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم﴾ وفيهم قولان:

[١٤٢٣] أخرجه الطبري ٣٣٨٨٣ والبيهقي في «الشعب» ١٠٨٤٢ من حديث أنس، وإسناده ضعيف فيه سليمان بن عبد الرحمن روى مناكير، وإسماعيل بن عياش روايته ضعيفة عن غير الشاميين، وشيخه هنا مدني.

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» ١٨/ ٣١.

أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: بَنو النَّضيرِ، قاله الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. **والثاني**: اليهود والمنافقون، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. والمعنى: أنهم لا يَبرُزون لِحَربِكُم، إنما يُقاتلون مُتَحصِّنينَ ﴿فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عَمرٍو، وأبَانُ «مِنْ وراء جدار» بألِفٍ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ «جُدُر» بضم الجيم والدَّال. وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق، وابن أبي عبلة «جَدَر» بفتح الجيم والدال جميعاً، وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، ومُعاوِيَةُ، وعاصِمٌ الجَحْدَرِيُّ «جَذْر» بفتح الجيم وسكونِ الدال. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميِّ، وعِكرِمَةُ، والحسَنُ، وابنُ سِيرِينَ، وابنُ يَعمُرَ «جُدْر» بضمِّ الجيم وإسكانِ الدال ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: عداوةُ بعضِهم لبعضٍ شديدةٌ. **والثاني**: أنَّ بأسَهم بينهم فيما وراءَ الحُصونِ شديدٌ، وإذا خرجوا إليكم فهم أجبَنُ خَلْقِ الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهود والمنافقون، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: بَنو النَّضيرِ، قاله الفَرَّاءُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي هم مختلفون لا تستوي قلوبُهم، ولا يتعاونون بِنِيَّاتٍ مُجتَمِعةٍ، لأنَّ الله تعالى ناصِرٌ حِزْبَهُ، وخَاذِلٌ أعدائَهُ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني ذلك الاختلاف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الحَظُّ لهم.

ثم ضَرَب لليهودِ مَثَلاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم بنو قَيْنُقاعَ. وقال ابنُ عباسٍ: كانوا بَنو قَيْنُقاع يهوداً، وكانوا وَادَعُوا رسولَ الله ﷺ، ثم غَدَروا، فحصَرَهُم، ثم نزلوا على حُكمِه أنَّ له أموالَهم، ولَهم النساءُ والذُّرِّيَّةُ. فالمعنى: مَثَلُ بَني النَّضيرِ فيما فعَلَ بهم كبَنِي قَيْنُقَاع. **والثاني**: أنهم كفَّارُ قُريشٍ يومَ بدرٍ، قاله مُجاهِدٌ. والمعنى: مثل هؤلاءِ اليهودُ كَمَثَلِ المشركين الذين كانوا مِنْ قَبلِهم قريباً، وذلك لِقُرب غزوة بَنِي النَّضيرِ مِنْ غَزاةِ بدرٍ. **والثالث**: أنهم بنو قُرَيظَة، فالمعنى: مَثَلُ بَني النَّضِيرُ كبني قُرَيظَة ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ بأنْ قُتِلَتْ مُقاتِلَتُهم، وسُبِيَتْ ذراريهِم، وهؤلاءِ أُجلُوا عن ديارِهم فَذاقوا وَبالَ أمرِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ثم ضَرَبَ لليهودِ والمنافقين مَثَلاً فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾. والمعنى: مَثَلُ المنافقين في غُرورِهم بَني النَّضيرِ، وقولِهم: لَئِنْ أُخرِجتُم لَنَخرُجَنَّ معكم، ولَئِنْ قُوتِلتُم لَنَنصُرنَّكُم، كَمَثَلِ الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ وفيه قولان[1]: **أحدهما**: أنه مَثَلٌ ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عامٌّ في جميعِ الناس، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه مَثَلٌ ضربه الله تعالى لشخصٍ معينٍ، وعلى هذا جمهورُ المُفسِّرين، وهذا شرحُ قصَّتِه:

ذَكَرَ أهلُ التفسير أنَّ عابداً مِنْ بني إسرائيلَ كانَ يُقال له: برصيصا تعبَّد في صَومعةٍ له أربعين سنةً لا يقدِرُ عليه الشيطانُ، فجمعَ إبليسُ يوماً مَرَدَةَ الشياطين، فقال: ألاَ أحدٌ منكم يكفيني برصيصا، فقال

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٠٢: وقد ذكر بعضهم ها هنا ـ قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثال، لا أنها المرادة وحدها بالمثل، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها.

ـ وقال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره» ٥/ ٢٤٥: وهذا لا يدل على أن هذا الإنسان ـ المذكور في القصة الآتية ـ هو المقصود بالآية بل يدل على أنه من جملة من تصدق عليه.

الأبيضُ، وهو صاحبُ الأنبياء: أنا أكفِيكَهُ، فانطَلَقَ على صفةِ الرُّهبانِ، فأتى صَومعَتَهُ، فناداهُ فلم يُجبْهُ، وكان لا يَنفتِلُ عن صلاته إلاَّ في كلِّ عشرةِ أيام، ولا يُفطِرُ إلاَّ في كلِّ عشرةِ أيام، فلما رأى أنه لا يُجيبه أقبَلَ على العبادة في أصلِ صومَعتِه، فلمَّا انفتَلَ برصيصا، اطَّلَعَ فرآه مُنتصباً يُصلي على هيئةٍ حسنةٍ، فناداهُ: ما حاجَتُكَ؟ فقال: إني أحببتُ أن أكونَ معك، أقتَبِسَ مِنْ عملكَ، وأتأدَّبُ بأدبكَ، ونجتمعُ على العبادة، فقال برصيصا: إني لَفِي شُغلٍ عنكَ، ثم أقبَلَ على صلاتِه، وأقبلَ الأبيضُ يصلي، فلم يُقبِلْ إليه برصيصا أربعينَ يوماً، ثم انفتَلَ، فرآه يصلي، فلمَّا رأى شدَّةَ اجتهادِه قال: ما حاجَتُكَ؟ فأعاد عليه القولَ، فأذِنَ له، فصَعِدَ إليه، فأقام معه حَوْلاً لا يُفطِرُ إلاَّ كلَّ أربعين يوماً، ولا يَنفتِلُ مِنْ صلاته إلاَّ في كلِّ أربعينَ يوماً، وربمَّا زادَ على ذلك، فلمَّا رأى برصيصا اجتهادَهُ، أعجبه شأنُه وتقاصَرتْ إليه نَفسُه، فلما حالَ الحَولُ قال الأبيضُ لبرصيصا: إني مُنطَلِقٌ عنكَ، فإنَّ لي صاحباً غيرَكَ ظننتُ أنكَ أشدُّ اجتهاداً ممَّا أرى، وكان يَبلُغنا عنك غيرَ الذي أرى، فاشتَدَّ ذلك على برصيصا، وكَرِهَ مُفارقَتَهُ، فلما ودَّعَهُ قال له الأبيضُ: إنَّ عندي دَعَواتٍ أُعَلِّمُكَها، يشفي اللهُ بها السَّقيمَ، ويُعافي بها المُبْتَلَى، فقال برصيصا: إني أكرَهُ هذه المنزلةَ، لأنَّ لي في نَفسي شُغلاً، فأخافُ أنْ يعلمَ الناسُ بهذا، فيَشغَلُوني عن العبادة. فلم يَزَلْ به حتى عَلَّمَهُ إيَّاها، ثم انطلَقَ إلى إبليسَ فقال: قد واللهِ أهلكتُ الرجلَ، فانطلَقَ الأبيضُ، فتعرَّضَ لرجلٍ فخنَقَهُ، ثم جاءَهُ في صورةِ رجلٍ مُتطَبِّبٍ، فقال لأهله: إنَّ بصاحِبُكم جُنوناً فأُعالِجُه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إنِّي لا أقوى على جِنِّيِّهِ، ولكنْ سأُرشِدُكُم إلى مَنْ يدعو له فيُعافى فقالوا له: دُلَّنا. فقال: انطلقوا إلى برصيصا العابد فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطَلَقوا إليه فسألُوه فدَعا بتلك الكلماتِ، فذهب عنه الشيطانُ، وكان الأبيضُ يفعلُ بالناس ذلك، ثم يُرشِدُهم إلى برصيصا، فيُعافَوْنَ، فلما طال ذلك عليه انطلَقَ إلى جاريةٍ مِنْ بناتِ ملوكِ إسرائيلَ، لها ثلاثةُ إخوةٍ، فخَنَقَها، ثم جاءَ إليهم في صورة مُتطَبِّبٍ، فقال: أعالِجُها؟ قالوا: نعم. قال: إنَّ الذي عَرَض لها ماردٌ لا يُطاقُ، ولكنْ سأُرشِدُكم إلى رجلٍ تَدْعُونَها عنده، فإذا جاءَ شيطانُها دَعا لها، قالوا: ومَنْ هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أنْ يَقبَلَها منَّا، وهو أعظَمُ شأناً مِنْ ذلك؟! قال: إنْ قَبِلَها، وإلاَّ فضَعُوها في صَومَعَتِه، وقولوا له: هي أمانةٌ عندكَ، فانطلَقُوا إليه، فأبى عليهم، فوَضَعُوها عنده. وفي بعضِ الرِّواياتِ أنه قال: ضَعُوها في ذلك الغَارِ، وهو غارٌ إلى جَنْبِ صَومَعتِه، فوَضَعُوها، فجاء الشيطانُ فقال له: انْزِلْ إليها فامسَحْهَا بيدِكَ تُعافَى، وتَنصَرِفْ إلى أهلِها، فنَزلَ، فلمَّا دَنا إلى باب الغَارِ دخل الشيطانُ فيها، فإذا هي تَركِضُ، فسَقَطَتْ عنها ثيابُها، فنَظَر العابدُ إلى شيءٍ لم يرَ مِثلَهُ حُسناً وجمالاً، فلم يَتمالَكْ أنْ وَقَعَ عليها، وضَربَ على أُذُنِه، فجعلَ يختلف إليها إلى أنْ حَملَتْ، فقال له الشيطانُ: وَيحَكَ يا برصيصا قد افتُضِحتَ، فهل لكَ أنْ تقتلَ هذه وتتوبَ؟! فإنْ سألُوكَ عنها قلتَ: جاء شيطانُها، فذهبَ بها، فلم يَزلْ به حتى قَتَلَها، ودَفَنَها، ثم رجعَ إلى صَومَعتِه، فأقبَلَ على صلاتِه إذْ جاء إخوَتُها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلتْ أختُنا؟ قال: قد جاء شيطانُها فذهبَ بها، ولم أُطِقْهُ، فصَدَّقوه، وانصَرفوا. وفي بعضِ الرِّواياتِ أنه قال: دَعَوتُ لها، فعَافاها اللهُ، ورَجعتْ إليكم، فتفرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلمَّا أمسَوْا جاء الشيطانُ إلى كبيرهم في منامِه، فقال: وَيْحَكَ: إنَّ برصيصا فَعَلَ بأُختِكَ كذا وكذا، وإنه دَفَنها في موضعِ كذا مِنْ جبلِ كذا، فقال: هذا حُلمٌ، وبرصيصا خيرٌ مِنْ ذلك، فتَتابعَ عليه ثلاثَ ليالٍ، وهو لا يَكترِثُ، فانطلَقَ إلى الأوسطِ كذلك، ثم إلى الأصغرِ، بمِثلِ ذلك، فقال الأصغرُ لإخوَتِه: لقد رأيتُ كذا

وكذا، فقال الأوسطُ: وأنا واللهِ، فقال الأكبرُ: وأنا واللهِ، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلَمتُكم بحالِها، فكأنكم اتَّهمتُموني، فقالوا: لا واللهِ واستَحْيَوْا، وانصرفوا، فجاءَهم الشيطانُ فقال: وَيحَكُم إنها لَمَدفونةٌ في موضع كذا وكذا، وإنَّ إزارَهَا لَخارجٌ مِنَ التراب، فانطَلَقوا، فحَفَروا عنها، فرَأوها، فقالوا: يا عدوَّ اللهِ لِمَ قَتَلْتَها؟ اهبِطْ، فهَدَموا صومَعتَهُ، ثم أوثَقُوهُ، وجعلوا في عُنقِه حبلاً، ثم قادُوهُ إلى المَلِكِ فأقرَّ على نَفسِه، وذلك أنَّ الشيطانَ عَرَضَ له، فقال: تَقتُلها ثم تُكابِرُ، فاعتَرَفَ، فأمرَ المَلِكُ بِقَتْلِهِ وصَلْبِهِ، فعَرضَ له الأبيضُ، فقال: أتَعرِفُني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبُكَ الذي علَّمتُكَ الدَّعواتِ، وَيْحَكَ ما اتَّقيتَ الله في أمانةٍ خُنتَ أهلَها، أَمَا استَحيَيْتَ مِنَ الله؟! أَلَمْ يَكْفِكَ ذلك حتى أقرَرتَ ففَضَحتَ نَفْسَكَ وأشباهَكَ بينَ الناس؟! فإنْ مِتَّ على هذه الحالةِ لم تُفلِحْ، ولا أحدٌ مِنْ نُظَرائِكَ، قال: فكيف أصنعُ؟ قال: تُطِيعُني في خَصلَةٍ حتى أُنجِيكَ، وآخذَ بأعيُنِهم، وأُخرِجكَ مِنْ مكانِكَ، قال: ما هي؟ قال: تَسجُدُ لي، فسَجَدَ له، فقال: هذا الذي أردتُ منكَ، صارت عاقبةُ أمرِكَ أنْ كَفرتَ ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ ثم قُتِلَ. فضَرَبَ الله هذا المَثَلَ لليهودِ حتى غرَّهم المنافقون، ثم أسلَمُوهم[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ ونَصَبَ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ ياءَ «إني» وأسكَنَها الباقون. وقد بَيَّنَّا المعنى في الأنفال[2] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ أي: لِيَنظُرْ أحدُكم أيَّ شيءٍ قَدَّمَ؟ عملاً صالحاً يُنجيه؟ أمْ شيئاً يُوبِقُه؟ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تَركوا أمرَهُ ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ أي: أنساهُم حُظوظَ أنفسِهم ـ فلم يعملوا بالطاعة، ولم يُقدموا خيراً. قال ابنُ عباسٍ: يريد قُرَيظَةَ، والنَّضيرَ، وبَني قَينُقاع.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١) ورد عن ابن عباس موقوفاً: أخرجه الطبري ٣٣٩٠٤ وإسناده واهٍ، فيه مجاهيل، وعطية العوفي واهٍ. وورد عن علي، أخرجه الطبري ٣٣٩٠٢ وإسناده حسن. وورد عن ابن مسعود، أخرجه الطبري ٣٣٩٠٣ وإسناده ضعيف. وورد من وجوه متعددة، ومصدر ذلك كله كتب الأقدمين، والله تعالى أعلم.

(٢) الأنفال: ٤٨.

قوله عز وجل: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ أخبرَ اللَّهُ تعالى بهذا عن تعظيم شأنِ هذا القرآن، وأنه لو جَعَلَ في جبلٍ ـ على قساوَتِه وصلابَتِه ـ تمييزاً، كما جعلَ في بَني آدمَ، ثم أنزلَ عليه القرآنَ لَتشقَّقَ خشيةً مِنَ الله، وخوفاً أنْ لا يُؤدِّيَ حقَّ الله في تعظيم القرآن. و «الخاشع»: المُتطأطِئُ الخاضعُ، و «المُتصدِّع»: المُتشقِّق. وهذا توبيخٌ لِمَنْ لا يحترمُ القرآنَ، ولا يُؤثِّرُ في قلبه مع الفَهم والعقلِ، ويَدُلُّك على هذا المَثَلِ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبرَ بعظمتِه ورُبوبيَّتِه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ رَدٌّ على قولِه عزَّ وجلَّ في أوَّلِ السُّورَةِ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

فأمَّا هذه الأسماءُ، فقد سَبَقَ ذِكرُ «الله» و «الرَّحمن» و «الرَّحيم» في الفاتحة، وذَكَرنا معنى «عالم الغيب والشهادة» في الأنعام[1]. و «المَلِك» في سُورَةِ المؤمنين[2].

فأمَّا «القُدُوس» فقرأ أبو الأشهَبِ، وأبو نَهيكٍ، ومُعاذٌ القارئُ بفتحِ القاف. قال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: «القُدُّوس»: الطاهرُ مِنَ العيوب، المُنَزَّه عن الأندادِ والأولادِ. و «القُدس»: الطاهر. ومنه سُمِّي: بيتُ المَقدِس، ومعناه: المكانُ الذي يُتَطَهَّرُ فيه مِنَ الذنوب. وقيل للجنَّة: حَظِيرَةُ القُدسِ، لطهارتِها مِنْ آفات الدنيا. والقُدس: السَّطل الذي يُتطَهَّر فيه، ولم يأتِ مِنَ الأسماء على فُعُول بضمِّ الفاء إلاّ «قُدُوس» و «سُبُوح» وقد يُقال أيضاً: قَدُوس، وسَبُوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء، كقولِهم: سَفُّود، وكَلُّوب.

فأمَّا «السَّلام» فقال ابنُ قُتَيبَة: سمَّى نفسَهُ سلاماً، لسلامَتِه ممَّا يَلحق الخَلْقَ مِنَ العيب والنَّقص والفَناء. وقال الخَطَّابيُّ: معناه ذو السَّلام. والسَّلام في صفةِ الله سبحانه وتعالى: هو الذي سَلِمَ من كلِّ عيبٍ، وبَرِئَ مِنْ كلِّ آفةٍ ونقصٍ يلحق المخلوقين. قال: وقد قيل: هو الذي سَلِمَ الخَلْقُ مِنْ ظلمه.

فأما «المُؤمِن»، ففيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي أَمِنَ الناسُ ظُلمَهُ، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عذابَهُ، قاله ابنُ عباسٍ؛ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه المُجيرُ، قاله القُرَظيُّ. **والثالث**: الذي يُصَدِّقُ المؤمنين إذا وَحَّدوه، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه الذي وَحَّد نفسَه، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ذكره الزَّجَّاجُ. **والخامس**: أنه الذي يُصدِّقُ عبادَه وَعْدَه، قاله ابنُ قُتَيبَةَ. **والسادس**: أنه يُصدِّق ظُنونَ عبادِه المؤمنين، ولا يُخيِّب آمالَهم.

[١٤٢٤] كقول النبيِّ ﷺ فيما يحكيه عن ربِّه عزَّ وجلَّ: «أنا عند ظَنِّ عبدي بي»، حكاه الخَطَّابي.

فأمَّا «المُهيمِن» ففيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الشهيد، قاله ابنُ عباسٍ ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ والكِسائيُّ. قال الخَطَّابيُّ: ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[3]، فالله الشاهد على خَلْقِه بما يكون منهم مِنْ قولٍ أو فعلٍ. **والثاني**: الأمين، قاله الضَّحَّاكُ، قال الخَطَّابيُّ: أصله: مُؤَيمِن، فقُلِبت الهمزةُ هاءً، لأنَّ الهاء

[١٤٢٤] صحيح. أخرجه البخاري ٧٥٠٥ ومسلم ٢٦٧٥ وابن حبان ٦٣٩ من حديث أبي هريرة، وله شواهد كثيرة. وتقدم بعضها.

---

(١) الأنعام: ٧٣. (٢) المؤمنون: ١١٦. (٣) المائدة: ٤٨.

أخَفُّ عليهم مِنَ الهمزة. ولم يأتِ مُفَيْعِل في غيرِ التصغير، إلاّ في ثلاثة أحرفٍ «مُسَيطِر» و «مُبَيطِر» و «مُهيمِن» وقد ذكرنا في سُورَةِ الطُّور[١] عن أبي عُبيدَةَ، أنها خمسةُ أحرفٍ. **والثالث**: المُصَدِّقُ فيما أخبرَ، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه الرَّقيبُ على الشيء، والحافظُ له، قاله الخَليلُ. قال الخَطَّابيُّ: وقال بعضُ أهل اللغة. الهَيمَنَةُ: القيامُ على الشيء، والرِّعاية له، وأنشد:

أَلاَ إِنَّ خَيْرَ ٱلنَّاس بَعْدَ نَبِيِّهِ مُهَيْمِنُهُ التالِيه في ٱلْعُرْفِ وٱلنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعدُ بالرِّعاية لهم. وقد زِدنا هذا شرحاً في المائِدة[٢]، وبيَّنَّا معنى «العزيز» في البقرة[٣].

فأمَّا «الجَبَّار»، ففيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العظيم، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الذي يَقْهَرُ الناسَ ويُجبِرهم على ما يريد، قاله القُرَظيُ والسُّدِّيُّ. وقال قَتادَةُ: جَبَر خَلْقَهُ على ما شاء. وحكى الخَطَّابيُ: أنه الذي جَبَر الخَلْقَ على ما أراد من أمره ونهيِهِ، يقال: جَبَرَهُ السلطانُ؛ وأجبرَهُ. **والثالث**: أنه الذي جَبَر مفاقِرَ الخَلْقِ، وكفاهم أسبابَ المَعاشِ والرزق. **والرابع**: أنه العالي فوق خَلْقِه، مِن قولهم: تَجَبَّرَ النَّباتُ: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخَطَّابيُ.

فأمَّا «المُتكبِّر» ففيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الذي تكبَّر عن كلِّ سُوءٍ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه الذي تكبَّر عن ظُلم عباده، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه ذو الكِبرياءِ، وهو المَلِكُ، قاله ابنُ الأنباري. **والرابع**: أنه المُتعالي عن صفاتِ الخَلْقِ. **والخامس**: أنه الذي يتكبَّرُ على عُتاةِ خَلْقِه إذا نازَعُوه العَظَمَةَ، فيقْصِمهُم، ذكرهما الخَطَّابيُ، قال: والتاء في «المُتكبِّر» تاءُ التفرُّد، والتخصُّصِ، لا تاءُ التعاطي والتكلُّف، والكِبرُ لا يليقُ بأحدٍ مِنَ المخلوقين، وإنما سِمَةُ العبدِ الخضوعُ والتذللُ. وقيل: إنَّ المُتكبِّر مِنَ الكبرياء الذي هو عَظمةُ الله، لا مِنَ الكِبْرِ الذي هو مذمومٌ في الخَلْقِ.

وأمَّا «الخالِق» فقال الخَطَّابيُ: هو المُبتَدِيءُ للخَلْقِ المُختَرِعُ له على غيرِ مثالٍ سبقَ، فأمَّا في نُعوتِ الآدميين، فمعنى الخَلْقِ التقدير: كقول زُهيرٍ:

وَلأَنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعْـ ضُ ٱلْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي

يقول: إذا قَدَرتَ شيئاً قَطَعتَه، وغيرُكَ يَقدِرُ ما لا يَقطَعُه، أي: يتمنَّى ما لا يَبلُغه.

والبارئ: الخالِقُ. يقال: بَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم. و «المُصوِّر»: هو الذي أنشأ خَلْقَه على صُوَرٍ مختلفةٍ ليتعارفوا بها. ومعنى: التَّصْوير: التخطيطُ والتَّشكيلُ. وقرأ الحسَنُ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمرانَ، وابنُ السَّمَيفَع «البارئ المصوَّر» بفتح الواو والراء جميعاً، يَعنُون: آدمَ عليه السلام. وما بعدَ هذا قد تقدم بيانُه[٤] إلى آخرِ السُّورةِ.

---

(١) الطور: ٣٧.
(٢) المائدة: ٤٨.
(٣) البقرة: ١٢٩.
(٤) الأعراف: ١٨٠ والإسراء: ١١٠.

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

[١٤٢٥] ذكَرَ أهلُ التفسيرِ أنَّها نَزَلتْ في حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ، وذلك أنَّ سارَةَ مولاة عمرو بنِ صَيْفيِّ بنِ هاشم أتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يتجهَّزُ لفتح مكَّةَ، فقالَ لَها: «أمُسْلِمَةً جِئْتِ؟» قالتْ: لا، قالَ: «فَمَا جاءَ بِكِ؟» قالتْ: أنتمُ الأهلُ والعَشيرةُ والمَوالي، وقدْ احتجْتُ حاجةً شديدةً، فقَدِمتُ عليكم لِتُعطُوني. قالَ لها رسولُ اللَّهِ ﷺ: «فأينَ أنتِ مِنْ شبابِ أهلِ مكَّةَ؟» وكانت مُغنِّيةً، فقالت: ما طُلِبَ منّي شيءٌ بعدَ وقعةِ بدرٍ، فحثَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بَني عبدِ المُطَّلِبِ وبَني المُطَّلِبِ، فكَسَوْها، وحَمَلُوها، وأعطوْهَا، فأتَاهَا حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ، فكتب معها كتاباً إلى أهلِ مكَّةَ، وأعطاها عشرةَ دنانير على أنْ توصِّلَ الكتابَ إلى أهل مكَّةَ: وكتب في الكتاب من حاطب إلى أهل مكة إنَّ رسولَ الله ﷺ يُريدكم، فخُذوا حِذْرَكُم، فخرجت به سارَةُ، ونزل جِبريلُ فأخبر رسولَ الله ﷺ بما فعل حاطِبٌ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عليًّا، وعمَّاراً، والزُّبيرَ، وطَلحَةَ، والمِقدادَ، وأبا مَرْثَدٍ، وقال: «انطَلِقُوا حتى تأتوا «روضَةَ خاخ»، فإنَّ فيها ظعينةً معها كتابٌ مِنْ حاطِبٍ إلى المشركين، فخُذوه منها، وخَلُّوا سبيلَها، فإنْ لم تدفَعْهُ إليكم فاضرِبوا عُنقَها» فخرجوا حتى أدركوها، فقالوا لها: أينَ الكتابُ؟ فحَلفَتْ باللهِ ما معها مِنْ كتابٍ، ففتَّشُوا متاعَها فلم يجدوا شيئاً، فهمُّوا بالرُّجوع، فقال عليٌّ: واللَّهِ ما

[١٤٢٥] ذكره المصنف نقلاً عن المفسرين، وكذا الواحدي في «أسباب النزول» ٨١١ وما أخرجاه في الصحيحين يغني عنه. انظر الحديث الآتي.

كَذَبْنا ولا كُذِّبْنا. وسلَّ سيفَهُ، وقال: أَخْرِجي الكتابَ، وإلاَّ ضربتُ عُنقَكِ، فلما رأتْ الجِدَّ أخرجَتْهُ مِن ذُؤابَتِها، فخلُّوا سبيلَها، ورَجعوا بالكتابِ إلى رسولِ الله ﷺ فأرسلَ إلى حاطِبٍ، فأتاه، فقال له: «هل تعرفُ هذا الكتابَ؟» قال: نعم. قال: «فما حَملَكَ على ما صنعتَ؟» فقال: يا رسولَ الله ما كفرتُ منذُ أسلَمتُ، ولا غَشَشتُكَ منذ نَصحتُكَ، ولا أحبَبْتُهم منذ فارَقتُهم، ولكن لم يكُنْ أحدٌ مِنَ المهاجرين إلاَّ وَلَه بمكَّةَ مَنْ يمنعُ عشيرَتَهُ، وكنتُ غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرانَيْهِم، فخشيتُ على أهلي، فأردتُ أن أَتَّخِذَ عندَهم يداً، وقد علِمتُ أنَّ اللَّهَ يُنزِلُ بهم بأسَهُ، وكتابي لا يُغني عنهم شيئاً، فصَدَّقه رسولُ الله ﷺ وَعَذَرَهُ، ونزلت هذه السورةُ تنهى حاطِباً عما فعلَ، وتنهى المؤمنين أنْ يفعلوا كفِعلِه، فقام عمرُ بنُ الخطَّابِ فقال: يا رسولَ الله: دعني أضربْ عُنُق هذا المنافِق، فقال رسولُ الله ﷺ: «وما يُدريكَ يا عمرُ لعلَّ اللَّهَ اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شِئتم فقد غَفرتُ لكم».

[١٤٢٦] وقد أخرج هذا الحديثَ في «الصَّحيحين» مختصراً، وفيه ذِكْرُ عليٍّ، والزُّبيرِ، وأبي مَرْثَدٍ فقط.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنَّ الباء زائدةٌ، والمعنى: تُلقون إليهم المودَّةَ، ومثله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾(١)، هذا قولُ الفَرَّاءِ، وأبي عُبيدةَ، وابنِ قُتَيبةَ، والجمهور. **والثاني**: تُلقون إليهم أخبارَ النبيِّ ﷺ وسِرَّهُ بالمَودَّةِ التي بينكم وبينه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ الواو للحال والمعنى، وحالُهم أنهم كَفَروا بما جاءَكُم مِنَ الحقِّ، وهو القرآنُ، ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ مِنْ مكَّةَ ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ أي تفعلوا ذلك لإيمانِكم بالله ﴿إِن

[١٤٢٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٢٧٤ والبغوي في «التفسير» ٢١٧٤ عن قتيبة بن سعيد به.
وأخرجه البخاري ٣٠٠٧ و ٤٨٩٠ ومسلم ٢٤٩٤ وأبو داود ٢٦٥٠ والترمذي ٣٣٠٥ والحميدي ٤٩ وأحمد ١/ ٧٩ وأبو يعلى ٣٩٤ و ٣٩٨ وابن حبان ٦٤٩٩ والبيهقي ٩/ ١٤٦ وفي «دلائل النبوة» ٥/ ١٧ والبغوي في «شرح السنة» ٢٧٠٤ والواحدي في «الأسباب» ٨١٢ وفي «الوسيط» ٤/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ من طرق عن سفيان به كلهم من حديث علي.
ولفظ البخاري: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمِقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتابٌ فخذوا منها» قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلُنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينةِ قلنا لها أخرجي الكتاب. قالت: ما معي كتابٌ فقلنا لتخرجِنَّ الكتابَ أو لنُلقينَّ الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟» قال: يا رسول الله لا تَعجَلْ عليَّ إني كنتُ امرأً مُلصقاً في قريش ـ يقول: كنا حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ وكان مَن معك من المهاجرين مَنْ لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدَقكم». فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطَّلع على من شهد بدراً، قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله السورة ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**﴾ إلى قوله: ﴿**فقد ضل سواء السبيل**﴾.

---

(١) الحج: ٢٥.

﴿كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ هذا شرطٌ، جوابه متقدمٌ، وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ. قال الزَّجَّاج: معنى الآية: إنْ كُنتم خرجتُم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي فلا تتَّخِذوا عدوِّي وعدوَّكُم أولياءَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ الباء في «المودَّة» حُكمها حكمُ الأُولى. قال المُفسِّرون: والمعنى: تُسِرُّون إليهم النَّصيحةَ ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾ مِنَ المودَّة للكفَّارِ ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أي: أظهرتُم بألسِنَتِكم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: المعنى: كيف تستَتِرون بمودَّتِكم لهم مني وأنا أعلمُ بما تُضمرون وما تُظهرون؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يعني: الإسرار والإلقاء إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأَ طريقَ الهُدى. ثم أخبرَ بعداوة الكفَّار فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي: يَظْفَروا بكم ﴿يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ لا مُوالِين ﴿وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب والقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ وهو: الشَّتمُ ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فترجِعون إلى دِينِهم. والمعنى: أنه لا ينفعكم التقرُّبُ إليهم بنَقْلِ أخبار رسولِ الله ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ أي: قَراباتُكم. والمعنى: ذَوو أرحامِكُم، أراد: لن ينفعَكم الذين عصيتُم اللَّهَ لأجلِهم، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: «يُفصَل» برفع الياء، وتسكينِ الفاء، ونصبِ الصاد. وقرأ ابنُ عامرٍ: «يُفصَّل بينكم» برفع الياء، والتشديد، وفتحِ الصاد، وافقه حمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلفٌ، إلا أنهم كَسَروا الصادَ. وقرأ عاصِمٌ، غيرَ المُفضَّلِ، ويعقوبُ، بفتح الياء وسكونِ الفاء وكسرِ الصاد، وتخفيفِها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العالِيَة: «نُفصِّل» بنونٍ مرفوعةٍ، وفتحِ الفاء، مكسورةَ الصاد مشدَّدةً، وقرأ أبو رَزِينٍ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ: «نَفصِل» بنونٍ مفتوحةٍ، ساكنةَ الفاء، مكسورةَ الصاد خفيفةً، أي: نَفصِلُ بين المؤمن والكافر وإنْ كان وَلَدَهُ. قال القاضي أبو يَعلَى[1]: في هذه القصة دَلالةٌ على أنَّ الخوف على المال والولد لا يُبيح التَّقيَّةَ في إظهارِ الكُفر، كما يُبيح في الخوف على النَّفْس، ويُبين ذلك أنَّ الله تعالى فَرَضَ الهجرةَ، ولم يَعذُرهم في التخلُّفِ لأجلِ أموالِهم وأولادِهم. وإنما ظَنَّ حاطِبٌ أنَّ ذلك يجوز له ليدفع به عن ولدِهِ كما يجوز له أن يدفعَ عن نَفْسِه بمثلِ ذلك عند التَّقِيَّةِ، وإنما قال عمرُ: دَعْني أضرِبْ عُنقَ هذا المنافِقِ لأنه ظَنَّ أنه فَعَلَ ذلك عن غير تأويلٍ.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٠٩: فقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾** يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يُتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما قال: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾** وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾** وقال تعالى: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه﴾**، ولهذا قبل رسول الله ﷺ عُذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد.

ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ
لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ
ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ
وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن
تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وقرأ عاصمٌ: «أسوة» بضمِّ الألف، وهما لُغتان، أي: اقتداءٌ حَسَنٌ به وبمن معه. وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الأنبياء. **والثاني**: المؤمنون ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ قال الفرَّاءُ: تقول أفلا تأسَّيْتَ يا حاطِبُ بإبراهيمَ وقومِه فتبرَّأْتَ مِنْ أهلِكَ كما تبرؤوا مِنْ قومِهم؟!.

قوله عز وجل: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قال المُفسِّرون: والمعنى: تأسَّوا بإبراهيمَ إلاَّ في استغفارِه لأبيه فلا تأسَّوا به في ذلك، فإنه كان عن موعدةٍ وَعدَها إيَّاه ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ أي: ما أَدفعُ عنكَ عذابَ الله إنْ أشركتَ به، وكان مِنْ دعاء إبراهيمَ وأصحابه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال الفرَّاءُ: قولوا أنتم: ربَّنا عليكَ توكَّلنا. وقد بيَّنَّا معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في يُونس[1]. ثم أعادَ الكلامَ في ذِكْرِ الأُسوة فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي: في إبراهيمَ ومَنْ معه، وذلك أنهم كانوا يُبغضون مَنْ خالفَ اللَّهَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بدلٌ مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَكُمْ﴾ وبيانُ أنَّ هذه الأسوةَ لِمَنْ يخاف اللَّهَ، ويخشى عقابَ الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يُعرِضْ عن الإيمان ويُوالِ الكفَّار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه. فلمَّا أمرَ اللَّهُ المؤمنين بعداوة الكفار عادَوْا أقرباءَهُم. فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ أي: مِنْ كفار مكَّةَ ﴿مَّوَدَّةً﴾ ففعل ذلك، بأنْ أسلمَ كثيرٌ منهم يومَ الفتح، وتزوَّجَ رسولُ الله ﷺ أمَّ حَبيبةَ بنتَ أبي سُفيانَ، فانكسرَ أبو سُفيانَ عن كثيرٍ ممَّا كان عليه حتى هَداهُ الله للإسلام ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على جعلِ المَودَّةِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بعدَما أسلَمُوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ اختلَفُوا فيمن نزلت على خمسةِ أقوالٍ[2]:

---

(١) يونس: ٨٥.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، لأن الله عز وجل عمّ بقوله جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضاً دون بعض، ولا معنى =

[١٤٢٧] **أحدها**: أنها في أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، وذلك أنَّ أُمَّها قتيلةَ بنتَ عبدِ العُزَّى، قَدِمَتْ عليها المدينةَ بهدايا، فلم تقبَلْ هداياها، ولم تُدخِلْها منزلَها، فسألَتْ لها عائشةُ رسولَ الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، فأمَرَها رسولُ الله ﷺ أنْ تُدخِلَها منزلَها، وتَقبَلَ هديَّتَها، وتُكرِمَها، وتُحسِنَ إليها، قاله عبدُ الله بنُ الزُّبير.

[١٤٢٨] **والثاني**: أنها نزلت في خُزاعةَ وبني مُدلِجٍ، وكانوا صالَحوا رسولَ الله ﷺ على أنْ لا يُقاتلوه، ولا يُعينوا عليه أحداً، قاله ابنُ عباسٍ. ورُوِيَ عنِ الحسَنِ البَصْرِي أنها نزلت في خُزاعةَ، وبَني الحارثِ بنِ عبد مَنافٍ، وكان بينهم وبين رسولِ الله ﷺ عهدٌ، فَدَاموا على الوفاء به.

[١٤٢٩] **والثالث**: نزلت في قوم مِنْ بني هاشمٍ منهم العبَّاسُ، قاله عَطِيَّةُ العَوفيُّ ومُرَّةُ الهَمْدانيُّ.

والرابع: أنها عامَّةٌ في جميع الكفار، وهي منسوخةٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(١)، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: نزلت في النساء والصبيان، حكاه الزَّجَّاجُ. قال المُفسِّرون: وهذه الآية رُخصةٌ في صِلةِ الذين لم يَنْصِبوا الحربَ للمسلمين، وجوازِ برِّهم، وإنْ كانت المُوالاةُ مُنقطعةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: مِنْ مكَّةَ ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ أي: تُعاملوهم بالعدل فيما بينكم وبينهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ أي: أعانوا على ذلك ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ والمعنى: إنما ينهاكم عن أنْ تولَّوا هؤلاءِ، لأنَّ مُكاتبَتَهُم بإظهار ما أسرَّه رسولُ الله ﷺ مُوالاةٌ. وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ معنى

[١٤٢٧] صحيح دون ذكر نزول الآية، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٩٨ وأحمد ٤/ ٤ والطبراني في «الكبير» كما في «المجمع» ٦٧٥٠ والحاكم ٢/ ٤٨٥ والطبري ٣٣٩٥٢ و ٣٣٩٥٣ والواحدي في «الأسباب» ٨١٣ من حديث عبد الله بن الزبير. صححه الحاكم، ووافقه الذهبي! مع أن في إسناده مصعب بن ثابت ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن حبان. قلت: هو غير حجة بما ينفرد به، وقد تفرد بذكر نزول الآية. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١١٤١١ وزاد نسبته للبزار وقال: وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأصل الحديث في الصحيحين دون نزول الآية. أخرجه البخاري ٢٦٢٠ و ٣١٨٣ ومسلم ١٠٠٣ وأبو داود ١٦٦٨ وأحمد ٦/ ٣٤٧ من حديث أسماء بنت أبي بكر، وليس فيه ذكر نزول الآية. والأشبه في نزول الآية أنه مدرج من كلام أحد الرواة والله أعلم، ويؤيد ذلك هو أن البخاري أخرج حديث أسماء من طريق ابن عيينة، برقم ٥٩٧٨ وقال في آخره: قال ابن عيينة: فأنزل الله هذه الآية. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٨٣ بتخريجنا.

[١٤٢٨] لم أره مسنداً، عزاه المصنف لابن عباس وكذا البغوي في «التفسير» ٤/ ٣٣١ ساقه بدون إسناد، فالخبر ساقط، لا حجة فيه.

[١٤٢٩] عزاه المصنف لعطية العوفي، وهو واهٍ إن وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟! وعزاه أيضاً لمرّة الهمداني، ولم أقف عليه، وهو تابعي فهو مرسل.

= لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة أو نسب، أو ممن لا قرابة بينه ولا نسب غير محرّم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح.

(١) التوبة: ٥.

هذه الآية والتي قبلَها منسوخٌ بآية السيف. قال ابنُ جريرٍ: لا وجهَ لادِّعاءِ النَّسخِ، لأنَّ بِرَّ المؤمنين للمُحارِبِينَ سواءٌ كانوا قرابةً أو غيرَ قرابةٍ، غيرُ مُحرَّمٍ إذا لم يكن في ذلك تقويةٌ لهم على الحرب بكُراعٍ أو سلاحٍ، أو دلالةٌ لهم على عورةِ أهلِ الإسلامِ. ويدلُّ على ذلك حديثُ أسماءَ وأمِّها الذي سبقَ(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾.

[١٤٣٠] قال ابنُ عباس: إنَّ مشركي مكَّةَ صالَحوا رسولَ الله ﷺ عامَ الحُدَيبيةِ على أنَّ مَنْ أتاه مِنْ أهل مكَّةَ ردَّه إليهم. ومَنْ أتى أهلَ مكَّةَ مِنْ أصحابه، فهو لَهُم، وكَتبوا بذلك الكتابَ، وخَتَموه، فجاءتْ سُبَيْعَةُ بنتُ الحارثِ الأسلَميَّةُ بعد الفراغ مِنَ الكتاب والنبيُّ بالحُدَيبيَةِ، فأقبلَ زوجُها وكان كافراً، فقال: يا محمَّدُ ارددْ عليَّ امرأتي؛ فإنكَ قد شرَطتَ لنا أنْ تَردَّ علينا مَنْ أتاكَ منَّا، وهذه طِينَةُ الكتاب لم تَجفَّ بعدُ، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٤٣١] وذكَرَ جماعةٌ مِنَ العلماء منهم محمَّدُ بنُ سعدٍ كاتبُ الواقِدي أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أمِّ كُلثوم بنتِ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وهي أولُ مَنْ هاجرَ مِنَ النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فقَدِمَتْ المدينةَ في هُدنَةِ الحُدَيبيَةِ، فخرجَ في أَثَرِها أخواها الوليدُ وعُمارَةُ ابنا عُقبةَ، فقالا: يا محمَّدُ أَوْفِ لنا بشروطنا، وقالت أمُّ كُلثوم: يا رسولَ الله؛ أنا امرأةٌ، وحالُ النساءِ إلى الضَّعف ما قد علمتَ، فتَرُدُّني إلى الكفارِ يفتِنُوني عن دِيني، ولا صبرَ لي؟! فنَقَضَ اللَّهُ العَهْدَ في النِّساء، وأنزلَ فيهنَّ المِحنَةَ، وحَكَمَ فيهنَّ بحُكمٍ رَضُوه كلُّهم، ونزلَ في أمِّ كُلثوم: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ فامتَحَنَها رسولُ الله ﷺ، وامتَحنَ النساءَ بعدَها يقول: واللهِ ما أخرجَكُنَّ إلاَّ حبُّ الله ورسولِه، وما خرجتنَّ لزوجٍ ولا مالٍ؟ فإذا قُلنَ ذلك تُركنَ، فلم يُردَدْنَ إلى أهليهِنَّ.

وقد اختلفَ العلماءُ في المرأة التي كانت سبباً لنزول هذه الآية على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها

[١٤٣٠] ذكره المصنف هـهنا عن ابن عباس معلقاً، وكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨١٤ والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٣٠٣ عن ابن عباس بدون إسناد، فهذا لا شيء لخلوه عن الإسناد. وورد في «الإصابة» ٤/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥: أن سبيعة بنت الحارث أول امرأة أسلمت بعد صلح الحديبية إثر العقد وطي الكتاب، ولم تخف فنزلت آية الامتحان. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٨٤ وما بعده بتخريجنا.

[١٤٣١] ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٨٣ ـ ١٨٤ هكذا بدون عزو لأحد.

وذكر أم كلثوم صح عند البخاري ٢٧١١ و ٢٧١٢ في أثناء حديث مطول.

---

(١) تقدم أن الحديث متفق عليه، دون ذكر نزول الآية.

سُبَيْعَة، وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ: **والثاني**: أُمّ كُلثوم بنتُ عُقبَةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، وقد ذكرناه عن جماعةٍ مِنْ أهلِ العلمِ، وهو المشهور. **والثالث**: أُمَيمَةُ بنتُ بِشرٍ مِنْ بني عمرِو بنِ عَوفٍ، ذكره أبو نُعَيم الأصبهانيُّ، قال المَاوَرديُّ: وقد اختلف أهلُ العلمِ هل دخلَ ردُّ النساء في عقدِ الهُدنَةِ لفظاً أو عموماً؟ فقالت طائفةٌ: قد كان شرطُ ردِّهِنَّ في عقدِ الهُدنَةِ لفظاً صريحاً، فنسخَ اللَّهُ تعالى ردَّهُنَّ مِنَ العقدِ، ومَنَعَ منه، وأبقاه في الرجال على ما كان. وقالت طائفةٌ مِنَ العلماء: لم يشترط ردُّهنَّ في العقدِ صريحاً، وإنما أطلَقَ العقدَ، وكان ظاهرُ العموم اشتمالَه مع الرجال، فبَيَّنَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ خروجهنَّ عن عمومِه، وفَرَّقَ بينهنَّ وبينَ الرجال لأمرَيْنِ: **أحدهما**: أنهنَّ ذَواتُ فُروجٍ فحُرِّمنَ عليهم. **والثاني**: أنهنَّ أرقُّ قلوباً، وأسرعُ تقلُّباً منهم فأمَّا المُقيمةُ على شِرْكِها فمَردُودةٌ عليهم. وقال القاضي أبو يَعلَى: وإنما لم يَرُدَّ النساءَ عليهم لأنَّ النَّسخ جائزٌ بعد التَّمكينِ مِنَ الفعل وإن لم يقع الفعل.

قال المُفسِّرون: والمراد بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ رسولُ الله ﷺ لأنه هو الذي تولَّى امتِحانَهُنَّ، ويُراد به سائرُ المؤمنين عند غيبَتِه ﷺ. قال ابنُ زيدٍ: وإنما أُمِرْنا بامتحانِهِنَّ، لأنَّ المرأةَ كانت إذا غَضِبَتْ على زوجِها بمكَّةَ، قالت: لألْحَقَنَّ بمحمَّدٍ ﷺ وفيما كان يمتَحِنُهنَّ به ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٤٣٢] **أحدها**: أنه كان يمتَحِنُهنَّ بـ «شهادة أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه» رواه العَوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٣٣] **والثاني**: أنه كان يستحلفُ المرأةَ بالله: ما خرجتْ مِنْ بُغضِ زوجٍ، ولا رغبةً عن أرضٍ إلى أرضٍ، ولا التِماسَ دُنيا، ما خرجتْ إلاَّ حُبًّا لله ولرسوله، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

[١٤٣٤] **والثالث**: أنه كان يَمتَحِنُهنَّ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ فمَنْ أقرَّتْ بهذا الشَّرطِ قالت: قد بايعتُكَ، هذا قولُ عائشةَ عليها السَّلامُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ أي: إنَّ هذا الامتحانَ لكم، واللَّهُ أعلَمُ بهنَّ، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ وذلك يُعلَمُ مِنْ إقرارِهنَّ، فحِينَئذٍ لا يَحِلُّ رَدُّهنَّ ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ لأنَّ الله تعالى لم يُبِحْ مؤمنةً لِمُشرِكٍ ﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعني أزواجهُنَّ الكفَّار ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾ يعني: المَهْرَ. قال مُقاتِلٌ: هذا إذا تزوَّجَها مُسلِمٌ. فإنْ لم يتزوَّجْها أحدٌ، فليس لِزَوجِها الكافرِ شيءٌ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ وهي المُهورُ.

فصل: عندنا إذا هاجرتْ الحَربيَّةُ بعد دخولِ زوجِها بها، وقعتْ الفُرقَةُ على انقضاءِ عِدَّتِها. فإنْ أسلَمَ الزوجُ قبلَ انقضاءِ عِدَّتِها فهي امرأتُه، وهذا قولُ الأوزاعِي، ومالكٍ والشَّافعي. وقال أبو حَنيفَةَ:

[١٤٣٢] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٣٩١ عن ابن عباس، وفيه عطية العوفي واهٍ. والصحيح ما يأتي عن عائشة.

[١٤٣٣] أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في «المطالب العالية» ٣٧٧٧ عن أبي نصر الأسدي عن ابن عباس به، وهو معلول. سكت عليه الحافظ، وكذا البوصيري في «الإتحاف» وقال البخاري في ترجمة أبي نصر: لم يعرف له سماع من ابن عباس «الميزان» ٤/ ٥٧٩. وأخرجه الطبري ٣٣٩٥٧ و ٣٣٩٥٨ من طريق أبي نصر عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور. وانظر «أحكام ابن العربي» ٢٠٨٥ بتخريجنا. والصحيح ما بعده.

[١٤٣٤] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩١ ومسلم ١٨٦٦ والترمذي ٣٣٠٦ والنسائي في «التفسير» ٦٠٦ وابن ماجه ٢٨٧٥ من حديث عائشة. وانظر «أحكام القرآن» ٢٠٨٦ بتخريجنا.

تقعُ الفُرقةُ باختلافِ الدَّارين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ: «تُمسِكوا» بضمِّ التاء، والتخفيفِ، وقرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: «تُمسِّكوا» بضمِّ التاء، وبالتشديد، وقرأ ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، والحسَنُ، وابنُ يَعمَرَ، وأبو حَيْوَةَ: «تمسَّكوا» بفتحِ التاء، والميم، والسينَ مشدَّدةً. و «الكوافِر» جمعُ كافرةٍ، والمعنى: إنَّ اللَّهَ تعالى نهى المؤمنين عن المُقام على نكاحِ الكوافِر، وأَمَرهُم بفِراقِهنَّ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنها كَفرتْ، فقد زالتِ العِصمَةُ بينها وبينَ المؤمن، أي: قد انبَتَ عَقْدُ النِّكاح. وأصلُ العِصمَةِ: الحبلُ، وكلُّ ما أمسَكَ شيئاً فقد عَصَمهُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: إنْ لَحِقَتْ امرأةٌ منكم بأهلِ العهدِ مِنَ الكفَّارِ مُرتدَّةً، فاسألوهم ما أنفقتُم مِنَ المَهرِ إذا لم يدفعوها إليكم ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ يعني: المشركين الذين لَحِقَتْ أزواجُهم بكم مؤمناتٍ إذا تزوَّجنَ منكم، فليسأَلْ أزواجُهنَّ الكفَّارُ مَنْ تزوَّجهُنَّ منكم «ما أنفقوا» وهو المَهرُ. والمعنى: عليكم أنْ تَغرَموا لهم الصَّداقَ كما يَغرَمون لكم.

قال أهلُ السِّيَرِ: وكانت أُمُّ كُلثوم حين هاجرَتْ عاتِقاً[1] لم يكُنْ لها زوجٌ فبعَثَتْ إليه قَدْرَ مَهرِها، فلما هاجرَتْ تزوَّجتْ زيدَ بنَ حارثةَ[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني ما ذُكرَ في هذه الآيةِ.

فصل: وذَكرَ بعضُهم في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أنه نَسخَ ذلك في حرائرِ أهلِ الكتاب بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[3]، وهذا تخصيصٌ لا نَسخٌ.

قوله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أصبتُموهم في القتال بعقوبةٍ حتى غَنِمتُم. وقرأ ابنُ مسعودٍ، والأزهَريُّ، والنُّخعيُّ: «فعَقَبتم» بغير ألفٍ، وبفتحِ العين والقاف، وبتخفيفِها. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعائشةُ والحسَنُ وحُمَيدٌ، والأعمَشُ «فعقَّبتم» مثل ذلك، إلاَّ أنَّ القافَ مشددةٌ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى في التشديدِ والتخفيفِ واحدٌ، فكانت العُقبى لكم بأنْ غَلَبتُم. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وعِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ: «فأعقبتم» بهمزةٍ ساكنةَ العين، مفتوحةَ القافِ خفيفةً. وقرأ مُعاذٌ القارئُ، وأبو عِمْرانَ الجَونيُّ: «فعَقِبتم» بفتح العين، وكسرِ القاف وتخفيفِها مِنْ غير أَلِفٍ ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ أي: أَعْطوا الأزواجَ مِنْ رأس الغَنيمةِ ما أنفقُوا مِنَ المَهرِ.

[١٤٣٥] وذكرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذه الآيَةَ نزلت في عِياضِ بنِ غَنْمٍ، كانت زوجَتُه مُسلِمةً، وهي أُمُّ الحَكَمِ بنتُ أبي سُفيانَ، فارتدَّتْ، فلَحِقَتْ بمكَّةَ، فأمَرَ اللَّهُ المسلمين أنْ يُعطُوا زوجَها مِنَ الغنيمةِ بقَدْرِ ما ساقَ إليها مِنَ المَهرِ، ثم نُسِخَ ذلك بقوله عزّ وجلّ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[4] إلى رأسِ الخمس..

[١٤٣٥] ضعيف جداً. أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن كما في «الدر» ٦/ ٣١٠ وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

---

(١) العاتق: الشابة أول ما تُدرك. انظر «النهاية» ٣/ ١٧٨.
(٢) انظر الحديث المتقدم ١٤٣١.
(٣) المائدة: ٥. (٤) التوبة: ١.

فصل: قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الأحكامُ في أداءِ المَهرِ، وأَخْذِه مِنَ الكفَّارِ، وتعويضِ الزَّوجِ مِنَ الغَنيمةِ، أو مِنْ صَداقٍ قد وَجَبَ ردُّه على أهلِ الحرب، منسوخةٌ عند جماعةٍ مِنْ أهلِ العلم. وقد نصَّ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه على هذا. قلتُ: وكذا قال مُقاتِلٌ: كلُّ هؤلاءِ الآياتِ نَسَختْها آيةُ السيف.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾.

[١٤٣٦] قال المُفسِّرون: لمَّا فَتحَ رسولُ الله ﷺ مكَّةَ جاءَتْهُ النساءُ يُبايِعنَهُ، فنزلت هذه الآيةُ، وشَرَطَ في مُبايَعتِهنَّ هذه الشَّرائطِ المذكورةِ في الآية، فبايَعهُنَّ وهو على الصَّفا، فلمَّا قال: ولا يَزنِيْنَ، قالت هِندُ: أَوَ تَزني الحُرَّةُ؟ فقال: ولا يَقتُلنَ أولادَهُنَّ، فقالت: رَبَّيناهم صغاراً فقَتلتُموهم كِباراً، فأنتم وهم أعلَم.

[١٤٣٧] وقد صحَّ في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ لم يُصافِحْ في البَيعةِ امرأةً، وإنما بايَعهُنَّ بالكلام. وقد سَمَّينا مَنْ أحصَيْنا مِنَ المُبايعاتِ في كتاب «التلقيح» على حروفِ المُعجمِ، وهنَّ أربعمائة وسبعٌ وخمسين امرأةً، واللّهُ المُوفِّق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ قال المُفسِّرون: هو الوَأْدُ الذي كانت الجاهليةُ تفعله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا يُلحِقنَ بأزواجِهنَّ غيرَ أولادِهم، قاله ابنُ عباس، والجمهورُ، وذلك أنَّ المرأةَ كانت تلتقطُ المولودَ، فتقول لزوجِها: هذا وَلَدي منكَ، وذلك البُهتانُ المُفترى. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأنَّ الولدَ إذا وَضعَتْهُ الأمُّ يسقطُ بين يديها ورِجلَيها. وقيلَ: معنى ﴿يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾: ما أخذنَهُ لقيطاً ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ ما وَلَدْنَهُ مِنْ زنا. **والثاني**: أنه السِّحرُ. **والثالث**: المشيُ بالنَّميمةِ، والسَّعيُ في الفساد، ذكرهما الماوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٤٣٨] **أحدها**: أنه النَّوحُ، قاله ابنُ عباسٍ: ورُوِيَ مرفوعاً عن النبيِّ ﷺ.

[١٤٣٦] ذكره الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ هكذا بدون إسناد. وأخرجه الطبري ٣٤٠١٣ من حديث ابن عباس بنحوه وأتم. وأخرج ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٦ طرفاً منه عن الشعبي مرسلاً. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٥٢٠: وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وفيه قول هند: ربيناهم صغاراً وقتلتوهم كباراً، فضحك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى استلقى اهـ.
الخلاصة: أصل الخبر صحيح بطرقه وشواهده. وانظر «الكشاف» ١١٦٤ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٩٠٩ بتخريجنا.

[١٤٣٧] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩١ ومسلم ١٨٦٦ من حديث عائشة. وانظر «تفسير ابن العربي» ٢٠٩٠ بتخريجنا.

[١٤٣٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٢ والبغوي ٢١٨٤ في «معالم التنزيل» بترقيمنا عن أبي معمر به.

[١٤٣٩] **والثاني**: أنه لا يَدْعِينَ وَيْلاً، ولا يَخدِشْنَ وجهاً ولا يَنْشُرْنَ شعراً، ولا يَشْقُقْنَ ثوباً، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ.

والثالث: أنه جميعُ ما يأمُرهنَّ به رسولُ الله ﷺ مِنْ شرائع الإسلام، وآدابِه، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أنَّ طاعةَ الولاةِ إنما تلزَمُ في المُباحِ دونَ المحظورِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ المعنى: إذا بايعنَكَ على هذهِ الشَّرائطِ فبايعْهُنَّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود.

[١٤٤٠] وذلك أنَّ ناساً مِنْ فقراء المسلمين كانوا يُخبِرون اليهودَ أخبارَ المسلمين، يتقرَّبون إليهم بذلك لِيُصيبوا مِنْ ثِمارِهم وطعامِهم، فنزلت هذه الآيةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وذلك أنَّ اليهودَ بتكذيبِهم محمَّداً، وهم يعرفون صِدقَهُ قد يَئِسوا مِنْ أنْ يكونَ لهم في الآخرة خيرٌ، والمعنى: قد يَئِسُوا مِنْ ثواب الآخرة، هذا قولُ الجمهورِ، وهو الصَّحيحُ.

وقال قَتادَةُ: قد يَئِسُوا أنْ يُبْعَثُوا، ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: كما يَئِسَ الكفَّارُ، مِنْ بَعثِ مَنْ في القبور، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كما يَئِسَ الكفَّارُ الذين ماتوا مِنْ ثوابِ الآخرة، لأنهم أيقَنُوا بالعذاب، قاله مُجاهِدٌ.

= وأخرجه البخاري ٧٢١٥ والطبراني ٢٥/(١٣٣) والبيهقي ٤/ ٦٢ من طريق عبد الوارث بهذا الإسناد.
وأخرجه مسلم ٩٣٦ ح ٣٣ وأحمد ٦/ ٤٠٧ وابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٩ والحاكم ١/ ٣٨٣ وابن حبان ٣١٤٥ والطبراني ٢٥/(١٣٦) والبيهقي ٤/ ٦٢ من طرق عن أبي معاوية عن عاصم عن حفصة به. وأخرجه النسائي ٧/ ١٤٨ ـ ١٤٩ وأحمد ٦/ ٤٠٨ والطبري ٣٤٠٢٠ من طريق عن محمد بن سيرين عن أم عطية بنحوه.

[١٤٣٩] مرسل. أخرجه ابن أبي شيبة كما في «الدر» ٦/ ٣١٥ عن زيد بن أسلم مرسلاً.
وورد من مرسل الضحاك بنحوه، أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر» ٦/ ٣١٤.

[١٤٤٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨١٦ بدون إسناد ولا عزو لأحد، فهو لا شيء، وليس له أصل.

سورة الصف

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

ويُقال لها: سُورة الحَوارِيين؛ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ: والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، والجمهور. **والثاني**: مكيَّةٌ، قاله ابنُ يَسارٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سبب نُزولها خمسةُ أقوالٍ[1]:

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٨٠: وأولى الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا بالعمل بعدما عرفوا.
فائدة: قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٢٢: وقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾** إنكارٌ على من يعد عدَةً، أو يقول قولاً لا يفي به، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا، واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» ولهذا أكّد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله: **﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**.
وقال ابن العربي في «الأحكام» ٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٢: إن من التزم شيئاً لزمه شرعاً، والملتزم على قسمين: أحدهما: النذر، وهو على قسمين: نذر تقرب مبتدأ، كقوله: لله علي صومٌ وصلاة وصدقة، ونحوه من التقرب، فهذا يلزمه الوفاء به إجماعاً. ونذر مباح، وهو ما علّق بشرط رغبة، كقوله: إن قدم غائبي فعلي صدقة. أو علّق بشرط رهبة، كقوله: إن كفاني الله شر كذا فعلي صدقة. فاختلف العلماء فيه، فقال مالك وأبو حنيفة يلزمه الوفاء به. وقال الشافعي في أحد أقواله: إنه لا يلزمه الوفاء به. وعموم الآية حجة لنا، لأنها بمطلقها تتضمن ذم من قال ما لا يفعله على أي وجه كان، من مطلق أو مقيد بشرط. وقد قال أصحابه: إن النذر إنما يكون بما القصد منه القربة مما هو من جنس القربة. هذا وإن كان من جنس القربة، لكنه لم يقصد به القربة، وإنما قصد منع نفسه عن فعل أو الإقدام على فعل.
قلنا: القرب الشرعية مقتضيات وكُلف وإن كانت قربات. وهذا تكلف في التزام هذه القربة مشقة لجلب نفع أو دفع ضر، فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب. فإن كان المقول منه وعداً فلا يخلو أن يكون منوطاً بسبب، كقوله: إن تزوجت أعنتك بدينار، أو ابتعت حاجة كذا أعطيتك كذا، فهذا لازم إجماعاً =

[١٤٤١] **أحدها**: ما رَوى أبو سَلمَةَ عن عبدِ الله بنِ سَلام، قال: قعدنا نَفراً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ، فقُلنا: لو نعلَمُ أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ عَمِلناه، فأنزلَ اللَّهُ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى آخرِ السُّورة.

[١٤٤٢] **والثاني**: أنَّ الرجل كان يجيء إلى النبيِّ ﷺ، فيقول: فعلتُ كذا وكذا، وما فعلَ، فنزلت ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال الضَّحَّاكُ: كان الرجل يقول: قاتلتُ، ولم يقاتِلْ، وطعنتُ، ولم يَطعَنْ، وصَبَرتُ ولم يَصبِرْ، فنزلت هذه الآية.

[١٤٤٣] **والثالث**: أنَّ ناساً مِنَ المسلمين كانوا يقولون قبل أن يُفرضَ الجهادُ: وَدِدْنا أنَّ الله تعالى دَلَّنا على أحبِّ الأعمال إليه، فلما نزلَ الجهاد، كرِهَهُ ناسٌ مِنَ المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٤٤] **والرابع**: أنَّ صُهيباً قتلَ رجلاً يومَ بدرٍ، فجاء رجلٌ فادَّعى أنه قَتَله وأخذَ سَلْبَه، فقال صُهَيبُ: أنا قتلتُه يا رسولَ الله، فأمرَهُ أنْ يدفعَ سَلْبَه إلى صُهَيبٍ، ونزلت هذه الآية، رواه سعيدُ بنُ المُسيِّبِ عن صُهَيبٍ.

[١٤٤٥] **والخامس**: أنَّ المنافقين كانوا يقولون للنبيِّ وأصحابِه: لو قد خرجتُم خرجنا معكم، ونَصرناكُم. فلما خرجَ النبيُّ ﷺ نَكَصوا عنه، فنزلت هذه الآيةُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «مَقْتاً» منصوبٌ على التمييز، والمعنى: كَبُرَ

[١٤٤١] صحيح. أخرجه أحمد ٥/ ٤٥٢ والترمذي ٣٣٠٩ والحاكم ٢/ ٤٨٧ و ٢٢٩ والدارمي ٢/ ٢٠٠ من حديث عبد الله بن سلام، صححه الحاكم على شرطهما، ووافقه الذهبي. وهو كما قالا، فقد رووه من طرق عدة، راجع كلام الترمذي، وقال الحافظ: هو أصح حديث مسلسل. راجع «الفتح» ٨/ ٦٤١. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٠٢ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٩٢٢ بتخريجنا.

[١٤٤٢] عزاه المصنف لعكرمة عن ابن عباس، ولم أقف عليه بهذا اللفظ. وأخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٤١٧ عن ابن عباس بنحوه. وورد عن أبي صالح مرسلاً، أخرجه الطبري ٣٤٠٤٤ وعبد بن حميد كما في «الدر»٦/ ٤١٧، وورد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٤٠٤٦ وعن الضحاك ٣٤٠٤٨.

[١٤٤٣] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٠٤٢ عن علي عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لانقطاعه بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

[١٤٤٤] قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٥٢٢: أخرجه الثعلبي من حديث صهيب قال: «كان رجل يوم بدر آذى المسلمين، ونكا فيهم فقتله صهيب فقال رجل: يا رسول الله قتلت فلان، ففرح بذلك رسول الله ﷺ، فقال عمر وعبد الرحمن لصهيب: أخبر النبي ﷺ بذلك الحديث. . . اهـ. قلت: وما ينفرد به الثعلبي فهو ضعيف أو منكر، حتى الواحدي لم يذكره لا في «أسباب النزول» ولا في «الوسيط»، ولا ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

[١٤٤٥] باطل. أخرجه الطبري ٣٤٠٤٩ عن ابن زيد، وهذا معضل، وابن زيد واهٍ، والمتن باطل لأن الخطاب في الآية للمؤمنين، فهذه علل ثلاث.

= من الفقهاء. وإن كان وعداً مجرداً فقيل: يلزم بمطلقه، وتعلّقوا بسبب الآية. ـ وهو الحديث الآتي عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام ـ.

قولُكم ما لا تفعلون مَقْتاً عندَ الله. ثم أعلَمَ عزَّ وجلَّ ما الذي يُحبُّه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ أي: بُنيانٌ لاصِقٌ بعضُه ببعض، فأعلَمَ أنه يحبُّ مَنْ يثبتُ في الجهاد، ويلزم مكانَهُ كثُبوتِ البُنيانِ المَرصُوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستويَ ثباتُهم في حربِ عدوِّهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبُنيان المَرصُوص. وللمُفسِّرين في المراد بـ «المَرصُوص» قولان: **أحدهما**: أنه المُلتَصِقُ بعضُه ببعضٍ، فلا يُرى فيه خَلَلٌ لإحكامِه، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه المَبنيُّ بالرَّصاص؛ وإلى نحوِ هذا ذهب الفَرَّاءُ، وكان أبو بَحْريَّةَ يقول: كانوا يكرهون القتالَ على الخيل، ويستحبُّون القتالَ على الأرض لهذه الآية. اسم أبي بَحْريَّةَ: عبدُ الله بنُ قيس التَّراغِمي، يروي عن معاذٍ، وكأنه أشار بذلك إلى أنَّ الفرسانَ لا يَصطَفُّون في الغالب إنما يَصطَفُّ الرَّجَّالةُ.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ﴾ المعنى: اذكُرْ لِمَنْ يؤذيكَ مِنَ المنافقين ما صَنعتْه بالذين آذَوْا موسى. وقد ذكرنا ما آذَوْا به موسى في الأحزاب[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ أي: مالُوا عن الحقِّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أي: أمالَها عن الحقِّ جزاءً لِمَا ارتكَبُوه، وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي﴾ قرأ ابنُ كَثير، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصِم «من بعديَ اسْمُه» بفتح الياء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم «من بعديْ اسْمه» بإسكانِ الياء ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم اليهودُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: النَّصارى حين قالوا: عيسى ابنُ الله، قاله أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وطَلحَةُ بنُ مُصرِّفٍ وهو «يَدَّعِي إلى الإسلام» بفتح الياء، والدال، وتشديدِها، وبكسرِ العين، وما بعدَ هذا في براءة[2] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثير، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِم وخَلَفٌ «مُتِمُّ نُورِه» مضافٌ. وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِم «مُتِمٌّ» رفعٌ مُنوَّنٌ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) الأحزاب: ٦٩.
(٢) التوبة: ٣٢.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ قال المُفسِّرون: نزلت هذه الآيةُ حين قالوا: لو عَلِمنا أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله لَعَمِلنا به أبداً، فدلَّهم اللَّهُ على ذلك، وجعلَهُ بمنزلةِ التجارةِ لمكانِ رِبْحِهم فيه[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُنجِيكُم﴾ قرأ ابن عامر «تنجِّيكم» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بَيَّنَ التِّجارةَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ فإنْ قيلَ: كيف قال: تؤمنون بالله؛ وقد قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وقد سبق ذلك الجوابُ عنه بنَحوِ الجواب عن قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[٢] وقد سبق ذلك. قال الزَّجَّاج: وقوله: «يَغْفِرْ لكم» جوابُ قولِه: «تؤمِنون» «وتجاهدون»، لأنَّ معناه معنى الأمرِ. والمعنى: آمِنوا بالله وجاهِدوا، يَغْفِرْ لكم، أي: إنْ فعلتُم ذلك، يَغفِرْ لكم. وقد غَلِطَ بعضُ النَّحويين، فقال: هذا جوابُ «هل» وهذا غلطٌ بَيِّنٌ، لأنه ليس إذا دَلَّهم على ما يَنفعُهم غَفَرَ لهم، إنما يَغْفِرُ لهم إذا عملوا بذلك. ومَنْ قرأ «يغفر لكم» بإدغام الراء في اللام، فغيرُ جائزٍ عند سِيبَويه، والخَليلِ، لأنه لا تُدغَمُ الراءُ في اللام في قولِهم. وقد رُوِيَتْ عن أبي عمرِو بنِ العلاءِ، وهو إمامٌ عظيمٌ، ولا أحسَبُه قَرَأها إلاَّ وقد سمِعَها مِنَ العرب. وقد زعم سِيبَويه والخليلُ وجميعُ البَصريين، ما خلا أبا عمرٍو، أنَّ اللامَ تُدغم في الراء، وأنَّ الراءَ لا تُدغم في اللام، وحُجَّتهم أنَّ الراءَ حرفٌ مكررٌ قويٌ، فإذا أُدغِمت في اللام ذهب التكريرُ منها. وما بعدَ هذا قد سبق إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ﴾ قال الفَرَّاءُ: والمعنى: ولكم في العاجلِ مع ثوابِ الآخرة أُخرى تحبُّونها، ثم فَسَّرها فقال عزَّ وجلَّ ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه فتحُ مكَّةَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني:** فتحُ فارسَ والرُّوم، قاله عَطاءٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: بالنَّصر في الدنيا، والجنَّة في الآخرة. ثم حَضَّهُم على نصرِ دِينِه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو «كونوا أنصاراً لله» منوَّنةً. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ «أنصارَ الله» مضافٌ، ومعنى الآية: دُوموا على ما أنتم عليه، وانصُروا دِينَ الله مثلَ نُصْرَةِ الحَواريينَ لمَّا قال لهم عيسى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ وحرَّكَ نافعٌ ياءَ «مَن أنصاريَ إلى الله» وقد سبقَ تفسيرُ هذا الكلام.

قوله عز وجلّ: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾ ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾ وهم مُخالِفو عيسى، كذلك قال ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والجمهور، وقال مُقاتِلٌ: تَمَّ الكلامُ عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ﴾، ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمَّدٍ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ بمحمَّدٍ على الأديان، وقال إبراهيمُ النَّخعيُّ: أصبح مَنْ آمَنَ بعيسى ظاهِرينَ بتصديقِ محمَّدٍ ﷺ أنَّ عيسى كلمةُ الله ورُوحُه بتعليم الحُجَّةِ. قال ابنُ قُتيبةَ: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: غالِبِينَ عليهم بمحمَّدٍ. مِنْ قولِكَ: ظهرتُ على فُلانٍ: إذا عَلَوتَه، وظهرتُ على السَّطحِ: إذا صِرتَ فوقه.

---

(١) انظر الحديث المتقدم ١٤٤١ وفيه فأنزل الله: ﴿سبح لله ما في السموات﴾ إلى آخر السورة وهذه الآية منها.
(٢) النساء: ١٣٦.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

وقد سبق شرحُ فاتحتِها[١]. وقرأ أبو الدَّرْداءِ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميّ، وعِكرِمَةُ، والنَّخعيُّ، والوليدُ عن يعقوبَ ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ بالرفعِ فيهن.

فإنْ قيلَ: فما الفائدةُ في إعادة ذِكْرِ التسبيح في هذه السورة؟

فالجواب: أنَّ ذلك لاستفتاح السُّوَرِ بتعظيم الله عزَّ وجلَّ، كما تُستَفتَحُ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا جَلَّ المعنى في تعظيمِ الله، حَسُنَ الاستفتاحُ به.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني: العرب، وكانوا لا يكتبون وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة[٢] ﴿رَسُولًا﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: مِن جِنْسِهم ونَسَبِهم.

فإنْ قيلَ: فما وجهُ الامتنانِ في أنه بَعَثَ نبياً أُميّاً[٣]؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ: **أحدها**: لِموافقةِ ما تقدَّمتْ

(١) آل عمران: ٥٢.

(٢) البقرة: ٧٨.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٢٨: الأميون هم العرب، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم، لكن المنة عليهم أبلغ وآكد، كما قال تعالى: **﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾** وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وكذا قوله: **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**، وقوله **﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾**. وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. فبعثه الله سبحانه وتعالى على حين فترة من الرسل، وطُمُوس من السُبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، أي نذراً يسيراً ـ ممن تمسّك بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام.

البِشارَةُ به في كتب الأنبياء. **والثاني**: لِمُشاكلةِ حالِه لأحوالِهم، فيكون أقربَ إلى مُوافقَتِهم. **والثالث**: لِئلاَّ يُظَنَّ به أنه يَعلَمُ كُتبَ مَنْ قبلَه. وما بعدَ هذا في سُورَةِ البقرة[1] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبۡلُ﴾، أي: وما كانوا قبل بَعْثِه إلاَّ في ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بَيِّنٍ، وهو الشِّركُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وبَعَثَ محمَّداً في آخرين منهم، أي: مِنَ الأُمِّيين. **والثاني**: ويعلمُ آخرين منهم، ويُزكِّيهم.

وفي المراد بالآخَرين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم العَجَمُ، قاله ابنُ عمرَ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وهي روايةُ لَيثٍ عن مُجاهِدٍ. فعَلَى هذا إنما قال: «منهم»، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، إذِ المسلمون يَدٌ واحدةٌ، ومِلَّةٌ واحدةٌ. **والثاني**: أنهم التابعون، قاله عِكرمَةُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: جميعُ مَنْ دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابنُ زيدٍ، وهي روايةُ ابنِ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: أنهم الأطفالُ، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿لَمَّا يَلۡحَقُوا۟ بِهِمۡۚ﴾: أي: لم يَلْحَقوا بهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ يعني: الإسلام والهُدى ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ بإرسالِ محمَّدٍ ﷺ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨﴾

ثم ضَربَ لليهود الذين تَركوا العمل بالتَّوراةِ مَثَلاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ أي: كُلِّفوا العملَ بما فيها ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ أي: لم يَعْمَلوا بمُوجَبِها، ولم يُؤَدُّوا حقَّها ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ وهي جمعُ سِفرٍ. والسِّفْر: الكتاب، فشبَّهَهُم بالحمارِ لا يَعقِلُ ما يَحمِلُ، إذْ لم ينتفعوا بما في التَّوراة، وهي دالَّةٌ على الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ وهذا المَثَلُ يَلحَقُ مَنْ لم يعملْ بالقرآن ولم يَفْهَمْ معانيه ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ ذَمَّ مَثَلَهُم، والمراد ذَمُّهم، واليهودُ كذَّبوا بالقرآن وبالتَّوراة حين لم يُؤمِنوا بمحمَّدٍ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسَهم بتكذيبِ الأنبياء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ وذلك أنَّ اليهودَ، قالوا: نحن وَلَدُ إسرائيلَ الله، ابنِ ذبيحِ الله، ابنِ خليلِ الله، ونحنُ أَوْلَى بالله عزَّ وجلَّ مِنْ سائر الناس، وإنما تكون النُّبوةُ فينا. فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلۡ﴾ لهم إنْ كُنتُم ﴿أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلۡمَوۡتَ﴾ لأن الآخرةَ خيرٌ لأولياءِ الله مِنَ الدنيا. وقد بيَّنَّا هذا وما بعدَهُ في البقرة[2] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ﴾ وذلك أنَّ اليهودَ عَلِموا أنهم قد أفسدوا على أنفُسِهم أمرَ الآخرة بتكذيبِهم محمَّداً،

---

(١) البقرة: ١٢٩. (٢) البقرة: ٩٤.

وكانوا يكرهون الموتَ، فقيلَ لهم: لا بُدَّ مِنْ نزولِه بكم بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾، قال الفَرَّاءُ: العرب تُدخل الفاءَ في كلِّ خبرٍ كان اسمُه مما يُوصل، مثل: «من» و «الذي» فمَنْ أدخل الفاءَ ها هنا ذهب «بالذي» إلى تأويلِ الجزاء. وفي قراءةِ عبدِ الله «إن الموت الذي تفرُّون منه ملاقيكم» وهذا على القياس، لأنكَ تقول: إنَّ أخاكَ قائمٌ، ولا تقول: فقائمٌ، ولو قلتَ: إنْ ضارِبَكَ فظالمٌ، لَجازَ، لأنَّ تأويلَه: إنَّ رجلاً يضربُكَ فظالمٌ. وقال الزَّجّاجُ: إنما جاز دخولُ الفاء، لأنَّ في الكلام معنى الشرطِ والجزاءِ. ويجوز أنْ يكونَ تمامُ الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ: «تفرُّون منه» كأنه قيلَ: إنْ فَرَرتُم من أي موتٍ كان مِنْ قتلٍ أو غيرِه «فإنه ملاقيكم» وتكون «فإنه» استئنافاً بعد الخبرِ الأولِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ وهذا هو النداء الذي يُنادى به إذا جلس الإمامُ على المِنبرِ، ولم يكن في عهدِ رسول الله ﷺ نداءٌ سواه.

[١٤٤٦] كان إذا جلس على المِنبَرِ أذَّن بلالٌ على باب المسجد، وكذلك كان على عهدِ أبي بكرٍ، وعمرَ، فلما كَثُرَ الناس على عهدِ عُثمانَ أَمَر بالتأذينِ الأولِ على دارٍ له بالسُّوقِ، يُقال لها: «الزَّوْراء» وكان إذا جلسَ أذَّنَ أيضاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي: لوقتِ الصلاة. وفي «الجُمعة» ثلاثُ لُغاتٍ. ضمُّ الجيم والميم، وهي قراءةُ الجمهور. وضمُّ الجيم مع إسكانِ الميم، وبها قرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو رَجاءٍ، وعِكرِمَةُ، والزُّهريُّ، وابنُ أبي ليلى، وابنُ أبي عَبلَةَ، والأعمَشُ. وبضمِّ الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مِجلَزٍ، وأبو العاليةِ، والنَّخعيُّ، وعَدِيُّ بنُ الفَضْلِ عن أبي عمرٍو. وقال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لِثِقَلِ الضَّمتين. وأمَّا فتحُ الميم، فمعناها: الذي يجمعُ الناسَ، كما تقول: رجلٌ لُعَنَة: يُكثِرُ لعنَهُ الناسُ، وضُحَكَة: يُكثِرُ الضَّحكَ. وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجُمعة ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه فيه جُمِعَ آدمُ.

[١٤٤٧] رَوى سَلْمانُ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «أتَدْري ما الجُمعةُ؟» قلتُ: لا. قال: «فيه جُمِعَ أبوكَ»، يعني: تمام خَلْقِه في يوم الجُمعةِ.

والثاني: لاجتماعِ الناس فيه للصلاة. **والثالث:** لاجتماعِ المخلوقاتِ فيه، لأنه اليومُ الذي فَرَغَ فيه مِنْ خَلْقِ الأشياء.

[١٤٤٦] ساقه المصنف بمعناه، وهو حديث صحيح. أخرجه البخاري ١٩١٢ و ١٩١٣ وأبي داود ١٠٨٧ و ١٠٨٨ والترمذي ٥١٦ وابن ماجه ١١٣٥ وابن حبان ١٦٧٣ والبيهقي ٣/ ١٩٢ وأحمد ٣/ ٤٥٠ من حديث السائب بن يزيد. وانظر «أحكام القرآن» ٤/ ٢٤٧ و «الجامع لأحكام القرآن» ٥٩٣٩ بتخريجنا.

[١٤٤٧] أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٩ والحاكم ١/ ٢٧٧ من حديث سلمان، وإسناده ضعيف لضعف أبي معشر، واسمه نجيح. ولصدره شاهد في الصحيح، ولباقيه شواهد كثيرة.

الخلاصة: أصل الحديث صحيح بشواهده. وانظر «الدر المنثور» ٦/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

وفي أولِ مَنْ سمَّاها بالجُمعةِ قولان: **أحدهما**: أنه كَعْبُ بنُ لُؤَيٍّ سمَّاها بذلك، وكان يُقال ليوم الجُمعةِ: العَروبة. قاله أبو سَلَمَة. وقيلَ: إنما سمَّاها بذلك لاجتماع قُريشٍ فيه. **والثاني**: أنَّ أولَ مَنْ سمَّاها بذلك الأنصارُ، قاله ابنُ سِيْرِينَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وفي هذا السَّعي ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه المشيُ، قاله ابنُ عباسٍ. وكان ابنُ مسعودٍ يقرؤها «فامضوا» ويقول: لو قرأتُها «فاسعَوْا» لسعَيتُ حتى يسقطَ رِدائي. قال عَطاءٌ: هو الذهابُ والمَشيُ إلى الصلاة.

والثاني: أن المراد بالسَّعي: العمل، قاله عِكرِمَةُ، والقُرَظيُّ، والضَّحَّاكُ، فيكون المعنى: فاعمَلُوا على المُضِيِّ إلى ذِكرِ الله بالتَّفرُّغِ له، والاشتغالِ بالطَّهارةِ ونحوها.

والثالث: أنه النِّيَّةُ بالقلب، قاله الحَسنُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: هو المُبادرةُ بالنِّيَّةِ والجدِّ.

وفي المراد «بذكر الله» قولان: **أحدهما**: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. **والثاني**: موعِظةُ الإمام، قاله سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: دَعُوا التِّجارةَ في ذلك الوقت. وعندنا: لا يجوز البيعُ في وقتِ النداء، ويقع البيعُ باطلاً في حقِّ مَنْ يلزمه فرضُ الجُمعةِ، وبه قال مالكٌ خلافاً للأكثرين.

فصل: تَجِبُ الجُمعةُ على مَنْ سمع النداءَ مِنَ المِصْرِ، إذا كان المُؤذِّنُ صَيِّتاً، والريحُ ساكنةٌ. وقد حدَّه مالكٌ بفَرْسَخٍ، ولم يَحُدَّه الشَّافعيُّ. وعن أحمدَ في التحديد نحوهما. وتَجِبُ الجُمعةُ على أهل القرى. وقال أبو حَنيفَةَ: لا تَجِبُ إلاَّ على أهل الأمصار. ويجوز لأهلِ المِصْرِ أنْ يُقيموا الجُمعة في الصحراء القريبة مِنَ المِصْرِ خلافاً للشَّافعي. ولا تنعقِدُ الجُمعةُ بأقل مِنْ أربعين. وعن أحمدَ: أقلُّه خمسون. وعنه: أقلُّه ثلاثةٌ. وقال أبو حَنيفَةَ: تنعقدُ بثلاثةٍ والإمامِ، والعددُ شرطٌ في الخُطبة. وقال أبو حَنيفَةَ في إحدى الرِّوايتين: يصحُّ أنْ يخطُبَ منفرداً. وهل تجبُ الجُمعةُ على العبيد؟ فيه عن أحمدَ روايتان. وعندنا: تَجِبُ على الأعمى إذا وَجَدَ قائداً، خلافاً لأبي حَنيفةَ. ولا تنعقدُ الجُمعةُ بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حَنيفةَ. وهل تَجِبُ الجُمعةُ والعِيدانِ مِنْ غيرِ إذنِ سلطانٍ؟ فيه عن أحمدَ روايتان. وتجوز الجُمعةُ في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالكٌ، والشَّافعيُّ، وأبو يُوسفَ: لا تجوز إلاَّ في موضعٍ واحدٍ. وتجوز إقامةُ الجُمعةِ قبل الزَّوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيدُ يومَ الجُمعةِ أجزأ حضورُه عن يوم الجُمعةِ، وبه قال الشَّعْبيّ والنَّخعيُّ، خلافاً للأكثرين، والمُستَحبُّ لأهل الأعذارِ أنْ يُصلُّوا الظُّهرَ في جماعةٍ. وقال أبو حَنيفةَ: يُكره. ولا يجوز السفرُ يوم الجمعة بعد الزَّوالِ. وقال أبو حَنيفَةَ: يجوز. وهل يجوز السفرُ بعد طلوع الفجر؟ فيه عن الإمام أحمدَ روايتان. ونُقل عن أحمدَ رضي الله عنه أنه لا يجوز الخروجُ في الجُمعةِ إلاَّ للجهاد. وقال أبو حَنيفَةَ: يجوز لكلِّ سَفَرٍ. وقال الشَّافعيُّ: لا يجوز أصلاً.

والخُطبةُ شرطٌ في الجُمعةِ. وقال داودُ: هي مُستحبَّةٌ. والطهارة لا تُشترَطُ في الخُطبة، خِلافاً للشَّافعي تَصِحُّ في أحدِ قوليهِ. والقيام ليس بشرطٍ في الخُطبةِ، خلافاً للشَّافعي. ولا تَجِبُ القَعدةُ بين الخُطبتين، خلافاً له أيضاً.

ومِنْ شرط الخُطبة: التحميد، والصلاة على النبيِّ ﷺ، وقراءةُ آيةٍ، والموعظةُ. وقال أبو حَنيفةَ:

يجوز أنْ يَخطُبَ بتسبيحةٍ.

والخُطبتان واجبتان. وأما القراءةُ في الخُطبة الثانية، فهي شرطٌ، خلافاً للشافعي.

والسُّنَّة للإمام إذا صَعِدَ المِنبرَ، واستقبل الناسَ: أنْ يُسلِّمَ، خلافاً لأبي حَنيفةَ، ومالكٍ. وهل يَحرمُ الكلامُ في حالِ سماع الخُطبة؟ فيه عن أحمدَ روايتان. ويَحرمُ على المُستَمِع دونَ الخاطبِ، خلافاً للأكثرين. ولا يُكره الكلامُ قبل الابتداء بالخُطبةِ، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حَنيفة.

ويستحبُّ له أنْ يُصليَ تحيةَ المسجد والإمامُ يَخطُبُ، خلافاً لأبي حَنيفةَ، ومالكٍ.

وهل يجوز أنْ يخطُبَ واحدٌ، ويصلِّيَ آخرُ، فيه عن أحمدَ روايتان.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إنْ كان لكم عِلمٌ بالأصلح ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: فرغتُم منها ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا أمرُ إباحةٍ ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إباحة لطلبِ الرِّزقِ بالتجارة بعد المَنْعِ منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ وقال الحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ: هو طَلَبُ العلم.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً﴾.

[١٤٤٨] سببُ نُزولِها أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يخطُب يومَ الجُمعةِ، إذ أقبلَتْ عِيرٌ قد قَدِمَتْ، فخرجوا إليها حتى لم يَبْقَ معه إلاَّ اثنا عشرَ رجلاً، فنزلت هذه الآية.

[١٤٤٩] أخرجه البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث جابرِ بنِ عبد الله، قال الحسَنُ: وذلك أنهم أصابهم جوعٌ، وغَلاءُ سِعرٍ، فلمَّا سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبيُّ ﷺ: «لو اتَّبَعَ آخرُهم أوَّلَهم اِلتَهَبَ عليهم الوادي ناراً».

[١٤٥٠] قال المُفسِّرون: كان الذي قَدِمَ بالتجارة دِحْيَةُ بنُ خَليفةَ الكَلْبِيُّ، قال مُقاتِلٌ: وذلك قبلَ

[١٤٤٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٨٩٩ عن حفص بن عمر به من حديث جابر. وأخرجه مسلم ٨٦٣ ح ٣٧ من طريق خالد به. وأخرجه البخاري ٩٣٦ و ٣٠٦٤ و ٣٣٠٨ ومسلم ٨٦٣ وأبو يعلى ١٨٨٨ والطبري ٣٤٣٦ و ٣٤١٤٤ والدارقطني ٢/ ٥ والبيهقي ٣/ ١٩٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٢٠ وابن بشكوال في «غوامض الأسماء» ٨٥١ من طرق عن حصين به. وأخرجه البخاري ٤٨٩٩ ومسلم ٨٦٣. وأخرجه البخاري ٤٨٩٩ ومسلم ٨٦٣ والترمذي ٣٣٠٨ والطبري ٣٤١٤٣ والواحدي ٨١٩ من طرق عن حصين عن أبي سفيان عن جابر به.

[١٤٤٩] عجزه ضعيف. أخرجه الطبري ٣٤٣٧ وعبد الرزاق في «التفسير» ٣٢٢٢ من طريق معمر عن الحسن مرسلاً. وأخرجه الطبري ٣٤١٣٤ من طريق سفيان عن إسماعيل السدي عن أبي مالك مرسلاً وليس فيه اللفظ المرفوع.

[١٤٥٠] ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨٢٠ عن المفسرين. وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٦٤٩٥ من طريق بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان مرسلاً. وأخرجه أبو داود في «المراسيل» ٥٩ عن مقاتل بن حيان مرسلاً بنحوه. وعجزه ضعيف وفيه اللفظ المرفوع فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأحزم الله =

أنْ يُسلِمَ. قالوا: قَدِمَ بها مِنَ الشام، وضُرِبَ لها طَبْلٌ يُؤذِنُ الناسَ بقُدومها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمتْ عِيْرٌ. قال جابرُ بنُ عبدِ الله: كانت التجارةُ طعاماً[١]. وقال أبو مالكٍ: كانت زيتاً[٢]. والمراد باللهوِ: ضَرْبُ الطَّبلِ. و ﴿ٱنفَضُّوٓاْ﴾ بمعنى: تفرَّقوا عنكَ، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة. وإنما خُصَّتْ بِرَدِّ الضمير إليها، لأنها كانت أَهَمَّ إليهم، هذا قول الفرَّاءِ، والمُبَرِّدِ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: وإذا رَأَوا تجارةً انفَضُّوا إليها، أو لَهْواً انفَضُّوا إليه، فحُذِفَ خبرُ أحدهما، لأنَّ الخبرَ الثاني يدل على الخبر المحذوف. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «انفضوا إليهما» على التثنية. وعن ابنِ مسعودٍ، وابنِ أبي عَبلَةَ «انفضوا إليه» على ضميرٍ مذكرٍ ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ وهذا القيامُ كان في الخُطبةِ ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مِنْ ثواب الصلاة والثباتِ مع رسولِ الله ﷺ ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنه يَرزقُ مَنْ يُؤمِنُ به ويَعبُده، ومَنْ يَكفرُ به ويَجحَدُه، فهو يُعطي مَنْ سألَ، ويَبتدئُ مَنْ لا يسأل، وغيرُه إنما يَرزقُ مَنْ يرجو مَنفعتَهُ، ويُقبِلُ على خدمتِه.

= عليهم الوادي ناراً». لكن لعجزه شاهد من: حديث جابر عند أبي يعلى ١٩٧٩ وابن حبان ٦٨٧٧ وفي إسناده زكريا بن يحيى بن زحمويه ذكره ابن حبان في «الثقات» ٨/ ٢٥٣، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» ٣/ ٦١ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فالرجل مجهول. وحديث جابر في هذا الشأن رواه الشيخان كما تقدم بغير هذا السياق، وليس فيه اللفظ المرفوع فهذه زيادة منكرة، وتقدم حديث جابر. ويشهد لكون دحية الكلبي قدم بالتجارة، ما أخرجه بشكوال في «غوامض الأسماء» ص ٨٥٢ والطبري ٣٤١٣٥ من طريق سفيان عن السدي عن مرة مرسلاً. وحديث ابن عباس عند البزار ٢٢٧٣، وفي إسناده عبد الله بن شبيب، وهو ضعيف كما في «المجمع» ٧/ ١٣٤.

الخلاصة: أصل الحديث يعتضد بشواهده دون اللفظ المرفوع، فإنه ضعيف لا يصح.

وانظر «أحكام القرآن» ٢١٢٢.

---

(١) انظر الحديث ١٤٤٨ عن جابر بن عبد الله.

(٢) انظر الحديث المتقدم ١٤٤٩.

تنبيه: قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٥٣٧ رواية الاثني عشر هي المشهورة في «الصحيحين» ولم أقف على رواية أنهم كانوا ثمانية ولا أحد عشر. ورواية الأربعين أخرجها الدارقطني من طريق علي بن عاصم عن حصين، وقال: لم يقل أحد من أصحاب حصين: أربعون إلا علي بن عاصم، والكل قالوا: اثني عشر رجلاً. وكذلك قال أبو سفيان عن جابر كما تقدم اهـ. قلت: رواية الدارقطني هي في «السنن» ٢/ ٤.

وانظر «الكشاف» ٤/ ٥٣٨ بتخريجنا.

سُورَةُ المنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

وهي مدنيَّةٌ بإجماعِهم

[١٤٥١] وذكر أهلُ التفسير أنها نزلت في عبدِ الله بن أُبيّ ونُظرائِه. وكان السبب أنَّ عبدَ الله خرج مع النبيِّ ﷺ في خَلْقٍ كثيرٍ مِنَ المنافقين إلى المُرَيْسِيعِ، وهو ماءٌ لبني المُصطَلق طلباً للغنيمة، لا للرغبة في الجهاد، لأن السفرَ كان قريباً. فلمَّا قضى رسولُ الله ﷺ غزاتَهُ، أقبلَ رجلٌ مِنْ جُهَينةَ، يُقال له: سِنان، وهو حليفٌ لعبدِ الله بنِ أُبيّ، ورجلٌ مِنْ بني غِفارٍ يُقال له: جهجاه بنُ سعيدٍ، وهو أجيرٌ لعمرَ بنِ الخطَّابِ لاستقاءِ الماء، فدَارَ بينهما كلامٌ، فرفعَ الغِفاريُّ يدَهُ فلَطَم الجُهَنيَّ، فأدْماهُ، فنادى الجُهَنيُّ: يا آلَ الخَزْرجِ، فأقبَلُوا، ونادى الغِفاريُّ: يا آلَ قُريشٍ، فأقبَلُوا، فأصلَحَ الأمرَ قومٌ مِنَ المهاجرين. فبلغَ الخبرُ عبدَ الله بن أُبيّ، فقال وعنده جماعةٌ مِنَ المنافقين: واللَّهِ ما مَثَلُكم ومَثَلُ هؤلاء الرَّهطِ مِنْ قُريشٍ إلاَّ مَثَل ما قال الأولُ: سَمِّنْ كلبكَ يأكُلْكَ، ولكنْ هذا فِعلُكم بأنفسِكم، آوَيْتُموهم في منازِلِكم، وأنفقْتُم عليهم أموالَكم، فقَووا وضَعُفتُم. وايمُ اللَّهِ: لو أمسكتُم أيدِيَكم لَتَفرَّقتْ عن هذا جُموعه، ولَئِنْ رَجَعنا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، وكان في القوم زيدُ بنُ أرقَمَ، وهو غلامٌ يومئذٍ لا يؤبَهُ له، فقال لعبدِ الله: أنتَ واللَّهِ الذَّليلُ القليلُ، فقال: إنما كنتُ ألعب، فأقبلَ زيدٌ بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عمرُ: دعني أضربْ عُنقَهُ. فقال: إذَنْ ترعد له آنُفٌ كبيرةٌ، قال: فإنْ كرهتَ أنْ يقتلَهُ رجلٌ مِنَ المهاجرين، فمُرْ سعدَ بنَ عُبادَةَ، أو محمَّدَ بنَ مَسْلَمةَ، أو عبَّادَ بنَ بِشْرٍ فيلقْتُله، فقال: إذَنْ يتحدَّثُ الناسُ أنَّ محمَّداً يقتل أصحابَهُ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى عبدِ الله بن أُبَيّ، فأتاه، فقال: أنتَ صاحبُ هذا الكلام؟ فقال: والذي أُنزِلَ عليكَ ما قُلتُ شيئاً مِنْ هذا، وإنَّ زيداً لَكذَّابٌ، فقال مَنْ حضر: لا يَصدُقُ عليه كلامُ غلام، عسى اللَّهُ أنْ يكونَ قد وَهِمَ، فعَذَرهُ رسولُ الله ﷺ، وفَشَتِ المَلامةُ في الأنصار لِزيدٍ، وكذَّبوه، وقالَ له عمُّهُ: ما أردتَ إلاَّ أنْ كذَّبكَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون، ومَقَتوكَ!

[١٤٥١] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بإثر ٨٢١ نقلاً عن أهل التفسير، وأصحاب السير. وأخرجه الطبري ٣٤١٧٨ من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة عن عبد الله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حيان قال: كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له... فذكره مع اختلاف يسير. وأصل الخبر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم. أخرجه البخاري ٤٩٠٠ و ٤٩٤ ومسلم ٢٧٧٢ والترمذي ٢٣١٢ و ٢٣١٣ والنسائي في «التفسير» ٦١٧ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٢١ و «الوسيط» ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤. أما عجزه فقد أخرجه الطبري ٣٤١٥٩ عن بشير بن مسلم... فذكره بأحضر منه.

الخلاصة: عامة هذا السياق محفوظ بطرقه وشواهده.

فاستحيا زيدٌ، وجلس في بيته. فبلغ عبدَ الله بنَ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ ما كان مِنْ أمرِ أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: بَلَغني أنكَ تريد قَتْلَ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ، لِمَا بَلَغَكَ عنه. فإنْ كنتَ فاعلاً فمُرْني به، فأنا أحمل إليكَ رأسَهُ، فإني أخشى أنْ يقتلَه غيري، فلا تَدَعْني نَفْسي حتى أقتلَ قاتِلَهُ، فأدخلَ النارَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «بل تُحسِنُ صُحبتَهُ ما بقيَ معنا»، وأنزلَ الله سُورَةَ المنافقين في تصديقِ زيدٍ، وتكذيبِ عبدِ الله، فأرسلَ رسولَ رسولُ الله ﷺ إلى زيدٍ فقرأها عليه، وقال: إنَّ الله قد صَدَّقكَ. ولمَّا أراد عبدُ الله بنُ أُبيٍّ أنْ يدخلَ المدينةَ جاء ابنُه، فقال: ما وراءَكَ، قال: ما لَكَ وَيْلَكَ؟ قال: لا واللّهِ لا تَدخُلها أبداً إلاَّ بإذن رسول الله ﷺ لِتعلمَ اليومَ مَنِ الأعزُّ، ومَنِ الأذلُّ. فشكا عبدُ الله إلى رسولِ الله ﷺ ما صَنع ابنُه، فأرسلَ إليه رسولُ الله ﷺ أنْ خَلِّ عنه حتى يدخلَ، فلمَّا نزلت السُّورةُ وبانَ كَذِبُه قيلَ له: يا أبا حُباب: إنه قد نزلت فيكَ آياتٌ شِدادٌ، فاذهَبْ إلى رسول الله ليستغفِرَ لكَ، فلَوَى به رأسَهُ، فلذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ وقيلَ: إنَّ الذي قال له هذا عُبادَةُ بنُ الصَّامتِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يعني: عبدَ الله بنَ أُبيٍّ وأصحابه ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وها هنا تَمَّ الخبرُ عنهم. ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ وإنما جعلهم كاذِبِينَ، لأنهم أضمَرُوا غيرَ ما أظهَرُوا[١]. قال الفرَّاءُ: إنما كَذَّبَ ضَميرُهم. ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قد ذكرناه في المُجادلة[٢]. قال القاضي أبو يَعلَى: وهذه الآية تدلُّ على أنَّ قولَ القائل: «أشهد» يمينٌ. لأنهم قالوا: «نشهد» فجعلَه يميناً بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ وقد قال أحمدُ، والأوزاعيُّ، والثَّوْريُّ، وأبو حَنيفَةَ: أشْهَدُ، وأُقسِمُ، وأعزِمُ، وأحْلِفُ، كلُّها أيمانٌ. وقال الشَّافعيُّ: «أُقسِم» ليس بيمينٍ. وإنما قوله: «أقسِمُ بالله» يمينٌ إذا أراد اليمينَ.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «أحكام القرآن» ٤/ ٢٥٦: الشهادة تكون بالقلب، وتكون باللسان، وتكون بالجوارح، فأما شهادة القلب فهو الاعتقاد أو العلم على رأي قوم، والعلم على رأي آخرين، والصحيح عندي أنه الاعتقاد والعلم. وأما شهادة اللسان فبالكلام، وهو الركن الظاهر من أركانها، وعليه تنبني الأحكام، وتترتب الأعذار والاعتصام. قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» متفق عليه.

وقال ابن العربي في «الأحكام» ٤/ ٢٥٧: قال بعض الشافعية: إن قول الشافعي: إن الرجل إذا قال في يمينه ـ أشهد بالله يكون يميناً بنية اليمين، ورأى أبو حنيفة ومالك أنه دون النية يمين، ولا أرى المسألة إلا هكذا في أصلها. وقد قال مالك، إذا قال الرجل: أشهد: إنه يمين إذا أراد بالله.

(٢) المجادلة: ١٦.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك الكَذِبُ ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السِّرّ ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: أنَّ لهم أجساماً ومَناظِرَ.

[١٤٥٢] قال ابنُ عباس: كان عبدُ الله بن أُبَيّ جسيماً فصيحاً، ذَلِقَ(١) اللسانِ، فإذا قال، سَمِعَ النبيُّ ﷺ قولَه. وقال غيرُه: المعنى: يُصغي إلى قولِهم، فيَحسبُ أنه حقٌّ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: وحمزةُ: «خُشُبٌ» بضمِّ الخاء، والشين جميعاً، وهو جمعُ خَشَبَة. مثل ثَمَرَةٍ، وثُمُرٍ. وقرأ الكِسائيُّ: خُشْب بضمِّ الخاء، وتسكينِ الشين، مثل: بَدَنَةٍ، وبُدْنٍ، وأَكَمَةٍ، وأُكْم. وعن ابنِ كثيرٍ، وأبي عمرٍو، مثله. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعُروةُ، وابنُ سِيرينَ: «خَشَبٌ» بفتحِ الخاء، والشينِ جميعاً. وقرأ أبو نَهِيكٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ خَشْب بفتح الخاء، وإسكانِ الشينِ، فوَصفَهُم اللَّهُ بحُسنِ الصُّوَرِ، وإبانَةِ النُّطق، ثم أعلَمَ أنهم في تركِ التفهُّم والاستبصارِ بمنزلة الخُشُبِ. والمُسَنَّدَة: المُمالَة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجارٍ تُثمِرُ وتُنمي، بل هي خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ إلى حائطٍ. ثم عابَهُم بالجُبْنِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يَسمعون صوتاً إلاَّ ظَنُّوا أنهم قد أُتُوا لِمَا في قلوبهم مِنَ الرُّعب أنْ يكشفَ اللَّهُ أسرارَهم، وهذه مُبالغةٌ في وَصْفِهم بالجُبنِ. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَلَوْ أَنَّها عُصْفُورَةٌ لَحَسِبْتَها مُسَوَّمَةً تدعو عُبَيْداً وأَزْنَما(٢)

أي: لو طارتْ عصفورةٌ لَحَسِبْتَها مِنْ جُبْنِكَ خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أنْ تأمَنَهُم: ولا تأمَنْهُم على سِرِّكَ، لأنهم عيونٌ لأعدائِكَ مِنَ الكفّار. ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ مفسَّرٌ في براءة(٣).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٦ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قد بيَّنّا سببَهُ في نزولِ السُّورة(٤) ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ وقرأ نافعٌ، والمُفَضَّلُ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ: «لَوَوْا» بالتخفيف. واختار أبو عُبَيدٍ التشديدَ.

[١٤٥٢] هو بعض حديث، أخرجه ابن المنذر كما في «الدر» ٦/ ٣٣٦ عن ابن عباس بنحوه. ولم أقف على إسناده، لكن لا ريب أن ابن سلول هو أحد المرادين بهذه الآية.

---

(١) ذلق اللسان: طلق اللسان.

(٢) البيت للعوام بن شوذب الشيباني وهو في «معجم الشعراء» ٣٠٠ و «اللسان» ـ زنم ـ وأزنم: بطن من بني يربوع.

(٣) التوبة: ٣٠.

(٤) انظر الحديث المتقدم ١٤٥١.

وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرَّةً بعد مرَّةٍ. قال مُجاهِدٌ: لمَّا قيلَ لعبدِ الله بن أُبَيّ: تعالَ يستغفِرْ لكَ رسولُ الله لوَّى رأسَهُ، وقال: ماذا قُلتَ؟ وقال مُقاتِلٌ: عَطَفوا رؤوسَهم رغبةً عن الاستغفارِ. وقال الفَرَّاءُ: حَرَّكوها استهزاءً بالنبيِّ وبدُعائِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يُعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: مُتكبِّرون عن ذلك. ثم ذَكرَ أنَّ استغفارَهُ لهم لا ينفعُهم، بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفرَ: «آستغفرت» بالمدِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا أنه قولُ ابنِ أُبيّ. و ﴿يَنفَضُّوا۟﴾ بمعنى: يتفرَّقوا ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال المُفسِّرون: خزائنُ السمواتِ: المطرُ، وخزائنُ الأرضِ: النباتُ. والمعنى: أنه هو الرَّزَّاقُ لهؤلاءِ المُهاجرين، لا أولئك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنَّ اللَّهَ رازِقُهم في حالِ إنفاقِ هؤلاءِ عليهم ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي مِن هذه الغَزوة. وقد تقدَّمَ ذِكْرُها وهذا قولُ ابن أُبَيّ ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ يعني: نَفْسَه، وعَنى بـ ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾ رسولَ الله ﷺ. وقرأ الحسَنُ: «لنُخرجنَّ» بالنونِ مضمومةً وكسرِ الراء «الأعزَّ» بنَصْبِ الزاي والأذل منصوب على الحالِ بناء على جواز تعريف الحال. أو زيادة «أل» فيه أو بتقدير «مثل» المعنى: لَنُخرجنَّه ذليلاً على أيِّ حالِ ذُلٍّ. والكُلُّ نَصبوا «الأذَلَّ» فَرَدَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ وهي: المَنَعةُ والقوَّةُ ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزازِ الله ونَصْرِه إيَّاهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي: لا تَشغَلْكُم.

في المراد بذِكْرِ الله ها هنا أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: طاعةُ الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابنِ عباس. **والثاني**: الصلاةُ المَكتوبةُ، قاله عَطاءٌ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: الفرائض مِنَ الصلاة، وغيرِها، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: أنه على إطلاقِه. قال الزَّجَّاجُ: حَضَّهم بهذا على إدامةِ الذِّكرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ في هذه النَّفقةِ ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه زكاة الأموالِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها النَّفقةُ في الحقوق الواجبةِ بالمال، كالزَّكاة والحَجِّ، ونحوِ ذلك، وهذا

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٢٥٩/٤: أخذ ابن عباس بعموم الآية في الإنفاق الواجب خاصةً دون النفل. وهو الصحيح. لأن الوعيد إنما يتعلق بالواجب دون النفل. وأما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموماً، وأما القول في الحج على الفور ففيه إشكال، لأنا إن قلنا: إن الحج على التراخي ففي المعصية في الموت قبل أدائه خلاف بين العلماء، لا تخرج الآية عليه.
ـ وإن قلنا: إن الحج على الفور فالآية على العموم صحيح، لأن من وجب عليه الحج فلم يؤده لقي من الله ما يود أنه رجع ليأتي بما ترك من العبادات.

المعنى مَرويّ عن الضَّحَّاكِ. **والثالث**: أنه صدقةُ التطوّعِ، ذكره المَاوَرديُّ. فعَلَى هذا يكون الأمرُ نَدْباً، وعلى ما قبله يكون أمرَ وجوبٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: مِنْ قبل أنْ يُعاينَ ما يعلَمُ منه أنه مَيّتٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ﴾ أي: هلاَّ أخَّرتَني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني بذلك الاستِزادةَ في أجَلِه لِيتصدَّقَ ويُزكّي، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «فأصدق» نُصِبَ، لأنَّ كلَّ جوابٍ بالفاء للاستفهامِ منصوبٌ. تقول: مَنْ عندَكَ فآتيَكَ. هلاَّ فعلتَ كذا فأفعَلَ كذا، ثم تَبِعَتْها ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بغير واوٍ. وقال أبو عمرٍو: إنما هي، وأكون، فذهبتِ الواو مِنَ الخَطِّ. كما يكتب أبو جاد، أَبْجَدْ، هجاءً، وهكذا يقرؤها أبو عمرٍو «وأكونَ» بالواو، ونَصْبِ النون. والباقون يقرؤون «وأكن» بغيرِ واوٍ. قال الزَّجّاجُ: مَنْ قرأ «وأكونَ» فهو على لفظِ فأصَّدَّقَ. ومَنْ جزمَ «أكنْ» فهو على موضعِ «فأصدق» لأن المعنى: إنْ أخَّرتَني أصدَّقْ وأكُنْ. ورَوى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ «فأصَّدَّق» أي: أزكّي مالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: أحُجُّ مع المؤمنين، وقال في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ والمعنى: بما تعملون، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ يعملون بالياء والباقون بالتاء، مِنَ التكذيب بالصَّدقةِ. قال مُقاتِلٌ: يعني: المنافقين. وروى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباسٍ، ما مِنْ أحدٍ يموت، قد كان له مالٌ لم يُزَكِّهِ، وأطاق الحَجَّ فلم يَحُجَّ، إلاَّ سأل اللَّهَ الرَّجعةَ عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرَّجعةَ الكفَّارُ، فقال: أنا أتْلو عليكم به قرآناً، ثم قرأ هذه الآيَة.

سُورَةُ التَّغَابُن

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الجمهور، منهم ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنها مكيَّةٌ، قاله الضَّحَّاكُ، وقال عَطاءُ بنُ يَسارٍ: هي مكيَّةٌ إلاَّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت بالمدينة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ واللَّتانِ بعدَها.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي
خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ
فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت
تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾﴾

وقد سبق تفسيرُ فاتحتِها إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ وفيه قولان(1):

أحدهما: أنَّ الله خَلَقَ بني آدمَ مؤمناً وكافراً، رواه الوالبيُ عن ابنِ عباسٍ. والأحاديثُ تعضدُ هذا القولَ.

[١٤٥٣] كقوله ﷺ: «خُلِقَ فِرعونُ في بطن أُمّه كافراً، وخُلِقَ يَحيى بنُ زكريَّا في بطن أُمّه مؤمناً».

[١٤٥٤] وقوله: «فيُؤمَرُ المَلَكُ بأربع كلماتٍ: بكَتْبِ رزقِهِ، وأَجَلِهِ، وعَمَلِهِ، وشقيٌ أَم سعيدٌ».

[١٤٥٣] أخرجه اللالكائي في «السنة» ١٣٠/١ ـ ٢ وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» ١٩٠/٢ من حديث ابن مسعود، وفيه نصر بن طريف، وهو متروك. وأخرجه ابن عدي ٣٠٤/١ والطبراني ١٠٥٤٣ من وجه آخر، وفيه أبو هلال الراسبي، وهو غير قوي والحديث بهذا اللفظ غير قوي.

[١٤٥٤] صحيح. وهو قطعة من حديث طويل عن ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٦٥٩٤ و ٧٤٥٤ ومسلم ٢٦٤٣، وأبو داود ٤٧٠٨ والترمذي ٢١٣٧ وابن ماجه ٧٦ وابن حبان ٦١٧٤ وأحمد ٤١٤/١ و ٤٣٠. وانظر «تفسير القرطبي» ٥٩٩٥ بتخريجنا.

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٢٠/١٨: وقال الزجاج: ـ وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة ـ: إن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن وإيمانه فعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

والثاني: أنَّ تمام الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ثم وَصَفهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾، واختلف أربابُ هذا القول فيه على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: فمِنكم كافرٌ يُؤمن، ومنكم مُؤمنٌ يَكفر، قاله أبو الجَوْزاءِ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: فمنكم كافرٌ في حياته مؤمنٌ في العاقبة، ومنكم مؤمنٌ في حياته كافرٌ في العاقبة، قاله أبو سعيدٍ الخُدْرِيُ. **والثالث**: فمنكم كافرٌ بالله مُؤمنٌ بالكوكب، ومنكم مُؤمنٌ بالله كافرٌ بالكوكب، قاله عَطاءُ بنُ أبي رَباح، وعَنَى بذلك شأنَ الأَنْواءِ. **والرابع**: فمنكم كافرٌ بالله خُلقُه، ومؤمن بالله خُلقُه، حكاه الزَّجَّاجُ، والكفرُ بالخُلقِ مذهبُ الدَّهريَّة، وأهلِ الطبائع. وما بعد هذا قد سبقَ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قال الزَّجاجُ: أي: خَلَقَكُم أحسنَ الحيوانِ كلِّه. وقرأ الأعمَشُ «صِوركم» بكسرِ الصاد. ويُقال في جمع الصورة: صُوَر، وصَوَرٌ، وصِور، كما يُقال في جمع لِحيَة: لِحىَ، ولُحىَ. وذكر ابنُ السَّائبِ أنَّ معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أحكَمَها. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ رَوى المُفضَّلُ عن عاصم «يسرُّون» و «يعلنون» بالياء فيهما ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ هذا خطابٌ لأهل مكَّة خَوَّفهم ما نزل بالكفَّار قبلَهم، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: جزاءَ أعمالِهم، وهو ما أصابَهم مِن العذاب في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي أصابَهم ﴿بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿أَبَشَرٌ﴾ أي: ناسٌ مِثلُنا ﴿يَهْدُونَنَا﴾ والبَشرُ اسمُ جنسٍ معناه الجمع، وإنْ كان لفظُه واحداً ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ أي: أعرَضوا عن الإيمان ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانِهم وعبادتِهم.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كان ابنُ عمرَ يقول: «زعموا» كنايةُ الكَذبِ. وكان مُجاهِدٌ يكره أنْ يقولَ الرجلُ: زَعَمَ فلانٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني: البعث ﴿وَالنُّورِ﴾ هو القرآن، وفيه بيانُ أمرِ البَعثِ والحسابِ والجَزاءِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ هو منصوبٌ بقوله تعالى: ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة. وسُمّي بذلك لأنَّ الله تعالى يجمع فيه الجنَّ والإنسَ، وأهلَ السماء، وأهل الأرض. قوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ تفاعُل مِنَ الغُبن، وهو فَوتُ الحظّ. والمراد في تسميته يومُ القيامة بيومِ التَّغابُن فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه ليس مِنْ كافرٍ إلا وله منزلٌ وأهلٌ في الجنَّة، فيَرِثُ ذلك المؤمنُ، فيُغْبَنُ حينئذٍ الكافرُ، ذكرَ هذا المعنى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: غَبنَ أهلُ الجنَّةِ أهلَ النَّار، قاله مُجاهِدٌ، والقُرَظيُ. **والثالث**: أنه يومَ غَبَنَ المظلومُ الظالِمَ، لأن المظلوم كان في الدنيا مَغبوناً، فصارَ في الآخرة غابِناً، ذكره المَاوَرديُّ. **والرابع**: أنه يومَ يظهر فيه غُبْنُ الكافر بتَرْكِه للإيمان، وغُبْنُ المؤمن بتقصيرِه في الإحسان، ذَكرَهُ الثَّعلَبيُّ. قال الزَّجّاجُ: وإنما ذَكرَ ذلك مَثلاً للبيع والشراء، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾(١)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ﴾(٢) وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِمٍ «نكفر» «وندخله» بالنون فيهما. والباقون: بالياء ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بعِلْمِه وقضائِه.

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: يَهْدِ قلبَهُ لليقينِ، فيَعلم أنَّ ما أصابه لم يكُنْ لِيُخطِئَه، وما أخطأَهُ لم يكن لِيُصيبَهُ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ. وقال عَلقَمةُ: هو الرجل تُصيبه المصيبةُ، فيعلم أنها من قِبَلِ الله تعالى، فيُسَلِّم، ويرضى. **والثاني**: يَهْدِ قلبَهُ للاسترْجاع، وهو أنْ يقولَ: إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنه إذا ابتُلِيَ صَبرَ، وإذا أُنْعِمَ عليه شَكرَ، وإذا ظُلِمَ غفَرَ، قاله ابنُ السَّائبِ، وابنُ قُتَيبةَ. **والرابع**: يَهْدِ قلبَهُ، أي: يجعله مُهتدياً، قاله الزَّجَّاجُ. **والخامس**: يَهْدِ وَلِيَّهُ بالصبر والرضى، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والسادس**: يَهْدِ قلبَه لاتِّباع السُّنَّةِ إذا صحَّ إيمانُه، قاله أبو عُثمانَ الحيري. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وأبو نَهِيْكٍ: «يَهْدَ» بياءٍ مفتوحةٍ. ونَصبِ الدال «قَلْبُهُ» بالرفع. قال الزَّجَّاجُ: هذا مِنْ هدأ يَهْدَأُ: إذا سَكَنَ. فالمعنى: إذا سَلَّم لأمرِ الله سَكَنَ قَلْبُه. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والضَّحَّاكُ، وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ، والأزرَقُ عن حمزَةَ: «نَهْدِ» بالنون. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، عليه السلام وأبو عبدِ الرَّحمن: «يُهْدَ قلبُه» بضمِّ الياء، وفتحِ الدال «قَلْبُهُ» بالرفع. وما بعدَ هذا ظاهرٌ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾.

[١٤٥٥] سببُ نُزولِها أنَّ الرجلَ كان يُسْلِمُ. فإذا أراد الهجرةَ مَنَعه أهلُه، ووَلَدُه، وقالوا: نَنْشُدُكَ اللَّهَ أنْ تذهَب وتَدَعَ أهلَكَ وعشيرَتَكَ وتصيرَ إلى المدينة بلا أهلٍ ولا مالٍ. فمِنهُم مَنْ يَرِقُّ لهم، ويُقيم فلا يُهاجر، فنزلت هذه الآيةُ. فلما هاجرَ أولئكَ، ورَأوا الناسَ فقد فَقُهوا في الدِّين همُّوا أنْ يُعاقبوا أهليهم الذين مَنَعُوهم، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا﴾ إلى آخرِ الآية، هذا قولُ ابنِ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: لمَّا أرادوا الهجرةَ قال لهم أزواجُهم، وأولادُهم: قد صَبَرنا لكم على مُفارقة الدِّين ولا

[١٤٥٥] حسن. أخرجه الترمذي ٣٣١٧ والحاكم ٢/ ٤٩٠ والطبري ٣٤١٩٨ من حديث ابن عباس، صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح. مع أنه من رواية سماك عن عكرمة وفيه ضعف، وورد من وجه آخر، أخرجه الطبري ٣٤٢٠٠، وفيه عطية العوفي واهٍ. وانظر تفسير القرطبي ٦٠٠١ بتخريجنا. وانظر أيضاً «أحكام القرآن» ٢١٣١ فقد استوفيت فيه الكلام عليه.

---

(١) البقرة: ١٦. (٢) الصف: ١٠.

نَصبِرُ لكم على مُفارقَتِكم، ومُفارقةِ الأموال، والمساكن، فأعلَمَ الله عزَّ وجلَّ أنَّ مَنْ كان بهذه الصورة، فهو عدوٌّ، وإنْ كان وَلَداً، أو كانت زوجةً. وقال مُجاهِدٌ: كان حبُّ الرجل وَلَدَهُ وزوجتَهُ يحمله على قطيعةِ رَحِمِه ومعصيةِ ربِّه. وقال قَتادَةُ: كان مِنْ أزواجِهم، وأولادِهم مَنْ ينهاهُم عن الإسلام، ويثبِّطُهم عنه، فخَرجَ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بمَنْعِهم مِنَ الهجرة، وهذا على قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: بكونِهم سبباً للمعاصي، وهذا على قولِ مُجاهِدٍ. **والثالث**: بنَهْيِهِم عن الإسلام، وهذا على قولِ قَتادَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال الفَرّاءُ: لا تُطيعوهم في التَّخلُّف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاءٌ وشُغلٌ عن الآخرة. فالمال والأولاد يُوقِعان في العظائم إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ. وقال ابنُ قُتيبةَ: أي: إغرام. يُقال: فُتِنَ فلانٌ بالمرأة، وشُغِفَ بها، أي: أُغرِمَ بها. وقال أهلُ المعاني: إنما دخل «من» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ لأنه ليس كلُّ الأزواج، والأولاد أعداءً. ولم يَذْكُرْ «مِنْ» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لأنها لا تَخلُو مِنَ الفتنة، واشتغالِ القلب بها.

[١٤٥٦] وقد رَوى بُرَيدَةُ عن رسول الله ﷺ أنه كان يَخطُبُ، فجاء الحَسَنُ، والحُسينُ، عليهما السلام، عليهما قميصانِ أحمرانِ يمشيان، ويَعثُرانِ، فنزلَ مِنَ المِنبَرِ، فحَمَلَهُما، فوضَعَهُما بين يديه ثم قال: «صَدَقَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نَظرتُ إلى هذين الصَّبيين يمشيانِ، ويَعثُرانِ، فلم أصبِرْ حتى قطعتُ حديثي، ورَفَعتُهما».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ثوابٌ جزيلٌ، وهو الجنَّةُ. والمعنى: لا تَعصُوه بسبب الأولاد، ولا تُؤثِروهم على ما عندَ الله مِنَ الأجرِ العظيم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: ما أطقتم ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تُؤمَرُون به ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ وفي هذه النَّفقةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: الصَّدقة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: نفقةُ المؤمن على نَفْسِه، قاله الحسَنُ. **والثالث**: النَّفقةُ في الجهاد، قاله الضَّحَّاكُ. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حتى يُعطيَ حقَّ الله في ماله. وقد تقدَّمَ بيانُ هذا في سُورَةِ الحَشر وما بعدَهُ سبقَ بيانُه إلى آخرِ السُّورَةِ[١].

[١٤٥٦] حسن. أخرجه الترمذي ٣٧٧٤ والحاكم ١/ ٢٨٧ وابن حبان ٦٠٣٩ والبيهقي ٣/ ٢١٨ من طرق عن علي بن الحسين بن واقد به. عن بريدة مرفوعاً. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، مع أن علي بن الحسين روى له مسلم في المقدمة فقط لكنه توبع. وأخرجه أبو داود ١١٠٩ والنسائي ٣/ ١٠٨ و ١٩٢ وابن ماجه ٣٦٠٠ وابن أبي شيبة ٨/ ٣٦٨ و ١٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وأحمد ٥/ ٣٥٤ وابن خزيمة ١٠٨٢ وابن حبان ٦٠٣٨ والبيهقي ٦/ ١٦٥ من حديث بريدة.
وانظر «أحكام القرآن» ٢١٣٤ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٠٥.

---

(١) البقرة: ٢٤٥، والحديد: ١١ ـ ١٨، والحشر: ٢٣ ـ ٢٤.

سُورَةُ الطَّلَاقِ

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

وتُسمَّى سُورَةَ النِّساء القُصْرَى، وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ قال الزَّجَّاج: هذا خطابٌ للنبيِّ عليه السلام. والمؤمنون داخلون معه فيه. ومعناه: إذا أردتُم طلاقَ النِّساءِ، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]. وفي سبب نُزولِ هذه الآية قولان:

[١٤٥٧] أحدهما: أنها نزلت حينَ طلَّقَ رسولُ الله ﷺ حَفْصَةَ، وقيلَ له: راجِعْها، فإنَّها صَوَّامةٌ

[١٤٥٧] ذكر نزول هذه الآية ضعيف، وأن النبي ﷺ طلق حفصة صحيح، وباقيه حسن صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٢٤٤ عن قتادة مرسلاً بهذا السياق. ووصله ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٤٤٥ بذكر أنس، وفي إسناده أسباط بن محمد، غير قوي، والمرسل أصح. فقد أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ عن قتادة مرسلاً، وليس فيه ذكر نزول الآية.

وللحديث شواهد دون ذكر نزول الآية منها:

١ ـ مرسل قيس بن زيد، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ ورجاله ثقات.

٢ ـ مرسل مخرمة بن بكير عن أبيه، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ وفيه الواقدي واهٍ.

٣ ـ مرسل ابن سيرين، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٨ وفيه الواقدي.

٤ ـ حديث أنس ولفظه «أن النبي ﷺ لما طلق حفصة أمر أن يراجعها»، أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ وإسناده على شرط الشيخين.

٥ ـ حديث ابن عباس عن عمر ولفظه «أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».

أخرجه ابن سعد ٨/ ٦٧ وأبو داود ٢٢٨٣ والنسائي ٦/ ٢١٣ وإسناده حسن.

الخلاصة: كونه ﷺ طلق حفصة صحيح، وأما نزول الآية في ذلك، فضعيف، وأما عجزه، فهو حسن صحيح. والله تعالى أعلم. وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢١٣٨ و «فتح القدير» للشوكاني ٢٥٣٢.

---

(١) المائدة: ٦.

قَوَّامةٌ، وهي مِنْ إحدى زوجاتِكَ في الجنَّةِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ.

[١٤٥٨] **والثاني**: أنها نزلت في عبدِ الله بنِ عمرَ، وذلك أنه طلَّقَ امرأتَهُ حائضاً، فأمَرَهُ النبيُّ ﷺ أنْ يُراجِعَها، ثم يُمْسِكَها حتى تطهُرَ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لِزمانِ عِدَّتِهِنَّ، وهو الطُّهرُ. وهذا للمدخولِ بها، لأنَّ غيرَ المدخولِ بها لا عِدَّةَ عليها. والطَّلاقُ على ضربين(1): سُنِّيٌّ، وبِدْعيٌّ.

فالسُّنِّيُّ: أنْ يُطلِّقَها في طُهرٍ لم يُجامِعْها فيه، فذلك هو الطَّلاقُ لِلعِدَّةِ، لأنها تعتدُّ بذلك الطُّهرِ مِنْ عِدَّتِها، وتقع في العِدَّةِ عُقيبَ الطلاق، فلا يَطُولُ عليها زمانُ العِدَّةِ.

والطَّلاقُ البِدْعيُّ: أنْ يقعَ في حالِ الحيض، أو في طُهرٍ قد جامَعَها فيه، فهو واقعٌ، وصاحبُه آثِمٌ.

[١٤٥٨] لا أصل له، وحديث ابن عمر متفق عليه كما سيأتي، وليس فيه أن الآية نزلت فيه.
وحديث ابن عمر دون ذكر نزول الآية صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٠٨ و ٥٢٥١ و ٥٢٥٢ و ٥٣٣٣ و ٧١٦٠ ومسلم ١٤٧١ وأبو داود ٢١٧٩ و ٢١٨١ والترمذي ١١٧٦ والنسائي ٦/ ٢١٢ ـ ٢١٣ ومالك ٢/ ٥٧٦ والشافعي ٢/ ٣٢ ـ ٣٣ والطيالسي ١٨٥٣ وابن أبي شيبة ٥/ ٢ ـ ٣ وأحمد ٢/ ٦٣ وابن حبان ٤٢٦٣ وابن الجارود ٧٣٤ والدارقطني ٤/ ٧ والبغوي ٢٢٢٠ والبيهقي ٧/ ٤٢٤ من طرق من حديث ابن عمر.
وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢١٣٩ بتخريجنا ولله الحمد والمنة.

---

(1) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٣٥: من طلق في طهر لم يجامع فيه نفذ طلاقه وأصاب السنة، وإن طلقها حائضاً نفذ طلاقه وأخطأ السنة، وقال سعيد بن المسيب في أخرى: لا يقع الطلاق في الحيض لأنه خلاف السنة. وإليه ذهبت الشيعة وفي «الصحيحين» حديث ابن عمر المتقدم: وكان ابن عمر طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما أمره رسول الله ﷺ في رواية عن ابن عمر أن الرسول ﷺ قال: «هي واحدة». وهذا نص. وهو يرد على الشيعة قال علماؤنا: طلاق السنة ما جمع شروطاً سبعة: وهو أن يطلقها واحدة، وهي ممن تحيض، طاهراً لم يمسها في ذلك الظهر، ولا تقدمه طلاق في حيض، ولا تبعه طلاق في طهر يتلوه، وخلا عن العوض. وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر المتقدم. وقال الشافعي: طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر خاصة، ولو طلقها ثلاثاً لم يكن بدعة. وقال أبو حنيفة: طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر طلقة، قال الشعبي: يجوز أن يطلقها في طهر جامعها فيه. فعلماؤنا قالوا: يطلقها واحدة في طهر لم يمس فيه، ولا تبعه طلاق في عدة، ولا يكون الطهر تالياً لحيض وقع فيه الطلاق. للحديث المتقدم. وتمسك الإمام الشافعي بظاهر قوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ وهذا عام في كل طلاق كان واحدة أو اثنتين أو أكثر. وإنما راعى الله سبحانه الزمان في هذه الآية ولم يعتبر العدد. وكذلك حديث ابن عمر لأن النبي ﷺ علّمه الوقت لا العدد. قال ابن العربي: «وهذه غفلة عن الحديث الصحيح»، فإنه قال: «مره فليراجعها» وهذا يدفع الثلاث. وفي الحديث أنه قال: أرأيت لو طلقها ثلاثاً؟ قال: حرمت عليك وبانت منك بمعصية. وقال أبو حنيفة: ظاهر الآية يدل على أن الطلاق الثلاث والواحدة سواء. وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾. وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الآية. وكذلك قال أكثر العلماء، وهو بديع لهم. وأما مالك فلم يخف عليه إطلاق الآية كما قالوا، ولكن الحديث فسرها كما قلنا. وأما قول الشعبي: إنه يجوز طلاق في طهر جامعها فيه، فيرده حديث ابن عمر بنصه ومعناه. فلأنه إذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به مخافة شغل الرحم وبالحيض التالي له.
قلت: وقد احتج الشافعي في طلاق الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الدارقطني أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته تماضر بنت الأصبغ الكلبية ثلاث تطليقات في كلمة واحدة، فلم يبلغنا أن أحداً من أصحابه عاب عليه ذلك.

فإنْ جمعَ الطلاقَ الثلاثَ في طُهرٍ واحدٍ، فالمَنصوصُ مِنْ مذهبنا أنه بِدْعَةٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: زمانَ العِدَّةِ. وفي إحصائه فوائدُ. منها: مُراعاةُ زمانِ الرَّجعةِ، وأوانِ النَّفقةِ، والسُّكْنى، وتوزيعِ الطَّلاقِ على الإقْراءِ إذا أراد أنْ يُطلِّقَ ثلاثاً، ولِيَعْلَمَ أنها قد بانَتْ، فيتزوَّجَ بأُختِها، وأربعٍ سِواها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تعصُوه فيما أمرَكُم به. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ فيه دليلٌ على وجوبِ السُّكْنى. ونَسَبَ البيوتَ إليهنَّ، لِسُكناهُنَّ قبلَ الطلاق فيهنَّ، ولا يجوز لها أنْ تخرجَ في عِدَّتِها إلاَّ لضرورةٍ ظاهرةٍ. فإنْ خرجتْ أثمت ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ[1]:
أحدها: أنَّ المعنى: إلاَّ أنْ يَخرجْنَ قبل انقضاءِ المُدَّةِ، فخُروجُهنَّ هو الفاحشةُ المُبيِّنةُ، وهذا قولُ عبدِ الله بنِ عمرَ، والسُّدِّيِّ، وابنِ السَّائبِ. **والثاني**: أنَّ الفاحشةَ: الزنا، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، والشَّعْبيُّ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ. فعلَى هذا يكون المعنى: إلاَّ أنْ يزنينَ فَيُخْرَجْنَ لإقامةِ الحدِّ عليهنَّ. **والثالث**: أنَّ الفاحشةَ: أنْ تبدو على أهلِه، فيَحِلُّ لهم إخراجُها، رواه محمَّدُ بنُ إبراهيمَ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنها إصابةُ حدٍّ، فتخرج لإقامة الحَدِّ عليها، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يعني: ما ذَكَرَ مِنَ الأحكام ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ التي بَيَّنَها، وأَمَرَ بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: أَثِمَ فيما بينه وبين الله تعالى ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي: يُوقِعُ في قلبِ الزَّوجِ المحبَّةَ لِرَجعَتِها بعد الطَّلْقةِ والطَّلْقَتَيْنِ. وهذا يدل على أنَّ المُستحَبَّ في الطَّلاق تفريقُه، وأنْ لا يجمعَ الثلاثَ.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قارَبْنَ انقضاءَ العِدَّةِ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا مبيَّنٌ في البقرة[2] ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال المُفسِّرون: أَشْهِدوا على الطلاقِ، أو المُراجعةِ. واختلف العلماء: هل الإشهادُ على المُراجعةِ واجبٌ، أَمْ مستحبٌّ؟ وفيه عن أحمدَ روايتان، وعن الشَّافعي قولان، ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أي: اشهَدُوا بالحقِّ، وأدُّوها على الصحة، طلباً لمرضاةِ الله تعالى، وقياماً بوصيَّته. وما بعدَه قد سبقَ بيانُه إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٤٦: وقوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة فتخرج من المنزل، قال: الفاحشة المبينة، تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين ومجاهد وعكرمة، وغيرهم. قال: وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بذؤت على أهل الرجل، وآذتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وغيرهم.

(٢) البقرة: ٢٣٢.

[١٤٥٩] فذَكَرَ أكثرُ المُفسِّرين أنها نزلت في عَوْفِ بنِ مالكِ الأشجَعِي، أَسَرَ العدوُّ ابناً له، فذَكرَ ذلك للنبيِّ ﷺ وشَكا إليه الفاقةَ، فقال: اتَّقِ اللَّهَ؛ واصبِرْ، وأكثِرْ مِنْ قول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله، ففعَلَ الرجلُ ذلك، فغَفلَ العدوُّ عن ابنه، فسَاقَ غنمَهُم، وجاء بها إلى المدينة، وهي أربعةُ آلافِ شاةٍ، فنزلت هذه الآية.

وفي معناها للمُفسِّرين خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ يُنجِهِ مِنْ كلِّ كَربٍ في الدنيا والآخرة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ مَخرجَه: عِلمُه بأنَّ ما أصابَهُ مِنْ عطاءٍ أو مَنعٍ، مِنْ قِبَلِ الله، وهو معنى قولِ ابنِ مسعودٍ. **والثالث**: ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ، فيُطلِّقْ للسُّنَّةِ، ويُراجِعُ للسُّنَّةِ، يَجْعَلْ له مَخرجاً، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: ومَنْ يتَّقِ اللَّهَ بالصبر عند المُصيبة، يجعَلْ له مَخرجاً مِنَ النَّارِ إلى الجنَّةِ، قاله ابنُ السَّائب. **والخامس**: يجعلْ له مخرجاً مِنَ الحرام إلى الحَلال، قاله الزَّجَّاجُ. والصحيح أنَّ هذا عامٌّ، فإنَّ الله تعالى يجعَلُ للتَّقِيِّ مَخرجاً مِنْ كلِّ ما يضيقُ عليه. ومَنْ لا يتَّقي، يقعُ في كلِّ شدَّةٍ. قال الرَّبيعُ بنُ خُثَيْم: يجعلْ له مخرجاً مِنْ كلِّ ما يضيقُ على الناس ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: مِنْ حيثُ لا يأمَلُ، ولا يَرجو. قال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن يكون: إذا اتَّقى اللَّهَ في طلاقِه، وجرى في ذلك على السُّنَّة، رزقَهُ اللَّهُ أهلاً بدَلَ أهلِه. قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: مَنْ وَثِقَ به فيما نابَهُ، كفَاهُ اللَّهُ ما أهمَّهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ وروى حَفصٌ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم «بالغُ أمرِه» مضافٌ. والمعنى: يقضي ما يريد، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: أجَلاً ومُنتهىً ينتهي إليه، قدَّرَ اللَّهُ ذلك كلَّه، فلا يُقدَّم ولا يُؤخَّر. قال مُقاتِلٌ: قد جعل اللَّهُ لكلِّ شيءٍ مِنَ الشدة والرَّخاء قَدْراً، فقدَّرَ متى يكون هذا الغنيُّ فقيراً، وهذا الفقيرُ غنياً.

﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ في سبب نُزولِها قولان: **أحدهما**: أنها لمَّا نزلت عِدَّةُ

[١٤٥٩] أخرجه الثعلبي كما في «تخريج الكشاف» ٤/٥٥٦ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: «جاء عوف بن مالك الأشجعي فذكره نحوه، ولم يسم الابن. قال الحافظ في «تخريجه» ٤/٥٥٦: والكلبي متروك متهم، وهذا الإسناد واهٍ بمرة، وأبو صالح ضعفه غير واحد. وله شاهد من حديث أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن أبيه نحوه، أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٦/١٠٦ وإسناده منقطع فإن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه ابن مسعود. وكرره البيهقي ٦/١٠٧ عن أبي عبيدة مرسلاً، وسنده قوي. وله شاهد آخر من حديث جابر أخرجه الحاكم ٢/٤٩٢ وصححه! وتعقبه الذهبي بقوله: بل منكر، وعباد رافضي جبل، وعبيد متروك قاله الأزدي اهـ. وورد عن سالم بن أبي الجعد مرسلاً أخرجه الطبري ٣٤٢٨٨. وكرره عن السدي مرسلاً ٣٤٢٨٧.
الخلاصة: هو حديث حسن أو يقرب من الحسن وأحسن ما روي فيه حديث ابن مسعود، ليس له علة إلا الانقطاع، فهو ضعيف فلعل هذه الروايات تتأيد بمجموعها، إذا انضم إليه مرسل سالم ومرسل السدي، صار حسناً كما هو مقرر في هذا النص لكن في المتن بعض الاضطراب، لذا قلت: حسن أو يشبه الحسن. وانظر «فتح القدير» للشوكاني ٢٥٣٦ بتخريجنا.

المُطلَّقةِ، والمُتوفَّى عنها زَوجُها في البقرة[١].

[١٤٦٠] قال أُبيُّ بنُ كَعبٍ: يا رسولَ الله: إنَّ نساءً مِنْ أهل المدينة يَقُلْنَ: قد بقي مِنَ النساء ما لم يُذكَرْ فيه شيءٌ. قال: «وما هو؟» قال: الصِّغارُ والكبارُ، وذواتُ الحَمْلِ، فنزلت هذه الآيةُ، قاله عمرُو بنُ سالمٍ.

[١٤٦١] والثاني: لمَّا نزل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الآية[٢] قال خَلادُ بنُ النُّعمانِ الأنصاريُّ: يا رسولَ الله، فما عِدَّةُ التي لا تحِيضُ، وعِدَّةُ التي لم تَحِضْ، وعِدَّةُ الحُبْلَى؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ. ومعنى الآية: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾، أي: شَكَكتُم فلم تَدْرُوا ما عِدَّتُهنَّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَۚ﴾ كذلك.

فصل[٣]: قال القاضي أبو يَعلَى: والمراد بالارتياب ها هنا: ارتيابُ المُخاطَبين في مقدارِ عِدَّة

[١٤٦٠] أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٢ و ٤٩٣ والواحدي في «أسبابه» ٨٣٠ والبيهقي ٧/ ٤١٤ من حديث أبيّ بن كعب، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن إسناده منقطع عمرو بن سالم لم يسمع أبي بن كعب كما في «تهذيب التهذيب» لابن حجر، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٢٤ بتخريجنا، وانظر «الدر» ٦/ ٣٥٧.

[١٤٦١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم، فالخبر لا شيء.

---

(١) البقرة: ٢٢٧ ـ ٢٣٢. (٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٣٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال عني بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهن. فإن حكم عددهن إذا طلقن، وهن ممن دخل بهن أزواجهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجواري الصغار إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول.
وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٤٦: المرتابة في عدتها لا تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الريبة. وقد قيل في المرتابة التي ترفعها حيضتها وهي لا تدري ما ترفعها: إنها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها، منها تسعة أشهر استبراء، وثلاثة عدة، فإن طلقها فحاضت حيضة أو حيضتين ثم ارتفع عنها بغير يأس منها انتظرت تسعة أشهر، ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم حلت للأزواج. هذا قول الشافعي بالعراق. فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد تسعة أشهر، أربعة أشهر وعشراً. فإن كانت المرأة شابة، استُؤني بها هل هي حامل أم لا، فإن استبان حملها فإن أجلها وصفه. وإن لم يستبن فقال مالك: عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنةٌ. وبه قال أحمد وإسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره. وأهل العراق يرون أن عدتها ثلاث حيض بعدما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها، وإن مكثت عشرين سنة، إلا أن تبلغ من الكبر مبلغاً تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر قال الثعلبي: وهذا الأصح في مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء. وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه وأما من تأخر حيضها لمرض، فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن أصْبَغ: تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة. ولو تأخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فإنها تنتظر سنة لا حيض فيها، تسعة أشهر ثم ثلاثة، على ما ذكرناه، فتحل ما لم ترتب بحمل، فإن ارتابت بحمل أقامت أربعة أعوام، وقال أشهب: لا تحل أبداً حتى تنقطع عنها الريبة، قال ابن العربي: وهو الصحيح. وأما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة أقوال: قال ابن المسيب: تعتد سنة وهو قول الليث، وهو مشهور قول =

الآيسَةِ والصغيرةِ كم هو؟ وليس المراد به ارتيابُ المُعتدَّاتِ في اليأسِ مِنَ المَحيضِ، أو اليأسِ مِنَ الحمل للسببِ الذي ذُكِرَ في نزولِ الآية. ولأنه لو أُريد بذلك النساءُ لَتَوجَّه الخطابُ إليهنَّ، فقيل: إنِ ارتبْتُنَّ، أو ارتبْنَ، لأنَّ الحَيضَ إنما يُعلَمُ مِنْ جهتِهِنَّ.

وقد اختُلِفَ في المرأة إذا تأخَّرَ حيضُها لا لِعارضٍ كم تجلس؟ فمذهب أصحابُنا أنها تجلس غالبَ مُدَّةِ الحَملِ، وهو تسعةُ أشهرٍ، ثم ثلاثةٌ. والعِدَّة: هيَ الثلاثةُ التي بعدَ التِّسعةِ. فإنْ حاضتْ قبل السَّنةِ بيوم، استأنفتْ ثلاثَ حِيَضٍ، وإنْ تَمَّتِ السَّنَةُ مِنْ غير حيضٍ، حَلَّتْ، وبه قال مالكٌ. أبو حَنيفَةَ، والشَّافعيُّ في الجديد: تَمكثُ أبداً حتى يُعلمَ براءةُ رَحِمِها قطعاً، وهو أنْ تصيرَ في حَدٍّ لا يَحيضُ مثلُها، فتَعتدُّ بعد ذلك ثلاثةَ أشهرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني: عِدَّتهنَّ ثلاثةُ أشهرٍ أيضاً، لأنه كلامٌ لا يستقلُّ بنفْسِه، فلا بُدَّ له مِنْ ضميرٍ، وضميرُه تقدَّم ذِكْره مَظهراً، وهو العِدَّةُ بالشهور. وهذا علىٰ قولُ أصحابنا محمولٌ علىٰ مَنْ لم يأتِ عليها زمانُ الحيضِ: أنها تعتدُّ ثلاثةَ أشهرٍ. فأمَّا مَنْ أتى عليها زمانُ الحَيْضِ، ولم تَحِضْ، فإنها تعتدُّ سنةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عامٌّ في المُطلَّقاتِ، والمُتوفَّى عنهنَّ أزواجُهنَّ، وهذا قولُ عمرَ، وابنِ عمرَ، وابنِ مسعودٍ، وأبي مسعودٍ البَدْري، وأبي هُريرَةَ، وفقهاءِ الأمصار. وقد رُويَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: تعتدُّ آخِرَ الأجَلَيْنِ. ويدلُّ على قولنا عمومُ الآيَة. وقولُ ابنِ مسعودٍ: مَنْ شاء لاعَنْتُه، ما نزلت ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ إلاَّ بعدَ آيَةِ المُتوفَّى عنها زوجُها، وقولُ أمِّ سَلَمَةَ:

[١٤٦٢] إنَّ سُبَيعةَ وَضعَتْ بعدَ وفاةِ زوجِها بأيامٍ، فأمَرها رسولُ الله ﷺ أنْ تتزوَّجَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾: فيما أُمِرَ به ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ يُسَهِّلْ عليه أمرَ الدنيا والآخرة، وهذا قولُ الأكثرين. وقال الضَّحَّاكُ: ومَنْ يتَّقِ الله في طلاقِ السُّنَّة، يجعلْ له مِنْ أمرِه يُسْراً في الرَّجعةِ ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بطاعتِه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ أي: يَمْحُ عنه خطاياه ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ في الآخرة.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾

[١٤٦٢] صحيح. أخرجه البخاري ٥٣١٩ و ٥٣٢٠ ومسلم ١٤٨٤ وأبو داود ٢٣٠٦ والنسائي ٦/ ١٩٤ و ١٩٦ وابن ماجه ٢٠٢٨ ومالك ٢/ ٥٩٠ وأحمد ٦/ ٤٣٢ وابن حبان ٤٢٩٤ وعبد الرزاق ١١٧٢٢ والطبراني ٢٤/ ٧٤٥ ـ ٧٥٠ والبيهقي ٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ من طرق عن الزهري به بألفاظ متقاربة.

= علمائنا. سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها، وميزت ذلك أو لم تميزه. عدتها في ذلك كله عند مالك في تحصيل مذهبه سنة. وقال الشافعي في أحد أقواله: عدتها ثلاثة أشهر. وهو قول جماعة من التابعين والمتأخرين من القرويين. قال ابن العربي: وهو الصحيح عندي. وقال أبو عمر: المستحاضة إذا كان دمها ينفصل فعلمت إقبال حيضتها أو إدبارها اعتدت ثلاثة قروء. وهذا أصح في النظر، وأثبت في القياس والأثر.

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ و «مِنْ» صِلَةٌ، قوله: ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضمِّ الواو. وقرأ أبو هُرَيرةَ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وأبو رَزِينٍ، وقتادةُ، ورَوْحٌ عن يعقوبَ بكسرِ الواو. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أي: بِقَدْرِ وُسْعِكم. وقرأ ابنُ يَعمُر، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيْوَةَ: بفتح الواو. والوُجْدُ: المَقدِرةُ، والغِنى؛ يُقال: افتقَرَ فُلانٌ بعدَ وُجْدٍ. قال الفرَّاءُ: يقول: على ما يَجِدُ، فإن كان مُوسَّعاً عليه، وسَّعَ عليها في المَسكنِ والنَّفقة، وإن كان مُقتَّراً عليه، فعلَى قَدْرِ ذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ بالتَّضييقِ عليهنَّ في المَسكنِ، والنَّفقةِ، وأنتم تجدون سَعَةً. قال القاضي أبو يَعلَى: والمراد بهذا: المُطلَّقةُ الرَّجعيَّةُ دونَ المَبتُوتةِ، بدليل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾[١] وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[٢] فدلَّ ذلك على أنه أراد الرَّجعيَّةَ.

وقد اختلف الفقهاءُ في المَبتُوتةِ[٣]: هل لها سُكنى، ونَفقةٌ في مُدَّةِ العِدَّةِ، أَمْ لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سُكنى لها ولا نَفقةَ، وهو قولُ ابنِ أبي ليلى. وقال أبو حَنيفةَ: لها السُّكنى، والنَّفقةُ. وقال مالكٌ والشَّافعيُّ: لها السُّكنى، دونَ النَّفقةِ. وقد رواه الكوسج عن الإمام أحمدَ رضي الله عنه ويدلُّ على الأولِ.

[١٤٦٣] حديثُ فاطمةَ بنتِ قيسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها: إنما النَّفقةُ للمرأة على زوجِها ما كانت له

[١٤٦٣] صحيح. أخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٦ وأبو داود ٢٢٨٤ والنسائي ٦/ ٧٥ ـ ٧٦ وأحمد ٦/ ٤١٢ والشافعي ٢/ ١٨ ـ ١٩ و ٥٤ وابن حبان ٤٢٩٠ وابن الجارود ٧٦٠ والطبراني ٢٤/ (٩١٣) والبيهقي ٧/ ١٣٥ و ١٧٧ و ١٨١ و ٤٧١ من طرق عن مالك به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٨ وأبو داود ٢٢٨٥ و ٢٢٨٦ و ٢٢٨٧ والنسائي ٦/ ١٤٥ والطبراني ٢٤/ (٩٢٠) وابن حبان ٤٢٥٣ والبيهقي ٧/ ١٧٨ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٤٨ والنسائي ٦/ ١٥٠ والترمذي ١١٣٥ وابن ماجه ٢٠٣٥ وأحمد =

---

(١) الطلاق: ١.
(٢) الطلاق: ٢.
(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٤٨ ـ ١٤٩: قال أشهب عن مالك: يخرج عنها إذا طلقها ويتركها في المنزل، لقوله تعالى: ﴿أسكنوهن﴾ فلو كان معها ما قال أسكنوهن. وقال ابن نافع: قال مالك في قول الله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ يعني المطلقات اللاتي بك من أزواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملاً. فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة، لأنها بائن منه، لا يتوارثان ولا رجعة له عليها. وإن كانت حاملاً فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنقضي عدتها. فأما من لم تبن منهن فإنهن نساؤهم يتوارثون، ولا يخرجن إلا أن يأذن لهن أزواجهن ما كن في عهدتهن، ولم يؤمروا بالسكنى لهن لأن ذلك لازم لأزواجهن مع نفقتهن وكسوتهن، حوامل كن أو غير حوامل إنما أمر الله بالسكنى للائي بن من أزواجهن مع نفقتهن، قال تعالى: ﴿وإن كن أولت حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ فجعل الله عز وجل للحوامل اللائي قد بِنّ من أزواجهن السكنى والنفقة. قال ابن العربي: وبسط ذلك وتحقيقه أن الله سبحانه لما ذكر السكنى أطلقها لكل مطلقة. فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل، فدل على أن المطلقة البائن لا نفقة لها. وهي مسألة عظيمة وهذا مأخذها من القرآن.

عليها الرَّجعةُ، فإذا لم يكُن له عليها الرَّجعةُ، فلا نفقةَ ولا سُكنَى. ومِنْ حيثُ المعنى: إنَّ النَّفقةَ إنما تَجِبُ لأجلِ التَّمكينِ مِنَ الاستمتاع، بدليل أنَّ النَّاشِزَ لا نفقةَ لها.

واختلفوا في الحامِلِ، والمُتوفَّى عنها زوجُها، فقال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عمرَ، وأبو العاليةِ، والشَّعْبيُّ، وشُرَيحٌ، وإبراهيمُ: نفقتُها مِنْ جميعِ المالِ، وبه قال مالكٌ، وابنُ أبي ليلى، والثَّوْريُّ. وقال ابنُ عباسٍ، وابنُ الزُّبيرِ، والحسَنُ، وسَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وعَطاءٌ: نفقتُها في مالِ نَفْسِها، وبه قال أبو حَنيفَةَ، وأصحابُه. وعن أحمدَ كالقولين.

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: أُجرةَ الرَّضاع. وفي هذا دَلالةٌ على أنَّ الأمَّ إذا رضيَتْ أنْ تُرضعَهُ بأُجرةِ مِثْلِه، لم يكن للأبِ أنْ يسترضِعَ غيرَها ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾، أي: لا تَشتطُّ المرأةُ على الزوج فيما تطلُبه مِنْ أُجرةِ الرَّضاعِ، ولا يُقصِّرَ الزَّوجُ عن المقدارِ المُستحَقِّ ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ﴾ في الأُجرة، ولم يَتراضَ الوالِدَانِ على شيءٍ ﴿فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ لفظُه لفظُ الخبر، ومعناه: الأمرُ: أي: فَلْيسترْضِعِ الوالدُ غيرَ والدةِ الصبي. ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمرَ أهلَ التَّوسِعَةِ أنْ يُوسِّعوا على نسائِهم المُرضعاتِ أولادهن على قَدْرِ سَعَتِهم. وقرأ ابنُ السَّمَيفَعِ «لِيَنفق» بفتح القاف. ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ أي: ضُيِّقَ عليه مِنَ المُطلِّقين. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وحُمَيدٌ «قُدِّر عليه» بضمِّ القاف، وتشديدِ الدال. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «قَدَّر» بفتح القاف وتشديدِ الدال «رزقَه» بنصبِ القاف. ﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ على قَدْرِ ما أعطاه مِنَ المال ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أي: على قَدْرِ ما أعطاها مِنَ المال ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ أي: بعدَ ضيقٍ وشِدَّةٍ، غِنىً وَسَعَةً، وكان الغالب عليهم حِينئذٍ الفقرُ، فأعلَمَهُم أنه سيفتحُ عليهم بعد ذلك.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨﴾ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا ﴿١١﴾﴾

قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأَيِّن﴾ أي: وكَمْ ﴿مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾، أي: عن أمرِ رُسُلِه. والمعنى: عَتَا أهلُها. قال ابنُ زيدٍ: عَتَتْ، أي: كَفرَتْ، وتركَتْ أمرَ ربِّها، فلم تقبَلْهُ.

وفي باقي الآيةِ قولان: **أحدهما**: أنَّ فيها تقديماً، وتأخيراً. والمعنى: عذَّبناها عذاباً نُكراً في الدنيا بالجوعِ، والسيفِ، والبَلايا، وحاسَبْناها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابنُ عباسٍ، والفَرَّاءُ في آخرين. **والثاني**: أنها على نَظْمِها، والمعنى: حاسَبْناها بعملِها في الدنيا، فجَازَيناها بالعذابِ على مِقدارِ عَمَلِها، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا﴾ فجعل المجازاةَ بالعذابِ محاسبة. والحساب الشديد: هو

= ٦/ ٤١١ وابن حبان ٤٢٥٤ والطبراني ٢٤/(٩٢٩) والبيهقي ٧/ ١٣٦ و ٤٧٣ من طرق عن سفيان عن أبي بكر بن أبي الجهم عن فاطمة بنت قيس به مطوّلاً ومختصراً. وأخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٨٠ والبغوي في «شرح السنة» ٢٣٧٨ عن عبد الله بن يزيد به.

الذي لا عفو فيه، والنكر: المنكر ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: جزاء ذنبها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في الدنيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ أي: قرآناً ﴿رَسُولًا﴾ أي: وبعث رسولاً، قاله مقاتل. وإلى نحوِهِ ذهب السُّدِّيُّ. وقال ابنُ السَّائبِ: الرسولُ ها هنا: جبرائيلُ، فعَلَى هذا: يكون الذِّكرُ والرسولُ جميعاً مُنزَّلَيْنِ. وقال ثعلبٌ: الرسول: هو الذِّكرُ. وقال غيرُه: معنى الذِّكرِ ها هنا: الشَّرف. وما بعدَهُ قد تقدَّم(١) إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ يعني: الجنَّةَ التي لا ينقطعُ نعيمُها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: وخَلَقَ الأرضَ بعَدَدِهنَّ. وجاء في الحديث: أنَّ كثافةَ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسمائةِ عام، وما بينها وبينَ الأخرى كذلك، وكثافةَ كلِّ أرضٍ خمسمائةُ عامٍ، وما بينها وبينَ الأرض الأخرى كذلك.

[١٤٦٤] وقد روى أبو الضُّحَى عن ابنِ عباسٍ قال: في كلِّ أرضٍ آدمُ مثلُ آدمِكُم، ونُوحٌ مثلُ نُوحِكُم، وإبراهيمُ مثلُ إبراهيمِكُم، وعيسى كَعِيسى، فهذا الحديثُ تارةً يُرفعُ إلى ابنِ عباسٍ، وتارةً يُوقَفُ على أبي الضُّحَى، وليس له معنىً إلاَّ ما حَكى أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ، قال: سمعتُ أنَّ معناه: إنَّ في كلِّ أرضٍ خَلْقاً مِنْ خَلْقِ الله لهم سادةٌ، يقوم كبيرُهم ومُتَقدِّمهم في الخَلْقِ مقامَ آدمَ فينا، وتقومُ ذُرِّيَّته في السِّنِّ والقِدَمِ كمقامِ نُوحٍ. وعلى هذا المثالِ سائرُهم. وقال كَعْبٌ: ساكِنُ الأرضِ الثانيةِ: الريحُ العَقِيمُ، وفي الثالثة: حِجارَةُ جهنَّمَ، والرابعة: كِبريتُ جهنَّمَ، والخامسة: حيَّاتُ جهنَّمَ، والسادسة: عقاربُ جهنَّمَ، والسابعة: فيها إبليسُ(٢).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، في الأمرِ قولان: **أحدهما**: أنه قضاء الله وقَدَرُه، قاله الأكثرون. قال قَتادَةُ: في كلِّ أرضٍ مِنْ أرضه وسماءٍ مِنْ سمائه خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، وأمْرٌ مِنْ أمرِه، وقَضاءٌ مِنْ قَضَائِهِ. **والثاني**: أنه الوحي، قاله مقاتل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ المعنى أعلَمَكُم هذا لِتَعلَموا قُدرتَهُ على كلِّ شيءٍ وعِلْمَهُ بكلِّ شيءٍ.

[١٤٦٤] هذا الأثر من الإسرائيليات، وهو باطل لا أصل له. فلا يوجد في باطن الأرض كنبينا ولا غيره، بل وليس في باطن الأرض بشراً، وليست صالحة للحياة أصلاً. والإسناد إلى أبي الضحى صحيح كما في «تفسير الطبري» ٣٤٣٧١ وأبو الضحى ثقة، وعلى هذا يكون ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب، فقد ثبت أنه روى عن كعب الأحبار وغيره. لا فائدة من هذه الأقوال لأنها إسرائيلية.

---

(١) البقرة: ٢٥٧، والأحزاب: ٤٣، والتغابن: ٩.

(٢) هذا كسابقه من الإسرائيليات التي نقلها كعب وغيره عن كتب الأقدمين. والله أعلم.

سورة التحريم
ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

وهي مدنيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ
تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ
عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سببِ نُزولِها قولان:

[١٤٦٥] **أحدهما**: أنَّ حَفصةَ ذهبتْ إلى أبيها تتحدَّثُ عنده، فأرسلَ النبيُّ ﷺ إلى جاريتِه، فظلَّتْ

[١٤٦٥] ورد من وجوه متعددة بألفاظ متقاربة منها:

حديث ابن عباس: أخرجه الطبري ٣٤٣٩٢ وإسناده واهٍ لأجل عطية العوفي. وورد من وجه آخر بنحوه، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٧، ورجاله ثقات، لكن فيه عنعنة ابن إسحاق. وورد من وجه آخر، أخرجه الهيثم بن كليب في «مسنده» كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٤٥٦ وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

٢ ـ مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٩.

٣ ـ مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٨.

٤ ـ مرسل الشعبي، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٠.

٥ ـ مرسل أبي عثمان، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٤.

٦ ـ مرسل قتادة والحسن، أخرجه الطبري ٣٤٣٩٥.

٧ ـ مرسل زيد بن أسلم، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٢.

٨ ـ مرسل مسروق، أخرجه الطبري ٣٤٣٨٣.

٩ ـ حديث أنس، وهو مختصر، أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٢٧ والحاكم ٢/ ٤٩٣ وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وله شواهد أخرى، انظر «الكشاف» ١٢٠٧ بتخريجي.

الخلاصة: هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وانظر «أحكام القرآن» ٢١٥٦ بتخريجنا.

معه في بيت حَفصَةَ، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشةَ، فرجعت حَفصَةُ، فوجدَتْها في بيتها، فجعلَتْ تنتظر خروجَها، وغارَتْ غَيرةً شديدةً. فلما دخلتْ حَفصَةُ قالت: قد رأيتُ مَنْ كان عندكَ. واللَّهِ لقد سُؤتَني، فقال النبيُّ ﷺ «واللَّهِ لأُرْضِيَنَّكِ، وَإني مُسِرٌ إليكِ سرًا فاحفظيهِ»، قالتْ: وما هو؟ قال: «إني أُشهِدُكِ أنَّ سِرِّيَّتي هذه عليَّ حرامٌ رِضىً لَكِ»، وكانت عائشةُ وحَفصَةُ متظاهرَتَينِ على نساءِ النبيِّ ﷺ، فانطلقَتْ حَفصَةُ إلى عائشةَ، فقالت لها: أبْشِري، إنَّ النبيَّ ﷺ قد حرَّمَ عليه فتاتَهُ. فنزلت هذه الآيةُ رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٦٦] وقد رُوِيَ عن عمرَ نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حَفصَةُ: كيف تُحَرِّمها، عليكَ، ؟! فحلَفَ لها أنْ لا يقرَبَها، فقال لها: «لا تَذْكُريه لأحدٍ» فذكرَتْهُ لعائشةَ، فآلى أنْ لا يدخلَ على نسائِه شهراً، فنزلت هذه الآيةُ.

[١٤٦٧] وقال الضَّحَّاكُ: قال لها: «لا تذكري لعائشةَ ما رأيتِ» فذَكرَتْهُ، فغَضِبَتْ عائشةُ، ولم تزلْ بنبيِّ الله حتى حَلَفَ أنْ لا يَقرَبَها، فنزلت هذه الآيةُ، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعَطاءٌ، والشَّعْبيُّ، ومَسرُوقٌ، ومُقاتِلٌ، والأكثرون.

[١٤٦٨] **والثاني**: ما روى عُروَةُ عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يحبُّ الحَلْواءَ والعَسلَ، وكان إذا انصرف مِنْ صلاةِ العصر دخل على نسائِه، فدخل على حَفصَةَ بنتِ عمرَ، واحتَبَسَ عندها، فسألتُ عن ذلك، فقيلَ لي: أهدَتْ لها امرأةٌ مِنْ قومها عُكَّةً مِنْ عسلٍ(١)، فسَقَتْ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: أمَا واللَّهِ لَنحتالَنَّ له، فقلتُ لِسَوْدَةَ: إنه سَيَدنو منكِ إذا دخل عليكِ، فقولي له: يا رسولَ الله أكلتَ مَغافيرَ، فإنه سيقول لكِ: سَقَتْني حَفصَةُ شَربةَ عسلٍ، فقولي: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ(٢) وسأقول ذلك؛ وقولي أنتِ يا صَفيَّةُ ذلك، فلمَّا دَنا مِنْ سَوْدَةَ قالت له ذلك ولمَّا دخل عليَّ قلتُ له مثلَ ذلك فلما دارَ إلى صَفيَّةَ قالت له مثلَ ذلك فلما دارَ إلى حَفْصَةَ قالت له: يا رسولَ الله أسقيكَ منه؟ قال: لا حاجةَ لي فيه. قالت: تقول سَوْدَةُ: سُبحانَ اللَّهِ، واللَّهِ لقد حَرَمْناه. قلتُ لها: اسكُتِي. أخرجه البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين».

[١٤٦٩] وفي روايةِ ابنِ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ: أنَّ التي شرب عندها العسلَ سَوْدَةُ، فقالت له

[١٤٦٦] أخرجه الطبري ٣٤٣٩٧ بهذا اللفظ عن ابن عباس عن عمر. وفيه محمد بن إسحق مدلس، وقد عنعن، وهو في الصحيح بغير هذا السياق، انظر «صحيح البخاري» ٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥ ومسلم ١٤٧٩ عن ابن عباس عن عمر مطولاً. وانظر «فتح القدير» ٢٥٤٨ بتخريجنا.

[١٤٦٧] انظر الحديث المتقدم ١٤٦٥.

[١٤٦٨] صحيح. أخرجه البخاري ٦٩٧٢ عن عبيد بن إسماعيل به عن عائشة. وأخرجه مسلم ١٤٧٤ ح ٢١ وأبو داود ٣٧١٥ وأبو يعلى ٤٨٩٦ من طرق عن أبي أسامة به. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٣٢ من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة به.

[١٤٦٩] أخرجه الطبراني ١٢٢٦ من حديث ابن عباس، وقال الهيثمي في «المجمع» ١١٤٢٦: رجاله رجال

---

(١) العكة: آنية السمن، أو القربة الصغيرة.

(٢) جرست: أكلت، والعرفط: شجر ينضح الصمغ المعروف بالمنافير.

عائشةُ: إني لأَجدُ منكَ ريحاً، ثم دخل على حَفْصَةَ، فقالت: إني أجدُ منكَ ريحاً، فقال: إني أراه مِنْ شرابٍ شربتُه عند سَوْدَةَ، واللهِ لا أشرَبُه، فنزلت هذه الآية.

[١٤٧٠] وفي حديث عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ عن عائشةَ أنَّ التي شرب عندها العسلَ زينبُ بنتُ جَحْشٍ، فتواطَأَتْ حَفصَةُ وعائشةُ أنْ تقولا له ذلكَ القولَ. قال أبو عُبيدَةَ: المَغافِير: شيءٌ شبيهٌ بالصَّمغِ فيه حلاوةٌ. وخرج الناس يتَمَغفَرون: إذا خرجوا يجتنُونَه. ويقال: المَغاثِير بالثاء، مثل جَدْث، وجَدْف. وقال الزَّجَّاجُ: المَغافِير: صمغٌ متغيرُ الرائحة. فخرج في المراد بالذي أحلَّ اللّهُ له قولان[1]: **أحدهما**: أنه جاريتُه. **والثاني**: العسلُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تطلبُ رِضاهُنَّ بتحريم ذلك. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

الصحيح، وصححه السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٦٦. وفي ذلك نظر فهو معارض بحديث عائشة المتقدم، وأنه عليه الصلاة والسلام شرب ذلك عند زينب. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٤٥ بتخريجنا.

[١٤٧٠] صحيح. أخرجه البخاري ٥٢٦٧ والبغوي في «شرح السنة» عن الحسن بن محمد به. وأخرجه البخاري ٦٦٩١ ومسلم ١٤٧٤ وأبو داود ٣٧١٤ والنسائي ٦/ ١٥١ و ٧/ ١٣ و ٧١ وأحمد ٦/ ٢٢١ من طرق عن الحجاج به وأخرجه البخاري ٤٩١٢ من طريق هشام بن يوسف عن ابن جريج به.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٥٠: والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي ﷺ على نفسه شيئاً كان الله قد أحلّه له، فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه. وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٥٩: أصح الأقوال ـ ما ثبت في الصحيحين فيما ورد عن العسل ـ وأما من روى أنه حرّم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب إلى المعنى، لكنه لم يدوّن في الصحيح، وروي مرسلاً. وقوله تعالى: **﴿لم تحرم﴾** إن كان النبي ﷺ حرّم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا. ولا يحرّم قول الرجل: «هذا عليّ حرام» شيئاً حاشا الزوجة. وقال أبو حنيفة: إذا أطلق حمل على المأكول والمشروب دون الملبوس، وكانت يميناً توجب الكفارة. وقال زفر: هو يمين في الكل حتى في الحركة والكون. وعوّل المخالف على أن النبي ﷺ حرّم العسل فلزمته الكفارة. وقد قال الله تعالى: **﴿قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم﴾** فسماه يميناً ودليلنا قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا﴾** [المائدة: ٨٧] وقوله تعالى: **﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون﴾** [يونس: ٥٩] فذم الله المحرّم للحلال ولم يوجب عليه كفارة. قال الزجاج: ليس لأحد أن يحرّم ما أحل الله ولم يجعل لنبيه ﷺ أن يحرّم إلا ما حرّم الله عليه. فمن قال لزوجته أو أمته: أنت عليّ حرام، ولم ينو طلاقاً ولا ظهاراً فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين. ولو خاطب بهذا اللفظ جمعاً من الزوجات والإماء فعليه كفارة واحدة. ولو حرّم على نفسه طعاماً أو شيئاً آخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وأبي حنيفة. وجاء في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٦٣: قوله تعالى: **﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾** تحليل اليمين كفارتها. أي إذا أحببتم استباحة المحلوف عليه، ويتحصل من هذا أن من حرّم شيئاً من المأكول والمشروب لم يحرم عليه عندنا، لأن الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه. وأبو حنيفة يراه يميناً في كل شيء، ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه. فإذا حرم طعاماً فقد حلف على أكله، أو أَمَةً فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية، وإن نوى الظهار فظهار، وإن نوى الطلاق فبائن. وإن قال نويت الكذب، دِيْنَ فيما بينه وبين الله تعالى. ولا يراه الشافعي يميناً ولكن سبباً في الكفارة في النساء وحدهن. وإن نوى الطلاق فهو رجعي عنده. فإن حلف ألا يأكله حنث وبر بالكفارة.

غفَرَ اللَّهُ لكَ التحريمَ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مُقاتِلٌ: قد بيَّنَ لكم ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: كفَّارةَ أيمانِكم، وذلك البيانُ في المائدة[1] قال المُفسِّرون: وأصل «تَحِلَّة» تَحْلِلَة على وزن تَفْعِلَة، فأُدغِمتْ، والمعنى: قد بَيَّنَ الله لكم تحليلَ أيمانِكم بالكفَّارة، فأَمرَهُ الله أنْ يُكفِّرَ يمينَهُ، فأعتقَ رقبةً. واختلفوا هل حرَّمَ ماريَةَ على نفسه بيمينٍ، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه حرَّمها مِنْ غير ذكرِ يمينٍ، فكان التحريمُ موجباً لكفَّارةِ اليمينِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه حَلَفَ يميناً حرَّمها بها، قاله الحَسَنُ. والشَّعْبيُّ، وقَتادَةُ، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: وليُّكم وناصِرُكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ يعني: حَفصَةَ مِنْ غير خلافٍ عَلِمناه. وفي هذا السِّرِّ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قال لها: إني مُسِرٌّ إليكِ سِرًّا فاحفَظِيه، سِرِّيَّتي هذه عليَّ حرامٌ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطاءٌ، والشَّعْبيُّ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، وزيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه، والسُّدِّيُّ[2].

[١٤٧١] **والثاني**: أنه قال لها: أبوكِ، وأبو عائشةَ، وَالِيَا الناس مِنْ بعدي، فإيَّاكِ أنْ تُخبري أحداً، ورواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ.

والثالث: أنه أَسَرَّ إليها أنَّ أبا بكرٍ خليفتي مِنْ بعدي، قاله مَيمونُ بنُ مِهْرانَ[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: أخبرتْ به عائشةُ ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلَعَ اللَّهُ نبيَّهُ على قول حَفصَةَ لعائشةَ، فغضب رسولُ الله ﷺ غضباً شديداً، لأنه استكتَمَ حَفصَةَ ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعضِ ما قالت، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ وفي الذي عرَّفها إيَّاه قولان:

[١٤٧٢] **أحدهما**: أنه حدَّثها ما حدَّثتها عائشةُ مِنْ شأن أبي بكرٍ وعمرَ، وسكتَ عمَّا أخبرت

[١٤٧١] باطل لا أصل له، أخرجه ابن عدي ٣/٤٣٦ عن سيف بن عمر عن عطية بن الحارث عن أبي أيوب عن علي. وعن الضحاك عن ابن عباس. وعن عمرو بن محمد عن الشعبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف جداً. مداره على سيف بن عمر وهو متروك متهم، وبه أعله ابن عدي. ثم إن المتن موضوع. فلو كان هذا الحديث عند علي لما تأخر ستة أشهر عن بيعة الصديق. وكذا تأخر بنو هاشم، ومنهم ابن عباس عن البيعة، فهذا خبر باطل والنبي ﷺ لم يصرح باسم الخليفة من بعده، باتفاق العلماء، وإنما هناك إشارات إلى إمارة أبي بكر، منها أمره ﷺ بأن يؤم الناس، وذلك في مرضه الأخير.
وورد من وجه آخر أخرجه الدارقطني في «سننه» ٤/١٥٣ و ١٥٤ وفيه الكلبي، وهو محمد بن السائب، متهم بالكذب، وشيخه أبو صالح أقرّ بأنه حدث عن ابن عباس بأشياء كذب. راجع الميزان للذهبي. ثم إن المتن منكر كما تقدم. وورد من وجه آخر أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢٦٤٠ من حديث ابن عباس وله ثلاث علل: ١ ـ إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف. ٢ ـ وفيه أيضاً أبو سنان سعيد بن سنان فيه ضعف. ٣ ـ الضحاك لم يلق ابن عباس. انظر «تفسير ابن كثير» ٤/ ٤٦٠ بتخريجي عند هذه الآية. وانظر أيضاً «تفسير الشوكاني» ٢٥٥١ بتخريجي ولله الحمد والمنة.
[١٤٧٢] لا أصل له، وهو بعض المتقدم.

---

(١) المائدة: ٨٩.
(٢) انظر الحديث المتقدم ١٤٦٥.
(٣) انظر الحديث المتقدم ١٤٧١.

عائشةُ مِنْ تحريم ماريَّةَ، لأنه لم يُبالِ ما أظهرَتْ مِنْ ذلك، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٤٧٣] والثاني: أنَّ الذي عرَّف: تحريمُ ماريَّةَ، والذي أعرَضَ عنه: ذِكرُ الخلافة لئلاً ينتشرَ، قاله الضَّحَّاكُ، وهذا اختيارُ الزَّجَّاجِ: قال: ومعنىٰ ﴿عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ﴾ عرَّف حفصة بعضه وقرأ الكسائي «عرف» بالتخفيف. قال الزجاج: على هذه القراءة قد عَرفَ كل ما أسرَّه، غيرَ أنَّ المعنى جارٍ على بعضه، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾(١)، أي: يَعلَمه ويُجازي عليه، وكذلك: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾(٢) أي: ير جزاءَهُ. فقيلَ: إنَّ النبيَّ ﷺ طَلَّقَ حفصة تطليقةً، فكان ذلك جزاءَها عندَه، فأمَرَهُ الله أن يُراجِعَها.

[١٤٧٤] وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّانَ: لم يُطَلِّقها، وإنما هَمَّ بطلاقها، فقال له جِبريلُ: لا تُطَلِّقْها، فإنها

[١٤٧٣] عزاه المصنف للضحاك، وقد ساقه بمعناه. وصدره ورد عن الضحاك، أخرجه ابن المنذر كما في «الدر» ٦/ ٣٧٠، وهو مرسل، لكن له شواهد.
وعجزه، أخرجه أبو نعيم في «فضائل الصحابة» كما في «الدر» ٦/ ٣٧٠ عن الضحاك، وهو مرسل، فهو ضعيف، والمتن باطل.

[١٤٧٤] أصل الحديث صحيح، لكن قول مقاتل «لم يطلقها» باطل، لم يتابع عليه. ذكره المنصف هنا عن مقاتل بن حيان معلقاً، وسنده إليه في أول الكتاب، وهذا واهٍ بمرة، ليس بشيء، وقد خولف مقاتل.
وأخرج الحاكم ٤/ ١٥ وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٨٤ والدارمي ٢٢٦٥ والطحاوي في «المشكل» ٤٦١٥ من حديث أنس. وأن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة، فأتاه جبريل فقال: «يا محمد طلقت حفصة تطليقة، وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الدنيا وفي الجنة». وأخرج الطحاوي ١٦١٤ من طريق موسى بن علي عن أبيه عن عقبة بن عامر «أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فأتاه جبريل فقال: راجعها فإنها صوّامة قوّامة». وأخرج الطبراني ١٧/ (٨٠٤) نحوه من حديث عقبة بلفظ «أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فوضع التراب على رأسه، وقال: ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعدها، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر».
قال الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٣٣٤: وفيه عمرو بن صالح الحضرمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
أخرج الحاكم ٤/ ١٥ (٦٧٥٣ وابن سعد ٨/ ٦٧ والطبراني ١٨/ (٩٣٤) عن قيس بن زيد «أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون فبكت وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فقال: قال لي جبريل عليه السلام: راجع حفصة، فإنها صوّامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة».
وسكت عليه الحاكم، وكذا الذهبي، وكذا الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٥٦٣ ورجاله ثقات غير قيس بن زيد فهو تابعي صغير مجهول. وأن عثمان بن مطعون توفي قبل أحد، وقبل أن يتزوج النبي ﷺ حفصة.
وأخرج أبو داود ٢٢٨٣ والنسائي ٦/ ٢١٣ وابن ماجه ٢٠١٦ والدارمي ٢٢٦٤ وأبو يعلى ١٧٤ والحاكم ٢/ ١٩٧ وابن حبان ٤٢٧٥ والطحاوي في «المشكل» ٤٦١١ والبيهقي ٧/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ من طرق عن يحيى بن زكريا عن ابن أبي داود عن صالح بن صالح عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها».
الخلاصة: قول مقاتل «لم يطلقها» باطل، ليس بشيء، والصحيح أنه طلقها كما في الروايات المذكورة، وهو خبر حسن صحيح بطرقه وشواهده لكن بالألفاظ التي أوردتها، وانظر «أحكام القرآن» ٢١٣٨ بتخريجي.
أخرجه ابن سعد ٨/١٤٩ ـ ١٥٠ عن ابن عباس بنحوه، وفيه الواقدي، وهو متروك. وأخرج الدارقطني ٤/ =

---

(١) البقرة: ١٧٩. (٢) الزلزلة: ٧.

صوَّامةٌ قوَّامةٌ. وقال الحسَنُ: ما استقصى كريمٌ قطُّ، ثم قرأ ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ السَّميفَع «عُرَّاف» برفع العين، وتشديدِ الراء وبألِفٍ، «بعضِه» بالخفض.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ أي: أخبرَ حَفصَةَ بإفشائِها السِّرَّ ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي: مَن أخبركَ بأني أفشَيتُ سِرَّكَ؟ ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ثم خاطب عائشةَ وحَفصَةَ، فقال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مِنَ التعاون على رسولِ الله ﷺ بالإيذاءِ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال ابنُ عباسٍ: زاغتْ، وأثِمتْ. قال الزَّجاجُ: عَدَلَتْ، وزاغت عن الحقِّ. قال مُجاهِدٌ: كنَّا نرى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيِّناً حتى وجدناه في قراءةِ ابنِ مسعودٍ: فقد زاغت قلوبُكما. وإنما جعلَ القَلْبَيْن جماعةً لأنَّ كلَّ اثنين فما فوقهما جماعةٌ. وقد أشرنا إلى هذا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾(٢). قال المُفسِّرون: وذلك أنهما أحبَّا ما كره رسولُ الله ﷺ مِنَ اجتناب جاريتِه، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو عبدِ الرَّحمن ومُجاهِدٌ، والأعمَشُ «تظاهرا» بتخفيف الظاء، أي: تعاونَا على النبيِّ ﷺ بالإيذاءِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: وَليُّه في العَونِ، والنُّصرةِ ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وَلِيُّه ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي المراد بصالحِ المؤمنين ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم أبو بكرٍ وعمرُ، قاله ابنُ مسعودٍ، وعِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أبو بكرٍ، رواه مَكحُولٌ عن أبي أُمامَةَ. **والثالث**: عمرُ بنُ الخَطَّابِ قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ. **والرابع**: خِيارُ المؤمنين، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والخامس**: أنهم الأنبياء، قاله قَتادَةُ، والعلاءُ بنُ زيادٍ العَدَويُّ، وسُفيانُ. **والسادس**: أنه عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام، حكاه المَاوَرديُّ، قاله الفَرَّاءُ: «وصالح المؤمنين» موحَّدٌ في مذهبِ جميعٍ، كما تقول: لا يأتيني إلا سائسُ الحَربِ، فمَنْ كان ذا سياسةٍ للحرب، فقد أُمِرَ بالمجيءِ، ومثلُه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾(٣)، قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ﴾(٤)، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾(٥) في كثيرٍ مِنَ القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أي: ظهراً، وهذا مما لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، ومثله ثم ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾(٦)، وقد شرحناه هناك. ثم خوَّف نساءَهُ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾.

= ١٥٣ والطبراني في «الكبير». ١٢٦٤ من حديث ابن عباس في قوله عز وجل: **﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾** قال: اطلعت حفصة على النبي ﷺ مع أم إبراهيم عليه السلام فقال: «لا تخبري عائشة»، وقال لها: «إن أباك وأباها سيملكان، أو سيليان بعدي، فلا تخبري عائشة» فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة...» الحديث. وفي إسناده الكلبي، وهو كذاب. وورد من حديث علي، أخرجه ابن عدي ٣/ ٤٣٦، وكرره عن ابن عباس ومدارهما على سيف بن عمر، وهو متروك متهم، وبه أعله ابن عدي. والصواب أن النبي ﷺ لم يُخبر على من سيخلفه، وإنما هناك أمارات على أنه أبو بكر، والله أعلم.

الخلاصة: هذا خبر باطل لا أصل له، والصحيح في ذلك ما رواه الشيخان من وجوه في شربه عليه السلام العسل عند زينب، وكذا يليه في الصحة خبر مارية المتقدم برقم ٢٢٣٨.

وانظر «فتح القدير» ٢٥٥١ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٣٦ بتخريجي والله الموفق.

---

(١) النساء: ١١.
(٢) صٓ: ١١.
(٣) المائدة: ٣٨.
(٤) النساء: ١٦.
(٥) المعارج: ١٩.
(٦) غافر: ٦٧.

[١٤٧٥] وسبب نُزولها ما رَوى أنسٌ عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ قال: بَلَغني بعضُ ما آذى به رسولَ الله نساؤه، فدخلتُ عليهنَّ، فجعلتُ أستقرِئهُنَّ، واحدةً واحدةً، فقلتُ: واللّهِ لَتنتهِنَّ، أو لَيُبدِلنَّه اللّهُ أزواجاً خيراً منكنَّ، فنزلت هذه الآية. والمعنى: واجبٌ مِنَ الله ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ رسولُه ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ أي: خاضعاتٍ لله بالطاعة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مصدِّقاتٍ بتوحيد الله ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ أي: طائعاتٍ ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: صائماتٍ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾(١). **والثاني**: مُهاجراتٍ، قاله زيدُ بنُ أسلَ وابنُه. «والثيبات» جمعُ ثَيِّبٍ، وهي المرأة التي قد تزوَّجتْ، ثم ثابَتْ إلى بيتِ أبوَيْها، فعادَتْ كما كانت غيرَ ذاتِ زوجٍ. «والأبكار»: العَذارى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ وِقايةُ النَّفسِ: بامتثالِ الأوامر، واجتنابِ النَّواهي، ووقايةُ الأهل: بأنْ يُؤمَروا بالطاعة، ويُنهَوا عن المعصية. وقال عليٌّ رضي الله عنه: علِّموهم وأدِّبوهم، قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قد ذكرناه في البقرة(٢) قوله ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾ وهم خزَنتُها ﴿غِلَاظٌ﴾ على أهل النّار ﴿شِدَادٌ﴾ عليهم. وقيل: غِلاظُ القلوب شِدادُ الأبدانِ.

[١٤٧٦] وروى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: خَزَنَةُ النَّارِ تسعةَ عشرَ، ما بين مَنْكِبَي أحدِهم مسيرةُ سنةٍ، وقُوَّتُه أنْ يضربَ بالمِقْمَعةِ، فيدفع بتلك الضَّربةِ سبعينَ ألفاً، فيَهْوُون في قَعْرِ جهنَّمَ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يُخالفونه فيما يَأمرُ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يتجاوزون ما يُؤمَرون. **والثاني**: يفعلونه في وقتِه لا يُؤخِّرونه، ولا يُقدِّمونه. ويقال لأهلِ النّارِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصِم، وخارجَةُ عن نافع «نصوحاً» بضمِّ النون. والباقون بفتحِها. قال الزَّجّاجُ: فمَنْ فَتَحَ فعلى صفةِ التَّوبة، ومعناه: توبةٌ بالغةٌ في النُّصحِ،

[١٤٧٥] صحيح. أخرجه الطبري ٣٤٤٢٦ من حديث أنس عن عمر، وإسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم. وكرره الطبري ٣٤٤٢٧ وإسناده صحيح.

[١٤٧٦] باطل، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح واهٍ، وراويته هو الكلبي، وقد أقر أنه روى عن أبي صالح عن ابن عباس تفسيراً ليس له أصل عن ابن عباس.

---

(١) التوبة: ١١٢.
(٢) البقرة: ٢٣.

و «فَعُول» مِنْ أسماء الفاعلين التي تُستعمل للمُبالغةِ في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومَنْ قرأ بالضمِّ، فمعناه: يَنصَحون فيها نُصوحاً، يقال: نَصحتُ له نُصْحاً، ونَصاحةً، ونُصُوحاً. وقال غيره: مَنْ ضمَّ أراد: توبةَ نُصْحٍ لأنفسِكم. وقال عمرُ بنُ الخَطَّابِ: التوبة النَّصوح: أن يتوبَ العبدُ مِنَ الذَّنبِ وهو يُحدِّث نَفْسَه أنَّه لا يعود. وسُئِلَ الحسنُ البَصريُّ عن التَّوبةِ النَّصُوح، فقال: نَدَمٌ بالقلب، واستغفارٌ باللسان، وتَرْكٌ بالجَوارح، وإضمارُ أنْ لا يعودَ. وقال ابنُ مسعودٍ: التوبة النَّصوح تُكفِّرُ كلَّ سيئةٍ، ثم قرأ هذه الآية.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ قد بيَّنَّا معنى «الخِزي» في آل عِمران[1] وبيَّنَّا معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ في الحديد[2] ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نورَ المنافقين يُطفأ سألوا اللَّهَ تعالى أنْ يُتمِّمَ لهم نورهم، ويُبلِّغَهُم به الجنَّةَ. قال ابنُ عباسٍ: ليس أحدٌ مِنَ المسلمين إلاَّ يُعطى نُوراً يومَ القيامة. فأمَّا المنافقُ فيُطفأ نُورُه، والمؤمن مُشفِقٌ ممَّا رأى مِنْ إطفاء نُورِ المنافق، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ قد شرحناه في براءة[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾ قال المُفسِّرون منهم مُقاتِلٌ: هذا المَثَل يتضمَّن تخويفَ عائشةَ وحَفصةَ أنهما إن أغضبَتا ربَّهما لم يُغْنِ رسولُ الله ﷺ عنهما شيئاً. قال مُقاتِلٌ: اسمُ امرأةِ نُوحٍ «والهة» وامرأة لُوطٍ «واهلة».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾: نُوحاً ولُوطاً عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

[١٤٧٧] قال ابنُ عباسٍ: ما بَغَتْ امرأةُ نبيٍّ قطُّ، إنما كانت خيانَتُهما في الدِّينِ، كانت امرأةُ نُوحٍ تخبر الناسَ أنه مجنونٌ، وكانت امرأةُ لُوطٍ تدلُّ على الأضياف، فإذا نزل بِلُوطٍ ضيفٌ بالليل أوقدَتِ النارَ، وإذا نزل بالنهار دَخَّنَتْ لِتُعلِمَ قومَه أنه قد نزل به ضيفٌ. وقال السُّدِّيُّ: كانت خيانَتُهما: كُفرُهما.

[١٤٧٧] أخرجه الحاكم ٢/٤٩٦ والطبري ٣٤٤٦١ و ٣٤٤٦٢ و ٣٤٤٦٤ من طرق عن ابن عباس، وهو صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

---

(١) آل عمران: ١٩٢. (٢) الحديد: ١٢. (٣) التوبة: ٧٣.

وقال الضَّحَّاكُ: نَميمَتُهما، وقال ابنُ السَّائب: نِفاقُهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، أي: يدفعا عنهما مِنْ عذاب الله شيئاً. وهذه الآية تقطعُ طمعَ مَنْ ركب المعصيةَ ورَجا أنْ ينفعَهُ صلاحُ غيرِه. ثم أخبرَ أنَّ معصيةَ الغيرِ لا تضرُّ المُطيعَ بقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسِيَةُ بنتُ مُزاحِم. وقال يَحيى بنُ سَلام: ضرب اللّهُ المثلَ الأولَ يُحذِّرُ به عائشةَ وحَفصَةَ رضي الله عنهما. ثم ضرب لَهما هذا المثلَ يُرَغِّبهما في التَّمسُّكِ بالطاعة. وكانت آسِيَةُ قد آمنت بموسى. قال أبو هُريرَةَ: ضرب فِرعونُ لامرأتِه أوتاداً في يَدَيْها ورِجلَيها، وكانوا إذا تفرَّقوا عنها أظلَّتْها الملائكةُ، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكشفَ اللّهُ لها عن بَيْتِها في الجنَّةِ حتى رأتْهُ قبلَ موتِها، قوله: ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ عملَه: جِماعُهُ. **والثاني**: أنه دِينُه رُويا عن ابنِ عباسٍ، قوله: ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني أهلَ دِينِه المشركين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سُورَةِ الأنبياء[١] فمَنْ قال: هو فَرْجُ ثوبِها، قال «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ ترجعُ إليه، وذلك أنَّ جِبريلَ مَدَّ جَيبَ دِرْعِها، فنفخَ فيه، ومَنْ قال: هو مَخرجُ الولدِ، قال: «الهاء» كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ، لأنه إنما نَفَخ في دِرْعِها لا في فَرْجِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنه قولُ جِبريلَ ﴿إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾[٢]. **والثاني**: الكلماتُ هي التي تضمَّنتْها كُتبُ الله المُنزَلةُ. وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو مِجلَزٍ، وعاصِمُ الجَحْدَريُّ «بكلمةِ ربها» على التوحيد ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «وكتابِهِ» على التوحيد، وقرأ أبو عمرٍو، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ، وخارِجَةُ عن نافعٍ «وكُتُبُه» جماعةً، وهي التي أُنزِلَتْ على الأنبياء، ومَنْ قرأ «وكتابه» فهو اسمُ جنسٍ على ما بيَّنَّا في خاتِمة البقرة[٣] وقد بيَّنَّا فيها القُنوتَ مَشروحاً[٤]. ومعنى الآية ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾، ولذلك لم يَقُلْ: مِنَ القانتات.

---

(١) الأنبياء: ٩٢.
(٢) مريم: ١٩.
(٣) البقرة: ٢٨٥.
(٤) البقرة: ١١٦.

سُورَةُ المُلْكِ

ترتيبها ٦٧ — آياتها ٣٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهِم

[١٤٧٨] قال ابنُ مسعودٍ: هي المانِعةُ مِنْ عذاب القَبْرِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ
هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ
سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا
لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في الأعراف(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يعني: السُّلطان يُعِزُّ ويُذِلُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ قال الحسَنُ: خلَقَ الموتَ المُزيلَ للحياة، والحياةَ التي

[١٤٧٨] أخرجه الطبراني ١٠٢٥٤ عن ابن مسعود قال: «كنا نسميها على عهد رسول الله ﷺ المانعة» وقال الهيثمي ٧/ ١٢٧ ـ ١٢٨: رجاله ثقات اهـ وصححه الحاكم ٢/ ٤٦٨ ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في «اليوم والليلة» ٧١٦. وورد من حديث ابن عباس مرفوعاً: أخرجه الترمذي ٢٨٩٠ والبيهقي في «الدلائل» ٧/ ٤١ من حديث ابن عباس، وضعفه الترمذي بقوله: غريب من هذا الوجه، وكذا ضعفه البيهقي فقال: تفرد به يحيى بن عمرو النكري، وهو ضعيف. وأخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعاً وتفرد ابن مردويه به يدل على وهنه. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٥٩ و ٢٥٦٠ بتخريجنا.

---

(١) الأعراف: ٥٤.

هي ضدُّ الموتِ[(١)] قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قد شرحناه في هود[(٢)]، قال الزَّجَّاج: والمُعلَّقُ بـ﴿أَيُّكُمْ﴾ مُضمَرٌ تقديره: لِيَبلُوَكُم، فيَعلَمَ أيُّكم أحسنُ عملاً وهذا عِلمُ وقوع. وارتفعَتْ «أي» بالابتداء، ولا يَعملُ فيها ما قبلَها، لأنها على أصلِ الاستفهام، ومثله ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾[(٣)]. والمعنى: خَلَقَ الحياةَ ليختبِرَكُم فيها. وخَلَقَ الموتَ لِيَبعثَكم ويُجازيَكم. وقال غيره: اللام في «ليبلوكم» متعلِّقٌ بخَلْقِ الحياة دونَ خَلْقِ الموت، لأنَّ الابتلاءَ بالحياة. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: خَلقهنَّ مُطابقاتٍ، أي: بعضُها فوقَ بعضٍ ﴿مَا تَرَى﴾ يا ابنَ آدمَ ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ قرأ حمزةُ والكِسائيُّ: «من تفوُّت» بتشديد الواو مِنْ غيرِ ألفٍ. وقرأ الباقون بألِفٍ. قال الفَرَّاءُ: وهما بمنزلةٍ واحدةٍ، كما تقول: تعاهَدتُ الشيءَ وتعهَّدتُه والتَّفاوتُ: الاختلافُ. وقال ابنُ قُتيبة: التَّفاوت: الاضطِرابُ والاختلافُ؛ وأصله مِنَ الفوتِ؛ وهو أنْ يفوتَ شيءُ شيئاً، فيقع الخَلَلُ، ولكنه مُتَّصِلٌ بعضُه ببعضٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ كرِّرِ البصرَ ﴿هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ وقرأ أبو عمرٍو، وحَمزةُ والكِسائيُّ «هل ترى» بإدغام اللام في التاء، أي: هل ترى فيها فُرُوجاً وصُدُوعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: مرَّةً بعد مرَّةٍ ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: مُبْعَداً، مِنْ قولِكَ: خَسَأْتُ الكلبَ: إذا باعَدْتَهُ ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كَلِيلٌ مُنقطِعٌ عن أنْ يلحقَ ما نظرَ إليه. وقال الزَّجَّاجُ: قد أعيا مِنْ قبلِ أنْ يرى في السماء خَلَلاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ قد شرحناه في حَم السَّجْدَة[(٤)]. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ أي: يُرجَمُ بها مُسترِقو السَّمع. وقد سبقَ بيانُ هذا المعنى[(٥)] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وهذا وما بعدَه قد سبقَ بيانُه إلى قوله: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ أي: صوتاً مثلَ صوتِ الحمارِ. وقد بيَّنَّا معنى الشَّهيقِ في هود[(٦)] ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ أي: تغلي بهم كغَلْيِ المِرْجَلِ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي: تتقطَّعُ مِنْ تَغَيُّظِها عليهم ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: جماعةٌ منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ وهذا سؤالُ توبيخ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: قُلنا للرُّسلِ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في ذهابٍ عن الحقِّ بعيدٍ. قال الزَّجَّاجُ: ثم اعترَفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماعَ مَنْ يَعِي ويُفكِّرُ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾

---

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٨١: قوله تعالى: **﴿الذي خلق الموت والحياة﴾** قيل: المعنى خلقكم للموت والحياة، يعني للموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدّم الموت على الحياة، لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم. قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك. قلت: وفي التنزيل **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾** السجدة: ١١ وقال: **﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾** [الأنفال: ٥٠] وقال: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾** [الزمر: ٤٢] فالوسائط ملائكة مكرمون صلوات الله عليهم. وهو سبحانه المميت على الحقيقة.

(٢) هود: ٧. (٣) الكهف: ١٢. (٤) فصلت: ١٢.

(٥) الحجر: ١٨. (٦) هود: ١٠٦.

عقلَ مَنْ يُميِّز ويَنظرُ ﴿مَا كُنَّا﴾ مِنْ أهل النار ﴿فَسُحْقًا﴾. وهو منصوبٌ على المصدر، المعنى: أسحَقَهُم اللَّهُ سُحقاً، أي: باعَدَهم اللَّهُ مِنْ رحمتِه مُباعدةً، والسَّحِيقُ: البعيد. وكذلك روى ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ «فسحقاً» أي: بُعْداً. وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ، وأبو صالحٍ: السُّحُقُ: وادٍ في جهنَّم يُقال له: سُحُق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قد شرحناه في سُورةِ الأنبياء[(١)] ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لِذنوبِهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو: الجنَّةُ. ثم عاد إلى خطابِ الكفَّار، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ قال ابنُ عباسٍ: نزلت في المشركين كانوا يَنالُون مِنْ رسول الله ﷺ، فيُخبِره جِبريلُ بما قالوا، فيقول بعضهم: أسِرُّوا قولَكم حتى لا يسمعَ إلهُ محمَّدٍ[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ أي: ألا يعلَمُ ما في الصدورِ خالِقُها؟! و ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ مشروحٌ في الأنعام[(٣)] و ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ في سُورةِ البقرة[(٤)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ أي: مُذَلَّلةً سَهلَةً لم يجعلها مُمتَنِعةً بالحُزُونَةِ والغِلَظِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: طُرقاتِها، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ. **والثاني**: جبالها، رواه ابنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادَةُ، واختاره الزَّجَّاجُ، قال: لأنَّ المعنى: سَهَّلَ لكم السُّلوكَ فيها، فإذا أمكنَكُم السُّلوكُ في جبالِها، فهو أبلَغُ في التذليلِ. **والثالث**: في جوانِبها، قاله مُقاتِلٌ، والفرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، واختاره ابنُ قُتيبةَ، قال: ومَنْكِبا الرَّجل: جانباه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: إليه تُبعَثون مِنْ قبوركم.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

ثم خوَّفَ الكفَّارَ فقال: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ: «وإليه النشور ءَامنتم» وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو:

---

(١) الأنبياء: ٤٩.
(٢) عزاه المصنف لابن عباس، وكذا الواحدي في «الأسباب» ٨٣٥. ساقه بدون إسناد، وهو باطل، فإن سباق الآيات وسياقها يدل على أن المراد بالآية المؤمنون.
(٣) الأنعام: ١٠٣. (٤) البقرة: ٢٣٤.

«النشور آمنتم» بهمزة ممدودةٍ. وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ: «أأمنتم» بهمزتين، ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: أَمِنتُم عذابَ مَنْ في السماء، وهو اللّهُ عزَّ وجلَّ؟! و ﴿تَمُورُ﴾ بمعنى: تدور. قال مُقاتِلٌ: والمعنى: تَدورُ بكم إلى الأرضِ السُّفلى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾ وهي: الحجارة، كما أرسلَ على قوم لُوطٍ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: كيف كانت عاقبةُ إنذاري لكم في الدنيا إذا نزلَ بكم العذابُ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفَّارَ الأُمَمِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم بالعذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ أي: تَصُفُّ أجنِحَتَها في الهواء، وتَقْبِضُ أجنِحَتَها بعد البَسْطِ، وهذا معنى الطَّيران، وهو بَسْطُ الجَناحِ وقَبْضُه بعدَ البَسْطِ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ أن يَقعْنَ ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ هذا استفهامُ إنكارٍ. ولفظُ «الجُندِ» مُوحَّدٌ، فلذلك قال عزَّ وجلَّ: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جُندَ لكُم ﴿يَنصُرُكُم﴾ أي: يَمنَعُكم مِنْ عذاب الله إنْ أرادَهُ بكم، ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ وذلك أنَّ الشيطانَ يَغرُّهم، فيقول: إنَّ العذاب لا ينزلُ بكم، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ المطرَ وغيرَه ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ اللّهُ ذلك عنكم ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ أي: تمادٍ في كُفرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾ عن الإيمان.

ثم ضربَ مثلاً، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي لا يُبصِرُ يميناً، ولا شِمالاً، ولا مِنْ بينِ يديه. يُقال: أَكَبَّ اللّهُ فُلاناً على وَجهِه، بالألِفِ، وكَبَّه اللّهُ لِوَجْهِه، وأراد: الأعمى. قال المُفسِّرون: هذا مثلٌ للمؤمن، والكافر، و «السَّويُّ»: المُعتَدِلُ، أي: الذي يُبصِرُ الطريقَ. وقال قَتادةُ: هذا في الآخرة يَحشُرُ اللّهُ الكافرَ مُكِبّاً على وجهه، والمؤمنَ يمشي سَويًّا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنهم لا يشكرون، قاله مُقاتِلٌ: **والثاني**: أنهم يشكرون قليلاً، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلَقكُم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون الوعدَ: بالعذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أي: رَأَوا العذابَ قريباً منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: تَبيَّنَ فيها السُّوءُ. وقال غيره: قُبِّحَتْ بالسَّوادِ ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ «تدَّعون» بالتشديد، بمعنى تَدْعُون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» مِنَ الدعاء. يقال: دَعوتُ، وادَّعيتُ، كما يُقال: خَبَرْتُ واخْتَبَرْتُ، ومثله: يَذْكِرون، ويَذَّكرون، هذا قولُ الفرَّاءِ، وابنِ قُتيبةَ. **والثاني**: أنَّ المعنى: هذا الذي كنتم مِنْ أجلِه تَدَّعون الأباطيلَ والأكاذيبَ، تَدَّعون أنكم إذا مُتُّم لا تُبعَثُون؟! وهذا اختيارُ الزَّجّاجِ.

وقرأ أبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ والضَّحَّاكُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، ويعقوبُ: «تَدْعون» بتخفيفِ الدال، وسكونِها، بمعنى تَفْعَلون مِنَ الدُّعاء. وقال قَتادَةُ: كانوا يَدعُون بالعذاب.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ﴾ بعذابٍ ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ مِنَ المؤمنين[١]. قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِم: «معيَ» بفتح الياء. وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ، والكِسَائيُّ: «معي» بالإسكان ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلَمْ يُعذِّبنَا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي يَمنَعُهم ويُؤمِّنُهم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ومعنى الآية: إنَّا مع إيمانِنا، بين الخوف والرَّجاء: فمَنْ يُجيرُكم مع كُفرِكم مِنَ العذاب؟! أي: لأنه لا رجاءَ لكم كَرَجاءِ المؤمنين ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذي نعبُدُ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ وقرأ الكِسَائيُّ: «فسيعلمون» بالياء عند مُعاينةِ العذابِ مَنِ الضَّالُّ نَحنُ أَمْ أنتم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ قد بينَّاه في الكهف[٢] ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ أي: بماءٍ ظاهرٍ تراه العيونُ، وتنالُه الأرْشِيَةُ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٧١: يقول الله تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه: ﴿أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أي: خلّصوا أنفسكم، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عذّبنا الله أو رحمنا، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم. ثم قال: ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ كما قال: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ ثم قال: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ أي: ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر عكس النابع. ولهذا قال: ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ أي: نابع وسائح جار على وجه الأرض، أي: لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل. فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه، من القلة والكثرة، فله الحمد والمنة.

(٢) الكهف: ٤١.

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

إلاَّ ما حُكي عن ابنِ عباسٍ وقَتادَةَ أن فيها مِنَ المدني قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نٓ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، وحَفْصٌ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ النون في آخرِ الهجاء مِنْ نُونٍ ظاهرة عند الواو، وهذا اختيارُ الفَرَّاءِ. وروى أبو بكرٍ عن عاصِم أنه كان لا يُبِينُ النونَ مِنْ «نون». وبها قرأ الكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، ويعقوبُ، وهو اختيار الزَّجَّاج. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، وقَتادَةُ، والأعمَشُ: «نونِ والقلم» بكسرِ النون وقرأ الحسَنُ، وأبو عِمْرانَ، وأبو نَهِيكٍ: «نُ والقلم» برفع النون..

وفي معنى (نون) سبعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الدَّوَاة.

[١٤٧٩] روى أبو هُرَيرَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أولُ ما خَلَقَ الله القلمَ، ثم خَلَقَ النُّونَ،

[١٤٧٩] صدره قوي بشواهده، وعجزه باطل. أخرجه ابن عدي ٦/ ٢٦٩ من طريق محمد بن وهب عن الوليد بن مسلم به، وأعله بمحمد بن وهب، وحكم ببطلانه، ووافقه الذهبي في «الميزان» ٤/ ٦١. وأخرجه الآجري في «الشريعة» ٣٥٨ من طريق الحسن بن يحيى الخشني عن الحسين أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً. وإسناده ضعيف لضعف الحسن بن يحيى الخشني، وكذا ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٤٢٨ من هذا الوجه ونسبه لابن أبي حاتم وقال: غريب جداً. ولقوله «أول ما خلق الله القلم» شواهد كثيرة والمنكر فيه لفظ «النون وهي الدواة» ويشهد لصدره حديث عبادة بن الصامت: أخرجه أبو داود ٤٧٠٠ والترمذي ٢١٥٦ وأحمد ٥/ ٣١٧ والآجري ٣٥٩. وحديث ابن عباس: أخرجه أبو يعلى ٢٣٢٩ والبيهقي ٩/ ٣ وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٩٠ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» =

---

(١) الراجح في هذه الأقوال القول الأول، يدل على ذلك ذكر القلم، والله تعالى أعلم.

وهي الدَّواةُ» وهذا قولُ ابنِ عباسٍ في رواية سعيدِ بن جُبَيرٍ، وبه قال الحسَنُ وقَتادَةُ.

والثاني: أنه آخرُ حروفِ الرحمن، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الحوتُ الذي على ظهرِ الأرض، وهذا المعنى في روايةِ أبي ظَبْيانَ عن ابنِ عباسٍ، وهو مذهب مُجاهِدٍ، والسُّدِّيّ، وابنِ السَّائبِ[1]. **والرابع**: أنه لَوْحٌ مِنْ نورٍ، قاله مُعاويةُ بنُ قُرَّة. **والخامس**: أنه افتتاح اسمَيْن «نصير»، و «ناصر» قاله عَطاءٌ. **والسادس**: أنه قَسَمٌ بِنُصْرَةِ الله للمؤمنين، قاله القُرَظيُّ. **والسابع**: أنه نهرٌ في الجنَّةِ، قاله جعفرُ الصَّادقُ.

وفي «القلم» قولان[2]: **أحدهما**: أنه الذي كتب به في اللَّوحِ المحفوظِ. **والثاني**: أنه الذي يَكتب به الناسُ. وإنما أقسَمَ به، لأنَّ كُتبَهُ إنما تُكْتَبُ و ﴿يَسۡطُرُونَ﴾ بمعنى: يكتبون.

وفي المُشار إليهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكة. وفيما أرادوا بما يكتبونه قولان: **أحدهما**: أنه الذِّكر، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: أعمال بني آدمَ، قاله مُقاتِلٌ. **والقول الثاني**: أنهم جميعُ الكَتَبة، حكاه الثَّعلَبيُّ، قوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ أي: ما أنتَ بإنعام ربِّكَ عليكَ بالإيمان والنُّبوَّة بمجنونٍ. قال الزَّجَّاجُ: هذا جوابُ قولهم: إنكَ لَمَجنونٌ. وتأويله: فارَقَكَ الجنونُ بنعمةِ الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصبركَ على افترائِهم عليكَ. ونسبتِهم إيَّاكَ إلى الجنون ﴿لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ أي: غيرَ مقطوعٍ ولا منقوصٍ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[3]:

أحدها: دِيْنِ الإسْلام، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أدبُ القرآن، قاله الحسَنُ. **والثالث**: الطَّبع الكريم. وحقيقةُ «الخُلُق»: ما يأخذ به الإنسانُ نَفْسَه مِنَ الآداب، فسُمِّيَ خُلُقاً، لأنه يصير كالخِلْقَةِ في صاحبه. فأمَّا ما طُبعَ عليه فيُسمى: «الخِيم» فيكون الخِيم: الطَّبْعُ الغريزيُّ. والخُلُق: الطَّبْعُ المُتكلَّفُ. هذا قولُ المَاوَرديِّ.

[١٤٨٠] وقد سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلُقُه القرآن. تعني: كان على ما أمره اللَّهُ به في القرآن.

= ٦٠٦٤ و ٦٠٦٥ و «أحكام القرآن» ٢١٦٨.
الخلاصة: هو باطل بهذا اللفظ، وذكر القلم قوي له شواهد.

[١٤٨٠] صحيح. أخرجه مسلم ٧٤٦ وأبو داود ١٣٤٢ و ١٣٤٣ وعبد الرزاق ٤٧١٤ و ٤٧٥١ من حديث عائشة مطولاً. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ من حديث عائشة بلفظ: أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن: قد أفلح المؤمنون.

---

(١) هذه الروايات جميعاً مصدرها الإسرائيليات، وهي من أباطيل الإسرائيلين وترّهاتهم.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٧٣: وقوله: ﴿والقلم﴾ الظاهر أنه جنس القلم يكتب به كقوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم﴾ فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم.

(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ١٩٩: أصح الأقوال ما ذكرته عائشة في صحيح مسلم.
وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٧٥: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجية له، وخلقه تطبعه، وترك طبعه الجبلّيّ فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ يعني: أهل مكَّةَ. وهذا وعيدٌ لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزلَ بهم العذابُ ببَدْرٍ. ﴿بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ وفيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: الضَّالُّ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: الشيطان، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المجنون، قاله الضَّحَّاكُ. والمعنى: الذي قد فُتِنَ بالجنون. **والرابع**: المُعذَّبُ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي الباء قولان: **أحدهما**: أنها زائدةٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبَةَ. وأنشدوا:

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الفَلَجْ   نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[1]

والثاني: أنها أصليةٌ، وهذا قولُ الفرَّاءِ، والزَّجَّاجِ. قال الزَّجَّاجُ: ليس كونها لَغْواً بجائزٍ في العربية في قولِ أحدٍ مِنْ أهلها.

وفي الكلام قولان للنَّحويين: **أحدهما**: أنَّ «المَفتُون» ها هنا: الفُتُون. والمصادر تجيء على المفعولِ. تقول العرب: ليس هذا معقودَ رأيٍ، أي: عَقْد رأيٍ، تقول: دَعْهُ إلى مَيسُورِه، أي: يُسرِه. والمعنى: بأيِّكُم الجُنون. **والثاني**: بأيِّكم المَفتُون بالفُرقَة التي أنتَ فيها، أَمْ بفُرقَةِ الكفَّارِ؟ فيكون المعنى: في أيِّ الفِرقتين المجنونُ. وقد ذكرَ الفرَّاءُ نحوَ ما شرحه الزَّجَّاجُ. وقد قرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «في أي المفتون». ثم أخبرَ أنه عالمٌ بالفرقتين بما بعدَ هذا.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وذلك أنَّ رؤساء أهل مكَّةَ دَعَوه إلى دِيْنِ آبائه، فنَهاهُ الله أنْ يُطيعَهُم ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: لو تُرخِصُ فيُرخِصون، قاله ابنُ عباسٍ.

---

(١) البيت لراجز من بني جعدة، كما في «مجاز القرآن» ٢/ ٥ و «الخزانة» ٤/ ١٦٠ والفلج: موضع بنجد.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٨٢: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلبون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾** وإنما هو مأخوذ من الدهن شبّه التليين في القول بتليين الدهن.

وقال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٠٥: وقال أهل اللغة: الإدهان هو التلبيس، معناه: ودوا لو تلبس إليهم في عملهم وعقدهم فيميلون إليك. وحقيقة الإدهان إظهار المقاربة مع الاعتقاد للعداوة، فإن كانت المقاربة باللين فهي مداهنة، وإن كانت مع سلامة الدين فهي مداراة أي مدافعة. وقد ثبت في الصحيح عن عائشة أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، بئس أخو العشيرة هو، أو ابن العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول! فقال لي: «يا عائشة، إن شر الناس منزلة من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه».

قلت: حديث صحيح. أخرجه البخاري ٦٠٥٤ و ٦١٣١ ومسلم ٢٥٩١ وأبو داود ٤٧٩١ والترمذي ١٩٩٦ وأحمد ٦/ ٣٨ والحميدي ٢٤٩ وابن حبان ٤٥٣٨ والبيهقي ١٠/ ٣٤٥ والبغوي ٣٥٦٣ من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن عروة بن الزبير عن عائشة به.

والثاني: لو تُصانِعُهم في دِينِك فيُصانِعون في دِينِهم، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: لو تَكفُر فيَكفُرون، قاله عَطِيَّةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: لو تَلِينُ لهم فيَلِينُون لك، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: لو تُنافق وتُرائي فيُنافقون ويُراؤون، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ. **والسادس**: وَدُّوا لو تُداهِنُ في دِينِكَ فيُداهِنون في أديانِهم. وكانوا أرادوه على أنْ يعبدَ آلهتَهم مُدَّةً، ويعبدوا اللَّهَ مُدَّةً، قاله ابنُ قُتيبةَ. وقال أبو عُبيدَةَ: هو مِنَ المُداهَنة. **والسابع**: لو تُقاربهم فيُقاربوك، قاله ابنُ كَيْسانَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ وهو كثيرُ الحَلِفِ بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ وهو الحقير الدَّنِيء. وروى العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ قال: المَهين: الكذَّاب. واختلفوا فيمَنْ نزل هذا على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: الأخنَسُ بنُ شَرِيقٍ، قاله عَطاءٌ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: الأسوَدُ بنُ عبد يَغُوث، قاله مُجاهِدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو المُغتاب. وقال ابنُ قُتَيبةَ: هو العَيَّاب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنَّميمة، وهو نقلُ الكلام السيءِ مِن بعضهم إلى بعضٍ لِيُفسدَ بينهم[1]، قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه مَنْعُ وَلَدِه وعشيرَتِه الإسلامَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَنَّاع للحقوق في ماله، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي ظلوم ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجرٍ ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي مع ما وصفناه به.

وفي «العُتُلّ» سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه العاتي الشديدُ المنافقُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه المُوفر الجسم، قاله الحسَنُ. **والثالث**: الشديدُ الأشِرُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: القويُّ في كُفرِه، قاله عِكرمَةُ. **والخامس**: الأكول الشَّروب القوي الشديد، قاله عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ. **والسادس**: الشديد الخُصومةِ بالباطل، قاله الفَرَّاءُ. **والسابع**: أنه الغليظ الجافي، قاله ابنُ قُتَيبةَ.

وفي «الزَّنِيم» أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه الدَّعِيُّ في قُرَيشٍ وليس منهم، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وهذا معروفٌ في اللغة أنَّ الزَّنِيمَ: هو المُلْصَقُ في القوم وليس منهم، وبه قال الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ؛ وابنُ قُتَيبةَ. قال حسَّانُ:

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ في آلِ هَاشِمٍ ... كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٧٦: ﴿مشاء بنميم﴾ يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين قال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة». وقال الزمخشري في «الكشاف» ٤/٥٩١: ﴿حلاف﴾ كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف. ومثله قوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم﴾ [البقرة: ٢٢٤] ﴿مهين﴾ من المهانة وهي القلة والحقارة، يريد القلة في الرأي والتمييز. أو أراد الكذاب لأنه حقير عند الناس ﴿همّاز﴾ عياب طعان، وعن الحسن: يلوي شدقيه في أقفية الناس ﴿مشاء بنميم﴾ مضرب نقّال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم. والنميم والنميمة: السعاية.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٧٨: الأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه، **وهو أن الزنيم هو: المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس**، وغالباً يكون دعياً ولد زنا، فإنه في الغالب **يتسلّط الشيطان عليه** ما لا يتسلط على غيره.

والثاني: أنه الذي يُعرف بالشرِّ، كما تُعرف الشاةُ بزنمتِها، رواه سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه الذي له زَنَمةٌ مثل زَنَمةِ الشاةِ. وقال ابنُ عباسٍ: نُعِتَ فلم يُعرفْ حتى قيل: زَنيم، فعُرِفَ، وكانت له زَنَمةٌ في عُنقه يُعرف بها. ولا يُعلَمُ أنَّ اللَّهَ تعالى بلغ مِنْ ذِكْرِ عيوب أحدٍ ما بلَغه مِنْ ذكر عيوب الوليد، لأنه وُصِفَ بالحَلِفِ، والمَهانةِ، والعيبِ للناس، والمشي بالنَّميمة، والبُخلِ، والظلم، والإثم، والجَفاءِ، والدِّعوةِ، فألْحَقَ به عاراً لا يُفارقه في الدنيا والآخرة، قال الزَّجَّاجُ: والزَّنَمتانِ: المُعلَّقتان عند حُلوقِ المَعْزَى. وقال ابنُ فارسٍ: هي التي تَتعلَّقُ مِنْ أُذنِها. **والرابع**: أنه الظلوم، رواه الوالبِيُّ عن ابنِ عباسٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، والكِسائيُّ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ: «أن كان» على الخبر، أي: لأنْ كان. والمعنى لا تطعه لِمالِه وبَنِيْهِ. وقرأ ابنُ عباسٍ بهمزتين، الأولى: مخففةٌ. والثانية: مَلينةٌ، وفَصلَ بينهما بألفٍ أبو جعفرَ. وقرأ حمزةُ: «أأن كانَ» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وله وَجْهانِ: **أحدهما**: ألأنْ كان ذا مالٍ تُطيعه؟ـ! **والثاني**: ألأنْ كان ذا مالٍ وبنينَ؟! ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يكفُر بها؟ فيقول: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ذكر القولين الفرَّاءُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ: «أن كان» بهمزةٍ واحدةٍ مقصورةٍ. ثم أوعدَهُ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ الخُرْطوم: الأنف. وفي هذه السِّمَةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سَنَسِمُه بالسيف، فنَجعل ذلك علامةً باقيةً على أنفِه ما عاشَ، فقاتلَ يومَ بدرٍ فخُطِمَ بالسيف، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: سنُلْحِقُ به شيئاً لا يُفارقه، قاله قَتادةُ، واختاره ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ المعنى: سَنُسوِّد وَجْهَه. قال الفرَّاءُ: و«الخُرْطوم» وإنْ كان قد خُصَّ بالسِّمة، فإنه في مذهبِ الوَجْهُ، لأنَّ بعضَ الوجه يؤدِّي عن البعضِ. وقال الزَّجَّاجُ: سنجعلُ له في الآخرة العلمَ الذي يعرفُ به أهلَ النَّارِ مِن اسودادِ وجوهِهم. وجائزٌ ـ والله أعلَمُ ـ أنْ يُفردَ بسِمَةٍ لِمُبالغتِه في عداوتِه لرسول الله ﷺ يتبيَّن بها عن غيره.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعني: أهل مكَّةَ، أي: ابتَلَيناهم بالجُوع، والقَحْطِ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ حين هَلَكتْ جنَّتُهم.

وهذه الإشارةُ إلى قِصَّتِهم(١)

ذَكرَ أهلُ التفسير أنَّ رجلاً كان بناحية اليمنِ له بستانٌ، وكان مؤمناً. وذلك بعدَ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام، وكان يأخذُ منه قَدْرَ قُوتِه، وكان يتصدَّقُ بالباقي. وقيلَ: كان يتركُ للمساكين ما تعدَّاه المِنجَلُ، وما يسقط مِنْ رؤوس النَّخلِ، وما ينتثِرُ عند الدِّباسِ، فكان يجتمع مِنْ هذا شيءٌ كثيرٌ، فمات الرجلُ عن ثلاثةِ بنينَ، فقالوا: واللهِ إنَّ المالَ لَقليلٌ، وإنَّ العيالَ لَكثيرٌ، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المالُ كثيراً، والعيالُ قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أنْ نفعلَ هذا. فعَزَموا على حرمانِ المساكين، وتحالفوا بينهم لَيَغْدُون قبلَ خروج الناس، فلَيَصْرِمُنَّ نَخلَهُم، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي: ليقطعن نخلهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: في أولِ الصباح. وقد بَقيَتْ مِنَ الليل ظُلمةٌ لئلاَّ يبقى للمساكين شيءٌ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ قولان: **أحدهما**: لا يقولون: إنْ شاء الله، قاله الأكثرون. **والثاني**: لا يستثنونَ حقَّ المساكين، قاله عِكرِمَةُ، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: مِنْ أمر ربِّكَ. قال الفَرَّاءُ: الطَّائفُ لا يكون إلاَّ بالليل. قال المُفسِّرون: بَعثَ اللهُ عليها ناراً بالليل، فاحترقَتْ، فصارتْ سوداءَ، فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: كالرَّماد الأسودِ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كالليلِ المُسْوَدِّ، قاله الفَرَّاءُ. وكذلك قال ابنُ قُتيبةَ: أصبحَتْ سوداءَ كالليل مُحترِقةً. والليل: هو الصَّريمُ، والصُّبح أيضاً: صَريمٌ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يَنصَرِمُ عن صاحبه. **والثالث**: أصبحَتْ قد ذهب ما فيها مِنَ الثمر، فكأنه قد صُرِمَ، أي: قُطِع، وجُذَّ حكاه ابنُ قُتيبةَ أيضاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي: نادى بعضُهم بعضاً لمَّا أصبحوا ﴿أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ يعني: الثِّمار والزُّروع والأعناب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي: قاطِعينَ للنَّخلِ، ﴿فَٱنطَلَقُوا﴾ أي: ذهبوا إلى جنَّتِهم ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: يتشاورون بـ ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

قوله: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ: **أحدها**: على قدرةٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: على فاقةٍ، قاله الحسَنُ في روايةٍ. **والثالث**: على جدٍ، قاله الحسَنُ في روايةٍ، وقَتادةُ، وأبو العاليةِ، والفَرَّاءُ! ومُقاتِلٌ. **والرابع**: على أمرٍ مُجمَعٍ قد أسَّسُوه بينهم، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ. **والخامس**: أنَّ الحَرْدَ، اسمُ الجنَّة،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ٢١٠: قال بعض العلماء: على من حصد زرعاً أو جدّ ثمره أن يواسي منها من حضره، وذلك معنى قوله: ﴿وءاتوا حقه يوم حصاده﴾ [الأنعام: ١٤١] وأنه غير الزكاة. وقال بعضهم: وعليه ترك ما أخطأه الحصادون. وكان بعض العباد يتحرون أقواتهم من هذا. وروي أنه نهيٌ عن الحصاد بالليل. وقيل: إنما نهى عن ذلك خشية الحياة وهوام الأرض.
قلت: الأول أصح، والثاني: حسن، وإنما قلنا الأول أصح لأن العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى. وفي هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان، لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الآية، قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥] وفي الصحيح: عن النبي ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» متفق عليه. اهـ.

قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: أنه الحَنَقُ والغضب على المساكين، قاله الشَّعْبِيُّ، وسُفْيانُ، وأنشد أبو عُبيدَةَ:

أُسُودُ شَرَىً لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ   تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأَسَاوِدِ[١]

والسابع: أنه المَنعُ، مأخوذٌ مِن حارَدَتِ السَّنَةُ فليس فيها مطرٌ، وحارَدَت النَّاقةُ فليس لها لَبنٌ، قاله أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبَةَ. **والثامن**: أنه القَصْدُ. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبَةَ. وأنشدوا:

قَدْ جاءَ سَيْلٌ كانَ مِنْ أَمْرِ اللهْ   يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

أي: يَقْصِدُ قَصْدَها. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وفيها لُغتان: حَرْدٌ، وحَرَدٌ، كما يُقال: الدَّرْك، والدَّرَك.

وقوله: ﴿قَٰدِرِينَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قادِرِينَ على جَنَّتِهم عند أنفسِهم، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: قادِرِينَ على المساكين، قاله الشَّعْبِيُّ. **والثالث**: أنَّ المعنى: مَنَعوا وهم قادرون، أي: واجِدُون، قاله ابنُ قُتَيبَةَ، قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: قد ضللنا طريقَ جَنَّتِنا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمْنَا ثَمَرَ جَنَّتِنا بمَنْعِنا المساكين ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أعدلُهم، وأفضَلُهم ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: هَلاَّ تَسْتَثْنُون عند قولِكُم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ قاله ابنُ جُرَيجٍ والجمهور. والمعنى: هلاَّ قُلتُم: إنْ شاء الله. قال الزَّجَّاجُ: وإنما قيل للاستثناء: تسبيحٌ، لأنَّ التسبيحَ في اللغة: تنزيهُ الله عزَّ وجلَّ عن السُّوءِ. والاستثناء تعظيمٌ لله، وإقرارٌ بأنه لا يَقدِرُ أحدٌ أن يفعلَ فعلاً إلاَّ بمشيئة الله. **والثاني**: أنه كان استثناؤهم قول: «سُبحانَ الله» قاله أبو صالح. **والثالث**: هلاَّ تُسبِّحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثَّعلَبيُّ. وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ فنزَّهوه أنْ يكونَ ظالماً فيما صنعَ، وأقرُّوا على أنفسِهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بمَنْعِنا المساكينَ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يَلُومُ بعضُهم بعضاً في مَنْعِ المساكين حقوقهم. يقول هذا لهذا: أَنْتَ أَشَرْتَ علينا. ويقول الآخر: أنتَ فَعَلْتَ، ثم نادَوْا على أنفُسِهم بالويلِ، فقالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ حين لم نَصْنَعْ ما صنعَ آباؤنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أنْ يُبَدِّلَهُم خيراً منها، فذلك قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾. وقرأ قومٌ: «يبدلنا» بالتخفيف، وهما لُغتانِ. وفرَّقَ قومٌ بينهما، فقالوا: التبديل: تغييرُ حالِ الشيءِ وصِفَتِه والعينُ باقيةٌ. والإبدالُ: إزالةُ الشيءِ ووَضْعُ غيرِه مكانَهُ. ونُقِلَ أنَّ القومَ أخلصوا، فبدَّلَهُم الله جنَّةً العنقودُ منها وِقْرُ بَغْلٍ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ ما فعلنا بهم نفعل بمَنْ تعدَّى حُدودَنا. وهاهنا قصةُ أهلِ الجنَّةِ. ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذَكرَ ما للمُتَّقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنَّا لنُعطىٰ في الآخرة أفضلَ ممَّا يُعطَونَ، فقال تعالى مكذِّباً لهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذه ألفُ الاستفهام مَجازُها هاهنا مَجازُ التوبيخ والتقرير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تَقْضُون بالجَوْرِ، ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ أُنزِلَ مِن عند الله ﴿فِيهِ﴾ هذا ﴿تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون ما فيه ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: ما تختارون وتشتهون. وقرأ أبو الجَوزاءِ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وأبو عِمْرانَ: «أن لكم» بفتح الهمزة. وهذا تقريعٌ

(١) البيت للأشهب بن رميلة الذي كان يهاجي الفرزدق، كما في «الكامل» للمبرد ٤٣٨ و «الخزانة» ٢/٥٠٨.

(٢) وِقْرُ بغلٍ: حِمْل بغلٍ.

لهم، وتوبيخٌ على ما يتمنَّوْنَ مِنَ الباطل، ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أي: أَلَكُم عهودٌ على الله تعالى حَلَفَ لكم على ما تَدَّعون بأيمانٍ بالغةٍ، أي: مؤكَّدةٍ. وكلُّ شيءٍ مُتناهٍ في الجَودةِ والصحةِ فهو بالغٌ. ويجوز أنْ يكونَ المعنى: بالغةٍ إلى يوم القيامة، أي: تبلغ تلك الأيمانُ إلى يوم القيامة في لُزومِها وتوكيدِها ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسِكم به مِنَ الخير والكرامة عند الله تعالى. قال الفرَّاءُ: والقُرَّاءُ على رفع «بالغةٌ» إلاَّ الحسَنَ فإنه ينصبها على مذهب المصدر، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَقًّا﴾. ومعنى الآية: هل لكم أيمانٌ علينا بالغةٌ بأنَّ لكم ما تحكُمون؟! لمَّا كانت اللامُ في جواب «إن» كسرتَها.

قوله عز وجل: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الكَفيلُ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. والمعنى: أيُّهُمْ كَفِلَ بأنَّ لهم في الآخرة ما للمسلمين مِنَ الخير. **والثاني**: أنه الرسول، قاله الحسَنُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شُركاءَ لله تعالى، والمعنى: أَلَهُم أربابٌ يفعلون بهم هذا الذي زعموا. وقيل: يَشهدُون لهم بصِدقِ ما ادَّعُوا ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أنها شركاءُ لله. وإنما أُضيفَ الشرك إليهم لادِّعائِهم أنهم شركاءُ لله.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ﴾ المعنى: فَلْيأتُوا بها يومَ يُكشَفُ عن ساقٍ. قرأ الجمهور: «يُكْشَفُ» بضمِّ الياء، وفتحِ الشين. وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ، وأبو الجَوْزاءِ، بفتح الياء، وكسرِ الشين. وقرأ أُبيُّ بْنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ: «تَكْشِف» بتاءٍ مفتوحةٍ، وبكسرِ الشين. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو مِجْلَزٍ، وابنُ يَعمَرَ، والضَّحَّاكُ: «نَكشِف» بنونٍ مفتوحةٍ مع كسرِ الشين. وهذا اليوم هو يومُ القيامة. وقد رَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: يُكْشَفُ عن شِدَّةٍ، وأنشدوا:

وَقَـامَـتْ الـحَـرْبُ بِـنَـا عَـلَـى سَـاقْ

وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ.

قال ابنُ قُتَيبَةَ: وأصل هذا أنَّ الرجل إذا وقع في أمرٍ عظيمٍ يحتاج إلى مُعاناتِه والجدُّ فيه، شَمَّرَ عن ساقِه، فاستُعِيرت السَّاقُ في موضع الشدَّةِ، هذا قولُ الفَرَّاءِ؛ وأَبي عُبيدَةَ، واللغويين. وقد أُضِيفَ هذا الأمرُ إلى الله تعالى.

[١٤٨١] فرُوِيَ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي سعيدِ الخُدْرِي عن النبيِّ ﷺ أنه «يكشف عن

[١٤٨١] صحيح. أخرجه البخاري ٧٤٣٩ و ٤٩١٩ وابن حبان ٧٣٧٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٧٤٥ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢٢١ من حديث أبي سعيد. وأخرجه مسلم ١٨٣ من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم به مطوّلاً. وأخرجه أحمد ٣/ ١٦ ـ ١٧ من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن زيد بن أسلم به =

ساقه»، وهذا إضافةٌ إليه، لأنَّ الكلَّ له وفِعلُه. وقال أبو عمرَ الزَّاهدُ: السَّاقُ: يُراد بها النَّفسُ[1]، ومنه قولُ عليٍّ رضي الله عنه: أُقاتِلُهم ولو تَلِفَتْ ساقي، أي: نَفْسِي. فعلى هذا يكون المعنى: يتجلَّى لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني: المنافقين ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ كأنَّ في ظُهورهم سَفافِيدَ الحديدَ. قال النَّقَّاشُ: وليس ذلك بتكليفٍ لهم أنْ يسجدوا، وهم عَجَزَةٌ، ولكنه توبيخٌ لهم بتَرْكِهم السجودَ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: خاضعةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي: تَغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني: بالأذانِ في دارِ الدنيا، ويُؤمَرون بالصلاة المكتوبةِ ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي: مُعافَوْن ليس في أصلابِهم مثلُ سَفافِيدِ الحديدِ. وفي هذا وعيدٌ لِمَنْ تَرَكَ صلاةَ الجماعة. وكان كَعْبٌ يقول: واللهِ ما نزلت هذه الآيةُ إلاَّ في الذين يتخلَّفون عن الجماعاتِ ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن. والمعنى: خَلِّ بيني وبينَه. قال الزَّجَّاجُ: أي: لا تَشْغَلْ قلبكَ به، كِلْهُ إليَّ فأنا أكفيكَ أمرَهُ. وذكَرَ بعضُ المُفسِّرين أنَّ هذا القَدْرَ مِنَ الآيةِ إلى قولِه: «الحديث» منسوخٌ بآيةِ السيف. وما بعدَ هذا مُفسَّرٌ في الأعراف[2] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ فإنها مُفسَّرةٌ والتي تليها في الطُّوْر[3].

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبِرْ على أذاهم لقضاءِ ربِّكَ الذي هو آتٍ. وقيل: معنى الأمر بالصبر منسوخٌ بآيةِ السيف.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وهو يُونسُ. وفيمَاذا نُهِيَ أنْ يكونَ مِثلَه قولان: **أحدهما**: أنه العَجلَةُ، والغَضبُ، قاله قَتادةُ. **والثاني**: الضَّعفُ عن تبليغ الرِّسالة، قاله ابنُ جَرير. قال ابنُ الأنْباري: وهذا لا يُخْرِجُ يُونس مِنْ أُولي العَزم، لأنها خطيئةٌ. ولو قُلنا: إنَّ كلَّ مُخطِئٍ مِنَ الأنبياء ليس مِنْ أُولي العَزمِ، خرجوا كلُّهم إلاَّ يَحيى. ثم أخبرَ عن عقوبَتِه إذْ لم يَصْبِرْ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: مَملوءٌ غمّاً وكَرْباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لولا أن تَداركته» بتاءٍ خفيفةٍ، وبتاءٍ ساكنةٍ بعد الكاف مع تخفيفِ الدال. وقرأ أبو هُريرَة، وأبو المُتوكِّل: «تَدَّاركه» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مع تشديد الدال. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعب: «تتداركه» بتاءين خفيفتين ﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ فَرَحِمَهُ بها، وتاب عليه مِنْ معاصيه ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ وقد بَيَّنَّا معنى «العَراء» في الصَّافَّات[4]. ومعنى الآية: أنه نُبِذَ غيرَ مذموم لِنعمةِ الله عليه بالتَّوبة والرَّحمة. وقال ابنُ جُرَيج: نُبِذَ بالعَراءِ، وهي أرض المَحشرِ، فالمعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: استَخلصَهُ واصطَفاه، وخلَّصه

= مطوّلاً. وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٧٣ من طريق هشام بن سعد عن زيد به.

---

(١) هذه الأقوال جميعاً يردها الحديث الصحيح المتقدم، ولم يسق المصنف لفظه.
(٢) الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣. (٣) الطور: ٣٩ ـ ٤٠. (٤) الصافات: ١٤٥.

مِنَ الذَّمِّ ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فردَّ عليه الوحيُ، وشفَّعه في قومِه ونفسِه، قوله: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون بضمِّ الياء، مِنْ أزلقته، وقرأ أهلُ المدينة، وأبانُ بفتحها مِنْ زَلَقْتُه أزلِقُهُ، وهما لُغتان مشهورتان في العرب. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: زَلَقَ الرَّجُلُ رأسَه أزلَقَهُ: إذا حَلَقَهُ. وفي معنى الآية للمُفسِّرين قولان[1]:

[١٤٨٢] **أحدهما**: أنَّ الكفار قَصَدوا أنْ يَصيبوا رسولَ الله ﷺ بالعَيْنِ، وكان فيهم رجلٌ يمكثُ اليومين والثلاثةَ لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانبَ خِبائِه، فتمرُّ به النَّعمُ، فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسنَ مِنْ هذه، فما تذهب إلاَّ قليلاً حتى يسقطَ منها عِدَّةٌ، فسأل الكفَّارُ هذا الرجلَ أنْ يُصيبَ رسولَ الله ﷺ بالعَيْنِ، فعَصمَ اللهُ نبيَّه، وأنزلَ هذه الآيةَ، وهذا قولُ الكَلْبي، وتابعه قومٌ مِنَ المُفسِّرين تَلقَّفوا ذلك مِنْ تفسيره، منهم الفَرَّاءُ.

والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً سديداً يكاد يُزْلِقُه مِنْ شِدَّتِه، أي: يُلقيه إلى الأرض. وهذا مستعملٌ في كلام العرب. يقول القائلُ: نَظرَ إليَّ فلانٌ نظراً كاد يَصرَعُني. وأنشدوا:

يَتَقَارَضُون إذا التَقَوْا في مَوْطِنٍ ... نَظَراً يُزِيلُ مَواطِئَ الأَقْدَامِ

أي: ينظر بعضُهم إلى بعضٍ نظراً شديداً بالعداوة يكاد يُزيل الأقدامَ، وإلى هذا ذهب المُحقِّقون، منهم ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ. ويدلُّ على صحتِه أنَّ الله تعالى قَرَنَ هذا النظرَ بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ والقومُ كانوا يكرهون ذلك أَشَدَّ الكراهةِ، فيُحِدُّون النظرَ إليه بالبغضاء. وإصابةُ العينِ، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسانِ، لا مع البُغضِ فلا يُظَنُّ بالكَلْبي أنه فَهِمَ معنى الآية. قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة.

[١٤٨٢] عزاه المصنف للكلبي، وهو متهم بالكذب، فهذا خبر باطل، لا أصل له.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٤٨٢: وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله ـ عز وجل ـ. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ٢٢٢: أخبر الله بشدة عداوتهم للنبي ﷺ وأرادوا أن يصيبوه بالعين، فعصم الله نبيه ﷺ قال القشيري: وفي هذا نظر، لأن الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان والإعجاب لا مع الكراهية والبغض.
قلت: أقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرناه، وأن مرادهم بالنظر إليه قتله ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك، يقال: زلقه، يزلقه، أزلقه، إذا نحّاه وأبعده. فمعنى الكلمة إذاً التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حق النبي ﷺ إلا بهلاكه وموته.

سورة الحاقة

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

وهي مكيَّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝١٢﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾: القيامة. قال الفرَّاء: إنما قيلَ لها: حاقَّة، لأنَّ فيها حَواقَّ الأمورِ. وقال الزَّجَّاج: إنما سُمِّيت الحاقَّة، لأنها تَحُقُّ كلَّ إنسانٍ بعمله مِنْ خيرٍ وشرٍّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ هذا استفهامٌ، معناه التفخيم لِشأنِها، كما تقول: زيدٌ، ما زيدٌ؟ على التعظيم لِشأنِه. ثم زادَ في التهويل بأمرِها، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ أي: لأنكَ لم تُعاينها، ولم تدر ما فيها مِنَ الأهوال. ثم أخبرَ عن المُكذِّبين بها، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: القارِعَة: اسمٌ مِنْ أسماء يوم القيامة. قال مُقاتِلٌ: وإنما سُمِّيَتْ بالقارِعَة، لأنَّ الله تعالى يَقرَعُ أعداءَه بالعذاب. وقال ابنُ قُتَيبة: القارِعَة: القيامةُ لأنها تَقرَعُ، يُقال: أصابَتْهُم قوارِعُ الدَّهر. وقال الزَّجَّاجُ: لأنها تَقرَعُ بالأهوالِ. وقال غيرُهم: لأنها تَقرَعُ القلوبَ بالفَزَع.

فأما ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ ففيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها طُغيانُهم وكُفرهُم، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، وأبو عبيدة وابنُ قُتَيبة. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى الطَّاغية عند أهلِ اللغة: طُغيانُهم. و«فاعِلة» قد يأتي بمعنى المصادر، نحو عاقِبَة، وعافِيَة. **والثاني**: بالصَّيحَةِ الطَّاغيةِ، قاله قَتادَةُ. وذلك أنها جاوزت مِقدارَ الصِّياحِ، فأهلَكَتْهُم. **والثالث**: أنَّ الطَّاغية: عاقِرُ النَّاقةِ، قاله ابنُ زيدٍ. والرِّيح الصَّرصَرُ قد فَسَّرناها في حَمَ السَّجْدَة[1]. والعاتِية: التي جاوَزتِ المِقدارَ. وجاء في التفسير أنها عَتَتْ على خُزَّانِها يومَئِذٍ، فلم يكن لهم عليها سبيلٌ.

(١) فصلت: ١٦.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي أرسَلَها وسَلَّطها. والتَّسخِير: استعمالُ الشيء بالاقتدارِ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حُسُومٗاۖ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: تِباعاً، قاله ابنُ عباسٍ. قال الفَرَّاءُ: الحُسوم: التِّباعُ، يُقال في الشيءِ إذا تتابَعَ فلم ينقطِعْ أولُه عن آخرِه: حُسُومٌ. وإنما أُخِذَ ـ والله أعلَمُ ـ مِنْ حَسْمِ الدَّاءِ: إذا كُوِيَ صاحبُه، لأنه يُحمى ثم يُكوى، ثم يُتابع الكَيُّ عليه. **والثاني**: كاملةً، قاله الضَّحَّاكُ. فيكون المعنى: أنها حَسمَتِ الليالي والأيامَ فاستوفَتْها على الكمالِ، لأنها ظهرتْ مع طلوعِ الشمس، وذهبتْ مع غروبِها. قال مُقاتِلٌ: هاجَتِ الريحُ غُدْوَةً، وسَكَنَتْ بالعَشِيِّ في اليوم الثامنِ، وقُبِضَتْ أرواحُهم في ذلك اليوم، ثم بَعثَ الله طيراً أسودَ فالتَقَطَهُم حتى ألقاهُم في البحر. **والثالث**: أنها حسَمَتْهُم، فلم تُبْقِ منهم أحداً، أي: أذهبتهم وأفنَتْهم، هذا قولُ ابنِ زيدٍ، قال الزَّجَّاجُ: وهذا هو الذي تُوجِبُه اللغةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الليالي والأيام ﴿صَرۡعَىٰ﴾ وهو جمع صريع، لأنهم صرعوا بموتهم ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾ أي: أصولُ نَخْلٍ ﴿خَاوِيَةٖ﴾ أيَ: باليَة. وقد بيَّنَّا هذا في سُورَةِ القمر[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مِنْ بقاءٍ، قاله الفَرَّاءُ. **والثاني**: مِنْ بقيَّةٍ، قاله أبو عُبيدَةَ. قال: وهو مصدرٌ كالطَّاغِية. **والثالث**: هل ترى لهم مِنْ أثَرٍ؟ قاله ابنُ قُتَيبةَ، قوله: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمروٍ، ويعقوبُ، والكِسَائيُّ، وأَبانُ: بكسرِ القاف، وفتح الباء. والباقون: بفتح القاف، وإسكانِ الباء. فمَنْ كَسرَ القافَ أراد به: مَنْ يَليه ويَحفُّ به مِنْ جنوده وأتباعه. ومن فتحها أرادَ مَنْ كان قبلَه مِنَ الأُممِ الكافرةِ. وفي «المُؤتَفِكات» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُرى قوم لُوطٍ. والمعنى: وأهل المُؤتَفِكَاتِ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنهم الذين ائْتَفَكُوا بذُنوبهم، أي: هَلَكوا بالذُّنوب التي أعظمُها الإفكُ، وهو الكذبُ، قاله الزَّجَّاجُ. **والثالث**: أنه قارُونُ وقومُه، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: بالذنوب، وقال الزَّجَّاجُ: الخاطِئة: الخطأُ العظيمُ ﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: كذَّبوا رُسُلَهم ﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ أي: زائدةً على الأخذاتِ، قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ أي: تجاوزَ حدَّه حتى علا على كلِّ شيءٍ في زمنِ نُوحٍ ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾ يعني: حملنا آباءَكُم وأنتم في أصلابِهم ﴿فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ وهي: السفينة التي تجري في الماء ﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ أي: لِنجعلَ تلك الفَعْلَةَ التي فعلنا مِنْ إغراق قوم نُوحٍ، ونجاةِ مَنْ حملنا معه ﴿تَذۡكِرَةٗ﴾ أي: عِبرةً، ومَوعظةً ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ أي

---

(١) قال الزمخشري رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣: قوله تعالى: **﴿وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾**. والصرصر: الشديدة الصوت لها صرصرة. وقيل الباردة من الصرّ، كأنها التي كرر فيها البرد وكثر: فهي تحرق لشدة بردها **﴿عاتية﴾** شديدة العصف والعتو استعارة، أو عتت على عاد، فما قدروا على ردّها بحيلة، من استتار ببناء، أو لياذ بجبل، أو اختفاء في حفرة. فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم والحسوم لا يخلو من أن يكون حاسم كشهود وقعود أو مصدراً كالشكور والكفور، فإن كان جمعاً فمعنى قوله: **﴿حسوماً﴾** نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح: **ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء.** وتحسم حسوماً: تستأصل استئصالاً.

(٢) القمر: ٢٠.

أذنٌ واعيةٌ أي أُذنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتعمل به. وقال الفرَّاءُ: لِتَحفظَها كلُّ أُذنٍ، فتكون عِظَةً لِمَنْ يأتي بعده.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ
تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى
مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ
أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ
﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ
﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها النَّفخةُ الأولى، قاله عَطاءٌ. **والثاني**: الأخيرة، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: حُمِلَت الأرضُ والجبالُ وما فيها ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: كُسِرَتا، ودُقَّتا دقَّةً واحدةً، لا يثني عليها حتى تستوي بما عليها مِنْ شيءٍ، فتصيرَ كالأديم الممدودِ. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الأعْراف عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[1]. قال الفرَّاءُ: وإنما قال: فَدُكَّتا، ولم يَقُلْ: فَدُكِكْنَ، لأنه جعل الجبالَ كالشيءِ الواحدِ، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾[2] وأنشدوا:

هُمَا سَيِّدانَا يَزْعُمانِ وإنَّما ... يَسُودانِنا أنْ يَسَّرَتْ غَنَماهُما[3]

والعرب تقول: قد يَسَّرَتِ الغنمُ: إذا وَلَدَتْ، أو تهيَّأَتْ للولادةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامةُ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لِنزولِ مَنْ فيها مِنَ الملائكة ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنَّ وَهْيَها: ضَعْفُها وتمزُّقها مِنَ الخوف، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه تشقُّقها، قاله الفرَّاءُ ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة، فهو اسمُ جنسٍ ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي: على جوانبِها. قال الزَّجَّاجُ: ورَجاءُ كلِّ شيءٍ: ناحيتُه، مقصورٌ. والتثنية: رَجَوَانِ، والجمع: أرْجاء. وأكثر المُفسِّرين على أنَّ المُشارَ إليها السماءُ. قال الضَّحَّاكُ: إذا انشقَّتِ السماءُ كانت الملائكةُ على حافَّتِها حتى يأمُرَهم اللَّهُ تعالى، فينزلون إلى الأرض، فيُحيطونَ بها، ومَنْ عليها. ورُوِيَ عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنه قال: على أرجاءِ الدنيا.

قوله عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: فوق رؤوسِهم، أي: العَرشُ

---

(١) الأعراف: ١٤٣. (٢) الأنبياء: ٣٠.
(٣) البيت لأبي أسيدة الدبيري، كما في «اللسان» يسبر ـ.
(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٨٩: أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن =

على رؤوسِ الحَمَلَةِ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: فوقَ الذين على أرجائِها، أي: أنَّ حَملَةَ العرشِ فوق الملائكة الذين هم على أرجائِها. **والثالث**: أنهم فوقَ أهلِ القيامة، حكاهما المَاوَرديُّ، ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٞ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ثمانيةُ أملاكٍ.

[١٤٨٣] وجاء في الحديث أنهم اليومَ أربعةٌ، فإذا كان يومُ القيامة أَمَدَّهُم الله بأربعةِ أملاك آخرين، وهذا قولُ الجمهور.

والثاني: ثمانيةُ صفوفٍ مِنَ الملائكة لا يعلم عِدَّتَهم إلا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ. **والثالث**: ثمانيةُ أجزاء مِنَ الكرُوبيين لا يعلمُ عددَهُم إلا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، قاله مُقَاتِلٌ.

[١٤٨٤] وقد رَوىٰ أبو داودَ في «سُننه» مِنْ حديث جابرِ بنِ عبد الله عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ مِنْ ملائكة الله مِنْ حَمَلةِ العَرشِ، أنَّ ما بين شَحمَةِ أُذُنِه إلى عاتِقه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾ على الله لِحسابِكم ﴿لَا تَخۡفَىٰ﴾ عليه. قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ: «لا يخفى» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. والمعنى: لا يَخفى عليه ﴿مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ أي: نَفْسٌ خافيةٌ، أو فَعْلَةٌ خافيةٌ.

[١٤٨٥] وفي حديث أبي موسى عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يُعرَضُ الناسُ يومَ القيامة ثلاثَ عَرضاتٍ، فأمَّا عَرضتانِ فجِدالٌ، ومَعاذِيرُ، وأمَّا الثالثةُ، فعندها تتطايرُ الصُّحفُ في الأيدي، فآخِذٌ بيمينِه، وآخِذٌ بشمالِه، وكان عمرُ بنُ الخَطَّابِ يقول: حاسِبُوا أنفُسَكم قبلَ أنْ تُحاسَبُوا، وزِنُوها قبل أنْ تُوزَنُوا، وتَزَيَّنوا للعَرضِ الأكبر، يَومئذٍ لا تَخفى منكم خافيةٌ. قوله: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «هاؤم» أمرٌ للجماعة بمنزلة هاكُم. تقول للواحد: ها يا رجلُ، وللاثنين: هاؤُما يا رَجُلان. وللثلاثة: هاؤُم يا رِجالُ. قال المُفسِّرون: إنما يقول هذا ثِقةً بسلامته وسروراً بنَجاتِه. وذَكرَ مُقاتِلٌ أنها نزلت في أبي

[١٤٨٣] ضعيف. أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ١٤٨ والطبري ٣٤٧٩٣ من طريق محمد بن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ . . . فذكره. وهذا معضل. وأخرجه البيهقي في «البعث والنشور» ٦٦٩ والطبراني في «المطوّلات» ٣٦٠ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث الصور الطويل. وفي إسناده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف، قال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء اهـ.

[١٤٨٤] حسن. أخرجه أبو داود ٤٧٢٧ وابن طهمان في «مشيخته» ٢٣٨/ ٢ من حديث جابر، وإسناده حسن لأجل إبراهيم بن طهمان، فهو وإن روى له البخاري ومسلم، فقد تكلم فيه غير واحد. لكن لأصله شواهد. انظر «الصحيحة» ١٥١.

[١٤٨٥] ضعيف. أخرجه أحمد ٤/ ٤١٤ وابن ماجه ٤٢٧٧ والطبري ٣٤٧٩٥ عن الحسن عن أبي موسى، وإسناده ضعيف لانقطاعه بينهما، وأخرجه الترمذي ٢٤٢٥ عن الحسن عن أبي هريرة، وهذا منقطع أيضاً، الحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً. وورد عن قتادة مرسلاً. أخرجه الطبري ٣٤٧٩٧، وهذا ضعيف أيضاً، فإن عامة مراسيل قتادة إنما هي عن الحسن، فالحديث مداره على الحسن، ولم تتعدد مخارجه، فهو ضعيف والراجح فيه الوقف، والله أعلم. وقد أخرجه الطبري وغيره من قول ابن مسعود غير مرفوع، وهو أصح والله أعلم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٨٠ بتخريجنا.

= يكون المراد بهذا العرش، العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

سَلَمة بنِ عبدِ الأسدِ[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: علمتُ وأيقنتُ في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: أُبعَثُ، وأُحاسَبُ في الآخرة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ أي: في حالةٍ مِنَ العيش ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: فيها الرضى. وقال الزَّجَّاجُ: أي: ذاتُ رِضىً يرضاها مَنْ يعيش فيها. وقال أبو عُبيدَةَ: مَجازُها مجازُ مَرضِيَّة، قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عاليةِ المنازل ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ثِمارُها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبةٌ ممن يتناولها، وهي جمعُ قِطْفٍ. والقِطْفُ: ما يُقطَفُ مِنَ الثمار. قال البَراءُ بن عازبٍ: يتناول الرجلُ الثمرةَ وهو نائمٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا﴾ أي: يُقال لهم: كُلُوا ﴿وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قَدَّمتم مِنَ الأعمال الصالحةِ ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية، وهي أيامُ الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ قال مُقاتِلٌ: نزلت في الأسوَدِ بن عبدِ الأسَدِ، قتله حمزةُ ببدرٍ، وهو أخو أبي سَلَمةَ. وقيل: نزلت في أبي جهلٍ[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ وذلك لِمَا يرى فيه مِنَ القبائح ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ لأنه لا حاصلَ له في ذلك الحساب، إنما كلُّه عليه. وكان ابنُ مسعودٍ، وقَتادةُ، ويعقوبُ، يحذفون الهاء مِنْ «كتابيه»، و «حسابيه» في الوَصْلِ. قال الزَّجَّاجُ: والوجه أنْ يُوقفَ على هذه الهاءاتِ، ولا تُوصَل، لأنها أُدخِلت للوقفِ. وقد حذفها قومٌ في الأصل، ولا أُحِبُّ مخالفةَ المصحفِ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ يعني: المَوتةَ التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: القاطعة للحياة، فكأنه تمنَّى دوامَ الموت، وأنه لم يُبْعَثْ للحساب.

قوله ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: ضَلَّتْ عني حُجَّتي، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ. **والثاني**: زالَ عني مُلكي، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقول اللّهُ تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي: اجمَعُوا يدَهُ إلى عُنقِه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: أَدْخِلوه النَّارَ. وقال الزَّجَّاجُ: اجعَلوهُ يَصْلَى النَّارَ. قوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ وهي: حَلَقٌ منتظمةٌ ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ وقال ابنُ عباسٍ: بذراع المَلَكِ. وقال نَوْفٌ الشَّاميُّ: كلُّ ذِراع سبعون باعاً، الباعُ أبعدُ مما بينكَ وبينَ مكَّةَ، وكان في رَحبةِ الكُوفة. وقال سُفيانُ: كلُّ ذراع سبعون ذراعاً. وقال مُقاتِلٌ: ذَرْعُها سبعون ذِراعاً بالذِّراع الأولِ. ويُقال: إنَّ جميع أهل النار في تلك السِّلْسِلةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أَدْخِلُوه. قال الفرَّاءُ: وذَكرَ أنها تدخل في دُبرِ الكافر فتخرج مِنْ رأسه، فذلك سَلْكُه فيها. والمعنى: ثم اسلُكوا فيه السِّلسلةَ، ولكنَّ العرب تقول: أدخلتُ رأسي في القَلَنسُوة، وأَدخلتُها في رأسي. ويُقال: الخاتمُ لا يدخل في يدي، وإنما اليدُ تدخلُ في الخاتمِ، وإنما استَجازوا ذلك، لأن معناه معروفٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أي: لا يُصدِّقُ بوحدانيته وعظمتِه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

---

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، ليس بشيء.
(٢) الصحيح عموم الآية في كل من يؤتى كتابه بشماله.
(٣) القارعة: ١٠.

﴿الْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يُطعِمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: قريبٌ ينفعه، أي: يشفعُ له ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ في ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه صَدِيدُ أهلِ النَّارِ، قاله ابنُ عباسٍ. قال مُقاتِلٌ: إذا سالَ القَيْحُ، والدَّمُ، بادَروا أكلَهُ قبلَ أنْ تأكلَهُ النار. **والثاني**: شجرٌ يأكله أهلُ النار، قاله الضَّحَّاكُ، والرَّبيعُ. **والثالث**: أنه غُسَالَةُ أجوافِهم، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وهو «فِعْلِين» من «غسلت» كأنه غُسالَةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ «لا» رَدٌّ لكلام المشركين، كأنه قيلَ: ليس الأمرُ كما يقول المشركون ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقال قومٌ: «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ والمعنى: أُقسِمُ بما تَرونَ، وما لا تَرونَ، فأراد جميعَ الموجوداتِ. وقيل: الأجسام والأرواح ﴿إِنَّهُ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: محمَّدٌ ﷺ، قاله الأكثرون. **والثاني**: جبريلُ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. قال ابنُ قُتَيبةَ: لم يُرِدْ أنه قولُ الرَّسولِ، وإنما أراد أنه قولُ الرَّسولِ عن اللَّهِ تعالى، وفي الرَّسولِ ما يدلُّ على ذلك، فاكتفى به مِنْ أنْ يقولَ عن الله، قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ: «يؤمنون» و «يَذَّكَّرون» بالياء فيهما. قال الزَّجَّاجُ: «ما» مؤكِّدةٌ، وهي لَغْوٌ في باب الإعرابِ. والمعنى: قليلاً تُؤمنون. وقال غيرُه: أراد نفيَ إيمانِهم أصلاً. وقد بيَّنَّا معنى «الكاهن» في الطُّور[1] قال الزَّجَّاجُ: وقوله عزَّ وجلَّ: «تنزيل» مرفوعٌ بـ «هو» مضمَرةٍ يدل عليها قولُه عزَّ وجلَّ: «وما هو بقول شاعر» هو تنزيلٌ.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي: لو تكلَّفَ محمَّدٌ أنْ يقولَ علينا ما لم نَقُلْهُ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: لأخذناه بالقوةِ والقُدرةِ، قاله الفَرَّاءُ، والمُبَرِّدُ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: إنما أقام اليمينَ مقامَ القوةِ، لأنَّ قوةَ كلِّ شيءٍ في مَيامِنِهِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وهو عِرقٌ يجري في الظَّهرِ حتى يتَّصلَ بالقلب، فإذا انقطعَ بَطلَتْ القُوى، ومات صاحبُه. قال أبو عُبيدَةَ: الوَتِينُ: نِياطُ القلب، وأنشد الشَّمَّاخُ:

إذا بَلَّغْتِني وحَمَلْتِ رَحْلي ... عَرابَةَ فاشْرَقي بِدَمِ الوَتِينِ

وقال الزَّجَّاجُ: الوَتِينُ: عِرقٌ أبيضُ غليظٌ كأنه قَصَبةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ أي: ليس منكم أحدٌ يَحجزُنا عنه، وإنما قال تعالى: ﴿حَاجِزِينَ﴾ لأنَّ أحداً يقعُ على الجمع، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[2]،

---

(١) الطور: ٢٩. (٢) البقرة: ٢٨٥.

هذا قولُ الفرَّاءِ، وأبي عُبيدَةَ، والزَّجّاجِ. ومعنى الكلام: لا يَتكلَّفُ الكذبَ لأجلِكُم مع علمِه أنه لو تكلَّفَ ذلك لَعَاقبناهُ، ثم لم يَقدِرْ على دفعِ عقوبَتِنا عنه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في يومِ القيامة. يندمون إذا لم يُؤمنوا به ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافةٌ إلى نَفْسِه لاختلافِ اللفظين، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[1]. وقال الزَّجّاجُ: المعنى: وإنه لَلْيَقينُ حقَّ اليقينِ، وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعدَها في الواقِعة[2].

(١) يوسف: ١٠٩.

(٢) الواقعة: ٩٥ ـ ٩٦.

سورة المعارج

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

ويُقال لها: سُورَةُ سأَلَ سائِلٌ، ويُقال لها: سُورَةُ الواقِع. وهي مكِّيَّةٌ كلُّها بإِجماعِهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (١) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ (٣) تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ (٤) فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا (٦) وَنَرَىٰهُ
قَرِيبٗا (٧) يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ (٨) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ (٩) وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمۡۚ
يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (١٣) وَمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ (١٨)﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾، قال المُفسِّرون:

[١٤٨٦] نزلت في النَّضْرِ بنِ الحارثِ حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(١)، وهذا مذهبُ الجمهور، منهم ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: هو أبو جَهلٍ. قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «سال» بغيرِ همزٍ. والباقون: بالهمز. فمَنْ قرأ: «سأل» بالهمزِ ففيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: دَعَا دَاعٍ على نفسه بعذابٍ واقعٍ. **والثاني**: سأل سائلٌ عن عذابٍ واقعٍ لِمَنْ هو؟ وعلى مَنْ يَنْزِلُ؟ ومتى يكونُ؟ وذلك على سبيلِ الاستهزاء، فتكون الباءُ بمعنى «عن»، وأنشدوا:

فَإِنْ تَسْأَلُوني بِالنِّساءِ فَإِنَّني ... خَبِيرٌ بِأَدْواءِ النِّساءِ طَبِيبُ(٢)

[١٤٨٦] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٤٠ عن ابن عباس وإسناده على شرط البخاري، فيه المنهال صدوق ربما وهم وقد أخرجه له البخاري. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٢ عن الأعمش عن سعيد بن جبير قوله، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورمز له الذهبي في «التلخيص» أنه على شرط البخاري وزاد السيوطي نسبته في «الدر» ٦/ ٤١٥ للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس. وتقدم في الأنفال.

---

(١) الأنفال: ٣٢.
(٢) البيت لعلقمة بن عبدة، وهو في ديوانه ١١ و «أدب الكاتب» ٥٠٥.

والثالث: سألَ سائلٌ عذاباً واقِعاً، والباءُ زائدةٌ.

ومَنْ قرأ بلا همزٍ ففيه قولان: **أحدهما**: أنه مِنَ السؤال أيضاً، وإنما لَيَّنَ الهمزةَ، يُقال: سأل، وسال، وأنشد الفَرَّاءُ:

تَعَالَوْا فَسَالُوا يَعْلَمِ النَّاسُ أيُّنَا لِصَاحِبِهِ فِي أوَّلِ الدَّهْرِ نَافِعُ

والثاني: المعنى: سالَ وادٍ في جهنَّمَ بالعذابِ للكافرين، وهذا قولُ زيدِ بنِ ثابتٍ، وزيدِ بنِ أَسْلَمَ، وابنِهِ عبدِ الرَّحمنِ. وكان ابنُ عباسٍ في آخرين يقرؤون «سَالَ سَيْلٌ» بفتحِ السين، وسكونِ الياء مِنْ غير أَلِفٍ ولا همزٍ. وإذا قُلنا: إنه مِنَ السؤال، فقوله عزَّ وجلَّ: «للكافرين» جوابٌ للسؤال، كأنه لمَّا سأل: لِمَنْ هذا العذابُ؟ قيل: للكافرين. والواقع: الكائِنُ. والمعنى: أنَّ العذابَ الذي سأله هذا الكافرُ كائِنٌ لا مَحالةَ في الآخرة ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ذلك العذابُ واقعٌ مِنَ الله للكافرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنها السَّمواتُ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هي مَعارِجُ الملائكة. قال ابنُ قُتَيبة: وأصل «المَعارِج» الدَّرَج، وهي مِنْ عَرَجَ: إذا صَعِدَ. قال الفَرَّاءُ: لمَّا كانت الملائكةُ تَعْرُجُ إليه، وَصَفَ نَفْسَه بذلك. قال الخَطَّابيُّ: المَعارِج: الدَّرَجُ، واحدُها: مَعْرَجٌ، وهو المَصْعَدُ، فهو الذي يُصْعَدُ إليه بأعمالِ العباد، وبأرواحِ المؤمنين. فالمَعارِجُ: الطَّرائِقُ أي يُصْعَدُ فيها. **والثاني**: أنَّ المَعارِجَ: الفَوَاضِلُ والنِّعمُ، قاله قَتادةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قرأ الكِسائيُّ: «يَعْرُج» بالياء. والرُّوحُ وفي «الرُّوح» قولان: **أحدهما**: أنه جِبريلُ، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنه رُوحُ الميِّتِ حين تُقْبَضُ، قاله قَبيصَةُ بنُ ذُؤَيْبٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله تعالى ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه يومُ القيامة، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وقَتادةُ، والقُرَظيُّ، وهذا هو مقدارُ يوم القيامة مِنْ وقت البَعثِ إلى أنْ يفصلَ بين الخَلْقِ.

[١٤٨٧] وفي الحديث: «إنه لَيُخفَّفُ على المؤمِنِ حتى يكونَ أَخفَّ عليه مِنْ صلاةٍ مكتوبةٍ». وقيلَ: بل لو وَلِيَ حسابَ الخَلْقِ سِوى الله عزَّ وجلَّ لم يَفرُغْ منه في خمسين ألفِ سنةٍ، والحقُّ يَفرُغُ منه في ساعةٍ مِنْ نهارٍ. وقال عَطاءٌ: يَفرغُ اللهُ مِنْ حساب الخَلْقِ في مقدارِ نصفِ يوم مِنْ أيام الدنيا. فعَلَى هذا يكون المعنى: ليس له دافعٌ مِنَ الله في يوم كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ. وَقيل: المعنى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ في يوم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. فعَلَى هذا يكون في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ.

والثاني: أنه مِقدارُ صعودِ الملائكة مِنْ أسفل الأرض إلى العَرشِ لو صَعِدَهُ غيرُهم قَطَعَهُ في

[١٤٨٧] حسن بشاهده ورد من حديث أبي سعيد. أخرجه أحمد ٣/ ٧٥ وأبو يعلى ١٣٩٠ من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج به وإسناده ضعيف، ابن لهيعة ودراج ضعيفان. وأخرجه الطبري ٣٤٨٦٧ وابن حبان ٧٣٣٤ من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن درّاج به، وقد توبع ابن لهيعة ههنا فانحصرت العلة في دراج. وله شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه ابن حبان ٧٣٣٣ وأبو يعلى ٦٠٢٥ وإسناده على شرط البخاري ومسلم، وهو صحيح إن كان سمعه يحيى بن أبي كثير من أبي سلمة، فهو وإن روى عنه، فإنه كثير الإرسال أيضاً، وبكل حال الحديث حسن.

خمسينَ ألفَ سنةٍ، وهذا معنى قولِ مُجاهِدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ أي: اصبِرْ على تكذيبِهم إيَّاكَ ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ لا جزَعَ فيه، وهذا قبل أنْ يُؤمَر بقتالِهم، ثم نُسِخَ بآية السيف، ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ يعني: العذاب ﴿بَعِيدٗا﴾ غيرَ كائنٍ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ كائناً، لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ. ثم أخبرَ متى يكون فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ وقد شرحناه في الكهف[1] ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ﴾ أي: كالصُّوفِ، فَشَبَّهها في ضَعْفِها ولِينِها بالصُّوف. وقيل: شبَّهها به في خِفَّتِها وسَيْرِها، لأنه قد نُقِلَ أنها تسير على صُوَرِها، وهي كالهَباءِ. قال الزَّجَّاج: «العِهْنُ» الصُّوف. واحدتُه: عِهْنَةٌ، ويُقال: عُهْنَةٌ، وعُهْنٌ، مثل: صُوفَةٍ، وصُوفٍ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «العِهْنُ» الصُّوفُ المَصبوغُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠﴾ قرأ الأكثرون: «يسأل» بفتح الياء. والمعنى: لا يسأل قريبٌ عن قرابَتِه، لاشتغالِه بنَفْسِه. وقال مُقاتِلٌ: لا يسأل الرجلُ عن قرابَتِه، ولا يُكلِّمه مِنْ شدَّةِ الأهوال. وقرأ مُعاوِيَةُ، وأبو رَزِينٍ، والحسَنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو جعفرَ بضمِّ الياء. والمعنى: لا يُقال للحميم: أينَ حَمِيمُكَ؟

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ أي: يُعرَّفُ الحميمُ حَمِيمَه حتى يَعْرِفَه، وهو مع ذلك لا يسألُ عن شأنِه، ولا يُكلِّمُه اشتِغالاً بنَفْسِه. يقال: بَصَّرْتُ زيداً كذا: إذا عَرَّفْتَهُ إيَّاه. قال ابنُ قُتَيبةَ: معنى الآية: لا يَسأَلُ ذُو قرابةٍ عن قرابَتِه، ولكنهم يُبَصَّرُونَهم، أي: يُعَرَّفُونَهم. وقرأ قَتادَةُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ «يُبْصِرُونَهم» بإسكانِ الباء، وتخفيفِ الصاد، وكسرِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ﴾ يعني: يتمنَّى المشركُ لو قُبِلَ منه هذا الفِداءُ ﴿يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وهي الزَّوجةُ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: عشيرتِه. وقال الزَّجَّاجُ: هي أدنى قبيلَتِه منه. ومعنى ﴿تُـٔۡوِيهِ﴾ تَضُمُّه، فيَودُّ أنْ يفتديَ بهذه المذكوراتِ ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ مِن ذلك الفِداءِ ﴿كَلَّآ﴾ لا يُنجيه ذلك ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ قال الفَرَّاءُ هو اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ فلذلك لم يجرِ لها ذكر[2]، وقال غيره: معناها في اللغة: اللهَبُ الخالصُ، وقال ابنُ الأنباري: سُمِّيَتْ لَظَى لشدةِ تَوَقُّدِها وتلهُّبِها، يقال: هو يتلظَّى، أي: يتلهَّب ويتوقَّد. وكذلك النارُ تتلظَّى يُراد به هذا المعنى. وأنشدوا:

جَـحِـيـمـاً تَـلَـظَّـى لا تَـفـتَّـرُ سَـاعَـةً ... وَلاَ الـحَـرُّ مِـنْـهـا غـابِـرَ الـدَّهْـرِ يَـبْـرُدُ

﴿نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ الجمهور «نَزَّاعةٌ للشوى» بالرفع على معنى: هي نزَّاعةٌ. وقرأ عمرُ بنُ الخطَّابِ، وأبو رَزِينٍ، وابن عبدِ الرَّحمن، ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وحَفْصٌ عن عاصِم «نزَّاعةً» بالنصب. قال الزَّجَّاجُ: وهذا على أنها حالٌ مؤكِّدةٌ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾[3] ويجوز أنْ ينصبَ على معنى «إنها تتلظى نزاعة». وفي المراد بـ الشَّوى أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: جِلدةُ الرأس، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: مَحاسنُ الوجهِ، قاله الحسَنُ، وأبو العاليةِ. **والثالث**: العَصَبُ، والعَقِبُ، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: **الأطرافُ**: اليَدانِ، والرِّجلانِ، والرأسُ، قاله الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الحق. قال المُفسِّرون: تقول: إليّ يا

(١) الكهف: ٢٩.
(٢) فاطر: ٣١.

مُشرك، إليَّ يا منافقُ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي جَمعَ المالَ في وِعاءٍ فلم يُؤدِّ منه زكاةً، ولم يَصِلْ منه رَحِماً.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال مُقاتِلٌ: عَنى به أُميَّةَ بنَ خَلَفٍ الجُمَحي[1]. وفي الهَلُوعِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الموصوفُ بما يلي هذه الآيةَ، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو عُبيدَةَ، والزَّجّاجُ. **والثاني**: أنه الحريصُ على ما لا يَحِلُّ له، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: البخيلُ، قاله الحسَنُ، والضَّحّاكُ. **والرابع**: الشَّحيحُ، قاله ابنُ جُبيرٍ. **والخامس**: الشَّرِهُ، قاله مُجاهِدٌ. **والسادس**: الضَّجُورُ، قاله عِكرِمَةُ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والفَرّاءُ. **والسابع**: الشديدُ الجَزَعِ، قاله ابنُ قُتيبَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: إذا أصابه الفقرُ ﴿جَزُوعًا﴾ لا يصبرُ، ولا يحتَسِبُ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ أصابه المالُ ﴿مَنُوعًا﴾ يمنَعُه مِنْ حقِّ الله ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وهم أهلُ الإيمان بالله. وإنما استثنى الجمعَ مِنَ الإنسان، لأنه اسمُ جنسٍ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ وفيهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين يُحافظون على المكتوباتِ، وهو معنى قولِ ابنِ مسعودٍ. **والثاني**: أنهم لا يلتَفِتون عن أيمانِهم وشمائِلهم في الصلاة، قاله عُقبَةُ بنُ عامرٍ، واختاره الزَّجّاجُ. قال: ويكون اشتقاقُه مِنَ الدائم، وهو السّاكنُ، كما جاء في الحديث أنه:

---

(١) الصحيح عموم الآية، ولفظ «آل» في «الإنسان» لاستغراق الجنس. وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٨/ ٢٥١: قوله تعالى: **﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾** يعني الكافر، عن الضحاك، والهلع في اللغة: أشد الحرص، وأسوأ الجزع وأفحشه والمعنى: أنه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. وقال ﷺ: «شرّ ما أعطي العبد شحٌّ هالع وجبن خالع» اهـ. قلت: حسن. أخرجه أبو داود ٢٥١١ والبخاري في «التاريخ» ٦/ ٨ ـ ٩ وابن حبان ٣٢٥٠ وأبو نعيم ٩/ ٥٠ وأحمد ٢/ ٣٠٢ و ٣٢٠ من حديث أبي هريرة وإسناده حسن فيه عبد العزيز بن مروان، وهو صدوق، والحديث جوّده العراقي في «الإحياء» ٣/ ٢٥٣.

[١٤٨٨] نَهى عن البَولِ في الماء الدَّائم.

والثالث: أنهم الذين يُكثِرون فعلَ التَّطوع، قاله ابنُ جُبَيرٍ. ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ قد سبق شرحُ هذه الآية والتي بعدَها في الذَّاريات(١) وبيَّنَّا معنى «يوم الدين» في «الفاتحة». وما بعد هذا قد شرحناه في المؤمنين(٢) إلى قوله عزَّ وجلَّ: «لأماناتِهم» قرأ ابنُ كَثيرٍ وحدَهُ: «لأمانتهم» ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِم: «بشهادتهم» على التوحيد. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ: «بشهاداتهم» جمعاً، ﴿قَآئِمُونَ﴾ أي: يُقيمون فيها بالحقِّ ولا يَكتُمونها، ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾.

[١٤٨٩] نزلت في جماعةٍ مِنَ الكفَّارِ جلسوا حولَ رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويُكذِّبون به. قال الزَّجَّاجُ: والمُهطِعُ: المُقبِلُ ببَصَرِه على الشيء لا يُزايِلُه، وكانوا ينظرون إلى النبيِّ نظرةَ عداوةٍ. وقد سبق الخِلافُ في قوله تعالى: ﴿مُهۡطِعِينَ﴾(٣).

قوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾. قال الفَرَّاءُ: العِزُون: الحِلَقُ، الخَلْقُ الجماعاتُ، واحدتها: عِزَةٌ.

[١٤٩٠] وكانوا يجتمعون حول النبيِّ ﷺ يقولون: لَئِنْ دخل هؤلاءِ الجنَّةَ، كما يقول محمَّدٌ، فَلَنَدْخُلَنَّها قبلَهم، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، وطَلحةُ بنُ مُصَرِّفٍ، والأعمَشُ، والمُفضَّلُ عن عاصِمٍ «أن يَدْخُلَ» بفتحِ الياء، وضمِّ الخاء. وقال أبو عُبيدَةَ: عِزِين جمعُ عِزَةٍ، مثل ثُبَة، وثُبِين، فهي جماعاتٌ في تفرقةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مِنْ نُطفةٍ، ثم مِنْ عَلَقةٍ، ثم مِنْ مُضغةٍ، فالمعنى: لا يستوجبُ الجنَّةَ أحدٌ بما يَدَّعيه مِنَ الشَّرفِ على غيرِه، إذِ الأصلُ واحدٌ، وإنما يستوجبها بالطاعة.

والثاني: إنَّا خلقناهم مِنْ أقذارٍ. فبِما يستحقُّون الجنَّةَ ولم يؤمنوا؟!

[١٤٩١] وقد رَوى بِشْرُ بن جَحَّاشٍ عن النبيِّ ﷺ «أنه تلا هذه الآية ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ثم

[١٤٨٨] صحيح. أخرجه البخاري ٢٣٩ ومسلم ٢٨٢ وأبو داود ٦٩ والترمذي ٦٨ والنسائي ١/ ٤٩ وأحمد ٢/ ٣٤٦ من حديث أبي هريرة. وانظر «فتح القدير» ١/ ٨٣ للكمال ابن الهمام بتخريجي.

[١٤٨٩] انظر الحديث الآتي.

[١٤٩٠] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٠ بدون سند، ولم يعزه لأحد إنما ذكره نقلاً عن المفسرين، فهو واهٍ، ليس بشيء.

[١٤٩١] ضعيف، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٣٤٧٣ عن جعفر بن محمد الفريابي ثنا صفوان ثنا الوليد بن مسلم، ثنا جرير بن عثمان الرحبي عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال: «قال النبي ﷺ وبصق يوماً. . . فذكره» رجاله ثقات سوى عبد الرحمن بن ميسرة، فقد وثقه العجلي وابن حبان على قاعدتهما في توثيق المجاهيل، وقال علي المديني: مجهول، والقول قول ابن المديني، فإنه إمام هذا الشأن. قلت: ولفظ «بصق في كفه» غريب، بل هو منكر، وراويه لا يحتمل التفرد بمثل هذا. وأخرجه ابن ماجه =

---

(١) الذاريات: ١٩. (٢) المؤمنون: ٧ ـ ٨. (٣) إبراهيم: ٤٣، والقمر: ٨.

بَزَقَ، وقال: يقولُ الله عزَّ وجلَّ: أنَّى تُعجِزُني، وقد خَلَقْتُكَ مِنْ مثلِ هذه؟! حتى إذا سَوَّيتُكَ، وعَدَّلتُكَ، مَشَيْتَ بين بُرْدَيْنِ، وللأرضِ منكَ وَئِيدٌ، فجَمَعت، ومَنَعتَ، حتى إذا بَلَغتَ التَّراقِي قلتَ: أَتَصدَّقُ، وأَنَّى أوانُ الصَّدَقَةِ؟!».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ قد تكلَّمنا عليه في الحَاقَّة[1] والمراد بالمَشارِقِ، والمَغارِب: مَشِرقُ كلِّ يوم ومَغرِبُه، ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: نَخلُقَ أَمْثَلَ منهم، وأَطْوَعَ للَّهِ حينَ عَصَوْا ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ مفسَّرٌ في الواقعة[2] ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ أي: يلهوا في دُنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾ وقرأ ابنُ مُحيصِنٍ «يَلْقَوْا يومَهم الذي يوعدون» وهو يومُ القيامة. وهذا لفظُ أمرٍ، معناه الوعيدُ. وذَكرَ المُفسِّرون أنه مَنسُوخٌ بآية السيف. وإذا قلنا: إنه وَعيدٌ بلقاءِ يومِ القيامة، فلا وَجْهَ للنَّسخِ، ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾ أي: يَخرجون بسرعةٍ كأنهم يَسْتَبِقُون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ بضمِّ النون والصاد. قال ابنُ جَريرٍ: وهو واحدُ الأنصابِ، وهي آلهتُهم التي كانوا يَعبُدونَها. فعَلى هَذا يكون المعنى: كأنهم إلى آلهتِهم التي كانوا يَعبُدونها يُسرِعون. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ بفتحِ النون وسكونِ الصاد، وهي في معنى القراءةِ الأولى، إلاَّ أنه مصدرٌ. كقولِ القائل: نَصَبتُ الشيءَ أَنصِبُه نَصْباً. قال قَتادَةُ: معناه: كأنهم إلى شيءٍ منصوبٍ يُسرِعون. وقال ابنُ جَريرٍ: تأويله: كأنهم إلى صَنَمٍ منصوبٍ يُسْرِعُون. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو مِجْلَزٍ، والنَّخَعيُّ «نُصْب» برفعِ النونِ، وإسكانِ الصاد. وقرأ الحسَنُ، وأبو عُثمانَ النَّهديُّ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ «إلى نَصَبٍ» بفتحِ النونِ والصاد جميعاً. قال ابنُ قُتَيبَةَ: النُّصُب: حجرٌ يُنْصَبُ أو صَنَمٌ، يقال: نَصْب، ونُصْب، ونُصُب. وقال الفَرَّاءُ: النَّصْبُ والنُّصُبُ واحدٌ، وهو مصدر، والجمع: الأنصابِ. وقال الزَّجَّاجُ: النَّصْبُ، والنُّصُبُ: العَلَمُ المَنصُوبُ. قال الفَرَّاءُ: والإِيفَاضُ: الإِسرَاعُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ قرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزَاءِ، وعمرُو بنُ دِينارٍ «ذلَّة ذلك اليوم» بغيرِ تنوينٍ، وبخَفضِ الميم. وباقي السُّورَةِ قد تقدَّمَ بيانُه[3].

= ٢٧٠٧ وأحمد ٤/ ٢١٠ والطبراني ١١٩٣ من طرق عن حريز بن عثمان به. وأخرجه الطبراني ١١٩٤ من طريق ثور بن يزيد الرحبي عن عبد الرحمن بن ميسرة به. وقال البوصيري في «الزوائد» إسناده صحيح؟! واضطرب الألباني فحسن إسناده في «الصحيحة» ١٠٩٩ في حين صححه برقم ١١٤٣؟!! ومما تمسك به الألباني قول أبي داود: شيوخ حريز كلهم ثقات، وفيما قاله نظر، فابن المديني نص على الرجل بعينه في حين عبارة أبي داود عامة، على أن علي المديني أثبت وأعلم في الرجال من أبي داود، وقاعدة أبي داود فيها نظر، فإن شعبة أثبت من حريز، وهو مع تعنته في الرجال روى عن ضعفاء ومثل هذا كثير.

---

(١) الحاقة: ٣٨. (٢) الواقعة: ٦٠. (٣) المعارج: ٤٢.

سورة نوح

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأنْ أنذِرْ قومكَ. و«العذابُ الأليم»: الغَرَقَ.

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وعليُّ بنُ نَصرٍ عن أبي عمرٍو «أنُ اعبدوا الله» بضمِّ النون. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، وعبدُ الوارثِ عن أبي عمرٍو «أنِ اعبدوا الله»، بكسرِ النون. قال أبو عليٍّ: مَنْ ضَمَّ كَرِهَ الكسرةَ قبلَ الضمَّةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ أثبتَ الياءَ في الحالين يعقوبُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «مِن» ها هنا صِلةٌ. والمعنى: يغفر لكم ذُنوبَكُم، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. وقال الزَّجَّاجُ: إنما دخلتْ «من» ها هنا لِتَختصَّ الذنوبَ مِنْ سائرِ الأشياء. ولم تدخلْ لِتبعيضِ الذنوبِ، ومثله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[1] وذهب بعضُ أهلِ المعاني إلى أنها للتبعيضِ. والمعنى يغفرْ لكم مِنْ ذُنوبِكُم إلى وقتِ الإيمان ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ أي: عن العذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو مُنتهى آجالِهم. والمعنى: فتَمُوتوا عند مُنتهى آجالِكم غيرَ مِيتَةِ المُعذَّبين ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنه أَجَلُ الموت، قاله مُجاهِدٌ. فيكون المعنى: إنَّ أَجَلَ اللهِ الذي أَجَّلَكُم إليه لا يُؤَخَّرُ إذا جاء، فلا يُمكِنُكم حِينَئذٍ الإِيمانُ. **والثاني**: أنه أَجَلُ البَعثِ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أَجَلُ

---

(١) الحج: ٣٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٠١: **﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾** أي: يمدّ في أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذي إن لم تنزجروا عما نهاكم عنه أوقعه بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول: إن الطاعة والبر وصلة الرحم يزاد بها في العمر حقيقة، كما ورد به الحديث: «صلة الرحم تزيد في العمر» وقوله: **﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾** أي بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، فإنه إذا أمرَ الله تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع، فإنه العظيم الذي قهر كل شيء، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات.

العذابِ، قاله السُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا﴾ أي: تباعداً مِنَ الإيمان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لِئلاً يسمعوا صوتي ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ أي: غطَّوا بها وجوهَهم لِئلاً يَرَوْني ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ على كُفرِهم ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بك واتِّباعي ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: أعلنتُ لهم بالدُّعاء. قال ابنُ عباس: بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ أي: كرَّرتُ الدعاءَ مُعلِناً ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: يريد أُكلِّمُ الرجلَ بعد الرجلِ. في السِّرِّ، وأدعُوه إلى توحيدك وعبادتكَ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ قال المُفسِّرون[1]: مَنَعَ الله عنهم القَطْرَ، وأعقَمَ أرحامَ نسائهم أربعين سنةً، فقال لهم نُوحٌ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشرك، أي: استَدْعُوا مغفرتَهُ بالتوحيد ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ قد شرحناه في أوَّلِ الأنعام[2] ومعنى الكلام أنه أخبرهم أنَّ الإيمان يجمع لهم خيرَ الدنيا والآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لا تَرَوْنَ لله عَظمةً، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: لا تخافون لله عَظمةً، قاله الفرَّاءُ وابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: لا تَرَوْن لله طاعةً، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: لا ترْجون عاقبةَ الإيمان والتوحيد، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: وقد جعل لكم في أنفسِكم آيةً تدل على توحيده مِنْ خلقه إيَّاكم مِنْ نُطفةٍ، ثم مِنْ عَلقةٍ شيئاً بعدَ شيءٍ إلى آخر الخَلْقِ. قال ابنُ الأنباري: الطَّوْر: الحال، وجمعه: أطْوار. وقال ابنُ فارسٍ: الطَّوْر: التارةُ، طَوراً بعد طَورٍ، أي: تارةً بعد تارةٍ. وقيل: أراد بالأطْوارِ: اختلافَ

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٠١: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾** أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب عليه. ولو كانت ذنوبه مهما كانت في الكفر والشرك، ولهذا قال: **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾** أي متواصلة الأمطار. ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء، لأجل هذه الآية. وهذا مقام الدعوة بالترغيب.

(٢) الأنعام: ٦.

المناظر والأخلاق، مِنْ طويلٍ، وقصيرٍ، وغيرِ ذلك، ثم قرَّرهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «طباقٍ» بتنوينِ القاف، وكسرِها مِنْ غيرِ ألفٍ. وقد بيَّنَّا هذا في سُورَةِ المُلْك(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ فيه قولان(٢): **أحدهما**: أن وَجهَ القمر قِبَل السمواتِ، وظهرَه قِبَلَ الأرض، يُضيءُ لأهل السمواتِ، كما يُضيءُ لأهلِ الأرض، وكذلك الشمسُ، هذا قولُ عبدِ الله بنِ عمرَ. **والثاني**: أنَّ القمرَ في السماء الدنيا. وإنما قيلَ: «فيهن» لأنهنَّ كالشيءِ الواحدِ، ذكره الأخفشُ والزَّجَّاجُ، وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيتُ بني تَمِيم، وإنما أتيتَ بعضَهم، وركبتُ في السُّفن، قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يستضيءُ بها العالَمُ ﴿وَٱللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أنَّ مبتدأَ خلقِكُم مِنَ الأرض، وهو آدمُ ﴿نَبَاتًا﴾ قال الخليلُ: معناه: فَنَبتُّم نباتاً، وقال الزَّجَّاجُ: «نباتا» محمولٌ في المصدر على المعنى، لأنَّ المعنى أنبتكم: جعلَكُم تَنْبتُون نباتاً. قال ابنُ قُتَيبَةَ: هذا مما جاء فيه المصدرُ على غيرِ المصدر، لأنه جاء على نَبتَ، ومثله ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾(٣) فجاء على «بَتَّل».

قال الشاعر:

وخيرُ الأمْرِ ما استقبلتَ منه ... وليس بِأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّباعَا(٤)

فجاء على اتَّبعْتُ.

وقال الآخر:

وإنْ شِئْتُم تَعاوَدنا عُوادا

فجاء على «عاودنا»، وإنما تجيء المصادر مخالفةً للأفعال، لأنَّ الأفعال وإنِ اختلفت أبنيَتُها، واحدةٌ في المعنى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ قال الفَرَّاءُ: هي الطُّرُق الواسعةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ قرأ أهلُ المدينة، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ «ووَلَده» بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون «وُلْده» بضمِّ الواو، وسكونِ اللام. قال الزَّجَّاجُ: وهما بمعنىً واحدٍ، مثل العَرَب، والعُرْب، والعَجَم، والعُجْم. وقرأ الحَسَنُ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، والجَحْدَريُّ: «وِولْده» بكسرِ الواو، وإسكانِ اللام. قال المُفسِّرون: المعنى: أنَّ الأتباعَ، والفقراءَ اتَّبعوا رَأْيَ الرؤساءِ والكُبراءِ.

---

(١) الملك: ٣.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٠٢: المقصود أن الله سبحانه **﴿خلق سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾** أي فاوت بينهما في الاستنارة، فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدّر القمر منازل وبروجاً وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستتر، ليدل على مضي الشهور والأعوام. كما قال: **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾**.

(٣) المزمل: ٨.

(٤) البيت للقطامي، وهو في ديوانه ٣٥ و «اللسان» ـ تبع ـ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو عِمْرَانَ: «كُبَاراً» برفع الكاف، وتخفيفِ الباء. وقرأ أبو يَعمَرَ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ مُحَيصنٍ «كِبَاراً» بكسرِ الكاف مع تخفيف الباء والمعنى «كبيراً» يقال: كبير وكُبار وكُبَّار وقد شرحنا هذا في أوَّل صَ. ومعنى «المَكر»: السَّعيُ في الفَسادِ: وذلك أنَّ الرؤساء مَنَعوا أتباعَهم عن الإيمان بنُوح ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ أي: لا تَدَعُنَّ عبادتَها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا﴾ قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ بضمِّ الواو. والباقونَ بفَتحِها. وهذا الاسم وما بعدَهُ أسماء آلهَتِهم. وجاء في التفسير أنَّ هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بينَ آدمَ ونُوحٍ، فنشأ قومٌ بعدهم يأخذون بأخذِهم في العبادة، فقال لهم إبليسُ: لو صَوَّرتُم صُوَرَهُمْ كان أنشطَ لكم، وأشوَقَ للعبادة، ففعلوا. ثم نشأَ قومٌ بعدَهم، فقال لهم إبليسُ: إنَّ الذين مِنْ قبلكم كانوا يَعبُدونَهم، فعَبَدوهم وكان ابتداءُ عبادةِ الأوثان مِنْ ذلك الوقت. وسُمِّيت تلك الصورةُ بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المُسمَّين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدمَ، مات منهم واحدٌ، فجاء الشيطانُ فقال: هل لكم أن أُصوِّرَ لكم صورَتَهُ، فتذكرونَهُ بها؟ فصَوَّرها. ثم مات آخرُ، فصَوَّرَ لهم صورتَهُ، إلى أنْ صوَّرَ صوراً خمسة. ثم طال الزمانُ، وتركوا عبادةَ الله، فقال لهم الشيطانُ: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: مَنْ نعبدُ؟ قال: هذه آلهَتُكم، وآلهةُ آبائِكم، ألاَ ترونها مُصوَّرةً في مُصَلاَّكُم؟! فعَبَدُوها.

وقال الزَّجَّاجُ: هذه الأصنام كانت لقوم نُوحٍ، ثم صارت إلى العرب، فكان «وَدّ» لكلبٍ، و «سُوَاع» لهَمَدان، و «يَغُوثُ» لِمذْحج، و «يَعُوقُ» لِكِنانة و «نَسْر» لِحِمْيَر، وقال مُقاتِلٌ: إنما كان «سُوَاعُ» لهُذَيل و «يَعُوقُ» لِهَمدانَ «ويَغُوث» لبني غطيف، وهم حيٌّ مِنْ بني مُراد. وقيل: لمَّا جاء الطُّوفانُ غَطَّى على هذه الأصنام وطَمَّها الترابُ، فلمَّا ظهرت بعد الطُّوفان صارت إلى هؤلاءِ المذكورين، قال الواقِديُّ: كان «وَدّ» على صورة رجلٍ، و «سُوَاعُ» على صورة امرأةٍ، و «يَغُوث» على صورةِ أسَدٍ، و «يَعُوق» على صورة فرسٍ، و «نَسْر» على صورة النَّسرِ مِنَ الطير.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وقد أضلَّت الأصنامُ كثيراً مِنَ الناس، أي: ضَلُّوا بسببها. **والثاني**: وقد أضلَّ الكُبراءُ كثيراً مِنَ الناس. ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا ضَلَٰلٗا﴾ وهذا دعاءٌ مِنْ نُوحٍ عليهم، لِمَا أعلَمَه اللَّهُ أنهم لا يؤمنون.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ «ما»: صلة. والمعنىٰ من خطيآتهم: أي من أجلها، وسببها وقرأ أبو عمرو «مما خطاياهم» وقرأ أبو الجَوزاءِ، والجَحْدَريُّ «خطيئتهم» مِنْ غير ألف ﴿أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ قال ابنُ السَّائبِ: المعنى: سيدخلون في الآخرةِ ناراً، فجاء لفظُ الماضي بمعنى الاستقبال، لأنَّ الوعدَ حقٌّ، هذا قول الأكثرين. وقال الضَّحَّاكُ: فأُدخِلوا ناراً في الدنيا، وذلك أنهم كان يَغرقون مِنْ جانبٍ، ويَحترِقون في الماء مِنْ جانبٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ أي: لم يجدوا أحداً يَمنعُهم مِنْ عذاب الله.

قوله عزّ وجلّ: ﴿دَيَّارًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي: أحداً. يُقال: ما بالمنازل دَيَّارٌ، أي: ما بها أحدٌ، وهو مِنَ الدَّار، أي: ليس بها نازلٌ داراً. وقال الزَّجَّاجُ: أصلها: «دَيْوار» فَيْعَال، فقُلِبت الواو ياءً، وأُدغِمتْ إحداهما في الأخرى. وإنما دَعا عليهم نُوحٌ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إليه أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ وذلك أنَّ الرجل منهم كان ينطلق بابنِه إلى نُوحٍ، فَيُحذِّره تصديقَهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ الله تعالى أخبَرَ نُوحاً أنهم لا يَلِدُون مؤمناً، فلذلك عَلِمَ الفاجرَ الخارجَ عن الطاعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قال الحسَنُ: وذلك أنهما كانا مُؤمِنَين. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وسعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وابنُ جُبيرٍ، والجَحْدَريُّ، والجَوْنيُّ «ولوالِدي» ساكنةَ الياء على التوحيد. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، والزُّهريُّ، والنَّخعيُّ «ولولَدَيَّ» مِنْ غيرِ ألفٍ على التثنية، قوله: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ وقرأ حَفصٌ عن عاصِم «بيتيَ» بفتح الياء. وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: منزلُه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَسجِدُه، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: سَفينَتُه، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا عامٌّ في كلِّ مَنْ آمن ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: هلاكاً ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾(٢).

---

(١) هود: ٣٦.
(٢) الفرقان: ٣٩.

سورة الجن

ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

كلُّها مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن
نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا
﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا
نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن
يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾
لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ قد ذكرنا سببَ نُزولِ هذه الآية في (الأحقاف)[1] وبيَّنَّا هنالك سببَ استماعِهم. ومعنى «النَّفر» وعَدَدَهم، فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ فمعناه: بليغاً يُعجب منه لبلاغتِه ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصَّواب مِنَ التوحيد والإيمان ﴿وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا﴾ أي: لن نَعْدِلَ بربِّنا أحداً مِنْ خَلْقِه. وقيل: عَنوا إبليسَ، أي: لا نُطيعه في الشِّركِ بالله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اختلف القُرَّاءُ في اثنتي عشرة همزة في هذه السُّورة، وهي: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنَّا ظننا»، «وأنه كان رجالٌ»، «وأنهم ظنوا»، «وأنَّا لَمسنا»، «وأنَّا كنَّا»، «وأنَّا لا ندري»، «وأنَّا منَّا»، «وأنَّا ظننا أنْ لن نعجز الله»، «وأنَّا لمَّا سمعنا»، «وأنَّا منَّا»، ففتح

---

(١) الأحقاف: ٢٩.

الهمزةَ في هذه المواضع ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ عن عاصِم، ووَافقَهُم أبو جعفرَ في ثلاثةِ مواضعَ «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنه كان رجال»، وكسر الباقيات. وقرأ الباقون بكسرهن. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه: «أن» بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: «إن» بالكسر، معطوف على قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جَدُّ ربِّنا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهنا. فأما مَنْ فَتَحَ، فذكرَ بعضُ النَّحويين: يعني الفَرَّاءَ، أنه معطوفٌ على الهاء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ وبأنه تعالى جَدُّ رَبِّنا. وكذلك ما بعدَ هذا. وهذا رديءٌ في القياس، لا يُعطَفُ على الهاء المُتمكِّنةِ المخفوضةِ إلاَّ بإظهار الخافضِ. ولكن وجهه أنْ يكونَ محمولاً على معنى آمنَّا به، فيكون المعنى: وصَدَّقْنا أنه تعالى جَدُّ رَبِّنا.

وللمفسِّرين في معنى ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: قُدْرَةُ رَبِّنا، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: غِنَى رَبِّنا، قاله الحسَنُ. **والثالث**: جَلالُ رَبِّنا، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ. **والرابع**: عَظَمَةُ رَبِّنا، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أَمْرُ رَبِّنا، قاله السُّدِّيُّ. **والسادس**: ارتفاع ذِكرِه وعظمَتُه، قاله مُقاتِلٌ. **والسابع**: مُلْكُ رَبِّنا وثناؤه وسُلطانُه، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه إبليسُ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه كُفَّارُهم، قاله مُقاتِلٌ. و «الشَّطَط»: الجَوْر، والكذب، وهو: وَصفُه بالشريكِ، والولَدِ، ثم قالت الجِنُّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ وقرأ يعقوبُ: «أن لن تَقَوَّلَ» بفتحِ القاف، وتشديدِ الواو. والمعنى: ظنناهم صادِقِينَ في قولِهم: لله صاحبةٌ وولَدٌ، وما ظننَّاهم يكذبون حتى سَمِعنا القرآنَ، يقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك أنَّ الرجلَ في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قَفْرٍ مِنَ الأرض قال: أعوذُ بِسيِّدِ هذا الوادي مِنْ شَرِّ سُفَهاءِ قومِه، فيَبيتُ في جِوَارٍ منهم حتى يُصبحَ.

[١٤٩٢] ومنه حديثُ كردم بنِ أبي السَّائبِ الأنصاري، قال: خرجتُ مع أبي إلى المدينة في حاجةٍ، وذلك أول ما ذُكِرَ رسولُ الله ﷺ بمكَّةَ، فآوانا المَبِيتُ إلى راعي غَنَم، فلما انتصفَ الليلُ جاء ذِئبٌ، فأخذ حَمَلاً مِنَ الغَنم، فوَثَبَ الراعي فنادى: يا عامرَ الوادي جارَكَ، فنادى مُنادٍ لا نراه: يا سرحانُ أرسِلْهُ. فإذا الحَمَلُ يشتدُّ حتى دخلَ في الغنمِ لم تُصِبْهُ كَدمَةٌ، فأنزل اللَّهُ تعالى على رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ الآية.

[١٤٩٢] ضعيف جداً. أخرجه العقيلي ١/ ١٠١ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٦٤ من طريق فروة ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري، وإسناده ضعيف جداً، فيه عبد الرحمن بن إسحق، وهو ضعيف متروك، وأبوه إسحاق بن الحارث، ضعفه أحمد وغيره، ولم يرو عنه سوى ابنه. وقال ابن حبان: منكر الحديث، فلا أدري التخليط منه أو من ابنه. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ ١٩١ ـ ١٩٢ وأبو الشيخ في «العظمة» ١١٢٢ من طريق القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن إسحاق به. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٢٩ وقال: وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف. والظاهر أنه خفي عليه حال أبيه إسحاق، وقد ضعفه أحمد وغيره كما نقل الذهبي في «الميزان» ١/ ١٨٩. الخلاصة: الإسناد ضعيف جداً، والمتن منكر.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ الإنس زادوا الجنَّ رَهقاً لِتعوُّذهم بهم، قاله مُقاتِلٌ. والمعنى: أنهم لمَّا استعاذوا بسادَتِهم قالت السادةُ: قد سُدْنا الجنَّ والإنسَ. **والثاني**: أنَّ الجِنَّ زادوا الإنسَ رَهقاً، ذكره الزَّجَّاجُ. قال أبو عُبيدَةَ: زادوهم سَفَهاً وطُغياناً. وقال ابنُ قُتيبَةَ: زادوهم ضلالاً. وأصلُ الرَّهَقِ: العَيب. ومنه يُقال: فُلان يَرهَقُ في دِينِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ بقول الله عزَّ وجلَّ: ظَنَّ الجنُّ ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الإنسُ المشركون أنه لا بَعْثَ. وقالت الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أي: أتيناها ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ وهم الملائكة الذين يَحرسُونها مِن استِراقِ السَّمع ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شِهاب، وهو النَّجمُ المضيءُ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: كُنَّا نستمع، فالآن حينَ حاولنا الاستماعَ بعدَ بَعْثِ محمَّدٍ ﷺ رُمِينا بالشُّهُب. ومعنى «رَصَداً» قد أُرصِدَ له المَرمى به ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ بإرسالِ محمَّدٍ إليهم، فيُكذِّبونه، فيَهلِكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وهو أنْ يُؤمنوا فيَهتَدُوا، قاله مُقاتِلٌ.

والثاني: أنه قولُ كَفرةِ الجِنِّ، والمعنى: لا ندري أَشَرٌّ أُريدَ بمَنْ في الأرض بحُدوثِ الرَّجْم بالكواكب، أمْ صلاحٌ؟ قالَه الفَرَّاءُ. ثم أخبَروا عن حالِهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ وهم المؤمنونَ المُخلصون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: المشركون. **والثاني**: أنهم أهلُ الشرِّ دونَ الشِّركِ ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: فِرَقاً مختلفةً أهواؤنا. وقال أبو عُبيدَةَ: واحدُ الطَّرائِقِ: طريقَة، وواحدُ القِدَدِ: قِدَّة، أي: ضُروباً وأجناساً ومِلَلاً. قال الحسَنُ، والسُّدِّيُّ: الجِنُّ مِثلُكم، فمنهم قَدَريَّةٌ، ومُرْجِئَةٌ، ورافِضَةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: أيقنَّا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لن نَفُوتَه إذا أراد بنا أمرًا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: أنه يُدرِكُنا حيثُ كنَّا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمَّدٌ ﷺ ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ أي: صدَّقنا أنه مِن عند الله عزَّ وجلَّ، ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ أي: نَقصاً مِنَ الثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي: ولا ظُلماً ومكروهاً يَغشاهُ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ قال مُقاتِلٌ: المُخلصون لله ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ وهم المَرَدَةُ. قال ابنُ قُتيبةَ: القاسِطُون: الجائرُون. يقال: قَسَطَ: إذا عَدِل، إذا جاوَرَ، وأقسَطَ: إذا عدل. قال المُفسِّرون: هم الكافرون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: تَوَخَّوْه، وأَمُّوه. ثم انقطعَ كلامُ الجِنِّ. قال مُقاتِلٌ: ثم رجع إلى كفَّارِ مكَّةَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: طريقة الهُدى، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ المُسَيِّب، والحسَنِ، ومُجاهد وقتادة والسدِّي، واختاره الزجاج، قال: لأن الطريقة ها هنا بالألف واللام معرفة، فالأوجب أن تكون طريقة الهدى: وذهب قوم إلى أن المراد بها طريقة الكُفرِ، قال محمَّدُ بنُ كَعبٍ، والرَّبيعُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ، وابنُ كَيسانَ. فعَلَى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لَوَسَّعنا عليهم ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾ أي: لِنَختَبِرَهم ﴿فِيهِ﴾ فننظرَ كيف شُكْرُهم. والماءُ الغَدَقُ: الكثير. وإنما ذكر الماءَ مثلاً، لأنَّ الخير كلَّهُ يكون بالمطرِ، فأُقيمَ مقامَهُ إذ كان سببَهُ.

وعلى الثاني: يكون المعنى: لو استقاموا على الكُفرِ فكانوا كفَّاراً كلُّهم، لأكثرنا لهم المالَ لِنَفتِنَهم فيه عقوبةً واستدراجاً، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثَرنا لهم الماءَ فأغرقناهم، كقوم نُوحٍ، قوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني: القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «نسلكه» بالنون. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ يسلكه بالياء. ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: أي:

عذاباً شاقاً. يُقال: تصعَّدني الأمرُ: إذا شَقَّ عليَّ. ومنه قول عمرَ: ما تَصَعَّدَني شيءٌ ما تصعَّدَتني خِطْبَةُ النِّكاح. ونرى أصلَ هذا كلّه مِنَ الصّعود، لأنه شاقٌ، فكُنِي به عن المَشقَّات. وجاء في التفسير أنه جبلٌ في النار يُكلَّف صعوده، وسنذكره عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾[١] إنْ شاء الله تعالى.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ فيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المساجد التي هي بيوتٌ للصَّلوات، قاله ابنُ عباس. قال قَتادَةُ: كانت اليهود والنَّصارى إذا دخلوا كنائِسَهم وبِيَعَهُم أشركوا، فأمرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ المسلمين أنْ يخلصوا له إذا دخلوا مساجدَهم. **والثاني**: الأعضاءُ التي يَسجُدُ عليها العبدُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وابنُ الأنباري، وذكره الفَرَّاءُ. فيكون المعنى، لا تسجدوا عليها لغيره. **والثالث**: أنَّ المراد بالمساجد ها هنا: البِقاعُ كلُّها، قاله الحسَنُ. فيكون المعنى: أنَّ الأرضَ كلَّها مواضعُ للسجود، فلا تسجُدوا عليها لغيرِ خالِقها. **والرابع**: أنَّ المساجدَ: السجود، فإنها جمعُ مسجدٍ. يُقال: سجدتُ سُجوداً، ومَسْجِداً، كما يُقال: ضربتُ في الأرض ضرباً، ومَضرِباً، ثم يُجمع، فيُقال: المسَاجِد، والمَضارِب. قال ابنُ قُتيبة: فعَلَى هذا يكون واحدها: مَسْجَداً، بفتح الجيم. والمعنى: أخلِصُوا له، ولا تسجدوا لغيره. ثم رجعَ إلى ذكرِ الجنِّ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني محمَّداً ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يَعبُده. وكان يصلي ببطنِ نَخْلة على ما سبق بيانُه في الأحْقاف[٢] ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قرأ الأكثرون: بكسرِ اللام، وفتح الباء. وقرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ، وابنُ مُحَيصِنٍ «لُبَداً» بضمِّ اللام، وفتحِ الباء مع تخفيفِها. قال الفَرَّاءُ: ومعنى القراءتين واحدٌ. يُقال: لِبَدة، ولُبَدة. قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: كادوا يركبُ بعضُهم بعضاً. ومنه اشتقاقُ اللِّبْد الذي يُفترَش. وكلُّ شيءٍ أضفتَهُ إلى شيءٍ فقد لَبَّدتَهُ. وقرأ قومٌ منهم الحسَنُ، والجَحْدَريُّ: «لُبَّداً» بضمِّ اللام مع تشديد الباء. قال الفَرَّاءُ: فعلى هذه القراءة تكون صفةً للرجال، كقولكَ: رُكَّعاً وركوعاً، وسُجَّداً وسجوداً. وقال الزَّجَّاجُ: هو جمعُ لابِد، مثل راكِع، ورُكَّع.

وفي معنى الآية ثلاثةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنه مِنْ إخبار الله تعالى عن الجِنِّ يَحكي حالَهم.

---

(١) المدثر: ١٧. (٢) الأحقاف: ٢٩.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٢٧٣: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: ذلك خبر من الله عن أن رسوله محمداً ﷺ لما قام يدعوه كادت العرب تكون عليه جميعاً في إطفاء نور الله. =

والمعنى: أنه لمَّا قام يصلي كاد الجنُّ لازدحامِهم عليه يركبُ بعضُهم بعضاً، حِرْصاً على سماع القرآن، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه مِنْ قول الجنِّ لقومِهم لمَّا رجعوا إليهم، فوَصَفوا لَهم طاعةَ أصحاب رسول الله ﷺ وائتمامَهم به في الركوع، والسجود، فكأنهم قالوا: لمَّا قام يصلي كادَ أصحابُه يكونون عليه لِبَداً. وهذا المعنى في روايةِ ابنِ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ المعنى: لمَّا قام رسولُ الله ﷺ بالدَّعوة تلبَّدت الإِنسُ والجِنُّ، وتظاهروا عليه، لِيُبطلوا الحقَّ الذي جاء به، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ قرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ «قل إنما أدعو ربي» بغير ألفٍ. وقرأ الباقون «قال» على الخبر عن النبيِّ ﷺ. قال مُقاتِلٌ: إنَّ كفَّار مكَّةَ قالوا للنبيِّ ﷺ: إنكَ جئتَ بأمرٍ عظيمٍ لم يُسمَعْ بمثلِه فارجِعْ عنه، فنزلت هذه الآية[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أي: لا أدفَعُه عنكم ﴿وَلَا﴾ أسوقُ إليكم ﴿رَشَدًا﴾ أي: خيراً، أي: إنَّ الله تعالى يملكُ ذلك، لا أنا ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: إنْ عصيتُه لم يمنعني منه أحدٌ، وذلك أنهم قالوا له: اترُكْ ما تدعو إليه ونحن نُجيرُكَ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قد بيَّنَّاه في الكهف[2] قوله: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيه وجهان، ذكرهما الفرَّاءُ: **أحدهما**: أنه استثناءٌ مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلا أن أبلغكم. **والثاني**: لن يُجيرني مِنَ الله أحدٌ إنْ لم أبلِّغ رسالتَهُ. وبالأول قال ابنُ السَّائب. وبالثاني قال مُقاتِلٌ. وقال بعضُهم: المعنى: لن يُجيرَني مِنْ عذاب الله إلاَّ أنْ أُبلِّغَ عن الله ما أُرسِلْتُ به، فذلك البلاغُ هو الذي يُجيرُني. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله عز وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ﴾ يعني: الكفار ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا، وهو القتل، وفي الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أي: جُنداً ونصيراً، أهُمْ، أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أي: غايةً وبُعْداً. وذلك لأنَّ عِلْمَ الغيبِ لله وحدَهُ ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ أي: فلا يُطْلِع على غيبِه الذي يعلمه أحداً مِنَ الناس ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لأنَّ مِنَ الدليل على صِدقِ الرُّسل إخبارَهم بالغيبِ. والمعنى: أنَّ من ارتضاه للرسالة أطْلَعَه على ما شاء مِنْ غيبِه. وفي هذا دليلٌ على أنَّ مَنْ زعم أن النجوم تدلُّه على الغيب فهو كافرٌ. ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يُطْلِع عليه الرسولَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: مِنْ بين يدي الرسولِ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي: يجعل له حَفَظَةً مِنَ الملائكة يحفظون الوحيَ مِنْ أن يسترِقَهُ الشياطينُ، فتُلقيه إلى الكَهَنة، فيتكلَّمون به قبل أنْ يخبرَ النبيُّ ﷺ الناسَ. وقال الزَّجَّاجُ يَسلُك

= ووافقه ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١٠: واختيار ابن جرير، وهو الأظهر لقوله بعده **﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ أي قال لهم رسول الله ﷺ** لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته: **﴿إنما أدعو ربي﴾** أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه.

(١) عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

(٢) الكهف: ٢٧.

مِنْ بين يدي الوحي. والرَّصَدُ مِنَ الملائكة يدفعون الشياطين عن أنْ تستمعَ ما ينزل مِنَ الوحي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: لِيعلمَ محمَّدٌ ﷺ أنَّ جبرائيلَ قد بلَّغ إليه، قاله ابنُ جُبيرٍ. **والثاني**: لِيعلَمَ محمَّدٌ ﷺ أنَّ الرسل قبلَه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وأنَّ الله قد حَفِظَها فدفعَ عنها، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: لِيعلمَ مُكذِّبو الرسل أنَّ الرسلَ قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: لِيعلمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ذلك موجوداً ظاهراً يجبُ به الثوابُ، فهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾[٢] قاله ابنُ قُتيبةَ. **والخامس**: لِيعلمَ النبيُّ أنَّ الرُّسلَ قد أتَتْهُ، ولم تُصَلْ إلى غيره، ذكره الزَّجَّاجُ. وقرأ رُوَيسٌ عن يعقوبَ «ليُعْلَم» بضمِّ الياء على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: ويُقرأ «لتَعْلَم» بالتاء، يريد: لِتعلمَ الجِنُّ أنَّ الرُّسلَ قد بلَّغتْ عن إلَهِهم بما رَجَوْا مِن استِراقِ السَّمعِ، قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عَلِمَ الله ما عندَ الرُّسلِ ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ فلم يَفُتْهُ شيءٌ حتى الذَّرِّ والخَردَلِ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٢٧٧: وأولى الأقوال عندنا بالصواب قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

سُورَةُ المُزَّمِّل

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إلاَّ أنه قد رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: سِوى آيتين منها، قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ والتي بعدها(١). وقال ابنُ يسارٍ، ومُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مدنيَّةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو العاليةِ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو عِمْرانَ، والأعمَشُ «المتزمِّل» بإظهارِ التاء. وقرأ عِكرمَةُ، وابنُ يَعمُرَ: «المُزمل» بحذف التاء، وتخفيفِ الزاي. قال اللغويون: «المُزَّمِّل» المُلْتَفُّ في ثيابه، وأصله «المُتزمِّل» فأُدغِمت التاءُ في الزاي، فثُقِّلت. وكلُّ مَنِ التَفَّ بثوبه فقد تزمَّلَ. قال الزَّجَّاجُ: وإنما أُدغِمتْ فيها لِقُربها منها.

[١٤٩٣] قال المُفسِّرون: وكان النبيُّ ﷺ يتزمَّلُ في ثيابه في أولِ ما جاء جبريلُ فَرَقاً منه حتى أَنِسَ به. وقال السُّدِّيُّ: كان قد تزمَّل للنَّوم. وقال مُقاتِلٌ: خرج مِنَ البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جِبريلُ: يا

[١٤٩٣] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٦ ومسلم ١٦٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٥ من حديث عائشة مطوّلاً، وتقدّم في «الجزء الأول من هذا الكتاب». وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٥٩٨ بتخريجنا.

---

(١) المزمل: ١٠ ـ ١١.
(٢) المزمل: ٢٠.

أيُها المُزَمِّلُ. وقيل: أُريد به مُتَزَمِّل النُبوةِ. قال عِكرمَةُ في معنى هذه الآية: زُمِّلْتَ هذا الأمرَ، فَقُمْ به. وقيل: إنما لم يُخاطَبْ بالنبيِّ والرسولِ ها هنا، لأنه لم يكن بَعْدُ قد بلغَ، وإنما كان في بَدْءِ الوحي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ أي: للصلاة. وكان قيامُ الليل فرضاً عليه ﴿إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ﴾ هذا بدلٌ مِنَ الليل، كما تقول: ضربتُ زيداً رأسَه. فإنما ذكرتَ زيداً لتوكيدِ الكلام، لأنه أوكدُ مِنْ قولك: ضربتُ رأسَ زيدٍ. والمعنى: قُمْ مِنَ الليل النِّصفَ إلاَّ قليلاً، وهو قوله: ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ أي: مِنَ النِّصف ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ أي: على النِّصف. قال المُفسِّرون: انقُص مِنَ النِّصف إلى الثُّلثِ، أو زِدْ عليه إلى الثُّلثين، فجعلَ له سَعَةً في مدَّةِ قيامه، إذا لم تكن محدودةً، فكان يقوم ومعه طائفةٌ مِنَ المؤمنين فشقَّ ذلك عليه وعليهم، فكان الرجلُ لا يدري كم صلى، وكم بقي مِنَ الليل، فكان يقوم الليلَ كلَّه مخافةَ أن لا يحفظَ القَدْرَ الواجبَ فنُسِخَ ذلك عنه وعنهم بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ الآية، هذا مذهب جماعةٍ مِنَ المُفسِّرين. وقالوا: ليس في القرآن سورةٌ نَسَخَ آخِرُها أولَها سوى هذه السورة. وذهب قومٌ إلى أنه نُسِخَ قيامُ اللَّيلِ في حقِّه بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾[(١)] ونُسِخَ في حقِّ المؤمنين بالصلواتِ الخَمْسِ وقيل: نُسِخَ عن الأمَّةِ، وبقي فرضُه عليه أبداً. وقيل: إنما كان مفروضاً عليه دُونَهم. وفي مدَّةِ فرضِه قولان: **أحدهما**: سَنَةٌ، قال ابنُ عباسٍ: كان بين أولِ (المزَّمل) وآخرِهَا سَنَةٌ. **والثاني**: ستةَ عشرَ شهراً، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ قد ذكرنا التَّرتيلَ في الفرقان[(٢)].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ وهو القرآن. وفي معنى ثِقَلِه ستةُ أقوالٍ[(٣)]:

[١٤٩٤] **أحدها**: أنه كان يَثقُلُ عليه إذا أُوحِيَ إليه، وهذا قولُ عائشةَ رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُه ينزل عليه في اليوم الشديدِ البَردِ، فيَفصِمُ عنه، وإنَّ جبينَهُ لَيَتفصَّدُ عَرقاً.

والثاني: أنَّ العمل به ثقيلٌ في فروضِه وأحكامِه، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنه يَثقُلُ في

[١٤٩٤] صحيح. وهو قطعة من حديث عائشة في خبر مطول.
أخرجه البخاري ٢ والترمذي ٣٦٣٨ والنسائي ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧ وأحمد ٦/ ٢٥٧ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٣٧ وفي «الدلائل» ٧/ ٥٢ ـ ٥٣ وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ٢٧٩ من طرق عن مالك. وأخرجه مالك ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ والبغوي في «شرح السنة» ٣٦٣١ عن هشام بن عروة به. وأخرجه البخاري ٣٢١٥ ومسلم ٢٣٣٣ وأحمد ٦/ ١٥٨ والبيهقي في «الأسماء» ٤٢٦ والحميدي ٦/ ٢٥ من طرق عن هشام بن عروة به.

---

(١) الإسراء: ٧٩. (٢) الفرقان: ٣٢.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٢٨١: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه. وقال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٣٢٨: والقول: ثقله على النبي ﷺ كان يلقيه الملك إليه هو الأولى لأنه جاء: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨].

الميزان يومَ القيامة، قاله ابنُ زيدٍ. **والرابع**: أنه المَهيبُ، كما يُقال للرجل العاقل: هو رَزِينٌ راجِحٌ، قاله عبدُ العزيز بنُ يَحيى. **والخامس**: أنه ليس بالخفيفِ ولا السَّفسافِ، لأنه كلام الربِّ عزَّ وجلَّ، قاله الفَرَّاءُ. **والسادس**: أنه قولٌ له وزنٌ في صحتِه وبيانِه ونفعِه، كما تقول: هذا كلامٌ رَصِينٌ، وهذا قولٌ له وزنٌ: إذا استَجَدْتَهُ، ذكره الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ قال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ: هي قيام الليل بلسانِ الحَبشةِ. وهل هي في وقتٍ مخصوصٍ مِنَ الليل، أَمْ في جميعه؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها في جميع الليل. ورَوى ابنُ أبي مُلَيكَةَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: الليل كلُّه ناشِئةٌ. وإلى هذا ذهب اللغويون. قال ابنُ قُتَيبةَ: ناشِئةُ الليل: ساعاتُه الناشِئةُ، مِنْ نَشأتْ: إذا ابتَدأتْ. وقال الزَّجَّاجُ: ناشِئةُ الليل: ساعاتُ الليل، كلُّ ما نَشأَ منه، أي: كلُّ ما حدثَ. قال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: كأنَّ المعنى: إنَّ صلاة ناشئةِ الليلِ، أو عملَ ناشئةِ الليلِ.

والثاني: أنها في وقتٍ مخصوصٍ مِنَ الليل. وفيه خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها ما بين المَغربِ والعشاءِ، قاله أنسُ بنُ مالكٍ. **والثاني**: أنها القيامُ بعد النوم، وهذا قولُ عائشةَ، وابنِ الأعرابي. وقد نَصَّ عليه الإمام أحمدُ في رواية المَروذي. **والثالث**: أنها ما بعدَ العِشاء، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، وأبو مِجْلَزٍ. **والرابع**: أنها بَدْءُ الليل، قاله عَطاءٌ، وعِكرِمَةُ. **والخامس**: أنها القيام مِنْ آخر الليل، قاله يَمانُ، وابنُ كَيْسانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو عمرو «وِطاء» بكسرِ الواو مع المدِّ، وهو مصدرُ وَاطأت فُلاناً على كذا مُواطَأَةً، وأراد أنَّ القراءة في الليل يَتواطَأُ فيها قلبُ المُصلِّي ولسانُه وسَمعُه على التفهُّم للقرآن والإحكام لتلاوتِه. ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[2]. وقرأ الباقون «وَطأً» بفتحِ الواو مع القَصْرِ. والمعنى: إنه أثقلُ على المُصلِّي مِنْ ساعات النهار، مِنْ قول العرب: اشتَدَّتْ على القوم وطْأَةُ السلطان: إذا ثَقُلَ عليهم ما يلزمهم.

[١٤٩٥] ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «اللهُمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَر». ذكر معنى القراءتين ابنُ قُتَيبةَ. وقرأ ابنُ مُحَيصِنٍ «أشد وَطَاء» بفتح الواو، والطاء، وبالمَدِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أي: أخلَصُ للقول وأسمَعُ له، لأنَّ الليل تَهدأُ فيه الأصواتُ فتَخلُصُ القراءةُ، ويَفرغُ القلب لِفَهم التلاوة، فلا يكون دونَ سمعِه وتَفهُّمِه حائلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ أي: فراغاً لِنَومكَ وراحتِكَ، فاجعَلْ ناشئةَ الليل

[١٤٩٥] متفق عليه، وتقدّم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١٤: والغرض: أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، وهي الآنات والمقصود: أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

(٢) التوبة: ٣٧.

بعبادتِكَ، قاله ابنُ عباسٍ، وعَطاءٌ. وقرأ يَحيى بنُ يَعمُرَ، وابنُ مسعودٍ، وأبو عِمرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ «سبخاً» بالخاء المُعجمةِ. قال الزَّجَّاجُ: ومعناها في اللغة صحيحٌ. يُقال سَبَخْتُ القطنَ بمعنى نَفَشْتُه. ومعنى نَفَشْتُه: وسَّعتُه، فيكون المعنى: إنَّ لكَ في النهارِ توسُّعاً طويلاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: بالنَّهار أيضاً ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ قال مُجاهِدٌ: أخلِصْ له إخلاصاً. وقال ابنُ قُتيبةَ: انقطِعْ إليه، مِنْ قولكَ: بَتَلْتُ الشيءَ: إذا قطعتَه. وقال الزَّجَّاجُ: انقطِعْ إليه في العبادة. ومنه قيلَ لِمريمَ: البَتُول، لأنها انقطعَتْ إلى الله عزَّ وجلَّ في العبادة. وكذلك صدَقةٌ بَتْلَةٌ: مُنقطعةٌ مِنْ مال المُصَّدِّق. والأصل في مصدر تبتَّل تبتيلاً. وإنما قوله عزَّ وجلَّ «تبتيلاً» محمولٌ على معنى: تبتَّل، ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وحَفصٌ عن عاصِمٍ «ربُّ» بالرفع. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ بالخفضِ. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ التكذيب لكَ والأذى ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ لا جزَعَ فيه. وهذه الآية عند المُفسِّرين منسوخةٌ بآية السيف، ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أي: لا تهتمَّ بهم، فأنا أكفيكَهُم ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ يعني: التَّنَعُّم.

وفيمن عُني بهذا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم المُطعِمون ببَدْرٍ، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والثاني**: أنهم بَنو المُغيرةِ بنِ عبد الله، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والثالث**: أنه المستهزئون، وهم صَناديدُ قريشٍ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ قالت عائشةُ: فلم يكن إلاَّ اليسيرُ حتى كانت وقعةُ بدرٍ، وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بآية السيف، وليس بصحيحٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا﴾ وهي القُيودُ، واحدها: نِكْل. وقد شرحنا معنى «الجحيم» في البقرة[1] ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ وهو الذي لا يَسوغُ في الحَلْقِ. وفيه للمُفسِّرين أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه شَوكٌ يأخذ الحَلْقَ فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ. **والثاني**: الزَّقُّوم، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: الضَّريع، قاله الزَّجَّاجُ. **والرابع**: الزَّقُّوم والغِسْلين والضَّريعُ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا﴾ والمعنى: ينكِّلُ الكافرين ويُعذِّبهم ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: تُزلزَل وتُحرَّكُ أغلظَ حركةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ قال مُقاتِلٌ: المعنى: وصارت بعد الشدة، والقوة ﴿كَثِيبٗا﴾ قال الفَرَّاءُ: «الكَثِيب»: الرَّمل. و «المَهِيل»: الذي تحرَّكَ أسفَلُه، فينهَال عليكَ مِنْ أعلاه. والعرب تقول: مَهِيل ومَهيول، ومَكِيل ومَكْيول. وقال الزَّجَّاجُ: الكَثِيبُ جمعه: كُثبان، وهي: القِطع العِظام مِنَ الرَّملِ. والمَهِيلُ: السائل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعني أهل مكَّة ﴿رَسُولٗا﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ بالتبليغ وإيمانِ مَنْ آمنَ، وكُفر مَنْ كَفرَ وعصى ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ وهو موسى عليه السلام. والوَبِيل: الشديد. قال ابنُ قُتيبة: هو مِنْ قولكَ: استَوبَلتُ إذا استوخمته المكانَ ويُقال: كَلأٌ مُستَوبَلٌ

---

(١) البقرة: ١١٩.

أي: لا يُسْتَمرَأ. قال الزَّجَّاجُ: الوَبِيل: الثقيلُ الغليظُ جداً. ومنه قيل للمطرِ العظيم: وَابِل. قال مُقاتِلٌ: والمراد بهذا الأخْذِ الوَبيلِ: الغَرقُ. وهذا تخويفٌ لكفَّارِ مكَّةَ أن ينزلَ بهم العذابَ لِتكذيبِهم، كما نزلَ بفِرعَونَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ أي: عذابَ يوم. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: بأيِّ شيءٍ تتحصَّنُون مِنْ عذاب يومٍ مِنْ هَولِه يَشيبُ الصغير مِنْ غيرِ كِبَرٍ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمْرانَ «نجعل الوِلدان» بالنون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: السماء تُذكَّر وتؤنَّث. وهي ها هنا في وجهِ التذكير. قال الشاعر:

فَـلَـوْ رَفَـعَ الـسَّـمـاءُ إلـيـه قـومـاً لَـحِـقْـنـا بـالـسَّـمـاءِ مَـعَ الـسَّـحـابِ

قال الزَّجَّاجُ: وتذكيرُ السماء على ضربين: **أحدهما**: على أنَّ معنى السماء معنى السَّقفِ.
والثاني: على قولِهم: امرأةٌ مُرْضِعٌ على جهة النَّسَبِ. فالمعنى: السماءُ ذاتُ انفِطارٍ، كما أنَّ المُرضعَ ذاتُ الرَّضاع. وقال ابنُ قُتَيبة: ومعنى الآية: السماءُ مُنْشَقٌّ به، أي: فيهِ، يعني في ذلك اليوم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ وذلك أنه وعيدٌ بالبعثِ، فهو كائنٌ لا مَحالةَ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٠)﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: تذكيرٌ وموعِظةٌ ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل ﴿مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأهلُ الكُوفة بفتحِ الفاء والثاء. والباقون: بكسرهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقادِيرَهما، فيعلَمُ القَدْرَ الذي تقومُونَهُ مِنَ الليل ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: لن تُطِيقوا قيامَ ثُلُثَي الليل، ولا ثُلثَ الليل، ولا نِصفَ الليل، قاله مُقاتِلٌ.

والثاني: لن تَحفظوا مواقيتَ الصلاة، قاله الفَرَّاءُ، قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عادَ عليكم بالمغفرةِ والتخفيف ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ يعني: في الصلاة، مِنْ غير أن يوقِّت وقتاً. وقال الحسَنُ: هو ما يقرأ في صلاة المَغربِ والعِشاءِ. ثم ذكرَ أعذارَهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فلا يُطيقون قيامَ الليل ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم المسافرون للتجارة ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: مِنْ رِزقه فلا يُطيقون قيامَ الليل ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المجاهدون فلا يُطيقونَ قيامَ

الليل ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ ذكروا أنَّ هذا نُسِخَ عن المسلمين بالصلواتِ الخَمْس، فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلواتِ الخمسَ في أوقاتِها[1] ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ﴾ وقد سبق بيانُه[2]. قال ابنُ عباسٍ: يريد سِوى الزَّكاةِ في صِلَةِ الرَّحِم وقِرَى الضَّيفِ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: تجدوا ثوابَه في الآخرة. ﴿هُوَ خَيۡرٗا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: المعني: تجدوه خيراً. قال الزَّجّاجُ: ودخلت «هو» فَصْلاً. وقال المُفسِّرون: ومعنى «خيراً» أي: أفضل مما أُعطِيتُم؛ ﴿وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ﴾ مِنَ الذي تُؤخِّرونه إلى وقتِ الوصيَّةِ عند الموت.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٥١٨/٤: وقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، قال: وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرَج لم تبيَّن إلا بالمدينة، والله أعلم.

(٢) الحديد: ١٨.

ترتيبها ٧٤

سورة المدثر

آياتها ٥٦

وهي مكيّة بإجماعهم

قال مُقاتِلٌ: فيها مِنَ المدني آيةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾ (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ
(٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)
ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ
يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ
(١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ
(٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ
(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا
لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

فأمّا سببُ نزولِها، رَوى البُخاريُّ ومُسلمٌ في صحيحيهما مِنْ حديث جابرِ بن عبدِ الله قال:

[١٤٩٦] حدَّثنا رسولُ الله ﷺ قال: جاورتُ بِحِراءَ شهراً، فلما قضيتُ جِواري نزلتُ فاستبْطَنْتُ

[١٤٩٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٣ و ٤٩٢٤ ومسلم ١٦١ ح ٢٥٧ و ٢٥٨ وأحمد ٣/ ٣٠٦ و ٣٩٢ والطبري ٣٥٣٠٩ وابن حبان ٣٤ و ٣٥ وأبو عوانة ١/ ١١٢ و ١١٤ و ١١٥ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦ من طرق عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: إنهم =

---

(١) المدثر: ٣١.

بطنِ الوادي، فنُوديتُ فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني، وعن شمالي، فلم أرَ أحداً، ثم نُوديتُ فرفعتُ رأسي فإذا هو في الهواءِ، يعني: جبريل عليه السلام، فأقبَلتُ إلى خديجةَ، فقلتُ: دَثّروني دَثّروني، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

[١٤٩٧] قال المُفسِّرون: فلمَّا رأى جبريلَ وقعَ مَغشِياً عليه، فلمَّا أفاقَ دخل إلى خديجةَ، ودَعا بماءٍ فصَبَّهُ عليه، وقال: دَثّروني، فدَثَّروه بقَطِيفةٍ، فأتاه جِبريلُ فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وقرأ أُبيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو عِمرانَ، والأعمَشُ «المتدثِّر» بإظهارِ التاء، وقرأ أبو رَجاءٍ، وعِكرِمَةُ، وابنُ يَعْمَرَ «المدثر» بحذفِ التاء، وتخفيفِ الدال. قال اللغويون: وأصل «المدَّثِّر» المُتدثِّر، فأُدغِمت التاءُ، كما ذكرنا في المُتزمِّل، وهذا قولُ الجمهور مِنَ التَّدثيرِ بالثياب، وقيل المعنى: يا أيُّها المُدَّثِّرِ بالنُّبوةِ، وأثقالِها. قال عِكرمَةُ: دُثِّرتَ هذا الأمرَ فقُمْ به..

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ كفَّارَ مكَّةَ العذابَ إنْ لم يُوحِّدوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ عما يقول عَبدَةُ الأوثان ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ[1]:

أحدها: لا تَلْبَسْها على معصيةٍ، ولا على غَدْرٍ. قال غَيْلانُ بنُ سَلَمةَ الثَّقفيُّ:

وَإِنّـي بِـحَـمْـدِ الـلـه لا ثَـوْبَ فَـاجِـرٍ ... لَـبِـسْـتُ وَلاَ مِـنْ غَـدْرَةٍ أَتَـقَـنَّـعُ[2]

رَوى هذا المعنى عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ.

والثاني: لا تكُن ثيابُكَ مِنْ مكسبٍ غيرِ طاهرٍ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

والثالث: طَهِّر نَفْسَكَ مِنَ الذنبِ، قاله مُجاهِدٌ! وقَتادةُ. ويشهد له قولُ عَنترةَ:

فَـشَـكَـكْـتُ بِـالـرُّمْـحِ الأَصَمِّ ثِـيَـابَـهُ ... لَـيْـسَ الـكَـرِيـمُ عَـلَـى الـقَـنَـا بِـمُـحَـرَّمِ

أي: نفسه، وهذا مذهب ابنِ قُتيبةَ. قال: المعنى: طَهِّرْ نفسكَ مِنَ الذنوب، فكَنَّى عن الجسم

= يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ؛ قال: «جاورت...» الحديث، وفيه «وصبوا عليّ ماء بارداً». وأخرجه البخاري ٤ و ٣٢٣٨ و ٤٩٢٥ و ٤٩٥٤ و ٦٢١٤ ومسلم ١٦١ ح ٢٥٥ وأحمد ٣/٣٠٦ والترمذي ٣٣٢٥ والطبري ٣٥٣٠٧ والبيهقي في «الدلائل» ٢/١٣٨ و ١٥٦ وأبو نعيم في «الدلائل» ١/٢٧٨ من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به.

[١٤٩٧] انظر ما قبله.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٢١ ﴿وثيابك فطهر﴾ أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويطهر ثيابه. وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب. وقال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٤٠: ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين: أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب لغلام من الأنصار: وقد رأى ذيله مسترخياً: يا غلام، ارفع إزارك، فإنه أتقى وأنقى وأبقى اهـ. والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة، وهو ظاهر منها صحيح فيها.

(٢) البيت لغيلان بن سلمة الثقفي، كما في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/ ٥٩ و «تفسير الطبري» ١٢/ ٢٩٨ و «اللسان» ـ ثوب ـ.

بالثياب، لأنها تشتملُ عليه. قالت لَيلى الأخْيَليَّةُ وذَكَرَتْ إبلاً:

رَمَوْهـا بـأثْـوابٍ خِـفَـافٍ فـلا تـرى ... لَـهـا شَـبَـهـاً إلاّ الـنَّـعَـامَ الـمُـنَـفَّـرا

أي: رَكِبوها، فرَمَوْها بأنفسِهم! والعرب تقول للعَفافِ: إزَارٌ، لأنَّ العَفيفَ كأنه استتَرَ لمَّا عَفَّ. **والرابع**: وعَمَلَكَ فَأَصْلِحْ، قاله الضَّحَّاكُ. **الخامس**: خُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قاله الحسَنُ، والقُرَظيُّ. **والسادس**: وَثِيَابَكَ فَقَصِّرْ وشَمِّرْ، قاله طَاوُسٌ. **والسابع**: قَلْبَكَ فَطَهِّرْ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. ويشهدُ له قولُ امرئِ القَيسِ.

فَـإنْ تـكُ قَـدْ سـاءتْـكِ مِـنّـي خَـلِـيـقَـةٌ ... فَـسُـلّـي ثِـيـابِـي مِـنْ ثِـيَـابِـكِ تَـنْـسُـلِ

أي: قلبي مِنْ قلبكِ.

والثامن: اغسِلْ ثيابَكَ بالماء، ونَقِّها، قاله ابنُ سِيْرِينَ، وابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ قرأ الحسَنُ، وأبو جعفرَ، وشَيْبَةُ، وعاصِمٌ إلاَّ أبا بكرٍ، ويعقوبُ، وابنُ مُحَيْصِنٍ، وابنُ السَّمَيفَعِ «والرُّجز» بضمِّ الراء. والباقون بكسرِها. ولم يختلفوا في غيرِ هذا الموضع. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى القراءتين واحدٌ. وقال أبو عليٍّ: قراءةُ الحسَنِ بالضمِّ، وقال: هو اسمُ صَنَمٍ. وقال قَتَادَةُ: صَنمانِ: إِساف، ونائِلَة. ومَنْ كَسرَ، الرِّجز: العذاب. فالمعنى: ذو العذابِ فاهجُرْ.

وفي معنى: «الرِّجز» للمفسِّرين فيه ستةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابنُ عباسٍ. ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ وقَتادَةُ، والزُّهريُ، والسُّدِّيُّ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنه الإِثْم، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: الشركُ، قاله ابنُ جُبَيرٍ، والضَّحَّاكُ. **والرابع**: الذَّنْبُ، قاله الحَسَنُ. **والخامس**: العذاب، قاله ابنُ السَّائبِ. قال الزَّجَّاجُ: الرِّجزُ في اللغة: العذاب، ومعنى الآية: اهجُرْ ما يُؤدِّي إلى عذاب الله. **والسادس**: الشيطان، قاله ابنُ كَيْسانَ.

قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[(٢)]: **أحدها**: لا تُعطِ عطيَّةً تلتمس بها أفضلَ منها، قاله

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٢١: **﴿والرجز فاهجر﴾** على كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك، كقوله: **﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾**، **﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾**.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣٠٣: وأولى الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح. قال: وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله بنيه بالجدّ في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها.

وقال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٢٤٢: وأما من قال: أراد به العمل، أي لا تستكثر به على ربك فهو صحيح، فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر.

وأما قوله: «**لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها**» فهذا لا يليق بالنبي ﷺ وقد قال تعالى: **﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾** [الروم: ٣٩]. وقد روي عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها. وفي الحديث: «لو دعيت إلى كُراع لأجبت ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت». قلت: صحيح. أخرجه البخاري ٢٥٦٨ و ٥١٧٨ وأحمد ٢/ ٤٢٤ وابن حبان ٥٢٩١ من حديث أبي هريرة وأخرجه الترمذي ١٣٣٨ وصححه ابن حبان ٩٢٩٢ من حديث أنس، وفي الباب من حديث ابن عمر أخرجه البخاري ٥١٧٩ =

ابنُ عباس، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. قال المفسِّرون: معناه: أَعْطِ لِربِّكَ وأرِدْ به الله، فأدَّبَهُ بأشرفِ الآداب. ومعنى «لَا تَمنُنْ»: لا تُعطِ شيئاً مِنْ مالكِ لِتُعطَى أكثرَ منه. وهذا الأدبُ للنبيِّ ﷺ خاصَّةً، وليس على أحدٍ مِنْ أُمَّتِه إثمٌ أنْ يهديَ هديةً يرجو بها ثواباً أكثرَ منها. **والثاني**: لا تَمنُنْ بعملكَ تستكثِرُه على ربِّكَ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: لا تَضعُفْ عن الخير أنْ تستكثرَ منه، قاله مُجاهِدٌ. والرابع: لا تَمنُنْ على الناس بالنُّبُوَّة لِتأخذَ عليها منهم أجْراً، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عز وجلّ: ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: لأجلِ ربِّكَ. **والثاني**: لِثوابِ ربِّكَ. **والثالث**: لأمرِ ربِّكَ. **والرابع**: لِوعْدِ ربِّكَ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: على طاعتِه وفرائضِه. **والثاني**: على الأذى والتكذيب.

قوله عزَّ وجلّ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ أي: نُفِخَ في الصُّوَرِ. وهل هذه النَّفخةُ هي الأولى أو الثانية؟ فيه قولان: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ أي: تعسَّر الأمرُ فيه ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ غير هَيِّنٍ، قوله: ﴿ذَرْنِى﴾ قد شرحناه في المُزَّمِل(١) ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي: ومَنْ خَلقتُه ﴿وَحِيدًا﴾ فيه قولان(٢): **أحدهما**: خَلقتُه وحيداً في بطنِ أمِّهِ لا مالَ له ولا ولدَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: خَلقتُه وَحدِي لم يَشْرَكني في خَلْقِهِ أحَدٌ، قاله الزَّجّاجُ.

[١٤٩٨] قال ابنُ عباس: جاء الوليدُ بنُ المُغيرةِ إلى النبيِّ ﷺ فقرأ عليه القرآنَ، فكأنه رَقَّ له، فبلغَ ذلك أبا جَهلٍ، فأتاه، فقال: يا عَمّ إنَّ قومكَ يريدون أنْ يجمعوا لكَ مالاً، فإنكَ أتيتَ محمَّداً تتعرَّض لِمقالَتِه، فقال: قد علمتْ قريشُ أنِّي مِنْ أكثرِها مالاً. قال: فقُلْ منه قولاً يبلغُ قومَكَ أنَّك مُنكِرٌ له، قال: وماذا أقول؟ فَوَاللهِ ما فيكم رجلٌ أعلَمُ بالأشعار مني، واللهِ ما يُشبهها الذي يقول، واللهِ إنَّ لقولِه حلاوةً، وإنَّ عليه طلاوَةً، وإنه لَمُثمِرٌ أعلاهُ مُغْدِقٌ أسفلُه، وإنه لَيَعلو ولا يُعلَى. قال: لا يرضى عنكَ قومُكَ حتى تقولَ فيه، قال: فَدَعني حتى أُفكِّرَ فيه. فقال: هذا سِحرٌ يُؤثَرُ: يأثُره عن غيرِه،

[١٤٩٨] أخرجه الحاكم ٢/ ٥٠٦ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٢ عن ابن عباس، وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الصحيح. وورد عن عكرمة مرسلاً، أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» ٣٣٨٤. وفي إسناده راوٍ مجهول. وورد موصولاً عن ابن عباس من وجه آخر أخرجه الطبري ٣٥٤٢٠ وفيه عطية العوفي واهٍ لكن تعدّد طرقه يفيده قوة، والله أعلم. وانظر ما بعده. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٦٠٦ بتخريجنا.

= ومسلم ١٤٢٩ وغيرهما. ومعنى الكُراع: مستدق الساق من الرِجل.

قال ابن العربي: وكان يقبلها سنة ولا يستكثرها شرعة، وإذا كان لا يعطي عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالاجتناب، لأنها باب من أبواب المذلة. وكذلك قول من قال: إن معناه لا تعط عطية تنتظر ثوابها، فإن الانتظار تعلق بالأطماع. وذلك في حيزه بحكم الامتناع.

(١) المزمل: ١١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٢٢: يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا، فكفر بأنعم الله، وبدلها كفراً وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها، وجعلها من قول البشر. وقد عدد الله نعمه حيث قال: **﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾** أي خرج من بطن أمه لا مال له ولا ولد، ثم رزقه الله **﴿مالاً ممدوداً﴾**.

فنزلت: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾... الآياتُ كلُّها.

[١٤٩٩] وقال مُجاهِدٌ: قال الوليدُ لِقريشٍ: إنَّ لي إليكم حاجةً فاجتَمِعوا في دارِ النَّدوةِ، فقال: إنكم ذَوو أحسابٍ وأحلامٍ، وإنَّ العربَ يأتونَكُم، وينطلقون مِنْ عندكم على أمرٍ مُختلفٍ، فأجمعوا على شيءٍ واحدٍ. ما تقولون في هذا الرجلِ؟ قالوا: نقول: إنه شاعرٌ. فعَبَس عندَها، وقال: قد سَمِعنا الشعرَ فما يُشبه قولُه الشعرَ. فقالوا: نقول: إنه كاهِنٌ، قال: إذن يأتونَهُ فلا يجدونَهُ يُحدِّثُ بما يُحدِّثُ به الكَهنةُ، فقالوا: نقول: إنه مجنونٌ، قال: إذن يأتونَهُ فلا يجدونَه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحِرٌ. قال: وما الساحر؟ قالوا: بشرٌ يُحَبِّبون بين المُتباغِضِينَ، ويُبَغِّضون بين المُتحابِّينَ، قال: فهو ساحرٌ، فخرجوا لا يلقى أحدٌ منهم النبيَّ إلاَّ قال: يا ساحر، فاشتدَّ ذلك عليه، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ وذَكرَ بعضُ المُفسِّرين أن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ منسوخٌ بآيةِ السيف. ولا يصِحُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ في معنى الممدود ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: كثيراً، قاله أبو عُبيدَةَ. **والثاني**: دائماً، قاله ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: غيرَ مُنقطِعٍ، قاله الزَّجَّاجُ.

وللمفسِّرين في مِقدارِه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: غَلَّةُ شهرٍ بشهرٍ، قاله عمرُ بنُ الخَطَّابِ. **والثاني**: ألفُ دينارٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وابنُ جُبَيرٍ. قال الفَرَّاءُ: ونرى أنَّ الممدودَ: جُعِلَ غايةً للعدد، لأنَّ الألفَ غايةُ للعدد يرجع في أولِ العددِ مِنَ الألفِ. **والثالث**: أربعةُ آلافٍ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أنه بستانٌ كان له بالطَّائفِ لا ينقطعُ خيرُه شتاءً ولا صيفاً، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا﴾ أي: حضوراً معه لا يحتاجون إلى التَّصرُّفِ والنَّفرِ فيَغِيبوا عنه.

وفي عددِهم أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: عشرةٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: ثلاثةَ عشرَ، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والثالث**: اثنا عشرَ، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: سبعةٌ، قاله مُقاتِلٌ. قوله: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ أي: بَسطتُ له العيشَ، وطولَ العمرِ، ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أيَطمَعُ أنْ أُدخِلَهُ الجنَّةَ. قاله الحسَنُ. **والثاني**: أن أزيدَهُ مِنَ المال والوَلَدِ، قاله مُقاتِلٌ.

إلى قوله: ﴿كَلَّآۖ﴾ أي: لا أفعل فمَنعَهُ اللهُ المالَ والوَلَدَ حتى ماتَ فقيراً، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ أي: مُعانِداً.

وفي المراد بالآيات هنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القرآن؛ قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: الحقُّ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: رسولُ الله ﷺ، قاله السُّدِّيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: سأَحمِلهُ على مَشقَّةٍ مِنَ العذاب وقال غيره:

[١٤٩٩] ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٢ معلقاً عن مجاهد. وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ من طريق محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جُبير، وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد، وأصل الخبر له شواهد كثيرة. ورد من مرسل ابن زيد، أخرجه الطبري ٣٥٤٢٤. وورد من مرسل قتادة مختصراً، أخرجه الطبري ٣٥٤٢١. وورد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٣٥٤٢٣.
رووه بألفاظ متقاربة مختصراً ومطوّلاً، فالخبر صحيح في الأصل وانظر ما قبله.

سأكلفه مشقة من العذاب لا راحةَ له منها. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «الصَّعود»: العَقبةُ الشَّاقَّةُ، وكذلك «الكَؤُود».

[١٥٠٠] وفي حديث أبي سعيدٍ عن نبيِّ الله ﷺ في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: جبلٌ مِنْ نارٍ يُكَلَّفُ أنْ يَصعَدَهُ، فإذا وضعَ يدَهُ عليه ذابَتْ، فإذا رَفعها عادتْ، وإذا وضعَ رِجلَهُ ذابَتْ وإذا رَفعها عادتْ. يَصعَدُ سبعينَ خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً.

[١٥٠١] وذكرَ ابنُ السَّائبِ أنه جبلٌ مِنْ صخرةٍ مَلْساءَ في النار، يُكَلَّفُ أنْ يَصعَدَها حتى إذا بلغَ أعلاها أُحدِرَ إلى أسفلِها، ثم يُكَلَّفُ أنْ يصعَدَها، فذلك دَأْبُه أبداً، يُجْذَبُ مِنْ أمامه بسلاسل الحديد، ويُضرَبُ مِنْ خلفه بمَقامِعِ الحديد، فيَصعَدُها في أربعينَ سنةً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ أي: تفكَّرَ ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القولَ في نَفْسِه ﴿فَقُتِلَ﴾ أي: لُعِنَ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أي: لُعِنَ على أيِّ حالٍ قَدَّر مِنَ الكلام. وقيل: «كيف» هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. فإنما كُرِّرَ تأكيداً ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلبِ ما يدفعُ به القرآنَ، ويَردُّه ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قال اللغويون: أي: كَرَّهَ وَجْهَهُ وقطَّبَ. يقال: بَسَرَ الرجلُ وَجْهَه، إذا: قَبضَه. وأنشدوا لتَوْبَةَ:

وقَـدْ رَابَـنـي مِـنْـهـا صُـدُودٌ رَأَيْـتُـهُ ... وَإِعْـرَاضُـهـا عـن حَـاجَـتي وبُـسُـورُهـا[١]

قال المُفسِّرون: كرَّه وجهَهُ، ونظرَ بكراهيةٍ شديدةٍ، كالمُهتَمِّ المُتفكِّرِ في الشيءِ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ أي: تكبَّرَ حين دُعِيَ إليه ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما هذا القرآنُ ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: يُروى عن السَّحرةِ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ أي: مِنْ كلام الإنسِ، وليس مِنْ كلام الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي: سأدخِلُه النَّارَ. وقد ذكرنا «سَقَر» في سُورةِ القمر[٢]، قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ لِعظَم شأنِها ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تُبقي لهم لحماً إلاّ أكَلتْهُ، ولا تَذَرُهم إذا أُعِيدوا فيها خلْقاً جديداً ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ أي: مُغيِّرةٌ يُقال: لاحَتْهُ الشمس، أي: غيَّرتْه. وأنشدوا:

[١٥٠٠] ضعيف. وصدر الحديث أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٨٢ من طريق عبد الله بن سليمان عن منجاب بن الحارث أنا شريك عن عمار الذهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد، وعطية ضعيف. وأخرجه الطبري ٣٥٤١٢ من طريق شريك به. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣١: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عطية، وهو ضعيف. وأخرجه أحمد ٣/ ٧٥ والترمذي ٣٣٢٦ والحاكم ٢/ ٥٠٧ والطبري ٣٥٤١٣ والبيهقي في «البعث» ٥١٣ من حديث أبي سعيد بلفظ «الصعود جبل في النار يكلف الكافر أن يصعد فيه سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً». وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن درّاج.
وقال ابن كثير: وفيه غرابة ونكارة،
قلت: إسناده ضعيف لضعف درّاج في روايته عن أبي الهيثم، وتابعه عطية عند الطبري ٣٥٤١٢ وعطية ضعيف، والحديث صححه الحاكم! وسكت الذهبي، ولعل سبب سكوت الذهبي عليه هو كون الحديث في مقام الترهيب، وقد تساهل أهل العلم في ذلك والله أعلم.
وانظر «فتح القدير» ٢٦٠٧ بتخريجنا ولله الحمد والمنة.

[١٥٠١] عزاه المصنف لابن السائب، وهو الكلبي، وقد كذّبه غير واحد، وهو ساقط الرواية.

---

(١) البيت لتوبة بن الحُميِّر، وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٧٥. و«الأغاني» ١٠/ ٢٧٢.
(٢) القمر: ٤٨.

يـا ابـنـة عَـمّـي لاحَـنِـيَ الـهَـواجِـر

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيفَع، وابنُ عَبلَةَ «لوَّاحةً» بالنصب.

وفي «البَشَر» قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ بَشَرَةٍ، وهي جِلدَةُ الإنسان الظاهرة، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، والفَرَّاءِ، والزَّجَّاجِ. **والثاني**: أنهم الإنسُ مِنْ أهل النار، قاله الأخفَشُ، وابنُ قُتَيبَةَ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وهم خَزَنَتُها.

[١٥٠٢] مالكٌ ومعه ثمانية عشرَ، أعينُهم كالبرقِ الخاطِفِ، وأنيابُهم كالصَّياصِي يخرج لَهبُ النار مِنْ أفواهِهم، ما بين مَنْكِبَي أحدِهم مسيرةُ سنةٍ، يَسَعُ كَفُّ أحدهم مثلَ رَبيعَةَ ومُضَرَ. قد نُزِعَتْ منهم الرَّحمةُ. فلما نزلت هذه الآيةُ قال أبو جَهلٍ: يُخوِّفكم محمَّدٌ بتسعة عشرَ، ما له مِنَ الجنود إلاَّ هؤلاءِ! أيعجزُ كلُّ عشرةٍ منكم أنْ يبطشوا بواحدٍ منهم، ثم يخرجون مِنَ النَّار! فقال أبو الأشد[1] قال مقاتل: اسمه: أَسِيدُ بنُ كِلْدَةَ. وقال غيره: كِلدَةُ بنُ خَلَفِ الجُمَحيُّ: يا معشرَ قُريشٍ: أنا أمشي بين أيديكم وأدفعُ عشرةً بمَنْكِبي الأيمن، وتسعةً بمَنكِبي الأيسر، فندخل الجنَّةَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا آدميين، فمَنْ يُطيقُهم ومَنْ يغلبُهم؟! ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ في هذه القِلَّةِ ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: ضلالة ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حتى قالوا ما قالوا ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أنَّ ما جاء به محمَّدٌ حقٌّ، لأنَّ عِدَّتهم في التَّوراةِ تسعةَ عشرَ، ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِنْ أهل الكتاب ﴿إِيمَانًا﴾ أي: تصديقاً بمحمَّدٍ ﷺ إذ وجدوا ما يُخبرهم به مُوافقاً لِمَا في كتابهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ولا يشكُّ هؤلاءِ في عِدَّةِ الخزَنَةِ.

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه النِّفاقُ، ذكره الأكثرون. **والثاني**: أنه الشكُّ، قاله مُقاتِلٌ، وزعم أنهم يهودُ أهلِ المدينة، وعنده أنَّ هذه الآية مدنيَّةٌ. **والثالث**: أنه الخِلافُ، قاله الحُسينُ بنُ الفَضلِ. وقال: لم يكن بمكَّةَ نِفاقٌ. وهذه مكِّيَّةٌ. فأمَّا «الكافرون» فهم مُشرِكو العرب، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ أي: أَيَّ شيءٍ أراد الله ﴿بِهَذَا﴾ الحديثِ والخبرِ ﴿مَثَلًا﴾ والمَثَلُ يكون بمعنى الحديث نفسه ومعنى الكلام: يقولون ما هذا من الحديث ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أضلَّ مَنْ أنكرَ عِدَّةَ الخزَنَةِ، وهدى مَنْ صدَّقَ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وأُنزلَ في قول أبي جَهلٍ: أما لِمُحمَّدٍ مِنَ الجنود إلاَّ تسعةَ عشرَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعني: مِنَ الملائكة الذين خَلَقَهم لتعذيب أهل النار. وذلك أنَّ لكلِّ واحدٍ مِنْ هؤلاءِ التسعة عشرَ مِنَ الأعوان ما لا يعلمه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، وذكر المَاورديُ في وجهِ الحِكمةِ في كونِهم تسعةَ عشرةَ قولاً مُحتملاً، فقال: التسعة عشر: عددٌ يَجمع أكثرَ القليل، وأقلَّ الكثير، لأنَّ الآحادَ أقلُّ الأعداد، وأكثرها تسعةٌ، وما سِوى الآحاد كثيرٌ. وأقلُّ الكثيرِ: عشرة، فوقع الاقتصارُ على عددٍ يَجمعُ أقلَّ الكثيرِ، وأكثرَ القليلِ. ثم رجعَ إلى ذكرِ النار فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى﴾ أي: ما

[١٥٠٢] لا أصل له بهذا اللفظ. ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٤/ ٦٥١ فقال الحافظ: لم أجده. والظاهر أن مصدره مقاتل، حيث ذكره المصنف في أثناء الخبر، أو يكون الكلبي، وكلاهما ممن يضع الحديث.

---

(١) وقع في المطبوع: أبو الأسدين، وسيأتي في سورة الانفطار، الآية ٦: أبو الأشدين، والتصويب عن «معالم التنزيل» ٤/ ٣٨٥ و «الكشاف» ٤/ ٦٥١ و «تفسير الماوردي» ٤/ ١٤٥.

النارُ في الدنيا إلاَّ مُذكِّرةٌ بنارِ الآخرة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً ﴿وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قرأ ابنُ كَثير، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «إذا أدبر» وقرأ نافعٌ، وحمزةُ، وحَفصٌ، والفضلُ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ وخَلَفٌ، «إذ» بسكون الذال مِنْ غيرِ ألفٍ بعدَها «أدْبر» بسكونِ الدال، وبهمزةٍ قبلها. وهل معنى القراءتين واحدٌ، أَمْ لا؟ فيه قولان[1]: أحدهما: أنهما لُغتانِ بمعنًى واحدٍ. يقال: دَبَرَ الليل، وأدبرَ، ودَبرَ الصيفُ وأدْبر، هذا قول الفَرَّاءِ. والأخفَشِ، وثَعلَبٍ. والثاني: أنَّ «دَبر» بمعنى خَلَفَ، و «أدبر» بمعنى وَلَّى. يقال: دَبَرني فُلانٌ: جاء خَلْفي، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عُبيدَةَ وابنُ قُتيبةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي: أضاءَ وتبيَّن ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: سَقَر ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ قال ابنُ قُتيبة: الكُبَر، جمعُ كُبرى، مثل الأوَل والأُولى، والصُّغَر والصُّغْرى. وهذا كما يُقال: إنها لإحدى العظائِمِ. قال الحسَنُ: واللهِ ما أنذر الله بشيءٍ أدْهى منها.

وقال ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ: أراد بالكُبَرِ: دَرَكات جهنَّم السبعة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: نصب «نذيراً» على الحالِ. والمعنى: إنها لَكبيرةٌ في حالِ الإنذار. وذَكَّرَ «النذير»، لأنَّ معناه معنى العذاب. ويجوز أنْ يكونَ «نذيراً» منصوباً مُتعلِّقاً بأولِ السُّورةِ، على معنى: قُمْ نذيراً للبَشرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدلٌ مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: «للبَشَر»، ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدها: أنْ يتقدَّمَ في طاعةِ الله أو يتأخَّرَ عن معصيتِهِ، قاله ابنُ جُريج. والثاني: أنْ يتقدَّمَ إلى النار، أو يتأخَّرَ عن الجنة، قاله السُّدِّيُّ. والثالث: أنْ يتقدَّمَ في الخير، أو يتأخَّرَ إلى الشَّرِّ، قاله يَحيى بنُ سَلام. والرابع: أنْ يتقدَّمَ في الإيمان، أو يتأخَّرَ عنه. والمعنى: أنَّ الإنذارَ قد حصل لكلِّ أحدٍ ممن أقرَّ أو كَفَرَ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: أحدها: كلُّ نفسٍ بالغةٍ مُرتهنةٌ بعملها لتُحاسبَ عليه ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهم أطفالُ المسلمين، فإنه لا حسابَ عليهم، لأنه لا ذنوبَ عليهم، قاله عليٌّ رضي الله عنه واختاره الفَرَّاءُ. والثاني: كلُّ نَفْسٍ مِنْ أهلِ النار مُرتهنةٌ في النار، إلاَّ أصحابَ

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣١٥: والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان بمعنى، وذلك أنه محكي عن العرب، قبح الله ما قَبل وأبر، ودبر الصيف وأدبر، وكذلك قبل وأقبل، وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك، لأنهما بمعنى واحد.

اليمين، وهم المؤمنون، فإنهم في الجنة، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: كلُّ نَفْسٍ مُرتَهنةٌ بعملها لِتُحاسبَ عليه إلاّ أصحابَ اليمين، فإنهم لا يُحاسَبُون، قاله ابنُ جُرَيج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال مُقاتِلٌ: إذا خرج أهلُ التوحيد مِنَ النار قال المؤمنون لِمَنْ بقيَ في النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ قال الفَرَّاءُ: وهذه الآية تُقوِّي أنهم الوِلْدَان لأنهم لم يعرفوا الذنوبَ فسألوا ما سَلَكَكُم في سَقَرٍ؟ قال المُفسِّرون: سَلَكَكُم بمعنى: أَدْخَلَكُم. وقال مُقاتِلٌ: ما حَبَسَكُم فيها؟ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ لله في دارِ الدنيا ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ أي: لم نتصدَّق لله ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ أهل الباطل والتكذيب ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ وهو الموت. يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ وهذا إنما جرى بعدَ شفاعةِ الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدلُّ على أنَّ نفعَ الشفاعة لِمَنْ آمنَ. قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾؟ يعني: كفَّارَ قُريشٍ حين نَفَروا مِنَ القرآن والتذكيرِ بمواعِظِه. والمعنى: لا شيءَ لهم في الآخرة إذْ أعرَضُوا عن القرآن ولم يؤمِنوا به، ثم شبَّههم في نُفورِهم عنه بالحُمُرِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم بفتح الفاء. والباقون بكسرِها. قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ: مَنْ قرأ بفتح الفاء أراد: مَذعُورَةَ، استَنْفِرتْ فنفَرتْ، ومَنْ قرأ بكسرِ الفاء أراد: نافِرَة: قال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: حُمُرٌ مُستَنْفَرَة. وناسٌ مِنَ العرب يكسِرُون الفاءَ. والفتحُ أكثرُ في كلام العرب. وقراءتُنا بالكسرِ. أنشدني الكِسائيُّ:

إِحْبِسْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرُ ... فِي إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ

«وغُرَّب» موضعٌ.

وفي «القَسْوَرَة» سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الأسدُ، رواه يُوسفُ بنُ مِهرانَ عن ابنُ عباسٍ: وبه قال أبو هُرَيرَةَ، وزيدُ بنُ أَسلَمَ، وابنُه. قال ابنُ عباسٍ: الحُمُرُ الوحشيَّةُ إذا عايَنَتْ الأسدَ هَرَبَتْ منه، فكذلك هؤلاءِ المشركون إذا سمعوا النبيَّ ﷺ هربوا منه، وإلى هذا ذهب أبو عُبيدَةَ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: كأنَّه مِنَ القَسْرِ والقَهرِ. والأسدُ يَقهرُ السِّباعَ. **والثاني**: أنَّ القَسْوَرَة: الرُّماة، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو موسى الأشعَريُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ، وابنُ كَيْسانَ. **والثالث**: أنَّ القَسْوَرَة: حِبالُ الصَّيادين، رواه عِكرِمَةُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنهم عُصَبُ الرِّجَالِ، رواه أبو حَمزَةَ عن ابنِ عباسٍ. واسم أبي حمزَةَ: نَصْرُ بنُ عِمرانَ الضُّبَعيُّ. **والخامس**: أنه ركز الناس، وهذا في روايةِ عَطاءٍ أيضاً عن ابنِ عباسٍ. وركز الناس: حِسُّهُم وأصواتُهم. **والسادس**: أنه الظُّلْمةُ والليلُ، قاله عِكرمَةُ. **والسابع**: أنه النَّبْلُ، قاله قَتادَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم قالوا للنبيِّ ﷺ: إنْ سَرَّكَ أنْ نَتَّبِعَكَ، فليُصبِحْ عند رأسِ كلِّ رجلٍ منَّا كتابٌ منشورٌ مِنَ الله تعالى إلى فُلانِ بنِ فُلانٍ يُؤمَرُ فيه باتِّباعِكَ؛ قاله الجمهور(١). **والثاني**: أنهم أرادوا براءةً مِنَ النار أنْ لا يُعذَّبوا بها، قاله أبو صالحٍ. **والثالث**: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنبَ في بَني إسرائيلَ وجدَهُ مكتوباً إذا أصبحَ في رُقعةٍ.

---

(١) عزاه المصنف للجمهور. وهو عند الطبري ٣٥٥١٩ عن قتادة. وعزاه السيوطي في «الدر» ٦/ ٤٦١ لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

فما بالُنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآيةُ، قاله الفَرَّاءُ. فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يُؤتَون الصُّحُفَ ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ أي: لا يَخْشَوْنَ عذابَها. فالمعنى: أنهم لو خافوا النارَ لَمَا اقترحوا الآياتِ بعدَ قيامِ الدَّلالةِ ﴿كَلَّآ﴾ أي: حقًّا. وقيل: معنى (كلاَّ): ليس الأمرُ كما يريدون ويقولون ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: تذكيرٌ وموعِظةٌ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ الهاء عائدةٌ على القرآن فالمعنى: فمَنْ شاء أنْ يذكرَ القرآن ويتَّعِظَ به ويفهمَهُ، ذَكَرهُ. ثم رَدَّ المشيئةَ إلى نَفْسِه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلاَّ أنْ يريدَ لهم الهُدى ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: أهلٌ أنْ يُتَّقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: أهلٌ أنْ يَغفِرَ لِمَنْ تابَ.

[١٥٠٣] رَوى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآيةَ، فقال: «قال ربُّكم عزَّ وجلَّ: أنا أهلٌ أَنْ أُتَّقى، فلا يُشرَكَ بي غيري. وأنا أهلٌ لِمَنْ اتَّقى أنْ يُشرِكَ بي غيري أنْ أغفِر له».

[١٥٠٣] ضعيف، في إسناده سهيل بن أبي حزم ضعيف، ومداره عليه. قال الحافظ في «التهذيب» قال أحمد: روى أحاديث منكرة، وقال ابن معين: صالح. وقال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات. أخرجه ابن ماجه ٤٢٩٩ وأبو يعلى ٣٣١٧ من طريق هدبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس به. وأخرجه الترمذي ٣٣٢٥ وأحمد ٣/ ١٤٢ و ٢٤٣ والدارمي ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ والحاكم ٢/ ٥٠٨ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ من طرق عن سهيل بن أبي حزم به. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرّد سهيل بهذا الحديث عن ثابت.
الخلاصة: هو حديث ضعيف.
وانظر «فتح القدير» ٢٦١٢ و «الجامع لأحكام القرآن» ٦١٨٠ بتخريجنا.

سورة القيمة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (١٥)﴾

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ اتَّفقوا على أنَّ المعنى «قَسَم» واختلفوا في «لا» فجعلَها بعضُهم زائدةً، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] وجعلها بعضُهم توكيداً للقَسَم كقولكَ: لا واللّهِ لا أفعلُ، وجعلها بعضُهم رَدًّا على مُنكري البَعثِ. ويدل عليه أنه «أُقسِمُ» على كَونِ البَعثِ. قال ابنُ قُتَيبةَ: زيدت «لا» على نيَّةِ الردِّ على المُكذِّبين، كما تقول: لا واللّهِ ما ذاكَ كما تقول: ولو حُذِفَتْ جازَ، ولكنه أبلغُ في الردِّ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ إلاَّ ابنَ فُلَيحٍ «لأقسم» بغيرِ ألفٍ بعد اللام فجعلها لاماً دخلتْ على «أُقسِمُ»، وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ، وأبي عبدِ الرَّحمنِ، والحسَنِ، ومُجاهِدٍ، وعِكرمَةَ. وابنِ مُحَيصِنٍ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «لأقسم» فاللام لامُ القَسمِ والتوكيدِ. وهذه القراءة بعيدةٌ في العربية، لأنَّ لامَ القَسَمِ لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النونِ، تقول: لأَضربنَّ زيداً. ولا يجوز: لأَضْرِبُ زيداً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ قال الحسَنُ: أَقسَمَ بالأولى ولم يُقسِمْ بالثانية. وقال قَتادةُ: حُكمها حُكمُ الأولى.

وفي «النَّفس اللَّوامَة» ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنها المذمومة، قاله ابنُ عباسٍ. فعَلَى هذا: هي التي تلومُ نَفْسَها حين لا ينفعها اللومُ. **والثاني**: أنها النَّفسُ المؤمنةُ، قاله الحسَنُ. قال: لا ترى المؤمنَ

(١) الحديد: ٢٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٢٨: إن المقسم عليه متى كان منفياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه هاهنا إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد، ولهذا قال: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾ والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قال قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير.

إلاّ يلومُ نَفْسَه على كلِّ حالٍ. **والثالث**: أنها جميع النفوس. قال الفَرَّاءُ: ليس مِنْ نفس بَرَّةٍ ولا فاجرةٍ إلاّ وهي تلومُ نَفْسَها، إنْ كانت عملت خيراً قالت: هلاَّ زِدْت. وإن كانت عملت سوءاً قالت: ليتني لم أفعل.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ المراد بالإنسان ها هنا: الكافر.

وقال ابنُ عباسٍ: يريد أبا جهلٍ.

[١٥٠٤] وقال مُقاتِلٌ: عَدِيُّ بْنُ رَبيعَةَ وذلك أنه قال: أَيَجمعُ اللّهُ هذه العظام؟ فقال النبيُّ ﷺ له: «نعم»، فاستَهزأَ مِنه، فنزلت هذه الآية. قال ابنُ الأنباري: وجواب القَسَم محذوفٌ؛ كأنه: لَيُبْعَثُنَّ لَيُحاسَبُنَّ، فدلَّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ على الجواب، محذوفٌ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَىٰ﴾ وقف حسن. ثم يُبتدأ ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على معنى: بلى نجمعها قادرين، ويَصلُح نصبُ «قادرين» على التكرير: بلى فَلْيَحْسَبْنا قادرين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: أنْ نجعلَ أصابعَ يديهِ ورِجْليهِ شيئاً واحداً كخُفِّ البعير، وحافِرِ الحمار، فيَعدَمُ الارتفاقَ بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: نقدِرُ على تسوية بَنانِه كما كانت، وإنْ صَغُرَتْ عظامُها، ومَنْ قَدرَ على جمع صغارِ العظام، كان على جمعِ كبارِها أقدرَ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ. وقد بيَّنا معنى البَنانِ في الأنفال[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يُكذِّب بما أمامَهُ مِنَ البَعثِ والحساب، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُقدِّم الذَّنْبَ ويُؤخِّرُ التوبةَ، ويقول: سوف أتوبُ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر، ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ أهلُ المدينة، وأبانُ عن عاصِم «بَرَق» بفتح الراء، والباقون بكسرها: قال الفَرَّاءُ: العرب تقول: بَرِقَ البَصرُ يَبْرَق، وبَرَق يَبْرُق: إذا رأى هولاً يَفزَعُ منه. و «بَرِق» أكثر وأجودُ. قال الشاعر:

فَنَفْسَكَ فَانْعَ ولا تَنْعَني ... وداوِ الكُلُومَ ولاَ تَبْرَقِ[٢]

بالفتح. يقول: لا تَفزَعْ مِنْ هَولِ الجراحِ التي بكَ. قال المُفسِّرون: يَشخص بَصرُ الكافر يومَ القيامة، فلا يَطْرِفُ لِمَا يرى مِنَ العجائب التي كان يُكذِّبُ بها في الدنيا. وقال مُجاهِدٌ: بَرِقَ البصرُ عند الموت.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: خسَفَ وكَسَفَ بمعنًى واحدٍ، أي: ذهبَ ضوءُه.

[١٥٠٤] لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٣ بدون إسناد. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٦٥٩: ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد. فالخبر باطل لا أصل له، ولم ينسبه هؤلاء إلى قائل، ولم يذكره السيوطي في «الدر» ولا في «أسباب النزول» ولا ذكره الطبري، وكل ذلك دليل على وضعه، والله أعلم. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦١٨١.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣٢٧: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ـ النفس اللوامة ـ وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

(٢) الأنفال: ١٢.

(٣) البيت لطرفة بن العبد، في ديوانه: ٢١٨، و «اللسان» ـ برق.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ إنما قال: «جُمِعَ» لتذكير القمر، هذا قولُ أبي عُبيدَة. وقال الفرّاءُ: إنما لم يَقُلْ: جُمِعَتْ، لأنَّ المعنى: جُمِعَ بينهما وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: جُمِعَ بين ذاتَيهما. وقال ابنُ مسعودٍ: جُمِعا كالبعيرين القَرِينَيْن. وقال عَطاءُ بنُ يَسارٍ: يُجْمَعَان ثم يُقْذَفَانِ في البحر. وقيل: يُقْذَفَان في النار. وقيل: يُجمَعان، فيَطلعانِ مِنَ المَغربِ. **والثاني**: جُمِعَ بينهما في ذهابِ نُورِهما، قاله الفرّاءُ، والزجاج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: المُكذِّب بيوم القيامة ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم، والفاء، وقرأ ابنُ عباسٍ، ومُعاويَةُ، وأبو رَزِينٍ؛ وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضَّحَّاكُ والزُّهريُّ، وابنُ يَعْمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: بكسرِ الفاء. قال الزَّجّاجُ: فمَنْ فَتحَ، فالمعنى: أينَ الفِرار؟ ومَنْ كَسرَ، فالمعنى: أينَ مكانُ الفِرار؟ تقول: جلستُ مَجلَساً بالفتح، يعني: جلوساً. فإذا قلتَ: مَجْلِساً بالكسر. فأنتَ تريد المكانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: لا ملجأَ. وأصل الوَزَر: الجبل الذي يُمتَنعُ فيه ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي: المُنتهى والمَرجع. ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: بما قدَّم قبل موته، وما سَنَّ مِنْ شيءٍ فعُمِل به بعد موته، قاله ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ. **والثاني**: يُنَبَّأُ بأوَّل عمله وآخره. قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: بما قدَّم مِنَ الشَّرِّ، و أخَّرَ مِنَ الخير. قاله عِكرِمَةُ. **والرابع**: بما قدَّم مِنْ فرضٍ، وأخَّر مِنْ فرضٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والخامس**: : بما قدَّم مِنَ المعصية، وأخَّرَ مِنَ الطاعة. **والسادس**: بما قدم من أمواله، وما خلف للورثة قاله زيد بن أسلم. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ قال الفرّاءُ: المعنى: بَلْ على الإنسان مِنْ نفسه بصيرةٌ، أي رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي: الجَوارِحُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فلمّا كانت جوارِحُه منه، أقامَها مقامَهُ. وقال أبو عُبيدَةَ: جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذَّكرِ، كما كانت في: رجل راوِية، وطاغية، وعَلاَّمة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾.

وفي المَعاذِير قولان: **أحدهما**: أنه جمعُ عُذْرٍ، فالمعنى: لو اعتذَر، وجادَلَ عن نَفْسِه، فعليه مَنْ يُكذِّب عُذرَهُ، وهي: الجَوارحُ، وهذا قولُ الأكثرين. **والثاني**: أنَّ المَعاذِير جمع مِعْذار، وهو: السِّتر. والمَعاذِيرُ: السُّتور. فالمعنى: ولو أَرخى سُتورَه، هذا قولُ الضَّحّاكِ، والسُّدِّيّ، والزَّجّاج. فيخرج في معنى «ألقى» قولان: **أحدهما**: قال، ومنه: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾(١)، وهذا على القولِ الأولِ. **والثاني**: أرْخى، وهذا على القولِ الثاني.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾

(١) النحل: ٣٦.

[١٥٠٥] رَوى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يُعالِجُ مِنَ التنزيل شدةً، وكان يشتدُّ عليه حِفظُه، وكان إذا نزل عليه الوحيُ يُحرِّكُ لسانَه وشَفَتَيْهِ قبل فراغ جِبريلَ مِنْ قراءة الوحي، مخافةَ أنْ لا يحفظَهُ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. معناها: لا تُحرِّكْ بالقرآن لسانَكَ لِتَعجلَ بأخذِه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: ضمَّه وجَمْعَه في صَدْرِكَ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: جمعناه ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: جَمْعَه. قال المُفسِّرون: يعني: اقرأه إذا فرغَ جِبريلُ مِنْ قراءَتِه[١]. قال ابنُ عباسٍ: فاتَّبِعْ قرآنه، أي: اعمَلْ به. وقال قَتادةُ: فاتَّبِعْ حلالَه وحرامَه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: نُبيِّنه بلسانِك، فتقرؤه كما أقرأَكَ جِبريلُ. وكان إذا أتاه جِبريلُ أطْرَقَ، فإذا ذهب، قرأه كما وَعدَهُ الله، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: إنَّ علينا أنْ نجزيَ به يومَ القيامة بما فيه مِنْ وعدٍ ووَعيدٍ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: إنَّ علينا بيانَه: ما فيه مِنَ الأحكامِ، والحلالِ، والحرامِ، قاله قَتادةُ. **والرابع**: علينا أنْ نُنزِّله قرآناً عربياً، فيه بيانٌ للناس، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال عَطاءٌ: أي: لا يؤمنُ أبو جهلٍ بالقرآن وبيانِه، وقال ابنُ جَريرٍ: والمعنى: ليس الأمر كما تقولون مِنْ أنكم لا تُبعَثُون، ولكنْ دَعاكُم إلى قيلِ ذلك مَحبَّتُكم للعاجلةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ قرأ ابنُ كَثير، وأبو عمرٍو «بل يحبون العاجلة ويذرون» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالتاء فيهما. والمراد: كفار مكَّةَ، يُحبُّونها ويعملون لها «ويذرون الآخرة» أي: يتركون العملَ إيثاراً للدنيا عليها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: مُشرقةٌ بالنِّعَم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ روى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: إلى الله ناظرةٌ. قال الحسَنُ: حُقَّ لها أنْ تَنضَر وهي تنظر إلى الخالِق، وهذا مذهبُ عِكرِمَةَ. ورؤيةُ الله عزَّ وجلَّ حقٌّ لا شكَّ فيها. والأحاديث صحيحةٌ صِحاحٌ، قد ذَكرتُ جملةً منها في «المغني» و «الحدائق».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: عابسةٌ مُقَطِّبةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَظُنُّ﴾ قال الفرَّاءُ: أي: تَعلَمُ، و «الفاقِرة» يُقال: إنه الدَّاهيَةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: إنه مِنْ فَقارَةِ الظَّهرِ، كأنها تَكسِرُه، يقال: فَقَرتُ الرجلَ إذا كَسَرتَ فَقارَه، كما يُقال: رَأَسْتُه: إذا ضَربتَ رأسَه، وبَطَنْتُه: إذا ضَرَبْتَ بَطنَه. قال ابنُ زيدٍ: والفاقِرَة: دخولُ النار. قال ابنُ السَّائبِ: هي أنْ تُحجَبَ عن ربِّها، فلا تنظر إليه.

[١٥٠٥] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٢٩ والبغوي في «التفسير» ٢٢٩٧ بترقيمنا عن قتيبة بن سعيد به عن ابن عباس. وأخرجه البخاري ٥ و ٤٩٢٧ و ٤٩٢٨ و ٥٠٤٤ و ٧٥٢٤ ومسلم ٤٤٨ والترمذي ٣٣٢٩ والنسائي في «التفسير» ٦٥٤ من طريق موسى بن أبي عائشة به.

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/٣٤٩: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما ثبت في الصحيح. وهذا يعضد ما تقدم في سورة المزمل من قوله: **﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾** أن قراءته ﷺ كان يمد صوته مداً. وهذا المعنى صحيح. وذلك أن المتلقن من حكمه الأوكد أن يصغي إلى الملقن بقلبه ولا يستعين بلسانه، فيشترك الفهم بين القلب واللسان، فيذهب روح التحصيل بينهما، ويُخزل اللسان بتجرد القلب للفهم، فيتيسر التحصيل، وتحريك اللسان يجرد القلب عن الفهم، فيتعسر التحصيل بعادة الله التي يسّرها.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كلا» رَدعٌ وتنبيهٌ. المعنى: ارتَدِعوا عمَّا يؤدِّي إلى العذاب. وقال غيره: معنى «كلاَّ»: لا يُؤْمِنُ الكافرُ بهذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ يعني: النَّفس. وهذه كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ. و ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ العِظامُ المُكتنِفةُ لنُقرَةِ النَّحرِ عن يمينٍ وشمالٍ. وواحدةُ التَّراقي تَرْقوة، ويُكنَّى ببلوغ النَّفسِ التَّراقي عن الإشفاءِ على الموت، ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه قولُ الملائكة بعضِهم لبعضٍ: مَنْ يَرقى روحَهُ، ملائكةُ الرَّحمةِ، أو ملائكةُ العذاب؟ رواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العاليةِ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه قولُ أهلِه: هل مِنْ رَاقٍ يَرْقيه بالرُّقَى؟ وهو مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال عِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وأبو قِلابَةَ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ، وأبو عُبيدَة، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقنَ الذي بلَغَتْ رُوحُه التَّراقيَ ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ للدنيا ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أمرُ الدنيا بأمرِ الآخرة، رواه الوالبيُّ عن ابنِ عباسٍ: وبه قال مُقاتِلٌ. **والثاني**: اجتمع فيه الحياةُ والموتُ، قاله الحسَنُ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: التفَّتْ ساقاهُ في الكفنِ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيّبِ. **والرابع**: الْتفَّتْ ساقاه عند الموت، قاله الشَّعْبيُّ. **والخامس**: الشِّدةُ بالشِّدةِ، قاله قَتادَةُ. آخرُ شدةِ الدنيا بأولِ شدةِ الآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ أي: إلى الله المُنتهى، قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: «لا» ها هنا في موضع «لم». قال المُفسِّرون هو أبو جهلٍ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: رجعَ إليهم يتبخترُ ويَختالُ. قال الفَرَّاءُ: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أي: يتبخترُ، لأنَّ الظَّهرَ هو المَطَا، فيَلْوي ظَهرَهُ مُتبختِراً. وقال ابنُ قُتيبةَ: أصله يَتمطَّطُ، فقُلِبت الطاءُ فيه، كما قيل: يتظنَّى، أي: يتَظنَّن، ومنه المِشيةُ المُطَيْطَاء. وأصل الطاءِ في هذا كلِّه دالٌ. إنما هو مَدَّ يدَهُ في المشي إذا تبخترَ. يقال: مَطَطتُ ومَدَدتُ بمعنىً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: هو تهديدٌ ووَعيدٌ. وقال الزَّجَّاجُ: العرب تقول: أَوْلَى لِفُلانٍ: إذا دَعَتْ عليه بالمكروهِ، ومعناه: وَلِيكَ المكروهُ يا أبا جهلٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعني: أبا جهلٍ ﴿أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: يُهمَل فلا يؤمَرُ ولا يُنهى ولا يُعاقَبُ، يُقال: أسديتُ الشيءَ، أي: أهملتُه. ثم دلَّ على البعثِ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ: «تُمْنَى» بالتاء. وقرأ ابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ، ويعقوبُ «يُمْنَى» بالياء. وعن أبي عمرٍو كالقراءَتين. وقد شرحنا هذا في النجم[1] ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ﴾ بعدَ النُّطفةِ ﴿فَخَلَقَ﴾ فيه الرُّوحَ، وسَوَّى خَلْقَه ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ﴾ أي:

(١) النجم: ٢٤.

خَلَقَ مِنْ مائِه أولاداً ذكوراً وإناثاً ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعلَ هذا ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على أن يُحييَ الموتى وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وأبو رَجاءٍ، وعاصِمٌ الجَحْدَريُّ «يقدر» ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهذا تقريرٌ لهم، أي: إنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداء قَدَر على الإعادةِ.

[١٥٠٦] قال ابنُ عباسٍ: إذا قرأ أحدُكم هذه الآيَةَ، فليَقُلْ: اللهُمَّ بَلَى.

[١٥٠٦] أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً كما في «الدر» ٦/ ٤٧٩. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه أبو داود ٨٨٧ عن عبد الله بن محمد الزهري به. وأخرجه أحمد ٢/ ٢٤٩ والترمذي ٣٣٤٧ مختصراً والبيهقي ٢/ ٣١٠ من طريق إسماعيل بن أمية به.
وقال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمى اهـ.
وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١٠ من طريق إسماعيل بن أمية عن أبي اليسع عن أبي هريرة به وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! في حين قال الذهبي في «الميزان» ٤/ ٥٨٩: أبو اليسع لا يدرى من هو. وأخرجه عبد الرزاق ٣٦٥٨ في «التفسير» عن إسماعيل بن أمية مرسلاً، وهو الصحيح. الخلاصة: الحديث ضعيف بصيغة الأمر، وأما كونه مستحب فهو حسن كما في حديث موسى بن أبي عائشة أخرجه أبو داود ٨٨٤ والبيهقي ٢/ ٣١٠ وعبد الرزاق في «التفسير» عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة: أن رجلاً حدثهم أنه سمعه من النبي ﷺ.

سورة الإنسان

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

سُورَةُ هل أتى: ويُقال لها: سُورَةُ الدهر

وفيها ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنها مدنيَّةٌ كلُّها، قاله الجمهور منهم، مُجاهِدٌ وقَتادَةُ. **والثاني**: مكيَّةٌ، قاله ابنُ يَسارٍ، ومُقاتِلٌ، وحُكِيَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ فيها مكِّيًّا ومدنيًّا.

ثم في ذلك قولان: **أحدهما**: أن المكِّيَّ منها آيةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ وباقيها جميعه مدنيٌّ، قاله الحسَنُ وعِكرِمَةُ. **والثاني**: أنَّ أوَّلَها مدنيٌّ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾(٢) ومن هذه الآية إلى آخرِها مكِّيٌّ، حكاه الماوَرديّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ قال الفرَّاءُ: معناه: قد أتى. و «هل» تكون خبراً، وتكون جَحْداً، فهذا مِنَ الخبر، لأنكَ تقول: هل وعظتُكَ؟ هل أعطيتُكَ؟ فتقرِّره بأنكَ قد فعلتَ ذلك. والجَحدُ، أنْ تقولَ: وهل يقدرُ أحدٌ على مثلِ هذا؟ وهذا قولُ المُفسِّرين، وأهل اللغة. وفي هذا الإنسان قولان: **أحدهما**: أنه آدمُ عليه السلام. والحينُ الذي أتى عليه: أربعونُ سنةً، وكان مُصَوَّراً مِنْ طينٍ لم يُنفَخ فيه الرُّوحُ، هذا قولُ الجمهور. **والثاني**: أنه جميع الناس، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وابنِ جُرَيجٍ، فعَلَى هذا يكون الإنسان اسمَ جنسٍ، ويكون الحينُ زمانَ كونِه نُطفَةً، وعَلقَةً، ومُضْغَةً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ المعنى: أنه كان شيئاً، غيرَ أنه لم يكُنْ مذكوراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: وَلَدَ آدمَ ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: أخلاطٍ. يُقال: مَشَجتُه، فهو مَشِيجٌ، يريد: اختلاط ماءِ المرأة بماءِ الرجل.

قوله تعالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ قال الفرَّاءُ: هذا مُقدَّمٌ، ومعناه التأخير، لأنَّ المعنى: خلقناه وجعلناه سميعاً بصيراً لِنَبتلِيَه. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جعلناه كذلك لِنَختبِرَه وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾

(١) قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/ ١٧٠: قال الجمهور: مدنية وقيل: فيها مكي، من قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا﴾ [الإنسان: ٢٣] إلى آخر السورة وما تقدّمه مدني.

(٢) الإنسان: ٢٣.

أي بيَّنَّا له سبيلَ الهدى بنَصْبِ الأدلَّةِ، وبَعثِ الرسولِ[1] ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: خلقناه إمَّا شاكراً ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وقال الفرَّاءُ: بيَّنَّا له الطريقَ إنْ شَكرَ، أو كَفرَ.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا
﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ
ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن
رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا
﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾
وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ
مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا
﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا
﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ
خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ
وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ «سلاسل» بغير تنوينٍ، ووقفوا بألفٍ، ووَصلَه أبو عمرو بألفٍ مِنْ غير تنوينٍ والباقون يَصِلُون بالتنوين ويَقِفُون بألفٍ. قال مَكِّيُّ بنُ أبي طالبٍ النَّحوي: «سلاسل» و«قوارير» أصله أنْ لا ينصرفَ، ومن صَرفَهُ مِنَ القُرَّاءِ، فإنها لغةٌ لبعض العرب. وقيل: إنما صَرفَهُ لأنه وقع في المصحفِ بالألف، فصرفه لاتِّباعِ خطِّ المصحف. قال مُقاتِلٌ: السلاسلُ في أعناقِهم، والأغلالُ في أيديهِم. وقد شرحنا معنى «السَّعير» في سُورَة النِّساء[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ واحدهم برٌّ، وبارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المُطيعون. وقال الحسَنُ: وهم الذين لا يُؤذُون الذَّرَّ ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: مِنْ إناءٍ فيه شرابٌ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ يعني:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٣٥: وقوله: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصّرناه به، كقوله: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ وكقوله: ﴿وهديناه النجدين﴾، أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد ـ في المشهور عنه ـ والجمهور.

(٢) النساء: ١٠.

مِزاج الكأسِ ﴿كَافُورًا﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الكافور المعروف، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، فعلى هذا في المراد «بالكافور» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: بَرْدُه، قاله الحسَنُ. **والثاني**: رِيحُه، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: طَعْمُه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أنه اسمُ عَيْنٍ في الجنَّةِ، قاله عَطاءٌ، وابنُ السَّائِبِ. **والثالث**: أنَّ المعنى: مِزاجُها كالكافورِ لِطيبِ ريحه، وأجازه الفراء، والزجاج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَيْنًا﴾ قال الفَرَّاءُ: هي المُفَسِّرة للكافورِ، وقال الأخفَشُ: هي منصوبةٌ على معنى: أعني عَيْناً. وقال الزَّجَّاجُ: الأجوَدُ أن يكون المعنى: مِنْ عَيْنٍ، قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: يشرب منها. **والثاني**: يشربها، والباء صِلةٌ. **والثالث**: يشرب بها عِبادُ الله الخمرَ يَمزِجُونها بها.

وفي هذه العَيْنِ قولان: **أحدهما**: أنها الكافور الذي سبق ذِكرُه. **والثاني**: التَّسْنِيمُ، و ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ ها هنا: أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ قال مُجاهِدٌ: يَقُودونَها إلى حيثُ شاؤوا مِنَ الجنَّةِ. قال الفَرَّاءُ: حيثُ ما أحبَّ الرجلُ مِنْ أهلِ الجنَّةِ فَجَّرها لِنَفْسِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ قال الفَرَّاءُ: فيه إضمارُ «كانوا» يُوفُون بالنَّذرِ. وفيه قولان[1]: **أحدهما**: يُوفُون بالنَّذْرِ إذا نذروا في طاعة الله، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ. **والثاني**: يُوفون بما فرضَ اللَّهُ عليهم، قاله قَتادَةُ. ومعنى «النَّذر» في اللغة: الإِيجاب. فالمعنى يُوفون بالواجب عليهم، قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: فاشِياً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: فاشِياً مُنتشراً. يُقال: استَطارَ الحريقُ: إذا انتشرَ، واستَطار الفَجْرُ: إذا انتشرَ الضوءُ. وأنشدوا للأعشَى:

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٣٦: وقوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ أي: يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.
وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٩/ ١١٥: أي لا يخلفون إذا نذروا. وقال معمر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والحج والعمرة، وغيره من الواجبات. والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه في شيء يفعله، وإن شئت قلت: النذر: هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه. وقد قال الله تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم﴾ [الحج: ٢٩] ـ أي أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم امتثال أمر الله بإحرامهم الحج. وهذا يقوي قول قتادة. قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٣٥٣: النذر مكروه بالجملة، ثبت في الصحيح عن مالك عن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «قال تعالى: لا يأتي النذر على ابن آدم بشيء لم أكن قدّرته له، إنما يستخرج به من البخيل» ـ قلت: حديث صحيح. أخرجه أحمد ٢/ ٢٤٢ والحميدي ١١١٢ والطحاوي في «المشكل» ٨٤٢ من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى. وأخرجه أبو داود ٣٢٨٨ من طريق مالك به ولم يقل: «قال الله تعالى: . . .» وأخرجه البخاري ٦٦٩٤ والنسائي ٧/ ١٠٦. من طريق أبي الزناد به، وليس فيه «قال الله تعالى». وأخرجه البخاري ٦٦٩٤ ومسلم ١٦٤٠ والنسائي ٧/ ١٦ ـ ١٧ والترمذي ١٥٣٨ وابن ماجه ٢١٢٣ وأحمد ٢/ ٣٧٣ و ٤١٢ و ٤٦٣ وابن أبي عاصم في «السنة» ٣١٢ وابن حبان ٤٣٧٦ والحاكم ٤/ ٣٠٤ والبيهقي ١٠/ ٧٧ من طريق عبد الرحمن الأعرج به. ولم يقل: «قال الله تعالى». قال ابن العربي: وذلك لفقه صحيح، وهو أن الباري سبحانه وعد بالرزق على العمل ومنه مفروض، ومنه مندوب، فإذا عين العبد ليستدر به الرزق، أو يستجلب به الخير، أو يستدفع به الشر لم يصل إليه به، فإن وصل فهو لبخله. والله أعلم.

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ في الفُؤَا دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِها مُسْتَطِيراً(١)

وقال مُقاتِلٌ: كان شرُّه فاشِياً في السمواتِ، وانشَقَّتْ، وتناثرتِ الكواكبُ، وفَزِعتِ الملائكةُ، وكُوِّرتِ الشمسُ والقمرُ في الأرض، ونُسِفت الجبالُ، وغَارَت المياهُ، وتكَسَّر كلُّ شيءٍ على وجهِ الأرض مِنْ جبلٍ، وبناءٍ، وفَشَا شَرُّ يوم القيامة فيهما.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

[١٥٠٧] **أحدهما**: نزلت في عليِّ بنِ أبي طالبٍ. آجرَ نَفْسَهُ يسقي نخلاً بشيءٍ مِنْ شعيرٍ ليلةً حتى أصبح، فلما قَبَضَ الشعيرَ طَحَنَ ثُلثَه، وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه، فلمَّا استوى أتى مسكينٌ، فأخرَجُوه إليه، ثم عملَ الثُلثَ الثاني، فلما تَمَّ أتى يتيمٌ، فأطعَمُوه، ثم عمل الثُلثَ الباقي، فلمَّا تَمَّ جاء أسيرٌ مِنَ المشركين، فأطعَمُوه وطَوَوْا يومَهم ذلك، فنزلت هذه الآياتُ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ.

[١٥٠٨] **والثاني**: أنها نزلت في أبي الدَّحْداحِ الأنصاري صامَ يوماً، فلما أراد أنْ يُفطِرَ جاء مسكينٌ، ويتيمٌ، وأسيرٌ، فأطعَمَهُم ثلاثةَ أرغِفَةٍ، وبقي له ولأهله رغيفٌ واحدٌ، فنزلت فيهم هذه الآيةُ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي هاءِ الكناية في قوله عزَّ وجلَّ ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قولان: **أحدهما**: ترجع إلى الطعام، فكأنهم كانوا يُؤْثِرون وهم مُحتاجون إليه، وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، ومُجاهِدٍ، والزَّجَّاجِ، والجمهور. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الله تعالى، قاله الدَّارانيُّ. وقد سبق معنى «المسكين واليتيم»(٢). وفي الأسير أربعةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنه المَسجُون مِنْ أهل القِبْلة، قاله مُجاهِدٌ، وعَطاءٌ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنه الأسيرُ المُشرِكُ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. **والثالث**: المرأة، قاله أبو حمزَةَ الثُّماليُّ. **والرابع**: العَبدُ، ذكره المَاوَرديُّ.

[١٥٠٧] موضوع. ذكره الواحدي في «الأسباب» ٨٤٤ عن عطاء عن ابن عباس معلقاً بدون إسناد. وأخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر...﴾ الآية فذكره بتمامه، وزاد في أثنائه أشعاراً لعلي وفاطمة. قاله الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٦٧٠. وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/ ٣٩٠ عن الأصبغ بن نباتة... فذكره بشعره وزيادة بعض الألفاظ، ثم قال: وهذا لا نشك في وضعه. وكذا قال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ١/ ١٥٤ ـ ١٥٥: ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحققين: ما روي عن ابن عباس... فذكره ثم قال: هذا حديث مزوّق، وقد تطرف فيه صاحبه حتى يشبّه على المستمعين، والجاهل يعض على شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة، ولا يدري أن صاحب هذا الفعل مذموم.

ـ وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٢٠٨ بتخريجي.

[١٥٠٨] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء، وذكر نزول السورة ليس له أصل في هذا الخبر، وقد ورد في أبي الدحداح غير هذه الآية، وتقدم.

---

(١) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في ديوانه ٩٣.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٣٧: قال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وقد أوصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى به أن جعل يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

فصل: وقد ذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ الآية تضمَّنَتْ مَدْحَهم على إطعام الأسيرِ المُشركِ. قال: وهذا مَنسوخٌ بآية السيف. وليس هذا القولُ بشيءٍ، فإنَّ في إطعام الأسيرِ المشركِ ثواباً، وهذا محمولٌ على صدقةِ التطوع. فأمَّا الفرضُ فلا يجوز صَرفُه إلى الكفَّار، ذكره القاضي أبو يَعلَى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: لِطلبِ ثواب الله. قال مُجاهِدٌ، وابنُ جُبَيرٍ: أَمَا إنهم ما تكلَّموا بهذا، ولكنْ عَلِمَهُ اللهُ مِنْ قلوبِهم، فأثنى به عليهم لِيَرْغَبَ في ذلك راغبٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ بالقول ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ أي: ما في يوم ﴿عَبُوسًا﴾ قال ابنُ قُتَيبة: أي: تَعبسُ فيه الوجوهُ، فجعله مِنْ صفةِ اليوم، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1]، أراد: عاصفِ الرِّيح: فأمَّا «القَمْطَرير» فروى ابنُ أبي طَلحَةَ، عن ابنِ عباسٍ: أنه الطويل. وروى عنه العَوْفيُّ أنه قال: هو الذي يُقبِّضُ فيه الرجلُ ما بين عينيه ووجهه. فعلَى هذا يكون اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قُلنا في «العَبُوس» لأنَّ اليوم لا يُوصَف بتقبيضِ ما بين العينين. وقال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ: «القَمْطَرير» الذي يُقلِّصُ الوجوهَ، ويَقبِضُ الحياةَ، وما بين الأعيُنِ مِنْ شدَّتِه. وقال الفَرَّاءُ: هو الشديد. يُقال: يومٌ قَمْطَريرٌ، ويومٌ قُماطِرٌ، وأنشدني بعضُهم.

بَنِي عَمِّنَا هَلْ تَذْكُرونَ بَلاءَنَا عليكُم إذا ما كان يَوْمٌ قُماطِرُ

وقال أبو عُبيدَةَ: العَبُوس، والقَمْطَرير، والقُماطِر، والعَصِيب، والعَصَبْصَب: أشدُّ ما يكون مِنَ الأيام، وأطولُه في البلاء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ أي: حُسْناً وبياضاً في الوجوه، ﴿وَسُرُورًا﴾ لا انقطاع له. وقال الحسن: النضرة في الوجوه والسُّرُور في القلوب ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ على طاعته، وعن معصيته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ وهو لِباسُ أهلِ الجنَّةِ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو منصوبٌ على الحالِ، أي: جَزاهُم جنَّةً في حال اتِّكائِهم فيها. وقد شرحنا هذا في الكهف[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيُؤذيهم حَرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البردُ الشديدُ. والمعنى: لا يَجدون فيها الحَرَّ والبردَ. وحُكِيَ عن ثَعلَبٍ أنه قال: الزَمْهَريرُ: القمرُ، وأنشد:

وَلَيْلَةٍ ظَلامُهَا قَدِ اعْتَكَرْ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرْ

أي: لم يطلع القمرُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَدَانِيَةً﴾ قال الفَرَّاءُ: المعنى: وجَزاهُم جنَّةً، ودَانِيَةً عليهم ظِلالُها، أي: قريبةٌ منهم ظِلالُ أشجارِها ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: إذا هَمَّ أنْ يتناولَ مِنْ ثمارها تدلَّتْ إليه حتى يتناولَ ما يريد. وقال غيرُه: قُرِّبَتْ إليهم مُذَلَّلةً كيفَ شاؤوا، فهُمْ يتناولُونَها قِياماً، وقُعوداً، ومُضطجِعين، فهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[3]. فأمَّا «الأكواب» فقد شرحناها في (الزُّخْرُف)[4] قوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ أي: تلك الأكواب هي قَوارِير، ولكنها مِنْ فِضةٍ. قال ابنُ عباسٍ: لو ضَرَبْتَ فِضةَ الدنيا حتى جعلتَها مثلَ جناح الذُّباب، لم يُرَ الماءُ مِنْ ورائِها، وقَواريرُ الجنة مِنْ فِضةٍ في صفاءِ

(١) إبراهيم: ١٨.
(٢) الكهف: ٣١.
(٣) الحاقة: ٢٣.
(٤) الزخرف: ٧١.

القارُورَةِ. وقال الفرَّاءُ. وابنُ قُتيبةَ: هذا على التشبيه، المعنى: كأنها مِنْ فِضةٍ، أي: لها بياضٌ كبياض الفِضةِ وصفاءٌ كصفاءِ القَواريرِ. وكان نافعٌ، والكِسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ يقرؤون «قواريراً قواريراً» فَيَصِلُونَهما جميعاً بالتنوين. ويَقِفون عليهما بالألف. وكان ابنُ عامرٍ وحمزةُ يَصِلانِهما جميعاً بغير تنوينٍ، ويَقِفان عليهما بغيرِ ألفٍ. وكان ابنُ كَثيرٍ يَصِلُ الأولَ بالتنوين، ويقِفُ بغيرِ ألفٍ. ويصل الثاني بغير تنوين وروَى حَفْصٌ عن عاصِمٍ أنه كان يقرأ «سلاسل» و «قوارير قوارير» يَصِلُ الثلاثةَ بغير تنوينٍ، وَيقفَ على الثلاثة بالألفِ. وكان أبو عمرو يقرأ الأولَ «قواريراً» فيقِفُ عليه بألفٍ، ويَصِلُ بغير تنوينٍ. وقال الزَّجَّاجُ: الاختيارُ عند النَّحويين أنْ لا تنصَرِفَ «قوارير» لأنَّ كلَّ جمعٍ يأتي بعد ألِفهِ حرفان لا ينصرفُ. ومَنْ قرأ «قواريراً» يَصرِفُ الأولَ لأنَّهُ رأسُ آيةٍ، ويتركُ صَرْفَ الثاني لأنه ليس بآخر آيةٍ. ومَنْ صَرفَ الثاني: أتبَعَ اللفظَ اللفظَ، لأنَّ العرب ربما قلبت إعرابَ الشيء لتُتبِعَ اللفظَ اللفظَ، كما قالوا: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ. وإنما الخَرِبُ مِن نعتِ الجُحرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ وقرأ ابنُ عباسٍ وأبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُّ، وأبو عِمْرَانَ، والجَحْدَريُّ، وابنُ يَعمَرَ «قُدِّروها» برفع القاف، وكسرِ الدال، وتشديدِها. وقرأ حُمَيْدٌ، وعمرُو بنُ دِينَارٍ «قَدَرُوها» بفتحِ القاف، والدالِ، وتخفيفِها. ثم في معنى الآية قولان: **أحدهما**: قَدَّرُوها في أنفسِهم، فجاءَتْ على ما قَدَّرُوا، قاله الحسَنُ. وقال الزَّجَّاجُ: جعل الإناءَ على قَدْرِ ما يحتاجون إليه ويُريدونه على تقديرِهم. **والثاني**: قَدَّرُوها على مقدارٍ لا يزيد ولا يَنْقُص، قاله مُجاهِدٌ. وقال غيره: قَدروا الكأسَ على قَدْرِ رِيِّهم، لا يزيد عن رِيِّهم فيُثْقِلُ الكفَّ، ولا ينقصُ منه فيطلب الزيادة، وهذا أَلَذُّ الشرابِ. فعَلَى هذا القول يكون الضميرُ في «قدَّروا» للسُّقاةِ والخَدَمِ. وعلى الأولِ للشارِبِيْنَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يعني في الجنة ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ والعرب تضرب المَثَل بالزَّنجَبيلِ والخمرِ ممزوجَيْنِ. قال المُسَيَّبُ يصِفُ فَمَ امرأةٍ:

فَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ ... إذْ ذُقْتَهُ وَسُلافَةُ الخَمْرِ[1]

وقال آخرُ:

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيـ ... ـلَ باتا بِفِيها وأرْياً مُشَاراً[2]

الأَرْيُ: العسلُ. والمُشارُ: المُستَخرَجُ مِنْ بيوت النَّحل. قال مُجاهِدٌ: الزَّنجَبيل: اسمُ العَيْنِ التي منها شرابُ الأبرار. وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: الزَّنْجَبيل معرَّبٌ. قال: وقال الدِّيْنَوَرِيُّ: يَنْبُتُ في أرياف عُمَانَ، وهي عُروقٌ تَسْري في الأرض، وليس بشجرةٍ تُوكَلُ رُطَباً، وأجودُ ما يحمل مِنْ بلاد الصِّين. قال الزَّجَّاجُ: وجائزٌ أنْ يكون فيها طعمُ الزَّنْجَبيلِ، والكلامُ فيه كالكلام السابق في الكافُورِ. وقيل: شرابُ الجنَّةِ على بَرْدِ الكافور، وطعمِ الزَّنْجَبيلِ، وريحِ المِسْكِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: يُسقَون عيناً. وسَلْسَبيل: اسمُ العَيْنِ، إلاَّ أنه صُرِفَ لأنه رأسُ آيةٍ. وهو في اللغة: صفةٌ لِمَا كان في غايةِ السَّلاسَةِ. فكأن العَيْنَ وُصِفَتْ وسمِّيت بصفتها. وقرأتُ

---

(١) هو في آخر ديوان الأعشى ابن أخت المسيب بن علس.
(٢) البيت في ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ٩٣.

على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي قال: قوله عزَّ وجلَّ ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ قيل: هو اسمٌ أعجميٌّ نَكِرَةٌ، فلذلك يُصرَفُ. وقيل: هو اسمٌ معرفةٌ، إلاَّ أنه أُجريَ، لأنه رأسُ آيةٍ. وعن مُجاهِدٍ قال: حديدة الجرية. وقيل: سَلْسبيل: سَلِسٌ ماؤها، مُستقِيدٌ لهم. وقال ابنُ الأنباري: السَّلْسَبيل صِفةُ الماء، لِسَلَسِهِ وسهولةِ مدخلِهِ في الحَلْقِ. يقال: شرابٌ سَلْسَلٌ، وسَلْسالٌ، وسَلْسَبِيلٌ. وحكى المَاوَرْديُّ: أن علياً عليه السلام قال: المعنى: سَلْ سَبيلاً إليها، ولا يصح.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ قد سبق بيانه[1] ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: في بَياضِ اللؤلؤ وحُسْنِهِ، واللؤلؤ إذا انتثرَ مِنَ الخيط على البِساطِ كان أحسنَ منه منظوماً. وإنما شُبِّهوا باللؤلؤِ المنثورِ، لانتشارهم في الخِدمَةِ. ولو كانوا صَفًّا لَشَبَّهوه بالمَنظوم. قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني: الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يُوصَفُ ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلاَّ قدَروا عليه، ولا يدخل عليهم مَلَكٌ إلاَّ باستئذانٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ أهلُ المدينة، وحمزةُ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم بإسكانِ الياء، وكَسْرِ الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلاَّ أنَّ الجُعْفيَّ عن أبي بكرٍ قرأ «عَالِيَتُهُم» بزيادةِ تاءٍ مضمومةٍ. وقرأ أنسُ بنُ مالكٍ، ومُجاهِدٌ وقَتادَةُ «عَلَيْهِم» بفتحِ اللام، وإسكانِ الياء مِنْ غيرِ تاءٍ، ولا ألفٍ.

قال الزَّجّاجُ: فأمّا تفسيرُ إعراب «عالِيْهم» بإسكانِ الياء، فيكون رفعُه بالابتداء، ويكون الخبرُ ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ وأمّا «عَالِيَهم» بفتح الياء، فنَصْبُه على الحالِ مِنْ شيئين، أحدهما مِنَ الهاء والميم، والمعنى: يطوفُ على الأبرار وِلْدانٌ مُخَلَّدون عالي الأبرارِ ثيابُ سُنْدُسٍ، لأنه قد وَصفَ أحوالَهم في الجنَّةِ، فيكون المعنى: يَطوفُ عليهم في هذه الحالِ هؤلاءِ. ويجوز أن يكون حالاً مِنَ الوِلْدانِ. المعنى: إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم لؤلؤاً مَنثُوراً في حالِ عُلُوِّ الثياب. وأمّا «عاليهم» فقد قُرئت بالرفع وبالنصب، وهما وجهانِ جَيِّدانِ في العربية، إلاَّ أنهما يُخالفان المصحفَ، فلا أرى القراءةَ بهما، وتفسيرُها كتفسيرِ «عاليهم».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، «خضر» رفعاً «وإسْتَبْرق» خَفضاً. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصم «خُضْرٍ» خفضاً «وإستبرقٌ» رفعاً. وقرأ نافعٌ، وحَفْصٌ عن عاصِم «خُضْرٌ وإستبرقٌ» كلاهما بالرفع. وقرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ «خضرٍ وإسْتَبْرقٍ» كلاهما بالخَفضِ. قالَ الزَّجّاج: مَنْ قرأ خُضْرٌ بالرفع، فهو نعتُ الثيابِ، ولفظُ الثيابِ لفظُ الجمع، مَنْ قرأ «خُضْرٍ» فهو مِنْ نعتِ السُّنْدُسِ، والسُّندسُ في المعنى راجعٌ إلى الثيابِ. ومَنْ قرأ «وإستَبْرَق» رفعاً فهو نسقٌ على «ثيابٌ» والمعنى: عليهم إستَبرقٌ. ومَنْ خَفضَ عَطفَهُ على السُّندسِ، فيكون المعنى: عليهم ثيابٌ مِنْ هذين النوعين وقد بيَّنّا في الكهف[2] معنى السُّندُسِ، والإستَبْرَقِ والأساوِرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يُحدِثون ولا يَبُولُون عن شُرْبِ خَمْرِ الجَنَّةِ. قاله عطية. **والثاني**: لأنَّ خَمرَ الجنَّة طاهرةٌ، وليست بنَجِسةٍ كخَمرِ الدنيا، قاله الفَرّاءُ. وقال أبو قِلابَةَ: يُؤْتَوْنَ بعدَ الطعام بالشَّرابِ الطَّهورِ فيشربون فَتَضْمُرُ بذلك بُطونُهم، ويَفيضُ مِنْ

---

(١) الواقعة: ١٧.
(٢) الكهف: ٣١.

جُلودِهم عَرَقٌ مثلُ رَشْحِ المِسْكِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما وصف مِنْ نعيم أهلِ الجنَّةِ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ بأعمالِكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ أي: عَملُكم في الدنيا بطاعةِ الله ﴿مَّشْكُورًا﴾ قال عَطاءٌ: يريد: شَكَرتُكم عليه، وأُثِيبُكم عليه أفضلَ الثواب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾، أي: فَصَّلناه في الإِنزالِ، فلم نُنْزِله جُمْلَةً واحدةً ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ قد سبق بيانُه في مواضعَ[١]. والمُفسِّرون يقولون: هو مَنسوخٌ بآية السيف، ولا يَصحُّ، قولُه: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: مِنْ مُشركي أهل مكَّةَ ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ «أو» بمعنى الواو، كقوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾[٢]. وقد سبق بيانُ هذا.

وللمفسِّرين في المراد بالآثِم وفي الكَفُورِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهما صِفتانِ لأبي جهلٍ. **والثاني**: أنَّ الآثِمَ: عُتبةُ بنُ رَبيعةَ، والكَفُورُ الوَليدُ بنُ المُغيرةِ. **والثالث**: الآثِمُ: الوَليدُ. والكَفُورُ: عُتْبةُ، وذلك أنهما قالا له: ارجعْ عن هذا الأمرِ ونحن نُرضيكَ بالمالِ والتزويجِ. قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكُرْهُ بالتوحيد في الصلاة ﴿بُكْرَةً﴾ يعني: الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ يعني: العَصر. وبعضُهم يقول: الظُّهر والعَصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني: المَغرب والعِشاء. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي: صلاةُ الليل كلُّ فريضةٍ عليه، وهي لأُمَّتِه تَطوُّعٌ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفَّار مكَّةَ ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي يعني: الدَّارَ العاجِلةَ، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ يعني: أمامَهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: عسيراً شديداً. والمعنى: أنهم يتركون الإيمانَ به، والعملَ له. ثم ذَكَرَ قُدرتَه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: خَلْقَهم، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادةُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ. قال ابنُ قُتيبةَ: يُقال: امرأةٌ حَسَنَةُ الأَسْرِ، أي: حَسنةُ الخَلْقِ كأنها أُسِرَتْ أي: شُدَّتْ. وأصل هذا مِنَ الإِسَار، وهو: القَدُّ. الذي تشد به الأقتاب يقال: ما أحسَنَ ما أَسَرَ قَتَبَهُ، أي: ما أحسن ما شَدَّه بالقد. ورُوِيَ عن أبي هُريرَةَ قال: مفاصِلَهم. وعن الحَسنِ قال: أوصالَهم بعضاً إلى بعضٍ بالعُروقِ والعَصَبِ، قوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أي: إذا شِئنا أهلَكْناهم وأتينا بأشباهِهم، فجعلناهم بدلاً منهم ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ وقد شرحنا الآيةَ في المُزَّمِلِ[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ إيجادَ السبيلِ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلِكُم، وقرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، «وما يشاؤون» بالياء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ قال المُفسِّرون: والرَّحمة ها هنا: الجنَّةُ ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المشركين. قال أبو عُبيدَةَ: نصب «الظالمين» بالجوار، المعنى: ولا يدخل الظالمين في رحمتِه. وقال الزَّجَّاجُ: إنما نصب «الظالمين» لأنَّ قبلَه منصوباً. المعنى: يُدخِلُ مَنْ يشاء في رَحمتِه، ويُعذِّبُ الظالمين، فيكون قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيراً لهذا المُضمَرِ، وقرأ أبو العاليةِ، وأبو الجَوزاءِ، وابنُ أبي عَبلَةَ «والظالمون» رفعاً.

---

(١) الطور: ٤٨، والقلم: ٤٨. (٢) الأنعام: ١٤٦. (٣) المزمل: ١٩.

سورة المرسلات

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها في قولِ الجمهور

وحُكي عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، ومُقاتِلٍ أن فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا
أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ
ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ
﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[2]: أحدها: أنها الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً، رواه

(١) المرسلات: ٤٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٤١: توقف ابن جرير في ﴿المرسلات عرفاً﴾ هل هي الملائكة، =

أبو العُبَيْدَينِ عن ابنِ مسعودٍ، والعَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنها الملائكة التي أُرسِلت بالمعروف مِنْ أمر الله ونَهْيِهِ، رواه مَسْرُوقٌ عن ابنِ مسعودٍ، وبهذا قال أبو هُريرَةَ، ومُقاتِلٌ. وقال الفَرَّاءُ: هي الملائكة.

فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُرْفًا﴾ فإنها: أُرْسِلتْ بالمعروف، ويقال: تَتَابَعَتْ كَعُرْفِ الفَرَسِ. والعرب تقول: يركب الناسُ إلى فُلانٍ عُرْفاً واحداً: إذا توجَّهوا إليه فأكثروا. قال ابنُ قُتَيبةَ: يريد أنَّ الملائكة متتابعةٌ بما تُرسَل به. وأصله مِنْ عُرْفِ الفَرَسِ، لأنه طَرَفٌ مستوٍ، بعضُه في إِثْرِ بعضٍ فاستعير للقومِ يتبعُ بعضُهم بعضاً. **والثالث**: أنهم الرُّسل بما يعرفون به مِنَ المعجزات، هذا معنى قولِ أبي صالحٍ، ذكره الزَّجَّاجُ. **والرابع**: أنها الملائكة والريح، قاله أبو عُبيدَةَ. قال: ومعنى «عُرْفاً»: يَتْبَعُ بعضُها بعضاً. يقال: جاؤوني عُرْفاً.

وفي «العاصفات» قولان: **أحدهما**: أنها الرياح الشديدةُ الهُبوبِ، قاله الجمهور. **والثاني**: الملائكة، قاله مُسلِمُ بنُ صُبَيح. قال الزَّجَّاجُ: تَعصِفُ بِرُوحِ الكافر.

وفي «النَّاشِرات» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الرياح تَنْشُر السحابَ، قاله ابنُ مسعودٍ، والجمهور. **والثاني**: الملائكة تَنْشُر الكُتبَ، قاله أبو صالح. **والثالث**: الصُّحفُ تُنشر على الله تعالى بأعمالِ العباد، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: البَعثُ للقيامة تُنشر فيه الأرواحُ، قاله الرَّبيعُ. **والخامس**: المطرُ يَنْشُر النباتَ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي «الفارِقات» أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: الملائكة تأتي بما يُفرِّق بين الحقِّ والباطلِ، قاله الأكثرون. **والثاني**: آيُ القرآن فَرَّقَتْ بين الحلالِ والحرامِ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ كَيْسانَ. **والثالث**: الريح تُفرِّقُ بين السحاب فَتُبدِّدُه، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: الرسل، حكاه الزَّجَّاجُ.

وفي «الملقيات ذكراً» قولان: **أحدهما**: الملائكة تُبلِّغُ ما حُمِّلَتْ مِنَ الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهبُ ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، والجمهور. **والثاني**: الرسل يُلْقون ما أُنزِلَ عليهم إلى الأُمَمِ، قاله قُطْرُبٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «عُذْراً» خفيفاً «أو نُذُراً» ثقيلاً. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزَةُ، والكِسائيُّ، وحَفصٌ، وخَلَفٌ «عُذْراً أو نُذْراً» خفيفتان. قال الفَرَّاءُ: وهو مصدرٌ، مثقَّلاً كانَ أو مخفَّفاً. ونصبه على معنى: أُرسِلَتْ بما أُرسِلتْ به إعذاراً مِنَ الله وإنذاراً. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: فالمُلْقياتِ عُذراً أو نُذراً. ويجوز أن يكون المعنى: فالمُلقياتِ ذكراً للإعذارِ والإنذارِ. وهذه المذكوراتُ مجروراتٌ بالقَسَم. وجوابُ القَسَم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ ما توعَدون به مِنْ أمر الساعةِ، والبَعثِ، والجزاءِ لَواقِعٌ، أي: لَكائنٌ. ثم ذكر متى يقع فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: مُحيَ نُورُها ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: شُقَّتْ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ذُهِبَ بها كلِّها بسرعةٍ. يقال: انتسفتُ الشيءَ: إذا أخذتَه بسرعةٍ.

= ـ ولم يرجح ـ وقطع بأن العاصفات عصفاً هي الرياح كما قاله ابن مسعود اهـ.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٤٢: يعني الملائكة، ولا خلاف هاهنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، فتفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ قرأ أبو عمرو «وُقِّتَتْ» بواوٍ مع تشديد القاف. ووافقه أبو جعفرَ، إلاَّ أنه خَفَّفَ القافَ. وقرأ الباقون: «أُقِّتت» بأَلِفٍ مكانَ الواو مع تشديدِ القاف. قال الزَّجَّاجُ: وُقِّتَتْ وأُقِّتَتْ بمعنىً واحدٍ. فمَنْ قرأ «أُقِّتت» بالهمز، فإنه أبدَلَ الهمزة مِنَ الواو لانضِمام الواو. وكلُّ واوٍ انضمَّتْ، وكانت ضمَّتُها لازِمةً، جاز أنْ تُبدل منها بهمزةٍ. وقال الفَرَّاءُ: الواوُ إذا كانتَ أولَ حرفٍ، وضُمَّتْ، هُمِزَتْ. تقول: صلَّى القوم أُحْداناً. وهذه أُجوهٌ حِسَانٌ. ومعنى «أُقِّتت»: جمعت لوقتها يوم القيامة. وقال ابن قتيبة: جمعت لوقت، وهو يوم القيامة. وقال الزَّجَّاجُ: جُعِلَ لها وقتٌ واحدٌ لِفَصل القضاءِ بين الأُمَّةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾ أي: أُخِّرَتْ. وضَرْبُ الأَجَلِ لِجَمْعِهم، يُعجِّب العبادَ مِنْ هَولِ ذلك اليوم. ثم بيَّنه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ وهو يومٌ يفصِلُ الله تعالى فيه بين الخلائق. ثم عَظَّم ذلك اليومَ بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بالبَعثِ. ثم أخبرَ اللَّهُ تعالى عمَّا فعل بالأُمم المُكذِّبةِ، فقال: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني بالعذاب في الدنيا حين كذَّبوا رُسلَهم ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ والقُرَّاءُ على رفعِ العين في «نتبعُهم»، وقد قرأ قومٌ منهم أبو حَيْوَةَ بإسكانِ العين. قال الفَرَّاءُ: «نتبعهم» مرفوعةٌ. ويدلُّ على ذلك قراءةُ ابنِ مسعودٍ «وسنتبعهم الآخرين». ولو جَزمتَ على معنى: أَلَمْ نقدِرْ على إهلاكِ الأوَّلين وإتباعِهم الآخِرين كان وَجْهاً جيداً. وقال الزَّجَّاجُ: الجزم عطفٌ على «نُهلكْ»، ويكون المعنى: لِمَنْ أهلكَ أوَّلاً وآخراً. والرفعُ على معنى: ثم نُتبع الأولَ والآخرَ مِنْ كلِّ مُجرم. وقال مُقاتِلٌ: ثم نُتبِعهم الآخِرين: يعني: كفار مكَّةَ كذَّبوا بالنبيِّ ﷺ، وقال ابنُ جَريرٍ: الأَوَّلون: قومُ نُوحٍ، وعادٍ، وثَمودَ، والآخرون: قومُ إبراهيمَ، ولُوطٍ، ومَدْيَنَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يعني: المُكذِّبين. فإنْ قيلَ: ما الفائدةُ في تكرارِ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾؟ فالجواب: أنه أراد بكلِّ آيةٍ منها غيرَ ما أراد بالأخرى، لأنه كلَّما ذكرَ شيئاً قال: ﴿وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بهذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم﴾ قرأ قَالُونُ عن نافع بإظهارِ القاف. وقرأ الباقون بإدغامِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيفٍ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني: الرَّحِمَ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعۡلُومٍ﴾ وهو مُدَّةُ الحَملِ ﴿فَقَدَرۡنَا﴾ قرأ أهلُ المدينة، والكِسَائيُّ «فقَدَّرْنَا» بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: أنهما لُغتانِ بمعنىً واحدٍ. قال الفَرَّاءُ: تقول العرب: قَدَرَ عليه، وقَدَّر عليه. وقد احتَجَّ مَنْ قرأ بالتخفيف فقال: لو كانت مشدَّدةً لَقال: فنِعْمَ القادِرُون، فأجابَ الفَرَّاءُ فقال: قد تجمع العربُ بين المعنيين، كقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًۢا﴾[1]. قال الشاعر:

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ والصَّلَعَا[2]

يقول: ما أنكَرَتْ إلاَّ ما يكون في الناسِ.

---

(١) الطارق: ١٧.

(٢) البيت للأعشى الكبير ديوانه: ١٠١ من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة.

والثاني: أنَّ المُخففَّةَ مِنَ القُدرة والمُلْكِ، والمشدَّدةَ مِنَ التقدير والقضاء. ثم بيَّن لهم صُنعَه ليعتبروا فيُوحِّدوه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ قال اللغويون: الكَفْتُ في اللغة: الضَّمُّ. والمعنى: أنها تَضُمُّ أهلَها أحياءً على ظهرِها، وأمواتاً في بطنِها. قال ابنُ قُتيبة: يُقال: اكْفِتْ هذا إليك، أي: ضُمَّه. وكانوا يُسمُّون بَقِيعَ الغَرْقَدِ: كَفْتَة، لأنه مقبرةٌ يضمُّ المَوتى.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ المعنى: تَكْفِتُهم أحياءً وأمواتاً، قاله الجمهور. قال الفَرَّاءُ: وانتصبَ الأحياءُ والأمواتُ بوقوع الكِفاتِ عليهم، كأنكَ قُلتَ: أَلَمْ نجعلِ الأرضَ كِفاتَ أحياءٍ وأمواتٍ، فإذا نَوَّنْتَ نصبتَ كما يقرأ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾[1] وقال الأخفشُ: انتصب على الحالِ.

والقول الثاني: أنَّ المعنى: أَلَمْ نجعلِ الأرضَ أحياءً بالنباتِ والعمارةِ، وأمواتاً بالخَرابِ واليَبسِ، هذا قولُ مُجاهِدٍ، وأبي عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ قد سبقَ بيانه ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي: عالياتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ قد سبقَ معنى «أسقينا»[2] ومعنى «الفُرات»[3] والمعنى: إنَّ هذه الأشياءَ أعجبُ مِنَ البَعْثِ. ثم ذكر ما يُقال لهم في الآخرة: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا، وهو النار ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ قرأ الجمهور هذه الثانيةَ بكسرِ اللام على الأمرِ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وأبو عِمْرانَ، ورُوَيسٌ عن يعقوبَ بفتحِ اللام على الخبر بالفعل الماضي. قال ابنُ قُتَيبةَ: «والظِّل» ها هنا: ظِلٌّ مِنْ دُخانِ نارِ جهنَّمَ سَطَعَ، ثم افترقَ ثلاثَ فِرَقٍ، وكذلك شأنُ الدُّخان العظيم إذا ارتفع أنْ يتشعَّبَ، فيُقال لهم: كونوا فيه إلى أنْ يفرغَ مِنَ الحساب، كما يكون أولياءُ الله في ظِلِّ عرشِه، أو حيثُ شاء مِنَ الظِّلِّ، ثم يُؤْمَرُ بكلِّ فريقٍ إلى مُستقرِّه مِنَ الجنة والنار ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ أي: لا يُظِلُّكم مِنْ حرِّ هذا اليوم بل يُدْنِيكم مِنْ لَهبِ النار إلى ما هو أشدُّ عليكم مِنْ حرِّ الشمس. قال مُجاهِدٌ: تكون شُعبةٌ فوق الإنسان، وشُعبةٌ عن يمينه، وشُعبةٌ عن شِماله، فتُحِيطُ به. وقال الضَّحَّاكُ: الشُّعَبُ الثلاثُ: هي الضَّريعُ، والزَّقومُ، والغِسْلِينُ. فعَلَى هذا القول يكون هذا بعدَ دخولِ النار.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ أي: لا يَدفعُ عنكم لَهَبَ جهنَّمَ. ثم وَصفَ النَّارَ فقال عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ ، وهو جمعُ شَرَرةٍ، وهو ما يتطايرُ مِنَ النار مُتفرِّقاً ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور بإسكانِ الصاد على أنه واحدُ القُصورِ المَبنيَّةِ. وهذا المعنى في روايةِ ابنِ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وهو قولُ الجمهور. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو رَزِينٍ، ومُجاهِدٍ، وأبو الجَوْزَاءِ «كالقَصَر» بفتح الصاد. وفي أفرادِ البُخاري مِنْ حديث ابنِ عباسٍ قال: كنَّا نرفعُ الخشبَ بقصر ثلاثةَ أذرُعٍ أو أقلَّ فنرفعه للشتاء، فنُسَمِّيه: القَصَر. قال ابنُ قُتَيبةَ: مَنْ فَتحَ الصادَ أراد: أُصولَ النَّخلِ المقطوعةِ المَقلوعةِ. وقال الزَّجَّاجُ: أراد أعناقَ الإبلِ. وقرأ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وعائشةُ، وعِكرِمَةُ، وأبو مِجلَزٍ، وأبو المُتوكِّلِ، وابنُ يَعمَرَ «كالقَصِر» بفتح القاف، وكَسْرِ الصاد. وقرأ ابنُ مَسعودٍ، وأبو هُرَيرةَ، والنَّخعيُّ «كالقُصُر» برفعِ القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدَّرْداءِ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ «كالقِصَر» بكسرِ القاف، وفتحِ الصاد، وقرأ أبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ، وأبو نَهيكٍ، ومعاذٌ القارئُ «كالقُصْر» بضمِّ القاف وإسكانِ الصاد.

---

(١) البلد: ١٤ ـ ١٥.
(٢) الحجر: ٢٢، الجن: ١٦.
(٣) الفرقان: ٥٣، فاطر: ١٢.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصِمٍ «جِمالَاتٌ» بألفٍ، وكسرِ الجيم. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ «جِمَالَةٌ» على التوحيد. وقرأ رُوَيسٌ عن يعقوبَ «جُمالَات» بضمِّ الجيم. وقرأ أبو رَزِينٍ، وحُمَيدٌ، وأبو حَيْوَةَ «جُمالَة» برفعِ الجيم على التوحيد. قال الزَّجّاجُ: من قرأ «جِمالات» بالكسرِ، فهو جمعُ جِمَالٍ، كما تقول: بُيوت، وبُيوتات، وهو جمعُ الجمع، فالمعنى: كأنَّ الشَّراراتِ كالجِمالاتِ. ومَنْ قرأ «جُمالات» بالضمِّ، فهو جمعُ «جُمالَة»، وهو القَلْس مِنْ قلوسِ سُفنِ البحر، ويجوز أنْ يكونَ جمع جَمَل وجِمال وجِمالات، ومَنْ قرأ جِمالة فهو جمعُ جَمَل وجِمالة، كما قيل: حَجر، وحِجَارة. وذَكر، وذِكَارة. وقُرئتْ «جُمالَة» على ما فسَّرناه في جُمالاتٍ بالضمِّ. و «الصُّفْر» ها هنا: السُّود. يُقال للإبلِ التي هي سُودٌ تضرب إلى الصُّفرَةِ: إبلٌ صُفْرٌ. وقال الفَرَّاءُ: الصُّفْر: سُودُ الإبلِ لا يُرى الأسودُ مِنَ الإبل إلاَّ وهو مُشْرَبٌ صُفْرَةً، فلذلك سَمَّتْ العربُ سُودَ الإبلِ: صُفْراً، كما سَمَّوا الظِّباءَ: أُدْماً لِمَا يعلوها مِنَ الظُّلمة في بياضِها، قال الشاعر:

تلكَ خَيْلي منه وتلكَ رِكابي ... هُنَّ سُورٌ أولادُها كالزَّبيبِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ قال المُفسِّرون: هذا في بعضِ مواقف القيامة. قال عِكرِمَةُ: تكلَّموا واختَصَموا، ثم خَتَمَ على أفواهِهم، فتكلَّمت أيديهم، وأرجُلهم، فحِينئذٍ لا يَنطِقون ولا يُؤذَون لهم فيعتذرون. وقال ابنُ الأنباري: لا ينطِقون بحُجَّةٍ تَنفَعُهم. وقرأ أبو رَجاءٍ، والقاسِمُ بنُ محمَّدٍ، والأعمَشُ، وابنُ أبي عَبلَةَ «هذا يومَ لا ينطقون» بنصبِ الميم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: بين أهلِ الجنة وأهلِ النار ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ يعني: مُكذِّبي هذه الأمَّةِ ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ المُكذِّبين الذين كذَّبوا أنبياءَهم ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ أثبتَ فيها الياءَ في الحالين يعقوبُ، أي: إنْ قَدَرتُم على حِيلَةٍ، فاحتالوا لأنفسِكم. ثم ذكرَ ما للمؤمنين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ﴾ يعني: ظِلال الشجرِ، وظِلال أكْنانِ القصورِ ﴿وَعُيُونٍ﴾ الماء وهذا قد تقدَّم بيانُه، إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلُوا۟﴾ أي: ويُقال لهم: كُلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعةِ الله. ثم قال لكفارِ مكَّةَ: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى مُنتهى آجالِكم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون بالله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه حينَ يُدْعَون إلى السجود يومَ القيامة، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه في الدنيا كانوا إذا قيلَ لهم: اركعوا، أي صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يُصلُّون. وإلى نحوِ هذا ذهب مُجاهِدٌ في آخرين، وهو الأصحُّ.

[١٥٠٩] وقيل: نزلت في ثَقِيفٍ حين أمَرَهم رسولُ الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نَحْني، فإنها مَسَبَّةٌ علينا، فقال: «لا خيرَ في دِينٍ ليس فيه ركوعٌ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إنْ لم يُصدِّقوا بهذا القرآن، فبأيِّ كتابٍ بعدَهُ يُصدِّقون، ولا كتابَ بعدَهُ.

[١٥٠٩] ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد ٢١٨/٤ من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسّن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.

سُورَةُ النَّبَإِ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

ويُقال لها: سُورة عمَّ يتساءلون
وهي مكيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ
نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا
(١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ
جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا
حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢)
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا
مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصله «عَنْ ما» فأُدغِمت النونُ في الميم، وحُذِفتْ ألفُ «ما» كقولهم: فِيمَ، وبِمَ.

[١٥١٠] قال المُفسِّرون: لمَّا بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ جَعَلَ المشركون يتساءلون بينهم، فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بُعِثَ به، فنزلت هذه الآية. واللفظُ لفظُ استفهامٍ. والمعنى:

[١٥١٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٥٩٩٧ عن الحسن قوله. وأخرج الطبري عن مجاهد وقتادة وغيرهما غير ذلك، وكل ذلك ضعيف، لا حجة فيه لأنه مجرد اجتهاد منهم.

تفخيمُ القصة، كما يقولون: أيُّ شيءٍ زيدٌ؟ إذا أردتَ تعظيمَ شأنه. ثم بيَّنَ ما الذي يتساءلون عنه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يعني: عن الخبرِ العظيم الشأنِ. وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: القرآن، قاله مُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ، والفرَّاءُ. قال الفرَّاءُ: فلما أجاب صارتْ «عَمَّ» كأنها في معنى: لأيِّ شيءٍ يتساءلون عن القرآن. **والثاني**: البَعْثُ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أنه أمرُ النبيِّ ﷺ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ مَنْ قال: إنه القرآن، فإنَّ المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحرٌ، وقال بعضهم: هو شعرٌ، وقال بعضهم: أساطيرُ الأوَّلين، إلى غيرِ ذلك. وكذلك مَنْ قال: هو أمرُ النبيِّ ﷺ. فأمَّا مَنْ قال: إنه البَعثُ والقيامةُ، ففي اختلافِهم فيه قولان:

أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لمَّا سمعوا به، فمِنهم مَنْ صدَّق وآمَنَ، ومنهم مَنْ كذَّبَ، وهذا معنى قولِ قَتادَةَ. **والثاني**: أنَّ المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصَدَّقَ به المسلمون، وكَذَّب به المشركون، قاله يَحيى بنُ سَلاَم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال بعضُهم: هي رَدعٌ وزجرٌ. وقال بعضهم: هي نفيٌ لاختلافِهم، والمعنى: ليس الأمرُ على ما قالوا، ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ تكذيبهم حينَ ينكشِفُ الأمرُ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ على إثرِ وعيدٍ. وقرأ ابنُ عامرٍ «ستعلمون» في الحرفين بالتاء. ثم ذكر صُنعَه لِيَعرفوا توحيدَه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ أي: فِراشاً وبِساطاً ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ للأرض لِئَلاَّ تَميدَ ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: أصنافاً، وأضداداً، ذكوراً، وإناثاً، سُوداً وبِيضاً، وحُمراً ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: راحةٌ لأبدانِكم. وقد شرحنا هذا في الفُرقان[1] وشرحنا هناك قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: سبباً لِمعاشِكم. والمَعاشُ: العيش، كلُّ شيءٍ يُعاشُ به، فهو مَعاشٌ. والمعنى: جعلنا النهارَ مَطلباً للمَعاشِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: مَعاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدرٌ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ قال مُقاتِلٌ: هي السَّمواتُ، غِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرة خمسمائةِ عامٍ، وبين كلِّ سماءين مثلُ ذلك؛ وهي فوقكم يا بني آدمَ. فاحذَرُوا أنْ تَعْصُوا فتَخِرَّ عليكم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ يعني: الشمس ﴿وَهَّاجًا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هو المضيء. وقال اللغويون: الوَهَّاج: الوَقَّاد. وقيل: الوَهَّاج يَجمعُ النُّورَ والحرارةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها السمواتُ، قاله أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحسَنُ، وابنُ جُبَيرٍ. **والثاني**: أنها الرِّياح، رَواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادةُ ومُقاتِلٌ. قال زيدُ بنُ أسلَمَ: هي الجَنوب. فعَلَى هذا القول تكون «مِنْ» بمعنى «الباء»، وتقديره: بالمُعصِرات. وإنما قيل للرِّياح: مُعصِرات، لأنها تَستَدِرُّ المطرَ. **والثالث**: أنها السَّحابُ، رَواه الوالبِيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال أبو العالِيَةِ. والضَّحَّاكُ، والرَّبيعُ، قال الفرَّاءُ: السَّحابةُ المُعصِر: التي تتحلَّب بالمطرِ ولمَّا يَجتَمِعْ، مثل الجارية المُعصِرِ، قد كادَتْ تحِيضُ، ولمَّا تَحِضْ. وكذلك قال ابنُ قُتَيبةَ: شُبِّهت السحابُ بمعاصِيرِ الجواري، والمُعصِرُ: الجاريةُ التي قد دَنَتْ مِنَ الحَيْضِ. وقال

---

(١) الفرقان: ٤٧.

الزَّجَّاجُ: إنما قيل للسَّحابِ: مُعصِرات، كما قيل: أجزَّ الزَّرعُ، فهو مُجزٌ؛ أي: صار إلى أنْ يُجزَّ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أنْ يُمطِرَ فقد أعصَرَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: مطراً كثيراً مُنصبًا يَتبعُ بعضُه بعضاً. وقال غيره: يُقال: ثجَّ الماءُ يَثِجُّ: إذا انصبَّ ﴿لِنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ أي: بذلك الماء ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنَّ الحَبَّ: ما يأكله الناسُ، والنبات: ما تُنبِتُه الأرضُ مما يأكلُ الناسُ والأنعامُ، هذا قولُ الجمهورِ. قال الزَّجَّاجُ: كُلُّ ما حُصِدَ حَبٌّ، وكُلُّ ما أكَلَتْه الماشيةُ مِنَ الكَلإِ، فهو نباتٌ.

والثاني: أنَّ الحَبَّ: اللؤلؤ، والنباتَ: العشب. قال عِكرمَةُ: ما أنزلَ اللَّهُ مِنَ السَّما قَطراً، إلاَّ نبتَ به في البحرِ لؤلؤاً، وفي الأرض عُشباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ يعني: بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: مُلتَفَّةً مِنَ الشجر ليس بينها خِلالٌ، الواحدة: لَفَّاءُ، وجنَّاتٌ لُفٌّ، وجمعُ الجمعِ: ألْفافٌ. قال المُفسِّرون: فدلَّ بذكر المخلوقاتِ على البَعثِ. ثم أخبر عن يوم القيامة فقال عز وجلَّ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ لِمَا وَعدَ الله مِنَ الثواب والعقاب. ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ﴾ مِنْ قبوركم ﴿أَفْوَاجًا﴾ أي: زُمَراً زُمَراً مِنْ كلِّ مكانٍ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «وفُتِّحت» بالتشديد. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسائيُّ بالتخفيف، وإنما تُفتَحُ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: ذاتَ أبوابٍ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: كالسَّراب، لأنها تصيرُ هَباءً منثوراً فيراها الناظرُ كالسَّرابِ بعد شِدَّتِها وصلابَتِها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال المُبَرِّدُ: مِرصاداً يُرصَدون به، أي: هو مُعَدٌّ لهم يَرْصُد بها خَزنَتُها الكفّارَ. وقال الأزْهَريُّ: المِرْصاد: المكان الذي يَرصُد فيه الراصدُ العدُوَّ. ثم بَيَّنَ لِمَنْ هي مِرصادٌ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: للمشركين ﴿مَـَٔابًا﴾ أي: مَرْجعاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ وقرأ حمزَةُ «لَبِثِين» والمعنى: فيهما واحدٌ. يقال: هو لابِثٌ بالمكان، ولَبِثٌ. ومثله طَامِع، وطَمِع، وفَارِه، وفَرِه. وأما الأحْقابُ فجمع حُقُبٍ، وقد ذكرنا الاختلافَ فيه في الكهف[1].

فإنْ قيلَ: ما معنى ذِكرِ الأحْقابِ، وخُلودُهم في النارِ لا نفادَ له؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّ هذا لا يدل على غايةٍ، لأنه كلَّما مضى حُقبٌ تبعه حُقبٌ ولو أنه قال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ عشرةَ أحقابٍ أو خمسةَ دلَّ على غايةٍ، هذا قولُ ابنِ قُتَيبةَ، والجمهورِ. وبيانُه أنَّ زمانَ أهل الجنة والنار يُتَصوَّرُ دخولُه تحتَ العددِ، وإنْ لم يكُنْ له غايةٌ. كقوله: بُكرةً وعَشِياً، مثل هذا أنَّ كلماتِ الله تعالى داخلَةٌ تحتَ العدد وإن لم تكُنْ لها نهايةٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: أنهم يَلْبثون فيها أحقاباً ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ في الأحْقاب ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ فأمَّا خُلودهم في النار فدائمٌ. هذا قولُ الزَّجَّاجِ. وبيانه أنَّ الأحْقابَ حَدٌّ لِعذابِهم بالحَمِيمِ والغَسَّاقِ، فإذا انقضت الأحْقابُ عُذِّبوا بغيرِ ذلك مِنَ العذاب.

---

(١) الكهف: ٦٠.

وفي المراد «بالبَرْد» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه بَرْدُ الشرابِ. رَوى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: لا يَذوقون فيها بَرْدَ الشراب، ولا الشرابَ. **والثاني**: أنه الرَّوْحُ والراحةُ، قاله الحَسَنُ، وعَطاءٌ. **والثالث**: أنه النَّومُ، قاله مُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ، وأنشدوا:

فَإنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ وإنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً ولاَ بَرْداَ[1]

قال ابنُ قُتَيبةَ: النُّقاخُ: الماء، والبَرْدُ: النَّومُ، سُمِّيَ بذلك لأنه تَبرُدُ فيه حرارةُ العطشِ. وقال مُقاتِلٌ: لا يذوقون فيها بَرْداً ينفَعُهم مِنْ حَرِّها، ولا شراباً ينفَعُهم مِنْ عطشٍ ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «غَسَاقاً» بالتخفيف. وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، والمُفَضَّلُ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ بالتشديد وقد تقدَّم[2] ذِكْرُ الحَميم، والغَسَّاقِ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ قال الفَرَّاءُ: وِفْقاً لأعمالِهم وقال غيرُه: جُوْزُوا جزاءً وِفاقاً لأعمالِهم على مِقْدارِها، فلا ذَنْبَ أعظمُ مِنَ الشركِ، ولا عذابَ أعظمُ مِنَ النارِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يخافون أنْ يُحاسبوا، لأنهم لا يُؤمنون بالبَعثِ، قاله الجمهور. **والثاني**: لا يَرجُون ثوابَ حسابٍ، لأنهم لا يُؤمنون بالبَعثِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ أي: بما جاء به الأنبياءُ قال الفَرَّاءُ: الكِذَّابُ بالتشديد لُغةٌ يَمانيَّةٌ فصيحةٌ؛ يقولون: كذَّبت به كِذَّاباً، وخرَّقت القميصَ خِرَّاقاً، وكلُّ «فَعَّلْتُ» فمَصدرُه في لُغتِهم مُشَدَّدٌ. قال لي أعرابيٌّ منهم على المَروَةِ يستفتيني: الحَلْقُ أحبُّ إليكَ، أَمِ القِصَّارُ؟ وأنشدني بعضُ بني كِلابٍ:

لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطَتني عن صَحابَتي وَعَنْ حِوَجٍ قِضَّاؤها مِنْ شِفَائِيَا

وأما أهلُ نَجدٍ، فيقولون: كذَّبت به تكذيباً. وقال أبو عُبيدَةَ: الكِذَّاب أشدُّ مِنَ الكِذاب، وهما مصدر المُكاذَبة. قال الأعشى:

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمَرءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ قال الزَّجَّاجُ: «كلَّ» منصوبٌ بفعلٍ مُضمرٍ تفسيره: أحصيناه، والمعنى: وأحصينا كلَّ شيءٍ، و ﴿كِتَابًا﴾ توكيدٌ لـ «أحصيناه»، لأنَّ معنى «أحصيناه» و «كتَبناه» فيما يحصل ويثبت واحدٌ. فالمعنى: كتبناه كتاباً. قال المُفسِّرون: وكلُّ شيءٍ مِنَ الأعمال أثبتناه في اللَّوحِ المحفوظِ ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيُقال لهم: ذُوقوا جزاءَ فِعالِكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين لم يُشركوا ﴿مَفَازًا﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: مُتنزَّهاً، قاله ابنُ عباس، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: فازوا بأنْ نَجوا مِنَ النار بالجنة، ومِنَ العذاب بالرَّحمةِ، قاله قَتادةُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: «مفازاً» في موضعِ «فوز» قوله: ﴿حَدَآئِقَ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: الحدائق: بساتينُ نَخلٍ، واحدها: حديقةٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: الكَواعِب: **النَّواهِد**. قال ابنُ فارسٍ: يقال: كَعَبَتِ المرأة كَعابةً، فهي كَاعِبٌ: إذا نَتَأ ثَدْيُها. وقد ذكرنا معنى «الأتراب» في صَ[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المَلأَى، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ

---

(١) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في دواوينه ١٠٩ و «شواهد الكشاف» ٣٤.
(٢) صَ: ٥٧. (٣) صَ: ٥٢.

عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وقَتادَةُ، وابنُ زيدٍ. **والثاني**: أنها المُتتابِعةُ. رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال ابنُ جُبَيرٍ. وعن مُجاهِدٍ كالقولين. **والثالث**: أنها الصَّافيةُ، قاله عِكرِمَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة إذا شَرِبوها ﴿لَغْوًا﴾ وقد ذكرناه في الطُّوْر[1] وغيرِها، ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ أي: لا يُكذِّب بعضُهم بعضاً، لأنَّ أهلَ الدنيا إذا شربوا الخمرَ تكلَّموا بالباطل وأهلُ الجنَّةِ مُنزَّهون عن ذلك. قال الفرَّاءُ. وقراءةُ عليٍّ رضي الله عنه «كِذَاباً» بالتخفيف، كأنه ـ واللَّهُ أعلَمُ ـ لا يَتكاذَبون فيها. وكان الكِسائيُّ يُخفِّفُ هذه ويشدِّدُ، «وكذَّبوا بآياتنا كذَّاباً» لأنَّ «كذَّبوا» يُقيِّد «الكِذاب» بالمصدرِ، وهذه ليست مقيَّدةً بفعلٍ يصيِّرها مصدراً، وقد ذكرنا عن أبي عُبيدَةَ أنَّ الكِذَاب بالتشديد والتخفيف مصدرُ المُكاذبة. وقال أبو عليٍّ الفارِسيُّ: «الكِذَاب» بالتخفيف مصدرُ «كَذَب»، مثل «الكِتاب» مصدر «كَتَبَ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَزَآءً﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: جازَاهُم بذلك جزاءً، وكذلك «عطاءً» لأنَّ معنى أعطاهم وجازَاهم واحدٌ. و ﴿حِسَابًا﴾ معناه: ما يكفِيهم، أي: فيه كلُّ ما يشتهون. يُقال: أحسَبُني كذا بمعنى كَفاني. ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، والمُفضَّلُ «ربُّ السموات والأرض وما بينهما الرحمنُ» برفعِ الباء مِنْ «ربّ» والنون مِنَ الرَّحمن على معنى: هو ربُّ السمواتِ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ بخفضِ الباء والنون على الصفة مِنْ «ربِّك». وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بكسرِ الباء ورفعِ النون، واختار هذه القراءةَ الفرَّاءُ. ووافقه على هذا جماعةٌ، وعلَّلوا بأنَّ الربَّ قريبٌ مِنَ المَخفوضِ، والرحمن بعيدٌ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يملكون الشفاعةَ إلاَّ بإذنِه قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: لا يَقدرُ الخَلْقُ أنْ يُكلِّموا الربَّ إلاَّ بإذنِه، قاله مُقاتِلٌ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[2]:

[١٥١١] **أحدها**: أنه جُندٌ مِنْ جُندِ الله تعالى، وليسوا بملائكةٍ، رواه ابنُ عباسٍ عن رسول الله ﷺ. وقال مُجاهِدٌ: هم خَلْقٌ على صورة بني آدمَ يأكلون ويشربون.

والثاني: أنه مَلَكٌ أعظَمُ مِنَ السمواتِ والجبالِ، والملائكةِ، قاله ابنُ مسعودٍ، ومُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. ورَوى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: الرُّوح: مَلَكٌ ما خَلَقَ اللَّهُ مَلَكاً أعظَمَ منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحدَهُ صَفًّا، وقامت الملائكةُ كلُّهم صفًّا واحداً، فيكون عِظَمُ خَلْقِه مِثْلَ صفوفِهم.

[١٥١١] باطل، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٤١٢ من حديث ابن عباس، وفي إسناده مجاهيل والمتن منكر، ولو صح لما اختلف المفسرون في معنى الروح في هذه الآية. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٢٣٣ بتخريجنا.

---

(١) الطور: ٢٣.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره»: والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح، والروح: خلق من خلقه وجائز أن يكون بعض الأشياء التي ذكرت. والله أعلم أي ذلك هو. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٤٩: هو جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير ويستشهد لهذا القول، بقوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، والأشبه ـ والله أعلم ـ أنهم بنو آدم.

والثالث: أنها أرواحُ الناس تقوم مع الملائكةِ فيما بين النَّفخَتين قبل أنْ تُرَدَّ إلى الأجسادِ، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه جِبريلُ عليه السلام قاله الشَّعْبيُّ، وسعيدُ بنُ جُبَير، والضَّحَّاكُ. **والخامس**: أنهم بَنو آدمَ، قاله الحسَنُ، وقَتادَةُ. **والسادس**: أنه القرآن، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ. **والسابع**: أنهم أشرفُ الملائكة، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ قال الشَّعْبيُّ: هما سِماطَانِ، سِماطٌ مِنَ الرُّوح، وسِماطٌ مِنَ الملائكة. فعَلَى هذا يكون المعنى: يوم يقومُ الرُّوح صَفًّا، والملائكة صفًّا. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿صَفًّا﴾ صفوفاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يعني: الخَلْقَ كلَّهم ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: قال في الدنيا صَواباً، وهو الشهادةُ بالتوحيدِ عند أكثرِ المُفسِّرين. وقال مُجاهِدٌ: قال حقًّا في الدنيا، وعَمِلَ به ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الكائنُ الواقع بلا شَكٍّ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ أي: مَرجِعاً إليه بطاعتِه. ثم خَوَّف كفَّارَ مكَّةَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذابُ الآخرة، وكلُّ آتٍ قريبٌ ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: يرى عمله مُثبَتاً في صَحيفَتِه خيراً كان أو شرًّا، ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ قال الحسَنُ: إذا سمع اللَّهُ الخلائقَ يومَ القيامة وقضى الثَّقَلَين الجِنّ والإنس وأَرُوا منازلَهم قال لسائرِ الخَلْقِ: كونوا تراباً فحِينَئذٍ يقول الكافرُ يا ليتني كنتُ تراباً. وحكى الزَّجَّاجُ أنَّ معنى: يا لَيْتَني كنتُ تراباً. يا ليتني لم أُبعَثْ. وحكى الثَّعلَبيُّ عن بعضِ أشياخه. أنه رأى في بعضِ التفاسير أنَّ الكافرَ ها هنا: إبليسُ، وذلك أنه عابَ آدمَ، لأنه خُلِقَ مِنَ التراب فتمنَّى يومَ القيامة أنه كان بمكانِ آدمَ، فقال: يا ليتني كنتُ تُراباً.

سورة النازعات

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَإِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ
۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الملائكة تَنزِعُ أرواحَ الكفَّارِ، قاله عليٌّ، وابنُ مسعودٍ، ورَوى عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ قال: هي الملائكةُ تَنزِعُ نُفوسَ بني آدمَ، وبه قال مَسْرُوقٌ. **والثاني**: أنه الموتُ يَنزِعُ النُّفوسَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنها النَّفْسُ حين تُنزَعُ، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: أنها النجومُ تَنزِعُ مِن أُفُقٍ إلى أُفُقٍ تَطلعُ ثم تَغيبُ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ، وأبو عُبيدَةَ، والأخفَشُ، وابنُ كَيْسانَ. **والخامس**: أنها القِسِيُّ تَنزِعُ بالسَّهم، قاله عَطاءٌ وعِكرمَةُ. **والسادس**: أنها الوحوش تَنزِعُ وتَنفرُ، حكاه المَاوَرديُّ. **والسابع**: أنها الرُّماةُ، حكاه الثَّعلَبيُّ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿غَرْقًا﴾ اسمٌ أُقِيمَ مقامَ الإغراق. قال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: والنَّازعاتِ إغراقاً، كما يَغرِقُ النازعُ في القوسِ، يعني: أنه يبلغُ به غايةَ المَدِّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أنها حين تنشطُ أرواحُ الكفَّارِ حتى تُخرجَها بالكَربِ والغَمِّ، قاله عليٌّ عليه السلام. قال مُقاتِلٌ: يَنزِعُ مَلَكُ الموتِ روحَ الكافر، فإذا بَلغَتْ تُرقُوتَهُ غَرقَها في حَلْقِه، فيُعذِّبه في حياتِه، ثم يَنشَطُها مِنْ حَلْقِه ـ أي: يَجذِبُها ـ كما يُنشطُ السَّفُودُ مِنَ الصوفِ المُبْتَلِّ. **والثاني**: أنها تَنشطُ. أرواحَ المؤمنين بسرعةٍ كما يُنشَطُ العِقالُ مِنْ يدِ البعير إذا حُلَّ عنها، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الفَرَّاءُ: الذي سمعتُه

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥١: قال ابن مسعود: **﴿والنازعات غرقاً﴾**: الملائكة، يعنون حين تنتزع أرواح بنو آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرق في نزعها، ومن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط. وهو الصحيح وعليه الأكثرون اهـ.

مِنَ العرب: كأنما أُنشِطَ مِنْ عِقَالٍ، بألفٍ. تقول: إذا رَبطتَ الحبلَ في يدِ البعير: نَشطته، فإذا حَلَلتَهُ قلتَ: أنشطْتُه.

والقول الثاني: أنها أَنفُسُ المؤمنين تَنشَطُ عند الموت للخروج، وهذا مَرويٌّ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وبيانه أنَّ المؤمنَ يَرى منزلَه مِنَ الجنة قبلَ الموت فتنشَطُ نَفسُه لذلك. **والثالث**: أنَّ النَّاشِطاتِ: الموتُ يُنَشِّطُ نفسَ الإنسان، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: النجوم تَنشَطُ مِنْ أُفقٍ إلى أُفقٍ، أي: تذهب، قاله قَتادَةُ، وأبو عُبيدَةَ، والأَخفشُ. ويُقال لبقرِ الوحش: نَواشِط، لأنها تذهب مِنْ موضعٍ إلى موضعٍ. قال أبو عُبيدَةَ: والهمومُ تَنشطُ بصاحبها. قال هِميان بنُ قُحافَةَ:

أَمسَتْ هُمومي تَنشِطُ المَناشِطَا ... الشَّامَ بي طَوْراً وطَوْراً وَاسِطَا

والخامس: أنها النَّفْسُ حين تَنشطُ بالموت، قاله السُّدِّيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ فيه ستةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها الملائكة تَسبَحُ بأرواح المؤمنين، قاله عليٌّ عليه السلام. قال ابنُ السَّائبِ: يقبضون أرواحَ المؤمنين كالذي يَسبَحُ في الماء. فأحياناً ينغمِسُ، وأحياناً يرتفع، يَسُلُّونها سَلاًّ رفيقاً، ثم يَدَعُونها حتى تستريحَ. **والثاني**: أنهم الملائكة ينزلون مِنَ السماء مُسرِعينَ، كما يُقال للفرسِ الجوادِ: سابح: إذا أسرَعَ في جَرْيِهِ، قاله مُجاهِدٌ، وأبو صالحٍ، والفَرَّاءُ. **والثالث**: أنه الموت يَسبَحُ في نفوس بني آدمَ، رُوِيَ عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والرابع**: أنها السُّفنُ تسبحُ في الماء، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: أنها النجوم، والشمس، والقمر، كلٌّ في فَلَكٍ يَسبَحُون، قاله قَتادَةُ، وأبو عُبيدَةَ. **والسادس**: أنها الخَيلُ، حكاه المَاوَرديُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها تسبقُ الشياطين بالوحي إلى الأنبياءِ، قاله عليٌّ عليه السلام ومَسْرُوقٌ. **والثاني**: أنها تسبقُ بأرواحِ المؤمنين إلى الجنة، قاله مُجاهِدٌ، وأبو رَوْقٍ. **والثالث**: سبقَتْ بني آدمَ إلى الإيمان، قاله الحَسنُ.

والقول الثاني: أنها أنفسُ المؤمنين تسبِقُ الملائكةَ شوقاً إلى لقاءِ الله، فيَقبِضُونها وقد عايَنَتِ السرورَ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثالث**: أنه الموتُ يسبق إلى النُّفوسَ، رُوي عن مُجاهِدٍ أيضاً. **والرابع**: أنها الخيل، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: أنها النجوم يسبق بعضُه بعضاً في السَّيْرِ، قاله قَتادَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ قال ابنُ عباسٍ: هي الملائكةُ. قال عَطاءٌ: وُكِّلت بأمورٍ عَرَّفهم اللهُ العملَ بها. وقال عبدُ الرَّحمن بنُ سابطٍ: يُدَبِّرُ أمرَ الدنيا أربعةٌ: جِبريلُ، وهو مُوكَّلٌ بالرِّياحِ والجنودِ. ومِيكائِيلُ، وهو مُوكَّلٌ بالقَطْرِ والنباتِ. ومَلَكُ الموتِ، وهو مُوكَّلٌ بقبضِ الأنفُسِ. وإسْرافِيلُ، وهو يَنزلُ بالأمرِ عليهم. وقيلَ: بل جِبريلُ للوحي، وإسْرافِيلُ للصُّورِ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: فالمُدَبِّرات أمراً: تنزلُ بالحلالِ والحرام. فإنْ قيلَ: أين جوابُ هذه الأقسام ففيه جوابان: **أحدهما**: أنَّ الجوابَ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: أنَّ الجواب مضمرٌ، تقديره: لَتُبعَثُنَّ، ولَتُحاسَبُنَّ، ويدلُّ على هذا قولُه عزَّ وجلَّ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ قاله الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾، وهي النَّفخة الأولى التي تموتُ منها جميعُ الخلائق.

و «الرَّاجفة» صيحةٌ عظيمةٌ فيها تَردُّدٌ واضطرابٌ كالرَّعدِ إذا تَمخَّضَ. و «تَرجُف» بمعنى: تتحرَّك حركة شديدةً ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ وهي: النَّفخةُ الثانية رَدِفَت الأولى، أي: جاءت بعدَها وكلُّ شيءٍ جاء بعدَ شيءٍ فهو يردَفُه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: شديدةُ الاضطرابِ لِمَا عاينَتْ مِنْ أهوالِ يوم القيامة أيضاً ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلةٌ لِمُعاينة النارِ. قال عَطاءٌ: وهذه أبصارُ مَنْ لم يَمُتْ على الإسلام. ويدلُّ على هذا أنه ذَكَرَ مُنكِري البعثِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ وأهلُ الكوفة «أئنا» بهمزتين مُخفَّفتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بتخفيفِ الأولى وتليينِ الثانية، وفَصلَ بينهما بألِفٍ وأبو عمرٍو. ﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ وفي معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الحافِرَة: الحياةُ بعد الموت. والمعنى: أَنرجِعُ أحياءً بعدَ موتِنا؟! وهذا قولُ ابنِ عباسٍ، وعَطيَّةَ، والسُّدِّيّ. قال الفَرَّاءُ: يَعنُون: أَنُرَدُّ إلى أمرِنا الأولِ إلى الحياة؟! والعرب تقول: أتيتُ فلاناً، ثم رجعتُ على حافِرَتي، أي: رَجعتُ مِن حيثُ جِئتُ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: رجع فُلانٌ في حافِرَته، وعلى حافِرَته: إذا رجع مِنْ حيثُ جاء، وهذا قولُ الزَّجَّاج. **والثاني**: أنها الأرض التي تُحفَرُ فيها قبورُهم، فَسُمِّيت حافِرَةً، والمعنى: مَحفُورَة، كما يُقال: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾(١) و ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٢) وهذا قولُ مُجاهِدٍ والخَليلِ. فيكون المعنى: أَئِنَّا لَمَردُودونَ إلى الأرض خَلْقاً جديداً؟!

قال ابنُ قُتَيبةَ: «في الحافِرَة» أي: إلى أولِ أمرِنا. وَمَنْ فَسَّرها بالأرض، فإلىٰ هذا يذهب، لأنَّا منها بُدِئْنا. قال الشاعر:

أَحَـافِـرَةً عَـلـى صَـلَـعٍ وشَـيْـبٍ مَـعَـاذَ اللهِ مِـنْ سَـفَـهٍ وَعَـارِ

كأنه قال: أأرجِعُ إلى ما كنتُ عليه في شبابي مِنَ الغزل والصِّبا «بعدما شِبْتُ وَصَلِعتُ».

والثالث: أنَّ الحافِرَةَ: النار، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصمٍ «نَاخِرَةً» قال الفَرَّاءُ: وهما بمعنًى واحدٍ في اللغة. مثل طَمِع، وطَامِع وحَذِر، وحَاذِر. وقال الأخفَشُ: هما لُغتانِ. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: نَخِرَ العَظمُ يَنخَرُ، فهو نَخِرٌ. مثل عَفِنَ الشيءُ يَعْفَنُ، فهو عَفِنٌ. وناخِرةٌ على معنى: عِظاماً فارغةً، يجيءُ فيها مِنْ هُبوبِ الرياح كالنَّخيرِ. قال المُفسِّرون: والمراد أنهم أنكروا البعثَ، وقالوا: نُرَدُّ أحياءً إذا مِتْنا وبَلِيَتْ عِظامُنا؟! ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: إنْ رُدِدْنا بَعْدَ الموت لَنَخسَرَنَّ بما يُصيبنا ممَّا يَعِدُنا به محمَّدٌ، فأعلَمَهم اللهُ بسهولةِ البَعثِ عليه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ يعني النَّفخةُ الأخيرةُ ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أي: صَيحَةٌ في الصُّورِ يسمعونها مِنْ إسرافيلَ وهم في بُطونِ الأرض فيَخرجون ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ(٣): **أحدها**: أنَّ السَّاهِرَة: وَجهُ الأرض، قاله ابنُ عباسٍ: ومُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ، واللغويون. قال الفَرَّاءُ: كأنها سُمِّيَتْ بهذا الاسم، لأنَّ فيها نومَ الحيوانِ وسَهرَهم. **والثاني**: أنه جبلٌ عند بيت المَقدِسِ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ. **والثالث**: أنها جهنَّمُ، قاله قَتادَةُ. **والرابع**: أنها أرضُ الشام، قاله سُفيانُ.

---

(١) الطارق: ٦. (٢) الحاقة: ٢١.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥٢: وهذه الأقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: قد جاءك. وقد بيَّنَّا هذا في طه[1] وما بعده إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ «طوى اذهب» غير مُجْراة. وقرأ الباقون «طوىً» مُنونةً، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، «تَزَّكَّى» بتشديد الزاي، أي: تَطَهَّر مِنَ الشِّركِ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: أَدْعوكَ إلى توحيدِه، وعبادتِه ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ عذابَه ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها اليَدُ والعصا، قاله جمهورُ المُفسِّرين. **والثاني**: أنها اليَدُ قاله الزَّجَّاج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي بأنها مِنَ الله، ﴿وَعَصَىٰ﴾ نبيَّه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: أعرَضَ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ أي: يعمل بالفسادِ في الأرض ﴿فَحَشَرَ﴾ لمَّا اجتمعوا ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: أنا لا ربَّ فوقي. وقيل أراد أنَّ الأصنامَ أربابٌ، وأنا ربُّها وربُّكم. وقيلَ: أراد: أنا رَبُّ السَّادةِ والقادةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: أنَّ الأُولى قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[3] والآخرةُ قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرمَةُ، والشَّعْبيُّ، ومُقاتِلٌ، والفَرَّاءُ. ورواه ابنُ أبي نَجيحٍ عن مُجاهدٍ. قال ابنُ عباسٍ: وكان بينهما أربعونَ سنةً. قال السُّدِّيُّ: فبقي بعدَ الآخرة ثلاثينَ سنةً. قال الفَرَّاءُ: فالمعنى: أخذَهُ الله أخذاً نكالاً للآخِرَةِ والأُولى. **والثاني**: المعنى: جعله الله نَكالَ الدنيا والآخرة، أغرقَهُ في الدنيا، وعَذَّبه في الآخرةِ، قاله الحسَنُ، وقَتادةُ. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: عَذَّبه الله في أولِ النهار بالغَرَقِ، وفي آخره بالنَّارِ. **والثالث**: أنَّ الأولى: تكذيبُه وعصيانُه. والآخِرَةُ قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قاله أبو رَزِينٍ. **والرابع**: أنها أولُ أعمالِه وآخرُها، رواه منصورٌ عن مُجاهِدٍ. قال الزَّجَّاجُ: النَّكالُ: منصوبٌ، مصدرٌ مؤكِّدٌ، لأنَّ معنى أخذَهُ الله: نَكَّلَ الله به نَكالَ الآخرة والأولى: فأغرقَهُ في الدنيا ويُعذِّبه في الآخرةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي فُعِل بفرعونَ ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي عِظَةً ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ الله.

ثم خاطبَ مُنكِري البَعثِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ قال الزَّجَّاج: ذهب بعضُ النَّحويين إلى أنَّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَنَىٰهَا﴾ مِنْ صفة السماء، فيكون المعنى: أَمِ السماءُ التي بَناها. وقال

---

(١) طه: ٩.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٥٣: قال تعالى: **﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾** أي انتقم منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا **﴿ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾** كما قال تعالى: **﴿وجعلناهم أئمة يدعو إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾** هذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: **﴿نكال الآخرة والأولى﴾** أي: الدنيا والآخرة. لا شك فيه.

(٣) القصص: ٣٨.

قومٌ: السماءُ ليس ممّا تُوصَلُ، ولكن المعنى: أأنتم أشدُّ خَلْقاً؛ أم السماءُ أشدُّ خَلْقاً. ثم بيَّن كيف خَلَقَها، فقال عزَّ وجلَّ ﴿بَنَىٰهَا﴾ قال المُفسِّرون: أَخَلْقُكم بعدَ المَوت أشدُّ عندَكم، أم السماءُ في تقديرِكُم؟ وهما في قدرة الله واحدٌ. ومعنى: «بناها» رَفَعها. وكلُّ شيءٍ ارتفع فوقَ شيءٍ فهو بناءٌ. ومعنى ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ رَفعَ ارتفاعَها وعُلوَّها في الهواء ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ بِلا شُقوقٍ، ولا فُطورٍ، ولا تَفاوتٍ، يرتفع فيه بعضُها على بعضٍ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: أظلَمه فجعلَه مُظلماً. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: غَطَشَ الليلُ وأغطَشَ، وغَبَشَ وأغبَشَ، وغَسَقَ وأَغسَقَ، وغَشِيَ وأَغشى، كلُّه بمعنى أظلَمَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: أبرزَ نهارَها. والمعنى: أظهرَ نورَها بالشمس. وإنما أضاف النُّورَ والظُّلمةَ إلى السماء لأنهما عنها يَصدُران ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد خَلْقِ السماء ﴿دَحَىٰهَآ﴾ أي: بَسَطَها. وبعضُ مَنْ يقول: إنَّ الأرض خُلِقَتْ قبل السماء يزعم أنَّ «بَعْدُ» هاهنا بمعنى «قبل»، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾(١) وبعضهم يقول: هي بمعنى «مع»، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾(٢)، ولا يمتنع أنْ تكونَ الأرضُ خُلِقَتْ قبلَ والسماء، ثم دُحِيَتْ بعد كمال السماء، وهذا مذهبُ عبدِ الله بن عمروِ بنِ العاصِ. وقد أشَرنا إلى هذا الخلاف في البقرة(٣). ونُصِبَت الأرضُ بمُضمَرٍ تفسيره قوله عزَّ وجلَّ: ﴿دَحَىٰهَآ﴾.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ أي: فَجَّرَ العيونَ منها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ وهو ما يأكله الناسُ والأنعام ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أثبَتَها ﴿مَتَـٰعًا لَّكُمْ﴾ أي: للإمتاع، لأنَّ معنى أخرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها: أمتَعَ بذلك. وقال ابنُ قُتَيبةَ: «متاعاً لكم» أي: منفعةً.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ والطَّامَّة: الحادِثَةُ التي تَطُمُّ على ما سِواها، أي: تعلُو فوقَهُ، وفي المراد بها هاهنا ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النَّفخةُ الثانية التي فيها البَعثُ. **والثاني**: أنها حينَ يُقال لأهل النار: قُوموا إلى النار. **والثالث**: أنها حينَ يُساق أهلُ الجنَّة إلى الجنَّةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ أي: ما عَمِلَ مِنْ خيرٍ وشرّ ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي: لأبصارِ الناظِرينَ. قال مُقاتِلٌ: يُكشَفُ عنها الغِطاءُ فينظر إليها الخَلْقُ. وقرأ أبو مِجلَزٍ، وابنُ السَّمَيفَع «لمن ترى» بالتاء. وقرأ ابنُ عباسٍ، ومعاذٌ القارئُ «لمن رأى» بهمزةٍ بين الراء والألف.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ في كُفرِه ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي هي المَأْوَى له. وهذا جوابُ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ فإنَّ الأمرَ كذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ قد ذكرناه في سُورةِ الرَّحمن(٤).

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.
(٢) القلم: ١٣.
(٣) البقرة: ٢٩.
(٤) الرحمن: ٤٦.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: عمَّا تهوى مِنَ المَحارمِ. قال مُقاتِلٌ: هو الرجل يَهُمُّ بالمعصية، فيذكر مقامَهُ للحساب، فيَتْرُكها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ قد سبقَ في الأعْراف[1] ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: لستَ في شيءٍ مِنْ علمِها وذِكْرِها. والمعنى: إنكَ لا تعلَمُها ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي: مُنتهى علمِها ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ وقرأ أبو جعفرَ «منذرٌ» بالتنوين. ومعنى الكلام: إنما أنتَ مُخَوِّفٌ مَنْ يخافُها. والمعنى: إنما ينفعُ إنذارُكَ مَنْ يخافها. وهو المؤمنُ بها. وأما مَنْ لا يخافها فكأنه لم يُنْذَرْ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ قُريشٍ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ أي: يُعاينُونَ القيامةَ ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورِهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: قَدْرَ آخرِ النهار مِنْ بعدِ العَصرِ، أو أوَّله إلى أنْ ترتفعَ الشمسُ. قال الزَّجَّاجُ: والهاء والألف في «ضحاها» عائدٌ إلى العَشيَّةِ. والمعنى: إلاَّ عَشِيَّةً، أو ضُحى العَشِيَّةِ. قال الفَرَّاءُ:

فإنْ قيلَ: للعَشيَّةِ ضُحىً، إنما الضُّحى لِصَدرِ النهار؟.

فالجواب: أنَّ هذا ظاهِرٌ في كلام العرب أن يقولوا: آتيكَ العَشِيَّةَ، أو غداتَها، أو آتيكَ الغَداةَ أو عَشِيَّتَها، فتكون العَشِيَّةُ في معنى «آخر»، والغَداةُ في معنى «أول». أنشدني بعضُ بَني عقيلٍ:

نَحْنُ صَبَحْنا عامِراً في دارِها ... عَشِيَّةَ الهِلاَلِ أو سِرارِها

أراد: عَشِيَّةَ الهلال، أو عَشِيَّةَ سِرارِ العَشِيَّةِ، فهذا أشدُّ مِنْ قولِهم: آتيكَ الغَداةَ أو عَشِيَّتَها.

(١) الأعراف: ١٨٧.

سورة عبس

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾.

[١٥١٢] قال المُفسِّرون: كان رسولُ الله ﷺ يوماً يُناجي عُتبةَ بنَ رَبيعَةَ، وأبا جهلِ بنَ هشام، وأُميَّةَ وأُبيًّا ابني خَلَفٍ، ويَدْعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامَهم، فجاء ابنُ أمِّ مَكتُوم الأعمى، فقالَ: علِّمني يا رسولَ الله ممَّا علَّمكَ الله، وجعل يُناديه، ويُكرِّرُ النداءَ، ولا يدري أنه مُشتغِلٌ بكلامِ غيره حتى ظَهرتِ الكراهيةُ في وجهِهِ ﷺ لِقطعِه كلامَهُ، فأعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ، وأقبلَ على القومِ يُكلِّمهم، فنزلت هذه الآياتُ، فكان رسولُ الله ﷺ يُكرِمُه بعد ذلك، ويقول: مرحباً بمَنْ عاتَبَني فيه ربِّي.

[١٥١٢] أصله محفوظ. أخرجه الطبري ٣٦٣٩ من حديث ابن عباس بنحوه، وإسناده واهٍ عطية العوفي واهٍ، وعنه مجاهيل. وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/٥٥٦ وقال: فيه غرابة ونكارة. لكن أصل الحديث قوي له شواهد. وله شواهد كثيرة، وأحسن شيء في هذا الباب: ما أخرجه الترمذي ٣٣٣١ وابن حبان ٥٣٥ والحاكم ٢/٥١٤ والطبري ٣٦٣١٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٥ من حديث عائشة قالت: «أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله يُعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول: أترى بما تقول بأساً، فيقال: لا ففي هذا أنزل». وإسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحاكم على شرطهما، لكن قال: وأرسله جماعة عن هشام بن عروة عن عروة ليس فيه ذكر عائشة.

قلت: والمرسل، أخرجه مالك ١/٢٠٣، ومراسيل عروة جياد. وله شاهد من مرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٢. وله شاهد من مرسل الضحاك، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٥. وله شاهد من مرسل عبد الرحمن بن زيد، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٦. وله شاهد من مرسل مجاهد والحسن، أخرجه الطبري ٣٦٣٢٢.

الخلاصة: رووه بألفاظ متقاربة، والمعنى متحد، وأن الآيات نزلت في شأن ابن أم مكتوم.

فالحديث حسن أو صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وانظر «أحكام القرآن» ٢٢٦٣.

[١٥١٣] وذهب قومٌ، منهم مُقاتِلٌ، إلى أنه إنما جاء لِيُؤمنَ، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ اشتغالاً بالرؤساء، فنزلت فيه هذه الآياتُ.

ومعنى: ﴿عَبَسَ﴾ قطَّبَ وكَلَحَ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرضَ بوجهِه ﴿أَن جَآءَهُ﴾ أي: لأنْ جاءَه. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، والحَسنُ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ، «آن جاءه» بهمزةٍ واحدةٍ مفتوحةٍ ممدودةٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ السَّمَيفَع «أَأَن» بهمزتين مقصورتين مفتوحتين. و ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ هو ابنُ مَكتُوم، واسمه عَمرُو بنُ قَيسٍ. وقيل: اسمه عبدُ الله بنُ عمروٍ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: يتطهر من الذنوبِ بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك، وقال مقاتل: لعله يؤمن ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أي: يتَّعِظُ بما يتعلَّمُه مِنْ مواعظِ القرآن ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ قرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ «فتنفعَه» بفتحِ العين، والباقون بضمِّها. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نصب، فعَلَى جواب «لعل»، ومَنْ رَفعَ، فعَلَى العطفِ على «يزَّكَّى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ قال ابنُ عباسٍ: استغنى عن الله وعن الإيمان بمالِه. قاله مُجاهِدٌ: «أما من استغنى» عُتبةُ، وشَيْبةُ، ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ «تصَّدَّى» بتشديدِ الصاد. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عَمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكِسائيُّ، «تَصَدَّى» بفتحِ التاء، والصاد وتخفيفهما وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عمرِو بنُ دِينارٍ: «تَتَصدَّى» بتاءين مع تخفيفِ الصاد، قال الزَّجَّاجُ: والأصل: تتصدَّى، ولكن حُذِفتِ التاءُ الثانيةُ لاجتماعِ تاءين، ومَنْ قرأ «تَصَّدَّى» بإدغامِ التاء، فالمعنى أيضاً: تَتَصدَّى، إلاَّ أنَّ التاء أُدغِمَتْ في الصاد لِقُربِ مَخرجِ التاء مِنَ الصاد. قال ابنُ عباسٍ: «تَصَدَّى» تُقبِلُ عليه بوجهِكَ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تَتعرَّضُ. وقرأ ابنُ مسعودٍ وابنُ السَّمَيفَع، والجَحْدَريُّ «تُصْدَى» بتاءٍ واحدةٍ مضمومةٍ، وتخفيف الصاد.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ أي: أيُّ شيءٍ عليكَ في أنْ لا يُسْلِمَ مَنْ تدعوه إلى الإسلام؟ يعني: أنه ليس عليه إلاَّ البلاغُ.

قوله ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يمشي. **والثاني**: يعملُ في الخير، وهو ابنُ أُمِّ مَكتُوم ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وطَلحَةُ بنُ مُصَرِّفٍ، وأبو الجَوزاءِ «تتلهى» بتاءٍ واحدةٍ خفيفةٍ مرفوعةٍ. قال الزَّجَّاجُ: أي: تَتشاغَلُ عنه. يقال: لَهِيتُ عن الشيءِ أَلْهَى عنه: إذا تَشاغلتُ عنه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا تفعلْ ذلكَ: ﴿إِنَّهَا﴾ في المَكنِي عنها قولان: **أحدهما**: آيات القرآن، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: هذه السُّورةُ، قاله الفَرَّاءُ. «والتذكرة» بمعنى التذكير ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ مفسر في آخرِ المُدَّثِّر(١). ثم أخبرَ بجلالةِ القرآن عنده فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أي: هو في صُحُفٍ، أي: في كُتبٍ مكرَّمةٍ، وفيها قولان: **أحدهما**: أنها اللَّوحُ المَحفوظُ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: كُتبُ الأنبياء، ذكره الثَّعلَبيّ. فعَلَى هذا يكون معنى ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ عالية القَدْرِ، وعلى الأول يكون رَفعُها كونُها في السماء.

[١٥١٣] هذا قول ضعيف ليس بشيء، والصواب ما تقدم. انظر الروايات المتقدمة.

---

(١) المدثر: ٥٥.

وفي معنى ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: مُطهَّرةٌ مِنْ أنْ تنزلَ على المشركين، قاله الحسَنُ. **والثاني**: مُطهَّرةٌ مِنَ الشركِ والكُفرِ، قاله مُقاتِلٌ: **والثالث**: لأنه لا يَمسُّها إلاَّ المُطَهَّرون، قاله الفَرَّاءُ. **والرابع**: مُطهَّرةٌ مِنَ الدَّنسِ، قاله يَحيى بنُ سَلام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ فيهم قولان: **أحدهما**: أنهم الملائكةُ، قاله الجمهور. **والثاني**: أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، قاله وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ.

وفي معنى «سَفَرة» ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنهم الكَتَبَةُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ: والزَّجَّاجُ. قال الزَّجَّاجُ: واحدهم: سَافِر، وسَفَرَة، مثل كَاتِب؛ وكَتَبَة، وكافِر، وكَفَرة، وإنما قيل للكِتاب: سِفر، وللكاتب: سافِر، لأنَّ معناه أنه يُبيِّن الشيءَ، ويُوضحه. يقال: أسفَرَ الصُّبحُ: إذا أضاء. وسَفَرَتِ المرأةُ: إذا كَشفَتِ النِّقابَ عن وجهها. ومنه: سَفَرتُ بينَ القوم، أي: كَشَفتُ ما في قلبِ هذا، وقلبِ هذا، لأصْلِحَ بينهم. **والثاني**: أنهم القُرَّاءُ، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنهم السُّفَراءُ، وهم المُصْلِحون، قال الفَرَّاءُ: تقول العرب: سَفَرتُ بينَ القوم، أي: أصلَحتُ بينهم، فجُعِلَتِ الملائكةُ إذا نزلت بوحي الله، كالسَّفيرِ الذي يُصلِحُ بين القوم. قال الشاعر:

وَمَــا أَدَعُ الــسِّــفَــارَةَ بَــيْــنَ قَــوْمــي ... وَمَــا أَمْــشــي بِــغِــشٍّ إنْ مَــشَــيْــتُ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِرَامٍ﴾ أي: على ربِّهم ﴿بَرَرَةٍ﴾ أي: مُطيعينَ. قال الفَرَّاءُ: واحد «البَرَرة» في قياس العربية: بَارٌّ، لأنَّ العرب لا تقول: فَعَلَة يَنوونَ به الجمعَ إلاَّ الواحد، ومنه فاعل، مثل كافر، وكَفَرة، وفاجِر، وفَجَرَة.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: لُعِنَ، والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر.

وفيمَنْ عَنى بهذا القول ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه أشار إلى كلِّ كافرٍ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنه أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: عُتبَةُ بنُ لَهَبٍ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: ما أشَدَّ كُفرَه، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والثاني**: أيُّ شيءٍ أكفره؟ قاله السُّدِّيُّ. فعَلَى هذا يكون استفهامَ توبيخ. **والثالث**: أنه على جهة التعجُّبِ. وهذا التعجُّبُ يؤمَرُ به الآدميُّون والمعنى: اِعجَبُوا أنتم مِنْ كُفرِه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ثم فَسَّره عزَّ وجلَّ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾. وفي معنى «فقدَّره» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: قَدَّر أعضاءَ رأسه. وعينيه، ويديه، ورِجلَيه، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثاني**: قدَّره أطواراً: نُطفةً، ثم عَلَقَةً، إلى آخر خَلْقِه، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٥٦: قال ابن جرير: والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله وبين خلقه ومنه يقال: السفير: الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير.

والثالث: فقدَّره على الاستواء، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ فيه قولان[١]: **أحدهما**: سهَّلَ له العِلْمَ بطريق الحقِّ والباطل، قاله الحَسَنُ، ومُجاهِدٌ. قال الفَرَّاءُ. والمعنى: ثم يَسَّرَهُ للسبيل. **والثاني**: يَسَّرَ له السبيلَ في خروجه مِنْ بطن أُمِّه، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي جعلَه مقبوراً، ولم يجعلْه ممَّنْ يُلقى للسِّباعِ والطيرِ، فكأنَّ القبرَ مما أُكرِم به المسلمُ. ولم يَقُلْ: قَبرَهُ، لأنَّ القابِرَ هو الدَّافِن بيدِه. والمُقبِرُ اللهُ، لأنه صَيَّره مقبوراً. فليس فعله كفعلِ الآدمي. والعرب تقول: بَتَرْتُ ذَنَبَ البعير، واللهُ أبتَره. وَعضبْتُ قَرْنَ الثَّورِ، واللهُ أعْضبَه وطَردتُ فُلاناً عني، واللهُ أطرَدَه، أي: صيَّره طريداً. وقال أبو عُبيدَةَ: أقبَره: أي أمَرَ أنْ يُقبَرَ، وجعلَ له قبراً. قالت بَنو تَمِيم لعمرَ بنِ هُبَيرةَ لمَّا قُتِلَ صالحُ بنُ عبدِ الرَّحمن: أقبِرْنا صالحاً، فقال: دُونَكُموه. والذي يَدفِنُ بيدِه هوَ القابِرُ. قال الأعْشَى:

لَـوْ أَسْـنَـدَتْ مَـيْـتـاً إلـى نَـحْـرِهـا عَـاشَ وَلَـمْ يُـسْـلَـم إلـى قَـابِـرِ[٢]

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: بعثَه. يُقال: أنشَرَ اللهُ الموتى فَنُشِرُوا، ونَشَر الميْتُ: حَيِيَ هو بنَفْسِه، واحدهم ناشِرٌ. قال الأعْشَى:

حَـتَّـى يَـقُـولَ الـنَّـاسُ مِـمَّـا رَأَوْا يَـا عَـجَـبـاً لِـلْـمَـيِّـتِ الـنَّـاشِـرِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال الحسَنُ: حقّاً ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ به ربُّه، ولم يُؤدِّ ما فرَضَ عليه. وهل هذا عامٌّ، أَمْ خاصٌّ؟ فيه قولان[٣]: **أحدهما**: أنه عامٌّ. قال مُجاهِدٌ: لا يقضي أحدٌ أبداً كُلَّ ما افترض اللهُ عليه. **والثاني**: أنه خاصٌّ للكافر لم يَقْضِ ما أُمِرَ به مِنَ الإيمان والطاعة، قاله يَحيى بنُ سَلام ولمَّا ذَكر خَلْقَ ابنِ آدمَ، ذَكر رِزقَه لِيقبو ويسد بالنَّباتِ على البعثِ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: يعني به عُتْبَةَ بنَ أبي لَهبٍ. ومعنى الكلام: فلينظُرِ الإنسانُ كيف خَلَقَ اللهُ طعامَه الذي جعله سبباً لِحَياتِه؟ ثم بَيَّنَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَنَّا﴾ قرأ ابنُ كَثِيرٍ، ونافعٌ؛ وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «إنا» بالكسر. وقرأ عاصِمٌ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ بفتح الهمزة في الوَصلِ وفي الابتداء، ووافقَهُم رُوَيسٌ على فَتْحِها في الوصلِ، فإذا ابتدأ كَسَرَ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسرَ «إنا» فعلى الابتداء والاستئناف، ومَنْ فَتحَ، فعَلى البَدلِ مِنَ الطعام، المعنى: فَلينْظُرِ الإنسانُ إلى أنَّا صببنا. قال المُفسِّرون: أراد بصَبِّ الماء: المطرَ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥٧: قال العوفي، عن ابن عباس: ثم يسّر عليه خروجه من بطن أمه، واختاره ابن جرير. وقال مجاهد: هذه كقوله ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ أي وضحناه وبيناه وسهلنا عليه علمه وهذا هو الأرجح.

(٢) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، ديوانه ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٥٧: قال ابن جرير: كلا، ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر، من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله، ﴿لما يقض ما أمره﴾ يقول: لم يؤد ما فرض عليه من الفرائض لربه عز وجل، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا. والذي يقع لي في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ أن المعنى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أي: بعثه ﴿كلا لما يقض ما أمره﴾: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة، ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب تعالى أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً وقدراً، فإذا تناهى لذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ يعني جميعَ الحبوب التي يُتغذَّى بها ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ قال الفَرَّاءُ: هو الرَّطبَةُ. وأهلُ مكَّةَ يُسمُّون القَتَّ: القَضْبَ. قال ابنُ قُتَيبةَ ويُقال: إنه سُمِّيَ بذلك، لأنه يُقضَبُ مرةً بعد مرةٍ، أي: يُقطَع، وكذلك القَصِيل، لأنه يُقصَلُ، أي: يُقطَعُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ قال الفَرَّاءُ: كلُّ بستانٍ عليه حائطٌ، فهو حديقةٌ، وما لم يكُنْ عليه حائطٌ لم يقل: حديقة. والغُلْبُ: ما غَلُظَ مِنَ النَّخلِ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: شجرةٌ غَلْباءُ: إذا كانت غليظةً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الغُلْب: الغِلاظُ الأعناقِ. وقال الزَّجَّاجُ: هي المُتكاثفةُ، العِظامُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ يعني: ألوان الفاكهة ﴿وَأَبًّا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه ما ترعاه البهائمُ. قاله ابنُ عباسٍ، وعِكرِمَةُ، واللغويون. قال الزَّجَّاجُ: هو جميع الكلأ التي تعتَلِفُه الماشيةُ. **والثاني**: أنه الثِّمار الرَّطبَةُ، رواه الوالِبِيُّ عن ابنِ عباسٍ.

قوله: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ قد بيَّنَّاه في السُّورَةِ التي قبلَها[(١)].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾ وهي الصَّيحةُ الثانية. قال ابنُ قُتَيبةَ: الصَّاخَّةُ تصِخُّ صَخًّا؛ أي: تُصِمُّ. يُقال: رجلٌ أصَخُّ، وأصْلَخُ: إذا كان لا يسمع. والدَّاهِيَةُ صاخَّةٌ أيضاً. وقال الزَّجَّاجُ: هي الصَّيحةُ التي تكون عليها القيامة، تَصُخُّ الأسماعَ، أي: تُصِمُّها، فلا تَسمَعُ إلاَّ ما تُدعى به لإحيائها. ثم فَسَّرَ في أيِّ وقتٍ تجيء فقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ قال المُفسِّرون: والمعنى[(٢)]: لا يلتفتُ الإنسانُ إلى أحدٍ مِنْ أقاربه، لِعِظَمِ ما هو فيه. قال الحَسنُ: أولُ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أخيه هابِيلُ، ومِنْ أمِّه وأبيه إبراهيم، ومِنْ صاحبَتِه نوحٌ ولُوطٌ، ومِن ابنه نُوحٌ. وقال قَتادَةُ: يَفِرُّ هابِيلُ مِنْ قابِيلَ، والنبيُّ ﷺ مِنْ أُمِّه، وإبراهيمُ مِنْ أبيه، ولُوطٌ مِنْ صاحبتِه، ونُوحٌ من ابنِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: أي: يَشغَلُه عن قرابتِه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: أي: يَصْرِفه ويَصدُّه عن قرابَتِه، يقال: اغنِ عني وجهَكَ، أي: اصرِفْهُ، واغنِ عني السَّفيهَ. وقرأ أبو عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميُ، والزُّهريُ، وأبو العاليةِ، وابنُ السَّمَيفع، وابنُ مُحَيصِنٍ، وابنُ أبي عَبلَةَ «يَعنيه» بفتحِ الياء، والعينَ غيرَ مُعجمةٍ. قال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: له شأنٌ لا يَقدِرُ مع الاهتمام به على الاهتمام بغيرِه، وكذلك قراءةُ مَنْ قرأ «يعنيه» بالعين، معناه له شأنٌ لا يَهمُّه معه غيره.

---

(١) النازعات: ٣٣.
(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٥٥٩/٤: يراهم ويفرّ منهم، ويبتعد عنهم لأن الهول عظيم، والخطب جليل. وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة: أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول: نفسي، نفسي، لا أسأله اليوم إلا نفسي.

[١٥١٤] وقد رَوى أنسُ بن مالكٍ قال: قالت عائشةُ للنبيِّ ﷺ: أَنُحشَرُ عُراةً؟ قال: نعم. قالت: وَاسَوءَتاهُ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مُضيئةٌ قد عَلِمَتْ ما لَها مِنَ الخير ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ لِسرورِها ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: فَرِحةٌ بما نالَها مِنْ كرامةِ الله عزَّ وجلَّ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غُبارٌ. وقال مُقاتِلٌ: أي: سَوادٌ وكآبةٌ ﴿تَرْهَقُهَا﴾ أي: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي: ظُلمةٌ. وقال الزَّجَّاجُ: يَعلوها سوادٌ كالدُّخانِ. ثم بَيَّنَ مَنْ أَهلُ هذه الحال، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ وهو جمعُ كافرٍ وفاجرٍ.

[١٥١٤] صحيح دون لفظ «واسوأتاه» فإنه منكر ضعيف. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٦ من طريق إبراهيم بن هراسة ثنا عائذ بن شريح الكندي، قال: سمعت أنس بن مالك، قال: قالت عائشة. وفيه لفظة منكرة وهي «واسوءتاه» وإسناده ضعيف لضعف عائذ.

وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٥٩ والطبري ٣٦٣٩٢ من طريق الفضل بن موسى، عن عائذ بن شريح، عن أنس قال: سألت عائشة رضي الله عنها: إني سائلتك عن حديث فتجزني أنت به، . . .» فذكره بنحوه والمتن غريب بهذا اللفظ. وقال أبو حاتم: عائذ بن شريح ضعيف، في حديثه ضعف. وقال ابن طاهر: ليس بشيء. فالإسناد ضعيف، والمتن ضعيف.

وأصل حديث عائشة دون ذكر لفظ «واسوءتاه» أخرجه البخاري ٦٥٢٧ ومسلم ٢٨٥٩. وورد من حديث عائشة ـ دون ذكر اللفظة. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٦٨ والحاكم ٤/ ٥٦٤ وإسناده صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٢٥ من طريق بريد بن عبد ربه عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة.

وورد من وجه آخر من حديث سودة: أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥ والطبراني في «الكبير» ٢٤/ (٩١) والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٢٥ من طريق إسماعيل بن أبي أويس ثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ. وفيه محمد بن أبي عياش مجهول، وثقه ابن حبان وحده. وصححه الحاكم على شرط مسلم! ووافقه الذهبي!؟

وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٣٣: ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن أبي عياش وهو ثقة! كذا قال رحمه الله، والصواب أنه مجهول، وثقه ابن حبان وحده على قاعدته في توثيق المجاهيل، وقد اضطرب، فرواه تارة عن أم سلمة به، أخرجه الطبراني في «الأوسط» ١٠/ ٣٣٢/ ١٨٣٢٠.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا
ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ
قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

[١٥١٥] رَوى أبو عبدِ الله الحاكمُ في «صحيحه» مِنْ حديث عبدِ الله بنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: مَنْ أحبَّ أنْ ينظرَ إلى يومِ القيامة فليقرأ قولَه تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

[١٥١٥] أخرجه الترمذي ٣٣٣٣ وأحمد ٢/ ٣٧ وابن حبان في «المجروحين» ٢/ ٢٥ من طريق عبد الرزاق.
وأخرجه الحاكم ٢/ ٥١٥ من طريق هشام بن يوسف الصنعاني وكلا الطريقين عن عبد الله بن بحير القاضي قال سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٢٧ من طريق علي بن محمد الفقيه عن المؤمل بن حسن ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا إبراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بحير به.
وإسناده غير قوي، عبد الله بن بحير مختلف فيه، وثقه ابن معين، وفرق ابن حبان بين عبد الله بن بحير بن ريسان، وبين أبي وائل القاص، في حين عدهما ابن حجر والذهبي واحداً، وشيخه وإن روى عنه غير واحد، فقد وثّقه ابن حبان وحده، وروى حديثين فقط. وصححه الألباني في «الصحيحة» ١٠٨١، وفي ذلك نظر، قال ابن حبان: أبو وائل القاص، اسمه عبد الله بن بحير الصنعاني، وليس هو ابن بحير بن ريسان، ذاك ثقة، وهذا يروي عن عروة بن محمد بن عطية، وعبد الرحمن بن يزيد، العجائب التي كأنها معمولة لا يجوز الاحتجاج به، ثم أسند هذا الحديث، وحديثاً آخر. وكذا فرق بينهما أبو أحمد الحاكم، فقال في الكنى في فصل من عرف بكنيته، ولا يوقف على اسمه، قلت: وذكره البخاري في «التاريخ» ٨/ ٩ في الكنى، فقال: أبو وائل القاص الصنعاني، سمع عروة بن محمد، روى عنه إبراهيم بن خالد. ولم يذكر البخاري فيه جرحاً أو تعديلاً. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٤ أن الترمذي رواه موقوفاً، وهذا لم أجده في المرفوع، ولعل الوقف صواب، فإن في المتن غرابة، لكن لا أجزم بذلك لأنه إن كان كما قال ابن حبان، فهو خبر واهٍ، وإلا فحسن غريب، فالله أعلم. فالجزم بصحته من الألباني، من غير بحث وتمحيص في الإسناد غير جيد، والله أعلم.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كُوِّرَتۡ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أظلَمَتْ، رَواه الوالِبيُّ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال الفَرَّاءُ: ذهب ضوؤها، وهذا قولُ قَتادَةَ، ومُقاتِلٍ. **والثاني**: ذَهَبتْ، رَواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وكذلك قال مُجاهِدٌ: اضمحلَّتْ. **والثالث**: غُوِّرَتْ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وسعيدِ بنِ جُبَيرٍ، وابنِ الأنباري، وهذا مِنْ قول الناسِ بالفارسيَّةِ: كُوْر بكرد. وقرأتُ على شيخِنا أبي منصورٍ اللغوي قال: هو بالفارسيَّةِ كور بُور.

والرابع: أنها تُكوَّرُ مثلَ العمامة، فتلف وتمحىٰ، قاله أبو عبيد. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى «كُوِّرت» جُمِعَ ضوؤُها، ولُفَّتْ كما تُلَفُّ العِمامةُ. يقال: كَوَّرْتُ العِمامةَ على رأسي أكوِّرُها: إذا لَفَفْتَها. قال المُفسِّرون: تُجمع الشمسُ بعضُها إلى بعضٍ، ثم تُلَفُّ ويُرمى بها في البحرِ. وقيل: في النارِ. وقيل: تُعاد إلى ما خُلِقَتْ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ أي: تَناثرت، وتَهافتَتْ. يقال: انْكدَرَ الطائرُ في الهواء: إذا انقضَّ ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ عن وجهِ الأرض، واستوَتْ مع الأرض ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ قال المُفسِّرون وأهلُ اللغة: النُّوقُ الحوامِلُ، وهي التي أتى عليها في الحَملِ عشرةُ أشهرٍ فقيل لها: العِشارُ لذلك، وذلك الوقت أَحْسَنُ زَمَانِ حَمْلِها، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لِتمام في سنةٍ، فهي أنفَسُ ما للعربِ عندَهم، فلا يُعطِّلُونها، إلاّ لإتيانِ ما يَشْغَلُهم عنها، وإنما خُوطِبَت العربُ بأمر العِشار، لأنَّ أكثرَ عيشِهم ومالِهم مِنَ الإبلِ، ومعنى «عُطِّلت» سُيِّبَتْ وأُهمِلَتْ، لاشتغالِهم عنها بأهوال القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ﴾ يعني: دَوابَّ البَرِّ ﴿حُشِرَتۡ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: ماتت، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: جُمِعتْ إلى يومِ القيامة، قاله السُّدِّيُّ. وقد زِدنا هذا شرحاً في الأنعام[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو «سُجِرَتْ» بتخفيف الميم، وقرأ الباقون بتشديدِها. وفي المعنى ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أُوقِدَتْ فاشتعلَتْ ناراً، قاله عليٌّ وابنُ عباسٍ. **والثاني**: يَبِستْ، قاله الحَسنُ. **والثالث**: مُلِئَتْ بأنْ صارت بحراً واحداً، وكَثُرَ ماؤها، قاله ابنُ السَّائبِ والفَرَّاء، وابنُ قُتَيبة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[2]: **أحدها**: قُرِنَتْ بأشكالِها. قاله عمرُ رضي الله عنه، الصالحُ مع الصالحِ في الجنَّةِ، والفاجرُ مع الفاجرِ في النَّارِ، وهذا قولُ الحَسنِ، وقَتادَةَ. **والثاني**: رُدَّت الأرواحُ إلى الأجساد، فَزُوِّجتْ بها، قاله الشَّعْبيُّ. وعن عِكرمَةَ كالقولين. **والثالث**: زُوِّجتْ أنفسُ المؤمنين بالحُورِ العِينِ، وأنفسُ الكافرين بالشياطين، قاله عَطاءٌ، ومُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ قال اللغويون: المَوؤودَةُ: البِنتُ تُدْفَنُ وهي حَيَّةٌ، وكان هذا مِنْ فعل الجاهلية. يُقال: وَأَدَ وَلَدَهُ، أي: دَفنَهُ حيّاً. قال الفَرزدَقُ:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الوَائِدَا ... تِ فَأَحْيَا الوَئِيدَ فلم يُوأَدِ

يعني: صَعصَعةَ بنَ صوحان، وهو جَدُّ الفَرزدَقِ. قال الزَّجَّاجُ: ومعنى سؤالِها تبكيتُ قاتِلها في

---

(١) الأنعام: ١١١.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٦٣: أي جمع كل شكل إلى نظيره، كقوله: **﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾**، وعن مجاهد قال: الأمثال من الناس جمع بينهم، واختاره ابن جرير، وهو الصحيح.

القيامة، لأنَّ جوابَها: قتلتُ بغيرِ ذَنْبٍ. وقيل: سُئِلَتْ: طُلِبَتْ، كما تقول: سألته حقّي وإنما طَلبتُ لِتَبكيتِ قاتلي. ومثل هذا التبكيت قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾[1] وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وابنُ يَعمَرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وهارونُ عن أبي عمروٍ «سَأَلَتْ» بفتح السين، وألِفٍ بعدَها ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ بإسكانِ اللام، وضمِّ التاء الأخيرة. وسُؤالُها هذا أيضاً تبكيتٌ لِقاتِليها. قال ابنُ عباسٍ: كانت المرأةُ في الجاهلية إذا حَملَتْ، فكان أوانُ وِلادِها حَفرَتْ حُفيرةً، فتمخَّضتْ على رأسِ الحُفيرةِ، فإنْ وَلدَتْ جاريةً رَمَتْ بها في الحُفيرةَ، وإنْ وَلدَتْ غلاماً حَبَسَتْهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرأ نافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ «نُشِرَتْ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد. والمراد بالصُّحُفِ: صَحائِفُ أعمالِ بني آدمَ نُشِرَتْ للحساب ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ قال الفَرَّاءُ: يعني نُزِعَتْ، فطُوِيَتْ. وفي قراءة عبدِ الله «قُشِطَتْ» بالقاف، وهكذا تقول قَيسٌ، وتَمِيمٌ، وأَسدٌ، بالقاف. وأمَّا قُريشٌ، فتقوله بالكاف، والمعنى واحدٌ. والعرب تقول: القافور، والكافور، والقِسْط، والكِسْط. وإذا تقارب الحرفان في المَخرج تعاقبا في اللُّغاتِ، كما يُقال: جَدَثٌ، وجَدَفٌ. قال ابنُ قُتيبةَ: كُشِطَتْ كم يُكْشَطُ الغِطاءُ عن الشيء، فطُوِيَتْ. وقال الزَّجَّاجُ: قُلِعَتْ كما يُقلع السقفُ. و ﴿سُعِّرَتْ﴾ أُوقِدَتْ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحَفصٌ عن عاصِمٍ «سُعِّرت» مشددةً. قال الزَّجَّاجُ: المعنى واحدٌ. إلاّ أنَّ معنى المُشدَّدِ: أُوقِدَتْ مرةً بعدَ مرةٍ. و ﴿أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبَتْ مِنَ المتقين. وجوابُ هذه الأشياء ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ أي: إذا كانت هذه الأشياءُ عَلِمَتْ في ذلك الوقت كلُّ نفسٍ ما أَحضَرَتْ مِنْ عمل، فأُثيبَتْ على قَدرِ عملِها. ورُوِيَ عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ أنه قال في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾: لِهذا جرَى الحديثُ. وقال ابنُ عباسٍ: مِنْ أولِ السُّورةِ إلى هاهنا اثنتا عشرةَ خَصلةً، ستةٌ في الدنيا، وستةٌ في الآخرة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ لا زائدةٌ، والمعنى: أُقسِمُ ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ وفيها خمسةُ أقوالٍ:

أحدها: أنها خمسةُ أنجمٍ تَخنُس بالنهار فلا تُرى، وهي: زُحَل، وعُطَارِد، والمُشتَري، والمَرِّيخ. وبه قال مُقاتِلٌ، وابنُ قُتَيبةَ. وقيلَ: اسمُ المُشتَري: البرجس. واسمُ المَرِّيخ: بهرام. **والثاني**: أنها النُّجومُ، قاله الحَسَنُ وقَتادةُ على الإطلاقِ، وبه قال أبو عُبيدَةَ. **والثالث**: أنها بَقرُ الوحشِ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والرابع**: الظِّباءُ، رواه العَوْفيُّ عن ابن عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والخامس**: الملائكة، حكاه المَاوَرديُّ. والأكثرون على أنها النُّجومُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: وإنما سَمَّاها خُنَّساً، لأنها تسير في البُروجِ

(١) المائدة: ١١٦.

والمنازلِ، كَسَيرِ الشمس والقمر، ثم تَخنُس، أي: ترجعُ، بَيْنا يُرى أحدُها في آخر البُروج كَرَّ راجعاً إلى أوّلِه، وسمَّاها كُنَّساً، لأنها تَكنِسُ، أي: تَسيرُ كما تَكنِسُ الظِّباءُ. وقال الزَّجَّاجُ: تَخنُسُ، أي: تغيب، وكذلك تَكنِسُ تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيبُ فيها. وإذا كان المراد الظِّباءُ فهي تدخل الكِناسَ، وهو الغُصنُ مِنْ أغصان الشجر. ووَقَفَ يعقوبُ على «الجَوارِي» بالياء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: وَلَّى، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ زيدٍ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أقبلَ، قاله ابنُ جُبيرٍ، وقَتادةُ. قال الزَّجَّاجُ: يُقال: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أقبلَ. وعَسْعَسَ: إذا أدبرَ. واستدلَّ مِنْ قال: إنَّ المراد: إدْبارُه بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وأنشد أبو عُبيدَةَ لِعَلْقَمةَ بنِ قرطٍ:

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسا ... وانجابَ عنها لَيْلُها وعَسْعَسا

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنَفَّسَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنه طُلوعُ الفجر، قاله عليٌّ رضي الله عنه وقَتادَةُ. **والثاني**: طلوعُ الشمس، قاله الضَّحَّاكُ. وقال الزَّجَّاجُ: معناه: إذا امتدَّ حتى يصيرَ نهاراً بَيِّناً. وجوابُ القَسَمِ في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ وما بعدَهُ قولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني: أنَّ القرآن نزَلَ به جبريلُ. وقد بيَّنَّا هذا في الحاقَّة[1]. ثم وَصفَ جبريلَ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ وهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ وقد شرحناه في النَّجم[2] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ يعني: في المنزلة ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ أي: في السمواتِ تُطيعُه الملائكةُ. فَمِنْ طاعةِ الملائكة له: أنه أَمَرَ خازنَ الجنة ليلةَ المِعراج حتى فَتَحها لِمحمَّدٍ ﷺ فدَخلَها ورأى ما فيها، وأَمَرَ خازنَ جهنَّمَ ففتحَ له عنها حتى نظر إليها. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ مسعودٍ، وأبو حَيْوَةَ «ثُم أمين» بضمِّ الثاء. ومعنى «أمين» على وحي الله ورِسالاتِه. وقال أبو صالحٍ: أمينٌ على أنْ يدخلَ سبعين سُرادِقاً مِنْ نورٍ بغير إذنٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ يعني محمَّداً ﷺ، والخِطابُ لأهل مكَّةَ. قال الزَّجَّاجُ: وهذا أيضاً مِنْ جواب القَسَمِ، وذلك أنه أقسَمَ أنَّ القرآن نزلَ به جِبريلُ، وأنَّ محمَّداً ليس بمجنونٍ كما يقول أهلُ مكَّةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قال المُفسِّرون: رأى محمَّدٌ ﷺ جِبريلَ على صورته بالأُفقِ. وقد ذكرنا هذا في سُورَةِ النَّجم[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: محمَّداً ﷺ ﴿عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: على خبرِ السماء الغائبِ عن أهل الأرض ﴿بِضَنِينٖ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، والكِسائيُّ، ورُوَيسٌ «بظنين» بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد. قال ابنُ قُتَيبةَ: مَنْ قرأ بالظاء، فالمعنى: ما هو بمُتَّهمٍ على ما يُخبِرُ به عن الله، ومَنْ قرأ بالضاد، فالمعنى: ليس بِبَخيلٍ عليكم بعِلمِ ما غابَ عنكم مما ينفعكم. وقال غيره: ما يَكتُمه كما يكتُم الكاهنُ لِيأخُذَ الأجرَ عليه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ قال مُقاتِلٌ: وذلك أنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: إنما يجيءُ به الشيطانُ، فيُلقيه على لسانِ محمَّدٍ.

---

(١) الحاقة: ٤٠.
(٢) النجم: ٦.
(٣) تقدم في سورة النجم: ٧.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: معناه: فأيَّ طريقٍ تسلُكون أبْيَنَ مِنْ هذه الطريقةِ التي قد بَيَّنْتُ لكم؟ قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي: موعظةٌ للخَلْقِ أجمعين ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ على الحقِّ والإيمانِ. والمعنى: أنَّ القرآن إنما يَتَّعظُ به مَنِ استقامَ على الحقِّ. وقد بيَّنَّا سبيلَ الاستقامة، فمَنْ شاء أخَذَ في تلك السبيل. ثم أعلَمَهم أنَّ المشيئة في التوفيق إليه بما بعدَ هذا، وقد بيَّنَّا هذا في سُورَةِ الإنسان[1].

[١٥١٦] قال أبو هُريرَةَ: لمَّا نزلت ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قالوا: الأمرُ إلينا، إنْ شِئنا استقَمنا، وإنْ شِئنا لم نَستقِمْ، فنزَلَ قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وقيلَ: القائل لذلك أبو جَهلٍ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ: «وما يشاؤون» بالياء.

فصل: وقد زَعمَ بعضُ ناقِلي التفسير أنَّ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وقولَه عزَّ وجلَّ في (عَبَس)[2]: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، وقولَه عزَّ وجلَّ في سُورَةِ الإنسان[3] وفي سُورَةِ المُزَّمِّل[4]: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ كلُّهُ مَنسُوخٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ولا أرى هذا القولَ صحيحاً، لأنه لو جازَ وقوعُ مشيئَتِهم مع عدمِ مشيئَتِه توجَّه النَّسخُ. فأمَّا إذْ أخبرَ أنَّ مشيئَتَهم لا تقعُ إلاَّ بعد مشيئَتِه، فليس للنَّسخِ وَجهٌ.

[١٥١٦] أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر» ٦/ ٥٣٢ عن أبي هريرة، ولم أقف على إسناده، وتفردهما به دليل وهنه. وورد عن سليمان بن موسى قوله، وهو أصح. أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٧ والطبري ٣٦٥٤٩ و ٣٦٥٥٠ عن سليمان بن موسى به.

---

(١) الإنسان: ٣٠.
(٢) عبس: ١٢.
(٣) الإنسان: ٢٩.
(٤) المزمل: ١٨.

سورة الانفطار

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

وهي مكِّيَّة كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انفطارُها: انشِقاقُها. و ﴿ٱنتَثَرَتْ﴾ بمعنى تَساقَطَتْ. و ﴿فُجِّرَتْ﴾ بمعنى فُتِحَ بعضُها في بعضٍ فصارت بحراً واحداً. وقال الحسَنُ: ذهب ماؤُها، و ﴿بُعْثِرَتْ﴾ بمعنى أُثِيرَتْ. قال ابنُ قُتيبةَ: قُلِبَتْ فأُخرِجَ ما فيها. يُقال: بَعْثَرتُ المَتاعَ وبَحْثَرْتُه: إذا جعلتَ أسفلَهُ أعلاهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا جوابُ الكلام. وقد شرحناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[١].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عُنِيَ به أبو الأشد[٢]، وكان كافراً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. وقد ذكرنا اسمَه في المُدَّثِّر[٣]. **والثاني**: أنه الوليدُ بنُ المُغيرة، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أنه أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: أنه أشار إلى كلِّ كافرٍ، ذكره المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: ما خَدَعكَ وسَوَّلَ لكَ حتى أضَعتَ ما وجبَ عليكَ؟. وقال غيره: المعنى: ما الذي أمَّنَكَ مِن عقابه وهو كريمٌ مُتجاوزٌ إذْ لم يُعاقِبْكَ عاجلاً؟ وقيلَ

---

(١) القيامة: ٣٠.

(٢) تقدم الكلام عليه في سورة المدثر: ٣٠.

(٣) المدثر: ٣٠.

للفُضيلِ بنِ عِياضٍ: لو أقامكَ اللّهُ سبحانه يومَ القيامة، وقال: ما غرَّكَ بربِّكَ الكريم، ماذا كنتَ تقولُ؟ قال: أقولُ: غرَّني سُتورُكَ المُرخاةُ. وقال يَحيى بنُ مُعاذٍ: لو قال لي: ما غرَّكَ بي؟ قلتُ: برُّكَ سالِفاً وآنِفاً. وقيلَ: لمَّا ذَكرَ الصِّفَةَ التي هي الكَرَمُ ها هنا دونَ سائرِ صفاتِه، كان كأنه لَقَّنَ عبدَه الجوابَ، لِيقولَ: غرَّني كَرمُ الكريم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ ولم تَكُ شيئاً ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ إنساناً تسمَعُ وتُبصِرُ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «فعدَّلك» بالتشديد. وقرأ عاصِمٌ، وحمزةُ، والكِسائيُّ «فعَدَلك» بالتخفيف. قال الفَرَّاءُ: مَنْ قرأ بالتخفيف. فوَجْهُه ـ واللّهُ أعلَمُ ـ: فصوَّركَ إلى أيِّ صورةٍ ما شاءَ، إمَّا حَسَنٍ، وإمَّا قبيحٍ، وإمَّا طويلٍ، وإمَّا قصيرٍ. وقيل: في صورةِ أبٍ، في صورة عمٍّ، في صورةِ بعضِ القَراباتِ تَشبيهاً. ومَنْ قرأ بالتشديد، فإنه أراد ـ واللّهُ أعلَمُ ـ: جعَلَكَ مُعتَدِلاً، مُعدَّلَ الخَلْقِ. وقال غيره: عَدَّلَ أعضاءَكَ فلم تَفضُلْ يدٌ على يدٍ، ولا رِجلٌ على رِجلٍ، وعَدَلَ بكَ أنْ يجعلكَ حيواناً بهِيماً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: يجوز أنْ تكونَ «ما» زائدةً. ويجوز أنْ تكونَ بمعنى الشَّرطِ والجزاءِ، فيكون المعنى: في أيِّ صورةٍ ما شاء أنْ يُركِّبكَ فيها ركَّبكَ. وفي معنى الآية أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: في أيِّ صُورةٍ مِنْ صُوَرِ القراباتِ رَكَّبكَ، وهو معنى قولِ مُجاهِدٍ. **والثاني**: في أيِّ صُورةٍ، مِنْ حَسَنٍ، أو قبيحٍ أو طويلٍ، أو قصيرٍ، أو ذَكَرٍ، أو أنثى، وهو معنى قولِ الفَرَّاءِ. **والثالث**: إنْ شاءَ أنْ يُركِّبَكَ في غيرِ صورةِ الإنسان ركَّبكَ، قاله مُقاتِلٌ. وقال عِكرِمَةُ: إنْ شاء في صورةِ قِرْدٍ، وإنْ شاء في صورةِ خِنزيرٍ. **والرابع**: إنْ شاء في صُورةِ إنسانٍ بأفعالِ الخير. وإنْ شاء في صُورةِ حمارٍ بالبَلادةِ والبَلَهِ، وإنْ شاء في صورةِ كلبٍ بالبُخلِ، أو خِنزيرٍ بالشرِّ، ذكره الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ بل يكذبون «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، فيَزعُمون أنه غيرُ كائنٍ. ثم أعلَمَهم أنَّ أعمالَهم محفوظةٌ، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾ أي: مِنَ الملائكة يَحفظون عليكم أعمالَكم ﴿كِرَامًا﴾ على ربِّهم ﴿كَـٰتِبِينَ﴾ يكتبون أعمالَكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ مِن خيرٍ وشرٍّ، فيكتبونَهُ عليكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ وذلك في الآخرة إذا دَخلوا الجنَّةَ ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ وفيهم قولان: **أحدهما**: أنهم المشركون. **والثاني**: الظَّلَمةُ. ونُقِلَ عن سُليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ أنه قال لأبي حازمٍ: يا ليتَ شِعْري ما لَنا عندَ الله؟ فقال له: اعرِضْ عملَكَ على كتابِ الله، فإنكَ تعلَمُ ما لكَ عندَه، فقال: وأينَ أجِدُه؟ قال: عندَ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ قال سُليمانُ: فأينَ رَحمةُ الله؟ قال: قريبٌ مِنَ المُحسِنينَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يعني: يدخلون الجحيمَ مُقاسِيْنَ حرَّها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يومَ الجزاء على الأعمال ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ أي: الجحيم ﴿بِغَآئِبِينَ﴾ وهذا يدلُّ على تخليدِ الكفَّارِ. وأجازَ بعضُ العلماء أنْ تكونَ «عنها» كِنايةً عن يوم القيامة، فتكون فائدةُ الكلام تحقيقُ البَعثِ. ويشتمل هذا على الأبرارِ والفُجَّارِ. ثم عَظَّمَ ذلكَ اليومَ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ثم كَرَّرَ ذلك تفخيماً لشأنِه، وكان ابنُ السَّائبِ يقول: الخِطابُ بهذا للإنسان الكافر، لا لِرَسولِ الله ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو «يوم» بالرفع، والباقون: بالفتح. قال الزَّجّاجُ: مَنْ رَفعَ «اليوم»، فعَلَى أنه صِفةٌ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾. ويجوز أنْ يكونَ رفعه بإضمارِ «هو»، ونَصبُه على معنى: هذه الأشياءُ المذكورةُ تكون ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ قال المُفسِّرون: ومعنى الآية أنه لا يَملكُ الأمرَ أحدٌ إلاّ اللّهُ ولم يُملِّكْ أحداً مِنَ الخَلْقِ شيئاً كما مَلَّكهُم في الدنيا. وكان مُقاتِلٌ يقول: لا تَملِكُ نفسٌ لِنَفسٍ كافرةٍ شيئاً مِنَ المَنفَعةِ. والقولُ على الإطلاق أصحُّ، لأنَّ مُقاتِلاً فيما أحسَبُ خاف نَفْيَ شفاعةِ المؤمنين. والشفاعةُ إنما تكون عن أمرِ الله وتمليكِه.

سُورَةُ المطففين
ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

وفيها ثلاثةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنها مكِّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، والضَّحَّاك، ويَحيى بنُ سَلام. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقتادَةُ، ومُقاتِلٌ، إلاَّ أنَّ ابنَ عباسٍ، وقتادَةَ قالاَ: فيها ثمانِ آياتٍ مكيَّةٌ، مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾(٢) إلى آخرِها. وقال مُقاتِلٌ: فيها آيةٌ مكِّيَّةٌ، وهي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٣). **والثالث**: أنها نزلت بين مكَّةَ، والمدينةِ، قاله جابرُ بنُ زيدٍ وابنُ السَّائبِ، وذكر هِبَةُ اللَّهِ بنُ سلامةَ المُفسِّر أنها نزلت في الهجرة بين مكَّةَ والمدينةِ، نِصفُها يقارب مكَّةَ، ونِصفُها يقارب المدينةَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

[١٥١٧] قال ابنُ عباسٍ: لمَّا قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ كانوا مِنْ أخبثِ الناس كَيْلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسَنُوا الكَيْلَ بعد ذلك.

وقال السُّدِّيُّ: قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة، وبها رجلٌ يقال له: أبو جُهَينةَ، ومعه صاعان، يكيلُ بأحدهما، ويَكتَالُ بالآخر، فأنزل اللَّهُ هذه الآيةَ(٤). وقد شرحنا معنى «الوَيْل» في البقرة(٥) قال ابنُ قُتيبة: المُطفِّف: الذي لا يُوفِّي الكَيلَ، يقال: إناءٌ طَفَّانُ: إذا لم يكُنْ مملوءاً. وقال الزَّجَّاجُ: إنما قيلَ: مُطَفِّف،

[١٥١٧] حسن. أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٧٤ وابن ماجه ٢٢٢٣ والحاكم ٢/ ٣٣ والطبري ٣٦٥٧٧ والواحدي ٨٤٨ من حديث ابن عباس، وإسناده حسن. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن صحيح، وقد صححه السيوطي في «الدر» ٦/ ٥٣٦. وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٢٦٦.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٧١: سورة المطففين مدنية.
(٢) المطففين: ٢٩. (٣) المطففين: ١٣.
(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٠ بدون إسناد عن السدي، فهو لا شيء. وقال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٧١٨: لم أجده.
(٥) البقرة: ٧٩.

لأنه لا يكاد يَسرقُ في الميزان والمِكيالِ إلاَّ الشيءَ الطَّفِيفَ، وإنما أُخِذَ مِنْ طَفِّ الشيء، وهو جانبه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: مِنَ الناس. فـ «على» بمعنى «من» في قول المُفسِّرين واللغويين. قال الفرَّاءُ: «على»، و «من» يَعتقبان في هذا الموضع، لأنكَ إذا قلتَ: اكْتَلتُ عليكَ، فكأنكَ قلتَ: أخذتُ ما عليكَ كيلاً، وإذا قلتَ: اكْتَلتُ منكَ كيلاً، فهو كقولكَ: استوفَيتُ منكَ. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إذا اكتالوا مِنَ الناس استوفوا عليهم الكَيْلَ، وكذلك إذا اتَّزنوا، ولم يَذْكُرْ «إذا اتَّزنوا»، لأنَّ الكَيْلَ والوزنَ بهما الشراءُ والبيعُ فيما يُكالُ ويُوزَنُ، فأحدهما يدل على الآخر ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ﴾ أي: كَالُوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ أي: وَزَنوا لهم ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ أي: يُنْقِصون في الكَيلِ، والوزنِ. فعلى هذا لا يجوز أنْ يقفَ على «كالوا»، ومِنَ الناس مَنْ يجعل «هم» توكيداً لِمَا كَالُوا، ويجوز أنْ يقف على «كالوا» والاختيارُ الأولُ. قال الفرَّاءُ: سمعتُ أعرابيَّةً تقول:

إذا صَدَرَ الناسُ أتينا التاجرَ، فيَكِيلُنا المُدَّ والمُدَّين إلى الموسم المُقبلِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾؟! قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو ظنوا أنهم يُبْعَثُون ما نَقَصُوا في الكَيلِ والوزنِ ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني به يومَ القيامة ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ اليوم منصوبٌ بقوله عزَّ وجلَّ «مبعوثون». قال المُفسِّرون: والظَّنُّ ها هنا بمعنى العلم واليقين. ومعنى يقوم الناس، أي: مِنْ قبورِهم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: لأمرِه، أو لِجزائِه وحسابه. وقيل يقومون بين يديه لِفَصْلِ القضاء.

[١٥١٨] وفي «الصحيحين» مِنْ حديث ابنِ عمرَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: في هذه الآية: «يقوم أحدُهم في رَشْحِهِ إلى أنصافِ أُذُنيهِ». وقال كَعْبٌ: يَقِفون ثلاثمائةَ عامٍ. قال مُقاتِلٌ: وذلك إذا أُخرِجوا مِنْ قبورِهم.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ رَدعٌ وزَجرٌ، أي: ليس الأمرُ على ما هم عليه، فَلْيَرتَدِعوا. وها هنا تمَّ الكلامُ عند كثيرٍ مِنَ العلماء. وكان أبو حاتمٍ يقول: «كلا» ابتداءٌ يتصل بما بعدَه على معنى «حقًّا» ﴿إِنَّ

[١٥١٨] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٣٨ والبغوي في «التفسير» من طريق إبراهيم بن المنذر به. وأخرجه مسلم ٢٨٦٢ من طريق معن به. وأخرجه الطبراني ٣٠/ ٩٤ من طريق مالك به. وأخرجه البخاري ٦٥٣١ ومسلم ٢٨٦٢ والترمذي ٢٤٢٢ وابن ماجه ٤٢٧٨، وأحمد ٢/ ١٠٥ و ١٢٥ وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٣٣ وابن حبان ٧٣٣١ والطبري ٣٦٥٨٥ و ٣٦٥٨٩ والبغوي ٤٢١١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٤٢ من طرق عن نافع به.

كِتَبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ قال مُقاتِلٌ: إنّ كتابَ أعمالِهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ وفيها أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الأرض السابعة، وهذا قولُ مُجاهِدٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاكِ، وابنِ زيدٍ، ومُقاتِلٍ. ورُوِيَ عن مُجاهِدٍ قال: «سجين» صخرةٌ تحت الأرض السابعة، جُعِلَ كتابُ الفاجر تحتَها، وهذه علامةٌ لِخَسارتِهم، ودلالةٌ على خَساسَةِ منزلَتِهم. **والثاني**: أن المعنى: إنَّ كتابهم لَفِي سَفالٍ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: لَفِي خَسارٍ، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: لَفِي حَبْسٍ، فِعِّيل مِنَ السَّجْنِ، قاله أبو عُبيدَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ هذا تعظيمٌ لأمرِها. وقال الزَّجّاجُ: أي: ليس ذلك مما كنتَ تعلَمُه أنتَ ولا قومُكَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: ذلك الكتاب الذي في سِجِّينٍ كتابٌ مَرقُومٌ، أي: مكتوبٌ. قال ابنُ قُتَيبَةَ: والرَّقْمُ: الكتاب. قال ابنُ ذُؤَيبٍ[1]:

عَـرَفْـتُ الـدِّيَـارَ كَـرَقْـمِ الـدَّوَا ... ةِ يَـزْبُـرُه الـكَـاتِـبُ الـحِـمْـيَـرِي

وأنشده الزَّجّاجُ: «يذْبِرها» بالذالِ المُعجمةِ، وكسرِ الباء. قال الأصمَعيُّ: يقال: زَبَرَ: كَتَبَ، وذَبَرَ: قرأ. ورَوى أبو عمرٍو عن ثَعلَبٍ، عن ابنِ الأعْرابي، قال: الصوابُ: زَبرتُ ـ بالزاي ـ كَتَبتُ. وذَبرتُ ـ بالذال ـ أتقنتُ ما حَفِظْتُ. قال: والبيتُ يَزْبُرها، بالزاي والضمِّ. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: يروى «يزبرُها» و «يذبرُها» وهو مثله، يقال: زَبَرَ الكتابَ يَزْبُرُه، ويَزْبِره. وذَبَره يَذْبُرُه، ويَذْبِره. وقال قَتادَةُ: رُقِّمَ له بشرٌّ، كأنه أعلَم بعلامةٍ يُعرف بها أنه الكافرُ. وقيل: المعنى: إنه مُثبتٌ لهم كالرَّقْمِ في الثوب، لا يُنسى ولا يُمحى حتى يُجازَوا به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا منتظمٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾، وما بينهما كلامٌ معترِضٌ. وما بعده قد سبقَ بيانُه إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ «بل ران» بفتح الراء مُدغمةً، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ «بل ران» مُدغمةً بكسرِ الراء. وقرأ حَفصٌ عن عاصِمٍ «بل» بإظهار اللام «ران» بفتح الراء وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بإدغام اللام بكسرِ الراء، قال اللغويون: أي: غَلَبَ على قلوبهم يقال: الخَمرُ تَرِينُ على عقلِ السَّكران. قال الزَّجّاجُ: قُرِئت بإدغام اللام في الراء، لِقُربِ ما بين الحرفين، وإظهارُ اللام جائزٌ، لأنه مِنْ كلمةٍ، والرأسُ مِن كلمةٍ أخرى. ويقال: رَانَ على قلبِه الذَّنْبُ يَرِينُ رَيْناً: إذا غَشِيَ على قلبِه، ويقال: غانَ يَغِيْنُ غَيْناً، والغَيْنُ كالغَيْم الرقيقِ، والرَّيْنُ كالصَّدأ يغشى على القلب. وسمعتُ شيخَنا أبا منصورٍ اللغوي يقول: الغَيْنُ يقال: بالراء، وبالغين، ففي القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾.

[١٥١٩] وفي الحديث: «إنه لَيُغانُ على قلبي» وكذلك الرَّاية تُقال بالراء، وبالغين، والرُّمَيصاء تُكتب «بالغين»، وبالراء، لأنَّ الرَّمَصَ يُكتَبُ بهما. قال المُفسِّرون: لمَّا كَثُرت معاصيهم وذنوبُهم أحاطَتْ بقلوبهم. قال الحسَنُ: هو الذَّنبُ على الذَّنبِ حتى يَعمى القلبُ.

[١٥١٩] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٠٢ وأبو داود ١٥١٥ وأحمد ٤/ ٢٦٠ والنسائي في «اليوم والليلة» ٤٤٢ وابن حبان ٩٣١ من حديث الأغرّ المزني بزيادة «وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة». وانظر «تفسير القرطبي» ٥١٢.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، «ديوان الهذليين» ١/ ٦٤.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿كَلَّآ﴾ أي: لا يُصدِّقون. ثم استأنف ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنهم عن النَّظرِ إلى ربِّهم يومئذٍ لَمَحجوبون، والمؤمنُ لا يُحجَبُ عن رؤيتِه. وقال مالكُ بنُ أنسٍ: لمَّا حَجَبَ أعداءَه فلم يَرَوْه تجلَّى لأوليائِه حتى رَأَوه. وقال الشَّافعيُّ: لمَّا حَجَبَ قوماً بالسُّخطِ دلَّ على أنَّ قوماً يَرَوْنه بالرِّضى[١]. وقال الزَّجَّاجُ: وهذه الآية دليلٌ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُرى في القيامة. ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدةٌ، ولا خسَّتْ منزلةُ الكفَّارِ بأنهم يُحجَبون عن ربِّهم. ثم بعد حَجْبِهم عن الله يدخلون النار، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ أي: تقول خَزنةُ النارِ: ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ كَلَّآ﴾ أي: لا يُؤمِنُ بالعذاب الذي يَصْلاه. ثم أعلَمَ أين مَحمَلُ ﴿كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ وفيها سبعةُ أقوالٍ[٢]: **أحدها**: الجنة، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه لَوحٌ مِنْ زَبرجدة خضراءَ مُعلَّقٌ تحت العَرشِ فيه أعمالهم مكتوبةٌ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أنها السماء السابعة، وفيها أرواحُ المؤمنين، قاله كَعْبٌ، وهو مذهب مُجاهِدٍ، وابنِ زيدٍ. **والرابع**: أنها قائمةُ العَرشِ اليمنى، وقال مُقاتِلٌ: ساقُ العَرشِ. **والخامس**: أنه سِدْرةُ المُنتهى، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: أنه في عُلوٍ وصعودٍ إلى الله عزَّ وجلَّ قاله الحسَنُ. وقال الفَرَّاءُ: في ارتفاعٍ بعد ارتفاعٍ. **والسابع**: أنه أعلى الأمكنةِ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ هذا تعظيمٌ لشأنها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبلَها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: يَحضرُ المقرَّبون مِنَ الملائكة ذلك المكتوبَ، أو ذلك الكتابَ إذا صَعدَ به إلى عِلِّيين. وما بعد هذا قد سبقَ بيانُه[٣] إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ففيه قولان: **أحدهما**: إلى ما أعطاهم اللَّهُ مِنَ الكرامة.

والثاني: إلى أعدائهم حين يُعذَّبون.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، ويعقوبُ «تُعرَف» بضمِّ التاء، وفتحِ الراء «نُضرةُ» بالرفع. قال الفَرَّاءُ: بَريقُ النعيم ونَداهُ. قال المُفسِّرون: إذا رأيتَهم عرفتَ أنهم مِنْ أهل النعيم، لِمَا ترى مِنَ الحُسنِ والنُّورِ. وفي «الرَّحيق» ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور. ثم اختلفوا أيُّ الخمر هي على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أجوَدُ

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٧٤: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دلّ عليه منطوق قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥: أي مصيرهم إلى عليين، وهو بخلاف سجين، والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال معظماً أمره ومفخماً شأنه ﴿وما أدراك ما عِليون﴾ ثم قال مؤكداً لما كتب لهم ﴿كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ وهم الملائكة.

(٣) الانفطار: ١٣.

الخمر، قاله الخَليلُ بنُ أحمدَ. **والثانية**: الخالِصةُ مِنَ الغِشّ، قاله الأخفَشُ. **والثالث**: الخمر البيضاءُ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: الخَمرُ العَتيقةُ، حكاه ابنُ قُتَيبةَ.

والقول الثاني: أنه عَينٌ في الجنة مَشُوبةٌ بالمِسْكِ، قاله الحَسنُ.

والثالث: أنه الشراب الذي لا غِشَّ فيه، قاله ابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَمزوجٌ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: مَختومٌ على إنائِه، وإلى نحوِ هذا ذهب مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه خِتامٌ، أي: عاقبةُ ريحٍ، وتلك العاقبة هي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، أي عاقِبَته. هذا قولُ أبي عُبيدَةَ.

قوله: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وعاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ «خِتامه» بكسر الخاء، وبفتح التاء، وبألفٍ بعدهما، مرفوعةَ الميم. وقرأ الكِسَائيُّ «خَاتَمه» بخاءٍ مفتوحةٍ، بعدها ألفٌ، وبعده تاءٌ مفتوحةٌ. ورَوى الشَّيْزَريُّ عنه «خَاتِمه» مثلَ ذلك، إلاَّ أنه يكسر التاءَ. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وعُروَةُ، وأبو العاليةِ: «خَتَمه مسك» بفتحِ الخاء والتاء وبضمِّ الميم مِنْ غير ألفٍ. وللمفسِّرين في قوله تعالى: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: خَلطُهُ مِسكٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ خَتْمَه الذي يُخْتَمُ به الإناء مِسْكٌ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: أنَّ طعمَهُ وريحَهُ مِسْكٌ، قاله عَلْقمَةُ. **والرابع**: أنَّ آخرَ طعمِه مِسكٌ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، والفَرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجُ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ أي: فَلْيَجِدُّوا في طَلَبِه، ولْيَحْرِصوا عليه بطاعة الله. والتَّنافس: كالتَّشاحِّ على الشيء، والتَّنازُعِ فيه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ عَيْنٍ في الجنة، قال ابنُ مسعودٍ: وهي عَيْنٌ في الجنة يشربها المُقرَّبون صِرفاً، وتُمزَجُ لأصحاب اليمين. **والثاني**: أنَّ التَّسْنيمَ الماءُ، قاله الضَّحَّاكُ. قال مُقاتِلٌ: وإنما سُمِّيَ تَسْنيماً، لأنه يُتَسنَّمُ عليه مِنْ جنَّة عَدْنٍ، فيَنْصبُّ عليهم انصِباباً، فيشربون الخمرَ مِنْ ذلك الماء. قال ابنُ قُتَيبةَ: يقال: إنَّ التَّسنيمَ أرفعُ شرابٍ في الجنة. ويقال: إنه يمتزج بماءٍ ينزل مِنْ تَسْنيم، أي: مِنْ عُلوٍ. وأصل هذا مِنْ سَنامِ البعير، ومِنْ تَسْنِيمِ القبور. وهذا أعجبُ إليَّ، لقولِ المُسَيَّبِ بنِ عَلَسٍ في وصف امرأةٍ:

كـــأنَّ بـــريـــقَـــتِـــهـــا لِـــلْـــمِـــزَا ج مِـنْ ثَـلْـجِ تَـسْـنِـيـم شِـيـبَـتْ عُـقَـارَا

أراد: كأنَّ بريقتها عُقاراً شِيبَتْ للمِزاجِ مِنْ ثَلجِ تَسْنِيم، يريد: جبلاً. قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ومِزاجُه مِنْ تَسْنيم عيناً تأتيهم مِنْ تَسْنيم، أي: مِنْ عُلوٍ يَتَسنَّم عليهم مِنَ الغُرَفِ. فـ «عيناً» في هذا القول منصوبةٌ، كما قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾[1]. ويجوز أنْ تكونَ «عيناً» منصوبةً بقوله: يُسْقَوْن عَيْناً، أي: مِنْ عَينٍ. وقد بيَّنَّا معنى «يشرب بها» في «هل أتى»[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾

---

(١) البلد: ١٤ ـ ١٥. (٢) الدهر: ٦.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أي: أشركوا ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني أصحاب رسولِ الله ﷺ، مثلَ عمَّارٍ، وبلالٍ، وخبَّابٍ وغيرهم ﴿يَضْحَكُونَ﴾ على وجهِ الاستهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟﴾ يعني: المؤمنين ﴿بِهِمْ﴾ أي: بالكفار ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: يُشِيرون بالجَفْنِ والحاجب استهزاءً بهم ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ يعني: الكُفَّار ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ أي: مُتعجِّبينَ بما هم فيه يَتفكَّهون بذِكْرِهم. وقرأ أبو جعفرَ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ، وعبدُ الرَّزاقِ عن ابنِ عامرٍ «فكهين» بغيرِ ألفٍ. وقد شرحنا معنى القِراءتين في «يس»[1] قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: رَأَوْا أصحابَ رسول الله ﷺ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ يعني الكفَّار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ يَحفظون أعمالَهم عليهم، أي: لم يُوكَّلوا بحفظِ أعمالِهم ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ إذا رَأَوْهم يُعذَّبون في النَّارِ. قال أبو صالح: يُقال لأهل النَّارِ وهم فيها: اخْرُجوا، وتُفتَحُ لهم أبوابُها، فإذا أقبلُوا يريدون الخروجَ، غُلِّقَتْ أبوابُها دُونَهم. والمؤمنون ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إليهم فذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِنَ الكفَّارِ يضحكون ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى عذاب عَدُوِّهم. قال مُقاتِلٌ: لكلِّ رجلٍ مِنْ أهل الجنة ثُلْمَةٌ ينظرون إلى أعداء الله كيف يُعذَّبون، فيَحمدون الله على ما أكرَمَهم به، فهم يُكلِّمون أهلَ النار ويُكلِّمونَهم إلى أنْ تُطبِقَ النارُ على أهلها، فتُسَدُّ حِينَئذٍ الكُوَى.

قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وهارونُ عن أبي عمروٍ «هل ثوب» بإدغامِ اللام. أي: هل جُوزوا وأُثِيبوا على استهزائِهم بالمؤمنين في الدنيا؟ وهذا الاستفهامُ بمعنى التقرير.

---

(١) يسٓ: ٥٥.

سورة الانشقاق

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

وهي مكيَّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ قال المُفسِّرون: انشِقاقها مِنْ علاماتِ الساعة. وقد ذُكِرَ ذلك في مواضعَ مِنَ القرآن. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي: استَمعتْ وأطاعتْ في الانشقاقِ، مِنَ الإِذْنِ، وهو الاستماعُ للشيء والإِصْغاءُ إليه، وأنشدوا:

صُـمٌّ إذا سَـمِـعُـوا خـيـراً ذُكِـرْتُ بِـهِ ... وإنْ ذُكِـرْتُ بِـسُـوءٍ عِـنْـدَهُـم أَذِنُـوا[1]

﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: حقَّ لها أنْ تُطيعَ ربَّها الذي خَلَقها ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ قال ابنُ عباسٍ: تُمَدُّ مَدَّ الأَدِيمِ، ويُزاد في سَعَتِها. وقال مُقاتِلٌ: لا يبقى جبلٌ ولا بناءٌ إلاَّ دخلَ فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى والكُنوز ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي: خَلَتْ مِنْ ذلك، فلم يَبْقَ في باطِنِها شيءٌ. واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكوراتِ على أربعةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنه مَتروكٌ، لأنَّ المعنى معروفٌ قد تردَّدَ في القرآن. **والثاني**: أنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، كقولِ القائل: إذا كان كذا وكذا فَيا أيُّها الناسُ تَرَوْنَ ما عَمِلتُم، فيجعل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هو الجواب، وتُضمَرُ فيه الفاء، فكأنَّ المعنى: ترى الثوابَ والعقابَ إذا السماءُ انشقَّتْ، ذكر القولين الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: «يا أيها الإِنسانُ إنكَ كادِحٌ إلى ربِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ إذا السماءُ انشقَّتْ» قاله المُبَرِّدُ. **والرابع**: أنَّ الجواب مدلولٌ عليه بقوله عزَّ وجلَّ: «فمُلاقِيه». فالمعنى: إذا كان يوم القيامة لَقِيَ الإِنسانُ عملَه، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: إنكَ عاملٌ لربِّكَ عملاً، قاله ابنُ

(١) البيت لقعنب بن ضمرة بن أم صاحب، كما في «الاقتضاب» ٢٩٢ و «اللسان» ـ أذن ـ.

عباسٍ. **والثاني**: سَاعٍ إلى ربِّكَ سَعْياً، قاله مُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: و «الكَدْح» في اللغة: السَّعْيُ، والدَّأْبُ في العملِ بابُ الدنيا والآخرة. قال تَمِيمُ بنُ مُقبِلٍ:

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وأُخرى أَبْتَغي العَيْشَ أَكْدَحُ

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ قولان: **أحدهما**: عاملٌ لربِّكَ. وقد ذكرناه عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: إلى لقاء ربِّكَ، قاله ابنُ قُتيبة.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ قولان: **أحدهما**: فَمُلاقٍ عَمَلَكَ. **والثاني**: فمُلاقٍ ربَّكَ، ذكرهما الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو أنْ تُعرضَ عليه سيِّئاته، ثم يَغْفِرها الله له.

[١٥٢٠] وفي «الصَّحيحين» مِنْ حديث عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: مَنْ نُوقِشَ الحساب هَلَكَ، فقُلتُ: يا رسولَ الله، فإنَّ الله يقول: «فَسَوفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً»؟! قال: ذلكَ العَرْضُ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ يعني: في الجنَّةِ مِنَ الحُورِ العِيْنِ والآدمياتِ ﴿مَسْرُورًا﴾ بما أُوتيَ مِنَ الكرامة ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قال المُفسِّرون: تُغَلُّ يدُه اليمنى إلى عُنقِه، وتُجعل يدُه اليُسرى وراءَ ظهرِه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ قال الزَّجَّاجُ: يقول: يا وَيْلاهُ، يا ثُبُوراهُ، وهذا يقوله كلُّ مَنْ وقع في هَلَكَةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافع، وابنُ عامرٍ، والكِسَائيُّ «ويُصَلَّى» بضمِّ الياء، وتشديدِ اللام. وقرأ عاصِمٌ، وأبو عمرو، وحمزةُ «ويَصلى» بفتح الياء خفيفةً، إلاَّ أنَّ حمزةَ والكِسَائيَّ يُميلانها. وقد شرحناه في سُورةِ النِّساء[1]. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ يعني في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ باتِّباعِ هَواهُ، وركوبِ شهواتِه ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجعَ إلى الآخرة، ولن يُبعَثَ وهذه صفةُ الكافرِ. قال اللغويون: الحَوْرُ في اللغة: الرجوع، وأنشدوا لِلَبِيدٍ:

وَمَا المرءُ إلاَّ كالشِّهَابِ وَضَوئِهِ يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

[١٥٢٠] صحيح. أخرجه البخاري ١٠٣ والبغوي في «شرح السنة» ٤٢١٤ عن سعيد بن أبي مريم به. عن عائشة.
وأخرجه البخاري ٤٩٣٩ ومسلم ٢٨٧٦ ح ٧٩ والترمذي ٣٣٣٧ وأحمد ٦/٤٧ والطبري ٣٦٧٣٦ وابن حبان ٧٣٦٩ والقضاعي ٣٣٨ من طرق عن أيوب عن ابن أبي مليكة. وأخرجه البخاري ٤٩٣٩ و ٦٥٣٦ والترمذي ٢٤٢٦ و ٣٣٣٧ والطبري ٣٦٧٣٩ و ٣٦٧٤٠ من طرق عن ابن أبي مليكة به.

---

(١) النساء: ١١.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلَىٰٓ﴾ قال الفرَّاءُ: المعنى: بلى لِيَحُورُون، ثم استأنفَ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ قال المُفسِّرون: بصيراً به على سائِرِ أحوالِه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ قد سبقَ بيانُه.

وأمَّا «الشَّفَق» فقال ابنُ قُتَيبة: هما شفقانِ: الأحمرُ، والأبيضُ، فالأحمرُ: مِنْ لَدُنْ غُروبِ الشمس إلى وقتِ صلاةِ العِشاء ثم يَغيبُ، ويبقى الشَّفقُ الأبيضُ إلى نصفِ الليل. وللمُفسِّرين في المراد «بالشَّفَق» هاهنا ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الحُمرَةُ التي تبقى في الأفقِ بعدَ غُروبِ الشمس.

[١٥٢١] وقد رَوى ابنُ عمرَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشَّفَقُ: الحُمْرَةُ»، وهذا قولُ عمرَ، وابنِه، وابنِ مسعودٍ، وعُبَادَةَ، وأبي قَتادَةَ، وجابرِ بنِ عبدِ الله، وابنِ عباسٍ، وأبي هُريرَةَ، وأنسٍ، وابنِ المُسَيِّبِ، وابنِ جُبَيرٍ، وطَاوُسٍ، ومَكْحولٍ، ومالكٍ، والأوزاعي، وأبي يُوسفَ، والشَّافعي، وأبي عُبيدٍ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ. قال الفَرَّاءُ: سمعتُ بعضَ العرب يقول وعليه ثوبٌ مَصبوغٌ كأنه الشَّفَقُ، وكان أحمرَ.

والثاني: أنه النهار. **والثالث**: الشمس، رُوِيَ القولان عن مُجاهِدٍ. **والرابع**: أنه ما بقيَ مِنَ النهار، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: السَّوادُ الذي يكون بعد ذهابِ البياضِ، قاله أبو جعفرَ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ. **والسادس**: أنه البياض، قاله عُمرُ بنُ عبد العزيزِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: وما جَمَعَ وضَمَّ. وأنشدوا:

إنَّ لـنـا قَـلائِـصـاً حَـقـائِـقـا ‏ ‏ ‏ مُـسْـتَـوْسِـقَـاتٍ لـو يَـجِـدْنَ سَـائِـقَـا(١)

قال أبو عُبيدَةَ: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما عَلاه فلم يُمنَعْ منه شيءٌ، فإذا جَلَّلَ الليلُ الجبالَ، والأشجارَ، والبحارَ، والأرضَ، فاجتمعتْ له، فقد وَسَقَها. وقال بعضهم: معنى: «ما وَسَق»: ما جَمعَ مما كان مُنتشراً بالنهار في تصرُّفِه إلى مأْواه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ قال الفَرَّاءُ: اتِّساقُه: واجتِماعُه واستِواؤهُ ليلةَ ثلاثَ عشرةَ، وأربعَ عشرةَ، إلى ستَّ عشرةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وحمزَةُ والكِسَائيُّ «لَترْكَبَن» بفتح التاء والباء جميعاً، وفي معناه قولان: **أحدهما**: أنه خطابٌ لرسول الله ﷺ. **ثم في معناه قولان**: **أحدهما**: لَتَركبنَّ سماءً بعد سماءٍ، قاله ابنُ مسعودٍ، والشَّعْبيُّ، ومُجاهِدٌ. **والثاني**: لَتَركبنَّ حالاً بعد حالٍ، قاله ابنُ عباسٍ، وقال: هو نبيُّكم.

والقول الثاني: أنَّ الإشارةَ إلى السماء. والمعنى: أنها تتغيرُ ضُروباً مِنَ التَّغييرِ، فتَارةً كالمُهْلِ، وتارةً كالدِّهانِ، رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ أيضاً.

[١٥٢١] الصحيح موقوف. أخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩ من حديث ابن عمر، وفي إسناده عتيق بن يعقوب، وهو لم يسمع من مالك. وورد من وجه آخر موقوفاً، أخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩، وهو الراجح، وكذا روي عن جماعة من الصحابة موقوفاً، وهو أصح، والله أعلم.

---

(١) الرجز في «ملحق ديوان العجاج» ٨٤، وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٩١ و «اللسان» وسق.

قرأ عاصِمٌ، ونافعٌ، وأبو عمروٍ، وابنُ عامرٍ «لَتَركبنَّ» بفتح التاء وضمِّ الباء، وهو خطابٌ لسائرِ الناس ومعناه: لَتَركبنَّ حالاً بعد حالٍ. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو الأشهَبِ «لَيركبَنَّ» بالياء، ونصبِ اللام. وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ يَعمُرَ «ليركبُنَّ» بالياءِ، ورفعِ الباء. و «عن» بمعنى «بعد». وهذا قولُ عامَّةِ المُفسِّرين واللغويين، وأنشدوا للأقرَعِ بنِ حابِسٍ:

إنِّي امْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلى طَبَقِ

ثم في معنى الكلام خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الشدائدُ، والأهوالُ، ثم الموتُ، ثم البَعثُ، ثم العَرضُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه الرَّخاءُ بعد الشدَّةِ، والشدَّةُ بعد الرَّخاءِ، والغِنى بعد الفقرِ، والفقرُ بعد الغِنى، والصحةُ بعد السَّقم، والسَّقمُ بعد الصحةِ، قاله الحسَنُ. **والثالث**: أنه كونُ الإنسان رضيعاً ثم فَطِيماً ثم غُلاماً ثم شاباً ثم شَيخاً، قاله عِكرمَةُ. **والرابع**: أنه تغيُّرُ حالِ الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع مَنْ كان وضِيعاً، ويتَّضِعُ مَنْ كان مرتفعاً، وهذا مذهب سعيدِ بنِ جُبَيرٍ. **والخامس**: أنه ركوبُ سُنَنِ مَنْ كان قبلَهم مِنَ الأوَّلين، قاله أبو عُبيدَةَ. وكان بعضُ الحكماء يقول: مَنْ كان اليوم على حالةٍ، وغداً على حالةٍ أخرى، فليَعلَمْ أنَّ تدبيرَهُ إلى سِواهُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بمحمَّدٍ والقرآن، وهو استفهامُ إنكارٍ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا يُصلُّون، قاله عَطاءٌ، وابنُ السَّائبِ. **والثاني**: لا يَخضعون له، ويَستكِينُون، قاله ابنُ جَريرٍ، واختاره القاضي أبو يَعلَى. قال: وقد احتجَّ بها قومٌ على وجوبِ سجودِ التلاوةِ، وليس فيها دلالةٌ على ذلك، وإنما المعنى: لا يَخشَعون، ألاَ ترى أنه أضافَ السجودَ إلى جميعِ القرآن، والسُّجودُ يختصُّ بمواضعَ منه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآنِ، والبَعثِ، والجزاءِ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ في صدورِهم ويُضمِرون في قلوبِهم مِنَ التكذيب. قال ابنُ قُتَيبةَ: «يُوعُون»: يَجمَعون في قلوبِهم. وقال الزَّجَّاجُ: يُقال: أوعَيتُ المتاعَ في الوعاءِ، ووَعَيْتُ العلمَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أخبِرْهم بذلك. وقال الزَّجَّاجُ: اجعَلْ للكفَّارِ بدلَ البِشَارةِ للمؤمنين بالجنَّةِ والرَّحمةِ، العذابَ الأليمَ. و «المَمْنُون» عند أهل اللغة: المَقطوعُ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥١٦: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك ـ وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً ـ جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً.

سورة البروج

ترتيبها ٨٥ — آياتها ٢٢

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ
(٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قد ذكرنا البُروجَ في الحِجْر[1] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة بإجماعِهم وفي قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فيه أربعةٌ وعشرون قولاً[2]:

[١٥٢٢] أحدها: أنَّ الشَّاهِدَ: يومُ الجمعةِ، والمَشهود: يومُ عَرفَةَ، رواه أبو هُريرَةَ عن

[١٥٢٢] ضعيف، والراجح وقفه، أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٩ والبيهقي ٣/ ١٧٠ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف، لضعف علي بن زيد، وخالفه يونس فرواه موقوفاً، وصحح الحاكم الموقوف، ووافقه الذهبي وهو كما قالا. والموقوف أخرجه الطبري ٣٦٨٣٨، بإسناد على شرط مسلم من حديث أبي هريرة قال: **﴿واليوم الموعود﴾** يوم القيامة. وورد عند الطبري ٣٦٨٥٠ من طريق ابن حرملة عن سعيد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سيد الأيام الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود: يوم عرفة» وهذا مرسل، وهو معلول، فقد كرره الطبري ٣٦٨٥٣ عن سعيد قوله. وأخرجه الطبري ٣٦٨٥٢ من طريق شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «إن الشاهد. . .» فذكره. وفي إسناده محمد بن إسماعيل، وهو واهٍ. وورد موقوفاً منجماً بألفاظ =

---

(١) الحجر: ١٦.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥٨٢: قال البغوي: الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة اهـ. وتوقف ابن جرير ولم يرجّح.

رسول الله ﷺ وبه قال عليٌّ، وابنُ عباسٍ في روايةٍ، وابنُ زيدٍ. فعَلَى هذا سُمِّيَ يومُ الجُمعةَ شاهِداً، لأنه يَشهد على كلِّ عاملٍ بما يعمل فيه، وسُمِّيَ يومُ عَرفَةَ مَشهوداً، لأنَّ الناس يَشهدون فيه موسمَ الحَجِّ، وتَشهده الملائكةُ. **والثاني**: أنَّ الشَّاهدَ: يومُ الجُمعةِ، والمَشهُودَ: يومُ النَّحرِ، قاله ابنُ عمرَ. **والثالث**: أنَّ الشَّاهدَ: اللَّهُ عزَّ وجلَّ، والمَشهُودَ: يومُ القيامة، رواه الوالِبِيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنَّ الشَّاهِدَ: يومُ عَرفَةَ، والمَشهُودَ: يومُ القيامة، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والخامس**: أنَّ الشَّاهدَ: محمَّدٌ ﷺ، والمَشهُودَ: يومُ القيامة، رواه يُوسفُ بنُ مِهْرانَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ بنُ عليٍّ. **والسادس**: أنَّ الشاهدَ: يومُ القيامة، والمَشهودَ: الناسُ، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله. **والسابع**: أنَّ الشاهدَ: يومُ الجمعة، والمَشهودَ: يومُ القيامة، قاله الحسَنُ. **والثامن**: أنَّ الشاهدَ: يومُ التروية، والمَشهودَ: يومُ عَرفةَ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والتاسع**: أنَّ الشاهدَ: هو اللَّهُ، والمَشهودَ: بنو آدمَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والعاشر**: أنَّ الشاهدَ: محمَّدٌ، والمَشهودَ: يومُ عَرفةَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والحادي عشر**: أنَّ الشاهدَ آدمُ، والمَشهودَ: يومُ القيامة، رواه ابنُ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ. **والثاني عشر**: أنَّ الشاهدَ: ابن آدمَ، والمَشهودَ: يومُ القيامة، رواه لَيثٌ عن مُجاهِدٍ، وبه قال عِكرِمَةُ. **والثالث عشر**: أنَّ الشاهدَ: آدمُ، وذريَّتُه، والمَشهودَ يومُ القيامة، قاله عَطاءُ بنُ يَسارٍ. **والرابع عشر**: أنَّ الشاهدَ: الإنسانُ، والمَشهودَ: اللَّهُ عزَّ وجلَّ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والخامس عشر**: أنَّ الشاهدَ: يومُ النَّحرِ، والمَشهودَ: يومُ عَرفةَ، قاله إبراهيمُ. **والسادس عشر**: أنَّ الشاهدَ: عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام، والمَشهودَ: أُمَّتُه، قاله أبو مالكٍ. ودليلُه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[1]. **والسابع عشر**: أنَّ الشاهدَ: محمَّدٌ ﷺ، والمَشهودَ: أُمَّتُه، قاله عبدُ العزيز بنُ يَحيى، وبيانُه: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2]. **والثامن عشر**: أنَّ الشاهدَ: هذه الأُمَّةُ، والمَشهودَ: سائرُ الناس، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضلِ، ودليلُه: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[3]. **والتاسع عشر**: أنَّ الشاهدَ: الحَفَظَةُ، والمَشهودَ: بنو آدمَ، قاله محمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ، وحُكِيَ عن عِكرِمَةَ نحوُه. **والعشرون**: أنَّ الشاهدَ: الحقُّ، والمَشهودَ: الكونُ، قاله الجُنَيدُ. **والحادي والعشرون**: أنَّ الشاهدَ، الحَجرُ الأسودُ، والمشهودَ: الحُجَّاجُ. **والثاني والعشرون**: أنَّ الشاهدَ: الأنبياءُ والمَشهودَ: محمَّدٌ ﷺ، وبيانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية[4]. **والثالث والعشرون**: أنَّ الشاهدَ:

= مختلفة عن جماعة من الصحابة والتابعين، وهذا الاختلاف يدل على الاضطراب الخلاصة: الحديث ضعيف بهذا اللفظ. وقد ورد من حديث أبي هريرة مرفوعاً وعجزه؛ وما طلعت الشمس ولا غربت في يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، لا يستعيذ من شيء إلا أعاذه منه»، وعجزه هذا محفوظ.

أخرجه الترمذي ٣٣٣٩ والبغوي في «شرح السنة» بإثر ١٠٤٢ عن عبد بن حميد عن روح بن عبادة وعبيد الله بن موسى به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/٤٥٨ من طريق يحيى بن نصر والطبري ٣٦٨٥١ من طريق مهران كلاهما عن موسى بن عبيدة به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٦٨٣.

(١) المائدة: ١١٧.
(٢) النساء: ٤١.
(٣) البقرة: ١٤٣.
(٤) آل عمران: ٨١.

اللَّهُ عزَّ وجلَّ، والملائكةُ، وأولو العلم، والمَشهودَ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وبيانُه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾(١)، حكى هذه الأقوالَ الثلاثةَ الثَّعلَبيُّ. **والرابع والعشرون**: أنَّ الشاهدَ: الأنبياءُ والمَشهودَ: الأُمَمُ، حكاه شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله.

وفي جوابِ القَسَمِ أقوالٌ: **أحدها**: أنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ قاله قَتادةُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: أنه قولُه تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، كما أنَّ القَسَمَ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ . . . ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، حكاه الفَرَّاءُ. **والثالث**: أنه مَتروكٌ، وهذا اختيارُ ابنِ جَريرٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ أي: لُعِنُوا. والأُخْدود: شَقٌّ يُشَقُّ في الأرض، والجمع: أخادِيْدُ. وهؤلاءِ قومٌ حَفروا حفائِرَ في الأرض وأوقَدُوا فيها النارَ، وألقَوا فيها مَنْ لم يَكفُرْ.

واختلف العلماء فيهم على ستةِ أقوالٍ(٢):

[١٥٢٣] **أحدها**: أنه مَلِكٌ كان له ساحرٌ فبَعثَ إليه غلاماً يعلِّمه السِّحرَ، فكان الغلامُ يَمرُّ على راهبٍ، فأعجبَهُ أمرُه، فتبِعَهُ، فعَلِمَ به المَلِكُ، فأمَرَه أن يرجعَ عن دِيْنِه، فقال: لا أفعل، فاجتَهدَ المَلِكُ في إهلاكِه، فلم يَقْدِرْ، فقال الغلام: لستَ بقاتلي حتى تفعلَ ما آمُرُكَ به. اجمَعِ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، واصلُبني على جِذْعٍ، وارْمِني بسَهْمٍ مِنْ كِنانَتي، وقُلْ: بسم الله رَبِّ الغُلام، ففَعلَ، فماتَ الغلامُ، فقال الناس: آمَنَّا بربِّ الغلام، فَخَدَّ الأخاديدَ، وأضرمَ فيها النارَ، وقال: فمَنْ لم يرجِعْ عن دِيْنِه فاقحِمُوه فيها، ففَعَلوا، وهذا مختصرُ الحديث، وفيه طُولٌ، وقد ذكرتُه في «المغني» و «الحدائق» بطُولِه مِنْ حديث صُهَيبٍ عن رسولِ الله ﷺ.

[١٥٢٤] **والثاني**: أنَّ مَلِكاً مِنَ الملوك سَكِرَ، فوقعَ على أخته، فلمَّا أفاقَ قال لها: وَيْحَكِ: كيف المخرجُ؟ فقالت له: اجمَعْ أهلَ مملكَتِكَ فأخبرهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أحَلَّ نِكاحَ الأخواتِ، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسَوهُ، خَطَبْتَهُم فحَرَّمتَهُ. ففعلَ ذلك، فأبَوا أنْ يقبَلُوا ذلك منه، فبَسَطَ فيهم السَّوْطَ، ثم

[١٥٢٣] صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٥ وابن حبان ٨٧٣ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠ من طريق هدبة بن خالد به. من حديث صهيب. وأخرجه الطبري ٣٦٨٧٤ من طريق حرمي بن عمارة ثنا حماد بن سلمة به. وأخرجه الترمذي ٣٣٤٠ وعبد الرزاق ٩٧٥١ والطبراني ٧٣١٩ من طريق معمر عن ثابت به. وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٦٦١ وأحمد ٦/ ١٧ و ١٨ والطبراني ٧٣٢٠ من طرق عن حماد بن سلمة به.

[١٥٢٤] موقوف. أخرجه الطبري ٣٦٨٦٨ عن علي موقوفاً، وإسناده ضعيف، فيه إرسال بين ابن أبزى وبين علي.

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ١٩/ ٢٥٦: قال علماؤنا: أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحّد قبلهم من الشدائد، يؤنّسهم بذلك. وذكر لهم النبي ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام، والمشقات التي كانوا عليها ليتأسوا بمثل هذا الغلام، في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره، قال ابن العربي: وهذا منسوخ عندنا. قلت: ليس بمنسوخ عندنا، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى، قال تعالى مخبراً عن لقمان: **﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾** [لقمان: ١٧] اهـ.

قلت: ذكر المصنف أقوالاً عن الصحابة والتابعين والمفسرين، والحجة في المرفوع الآتي.

جرَّدَ السيفَ، فأبَوْا، فخَدَّ لهم أُخدُوداً، وأوقَدَ فيه النارَ، وقَذَفَ مَنْ أَبَى قَبولَ ذلك، قاله عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ الله وَجهَهُ.

[١٥٢٥] **والثالث**: أنهم أناسٌ اقتَتلَ مؤمنوهم وكافروهم، فظَهرَ المؤمنون، ثم تَعاهَدوا أنْ لا يَغدِرَ بعضُهم ببعضٍ، فغَدَر الكفارُ، فأخذوهم، فقال لهم رجلٌ مِنَ المؤمنين: أوقِدُوا ناراً، واعرِضُوا عليها، فمَنْ تابَعكُم على دِينِكم، فذاكَ الذي تُحِبُّون، ومَنْ لم يُتابِعْكُم أُقحِمَ النارَ فاستَرَحتُم منه. ففَعلوا، فجعلَ المسلمون يقتَحِمونَها، ذكره قَتادَةُ.

[١٥٢٦] **والرابع**: أنَّ قوماً مِنَ المؤمنين اعتَزَلوا الناسَ في الفَترةِ، فأرسلَ إليهم جبَّارٌ مِنْ عَبَدةِ الأوثان، فعَرضَ عليهم الدخولَ في دِينِه فأبَوْا، فخَدَّ لهم أُخدُوداً، وألقاهُم فيه، قاله الرَّبيعُ بنُ أنسٍ.

[١٥٢٧] **والخامس**: أنَّ جماعةً آمنوا مِنْ قوم يُوسَف بن ذي نُواسٍ بعدما رُفِعَ عيسى، فخَدَّ لهم خَدًّا، وأوقَدَ فيه النارَ، فأحرَقَهم كلَّهم، فأنزلَ الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ وهم: يُوسُفُ بنُ ذي نُواسٍ وأصحابُه، قاله مُقاتِلٌ.

والسادس: أنهم قومٌ كانوا يعبدون صَنَماً، ومعهم قومٌ يكتمون إيمانَهم، فعَلِموا بهم، فخَدُّوا لهم أُخدُوداً، وقَذَفُوهم فيه، حكاه الزَّجَّاجُ.

واختلفوا في الذين أُحرِقوا على خمسةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم كانوا مِنَ الحَبشةِ، قاله عليٌّ عليه السلام. **والثاني**: مِنْ بني إسرائيلَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: مِنْ أهل اليمنِ، قاله الحسَنُ. قال الضَّحَّاكُ: كانوا مِنْ نصارى اليمنِ، وذلك قبل مَبْعثِ رسول الله ﷺ بأربعينَ سنةً. **والرابع**: مِنْ أهل نَجْرانَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: مِنَ النَّبَطِ، قاله عِكرِمَةُ.

وفي عددِهم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اثنا عشرَ ألفاً، قاله وَهْبٌ. **والثاني**: سبعونَ ألفاً، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: ثمانونَ رجلاً، وتسعُ نِسوةٍ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ هذا بدلٌ مِنَ «الأُخدُود» كأنه قال: قُتِلَ أصحابُ النارِ، و «الوَقود» مفسَّرٌ في البقرة[1] وقرأ أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ، وأبو عبد الرَّحمنِ السُّلَميُّ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمُرَ وابنُ أبي عَبلَةَ «الوُقُود» بضمِّ الواو ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ أي: عندَ النارِ. وكان المَلِكُ وأصحابُه جلوساً على الكراسي عند الأُخدُودِ يَعرِضُون المؤمنين على الكُفرِ، فمَنْ أَبَى أَلْقَوْه ﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ أي: حضورٌ، فأخبرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيات بقصة قومٍ بلَغَ مِنْ إيمانهم ويقينِهم أنْ صَبَروا على التَّحريقِ بالنارِ، ولم يَرْجِعوا عن دِينِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ وقرأ ابنُ أبي عَبلَةَ «نقِموا» بكسر القاف. قال الزَّجَّاجُ: أي: ما

[١٥٢٥] أخرجه الطبري ٣٦٨٦٩ عن قتادة قال حُدثنا أن علياً رضي الله عنه كان يقول: «هم أناس بمزارع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها. . .» فذكره. وهذا ضعيف، قتادة عن علي منقطع.

[١٥٢٦] مرسل. أخرجه الطبري ٣٦٨٧٥ عن الربيع بن أنس به.

[١٥٢٧] عزاه المصنف لمقاتل، وهو متهم، والصحيح في ذلك حديث صهيب، وتقدم برقم ١٥٢٣.

---

(١) البقرة: ٢٤.

أنكَروا عليهم إيمانَهم. وقد شرحنا معنى «نقموا» في المائدة[١] وبراءة[٢] وشرحنا معنى ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ في البقرة[٣].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يَخْفَ عليه ما صَنَعوا، فهو شهيدٌ عليهم بما فعلوا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: أحرَقُوهم، وعَذَّبوهم. كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[٤] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ مِنْ شِركِهم وفعلِهم ذلك ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ بما أحرَقوا المؤمنين، وكِلا العَذابَيْن في جهنَّمَ عند الأكثرين وقد ذهب الرَّبيعُ بنُ أنسٍ في جماعةٍ إلى أنَّ النارَ ارتفعتْ إلى المَلِكِ وأصحابِهِ فأحرَقَتْهُم، فذلك عذابُ الحريقِ في الدنيا. قال الرَّبيعُ: وقَبَضَ اللَّهُ أرواحَ المؤمنين قبلَ أنْ تمسَّهم النارُ. وحكى الفَرَّاءُ أنَّ المؤمنين نَجَوْا مِنَ النار، وأنها ارتفعَتْ فأحرَقَتِ الكَفَرةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ لأنهم فازوا بالجنَّةِ. وقال بعضُ المُفسِّرين: فازوا مِنْ عذاب الكفَّارِ، وعذابِ الآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: إنَّ أَخْذَهُ بالعذاب إذا أَخَذَ الظَّلَمَةَ والجبابرة لَشَديدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: يُبدِئ الخَلْقَ ويُعيدهم، قاله الجمهور. **والثاني**: يُبدِئ العذابَ في الدنيا على الكفارِ ثم يُعيده عليهم في الآخرة، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ. وقد شرحنا في هود[٥] معنى «الودود» و «المجيد».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ وقد قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُّ، والمُفَضَّلُ عن عاصِم «المجيدِ» بالخَفضِ، وقرأ غيرُهم بالرفع، فمَنْ رَفَعَ «المجيدُ» جعلَه مِنْ صفات الله عزَّ وجلَّ، ومَنْ كَسَرَ جعله مِنْ صفة العَرشِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ﴾ أي: قد أتاكَ حديثُ ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ وهم الذين تجنَّدوا على أولياءِ الله. ثم بَيَّنَ مَنْ هم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني مُشركي مكَّةَ ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ لكَ وللقرآن، أي: لم يعتَبِروا بمَنْ كان قبلَهم ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أي لا يخفى عليه شيءٌ مِنْ أعمالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: كريمٌ، لأنه كلامُ الله، وليس كما يقولون: شِعرٌ، وكهانَةٌ، وسِحرٌ. وقرأ أبو العاليةِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ السَّمَيفَع «بل قرآن مجيد» بغيرِ تنوينٍ وبخَفْضِ «مجيد» ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ وهو اللَّوحُ المَحفوظُ، منه نُسِخَ القرآن وسائرُ الكُتبِ، فهو محفوظٌ عند الله؛ محروسٌ به مِنَ الشياطين، ومِنَ الزيادة فيه والنُّقصان منه. وقرأ نافعٌ «محفوظ» رفعاً على نَعتِ القرآنِ فالمعنى: إنه مَحفوظٌ مِنَ التَّحريفِ والتَّبديلِ.

---

(١) المائدة: ٥٩. (٢) التوبة: ٧٤. (٣) البقرة: ١٢٩ و ٢٦٧.
(٤) الذاريات: ١٣. (٥) هود: ٩٠.

سُورَةُ الطَّارِقِ

ترتيبها ٨٦ — آياتها ١٧

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: الطَّارِقُ: النَّجم، سُمِّيَ بذلك، لأنه يَطرقُ، أي: يَطلعُ ليلاً، وكلُّ مَنْ أتاكَ ليلاً، فقد طَرَقَكَ، ومنه قولُ هِنْدِ ابنةِ عُتْبَةَ:

نَحنُ بَناتُ طارِقِ نَمشي على النَّمارِقِ

تريد: إنَّ أبانا نَجمٌ في شَرَفِه وعُلوِّه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ قال المُفسِّرون: وذلك أنَّ هذا الاسمَ يقع على كلِّ ما طَرَقَ ليلاً، فلم يكُنِ النبيُّ ﷺ يدري ما المرادُ به حتى تبيَّنَهُ بقوله عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ يعني: المُضيء، كما بيَّنا في الصَّافَّات[1] وفي المراد بهذا النَّجم ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه زُحَلُ، قاله عليٌّ رضي الله عنه. ورَوى أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ قال: هو زُحَلُ، ومَسكَنُه في السماءِ السابعةِ لا يَسكُنها غيرُه مِنَ النجوم، فإذا أخذَتِ النجومُ أمكِنتَها مِنَ السماء، هَبَطَ، فكان معها، ثم رجعَ إلى مكانِه مِنَ السماءِ السابعةِ، فهو طَارِقٌ حين ينزل، وطارِقٌ حين يَصعدُ. **والثاني**: أنه الثُّرَيَّا، قاله ابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنه اسمُ جنسٍ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وأبو المُتوكِّلِ «إنَّ» بالتشديد «كلَّ» بالنَّصبِ ﴿لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ وحمزَةُ، وأبو حاتم عن يعقوبَ «لمَّا» بالتشديد وقرأ الباقون بالتخفيف. قال الزَّجَّاجُ: هذه الآية جوابُ القَسَمِ، ومَنْ خَفَّفَ فالمعنى: لَعَلَيْها حافظٌ و «ما» ومَنْ شَدَّدَ، فالمعنى: إلاَّ، قال: فاستُعمِلَتْ «لما» في موضعِ «إلا» في موضعين: **أحدهما**: هذا. والآخر: في باب القَسَمِ. تقول: سألتُكَ لَمَا فعلتَ، بمعنى: إلاَّ فعلتَ. قال المُفسِّرون: المعنى: ما

(١) الصافات: ١٠.

مِنْ نَفْسٍ إلاّ عليها حافظٌ. وفيه قولان: **أحدهما**: أنهم الحَفَظَةُ مِنَ الملائكة، قاله ابنُ عباسٍ. قال قَتَادَةُ: يَحفظون على الإنسان عملَهُ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ. **والثاني**: حافظٌ يحفظ الإنسانَ حتى حين يُسَلِّمه إلى المقاديرِ، قاله الفَرَّاءُ. ثم نَبَّهَ على البَعثِ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي: مِنْ أيِّ شيءٍ خَلَقه ربُّه؟ والمعنى: فلْيَنْظُرْ نَظَرَ التفكرِ والاستدلالِ لِيعرفَ أنَّ الذي ابتدأَهُ مِنْ نُطفةٍ قادرٌ على إعادتِه.

قوله جلَّ جلالُه: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ قال الفَرَّاءُ: معناه: مَدفُوقٍ، كقول العرب. سِرٌّ كاتِمٌ، وهَمٌّ ناصِبٌ، وليلٌ نائمٌ، وعِيشَةٌ راضِيةٌ. وأهلُ الحجاز يجعلون المفعولَ فاعلاً. قال الزَّجَّاجُ: ومذهبُ سِيبَويه وأصحابِه أنَّ معناه النَّسَبُ إلى الاندِفاقِ، والمعنى: مِنْ ماءٍ ذي انْدِفاقٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ سِيرِينَ، وابنُ السَّمَيفَعِ، وابنُ أبي عَبلَةَ «الصُّلُب» بضمِّ الصاد، واللام جميعاً. يعني: يخرج من صُلبَ الرجلِ وتَرائِبِ المرأة. قال الفَرَّاءُ: يريد يخرجُ مِنَ الصُّلبِ والتَّرائِبِ. يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير. بمعنى: يخرج منهما. وفي «التَّرائِب» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه موضعُ القِلادةِ، قاله ابنُ عباسٍ. قال الزَّجَّاجُ: قال أهل اللغة أجمعون: التَّرائِبُ: موضعُ القِلادةِ مِنَ الصَّدْرِ، وأنشدوا لامرئِ القَيْسِ:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ … تَرائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ

قرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ اللغوي: السَّجَنْجَل: المِرآة بالرُّومِيَّةِ. وقيل: هي سَبيكَةُ الفِضَّةِ، وقيل: السَّجَنْجَل: الزَّعفرانُ، وقيل: ماءُ الذَّهبِ. ويُروى البيتُ: «بالسَّجَنْجَلِ». **والثاني**: أنَّ التَّرائبَ: اليَدانِ والرِّجلانِ والعَينانِ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثالث**: أنها أربعةُ أضلاعٍ مِنْ يَمْنَةِ الصدرِ، وأربعةُ أضلاعٍ مِنْ يَسْرَةِ الصدرِ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ﴾ الهاء كنايةٌ عن الله عزَّ وجلَّ ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ الرَّجْعُ: رَدُّ الشيءِ إلى أولِ حالِه.

وفي هذه الهاءِ قولان: **أحدهما**: أنها تعود على الإنسان. ثم في المعنى قولانِ: **أحدهما**: أنه على إعادةِ الإنسانِ حيّاً بعد موته قادرٌ، قاله الحَسنُ، وقَتادةُ. قال الزَّجَّاجُ: ويدل على هذا القولِ قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ . **والثاني**: أنه على رَجعِه مِنْ حالِ الكِبَرِ إلى الشباب، ومِنَ الشباب إلى الصِّبا، ومِنَ الصِّبا إلى النُّطفَةِ قادرٌ، قاله الضَّحَّاكُ. **والقول الثاني**: أنها تعود على الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: رَدُّ الماء في الإِحْلِيلِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: على رَدِّهِ في الصُّلبِ، قاله عِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: على حَبْسِ الماء فلا يَخرجُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ تُختَبَرُ السَّرائرُ التي بين العبد وبين ربِّه حتى يظهرَ خيرُها مِنْ شرِّها، ومُؤدِّيها مِنْ مُضَيِّعِها، فإنَّ الإِنسانَ مَستورٌ في الدنيا، لا يُدرى أَصلَّى، أَمْ لا؟ أَتوضَّأ، أَمْ لا؟ فإذا كان يوم القيامة أَبْدَى الله كلَّ سِرٍّ، فكان زَيْناً في الوجهِ، أو شَيْناً. وقال ابنُ قُتَيبةَ: تُختَبَرُ سرائرُ القلوبِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ﴾ أي: فما لِهذا الإِنسان المُنكِرِ للبَعثِ مِنْ قوةٍ يَمتَنِعُ بها مِنْ عذابِ الله ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَنصُره.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي: ذاتِ المطرِ، وسُمِّيَ المطر رَجْعاً لأنه يجيءُ ويرجعُ ويتكرَّرُ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ أي: ذاتِ الشَّقِّ. وقيلَ لها هذا، لأنها تتصدَّعُ وتَتشقَّقُ بالنبات، هذا قولُ المُفسِّرين وأهلِ اللغة في الحرفين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ يعني به القرآن، وهذا جوابُ القَسَم. والفَصْلُ: الذي يَفصِلُ بين الحقِّ والباطلِ بالبيان عن كلِّ واحدٍ منهما ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ أي: باللَّعِب. والمعنى: إنه جِدٌّ، ولم يَنزلْ باللَّعِبِ. وبعضُهم يقول: الهاءُ في «إنه» كنايةٌ عن الوعيدِ المُتقدِّمِ ذِكْرُه.

قوله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّهُمۡ﴾ يعني مُشركي مكَّةَ ﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ أي: يحتالون وهذا الاحتيالُ في المَكرِ برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دارِ النَّدْوَةِ. ﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ أي: أُجازيهم على كَيْدِهم بأنْ أَستَدْرِجَهم مِنْ حيثُ لا يعلمون، فأنتقِمَ منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنَّارِ. ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هذا وعيدٌ مِنَ الله عزَّ وجلَّ لهم. ومَهِّل وأَمْهِل لُغتانِ جُمِعتا هاهنا. ومعنى الآية: مَهِّلْهُم قليلاً حتى أُهلِكَهم، ففعلَ الله ذلك ببَدْرٍ، ونُسِخَ الإمهالُ بآية السيف. قال ابنُ قُتَيبةَ: ومعنى «رُوَيداً» مَهْلاً، ورُوَيدكَ. بمعنى أَمْهِلْ. قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ أي: قليلاً، فإذا لم يتقدَّمها «أَمهِلْهُم» كانت بمعنى «مَهْلاً». ولا يُتَكلَّم بها إلاَّ مُصغَّرةً ومأموراً بها، وجاءت في الشعرِ بغيرِ تصغيرٍ في غيرِ معنى الأمرِ.

قال الشاعر:

كـأنَّـهـا مِـثْـلُ مَـنْ يـمـشـي عـلـى رُوْدِ

أي: على مَهَلٍ.

سورة الأعلى

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً
أَحۡوَىٰ ۝٥ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرۡ إِن
نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا
وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾

وفي معنى ﴿سَبِّحِ﴾ خمسةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: قُلْ: سُبحانَ ربِّيَ الأعلى، قاله الجمهور. **والثاني**: عَظِّمْ. **والثالث**: صَلِّ بأمرِ ربِّكَ، رُوِيَ القولان عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: نَزِّه ربَّكَ عن السُّوءِ، قاله الزَّجَّاجُ. **والخامس**: نَزِّهِ اسمَ ربِّكَ وذِكْرُكَ إيَّاهُ أن تذكرَهُ وأنتَ مُعظِّمٌ له، خاشِعٌ له، ذكرَهُ الثَّعلبيُّ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ ﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ ذِكرَ الاسم صِلَةٌ، كقول لَبيدِ بنِ رَبيعَةَ:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

والثاني: أنه أصلي، وقال الفَرَّاءُ: قوله: سَبِّحِ اسمَ ربِّكَ وسَبِّحْ باسم ربِّكَ، سواءٌ في كلام العرب.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: فعَدَّلَ الخَلْقَ. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في «الانفطار»[٢]: ﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ﴾ وقرأ الكِسائيُّ وحده «قَدَر» بالتخفيف ﴿فَهَدَىٰ﴾ فيه سبعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**:

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥٤٣: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان فكانوا إذا قرؤوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فبين بذلك أن معناه عندهم كان معلوماً: عظم اسم ربك، ونزهه.

(٢) الانفطار: ٧.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٥٩٢: وقوله: **﴿والذي قدّر فهدى﴾** قال مجاهد: هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها، وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون: **﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾** أي: قدّر قدراً، وهدى الخلائق إليه. اهـ.
وتوقف الطبري فلم يرجح، وقال: الخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به حجة.

قدَّرَ الشَّقاوةَ والسعادةَ، وهَدى للرُّشدِ والضَّلالةِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: جَعلَ لكلِّ دابَّةٍ ما يُصلِحها وهَداها إليه، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: قَدَّر مُدَّةَ الجَنينِ في الرَّحِم ثم هداه للخروج، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: قدَّرَهم ذكوراً وإناثاً، وهَدى الذكرَ لإتيانِ الأنثى، قاله مُقاتِلٌ. **والخامس**: أنَّ المعنى: قدَّر فهَدى وأضَلَّ، فحذفَ «وأضلَّ»، لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، حكاه الزَّجَّاجُ. **والسادس**: قَدَّر الأرزاقَ، وهَدى إلى طَلَبِها. **والسابع**: قَدَّرَ الذُّنوبَ، وهدى إلى التوبةِ، حكاهما الثَّعلَبيّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنبتَ العشبَ، وما ترعاه البهائمُ فجعله: بعد الخُضرةِ ﴿غُثَآءً﴾ قال الزَّجّاجُ، أي: جفَّفه حتى جعلَه هشِيماً جافّاً كالغُثاءِ الذي تراه فوقَ ماءِ السَّيلِ. وقد بيَّنَّا هذا في سُورَةِ المؤمنون[١]. فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَحْوَىٰ﴾ فقال الفَرَّاءُ: الأحْوَى: الذي قد اسودَّ مِنَ القِدَم، والعِتْقِ، ويكون أيضاً: أخرج المَرعى أحْوىً: أسودَ مِنَ الخُضرةِ، فجعله غُثاءً كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾[٢].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ قال مُقاتِلٌ: سَنُعلِّمكَ القرآن، ونجمعه في قلبكَ فلا تنساه أبداً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه، قاله الحسن، وقتادة. **والثاني**: إلاَّ ما شاء اللهُ أنْ تنساه ثم تذكره بعدُ. حكاه الزَّجّاجُ. **والثالث**: أنه استثناءٌ ألاَّ يقعَ، قال الفرَّاءُ: لم يشأْ أنْ ينسى شيئاً، فإنما هو كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[٣]، ولا يشاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ مِنَ القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نُسهِّلُ عليكَ عملَ الخير ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عِظْ أهلَ مكَّةَ ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وفي «إنْ» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الشَّرطيةُ، ثم في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: إنْ قُبِلَتْ الذِّكرى، قاله يَحيى بنُ سَلام. **والثاني**: إنْ نَفعَتْ وإنْ لم تنفع، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابُوريّ. **والثاني**: أنها بمعنى «قد»، فتقديرُه: قد نَفعتِ الذِّكرى، قاله مُقاتِلٌ. **والثالث**: أنها بمعنى «ما» فتقديره: فذكِّرْ ما نَفعتِ الذِّكرى، حكاه المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ أي سيَتَّعِظُ بالقرآن ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾ الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ ويتجنَّبُ الذِّكرى ﴿ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: العظيمةَ الفَظيعةَ لأنها أشدُّ مِنْ نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعه. وقال ابنُ جَريرٍ: تصير نفسُ أحدِهم في حَلْقِه، فلا تخرج فتفارقه فيموتَ، ولا ترجعُ إلى موضِعها مِنَ الجسم فيَحيا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قال الزَّجّاجُ: أي: صادفَ البقاءَ الدائمَ، والفوزَ ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: مَنْ تطهَّر مِنَ الشركِ بالإيمان، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: مَنْ أعطى صَدقَةَ الفِطرِ، قاله أبو سعيدٍ الخُدْريُ، وعَطاءٌ، وقَتادةُ. **والثالث**: مَنْ كان عملُه زاكياً، قاله الحسَنُ، والرَّبيعُ. **والرابع**: أنها

---

(١) المؤمنون: ٤١. (٢) الرحمن: ٦٤. (٣) هود: ١٠٧.

زَكواتُ الأموال كلِّها، قاله أبو الأحْوَصِ. **والخامس**: تكثَّرَ بتقوى الله. ومعنى الزَّاكي: النَّامي الكثيرُ، قاله الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ قد سبق بيانُه(١). وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها الصَّلواتُ الخَمسُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: صلاةُ العيدين، قاله أبو سعيدٍ الخُدْريُّ. **والثالث**: صلاةُ التطوعِ، قاله أبو الأحْوَصِ. والقولُ قولُ ابنِ عباسٍ في الآيتين، فإنَّ هذه السُّورةَ مكِّيَّةٌ بلا خلافٍ، ولم يكن بمكَّةَ زكاةٌ، ولا عِيدٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ قرأ أبو عمروٍ، وابنُ قُتيبةَ، وزيدٌ عن يعقوبَ «بل يؤثرون» بالياء، والباقون بالتاء، واختار الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ التاء، لأنها رُوِيَتْ عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: «بل أنتم تؤثرون». فإنْ أُريدَ بذلك الكفَّارُ، فالمعنى: أنهم يُؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يُؤمنون بها. وإنْ أُريدَ به المسلمون، فالمعنى: يريدون الاستِكثارَ مِنَ الدنيا على الاستِكثارِ مِنَ الثواب. قال ابنُ مسعودٍ: إنَّ الدنيا عجِّلَتْ لنا، وإنَّ الآخرة نُعِتَتْ لنا، وزُوِيَتْ عنا، فأخَذْنا بالعاجِل وتَركنا الآجِلَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ يعني الجنة أفضلُ ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أي: أدومُ مِنَ الدنيا.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ في المُشارِ إليه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ قاله قَتادةُ. **والثاني**: هذه السُّورةُ، قاله عِكرمَةُ، والسُّدِّيُّ. **والثالث**: أنه لم يُرِدِ السُّورةَ، ولا ألفاظَها بعَيْنِها، وإنما أراد أنَّ الفَلاحَ لِمَنْ تزكَّى وذَكرَ اسمَ ربِّه فصلَّى، في الصُّحُفِ الأولى، كما هو في القرآن، قاله ابنُ قُتَيبةَ. **والرابع**: أنه مِنْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ قاله ابنُ جَريرٍ.

ثم بيَّنَ الصُّحُفَ الأولى ما هي، فقال: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ وقد فسَّرناها في النَّجم(٢).

---

(١) الأحزاب: ٣١.
فائدة: قال ابن العربي رحمه الله في «الأحكام» ٤/ ٣٨٠: الذكر حقيقته إنما هو في القلب، لأنه محمل النسيان الذي هو ضده، والضدان إنما يتضادان في المحل الواجب، فأوجب الله بهذه الآية النية في الصلاة خصوصاً، وإن كان قد اقتضاها عموماً قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥] وقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» والصلاة أم الأعمال ورأس العبادات، ومحل النية في الصلاة مع تكبيرة الإحرام، فإن الأفضل في كل نية بفعل أن تكون مع الفعل لا قبله، وإنما رُخّص في تقديم نية الصوم لأجل تعذر اقتران النية فيه بأول الفعل عند العجز، لوجوده والناس في غفلة، وبقيت سائر العبادات على الأصل.
وتوهم بعض القاصرين عن معرفة الحق أن تقديم النية على الصلاة جائز، بناء على ما قال علماؤنا من تجويز تقديم النية على الوضوء في الذي يمشي إلى النهر في الغسل، فإذا نسي واغتسل يجزئه ـ قال: فكذلك الصلاة. وهذا القائل ممن دخل في قوله تعالى: ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه﴾ [الملك: ٢٢] وقد بيناه، وحققنا أن الصلاة أصل متفق عليه في وجوب النية، والوضوء فرع مختلف فيه، فكيف يقاس المتفق عليه على المختلف فيه، ويحمل الأصل على الفرع؟
وإذا قلنا: إنه الذكر باللسان المخبر عن ذكر القلب المعبر عنه بأنه مشروع في الصلاة مفتتح به في أولها باتفاق من الأئمة، لكنهم اختلفوا في تعينه، فمنهم من قال: إنه كل ذكر، منهم أبو حنيفة، وقال أبو يوسف: يجزئه «الله الكبير» والله أكبر، والله الأكبر. وقال الشافعي: يجزئه الله أكبر والله أكبر. وقال مالك: لا يجزئه إلا قوله: الله أكبر. ونعوّل الآن هنا على أن النبي ﷺ قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي» وهو إنما كان يكبر ولا يتعرض لكل ذكر، فتعين التكبير بأمره باتباعه في صلاته، فهو المبين لذلك كله.
(٢) النجم: ٣٦.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

وهي مكّيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ أي: قد أتاكَ، قال قُطْرُبُ. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: هذا لم يكُنْ مِنْ عِلمِكَ ولا مِنْ علمِ قومكَ.

وفي «الغاشية» قولان: **أحدهما**: أنها القيامةُ تغشى الناس بالأهوالِ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحَّاكُ، وابنُ قُتَيبةَ. **والثاني**: أنها النارُ تغشى وجوهَ الكفارِ، قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ، والقُرَظيُّ، ومُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ أي: ذَليلةٌ وفيها قولان: **أحدهما**: أنها وجوهُ اليهودِ والنَّصارى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنه جميعُ الكفَّارِ، قاله يَحيى بنُ سَلامٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنهم الذين عملوا ونَصِبُوا في الدنيا على غيرِ دِيْنِ الإسلام، كَعَبدةِ الأوثان، وكفَّارِ أهلِ الكتاب، مثل الرُّهبانِ وغيرِهم، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنهم الرُّهبانُ، وأصحابُ الصَّوامعِ، رواه أبو الضُّحَى عن ابنِ عباسٍ، وبه قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وزَيدُ بنُ أسلَمَ. **والثالث**: عامِلةٌ ناصِبةٌ في النار بمُعالجةِ السلاسلِ والأغلالِ، لأنها لم تعملْ لله في الدنيا، فأعملَها وأنصبَها في النار، ورَوى هذا المعنى العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ. وقال قَتادةُ: تكبَّرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعمَلَها وأنصبها في النار بالانتقالِ مِنْ عذابٍ إلى عذابٍ. قال الضَّحَّاكُ: يُكلَّفون ارتقاءَ جبلٍ مِنْ حديدٍ في النار. وقال ابنُ السَّائبِ: يَخِرُّون على وجوهِهم. وقال مُقاتِلٌ: عامِلَةٌ في النار تأكل مِنَ النار، ناصِبةٌ للعذاب. **والرابع**: عامِلةٌ في الدنيا بالمعاصي ناصِبةٌ في النار يومَ القيامة، قاله عِكرمَةُ والسُّدِّيُّ. والكلام هاهنا على الوجوه، والمراد أصحابُها. وقد بَيَّنَّا معنى «النَّصب» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ قرأ أهلُ البَصرةِ وعاصِمٌ إلاَّ حَفصاً «تُصْلَى» بضمِّ التاء. والباقون

(١) الحجر: ٤٨.

بفتحِها. قال ابنُ عباسٍ: قد حَميتْ فهي تتلظَّى على أعداء الله، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي: مُتناهِيةٍ في الحرارة. قال الحَسنُ: قد أوقِدَتْ عليها جهنَّم منذ خُلِقَتْ، فدُفِعوا إليها ورداً عِطاشاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه نَبتٌ ذو شَوكٍ لاطِئٍ بالأرض، وتُسمِّيه قُريشٌ «الشِّبْرِق» فإذا هاجَ سَمَّوه: ضَريعاً، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ. **والثاني**: أنه شَجرٌ مِنْ نارٍ، رواه الوالبِيُّ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنها الحجارة، قاله ابنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنه السَّلَم، قاله أبو الجَوزاءِ. **والخامس**: أنه في الدنيا: الشَّوكُ اليابسُ الذي ليس له وَرقٌ، وهو في الآخرة شَوكٌ مِنْ نارٍ، قاله ابنُ زيدٍ. **والسادس**: أنه طعامٌ يَضرعون إلى الله تعالى منه، قاله ابنُ كَيْسانَ.

قال المُفسِّرون: لمَّا نزلت هذه الآيةُ قال المشركون: إنَّ إبلَنا لَتسمنُ على الضَّريع، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ وكُذِّبوا، فإنَّ الإبلَ إنما ترعاه ما دامَ رَطْباً، وحِينَئذٍ يسمَّى شِبْرِقاً، لا ضَريعاً، فإذا يَبِسَ وسُمِّيَ ضريعاً لم يأكله شيءٌ.

فإنْ قيلَ: إنه قد أخبر في هذه الآية: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ وفي مكانٍ آخرَ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[1] فكيف الجمعُ بينهما؟

فالجواب: أنَّ النارَ دَركاتٌ، وعلى قَدْرِ الذنوب تقع العقوباتُ، فمنهم مَنْ طَعامُهُ الزَّقُّومُ، ومنهم مَنْ طعامُه غِسْلينُ، ومنهم مَنْ شرابُه الحَميمُ، ومنهم مَنْ شَرابُهُ الصَّديدُ. قاله ابنُ قُتَيبةَ.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي: في نِعمةٍ وكرامةٍ ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: رَضِيَتْ بثواب عملِها في ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ قد فسَّرناه في «الحاقَّة»[2] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو، ورُوَيسٌ «لا يُسمع» بياءٍ مضمومةٍ. «لاغيةٌ» بالرفع. وقرأ نافعٌ كذلك إلا أنه بتاءٍ مضمومةٍ، والباقون بتاءٍ مفتوحةٍ، ونَصْبِ «لاغيةً» لا تُسمع فيها كلمةُ لَغوٍ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال ابنُ عباسٍ: ألواحُها مِنْ ذهبٍ مُكلَّلةٌ بالزَّبَرجَدِ، والدُّرِّ، والياقوتِ، مرتفعةٌ ما لم يجيء أهلُها، فإذا أراد أنْ يجلسَ عليها صاحبها، تواضعَتْ له حتى يجلسَ عليها، ثم ترتفع إلى موضِعها ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ عندهم. وقد ذكرنا «الأكواب» في الزُّخْرُف[3] ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وهي الوَسائِدُ، واحدُها: نُمْرُقَةٌ بضمِّ النون. قال الفَرَّاءُ: وسمعتُ بعضَ كَلْبٍ تقول: نِمرِقة، بكسرِ النون والراء ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضُها إلى جَنْبِ بعضٍ، والزَّرابيُّ: الطَّنافِسُ التي لها خَمْلٌ رقيقٌ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ كثيرةٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: مَبثوثةٌ كثيرةٌ مُفرَّقةٌ. قال

---

(١) الحاقة: ٣٦.
(٢) الحاقة: ٢٢.
(٣) الزخرف: ٧١.

المُفسِّرون: لمَّا نَعتَ اللَّهُ سبحانه وتعالى ما في الجنة، عَجِبَ مِنْ ذلك أهلُ الكفر، فذكَّرهم صُنعَهُ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾.

[١٥٢٨] وقال قَتادَةُ: ذكر اللَّهُ ارتفاعَ سُرُرِ الجنة، وفُرُشَها، فقالوا: كيف نَصعَدُها، فنزلت هذه الآية. قال العلماء: وإنما خَصَّ الإبلَ مِنْ غيرها لأنَّ العرب لم يَرَوْا بهيمةً قَطُّ أعظمَ منها، ولم يُشاهدوا الفيلَ إلاَّ الشَّاذُّ منهم، ولأنها كانت أَنْفَسَ أموالِهم وأكثرَها، لا تُفارِقُهم ولا يُفارقونها، فيُلاحظون فيها العِبَرَ الدالَّةَ على قدرة الخالِق، مِنْ إخراج لَبَنِها مِنْ بين فَرْثٍ ودَم وعجيبِ خَلْقِها، وهي على عِظَمِها مُذلَّلةٌ للحَمْلِ الثقيل، وتَنقادُ للصبي الصغير، وليس في ذَواتِ الأربع ما يُحملُ عليه وِقْرُهُ وهو بارِكٌ فيُطِيق النهوضَ به سواها. وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنِيُّ، والأَصْمَعيُّ عن أبي عمرو «الإبْل» بإسكانِ الباء وتخفيفِ اللام. وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وعائشةُ، وأبو المُتوكِّلِ، والجَحْدَرِيُّ، وابنُ السَّمَيفَع، ويونسُ بنُ حَبيبٍ وهارونُ كلاهما عن أبي عمرو «الإِبِلّ» بكسرِ الباء، وتشديدِ اللام. قال هارونُ: قال أبو عمرو «الإِبِلّ» بتشديد اللام: السَّحابُ الذي يَحملُ الماءَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ «خَلَقْتُ» بفتحِ الخاء، وضمِّ التاء. وكذلك قرؤوا: «رَفَعْتُ» و «نَصَبْتُ» و «سَطَحْتُ».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ مِنَ الأرض حتى لا يَنالُها شيءٌ بغيرِ عَمَدٍ ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ على الأرض لا تَزولُ ولا تتغيرُ ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بُسِطَتْ. والسَّطْح: بَسْطُ الشيءِ، وكلُّ ذلك يدلُّ على خالِقه ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: فَعِظْ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: واعِظٌ، ولم يكُن حِينَئذٍ أمرٌ بغيرِ التذكيرِ، ويدلُّ عليه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: بمُسلَّطٍ، فتقتُلَهم وتُكرهَهم على الإيمان. ثم نَسَخَتْها آيةُ السيفِ. وقرأ أبو رَزِينٍ، وأبو عبدِ الرحمنِ، وعِكرِمَةُ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ والحُلْوانيُّ عن ابنِ عامرٍ «بمُسَيطِرٍ» بالسين. وقد سبق بيانُ «المُسَيطِر» في قوله عزَّ وجلَّ ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ هذا استثناءٌ مُنقطِعٌ معناه: لكنْ مَنْ تولَّى ﴿وَكَفَرَ﴾ بعد التذكير. وقرأ ابنُ عباسٍ، وعمرُو بنُ العاصِ، وأنسُ بنُ مالكٍ، وأبو مِجلَزٍ، وقَتادَةُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ «ألا من تولَّى» بفتح الهمزة وتخفيفِ اللام ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ وهو أنْ يُدخِلَهُ جهنَّم، وذلك أنهم قد عُذِّبوا في الدنيا بالجوعِ، والقتلِ، والأسرِ، فكان عذابُ جهنَّم هو الأكبرَ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ وقرأ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وعائشةُ، وعبدُ الرحمنِ، وأبو جعفرَ «إيَّابهم» بتشديدِ الياء، أي: رجوعُهم ومصيرُهم بعدَ الموتِ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ قال مُقاتِلٌ: أي: جزاءَهم.

[١٥٢٨] أخرجه الطبري ٣٧٠٤٣ عن قتادة قوله، فهو ضعيف.

---

(١) الطور: ٣٧.

سُورَةُ الفَجْر

ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

وهي مكيَّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قال ابنُ عباسٍ: الفجر: انفجارُ الظُّلمةِ عن الصُّبح، وانفجَرَ الماء: انفتَحَ. قال شيخُنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله: الفجر: ضوءُ النهار إذا انشقَّ عنه الليل، وهو مأخوذٌ مِنَ الانفجار، يقال: انفجر النهر ينفجر انفجاراً: إذا انشق فيه موضع لخروج الماء: ومن هذا سمي الفاجِر فاجِراً، لأنه خرجَ عن طاعةِ الله.

وللمفسِّرين في المراد بهذا الفجر ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه الفجر المعروفُ الذي هو بَدءُ النهار، قاله عليٌّ رضي الله عنه. ورَوى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ قال: هو انفجارُ الصبح كلَّ يوم، وبهذا قال عِكرِمَةُ، وزَيدُ بنُ أسلَمَ، والقُرَظيُّ. **والثاني**: صلاةُ الفجر، رواه عَطيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: النهار كلُّه، فعبَّرَ عنه بالفجر، لأنه أوَّلُه، ورَوى هذا المعنى أبو نَصر عن ابنِ عباسٍ. **والرابع**: أنه فجرُ يوم النَّحرِ خاصَّةً قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: أنه فجرُ أولِ يومٍ مِنْ ذي الحِجَّةِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والسادس**: أنه أولُ يوم مِنَ المُحرَّم تنفجر منه السَّنةُ قاله قَتادَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ فيها أربعةُ أقوالٍ(١): **أحدها**: أنه عَشرُ ذي الحِجَّةِ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ، والسُّدِّيُّ ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنها العَشرُ الأواخرُ مِن رمضانَ، رواه أبو ظَبْيانَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: العَشرُ الأولُ مِن رمضانَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: العَشرُ الأولُ مِنَ المُحرَّمِ، قاله يَمانُ بنُ رئاب.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥٦١: والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. ووافقه ابن كثير رحمه الله.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قرأ حمزَةُ، والكِسَائيُ، وخَلَفٌ «والوِتْر» بكسرِ الواو، وفَتَحها الباقون، هما لُغتانِ، قال الفَرَّاءُ الكسرُ لِقُريشٍ وتَمِيمٍ وأَسَدٍ، والفتحُ لأهلِ الحِجازِ. وللمُفسِّرين في «الشفع والوتر» عشرون قولا:

[١٥٢٩] **أحدها**: أنَّ الشَّفْعَ: يومُ عَرفةَ ويومُ الأضحى، والوَتْرَ: ليلةُ النَّحرِ، رواه أبو أيُوبَ الأنصاريُ عن رسولِ الله ﷺ.

[١٥٣٠] **والثاني**: أنَّ الشَّفعَ يومُ النَّحرِ، والوَتْرَ: يومُ عَرفَةَ. رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ وبه قال ابن عباس، عِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ.

[١٥٣١] **والثالث**: أنَّ الشَّفعَ والوَتْرَ: الصلاةُ، منها الشَّفْعُ، ومنها الوَتْرُ، رواه عِمْرانُ بنُ حُصَينٍ عن رسولِ الله ﷺ، وبه قال قَتَادَةُ.

والرابع: أنَّ الشَّفعَ: الخَلْقُ كلُّه، والوَتْرَ: اللَّهُ تعالى، رَواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ في روايةِ مَسْرُوقٍ، وأبو صالحٍ. **والخامس**: أنَّ الوَتْرَ: آدمُ شَفعَ بزوجته، رواه مُجاهِدٌ عن ابنِ عباسٍ. **والسادس**: أنَّ الشَّفعَ يومانِ بعدَ يوم النَّحرِ، وهو النَّفرُ الأولُ، والوَتْرَ: اليومُ الثالثُ، وهو النَّفرُ الأخيرُ، قاله عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ، واستدلَّ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(١). **والسابع**: أنَّ الشَّفْعَ: صلاةُ الغَداةِ، والوَتْرَ: صلاةُ المَغربِ، حكاه عَطِيَّةُ. **والثامن**: أنَّ الشَّفْعَ: الركعتان مِنْ صلاة المَغربِ، والوَتْرَ: الرَّكعةُ الثالثةُ، قاله أبو العاليةِ، والرَّبيعُ بنُ أنسٍ. **والتاسع**: أنَّ الشَّفعَ والوَتْرَ: الخَلْقُ كلُّه، منه شَفعٌ، ومنه وَتْرٌ، قاله ابنُ زيدٍ ومُجاهِدٌ في روايةٍ. **والعاشر**: أنه العددُ، منه شَفعٌ، ومنه وَتْرٌ، وهذا والذي قبله مَرويَّانِ عن الحسَنِ. **والحادي عشر**: أنَّ الشَّفعَ: عشرُ ذي الحِجَّةِ، والوَتْرَ: أيام مِنًى الثلاثةُ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثاني عشر**: أنَّ الشَّفْعَ: هو الله، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٢) والوَتْرَ: هو اللَّهُ، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قاله سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ.

[١٥٢٩] ضعيف جداً. أخرجه الطبراني في «الكبير» ٤٠٧٣ من حديث أبي أيوب، وقال في «المجمع» ٧/ ١٣٧ فيه واصل بن السائب وهو متروك. وانظر «تفسير القرطبي» ٦٣٢٢ بتخريجنا.

[١٥٣٠] أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٩١ و ٦٩٢ وأحمد ٣/ ٣٢٧ والطبري ٣٧٠٧٣ والحاكم ٤/ ٢٢٠ والبزار ٢٢٨٦ «كشف» من حديث جابر، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٧: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير عياش بن عقبة، وهو ثقة اهـ. قلت: ومداره على أبي الزبير، وهو مدلس، وقد عنعن، فالإسناد ضعيف. وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٦٠٠ رجاله لابأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم اهـ. وهو كما قال: فإن هناك روايات أخرى مرفوعة وموقوفة على خلاف ذلك، فلو صح مرفوعاً لما اختلف الصحابة والتابعون في تفسير هذه الآيات، والله أعلم.

[١٥٣١] ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٤٢ وأحمد ٤/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ والطبري ٣٧٠٩٩ والحاكم ٢/ ٥٢٢ من حديث عمران بن حصين، وإسناده ضعيف فيه راوٍ لم يسم، وضعفه الترمذي بقوله: غريب اهـ وقد سقط الراوي الذي لم يسم من إسناد الحاكم فجرى على ظاهره، وحكم بصحته! وسكت الذهبي! وهو من صنع أحد الرواة، ورجح ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٠٠ كونه مقوفاً، وهو كما قال. والله أعلم.

---

(١) البقرة: ٢٠٣. (٢) المجادلة: ٧.

والثالث عشر: أنَّ الشَّفعَ: هو آدمُ وحوَّاءُ. والوَتْرَ: اللَّهُ تعالى، قاله مُقاتِلُ بنُ سُليمانَ. **والرابع عشر**: أنَّ الشَّفعَ: الأيامُ والليالي، والوَتْرَ: اليومُ الذي لا ليلةَ بعده، وهو يومُ القيامة، قاله مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ. **والخامس عشر**: الشَّفعُ: درجاتُ الجِنانِ، لأنها ثمانٍ، والوَتْرُ: دَرَكاتُ النار لأنها سبعٌ، فكأنَّ الله تعالى أقسَمَ بالجنة والنار، قاله الحُسَينُ بنُ الفَضْلِ. **والسادس عشر**: الشَّفعُ: تَضادُّ أوصاف المَخلُوقين بين عِزٍّ وذُلٍّ، وقُدرةٍ وعَجزٍ، وقوةٍ وضعفٍ، وعلمٍ وجَهلٍ، وموتٍ وحياةٍ. والوَتْرُ: انفرادُ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ، عزٌّ بلا ذُلٍّ، وقُدرةٌ بلا عجزٍ، وقوةٌ بلا ضعفٍ، وعلمٌ بل جهلٍ، وحياةٌ بلا موتٍ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والسابع عشر**: أنَّ الشَّفعَ: الصَّفا والمَرْوَةُ، والوَتْرَ: البيتُ. **والثامن عشر**: أنَّ الشَّفعَ: مسجدُ مكَّةَ والمدينةِ، والوَتْرَ: بيتُ المَقدِسِ. **والتاسع عشر**: أنَّ الشَّفعَ: القِرانُ في الحجِّ والتَّمتُّعُ، والوَتْرَ: الإفرادُ. **والعشرون**: الشَّفعُ: العباداتُ المتكررةُ كالصلاةِ، والصوم، والزكاةِ، والوَتْرُ: العبادة التي لا تتكرر، كالحَجِّ، حكى هذه الأقوالَ الأربعةَ الثَّعلَبيُّ.

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ «يسري» بياءٍ في الوصلِ والوقفِ، وَافَقَهما في الوصلِ نافعٌ وأبو عمرٍو. وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزةُ والكِسَائيُّ «يسر» بغيرِ ياءٍ في الوصلِ والوقفِ. قال الفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ: الاختيار حَذْفُها لِمُشاكَلَتِها لرؤوسِ الآياتِ، ولاتِّباعِ المُصحفِ. وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ قولان: **أحدهما**: أنَّ الفعل له، فيه قولان: **أحدهما**: إذا يَسْرِي ذاهباً، قاله الجمهورُ، وهو اختيارُ الزَّجَّاجِ. **والثاني**: إذا يَسْرِي مُقبلاً، قاله قَتادَةُ.

والقول الثاني: أنَّ الفعلَ لغيره، والمعنى: إذا يُسْرِي فيه، كما يُقال: ليلٌ نائمٌ، أي: يُنَامُ فيه، قاله الأخفَشُ، وابنُ قُتَيبةَ. وفي المراد بهذا الليل ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عامٌّ في كلِّ ليلةٍ، وهذا الظاهر. **والثاني**: أنه ليلةُ المُزدَلِفةِ، وهي ليلةُ جَمْعٍ: قاله مُجاهِدٌ وعِكرمَةُ. **والثالث**: ليلةُ القَدْرِ، حكاه المَاوَرديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ أي: لِذِي عقلٍ، وسُمِّيَ العقلُ حِجراً، لأنه يَحْجُرُ صاحبه عن القبيح، وسُمِّيَ عقلاً، لأنه يَعقِلُ عمَّا لا يَحسُن، وسُمِّيَ العقلُ النُّهى، لأنه يَنهى عمَّا لا يَحِلُّ. ومعنى الكلام: أنَّ مَنْ كان ذا لُبٍّ عَلِمَ أنَّ ما أقسَمَ اللَّهُ به مِنْ هذه الأشياء، فيه دلائلُ على توحيد الله وقُدرتِه، فهو حَقِيقٌ أنْ يُقسِمَ به لِدلالتِه. وجوابُ القَسم قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ فاعتَرَض بين القَسَمِ، وجوابُه قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ فخوَّفَ أهلَ مكَّةَ بإهلاك مَنْ كان أشدَّ منهم. وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ يَعمُرَ «بعادِ إرمَ» بكسرِ الدال مِنْ غير تنوينٍ على الإضافة. وفي ﴿إِرَمَ﴾ أربعةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه اسمُ بلدةٍ، قال الفَرَّاءُ. ولم

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥٦٧: وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي: أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها. ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمرو وزبيدٍ وحاتم طيء، وأعشى همدان، ولكنها اسم قبيلة منها، فيما أرى.

وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٢: ومن زعم أن المراد بقوله **﴿إرم ذات العماد﴾** مدينة إما دمشق، أو الاسكندرية، أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد﴾** إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك =

يُجَرَّ «إِرَمَ» لأنها اسمُ بلدةٍ ثم فيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها دمشقُ، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وعِكرمَةُ، وخالدُ الرَّبَعِي. **والثاني**: الإسكندريَّةُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعبٍ. **والثالث**: أنها مدينةٌ صنعها شَدَّادُ بنُ عادٍ، وهذا قولُ كَعْبٍ. وسيأتي ذكره إنْ شاءَ اللَّهُ.

والقول الثاني: أنه اسمُ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ، ومعناه: القديمة، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: أنه قبيلةٌ مِنْ قوم عادٍ، قاله قَتادَةُ ومُقاتِلٌ. قال الزَّجَّاجُ: وإنَّما لم تنصرف «إِرَمَ» لأنها جُعِلَت اسماً للقبيلة ففُتِحَتْ، وهي في موضعِ خَفْضٍ. **والرابع**: أنه اسمٌ لِجَدِّ عادٍ، لأنه عادُ بنُ عَوْص بنِ إِرَمَ بنِ سام بنِ نُوحٍ، قاله ابنُ إسْحاقَ. قال الفَرَّاءُ: فإنْ كان اسماً لرجلٍ على هذا القول، فإنما تُرِك إجراؤه، لأنه كالعَجَميِّ، وقال أبو عُبيدَةَ: هما عَادانِ، فالأولى: وهي إِرَمُ، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾[١] وهل قومُ هُودٍ عادُ الأولى، أَمْ لا؟ فيه قولان قد ذكرناهما في النَّجم[٢].

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أربعةُ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: لأنهم كانوا أهلَ عَمَدٍ وخيام يطلبون الكَلأَ حيثُ كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، فلا يُقيمون في موضعٍ، رَوى هذا المعنى عَطاءٌ عنَ ابنِ عباسٍ، وبه قال مُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والفَرَّاءُ. **والثاني**: أنَّ معنى ذاتِ العِمادِ: ذات الطُولِ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال مُقاتِلٌ، وأبو عُبيدَةَ. قال الزَّجَّاجُ: يقال: رجلٌ مُعْمَدٌ: إذا كان طويلاً. **والثالث**: ذاتِ القوةِ والشدةِ، مأخوذٌ مِنْ قوة الأعمِدَةِ، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: ذاتِ البناءِ المُحكَمِ بالعِمادِ، قاله ابنُ زيدٍ. وقيل: إنما سُمِّيَتْ ذاتِ العِمادِ لِبناءٍ بناهُ بعضُهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ وقرأ أبو المُتوكِّلِ، وأبو الجَوزاءِ، وأبو عِمْرانَ: «لم تَخلُق» بتاءٍ مفتوحةٍ ورفعِ اللام «مثلُها» بنصبِ اللام. وقرأ معاذٌ القارئُ، وعمرُو بنُ دِينارٍ: «لم نَخلُق» بنونٍ مفتوحةٍ ورفعِ اللام «مثلَها» بنَصبِ اللام. وفي المُشارِ إليها قولان: **أحدهما**: لم يُخلَقْ مثلُ تلك القبيلة في الطُّولِ والقوَّةِ، وهذا معنى قولِ الحسَنِ. **والثاني**: المدينةُ لم يُخلَقْ مثلُ مدينَتِهم ذاتِ العِمادِ، قاله عِكرِمَةُ.

= القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، قال: وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة وقصورها ودورها وبساتينها، وأن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنين بها، وأنها تنقل، فتارة تكون في أرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(١) النجم: ٥٠. (٢) النجم: ٥٠.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٥٦٨: وأشبه الأقوال في ذلك بما دل عليه ظاهر التنزيل، قول من قال: عني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة، لأن المعروف من كلام العرب من العماد، ما عمد به الخيام من الخشب، والسواري التي يحمل عليها البناء ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح. وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه، وما وجد إلى ذلك سبيل، دون الأنكر، فقد وجه أهل التأويل قوله ﴿ذات العماد﴾ إلى أنه عني به طول أجسامهم. ولا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٠١ ـ ٦٠٢: وقوله: ﴿ذات العماد﴾ لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد وقال مجاهد: كانوا أهل عمود لا يقيمون، وقال العوفي، عن ابن عباس: إنما قيل لهم ﴿ذات العماد﴾ لطولهم، واختار الأول ابن جرير رحمه الله، ورد الثاني فأصاب.

وقد جاء في التفسير صفاتُ تلك المدينة. وهذه الإشارةُ إلى ذلك.

[١٥٣٢] رَوى وَهبُ بنُ مُنَبِّهٍ عن عبدِ الله بن قِلابَةَ أنه خرج في طلبِ إبلٍ له شَرَدَتْ، فبينما هو في صحارى عَدَنٍ وقعَ على مدينةٍ في تلك الفَلَواتِ عليها حِصْنٌ، وحولَ الحِصْنِ قصورٌ كثيرةٌ. فلمَّا دَنا منها ظنَّ أنَّ فيها أحداً يسْأله عن إبلِه، فلم يَرَ خارِجاً ولا داخلاً، فنزلَ عن دَابَّتِه، وعَقَلَها، وسلَّ سيفه، ودخل مِنْ باب الحِصْنِ، فلما دخل الحِصْنَ إذا هو ببابين عظيمين لم يرَ أعظَمَ منهما والبابانِ مُرصعَّانِ بالياقوتِ الأبيضِ والأحمرِ، فلما رأى ذلك دُهِشَ ففتَحَ أحدَ البابين، فإذا هو بمدينةٍ لم يرَ أحدٌ مثلَها، وإذا قصورٌ، كلُّ قصرٍ منها فيه غُرَفٌ وفوق الغُرَفِ غُرفٌ مبنيَّةٌ بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومَصاريعُ تلك الغُرفِ مثل مصاريعِ المدينة، يُقابل بعضُها بعضاً، مفروشةٌ كلها باللؤلؤ، وبَنادِقُ مِنْ مِسكٍ وزعفرانٍ. فلمَّا عايَنَ ذلك، ولم يرَ أحداً، هَالَهُ ذلك، ثم نظر إلى الأزِقَّةِ فإذا هو في كلِّ زقاقٍ منها شجرٌ قد أثمرَ، وتحت الشجر أنهارٌ مُطَّرِدَةٌ يجري ماؤها مِنْ قنواتٍ مِنْ فضةٍ. فقال الرجلُ: إنَّ هذه هي الجنةِ، فحَملَ معه مِنْ لؤلؤها، ومِنْ بنادِقِ المِسْكِ والزَّعفرانِ ورجعَ إلى اليَمنِ، فأظهرَ ما كان معه. وبلغَ الأمرُ إلى مُعاويةَ، فأرسلَ إليه. فقصَّ عليه ما رأى، فأرسلَ مُعاويةُ إلى كَعْبِ الأحبارِ، فلما أتاه قال له: يا أبا إسْحاقَ: هل في الدنيا مدينةٌ مِنْ ذهبٍ وفضةٍ؟ قال: نعم أُخبِرُكَ بها وبِمَنْ بناها؟ إنما بناها شَدَّادُ بنُ عادٍ، والمدينةُ: «إرَمَ ذاتِ العِماد»، قال: فحَدِّثني حديثَها، فقال: إنَّ عاداً المنسوبَ إليه عادُ الأولى، كان له وَلَدانِ: شَديدٌ، وشَدَّادٌ. فلما مات مَلَكا بعدَه، ثم مات شَديدٌ وبقي شَدَّادٌ، فمَلَكَ الأرضَ، ودَانَتْ له الملوكُ، وكان مُولَعاً بقراءة الكُتبِ، فكان إذا مَرَّ بذكرِ الجنة دَعَتْهُ نفسه إلى بناءِ مثلِها

[١٥٣٢] قال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٧٤٨: أخرجه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فذكره مطوّلاً. قال الحافظ: آثار الوضع لائحة عليه! وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٢: وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة (إرم ذات العماد) هاهنا مطوّلة جداً، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الإعرابي فقد يكون قد اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب والفضة، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات، ويطنزون بهم، والذي نجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية، وكنوزاً كثيرة، من طفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها، فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه الهادي للصواب.

وقال الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» ٤/ ٥٣٠: وهذا كذب على كذب وافتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء، وفاقرة عظمى، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترؤون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة والأقاصيص المخولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وبدلوا وغيروا، وقال: ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتاب الذي سميته «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة». اهـ. قلت: هو كتاب مطبوع متداول، وعمدة هذا الكتاب «موضوعات ابن الجوزي» و «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي.

عُتُوًّا على اللّهِ تعالى؛ فأمَرَ بصُنع «إرمَ ذاتِ العِماد» فأمَّرَ على عملِها مائةَ قَهرمانٍ مع كلِّ قَهرمانٍ ألفٌ مِنَ الأعوانِ، وكتب إلى ملوكِ الأرضِ أنْ يُمِدُّوه بما في بلادهم مِنَ الجواهر، فخرج القَهارِمةُ يسيرون في الأرض لِيَجِدوا ما يُوافقه حتى وقعوا على صحراءَ عظيمةٍ نقيَّةٍ مِنَ التلال، وإذا هم بعيونٍ مُطَّرِدَةٍ فقالوا: هذه صفةُ الأرضِ التي أمَرَ المَلِكُ أنْ يبنى بها، فوضعوا أساسَها مِنَ الجزْعِ اليَمانيّ، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنةٍ، وكان عُمرُ شَدَّادٍ تسعمائة سنةٍ، فلمَّا أتَوه وقد فرغوا منها قال: انطَلِقوا، واجعَلُوا عليها حِصناً، واجعَلُوا حولَ الحِصْنِ ألفَ قصرٍ، عند كلِّ قصرٍ ألفُ عَلَمٍ يكون في كلِّ قصرٍ مِنْ تلك القصور وزيرٌ مِنْ وزرائي، ففعلوا، فأمَرَ الوزراءَ ـ وهم ألفُ وزيرٍ ـ أنْ يتَهيؤوا للنُّقْلَة إلى «إرمَ ذاتِ العِماد»، وكان المَلِكُ وأهلُه في جَهازِهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا منها على مسيرةِ يومٍ وليلةٍ بَعثَ اللّهُ عليه، وعلى مَنْ كان معه صَيحةً مِنَ السماء فأهلَكَتْهُم جميعاً، ولم يَبْقَ منهم أحدٌ.

وروى الشَّعْبيُّ عن دَغْفَل الشَّيْباني عن علماء حِمْيَر قالوا: لمَّا هَلَكَ شَدَّادُ بنُ عادٍ ومَنْ معه مِنَ الصَّيحةِ، مَلَكَ بعده ابنُه مَرْثَدُ بنُ شَدَّادٍ، وقد كان أبوه خلَّفه بحَضْرَموتَ على مُلكِه وسلطانِه، فأمَرَ بحَمْلِ أبيه مِنْ تلك المَفازةِ إلى حَضْرَموتَ، وأمَرَ بدفنِه فَحُفِرَتْ له حُفيرةٌ في مغَارةٍ، فاستَودَعَهُ فيها على سريرٍ مِنْ ذهبٍ، وألقى عليه سبعينَ حُلَّةً منسوجَةً بقُضبانِ الذهب، ووضع عند رأسه لَوحاً عظيماً مِنْ ذهبٍ وكَتَبَ عليه:

اعـتـبـر يـا أيُّـهـا الـمَـغـ ـرورُ بـالـعُـمـرِ الـمَـديـدِ
أنـا شَـدَّادُ بـنُ عـادٍ صـاحـبُ الـحِـصـنِ الـمـشـيـدِ
وأخـو الـقُـوَّةِ والـبـأ سـاءِ والـمُـلـكِ الـحَـشِـيـدِ
دانَ أهـلُ الأرضِ لـي مِـنْ خـوفِ وَعـدي ووَعِـيـدي
ومَـلَـكـتُ الـشـرقَ والـغـر بَ بـسُـلـطـانٍ شـديـدِ
وبـفَـضْـلِ الـمُـلْـكِ والـعُـ ـدَّةِ فـيـه والـعَـديـدِ
فـأتـى هُـودُ وكُـنَّـا فـي ضـلالٍ قـبـلَ هُـودِ
فـدَعـانـا لـو قَـبِـلْـنـا هُ إلـى الأمـرِ الـرَّشـيـدِ
فـعَـصَـيـنـاهُ ونـادَى مـا لـكـم هـل مـن مَـحِـيـدِ
فـأَتَـتْـنـا صَـيـحَـةٌ تَـهـ ـوي مِـنَ الأُفُـقِ الـبـعـيـدِ
فـتَـوافَـيـنـا كَـزَرْعٍ وَسْـطَ بـيـداءَ حَـصِـيـدِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ﴾ أي قَطَعوه ونَقَبُوه. قال ابنُ إسحاقَ: والوادي: وادي القُرى. وقرأ الحسَنُ: «بالوادي» بإثباتِ الياء في الحالين ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ مُفسَّرٌ في سُورةِ صَ(١) ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ يعني: عاداً، وثَمودَ، وفِرعونَ، عمِلوا بالمعاصي، وتجبَّروا على أنبياء الله ﴿فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ القتلَ والمعاصي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: وإنَّما قال: سَوْطَ عذابٍ، لأنَّ التعذيب قد يكون بالسَّوطِ، وقال الزَّجَّاجُ: أي جعل سَوطَهُ الذي ضَربَهُم به العذابَ. ﴿إِنَّ

(١) صَ: ١٢.

رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي: يَرصدُ مَنْ كَفَرَ به بالعذاب، والمَرصَدُ: الطريقُ، وقد شرحناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[1].

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فيمَنْ عني به أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: عُتْبةُ بنُ رَبيعةَ، وأبو حُذيفةَ بنُ المُغيرةِ، رواه عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والثالث**: أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: أنه الكافر الذي لا يُؤمن بالبَعثِ، قال الزَّجَّاجُ: وابتَلاه بمعنى اختبره بالغِنى واليُسر ﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾ بالمال ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾ بما وسَّعَ عليه مِنَ الإفضال ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ فَتَحَ ياءَ «ربيَ» «أكرمنيَ» «ربيَ» أهانني» أهلُ الحِجازِ، وأبو عمرٍو، أي: فَضَّلَني بما أعطاني، ويظنُّ إنما، أعطاه مِنَ الدنيا لِكرامَتِهِ عليه ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ وقرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ «فقدَّر» بتشديدِ الدال، والمعنى: ضيَّقَ عليه بأنْ جعله على مِقدارِ البُلْغَةِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ أي هذا الهَوانُ منه لي حينَ أذلَّني بالفقر.

وأعلَمْ أنَّ مَنْ لا يُؤمِنُ بالبَعثِ، فالكرامةُ عنده زيادةُ الدنيا، والهَوانُ قِلَّتُها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ كما ظَنَّ. قال مُقاتِلٌ: ما أعطيتُ من أغنيت هذا الغنيَّ لِكرامَتِه عليَّ، ولا أفقرتُ مَنْ أفقرتُ لِهوانِه عليَّ. وقال الفَرَّاءُ: المعنى: لم يكن ينبغي له أنْ يكونَ هكذا، إنما ينبغي أنْ يحمدَ اللَّهَ على الأمرين: الفقر، والغِنى. ثم أخبر عن الكفَّارِ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ قرأ أهلُ البَصرةِ «يُكرِمون» و «يَحُضُّون» و «يَأْكُلون» و «يُحِبُّون» بالياء فيهن، والباقون بالتاء. ومعنى الآية: إني أَهَنتُ مَنْ أَهَنتُ مِنْ أجل أنه لا يُكرِمُ اليتيمَ. والآية تحتملُ معنيين: **أحدهما**: أنهم كانوا لا يَبَرُّونه. **والثاني**: لا يُعطونه حَقَّه مِنَ الميراثِ، وكذلك كانت عادةُ الجاهلية لا يُوَرِّثون النساءَ ولا الصبيانَ. ويدل على المعنى الأول قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ وقرأ أبو جعفرَ، وأهلُ الكُوفةِ «تحاضون» بألِفٍ مع فتح التاء. وروى الشَّيزَريُّ عن الكِسَائيِّ كذلك إلاَّ أنه ضَمَّ التاءَ. والمعنى: لا يأمروه بإطعامِه لأنهم لا يَرجونَ ثوابَ الآخرة. ويدل على المعنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ قال ابنُ قُتيبةَ: التُّراث: المِيراثُ، والتاء فيه مُنقلِبةٌ عن واوٍ، كما قالوا: تُجاه، والأصل: وُجاه، وقالوا: تُخمَة، والأصل: وُخمَة. و ﴿لَّمًّا﴾ أي: شديداً، وهو مِن قولك: لَمَمتُ بالشيء: إذا جمعته، وقال الزَّجَّاجُ: هو مِيراثُ اليتامى.

(١) النبأ: ٢١.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ﴾ أي: تحبون جمعه ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا تُنفقونه في خيرٍ ﴿كَلَّآ﴾ أي: ما هكذا ينبغي أنْ يكونَ الأمرُ. ثم أخبر عن تَلَهُّفِهم على ما سَلَفَ منهم حينَ لا ينفعهم، فقال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: مرَّةً بعد مرَّةٍ، فتكسَّرَ كلُّ شيءٍ عليها. قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾(١).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: تأتي ملائكة كلِّ سماءٍ صَفّاً على حِدةٍ، قال الضَّحَّاكُ: يكونون سبعةَ صُفوفٍ، ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾.

[١٥٣٣] رَوى مُسلِمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بجهنَّم يَوْمَئذٍ لها سبعونَ ألفَ زِمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونها». قال مُقاتِلٌ: يُجاءُ بها فتُقام عن يسارِ العرشِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يُجاءُ بجهنَّم ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: يتَّعظُ الكافرُ ويَتوبُ. وقال مُقاتِلٌ: هو أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ العملَ الصالحَ في الدنيا ﴿لِحَيَاتِى﴾ في الآخرة التي لا موتَ فيها ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قرأ الكِسائيُّ، ويعقوبُ، والمُفَضَّلُ «لا يعذَّب» و«لا يوثَق» بفتح الذال والثاء، والباقون بكسرِها، فمَنْ فتَحَ، أراد: لا يُعذَّبُ عذابَ الكافر أحدٌ، ومَنْ كَسرَ أراد: لا يُعذِّبُ عذابَ اللهِ أحدٌ، أي كعذابِه، وهذه القراءة تختصُّ بالدنيا، والأولى تختصُّ بالآخرة.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسةِ أقوالٍ(٢):

أحدها: في حمزَةَ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ لما استشهد يومَ أُحُدٍ، قاله أبو هُريرَةَ، وبُرَيدَةُ الأَسْلَميُّ. **والثاني**: في عُثمانَ بنِ عَفَّانَ حين أوقف بئر رُومَةَ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: في خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ لمَّا صَلبه أهلُ مكَّةَ، قاله مُقاتِلٌ. **والرابع**: في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حكاه المَاوَرديّ. **والخامس**: في جميع المؤمنين، قاله عِكرِمَةُ. وفي معنى ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: المؤمنة، قاله ابنُ عباسٍ. وقال الزَّجَّاجُ: المُطمئنَّةُ بالإِيمان. **والثاني**: الرَّاضية بقضاء الله، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: المُوقِنةُ بما وَعَدَ اللهُ، قاله قَتادَةُ.

واختلفوا في أيِّ حينٍ يُقال لها ذلك على قولين: **أحدهما**: عند خروجِها مِنَ الدنيا، قاله الأكثرون. **والثاني**: عند البَعثِ يُقال لها: ارجِعي إلى صاحِبكِ، وإلى جسدِكِ، فيأمرُ اللهُ الأرواحَ أنْ تعودَ إلى الأجساد، رواه العَوْفي عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطاءٌ، وعِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ارجعي إلى صاحِبكِ الذي كنتِ في جسدِه، وهذا المعنى في رواية العَوْفي عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ والضَّحَّاكُ. **والثاني**: ﴿ٱرْجِعِىٓ

[١٥٣٣] صحيح. أخرجه مسلم ٤/٢١٨٤، والترمذي ٢٥٧٣ من حديث ابن مسعود. وانظر «فتح القدير» ٢٧١٣.

---

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) قلت: الصواب أنها عامة كما قال القرطبي وحمزة رضي الله عنه منهم، ثم إن السورة مكية.

﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: ارْجِعي إلى ثوابِ رَبِّكِ، قاله الحَسنُ. **والرابع**: يا أيَّتُها النفسُ المُطمئِنَّةُ إلى الدنيا ارْجِعي إلى الله تعالى بتَرْكِها، حكاه المَاوَرديّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ أي: في جُملةِ عبادي المُصْطَفَيْن. قال أبو صالح: يُقال لها عند الموت: ارْجعي إلى ربِّكِ، فإذا كان يوم القيامة قيلَ لها: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ وقال الفَرَّاءُ: ادْخُلي مع عبادي. وقرأ سعدُ بنُ أبي وَقَّاص، وأُبَيُّ بنُ كَعبٍ، وابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ، وأبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ «في عبدي» على التَّوحيد. قال الزَّجَّاجُ: فعَلَى هذه القراءةِ ـ والله أعلَمُ ـ يكون المعنى: ارْجِعي إلى ربِّكِ، أي: إلى صاحبِكِ الذي خَرَجْتِ منه، فادْخُلي فيه.

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

وهي مكيّةٌ كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ قال الزّجّاجُ: المعنى: أُقسِمُ. و «لا» دخلتْ توكيداً، كقولِه عزّ وجل ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] وقرأ عِكرمَةُ، ومُجاهِدٌ، وأبو عِمْرانَ، وأبو العاليةِ: «لأُقسِمُ» قال الزَّجّاجُ: وهذه القراءة بعيدةٌ في العربية، وقد شرحنا هذا في أوّلِ القيامة[2].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: و (البلد) هاهنا: مكة[3].

أحدها: حلٌّ لكَ ما صَنعتَهُ في هذا البلد مِنْ قَتْلٍ وغيرِه، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ. قال الزَّجّاجُ: يُقال: رجلٌ حِلٌّ، وحَلالٌ، ومُحِلٌّ، قال المُفسِّرون: والمعنى: إنَّ الله تعالى وَعَدَ نبيَّه أنْ يَفتحَ مكّةَ على يديه بأنْ يُحِلَّها له، فيكون فيها حِلاً. **والثاني**: وأنت مُحِلٌّ بهذا البلد غيرُ مُحْرِمٍ في دخوله، يعني: عامَ الفَتح، حلالاً، قاله الحَسنُ، وعَطاءٌ. **والثالث**: وأنتَ حِلٌّ عند المشركين بهذا البلدِ يَستحِلُّونَ إخراجَكَ وقَتْلَكَ، ويُحرِّمون قتلَ الصيدِ، حكاه الثَّعلَبيُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه آدمُ. وما ولد، قاله الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة **والثاني**: أنَّ الوالدَ إبراهيمُ، وما ولد: ذريته[4]، قاله أبو عِمْرانَ الجَوْنيّ.

---

(١) الحديد: ٢٩. (٢) القيامة: ١.

(٣) قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» ٢٠/ ٥٤: و ﴿البلد﴾ هي مكة، أجمعوا عليه، أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحبي لك.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٥٨٧: والصواب من القول في ذلك، ما قاله الذين قالوا: إن الله أقسم بكل والد وولده. لأن الله عمّ كل والد وما ولد. وغير جائز أن يخصّ ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أو عقل. وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٠٧: وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة والضحاك وسفيان الثوري، وسعيد بن جبير، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحبيل بن سعيد وغيرهم: =

والثالث: أنه عامٌ في كلّ والدٍ وما وَلَدَ، حكاه الزَّجَّاجُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذا جوابُ القَسَم. وفيمن عَنى بالإنسان خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه اسمُ جنسٍ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنه أبو الأشد الجُمَحيُ، وقد سبق ذِكرُه، قاله الحَسَنُ.

[١٥٣٤] **والثالث**: أنه الحارثُ بنُ عامرِ بنِ نَوْفلٍ، وذلك أنه أذنَبَ ذَنْباً، فأمره النبيُّ ﷺ بالكفَّارةِ، فقال: لقد ذهب مالي في الكفَّاراتِ، والنَّفقاتِ منذ دخلتُ في دِيْنِ محمَّدٍ، قاله مُقاتِلٌ.

والرابع: آدمُ عليه السلام، قاله ابنُ زيدٍ. **والخامس**: الوليدُ بنُ المُغِيرةِ، حكاه الثَّعلَبيّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى كَبَدٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: في نَصَب، رواه الوالِبِيُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، وأبو عُبيدَةَ، وأنهم قالوا: في شِدَّةٍ. قال الحسَنُ: يُكابِدُ الشُّكرَ على السَّرَّاءِ والصبرَ على الضَّرَّاء، ولا يَخلو من أحدهما، ويُكابِدُ مصائبَ الدنيا، وشدائدَ الآخرة. وقال ابنُ قُتَيبَةَ: في شِدَّةٍ غلبة ومُكابَدةٍ لأمور الدنيا والآخرة، فعَلَى هذا يكون مِنْ مُكابدةِ الأمرِ، وهي مُعاناتُه. **والثاني**: أنَّ المعنى: خُلِقَ مُنتصباً يمشي على رِجلَين، وسائرُ الحيوان غيرُ مُنتصِبٍ، رواه مِقْسَمٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، والضَّحَّاكُ، وعَطِيَّةُ، والفَرَّاءُ، فعلى هذا يكون معنى الكَبَد: الاستِواءُ والاستِقامةُ. **والثالث**: في وَسطِ السماء، قال ابنُ زيدٍ[1]: (لقد خلقنا الإِنسان) يعني: آدمَ (في كَبَدٍ) أي: في وَسطِ السماء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني الله عزَّ وجلَّ أي: أَيحسب أن لن نقدرَ على بَعثِه، وَمعاقبته؟! ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً، قال أبو عُبيدَةَ: هو فعلٌ مِنَ التَّلبُّد، وهو المالُ الكثيرُ بعضُه على بعضٍ، قال ابن قتيبة: وهو المال كان بعضه على بعض. قال الزَّجَّاجُ: وهو فعلٌ للكَثْرةِ، كما يُقال: رَجلٌ حُطَمٌ: إذا كان كثيرَ الحَطَم. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعائشةُ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، وقَتادةُ، وأبو العاليةِ، وأبو جعفرَ «لُبَّداً» بضمِّ اللام، وتشديدِ الباء مفتوحةً. وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وأبو المُتوكِّلِ، وأبو عِمْرانَ «لُبْداً» برفع اللام وتسكينِ الباء خفيفةً. وقرأ عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ «لُبُداً» برفع اللام والباء وتخفيفِهما. وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وأبو الجَوزاءِ «لِبَداً» بكسرِ اللام، وفتحِ الباء مخفَّفةً. وفيما قال لأجلِ ذلك قولان: **أحدهما**: أنه أراد: أهلكتُ مالاً كثيراً في عداوةِ محمَّدٍ ﷺ قاله ابنُ السَّائبِ، فكأنه استطالَ بما أنفقَ. **والثاني**: أنفقتُ في سبيل الله وفي الكفَّاراتِ مالاً كثيراً، قاله مُقاتِلٌ. فكأنه نَدِمَ على ما أنفقَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ يعني الله عزَّ وجلَّ. والمعنى: أَيظُنُّ أنَّ الله لم يرَ نفقتَهُ، ولم يُحْصِها؟! وكان قد ادَّعى إنفاقَ ما لم يُنفِقْ.

[١٥٣٤] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط، كذبه غير واحد، فهذا خبر لا شيء.

= يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده، قال: وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده.

(١) اسمه عبد الرحمن.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ المعنى: أَلَمْ نجعلْ به ما يدلُّ على أنَّ الله قادرٌ على بعثِه؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: سبيلَ الخيرِ والشرِّ، قاله عليٌّ، والحسَنُ، والفرَّاءُ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: يريد طريقَ الخيرِ والشرِّ. وقال الزَّجَّاجُ: النَّجدَين: الطريقين الواضحين والنَّجْدُ: المُرتفعُ مِنَ الأرض، فالمعنى: أَلَمْ نُعرِّفه طريقَ الخيرِ والشرِّ كَتَبيُّنِ الطريقين العاليَيْنِ. **والثاني**: سبيلَ الهُدى والضَّلالِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال مُجاهِدٌ: هو سبيل الشَّقاوةِ والسَّعادةِ. **والثالث**: الثَّدْيَيْنِ لِيتغذَّى بلبنِهما، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً، وبه قال ابنُ المُسيِّبِ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال أبو عبيدة: فلم يقتحم العقبة في الدنيا. وقال ابنُ قُتَيبة: فلا هو اقتحمَ العَقَبةَ. قال الفرَّاءُ: لم يَضُمَّ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ كلاماً آخرَ فيه «لا»، والعربُ لا تكاد تُفرد «لا» في كلام حتى يُعيدوها عليه في كلام آخرَ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ومعنى: «لا» موجودٌ في آخرِ هذا الكلام، فاكتَفى بواحدةٍ مِنَ الأخرى، ألاَ ترى أنه فسَّرَ اقتِحامَ العَقَبةِ، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فسَّرها بثلاثةِ أشياءَ. فكأنَّه قال في أول الكلام: فلا فَعَلَ ذا، ولا ذا ولا ذا. وذهب ابنُ زيدٍ في آخرين إلى أنَّ المعنى: أَفَلا اقتَحم العَقَبةَ؟ على وجهِ الاستفهام، والمعنى: فهلاَّ أنفقَ مالَه في فَكِّ الرِّقابِ والإِطعامِ لِيُجاوزَ بذلك العَقَبةَ؟!

فأمَّا: الاقتِحامُ فقد بيَّناه في (صٓ)[1]. وفي العَقَبةِ سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جبلٌ في جهنَّم، قاله ابنُ عمرَ. **والثاني**: عَقَبةٌ دونَ الجِسرِ، قاله الحَسَنُ. **والثالث**: سبعونَ دَرَكةً في جهنَّمَ، قاله كَعْبٌ. **والرابع**: الصِّراط، قاله مُجاهِدٌ، والضَّحَّاكُ والكَلْبيُّ. **والخامس**: نارٌ دونَ الجسرِ، قاله قَتادةُ. **والسادس**: طريقُ النَّجاةِ، قاله ابنُ زيدٍ. **والسابع**: أنَّ ذكرَ العَقَبةِ هاهنا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لِمُجاهدةِ النَّفسِ والهوى والشيطان في أعمالِ البِرِّ، فجعله كالذي يتكلَّف صُعودَ العَقَبةِ. يقول: لم يحمِلْ على نفسِه المَشَقَّةَ بعِتْقِ الرَّقبةِ، والإِطعامِ، ذكره عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ قال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: كلُّ ما فيه «وما أدراكَ»، فقدْ أخبرَهُ به، وكلُّ ما فيه «وما يُدريكَ» فإنه لم يُخبِرْهُ به. قال المُفسِّرون: المعنى: وما أَدراكَ ما اقتِحامُ العَقَبةِ؟. ثم بيَّنه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمروٍ، إلاَّ عبدَ الوارثِ، والكِسائيَّ، والدَّاجوني عن ابنِ ذَكْوانَ «فَكَّ» بفتحِ الكاف «رَقَبَةً» بالنصب «أو أَطْعَمَ» بفتحِ الهمزة والميم وسكونِ الطاء مِنْ غير ألفٍ، فعلٌ ماضٍ. وقرأ عاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ «فَكُّ» برفعِ الكاف «رقبةٍ» بالخَفض «أو إطعامٌ» بألِفٍ، ومعنى فَكِّ الرَّقبة: تخليصها مِنْ أَسْرِ الرِّقِّ، وكلُّ شيءٍ أطلَقْتَه فقد فَكَكْتَه ومَنْ قرأ «فَكُّ رقبةٍ»

---

(١) صٓ: ٥٩.

على الفعلِ، فهو تفسيرُ اقتِحام العَقَبةِ بالفعل، واختاره الفرّاءُ، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: والمَسْغَبَةُ: المَجاعَة. يقال: سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوباً: إذا جاعَ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي ذا قَرابَةٍ[1] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: ذا فَقْرٍ كأنه لَصِقَ بالتراب. وقال ابنُ عباس: هو المَطروحُ في التراب لا يَقِيهِ شيءٌ. ثم بيَّنَ أنَّ هذه القُرَبَ إنما تنفع مع الإيمان بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ و «ثم» هاهنا بمعنى الواو، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وأَمْره ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي بالتَّراحُم بينهما. وقد ذكرنا أصحابَ المَيْمنةِ والمَشْأَمةِ في الواقِعة[3] قال الفَرّاءُ: و «المُؤْصَدَة»: المُطْبَقَةُ. قالَ مُقاتِلٌ: يعني أبوابُها عليهم مُطْبَقَةٌ فلا يُفتح لها بابٌ، ولا يخرج منها غَمٌّ، ولا يدخل فيها رَوحٌ آخر الأبدِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: يُقال: أَوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُه: إذا أطبَقْتَه. وقال الزَّجّاجُ: المعنى: أنَّ العذاب مُطْبَقٌ عليهم. قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكِسائيُّ؛ وأبو بكرٍ عن عاصِم «مُوصَدة» بغيرِ همزةٍ هاهنا وفي «الهُمَزَة»[4]. وقرأ أبو عمرٍو، وحمزَةُ، وحَفْصٌ عن عاصِمٍ بالهمزِ في الموضعين.

---

(١) قال ابن العربي في «الأحكام» ٤/٤٠٢: قوله تعالى: ﴿ذا مقربة﴾ يفيد أن الصدقة على القريب أفضل منها على البعيد، ولذلك بدأ به قبل المسكين، وذلك عند مالك بالنفل. والمتربة: الفقر البالغ الذي لا يجد صاحبه طعاماً إلا التراب، ولا فراشاً سواه. والله أعلم.

(٢) يونس: ٤٦. (٣) الواقعة: ٧، ٨. (٤) الهمزة: ٨.

سُورَةُ الشَّمْسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

وهي مكّيّة كلُّها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾ في المراد «بضحاها» ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: ضَوؤها، قاله مُجاهِدٌ، والزَّجَّاجُ. والضُّحى: حينَ يَصفُو ضَوْءُ الشمس بعد طُلوعها. **والثاني**: النهارُ كلُّه، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: حَرُّها، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ قوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: إذا تَبِعَها، قاله ابنُ عباسٍ في آخرين. ثم في وقتِ اتِّباعِه لها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه في أولِ ليلةٍ مِنَ الشهر يُرى القمرُ إذا سقطَتِ الشمسُ، قاله قَتادَةُ. **والثاني**: أنه في الخامسَ عشرَ يطلع القمرُ مع غروبِ الشمس، حكاه الماوَرديُّ. **والثالث**: أنه في النِّصفِ الأولِ مِنَ الشهر إذا غَربَتِ الشمسُ تلاها القمرُ في الإضاءَةِ وخَلَفَها في النُّورِ، حكاه عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوريُّ.

والقول الثاني: إذا ساوَاها، قاله مُجاهِدٌ. وقال غيره: إذا استَدارَ، فَتَلا الشمسَ في الضياء والنُّور، وذلك في الليالي البِيْضِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ في المُكنَّى عنها قولان: **أحدهما**: أنها الشمسُ، قاله مُجاهِدٌ، فيكون المعنى: والنهارِ، إذا بَيَّنَ الشمسَ، لأنها تَتبيَّنُ إذا انبسَطَ النهارُ. **والثاني**: أنها الظُّلمةُ فتكون كِنايةً عن غير مذكورٍ، لأنَّ المعنى معروفٌ، كما تقول: أصبحَتْ باردةً، وهَبَّتْ شِمالاً، وهذا قولُ الفَرَّاءِ، واللغويين قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يغشى الشمسَ حينَ تغيبُ فتُظلِمُ الآفاقُ. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ في «ما» قولان: **أحدهما**: بمعنى «مَنْ» تقديره «ومَنْ بناها»، قاله الحسَنُ، ومُجاهِدٌ، وأبو عُبيدَةَ. وبعضهم يجعلها بمعنى الذي. **والثاني**: أنها بمعنى المصدرِ، تقديره: وَبِناها، وهذا مذهبُ قَتادَةَ، والزَّجاج. وكذلك القولُ في «وما طحَاها» «وما سَوَّاها» وقد قرأ أبو عِمرانَ الجَونيُّ في آخرين «ومَنْ بناها» وَمَنْ طَحَاها» «وَمَن سَوَّاها» كلُّهُ بالنون. قال أبو عُبيدَةَ: ومعنى «طَحَاهَا» بَسَطَها يميناً وشِمالاً، ومِنْ كلِّ

جانبٍ، قال ابنُ قُتيبة: يُقال: خَيْرٌ طَاحٍ، أي: كثيرٌ مُتَّسِعٌ.

وفي المراد «بالنَّفسِ» هاهنا قولان: **أحدهما**: آدمُ، قاله الحسَنُ. **والثاني**: جميعُ النفوس، قاله عَطاءٌ. وقد ذَكَرنا معنى «سَوَّاها» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾. قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الإلهام: إيقاعُ الشيءِ في النَّفسِ. قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أَلْزَمَها فُجورَها وتَقواها، وقال ابنُ زيدٍ: جعلَ ذلك فيها بتوفيقِه إيَّاها للتقوى، وخِذْلانِه إيَّاها للفُجورِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال الزَّجَّاجُ: هذا جوابُ القَسَم. والمعنى: لقد أفلَحَ، ولكنَّ اللامَ حُذفت لأنَّ الكلامَ طالَ، فصار طولُه عِوَضاً منها. وقال ابنُ الأنباريِّ: جوابُه محذوفٌ. وفي معنى الكلام قولان: **أحدهما**: قد أفلَحَتْ نَفسٌ زَكَّاها الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ؛ والفَرَّاءُ، والزَّجَّاجُ. **والثاني**: قد أفلَحَ مَنْ زَكَّى نَفسَهُ بطاعةِ الله وصالحِ الأعمال، قاله قَتادَةُ، وابنُ قُتَيبةَ. ومعنى ﴿زَكَّىٰهَا﴾: أصلَحَها وطَهَّرها مِنَ الذنوب. قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ فيه قولان: كالذي قبلَه.

فإنْ قُلنا: إنَّ الفعلَ لله، فمعنى «دَسَّاها»: خَذَلَها، وأخمَلَها، وأخفَى مَحَلَّها بالكفر والمعصية، ولم يَشْهَرْها بالطاعةِ والعملِ الصالح.

وإنْ قُلنا: الفعلُ للإنسان، فمعنى «دَسَّاها»: أخفَاها بالفُجورِ. قال الفَرَّاءُ: ويُروى أنَّ «دَسَّاها» دَسَّسَهَا لأنَّ البخيلَ يُخفي منزلَه ومالَه. وقال ابنُ قُتَيبةَ: والمعنى: دَسَّى نَفْسَه، أي: أخفَاها بالفُجورِ والمعصيةِ. والأصل مِنْ دَسَّسْتُ، فقُلبت السينُ ياءً، كما قالوا: قَصَّيتُ أظفاري، أي: قَصَصْتُها. فكأنَّ النَّطِفَ بارتكابِ الفواحشِ دَسَّ نَفْسَه، وقَمَعها، ومُصْطَنِعُ المعروفِ شَهَرَ نَفْسَه ورَفَعها، وكانت أجوادُ العرب تنزلُ الرُّبا للشُّهرة. واللِّئامُ تنزلُ الأطرافَ لِتُخفي أماكِنَها. وقال الزَّجَّاجُ: معنى «دَسَّاها» جَعَلَها قليلةً خَسِيسَةً.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: كذَّبتْ رسولَها بطُغيانها. والمعنى: أنَّ الطُّغيانَ حَمَلَهم على التكذيب. قال الفَرَّاءُ: أراد بطَغْواها: طُغيانَها، وهما مصدران، إلاَّ أنَّ الطَّغْوَى أشكَلُ برؤوسِ الآياتِ، فاختِيرَ لذلك. وقيل: كَذَّبوا العذابَ ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أي: انْتَدَب ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ وهو: عاقرُ النَّاقةِ يَعقِرُها ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ وهو صالحٌ ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ قال الفَرَّاءُ: نصب الناقة على التحذير، وكلُّ تحذيرٍ فهو نَصبٌ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: احذَرُوا ناقةَ الله وشُرْبَها. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: ذَرُوا «ناقةَ الله» وذَرُوا «سُقياها» قال المُفسِّرون: سُقياها: شُرْبُها مِنَ الماء. والمعنى: لا تَتعرَّضوا ليوم شُربِها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في تحذيره إيَّاهم العذابَ بعَقرِها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ وقد بيَّنَّا معنى «العَقْر» في الأعْراف[1] ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي: أطبَقَ عليهم العذاب. يقال: دَمْدَمتُ على الشيء: **إذا أَطْبَقتَ فكرَّرتَ الإطباقَ**. وقال المُؤَرِّجُ: **الدَّمْدَمةُ: إهلاكٌ باستِئصالٍ**.

(١) الأعراف: ٧٧.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ قولان: **أحدهما**: سَوَّى بينهم في الإِهلاكِ، قاله السُّدِّيُّ، ويَحيى بنُ سَلام. وقيل: سَوَّى الدَّمْدَمَةَ عليهم. والمعنى: أنه أهلَكَ صغيرَهم، وكبيرَهم. **والثاني**: سوَّى الأرضَ عليهم. قال مُقاتِلٌ: سوَّى بيوتَهم على قبورِهم. وكانوا قد حَفَروا قبوراً فاضطَجَعوا فيها، فلمَّا صِيحَ بهم فهَلَكوا زُلْزِلَتْ بيوتُهم فوقَعتْ على قبورِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قرأ أبو جعفرَ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ «فلا» بالفاء، وكذلك هو في مصاحفِ أهلِ المدينةِ والشام. وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحفِ مكَّةَ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ.

وفي المُشارِ إليه ثلاثةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنه الله عزَّ وجلَّ، فالمعنى: لا يخاف الله مِنْ أحدٍ تَبِعَةً في إهلاكِهم، ولا يخشى عُقْبى ما صَنَعَ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ. **والثاني**: أنه الذي عَقَرَها، فالمعنى: أنه لم يَخَفْ عُقْبى ما صَنَعَ، وهذا مذهبُ الضَّحَّاكِ والسُّدِّيّ، وابنِ السَّائبِ. فعَلَى هذا في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: إذِ انبَعَثَ أشقاها وهو لا يَخافُ عُقْباها. **والثالث**: أنه نبيُّ الله صالحٌ لم يَخَفْ عُقْباها، حكاه الزَّجَّاجُ.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦١٥: قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة، وهذا القول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

سورة الليل

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

وهي مكّيّة كلُّها بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ قال ابنُ عباسٍ: يغشى بظُلمتِه النهارَ. وقال الزَّجَّاجُ: يغشى الأفقَ، ويَغشى جميعَ ما بين السماء والأرض قولُه: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: بانَ وظهرَ مِنْ بين الظُّلمةِ، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ في «ما» قولان. وقد ذكرناهما عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾(1). وفي «الذَّكر والأنثى» قولان: **أحدهما**: آدمُ وحوَّاءُ، قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ. **والثاني**: أنه عامٌّ، ذكره المَاوَرديُّ. قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جوابُ القَسَم. قال ابنُ عباسٍ: إنَّ أعمالكم لَمُختلفةٌ، عملٌ للجنة، وعملٌ للنار. وقال الزَّجَّاجُ: سَعيُ المؤمن والكافر مُختلِفٌ، بينهما بُعْد. وفي سبب نُزولِ هذه السُّورةِ قولان:

[١٥٣٥] **أحدهما**: أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه اشترى بلالاً مِنْ أُميَّةَ بنِ خَلَفٍ وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ بِبُرْدَةٍ وعشرةِ أَوَاقٍ، فأعتقَهُ، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ يعني: سعيَ أبي بكرٍ، وأُميَّةَ وأُبَيٍّ، قاله عبدُ الله بنُ مسعودٍ.

[١٥٣٦] **والثاني**: أنَّ رجلاً كانت له نَخلةٌ فَرعُها في دارِ رجلٍ فقيرٍ ذي عِيالٍ، وكان الرجل إذا

[١٥٣٥] أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٣ عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده ضعيف، فيه انقطاع بين أبي إسحق السبيعي وابن مسعود.

[١٥٣٦] واهٍ. أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية والواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٢ وفي «الوسيط» ٤/ ٥٠٢ من طريق حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس مطوّلاً. ولم يذكر اسم «أبو الدحداح». وإسناده واهٍ لأجل حفص بن عمر بن ميمون، ضعفه الحافظ في «التقريب» وأخرجه ابن =

(١) الشمس: ٥.

صَعِدَ النَّخلةَ ليأخذَ منها الثمرَ، فربما سقطَتْ الثمرةُ، فيأخذَها صبيانُ الفقير، فينزلَ الرجلُ مِنْ نخلتِه حتى يأخذَ الثمرةَ مِنْ أيديهم، فإنْ وَجَدها في فم أحدِهم أدخلَ أُصبعَهُ حتى يُخرجَها، فشَكَا ذلك الرجلُ إلى النبيِّ ﷺ، فلَقِيَ النبيُّ ﷺ صاحبَ النَّخلةِ، فقال: «تُعطيني نخلَتَكَ التي فَرْعُها في دارِ فُلانٍ ولكَ بها نَخلَةٌ في الجنة؟» فقال الرجلُ: إنَّ لي نَخْلاً وما فيه نَخلَةٌ أعجَبُ إليَّ منها، ثم ذهب الرجلُ، فقال رجلٌ ممَّنْ سمعَ ذلك الكلامَ: يا رسولَ الله أتُعطيني نَخلَةً في الجنة إنْ أنا أخذتُها؟ قال: نعم، فذهب الرجلُ، فلَقِيَ صاحبَ النَّخلةِ، فساوَمَها منه، فقال له: أما شَعَرْتَ أنَّ محمَّداً أعطاني بها نَخلَةً في الجنة؟ فقلتُ: ما ليَ نَخلَةٌ أعجَبُ إليَّ منها، فقال له: أتُريدُ بَيْعَها؟ قال: لا، إلاَّ أنْ أُعطَى بها ما لا أظنُّني أُعطَى، قال: ما مَناكَ؟ قال: أربعونَ نَخلَةً، فقال: أنا أُعطيكَ أربعين نخلةً، وأشْهَدَ له ناساً، ثم ذهب إلى رسولِ الله ﷺ فقال له: إنَّ النخلةَ قد صارت في ملكِي، وهي لكَ، فذهب رسولُ الله ﷺ إلى صاحبِ الدَّارِ، فقال: النَّخلةُ لكَ ولِعيالِكَ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ. وقال عَطاءٌ: الذي اشتراها مِنَ الرجلِ أبو الدَّحْدَاحِ، أخذَها بحائطٍ له، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآياتِ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ أبو الدَّحْدَاحِ، وصاحبُ النَّخلةِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ قال ابنُ مسعودٍ: يعني: أبا بكرِ الصِّدِّيقِ وهذا قولُ الجمهورِ. وقال عَطاءٌ: هو أبو الدَّحْدَاحِ. وفي المراد بهذا العطاءِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أعطى مِنْ فَضلِ مالِه، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أعطى اللهَ الصِّدْقَ مِنْ قلبه، قاله الحَسنُ. **والثالث**: أعطى حقَّ اللهِ عليه، قاله قَتادَةُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: اتَّقى اللهَ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: اتَّقى البُخلَ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: اتَّقى محارمَ اللهِ التي نَهى عنها، قاله قَتادَةُ.

وفي «الحسنى» ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه «لا إلَه إلاَّ اللهُ»، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ. **والثاني**: الخَلَفُ، رواه عِكرمَةُ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسَنُ. **والثالث**: الجنَّةُ، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: نِعَمُ اللهِ عليه، قاله عَطاءٌ. **والخامس**: بوَعْدِ اللهِ أنْ يُثِيبَهُ، قاله قَتادَةُ، ومُقاتِلٌ. **والسادس**: الصَّلاةُ، والزَّكاةُ، والصَّومُ، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ ضمَّ أبو جعفرَ سينَ «اليُسرى» وسينَ «العُسرى» وفيه قولان: **أحدهما**: للخير، قاله ابنُ عباسٍ. والمعنى: نُيَسِّرُ ذلك عليه. **والثاني**: للجنَّةِ، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ.

قوله ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ قال ابنُ مسعودٍ: يعني بذلك أُميَّةَ وأُبَيَّ ابنَيْ خَلَفٍ. وقال عَطاءٌ: هو صاحبُ النَّخلةِ.

= حبان. والجمهور على أنها نزلت في أبي بكر والله أعلم.

ثم إن السورة مكية، وذاك أنصاري؟! وورد بمعناه دون ذكر نزول الآية من حديث جابر. أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٨ وقال الهيثمي في «المجمع» ٣/ ١٢٧: رواه أحمد والبزار، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وفيه كلام وقد وثق.

ـ قلت: ضعفه غير واحد لسوء حفظه، وهو غير حجة. ورواية عطاء: وفيها اسم الرجل أبو الدحداح، هي من رواية علي بن حجر عن إسحاق عن أبي نجيح عن عطاء مرسلاً، ومعلقاً، فهو لا شيء.

قال المفسِّرون: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بالنَّفقة في الخير والصَّدقةِ. وقال قَتادةُ: بحقِّ الله عزَّ وجلَّ، قوله: ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ أي عن ثوابِ الله فلم يَرغَبْ فيه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ وقد سَبقَتِ الأقوالُ فيها.

وفي «العُسرى» قولان: **أحدهما**: النَّارُ، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: الشَّرُّ، قاله ابنُ عباسٍ. والمعنى: سَنَهيؤه للشَّرِّ فيؤدِّيه إلى الأمر العَسيرِ، وهو عذابُ النارِ.

ثم ذَكَرَ أنَّ ما أمسكَهُ مِن ماله لا ينفعه، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ﴾ الذي يَبخلُ به عن الخير ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ وفيه قولان: **أحدهما**: إذا تردَّى في جهنَّمَ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ. والمعنى: إذا سقطَ فيها. **والثاني**: إذا مات فتردَّى في قبرِه، قاله مُجاهدٌ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إنَّ علينا أنْ نُبيِّنَ طريقَ الهدى مِنْ طريق الضَّلال. قوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: فلْيَطلُبا منَّا ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ أي: تَتوقَّدُ وتتوهَّجُ ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ يعني: المُشرِكَ ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ الرَّسولَ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. قال أبو عُبيدَةَ: و﴿ٱلْأَشْقَى﴾ بمعنى الشَّقيّ. والعربُ تضعُ «أفعَل» في موضع «فاعل». قال طَرَفَةُ:

تَـمَـنَّـى رِجَـالٌ أَنْ أَمُـوتَ وَإِنْ أَمُـتْ فَـتِـلْـكَ سَـبِـيـلٌ لَـسْـتُ فِـيـهـا بِـأَوْحَـدِ

قال الزَّجَّاجُ: وهذه الآية هي التي مِنْ أجلِها زَعمَ أهلُ الإرْجاءِ أنه لا يدخلُ النارَ إلاَّ كافرٌ، وليس كما ظنوا. هذه نارٌ موصوفةٌ بعَيْنِها، ولأهلِ النارِ منازلُ. فلو كان مَنْ لا يُشرِكُ لا يُعذَّبُ لم يكن في قولِه عزَّ وجلَّ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(١) فائدةٌ. وكان «ويغفر ما دون ذلك» كلاماً لا معنىً له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ أي: يُبْعَدُ عنها، فيُجعَلُ منها على جانبٍ ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ يعني: أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ في قولِ جميعِ المُفسِّرين، ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يَطلبُ أنْ يكونَ عند الله زاكِياً، ولا يَطلُب الرِّياءَ، ولا السُّمعةَ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي: لم يفعلْ ذلك مُجازاةً لِيَدٍ أُسْدِيَتْ إليه.

[١٥٣٧] وروى عَطاءٌ عن ابنِ عبـاسٍ أنَّ أبا بكـرٍ لـمَّا اشترى بلالاً بعد أنْ كان يُعذَّبُ قال المشركون: ما فَعلَ أبو بكرٍ ذلك إلاَّ لِيَدٍ كانت لِبلالٍ عنده، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: إلاَّ طلباً لثوابِ ربِّه. قال الفَرَّاءُ: و «إلاَّ» بمعنى «لكن» ونَصبُ «ابتغاءَ» على إضمارِ إنفاقِه. فالمعنى: وما يُنفِقُ إلاَّ ابتغاءَ وَجهِ ربِّهِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ أي: بما يُعطَى في الجنَّة مِنَ الثَّوابِ.

[١٥٣٧] ذكره الواحدي ٨٥٧ عن عطاء عن ابن عباس بدون إسناد.

---

(١) النساء: ٤٨.

سورة الضحى

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

اتَّفقَ المُفسِّرون: على أنَّ هذه السورةَ نزلت بعد انقطاعِ الوحيِ مدَّةً. ثم اختلفوا في سببِ انقطاعِه على ثلاثةِ أقوالٍ:

[١٥٣٨] **أحدها**: أنَّ اليهود سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذِي القَرنَيْنِ، وعن أصحاب الكَهفِ، وعن الرُّوحِ، فقال: سأُخبِرُكم غداً، ولم يَقُلْ: إنْ شاءَ الله، فاحتَبَسَ عنه الوحيُ.

والثاني: لِقِلَّةِ النَّظافةِ في بعضِ أصحابه. وقد ذكرنا هذين القولين في سُورَةِ مريم(١). **والثالث**: لأَجلِ جَرْوٍ كان في بيته، قاله زَيدُ بنُ أَسلَمَ(٢).

وفي مُدَّةِ احتباسِه عنه أقوالٌ قد ذكرناها في مريم(٣).

[١٥٣٩] ورَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصحيحين» مِنْ حديث جُندُبٍ قال: قالتِ امرأةٌ مِنْ قُريشٍ

[١٥٣٨] تقدم في سورة الكهف، وأنكر الحافظ في «الفتح» ٨/ ٧١٠ كون نزول الضحى، كان بسبب سؤالهم عن ذي القرنين، وقال ما معناه: الزمن بين نزول السورة، وسؤالهم إياه غير متحد، ويجوز أن يكون قريباً.

[١٥٣٩] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٠ والبغوي في «التفسير» ٢٣٤٩ بترقيمنا عن أحمد بن يونس به. من حديث جندي. وأخرجه البخاري ١١٢٥ و ١١٢٤ و ٤٩٨٣ والترمذي ٣٣٤٥ والطبري ٣٧٥٠٤ وابن حبان ٦٥٦٦ والطبراني ١٧٠٩ والبيهقي ٣/ ١٤ وفي «الدلائل» ٧/ ٥٨ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٠٧ وفي «أسباب النزول» ٨٥٨ من طرق عن سفيان عن الأسود بن قيس به. وأخرجه البخاري ٤٩٥١ ومسلم ١٧٩٧ ح ١١٥ =

---

(١) مريم: ٦٥، وتقدّم الحديث، وهو حديث ضعيف، والصواب ما رواه الشيخان وهو الآتي من حديث جندب البجلي.

(٢) ضعيف جداً، هو مرسل، وله علة ثانية، وهي كونه من رواية ابنه عبد الرحمن، وهو واهٍ.
وصح هذا السياق، لكن ليس فيه نزول سورة الضحى عقب ذلك. فقد أخرج مسلم ٢١٠٥ وأبو داود ٤١٥٧ والنسائي ٧/ ١٨٦ وأحمد ٦/ ٣٣٠ وأبو يعلى ٧٠٩٣ و ٧١١٢ من طريق الزهري عن ابن السباق عن ابن عباس عن ميمونة: «أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً واجماً فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة، فلم يلقني. أمَ والله ما أخلفني» فظل رسول الله ﷺ يومه ذاك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماءً فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني في البارحة قال: «أجل، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب، ولا صورة». وأخرجه مسلم ٢١٠٤ وأحمد ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣ وأبو يعلى ٤٥٠٨ من حديث عائشة بنحوه.

(٣) مريم: ٦٦.

للنبيِّ ﷺ: ما أرى شيطانَكَ إلاَّ قد ودَعَكَ، فنزلت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، جُنْدُبُ: هو ابنُ سُفيانَ، والمرأةُ: يُقال لها: أُمُّ جميلٍ امرأةُ أبي لَهَبٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾

وفي المراد «بالضُّحى» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: ضوءُ النهارِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: صَدْرُ النهارِ، قاله قَتادةُ. **والثالث**: أولُ ساعةٍ مِنَ النهارِ إذا تَرحَّلَتِ الشمسُ، قاله السُّدِّيُّ، ومُقاتِلٌ. **والرابع**: النهارُ كلُّه، قاله الفرَّاءُ.

وفي معنى «سَجَى» خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أظلَمَ. **والثاني**: ذهبَ، رُويا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أقبَلَ، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: سَكَنَ، قاله عَطاءٌ، وعِكرمةُ، وابنُ زيدٍ. فعَلَى هذا: في معنى «سَكَنَ» قولان: **أحدهما**: استقرَّ ظلامُه، قال الفرَّاءُ: «سَجى» يعني أظلَمَ ورَكَدَ في طُولِه. كما يقال: بَحْرٌ ساجٍ، ولَيْلٌ ساجٍ: إذا رَكَدَ وأَظلَمَ. ومعنى: رَكَدَ: سَكَنَ. قال أبو عُبيدَةَ، يُقال: ليلةٌ ساجِيةٌ، وساكنةٌ، وشاكِرةٌ. قال الحادي:

يَـا حَـبَّـذا الـقَـمْـرَاءُ والـلـيـلُ الـسَّـاجْ ... وطُـرُقٌ مِـثْـلُ مُـلاءِ الـنَّـسَّـاجْ

قال ابنُ قُتيبَةَ: «سَجى» بمعنى سَكَنَ، وذلك عند تَناهي ظلامِه ورُكودِه.

والثاني: سَكَنَ الخَلْقُ فيه، ذكره المَاوَرديُّ.

والخامس: امتدَّ ظلامُه، قاله ابنُ الأعْرابي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ وقرأ عمرُ بنُ الخَطَّابِ، وأنسٌ، وعُرْوَةُ، وأبو العاليةِ، وابنُ يَعمُرَ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حاتم عن يعقوبَ «مَا وَدَعَكَ» بتخفيفِ الدال. وهذا جوابُ القَسَم. قال أبو عُبيدَةَ: «ما ودَّعك» مِنَ التوديعِ كما يُودَّعُ المُفارِقُ، و «مَا وَدَعَكَ» مخفَّفةٌ مِنْ ودَعَهُ يدَعُهُ ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: أبغَضَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قال عَطاءٌ، أي خيرٌ لكَ مِنَ الدنيا. وقال غيره: الذي لكَ في الآخرة أعظمُ ممَّا أعطاكَ مِنْ كرامةِ الدنيا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرةِ مِنَ الخير ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ بما تُعطَى. قال عليٌّ

= والطبري ٣٧٥٠٥ والطبراني ١٧١٠ و ١٧١١ وأحمد ٤/ ٣١٢ والبيهقي ٣/ ١٤ من طريقين عن الأسود بن قيس به. وفي الباب أحاديث، وهذا الحديث أصحها إسناداً وأحسنها متناً.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٢٢: وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج أي ساكناً.

والحسَنُ: هو الشفاعةُ في أُمَّتِه حتى يَرضى.

[١٥٤٠] قال ابنُ عباسٍ: عُرِضَ على رسولِ الله ﷺ ما يُفْتَحُ على أُمَّتِه مِنْ بعدِه كَفْراً كَفْراً، فَسُرَّ بذلك، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: جَعلَ لكَ مأوىً إذْ ضَمَّكَ إلى عمِّكَ أبي طالبٍ، فكَفَاكَ المؤونَةَ، قاله مُقاتِلٌ. **والثاني**: جَعلَ لكَ مأوىً لِنفسكَ أغناكَ به عن كَفالَةِ أبي طالبٍ، قاله ابنُ السَّائبِ.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ فيه ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: ضالاً عن معالِمِ النُّبوةِ، وأحكامِ الشريعةِ، فهَدَاكَ إليها، قاله الجمهورُ منهم الحسَنُ، والضَّحَّاكُ. **والثاني**: أنه ضَلَّ وهو صبيٌّ صغيرٌ في شِعابِ مكَّةَ، فَرَدَّه اللَّهُ إلى جدِّهِ عبدِ المُطَّلِبِ، رواه أبو الضُّحَى عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أنه لمَّا خرج مع مَيْسَرَةَ غلامِ خديجةَ أخذَ إبليسُ بزمامِ ناقتِه، فعَدَلَ به عن الطريق، فجاء جِبريلُ، فنَفخَ إبليسَ نفخةً وقع منها إلى الحَبَشةِ، وردَّهُ إلى القافلةِ، فَمَنَّ اللَّهُ عليه بذلك؛ قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ. **والرابع**: أنَّ المعنى: ووَجدَكَ في قومِ ضُلالٍ، فهَداكَ للتوحيد والنُّبوة، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: ووَجدَكَ نَسِيا، فهَداكَ إلى الذِّكرِ. ومثلُه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[1] قاله ثَعلَبٌ. **والسادس**: وَوَجدَكَ خامِلاً لا تُذْكَرُ ولا تُعرَفُ، فهَدى الناسَ إليكَ حتى عَرفُوكَ، قاله عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى، ومحمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذيُّ.

قوله عزَّ و جلَّ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ قال أبو عُبيدَةَ: أي: ذا فَقْرٍ. وأنشد:

وَمَـا يَـدْرِي الـفَـقِـيـرُ مَـتـى غِـنَـاهُ وما يَـدْرِي الـغَـنِـيُّ مَـتـى يَـعِـيْـلُ[2]

أي: يفتقِرُ. قال ابنُ قُتَيبة: العائِلُ: الفقير، كان له عِيالٌ، أو لم يَكُنْ يقال: عَالَ الرجلُ: إذا افتقَرَ. وأعالَ: إذا كَثُرَ عِيالُهُ.

وفي قوله: ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ قولان: **أحدهما**: أرضاكَ بما أعطاكَ مِنَ الرِّزقِ، قاله ابنُ السَّائبِ، واختاره الفَرَّاءُ فقال: لم يكُنْ غِناهُ عن كثرةِ المالِ، ولكنَّ الله رَضَّاه بما آتاهُ. **والثاني**: فأغناكَ بمالِ خديجةَ عن أبي طالبٍ، قاله جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: لا تَحْقِرْ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: لا تَقْهَرْهُ على مالِه، قاله الزَّجَّاجُ.

[١٥٤٠] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٥١٣ من طريق الأوزاعي يحدث عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، وإسناده ضعيف الأوزاعي لم يسمعه من إسماعيل كما يدل على ذلك عبارة الراوي عنه، وكرره ٣٧٥١٤ وفيه رواد بن الجراح ضعيف.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥٧٦ عن ابن عباس مرفوعاً، وإسناده ضعيف فيه معاوية بن أبي العباس مجهول، والموقوف أصح من المرفوع، فالخبر لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٧٤٦ بتخريجنا.

---

(١) البقرة: ٢٨٢.
(٢) البيت لأحيحة بن الجلاح الأوسي، وهو في «جمهرة أشعار العرب» ١٢٥ و «اللسان» ـ عيل ـ.

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: سائِلُ البِرّ، قاله الجمهورُ. والمعنى: إذا جاءكَ السائلُ، فإمَّا أنْ تُعطِيَهُ، وإمَّا أنْ تَرُدَّه ردًّا لَيِّناً. ومعنى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تَنْهَرهُ، يقال: نَهَرهُ وانتَهَرهُ: إذا استَقبلَهُ بكلامٍ يَزجُره. **والثاني**: أنه طالبُ العِلْم، قاله يَحيى بنُ آدمَ في آخرين.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ في النِّعمةِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: النُّبوَّة. **والثاني**: القرآن، رُويا عن مُجاهِدٍ. **والثالث**: أنها عامَّةٌ في جميع الخيراتِ، وهذا قولُ مُقاتِلٍ.

[١٥٤١] وقد رُويَ عن مُجاهِدٍ قال: قرأتُ على ابنِ عباسٍ. فلمَّا بلغتُ «والضُّحى» قال: كَبِّرْ إذا ختمتَ كلَّ سورةٍ حتى تَخْتِمَ. وقرأتُ على أُبيِّ بنِ كَعبٍ فأَمَرني بذلك.

[١٥٤٢] قال عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسَابوريُّ: ويُقال: إنَّ الأصلَ في ذلك أنَّ الوحيَ لمَّا فَتَرَ عن رسولِ الله ﷺ، وقال المشركون: قد هَجَرَهُ شيطانُه ووَدَعَه، اغتمَّ لذلكَ، فلمَّا نزلَ «والضُّحى» كَبَّرَ عند ذلك رسولُ الله ﷺ فَرَحاً بنزولِ الوحي، فاتَّخذَهُ الناسُ سُنَّةً.

[١٥٤١] ضعيف جداً. وله علتان، ابن أبي بزة، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله ضعيف منكر الحديث، وشيخه عكرمة مجهول، لم يرو عنه غيره، ولم يوثقه أحد، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٧/ ١١ من غير جرح أو تعديل، حتى ابن حبان لم يدخله في الثقات. أخرجه الحاكم ٣/ ٣٠٥ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥١٤ والذهبي في «الميزان» ١/ ١٤٥/ ٥٦٤ والبغوي في «التفسير» ٢٣٦٢ بترقيمنا. كلهم من طريق أحمد البزي به. وقال الذهبي في «الميزان» في البزي: إمام في القراءة ثبت، ثم ذكر له حديثاً غير هذا فقال: قال أبو حاتم: هذا حديث باطل. وقال العقيلي: منكر الحديث، وقال أبو حاتم ضعيف الحديث، لا أحدث عنه ـ وقال ابن أبي حاتم: روى حديثاً منكراً. ثم أسند الذهبي هذا الحديث، وقال: هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البزي، قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. وقال العقيلي في «الضعفاء» ١/ ١٢٧: منكر الحديث، يوصل الأحاديث.

قلت: وعكرمة بن سليمان مجهول كما تقدم، لم يوثقه أحمد، ولا روى عنه سوى البزي، وهو ضعيف، فيزيد هذا من جهالته. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٢٠: أحمد البزي ضعفه أبو حاتم، لكن ورد عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال: أحسنت، وأصبت السنة حكاه أبو شامة المقدسي، في «شرح الشاطبية»، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. كذا قال رحمه الله؟!! ولعل هذا لا يصح عن الشافعي، فإن خبراً واهياً، لا يصلح للاحتجاج به، وبخاصة إدخال شيء في الصلاة، ليس منها، والدليل على عدم صحته عن الشافعي، أنه ليس في مذهب الشافعية تكبير في الصلاة عند الانتقال من سورة إلى سورة بعد الضحى، والأشبه أن هذه السنة هي سنة عكرمة بن سليمان ذاك الشيخ المجهول، فحملها عنه البزي، ثم حملها عنه آخرون. ولو ثبت هذا عند الشافعي لرواه في المسند أو السنن أو الأم، بل لو صح هذا لرواه الأئمة الستة وغيرهم لاشتهاره، والصواب أن هذا سنة شيخ مجهول، والله أعلم.

والخلاصة: الإسناد ضعيف، والمتن منكر كما قال أبو حاتم وغيره، وهذا مما ينبغي أن يشتهر لو صح، فلما لم يرو إلا بهذا الطريق علم أنه شبه موضوع.

[١٥٤٢] تقدم أن هذا الحديث صحيح دون ذكر التكبير، انظر الحديث رقم ١٥٣٩ ولا أصل له بهذا اللفظ ـ قال ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٢١: لم يرو ذلك بإسناد وقد مضى في الذي قبله، الكلام على التكبير مما يغني عن الإعادة هنا.

سُورَةُ الشَّرْح

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشَّرْحُ: الفتحُ بإذهاب ما يَصُدُّ عن الإدراك. والله تعالى فَتَحَ صدرَ نبيِّه للهدى والمعرفة بإذهاب الشَّواغلِ التي تصدُّ[١] عن إدراك الحقِّ. ومعنى هذا الاستفهام التقريرُ، أي: فعلنا ذلك[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: حَطَطْنا عنكَ إثْمَكَ الذي سَلَفَ في الجاهلية، قاله ابنُ عباس، والحسَنُ، وقَتادةُ، والضَّحَّاكُ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيبةَ في آخرين. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: أنه غَفرَ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبه وما تأخر. قال ابنُ قُتيبةَ: وأصل الوِزْر: ما حمله الإنسانُ على ظهره، فَشُبِّه بالحِمْلِ فجُعِلَ مكانَه. وبمعنى ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أثقلَهُ حتى سمع نقيضَه، أي: صوتَه. وهذا مَثَلٌ، يعني: أنه لو كان حملاً يُحمل لَسُمِع نقيضُ الظَّهْرِ منه. وذهب قومٌ إلى أنَّ المراد بهذا تخفيفُ أعباءِ النُّبوة التي يُثْقِلُ القيامُ بها الظَّهْرَ، فَسَهَّلَ اللَّهُ له ذلك حتى تيسَّرَ عليه الأمر. وممن ذهب إلى هذا عبدُ العزيزِ بنُ يَحيى.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

[١٥٤٣] **أحدها**: ما روى أبو سعيدِ الخُدْريُّ عن رسول الله ﷺ أنه سأل جِبريلَ عن هذه الآية،

[١٥٤٣] ضعيف. أخرجه أبو يعلى ١٣٨٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/٥١٦ من طريق ابن لهيعة به. وإسناده واهٍ، فيه =

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٢٤ ـ ٦٢٥: يقول تعالى: **﴿ألم نشرح لك صدرك﴾**، يعني أما شرحنا لك صدرك؟ أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً، كقوله: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

(٢) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٣٣: والصواب من القول في ذلك عندنا، قول من قال: التين: هو التين الذي يؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك معروف عند العرب، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون، والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهباً، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك، دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه، لأن دمشق هي منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون.

فقال: قال الله عزَّ وجلَّ: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي. قال قَتادةُ: فليس خطيبٌ، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحبُ صلاةٍ إلاَّ يقول: أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله، وهذا قولُ الجمهور.

والثاني: رَفعنا لكَ ذِكْرَكَ بالنُّبوة، قاله يَحيى بنُ سَلام. **والثالث**: رَفعنا لكَ ذِكْركَ في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه المَاوَرديُّ. **والرابع**: رَفعنا لكَ ذِكْركَ عند الملائكة في السماء. **والخامس**: بأخذِ الميثاقِ لكَ على الأنبياء، وإلزامِهم الإيمانَ بكَ، والإقرارَ بفَضْلِكَ، حكاهما الثَّعلَبيُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ضمَّ سينَ «العُسر» وسينَ «اليُسر» أبو جعفرَ و «العُسر» مذكورٌ في الآيتين بلفظِ التعريف. و «اليُسر» مذكورٌ بلفظِ التنكير، فدلَّ على أنَّ العُسرَ واحدٌ، واليُسرَ اثنان. قال ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ في هذه الآية: لن يَغلِبَ عُسْرٌ يُسْرين. قال الفَرَّاءُ: العرب إذا ذَكَرَتْ نَكِرَةً ثم أعادَتها بنكرةٍ صارت اثنتين، كقولكَ: إذا كَسبتَ دِرهماً فأنفِقْ دِرهماً، فالثاني غيرُ الأولِ، وإذا أعادَتْها معرفةً، فهي مِنْ قولكَ: إذا كَسبتَ دِرهماً فأنفِقِ الدِّرهَمَ، فالثاني هو الأول. ونحوَ هذا قال الزَّجَّاجُ: ذَكَرَ العُسْر بالألفِ واللامِ، ثم ثَنَّى ذِكْرَه، فصار المعنى: إنَّ مع العُسرِ يُسْرَين. وقال الحُسَينُ بنُ يَحيى الجُرجانيُّ ـ ويُقال له: صَاحبُ النَّظْم ـ: معنى الكلام: لا يَحزُنْكَ ما يُعَيِّرُكَ به المشركون مِنَ الفقر «فإنَّ مع العُسر يُسراً» عاجلاً في الدنيا، فأنجزَه بما وَعدَه اللَّهُ، بما فَتحَ عليه، ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال: «إنَّ مع العُسر يُسراً» والدليل على ابتدائه تعرِّيه من الفاء والواو، وهو وَعدٌ لجميع المؤمنين أي إنَّ مع عُسرِ المؤمنين يُسراً في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يَغلبَ عُسرٌ يُسْرَين: لن يَغلِبَ عُسرُ الدنيا اليُسرَ الذي وَعدَهُ اللَّهُ المؤمنين في الدنيا، واليُسرُ الذي وعدهم في الآخرة، إنما يَغلبُ أحدَهما، وهو يُسْرُ الدنيا. فأمَّا يُسْرُ الآخرة، فدائمٌ لا ينقطع، كقوله ﷺ:

[١٥٤٤] «شهرا عيدٍ لا يَنقُصان»، أي: لا يجتمعانِ في النَّقْصِ. وحُكِيَ عن العتبي قال: كنتُ ذاتَ ليلةٍ في البادية بحالةٍ مِنَ الغَمِّ، فأُلقِيَ في رَوعِي بيتٌ مِنَ الشعر، فقلتُ:

أَرَى المَوْتَ لِمَنْ أَصْبَـ ... ـحَ مَغْمُوماً لَهُ أَرْوَحْ

فلمَّا جَنَّ الليلُ سمعتُ هاتِفاً يهتِفُ:

أَلا يَا أَيُّهَا المَرءُ الْـ ... ـذِي الهَمُّ بِهِ بَرَّحْ
وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْتاً لَمْ ... يَزَلْ فِي فِكْرِهِ يَسْبَحْ
إذا اشتَدَّ بِكَ العُسْرُ ... فَفَكِّرْ فِي «أَلَمْ نَشْرَحْ»
فَعُسْرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ ... إذا أَبْصَرْتَهُ فَافْرَحْ

فحفظتُ الأبياتَ وفَرَّجَ اللَّهُ غَمِّي.

= ابن لهيعة ضعيف، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف أيضاً. وأخرجه الطبري ٣٧٥٣٢ وابن حبان ٣٣٨٢ من طريق عمرو بن الحارث عن دراج به. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٢٤٥ وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن. كذا قال؟! مع أن في إسناد أبي يعلى ابن لهيعة، ودراج.

[١٥٤٤] صحيح. أخرجه البخاري ١٩١٢ ومسلم ١٠٨٩ وأبو داود ٢٣٢٣ والترمذي ٦٩٢ وابن ماجه ١٦٥٩ وأحمد ٥/ ٣٨ و ٤٧ و ٤٨ والطيالسي ٨٦٣ والطحاوي ٢/ ٥٨ وابن حبان ٣٢٥ والبيهقي ٤/ ٢٥٠ من طرق عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعاً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ أي: فاذأَبْ في العمل، وهو مِنَ النَّصَبِ، والنَّصَبُ: التعبُ، الدُّؤوبُ في العمل. وفي معنى الكلام ستةُ أقوالٍ **أحدها**: فإذا فَرَغتَ مِنَ الفرائض فانْصَبْ في قيامِ الليل، قاله ابنُ مسعودٍ. **والثاني**: فإذا فَرَغتَ مِنَ الصلاة فانْصَبْ في الدعاءِ، قاله ابنُ عباسٍ، والضَّحّاكُ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: فإذا فَرَغتَ مِنْ جهالةِ عدوِّكَ فانْصَبْ لعبادة ربِّكَ، قاله الحسَنُ وقَتادَةُ. **والرابع**: فإذا فَرَغتَ مِنْ أمرِ دُنياكَ فانْصَبْ في عمل آخرتِكَ، قاله مُجاهِدٌ. **والخامس**: فإذا فَرَغتَ مِنَ التشهُّد فادْعُ لدُنياكَ وآخرتِكَ، قاله الشَّعْبيُّ والزُّهريُّ. **والسادس**: إذا صَحَّ بدنُكَ فاجعلْ صحتَكَ نَصباً في العبادةِ، ذكره عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ.

قوله ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ قال الزَّجّاجُ: اجعَلْ رغبتَكَ إلى الله عزَّ وجلَّ وحدَهُ.

سورة التين

ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكّيَّةٌ، قاله الجمهور، منهم الحسَنُ، وعَطاءٌ. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، حكاه المَاوَرديُّ عن ابنِ عباسٍ، وقتادةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فيها سبعةُ أقوالٍ[(١)]: **أحدها**: أنه التينُ المعروف، والزيتونُ المعروف، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعَطاءٌ، ومُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وإبراهيمُ. وذَكَرَ بعضُ المفسِّرين أنه إنما أقسَمَ بالتين لأنها فاكهةٌ مُخَلَّصةٌ مِنْ شائبِ التَّنغيصِ، وهو يدل على قدرةِ مَنْ هيَّأه على تلك الصفة، وجعلَ الواحدَ منه على مقدارِ اللُّقمةِ، وإنما أقسَمَ بالزيتون لِكثرةِ الانتفاعِ به. **والثاني**: أنَّ التينَ: مسجدُ نُوحٍ الذي بُني على الجُودِي. والزيتونَ: بيتُ المَقدسِ، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: التينُ: المسجدُ الحرامُ، والزيتونُ: المسجدُ الأقصى، قاله الضَّحَّاكُ. **والرابع**: التينُ: مسجدُ دمشقَ، والزيتونُ: بيتُ المَقدِسِ، قاله كَعْبٌ، وقَتادةُ، وابنُ زيدٍ. **والخامس**: أنهما جبلانِ، قاله عِكرمَةُ في روايةٍ. ورُوِيَ عن قَتادةَ قال: التينُ: الجبلُ الذي عليه دمشقُ، والزيتونُ: الجبلُ الذي عليه بيتُ المَقدسِ. **والسادس**: أنَّ التينَ: مسجدُ أصحابِ الكَهفِ، والزيتونَ: مسجدُ إيلْيَاءَ، قاله القُرَظيُّ. **والسابع**: أنَّ التينَ: جبالُ ما بين حُلْوانَ إلى هَمَذانَ، والزيتونَ: جبالُ الشام، حكاه الفَرَّاءُ. فأمَّا ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ فالطُّورُ: جبلٌ. وفيه قولان[(٢)]: **أحدهما**: أنه الجبلُ الذي كَلَّمَ اللَّهُ موسى عليه، قاله كَعْبُ الأحبارِ في الأكثرين. **والثاني**: أنه جبلٌ بالشام، قاله قَتادةُ.

فأمَّا ﴿سِينِينَ﴾ فهو لُغةٌ في سَيْناءَ. وقد قرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وأبو العاليةِ، وأبو مِجْلَزٍ «وطور سَيناء» ممدودةً مهموزةً، مفتوحةَ السين. وقرأ ابنُ مسعودٍ،

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٣٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطول هو جبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال: معناه: حسن أو مبارك لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علة تدعو إلى ذلك.

وأبو الدَّرْداءِ، وأبو حَيْوَةَ «وطور سِيناء» مثلَهم إلاّ أنهم كَسَروا السين. وقرأ أبو رَجاءٍ، والجَحْدَرِيُّ «سَينين» كما في القرآن، لكنَّهما فَتَحا السينَ. وقال ابنُ الأنباري: «سِينِين» هو سَيناءُ.

واختلفوا في معناه؛ فقيل: معناه: الحَسَنُ. وقيل: المُبارَكُ. وقيل: إنه اسمٌ للشجر الذي حولَه. وقد شرحنا هذا في سُورَةِ المؤمنون[1] قال الزَّجّاجُ: وقد قُرِىَء ها هنا «وطور سَيْناء» وهو أشبَهُ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾. وقال مُقاتِلٌ: كلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مثمرٌ فهو سِينِينَ، وسَيناء بلُغةِ النَّبَطِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ يعني: مكَّةَ يأمَنُ فيه الخائفُ في الجاهلية، والإسلام[2]. قال الفَرَّاءُ: ومعنى «الأمين» الآمِنُ. والعرب تقول للآمِن: أَمِينٌ.

قال الشاعر:

أَلَمْ تَعْلَمي يا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّني حَلَفْتُ يَميناً لا أَخُونُ أَمِيني

يريد آمِني.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هذا جوابُ القَسَم. وفي المراد بالإنسان ها هنا خمسةُ أقوالٍ[3]: **أحدها**: أنه كَلَدَةُ بنُ أَسِيدٍ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الوليدُ بنُ المُغيرةِ، قاله عَطاءٌ. **والثالث**: أبو جَهلِ بنُ هشام. **والرابع**: عُتْبةُ، وشَيْبةُ، حكاهما المَاوَرديُّ. **والخامس**: أنه اسمُ جنسٍ، وهذا مذهب كثيرٍ مِنَ المُفَسِّرين، وهو معنى قولِ مُقاتِلٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[4]: **أحدها**: في أعدلِ خَلْقٍ. **والثاني**: مُنْتَصِبُ القامةِ، رُوِيا عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: في أحسنِ صورةٍ، قاله أبو العاليةِ. **والرابع**: في شبابٍ وقوةٍ، قاله عِكرِمَةُ.

قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ فيه قولان[5][4]: **أحدهما**: إلى أرذَلِ العُمُرِ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عِكرِمَةُ، وإبراهيمُ، وقَتادَةُ. وقال الضَّحَّاكُ: إلى الهَرِمِ بعد الشباب، والضَّعفِ بعد

---

(١) المؤمنون: ٢٠.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٢٨: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأولى محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى عليه السلام والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام والثالث: مكة: وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ.

(٣) والقول الخامس هو الصواب: أنه اسم جنس ولم يكن المراد منه إنسان باسمه.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٣٨: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن معنى ذلك. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، لأن قوله: **﴿أحسن تقويم﴾** إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.

(٥) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٢٨: **﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾** أي: إلى أرذل العمر. روي هذا عن ابن عباس وعكرمة، واختاره ابن جرير الطبري ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم إنما المراد **﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾** أي إلى النار، كقوله **﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذي آمنوا وعملوا الصالحات﴾**.

القوّة. والسَّافِلُون: هم الضعفاءُ، والزَّمْنَى، والأطفالُ، والشيخُ الكبيرُ أسفَل هؤلاءِ جميعاً، قال الفَرَّاءُ: وإنما قال: «سافِلِين» على الجمع، لأنَّ الإنسانَ في معنى جمعٍ. تقول: هذا أفضلُ قائمٍ، ولا تقول: قائِمِين، لأنكَ تريدُ واحداً، فإذا لم تُرِدْ واحداً ذَكَرتَه بالتوحيد وبالجمع. **والثاني**: إلى النَّار، قاله الحسَنُ، وأبو العاليةِ، ومُجاهِدٌ. والمعنى: إنَّا نفعل هذا بكثيرٍ مِنَ الناس. تقول العرب: أنفقَ فلانٌ مالَهُ على فُلانٍ، وإنما أنفقَ بعضَه، ومثلُه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[1] لم يُرِدْ كُلَّ ماله. ثم استثنى مِنَ الإنسان فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأنَّ معنى الإنسان الكثير. وللمُفسِّرين في معنى الاستثناء قولان: **أحدهما**: إلاَّ الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّونَ إلى الخَرَفِ، وأَرْذَلِ العُمرِ وإنْ عُمِّروا طويلاً، وهذا على القولِ الأولِ. قال ابنُ عباسٍ: مَنْ قرأ القرآنَ لم يُرَدَّ إلى أرْذَلِ العُمرِ. وقال إبراهيمُ النَّخعيُّ: إذا بَلغَ المؤمنُ مِنَ الكِبَر ما يعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعملُ، وهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وقال ابنُ قُتَيبَة: المعنى: إلاَّ الذين آمنوا في وقتِ القوَّة والقدرةِ، فإنهم في حالِ الكِبَر غيرُ مَنْقوصِين وإنْ عَجِزوا عن الطاعاتِ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ يعلم أنه لو لم يَسْلبْهُم القوَّةَ لم ينقطعوا عن أفعالِ الخير، فهو يُجري لهم أجرَ ذلك. **والثاني**: إلاَّ الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النَّارِ. وهذا على القولِ الثاني. وقد شرحنا معنى «المَمْنُون» في «نٓ»[2].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: فما يُكذِّبكَ أيُّها الإنسانُ بعدَ هذه الحُجَّةِ «بالدِّين» أي: ما الذي يَجعلُكَ مُكذِّباً بالجزاء؟!، وهذا توبيخٌ للكافر، وهو معنى قولِ مُقاتِلٍ. وزعم أنها نزلت في عَدِيِّ بن رَبيعَةَ. **والثاني**: فمَنْ يَقدِرُ على تكذيبِكَ بالثواب والعقاب بعدما تبيَّنَ له خَلْقُنا الإنسانَ على ما وَصَفنا، قاله الفَرَّاءُ. فأمَّا «الدِّين» فهو الجزاءُ. والمُشارُ إليه بذكره إلى البَعثِ، كأنه استدلَّ بتَقلُّبِ الأحوال على البَعثِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: بأقضى القاضِين. قال مُقاتِلٌ: يحكم بينكَ وبين مُكذِّبيكَ. وذكر بعضُ المُفسِّرين: أنَّ معنى هذه الآية تسليتُه في تَرْكِهم والإعراضِ عنهم. ثم نُسِخَ هذا المعنى بآيةِ السيف.

---

(١) الليل: ١٨.
(٢) نٓ: ٣.

سُورَةُ العَلَقِ

ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

وتُسمَّى: سُورَة القَلَم، وسُورَة اقرأ، وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم. وهي أولُ ما نزل مِنَ القرآن. وقيل: إنما أُنزِلَ عليه في أولِ الوحي خمسُ آياتٍ منها، ثم نَزلَ باقيها في أبي جَهْلٍ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ قرأ أبو جعفرَ بتخفيف الهمزة في الحرفين. قال أبو عُبيدَة: المعنى: «اقرأ اسمَ ربِّكَ» والباءُ زائدةٌ.

وقال المُفسِّرون: المعنى: اذكر اسمَهُ مُستَفْتِحاً به قراءَتَك. وإنما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ لأنَّ الكفار كانوا يعلمون أنه الخالقُ دونَ أصنامِهم. والإنسانُ هاهنا: ابنُ آدمَ. والعَلَقُ: جمعُ عَلَقةٍ، وقد بيَّنَّاها في سُورَةِ الحَجِّ[1] قال الفرَّاءُ: لمَّا كان الإنسانُ في معنى الجمع جمعَ العَلَقَ مع مُشاكَلةِ رؤوسِ الآياتِ..

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ تكريرٌ للتأكيد. ثم استأنَفَ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ قال الخَطَّابيُّ: الأكرَمُ: الذي لا يُوازِيهِ كريمٌ، ولا يُعادِلُه في الكَرَم نظيرٌ. وقد يكون الأكرَمُ بمعنى الكريم، كما جاء الأعَزُّ والأَطْوَلُ، بمعنى العزيزِ والطَّويلِ. وقد سبقَ تفسيرُ الكريم.

قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ أي: عَلَّمَ الإنسانَ الكتابةَ بالقلمِ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ مِنَ الخَطِّ، والصَّنائعِ، وغيرِ ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمَّدٌ ﷺ.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّآ﴾ أي: حقّاً. وقال مُقاتِلٌ: ﴿كَلَّآ﴾ لا يعلَمُ أنَّ الله عَلَّمَهُ. ثم استأنف فقال

(١) مضى في أول سورة الحج.

عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ يعني: أبا جَهْلٍ. وكان إذا أصاب مالاً أَشِرَ وبَطِرَ في ثيابه، ومراكِبه، وطعامِه قوله: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ قال ابنُ قُتيبة: أي: أنْ رأى نَفْسَه استغنى. و «الرُّجعى» المَرجعُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ معنى: أرأيتَ: تَعجيبُ المُخاطَبِ، وإنما كرَّرها للتأكيد والتَّعجيبِ. والمراد بالناهي هاهنا: أبو جَهْلٍ.

[١٥٤٥] قال أبو هُريرَةَ: قال أبو جَهْلٍ: هل يُعفِّرُ محمَّدٌ وَجْهَه بين أظْهرِكم؟ قالوا: نعم. قال: فبالَّذي يَحلِفُ به لَئِنْ رأيتُه يفعلُ ذلك لأطَأنَّ على رقبتِه. فقال له: ها هو ذاكَ يُصلِّي. فانطلَقَ لِيَطأَ على رَقبتَه، فما فَجَأَهُم إلاَّ وهو يَنْكِصُ على عَقِبَيْهِ، ويتَّقي بيديه، فأتَوْه، فقالوا: ما لكَ يا أبا الحَكَمِ؟ فقال: إنَّ بيني وبينَه خندقاً مِنْ نارٍ، وهَولاً وأجْنِحَةً. وقال نبيُّ الله ﷺ: «والذي نَفْسي بيدِه لو دَنا منِّي لاخْتطَفَتْهُ الملائكةُ عُضواً عُضواً»، فأنزلَ الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ إلى آخرِ السُّورة.

[١٥٤٦] وقال ابنُ عباسٍ: كان النبيُّ ﷺ يُصلي، فجاء أبو جَهْلٍ فقال: أَلَمْ أنْهَكَ عن هذا؟! فانصرفَ إليه النبيُّ ﷺ فزَبَرَه[١]، فقال أبو جَهْلٍ: واللهِ إنكَ لَتَعلَمُ ما بها نادٍ أكثرُ منِّي، فأنزلَ الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: واللهِ لو دَعا نادِيَهُ لأَخَذَتْهُ زَبانِيَةُ اللهِ.

قال المُفسِّرون: والمراد بالعبد هاهنا: محمَّدٌ ﷺ. وقيل: كانت الصلاةُ صلاةَ الظُّهرِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني المَنْهِيَ وهو النبيُّ ﷺ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعني: النَّاهي، وهو أبو جَهْلٍ، قال الفَرَّاءُ: والمعنى: أَرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلَّى، وهو كاذبٌ مُتولٍّ عن الذِّكرِ، وأيُّ شيءٍ أعجبُ مِنْ هذا؟! وقال ابنُ الأنباري: تقديره: أرأيتَه مُصيباً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ يعني أبا جهلٍ ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ذلك فيُجازيَهُ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يعلمُ ذلك ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عن تكذيبِ محمَّدٍ وشَتْمِه وإيذائِه ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ السَّفْعُ: الأَخْذُ، والنَّاصِيةُ: مُقدَّمُ شعرِ الرأسِ. قال أبو عُبيدَةَ: يقال: سَفعتُ بيده، أي: أَخذتُ بها. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: سَفعتُ بالشيءِ: إذا قَبضتُ عليه وجَذَبْتُهُ جَذْباً شديداً. والمعنى: لَنَجُرَّنَّ ناصيتَه إلى النَّارِ.

[١٥٤٥] صحيح. أخرجه مسلم ٢٧٩٧ والبغوي في «التفسير» ٢٣٧٢ من طريق عبيد الله بن معاذ ومحمد بن الأعلى القيسي من حديث أبي هريرة.
وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٦٨٣ وأحمد ٢/ ٣٧٠ وابن حبان ٦٥٧١ والبيهقي ٢/ ١٩ وأبو نعيم في «الدلائل» ١٥٨ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٢٩ من طرق عن معتمر بن سليمان به. وأخرجه الطبري ٣٧٦٨٧ من طريق ابن ثور عن أبيه عن نعيم بن أبي هند به.
[١٥٤٦] صحيح. أخرجه البخاري ٤٩٥٨ وعبد الرزاق في «التفسير» ٣٦٦٠ والطبري ٣٧٦٨٩ من حديث ابن عباس.

---

(١) فزبره: نهره وأغلظ عليه. قلت: وما زالت هذه الآية التي نزلت في شأن أبي جهل مستمرة شاملة لكل من يمنع الصلاة بأي شكل من الأشكال، سواء كانت بالقوة، أو بمجرد تخويف، أو تهديد وسواء كان في الأماكن العامة أو بالأماكن الخاصة، وسواء كان مباشر، أو بصورة غير مباشرة، فهؤلاء كلهم آباء جهل وهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة إذ لا يعبدون الله، وإذا عبدوا كانوا يراؤون الناس، ومع ذلك يصدون عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. نسأل الله السلامة، وحسن الختام.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ قال أبو عُبيدَةَ: هي بدلٌ، فلذلك جرَّها. قال الزَّجّاجُ: والمعنى: بناصيةٍ صاحبُها كاذبٌ خاطِئٌ، كما يُقال: نَهارهُ صائمٌ، ولَيلُه قائمٌ، أي: هو صائمٌ في نهارِه، قائمٌ في ليلِه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهلَ ناديهِ، وهم أهلُ مجلِسه فَلْيستَنْصِرهم ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ قال عَطاءٌ: هم الملائكةُ الغِلاظُ الشِّدادُ، وقال مُقاتِلٌ: هم خَزَنَةُ جهنَّمَ. وقال قَتادَةُ: الزَّبانيةُ في كلام العرب: الشُّرَطُ. قال الفَرَّاءُ: كان الكِسَائيُّ يقول: لم أسمَعْ للزَّبانيةِ بواحدٍ، ثم قال بأَخَرَةٍ: واحدُ الزَّبانيةِ: زِبْنِيٌّ، فلا أدري أقِياساً منه أو سَمَاعاً. وقال أبو عُبيدَةَ: واحدُ الزَّبانيَةِ: زِبْنِيَة، وهو كلُّ مُتمرِّدٍ مِنْ إنسٍ، أو جانٍ. يُقال: فلانٌ زِبْنِيَة عِفرِيَة. قال ابنُ قُتَيبَةَ: وهو مَأخوذٌ مِنَ الزَّبْنِ، وهو الدَّفْعُ، كأنهم يَدفعون أهلَ النَّارِ إليها. وقال ابنُ دُرَيدٍ: الزَّبْن: الدَّفع. يقال: ناقةٌ زَبُونٌ: إذا زَبَنَتْ حالِبَها. ودَفعتْهُ بِرجْلِها. وتَزابَنَ القومُ: تَدارَؤُوا. واشتقاقُ الزَّبانيَةِ مِنَ الزَّبْنِ. واللهُ أعلَمُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمرُ على ما عليه أبو جَهلٍ ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في تركِ الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ﴾ أي: صَلِّ للهِ ﴿وَٱقْتَرِب﴾ إليه بالطاعة، وهذا قولُ الجمهور أنَّ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱقْتَرِب﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ. وقد قيلَ: إنه خِطابٌ لأبي جَهلٍ: ثم فيه قولان: **أحدهما**: أن المعنى: اسجُدْ أنتَ يا محمَّدُ، واقتَرِبْ أنتَ يا أبا جَهْلٍ إلى النَّار، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ. **والثاني**: واقتَرِبْ يا أبا جَهْلٍ تَهَدُّداً له، رواه أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ عن بعضِ القُدَماء وهذا يشرحه حديثُ أبي هُريرَةَ الذي قدَّمناه.

[١٥٤٧] ورَوى أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أقربُ ما يكون العبدُ مِنْ ربِّه وهو ساجدٌ فأكثِرُوا الدُّعاءَ».

[١٥٤٧] صحيح. أخرجه مسلم ٤٨٢ والنسائي ٢/ ٢٢٦ وأحمد ٢/ ٤٢١ وأبو يعلى ٦٦٥٨ وابن حبان ١٩٢٨ وأبو عوانة ٢/ ١٨٠ والبيهقي ٢/ ١١٠ من طرق عن ابن وهب به. من حديث أبي هريرة. وأخرجه أبو داود ٨٧٥ عن أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو، ومحمد بن سلمة به. وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٦٥٩ وفي «التفسير» ٢٣٧٣ من طريق أبي داود سليمان بن الأشعث به.

سُورَةُ القَدْرِ

ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الضَّحَّاكُ، ومُقاتِلٌ. قال المَاوَرديُّ: الأول قول الأكثرين. وقال الثَّعلَبيُّ: الثاني قولُ الأكثرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ وذلك أنه أُنزِلَ جُملةً في تلك الليلةِ إلى بيتِ العِزَّة، وهو بيتٌ في السماء الدنيا. وقد ذكرنا هذا الحديثَ في أولِ كتابِنا. والهاء في «إنا أنزلناه» كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ. وقال الزَّجَّاجُ: قد جرى ذِكرُه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾.

فأمَّا ﴿لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ﴾ ففي تسمِيَتِها بذلك خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ القَدْرَ: العَظَمةُ، مِنْ قولك: لِفلانٍ قَدْرٌ، قاله الزُّهريُّ. ويشهد له قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1]. **والثاني**: أنه مِنَ الضِّيقِ، أي: هي ليلةٌ تضيقُ فيها الأرض عن الملائكةِ الذين ينزلون، قاله الخليلُ بنُ أحمدَ، ويَشهدُ له قولُه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[2]. **والثالث**: أنَّ القَدْرَ: الحُكمُ كأن الأشياء يقدَّرُ فيها، قاله ابنُ قُتَيبة. **والرابع**: لأنَّ مَنْ لم يكن له قَدْرٌ صار بمُراعاتِها ذا قَدْرٍ، قاله أبو بكرٍ الوَرَّاقُ. **والخامس**: لأنه نزل فيها كتابٌ ذُو قَدْرٍ، وتنزل فيها رحمةٌ ذاتُ قَدْرٍ، وملائكةٌ ذُوو قَدْرٍ، حكاه شيخنا عليُّ بنُ عُبيدِ الله.

فصل[3]: اختلف العلماء هل ليلةُ القَدْرِ باقيةٌ، أَمْ كانت في زمن النبيِّ ﷺ خاصَّةً؟ والصحيح بقاؤها.

(١) الأنعام: ٩١، والزمر: ٦٧. (٢) الطلاق: ٧.

(٣) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/٤٣٣، في الصحيح فيها وترجيح سبل النظر الموصلة إلى الحق منها: أنا نقول: إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿**ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ فأفاد هذا بمطلقه، لو لم يكن كلام سواه، أنها في العام كله، لقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ فأنبأنا الله أنه أنزله في ليلة من العام، فقلنا: من يقم الحول يصب ليلة القدر، ثم نظرنا إلى قوله ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ فأفادنا ذلك أن تلك الليلة هي من شهر رمضان، ثم أخبر في الصحيح أنها في العشر الأواخر، وتواطأت روايات الصحابة على أنها في العشر الأواخر، وخبأها عن التعيين ليكون ذلك أبرك على الأمة في القيام في طلبها شهراً أو أياماً، فيحصل مع ليلة القدر ثواب غيرها، فهذه سبل النظر المجتمعة من القرآن والحديث أجمع ـ على ما سيأتي ـ فتبصروها لمماً، واسلكوها أمماً إن شاء الله.

وهل هي في جميع السَّنَةِ، أم في رمضانَ؟ وفيه قولان: **أحدهما**: في رمضانَ، قاله الجمهور **والثاني**: في جميعِ السَّنةِ، قاله ابنُ مسعودٍ.

واختلف القائلون بأنها في شهرِ رمضانَ هل تختصُّ ببعضِه دونَ بعضٍ؟ على قولين: **أحدهما**: أنها في العَشرِ الأواخرِ، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديثِ الصِّحاح تدلُّ عليه.

[١٥٤٨] وقد رَوى البُخاريُّ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الْتَمِسُوها في العَشرِ الأواخِرِ مِنْ رمضانَ، في تاسعةٍ تبقى، أو سابعةٍ تبقى؛ أو في خامسةٍ تبقى».

[١٥٤٩] وفي حديثِ أبي بَكْرَةَ قال: ما أنا بمُلْتَمِسها لشيءٍ سمعتُه مِنْ رسول الله ﷺ، إلاّ في العَشرِ الأواخرِ، فإني سمعتُه يقول: «الْتَمِسُوها في تسعٍ يبقَيْنَ، أو سبعٍ يبقَيْنَ، أو خمسٍ يبقَيْنَ، أو ثلاثٍ يبقين، أو آخِرِ ليلةٍ».

والقول الثاني: أنها في جميع رمضانَ، قاله الحَسنُ البَصْريُّ.

واختلف القائلون بأنها في العَشرِ الأواخر هل تختصُّ لياليَ الوِترِ دونَ الشَّفْعِ؟ على قولين:

أحدهما: أنها تختصُّ الأفرادَ، قاله الجمهور. والأحاديثُ الصِّحاح كلُّها تدلُّ عليه.

[١٥٥٠] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي سعيدٍ الخُدْري عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ابتغُوها في العشرِ الأواخرِ في الوِترِ منها».

والثاني: أنها تكون في الشَّفْعِ كما تكون في الوِترِ، قاله الحَسَنُ. ورُوِيَ عن الحسَنِ ومالكِ بن أنسٍ قالا: هي ليلةُ ثماني عشرةَ.

واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخصِّ الليالي بها على خمسةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الأخصَّ بها ليلةُ إحدى وعشرين.

[١٥٥١] فرَوى البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث أبي سعيدٍ الخُدْري قال: اعتَكَفَ

[١٥٤٨] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢١ من حديث ابن عباس ولم أره بهذا اللفظ لا في الموطأ ولا في مسلم.
ـ وانظر الحديث الآتي عن أبي سعيد الخدري.

[١٥٤٩] صحيح. أخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦ من طريق عبد الله بن حامد بهذا الإسناد. وأخرجه الترمذي ٧٩٤ والحاكم ١/ ٤٣٨ وأحمد ٥/ ٣٦ و ٣٩ و ٤٠ وابن خزيمة ٢١٧٥ والطيالسي ٨٨١ والبيهقي في «الشعب» ٣٦٨١ من حديث أبي بكرة، وإسناده صحيح.

[١٥٥٠] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠٢٧ وأبو داود ١٣٨٢ وابن خزيمة ٢٢٤٣ وابن حبان ٣٦٧٣ والبيهقي ٤/ ٣٠٩ من طرق عن مالك به. من حديث أبي سعيد. وأخرجه البخاري ٢٠١٨ من طريق ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد به. وأخرجه مسلم ١١٦٧ ح ٢١٥ وابن خزيمة ٢١٧١ وابن حبان ٣٦٨٤ والبيهقي ٤/ ٣١٤ ـ ٣٠٥ من طريق عمارة بن غزية، عن محمد بن إبراهيم به. وأخرجه البخاري ٢٠٤٠ وأحمد ٣/ ٧ و ٢٤ والحميدي ٧٥٦ من طرق عن أبي سلمة به. وأخرجه البخاري ٦٦٩ و ٨١٣ و ٢٠١٦ ومسلم ١١٦٧ ح ٢١٦ وأحمد ٣/ ٦٠ و ٧٤ و ٩٤ والطيالسي ٣١٨٧ وعبد الرزاق ٨٦٨٥ وابن أبي شيبة ٣/ ٧٦ ـ ٧٧ ـ وابن حبان ٣٦٨٥ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة. وأخرجه مالك ١/ ٣١٩ والبغوي في «شرح السنة» ١٨١٩ عن يزيد بن عبد الله به.

[١٥٥١] هو الحديث المتقدم ١٥٥٠.

رسولُ الله ﷺ العشرَ الأوسطَ واعتكفنا معه، فلمَّا أصبَحنا صبيحةَ عشرينَ رَجعَ، ورَجعنا معه، وأُرِيَ ليلةَ القَدْرِ، ثم أُنسِيها، فقال: «إنِّي رأيتُ ليلةَ القَدْرِ، ثم أُنسِيتُها وأُرَاني أَسجُدُ في ماءٍ وطينٍ، فمَنِ اعتكَفَ فليَرْجِعْ إلى مُعتكَفِه، وهاجَتْ علينا السماءُ آخرَ تلك العَشِيَّةِ، وكان سَقْفُ المسجدِ عَرِيْشاً مِنْ جَريدٍ، فوَكَفَ المسجدُ فوَالذي هو أكرَمَه، وأنزلَ عليه الكتابَ لَرَأيْتُه يصلي بنا المَغربَ ليلةَ إحدى وعشرين، وإنَّ جبهتَه وأرْنَبَةَ أنفِه لَفي الماءِ والطينِ، وهذا مذهبُ الشَّافعي.

والثاني: أنَّ الأخصَّ بها ليلةُ ثلاثٍ وعشرين.

[١٥٥٢] ورَوى أبو هُريرَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ليلةَ ثلاثٍ وعشرين: «اطلُبوها الليلةَ».

[١٥٥٣] ورَوى ابنُ عمرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ كان منكم يريدُ أنْ يقومَ مِنَ الشهر شيئاً فَلْيَقُم ليلةَ ثلاثٍ وعشرين».

[١٥٥٤] ورَوى مسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث عبدِ الله بنِ أُنَيسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ، ثم نسيتُها، وأُرَاني صبيحَتَها أسجدُ في ماءٍ وطينٍ. قال: فمُطِرْنا ليلةَ ثلاثٍ وعشرين، فصَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ فأبصرتُه وإنَّ أثرَ الماءِ والطينِ على جبهتِه وأنفِه. قال: وكان عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ يقول: ليلةَ ثلاثٍ وعشرين.

[١٥٥٥] **والثالث**: ليلةَ خمسٍ وعشرين ورَوى هذا المعنى أبو بَكْرَةَ عن النبيِّ ﷺ.

والرابع: ليلةَ سبعٍ وعشرين.

[١٥٥٦] رَوى مُسلمٌ في أفرادِه مِنْ حديث ابنِ عمرَ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: مَنْ كان مُتحرِّياً

[١٥٥٢] صحيح. أخرجه ابن ماجه ١٦٥٦ وأحمد ٢/ ٢٥١ وابن حبان ٢٥٤٨ والبيهقي ٤/ ٣١٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٤ من حديث أبي هريرة، وإسناده على شرط الشيخين.

[١٥٥٣] صحيح. أخرجه البخاري ٢٠١٥ ومسلم ١١٦٥ ح ٢٠٥ وابن حبان ٣٦٧٥ والبيهقي ٤/ ٣١٠ و ٣١١ من طرق عن مالك به ـ وأخرجه مالك ١/ ٣٣١ والبغوي في «شرح السنة» ١٨١٧ عن نافع به. وأخرجه البخاري ١١٥٨ وأحمد ٢/ ١٧ وعبد الرزاق ٧٦٨٨ وابن خزيمة ٢١٨٢ والبيهقي ٤/ ٣١٠ ـ ٣١١ من طريق عن نافع به. وأخرجه البخاري ٦٩٩١ ومسلم ١١٦٥ ح ٢٠٧ وأحمد ٢/ ٣٧ والدارمي ٢/ ٢٨ والبيهقي ٤/ ٣١١ من طريق الزهري عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر به. وأخرجه ابن خزيمة ٢٢٢٢ من طريق حنظلة بن أبي سفيان عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر به. وأخرجه مسلم ١١٦٥ ح ٢٠٨ وأحمد ٢/ ٨ و ٣٦ وعبد الرزاق ٧٦٨١ من طرق عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.

[١٥٥٤] صحيح. أخرجه مسلم ١١٦٨ وأبو داود ١٣٧٩ ومالك ١/ ٣٢٠ وأحمد ٣/ ٤٩٥ وعبد الرزاق في «المصنف» ٧٦٨٩ و ٧٦٩٠ و ٧٦٩٤ وابن نصر في «قيام رمضان» ٤٠ والطحاوي في «المعاني» ٣/ ٨٦ ـ ٩٠ والبيهقي ٤/ ٣٠٩ من حديث عبد الله بن أنيس. وأخرجه أبو داود ١٣٨٠ وابن نصر في «قيام رمضان» ٣٩ وابن خزيمة ٢٢٠٠ والبيهقي ٤/ ٣٠٩ والبغوي في «شرح السنة» ١٨٢٠ وفي «التفسير» ٤/ ٥١١ من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: مرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصليها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه...». ورجاله ثقات، وابن إسحاق صرح بالتحديث. وانظر «أحكام القرآن» ٢٣٤٢ ـ ٢٣٤١.

[١٥٥٥] هو الحديث المتقدم برقم ١٥٤٩.

[١٥٥٦] صحيح. أخرجه مسلم ١١٦٥ ح ٢٠٧ وأحمد ٢/ ٢٧ من حديث ابن عمر. وانظر «فتح الباري» ٤/ ٢٦٤ ـ =

فلْيَتَحرَّها ليلةَ سبعٍ وعشرين، يعني: ليلةَ القَدْرِ، وهذا مذهبُ عليٍّ وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ.

[١٥٥٧] وكان أُبَيٌّ يحلفُ لا يستثني أنها ليلةُ سبعٍ وعشرين، وبه قال ابنُ عباسٍ، وعائشةُ، ومُعاويةُ. واختاره أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه.

ورَوى ابنُ عباسٍ: أنه استدلَّ على ذلك بشيئين: **أحدهما**: أنه قال: إنَّ الله تعالى خلق الإنسانَ على سبعةِ أصنافٍ، يشير إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ الآيات[١]. ثم جعل رِزقَهُ في سبعةِ أصنافٍ يشير إلى قوله عزَّ وجلَّ. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾[٢] ثم يُصلِّي الجُمعَة على رأس سبعةِ أيام. وجعل السمواتِ سبعاً، والأَرَضِينَ سبعاً، والمثانيَ سبعاً[٣]، فلا أرى ليلةَ القَدْرِ إلاَّ ليلةَ السابعةِ.

والثاني: أنه قال: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَلَٰمٌ﴾ هي الكلمةُ السابعةُ والعشرون، فدلَّ على أنها كذلك.

واحتَجَّ بعضُهم فقال: ليلةُ القَدْرِ كُرِّرتْ في هذه السُّورةِ ثلاثَ مرَّاتٍ، وهي تسعةُ أحرُفٍ، والتسعةُ إذا كُرِّرتْ ثلاثاً فهي سبعٌ وعشرون، وهذا تنبيهٌ على ذلك.

والقول الخامس: أنَّ الأَوْلَى طَلَبُها في أولِ ليلةٍ مِنْ رمضانَ، قاله أبو رَزِينٍ العُقَيليُّ.

ورَوى أيُّوبُ عن أبي قِلاَبَةَ أنه قال: ليلةُ القَدْرِ تنتقل في العَشرِ الأواخر.

فأمَّا الحِكمةُ في إخفائِها فِلَيتحقَّقَ اجتهادُ العباد في ليالي رمضانَ طَمَعاً منهم في إدراكها، كما أخفى ساعةَ الجُمعةِ، وساعةَ الليل، واسمَهُ الأعظمَ، والصلاةَ الوسطى، والوَليَّ في الناس.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ هذا على سبيل التعظيم والتَّشوُّقِ إلى خيرِها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال مُجاهِدٌ: قيامُها والعملُ فيها خيرٌ مِنْ قيامِ ألفِ شهرٍ وصيامِها ليس فيها ليلةُ القَدْرِ، وهذا قولُ قَتادةَ، واختيارُ الفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ.

[١٥٥٨] وروى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ ذُكِرَ له رجلٌ مِنْ بني إسرائيلَ حملَ السلاحَ

= وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٤٢١.

[١٥٥٧] صحيح. أخرجه مسلم ٢/ ٨٢٨ ح ٢٢٠ والحميدي ٣٧٥ وابن خزيمة ٢١٩١ وابن حبان ٣٦٨٩ والبيهقي ٤/ ٣١٢ من طرق عن سفيان بن عيينة عن عبدة بن أبي لبابة، وعاصم عن زر بن حبيش به.

وأخرجه مسلم ٧٦٢ ح ١٨٠ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٥ من طرق شعبة عن عبدة بن أبي لبابة عن زر به مختصراً. وأخرجه أبو داود ١٣٧٨ والترمذي ٧٩٣ وعبد الرزاق ٧٧٠٠ وابن خزيمة ٢١٩٣ وابن حبان ٣٦٩١ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٣٣. وأخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٧٦ من طريق أبي خالد وعامر الشعبي عن زر به.

وأخرجه مسلم ٧٦٢ ح ١٧٩ وابن حبان ٣٦٩٠ من طريق الأوزاعي عن عبدة عن زر به. وهم جميعاً من حديث زر بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر، فإن ابن مسعود عبد الله يقول: من يقم الحول يصبها فقال: رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتتكلوا. هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أنى علمت هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظناها وعددناها هي والله لا تنس، قال قلنا: وما الآية؟ قال: تطلع الشمس كأنها طاس ليس لها شعاع.

[١٥٥٨] ضعيف جداً. ذكره المصنف عن عطاء عن ابن عباس ولم أره عنه مسنداً.

وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٦٤ والبيهقي في «الشعب» ٣٦٦٨ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن =

---

(١) المؤمنون: ١٢. (٢) عبس: ٢٥. (٣) الفاتحة: وهي سبع آيات.

على عاتِقه في سبيل الله ألفَ شهرٍ، فعَجِبَ رسولُ الله ﷺ لذلكَ، وتمنّى أنْ يكون ذلك في أُمّتِه، فأعطاه الله ليلةَ القَدْرِ، وقال: هي خيرٌ مِنْ ألف شهرِ التي حملَ فيها الإسرائيليُّ السلاحَ في سبيل الله عزَّ وجلَّ. وذكر بعضُ المُفسِّرين أنه كان الرجلُ فيما مضى لا يستحِقُّ أنْ يُقالَ له: عابدٌ حتى يعبدَ اللهَ ألفَ شهرٍ كانوا يعبدون فيها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] قال أبو هُريرة: الملائكة ليلةَ القَدْرِ في الأرض أكثرُ مِنْ عدد الحَصا.

وفي «الرُّوح» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه جِبريلُ، قاله الأكثرون.

[١٥٥٩] وفي حديث أنسٍ أن رسول الله ﷺ قال: إذا كانت ليلةُ القَدْرِ نزل جِبريلُ في كَبْكَبَةٍ مِنَ الملائكة يُصلُّون ويُسلِّمون على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يَذكُر اللَّهَ عزَّ وجلَّ.

والثاني: أنَّ الرُّوحَ: طائفةٌ مِنَ الملائكة لا تراهم الملائكةُ إلاَّ تلك الليلةَ ينزلون مِنْ لَدُنْ غروبِ الشمس إلى طلوعِ الفجر، قاله كَعْبٌ، ومُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ.

والثالث: أنه مَلَكٌ عظيمٌ يفِي بخَلْقٍ مِنَ الملائكة، قاله الوَاقِديُّ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلةِ القَدْرِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ أي: بما أَمَرَ به وقضاه ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال ابنُ قُتَيبةَ: أي: بكلِّ أمرٍ. قال المُفسِّرون: يتنزَّلون بكلِّ أمرٍ قضاه الله في تلك السَّنَةِ إلى قابِلٍ. وقرأ ابنُ عُمَرَ، وابنُ عباسٍ وأبو العاليةِ، وأبو عمرٍو الجَوْنيُّ «من كل امرئٍ» بكسرِ الراء وبعدَها همزةٌ مكسورةٌ منوَّنةٌ، وبِوَصْلِ اللام مِنْ غير همزٍ.

ولهذه القراءةِ وَجهانِ: **أحدهما**: مِنْ كلِّ مَلَكٍ سَلامٌ. **والثاني**: أنْ تكونَ «من» بمعنى «على» تقديره: على كلِّ أمرٍ مِنَ المسلمين سَلامٌ مِنَ الملائكة، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ والقراءة المُوافقةُ لِخَطِّ المُصحفِ هي الصواب. ويكون تمامُ الكلام عند قوله عزَّ وجلَّ «من كل أمر» ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ أي: ليلةُ القَدْرِ سلامٌ.

وفي معنى السَّلام قولان: **أحدهما**: أنه لا يَحدثُ فيها داءٌ ولا يُرسَلُ فيها شيطانٌ، قاله مُجاهِدٌ. **والثاني**: أنَّ معنى السَّلام: الخيرُ والبَرَكةُ، قاله قَتادَةُ. وكان بعض العلماء يقول: الوَقْفُ على «سَلام» على معنى تنزُّلِ الملائكةِ بالسَّلام.

= كثير» ٤/ ٥٦٧، وهذا مرسل، فهو واهٍ. وأخرجه الطبري ٣٧٧١٣ عن مجاهد موقوفاً عليه، وهو أصح. الخلاصة: المرفوع واهٍ، والصواب عن أهل التفسير. وانظر «أحكام القرآن» ٢٣٣٧.

[١٥٥٩] ضعيف جداً. أخرجه البيهقي في «الزهد» ٣٧١٧ من حديث أنس بأتم منه، وفيه صرح بن حوشب وهو متروك متهم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٣٤: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ «مطلَع» بفتحِ اللام. وقرأ الكِسَائيُّ بكسرِها. قال الفَرَّاءُ: والفتحُ أقوى في قياسِ العربية، لأنَّ المَطلَع بالفتح: الطُّلوع، وبالكسرِ: المَوضعُ الذي تَطلُع منها، إلاَّ أنَّ العرب تقول: طَلَعَتِ الشمسُ مَطْلِعاً، بالكسر، وهم يريدون المصدرَ، كما تقول: أكرمتكَ كَرامةً، فتَجتزِئُ بالاسم مِنَ المصدر. وقد شرحنا هذا المعنى في «الكهف»[1] عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾. شرحاً كافياً، ولِلَّهِ الحمدُ.

(١) الكهف: ٩.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨

وتسمى سُورَةُ لم يَكُنْ[1]. وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: مكيَّةٌ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ، واختاره يَحيى بنُ سَلَامٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ
صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ
٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ
٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ
٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني اليهودَ والنَّصارى ﴿وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: ومِنَ المشركين، وهم عَبدةُ الأوثان ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: مُنفصِلينَ وزائِلينَ ـ يقال: فَكَكتُ الشيءَ، فانفكَّ، أي: انفصَلَ ـ والمعنى: لم يكونوا زائِلينَ عن كُفرِهم وشِرْكِهم ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ﴾ أي: أتَتْهم، فلفظُه لفظُ المستقبلِ، ومعناه الماضي. و ﴿ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ الرَّسولُ، وهو محمَّدٌ ﷺ وذلك أنه بيَّنَ لهم ضلالَهم وجَهلَهم. وهذا بيانٌ عن نعمةِ الله على مَنْ آمن مِنَ الفريقين إذْ أنقذَهم. وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ معنى الآية: لم يختلفوا أنَّ الله يَبعثُ إليهم نبيًّا حتى بُعِثَ فافترَقوا. وقال بعضُهم: لم يكونوا لِيُتركوا مُنفكِّينَ عن حُجَجِ الله حتى أُقيمَتْ عليهم البيِّنةُ، والوجهُ هو الأولُ. والرسولُ ها هنا محمَّدٌ ﷺ. ومعنى ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا﴾ أي: ما تضمَّنَتْهُ الصُّحفُ مِنَ المكتوبِ فيها، وهو القرآن. ويدلُّ على ذلك أنه كان يَتْلُو القرآنَ عن ظهرِ قلبه لا مِنْ كتابٍ. ومعنى «مُطَهَّرة» أي: مِنَ الشِّركِ والباطلِ. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الصُّحفِ ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ أي: عادِلةٌ مستقيمةٌ تُبيِّن الحقَّ مِنَ الباطلِ، وهي الآيات. قال مُقاتِلٌ: وإنما قيل لها: كُتُبٌ لِمَا جَمعَتْ مِنْ أُمورٍ شتَّى.

---

(١) أخرج البخاري ٤٩٥٩ و ٤٩٦٠ ومسلم ٧٩٩ والترمذي ٣٧٩٢ وأحمد ٣/ ٨٥ وابن سعد ٢/ ٣٤٠ وعبد الرزاق ٢٠٤١١ وأبو يعلى ٢٩٩٥ وابن حبان ٧١٤٤ من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأبيّ بن كعب: «إن الله قد أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾، قال: وسماني لك؟ قال نعم، فبكى».

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: مَن لم يؤمن منهم ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وفيها ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه محمَّدٌ ﷺ. والمعنى: لم يزالوا مُجتمِعينَ على الإيمان به حتى بُعِثَ، قاله الأكثرون. **والثاني**: القرآن، قاله أبو العاليةِ. **والثالث**: ما في كُتُبِهم مِنْ بيانِ نُبُوَّتِهِ، ذكره الماوَرديُّ. وقال الزَّجَّاجُ: وما تَفرَّقوا في كُفرِهم بالنبيِّ إلاَّ مِنْ بعد أنْ تبيَّنوا أنه الذي وُعِدُوا به في كُتُبِهم.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي: في كُتُبِهم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾. أي: إلا أن يعبدوا الله. قال الفَرَّاءُ: والعرب تجعل اللامَ في موضع «أن» في الأمر والإرادة كثيراً، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[1]، و ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾[2]. وقال في الأمرِ: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: مُوَحِّدين لا يَعبدون سِواه ﴿حُنَفَاءَ﴾ على دِيْنِ إبراهيمَ ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المكتوبةَ في أوقاتِها ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ عند وجُوبِها ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الذي أُمِروا به هو ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: أي دِيْنُ الأمَّةِ القيِّمةِ بالحقِّ. ويكون المعنى: ذلك الدِّيْنُ دِيْنُ المِلَّةِ المُستقيمةِ[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ ذَكْوانَ عن ابنِ عامرٍ بالهمزة في الكلمتين وقرأ الباقون بغيرِ همزٍ فيهما. قال ابنُ قُتَيبةَ: البَرِيَّة: الخَلْقُ. وأكثر العرب والقُرَّاءِ على تركِ همزِها لكثرة ما جَرَتْ عليه الألسنةُ، وهي فَعِيلَة بمعنى مَفعُولة. ومِنَ الناس مَنْ يزعم أنها مأخوذةٌ مِنْ بَرَيْتُ العُودَ، ومنهم مَنْ يزعم أنها مِنَ البَرَى وهو الترابُ أي خَلْقٌ مِنَ التراب، وقالوا: لذلك لا يهمز، وقال الزَّجَّاجُ: لو كانت مِنَ البَرَى وهو الترابُ لَمَا قُرِنتْ بالهمزِ، وإنما اشتقاقُها مِنْ بَرَأَ اللَّهُ الخَلْقَ، وقال الخَطَّابيُّ: أصل البَرِيَّةِ الهمزُ، إلاَّ أنهم اصطلَحوا على تركِ الهَمزِ فيها. وما بعده ظاهر إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: رضي الله عنهم بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه. وكان بعضُ السَّلَفِ يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرضى عنكَ؟!

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي خافَهُ في الدنيا، وتناهى عن معاصِيه[4].

---

(١) النساء: ٢٦. (٢) الصف: ٨. (٣) الأنعام: ٧١.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٤٣: وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾. قال ابن العربي رحمه الله في «الإحكام» ٤/ ٤٣٧: أمر الله عباده بعبادته، وهي أداء الطاعة له بصفة القربة، وذلك بإخلاص النية بتجريد العمل عن كل شيء إلا لوجهه، وذلك هو الإخلاص. وإذا ثبت هذا فالنية واجبة في التوحيد، لأنها عبادة، فدخلت تحت هذا العموم دخول الصلاة، فإن قيل: فلم خرجت عنه طهارة النجاسة، وذلك يعترض عليكم في الوضوء؟ قلنا: إزالة النجاسة معقولة المعنى، لأن الغرض منها إزالة العين لكن بمزيل مخصوص فقد جمعت عقل المعنى وضرباً من التعبد، كالعدة جمعت بين براءة الرحم والتعبد، حتى صارت على الصغيرة واليائسة اللتين تحقق براءة رحمهما قطعاً، وليس في الوضوء غرض ناجز إلا مجرد التعبد، بدليل أنه لو أكمل الوضوء وأعضاؤه تجري بالماء، وخرج منه ريح بطل وضوءه.

ترتيبها ٩٩ — سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ — آياتها ٨

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ، والجمهور. **والثاني**: مكِّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، وعَطاءٌ وجابرٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي: حُرِّكت حركةً شديدةً، وذلك عند قيام الساعة. وقال مُقاتِلٌ: تتزلزَلُ مِنْ شدَّةِ صوت إسرافِيلَ حتى يَنْكَسِرَ كلُّ ما عليها مِنْ شدَّةِ الزَّلزلَةِ ولا تَسكُنُ حتى تُلقي ما على ظهرِها مِنْ جبلٍ، أو بناءٍ، أو شجرٍ، ثم تتحركُ وتضطَرِبُ، فتُخْرِج ما في جوفِها. وفي وقت هذه الزَّلزَلَةِ قولان: **أحدهما**: أنها تكون في الدنيا، وهي مِنْ أشراط الساعة، قاله الأكثرون. **والثاني**: أنها زَلزَلَةُ يوم القيامة، قاله خارِجَةُ بنُ زيدٍ في آخرين. قال الفَرَّاءُ: حدَّثني محمَّدُ بنُ مروانَ، قال: قلتُ للكَلْبي: أرأيتَ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾؟ فقال: هذه بمنزلة قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[(١)] فأُضِيفَ المصدرُ إلى صاحبه. وأنتَ قائلٌ في الكلام: لأُعطِيَنَّكَ عَطِيَّتَكَ، تريد عَطِيَّةً. والزِّلزالُ بالكسرِ المصدر، وبالفتح: الاسمُ. وقد قرأ أبو العاليةِ، وأبو عِمْرانَ، وأبو حَيْوَةَ والجَحْدَرِيُّ «زَلزالها» بفتح الزاي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ فيه قولان[(٢)]: **أحدهما**: ما فيها مِنَ الموتى، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: كُنوزَها، قاله عَطِيَّةُ. وجَمَعَ الفَرَّاءُ بين القولين، فقال: لَفَظَتْ ما فيها مِنْ ذهبٍ، أو فِضَّةٍ أو مَيْتٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه اسمُ جنسٍ يَعمُّ الكافرَ والمؤمنَ،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٤٣: أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه، وعبده كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه. وقال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٥٨: يقول: لمن خاف الله في الدنيا في سره وعلانيته، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

(٢) نوح: ١٨.

وهذا قول مَنْ جعلها مِنْ أشراطِ الساعة، لأنها حين ابتدأت لم يعلَم الكلُّ أنها مِنْ أشراط الساعة، فسألَ بعضُهم بعضاً حتى أيقنوا. **والثاني**: أنه الكافر خاصَّةً، وهذا قولُ مَنْ جعلها زَلْزلَةَ القيامة، لأنَّ المؤمنَ عارِفٌ بها فلا يَسألُ عنها، والكافرُ جاحدٌ لها لأنه لا يُؤمِنُ بالبَعثِ، فلذلك يَسألُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال الزَّجاجُ: «يومئذ» منصوبٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ﴿وَأَخْرَجَتِ﴾ ففي ذلك اليوم تُحدِّثُ بأخبارها، أي: تُخبِرُ بما عَمِلَ عليها.

[١٥٦٠] وفي حديث أبي هُريرَةَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: أَتَدرُونَ ما أخبارُها؟ قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: فإنَّ أخبارَها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بما عمل على ظَهرِها تقول: عَمِلَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ قال الفَرَّاءُ: تُحدِّثُ أخبارَها بوحي الله وإذْنِه لها. قال ابنُ عباسٍ: أوحى لها، أي: أوحى إليها، وأذِنَ لها أنْ تُخبرَ بما عَمِلَ عليها. وقال أبو عُبيدَةَ: «لها» بمعنى «إليها». قال العَجَّاجُ:

وَحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن موقفِ الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ أي: فِرَقاً. فأهلُ الإيمان على حِدَةٍ وأهلُ الكفرِ على حِدَةٍ ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وعائشةُ، والجَحْدَريُّ: «لِيَرَوا» بفتح الياء. قال ابنُ عباسٍ: أي لِيُرَوا جزاءَ أعمالِهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فِرَقاً لينزلوا منازلَهُم مِنَ الجنَّة والنَّار. وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: تُحدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربَّكَ أوحى لها لِيُروا أعمالَهم يومئذٍ يصدُرُ الناسُ أشتاتاً. فعلى هذا: يَرونَ ما عملوا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ في موقفِ العَرْضِ.

[١٥٦٠] يشبه الحسن، أخرجه الترمذي ٢٤٢٩ و ٣٣٥٣ والنسائي في «التفسير» ٧١٣ وأحمد ٢/ ٣٧٤ وابن حبان ٧٣٦٠ من طرق عن ابن المبارك عن يحيى بن أبي سليمان به. إسناده لين، رجاله ثقات سوى يحيى بن أبي سليمان. قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بالقوي يكب حدثه، ووثقه ابن حبان والحاكم، وقال ابن عدي: هو ممن تكتب أحاديثه وإن كان بعضها غير محفوظ. وذكر له ابن عدي أحاديث فيها غرابة، وليس هذا منها، وقد روى عنه غير واحد من الثقات كشعبةَ وابن أبي ذئب وغيرهما، فالرجل غير متفق على ضعفه كما ترى، ـ وقال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث، ولحديثه شواهد بمعناه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٢: من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٤٢ من طريق شعبة عن يحيى به. وصححه الحاكم، وقال الذهبي: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري. قلت: أخذ الذهبي رحمه الله بالأشد، فقد تفرد البخاري بجرحه، في حين خالفه أبو حاتم فلينه، وابن حبان والحاكم فوثقاه. وله شاهد من حديث أنس، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٢٩٦ لكنه من طريق رشدين بن سعد عن يحيى بن أبي سليمان، ورشدين واهٍ، وهذا من أوهامه كونه عن أنس، والمحفوظ عن سليمان عن سعيد عن أبي هريرة. فهذا شاهد لا يفرح به. وله شاهد من حديث ربيعة الجرشي، أخرجه الطبراني ٤٥٩٦، وفيه ابن لهيعة ضعيف، وربيعة مختلف في صحبته، والجمهور على أن له صحبة. ويشهد لأصل معناه حديث مسلم ١٠١٣ والترمذي ٢٢٠٨ وابن حبان ٦٦٩٧ من حديث أبي هريرة ـ وقد ورد في تعليق ابن كثير رحمه الله السابق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض...» الحديث.

قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ قال المُفسِّرون: مَنْ يعمل في الدنيا مِثقالَ ذَرَّةٍ مِنَ الخير أو الشرِّ يَرَهُ، وقرأ أَبانُ عن عاصِم «يُرَ» بضمِّ الياء في الحرفين. وقد بَيَّنَّا معنى «الذَّرَّة» في سُورَةِ النِّساء وفي معنى هذه الرُّؤية قولان: **أحدهُما**: أنه يراه في كتابه. **والثاني**: يرى جزاءَه.

[١٥٦١] وذكر مُقاتِلٌ: أنها نزلت في رَجُلين كانا بالمدينة، كان أحدُهما يستقِلُّ أنْ يُعطي السائلَ الكِسْرَةَ، أو التَّمرةَ، وكان الآخرُ يتهاونُ بالذَّنبِ اليسيرِ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ هذا يُرَغِّبُهم في القليل مِنَ الخير، ويُحذِّرُهم اليسيرَ مِنَ الشرِّ.

[١٥٦١] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وجابرٌ. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها الإبلُ في الحَجِّ، قاله عليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وعُبيدُ بنُ عُمَير، والقُرَظيُّ، والسُّدِّيُّ. ورُوِيَ عن عليٍّ أنه قال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ مِن عرفةَ إلى المُزدَلِفةِ، ومِنَ المُزدَلفةِ إلى مِنَى. ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال هذا في صفةِ وقعةِ بدْرٍ. قال: وما كان معنا يومئذٍ إلاَّ فرسٌ. وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسانِ.

والثاني: أنها الخيلُ في سبيل الله، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، وعَطاءٌ، ومُجاهِدٌ، وأبو العاليةِ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ، وعَطِيَّةُ، والرَّبيعُ، واللغويون. وكان ابنُ عباسٍ يذهب إلى أنَّ هذا كان في سَرِيَّةٍ،

[١٥٦٢] فرَوى عِكرمَةُ عن ابنِ عباس أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ خيلاً، فلم يأتِه خبرُها شهراً، فنزلت ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ ضبحَتْ بمَناخِرِها ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قَدحتْ بحوافِرِها الحجارة فأورتْ ناراً ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ صَبحتِ القومَ بغارَةٍ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ أثارتْ بحوافِرِها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال: صَبحتِ الحيَّ جميعاً.

[١٥٦٣] وقال مُقاتِلٌ: بَعثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً إلى حَيَّيْنِ مِنْ كِنانَةَ واستعملَ عليهم المُنذِرَ بنَ عمرٍو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرُها، فجعلَ اليهودُ والمنافقون إذا رَأوا رجلاً مِنْ أصحاب رسولِ الله ﷺ تناجَوْا، فيظنُّ الرجلُ أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه، أو عمُّه، فيَجِدُ مِنْ ذلك، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾

[١٥٦٢] أخرجه ابن مردويه كما في «الدر» ٦/٦٥١ عن ابن عباس به، ولم أقف على إسناد، وتفرد ابن مردويه به دليل وهنه.

[١٥٦٣] عزاه المصنف لمقاتل، وهو ممن يضع الحديث، فخبره هذا لا شيء.

فأخبرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ كيف فعلَ بهم. قال الفرَّاءُ: الضَّبْحُ: أصواتُ أنفاسِ الخيلِ إذا عَدَوْنَ. وقال ابنُ قُتيبةَ: الضَّبْحُ: صوتُ حُلوقِها إذا عَدَتْ. وقال الزَّجَّاجُ: ضَبْحُها: صوتُ أجوافِها إذا عَدَتْ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ فيه خمسُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: أنها الخَيلُ تُورِي النارَ بحوافِرِها إذا جَرَتْ، وهذا قولُ الجمهور. قال الزَّجَّاجُ: إذا عَدَتِ الخيلُ بالليل، فأصابَتْ بحوافرِها الحجارةَ، انقدَحَتْ منها النِّيرانُ. **والثاني**: أنها نِيرانُ المجاهدين إذا أُوقِدَتْ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: مَكْرُ الرجال في الحرب، قاله مُجاهِدٌ، وزيدُ بنُ أسلَمَ. **والرابع**: نِيرانُ الحَجيجِ بالمُزدَلِفَةِ، قاله القُرَظيُّ. **والخامس**: أنها الألسِنَةُ إذا ظهرت بها الحُجَجُ وأُقِيمَتْ بها الدلائلُ على الحَقِّ وفُضِحَ بها الباطلُ، قاله عِكرِمَةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ هي التي تُغيرُ على العَدُوِّ عند الصباح، هذا قولُ الأكثرين. وقال ابنُ مسعودٍ: فالمُغِيراتِ صُبحاً حين يُفيضُونَ مِنْ جمعٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ﴾ قال الفرَّاءُ: يريد به الوادي ولم يُذكَرْ قبلَ ذلك، وهذا جائزٌ، لأنَّ الغُبارَ لا يُثارُ إلا مِنْ موضعٍ. والنَّقْعُ: الغُبارُ، ويقال: التراب. وقال الزَّجَّاجُ: المعنى: فأثَرْنَ بمكانِ عَدْوِهِنَّ، ولم يتقدَّمْ ذِكرُ المكان، ولكن في الكلام دليلٌ عليه، قوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ قال المُفسِّرون: المعنى: تَوسَّطْنَ جمعاً مِنَ العدوِّ، فأغارَتْ عليهم. وقال ابنُ مسعودٍ: فوَسَطْنَ به جَمْعاً، يعني مُزدَلِفَةَ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جوابُ القَسَم. والإنسانُ ها هنا: الكافر. قال الضَّحَّاكُ: نزلت في الوليدِ بنِ المُغيرةِ، وقال مُقاتِلٌ: نزلت في قُرط بنِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ نوفَلٍ القُرشي وفي «الكَنُود» ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٥٦٤] **أحدها**: أنه الذي يأكلُ وحدَهُ، ويَمنَعُ رِفْدَهُ، ويضرب عبدَه، رواه أبو أُمامَةَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثاني: أنه الكَفورُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. **والثالث**: لَوَّامٌ لِرَبِّهِ يَعُدُّ المُصيباتِ، وينسى النِّعَمَ، قاله الحسَنُ. قالَ ابنُ قُتَيبةَ: والأرض الكَنُود: التي لا تُنبِتُ شيئاً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ في هاء الكناية قولان: **أحدهما**: أنها ترجعُ إلى الله عزَّ

[١٥٦٤] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٧٨٤٠ وكذا الطبراني ٧٧٧٨ و ٧٩٥٨ من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف جداً لضعف جعفر بن الزبير، بل هو متروك، وكذبه شعبة.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٤٥: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ يعني: ألقت ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف، وهذه كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وكقوله: ﴿وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾، وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيء» اهـ.

وجلَّ، تقديره: وإنَّ الله على كُفرِه لَشَهيدٌ. **والثاني**: أنها ترجعُ إلى الإنسان، تقديره: إنَّ الإنسانَ شاهدٌ على نَفْسِه أنه كَنُودٌ، رُوِيَ القولان عن ابنِ عباسٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني: الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ يعني: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾.

وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: وإنه مِنْ أجل حُبِّ المالِ لَبَخيلٌ، هذا قولُ الحسَنِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاج. قال أبو عُبيدَةَ: ويقال للبخيل: شديدٌ، ومُتَشدِّدٌ قال طَرَفَةُ.

أَرَى الـمَـوْتَ يَـعْـتَـامُ الـكِـرَامَ ويَـصْـطَـفِـي عَـقِـيـلَـةَ مَـالِ الـبَـاخِـلِ الـمُـتَـشَـدِّدِ

والثاني: وإنه للخير لَشَديدُ الحُبِّ، وهذا اختيارُ الفَرَّاءِ. قال: فكأنَّ الكلمةَ لمَّا تقدَّم فيها الحُبُّ، وكان موضعُه أنْ يُضافَ إليه «شديد»، حذف الحبَّ مِنْ آخره لمَّا جرى ذِكرُه في أوَّلِه، ولِرؤوسِ الآياتِ. ومثله: ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[1] فلمَّا جرى ذِكرُ الرِّيح قبلَ اليوم طُرِحتْ مِنْ آخره.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ يعني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: أُثِيرَ وأُخرِجَ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: مُيِّزَ واستُخرِجَ. والتَّحصيلُ: تمييزُ ما يحصل. وقال ابنُ عباس: أبرزَ ما فيها، وقال ابنُ قُتَيبةَ: مُيِّزَ ما فيها مِنَ الخيرِ والشَّرِّ. وقال أبو سُليمانَ الدِّمشقيُّ: المعنى: لو عَلِمَ الإنسانُ الكافرُ ما له في ذلك اليوم لَزَهِدَ في الكُفرِ، وبادَرَ إلى الإسلام. ثم ابتدأ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ وقال غيره: إنَّما قُرِئتْ «إن» بالكسر لأجلِ اللام، ولولاها كانت مفتوحةً بوقوعِ العلم عليها.

فإنْ قيلَ: أليس الله خبيراً بهم في كلِّ حالٍ، فلِمَ خُصَّ ذلك اليوم؟

فالجواب أنَّ المعنى: أنه يُجازيهم على أفعالِهم يومَئذٍ، ومثله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾[2]، معناه: يُجازيهم على ذلك، ومثله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾[3].

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/٦٦٩: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً، فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر مثلاً، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحاً، فداخلة فيما أقسم به لعموم ذلك بالظاهر.

(٢) إبراهيم: ١٨. (٣) النساء: ٦٣.

(٤) غافر: ١٦.

سورة القارعة

ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

وهي مكِّيَّةٌ بإجماعِهم

وقد ذكرنا تفسيرَ فاتحتِها في أول «الحاقَّة».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ قال الزَّجَّاجُ اليوم منصوبٌ على الظَّرفِ. المعنى: يكون يومَ يكون الناسُ ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ وفيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه غَوغاءُ الجَرادِ، قاله الفَرَّاءُ. قال ابنُ قُتَيبة: غَوغَاءُ الجَرَادِ: صِغارُه، ومنه قيل لعامَّةِ الناس: غوغاءُ. **والثاني**: أنه طيرٌ ليس ببَعوضٍ ولا ذِبَّانٍ، قاله أبو عُبيدَة. **والثالث**: أنه ما تَهافَتَ في النار مِنَ البَعوضِ، قاله ابنُ قُتَيبة. وكذلك قال الزَّجَّاجُ: الفَراشُ ما يُرىٰ كصِغارِ البَقِّ يتهافَتُ في النار. وشَبَّه الناس في وقت البَعثِ به وبالجَرادِ المُنتشِرِ، لأنهم إذا بُعِثوا ماجَ بعضُهم في بعضٍ. وذكر المَاوَرديُ: أنَّ هذا التشبيهَ للكفار، فهم يَتهافتونَ في النار يومَ القيامة تَهافُتَ الفَراشِ.

فأمَّا «المَبْثوث» فهو المُنتشِرُ المُتفرِّقُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ وقد شرحناه في (سأَلَ سائِلٌ)[1]، و «المَنْفُوش» الذي قد نُدِفَ. قال مُقاتِلٌ: وتصيرُ الجبالُ كالصُّوفِ المَندُوفِ. فإذا رأيتَ الجبلَ قلتَ: هذا جبلٌ: فإذا مَسَستَهُ لم تَرَ شيئاً، وذلك مِنْ شِدَّة الهَوْلِ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، أي: رَجَحتْ بالحسناتِ، وقد بيَّنا هذه الآيَةَ في أوَّلِ الأعْرَاف[2] وبيَّنَّا معنى «عيشة راضية» في الحاقَّة[3].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾، قرأ ابنُ مسعودٍ، وطَلْحَةُ بنُ مُصرِّفٍ، والجَحْدَريُ **«فإمه»**

(١) المعارج: ٩. (٢) الأعراف: ٨. (٣) الحاقة: ٢١.

بكسرِ الهمزة. فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أُمُّ رأسه هاوِيَةٌ، يعني: أنه يَهوي في النارِ على رأسه، هذا قولُ عِكرِمَةَ، وأبي صالحٍ. **والثاني**: أنها كلمةٌ عربيةٌ، كان الرجل إذا وقع في أمرٍ شديدٍ قالوا: هَوَتْ أُمُّه، قاله قَتادَةُ. **والثالثُ**: أنَّ المعنى، فمَسْكنُه النارُ. وإنما قيلَ لِمَسكَنِه: أُمُّه، لأنَّ الأصلَ السُّكونُ إلى الأُمَّهاتِ. فالنَّارُ لهذا كالأُمِّ، إذْ لا مَأوى له غيرُها، هذا قولُ ابنِ زيدٍ، والفَرَّاءِ، وابنِ قُتَيبةَ، والزَّجَّاجِ، ويدل على صحة هذا.

[١٥٦٥] ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا مات العبدُ تَلَقَّى رُوحُه أرواحَ المؤمنين، فتقول له: ما فَعلَ فُلانٌ؟ فإذا قال: ماتَ، قالوا: ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوِيةِ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ، وبِئْسَتِ المُربيةُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ يعني: الهاوِية. قرأ حمزَةُ، ويعقوبُ «ما هي» بحذفِ الهاء الأخيرةِ في الوَصْلِ، وإثباتِها في الوَقْفِ. وقرأ الباقون بإثباتِها في الحالين. قال الزَّجَّاجُ: الهاء في «هيه» دخلتْ في الوقفِ، لِتُبيينَ فتحةَ الياء، فالوقفُ «هيه» والوصلُ هي نارٌ. والذي يجبُ اتِّباعُ المُصحفِ. والهاء فيه ثابتةٌ فيُوقَفُ عليها، ولا تُوصَلُ، قوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ أي: حارَّةٌ قد انتهى حَرُّها.

[١٥٦٥] تفرد ابن مردويه برفعه، كما في «الدر» ٦/٦٥٦ وهو غير حجة فيما ينفرد به. وأخرجه الحاكم ٢/٥٣٣ عن الحسن مرسلاً، ومراسيل الحسن واهية. وورد من كلام أبي أيوب موقوفاً عليه كما في «الدر» ٦/٦٥٦، وهو أصح، والله أعلم. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٠٢ بتخريجنا.

سورة التكاثر

ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

وهي مكيّة بإجماعهم

وفي سبب نزولها قولان:

[١٥٦٦] **أحدهما**: أنَّ اليهودَ قالوا: نحن أكثرُ مِنْ بني فُلانٍ، وبَنو فُلانٍ أكثرُ مِنْ بني فُلانٍ، فألهاهُم ذلك حتى ماتوا ضُلّالاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قَتادَةُ.

[١٥٦٧] **والثاني**: أنَّ حَيَّيْنِ مِنْ قُريش: بني عبدِ مَنافٍ، وبَني سَهْم كان بينهما لِحَاءٌ، فقال هؤلاءِ: نحنُ أكثرُ سيِّداً، وأعزُّ نَفَراً. وقال أولئك مثلَ هذا، فتعادُّوا السَّادَةَ والأشرافَ أيُّهم أكثرُ، فكثَّرهم بَنو عبدِ مَنافٍ، ثم قالوا: نعدُّ موتانا، فزاروا القبورَ، فعَدُّوا موتاهُم، فكثَّرهم بَنو سَهْمٍ، لأنهم كانوا أكثرَ عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم قاله ابنُ السَّائبِ، ومُقاتِلٌ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وابنُ عباسٍ، والشَّعْبيُّ، وأبو العاليةِ، وابنُ عِمْرانَ، وابنُ أبي عَبلَةَ: «أَأَلهاكم» بهمزتين مقصورتين على الاستفهام. وقرأ مُعاويةُ، وعائشةُ «آلهاكم» بهمزةٍ واحدةٍ ممدودةٍ استفهاماً أيضاً. ومعنى ألهاكُم: شَغَلكُم عن طاعةِ الله وعبادتِه.

وفي المراد بالتَّكاثُرِ ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: التَّكاثُر بالأموال والأولاد، قاله الحَسنُ. **والثاني**: التَّفاخُرُ بالقبائلِ والعشائِر، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: التَّشاغُلُ بالمَعاشِ والتجارة، قاله الضَّحَّاكُ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ قولان: **أحدهما**: حتى أدرَكَكُم الموتُ على تلك الحالِ، فصِرتُم في المقابرِ زُوَّاراً ترجِعونَ منها إلى منازِلكم مِنَ الجنة أو النار، كَرُجوعِ الزائرِ إلى منزله. **والثاني**: حتى زُرتُم المقابرَ فعَدَدْتُم مَنْ فيها مِنْ موتاكم.

[١٥٦٦] ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٨٦٩، ٣٧٨٧٠ عن قتادة، وليس فيه ذكر اليهود، والخبر ضعيف لإرساله، وذكر اليهود يبطل الخبر لأن المصنف نقل الإجماع على أن السورة مكية، وأخبار يهود مدنية.

[١٥٦٧] عزاه المصنف لابن السائب الكلبي ومقاتل، وكلاهما ممن يضع الحديث، فهذا خبر لا شيء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا﴾ قال الزَّجّاجُ، هي رَدعٌ وتنبيهٌ. والمعنى: ليس الأمر الذي ينبغي أنْ يكونوا عليه التَّكاثرُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيدٌ والمعنى سوف تعلمون عاقبةَ تكاثُرِكم وتفاخُرِكم إذا نزل بكم الموتُ. وقيل: العِلْمُ الأولُ: يقع عند نزولِ الموت. والثاني: عند نزولِ القبر.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمرَ علماً يقيناً لشَغلَكم ما تعلمون عن التكاثُرِ، والتَّفاخُرِ. وجوابُ «لو» محذوفٌ وهو ما ذكرنا. ثم أوعَدَهم وعيداً آخرَ فقال عزَّ وجلَّ. ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ قرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وأبو عمروٍ، وحمزةُ «لَترون» «ثم لَترونها» بفتح التاء. فيها وقرأ ابنُ عامرٍ والكِسَائيُّ (لَتُرون الجحيم) بضمِّ التاء (ثم لَترونها) بفتحِ التاء، وقرأ مُجاهِدٌ، وعِكرمَةُ، وحُمَيدٌ، وابنُ أبي عَبلَةَ «لَتُرون» ثم «لَتُرونها» بضمِّ التاء فيهما مِنْ غيرِ همزٍ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أي: مُشاهدةً، فكان المراد بـ «عين اليقين» نَفسَه، لأنَّ عَيْنَ الشيءِ: ذاتُه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ اختلفوا، هل هذا السؤال عامٌّ، أَمْ لا؟ على قولين: **أحدهما**: أنه خاصٌّ للكفار، قاله الحَسنُ. **والثاني**: عامٌّ، قاله قَتادَةُ. وللمُفسِّرين في المراد بالنَّعيم عشرةُ أقوالٍ:

[١٥٦٨] **أحدها**: أنه الأمنُ والصحةُ، رواه ابنُ مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ، وتارةً يأتي موقوفاً عليه، وبه قال مُجاهِدٌ والشَّعْبيُّ.

[١٥٦٩] **والثاني**: أنه الماءُ الباردُ، رواه أبو هُرَيرَةَ عن النبيِّ ﷺ.

والثالث: أنه خبزُ البُرِّ والماءُ العَذْبُ، قاله أبو أُمامَةَ. **والرابع**: أنه مَلاذُ المأكولِ والمَشروبِ، قاله جابرُ بنُ عبدِ الله. **والخامس**: أنه صحةُ الأبدانِ، والأسماعِ، والأبصارِ، قاله ابنُ عباسٍ. وقال قَتادَةُ: هو العافية. **والسادس**: أنه الغَداءُ، والعَشاءُ، قاله الحَسنُ. **والسابع**: الصحةُ والفَراغُ، قاله عِكرمَةُ. **والثامن**: كلُّ شيءٍ مِنْ لَذَّةِ الدنيا، قاله مُجاهِدٌ. **والتاسع**: أنه إنعامُ الله على الخَلْقِ بإرسال محمَّدٍ ﷺ، قاله القُرَظيُّ. **والعاشر**: أنه صُنوفُ النِّعَم، قاله مُقاتِلٌ.

والصَّحيحُ أنه عامٌّ في كلِّ نعيم، وعامٌّ في جميع الخَلْقِ، فالكافر يُسأَلُ توبيخاً إذا لم يَشكُرِ المُنعِمَ، ولم يُوحِّدْهُ. والمؤمنُ يُسأَل عَن شُكرِها.

[١٥٧٠] وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ثلاثٌ لا أسألُ عبدي عن شُكْرِهنَّ وأسأَلُه عمَّا سِوى ذلك، بيتٌ يُكِنُّه، وما يُقِيمُ به صُلْبَهُ مِنَ الطعام، وما يُوارِي به عَورَتَهُ مِنَ اللباسِ».

[١٥٦٨] لا يصح مرفوعاً، إنما هو من كلام ابن مسعود، كذا أخرجه الطبري ٣٧٨٨٤. وورد من قول مجاهد برقم ٣٧٨٨١ و ٣٧٨٨٣ عن الشعبي من قوله، وهو الصواب والمرفوع فيه انقطاع وضعف. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٠٩.

[١٥٦٩] جيد. أخرجه الترمذي ٣٣٥٨ والحاكم ٤/١٣٨ والطبري ٣٧٨٩٩ والبيهقي ٤٦٠٧ من طرق عن عبد الله بن العلاء بن زبر عن الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال البخاري سوى الضحاك بن عبد الرحمن، وهو ثقة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٧١٤.

[١٥٧٠] أخرجه البيهقي ١٠٣٦٨ بسند قوي عن الحسن مرسلاً. وله شاهد من حديث عثمان، أخرجه الترمذي ٢٤٤٤ والحاكم ٤/٤١٢ والطبراني ١/٩١، وإسناده حسن، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

سورة العصر

ترتيبها ١٠٣ — آياتها ٣

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ الزُّبَيرِ، والجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله مُجاهِدٌ، وقَتادةُ، ومُقاتِلٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ[(١)]:

أحدها: أنه الدَّهرُ، قاله ابنُ عباسٍ، وزيدُ بنُ أسلَمَ، والفَرَّاءُ، وابنُ قُتيبةَ. وإنما أقسَمَ بالدَّهرِ لأنَّ فيه عِبرةً للناظرِ مِنْ مرورِ الليلِ والنهارِ على تقديرٍ لا يَنخرِمُ. **والثاني**: أنه العَشِيُّ، وهو ما بين زوالِ الشمس وغُروبِها، قاله الحَسنُ وقَتادةُ. **والثالث**: صلاةُ العصرِ، قاله مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو جوابُ القَسَم. والإنسان هاهنا بمعنى الناس، كما تقول: كثُرَ الدِّرهَمُ في أيدي الناس تُريد الدَّراهمَ. والخُسْرُ والخُسْرانُ في معنًى واحدٍ. قال أهلُ المعاني: الخُسْرُ: هلاكُ رأسِ المال أو نَقصُه. والإنسان إذا لم يستعمل نَفْسَه وعُمرَهُ فيما يُوجِبُ له الرِّبحَ الدائمَ، فهو في خُسْرانٍ، لأنه عَمِلَ في إهلاكِ نَفْسِه وعُمرِه، وهما أكبر رأسِ مالِه، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: صَدَّقوا اللهَ ورسولَهُ، وعَمِلوا بالطاعة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتوحيد، والقرآن، واتِّباعِ الرَّسولِ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على طاعةِ الله، والقيامِ بشريعَتِه. وقال إبراهيمُ في تفسيرِ هذه السُّورة: إنَّ الإنسانَ إذا عُمِّرَ في الدنيا لَفِي نَقْصٍ وضَعفٍ، إلاَّ المؤمنين، فإنهم يُكتَبُ لهم أُجور أعمالِهم التي كانوا يعملون في شبابِهم وصِحَّتِهم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٥٧: العصر: الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم، من خير وشر، وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هو العشي، والمشهور الأول. وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم. وقال الزمخشري في «الكشاف» ٤/٨٠٠: أقسم بصلاة العصر لفضلها، بدليل قوله تعالى ﴿والصلاة الوسطى﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله» متفق عليه، ولأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس على تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعايشهم.

سُورَةُ الهُمَزَة

ترتيبها ١٠٤ — آياتها ٩

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

قال هِبَةُ الله المُفَسِّرُ: وقد قيل: إنها مدنيَّةٌ. واختلف المُفسِّرون هل نزلت في حقِّ شخصٍ بعَينِه، أَمْ نزلت عامَّةً؟ على قولين: **أحدهما**: نزلت في حقِّ شخصٍ بعَيْنِه.

ثم فيه ستةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ، وابنُ السَّائبِ. **والثاني**: العاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمِيُّ، قاله عُروَةُ. **والثالث**: جميلُ بنُ عامرٍ، قاله ابنُ أبي نَجِيحٍ. **والرابع**: الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، قاله ابنُ جُرَيجٍ، ومُقاتِلٌ. **والخامس**: أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، قاله ابنُ إسحاقَ. **والسادس**: أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ، حكاه المَاوَرديُّ.

والقول الثاني: أنها نزلت عامَّةً لا في شخصٍ بعَيْنِه، قاله مُجاهِدٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ اختلفوا في الهُمَزةِ واللُّمَزة هل هما [بمعنًى واحدٍ، أَمْ مختلفان؟ على قولين: **أحدهما**: أنهما مُختلفانِ.

ثم فيهما سبعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنَّ الهُمَزَةَ: المُغتابُ، واللُّمَزَةَ: العَيَّابُ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَهمِزُ الإنسانُ في وجهِه. واللُّمَزَةَ: يَلمِزُه إذا أدبرَ عنه، قاله الحسَنُ، وعَطاءٌ، وأبو العاليةِ. **والثالث**: أنَّ الهُمَزَةَ: الطعَّانُ في الناس، واللُّمَزَةَ: الطعَّانُ في أنسابِ الناس، قاله مُجاهِدٌ. **والرابع**: أنَّ الهُمَزَةَ: بالعَينِ، واللُّمَزَةَ: باللسان، قاله قَتادَةُ. **والخامس**: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَهمِزُ الناس بيده ويضربُهم، واللُّمَزَةَ: الذي يَلْمِزُهم بلسانه، قاله ابنُ زيدٍ. **والسادس**: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَهمِزُ بلسانه، واللُّمَزَةَ: الذي يَلْمِزُ بعينِه، قاله سُفيانُ الثَّوْريُّ. **والسابع**: أنَّ الهُمَزَةَ: المُغتابُ، واللُّمَزَةَ: الطَّاعنُ على الإنسان في وجهِه، قاله مُقاتِلٌ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٦٨٨: والصواب من القول في ذلك، أن يقال: إن الله عم بالقول كل همزة لمزة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها.

والقول الثاني: أنَّ الهُمَزَة: العَيَّابُ الطَّعَّانُ، واللُّمَزَة مثله. وأصل الهَمزِ واللَّمزِ: الدَّفعُ، قاله ابنُ قُتَيبةَ، وكذلك قال الزَّجَّاجُ: الهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ: الذي يَغتابُ الناسَ ويعضِهم، قال ابنُ فارسٍ: والعضيهةُ الكذبُ والبُهتانُ قال الشاعر:

إذا لَقِيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُني ... وإنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَة

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفرَ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، ورَوْحٌ: «جَمَّع» بالتشديد. والباقون بالتخفيف.

قوله عز وجل: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ قرأ الجمهور بتشديد الدال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن وابن يعمر بتخفيفها. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: **أحدهما**: أحصى عَدَدَه، قاله السُّدِّيُّ. **والثاني**: أعَدَّه لِمَا يكفيهِ في السِّنين، قاله عِكرِمَةُ. قال الزَّجَّاجُ: مَنْ قرأ «عدَّده» بالتشديد، فمعناه: عدَّده للدُّهورِ. ومَنْ قرأ «عَدَدَه» بالتخفيف، فمعناه: جَمَعَ مالاً وعَدَدَهُ. أي: وقوماً اتَّخذهم أنصاراً.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أخلده بمعنى يُخلِده، والمعنى: يظنُّ مالَه مانِعاً له مِنَ الموت، فهو يعمل عملَ مَنْ لا يظنُّ أنه يموت ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يُخلِدُه مالُه ولا يَبقى له ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: لَيُطْرَحَنَّ ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ وهو اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ. سُمِّيتْ بذلك لأنها تَحْطِمُ ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العَظْمَ بعد أكلِها اللحمَ. ويُقال للرجل الأكُولِ: إنه لَحُطَمَةٌ. وقرأ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وعمرُ بنُ الخَطَّابِ، وأبو عبدِ الرَّحمنِ، والحسَنُ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وابنُ مُحَيصِنٍ: «لينبذانِّ» بألفٍ ممدودةٍ، وبكسرِ النون، وتشديدِها، أي: هو ومالُه.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي: تأكل اللحمَ والجلودَ حتى تقعَ على الأفئدة فتُحرِقَها. وقال الفَرَّاءُ: يبلغُ أَلَمُها للأفئدة. والاطِّلاعُ والبلوغُ قد يكونان بمعنًى واحدٍ، والعرب تقول: متى طَلَعتَ أرضَنا؟ أي: بلَغتَ. وقال ابنُ قُتيبةَ: تَطَّلِعُ على الأفئدة، أي: تَقْوى عليها وتُشرِفُ. وخَصَّ الأفئدةَ، لأنَّ الألَمَ إذا صار إلى الفؤاد ماتَ صاحبُه، فأخبرَ أنهم في حالِ مَنْ يموت، وهم لا يموتون. وقد ذكرنا تفسيرَ «المُؤصَدَة» في سُورَةِ البَلَد[1].

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِى عَمَدٍ﴾ قرأ حمزَةُ والكِسَائيُّ، وخَلَفٌ، وعاصِمٌ إلاَّ حَفصاً بضمِّ العينِ، وإسكانِ الميم. وقرأ الباقون بفتحِهما. قال الفَرَّاءُ وهما جِيطانٌ للعمودِ، وقرأ هارونُ عن ابنِ عمروٍ بضمِّ العينِ وإسكانِ الميم. قال المُفسِّرون: وهي أوتادُ الأطباق التي تُطبِقُ على أهل النار. و«في» بمعنى الباء. والمعنى: مُطبقةٌ بعُمُدٍ. قال قَتادَةُ: وكذلك هو في قراءة عبدِالله. وقال مُقاتِلٌ: أُطبِقَتِ الأبوابُ عليهم، ثم شُدَّتْ بأوتادٍ مِنْ حديدٍ، حتى يرجعَ عليهم غَمُّها وحَرُّها. و«ممدَّدة» صِفةُ العُمُدِ، أي: أنها مَمدودَةٌ مطوَّلَةٌ، وهي أرسَخُ مِنَ القصيرة. وقال قَتادَةُ: هي عُمُدٌ يُعذَّبون بها في النار. وقال أبو صالحٍ: «عَمَد ممددة» قال: القيودُ الطِّوالُ.

---

(١) البلد: ٢٠.

سُورَةُ الفِيلِ

ترتيبها ١٠٥ — آياتها ٥

وهي مكيَّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أَلَمْ تُخْبَرْ، قاله الفرَّاءُ. **والثاني**: أَلَمْ تعْلَمْ، قاله الزَّجَاجُ. ومعنى الكلام معنى التَّعجُب. وأصحابُ الفيلِ هم الذين قصدوا تخريبَ الكَعبةِ وفي سبب قَصْدِهم لذلك قولان[1]: **أحدهما**: أنَّ أبرَهَةَ بَنَى بِيْعَةً وقال: لستُ مُنتهياً حتى أضيفَ إليها حجَّ العرب، فسَمِعَ بذلك رجلٌ مِنْ بني كِنانَةَ، فخرج، فدخلَها ليلاً، فأحدثَ فيها، فبلغَ ذلك أبرَهَةَ، فحَلَفَ لَيسِرَنَّ إلى الكَعبةِ فيهدِمَها، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنَّ قوماً مِنْ قُريشٍ خرجوا في تجارةٍ إلى أرض النَّجاشي فنزلوا في جَنْبِ بِيْعَةٍ فأوقدوا ناراً، وشَوَوْا لحماً، فلمَّا رَحَلُوا هَبَّتِ الرِّيح فاضطرَمَ المكانُ ناراً، فغضبَ النَّجاشيُ لأجل البِيْعَةِ، فقال له كُبراءُ أصحابه ـ منهم حِجْرُ بنُ شَراحِيلَ، وأبو يكسوم ـ: لا تحزَنْ، فنحن نَهدِمُ الكَعبةَ، قاله مُقاتِلٌ. وقال ابنُ إسحاقَ: أبو يكسوم اسمه أبرَهَةُ بنُ الأشرمِ. وقيل: كان أَبرهةُ صاحبَ جيشه وقيل: وزيره، وحِجْرٌ مِنْ قُوَّادِه.

ذِكرُ الإشارةِ إلى القصَّة

ذكر أهلُ التفسير أنَّ أبرَهةَ لمَّا سار بجنوده إلى الكَعبةِ لِيَهدِمَها خرج معه بالفيل، فلمَّا دَنا مِنْ مكَّةَ أمرَ أصحابَه بالغارة على نَعَم الناس، فأصابوا إبلاً لعبدِ المُطَّلِبِ، وبعَثَ بعضَ جنودِه، فقال: سَلْ عن شريفِ مكَّةَ، وأخبِرْهُ أني لم آتِ لقتالٍ، وإنما جئتُ لأَهدِمَ هذا البيتَ، فانطلَقَ حتى دخل مكَّةَ، فلَقِيَ عبدَالمُطَّلبِ بنَ هاشِمٍ، فقال: إنَّ المَلِكَ أرسَلَني إليكَ لأُخبِرَكَ أنه لم يأتِ لِقتالٍ إلاَّ أنْ تُقاتلوه، إنما جاء لِهَدْمِ هذا البيت، ثم يَنصَرِفُ عنكم، فقال عبدُ المُطَّلِبِ: ما لَهُ عندنا قتالٌ، وما لنا به يَدٌ، إنَّا سَنُخلي بينه وبين ما جاء له، فإنَّ هذا بيتُ الله الحرام، وبيتُ خليلِه إبراهيمَ عليه السلام، فإنْ يَمنَعْه، فهو بيتُه

(١) انظر قصة أصحاب الفيل في «دلائل النبوة» للبيهقي ١/ ٨٥ و«السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٤٣ و«تفسير السمرقندي» ٣/ ٥١٢ ـ ٥١٥ و«تفسير ابن كثير» ٤/ ٥٨٧ ـ ٥٩١ و«تفسير البغوي» ٤/ ٤٩٤ ـ ٤٩٧. و«الدر» ٦/ ٦٧٢ ـ ٦٧٦ وخبر أبرهة ومحاولته هدم الكعبة، خبر مشهور بل متواتر وشهرته تغني عن الإسناد والله تعالى أعلم.

وَحَرَمُه، وإنْ يُخلِّ بينه وبين ذلك، فَوَاللهِ ما لنا به قوّةٌ. قال: فانطَلِقْ معي إلى المَلِكِ، فلمَّا دخل عبدُ المُطَّلِبِ على أبرَهَةَ أعظَمَه، وأكرَمَه، ثم قال لِتَرجُمانِه: قل له: ما حاجَتُكَ إلى المَلِكِ؟ فقال له التَّرجُمَانُ، فقال: حاجتي أنْ يَردَّ عليَّ مائتي بعيرٍ أصابها. فقال أبرَهَةُ لِتَرجُمانِه: قل له: لقد كنتَ أعجَبتَني حين رأيتُكَ، ولقد زَهِدتُ الآنَ فيكَ، حين جئتُ إلى بيتٍ هو دِينُكَ ودِينُ آبائكَ لأهدِمَنَّهُ، فلم تُكلِّمني فيه، وكَلَّمتَني لإبلٍ أَصَبتُها. فقال عبدُ المُطَّلِبِ: أنا ربُّ هذه الإبلِ، ولهذا البيتِ رَبٌّ سَيمنَعُه. فأمَرَ بإبلِه فَرُدَّتْ عليه، فخرجَ، وأخبر قُريشاً، وأَمرَهم أنْ يتفرَّقوا في الشِّعابِ ورؤوسِ الجبال خوفاً مِنْ مَعرَّةِ الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتى عبدُ المُطَّلِبِ الكعبةَ، فأخذَ بحَلْقة الباب، وجعلَ يقول:

يَـا رَبِّ لاَ أرْجُـو لَـهُـم سِـوَاكَـا ... يَـا رَبِّ فَـامْـنَـعْ مِـنْـهُـمُ حِـمَـاكَـا
إنَّ عَـدُوَّ الـبَـيْـتِ مَـنْ عَـادَاكَـا ... إمْـنَـعْـهُـمُ أنْ يُـخْـرِبُـوا قُـرَاكَـا

وقال أيضاً:

لاَهُـــمَّ إنَّ الـــمَـــرْءَ يَـــمْـــ ... ـنَعُ رَحْلَه وحِلالَه فامنَعْ حِلالَكْ
لاَ يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ ... وَمِـحَـالُـهم عَـدْواً مِـحَـالَـكْ
جَـرُّوا جَـمِـيـعَ بِـلادِهِـم ... والـفـيـلَ كـي يَـسْـبُـوا عِـيَـالَـكْ
عَـمِـدُوا حِـمَـاكَ بِـكَـيْـدِهِـم ... جَـهـلاً ومـا رَقَـبُـوا جَـلالَـكْ
إنْ كُـنـتَ تـارِكَـهُـم وكَـعْـ ... ـبَـتَـنَـا فَـأَمْـرٌ مَـا بَـدَا لَـكْ

ثم إنَّ أبرهَةَ أصبح مُتهيئاً للدخول، فبَركَ الفيلُ، فبعثوه فأبَى، فضربوه، فأبَى، فوَجَّهوه إلى اليَمنِ راجعاً، فقام يُهرولُ، ووَجَّهوه إلى الشام ففعلَ مثلَ ذلك، وإلى المَشرقِ ففعلَ مثلَ ذلك، فوجَّهُوه إلى الحَرمِ، فأبى، فأرسلَ اللهُ طيراً مِنَ البحر.

واختلفوا في صِفَتِها، فقال ابنُ عباس: كانت لهم خَراطِيمُ كخَراطِيم الطير، وأكُفٌّ كأكُفِّ الكلابِ. وقال عِكرمَةُ: كانت لها رؤوسٌ كرؤوس السِّباعِ. وقال ابنُ إسحاقَ: كانت أمثالَ الخَطاطِيفِ.

واختلفوا في ألوانِها على ثلاثةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها كانت خضراءَ، قاله عِكرمَةُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ. **والثاني**: سوداءُ، قاله عُبَيدُ بنُ عُميرٍ. **والثالث**: بيضاءُ، قاله قَتادَةُ. وقال: وكان مع كلِّ طيرٍ ثلاثةُ أحجارٍ، حَجَرانِ في رِجْلَيهِ، وحجرٌ في مِنْقارِه.

واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضُهم: كانت كأمثال الحُمُّصِ والعدسِ. وقال عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ: بل كان الحجرُ كرأس الرجل وكالجَمَلِ، فلمَّا غَشِيَتِ القومَ أرسَلَتْها عليهم، فلم تُصِبْ تلك الحجارةُ أحداً إلاَّ هَلَكَ. وكان الحجر يقع على رأسِ الرجل، فيخرج مِنْ دُبُرِه. وقيل: كان على كلِّ حجرٍ اسمُ الذي وقع عليه، فهَلَكوا ولم يدخلوا الحَرَم، وبعثَ اللهُ على أبرَهَةَ داءً في جسده، فتساقَطَتْ أنامِلُه، وانْصَدَعَ صدرُه قطعتين عن قلبه، فهَلَكَ، ورأى أهلُ مكَّةَ الطيرَ قد أقبلَتْ مِنْ ناحية البحر، فقال عبدُ المُطَّلبِ: إنَّ هذه الطير غريبةٌ. ثم إنَّ عبدَ المُطَّلِبِ بعثَ ابنَه عبدَ الله على فرسٍ ينظر إلى القوم، فرجعَ يركضُ وهو يقول: هَلَكَ القومُ جميعاً، فخرجَ عبدُ المُطَّلِبِ وأصحابُه فغَنِموا أموالَهم. وقيل: لم يَنْجُ مِنَ القوم إلاَّ أبو يكسوم، فسَارَ، وطائرٌ يطير على رأسِه مِنْ فوقه، ولا يشعر به، حتى دخلَ على النَّجاشِي، فأخبره بما أصابَ القومُ، فلما أتَمَّ كلامَه رَماهُ الطائرُ فماتَ، فأرى اللهُ تعالى النَّجاشِي كيف

كان هلاكُ أصحابِه.

واختلفوا كم كان بين مولِد رسولِ الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثةِ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنَّ رسولَ الله ﷺ وُلِدَ عامَ الفيلِ، وهو الأصحُّ. **والثاني**: كان بينهما ثلاثٌ وعشرون سنةً، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثالث**: أربعونَ سنةً، حكاه مُقاتِلٌ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ وهو ما أرادوا مِنْ تخريب الكَعبةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾أي: في ذهابٍ. والمعنى: أنَّ كَيدَهُم ضَلَّ عمَّا قصدوا له، فلم يَصِلوا إلى مُرادِهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.

وفي «الأبابيْل» خمسةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها المُتفرِّقةُ مِنْ هاهنا وها هنا، قاله ابنُ مسعودٍ، والأَخفشُ. **والثاني**: أنها المُتتابِعةُ التي يَتبعُ بعضُها بعضاً، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، ومُقاتِلٌ. **والثالث**: الكثيرة، قاله الحَسنُ، وطَاوسٌ. **والرابع**: أنها الجمع بعدَ الجمع، قاله عَطاءٌ، وأبو صالحٍ، وكذلك قال أبو عُبيدَةَ، وابنُ قُتيبةَ، والزَّجَّاجُ: «الأبابِيْل»: جماعاتٌ في تَفرِقةٍ. **والخامس**: المختلفةُ الألوانِ، قاله زَيدُ بنُ أسلَمَ. قال الفرَّاءُ، وأبو عُبيدَةَ: «الأبابِيْل» لا واحدَ لها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَرْمِيهِم﴾ وقرأ أبو عبدالرَّحمنِ السُّلَميُ وابنُ يَعمُر وَحُمَيدٌ وأبو حَنِيفَةَ «يرميهم» بالياء. وقد بَيَّنَّا معنى «سِجِّيل» في هود[٢] ومعنى «العَصْف» في سُورَةِ الرَّحمن[٣] عزَّ وجلَّ.

في معنى «مأكول» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنْ يكونَ أراد به أنه أُخِذَ ما فيه مِنَ الحَبِّ فأُكِلَ، وبقي هو لا حَبَّ فيه. **والثاني**: أنْ يكونَ أراد العَصْفَ مأكُولَ البهائم، كما يُقال للحِنطَةِ: هذا المأكُولُ ولمَّا يُؤكَلْ. وللماء: هذا المَشرُوب ولمَّا يُشرَبْ، يريد أنهما مما يُؤكَلُ ويُشرَبُ، ذكرهما ابنُ قُتيبةَ. **والثالث**: أنَّ المأكُولَ هاهنا: الذي وقعَ فيه الأُكَالُ. فالمعنى: جعلهم كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأُكِلَ: أي: وقعَ فيه الأُكَالُ، قاله الزَّجَّاجُ.

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «السيرة النبوية» ١/ ٢٠٣: كون رسول الله ﷺ ولد عام الفيل هو قول الجمهور. وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٤٧٦. وقال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ٤/ ٦٥٩: سورة الفيل: هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيّب سعيهم وأضلّ عملهم وردهم بشر خيبة، وكانوا قوماً نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثه النبي محمد ﷺ على خاتم الأنبياء.

(٢) هود: ٨٢. (٣) الرحمن: ١٢.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

ويُقال لها: سُورَةُ لإيلاف

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله الضَّحَّاكُ، وابنُ السَّائِبِ.

واختلف القُرَّاءُ في «لإِيْلافِ»(١) فقرأ ابنُ عامرٍ «لإِلافِ» بغيرِ ياءٍ بعد الهمزة، مثل: لِعِلاف. وقرأ أبو جعفرَ بياءٍ ساكنةٍ مِنْ غير همزٍ. وروى حَمَّادُ بنُ أحمدَ عن الشموني(٢) بهمزتين مخففتين، الأولى: مكسورةٌ، والثانية: ساكنةٌ على وزنِ لِفعْلان. وقرأ الباقون بهمزةٍ بعدها ياءٌ ساكنةٌ، مثل لِعيلاف.

وفي لام «لإِيْلاف» ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها موصولةٌ بما قبلَها، المعنى: فجَعلَهم كعَصْفٍ مأكُولٍ لإِيلافِ قُريشٍ، أي أهلَكَ اللهُ أصحابَ الفيل لِتبقى قُريشٌ. وما قد أَلِفُوا مِنْ رحلة الشتاء، والصيف هذا قولُ الفَرَّاءِ والجمهور. **والثاني**: أنها لامُ التعجُّب، كأنَّ المعنى: اعْجَبوا لإِيْلافِ قُريشٍ رحلةَ الشتاء والصيف، وتَركِهم عبادة ربِّ هذا البيت، قاله الأعمَشُ، والكِسَائيُّ. **والثالث**: أنَّ معناها مُتَّصلٌ بما بعدها. المعنى: فَلْيَعبُدْ هؤلاءِ ربَّ هذا البيت لإِيْلافِهم رحلةَ الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرِّحلتين آمِنِيْنَ، وإذا عَرَضَ لهم عارِضٌ قالوا: نحن أهلُ حَرَمِ الله فلا يُتَعرَّضُ لهم، قال الزَّجَّاجُ: وهذا الوجه قولُ النَّحويين الذي تُرتضى أقوالُهم. وقال ابنُ قُتَيبةَ: بعض الناس يذهب إلى أنَّ هذه السورةَ وسورةَ الفيلِ واحدةٌ، وأكثرُ الناس على أنهما سُورَتانِ، وإنْ كانتا مُتَّصِلَتَي الألفاظ. والمعنى: أنَّ قريشاً كانت بالحَرم آمِنةً مِنَ الأعداء. والحَرمُ وَادٍ جَدِيبٌ لا زرعَ فيه ولا شجرَ، وإنما كانت قُريشٌ تعيش فيه بالتجارة وكانتْ لهم رِحلتانِ في كلِّ سنةٍ، رحلةٌ في الشتاء، ورحلةٌ في الصيف إلى الشام. ولولا هاتانِ الرِّحلتانِ لم يكن به مَقامٌ. ولولا أنهم بِمُجاورةِ البيت لم يَقدِروا على التصرُّفِ، فلما قصدَ أصحابُ الفيل هَدْمَ الكَعبِ أهلَكَهُم اللهُ لِتُقيمَ قُريشٌ بالحَرم، فذكَّرهم اللهُ نعمتَه بالسورتين. والمعنى: أنه أهلَكَ أولئك لِيُؤلِّفَ قُريشاً هاتين الرِّحلتين اللَّتي بها مَعاشُهم، ومَقامُهم بمكَّةَ. تقول: أَلِفتُ موضعَ كذا: إذا لَزِمتَهُ، وأَلِفَنيهُ اللهُ، كما تقول: لَزِمتُ موضعَ كذا وكذا، وأَلْزَمَنِيهُ اللهُ، وكرَّرَ «لإِيلاف» للتوكيد، كما تقول: أعطَيتُكَ المالَ لِصيانة وجهِكَ صيانةً عن كلِّ الناس. وقال الزَّجَّاجُ: يقال: أَلِفتُ المكانَ أَلِفاً، وآلَفتُه إِيْلافاً بمعنًى واحدٍ.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٠٠: والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه ﴿**لإيلاف قريش إيلافهم**﴾ بإثبات الياء فيهما بعد الهمزة من آلفت الشيء أولفه إيلافاً، لإجماع الحجة من القراء عليه.

(٢) في الأزهرية «محمد بن حبيب الأشموني عن أبي يوسف الأعشى عن أبي بكر عن عاصم».

وأمَّا قُريشٌ فهم وَلَدٌ لنضر بن كنانة، وكل من لم يلده النضر فليس بقُرشيٍّ. وقيل: هم وَلَدُ فِهْرِ بنَ مالكِ بنِ النَّضْرِ فمن لم يلِدْهُ فِهْرٌ فليس بقُرشيٍّ. وإنما سُمُّوا قُريشاً لتجارتهم وجمعِهِم المالَ. والقَرشُ: الكَسبُ. يقال: هو يقرشُ لِعيالِه، وَيقترِشُ، أي: يكتسب. وقد سأل مُعاويةُ ابنَ عباسٍ لِمَ سُمِّيَتْ قُريشٌ قُريشاً؟ فقال ابنُ عباسٍ: بدابَّةٍ تكون في البحر يُقال لها: القَرِيشُ لا تَمُرُّ بشيءٍ مِنَ الغَثِّ والسمينِ إلاَّ أكَلَتْهُ. وأنشد:

وقُريشٌ هي التي تَسْكُنُ البحـ ... ـرَ بها سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشا

تأكلُ الغثَّ والسَّمينَ ولا تتر ... كُ فيه لِذي الجَناحَينِ رِيشا

وقال ابنُ الأنْباري: قال قومٌ: سُمُّوا قُريشاً بالاقتِراشِ، وهو وقوعُ الرِّماحِ بعضها على بعضٍ. قال الشاعر:

ولمَّا دَنا الرَّاياتُ واقْتَرَشَ القَنا ... وَطَارَ مَعَ القَوْمِ القُلوبُ الرَّواجِفُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ قرأ أبو جعفرَ وابنُ فُلَيْحٍ عن ابنِ كثيرٍ، والوليدُ بنُ عُتْبَةَ عن ابنِ عامرٍ، والثَّعلَبيُّ عن ابنِ ذَكْوانَ، عنه «إلا فهم» بهمزةٍ مكسورةٍ من غيرِ ياءٍ بعدها، مثل: عِلافِهِم. وروى الخُزاعِيُّ عن ابنِ فُلَيْحٍ، وأبانُ بنُ تَغْلِبَ عن عاصِمٍ «إلْفهم» بسكونِ اللام أيضاً. ورواه الشموني إلاَّ حَمَّاداً بهمزتين مكسورتين بعدهما ياءٌ ساكنةٌ، ورواه حمَّادٌ كذلك إلاَّ أنه حَذفَ الياءَ. وقرأ الباقون بهمزةٍ، بعدها ياءٌ ساكنةٌ مثل «عِيْلافهم». وجمهور العلماء على أنَّ الرِّحلتين كانتا للتجارة، وكانوا يخرجون إلى الشَّامِ في الصيف، وإلى اليمنِ في الشتاء لِشدَّةِ بَردِ الشام. وروى سعيدُ بن جُبَيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: كانوا يُشتون بمكَّةَ، ويُصيفون بالطَّائفِ. قال الفَرَّاءُ: والرحلة منصوبةٌ بإيقاع الفعل عليها.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ أي: لِيُوَحِّدوه ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: بعد الجوع، كما تقول: كَسَيْتُكَ مِنْ عُرْيٍ، وذلك أنَّ الله آمَنَهم بالحَرمِ، فلم يُتَعرَّضْ لهم في رحلَتِهم، وكان ذلك سبباً لإطعامِهم بعدما كانوا فيه مِنَ الجوع. وروى عَطاءٌ عن ابنِ عباسٍ قال: كانوا في ضُرٍّ ومَجاعةٍ حتى جَمَعَهُم هاشمٌ على الرِّحلتين، فكانوا يُقْسِمونَ رِبحَهم بين الغنيِّ والفقيرِ حتى استَغْنَوْا.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ وذلك أنهم كانوا آمِنِيْنَ بالحَرمِ، إنْ حضروا حِماهُم، وإن سافروا قيلَ: هؤلاءِ أهلُ الحَرَمِ، فلا يَعرِضُ لهم أحدٌ.

سورة الماعون

ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

ويُقال لها: سُورَة أرأيتَ

وفيها قولان: **أحدهما**: مكّيَّةٌ، قاله الجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ. وقال هِبَةُ الله المُفسِّرُ: نزل نِصفُها بمكَّةَ في العاصِ بن وائلٍ، ونصفُها بالمدينة في عبدِالله بنِ أُبَيٍّ المنافقِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآيةُ على ستةِ أقوالٍ: **أحدها**: أنها نزلت في رجلٍ مِنَ المنافقين، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: أنها نزلت في عمرو بنِ عائذٍ، قاله الضَّحَّاكُ. **والثالث**: في الوليدِ بنِ المُغيرَةِ، قاله السُّدِّيُّ. **والرابع**: في العاصِ بنِ وائلٍ، قاله ابنُ السَّائبِ. **والخامس**: في أبي سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، قاله ابنُ جُرَيجٍ. **والسادس**: في أبي جَهْلٍ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي «الدِّين» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه حُكمُ الله عزَّ وجلَّ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: الحساب، قاله مُجاهِدٌ، وعِكرِمَةُ. **والثالث**: الجزاء، حكاه المَاوَرديُّ. **والرابع**: القرآن، حكاه بعضُ المُفسِّرين. و﴿يَدُعُّ﴾ بمعنى يَدفَعُ. وقد ذكرناه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ والمعنى: أنه يَدفَعُ اليتيمَ عن حقِّهِ دَفعاً عنيفاً ليأخذَ مالَه. وقد بيَّنَّا فيما سبقَ أنهم كانوا لا يُوَرِّثُون الصغيرَ، وقيل: يَدفَعُ اليتيمَ إبعاداً له، لأنه لا يرجو ثوابَ إطعامِه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: لا يُطعِمُه، ولا يأمرُ بإطعامِه لأنه مُكذِّبٌ بالجزاء.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(١) نزل هذا في المنافقين الذين

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٦٧: **﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾** إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق وأبو الضحى، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها =

لا يَرجُونَ لِصلاتِهم ثواباً، ولا يخافون على تَرْكِها عقاباً. فإنْ كانوا مع النبيِّ ﷺ صَلُّوا رِياءً، وإنْ لم يكونوا معه لم يُصَلُّوا، فذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ وقال ابنُ مسعودٍ: واللّهِ ما تركوها البتَّةَ ولو تَركُوها البَتَّةَ كانوا كُفَّاراً، ولكنْ تَركوا المُحافظةَ على أوقاتِها. وقال ابنُ عباسٍ: يُؤخِّرُونها عن وَقْتِها. ونُقِلَ عن أبي العاليةِ أنه قال: هو الذي لا يَدري عن كَم انصرَفَ، عن شَفْعٍ، أو عن وِترٍ. ورَدَّ هذا بعضُ العلماء فقال: هذا ليس بشيءٍ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ قد سَهَا في صَلاته(1)، ولأنه قال عزَّ وجلَّ: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يَقُلْ: في صلاتِهم، ولأنَّ ذاك لا يكادُ يدخل تحتَ طَوْقِ ابنِ آدمَ.

قلت: ولا أظنُّ أبا العاليةِ أراد السَّهْوَ النادرَ، وإنما أراد السَّهْوَ الدائمَ، وذلك يُنبِئُنا عن الْتِفاتِ القلب عن احترام الصلاة، فيتوجه الذمُّ إلى ذلك لا إلى السَّهْوِ. وفي ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ ستة أقوالٍ:

[١٥٧١] **أحدها**: الإِبرةُ، والماءُ، والنَّارُ، والفَأسُ، وما يكون في البيت مِنْ هذا النحو، رواه أبو هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ، وإلى نحوِ هذا ذهب ابنُ مسعودٍ وابنُ عباسٍ في روايةٍ. ورَوى عنه أبو صالحٍ أنه قال: المَاعُون: المعروفُ كُلُّه حتى ذَكَرَ القِدْرَ، والقَصْعَةَ، والفأسَ. وقال عِكرمَةُ: ليس الوَيْلُ لِمَنْ مَنَعَ هذا، إنما الويلُ لِمَنْ جمعهنَّ، فَراءَى في صلاتِه، وسَهَا عنها، ومَنَعَ هذا. قال الزَّجَّاجُ: والمَاعُونُ في الجاهلية: كلُّ ما كان فيه منفعةٌ كالفأسِ، والقِدْرِ، والدَّلْوِ، والقَدَّاحةِ، ونحوِ ذلك، وفي الإسلام أيضاً.

والثاني: أنه الزَّكاةُ، قاله عليٌّ، وابنُ عمرَ، والحسَنُ، وعِكرمَةُ، وقَتادَةُ. **والثالث**: أنه الطاعةُ، قاله ابنُ عباسٍ في روايةٍ. **والرابع**: المال، قاله سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ، والزُّهريُّ. **والخامس**: المعروفُ، قاله محمَّدُ بنُ كَعْبٍ. **والسادس**: الماء، ذكره الفَرَّاءُ عن بعضِ العرب قال: وأنشدني:

يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبّا

والصَّبِيرُ: السَّحابُ.

[١٥٧١] ضعيف جداً. أخرجه ابن الديلمي في «زهر الفردوس» ٤/١٦٨ من حديث أبي هريرة، وإسناده ضعيف جداً لضعف عمرو بن شبيب، وفي الإسناد مجاهيل. وحسبه أن يكون من كلام أبي هريرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٢٣ بتخريجنا.

= وشروطها على الوجه المأمور به، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية.

(1) قال القرطبي رحمه الله في «التفسير» ٢٠/١٩٥: وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو في صلاته، فضلاً عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهود في كتبهم قال ابن العربي: لأن السلامة من السهو محال. اهـ. قلت: قوله وكان رسول الله ﷺ يقع له السهو، ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين، وتقدم.

سورة الكوثر

ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكّيَّةٌ، قاله ابنُ عباسٍ، والجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، قاله الحسَنُ، وعِكرِمَةُ، وقَتادَةُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

وفي «الكَوْثَر» ستةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه نهرٌ في الجنة.

[١٥٧٢] رَوى البُخاريُّ في أفرادِه مِنْ حديث أنسِ بنِ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: بَيْنا أنا أسيرُ في الجنة إذا بِنَهرٍ حافَّتاهُ قِبابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ. قلتُ: ما هذا يا جِبرِيلُ؟ قال: هذا الكَوْثَرُ الذي أعطاكَ ربُّكَ عزَّ وجلَّ، فإذا طِينُه، أو طِينَتُه مِسْكٌ أذْفَرُ.

[١٥٧٣] ورَوى مُسلِمٌ أيضاً في أفرادِه مِنْ حديث أنسٍ أيضاً قال: أغفَى رسولُ الله ﷺ إغفاءَةً، ثم رفعَ رأسَه مُتبسِّماً فقلنا له: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فقال: «إنه أُنزِلَتْ عليَّ آنفاً سُورَةٌ» فقرأ: بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتى خَتَمها. وقال: «هل تدرون ما الكَوْثَرُ؟» فقالوا: الله ورسوله أعلَمُ. قال: «هو نهرٌ أعطانِيْهُ الله ربِّي عزَّ وجلَّ في الجنة عليه خيرٌ كثيرٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يومَ القيامة آنِيَتُه عددُ نجومِ كواكبِ السماء، يَختَلِجُ العبدُ منهم، فأقول: يا ربِّ إنه مِنْ أُمَّتي، فيُقال لي: إنكَ لا تدري ما أحْدَثوا بعدَكَ».

والثاني: أنَّ الكَوثرَ: الخير الكثير الذي أُعطِيَ نبيُّنا ﷺ، قاله ابنُ عباسٍ. **والثالث**: العلمُ والقرآنُ، قاله الحسَنُ. **والرابع**: النُّبوةُ، قاله عِكرِمَةُ. **والخامس**: أنه حَوضُ رسولِ الله ﷺ الذي يَكثُر الناسُ

[١٥٧٢] صحيح. أخرجه البخاري ٦٥٨٠ وأحمد ٣/ ١٩١ و ٢٨٩ وأبو يعلى ٢٨٧٦ والطبري ٣٨١٧٣ والطيالسي ٢٨١٣ من طرق عن همام عن قتادة عن أنس بن مالك به. وأخرجه أحمد ٣/ ١٠٣ وابن المبارك في «الزهد» ١٦١٢ والطبري ٣٨١٧٢ من طريق ابن أبي عدي عن حميد به. وأخرجه النسائي في «التفسير» ٧٢٦ وأحمد ٣/ ١١٥ و ٢٦٣ والآجري في «الشريعة» ٩٤٩ و ٩٥٠ وابن أبي شيبة ١١/ ٤٣٧ وابن حبان ٦٤٧٢ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٣٢٧ من طرق عن حميد به.
وأخرجه البخاري ٤٩٦٤ وأبو داود ٤٧٤٨ والترمذي ٣٣٥٦ و ٣٣٥٧ وأحمد ٣/ ١٦٤ و ٢٠٧ وابن ماجه ٤٣٠٥ والطبري ٣٨١٧٠ و ٣٨١٧١ من طرق عن قتادة به.

[١٥٧٣] صحيح. أخرجه مسلم ٤٠٠ والبغوي في «التفسير» ٢٤٠٣ عن أبي بكر بن أبي شيبة به عن أنس.
ـ وأخرجه النسائي ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٤ وأبو عوانة ٢/ ١٢١ من طريق علي بن مسهر به.

عليه، قاله عَطاءٌ. **والسادس**: أنه كثرةُ أتباعِه، وأُمَّتِه، قاله أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ وفي هذه الصلاة ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنها صلاة العيد. وقال قَتادَةُ: صلاةُ الأَضحى. **والثاني**: أنها صلاةُ الصُّبحِ بالمُزدَلِفَةِ، قاله مُجاهِدٌ. **والثالث**: الصلواتُ الخَمسُ، قاله مُقاتِلٌ.

وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱنْحَرْ﴾ خمسةُ أقوالٍ[1]: **أحدها**: اذْبَحْ يومَ النَّحرِ، رواه عليُّ بنُ أبي طَلحَةَ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال عَطاءٌ ومُجاهِدٌ والجمهور. **والثاني**: وَضعُ اليُمنى على اليُسرى عند النحر في الصلاة رَواه أبو الجَوزاءِ عن ابنِ عباسٍ وهو قول عليٍّ رضي الله عنه، قال ابنُ جَريرٍ: فيكون المعنى ضَع اليُمنى على اليُسرى عند النَّحرِ في الصلاة. **والثالث**: أنه رَفعُ اليدين بالتكبير إلى النَّحرِ، قاله أبو جعفَرَ محمَّدُ بنُ عليٍّ. **والرابع**: أَنَّ المعنى: صَلِّ لله، وانحرْ لله، فإنَّ ناساً يُصلُّون لغيره، ويَنحرونَ لغيره، قاله القُرَظيُّ. **والخامس**: أنه استقبالُ القِبْلَةِ بالنَّحرِ، حكاه الفَرَّاءُ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ اختلفوا فيمَنْ عَنى بذلك على خمسةِ أقوالٍ[2]:

أحدها: أنه العاصُ بنُ وائلٍ السَّهميُّ.

[١٥٧٤] قاله ابنُ عباسٍ: نزلت في العاصِ بنِ وائلٍ، لَقِيَ رسولَ الله ﷺ على باب المسجد فوقفَ يُحدِّثُه حتى دخلَ العاصُ المسجدَ، وفيه أناسٌ مِنْ صناديدِ قُريشٍ، فقالوا له: مَنِ الذي كنتَ تُحدِّثُ؟ قال: ذلك الأبتَرُ، يعني النبيَّ ﷺ، وكان قد تُوفِّيَ قبل ذلك عبدُ الله ابنُ رسولِ الله ﷺ، وكانوا يُسمُّونَ مَنْ ليس له ابنٌ: أبتَر، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ هذه السورةَ. وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاصِ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ.

والثاني: أنه أبو جَهلٍ، رُويَ عن ابنَ عباسٍ أيضاً. **والثالث**: أبو لَهَبٍ، قاله عَطاءٌ. **والرابع**: عُقبةُ بنُ أبي مُعَيطٍ، قاله شِمْرُ بنُ عَطِيَّةَ. **والخامس**: أنه عَنى به جماعةً مِنْ قُريشٍ، قاله عِكرِمَةُ. والشَّانِئ: المُبغِضُ، و﴿ٱلْأَبْتَرُ﴾: المُنقَطِعُ عن الخير.

[١٥٧٤] لم أره مسنداً، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٧٢ عن ابن عباس بدون إسناد.
وورد بنحوه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ذكره الشوكاني في «فتح القدير» ٦١٧٤ وهذا إسناد ساقط. وكون الآية نزلت في العاص بدون هذه القصة. أخرجه الطبري ٢٨٢١٦. من مرسل سعيد بن جبير، ٣٨٢١٧ من مرسل مجاهد و ٣٨٢١٨ من مرسل قتادة. وهو الراجح.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٢٤: وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرك، اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له.
وحضك به من إعطائه إياك الكوثر، قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٧٤: وهذا الذي قاله أبو جعفر الطبري، في غاية الحسن وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٧٤: يعني عدوك، وهذا يعم جميع من أنصف بذلك ممن ذُكر وغيرهم. وقال الطبري رحمه الله ١٢/ ٧٢٦: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبره أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص معين.

سُورَةُ الكَافِرُونَ
ترتيبها ١٠٩ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكِّيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، والحسَنُ، والجمهور. **والثاني**: مدنيَّةٌ، رُوِيَ عن قَتادَةَ. ذِكْرُ سببِ نزولِها: اختلفوا على ثلاثةِ أقوالٍ[1]:

[١٥٧٥] **أحدها**: أنَّ رَهطاً مِنْ قُريشٍ منهم الوليدُ بنُ المُغيرَةِ، والعاصُ بنُ وائلٍ، والأسوَدُ بنُ عبدِ يَغُوثَ لَقُوا العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ، فقالوا: يا أبا الفَضْلِ: لو أنَّ ابنَ أخيكَ أسلَمَ بعضَ آلهتِنا لَصَدَّقناه بما يقول ولآمَنَّا بإلٰهِه، فأتاه العبَّاسُ فأخبره فنزلت هذه السورةُ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ.

[١٥٧٦] **والثاني**: أنَّ عُتبَةَ بنَ رَبيعةَ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ لَقِيا رسولَ الله ﷺ فقالا يا محمَّدُ: لا نَدعُكَ حتى تتبعَ دِيْنَنا، ونَتْبعَ دِيْنَكَ، فإنْ كان أمرُنا رشداً كنتَ قد أخذتَ بحظِّكَ منه، وإنْ كان أمرُكَ رشداً كنَّا قد أخَذْنا بحَظِّنا منه، فنزلت هذه السُّورةُ، قاله عُبَيْدُ بنُ عُمَيرٍ.

[١٥٧٧] **والثالث**: أنَّ قُريشاً قالوا للنبيِّ ﷺ: إنْ سَرَّكَ أنْ نتبعَ دِيْنَكَ عاماً، وترجعَ إلى دِيْنِنا عاماً، فنزلت هذه السورةُ، قاله وَهْبٌ. قال مُقاتِلٌ في آخرين: نزلت هذه السورةُ في أبي جَهْلٍ وفي المستهزئين، ولم يُؤمِنْ مِنَ الذين نزلت فيهم أحَدٌ. وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ فهو في موضعِ

[١٥٧٥] عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح ليس بثقة، روى الكلبي وأبو صالح عن ابن عباس تفسير ليس له أصل عنه. راجع ترجمتهما في «الميزان». وانظر ما بعده.

[١٥٧٦] عزاه المصنف لعبيد بن عمير، وهو تابعي، فهو مرسل. وأخرجه الطبري ٣٨٢٢٦ عن ابن إسحق عن سعيد بن مينا به، وهذا مرسل. ويشهد له ما بعده.

[١٥٧٧] مرسل. أخرجه عبد الرزاق ٣٧٢٧ عن وهب بن منبه مرسلاً. ويشهد له ما قبله.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٧٥: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية.

«مَنْ» ولكنه جُعِلَ مُقابلاً لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾ وهي الأصنام.

وفي تكرارِ الكلام قولان[1]: **أحدهما**: أنها لتأكيدِ الأمرِ، وحَسْمِ أطماعِهم فيه، قاله الفرَّاءُ. وقد أنعَمْنا شرحَ هذا في سُورَةِ الرَّحمن[2]. **والثاني**: أنَّ المعنى: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ في حالي هذه ﴿وَلَآ أَنتُمۡ﴾ في حالِكُم هذه، ﴿عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ فيما أستَقبِلُ، وكذلك أنتم، فنفَى عنه وعنهم ذلك في الحالِ والاستقبالِ، وهذا في قوم بأعيانِهم، أعلَمَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنهم لا يُؤمنون، كما ذكرنا عن مُقاتِلٍ، فلا يكون حِينَئذٍ تكراراً، هذا قولُ ثعلَب، والزَّجّاج. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ فتَحَ ياءَ «وليَ» نافعٌ، وحَفْصٌ، وأَبانُ عن عاصِمٍ. وأثبَتَ ياءَ «ديني» في الحالين يعقوبُ. وهذا منسوخٌ عند المُفسِّرين بآيةِ السيف.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/٦٧٦: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** في المستقبل قاله البخاري وقيل أن ذلك تأكيد محض. وثم قول رابع، نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾** نفي الفعل لأنها جملة فعلية **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية آكد، فكأنه نفي الفعل ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، وهو قول حسن. واستدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة: **﴿لكم دينكم ولي دين﴾** على أن الكفر كله ملة واحدة، فورث اليهود من النصارى، وبالعكس، لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان.

(٢) الرحمن: ١٣.

سُورَةُ النَّصر

ترتيبها ١١٠ — آياتها ٣

وهي مدنيَّةٌ بإجماعِهم

[١٥٧٨] وفي أفرادِ مُسلِمٍ مِنْ حديث ابنِ عباسٍ أنها آخرُ سُورةٍ نزلتْ جميعاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: مَعونتُه على الأعداء. ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتحُ مكَّةَ قال الحسَنُ: لمَّا فتَحَ رسولُ الله ﷺ مكَّةَ قالت العرب: أَمَا إذ ظَفِرَ محمَّدٌ بأهل الحَرَم، وقد أجارَهُم اللَّهُ مِنْ أصحاب الفيل، فليس لكم به يَدَانِ فدَخَلوا في دِيْنِ الله أفواجاً. قال أبو عُبيدَةَ: والأفواجُ: جماعاتٌ في تَفرِقةٍ.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: **أحدهما**: أنه الصلاة، قاله ابنُ عباسٍ. **والثاني**: التسبيحُ المعروفُ، قاله جماعةٌ مِنَ المُفسِّرين. قال المُفسِّرون: نُعِيَتْ إليه نفسُهُ بنزولِ هذه السُّورةِ، وأُعْلِمَ أنه قد اقتربَ أجَلُه، فأُمِرَ بالتسبيح والاستغفارِ لِيَخْتِمَ له عُمرَهُ بالزيادة في العمل الصالح[١]. قال ابنُ عباسٍ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾: دَاعٍ مِنَ الله، وَوَدَاعٌ مِنَ الدنيا. قال قَتادَةُ: وعاش بعد نزولِ هذه السُّورةِ سنتين.

[١٥٧٨] صحيح، أخرجه مسلم ٣٠٢٤ والنسائي في «التفسير» ٧٣٣ عن ابن عباس به.

---

(١) أخرجه النسائي في «التفسير» ٧٣٢ والطبراني ١١٩٠٣ من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس.

سورة المسد

ترتيبها ١١١ — آياتها ٥

وهي مكيّةٌ بإجماعِهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

[١٥٧٩] وسببُ نزولِها ما رواه البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] صَعِدَ رسولُ الله ﷺ على الصَّفا فقال: «يا صَباحَاه». فاجتَمعتْ إليه قُريشٌ، فقالوا: ما لَكَ؟ فقال: أَرَأيتُكم إنْ أخبَرتُكم أنَّ العدوَّ مُصبِّحكُم، أو مُمَسِّيكُم، أَمَا كُنتم تُصَدِّقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ». قال أبو لَهَبٍ: تبًّا لكَ، أَلِهَذا دَعوتَنا جَمْعاً؟ فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ ومعنى: تَبَّتْ خَسِرَتْ يدا أبي لَهَبٍ ﴿وَتَبَّ﴾ أي: وخَسِرَ هو. قال الفَرَّاءُ: **الأول**: دُعاءٌ، **والثاني**: خبرٌ، كما يقول الرجل: أهلَكَكَ اللَّهُ وقد أهلَكَكَ، وجعلكَ اللَّهُ صالحاً وقد جَعَلَكَ. وقيل: ذَكَرَ يديه، والمراد نَفْسُه، ولكنْ هذا عادة العرب يُعبِّرون ببعضِ الشيءِ عن جميعه، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[٢]. وقال مُجاهِدُ: «تبت يدا أبي لهبٍ وتَبَّ» وَلَدُ أبي لَهَبٍ. فأمَّا أبو لَهَبٍ فهو عمُّ رسولِ الله ﷺ. وقيل: إنَّ اسمه عبدُ العُزَّى. وقرأ ابنُ كَثيرٍ وحدَهُ «أبي لَهْبٍ» بإسكانِ الهاء. قال أبو عليٍّ: يشبه أن يكون كالسَّمْعِ والسَّمَعِ، والنَّهْرِ والنَّهَرِ.

فإنْ قيل: كيف كَنَّاهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وفي الكُنية نوعُ تعظيمٍ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: أنه إنْ صحَّ أنَّ اسمَه عبدُ العُزَّى، فكيف يَذكُره اللَّهُ بهذا الاسم وفيه معنى الشِّرْكِ؟! **والثاني**: أنَّ كثيراً مِنَ الناس اشتَهَروا بكُناهُم، ولم يُعرف لهم أسماءٌ. قال ابنُ قُتيبةَ: خبَّرني غيرُ واحدٍ عن الأصمَعِي أنَّ أبا عمرِو بنَ العلاءِ، وأبا سُفْيانَ بنَ العَلاءِ إسمَاهُما كُناهُما، فإنْ كان اسمُ أبي لَهَبٍ كُنيَتَه، فإنما ذكره بما لا يُعرفُ إلاَّ به.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾، قال ابنُ مسعودٍ:

[١٥٧٩] متفق عليه، وتقدم في سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

---

(١) الشعراء: ٢١٤. (٢) الحج: ١٠.

[١٥٨٠] لمَّا دَعا رسولُ الله ﷺ أقرَبيه إلى الله عزَّ وجلَّ قال أبو لَهب: إنْ كان ما يقول ابنُ أخي حقًّا، فإني أفتَدي بمالي، ووَلَدي، فقال اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ قال الزَّجَّاجُ: و «ما» في موضع رفع. المعنى: ما أغنى عنه مالُه وكَسْبُه أي: وَلَدُه. وكذلك قال المُفسِّرون: المراد بكَسْبه ها هنا: وَلَدُه. و «أغنى» بمعنى يُغني ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ أي: تَلتَهِبُ عليه مِنْ غير دُخانٍ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ أي: سَتَصلى امرأتُه، وهي أُمُّ جميلٍ بنتُ حَرْبٍ أختُ أبي سُفْيانَ. وفي هذا دلالةٌ على صحة نُبوَّة نبيِّنا محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، لأنه أخبرَ بهذا المعنى أنه وزوجتَهُ يموتان على الكفر، فكان ذلك، إذا لو قالا بألسِنَتِهما: قد أسلَمْنا، لَوجَدَ الكفَّارُ متعلقاً في الرَّدِّ على رسول الله ﷺ، غيرَ أنَّ اللّهَ علمَ أنهما لا يُسلِمانِ باطناً ولا ظاهراً، فأخبرَهُ بذلك.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ[١]: **أحدها**: أنها كانت تمشي بالنَّميمةِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهِدٌ، والسُّدِّيُّ، والفَرَّاءُ. قال ابنُ قُتَيبةَ: فَشبَّهوا النَّميمةَ بالحَطَبِ، والعداوةَ والشَّحناءَ بالنارِ، لأنهما يَقعَانِ بالنَّميمةِ، كما تَلتَهِبُ النارُ بالحَطَبِ. **والثاني**: أنها كانت تَحتَطِبُ الشَّوكَ، فتُلقِيه في طريق رسولِ الله ﷺ ليلاً، رواه عَطِيَّةُ عن ابنِ عباسٍ. وبه قال الضَّحَّاكُ، وابنُ زيدٍ. **والثالث**: أنَّ المراد بالحطب: الخطايا، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. **والرابع**: أنها كانت تُعيِّرُ رسولَ الله ﷺ بالفقر، وكانت تَحتَطِبُ فَعُيِّرتْ بذلك، قال قَتادَةُ. وليس بالقويّ، لأنَّ الله تعالى وَصفَهُ بالمال. وقرأ عاصِمٌ وحدَهُ ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ بالنصب.

قال الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصبَ «حمّالةَ» فعلى الذَّم. والمعنى: أعني: حمَّالة الحَطبِ. والجِيْدُ: العُنُق. والمَسَدُ في لغة العرب: الحَبْلُ إذا كان مِنْ ليفِ المُقْلِ. وقد يُقال لِمَا كان مِنْ أوبارِ الإبلِ مِنَ الحِبال: مَسَدٌ. قال الشاعر:

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيانُقِ[٢]

وقال ابنُ قُتَيبةَ: المَسَدُ عند كثيرٍ مِنَ الناس: اللِّيفُ دونَ غيره، وليس كذلك، إنما المَسَدُ: كُلُّ ما ضُفِرَ وفُتِلَ مِنَ اللِّيفِ وغيره.

واختلف المُفسِّرون: في المراد بهذا الحَبْلِ على ثلاثةِ أقوالٍ[٣]: **أحدها**: أنها حِبالٌ كانت تكون

[١٥٨٠] لم أقف له على إسناد، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤/ ٦٨١ بصيغه التمريض بقوله: وذكر عن ابن مسعود. والصواب في هذا الحديث المتقدم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦٨١: كانت عوناً لزوجها على كفره، وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿**حمالة الحطب في جيدها حبل مسد**﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها يزداد على ما هو فيه، وهي مهيأة لذلك مستعدة له.

(٢) هو صدر بيت لعمارة بن طارق وعجزه:

صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مخٍ زاهقِ

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٣٨: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو حبل جمع من أنواع مختلفة. قال ابن كثير رحمه الله: وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿**في جيدها حبل من مسد**﴾ في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها. ثم كذلك دائماً.

بمكّةَ، رواه العَوْفيُ عن ابنِ عباسٍ وقال الضَّحّاكُ: حبلٌ مِنْ شجرٍ كانت تَحتَطِبُ به. **والثاني**: أنه قِلادةٌ مِنْ وَدَع، قاله قَتادَةُ. **والثالث**: أنه سِلسلةٌ مِنْ حديدٍ ذَرْعُها سبعونَ ذراعاً، قاله عُروَةُ بنُ الزُّبَيرِ، وقال غيره: ألمراد بهذا الحَبْل: السّلسلةُ التي ذَكَرها الله تعالى في النارِ، طُولُها سبعونَ ذراعاً. والمعنى: أنَّ تلك السّلسلةَ قد فُتِلَتْ فَتْلاً مُحْكَماً، فهي في عُنقِها تُعذَّبُ بها في النارِ.

سُورَةُ الإخلاص

ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مكيَّةٌ، قاله ابنُ مسعودٍ، والحَسنُ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وجابرٌ.

والثاني: مدنيَّةٌ، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ، وقَتادَةَ، والضَّحَّاك.

[١٥٨١] وقد رَوى البُخاريُّ في أفرادِه مِنْ حديث أبي سعيدِ الخُدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنَّها لَتَعدِلُ ثُلثَ القرآن».

[١٥٨٢] ورَوى مُسلِمٌ في أفرادِه مِنْ حديث أبي هُريرَةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّها تَعدِلُ ثُلثَ القرآن». وفي سببها نزولِها ثلاثةُ أقوالٍ:

[١٥٨٣] **أحدها**: أنَّ المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسُبْ لنا ربَّكَ، فنزلت هذه السورةُ، قاله أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ.

[١٥٨٤] **والثاني**: أنَّ عامرَ بنَ الطُّفيلِ قال لرسول الله ﷺ: إلامَ تَدْعونا يا محمَّدُ؟ قال: إلى الله عزَّ وجلَّ. قال: صِفهُ لي، أمِنْ ذهبٍ هو، أو مِنْ فِضَّةٍ، أمْ مِنْ حديدٍ، فنزلت هذه السورةُ، قاله ابنُ عباسٍ.

[١٥٨٥] **والثالث**: أنَّ الذين قالوا هذا، قومٌ مِنْ أحْبارِ اليهود قالوا: مِنْ أي جنسٍ هو، ومِمَّنْ

[١٥٨١] صحيح. أخرجه البخاري ٥٠١٣ و ٦٦٤٣ و ٧٣٧٤ ومالك ١/ ٢٠٨ وأحمد ٣/ ٣٥ وأبو داود ١٤٦١ والنسائي ٢/ ١٧١ وابن حبان ٧٩١ كلهم من حديث أبي سعيد الخدري. وانظر «تفسير القرطبي» ٦٥٢٢.

[١٥٨٢] صحيح. أخرجه مسلم ٨١٢ وأحمد ٢/ ٤٢٩ من حديث أبي هريرة. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٧١ بتخريجنا.

[١٥٨٣] حسن. أخرجه الترمذي ٣٣٦٤ وأحمد ٥/ ١٣٤ والحاكم ٢/ ٥٤٠ والطبري ٢٨٢٩٨ والواحدي ٨٨٠ من حديث أبي العالية عن أبي بن كعب به، وإسناده لا بأس به، وله شواهد. وورد من مرسل أبي العالية: أخرجه الطبري ٣٨٣٠٠. وورد من حديث جبير: أخرجه أبو يعلى ٢٠٤٤ والطبري ٣٨٣٠١ والواحدي في «أسباب النزول» ٨٨١ وفي «الوسيط» ٤/ ٥٧٠ ـ ٥٧١. وإسناده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف. وورد من مرسل عكرمة، أخرجه الطبري ٣٨٢٩٩، فهذه الروايات تتأيد بمجموعها.

[١٥٨٤] عزاه البغوي في «التفسير» ٤/ ٥٤٤ لأبي صالح وأبي ظبيان عن ابن عباس، وأبو صالح متهم في روايته عن ابن عباس، وراوية أبي ظبيان ابنه قابوس، وهو ضعيف. ولا يصح هذا الخبر، وتقدم ذكر أربد في سورة الرعد.

[١٥٨٥] لم أره عن الضحاك مسنداً، ومرسل قتادة، أخرجه الطبري ٣٨٣٠٣، ولا يصح هذا الخبر، فإن السورة =

وَرِثَ الدنيا، ولِمَنْ يُوَرِّثُها؟ فنزلت هذه السورةُ، قاله قَتادَةُ، والضَّحَّاكُ. وقرأ ابنُ كَثيرٍ، ونافعٌ، وعاصِمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزَةُ، والكِسَائيُّ «أَحَدٌ الله» وقرأ أبو عمروٍ «أحدُ الله» بضمِّ الدال، ووَصَلَهَا باسم الله. قال الزَّجَّاجُ: هو كنايةٌ عن ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ. والمعنى: الذي سألتُم تبيينَ نَسَبِته هوَ اللهُ. و «أَحَد» مرفوعٌ على معنى: هو أحدٌ، فالمعنى: هو اللهُ، وقرئت «أحدٌ الله الصمد» بتنوين أحد، وقُرِئتْ «أحدُ الله الصمد» بتركِ التنوين، وقُرِئتْ بإسكانِ الدال «أحدْ الله» وأجودُها الرفعُ بإثباتِ التنوين، وكُسِرَ التنوينُ لسكونِه وسكونِ اللام في «الله»، ومَنْ حذف التنوينَ، فلالتِقاء الساكنين أيضاً، ومَنْ أسكنَ أراد الوقفَ ثم ابتدأَ «الله الصمد» وهو أردَؤها.

فأمَّا «الأَحَد» فقال ابنُ عباسٍ، وأبو عُبيدَةَ: هو الواحدُ. وفرَّقَ قومٌ بينهما. وقال أبو سُليمانَ الخَطَّابيُّ: الواحد: هو المُنفردُ بالذَّاتِ، فلا يُضاهِيه أحدٌ.

والأَحَدُ: هو المُنفرِدُ بالمعنى، لا يُشاركه فيه أحدٌ. وأصل «الأَحَد» عند النَّحويين: الوَحَد، ثم أبدَلُوا عن الواوِ الهمزةَ وفي «الصَّمَد» أربعةُ أقوالٍ:

[١٥٨٦] **أحدها**: أنه السَّيدُ الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج، رواه ابنُ عباسٍ عن رسولِ الله ﷺ. ورَوى عليُّ بنُ أبي طَلْحَة عن ابنِ عباسٍ قال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: السَّيدُ الذي كَمُلَ في سُؤْدُدِه. وقال أبو عُبيدَةَ: هو السَّيدُ الذي ليس فوقه أحدٌ. والعرب تسمي أشرَافَها: الصَّمَد. قال الأسديُّ:

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بَخَيْرِي بَنِي أَسَدْ ... بعمرِو بنِ مَسْعودٍ وبالسَّيدِ الصَّمَدِ

وقال الزَّجَّاجُ: هو الذي ينتهي إليه السُّؤدُدُ، فقد صَمَدَ له كلُّ شيءٍ أي قَصدَ قَصْدَهُ. وتأويل صُمُودِ كلِّ شيءٍ له: أنَّ في كلِّ شيءٍ أثرَ صُنعِه. وقال ابنُ الأنباري: لا خلافَ بين أهل اللغة أنَّ الصَّمَدَ: السيِّدُ الذي ليس فوقه أحدٌ تَصمُدُ إليه الناسُ في أمورِهم وحوائجِهم.

والثاني: أنه الذي لا جَوفَ له، قاله ابنُ عباسٍ، والحَسنُ، ومُجاهِدٌ، وابنُ جُبَيرٍ، وعِكرمَةُ، والضَّحَّاكُ، وقَتادَةُ، والسُّدِّيُّ. وقال ابنُ قُتَيبة: وكان الدالُ مِنْ هذا التفسير مبدلةً مِنْ تاءٍ، والمَصمتُ مِنْ هذا. **والثالث**: أنه الدائمُ. **والرابع**: الباقي بعد فَناءِ الخَلْقِ، حكاهما الخَطَّابيُّ وقال: أصحُّ الوجوهِ الأولُ، لأنَّ الاشتقاقَ يَشهدُ له، فإنَّ أصل الصَّمَدِ: القَصْدُ. يقال: أصمُدْ صَمْدَ فُلانٍ، أي اقصُدْ قَصْدَهُ. فالصَّمَدُ: السيِّدُ الذي يُصمَدُ إليه في الأمور، ويُقصَدُ في الحوائج.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ قال مُقاتِلٌ: لم يلِدْ فيُورَّث ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيُشارَك، وذلك أنَّ مشركي العرب قالوا: الملائكةُ بناتُ الرَّحمن. وقالت اليهودُ: عُزَيرٌ ابنُ الله، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله، فَبَرَّأَ اللهُ نفسه مِنْ ذلك.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قرأ الأكثرون بالتثقيلِ والهمزِ. ورواه حَفصٌ بالتثقيل وقَلْبَ الهمزَ واواً. وقرأ حمزَةُ بسكونِ الفاء. والكَفء: المِثْلُ المُكافئُ. فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديره: ولم يكُنْ له أحدٌ كُفُواً، فقدَّمَ وأخَّرَ لِتَتَّفِقَ رؤوسُ الآياتِ.

= مكية، وأخبار اليهود وسآلاتهم مدنية، والراجح في ذلك الحديث ١٥٨٣.

[١٥٨٦] لم أقف عليه، وتفرد المصنف بذكره دون سائر المفسرين أمارة لوهنه أو وضعه لخلوه عن كتب الحديث والأثر والتفسير، ولو صح مرفوعاً ما اختلف المفسرون في تأويل «الصمد».

سُورَةُ الفَلَقِ

ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ، وبه قال قَتادةُ في آخرين. **والثاني**: أنها مكِّيَّةٌ، رواه كُرَيبٌ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحسَنُ، وعَطاءٌ، وعِكرمَةُ، وجابرٌ. والأولُ أصحُّ، ويدل عليه أنَّ رسولَ الله ﷺ سُحِرَ وهو مع عائشةَ، فنزلت عليه المُعَوِّذتان.

[١٥٨٧] فذَكَرَ أهلُ التفسير في سبب نزولِهما: أنَّ غلاماً مِنَ اليهود كان يخدم رسولَ الله ﷺ، فلم يزلْ به اليهودُ حتى أخذَ مُشَاطةَ رأسِ رسول الله ﷺ، وعِدَّةَ أسنانٍ مِنْ مُشْطِه، فأعطاها اليهودَ فسَحَرُوه فيها. وكان الذي تولَّى ذلك لَبيدُ بنُ أعصَمَ اليهوديُّ. ثم دَسَّها في بئرٍ لِبَني زريقٍ، يُقال لها: بئرُ ذروان. ويقال: ذي أروان، فمرضَ رسولُ الله ﷺ، وانتَثَرَ شعرُ رأسِه، وكان يرى أنه يأتي النساءَ وما يأتيهنَّ، ويُخَيَّلُ إليه أنْ يفعلَ الشيءَ، وما يفعلُه، فبَيْنا هو ذاتَ يوم نائمٌ أتاه مَلَكانِ، فقعَدَ أحدُهما عند رأسِه، والآخَرُ عند رِجلَيْهِ، فقال أحدُهما للآخر: ما بالُ الرجلِ؟ قال: طُبَّ. قال: وما طُبَّ؟ قال: سُحِرَ. قال: ومَنْ سَحَرهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ الأعصَم. قال: وبِمَ طَبَّه؟ قال: بمُشْطٍ ومُشَاطةٍ. قال: وأينَ هو؟ قال: في جُفِّ طَلْعةٍ تحت راعوفةٍ في بئرِ ذروان. والجُفُّ: قِشرُ الطَّلْع. والرَّاعُوفَةُ: صخرةٌ تُترَكُ في أسفلِ البئرِ إذا حفِرَتْ. فإذا أرادوا تنقيةَ البئرِ جلس المُنَقِّي عليها، فانتَبَه رسولُ الله ﷺ فقال: يا عائشةُ أما شَعَرتِ أنَّ الله أخبرني بِدَائي، ثم بَعثَ عليّاً، والزُّبيرَ، وعمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنَزَحوا ماءَ تلك البئرِ، ثم رفعوا الصخرةَ، وأخذوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشَاطَةُ رأسِه، وأسنانُ مُشْطِه، وإذا وَتَرٌ مُعقَّدٌ فيه إحدى عشرة عُقدةً مغروزةً بالإبرةِ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ المُعَوِّذتين، فجعلَ كلَّما قرأ آيةً انحلَّتْ عُقدَةٌ. ووجدَ رسولُ الله ﷺ خِفَّةً حين انحلَّتِ العُقدَةُ الأخيرةُ، وجعل جِبريلُ يقول: بسم اللهِ أَرْقِيْك مِنْ كلِّ شيءٍ يُؤذِيْك، ومِنْ حاسِدٍ وعَيْنٍ، واللهُ يَشفِيْك. فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نأخذُ الخَبيثَ فنقلته؟ فقال: «أمَّا أنا فقد شَفَاني اللهُ، وأكرَهُ أنْ أُثيرَ على الناسِ شرّاً».

[١٥٨٧] ذكره الحافظ ابن كثير ٤/ ٦١٤ ـ ٦١٥ بأتم منه، ونسبه للثعلبي، وقال: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة. ولبعضه شواهد مما تقدم، والله أعلم. وانظر ما بعده.

[١٥٨٨] وقد أخرج البُخاريُّ ومُسلِمٌ في «الصَّحيحين» مِنْ حديث عائشةَ رضي الله عنها حديثَ سَحْرِ رسولِ الله ﷺ. وقد بَيَّنَّا معنى «أعُوذ» في أول كتابنا. وفي ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ ستةُ أقوالٍ[١]:

أحدها: أنه الصُّبحُ، رواه العَوْفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الحَسنُ، وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ، ومُجاهِدٌ، وقَتادَةُ، والقُرَظي وابنُ زيدٍ، واللغويون قالوا: ويُقال: هذا أبيَنُ مِنْ: فَلَقَ الصُّبحَ وَفَرَقَ الصُّبحَ. **والثاني**: أنه الخَلْقُ كلُّه. رواه الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الضحاك: العلق: الخلْق كله. **والثالث**: سِجْنٌ في جهنَّم، رُوِيَ عن ابنِ عباسٍ أيضاً. وقال وَهْبٌ والسُّدِّيُّ: جُبٌّ في جهنَّم. وقال ابنُ السَّائبِ: وادٍ في جهنَّمَ. **والرابع**: شجرةٌ في النار، قاله عبدُ الله بنُ عمرَ. **والخامس**: أنه كُلُّ ما انفلَقَ عن شيءٍ كالصبح، والحَبِّ، والنَّوى، وغيرِ ذلك، قاله الحسَنُ. قال الزَّجَّاجُ: وإذا تأمَّلتَ الخَلْقَ بانَ لك أن أكثرَه عن انفِلاقٍ، كالأرضِ بالنباتِ، والسَّحابِ بالمطرِ. **والسادس**: أنه اسمٌ مِنْ أسماء جهنَّمَ، قاله أبو عبدِ الرَّحمنِ عبدُ الله بنُ يَزيدَ الحُبُلي.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وقرأ ابنُ السَّمَيفَع، وابنُ يَعمُرَ: «خُلِق» بضمِّ الخاء، وكسرِ اللام. فيه ثلاثةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه عامٌّ، وهو الأظهر. **والثاني**: أنَّ شرَّ ما خُلِقَ: إبليسُ وذُرِّيَّتُه، قاله الحَسنُ. **والثالث**: جهنَّمُ، حكاه المَاوَرديُّ.

وفي «الغَاسِق» أربعةُ أقوالٍ: **أحدها**: أنه القمر، رَوتْ عائشةُ قالت: نظر رسولُ الله ﷺ إلى القمر، فقال:

[١٥٨٩] «استَعِيذي بالله مِنْ شرِّه فإنه الغاسِقُ إذا وَقَبَ»، رواه التِّرْمِذِيُّ، والنَّسائِيُّ في كتابيهما. قال ابنُ قُتَيبةَ: ويقال: الغاسِقُ: القمرُ إذا كُسِفَ فاسوَدَّ. ومعنى ﴿وَقَبَ﴾ دخل في الكُسُوفِ.

[١٥٨٨] صحيح. أخرجه البخاري ٣١٧٥ و ٦٠٦٣ ومسلم ٢١٨٩ وابن ماجه ٣٥٤٥ وأحمد ٦/ ٦٣ وابن حبان ٦٥٨٤ عن عائشة قالت: مكث النبي ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي، قالت عائشة: فقال لي ذات يوم «يا عائشة إن الله تعالى أفتاني في أمرٍ استفتيته فيه، أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رجليَّ والآخر عند رأسي، فقال الذي عند رجليّ للذي عند رأسي: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب يعني مسحوراً، قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم، قال: وفيم؟ قال في جُفّ طلعة ذكره في مشط ومشاطة تحت رعوفة في بئر ذروان، فجاء النبيُّ ﷺ فقال: هذه البئر التي أريتها كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نُقاعة الحنّاء، فأمر به النبي ﷺ فأُخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، فهلا ـ تعني تنشرت، فقال النبي ﷺ أمّا الله فقد شفاني، وأما أنا فأكره أن أثير على الناس شراً، قالت: «ولبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليفٌ ليهود» لفظ البخاري بحروفه في الرواية الثانية، فعليك به، ودع الروايات الواهية والضعيفة.

[١٥٨٩] ضعيف. أخرجه أحمد ٦/ ٢٠٦ والبغوي في «شرح السنة» ١٣٦١ من طريق وكيع عن ابن أبي ذئب عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة به. وأخرجه الترمذي ٣٣٦٦ وأحمد ٦/ ٦١ و ٢٠٦ و ٢١٥ و ٢٣٧ و ٢٥٢ وأبو يعلى ٤٤٤٠ وأبو الشيخ في «العظمة» ٦٨١ والحاكم ٢/ ٥٤١. والطبري ٣٨٣٧٧ من طرق عن ابن أبي ذئب به.

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٧٤٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أمر نبيه محمد ﷺ أن يقول: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ والفلق من كلام العرب: فلق الصبح.
وقال ابن كثير رحمه الله وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في «صحيحه» رحمه الله تعالى.

[١٥٩٠] **والثاني**: أنه النَّجمُ، رواه أبو هُريرَةَ عن رسولِ الله ﷺ.

والثالث: أنه الليل، قاله ابنُ عباسٍ، والحسَنُ، ومُجاهِدٌ، والقُرَظِيُّ، والفَرَّاءُ، وأبو عُبَيدٍ، وابنُ قُتَيبةَ، والزَّجاجُ. قال اللغويون: ومعنى «وَقَبَ» دخل في كلِّ شيءٍ فأظلم. و«الغَسَقُ» الظُّلمةُ. وقال الزَّجَّاجُ: الغاسِقُ: البارِدُ، وقيل لِلَّيلِ: غاسِقٌ، لأنه أبرَدُ مِنَ النهار. **والرابع**: أنه الثُّريَّا إذا سقطَتْ، وكانت الأسقامُ، والطَّواعِينُ تكثر عند وقوعِها، وترتفعُ عند طلوعِها، قاله ابنُ زيدٍ.

فأمّا ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ فقال ابنُ قُتَيبةَ: هُنَّ السَّواحِرُ يَنفُثنَ، أي: يَتفُلْنَ إذا سَحَرْنَ، ورَقَيْنَ. قال الزَّجَّاجُ: يَتفُلْنَ بلا رِيقٍ، كأنه نَفخٌ. وقال ابنُ الأنباري: قال اللغويون: تفسيرُ نَفَثَ: نَفَخَ نفخاً ليس معه رِيقٌ، ومعنى تفل: نَفَخَ نفخاً معه رِيقٌ. وقال ذُو الرُّمَّة:

ومِنْ جَوْفِ ماءٍ عَرْمَضُ الحفلِ فَوْقَهُ   متى تَحْسُ منه ماتِحُ القومِ يَتْفُلِ

وقد رَوى ابنُ أبي سُرَيج «النَّافِثات» بأَلِفٍ قبل الفاءِ مع كسرِ الفاء وتخفيفها. وقال بعض المُفسِّرين: المراد بالنَّفَّاثات هاهُنا: بناتُ لَبِيدِ أعصَمَ اليهودي سَحَرْنَ رسولَ الله ﷺ.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ يعني: اليهود حسدوا رسولَ الله ﷺ. وقد ذكرنا حدَّ الحَسدِ في البقرة. والحَسَدُ: أخَسُّ الطبائع. وأوَّلُ معصيةٍ عُصِيَ اللهُ بها في السماء حَسَدُ إبليسَ لآدمَ، وفي الأرض حَسَدُ قابيلَ لِهابِيلَ.

= وقد توبع الحارث عند أحمد في الرواية ٦/ ٢١٥، تابعه المنذر بن أبي المنذر، وهو مجهول وأخشى أن يكون أخذه الحارث عن المنذر، وهو محتمل، فالمتن غريب. وصححه الحاكم! ووافقه الذهبي! وقال الترمذي: حسن صحيح!

قلت: والمتن غريب لأن عامة أهل التفسير والأثر على أن المراد بذلك الليل إذا دخل. أخرجه الطبري ٣٨٣٦٤ عن ابن عباس لكن سنده واهٍ، وكرره عن الحسن ٣٨٣٦٥ وكرره ٣٨٣٦٦ عن القرظي، وكرره ٣٨٣٦٨ عن مجاهد والحسن، وكرره ٣٨٣٦٩ و ٣٨٣٧٠ عن الحسن. وكرره ٣٨٣٧١ عن ابن عباس بسند رجاله ثقات لكن فيه إرسال، وهذه الروايات تتأيد بمجموعها، وهو الذي اختاره البخاري في «صحيحه». فقال ٨/ ٧٤١ «فتح»: وقال مجاهد: الفلق: الصبح، وغاسق الليل إذا وقب غروب الشمس. قلت: فهذا ما عليه عامة أهل العلم، ولو ثبت الحديث عند البخاري لرواه ولو تعليقاً أو تبويباً.

[١٥٩٠] ضعيف جداً. أخرجه الطبري ٣٨٣٧٥ عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده ضعيف، فيه محمد بن عبد العزيز، وهو متروك، وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٦٩٤: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ. وانظر «تفسير الشوكاني» ٢٨٩٣.

سُورَةُ النَّاسِ
ترتيبها ١١٤ آياتها ٦

وفيها قولان: **أحدهما**: أنها مدنيَّةٌ، رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ. **والثاني**: أنها مكِّيَّةٌ، رواه أبو كُرَيْبٍ عن ابنِ عباسٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

فإنْ قيل: لِمَ خَصَّ الناسَ هاهنا بأنه ربُّهم، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ؟ فعنه جوابان: **أحدهما**: لأنهم مُعَظَّمون مُتميِّزون على غيرهم. **والثاني**: لأنه لمَّا أمرَ بالاستعاذةِ مِنْ شرِّهم أعلَمَ أنه ربُّهم، لِيُعلَمَ أنه هو الذي يُعيذُ مِنْ شرِّهم. ولمَّا كان في الناس ملوكٌ قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ولمَّا كان فيهم مَنْ يعبدُ غيرَه قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾. و﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ الشيطان، وهو ﴿ٱلۡخَنَّاسِ﴾ يُوَسوِسُ في الصدور، فإذا ذُكِرَ اللهُ، خَنَسَ، أي: كَفَّ وأقصَرَ. قال الزَّجَّاجُ: الوَسْوَاس هاهنا: ذُو الوَسْوَاسِ. وقال ابنُ قُتَيبةَ: الصدور هاهنا: القلوب. قال ابنُ عباسٍ: الشيطان جاثِمٌ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا سَها وغَفَلَ، وَسْوَسَ، فإذا ذَكَرَ اللهَ، خَنَسَ.

قوله عز وجل: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ الجِنَّة: الجِنُّ. وفي معنى الآية قولان: **أحدهما**: يُوسوِسُ في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم، فسمَّى الجِنَّ ها هنا ناساً، كما سمَّاهم رجالاً في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ وسَمَّاهم نفراً بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ هذا قولُ الفرَّاءِ. وعلى هذا القول يكون الوسواسُ مُوَسوِساً للجنِّ، كما يُوسوِسُ للإنسِ. **والثاني**: أنَّ الوسواسَ: الذي يُوسوِسُ في صدورِ الناس، هو مِنَ الجِنَّة، وهم مِنَ الجِنِّ. والمعنى: مِنْ شرِّ الوسواسِ الذي هو مِنَ الجِنِّ. ثم عطف قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ على ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ والمعنى: مِنْ شرِّ الوسواسِ، ومِنْ شرِّ الناس كأنه أُمِرَ أنْ يستعيذَ مِنَ الجنِّ والإنسِ[1]، وهذا قولُ الزَّجَّاجِ.

تَمَّ الكتابُ بحمدِ الله ومَنِّه.

---

(١) **فائدة**: أخرج البخاري ٥٠١٦ ومسلم ٢١٩٢ ح ٥١ وأبو داود ٣٩٠٢ وأحمد ٦/ ١٨١ و ٢٥٦ و ٢٦٣ وابن حبان ٢٩٦٣ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتهما.

فهذا آخرُ «زادُ المَسِيرِ»، والحمدُ لله على الإنعام الغزيرِ، وإذ قد بَلَغنا بحمدِ الله مُرادَنا فيما أَمَّلْنا، فلا يَعتقِدَنَّ مَنْ رأى اختصارَنا أنَّا أقلَلْنا، فقد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تَرَكنا وَدَلَّلْنا، فليكن الناظرُ في كتابنا متيقظاً لِمَا أغفلنا، فإنَّا ضَمِنَّا الاختصارَ مع نَيْلِ المراد، وقد فعلنا. ومَنْ أراد زيادَة بسطٍ في التفسير، فعليه بكتابنا «المغني» في التفسير. فإنْ أراد مُختَصَراً، فعليه بكتابنا المُسمَّى بـ «تذكرةُ الأَرِيبِ في تفسيرِ الغَريبِ». والحمدُ لله ربِّ العالَمِينَ، أوّلاً وآخِراً وباطناً وظاهراً وصلَواته على سيدِنا محمَّدٍ النبيِّ وآله أجمعين، وعلى أبيهِ آدمَ، وذُريَّتهِ الأنبياءِ والمرسلين والأولياءِ والصالحين، وسَلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّيْنِ.

ووافقَ الفراغُ مِنْ هذا المجلَّدِ وهو آخرُ الكتاب يومَ الاثنين حاديَ والعشرين شهرِ ربيعِ الآخرِ مِنْ سنةِ ثمانٍ وثمانين وثمانِ مائةٍ على يدِ العبد الفقير إلى الله تعالى أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ أبي بكرِ بنِ خَلِيفَةَ غَفَرَ الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمناتِ الأحياءِ منهم والأمواتِ إنكَ قريبٌ مُجيبُ الدَّعواتِ، ونَقلَ هذا المُجلَّدَ جميعَه مِنْ أصلٍ ثم مِنْ أصلِ المُصَنِّفِ وعليه سَماعُ المُصَنِّفِ وهو الشيخُ الإمامُ العالمُ الأوحَدُ جمالُ الدِّينِ أبو الفَرَجِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عليّ ابنِ الجَوْزِي مُصَنِّفه رضي الله عنه وأرضاه والحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

بَلَغَ مقابلَتَهُ بحَسبِ الطاقة والإمكانِ ونعوذُ بالله مِنَ الزِّيادة والنُّقصانِ.

الفهارس

١ ـ فهرس الأحاديث القدسية ٥١٥
٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار النبوية ٥١٦
٣ ـ فهرس قوافي الأشعار ٥٣٣
٤ ـ فهرس أنصاف الأبيات ٥٤٩
٥ ـ المصادر والمراجع ٥٥٠

١ ـ فهرس الأحاديث القدسية

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً	٢/ ٢٧٧
ادخلوا الجنة (لأصحاب الأعراف)، فإني قد غفرت لكم	٢/ ١٢٥
إذا هَمَّ عبدي بسيئةٍ ولم يعملها لم أكتبها عليه	٢/ ٤٢٩
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله	٤/ ٢٢٩
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت	٣/ ٤٤١
أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟	٢/ ٢٧٧
أنا أبلغهم عنكم	١/ ٣٤٧
أنا أهل أن أُتقى فلا يُشرك بي غيري	٤/ ٣٦٧
أنا العزيز، فمن أراد عزَّ الدارين فليطع العزيز	٣/ ٥٠٧
أنا عند ظن عبدي بي	٤/ ٢٦٤
أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه	٣/ ٤٧٠
أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟	٤/ ٢٦
أنا الملك، أين ملوك الأرض؟	٤/ ٢٦
انفخ نفخة الفزع (يقولها عز وجل لإسرائيل)	٤/ ٣٧
أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟	٤/ ٣٤٠
إني خلقت عبادي حنفاء	٣/ ٤٢٣
ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن، وأسأله عما سوى ذلك	٤/ ٤٨٦
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	٢/ ٥٤٢
كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً	٤/ ٤٩
لِمَ تقنط عبادي؟ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم	٢/ ٥٣٦
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها	٢/ ٩٧
هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة؟!	٤/ ٢١٤
يا آدم، قم فابعث بعث النار	٣/ ٢٢١
يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني	٤/ ١٧٤
يا أهل الجنة، هل رضيتم؟	٢/ ٢٧٧
يا داود، إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة	٢/ ١٠٣
يا محمد، فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟	٣/ ٥٨٢

٢ - فهرس الأحاديث والآثار النبوية

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
- الألف -	
آخر آية أنزلت على النبيّ ﷺ	١/ ١٣
آخر آية أنزلت: واتقوا	١/ ١٣
آخر آية نزلت: لقد جاءكم	١/ ١٣
آخر آية نزلت: يستفتونك	١/ ١٣
آخر سورة نزلت جميعاً: إذا جاء	١/ ١٣، ٤/ ٥٠١
آذني أصلي عليه	٢/ ٢٨٦
آلى ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهراً	٣/ ٤٦٠، ٤/ ٣٠٥
الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه	١/ ٢٥٤
ائتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك	٣/ ٢٨١
ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها	٤/ ٤٧٠
أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك	٣/ ١٤٠
أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من الفداء	٢/ ٢٢٤
أبوك وأبو عائشة واليا الناس من بعدي	٤/ ٣٠٧
أتبع السيئة الحسنة تمحها	٢/ ٤٠٧
أتحلف	١/ ٢٩٧
أتدرون ما أخبارها	٤/ ٤٧٨
أتدرون ما المعيشة الضنك	٣/ ١٨٠
أتدري ما الجمعة؟	٤/ ٢٨٢
أتردين عليه حديقته؟	١/ ٢٠٣
أتركهم حتى يتوب تائبهم	٢/ ٦٥
أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين	١/ ٢٥٥
أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟	١/ ٢٠٤

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم	٣/ ٥٦٠
اتق الله	٣/ ٤٦٧
اتق الله حيثما كنت	٢/ ٤٠٧
اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله	٤/ ٢٩٨
اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله	٢/ ٥٣٩
أجاز ﷺ للمحرم قتل الحية والعقرب	١/ ٥٨٥
اجتمعوا إليّ في قتيل كان بينهم	٤/ ١١٣
اجتنبوا السبع الموبقات	١/ ٣٩٦
أجدني مغموماً	٣/ ٢٠٦
أجدني مكروباً	٣/ ٢٠٦
أجورهم: يدخلهم الجنة	١/ ٥٠٣
أحب ﷺ أن يرى جبريل على حقيقته	٤/ ١٨٤
أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود	٣/ ٥٦٣
احبسوا عليّ الركب	٢/ ٢٧٥
احترسوا من الناس بسوء الظن	٤/ ١٥١
أحسنت	١/ ٥٧٧
اختصم يهود المدينة ونصارى نجران	١/ ١٠٢
أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان	٢/ ١٦٧
أخذ ﷺ كفاً من تراب فرماهم به	٢/ ٢٤٧
اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذّن	٢/ ٢٣٢
اخرج يا أبا بكر، فهذا حين دلكت الشمس	٣/ ٤٥
اخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق	٣/ ٤٨٤
اخرجوا إلى أرض المحشر	٤/ ٢٥٤

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اخرجوا إليه واكتموا	٢/ ٢٠٣
أخّرهم إلى ليلة الجمعة	٢/ ٤٧٢
ادعوا لي المقداد	١/ ٤٥٢
إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبوه	٣/ ١٤٩
إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم	٢/ ٥٢٣
إذا أخذتم الساحر فاقتلوه	٣/ ١٦٧
إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت ذنوبه	٤/ ١٤
إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة	٣/ ٤٩٧
إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أمر منادياً	٤/ ٢٠٣
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٣/ ١٣٢
إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب	٢/ ٤٦٩
إذا ظننتم فلا تحققوا	٤/ ١٥١
إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم	١/ ٢٢
إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	٢/ ١٨٥
إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة	٤/ ٤٧٣
إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين	٤/ ٤٨٤
إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة	٢/ ٥٠٠
إذن ترعد له آنف كبيرة	٤/ ٢٨٦
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله	٤/ ٣٣١
إذن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه	٤/ ٢٨٦
اذهب إلى قريش فأخبرهم أنا لم نأت لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً	٤/ ١٢٦
اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة	٤/ ١٤٣
اذهب فاذكرها عليَّ	٣/ ٤٦٨
اذهب فاطرحه في القبض	٢/ ١٨٦
اذهب فخذ سيفك	٢/ ١٨٧
اذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه	٢/ ٢٧٤
أرأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم	٤/ ٥٠٢
اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً	٢/ ١٢٩
ارجع اليه فادعه	٢/ ٤٨٨
ارفق به وأحسن إليه	٤/ ٢٥٢
أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر	١/ ٤٢٣
أري ﷺ أنه يدخل مكة هو وأصحابه	٣/ ٣٤
أري ﷺ بني أمية على المنابر فساءه	٣/ ٣٥
أري ﷺ في المنام قبل خروجه الى الحديبية قائلاً يقول له: لتدخلن المسجد الحرام	٤/ ١٣٧
أريت ليلة القدر ثم أنسيتها	٤/ ٤٧١
استشار ﷺ الناس يوم خرج إلى بدر	١/ ٥٣٤
استعيذي بالله من شره، فإنه الغاسق إذا وقب	٤/ ٥٠٨
اسجدوا للرحمن	٢/ ٤٩٥
اسق ثم أرسل إلى جارك	١/ ٤٢٨
اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر	١/ ٤٢٨
اسقه عسلاً	٢/ ٥٧٠
أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً	٢/ ٣٠٢
اشهدوا	٤/ ١٩٦
أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر	٤/ ٢٢٩
اصبروا فإني لم أومر بالقتال	٣/ ٢٤٠
أضعفوا على العباس الفداء	٢/ ٢٢٦
اطلبوها الليلة (ليلة ثلاث وعشرين)	٤/ ٤٧١
اعتكف ﷺ العشر الأوسط واعتكفنا معه	٤/ ٤٧٠
أعوذ بك من دعاء لا يسمع	١/ ١١١
أقتلته بعد ما قال: آمنت!	١/ ٤٥٣
اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران	١/ ٢٤
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٤/ ٤٦٨

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اكتب: لا يستوي القاعدون . . .	١/ ٤٥٤
ألا احتطت فإن البضع ما بين السبع والتسع	٢/ ٤٤١، ٣/ ٤١٦
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم	٣/ ١٢٩
ألا أخبركم بخير من ذلك؟	١/ ٣٢٧
ألا أخبركم لم سمّى الله إبراهيم خليله الذي وفّى	٤/ ١٩٢
ألا أراكم تضحكون؟	٢/ ٥٣٦
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم	٢/ ٢٥٨
ألا إن كلَّ رباً من ربا الجاهلية موضوع	١/ ٢٤٨
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر	١/ ٣٩٧، ٣٩٨
ألا رجل صالح يحرسني الليلة	١/ ٥٦٨
ألاّ يحج بعد العام مشرك	٢/ ٢٣٢
التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	٤/ ٤٧٠
التمسوها في تسع يبقين أو سبع يبقين	٤/ ٤٧٠
الذي في عينيه بياض	٣/ ١٩٧
الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجلّ	٢/ ٣٣٧
ألست ترين أردّ عليهم ما يقولون	٤/ ٢٤٦
ألك بينة؟	١/ ٢٩٧
الله أخبرني	٢/ ٢٢٦
الله (يمنعني منك)	١/ ٥٦٨
اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً	٣/ ٤٢٧
اللهم ارزق ثعلبة مالاً	٢/ ٢٨٢
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٤/ ٣٥٤
اللهم أعني على قريش بسنين كسني يوسف	٣/ ٢٦٨
اللهم اكفنيهما بما شئت	٢/ ٤٨٧
اللهم أنجز ما وعدتني	٢/ ١٩١
اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه	١/ ٥٤٧
اللهم صلِّ على آل أبي أوفى	٣/ ٥٥١
اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير	١/ ٩٩
اللهم لا يعلون علينا	١/ ٣٢٨
اللهم هؤلاء أهلي	١/ ٢٨٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي	٣/ ٤٦٣
اللهم هل بلغت	٣/ ١٥٢
ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟ أظننتم	١/ ٣٤٢
ألم أنه عن القتال	٣/ ٤٤٤
ألم يقل الله: استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم	٢/ ٢٠٠
إلى الله عز وجل (أدعوكم)	٤/ ٥٠٥
إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	١/ ٥٠٧
إليّ عباد الله، أنا رسول الله	١/ ٣٣٥
أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً	٤/ ٥٠٧
أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم	٢/ ٢٥٢
أما إني لو قلت نعم لوجبت	١/ ٥٩١
أما ترضى أن تكون مثل نبي الله	٢/ ٢٨١
أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب	٣/ ٥١٣
أما ما ظهر فالإسلام وما سوّى الله من خلقك	٣/ ٤٣٣
أما والله لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها	٤/ ١٢٦
أمر ﷺ بالصفح عنهم	١/ ١٠١
أمر ﷺ بقتل الكلاب	١/ ٥١٤
أمر ﷺ علياً أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين	٣/ ٢٨
أمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا	١/ ٦٠٤
أمسك عليك زوجك واتق الله	٣/ ٤٦٧
أمسلمة جئت؟	٤/ ٢٦٦
أن أبا لبابة ربط نفسه إلى سارية	٢/ ٢٠٣
أن إبليس جاء حواء فقال: ما يدريك	٢/ ١٧٧
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي	٤/ ٤٠
إن الإسلام لا يقال	٣/ ٢٢٥
أن الأولى كانت نسياناً من موسى	٣/ ٩٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه	٣/ ٥٥
إن الله تعالى أعطاني السبع الطول مكان التوراة	٤/ ١٤١
إن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف	٤/ ١٩١
إن الله تعالى بعثني مبلغاً ولم يبعثني متعنتاً	٣/ ٤٦٠
إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة	٣/ ٢٥٤
إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها	١/ ٥١
إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب	٣/ ١١٥
إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب	٢/ ٥٠١
إن الله قد صدّقك	٤/ ٢٨٧
إن الله قد منعني أن أقبل صدقتك	٢/ ٢٨٢
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	٤/ ١٩٠
إن الله كتب عليكم الحج	١/ ٥٩٠
إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً	٣/ ٥٢
إن الله لا يقبل إلا الطيب	١/ ٥٩٠
إن الله لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة	١/ ٥٦٣
إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد	١/ ١٧٩
إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً	٤/ ١٧٦
إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الناس	٢/ ١٠٣
إن الله تعالى يسلم على أهل الجنة	٣/ ٤٧١
إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة	١/ ٢٢٢
إن الله تعالى ينزل في كل ليلة ويوم	١/ ١١٠
أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله	٢/ ٥٣١
أن تجعل لله نداً وهو خلقك	١/ ٣٩٨، ٣/ ٣٢٨
أن تزاني حليلة جارك	١/ ٣٩٨، ٣/ ٣٢٨
أن تصدّق وأنت صحيح شحيح	١/ ٣٠٣

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
أن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم	٣/ ٥٢
أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك	١/ ٣٩٨، ٣/ ٣٢٨
أن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة	٢/ ٤٢٨
أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان	٢/ ٢٠٣
أن جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون	٢/ ٣٤٨
إن الجنة لا يدخلها العجائز	٣/ ١٩٧
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين	١/ ٢٠٩
أن داود سأل ربه أن يريه الميزان	٢/ ١٠٣
إن الدخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار	٤/ ٨٨
إن ربكم حيي كريم	١/ ٤٦
إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز	٣/ ٥٠٧
إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً	١/ ٥٧٤
إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي	٣/ ٣٤٣
أن زكريا كان نجاراً	٣/ ١٢٠
إن الزمان قد استدار لهيئته يوم خلق الله السموات والأرض	١/ ١٦٥، ٢/ ٢٣٤
إن شئت أنبأتك بأبواب الخير	٣/ ٤٤٠
إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه وعن العدو	٣/ ٨٨
إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة ليقطع عليّ صلاتي	٣/ ٥٧٥
أن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً	٣/ ١٠٣
إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب	٤/ ١٧٨
إن فعلتُ تؤمنون؟	٤/ ١٩٦
إن فعلتُ تصدقوني؟	٢/ ٦٥
إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب	٣/ ١٩٦
إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته	٤/ ١٥٢
إن كان وسادك إذاً لعريض	١/ ١٤٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إن الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف	٢/ ٤٤٥
إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة	٤/ ٢١٦
إن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما	٤/ ١٦٠
إن ملكاً كان يجيب عنك، فلما رددت	١/ ٤٩١
إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء	٢/ ٣٣٧
إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً	٤/ ٢٢٤
إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل	٣/ ٩٤
إن موسى كان رجلاً حيياً	٣/ ٤٨٦
إن هذه الآية نزلت في القدرية	٤/ ٢٠٣
إن ياجوج وماجوج ليحفرون السد كل يوم	٣/ ١١٠
أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى	١/ ٣١٠
أن يطعمها إذا طعم ويكسوها	١/ ٢٠٠
أنا أكرم ولد آدم على ربه	٢/ ٤٥١
الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور	٢/ ٧٥
أنا بين خيرتين: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم	٢/ ٢٨٦
إنا حاملوك على ولد الناقة	٣/ ١٩٧
أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره	٤/ ١٢٨
أنا على ملّة إبراهيم	١/ ٣٠٤
أنا فرطكم على الحوض	٣/ ١٦١
أنا المنذر	٢/ ٤٨٤
أنت صاحب هذا الكلام؟	٤/ ٢٨٦
أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد	٣/ ٥٣٠
أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدى من بعدي	٢/ ٤٨٤
أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت	١/ ٢٢٦
أنتم خصماء الله	٤/ ٢٠٣
أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حدّ الزاني	١/ ٥٤٧
أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين	٢/ ٥٣
انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين	٤/ ١٩٦
انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالى	١/ ٥٦٨
انطلق ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ	٢/ ٥٢٦، ٤/ ١١٢
انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه	٢/ ٢٩٧
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ	٤/ ٢٦٦
انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود	٤/ ١٤٩
انظر في ذلك	١/ ٤٦٥
أنفقه على نفسك	١/ ١٨٠
أنفقها على خادمك	١/ ١٨٠
أنفقها على قرابتك	١/ ١٨٠
أنفقها على والديك	١/ ١٨٠
أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها	١/ ١٨٠
إنك قلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي	٢/ ٢٢٦
إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	١/ ٣١٤
إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر	٤/ ١٦٥
إنكم لتعلمون أن الذي جئت به حق	١/ ٤١٦
إنكن أكثر أهل النار	٢/ ٤٤٦
إنما النفقة للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة	٤/ ٣٠١
إنما ذلكم الله	٤/ ١٤٤
إنما سمّي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء	٣/ ٩٧
إنما سمى الله البيت: العتيق، لأن الله أعتقه	٣/ ٢٣٤
إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قاله لقمان	٢/ ٤٩
إنه أتاني داعي الجن فذهبت أقرئهم القرآن	٤/ ١١٢
إنه أنزلت عليّ آنفاً سورة	٤/ ٤٩٧
إنه أول من سن القتل	١/ ٥٣٦
إنه ذهب في حاجة الله ورسوله	٤/ ١٢٧
إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان	٤/ ٢٥٠

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
إنه طلوع الشمس من مغربها	٢/ ٩٥
إنه عبد الله وروحه وكلمته إلى مريم	١/ ٢٩٢
إنه كان ذهباً وفضة	٣/ ١٠٤
إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب	١/ ٣١٦
إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة	٤/ ٣٣٦
إنه ليغان على قلبي	٤/ ٤١٥
إنه ملك كان له ساحر فبعث إليه غلاماً	٤/ ٤٢٥
إنه وادٍ في جهنم	٣/ ١٣٨
أنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها	٣/ ٥٢٤
إنها تعدل ثلث القرآن	٤/ ٥٠٥
إنها الحنظلة	٢/ ٥١٢
إنها ذات وبر وريشٍ	٣/ ٣٦٩
إنها (الزهرة) فتنت ملكين	١/ ٩٥
إنها في علم الله قليل	٣/ ٤٣٤
إنها النخلة	٢/ ٥١٠
إنهم قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم	٢/ ١٢٣
إني أراه من شراب شربته عند سودة	٤/ ٣٠٦
إني أشهدك أن سريتي هذه عليّ حرام رضى لك	٤/ ٣٠٥
إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني؟	٤/ ١١٢
إني رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها	٤/ ٤٧١
إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرّج الله عنه	٣/ ٢١٠
إني لست بشاعر ولا ينبغي لي	٣/ ٥٣١
إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام	٢/ ٥٣٦
إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله	١/ ٤٩٩
أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟	١/ ٥٤٧
الأوّاه: الخاشع الدعّاء المتضرّع	٢/ ٣٠٦
أوفاهما وأطيبهما	٣/ ٣٨٢
أوفعلته؟	٤/ ٢٥١
أوليس قد بيّن الله تعالى ذلك	١/ ٥٠٤
أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة	٤/ ١٨٣
أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون	٤/ ٣١٨
أول ما نزل من القرآن: اقرأ	١/ ١٢
أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس	٣/ ٣١٤
أي ذلك كتبت فهو كذلك	٢/ ٥٨٤
أي شيء تحبون؟	٢/ ٦٥
أي عم، قل معي: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله	٢/ ٣٠٤
أيام الله: نعم الله	٢/ ٥٠٤
إيت بني النجار فأقرئهم مني السلام وقل	١/ ٤٥٠
أيكم أحسن عقلاً، وأروع عن محارم الله عز وجل	٢/ ٣٥٩
أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله الجنة	١/ ١٧١
أيما حلف كان في الجاهلية	١/ ٤٠١
أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل	٢/ ٢٢٦
أين ترون أن أصلي بكم	١/ ١١٠
أيها الناس، البيعة، البيعة	٤/ ١٣٣
- الباء -	
بئس عبد الله	٢/ ٥٤٦
الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله	٣/ ٨٨
بخ بخ، ذاك مال رابح	١/ ٣٠٤
برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف	٤/ ٢٦٠
البرق: مخاريق يسوق بها الملك السحاب	١/ ٤٠
بالسيف	٣/ ٥٧٢
بشر الكنازين بكيّ في الجباه	٢/ ٢٥٦
بشراهم: الجنة	٢/ ٣٣٩
بعث ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم ليقيم للناس	٢/ ٢٣١
بعث ﷺ إلى بعض فراعنة العرب يدعوه	٢/ ٤٨٧
بعث ﷺ سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة	٤/ ١٤٥

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
بعث ﷺ غلاماً يقال له مدلج إلى عمر	٣/ ٣٠٤
بعث ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليقبض صدقاتهم	٤/ ١٤٦
بعثنا ﷺ في سرية، فغنمنا إبلاً	٢/ ١٨٨
البكر بالبكر، جلد مائة وتغريب عام	٣/ ٢٧٦
البكر تستأمر في نفسها	١/ ٣٤٠
بل إلى كتاب الله	١/ ٢٦٩
بل أنا وا رأساه	٣/ ٢٠٧
بل تحسن صحبته ما بقي معنا	٤/ ٢٨٧
بلى فانكحيه فإني قد رضيته لك	٣/ ٤٦٥
بلى والله، لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم	٢/ ٣٠٥
بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها	١/ ٥٦٩
البيت المعمور: في السماء الدنيا	٤/ ١٧٥
البيت المعمور: في السماء السابعة	٤/ ١٧٥
بينا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوّف	٤/ ٤٩٧
بينما أنا في الحطيم (أو في الحجر)	٣/ ٨
بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون	٣/ ٣٧٠
بيني وبينكم التوراة	١/ ٢٦٩
- التاء -	
تحب ذلك؟	٢/ ٣٠٧
تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى	٣/ ٣٧٠
تخرج الدابة من شعب أجياد	٣/ ٣٧٠
تدرون أي يوم ذلك؟	٣/ ٢٢١
تسع، أعظمهن الإشراك بالله	١/ ٣٩٧
تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن	٣/ ٣٧١
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار	٣/ ٤٦
تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ	٣/ ٢٧١
تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة؟	٤/ ٤٥٤
تقعد أيام أقرائها	١/ ١٩٨
تنزيه الله عن كل سوء	٣/ ٧
توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصلِّ	٢/ ٤٠٥
التيمم: ضربة للوجه والكفين	١/ ٤١٣
- الثاء -	
ثماني عشرة سنة	٣/ ٢٠٥
- الجيم -	
جاء الحق وزهق الباطل	٣/ ٤٩
جاء رجل فقال: حدثني يا محمد عن إلهك	٢/ ٤٨٧
جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ	٤/ ٢٤١
جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري	٤/ ٣٥٨
جبل من نار يكلف أن يصعده	٤/ ٣٦٣
جعل ﷺ البدنة عن سبعةٍ والبقرة عن سبعة	٣/ ٢٣٧
جلس في فروة بيضاء فاخضرت	٣/ ٩٧
جنان الفردوس أربع، ثنتان من ذهب	٣/ ١١٣
الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين	٣/ ١١٣
جنتان من ذهب وجنتان من فضة	٤/ ٢١٥
- الحاء -	
حاربت يهود	٤/ ٢٥٣
الحج عرفة	١/ ١٦٤
حجي عنه	٤/ ١٩٣
حرّض ﷺ على الصف الأول فازدحموا	٢/ ٥٣٢
حرّق ﷺ نخل بني النضير وقطع	٤/ ٢٥٥
الحزن: الجوع	٣/ ٥١٣
حسدته ﷺ اليهود على مقامه بالمدينة	٣/ ٤٣
الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	٢/ ٣٤
الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر	٣/ ٧٩
- الخاء -	
خالق الناس بخلق حسن	٢/ ٤٠٧

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً	١/ ٣٨٢
خرج ﷺ يعود سعد بن عبادة، فمر بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ	٤/ ١٤٧
خلق الله تعالى آدم بعد العصر يوم الجمعة	١/ ٥١
خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً	١/ ٥١
خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد	٢/ ١٢٦، ٤/ ٤٦
خُلق فرعون في بطن أمه كافراً	٤/ ٢٩١
خُلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً	٤/ ٢٩١
خيّر ﷺ بريرة بين المقام مع زوجها وفراقه	١/ ٣٩١
خيرات الأخلاق حسان الوجوه	٤/ ٢١٦
خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	٢/ ١٠

- الدال -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
دثروني	٤/ ٣٥٩
دخل ﷺ بيت المقدس وصلى فيه بالأنبياء	٣/ ٨
دخل ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمئة وستون صنماً	٣/ ٤٩
دعا ﷺ على قريش بسنين كسني يوسف	٤/ ٨٩
دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى	١/ ١١٣
دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى	٤/ ١٨٥
دواب الأرض	١/ ١٢٧

- الذال -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ذكرك أخاك بما يكره	٤/ ١٥٢
ذلك الى الله عز وجل	٣/ ٥٢
ذلك العرض	٤/ ٤٢٠

- الراء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
رأى ﷺ إدريس في السماء الرابعة	٣/ ١٣٥
رأى ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها	٤/ ١٨٦
رأى ﷺ عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم	٢/ ٢١٤
رأى ﷺ في المنام أنه هاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء	٤/ ١٠٤
رأى ﷺ في النوم كأن قائلاً يقول له: لتدخلن المسجد الحرام	٤/ ١٢٦
رأيت ربي عز وجل فقال لي: فيم يختصم الملأ الأعلى؟	٣/ ٥٨٢
الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له	٢/ ٣٣٨
ربح البيع يا أبا يحيى	١/ ١٧٣
رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني	٢/ ٤٥٠
رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد	٢/ ٣٩١
الركعتان قبل صلاة الفجر	٤/ ١٨٢
رمى ﷺ يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم	٢/ ١٩٦
رميتهم بالسرقة على غير بينة!	١/ ٤٦٦
الروح: جند من جند الله تعالى	٤/ ٣٩١

- الزاي -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل	٢/ ٣٢٦

- السين -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له	٣/ ٥١١
سأخبركم غداً	٤/ ٤٥٦
سأقضي بينكما بكتاب الله	٤/ ١٨١
سأل ﷺ ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته	١/ ٢٧٠
سأل ﷺ اليهود عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره	١/ ٣٥٨
سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة	٢/ ٤٠
سبأ رجل من العرب	٣/ ٣٥٨
سبحان مقلب القلوب	٣/ ٤٦٦

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
سبى ﷺ ريحانة القرظية فلم يدن منها حتى أسلمت	٣/ ٤٧٧
سُحر رسول الله ﷺ حتى أثر فيه	٣/ ١٦٦
سدرة المنتهى فوق السماء السابعة	٤/ ١٨٧
سدرة المنتهى في السماء السادسة	٤/ ١٨٧
سقتني حفصة شربة عسل	٤/ ٣٠٥
سلاني	١/ ٢٦٦
سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم	١/ ٥٩٠
سمى ﷺ زيد الخيل: زيد الخير	٣/ ٥٧١
سنوا بهم سنة أهل الكتاب	١/ ٥١٩
سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم	٢/ ٢٨٤
سوّموا، فإن الملائكة قد سومت	١/ ٣٢١

- الشين -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
شاهت الوجوه	٢/ ١٩٥
الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة	٤/ ٤٢٣
شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة	٢/ ٤٩٤
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	١/ ٢١٤
الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع ومنها الوتر	٤/ ٤٣٨
الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر: ليلة النحر	٤/ ٤٣٨
الشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة	٤/ ٤٣٨
الشفق: الحمرة	٤/ ٤٢١
شهرا عيد لا ينقصان	٤/ ٤٦١
شيبتني هود وأخواتها	٢/ ٣٥٥

- الصاد -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
صالح ﷺ يهود على أرضهم وعلى الحلقة	٤/ ٢٥٥
صدق الله عز وجل: إنما أموالكم وأولادكم فتنة	٤/ ٢٩٤
صدق الله وكذب بطن أخيك	٢/ ٥٧٠
صدقة تصدّق الله بها عليكم	١/ ٤٦٠
الصراط المستقيم: الإسلام	٢/ ٣٢٥
الصراط المستقيم: كتاب الله	١/ ٢٠، ٢/ ٣٢٥
صلى ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً	١/ ١١٨
صلى ﷺ بذي قرد، فصف الناس خلفه	١/ ٤٥٩
صلى ﷺ يوم الخندق الظهر والعصر والمغرب والعشاء بعدما غاب الشفق	١/ ٢١٦
صلى ﷺ يوم الفتح خمس صلوات بوضوء واحد	١/ ٥٢٠
الصمد: السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج	٤/ ٥٠٦
الصور: قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات	٢/ ٤٥
الصوم جنة، والصدقة تكفّر الخطيئة	٣/ ٤٤٠

- الضاد -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
الضبع صيد، وفيه كبش إذا قتله المحرم	١/ ٥٨٥
ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما	٤/ ٢٥٩
ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله	٣/ ٤٩٨
ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا	٢/ ٢٣١

- الطاء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
الطاء: طور سيناء، والسين الإسكندرية	٣/ ٣٣٤
طلق إحداهما	١/ ٣٩٠
الطوفان: الموت	٢/ ١٤٨، ٣/ ٤٠٢
طولها ستون ذراعاً	٣/ ٣٧٠

- العين -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
عبد سوء	٢/ ٥٤٧
عجب ربك من شاب ليست له صبوة	٣/ ٥٣٨
عرضت عليّ أمتي وأعلمت من يؤمن بي	١/ ٣٥١
عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم	٢/ ٤٢٨
علام تشتمني أنت وأصحابك؟	٤/ ٢٥٠
على ملّة إبراهيم	١/ ٢٦٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
عليّ وفاطمة وولداها	٤/ ٦٤
عليكم منازلكم، فإنما يكتب آثاركم	٣/ ٥١٩
عمداً فعلته يا عمر	١/ ٥٢٠
العيادة فواق ناقة	٣/ ٥٦٢
- الغين -	
الغاسق: النجم	٤/ ٥٠٩
غداً أخبركم بذلك	٣/ ٧٦
غراماً: دائماً	٣/ ٣٢٧
غشيها فراش من ذهب	٤/ ١٨٧
غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟	١/ ٤٧٧
- الفاء -	
فأخرجوا التوراة، فإني مكتوب فيها	١/ ٢٦٩
فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة	٤/ ٤٧٨
فأنت الحبر السمين	٢/ ٥٣
فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها	٢/ ٥٦٤
فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته	٢/ ٥٢٧
فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد	٤/ ٥٠٢
فأين أنتِ من شباب أهل مكة؟	٤/ ٢٦٦
فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء	١/ ١٣
فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً	١/ ٤٥٩
فكذلك يحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه	٣/ ٥٠٧
فلا تعد إليه	٤/ ٢٥١
فلا تكن في مرية من لقاء موسى ربه	٣/ ٤٤٣
فما حملك على ما صنعت؟	٤/ ٢٦٧
فما رأيت عبقرياً يفري فري عمر	٣/ ١٢٨
فما يدريكم أنها إناث؟	٤/ ٧٥
فهلموا إلى التوراة	١/ ٢٦٩
فيؤمر الملك بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله	٤/ ٢٩١
فيه جمع أبوك	٤/ ٢٨٢
- القاف -	
قال جبريل: ألا أراك وضعت اللأمة	٣/ ٤٥٨
قال جبريل: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب	١/ ٥١٥
قال ذو الخويصرة: اعدل يا رسول الله	٢/ ٢٦٩
قال علي: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي	٤/ ٢٤٩
قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً	١/ ١٨٣
قال عمر: لو اتخذنا من مقام إبراهيم	١/ ١٠٩
قالت اليهود: من يأتيك من الملائكة؟	١/ ٩٠
قام قيام ليلة بآية يرددها	١/ ٦٠٦
قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً	١/ ٢٦٨
قد أذنت لك	٢/ ٢٦٦
قد حرمتِ عليه	٤/ ٢٤٢
قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك	١/ ٤٨٠
قد فعلتَ	٣/ ١٣٩
قد قبلتك	٣/ ٤٦٥
قد كنت أحب أن أراك على غير جوار	٣/ ٣٢٩
القرن: أربعون سنة	٢/ ٩
القرن: مئة سنة	٢/ ١٠
قسم ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين	٤/ ٢٥٧
قضى ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار	٣/ ٢٠٣
قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة	٣/ ٣٨٨
قل له: إن رسول الله يقول: بعني كذا	٣/ ١٨٢
قلتم كذا وكذا	٢/ ٢٧٥
قم يا فلان، فإنك منافق	٣/ ٤٨٤
قم يا فلان، قم يا فلان	٤/ ٢٤٧
القنطار: اثنا عشر ألف أوقية	١/ ٢٦٤
القنطار: ألف ومئتا أوقية	١/ ٢٦٤
القنطار: ألف ومئتا دينار	١/ ٢٦٤
القوة: الرمي	٢/ ٢٢١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	٣/ ٤٨١
قيام العبد من الليل	٣/ ٤٤٠
قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً	١/ ٦٩
قيل لرسول الله ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبيّ	٤/ ١٤٧
- الكاف -	
كاتب الحسنات على يمين الرجل	٤/ ١٥٩
كاد يصيبنا في خلافك بلاء	٢/ ٢٢٥
كان ﷺ إذا جلس على المنبر أذّن بلال	٤/ ٢٨٢
كان ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره	٢/ ٢٨٦
كان ﷺ إذا سئل: لمن هذا الأمر من بعدك؟ لم يخبر بشيء	٤/ ٧٩
كان ﷺ إذا صلى بالمسجد الحرام قام رجلان	٢/ ٢٠٩
كان ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء	٣/ ٢٥٥
كان ﷺ تحت الشجرة يبايع الناس	٤/ ١٣٣
كان ثعلبة يقول: إنما يعطي محمد من يشاء	٢/ ٢٦٩
كان جبريل يتمثل لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل	٤/ ١٨٤
كان (خلقه القرآن	٤/ ٣١٩
كان ذو الكفل رجلاً لا ينزع عن ذنب	٣/ ٢٠٨
كان ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه	٢/ ٢١٩
كان ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب	١/ ٥٩٤
كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم	٢/ ٤٦٥
كان ﷺ يتزمل في ثيابه في أول ما جاء جبريل فرقاً منه حتى أنس به	٤/ ٣٥٢
كان ﷺ يتعوذ من بوار الأيم	٣/ ٣١٥
كان ﷺ يثقل عليه إذا أوحي إليه	٤/ ٣٥٣
كان يجاء بالغنيمة فيقسمها ﷺ على خمسة	٢/ ٢١١
كان ﷺ يجهز بالقراءة في الصلوات كلها	١/ ٢٦
كان ﷺ يحب أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه	٤/ ٢٤٧
كان ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران	٤/ ٢٩٤
كان ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير	٤/ ٢٨٤
كان ﷺ يراوح بين قدميه، يقوم على رجل	٣/ ١٥٠
كان ﷺ يرفع صوته بالقرآن بمكة	٣/ ٦٠
كان ﷺ يستحلف المرأة بالله: ما خرجت من بغض زوج	٤/ ٢٧٢
كان (إسرائيل) يسكن البدو فاشتكى عرق النسا	١/ ٣٠٥
كان يصعد لإدريس من العمل مثلما يصعد	٣/ ١٣٥
كان ﷺ يصلي بمكة عند الصفا فجهر بالقرآن	٣/ ٦١
كان ﷺ يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة	٣/ ٤٧٩
كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان يشتد عليه حفظه	٤/ ٣٧١
كان ﷺ يكتب: باسمك اللهم	٣/ ٦٠
كان ﷺ يمتحنهن بشهادة أن لا إله إلا الله	٤/ ٢٧٢
كان ﷺ يوماً يناجي عتبة وأبا جهل وأمية.. فجاء ابن أم مكتوم	٤/ ٣٩٩
كانا من جلد حمار ميتٍ	٣/ ١٥٣
كانت الأولى من موسى نسياناً	٣/ ٩٥
كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم	١/ ١١١
كانوا أهل قرية لئاماً	٣/ ١٠١
كانوا مئة ألف يزيدون عشرين ألفاً	٣/ ٥٥٤
الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	١/ ٣٩٧
الكبائر سبع: الإشراك بالله أولهن	١/ ٣٩٦
الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس	١/ ٣٩٧
كتب ﷺ إلى هجر يدعوهم الى الإسلام	١/ ٥٩٤
كذا أنزلت عليَّ فاكتبها	٢/ ٥٥
كذب إبراهيم ثلاث كذبات	٢/ ٤٥٧، ٣/ ١٩٦
كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً	٣/ ٥٣٠
كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم	٣/ ٤١١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيي بن زكريا	١/ ٢٧٩
كل خير أرجوه من ربي	٣/ ١٩٧
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس	٤/ ٢٠٤
كل مال أديت زكاته فليس بكنز	٢/ ٢٥٤
كل مولود يولد على الفطرة	٢/ ١٣، ٣/ ٤٢٢
كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم	١/ ٣٠٠
كلمة التقوى: لا إله إلا الله	٤/ ١٣٦
كلهم في الجنة	٣/ ٥١١
كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح	١/ ٢٢١
كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر	١/ ١١
كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد	٣/ ٤٤٩
الكنود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده	٤/ ٤٨٤
كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم	١/ ٣٢٣
- اللام -	
لا آكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٣/ ٣١٨
لا أجد ما أحملكم عليه	٢/ ٢٨٩، ٣/ ٢١
لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء	١/ ٣٤٣
لا إله إلا الله	٣/ ٥٥٧
لا، بل أستأني	٣/ ٣٣
لا، بل لكل من عُبِدَ من دون الله	٣/ ٢١٥
لا، بل للناس كافة	٢/ ٤٠٥
لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون	٣/ ٢٦٥
لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم	١/ ٢٤٤
لا تجالسوهم ولا تكلموهم	٢/ ٢٩٠
لا تجعلوا بيوتكم مقابر	١/ ٢٤
لا تحلفوا بآبائكم	١/ ٣٦٧
لا تذكري لعائشة ما رأيت	٤/ ٣٠٥
لا تذكريه لأحد	٤/ ٣٠٥

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها	٢/ ٩٥
لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر	٤/ ١٠٠
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق	٣/ ٥٧
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	٣/ ٤١٠
لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها	١/ ٥٣٧
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	٢/ ٩٥
لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك	١/ ١٨١
لا تمككوا على غرمائكم	٤/ ١٣٥
لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة	٣/ ٢٧٥
لا حاجة لي فيه	٤/ ٣٠٥
لا خير في دين ليس فيه ركوع	٤/ ٣٨٦
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	١/ ٢٣
لا، فإنه لا ينبغي أن يُسجد لأحد من دون الله	١/ ٢٩٨
لا نبرح حتى نناجزهم	٤/ ١٢٦
لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني	٢/ ٢٣٢
لا يبقى على رأس مائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد	٣/ ٩٧
لا يتم بعد حلم	٢/ ٢١٢
لا يخضد شوكها	٤/ ٢٢٢
لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٣/ ٤٥٨
لا يضرك بأيهما بدأت	٣/ ٥٣٠
لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه	١/ ١٤٦
لا ينحني له	٢/ ٤٧٤
لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	٢/ ٣٠٤
لأمثلن بكذا وكذا منهم	١/ ٣٢٤
لئن ظفرت بقاتل حمزة لأمثلنّ به مُثلة	٢/ ٥٩٤
لسرادق النار أربعة جدر كثف	٣/ ٨٠
لعن ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه	١/ ٢٤٧
لعن ﷺ الزهرة وقال: إنها فتنت ملكين	١/ ٩٥

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
لعن ﷺ العاضهة والمستعضهة	٢/ ٥٤٥، ٣/ ١٦٧
لقد أنزلت عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة	٣/ ٢٥٤
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	٣/ ٤٥٩
لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب	٣/ ٢٥٨
لقد ذهبتم فيها عريضة	١/ ٣٢٥
لقد عجب من فعالكما أهل السماء	٤/ ٢٥٩
لقريش	٤/ ٧٩
لكن الله يدري، وسيقضي بينهما	٢/ ٢٥
لم أومر بذلك	١/ ٥٧٦
لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف بهذا البيت	٤/ ١٢٦
لم يدخل ﷺ بيت المقدس ولم يصلّ فيه	٣/ ٨
لم يصافح ﷺ في البيعة امرأة	٤/ ٢٧٤
لم يكن رسول الله ﷺ في شك ولا سأل	٢/ ٣٥٠
لم ينظر موسى إلى الله	٤/ ٧٠
لما أراد ﷺ العمرة استنفر مَنْ حول المدينة	٤/ ١٣٠
لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر	١/ ٣٤٧
لما انصرف ﷺ من الخندق وضع عنه اللأمة واغتسل	٣/ ٤٥٨
لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعاً	١/ ٥٦٧
لما بويع رسول الله ﷺ ليله العقبة	٢/ ٢٠٤
لما تزوج ﷺ زينب دعا القوم فطعموا	٣/ ٤٧٨
لما حاصر ﷺ قريظة سألوه أن يصالحهم	٢/ ٢٠٢
لما دعا ﷺ على أهل مكة بالجرب فقحطوا	٢/ ٣٢٢
لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت	٤/ ١٨٧
لما قدم ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده سعة	٤/ ٦٤
لما كان يوم الفتح أمر ﷺ بلالاً فصعد على ظهر الكعبة فأذن	٤/ ١٥٢
لما مات النجاشي أمرهم ﷺ بالصلاة عليه	١/ ١٠٣
لما نزل عليه ﷺ القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام	٣/ ١٥٠
لما هزم الله المشركين يوم بدر	٢/ ٢٢٤
لما يئس (من أهل مكة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم	٤/ ١١٣
لمن عمل بها من أمتي	٢/ ٤٠٥
لو اتبع آخرهم أولهم التهب عليهم الوادي ناراً	٤/ ٢٨٤
لو أعطاني لأوفيته، إني لأمين في السماء أمين في الأرض	١/ ٣٦٣
لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة	١/ ٢٠٠
لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من وقته	٢/ ٤٥٠
لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا	١/ ١٠٦
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً	٤/ ١٩٣
لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم	١/ ٣٣٤
لو كان على أبيك دين قضيته أفكان ذلك يجزئ عنه؟	١/ ١٦٨
لولا أن بني إسرائيل استثنوا لم يعطوا	١/ ٧٧
لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته	٢/ ٥٩٤
ليت شعري ما فعل أبواي؟	١/ ١٠٦
ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم	١/ ٥٥٧
ليلة خمس وعشرين	٤/ ٤٧١
ليهنك العلم يا أبا المنذر	١/ ٢٢٩

- الميم -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة	٣/ ٤٠
ما أخت خالك منك؟	٣/ ١٩٧
ما أدري تبعاً، نبي أو غير نبي	٤/ ٩٣

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ما أردت بما أرى	٢/ ٢٩٧
ما الذي أثنى الله به عليكم؟	٢/ ٣٠٠
ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً	٢/ ٢٩٤
ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	٣/ ٥٢
ما أوحي إليّ في هذا شيء	٤/ ٢٤٢
ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا	٤/ ١٤٤
ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم ما أرسلت به	٣/ ٥٢
ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها	١/ ٣٢٦
ما ترى يا ابن الخطاب	٢/ ٢٢٤
ما توضأ عبد فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له	١/ ٥٢٣
ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل	٤/ ١٢٦
ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة	١/ ٢٣٠
ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً	١/ ١٧٩
ما ظنك باثنين الله ثالثهما	٢/ ٢٦١
ما عليَّ لو فعلتُ والله يعلم أني لكاره	٣/ ٤٢
ما عند رسول الله ما يطعمك هذه الليلة	٤/ ٢٥٩
ما عندنا اليوم شيء	٣/ ٢١
الماعون: الإبرة والماء والنار والفأس	٤/ ٤٩٦
ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية	٢/ ٥٢٧
ما لي أراك محزوناً؟	١/ ٤٣٠
ما لي أراكم سكوتاً؟	٤/ ٢٠٩
ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار	٢/ ١٢١
ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة	٢/ ٤٣٠
ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع	١/ ٣٥٣
ما من مسلم إلا وله في السماء بابان	٤/ ٩١
ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم	١/ ١٤٦
ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر	١/ ٥٣٤
ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة	٢/ ١٩٥
ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى	٢/ ٢٨٦
ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين	٣/ ٤٦٨
متعنا بنفسك يا أبا بكر	٤/ ٢٥١
متعها ولو بقلنسوتك	١/ ٢١٢
مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين	١/ ٤٨٩
مرا بثعلبة وبفلان	٢/ ٢٨٢
مرجت عهودهم وأماناتهم	٣/ ٣٢٤
مرحباً بمن عاتبني فيه ربي	٤/ ٣٩٩
مررت بقبر أمي فصليت ركعتين	٢/ ٣٠٣
مستقرها تحت العرش	٣/ ٥٢٤
معاذ الله، ما بذلك بعثني	١/ ٢٩٨
المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء	٢/ ١١٤
المغضوب عليهم: اليهود	١/ ٢١
مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله	٢/ ٣٧
المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ	١/ ٣٦٩
ملعون من أتى النساء في أدبارهن	١/ ١٩٣
ملك من الملائكة موكل بالسحاب	١/ ٣٩
من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ (إذا الشمس كورت)	٤/ ٤٠٥
من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أحبني	١/ ٤٣٦
من أعطاكه؟	١/ ٥٦١
من أغلق بابه فهو آمن	٣/ ٤٤٤
من توضأ وضوئي، ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح	٢/ ٤٠٧
من حفظ خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً	٣/ ٦٣
من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف	٣/ ٦٣
من رغب عن سنتي فليس مني	١/ ٥٧٧
من زوجك؟	٣/ ١٩٧
من سره أن يقوم له الرجال صفوناً	٣/ ٥٧١

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله له بها حسنة	١/ ٣٠٦
من عقر جواده	٢/ ١٣٥
من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر	٢/ ١٨٦
من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين	٤/ ٤٧١
من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين	٤/ ٤٧١
من لعن شيئاً لم يكن للعنه أهلاً رجعت	١/ ٥٦٦
من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً	٣/ ٤٠٨
من مخاطبة العبد ربه	٤/ ٤٩
من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها	٣/ ١٥٤
من نوقش الحساب هلك	٤/ ٤٢٠
من هؤلاء؟	٢/ ٢٩٣
من وجد الزاد والراحلة	١/ ٣٠٨
من يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله	٤/ ٢٥٩
مه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش	٤/ ٢٤٦

- النون -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة	٢/ ٢٤٧
ناولني حصيات	٢/ ٢٤٧
ناولني كفاً من حصباء	٢/ ١٩٥
نبزهم الرافضة	٤/ ١٥٠
نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة	٤/ ١٨٦
نبي ضيعه قومه	١/ ٥٣١
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	١/ ١٧٨
نحن معاشر الأنبياء لا نورث	٣/ ١١٨
النخلة لك ولعيالك	٤/ ٤٥٤
نزل ﷺ يوم بدر وبينه وبين الماء رملة	٢/ ١٩٢
نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً	١/ ٦٠٣
نزلت في المؤذنين	٤/ ٥٢
نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور	٢/ ٢١٥
نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر	٤/ ٢٩٤
نعم	٣/ ٤٤
نعم، (نهيت عن القتال في الشهر الحرام)	١/ ١٥٦
نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما	٣/ ٢٥١
نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم	٣/ ٥٣٣
النعيم: الأمن والصحة	٤/ ٤٨٦
النعيم: الماء البارد	٤/ ٤٨٦
نفاعاً حيثما توجهت	٣/ ١٣٠
نهى (أن تنكح المرأة على عمتها	١/ ٣٩٢
نهى (عن البول في الماء الدائم	٤/ ٣٣٩
نهى (عن قتل النساء والصبيان	١/ ٥٤٤
نهى (عن متعة النساء	١/ ٣٩٢
نور يقذفه الله في القلب فينفتح القلب	٢/ ٧٥

- الهاء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
هات المفتاح	١/ ٤٢٣
هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني	٢/ ٢٨٢
هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو	٢/ ٢٣٧
هذا ما أوحي إليّ أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود	٢/ ٨٩
هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو أن هذا الدين معلق بالثريا لتناوله رجال من فارس	٤/ ١٢٤
هذه أمتي، بالحق يأخذون ويعطون	٢/ ١٧٣
هذه لكم، وقد أعطي القوم مثلها	٢/ ١٧٣
هل أعطاك أحد شيئاً؟	١/ ٥٦١
هل تدرون ما الكوثر؟	٤/ ٤٩٧
هل تدرون ما قال ربكم؟	٤/ ٢١٤، ٢٢٩
هل تدرون مم أضحك؟	٤/ ٤٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
هل تعرف هذا الكتاب؟	٤/ ٢٦٧
هل جئتم في عهد؟	٤/ ١٣٤
هل جعل لكم أحد أماناً؟	٤/ ١٣٤
هل عندكن شيء؟	٤/ ٢٥٨
هل متعتها بشيء؟	١/ ٢١٢
هل مررت بوادي أهلك محلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟	٣/ ٥٠٧
هلا قلتِ: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد	٤/ ١٤٩
هلك المصرون	٢/ ٤٢٦
هم الجن، وان الشيطان لا يخبل أحداً في داره	٢/ ٢٢١
هم اليوم أربعة	٤/ ٣٣١
هم قوم هذا	١/ ٥٦٠
همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك	٤/ ٢٥٣
هو قرن ينفخ فيه	٢/ ٤٥
هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل	١/ ٩٩
هو مسجدي هذا	٢/ ٢٩٨
هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة	٤/ ٤٩٧

- الواو -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
والذي بعثني بالحق، لو فعلا لأمطر الوادي	١/ ٢٨٩
والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن	٤/ ٥٠٥
والذي نفسي بيده، لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً	٤/ ٤٦٧
والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها	١/ ١٧
والله لأرضينك، وإني مسر إليك سراً فاحفظيه	٤/ ٣٠٥
والله لأمثلن بسبعين منهم	٢/ ٥٩٤
والله لو باعني أو أسلفني لقضيته	٣/ ١٨٢
والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله	٤/ ٢٧١
وإليك نسعى ونحفد	٢/ ٥٧٢
وأنا اقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم	٢/ ٢٩٣
وأي شيء أقول فيه! هو عبد الله	١/ ٥٠٢
وتجعلون رزقكم، قال: شكركم	٤/ ٢٢٩
وجدني في أهل غنيمة بشق	٢/ ٥٥١
الورود: الدخول، لا يبقى بَرّ ولا فاجر إلا دخلها	٣/ ١٤٣
وفّى عمل يومه بأربع ركعات في أول النهار	٤/ ١٩٢
ولا تجزي عن أحد بعدك	٢/ ٢٥٠
ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه	٣/ ٤٠٩
وما تصنع بها؟	٤/ ٢٥١
وما هي يا عبد الله؟	١/ ١٨٧
وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر	٤/ ٢٦٧
وممّ ذاك؟	٣/ ٤٦٥
ومن صاحبكم؟	١/ ٥٠٢
ويأتيك من لم تزوده بالأخبار	٣/ ٥٣١
ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير	٢/ ٢٨١
ويسعى بذمتهم أدناهم	٢/ ٢٣٩
ويل: واد في جهنم	١/ ٨٢

- الياء -

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام	٤/ ٤٤٤
يؤتى بالرجل الطويل الأكول الشروب العظيم	٢/ ١٠٣، ٣/ ١١٢
يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه	٣/ ٣٣٠
يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة	٣/ ١٣٢
يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	١/ ٢٢٩

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يا أبا ذر، أتدري فيما انتطحتا؟	٢/ ٢٥
يا أبا ذر، تدري أين ذهبت الشمس؟	٢/ ٥٦٣
يا أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض	١/ ١٥٥
يا ثوبان، ما غير وجهك؟	١/ ٤٣٠
يا جابر، لا أراك ميتاً من وجعك هذا	١/ ٥٠٤
يا جبريل، لمَ اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟	١/ ٤٧٨
يا جبريل، ما يمنعك أن تزورنا	٣/ ١٣٩
يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر؟	٢/ ٢٦٦
يا رب، كيف أصنع؟ إنما أنا وحدي يجتمع عليَّ الناس	١/ ٥٦٨
يا رب، كيف بالغضب	٢/ ١٨١
يا رحمن يا رحيم	٣/ ٦٠
يا صباحاه	٤/ ٥٠٢
يا عائشة، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي	٤/ ٥٠٧
يا عبد الله، هذه مؤمنة	١/ ١٨٧
يا عم، إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب	٣/ ٥٥٧
يا عماه، إن الله قد عصمني من الجن والإنس	١/ ٥٦٨
يا عمر، إن أولئك قوم عجّلت لهم طيباتهم	٤/ ١٠٩
يا عمر، ضع سيفك	٤/ ٩٨
يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟	١/ ٣٩٦
يا فلان، أخرج فإنك منافق	٢/ ٢٩٣
يا فلان، يا فلان، اشهدوا	٤/ ١٩٦

طرف الحديث	الجزء/ الصفحة
يا معشر الشباب، عليكم بالباءة	٣/ ٢٩٣
يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله	٣/ ٣٥٠
يا مقداد، أقتلت رجلاً قال: لا إله إلا الله	١/ ٤٥٢
يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة	٢/ ٢٨٢
يا يهودي، إن الإسلام يسبك الرجال	٣/ ٢٢٥
يأجوج أمة، وماجوج أمة	٣/ ١٠٩
يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى	٤/ ٣٧
يبسطها ويمدها مد الأديم	٢/ ٥٢٠
يتجلى لهم الرب	٤/ ١٦٤
يجزئك الثلث	٢/ ٢٠٣
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل	١/ ١١٩
يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً	٣/ ٢١٧
يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره	١/ ٥٥١
يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار	٢/ ١٢١
يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة	٤/ ٢٦
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات	٤/ ٣٣١
يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً	٤/ ٢١١
يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه	٤/ ٢٦
يقرّب إليه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى	٢/ ٥٠٨
يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	٤/ ٤١٤
يكشف ربنا عن ساقه	٤/ ٣٢٥
يمنعني الله منك	١/ ٥٢٥
يوضع في مسامعهم مسامير من نار	٣/ ٢١٤

٣ ـ فهرس القوافي

القافية	الشاعر	ج/ص
ـ الألف ـ		
جزى	أبو النجم	١/٦٠٥
العلا	أبو النجم	١/٦٠٥
وإن شراً فا	....	١/٢٦
إلا أن تا	....	١/٢٦
ألا تا	....	١/٢٦
ألا فا	....	١/٢٦
السرى	....	٣/١٠٢
ما مضى	....	٣/١٥٤
اليمنى	....	٣/٣٨٣
يبلى	....	٣/٣٨٣
ـ الهمزة ـ		
وراءَها	قيس بن الخطيم	٤/٢٠٤
نساءُ	زهير بن أبي سلمى	١/٦٦
السواءُ	زهير بن أبي سلمى	١/٢٩٠
بقاءُ	زهير بن أبي سلمى	١/٢٩٠
نشاءُ	زهير بن أبي سلمى	١/٤٣١
كفاءُ	حسان بن ثابت	١/٩١
هواءُ	حسان بن ثابت	٢/٥١٨
ضوضاءُ	الحارث بن حلزة	١/٤٣٧
مبوؤُها	إبراهيم بن هرمة	٢/١٣٤
الأحياءِ	عدي بن الرعلاء	١/٢٧١
البناءِ	....	٢/١٢٣
الأعداءِ	....	٢/٢٢٠
السواءِ	....	٢/٢٢٠
ـ الباء ـ		
العَجَبْ	....	٣/٥٦٠
الذَّنَبْ	....	٣/٥٦٠
صبًا	....	٤/٤٩٦
مُخَضَّبا	الأعشى	٣/٦٤
واصبا	أبو الأسود الدؤلي	٢/٥٦٤
دائبا	....	٢/٢٦٠
طنبا	أوس بن حجر	٢/٥٢٧
صليبا	الهذلي	١/٥٠٩
قريبا	الأعشى	٢/١٤٥
يتذبذبُ	النابغة الذبياني	١/٤٤
مذهبُ	النابغة الذبياني	٢/٥٠٧
ومذنبُ	الكميت بن زيد	٢/٢٣
ومعربُ	الكميت بن زيد	٤/٢٩
فتصوّبوا	النابغة الجعدي	٢/١٧٩
يغضبوا	ابن الضريبة	٢/٣٦٦
وعقربُ	....	١/٣٣١
أرغبُ	....	٢/٥٠٦
والمهلَّبُ	....	٣/٨٣
عاتبُ	....	١/٣٨٦
صاحبُ	....	١/٣٨٦
سارِبُ	....	٢/٤٨٥

القافية	الشاعر	ج/ ص
الأسبابُ	....	٢/ ٤٢٩
الطربُ	الكميت	١/ ٢٨٠
غضبوا	ابن قيس الرقيات	٢/ ٢٨٠
العربُ	ابن قيس الرقيات	٢/ ٢٨٠
منقضبُ	ذو الرمة	٢/ ٥٢٧
ولا نَدَبُ	ذو الرمة	٢/ ٥٣٣
الكذوبُ	ابن الزبعرى	١/ ٢٧
مجيبُ	كعب بن سعد الغنوي	١/ ٣٦ و١٤٦ و٣٤٨
وقليبُ	كعب بن سعد الغنوي	٢/ ٢٣٨
دبيبُ	علقمة بن عبدة	١/ ٣٩
فصليبُ	علقمة بن عبدة	١/ ٢٣٢ و٢٩٠ و٤٣٠ و٤/ ٢٠٤
طبيبُ	علقمة بن عبدة	٣/ ٣٢٦ و٤/ ٣٣٥
لبيبُ	المضرب بن كعب	١/ ٥٠٦
لغريبُ	ضابئ البرجمي	٢/ ٢٥٥
يصوبُ	....	١/ ٤٩
ذُنوبُ	....	١/ ١٧٥ و ٢/ ١٣٨
طبيبُ	....	٢/ ١١٥
تشيبُ	....	٢/ ١١٥
ذَنوبُ	....	٤/ ١٧٤
القليبُ	....	٤/ ١٧٤
وغاربُهْ	أبو الغمر الكلابي	١/ ٤٧٠
وأخاطبُهْ	ذو الرمة	٢/ ٥٣٠
وملاعبُهْ	ذو الرمة	٢/ ٥٣٠
ثاقبُهْ	....	١/ ٣٦
كِذابُهْ	الأعشى	٤/ ٣٩٠
طلابُها	أبو ذؤيب	١/ ٣١٦
جوابُها	الفرزدق	١/ ٣٥٨ و٢/ ٣٩٨
ثوابُها	....	١/ ٣٣١
أبي كعبِ	....	٣/ ٢١٣

القافية	الشاعر	ج/ ص
الكواكبِ	بشر بن أبي خازم	٢/ ٥٢٧
المعذَّبِ	امرؤ القيس	٤/ ١٦٢
تطيَّبِ	امرؤ القيس	٤/ ١٦٢
تطيَّبِ	امرؤ القيس	٤/ ١٦٢
لِغُرَّبِ	....	٤/ ٣٦٦
عائبي	أبو الغول الطهوي	١/ ٤٠٢
العقاربِ	جرير	٢/ ٨٩
الكتائبِ	النابغة الذبياني	٢/ ٢٨٠
الكواكبِ	النابغة الذبياني	٢/ ٥٦٥
بالحواجبِ	القناني	٢/ ٣٨٥
وبالشرابِ	امرؤ القيس	٣/ ٢٩
بالإيابِ	امرؤ القيس	٤/ ١٦٤
السحابِ	....	٤/ ٣٥٦
نشبِ	عمرو بن معديكرب	١/ ٢٤٢ و٢/ ٣٨٢
النُّقَبِ	دريد بن الصمة	١/ ٥٢٧
والذَّهَبِ	مالك بن نويرة	٤/ ٢١٤
الذَّنَبِ	....	١/ ٥٥
تأويبِ	سلامة بن جندل	٣/ ٥١٣
بالكُوبِ	عدي بن زيد	٤/ ٨٣
كالزبيبِ	....	٤/ ٣٨٦

ـ التاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ ص
طولتْ	....	٤/ ٢٩
أميثتْ	....	٤/ ٢٩
فكررتْ	....	٤/ ٢٩
ثلثتْ	....	٤/ ٢٩
سبعتْ	....	٤/ ٢٩
مقيتا	أحيحة بن الجلاح	١/ ٤٤١
أتيتا	....	٢/ ٤٢٦
هيتا	....	٢/ ٤٢٦

القافية	الشاعر	ج/ص
أسكتا	....	٢/ ٤٢٦
لهيَّتا	....	٢/ ٤٢٦
البَغْتُ	يزيد بن ضبة	٢/ ٢١
ودعوتُ	قيس لبنى	٢/ ٥٠٣
وقضيتُ	قيس لبنى	٢/ ٥٠٣
سَرَيْتُ	رؤبة	٤/ ١٥٤
لَيْتُ	رؤبة	٤/ ١٥٤
ميتُ	....	١/ ٢٧١
واستقيتُ	....	١/ ٢٧١
مَشَيْتُ	....	٤/ ٤٠١
مقيتُ	....	١/ ٤٤١
برَّتِ	كثير عزة	١/ ١٩٦و٥٨١
تقلَّتِ	كثير عزة	٢/ ٢٦٧
ملَّتِ	كثير عزة	٤/ ٧٢
فاستقرَّتِ	العجاج	٤/ ٤٧٨
فاقفعلتِ	....	١/ ٢٣
واللاتي	....	١/ ٣٨١
لداتي	....	١/ ٣٨١

ـ الجيم ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
الفَلَجْ	....	٣/ ٢٣١و٤/ ٣٢٠
بالفَرَجْ	....	٣/ ١٢٦و٢٣١و٤/ ٣٢٠
الساجْ	....	٤/ ٤٥٧
النساجْ	....	٤/ ٤٥٧
تأججا	....	٣/ ٣٢٩
تهملجُ	النابغة الجعدي	٣/ ٣٧٢

ـ الحاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
أروحْ	....	٤/ ٤٦١
بَرَحْ	....	٤/ ٤٦١
يسنحْ	....	٤/ ٤٦١
نشرحْ	....	٤/ ٤٦١
فافرحْ	....	٤/ ٤٦١
ورمحا	ابن الزبعرى	١/ ٥٢٢و٤/ ٢٢٢
الصروحا	أبو ذؤيب الهذلي	٣/ ٣٦٥
شِيحا	المضرس بن ربعي	٤/ ١٦٢
أكدحُ	تميم بن مقبل	١/ ٤١٦ و٣/ ٤٢٠و٤/ ٤٢٠
يبرحُ	ذو الرمة	١/ ٤١
أملحُ	....	١/ ٣٨و١٠٠
أروحُ	....	٣/ ٨٣
الطوائحُ	نهشل بن حري	٢/ ٥٢٩
الرياحُ	الهذلي	١/ ١٩٩
مذبوحُ	أبو ذؤيب الهذلي	٣/ ٨١
الريحُ	....	٢/ ١٣١
وأستريحُ	....	٢/ ١٣١
كشوحُها	النمر بن تولب	١/ ٣٢٣
راحِ	جرير	١/ ٥٠و٣/ ٣٠٢و٤١٤
جناحي	جرير	٣/ ٣٨٣
بقرواحِ	أوس بن حجر	١/ ٤٧٠
القماحِ	بشر بن أبي خازم	٣/ ٥١٨
والجناحِ	....	٣/ ١٥٦
رزاحِ	....	٤/ ٨٥
وذبائحِ	....	٢/ ٤٥٦

ـ الدال ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
من أحدْ	منظور الوبري	١/ ٢٨٧
من أسدْ	منظور الوبري	١/ ٢٨٧
في العددْ	منظور الوبري	١/ ٢٨٧
الصَّمَدْ	سبرة الأسدي	٤/ ٥٠٦
مَعَدّ	الحارث بن دوس	٤/ ١٩٨
وَبَرَدْ	....	٢/ ٥٦٨
الممتادْ	رؤبة	١/ ٦٠١

القافية	الشاعر	ج/ ص
تغريذ	....	٤/ ٢٥
بإقليذ	....	٤/ ٢٥
بَرْدا	العرجي	١/ ٥٨٣و٤/ ٣٩٠
بُعْدا	....	١/ ٢٣
وَجْدا	....	١/ ٢٣
جهدا	....	١/ ٢٣
بها بُدّا	....	١/ ٥٠٩
محمدا	الأعشى	١/ ٣٨١
مُخلدا	حطائط بن يعفر	٢/ ٣٨٣
جلمدا	الأحوص	٣/ ٣٠
جامدا	الأحوص	٣/ ٣٠
الذائدا	....	١/ ٤٦٤
واحدا	....	١/ ٤٦٤
باردا	....	١/ ٥٢٢و٤/ ٢٢٢
نَكِدا	....	٢/ ١٣٢
صَرَدا	....	٢/ ٥٥٢
بَدَدا	....	٢/ ٥٥٢
الوالدَةْ	....	٢/ ٣٤٦
جيدَها	....	٢/ ٣٩٠
والبُعْدُ	الحطيئة	١/ ٥٥٥
قَدُّوا	الحطيئة	٢/ ٢٣٨
الفَرْدُ	حسان بن ثابت	٤/ ٣٢١
يُخَلَّدُ	حسان بن ثابت	٣/ ١١٣
ويولدُ	....	٢/ ١٧١
يَبْرُدُ	....	٤/ ٣٣٧
سَبَدُ	الراعي النميري	٢/ ٢٧٠
سودُ	الأعشى	١/ ٣٢٣
بعيدُ	عروة بن حزام	٢/ ١٣٠
ومحصودُ	....	٢/ ٣٢٧و٣/ ٥٧٩
المجلودُ	....	٢/ ٤٢٠
تعودُ	....	٣/ ١٩٩

القافية	الشاعر	ج/ ص
وقعودُ	....	٣/ ١٩٩
أَمَدُهْ	الطرماح	١/ ٢٧٣
عهدِ	الحكم بن عبدل	١/ ٤٧٠
العبدِ	المقنع الكندي	٢/ ١٧٨
عن خدِّ	....	٢/ ٢٠٨
أُصَدِّي	....	٢/ ٢٠٨
ضحى غدِ	عدي بن زيد	٢/ ٦٦
المتردِّدِ	عدي بن زيد	٣/ ١٥٣
متهجّدِ	النابغة الذبياني	٣/ ٤٧
يرشدِ	النابغة الذبياني	٣/ ٤٧
نَقْعُدِ	امرؤ القيس	٣/ ١٥٤
قدي	حميد الأرقط	٣/ ٥٥١
موقدِ	الحطيئة	٤/ ٧٨
يُوأَدِ	الفرزدق	٤/ ٤٠٦
[مخلدي]	طرفة	٣/ ٤٢٠
تُزَوَّدِ	طرفة	٣/ ٥٣١
بأوحدِ	طرفة	٣/ ٤٢١و٤/ ٤٥٥
المتشدِّدِ	طرفة	٤/ ٤٨٢
باليدِ	....	٢/ ٤٨٩
المتعمِّدِ	....	٣/ ١٦٤
أم خالدِ	الأشهب بن رميلة	١/ ٣٧و٤/ ١٩
الأساودِ	الأشهب بن رميلة	٤/ ٣٢٤
وتالدِ	متمم بن نويرة	١/ ٣٥١
رمادِ	حسان بن ثابت	٣/ ٣٦١
الأوتادِ	الأسود بن يعفر	٣/ ٥٦١
وغادي	....	١/ ١١٢
فَقَدِ	النابغة الذبياني	١/ ٤٧
البَرَدِ	....	٢/ ٣٩٢
شديدِ	أبو زبيد الطائي	٢/ ١٥٧
المنجودِ	أبو زبيد الطائي	٢/ ٤٤٤
بمردودِ	هانئ بن شكيم	٢/ ٤٧١

القافية	الشاعر	ج/ ص
وثمودِ	....	١/ ٤١
جحودِ	....	١/ ٤١
رُودِ	....	٤/ ٤٣٠
المديدِ	....	٤/ ٤٤٢
المشيدِ	....	٤/ ٤٤٢
الحشيدِ	....	٤/ ٤٤٢
وعيدي	....	٤/ ٤٤٢
شديدِ	....	٤/ ٤٤٢
والعديدِ	....	٤/ ٤٤٢
هودِ	....	٤/ ٤٤٢
الرشيدِ	....	٤/ ٤٤٢
محيدِ	....	٤/ ٤٤٢
البعيدِ	....	٤/ ٤٤٢
حصيدِ	....	٤/ ٤٤٢
حدادِها	الأعشى	١/ ١٥١
[فادِها]	الأعشى	١/ ٣٨٧

ـ الراء ـ

القافية	الشاعر	ج/ ص
أو مُضَرْ	لبيد	١/ ٣٨
اعتذرْ	لبيد	٢/ ٢٨٧و٢٨٨و٤/ ٤٣١
أَنْتَصِرْ	امرؤ القيس	١/ ٢٥٩ و٢/ ٥١٦
نُكُرْ	عبيدة بن همام	١/ ٢٩٨و٤٣٧
نُسَرْ	النمر بن تولب	١/ ٥١٣
دِرَرْ	النمر بن تولب	٤/ ٢٠٧
معتصرْ	ابن أحمر	٢/ ٤٤٥
الضجرْ	....	١/ ١٧٢
الشَّجَرْ	....	٢/ ٥٥٢
ضَرَرْ	....	٢/ ٥٥٢
اعتَكَرْ	....	٤/ ٣٧٨
زَهَرْ	....	٤/ ٣٧٨
المسِيرْ	....	٤/ ٩٥

القافية	الشاعر	ج/ ص
الحِيرْ	....	٤/ ٩٥
سُمْرا	الفرزدق	١/ ٣٣٥
قَدْرا	ذو الرمة	١/ ٥٠١
تمرا	....	٢/ ٢٠٩
وزبرا	....	٢/ ٢٠٩
خُضْرا	....	٤/ ٢١٧
أحمرا	امرؤ القيس	٢/ ٦٠
بيقرا	امرؤ القيس	٤/ ١٨٠
أضمرا	الفرزدق	٢/ ٣٣٥
مُسَكَّرا	الفرزدق	٣/ ٢٣
أبجرا	الأبيرد الرياحي	٣/ ٥٤١
وأقهرا	المخبل السعدي	٣/ ٥٤٥
المنَفَّرا	ليلى الأخيلية	٤/ ٣٦٠
موقَرا	....	٢/ ٤٢٩
مشارا	الأعشى	١/ ٣٤٠ و٤/ ٣٧٩
نارا	أبو دؤاد الإيادي	١/ ٤٠١
[واستنارا]	الراعي النميري	٢/ ٩٤
ووقارا	أبو عريف الكلبي	٢/ ٢٤٧
الإزارا	ابن أحمر	٢/ ٣٦٠
عقارا	المسيب بن علس	٤/ ٤١٧
إعصارا	....	١/ ٢٤٠
حمارا	....	١/ ٣٠٩
مستعارا	....	٢/ ١١٦و٤٣٥
إكبارا	....	٢/ ٤٣٦
نفرا	الربيع بن منيع الفزاري	٣/ ٥٣٢
والقمرا	جرير	٤/ ٩٢
سَكَرا	....	٢/ ٥٦٩
كفورا	الأسود بن عامر بن جوين	١/ ٤٣٧
كبيرا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ١٢٨
سريرا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ١٢٨
صورا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ١٢٨

القافية	الشاعر	ج/ص
ذكورا	الأعشى	٤/١١٦
مستطيرا	الأعشى	٤/٣٧٧
والفقيرا	....	١/١٧٥
كسيرا	....	٣/٥٧١
سِتْرُ	مسكين الدارمي	١/٣٨
الخِدرُ	مسكين الدارمي	١/٣٨
وقرُ	مسكين الدارمي	١/٣٨
الدهرُ	حاتم الطائي	٢/١٣٩
الفقرُ	حاتم الطائي	٢/١٣٩
الصَّدْرُ	حاتم الطائي	٤/٢٣٠
الفَجْرُ	أبو صخر الهذلي	٢/٤٧٠
الشُكْرُ	أبو صخر الهذلي	٣/٢٠٩
أَجْرُ	....	١/٥٥
يُعصَرُ	....	٢/٤٤٤
المقادرُ	ذو الرمة	٣/٦٤
القصائرُ	كثير عزة	٤/٢١٦
البحاترُ	كثير عزة	٤/٢١٦
عامرُ	....	٢/٤٢٩
الهواجرُ	....	٤/٣٦٤
قماطرُ	....	٤/٣٧٨
الصَّفَرُ	الأعشى	١/٢٤٦
الزفرُ	أعشى باهلة	١/٣١٢ و٤/٥٠
الغُمَرُ	أعشى باهلة	٤/٢٢٥
الصدورُ	العباس بن مرداس	٢/٣٤٥ و٣/٢٢٤
بُورُ	ابن الزبعرى	٣/٣١٥
القدورُ	....	١/١١٤ و٢/٢٣٦و٣٦٦
صُورُ	....	١/٢٣٦
لمغرورُ	....	١/٢٦٣
الصُّورُ	....	٢/٤٥

القافية	الشاعر	ج/ص
لصبورُ	....	٢/٥١٦
كثيرُ	....	٢/٥٧١
قذورُ	....	٢/٥٧١
يضرُّهْ	النابغة الذبياني	١/٣٣٩ و٢/٣٨١
مُرُّهْ	النابغة الذبياني	٢/٣٨١
يَسُرُّه	النابغة الذبياني	٢/٣٨١
نشورُها	خالد بن زهيرالهذلي	١/٦٨و٣٤٠
وبُسُورُها	توبة بن الحميّر	٤/٣٦٣
الجَمْرِ	عمران بن حطان	١/١٠٦
الجُزْرِ	خرنق بنت هفان	١/٤٩٨
الأزرِ	خرنق بنت هفان	١/٤٩٨
شَهْرِ	زهير بن أبي سلمى	٢/٢٩٨ و٥٥٢
لا يفري	زهير بن أبي سلمى	٣/٢٥٨ و٤/٢٦٥
البحرِ	ذو الرمة	٢/٣١٦
الخَمْرِ	المسيب بن علس	٤/٣٧٩
عمرِو	عبد الرحمن المحاربي	٣/٢١٢
بِنُكْرِ	زيد بن عمرو بن نفيل	٣/٣٩٥
ضُرّْ	زيد بن عمرو بن نفيل	٣/٣٩٥
بالغدرِ	....	١/٨٨
أبي بكرِ	....	١/٢٢٥
وذا ظُفْرِ	....	٢/٨٨
ولا ظفري	....	٢/٨٨
بني صخرِ	....	٢/٤٦٤
إلى وَكْرِ	....	٢/٥١٦
الصَّدْرِ	....	٣/١٤٨
والنُّكْرِ	....	٤/٢٦٥
وحِمْيَرِ	لبيد	١/٢٩
المسَحَّرِ	لبيد	٣/٢٩
مُنْكَرِ	عبيد بن وهب العبسي	٣/٧٢
الحميري	أبو ذؤيب	٤/٤١٥

القافية	الشاعر	ج/ص
لعامرِ	الراعي النميري	١/ ٤٤
عامرِ	الراعي النميري	٣/ ٢٢٦
بالجرائرِ	الشنفرى	٢/ ٤٣
الناشرِ	الأعشى	٢/ ١٣١ و٤/ ٤٠٢
قابرِ	الأعشى	٤/ ٤٠٢
للحوافرِ	زيد الخيل	٢/ ٥٦٣
المواطرِ	....	١/ ٢٢
المقادرِ	....	١/ ٢٢
المقادرِ	....	٣/ ٢٤٦
وانتظاري	عدي بن زيد	١/ ٤٩
اعتصاري	عدي بن زيد	٢/ ٤٤٥
نهارِ	ربيع بن زياد	١/ ٢٩٣
الأسحارِ	ربيع بن زياد	١/ ٢٩٣
الساري	الأخطل	٤/ ١٧٨
إزاري	....	١/ ١٤٨
وعارِ	....	٤/ ٣٩٥
قَدَرِ	جرير	١/ ٣٨
عَوَري	ابن مقبل	٢/ ٥٢٤
دَعِرِ	ابن مقبل	٣/ ٣٨٢
بالسُّوَرِ	....	٣/ ٢٣١
منثورِ	الفرزدق	٣/ ٣٩
القدورِ	....	١/ ٢٥٩
أظفورِ	....	٢/ ٨٨
زورِ	....	٢/ ١٢٨
غدورِ	....	٢/ ٢٥٥
الأميرِ	....	٣/ ٥٦٨
دارِها	....	٤/ ٣٩٨
سرارِها	....	٤/ ٣٩٨

ـ الزاي ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
الأجرازْ	....	٣/ ٦٥
عزَّ بزّا	الخنساء	١/ ٤٨٧ و٢/ ٣١٩
اللمَزَهْ	زياد الأعجم	٢/ ٢٦٩ و٤/ ٤٨٩
مبزي	رؤبة	١/ ٧٠
بالرجزِ	رؤبة	١/ ٧٠

ـ السين ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
الأخماسْ	رؤبة	٢/ ٢٩
وإبلاسْ	رؤبة	٢/ ٢٩
بَسًّا	....	٤/ ٢١٩
مكرسا	العجاج	٢/ ٢٩
وأبلسا	العجاج	٢/ ٢٩
تنفسا	علقمة بن قرط	٤/ ٤٠٨
وعسعسا	علقمة بن قرط	٤/ ٤٠٨
التباسا	النابغة الجعدي	١/ ٣٦
لباسا	النابغة الجعدي	١/ ١٤٨
نحاسا	النابغة الجعدي	٤/ ٢١١
بئيسا	ذو الإصبع العدواني	٢/ ١٦٤
رأسُ	....	٣/ ٢١٣
المجلسُ	المهلهل	١/ ٨٩ و٣/ ٤٣
الجلَّسُ	....	١/ ٧٨
الفوارسُ	ذو الرمة	٣/ ٧١
نفسي	الخنساء	٤/ ٧٨
بالتأسي	الخنساء	٤/ ٧٨
حِنْدِسِ	....	٣/ ٨٢
السندسِ	....	٣/ ٨٢
الجواميسِ	جرير	٢/ ٥٦٣

ـ الشين ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
قريشا	....	٤/ ٤٩٤
ريشا	....	٤/ ٤٩٤

القافية	الشاعر	ج/ ص
ـ الصاد ـ		
وتبوصُ	امرؤ القيس	٣/ ٥٥٩
خميصُ	....	١/ ٣٠و١٩٢
		٢/ ١٣٦و٣/ ٥٦٣ و٤/ ٢٠٤
حريصُ	....	٢/ ١٢٢
ـ الضاد ـ		
تقضى	رؤبة	١/ ٢٥٠
بعضا	رؤبة	١/ ٢٥٠
بالمعضَّى	رؤبة	٢/ ٥٤٤
أرضى	....	٢/ ٣٦٨
ما مضى	....	٣/ ١٥٤
بعضِ	طرفة	٣/ ١٢٢
نقضي	....	٢/ ٤١٦
عرضي	....	٢/ ٤١٦
تبيضَّضي	....	٢/ ٤٢٩
ـ الطاء ـ		
المناشطا	هميان بن قحافة	٤/ ٣٩٤
واسطا	هميان بن قحافة	٤/ ٣٩٤
ـ العين ـ		
خَدَعْ	سويد بن أبي كاهل	١/ ٣١
رَتَعْ	سويد بن أبي كاهل	٢/ ٤١٧
المستمعْ	....	١/ ٥٤
جَذَعْ	....	٢/ ١٤٩
أَضَعْ	....	٢/ ١٤٩
بصاعْ	....	٢/ ٤٢٩
مدفعا	امرؤ القيس	١/ ٤٣٦ و٢/ ٣٦٤
أشنعا	مقاس العائذي	٢/ ٣٩
المقنعا	جرير	١/ ٤٣٤
مصنعا	....	٢/ ٤٥٦

القافية	الشاعر	ج/ ص
أطمعا	....	٢/ ٥١٧
ممنعا	....	٤/ ١٦٢
اتباعا	القطامي	٤/ ٣٤٣
ذراعا	....	٢/ ٣٨٩
قد ينعا	الأحوص أو يزيد	٢/ ٦١
مضطجعا	الأعشى	٢/ ٢٩١
والصلعا	الأعشى	٢/ ٣٨٥ و٤/ ٣٨٤
خدوعا	....	١/ ٢٩٤
رَفَعَهْ	الأضبط بن قريع	١/ ٥٦١
تدفعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٢٢٧
ترقعُ	أبو ذؤيب الهذلي	١/ ٥٤٤
تُبَّعُ	أبو ذؤيب الهذلي	٤/ ٤٧
يجزعُ	أبو ذؤيب الهذلي	٤/ ١٧٩
الخُشَّعُ	جرير	٢/ ٤١٦
وتقطَّعُ	أوس بن حجر	٢/ ٤٦٤
أتقنَّعُ	غيلان بن سلمة	٤/ ٣٥٩
مدمعُ	....	١/ ٥٠٢
أطمعُ	....	٢/ ١٦٦
مُجمعُ	....	٢/ ٣٤١ و٣/ ١٦٦
نوازعُ	النابغة الذبياني	١/ ٤١
سابعُ	النابغة الذبياني	١/ ٥٨
الأصابعُ	النابغة الذبياني	٢/ ٤٣٤
ساطعُ	لبيد	١/ ١٧٥ و٣/ ٣٩٧و٤/ ٤٢٠
الأصابعُ	لبيد	٢/ ٥٠٧
الزعازعُ	الفرزدق	٢/ ١٥٨
الطوالعُ	الفرزدق	٤/ ٧٨
الودائعُ	بيهس العذري	٣/ ٩٥
طالعُ	عبد الله بن رواحة	٣/ ١٩٨
المضاجعُ	عبد الله بن رواحة	٣/ ١٩٨
مجاشعُ	....	٢/ ١٠٧
نافعُ	....	٤/ ٣٣٦

القافية	الشاعر	ج/ص
وجيعُ	عمرو بن معد يكرب	١/ ٤٨٧
صديعُ	عمرو بن معد يكرب	٢/ ٥٤٥
رجوعُ	قيس بن ذريح	٢/ ٣٤٣
رجوعُها	الأحوص	٣/ ٢٦٢
مصرعي	خبيب بن عدي	١/ ١٧٠
ممزّعِ	خبيب بن عدي	١/ ١٧٠
والأقرعِ	العباس بن مرداس	٣/ ٥٣٠
بجائعِ	امرأة من قشير	١/ ٣٧٣
فارعِ	مقيس بن صبابة	١/ ٤٥٠
راجعِ	مقيس بن صبابة	١/ ٤٥٠
القصاعِ	الحطيئة	١/ ٢١١
ربوعِ	الشماخ	٢/ ٩٩
القنوعِ	الشماخ	٣/ ٢٣٩

ـ الفاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
قافْ	. . . .	١/ ٢٦و٤/ ١٥٧
[الأكفّا]	. . . .	٢/ ٥٠٥و٥٠٦
أوجفا	العجاج	٢/ ٤٠٦
فزلفا	العجاج	٢/ ٤٠٦
احقوقفا	العجاج	٢/ ٤٠٦
دَنَفا	العجاج	٣/ ٤٦
تزحلفا	العجاج	٣/ ٤٦
الوظيفا	الهذلي	٢/ ٥٠٦
مشرفُ	الفرزدق	١/ ٥٣٢
مجلَّفُ	الفرزدق	٣/ ١٦٤
تقصَّفُ	. . . .	٢/ ٤٧٠
المخلَّفُ	. . . .	٢/ ٤٧٠
وزائفُ	المزرد	٣/ ٧٨
نزاحفُ	. . . .	١/ ٢٨٦
تحانفُ	. . . .	١/ ٢٨٦
كاسفُ	. . . .	٢/ ٥٠٩
الرواجفُ	. . . .	٤/ ٤٩٤
مختلفُ	عمرو بن امرئ القيس أو المرار الأسدي	٢/ ٢٥٥ و٣/ ٥٠١ و٤/ ١٥٩
طَرَفُ	جرير	٣/ ١٩٤
تنغرفُ	قيس بن الخطيم	٣/ ٢٨٣
خلافِ	. . . .	١/ ٣٥٣
الأعرافِ	. . . .	٢/ ١٢٣

ـ القاف ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
المصطلقْ	. . . .	٣/ ١٠٠
وانطلقْ	. . . .	٣/ ١٠٠
نَطَقْ	. . . .	٣/ ١٠١
تَلِقْ	. . . .	٣/ ٢٨٤
طارقْ	هند بنت عتبة	٤/ ٤٢٨
النمارقْ	هند بنت عتبة	٤/ ٤٢٨
ساقْ	. . . .	٤/ ٣٢٥
بالمضيقْ	. . . .	٣/ ٣٣٣
السرادقا	الفرزدق	٣/ ٨٠
حقائقا	. . . .	٤/ ٤٢١
سائقا	. . . .	٤/ ٤٢١
دقيقا	. . . .	١/ ١١٢
لبيقا	. . . .	١/ ١١٢
يبرقُ	ذو الرمة	١/ ٤١
الغَرَقُ	العباس بن عبد المطلب	٣/ ٥٢٥
شَرِقُ	. . . .	٣/ ٣٣٧
وتنطلقُ	. . . .	٣/ ٣٣٧
تذوقُ	حميد بن ثور	٢/ ٤٩٠
إبريقُ	عدي بن زيد	٤/ ٢٢١
يذوقُ	. . . .	١/ ٢٨١
أطيقُ	. . . .	٣/ ٣٩٢

القافية	الشاعر	ج/ص
تُشَقَّقِ	عقفان بن قيس	٢/ ٨٨
تُفَتَّقِ	الشماخ أو المزرد	٣/ ١٧
تَبْرَقِ	طرفة	٤/ ٣٦٩
موثقِ	....	١/ ٤٢
متألقِ	....	١/ ٤٢
أيانقِ	عمارة بن طارق	٤/ ٥٠٣
شقاقِ	بشر بن أبي خازم	١/ ٥٧٠
مراقِ	عوف بن الأحوص	٢/ ٤٣
العراقِ	....	٢/ ١٢٨
مهراقِ	....	٢/ ١٢٨
طَبَقِ	الأقرع بن حابس	٤/ ٤٢٢
ـ الكاف ـ		
حلالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
محالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
عيالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
جلالكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
بدا لكْ	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
مَكَّا	....	٤/ ١٣٥
وعَكَّا	....	٤/ ١٣٥
عذلكا	.....	١/ ١١٦
مثلكا	......	١/ ١١٦
مباركا	أبو خالد القناني	١/ ١٦
إيثاركا	أبو خالد القناني	١/ ١٦
أنا ذلكا	خفاف بن ندبة	١/ ٢٧
عزائكا	الأعشى	١/ ١٩٨
نسائكا	الأعشى	١/ ١٩٨
مالُكا	......	١/ ٢٩٧
سواكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
حماكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
عاداكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
قراكا	عبد المطلب	٤/ ٤٩١
الدوالكِ	ذو الرمة	٣/ ٤٦
ـ اللام ـ		
الطفلْ	لبيد	١/ ٢٤
سألْ	لبيد	١/ ٤٩
وعَجَلْ	لبيد	٢/ ١٨٧
فاضمحلّ	لبيد	٢/ ٤٩٠
[غَفَلْ]	لبيد	٣/ ٤٧
وحائلْ	الطرماح	٢/ ٥٢٩
مقبلا	أوس بن حجر	١/ ٢٠٥
أعضلا	أوس بن حجر	١/ ٢٠٥
أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	١/ ٥٠٠
المغفلا	....	١/ ٣٨١
أرملا	....	٢/ ٤٦٧
المطافلا	....	١/ ٥٩
الأوعالا	الفرزدق	١/ ٧٨
الأبطالا	الفرزدق	٣/ ٢٣
خيالا	الأخطل	٢/ ٤٨و٤/ ١٧٩
ميكالا	جرير	١/ ٩١
أبوالا	أمية بن أبي الصلت	١/ ١٧٥
مقالا	الحطيئة	٣/ ١٢٢
الأبطالا	....	٢/ ٣٨٩
الطوالا	....	٢/ ٣٨٩
وقبالا	....	٤/ ٢٢٣
والجبالا	....	٤/ ٢٢٣
فصَلا	عدي بن زيد	١/ ٧١
يخون إلى	الأعشى	٢/ ١٣٣
حَمَلا	الأخطل	٢/ ٥٧٥
معقولا	الراعي النميري	٢/ ٤٢٠
تحويلا	ابن رواحة	٣/ ١١٣

القافية	الشاعر	ج/ص
السبيلا	....	١/ ٣٠٩
الجِبِلَّهْ	....	٣/ ٣٤٧
أمر الله	....	٤/ ٣٢٤
المغلَّهْ	....	٤/ ٣٢٤
قالَها	الخنساء	١/ ٢٩٠
أوعالَها	الخنساء	١/ ٢٩٠
أمثالَها	الخنساء	١/ ٢٩٠
ما لَها	الخنساء	٢/ ٤٦٤
حبالَها	الأعشى	١/ ٣١١
أطفالَها	الأعشى	٢/ ٤٦٧
إبقالَها	عامر بن جوين الطائي	٢/ ٤٤٤ و٣/ ١٤
تُغلُ	ابن همام السلولي	١/ ٢٩٤
يستهلُ	تأبط شرا	٢/ ٣٨٦
البَقْلُ	زهير بن أبي سلمى	٣/ ٢٥٩
فيستعلوا	زهير بن أبي سلمى	٤/ ٢١٧
القَتْلُ	....	١/ ٨٤
رَحْلُ	....	٤/ ٢٤٣
أَصْلُ	....	٤/ ٢٤٣
منزلُ	ورقة بن نوفل	١/ ٩٠
وأطولُ	الفرزدق	٢/ ١٥٣ و٣/ ٤٢١
أولُ	معن بن أوس	٢/ ١٨٨ و٣/ ٤٢١
لأميلُ	الأحوص	٣/ ٤٢١
العواذلُ	الهذلي	٤/ ٢٤٣
والوسائلُ	....	١/ ٥٤٤
البَطَلُ	الأعشى	١/ ٣٤
وينتعلُ	الأعشى	٢/ ١٢٢
عَجَلُ	الأعشى	٤/ ١٧٦
ما يَئلُ	الأعشى	٣/ ٩٣
هَطِلُ	الأعشى	٣/ ٤١٨
الأُصُلُ	الأعشى	٣/ ٤١٨

القافية	الشاعر	ج/ص
الأَمَلُ	الراعي النميري	٣/ ٣٧٩
الزَّلَلُ	القطامي	٤/ ٣٦
حملوا	....	٢/ ٤٦٤
الإبلُ	....	٢/ ٤٦٤
معازيلُ	عبدة بن الطبيب	٢/ ١٧٩
يعيلُ	أحيحة بن الجلاح	٢/ ٢٤٩ و٤/ ٤٥٨
طويلُ	مجنون ليلى	٢/ ٤٩٠
أقولُ	....	١/ ١١١ و٢/ ١٤١
قليلُ	....	١/ ٢٣٩
جزيلُ	....	٢/ ٣٢٧
فمطيلُ	....	٢/ ٣٢٧
أو كلُّه	....	٢/ ١١٣
فلا أُحلُّه	....	٢/ ١١٣
آجلُهْ	توبة بن مضرس	١/ ٥٣٩
كاهلُهْ	ابن ميادة	٢/ ٥١
أناملُهْ	ضابئ البرجمي	٢/ ٤٨٩
[حلائلُهْ]	ضابئ البرجمي	٣/ ١٥٤
حواصلُهْ	....	٢/ ٥٦٨
نواصلُهْ	....	٣/ ٢٦٢
يستبيلُها	الفرزدق	١/ ٥٥
قبيلُها	الأعشى	٣/ ٥٤
والأهلِ	المنخل	٢/ ٤١٦
قبلي	أبو ذؤيب الهذلي	٢/ ٥٠٦
بالمهْلِ	ذو الرمة	٣/ ٣١٦
رِسْلِ	....	١/ ٨١ و٣/ ٢٤٦
لا أَقْلي	....	٣/ ٨٥
التبقلِ	أبو النجم	١/ ٧١
ونهشلِ	أبو النجم	١/ ٧١
مقتّلِ	امرؤ القيس	١/ ٢٥٩
بكلكلِ	امرؤ القيس	١/ ٢٥٩

القافية	الشاعر	ج/ص
يفعلِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٤٣
تنجلي	امرؤ القيس	٢/ ٣٩٨
مُرَحَّلِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٩٨
تَنسُلِ	امرؤ القيس	٤/ ٣٦٠
كالسجنجلِ	امرؤ القيس	٤/ ٤٢٩
ممحلِ	عبد قيس بن خفاف	١/ ٢٧٩
فانزلِ	عبد قيس بن خفاف	١/ ٢٧٩
الأعزلِ	لبيد	٢/ ٢٧٠
بهيضلِ	أبو كبير الهذلي	٢/ ٥٢٢
فانزلِ	عنترة العبسي	٣/ ١٨٠
المتحوّلِ	هدبة بن خشرم	٣/ ٣٩٢
يَتْفُلِ	ذو الرمة	٤/ ٥٠٩
ذائلِ	النابغة الذبياني	١/ ٩٣
عواملِ	الهذلي	١/ ٤٦٤
بالأصائلِ	أبو ذؤيب الهذلي	٢/ ١٨٤
حابلِ	. . . . . .	١/ ٣٢٥
والأغلالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٣٤
الأذيالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٥٩
إسرالِ	أمية بن أبي الصلت	١/ ٥٩
العقالِ	أمية بن أبي الصلت	٢/ ٥٢٤
أمثالي	امرؤ القيس	١/ ٢١٠
ميّالِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٢٦
إذلالِ	امرؤ القيس	١/ ٢٧٦ و٢/ ٣٢٦
وأوصالي	امرؤ القيس	١/ ٥٣٨ و٢/ ٤٦٤
أغوالِ	امرؤ القيس	٣/ ٥٤٣
مالي	زيد الخيل	٢/ ٣٨٣
دلالِ	أمية بن عائذ الهذلي	٢/ ١٨١
الهلالِ	جرير	٢/ ٤١٦ و٣/ ٣٣٥
المحالِ	الأعشى	٢/ ٤٨٨
يبالي	الأعشى	٢/ ٤٨٨
هلالِ	لبيد	٢/ ٥٣٠

القافية	الشاعر	ج/ص
[بالرجالِ]	عدي بن زيد	٣/ ٥٣٨
بخيالِ	تميم بن مقبل	٤/ ٢٨
الذليلِ	سري السقطي	١/ ١٧٩
وقيلِ	سري السقطي	١/ ١٧٩
القتيلِ	عنترة الطائي	٢/ ٢٠٨
عقيلِ	الراعي	٣/ ١٠١
برسولِ	كثير عزة	٣/ ٣٣٦
بالعقولِ	. . . .	٢/ ١١٦
قُلَلَهْ	جميل بن معمر	٢/ ٤٣٥
برجلِهِ	أم الأحنف	١/ ١١٦
هزلِهِ	أم الأحنف	١/ ١١٦
مثلِهِ	أم الأحنف	١/ ١١٦
خليلِهِ	ابن رواحة	٣/ ٢٢٢
	ـ الميم ـ	
إبرهمْ	عبد المطلب	١/ ١٠٧
ينتقمْ	الأعشى	١/ ٢٩٦
حُرِمْ	الأعشى	٢/ ٣٤٧
حُطَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
غَنَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
وَضَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
لم يَنَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
كالزَّلَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
القَدَمْ	الحطم البكري	١/ ٥٠٧
من صَمَمْ	المثقب العبدي	٢/ ١٨
كَمْ وَكَمْ	. . . .	١/ ١٦٣ و٤/ ٢٠٨
القومْ	. . . .	٣/ ١٩٦
اليومْ	. . . .	٣/ ١٩٦
سلّما	وضاح اليمن	١/ ٢٧٧ و٣/ ٥٦٧
أينما	النمر بن تولب	١/ ٤٣٦
مبهما	حاتم الطائي	١/ ٥١٤

القافية	الشاعر	ج/ص
بمنطقها فما	حميد بن ثور	١/ ٢٥٩ و٣/ ٣٥٥
موشّما	حميد بن ثور	٢/ ١٠٩
لها ابنما	المتلمس	٢/ ٢٥٣
ميسما	المتلمس	٣/ ٥٦
لصمّما	المتلمس	٣/ ١٦٥
وأزنما	العوام بن شوذب	٤/ ٢٨٨
وتمما	....	١/ ١٨
يتندما	....	١/ ٣١٨
درهما	....	٢/ ٤٠١
الدما	....	٢/ ٤٠١
راهما	هند بنت عتبة	٣/ ٥٦٧
عرواهما	هند بنت عتبة	٣/ ٥٦٧
حماهما	هند بنت عتبة	٣/ ٥٦٧
تراهما	هند بنت عتبة	٣/ ٥٦٧
غنماهما	أبو أسيدة الدبيري	٤/ ٣٣٠
سلاما	جرير	١/ ٧٨
لماما	جرير	٢/ ١٠٩
غراما	بشر بن أبي خازم	٣/ ٣٢٨
ألاما	أم عمير الحنفي	٣/ ٥٥٢
الطعاما	....	١/ ٥٨
[السناما]	....	٣/ ٨٥
ولا ذمما	....	٢/ ٢٣٨و٢٣٩
هامَهْ	يزيد بن مفرغ	١/ ٤٣٢
غمامَهْ	يزيد بن مفرغ	٤/ ٩٢
طَعْمُ	....	٣/ ١٦٩
عُقْمُ	....	٣/ ٢٤٦
منظمُ	....	١/ ٢٣٩
يقدمُ	....	٢/ ٥١٤
جاحمُ	الأعشى	١/ ١٠٦
راغمُ	الأعشى	٢/ ٣٤٦
إبراهمُ	عبد المطلب	١/ ١٠٧

القافية	الشاعر	ج/ص
قائمُ	عبد المطلب	١/ ١٠٧
رواغمُ	....	١/ ٤٤٥
والغلامُ	أوس بن غلفاء	١/ ٢٨٠
السلامُ	المثقب العبدي	٢/ ٥٥٢
أثامُ	بلعاء بن قيس	٣/ ٣٢٩
الحَمَامُ	....	١/ ٢٥٩
السلامُ	....	٢/ ٩٦
السَّقَمُ	العرجي	٢/ ٤٦٤
والرُّحُمُ	....	٣/ ١٠٣
والحَرَمُ	....	٤/ ٧٨
مذؤومُ	حسان بن ثابت	٢/ ١٠٧
يتيمُ	....	١/ ٨٤
حكيمُ	....	٢/ ٢١٩
والحُتُومُ	....	٢/ ٤٦٩
محرومُ	....	٣/ ١٤٢
سِمُهْ	رؤبة	١/ ١٦
مقدّمُهْ	....	١/ ١٦
سِمُهْ	....	١/ ١٦
حمامُها	لبيد	٤/ ٣٦
عقيمُها	كثير عزة	٢/ ٥٢٩
نسيمُها	....	٢/ ١٣١
هَمّي	رؤبة	١/ ٣٦
غمّي	رؤبة	١/ ٣٦
عِكَمِ	الحطيئة	١/ ٢٩٨
الرجَمِ	النابغة الجعدي	١/ ١٣٢ و٣/ ٢٣
أم الهيثمِ	عنترة العبسي	١/ ٦٥
مَخْرَمِ	عنترة العبسي	٢/ ٢٣٣ و٣٢٤و٣/ ١٤٢
لم تحرمِ	عنترة العبسي	٣/ ٥٦٨
مكلمي	عنترة العبسي	٤/ ٢٤٢

القافية	الشاعر	ج/ص
بمحرَّمِ	عنترة العبسي	٤/ ٣٥٩
المذمّمِ	الأعشى	١/ ١٧٢
من الدمِ	الأعشى	٢/ ٤١٧
التكلمِ	زهير بن أبي سلمى	١/ ٣٣١
المرجَّمِ	زهير بن أبي سلمى	٣/ ٧٤
المتخيَّمِ	زهير بن أبي سلمى	٣/ ١٤٣
مَجْثَمِ	زهير بن أبي سلمى	٣/ ٣٢٧
زهدمِ	سحيم بن وثيل	٢/ ٤٩٦
مُطْعِمِ	أبو وجزة السعدي	٣/ ٥٥٩
بمعظمِ	....	١/ ١١٩
وأنعمي	....	١/ ٢٢٧
لمأثمِ	....	١/ ٣٣١
لم تُكَلَّمِ	....	٣/ ٩٣
النواسمِ	ذو الرمة	١/ ٣٣
أم القاسمِ	ابن الرقاع	١/ ٧٠و٤٣٤
جاسمِ	ابن الرقاع	١/ ٢٢٩
بنائمِ	ابن الرقاع	١/ ٢٢٩
بنائمِ	جرير	٢/ ٣٤٠ و٣/ ٥٠٠
بدارمِ	الفرزدق	٤/ ٨٥
والأداهمِ	....	٢/ ١٣٧
سلاَمِ	الحطيئة	١/ ٩٣
شمامِ	الفرزدق	١/ ١٦٣
بالسهامِ	لبيد	١/ ٣٥٠
النعامِ	حسان بن ثابت	٢/ ٢٣٩
الأيامِ	جرير	٣/ ٢٥
أقوامِ	....	١/ ١٣٨
لأقوامِ	....	١/ ١٩٥
أحلامِ	....	١/ ١٩٥
الأقدامِ	....	٤/ ٣٢٧
الرحيمِ	جرير	١/ ١٢٠ و٢/ ٣١٣

ـ النون ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
شَزَنْ	الأعشى	١/ ٢٤١
أنكرَنْ	الأعشى	١/ ٢٦٧
يأتيَنْ	الأعشى	١/ ٢٦٧
قد عَدَنْ	الأعشى	٢/ ٢٧٧
الجمعينْ	....	٢/ ٤٥
النقعينْ	....	٢/ ٤٥
الصورينْ	....	٢/ ٤٥
ومينا	عدي بن زيد	١/ ٦٥
أين أينا	عبيد بن الأبرص ١/ ١٦٣و٤/ ٢٠٨	
لَحْنا	مالك بن أسماء	٤/ ١٢١
عريانا	سوار بن المضرب	٢/ ١١٠
ومسانا	أمية بن أبي الصلت	٢/ ٢٦٨
عمرانا	....	٢/ ٣٤٦
أحيانا	....	٤/ ٧٤
العالمينا	الحطيئة	١/ ١٨
سبعينا	لبيد	١/ ١٩
الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	١/ ٣٥
لاعبينا	عمرو بن كلثوم	١/ ٤٠
جنينا	عمرو بن كلثوم	١/ ٤٣٨
العيونا	عمرو بن كلثوم	٣/ ١٢٧
مأمونا	عمران بن حطان	١/ ٩٠
لينا	تميم بن مقيل	١/ ٣١٣
سجّينا	تميم بن مقبل	٢/ ٣٩٣
شجينا	المسيب بن زيد مناة	١/ ٤٣٠
	و٣/ ٢٢٤و٤/ ٢٠٤	
دفينا	أبوطالب	٢/ ١٩
عيونا	أبو طالب	٢/ ١٩
دينا	أبو طالب	٢/ ١٩
مبينا	أبو طالب	٢/ ١٩
جنونا	حسان بن ثابت	٢/ ٢٥٥

القافية	الشاعر	ج/ص
آمينا	....	١/ ٢٣
لما جينا	....	١/ ٥٩
إسرائينا	....	١/ ٥٩
تشكونا	....	١/ ٨٤
يوصينا	....	١/ ٨٤
جافونا	....	١/ ٨٤
لما جينا	....	١/ ١١٠
اسماعينا	....	١/ ١١٠
متينا	....	١/ ٣١١
القرينا	....	٣/ ٥٥٩
والعيونا	....	٤/ ٢٢٢
إنَّهْ	ابن قيس الرقيات	٣/ ١٦٥
المباينُ	المعطل الهذلي	٢/ ٤٣٦
المساكنُ	....	٢/ ٣٤٦
دانوا	الفند الزماني	١/ ٢٥٠
أذنوا	قعنب بن أم صاحب	١/ ٥٨٧ و٤/ ٤١٩
دفنوا	قعنب بن أم صاحب	٢/ ١٤١ و٣/ ٥٠٦
رهينُ	النابغة الذبياني	١/ ٣٤
الظنونُ	النابغة الذبياني	٢/ ٣٨٠
فيهونُ	كثير عزة	٢/ ١٠٢
ميزانُه	....	٢/ ١٠٣
بِشَنِّ	النابغة الذبياني	٢/ ٢١٧ و٤/ ١٧٠
الفرقدانِ	عمرو بن معد يكرب	١/ ٤٤٨
طهيانِ	الأحول الكندي	١/ ٥٩٨ و٣/ ٧٠
والشَّبَهانِ	الأحول الكندي	٣/ ٢٣١
بأرسانِ	امرؤ القيس	٢/ ٣٩٢
رماني	ابن أحمر	٤/ ١٥٩
الأركانِ	....	٢/ ٣٩١
باني	....	٢/ ٣٩١

القافية	الشاعر	ج/ص
حقّانِ	....	٢/ ٤٠٤
بالإحسانِ	....	٣/ ١٠١
الكُثبانِ	....	٤/ ٢٢١
والحَزَنِ	....	٤/ ٢٣٧
لم يَكُنِ	....	٤/ ٢٣٧
اللعينِ	الشماخ	١/ ١٢٧
الوتينِ	الشماخ	٤/ ٣٣٣
يليني	المثقب العبدي	١/ ١٤٠و٣١٦ و٢/ ٣٦٧و٥٧٦ و٣/ ٥١٨
يبتغيني	المثقب العبدي	١/ ١٤٠و٣١٦
الحزينِ	المثقب العبدي	٢/ ٣٠٦
والزيتونِ	أبو طالب	٢/ ٦٠
تخوفيني	أبو حية النميري	٣/ ٣٩٥
تَسْتَتْليني	....	٢/ ٣٢٩
أميني	....	٤/ ٤٦٤

ـ الهاء ـ

القافية	الشاعر	ج/ص
فشفاها	ليلى الأخيلية	١/ ٢٠٦
سقاها	ليلى الأخيلية	١/ ٢٠٦و٢٨٠ و٣/ ٩٩
قلاها	....	١/ ٣١٣
[عيناها]	....	١/ ٥٢٢
ابتناها	....	٣/ ٤٠٧
حاديها	طفيل الغنوي	١/ ٦٠
لاقيها	حسان بن ثابت	٢/ ٣٦٤
نبنيها	....	٢/ ١٧١
المدَّهِ	رؤبة	١/ ١٦
تألهي	رؤبة	١/ ١٦
ولُهْلُهِ	رؤبة	١/ ٣٥
مَهْمَهِ	رؤبة	١/ ٣٥
العُمَّهِ	رؤبة	١/ ٣٥

القافية	الشاعر	ج/ص
ـ الياء ـ		
بدا ليا	عبد الله بن معاوية	١/ ٣٢٩
باقيا	النابغة الجعدي	٢/ ٢٠٩
الخواليا	عنترة العبسي	٢/ ٣٥٨
ذا ليا	عنترة العبسي	٢/ ٣٥٨
لجاميا	الفرزدق	٢/ ٤٣٠
ورائيا	سوار بن المضرب	٢/ ٤٦٨و٥٠٧
ضاحيا	أمية بن أبي الصلت	٣/ ٥٥٣
ناهيا	......	٣/ ٥٣٠

القافية	الشاعر	ج/ص
شفائيا	....	٤/ ٣٩٠
معاوِيَهْ	علي بن أبي طالب	٢/ ٨٩
الحاوِيَهْ	علي بن أبي طالب	٢/ ٨٩
أنجيَهْ	سحيم بن وثيل	٢/ ٤٦١
كالأرشيَهْ	سحيم بن وثيل	٢/ ٤٦١
قنسريُّ	العجاج	١/ ٤٨
دواريُّ	العجاج	١/ ٤٨
غنيُّ	....	٢/ ١٣٩

٤ ـ أنصاف الأبيات التي لم تعرف قوافيها

	الشاعر	الجزء/ الصفحة
لمن الظعائن سيرهن تزحف	الأعشى	٢/ ١٩٤
وشر المنايا ميت بين أهله	....	١/ ٨٩
فقتلاً بتقتيلٍ وضرباً بضربكم	....	١/ ١٦٥
كلوا في نصف بطنكم تعيشوا	....	١/ ١٩٢و٢/ ١٣٦و٤/ ٢٠٤
تخاطأت إليك أحشاؤه	....	٣/ ٢٢
وإن شئتم تعاودنا عوادا	....	٤/ ٣٤٣
يمجُّ صبيرة الماعون صبا	....	٤/ ٤٩٦

٥ ـ المصادر والمراجع

أهم المراجع والمصادر في التخريج:

١ ـ صحيح البخاري. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار المعرفة.
٢ ـ صحيح مسلم. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي.
٣ ـ سنن أبي داود. بترقيم محيي الدين عبد الحميد، طبع دار إحياء السنة النبوية.
٤ ـ سنن الترمذي. بترقيم أحمد شاكر ثم فؤاد عبد الباقي ثم إبراهيم عطوة عوض، طبع دار إحياء التراث العربي.
٥ ـ سنن النسائي جزء وصفحة، طبع دار القلم.
٦ ـ سنن ابن ماجة. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار الفكر.
٧ ـ سنن الدارمي جزء وصفحة، طبع دار صادر.
٩ ـ مسند الطيالسي. بترقيم دار الباز، طبع دار المعرفة.
١٠ ـ صحيح ابن حبان. بترقيم شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة.
١١ ـ مستدرك الحاكم جزء وصفحة، طبع دار المعرفة.
١٢ ـ سنن الدارقطني. طبع مكتبة المتنبي.
١٣ ـ سنن البيهقي. طبع دار الفكر.
١٤ ـ موطأ الإمام مالك. بترقيم فؤاد عبد الباقي، طبع دار الكتب العلمية.
١٥ ـ مسند الشافعي. طبع دار الكتب العلمية.
١٦ ـ مجمع الزوائد. طبع دار الكتاب العربي.
١٧ ـ مسند الفردوس للديلمي. طبع دار الكتب العلمية.
١٨ ـ الكامل لابن عدي. طبع دار الفكر.
١٩ ـ العلل المتناهية لابن الجوزي. طبع دار الكتب العلمية.
٢٠ ـ سيرة ابن هشام. طبع دار المكتبة التوقيفية.
٢١ ـ المنتقى لابن الجارود. بترقيم عبد الله عمر البارودي، طبع دار الجنان.
٢٢ ـ المطالب العالية لابن حجر. بترقيم حبيب الرحمن الأعظمي، طبع دار المعرفة.

المراجع اللغوية المعتمدة في هذا العمل:

١ ـ لسان العرب، طبع دار بيروت
٢ ـ القاموس المحيط. طبع دار الفكر.
٣ ـ مختار الصحاح للرازي. طبع دار الكتاب العربي.

٤ ـ المغرب للمطرّزي. طبع مكتبة أسامة بن زيد.
٥ ـ المصباح المنير للفيومي. طبع دار الفكر.

كتب الرجال المعتمدة:

١ ـ الجرح والتعديل، للرازي.
٢ ـ الكامل في الضعفاء، لابن عدي.
٣ ـ الضعفاء، للعقيلي.
٤ ـ المجروحون، لابن حبان.
٥ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي.
٦ ـ لسان الميزان، لابن حجر.
٧ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر.
٨ ـ الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي.
٩ ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان.
١٠ ـ الوافي بالوفيات، للصفدي.
١١ ـ الديباج المذهب، لابن فرحون.
١٢ ـ جذوة الاقتباس، لابن القاضي.
١٣ ـ تذكرة الحفاظ، للذهبي.
١٤ ـ بغية الملتمس، لابن عميرة الضبي.

الكتب المعتمدة في الحكم على الحديث:

١ ـ نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للإمام الحافظ جمال الدين الزيلعي رحمه الله.
٢ ـ الدراية في تلخيص نصب الراية، لابن حجر.
٣ ـ تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير، لابن حجر.
٤ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي.
٥ ـ العلل، لابن أبي حاتم الرازي.